# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء الخامس والثلاثون
ربيع الآخر ١٣٩٥ هـ
مايو ١٩٧٥ م

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع الدكتور طه حسين
(مراد سابقاً) بالجيزة

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين فى السنة )

الجزء الخامس والثلاثون

ربيع الآخر ١٣٩٥هـ - مايو ١٩٧٥م

المشرف على المجلة :

د . إبراهيم أنيس

رئيس التحرير :

إبراهيم الترزى

# الفهرس

## من أنباء المجمع

# بسم الله الرحمن الرحيم

## تصدير

# صيغة الجمع : "فُعلان" مثل قضبان و"فِعلان" مثل غِلمان

للدكتور ابراهيم أنيس

**جموع** التكسير العربية التى جاءت على هاتين الصورتين قد سببت بعض الحيرة لعلماء العربية فقد حاولوا فى كتبهم أن يضعوا قاعدة لها ، فجاءت قاعدتهم فى نهاية الجهد عرجاء لا تفسر الحكمة فى أن عدداً من صور المفرد التى لا يمت بعضها إلى بعض من حيث البنية بأى صلة ، قد جمعت على « فعلان » بكسر الأول ، وأن عدداً آخر من صور المفرد قد جمعت على « فعلان » بضم الأول !!

فأى صلة بين بنية المفردات « غراب . صرد . حوت . تاج » حتى يمكن أن يقال إنها تجمع قياسياً أو باطراد على « فعلان » بكسر الأول ؟ وأى صلة بين بنية المفردات « بطن . ذكر . قضيب » حتى يمكن أن يقال إنها تجمع قياسيا على « فعلان » بضم الأول ؟ !

ومن عجيب أمر هؤلاء العلماء أنهم إذا وجدوا فى اللغة أمثال :

[ « غزلان » جمعا لغزال : وخرفان » جمعا لخروف و « نسوان » جمعا لنسوة ، « ركبان » جمعا لراكب ، « سودان » جمعا لأسود ] قالوا : إن كل ذلك من المسموعات القليلة أو النادرة !!

هم يتصورون إذن أن الجمع « فعلان » بصورتيه ، مطرد فى سبع صيغ ومسموع فى خمس صيغ من صيغ المفرد !! فأى جمع هذا ؟! وأى لغة مستقيمة يمكن أن تتضمن مثل هذا النظام الذى زعموه ؟!

فإذا حاولنا أن نضع فرضا معقولا فى تأصيل هذا الجمع ، قلنا : إن أمثلته العربية ، لا تعدو أن تكون جموعا على طريقة اللغة الحبشية فى جمع المفرد المذكر بإلحاق الألف والنون !! ولذلك نفترض أن الجمع « فعلان » بصورتيه ، صيغة غريبة على العربية الشمالية المألوفة لنا . وقد جاءت هذه الصيغة على حسب الجمع فى اللغة الحبشية ، ربما عن طريق العربية القديمة فى جنوب شبه الجزيرة ، وذلك بأن ألحقت الألف والنون بالجموع العربية التى على الصور [ فُعْل مثل خرس ، فُعُول مثل بطون ، فُعُل مثل غدر ، فِعْلة مثل إخوة ] فى الكثرة الغالبة من الأمثلة المروية فى اللغة .

والجمع بإلحاق الألف والنون كثير الشيوع جدا فى اللغة الحبشية ، وربما كان أيضا فى العربية الجنوبية التى كانت سائدة فى اليمن القديمة .

لماذا إذن لا نفترض أن الكثرة الغالبة من الأمثلة التى رويت فى معاجمنا العربية على « فعلان » بكسر الأول أو ضمه ، لا تعدو أن تكون فى الأصل جموعا عربية مألوفة ثم جمعت ثانية على طريقة اللغة الحبشية بأن ألحقت بها الألف والنون ، فهى مما يمكن أن يطلق عليه مصطلح « جمع الجمع » !!

ولا بد هنا من وقفة قصيرة لنقول شيئا عن ظاهرة جمع الجمع ، التى لم يجد القدماء من علماء العربية ما يعللونها به سوى أن يقولوا :

[ قد تدعو(1) الحاجة إلى جمع الجمع كما تدعو إلى تثنيته ، فكما يقال فى جماعتين من

---

(1) أشمونى ج ٤ ص ١١٢

الجمال « جمالان » كذلك يقال فى جماعات « جمالات » ، وإذا قصد تكسير المكسّر نظر إلى ما يشاكله من الآحاد فيكسر بمثل تكسيره ، كقولهم فى « أعبد » أعابد و « أسلحة » أسالح و « أقوال » أقاويل . . . . . . وقالوا فى « مصران ، مصارين ، وغربان غرابين . . . . . . وما جاء من الجموع على زنة مفاعل ، مفاعيل ، لم يجز تكسيره لأنه لا نظير له فى الآحاد فيحمل عليه ، ولكنه قد يجمع بالواو والنون كقولهم فى « نواكس » نواكسون وفى « أيامن » أيامنون ، أو بالألف والتاء كقولهم فى « حدائد » حدائدات وفى « صواحب » صواحبات . ومنه الحديث : إنكن أنتن صواحبات يوسف ]

ولا يكاد هؤلاء العلماء يحاولون تعليل ظاهرة جمع الجمع أو تسويغها .

غير أنا نرى فى إشارة منسوبة فى لسان العرب للأزهرى يعقب بها على ما رُوى عن سيبويه من أنه كان يعتبر كلمة « مصارين » جمع الجمع . جاء فى اللسان : [ المصارين جمع المصران جمعته العرب كذلك على توهم النون أنها أصلية ] !!

أى أن « مصران » فى رأيه ، اعتبر مفردا عن طريق التوهم ، أو ما نسميه نحن بالقياس الخاطىء ، ثم جمع على مصارين ، وليست مصارين إذن فى رأيه من جمع الجمع !!

وظاهرة جمع الجمع قد عرفها اللغويون المحدثون فى لغات متعددة قديمة وحديثة ، ليست مقصورة على اللغة العربية ، لكى نسمح لبعض القدماء من علماء العربية ، أن يقول : « إنها من سنن العرب » ! !

ويفسر اللغويون المحدثون ظاهرة جمع الجمع على أحد أساسين :

أولهما : أن بعض الكلمات التى تتضمن دلالة الجمعية قد يكثر شيوعها جدا ، فتبلى فيها تلك الدلالة أو تضعف تدريجيا ، حتى تصبح فى وقت ما وقد اقتصرت دلالتها فى أذهان معظم الناس على الإفراد ، ويقال حينئذ إنها فقدت فكرة الجمعية ، وأصبحت بحاجة إلى أن تجمع مرة ثانية ، ولتوضيح ذلك يكفى أن نتذكر هذه الكلمات ( زناد . برام . كراس . مصران ) التى تجرى على ألسنتنا الآن ، ونحسبها من المفردات ، ولكنها فى حقيقة أمرها جموع ، ومفرداتها الأصلية هى على الترتيب ( زند . برمة . كراسة . مصير ) !

وقد أدى فقدان فكرة الجمعية إلى تكرار الجمع فى الكلمة الإنجليزية Children التى هى الآن فى أذهان معظم الإنجليز مجرد جمع الكلمة Child وفى الحقيقة أن المفرد Child قد جمع قديما على Childer حين كانت علامة الجمع « Er » ، ثم تنوسيت جمعيتها فجمعت بعد ذلك بطريقة أخرى أو علامة أخرى للجمع هى « En » وهى العلامة التى لا نزال نراها فى مثل الكلمة الإنجليزية Oxen فأصبحت كلمتنا فى نهاية المطاف Children !!

ثانيهما : أن فكرة الجمعية أو دلالة الجمعية فى كلمة ما قد لا تكفى ، أو لا تقنع المتكلم ، فيعمد إلى تقويتها رغبة فى المبالغة ، أو التهويل ، بأن يجمعها مرة ثانية ، ويبدو أن هذه هى الحال التى سيطرت على ذهن علماء العربية بين القدماء حين تحدثوا عن جمع الكلمة مرة ثانية ، وسموا ذلك جمع الجمع . فهم يتصورون فى جمع الجمع أنه يفيد عددا من الآحاد أو الأفراد أكثر مما يفيد الجمع الأول الأصلى .

ومما شجع على جمع الجمع فى العربية ، ولا سيما فيما سموه بتكسير المكسر ، أن فى العربية بعض الصيغ التى يكثر ورودها مع بعض المفردات ومع بعض جموع التكسير فى وقت واحد ، مثل « فُعُول » الكثيرة الشيوع فى مصدر الفعل الثلاثى اللازم المفتوح العين أمثال : نزول . خروج . دخول . وهى أيضا كثيرة جدا فى جمع الاسم الثلاثى أمثال : قبور . قرون . قصور .

وكذلك الشأن مع الصورة الأصيلة للاسم الثلاثى حين يكون مضموم الفاء ساكن العين مثل : جرح . قطر . حلم . فهذه الصيغة كثيرة الشيوع أيضا ومطردة فى جمع الألوان وذوى العاهات ، أمثال : حمر . زرق . عرج . صم . بكم .

وربما كانت كذلك صورة الاسم الثلاثى المضمومة الفاء والعين ، والكثيرة الشيوع فى القرآن الكريم ، إذ ورد فيه من هذه الصورة ١٧ مثلا هى :

( أفق . أكل . حلم . ثلث . دبر . ربع . زبر . سدس . شغل . عنق . هزؤ أذن . نسك . ظفر . عمر . قدس . نصب ) .

وقد جاءت هذه الصورة « فُعُل » مطردة بين جموع التكسير فى أمثال : قُضُب ( جمع

قضيب ) ، عُمُد ( جمع عمود ) ، حُمُر ( جمع حمار ) قُذُل ( جمع قذال ) صُبُر ( جمع صبور ) ... الخ

وأخيراً صيغة « فِعْلة » مثل فتية ، صبية ، وهى الصيغة التى تشكك بعض القدماء فى أنها صيغة للجمع ، ووصفوها بأنها لم تطرد فى شىء وإنما سمعت فى ألفاظ ، ولذلك قالوا عنها إنها اسم جمع ، وليست من صيغ الجمع !! هى إذن أكثر قبولا لأن تجمع ثانية من غيرها من صيغ جموع التكسير الأخرى أمثال : فُعُول ، فُعْل ، فُعُل ، التى أشرنا إليها آنفا .

وهكذا ترى أن الصيغ ( فُعُول ، فُعْل ، فُعُل ، فِعْلة ) حين عبرت عن دلالة الجمعية قد شجعت على أن يعاد جمعها مرة ثانية ، وأن تصبح مما يسمى جمع الجمع .

ويبدو أن هذا هو الذى حدث فى صيغة ( فعلان ) بصورتيها ، فأمثلتها العربية ، لا تعدو أن تكون فى الأصل جموع تكسير على الصور الآنفة الذكر ، ثم ألحقت بها الألف والنون لتقوية دلالة الجمعية فيها أو للمبالغة ، وكان ذلك اتباعا لطريقة الجمع الشائعة جداً فى اللغة الحبشية — ونفترض لذلك أن العربية قد اقترضت علامة الجمع فى اللغة الحبشية ، وربما كان هذا الاقتراض عن طريق العربية القديمة فى جنوب شبه الجزيرة فألحقت الألف والنون ببعض الأمثلة المجموعة أصلا على الأوزان ( فُعُول ، فُعْل ، فُعُل فِعْلة ) .

وقد أحصينا فى استقراء سريع من معاجمنا القديمة أكثر من أربعين مثلا جاءت على ( فعلان ) بصورتيها ، ولم نجد بينها ما يتطلب تفسيرا خاصا سوى ثمانية أمثلة هى : ذؤبان . خرفان . حملان . ميدان . جرذان . صردان . رهبان . صنوان .

وقد ورد فى القرآن الكريم نحو عشرة أمثلة ليس بينها ما يتطلب تفسيرا خاصا سوى مثلين هما : رهبان ، صنوان . وأما من حيث ( رهبان ) فقد اعتبرها بعض اللغويين مفردا — جاء فى اللسان ما نصه : ( وقد يكون الرهبان واحدا وجمعا ، فمن جعله واحدا جعله على بناء فعلان ، أنشد ابن الأعرابى :

لو كلَّمتْ رهبانَ دير فى القُلَلْ لانحدر الرهبان يسعى فنزلْ

وأما من حيث « صنوان » فيمكن أن يقال إنها جاءت قياسا على « إخوان » لأن المفرد ( صنو ) يتحد فى الدلالة مع المفرد ( أخ ) ، أى أن الجمع ( صنوان ) قد نشأ دون المرور بمرحلة ( فِعْلة ) كما فى « إخوة » لأن الصنو » يؤنث على صنوة .

وأما سائر الأمثلة الأخرى التى تتطلب تفسيرا خاصا فنؤثر هنا أن نمر بها مرورا ودون أن نحاول تفسيرها بأكثر من أنها ربما تكون قد جمعت على هذه الصورة قياسا على أمثلة أخرى تشبهها ، وإن كنا نجهل المقيس عليه فى معظم تلك الحالات ؛ لجهلنا بتاريخ نشأة الكلمات فى أغلب الأحيان . فمثلا يمكن أن يقال : إن الجمع ( حُمْلان ) قد جاء قياسا على الجمع ( ذُكْران )

ويعنينا هنا ، قبل تفسير القلة من الأمثلة المروية فى اللغة ، أن نصف القاعدة التى خضعت لها الكثرة من الأمثلة ، وهى تجاوز الثلاثين مثلا . ونبدأ هذا الوصف بأن نقرر أن إلحاق الألف والنون بالصيغة ( فِعْلة ) يأتى لنا بالجمع ( فِعْلان ) المكسور الأول ، وإلحاقهما بالصيغ ( فُعُول ، فُعْل ، فُعُل ) يأتى لنا بالجمع ( فُعلان ) المضموم الأول . فحركة « الفاء » فى الجمع الأصلى هى التى تحدد حركة « الفاء » فى الجمع ( فعلان ) ، كما نقرر أيضا أن العربية فى إلحاق الألف والنون ببعض أمثلتها قد تحاشت ، فيما يبدو ، اللبس بالمثنى ولذلك مالت الى تسكين الوسط مع صيغتى ( فُعول ، فُعُل )

نسوق بعد هذا الأمثلة المروية فى المعاجم القديمة ، والتى خضعت للقاعدة التى نفترضها فى تفسير الجمع المختتم بالألف والنون :

أولا : وزن ( فِعْلان ) بكسر الأول . وأمثلة هذا الوزن فى الكثرة الغالبة ، مما ورد منها فى اللغة ، لا تعدو أن تكون فى أصلها جموعا على صيغة ( فِعْلة ) ثم جمعت ثانية بأن ألحقت بها الألف والنون :

١ — شيخ ← شِيخة ← شيخان

٢ — فتى ← فِتية ← فتيان

٣ — صبى ← صبية ← صبيان

٤ — غلام ← غلمة ← غلمان

٥ — غزال ← غزلة ← غزلان

٦ — شجاع ← شجعة ← شجعان ( المضموم الأول أكثر شهرة )

٧ — أخ ← إخوة ← إخوان

٨ — جار ← جيرة ← جيران

٩ — نار ← نيرة ← نيران

١٠ — قاع ← قيعة ← قيعان

١١ — ثور ← ثيرة ( قال المبرد جمعوه على فِعْلة ثم حركوا الياء ) ← ثيران .

ومن المؤكد أن أمثال ( باب بيبان ، تاج تيجان ، كوز كيزان ، حوت حيتان ، نسوة نسوان ) قد جاءت قياسا على بعض الأمثلة الآنفة الذكر ، أو أنها فقدت إحدى المراحل الثلاث ( مفرد ← فِعْلة ، فعلان )

ثانيا : وزن ( فعلان ) بضم الأول ، وأمثلة هذا الوزن فى الكثرة الغالبة بما ورد منها فى اللغة ، لا تعدو أن تكون فى أصلها جموعا على إحدى الصيغ ( فُعْل ، فُعُل ، فُعُول ) ، ثم جمعت ثانية بأن ألحقت بها الألف والنون :

ا — فُعْل + ان = فُعْلان . واشتهر ذلك فيما يعبر عن الألوان والعاهات ،

١ — أسود ← سُود ← سُودان

٢ — أبيض ← بيض ← بيضان ( كسر الأول طارئ بسبب الياء )

٣ — أعمى ← عمى ← عميان

٤ — أبكم ← بكم ← بكمان

٦ — أصم ← صم ← صمان

٦ — أخرس ← خرس ← خرسان

٧ — أعرج ← عرج ← عرجان

٨ — ولد ← وُلْد ← ولدان

( ب ) فُعُل + ان = فُعْلان ( بعد تسكين الوسط لئلا يلتبس بالمثنى )

١ — غدير ← غدر ← غدران

٢ ـ جدار ← جدر ← جدران
٣ ـ قضيب ← قضب ← قضبان
٤ ـ رغيف ← رغف ← رغفان
٥ ـ عبد ← عُبُد ← عبدان
٦ ـ صليب ← صُلُب ← صلبان

(حـ) فُعُول + ان = فُعْلان ( بعد تسكين الوسط لئلا يلتبس بالمثنى )

١ ـ بطن ← بطون ← بطنان
٢ ـ ظهر ← ظهور ← ظهران
٣ ـ راكب ( أو ركب ) ← ركوب ← ركبان .
٤ ـ ذكر ← ذكور ← ذكران
٥ ـ ضيف ← ضيوف ← ضيفان ( كسر الأول طارئ بسبب الياء )

ومع أن المستشرقين يشيرون فى كتبهم إلى أن إلحاق الألف والنون فى اللغة الحبشية علامة للجمع المذكر الصحيح ، ويقررون أنه قد وجدت له بعض الآثار فى اللغتين الأكادية والسريانية . وبرغم ذلك إذا عرضوا لجمع التكسير فى اللغة العربية يعتبرون إلحاق الألف والنون من علامات جمع التكسير فيها[1] ؟!

ومن كل ما تقدم نرى أن الصيغة ( فعلان ) بصورتيها مما يسمى بجمع الجمع . وأنها فى الأصل جمع على إحدى الصيغ ( فِعْلة ، فُعْل ، فُعُل ، فُعُول ) ، ثم جمعت ثانية على طريقة اللغة الحبشية بأن ألحقت بها الألف والنون .

وفى الحق أن بعض علمائنا القدماء قد اعتبروا بعض أمثله ( فعلان ) مما يسمى بجمع الجمع . جاء فى اللسان : ( والجدار : الحائط والجمع جدر ، وجدران جمع الجمع ) .

(1) S. Moscati : an introduction to the Comparative grammar of the semitic Languages . p . 88 .

وليس اقتراض علامة الجمع من لغة أخرى أمراً فريداً ، أو لا نظير له بين اللغات ، فقد اقترضت الفارسية علامة جمع المؤنث السالم من العربية ( ا ت ) وجمعت عليها بعض الكلمات الفارسية الأصل مثل ( باغ ) بمعنى حديقة جمعت على ( باغات ) بمعنى حدائق . وكثيرا ما اقترضت الإنجليزية علامة الجمع اللاتينية فقالت مثلا فى جمع (formula ، formulae). وإذا كان قد تم اقتراض علامة الجمع بين لغتين من فصيلتين مختلفتين كالعربية والفارسية فلا غرابة أن يتم ذلك بين لغتين ساميتين هما العربية والحبشية .

وبالله التوفيق

المشرف على المجلة

**ابراهيم أنيس**

# بحوث ومقالات

# الثقافة العربية اليوم وغداً

## ١
## نشأتها وتطورها

للدكتور ابراهيم مدكور

١ — الحياة الثقافية فى مجتمع ما وليدة وعى ويقظة، وثمرة انطلاق وحرية. ولاشك فى أن الإسلام بعث فى العالم العربى وعيا نشيطا خلاقا وأسبغ عليه نعمة شاملة، وحرية كاملة، فتفجرت فيه عبقريات استطاعت أن تقيم حضارة لهـا شأنها بين الحضارات الإنسانية الكبرى. وفيما بين القرنين السابع والرابع عشر الميلاديين تنافس العرب والمسلمون جميعا فى ميـدان الثقافة، فأنجزوا ما أنجزوا، وأنتجوا ما أنتجوا فى نواح شتى: فى الأدب والفن، فى العـلم والفلسفة، فى العمران والحضارة، فى الصناعة والتجـارة واسترعى إنتاجهم الأنظار، وبهر أوربا فى القرون الوسطى، وأخذت تنهل من حياضه وتحاكيه. ولم يبق شك اليـوم فى أن العـلم والفلسفة لدى اللاتين مدينـان للعلم والفلسفة العربيين، وأن الازدهار الفكرى فى باريس وأكسفورد إبان القرن الثالث عشر إنما كان صدى لما سبقه من ازدهار فى بغداد وقرطبة، وقـد مهد ذلك كله للنهضة الأوروبية الحديثة.

ومنذ القرن الرابع عشر طغت على العـالم العربى موجـة غاشمة من القهر والغلبة، وظلمـة قاتمة ضاق فيها الفـكر والأفق، وعاش النـاس فى ماضيهم يرددونه ويحاكونه، وربما عز عليهم فهمه وإدراكه. وكثيرا ما رددت تلك العبـارة المشهورة: «ماترك الأول للآخر شـيئا». فأجدبت العقول، وكثر المحرم، وقل المبـاح. وعطلت المصانع والمعامل، وأغلق كثير من معاهد العلم الكبرى، ولم يبق منها إلا الأزهر فى القاهرة، والزيتونة فى تونس، والقرويين فى مراكش. وما بقى ظل يدور حول نفسه، يلخص الحقائق العلميـة فى «متون»، ثم يوضح هـذه المتون فى «شروح»، وقد يفسر الشروح فى «حواش» و«تقارير»، وكل ذلك أخـذ عن السابقين. دراسات فى الغالب رتيبة غـير متنوعة، جامدة غير متحركة، مقلدة غـير مبتكرة، لفظية غـير موضوعية. وفى اختصار: كانت الحياة الثقافية ضيقة النطاق، مقصورة على طائفة محدودة تعيش فى الماضى، ولا تعبأ بالحاضر، تنكر التطور

والتقدم ، ولا تشعر بحاجة إلى تجديد أو ابتكار .

* * *

٢ ــ وفى القرن التاسع عشر بدأت تهب على العالم العربى نسمة جديدة من اليقظة والحرية وظهرت بوادرها فى مصر أولا ، ثم امتد صداها شيئا فشيئا إلى بلاد عربية أخرى . وأخذ العرب يحسون بوجودهم ، ويشعرون مرة أخرى بأنفسهم . ففكروا فى استقلال ، ونظروا فى تفكير غيرهم . ولا شك فى أن الحملة الفرنسية كانت القبس الأول الذى انبعثت منه حركة البحث والتجديد ، فقد اصطحب نابليون معه أربعين من كبار العلماء جاسوا خلال الديار ، ووصفوا طيور مصر وحيواناتها ، وحللوا تربتها ، وكشفوا عن معادنها وصخورها ، ورسموا معالم اقتصادها . وأخرجوا ذلك الكتاب القيم Description de l'Egypte وأسسوا معهداً لا يزال قائما إلى اليوم ، وهو : L'Institut d'Egypte الذى حرص نابليون على أن يرأسه بنفسه . وتلت ذلك حركة استقلالية ردت إلى مصر اعتبارها ، ودفعتها لأن تتسلح بسلاح العلم الحديث . وتزعم محمد على طوال أربعين سنة حركة علمية وحضارية فسيحة ، فأنشأ مدارس الطب والهندسة والصيدلة إلى إلى جانب المدارس الحربية . وأوفد إلى أوربا وفرنسا خاصة بعثات متلاحقة ، وكانت أولاها ( ١٨٢٦ ) مكونة من ٤٠ طالبا قصدوا باريس لدراسة الرياضة والهندسة والطب والعلوم الصناعية . وأنشئ عدد من المدارس الابتدائية والثانوية . وأقيمت مشروعات كبرى كالقناطر الخيرية ، ونظم الرى والصرف ، وشق بعض الترع والرياحات . إلا أن أبناء محمد على لم يسيروا على نهجه تماما ، فأغلقت المدارس العليا ، وتوقفت البعثات الطلابية إلى أوربا . ويظهر أنهم عنوا خاصة بالنواحى الحضارية والعمرانية ، فشيدوا القصور الفخمة ، ودار الأوبرا ، وأنشأوا السكك الحديدية والبريد والبرق .

ونود أن نشير إلى أمرين آخرين كان لهما شأنهما فى هذه الحركة الثقافية ، وأولهما : دعوة العلماء والخبراء الأجانب ، والاستعانة بهم فى النهوض والتجديد ، فى العلم والصناعة والعمران . ومنهم جماعة وضعت اللبنة الأولى فى بنيان النهضة المصرية الحديثة . وعول محمد على فى مدارسه ومصانعه على الأساتذة والخبراء الفرنسيين ، وطبعت الحياة الثقافية المصرية بطابع فرنسى واضح استمر حتى نهاية القرن التاسع عشر . ويضاف إلى هذا ثانيا السماح بإنشاء مدارس أجنبية دينية كانت أو مدنية . ولم تقتصر هذه المدارس على تعليم أبناء الجاليات الأجنبية ، بل فتحت أبوابها أيضا لأبناء المصريين ، وعززت تعليم اللغات الأجنبية بين فرنسية وإيطالية ، إنجليزية وألمانية . ونشئ فيها عدد غير قليل ممن تولوا القيادة الفكرية والسياسية فى القرن العشرين . والواقع أن الأوربيين حظوا فى مصر إبان النصف الثانى من القرن الماضى بمزايا لم يحظ بها الوطنيون أنفسهم . فوقفت عليهم أحياء خاصة فى بعض المدن الكبرى ، وعوملوا معاملة كلها رعاية وتقدير ، ونعموا بامتيازات لم تخل من ظلم للمواطنين ، ولا نظير لها فى بلادهم الأصلية . وبلغ عددهم أحيانا نسبة ملحوظة ، ويكفى أن

تشير إلى أن هذه النسبة صعدت فى الإسكندرية إلى نحو ½ السكان أيام الخديو إسماعيل . وفى هذا الاختلاط والاتصال ما سمح بتبادل ثقافات وتجارب وخبرات متعددة .

واستطاعت مصر أن تكون رائدة ، وسيبدو أثر ريادتها فى القرن العشرين على شكل أوضح ، وقل أن نجد بلدا عربيا لم يبعث إليها ببعض أبنائه لينهلوا من حياضها ، ويقفوا على مظاهر نهضتها ، وكان الأزهر من قديم قبلة طلاب العلم من البلاد الإسلامية عامة. وحرصت البلاد العربية ، إن أتيحت لها فرصة ، على أن تحاكى مصر ، وأن تحذو حذوها . وأفاد بعضها من المدارس الأجنبية ، وإن تأثر بشيء من ميولها واتجاهاتها . ولبنان ، وهو نسبيا أكثر حظا من هذه المدارس ، مدين خاصة لمعهدين كبيرين : هما الجامعة الأمريكية والجامعة اليسوعية . وهذان المعهدان من غرس القرن التاسع عشر ، ولم يخلوا من أهداف دينية ، وقد بدآ فى صورة مدرستين ثانويتين ، وإليهما يرجع الفضل على كل حال فى حركة لبنان الثقافية المبكرة . ولسنا فى حاجة أن نشير إلى أن الاستعمار فى الجملة لم يشجع التعليم العالى ولا المتخصص ، واكتفى بتخريج كتاب وسكرتاريين . وكان لا بد للبلاد العربية أن تعزز استقلالها ، لكى تستطيع أن ترسم بنفسها وسائل نهوضها وتقدمها ، وتفاوتها ثقافيا يرجع فى قدر كبير منه إلى الزمن ؛ فأقدمها عهدا بالاستقلال أرسخها قدما فى ميدان العلم والثقافة .

٣ — والقرن العشرون هو المبدء الحقيقى للنهضة الثقافية العربية المعاصرة ، لأنه قرن التحرر والاستقلال ، قرن الازدهار الاقتصادى والرخاء . ولا سبيل إلى نهضة ثقافية بدون إمكانيات تعدلها وتيسر وسائلها ، وهو أخيرا قرن التحدى والمنافسة . وإذا كانت الحربان العالميتان اللتان بلى بهما هذا القرن قد غذيتا الشعور القومى فى العالم العربى ، فإنهما عاقتا وسائل نهوضه وتقدمه ، وتلتهما حروب إسرائيل التى لم تعرف نهايتها بعد ، وحروب الاستقلال فى الجزائر ، وحروب الأكراد فى العراق ، والحرب الأهلية التعسة فى لبنان . وقد أنفق فيها جميعها ما أنفق من أموال وأرواح ، وعوقت دون نزاع سير التجديد والإصلاح . وبرغم هذا كله حاول من بلوا بها ما وسعهم أن يلائموا بين متطلبات السلم ومقتضيات الحرب ، ولو قدر لهم أن يسلموا من هذه الويلات لكان سيرهم فى طريق النهوض والتجديد أكمل وأسرع . ولا تخلو الشدائد من دروس تمليها ، فهى تكشف عن مواطن الضعف والنقص ، وتعين على وضوح الرؤية ، وتستحث الهمم ، وتصفى النفوس . وتدعو إلى جمع الكلمة . وكل تلك دروس ما كان أحوج العالم العربى إليها ، ونعتقد أنه أفاد منها ، ويعز عليه أن ينساها ، ونأمل أن يعمل دائما فى ضوئها .

وقد اتضحت معالم النهضة فى القرن العشرين ، وتحددت أهدافها ، واتسعت آفاقها . ويراد بها أن تكون نهضة عربية أولا تعبر عن العالم العربى فى آماله وآلامه ، تحكى واقعه ، وتصور شخصيته ، وتحتفظ للثقافة العربية بمكان لائق بين الثقافات العالمية . وفى فجر هذا القرن كانت

هناك حيرة بين الشرق والغرب ، بين القديم والجديد ، بين التقليد والابتكار . ولا نزاع فى أن الأمر قد وضح الآن ، ذلك لأن العالم العربى يحرص على كيانه ووجوده وشخصيته . يريد أن يكون له فن وأدب ، وعلم وفلسفة ، وقد حقق فعلا بعض ما أراد ، وليس شىء أبعث على الثقة بالنفس من التحقيق والإنجاز . ويريد العالم العربى أكثر من هذا ، فيطمع فى أن يكون لفنه وأدبه منزلة بين الفنون والآداب الأخرى ، وأن يسهم فى مضمار العلم والتكنولوجيا ، وأن يباهى بما يحقق من كشف واختراع . يريد فى اختصار أن يعيد مجد الماضى ، وأن يضيف إليه أمجاداً أخرى فى الحاضر .

٤ — ولغته نفسها كانت محل أخذ ورد ، لأن الاستعمار حاول أن يحل محلها لغات أخرى ، من تركية أو إنجليزية أو فرنسية . فهل تستطيع العربية أن تستعيد مكانتها فى مظاهر حياتنا على اختلافها ؟ فى الصحافة والمدرسة ، فى المصنع والمتجر ، فى الإدارة الحكومية والأعمال العامة فى تعامل الأفراد ومصالحهم ؟ وقد آمنت مصر منذ عهد مبكر أنه لابد من لغة وطنية ، وتساءل فريق من الناس أهى الفصحى أم العامية ؟ وتلك بلبلة أخرى عشنا فيها زمنا ، ولكن لم يبق اليوم شك فى أن العربية هى اللغة الوطنية ، وأنها كفيلة بأن تحل محل العامية واللغات الأجنبية . وبدأ سعد زغلول منذ العقد الأول من هذا القرن فى تعريب المدرسة الابتدائية والثانوية الأميرية ، التى سبق للاستعمار أن كساها بكساء إنجليزى . وقد سارت مصر فى هذا الطريق شوطا بعيداً ، فعربت الكتاب والمدرس ، واستكملت وسائل التعريب فى العلوم والفنون على اختلافها . ولم تقف عند المدرسة الثانوية ، بل جاوزتها إلى التعليم العالى والجامعى ، وعربت منه قدراً غير قليل ، والنية معقودة على تعريبه جميعه . وتعريب التعليم اليوم من القضايا التى تشغل العالم العربى بأسره ، وقد تحقق منه قسط غير يسير . والغالبية العظمى تؤمن بضرورته ، ولا مناص من تعريبه جميعه ، يوم أن تتوفر وسائله . ومن الخطأ أن يعرب التعليم العالى قبل أن يتم تعريب المراحل السابقة ، وأولى بمعارضى هذا التعريب أن يسلبوا أسلحتهم فى معركة فاشلة ، والمسألة مسألة زمن وإعداد .

والعربية التى يستمسك بها الآن غير تلك التى كانت تستعمل فى القرن الثامن عشر ، أو فى جزء كبير من القرن التاسع عشر ، إنها عربية من إملاء العصر وروحه . فهى سهلة سائغة ، لا غرابة فيها ولا تعقيد ، ولا زخرف ولا صنعة . وهى واضحة دقيقة تصوب إلى المعنى وتؤديه فى أحكام ، ولا تحتاج فى الغالب إلى معجمات وقواميس . تعنى باختيار الألفاظ المألوفة السهلة ، وبتبسيط الجمل وتوضيحها ، ويراد بها أن تكون يسيرة فى تعليمها وتعلمها . يتخفف ما أمكن من نحوها وصرفها ، ولا يشغل الشباب من قواعدها إلا بالضرورى والعملى ، ويسلك فى كتابتها وإملائها أيسر السبل . يراد بها فى اختصار أن تكون لغة الخاصة والعامة على السواء ، لأننا نعيش فى عصر لا يقبل الخصوصيات ، ولا يسلم بالامتيازات . وعربية هذا شأنها تقترب فيها

لغة الخطاب من لغة الكتابة ، وتضيق مسافة الخلف بين العامية والفصحى ، ولعلها تستطيع يوما أن تحل محل العاميات المتعددة .

وليس فى الاعتزاز باللغة القومية ما يصرف عن تعلم اللغات الأجنبية . وتقضى النظم التعليمية فى أغلب البلاد العربية بتعلم لغة أجنبية على الأقل ، وقد تضاف إليها ثانية . وهذه البلاد حساسة لأى تقصير فى تعليم اللغة الأجنبية حساسيتها لما يحدث من تقصير فى تعليم اللغة القومية ، وتكاد توزع كلها بين الفرنسية والإنجليزية ؛ فتسود الأولى فى المغرب ، وتسود الثانية فى المشرق ، وربما جمعت بلاد بينهما ، وقد تضاف إليهما الألمانية أو الإيطالية . وهناك محاولات لتعميم الروسية ، ولعله لوحظ من قبل أن فى العالم العربى استعداداً لتعلم اللغات الأجنبية ، ولا تزال مدارس اللغات ، وهى أجنبية الأصل ، تؤدى رسالتها ، وعليها إقبال ملحوظ . والعالم اليوم متشعب الصلات ومتعدد العلاقات ، ولا يمكن أن يستغنى فيه عن تعلم لغات أجنبية ، وبقدر ما يسعى العرب إلى تعلم لغات غيرهم بدأ يسعى هؤلاء إلى تعلم لغتهم .

**ابراهيم مدكور**
رئيس المجمع

# القول في "ما" الزائدة

## للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

قد تقع « ما » فى فصيح الكلام زائدة، ولكن لا يمكن أن تكون فيه حشوا لغوا خالية من الفائدة. وأصل هذا — كما نبهنا إليه فيما سبق — أنها تنسلخ عن معانيها الوضعية، فلا تكون مستعملة فى شىء منها، وإنما يؤتى بها لتأكيد معنى مستفاد من غيرها مما وقع فى التركيب نفسه.

ومعلوم أن « ما » لها معان كثيرة: فتكون استفهامية، واسم موصول، وموصولا حرفيا « مصدرية »، وشرطية، ونافية، وهذه أهم معانيها وأشهرها.

فإذا وردت فى تركيب مجردة عن معانيها كلها، وكان لا يمكن أن تكون مستعملة فى شىء منها على أن يكون جزءاً أساسيا من المعنى المراد من التركيب فإنها تكون مزيدة. ثم هى تزاد فى عدة أحوال، أهمها — على ما قاله بعض العلماء — ثلاثة أحوال: [1].

الحالة الأولى: أن تقع بعد شرط جازم أو غير جازم:

فالأول كما فى قوله تعالى: « فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢٨ البقرة)، فقد جاءت « ما » فى هذه الآية بعد إن الشرطية الجازمة وقد أدغمت فيها.

وكما فى قوله سبحانه: « أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ». (١١٠ الإسراء)

فقد جاءت هنا بعد « أيا » التى هى شرطية جازمة أيضا.

وهى فى هاتين الآيتين زائدة، فإنها قد انسلخت عن معناها الأصلى الذى كان يمكن أن يكون لها حينئذ، وهو معنى الشرطية، من حيث إن هذا المعنى قد استفيد من أداة الشرط قبلها، وهى « إن » فى الآية الأولى، و « أيا » فى الآية الثانية.

« والثانى » الشرط غير الجازم، كما فى قوله تعالى: « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض ». (١٢٧ التوبة)

وقوله سبحانه: « وإذا ما غضبوا هم يغفرون ». (٢٧ الشورى)

فكلمة « ما » هنا أيضا زائدة، إذ أنه لم يؤت

---

(١) فى أمثلة الحالة الثالثة يمكن أن تكون « ما » أصلية، وذلك بتوجيه وجيه، كما ستقف على ذلك فيما سيأتى.

بها لإفادة معنى من معانيها الأصلية التى بيناها ، فإنها قد انسلخت عن هذه المعانى جميعها ولا أثر لها فيما يراد إفادته من المعنى الأصلى للتركيب ، فإنه مستفاد بدونها .

٢ — « الحالة الثانية » أن تقع بعد نكرة لمناسبة ما فيها من شيوع وإبهام ، وذلك كما فى قوله تعالى : « وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون » ( ٨٨ البقرة ) فإن « ما » فى هذه الآية لا يصح أن تكون اسم موصول أو موصولا حرفيا حتى يمكن أن يتخذ منها مبتدأ ؛ لأنه يكون حينئذ من غير خبر إذ أن « قليلا » منصوب لا يصلح أن يكون خبرا ، فهو معمول للفعل : « يؤمنون » أى أنه صفة موصوف محذوف معمول لهذا الفعل ، تقديره : إيمانا قليلا « أو زمانا قليلا » .

وليس من هذا القبيل — على الراجح — « ما » فى قوله تعالى : « إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما » ( ٢٦ البقرة ) فإن « ما » هذه فى الرأى الراجح — ليست حرفا زائدا ، وإنما هى اسم نكرة وقعت صفة « لمثلا » والمعنى : لا يستحيى أن يضرب مثلا أى مثل ، وذلك كما تقول : « أعطنى كتابا ما » ، أى كتابا أىّ كتاب .

ومتى كان صحيحا فى « ما » التى فى هذه الآية أن تحمل على ذلك المعنى فلا ينبغى أن تجعل حرفا زائدا لا يدل على معنى ، وهذا هو القانون العام والدستور الذى نبهنا إليه مرارا ، وهو الذى يجب السير عليه فى إعراب القرآن وتفسيره (١) .

٣ — « الحالة الثالثة » أن تقع بين الجار والمجرور ؛ كما فى قوله تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم » . ( ١٥٩ آل عمران ) .

« فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم » : ( ١٣ المائدة ) .

« قال عما قليل ليصبحن نادمين » : ( ٤٠ المؤمنون ) .

« مما خطيئاتهم أغرقوا » : ( ٢٥ نوح ) .

هذا — وإذا كانت « ما » زائدة فى هذه الأحوال الثلاثة فما الفائدة التى حققتها تلك الزيادة ؟ ومن أى طريق كان تحقيق هذ الفائدة إن كانت ؟

« والجواب ، أن الفائدة التى حققتها زيادة « ما » هى توكيد المعنى الذى استفيد من غيرها مما ذكر معها فى التركيب ؛ وذلك يفيد بالضرورة توكيد الحكم المستفاد من هذا التركيب فى جملته .

فإذا زيدت بعد أداة شرط كان المقصود من زيادتها إفادة توكيد معنى الشرط ، والمعنى العام فى كل شرط هو ربط جواب الشرط ربطا يفيد ترتيب الجواب على ذلك الفعل ، فإذا زيدت « ما » على أداة الشرط فإنها تفيد توكيد ذلك الربط ، وتقوية ذلك الترتيب .

---

(١) بعض العلماء يجيز — كما أشرنا إلى ذلك آنفا — أن تكون « ما » فى آية : « إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما » زائدة ولكنه رأى ليس بجيد .

ومن هنا يقول « الزمخشرى » فيما كتبه فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ ( ١٩ ، ٢٠ فصلت ) .

ما نصه : « فإن قلت » « ما » فى قوله : ﴿ حتى إذا ما جاءوها ﴾ ما هى ؟

« قلت » مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ؛ ولا وجه لأن يخلو منها . ثم قال : ومثله قوله تعالى : ﴿ أثم إذا ما وقع آمنتم به ﴾ ، أى لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به(١) .

وهذا هو ما أفاده « أبو السعود » بوضوح واختصار إذ قال : « ﴿ حتى إذا ما جاءوها ﴾ أى حتى إذا حضروها [ أى النار ] ،وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور »(٢) .

والذى يدل على أنها تفيد بزيادتها توكيد الشرط أنها هى التى اقتضت مجىء الفعل بعده مقترنا بنون التوكيد ، وأن يكون توكيده بالنون حينئــــذ واجبا ، كما هو رأى المبرد والزجاج ، وهو أرجح الآراء .

ولذلك لم تأت « إن » الشرطية المؤكدة « بما » فى الكتاب العزيز إلا جاء الفعل بعدها مؤكدا بالنون .

« وأما طريق إفادتها التوكيد » فليس هو مجرد أنها زائدة ، فإن مطلق الزيادة التى لا يراعى فيها معنى خاص يناسب التوكيد ويساعد على تحقيقه لا يمكن أن يقال إنه مفيد للتوكيد .

ذلك المعنى الخاص هو الشىء الذى من طريقه تفيد « ما » الزائدة التوكيد ، وهو أمر يختلف باختلاف المواطن .

١ ) « ففى الحالة الأولى » — وهى التى تزاد فيها « ما » بعد أداة الشرط — يراعى فيها أنها فى الأصل قد تستعمل شرطا ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ ( ١٩٧ البقرة ) .

فإذا كانت - حين وقعت بعد أداة شرط - قد سلخت - كما قلنا - من معناها الأصلى ، وهو الشرطية ، ولم يكن ورودها فى الكلام حينئذ لإفادة هذا المعنى إفادة أصلية ما دام أنه قد استفيد من غيرها قبلها . فإنه يمكن أن يقال : إنها تلمح إلى هذا المعنى،وتشير إليه إشارة يتحقق بها تأكيد معنى الشرطية .

وإذاً يكون التأكيد بها فى معنى التأكيد بالتكرير ، كما يقال : نعم . نعم ، ولا . لا ، فكأن الشرط فى هذه الحالة قد ذكر مرتين ، وذلك يفيد تقوية وتأكيدا من غير شك .

هذا البيان — الذى يتضح به وجه إفادة « ما » الزائدة بعد أداة الشرط توكيد ما استفيد من هذا الشرط — يشمل حالتى الشرط الجازم وغير الجازم .

---

(١) تفسير الكشاف جـ ٢ ص ٣٢٩

(٢) تفسير أبى السعود المطبوع على هامش تفسير الفخر حـ ٧ ص ٦٤٥ الشرفية

ويضاف إليه — حين يكون الشرط الجازم « أيا » كما فى قوله تعالى : ﴿ أيا ما تدعوا ﴾ أن « ما » حينئذ تكون — بما فيها من إبهام مؤكدة أيضاً لما فى الشرط من الإبهام .

وفى هذا يقول العلامة أبو السعود — فى تفسير قوله تعالى : ﴿ أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ ما نصه : « والتنوين فى « أيا » عوض عن المضاف إليه . و « ما » مزيدة لتأكيد ما فى « أى » من الإبهام » ا هـ .

٢ ) أما فى الحالة الثانية — وهى التى فصلت فيها « ما » بين نكرة وقعت قبلها ، وعامل فى النكرة جاء بعدها فى مثل قوله تعالى : ﴿ فقليلا ما يؤمنون ﴾ — فإن السر فى أن زيادة « ما » حينئذ تفيد التوكيد هو ما تحمله من الإبهام الذى يلازم معانيها الأصلية كلها ، فكانت بهذا الإبهام مؤكدة للنكرة ، التى تدل بحسب وضعها على معنى الإبهام والشيوع .

ومما يشبه ما قلناه هنا وفى مواطن أخرى — عن زيادة « ما » وأخواتها من الحروف التى تزاد للتأكيد ، وأن هذا التأكيد ليس لمجرد أنها زائدة مطلق زيادة ، وإنما هو لأنها تشعر بمعنى يناسب معنى ما جعلت مؤكدة له — ما يقوله الإمام « الزمخشرى » فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ ( ٨ الصف ) .

فإنه رحمه الله قال : ﴿ يريدون ليطفئوا ﴾ أصله يريدون أن يطفئوا ، كما جاء فى سورة براءة ( يريد آية ٣٢ من سورة التوبة ) .

ثم قال : « وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيداً له ؛ لما فيها من معنى الإرادة فى قولك : جئتك لإكرامك » (١) .

هذا — والإمام الزمخشرى قد قرر فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ﴾ ( ٨٨ البقرة )

أن « ما » — فى قوله سبحانه : ﴿ فقليلا ما يؤمنون ﴾ — زائدة ، وأن المعنى فإيمانا قليلا يؤمنون ، وهو إيمانهم ببعض الكتاب ، ثم لم يعرض لحكمة زيادتها ، ولم يبين المعنى الذى أفادته هذه الزيادة .

لكنه فى آية : « وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » (٧٨ من سورة المؤمنون ) قال فى تفسير قوله سبحانه : « قليلا ما تشكرون » مانصه : أى تشكرون شكرا قليلا ، وما « مزيدة للتأكيد بمعنى حقا » .

وهذا تفسير غريب ، إذ كيف تكون « ما » بمعنى « حقا » ؟ وبأى وضع لغوى أفادت هذا المعنى ؟ (٢) .

٣ — « وأما الحالة الثالثة » وهى التى وقعت فيها « ما » بين الجار والمجرور — فإن زيادة « ما » فيها — على مايرى بعض العلماء — تفيد التوكيد ، لكنهم لم يبينوا فى وضوح من أين كانت هذه الزيادة مفيدة للتوكيد . ؟

(١) تفسير الكشاف جـ ٢ ص ٤٥٥

(٢) ولعل مراد الزمخشرى بكلمة « حقا » ما يفيد تأكيد القلة ، كأنه قيل قليلا جداً

«وهناك رأى آخر»: أن «ما» في هذه الحالة الثالثة أصلية، وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين: وذلك بأن تكون اسما نكرة بمعنى «شيء» أو «أمر»، ثم يكون الاسم المصرح به عقيبها بدلا منها، وبذلك يتحقق توكيد الحكم وتقويته من حيث إنه يكون مثبتا أولا بأمر مجمل، وثانيا بمبين مفصل.

وقد يكون مما يتمشى مع هذا المعنى ويستأنس به فيه ما يقرره النحاة حين يقولون: إن العامل في التابع هو العامل في المتبوع، إلا البدل، فإنه على نية تكرار العامل.

وعلى هذا يكون قوله تعالى: «فبما رحمة من الله لنت لهم» في تقدير: «فبسبب أمر لنت لهم، بسبب رحمة من الله. وقوله تعالى: «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم» يكون تقديره: «فبسبب أمر، بسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم».

ولا شك أن تخريج الآيات التي تدخل في الحالة الثالثة على هذا الوجه الذي تكون فيه «ما» أصلية لا زائدة، هو الذي ينبغي أن يسار عليه؛ فإنه – كما قلنا وكررنا – مادام يمكن حمل الكلمة على الأصالة لتدل على معنى من معانيها المعهودة لها في اللغة بوجه صحيح مقبول فلا يسوغ العدول عن ذلك؛ ليقال إنها زائدة لا تفيد شيئا من تلك المعاني.

وفي هذا يقول ابن جرير الطبري ما نصه:

«إن أهل العربية اختلفوا في معنى «ما» التي في قوله: «فقليلا ما يؤمنون».

فقال بعضهم: هي زائدة لا معنى لها، وإنما تأويل الكلام: «فقليلا يؤمنون»، كما قال جل ذكره: «فبما رحمة من الله لنت لهم» وما أشبه ذلك؛ فزعم أن «ما» في ذلك زائدة، وأن معنى الكلام: «فبرحمة من الله لنت لهم»، وأنشد في ذلك – محتجا لقوله ذلك – ببيت مهلهل:

لو بأبانين جاء يخطبها
خضب ما أنف خاطب بدم

وزعم أنه يعني: «خضب أنف خاطب بدم»، وأن «ما» زائدة.

«وأنكر آخرون» ما قاله قائل هذا القول في «ما» في الآية وفي البيت الذي أنشده، وقالوا إنما ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الأشياء، إذ كانت «ما» كلمة تجمع كل الأشياء ثم تخص وتعم ما عمته بما تذكره بعدها». ثم قال ابن جرير: «وهذا القول عندنا أولى بالصواب، لأن زيادة ما لا يفيد من الكلام معنى في الكلام غير جائز إضافته إلى الله جل ثناؤه» اهـ(1).

ومعنى هذا أن «ما» تكون أصلية اسما نكرة بمعنى شيء أو أمر، ثم يكون ما بعدها بدلا منها في آية «آل عمران»: «فبما رحمة من

(1) تفسير الطبري ج ٢ ص ٣٣٠، ٣٣١ دار المعارف

الله لنت لهم » ، وفى بيت مهلهل ، ولا شك أن الأسلوب يكون على هذا الوجه أقوى وآكد منه على وجه الزيادة ؛ إذ يكون الكلام به مشتملا على الحكم مرتين : مرة من طريق ما فى « ما » من معنى العموم ، ومرة أخرى على وجه الخصوص من طريق البدلية .

وهذا هو رأى الأخفش وغيره من أئمة النحو ، كما حكاه الآلوسى[1] .

وهكذا نجد « ابن جرير » يستصوب القول بأصالة « ما » فى آية « آل عمران » : « فبما رحمة من الله لنت لهم » ، وفى بيت « مهلهل » من حيث إن ذلك قد جاء على ما جرت به عادة العرب من التحديث عن الشيء أولا بصيغة العموم ، ثم يذكر بعد ذلك بطريق الخصوص .

وظاهر كلامه أنه لا يرى هذا الذى استصوبه فى الآية والبيت مما يمكن أن يجرى فى آية البقرة : ﴿ فقليلا ما يؤمنون ﴾ ، إذ أن حديث العموم والخصوص لا يتحقق فى هذه الآية ولا ينطبق عليها .

أما « الفخر الرازى » فإنه ذهب فى الآية التى معنا : « فبما رحمة من الله لنت لهم » مذهبا غريبا جداً ، فإنه — بعد أن حكى عن الأكثرين القول بزيادة « ما » فيها وفى الآيات التى على شاكلتها ، وهى التى فصلت فيها « ما » بين الجار والمجرور ، وقولهم : إن العرب قد تزيد فى الكلام لتأكيد ما يستغنى عنه — قال : « وقال المحققون : إن دخول اللفظ المهمل الضائع فى كلام أحكم الحاكمين غير جائز » . ثم عقب بذلك الرأى الغريب فقال ما نصه :

وهاهنا يجوز أن تكون « ما » استفهامية للتعجب ، تقديره : « فبأى رحمة من الله لنت لهم » ، وذلك لأن جنايتهم لما كانت عظيمة ، ثم إنه ما أظهر ألبتة تغليظا فى القول ولا خشونة فى الكلام ، علموا أن ذلك لا يتأتى إلا بتأييد ربانى ، وتسديد إلهى ؛ فكان ذلك موضع التعجب من كمال ذلك التأييد والتسديد ؛ فقيل : « فبأى رحمة من الله لنت لهم » . ثم قال الرازى : وهذا هو الأصوب عندى » اهـ[2] .

ومعنى هذا أن « ما » فى هذه الآية ليست — فى اختياره — زائدة ؛ بل هى أصلية للاستفهام التعجبى .

وهذا رأى عجيب وغريب ؛ على رغم أن « الفخر » يقول إنه هو الأصوب عنده .

إن جعل « ما » فى الآية للاستفهام التعجبى هو شيء لا تستصوبه اللغة ولا تسوغه : ذلك أن « ما » الاستفهامية إذا وقعت بعد حرف جر فإنه يجب أن تحذف ألفها ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿ عم يتساءلون ﴾ ؛ ﴿ قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ﴾ ؛ ﴿ وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ ، ﴿ يأيها

---

(١) روح المعانى جـ ٤ ص ٩٤ المنيرية

(٢) تفسير الرازى جـ٣ ص ٨٠ المطبعة الحسينية

الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ﴾ ؛ ﴿ فيم أنت من ذكراها ﴾ .

وهكذا لا تقع « ما » الاستفهامية المجرورة لا فى القرآن ولا فى كلام عربى فصيح إلا وألفها محذوفة ، للتفرقة بين الاستفهام والخبر . وإذا وردت ثابتة الألف فى كلام يدعى أنه عربى فأقل ما يقال فيه : إنه شاذ ورديء .

هذا سبب لا تسوغ اللغة من أجله أن تكون « ما » — فى قوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ — استفهامية تعجبية .

وهو أمر يرجع إلى الصورة ومخالفتها لما هو مقرر فى اللغة فى « ما » الاستفهامية المجرورة .

« وسبب آخر » يرجع إلى المعنى ، وهو أن « ما » الاستفهامية — سواء أكانت تعجبية أم غير تعجبية — ليست فى اللغة بمعنى « أى » المجردة ، حتى يمكن أن توصل بكلمة « رحمة » فى الآية ليصير المعنى : فبأى رحمة من الله لنت لهم ؛ كما يقول الفخر الرازى ؛ وإنما هى فى اللغة بمعنى « أى شيء »[1] .

وذلك كما فى قوله تعالى : «عم يتساءلون » ؛ فإن معناه عن أى شيء يتساءلون . وقوله سبحانه — حكاية لقول ملكة سبأ — : « وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون » ، فإن معناه : فناظرة بأى شيء وبأى رد وجواب يرجع المرسلون .

فإذا أخذت « ما » بمعناها هذا فى آية : « فبما رحمة من الله لنت لهم » لم يستقم الأمر على ما يريده الرازى ؛ إذ لا يكون معنى الآية حينئذ فبأى رحمة من الله ؛ وإنما يكون : فبأى شيء رحمة من الله ؛ ويكون ذلك ضربا من اللفظ الذى يستحيل أن يقع مثله فى القرآن الكريم .

«والزمخشرى» ماذا يرى فى«ما» الاستفهامية هذه التى وقعت بعد حرف جر؟ إنه قد اضطربت كلمته فى ذلك :

ففى قوله تعالى : « قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم » ( ١٦ الأعراف ) نجده يقول ما نصه : « وقيل « ما » للاستفهام ، كأنه قيل بأى شيء أغويتنى ؟ ثم ابتدأ « لأقعدن » . [ ثم قال ] : « وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على « ما » الاستفهامية قليل شاذ » اهـ[2] .

لكنه فى آية ٢٧ من سورة « يس » — فى قوله تعالى — : « قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى » — يقول : « يحتمل أن تكون « ما » استفهامية ؛ يعنى بأى شيء غفر لى ربى » ، ثم استدرك فقال : إلا أن قوله : « بم غفر لى » بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزاً »[2] .

وهكذا يجيز « الزمخشرى » أن تكون «ما» الاستفهامية الواقعة بعد حرف جر ثابتة الألف ،

---

(١) القاموس المحيط ، مادة « ما » من باب الألف اللينة

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٨١

ولم يجعل ذلك من الأمور الشاذة التى جاءت على خلاف القواعد العامة، أو على خلاف الاستعمال الغالب فى اللغة ، كما قال فى آية الأعراف . وكل ما قاله فى ذلك أن الأجود هو طرح الألف ، وفرق كبير بين أن يقال : « إن إثبات الألف قليل وشاذ » وأن يقال : « إن الأجود خلافه » والزمخشرى هو صاحب القولين .

* * *

« وبعد » فإننا نريد هنا قبل أن ننهى هذا البحث أن نورد آية من صورة « الانفطار » وردت فيها كلمة « ما » على وضع خاص كان مثار اجتهاد المجتهدين من علماء اللغة والمفسرين .

وذلك فى قوله تعالى : « يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؛ الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك » .

اختلفت آراء أولئك المجتهدين فى إعراب هذه الآية الثامنة ومعناها :

فقال بعضهم : إن « ما » فى قوله سبحانه : « ما شاء ركبك » زائدة ، وجملة « شاء » بعدها صفة لصورة ؛ والتقدير « فى أى صورة شاءها ركبك » أى ركبك فى صورة عظيمة عجيبة شاءها فقوله سبحانه وتعالى : « فى أى صورة » متعلق بالفعل ركبك .

ووصف الصورة بالعظم أو بالحسن والإعجاب آت من أن كلمة « أى » هى فى الأصل للاستفهام وللشىء العظيم الفخم أو الحسن المعجب من شأنه أن يستفهم عنه وعن مقدار عظمه وحسنه وفخامته ، وقد جرى الاستعمال فى ذلك بنقل « أى » من الاستفهام لتدل على الاتصاف بالحسن أو العظم والفخامة ؛ فيقال : رأيت رجلا أى رجل ، ولقيت عالما أى عالم أى رجلا عظيما وعالما فاضلا .

فقوله تعالى : «فى أى صورة ما شاء ركبك» معناها فى صورة عظيمة أو صورة حسنة بديعة .

وهذه الجملة : « فى أى صورة ما شاء ركبك» قد فصلت عما قبلها فلم تعطف عليه كما عطف قوله سبحانه : « فسواك فعدلك » لأنها وقعت بيانا للتعديل وإفادة أن التعديل الذى هو العدل — كما فى قراءة حفص : « فعدلك بالتخفيف — مراد به إتقان الصورة وإحكامها وجعلها متسقة متناسقة الأعضاء والأجزاء ، متناسبة الأركان والأطراف .

هذا هو حاصل معنى الآية وإعرابها على القول بأن كلمة « ما » فيها زائدة .

وهناك قول آخر أن « ما » هذه أصلية ، وأنها اسم موصول وقعت خبرا لمبتدأ محذوف والتقدير : « فى أى صورة هى ما شاء » أى هى التى شاءها ، والجملة من المبتدأ والخبر صفة لصورة ؛ وقوله تعالى : « فى أى صورة » متعلق بقوله : « ركبك » كما فى القول الأول ؛ والتقدير « فى أى صورة هى ما شاءها ركبك » ، أى فى صورة عظيمة وعجيبة ؛ والمعنى أنه سبحانه وتعالى ركبك فى صورة عظيمة بديعة هى التى شاءها .

وجمله « فى أى صورة ما شاء ركبك » مستأنفة وقعت بيانا لمعنى العدل أو التعديل فى قوله سبحانه : « فعدلك » كما فى القول الأول

سواء ؛ ولذلك فصلت ولم تعطف على ما قبلها كما عطف قوله تعالى : « فسواك فعدلك » .

والخلاصة أنه على القول الأول تكون « ما » زائدة ، وجملة « شاء » بعدها فى محل جر صفة لصورة ؛ وعلى القول الثانى هى أصلية اسم موصول خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة من المبتدأ والخبر فى محل جر صفة لصورة أيضاً .

وجملة : « فى أى صورة ما شاء ركبك » مستأنفة على كلا القولين ، لأنها بيان لقوله سبحانه : « فعدلك » .

وإذاً لا فرق بين القولين فى المعنى والمراد من الآية ، ولا فى إعرابها إلا فى كلمة « ما » وما يترتب على الحكم بأنها زائدة أو أصلية .

ثم إن القول بأن « ما » فى الآية أصلية هو الأقوى والأحق بالاتباع ، فإن المعنى على أساسه جلى وواضح ، وقد قلنا فى مواطن كثيرة : إنه ما دام يمكن حمل اللفظ على معنى من معانيه الأصلية فإنه يجب الاعتداد به فيه ، ولا ينبغى جعله زائدا غير مفيد شيئاً من تلك المعانى .

هذا — واختيار القول بأصالة « ما » فى هذه الآية وإعرابها على النحو الذى بيناه هو مما وفق الله للاهتداء إليه ، على خلاف ما أطال القول فيه كثير من العلماء ، كما ذكره الآلوسى فى تفسيره ، والله أعلم .

**عبد الرحمن تاج**
عضو المجمع الراحل

# الإنسان العربي
## في القرن الخامس عشر الهجري
## علميا وتكنولوجيا
للدكتور عبد الحليم منتصر

ماذا عسى أن يكون حال الإنسان العربي، في القرن الخامس عشر الهجري، الذى يبدأ فجره بعد سنوات معدودات؛ ولعلنا أن نحدد مجال التكهن بحاله، من الناحية العلمية والتكنولوجية.

لقد مضى على هذا الإنسان العربي قرابة أربعة عشر قرنا، مذ نعم ببعثة الإسلام الحنيف، وإن معجزته الكبرى كتاب هو القرآن الكريم، وإن أول آية «اقرأ باسم ربك الذى خلق». وإن كثيرا من آياته الكريمة لتحض في دأب على طلب العلم، والتفكير في ملكوت السموات والأرض، وفي الكون والكائنات كقوله تعالى «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون»، وقوله: «إنما يخشى الله من عباده العلماء»، وقوله: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»، وقوله أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت»، وقوله: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

ومن أقوال الرسول (ص): «لغدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة». وقوله: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء» وقوله «لموت قبيلة أيسر من موت عالم» وقوله «الناس من أمتي ثلاث فئات: عالم ومتعلم والباقي همج»، وقوله: «لا خير فيمن كان من أمتي ليس بعالم ولا متعلم»، وقوله: «اطلبوا العلم ولو بالصين» وقوله «لا يزال طالب العلم عالما، حتى إذا ظن أنه علم فقد جهل»، وقوله «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»:

وكان الخلفاء في العصر الإسلامي الأول، يعدون أنفسهم حماة للعلم، ويرون أن قصورهم يجب أن تكون مراكز تشع منها الثقافة والعرفان ومثابة يلتقي عندها العلماء والأدباء. ومنهم من خصص في قصره دورا ومساكن ومقاصير، يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية ويجرى عليهم الأرزاق السنية، ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره، فيأخذ عنه؛ وقد بدأت بقصر معاوية الخليفة الأموى الأول، وازدهرت في عصر عبد الملك بن مروان، والوليد ابن عبد الملك في العصر الأموى

وفي عهد الدولة العباسية، اتخذت هذه الصالونات العلمية أهميتها لتتناسب مع أهمية ذلك

العصر، وأصبحت الاجتماعات العلمية تعقد فى أوقات منتظمة، وشملت قصور الأمراء والعظماء إلى جانب قصور الخلفاء، واتخذ لها الأثاث الفاخر والرياش المناسب لرفاهية هذا العصر. وتنوعت هذه الصالونات، فقد كان منها الأدبى ومنها العلمى والفنى والموسيقى. وظلت صالونات العلم والأدب -فيما يروى الأغانى- أرفعها قدراً. وفى عهد الرشيد- وكان واسع الثقافة - جمع حوله صفوة من العلماء والأدباء، وكذلك فى عهد المأمون، بلغت هذه الصالونات وتلك المجالس العلمية الذروة.

يقول «هوجز» إن عصر المأمون أزهى عصور النهضة العلمية، فى العصر العربى الإسلامى إذ كان الخليفة نفسه عالما من أساطين العلماء، واختار أصحابه ورجال الدولة من الصفوة الأفذاذ فى الشرق والغرب، هذا إلى جانب الأساتذة والمشيرين والمترجمين والمفكرين، الذين حلى بهم بلاطه وزين ملكه. ويقول «سيد أمير على»: إن بلاط المأمون كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم المأمون من كل رجا من أرجاء العالم المتمدين، وشملهم جميعا بعنايته مهما اختلفت مشاربهم وجنسياتهم. وبلغ بيت الحكمة أوجه فى عصر المأمون، وتقاطر المترجمون على بغداد، ونقلت العلوم المختلفة من اللغات اليونانية القديمة والقبطية والهندية والسريانية إلى اللغة العربية التى كانت اللغة العلمية فى العالم الإسلامى، وامتدت رقعة الإمبراطورية العربية من حدود الصين شرقا إلى حدود فرنسا غربا.

فكل من أراد أن يكتب علما تقرؤه الناس لجأ إلى اللغة العربية فكتب وألف بها.

وكذلك كانت منازل العلماء، وقصور الخلفاء والأمراء، ودور الكتب: بيت الحكمة فى بغداد، ودار الحكمة فى القاهرة، ودار العلم فى الموصل، كما كانت المساجد: المنصور فى بغداد والأموى بدمشق، والأزهر بالقاهرة، والقيروان فى تونس، والقرويين فى المغرب، وقرطبة فى الأندلس، والكبير فى صنعاء، كل هذه كانت قبل إنشاء المدارس، تؤدى فى العصر العربى الإسلامى ما تؤديه الجامعات ومعاهد العلم فى العصر الحاضر.

وكان تقدير الدولة للعلم والعلماء، والإنفاق بسخاء على العلم والعلماء، هما طابع هذا العصر الذهبى الزاهر. وحتى بعد أن انقسم العالم العربى إلى دويلات، بقى تنافس الحكام والولاة فى رعاية العلم والعلماء قائما.

ومن العلماء من كان يتخذ التدريس مهنة، ومنهم من كان يعمل تطوعا لتثقيف الناس وتعليمهم عن طريق حلقات تعليمية أو بتأليف الكتب ونشرها. وكانوا أغلب الأمر موضع تقدير العامة والخاصة وقد نصح أحد الخلفاء برسالة جاء فيها: «واعلم أن مواقع العلماء من تلك مواقع السرج المتألقة، والمصابيح المتعلقة، وعلى قدر تعاهدك تبذل الضياء، وتجلو بنورها الأشياء». وقيل لأحد الخلفاء: هل بقيت لك بقية لم تنلها؟ قال: «بقيت واحدة هى أعلى من جميع ما نلته، وأنفس من كل ما باشرته، بل لم نقرب منها فضلا عن أن تساويها منحة أو مرتبة، تلك هى أن أجلس بمجالس العلماء، أملى وأشرح وأفيد».

وكان أبو الأسود الدؤلى يقول: « ليس شيء أعز من العلم ، الملوك حكام الناس ، والعلماء حكام الملوك » وكذلك تهيب والى المدينة أن يمشى إلى الإمام مالك ليقدم إليه الإمام الشافعى قائلا : « مشى من جوف مكة إلى جوف المدينة ، حافيا راجلا ، أهون على من أن أقف بباب مالك ». تلك كانت سمة العلماء فى هذه العصور الإسلامية الزاهرة .

يقول ابن جبير : « وتكثر الأوقاف على طلاب العلم فى البلاد الشرقية كلها . فمن شاء الفلاح من نشء مغربنا ، فليرحل إلى هذه البلاد فيجد الأمور المعينات كثيرة ، وأولها فراغ البال من أمر المعيشة ».

وكذلك كان الحال فى مصر : يقول « لين » يجتمع فى الأزهر الطلاب من البلاد المختلفة من العالم الإسلامى من ساحل الذهب فى غرب إفريقيا إلى الملايو فى شرق آسيا ، وقد حدد رواق خاص لكل قطر من الأقطار ، ويتلقى دروسهم على شيوخ أجلاء ورعين ، وليس التعليم بالمجان فحسب ، بل إن الطلاب يتلقون جرايات وأطعمة من أوقات تسد حاجتهم ، فالأزهر فى رأى لين . مثال نموذجى لمجانية ، تلك المجانية الممنوحة لجميع الطلاب على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم من غير أى تمييز لعنصر أو طبقة من الطلاب . وفى العهد الأيوبى كان كل تلميذ بمصر يلقى سكنا يأوى إليه ، ومدرسا يعلمه ، ومراقبا يقوم بجميع أحواله .

من ذلك نرى أن ما يتيه به العصر الحديث ، من مجانية التعليم ، وتكافؤ الفرص ، وتقديم المنح والجوائز ، كل ذلك ليس من مستحدثات العصر الحديث .

وكذلك كان معروفا ما نسميه بالبعثات العلمية وذلك منذ الجيل الإسلامى الأول ، حين تفرق علماء الصحابة فى الأقطار ، وأقام كل منهم مركزاً علمياً فى البلد الذى حل فيه ، فحلقة فى اليمن ، وثانية فى الكوفة ، وثالثة فى مصر ، ورابعة فى البصرة ، وخامسة فى المدينة ... وهكذا . وأصبح لكل مدرسة طابعها المميز ، فكان الناس يسعون إلى حلقات هؤلاء الأساتذة لينتفعوا بعلمهم . وفى الجيل التالى كانت العلوم قد تشعبت ، وظهرت نواحى تخصص لم تكن معروفة قبلا . واشتهر كل أستاذ بتخصص معين يدرسه فى حلقة المسجد ، وزادت الحلقات فى المسجد الواحد ، وزاد عدد المساجد فى المدينة الواحدة ، وغدت القيمة العلمية للطالب ، تتناسب مع عدد الرحلات التى قام بها لطلب العلم ، والشيوخ الذين حضر عليهم . وإذا لاحظنا أن وسائل الانتقال لم تكن ميسرة كما هى الحال الآن ، قدرنا الجهد الذى بذله هؤلاء الرواد فى طلب العلم وتدوينه . يقول نيكلسون : كان طلاب العلم يرحلون فى حماسة بالغة عبر القارات الثلاث ، ثم يعودون إلى بلادهم كما يعود النحل محملا بالعسل . ثم يعكفون على التدوين ، فيخرجون كتبا هى بدوائر المعارف أشبه ، وهى المصادر الأولى للعلوم الحديثة ، بكل ما تحمله كلمة العلوم من معنى .

وتروى عن هذه الرحلات قصص ، هى إلى الأساطير أقرب ، فمنهم من عبر القارات وقطع

آلاف الأميال على ظهر بعير . ومنهم من لم يكن يملك سوى قدميه، فسار راجلا. ويذكر التاريخ رحلة يحيى بن يحيى الليثى، من قرطبة إلى المدينة ليسمع من مالك ، ثم إلى مكة ليسمع من سفيان بن عيينة ، ثم إلى مصر ليسمع من الليث بن سعد ، ثم يكر راجعا إلى الأندلس . ورحلة البخارى فى جمع الأحاديث التى استغرقت ستة عشر عاماً ، كذلك رحلات حنين بن إسحاق ، ورحلة البيرونى فى الهند التى عاش فيها أربعين عاماً ، يطوف بين أرجائها الشاسعة ، يدرس لغاتها وعاداتها وتاريخها وجغرافيتها ودياناتها . وكذلك يروى عن « ابن منده » : أنه قام برحلة علمية طويلة ، جاس فيها إلى ألف وسبعمائة شيخ ، وجمع جملة من الكتب كانت عند عودته أربعين حملا .

وفى القرن الخامس الهجرى ، كانت الرحلات إلى المدارس التى ازدهرت فى هذا العهد ، حيث يجد الطلاب المقام والمأوى والأساتذة الذين يطلبون لديهم العلم ، واشتهرت رحلات أخرى ، قام بها علماء ممتازون ، زاروا مختلف البلاد . وسجلوا ملاحظاتهم ودراساتهم فى كتب الرحلات ، التى تعتبر من أغنى المصادر ، مثل ياقوت ، وابن جبير ، وابن بطوطة والمقدسى وغيرهم . وكان هؤلاء الرحالة ، سواء من طلاب العلم أو شيوخه، يلقون حيث يحلون إكراما وكرما بالغين .

ولم يكن حظ المرأة فى هذه العصور بأقل كثيراً من حظ الرجال ، على تفاوت فرص التعليم بين المرأة والرجل ؛ فقد اشتهر كثيرات من النساء بالعلوم الدينية ورواية الحديث والأدب والطب، ومنهن من كن شيخات لبعض الشيوخ ، تعلموا عليهن، ورووا عنهن، وحضروا عليهن الدروس . وتخير ابن عساكر من بين شيوخه وأساتذته الذين تلقى عنهم العلم ، إحدى وثمانين امرأة .

وكان المأمون أول من نادى بألا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء ، فهيأ للعلماء أرزاقا سخية ، يتقاضونها فى أوقات ثابتة يفيض ريعها عن التكاليف لهذه المؤسسة العظيمة . كذلك جرى العمل من بعده على أن يكون لكل معهد أو مدرسة وقف ثابت يفى بنفقاتها . وكذلك فعل الحاكم بأمر الله حين أوقف على دار الحكمة كما أوقف على الأزهر أوقافا ثابتة ، وكان يقول : أريدها أوقافا أبدية ، لا تزول بزوال الحاكم . وروى عن بعض الحكام ، أنهم كانوا يقسمون الخراج أثلاثا . ويجعلون الثلث للتعليم .

وكذلك نتبين كيف سطعت الحضارة العلمية الإسلامية فى هذه العصور الزاهرة ، وكيف هيأ الخلفاء والحكام والأمراء ورجالات الدولة ، الأسباب لنشر نور العلم والعرفان فى أرجاء الوطن العربى ، مما مكن لأمة العرب أن تستعلى فى هذه الأحقاب الموغلة فى القدم ، وتدل بعلماء من أمثال ابن الهيثم وابن سيناء والبيرونى والكندى والجاحظ وابن مسكويه والفارابى وابن النفيس وجابر والرازى وغيرهم ممن يفرنون إلى أعاظم العلماء فى كل عصر وآن . وكذلك استطاعت الأمة العربية أن تكون الإمبراطورية الشاسعة فى أقل من قرن من الزمان ، واستعلت الأمة العربية بالإسلام أولا وبالعلم ثانيا : الإسلام بقيمه من جد وأمانة وإخلاص ووفاء، والعلم بما يعطى من قوة دافعة ، فالقوة دائما فى ركاب العلم .

تلك كانت حال الأمة العربية فى العصر الإسلامى ، وذاك كان حال الإنسان العربى فى عصر الحضارة العلمية الإسلامية أعطى ، وكان مسرفا فى عطائه ، وأشع على العالم كما تقول المستشرقة سيجريد هونكه : نورا وعلما ومعرفة وتقدم لأوروبا زاد نهضتها العلمية ، عن طريق الأندلس حيث بقى الانسان العربى سبعة قرون متصلة ، وعن طريق صقلية حيث حكم زهاء ثلاثة قرون ، وعن طريق الحروب الصليبية التى استمرت زهاء قرنين من الزمان ، وعن طريق الإمبراطورية العثمانية حين غزت شرق أوروبا . وظلت كتب العلماء العرب فى العصر الإسلامى ، مراجع معتمدة فى جامعات أوروبا عدة قرون : وظهر من يقول من المؤرخين المنصفين، إنه كان لابد من ظهور ابن الهيثم والبيرونى وابن سينا وجابر والرازى والصوفى والبتانى ، لكى يتسنى ظهور كبلر وجاليليو وكوبرنيق .

وإنه لولا أعمال العلماء العرب فى العصر الإسلامى ، لاضطر علماء النهضة الأوربية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون . ويقول آخرون : لولم تصبنا محنة المغول والتتار والترك والاستعمار ، لكانت هذه النهضة التى تفاخر بهـــا أوروبا من نصيب الأمة العربية ، ومن صنع الإنسان العربى ، ولتقدم علمها فى التاريخ بضعة قرون ، ولتكون لغتها هى العربية . ولكنها إرادة الله أن نزرع نحن ليجنى غيرنا الثمار . ولعله درس لنا وعبرة وعظة ، أن ننهض من هذه الغفوة التى طالت واستطالت بضعة قرون ونحن الألى تكلمنا فى الجاذبية قبل نيوتن ، وتحدثنا عن التطور قبل داروين، ومارس علماؤنا وأطباؤنا التشريح قبل علماء أوربا بقرون ، وعرفنا الدورة الدموية قبل هارفى ، وتكلمنا فى العناصر والذرة وضغط الغازات قبل تورشيلى ، وشارل وبويل وعرفنا البندول قبل جاليلو ، وقلنا بأن الشمس مركز الكون قبل كوبرنيق ؛ إنها حقائق علمية ، ليس إلى نكرانها من سبيل ، سبق بها الإنسان العربى الإنسان الأوروبى. ولكنه الزمن الدوار ، وهى القوة فى ركاب العلم دائما ، ولقد كنا أقوياء عندما كنا علماء ، وعندما كانت لدينا حرية رأى على إلى أبعد الحدود ، وعندما كانت الدولة ترعى العلم والعلماء إلى أبعد الحدود ، وتنفق على العلم والعلماء بسخاء منقطع النظير ، وعندما كان الانسان العربى العالم يستعلى بعلمه إلى أبعد الحدود ويسعى إليه حيث كان .

والآن : لن تجد من يمارى بأن الإنسان العربى متخلف ، يحاول جاهدا أن يلحق بالركب فى عصر الذرة ، والإلكترون ، والحاسبات الإلكترونية وسفن الفضاء ، وغزو الفضاء ، والوصول إلى القمر ، ومحاولة الوصول إلى الكواكب الأخرى : عصر الحضارة العلمية والتكنولوجيا العلمية ، التى تستغلها الدول المتقدمة فى كل مرفق من مرافق الحياة فيها ، فى المأكل والمشرب والملبس ، والاتصالات السلكية واللاسلكية ، وفى سلمها وحربها ، فى مواصلاتها عبر البحار ، وعلى متن الهواء ، بالطائرات الأسرع من الصوت ، والغواصات . عصر الصواريخ عابرة القارات ، وعصر النوادى الذرية الذى يتزايد عدد أعضائه يوما بعد يوم وسنة بعد أخرى .

وإذا نظرة إلى المجتمع العربى فى الوطن العربى

بعامة نجد أن القاعدة العريضة أمية أو تكاد ، بل إن رصيدنا من الأمية يزداد عاما بعد عام ؛ وذلك لأن الزيادة فى السكان لاتقابلها زيادة فى عدد المتعلمين، أو أن الزيادة فى عدد المتعلمين لاتتناسب مع الزيادة الهائلة فى السكان ، وكذلك ارتفعت نسبة الأمية فى العشرين سنة الأخيرة من ٥٠ ٪ إلى أكثر من ٨٠ ٪ فكيف تقوم هذه القاعدة العريضة الأمية ــ وقد اجتمع عليها الجهل والفقر ــ مشكلات العصر ؟ وكيف تستجيب لأحداثه ؟

إن أهمية التعليم فى المجتمعات الحديثة ، ليست بالنسبة للموهوبين فحسب ، ولكن ينبغى أن يكون الكل قادرا على القراءة والكتابة كل ساعة من كل يوم ، حتى يكونوا قادرين على الحكم على الأحداث، وفهم مجرياتها، والتصرف بمقتضاها . إذا لم توجد هذه القاعدة العريضة المتعلمة فلن يرتفع البناء ، وحتى لو ارتفع إلى حين فإنه سينهار وشيكا ، ثم إن هذه القاعدة العريضة المتعلمة هى وحدها القادرة على تقبل ومساندة هذه القمة من الموهوبين الممتازين ، حتى يكون ثمة توازن فى المجتمع العربى بين القاعدة والقمة بشرط أن يكون التعليم وفق احتياجات المجتمع من المتخصصين الدارسين من زراعيين ومهندسين وأطباء وصيادلة أو كيميائيين أو باحثين علميين أو جيولوجيين فى مختلف فروع المعرفة الأساسية أو التطبيقية ، وأن يكون ذلك وفق تخطيط مدروس ، بحيث لا يكون هناك فائض عاطل ، يكون عبئا على المجتمع

ومن الخير إنشاء معاهد متخصصة لتخريج الفنيين والتقنيين كل حسب استعداده وميوله. وليس من المفيد أن نوجه كل هذه الحشود نحو تعليم جامعى أكاديمى . قد لا يكون متفقا مع رغباتهم وميولهم ؛ إذ ليس من المعقول أن يكون كل مواطن جامعيا . نعم ينبغى أن نكثر من المعاهد التكنولوجية المختلفة ، ويجب أن يكون لكل منها طابعه وشخصيته ومجالات تفوقه ولا ينبغى أن يخجل مواطن من الانتماء إليه أو الانتساب له ، مادام إنتاجه مرموقا ومقدرا ومطلوبا، ومادام يعمل جاهدا للتفوق فى الأداء ؛ إذ أن النهضة تحتاج إلى جهود كل فرد وتفوقه فى الأداء أيا كان تخصصه .

وها نحن نخطو إلى عتبات القرن الخامس عشر الهجرى ، ولنا هذا التاريخ المشرق الوضاء وها هى الدول العالمة القوية المتقدمة ، تسبقنا بأشواط وأشواط ، يبدو أن ليس من قطعها من سبيل . وها قد أفاء الله على الإنسان العربى بثروة بترولية هائلة ، يتحلب لها ريق الدول القوية ، وهاهى ثروات بعض الدول العربية تقدر بأرقام فلكية ، ويبدو أنها لاتكاد تقع تحت حصر، بل تفوق كل تقدير. وإنها لفرصة سانحة لعل الإنسان العربى أن يهتبلها ، بكل ما استطاع من سرعة ، ومن قوة ، فيلجأ إلى تعليم أبناء الأمة العربية جميعا فالعلم والتعليم هما أولا وثانيا ... وعاشراً . والسبيل الوحيد إلى القوة والمجد . وينبغى أن يكون ذلك وفق خطة مدروسة متكاملة ، فتنشأ المدارس فى كل قرية بل فى كل دسكرة ، وتنشأ المعاهد التكنولوجية فى كل مركز ، وتنشأ الجامعات والمعاهد المتخصصة

فى كل قطر ، كل بحسب احتياجاته وعدد سكانه ، وتنشأ مراكز البحث العلمى فى كل قطر وفى كل صقع ، بحسب الاحتياجات الزراعية أو الصناعية أو المعدنية . وها هى الرقعة المنزرعة والقابلة للزراعة فى حاجة إلى أموال لاستصلاحها واستزراعها ، وهاهى الأرض الصحراوية المنبسطة، والتى تبلغ مساحتها تسعة أعشار مساحة الوطن العربى كله ، فى حاجة إلى إعذاب المياه الملحة المحيطة بها فى البحار والمحيطات، وثمة ثروات وموارد معدنية مخبوءة فى باطن الأرض هنا وهناك ، تحتاج إلى العلم والخبرة لاستخراجها واستنباطها وهاهم أبناء الوطن العربى . على أهبة الاستعداد لخدمة أوطانهم . . ماوجدوا التقدير والتوقير اللازمين فلاتجذبهم الدول القوية المتقدمة بما تسبغه عليهم من تقدير ، وما تغدقه عليهم من أسباب ، وما يجدونه لديها من إمكانيات علمية ومادية ، ومعملية ، ومكتبية ، وما تهيىء لهم من وسائل البحث العلمى المنظم .

ومالنا وقد أفاء الله علينا من نعمائه هذا الثراء الواسع العريض ، مالنا لانجتذب نحن الخبرات الأجنبية ، فنستوردها ، لترفع من إمكانياتنا وتزيد فى خبراتنا ، ونمكن للإنسان العربى فى أرضه أولا ، وإنه لقادر بعدذلك أن يستعلى بقوته وأن يدل بعلمه ، فيأتى إلينا العلماء من كل حدب وصوب يعاونون فى استغلال ثرواتنا ، المعدنية والزراعية والصناعية والعمرانية والعلمية .

ما أشد حرصى على أن أرى هذا الذى أدعو إليه واقعاً ، فيتعلم المائة مليون عربى الذين يقطنون أرض الوطن العربى ، من المحيط إلى الخليج ويتسلحون بالعلم والخلق والقيم التى دعا إليه الدين الحنيف ، من صدق وأمانة وجد وإخلاص وتفان فى سبيل الواجب ، وعمل مثمر بناء فى سبيل رفعة الإنسان العربى وقوته ومنعته وهو فى طريقه إلى مشارف القرن الخامس عشر الهجرى .

والله المستعان، وهو الموفق، وعلى الله قصد السبيل

عبد الحليم منتصر
عضو المجمع

# من إيجاز الحذف في القرآن الكريم

للدكتور احمد الحوفى

يجرى القرآن الكريم على أنواع من الإيجاز، منها إيجاز الحذف بالاستغناء عن كلمة أو جملة أو جمل ، لأن فى الكلام المذكور ما يدل على المحذوف لفظاً أو سياقا ، فلا خفاء فى معرفة المحذوف ، ولا إخلال بالفهم ؛ ولهذا اشترطوا أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى(١) .

والغرض من هذا الحذف إثارة انتباه المخاطب وإثارة شوقه إلى إدراك المعنى ، فيعظم فى نفسه شأنه حينما يدركه ، كما أنه يشعر بمسرة حينما يستنبط بنفسه ماحذف من الكلام .

هذا إلى ما فى الحذف من تحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل ، مع الوفاء بالمعنى وتشويق المخاطبين .

والأصل فى خبر المبتدأ ألا يحذف ، لأن المبتدأ والخبر معاً يؤديان المعنى المراد .

فإذا كان الخبر جملة اسمية أو فعلية فلا بد من اشتمالها على رابط يعود إلى المبتدأ أو يصله بالخبر .

مثال الجملة الاسمية قوله تعالى : ( والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) (٢) .

وقوله سبحانه : ( الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون )(٣) .

وقوله جل وعز : ( والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ) (٤)

ومثال الجملة الفعلية قوله تعالى : ( الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس )(٥) .

وقوله سبحانه : ( وربك يخلق ما يشاء ويختار )(٦) .

وإنه ليسترعى الانتباه أن أسلوب القرآن الكريم امتاز فيما امتاز به بحذف خبر المبتدأ فى كثير من الآيات .

ولقد اختلف المفسرون فى هذا الحذف على التفصيل الذى سأعرضه وأعقب عليه ، متدرجا مع المفسرين تدرجا زمانياً مرتبـا على سنوات الوفاة .

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٣/١١١
(٢) سورة البقرة ٣٩
(٣) سورة النحل ٢٧٤
(٤) سورة النحل ٤١
(٥) سورة المؤمنون ٧٥
(٦) سوة القصص ٦٨

## ( الآية الأولى )

قال تعالى : ( واعبدوا الله ولا تشركو به شيئا ، وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ؛ إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً . الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا )(١) . فأين خبر ( الذين ) ؟

ذهب الطبرى (٣١٠ هـ) إلى أن الله لا يحب المختال الفخور الذى يبخل ، ويأمر الناس بالبخل . وقال إن ( الذين ) يحتمل أن يكون فى موضع رفع رداً على مافى قوله ( فخوراً ) من ذم ، ويحتمل أن يكون نصبا على النعت لمن (٢).

وذهب الزمخشرى ( ٥٣٨ هـ ) إلى أن ( الذين ) بدل من قوله « من كان مختالا فخوراً » أو نصب على الذم ، أو رفع على الذم ، ويجوز أن تكون ( الذين ) مبتدأ خبره محذوف ، كأنه قيل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل أحقاء بكل ملامة(٣) .

وذهب القرطبى (٦٧١ هـ) إلى أن ( الذين ) فى موضع نصب على البدل من ( من كان مختالا ) ولا يكون صفة ، لأن ( من ) و ( ما ) لا يوصفان ولا يوصف بهما ، ويجوز أن يكون فى موضع رفع ، فيعطف عليه قوله تعالى : ( والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ) ويجوز أن يكون ابتداء والخبر محذوف ، أى الذين يبخلون لهم كذا ، أو يكون الخبر ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة ) ، ويجوز أن يكون منصوبا بإضمار أعنى(٤) .

أما النيسابورى ( ٧٢٨ هـ ) فلم يذكر شيئا(٥) ، وكذلك ابن كثير ( ٧٧٤ هـ )(٦) .

### تعقيب

١ — يبدو التكلف فى إعراب ( الذين ) نعتا لمن أو بدلا من ( من ) لأن هذا الإعراب قائم على تأويل « من كان مختالا فخورا » بالجمع لينسجم التعبير مع ( الذين ) .

كما يبدو التكلف فى إعراب ( من ) مفعولا لفعل ذم محذوف ، لأن الآية السابقة تنص على كراهية الله تعالى للمختال الفخور ، وهذه الكراهية أشد من الذم ، فكيف يستحق المختال الفخور كراهية الله له ، ولا يستحق هذه الكراهية البخيل بنعم الله الذى يأمر غيره بالبخل بل يستحق الذم فحسب ؟

---

(١) سورة النساء ٣٦ — ٣٧
(٢) تفسير الطبرى ٥/٥٤
(٣) الكشاف ١/٢٦٨
(٤) تفسير القرطبى ١٩٢٥
(٥) النيسابورى على هامش الطبرى ٥/٤٨
(٦) ابن كثير ١/٤٩٦

هذا إلى أن الذوق لا يستريح إلى هذا التقدير ولا يستريح إلى إعراب ( الذين ) مفعولا لفعل محذوف تقديره أعنى . .

وأما إعراب ( الذين ) مبتدأ عطف عليه « والذين ينفقون » ليكون الخبر مؤخرا على هذه الصورة فإنه إبعاد للخبر عن المبتدأ .

٢ — فما التقدير الذى يستحق الإيثار ؟

لقد ذكر هذا التقدير بعض المفسرين فيما سبق ، وهو أن ( الذين ) مبتدأ خبره محذوف.

فإذا أردنا تقديره تقديرا صحيحا كان علينا أن نتدبر ختام الآية الكريمة ، وهو قوله تعالى « وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » ، وتقدير هذا الخبر يجيء على هذه الصورة : الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله كفار بنعم الله ، أو مستحقون لعذاب الله ، وقد أعد الله للكفار عذابا مهينا .

ومن هنا يتبين أن التذييل « وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » دل على خبر المبتدأ ، وأغنى عنه .

## الآية الثانية

قال سبحانه : « والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر . ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا »(١)

ذكر الطبرى أن ( الذين ) فى موضع جر عطفا على ( الكافرين ) فى الآية السابقة « وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا »(٢)

ولم يتعرض الزمخشرى لموقع ( الذين )(٣)

وقال القرطبى ( ٦٧١ هـ ) إن ( الذين ) معطوف على « الذين يبخلون » ، وقيل هو عطف على ( الكافرين ) فيكون فى موضع خفض(٤) .

وقال النيسابورى ( ٧٢٨ هـ ) إن ( الذين ) معطوف على « الذين يبخلون »(٥)

ولم يتعرض ابن كثير ( ٧٧٤ هـ ) لموقع ( الذين )(٦)

### تعقيب

أستبعد إعراب ( الذين ) فى موضع جر عطفا على ( الكافرين ) فى الآية السابقة ، لأن الذين ينفقون أموالهم مراءاة للناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ألصق بالكفر من الذين يبخلون بنعم الله ويكتمون خيره وفضله ، فكيف يوصف هؤلاء البخلاء بالكفر ويتوعدهم الله

---

(١) سورة النساء ٣٨
(٢) تفسير الطبرى ٥٦/٥
(٣) الكشاف ٣٦٨/١
(٤) تفسير القرطبى ١٩٣/٥
(٥) تفسير النيسابورى على هامش الطبرى ٨/٥ ،
(٦) تفسير ابن كثير ٤٩٦/١

بعقاب الكفار، ثم يجيء تابعا لهم ومعطوفا عليهم الذين ينفقون مراءاة للناس الجاحدون بوجود الله تعالى المنكرون ليوم القيامة ؟

هذه ملاحظة، والملاحظة الثانية أن «الذين ينفقون» لو كانت معطوفة على (الكافرين) لكان الأولى أن يكون الأسلوب والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس .

وأما إعراب «الذين ينفقون» معطوفا على «الذين يبخلون» فإنه لم يحقق شيئا، لأن الخبر مازال في حاجة إلى تقدير فما الوجه الصحيح ؟

أرى أن خبر (الذين) محذوف دل عليه قوله تعالى «ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا» أي: الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر عصاة لله، أو خاضعون للشيطان، أو مستحقون عذاب الله، ومن يكن الشيطان قرينا له جره إلى هذا المصير .

(الآية الثالثة)

وقال تعالى: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون»(١)

أين خبر (الذين) ؟

لم يذكر الطبرى شيئا(٢) .

ورأى الزمخشرى أن «لا نكلف نفسا إلا وسعها» جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب مالا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح(٣) .

ومعنى هذا أن جملة «أولئك أصحاب الجنة» هي الخبر .

ورأى القرطبي أن «لا نكلف نفسا إلا وسعها» كلام معترض، وأن خبر (الذين) هو «أولئك أصحاب الجنة»(٤) .

ورأى النيسابورى هذا الرأى، وزاد عليه أنه يصح أن تكون جملة «لا نكلف نفسا إلا وسعها» هي الخبر، والعائد محذوف تقديره لا نكلف نفسا منهم(٥) .

ولم يذكر ابن كثير شيئا عن موقع (الذين)(٦)

**تعقيب**

خير ما قالوه في إعراب الآية الكريمة أن

---

(١) سورة الأعراف ٤٢
(٢) تفسير الطبرى ٨/١٣٣
(٣) الكشاف ٢/٦٢
(٤) تفسير القرطبي ٧/٢٠٧
(٥) على هامش الطبرى ٨/٩٥
(٦) ابن كثير ٢/٢١٤

«الذين آمنوا» مبتدأ خبره «أولئك أصحاب الجنة».

ولكن هذا لا يمنع من تقدير خبر محذوف مفهوم من قوله تعالى (أولئك أصحاب الجنة) تقديره مثلا: ثوابهم عظيم، فيكون الأسلوب على هذه الصورة: الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثوابهم عظيم، لا يكلف الله نفسا من العمل الصالح إلا ما تطيقه، أولئك أصحاب الجنة.

ومعنى هذا أن نهاية الآية الكريمة أشارت إلى خبر المبتدأ ودلت عليه.

(الآية الرابعة)

وقال سبحانه وتعالى: (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا؛ إن ربك من بعدها لغفور رحيم)(١).

لم يذكر الطبرى ولا الزمخشرى ولا القرطبى ولا النيسابورى ولا ابن كثير شيئا عن موقع (الذين)(٢).

ويبدو من ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: (إن ربك من بعدها لغفـــور رحيم) أن الخبر محذوف تقديره: مغفور لهم، أو مقبولة توبتهم أو ناجون من النار.

(الآية الخامسة)

وقال سبحانه: (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة، إنا لا نضيع أجر المصلحين(٣)).

لم يعرض الطبرى لإعراب (الذين(٤)).

وذكر الزمخشرى وجهين: أحدهما أن (الذين) مرفوع بالابتداء وخبره (إنا لا نضيع أجر المصلحين)؛ لأن المحسنين فى معنى الذين يمسكون بالكتاب، كقوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا(٥)).

والرأى الآخر أن (الذين) مجرور بالعطف على (الذين يتقون) فى قوله تعالى: (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون).

ويكون قوله تعالى: (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) اعتراضا(٦).

لكن هذا القول محتاج إلى تصويب، لأن الاعتراض هو (أفلا تعقلون) وأما (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) فهو تذييل لا اعتراض.

---

(١) سورة الأعراف ١٥٣

(٢) الطبرى ٩/٤٩ والكشاف ٢/٩٥ والقرطبى ٧/٢٩٢ والنيسابورى ٩/٤٨ وابن كثير ٢/٢٤٨

(٣) سورة الأعراف ١٧٠

(٤) تفسير الطبرى ٩/٧٤

(٥) سورة الكهف ٣٠

(٦) الكشاف ٢/١٠٢

ولم يتعرض للإعراب القرطبي ولا النيسابوري ولا ابن كثير(١) .

**تعقيب**

أستبعد أن يكون ( الذين يمسكون بالكتاب معطوفا على « الذين يتقون » في الآية السابقة ، لأن الذين يتقون أعم من الذين يمسكون بالكتاب ، ولأن بين المعطوف والمعطوف عليه قوله تعالى « أفلا تعقلون » ولأن العطف كان يتعين لو جاءت الآية على هذا النسق : وللذين يمسكون بالكتاب .

كذلك أستبعد أن يكون الخبر « إنا لا نضيع أجر المصلحين » لأنه لا رابط في هذه الجملة يعود على المبتدأ ، وإعرابها خبرا يقتضي تقدير رابط هو منهم مثلا ، ولا داعي لإعراب قائم على تقدير ما دام التعبير محتملا لوجه آخر .

فما هذا الوجه الآخر ؟

أرى أن قوله تعالى : « إنا لا نضيع أجر المصلحين » تذييل يوحي بالخبر المحذوف ، وأصل التعبير هو : والذين يمسكون بالكتاب ويقيمون الصلاة ثوابهم عظيم عند الله ، إن الله لا يضيع أجر من يحسنون عملا .

( الآية السادسة )

وقال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقـــوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور (٢) » .

ما موقع ( الذين ) من الإعراب ؟

رأى الطبري أن ( الذين ) رد على الذين في قوله تعالى · « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » قبل هاتين الآيتين(٣) .

ورأى الزمخشري أن ( الذين ) في محل نصب بدل من قوله تعالى : « من ينصره » أو في محل جر تابع للذين في قوله تعالى : « الذين أخرجوا من ديارهم(٤) » .

ونقل القرطبي عن الزجاج أن ( الذين ) في محل نصب على البدل من ( من ) في قوله تعالى: « ولينصرن الله من ينصره » وقال غير الزجاج إنها في موضع جر على البدل من الذين في قوله سبحانه: « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا (٥) » .

وذكر النيسابوري أنها بدل من قوله تعالى : « الذين أخرجوا » أو بدل من « من ينصره(٦) » .

أما ابن كثير فلم يذكر شيئاً (٧) .

---

(١) القرطبي ٧/٣١٣ والنيسابوري ٩/٦٩ وابن كثير ٢/٢٦٠
(٢) سورة الحج ٤٠ — ٤١ .
(٣) تفسير الطبري ١٧/١٢٦
(٤) الكشاف ٣/٣٥
(٥) تفسير القرطبي ١٢/٧٢
(٦) على هامش الطبري ١٧/٩٣
(٧) تفسير ابن كثير ٣/٢٣٦

**تعقيب**

أستبعد أن تكون كلمة ( الذين ) معطوفة على الذين فى قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون » أو على الذين فى قوله سبحانه : « الذين أخرجوا من ديارهم » ، أو أن تكون بدلا من الذين فى هذه الآية الأخيرة ؛ لأن الفصل طويل بين المعطوف والمعطوف عليه ، وبين البـــدل والمبدل منه .

وخير من هذا أن تكون بدلا من ( من ) فى قوله تعالى : «من ينصره» كما ذكر الزمخشرى والقرطبى والنيسابورى .

ولكننى أفضل أن تكون كلمة الذين مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله تعالى : « ولله عاقبة الأمور » فيكون التقدير مثلا : لهم العاقبة ، أو لهم النصر ، أو هم الغالبون .

( الآية السابعة )

وقال سبحانه : « كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار(١) » .

فإذا أردنا معرفة موقع « الذين يجادلون » من الإعراب وجدنا عدة آراء :

أما الطبرى فإنه ذكر أن الذين فى موضع نصب بدل من « من هو مسرف » (٢) .

وأما الزمخشرى فإنه ذهب إلى أن « الذين يجادلون » بدل من «من هو مسرف » فإن قلت : كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد ؟ قلت لأنه لا يريد مسرفا واحدا ، فكأنه قال كل مسرف . فإن قلت : ألا يجوز أن يكون « مسرف » جمعا ، ولهذا أبدلت منه « الذين يجادلون ؟

قلت : بلى ، هو جمع فى المعنى ، وأما اللفظ فموحد محمل البدل على معناه .

ويجوز رفع «الذين يجادلون» على الابتداء ، ولا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير فى ( كبر ) تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا .

ويحتمل أن يكون « الذين يجادلون» مبتدأ ، « وبغير سلطان أتاهم » خبرا ، وفاعل ( كبر ) قوله تعالى ( كذلك ) أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال ، و « يطبع الله » كلام مستأنف .

ومن قال : كبر مقتا عند الله جدالهم ، فقد حذف الفاعل . والفاعل لا يصلح حذفه ، وفى « كبر مقتا » ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد إشكاله من الكبائر .

---

(١) سورة غافر ٣٤ — ٣٥

(٢) تفسير الطبرى ٢٤ /٤٢

والثانى أن يكون قوله تعالى : ( إن الذين آمنوا ) جزاء(١) ، فيكون معنى الكلام إن من عمل صالحا فإنا لا نضيع أجره، فتضمر الفاء فى « إنا » .

والثالث أن يكون خبر إن ( أولئك لهم جنات عدن ) فيكون معنى الكلام إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم جنات عدن(٢) ) .

٢ — وذكر الزمخشرى ( ٥٢٨ هـ ) ثلاثة آراء :

الأول أن « أولئك » خبر إن ، و « انا لا نضيع » اعتراض .

والثانى أن جملتى « انا لا نضيع » و « أولئك لهم جنات عدن » خبران معاً .

والثالث أن « أولئك » كلام مستأنف بيان للأجر المبهم . ثم قال : إن قلت : أين الضمير الراجع الى المبتدأ فى جملة « إنا لا نضيع » اذا جعلتها خبرا ؟

قلت : « من أحسن عملا » و « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ينتظمهما معنى واحد ، فقام « من أحسن عملا » مقام الضمير ، أو المراد من أحسن عملا منهم ، كقولك السمن منوان بدرهم(٣) .

٣ — وذكر القرطبى ( ٦٧١ هـ ) رأيين :
أولهما أن جملة « إنا لا نضيع » خبر إن ، لأن فى الكلام إضماراً ، أى لا نضيع أجر من أحسن عملا منهم .

والآخر أن الخبر « أولئك لهم جنات عدن » وجملة « إنا لا نضيع » معترضة (٤) .

٤ — وذكر النيسابورى ( ٧٢٨هـ ) رأيين أيضا ، هما :

الأول أن الخبر جملة « أولئك » لأن جملة « إنا لا نضيع » معترضة .

والثانى أن جملة « إنا لا نضيع » خبر ، وجملة « أولئك » خبر آخر ، أو كلام مستأنف لبيان الأجر أو لبيان المبهم ، والرابط بين اسم إن وخبرها « إنا لا نضيع » هو معنى العموم ، لأن « من أحسن عملا » يقوم مقام الرابط المحذوف ، والتقدير من أحسن عملا(٥) .

٥ — أما ابن كثير ( ٧٧٤ هـ ) فلم يعرض لهذا الموضوع(٦) .

**تعقيب**

١ — نستطيع أن نعترض على اختيار جملة « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » خبراً بأن هذا الاختيار محتاج إلى تقدير رابط ، سواء أكان الرابط كلمة منهم أم العموم فى « من

---

(١) يقصد بالجزاء الشرط
(٢) تفسير الطبرى ١٥/١٥٩
(٣) الكشاف ٢/٣٨٩
(٤) تفسير القرطبى ١٠/٣٩٦
(٥) على هامش الطبرى ١٥/١٢٨
(٦) تفسير ابن كثير ٣/٢٨

أحسن » ، والاستشهاد ببيت الشعر غير سديد ، لأن بيت الشعر فيه ضمير ملفوظ يعود الى الخليفة .

كذلك نستبعد أن يكون الخبر هو الجملتان معاً ، جملة « إنا لا نضيع » وجملة « أولئك » لأن هذا تكلف .

ولا نرتضي أن تكون جملة « إنا لا نضيع » معترضة والخبر جملة « أولئك » لأن الفصل بين اسم إن وخبرها طويل أما تقدير « إن الذين آمنوا » بمعنى الشرط وجواب الشرط هو « إنا لا نضيع » على اضمار الفاء فيه ، فإنه تكلف مركب .

٢ — وانه لخير من هذا كله أن تقدر خبر إن محذوفاً دلت عليه بوضوح جملة « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » وجملة « أولئك لهم جنات عدن » .

فما تقديره ؟

تقديره الذي أستريح اليه : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثوابهم عظيم أو جزاؤهم الجنة أو مقربون إلى الله تعالى .

وليس في هذا التقدير تكلف ولا تمحل ، بل انه ضرب من بلاغة الإيجاز المعتمدة على اللمح وعلى فحوى الكلام المذكور .

الآية الثانية

قال تعالى : ( إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم[١] ) .

فأين خبر إن ؟

١ — لم يذكر الطبري شيئا[٢] .

٢ — وقال الزمخشري إن الخبر محذوف لدلالة جواب الشرط عليه ، تقديره إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم ، وكل من ارتكب ذنباً فهو كذلك[٣] .

٣ — وقال القرطبي : الخبر محذوف مقدر عند قوله تعالى « والباد » تقديره خسروا أو هلكوا .

وجائز أن يكون — وهو الوجه — الخبر « نذقه من عذاب أليم » قال أبو جعفر : وهذا غلط ، ولست أعرف ما الوجه فيه ، لأنه جاء بخبر إن مجزوماً ، وأيضاً فإنه جواب الشرط ،

---

(١) سورة الحج ٢٥
(٢) تفسير الطبري ١٧/١٠٣
(٣) الكشاف ٣/٣٠
(٣) تفسير القرطبي ١٢/٣٢
(١) على هامش الطبري ١٨/٨٢
(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢١٤

ولو كان خبر إن لبقى الشرط بلا جواب ، ولاسيما والفعل الذى فى الشرط مستقبل ، فلا بد له من جواب(١) .

٤ — وقال النيسابورى خبر إن محذوف دل عليه جواب الشرط ، كأنه قيل إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله نذيقهم من عذاب أليم ، ومن يرد فيه بإلحاد فهو كذلك (٢) .

٥ — ولم يذكر ابن كثير شيئا(٢) :

**تعقيب**

١ — لا يصح أن تكون جملة « نذقه من عذاب أليم » هى خبر إن ، لأن هذا يفتقر الى تكلف يأباه الأسلوب الجيد ، فما بالنا بأسلوب القرآن الكريم ؟ وقد سبق فيما ذكره القرطبى ما يغنى .

٢ — ومن المصادفات الطيبة أنى وجدت ما كنت أوثره وأميل اليه ، اذ جاء فى تفسير الزمخشرى والقرطبى ما وافقه ، وهو أن الخبر محذوف دلت عليه جملة الشرط ، والتقدير إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام عذابهم شديد .

## الآية الثالثة

قال سبحانه : ( إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة ؟ اعملوا ماشئتم ، إنه بما تعملون بصير .

إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ، وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . ما يقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك ، إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم(٣) .

أين خبر إن فى قوله تعالى : « إن الذين كفروا بالذكر »؟

١ — لم يذكر الطبرى شيئا هنا(٤) .

٢ — وقال الزمخشرى : جملة « إن الذين كفروا » بدل من جملة « إن الذين يلحدون فى آياتنا » لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه ، وحرفوا تأويله (٥) .

٣ — وقال القرطبى : الخبر محذوف تقديره هالكون أو معذبون ، وقيل الخبر « أولئك ينادون » وقوله تعالى « ما يقال لك » كلام معترض .

---

(١) تفسير القرطبى ١٠٣/١٧
(٢) على هامش الطبرى ٨٢/١٧
(٣) سورة فصلت ٤٠ — ٤٣
(٤) تفسير الطبرى ٧٨/٢٤
(٥) الكشاف ٣٩٣/٣

والرأى الأول هو المختار عند النحويين جميعا فيما علمت كما قال النحاس(١) .

٥ — ولم يذكر النيسابورى شيئا(٢) .

٥ — أما الزركشى ( ٧٩٤ هـ ) فإنه رأى أن الخبر محذوف ، أى يعذبون ، وقال إنه يجوز أن يكون الخبر « أولئك ينادون من مكان بعيد(٣) » .

**تعقيب**

١ — يبدو التكلف فى إعراب « إن الذين كفروا » بدلا من « إن الذين يلحدون » وفى جعل « أولئك ينادون من مكان بعيد » خبرا لإن ، وذلك أن بين اسم إن وخبرها أربع آيات .

٢ — ويتبين الصواب فى تقدير الخبر محذوفا دلت عليه الآيات الثلاث ، أى إن الذين كفروا بالقرآن وهو حق كله مصيرهم الى النار ، أو عقابهم شديد ، أو عذابهم أليم .

**أحمد الحوفى**
عضو المجمع

---

(١) تفسير القرطبى ١٢/٣٦٧
(٢) على هامش الطبرى ٢٥/١٢
(٣) البرهان فى علوم القرآن ٣/١٤٠

# تحقيق لسان العرب

## — ٥ —

### للأستاذ عبد السلام هارون

٨٠١ — ( شقرق ) ٥٣ س ١٩ وبيروت ١٨٦ : « الليث : الشقراق والشرقراق لغتان : طائر يكون فى أرض الحرم فى منابت النخيل » . ونحو هذا النص فى القاموس ، وصوابه « فى أرض الجرم » كما فى المخطوطة والتهذيب . وقال الزبيدى فى تاج العروس معلقا : « هكذا فى النسخ والصواب بأرض الجرم بالجيم كما هو نص الليث » والجرم : الحر ، نقيض الصرد .

٨٠٢ — ( صيق ) ٧٦ س ٢٣ وبيروت ٢٠٨ : « أنشد ابن الأعرابى :

لى كل يوم صيغة فوقى تأجَّل كالظُّلاله »

وضبطه الصحيح : « كالظلالة » بكسر الظاء ، كما فى التهذيب والقاموس . وفى القاموس : « وبالكسر : السحابة تراها وحدها وترى ظلها على الأرض » . ونسب البيت فى التاج إلى أسماء بن خارجة .

٨٠٣ — ( طرق ) ٩٠ س ٧ وبيروت ٢٢٠ والمخطوطة : قال الأعشى :

فلما جزمت به قربتى

تيممت أطرقة أو خليفا »

والصواب أن البيت لصخر الغى فى ديوان الهذليين ٢ : ٧٦ وشرح السكرى ١ : ٣٠ واللسان ( خلف ) . وهو من قصيدة أولها :

لشماء بعد شتات النوى

وقد كنت أخيلت برقاً وليفا

٨٠٤ — ( طرق ) ٩٠ س ٧ وبيروت ٢٢٠ والمخطوطة كذلك قول الراجز فى صفة فحل من الإبل :

تقاتلا خالاته عماته آباؤه فيها وأمهاته

وليس بين خالاته وعماته ثأر أو قتال ، ولكن بينهما — علم الله — وفاقا تاما فى الكرم والعتق . والمقابل : الكريم النسب من قبل الأبوين ، وهنا قابلت الخالات العمات فى الكرم والنجابة . فالصواب « مقابلا » بفتح الباء الموحدة .

٨٠٥ — (طلق) ١٠١ س ٦ وبيروت ٢٣١ والمخطوطة أيضا قول النابغة :

تناذرها الراقون من سوء سمها

تطلقه طورا وطورا تراجعه

والبيت مشهور فى شعر النابغة ، والصواب « تراجع » بدون هاء كما فى الديوان ٥١ .

وأول القصيدة :

عفا ذو حسى من فرتنى فالفوارع
فجنبا أريك فالتلاع الدوافع

٨٠٦ ( طوق ) ١٠٢ س ٢١ وبيروت ٢٣٢ والمخطوطة : « التهذيب : أنشد عمر بن بكر » ، والصواب « عمر بن بكير » بالتصغير ، كما فى التهذيب وبغية الوعاة ٣٦٠. وقال السيوطى : « عمر ابن بكير صاحب الحسن بن سهل . قال ياقوت : كان نحويا أخباريا راوياً ناسبا ، عمل له الفراء معانى القرآن ، وصنف كتـــاب الأيام فى الغزوات » .

وفى فهرست ابن النديم ٩٨ : « قال أبو العباس ثعلب : كان السبب فى إملاء كتاب الفراء فى المعانى أن عمر بن بكير كان من أصحابه ، وكان منقطعا إلى الحسن بن سهل ، فكتب إلى الفراء : إن الأمير حسن بن سهل ربما سألنى عن الشىء بعد الشىء من القرآن فلا يحضرنى فيه جواب ، فإن رأيت أن تجمع لى أصولا ، أو تجعل فى ذلك كتابا أرجع إليه . فقال الفراء لأصحابه : اجتمعوا حتى أملّ عليكم كتابا فى القرآن . فجعل لهم يوماً .

٨٠٧ — ( عذق ) ١٠٩ : ٢٤ والمخطوطة : « اعتذق فلان بكرة من إبله ، إذا أعلم عليها ليقبضها » ، والصواب « ليقتضبها » كما فى التهذيب واللسان ( قضب ) وفيه : « اقتضب فلان بكراً ، إذا ركبه ليذله قبل أن يراض . وناقة قضيب وبكرة قضيب بغير هاء » وفيه أيضا : « ... واقتضبتها : أخذتها من الإبل قضيباً فرضتها » .

٨٠٨ — ( عذق ) ١١٠ : ١١ وبيروت ٢٢٩ . « كذبت عذّاقته وعذّابته » . وفى المخطوطة . « عذابته » باهمال نقط هذه الباء التى بعد الألف ، والصواب « عذانته » بالنون ، كما فى التهذيب . فى اللسان ( عذن ) أن العذانة : الاست ، والعرب تقول : كذبت عذانته . وقد وجدت معنى هذا التعبير فى اللسان ( عفق ) ، وفيه : « وكذبت عفاقته ، أى استه ، إذا حبق » .

٨٠٩ — ( عرق ) ١١١ : ١٩ وبيروت ٢٤١ والمخطوطة أيضا . « وهذا مثل قولهم : حتى يشيب الغراب ويبيض الفأر » بالفاء والهمز لكن فى المخطوطة : « الفار » بدون همز ، وهو تصحيف عجيب ، والصواب « ويبيضّ القار » كما فى التهذيب ، والحيوان ٥ : ٥٢٨ . ولعل السر فى هذا التصحيف إرادة المصحف أن يجعل الأمر كله مسرحا للحيوان ما بين غرابه وفأره . والقار ، بالقاف هو الزفت أو شىء شبيه به . وأنشد فى اللسان ( غرب ) لمعاوية الضبى :

فهذا مكانى أو أرى القار مغربا
وحتى أرى صم الجبـــال تكلم

وقال فى تفسيره : « ومعناه أنه وقع فى مكان لا يرضاه ، وليس له منجى إلا أن يصير القار أبيض وهو شبه الزفت — أو تكلمه الجبال . وهذا مالا يكون ولا يصح وجوده عادة » .

٨١٠ - ( عرق ) ١٢١ : ٤ وبيروت ٢٤٩ والمخطوطة كذلك قول الشماخ :

ما إن يزال لها شأو يقدمها
مجرب مثل طوط العرق مجدول

والصواب « محرب » بالحاء المهملة وكسر الراء المشددة كما في التهذيب . والشأو ، عنى به الزمام ، كما في اللسان ( شأى ) عند رواية البيت . وقد شبه الشأو بالطوط ، وهو الحية . والعرق : الجبل . أما المحرب فهو من التحريب ، وهو التحريش ، وهو هنا الحث على سرعة السير . كما أن رواية البيت في اللسان ( شأى ، طوط ) : « يقومها » . وفي ( طوط ) فقط : « يقومها مقوم » . وهذا مايحمل على الريبة في صحة « يقدمها » . والبيت مع هذا لم يرد في قصيدته التي على هذا الروى في ديوانه وإن كان قد ورد في حواشي الطبعة الثانية .

٨١١ — ( عفق ) ١٢٥ : ٤ وبيروت ٢٥٣ والمخطوطة قول الشاعر :

ولاتك معفاق الزيارة واجتنب
إذا جئت إكثار الكلام المعيبا

وفي التاج « المعقبا » صوابهما « المعيب » بالجر ، صفة للكلام كما في التهذيب . أو « لمعقب » بالجر أيضا .

٨١٢ — ( عقق ) ١٢٨ : ٤ والمخطوطة : « وروى شمر أن المعقر بن حباب البارقي » . وإنما هو « المعقر بن حمار » ، كما ورد في طبعة بيروت ص ٢٥٦ . والخبر في مجالس ثعلب ٣٤٧ . وهو المعقر بن أوس بن حمار كما في الاشتقاق ٢٨١ . واسم المعقر « سفيان » كما في الأغاني ١٠ : ٤٤ — ٤٥ والمزهر ٢ : ٢٧٣ والخزانة ٢ : ٢٩١ ونوادر المخطوطات ٢ : ٢٢٣ . قالوا : سمى معقرا بقوله :

لها ناهض في الوكر قد مهدت له
كما مهدت البعل حسناء عاقر

وهو صاحب البيت السائر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينـــاً بالإياب المسافر

وفي اللسان نفسه ( عقر ) : « ومعقر : اسم شاعر ، وهو معقر بن حمار البارقي » .

٨١٣ — ( عقق ) ١٢٩ : ١٦ وبيروت ٢٥٧ والمخطوطة قول رؤبة :

* طير عنها النسر حولى العقق *

وصوابها : « طير عنها اللس » ، كما في المقاييس ( عقق ) . واللس ، من قولهم : لست الدابة الحشيش تلسه بلسانها لسا : تناولته ونتفته بجحفلتها » . وأما النسر فهو للطير الجارح ، يقال نسر البازى اللحم بمنقاره : نتفه .

٨١٤ — ( عقق ) ١٣٢ : ١٠ وبيروت ٢٦٠ والمخطوطة أيضا : « وقال ابن برى : هو للأشعر الجعفى » ؛ وإنما هو « الأسعر » بالسين المهملة كما في التهذيب والصحاح . وانظر المؤتلف ٤٧ والاشتقاق ٤٠٨ والمزهر ٢ : ٢٤٨ وسمط اللآلى ٩٤ ونوادر المخطوطات ٢ : ٢٩٣ واللسان والتاج ( سعر ) . واسمه مرثد بن أبي حمران الجعفى ، سمى الأسعر لقوله :

فلا يدعنى قومى لسعد بن مالك

لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

٨١٥ — ( علق ) ١٣٨ : ٥ وبيروت ٢٦٦ والمخطوطة كذلك : « قال المفضل البكرى » . وإنما هو « النكرى » بالنون المضمومة ، نسبة إلى نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . وهو المفضل بن معشر بن أسحم بن عدى بن سويد بن عذرة بن منبه بن نكرة . واسم المفضل عامر ، كما فى كتاب ألقاب الشعراء لابن حبيب فى نوادر المخطوطات ٢ : ٣١٦ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٠٦٢ سمى المفضل بقصيدته المنصفة المروية فى الأصمعيات ١٩٩ .

٨١٦ — ( علق ) ١٤١ : ٥ وبيروت ٢٦٦ والمخطوطة ، قول الشاعر :

وماهى إلا فى إزار وعلقة

مغار ابن همام على حى خثعما

والشاعر هذا هو حميد بن ثور كما فى كتاب سيبويه ١ : ٢٣٤ من تحقيق كاتبه ، وليس فى ديوانه كما فى حواشى الكتاب . و « مَغار » بالفتح لا وجه له ، إذ لا يقال غار على القوم ؛ وإنما يقال أغار عليهم . وفى الكتاب الكريم : « فالمغيرات صبحا » . فالصواب « مغار » بضم الميم مصدر ميمى من أغار .

٨١٧ - ( عنق ) ١٤٤ : ١٦ وبيروت ٢٧٢ والمخطوطة أيضا : « ذكر السراب وانقماس الحبال فيه إلى أعاليها » ، الصواب « وانقماس الجبال » بالجيم لا بالحاء . كما فى التهذيب .

٨١٨ ( عنق ) ١٤٥ : ١٨ وبيروت ٢٧٣ والمخطوطة كذلك : « والمعتنق : مخرج أعناق الحبال » صوابه « الجبال » بالجيم كما فى التهذيب . ومن عجب أن قبله فى اللسان نفسه : « وعنق الجبل : ما أشرف منه » .

٨١٩ ( عنق ) ١٤٦ : ١٩ وبيروت ٢٧٤ والمخطوطة ، قول أبى ذؤيب :

بأطيب منها إذا ما النجو

م أعنقن مثـــل هوادى ...

مع نقص آخر البيت . وكتب مصحح بولاق : « هكذا هو فى الأصل . وهو ناقص الآخر » . وأقول : تمامه كما فى اللسان ( صدر ) وشرح السكرى ١١٧ : « هوادى الصدر » . وفى ديوان الهذليين ١ : ١٤٩ : « مثل توالى البقر » ، وبروى كذلك : « توالى الصدر » كما شرح السكرى .

٨٢٠ — ( عنق ) ١٤٧ : ١٨ وبيروت ٢٧٤ والمخطوطة : « أنشد ابن الأعرابى لقربط يصف الذئب » . صوابه : « قرط » ، وهو الملقب بذى الخرق . انظر المؤتلف والمختلف ١٠٩، ١١٩ والخزانة ١ : ٢٠ . وفى القاموس عند الكلام على ذى الخرق : « وقرط ، أو ابن قُرط » . أى ويقال ذو الخرق بن قرط .

٨٢١ — ( عوق ) ١٥٣ : ٢٢ وبيروت ٢٨٠ والمخطوطة أيضاً قول الشاعر :

وعاندت الثريا بعـــد هدء

معـاندة لهـــا العيوق جارا

وهو خطأ ، صوابه « جار » بالرفع كما فى

المفضليات ٣٤٠ . والبيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه ٦٦ والمفضليات ، من قصيدة أولها :

ألا بان الخليط ولم يُزاروا

وقلبك في الظعائن مستعار

٨٢٢ — (عيق) ١٥٤ : ١٩ وبيروت ٢٨١ قول ساعدة بن جؤية :

ساد تجرم في البضيع ثمانيا

يَلوى بعيقات البحار ويجنب

ووردت « يلوى » في المخطوطة بكسر الواو فقط ، ووجه ضبطها « يلوى » بضم الياء وكسر الواو . انظر التصحيح رقم ٢٤٩ .

٨٢٣ — ( غرق ) ١٦٠ : ١٢ وبيروت ٢٨٦ والمخطوطة أيضاً قول الراجز :

إذ أنت غرناق الشباب ميال

ذو دأيتين ينفحان السربال

والصواب « ينفجان ، كما في مجالس ثعلب ٦٤٣. ينفجان، من النفج بالجيم ، ومعنى ينفجان يملآن ويرفعان . وذلك أن الدأيات أطول الضلوع كلها وأتمها

٨٢٤ — ( فأق ) ١٧٠ : ٢٢ وبيروت ٢٩٦ : « وإكاف مفَـأق : مفرج » صوابه « مفْـأق » ، كما في المخطوطة والتهذيب.

٨٢٥ — ( فتق ) ١٧١ : ٢٠ والمخطوطة ، قول الشاعر :

* كنصل الراعي فتيق *

والراعي ، بالراء : جنس من الحمام حسن الهديل عظيم البدن ، ذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من كتاب الحيوان . فأنى يكون للحمام نصال أو رماح ؟ ! والصواب « الزاعي » بالزاي المعجمة ، كما ورد في اللسان (زعب) ، وقد جاء مصححاً في طبعة بيروت ١٩٧ .

والزاعبي : الرمح الذي إذا هُزّ كأن كعوبه يجرى بعضها في بعض ، للينة .

٨٢٦ — (فرق) ١٧٥ : ٣ وبيروت ٣٠ والمخطوطة : « وهي قوله تعالى : وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق » . وصواب التلاوة: « فأوحينا » بالفاء ، وهي الآية ٦٣ من سورة الشعراء . نسأل الله العافية من تحريف كتابه . انظر لأمثال هذه التحريفات تحقيق النصوص ٤٨ - ٤٩ من الطبعة الرابعة.

٨٢٧ — ( فرق ) ١٧٦ : ٢١ وبيروت ٣٠٢ : « إذا لم تكن واصبة متصلة النبات » . ووردت « واصه » في المخطوطة مهملة النقط جميعه ، والصواب «واصية» بالياء المثناة التحتية. وفي اللسان (وصى) : « وأرض واصية : متصلة النبات » والوصيُّ كذلك : النبات الملتف .

٨٢٨ — ( فرق ) ١٧٧ : ١٧ — ١٨ وبيروت ٣٠٢ والمخطوطة أيضاً : «يوم الفرقان» وهو يوم بدر ، لأن الله أظهر من نصره ما كان بين الحق والباطل» . والعبارة منقوصة ، وتمامها كما في التهذيب : « أظهر من نصره ما كان فيه فرقان بين الحق والباطل » .

٨٢٩ — ( فرق ) ١٧٩ : ١٤ قول كثير:

وذفرى ككاهل ذيخ الخليف

أصاب فريقة ليل فعاثا

وقد أهمل ضبط فاء « الخليف » في كل من بيروت ٣٠٤ والمخطوطة ، وإن كان السكون في

المخطوطة قد وضع فوق ياء الخليف، كما هو المتبع في كثير من الضبط القديم، يضعون السكون فوق ياء المد. والصواب «الخليف» بكسر الفاء.

والبيت من بحر المتقارب. والمتقارب عروضان فقط: الأولى الصحيحة، والثانية المجزوة المحذوفة. أما الصحيحة فلا يعتريها من العلل إلا علة الحذف للسبب الخفيف، وهي جائزة كما صرح الدمنهوري بذلك في حاشيته ٦٦. وأما علة القصر وهي حذف ساكن السبب الخفيف وإسكان متحركه فلا تصح في هذه العروض، وهي ما تترتب على نطق «الخليفْ» بالإسكان. وأما ما يترتب على ضبط الفاء بالتحريك فهو زحاف القبض وهو حذف الخامس الساكن، وهو جائز وورد في كثير من أشعار العرب كقول المرقش الأكبر في المفضليات ٢٥٠:

دما بدم وتعفى الكلوم
ولا ينفع الأولين المهل

وقول عوف بن عطية في المفضليات ٤١٣.

أحيِّ الخليل وأعطى الجزيل
حياء وأفعل فيه اليسارا

وقول حاجب بن حبيب فيها ٢٦٩:

يجم على الساق بعد المتان
جموماً ويبلغ إمكانها

وقول أبي فراس في ديوانه ٢ : ٢٦ :

وأنت الكريم وأنت الحليم
وأنت العطوف وأنت الحدب
وما زلت تسعفني بالجميل
وتنزلني بالجناب الخصب

وقد وردت علة القصر المشار إليها في الضرب الثاني من العروض الأولى الصحيحة، كما في قول أمية بن أبي عائذ الهذلي فيما مثل به صاحب متن الكافي:

ويأوى إلى نسوة بائسات
وشعرى مراضيع مثل السعال(١)

ومما يجدر التنبيه عليه أن هذا الخطأ قد تكرر سابقا في مادة (عيث) من اللسان. فليراجع وليصحح.

٨٣٠ — (فرق) ١٨١ : ١٠ وبيروت ٣٠٦ والمخطوطة، قول الراجز.

وهي إذا أدرَّها العيدان
وسطعت بمشرف شبحان

وفي المخطوطة وردت الياء في «العيدان» مهملة النقط، كما وردت الشين والباء في «شبحان» مهملة النقط. أما الكلمة الأولى فصوابها.

(١) نسب البيت في حاشية الدمنهوري ٦٦ الى أبي أمية الهذلي، والصواب ما أثبت. كما أن الرواية المشهورة في البيت:

ويأوى الى نسوة عطل
وشعثا مراضيع مثل السعالى

وإطلاق الروى بالكسر هو الأكثر. وقال صاحب الخزانة ١ : ٤١٨ : «وأنشد هذا البيت العروضيون، منهم الأخفش بن سعيد «مثل السعال» باسكان اللام ... لأنهم جعلوه من المتقارب من الضرب الثاني من العروض» وذكر البكري في السمط ٦٠ أن قصيدة هذا البيت يجوز فيها التقييد والإطلاق.

« العبدان » مثنى عبد . وصواب الثانية : « شيحان » بالياء المثناة التحتية لا بالباء الموحدة. والشيحان هنا : الطويل ، وهو صفة للعنق المشرف .

وقد وردت « شبحان» بعد الرجز مصحَّفة كذلك . فلتصحح بالياء .

٨٣١ - ( فرزدق ) ١٨٢ : ١٠ — ١١ وبيروت ٧٠٧ والمخطوطة أيضا : « يقال للعجين الذى يقطع ويعمل بالزيت مشتق » ، وصوابه « مشنَّق » كما فى التهذيب واللسان نفسه مادة « شنق » . وفيه . : والمشنق العجين الذى يقطع ويعمل بالزيت . .

٨٣٢ - ( فلق ) ١٨٦ : ٩ ، ١٠ وبيروت ٣١١ : « والفلَق : المقطارة . وفى الصحاح : الفلق : مقطرة السجان » والصواب: « المقطرة» بكسر الميم كما فى التهذيب والصحاح والقاموس « قطر » حيث نص صاحب القاموس على كسر الميم ، وكما تقتضيه أسماء الآلات . وقال فى الصحاح : « وهى خشبة فيها خروق تدخل فيها أرجل المحبوسين ». وفى القاموس :« خشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .

٢٢٨ — « فلق » ١٧٦ : ١٦ وبيروت ٢١١ والمخطوطة كذلك ، قول الكميت :

فى حومة الفيلق الجأواء إذ نزلت
قسراً وهيضلها الخشخاش إذ نزلوا

صوابه « قسر» بالرفع، وهى قبيلة من بجيلة وقد سبق تفصيل القول فى هذا التنبيه رقم ٥٦٦ .

٨٣٤ — فوق ) ١٩٥ :٦ وبيروت ٣١٩ والمخطوطة ، قول الشاعر :

وحُدوسُ السرى تركت رديئا
بعد جد وجـــرأة ورشاقه

صوابه « وعَدوسِ السرى تركت رذيا » ، كما فى أمالى الزجاجى ٤٩ وهى التى اعتمد عليها ابن منظور فى هذا النص . أما العدوس فهو من الإبل القوى على سرى الليل ، يقال عدوس للذكر والأنثى أيضا . وأما الرذى فهو من الإبل المهزول الهالك الذى لا يستطيع براحا ولا ينبعث . والأنثى رذية . وقبل البيت :

رب كأس هرقتها ابن لؤى
حذر الموت لم تكن مهراقه

٨٣٥ — (فوق)١٩٦ :٩ :ويقال ما بُلِّلتُ منه بأفوق ناصل » صوابه : « ما بلت » كما فى التهذيب واللسان ( بلل ٧٠ ) حيث ذكر هذا المثل وقال : « وبَلِلت به بلا : ظفرت به ». والأفوق: السهم الذى انكسر فُوقه والناصل : الذى سقط نصله. وقد وردت بهذا الضبط الصحيح فى طبعة بيروت ٢٢٠ وجاءت فى المخطوطة مجردة من الضبط .

٨١٦ - ( قرق ) ١٩٧ : ٢٢ وبيروت ٢٢٢ قول الراجز :

« مُصبحاً وقربانا مُتناصى قرقا »

وقد وردت بهذا التحريف أيضا فى اللسان « قرقس ». وفى المخطوطة وردت « قربانا» مهملة نقط الباء، والصواب « قريانا » بالياء المثناة التحتية ، كما فى التهذيب وديوان رؤبة ١١٠ . والقريان : جمع قرى ، وهو مسيل الماء من التلاع .

٨٢٧ — ( قوق ) ٢٠١ : ١ ، ٢ وبيروت ٣٢٥ والمخطوطة كذلك قول النابغة :

كأن غديرهم بجنوب سِلّى
نعام قاق فى بـلد قفار

والنسبة إلى « النابغة » موهمة أنها للنابغة الذبيانى ، وليس كذلك ، بل هو النابغة الجعدى كما فى كتاب سيبويه ١ : ٢١٤ بتحقيق كاتبه وانظر ملحقات ديوانه ٢٤٢ . ونسبه ابن برى إلى شقيق بن جزء بن رباح الباهلى . كما أن صوابه « كأن عذيرهم » بالعين المهملة بعدها ذال معجمة . والعذير : الصوت ، كما فى تفسير سيبويه للبيت ، وكما عند الشنتمرى . ولم أجد له سنداً إلا نص الكتاب . وقد وردت الرواية على الصواب أيضا فى اللسان ( سلل ) والانصاف لابن الأنبارى ٤٧ .

٨٣٨ — ( قيق ) ٢٠١ : ١٤ وبيروت ٣٢٥ والمخطوطة : « حجارة غاصٌّ بعضها ببعض » والوجه « عاضٌّ بعضها ببعض » كما فى التهذيب أى مستمسك بعضها ببعض .

٨٣٩ — ( لبق ) ٢٠٢ : ١ وبيروت ٣٢٦ والمخطوطة : « وامرأة لبقة : ظريفة رقيقة ، ويليق بها كل ثوب » والوجه « يلبق » كما فى التهذيب ، وكما تقتضيه طبيعة اشتقاق المادة . ولا تزال هذه الكلمة الفصيحة مستعملة فى لغة أهل الكويت والخليج العربى .

٨٤٠ — ( افق ) ٢٠٦ : ٢٥ وبيروت ٣٣١ والمخطوطة ، قول الشاعر :

ويا رب ناعية منهم
تشد اللفاق عليها إزارا

وهذه هى أيضا رواية ديوان الأعشى ٣٨. ومما يؤيدها أن قبله فى القصيدة :

فأقللت قوما وأعمرتهم
وأخربت من أرض قوم ديارا

لكن رواية التهذيب ، وهى مظنة النقل « فيارب ناعمة منهم » ولهذه الرواية وجهها .

٨٤١ — ( مرق ) ٢١٦ : ٢ وبيروت ٣٤٥ « سمعت بعض العرب يقول : أطعمنا فلان مرقة مرَقين ، يريد اللحم إذا طبخ ثم طبخ لحم آخر بذلك الماء » ، وجاءت كلمة « مرقين » فى المخطوطة مهملة الضبط . ووجه ضبطها « مرقينَ » بلفظ الجمع لا بلفظ التثنية ، كما فى المقاييس والتهذيب . ويؤيده ما ورد فى اللسان ( علا ٢٢٧ ) من استعمال العرب لهذه الكلمة بلفظ الجمع وفيها : « وسمعت العرب تقول : أطعمنا مرقة مرقين ، تريد اللحمان إذا طبخت بماء واحد . وأنشد :

قد رويت إلا دهيدهينا
قليصات وأبيكرينا

لجمع بالنون لأنه أراد العدد الذى لا يحدّ آخره . وكذلك قول الشاعر :

فأصبحت المذاهب قد أذاعت
بها الإعصار بعد الوابلينا

أراد المطر بعد المطر غيرَ محدود . وكذلك عليون : ارتفاع بعد ارتفاع » .

وذكر أن هذه الأسماء تعرب إعراب جمع المذكر السالم لأنها على لفظه .

٨٤٢ — ( مرق ) ٢١٨ : ١٨ وبيروت ٣٤٢ قول الشاعر :

يا ليتني لك مئزر متمرِّق
بالزعفران لبسته أياما

وجاء بعده : « متمرّق : مصبوغ بالعصفر » لكن وردت « متمرق » فى المخطوطة مضبوطة بتشديد الراء فقط . والصواب « متمرق » بزنة اسم الفاعل كما فى التهذيب ، وهو ما يقتضيه قول ابن منظور نفسه : « وتمرق الثوب : قبل ذلك » .

٨٤٣ — ( مشق ) ٢٢٠ : ١٨ « إذا اصطكت أليتاه حتى تشحجا » وفى بيروت ٣٣٤ « تشحجتا » وليس للتشحج سند فى اللفظ ولا فى المعنى ، والصواب « تسحجا » بالسين المهملة كما فى المخطوطة ، أى تتسحجا ، بحذف إحدى التاءين . والتسحج : التقشر .

٨٤٤ — ( نبق ) ٢٢٨ : ٣ — ٤ وبيروت ٣٥١ والمخطوطة : « ابن الأعرابى : أنبق ونبق ونبّق ، كله إذا غرس شراكا واحدا من الوادى » . ووضع فى المخطوطة سكون على ألف « الوادى » ، وصواب هذا « الودى » كما فى التهذيب واللسان ( بنق ١١ : ٣١١ س ١٣ ) . والودى على فعيل : فسيل النخل وصغاره ، واحدته ودية .

٨٤٥ — ( نبق ) ٢٢٨ : ٨ وبيروت ٣٥١ والمخطوطة أيضا : ينتبق للكلام انتباقا وينتبطه أى يستخرجه » صوابه « ينتبق الكلام » بالتعدية ، كما فى التهذيب . وفى القاموس مع تاج العروس : « ( وانتبق الكلام ) انتباقا وانتبطه انتباطا : ( استخرجه ) » .

٨٤٦ — ( نفق ) ٢٢٦ : ٩ وبيروت ٣٥٨ قول الشاعر :

شدا ومرفوعا بقُرب مثله
للورد لا نفِقٌ ولا مسئوم

وفى المخطوطة : « مقرب » باهمال نقط الحرف الأول ، ومع عدم ضبط « مثله » . ووجهه : « يقرّب مثلُه » كما فى التهذيب وديوان لبيد ١٢٩ . والبيت من قصيدة له فى الديوان . والشد : العدو . والمرفوع : أشد من الشد . أى مثل هذا الشد يقرب الحمار للورد .

٨٤٧ — ( نوق ) ٢٤٢ : ١٨ وبيروت ٣٦٤ قول الراجز :

مُخة ساقى بأيادى ناقىءٍ
أعجلها الشاوى عن الاحراق

وبعده : « ويروى بين كفى ناقىء » وفى المخطوطة : « ساقى بأيادى ناقى » و « كفى ناقى » . والصواب فى نص الرجز :

* مخة ساق بأيادى ناقى *

وفى التعليق بعده : « بين كفى ناقى » بغير همز . والساق معروفة ، وبداخلها المخ وهو نقى العظم . والناقى : الذى يستخرج النق من العظم ، يقال نقوت العظم ونقيته .

٨٤٨ — ( همق ) ٢٤٨ : ١٥ قول الراجز :

* لبابة من همق عيشوم *

وفى المخطوطة : « لبانة »، صوابها « لباية » بالياء المثناة التحتية ، كما فى اللسان ( لبى ) وطبعة بيروت ٣٦٩ . واللباية : البقية من النبت عامة ، وقيل البقية من الحمض ، أو هو شجر الأمطى .

٨٤٩ — ( وبق ) ٢٤٩ : ٢٠ وبيروت ٢٧٠ والمخطوطة قول الشاعر ، وهو خفاف ابن ندبة السلمى كما فى الأصمعيات ١٥ :

وحاد شرورى والستار فلم يدع
تعاراً له والواديين بموبق

صوابه « وجاد » بالجيم ، كما فى التهذيب والأصمعيات . جاده : أصابه بالجود ، وهو المطر الغزير . والذى فى التهذيب والأصمعيات : « يعار » بالياء بدل التاء . وشرورى والستار ويعار : مواضع فى بلاد بنى سليم . وأما « تعار » بالتاء فهو من بلاد قيس .

٨٥٠ — ( ودق ) ٢٥١ : ٢٣ وبيروت ٢٧٢ والمخطوطة قول الراجز .

* كوم الذرى وادقة سراتها *

والرجز لعمر بن لجأ(١) فى الأصمعيات ٢٤ والخزانة ٣ : ٤٧٨ والعينى ٣ : ٥٨٣ .

وقبل الشطر :

* أنعتها إنى من نعاتها *

فالصواب « وادقة سراتِها » بنصب سرات بالكسرة ، كما يقتضيه روى الرجز . والكلمة موضع استشهاد يحوى على أن وادقة صفة مشبهة وفاعلها ضمير مستتر فيها ، وسراتها منصوب بالكسرة على التشبيه بالمفعول للصفة المشبهة .

**عبد السلام محمد هارون**

( البحث بقية )

(١) عند العينى أن صاحب الرجز « عمر بن لحاء » وضبطه بقوله « بالحاء المهملة » وصوابها « لجأ » كما سبق فى التنبيه رقم ٧٣١ .

# قولٌ فى النحو

## للأستاذ محمد شوقى أمين

### قواعد

اللغة العربية التى احتوتها كتب النحو ، تنطوى على كثير من الفروع والتفصيلات والاستثناءات ، وذلك طوع الاختلاف صور الكلام فى التقديم والتأخير والحذف والايصال ، والإظهار والإضمار ، وما يتخلل أركان الجمل من القيود أو الصلات أو الفضلات . ومن هذه الصور ما هو قياسى ، وما هو غالب ، وما هو كثير ، وما هو قليل ، وما هو نادر ، وما هو شاذ .

وإن بسط هذه التفصيلات ، وبيان منزلتها من القلة والكثرة ، ليجعل قواعد العربية واسعة كل السعة ، ويبلغ بتفصيلاتها وتفريعاتها مبلغا لا يحصله إلا متفرغ للنحو ، صارف أطول عمره وأفسح دهره فى التعرف والحفظ والمذاكرة .

وقد جرى أهل العربية منذ القدم على أن هذه هى اللغة ، وأن رجال النحو والتصريف إنما قعدوا هذه القواعد ، ونسقوا تلك التفصيلات ، استنباطا من كلام العرب المعتد به فيما حصلوه . فهم بما ضبطوا من قواعد ، وما رتبوا من مسائل ، يصورون أساليب الكلام الفصيح فى جملته وتفصيله .

والنحاة فى الغالب يحتجون لكل قاعدة ولكل جزئية من جزئيات القواعد بأمثلة من البيان العربي ، وأكثر ما يستشهدون به من الشعر وحجتهم فى إيثار الشواهد الشعرية أن النثر غير متناقل ولا يحصل فى الصدور ، إلا أقله . ولكن الشعر أكثره محفوظ مروى ، وهو بوزنه ضابط لنطق الكلمة المراد الاحتجاج بها ، مصور لصيغة الجملة التى هى مناط الاستنباط .

على أننا لو تأملنا مليا لعلن لنا جليا أن كثيرا مما يسرده النحاة ، ويعمرون به أبواب القواعد ، من أشتات التفصيل والتفريع ، وألوان الجواز والاستثناء ، وصنوف الضوابط والشرائط ، لا صورة له فى النثر المأثور عن العرب .

وعلى الرغم من أن أهل العربية — على ترادف الأحقاب — قد لقنوا هذه التفصيلات جميعا ، فان بيان البلغاء من الكتاب ، تخلو تعبيراته وجمله من أكثر ما يقتضيه ذلك التفريع والتنويع فى كتب النحاة . فالتراكيب المستعملة فى النثر العربى خلال خمسة عشر قرنا لاتجرى إلا فى قليل من تلك الصور التى تشتمل عليها أبواب النحو والتصريف .

فعلام تدل هذه الظاهرة ؟

أليست تدل على أن العلة فى كثرة فروع القواعد، راجعة إلى طبيعة الشعر العربى فى تقيده بالوزن والقافية، فهو لذلك يقسر الشاعر العربى على أن يتصرف فى أنماط الكلام وأساليب التعبير، ليسلس له عنان الوزن، ويسلم له سماط القوافى ؟

وإذا كان ذلك التفريع والتفصيل أثرا للشعر العربى وحده، باعتبار ما فيه من ضرورات مباحة، ألجأت إليها طبيعة النظم، فلماذا تبسط هذه الضرورات المباحة فى الشعر على أنها من قواعد النحو الشاملة للكلام شعره ونثره ؟

حقا عنى النحاة بذكر ما خالف القواعد فى الشعر، ونصوا أبياتا تتجلى فيها ألوان الخلاف، وعدوا ذلك من الضرورات الشعرية، حتى لقد أطلقوا عليها اسما خص بها وعرفت به، ذلك هو اسم « الضرائر »، ولكن هذه الضرائر التى عنى النحاة بالنص عليها، ليست إلا جانبا مما حشدوه من فروع القواعد، واحتجوا له بالشواهد من الشعر، وأطلقوا أحكامه إطلاقا، كأنه جزء من القواعد العامة للكلام منثوره ومنظومه، دون أن ينصوا على أنه ظاهرة من ظواهر الكلام المنظوم خاصة، وأنه مما لا يجرى فى منثور الكلام.

كان للعرب مطلق التصرف فى أساليبهم كما يريدون ونحن لما قالوا مسجلون، وبهديهم مقتدون، وهذا نثرهم الذى أثر عنهم فى الجاهلية والاسلام وكذلك نثر القرآن والحديث ليس فيه إلا شىء قليل من تلك التفصيلات التى زخرت بها قواعد النحاة.

ولنجدن الكاتب يبلغ أعلى مراتب التجويد فى الكتابة، ويسمو إلى أرفع طبقات البلاغة فى الإنشاء، على حين أن طرائق تعبيره، وألوان أساليبه، لا يعلق بها كثير مما تبارت كتب النحو فى تبيينه وتفصيل أحكامه.

فإن نحن رجعنا إلى الشعر ألفيناه يحفل بكل ما أتعب النحاة أنفسهم فيه، وجهدوا جهدهم لضبطه، وما ذلك إلا لأن أولئك النحاة حين انبروا لضبط قواعد الكلام، وتسجيل ظواهر التراكيب والأساليب، جعلوا نصب أعينهم فى معظم أمرهم ما تيسر لهم جمعه من القصائد والمقطعات والأبيات، فكان الشعر مادتهم الغزيرة ومنهلهم المورود، إليه رجعوا أكثر مارجعوا، وعليه عولوا أكثر ما عولوا، ومنه استخرجوا أوفر ما استخرجوا من القواعد والأحكام.

وجلى أن الوزن والقافية يتحكمان فى الشعر العربى كبير تحكم، وأنهما يرغمان الشاعر على أن يميل بأساليب بيانه تقديماً وتأخيراً، وإظهارا وإضمارا، وحذفا وإيصالا، تطويعاً للوزن، وتأليفا للقافية. فالشعر مغاير للنثر فى الصوغ، مخالف له فى التركيب، ولا يعزب هذا عن النظرة العابرة فى أية قطعة منثورة حين يوزن بها شىء من القول النظيم.

وإننا لنلمح ذلك فى الشعر ، قديمه ومحدثه على السواء ، وأولئك هم الشعراء المعاصرون يجرون فى تركيب الجمل على أنحاء نفتقدها فى النثر ، ونهيهات أن يلجأ إليها الكاتب المترسل ، أو يرضى بها أو يجدها موافقة للانسياق فى الكلام .

ولقد يكون الشاعر كاتبا ، يستوى عنده النثر والنظم إتقانا وبراعة ، فهو فى كليهما مجود متأنق ، ولكنه إذا نظم تتابعت فى نظمه أنماط من التعبير متشابكة تقتضى تلك التفصيلات النحوية ، فإذا نثر جرى كلامه فى صور سهلة ميسورة من ناحية التركيب النحوى ، مع الجزالة وحسن السبك من ناحية التأليف البلاغى .

وليس الوزن والقافية وحدهما هما اللذان يحدوان الشاعر أن يصطنع تلك الألوان المتباينة من التراكيب ، فربما تيسر الوزن والقافية مع التركيب السهل المألوف ، بيد أن الشعر العربى قد اتخذ له منذ القرون الأولى طابعا خاصاً يسميه النقاد الأقدمون : « عمود الشعر » وأبين خصائص هذا الطابع نسج العبارات وتأليف التراكيب ، ولذلك كله سلطانه على صاغة القريض ، فقد اتصلت تلك التراكيب الشعرية بالأذهان ، وتمكنت فى الملكات ، وهى تعرض للشاعر اعتياداً وانقياداً ، ومتابعة ومحاكاة ، وطلبا لذلك الإيقاع الموسيقى الذى تحسه فى شعر القدامى ومن تابعوهم على تعاقب العصور .

أليس يخلص لنا من هذا أن قواعد النحو فى أغلب تفصيلاتها تسجيل لظواهر التراكيب الشعرية ، غير مفتقر إليها ولا معول عليها من يتصرف ناثرا فى فنون الكلام ؟

ولو تدبرت الأمثلة التى يستشهد بها النحاة أو يصوغونها صوغا لتصوير بعض الفروض التى يبسطونها فى تفريعات القواعد ومحترزاتها وقيودها ، لاستبان لك أنها لا تسوغ عادة فى البيان المرسل ، وأنها ليست من مألوف ما تجرى به عذبات الألسن فى القول المنثور .

وإن اليسير من هذه الأمثلة - مما لا تكلف فيه ولا تعقيد - لو استعمله كاتب على جهة التأنق فى السبك ، لوضح للقارىء أن نثر هذا الكاتب يدخل فى باب الشعر ، ولمر بالخاطر أن هذا الكاتب يستعير تلك الأمثلة من محفوظه الشعرى ويجريها مجرى التمثل ، تحلية وزينة ، وذلك لما هو قار فى النفوس من أن للنثر أساليب فى نسق الجمل والتراكيب غير الأساليب الشعرية المتوارثة .

ربما يقال إن تلك التفصيلات النحوية تفيد فى فهم الشعر ومعرفة أساليبه ، وهذا حق لا خلاف عليه . ولكن يجب أن نفرق بين أمهات القواعد التى هى طبيعة اللغة ، وعليها يدور مرسل الكلام ، وبين التفريعات والتنويعات التى أملاها على النحاة ما وجدوه فى قصيد الشعراء من تراكيب ألجأ إليها وزن الشعر وقافيته ، وأصبحت طابعاً للشعر العربى كله أوجله .

وإذا كان النحاة قد بسطوا قواعد شاملة لم يميزوا فيها بين شعر ونثر ، فذلك لأن الشعر - كما أسلفنا القول - كان معولهم فى الاستنباط ،

ولأنهم فى مطلع وضع العلوم وتقعيد الفنون جردوا عنايتهم لتسجيل ظواهر الكلام العربى مرسله وموزونه على وجه عام .

وشأن النحو فى هذا الصنيع كشأن « البلاغة » بدأت أول ما بدأت لوامع وملامح فى كتب الأدب ، لا تمييز فيها ولا تقسيم ، وما زالت تنمو وتتطور حتى انقسمت بيانا ومعانى وبديعا ، ولكن النحو ظل ينمو ويزدهر دون أن ينقسم نحوا للنثر ونحوا للشعر ، ومن حق هذا أن ينماز عن ذاك ، وأن تكون لكل منهما أحكامه وضوابطه .

لقد أحسن النحاة الأولون صنعا حين حصلوا كل شىء وجدوه ، وأقاموا من قواعده وأحكامه علما واسع الأبواب والفصول ، ضافى الذيول ، إلا أنه بقى على حاله منذ مطالعه ، فلم يصب حظه من ذلك التطور الذى أصابه غيره من العلوم ، وما أحقه هو بأن يتطور ، وفقا لما تقتضيه قواعده وأحكامه التى تشمل جنسين متمايزين من الكلام ، هما المنظوم والمنثور ، والجمع بينهما فى القواعد والأحكام خلط وإيهام .

فعلينا اليوم أن نخرج بالنحو من جموده ، وأن نخطو به خطوة جديدة ، فنستقرى أبوابه بابا بابا ، ونستقرى قواعد الباب قاعدة قاعدة ، مستقصين ما لكل من محترزات وقيود ، ومن ضوابط وشرائط ، منتخلين ما يساق عليها من أمثلة وشواهد ، ثم ننظر : أترجع هذه الصورة إلى الشعر وحده ، أم تسوغ فى نسق الكلام المرسل ؟ وقليلة هى أم كثيرة ؟ وعامة هى أم مقصورة على إحدى اللهجات ؟

فإن نحن أخذنا هذا المأخذ فى دراسة النحو ، أفردنا أمهات القواعد ورءوس الأحكام من أشتات الفروض والصور التى تتردد بين القلة والندرة والشذوذ ، واستصفينا نحو النثر من نحو الشعر .

ذلك قول فى النحو ، أجملته فى هذا الفصل ، وقد اختمرت عندى فكرته منذ عهد ، فرأيت أن أكاشف به ، عسى أن يكون مدرجة إلى توجيه النحو العربى وجهة جديدة ، فيها لمتعلميه تيسير ، وفيها لذلك العلم المكين مزيد من الدقة وحسن التقسيم .

## صفحة من نحو الشعر (١)

صور من ضمير الشأن

( ا ) يكون فى الفعل ضمير الشأن ، كإضمار اسم كان فى قوله :

إذا مت كان الناس صنفان شامت
وآخر مثن بالذى كنت أصنع

ومن ذلك قول الشاعر :

إذا ما المرء كان أبوه عبس
فحسبك ما تريد إلى الكلام

ومنه قول آخر :

متى ما يفد كسبا يكن كل كسبه
له مطعم من صدر يوم ومأكل

(١) نماذج توضح فكرة البحث وسنده .

وكإضمار اسم ليس فى قول الشاعر :

هى الشفاء لداء لو ظفرت بها
وليس منها شفاء الداء مبذول

(ب) وضمير الشأن منوى فى ظن وأخواتها ، وأن وأخواتها كإضماره فى ( إخال ) فى قول الشاعر :

أرجو وآمل أن تدنو مودتها
وما إخال لدينا منك تنويل

ويؤولونه كذلك على تقدير لام الابتداء مضمرة ، كقول الشاعر :

كذاك أديت حتى صار من خلقى
أنى وجدت ملاك الشيمة الأدب

كتاب سيبويه ح ١ — ٢٦ — ٢٩٦

المفصل لابن يعيش ح ٧٧ ، ح ٣ — ١١٦

ابن عقيل — باب ظن وأخواتها

صور من الفصل

١ — بين الناسخ وما دخل عليه

( ا ) يفصل بين الحرف الناسخ وما دخل عليه بالجملة ، مثل قوله :

كأنّ وقد أتى حول كميل
أثافيها حمامات مثول

(ب) ويفصل بين حرف النفى ومنفيه فى ( ما زال ) وأشباهها .

كقوله : ولا أراها تزال ظالمة

وقوله : ولا وأبى دهماء زالت عزيزة

ويجوز تقديم الخبر على الفعل وحده ، إذا كان النفى بما ، نحو :

ما قائما زال زيد .

ولا يمتنع تقديم خبر مادام على دام وحدها ، فتقول : لا أصحبك ما قائما دام زيد .

المغنى ح ٢ ص ٤٩

الخصائص ح ١ ص ٣٢١

ابن عقيل — باب كان وأخواتها

٢ — بين الجار والمجرور

من مواضع الجملة المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديداً أو تحسينا ، الموضع الذى تكون فيه الجملة بين الجار والمجرور ، كقوله : اشتريته بأرى ألف درهم .

المغنى ٢ — ٤٩

٣ — بين المتضايفين

مسائل الفصل الجائزة فى السعة ثلاث :

إحداها أن يكون المضاف مصدراً والمضاف إليه فاعله ، والفاصل مفعوله كقوله : فسقناهم سوق البغاث الأجادل .

والثانية أن يكون المضاف وصفا والمضاف إليه مفعوله الأول والفاصل مفعوله الثانى كقوله : وسواك مانع فضله المحتاج .

والثالثة أن يكون المضاف لا يشبه الفعل وأن يكون الفاصل قسما ، كقولهم :

هذا غلام والله زيد .

وغير هذه المسائل يختص بالشعر .

الأشموني – باب الإضافة

الضرائر ١٤٣

صورة من حذف المضاف إليه

يحذف المضاف إليه ، ويبقى المضاف كحاله لو كان مضافا ، فيحذف تنوينه مثل قوله :

سقى الأرضين الغيث سهل وحزنها
فنيطت عرى الآمال بالزرع والضرع

الأشموني - باب الإضافة

صور من إعمال المصدر

( ا ) يعمل المصدر المحلى عمل الفعل ، فتكون الألف واللام بمنزلة التنوين ، ومنه قوله :

فإنك والتأبين عروة بعد ما
دعاك وأيدينا إليك شوارع

لكالرجل الحادى وقد تلع الضحا
وطير المنايا فوقهن أواقع

وقوله :

ضعيف النكاية أعداءه
يخال الفرار يراخى الأجل

وقوله :

لقد علمت أولى المغيرة أننى
كررت فلم أنكل عن الضرب مسمعا

(ب) وإذا أضيف المصدر إلى فاعله ، ففاعله مجرور لفظا مرفوع محلا ، فيجوز فى تابعه مراعاة اللفظ فيجر ، ومراعاة المحل فيرفع ، كقوله :

حتى تهجر فى الرواح وهاجها
طلب المعقب حقه المظلوم

فرفع المظلوم لكونه نعتا للمعقب على المحل .

(ج) وإذا أضيف المصدر إلى المفعول فهو مجرور لفظا منصوب محلا ، فيجوز فى تابعه مراعاة اللفظ أو المحل ، ومن مراعاة المحل قوله :

قد كنت داينت بها حسانا
مخافة الإفلاس والليانا

فالليان معطوف على محل الافلاس .

كتاب سيبويه – ح ١ ص ٩٩
ابن عقيل – باب أعمال المصدر

المفعول لأجله يصحب الألف واللام

ما صحب الألف واللام يجر ، ويجوز النصب ، ومنه قول الشاعر :

لا أقعد الجبن عن الهيجاء
ولو توالت زمر الأعداء

وقول الشاعر :

فليت لى بهم قوما إذا ركبوا
شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

الأشمونى — باب المفعول له

كتاب قواعد اللغة العربية

للمدارس باب المفعول لأجله

انجزام الفعل بالاستفهام

ومما جاء منجزما بالاستفهام ، قوله :

متى أنام لا يؤرقنى الكرى
ليلا ولا أسمع أجراس المطى

كأنه قال إن يكن منى نوم فى غير هذه الحال لا يؤرقنى الكرى ، كأنه لم يعد نومه فى هذه الحال نوما .

كتاب سيبويه ح ١ — ٤٥٠

واو دخولها كخروجها

ومن أقسام الواو قسم يكون فيه دخول الواو كخروجها ، وهى الزائدة ، أثبتهـا الكوفيون والأخفش وجماعة ، والزيادة ظاهرة فى قوله :

فما بال من أسعى لأجبر عظمه
حفاظا وينوى من سفاهته كسرى

وقوله :

ولقد رمقتك فى المجالس كلها
فإذا وأنت تعين من يبغينى

المغنى ح ٢ — ٢٢

صور من عمل « أن »

١ — رفعها للفعل المضارع بدون فصل

خلاف بين البصريين والكوفيين فى تعليل رفع المضارع بعد « أن » ، فالكوفيون يقولون إنها مثل « ما » المصدرية ، والبصريون يقولون إنها مخففـة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والحديث ، وقد يرد بعدها صدر الجملة الواقعة خبراً بدون قد والنفى وما إليه ، كقول الشاعر :

يا صاحبى فدت نفسى نفوسكما
وحيثما كنتما لاقيتما رشدا

أن تحملا حاجة لو خف محملها
وتصنعا نعمة عندى بها ويدا

أن تقرآن على أسماء ويحكما
منى السلام وإلا تشعرا أحدا

وكقول ابن الدمينة :

ولى كبد مقروحة من يبيعنى
بها كبدا ليست بذات قروح

أبى الناس ويح الناس أن يشترونها
ومن يشترى ذا علة بصحيح

وكقول الآخر :

إنى زعـيم يا نويقـة
إن سـلمت من الرزاح

أن تهبطـين بلاد قوم
يرتعون من الطـلاح

وكقول الآخر :

إذا كان أمر الناس عند عجوزهم
فلا بد أن يلقون كل يباب

وكقول الآخر :

علموا أن يؤملون فجادوا
قبل أن يسألوا بأعظم سؤل

٢ — نصبها للفعل المضارع بدون ذكر

ينصب الفعل المضارع بأن مضمرة ، ومنه قول طرفة :

ألا أيها الزاجرى أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فأضمر أن أولا ، ثم أظهرها ثانيا فى بيت واحد . وتقديره : ألا أيهذا الزاجرى أن أحضر الوغى.

ومن طريف مايروى أن « دماذ » كتب إلى بكر المازنى النحوى يقول :

تفكرت فى النحو حتى مللت
وأتعبت نفسى به والبدن

فكنت بظاهره عالما
وكنت بباطنه ذا فطن

خلا أن بابا عليه العفاء
فى النحو يا ليته لم يكن

إذا قلت : لم قيل لى هكذا
على النصب قيل بأضمار أن

فقد خفت يا بكر من طول ما
أفكر فى أمر « أن » أن أجن

٣ — بروز اسمها إن خففت

إذا خففت « أن » بقيت على ماكان لها من العمل ولكن لا يكون اسمها إلا ضمير الشأن محذوفاً ، وخبرها لا يكون إلا جملة ، وقد يبرز اسمها وهو غير ضمير الشأن كقوله :

فلو أنك فى يوم الرخاء سألتنى
طلاقك لم أبخل وأنت صديق

وكقوله :

لقد علم الضيف والمرملون
إذا اغبر أفق وهبت شمالا

بأنك ربيع وغيث مريع
وأن هناك تكون الثمالا

المفصل ح ٧ — ٩ ، ١٥ و ح ٨ — ١٤٣

ابن عقيل — باب أن وأخواتها

عيون الأخبار — الجزء الثانى ذيل أمالى القالى .

شرح التبريزى للقصائد العشر

سر العربية للثعالبى .

صورة من تنكير ماحقه التعريف

حد الكلام فى اسم كان وخبرها إذا جاء أحدهما نكرة والآخر معرفة أن تكون النكرة هى الخبر والمعرفة هى الاسم .

ولكن « ابن مالك » يقول فى شرح التسهيل : « يخبر فى بابى كان وان بمعرفة عن نكرة اختياراً » .

ويقول « الزمخشرى فى المفصل أن ذلك :

« من القلب الذى يشجع عليه أمن الإلباس. »

ومن النحاة من يذهب إلى أن كل ذلك يجوز ، ولا يعد من الضرورات .

ومن شواهده وأمثلته قول القطامى :

قفى قبل التفرق يا ضباعا
ولا يك موقف منك الوداعا

وقول حسان :

كأن سبيئة من بيت رأس
يكون مزاجها عسل وماء

وقول أبى قيس الأنصارى :

ألا من مبلغ حسان عنى
أسحر كان طبك أم جنون

وقول الفرزدق :

أسكران كان ابن المراغة إذ هجا
تميما بجوف الشام أم متساكر

وقول خداش بن زهير :

فإنك لا تبالى بعد حول
أظبى كان أمك أم حمار

ابن يعيش — ح ٧ – ٩١
المغنى — ح ٢ — القاعدة ١٠
الضرائر — ص ٢٣٥

**محمد شوقى امين**
عضو المجمع

# مفهوم الجمال فى اللغة العربية

## للدكتور عثمان أمين

**تكاد** اللغة العربية تنفرد عن اللغات الحية الأخرى بخصيصة جديرة بالتنويه، وإن تكن قد خفيت زماناً على الكثيرين: تلك هى وفرة الألفاظ الدالة على الشيء منظوراً إليه فى مختلف درجاته وأحواله ومتفاوت صوره وألوانه. وهذه الميزة العربية، ميزة التلوين الداخلى الذى كأنما يرسم الماهية الواحدة، بالأطياف والظلال، صوراً متعددة، تغنينا باللفظ الواحد عن العبارة المطولة تحدد بها المعنى المقصود.

واللغة العربية، كما قال «ابن جنى»، من أكثر لغات الأرض دلالة معنوية، بل إن الكثير من ألفاظ العربية قد فقد على مر الزمان دلالته الحسية. وإن ما يجعل اللغة العربية أكثر مرونة من غيرها من اللغات الحية المعروفة هو أنها أكثر اللغات قبولا للاشتقاق. والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة أن تؤدى معانى الحضارة على اختلافها، وهو يقوم بدور لا يستهان به فى تنويع المعنى الأصلى وتلوينه، إذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبع، ومبالغة وتعدية، ومطاوعة ومشاركة ومبادلة، مما لا يتيسر التعبير عنه فى اللغات الآرية مثلا إلا بألفاظ خاصة ذات معان مستقلة. وصيغ الألفاظ العربية تفرق تفرقة واضحة بين «الجوانى» «والبرانى»، بين ما هو حركة فى النفس وما هو حركة فى الجوارح(١).

«وعلم البديع» فى اللغة العربية – كما عرفوه – هو «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة، أى الخلو من التعقيد المعنوى» وهذا التعريف نفسه يدل على أن هذه اللغة تجعل استقامة المعنى ووضوح الدلالة مقياساً لفن البلاغة وشرطاً لجمال العبارة.

وهذه الخصائص تصدق فى اللسان العربى على لفظ «الحسن» ومفهومه الأصلى واشتقاقاته كما تصدق على غيره من ألفاظ ومفاهيم.

* * *

المفهوم الرئيسى: «الحسن» بمعنى «الجمال»

المفاهيم المشتقة منه: الحسنى – الإحسان – الاستحسان – الحسنة – التحسين

والمفاهيم المشتقة من الجمال: التجمل – الإجمال – المجاملة.

فيقال حسن أى جمل، فهو حسن وهى حسناء، أى جميل وجميلة. والحسن والجميل هو ما يرتاح له الحس والعقل والخلق والذوق. ويكون الحسن والجمال فى الصورة والهيئة، والقول، والفعل.

(١) عثمان أمين: «فلسفة اللغة العربية» (القاهرة ١٩٦٥)

ويعطينا « الثعالبي » أمثلة لغوية تدل على تقسيم الحسن ودرجاته الحسية : « الصباحة » تكون فى الوجه ، و « الوضاءة » فى البشرة ، و « الحلاوة » فى العينين ؛ و « الملاحة » فى الفم؛ و « الرشاقة » فى القـــد ، و « الظرف » فى اللسان (٢) وعن محاسن خلقة المرأة يقول « الثعالبي » إذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهى « بضة » ؛ وإذا كانت لطيفة الخصر فهى « هيفاء » ؛ وإذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهى « ممشوقة » ؛ وإذا كانت متثنية من اللين والنعمة فهى « غادة » و « غيداء »(٣)

وعن « محاسن الصوت والسماع » يقول السراج الطوسى : « روى فى الحديث عن النبى « صلعم » أنه قال : ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت ... وروى عنه قوله : زينوا القرآن بأصواتكم ... وقد ذم الله تعالى الأصوات المنكرة بقوله عز وجل : « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » ، وفى ذم الأصوات المنكرة محمدة « للأصوات الطيبة ... وعن يحى بن معاذ الرازى أنه قال : « الصوت الحسن روحة من الله تعالى لقلب فيه حب الله تعالى »(٤) .

وكان العرب يرون للغناء شرائط من الحسن إذا توفرت للمغنى كان « محسناً » . قال مالك بن أبى السمح : سألت ابن أبى إسرائيل عن الحسن المصيب من المغنين ، فقال : « هو الذى يشبع الألحان، ويملأ الأنفاس ،ويعدل الأوزان ويفخم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الاعراب ، ويستوفى النغم الطوال ، ويحسن مقاطع النغم القصار ، ويصيب أجناس الايقاع ، ويختلس مواضع النبرات ، ويستوفى ما يشاكلها من النقرات »(٥) .

وواضح أن لفظ الحسن أو الجمال لم يقف عند حد الدلالة على الحسن الظاهر أو الجمال المحسوس ، بل جاوزه إلى الدلالة على الحسن والجمال فى المعانى والنيات والمواقف والتصرفات وهذا الانتقال يتفق تمام الاتفاق مع منطق اللغة العربية فى تدرجها من الظاهر إلى الباطن ومن المحسوس إلى المعقول .

ومادة « الحسن » فى اللغة العربية — بمالها من اشتقاقات — مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بالأخلاق فألفاظ : الاحسان ، والمحاسنة ، والحسنى ، والتحسين والاستحسان ، والحسنة تعبر كلها فى اللغة العربية عن دلالات جمالية أخلاقية .

فيقال : الاحسان فعل ما هو حسن : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » ( قرآن كريم ) .

وفى هذا المعنى روى صاحب العقد الفريد عن أرسطو أنه كتب إلى الاسكندر : « أملك الرعية بالاحسان إليها ، تظفر بالمحبة منها :

(٢) الثعالبى : « فقه اللغة » ص ٦٧ ( القاهرة ١٩٣٨ ) .
(٣) المصدر السابق : ص ١٦٢ .
(٤) أبو نصر السراج الطوسى : « اللمع » القاهرة ١٩٦٠ ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .
(٥) النويرى : « نهاية الأرب » ج ٥ ص ١٢٢ .

فان طلبك ذلك بإحسانك أدوم بقـــاء منه باعتسافك » (٦).

وأحسن الشيء : أجاد صنعه أي أتقنه ؛قال تعالى : « خلقـكم فأحسن صوركم »وقال الامام على : كفى بالعلم شرفاً أنه يدعيه من لا يحسنه ، ويفرح به إذا نسب إليه » . وقال : قيمة المرء ما يحسنه »(٧) .

وحسن الشيء أي جعله حسناً وزينه . وحسنه بمعنى رقاه وأحسن حاله . و « الحسنى » هى العاقبة الحسنة ؛ وفي القرآن : « فله جزاء الحسنى » و « المحسنة » هي ما يحسن ، فيقال : هذا الطعام محسنة للجسم . و « الأحسن » هـو الأفضل ؛ قال تعالى : ( الذين يستمعون القول فيتبعـون أحســنه ) ، وجمعها أحاسن . وفي الحديث : « إن أقربكم منى مجالسى يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا » . وقال الإمام على : « جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك ، وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك » . والحسن بمعنى الجمال في الأفعال والتصرفات . ومثاله قول الإمام على : « حسن التدبير مع الكفاف أكفى لك من الكثير مع الإسراف » . وقوله : « حسن اليأس خير من الطلب من الناس والحسن يضاف إلى النية وإلى الصنيعة وفي ذلك يقول الإمام على : « من لم يحمد صاحبه على حسن النية لم يشكرك على جميل العطية » . ويقول كذلك : « أحسن العفو ، فإن العفو مع العدل أشد من الضرب لمن كان له عقل » . ويقول : « وأحسنوا صحبة النعم ، فإنها تزول وتشهد على على صاحبها بما عمل فيها(٨) » . وأحسن بمعنى كمل كقوله صلى الله عليه وسلم : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

ومادة « الجمال » مرتبطة كذلك بالأخلاق ارتباطاً وثيقاً . فـكما أن « جمل » جمالا تؤدى معنى أنه حسن خلقه . ويقال : أجمل في الطلب ، أي اتئد واعتدل . وفي الحديث : « أجملوا في طلب الرزق ، فإن كلا ميسر لما خلق له » . ويقال : أجمـل الصنيعة أي حسنها وكثرها . ويقول الشاعر العربي :

وإنا لفي زمن ترك القبيـح به
من أكثر الناس إحسان وإجمال

والجميل بمعنى الخير والمعروف . فيقال : أسدى إليه جميلا ،أي معروفاً وإحساناً . والمجاملة هي التلطف في المعاملة ؛ فيقال : فلان جامل فلاناً ، أي عامل بالجميـل وأحسن عشرته . والتجمل بمعنى تكلف الجمال والظهور بما يجمل ويليق ،

---

(٦) ابن عبد ربه : « العقد الفريد » ١٣٢١ هـ ، جـ ١ ط ٨ .
(٧) على ابن أبي طالب : شعره وحكمه . تصنيف أحمد تيمور باشا ( القاهرة ١٩٥٨ ) ص ٧٣ .
(٨) (سجع الحمام في حكم الإمام ، القاهرة ١٩٦٧ )

فيقال: تجمل فلان بالصبر. ويقول «المتنبي»:

خليلك أنت لا من قلت خلى
وإن كثر التجمل والكلام

والجميل يقال على الصفات الحسنة. وفي هذا المعنى يقول علي بن أبي طالب: «من مدحك بما ليس فيه من الجميل وهو راض عنك، ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك».

ويرى الفارابي أن للنفس صحة ومرضاً. فصحتها «في أن تكون هيئاتها وهيئات أجزائها هيئات تفعل بها أبداً الخيرات والحسنات والأفعال الجميلة، ومرضها أن تكون هيئاتها وهيئات أجزائها هيئات تفعل بها أبداً الشرور والسيئات والأفعال القبيحة»(٩).

ولفظ الجمال، كما يقول الغزالي، قد يستعار فيقال إن فلاناً جميل، ولا يقصد به الصورة إنما يقصد به «أنه جميل الأخلاق، محمود الصفات، حسن السيرة، حتى يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة إستحساناً لها كما تحب الصورة الظاهرة».

ويرى الغزالي أن الجمال ظاهر وباطن. فهو «إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر، وإن الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب»(١٠).

وفي هذا المعنى نفسه يقول الإمام علي ابن أبي طالب: «جمال المرء وقارة»، و«جمال المرء في الحلم»، و«جميل المقصود يدل على طهارة المولد»(١١).

ويرى أغلب الباحثين من الأخلاقيين أن الجمال مركوز في نفس الإنسان. وفي ذلك يقول مسكويه: إن كل من له غريزة من العقل ونصيب من الإنسانية ففيه حركة إلى الفضائل وشوق إلى المحاسن، لا لشيء آخر أكثر من الفضائل والمحاسن التي يقتضيها العقل وتوجبها الإنسانية، وإن اقترن بذلك في بعض الأوقات محبة الشكر وطلب السمعة والتماس أمور أخر. ولو أن محبة الشكر وما يتبعه أيضاً جميل وفضيلة لما رغب فيه(١٢)..

* * *

ومفهوم الحسن والجمال ـ في لغة القرآن ـ مفهوم ذو وشائج أخلاقية روحية قوية، والصفات الجوهرية للجمال في تعاليم القرآن هي الانسجام والاعتدال والنظام والكمال والنبل والطهر والرفعة والتقوى، وجميعها قد جاوزت

---

(٩) الفارابي: فصول المدني. نشر دنلوب ١٩٦١، ص ١٠٣.
(١٠) الغزالي — إحياء علوم الدين: ج ٢ ص ٢٦٧.
(١١) علي ابن أبي طالب. تصنيف أحمد تيمور باشا ص ٣٨، ص ٦٤.
(١٢) أبو حيان التوحيدي ومسكويه: الهوامل والشوامل. (القاهرة ١٩٥١ ص ١٩٢.

نطاق المحسوسات إلى نطاق المعقولات والتصرفات والأفعال .

وللقرآن عناية بالقيم الجمالية فى كل ما يعرض له من مجالات : وفيه دعوة إلى توخى الجمال فى جميع جوانب الحياة الإنسانية :

فالأوصاف التى يوصف بها الله فى القرآن أوصاف أخلاقية على الأصالة : « له الأسماء الحسنى » : والله هو الرحمن الرحيم ، الغفور الودود ، السميع ، البصير ، العليم الحكيم ... والله هو مالك الجمال المطلق ، وهو مفيض الجمال على الكائنات : « الله نور السماوات والأرض » ( القرآن : ٢٤ : ٣٥ )(١٣). وهذه الآية من أعمق الآيات وأبعدها دلالة : فالنور جمال ، كما أن الظلمة قبح ، كما فى الآية : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ، وترهقهم ذلة . مالهم من الله من عاصم . كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما » ( ١٠ : ٢٧ ) .

أما بالنسبة إلى الكون فإن الله لما كان هو مالك الجمال المطلق فقد خلق كل شىء فى العالم فى صورة الجمال : « الذى أحسن كل شىء خلقه » ( ٣٢ : ٧ ) . والخلق يشمل جميع الأشياء فى السماوات والأرض ، والأجرام السماوية التى تحيط بالأرض يقول القرآن فيها : « ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين » ( ١٥ : ١٦ ).

ويقول : « إنا زينا السماء الدنيا بزينة ( ٣٧ : ٦ ). ويؤكد القرآن وجود الجمال على الأرض متمثلا فى الحيوان والنبات إذ يقول : « والأنعام خلقها لكم ، فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » ( ١٦ : ٥ ، ٦ ) ويقول : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق مالا تعلمون » ( ١٦ : ٨ ) وفى جمال النبات يقول : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت » ( ١٠ : ٢٤ ). ويرى القرآن أن الحجارة عبارة عن الاتزان والانسجام ، فيقول : « وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » . ( ١٥ : ١٩ ) .

أما الجنة والحياة الأخرى فيصفها القرآن بالحسن ، إذ يقول : « خالدين فيها ، حسنت مستقرا ومقاما » ( ٢٥ : ٧٦ ) : يقول : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ( ٣٢ : ١٧ ) وواضح أن التعبير « بقرة الأعين » كناية عن المتعة الجمالية . ويقول القرآن أيضاً « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ( ٧٥ : ٢٢ ) والنضرة فى الآيتين معناها الجمال والإشراق .

ويرى القرآن أن للكائنات البشرية جمالا ظاهراً وباطناً ، فهو يقول : « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » ( ٩٥ : ٤ ) . و « فى أحسن تقويم » ، أى فى أجمل صورة وبنية . ويقول : « وصوركم فأحسن صوركم » ( ٤٠ : ٦٤ ) ؛

---

(١٣) انظر : محمد اقبال : « تجديد بناء الفكر الدينى فى الإسلام » ( بالانجليزية ) لندن ١٩٣٤ ص ٦٠ بع

ويقول: « ونفس وما سواها » (٩١ : ٧). و « سواها » : أى وهبها التناسب والنظام. وإذ عرفنا أن التناسب والاتساق صفتان جوهريتان للجمال، فهذه الآية تشير إلى الجمال والباطن، جمال الشخصية الإنسانية(١٤).

وفى الآيات القرآنية التى أوردناها دلالة على أن بيان القرآن يشيد بالقيمة الجمالية، فى كل مجال، ويؤكد صفة الجمال فى الله وفى الكون وفى الإنسان

وإذا كان الأمر كذلك فهل فرض القرآن واجبات تتعلق بالجانب الجمالى من الحياة الإنسانية؟ والجواب على هذا السؤال صريح، وهو أن القرآن يريد متبعية أن يتجملوا إيمانهم بأعمالهم وأن يجاهدوا أنفسهم لنيل الجزاء الحسن من الله؛ فهو يقول: « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » (٤ : ١٢٥)، ويقول: « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » (١٠ : ٢٦). و « الحسنى » كما رأينا، هى العاقبة الحسنة ؛ أى الجنة، أما « الزيادة » فقد قيل فى تفسيرها إنها النظر إلى وجه الله الكريم.

وفيما يتصل بالجمال فى السلوك نرى آيات القرآن داعية إلى توخى الجمال فى مخاطبة الناس: « وقولوا للناس حسنا » (٢ : ٨٣) وإلى مراعاة الجمال فى معاملة الوالدين: « ووصينا الإنسان بوالديه حسناً » (٢٩ : ٨). وإلى مراعاته فى الدعوة إلى الدين: « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هى أحسن » (١٦ : ١٢٥).

أما الحياة الدنيوية فقد دعا القرآن إلى تجميلها فقال: « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (٧ : ٣٢). وأشار القرآن إلى العناية باللباس، باعتبار أن من وظائفه تجميل الشخصية الإنسانية، فقال: « يابنى آدم، قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى، ذلك خير » (٧ : ٢٦) وقوله « يوارى سوءاتكم » يشير إلى استنكار القرآن أساليب العرى التى شاعت فى بعض المجتمعات البدائية والمعاصرة، وكانت الأخيرة منها حصيلة للانحرافات السيكلوجية والبدنية. وقد روى الترمذى أن النبى كان يقول كلما ارتدى لباساً جديداً: « الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى(١٥) وأصل اللباس فى رأى « وسترمارك » هو رغبة الرجال والنساء فى اكتساب الجاذبية المتممة لسمات الجمال. وكأن القرآن يؤكد عصر القداسة فى التجمل باللباس، فتقول: « يابنى آدم: خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا، ولا تسرفوا، إنه لايحب المسرفين » (٧: ٣١).

وخلاصة القول فى نظرة القرآن إلى الجمال

(١٤) انظر: محمد فضل الرحمن الأنصارى: « القانون الأخلاقى الاسلام وخلفيته الميتافيزيقية » (رسالة دكتوراة بالانجليزية لجامعة لاهور، لم يطبع بعد).

(١٥) الترمذى: « التاج الجامع للاصول »، كتاب اللباس.

أنه يدعو دوما إلى تجميل الحياة الإنسانية فى جوانبها الحسية والعقلية والأخلاقية . ويروى عن النبى أنه قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء »(١٦) وقال : « إن الله جميل يحب الجمال (١٧) » . ونلاحظ هنا ما ذكرنا من قبل : وهو أن الإحسان ، بمعنى الإتقان ، صفة من صفات الجمال ، فى نظر الرسول .

* * *

ويبدو أن هذا التناظر الذى رأيناه فى القرآن بين وجهتى النظر الأخلاقية والجمالية تناظر تستلزمه طبيعة اللغة العربية : فلفظ « الحسن » فى العربية يعنى فى وقت واحد « الجمال » و « الخير » و « الذوق » ، كما أن لفظ « القبح » يعنى الدمامة والشر والسماجة . واستعمالات العربية نفسها تدل على هذا التناسب بين هذه المجالات الثلاثة : الحسن والخلق واللياقة . فاللغة الجارية تستعمل لفظ « الحسن » وصفاً للجميل والصائب والصالح فتقول : منظر حسن ، ورأى حسن ، وعمل حسن .

والإمام محمد عبده يعالج هذا المفهوم للحسن معالجة عصرية ، فيقرر أولا « أننا نجد فى أنفسنا بالضرورة تمييزاً بين الجميل من الأشياء والقبيح منها » . ويبدو أن الفيلسوف المصرى يستعمل لفظ « الحسن » فى المعانى الثلاثة الرئيسية التى كان يستعمله فيها المتكلمون المتقدمون(١٨) . ولكنه يضيف إليها تحليلات سيكلوجية أدق وأحدث :

( ا ) المعنى الأول للحسن هو الكمال ، والقبح هو النقص ، سواء فى الأمور الأخلاقية أو فى الأمور العقلية : « فالحسن فى المعقولات كالوجود الواجب والأرواح اللطيفة وصفات النفوس البشرية له جمال تشعر به أنفس عارفية وتنبهر به بصائر لاحظيه » . ومن جهة أخرى هل فى الناس من ينكر القبح فى نقص العقل وسقوط الهمة وضعف العزيمة « ويكفى أن أرباب هذه النقائص المعنوية يجاهدون فى إخفائها ، ويفخرون أحيانا بأنهم متصفون بأضدادها » .

(ب) والمعنى الثانى للحسن هو علاقة الملاءمة إما لطبيعتنا وإما للأغراض التى يستهدفها العقل . أما الملاءمة لطبيعتنا فهى ما يلذ لنا ، والتمييز بين الحسن والقبيح بهذا المعنى قلما يختلف عن التمييز عند الحيوانات الراقية فى سلسلة الوجود ، « اللهم إلا فى قوة الوجدان وتحديد مرتبة الجمال والقبح » . وأما الملاءمة للأغراض التى يستهدفها العقل فهى النافع بمعناه الواسع . وحكم القيمة الذى يصدره الشخص تبعا للمنفعة هو عمل عقلى . وبقدر ما يرتقى الإنسان فى سلم الموجودات يكون إيثاره لما يقع على ما يلذ . « ويختص الانسان بالتمييز بين الحسن والقبيح بهذا المعنى إذا أخذ

(١٦) « مشكاة المصابيح » ، كتاب الصيد ، الفصل الأول ، ص ٣٥٧
(١٧) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الكبر
(١٨) الإيجى : « المواقف » ، استانبول ١٢٨٦ هـ — ص ٥٢٩ — ٥٣٥

من أكمل وجهاته » . وإذاً فنحن نصف بالحسن والجمال الأفعال التى يكون فيها منفعة للفرد أو للجماعة ، حتى ولو كانت هذه الأفعال تثير النفور أو الألم وقت حصولها. وفى جميع الحالات تجعل للمثابرة وبذل الجهود قيمة أعلى من إيثار العافية والراحة وقلة المبالاة .

ومن هنا نصف بالجمال النضال من أجل الوطن ، والتضحية فى سبيل العلم ، والدفاع عن قضية نبيلة ، على الرغم من التضحيات أو الآلام التى تتطلبها معاناة مثل هذه الأعمال فى أغلب الأحيان(١٩) .

(ح) والمعنى الثالث للجميل والقبيح هو ما ينطبق على الممدوح والمذموم .

اتفقا ذهب الأشاعرة والمعتزلة إلى أن العقل يدرك الحسن بالمعنيين الأولين .

ولكن هذا المعنى الثالث موضع خلاف ظل قائما بين المتكلمين : فالأشاعرة يرون أنه ليس الحسن حسناولا القبح قبحا من ذاتهما ولا بصفات ملازمة للأشياء تجعلها تبدو خيراً أو شراً ، جميلة أو قبيحة ، بل إن الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه : فالشرع يضفى على الأفعال ما نصفها به من صفتى الحسن والقبح . وبناء على هذا يمكن أن نتصور انقلابا فى قيم الأشياء إذا حلا للشارع أن يقلب أوضاع الأمور ومعايير الأحكام بحيث يصير الحسن قبيحا والقبيح حسنا، كما فى النسخ من الحرمة إلى الوجوب ، ومن الوجوب إلى الحرمة . وخالفهم المعتزلة فى هذا ذاهبين إلى أن معيار الحسن والقبح هو العقل ، أو هو النور الفطرى فى الإنسان .

فلا عجب أن نرى الإمام محمد عبده يؤثر عن قصد وعن بينة أن ينضوى تحت لواء المعتزلة وغيرهم ممن ساورهم القلق على الحرية الإنسانية ذاهبين إلى أن التمييز بين الجمال والقبح أمر طبيعى يدركه الناس جميعا من غير حاجة إلى شرع أو عرف . ويضيف محمد عبده أن الإنسان يجدهذا التمييز فى نفس وجدانه ، فإنه بما فطر عليه من حسن وعقل قادر على التمييز بين الحسن والقبح فى جميع معانيهما ، دون انتظار لما يقضى به العرف أو يأمر به الشرع . وتعقل ذلك ميسور، والشاهد عليه ما نراه فى بعض أصناف الحيوان، وما نشهده فى أفاعيل غرار الصبيان قبل تعقل معنى الشر ، وكذلك ما وصل إلينا من تاريخ الانسان وما عرف عنه فى جاهليته(٢٠) .

ونستطيع بهذا الصدد أن نلاحظ أن المناقشات التى أثارها المتكلمون الاسلاميون حول هذه المسألة لا تخلو من أن تكون قريبة من التمييز الذى أدخله « السفسطائيون » اليونان بين العدل العرفى والعدل الطبيعى ، وهو التمييز الذى اصطنعه بعد ذلك الرواقيون حين أكدوا أن العدل « فطرى » وليس « عرفيا » .

* * *

---

(١٩) محمد عبده: « رسالة التوحيد » . الطبعة الخامسة . ص ٧٨

(٢٠) عثمان أمين : « رائد الفكر المصرى » ط ٢ القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٣٣ — ١٣٨

وآراء محمد إقبال فى الجمال مرتبطة « أوثق ارتباط بفلسفته العامة ، وعلى الخصوص بذلك الجزء من فلسفته الذى يطلق عليه اسم « نظرية الذات » .

وقد كان لنظرية الذات هذه أثرها العميق فى تصور الفيلسوف الجمال : فقد رأى أن ذاتنا معيار القيم الإنسانية بوجه عام ، ومعيار الحسن والقبح بوجه خاص . فالجميل عنده هو ما تدركه الذات فى سموها واعتلائها ، والقبيح هو ماتدركه فى هبوطها وانحطاطها :

عالم الذات به علو وسفل
واعتراك القبح فيه والجمال
فى اعتلاء الذات مايبدو جميلا
وقبيح ما بدا فى الاستفال

ويرى محمد إقبال أن الفن ينبغى أن يصور لهيب الحياة الأبدى الذى لا ينقطع : فلا قيمة للفن الذى يخرج شراراً واهناً لا يلبث أن يخمد . وحياة الأمم تدوم بدوام إبداعها وإعجازها . فالفن الذى لا إبداع فيه ولا إعجاز عارية لاتدوم : إن كان نسيم الصباح المتمثل فى الشعر، واللحن المنبعث من الموسيقى يذبل أزهار الرياض ، ولا ينضرها فأى نسيم هو ؟ فإن لم تنفذ نظرات الفنان إلى سر الكون وحقائق الأشياء فما هى بمبدية ولا قيمة لها .

وقد كان إقبال من المعجبين بالقوة ، لا إعجاب نيتشة بها ، بل استجابة لدعوة الإسلام الذى يرى : أن « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » .

وكان لذلك أثره فى نظرة الفيلسوف المسلم إلى الجمال . كان يرى « أن الجلال يفوق الجمال ، بما يتجلى فيه من قوة ، وما يبعث فى النفوس من رهبة . لذلك كان يرى فى الشجاعة التى تتجلى فى ركوب الأخطار جلالا ، ويرى فى سجود الأفلاك للقوة روعة وبهاء . بل ذهب الشاعر إلى أنه هو لا يجب أن يعذب إلا بنار قوية تلتهب التهاباً فقال :

وأرى جمالا فى بهاء أن ترى
فى سجدة للقوة الأفلاك
ولنغمة من دون نار نفخة
ما الحسن إلا بالجلال يحاك
لا أرتضى نار الجزاء ولم تكن
وهاجة ولهيبها دراك

ومن أجل ذلك نراه لا يعجب بالنهر يساير الأرض ، بل يعجب بنافورة قوية تقذف الماء عاليا فى الهواء .

وخلاصة مذهب إقبال فى الفن الجميل أنه ينبغى أن يصور ذات الفنان : فالذات العاشقة ، المتحررة ، المقدرة نفسها ، تنطلق من قيود هذا العالم المتغير وتتدرج فى سلك الخلود ، وتفلت من سلطان الجبر ، فيكون فيها حراً مثلها .

ويرى إقبال أن الفن الذى يعبر عن قوة الذات وحرقة الحياة ومعاناتها ، الفن الذى يفتح النفس والقلب ، ويبرىء من الخوف والنعم ، ويرفع روح الإنسان ومعنوياته ، هو فن

« حلال » . أما الفن الذى يضعف الذات ويميت القلب ، ولا يقبس من نار الحياة ، فهو فن « حرام » . وهذا يصدق على الشعر والموسيقى والغناء وسائر الفنون .

من أجل هذا كان إقبال ينفر من فنون الرخاوة والمذلة ، ويرى أن الشعر وكل فن أصيل ينبغى أن يكون فى حدة السيف ، ملائما لمعركة الحياة ، مهما تكن صورته : تلك هى النظرة الجوانية إلى الفن عند إقبال ، ولذلك أخذ الشاعر الفيلسوف يحذر المسلمين من الفنون « البرانية » المستعارة ، تلك التى تدعو إلى التطرية والاسترخاء ، والتى توقظ الجسم وتنيم الروح .

والفنان عند إقبال يسعى دائماً ، مسوقاً بما فى نفسه من شوق إلى الكمال وعشق للجمال ، إلى أن يخلق — فى ذاته وفى العالم من حوله — مثلا أعلى خالداً (٢١) .

* * *

وهكذا يتبين لنا من النظر فى مفهوم الحسن والجمال — فى الفكر الإسلامى — تدرج ألفاظ العربية من الحس الظاهر إلى المعنى الباطن ، ومن الصورة البرانية إلى الدلالة الجوانية . وخير ما نختتم به حديثنا عن الحسن والجمال ما يروى عن الإمام أبى حنيفة — رضى الله عنه — من أنه كان يوماً فى حلقة الدرس بين تلاميذه وكان من عادته أن يجلس بينهم جلسة « مريحة » باسطاً رجليه ، لأنه لم يكن يستطيع أن يثنيهما من مرض أو من إعياء . فدخل عليه فى درسه ذات يوم رجل مهيب الطلعة ، أبيض اللحية ، كبير العمامة ، فضم أبو حنيفة رجليه حين وقع بصره عليه ، وواصل درسه لتلاميذه — وكان الدرس فى موعد صلاة الصبح . فما كان من الشيخ الوقور إلا أن قاطع أبا حنيفة سائلا : « ولكن ما العمل إذا طلعت الشمس قبل الفجر ؟ » فكان جواب أبى حنيفة جواباً جوانياً حاسماً ، إذ قال : « العمل أن أبا حنيفة يبسط رجليه ويحمد الله » !

وحق لأبى حنيفة أن يحمد الله وقد وفق إلى أن التقدير الأخلاقى هو الأساس الصحيح للحكم الجمالى .

**عثمان أمين**
عضو المجمع

---

(٢١) عثمان أمين : « رواد الوعى الإنسانى فى الشرق الإسلامى » ، القاهرة ١٩٦١ ، ص١٤٢ — ١٤٤

# العقاقير عند العرب

## للدكتور عبد العظيم حفني صابر

**العقاقير** ومفردها عَقّار - وهي كما وردت في معاجم اللغة ، ما يتداوى به من النبات والشجر ، وفي الصحاح « العقاقير هي أصول الأدوية » . وقال ابن الهيثم : « العقار كل نبت ينبت مما فيه شفاء » .

ويقول البيروني في كتابه « الصيدنة » : « ومفردات الأدوية تسمى عقاقير جمع عَقّار وخاصة إذا كان نبتاً ، وأصله من السريانية ، ثم سوّى فيه في الكتب ، أصل النبات وفرعه وأدخل فيه أيضا ما ليس بنبات » .

ولذا فمفهوم العقاقير عند علماء العرب كما تدل عليها كتبهم تشمل الأدوية المفردة الخام نباتية أو حيوانية أو معدنية . أما الكيمياويات الدوائية النقية فيخطىء من يطلق عليها عقاقير .

أما عن الأدوية ، فيقول البيروني : « جميع ما يتناول بقصد أو بجهل فمنقسم في أول الأمر إلى أطعمة وسموم تتوسطها الأدوية » ، ثم قال : « إن الأدوية واقعة في البين لأنها بالإضافة إلى الأغذية مفسدة وإلى السموم مصلحة » . وأورد ابن الربن الطبري عن جالينوس : « إن كل شيء يتربى به فهو غذاء وكل ما غذى به فهو حلو وكل شيء يغير الطبيعة فهو دواء » . أما المتعارف عليه الآن في مدلول الأدوية ، أنها : « مواد تستعمل لعلاج الإنسان والحيوان من الأمراض أو لتخفيف آلامها ، أو الوقاية منها أو أنها تستعمل في الأغراض الصيدلية ومستحضراتها » :

والأدوية إما مفردة وإما مركبة .

والأدوية المفردة هي العقاقير وقد سماها كذلك ابن سينا وغيره بسائط ( مفردها بسيط ) أي الأدوية البسيطة وسماها الأوربيون : Simples أو Simple drugs ترجمة للعربية .

ولما كان العرب في أول الأمر لا يعرفون من الطب إلا الطب التجريبي ، وهو ما كان باستعمال العقاقير في معالجة الأمراض والجراح ؛ ومن هنا كان اهتمامهم بالعقاقير ودراستها ، وازداد ذلك وتوسع بتقدمهم في العلم والمعرفة واتصالهم بالنساطرة والفرس والمسيحيين والهنود ، وما ترجموه من كتبهم وعرفوه عنهم ومن كتب اليونان . فانكبوا على دراسة الأدوية مفردة كانت أو مركبة ، وتعرفوا قواها ، ووضعوا مواصفاتها وتحققوا منها وازدادوا معرفة بمنافعها وفوائدها ، وأدخلوا في مادتهم الطبية الكثير مما استحدث معرفته وما لم يكن معروفا لدى القدماء اليونانيين ، بل كان اهتمامهم بها لا يساويه ولا يعادله ما كان لأي من فروع الطب الأخرى . فقد

كانت دراسة الأدوية وبخاصة العقاقير هي حجر الأساس لدى كل مهتم بالطب والعلاج والمداواة. فلا نجد مؤلفاً من المؤلفات الطبية العربية إلا وأفرد فيه للأدوية قسم خاص تذكر فيه محلاة بأوصافها وفوائدها وقواها. فقد خصص مثلا ابن سينا في قانونه الذي يشتمل على خمسة كتب اثنان منهما الكتاب الثاني والخامس، للعقاقير والأدوية؛ وإن الرازي خصص لها الجزء العشرين من كتاب « الحاوي » كما نجد أجزاء خاصة كذلك في كتاب « فردوس الحكمة » لابن ربن الطبري. وفي كتاب « التيسير في التدبير والمداواة » لابن زُهْر، الذي أورد كذلك في نهايته وصايا وإرشادات في تركيب الأدوية المركبة واستعمالاتها ووصفات من الأدوية المركبة التي أثبتها، وكذلك بياناً بتحضير الأشربة والمراهم والمعاجين. كما يمكن ذكر كتاب « الأقرباذين الكبير » لابن التلميذ وكتاب « كامل الصناعة الطبية أو الملكي » للمجوسي، وكتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » للزهراوي، الذي يشتمل على ٣٠ مقالة منها ٢٧ مقالة عن الأدوية. هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من المؤلفات خصصت جميعها للعقاقير والنباتات الطبية فقط، مثل « الجامع لصفات أشتات النبات » للإدريسي و « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » لابن البيطار، وكتاب « شرح أسماء العقاقير » لابن الميمون وكتاب « الأدوية المفردة » للغافقي وكتاب « الصيدنة » للبيروني، وكتاب « منهاج الدكان ودستور الأعيان » لكوهين العطار، وغيرها وغيرها كثير وكثير.

**العقاقير وانتقاؤها ومواصفاتها**

كان العرب يتحققون من أي الأجزاء من النبات يكون العقار أفيد وأقوم وأفضل، وكذلك مواعيد جمعها من النبات، وجنيها أو قطفها منه، وطرق تجفيفها، وكيفية ادخارها (تخزينها) محتفظة بفوائدها وقوتها في أثناء خزنها دون أن يتطرق إليها الفساد، ومعرفة علامات فسادها، وكذلك انتقاء أجودها، وفي أي المواطن تجود، ولقد أطنب في هذا المجال الكثيرون، مثل ابن سينا، ( القانون )؛ وابن ربن الطبري (فردوس الحكمة) والمجوسي ( الملكي) والبيروني ( الصيدنة )، وابن البيطار ( الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ) وداود الأنطاكي ( تذكرة أولي الألباب ) وكوهين العطار (منهاج الدكان ودستور الأعيان، وغيرهم كثيرون. فابن سينا مثلا يذكر أن العقاقير النباتية منها أوراق ومنها زهر ومنها ثمار ومنها بزر ومنها أصول وقضبان، ومنها صموغ، ومنها جملة النبات ( أي ما يعرف الآن بالعشب )؛ وأن الأوراق يجب أن تجنى وتجفف بعد أخذها من الحجم الذي لها وبقائها على هيئتها قبل أن يتغير لونها وتنكسر قوتها فضلا عن أن تسقط وتنتشر. والزهر يجب أن يجنى بعد التفتح التام وقبل التذبل والسقوط؛ والثمار يجب أن تجنى بعد تمام إدراكها، وقبل استعدادها للسقوط؛ والبزور يجب أن تلتقط بعد أن يستحكم جرمها وتنفش عنها الفجاجة المائية؛ والقضبان ( أي السيقان والأغصان ) يجب أن تجنى وقد أدركت ولم تأخذ في الذبول والتشنج ( أي التقبض ). أما المأخوذ بجملته ( أي العشب ) فيجب أن يؤخذ على غضاضته عند إدراك بزره. أما الصموغ ( ويقصد بها جميع ما ينتجه النبات أو يسيل منه، كالصمغ

والراتينج واليتوع والبلاسم إلخ ) فيجب أن تجنى بعد الانعقاد قبل الجفاف المعد للانفراك .

ولقد عمّم كوهين العطار كل ذلك فى كتابه « منهاج الدكان ودستور الأعيان » فقال :

« لا تجنى العقاقير إلا بعد استحكام نضجها وإكمال إدراكها ، فإن الكاملة الإدراك فى مكانها مفيدة ، والفجة قليلة الإفادة » . كما ذكر أنه يجب تنظيف العقاقير بعد جنيها من طينها ثم تجفيفها أولا فى الشمس ، ولا يتم تجفيفها إلا فى الظل وبهذا تأمن من فسادها ، ولا تضعها قريبا من الشمس فيفسدها حر الهواء ، ولا فى أماكن رطبة أو قريبة من الماء فإنه يندبها ويفسدها بالتعفن . كما أنه قد خصص الباب الرابع والعشرين من الكتاب نفسه « فى كيفية اتخاذ الأدوية المفردة ، وفى أى زمان تجنى ، ومن أى مكان تجلب ، وكيف تخزن ، وأى الأوعية فيها تخزن ، وما يفسدها فيتقى ، وما يصلحها فيعتمد عليه ، وكيفية استدراك ما بدا فيه الفساد ، وما يعمل مع بعض الأدوية ليمتنع فسادها .

وكان العرب يدركون إدراكا تاما ما للبيئة التى ينمو فيها النبات ، والتربة التى ينبت عليها من أثر بيّن على القيمة العلاجية للعقار الذى ينتج منه ، ودرجة جودته وفعاليته ، فيقول ابن سينا مثلا : « إن المجتنى من أجزاء النبات فى صفاء الهواء أفضل من المجتنى فى حالة رطوبة الهواء وقرب العهد بالمطر ؛ والبرية كلها أقوى من البستانية ( أى المنزرعة ) وأصغر حجما ؛ والجبلية أقوى من البرية ؛ والتى بجانبها المروج ومشرقات الشمس أقوى من غيرها ؛ والذى أصاب جناه ( أى الذى جمع فى الزمن المناسب ) أقوى من الذى أخطأ زمانه ؛ وما يلتقط فى فى الصيف كان أقوى مما يلتقط فى الشتاء . كما ذكر مثلا أن الصبر السقطرى أى الذى من سقطرى أجود من العربى والحضرمى ، والراوند الصينى أجود من التركى ، وهكذا . ويقول ابن ربن فى كتابه « فردوس الحكمة » : « رأينا دواء واحداً قد نفع قوما وأضر آخرين ، والعلة فى ذلك اختلاف مزاج العليل أو عفونة ( عتق ) الدواء وفساده أو لأنه من البلد الذى لا يجود فيه مثل الهليلج الذى لا يجود إلا ما كان من كابل ، والكمون من كرمان ، والصبر من سقطرى ، والصعتر من فارس ، والافاويه من الهند وماشابه ذلك » . ويقول داود الأنطاكى فى كتابه « تذكرة أولى الألباب » وكذلك ابن سينا : « إن نبات اللبخ يقتل ( أى أنه سام ) فى فارس ( أى الذى ينبت فى فارس ) ويؤكل ( أى عديم السمية ) فى مصر ( أى الذى ينمو فى مصر ) .

كل هذه الإرشادات والملاحظات جديرة فعلا بالتنويه عنها إذ مازلنا إلى الآن نأخذ بها كما أثبتت الأبحاث الحديثة صحتها ودقتها ووجاهتها فى الحكم على درجة جودة العقار وقيمته العلاجية وفعاليته .

ولما كانت النباتات الطبية هى مصدر العقاقير النباتية التى هى المحور الأساسى عند العرب فى دراسة الطب ، ومزاولة المهن الطبية ، وعلاج الأمراض ، فإنهم كانوا يولونها عناية خاصة بالدراسة والاهتمام ، لتعرفها ومعرفة أوصافها

والتأكد من حصولهم على العقار من مصدره الأصيل، فلم يكتفوا بما كتبه عنها من سبقهم، ولم يرتضوا بما سمعوه من الرواة، بل كان الكثير من علمائهم يجوبون البلاد ويرتحلون إلى مناطق نموها، فطافوا بجميع بلاد العرب من المحيط إلى الخليج بل إلى الهند والصين وإندونسيا وافريقيا وآسيا الصغرى وغيرها، بحثا عن النباتات الطبية ومعرفة مواطنها الأصلية وأسمائها وليتعرفوها على طبيعتها فى مناطق نموها الأصلية، وكذلك ليتعرفوا ما يستعمله منها أهالى هذه المناطق، فيحققوا ما كان معروفا لديهم وليضعوا الأوصاف والطباع للجديد منها الذى لم يسبق معرفته.

ولشدة عنايتهم بهذه الدراسات كانوا يسجلون لهذه النباتات من الأشكال والألوان وغير ذلك من الأوصاف والتحليلات التى يشاهدونها مايحدد نوعها أو جنسها، بل كثيرا ما كانوا يضعون لها الرسومات وأحيانا يحلونها بألوانها الطبيعية. فنجد مثلا أن الغافقى قد ساح كثيراً فى إسبانيا وشمال أفريقيا وراء هذه الغاية، فذكر فى كتابه «الأدوية المفردة» كل نبات وعقار بأسمائه العربية والبربرية واللاتينية مع أوصافه. كما أن ابن البيطار الذى ألف كتابين فى هذا المجال أهمهـــا كتاب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» ذكر فيه المعلومات اليونانية والعربية فى علمى النبات والأقرباذين، ولاسيما المعلومات التى اكتسبها بخبرته ومن أبحاثه وتجاربه الشخصية ورحلاته فى إسبانيا والمغرب وشمال إفريقيا ومصر وسوريا وآسيا الصغرى كما استشهد فى كتابه هذا بما ذكره أكثر من ١٥٠ مؤلفا وعالما غيره. أما أبو القاسم الزهراوى فقد خصص بابا فى كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» لتحضير العقاقير من النباتات والعناية بالاحتفاظ بالأجزاء المجففة، كما ناقش استخلاص العصائر مثل الصبر وكذلك تحضير وتصفية الصموغ واللب من نباتات معينة. كما نص فيه عن مواطن النباتات حيث تنمو أو تستورد منها، ووصف هذه النباتات وكيفية الحصول منها على الجزء أو الأجزاء التى تستعمل فى الطب وكذلك موعد جمعها وفصوله.

كما أن الشريف الإدريسى (١١٠٠ — ١١٦٦ م) قد طاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية والأندلس وفرنسا وغيرها ووصف نباتات كل قطر (عن كتاب الأعلام لعباس بن ابراهيم) وكتابه «الجامع لصفات أشتات النبات» له أهمية خاصة. كما أن عبد اللطيف البغدادى قد امتاز فى وصف أعشاب مصر.

أما رشيد الدين المنصورى بن السورى (١١٧٧ — ١٢٤٣م) فكان يصطحب معه فى رحلاته مصوراً ومعه الأصباغ ويريه النبات فى موطنه - بعد التحقق منه - ويطلب إليه أن يرسمه بأجزائه فى جميع أطوار نموه بألوانه الطبيعية التى يظهر بها فى هذه الأطوار (عن ابن أبى أصيبعة)، ولذلك كان مؤلفه «الأدوية المفردة» مزينا برسومات للنباتات بألوانها الطبيعيـة، والذى وصف فيه حوالى ٤٦٦ نباتا منها كثير لم يكن معروفا قبله. كما أن كتاب «الأعشاب» لأحمد الغافقى فيه حوالى ٣٨٠ رسما بالألوان لبعض النباتات والحيوان.

ولقد خصص ابن فضل الله العمرى الجزء

الثانى عشر من كتابه «مسالك الابصار» الموجود فى مكتبة البلدية بالإسكندرية - للنباتات وفيه صور ملونة لأنواع مختلفة منها . ومن مشاهير العرب الذين اهتموا بالنباتات ولهم فيها مؤلفات تعتبر إلى الآن من المراجع القيمة جدا والمهمة لعلمائنا بالبحث والدراسة : أبو حنيفة الدينورى الذى ألف كتاب « النبات » ، وأبو العباس أحمد ابن الرومية ( ١١٧٠ — ١٢٢٩م ) الملقب بالنباتى وكتابه « الرحلة » وصف فيها نباتات كثيرة وذكر أنواعها وضروبها وكان قد قام برحلة طويلة فى شمال إفريقيا وبلاد العرب وسوريا وما بين النهرين . وكذلك ابن العوام الذى ألف كتاب « الفلاحة » .

**امتحان العقاقير وفحصها :**

كان الصيادلة عند العرب يحرصون على جودة العقاقير ونقاوتها من الغش والتدليس ، ويفحصون ما يجلب لهم منها للتعرف عليها وكشف غشها كما تعلموه وتلقوه لينجوا من العقاب فقد كانت هناك رقابة مشددة عليهم من الحكومة يقوم بها المحتسب، يمثله فى كل مدينة كبيرة موظف ( مفتش ) يعتبر كبيرا للصيادلة فيها أو عميداً لهم يشرف على تنفيذ القوانين ومراقبة تحضير الأدوية ونقاوة العقاقير فى الصيدليات ويتأكد من سلامتها من الغش والفساد .

ومن الأمثلة الكثيرة الواردة وبخاصة فى «الحسبة عند الصيادلة » : الأفيون ، وقد كان يغش بالماميثا وعصارة الخس البرى والشحم والصمغ إلخ ، وكانوا يكشفون عن ذلك بإذابة الأفيون فى الماء فإن ظهرت رائحة كرائحة الزعفران كان مغشوشا، كما كانوا يحلونه بالماء ثم يصفونه فإن بقى فيه ثفل كان مغشوشا وإلا فهو خالص، ورائحة الخالص منه قوية جدا وفى طعمه مرارة، فإن كانت رائحته ضعيفة وهو خشن كان مغشوشا بعصارة الخس ، والذى هو صاف فى اللون ضعيف القوة كان مغشوشا بالصمغ وهكذا .

وكانت السنامكى تغش أحيانا بالعشرق الذى هو أقل منها مفعولا وكان يجلب من صعيد مصر فكانوا يميزون الأول بأن ورقته ملساء الطرفين ذات خضرة بها صفرة ، أما الثانى فطرف ورقته مدور ولونها شديد الخضرة .

**تصنيف العقاقير**

أورد العرب فى كتبهم عدداً كبيراً من العقاقير يبلغ فى كتاب « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » لابن البيطار مثلا ما ينوف على ١٥٠٠ عقار ، منها ما كان منقولا عن اليونان ، ومنها ما أدخله العرب جديداً على مادتهم الطبية ؛ وكانت هذه العقاقير تذكر فى المؤلفات العربية ، إما مرتبة بأسمائها بحسب الحروف الأبجدية كما فى الكتاب الثانى من قانون ابن سينا وكتاب « الجامع لصفات أشتات النبات » للإدريسى ، وإما مرتبة بأسمائها بحسب حروف الهجاء أى حروف المعاجم كما فى كتاب « الصيدنه » للبيرونى ، وكتاب « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » لابن البيطار ، وكتاب « الحاوى » للرازى ، وكتاب « النبات » للدينورى ، وكتاب « تذكرة أولى الألباب » لداود الأنطاكى . كما كانت العقاقير تصنف فى بعض الأحيان إلى مجموعات بحسب مفعولها وفوائدها ، فهذه أدوية مسهلة ، وهذه مقيئة ، وتلك مسكنة ، وهذه

مدرة للبول إلخ ، كما فى كتاب «فردوس الحكمة» لابن ربن ، وكتاب «الأدوية المفردة» لابن الصلت . أما المجوسى فقد نحا نحواً آخر ، فقسم المفردات إلى مجموعات بحسب طبيعتها ، ورتبها فى كل مجموعة بأسمائها مع نبذة مختصرة عن أجودها ومنافعه معنونة كما يأتى :

**مجموعات المفردات النباتية** : وتشمل مجموعات الحشائش وذكر منها (٨٩) : البزور والحبوب (٩٠) ، الأوراق (٣٨) ، والأنوار (٣٤) ، ثمر الشجر (٣٧) ، الأصول (وأضاف إليها القشور) (٤٠) ، الأدهان (٢٩) ، الصموغ (٢٤) ، الطبائع والعصارات (٢٣) .

**مجموعات المفردات الحيوانية** : تشمل مجموعات الأدماء (مفردها دم) ، الألبان ، الزبد ، الإنفحات ، البيض ، الإفرازات ، المرارات ، الزبل الخ .

**مجموعات المفردات المعدنية** : وتشمل : مجموعات الأطيان (مفردها طين) ، الحجارة ، الملح ، الأجساد .

**التداوى بالعقاقير**

لقد كان المأثور عند نطاسى العرب أنهم لا يرون التداوى بالأدوية ما أمكن بالأغذية أو ما يقرب منها ، وإذا اضطر إلى الأدوية فلا يرون التداوى بالمركبة ما وجد سبيل إلى المفردة وإذا اضطر إلى المركب لم يكثروا التركيب بل يقتصرون على أقل ما يمكن .

فقد ذكر المجوسى فى كتابه «كامل الصناعة الطبية أو الملكى» : «إن أمكن أن تعالج العليل بالغذاء فلا تعطه شيئاً من الدواء ، وإن أمكنك أن تعالج بدواء خفيف مفرد فلا تعالج بدواء قوى ولا دواء مركب ، ولا تستعمل الأدوية الغريبة المجهولة» . كما ذكر الرازى فى كتابه «الحاوى» : «إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة» ، وقال : «العمر قصير عن الوقوف على فعل كل نبات الأرض فعليك بالأشهر مما أجمع عليه ، ودع الشاذ واقتصر على ما جرب» .

وهذه نظريات عادلة ومبادئ علمية سليمة يأخذ بها الأطباء فى عهدنا الحديث ، وينادون بها وبخاصة كبار العلماء منهم .

ولقد نوه المجوسى وابن سينا وغيرهما بأن قوى الأدوية وتأثيرها تتوقف على طبائع الأبدان واختلاف حالاتها فى الصحة والمرض ، وطبائع الأمراض واختلافها من شدة وضعف ، وما يتبعها من أعراض ، وأسنان الأبدان (عمرها) وأمزجتها ، وأوقات السنة ، وحالة الجو ، والبلد الذى يسكنه المريض ، وعاداته ، ومهنته .

هذا ما قاله العرب القدامى وما كانوا يتبعونه فى علاج المرضى وهو أصدق وأعمق ما يكون وما زلنا نعمل به ونسير بهديه .

**موارد العقاقير عند العرب**

كانت العقاقير فى أيام العرب تجنى إما من النباتات البرية أى التى تنمو على سليقتها دون أية رعاية خاصة ، وهى ما يسمونه فى مصر بالنباتات الشيطانية أو البرية ؛ وإما من النباتات

التى تزرع لهذه الغاية وهى ماكانوا يسمونها بالنباتات البستانية . كما أنهم كانوا يجلبون العقاقير من مواطنها الأصلية أى حيث تنمو نباتاتها وذلك بطريق البر عبر آسيا وأفريقيا أو بطريق البحر ، إذ كانت لها تجارة واسعة عندهم . فهذه العقاقير من إسبانيا ، وهذه من شمال أفريقيا أو شرقها وتلك من بلاد فارس أو من الهند أو من الصين أو من بلاد شرق آسيا وبخاصة جزر الهند الشرقية .

**تسمية العقاقير**

كان العرب يسمون العقاقير بالأسماء الوطنية التى يطلقها عليها أهل بلادها مثل الراوند وهو اسمه فى الهند ؛ وإما يعربون تلك الأسماء بحيث تتفق فى نطقها والذوق العربى ، فلفظة كافور مثلا أصله كابور بالهندية ؛ وقنبيل أصلها كامبيلا فى الهند ، والأفسنتين هو من أبسنث اليونانية ؛ ودارصينى من الفارسية دارشين ؛ وخيار شنبر من الفارسية خيار جنبر ؛ وجزرفارسيته كزر ؛ وتنبول هندية ؛ وبنفسج من الفارسية بنفشة .

وإما بترجمة الأسماء الأجنبية إلى العربية مثل : جار النهر ترجمة فوطاموغيطن اليونانية ( نهر - جار ) كرفس جبلى ترجمة أوراساليون اليونانية ( أورا = جبل ، سالِيون = كرفس ) بلوط الملك من الفارسية شاهبلوط ، وإما يضعون لها أسماء عربية خاصة كالتمر هندى ( أى التمر الوارد من الهند ) وجوزة الطيب ( أى الجوز الذى يتطيب به ) والجاوى ( أى الوارد من جاوة ) وهكذا .

هذا بالإضافة إلى الأسماء التى استعملوها عمن ترجموا أو نقلوا عنهم . وفى كثير من الأحيان كان العقار يعرف بأسماء عديدة . فقد كان كثير من المؤلفين العرب يذكر العقار بأسمائه المعروفة بالعربية واليونانية واللاطينيــــة والبربرية والأندلسية والقوطية والفارسية والسريانية كلما أمكن ذلك ، فذكر الشريف الادريسى مثلا أن الدارصينى سماه ديوسقوريدس « قيامومن » ويسمى بالفارسية « دارجينى » وبالسريانية « مولون » ، وبالبربرية « أسطاخس » .

**ما أدخله العرب من العقاقير فى المادة الطبية :**

لقد أدخل العرب كثيراً جداً من الأدوية المفردة فى مادتهم الطبية ولم ينقلوها عمن أخذوا عنهم من اليونانيين والنساطرة . وأوردوا هذه المفردات فى كتبهم محلاة بأوصافها وقوة مفعولها ومنافعها وفوائدها فى العلاج .

ولكن كان ذلك إما لاتصالهم بالهنود وبلاد الشرق الاقصى ، وإما بتجوالهم فى البلاد عامة وبخاصة ماكانت لهم بها علاقات وتقصيهم فى أثناء تجوالهم عما كان يستعمله أهالى هذه البلاد من عقاقير كان يجهلها أهل العلم فى ذاك الزمان ، وإما لاكتشافهم الجديد من العقاقير .

وقد أورد الإدريسى فى كتابه : « الجامع لصفات أشتات النبات » كثيراً من العقاقير وذكر أن ديوسقوريدس « لم يذكرها ( فى كتبه ) أو أغفلها ، إما لأنه لم يبلغه علمها ولا سمع عنها أو كان ذلك ضنا منه أو تعمداً ، وإما لأن أكثر هذه الأدوية ليست من شىء من بلاده » .

كما أن ابن البيطار قد أورد فى كتابه « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » حوالى ٣٠٠ مفرد لم يذكرها ديوسقوريدس ولا المؤلفون قبله ، ومن هذه يمكن ذكر ما يأتى مع الأسماء العلمية للنباتات ، حسب تحقيقها الآن :

( انظر القائمة المرفقة )

ولقد كان العرب أول من حضّر حمض الكبريتيك ، وحمض النيتريك ، والماء الملكى والقلويات ( إيدروكسيد الصوديوم وغيره ) والسليمانى ( كلوريد الزئبقيك ) ويوديد الزئبق ، والأنتيمون ، والنشادر ، ونترات الفضة ، والراسب الأحمر ، والبورق ، وحمض الطرطير ، والكحول واستعملوها فى صناعاتهم وعلاجاتهم . ويلاحظ أن كثيراً من هذه الأسماء مازالت مستعملة باللغات الأوروبية بشكل يدل على أصلها العربى .

**تحلية العقاقير:** وقبل أن أنهى كلمتى أرجو أن نذكر النقاط التى كانوا يرونها أساسية فى مقالاتهم عن العقاقير . لو استعرضنا مؤلفات العرب وبخاصة ما كان منها مخصصاً للأدوية ، نجد أنهم حددوا عدة نقاط لاستيفاء كل ما يتعلق بالعقار من ذكر أوصافه ونعوته وقوته وفوائده ، بل إن داود الأنطاكى ذكر أن كل مفرد يحتاج للنقاط الآتية :

(١) ذكر أسمائه بالألسن المختلفة

(٢) ذكر ماهيته من لون ورائحة وطعم وتلزج وخشونة وملاسة وطول وقصر (٣) ذكر جيده ورديئه ليؤخذ أو يتجنب (٤) ذكر درجاته فى الكيفيات الأربع ( حار - بارد - رطب - يابس ) ليتبين الدخول به فى التراكيب . (٥) ذكر منافعه فى سائر أعضاء البدن (٦) كيفية التصرف به (٧) ذكر مضاره (٨) ذكر ما يصلحه (٩) ذكر المقدار المأخوذ منه مفرداً أو مركباً مطبوخاً أو منقعاً بجرمه (١٠) ذكر ما يقوم مقامه إذا فقد (١١) الزمان الذى يقطع فيه الدواء ويدخر (١٢) من أين يجلب الدواء إذ يترتب على ذلك فوائد مهمة فى العلاج ، فقد قال أبقراط : « عالجوا كل مريض بعقاقير أرضه فإنه أجلب لصحته »

وهذا أتم وأوفى ما يحلى به العقار إذ ليس هناك ما يزاد على هذه النقاط حتى فى عصرنا الحاضر ، اللهم إلا التعمق فى كل منها بحسب وسائل تقدمنا فى العلوم وفى طرق البحث واستعمال الميكروسكوب بأنواعه المختلفة والمتقدمة وكذلك الأجهزة العلمية الحديثة ، وذكر المحتويات الفعالة والتشخيصية للعقار .

* * *

| | |
|---|---|
| أزادرخت | Melia azadirachta |
| الأملج | Phyllanthus ( Myrobolan ) emblica |
| أمير باريس | Berberis sp |
| بل = قثاء هندى | Aegles marmelos |
| بليلج | Terminalia bellerica |
| بهرامج = بلنخينة | Salsola rosmarinifolia |
| بيش | Aconitum napellus or A. ferox |
| تانبول = تامول | Piper betel |
| تمر هندى | Tamarindus indica |
| تربد | Ipomoeia turpethum |
| جدوار | Amomum zedcaria |
| جلبان | Lathyrus sativa |
| جوز طيب - جوز بوا | Myristica fragrans |

Datura metel — جوز ماثل

Cyperus aesculentus — حب الزلم . . حب العزيز

Ipomoea hederacea — حب النيل — قرطم هندى

Alpinia galanga — خلنجان

Cassia fistula — خيار شنبر

Croton tiglium — خروع صينى — دند

Calamus draco — دم الأخوين

Jatropha curcas — دند برى

Zingiber zerumbet — زرنباد

Cassia acutifolia — سنا ( مكى )

Santalum album — صندل

Piper nigrum — فلفل أسود

Areca catechu ( nut ) — فوفل

Cakile maritima — قاقلى

Eugenia caryophyllata — قرنفل

Mellotus philippinensis ( Kamala ) — قنبيل

Piper cubeba — كبابة

Cinnamomum camphora ( Camphor ) — كافور

Curcuma domestica — كركم

Pandanus odoratissimus — كاذى

Citrus medica — ليمون

Anamirta paniculata — ما هى زهرة ( سم السمك )

Prunus mahleb — محلب

Salvadora persica — مسواك ( أراك )

Glossestemon burguieri — مغات

Corchorus olitorius — ملخية

Manna — منّ

Cocos nucifera — نارجيل

Citrus aurantium var amara — نارنج

Melilotus officinalis or Medicago ciliaris — نَفَل

Flemingia congesta — ورس

Jasminum sp. — ياسمين

Civette — زباد

Ambergris — عنبر

Muskus — مسك

Sugar — سكّر

Chalk — طباشير

Cinnabar — زُنْجفر

Bezoar stone — باد زهر ـ با زهر

Ruby — ياقوت

Anaethyst — زمرد

Peridot= Chrysolite — زبرجد

Coral — بسذ ـ مرجان

Limestone — حجر النار — حجر النّوْرة

# التأريخ للعربية
## أهميته ودراساته ومناهجه
### للدكتور محمد سالم الجرح

**١ ـ نظرة تمهيدية :**

إن أى مقارنة مهما كانت عابرة أو سريعة، يجريها دارس يدرك قدراً كافياً من طبيعة اللغات، وظروف تطورها، بين لغتنا العربية المجيدة، وأى لغة إنسانية أخرى، قديمة أو حديثة، راقية، — كما يقولون — أو بدائية، داخل الأسرة السامية التى تنتمى إليها لغتنا العربية أو خارجها — تنتهى دائماً إلى اقتناع هذا الدارس الذى يقوم بتلك المقارنة بأن للغة العربية من صفات التميز، وأوضاع التفرد، ما يكاد يجعلها وحدها نوعاً قائماً بذاته بين اللغات، يختلف عنها جميعاً فى العديد من النواحى، والكثير من الأحوال.

فلغتنا العربية المجيدة تتفق مع اللغات الكلاسيكية القديمة كاليونانية واللاتينية، بل والسنسكريتية، فى العراقة والقدم، وقد أثبت ذلك، بمنطقه المفحم، النابغة الراحل المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه «الثقافة العربية أسبق من الثقافتين اليونانية والعبرية» الذى استفتح به السلسلة الشهيرة للمكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة المصرية. ونحن هنا نزيد ما قاله الأستاذ العقاد إيضاحاً، فنقرر أن وضع اللغة العربية كلغة مركزية داخل الأسرة السامية، أقرب فى شئون تصريفها، ونهج اشتقاقها إلى اللغة السامية الأم يؤكد قدمها على اللغات الأكادية والبابلية والأشورية التى جاءت منها نصوص أدبية، وكتب تشريع، وملاحم وأشعار وترانيم دينية، ترجع إلى ما قبل الألف الثالثة السابقة على ميلاد السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، ومعنى ذلك أن لغتنا العربية المجيدة كانت تستعمل على الصورة التى تعتبر لغة الشعر الجاهلى، ولغة القرآن الكريم، امتداداً لها، وتطوراً عنها، قبل الألف الرابعة السابقة على الميلاد — حين انسلخت اللغات الأكادية والبابلية والأشوريه عنها — وبدأت تخضع لدوافع تطورية عنيفة فى بيئتها الجديدة فى العراق القديم، بل إننا بهذا الاعتبار نستطيع أن نقول إن اللغات الأكادية والبابلية والأشورية ليست إلا لهجات عربية قديمة نزحت من وطنها الأصلى القديم فى الجزيرة العربية إلى بيئات جديدة فى أرض الرافدين، وتعرضت لألوان من الصراع اللغوى

مع لغة كالسومرية لا تنتمي إلى الأسرة العربية أو السامية، وآل بها هذا الصراع – مع عوامل التطور الأخرى – إلى أن تختلف تلك اللغات عن الوضع الذي كانت عليه في الوطن الأصلي الأول .
ومعنى ذلك أن تاريخ اللغة العربية يرجع إلى الوراء ألوفا من السنين قبل أن تكتب بها قصائد الشعر الجاهلي القديم، ويوحى بها القرآن الكريم، وتحرر بها ذخائر الأدب والمعرفة الإنسانية على مختلف فروعها وأشكالها، وتترجم إليها كنوز اللغات الأخرى على تنوع فنونها وألوانها . وهكذا كله يؤكد شبه اللغة العربية المجيدة للغات الكلاسيكية المعروفة في العراقة والقدم، وفي سعة التراث الأدبي المتوارث وثرائه، بل إن العربية لتفوق اللغات الكلاسيكية الأخرى في هذا المجال .

وبينما تتشابه اللغة العربية مع اللغات الكلاسيكية القديمة كاليونانية واللاتينية فإنها في ذات الوقت تتشابه مع اللغات المعاصرة الحديثة كاللغة الإنجليزية، أو الفرنسية، أو الألمانية، أو الروسية. فاللغة العربية كهؤلاء جميعا، لغة حضارة حية معاصرة، وأدب نشيط متجدد، فهي ما تزال مستعملة مثلما تستعمل هذه اللغات جميعا، في التأليف الأدبي، والبحث العلمي، والجهود الإعلامية، والبيانات السياسية والنشرات العسكرية، والحوار القضائي . . إلخ جوانب استعمال اللغات الأدبية المعاصرة، مشافهة أو كتابة، ارتجالا أو تأليفا، في الجوانب التطبيقية العملية للحياة، أو النواحي الفلسفية النظرية منها . وهكذا نستطيع أن نصف لغتنا العربية المجيدة، بأنها قديمة حديثة، أو كلاسيكية ومعاصرة، في نفس الوقت والآن .

وليس من هذا الجانب وحده تتفرد اللغة العربية بين اللغات حتى لتكاد توصف بالشيء وضده، والنعت ونقيضه . فإنها – حتى في داخل الأسرة السامية ذاتها – كثيرا ما يصدر عليها من الأوصاف والنعوت ما يبدو متضاربا متناقضا . فمن المألوف أن تستمع إلى علماء المقارنات السامية وهم يقررون « أن اللغة العربية هي أم اللغات السامية جميعا، أو أقرب هذه اللغات إلى الأم المفقودة، وأنها بهذه المكانة أكثر اللغات السامية حرصا على القديم، ومحافظة على الملامح اللغوية الأولية » – ومثل هذا الكلام يؤكد الطبيعة المحافظة أو البدائية للغة العربية . ولكن علماء المقارنات السامية أنفسهم كثيرا ما يرددون أن « اللغة العربية هي أوسع اللغات السامية على الإطلاق في ثروتها من الألفاظ والمفردات، كما أنها أقدرها على التعبير المجرد، وأسلسها للأديب والشاعر، وأكثرها تطورا في فنون الأدب، وبراعة في الأساليب » – ومثل هذا يؤكد تطور اللغة العربية وارتقاءها وازدهارها بين أخواتها – أو بناتها ! – من سائر اللغات السامية الأخرى . فهل اللغة العربية بدائية محافظة على القديم، أو هي متطورة قطعت من مراحل النضج والارتقاء، والتطور والازدهار، ما لم تبلغه واحدة من اللغات السامية الأخرى ؟ إن مثل هذا التعارض في وصف العربية، وما يبدو من أنه تناقض فيما يقال عن أحوالها، قد حير

الكثيرين ، حتى العلماء المتخصصين إلى حد أننا نجد عالمة متخصصة لامعة كالدكتورة عائشة عبد الرحمن تنعى على علماء الساميات (ومن بينهم إسرائيل ولفنسون) محاولاتهم ربط العربية باللغات السامية ، على نحو قد يوحي بجمود العربية أو بدائيتها بين هذه اللغات ، مع أن العربية مشهود لها بالازدهار الأدبي بين هذه اللغات نفسها . ولذلك تدعو الدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها الذي ظهر مؤخرا بعنوان « لغتنا والحياة » إلى الإعراض عن كل ما يقوله علماء الساميات من ربط بين اللغة العربية وبين هذه المجموعة من اللغات .

ولكن الأمر أهون من أن تضيق به الدكتورة عائشة عبد الرحمن أو تنفر منه ، فالتناقض فيما يصدر عن علماء اللغات السامية خاصا باللغة العربية شكلي أكثر منه حقيقيا ، ومظهري أكثر منه جوهريا . ويكمن حل هذا التناقض المظهري apparent paradox في أن وصف اللغة العربية بالمحافظة والحرص على الأوضاع الأولية الأصلية يصدق عليها في اعتبار ، بينما يصدق عليها الوصف بالتقدم والازدهار والتطور والارتقاء في اعتبار آخر . فالذي يدرس الأنماط الصرفية مثلا للغة العربية واللغات السامية ، يخرج باقتناع شديد ، وإيمان أكيد بأن اللغة العربية قد حافظت في الأغلب على الأوضاع الأصيلة للظواهر اللغوية على هذا المستوى ، بينما سبقت اللغات السامية الأخرى عاميات اللغة العربية في تطوير هذه الأنماط وتغييرها ، وإذا كنا لا نستطيع إنكار تطور العاميات المعاصرة للغة العربية عن هذا الوضع أو ذاك من أوضاع اللغة في مراحلها القديمة الأقرب إلى الفصحى ، فإننا لا نستطيع بالتالي أن ننكر أن الصيغ الصرفية في اللغات السامية الأخرى كالعبرية أو الآرامية ، التي تتشابه مع نظائرها في عاميات اللغة العربية ، أو تتجاوزها في سلم التطور والتغير ، يتحتم أن تكون أبعد من صيغ العربية الفصحى عن الوضع اللغوي الأولي أو الأصيل . فنمط صرفي مثل تفعل (tafa‘‘ala) حين تجده في الفصحى على هذا الوضع دون تغيير كما في تكسر (takassara) ثم نجده في عامية كالمصرية مثلا متغيراً عن ذلك كما في قولنا : اتكسّر (?ikassar) أو حتى اكّسّر (?ikkassar) نجزم أن وضعه في الفصحى هو الأصل أو هو الأقرب إلى الأصل من وضعه في العاميه المصرية ، وإذا تشابه الوضع في لغة سامية كالعبرية أو الآرامية مع الوضع في العامية ، أو جاوزه في التغير ، ونواحي الاختلاف ، استطعنا أن نجزم كذلك بأن هذا النمط في العربية الفصحى وهو تفعل أكثر محافظة على الأصل من نظيره العبري : (hitthpa‘‘él) ونظيره الآرامي : (?ippa‘‘al) مثلا وهكذا نقبل - دون تردد - ما يقال من أن لغتنا العربية الجيدة هي أكثر اللغات السامية محافظة على الأوضاع اللغوية الأصيلة

ولكن النظرة السريعة إلى محيط الثروة اللفظية ، وإلى الأنماط الأدبية التي تحوزها اللغة العربية ، تؤكد طبيعة الارتقاء التطوري ، والازدهار الأدبي لهذه اللغة الجيدة عن سائر أخواتها الساميات . وهكذا يصدق أيضاً الشق الثاني من وصف اللغة العربية بالازدهار والارتقاء

ويصبح حل هذا التناقض المظهرى فى وصف اللغة العربية منحصراً ( فى رأينا ) فى إضافة يسيرة، لكنها جوهرية على كل من شقى الوصف، بحيث نقول : إن اللغة العربية هى – لغويا – أكثر اللغات السامية محافظة على الأوضاع الأولى، وإن كانت – أدبياً – أكثرها تقدماً وارتقاء.

ونستطيع أن نضيف الكثير من هذه الأوصاف المزدوجة – التى قد تبدو متناقضة – على اللغة العربية : فهى لغة كلاسيكية كاللاتينية، وهى فى الوقت نفسه لغة معاصرة كالإنجليزية أو الفرنسية، وهى اللغة الأكثر محافظة بين اللغات السامية، وهى فى الوقت نفسه الأكثر ازدهاراً وارتقاء بينها جميعاً. وهى لغة قرآن ربانى منزل ودين سماوى موحى، وهى فى الوقت نفسه لغة حياة دنيوية عملية حافلة. بل إن هناك من يقول بأنها – فى صورتها الفصحى – لغة ميتة أو كالميتة لا يتم التمكن منها إلا بالتعلم والممارسة لسنوات عديدة، بينما نجدها – فى لهجاتها المعاصرة – لغة فطرية طبيعية، يتلقاها الطفل بالتلقائية عن أمه وأبيه، وأهله وسائر أفراد مجتمعه، وينمو ليستعملها بالسليقة أو الفطرة كما كان يستعمل العربى الأول صورة أخرى منها بالسليقة والفطرة أيضا.

وإدراك هذه الجوانب العديدة فى طبيعة اللغة العربية، وفهم ما قد يبدو فيها من تضارب أو تناقض، وتفسير أسباب تميز اللغة العربية على سائر اللغات الأخرى قديمها أو حديثها، ساميها أو آريها، يستلزم دراسة متعمقة واعية لتاريخ هذه اللغة المجيدة الطويل، وصراعها العنيد مع الأيام والسنين، ومع العديد من الأجناس واللغات، وفى الكثير من الأوطان، والمختلف من الحضارات.

فمن الواجب على من يعنى بدراسة العربية دراسة تتصف بأى قدر من العمق أن يتسلح بوعى مستوعب لتاريخها الطويل. وقد ظل «التأريخ» للعربية مجالا قليل الإغراء للباحثين والدارسين. حتى انعدم فيه الإنتاج أو قل. وقد آن الأوان لنستدرك هذا الجانب الهام. ونستكمل هذا النقص الواضح. ونقوم بالتأريخ للغتنا العربية المجيدة.

**٢ – مجال التأريخ للعربية ومجالات أخرى للتاريخ الأدبى واللغوى :**

وحين نقول إننا ينبغى أن نتدارس تاريخ لغتنا العربية المجيدة، أو نقوم من جديد بالتأريخ المنهجى الشامل لها، فإننا لا نقصد بذلك إلى التأريخ للأدب العربى، فقد كان ذلك ولا يزال موضع عناية فائقة، واهتمام شديد، تتدارسه كل المعاهد والجامعات، وتؤلف فيه الكتب بالعشرات بل بالمئات داخل العالم العربى وخارجه. فضلا عن أن تأريخ اللغة العربية يسبق المرحلة التى حفظ لنا التاريخ نماذج من إنتاجها الأدبى بقرون طوال. ومعنى هذا أن التأريخ للأدب العربى لا يمكن أن يغنى عن التأريخ للغة العربية.

وعلى الرغم من الأهمية الشديدة للتأريخ للأدب العربى ، فليس هو ما يعنى به المتخصصون اللغويون فى المقام الأول ؛ لأن مثل هؤلاء المتخصصين اللغويين يحاولون فهم طبيعة لغتهم الفهم الحق ، وتحليل ظواهرها على مختلف المستويات التحليل الصحيح . وهذا وذاك مما لا يغنى فيه كثيرا ما قد كتب فى الماضى أو عساه يكتب فى المستقبل عن تاريخ الأدب العربى . وهكذا يتضح لنا حتى بالنظرة السريعة ، واللمحة العاجلة ، أن تاريخ الأدب العربى قد يمثل سلاحا إضافيا لدارسى اللغة العربية ، يستعمل جنبا إلى جنب مع سلاح « التأريخ للعربية » ، ولكنه لا يمكن أن يحل محله ، ولا يجوز أن يغنى عنه .

وكذلك فإننا حين نقول «تاريخ العربية» . ـ لا نقصد التأريخ لما كتب عن العربية من دراسات نحوية ، أو أُلف حولها من بحوث لغوية ، أو عن تطور جمع مادتها فى المعاجم والقواميس . لأن ذلك على الرغم مما قد يلقيه من أضواء على طبيعة اللغة ، ويحققه من عرض المناهج التى اتبعت لفهم ظواهرها ، وتحليل أبنيتها وتراكيبها ، وشرح ألفاظها ومفرداتها ، وهو ما لا يفعل التأريخ للأدب العربى منه شيئا ـ لا يزال قاصرا عن الذى نريده وندعو إليه من وجوب التأريخ للغة العربية ذاتها ، تأريخا يتتبعها منذ مراحل نشأتها فى البداية البعيدة الموغلة فى القدم ( التى يرتد من أجل استقصائها إلى الوراء حتى أبعد ما تمكننا الظروف من الرجوع إلى الوراء ) ثم يواصل السير معها بعد مراحل نشأتها الأولى فيحاول التعرف على ظروف نموها وارتقائها ، وتغيرها وتطورها ، خلال ماضيها الطويل ، بمنعطفاته العديدة ، وخطوطه الشائكة المعقدة وتحدياته الكثيرة المتلاحقة ، حتى يبلغ معها المكانة التى استأهلت إعداد الدراسات النحوية لها ، وكتابة البحوث اللغوية عنها .

ولكننا ـ خلافا لما تفعل الدراسات اللغوية والنحوية بصفة عامة ـ لا نقف فى تأريخنا للعربية عند بلوغها هذا « الوضع » الذى استأهل تركيز الدراسات النحوية عليه ، وبلوغها تلك المكانة التى استحقت تكريس البحوث اللغوية لها ، والتآليف المعجمية عنها ، وإنما نمضى معها بعد ذلك ، متتبعين خطاها الواثقة عبر القرون ، وثباتها العنيد أمام عوامل الدهر وتحديات الزمان حتى نبلغ معها إلى عصرنا الحاضر ، ونرى كيف صارعت من أجل بقائها وازدهارها خلال ذلك الماضى الطويل من قبل ، وكيف لا يزال هذا الصراع متصلا ومستمرا إلى الآن ، وإلى ما بعد الآن . وكيف أن هذا الصراع فى الماضى والحاضر يكون هينا لينا حينا ، ومريرا عنيدا حينا آخر ... !

وهكذا فإننا فى عنايتنا بالتأريخ للعربية ، وتتبع خطاها الثابتة عبر القرون ، لا نقف عند تصوير الوضع الحاضر ومشاكله ، أو الموقف المعاصر وتحدياته . وإنما ننطلق إلى ما هو أبعد من ذلك فنستعين بما نكون قد عرفناه عن ماضى العربية الطويل ، وما نكون قد أدركناه عن حاضرها المضطرب لنستشرف آفاق مستقبلها

القريب أو البعيد، ونتوقع ما عساها تقابله فى هذا المستقبل من أمجاد وانتصارات ، أو تجابهه من عواصف وأعاصير - توقعا يكون محسوبا مدروسا ، مبنيا على مقارنة النظائر الماضية من ناحية ، واستنطاق الشواهد القائمة والمؤشرات الماثلة من الناحية الأخرى . بحيث لا تندفع فى التفاؤل بالنسبة لمستقبل العربية ، فنغفل الحيطة والتخطيط لانطلاقها ، أو نغرق فى التشاؤم فنرتمى فى أحضان الاستسلام والسلبية ، ونترك لغتنا المجيدة - كما فعلنا مرارا من قبل - تمضى حين تمضى لا بجهدنا ، ولكن على الرغم منا ، وتواجه تحدياتها لا بتوجيهنا ولكن فى غفلة منها .

فإذا كان التأريخ للعربية - كما بينا - يعتنى بماضيها كله بحيث يحاول رد بداياتها الأولى إلى أبعد ما يمكن تتبع هذه البدايات، ثم يمضى معها بعد ذلك فى جميع أطوار نشأتها ونموها إلى أن يبلغ بها الحاضر المعقد المتشابك فيجتهد فى تحليله بأعمق ما يتأتى التحليل ، ثم يتجه بعد ذلك - بالحساب المتزن والإدراك الواعى - إلى استشراف آفاق مستقبلها ، لكى يخطط لدعم ما يتوقع فى هذا المستقبل من إيجابيات ، ويتحوط لمقاومة ما يخشى فيه من سلبيات - نقول : إذا كان التأريخ للعربية هو ذلك كله ، فإنه يكون بلا شك أمرا مختلفا أشد الاختلاف عن التأريخ لنحو اللغة العربية ، أو البحث اللغوى والنشاط المعجمى فيها .

إن التأريخ للعربية على النحو المنهجى الذى نريده ، ونحاول التخطيط له الآن ، لا ينبغى أن ينحصر فى التأريخ للأدب العربى ( بالمعنى الواسع أو الضيق لكلمة الأدب ) ، ولا ينبغى أن ينحصر فى التأريخ لنحو اللغـة العربية أو البحث اللغوى فيها . وتاريخ العربية لا ينحصر فى تاريخ مفرداتها أو المعجم التاريخى لمتنها . وتاريخ العربية ليس هو تاريخ لهجاتها وبيان الطرائق المختلفة للاستعمال اللغوى فى هذه اللهجات . وتاريخ العربية ليس تاريخ أهلها والذين نطقوها أو كتبوا بها أو ترجموا منها أو إليها . وتاريخ العربية ليس هو تاريخ المستوى الحضارى لشعوبها أو الحصيلة الفكرية لأبنائها . وتاريخ العربية لا ينبغى أن ينحصر فى تاريخ النصوص المقدسة - من قرآن كريم وحديث نبوى شريف - التى أوحيت بها ، وتركت على الإنسانية خالد آثارها . وتاريخ العربية لا يعنى التتبع التاريخى لبعض ظواهر هذه اللغة أو أنماط الاستعمال فيها فحسب .

إن تاريخ العربية الذى نرجو له أن يكتب قد يلتقى فى جانب أو آخر مع بعض ذلك أو كله ، ولا بد أنه سيستعين فى هذا المنحى أو ذاك من مناحيه بكل ذلك أو جله . ولكن التأريخ للعربية سيكون فى النهاية شيئا مختلفاً عن أى واحد من ذلك ، ومختلفا عن كل ذلك . فكل هذه المجالات لا تمثل سوى دراسات جزئية متعددة ينبغى أن يستعين التأريخ للعربية بها جميعا ، ويفيد منها جميعاً لكى يأتى كاملا شاملا ، متصل العرى متتابع الحلقات .

* * *

## ٣ - بين التاريخ للعربية وتاريخ البحث اللغوى فيها

وفى جهدنا هذا الذى نحاول فيه إبراز أهمية التأريخ للغة العربية ذاتها ، ونحدد مناهجه ، ونميز بينه وبين مجالات التأريخ اللغوى أو الأدبى الأخرى ، فإنه يهمنا هنا بصفة خاصة أن نميز تمييزا واضحا بين هذا الجهد المنهجى الهادف فى التأريخ للعربية من ناحية ، وبين محاولات التأريخ للنحو العربى ، والبحث اللغوى فى العربية من الناحية الأخرى . ويرجع هذا الحرص الشديد من جانبنا على التمييز الواضح بين هذين المجالين إلى عدد من الاعتبارات المنهجية التى نعرض أهمها فيما يلى :

أولا : ان الخلط قد تم فى الماضى بين « اللغة » من ناحية و « النحو » من الناحية الأخرى ، بصورة أدت إلى الكثير من المفاهيم الخاطئة ، والتصورات الواهمة بحيث صار الكثيرون منا يحسبون أن أى دعوة إلى تيسير النحو تعنى بالضرورة الدعوة إلى تغيير اللغة ، أو أن أى محاولة لإعادة تفسير أى ظاهرة نحوية فى اللغة ، إنما هى ثورة على اللغة نفسها . وأمثلة هذا الخلط فى حياتنا اللغوية كثيرة ، أوضح من أن تحتاج إلى إفاضة أو بيان . ولعل من أهم أسباب هذا الخلط فى لغتنا أننا نسمح بإطلاق كلمة « اللغة » مع إرادة « علم اللغة » أو « علوم اللغة » — على حذف المضاف والاكتفاء بالمضاف إليه — وهكذا أصبح الناس يقولون « اللغة » ويقصدون بذلك — حيناً — وسيلتنا فى التعبير عن الأفكار والانفعالات ، أو ما ننطقه أو نكتبه فى شئون حياتنا ، أو لحظات إلهامنا ، من وجوه التخاطب ، أو فنون الأدب . ثم يقصدون بذلك نفسه - حينا آخر — « نحو اللغة » أو « علم اللغة » أو « معجم اللغة » . وقد أدى هذا الاشتراك اللفظى بين المدلولين إلى الخلط المعنوى والذهنى بينهما .

وحسبنا هنا أن نشير إلى أن من أبرز مظاهر الخلط انتقال عدوى الحب والتقديس والغيرة من « اللغة » إلى « نحو اللغة » . حتى إن أستاذاً فى جامعاتنا حين يحاول أن ينبه طلابه إلى أن النحو العربى أغفل كذا ، أو أهمل النظر فى كذا ، يواجه بالطلاب ثائرين محتجين ، موضحين أن ذلك ما كان يمكن أن يفوت عبقرية اللغة العربية ، ولكن لعل كذا أو كذا — هو السبب فى إهمال اللغة المظهرى لهذه الظاهرة . ويفوت هؤلاء أنه شتان بين من ينقد النحو العربى ، ومن ينقد اللغة العربية . وأن الفرق هائل بين قولنا مثلا : « لقد أغفل نحاة العربية دراسة ظاهرة النبر » وبين قولنا : « إن اللغة العربية — لغة امرىء القيس ، والنابغة ، ولغة القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولغة طوائف العرب فى كل زمان ومكان — تخلو من النبر » .

ولا يتوقف الخلط بين « اللغة » و « النحو » عند الطلاب والدارسين ، بل يمتد ليشمل الكثيرين من العلماء والمتخصصين فى القديم والحديث . فقد ادعى ابن فارس مثلا أن علم النحو فى اللغة العربية قديم كقدمها ، ومنزل كتنزيلها . ولم يشأ متخصص معاصر كالدكتور أحمد مختار عمر أن يرفض ذلك رفضاً صريحاً

— وهو ما ينبغى — فقال فى كتابه « البحث اللغوى عند العرب » ( ص ٦٤ ) : « وفى رأينا أن النحو العربى قد نشأ فناً قبل أن يكون علماً ، أى أن هذه الطرق الخاصة بالأداء فى اللغة العربية قد التزمت باضطراد فى تراكيبها ، وأساليبها ، ومرنت عليها ألسنة العرب ، وتمكنت من طبائعهم ، قبل أن توضع لها القواعد النحوية » .
ونحن نرى فى مقال الدكتور مختار من التكلف والافتعال ما لا داعى له أبداً . فناطق اللغة الطبيعية — اللغة الأولى التى يولد الطفل بين أهلها ، ويتلقاها عن أمه مع ارتضاع لبنها ، والنمو على رعايتها وحنانها — يستعملها استعمالا فطرياً أو سليقياً ، دون حاجة إلى معرفة أى نحو — كفن أو كعلم — بينما يبدأ الجهد النحوى — حين يبدأ على الإطلاق — عند ما يتم تحليل هذا النطق الفطرى ، واستنباط القواعد التى يخضع لها .

ولأن الخلط بين « اللغة » و « النحو » كثيرا ما وقع فى القديم والحديث . إلى حد أن عالما بارزا كابن فارس — وهو من هو — قد أنزلق إليه فإننا نخشى أشد الخشية أن يتم خلط آخر بين « تاريخ اللغة » و « تاريخ النحو » ، ولذلك فإننا نحرص أشد الحرص على التمييز الواضح بين المجالين .

ثانياً : إن عناية الباحثين والدارسين والمؤلفين قد اتجهت اتجاها واضحا منذ القديم إلى التأريخ للنحو والدراسات اللغوية ، وتمثل ذلك فى التراث الهائل الذى تحويه مكتبتنا الآن من كتب طبقات النحاة واللغويين . فضلا عما ورد من التأريخ للنحو ، وأعلام رجاله ، وأشهر كتبه فى الموسوعات ودوائر المعارف . وقد انتقلت هذه العناية بالتأريخ للنحو من القديم إلى الحديث فأصبحنا نرى تاريخ النحو ، أو تاريخ البحث اللغوى ، أو تاريخ المدارس النحوية . منهجا مقررا يدرس للطلاب فى كثير من الجامعات والمعاهد ، كما أنجز فى هذا المجال العديد من البحوث والرسائل للدرجات العلمية العليا ، وأصدرت المطابع فيه العشرات من الكتب والمؤلفات .

أما التأريخ للغة العربية على النحو الذى نتصوره ونخطط له فلم يحظ ( على ما نعرف ) باهتمام يذكر فى القديم . وحين بدأت همم العلماء تتجه إليه فى الحديث بادرهم وهم فى التصور ، أو خطأ فى المنهج ، أو عاجلهم الخلط بين اللغة والنحو ، فلم يقدموا فى تاريخ اللغة العربية ما يروى ظمأ أو يشفى غليلا ، ونحن نعرض هنا لأربع دراسات معاصرة فى تاريخ العربية لنرى كيف بعدت عن الهدف المقصود .

**الدراسة الاولى** : أخرجها الأب أنستاس مارى الكرملى بعنوان « نشوء اللغة ونموها واكتهالها » المطبعة العصرية بالقاهرة ١٩٣٨ — وقد يحسب من يطل على العنوان أن الكتاب هو غاية المريد فى التأريخ العربية فى جميع مراحل حياتها ، تأريخا منهجيا . ولكننا لا نلبث حين نتصفح الكتاب أن ندرك بعده عن المطلوب تماماً . ولنقرأ بعض ما كتبه المؤلف فى تصدير

كتابه لنعلم أنه يمضى فى واد، وما يريده المؤرخ للعربية يقع فى واد آخر مختلف عنه كل الاختلاف. يقول المؤلف:

هذا بحث لغوى. جريت فيه على الأسلوب الحديث، تمحيصا للحقيقة، ودفاعا عن اللغة المضرية، وإيضاحاً لما فيها من دقائق الأوضاع وخفايا الأسرار، وغوامض الحروف وخصائصها، وبدائع الصيغ وأوزانها ومافيها من مختلفات لُغى القبائل متوقعاً به البلوغ إلى الحق، غير مبتغ أجرا ولاشكورا، إنما كل أمنيتى خدمة العربية وحمل أبنائها على السير فى هذا المنهج ... وهكذا لايمثل الكتاب تأريخا منهجياً للغة العربية، وإن مس بعض جوانب التطور اللغوى فيها كتكوين الجذور اللغوية وكيف بدأت ثنائية ثم ثلثت، ثم ربعت، أو خمست. وكالمقابلة بين الألفاظ العربية ونظائرها فى الأسرة السامية أو الهندو - أوربية ولايمس المؤلف مايمكن أن يسمى تأريخا للعربية إلا فى صفحة ١٠٦ من كتابه حين يتحدث فجأة عن بلوغ العربية عمر الكهولة - والغريب أنه يعنى به اكتمال قواها الداخلية والخارجية — وكأنما يرادف بين الاكتهال والاكتمال - فيقول: .. فقد مرت مئات من السنين، وبلغ المتكلمون كل غاية ومدى، حتى لم يبق لهم إلا أمر واحد، هو الاحتفاظ بما وقع فى أيديهم، وألا يساء التصرف فيه.

ويمضى المؤلف فى بيان ما اكتمل للعربية عند ذلك من أوزان، وماظهر فيها من إبداع برزت به اللغات الأخرى حتى من بنات أمها كالعربية والآرامية ونحن لانستطيع أن نعتبر مثل ذلك بحال تأريخا منهجياً للغة العربية، رغم صراحة الصلة بين عنوان الكتاب وبين هذا المجال المنشود.

**الدراسة الثانية**: أخرجها فضيلة الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، وعضو مجمعى القاهرة ودمشق، فى كتاب اسماه «دراسات فى العربية وتاريخها» طبعة ثانية، مكتبة دار الفتح بدمشق ١٩٦٠ - ويضم دراسة مستقلة أسماها المؤلف «فى حياة اللغة العربية». والمطلع على العنوان العام لهذا الكتاب، وعلى عنوان هذه الدراسة المستقلة قد يأمل أن يجد فيهما تأريخا منهجيا للغة العربية، ولكنه يرتد حين يقرأ صفحات الكتاب — على ثراء ما فيها - بقدر كبير من الشعور بالخيبة لعدم عثوره على ضالته المنشودة وهى التأريخ للعربية. إن أبحاث الكتاب تنحصر فى: القياس فى اللغة — حياة اللغة — الاستشهاد بالحديث التضمين — تيسير وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها - حول تبسيط قواعد النحو والصرف والرد عليها - الإمتاع بما يتوقف تأنيثه على السماع، وهى فصول قد يتصل بعضها بتاريخ العربية، ولكنها لايمكن أن تعتبر دراسة موضوعية منهجية لهذا المجال الهام من دراسة اللغة العربية.

أما الدراسة المستقلة وهى «حياة اللغة العربية» التى تبدأ وحدها ببسملة ومقدمة يقول يقول فيها المؤلف: «فالغرض إنما هو البحث

عن حال اللغة فى حد نفسها ، من جهة أطوارها وحكم وضعها ، واتساع نطاقها ، وارتقائها مع المدنية - فإنك لاتكاد تقع فى صفحاتها العديدة على مايمكن أن تعتبره تأريخا للعربية إلا على سطور محدودة : تقع فى ص ١٢٠ حينما يقفز المؤلف فى تأريخه للغة من عهد سام بن نوح إلى عصر عكاظ والنابغة الذبيانى فيما لا يبلغ سطور صفحة واحدة . ثم فى ص ١٥٥ حين يوضح المؤلف وجوه ارتقاء اللغة مع المدنية ، وتجاوبها مع التطورات الحضارية ، بوسائل محددة كاقتراض الألفاظ وتعريب المصطلحات ونحو ذلك .

وفيما عدا ذلك فإن كتاب أستاذنا الجليل الشيخ الخضر لا يقدم علاجا منهجياً للتأريخ للعربية ، ولا مادة كافية يستطيع أن يستعين بها من يهدف إلى القيام بمثل هذا العلاج .

**الدراسة الثالثة :** أخرجها المؤلف الجواد المرحوم جرجى زيدان بعنوان « اللغة كائن حى » الذى أصدرته دار الهلال بتقديم طويل للمرحوم الدكتور مراد كامل ، والواضح لمن يفحص هذه الدراسة — التى يتضح من عنوانها أنها تأريخ لنشأة اللغة ونموها وارتقائها ، كما يؤرخ للكائن الحى - أن تصور مؤلفاتها للتأريخ للغة ، أوسع مما شملته مادة هذه الدراسة .

فالتأريخ للغة فى نظر المرحوم جرجى زيدان — كما يقرر فى مقدمته لهذا الكتاب — لا تقتصر على تناول النظر فى ألفاظ اللغة وتراكيبها بعد تمام تكونها ، بحيث يبحث فيما طرأ عليها من التغيير بالتجدد أو الدثور ... مع قيام الأحوال التى دعت إلى دثور القديم وتولد الجديد — وإنما يتناول البحث فى تاريخ اللغة أيضا :

١ — النظر فى نشأتها منذ تكونها مع ما مر عليها من الأحوال قبل زمن التاريخ ، كتكون الأفعال والأسماء والحروف وتولد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك .

٢ — النظر فيما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالأمم الأخرى ، واكتسابها من لغاتهم ألفاظاً وتعبيرات جديدة ، كما يقتبس أهلها من عادات تلك الأمم ، وأخلاقهم وآدابهم ، وما يرافق ذلك من تنوع معانى الألفاظ بتنوع الأحوال ، مع حدوث صيغ جديدة ، وألفاظ جديدة .

٣ — النظر فى تاريخ ما حوته اللغة من المعارف والعلوم والآداب .

وجميل من جرجى زيدان أن يعترف — بعد بيان هذه الجوانب الأساسية التى ينبغى أن يغطيها أى تأريخ شامل للغة العربية — بأنه ليس فى وسعه فى ذلك الكتاب أن يدرس تاريخ العربية على هذا النحو من الاتساع والشمول . ولذلك فإنه سيقتصر على تأريخ العربية فى الدور الثانى من هذه الأدوار الثلاثة ، وهو الذى يعنى بالتأريخ لألفاظ العربية وتراكيبها بعد تكونها

وبالفعل جاء هذا الكتاب لجرجى زيدان ، محاولة للتأريخ للألفاظ العربية فى مختلف العصور ،

ابتداء من العصر الجاهلي ، وبيان ما اقترضته العربية من غيرها من اللغات ، سواء من داخل الأسرة السامية أو خارجها ، وهكذا فإننا لا نستطيع اعتبار هذه الدراسة لجرجي زيدان تأريخا للغة العربية ، بقدر ما هي محاولة لتتبع ظاهرة التعريب في مختلف العصور . وحتى في هذا المجال الضيق فإننا نأخذ على هذه الدراسة أمرين:

الأول : عدم إيضاح الوسيلة العلمية المقنعة في التمييز بين ما يكون مشتركا من الألفاظ بين اللغة العربية وأخواتها السامية منذ الأصل والبداية من ناحية ، وما تكون العربية قد اقترضته أو عربته من هذه اللغات من الناحية الأخرى . فمجرد التقارب اللفظي والمعنوي لا يكفي دليلا على الاقتراض .

الثاني : عدم إيضاح الوسيلة التاريخية المقنعة التي مكنت المؤلف من تحديد عصر دخول هذا اللفظ أو ذاك إلى العربية من لغة أخرى . فكيف استطاع المؤلف مثلا أن يحدد أن لفظاً بالذات قد عرب منذ الجاهلية ، أو في عصر لاحق من العصور الإسلامية حتى العصر الحديث ؟

ولكننا مع ذلك نزكي هذه الدراسة للمرحوم جرجي زيدان . فهي محاولة جادة لتغطية جانب محدد من التأريخ للعربية ، هو التأريخ لمفرداتها ، والمؤلف بسعة أفقه يعرف أن مجال التأريخ للعربية أوسع من هذا المجال . بل إنه ليبدو لنا أن تصور المؤلف لمجال تأريخ العربية أوسع من تصور الدكتور مراد كامل الذي قدم الكتاب ، والذي ركز على الحاجة إلى المعجم التأريخي للغة ، حتى لكأنه حسب أن التأريخ للغة ليس إلا وضع معجم تأريخي لألفاظها ، فيقول الدكتور مراد في مقدمته ( ص ١٧ ) : « ومن هذا نرى أن النقص في دراسة تاريخ اللغة العربية واضح ، إذا وازنا بين ما تناولته كتب اللغة في الواقع ، وما كان ينبغي أن تتناوله ... فمهمة العالم اللغوي أن يحصر الألفاظ ويجمعها ، كل كلمة على حدة . عن أصلها واشتقاقها ، وعن درجة قدمها ، وعن وجودها في اللغة العربية وحدها ، أو اشتراكها فيها مع أخواتها السامية كلها أو بعضها ، وعن مصدرها إذا كانت دخيلة أو مبتكرة أو مولدة .. ومن تغير شكلها أو معناها وبهذا يكون لكل كلمة في اللغة تاريخ وترجمة لحياتها ويتكون المعجم من هذه الكلمات وتواريخها » . ولا يشير الدكتور مراد كامل إلى أي جانب آخر من جوانب التاريخ للغة وهكذا تبقى هذه الدراسة لجرجي زيدان ومقدمتها لمراد كامل محدودة النفع . قليلة الجدوى لمن يريد أن يكتب تاريخاً شاملا منهجياً للغة العربية .

**الدراسة الرابعة** . أصدرها الدكتور محمود حجازي في الكتاب رقم ١٩٧ من سلسلة المكتبة الثقافية التي تصدرها وزارة الثقافة المصرية بعنوان « اللغة العربية عبر القرون » — يناير ١٩٦٨ — وقد يخال من يهتم بدراسة تاريخ اللغة العربية حين يطالع عنوان هذا الكتاب أنه قد وقع على طلبته من العرض المنهجي التاريخي لأطوار العربية منذ مهدها الأول إلى عصورها الأدبية المشرقة ، ثم إلى حاضرها المكين ، بل ومستقبلها الزاهر ( إن شاء الله ) . ولكن مرة أخرى يحس المعنيّ بالدراسة المنهجية لتاريخ العربية

بشيء من خيبة الأمل حين ينتهى من مطالعة صفحات هذا الكتيب . ولا بد أن نثنى على صراحة المؤلف وصدقه حين يقول فى مقدمته : « هذه محاولة متواضعة لرسم القسمات البارزة فى تاريخ اللغة العربية فى رحلتها الحافلة عبر القرون . وهذه الصفحات عرض موجز لهذا الموضوع الزاخر بالصعاب المنهجية والقضايا العلمية . وفيها ثغرات وجوانب قصور تعكس قلة الأبحاث الجزئية فى الموضوعات قيد البحث . ولكننى آمل أن يجد القارىء الكريم فيهـــا ما ينشده من الفكرة الشاملة ، والعرض العلمى المبسط » .

والحق أن القارىء المنصف ، المعنى بتاريخ العربية قد يجد فى الفصول العشرة التى يضمها هذا الكتيب حلقات من تاريخ العربية منثورة نثراً غير متصل أو مترابط . إن الكتاب لا يقدم عرضاً منهجيا متصلا لتاريخ العربية حدثت فيه بعض الثغرات ، وإنما هو حلقات منفصلة قد تضيق إلى حد ما من الاتساع المخيف للثغرات القائمة فى تاريخ العربية ، ولكن تبقى تلك الثغرات واسعة رهيبة بين كل حلقة وأخرى . هذا فضلا عن أن الكتاب لم يبدأ بمقدمة توضح خطته ، ولم ينته بخاتمة تلخص نتائجه ، ولم يعط أى قوائم بمصادر يكون المؤلف قد استعان بها ليستطيع الدارسون من بعده استشارتها . وهذه كلهـا نواحى قصور لا يبررها صـــدور الكتاب فى سلسلة للثقافة الشعبية ، لأن المفروض أن المنهجية فى العرض تجعل المتابعة والفهم أكثر يسراً وأقل عناء . فكلما قلت خبرة القارىء وضاقت حدود معرفته وجب على المؤلف أن يبذل جهدا أكبر فى الالتزام بالمنهجية ، والتتابع المنطقى ، والربط بين النتائج ومقدماتها . وليس العكس .

وعلى الرغم من بعد هذا الكتيب القيم عن تحقيق ما نبتغيه من تقديم دراسة منهجية متسقة ، متصلة الحلقات لتاريخ اللغة العربية فإنه يأتى أقرب النماذج التى عرضناها إلى تحقيق ما نريد ، وإن كان لا ينهض لسداد الحاجة القائمة .

* * *

ولعلنا بعد هـــذا الغرض الهادىء لتلك الدراسات الحديثة فى مجال التأريخ العربية تلمس صدق ما قررناه من أن مجال التأريخ للغة العربية على خلاف مجال التأريخ للنحو العربى ، قد أهمل إهمالا يكاد يكون تاما فى القديم ، كما اضطربت الدراسات المعدودة التى اتجهت إليه فى الحديث ، فقصرت عن بلوغ الغاية وتحقيق المراد .

ثانياً : إن مجال التأريخ للغة يختلف اختلافا كبيرا عن مجال التأريخ لنحوها أو للبحث اللغوى فيها ، فمجال التأريخ للغة أوسع زمانا ومكانا ، وأكثر بالبشر احتشادا من مجال التأريخ لنحوها بكثير .

أما فى مجال الزمان فحسبنا أن ندرك أن التأريخ يحاول أنّ يرجع إلى الوراء حتى يصل إلى أقدم ناطق يمكن الرجوع إليه يكون قد استعمل هذه اللغة فى صورتها الحالية أو فى أى صورة يمكن أن تكون الصورة الحالية تطورا عنها . وامتدادا لها . بينما لا يرجع تاريخ البحث اللغوى

إلا إلى أقدم « نحوى » أو « باحث لغوى » يكون قد جعل هذه اللغة مادة لدراسته وتحليله ، لحاول أن يصف عناصرها ، ويحلل تراكيبها ، ويجمع مادتها ، ويستقرئها ويستنبط قواعدها التى تخضع لها . والفرق الزمنى بين أقدم ناطق باللغة ، وأول باحث لغوى لها ، قد يكون مئات أو ألوفا من السنين . فنحن نعلم — أو ينبغى أن نعلم — أن اللغة قد تمضى عليها مراحل طويلة من الزمان ، وتجتاز العديد المتتابع من القرون ، يستعملها أهلها دون أن يفكر أحد فى تحليلها أو التقعيد لها . بل إن هناك فى العالم فى وقتنا الحاضر المئات من اللغات التى يستعملها أصحابها منذ كان لآبائهم وأجدادهم وجود على هذه الأرض وقد يرتد ذلك إلى عصور ضاربة فى أغوار ما قبل التاريخ — ولم تقم حتى الآن لهذه اللغات دراسة لغوية ، ولم يوضع لها بعد أى نحو . ولعل مثل ذلك الواقع أن يوضح الفرق فى المجال الزمنى بين « التأريخ للغة » ، من ناحية ، و « التأريخ لنحوها » من الناحية الأخرى .

إن تأريخنا للغة العربية يجب أن يبدأ من حيث نستطيع أن نضع يدنا على أول مجموعة بشرية تكون قد أقامت فى جزيرة العرب ، ونطقت بلغة عربية ، حتى ولو لم تكن هذه الجماعة قد عرفت بعد باسم العرب ، وحتى ولو لم تكن اللغة التى كانوا ينطقونها قد أطلق عليها حينذاك اسم « العربية » . ولا يتحتم أن تكون اللغة التى نطق بها أولئك القوم شديدة الشبه ، أو قوية التماثل بالعربية التى عرفناها فى عصورها التاريخية المتأخرة . بل يكفى أن يكون بينهما من الشبه والتماثل ما يتيح للدارس والباحث أن يتلمس خطوط التطور بين المرحلتين السابقة واللاحقة ، ووجوه العلائق بين الوضعين الأقدم والأحدث . وإذا ما قبلنا حقيقة أن التأريخ للعربية يبدأ — أو ينبغى أن يبدأ — من تلك البداية السحيقة ، وأدركنا أن التأريخ للبحث اللغوى عند العرب لا يستطيع أن يبدأ إلا من العصر اللاحق لظهور الإسلام عندما دعت الظروف التاريخية المعروفة إلى ظهور رجال يهتمون بدراسة اللغة العربية والتقعيد لها ، كعلىّ ابن أبى طالب ( رضى الله عنه ) وأبو الأسود الدؤلىّ — على احتمال — أو كالخليل وسيبويه ومعاصريهم وتلاميذهم من الباحثين والدارسين بقدر كبير من اليقين — فإننا نستطيع أن ندرك الفرق الشاسع فى المجال الزمنى بين التأريخ للغة من ناحية ، والتأريخ لنحوها والبحث اللغوى فيها من الناحية الأخرى .

والفرق فى مجال المكان بين التأريخ للغة والتأريخ لنحوها لا يقل ضخامة أو اتساعا عن الفرق فى مجال الزمان . فالمؤرخ للغة لا بد أن يمضى معها ويتتبع خطاها إلى أى مكان تكون قد بلغته ، وأى رقعة حدث أن وصلتها ، واستعملت فيها . فالمؤرخ المنهجى للغة لا يقنع بالسعى وراءها فى العواصم السياسية أو الثقافية ، أو فى مراكز التدريس والبحث ، أو فى مقارّ

الحكم والسلطان ، أو فى دواوين الإدارة ، أو أسواق التجارة ، أو أماكن التجمع الزراعى أو الصناعى ، فى هذا أو ذاك ، لأن المؤرخ للغة يعلم أن كل ناطق فطرى باللغة حجة فيها ، وأن عليـــه أن يقتفى آثار الناطقين بها جميعا حيث يوجدون ، وأينما يذهبون ، حتى فى الفيافى والصحراء والنجوع والكفور ، والقـــرى والدساكر ، بل وفى البر والبحر ، وفى القارة والجزيرة ــ بحيث لا يهمل مكانا استعملت فيه اللغة دون أن يغطيه، ولا يغفل رقعة دارت فيها دون أن يأخذها فى الاعتبار .

أما المؤرخ للبحث اللغوى فيحبس نشاطه اللغوى على مراكز التجمع الثقافى والإشعاع الفكرى ، والمؤسسات التربوية . فهو يتجاهل الملايين من الناطقين باللغة فى الألوف من البقاع والأماكن التى لم يظهر فيها عالم نحوى ، أو يبرز بين جنباتها باحث لغوى ، ليقصر نفسه على الآحاد من العلماء والباحثين الذين عنوا بدراسة نحو اللغة ، أو قاموا بالبحث اللغوى فيهـا . وهؤلاء عادة يستقرون فى العواصم الثقافية ، ويتركزون فى المؤسسات التربوية والتعليمية . ولذلك لا نعجب إذا وجدنا المؤرخين للنحو العربى يتتبعون أنشطة البحث اللغوى فى مراكز معدودة ، وعواصم محدودة . طالما أن الذى يحدث هو أن العالم اللغوى ( مهما انتمى فى الأصل إلى قرية نائية أو بادية سحيقة ) تحمله الرغبة فى نشر علمه ، ولقاء العدد الأكبر من تلاميذه ، وتحقيق ذاته ، وفى الحصول على الجزاء المادى والأدبى لجهوده إلى هجرة وطنـه الأول ، وترك مسقط رأسه الأصيـــل ، والاستقرار فى حاضرة للعلم والمدارسة ومركز للإشعاع والتثقيف . ونظرة سريعة إلى واحد من أحدث كتب التأريخ للنحو العربى ككتاب الدكتور شوقى ضيف عن « المدارس النحوية » ( دار المعارف بمصر ١٩٧٢ ) تؤكد صدق ما نقول . فهذا الكتاب الضافى يؤرخ للمدارس النحوية فى المراكز التالية : البصرة ــ الكوفة ــ بغداد ــ الأندلس ( وبخاصة فى قرطبة ) ــ مصر ( وبخاصة فى القاهرة ) . وهكذا فإن المجال المكانى للمؤرخ للنحو العربى قد لا يتجاوز عدداً محدوداً من الحواضر ، بينما يتحتم على مؤرخ اللغة أن يتتبعها فى كل بقعة استعملت فيها مهما كانت منعزلة أو موحشة ، وفى كل رقعة وصلت إليها مهما كانت بعيدة أو نائية .

يبقى علينا أن نسجل الفرق الشاسع فى العنصر البشرى الذى يتحتم على كل من مؤرخ اللغـة ومؤرخ النحو ملاحظة نشـاطه . وتسجيل إنتاجه . فالمؤرخ للغة يعنى بنشاط كل ناطق طبيعى لها منذ كانت ، إلى الآن ، سواء تمثل هذا النشاط فى حوار منطوق ، أو أثر مكتوب . إن على مؤرخ اللغة ببساطة أن يحاول التعرف على كيفية جريان اللغة على لسان كل ناطق طبيعى بها أو قلمه ، مهما كانت حرفته ، ودرجة ثقافته . وبيئته وعصره ، وعمره الزمنى ، ومستواه العقلى والاجتماعى ، ودينه ولونه . فكل واحد من ملايين الملايين الذين استعملوا اللغة على أنهـا

لغتهم الأم جدير - إذا ما توصلنا إلى كيفية استعماله للغة - أن يأخذ حظه من اهتمام من يؤرخ لتلك اللغة . إذ أن طريقة استعمال كل واحد من هؤلاء الملايين أو البلايين هى التى تحدد السمات العامة للغة التى يؤرخ لها ، والتى تميزها عن غيرها ؛ كما أنها هى تميز بين المختلف من لهجاتها ، وتبرز الصفات التى تحدد خطوط تطورها ، والأسباب التى تؤدى إلى تفاوت أنماطها ومستوياتها الأدبية .

بل إن المؤرخ للغة لا يكتفى بالاهتمام بالنشاط اللغوى المنطوق أو المكتوب لأبناء اللغة الطبيعيين ، فكثيراً ما يتجاوز اهتمامه ذلك إلى ملاحظة كيفية استعمال اللغة على لسان غير أبنائها ممن يتلقونها بالتعلم ، ويستعملونها كلغة ثانية أو ثالثة . وذلك لأن مثل هؤلاء قد يتركون آثارهم الباقية على اللغة مما لا يستطيع أن يتجاهله من يؤرخ لأحوال اللغة فى عصورها المختلفة ، ومراحلها المتتابعة .

وأبعد من هذا ، فإن على المؤرخ أن يلاحظ استعمال أبنائها لغيرها من اللغات ، فالكثير من خصائصها قد يتكشف فى تلك الحالات بصورة أجلى ، ويبرز على نسق أوضح ، وذلك عند مقارنة العسر أو اليسر الذى يلقاه أبناء اللغة التى نؤرخ لها عند استعمال لغة أخرى سواها ، أو محاولة لى لسانهم بنظام لغوى مخالف لها . فالواحد ما عندما يستعمل فى التفكير أداته اللغوية الطبيعية كاللغة العربية ، ثم يحاول التعبير بلغة مكتسبة كاللغة الإنجليزية ، فإن قدراً من الانحرافات فى استعماله للغة الإنجليزية يكون مرده إلى تفكيره بالعربية ، وقدراً آخر إلى العادات النطقية العربية التى ترسخت عنده وتمكنت منه . ودراسة هذه الانحرافات دراسة علمية تقود إلى إدراك أدق النواحى للخلاف بين اللغتين ، مما يعتبر جزءاً من تاريخهما معاً .

وهكذا يتسع ميدان العنصر البشرى أمام المؤرخ للغة اتساعاً شديداً بحيث لا يستطيع المؤرخ أن يكتفى بمراقبة استعمال أبناء اللغة الطبيعيين لها ؛ بل تشمل ملاحظاته استعمال غير أبنائها الطبيعيين لها أيضاً ، كما تشمل استعمال أبنائها الطبيعيين لغيرها من اللغات .

فإذا نحن قارنا هذا بنشاط العنصر البشرى الذى تلزم ملاحظته فى مجال التأريخ للغة ضمر العدد إلى كسور ، وتضاءلت النسبة إلى جزء من الآلاف أو من الملايين . فالعنصر البشرى فى مجال مؤرخ البحث اللغوى مقصور على العلماء والباحثين الذين عنوا بدراسة اللغة ، والتقعيد لها ، حتى ولو لم يجيدوا نطقها ، أو يكونوا من أبنائها . ومثل هؤلاء فى تاريخ البحث اللغوى لأى لغة قد يتجاوزن العشرات أو المئات ، أو يبلغون الألوف ، ولكن من المستبعد جدا أن يعدوا بالملايين أو البلايين التى يمكن أن يبلغها العنصر البشرى الناطق باللغة ، والذى يتحتم أن يؤخذ فى الاعتبار عند التأريخ للغة على مر العصور .

كانت هذه هى الأسباب الثلاثة الرئيسية التى تدعونا إلى التمييز الواضح بين مجال التأريخ للغة

من ناحية ، ومجال التأريخ للبحث اللغوى فيها من الناحية الأخرى .

**٤ ـ لماذا نحتاج الى التأريخ للعربية ؟**

لعله من الحق علينا أن نتساءل عن الدوافع إلى التأريخ للعربيـة ، ولعل من أقوى مبررات توجيه مثل هذا التساؤل ما يبدو من أن علماء العربية الأقدمين لم يوجهوه . أما لماذا لم يوجه علماؤنا الأقدمون مثل هذا التساؤل ولم يفكروا ـ كما نفعل نحن الآن ـ فى وجوب تسجيل تاريخ العربيـة ، فإننا نرى لذلك أسبابا ثلاثة رئيسة :

السبب الأول : هو الربط بين اللغة العربية المجيدة والقرآن الكريم، ثم التكريم والتقديس اللذان نالتهما العربية من جراء هذا الربط ، وكما تعمق الاعتقاد بأن القرآن الكريم هو كلام الله ، اشتد الإيمان بأن لغته (وهى اللغة العربية) إنما هى لغة السماء، اختص الله بها العرب ، ومنحها لهم ، وميزهم بها عن سائر شعوب الأرض، فى جميع حقب التاريخ .

وما دامت العربية هى لغة القرآن ، ولغة السماء ، فكيف يتم التأريخ لها أو تتبع أطوارها، أو بيان انشقاقها عن غيرها من أخواتها فى الأسرة السامية ، أو اكتشاف التطور الطبيعى فى ظواهرها ، والنمو التدريجى فى مادتها ومفرداتها؟ لقد أدى ارتباط اللغة العربية المجيدة بالقرآن الكريم إلى تصور أن اللغة العربية خلقت منذ البداية كاملة ، ثم منحتها السماء للعرب على هذا الوضع من الكمال قبيل الإسلام بفترة وجيزة من الوقت ، تهيؤا لنزول الوحى بها ، وصوغ القرآن الكريم فى كلماتها وأساليبها .

ثم لما صارت هذه اللغة التى اصطفتها العناية الإلهية لينزل بها القرآن لغة الشعب العربى ، وبدأت تتعرض بعد الإسلام لما تتعرض له سائر اللغات البشرية من التغير والتطور ، وبدأ الإحساس بالخوف أن يبعد بها ذلك التطور عن الوضع الذى كانت عليه حينما أوحى بها القرآن الكريم ـ رفض عشاق العربية ومحبوها ، وعلماؤها ودارسوها الاعتراف بأى من هذا التحريف أو التعديل ، أو قبول شىء من ذلك التغيير أو التبديل . وإنما أصروا على تجميد للغة العربية المجيدة على الوضع الذى نزل القرآن الكريم بها عليه ، والحال التى أهدتها السماء للعرب فيها . وما دامت العربية التى تحظى بالإجلال من الناس والاحترام هى تلك التى منحتها السماء للعرب قبيل الإسلام بما لا يزيد كثيرا عن قرن من الزمان ، والتى لم يمكن صونها على حالها بعد ظهور الإسلام بما لا يزيد كثيرا عن قرن من الزمان ـ فإنها لا تحتاج أى تأريخ يغطى حياتها ، ويتتبع أطوارها فى مثل هذا المدى القصير ، الذى لا يمكن أن يتسع لوقوع تطورات هائلة ، أو حدوث تغير كبير .

السبب الثانى : هو أن اتجاه الدراسات الأولى للغة كان تعليميا فى معظم الأحوال . والفائدة التعليمية أو التطبيقية التى ترتجى من التأريخ للغة تبدو ضئيلة أو منعدمة ؛ إذ أن معرفة تاريخ اللغة لا يمكن أن يقوم للناطق بها لسانا ،

أو ييسر عليه حين استعمالها بيانا . وهذا على خلاف دراسة نحو اللغة أو صرفها ، أو بلاغتها أو عروضها ، أو معجمها أو أدبها . ولقد يقال إن التأريخ لنحو اللغة حظى بالعناية والاهتمام منذ القديم على الرغم من ضآلة الغاية التعليمية فيه ولكننا نقول فى الرد على ذلك بأن النحو وجد أولا ليقيم اللسان ، وييسر التمكن من اللغة ، فلما تراكمت مادته ، وتكاثر علماؤه ، وتعددت كتبه وجدت الأجيال اللاحقة من ذلك تراثا ضخما تحوطه هالة كبيرة من التقدير والإجلال . فاتخذت من ذلك التراث مادة لكتابة تاريخ النحو وطبقات النحاة . أما التأريخ للغة نفسها فقد انصرف عنه الأولون ؛ لأن اللغة لم يكن لها فى نظرهم بعد أى تاريخ ؛ ولأن تسجيل أى تاريخ لها ما كان يمكن أن يؤدى إلى غاية عملية أو يحقق فائدة تعليمية . ثم انصرف عنه المتأخرون حتى عصرنا الحاضر؛ لأن الأولين لم يتركوا لهم فيه تراثا، أو يمهدوا لهم إليه طريقا

**السبب الثالث** : هو أن التصورات المتاحة لنا عن الظاهرة اللغوية ، والتى تحفزنا إلى التأريخ للغة ، لم تكن متاحة للأقدمين ، أو لم تتجه إليها فى معظم الأحوال أفكارهم . أو تنشغل بها عقولهم . فتصورنا مثلا عن انتماء اللغات الإنسانية إلى سلالات وأسر وفصائل ومجموعات أمر لم يتمثله الأقدمون على نحو ما نتمثله نحن الآن ، وكذلك فإن حتمية التطور اللغوى وضرورة تفتت اللغات إلى لهجات ثم تباعد اللهجات بالتدريج حتى يتعذر تبادل التفاهم بها فتصبح لغات ، ثم تتعرض هذه اللغات مرة أخرى للتفتت إلى لهجات ... وهكذا دواليك - أمر آخر لا نعتقد أن علماءنا الأقدمين قد أدركوه أو استوعبوه . وبالإضافة إلى هذا وذاك فإن مشاكل الصراع اللغوى بين العديد من اللغات ، وآثاره من الأطراف المشتركة فيه سواء خرجت منه ظافرة منصورة؛ أو متهالكة مقهورة تمثل أمرا ثالثا نظن أن الأقدمين لم يتصوروا أبعاده أو يقدروا آماده .

وكل هذه الأمور ونحوها هى التى يستفز حسن إدراكها همة المؤرخ للغة ويجذب انتباهه وبدون الوعى الكامل لمثل هذه الموضوعات والمسائل لا يمكن أن يكتب للغة تاريخ موضوعى منهجى مقنع .

* * *

كانت هذه فى نظرنا هى الأسباب الثلاثة الرئيسية ، التى صرفت المتقدمين من علماء العربية والمتأخرين منهم عن التأريخ للعربية ، حتى مشارف نهضتنا الثقافية المعاصرة ، وينبغى أن يؤدى زوال تلك الأسباب إلى إزالة العقبات التى عرقلت ظهور التأريخ المنهجى للغة العربية حتى الآن . وليس هناك من شك فى زوال الأسباب الثلاثة السابقة الذكر من آفاقنا الثقافية هذه الأيام

فبالنسبة للسبب الأول : فإننا على الرغم من إيماننا بالعنصر الإلهى فى القرآن الكريم ، نؤكد الطبيعة البشرية فى اللغة العربية . إن اللغة

العربية تمثل فى نظرنا لغة قد ميزتها العناية الإلهية حين اختارتها لتكون لغة القرآن الكريم ولسان خاتم الأنبياء ، والوسيلة التعبيرية للتشريع الإسلامى . ولكن ذلك كله لا يخرج اللغة العربية عن كونها لغة إنسانية ، كسائر اللغات الإنسانية الأخرى . ومن ثم فهى تخضع لما تخضع له تلك اللغات الأخرى من سنن النشوء والتطور وتتعرض لما يتعرض له جميعا من أحوال التبدل والتغير ، ويبنى على هذا أن تاريخ العربية لا يمكن أن ينحصر فى مدى لا يزيد عن قرن واحد قبل ظهور الإسلام ، وما لا يزيد كثيراً عن قرن آخر من ظهور الإسلام وإنما يمتد هذا التاريخ فيرجع إلى الوراء ، حتى يبلغ — إن استطعنا — جدنا الأول آدم وجدتنا الأولى حواء ، ثم تتتابع حلقاته وتتصل ، حتى تبلغ الآن ، وما يجىء بعد الآن من قابل الأزمان .

وبالنسبة للسبب الثانى : فإننا لم نعد نقتصر فيما نتدارسه عن لغتنا العربية على ما تكون له فائدة تطبيقية ، أو غاية تعليمية . وإنما نسعى جاهدين أن نفهم كل شىء عن العربية ، سواء أفاد مباشرة فى تيسير تعليمها أم لم يفد ، لأننا نؤمن بوجوب الفهم العلمى السليم لجميع جوانب الظاهرة اللغوية . والتأريخ المنهجى اللغة من خير ما يعين على بلوغ ذلك الفهم . ولقد أثبتت التجربة أنه كلما زاد فهم الإنسان لظاهرة ما ، زادت قدرته على شرحها وتعليمها ، واللغة لا تمثل استثناء من هذه القاعدة . ومعنى ذلك أن حسن فهمنا الظاهرة اللغوية يعنى زيادة قدرتنا على تعليم اللغة . وهكذا فإن التأريخ المنهجى للغة العربية — والذى يزيد من فهمنا لطبيعة اللغة — يمكن أن تكون له فوائد عملية وتعليمية .

وبالنسبة للسبب الثالث : فإننا نستمتع الآن بما لم يتوفر للسابقين من دارسى اللغة العربية من الاطلاع على حصيلة الدراسات العصرية للظاهرة اللغوية . وهذه التصورات العلمية الجديدة فى المجال اللغوى تؤكد أن لكل لغة تاريخا ، وأنه ينبغى لفهم طبيعة أى لغة معرفة تاريخها ما أمكن . ولهذا فإننا ندعو إلى العناية بالتأريخ للغتنا العربية .

* * *

هل ترانا ما نزال بحاجة إلى الإجابة عن السؤال عن الدوافع إلى التأريخ للعربية ؟ إن كان الأمر كذلك فإننا نستطيع أن نقرر أن أهم الدوافع التى تدعو إلى العناية بالتأريخ للعربية يمكن أن تلخص فيما يأتى :

١ — تعميق فهمنا لطبيعة لغتنا العريقة المجيدة ، لعلنا نكشف بإدراك تاريخها — عن طاقاتها الكامنة ، ومقدرتها على مواجهة التحديات والاستجابة لمقتضيات الحياة فى مختلف البيئات والعصور .

٢ — التعرف على كل الظروف والأحوال التاريخية التى مرت بها لغتنا العريقة وتفاعلت معها حتى نرى كيف تأثر نظامنا اللغوى على مختلف مستوياته بكل مجموعة من مجموعات تلك الظروف .

٣ ــ إبراز جوانب التميز التى توفرت للغتنا وهيأت لها أن تنتصر فى صراعها مع غيرها من اللغات، وأن تمتد بها الحياة وتتصل بينما عانى غيرها من الفناء والممات.

٤ ــ التمكن من الإسهام الناجح فى حل ما يواجه لغتنا المجيدة فى الحاضر والمستقبل من مشاكل وتحديات، فى ضوء ما تقدمه لنا معلوماتنا عن تاريخها من كيفية مواجهتها فى الماضى لظروف مماثلة، وتحديات مشاكلة.

٥ ــ حسن تصورنا للإطارات الداخلية فى نظامنا اللغوى على مختلف مستوياته ثم الإطارات الخارجية التى تتفاعل مع هذا النظام اللغوى وتؤثر فيه، والتعرف على مدى مرونة الإطارات الداخلية للنظام اللغوى عندنا فى الاستجابة لما تقتضيه الإطارات الخارجية من تعديلات، وسنعود إلى شرح ذلك فى القسم الخامس من هذه الدراسة.

ونستطيع أن نضيف إلى كل ما ذكر من دوافع التأريخ المنهجى للعربية أن لغتنا المجيدة تكاد تحتل وضعا فريداً بين اللغات الإنسانية، فعمرها الأدبى يبلغ ألفاً ونصف الألف من السنين، وعمرها الاستعمالى ــ كما تدل على ذلك الدلائل العديدة ــ يسبق ذلك بما لا يقل عن ثلاثة آلاف أخرى من الأعوام، فضلا عن أن اتساع أوطان لغتنا العربية، وتكاثر مستعمليها من عرب ومستعربين، وممن تمثل بالنسبة لهم اللغة الأولى، أو اللغة الثانية، وتوافر ذخائر المعرفة الإنسانية التى حررت بها أو ترجمت إليها كل ذلك يجعلها لغة جديرة بالتأريخ لها، مستأهلة لتسجيل جميع مراحلها وأطوارها، متميزة على أى لغة أخرى فى القديم أو الحديث سواها.

فإذا كانت معظم اللغات الحية المعاصرة قد حظيت بوفرة ما حرر من التأريخ لها فلماذا نسمح أن تبقى لغتنا العربية المجيدة دون تأريخ لها كامل شامل؟!

* * *

**٥ ــ كيف نقوم بالتاريخ للعربية؟**

ينبغى قبل أن نبدأ فى الإجابة على هذا السؤال أن نبادر إلى نفى ما عساه أن يكون قد استقر فى الأذهان، مما قيل فى هذه الدراسة من شرح وبيان، أن على مؤرخ اللغة أن يتتبع كل فرد استعملها نطقا أو كتابة، أو حتى تفكيراً ــ وإن كان قد نطق بغيرها ــ ليرى كيفية استعماله لها، ثم إن عليه أن يغوص وراء كل كلمة من كلمات اللغة، وكل صوت من أصواتها، وكل صيغة من صيغها، وكل تركيب من تراكيبها، وكل أسلوب أدبى من أساليبها، ليرى كيف تم تفاعل هذا أو ذاك مع مر العصور وكر الدهور؟ وكيف تجاوبت هذه الكلمة، أو تلك الظاهرة، لأفاعيل الأيام، وتأثيرات السنين ــ فإن مثل هذا ــ وإن كان يعطى المثالية الكاملة، والأمانة التامه فى عمليه الاستقراء والبحث والتأريخ ــ يخشى أن يغرق المؤلف لتاريخ العربيه فى خضم عميق من بلايين البلايين من التفاصيل، بحيث يتوه فيها ويضيع فلا يصل إلى نتيجة ولا يبلغ مقصداً.

إننا نعرف جميعا أن كمال الاستقراء بهذه الدرجة من الالتزام والعنف فى جميع الأماكن والبقاع، وفى كل المراحل والعصور تبلغ حد الاستحالة والتعذر. وينبغى أن نميز فى التخطيط لأى بحث علمى بين المثاليات المتعذرة والمحالة التحقيق وبين الأهداف الممكن تحقيقها فى الواقع والغايات المحتمل بلوغها بالفعل، ولذلك فإن على المؤرخ للغة أن يحاول تتبع الكليات دون أن يغرق نفسه فى خضم التفاصيل والجزئيات كما أن عليه أن يتتبع التطورات العامة والتغيرات الواضحة، دون أن يجهد نفسه فى فحص النماذج المتماثلة المتكررة. ثم عليه ألا يفرط فى السعى وراء الاستقراء الكامل، وإنما يكتفى فى الاستقراء باختيار «عينات» ممثلة للوضع العام Selection of Representative Samples.

فضلا عما سبق أن قررناه من أن المؤرخ للغة لابد أن يعتمد على الجهود العديدة لغيره فيستعين بالدراسات عن أدب هذه اللغة وتاريخه، ولهجات هذه اللغة وتاريخها، وتراث هذه اللغة وتاريخه، والناطقين بهذه اللغة وتاريخهم، والعقائد والديانات التى اتخذت هذه اللغة وسيلة لها، وأداة للتعبير عنها، والعقائد التى اتخذت هذه اللغة كذلك وسيلة للتعبير عنها، والحضارات واللغات التى احتكت هذه اللغة بها أو تفاعلت معها — فكل ذلك ونحوه من الدراسات الجزئية الأساسية فى التأريخ للغة، ينبغى أن يضعها المؤرخ للغة أمامه دائما لكى يستفيد منها ويستعين بها، فإذا ما توفر لمؤرخ اللغة ذلك كله فإن كتابة تاريخ اللغة — رغم مشقتها الشديدة — تصبح ممكنة، قابلة للتحقيق والتنفيذ.

* * *

إن كل ماينبغى على مؤرخ اللغة القيام به بعد ذلك هو أن يحاول وضع اللغة فى كل مرحلة من مراحلها المتتابعة فى إطارين رئيسيين متميزين نستطيع أن نسمى أحدهما الإطار الخارجى للغة، وأن نسمى الثانى الإطار الداخلى لها. ومتى تم له أن يضع اللغة فى مرحلة بعينها داخل كل من هذين الإطارين فإن عليه أن يحاول توضيح آثار الإطار الخارجى للغة على إطارها الداخلى فى تلك المرحلة نفسها، ثم أن يوضح العلاقة بين أوضاع الإطار الداخلى للغة فى تلك المرحلة، وأوضاعه فى المرحلة التاريخية السابقة لها، والتالية بعدها.

وحين ينجح مؤرخ اللغة فى وضع اللغة بصيغة عامة، وفى مراحلها المتتابعة، داخل هذين الإطارين، فى كل مرحلة على حدة من ناحية، ثم بين الإطارات الداخلية فى المراحل المتتابعة للغة من الناحية الأخرى، يكون قد نجح فى تحرير تاريخ متكامل متصل الحلقات للغة.

ونحن نقصد بالإطار الخارجى للغة الظروف التاريخية العامة التى عاشت فيها اللغة فى هذه المرحلة أو تلك من مراحلها، ويشمل ذلك ضمن مايشمل تحديد المجالين الزمانى والمكانى للغة فى تلك المرحلة، ووصف العناصر البشرية التى استعملت اللغة فيها، وبيان تعداد هذه العناصر البشرية، وطبيعتها، وأنماط حياتها، وعاداتها الاجتماعية، وظروفها الحضارية، والعقائدية، والثقافية والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية ... الخ. إننا نستطيع أن نقول باختصار بأن الإطار

الخارجى للغة فى مرحلة ما يتسع لوصف كل ما من شأنه أن يؤثر فى اللغة من عوامل غير لغوية أو خارجة عن اللغة .

وكذلك فإننا نقصد بالإطار الداخلى للغة العناصر المختلفة للغة ذاتها ، والوحدات الأولية التى تتألف اللغة منها على مختلف مستوياتها . وهكذا فإن الإطار الداخلى للغة يشتمل على حصر أصوات اللغة فى مرحلة معينة ، ثم صيغها ، وتراكيبها ، والإحاطة العامة بألفاظها ومفرداتها ، والمسح الشامل لأدبها ، وتراثها ، والبيان الوافى عن لهجاتها ... الخ ... . إن الإطار الداخلى للغة يضم باختصار كل ما من شأنه أن يوضح طبيعة اللغة وكنهها ، فى المرحلة التى نحاول التأريخ للغة فيها .

ومتى استقر لمؤرخ اللغة رسم الإطار لها فى أقدم مراحلها التى ظهرت إلى الوجود فيها ، والتى حفظ لنا التاريخ بصورة مباشرة أو غير مباشرة ملامحها وأوضاعها ومتى تهيأ لمؤرخ اللغة الربط بين ملامح اللغة فى هذا الإطار الداخلى ، وبين العوامل والمؤثرات التى يضمها الإطار الخارجى — فإنه يكون قد أرخ للغة فى مرحلتها الأولى تأريخا مقنعا مرضيا .

ثم يبقى على مؤرخ اللغة بعد ذلك أن يقوم بتتبع المراحل التالية ، التى اختلف فيها الإطار الخارجى اختلافا واضحا عن وضعه الأسبق ، فيعتبر كل اختلاف بارز ، أو تغير واضح فى هذا الإطار الخارجى مرحلة جديدة من مراحل التأريخ للغة . وبعد أن يتخذ المؤرخ للغة من تغير الإطار الخارجى أمارة مرحلة جديدة ، وبعد أن يحدد الإطار الخارجى فى الوضع الجديد ، ويوضح ملامح الاختلاف بينه وبين الإطار الخارجى فى الوضع الأسبق ، يقوم ببحث آثار تغير الإطار الخارجى فى المرحلة الجديدة على ملامح الإطار الداخلى للغة وقسماته مسجلا بذلك تطور اللغة على مختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والأدبية فى المرحلة الجديدة عما كانت عليه فى الإطار الأقدم ، والمرحلة الأسبق .

وهكذا يمضى المؤرخ للغة فى استعراضه . تتعدد المراحل التاريخية للغة فى نظره باختلاف الإطارات الخارجية التى عاشت فيها اللغة وتعددها . وبتتبع آثار هذا الاختلاف على الإطار الداخلى للغة تتجلى مظاهر التطور فى الظواهر اللغوية المختلفة ، ويتم التصور الكامل للتاريخ اللغوى .

وطالما بقى الإطار الخارجى للغة ثابتا ، تظل المرحلة التاريخية الواحدة للغة ممتدة ، لأن التغير فى النظام الداخلى للغة فى هذه الحالة يكون طفيفا أو منعدما .

* * *

على هذا النحو نستطيع تحرير التاريخ المتكامل المتصل الحلقات المستوعب الجوانب للغتنا العربية المجيدة ، منذ أول بداية لها نستطيع أن نضع يدنا عليها ، إلى وقتنا الحاضر وزماننا المعاصر ، بل إلى آفاق المستقبل ، ورحاب الغد .

وبذلك يكتمل وعينا بلساننا العربى المبين ، وصراعه المتصل من أجل البقاء والازدهار رغم كر الدهور ومر السنين . وكم ندعو الله مخلصين أن يوفقنا فى المستقبل القريب لتحرير ذلك التاريخ

**محمد سالم الجرح**

# ألفاظ العلم الطبيعي في صدر الحضارة العربية

للدكتور جلال شوقي

**تضم** كتب الحكمة النظرية أو كتب الفلسفة العربية علوما كثيرة ، منها — على سبيل المثال — العلم الطبيعى ، والحكمة الرياضية ، والفلسفة الإلهية ، ومن ثم فإن الباحث فى معارف العرب وفضلهم فى مجال الفلسفة الطبيعية لابد له أن يرجع إلى كتب الفلسفة العربية ، وأن يعى تماما ما ورد بها من تعاريف وتعابير حتى يتسنى له تقويم أعمال العرب فى مختلف جوانب الحكمة تقويما سليما منصفا .

ويهدف بحثنا هذا إلى تقديم دراسة موجزة لأهم الألفاظ والتعابير التى كان فلاسفة العرب وعلماؤهم يستخدمونها فى كتاباتهم فى العلم الطبيعى بوجه عام ، وفى مجال خواص الأجسام وصفاتها بوجه خاص ، معتمدين فى هذه الدراسة على المصادر العربية الأصلية مابين مخطوطة ومطبوعة، مؤثرين إيراد النصوص العربية فى كل مقام وموضع، حرصا منا على بيان دلالة هذه الألفاظ فى أدق إطار ، دون تحميل الألفاظ معانى قد تخرج بها عما قصد بها أصلا فى الكتابات الفلسفية العربية .

هذا وقد رأينا من المناسب - بعد عرض موجز لمفهوم العرب للعلم الطبيعى - أن نفرد هذا البحث لدراسة الألفاظ الواردة فى الأمور والصفات والخواص العامة للأجسام، كذا لدراسة الألفاظ الخاصة بالقوى التى تتعرض لها الأجسام من حيث شِدّتها ومُدّتها وعِدّتها .

## تمهيد

**العلم الطبيعي عند العرب :**

حدد علماء العرب وفلاسفتهم مفهومهم للعلم الطبيعى فى كتاباتهم ، فتعرض لهذا المفهوم كثيرون : منهم إخوان الصفا فى رسائلهم ، وأبو نصر الفارابى فى كتابه « إحصاء العلوم » ، والشيخ الرئيس ابن سينا فى مؤلفاته ، والإمام الغزالى فى كتابه « معيار العلم » ، والفيلسوف أبو البركات هبة الله بن مَلكا البغدادى فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » ، ونقدم فيما يلى نماذج من كتابات العرب عن العلم الطبيعى .

يقول إخوان الصفا(١) فى رسالتهم الخامسة عشر(٢) .

« والأمور الطبيعية هى الأجسام وما يعرض لها من الأعراض اللازمة والمزايلة ، وقد عملنا فى هذه العلوم سبع رسائل ، أولها هذه الرسالة التى ذكرنا فيها الهيولى والصورة والحركة والمكان والزمان ، إذ كانت هذه الأشياء الخمسة محتوية على كل جسم » .

ويعرّف المعلم الثانى أبو نصر الفارابى (٣) العلم الطبيعى فى كتابه « إحصاء العلوم » (٤) فيقول :

« فالعلم الطبيعى ينظر فى الأجسام الطبيعية ، وفى الأغراض التى قوامها فى هذه الأجسام ، ويعرف الأشياء التى عنها والتى بها والتى لها توجد هذه الأجسام ، والأعراض التى قوامها فيها .

والأجسام منها صناعية ، ومنها طبيعية ... »

ويعرض الشيخ الرئيس ابن سينا(٥) فى رسالته « الطبيعيات من عيون الحكمة »(٦) لأقسام الحكمة النظرية فيقول :

« وأما الحكمة النظرية ، فأقسامها ثلاثة : حكمة تتعلق بما فى الحركة والتغير من حيث هو فى الحركة والتغير وتسمى حكمة طبيعية .

وحكمة تتعلق بما من شأنه أن يجرده الذهن عن التغير وإن كان وجوده مخالطا للتغير وتسمى حكمة رياضية .

وحكمة تتعلق بما وجوده مستغن عن مخالطة التغير ، فلا يخالطها أصلا وإن خالطها فبالعرض لا أن ذاتها مفتقرة فى تحقيق الوجود إليها وهى الفلسفة الأولى ، والفلسفة الإلهية جزء منها وهى معرفة الربوبية ... »

ولعل الفارابى يوضح مفهوم العلم الطبيعى أكثر فيقول فى كتابه « إحصاء العلوم »(٧) :

« والعلم الطبيعى يعرف الأجسام الطبيعية بأن يضع ما كان منها ظاهر الوجود وضعاً ، ويعرف من كل جسم طبيعى مادته وصورته ، وفاعله والغاية التى لأجلها وجد ذلك الجسم ، وكذلك فى أعراضها فإنه يعرف ما به قوامها والأشياء الفاعلة لها والغايات التى لأجلها فعلت تلك الأعراض ، فهذا العلم يعطى مبادىء الأجسام الطبيعية ومبادىء أعراضها » .

ويعرف الإمام محمد أبو حامد الغزالى(٨) الطبيعيات فى كتابه « معيار العلم »(٩) فيقول :

« ولكل علم موضوع ... »

---

(١) من علماء وفلاسفة القرن العاشر الميلادى .
(٢) هى نفسها الرسالة الأولى فى الجسمانيات الطبيعيات .
(٣) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى ، توفى عام ٩٥٠ م وقد ناهز الثمانين من عمره .
(٤) كتاب « إحصاء العلوم » للفارابى ، تحقيق الدكتور عثمان أمين ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ ، صفحة ١١١ .
(٥) عاش فى الفترة : ٣٧٠ — ٤٢٨ هـ ( ٩٨٠ — ١٠٣٧ م ) .
(٦) « تسع رسايل فى الحكمة » لابن سينا ، صفحة ٣ .
(٧) الطبعة الثالثة بالقاهرة ، سنة ١٩٦٨ ، صفحة ١١٦ .
(٨) عاش فى الفترة : ٤٥١ — ٥٠٥ هـ (١٠٥٩ — ١١١١م) .
(٩) كتاب القياس — النظر الرابع فى لواحق القياس — طبعة دار المعارف بالقاهرة ، صفحة ٢٥١ .

وموضوع العلم الملقب بالطبيعى : جسم العالم من جهة ما يتحرك ويسكن » .

ويقول أبو البركات هبة الله بن على بن ملكا البغدادى[10] فى كتابه « المعتبر فى الحكمة »[11] :

« ... ... فعلى هذا يسهل طريق التعلم الحكمى الذى يكون بالنظر والاستدلال ، وهذا القانون بعينه يستعمل فى هذا العلم المسمى بالعلم الطبيعى المنسوب إلى الطبيعة ، وهو المشتمل على العلم بساير المحسوسات من الحركات والمتحركات والمحركات ومامع الحركات وبالحركات والمتحركات وفى المتحركات من الآثار المحسوسة » .

ويمضى ابن ملكا فى الورقة الخامسة من نفس المخطط قائلا :

« ... ... وقوم سمّوا بالطبيعة كلّ قوة جسمانية ، أعنى كل مبدأ فعل يصدر عن الأجسام بما وجوده فيها ، فتكون الأمور الطبيعية هى الأمور المنسوبة إلى هذه القوة ، إما على أنها موضوعات لها ولما يصدر عنها كالأجسام ، فيقال أجسام طبيعية ، وإما آثار وحركات وهيئات صادرة عنها كالألوان والأشكال .

والعلوم الطبيعية هى العلوم الناظرة فى هذه الأمور الطبيعية ، فهى الناظرة فى كل متحرك وساكن ، وما عنه ، وما به ، وما منه ، وما إليه ، وما فيه الحركة والسكون .

والطبيعيات هى الأشياء الواقعة تحت الحواس من الأجسام وأحوالها ، وما يصدر عنها من حركاتها وأفعالها ، وما يفعل ذلك فيها من قوى وذوات غير محسوسة ، فالعلم يتعرض لاظهرها فأظهرها أولا ، ويترقى منه إلى الأخفى فالأخفى ... » .

هذا قليل من كثير من أقوال فلاسفة العرب وعلمائهم فى العلم الطبيعى ، ومنها يتضح أن العلم الطبيعى - فى رأيهم - هو العلم الذى يبحث فى الظواهر الطبيعية المحسوسة للأجسام كموادها وصورها وهيئاتها وأحوالها وسكونها وحركتها وتغيرها وفعلها وانفعالها ، ومن ثم فإن العلوم التى نعرفها اليوم بعلوم السكون والحركة ( الميكانيكا ) والفيزياء تنطوى تحت لواء العلم الطبيعى .

## (١) الأمور والخواص العامة للأجسام

نعرض فى هذا الفصل الألفاظ التى استخدمها العرب كالدربة والاعتبار ، كذا الألفاظ المتعلقة بالصفات والخواص العامة للمواد كالهيولى والصورة والجسمية والصلابة واللين ، والمكان والملاء والخلاء ، مع تحديد مفهوم العرب لهذه الألفاظ من واقع كتاباتهم العلمية والفلسفية .

**الدّربة والدّرب:**

اعتمد العالم العربى جابر بن حيان[12] فى

---

(١٠) توفى عام ٥٤٧ هـ (١١٥١ م) .

(١١) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثانى ، الفصل الأول ، الورقة ٣ .

(١٢) عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادي والجزء الأول من القرن التاسع .

دراساته اعتماداً كبيرا على التجربة حيث جعلها أساسا للاستنباط العلمى ، فكان بذلك من رواد النهج التجريبى ، ونسوق فى هذا المجال نصا من المقالة الأولى من « كتاب الخواص الكبير[١٣] :

« يجب أن تعلم أنا نذكر فى هذه الكتب ( يقصد كتبه فى خواص الأشياء ) خواص ما رأيناه فقط ـ دون ما سمعناه أو قيل لنا وقرأناه ـ بعد أن امتحناه وجربناه ، فما صح أوردناه وما بطل رفضناه ، وما استخرجناه نحن أيضا وقايسناه على أقوال هؤلاء القوم » .

ولقد استخدم جابر بن حيان لفظ «الدّربة» بمعنى إجراء التجارب ، ولفظ الدّرب بمعنى المجرِّب ، وجعل من هذه الصفة شرطا ملزما للانتماء للعلماء حيث يقول فى « كتاب السبعين »[١٤] .

« فمن كان دَرِبا[١٥] كان عالما حقا ، ومن لم يكن دَرِباً لم يكن عالماً . وحسبك بالدربة[١٦] فى جميع الصنائع أن الصانع الدّرِب يحذق ، وغيرَ الدرب يعطل » .

**الاعتبار والمعتبر :**

ورد فى كتابات الحسن بن الهيثم[١٧] تعبير « الاعتبار »[١٨] فى معنى التجربة ، وتعبير « المعتبر »[١٩] فى معنى القائم بالتجربة ، من ذلك قوله فى الفصل الثالث من المقالة الرابعة فى كتابه « المناظر »[٢٠] فى معرض دراسته لانعكاس الضوء بالقياس على ما يحدث لكرة صغيرة ملساء من الحديد أو النحاس أو ما يجرى مجراهما عندما تصدم سطحا مانعا لحركتها فترتد عنه . يقول ابن الهيثم بلفظه :

« ...... وكلما كانت حركة القذف أقوى فإنه يجد ( يشير إلى المعتبر ) رجوع هذه الكرة أقوى ، وإن اعتبر[٢١] هذا المعنى بجسم غير المرآة ، ويكون فيه بعض اللين كالخشب أو ما يجرى مجراه ، وجد رجوع الكرة بقوة دون القوة الأولى » .

ويمضى ابن الهيثم فى دراسته هذه قائلا :

« فيتبين من هذا الاعتبار أن المتحرك على استقامة إذا لقى مانعا يمنعه من الحركة فإنه يتحرك راجعاً ، وتكون قوة رجوعه بحسب قوة

(١٣) مختارات پول كراوس : صفحة ٢٣٢ .
(١٤) مختارات پول كراوس : صفحة ٤٦٤ .
(١٥) Experienced .
(١٦) Experience .
(١٧) عاش فى الفترة ٣٥٤ ـ ٤٣٠ هـ ( ٩٦٦/٦٥ ـ ١٠٣٩ م ) .
(١٨) Experimentation .
(١٩) Experimenter .
(٢٠) مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول ـ رقم ٣٢١٥ .
(٢١) أى جرب ( to experimeut ) .

الحركة التي تحرك بها في الأول ، وبحسب قوة المانع وامتناعه من الانفعال ..... » .

والمقصود من كلمة « الاعتبار » واضح تماما وهو معنى التجربة .

**الهيولي والصورة :**

يقول إخوان الصفا في رسالتهم الخامسة عشر(٢٢) :

« إعلم وفقك الله أن معنى قول الحكماء « الهيولى » إنما يعنون به كل جوهر قابل للصورة .

وقولهم « الصورة » يعنون به كل شكل ونقش يقبله الجوهر .

واعلم أن اختلاف الموجودات إنما هو بالصورة لا بالهيولى .. » .

ويزيد الشيخ الرئيس ابن سينا الامر وضوحا فيقول في رسالته « الطبيعيات من عيون الحكمة »(٢٣) :

« إن كل جسم طبيعي فهو متقوم الذات من جزئين :

أحدهما يقوم مقام الخشب من السرير ، ويقال له هيولى ومادة(٢٤) .

والآخر يقوم مقام السرير من السرير ، ويسمى صورة ... » .

أما أبو الوليد محمد بن رشد(٢٥) فيعرض لمعنى « الهيولى » و « الصورة » في المقالة الثانية من كتابه « ما بعد الطبيعة » فيناقش مذهبين متباينين في هذا الصدد فيقول :

« إن قوما جعلوا أول شيء يحل في الهيولى الاولى غير المصورة الأبعاد الثلاثة ، وأنها أول شيء تتصور بها الهيولى ، ورأوا أن اسم الجسم على هذا المعنى » .

ثم يعرج ابن رشد إلى المذهب الثاني فيقول عنه :

« رأوا أن الأبعاد الثلاثة تابعة لصورة بسيطة موجودة في الهيولى الأولى ، وأن هذه الصورة هي التي من شأنها أن يقبل بها الجسم الانفصال والاتصال، فزعموا أنها واحدة مشتركة لجميع الأشياء المحسوسة كالحال في المادة الأولى . والذي يرى هذا الرأي هو ابن سينا » .

ويناقش هذا الرأي قائلا :

« وأما أصحاب القول الثاني فإن كانوا أرادوا أن ها هنا صورة بسيطة بالفعل غير صور الأجسام والبسائط التي هي الثقل والخفة وبالجملة

(٢٢) هي نفسها الرسالة الأولى في الجسمانيات الطبيعيات .
(٢٣) « تسع رسايل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ٤ .
(٢٤) Matter .
(٢٥) عاش في الفترة : ٥٢٠ _ ٥٩٥ هـ ( ١١٢٦ _ ١١٩٨ م ) .

الميل على ما يظهر من كلام ابن سينا ، فإن مجموع هذه الصورة مع المادة الأولى هو الجوهر الذى عرض له التجسم أى عرضت له الأبعاد الثلاثة .

إذا تصور بهذه الجهة فهو لعمرى باطل .

وإن كان أراد بهذا المعنى طبيعة الميل الحاصل فى المادة الأولى الذى هو كالجنس لصور الاسطقسات ، فهو لعمرى حق » .

**الاسطقس :**

يعرّف الشيخ الرئيس ابن سينا « الاسطقس » فى رسالته : « فى الحدود »(٢٦) فيقول :

« الاسطقس هو الجسم الأول الذى باجتماعه إلى أجسام أولى مخالفة له فى النوع يقال له اسطقس لها ، فلذلك قيل إنه آخر ما ينتهى إليه تحليل الأجسام ، فلا توجد فيه قسمة إلا إلى أجزاء متشابهة » .

**الجسمية :**

الجسمية عند ابن سينا تعنى الامتداد فى الأقطار الثلاثة ، أو بتعبير آخر جسمانيته ، وهو يفرق فى كتاباته بين الجسمية فى حد ذاتها وبين خاصية مدافعة الجسم عن حاله من سكون أو حركة ، وهى الخاصية التى سنعرض لها بالتفصيل فى بحث آخر .

يقول الشيخ الرئيس فى رسالته الرابعة « فى الحدود »(٢٧) :

« الجسم اسم مشترك يقال على معان ، فيقال جسم لكل متصل محدود ممسوح فى أبعاد ثلاثة بالقوة ، ويقال جسم لصورة يمكن أن يعرض فيه أبعاد كيف شئت طولا وعرضا وعمقا ذات حدود متعينة .

ويقال جسم للجوهر مؤلف من هيولى وصورة بهذه الصفة ، والفرق بين الكم وبين هذه الصورة أن قطعة من الماء أو الشمع كلما بدل شكله تبدلت فيه الأبعاد المحدودة الممسوحة ، ولم يبق واحد منها بعينه واحدا فيه بالعدد ، وبقيت الصورة القابلة لهذه الأحوال وهى جسمية واحدة بالعدد من غير تبدل ولا تغير .

ولذلك إذا تكاثف وتخلخل لم تستحل صورته الجسمية واستحال أبعاده ، فإذن فرق بين الصورة الجسمية التى هى من باب الكم وبين الصورة التى هى من باب الجوهر » .

ويقول أبو الحسن بَهْمَيْنار بن المرزُبان(٢٨) - أحد تلاميذ الشيخ الرئيس ابن سينا - فى كتابه « التحصيل »(٢٩) :

« ...... فالجسمية بالحقيقة صورة الاتصال القابل لفرض الأبعاد الثلاثة فيه ، وهو غير

---

(٢٦) « تسع رسايل فى الحكمة » لابن سيناء ، طبعة القاهرة ، صفحة ٨٥ .

(٢٧) « تسع رسايل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٨٧ ،

(٢٨) توفى سنة ٤٥٨ هـ ( ١٠٦٦ م ) .

(٢٩) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثانى ، المقالة الأولى ، الفصل السابع ، الورقة ١٤٢ .

المقدار . وغير الجسمية التعليمية ، والجسم الذى يستعمل فى التعاليم وهو المعروف بالجسم التعليمى هو الصورة الجسمية مأخوذة مع مقدار من غير التفات إلى المادة .

فإن الجسم المطلق من حيث الجسمية لا يخالف جسما آخر بأنه أصغر أو أكبر ، ولا يناسبه بأنه مساو لهذا أو معدود به ، وإنما له ذلك من حيث هو مقدر ، وهذا الاعتبار غير اعتبار الجسمية .

ولهذا كثيرا مايكون الجسم الواحد يتخلخل ويتكاثف بالتبريد والتسخين ، فيختلف مقدار جسميته ، وجسميته التى ذكرناها لا تختلف ولا تتغير ... » .

ويمضى ابن المرزبان فى نفس الفصل[٣٠] يقول :

« ... فلا يجوز أن يكون جسمية محتاجة إلى مادة ، وجسمية غير محتاجة إلى مادة ، واللواحق الخارجة لا تغنيها عن الحاجة إلى المادة إذ الحاجة إلى المادة هى للجسمية لأجل ذاتها ومن حيث هى جسمية ، لا من حيث جسمية مع لاحق ( أو مع لواحق ) .

فقد بان أن جميع الأجسام مؤلفة من مادة وصورة ، وهذا البيان إنما يتم عند تصحيح إمكان قبول الأجسام للانقسام إلى مالانهاية له ، فإن البيان مبنى على الاتصال والانفصال وما لم يتبين أن فى قوة الجسم الانفصال إلى ما لا نهاية لم يصح هذا، فلنبطل أقاويل الذين يقولون إن الأجسام مؤلفة من أجزاء لا تتجزى » .

أما الإمام فخر الدين الرازى[٣١] فيقول فى كتابه « المباحث المشرقية فى علم الإلهيات والطبيعيات »[٣٢] فى معرض حديثه عن الجسمية :

إن الجسم الواحد قد تتوارد عليه المقادير المختلفة مع بقاء جسميته المخصوصة ...

« إن الأجسام مشتركة فى مفهوم الجسمية مختلفة فى المقادير ... » .

« إن الأجسام صحّ أن يكون بعضها مقدرا للبعض ومتقدرا به ، ... وليست تلك المتقدرية بنفس الجسمية التى يستحيل أن يخالف جسم فيها جسما ، فتلك المتقدرية إنما تكون بأمر زائد على الجسمية ... » .

ويزيد الفخر الرازى الأمر وضوحا حيث يقول :

« إن الجسم يسخن فيزداد حجمه من غير

---

(٣٠) نفس المخطوط السابق : الورقة ١٤٦ .
(٣١) عاش فى الفترة : ٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ ( ١١٥٠ ـ ١٢٠٩ م ) .
(٣٢) الكتاب الثانى ـ الفن الأول ـ الفصل الأول ـ طبعة الهند : الصفحات ١٧١ حتى ١٧٤ .

انضمام شيء إليه ولا وقوع خلاء بين أجزائه لاستحالة الخلاء، ويبرد فيصغر حجمه من غير انتقاص شيء من أجزائه، أو زوال خلاء كان قبل ذلك.

وذلك الجسم في حد جسميته محفوظ(٣٣)، والجسم المحفوظ مغاير لهذه الأمور المتبدلة ..»

بهذه الكلمات يقرر الفخر الرازي مبدأ حفظ المادة، ولا ينقص من قدره في تقرير هذا المبدأ الهام قوله بانتفاء الخلاء. وقد عبر الرازي عن المادة بالجسمية، وقال بأن هذه الجسمية محفوظة لا تتبدل في حد ذاتها، وإن تبدلت أبعادها وصورها، فالرازي يقرر في هذا النص مبدأ حفظ المادة وهو المعنى الذي نعبر عنه في كتاباتنا المعاصرة بأن المادة لا تفنى ولا تستحدث.

**الصلابة واللين والرخاوة:**

يذكر ابن سينا في رسالته: «في الحدود»(٣٤):

«الصلب هو الجرم الذي لا يقبل دفع سطحه إلى داخله إلا بعسر، وهذه الصفة يفضل تسميتها اليوم بالصلادة(٣٥).

ويستطرد ابن سينا قائلا:

«اللين هو الجرم الذي يقبل ذلك بسهولة».

و«الرخو جرم لين سريع الانفصال».

أما الحسن بن الهيثم فقد تعرض لظاهرة تباين درجة ممانعة المواد المختلفة عن الانفعال عند سقوط الأجسام عليها، تلك الظاهرة التي اتخذت في عصرنا الحالي أساسا لقياس درجة الصلادة. يقول ابن الهيثم في الفصل الثالث من المقالة الرابعة في كتابه «المناظر»(٣٦):

«إن الأجسام الثقال إذا سقطت إلى أسفل من موضع عال، ثم لقيت عند مسقطها جسما صلبا كالصخر أو الحديد أو ما جرى مجرى ذلك، انعكست في الحال راجعة. ويكون رجوعها بحركة قوية.

وإذا لقيت عند مسقطها جسما رخوا كالرمل أو التراب أو ما شاكل ذلك، انتشبت فيه ولم ترجع.

وإن صادفت جسما فيه بعض الصلابة وبعض اللين كالجص أو الخشب أو ما جرى مجرى ذلك في اللين، رجعت رجوعا ضعيفا».

يبين من هذا النص أن الصلابة - في رأي الحسن بن الهيثم - هي خاصية «الممانعة عن الانفعال»، وأن اللين ضعف تلك الممانعة.

ويقول هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه «المعتبر في الحكمة»(٣٧):

---

(٣٣) conservation of Matter.

(٣٤) «تسع رسايل في الحكمة» لابن سينا، طبعة القاهرة: صفحة ٩٧.

(٣٥) Hardness.

(٣٦) مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول — رقم ٣٢١٥، الورقتان ٦٨، ٦٩.

(٣٧) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢: المجلد الثاني — الفصل السادس.

« ولكل جسم متناه شكل، وقد يكون من ذلك ما هو طبيعى، ومنه ما هو قسرى[٣٨] وغير طبيعى، فلكل جسم من ذلك معنى طبيعى لا محالة .

فمن ذلك أن الجسم إما أن يقبل التأثير أو لا يقبل، فإن قبل قبولا بعسر فهو الصلب[٣٩]، أو بسهولة فهو اللين »[٤٠] .

**المكان :**

لما كان المكان أحد عناصر حركة الأجسام فى الفلسفة الإسلامية، لذلك فقد تصدى كثير من العلماء والفلاسفة العرب لتعريفه . ولعل أدق هذه التعاريف وأوضحها ما ورد فى رسالة الحسن بن الهيثم « قول فى المكان » حيث يقرر ابن الهيثم تعريف المكان على النحو التالى :

« ... ... فمكان الجسم هو أبعاد الجسم التى إذا جردت فى التخيل كانت خلاء لا مادة فيه مساويا لجسم شبيه بشكل الجسم » .

**الملاء والخلاء :**

يعرف الشيخ الرئيس ابن سينا : « فى رسالته فى الحدود »[٤١] الملاء والخلاء، فيقول :

« الملاء[٤٢] هو جسم من جهة ما يمانع أبعاده دخول جسم آخر فيه »

« الخلاء[٤٣] بعد يمكن أن تعرض فيه أبعاد ثلاثة قائم لا فى مادة من شأنه أن يملأه جسم وأن يخلو عنه » .

ولقد كان الخلاء موضع خلاف كبير بين فلاسفة العرب، فمنهم مؤيد لوجوده ومنهم من ينكره، ولعل الحسن ابن الهيثم كان أوفقهم فى تعريفه حيث يقول فى رسالته « المكان » :

« ... ... والخلاء ليس بذى مادة ولا فيه مدافعة، وإنما الخلاء هو أبعاد فقط متهيئة لقبول المواد » .

فالخلاء — فى رأى ابن الهيثم — خالى تماما من المادة ومن المدافعة، أى خالى من المقاومة التى يتعرض لها الجسم أثناء حركته فى وسط ما غير الخلاء، وبالتالى فإن حركة الأجسام فى الخلاء لا تلقى أية معاوقات أو ممانعات، وهذه حقيقة نعرفها جيدا فى الوقت الحاضر .

ويستطرد الحسن بن الهيثم فى رسالته فيقول :

« والجسم الطبيعى هو المادة التى هى الأبعاد المتخيلة متهيئة لقبولها مع الأبعاد، وكل الأبعاد فهى متهيئة لقبول كل مادة، وكل بعد فليس فيه مانع يمنع من أن تنطبق عليه، وليس يمتنع أن تنطبق أبعاد الجسم الطبيعى - الذى الخلاء

---

(٣٨) Forced or enforced .

(٣٩) يفضل تسميته بالصلد : Hard .

(٤٠) Soft .

(٤١) « تسع رسايل فى الحكمة » لابن سينا، طبعة القاهرة : صفحة ٩٤ .

(٤٢) أى الحيز الممتلىء مادة تمانع دخول جسم خارجى فى هذا الحيز، و عكس الخلاء .

(٤٣) أى الفراغ أو الفضاء الخالى : Space .

مهيء لقبوله — على أبعاد الخلاء ، التي هي أطوال لاعروض لها ولامدافعة فيها ، وإذ ذلك كذلك فقد بطل القول بأن الجسم الطبيعي لا يداخل الخلاء لأنهما جسمان . »

ويقول هبة الله بن ملكا البغدادى فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » (٤٤) فى وصفه للخلاء :

« ... فهو مقدار بلا مادة ، به امتلاء المكان ، وهو الخلاء ... »

## (٢) القوى التى تعرض للأجسام

نقدم فى هذا الفصل بعضاً من كتابات العرب فى موضوع القوى التى يمكن أن تتعرض لها الأجسام من قوى طبيعية وقوى قسرية ، ونعرض كذلك لتفاوت القوى من حيث الشدّة والمدّة والعدّة .

**القوى وأنواعها :**

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه « النجاة » (٤٥) :

« ليس شيء من الأجسام الموجودة يتحرك أو يسكن بنفسه ، أو يتشكل أو يفعل شيئا غيرذلك ، وليس ذلك له عن جسم آخر أو قوة فائضة عن جسم ، فليس يصدر عنه شيء إلا وفيه قوة من هذه القوى المذكورة ، عنها يصدر ذلك وكل ما يصدر عنه من الأفعال »

هذا وقد فرق العرب بين نوعين أساسيين من القوى هما القوة الطبيعية والقوة القسرية ، فبالقوة الطبيعية عبر العرب عن القوة التى تؤثر على الجسم لتعيده إلى مكانه الطبيعى إذا كان قد سبق وأن أزيح عنه ، وهذه القوة هى ما نسميها اليوم بقوة الجاذبية الأرضية ، وبالقوة القسرية عبر العرب عن القوة التى تسلط على الجسم لتجبره على الحركة أو على التواجد فى غير موضعه الطبيعى ، ولنورد فيما يلى نماذج مما قاله فلاسفة العرب وعلماؤهم فى أنواع القوى.

**( أ ) القوى الطبيعية :**

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه « النجاة » (٤٦) عن القوى الطبيعية ما نصه :

« فمنها قوى سارية فى الأجسام تحفظ عليها كمالاتها من أشكالها ومواضعها الطبيعية وأفاعيلها وإذا زالت عن مواضعها الطبيعية وأشكالها وأحوالها أعادتها اليها وثبتتها عليها ، مانعة من الحالة الغيرالملائمة إياها بلامعرفة وروية وقصد اختيارى بل بتسخير ، وهذه القوى تسمى طبيعية ، وهى مبدأ (٤٧) بالذات لحركاتها بالذات وسكوناتها بالذات ، ولسائر كمالاتها التى لها بذاتها ، وليس شيء من الأجسام الطبيعية بخال عن هذه القوة » .

وعن القوة الطبيعية يقول ابن سينا فى طبيعيات كتابه « الشفاء » (٤٨) :

---

(٤٤) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثانى — الفصل الخامس عشر ، الورقة ٦٢ .

(٤٥) طبعة القاهرة سنة ١٣٣١ هـ — الجزء الثانى : صفحة ١٦١ .

(٤٦) طبعة القاهرة سنة ١٣٣١ هـ — الجزء الثانى الصفحتان ١٦١ ، ١٦٢ .

(٤٧) بمعنى سبب وعلة : Cause .

(٤٨) المقالة الرابعة — الفصل الثانى عشر .

« كل جسم له مكان طبيعى أو حيز تقتضى طبيعته الكون فيه ، وهو يخالف سائر الأجسام لا لجسميته ، بل لأن فيه مبدأ وقوة معدة نحو ذلك المكان . »

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادى فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » (٤٩) :

« فبهذا يعلم أن لكل جسم طبيعى حيزا طبيعيا ، فيه يسكون بالطبع ، وإليه يتحرك إذا أزيل عنه ، وهذا الحيز ليس هو للجسم بجسميته التى لا يخالف بها غيره من الأجسام ، بل بصفة خاصة به هى طبيعة فقوة أو صورة خاصة بذلك الجسم خصته بذلك الحيز وحركته إليه ، فتلك الطبيعة الخاصة فى ذلك الجسم مبدأ حركة بالطبع وسكون بالطبع والتحريك النقلى المكانى إنما يكون عنها بعد سبب طارىء يخرج الجسم عن حيزه الطبيعى ، فتحركه هى إليه . »

وعن قوة الجذب يقول الامام فخر الدين الرازى فى كتابه « المباحث المشرقية فى علم الالهيات والطبيعيات » (٥٠)

« انجذاب (٥١) الجسم إلى مجاورة الأقرب أولى من انجذابه إلى مجاورة الأبعد . »

وهذا النص سبق واضح للفخر الرازى ، حيث إن قوة الجذب بين جسمين تزيد بقربهما من بعضهما البعض ، وتقل بزيادة التباعد بينهما .

**الثقل والخفة :**

يقول إخوان الصفا فى رسالتهم السادسة عشر :

« وكل جسم فى مكانه الخاص ليس بثقيل ولا خفيف ، لأن الثقل(٥٢) والخفة يعرضان لبعض الأجسام بسبب خروجها عن أماكنها الخاصه بها إلى مكان غريب » .

ويستطرد إخوان الصفا فى رسالتهم هذه فيعرفون الثقيل والخفيف بقولهم :

« ماكان متوجها نحو مركز العالم يسمى ثقيلا وماكان متوجها نحو المحيط يسمى خفيفاً » .

ويؤكد إخوان الصفا هذا المعنى فى رسالتهم الرابعة والعشرين حيث يقررون :

« وأما الثقل والخفة فى بعض الأجسام فهو من أجل أن الأجسام الكليات كل واحد له موضع مخصوص ، ويكون واقفا فيه لا يخرج إلا بقسر قاسر ، وإذا خلى رجع إلى مكانه الخاص به ، فإن منعه مانع وقع التنازع بينهما ، فان كان النزوع نحو مركز العالم يسمى ثقيلا ،

(٤٩) مخطوط مكتبة أحمد الثالث — رقم ٣٢٢٢ ، المجلد الثانى ، الفصل السادس والعشرون ، الورقة ١٠٢ .
(٥٠) الكتاب الثانى — الفن الخامس — الفصل الثانى عشر ، طبعة الهند : صفحة ٥٧٨ .
(٥١) Attraction .
(٥٢) Weight — الثقل هو قوة جذب الأرض للجسم .

وإن كان نحو المحيط يسمى خفيفاً ، وقد بينا فى رسالة السماء والعالم كيفية ذلك » .

ويعرض الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته « فى الحدود »(٥٣) للثقل والخفة ، فيقول :

« الثقل قوة طبيعية يتحرك بها الجسم إلى الوسط(٥٤) بالطبع » .

و « الخفة قوة طبيعية يتحرك بها الجسم عن الوسط بالطبع » .

**القوة القسرية :**

يعرّف الشيخ الرئيس ابن سينا « القسر » ، فيقول فى رسالته « الطبيعيــات من عيون الحكمة »(٥٥) :

« القسر مايسلب حركة أو سكوناً طبيعياً » .

ويقول بهمينــار بن المرزبان فى كتابه « التحصيل »(٥٦) :

« وأنت تعلم أنه إذا توهم زوال القاسر ، لم يكن للجسم بد من أن يكون له أين وشكل وزوال القاسر ممكن بل واجب ، فان القسر طارىء على الأمر الطبيعى » .

ويقول ابن المرزبان فى موضع آخر من كتابه(٥٧)

« والحركة التى بالقسر هى التى محركها خارج عن المتحرك ، وليس بمقتضى طبعه ، وذلك قد يكون بالجذب ، وقد يكون بالدفع ، وقد يكون مع مفارقة المتحرك المحرك ، مثل المرمى(٥٨) والمدحرج(٥٩) والمزحوح(٦٠) ...... »

**تفاوت القوى بحسب الشدّة والمدّة والعدّة :**

يقول الإمام فخر الدين الرازى فى كتابه « المباحث المشرقية »(٦١) فى معرض حديثه « فيما ليس بكم بالذات بل بالعرض » ـ وقد جعله على أربعة أوجه ـ مانصه :

« الوجه الرابع أن تكون قوى مؤثرة فى أشياء يقال عليها الكم بالذات ، فيقال لتلك القوى إنها متناهية أو غير متناهية ، لا لأن القوة ذات كمية فى نفسها ، بل لأن القوة تختلف بالزيادة والنقصان ، بالاضافة إلى شدة ظهور الفعل عنها ، أو إلى عدة مايظهر عنها ، أو إلى مدة بقاء الفعل ، والفرق بين اعتبار الشدة والمدة من وجهين .

أحدهما أن كل ما كان زائداً بحسب الشدة ،

---

(٥٣) « تسع رسايل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩٥ .

(٥٤) يقصد وسط العالم ، أى مركز الأرض .

(٥٥) « تسع رسايل فى الحكمة » لابن سينا ـ طبعة القاهرة : صفحة ١١ .

(٥٦) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب ـ رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الأول ، الفصل السادس ، الورقة ٢٥٨ .

(٥٧) نفس الكتاب السابق ، الورقة ٢٤٨ .

(٥٨) Projected . (٥٩) Rolled . (٦٠) Displaced .

(٦١) الكتاب الثانى ـ الفن الاول ـ الفصل السادس ـ طبعة الهند : صفحة ١٨٧ .

كان ناقصا بحسب المدة ، فان المحرك إذا كان أشد قوة ، بلغ النهاية الموجودة أو المفروضة أسرع .

ثانيهما أن الذى تتفاوت فيه القوى بحسب المدة ، ربما لاتتفاوت فيه بحسب الشدة ، فان إبقاء الثقيل فى الجو لايقبل الزيادة والنقصان بحسب الشدة ، وتختلف القوى فيه بالابقاء الزمانى بحسب الشدة ، وأما الفرق بين اعتبار المدة والعدة فلأن المدة هى فى اثبات شىء واحد ، وليس اعتبار العدة فى اثبات شىء واحد ، وأما الفرق بين اعتبار الشدة والعدة فظاهر » .

ويقول العلامة نصير الدين الطوسى(٦٢) فى معرض شرحــه للفصل الخامس عشر من النمط السادس من كتاب ابن سينا « الاشارات والتنبيهات » :

« .. أما الشىء الذى يتعلق به شىء ذو مقدار أو عدد كالقوى التى يصدر عنها عمل متصل فى زمان ، أو أعمال متوالية لها عدد ، ففرض النهاية واللانهاية يكون فيه بحسب مقدار ذلك ، أو عدد تلك الأعمال .

والذى بحسب المقدار يكون إما مع فرض وحدة العمل ، واتصال زمانه ، أو مع فرض الاتصال فى العمل نفسه ، لا من حيث تعتبر كثرته او وحدته .

فالقوى بهذه الاعتبارات تكون ثلاثة أصناف :

الأول قوى يفرض صدور عمل واحد منها فى أزمنة مختلفة ، كرماة تقطع سهامهم مسافة محدودة فى أزمنة مختلفة ، ولا محالة تكون التى زمانها أقل أشد قوة من التى زمانها أكثر ، ويجب من ذلك أن يقع عمل غير المتناهية لا فى زمان .

والثانى قوى يفرض صدور عمل ما - منها - على الاتصال فى أزمنة مختلفة ، كرماة تختلف أزمنة حركات سهامهم فى الهواء ، ولا محالة تكون التى زمانها أكثر أقوى من التى زمانها أقل ، ويجب من ذلك أن يقع عمل غير المتناهية فى زمان غير متناه .

والثالث قوى يفرض صدور أعمال متوالية عنها . مختلفة بالعدد ، كرماة يختلف عدد رميهم ، ولا محالة تكون التى يصدر عنها عدد أكثر ، أقوى من التى يصدر عنها أقل عدد ، ويجب من ذلك أن يكون لعمل غير المتناهية عدد غير متناه .

فالاختلاف الأول بالشدة ، والثانى بالمدة ، والثالث بالعدة » .

من هذين النصين يبين لنا أن العرب قد فرقوا بين القوة التى يجرى تسليطها فى فترة زمنية قصيرة كقوة الصدمة ، وبين القوة ثابتة المقدار التى تتواجد لفترة زمنية طويلة ، ففى الحالة الاولى يكون تأثير القوة أشد كلما نقصت فترة تسليطها ، وهذا النوع من القوة نعرفه اليوم

---

(٦٢) عاش فى الفترة : ٥٩٧ - ٦٧٢ هـ ( ١٢٠١ - ١٢٧٤ م ) .

بالقوة الصدمية ، والمثال المألوف لها شدة تأثير الضرب بمطرقة ، وإذا عبرنا عن هذه الحالة بتعبيرنا العلمى الدقيق المعاصر لقلنا إنه كلما كان معدل تسليط القوة أعلى ( أى كلما قلت الفترة الزمنية التى تصل فيها القوة إلى ذروتها ) ، كلما كان التأثير الناتج عن القوة أشد ، وهذا ما يدخله المهندسون فى اعتبارهم فعلا عند تصميم المنشآت التى تتعرض لأحمال الصدمات .

كذلك درس العرب الحالة التى يكون فيها مقدار القوة ثابتا من حيث الكم ، بينما ينحصر الاختلاف فى طول الفترة الزمنية التى تعمل فيها القوة ، والنصان المتقدمان يوضحان الفرق بين شدة القوة ومدتها كل الوضوح ، مما يدل على دقة المشاهدة وسلامة التمثيل ، والفهم السليم الواعى لتأثير القوة من حيث المقدار والشدة ، ومن حيث المدة أى فترة تأثيرها ، ومن حيث العدة أى عدد مرات تسليطها .

ولعلنا نسوق فى ختام حديثنا عن تفاوت القوة قول الحكيم بهمنيار ابن المرزبان - أحد تلاميذ ابن سيناء - فى كتابه « التحصيل »(٦٣) :

« نقول إن القوة تقع بينها وبين قوة أخرى تفاوت فى أمور :

منها سرعة الفعل وبطؤه .

ومنها طول مدة استبقاء الفعل وقصرها .

ومنها كثرة عدة الفعل وقلتها . »

ويستطرد ابن المرزبان ليوضح عبارته هذه بالأمثلة ، فيقول :

« ومثال الأول أن أشد الراميين قوة هو أسرعهما فى الرمى لمسافة معينة قطعا ، ومثال الثانى أن أشد الراميين قوة هو أطولهما زمان نفوذ الرمى فى الجو ، ومثال الثالث أن أشد الراميين قوة هو أكبرهما قدرة على رمى بعد رمى . »

قول واضح موجز سبق به ابن المرزبان كلا من الفخر الرازى ونصير الدين الطوسى :

## خلاصة

يقدم هذا البحث دراسة موجزة لمفهوم العرب للعلم الطبيعى ، كذا الألفاظ التى استعملها فلاسفة العرب ، وعلماؤهم فيه ، ويشتمل البحث على نصوص عديدة لبيان الأوجه التى استعملت فيها هذه الألفاظ وتحديد مدلولها فى صدر الحضارة العربية .

ويخلص البحث إلى أن العرب قد تخيروا ألفاظهم بعناية شديدة ، فلا غرو أن نجد غالبية هذه الألفاظ لازالت صالحة تماما للكتابة العلمية المعاصرة . من هذه الألفاظ - على سبيل المثال لا الحصر - ألفاظ الجسمية والثقل والخفة ، والصلابة واللين ، والملاء والخلاء ، والقوة

(٦٣) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الأول ، الفصل الرابع ، الورقة ٢٥٢ .

الطبيعية والقوة القسرية وتوصيف القوة من حيث الشدة والمدة والعدة، وبيان تعرض الجسم للجذب أو الدفع، وتحديد كيفيةُ تحريك الجسم بالرمى ( أى القذف ) أو الدحرجة أو الازاحة، وهذه الألفاظ تعبر ولا شك عن معانى دقيقة متباينة .

ما أحرانا أن نفرد مزيدا من الاهتمام لتراثنا العلمى العربى، وما أولانا بالكشف عن ثروتنا الفكرية واللغوية العظيمة .

## مصادر البحث


**( أ ) المخطوطات :**

١ ـــ كتاب « المناظر » للحسن بن الهيثم .
المقالتان الرابعة والخامسة .

مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول ـــ رقم ٣٢١٥، ٢٢٢ ورقة .

٢ ـ « قول فى المكان » للحسن بن الهيثم .

مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول ـــ رقم ٣٤٣٩ ف ٣ .

مخطوط المكتب الهندى بلندن ـــ رقم ٧٣٤ / ٧ .

( نشرت هذه الرسالة دائرة المعارف العثمانية ـــ حيدر آباد الدكن بالهند، سنة ١٣٥٧ هـ ( ١٩٢٨ م ) وتقع فى ١٢ صفحة ) .

٣ ـــ كتاب « تحصيل بهمينار » لبهمينار ابن المرزبان .

مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب ـــ رقم ١١٢٢، ٢٤٠ ورقة .

٤ ـ كتاب « المعتبر فى الحكمة » .

لأبى البركات هبة الله بن ملكا البغدادى .

مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول ـــ رقم ٣٢٢٢ . ٢٢٥ ورقة .

**(ب) الكتب المطبوعة :**

١ ـ « رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا »

عنى بتصحيحه خير الدين الزركلى .

المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، عام ١٩٢٨ م .

٢ ـــ مختار « رسائل جابر بن حيان » .
عنى بتصحيحها ونشرها بول كراوس .

مكتبة الخانجى ومطبعتها، القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .

٣ ـ « إحصاء العلوم » لأبى نصر الفارابى .
تحقيق الدكتور عثمان أمين .

مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، الطبعة الثالثة، عام ١٩٦٨ . ١٧٦ صفحة .

٤ ـــ كتاب « الإشارات والتنبيهات »
للشيخ الرئيس ابن سينا .
مع شرح نصير الدين الطوسى .
تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

دار المعارف بمصر ـــ القسم الثانى ـ الطبعة الثانية، ٦٨٠ صفحة .

٥ — « الكتاب الموسوم بشرحى الإشارات » .

للخواجه نصير الدين الطوسى ، والإمام فخر الدين الرازى .

المطبعة الخيرية بالقاهرة — الطبعة الأولى ، عام ١٣٢٥ هـ ( ١٩٠٧ م ) .

الجزء الأول : ٢٤٣ صفحة ، الجزء الثانى : ١٤٦ صفحة .

٦ — كتاب « الشفاء — الطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا .

تحقيق الدكتور محمود قاسم .

مراجعة وتقديم الدكتور إبراهيم مدكور .

دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ، عام ١٣٨٩ هـ ( ١٩٦٩ م ) .

٧ — كتاب « النجاة » للشيخ الرئيس ابن سينا .

طبعة روما سنة ١٩٥٣ م ( بعد انتهاء كتاب « القانون فى الطب » ) .

٨ — كتاب « النجاة » للشيخ الرئيس ابن سينا .

طبع بمطبعة السعادة بمصر عام ١٣٣١ هـ ، ثم عام ١٣٥٧ هـ ( ١٩٢٨ م ) .

٩ — « تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا .

مطبعة هندية بالموسكى بمصر عام ١٣٢٦ هـ ( ١٩٠٨ م ) ، ١٨٠ صفحة .

١٠ — « معيار العلم » للإمام محمد أبى حامد الغزالى .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

دار المعارف بمصر — الطبعة الثانية ، عام ١٩٦٩ م ، ٤٠٠ صفحة .

١١ — « المباحث المشرقية فى علم الإلهيات والطبيعيات » .

الإمام فخر الدين الرازى .

الجزءان الأول والثانى ، عام ١٣٤٣ هـ ( ١٩٢٤ م ) .

دائرة المعارف العثمانية — حيدر آباد الدكن بالهند

١٢ — كتاب « ما بعد الطبيعة » لأبى الوليد ابن رشد

دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن بالهند ، عام ١٣٦٥ هـ ( ١٩٤٥ م ) ، ١٨٣ صفحة .

١٣ — « تفسير ما بعد الطبيعة » لأبى الوليد ابن رشد .

المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، سنة ١٩٣٨ م ، ١٩٤٢ م .

١٤ — « تلخيص ما بعد الطبيعة » لابن رشد .

تحقيق وتقديم الدكتور عثمان أمين .

مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ، سنة ١٩٥٨ م ، ١٦٨ صفحة .

١٥ — « جابر بن حيان » .

للدكتور زكى نجيب محمود .

سلسلة أعلام العرب — ٣ ، مكتبة مصر بالقاهرة ، سنة ١٩٦١ م ، ٢٧١ صفحة .

١٦ — « أصول الميكانيك فى الفكر العربى »

للدكتور جلال شوقى .

أسبوع العلم الثالث عشر بجامعة حلب سنة ١٩٧٢ م ، مطبوعات المجلس الأعلى للعلوم بدمشق سنة ١٩٧٤ م .

١٧ — « تراث العرب فى الميكانيكا » .

للدكتور جلال شوقى .

عالم الكتب بالقاهرة ، سنة ١٩٧٣ م ، ١١١ صفحة .

# في القرآن والعربية : (٣)

# الصراع بين القراء والنحاة

للدكتور احمد علم الدين الجندي

* في الهمز

٢ — ومن قضايا الهمز ، إذا اجتمع الهمزتان ازداد الثقل ووجب التخفيف ، ولها حالتان :

الأولى : — إما أن تكون الهمزتان في كلمتين .

الثانية : — أو تكون الهمزتان في كلمة واحدة .

فإذا كانت غير همزة استفهام وذلك مثل ( أئمة ) بهمزتين . فقد قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي «فقاتلوا أئمة الكفر»(٢)« أئمة يهدون بأمرنا»(٣)«ونجعلهم أئمة»(٤)وغيرها من الآيات بتحقيق الهمزتين (٥).

وهذا مذهب من يميل إلى تحقيق الهمز من القبائل العربية ؛ لأن ثلاثة من القراء السابقين كوفيون ، والكوفة متأثرة بقبائل شرق الجزيرة كتميم وغيرها ، وهم يحققون الهمز ، ولهـــذا يكون سيبويه قد جانبه الصواب حيث قال : « إنه ليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا » (٦) ويسير ابن جني في طريقه حيث يقول « فالهمزتان لا تلتقيان في كلمة واحدة إلا أن تكونا عينين نحو سئّال وسئّار (٧)...

لكن التقاؤهما في كلمة واحدة غير عينين لحن » فابن جني يحكم على القراءة باللحن — وهي سبعية (٨) .

وسيبويه وأكثر النحاة لا يجيزون تلك القراءة وهم محجوجون بقراءة الكوفيين في ( أئمة ) وبما سمعه أبو زيد عن بعض العرب « اللهم اغفر لي خطائئ » (٩) وعـــلى مثل هذا جاء :

فإنك لا تدري متى الموت جائئ

إليك ولا ما يحدث الله في غد (١٠)

---

(*) الحديث عن ( الهمز ) تتمة لما ورد في العدد السابق من المجلة (٢) سورة التوبة آية ١٢
(٣) الأنبياء ٨٣ (٤) القصص آية ٥
(٥) النشر ١ / ٣٧٨ (٦) الشافية ٣ / ٦٥ والكتاب ٢ / ١٦٧
(٧) الخصائص ٣ / ١٤٣ (٨) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٣١٢
(٩) الشافية ٣ / ٥٨ (١٠) الخصائص ٣ / ١٤٣

كما وردت فى الآيات السابقة قراءات أخرى :

(١) أن تخفف الهمزة الثانية بجعلها بين الهمزة والياء (١).

(٢) أن تزيد ألفا بين الأولى والثانية(٢) كراهة اجتماع الهمزتين .

(٣) وآخرون من القراء يميلون إلى جعلها ياء خالصة نص على ذلك أبو عبد الله بن شريح(٣)

وقد رمى الزمخشرى هذه القراءة الأخيرة باللحن (٤) فقال « وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون ، ومن صرح به فهو لاحن محرِّف (٥) وقد رد عليه أبو حيان فى البحر (٦) بقوله « وذلك فى دأبه ( يعنى الزمخشرى ) فى تلحين المقرئين » « ولكنها ثبتت قراءة فكيف تكون لحنا ؟ مع أمانة الرواية وصحة السند ، وقرأ بها رأس البصريين النحاة أبو عمرو بن العلاء ، وقارىء مكة ابن كثير وقارىء مدينة الرسول (ص) نافع ثم هى تصور لهجات القبائل العربية ومذاهبهم فى التحقيق والتسهيل ، وبين بين . وهذه القبائل نزل القرآن بلهجاتها ، والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها (٧) وشاذها .

٣ ــ وفى سورة البلد آية (٢٠) « عليهم نار مؤصدة » قرىء بالواو والهمزة من أوصدت الباب وآصدته إذا أطبقته وأغلقته . وعن أبى بكر بن عياش « لنا إمام يهمز مؤصدة فأشتهى أن أسد أذنى إذا سمعته (٨) » ولعل سببه انحباس الهواء فى المزمار عند النطق انحباسا تاما ثم انفراج المزمار فجأة وهى عملية تحتاج إلى مجهود عضلى كبير مع أن الهمز قراءة سبعيه(٩) ؛ فقد قرأ أبو عمرو وحمزه وحفص بالهمز وباقى السبعة بغير همز (١٠).

٤ ــ ورد فى مختصر شواذ القرآن لابن خالويه(١١) فى قوله تعالى « اشتروا الضلالة» (١٢) .

« أن همز الواو فيها لغة عن الكسائى وهو عند البصريين لحن » ، وتلك اللهجة التى جاءتنا عن الكسائى واعترف بها ، ورفضها البصريون لهجة قيسية كما فى المحتسب (١٣) ، ودليها قول بعض العرب : « عصؤوا الله ــ مهموزة » .

(١) الشافية ٣ / ٥٨
(٢) الشافية ٣ / ٥٨
(٣) النشر ١/٣٧٩
(٤) النشر ١ / ٣٨٠
(٥) الكشاف ١ / ٥٤٦
(٦) البحر ٥ / ١٥
(٧) البحر المحيط ٨ / ٤٩٣
(٨) الكشاف ٤ / ٤ ٦
(٩) كتاب القراءات السبعة لابن مجاهد سورة البلد
(١٠) البحر سورة البلد
(١١) ص ٢
(١٢) البقرة آية ١٦
(١٣) انظر ابن جني سورة البقرة آية ١٦

٥ — جاء في الجمهرة «أن بني تميم يهمزون أحرفا مما كان على وزن (فَعْل) في موضع العين من الفعل ألف ساكنة نحو: الفأس والرأس والكأس والرأل (١). ولهذا يجب أن نكون على حذر مما جاء في المصباح من أن بني تميم تترك الهمز لزوما في كلمة (الرأس)(٢) ومن التحقيق ما جاء في المخصص عن الفارسي «أن تميما تهمز المئشار — وغيرهم لا يهمزه(٣) وجاء في ابن يعيش أن العجاج كان يهمز (العألم) (والخأتم) وهو القائل: (فخندف هامة هذا العألم).

وعن أبي زيد أنه سمع عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن) فظننته قد لحن حتى سمعت العرب تقول: دأبّة وشأبّة..(٤) في دابة وشابة وما ورد في سر الصناعة يؤيد قلب الألف همزة — ما حكاه اللحياني عنهم (نأر)(٥) في «نار» وهمز هذه الصيغ الأخيرة قد أفضى إلى تقسيم الحركة الطويلة إلى حركتين قصيرتين، وهذا يوضح لنا كيفية هروب بعض اللهجات من الحركات الطويلة في المقاطع المقفلة.

٦ — يقول سيبويه «كل شيء كانت أوله زائدة سوى ألف الوصل من (رأيت) فقد اجتمعت العرب على تخفيف همزه (٦) وكأن سيبويه يشير إلى أن مشتقات تلك الصيغة لا تدخلها الهمزة، وعلل ذلك أي عدم الهمز بقوله «وذلك لأنهم جعلوا همزة المتكلم في أرى — تعاقب الهمزة التي هي عين الفعل وهي همزة (أرأى) وكأنهم فروا من التقاء همزتين(٧) وأرى أن كلام سيبويه لا يثبت أمام الواقع اللغوي، لأنه قد حكى عن العرب «قد أرآهم» وجاء في التهذيب «زيد يرأى رأيا حسنا(٨)» وبيت سراقة البارقي:

أرى عينيَّ مالم ترأياه
كلانا عالم بالترهات (٩)

وقد رواه أبو الحسن: مالم تَرياه على التخفيف، ورواه أبو زيد في نوادره «مالم تبصراه.(١٠) ولا شاهد حينئذ فيها، وفي اللسان «مالم ترأياه» (١١) وقد رواه الأخفش «مالم ترياه (١٢)»، وقد عزا اللسان همز الأفعال المستقبلة من هذه المادة (رأى) وهي:

يرى، ترى، نرى، أرى — إلى تيم الرّباب فيقولون: هو يرأى وترأى ونرأى وأرأى، وإذا قالوا: متى نراك؟ قالوا: متى نرآك؟ مثل: نرعاك (١٣)، وفي سر الصناعة: يرآك بوزن يرعاك، وعلى ذلك جاء قول شاعرهم، وهو للأعلم بن جرادة السعدي:

---

(١) الجمهرة ٢ / ٢٩٣
(٢) المصباح ٣٧٦
(٣) المخصص: س ١٠ ص ٢٨٧
(٤) ابن يعيش ١٠/١٣، سر الصناعة ١/٨٣ ط الحلبي
(٥) سر الصناعة ١/١٠٢ ط الحلبي
(٦) اللسان ١٩/٣
(٧) اللسان ١٩ / ٣
(٨) اللسان ١٩/٤
(٩) سر الصناعة ١/٨٦ ط الحلبي
(١٠) نوادر اللغة: لأبي زيد / ١٨٥
(١١) اللسان ١٩/٤
(١٢) المرجع السابق
(١٣) اللسان ٨/٥
(١٤) ١ / ٨٧

ألم تر ما لاقيت والدهر أعصرُ
ومن يتملّ العيش يرأ ويسمع(١)

ويمكن أن تثير رواية البيت على هذا الوضع شيئا من الشك، لأن الشاعر من الرّباب، وهم يهمزون كل مشتقات (رأى) ولهذا جاءت رواية اللسان:

ألم ترأ ما لاقيت والدهر أعصرُ
ومن يتملّ العيش يرأ ويسمع(٢)

وهى أصح لأن (ألم ترأ) فى أول البيت حينئذ تتناسب مع (يرأ ويسمع) فى عجزه، وأعتقد أن الهمز فى هذا ليس مقصورا على تيم الرّباب كما فى اللسان، بل يشمل المنطقة المجاورة لها ومنها تميم، وإذا علمنا أن الرّباب كانت موصولة النسب بتميم، وأن ديارها كانت على كثب منها (٣) — صح ما استنبطته من أن الهمز شمل تيما وتميما، ودليل آخر وهو أن الحجاز يتركون الهمز فى الأمر فيقولون: رَ ذلك، وللاثنين: ريا ذلك، وللجماعة: روْا ذلك، وبنو تميم يهمزون كل ذلك فيقولون: ارأ ذلك وارأيا (٤)

والقرآن الكريم نرى فى صفحته آثار تلك اللهجات فى هذه الكلمة، فقد ذكر أبو حيان أنه نقل عن صاحب اللوامح «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل(٥)» بسكون الراء على الأصل وعزاها لتميم (٦)، كما قرأ أبو عبد الرحمن «ألم ترْ كيف» ساكنة الراء، ويرى ابن جنى فى المحتسب (٧) أن بابه الشعر لا القرآن، ويراه القزاز (أى الهمز) ضرورة كقول الشاعر:

لعمرك إنى لأحب نجدا
وما أرأى إلى نجد سبيلا(٨)

وكأن الشاعر استعمل الأصل وهو الهمز فى الفعل. وهذا مثل قول الشاعر:

«فإنه أهل لأن يؤكرما (٩)»

كما قرأ قنبل وشبل من سورة العلق آية ٧ «أنْ رَأْه استغنى» بغير مدٍّ (البحر المحيط ٨ / ٤٩٣). وابن مجاهد يصف هذه القراءة بأنها غلط (كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ص ٦٩٢، البحر ٨ / ٤٩٣) ولكن أبا حيان يردّ عليه بقوله «وينبغى ألا يغلطه، بل يتطلب له وجها»، وقد حذفت الألف فى نحو من هذا قال:

«وصَّىَ الحجاج فيما وصَّى»

يريد: فيما وصّانى فحذف الألف... وإذا صحت الرواية به وجب قبوله، والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها (البحر المحيط ج ٨ ص ٤٩٣) فأبو حيان يدافع عن القراءة بصحة الرواية، على أن النبر هنا نبر

(١) سر الصناعة ١ / ٨٧، شرح الشافية ٤/٣٢٣
(٢) اللسان ١٩ / ٥
(٣) معجم قبائل العرب ٢ / ٤١٥
(٤) اللسان ١٩ ,٥
(٥) سورة الفيل آية ١
(٦) البحر ٨ / ٥١٢
(٧) ٢ / ٣٧٣
(٨) ما يجوز للشاعر فى الضرورة للقزاز لوحة ٥٥
(٩) الأشمونى ٤/٣٤٧، المقتضب ٢ ,٩٨

ثوتر وهو فى قبائل شرق الجزيرة وتمثله تميم وجيرانها، وهى يكمن فى الهمز، وأما قراءة العامة ( أن رآه ) فالنبر فيها نبر طول وهو فى الحجاز .

٧ — عزى إلى هذيل أنها تبدل الواو المكسورة المصدرة همزة فيقولون « إشاح فى معنى وشاح (١) » ، الدة فى ولدة (٢) » قال الهذلى :

له إلدة سفع الوجوه كأنما
يصفعهم وعك من الموم ماهن(٣)

كما يقولون « إعاء » فى وعاء » (٤) وشاهده قول الأعلم :

هواء مثل بعلك مستميت
على ما فى إعائك كالخيال (٥)

وعلى لغة هذيل تلك قرأ ابن جبير قوله تعالى « ثم استخرجها من وعاء أخيه (٦) » ( إعاء ) بإبدال الواو المكسورة همزة (٧) ، ولهذا أرجح أن الدكتور شوقى ضيف قد ألبس عليه حين قال « وكانت قبيلة هذيل تقول « وشاح » بدلا من « إشاح (٨) » ولكنى أرجح العكس .

ولم يقتصر الأمر على الواو المكسورة بل وردت شواهد على إبدال الواو المضمومة همزة فى شعر معقل بن خويلد ومالك بن خالد الخناعى وهما من هذيل (٩) . ويرى ابن جنى أن همز ( وُعاء ) بالضم أقيس من همز المكسور الواو ، على أنه يلاحظ أن قراءة ( إعاء ) ذكرها ابن جنى فى شواذ القراءات (١٠) .

٨ — وقرأ قوم ( إسل بنى إسرائيل ) البقرة ص ٢١١ وأصله ؛ اسأل . وهى لهجة عبد القيس (١١) فنقل حركة الهمزة إلى السين وحذف الهمزة التى هى عين . ولم تحذف همزة الوصل ، لأنه لم يعتد بحركة السين لعروضها وفى هذه القراءة انتقل موقع النبر إلى المقطع الأول وقال صاحب التصريح (١٢) « ولم يحك ذلك أحد من البصريين » على حين اعترف بها وحكاها لغة لهم الكسائى والفراء « التصريح على التوضيح ٤٠١/٢ . ليس فى كلام العرب لابن خالويه ص ١٢ وهذا يؤكد أن رواية الكوفيين عن العرب قاعدتها أوسع ، ودائرتها أشمل .

٩ — ونعرض الآن لصيغة ( مهموزة ) أصابها التشويه فى بنيتها حيث حرفت فى المصادر المختلفة ونسبت لهجة لقبيلة هذيل .

فقد ورد فى شعر أبى خراش الهذلى .

جمعت أموراً ينفذ المرّ بعضها
من الحلم والمعروف والحسب الضخم (١٣)

---

(١) الجمهرة ١٦١/٢ (٢) ابدال السكيت ٥٧ (٣) ديوان هذيل ٤٩/٣ دار الكتب
(٤) عبث الوليد ١٨٣ دمشق (٥) ديوان هذيل ٨٣/٢ (٦) سورة يوسف آية ٧٦
(٧) البحر المحيط سورة يوسف آية ٧٦ (٨) تاريخ الأدب العربى ١١٤/١ ط أولى
(٩) ديوان الهذليين ٤/٣ ، ٦٥
(١٠) المحتسب فى شواذ القراءات ٣٤٨/١ ط المجلس الأعلى . والوعاء ما يحفظ فيه المتاع ويصان .
(١١) البحر ١٢٦/٢ ، ليس فى كلام العرب ٦٨ (١٢) ٤٠١/٢
(١٣) ديوان الهذليين ١٥٣/٢

وعقّب الشارح عليها قائلا :

المرّ — لغتهم . وفى اللسان (١) ساق للبيت السابق وضبطه ( المِرء ) بكسر الميم وبالهمز ، ثم عقب عليه « هكذا رواه السكرى بكسر الميم وزعم أن ذلك لغة هذيل (٢)».

وأمام هذا التناقض قمت باحصائية فى ديوان هذيل متعقبا كلمة ( المرء ) فيه وهى :

ا — ( المرّ ) وردت مرة واحدة من غير همز وبالتشديد ، فى شعر أبى خراش الهذلى(٣)

ب — ( المِرء ) وردت مرة واحدة فى شعر أبى خراش فى الشاهد السابق ، بكسر الميم وبالهمز .

جـ — ( المرء ) ضبطت فى نسخة بكسر الميم وفتحها مع الهمز (٤)

د — ( المرء ) وردت عشر مرات بفتح الميم وبالهمز على المهيع الفصيح فى شعر أسامة ابن الحارث الهذلى (٥) ، والمتنخل الهذلى(٦) ، والمعطل (٨) ، ومعقل بن خويلد(٧) وساعدة ابن جؤية (١٠) والأعلم فى مكانين من الديوان (١١) وأبى خراش (١٢) ، وأبى المثلم الهذلى (١٣) وأبى العيال الهذلى (١٤)

ثم اتجه البحث إلى القرآن المعجز فى قراءاته فوجد قراءة للحسن والزهرى « بين المرّ وقلبه » من غير همز وبالتشديد (١٥) وقراءة للزهرى وقتادة « بين المرّ وزوجه » (١٦) من غير همز وبالتشديد (١٧)

ولكن ما الصلة التى بين الحسن والزهرى ، وبين هذيل حتى تتمثل فيهما لهجتها ؟ تفيدنا كتب الطبقات أن ابن شهاب الزهرى ينسب إلى زهرة بن كلاب وينتهى نسبها إلى قريش ، وهو من حفاظ المدينة (١) ، وأما الحسن البصرى فبعد لأى عثرت على رواية أضاءت لى معالم البحث — فى تاج العروس (١) مفادها أن الحسن قال يوما أمام جلسائه: « توضيت » بالياء فقيل له : أتلحن يا أبا سعيد ؟ فقال : إنها لغة هذيل ، وفيهم نشأت .

**وأمام هذا النقص أرجح :**

( ا ) أن — المرء — بكسر الميم وبالهمزة ليست لهجة هذلية ، لأنها جاءت فى ديوانهم فى البيت نفسه من غير همز وبالتشديد ، وحين جاءت فى غير الديوان بالهمز وكسر الميم ( زعم

---

(١) ١/ ١٥٠

(٢) أنظر التاج ( مرأ ) والخزانة ٢/٣١٩

(٣) ديوان الهذليين ١/ ٣٨٤

(٤) كتاب شرح أشعار الهذليين ١/ ٣٨٤

(٥) ديوان الهذليين ٢/ ٢٠٢

(٦) الديوان ٢/ ١٧

(٧) الديوان ٣/ ٤٤

(٨) الديوان ٣ / ٦٥ هامش

(٩) الديوان ١ / ١٩١

(١٠) الديوان ٢ / ٧٠ ، ٨٣

(١١) ٢/ ١٥٠

(١٢) الديوان ٢ / ٢٦

(١٣) الديوان ٢ / ٢٥٣

(١٤) الأنفال : ٢٤

(١٥) البحر : ٤/ ٤٨٢ ، المحتسب : ١/ ٣٢٤ تيمور

(١٦) البقرة : ١٠٢

(١٧) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ٨ ، المحتسب : ١/ ١٠٣

(١٨) صفة الصفوة : ٢/ ٧٧ وتذكرة الحفاظ : ١/ ١٠٢

(١٩) ١/ ١٣٤

الراوى أنهما لغة هذيل ) فالرواية لم تفارق منطقة الزعم والظن، والظن لا يغنى من الحق شيئا، ومحال أيضا أن ينطق أبو خراش الهذلى بصورتين مختلفتين، بالهمز وبدونه.

(ب) أن — المرء — بفتح الميم وبالهمز وهى الفصحى، ليست لهجة هذيل أيضا، لأن كتابة الديوان وقعت تحت تأثير الفصحى، فصقلت وهذبت. كما نرجح أن هذا الخلط فى المواد اللهجية سببه أن هذه المواد اللهجية — حين عبرت التاريخ الطويل على أيدى الرواة — لم يكن السبيل إلى نقلها التلقى والمشافهة، بل كان السبيل وحده هو التخمين والاجتهاد وتفاوت الذوق بين الرواة، ولهذا أصيبت بالمسخ والخلط حتى أن ديوان القبيلة — وهو الأثر الباقى من دواوين القبائل — لم يسلم من هذا العبث وسبق أن أثار الدكتور ابراهيم أنيس فى كتابه اللهجات العربية (١) نقدا بناء حول هذا.

(ج) أن — المرّ — من غير همز بالتشديد هى لهجة هذيل، يؤيد هذا أن الحسن البصرى قرأبها، وقد أثبت أن الحسن البصرى نشأ فى ديار هذيل، فانعكس على نطقه بعض لهجاتها.

( د ) أن هذيلا تقع فى منطقة الحجاز، فالتأثير والتأثر، والأخذ والعطاء قائم بينهما ولهذا تلقفها عنهم ابن شهاب الزهرى، والمدنى الحجازى، وكثيرا ما قرن الفراء الحسن البصرى من أهل الحجاز فى عدم همز بعضهم الصيغ(٢)

ويرى ابن جنى فى تحليله للهجة هذيل (المرّ) بتشديد الراء وعدم الهمز: «أن يكون أراد تخفيف المرء على قراءة الحسن وقتادة، إلا أنه نوى الوقوف بعد التخفيف، فصار ( المرّ )ثم ثقل للوقف على قول من قال: هذا خالدّ، وهو يجعلّ، ومررت بفرجّ، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فأقر التثقيل بحاله، كما جاء عنهم قوله.

ببازل وجناء أو عَيْهَلِّ
كأن مهواها على الكلكلِّ

يريد: العيهلَ والكلكلَ وكبيت الكتاب:

( ضخما يحب الخلق الأضخما )

فيمن فتح الهمزة، يريد الأضخم فثقل ثم أطلق ثم يقول ابن جنى: وفى هذا «شذوذان، أحدهما الثقيل فى الوقف، والآخر إجراء الوصل مجرى الوقف، لأنه من باب ضرورة الشعر» (٣)

فابن جنى رفض هذه القراءة وحملها على الشاذ لأنه وقع تحت سطوة القواعد ومعياريتها فحملها على الضرورة بدليل أنه خرج هذه القراءة التى مثلت لهجة هذيل على باب الشعر.

أما الحديث عن لهجة هذيل من الجانب الصوتى فيكاد ينحصر فى سقوط الهمزة وإلقاء حركتها على ما قبلها فينتقل النبر إلى المقطع الأول من الكلمة ويضعف الساكن السابق عليها وهذا النبر فى الكلمة نبر توتر وهو فى هذيل كما أثبتنا.

١٠ — وفى قوله تعالى «تلك إذاً قسمة ضيزى (٤)» يقول الفراء فى معانى القرآن(٥) «والقراء جميعا لم يهمزوا ضيزى ...» ثم يؤكد

(١) ٤٤ ط ٣ (٢) معانى القرآن للفراء: ٣٥٦/٢ (٣) المحتسب لابن جنى ١٠١/١ المجلس الأعلى.

(٤) سورة النجم ٢٢، يعنى: جائرة أو منقوصة مخالفة أو غير مستوية، وجميعها متقاربة فى المعنى.

(٥)٩٨/٣

ذلك مرة أخرى بقوله « ولم يقرأ بها - أى بالهمز - أحد نعلمه » وعجبنا من الفراء ، فقد جاء عن أبي حيان (١) « وقرأ الجمهور ضيزى من غير همز ، والظاهر أنه صفة على وزن فعلى بضم الفاء ، كسرت لتصح الياء ، ويجوز أن تكون مصدرا على وزن فعلى كذكرى ووصف به »وفى النشر (٢) أن ابن كثير قرأ ضئزى - بالهمز ، ووجهه أنه مصدر كذكرى ، ويؤكد ما جاء فى النشر :

١ - ما جاء فى السبعة (٣) لابن مجاهد ، حيث قرأ ابن كثير بالهمز .

٢ - ما ورد عن الكسائى من قوله ضاز يضيز ضيزى ، وضاز يضوز ضوزى ، وضأز يضأز ضأزا (٤) .

٣ - ما أنشده الأخفش :

فإن تنأ عنها تقتضيك وإن تغب
فسهمك مضؤوز وأنفك راغم(٥)

٤ - وما ورد فى المخصص(٦) عن أبي زيد أنه سمع رجلا من ( غنىّ ) يقول « هذه قسمة ضئزى » بالهمزة ، ولهذا نعجب من أبى حاتم أيضا حيث جاء عنه « لا يجوز الهمز فى ضئزى لأنها إذا همزت صارت صفة ، وفِعلى لا تكون صفة ، ولو كانت مهموزة لكانت ضُؤْزى » فأبو حاتم ينكر الهمز مع وروده فى قراءة سبعية ، كما أنه سمع من قبيلة عربية وهى (غنىّ)

**احمد علم الدين الجندى**

---

(١) البحر المحيط ١٦٢/٨
(٢) ٣٩٥/٢ (٣) كتاب السبعة ٦١٥
(٤) البحر المحيط ١٠٤/٨ (٥) البحر ١٦٢/٨
(٦) ٢٠٩/١٢

# تعريف ونقد

# شرح مقامات الحريري

## لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي

### (١)

تحقيق : الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم

تعريف ونقد : الأستاذ محمد عبد الغني حسن

**دعابة** بنا إلى أن نقول هنا شيئا عن « مقامات الحريري » ، وابتداع فن المقامات فى الأدب العربى، ومنشئى المقامات غير الحريرى إلى عصرنا الحديث ، واهتمام المستشرقين بمقامات الحريرى وترجمتهم لها ، أو شروحهم عليها ، بعد المقدمة الجليلة التى صنعها الأستاذ المحقق الكبير محمد أبو الفضل إبراهيم ، والتى استعان فى معارفها - فيما يختص بعلماء الاستشراق - بما كتبه إليه المستشرق الباحث العلامة الدكتور أرنست بانرت أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة فينا بالنمسا .

والحق أن الترجمة التى صنعها الأستاذ المحقق للحريرى صاحب المقامات هى - على إيجازها - من أدق ما يكتب عن الرئيس أبى محمد القاسم المعروف بالحريرى ، كما أن الفصل عن شروح مقامات الحريرى يعد من أوعى الفصول عن هذا الموضوع الذى لم يترك فيه المحقق مجالا لقائل ، ولا سؤالا لسائل . أما الترجمة الوجيزة لأبى العباس الشريشى صاحب الشرح الذى نهض الأستاذ أبو الفضل بعبء تحقيقه ونشره ، والتى نقلها عن « نفح الطيب » للمقرى فهى كافية للتعريف بهذا الشارح الشاعر الأديب المتبحر الكثير الاستطراد ، الذى كان قد رحل من الأندلس إلى المشرق ، فزار الشام ، وشغف بها ، فلما رحل عنها قال أبياتا فى التشوق إليها يقول فيها :

يا جيرة الشام : هل من نحوكم خبر ؟
فإن قلبى بنــار الشوق يستعر
بعدت عنكم ، فلا والله بعدكم
ما لذ للعين لا نــوم ، ولا سهر
إذا تذكرت أوقاتا نأت ، ومضت
بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأننى لم أكن « بالنيربين » ضحى
والغيم يبكى ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد ، والأغصان راقصة
والدوح يطرب بالتصفيق ، والنهر

ولقد سبق لشرح المقامات للشريشى أن نشر مطبوعا فى بولاق سنة ١٣٠٠ هـ بتصحيح محمد الحسينى، وهى نسخة نفدت من زمان طويل، وبات الباحثون والأدباء ينتظرون طبعة جديدة

لهذا الشرح على أساس من التحقيق العلمي الحديث، ومقابلات النسخ المخطوطة . فنهض الأستاذ المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم بهذا العبء - وهو كفء له، وقادر عليه، بما عودنا من تحقيقات دقيقة لكتب كثيرة - ورجع إلى النسخة المطبوعة فى بولاق فجعلها من مصادر تحقيقه ، كما رجع إلى نسخ خطية ثلاث أخرى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت أرقام مختلفة ، بعضها كامل ، وبعضها ناقص .

وعلى الرغم مما بذله المحقق الفاضل الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم من جهد فى التحقيق ، وقعت بعض أوهام فى الضبط ووزن الشعر ورسمه وأسماء الأعلام ونسبة الشعر إلى أصحابه الحقيقيين ، نرى من الوفاء للعلم ، والبر بالبحث أن نشير إليها هنا ، وفاء لصاحبنا المحقق الفاضل، وإنصافا للحق الذى عودنا دائما أن يستمع له ، ويصغى إليه . وبالله التوفيق :

* صفحة ٢ من مقدمة المحقق - السطر الثانى عشر ، ورد اسم ( الحجاج بن يوسف القضاعى ) من علماء الأندلس الذين وفدوا من المغرب على الحريرى وقرءوا عليه مقاماته . وفى الاسم وهم ، وصوابه : ( أبو الحجاج يوسف القضاعى ) كما ورد صحيحا فى كلام الشريشى نفسه صفحة ٥ من الشرح .

* صفحة ٦ من مقدمة المحقق - السطر الأول أن بطل المقامات أبا زيد السروجى هو كنية لرجل حقيقى اسمه « المطهر بن سلام » بالميم فى آخره . وفى هامش صفحة ٢٧ من الشرح نفسه أن اسمه « المطهر بن سلار » بالراء فى آخره . والذى نعرفه أن هذا الاسم ورد فى الجزء الثالث من ( أنباه الرواة ) للقفطى الذى حققه الأستاذ أبو الفضل هكذا : المطهر بن سلار ، بالراء فى آخره ص ٢٧٦ . ولما ترجم له صديقنا العلامة الكبير المرحوم خير الدين الزركلى فى « الأعلام » جعله بالراء كذلك ، وقال فى الهامش : ( سلار كـكتان ، كلمة أعجمية ، أظنها : سالار ، بزيادة الألف ، وهى بالفارسية الرئيس المقدم ، ثم حذفت وشددت اللام ) ومن هنا يتضح أن إيرادها بالميم فى ص ٦ من مقدمة التحقيق وهم لا سند له .

* صفحة ٨٧ — ذكر المحقق أن الأبيات التى أنشدها أبو على :

لا تفخرن بلحية     كثرت منابتها طويله
يهوى تفرقها الريا     ح كأنها ذنب الحسيله
قد يدرك الشرف الفتى     يوما ، ولحيته قليله

هى فى « اللسان » من غير نسبة إلى صاحبها، وفات المحقق الفاضل أن يذكر هذا أنها فى صفحة ٢٨٢ من « الأمالى » لأبى على القالى منسوبة إلى أبى العتاهية .

* صفحة ٩٦ — السطر الخامس ، ورد البيت الآتى من شعر البحترى هكذا :

حملت عليه السيف، وعطفك ما انثنى
ولا يدك ارتدت ، ولا حده نبا

وصدر البيت مضطرب مكسور الوزن وصوابه كما فى ديوان البحترى :

حملت عليه السيف ، لا عطفك انثنى
ولا يدك ارتدت ، ولا حده نبا

* صفحة ١٠٠ — السطر الخامس عشر ، ورد البيت الآتى مضبوطا بالشكل هكذا :

وتبسّم عن لؤلؤ كالوليع
تشقق عنه الرقاة الجفوفا

وتشديد السين المهملة ، وكسر الميم من الفعل : تبسم ، خطأ وصوابه :

وتبسم بكسر السين ، وضم الميم . والواقع أن ضبط المحقق لها بتشديد السين يوهم أن اللفظة مصدر ، مع أنها فعل مضارع .

* صفحة ١٠٩ — السطر الخامس : ورد البيت الآتى مرسوما هكذا :

وأحسن ما فى الوجوه العيو
ن وأشبه شىء بها النرجس

وهذا الرسم ، بجعل نون العيون فى الشطر الثانى ، يخالف الوزن ويكسره . وحق النون أن تكون فى آخر الشطر الأول ، لأن البيت من البحر المتقارب ، وهذا الرسم يكسره .

* صفحة ١١٨ — السطر الأول ، ورد البيت الآتى هكذا :

بعثت إليه بعـــذره
من خاطرى أو فى السرور
لا تعـــذلوه فأنمـــا
أهدى الخدود إلى الثغور

وضبط التاء من الفعل « بعثتُ » وإسناده إلى تاء المتكلم خطأ ، وصوابه : بعثتْ بإسكان التاء — وهى تاء التأنيث لا تاء المتكلم . ومن حسن الحظ أن المحقق الفاضل قد صوبها فى جدول الأخطاء الملحق بذيل الكتاب ، وهو جدول ناقص ، فقد فات الأستاذ أبا الفضل تصويب أوهام أخرى كثيرة .

* صفحة ١٢٢ — السطر الثامن عشر ، ورد البيت الآتى هكذا :

بداهته مثل تفكيره
متى تلقه فهو مستجقع

بالقاف فى الكلمة الأخيرة من البيت ، والصواب أنها : مستجمع ، بالميم .

* صفحة ١٢٦ — الهامش ، وردت هذه العبارة ( لم يرد البيتان فى ديوان المطبوع ) والصواب : ( فى ديوانه المطبوع ) .

* صفحة ١٢٩ — السطر الثالث ، ورد فى متن الشارح هذه النسبة : ( ولابن الجد ) ، ولم يذكر لنا المحقق شيئا عن « ابن الجد » هذا مع حرصه على التعريف الوجيز ببعض المغمورين كما صنع فى ص ١٢٤ — مثلا — حين عرفنا « بابن لبال » وهو أحد شراح مقامات الحريرى . أما ابن الجد فهو من أهل الأندلس . وانظر بعض أخباره فى « المغرب » ج١ ص ٣٤١ ، وفى « الصلة » لابن بشكوال ص٥١٤ ، وفى ديوان ظافر الحداد ص ١٣

* صفحة ١٥٤ — السطر الثامن عشر ، وردت هذه العبارة : ( فوالله ما علمته إلا ضيق الطعن )

وهو خطأ صوابه : ( العطن ) أى الصدر ، بتقديم العين المهملة على الطاء المهملة .

* صفحة ١٩٦ — السطر الأخير ، ورد البيت الآتى من شعر ابن لبّال هكذا :

كأنى – والعصا تدب معى –
قوسها ، وهى فى يدى وتر

وعجز البيت مكسور مختل الوزن لأن به نقصا لم يصححه المحقق ، وصوابه :

كأنى – والعصا تدب معى –
قوس لها ، وهى فى يدى وتر

* صفحة ٢٤٠ — السطر السادس عشر ، ورد اسم « عريف القوافى » بالراء ، وصوابه : عويف بالواو . وهو عوف بن معاوية بن عقبة ، وكان شاعرا من أشراف قومه ، وطارت شهرته فى الدولة الأموية بالشام ، وخاصة بمدائحه فى الوليد بن عبد الملك ، وأخيه سليمان ، وعمر ابن عبد العزيز ، وتوفى فى نحـــو سنة مائة من الهجرة .

* صفحة ٢٥٦ — السطر السابع عشر ، ورد البيت الآتى لبعض الشعراء من ثلاثة أبيات ، مضبوطا بالشكل الآتى :

وحلة كساها كالحلى فى التهابه
فاستبطنت مديحا كالأرى فى نصابه
فراح فى ثيابى ورحت فى ثيابه

بضبط لفظة ( كالحلى ) فى البيت الأول بتشديد الياء ، وهو خطأ به ينكسر الوزن ، والصواب : كالحلى ، بفتح الحاء ، وسكون اللام .

* صفحة ٢٦١ — الهامش ، علق المحقق الفاضل على البيت الآتى :

وعزمة بعثتها همة زحل
من تحتها بمكان الترب من زحل

بقوله : ( لم أجده – يعنى هذا البيت — فى ديوانه – يعنى ديوان أبى الطيب كما ذكره الشارح الشريشى – كما لم أجده فى شعر أبى طالب المتنبى الأندلسى ، فيما أورده ابن بسام فى الذخيرة ، وعلى بن سعيد فى المغرب ... ) ، وأقول : لا داعى لهذا العناء والبحث فى كتب الأدب الأندلسى عن قائل هذا البيت ، فأنه من شعر أبى الطيب المتنبى – كما قال الشريشى – وهو مثبت فى كل طبعات ديوانه ، وهو من قصيدة المتنبى التى مطلعها :

* أعلى الممالك ما يبنى على الأسل *

وانظر ديوان المتنبى شرح عبد الرحمن البرقوقى ج٢ ص ٣٨ ، وانظر أيضا مختارات البارودى ، ج٢ ص ٣٧

* صفحة ٢٧٩ — السطر العـــاشر ، ورد البيتان الآتيان :

إذا لم يعنك الله فيما تريده
فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك فى كل مسلك
ضللت ، ولو أن السماك دليل

منسوبين لأبى نواس ، بالنون والواو ، وهو خطأ مطبعى — لا خطأ من الشريشى شارح

المقامات - وصوابه : لأبي فراس ، بالفاء والراء، وهو أبو فراس الحمداني المشهور ، والبيتان في ديوانه ص ١٥١ .

* صفحة ٢٨٢ — السطر الثامن عشر ، وردت لفظة « إبّالة » في البيت الآتي مضبوطة بالشكل بتشديد الباء هكذا :

في كل يوم من ذؤاله
ضغث يزيد على إبّالة

والصواب هنا : إبالة ، بفتح الباء من غير تشديد . فهي : الأبالة بالتشديد ، والإبالة بالتخفيف ، والأبيل ، والأبيلة . ويجب أن تكون في البيت مخففة ليستقيم الوزن ، فأن ضبطها بلغة التشديد يكسر الوزن . ومن حسن الحظ أن المحقق الفاضل تنبه لهذا الوهم فصوبه في جدول الخطأ والصواب بآخر الكتاب .

* صفحة ٢٨٣ — السطر الخامس ، وردت هذه العبارة هكذا : وقال ذو الرمة في الخمر :

رمى فأخطأ ، والأقدار غالبة
فانصعن ، والويل هجيراه والحرب

بأعجام الخاء من كلمة « الخمر » — كأنها الشراب المسكر — والصواب : الحاء المهملة بغير نقط ، وهي : الحمر ، جمع حمار ، الحيوان المعروف انظر الشوامخ للدكتور محمد صبري ص ٣٤ .

* صفحة ٢٨٨ — السطر التاسع ، ورد البيتان الآتيان المرويان لحسان بن ثابت الأنصاري شاعر الرسول عليه السلام هكذا :

إن يأخذ الله من عيني نورهما
فني لساني وقلبي منهما نور
قلب ذكي ، وعقل غير ذي دخل
وفي قلبي صارم كالسيف مأثور

والشطر الأخير من البيتين مكسور ، وخطأ في الرواية ، وصوابه كما في ديوان حسان ابن ثابت صفحة ١٢٨ ، شرح محمد العناني :

قلب ذكي ، وعقل غير ذي دخل
وفي فمي صارم كالسيف مأثور

ومع رجوع المحقق الفاضل إلى ديوان حسان ص ١٦ للتأكد من الرواية ومن وجود الشعر، فإنه قد حرف النص ، ولم يقومه فبدا على غير أصله .

* صفحة ٣٠٤ — السطر الثاني عشر ، ورد البيت الآتي مضبوطا بالشكل هكذا :

كأنه لون خدي حين تدفعني
كف « الرشيد » لأمر يوجب الغسْلا

بإسكان السين المهملة من كلمة الغسْل ، والصواب تحريكها بالضم ، لأن البيت قبلها الذي نظمت جارية « الرشيد » على غراره هو :

كأنه خد معشوق يقبـله
فم الحبيب ، وقد أبقى به خجلا

وتحريك السين هنا في لفظة « الغسل » هو إحدى الضرورات الشعرية التي لا يلجأ إليها الفحول من الشعراء .

* صفحة ٣٢٤ ــ السطر السادس عشر ، ورد بيتان نسبهما المحقق الفاضل وهماً إلى جرير الشاعر . وعلق المحقق عليهما بقوله : ( لم يرد البيتــــان فى ديوانه ) يعنى ديوان جرير . والبيتان هما :

كأنما خلقت كفاه من حجر
فليس بين يديه والندى عمل

يرى التيمّـم فى بر ، وفى بحر
مخافة أن يرى فى كفه بلل !

وبالطبع لن يجد المحقق الفاضل هذين البيتين فى ديوان جرير ، ولو ظل يبحث عنهما إلى أبد الآبدين! فالبيتان للشاعر « حزين الدؤلى » ، وليسا للشاعر جرير . وقد ورد البيتان منسوبين إلى قائلهما الصحيح : الحزين ، أو حزين الدؤلى ، أو الديلى ، فى « المؤتلف والمختلف » للآمدى ص ٨٨ ، ٨٩ . أما ورودهما فى الأمالى ، وفى شرحه للبكرى ، وفى شرح المقامات للشريشى منسوبين إلى جرير ــ أو الجرير ــ الدؤلى فهو وهم تنبه إليه العلامة المحقق الكبير عبد العزيز الميمنى أستاذ العربية بجامعة عليكرة بالهند ، وصححه فى « سمط اللآلى » ص ١٩٤ من طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٦ . والشاعر « الحزين الديلى » من شعراء العصر الأموى ، وكان هجاء خبيث اللسان يتكسب بالاستطالة على الناس بأهاجيه .

* صفحة ٣٤٢ ــ السطر السادس . ورد البيت الآتى :

إذا لم أجد فى بلدة ما أريده
فعندى لأخرى عزمة وركاب

منسوبا إلى الشاعر أبى الطيب المتنبى . وقد وهم الشريشى شارح المقامات فى هذه النسبة . والحق أن البيت لأبى فراس الحمدانى ، وليس لأبى الطيب . وكان واجبا على المحقق الفاضل أن يصحح هذا الوهم . ولكن يبدو أنه اطمأن إلى الشريشى ووثق به فى النسبة فأوقعه فيما وقع هو نفسه فيه ...

وهذا البيت هو من القصيدة البائية لأبى فراس التى مطلعها :

أما لجميل عندكن ثواب ولا لمسىء عندكن متاب

* صفحة ٢٦٥ ــ السطر السادس ، وردت لفظة « السجن » فى البيت الآتى :

وأزور السِّجن لولا حاكم الأسكندرية

مجرورة بالكسرة ، والصواب نصبها بالفتحة . وهى من أوهام الطبع ، ولم تصحح فى ذيل الكتاب .

* صفحة ٣٦٩ ــ هامش الصفحة . ورد فعل : « يستبسلها » بسين وسين ، كأنه من البسالة والاستبسال . وهــــو وهم مطبعى ، والصواب : يستبيل ، أى يأخذ بول الإبل بيده .

* صفحة ٣٨٥ ــ بالهامش . جاء أن هجاء ابن أبى نعيم للقاضى يحى بن أكثم هو فى ديوانه ــ يعنى ديوان ابن أبى نعيم ... فمن ابن أبى نعيم هذا ؟ وأين ديوانه الذى يذكر المحقق الفاضل أن هجاء القاضى يحى بن أكثم فى جزئه الثانى

ص٣٠٢ ؟ وكنت أرجو أن يقف المحقق الفاضل وقفة قصيرة عند التهم الشنيعة التي اتهم بها القاضي ابن أكثم لعله يدفعها عنه أو يخفف من غلوائها، كما فعل في تحقيقه لكتاب «ثمار القلوب» للثعالبي حين ذكر في هامش صفحة ١٥٨ أن ابن خلدون في المقدمة قد فند ما نسب إلى يحيى بن أكثم من اللواط الذي اشتهر به حتى صار يقال في الإضافات المشهورة : «لواط يحيى بن أكثم» . وفي الجزء الثاني من «طبقات الحنابلة» دفاع كريم عن هذا القاضي الذكي المتقدم في الفقه وأدب القضاة ، والذي اتصل بالمأمون العباسي ، فولاه منصب قاضي القضاة ، وأمر بألا يحجب عنه ليلا ولا نهارا ، وأفضى إليه بأسراره ، وشاوره حتى في خاص أموره ...

* صفحة ٢٨٦ — السطر الحادي عشر ، ورد البيت الآتي هكذا :

وكنا نرجى أن نرى العدل بيننا
فأعقبناه بعد الرجاء قنوط

بزيادة هاء في آخر الفعل : فأعقبنا . وهي زيادة لا محل لها ، فوق أنها تكسر وزن البيت، والصواب حذفها ، فيصبح البيت هكذا :

وكنا نرجى أن نرى العدل بيننا
فأعقبنا بعد الرجاء قنوط

* صفحة ٤٠٣ — السطر العاشر ، ورد البيت الآتي من شعر ابن خفاجة الأندلسي الذي يعرف أيضا بالخفاجي ، هكذا :

كم دمع عين فيك قد أجريته
وقلب صب فيك قد طارا

وصدر البيت مكسور لزيادة لفظ فيه ، وهو ( قد ) ؛ وهي زيادة لا أدري إن كانت من الناسخ أم من المحقق ، أم من الطابع . ولكن المحقق - على كل حال - لم يصححها ، والصواب حذف : قد ، ليصبح البيت هكذا :

كم دمع عين فيك أجريته
وقلب صب فيك قد طارا

وواضح بالطبع أن «قد» تحذف من الصدر ، ولكنها تبقى في العجز . والبيت من بحر السريع .

* صفحة ٤٠٤ — السطر الرابع ، ورد البيت الآتي من شعر العباس بن الأحنف في طيب رائحة الفم ، هكذا :

وتذكرت بالتفاح منك سوالفا
وبالراح طعما من مقبلك العذب

وواضح أن الصدر مكسور ، لزيادة «الواو» على الفعل : تذكرت وهي زيادة لا محل لها . ولعلها من أوهام الطبع ، ولكنها لم تصحح في ثبت التصويبات بآخر الكتاب .

* صفحة ٤٠٤ — السطر الحادي عشر ، وردت الأبيات الآتية من شعر أحمد بن محمد الغساني هكذا :

له مبسم برقـــه خاطف
عقول الرجال إذا ما ابتسم

أقـــول له إذ بدا دره
شهدنا لصانعـه بالحكم

أرى الدر يثقبـه الناظمون
وما ثقبوا إذا فكيف انتظم ؟!

وواضح أن الشطر الأخير من الأبيات الثلاثة مختل الوزن ، مختل المعنى . لأن كلمة « إذا » لا معنى لها هنا ، والصواب : ( ذا ) بدون همزة ، أى هذا التى هى اسم اشارة . وبذا يصبح البيت الأخير هكذا :

أرى الدر يثقبـه النـاظمون
وما ثقبوا ذا فكيف انتظم ؟

* صفحة ٤٠٦ ــ السطر الرابع ، ورد البيت الأول من شعر عكاشة بن عبد الصمد هـكذا :

سقيا لمنزلنـا الذى كابه
يوم الخميس عشية أصحـابا

وجلىٌّ أن ( كابه ) لا معنى لهـا ، وأنها تحريف مطبعى لم يصححه فى ثبت التصويب ، وصوابه : كنا به وبذا يصبح البيت هكذا :

سقيا لمنزلنا الذى كنا به
يوم الخميس عشية أصحابا

* صفحة ٤٠٦ ــ السطر الحادى عشر ، ورد البيت الآتى من شعر بعض الشعراء هكذا :

كأن بنانها أقلام عاج
مرصعـة الرأس بآبنوس

بإفراد كلمة « الرأس » . والبيت على هذا مكسور الوزن ، وصوابه الرؤوس بصيغة الجمع لا المفرد . وبذا يصير البيت هكذا :

كأن بنانهـا أقـلام عاج
مرصعة الرؤوس بآبنوس

* صفحة ٤٠٧ ــ السطر الثانى عشر ، ورد البيت التالى من شعر ابن لبال القاضى هكذا:

فقالت ولم تـكذب خشيت سقوطه
وأومت إلىَّ فيها فنظمته ثغرا

بتشديد الياء من لفظة ( إلى ) ــ كأنها إلى الداخلة على ياء المتكلم ، وهو خطأ صوابه إلى ، مجردة وجارَّة لـكلمة : فيها ، بمعنى فمها .

* صفحة ٤١٠ ــ السطر الثالث عشر ، ورد البيت الآتى من شعر المعتمد بن عباد الأندلسى مضبوطا بالشكل هكذا :

أخضرٌ فى أبيضٍ تبدَّى
ذلك آسٍ ، وذا بهـارى

بتنوين الراء من كلمة « أخضر » ، وكأن المحقق الفاضل قاسه على تنوين الضاد من كلمة « أبيض » فى الشطر نفسه . والصحيح أن « أخضر » هنا تمنع من الصرف ، « وأبيض » تصرف ، ليستقيم الوزن . وهذا الشعر من وزن مخلع البسيط كما هو معلوم .

* صفحة ٤١١ ــ الشطر الثالث ، ورد البيت التالى من شعر أبى بكر البلوى هكذا :

انظر إلى ميت ولكنه
خلو من الأكفان والغاسل

بتشديد الياء من كلمة : « ميت » كما هو الأصل فى هذه اللفظة ، والصواب تخفيفها على وزن فعل ، كبيت ، فيصير الضبط هكذا :

انظر إلى ميْت ، ولكنه
خلو من الأكفان والغاسل

وهذا الشعر من بحر السريع .

* صفحة ٤١١ — السطر الأخير من المتن ، ورد البيت الآتى من شعر على بن بسام فى أخيه جعفر مضبوطا بالشكل هكذا :

أيامُ وجهك مصقول عوارضه
وللرياض على خديك أنوار

مما يوهم أن « أيام » مبتدأ ، وخبرها : مصقول . وهذا وهم كبير . والصواب أن « أيام » منصوبة على الظرفية الزمانية ، وأن « وجهك » مبتدأ ، خبره مصقول .

صفحة ٤١٤ — السطر الخامس ، ورد البيت الآتى من شعر أبى تمام هكذا :

قال الوشاة : بدا فى الخد عارضه
فقلت: لا تنكروا وما ذاك عائبه

بزيادة « واو » على ما النافية فى الشطر الثانى ، والصواب حذفها ليصير البيت موزونا هكذا :

قال الوشاة : بدا فى الخد عارضه
فقلت : لا تنكروا ما ذاك عائبه

* صفحة ٤٢٢ — السطر الرابع عشر ، ورد البيت الآتى من شعر بعض الشعراء هكذا :

أمسك سهام اللحظ أو فارمها
أنت بما ترى مصاب معى

وواضح أن الفعل « ترى » فى الشطر الثانى لا معنى له ، وصوابه : ترمى . وبهذا يصبح البيت هكذا :

أمسك سهام اللحظ أو فارمها
أنت بما ترمى مصاب معى

* صفحة ٤٢٥ — السطر الذى قبل الأخير ، وردت العبارة الآتية هكذا : (فعبر لى أنى أرزق علما غزيرا كعزة الكبريت الأحمر ...) ولا معنى هنا للعلم الغزير ، من الغزارة بمعنى الكثرة . ولكنه العلم العزيز — بالعين المهملة والزاى — من العزة بمعنى : الندرة ، كما يوحى به قوله : كعزة الكبريت الأحمر ، الذى يضرب به المثل فى الندرة ...

* صفحة ٤٢٦ — السطر الثانى ، ورد البيت الآتى هكذا :

تراه وشيكا شكساً إسته
كأنما جناها عليـــه فمه

ولا معنى لقوله: شكساً استه، والصواب. شكا استه

* صفحة ٤٣٢ — السطر الثالث ، ورد البيتان الآتيان من شعر أبى العباس القريعى مضبوطين بالشكل هكذا :

كان ألا قمرا تحت دجى
فانجلى الليـــل ، ولاح القمرْ
أو كزهر فى كمام كامن
شققت عنـــه فتم الزهرْ

بإسكان راء الروى فى القمر ، والزهر ، والصواب تحريكها بالضمة ، والشعر من بحر الرمل كما هو واضح .

وبالله التوفيق ؟

القاهرة

محمود عبد الغنى حسن

# شخصيات مجمعية

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الخميس ٩ من صفر سنة ١٢٩٥ هـ ( الموافق ٢٠ من فبراير سنة ١٩٧٥ ) أقام المجمع حفل استقبال أعضائه الجدد ، وهم السادة: الاستاذ بدر الدين أبو غازى ، والدكتور محمد يوسف حسن ، والدكتور محمود مختار . وفيما يلى ما ألقى فى هذا الحفل .

# كلمة الافتتاح

## للدكتور ابراهيم مدكور ، رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

زملائى :

سيداتى :

سادتى :

يسعدنا أن نستقبل اليوم ثلاثة من شيوخ العلم والفن ، وهم السادة :

الأستاذ بدر الدين أبو غازى .

الدكتور محمد يوسف حسن .

الدكتور محمود مختار .

وليس من بينهم أحد غريب عن المجمع ، فقد أعطوه من قبل وأجزلوا له العطاء ، ونحن نشكرهم على جزيل عطائهم ونرحب بانتمائهم إلى المجمع ، كما أننا على يقين أنهم سيسهمون معنا فيما نضطلع به من أعباء ، ونعول التعويل كله على جهودهم وإسهامهم بعلمهم وكفايتهم فى تحقيق رسالة المجمع .

وباسم المجمع يستقبل الدكتور محمد مهدى علام الأستاذ بدر الدين أبو غازى ، ويستقبل الدكتور عبد الحليم منتصر كلا من الدكتور محمد يوسف حسن ، والدكتور محمود مختار .

والكلمة الآن للدكتور محمد مهدى علام :

كلمة الدكتور محمد مهدى علام فى استقبال :

# الأستاذ بدر الدين أبو غازى

كان من تقاليد القبيلة العربية أن تحتفل بظهور شاعر فيها ، وكانت تعد ذلك يوما عظيما من أيامها . وهذا المجمع — وهو سليل القبائل العربية ، وحامل لواء لغتها — يحتفل كذلك بيوم استقبال عضو جديد فيه . فهو تقليد يمد فى حياة المجمع ، ويبقى له نعمة الوجود . فمع أن الأعضاء المؤسسين لهذا المجمع قد رحلوا جميعا إلى جوار ربهم ، وتبعهم أفواج بعدهم ، مازال المجمع بحمد الله باقيا ، يحمل عنهم الأمانة ، ويؤدى الرسالة .

إن نهر النيل ليس فيه نقطة ماء مما كان بمجراه منذ عام واحد ، وهو مع ذلك نهر النيل الفياض بالخيرات .

وأمر هذا المجمع عجيب حقا ، فإن أعضاءه مهما اختلفت منابع ثقافتهم ، وتعددت دروب نشاطهم فى الحياة ، يلتقون آخر الأمر عند العربية، إخلاصا فى حبها ، وبذلا فى خدمتها . وأعود فأرى هذا المجمع مرة أخرى أشبه بنهر عظيم ، يتدفق من منبعه ، ويسير فى مجراه سيرا وئيدا أو حثيثا ، ولكن مجراه لا تنقطع عنه المياه . فهناك هذه الروافد التى تمده بمياهها ، التى قد تختلف لونا أو طعما أو كثافة ، ولكنها ما إن تنساب إلى هذا المجرى العظيم حتى تصبح جزءا منه .

وهكذا يواصل تدفقه فى طريقه بكل ما جمع من عناصر الخير التى تبعث فى الثقافة الحياة والرفاهية ، وفى اللغة النماء والازدهار .

ومن خصائص هذا المجمع خصيصة يرجع بعضها إلى التخطيط السليم ، كما يرجع بعضها إلى تلقائية رائعة . ذلك أن أعضاء هذه الهيئة الموقرة يجمع العضو منهم بين نشاطين أو أكثر من أنشطة المعرفة — بل لا أتردد أن أقول — فى بعض الأحيان — من أنشطة التخصص الدقيق. ثم يحولها كلها إلى خدمة اللغة .

وهذه الحقيقة ماثلة فى أذهاننا منذ عرفنا المجمع ، ولكن نبهنى إليها فى يقظة واعية كتب زميلنا الجديد ، الأستاذ بدر الدين أبو غازى ، الذى أسعد باستقباله اليوم باسمكم ، أيها الزملاء؛ فإن التقاء الثقافات الرفيعة فى هذه الكتب — ثقافة الفن ، وثقافة الأدب ، وثقافة القانون والاقتصاد — قد أخطرت بذهنى تلك الصور الرائعة فى حياة هذا المجمع : الصور التى جمعت بين القانون والأدب فى عبد الحميد بدوى ، وعلى بدوى ، وعلى الخفيف ، ومصطفى القللى ، ومصطفى مرعى . والتى جمعت بين الشعر والتاريخ والنقد فى عباس العقاد ، والمازنى،

وبين الفلسفة والأدب فى لطفى السيد وإبراهيم مدكور . وبين علم النفس والأدب فى زكى المهندس ، وعبد الحميد حسن ، وإبراهيم اللبان ، ومحمد خلف الله أحمد . وبين الطب واللغة والأدب فى أحمد عمار ، ومحمد سليمان . وبين الهندسة واللغة فى الشرباصى والدمرداش .

ولعلى قد تجاوزت حدود اللياقة حين شرعت أمثل بمجرد تمثيل ، معتمدا على الذاكرة ، وما قصدت استقصاء . وأنا أستأذنكم أن تنسوا كل من ذكرت ، حتى لا يكون هنا غمط لمن لم أذكرهم . فلننس كل ذلك ، ولنكتف بمثال واحد ، نقره جميعا ، لأن العالم قد أقره ، وهو الدكتور محمد كامل حسين ، صاحب الجائزتين ، وفارس الحلبتين .

وعندما شرفنى المجمع بأن أنوب عنه فى استقبال زميلنا الجديد ، الأستاذ بدر الدين أبو غازى ، أحسست بعظم التكليف ، فما كان لى أن أتعجل الأمر فى كلمة ستظل محفوظة فى سجل المجمع ، تسبق العضو إلى عضويته ، وتعبر عن رأى المجمع على لسان من أحسن الظن بقدرته على حمل هذه الأمانة .

لذلك شرعت أقرأ كتب الأستاذ أبو غازى ، لأزداد معرفة به . ولكن هذه الكتب استغرقت انتباهى ، فلم أفطن إلى الهدف من قراءتها إلا بعد أن استمتعت بما فيها من تاريخ الفن بأسلوب الأديب الذى يحسن اختيار لفظه ، وتحديد موضعه فى بناء الجملة ، بنفس المقاييس التى يختار بها الفنان اللون الذى يريد أن يستعمله ، والموضع الذى يضعه فيه إلى جوار غيره من الألوان فى لوحته .

فلما عدت أسأل نفسى عن هدف هذه القراءة رأيتنى أنقل منها أقل القليل فى عبارة أو عبارتين أقدم بهما أسلوب هذا الفنان الأديب ، حين يقول مثلا عن وحى الشعوب الفنية فى الفن التشكيلى :

« فى الفنون الشعبية معين لا ينضب للآداب والفنون القومية ، فهى تبهرها بنسيج يؤكد أصالتها ، ويمنحها نبضها وطابعها الخاص . فمرور الزمن لا يذهب بها ، وتوافد التيارات لا يطمسها ؛ فعرقها السحرى دساس ينساب فى وجدان الشعب ، وتتوارثه الأجيال .

« والفنون الشعبية دائما صنو الحياة ، إبداعها هو جزء من ممارسة الناس لحياتهم ، لا عزلة ولا انفصال بين الفن والحياة . ومن هنا سر صدقها الخاص ، وقدرتها على الاستمرار والإلهام .

« لقد كانت هذه الفنون مصدر إلهام للأدب والفن فى عصور وبلاد مختلفة . ومن فيضها تحقق ثراء فى التعبير والرؤى ، وتشكلت الآداب والفنون القومية سماتها » .

[ الفن فى عالمناص ٥٧ ]

وحين يتكلم عن الحياة الفنية فى مصر ، يشير إلى الخلفية التاريخية لنشأة هذه الفنون بقوله :

« على امتداد الأفق التاريخى تلوح مصر وعاصمتها القاهرة فى تطلعها الثقافى واحتضانها للفنون ، مركزاً من المراكز التى صنعت الحضارة فى عصور مختلفة .

« يكفى أن نمد البصر إلى تاريخ القاهرة الإسلامية ، لنرى الفن صنوا للحياة فيها ، وعنصراً من أبرز عناصر حضارتها . كان الفن أداة من أدوات الحياة يمتد إلى كل عنصر من عناصرها ، من الإناء إلى البناء ، ومن حلى الزينة إلى محاريب المساجد وشبابيكها ، ومن قطع النسيج الصغيرة إلى واجهات المبانى الضخمة .

« وكانت القاهرة فى مواكبها وأعيادها تستخدم كل عبقريتها فى التفنن . يطالعنا المقريزى فى خططه بملامح من بهاء الحياة الاجتماعية فيها ومن ارتقاء الذوق العام .

« ألم تحظ القاهرة منذ ستة قرون بما لم تحظ به باريس إلا منذ سنوات قليلة ، حين أمر الحكام بطلاء مبانيها باللون الأبيض ، فبدت وضاءة تزينها الألوان المتألقة فى أسواق النسيج والنحاس ومحلات الفاكهة والزهور !

« ألم تعرف قاهرة العصر الوسيط ما تسعى القاهرة المعاصرة الآن إلى بلوغه ، من تجميل واجهات المبانى العامة بروائع الفنون ! ويحدثنا الأستاذ جاستون فييت فى كتابه الرائع ( القاهرة مدينة الفن والتجارة ) عن المنشآت العمرانية فى العصر المملوكى ، ويقدم وصفاً رائعاً لمستشفى قلاوون وروعة بنائه ، وجمال تأثيثه ، وما حفل به البيمارستان القديم من أفاريز زينت جدرانه بمناظر الصيد والرقص ومجالس الطرب والموسيقى ، ومشاهد مما يحيط بالفنان من مرئيات تجيش بحرارة الحياة . »

[ جيل من الرواد ص ١٠ – ١١ ]

إن صاحب هذا القلم هو زميلنا الجديد ، بدر الدين أبو غازى ، الذى ولد فى القاهرة فى سنة ١٩٢٠ لأب من رجال التعليم وأم ذات ثقافة أدبية ، وهى التى تعهدته بعد وفاة والده - وهو فى السادسة من عمره - فأتاحت له القراءة فيما كانت تقتنيه من كتب وصحف .

وقد ظهر أثر ذلك على قلمه فيما كان يكتب فى المدرسة ، فأثار إعجاب أساتذته وتشجيعهم . ولم يخيب الفتى المتأدب أملهم . فقد بعث - وهو فى مرحلة التعليم الثانوى - باكورة إنتاجه الأدبى مقالا إلى جريدة « الأهرام » عن الزعيم الوطنى « محمد فريد » فنشرته الجريدة فى صفحتها الأولى فى نوفمبر سنة ١٩٣٦ .

وقد شعر الطائر بجناحيه يحملانه فى سماء الأدب ، فحلق بهما منذ ذلك التاريخ .

وكان القدر قد عوضه عن فقد والده ، خالا عظيما ، هو الفنان المثال محمود مختار ، فتولى رعايته إلى جانب والدته . وقد اجتمع له الآن إلى جانب ميله الأدبى ميل جديد إلى عالم الفنون .

ومع ذلك فإن دراسته الجامعية لم تتجه به إلى أى من الميدانين : ميدان الأدب أو ميدان الفنون ، بل سارت به فى ميدان القانون .

واستطاع الأديب الفنان أن يحقق مصالحة بين هذين الاتجاهين ، والدراسات القانونية .

وحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٤١ وشاءت الظروف أن يبدأ حياته العملية فى مجال التشريعات الضريبية والمالية ، فتولى شئون المكتب الفنى للضرائب بوزارة المالية ، ثم شئون التشريعات المالية بصفة عامة .

وأوفد فى بعثات دراسية إلى إنجلترة وفرنسا لدراسة نظم الضرائب .

ولم تشغله الأرقام ولا مواد القوانين عن ميوله الأدبية والفنية . ففى سنة ١٩٤٩ أصدر كتابه الاول « مختار : حياته وفنه » وهو محاولة ناجحة فى أدب التراجم ، مع لمحات ذكية فى الدراسات النقدية .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية ، ونال جائزة « واصف غالى » : مصر - فرنسا ، فى باريس .

وواصل الأستاذ أبو غازى كتاباته فى النقد الفنى ، فى الصحف والمجلات ، وأهمها : الأهرام ومجلة الفصول ، والأخبار ، ومجلات دار الهلال ، وروز اليوسف ، ومجلة المجلة ، والفكر المعاصر ، وعالم الفكر .

وظلت قائمة مصالحته التى عقدها بين ميله ونشاطه فى الفن والأدب ، وعمله بين الارقام ومواد القوانين . فكان يمارس النشاطين فى إخلاص وحسن أداء :

مديرا عاما لمكتب وزير الخزانة من ١٩٥٨ حتى ١٩٦١ .

فمديرا عاما للتشريع المالى من ١٩٦١ حتى ١٩٦٤ .

فوكيلا لوزارة الخزانة من ١٩٦٤ حتى ١٩٧٠ .

وفى سنة ١٩٧٠ عين وزيرا للثقافة ، فكان ذلك إرهاصا لغلبة الفن والأدب على أرقام الميزانية وجداول الضرائب .

وقد دفع ضريبة لهذه الثقافة المتعددة النواحى التخصصية ، عضويته لكثير من الهيئات التى ساهم فيها بالرأى والمشورة ، كالمجلس الأعلى للأزهر ، والمجلس الأعلى لدار الكتب ، والآثار . وعهد إليه برياسة لجنة توحيد المصطلحات المالية فى جامعة الدول العربية .

وكان أوفر نشاط ثقافى فعال له ، فى لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . وفى هذه اللجنة أشرف على إعداد مصطلحات الفنون التشكيلية باللغة العربية . وهو رئيس لجمعية محبى الفنون الجميلة ، وعضو فى مجالس عدد من الكليات والمعاهد الفنية والأدبية .

أما الكتب التى صدرت له ، والتى سعدت بقراءتها فى خلال الأسبوعين الماضيين فهى :

١ — محمود سعيد : التراث والعصر من حياته حول فنه .

٢ — جيل من الرواد : تناول فيه التأريخ لسبعة من رواد الفنون الجميلة فى مصر .

٣ — الفن فى عالمنا : بحث فيه علاقة الفن بالمجتمع ، وعلاقة الفن بالنقد ، وعلاقة الفن بالأدب .

٤ — من محيط الفنون : تكلم فيه عن

عصر العباقرة فى أوربا فى القرن السادس عشر والسابع عشر ، والثامن عشر ، وتكلم فى الفصل الأخير عن الفن المصرى الحديث فى النصف الأول من القرن العشرين .

٥ — مختار : حياته وفنه ، وهو كتابه الأول عن خاله الفنان العظيم ، صدر فى سنة ١٩٤٩ فى ١٦٠ صفحة .

٦ — المثال مختار : وهو كتابه الثانى عن خاله فى ٢٥٠ صفحة وقد صدر فى سنة ١٩٦٤ .

ولم يطلعنى الأستاذ أبو غازى على هذا الكتاب إلا منذ أربعة أيام ، حين كان يحدثنى عما جاء فى ذلك الكتاب عن الحفلة التى أقيمت لتكريم مختار بنادى القاهرة ونشرت خبرها جريدة الأهرام فى الثانى والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٢٠! فقال لى - على أسلاك التليفون - إن وصف هذه الحفلة يذكر من خطبائها : أحمد حشمت باشا ، والدكتور منصور فهمى ، والفنانان محمد حسن ، ومحمود خيرت ، والشيخ مهدى علام الأستاذ بمدرسة المعلمين العليا الذى ألقى قصيدة عصماء جاء بها ... (وذكرت الجريدة بعض أبيات القصيدة ) .

وسألنى الأستاذ بدر الدين : أهذا من قبيل تشابه الأسماء ؟ فقلت له - وقد تذكرت كل شىء : إن هذا الشيخ مهدى علام ، هو مهدى علام الذى يسعده أن يستقبلك فى سنة ١٩٧٥ كما استقبل خالك العظيم محمود مختار عند عودته من باريس عقب عرضه لتمثاله العظيم « نهضة مصر » فى سنة ١٩٢٠ أى منذ ٥٥ سنة بتلك القصيدة التى كان مطلعها :

إن فى التصوير للناس هدى
وبيانا دونه كل بيان :
رقعة فيها خطوط ربما
أغنت الأقوام عن ذرب اللسان ،
ولرب اليوم تمثال لنا
يقرأ التاريخ فيه كل فانى .
يارعى الله أبا الهول ومن
أودعوه السر فى جوف الزمان !
إيه يامختار قد أيقظته
بعد أن قد كان رمزا للتوانى .
............................ الخ الخ .

وقد تفضل عقب تلك المحادثة التليفونية فأحضر لى نسخة من ذلك الكتاب ، فضممتها إلى ما أبقاه البوليس السياسى من إنتاج ثورة ١٩١٩ .

وليس لى من تعليق على مانشرته « الأهرام » منذ ٥٥ سنة إلا أن أشكر على أنها « عينتنى » أستاذا فى كليتى قبل تخرجى منها بعامين .

وبعد فإذا كانت خمس وخمسون سنة تفصل بين استقبالى لخالك العظيم ، واستقبالى لك اليوم ، فإن خمس سنوات فقط تفصل بين أول استقبال لك فى هذا المجمع يوم زرته وأنت وزير للثقافة ، ويوم استقبالك الآن عضوا عاملا فيه .

لقد قلت فى سنة ١٩٧٠ فى تواضعك وأنت وزير تشرف على هذا المجمع : « أشعر أننى تلميذ بين أساتذة عظام » . واليوم تقدم أيها الزميل فاجلس بين زملاء كرام .

## ... كلمة الاستاذ بدر الدين أبو غازى

السيد الرئيس — السادة الأعضاء :

سيداتى — سادتى :

هل تستطيع كلماتى أن تعبر لكم عن شكرى وعرفانى ، فإن اختياركم لى شرف عظيم أعتز به ، ومن الذى لا يشعر بالاعتزاز بل بالزهو حين يرتقى إلى قمة الخالدين .

وهل أستطيع أن أفى الأستاذ الكبير الدكتور محمد مهدى علام حقه من الشكر على استقباله لى هذا الاستقبال الكريم .

وبعد فقد داخلنى شعور بالتهيب وأنا على أهبة الاستعداد لهذا اللقاء .

غير أن اجتماع الأسباب أذهب عنى القلق والتهيب .

وتلك هى سنة الحياة ، يكمن فيها سر من أسرار حفظها وبقائها ... يواجهنا الخطب الصغير فيستبد بنا الجزع وحين تتجمع الخطوب نحشد لها قوانا ، ونستبدل بضعفنا قوة لمواجهتها .

وإنى لأواجه أمرا عظيما .

فأنا أخلف أديبا من أدباء القمة ورجلا جاد بكل فضله وترك فى حياتنا الثقافية أثراً أكبر من أن أبلغه ، والتقاليد المجمعية تقضى بأن أحدثكم عن سلفى العظيم محمود تيمور ، وقد استقبله فى المجمع عميد الأدب العربى ، فأين كلماتى من روائعه ، فى استقبال أهل الفكر والفن وفى رثائهم .

وتولى تأبين تيمور نيابة عن المجمع الأستاذ الجليل محمد خلف الله أحمد فكانت كلمته بحثاً جامعا مانعا كما يقول أهل القانون .

ولم يكن لى من الوقت فسحة للطواف حول عالم تيمور وبلوغ أعماقه .

سادتى :

سأحدثكم عن محمود تيمور من رؤية جيل آخر تفصله عن جيله قرابة ربع قرن جادت فيه مصر بعطاء عظيم . فمن أواخر القرن الماضى وأوائل القرن العشرين كان ميلاد نوع جديد من العبقرية والنبوغ ... جادت الأرض بالموسيقى والمثال والقصاص ورجل المسرح والمصور بعد أن أنجبت من قبل الشعراء ورجال الفكر والقانون والطب والعلم وكأنها بذلك كانت تمهد لبزوغ عصر الفنون .

وما أن بدأنا خطانا حتى رأينا هذ الحشد العبقرى يشع علينا بسحر الفن ووضاءة الفكر فأدركنا معنى النهضة .

ومن حق جيلى أن يعتز بهذا الحظ العظيم .

ولى أنا بين هذا الجيل أن أعتز حين أجلس مكان رائد من رواد تلك النهضة .

وإن هذه الخلافة الجمعية التى تربط بين الذاهب والقادم برباط وثيق لتستدعى إلى خاطرى ذكرى وشائج قديمة وصلتنى بالتيموريين .

من عائشة التيمورية بدأت صلاتى بعالمهم .. تابعت سيرتها من خلال فصول نشرتها الأديبة مي فى مجلة المقتطف ، فأعجبت بشاعرة أشرقت فى عصر الحجاب وترنمت بشعر رقيق تتردد فيه أنفاس من شاعرنا المصرى البهاء زهير وانتابنى الأسى لفجيعتها فى ابنتها ومحنتها فى بصرها .

وعرفت محمد تيمور من صورته ومن سيرته ... عرفت فيه فتى موفور الثراء والجمال والشباب ، يعيش فى باريس ويهجر كلية الحقوق إلى مسرح الأوديون ويندمج فى أجواء الأدب والفن ، ويعود بعد ذلك ليقدم لمصر أدباً مسرحياً وقصصياً ويسجل فى لوحات قلمية رائعة « ماتراه العيون » ثم يتصدى لكتابة تاريخ مصر والنيل ، برؤية فنان ... ولعل الفصل الوحيد الذى نشره من كتابه فى صحيفة « السفور » كان تمهيدا لهذا الأسلوب الفنى فى تناول التاريخ الذى اكتملت صورته بعد سنوات فى كتاب « سندباد مصرى » .

وعلى « الأطلال » كان لقائى بمحمود تيمور .

رواية جمعت صدق الوصف لبيئة من بيئات مصر ، ولون من ألوان مجتمعنا قبل الحرب العالمية الأولى وصورت حياة فتى فى هذه البيئة وحللت جوانب الصراع فى نفسه .

وإذا كانت أيام طه حسين قد بهرتنا بوصفها الرائع لحياة صبى فى الريف وصراعه مع القدر والظروف ، وكانت عودة الروح توفيقا رائعاً فى تصوير حياة بيت من الطبقة الوسطى فى إطار ثورة سنة ١٩١٩ فإن أطلال تيمور تمثل بصدق قطاعا من قطاعات المجتمع غابت عنا ملامحه .

غير أن الأطلال توارت وراء صرح كبير من أدب تيمور رغم مالها فى أدبنا المعاصر من قيمة تاريخية وفنية .

وتابعت كتابات تيمور حين كان القصص ميدان سبقه وصدارته ، وشاطرته على البعد حزنه على وحيده وهزتنى كلماته فى وداع الراحلين .

وكنت ألحه يقصد فى ساعات العصارى مشرب « لوك » مع جماعة من أهل الأدب ، وعرفت من جيلى شبابا بدأ يطرق ميدان القصة ويتلمس عنده النصح والمشورة فكان بهم حفيا يلقاهم فى مجلسه ويسدى إليهم رأيه وفضله بل كان حريصا على أن يصلهم بأدبه ويبعث إليهم بما يصدره من مؤلفات مصحوبة بعبارات التشجيع والود .

كان جيلى يعترف بالأبوة له ولجيله من الرواد ويتطلع إليهم فى إكبار ويسعد برؤياهم ولو من بعيد .

وعرفت بعد ذلك تيمور عن قرب واتصلت بيننا المودة فعظم حبي له وتقديرى .

وتجلت لى صورة حياته وخصائص نفسه مرتسمة فى إشارات ابن سينا :

« العارف هش بش بسام يبجل الصغير من تواضعه مثلما يبجل الكبير وينبسط من الخامل مثلما ينبسط من النبيه ، وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق وبكل شيء فإنه يرى فيه الحق ، وكيف لا يسوى والجميع عنده سواسية » .

وهو أيضا مثل العارف عند ابن سينا صفاح لأن نفسه أكبر من أن تحرجها زلة بشر ، نسّاء الأحقاد لأن ذكره مشغول بالحق .

ولقد عرفت تيمور باشا الأب بعد أن عرفت البنين قدرت جهده العظيم فى استقصاء معالم فن التصوير عند العرب الذى فتح الطريق لبحوث كثيرة فى هذا الميدان ونقبت فى مختاراته من كنوز اللغة والفن والأدب التى وصفها العقاد « بأنها » متحف واسع من مادة « تاريخ الحضارة » وتابعت فى إكبار عطاءه الذى ليس له فى حياتنا الثقافية نظير .

تلك هى خطوط صورة محمود تيمور ومحيط أسرته التى صيغ منها نسيجه فلا تكتمل رؤياه بمعزل عن هذه الأسرة التى أسهمت فى تشكيله .

أما أثر محمود تيمور فهو فيما تفوق به على أسرته وأضافه إلى تراثها الكبير .

ويتمثل هذا قبل كل شيء فى دوره كرائد من رواد القصة العربية وكاتب روائى ومسرحى ومؤلف دراسات ، أعطى الأدب العربى من كل ذلك الكثير .

غير أن عالم تيمور عالم مترامى الأبعاد يرجع إلى أكثر من نصف قرن من الزمان .

وقد لا يتسع المجال للطواف بهذا العالم الرحب الفسيح .

حسبى إذن إطلالة عليه من منظور فنى .

لقد ظهر تيمور فى عصر كان من سماته بزوغ الفن .. تلاقى فيه النحت مع التصوير والمسرح مع الموسيقى . . وكان اتصال تيمور بعالم هذه الفنون وثيقا .

وإذا كانت كتاباته لم تتسع للفنون التشكيلية كما اتسعت لها كتابات العقاد والمازنى وتأملات توفيق الحكيم ولمحات يحيى حقى إلا أن أدبه كان قريبا من التشكيل ، فهو من أدباء الصورة الذين سجلت أقلامهم « ألواحا قصصية » وفقاً لتعبيره .

شاطر فنانى جيله التطلع إلى البحث عن شخصية مصر والتعبير عنها من خلال عالم الريف وأفراد الشعب الذين يضطربون فى المدينة ... وتبدت « الصبغة المحلية الزاهية » والملكة التصويرية فى قصص مرحلته الأولى كما تبدت فى لوحات الفنانين التشكيليين . « الشيخ جمعة » له نظيره عند المصور محمود سعيد تلاقت مصادر وحيهما وظروف اتصالهما بدنيا الفلاحين ... والمعلم عوف بجلد الكذب فى قصة الكسيح بنظراته المخيفة ووجه « كقطعة من الفحم الملتهب

تمتد منها ألسنة النار ، يستدعى إلينا أشباها له فى فنون التشكيل ، بل إن تيمور يبدو وكأنه يحمل مرقم مصور يسجل به ملامح الأشخاص ،

وتلتقى صورة الريف والأحياء الشعبية فى فنه مع بعض صور ناجى ويوسف كامل وراغب عياد .

فيه ما فيهم من جنوح إلى الواقعية فى مرحلة وجنوح إلى التحليل أحيانا حتى بلغ معهم ذلك التركيب القوى الزاخر بقوة التعبير .

كانت مصر تبدو فى ألواح الفنانين المستشرقين بلدا صحراويا يظلله النخيل وتخطر على أرضه الجمال ، وبيوتا تزخر بالطنافس وتتأرج بعبيق البخور . . . وكانت مصر فى الأدب وصفا مسجوعا براقا لا يشاكل الواقع إلا لماما وبقدر يسير فأخذ رواد الفن والأدب فى عصر تيمور يبحثون عن وجه مصر ، يحدوهم الصدق وهو جوهر الفكر والفن والحياة ومضى تيمور معهم يقدم قصصا مصريا ولكنه

عرف بعد تجاربه الأولى . أن القصة روح قبل أن تكون مظهرا ، وفكرة قبل أن تكون حادثا ، وأن روح القصة الحى وفكرتها الصحيحة يجب أن تكون قبسا من الإنسانية التى إليها مرد الفن الرفيع فى شتى صوره من أغان وموسيقى ورسم وتمثيل . . . هكذا قال ـ ونحو هذه الأهداف مضى حتى « استوى عناصر القصصى المصرى الصميم » .

وتوالت أعمال تيمور ، وظل الأشخاص محور الصورة فى أدبه . الشخصيات المريضة . . والشخصيات السوية ، وحقق بالجمع بين روح السخرية والدعابة ، بين جو الملهاة وجو المأساة هذه الوحدة من خلال التنوع ، واكتسب أسلوبه قوة تعبيرية وقدرة على الإيحاء بأوصافه الحسية التى تفصح فى لمحات صغيرة عن شتى الانفعالات .

وانفسح له عالم المرئيات فأصبح « المنظر الطبيعى » من اهتماماته كما كان من محاور الفن التشكيلى فى تلك الحقبة .

ومن خلال هذه الرؤية قدم صورا لمصر الريف ومصر المدينة . . . للبادية وللجبل . . واكتسب أدبه من خلال الرحلات بعداً آخر .

واستوحى تيمور تاريخ الفراعنة وأمجاد العرب كما طوف بعالم الأساطير ثم امتد بملكاته إلى المسرح .

هدفه فى كل ما أبدع من أدب هو الفن .

أليس هو القائل فى رسالة إلى المازنى :

« الأدب ليس له عندى غير اسم واحد هو الأدب بمعناه الواسع وليس له إلا هدف واحد هو الفن » وغاية الفن عنده هى « الكشف عن الجمال وتسجيل مظاهره وتذوق فتنته ... ولما كان الفن غايته الحب ، فالفن إذن يرمى دائماً إلى الخير » .

تلك هى عباراته فى مقـــدمة « الوثبة الأولى » ... ومنها يبين أن الفن عنده هو الحب والخير والجمال .

تطورت القصة بعد تيمور وشقت مسارب جديدة ورغم تساؤله فى أخريات حياته وبعد كل ما أعطى « هل أصبحت قصصياً حقاً ؟ » . .

فإنه سيبقى دائماً من البنائين الأوائل لهذا الصرح الشامخ فى أدبنا الحديث .

وسيبقى لتيمور دائماً فضل الريادة مهما اختلفت أساليب هذا الفن وتطورت . ولعل فصل الخطاب فى ذلك ما وجهه إليه طه حسين يوم استقباله له :

« إذا ذهب أحد مذهبك ، وجاء أحد فيما بعد بخير مما جئت به ، فلن يستطيع أن يتفوق عليك لأنك فتحت له الباب ، ومهدت له الطريق ، ويسرت له السعى ، وأتحت له أن ينتج وأن يمتاز وأن يتفوق » .

* * *

تبقى بعد هذا صورة أخرى لمحمود تيمور لا بد أن أتوقف عندها .. تلك هى صورة المجمعى العظيم الذى ما زال شاخصا بيننا بأثره وجهده وحضوره الصامت .

لقد اقترن اسم تيمور فى المجمع بألفاظ الحضارة ولنستمع إليه فى جلسة استقباله يفصح عن منهجه فى هذا الميدان : « إنه فى غير مستطاع المجمع اللغوى أن يصنع الألفاظ صنعا ، أو أن يفرضها على المدلولات فرضا ، وإنما الذى يصنع أو يفرض هو البيئة المثقفة وحدها ، فالكتاب والعلماء والدارسون فى كل فن ومنحى هم الذين يستوحون ضرورة الاستعمال ، ويستلهمون ذوق التعبير ، وعلى المجمع بعد ذلك أن يستصفى ما يتلقاه من لغة المجتمع ، وأن يطبعه بطابع التأييد والإقرار .

« فعلينا إذن أن نذكى فى أرجاء البيئات المثقفة نزعة التجديد اللغوى ، طلبا للإفصاح وتنكبا عن العجمة والرطانة التى كانت وليدة الأحداث والمناسبات » .

وكان المجمع قد أمسك فترة عن ألفاظ الحضارة ، أمسك « على مضض » أو أمسك « إلى حين » كما قال ، ومع مقدمه سرى فى ألفاظ الحضارة نشاط عظيم ، فقد أعطاها من جهده ودأبه الكثير ، وأخذ يترصد للكلمات حيث تكون ثم يجرى عليها اختياره فيؤثر منها ما يؤثر ويعرضها فى مؤتمرات مجمعه ، وفى أعقاب محاضراته .

سار تيمور على نهج اختطه لطفى السيد فى لجنة ألفاظ الحضارة التى نشأت من توجيه أستاذ الجيل ، فنادى بأن يكون هناك معجمان أحدهما معجم اللغة لإثبات ما استقر من الكلام ، وذلك هو ديوان العربية وسجل ألفاظها كما قال .

والآخر معجم الحضارة لعرض ما نجم وما ينجم من جديد الألفاظ والتعبيرات أو للتعويض عن مصطلحات أجنبية طارئة وهذا المعجم الحضارى لا ينتقل من ألفاظه إلى المعجم اللغوى إلا ما تأصل التعبير عن معناه بين كثرة الناطقين وأن يكون حقيقا بالتسجيل والإثبات » .

وفى عام ١٩٦١ صدر معجم تيمور شاملا لحصاد جهده مسبوقا بكلمات تفيض بتواضعه الجميل إذ يقول « لم يكن لى عمل فى كثير من هذه الكلمات إلا أنى أرصدت له بعض الوقت ..

فتلقفته من هنا وهناك حفيا به آملا أن يحله المجمع محله من النظر والتمحيص ».

وهو بعد ذلك ينسب الفضل إلى غيره فيقول هذا « حصاد الناس » وتلك « ثمارهم » .

وحقيقة الأمر أن هـــذا العمل الكبير قد استأثر به واستنفد معظم طاقاته وكان ذلك لخير اللغة أكثر مما كان لخير فنه .

ولقد ظل محمود تيمور يتابع هذا الجهد بحماس، وغاب عنا وما زالت ألفاظ الحضارة فى عوز إليه .

ورغم أن حركة التعريب ماضية على نهجها بإيقاع العصر وتطوره فى مجالات العلوم والفنون فإن لغة الفن التى وجه إليها تيمور جانبا من جهده مازالت تتطلب الكثير .

اللغة والفن هما أبرز عناصر الوجود القومى.

وقد تحقق لنا منذ بزوغ عصر الفنون تراث ضخم ينبىء عنا ويدل علينا ولكن لغة الكلمات ليست طيعة لتفسير روائع هذه الفنون ، وزاد الأمر عسرا تدافع المذاهب الحديثة فى الغرب وظهور أشكال فنية جديدة فاستعصى على كلماتنا أحيانا التعبير عن عالم الأشكال وتعثر توحيد المصطلحات رغم جهود ومحاولات .

لقد ساهم كتاب عصر النهضة منذ العقاد فى صياغة تعبيرات للغة الفنون فهو الذى أكد استخدام كلمة « الفنان » فى لغتنا بعد أن كان الشائع كلمة « الفنى » أو « المتفنن » إذ رأى فى هذا التعبير صيغة مبالغة أدل على الإبداع والإنشاء من مجرد نسبة الفنى إلى الفن كما تنسب المصنوعات ، وهو أيضا قد سك مسميات لكثير من المذاهب الغربية الحديثة وشاركه المازنى فى هذا المضمار حين كان يكتب فى نقد الفنون التشكيلية .

ولكن فى نفسى محبة للذين تراجع عنهم الضوء أو لم يأخذوا حقهم من التقدير .

لا أستطيع أن أغفل جهود هيئات ومجامع وأفراد فى صياغة مصطلحات الفنون ولكنى أود أن أشير إلى جهد اثنين غابا عنا وإن حملا رسالة المجمع من بعيد :

فؤاد مرابط المعلم الأول لتاريخ الفنون فى مصر وقد خاض تجربة وضع مصطلحات الفنون باللغة العربية .

وبشر فارس الذى استطاع بامتلاكه ناصية اللغة وثقافة الفنون أن يتفنن ويتأنق فى صياغة مصطلحات لها .

ولقد اختص تيمور الفنون فى معجمه ببعض مصطلحات... ولكن الطريق طويل... وعلينا أن نشرق قبل أن نغرب وأن نلتمس للفن لغته فى كنوز الأقدمين .

وإذا كانت كتب طبقات المصورين قد أتت عليها سنوات الشدة العظمى والغزوات التى اجتاحت الوطن العربى ولم يبلغنا منها إلا خبر كتاب « أنيس الجلاس وضوء النبراس فى أخبار المزوقين من الناس » الذى ذكره المقريزى غير

أننا نستطيع أن نجد عند ابن جبير وابن دقماق وابن عربى والتوحيدى وعبد القاهر مناهل نستقى منها تعبيرا عربيا عن لغة الأشكال .

إن فى تراثنا من كتب التاريخ والرحلات ونظريات الجمال وأسرار البلاغة وفى دواوين الشعر منابع فياضة لأدب الفنون التشكيلية .

. . .

وبعد فقد أثار محمود تيمور فى نفسى هذه الخواطر وحرك هذه الأشجان .

وإن روحه السمحة لتسعد بذكر من سبقه هو الذى كان يرد الفضل للآخرين .

لقد بقيت لنا منه تلك المودة الصادقة والأثر الذى لا يبيد إنه انتصار الحياة على الموت بحضور الراحلين الصامت وصحبتهم لنا وما ذلك بالقليل .

ولكن علينا نحن الذين نعرف فضله أن نسعى إلى تخليد ذكره ... فإن محمود تيمور الذى كان يعطى ويجود فى هدوء حفَّ به الصمت الذى كان من صفات حياته ، ولم ينل بعد ما يستحقه من تكريم .

أيها السادة :

بقيت كلمة أخيرة أقولها وأنا على عتبات مجمعنا العظيم .

إنى أراه بعد أكثر من أربعين عاما من حياته متجدد الشباب ، زاخراً بالطاقات مبشرا بالوعود حافلا بالمهابة والجلال .

وتحضرنى كلمات قالها منذ سنوات الكاتب الكبير أندرى موروا عضو الأكاديمية الفرنسية عندما سئل عن جدوى الأكاديمية .

فى كلماته تصوير وتقدير لدور المجامع ومكانتها من خلال صورة أكاديمية فرنسا فهى عنده المؤسسة الوحيدة التى ظلت منذ ثلاثة قرون لا تحيد عن دستورها وأهدافها ومع ذلك استطاعت أن تبقى متجددة الشباب .

هى التى صانت اللغة من مفهوم خاطىء للحرية فيه مفسدة لها .

ويكفى أن معجمها المتطور مازال حكما بين النحاة .

وأن رجالها من أهل اللغة وأهل الفنون والتخصصات الأخرى يحققون بوفائهم لقضية الكلمة مأثرة عظيمة هى إغناء اللغة الفرنسية .

وتطلع موروا إلى مبنى الأكاديمية الجميل على ضفة نهر زاخر بالتاريخ وأشار إلى مافى مراسمها وتقاليدها من قيم جمالية تنبىء عن دلائل عراقتها .

ومجمعنا الجليل على النهج يسير حافظا ومجددا فى إطار التقاليد .

وسيكون له بتوفيق الله على شاطىء نهر الحضارات مبنى يتفق مع ما يرمز إليه من معنى الخلود .

ولعله يجمع فى طرازه وزخارفه ويستكمل فى مظاهره ومراسمه قيما فنيه تلائم عراقة اللغة وقيمها ليتفق المبنى مع المعنى ويلتقى الجمال مع الجلال .

أيها السادة .

سلام الله يرعاكم ويظل خطاكم ، ومنه أسأل التوفيق ، وإليكم أتجه بالشكر العميق .

الثانوية ومقالاته فيها ، ثم يلتقي أستاذنا الدكتور طه حسين مديرا لجامعة الإسكندرية ثم رئيسا للمجمع، و يلقى جيل العمالقة مرة أخرى فى مجمعنا الموقر، فيجادل العقاد، ويشرح الجيولوجيا للطفى السيد وطه حسين . وإنه فى هذه الرحلة الطويلة لا ينسى واجبه الأول شارحا ومعلما للجيولوجيا ومفسرا لأحقابها وعصورها وحفرياتها ، وناقلا إلى العربية أسماء أحافيرها وقياسات أحقابها وعصورها وإنه ليطوف بأرجاء مصر دارسا ومعلما من شبه جزيرة سيناء إلى فيافى الصحارى من شرقية وغربية ، ومن السلوم إلى منخفض القطارة ومن جبال علبة إلى واحات سيوة إلى المناطق النائية فى هذه الفيافى وتلك القفار ، مفتشا عن ثرواتنا المعدنية وهو من أوائل من كشفوا عن الفحم فى مصر ، فقال بوجوده فى عيون موسى والمغارة . وإنه ليدرس الجيولوجيا بلغة عربية سليمة فكان من أوائل الملبين لدعوتنا فى استعمال اللغة العربية لغة للعلم، وخاصة حين تبين لنا أن قانون الجامعة ينص على أن العربية هى لغة التدريس وكل ما عدا ذلك كان استثناء ، فنسينا وتناسينا حتى غدا الاستثناء هو القاعدة ولعلها فرصة أن نجدد الدعوة إلى تعريب العلم دون أن نهمل العناية بلغة أجنبية، لمتابعة الاطلاع على المسائل العلمية فى لغاتها الأجنبية كذلك. ذلكم هو زميلنا الدكتور محمد يوسف حسن الذى تخرج فى جامعة القاهرة منذ نيف وثلاثين سنة وحصل على درجة الدكتوراة من جامعة بريستول منذ نحـــو ربع قرن من الزمان . وهو أستاذ للجيولوجيا بجامعة عين شمس ثم بجامعة الأزهر وإنه لخبير بمجمعنا منذ ست عشرة سنة ، وعضو لجنة خبراء العلوم بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضو الجمعية الجيولوجية البريطانية والجمعية الجيولوجية المصرية ، وأمين الجمعية المصرية لتاريخ العلوم، وعضو الأكاديمية المصرية للعلوم . وله عشرات البحوث المبتكرة فى علم طبقات الأرض وعلم الحفريات وعلم الجيولوجيا الاقتصادية، شملت بحوثه مناطق شتى من صحارى مصر وليبيا، وفى أصقاع شبه جزيرة جرينلاند ، وله مؤلفات فى مستوى التعليم الجامعى فى الجيولوجيا وبخاصة فى علم الحفريات باللغة العربية ولاقى كتاباه : قواعد الجولوجيا العامة ومقدمة فى علم الحفريات انتشاراً عربياً واسعاً . ويعد الدكتور يوسف ثانى من ألف للمدارس الثانوية المصرية فى علم الجيولوجيا بعد المرحوم حسن صادق باشا، ويدرس كتابه فى المدارس المصرية والبلاد العربية .

صنف خمسة عشر كتابا بين مؤلف ومترجم فى تبسيط العلوم، منها : فجر الحياة، الثروة المعدنية فى العالم العربى ، قصة السموات والأرض ، الإنسان والقمر ، كل شىء عن الصخور ، قصة كوكب ، الأرض من تحتنا .

كما حقق مخطوطة « أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار » لأحمد بن يوسف التيفاشى، وشارك فى إصدار معجم الجيولوجيا الذى نشره المجمع سنة ١٩٦٤ ، كما نشرت له بحوث بمجلة المجمع منها: المصطلح الجيولوجى، وثراء اللغة العربية بأصول المصطلحات الجيولوجية .

أيها السادة :

يطول بى الحديث إذا أنا حاولت استقصاء صورة كاملة لزميلنا الجديد، الذى أرشحه وأستقبله

فخوراً به، لثقتى بأن زمالته مشرفة، فهو يجمع إلى الفضل التخصص الذى يسعى إليه فيه والحس الأدبى اللغوى، وهى الشروط الثلاثة التى أصر على استيفائها فى زميل مجمعنا الموقر. أقدمه واستقبله باسمكم متمنيا له التوفيق .

## الدكتور محمود مختار

أيها السادة :

أما ثانى الاثنين، اللذين وكلتم إلى استقبالهما وشرفتمونى بتقديمهما إليكم فهو الزميل الكريم الدكتور محمود مختار قاهرى المولد من أخريات العقد الأول من هذا القرن . حببه إلى اللغة العربية مدرسه الشيخ أبو العينين جعفر الذى لا يزال يذكر فضله عليه، ويشيد به فى كل مناسبة، كما حببه إلى علم الطبيعة مدرسه الأستاذ عبد العزيز الغباشى الذى تنبأ له أن سيكون أستاذاً لعلم الطبيعة ؛ فقد كان يأخذ الدرجة النهائية فى علم الطبيعة فى جميع امتحاناتها عرف صاحبنا أستاذيه فى مدرسة الزقازيق الثانوية مع أن شغفه بالطبيعة وأجهزتها وأدواتها كان يدفعه إلى تفضيل مدرسة الفنون والصنائع ، لولا الإصرار على أن يدخل المدرسة الثانوية ليتابع الدراسة ويكون مدرسا. مع أنه كان يفضل أن يكون مهندسا ، فعندما افتتحت كلية العلوم لأول مرة فى مصر كان من بين الخمسة الطلاب الأوائل اللذين أجبروا على التحويل من مدرسة المعلمين إلى كلية العلوم دخلوها مكرهين ، فلم يكن لمصر عهد بكليات العلوم. ماذا عسى أن يكون عمل المتخرجين فيها؟ حتى قال أحد وزراء ذلك العصر وقد قابله أفراد الدفعة الأولى ومنهم زميلنا الدكتور مختار ولم يكن قد وضع لخريجيها كادر — قال الوزير: لم لا نقول بكالوريا علمى بدلا من بكالوريوس علوم ؟ كان هؤلاء الخمسة نواة لكلية العلوم شحنهم ، فيما يقول زميلنا ، ناظر المعلمين فى « تاكسى » ليذهبوا إلى كلية العلوم لمقابلة العميد الأجنبى ليرغبهم فى الالتحاق بهذه الكلية الناشئة التى لم يقتنع طلابها بعد بمستقبلها .

فمدرسة المعلمين تخرج مدرسين والمهندسخانة تخرج المهندسين ومدرسة الطب تخرج الأطباء، ولكن ماعسى أن يكون خريج العلوم؟ وما معنى تخصصه فى الجيولوجيا أو الكيمياء أو النبات أو الحيوان ؟ وما عمل هذا المتخصص؟ وماراتبه ؟ وما مستقبله ؟ كل ذلك كان لا يزال ضرباً من الغيب ورجماً به .

وعلى هذا النحو وبهذا القلق التحق بكلية العلوم ليتتلمذ فيها على عملاق من عمالقة العلم فى مصر ذلكم هو المرحوم الأستاذ الدكتور على مشرفة، فقد كان من حظ مصر والعالم العربى أن يوجد فيها على مشرفة يدعو إلى تمجيد العلم والبحث العلمى ، حين لم يكن أحد فى ذلك العهد يعرف ما هو البحث العلمى فى علومنا الطبيعية ، فقد كان العلم المهنى صاحب الحظوة لدى آبائنا بل فى جيلنا كله ، فوجد فيه رائده فى الرياضة والموسيقى معا ؛ فقد كان أستاذنا الدكتور مشرفة

مشغوفًا بالموسيقى، ووجد فى تلميذه مختار الصورة المحببة إلى نفسه المنفذة لبحوثه ودراساته فى الموسيقى بعامة، والموسيقى الشرقية والعربية بخاصة، فلم لا يتخصص مختار فى علوم الصوت بأجهزته وأدواته وتسجيلاته؟ ولم لا يعمل بإشراف الدكتور مشرفة مع مصطفى رضا والعقاد من أعلام الموسيقى فى هذه الحقبة؟ ولم لا يسجل السلم الموسيقى الشرقى على أساس علمى ويميز بين الخصائص العلمية فى السلم الشرقى والسلم الغربى؟ كيف تختلف هذه الخصائص من عازف إلى آخر ومن آلة موسيقية إلى أخرى؟ وكان لهذا البحث دويه فى ذلك الوقت ونشر مفصلا فى مجلة تيتشر. وها هو ذا يتابع بحوثه الموسيقية بعد وفاة أستاذه الدكتور مشرفة منذ ربع قرن من الزمان، يتابعها مع تلميذه الدكتور يوسف شوقى فيعيد تجاربه السابقة ليصل إلى النتائج نفسها، ولكن بأجهزة أحدث وآلات أدق، ومن بين دراساته الخالدة قياساته من تسجيلات سيدة الغناء العربى خالدة الذكر ومعجزة الغناء السيدة أم كلثوم، فيقول الدكتور مختار: إنه ثبت لديه أن فى صوتها دقة أداء السلم الموسيقى الشرقية إلى حد لا يقارن بأى صوت آخر، وأن أداءها لينتقل بالسلم نفسه من أغنية إلى أخرى فى دقة بالغة وأداء بارع ليس له نظير.

لقد كانت هوايته للموسيقى نابعة من تخصصه الدقيق فى علم الصوت أحد فروع علم الطبيعة، وكذلك اجتمعت الهواية مع العلم، نبعان من عين ثرّة هى شخصية الدكتور مختار الفذة المحببة.

ذلكم هو الدكتور مختار. التحق بكلية العلوم بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٥، ضمن طلبة الدفعة الأولى التى افتتحت بها الكلية، وتخرج فى سنة ١٩٢٩ متخصصا فى الطبيعة والرياضة، ثم حصل على الدكتوراه من إنجلترا، وتدرج فى وظائف التدريس بالكلية من معيد بها سنة ١٩٢٩ إلى عميد لها سنة ١٩٦٤. رأس قسم الطبيعة زهاء عشرين عاما، وحصل على وسام الاستحقاق لاشتراكه فى إنشاء مؤسسة الطاقة الذرية.

وهو رئيس للجمعية الفيزيقية المصرية ورئيس للشعبة المصرية للاتحاد الدولى للفيزيقا ورئيس لمجلس البحوث الفيزيقية بالمركز القومى للبحوث، وعضو المجمع العلمى المصرى والأكاديمية المصرية للعلوم.

وللدكتور مختار نشاط مرموق فى تأليف كتب مرجعية فى علم الطبيعة باللغة العربية منها أصول علم الطبيعة فى خمسة أجزاء، وأساس علم الطبيعة فى خمسة أجزاء، والطبيعة التجريبية، وعلم الضوء. وفى مجال الترجمة العلمية قام بترجمة ومراجعة عدد كبير من المراجع العلمية بلغت فى مجموعها بضعة عشر كتابا. كما ساهم فى إخراج معجم الفيزيقا النووية وهو باكورة إنتاج مجمعنا فى التخصصات الدقيقة الحديثة، كما أنه يسهم فى إعداد معجمين للفيزيقا العامة أحدهما للتعليم العام والآخر للتعليم الجامعى.

وفى مجال إحياء التراث العلمى العربى يتابع رائدنا الأول فى هذا المجال أستاذنا مصطفى نظيف، ويحقق كتاب «تنقيح المناظر لذوى

الأبصار والبصائر » لمؤلفه كمال الدين الفارسى ، خطا رائده الأول الحسن بن الهيثم .

وقد خص الدكتور مختار الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والفيزيقية بالجزء الأكبر من نشاطه فى النشر العلمى ، حيث كان من رواد هذه الجمعية منذ نشأتها سنة ١٩٣٦ . وظل أمينا عاما لها طيلة خمسة وعشرين عاما ، وقام برئاسة تحريرها نحو ثلاثين عاما . وهذه المجلة هى الأولى من نوعها فى الوطن العربى ، وقد عملت منذ إنشائها على تشجيع النشر العلمى فى الرياضيات والفيزيقا باللغة العربية . أما ما ينشر بلغة أجنبية فيشترط أن يصحبه ملخص باللغة العربية وقد عرفت المجلة بمستواها الرفيع فى البحوث العلمية المبتكرة .

كما أنشأ مجلة متخصصة للفيزيقا النووية منذ ست سنوات لبحوث النظائر والإشعاع ، ورأس هيئة التحرير فيها ، وهى على نفس مستوى المجلة السابقة مع العنـــاية فى تطبيق استخدامات الإشعاعات النووية فى شتى المجالات العلميـة والإحيائية والطبية والهندسية .

أما فى مجال البحوث العلمية فقد اقتحم الدكتور مختار ثلاثة مجالات كان له فيها القدح المعلّى أولها : ما يسمى بالفيزيقا الإشعاعية ، وذلك على أثر اتساع نطاق العمل بالإشعاعات النووية الخطرة وما استتبع ذلك من ضرورة الاهتمام بشئون الوقاية من أخطارها ، وتناولت بحـوثه كيفية وقاية العاملين فى الإشعاعات النووية .

وثانيها : علم الصوتيات ، فقد كان يعز عليه أن توصم الموسيقى الشرقية بصفة السماعية التى لا تخضع لأساس علمى ، فجند معارفه الفيزيقية وأجهزته الإلكترونية لخدمة هذه الموسيقى ، فقام بتسجيل السلم الموسيقى الشرقى وصياغته على أسس رياضية علمية ، أبعدت عنه صفة السماعية وخلصته من شوائب كثيرة . كما أجرى بحوثا على الآلات الموسيقية الفرعونية القديمة .

وثالثها : فوق العمديات . وإن الدكتور مختار لمن رواد هـذا المجال فأنشأ مدرسة بحثية سايرت تطوراته الواسعة ، وأنتجت مئات البحوث التى تتناول الكثير من التطبيقات الأساسية والأصول الكلاسيكية .

أيها السـادة :

هذان هما الزميلان الكريمـان أقدمهما وأنا واثق أنهما سيمنحان المجمع كل وقتهما وجهدهما وعلمهما وخبرتهما . وقد رأيتم كيف أن أحدهما صرح بأنه يؤثر عمل المجمع على عمله الأصلى . أما الآخر فهـو يتفرغ تمـاما للمجمع ولجانه وجلساته وأعماله .

أيها السـادة :

قبل أن أختتم كلمتى أرجو أن تأذنوا لى فى أن أحيى لمسة الوفاء التى لمستها فى الزميلين الكريمين ، اللذين نستقبلهما اليوم ، فالوفاء عمـلة دارسة فى هذه الأيام ، ولكن الزميلين أصرا على ذكر أساتذتهما وأصحاب الفضل عليهما ، سواء فى تخصصاتهما العلمية الدقيقة أو فى اللغة العربية . فها نحن ذكرنا الخزرجى والشاذلى وجعفر

والغباشي وزاد نسكي ومشرفة ونظيف وطه حسين وفريد أبو حديد وحسن صادق ولطفي السيد والعقاد ، وغيرهم من أفاضل الأساتذة العلماء . وصدق البغدادي الذي يقول: إن العلماء لا يموتون أبدا ، وإنما يخلدون في أعمالهم ويعيشون في قلوب تلاميذهم . والواقع أن الفكر العلمي واللغوي والديني والأدبي يتسلسل جيلا بعد جيل منذ فجر التاريخ ؛ فلكل عالم أستاذ سواء تتلمذ عليه مباشرة ، أو تتلمذ عليه في كتبه . ومن هنا كانت العنعنة التي ورثناها عن السلف الصالح . إنها الأمانة والوفاء والاعتراف بالفضل لذويه . وكذلك اعترف علماء العصر الإسلامي بالفضل لأفلاطون وأرسطو من علماء العصر الإغريقي وخلعوا على أرسطو لقب المعلم الأول للإنسانية كما اعترفوا لجالينوس وديسقوريدوس وبطليموس وإقليدس من علماء العصر الإسكندري . وكذلك نحن نعترف لعلماء العصر الإسلامي كابن الهيثم وابن سينا كما نعترف لعلماء عصر النهضة الأوربية من كبلر وكوبرنيق إلى والتن ونيوتن ، وهذا هو الوفاء أسمى سمة يمكن أن يتصف بها العلماء .

فلتحيوا معي الزميلين الكريمين متمنين لهما متابعة خدمتهما للعلم ، وللغة القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر ، والسلام .

## ... كلمة الدكتور محمد يوسف حسن

### في حفل استقباله عضوا بالمجمع

سيدي الرئيس : سادتي

الله العلي القدير أسأل أن يهبني عونا ، ويهديني رشدا ، أتزود بهما في حمل الأمانة الكبرى التي حملتموني إياها ، أيها الخالدون . ولكم أخشى أن يكون في هذا إسراف في حسن ظنكم بقدرتي على حمل هذه الأمانة . . ولقد قدمني اليوم إلى مجمعكم العظيم ، أستاذي الدكتور عبد الحليم منتصر نائبا عنكم ، فأضفى على من الصفات مالا أعتقد أني أهل لها . وعلى منذ اليوم أن أبذل غاية الجهد حتى أحتفظ بحسن ظنكم بي ، وأكون خليقا بالانتساب إلى رحابكم .

إن هذه الثقة الغالية التي حبوتموني إياها حين رأيتموني قادرا على حمل الأمانة ، لأغلى وأعظم ما أعتز به من تقدير نلته أو يمكن أن أناله مدى الحياة . إن الامتحان الذي اجتزته أمام مجلسكم من أجل هذا التقدير ، ما شعرت في امتحان قط بمثل ما شعرت إزاءه من هيبة وبلبلة هواجس ، برغم ما أحرزت قبله من إجازات وجوائز ، وعضويات علمية ، وبرغم ما علاني من شيب وما أثقل كاهلي من مسئولية . حقا لقد تبلبلت هواجسي لدى هذا الامتحان ، وأنا الذي كنت أنصح كل من علمت ألا يدع مجالا للخوف والهواجس تتسرب منه لتوهن

من عزيمته أو تعوقها عن إحراز النجاح فى أى امتحان .

هذا التقدير العظيم الذى نلته منكم ، حقه عندى أن أعاهد الله وأعاهدكم ونفسى على التفانى فى الحفاظ عليه ، وعلى البذل فى سبيل ذلك من أجل الإسهام فى تحقيق رسالة المجمع ، مهمـــا تكلفت من تضحية ونصب أقدمهما عن طيب نفس وسعادة فى سبيل لغتنا الشريفة الغالية ، متمثلا فى ذلك قول رب السيف والقلم :

« ومن تكن العلياء همة نفسه
فكل الذى يلقاه فيها محبب »

والحق أيها السادة الأجلاء ، أنه ليس بعد الفوز بثقتكم من علياء يصبو إلى نوالها إنسان .

أيها الأساتذة الأجلاء :

لقد مر أكثر من شهرين منذ أن طابت نفسى بما نقل إليها البشير من فوزى بثقتكم ، وأصدقكم القول أنه بقدر ما أفعمت نفسى فرحا بتحقيق أعز أمنياتى ، أحسست فجـــأة بالاشفاق المضنى عليها ، من العجز عن تحمل أعباء هذه الثقة . وإنه لما زاد من وطأة هذا الإشفاق ما علمته من أنه قد قـــدر لى أن أنال شرف الجلوس فى مجمعكم على مقعد كان يملؤه قبلى رئيس مجمع الخالدين ، وعميد الأدب والفكر فى عالمنا العربى : المغفور له الدكتور طه حسين . إننى وقد مضى شهران منذئذ لم أستطع الخلاص من وطأة التهيب والارتباك التى تسيطر على كلما فكرت أننى سأخطو نحو هذا الشرف الرفيع الذى هيأته لى تقاليد مجمعكم التى لا تخالف . ولعلى لا أجد فى هذا تعبيرا خيرا مما قاله أحد الخالدين فى هذا المقام حين أعلن أن الصدفة ظلمته كما ظلمت سلفه العظيم باستوائه فى مكانه « فاستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير » .

أيها العلماء الأعلام :

لقد كان لى الحظ العظيم منذ نيف وخمسة عشر عاما أن يختصنى أستاذى الفاضل الدكتور عبد الحليم منتصر الذى يعـــد من أبرز رواد تعريب العلم فى مصر ، بالدعوة لأشارك فى مهمة إعداد المصطلحات فى علم الجيولوجيا لمجمع الخالدين، فصدر قرار المجمع باختيارى خبيرا لدى لجنة الجيولوجيا فى أول عهدها به تقريبا . وأخـــذ بيدى أستاذى الدكتور عبد الحليم منتصر لما آنس عندى من حب للغة ، وحرص على سلامتها ، وكلف بالرى من مناهلها . أخذ بيدى منذئذ نحو تحقيق ما ظل يراود نفسى منذ نعومة الأظفار من أمل فى العيش فى رحاب لغتنا، والتمتع بنعماء جمالها وفنونها . ولم تمض سنة أو اثنتان حتى أذن أن يفتح لى باب مجلسكم الشامخ لأول مرة ، فأرى بعينى رأى ما كان يضنينى به خيالى من كد فى تصور ما يدور خلف هـذا الباب العظيم من محاورات الخالدين .

وما زلت أذكر بالتيـــه والانبهار تلكم المناقشات اللغوية والعلمية العـــالية التى أثيرت حـــول بعض ما كنت أعرضه من مصطلحات لجنة الجيولوجيا . كم كنت أخرج من

تلكم الجلسات ، وأنا أسائل نفسى عما إذا كنت جديراً حقا بالجلوس إلى هذه الصفوة الممتازة من الجهابذة الذين كنت أسمع عنهم فقط ، وأرى صورهم ، أو أقرأ أسماءهم على أمهات الكتب . وهل كنت موفقا حقا فيما يدور بينى وبينهم من محاورات ومناقشات ، وكنت أتيه وأفخر بما يقرونني عليه منهـــا ، وأرضى عن نفسى بل وأمتن عليها بما يختصوننى من ملاحظات عليها .

كم تعلمت فى مدرستكم العليا أيها الأساتذة الأجلاء ، وكم جعلتنى هذه المدرسة أزداد حبا للغة العربية ، واستمساكا وإيمانا برسالة تدريس العلوم فى جامعاتنا بها . لقد ألفت وأنا فى كنف مدرستكم الكبرى خلال خمسة عشر عاما ، أول ما كتب بالعربية فى بعض فنون الجيولوجيا ، وأول ما نشر على الجمهور من مبسطات هذا العلم ، فلاقت بنفحاتكم ما لاقته من نجاح .

إن مجمعكم العظيم هو صرح اللغة الشامخ المنيع . وإن جهاد سدنته هو أشرف جهاد عزت به لغة القرآن وانتصرت ، واتسعت مجالاتها . لقد حقق لها جهادكم حياة ملؤها الرغد والتنوع والقدرة على استيعاب كل الفنون والعلوم — لقد دأب مجمعكم العظيم على بذل عناية خاصة للنهوض باللغة العلمية وصياغة مصطلحاتها ، وإنه ليكفينى أن أشير إلى جهاد أساطينه العظام فى هذا المجال ، وأرجو أن يأذن لى رئيس المجمع الدكتور إبراهيم مدكور فى أن أعبر عن مضمون هذا الجهاد ممثلا فى مقتطفات من أقواله عن المصطلح العلمى وعن لغة العلم حيث يقول : « تاريخ العلوم إلى حد ما تاريخ لمصطلحاتها » « على العلماء أن يحيوا أولا كل ما يمكن إحياؤه من المصطلحات القديمة ، فإن لم يجدوا ، فعليهم أن يقيسوا ، ويشتقوا من العربية نفسها » — « قيمة المصطلح فى انتشاره والأخذ به ، وبذا يصبح جزءا من اللغة العلمية » « لغة العلم وثيقة الصلة بلغة الأدب ، تتعاونان وتتفاعلان ، ولا تكاد توجد نهضة أدبية إلا وتصاحبها نهضة علمية » .

هذه باختصار ، معالم الدرب الذى انتهجه المجمع لإحياء لغة العلم العربية وإثرائها . وإننى لعلى هذا الدرب سرت وسأسير . وما أنا بحاجة إلى أن أؤكد هنا أن التراث لزاخر من المصطلحات العلمية بالقيم والأصيل ، وأن الفصحى لغاصة بالأصول الصالحة لاشتقاق المصطلحات . وإنه لجدير بالمجمع أن يؤلف لجنة جديدة لتقصى المصطلحات فى التراث ، وإحصائها وتصنيفها وفهرستها ، وتحديث تعريفاتها ونشرها ، وكذلك لإحصاء الأصول الصالحة من اللغـــة للاستعمال العلمى فى المجالات المختلفة ، وبحث الاشتقاقات المناسبة للغة .

وسيكون هذا عوناً أى عون لمن يريدون الكتابة العلمية الأصيلة ، ولمن يبتغون ارتياد مجال تأليف البحوث العلمية المتخصصة بالفصحى . ولا يسعنى فى هذا الموقف إلا أن أقترح على المجمع تقديم النصح لوزارة التعليم العالى كى تتعاون معه فى تقرير تدريس اللغة العربية العلمية فى الكليات

العلمية بالجامعات والمعاهد العليا بجانب ما تقوم بتدريسه من لغات أوروبية علمية بها ، بل إنه لمن الخير — فى رأيى — أن تستبدل الأولى بالأخرى مع زيادة الاهتمام بتدريس أصول اللغـــات الأوروبية فى مراحل ما قبل الجامعة . ولعلنى أكتفى بهذا التنويه عما براود نفسى من آمال فى تحقيق أعمال جديدة لمجمعنا ، وأترك تفصيله للبحث والمناقشة المستأنية .

أيها السادة العظام :

يأبى حفاظكم على التقاليد إلا أن يطلب إلى كل عضو جديد يشرف بمقعد فى مجمعكم المبجل ، أن يقول عند استقباله كلمة عن سلفه الذى سبقه اليه . وإنى لمطيع أحكام هذه التقاليد على ما فيها من إرهاق لى ، وعلى ما أشعر به من عجز فى موقفى هذا حين أجلس فى مقعد كان يتبوؤه طه حسين . فماذا عسى أن أقول فى رجل كان ملء الدنيا أدبا وفضلا ، ماذا أقول فى رجل كان أمة فى واحـــد ، بل كان عالما بأسره فى واحد :

فياله من فرد هو الجمع كله
بمبناه أو معناه حشداً مكدسا

أســـاتذتى : أنتم أقرانه ، وأنتم الذين عرفتموه عن كثب ، وإنى لأغبطكم على ذلك ، وما أنا إلا الذى حقه أن يستمع فى هذا منكم . وإن كان لا بد أن أقـول شيئـا ، فحسبى أن أتحدث عن طه حسين المجمعى المنافح عن حمى اللغة العربية ، العاشق لها ، المعنى بالوقوف طويلا أمام مشكلاتها ، المنادى دائما بالبحث فى حل هذه المشكلات . كان عميق الإيمان باللغة العربية ، وبجدارتها كلغة علم وحضارة ، استطاعت كما لم يتح للغة قديمة أو حديثة أن تكون لغة رسمية لكثير من الأقطار فى زمن جـــد قصير ، بل استطاعت أن تتجاوز هذا النطاق الرسمى فغزت شعوب تلك الأقطار — على حد قوله — فى عقر دورهم حتى أصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم ، ذلك أنها لغـــة محببة قريبة إلى النفس تستطيع أن تترجم عن أفكار من يتحدث بها فى طواعية ويسر وحسبنا أن نستمع إليه يقول « ويكفى أن نرى كيف استطاع العرب أن يسيغوا ما كتب عن فلســـفة ارسطو وطب جالينوس إلى آخر هذه العلوم التى استطاعت اللغة العربية أن تسيغها وأن تطوعها لقواعدها وأن تطوع لها قواعدها أيضا ولننظر إلى قوله :

« انها لغة خلقت لتكون لغة عالمية بأوسع معانى هذه الكلمة وأدقها دون أن تنزل عن أصولها ، وعن قواعدها ، وعن خصائصها التى تمتاز بها من سائر اللغات . ولعل أهمها بجانب هذه القوة ، ما تمتاز به من المقاومة العنيفة التى تحميها من طغيان اللغات » .

ولم يقف هذا الدفاع المجيد القوى عن العربية فى سبيل تفهمه لمشكلاتها عند حد . فلم تغب هذه المشكلات عن خاطره ووجدانه ، بل ظلت تلح عليها أشد الإلحاح حتى لقد وقف طويلا أمام هذه المشكلات ، وقفة محب للعربية حدب عليها معنى بمستقبلها كعنايته بحاضرها وماضيها .

فرأى بثاقب فكره أن أهم مشكلاتها التى

تتهددها اثنتان : الأولى : مشكلة الكتابة، والثانية مشكلة الإعراب . لقد واجه هاتين المشكلتين بجرأة وشجاعة يعرف بهما ، دافعهما الحب والحرص ، لا مجرد النقد ، والضيق بالقديم والمألوف . وتحدث عن العربية وأهلها فقال :

« لغة حية مرنه قادرة على التطور ، يتكلمها قوم لا يزالون فى حاجة إلى الحياة ، ولا يزالون فى حاجة إلى التطور »

لقد بين فى أسلوبه الدامغ الساخر الساحر كيف أن القدامى أنفسهم كانوا يطالبون بتطوير النحو وتيسيره ، وأن الذى يطالب به ليس بدعا بل هو سنة جارية ، وكان يستشهد فى هذا مداعبا بقول أحدهم :

ماذا لقيت من المستعربين ومن
تأسيس نحوهم الذى ابتدعوا
إن قلت قافية فيما يكون له معنى
يخالف ما قاسوا وما صنعوا
قالوا : لحنت وهذا الحرف منخفض
وذاك نصب ، وهذا ليس يرتفع
وحرشوا بين عبد الله واجتهدوا
وبين زيد ، فطال الضرب والوجع

وهو مع هذا كله كان يرفض الدعوة إلى العامية ، كلاما أو كتابة رفضا باتا ، ويهاجم الداعين إلى ذلك هجوما مبرحا ، ويقول فى هذا أنا مطمئن إلى أن هذه الدعـــوة لن تلق من يستجيب لها ، وأصحابها أنفسهم لا يستجيبون لها — فيما بينهم وبين أنفسهم — وإنما هم قوم حيل بينهم وبين أن يتعلموا تعليماً صحيحا ، وحيل بينهم وبين تذوق هذه اللغة ...

وكان يرى أن تيسير الكتابة أساس لتيسير القراءة الصحيحة والإعراب ، ومرتبط عضويا بتيسير فهم قواعد اللغة وتذوقها . لذلك كان دفاعه من أجل تيسير الكتابة لا يقل حماسا عن دفاعه من أجل تيسير الإعراب . وقد أحس بذلك وهو الذى لم يكن فى حاجة إلى أن يكلف نفسه مؤونة الانشغال بحل مشكلة الكتابة . ولكن يا للشجاعة والحب والإيثار — تتجلى كلهـــا فى قوله : « ولا تسألونى أنا عن تيسير الكتابة كيف يكون؟ . ولكن لكم الحق — كل الحق — فى أن تسألوا المجمع والحكومة أيضا والحكومات العربية والمجامع العربية فى إصلاح الكتابة ، فهى التى ينبغى أن تسأل فى هذا ، وأشهد لقد جد مجمعنا فى إصلاح الكتابة منذ سنين ، وما أرى أنه قصر ، إذا لم يكن قد وفق إلى هذا التيسير ، ولكنه فى حاجة إلى العون الذى يتيح له أن يمضى فى التيسير ... » .

إن هذه المشكلات التى وقف طه حسين المجمعى الفذ أمامها بجرأة وشجاعة منذ أكثر من ربع قرن ، وطالب بمواجهتها ومعالجتها والتغلب عليها ، ما زال معظمها يواجهنـا حتى الآن ، ومازالت اللجان تشكل والمؤتمرات تعقد وتنفض وهذه المشكلات قائمة . وسوف يعقد اتحاد المجامع بخصوص تيسير النحو فى الصيف القادم مؤتمراً فى الجزائر نرجو له التوفيق فى تحقيق الكثير مما كان يدعو إليه طه حسين .

وما أظن المقام يتسع لإيفاء حق هذا العلم فيما جاهد فى سبيل الفصحى وتيسير تعلمها ، لكننى أجد لزاما على أيضا أن أنوه بفضله على

وضع المعاجم العلمية . وقد كان صاحب اقتراح وضع المعجم الطبي عام ١٩٤٧ . وكان يدعو إلى إحصاء الكلمات الطبية العربية التي استعملها القدماء كابن سينا والرازي وأضرابهما أولا حتى تكون بين أيدي من يقومون على إخراج المعجم فيردونها فيه إلى مصادرها . كما كان يدعو إلى العكوف على المصطلحات العلمية في سائر العلوم التي خلفها لنا علماؤنا القدامى .

أيها الأساتذة الأعلام :

يعز على أن أترك مكاني هذا دون أن أتحدث عن مدى ما تركه طه حسين من أثر في حياتي ، وعن ذكريات غالية أحملها له . لقد عشت عصره بكل أبعاده نعم عشت زهاء نصف قرن من عصره الزاهي . فقد قرأ على والدي — رحمه الله — كتاب الأيام فيما كان يقرؤه على من كتب الأدب ، ولم أكن قد تجاوزت بعد سن الثامنة وقد كنت شديد التعلق بهذا الكتاب ، لقد كان أول كتاب أدبي أقرؤه بنفسي حين صرت قادرا على القراءة . ومن خلال الأيام أحببت لغة الضاد ، وعشقت أدبها منذ نعومة الأظفار .

كم قرأت الأيام في صباي ، وفي شبابي ، وفي كهولتي ... وفي كل مرحلة من عمري كنت أتزود من « الأيام » بزاد جديد من المتعة والأدب والعلم . كانت الأيام لي سحرا دائما على مر السنين وقد قرأتها آخر مرة عام ١٩٧٣ ، بعد وفاة العميد ... ... ويا لإبداع التصوير الذي تصوره لحياة الرجل العظيم ، وأيام الرجل العظيم ، وكفاح الرجل العظيم .

لقد كنت أقرأ الأيام منذ تفتح صباي حين لم تكن الحضارة قد امتنت بعد على أسماعنا بالمذياع الذي أخذ ينقل إلينا ذلك الصوت الساحر الفريد الذي تتردد فيه أصداء الفصحى كلها : تاريخاً وملاحم وأمجاداً وعبقريات ... أما كيف كنا نتنادى ونجتمع لسماعه في حلقات المذياع بالمدرسة الثانوية في « حديث الأربعاء » ، فإن هذا لمن أبقى ملامح ذلك العهد في ذاكرتي . ثم تعلقت بأدبه وأسلوبه ، وأقبلت عليه في عمق وتبتل حين درسنا تحقيقه لنقد النثر ، وحين صدر له : « صوت أبي العلاء » و « مع أبي العلاء في سجنه » و « أديب » و « دعاء الكروان » و « جنة الشوك » وغيرها ...

ثم شببت ودخلت الجامعة ، وتدخل القدر فأقصاني عن الجو الأدبي مدة ، لكنه لم ينه صلتي بطه حسين . فشاء أن أعمل بعد التخرج معيدا بالجامعة التي كان أول رئيس لها ، ولم يكن يصدر له كتاب أو مقال حينذاك إلا وكنت أقرؤه وأعيده . ولم يطل مقامي في جامعة الاسكندرية وما بقيت فيها إلا حبا في جواره ، فتعللت بالأسباب لأعود أدراجي إلى القاهرة التي انتقل طه حسين إليها ، فطلبت الانتقال إلى جامعة عين شمس وأشهد أني جئت إلى القاهرة تحدوني الآمال في ان احظى بحظ أوفر من جواره . وفي جامعة عين شمس ، أسعدتني الأيام بزمالة أعتز بها وأفخر ، زمالة مع استاذي الدكتور منتصر ، الذي أحاطني برعايته وفضله ، والذي مهد لي الطريق إلى مجمعكم العظيم ، أطرق أبوابه ، واستهدى سبيلي إلى

أروقته منذ عام ١٩٥٨ بالدرس والمثابرة والتفانى فى الإخلاص للفصحى . ولى عند هذه الأبواب، وفى رحاب هذه الأروقة أروع ذكرياتى التى أحلها لطه حسين ... ويا ليتنى حظيت منها بالكثير وهى - على القلة - جلها « من بعيد » ، حتى أذن الله أن يكون بعضها من قريب؛ عندما أوكل إلى شرف عرض مصطلحات الجيولوجيا على مجلسكم الموقر وطه حسين نائباً للرئيس، فرئيسا للمجمع. وأشهدكم أحسست كأنى حييت الخلد حقا وأنا اتخذ مجلسى بجانبه أتلقى منه كلمة او كلمات ، او إشارة رضا او بسمة ارتياح .

ووا هـاً لقلبى من الذكريات القاسية عن السنوات الأخيرة من عمر الرجل العظيم ، عندما ثقلت عليه وطأة الداء . وما كان يتغيب عن جلسات المجمع إلا نادراً . وكان يتحمل العذاب فى هذا بصبر وشموخ . لم أذكر له مرة واحدة فى كثير من الجلسات التى حضرتها يطلب رفع الجلسة بنفسه، مع ما كان يبدو واضحا عليه قرب نهايتها من تعب وإرهاق . كم وقفت فى تلك السنوات بشرفة المجمع أرقب العبقرى المهيب يصعد درجاته بمشقة ونصب معتمداً على ذراع زوجه أو كاتم سره أو كليهما . وكم كنت أرقبه بألم وخشوع بعد ذلك ، وهو يصعده محمولا على كرسيه ، لا يتأخر موكبه دقيقة عن موعد الاجتماع .

ولا أنسى يوما من شتاء عام ١٩٧٢ ، ذلك العام الحزين ، والراحل العزيز العظيم محمولا على كرسيه نحو قاعة الجلسات ، وكنت وصاحبى أحد عمداء الكليات الحاليين نقف بأقصى الشرفة نرقب العبقرية المحمولة أمامنا ، ونحن نحبس الأنفاس خشوعا ورهبة وإكباراً . ولما مر الموكب العبقرى ، قلت لصاحبى : ياليت كل شباب اليوم يرون معنا هذا المشهد حتى يتعلموا احترام المواعيد ، واحترام الواجب والعمل ، واحترام الحياة .

كم كان عظيما شامخا طه حسين ، وكم كان فى نفس الوقت حانياً ، جم التواضع . وإن أنسى لا أنسى ما حييت انبهارى بعبقريته وحافظته الفذة حتى آخر جلسة فى المجمع لعرض مصطلحات الجيولوجيا فى عهده ، وكانت قبل وفاته ببضعة أشهر . لا أنسى وعورة مسالك المادة فى تلك الجلسة ، كما لا أنسى صدق متابعته لها وعمقها ، وسديد مساءلته فى المناقشات من آيات من القرآن الكريم ، وأبيات من الشعر القديم . ولا أدرى لماذا حرصت جداً فى ذلك اليوم على أن أمثل بين يديه بعد الجلسة لأودعه على أمل اللقاء فى العام المجمعى التالى ، ولتحظى منه مسامعى بكلمة ، واعتذرت له عما بدا على مصطلحات الصخر والحفريات من ثقل... ومازالت آخر كلمات حظيت بها منه تتردد فى أذنى وفى كيانى عندما قال : « لا يأستاذ ، على العكس من ذلك، فانها ممتعة جدا » .

ياله من عظيم ، ما أظن الزمان يجود على الإنسانية بمثله قبل مئات السنين ، وصدق عبد الرزاق محي الدين فى رثائه حينما قال :

« ياثانى اثنين فى العليـــاء دونهما
تقصى الدهـارير مـا آدهـا السفر
ألف مضت ، وهى وحمى فيك مثقلة
حتى ولدت ، فهل ألف بها أخر ؟ »

## ... كلمة الدكتور محمود مختار

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الرئيس . أيها السادة :

اسمحوا لى أن أقدم أخلص الشكر وأصدقه على ما طوقتم به عنقى من فضـــل عظيم وما منحتمونى من شرف يتوج حياتى بتاج من الفخر ، إذ قبلتمونى جنديا فى مجمعكم الموقر العريق الذى يغص بالقادة والأبطال فى شتى ميادين الآداب والعلوم . إن اختياركم لى شرف أعتز به فحمدا لله وشكرا لكم كل الشكر . وإنى أدعو الله تعالى أن يجعلنى أهلا لهذه الثقة الغالية ويعيننى على أن أضيف لبنة إلى صرح هذا المجمع الشامخ .

ويشرفنى كذلك أن أضيف شكرا خاصا وخالصا لأخى وزميلى الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر الذى تفضل فقبل مهمة تقديمى إليكم اليوم ، على كل ما فى هذه المهمة من صعوبة وما فى جعبتى من حصيلة متواضعة . ولكن سماحته فى السخاء وسلاسته فى التعبير قد جاءتا بما فاق كل حسبانى ، فإذا بصعوبة المهمة تذوب فى أسلوبه السلس ، وإذا بضحالة حصيلتى تختفى فى طيات بيانه البليغ ، جزاه الله عنى خير الجزاء .

سيدى الرئيس . أيها السادة :

جرت تقاليد هذا المجمع الحميدة بالاعتراف بالفضل والوفاء لذويه ، وخاصة إذا كانوا من رجاله الذين انتقلوا إلى عالم الخلود ، بعد أن أسدوا إليه وإلى اللغة العربية الحبيبة من حبات قلوبهم ما لا تمحوه الأيام . كما جرت التقاليد أيضا بأن يتولى الأعضاء الجدد هذه المهمة . لا أكتمكم سرًّا أيها السادة إن صرحت لكم بأنى أشفقت على نفسى مرتين : الأولى عندما علمت أنى سوف أخلف عملاقا من عمالقة المجمع هو المرحوم الأستاذ على السباعى ، وأشغل الكرسى الذى ملأه قبلى بجدارة . والثانية عندما علمت أن الوفاء للراحل الكريم يتطلب الإشادة بآثره ، وكلكم أيها السادة أعرف بها منى ولكن يسَّر على الأمر ما كان يتمتع به الأستاذ على السباعى من اسم لامع وصيت ذائع وعلم فياض وإشعاع نافذ استنار به حتى من لم يسعده الحظ بحضور مجالسه والاستمتاع بأحاديثه . فقد كان الجميع يشيدون بصفتيه المتلازمتين : الدينية والعلمية . أما الدينية فتظهر جلية فى استظهاره القرآن الكريم على الوجه الأكمل ، ومداومة قراءته قراءة عميقة واعية . أما العلمية فتظهر جلية كذلك فى وفرة تحصيله وسعة اطلاعه فى أصالة رأيه وصفاء قريحته ، فى إحاطته بأمهات المراجع اللغوية ، فى معينه الغزير فى الفتوى بأمانة ، بالأمانة التى لا يتردد معها فى أن يقول لا أدرى فيما لا يدريه . ومما يذكر له كذلك بكل فخر وتقدير قراءته الفاحصة لكتب اللغة العتيدة من

أمثال لسان العرب، وإثبات ملاحظاته وتصويباته عليها، مما لا يجرؤ عليه إلا أولو الرأى المتمكنون من أصالتهم فى العلم والتحصيل من أمثال على السباعى .

وفى مجال التدريس، صعد الأستاذ السباعى السلم من مبدئه إلى أعلاه، وتخرجت على يديه أجيال من الطلاب كتب لها حظ التلمذة والسير على خطاه، سواء كان ذلك فى التعليم العام أو فى التعليم الجامعى فى مصر أو فى الخارج.

أما عن رسالته فى هذا المجمع الموقر، فبالرغم من أن القدر لم يمهله أكثر من سنتين اثنتين فى عضويته إلا أن آثاره فيه كانت واضحة وبصماته جلية يشيد بها الجميع . ويكفى للتدليل على ذلك ما جاء على لسان رئيس لجنة الأصول فى حفل تأبين الفقيد حيث قال : إن اللجنة قد فقدت فيه ثروة لغوية ضخمة ليس من السهل أن تعوض .

فلندعو الله أن يتغمد الأستاذ على السباعى بواسع رحمته وأن يجزيه أحسن الجزاء على ما بذل من جهد، وما قدم من عمل صالح عميق الأثر فى إعلاء شأن اللغة العربية ومجمع اللغة العربية .

سيدى الرئيس، أيها السادة :

فى الثلاثينات من هذا القرن، بعد ما تخرجت فى كلية العلوم، كنت أنظر إلى هذا المجمع الموقر على أنه مجمع لأساطين اللغة والفصاحة والبلاغة والأدب فحسب. أما العلميون فلا محل لهم من الإعراب فيه . وكم تمنيت آنئذ وأنا أخطو أولى خطواتى فى التأليف والترجمة العلمية، وأتعثر وألهث أمام طوفان المصطلحات العلمية الحديثة، أقول : كم تمنيت آنئذ بل كم تطلعت إلى هذه القلعة الشامخة أستجدى منها العون والمساعدة . وفى شىء من التردد تلمست يوما طريقى إليها ودخلتها على استحياء بحثا عن بعض المراجع العربية، وهناك شرفت بلقاء أكثر من قائد من قادة المجمع . وتطرق الحديث بيننا إلى آمال العلميين فى المجمع . وهنا كانت المفاجأة لى فقد تبينت أن المجمعيين حريصون كل الحرص على أن يفسحوا للعلميين مكانا لائقا ويحلونهم بينهم على رحب وسعة، بأكثر مما كان يتوق إليه العلميون أنفسهم . وما هى إلا بضع سنين حتى رأينا المجمع يفتح أبوابه بل أحضانه للعلميين، ويزيد من أواصر الصلة بهم، ويمحو من آثار تلك العزلة التى باعدت بينهم وبين المجمع زمنا .

ثم دخلت مصر الحديثة عصر العلم والتكنولوجيا، فكان من حسن الطالع أنها وجدت لغة العلم والتكنولوجيا أداة طيعة فى ركابها، تمهد لها الطريق، وتوفر لها مقومات السير فيه . وطرقت لغة العلم الحديث كل أبواب النشاط، حتى أصبحت على حد تعبير الأستاذ الكبير رئيس المجمع لغة نعيش معها فى الحقل والمنزل، ونرى آثارها فى المصنع والمتجر، يرددها الأطفال فى مدارسهم ويعنى بها الشباب فى جامعاتهم ويسجلها العلماء فى دراساتهم وبحوثهم » ومن حق المجمع علينا نحن العلميين أن ندين له بالفضل ونعترف له بالسبق وبعد النظر، فقد أحس بالفعل منذ نشأته، وكأنه كان يقرأ صحف الغيب، بما سيكون للغة العلم والتكنولوجيا من شأن

فى حياتنا العلمية والتكنولوجية ، فأورد لها نصا صريحا فى لائحته يقول بأن « من أهم أغراض المجمع أن يجعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، وملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر » . وقد وفى المجمع رسالتة فهنيئا له ولكم ، وبشرى للعلميين .

سيدى الرئيس . أيها السادة :

منذ أكثر من خمسة عشر عاما دعيت أعمل خبيرا فى لجنة مصطلحات العلوم الفيزيقية والهندسية ،حيث تتلمذت فيها على يد رائد الجيل الفيزيقى المجمعى العريق المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف . وما كان أسعدنى بهذه الدعوة الكريمة التى نالت منى كل تقدير وترحيب ، إذ وانتى وأنا غارق فى خضم المصطلحات الفيزيقية الحديثة ، ما بين مصطلحات للفيزيقا الكلاسيكية فى صورة جديدة متطورة ومصطلحات للفيزيقا التى صبغت العصر الحديث بصبغتها حتى تسمى باسمها ، فعرف بعصر الطاقة النووية وعصر الإلكترونيات وعصر الفضاء وما إلى ذلك . وكان تلاحق هذه العصور سريعا بحيث لم يترك لنا نحن الفيزيقيين فرصة لالتقاط الأنفاس ، وشغلنا باستيعاب الجديد من العلم عن الاهتمام بالمصطلحات وتعريبها . وتصدى عدد من الهيئات العلمية لميدان التعريب ومنها الاتحاد العلمى العربى وأكاديمية البحث العلمى وغيرهما ، ولكنها لم تصمد أمام تيار المصطلحات العنيف . وعندئذ جاء المجمع الموقر الذى لم ينس رسالته السامية يوما فأسرع بإدلاء دلوه ، فشكل لجانا متخصصة تخصصا دقيقا ، تضافر فيها العلمى المتخصص واللغوى الضليع ، وأذكر منها بصفة خاصة لجنة الفيزيقا النووية التى كان لى شرف الانتماء إليها ، وأمدها المجمع بالعديد من المراجع العلمية الحديثة والمراجع اللغوية الأصيلة .

وبدأت اللجنة مسيرتها بخطا وئيدة تتحسس طريقها الوعر الطويل بحذر تام ، وترددت أول الأمر فى خطاها ما بين الترجمة والتعريب ، ما بين تسجيل المصطلح الحديث وإحياء القديم ، ما بين الأخذ بالنحت والاشتقاق والنسبة أو رفضها . ودارت المناقشة فى مضمون المفهوم الأساسى للغة عامة ، وما أكدته اللغة العربية خاصة من قدرة على استيعاب الجديد مع احتفاظها بجوهرها القديم الخالد . بهذا المنطلق المتفتح سهل الأمر على اللجنة ، إذ أصبحت مهمتها مقصورة على اختيار الأسلوب الذى يناسب كل مصطلح على حدة ، على أن يخضع هذا الأسلوب لأسس وضوابط أوجزها على الوجه الآتى :

أولا — أن على اللجنة تسجيل ما اصطلح عليه المختصون مادام لا يتعارض مع أصول اللغة .

ثانيا — أن تبحث اللجنة عن جذور عربية للمصطلح الجديد فى مراجع اللغة فإن اهتدت إلى لفظ مناسب له فبها ونعمت ، ولكن دون تزمت . فنحن قد نكلف لغتنا شططا إن نحن صممنا على التنقيب عن أصل عربى لمصطلح لم يكن موجودا أصلا فى العربية . وفى هذه الحال يصبح التعريب هو المخرج الوحيد .

ثالثا — أن التعريب ليس بدعا فى اللغة

العربية أو فى أى لغة سواها ، وبالتالى ليس لنا أن نخشاه أو نعمل على تحاشيه . ولنا خير قدوة فيما أخذ به العرب قديما فى التعريب من جميع اللغات المعاصرة . بل إن فى التعريب إثراءا واضحا للغة من ناحية ومجاراة للغات العالمية العلمية من جهة أخرى. وهذا العامل الأخير له وزنه أمام طوفان المصطلحات الجديدة وتقارب اللغات العلمية الحية فى عصر يتسم بالتقارب والتعاون الدولى فى شتى المجالات .

رابعا — أن المعنى الواحد يجب أن يؤدى بلفظ واحد فقط سواء كان مترجما أو معربا ، على أن يكون هذا اللفظ صالحا للاشتقاق والنسبة ما أمكن .

بهذه الضوابط والأسس وضح طريق اللجنة واتسعت خطاها ، وآتت أولى ثمارها بإخراج المعجم الأول المتخصص فى الفيزيقا النووية . وهو خير هدية يهديها المجمع إلى الوسط العلمى الفيزيقى وغير الفيزيقى ، لا فى مصر وحدها بل فى أقطار الوطن العربى وأرجائه الواسعة .

سيدى الرئيس . أيها السادة :

مادمنا فى سياق الحديث عن الترجمة والتعريب فأرجو أن يتسع صدركم فتأذنوا لى بعرض وجهة نظر لها عندى أهمية خاصة ، لأنها تتناول اسم العلم الذى أتشرف بتمثيله فى المجمع ، هذا العلم هو مادرجنا على تسميته فى مصر باسم « علم الطبيعة » . هذا الاسم ترى فيه اللجنة المتخصصة ترجمة غير وافية لكلمة Physics اللاتينية . فإن كان لابد من الترجمة بالتنقيب عن المعنى الأصيل له فلتكن تسميته « علم دراسة قوانين الطبيعة » . ولكن حتى هذه التسمية الوافية من حيث اللفظ أو التسمية الأولى المختصرة المخلة ، عليهما أكثر من مأخذ .

أولا : أنها وضعت على أساس مفاهيم محدودة لهذا العلم ، وهى مفاهيم تقصر اليوم عن الإحاطة بمضمونه الحديث .

ثانيا : أن ترجمة لفظ Physics بالطبيعة يلتبس مع ترجمة لفظ nature بالطبيعة أيضا ، وهذا اللبس كثيرا ما يوقعنا فى مأزق إذا ما اجتمع اللفظان معا فى عبـــارة واحدة كأن نقول The physical natvre of Sorso

من هنا رأى عدد من الأقطار العربية تعريب اللفظ Physics ووضعوا له لفظ « فيزياء » ولكن للأسف جاء هذا الاختيار أيضا غير واف بمبادىء وأصول التعريب السليم لبعده عن الأصل وتحريفه دون مسوغ ، اللهم إلا إذا كان المسوغ هو ما يحمله لفظ فيزياء من سجع مع لفظ كيمياء وهو مسوغ غير مقنع . وبالبحث فى مراجعنا العربية عثرنا على لفظ أكثر استقامة وملاءمة وهو لفظ « فيزيقا » الذى يجمع بين الاختصار وسلامة التعريب بالاحتفاظ بالأصل ورنين النطق العربى الجميل . هذا بالطبع بالإضافة إلى تمشيه مع اللغات العالمية المعاصرة . ويسرنى أن أسجل فى هذه المناسبة أن الفضل الأول فى إحياء هذا اللفظ « فيزيقا » يرجع إلى المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف رائد الفيزيقيين .

سيدى الرئيس . أيها السادة :

إن رسالة المجمع نحو العلم والتكنولوجيا كما أراها ، يجب ألا تنتهى عند وضع المصطلحات وتحقيقها وتقنينها . بل يجب أن تنشر هذه المصطلحات على أوسع نطاق بين المشتغلين بالعلم فى الوطن العربى الكبير المتعطش لها فى كل مكان . وأننا نحن العلميين نبارك هذه البادرة الجديدة للمجمع فى إخراج المعاجم العلمية العالية المتخصصة ، ونأمل منها المزيد والمزيد ولن أكون مغاليا إن ذكرت لكم أن أساتذة الجامعات وطلابها يعانون اليوم الكثير من الشطط والمشقة فى لغتهم العلمية وعندى الدليل على ذلك مما يسمعه الكثير منا من المتصلين بالتدريس الجامعى فى الكليات العلمية ، حيث وتنتشر اليوم لغة لا هى بالعربية كما تقضى به اللوائح وما يجب أن يكون عليه الأمر ، ولا هى بالانجليزية تمشيا مع الاستثناء الوارد باللوائح . ولكنها لغة ثنائية إن جاز لنا أصلا أن نسميها لغة ، فهى لغة تخلط بين اللغتين معا ، ويا ليته خليط مفهوم ، ولكنه خليط عجيب من لغة عربية ركيكة ولغة انجليزية أكثر ركاكة مندمجين معا أو منصهرين معا . هذه الصورة المضحكة المبكية لما آلت إليه حال حال اللغة العلمية اليوم فى الجامعات وغيرها هى فى نظرى ناقوس الخطر الذى أدقه للمجمع العريق لكى يزيد جهوده الموفقة التى بدأها على الطريق السوى خدمة للعلم والتعليم وإنقاذا للغة العلمية مما هوت إليه من حضيض .

سيدى الرئيس : أيها السادة :

استميحكم عذرا عن هذه الإطالة . وأطلب الصفح منكم عن زلاتى . وأشكر لكم سماحتكم وسعة صدوركم فى الاستماع إلى .

وأدعو الله لى ولكم بالتوفيق والسداد .

والسلام عليكم ورحمة الله

---

## ... كلمة الدكتور إبراهيم مدكور

### فى ختام الجلسة

سيداتى : سادتى :

لا أشك فى أنكم لمستم فى هذه الجلسة الطويلة الممتعة أنها تربط الحاضر بالماضى ، وتلك سنة هذا المجمع لا ينسى ماضيه مطلقا ، ولا يغفل ضرورات العصر بحاجة ، وأظنها السنة السديدة التى نرجو الله أن نوفق لها دائما ، ولاشك أن سنة التجديد المجمعى نفسها معينة ونافعة فيما نضطلع به ونجد له .

ومرة أخرى أهنىء السادة الزملاء بمساهمتهم واشتراكهم معنا ، وأشكر لكم جميعا حسن استماعكم وعظيم جلدكم ، فهكذا المجمعيون دائما فاعذروهم إن كانوا قد أطالوا عليكم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١٢ من ربيع الأول سنة ١٢٩٥ ﻫ الموافق ٢٦ من مارس سنه ١٩٧٥ أقام المجمع حفل تأبين عضوه المرحوم الدكتور مراد كامل ، وفيما يلى ما ألقى فى الحفل :

# كلمة الافتتاح

## للدكتور ابراهيم مدكور ، رئيس المجمع

---

سيداتى ، سادتى ..

نودع اليوم زميلا كريما ، وعالما جليلا ، هو الدكتور مراد كامل الذى أعطى مجمع اللغة العربية طوال ربع قرن أو يزيد ، أعطاه وأجزل له العطاء، حين كان خبيرا فى لجنة المعجم الكبير نحو ثلاث عشرة سنة ، وحين أصبح عضوا به نحو خمس عشرة سنة . وأعطاه وأجزل العطاء فى لجانه ومجالسه ، وفى مؤتمره ، وفى مجلته ، وغذاه ببحوث مفصلة عميقة ، ودقيقة ، فجزاه الله المجمع، وعما قدمه من دراسات لغوية خير الجزاء .

ويقوم الزميل الدكتور عثمان أمين بإلقاء كلمة المجمع فى تأبينه ؛ وسيتولى الدكتور بولس عياد إلقاء كلمة الأسرة .

والكلمة الآن للدكتور عثمان أمين عضو المجمع .

كلمة الدكتور عثمان أمين فى تأبين :

# الدكتور مراد كامل

منذ نحو نصف قرن من الزمان ، انعقدت بينى وبين الفقيد الراحـــل وشائج قوية غذتها الجامعة المصرية. ففى العام التالى لإنشائها جامعة أميرية ، التحقنا ــ مراد كامل وأنا ــ بكلية الآداب ، وقد كانت الحياة فى كلية الآداب آنذاك حياة جوانية بمعناها الصحيح : الأساتذة وهيئة التدريس والعاملون والطلاب أسرة واحدة متآزرة ، يلتقى أفرادها عـــلى التعاطف العقلى والانتماء الحضارى ، وكذلك كان شأن الجامعة على العموم ؛ لا فرق بين كلية وكلية ، ولا بين قسم وقسم من أقسام الكلية الواحدة . الجامعة المصرية كانت رمزا وشعارا يعتز الجميع بالانتساب إليه .

وفى بداية الربع الثانى من هذا القرن كانت الروح الوطنية لا تزال متأججة مشبوبة لم تخمد لها نار . فقد أدرك سعد زغلول بفطنته ورجاحة عقله أن « المصرية » هى الغذاء الصحيح لهذه الأمة ، وأدرك الملك فؤاد برجاحة أفقه ان لمصر رسالة حضارية عريقة ، وأن موقعها الثقافى يجعلها أجدر الشعوب بالتوسط بين الشرق والغرب ، كما قال « رومان رولان » بحق منذ نصف قرن .

ولقد وعت الشبيبة من جيلنا الجامعى هذه المعانى ، وحرصت على أن تجعلها نبراسا لها فى حياتها الدراسية ، ومن بعد ذلك فى حياتها العامة والخاصة . وكان ذلك علينا ميسورا ؛ فقد شهدنا المثل الطيبة يحققها أمام أبصارنا قادة أمتنا . فزعيم ثورة ١٩ لم يتردد لحظة فى أن يعهد بأمانة الوفد إلى مكرم عبيد ، وأن يختار من معاونيه رجالا من أمثال واصف غالى وويصا واصف وسينوت حنا وغيرهم . وبفضل سعد وشوره العميق بمصريته التف الشعب حول فكرة واحدة هى فكرة الوطنية ، وآمن بعقيدة راسخة هى الأمة المصرية . وبهذه الروح النابضة استطاع وعى مصر وضميرها أن يسدا الهوة التى أرادها المستعمرون الغاصبون للتفريق بين الأقباط والمسلمين .

وما أحسب أن أحداً من أبناء جيلى ممن أتيح لهم ما أتيح لى يستطيع أن ينسى يوماً مشهوداً حقا من أيام مصر ، حين وقف شيخ الأزهر مع شيخ القبط ، واليد فى اليد ، يخطبان الجماهير المتراصة الحاشدة فى ساحة الجامع الكبير وسط حماسة منقطعة النظير . وما أستطيع أن

أنسى خطبة سمعتها آنذاك من مكرم عبيد عن « شخصية سعد » ، وقد كانت فى نظرنا وما تزال من روائع الفن الخطابى العربى ، يجرى فيها الخطيب القبطى على غرار البيان القرآنى ، ويفتن فى ذلك أيما افتنان ..

ولقد كنا جميعا — مراد كامل وأنا وزملاؤنا من الدارسين فى ربوع مصر — حريصين أشد الحرص على استظهار هذه التحفة والترنم بها فى لقاءاتنا وغدواتنا وروحاتنا . فلا غرابة فى أن « مراد كامل » ، وقد نشأ فى هذا الجو الحنفى بلغة القرآن ، يختار أن يلتحق بقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب .

وقد حظيت هذه الكلية فى أول عهدها بنخبة ممتازة من الأساتذة الأوربيين حرص المسئولون عن الجامعة على استقدامهم من أكبر جامعات الغرب ، أذكر منهم الأساتذة الفرنسيين « لالند » و « برهييه » و « لوبروتون » و « ميشو » والأستاذ الإنجليزى « دوبريه » والأساتذة البلجيكيين « جريجوار » و « جراندور » و « هوستليه » . وأذكر طائفة من الأعلام المستشرقين : « نلينو » و « جويدى » الإيطاليين و « برجستراسر » و « ليتمان » الألمانيين . كما حظيت الكلية بغير قليل من أعضاء هيئة التدريس المصريين النابهين ، أخص بالذكر منهم : طه حسين ، وأحمد أمين ، ومصطفى عبد الرازق ، ومنصور فهمى ، وشفيق غربال ، ومصطفى عامر ، وعبد الوهاب عزام ، وعبد الحميد العبادى ، وإبراهيم مصطفى — رحمهم الله رحمة واسعة .

وقد كانت الصلة بيننا وبين أولئك الأساتذة جميعا صلة وثيقة ميسورة ، وكانت أسبابها لدينا موفورة ؛ فعدد الطلاب محدود معقول ، وجميعهم مقبلون على الدرس والتحصيل ، نازعون إلى الجد والرجولة وإلى ضرب من المثالية العاملة المنبثقة من التجربة المصرية ، والمستغنية بأصالتها عن التوجيهات الأجنبية .

والنظرة المثالية هذه من حيث إنها تدفع الناظر إلى التفانى فى نصرة القضية التى يؤمن بها . هى الجانب الذى استهوانى فى شخصية « مراد كامل » ، جعلنى أرى فيه ممثلا لفريق من الصفوة يؤمنون بالفكرة ، ويحيون فى عالم جديد من صنعهم ، هو أرفع فى نظرهم من العالم الواقعى الذى يقنع به « البرانيون » و « الترابيون » ولم يكن عجيبا عندنا أن يرى « مراد كامل » فى أقل الأشياء قيمة فى نظر الناس سحرا وبدائع وأعاجيب ، ذلك لأن الإبداع والجمال مستقران فى النفوس قبل أن يكونا فى الأشياء . وقد كان الشاعر الإنجليزى على حق حين قال : « إن الجمال فى أعين الناظرين » .

لقد حدثنا عباس العقاد عن صديقه المازنى فوصفه بأنه كان « منذورا » للأدب العربى بكل ما نفهمه اليوم من معنى لكلمة « النذر » ، وقد كان الأقدمون إذا قيل لهم عن أحد من الناس إنه منذور لهذا المعبد أو هذا الحرم ، فهموا من ذلك أنه قائم فى خدمة معبده طول حياته ، وأنه لا يملك أن ينحرف عن خدمته باختياره ، لأن أرواح المعبد وجنوده ترده إليه إذا انصرفت

وجهته عنه ، فلا تبقى لنفسه بقية لغير الوفاء بنذره

وإذا جاز لى اليوم أن أستعير هذا الوصف فى الحديث عن مراد كامل ، قلت إنه كان منذورا للغات السامية وللكنيسة القبطية . كان منذوراً للغات السامية التى أثرى بها بحوثه فى اللغة العربية وآية هذا إسهامه المشكور فى جلاء ألفاظ المعجم الكبير ، وكان منذوراً أيضا للكنيسة القبطية ، فكانت رسالته أن يبرز فى آثاره وبحوثه العديدة « مكانة الأقباط فى ركب الحضارة العالمية » ، وأحسب أنه قد مهد لأداء هذه الرسالة بدراسات فى صلة الأدب الحبشى بالأدب القبطى ، وفى الرهبنة فى الحبشة ، وفى بلاد النجاشى ، وفى مكتبة دير سانت كاترين فى طور سيناء !

للفيلسوف الإنجليزى فرنسيس بيكون كلمة مأثورة تخطر ببالى حين أفكر فى مراد كامل ؛ يقول « بيكون » : « إننا يجب أن نصير كالأطفال إذا أردنا أن ندخل مملكة العلم » ومعنى هذا أن من نذر نفسه للمعرفة فما ينبغى له أن يتخلى عن خلق الدهشة والمبالاة والإعجاب ؛ ينظر إلى الأشياء فى نفسه وفيمن حوله وكأنه يفتح عينيه لأول مرة ، كل شيء يستوقفه ويستثير انتباهه . وكذلك كان مراد كامل ، كما عرفته على المدى الطويل ؛ فكل ما له صلة بمشاغله الجوهرية من قريب أو من بعيد ، فهو يقف أمامه عن طيب خاطر ويملأ منه عينيه ويروى الفكر فيه .

إن حياة مراد كامل حافلة بهذه المعانى: نشوة المعرفة ، وخدمة الثقافة ، فلا عجب أن يخلف لنا فى هذين المجالين ثروة لا يستهان بها ، حصلها فى عكوف وصبر وأناة ؛ فهذه المكتبة العلمية الزاخرة التى أهداها للكنيسة المرقسية ، وهذه البحوث اللماحة والمقالات النفاذة التى نشرها على مدى أربعين عاما ستبقى ثروة مصرية إنسانية ، وهى عندنا مناط الاعتزاز حين يتفاخر غيرنا بالأموال .

أمام ظاهرة الموت وقف حفنى ناصف يتساءل:

أتقضى معى إن حان حينى تجاربى ؟

ونحن نجيبه فنقول : « كلا لن تقضى معنا تجاربنا » . والفضل فى ذلك كله راجع فى كل زمان ومكان إلى درجة الوعى عند الأحياء من المريدين والأنصار : وما أحسب إلا أن طلاب مراد كامل وتلاميذه العديدين سيذكرونه ويترسمون مثاله ؛ لأن اللحد الحقيقى للأموات ليس هو القبور التى تملأ الرحاب ، بل هو قلوب الأحياء حين يعتريها النسيان .

## ... كلمة الأسرة

**ألقاها نيابة عنها الدكتور بولس عياد**

أستاذى كما عرفته :

عملاق من عمالقة القرن العشرين .

عبقريته خلاقة ، وقريحة متفتحة .

حاضر البديهة ، لماح ، ثاقب الفكر .

يعمل ليل نهار بلا ملل أو كلل .

قارئ ممتاز يقبل على الكتب بكل شغف وجد حتى ينهى كل ما يقع بين يديه منها .

نبيل فى تصرفاته ووقفاته .

خدوم لكل من يسأل خدمة .

لا يئن أو يتذمر حتى فى أشد أوقات مرضه .

لم أسمعه قط يشكو أو يتضجر مهما مرت العواصف فى حياته .

لا يعبس ولا يقطب الجبين

مبتسم ، سريع الفكاهة .

متواضع ، هادئ النفس وديع القلب .

رحيم ، شفوق ، لا يحب القسوة .

لا يحمل الإساءة لمخلوق .

يغفر للآخرين ولا يعرف معنى للانتقام .

واسع الأفق ، يقبل التفاهم حتى لو كان الطرف الآخر على اختلاف معه فى وجهات النظر .

من خلال مناقشاته الهادئة وأحاديثه العابرة تحس أنه عالم نادر المثال .

كانت صداقته للآخرين مبنية على الصداقة الخالصة ، تبعد عنها المصالح الشخصية .

فى وفائه للجنس البشرى يشعرك أنه ينتمى لكل أمة من أمم الأرض .

محسن بغير حدود ، عطوف على من غدر به الزمن .

على دراية واسعة بأمور الحياة ولوازمها .

له ذوق فنان فى اختيار ما يناسبه من أمور حياته .

هذا هو أستاذى الدكتور العلامة مراد كامل .

سمعت عنه من بعيد وعرفته عن قرب ، سمعت عنه عندما كنت بالسنة الأولى بكلية الآداب ، وكان بعض زملائى يذكرون أمامى بين الحين والحين أن هناك أستاذا علامة يجيد العديد من اللغات الأجنبية وعلى جانب عميق فى تدريسه وأبحاثه . وبمضى الوقت سمعت عنه الكثير حتى رأيته ذات يوم فى أحد مدرجات الكلية بمناسبة « ندوة » خاصة بمشكلة من مشكلاتنا . وكانت طريقته فى الإجابة عن أسئلتنا وقدرته على الإقناع أخاذة ، أدهشتنى وأدهشت كل من سمعه . ورأيته مرة أخرى فى امتحان اللغة المصرية القديمة ( الفرع الهيروغليفى منها ) فكانت ورقة الأسئلة غير واضحة ، وسألنا الأستاذ المراقب أن يتكرم فيخبر لجنة الامتحانات بالكلية عن مشكلتنا ، وفعلا تحدث مع المسئولين ووجدنا بعد دقائق الدكتور مراد كامل بيننا ، يقرأ لنا ما غمض من ورقة الامتحان ، وجميعنا يعرف أن سيادته متخصص فى اللغات السامية ، وها هو يجيد اللغة المصرية كذلك !!

ثم تكرر لقائى مع الدكتور مراد كامل، وخاصة عندما التحقت بمعهد الدراسات القبطية ١٩٥٦، وكان لى شرف الالتحاق بقسم الدراسات السامية الذى يتولى سيادته الإشراف عليه، وبينما كنت أقوم بالدراسة معه فى هذا المعهد طلبت أن يسمح لى بشرف آخر؛ وهو أن أقوم بالتحضير معه للدكتوراه، فوافق سيادته، ثم وافقت الكلية، وبدأت أتعامل مع أستاذى أكثر فأكثر حتى عرفته عن قرب.

وطوال دراستى معه (١٩٥٨ — ١٩٦٣) لم أر أستاذى يضن على بعلمه، فكان رحمه الله كريما فى نصائحه مخلصا فى توجيهاته، مشجعا لى ولغيرى على القراءة والبحث والتنقيب والكتابة والنشر، وكثيرا ما كنت أجد أسماء مراجع أجنبية مذكورة فى بعض الكتب ولا أجدها فى مكتباتنا المصرية فأذكر هذا له، فكان يغيرها لى حتى لا أتعطل عن أبحاثى. وعرفت من زملائى أن أستاذنا كان كريما أيضا مع طلابه أجمعين، لم يبخل على أحد منهم بنصيحة مخلصة، بل دائما يقف بجوارهم يشد أزرهم لكى يواجهوا الحياة ومافيها من معوقات، حتى يتم لهم النصر بفضل ماجبل عليه أستاذنا من محبة لنا وتقدير، يجعلنا نعمل ليل نهار حتى نغترف من منابع العلم، فبذلك نصل إلى المكانة التى تليق بإشرافه علينا.

ومع كل هذه السنين التى عرفت فيها أستاذى عن قرب لم أره إلا جم التواضع، يحترم كل من يعمل معه، ولم أسمعه يوما أنه ذم إنساناً أو حقر من قيمة فرد أو تعالى على مخلوق. وكل هذه الصفات جعلت من أستاذى رائدا من رواد التربية فى بلادنا العزيزة.

ومن الأمثلة الحية على تشجيع أستاذ لنا، أننى فى يوم — نتيجة لقراءاتى — بدأت أكتب عن نظرية جديدة، مخالفة للنظريات التى سبقتنى وعرضت نتيجة أبحاثى على أستاذى، فما كان منه إلا أن قال: « استمر فى عملك هذا، فأنا واثق أن ماحصلت عليه من نتائج يعتبر صائبا، وأنا أتفق معك، وأختلف مع علماء اللغة الآخرين ». وأكملت نظريتى بعد حصولى على الدكتوراه ونشرها تحت عنوان.

The Topography of Elephantine, according to Aramaic Papyri.

وقد وجدت قبولا من علماء اللغات السامية الذين أهديتهم بحثى.

وهكذا كان لتشجيع أستاذى لنا أن نخرج دائما بنظريات جديدة وآراء لم يسبقنا فيها أحد، وما من طالب تتلمذ على يد الدكتور مراد كامل إلا وقد تعلم منه الكثير، فقد كرس حياته لخدمة طلابه ومحبى علمه، ولا عجب فهؤلاء الطلبة هم الآن أساتذة يتولون مراكز مرموقة فى الدولة والفضل الأول مرده إلى أستاذى.

وأذكر أن جامعة روما أوفدت الطالبة الإيطالية إدة برشيانى: Edda Bresciani لكى تستكمل دراستها على يد الأستاذ العالم مراد كامل واستمرت دراستها معه لمدة عام من (١٩٥٨ — ١٩٥٩) وقد قابلتها فى هذه الأثناء؛ فوجدتها تشيد بالخير والثناء على المجهودات العلمية العظيمة التى بذلها أستاذى معها وكيف أنه لم يبخل عليها بعلمه أكثر من هذا فقد أشركها فى التأليف معه فى كتابه الذى ظهر تحت عنوان:

Edda Bresciani and Murad Kamel, « Le lettre aramaiche di Hermopoli,

Atti della Accademia Nazionale dei Lincei, Classe di Scienze Morale Memorie Ser VIII, 12. Roma, 1966.

وعثرنا فى مكتبته على العديد من كرتات وخطابات التهنئة والشكر المرسلة إليه من الخارج من طلابه المصريين والأجانب ، يشكرون فيها أستاذهم الدكتور مراد كامل ، على تدريسه أو لما أداه لهم من خدمات علمية أو انسانية ، عندما كان يقوم بالتدريس لهم فى جامعات الغرب .

**استاذى ونشأته الاولى :**

ومع معرفتى الطويلة بأستاذى لم أسأله يوما عن نشأته الأولى والتقيت بشقيق الدكتور مراد كامل وهو الأستاذ جرجس كامل « مدير عام بمؤسسة الكهرباء بالقاهرة ، وعضو مجلس إدارة بالشركة العامة للمشروعات الكهربائية » وسألته عن نشأة أستاذى الراحل فقال : كان أخى مراد وأختى ( زوجة المستشار عبد الشهيد يسى ) وأنا ، نعيش فى منطقة الظاهر والفجالة وسكنا ونحن فى عهد الطفولة فى شارع الجد ، وكان لنا فيه أملاك وحديقة ضخمة ، كما كان والدى يمتلك أكثر من مائة فدان ، وقد عصفت بنا الأحداث ونحن فى سن مبكرة جدا إذ توفى والدنا عام ١٩١٤ ومراد فى سن السابعة من عمره ، وتوفيت والدتنا عام ١٩٢٠ وقد بلغ مراد الثالثة عشرة ، فتولت عمتنا تربيتنا ، وقد التحق مراد بالمدرسة المارونية الابتدائية وبعدها أكمل دراسته بمدرسة التوفيقية الثانوية . وعندما حصل على شهادة البكالوريا ، التحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية واللغات الشرقية وتخرج من الجامعة عام ١٩٣٠ ، فأوفدته الجامعة على نفقتها فى بعثة إلى ألمانيا لكى يواصل دراسته للغات السامية وقد حصل على الماجستير وبعدها دكتوراة الجامعة عام ١٩٣٥ .

وبعد ثلاثة أعوام من الدراسة المتصلة حصل على دكتوراه الدولة من نفس جامعة توبنجن بألمانيا عام ١٩٣٨ وأثناء تحضيره للدكتوراه حصل على دبلومين : الأول فى اللغة اللاتينية يونيه ١٩٣٤ والثانى فى اللغة اليونانية أكتوبر ١٩٣٤ .

ومنذ أن التحق مراد بالتعليم الابتدائى حتى حصوله على أعلى الشهادات الدراسية وهى Dr . Phil Habil كان من المتفوقين دائما فى مراحل تعليمه ، وحصل على العديد من الجوائز نتيجة لهذا النجاح المرموق ولذكائه النادر .

وسألت الأستاذ جرجس كامل عن أسباب تخصص الدكتور مراد فى اللغة العربية وباقى اللغات الأخرى ، فأجاب سيادته ، أن حب مراد للغة ليس بجديد على العائلة فكان جدى وهو الأستاذ « جرجس ميلاد » بالرغم من وفاته فى القدس ولم يبلغ من العمر ٤٢ عاما ولكنه أجاد العربية والانجليزية ، وقد وضع قاموسا « انجليزى — عربى » كما قام الأستاذ جرجس ميلاد بتحرير إحدى الجرائد التى كانت تصدر فى ذلك الوقت لمحاربة المستعمر وعنوانها « المستقل » وربما تكون هذه إحدى الأسباب التى دفعت مراد لحب اللغة العربية وباقى اللغات التى تخصص فيها فيما بعد »

**استاذى وثقافته :**

لم تكن ثقافة الدكتور مراد محدودة بتخصصاته ، وحتى بتخصصاته كان يضيف إليها الجديد فى كل يوم بما يقرأه من مراجع وكتب ،

وبما يسمعه من محاضرات وندوات ، وما يشاهده من متاحف وبلدان ، ومن يقابله من علماء . ومن ثم فقد أتقن أستاذى عديدا من اللغات ، ومن بين اللغات التى كان يؤلف ويتحدث بها : العربية والأمهرية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية . أما عن اللغات التى كانت محور دراسته وتدخل فى نطاق تخصصاته ، نعدد منها اللغة السومرية بنقوشها الإسفينية .

اللغات السامية : البابلية والآشورية ، وهذا هو الفرع الشرقى منها ، أما عن الفرع الغربى فقد أجاد سيادته إجـــادة تامة : الكنعانية ، والفينيقية ، واليونية ، والعبرية ، والمؤابية ، والآرامية بلهجاتها الشرقية والغربية على السواء ، والعمورية والأوجرتية ( لغة رأس شمرا بشمال سوريا ) والنبطية ، والتدمرية . والفروع السابقة هى الفرع الشمالى من اللغات السامية . أما عن الفرع الجنوبى منها ، فقد أحب سيادته اللغة العربية ، وكثيرا ما كان يتحدث بها بطلاقة وله أسلوب بليغ أخاذ استخدمه فى تأليف أبحاثه .

كما أتقن سيادته اللغة السبئية والمعينية والحميرية والثمودية واللحيانية ، بالإضافة إلى اللغات غير السامية فى الجزيرة العربية . وأخذت اللغة الحيثية ـ وهى لغة آسيا الصغرى ـ نصيبا كبيرا من دراسته

أما عن اللغات الإفريقية ، فكان يرغب سيادته فى تأليف مجلد عنها محاولا أن يجعل منها لغة إفريقية موحدة عالمية .

وقد أتقن سيادته اللغة المصرية القديمة ، والقبطية بلهجاتها البحيرية والفيومية والصعيدية والأخميمية . وعند رجوعه من ألمانيا فى عام ١٩٧٤ عرض عليه الأستاذ الدكتور عبد المنعم أبو بكر عميد كلية الآداب السابق والأستاذ بكلية الآثار أن يدرس منهجا لطلبة الآثار ، عن اللغة المصرية القديمة ـ الفرع الهيروغليفى منها ـ لطلبة السنوات النهائية ، فاعتذر سيادته لضيق وقته ولتعب صحته .

ومن بين اللغات التى درسها لطلبته وخاصة فى الغرب اللغة السواحيلية ، كما أتقن اللغة النوبية المسيحية ، وكنا مزمعين أن نضع مؤلفا عن هذه عن هذه اللغة ، وقد سرت بأبحاثى قدما فى هذا المجال ، ولولا انتقال أستاذى لعالم الخلود لواصلنا البحث حتى الانتهاء منه فى مدة وجيزة .

كما ألم أستاذى إلماما كبيراً باللغات السودانية وباقى اللغات الإفريقية الأخرى ، واستمعت إليه وهو يحاضر فى حديث طلى فى أكثر من مناسبة عن هذه اللغات الإفريقية ، وكانت إحداها فى معهد الدراسات القبطية بالقاهرة .

وقد تخصص سيادته فى اللغات الأثيوبية الفرع السامى منها وغير السامى ، وقد نشر سيادته الكثير من المخطوطات التى كتبت بالجعز ، أما عن الأمهرية فكان يتحدث بها بطلاقة أدهشت كل من كان يسمعه يتحدث بهـــا ، ومن أجل هذا الإتقان وحبه للحبشة وخدماته الجليلة لهذه البلاد ـ عندما كان رئيساً للبعثة التعليمية فى الحبشة ـــ اتخذته الحكومة الأثيوبية مستشارا فنيا لها فى وزارة المعارف ، كما اتخذه الامبراطور السابق « هيلاسلاسى » صديقا حميما له وامتدت صداقته لعدد كبير من الأثيوبيين .

أما عن اللغات الآسيوية ، فلم يهملها أستاذى فقد أعطاها حقها من الدراسة والبحث والإتقان ومنها الأرمنية والروسية والسنسكريتية ولغات الهند ، كما تعلم وهو فى الخمسينات اللغتين الصينية واليابانية .

ونال سيادته دبلومين فى اللغات الأوربية القديمة وهما اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .

ومن هنا جاءت الخمس وأربعون لغة التى أتقن أستاذى معظمها .

**المناصب التى شغلها أستاذى : فى التدريس والمؤتمرات التى انتدب إليها .**

وبعد رجوع الدكتور مراد كامل من بعثته عين بوظيفة مدرس بقسم اللغات السامية بكلية الآداب جامعة القاهرة . وتدرج سيادته فى سلك التدريس حتى رقى إلى وظيفة أستاذ ورئيس القسم ، وبالإضافة إلى عمله فى الجامعة فكانت المعاهد والكليات الأهلية تحاول أن تستفيد بخبرات أستاذى فى مجالاته ، فتطوع للتدريس بالكلية الإكليريكية وبمعهد الدراسات القبطية ، كما قام بالتدريس فى معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، كما استعانت به الجامعة الأمريكية بالقاهرة للإشراف ومناقشة بعض رسائل طلبتها فى الماجستير والدكتوراه ، مع قيامه أحياناً إعطاء بعض البرامج الدراسية فى نفس الجامعة .

ولم تجد الحكومة والجامعات والهيئات العلمية المصرية أفضل من الدكتور مراد كامل لكى تعتمد عليه فى كثير من النواحى الأكاديمية فأوفدته وزارة التربية والتعليم (وزارة المعارف العمومية سابقا) مديرا للبعثة التعليمية المصرية إلى أثيوبيا ، واستمر هنـــاك حوالى عامين (مارس ١٩٤٣ — أبريل ١٩٤٥) . كما مثل الجامعة المصرية فى مؤتمر المستشرقين ٢١ المنعقد فى باريس فى يوليه ١٩٤٨ ، كما أعاد إنشاء مدرسة الألسن واختارته الحكومة لكى يكون أول مدير لها عام ١٩٥٢ . ثم انتدب كأستاذ زائر لجامعة « انزبروك » فى صيف ١٩٥٢ . ومثل الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) فى أكثر من مؤتمر ؛ كمؤتمر دراسات العهد القديم المنعقد فى « كوبنهاجن » فى ٢٥ يوليه ١٩٥٣ ، ومؤتمر المستشرقين المنعقد فى « كامبردج » فى أغسطس ١٩٥٤ ، ومؤتمر المستشرقين المنعقد فى ميونخ فى أغسطس ١٩٥٧ ، كما قدم عددا كبيرا من المحاضرات فى سالزبرج فى أغسطس ١٩٥٦ .

**الهيئات التى أشترك فى تأسيسها :**

واشترك أستاذى فى تأسيس بعض الهيئات العلمية منها مدرسة الألسن العليا ، وأكاديمية العلوم المصرية ، ومعهد الدراسات القبطية ، كما اختير من بين خمسين عالما لإنشاء إحدى الجامعات السويسرية .

**الجمعيات والهيئات والمعاهد التى نال زمالتها وعضويتها :**

ومن أجل الشهرة التى نالها أستاذى فى مراحل حياته اختير عضوا عاملا بالهيئات الآتية:

كتب باللغة الاثيوبية ، اللغات الشرقية فى مؤتمر المستشرقين بباريس ، بحثان فى اللغة العربية جنوبى السودان ( فى الجنوب ) ، بحثان عن بعض المصطلحات الفنية فى اللغة الأمهرية ، نصوص فرنسية مختارة ، اللغة الدولية والسلام العالمى ، الفعل الرباعى فى اللغات السامية الحية الفلسفة اللغوية والألفاظ اللغوية لجورجى زيدان ( مراجعة وتعليق ١٨٢ صفحة ) اللغة والمجتمع العربى ، الكلمات الفارسية فى العربية القديمة ، اللغة العربية كائن حى تعليق ومراجعة ، اللغة والاصطلاح ، لغات النقوش العربية الشمالية وصلتها باللغة العربية فى البحوث والمحاضرات ، تعال معى نتعلم الالمانية . العلماء الإيطاليون والدراسات العربية ، دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، بحثان عن : اللغة العربية لغة عالمية ، علم الأصوات — نشأته وتطوره ، العلماء الألمان والدراسات العربية ، ملاحظات على الاوزان العربية القديمة للمستشرق يوهن فك نقلها إلى العربية الدكتور مراد كامل . بحثان عن : حاجة العالم إلى لغة عربية فصحى بسيطة ، الكلمات القبطية فى اللغة العربية الدارجة اللهجات الحديثة فى اليمن ؛ تربيع الفعل الثلاثى فى العربية وأخواتها من اللغات السامية .

**٢ — الآداب العالمية**

نشر سيادته حوالى ثمانية عشر بحثا عن الآداب وبخاصة آداب اللغة العربية ومن أمثلة مانشر : الزندقة عند بشار بن برد ، «بيت الحكمة» للمأمون ، الأدب المصرى فى نظر المستشرقين صلة الأدب الحبشى بالأدب القبطى ، الفنى : لون من الشعر الحبشى — محاولة لدراسة أوزانه ، ضميمة ريحان حديقة جوته ، تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى الفتح الإسلامى بالاشتراك مع الدكتور محمد حمدى البكرى والدكتورة زاكية رشدى ، لحن إيزيس ، بين النيل والفرات ، أحدوثة من كردفان ، قصة سليمان وملكة سبأ كما يرويها أهل الحبشة ، تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان الجزء الأول — نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار مراجعة الدكتور مراد كامل ، قصص سودانية ، أبو عمرو الشيبانى .

**٣ — دراسة المخطوطات وتحقيقها :**

اهتم الدكتور مراد بدراسة المخطوطات وتحقيقها ، وقد نشر بعضا منها بمفرده والبعض الآخر بالاشتراك ومنها : « بيت الحكمة » للمأمون — مخطوط محفوظ بمكتبة الجامعة المصرية تحت رقم ٩١٠٩ عدد الصفحات ٧٨ ؛ مخطوطات الاغسطية الجديدة ، المخطوطات الاثيوبية بسيناء ؛ تاريخ اليهود ليوسف بن جوريون ؛ تعليق وإضافة الدكتور مراد كامل ، سيرة الحبشة للحيمى الحسن بن أحمد — الطبعة الأولى والثانية ؛ الكنوز الخطية بدير سانت كاترين بطور سيناء ؛ تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر تحقيق)

**٤ — علم الخطوط :**

وهنا نذكر بعضا مما كتب :

الكتابات الاثيوبية ، الكتابات المختلفة التى

عثر عليها فى سيناء، خط القرمة فى المصرية .

**٥ ـ البرديات والنقوش وشواهد القبور والاوستراكا ( الشقف ) :**

خطابات آرامية وجدت فى تونة الجبل المقال نشر بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور سامى جبره ملاحظات على الأوراق الآرامية المكتشفة فى هرموبوليس، وثيقة آرامية على الجلد من القرن الخامس ق . م ، المكتشفات الآرامية الأخيرة فى مصر ، أوستركا سريانية ، نقش أثيوبى وجد فى مصر ؛ الأوراق الخاصة . بتونة الجبل ، خطابات لأثيوبيا من البطريركين يؤنس الثامن عشر ( ١٧٧٠ — ١٧٩٦ ) ومرقس الثامن ( ١٧٩٦ — ١٨٠٩ )

**٦ ـ الفنون القديمة والحديثة**

الفن الأثيوبى ؛ فنون القبط وحضارتهم القصة المصورة فى الفن الحبشى ، الكائنات السماوية فى خيال المصورين ( جلبرت هايت ) ترجمة د . مراد كامل ، الفنون الشعبية السودانية أرنست كونل : عاش للفنون الإسلامية .

**٧ ـ الاديان**

الرهبنة فى الحبشة ، يوحنا النقيوسى ، الآباء الحاذقون فى العبادة الجزء الأول والثانى : تمهيد القبط فى ركب الحضارة العالمية ، المرحلة الأخيرة فى العلاقات التاريخيه بين الكنيسه القبطيه المصرية والكنيسه الاثيوبيه، والقديس باسيليوس الكبير نسكياته ، قوانينه الكنسية ، مصر القبطية ، إسرائيل فى التوراة والإنجيل ، حضارة مصر القبطى ، الخمس مدن الغربية ؛ العلاقات بين الكنيسة المصرية والأثيوبية .

**٨ — تاريخ وحضارة الشرق :**

كنوز الفاطميين للدكتور زكى محمد حسن — نقد كتبه بالألمانية المستشرق كالا — نقله إلى العربية الدكتور مراد كامل ، بحثان عن التقويم الأثيوبى ، مقالان عن الفلاسفة الأثيوبيين فى القرن السابع عشر ، مقالان عن « عامان فى الحبشة » ، مقالان عن إريتريا — مشاهدات وآمال فى هضبات الحبشة ، فى بلاد النجاشى ، مشروع بحيرة تانا ، هل المصرى سبة ، بلاد النجاشى ، فاسيلا داسى نجاشى الحبشة، نظام الطرق فى بلاد الشرق القديم ، روائع مدفونة فى اليمن ، الحبشة بين القديم والحديث ، الألعاب الرياضية عند قدماء المصريين ، المجتمع العربى قبل الاسلام ، تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية تأليف الكسندر شارف — ترجمة الأستاذ الدكتور عبد المنعم أبو بكر ومراجعة الدكتور مراد كامل ، فلسطين بين يدى التاريخ ، الإستعمار الإفريقى للدكتور زاهر رياض — نقد الدكتور مراد كامل ، بين العرب والهند قديماً ، تاريخ الحضارة المصرية ( العصر اليونانى والرومانى والعصر الاسلامى ). المجلد الثانى ٣ و ٤ من ديوقلديانوس إلى دخول العرب ، الرمز فى الكيمياء عند العرب ؛ مركز المرأة فى مصر ، حضارة مصر فى العصر القبطى .

**٩ — سير العلماء :**

كان أستاذى يذكر أصدقاءه بكل خير ،

وكان يجب أن يكتب عنهم ، فخصص بعضاً من أبحاثه حول هؤلاء لكى يذكرهم التاريخ ولا ينساهم بعد أن أدوا دوراً مرموقاً لخدمة المجتمعات الإنسانية العالمية .

نخص بالذكر منهم أساتذته وبخاصة أستاذه الراحل عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين. كما كتب بحثين عن أستاذه العظيم أنوليتمان Ennolittmann الأول تحت عنوان « إنوليتمان ١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٥ — مايو ١٩٥٨ » فى مجلة كلية الآداب ، والثانى عن إنوليتمان : أستاذاً وأباً . وقد ترجم مقالا فى عام ١٩٢٩ من كارلو ألفونسو نلينوا تحت عنوان « المستشرق نلينو — حياته وآثاره » للعلامة المستشرق البروفسور إنوليتمان .

وسجل استاذنا الراحل عام ١٩٤٢ كلماته فى مقال عن أحد أساتذته العمالقة المعروف عالميا لكل من يعمل بالآثار المصرية أو باللغات السامية — وهو إيجين متفوخ Eugen Mittwock (١٨٧٦—١٩٤٢) .

وفى عام ١٩٥٠ كتب عن كارلو كونتى روسينى مقالا نشر بمجلة كلية الآداب . كما دون بحثاً عن كارل بروكلمان فى عام ١٩٦٠ بالمجلة . وفى نفس العام كتب « حياة جورج جراف » فى مجلة جمعية الآثار القبطية .

**١٠ — الفهارس والمعاجم :**

فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء ، كتالوج لكل المخطوطات فى دير سانت كاترين بطور سيناء ، المعجم الكبير — ١ — ، أخى ٥١٩ صفحة ، قاموس المصطلحات العسكرية : ٣٠,٠٠٠ كلمة إنجليزى — ألمانى ، فرنسى — عربى ، المعجم الألمانى : ألمانى عربى — تأليف الأستاذ وديع فانوس مراجعة مراد كامل ، قاموس الكتاب المقدس حرف الدال من صفحة ٢٥٥ إلى ٣٨٣ ، المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة : ( تأليف على بن إسماعيل بن سيدة ، الجزء السادس تحقيق الدكتور مراد كامل ( عدد الصفحات ٥١٦ ) .

* * *

واحتوت هذه البحوث على كتب ومجلدات ضخمة كما كتبت بالعربية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والايطالية والأثيوبية . وسوف تظهر جميع منشوراته بالكامل فى كتاب أعد خصيصا لهذا الغرض .

ومن أجل كل هذه التخصصات فى الميادين المختلفة العالمية والمحلية ، والتى ظهرت فى هذا العدد الضخم من مؤلفات أستاذى ، فقد أشار إليه علماء العالم فى أمهات مراجعهم وأبحاثهم أمثال دريفر C.R Driver ، أميل كريلنج Emil G. Kraeling بذالل بورتن Bezalel Porten ، كازل H. Cazelles ؛ بومان R A .Bowman ؛ مفس Y. Muffs ، أندريه دوبل سومير جينسبرج Ginsberg ، بيير جرلوت pierre Grelot ، إده برشيانى Edda Bresciani A D uPont-Sommer ، كورير B Curoyer ، سامى جبره S. Gabra وكثيرون غيرهم ذكروا اسم الدكتور مراد

كامل » وكتبه كمرجع أساسى لا يستغنى عنه باحث أو مؤلف . وجاءت تلميحاتهم عنه كالآتى : « انظر كامل » ، حسبما يقول كامل ، « تبعا لكامل » أو تأتى عباراتهم بصوره أخرى :

« إن البحث الرائع الذى كتبه كامل ... إن الكتاب الممتاز الذى ألفه كامل ... ، إن المقال العميق الذى نشره كامل ... » وغيرهذا كثيرمن مثل هذه العبارات التى تشهد لأستاذى أنه حقا كان أحد أساطين العلم فى عصره .

وليس هذا بغريب على أستاذى الفاضل مراد كامل الذى تتلمذ على يد نخبه ممتازة من العلماء فى مصر نخص بالذكر منهم الأستاذ الدكتور عميد الأدب طه حسين ، كما تتلمذ على يد فئة من الأساتذة الأجانب وصلت إلى قمة العلم فى عصرهم ومنهم : أرنولد Th. Arnold ، « برجستراسن Bergstrassen » ، جودى « M,Juidi » ، « نلينو (C.A,Nallino) ، إنوليتمان (Ennolittmann) ، « تشخت Schacht » ، وتشيدر Schaéder

وعندما أوفدته جامعة القاهرة فى بعثة علمية تتلمذ على يد عدد آخر من العلماء المشهورين فى الساميات والمصريات منهم :

« انوليتمان Ennolittmann » ، « متفخ E.Mittwoch » ، « تشيدر Schaeder » ، « ميسنر M'eissner » ، « زيته Sethe » جرابو GraPow ، هب Heepe ، تشلوبيز Schlobies ، « وسترمان westermann » .

**أسفاره ورحلاته :**

وتعددت أسفـــار الدكتور مراد للدول الأجنبية والبلاد العربية فقد قضى فترة طويلة فى ألمانيا عندما كان يحضر لدرجة الدكتوراه وبعد حصوله على درجاته العلمية استمر يزور ألمانيا فى كل عام مرة أو مرتين ، كما زار سيادته إنجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وإسبانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا ودويلات البلقان واليونان وإيطاليا وبولندا ورومانيا ، والنمسا وسويسرا .

وزار سيادته كذلك بعضا من الدول الآسيوية بالإضافة إلى العديد من الدول الإفريقية أما عن البلاد العربية فقد نالت حظا وفيرا من زياراته بسبب تخصصاته العلمية أولا وبسبب الصداقات التى كانت تشده إليها منذ أمد طويل

أما عن مصر فقد تعددت سفرياته فى كل أرجائها ، فكثيرا ما كان يصحب أصدقاءه الأجانب إلى الأماكن الأثرية كمنطقة الجيزه ( الأهرامات ) ومنطقة سقارة وبنى حسن وملوى والأشمونين وتونة الجبل والبلينا وإدفو والأقصر شارحاً لهم تاريخ مصر القديم وآثارها ، وما يحتويه هذا التاريخ وهذه الحضارة من عظمة الأجداد .

كما زار دير سانت كاترين والأديرة القبطية والكاثوليكية التى بوادى النيل .

وهكذا تعددت أسفار أستاذى إلى معظم قارات العالم ، إما طالبا لعلم أو كأستاذ زائر أو بحثا عن المخطوطات القديمة أو لإلقاء محاضرات فى فروع تخصصاته .

كانت حياته حافلة بالشيء الكثير : فلم يضع دقيقة واحدة من عمره إلا وقد صرفها فيما يفيد.

علاقته بالكنيسة القبطية .

إن تخصصات الدكتور مراد كامل وبخاصة فى اللغة العبرية والسريانية والاثيوبية والقبطية بلهجاتها قد شدت انتباهه إلى دراسة الكتاب المقدس ، فتدريسه ، فتأليف عنه وعن شعوبه ، وساعدت هذه كلها إلى أن يمتد نشاط سيادته ليعمل بكل جهد وقوة فى كنيسته ، وبالذات عندما سافر إلى أثيوبيا وعمل فيها كمستشار فى لوزارة المعارف الاثيوبية فأخذ على عاتقه أن يهتم بالعلاقات السائدة بين الكنيستين ،الكنيسة القبطية الأم، والكنيسة الأثيوبية ، وبعد أن عاد من الحبشة اشترك فى أكثر من هيئة وأكثر من لجنة كنسية وعمل جاهدا أن يؤلف عن الكنيسة فظهر له العديد من الكتب فى هذا المجال .وحبه لكنيسته دفعه أن يهتم بالتراث القبطى الذى انحدر عن المصريين القدماء ، فخصص لهوقتا غير قليل من التأليف والنشر ، كما ساعد على أن يكون واحدا من الرواد الأوائل ، الذين عملوا بكل همة لتأسيس معهد الدراسات القبطية ، والذى أصبح وكيلا له.ومن أجل مجهوداته غير المحدودة وعلو قامته اختير بالإجماع لكى يكون وكيلا لجمعية الآثار القبطية بالقاهرة ، فعمل مع المسئولين فى الجمعية حتى وصل مستواها إلى أعلى المستويات العالمية فى الحفائر والبحث والتنقيب عن الآثار القبطية فى وادى النيل ، وأصبحت مجلة الجمعية المرآة التى يرى فيها العلماء الأجانب قيمتها الفريدة ، إذ أنها هى المجلة الوحيدة التى تصدر باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية فى جميع أنحاء الشرق والعالم أجمع ، والتى تتناول هذا التراث الخالد بالبحث والدراسة .

ولرفع مستوى الكلية الإكليريكية من الناحية العلمية ، ولكى لا تقتصر دراستها اطلابها على المستوى الدينى، اختير لها أساتذة علماء من هيئة التدريس بالجامعات المصرية ، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور مراد كامل ، الذى عمل مع غيره لرفع مستوى الكلية الإكليريكية حتى غدت كمستوى الكليات فى جامعاتنا المصرية ، وكان رحمه الله يقبل العمل فى كل هذه الهيئات القبطية متطوعا .

وقد امتد هذا النشاط الدينى العلمى إلى باقى الكنائس الشرقية الكاثوليكية والبروتستانتية فأشركوه فى كثير من أنشطتهم ، وأصبح على علاقة قوية وصداقة متينة بالكثيرين من رؤساء هذه الكنائس حتى إن بابا الكرازة المرقسية منحه وساما ، كما أن بابا روما منحه وساما تقديرا لخدماته واعترافا بأفضاله .

**مكتبته :**

وقد أنشأ الدكتور مراد كامل مكتبة ضخمة بلغت عشرين ألف كتاب فى مدى خمسين عاما . وكان كريم النفس عندما أوصى قبل وفاته بعام واحد أن توهب المكتبة إلى بطريركية الاقباط الأرثوذكس ، وقد استلمتها البطريركية فعلا بعد انتقال الدكتور مراد بيومين إلى جوار الله .

ونصت الوصية أن تحفظ المكتبة فى دواليبها وأن يخصص لها قاعة كبيرة باسم صاحب المكتبة . وأن يصرف عليها من مؤلفات الدكتور مراد التى تطبع للمرة بعد المرة ، لكى تزود دائما

بالكتب التى تصدر حديثا وفى نفس تخصصاته.

فقد تعاون نيافة الحبر الجليل الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة مع الأستاذ جرجس كامل وجمعا كتب الدكتور مراد فى صناديق ضخمة بلغت أكثر من ستين صندوقا، وحفظت كما هى لمدة أيام فى مكتبة الكلية الإكليريكية.

وقد اهتم حضرة صاحب القداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث بالمكتبة اهتماما عظيما لندرة الكتب التى تحتويها وعملا بوصية صاحبها فأفرد قاعة كبيرة فى المبنى المقابل للكاتدرائية الجديدة، وأشرف على ترتيب المكتبة بنفسه كما كانت فى منزل صاحبها، ووضعها فى القاعة المعدة لذلك، وبدأ قداسته فى تعيين نخبة ممتازة من الأمناء لعمل فهرس «وكرتات» وزين المكتبة بصور صاحبها وشهاداته وأوسمته التى كان قد حصل عليها فى حياته كما زودها بما تحتاج إليه من خزائن ومناضد الدرس، وقد أعجب كل من زار المكتبة من المصريين والأجانب على السواء للمكان المعد لها وللكنوز التى بالمكتبة.

وجاءت المكتبة متنوعة فى موضوعاتها كتنوع صاحبها فى علمه فشملت كتب اللغة وبخاصة اللغة العربية والسامية وآدابها، والمخطوطات التى كتبت فى عصور مختلفة، وكتب عن تاريخ الشرق وحضارته. ولاهتمام صاحب المكتبة بإفريقية فقد حظيت المكتبة بمجموعة ضخمة من الكتب الإفريقية أما الكتب الدينية فوجد منها الكثير.

وفى المكتبة عدد ضخم من كتب الفنون وسير الأشخاص والعلاقات بين الشعوب وعلم الخطوط وكتب الوثائق التى نشرت عن البردى والأوستراكا، والقواميس المتعلقة باللغات القديمة والحديثة على السواء.

ووجد أعداد هائلة من المجلات العلمية والدينية والاجتماعية.

**ما كتب عنه :**

وكتب عن الدكتور كامل فى حياته وبعد مماته كثيرون، فقد كان أستاذنا معروفا عالميا لعدد غير قليل من علماء العالم، كما كان معروفا للألوف من أفراد شعبنا الكريم. والذين كتبوا عنه من علماء العالم كانوا من زملائه الذين تخصصوا فى دراساته وعرفوا قدره.

أما بعد انتقاله، فقد كتب الأستاذ أنطون سيدهم بجريدة وطنى الصادرة ١٩٧٥/١/١٩ كلمة رقيقة أقتبس بعض كلماتها :

« فقدت مصر هذا الأسبوع ابنا بارا من أبنائها الذين أدوا واجبهم بإخلاص وأمانة، وصدق إزاء الوطن.. فقد اختار الله إلى جواره المغفور له الأستاذ مراد كامل، العالم، الفيلسوف الباحث، بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال فى مختلف مجالات الفكر، والأدب، والتاريخ، واللغات.

لقد كان رحمه الله موهوبا لا يضن بعلمه، بل يقدمه لخدمة وطنه مصر، وللإنسانية جميعها بسخاء يؤكد أصالة وعلو كعبه فى كل مجال تناوله بالبحث البناء، بالعمل الدائب المثمر

وبالفكر العميق الجاد .

وقد عرفت المحافل الدولية مكانته العلمية الرفيعة ووقفت على قدرته الفذة فى البحث العلمى المستند إلى الحقائق فأقبلت على إنتاجه تنهل منه ما يمهد أمامها الطريق ، وهى تقوم ببحوثها فى مختلف مجالات الفكر .

وانعكس أثر هذا الاهتمام الدولى فى الجامعات الأوربية والأمريكية ، فاستعانت بمؤلفاته الكثيرة التى تجاوزت المائة، فى بحوثها التى تسعى للاستفادة بالماضى من أجل الحاضر ، والاستفادة بالحاضر من أجل مستقبل زاهر يظلل البشرية بسعادة ، وخير ، وطمأنينة ، وسلام ..

وقد اعتمدت الدراسات اللغوية عليه اعتمادا كبيرا ، كما اعتمدت دراسات تراثنا الفرعونى والعربى على إبداعة العبقرى .

هذا بالإضافة إلى أنه - رحمه الله - كان أول عميد لكلية الألسن فى مصر ، ثم شغل بعد ذلك منصب رئيس قسم اللغات السامية بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

ومما تعيه ذاكرتى ويذكره الكثيرون أيضا أن الحكومة الأثيوبية قد استعانت به فى تنظيم وزارة التعليم بها وإعداد برامج الدراسة فى مدارسها المختلفة .

وأدى الفقيد الكريم خدمات جليلة للكنيسة القبطية ، فقد كان مرجعا رئيسيا ورائدا تعتمد عليه فى البحوث والدراسات .

كان الفقيد العظيم فى الحقيقة أستاذا ، وعالما . كان صاحب قلم وفكر ودين ... كان مصريا قوميا .. محبا لبلده .. لأمته .. لعروبته . كان صديقا عزيزا يحب صديقه ويتمنى له الخير دائما ، لقد ترك وراءه الألوف من تلاميذه ومحبيه ومريديه .. فإلى جنة الخلد .. رحمه الله ، وطيب ذكراه » .

وكتب الأستاذ فريد عبد السيد بجريدة وطنى الصادرة فى ١٩٧٥/١/١٩ عن أستاذنا الراحل كلمة رائعة حلل فيها سيادته جوانب عدة من التى كانت للدكتور مراد كامل . وهذه بعض فقرات مما جاء فيها :

« فقدت مصر عالما جليلا ومفكرا عظيما ، نذر حياته من أجل الثقافة واللغات والفكر أكثر من ٤٥ عاما . فقدت مصر الدكتور مراد كامل ، الذى أجاد أكثر من ٤٠ لغة ، وقدم أكثر من ١٧٠ كتابا وبحثا، وكان عطاؤه الفكرى جزيلا فى جامعات مصر والخارج ، فاختير عضوا فى أكبر هيئة علمية فى العالم ، هى هيئة الترشيح لجائزة نوبل للسلام العالمى فى تاريخ الأدب واللغة ، واختارته جامعة فرايبرج بألمانيا بعد انتهاء خدمته الرسمية بمصر أستاذاً مدى الحياة » .

كما نعاه الأستاذ كمال الملاخ فى جريدة الأهرام بالكلمات الآتية :

« فقدت مصر أمس عالما كبيراً من علمائها هو د . مراد كامل عضو المجمع اللغوى والوحيد

فى الشرق العربى الذى يجيد ٤ لغة ، بينها اللغة الامهرية ، وهو أحد خبرائها العالميين .

توفى د . مراد كامل ( ٦٨ سنة ) فى المستشفى بعد مرض لازمه شهرا » .

**حبه لوطنه « مصر »**

أمنية رددها الأستاذ الدكتور مراد كامل وهو أن يدفن فى تراب مصر ، مصر التى أحبها كل الحب وكرس حياته بأكملها من أجل خدمتها وخدمة أبنائها ؛ فتدريسه فى الجامعة ومؤلفاته الخالدة وأسفاره والمؤتمرات الدولية التى اشترك فيها والهيئات العالمية التى كان عضوا بها ، كل هذا أشعر العالم أجمع بمدى الخسارة الفادحة التى خسرتها مصر والعالم بانتقال الدكتور مراد إلى جوار ربه .

لقد أحب أستاذى مصر حتى إنه لم يكن يتصور أن يعيش بعيدا عنها مدة طويلة، وعندما وصله خطاب الجامعة منذ عام لكى يقوم بالتدريس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، سر كثيرا جدا، وكان فى منتهى السعادة أن يعود إلى مصر ليواصل كفاحه فى بلاده ويعيش بين طلابه وأصدقائه وعارفيه ومقدرى علمه ، لقد ترك عالم الغرب وعاد إلى مصر ، ولكن ما هى إلا بضعة أشهر قضاها بيننا حتى انتقل إلى جوار ربه بعد مرض لازمه أربعين يوما ، وفى هذه الفترة القصيرة زاره فيهـــا أهله وأصدقاؤه وعارفوه وطلابه ، وكانت بمثابة توديعهم له الوداع الأخير ، وهكذا تحققت إحدى رغبات أستاذى وإحدى أمانيه وأن يدفن فى تراب مصر » .

أستاذى الخالد :

أشرقت شمسك بنور المعرفة على القريب والبعيد ، فأنت عملاق سموت فى علمك ، تألقت فربطت بين الحضارات قديمها وحديثها ، فكنت خير سفير لمصر فى المجال العالمى . كنت لى وللكثيرين أبا روحيا ، ومعلما ، وموجها ، ورائدا . ولن أنسى مدى الحياة ، ما قدمت لى ، فى محبة خالصة وأبوة صادقة . لك الخلود ولنا العزاء .

وإن كانت شمسك قد غربت ، فالجنة مثوا أعمالك العديدة ستخلد ذكراك ، بين الخالدين ، ومحبيك وعارفى فضلك .

# رثاء الدكتور طه حسين

للدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من السودان

ثوى الحبرُ طه لدى ربِّهِ
وخلّده الله في حزبِهِ
وكان لعمري عديم النظير
ومَنْذا الذى كان من ضَرْبه!
وكان شُجاعا وكان جريئا
وكان ذكيًّا وأَعْظِمْ به
وأسلوبه يسحر القارئين
ويَخْلُص للمرء في لُبّه
شُغِفْنا به في زمان الصِّبا
وذُقْنا التذوّق من عذبه
وقد كان فذًّا وجيلا بنى
بما قرأ النّاس من كتبه
وكم قلّد النّاسُ أسلوبَه
ومنذا يَطُول إلى هضبه
وينساب مثل انسياباته
وينهلُّ مثل حَيا سُحْبِه
وقد نال شِدّة أَسْرِ القديم
وكان الجديدُ إلى جَنْبِه

ولا نَثْرَ أسلس من نثره
وسَهْلُ الكلام سوى صعبه
وبالعلم قد وَرِثَ الأنبياءَ
والفنُّ كان رحى قُطْبه
وكان عميقاً بإيمانه
وشاهِدُ ذلك في قَلْبه
وقد كان حرًّا بتفكيره
ومتّقدَ الحسِّ في خِصْبه
وكان الطّواغيت قد راعها
بثَوْرته وسنا شُهْبِهِ
ولم يكن الزّيف من دهره
ولا مَلَقُ النّاس من طِبّه
يشعّ عليك بإشراقه
مهيب الجلالة في قُربه
لطيف الدّعابة حلو الحدي
ثِ، وسَلْ في الخطابة عن خطبه
تدفّقه ونَدِي صَوْته
وإسماحِه وقُوى جَذْبه

فصاحة سَحْبانَ فى سمته
وقسّ الإياديّ فى ثوبه

وأحيا لنا الجاحظَ العبقريّ
بإبداعه ومدى وثبه

ومثل المعرّيّ لكنه
أضاف إلى الشرق من غربه

وراد لنا نهضةً لا نزا
ل نسلك فيها على دربه

عرفنا به الأدب الجاهليّ
وصدق الرّواية من كِذْبه

وعلّمنا فَهْمَ نهج الجزا
لة حتّى ثبتنا على حبّه

قرأنا تصانيفه فاستفدْنا
بعبّ السُّلافة من شربه

ونحن بها من تلاميذه
وأيّ أولى الفضل لم تَسْبِه

وقد كان بَعْدُ شديد المرا
س مُرَّ الشّكيمة في حربه

كذاك يكون الأديبُ الأصيـ
ـلُ الذى طَلَبُ الحقّ من دأبه

وقد زرت مصر رجاءَ اتصالٍ
به وانتسابٍ إلى رُحْبه

ونوّه بى بين أهل الحجا
أيَجْزِيه عنّى سوى ربّه ؟!

وعاداك قَوْمٌ بإحسانه
إليك وراموا إلى ثَلْبه

وقد كان طه كثير الحياء
رقيق العبارة فى عتبه

ويُعْرِض إعراض حلم الكريـ
ـم عمّن يريد إلى سبّه

ويبسم حتى ضياء البصيـ
ـرة تبصره العين من صوبه

وقد كان ملتزما بالوفاء
وحسن الثّناء على صحبه

وكان حبيباً إلى شَعْبه
ويأوى الأديبُ إلى شِعْبه

وأحزننى الناس لمّا نعوه
إلىّ ومجدى من سيبه

يعيبوننى حين أثنى علىّ
بخير ، أفضلى من ذنبه ؟!

وإنّ دموعى هذا القريض
ولست أُفَـتِّرُ من سـكبه

وأطربه حين أنشـدته
قريضى وهشّ إلى ضربه

وقد قال : إنّك أشعر ممـا
تظنّ كثيراً ولم أُنْبِه

وأثنى علىّ الثنـاء الذى
يموت عدوّى من غبّـه

فلا تأسَ قلبـا على حاسدٍ
يَعيبُ وذلك من عَيْبِه

وحسبك طـه وإقبـاله
عليـك وكان فتى عُزْبه

وفى جَنَّةِ الخُلد الصالحيـ
ـن مَضْجَعُ طه لدى ربّه

فجـادت ثرى قبره رحمـة
وسحّ رضـا الله فى تربه

عقيـلةَ طـه فلا تَحْـزَنى
فإنّكِ شاركتِ فى كَسْبِهِ

بِحُبِّـك إيّاهُ قد كان طـ
ـه مع الفنِّ يأْمَنُ فى سِرْبه

فذاكِ عزاءٌ ، وكلُّ الوَرَى
يَسُوقهمُ المَوْتُ فى رَكْبِهِ

# من أنباء المجمع

**أمين جديد للمجمع :**

انتخب مجلس المجمع بجلسته المنعقدة فى ٣٠ / ١٢ / ١٩٧٤ الأستاذ عبد الحميد حسن أميناً للمجمع ، وصدر القرار الوزارى باعتماد انتخابه لمدة أربع سنوات أخرى قابلة للتجديد .

**فقيدا المجمع :**

فقد المجمع عضوين جليلين من أعضائه هما :

* المرحوم الدكتور مراد كامل ، الذى توفى فى ١٦ / ١ / ١٩٧٥ . وأقام المجمع حفل تأبينه فى ٢٦ / ٣ / ١٩٧٥ ، والكلمات مثبتة فى هذا الجزء من المجـــلة .
* والمغفور له صاحب الفضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج الذى توفى فى ١٣ / ٤ / ١٩٧٥ .
وستَرِد الكلمات التى ستلقى فى حفل تأبينه بالجزء القادم من المجلة .

**أعضاء جدد :**

انتخب مجلس المجمع بجلسته التى عقدها فى ١٦ / ١٢ / ١٩٧٤ ثلاثة أعضاء جدد ، هم السادة :

* الأستاذ بدر الدين أبو غازى فى المكان الذى خلا بوفاة المغفور له الأستاذ محمود تيمور .
* الدكتور محمد يوسف حسن فى المكان الذى خلا بوفاة المغفور له الدكتور طه حسين .
* الدكتور محمود مختار فى المكان الذى خلا بوفاة المغفور له الأستاذ على السباعى .

وأقام المجمع حفل استقبالهم فى ٢٠ / ٢ / ١٩٧٥ ، والكلمات مثبتة بهذا الجزء من المجلة .

**خبراء جدد :**

قرر مجلس المجمع اختيار بعض الخبراء الجدد للجان المجمع ، وهم السادة :

* الدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله رئيس قسم اللغويات بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ( للجنة الأصول ) .
* الدكتور محمد الهادى عفيفى عميد كلية التربية بجامعة عين شمس ( للجنة التربية وعلم النفس ) .

* الدكتور رأفت كامل واصف رئيس قسم الفيزيقا بكلية العلوم بجامعة الأزهر (للجنة الفيزيقا) .
* الدكتور محمد سالم الجرح الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم ( للجنة المعجم الكبير ) .
* الدكتور على كامل المدير العام السابق للفنون الجميلة ( للجنة للفنون ) .
* الأستاذ أحمد كامل مرسى المخرج السينمائى ( للجنة الفنون ) .

**صلات المجمع الثقافية :**

** ورد إلى المجمع رسالة من الأستاذ محمد الحسن الداغستانى ( من دمشق ) تتضمن استنباط حروف عربية جديدة ، لتيسير الكتابة العربية ، ومرفق برسالته بعض النسخ المصورة لبحثه . وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ٦ / ١ / ١٩٧٥ إحالتها على لجنة تيسير الكتابة العربية ، لنظرها وإبداء الرأى فيها . ثم أرسل نماذج أخرى لمشروعه ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ٧ / ٤ / ١٩٧٥ إحالتها أيضاً على لجنة تيسير الكتابة العربية .

** ورد إلى المجمع كتاب من الدكتور محمد حلمى مراد مدير مشروع الامم المتحدة الإقليمى للمالية العامة والإدارة « بيروت » طالباً إبداء الرأى فى الدليل الموجز للمصطلحات المالية العامة باللغتين العربية والإنجليزية ، الذى يعده ليكون فى متناول المشتركين فى برامجه التدريبية ، لتعريفهم بالمصطلحات المطلوبة ، وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ٢٠ / ١ / ١٩٧٥ إحالته على لجنة القانون ، لنظره وإبداء الرأى فيه .

** ورد إلى المجمع كتاب من الدكتور محمد عبد العزيز محمد (طبيب العيون) مرفق به مصنفة فى مفردات طب العيون . فقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٤ / ٤ / ١٩٧٥ إحالته على لجنة الطب ، لنظره وإبداء الرأى فيه .

** ورد إلى المجمع كتاب من الدكتور الصيدلى صبحى السبكى يتضمن بحثاً يعرض نماذج خاصة بتيسير الكتابة العربية ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ٢١ / ٤ / ١٩٧٥ إحالته على لجنة تيسير الكتابة العربية ، لنظره وإبداء الرأى فيه .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٥/٣٠٢

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران بشبرا - مصر



اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

أعد مادة هذا الكتاب
عبد الحكيم صلاح عبد الحكيم
المحرر بالمجمع

صححت تجاربه
سميرة صادق شعلان
المحرر الثانى بالمجمع

أشرف
على الكتاب وراجعه
ونسق فصوله
سعد توفيق حمدى
مدير إدارة
التحرير والشئون الثقافية
بالمجمع

# محمد الفاسي

آنساتي ، سادتي :

لم يكن مقدراً لي حقيقة أن أتشرف بالحديث إليكم اليوم ، ولكن طارئا أستطيع أن أطمئنكم مبدئيا بأنه خفيف — طرأ على الزميل الدكتور طه حسين الذي كان مفروضا أن يتولى استقبال زميلنا الكريم السيد الأستاذ محمد الفاسي .

وكم كان يحق لي أن أتردد في قبول هذه المهمة ، لاسيما ولم تبلغ لي إلا بعد ظهر الأمس إلى أني لم أتشرف من قبل بمعرفة الزميل ، اللهم إلا في جلسة واحدة من جلسات المجمع .

إلا أن هذه الجلسة نفسها هي التي شجعتني على أن أضطلع بهذه المهمة وإن لم يتسع لي الوقت لقراءة الزميل فيما كتب وألف ، وتتبع آثاره على اختلافها واكتفيت بما لمست فيه من روح وثابة ومنهج سليم في جلسة الأسبوع الماضي . وأنا واثق كل الثقة من أنه سيغفر لي إذا لم أوفه حقه .

أيها السادة :

لم يفت مجمع اللغة العربية منذ البداية أن يتجه نحو شمال إفريقية ، لكي يكون ممثلا في بنيانه وعاملا في تكوينه ، ومنذ النشأة الأولى وفيه عضو بارز من تونس هو السيد حسن حسني عبد الوهاب الذي صاحب المجمع نحو ربع قرن يساهم في رسالته ، ويخدم اللغة ما وسعه .

---

(١) ألقيت في الجلسة العاشرة للمؤتمر في ١٥ / ١ / ١٩٥٩ (الدورة الخامسة والعشرون) .

وابن رشد . وهاتان المدرستان الفلسفيتان ، وإن تعارضتا أحيانا ، تعبران عن مذهب فلسفى واحد ، وتصوران الفلسفة الإسلامية فى شقيها المتقابلين :

والإسماعيلية بما اشتملت عليه من دراسات ونظريات نبتت بدورها فى الشرق ، ثم امتدت إلى الغرب ، ووجدت فيها أعوانا نهضوا بها ، وبسطوا نفوذها ، واستولوا على مصر ، فكانت الدولة الفاطمية بما لها من علوم وحضارة.

فالثقافة الإسلامية إذن فى ظواهرها اللغوية والفكرية وحدة متصلة الأجزاء ، اتصلت فى الماضى ، ولا بد لها أن تتصل اليوم ، ولم تمنعها الفواصل الجغرافية ولا السياسية من أن تتعاون وتتضافر ، وستبقى على هذا التعاون لتستعيد مجدها الغابر ، وتؤدى رسالتها إلى جانب الثقافات الإنسانية الأخرى .

ولا أظننى فى حاجة إلى أن أشير إلى مراكش أو المغرب الأقصى أو دولة المغرب كما تسمى اليوم ، وما كان لها من شأن فى تاريخ الحضارة الإسلامية فقد كانت ركنا حصينا من أركان الإسلام فى شمال أفريقية وبلاد الأندلس ، ولا تزال حتى اليوم علم الاستقلال والسيادة والدعوة القوية فى بلاد المغرب عامة . ويكفى أن نذكر أنها تمثل الآن الطرف الأقصى للعالم الإسلامى نحو الغرب ، وكانت ملجأ التراث العظيم الذى كونته بلاد الأندلس ، فإن كثيرين ممن جنت عليهم أحداث الأندلس لجأوا إليها ، ولا تزال أسر أندلسية قديمة تسكن مراكش الآن وتعرف بأصولها الأولى .

ومما يلفت النظر أن دولة المغرب تلتقى مع مصر فى أكثر من موضع ، فهما معا ملتقى حضارات وأجناس مختلفة ، ففى مصر تلاقى اليونانى والرومانى والفارسى مع الفرعونى ، وفى مراكش تلاقى الفينيقى واليونانى والرومانى مع سكان البلاد الأصليين .

ويحاول البلدان كلاهما فى جد الجمع بين القديم والجديد ، وربط الثقافة الإسلامية بالثقافة الغربية . وانظروا إلى جامعة القرويين من جانب ، والجامعة الأزهرية من جانب آخر وتطورهما فى نصف القرن الأخير ، لتدركوا

الليسانس ، وعلى دبلوم الدراسات العليا ، وشاء أن يتم إعداده العلمى برحلات فى عواصم أوروبا المختلفة قضى فيها نحو عامين ، وبعد ذلك عاد إلى وطنه الذى كان فى شوق إلى أمثاله ليرفعوا الراية ويحملوا العبء فى تنشئة الجيل الجديد . فعين مدرسا فى المدارس الثانوية ، ومنها إلى المعاهد العالية ، ثم بعد ذلك شغل وظيفة مدير لجامعة القرويين التى تربى فيها من قبل . واجتذبته السياسة ، فاختير وزيرا فى غير مرة ، وهو الآن على رأس الجامعة المراكشية الحديثة يوجهها ويرسم سياستها .

وفى أثناء الدرس والمحاضرة ، اتجه نحو التأليف والكتابة ، فوضع كتابا عن تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، وترجم لشاعرين من شعراء الموحدين . وأعد طائفة من المحاضرات والتقارير ، واشترك فى كثير من الحلقات والمؤتمرات العلمية والثقافية فى الشرق والغرب .

ولم يقف نشاط السيد الفاسى الباحث الدارس عند العلم وحده ، بل امتد كما قدمنا إلى السياسة ، فكان على رأس زملائه من لجان الطلبة الأفريقيين فى باريس ، اشترك معهم ، وقاد حركتهم ، وحرر فى صحيفتهم . وانضم إلى حزب الاستقلال الذى قاد الحركة حتى وصل بها بر السلامة وانتهى بالبلاد إلى الاستقلال . وكان طبيعيا أن يدعى بعد الاستقلال إلى الوزارة ، فكان عضوا فى الوزارتين الوطنيتين الأوليين .

تلك باختصار حياة الزميل الجديد ، ويبدو من ملامح هذه الصورة السريعة التى عرضتها عليكم أمور يعنينى أن أقف عندها قليلا :

فنحن أولا أمام زميل استكمل وسائل البحث والدرس وتمكن من الثقافة الشرقية فى دراسته الأولى ، وتابعها فى بحوثه ودراساته التالية .

وضم إليها الثقافة الغربية دارسا وباحثا أيضا ، ومكنه من ذلك إلمامه بعدد من اللغات ، فهو يعرف الفرنسية كأحد أبنائها ، كما يعرف الأسبانية . ويعرف فوق هذا لغتين تعتبران بالنسبة له لغة الموطن والمولد ، وهما العربية

والمغربية . وإلى جانب هذا استكمل منهج البحث فى دراساته المختلفة ، فجعله يعرف كيف يلائم بين القديم والجديد ، وكيف يسلك سبل الإصلاح من نواحيها المجدية والعملية ، وروحه الإصلاحية ناحية من النواحى التى قد لاأستطيع أن أطيل فيها ، ولكنى أحب أن أبين فقط أنه ما كاد يوكل إليه أمر المعهد الذى تربى فيه من قبل وهو جامعة القرويين حتى شاء وهو عميد ورئيس أن يعدل تلك النظم القديمة ، وأن يربطه بعجلة الزمن ، ويدخل عليه الدراسات الحديثة ويتوسع فيها من رياضيات وعلوم .

وإذا كنت أذكر هذه الأمثلة بعينها ، فإنما أذكرها لأنها تثير فى نفوسنا ضربا من تداعى المعانى ، والشىء بالشىء يذكر ، وفى إصلاحات جامعة القرويين الأخيرة ما يشبه محاولات الاصلاح التى مرت بها الجامعة الأزهرية فى نصف القرن الماضى .

وقد لا يدهشكم أن تسمعوا أن من بين المقترحات المراكشية ، التى لاأدرى إن كانت قد نفذت فعلا أم لا ، أن تنشأ فى جامعة القرويين كليات تقترب كل القرب من كليات الأزهر كأصول الدين والشريعة ، واللغة العربية.

والزميل الجليل مصلح أيضا فى وزارة التربية والتعليم ، يحاول أن يسلك بالتعليم المراكشى مسلكا يتمشى مع حاجة العصر وظروفه ، ذلك لأن نظام التعليم فى بلاد المغرب شبيه بما كان عليه نظيره فى مصر فى أخريات القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، فيقوم على المساجد التى يحفظ فيها القرآن وبعض مبادىء القراءة والكتابة والحساب ، ومن شاء توسعا اتجه نحو جامع القرويين . وما أشبه هذه المساجد بكتاتيبنا القديمة التى يأبى المغرب إلا أن يحل محلها اليوم مدارس ابتدائية وثانوية تهيىء لأبناء الشعب وسائل التعليم والثقافة الكاملة ، وتمهد للدراسات العالية والجامعية . والشرق الذى وقفت عقبات كثيرة فى سبيل نهوضه العلمى والثقافى يرغب رغبة أكيدة فى أن يستعيد ما فاته ، ويخطو إلى مصاف الأمم التى سبقته . وما أحوجه إلى مصلحين ومجددين يلائمون بين القديم والحديث ، ويقيسون الأمور بمقياس الحكمة والاعتدال ،

ويخرجون منها بحلول تتفق مع البيئة والظروف التى يعيشون فيها ، فلا يطفرون فى إسراف ، ولا يجمدون فى قصور . والزميل الكريم فى مقدمة من اكتملت فيهم هذه الصفات بين قادة المغرب والمصلحين فيه .

ويرجو المجمع اللغوى منه أمرا آخر له أهميته يعول عليه فيه التعويل كله ، لأنه يتصل بمهمته ورسالته . وأعنى به حماية اللغة متنا وأسلوبا ، ودراسة قواعدها وآدابها . وفى المغرب حقل فسيح لهذه الدراسة ، ومعالجة ألوان شتى من الموازنة والمقارنة ، ذلك لأن فيه ضربا من التقابل والتعارض بين العربية والبربرية ، واللغوى الباحث يخرج من ذلك بدروس نافعة . وأستطيع أن أقول فى اطمئنان إن مسافة الخلف بين العربية والبربرية ليست أفسح منها بين العربية والفارسية ، وقد جاء وقت على أقاليم فارسية خالصة تعربت جميعها وظهر فيها بعض أعلام الأدب العربى . والبرابرة أنفسهم نشأ من بينهم عدد غير قليل من أئمة البحث الإسلامى . ولهذا أعتقد أن الخصومة بين البربرية والعربية فى مراكش ليست أعنف مما كانت عليه الخصومة بين العامية والعربية فى مصر ، وقد أصبحنا هنا ونحن لا نكاد نأبه لهذه الخصومة ، ولن يختلف شأنها عن ذلك لدى إخواننا المغاربة . وإنا لننتظر من الزميل على كل حال وهو يجيد العربية والبربرية معا أن يوافينا بدراساته الممتعة فيهما ، وأن يخطو الخطوة المرجوة للتوفيق والملاءمة بينهما .

وقد تقضى الزمن الذى كانت تثار فيه أسباب الفرقة ، وأصبحنا ننظر إلى الأمور نظرة أبناء البلد الواحد والأمة الواحدة ، ومتى توفرت هذه الروح فلن يفرق بيننا اختلاف بربرية وعربية ، ولا بعد عامية عن عربية . وستتآخى البربرية مع العربية فى مراكش بحيث تصبح العربية لغة الشعب بأسره . كما تآخت العامية مع العربية فى مصر ، وأصبحنا نتحدث عن تيسير العربية للناس جميعا ، تيسيرها فى كتابتها وقراءتها ، فى نحوها وصرفها ، فى ألفاظها ومصطلحاتها .

واليوم ينضم إلى زمرة المجمعيين علم آخر من أعلام العراق ، رابع أربعة كلهم علم وفضل ، وسمو ونبل ، هو الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمى العراقى . عرفناه قبل أن ينضم إلى هذه الزمرة ، فعرفنا فيه الروح الهادئة ، والنفس الزكية ، والنظرة الصائبة ، واتصلنا به عن قرب فى مؤتمر بغداد ، فوجدناه يذوب رقة ، ويفنى فى خدمة ضيوفه وزملائه . حرص دائماً على أن يكون إلى جانبهم فى حلهم وترحالهم ، ولم يفته أن يشترك فى درسهم وبحثهم برغم ما كانت تلقيه عليه الوزارة من أعباء ، وما كان يضطلع به من مسئوليات جسام .

وكم يسعدنى أن أنوب عن المجمع فى استقباله ، وأخوف ما أخاف ألا يتسع الوقت لكى أوفيه حقه ، وما أكثر جوانبه وأخصب نواحيه . وإنى لأستقبل فى شخصه العربى الصادق فى عروبته ، والوطنى الغيور على وطنه ، والشاعر والكاتب ، والعالم الحديث والباحث ، والسياسى ورجل الدولة :

وقد وجدت مكان القول ذا سعة      فإن وجدت لساناً ناطقاً فقل

وحسبى أن أرسم صوراً آمل أن تعبر عن بعض جوانبه .

* * *

لمديرها فترة من الزمن . وحظى بعضوية المجمع العلمى العراقى ، وانتخب رئيساً له منذ عام أو يزيد ، خلفاً للمرحوم محمد رضا الشبيبى .

وهو يرى أن العروبة سمحة كريمة ، تقوم على الإخاء والمساواة ، وتنفر من دعاوى العنصرية . وكم من دول عربية التأم فيها شمل أجناس متعددة . ويحرص العرب دائماً على أن يعيشوا فى وئام مع الترك والفرس ، ولايترددون فى أن يعقدوا صلات شرقاً وغرباً ، ما دام ذلك لا يعدو على كيانهم ، ولا يسئ إلى مقدساتهم . وعنده أن الإخاء العربى الكردى فى العراق راسخ الأصول متين الدعائم ، وسائله ميسرة ، وأسبابه متوافرة . ولا يعكر صفوه إلا الدخلاء وذوو الأهواء ، الذين لا يعيشون إلا فى جو الفرقة والخلاف ، يستمسكون بشعارات زائفة ، ويتعصبون لقوميات مصطنعة.

وللقومية تجار لا يقلون خطراً عن تجار الحرب والسياسة ، يثيرون الفتن ويبثون السموم ، ولا يرعون ، فى الوطن إلا ولا ذمة ، واتقاء لخطرهم أثار عبد الرزاق محيى الدين فى الصحافة العراقية عام ١٩٦٠ حواراً جريئاً وصريحاً حول القومية الكردية . وقد بدا منه أن « التراحم بين العرب والأكراد أمر متوارث من أحقاب التاريخ » ولا يفسده إلا تيارات أجنبية ودعايات هدامة وعلى الاستعمار والماركسية فى ذلك وزر كبير . وواجب العرب والأكراد أن يدرأوا هذه الفتنة ، وأن يتلاقوا وجهاً لوجه ، ويتبادلوا الرأى فى صراحة فيمهدوا السبيل لتراحم أكبر وتآزر أقوى ، واستطاع زميلنا أن يجمع أطراف هذا الحديث فى كتاب له عنوانه : « من أجل الإنسان فى العراق » . وفى هذا الكتاب درس وعظة ، وما أجدره أن يقرأ . وفتنة الأكراد لها أشباه ونظائر فى أوطان عربية أخرى .

والدكتور عبد الرزاق يقظ ، يقف للدعايات الهدامة بالمرصاد ، لأنه يخشى منها على الوطن والدين والقومية . لم يتردد فى أن يكشف ستارها ، ويحارب أنصارها ، ويلاحظ بحق أنهم فى الأغلب من الانتهازيين الذين يتمسحون بالأعتاب ، وينتقلون من حاكم إلى حاكم ، ناصروا العهود الماضية وفى غير ما خجل سارعوا إلى التعلق بأهداب العهود الحاضرة واتخذوا من

وأبو حيان شخصية عريضة ، متعددة الجوانب ، ويمكن أن يعد بين أصحاب دوائر المعارف . عرض للنحو واللغة ، والشعر والأدب ، والفقه والكلام ، والتاريخ والسياسة ، وقد قيل عنه إنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة. وكان صوفى السمت ، ولعل التصوف من أظهر ما عرف به . وأولع بالنقد والحكم على الرجال ، وتعرض لكثير من معاصريه والسابقين عليه ، ومؤلفاته مصدر هام ، وصورة من أوضح الصور عن الحركات الفكرية والأدبية فى القرن الرابع الهجرى . ولم يسلم هو نفسه من النقد والتجريح ، فطعن فى بعض رواياته ، وجرح قدر من أقواله. واختلف فى نسبه : أفارسى هو أم عربى ؟ وفى مذهبه : أشيعى هو أم سنى ؟ وفى دينه : أمؤمن هو أم زنديق؟

وكان على الدكتور عبد الرزاق محيي الدين أن يعالج ذلك كله بروحه الهادئة وحكمه المتزن ، وهو فى الواقع هادئ فى بحثه هدوءه فى سلوكه وتفكيره، يسلسل الوقائع والأحداث ، ويرتب المصادر ترتيباً زمنيا ، ويتتبع مختلف الروايات ، ويناقشها ويمحصها الواحدة تلو الأخرى. ويعلن أنه ليس من المولعين بافتراض الفروض ؛ ويمقت التعميم والدعاوى العريضة ، ويؤثر أن يحصر بحثه فى دائرة ضيقة ما أمكن ، كى يصل إلى نتائج مقنعة . وأشهد أنه قل أن رأيت المنهج التاريخى قد طبق بإحكام فى دراسة مثلما طبق فى كتاب « أبو حيان التوحيدى » .

وقد انتهى بصاحبه إلى أمور حاسمة ، فقرر أن أبا حيان عربى ، وأن طفولته غير معروفة . وفسر طابعه الموسوعى بحرفة الوراقة التى تمد لمحترفها فى مساحة ثقافته ، وتحول دونه والعمق والتركيز والتخصص ورد ما يعزى عليه من اختلاق أو وضع إلى فنه الأدبى ومنحاه القصصى والروائى . وأثبت أن أبا حيان لم يكن شيعياً ، ولا عظيم العناية بالفرق ، وإن جرى على قلمه شئ من آراء المتكلمين والمعتزلة بوجه خاص . ورفض تلك التهمة التى رددها أكثر من واحد، والتى تعد أبا حيان فى مقدمة الزنادقة فى الإسلام ، وأبان فى وضوح أن أسلوبه متفاوت بحسب مراحل سنه ، وحاول حصر هذه المراحل وبيان خصائصها ومميزاتها .

ولكنهم ما لبثوا أن مزجوها بالثقافة العربية ، فتلاقت الصادقية فى البداية مع الخلدونية ، وقد قاما معا على أكتاف الزيتونة ، فتحقق بذلك التطور المنشود .

وقد أضحت الزيتونة نفسها واحدة من كليات جامعة تونس الحديثة ، وتضطلع بوجه خاص بعلوم الشريعة وأصول الدين ، وتؤدى رسالة عظمى فى ميدان الثقافة التونسية ، ولا يقف إشعاعها عند تونس وحدها ، بل يمتد إلى أبناء أقطار أخرى فى أفريقيا وآسيا . يفدون إليها وينهلون من حياضها .

وللزيتونة أياد على مجمعنا هذا ، أسهمت فيه منذ إنشائه ، أمدته بأئمة أعلام ، وغذته بغذاء صاف كريم . فكان الخضر حسين من أعضائه المؤسسين ولا تزال بحوثه القيمة حجة يرجع إليها . واختير الشيخ الجليل محمد الطاهر ابن عاشور بين أوائل أعضائه المراسلين ، وهو من نعرف تفانيا فى خدمة اللغة والدين ، استمساكا بكلمة الحق ، أطال الله بقاءه ونفع به الإسلام والمسلمين وحسن حسنى عبد الوهاب ، وإن كان صادق النشأة ، لم يفته أن ينهل من جامع الزيتونة فأكثر التردد عليه وعلى خزائن كتبه حتى اختلط بالمحيط الزيتونى وامتزج به ، وقد كان من أعضاء المجمع المؤسسين ، ونعمنا معه بزيتونى آخر كبير هو الخالد الذكر محمد الفاضل ابن عاشور ، وقد عرفتموه فاضلا حقا ، وعالما كبيرا وإماما من أئمة الأدب واللغة والفقه والتشريع .

* * *

وها نحن أولاء نستقبل اليوم تلميذه وصفيه ، الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة ، وهو زيتونى النشأة والثقافة ، نستقبله ليشغل كرسى أستاذه ، ولو كان الأمر ميراثا ما كان أحد به أحق منه ، على أنكم اخترتموه وأنتم على يقين من أنه خير خلف لخير سلف . وما أظن أنى رأيت تلميذا شبيها بأستاذه شبه الحبيب بالفاضل . يحاكيه فى زيه وسمته ، ويتسم بما اتسم به من شمائل وخلال ، ويسير على نهجه فى درسه وبحثه .

وقد قدم الأستاذ لكتاب « مناهج البلغاء » الذى أخرجه التلميذ ، وفى هذه المقدمة ما يعبر عن البنوة الروحية والود الآثر ، يقول الفاضل : « إنه سرى فى

نفس الحبيب ما سرى من نفحات نفسى ومدارك عقلى وحسى» . ورحمة الله على الراحل الكريم ، ومرحبا بالقادم العزيز ، وسأترجم له فى اختصار ، وأشير إلى شئ من جوانب نشاطه وثقافته .

ولد الحبيب فى أوائل العقد الثالث من هذا القرن ، ونشأ فى بيئة دينية محافظة ، وأسهم فى تثقيفه البيت والمدرسة ، فالتحق بالمدارس القرآنية الابتدائية وكان أبوه يرعاه ويوجهه ، ويشرف على دروسه فى اللغتين العربية والفرنسية وفى سن الرابعة عشرة دخل المدرسة الصادقية ولم يكد يمضى فيها عامين حتى بدأت الاضطرابات السياسية ، ولم يكن بد من أن يسهم فيها شاب مثله ، وداعى الوطن عنده مستجاب دائما . وكان جزاؤه أن نال شرف السجن والطرد من المدرسة فى سبيل أمته وبلاده . وما أن أطلق سراحه حتى ألحق بجامع الزيتونة وفيه أتم دراسته الثانوية والعالية . واستطاع أن يضيف إليه دراسة قانونية ، وحصل على شهادة الحقوق التونسية ويوم أن اكتمل إعداده اجتذبته المعاهد المختلفة ، فدعى للتدريس فى ثانوية الجمعية الخلدونية ، وثانوية الدراسة الزيتونية ، ومعهد البحوث الإسلامية للجمعية الخلدونية ، ولما يجاوز الرابعة والعشرين . وفى عام ١٩٥٠ نجح فى مناظرة التدريس من الطبقة الثانية ، وانتدب بعد ذلك بقليل أستاذا بالتعليم العالى بالجامعة الزيتونية ، وقضى فيها إحدى عشرة سنة ، ثم شاء أن يضيف الثقافة الغربية إلى ثقافته العربية ، فالتحق بجامعة باريس التى منحته درجة الدكتوراه بمرتبة « الامتياز الفائق » بعد عامين اثنين ، وأصبح فى آن واحد الشيخ الزيتونى والدكتور السربونى . ثم عاد إلى وطنه ينشر العلم فى أرجائه ، ويوفى الزيتونة بعض حقها عليه ، وقد عين أستاذا بها ، ولم يبعده عنها إلا عمل بمصلحة النشر بوزارة الثقافة أشرف فيه على إخراج طائفة من الكتب القيمة ، وهو اليوم عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين .

ولم يقف نشاط الحبيب عند تونس بل جاوزها إلى أوساط ثقافية مختلفة فدعى للتدريس فى جامعة محمد الخامس ، والقرويين بفاس ، وجامعة بنغازى وبكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالبيضاء . وحاضر بدار الفكر بالرباط

وفى الجزائر بدعوة من وزاره الثقافة . وكان للمشرق فيه نصيب ، فحاضر فى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، وفى جامعة آل سعود بجدة . أما رحلاته وأسفاره فمتعددة ، زار فى العالم الإسلامى القاهرة ، وبيروت ، وجدة ، والمدينة ، وكراتشى ، وفى أوربا باريس ، ولندن ، وبرلين ، وبون وفرانكفورت ، وليبتز ، وبلجراد ، وبودابست . وأسهم فيما يزيد على عشرة مؤتمرات ، بين أدبية وثقافية ، عقدت فى تونس أو فى غيرها من عواصم العالم الإسلامى . واشترك فى عدة هيئات ، فهو عضو بلجان الموسوعة الفقهية وإحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو قديم بالجمعية الخلدونية وعضو بالشبيبة المدرسية لجمعية قدماء الصادقية ، ورئيس للشبيبة الزيتونية ؛ وجمعية طلبة شمالى أفريقيا .

* * *

وما أشبه الحبيب فى نشاطه العلمى بشيخه الفاضل ، إنتاجه غزير ومتنوع درس وحاضر وحقق وأخرج ، وكتب وألف ، كتب بالعربية وبالفرنسية معا ، قام بهذا كله ولما يبلغ الخمسين فى نشاط الشباب ورجاحة الشيوخ . ويدور إنتاجه حول أبواب ثلاثة : بحوث إسلامية ، ودراسات فى الأدب واللغة والتاريخ ، وتحقيق لبعض نفائس التراث القديم . فعرض الزميل الكريم للعمل والجهاد فى الإسلام ، وعالج موضوع الأخلاق الإسلامية وموقف الإسلام من التطور والتجديد وقد ظهرت سلسلة من هذا أخيراً تحت عنوان : (مواقف إسلامية) وعنده أن الإسلام دين جد وعمل لا خمول وكسل ، والعمل فيه مناط التكليف وأساس المسئولية ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » والجهاد لفظة إسلامية واسعة الدلالة ، يقصد بها خاصة مجاهدة العدو الظاهر والعدو الباطن . وترمى مجاهدة العدو الظاهر أولا إلى نصحه ودعوته إلى الرشاد ورفع راية الأمن والسلام ، فإن أبى إلا العدوان والخصومة لم يكن بد من الذود عن الحياض والدفاع عن دار الإسلام . وليس عدونا الباطن شيئاً سوى أهوائنا وشهواتنا ، ومجاهدتنا لها هى الجهاد الحقيقى أو الجهاد الأكبر ، لنقف فى طريقها ونترفع عن الخطايا والدنايا ، ولم يكن الجهاد فى

الإسلام قط مجرد عدوان للظفر والغلبة ، أو الاستعمار والسيادة ، ولا محل لأن يفسر فقط بالحرب والقتال ، بل هو معالجة طويلة ومتنوعة ربما كانت الحرب آخر وسائلها . ومن الخطأ أن يقال إن الإسلام لم ينشر إلا بالسيف . ولا شك فى أن الدعوة الإسلامية السمحة تقوم على أساسين هامين : كفالة الحريات ، وإقرار السلام « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » « وإن أحدا من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . ويحرص الزميل الكريم فى بحوثه هذه على أن يصدر عن الكتاب والسنة وأن يستخلص منهما الأهداف الحقيقية للإسلام وهو يرى أن تعاليم الإسلام تواجه شئون الدين والدنيا ، وليس فيها ما يتعارض مع أصول الحضارة الصحيحة أو الرقى السليم . أما الدعايات الهدامة ، والأيديولوجيات الكاذبة فليست من الدين ولا من الحضارة فى شئ . وهل من سبيل أن تقوم حضارة على الماديات وحدها إنها بذلك أشبه ما تكون بحياة الغابات والجاهلية الأولى والإباحية المطلقة ، وهذا ما تشقى به بعض المجتمعات الغربية اليوم ، وما أجدر مجتمعاتنا الإسلامية أن تتحرر من هذه الآفات . وللشيخ حديث طويل فى هذا ألقاه تحت عنوان : « الإسلام وأزمة مجتمعاتنا الحاضرة » بالجزائر فى ديسمبر الماضى بمناسبة الأسبوع الثقافى التونسى .

* * *

وقد عنى زميلنا بالدراسات الأدبية واللغوية والتاريخية عناية كبيرة ، فعرض لبعض الكتاب والشعراء القدامى والمعاصرين ، أمثال الشاب الظريف ، وصفى الدين الحلى ، وشوقى ، والجارم ، وأحمد أمين . واتجه خاصة نحو الأدب التونسى ، يحيى ماضيه ، ويحلل حاضره ، تتبع مراحله ، من الفتح والعهد الأغلبى إلى الدور العبيدى والصنهاجى ، ومنه إلى العهد الحفصى ثم التركى ويقف عند العصر الحديث عصر النهضة والتجديد . وله عشر محاضرات فى الشعر العربى المعاصر بتونس ألقيت فى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ولم يفته أن يعالج موضوع الأزجال والموشحات فى الأندلس وبلاد المغرب العربى .

واستوقفته الدراسات النحوية والبلاغية طويلا ، فدرس نشأة النحو العربى وبيّن المدارس النحوية المتعاقبة فى المشرق العربى ، وأشار إلى ما أدخل على النحو من إصلاحات وتجديدات . وعلى نحو شبيه بهذا تصدى لنشأة علم البلاغة والمذاهب البلاغية ، وعالج قضايا النقد وما يتصل بها . وفرق بين المدارس البلاغية المختلفة ، وبين أثرها فى الفنون الأدبية .

وله بحث طريف ودقيق فى هجرة الأندلسيين إلى أفريقية فى القرن السابع الهجرى ، وهى هجرة أشرنا إليها من قبل ، وسبق للشاعر الطليطلى أن توقعها قبل ذلك بنحو قرن ونصف حين قال :

يا أهل أندلس شدوا رحالكم فما المقام بها إلا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن بوائقه كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وقد اتجه مهاجرو الأندلس نحو شمال أفريقيا ، فاستقر به منهم من استقر ، وأوغل فى الرحلة فريق آخر ، اتجه نحو مصر والشام والحجاز . وكان لتونس من هؤلاء المهاجرين نصيب كبير ، نزلوا أهلا ومكانا سهلا ، وأسهموا فى الحضارة والثقافة التونسية إسهاماً واضحاً ، ولا تزال فى تونس أسر معروفة بأصولها الأندلسية ، وأسرة آل عاشور واحدة منها . ويحرص الأستاذ الحبيب على أن يقف عند الأثر الثقافى لهذه الهجرة ، ويلاحظ بحق أن هؤلاء المهاجرين قد غذوا الحركة الفكرية فى تونس بغذاء خاص ، فكان منهم القراء والمحدثون ، والفقهاء والمؤرخون ، والأدباء والعلماء . ويسرد صاحبنا أسماء عدد وفير منهم ، نذكر من بينهم ابن الأبار الأديب الشاعر من بلنسيه ، وكان من أوائل الوافدين (٦٣٥ هـ) ، وابن البيطار ( ٦٤٥ هـ)النباتى الكبير ، وهو من مالقة ، أقام بتونس زمنا ، ثم رحل إلى مصر ، وكان رئيس العشابين بها وابن سيد الناس ( ٦٥٧ هـ) الفقيه والمحدث تلميذ ابن خروف وابن جبير ، وهو من إشبيليه ، وابن عصفور ( ٦٦٩ هـ) النحوى المشهور تلميذ الشلوبين وهو من إشبيليه أيضا ، وحازم القرطاجنى ( ٦٨٤ هـ) الشاعر والناقد واللغوى

ولزميلنا صلة وثيقة به سنعرض لها بعد قليل . وعن هؤلاء وزملائهم الآخرين أخذت الأسانيد الأندلسية ، وعرفت المذاهب النحوية ، وحفظ الشعر والأدب الأندلسي ، وكتب العلم والتاريخ ونشأت باختصار مدرسة أندلسية تونسية ، كان فيها الفقهاء والمحدثون ، والنحاة واللغويون ، والنباتيون والرياضيون .

وللشيخ الحبيب ولع خاص بإحياء التراث وتحقيق النصوص ، وأغلب الظن أن شيخه الأكبر الطاهر ابن عاشور وأستاذه الفاضل غرسا فى نفسه ذلك . فأولع به فى شبابه الباكر ، وكان من أحب الأشياء إليه أن يتردد على المكتبة العبدلية ، وأن يقتنى نفائس المخطوطات .

وقد حقق وأخرج كتاب « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » لحازم القرطاجنى وهو الذى قدمه لجامعة باريس ، ونال به شهادة الدكتوراه ، واتصلت عنايته بحازم ، فحقق ديوانه ، وهو تحت الطبع الآن . وحقق كذلك رحلة ابن رشيد ( ٧٢١ هـ ) . وكتابين آخرين له فى الحديث ، وهما : « السنن الأبين والمورد الأمعن فى السند المعنعن » ، « وإفادة النصيح » ونرجو أن يخرج هذا كله للقراء قريبا .

ولصاحبنا منهج مرسوم فى التحقيق وإقامة النص ، وهو منهج علمى دقيق يعتمد على التاريخ اعتمادا كبيرا ، فيستوعب المراجع كلها : قديمها وحديثها مفصلها ومجملها ، مخطوطها ومطبوعها ، عربيها وأجنبيها . ويوازن بينها فى نقد محكم ، ويستخلص منها أوثق المعلومات وأصح الأحكام ، ويثبت الآراء المختلفة مرجحا بعضها على بعض . ومحاولا الفصل فى أدق المواقف وأعقدها . يتأهب لما يحاول تحقيقه ، فيجمع كل ما يهتدى إليه من أصوله . ولا يفوته أن يستعين ما أمكن بكل ما ورد منه على ألسنة باحثين آخرين . يعرف بالأشخاص والأماكن ويشرح الألفاظ الغامضة والعبارات المأثورة . ويختم تحقيقه بمعاجم للمصطلحات والألفاظ الغريبة وبفهارس للأعلام والآيات والأحاديث والأمثال والأشعار وكل ذلك فى ترتيب واضح ، وأسلوب سهل ولغة دقيقة ، والحق أن زميلنا يعول على التاريخ التعويل كله ، وقد تطلب هذا منه اطلاعا واسعا ، وقراءة مستفيضة وأضحى حجة فى تاريخ الثقافة التونسية بخاصة ، والإسلامية بعامة .

الأخذ والرد ، ونعنى به موضوع الصلة بين الدراسات الأدبية العربية وبعض الاراء والنظريات الأدبية الهلينية ، وقد أنكر هذه الصلة فريق ، وأيدها آخرون وسبق لابن الأثير أن ذهب إلى أن كلام أرسطو ومن بعده ابن سينا فى الخطابة والشعر لغو ، ولا يستفيد به صاحب الكلام العربى شيئا . ولكننا نعتقد أنه لم يبق اليوم شك فى أن البلاغة العربية تأثرت بالفلسفة والمنطق على الأخص ، وقديما فرّق بين الطريقة الكلامية والطريقة الأدبية ، وما الأولى إلا درس للبلاغة فى ضوء الكلام والفلسفة . ويشهد تاريخ البلاغة بأن الكثيرين ممن كتبوا فيها فلاسفة أو متفلسفون ، كقدامة ابن جعفر ، والجرجانى ( ٤٧٢ هـ ) ، وحازم القرطاجنى واضح وصريح كل الصراحة فى هذه الناحية ، فقد أخذ بآراء أرسطو وتلاميذه من المشائين العرب ، وعول على كتاب « الشعر » لابن سينا وأحال عليه عدة مرات ، وهو مستمد من كتاب « الشعر » الأرسطى . ولاغرابة فحازم تلميذ تلميذ ابن رشد وإن لم ينقل عنه وآثر النقل عن الفارابى وابن سينا ونزعته الفلسفية والمنطقية واضحة .

* * *

سادتى :

لقد عنينا بتاريخ الثقافة العربية فى عصورها الأولى ، وعالجنا شيئا من تاريخها المعاصر والحديث ، وأغفلنا مرحلة طويلة بين هذين الطرفين ، أغفلنا أو كدنا — ما بين القرنين السادس والثانى عشر الهجرى ، وهى حقبة على ما بها جديرة بالبحث والدرس .

وفى جهود زميلنا الكريم الأستاذ الحبيب ابن الخوجة ما يلقى أضواء عليها وما يكشف عن الصلات الوثيقة بين ثقافة المغرب الإسلامى ، وثقافة المشرق وقد رأيتم كيف طوّف بأرجاء الثقافة العربية وأحاط بجوانبها المختلفة ، وفى زمالته الكريمة خير عون لمجمع الخالدين على أداء رسالته .

والسلام عليكم ورحمة الله ،،،

# ثانيا

# التأبين

# رؤساء المجمع السابقون

يقوم البحث والدرس على أساس من الخبرة التامة ، والرغبة الأكيدة ، والعمل الدؤوب . ولا حياة لهيئة علمية إلا بانتظام عقدها ، وتضافر أعضائها ، وإيمانهم برسالتهم إيماناً جازماً . ومن حسن حظ مجمعنا أنه قام أول ما قام على رعيل من شيوخ عصره ، بين مصريين ، وعرب ومستعربين ، وكل واحد منهم قمة فى بابه وعلم فى ميدانه . وتلاهم رعيل بعد رعيل وكلهم خيار من خيار . رسموا الخطة وأقاموا الصرح ، وأدعموا البناء . وساروا فى طريقهم فى هدوء وحكمة ، وحزم ودقة ووقفوا جهودهم على خدمة اللغة فى متنها وتركيبها . وعنوا عناية خاصة بوفائها بمتطلبات العلم والحضارة .

وفى عيد مجمعنا الذهبى أرى واجباً على أن أنوه برؤساء المجمع السابقين الذين حملوا الراية ، وقادوا القافلة ، وأعطوا ما استطاعوا من أوسع علمهم وعظيم خبرتهم . واستمسك بهم زملاؤهم طوال حياتهم ، ولم يحرمهم منهم إلا رحلتهم الأخيرة إلى جوار ربهم وهم ثلاثة كرام تعاقبوا على رياسة المجمع أربعين عاماً ، وما أغناهم عن التعريف وأود فقط أن أشير إلى شىء من جهودهم المجمعية ، وما خلفوه من أثر فى صحائف الخالدين .

وأولهم محمد توفيق رفعت الذى قاد السفينة عشر سنوات من عام ١٩٣٤ إلى ١٩٤٤ ؛ وشهد مرحلة التأسيس ، وهى دقيقة عادة ، ولكنه استطاع ، بخبرته الطويلة وزاده الوفير أن يواجه الموقف مواجهة صادقة . وكان المجمع فى سنيه الستة الأولى أشبه ما يكون بمؤتمر دولى صغير يضم عشرين عضواً ، نصفهم من المصريين ، والنصف الآخر من العرب والمستعربين ، والكل مؤمن بالعربية ، وراغب فى النهوض بها لكى تصبح لغة العلم والحضارة ، وتسهم

فى هذا الميدان إلى جانب اللغات العالمية الكبرى . وكانوا يجتمعون طوال شهرين من كل عام ، ويعقدون نحو خمس وثلاثين جلسة . يغذونها أساساً بخبرتهم وعلمهم الغزير . واستطاع توفيق رفعت أن يحقق معهم تعاوناً تاماً وأخوة صادقة .

وشاء ، وهو الفقيه الضليع والقانونى القديم ، أن يبدأ المجمع عمله بوضع لائحته التى تنظم عمله وتحدد اختصاص هيئاته . وقضى المجمعيون فى ذلك ما يقرب من دورة كاملة ، ووضعوا أسساً ومبادئ لا نزال نهتدى بها حتى اليوم ، ومن أهم ما اتجهوا إليه تكوين لجان خاصة تقوم بالبحث والدرس ؛ قبل العرض على الهيئة العامة . وأصبح من تقاليد المجمع الثابتة ألا يعرض على مجلسه موضوع قبل أن يستوفى بحثه ودرسه على أيدى المختصين .

وكان المجمعيون أنفسهم فى البداية دعامة هذه اللجان ، ثم استعانوا بالخبراء وهذا تقليد آخر ربط المجمعيين بأهل الصنعة ، كل فى ميدان اختصاصه . ويعد هذا التقليد مبدأ هاماً من مبادىء العمل المجمعى ، ونخطىء كل الخطأ إن زعمنا أن المجمعيين صناع ألفاظ وتعبيرات ، ولجان المجمع مفتوحة لكل من له صلة بها من أعضاء ، وللخبراء فيها منزلة خاصة . وحرص توفيق رفعت على أن يسهم فى بعض هذه اللجان ، وكان له فى بحوثها ومناقشاتها دور ملحوظ وفى هذا ما يؤكد أن رياسة المجمع لم تكن يوماً وظيفة شرفية ولا عملا إدارياً ، بل هى مهمة تنظيمية يكلها الزملاء إلى واحد منهم .

واستن توفيق رفعت سننا أخرى كتب لها البقاء والحياة ، ومنها بدء كل دورة بعرض ما تم من أعمال وقرارات فى الدورة السابقة ، وكان يتولى هو بنفسه هذا العرض . ونما هذا التقليد وتوسع فيه ، واضطلع به الأمين العام للمجمع . وفيما عرضه توفيق رفعت وثائق تاريخية لها وزنها .

ومن سننه استقبال الأعضاء الجدد ، وتوديع الراحلين ، وتلك سنة رأى فيها المجمع آية من آيات الوفاء والتقدير ، وباباً فسيحاً من أبواب البحث والدرس ، وعناية بالفكر المعاصر فى مختلف نواحيه . ولكل من الاستقبال والتوديع جلسة علنية تسجل أعمالها ، وتنشر بحوثها ، وقد اضطلع توفيق رفعت

نفسه باستقبال خمسة أعضاء جدد وهم : أحمد إبراهيم ، وأنطون الجُميّل ، وأحمد حافظ عوض ، وحسن القاياتى ، وعلى توفيق شوشة . وودع اثنين هما : حسين والى ، وعبد القادر حمزة .

وله اقتراحات كثيرة نكتفى بأن نشير إلى بعضها ، وفى مقدمتها طبع معجم فيشر والتعاقد معه على إخراجه ، ولهذا المعجم تاريخ طويل ، فقد عاش معه صاحبه نحو ٥٠ عاماً ، وكنا نود أن نتوّجه على أيدى مجمع القاهرة ، ولكن الحرب العالمية الثانية حالت دوننا وما نريد ، وحاولنا جمع ما تفرق من جزازات هذا المعجم ، ولم شمله دون جدوى ، وذهب مع التاريخ ، ولم نحصل إلا على قدر ضئيل .

وعنى توفيق رفعت بالمصطلح العلمى فشجع لجانه ونوعها ، ودعا إلى حفظ مقرراتها فى جزازات خاصة على نحو ما اقترحه مجمعى آخر ، وهو لويس ماسينيون ورأى فوق هذا أن تنشر فى « مجلة المجمع » ، وفى بعض النشرات الخاصة . وما أحوجنا أن نربط لغة العلم فى مصر بأخواتها فى العالم العربى جميعه ، وفى تكوين المجمع ما يهدف إلى ذلك . ولهذا شجع توفيق رفعت على اشتراك المجمع فى المؤتمرات العلمية التى تعقد فى مصر أو خارجها ، وفتح الباب لمن شاء أن يسهم فيها من أعضاء المجمع بل كان يحرص على أن يرسل باسمه ممثلون معينون .

ومع كل هذه التوجهات والتجديدات لا يفوتنا أن نشير إلى أن رئيس المجمع الأول كان أميل إلى المحافظة وأحرص على القديم، وشاء القدر أن يخلفه رئيس آخر من دعاة التجديد والإصلاح وهو أحمد لطفى السيد تلميذ جمال الدين الأفغانى ، وصديق محمد عبده ، وقد جاراه فى القول بضرورة إنشاء مجمع لغوى ينهض بالعربية ويمكنها من أن تسد حاجات العصر .

ويعد لطفى السيد بحق أول من وضع فكرة إنشاء مجمع لغوى موضع التنفيذ على شكل واضح . بدأ بهذا عام ١٩١٦ فيما سمى « مجمع دار الكتب » ، التى كان مديراً لها وأريد به أن يكون كاتب سر هذا المجمع ، وقد كون من كبار الشيوخ والعلماء وجمع بين العرب والمصريين ، وقدر له أن يعمر

بضع سنين ، ثم جاءت ثورة سنة ١٩١٩ ، فاعترضت طريقه ، وانخرط لطفى السيد نفسه فى غمار هذه الثورة ، وعد من قادتها . ولكنه لم يلبث أن عاد إلى فكرته الغالية عام ١٩٣٢ يوم أن كان وزيراً للمعارف ، واستطاع أن يحول هذه الفكرة من حركة أهلية إلى هيئة رسمية ، وصدر المرسوم الملكى بإنشاء المجمع عام ١٩٣٢ ، وصدر بتكوينه مرسوم آخر عام ١٩٣٣ ، ولم يكن لطفى السيد من أعضائه ، مع أنه كان الداعى والمحرك للموضوع ، وهكذا كان لطفى السيد دائماً فى كل دعوات الإصلاح ؛ يذكر هدفه ، وينسى نفسه .

وفى عام ١٩٤٠ فقط ، دخل المجمع على رأس الرعيل الثانى الذى اشتمل على عشرة من صفوة أصدقائه ، أمثال محمد مصطفى المراغى ، وعبد العزيز فهمى ، أو من صفوة تلاميذه أمثال : مصطفى عبد الرازق ، ومحمد حسنين هيكل وطه حسين ، وفى عام ١٩٤٥ ، اختير رئيساً للمجمع ، واستمسك زملاؤه برياسته طوال حياته إلى عام ١٩٦٣ ؛ برغم رغبته المتكررة فى أن يخفف من أعبائه ، وله فى المجمع أياد كثيرة وآثار خالدة .

فعلى يديه فرق بين مجلس المجمع ومؤتمره ويضم المجلس أعضاء المجمع المصريين الذين درجوا على أن يعقدوا جلسة يوم الاثنين من كل أسبوع ، وحددت دورة المجلس بثمانية أشهر ، تبدأ يوم الاثنين الأول من أكتوبر وتنتهى يوم الاثنين الأخير من مايو .

وأصبح هذا تقليداً ملتزماً حتى اليوم ، وقد تضاف بعض الجلسات فى أيام أخرى بموافقة المجلس ، ويجمع المؤتمر بين الأعضاء المصريين والعرب والمستعربين ، ويعقد مرة كل عام وكانت مدة انعقاده طويلة فى البداية ، ثم قضت أعباء الحياة قصرها على أسبوعين رعاية لظروف الضيوف المشاركين ، ويعرض على المؤتمر فى كل دورة ماسبق للمجلس أن أقره ، ولا ينشر شىء باسم المجمع إلا بعد إقرار المؤتمر له .

وللطفى السيد مستحدثات أخرى ، نذكر من بينها جوائز المجمع الأدبية ، فقد شاء أن يأخذ المجمع بيد شباب الكتاب وأن يشجعهم على التأليف والكتابة . وتشاء الظروف أن تكون أول جائزة أدبية للمجمع من تبرع سيدة كريمة هى

هدى شعراوى . ثم خصص بعد هذا لجائزة الأدب اعتماد فى ميزانية المجمع ، بدأ رمزياً ، ثم نما على مر الزمن .

وكان شباب الكتاب يسعدون بالجائزة المجمعية برغم تواضعها ، ويكفى أن أشير إلى أن الأستاذ نجيب محفوظ شيخ كتاب القصة المصريين اليوم كان من أوائل من حصلوا عليها . وقد قصرت فى البداية على شباب المصريين ، ثم فتح بابها للمتسابقين فى العالم العربى جميعاً ، وأضيفت أخيراً جائزة أخرى لإحياء التراث ، وما كان أحوجنا إليه .

ويرمى لطفى السيد ظلماً بأنه كان من أنصار العامية ، ويظهر أننا نسينا ما كان له من يد فى تخريج جيل من أقلام الصحفيين الأوائل الذين جمعتهم « الجريدة » أمثال : طه حسين ومحمود عزمى ، ومحمد حسين هيكل ، وأحمد حسن الزيات .

وكان للطفى السيد قلمه ومحفوظاته القيمة فى الأدب العربى ، وكثيراً ما أصغى لها المجمعيون واستمتعوا بسماعها ، وكان يهدف خاصة إلى أن يقرب العامية من الفصحى وأن يجمع الأمة العربية على لغة خطاب واحدة ، وهذا هدف نتمناه جميعاً ، ونأمل أن نصل إليه إن قضينا على الأمية ، وثقفنا الناشئين بثقافة عربية كاملة ، ورغبة فى التقريب بين العامية والفصحى ، دعا إلى البحث عما تشتمل عليه لغة أصحاب الحرف المختلفة من ألفاظ عربية الأصل ، وهذا هدف لا يزال المجمعيون ينشدونه ، وقد دعا لطفى السيد إلى البحث عما اشتملت عليه لغة هذه الحرف من ألفاظ عربية تمكننا من مواجهة متطلبات العلم والتكنولوجيا المعاصرة ، وكوّن المجمع لذلك جنوداً كان على رأسها إسماعيل مظهر .

وحرص لطفى السيد الحرص كله على أن يباعد بين المجمع والسياسة ، برغم أن مجمعنا كان يحمل اسم الجالس على العرش ، فسمى « مجمع فؤاد الأول » ثم « مجمع فاروق » ولم يكن لهذة التسمية أية دلالة خاصة لدى المجمعيين وحظى بعضوية المجمع بعض قدامى السياسيين ، ولكنهم كانوا يخلعون رداءهم السياسى قبل أن يتخطوا عتبة دار المجمع . ولا شك فى أن كثيرين منهم كانوا يسعدون بالروح العلمية التى سادت بحثهم ومناقشتهم ، وكانوا

يرون فى العمل المجمعى ضربا من الترويح . وشاعت بعض الأحزاب السياسية دون جدوى أن تبسط شيئا من سلطانها على هذه الحياة وأبعد لطفى السيد السياسى القديم هذه الأهواء عن صومعة الخالدين .

ورئيس المجمع الثالث هو طه حسين تلميذ لطفى السيد ربيبه ، اتصل به منذ فجر هذا القرن وتوثقت العلاقة بينهما على مر الزمن. وما كان أشد إخلاص التلميذ للأستاذ ، وأعظم إعجاب الأستاذ بتلميذه . جمعت « الجريدة » فى البداية بينهما ، وتأكدت العلاقة بينهما فى الجامعة المصرية القديمة ، وكان للطفى السيد صلة بها . وما إن عاد طه من بعثته حتى اتجه نحو الصحافة مرة أخرى وله فى السياسة الأسبوعية بوجه خاص توجيه ونشاط أثار الحركة الفكرية فى مصر . ويوم أن أصبح لطفى السيد مديرا لجامعة فؤاد الأول حرص على أن يربط الحاضر بالماضى ، وأن يضم الجامعة المصرية القديمة إلى الجامعة الحديثة وفتح الباب لطه حسين كى يؤدى رسالته فى كلية الآداب . ويوم أن اعتدت السياسة على استقلال الجامعة ، وأخرجت طه حسين من كلية الآداب لم ير لطفى السيد بدا من أن يقف إلى جانب تلميذه وصديقه وقدم استقالته التاريخية .

وعلى بساط مجمع اللغة العربية التقى طه حسين بلطفى السيد فى ميدان آخر ،وتعاونا ما وسعهما على دفع حركة التجديد والسير إلى الأمام . وكان من أول الأمور التى واجهتهما مسألة وضع معجم ألفاظ القرآن ، وقد أيدها لطفى السيد وطه حسين معا ، وإن باعد هذا بينهما وبين الأستاذ الأكبر مصطفى المراغى بعض الشىء . وتلى هذا موضوع آخر كان أعظم خطورة ، وهو الاقتراح الذى قدمه عبد العزيز فهمى ، وهو صديق الطرفين ، داعيا إلى إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية ، وقد قضى المجمع دورة كاملة ، فى مناقشة هذا الاقتراح . ومن الظلم أن يعزى إلى طه حسين أنه كان من مؤيديه .

ويكفى أن أشير إلى أن المجمع كله رفضه جملة وتفصيلا . والحديث عن الحروف اللاتينية ألصق بالماضى ولا محل له فى الحاضر ، ومن اللغط أن نعود إليه مرة أخرى . سبق للمجمع أن تعاقد مع المستشرق الألمانى فيشر على

إخراج معجمه التاريخى ، إلا أن هذا العقد لم يحقق مع الأسف أهدافه ، وكان لابد للمجمع من أن ينحو نحوا آخر ، فشكلت لجنة لذلك وكان من حظى أن أسهمت فيها ، وانعقد الرأى على أن هناك نصوصا أدبية ولغوية قديمة وأن إحياءها شرط أساسى لاستكمال مصادر المعجم التاريخى ، ولهذا استقر رأى على أن يقنع المجمع الآن بإخراج معجم كبير يعنى بأصول اللغة ومستحدثاتها ويفتح صدره للغة العلم والحضارة ويكمل سلسلة المعجم الوسيط. وشاء طه حسين راغبا أن يتولى بنفسه أمر هذا المعجم وقضى عشر سنوات يعد له ، ويوم أن دعى إلى الوزارة رغب زملاؤه جميعا أن يخففوا عنه ولكنه أبى إلا أن يتابع جهده السابق وأخرج من هذا المعجم تجربة وزعت على الباحثين والدارسين لكى يبدو ما يعن لهم من نقد أو ملاحظة وكانت هذه التجربة دعامة العمل فى المعجم الكبير ، وقد أخرج منه جزء فى حياة طه حسين ولحقه جزء آخر بعد مماته والعمل فيه طويل النفس ، وسيذكر طه حسين ما ذكر هذا المعجم وما تداوله الباحثون والدارسون .

ولطه حسين مواقف أخرى فى مجمع الخالدين سجلتها محاضر المجلس ومؤتمره ، وأختم حديثى بموقف واحد منها وهو تيسير النحو على الناشئين ، وتلك قضية عاش معها طه حسين منذ خمسين سنة تقريبا ، فقد اشترك فى لجنة كونتها وزارة المعارف لهذا الغرض عام اثنين وثلاثين ، بناء على رغبة محمد بهى الدين بركات الذى كان وزيرا للمعارف حين ذاك وانتهت هذه اللجنة إلى مقترحات حفظت فى ملفات الوزارة زمنا ، ثم رئى عرضها على المجمع ولم يكن فيها أى جديد بالنسبة لطه حسين وكان كل همه بعد أن أقرها المجمع مع تعديل طفيف أن تأخذ طريقها إلى العمل والتنفيذ ، وطالب المجمع وزارة المعارف بأن تضع كتبا تتمشى مع هذه المقترحات وتبرع هو نفسه أن يسهم فى هذه الكتب أو يراجعها ولم تستجب وزارة المعارف لدعوته ولكن فكرة التيسير تسير فى طريقها ، وأعتقد أن القائمين على أمر تعليم اللغة العربية فى مدارسنا الأميرية والخاصة يدركون تماما أن اللغة تتعلم عن طريق الحوار والقراءة والمطالعة ، وكأنى بهم يتخففون الآن من القواعد النحوية ما استطاعوا

هؤلاء هم شيوخ الخالدين الذين قادوا السفينة ووضعوا تقاليد نهتدى بها ونسير على نهجها . وإذا كنا نذكرهم فى عيد المجمع الذهبى فإن الباحثين والدارسين سيذكرونهم على الدوام .

المنصورة الابتدائية على مقربة من مسقط رأسه . وانتقل بعدها إلى القاهرة لمتابعة دراسته فى مدرسة فرنسية حرة حصل فيها على شهادة الدراسة الثانوية سنة١٩٠٦ واجتذبه الفقه والتشريع ، فالتحق بمدرسة الحقوق دون أن يمكث فيها طويلا ذلك لأن الجامعة المصرية القديمة أعلنت عن بعثة للفلسفة إلى جامعة باريس ، فتقدم لها ، وفاز بمسابقتها .

وسافر سنة ١٩٠٨ إلى أوروبا حيث قضى خمس سنوات نهل فيها من حياض العلم والأدب . فلم يقنع بالدراسات الفلسفية التى سافر من أجلها ، بل ضم إليها بعض الدراسات العلمية كالجغرافيا الطبيعية ، والفسيولوجيا ، وعلم الأجنة ، وكأنما شاء أن يستكمل وسائل منهج الدراسات الاجتماعية التى كانت سائدة فى السربون حين ذاك . وتتلمذ لأكثر من عالم وفيلسوف وتأثر خاصة بـ « ليفى بريل » أحد أقطاب المدرسة الاجتماعية الفرنسية فى أوائل هذا القرن . وكللت دراساته بالنجاح . وحصل فيها على شهادات مختلفة ختمها بشهادة الدكتوراه .

ولم تصرفه قراءاته الأجنبية عن مصادر الثقافة العربية التى نهل منها فى طفولته وشبابه واستمر يرجع إليها طول حياته . فتوفرت له بذلك ثقافة شرقية وأخرى غربية . وأجاد الفرنسية إجادته للعربية وألم بقليل من الإنجليزية والألمانية . وكل تلك أدوات صالحة للبحث والدراسة وأتيح له قبل عودته إلى مصر أن يطوف ببعض بلاد أوروبا فكانت الرحلة كتاباً آخر أفاد منه إلى جانب ما درس وقرأ .

وقبل أن أنتقل إلى المرحلة الثانية من حياته ، لابد لى أن أشير إلى حادث رسالته للدكتوراه وكان موضوعها : « مركز المرأة فى الإسلام »
"La condition de la femme dans l'Islamisme"
وكان طبيعياً أن يختار موضوعاً كهذا فى جو تحرير المرأة المصرية فى ذلك التاريخ الذى تزعمه قاسم أمين وزملاؤه . إلا أن إدارة الجامعة التى أوفدته رأت أنه جرى على قلمه عبارات تتنافى واحترام التقاليد الدينية . وسعت جاهدة إلى منع تقديم رسالته . ولكن منصور فهمى الشاب أبى عليه حماسه إلا أن يسير فى الشوط حتى النهاية . فنوقشت الرسالة ، ونال عليها أعلى درجات الشرف .

وكم كان يرجى أن يقف الأمر عند هذا ولكن للأسف تلته إجراءات كان لها – فيما نعتقد – أثر بالغ فى حياة فقيدنا . فما أن عاد من بعثته حتى أسند إليه فى جامعته كرسى تاريخ المذاهب الفلسفية فى يونية سنة ١٩١٣ . وهذا ما أعد نفسه له . إلا أنه لم يمكث فيه طويلا . فقد استغنى عنه بعد نحو ستة أشهر لأسباب ترجع فى جملتها إلى تلك الرسالة وقد يكون فيما كتب ما يثير نقدا أو يقتضى ملاحظة ، ولكنه لا يؤدى إلى طرد أو حرمان وحرية البحث العلمى أفسح صدرا ، وأسمى من أن يعتدى عليها بسبب لفظ أو عبارة .

ومهما يكن من أمر فقد قضى فقيدنا فى بدء حياته العملية ست سنوات يجاهد ويناضل فى سبيل كسب عيشه . ويشعر شعور المطرودين والمحرومين وأغلب الظن أن ذلك كان نقطة فاصلة فى حياته . حول نقده الجرئ إلى حذر وحيطة ، وثقته بنفسه وبالناس إلى شك وريبة . وقد جرى على لسانه عام ١٩٢٥ فى خطرة من «خطرات نفسه» ما يفسر هذا تمام التفسير . يقول فى حديثه عن « فكر سجين » : « لم تقيدون الحرية ولا تحلونها ، ولا تشعرون بخيرها وبركتها » ومضى على هذه النغمة ثم تذكر « أن للجرائد قيودا وللكتابة قيودا » فمزق ما ما كتب وبدا له « أن يعقد اجتماعاً يتكلم فيه ، ويسير بلسانه بين المجالس يبشر ويدعو إلى ما يريد » . ولكنه لم يلبث أن عدل عن هذا أيضاً « لأ ن هناك أربطة ذهبية ثقيلة تربط رجله ، وتجعله يحن إلى حياة أهون وسبيل ألين » .

وبعد لأى عاد منصور فهمى إلى جامعته عام ١٩٢٠ . وبقى فيها إلى أن حولت إلى جامعة أميرية ، وتدرج فى المناصب الجامعية من أستاذ مساعد إلى أستاذ ، ومن وكيل لكلية الآداب إلى عميد لها . تتلمذ له غير قليل ممن أضحوا أساتذة اليوم . واختير مديرا لدار الكتب ، ثم مديرا لجامعة الإسكندرية إلى أن أحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٦ . خمس وعشرون سنة تقريباً قضاها فى حياة جامعية متصلة أو منفصلة . وبذا يمكن أن يعد بحق من بناة صرحنا الجامعى الحديث .

وله إلى جانب هذا نشاط متنوع : اجتماعى وثقافى ، سياسى وصحافى ، فكان عضوا عاملا فى جمعية الهلال الأحمر ، وجمعية الشبان المسلمين ، والاتحاد العربى ، ورابطة الإصلاح الإجتماعى ، ومن مؤسسى الحزب الديمقراطى . وأمد الأهرام بسلسلة من المقالات وأشرف على تحرير جريدة القاهرة زمناً ،

ويحاول فى إنتاجه كله أن يؤدب الفلسفة ويفلسف الأدب . وهو إلى الأخير أميل . وفى أسلوبه صفاء ونقاوة يحرص على الوضوح الحرص كله . ويتخير لفظه وعبارته وقد يلجأ إلى الصنعة والتنسيق فيسجع أو يأتى بما يسمى الشعر المنثور . وله خيال خصب وغرام كبير بالتشبيه والصور المجازية وكأنما غرس ذلك فى نفسه منذ زمن مبكر . يقول فى إحدى خطراته : « لقد كان لطائفة من الكتاب الخياليين سلطان علىّ . فكنت أصبو صبوا للصور والخلال الكريمة والأشباح التى كانت تخرجها أذهانهم قبل أن أتصل بحقائق الحياة المؤلمة » .

وليس فى آرائه ونظرياته عامة ما يجاوز العرف أو يخرج عن المألوف . وقد وجهته دراسته الاجتماعية نحو العناية بالمنهج التاريخى ، والوقوف عند بعض المقارنات ، واستخلاص بعض الظواهر الاجتماعية والأخلاقية . ويلجأ إلى الاستشهاد كثيراً ، فيروى قصة ، أو يشرح حادثة أو يسرد أثراً ليخلص منه إلى ما يريد ويستعين به على توضيح ما يدعو إليه .

ولم ترتبط حياة منصور فهمى بشىء ارتباطها بالمجمع والمجمعيين ، اختير عضوا فى مجمع اللغة المصرى منذ إنشائه سنة ١٩٣٣ وانتخب كاتب سره سنة ١٩٣٤ . وبقى على ذلك إلى أن اختاره الله لجواره . وكان عضوا مراسلا للمجمع العلمى العربى بدمشق ، وللمجمع الإيرانى ، والمجمع العراقى ، ولم يفته مؤتمر من مؤتمرات المجامع أو اتحاداتها . وفى مجمع اللغة المصرى اضطلع بغير قليل من أعبائه ، فكان عضوا فى مكتبه ، ثم فى مجلس إدارته ، واشترك فى أكثر من لجنة من لجانه وخاصة الطب ، والأصول ، واللهجات . وكان ذا نزعة خاصة واتجاه ثابت فيما يتعلق بمبادئه ومنهج العمل فيه .

أخذ نفسه بشرح رسالته والدفاع عنه . ولم يسلم المجمع من بعض الحملات داخل البرلمان وخارجه ، فكان منصور فهمى يسارع إلى ردها وشرح الموقف على حقيقته . ومن أحدث ما كتب فى ذلك محاضرته التى ألقاها فى مؤتمر اتحاد المجامع اللغوية والعربية بدمشق عام ١٩٥٦ وكان يدعو دائماً إلى تنسيق الجهود بين المجامع اللغوية العربية المختلفة ، وربطها بعضها ببعض . وما أن أعلنت الجمهورية العربية المتحدة حتى أخذ يدعو إلى توحيد مجمعى الأقليم الشمالى والإقليم الجنوبى .

إليه القيام بأبحاث فى آثار العراق الإسلامية ، فسافر إلى بغداد فى شتاء ١٩٠٧ ، ونزل ضيفا على بيت الألوسى المعروف . وقام بحفائر فى بادية العراق ، وزار مشاهد الشيعة كلها ، فمر بكربلاء والنجف والكوفة ، ولم تفته « سلمان باك » تلك القرية الصغيرة التى دفن فيها صحابيان جليلان هما سلمان الفارسى وحذيفة . وفى هذه الرحلة وقف على قبر مهمل بين قبور بغداد فتح أمامه الطريق ، وبعث فى نفسه ما بعث من يقين وبهجة ، وهو قبر الحسن بن منصور الحلاج . وفى سنة ١٩٠٩ ذهب إلى استانبول للاطلاع على ما فيها من نفائس التراث الإسلامى . وظل يتردد على القاهرة شتاء كل عام إلى أن دعى للتدريس بالجامعة المصرية القديمة سنة ١٩١٢ / ١٩١٣ ، وانصب درسه على المذاهب والمصطلحات الفلسفية فى الإسلام .

وعلى أثر قيام الحرب العالمية الأولى طلب للخدمة العسكرية ، وعين ضابطا فى جيش الشرق واشترك فى معركة الدردنيل ، ودخل القدس تحت قيادة ألنبى . ولما وضعت الحرب أوزارها عين فى سنة ١٩٢٠ بديلا لأستاذه Le Chatelier بالكوليج دى فرانس فى كرسى « علم الاجتماع الإسلامى » ، ولم يلبث أن أضحى أستاذا لهذا الكرسى عام ١٩٢٦ ، واستمر يشغله إلى أن بلغ السن القانونية عام ١٩٥٤ ، فقضى فى الكوليج دى فرانس نحو ثلاثين عاما ، كان فيها منارا للدراسات الإسلامية ، وهاديا لطلاب البحث من عرب ومستعربين . ولم يمنعه عمله بها من الرحلة والسفر ، فلم يفته مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين ، ولم يتردد فى أن يحاضر فى عواصم الإسلام المختلفة ، بل وفى بعض جامعات الولايات المتحدة . وأقام فى كابول وطهران زمنا ، وسافر إلى الهند ليتتبع آثار غاندى ، واجتذبته اليابان بما فيها من حياة دينية وروحية . وكانت هناك أماكن تستهويه بوجه خاص ، وعلى رأسها بيت المقدس ، وأفسس مقر أهل الكهف ، ودمياط التى أسس فيها جماعة الأخوة المسيحية الإسلامية أو « البدلية » ، وقضى فيها يوما كاملا فى البحث عن ضريح . وإلى جانب هذا كله رأس قسم العلوم الدينية بالدراسات العليا فى السربون نحو عشرين عاما ومسابقة تدريس اللغة العربية ما يزيد على عشر سنوات .

حياة حافلة بالكشف والبحث ، والدرس والمحاضرة ، وقد أعانه عليها ذهن متوقد ، وعبقرية خارقة ، وصبر وجلد ، وحب وتفان فيما يقصد إليه وما يضطلع به . وأغلب الظن أنه ورث عن أبيه ميوله الفنية ، وبحوثه الأثرية التي بدأ بها حياته العلمية . واتصل بأناس كان لهم أعظم الأثر في نفسه ، وفي مقدمتهم ويسمانس الكاتب القصصي الكاثوليكي المشهور صديق والده ، زاره في شرخ الشباب ، وبقيت هذه الزيارة عالقة بذهنه إلى النهاية . ولقي الأب شارل دي فوكو ، ذلك الراهب الذي كان يعيش في صحراء الجزائر ويدعو إلى الأخوة في الله ، فأخذ باتجاهاته الدينية ، وراسله عدة سنين وتتلمذ لكبار الأساتذة في عصره ، أمثال برونو في الأدب الفرنسي ، وسلفان ليفي في السنسكريتية ، وجولد تزيهر وسنوخ في الدراسات الإسلامية . وكان لأسفاره العديدة شأن في استكمال خبراته وتجربته ، وأثر عظيم في بحثه ، أملت عليه دراسات مختلفة ، وأوحت إليه بآراء كثيرة .

(ب) مصنفاته :

أمضى ماسينيون نحو ستين عاما يكتب ويؤلف وأخرج ما يربو على ستمائة بحث ، بين كتاب ورسالة أو مقالة ومحاضرة ، أو نقد وتعليق . ومنها قدر لم ينشر بعد ، وخاصة محاضرات الكوليج دي فرانس ، وكثير مما نشر موزع بين مجلات العالم وصحفه ، ويضطلع الأب مبارك بجمعه ونشره جملة تحت عنوان : «المؤلفات الصغرى». كتب ماسينيون بالفرنسية بوجه عام ، وله بحوث بالعربية والفارسية والإنجليزية والألمانية . والواقع أنه كان يعرف عدة لغات حية وقديمة ، فمن اللغات الحية ضم إلى الفرنسية العربية والفارسية والإنجليزية والألمانية ، ومن القديمة كان متمكنا من اليونانية واللاتينية ، وملما بالسنسكريتية والعبرية . وقد ترجم بعض مؤلفاته إلى لغات مختلفة في الشرق والغرب ، وأعيد طبع بعضها أثناء حياته ، ومنها ما نفد ولا سبيل إليه ، وخاصة كتابه الكبير عن الحلاج الذي كان قد اعتزم إعادة طبعه ، وما أحوج الباحثين إليه .

وله بحوث توضح بعض الظواهر الصوفية كالزهد والحلول والتجربة الصوفية ، أو تترجم لبعض المتصوفة كالمحاسبي وابن سبعين والششترى . وعنى بالحلاج عناية كبرى ، لأنه صادف هوى من نفسه ، أعجب بشجاعته وتضحيته ، ورأى فى حياته تجربة إنسانية تبعث على الطهر والصفاء . فترجم له غيره ، ونشر كتبه وجمع مصادره المختلفة ، وبين أثره فى الحلاجية والزيدية وفريد الدين العطار ولا شك فى أن رسالته الكبرى عنه عمل خالد وذات منزلة ممتازة . تقع فى نحو ١٠٠٠ صفحة ، وتكاد تلم بكل مظاهر الحياة الإسلامية ببغداد زمن الحلاج وتصور بيئته تصويرا تاما ، وسيبقى الحلاج وماسينيون مقترنين على مر الزمن .

وللماسينيون بحوث شتى فى الفرق والمشاكل الدينية ، وخاصة ما اتصل منها بالشيعة والإسماعيلية . فعرض للغنوصية والهرمسية والصابئة والقرامطة والنصيرية والدروز وسلمان الفارسى والمباهلة ،كما عرض لأصحاب الكهف وصلوات إبراهيم الثلاث ، وقارن بين الأديان السماوية الكبرى .

كان طبيعيا أن يعنى بعلم الاجتماع ، وقد شغل كرسيه نحو ثلث قرن ، واستوقفته بعض الظواهر الاجتماعية فى ماضى الإسلام وحاضره . فدرس العمل والمشكلة العمالية فى الإسلام ، والمهن والحرف فى المغرب ، وأثر الإسلام فى نشأة المصارف اليهودية فى القرون الوسطى . وعرض لتعليم المرأة والحجاب ، وموقف الإسلام من الحضارة الأوربية . وتابع الأحداث الجارية فى جرأة وصراحة ، فكتب عن « الصهيونية والإسلام » ،و« الإسلام والسياسة المعاصرة » ،و« تقسيم فلسطين » ،و« اللاجئون » ،و« الموقف فى الجزائر » . وكان يعالج ذلك كله بروح الباحث المنصف والعالم المحقق ، ويعرف كيف يقدر ظروف البلاد الإسلامية حق قدرها . وفى مقدمة دراساته الاجتماعية « الكتاب السنوى للعالم الإسلامى » . ( Annuaire du mode musulman, 1923-29,54 ) .
أخرجه ثلاث مرات فيما بين عامى ١٩٢٣ ، ١٩٥٤ ، مع إضافات وتنقيح مستمر . وهو مصدر ملىء بالمعارف الدقيقة والمعلومات الوثيقة فى الثقافة والسياسة والاقتصاد عن العالم الإسلامى بأسره فى أفريقية وآسيا وأوربا ، فيتحدث عن بلاد الشرق الأدنى وشمال أفريقية وتركيا وإيران وأفغانستان ، والباكستان كما

الاثار ، ثم استمر ينقب عن المراجع والمصادر ويوازن بينها ، ويكشف عن نقصها أو زللها ، ولا يكاد يغيب عنه مصدر من مصادر الثقافة الإسلامية قديما كان أوحديثا . وجد فى الاستقصاء والبحث عن المخطوطات النادرة إلى درجة لاتبارى ، وكثيرا ما ساعد بها التلاميذ على التحقيق والدراسة . ولا يكاد يعالج موضوعا حتى يستوفى تاريخه ، فدراساته فى التصوف مثلا تاريخ فى تصوف وتصوف فى تاريخ ، وأبحاثه الاجتماعية تقوم على الماضى والحاضر معا .

وأما منهجه التحليلى فمدعاة للدهشة والإعجاب ، ذلك لأنه يسرد وقائع ويأتى بتفاصيل عن الماضى البعيد يتساءل السامع أو القارىء كيف استمدها . يغوص حتى الأساس ، وقد يستطرد ، ولكنه يحاول لم الأطراف وجمع الأمور المتشابهة بعضها إلى جانب بعض . وتحليله للنصوص عميق دقيق ، ينفذ إلى صميمها ، وينطقها بحيث يجعل من حروفها الميتة صورا متحركة . ولكنه يحلل ليركب ، ويفصل ليجمل ، ويسرد الوقائع ليستخلص منها مبادىء وأحكاما عامة . وكأنما كان يؤمن بضرب من حتمية التاريخ ، ويرى أن الظواهر التاريخية – كالظواهر الطبيعية – تخضع بدورها لفلسفة وميتافيزيقى خاصة .

...

يلحظ على مؤلفات ماسينيون ، وخاصة الصغرى وهى الغالبية العظمى أنها أبعد ما تكون عن ملخصات الجمع والتحصيل . وإنما تهدف إلى إثارة مشكلة أو حل أخرى ، أو ترمى إلى إبداء رأى أو مناقشة آخر ، وأستاذ الكوليج دى فرانس إنما كان يخاطب المتخصصين وليس بيسير أن نحاول هنا تتبع آرائه المختلفة ، ونكتفى بأن نشير إلى دعائم تفكيره .

لقد كان يؤمن بالحضارة الإسلامية ، ويرى أنها حضارة ذاتية ، صنعها الإسلام بتعاليمه ومبادئه ، وساهمت فى بنيانها الشعوب الإسلامية المختلفة . ولا نزاع فى أنه سرت إليها تيارات من الحضارات الأخرى ، ولكنها عدلتها وهذبتها وأصبحت جزءا منها ، وهى وليدة عواملها الداخلية قبل أن تكون المؤثرات الخارجية . وإذا كانت قد أخذت عن غيرها ، فإنها أعطت بقدر

ما أخذت أو يزيد. لها علمها وفنها، ولها نظمها السياسية والاجتماعية، وقد طبعت العالم الإسلامى كله بطابعها، ولا سبيل لأن يفهم بدونها. وهى جديرة بأن تشرح وتدرس، لأنها صورت أحيانا خطأ وفهمت على غير وجهها، ولها قيمتها بين الحضارات الإنسانية. ولهذا وقف ماسينيون نفسه على درسها، والكشف عن جوانبها، والإشادة بتراثها. وهى فى رأيه حضارة إنسانية تعتد بالإنسان وترفع من قيمته، وتدعو إلى الإخاء والمحبة والتعاون والتساند. وهى أيضاً حضارة دينية تعتمد على الإيمان واليقين، وروحية تخاطب القلوب ترى فى المادة مجرد وسيلة، ومثالية لها قيمها وأهدافها، هى فى اختصار حضارة الإسلام.

والإسلام أخو المسيحية واليهودية، وهى ثلاثتها تمت بصلة وثيقة إلى شريعة إبراهيم. أو ليس محمد ابن الذبيحين ومن نسل إسماعيل ألم يكن يتعبد، قبل أن يبعث، فى غار حراء على سنة إبراهيم الخليل، ألم يبشر ببعثه رهبان من النصارى ألم يجمع المسلمون والمسيحيون على تقديس أهل الكهف والتعبد بقصتهم ؟ لقد ملأت هذه الأخوة قلب ما سينيون واستولت على روحه حتى أصبح يعد أكبر مسلم بين المسيحيين وأكبر مسيحى بين المسلمين. باسمها استنكر الحروب الصليبية فى الماضى، وباسمها استنكر العدوان على فلسطين فى الحاضر. ولعله اتجه إليها بوحى من الأب شارل دى فوكو، ولكنه اعتنقها فى إخلاص، وعاش يدعو إلى التفاهم والتسامح بين الأديان، وكم عز عليه أن تهدم السياسة ما بنى فى فلسطين وفى الجزائر. وتقديساً لهذه الأخوة أقام لها شعارا فى دمياط، وآخر فى Vieux-Marché بمقاطعة بريتانى موطنه الأول، وكون فى أخريات حياته « جامعة أصدقاء غاندى »، التى كان يصوم ويصلى معها ويرى فى الصوم والصمت خير رد على الباغين والمعتدين.

لقد كان ماسينيون يعيش بروحه ولروحه، والأرواح فوق الأوطان والأجناس والعصبيات، وهى بين المسلمين والمسيحيين على السواء، ويمكن أن تكون أوثق رباط بين الإنسان وأخيه الإنسان. ويطيب لماسينيون الصوفى أن يخاطب رابعة العدوية كما يخاطب القديسة تريزة، أو أن يتحدث عن الحلاج كما يتحدث عن جان دارك. لم يدرس التصوف نظريا فحسب، بل أحس به

وعاش فيه ، وبدت آثاره فى قوله وعمله ، واتسم به وجهه ، ونعم بلذة الكشف والفيض . والتصوف عنده تجربة فى الألم ، تحمل من مر بها على أن يتسامح مع الناس جميعاً على اختلاف الأجناس والأديان ، وقد يصبح طبيباً روحانيا يعالج آلام الآخرين ، يكشف عن الداء ويصف له الدواء . فهو من فن معالجة الأمراض من طبيب جربها فى نفسه ، لا يقف أثره عند الفرد ، بل يمتد إلى المجتمع . ومهمة المتصوف لا تقتصر على الخلوة والوحدة ، ولابد له أن يتأهب دائما للتضحية فى سبيل الآخرين وقد كان ماسينيون متصوفاً حقاً ، يقف بجانب الضعفاء ، وينتصر للمظلومين ، وتصوفه وثيق الصلة بدراساته وآرائه الاجتماعية وفى التصوف كل القيم الأساسية للإسلام . يبدأ بالعبادة ، ويسمو إلى النورانية ، ثم ينتهى إلى الاتحاد ، والاتحاد الصوفى ممكن عقلا ، وواقع فعلا ، وقد حظى به الحلاج بين متصوفى الإسلام . ولا معنى للحياة إلا إن قامت على أساس روحى وبهذا يعد ماسينيون فى مقدمة أنصار المذهب الروحى بين المعاصرين .

وللعربية عنده وظيفة دينية ، لأنها تعبر عن أوامر الله ، ووسيلة التأمل والمناجاة . هى لغة الوحى ، ومنه استمدت مجدها وقداستها ، ولقد أحبها لأنه وجد فيها نفسه ، وتعمق فيها ، وكشف عن كثير من أسرارها التى لم تكشف لغيره ، وكان يروقه منها أنها لغة مركزة ، تنبعث من ألفاظها المعانى كما تنبعث الشرارة من الحجر ، وتجيد التعبير عن المجردات ، فهى أنسب ، ما يكون للتقرب والعبادة . لم تصل واحدة من أخواتها إلى مستواها ، وبدت فيها العبقرية السامية على أوضح وأكمل صورة . وفى محاضرة ألقاها على جماعة الكرمليين ، عقد موازنة طريفة بين اللغات العالمية ، وقسمها إلى ثلاث أسر : سامية ، وهندوأروبية ، وطورانية . ولاحظ أن العربية فى أغلبها ثلاثية الأصول ، وأنها لغة سواكن ، وهى أكثر الساميات احتفاظاً بسواكنها ، ولنبرات الصوت شأن فى توضيح المعنى .

وهى لغة حضارة ، تستطيع بألفاظها وتراكيبها أن تؤدى أدق المعانى وأحدثها . وفى نحوها كمال ودقة لم تتوفر لأى نحو آخر ، وربما امتدت إليه آثار يونانية أو سريانية ، ولكنه فى أساسه عربى ، وقد أثر دون نزاع فى تطوير النحو العبرى والسوريانى . وجدير بنا ألا نستجيب لدعوة بعض المربين الذين يريدون أن يحلوا محله نحوا أوربيا لنيسر تعليمه ولا يصح مطلقاً أن نعدل أصوله . وفى الخط العربى جمال ينبغى ألا يحرم منه التراث الإسلامى ، وله شأن فى تأسيس فن النقش المجرد . وقد مال ماسينيون فى البداية إلى الإصلاح التركى الذى رمى إلى إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية ، ولكنه لم يلبث أن عدل عنه واستنكره .

* * *

هذه فى اختصار هى دعائم الدراسات الإسلامية التى قام بها ماسينيون ، وتكاد تحمل كلها طابعا صوفيا ، وكأنما كان يرى الأشياء جميعها من خلال تصوفه ومهما يكن فإنه دفع هذه الدراسات دفعة لم يقو عليها مستشرق آخر ، وأضحى رمزاً لها وعلما عليها فى الشرق والغرب ، والتف حوله جمع وفير من التلاميذ والأعوان . واستمر يتعهدها حتى النفس الأخير ، وقد رسمنا سويا فى أغسطس الماضى خطة عدد خاص من مجلة « بابل » فى موضوع الترجمة المعاصرة من العربية وإليها ، على أن يساهم فيه ألمانى وفرنسى وإنجليزى ، وإيطالى وعربى وقبلوا جميعاً ، واتفق على أن يظهر فى أبريل القادم ، وعسانى أوفق لذلك إحياء لذكراه . واستحق بهذا كله تقدير المجامع والهيئات العلمية فى العالم بأسره ، واختير عضوا فى أكاديميات السويد والدانمارك وهولندة وبلجيكا وروسيا وإيران والعراق وسوريا ومصر .

* * *

لم يكن ماسينيون الإنسان بأقل شأنا من ماسينيون العالم ، امتلأ قلبه بالشفقة والرحمة وانطبعت نفسه على العدل والحق . كان يمقت الغموض والادعاء والغش والمواربة . يخشى الخطيئة ويبكى لها فى ساعات تقربه فى جبل قيسون بدمشق أو فى بيت المقدس أو فى دمياط ، وما أسرع عبراته وما أحرها . دفعه

واجب الأخوة فى الله إلى أن يعطى العمال الجزائريين المقيمين فى مقاطعة السين دروساً مسائية فى اللغة الفرنسية ، ولم يأنف أستاذ « الكوليج د ى فرانس » أن يصبح معلم عمال . ويوم أن حكم على بعض نوا ب مدغشقر بالإعدام لم يستقر له قرار إلا بعد أن استصدر العفو عنهم . كان يرى أن الإيمان شهادة ، وفكرة الشهادة هذه من أعز الأشياء لديه . لهذا كان يحرص دائما على أن يقول كلمة الحق ، ولقد قالها دائماً برغم القوة وعنفها . دعا إلى استقلال مراكش وأيد محمداً الخامس واستنكر تصرف الجلاوى ، وعارض حرب الجزائر كما عارض حرب السويس . وجرّت عليه معارضته ما جرت من أذى وعدوان ، فقبض عليه مرة فى ڤنسين وقيد إلى مركز الشرطة ، وعومل معاملة الأشرار . و ضرب مرة أخرى ضرباً مبرحا فى اجتماع عام ، كان يعرض فيه قضية الجزائر . وما كان يتبرم قط بهذا الأذى ، بل كان يطيب له أن يردد بيت الحلاج :

اقتلونى يا ثقاتى إن فى قتلى حياتى

ولطفى السيد المؤلف والمترجم أستاذ غير منازع ، يرى أن الحضارة الإنسانية كل متصل الأجزاء ، يرتبط حاضرها بماضيها ، وهما معاً يمهدان لمستقبلهما .

لذلك عمد إلى التراث القديم يكشف عنه ، وإلى ذخائر الفلسفة اليونانية يعربها . وهو جهد شاق وعمل مضن ، إلى جانب رسالته الكبرى وأعبائه الباهظة ولكنه أبى إلا أن يضرب فيه المثل ويرسم الخطة . وما أجدرنا أن ننظر إلى مترجماته خاصة من ناحية أهدافها وغاياتها ، دون أن نقف فقط عند جانبها الفنى والعلمى ولا يزال إحياء التراث القديم فى حاجة إلى صوت قوى مثل صوته ، وتعريب الذخائر الخالدة إلى سند مثل سنده .

* * *

سيداتى ، سادتى :

لقد كان لطفى السيد رئيس مدرسة كبرى ، تخرج فيها الأدباء والعلماء والساسة والمصلحون ، أمثال : مصطفى عبد الرزاق ، محمد حسين هيكل ، منصور فهمى ، عباس العقاد ، طه حسين ، ومحمد كامل حسين . ولهذه المدرسة شأن واضح فى الحركات القومية والوطنية ودعوات النهوض والإصلاح فى الخمسين سنة الأخيرة ساهمت فى ثورة ١٩١٩ ، ووجهت إلى ثورة ١٩٥٢ .

رأس لطفى السيد هذه المدرسة منذ فجر هذا القرن ، ورسم لها منهج البحث والدراسة ، وغذاها بآرائه وتعاليمه . وكان يؤمن بالعقل إيمانه بسنة النشوء والارتقاء ، وكم كان يروقه أن يقول : « قال مولانا أرسطو » ، ذلك لأنه كان يرى فيه رمز المنطق ، وعلماً من أعلام المذهب العقلى بين اليونان . وللطفى السيد ولوع بالمنطق فى حواره وجدله ، يقيس ويوازن ، ويبحث عن العلل والأسباب ويرد الأشياء إلى أصولها ، ويمقت المغالطة والتضليل .

وفى العقل إدعام للرأى ، واتقاء للأهواء ، وأمان من الزلل ، وجمع للكلمة ، وقل أن يضل قوم حكموا عقولهم تحكيماً سليما . وعلى هذا يجب أن تقام السياسة على أسس عقلية ، وهذا ما أخذ لطفى السيد به نفسه منذ بدأ يحرر فى الجريدة ويشترك فى حزب الأمة ، واستمسك به فى جميع مواقفه السياسية

التالية . فكان يبحث عن الأصول والمبادئ ، ويحتج بالنظريات السياسية المختلفة ويستمع فى سماحة لمعارضيه ليزن حججهم ويقف على منطقهم، والسياسة ميدان لا يخلو من ميل الهوى وجموح العاطفة ، واستطاع هو أن يسمو على ذلك ، ولئن تمكن منه ميل ما أبى إلا أن يصوغه فى قالب عقلى . وربما كان هذا هو سر ما اتسم به من اعتدال ، وأخذ بأسباب الفهم والتفاهم ، وتقريب لوجهات النظر .

وأما التطور فكان عقيدة راسخة لديه ، يرى أن الفرد يتطور كما يتطور المجتمع ، وأن جيل اليوم غير جيل الأمس . ولقد بقى لطفى السيد فسيح الصدر دائماً للأفكار الجديدة ، برغم تقدم سنه ، يستقبلها فى ثقة ، ويزنها بميزانها الصحيح ، ويحاول أن يلائم بينها وبين سنة التطور ، ولم أر شيخاً اقترب من الشبان والكهول قربه ، يحس بإحساسهم ، ويستطيع أن يعيش فى عالمهم .

ولم يكن هذا التطورى يؤمن بالنشوء فحسب ، بل كان يؤمن أيضاً بالارتقاء فالإنسانية سائرة إلى الأمام فى علمها وفنها ، فى نظمها وقوانينها ، وقد تعترضها محن وأزمات ، ولكنها لا تصرفها عن الغاية المحتومة . وجيل اليوم خير من جيل الأمس ، وثلاثة أجيال كفيلة بأن تصل بالأمة المصرية إلى ما تصبو إليه ، وفكرة الأجيال الثلاثة هذه مشهورة لدى أصدقائه ومريديه والتطور على كل حال أساس الثورة والانطلاق ، وقد مد الله فى أجله إلى أن رأى ثمار آرائه وتعاليمه حية متحركة .

سيداتى ، سادتى :

هذا هو لطفى السيد أستاذ الجيل ، ومن حق محافظة الدقهلية ، وهو علم من أعلامها ، أن تحتفى به وتخلد ذكراه . وما أحوجنا فى ثورتنا العارمة وانطلاقتنا الجبارة إلى أمثلة حية نحتذيها ، وهداة نسترشد بهم ، ولا شك فى أن لطفى السيد كان فى الصف الأول من قيادتنا الفكرية والروحية طوال نصف القرن الأخير .

# محمد البشير الإبراهيمي

نجتمع اليوم لنؤبن شيخاً من شيوخ الإسلام ، وعلماً من أعلام النهضة الجزائرية ، فقدنا فيه أديباً بليغاً ، ومربياً كبيرا ، ومصلحاً عظيما ، ومجاهداً مؤمناً قضى فى وطنه ثلاثين عاما أو يزيد فى خدمة الدين واللغة ، فأحيا معالم القومية ، وأعد جيلا من المكافحين والمناضلين ، ومهد السبيل لاستعادة الاستقلال والحرية . أحب المجمع واتصل به منذ زمن ، وعد من أصدقائه الأوفياء — وفى عام ١٩٦١ اختير لعضويته العاملة ، وكنا نعول التعويل كله على مساهمته والإفادة من علمه وفضله ، ولكن دعوة الأهل والوطن اجتذبته ولم يشهد معنا إلا مؤتمرا واحداً . ثم قعد به المرض ، ولزم داره نحو ثلاث سنين ، ورزئنا بفقده قبل نهاية دورة المجمع الماضية ، وودعناه دون أن نلقاه . وكأنما استشف حجب الغيب ، فبعث إلينا فى يناير الماضى برسالة كلها حنين وشكوى وذكريات ووداع .

سيداتى ، سادتى :

إن مجال القول فى البشير ذو سعة ، وإن الحديث عنه ذو شجون . وقد أرّخ لنفسه فى صفحات طوال نرى من الوفاء له أن نسجلها فى محضر هذه الجلسة ، ونجتزئ هنا قدرا منها .

**( أ ) حياته :**

لقد كانت حياة البشير ملأى بالدرس والبحث ، والدعوة والإرشاد ، والجهاد والكفاح ، ويمكن أن ترد إلى مراحل ثلاث : نشأة وتكوين ، رحلة وأسفار ، ثم دعوة وجهاد وما أشبهه فى نشأته بكثير من شيوخ الإسلام فى القرون الأخيرة ، أولئك الذين أفادوا من الوراثة والبيئة ، ووقفوا أنفسهم على العلم وتفرغوا له تمام التفرغ .

ولد الفقيد عام ١٨٨٩ من أسرة كريمة ، وفى بيت علم ، فأما أسرته فتصعد إلى الأشراف الأدارسة ، وأما بيته فهو أحد تلك البيوتات التى حفظت العلم ، وتدارسته قرونا فى المغرب الأوسط ، ومن أجداده من رحل إلى مصر طلباً للعلم فى الجامع الأزهر ، وتسمى باسم الأمير أو الصاوى أو السنهورى . وقد ربى البشير تربية دينية عربية ، تعهده أبوه ، وأشرف عليه عمه ، وكان أحد شيوخ العربية بإقليم قسطنطينة فى عصره ، وأستاذا التف حوله الطلاب فى بيته بدأ فقيدنا حفظ القرآن ولما يتجاوز الثالثة من عمره ، وأضاف إليه بعض المتون كالألفية والكافية ، وأولع بالشعر والنثر ، وتوسع فى دراسة النحو والصرف ولم يكد يبلغ الرابعة عشرة حتى توافر له من العلم حظ غير قليل ، واستطاع أن يقوم بالتدريس بإجازة من عمه .

وأبت الظروف إلا أن يرحل أبوه إلى المدينة سنة ١٩٠٨ ، فارا من ظلم المستعمرين واضطهادهم ولم يكن بد من أن يلحق به بعد قليل . وهنا تبدأ مرحلة أسفار دامت نحو عشر سنين ، اتسعت بها معلوماته واكتملت خبرته . مر بالقاهرة أولا ، ومكث فيها ثلاثة أشهر مقبلا على حلقات الدرس فى الأزهر والمسجد الحسينى ودار الدعوة والإرشاد ، واتصل ببعض كبار الشيوخ ، أمثال البشرى ، وبخيت ، والدجوى ، والسمالوطى ، ورشيد رضا ، ولم يفته أن يزور شوقى ، وحافظ إبراهيم ثم انتقل إلى المدينة ولم يكن له فيها عمل إلا البحث والدرس ، والاطلاع والقراءة ، وعنى خاصة بعلوم الحديث والتفسير وبعض علوم المعقول . وكانت المدينة حين ذلك ملجأ لنفر من كبار علماء الإسلام ضاقت بهم أوطانهم ، فرحلوا إلى كنف الرسول حيث الهدوء والطمأنينة . وهناك لقى العزيز الوزير التونسى ، وحسين أحمد الهندى ، وعبد الباقى الأفغانى ومحمد الشنقيطى ، ومواطنه وزميله الأكبر عبد الحميد بن باديس ، شيخ شيوخ شمال إفريقية ، فى أخريات القرن الماضى وأوائل هذا القرن . ثم قضت ظروف الحرب العالمية الأولى بأن ينتقل مع سكان المدينة إلى دمشق ، حيث يبدأ رحلة علمية ثالثة . فاتصل بمجالس العلم ، ودرس فى المسجد الأموى والمدرسة السلطانية ، وهى المدرسة الثانوية الوحيدة حين ذاك ، وتتلمذ عليه بعض رجال الفكر والأدب المعاصرين .

وما إن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى عاد إلى وطنه ليؤدى واجبه ويساهم فى نهضته . وقد أبلى فى ذلك بلاء حسنا . فعقد الندوات ، وألقى المحاضرات ، وقام بالوعظ والإرشاد متنقلا من مدينة إلى أخرى . ونظم دروساً لصغار التلاميذ ، لم تلبث أن أضحت مدارس تزود النشء بزاد من العلم الصحيح واللغة القويمة . وأسّس مع ابن باديس ، صديقه وزميله فى المنفى ، جمعية العلماء التى كان لها شأن فى يقظة الجزائر واستقلالها ، اضطلع بقسط كبير من أعبائها ، وظل يجاهد ويناضل باسمها إلى أن ضاقت به سلطة الاستعمار فاعتقل عام ١٩٤٠ ، بدعوى أنه أصبح خطراً على الدولة ، ونفى إلى صحراء وهران . وبقى فى المنفى نحو ثلاث سنوات توثقت فيها صلته بالقبائل المختلفة ، وألم بعدة لهجات وما إن أطلق سراحه حتى عاد إلى نشاطه ، مما دفع المستعمرين إلى تدبير ثورة اتهم بأنه أحد دعاتها . وحكم عليه بالسجن نحو عام . . ولم يحل كل ذلك دونه وأداء رسالة جمعية العلماء ، وباسمها رحل سنة ١٩٥٢ إلى المشرق لينبه إلى أهدافها ، ويطلب لها عونا للوصول إلى غاياتها . وقدر للثورة الجزائرية أن يشرق صبحها ، فبقى فقيدنا فى مصر نحو عشر سنين ، ثم عاد إلى وطنه ليشهد ثمار جهوده ، ويناضل فى سبيل آرائه حتى النفس الأخير .

حياة خصبة مثمرة ، نهلت من معين الآباء ، وأفادت من صحبة الإخوان والأصدقاء ، وجمعت بين ثقافة المشرق والمغرب ، وأمدت صاحبها بوسائل الجهاد والنضال ، وقد أدلى فيه بدلوه ، وساهم بنصيبه ، ولاقى مالاقى من عنت واضطهاد .

**(ب) مؤلفاته :**

وما كان لحياة كهذه أن تفسح المجال لتحقيق وتمحيص ، وتحرير وتأليف ومع هذا لم يفت البشير أن يعالج فى اللغة والأدب موضوعات لها طرافتها ، نذكر من بينها :

١ — أسرار الضمائر فى العربية .

٢ — التسمية بالمصدر .

٣ — الاطراد والشذوذ فى اللغة .

٤ — كاهنة أوراس .

٥ — ملحمة رجزية فى نحوستة وثلاثين ألف بيت ، نظمها فى منفاه بصحراء وهران ، وحاول أن يصور فيها المجتمع الجزائرى فى فرقه ونحله ، وفى آرائه ومذاهبه الاجتماعية والفكرية .

ومما يؤسف له أن ذلك كله لا يزال مخطوطاً وكان الفقيد يعتزم إخراجه إلى النور ، ولم ينشر له فيما نعلم إلا « عيون البصائر » وهى جملة الافتتاحيات التى كتبها فى « جريدة البصائر » لسان حال جمعية العلماء .

وكم نود أن يتضافر تلاميذه وأبناؤه على نشر مؤلفاته ، تخليدا لذكراه وإحياء لهذا التراث .

**(ج ) البشير وجمعية العلماء :**

لا نظن أحدا يعرض ليقظة الجزائر ونهضتها الأخيرة إلا ويذكر جمعية العلماء ، ويذكر معها ابن باديس والبشير الإبراهيمى اشتركا معا فى تأسيسها وقاما على أمرها ، وتعاقبا على رياستها اضطلع ابن باديس برياستها أولا وبعد موته خلفه البشير ، وظل يرعاها إلى أن قامت الثورة الجزائرية ، وهى جمعية تهدف إلى الإصلاح الدينى والعلمى ، وتنشد نهوضاً سياسياً واجتماعياً دعا إليها ما انتهت إليه الأمور فى الجزائر فى أوائل هذا القرن من تفشى الجهل وحرص الاستعمار على تقويض دعائم الوطنية ومحو معالم الدين واللغة .

نبتت فكرتها بالمدينة ، حين التقى البشير بأخيه الأكبر ابن باديس ، وكانا يسمران معا ليالى طوالا يستعرضان فيها أدواء الجزائر الاجتماعية والسياسية ، ويحاولان أن يطببّاها ، واستقر رأيهما على أن الأمر يستلزم نهضة شاملة ، وإصلاحا يقوم على أساس من العلم والدين واللغة . ولا سبيل إلى ذلك إلا بتكوين هيئة تبث الدعوة ، وتنشر ألوية العلم فى البلاد وما أجدرها أن تحتمى براية الإسلام ، كى تسلم من اضطهاد المستعمر وبطشه . وقد سبق ابن باديس أخاه إلى الجزائر ، واستقر فى قسطنطينة واتخذ من أحد مساجدها حلقة لدرسه ، وأقبل عليه الطلاب من كل جانب ، ووضع حجر الأساس لبناء نهضة عربية ثم لحق به البشير بعد سبع سنين ، وسار على نهجه . وكانا يلتقيان من حين لآخر

لتبادل الرأى ، ومتابعة ما تم ، ورسم برنامج المستقبل ، واستمرا على ذلك نحو عشر سنين يعدان العدة ، ويتأهبان لتكوين جمعية العلماء . وفى عام ١٩٣١ تم تأسيسها ، وأقر قانونها الأساسى الذى وضعه البشير ، وحددت أهدافها ورسمت لها السبل والوسائل .

وهى تهدف بخاصة – فيما يرى البشير – إلى محاربة ضربين من الاستعمار أحدهما داخلى والآخر خارجى ، أو بعبارة أخرى : أحدهما روحى ، والآخر مادى . فأما الأول فهو جناية بعض من ينتسبون إلى الدين من العلماء والدين منهم براء ، يتجرون باسمه ، ويفرطون فى حقوقه . وأما الثانى فهو استعمار الغاصب الذى أذل النفوس ، وأهدر الكرامة . ورأت الجمعية أن تبدأ بالأول لأنه أعمق وأدخل فى النفوس . وقررت أن تواجهه على بساط العلم والمعرفة . فنظمت حملة جارفة على البدع والخرافات وجهت فيها الخطباء والوعاظ إلى المساجد والأندية ليرشدوا المسلمين إلى حقيقة الدين الحنيف ، وألقت ما ألقت من محاضرات للعامة والخاصة ، ووضعت لذلك كله نظاما دقيقا ، فعينت مشرفا لكل مقاطعة من مقاطعات الجزائر الثلاث : ابن باديس لقسطنطينة ، والطيب العقبى للجزائر ، والبشير الإبراهيمى لوهران ، ويعاونهم نخبة من العلماء والخطباء ، استعانت بالصحافة على نشر دعوتها ، واتخذت لنفسها صحيفة خاصة هى جريدة « البصائر » ، كان فقيدنا قطب رحاها .

وأبت الجمعية إلا أن تواجه الأمر من أساسه ، فتبدأ بتربية النشء تربية إسلامية عربية ، وأنشأت فى عام واحد ٧٣ مدرسة ابتدائية ، واستجاب الشعب لدعوتها ، فأمدها بالمال ، وشيدت مدارسها على طراز خاص ، واستطاعت أن تشيد ما يزيد على ٤٠٠ مدرسة موزعة على البلاد كلها ، وبلغ عدد التلاميذ فى هذه المدارس عشرات الآلاف ، وأضحت الجمعية أشبه ما تكون بوزارة تربية شعبية ، لها مالية مستقلة وإدارة محكمة . ولم تقنع بالتعليم الابتدائى ، بل شاءت أن تضم إليه التعليم الثانوى ، وأنشأت فى قسطنطينة معهدا ثانويا سمته المعهد الباديسى ، تخليدا لذكرى أول مؤسسها ، وكان يرجى أن ينشأ إلى جانبه معهدان آخران : أحدهما فى الجزائر ، والآخر فى وهران .

سيداتي . . . سادتي

هذه هي جمعية العلماء وهذا هو موقف البشير منها ، ولا شك في أنها أوقدت الشعلة ، وأحيت اللسان العربي ، وأيقظت النفوس ، فاندفع الشعب الجزائري إلى الثورة يحطم الأغلال ، وينشد حياة العزة والكرامة ، ويربط الحاضر بالماضي ، ولا شك في أن عددا غير قليل من أبناء هذه الجمعية وتلاميذها كانوا قادة وجنودا في حرب الجزائر الخالدة . وكم كان البشير معجبا بها . يعدها مناط فخره ، وتاج أعماله ، عمل فيها للدين واللغة والوطن .

**( د ) البشير الابراهيمي الأديب :**

أولع البشير بالشعر والنثر منذ نشأته ، وحفظ منهما مختارات كثيرة ، ويظهر أنه أعجب كثيرا بسهل بن هرون وبديع الزمان . وأتاحت له الخطابة والصحافة فرصة مواتية لتنمية ملكاته وإشباع مواهبه ، وفتحت الرحلة أمامه أبوابا جديدة ، وأمدته بمعلومات غزيرة . قال شعرا ونثرا ، وهو إلى الكتّاب أقرب عرض لموضوعات شتى في العلم والدين ، والأدب واللغة ، والاجتماع والسياسة فعالجها في عمق ودقة ، وشرحها في استيعاب وإحاطة ، وفي «عيون البصائر» ألوان من ذلك طريفة وجذابة .

وفي وسعنا أن نقرر أن البشير من أكتب كتاب المغرب المعاصرين ، يسترسل فيجيء بالجزل والسهل ، لفظ مألوف ، وجملة قصيرة ، ولغة واضحة وتقسيم وترتيب في منطق سليم . يتحدث عن العربية فيقول :« اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية ، ومن ثم . . فلها على الأمة الجزائرية حقان أكيدان كل منهما يقتضي وجوب تعلمها ، فكيف إذا اجتمعا ، حق من حيث إنها لغة دين الأمة ، بحكم أن الأمة مسلمة ، وحق أنها لغة جنسها ، بحكم أن الأمة عربية الجنس ، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معا» .

ويتحدث عن جمعية العلماء ، فيقول « إنها جاءت على عبوس من الدهر وتنكر من الأقوياء ، فنفخت من روح العروبة في تلك الأنساب ، فإذا هي صريحة ، وسكبت من سر البيان العربي في تلك الألسنة ، فاذا هي فصيحة ، وأجالت الأقلام في كشف تلك كنوز ، فإذا هي ناصعة بيضاء ، لم يزدها تقادم الزمان إلا جدة » .

ويتحدث أخيرا عن السياسة ، فيقول :« هذه هي السياسة فى الجزائر بين الحاكم والمحكوم ، يجعلها الأول أداة مساومة وفخ اقتناص للمذبذبين ، وسلاح ترهيب وتخويف للمخلصين ، ويجعلها الثانى وسيلة جاه ، وذريعة تضليل للأمة . وقد بلوناها وخبرناها ، وحاولنا إصلاحها فى رجال السياسة منا إشفاقا على هذه الأمة الصالحة ، فبحت الأصوات وأكدت الوسائل ، فلا يقولن قائل فيها وفينا غير هذا ، فأهل مكة أدرى بشعابها » .

وقد يتأنى ويتأنق ، فيسمو أسلوبه ، وتبدو عليه الفخامة ، ولا نزال نذكر كلمته بيننا باسم الأعضاء الجدد رداً على استقبالهم ، ونذكر ما اتسمت به من جلال وروعة .

وفيها يقول « أيها الإخوة : إن مواطن العروبة متفرقة متباعدة ، وإن الرابط الطبيعى بينها هو هذه اللغة ، وقد ألم بها من أحداث الدهر ما أضعف تلك الرابطة حتى رثت حبالها ، وغالبتها العامية فى كثير من أحكامها وكثير من مفرداتها » .

« أيها الإخوة إن أسرة المجمع أصبحت أسرة عربية لا تخالطها عجمة ، ولا يطرق ساحتها دخيل ، ولا يداخل نسبتها إقراف ولا هجنة ، فلنعمل للغتنا بأنفسنا ، ولنسكب عليها عصارة أرواحنا ، ولنضاعف جهودنا ، ولنشدد عزائمنا ، ولنوجه كل قوانا لخدمتها ، والذب عن حرماتها ، ولنعلم إنه إن أصابها سوء ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون » .

سيداتى . . . سادتى .

لقد عشنا مع البشير لحظات ، وعرفناه فى طفولته وصباه ، وتابعناه فى كهولته وشيخوخته ، أقمنا معه حيث أقام ، ورحلنا حيث رحل . ووقفنا على أعماله الجليلة وآثاره الخالدة . واستخلصنا من حياته الدرس النافع ، والعظة البالغة ، وسنذكره ما ذكر العاملون المخلصون . تغمده الله برحمته ، وجزاه عن الإسلام والعروبة خير الجزاء .

# الشبيبى فى مجمع الخالدين

السيد الشبيبي ربيب بيت من بيوت الأدب واللغة ، وشيخ من شيوخ العراق الأجلاء ، ورائد من رواد الفكر المعاصر ، وعلم من أعلام النهوض والإصلاح .

دخل مجمع اللغة العربية من أكثر من باب واحد ، فهو شاعر وأديب ، محقق ومؤرخ ، وشاءت الأقدار أن يشغل المكان الذى خلا بوفاة لغوى العراق الأسبق ، الأب أنستاس الكرملى ، فكان خير خلف لخير سلف .

دخله عام ١٩٤٨ ، وارتبط به بأوثق رباط . فلم يتخلف قط عن مؤتمر من مؤتمراته ، ولم يتوان عن دعوة من دعواته اختير لبعض لجانه ، ورأس عدداً من جلساته، ساهم مساهمة جادة فى بحوثه ودراساته ، واشترك فى مناقشاته وتعليقاته أحب المجمع ، وأحبه المجمعيون جميعاً على السواء .

***

**١ – الشبيبى الشيخ :**

وهنا عرفته ، فعرفت فيه الوقار الجم والسماحة العذبة ، ونعمت بأنسه ومجلسه ، وفهمت من نظرته الخاطفة وبسمته الناطقة ، وأفدت من خبرته وتجربته وكنا جميعاً فى القاهرة نرتقب مؤتمر المجمع السنوى لنلقاه ، فنجدد العهد ، ونواصل الدرس .

عرفته شيخاً كله حماس وقوة ، وشباب وفتوة . يسبق الركب ، ويصعد الجبل وتتوق نفسه دائما إلى كشف الجديد . وقل أن نرى شيخاً فى حب استطلاعه يسأل ويستفسر ، ويحقق ويدقق فى آيات الكون وصنع الإنسان يقبل على الرحلات ، ويحرص على زيارة المعاهد والمصانع . وقد اشتركنا فى كثير من

---

(١) كلمة ألقيت فى حفل التأبين الذى أقيم ببغداد فى ١١ من فبراير سنة ١٩٦٦ .

ذلك ، فكان دائما المبكر فى الحضور ، والسباق إلى الهدف . لا يقنع بأن يشاهد ويلاحظ ، بل يأبى إلا أن يسجل ويدون . وكأنما كان يحرص على أن يكتب عن رحلاته ، لكى يشاركه الآخرون فى مشاعره وإحساساته . وقد خلف لنا صحائف حافلة بالتحليل والتصوير لبعض رحلاته ، فيها تفصيل دقيق ، واستيعاب تام ، ورسم كامل للوحة تريك المنظر وكأنك تعيش فيه .

* * *

**٢ — الشبيبى الزميل :**

وعرفته زميلا يضطلع بالواجب ، ويؤدى الأمانة ، يعد العدة ، ويتأهب لكل جلسة ، فيقرأ ويبحث ، ويحقق ويراجع ، يصغى لما يقال ، فيؤيد ما يؤيد عن بينة ، ويرفض ما يرفض عن اقتناع لا يصدر إلا عن روية ، ولا يعرض لما لا يعرف ، وله فى محاضر المجمع ملاحظات قيمة وتوجيهات نافعة وقل أن تخلو جلسة من استدراك له أو تعليق .

ودون أن ندخل فى تفاصيل ذلك ، نكتفى بأن نشير إلى شئ منه . دعا غير مرة إلى توحيد المصطلح العلمى فى كل الأقطار العربية ، وذلك بإحياء القديم منه ، وكثيرا ما نبه إلى كتب قديمة فى مصطلحات العلوم والفنون ، وكان يدعو المجمع إلى تحقيقها ونشرها ، مثل « كتاب النبات » لأبى حنيفة الدينورى و« كتاب جامع أشتات النبات » للشريف الإدريسى ، و« كتاب تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم » لفخر الدين وزير الصالح أيوب ، وهو معجم فى الحرف المصرية . ومن وسائل توحيد المصطلح عنده سهولة لفظه ويسر نطقه ، بحيث يمكن تداوله وقديما عاب البلاغيون الألفاظ الثقيلة والمستهجنة .

ومن الألفاظ الثقيلة بعض المصطلحات الأعجمية والدخيلة التى ينبغى أن نتخفف منها ما أمكن ولا نلجأ إليها إلا عند الضرورة القصوى . ولم يكن الشبيبى ممن يرحبون بالتعريب ، بل كان يمقت فيه — على حد تعبيره — سياسة الباب المفتوح التى تقضى بتدفق الكلمات الأجنبية حتى لتكاد تطغى على الألفاظ العربية الأصيلة .

وكانت دعوة التوحيد عزيزة لديه ، إلى حد أنه أراد بها أن تشمل أبواب الثقافة على اختلافها وكم نوه بالعلاقات الثقافية بين مصر والعراق فى الماضى والحاضر. ووجه الدعوة إلى عقد مؤتمر للمجمع اللغوى فى بغداد ، وألح فى طلبها ، ولم ير زملاؤه بدا من أن يلبوا طلبه ، إيماناً منهم بأن ذلك سبيل من سبل التعاون اللغوى ، ويوم أن تحققت رغبته أبت الأقدار إلا أن نحرم من عونه ومشاركته.

وكان يرى بحق أنه ينبغى توحيد نطق أسماء الأعلام وتوحيد رسمها وصور كتابتها فى العالم العربى جميعه ، لأنها باب من أبواب البلبلة والاضطراب فننطق نطقاً مختلفاً ، ونرسم رسما مبايناً من إقليم لآخر ، ولابد لنا من توحيدها ، سواء أكانت أسماء أشخاص أم أسماء أماكن ، وسواء أكانت قديمة أم حديثة. وكتب التاريخ والجغرافية المدرسية مملوءة بهذا الاختلاف والتباين ، وما أجدرنا أن نتخلص منه ، ونلتقى فى أسماء الأعلام على كلمة سواء.

* * *

**٣ ـ الشبيبى الباحث :**

وعرفت الشبيبى الباحث ، فعرفت فيه طول النفس وحب الاستقصاء وكم كان يعز علىّ أن أشير عليه أحيانا بشئ من الاختصار والتركيز. كان يميل دائما إلى الإستيعاب ، فيلم بجميع أطراف الموضوع الذى يعالجه ، ويأتى على دقائقه وله ولوع بسرد النصوص والنقل عن القدامى والسابقين ، يستهويه ذكر الوقائع والأحداث ، ويعول على التاريخ كل التعويل. ويحرص فى هذا كله على وضوح المعنى وسهولة الأسلوب ، يكتب كما يتكلم فى غير ماتأنق ولا تكلف.

وهو مكثر بقدر ما هو مطيل ، تنوعت دراساته وتعددت أبحاثه ، وقد يعالج الموضوع الواحد من زوايا مختلفة ويكفى أن نشير إلى أنه فى نحو خمس عشرة دورة من دورات المجمع استطاع أن يغذيه بخمسة وثلاثين بحثاً ، وكثيرا ما كان يقدم فى المؤتمر الواحد بحثين أو ثلاثة. ويمكن أن ترد هذه البحوث إلى أبواب ثلاثة : أبحاث ، ومصطلحات ، وتعريف ببعض الأشخاص والكتب.

# على عبد الرازق

سيدى الرئيس ، سيداتى ، سادتى .

نجتمع اليوم لنؤبن شيخنا جليلا ، وعالما فاضلا ، وفى التأبين عظة وعبرة نؤبن رجلا استطاع أن يقول كلمة الحق ، برغم بطش الملكية واستبدادها ، ولاقى فى سبيلها ما لاقى ، ولا قيمة لقوم يضيع الحق بينهم . نؤبن تلميذا من تلاميذ الأستاذ الإمام ، وهم نخبة صالحة حملت المشعل ، وأنارت السبيل ، ورسمت مناهج للإصلاح والتجديد . نؤبنه هنا فى هذه القاعة ، لنرد إليه شيئا من اعتباره ، والتاريخ يصلح ما أفسد أحيانا . فبالأمس تنكرت له هيئة كبار العلماء وأنكرته ، وها هو ذا الأزهر جميعه يودعه اليوم الوداع الأخير فى تكريم وتبجيل . ويرحب بتأبينه فى هذه القاعة ، ليحشر فى زمرة محمد عبده ، ويسير فى وفده ميتا كما سار فيه من قبل حيا .

ولا سبيل إلى نهوض سياسى أو اجتماعى ، ما لم تمهد له حياة فكرية يقظة سليمة وقد قدر لهذه الأمة أن تنبعث فيها فى القرن الماضى حركة من حركات الفكر والثقافة ، غذاها فى البداية أمثال الشيخين حسن العطار ورفاعة الطهطاوى ، ثم قام على أمرها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده . ولم تلبث هذه الحركة أن آتت أكلها ، وأخرجت لنا قادة فكر ، نذكر من بينهم قاسم أمين ، وفتحى زغلول ، ولطفى السيد ، والشيخين محمد شاكر ومصطفى المراغى . وتلاهم رعيل آخر من الأصدقاء والمريدين ، كونوا مدارس مختلفة فى الفقه والتشريع ، والأدب واللغة ، والفلسفة والدين . وفى مقدمة هذا الرعيل الأخوان مصطفى وعلى عبد الرازق ، وهما صنوان لا ينفصلان ، تزاملا طول حياتهما ، وكان فارق السن بينهما ضئيلا ، وتبادلا الرأى فيما عنّ لهما من أمر ، وخضعا لظروف متحدة أو متشابهة .

وقد عرفت على عبد الرازق القاضى والمحامى ، والنائب والشيخ ، والوزير والسياسى ، وعرفت فيه فى مجمع اللغة العربية الأديب واللغوى . ويطول بى الحديث إن عرضت لذلك كله ، ويكفينى هنا أن أقول كلمة :

١ — عن البيئة التى نشأ فيها .

٢ — وعن حياته ومؤلفاته .

٣ — وشيئا عن نزعته وآرائه .

١ — بيئته :

نشأ فقيدنا فى بيت عريق من بيوت العلم والقضاء ، تصعد أصوله إلى نحو قرن ونصف ، و يزيد ، وله دون نزاع شأن يذكر فى الحياة الفكرية والثقافية فى النصف الأول من هذا القرن ، يلتقى فيه الشرقى بالغربى ، والمصرى بالعربى ، ويدور حديثهم حول الماضى وأمجاده ، والحاضر فى آماله وأهدافه يعالجون ألوانا من فنون الأدب واللغة ، ويتعمقون فى قضايا الدين والفلسفة وما كان أشبه مجلسهم بمنتدى يؤمه كبار العلماء ويثار فيه أدق المشاكل وأعمق الآراء ، ولا يستطيع مؤرخ الحياة الثقافية المعاصرة فى مصر أن يغفل ما كان « لبيوت آل عبد الرازق » فيها من أثر . فى هذه البيئة الخاصة شب على عبد الرازق وترعرع ، أخذ عنها ،وأفاد منها،وسمع فيها دعوات تناصر القديم وأخرى تؤيد الجديد .

وإلى جانبها بيئة عامة ، ملأها الأستاذ الإمام « محمد عبده » حياة وقوة وفجر فيها ينابيع للإصلاح والتجديد فكان يدعو إلى النهوض بالأدب واللغة ويقوم معوج الأفكار الدينية ، ويصور الإسلام بصورته الحقة ، ويحرر الفقه والتشريع من قيوده ، ويحاول بوجه خاص أن يصلح التعليم الدينى . عاش فى الأزهر ، وعرفه حق المعرفة ، ووقف على كتبه وطرائق التدريس فيه ورأى أنها أصبحت لا تلائم العصر ، ولا تحقق النهوض المنشود . وأخذ يغير الكتاب والطريقة معا ، و ضرب لذلك مثلا من درسه وبحثه ، فكان يدرس فى البيان « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجانى ، بدلا من « تلخيص المفتاح » للخطيب القزوينى ، ويفسر القرآن على نحو يختلف عما درج عليه البيضاوى

وكل ذلك فى عبارة طلية ، وفكر واضح ، وروح صادقة ، ونقد أخاذ .
فاستجاب له الشباب ، وأقبلوا عليه ،وتعلقت به أرواحهم وعقولهم واستطاع أن يرى فى حياته بعض ثمار غرسه ، وتضافر نفر من بعده على إنجاز ما أوصى به ،فأنشىء معهد الإسكندرية الدينى قبل موته بعام واحد ، وقام على أمره الشيخ محمد شاكر ، أحد تلاميذه ، وشاء أن ينهج به نهجا جديدا وأنشئت مدرسة القضاء الشرعى بعدموته بعامين وهدفها الأول تخريج جيل جديدمن رجال الدين . وتوالت دعوة الاصلاح فى الأ زهر نفسه منذ فجر هذا القرن ، وبدت لها صور متلاحقة آخرها « جامعة الأزهر » الناشئة التى تستضيفنا اليوم .

فى هذا الجو نشأ على عبد الرازق ، واتصل بالأستاذ الإمام عن قرب ، تتلمذ له مع أخيه مصطفى ، ورآه فى بيته يزور والده ، وقد ربطت بينهما صلات ود وزمالة فى مجلس شورى القوانين — واتصل أيضا بلطفى السيد فى « الجريدة » وكانت تضطلع بنشر تعاليم أخرى لجمال الدين ومحمد عبده . تعتز بحرية الرأى وصراحة القول ، ووضوح الكلمة وسمو الأسلوب ، وتنادى بالاصلاح والتجديد . نشأ فقيدنا فى هذا الجو ، وتابع السير فى حياة مليئة بالأحداث ، ولا نستطيع هنا إلا أن نرسم خطوطها الكبرى .

(ب) حياته ومؤلفاته :

ولد على عبد الرازق بأبى جرج ،من أعمال محافظة المنيا فى أخريات العقد التاسع من القرن الماضى ( ١٨٨٨م ) وسلك سبيل أخيه مصطفى فى التعليم فألحق بكتاب القرية حيث تعلم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ، وحفظ قدرا من القرآن الكريم ، ثم وجه إلى الأزهر ، ففرغ له ، وأولع به ، وأقبل على درسه ، واتصل بكبار شيوخه ، وبخاصة الشيخ أبوخطوة ، وكان والده وهو أزهرى قديم يتذاكر معه ومع أخيه مصطفى بعض كتب الشعر والأدب . واستطاع فقيدنا أن يتابع فى الوقت نفسه دروس الجامعة المصرية القديمة ، وتتلمذ فيها لنلينو وليتمان وسانتلانا من كبار المستشرقين .

ولا شك فى أن على عبد الرازق كان مخلصا للأزهر الإخلاص كله ، يتعصب له ويدافع عنه ، وكان يرى أن إنشاء مدرسة القضاء الشرعى لم يكن

إلا إصلاحا جزئيا مغالى فيه ، وكان الأولى أن ينصب الإصلاح على الأزهر نفسه ، فتهذب نظمه وكتبه وطرائقه . ولم يرقه أن يقبل أخوه مصطفى ، وهو الأزهرى المرموق، التدريس فى مدرسة القضاء الشرعى ، وما زال به حتى استقال من وظيفته . واشترك الأخوان فى إضراب الأزهر الكبير فى عام ١٩٠٨ ، وجدا فى تحديد مطالب الأزهريين ، وكانا قريبين كل القرب من الحلول التى انتهى إليها الموقف حين ذاك . وتابع على دراسته إلى أن حصل على شهادة العالمية بعد أخيه بثلاث سنوات ، وعقد على الفور لنفسه حلقة درس فيها متبرعا علم البيان ، وهذه أولى خطواته فى التدريس والتأليف .

ثم أريد به أن يضم الثقافة الغربية إلى ثقافته الشرقية ، ويظن أنه لم يكن راغبا فى ذلك كل الرغبة . وكان يعيب علىّ شقيقه مصطفى ، الذى سبقه إلى أوربا ، ولعه ببعض تقاليد الغرب وعاداته . وإذا كان مصطفى قد سافر إلى فرنسا ، فجدير بعلى أن يذهب إلى إنجلترا . وفى عام ١٩١٢ شد رحاله إليها ، وبدأ يدرس فى أكسفورد علمى الاقتصاد والاجتماع ، ولم يبق بها إلا ثلاث سنوات ، واضطر إلى العودة تحت ضغط ظروف الحرب العالمية الأولى . وليته استطاع أن يقيم أكثر من هذا ، لكى يفهم الثقافة الغربية على وجهها ، و يقف على أسرارها ودقائقها .

وبعد عودته أخذ يضطلع بأعباء الحياة ، ويذوق حلوها ومرها ، فعين قاضيا بالمحاكم الشرعية ، واستمر فى القضاء إلى أن ظهرت محنة الخلافة . ونحن نعلم أنه بعد أن ألغى مصطفى كمال نظام الخلافة فى تركيا ، شاء الاستعمار البريطانى أن يبحث لها عن موطن آخر ، ويتخذ منها أداة لمطامعه ، وكانت مصر راغبة فيها ، ويأبى مصرى إلا أن يقف فى سبيل هذه الرغبة ، وأعلن على عبد الرازق فى جرأة وصراحة أن نظام الخلافة ليس من الدين فى شىء ، ولم ينص عليه فى كتاب ولا سنة . وما كان محمد صلى الله عليه وسلم خليفة ، ولا ملكا ، وإنما كان مجرد رسول يبلغ آيات ربه « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » . « وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا » . ومات النبى دون أن يعين خليفة من بعده ، ودون أن يحدد نظاما معينا للحكم ثم كانت الخلافة

عبد القاهر الجرجاني . أما السكاكي فقد حجره ، ووضعه في قوالب جامدة ، ولو تركه مفتوحا لضمت إليه أسرار جديدة .

٢ — وفي عام ١٩٢٥ : ظهر كتاب « الإسلام وأصول الحكم » ؛ الذي أشرنا إليه من قبل ، وهو كتاب رأي ، عالج فيه مشكلة سياسية شغلت الأذهان ، أعد له منذ سنين ، وكان هدفه أن يكتب في تاريخ القضاء ، ورأى أن يمهد له بشرح نظرية الخلافة والحكم في الإسلام . وقد عول فيه على عدة مصادر عربية وأجنبية ، واستعان ما وسعه بالتاريخ والنصوص الثابتة وعالج فيه ثلاث قضايا أساسية . فلاحظ أولا أن لا حياة للمجتمع بدون حكومة تنظمه وتدبر شئونه ، وما الخلافة إلا ضرب من نظم الحكم ، وإن لم ينص عليها كتاب ولا سنة . ولاحظ ثانيا أن الخلفاء والملوك في الإسلام شاءوا أن يجعلوا من الخلافة والملك مقاما دينيا يستظلون بظله ، ويحتمون وراءه . ودعا أخيرا دعوة صادقة إلى طلب العلوم الحديثة والجد في تمامها ، لكي نستعيد بها مجد الماضي ، وننافس في الحاضر ، وعنده أن « لا شيء في الدين يمنع المسلمين من أن يسابقوا الأمم الأخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها » ولا نزاع في أن كتاب الإسلام وأصول الحكم يعد من الأحداث الكبرى في حياتنا الفكرية المعاصرة .

٣ — وفي عام ١٩٤٧ أخرج علي عبد الرازق كتاب الإجماع في الشريعة الإسلامية وهو جملة المحاضرات التي ألقاها على طلاب دبلوم الشريعة بجامعة القاهرة . ويحاول فيه أن يوضح حقيقة الإجماع ، وإمكان حدوثه ، وحجيته ، وحكمه ، ومنزلته بين أصول الفقه . وهو حريص دائما على الجمع أو النقل ، وربما زاده كتاب الإسلام وأصول الحكم حرصا ، فينقل عن السابقين نقلا أمينا ، في وقوف على المصادر ، واطلاع واسع ، وتحرير لمواطن الخلاف .

٤ — وبعد وفاة شقيقه الشيخ ، أخرج عام ١٩٥٧ « من آثار مصطفى عبد الرازق » وله فيه نبذة طويلة عن تاريخ حياة أخيه تشتمل على نقد وتحليل وتستكمل أحداثا ووقائع لا سبيل للوقوف عليها إلا عن طريق السماع أو الرؤية .

الكلام وروعته يأخذان صورا شتى ، ويخضعان لاعتبارات كثيرة . وليست البلاغة بمقصورة على العربية وحدها ، بل لكل لغة بلاغتها ، وجدير بنا أن نقف على أوجه البلاغة وأسرارها فى لغات أخرى ، ففى ذلك ما يفتح أمامنا آفاقا جديدة فى البلاغة العربية نفسها . والواقع أن البلاغة فن من الفنون الجميلة التى تتوارد على إدراك جمالها والتأثر بها أمم مختلفة .

تلك خواطر — أو أطياف كما سماها على عبد الرازق نفسه — كانت تجول بذهنه أيام شبابه ، وقد استذكرها حين انضم إلى زمرة الخالدين ، ويظهر أنها استعيدت فقط لمجرد الذكرى . لم يكن لها أثر ملحوظ فى عمله المجمعى بل على عكسها كان يسير ، يحمل راية السلف ، ويستمسك بالقديم . وقد قال عن أخيه مصطفى : « هو رجعى فى أكثر نواحيه ، ولكن فى حدود النظر الذكى والفطرة السليمة ، فلا تتسرب إليه خرافة ولا تشوبه شائبة من شوائب الشرك الخفى ، وهو تقدمى فى بعض نواحيه ، ولكن مع الاستمساك بكثير من التقاليد الموروثة ، ومع الرجوع إلى سنن من سلف ، واتباع أحسنها . ولعله كان فى جملة الأمر إلى المذهب الرجعى وحب القديم أقرب » .

وعندى أن هذا القول يصدق على فقيدنا أكثر من صدقه على الشيخ الأكبر تغمدهما الله برحمته ، وأجزل لهما الجزاء عما قدما للعلم والدين .

# حسن حسني عبد الوهاب

سيدى الرئيس ، سيداتى ، سادتى :

منذ أسبوعين أو يزيد قليلا ، كان من حظى أن أزور تونس الخضراء موفداً من مجمع اللغة العربية ، وذلك أداء لواجب مقدس ، وتوديعاً لراحل عظيم : هو المرحوم — حسن حسنى عبد الوهاب . وتلك أول مرة يوفد فيها المجمع إلى بلد آخر من ينوب عنه فى إحياء ذكرى أحد الخالدين ، وإن فقيدنا لجدير بكل تقدير وتكريم .

وأشهد أن تونس اشتركت كلها فى وداعه حكومة وشعباً ، شيوخا وشباباً كتابا وشعراء ، صحافة وإذاعة . ودعت فيه الابن البار ، والشيخ الجليل ، والخلق السمح ، والعلم الغزير . ودعت فيه الرائد الصادق ، والمصلح الحكيم والإمام الذى خلف وراءه التلاميذ والأتباع . ولقد قضيت فى نادى أبى القاسم الشابى نحو ثلاث ساعات أستمع لأصدقائه وأبنائه يرددون مآثره ، ويلهجون بأياديه . وزرت ذلك المعرض الذى جمعت فيه مخلفاته ، وأريد به أن يمثل مراحل حياته ، فجاء آيه من آيات الوفاء والإخلاص . وفى الحق أنه أحب تونس فأحبته ، ووقف عليها حياته كلها فتعلقت به . وقضى عمره يتحدث عنها ، ويحيى أمجادها ، ويسهم بعقله وقلمه فى نهوضها .

واليوم أود أن أقول كلمة مصر قبل أن أقول كلمة المجمع والمجمعيين ، فقد كان حسنى عبد الوهاب مصرياً بقدر ما كان تونسياً . عد مصر وطنه الثانى عرف من شئونها ما لم يعرفه كثيرون ، وتوافرت له فيها صداقات قل أن يحظى بها أحد سواه من أصدقاء مصر الكثيرين ، زار القاهرة منذ عهد مبكر ، وأحبها حبه لتونس أو القيروان ، ولا غرابة ، فالقاهرة المعزية التى نحتفل بعيدها الألفى هذا العام يمكن أن تعد بنت القيروان ، وكان يتردد عليها كلما

سنحت له الفرصة ، ويطيب له المقام فيها . ألمّ بدقائق تاريخها ، وعرف أحياءها القديمة التى قد لا يعرفها بعض أبنائها . وكان يروقه أن يقف إخوانه ومواطنيه ، التونسيين على آثارها ، وأن يزور معهم مختلف معالمها .

وقد سئل مرة : كيف وجد مصر ؟ فكان جوابه ، على نحو ما صنع مغربى سابق هو المقرى صاحب « نفح الطيب » : « من لم يزر مصر لا يعرف عز - الإسلام » . ولقد أعزته مصر بقدر ما أعزها ، فاختارته عام ١٩٣٢ من بين شيوخ المغرب وعلمائه ، ليكون أحد مؤسسى مجمعها . ونشرت المطبعة الأميرية عام ١٩٤٤ فى طبعة ثانية كتابه « تاريخ الأدب التونسى » ، بعد أن انقضى على طبعته الأولى فى تونس نحو خمسة وعشرين سنة . وفى عام ١٩٥٠ منحته جامعة القاهرة ، أو جامعة فؤاد الأول حين ذلك درجة الدكتوراه الفخرية فى اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

سيداتى ، سادتى :

إن مجال القول فى الراحل الكريم ذو سعة ، ومن العسير أن يوفى حقه فى موقف كهذا ، وحسبى أن أعرض لنشأته ، وأنوه بشىء من نشاطه الإدارى والعلمى ، وأقف قليلا عند حسنى عبد الوهاب مؤرخ الحضارة .

(أ) نشأته :

إن حياة فقيدنا خصبة وممتعة ، طويلة وعريضة ، « وخيركم من طال عمره وحسن عمله » . ملئت كلها بالجد والعمل والبحث والدرس وآتت ثماراً يانعة ، وخطت بتونس خطوات فسيحة نحو النهوض والتقدم ولد فى عهد الاستقلال ، وعاش طويلا تحت حكم الاحتلال ، وأقر الله عينه بأن يستعيد الوطن استقلاله فى حياته ، وأن تنعم أمته بالحرية قبل مماته ، وكان فى هذا كله مثال المواطن الصادق الذى يخدم وطنه برغم الظروف ، ويرعى حقوقه ، ومصالحه إزاء اضطهاد الغاصب المستعمر .

وهو سليل أسرة من أسر تونس العريقة التى كان لها شأن فى الأدب والسياسة ولد عام ١٨٨٤ ، ونشىء تنشئة إسلامية عربية ، فألحق فى سن مبكرة بكتاب

الشئون الداخلية ، وتولى أمر التراسل مع الدول والهيئات الأجنبية . أربعون سنة أو يزيد قضاها فى خدمة بلاده وتصريف بعض الشئون العامة ، وبذل فيها من نفسه وماله وصحته ، وخطا بأمته نحو الاستقلال والحرية .

وفى عام ١٩٤٧ حق له أن ينال حظه من الراحة ، وأن يعفى من هذه الأعباء الثقال. غير أن حماس التحرر والاستقلال اجتذبه إلى ميدان الجهاد والعمل المضنى ففى عام ١٩٥٧ دعى فى شيخوخته ، وكان مملوءا بالنشاط دائما ، إلى الإشراف على « المعهد القومى للآثار والفنون » وقد وقف عليه خمس سنوات كاملة ، كانت مثار نشاط لا ينقطع ، أعانه عليه تلاميذه ومحبوه . فنقل مصلحة الآثار من مقرها القديم البالى إلى دار فخمة كان يسكنها قائد الجيش الفرنسى ، وأسس خمسة متاحف : أربعة منها للآثار الإسلامية ، وخامسها فى قرطاجنة للآثار الرومانية .

(ج) نشاطه العلمى والأدبى :

لقد كان فقيدنا يعرف دائماً كيف يلائم بين عمله ودرسه ، فلم يفته أن يفيد الطلاب والتلاميذ من درسه النافع وعلمه الغزير ، ولم ينقطع عن البحث والكتابة منذ أتم دراسته فى باريس ، وعلى الرغم من أعباء وظائفه لم تحرم من دروسه المدرسة الخلدونية ، ولا المدرسة العليا للغة والآداب العربية بتونس وامتد نشاطه العلمى إلى ما وراء تونس ، فدعى إلى إلقاء محاضرات فى معهد الدراسات الإسلامية بباريس .

وعنى بالكتابة والتأليف منذ أوائل هذا القرن ، وبقى على ذلك إلى أن لقى ربه . وكانت مكتبته أحب شئ لديه ، فهى صومعته التى كان يأوى إليها للبحث والتأمل . كتب بالعربية كما كتب بالفرنسية ، وغذى الصحافة التونسية والأجنبية ، وأمد دائرة المعارف الإسلامية بعدة فصول ، وشجع تلاميذه ، وأبناءه ، فقدم لكتبهم ، وعلق على بحوثهم ، وكان موردا عذبا لا ينقطع . .

أخرج عشرات من الكتب والرسائل فى الأدب واللغة ، والتاريخ والسياسة ، والاقتصاد وهذه الكتب يمكن ردها إلى بابين هامين : تحقيق وتأليف . وقد

أولع منذ شبابه الباكر بجمع النفائس من تحف ومخطوطات ، وفى مكتبته قدر من المخطوطات النادرة ، كشف عنها ، وجهد فى استنساخها أو الحصول على صورة منها ، وأخرج منها قدرا فية جدة وطرافة . وقد سلك فى تحقيقه مسلكاً علمياً دقيقاً : جمع الأصول وراجعها ، وبنى عليها ما ينشره . وكان يحرص على أن يقدم لتحقيقه ، وأن يشرح غامض النص ، ويبين فكرته الأساسية . واستطاع أن ينشر تسعة تحقيقات كشفت عن ذخائر مدفونة ، وبرهنت على ما امتاز به من حسن الاختيار ورهافة الحس . وحسبى أن أشير إلى مثلين اثنين أولهما « التبصير بالتجارة » للجاحظ ، والجاحظ بحر زاخر ، لا تزال تكشف عن جوانبه المجهولة ، وقد عاش النصف الأول من حياته فى البصرة بين تجارها المهرة الذين كانوا يربطون الشرق الأقصى بالشرق الأدنى . أما النص الثانى فهو « ملتقى السبيل » لأبى العلاء المعرى ، وهو رسالة صغيرة وضعها الشاعر الفيلسوف فى أخريات حياته ، فخرج فيها من الشك إلى اليقين ، وأرسل آيات فى الوعظ والحكم ، وقد حرص المحقق على أن يقارن بينه وبين شوبنهاور ، شيخ المتشائمين فى الفكر المعاصر .

وفى ميدان التأليف أخرج الفقيد عدة كتب ورسائل بالعربية والفرنسية ، ومنها ما قصد به معونة طلاب الدراسة الثانوية ، «كخلاصة تاريخ تونس » ، و« المنتخب المدرسى فى الأدب التونسى » . ومنها ما اتجه نحو تحقيق بعض الأحداث التاريخية ، «كاستيلاء المسلمين على صقلية » ، و« نهوض الموسيقى العربية بالمشرق والمغرب » . وأود أن أشير بوجه خاص إلى كتاب أخرجه فى السنوات الأربع الأخيرة ، وهو « ورقات عن الحضارة العربية بتونس » ، ظهر منه جزءان ويعد الجزء الثالث والأخير للطبع الآن . وهذا الكتاب وثيق الصلة بكتاب آخر شغل به الفقيد طويلا ، وسماه « كتاب العمر » . والأمل معقود على أن ينشر هذا الكتاب قريباً ، كى نعيش مع الراحل الكريم فى تأملاته ونتابعه فى بحوثه ودراساته .

وأسلوب الفقيد من السهل الواضح ، ينفر من الغريب والغامض ، ويتحاشى الصنعة والتكلف . يتخير ألفاظه ويزنها بميزان دقيق ويؤثر الجملة القصيرة ذات الدلالة المباشرة . وهاكم نموذجا من عباراته العذبة يتحدث فيه

مبكر « كمفاتيح العلوم » للخوارزمي الذى وضع فى القرن الرابع الهجرى ، ثم تلاحقت فى القرون التالية ، ومن أهم ما ظهر منها « كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم » للتهانوى ، وهو من رجال القرن الثانى عشر الهجرى . وأحيا بعض الباحثين المعاصرين هذه السنة كالأب انستاس الكرملى فى بغداد والأمير الشهابى بدمشق ، والدكتور أمين المعلوف ببيروت ، والدكتور شرف ، والدكتور أحمد عيسى بالقاهرة . فإن عز علينا أن نجد فى الاستعمال القديم ما يسد الحاجة ، فلا ضير فى أن نضع ألفاظاً جديدة ، وسبيلنا إلى الاشتقاق والتعريب ، ولاشك فى أن اللفظ المأنوس والشائع المشهور ، وإن كان دخيلا أو مولدا ، خير من الغريب والمهجور والمصطلحات الجديدة ذات حظوظ مختلفة ، فمنها ما يقدر له البقاء والانتشار ، ومنها ما يحل محله غيره ولا يحظى بحياة طويلة .

والنحو والصرف متطوران تطور اللغة نفسها ، وفى وسعنا أن نجدد فيهما ونعدل . ونحو اللغات الحية ، وفى مقدمتها الفرنسية ، متغير ومتطور ، ونعنى بتطوره أنه لم يلتزم فيه دائما آراء النحويين السابقين . وقدبذلت فى وضع النحو العربى جهود كبيرة ، وقام على أمره أئمة أعلام ، إلا أن بعض أحكامه غير مستوعب ، ومنها ما ضيق الواسع ، ولا أدل على هذا من اختلاف مدارسه ومذاهبه . وفى وسعنا أن نتدارك بعض ما فات ، وأن نبدع فى النحو كما أبدع قدامى النحاة . ويحاول مصطفى جواد فى كتابه « المباحث اللغوية فى العراق » أن يقدم نماذج لما يمكن أن يستدرك على النحو القديم ويلاحظ أنا فى مؤلفاتنا المدرسية نميل إلى نحو البصريين ، ويأسف لهذا ، ويراه من أسباب جمود النحو وعده غاية لا وسيلة ، وعنده أن فى نحو الكوفيين ما يفضل آراء البصريين .

وليست مشكلة الصرف بأهون من مشكلة النحو ، فالتعبد به سر جموده وتعقيده أحيانا صرف الشباب عنه . فيه قضايا شائعة لا يمكن أن تقبل على علاتها كالقول مع البصريين بأن المصدر أصل المشتقات ، وقصر الاشتقاق عليه ، وكأفعال المطاوعة التى يعدها مصطفى جواد خرافة عجيبة ، لأن المطاوعة تنصب على المفعول لا على الفعل . ورفض الصرفيون النسبة إلى الجمع ، مع أنه مقصود أحيانا لذاته ، وورد السماع به كالشعوبى والأنصارى والجواليقى .

وأغفلوا بعض أوزان تدعو الحاجة إليها كأسماء الآلة والأداة ، ومنعوا بعض الصيغ مع أنه لا غبار عليها . والعربية وهى لغة اشتقاقية ، جديرة بأن تيسر هذا كى يؤدى ما أمكن كل معنى بلفظ خاص به . وقدم مصطفى جواد لمؤتمر مجمع اللغة العربية فى دورته الثالثة والثلاثين سبعة مقترحات شاركه فى بعضها مجمعيون آخرون ، وترمى إلى تيسير الاستعمال العصرى . وقد أقر المجمع منها ثلاثة ، وهى أولا : جواز لحوق التاء بصيغة فعول بمعنى فاعل ، وجمعها جمع تصحيح للمذكر والمؤنث ، فيقال فخور وفخورون ، وفخورة وفخورات . وثانيا : قياس صيغة فعيل للدلالة على المشاركة ، مثل جليس وخليل وأكيل ووكيل . وأخيرا : إباحة جمع فعل على أفعال ،فيقال مجد وأمجاد وبحث وأبحاث وكثيرا ما أنكر هذا على الكتاب والمؤلفين .

وقد عاش مصطفى جواد مع المعجمات العربية زمنا غير قصير ، درس قديمها ، وعلق على حديثها ، وعرفها معرفة حقة . ولاحظ على المعجمات القديمة قلة تبويبها ، ونقص تنسيقها ، وقصورها فى تناول الألفاظ المولدة والمعربة ومنها ما لا يخلو من تحريف وتصحيف . وكثيرا ما قنع أصحابها بمجرد الأخذ عن سابقيهم دون تجديد أو تمحيص ، وهم يعنون فى الغالب بالمفردات أكثر مما يعنون بالجمل والتراكيب ، مع أن للجملة قيمة استعمالية هى القيمة الحية للغة . وتأخذ اللغات بعضها عن بعض جملا وأساليب ، كما تأخذ ألفاظا ومفردات . وقد سرى إلى العربية المعاصرة سيل من الأساليب الأجنبية ، ويحرص مصطفى جواد على أن يثبتها ، وبخاصة ما كان منها موضع نقد أو ملاحظة . وهو لا ينكر هذا الأخذ من حيث المبدأ ، ولكنه لا يقبله على إطلاقه ، ويدعو واضعى المعجمات الحديثة إلى أن يتعقبوا هذه الأساليب ، والتعبيرات ، ويدلوا برأيهم فيها . وقد لا نتفق معه فى بعض ما أقره ، أو فى بعض ما رفضه ، ونعتقد أن الأسلوب الجديد ثروة لغوية مكتسبة ، ما دام لا يتعارض مع أصول العربية وقوانينها .

ويقف مصطفى جواد طويلا عند نقطة سبق إليها ، وهى أن المعجمات اللغوية القديمة لم تستوعب مفردات اللغة وتراكيبها جميعها ، بل فاتها منها

قدر ملحوظ ، وعلينا أن نتلمسه فى كتب الأدب والتاريخ والعلم والفلسفة . وهذا ما دفع مستشرقين كبيرين إلى محاولة تكملة المعجمات العربية واستدراك ما فاتها ، وهما لين (١٨٧٦ م ) الإنجليزى ، ودوزى ( ١٨٨٦ م ) الهولندى وقد شغل مصطفى جواد بذلك منذ سن مبكرة ، وتابعه طوال حياته ، وأخذ يسجل ما لفت نظره ، وجمع جملة صالحة من المستدركات تبلغ أن تكون مجلدة كبيرة ، فيها شواهد لغوية ، ونكت نحوية ، ودقائق صرفية . وقد عرض نماذج منها فى مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين لمجمع اللغة العربية الذى عقد ببغداد عام ١٩٦٥ . وبقدر ما نعلم لم ينشر هذا المعجم المستدرك بعد ، وليس شىء أبلغ فى الوفاء لمؤلفه ، ولا أنفع فى تخليد ذكراه من نشر معجمه هذا .

لا أظننى فى حاجة أن أشير فى ضوء ما تقدم إلى أن مصطفى جواد لغوى خق ومعجمى صادق ، أسهم مع كبار المعجميين فى حمل راية النهوض بالعربية ، وجعلها وافية بحاجات العصر ومقتضياته آمن بخصبها ومرونتها ، ولمس قدرتها على الوفاء بمطالب العلم والتكنولوجيا . أحاط بها ، واستوعب نصوصها وشواهدها ، فإذا ما عرض جديد ناقشه فى ضوء الماضى ، حتى ليخيل إلينا أنه يقول مع القائلين : « ما ترك الأول للآخر شيئا » . ولكنه فى سعة أفقه ينفذ من ناحية أخرى إلى ما ينبغى ابتداعه وابتكاره وما يجب إضافته وتجديده . فهو مثال حسن للغويين الذين يجمعون بين المحافظة والتجديد .

وقد عده مجمع اللغة العربية بالقاهرة من قديم شريكا له فى مهمته وسعد أخيرا بزمالته وعضويته ، والتقى معه فى كثير من آرائه وأخذ بقدر من مقترحاته ، واعتز بما أدى من أمانة ، وما حمل من رسالة . وهو يشاركم تمام المشاركة فى رزئه ، ويبعث إليكم مرة أخرى بخالص عزائه . عوضنا الله جميعا فيه خيرا ، وجزاه أحسن الجزاء بما قدم لأمته ولغته .

ولد الفقيد الكريم في الثاني من شوال عام ١٣٢٧ هـ ، الموافق ١٠ من أكتوبر عام ١٩٠٩ م ونشأ في بيت علم وفضل ، وتتلمذ لوالده ، وهو إمام في علوم الدين واللغة ، قبل أن يتتلمذ لمعلم آخر . تتلمذ له في صباه ، فبدأ تحت إشرافه في حفظ القرآن ولما يجاوز الثالثة وفي تعلم القراءة في بعض كتب المطالعة المصرية ، وحفظ بعض المتون كالأجرومية والألفية وهو في السادسة . ووجه في العاشرة إلى تعلم اللغة الفرنسية على أيدي معلمين خصوصيين في منزله . وكأنما أريد به أن تقصر طفولته على بيته وأسرته ، فلم يدخل المكتب الابتدائي ، ولم يعرف من الأطفال إلا أبناء الأقارب . وفي الثالثة عشرة من عمره بدأ يدرس القراءات والنحو والفقه والتوحيد . وفي العام التالي التحق بجامع الزيتونة ، وبقي به إلى أن تخرج فيه ، ومنذ ذلك لم تنقطع صلته به ، تولى التدريس به في سن مبكرة ، وبقي يتدرج طبقة بعد طبقة إلى أن أصبح أستاذاً وقد جاوز الأربعين بقليل ، ثم عميدا الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين عام ١٩٦١ ، ولكنه لم يبعد قط عن والده وأستاذه الأول ، عاش إلى جانبه طول حياته ، واستمع إلى دروسه في الأدب والتفسير والحديث بجامع الزيتونة مدة خمس سنين ، ودرج طول حياته على أن يقرأ بين يديه كل ليلة من ليالي رمضان بعد صلاة التراويح قدرا من كتب الحديث والرجال واللغة ، كالبخاري ومسلم ، والإصابة ، والنهاية ، ولسان العرب . وقد نعمت بلقاء الأب والإبن ، وأشهد أني لم أر مثله إبنا هو سر أبيه وصورة كاملة له .

وإلى جانب هذه البيئة الخاصة تفتحت أمامه آفاق شتى ، واتصل بالحركات الثقافية في العالم الإسلامي عامة ، وفي شمال إفريقية خاصة ، ولم يفته أن ينهل من حياض الثقافة الغربية . رحل إلى فرنسا لأول مرة وهو في سن السابعة عشرة وكان لهذه الرحلة أثر كبير في نفسه ، ثم توالت رحلاته إلى أوربا وبعض بلاد الشرق الأدنى . واشترك في عدد غير قليل من الندوات والمؤتمرات ، ودعي للتدريس في كثير من المعاهد والجامعات وأسهم في عدة هيئات ، كالرابطة الإسلامية بمكة ، والجامعة الإسلامية بالمدينة ، وجمعية الجامعات الإسلامية بفاس . واختير عضواً بمجمع اللغة العربية عام ١٩٦١ ، وعضوا بمجمع البحوث الإسلامية في العام التالي .

وللقاهرة فى نفسه منزلة خاصة ، يحن إليها عن بعد ، ويطيب له المقام فيها عن قرب . يتتبع نشاطها الثقافى ، ويجد فى لقاءاتها الفكرية متاعاً لا يعادله متاع ولا أزال أذكره ، وهو واقف بيننا فى العام الماضى يقول : « حياك الله ياأرض الكنانة ، وبارك لك فى هذا الجارى من صعيدك إلى شطك ، يتدفق خيراً ، ويترقرق ريا ، ويتألق نورا ، ويترفع طهرا وصفاء وهل يجد أليف عهدك — يا مصر — خيرا من نيلك السعيد ، يحييك به ، وهو الذى تحيين به أنت كل وافد عليك ، كما كان آل جفنة ، فيما شهد حسان ، يسقو قاصدهم : بردى يصفق بالرحيق السلسل . فهذه تحيتك — يا مصر — تعود إليك ، لا تجد أحسن منها حتى نحييك بها » .

اضطلع الفاضل بالإفتاء والقضاء ، إلى جانب عمله فى الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ، وكان التدريس أحب إلى نفسه . حاضر فى القرية كما حاضر فى المدينة وخطب فى العامة كما خطب فى الخاصة ، وكان محببا إلى طلبته ومستمعيه ، يحرصون على حضور درسه ، ويسارعون إلى استماع خطبه ومحاضراته . وجل ما نشر من مؤلفاته ، إنما هو مجموعة دروس ومحاضرات ألقاها ، أو بحوث أعدها لندوة أو مؤتمر فدعى عام ١٩٥٥ إلى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، وألقى سلسلة من المحاضرات أخرجت فى كتاب كبير تحت عنوان : « الحركة الأدبية والفكرية بتونس » ، ونشر له مجمع البحوث الإسلامية أخيرا بحثا قيما : « فى التفسير ورجاله » وله فى مجلة مجمعكم ومجموعات محاضراته بحوث لها وزنها وقيمتها ولو تخفف من بعض أعبائه ومد فى أجله لغذى المكتبة العربية بغذاء أوفر . وله دراسات بالفرنسية قدمها فى بعض المؤتمرات الدولية ويغلب على الظن أن له مخلفات لم تنشر بعد ، ونعتقد أن أصدقاءه وتلاميذه لن يترددوا فى إخراجها إلى النور ، كى يفيد منها القراء والباحثون .

* * *

هذه فى إيجاز هى حياة الفقيد التى كانت ملأى بالنشاط والعمل ، غنية على قصرها بالدرس والبحث ونود أن نقف عند ثلاثة فقط من جوانبها :

(١) الفاضل ابن عاشور مؤرخ الفكر الإسلامى :

فى وسعنا أن نقرر أن تاريخ الدراسات الإسلامية على اختلافها لم ينل بعد حظه ، ولم يكتب كتابة دقيقة مستوعبة ، فلم يكشف عن أصولها ، ولم تتضح مراحل نموها وتطورها ولم تعرف آثارها فى الحركات الفكرية الأخرى ، ولم تبين أسباب جمودها وتخلفها ولا تزال فى ذلك كله عالة بوجه خاص على ابن خلدون فى « مقدمته » ، وقنعنا فى الغالب بالصورة الأخيرة التى وصلت إلينا . وقد أحس بهذا النقص فقيدنا ، كما أحس به معاصرون آخرون ، ومكنته ثقافته الواسعة من تدارك شئ منه . ومن أوضح ما حاوله فى هذا الباب مؤلفه الذى أشرنا إليه من قبل « فى التفسير ورجاله » والذى ظهر بعد موته بقليل ، ويقع فى نحو ١٨٠ صفحة من القطع الصغير .

ويعالج هذا المؤلف تاريخ علم التفسير منذ نشأته إلى اليوم ، من ابن عباس إلى محمد عبده و« تفسير المنار » ويوضح مناهج التفسير المختلفة من أخذ بالمأثور أو بالنظر والمعقول ، أو من جمع بينهما ، ويربط التفسير بموضوع إعجاز القرآن الذى كان له شأن فى نمو هذا العلم وتنوع أبحاثه وطرائقه ، وفسر هذا الإعجاز على صور شتى ، فقيل بالإعجاز الغيبى ، والإعجاز العلمى . والإعجاز البلاغى ، ويعرف المؤلف بكبار المفسرين وأهم كتبهم فى المراحل المتلاحقة ويقف طويلا عند بعض الأعلام ؛ كالطبرى والزمخشرى والرازى والبيضاوى بين القدامى ، وكالألوسى ومحمد عبده بين المحدثين . وله فى كل هذا ملاحظات دقيقة ومقارنات شائقة .

ويمكن أن يضاف إلى هذا بحثان آخران لا يخلوان — على قصرهما — من جدة وطرافة ، وهما : أولا : « الاجتهاد ، ماضيه وحاضره » وقد ألقى فى المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية ، ويستعرض فيه باختصار الأدوار التى مر بها الاجتهاد والتشريع الإسلامى منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا . فيشير إلى كبار المجتهدين من الصحابة والتابعين ، وإلى نشأة المذاهب الفقهية الكبرى ويعرض لاختلاف المجتهدين ، باختلاف طباعهم وميولهم ، ومدى تفهمهم للنصوص من كتاب أو سنة ، وتباين العادات والتقاليد من بلد

إلى آخر وقد عرف من قديم تسامح ابن عباس وتشدد عبد الله بن عمر ، واختلاف تشريع المدينة عن تشريع العراق والشام ومصر . ويلاحظ فقيدنا بحق أن المشرعين من الصحابة والتابعين ورجال القرنين الثانى والثالث للهجرة كانوا أكثر منا طلاقة وحرية فى قياس الأشباه والنظائر واستنباط الأحكام الشرعية ويوم أن استكملت المدارس الفقهية بحوثها ، واستقرت أصولها وفروعها ، قنع أتباع كل مدرسة بالأخذ عنها ، وضاق منذ القرن الرابع مجال الاجتهاد والاستنباط فى التشريع ، وذهب إمام الحرمين فى القرن الخامس إلى أن ليس ثمة موضوع لم يعرض له الفقهاء السابقون . وتنوسى الاجتهاد أو كاد ينسى واستمسك العامة والخاصة بالتقليد ــ الأمر الذى لم يرق ابن تيمية ولا تلميذه ابن قيم الجوزية فى القرن الثامن ، ورفضا معا تقليد المذاهب الأربعة ، ودعوا إلى الرجوع إلى ما كان عليه السلف . وظهرت فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر بوادر دعوة إلى شئ من التحرر على أيدى الدهلوى فى الهند والشوكانى فى اليمن ، وعززها الأستاذ الإمام فى القرن الرابع عشر ، وترتبت عليها اتجاهات عملية تختار من المذاهب السابقة أنسبها للظروف الحاضرة . ولا شك فى أن العالم الإسلامى كان عرضة منذ القرن الماضى لاعتبارات وأوضاع جديدة لم يعرفها السلف ، ولابد من مواجهتها بتشريع واجتهاد طليق على نحو ما صنع الأوائل ولم يكن الاجتهاد فى التشريع منذ بدأ من عمل العامة والدهماء ، وإنما اضطلع به الخاصة ، بل خاصة الخاصة ، وحبذا لو تكون ــ كما يرى الأستاذ الكبير الطاهر ابن عاشور والد الفقيد ــ مجلس إسلامى يضم كبار فقهاء المسلمين فى العالم أجمع لمواجهة التطورات الحديثة ، وما أشبه هذا المجلس بمجمع البحوث الإسلامية فى مصر .

وأما البحث الثانى فيدور حول « السند التونسى فى متن اللغة » ــ وقد نشر فى الجزء التاسع عشر من مجلة المجمع ــ وفيه عرض شامل للدراسات اللغوية وشيوخها فى الأندلس وشمال إفريقية من القرن الرابع إلى آخر القرن الثامن الهجرى ، ثم انتقل السند إلى مصر ، وتلقاه ابن حجر والسيوطى والمرتضى الزبيدى . ويشهد هذا البحث مرة أخرى على مدى تمكن الفقيد من تاريخ

أخذ بما ارتآه الأستاذ الإمام من أن النهوض الحق هو ما قام على دعائم ثقافية سليمة ، فعدل مناهج الدراسة بكلية الشريعة وأصول الدين وما أن تولى رياسة الجمعية الخلدونية عام ١٩٤٥ ، حتى أنشأ بها معهد البحوث الإسلامية ونظم مؤتمر الثقافة الإسلامية عام ١٩٤٩ ، وكان مضرب المثل فى درسه وبحثه ، فى حديثه وكتاباته ، لا تكاد تعرض مشكلة من مشاكل الحضارة إلا واجهها مواجهة تامة ، وقدم لها الحلول السليمة ، وجهد ما وسعه فى أن يوفق بين تعاليم الدين ومقتضيات الفكر الحديث وكان يرى أن الثقافة الإسلامية إن فهمت على وجهها لم يبق محل للاختلاف عليها ، وهى خير وسيلة لجمع كلمة المسلمين وضم شملهم . وقد أنفق جهدا غير قليل فى الدعوة إلى الإخاء والوحدة . وحدة المغرب الكبير ، ووحدة العالم العربى ، بل وحدة المسلمين عامة .

* * *

سيداتى ، سادتى :

هذا هو الفاضل ابن عاشور الإنسان الذى أسر القلوب بإنسانيته ، والمسلم الصادق الذى وقف حياته على خدمة الدين ونصرته ، والفقيه الضليع فى فقهه واللغوى الحجة فى لغته ، فقدناه ، ففقدنا مرشدا حكيما ، عرف كيف يحبب الناس فى دعوته . فقدناه ، ففقدنا طرازا من دعاة النهوض والتجديد الذين ليس من اليسير أن نجد من يخلفهم أو يحل محلهم . بكته تونس ، وبكته معها مصر أحر البكاء ، وبكاه كل من عرفه من أبناء العروبة والإسلام . تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته ، وألهمنا وآله الصبر والسلوان .

ولم يكن علمه بالإنجليزية أقل من علمه بالعربية ، درسها منذ الصبا ، وعاش معها طويلا فى قراءاته وخلواته . أحاط بنثرها وشعرها ، وألم بدقائقها ومزاياها ، وعرف منها مواطن الضعف والقوة . ولم يغب عنه جانب من جوانبها فى نحوها وصرفها ، فى إملائها ورسم حروفها ، فى بلاغتها ونظم أساليبها . ترجم عنها ، وعرف ببعض كتابها وأدبائها . وعقد بينها وبين العربية مقارنات دقيقة وممتعة أفاد منها القراء ، وحظى بها المجمعيون بوجه خاص .

ولم يتيسر لكثير ما تيسر له من اطلاع وقراءة فى الأدب والاجتماع ، والعلم والفلسفة . قرأ فى العربية كما قرأ فى الإنجليزية ، ولا يكاد يظهر مؤلف ، إلا ويسارع إلى اقتنائه والوقوف على ما فيه . وبذا أضحى موسوعياً فى عصر تقسيم العمل وتحديد مجال النشاط ، وأبى إلا أن يكون – إلى جانب الأدب – فيلسوفاً يعارض الفلاسفة ، وعالماً يجادل العلماء فى الكيمياء والطبيعة ، والجيولوجيا وعلوم الأحياء . وكأنه لم يكن يقنع فى عالم الثقافة بالقيود والحدود ، ولا يسلم بالتخصص الضيق ، ويكاد يرجع كثير من جدله واختلاف الرأى معه إلى هذه الناحية . ولا شك فى أن القراءة المستنيرة تفتح آفاقاً جديدة ، وتهدى إلى أمور كثيرة .

* * *

بهذا الزاد الوفير من لغة وأدب وعلم وفلسفة ، أدى العقاد رسالته فى مجمع اللغة العربية فأحسن أداءها . اشترك فى كثير من لجانه ، وكان مناراً يهتدى به فى مجلسه ومؤتمره . اتصل بلجنة الأدب منذ البداية ، وصاحبها حتى النهاية . وقضى فى جوائز الشعر باطراد ، وقدم من أجيزوا غير مرة فى حفلات المجمع السنوية لتوزيع الجوائز ، وكم أتاحت له هذه الفرصة أن يعرض آراءه فى فنون الشعر المختلفة .

ويمكن أن ترد دراساته وبحوثه المجمعية إلى أبواب أربعة : لهجات وفقه لغة ، خط ورسم كتابة ، أدب ونقد ، تأريخ وترجمة .

وقد عنى بدراسة اللهجات ، وله فيها آراء وملاحظات ، وبخاصة ما اتصل بلهجات أعالى الصعيد وأسوان التى احتفظت بأصول عربية لم تنفذ إليها فى يسر

مظاهر الحضارة الحديثة . ففى اللهجات العامية تستعمل الأضداد بقدر لا يقل عن استعمالها فى الفصحى : يقال طرب بمعنى فرح ، وطرب بمعنى حزن ، ويقال للإناء الفارغ أنه « مليان » ، كما يقال فى الفصحى المفازة للبيداء . وفى العامية إبدال يجرى مجرى ذلك الإبدال الذى قال به النحاة الأقدمون ، فيقال فى بعض لهجات الصعيد : زعق زعيقاً ودبح دبيحاً ، وكسر كسيراً ، وهو فى أوزان الفصحى التزعيق والتذبيح والتكسير ، وفى العامية أخيراً أوزان ملتزمة للأفعال والمصادر ، ففى إقليم أسوان يأتون بالمصدر من فاعل على فاعال ، مثل حارب حارابا .

وكم كان العقاد يدعو إلى دراسة اللهجات قديمها وحديثها ، لأنها تعين على فهم التطور التاريخى للغة ، وتربطها بالأحداث السياسية والاجتماعية . وكان من أول المصريين الذين انضموا إلى لجنة اللهجات فى المجمع ، واستمر فيها حتى النهاية ، وطلب إليه أن يدرس لهجة أسوان وهو بها جد خبير .

وفى دراسة العامية ما يساعد على تقريبها من الفصحى ، ولا شك فى أن مسافة الخلف بينهما تضيق باطراد ، ويعين على ذلك اليوم شيوع الصحافة والإذاعة والمسرح والسينما . وفى هذا التقريب ما ييسر فهم الفصحى لغير المتعلمين ، وما يسمح بأن تدخل فى صميمها مفردات نافعة من ألفاظ الحضارة ، ويمكن إجراؤها مجرى المفردات الفصيحة بدون تعديل أو ببعض التعديل .

وفيه بوجه خاص ما يقضى على تلك الدعوى التى تردد من حين لآخر ، والتى ترمى إلى تغليب العامية على الفصحى ، أو الاكتفاء بها فى الكلام والكتابة وما أشبهها بالفتنة تنام حيناً ويوقظها من يوقظها . ومن الغريب أن أنصار هذه الدعوى يستشهدون عادة باللاتينية واللغات المتفرعة عنها ، وهو استشهاد يؤدى إلى عكس ما يراد منه . ذلك لأن هذه اللغات فى نشأتها ليست مجرد عامية اللاتينية ، بل هى لغات مستقلة نشأت كل واحدة منها نشأة خاصة بها ، وأصبحت فى حكم اللغات المتفرعة على الآرية الجرمانية ، أو على السامية فى عهودها الأولى .

وحقيقة الأمر أن ليس ثمة فصحى بدون عاميتها ، أو إن شئت هناك لغة ثقافة وكتابة ، وأخرى لغة تخاطب وحياة شعبية ، وكلما ارتفع مستوى الثقافة

العامة ضاقت المسافة بينهما . وثقافة العلوم والآداب لا تستغنى عن لغة خاصة ، لا يحدها زمان ولا مكان ، بل تبقى على الدهر ولا تقف عند بيئة معينة . واللهجة الشعبية بطبيعتها موقوتة ، تتحول من جيل إلى جيل ، ومن بلد إلى بلد ، بل قد تتعدد فى البلد الواحد . ولا حرج من أن تستخدم فى بعض الفنون المحلية ، والموقوتة فى المسرح والسينما ، لموضوعات لا تبقى مع الزمن ولا تعم سائر الأقطار أما الفصحى فهى لغة الثقافة الدائمة ، وسبيل الاتصال بين الشعوب العربية جميعها من الخليج إلى المحيط .

ومن هذه الدراسة اللغوية ، نود أن نشير أيضاً إلى موضوعين فيهما جدة وطرافة وأولهما موضوع « السيمية » ، وهو من الدراسات الحديثة فى المنطق واللغة . ويقوم على تلمس علاقة بين حروف الكلمة ومدلولها ، بين اللفظ ومعناه . ولا شك فى أن هناك كلمات فى شتى اللغات نشأت عن الحكاية الصوتية ، وتدل لذلك بلفظها على شىء من معناها فالسيف سمى سيفاً لأنه يشق ، والقلم قلماً لأنه يعلم ، ويسمى الريشة فى الاصطلاح الحديث لأن أداة الكتابة عند الإفرنج كانت تتخذ من الريش . وعندما تكلم الإنسان الأول كانت اللغة مزيجاً من الأصوات الطبيعية كالتأوه والصياح والضحك ، ومن أصوات الحكاية فى مقطع أو فى عدة مقاطع ، ومن ملامح الوجه وإشارات الرأس واليدين ، ومن طبقات الصوت ومبلغ ما فيه من الخفوت والإشباع . ثم انتقل الإنسان من تجسيم الكلمة على هذا النحو إلى تجريد المعنى ، وفى مرحلة التجريد هذه يتعذر أن تعقد صلة بين الصوت والمعنى : وإذا كانت هناك كلمات تدل على شىء من معناها فإن هناك أخرى لا تلحظ فيها هذه الصلة وليس بين حروفها ومدلولها أية علاقة ، ونخطئ إن حاولنا أن نطبق السيمية على مفردات اللغة جميعها . والمرء يتكلم ويفكر ، ولتفكيره شأن فى لغته كما أن لكلامه شأناً فى تفكيره ، والألفاظ التى توحى بها أفكار معينة لا يلحظ فيها النطق ولا الصوت مطلقاً .

والواقع أن الدراسات السيمية لا تزال بادئة ، ولم تصل بعد إلى المذهب المفصل والنظرية المقررة ، وإن فتحت باباً مفيداً من أبواب الدرس والبحث ، ووجهت النظر إلى ضرورة مراجعة وسائل التعبير وتنبيه الذهن إلى أخطائها . ويرجى أن يصقلها الزمن كما صقل غيرها من دراسات أخرى .

بل وبالبلاد العربية فى الحاضر ، وهى صلة وثيقة وعزيزة ، تقوم على وشائج شتى وتراث خالد .

وإذا كان فى الحروف اللاتينية ما ييسر القراءة ، فإنها لاتعين فى شىء على تيسير الكتابة ، وهى الهدف الأصلى . ذلك لأنها لا تستطيع أن تؤدى الأصوات العربية كلها ، ولابد أن تضاف إليها حروف أخرى تزيد الأمر تعقيداً ، وتشغل حيزاً أكبر فى المطبوع والمكتوب . حقاً إنها تعين على رسم الحركات من فتح وضم وكسر ، وفى الإمكان تحقيق ذلك بواسطة علامات الشكل العربية المألوفة والمهم هو ضبط الكلمات قبل كتابتها ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بفهم اللغة نفسها ومعرفة قواعد نحوها وصرفها .

والواقع أن مافى الكتابة العربية من صعاب لا يرجع لا إلى الحروف ولا إلى الحركات ، وإنما مرده إلى طبيعة اللغة نفسها ، لأنها لغة إعراب واشتقاق ، تختلف فيها الكلمة من الماضى إلى المضارع ، ومن الفاعل إلى المفعول . وأولى بنا أن تختصر قواعد النحو والصرف ، لكى يحيط بها أوساط الناس ، ويقاربوا الصواب جهد المستطاع . وتكفينا مقاربة الصواب لأن العصمة من الخطأ لن تتيسر فى لغة ما ، ولن تتيسر أبداً فى عمل يتناوله جميع الناس من خاصة وعامة .

وللعقاد دراسات فى الأدب نعم بها المجمعيون ، واستمعوا إليها فى شوق ورغبة ، ونكتفى بأن نذكر اثنتين منها ، فعرض « لموقف الأدب العربى من الآداب الأجنبية فى القديم والحديث » . وعنده أنه « يمكن أن يقال على وجه الإجمال إن تأثره بها فى الزمن القديم كان على أكثر من ناحية الحضارة ، وإن تأثره بها حديثاً كان على أكثره من ناحية الثقافة » .

ويراد بناحية الحضارة كل تأثر يأتى من ملابسة الأمم فى أصول المعيشة وعادات المجتمع ، ولا يستلزم الأطلاع على آداب لغاتها . وقد اعتز العرب بلغتهم كل الاعتزاز فى الجاهلية ، ولم يتجهوا نحو تعلم لغة أخرى . ثم جاء الإسلام ، ونزل القرآن بلغتهم ، فأضاف الاعتزار بالعقيدة إلى الاعتزاز باللسان ولكن العرب خالطوا حضارات مختلفة ، وإن لم يتكلموا بألسنتها ، وأخذوا

عنها ما أخذوا . وكان لهذه المخالطة أثر فى الأدب ، وأغلب الظن أن أوزان القصيد ومعانيه قد أفادت قديماً من حضارة الفرس والروم . ولأمر ما شاع بحر الرمل والبحر الخفيف والبحر المتقارب لأول مرة فى الحيرة ، حيث امتدت آثار الحضارة الفارسية ، وهى أبحر تستخدم فى الرقص والإيقاع . ولا شك فى أن أثر الحضارات الأجنبية بعد الإسلام كان أشد وأعمق ، لتشابك العلاقات واتساع الرقعة وتنوع المراسم والعادات . فدخل فى أغراض الشعر كثير من مظاهر الحضارات التى تجمعت فى بلاد الدولة الإسلامية ، ومنها وصف المهرجانات والمواسم ورحلات الصيد .

ويراد بناحية الثقافة كل تأثر يأتى من الاطلاع على آداب الأمم فى لغاتها والتوفر على دراستها ، وأوضح ما يكون ذلك فى عهد النهضة العلمية والبحث والتمحيص . وقد نشط البحث العلمى فى صدر الدولة العباسية ، ولكن الاتصال الثقافى بين الأدب العربى والآداب الأجنبية فى العصر الحديث أقوى وأوضح وكانت اللغتان الفرنسية والإنجليزية أقرب مسالك الثقافة الأوربية إلى البلاد العربية فقرأ أدباء العرب كتب القوم ، وهى تضيف مزايا التعبير العلمى إلى التعبير الأدبى . وكان من أثر ذلك دقة فى الأداء ، وتخصيص للفظ بمعناه واتساع أفق الشعر والنثر .

وكيفما كانت أسباب هذا الاتصال ، فإن العربية بقيت لغة حية قوية ، لها قوام ثابت وغذاء متجدد ، تأخذ عن غيرها دون أن تفنى فيه .

واستوقفت العقاد أزمة الشعر التى لفتت أنظار نقاد الأدب الغربى ، ورأوا أنها تصعد إلى « الثمانينات» من القرن الماضى ، وحاولوا ردها إلى أسباب مختلفة فذهب بعضهم إلى أنها وليدة تدهور حضارى ، وانحطاط اجتماعى ، وبلبلة فى الأفكار ، واضطراب فى المثل والمبادئ. وردها بعض آخر إلى قيام المجتمع الصناعى الذى يتوارى فيه الذوق المطبوع والشعور المستقل والخيال الطموح.

ويلاحظ العقاد بحق أن أزمات الشعر كثيرة فى جميع الأمم ، إلا أنها ليست كأزمات العلم فى دلالتها الاجتماعية . فقد يبلغ شاعر القمة فى عصر ما ولا يستلزم ذلك أن يظهر بعده فى العصر التالى شاعر أعظم منه ، وليس فى عدم ظهوره ما يدل على أزمة أو على نكسة عامة . ولعل الأمر يرتبط هنا بالأفراد

أكثر مما يرتبط بالهيئات والجماعات وما الشعر إلا باب من أبواب الفن يتطلب عبقريات واستعداداً خاصا .

وهو أيضا تعبير عن العواطف الإنسانية ، وتلطيف للواقع بالأخيلة الصادقة والأحلام الرفيعة ، وقد شاركه اليوم فى ذلك أمور شتى ، ووجد الناس منفذا لعواطفهم ومسرحا لأخيلتهم فى كثير مما يرون ويسمعون من مخترعات العصر الحديث ، فى المسرح والسينما والمذياع والتلفزيون ، والصحف المملوءة بالأخبار الطريفة والحوادث المثيرة والمغامرات المشوقة . وفى كل هذا ما يصرف عن الشعر ، أو يغنى عنه .

* * *

أما التاريخ والترجمة فقد ساهم فيهما العقاد بنصيب وافر ، وكم استقبل فى مجمع الخالدين من وملاء ، وكم ودع آخرين ! ! وكانت أحاديثه فى الاستقبال والتأبين دراسات ممتعة وتاريخاً جامعا .

وشاء به القدر أن يستقبل إبراهيم المازنى ، أخا الصبا وزميل الشباب والكهولة ، وأن يودعه ولم يمض على استقباله عام أو بعض عام . وفى استقباله يقول : « ليس من حقى أن أسميها كلمة تقديم ، فإن المازنى مقدم ومتقدم ، له من بحوثه وقصائده ومقالاته وقصصه رسل شتى تتقدم به إلى كل مكان تصل إليه لغة الضاد ، وليس من حقى أن أسميها كلمة تعريف ، فإنى لو ذهبت أعرف الناس بالمازنى ، لم آمن أن أسمع من العالم العربى كله ، كلمة يستعيرها من الفرزدق ، ليقول لى : العرب تعرف من عرفت . . . لكنى أستطيع أن أقول عن المازنى شيئا جديداً فيما يتصل بى ، وشيئا طريفا فيما يتصل بالمجمع » . وقد قال عنه فعلا ، وأفاض فى القول .

ويوم أن أبنه تفتحت أمامه أبواب الكلام مرة أخرى ، وبدأ يقول : « رحم الله أخانا المازنى ، وعوض الله الأدب والبلاغة خيراً فيه . لقد كان منذوراً للأدب بكل ما نفهمه اليوم من معنى هذه الكلمة ، وقد كان الأقدمون إذا قيل لهم عن أحد من الناس إنه منذور لهذا المعبد أو هذا الحرم ، فهموا من ذلك أنه قائم فى خدمة معبده طول حياته ، وأنه لا يملك أن ينحرف عن خدمته باختياره ، لأن أرواح المعبد وجنوده ترده إليه إذا انصرفت وجهته عنه ،

والفلسفة المادية مهما تنكرت للأديان وأنكرتها ، تنتهى إلى آراء تريد بها أن تكون دينا وعقيدة . ولكنها فى الواقع عقيدة واهية لا تقوى على الزمن ، ولاتصمد لأحداث الدهر . وما إن تحل بالمادى محنة أو تنزل به كارثة حتى يفيق من غفلته ، ويخرج من ماديته ليلوذ بعالم الروح ، عالم الأمل والطمأنينة عالم النور والهداية . ومن نعم الله على خلقه أن يجدوه فى ساعات الشدة . وأن يلجأوا إليه فى الضراء .

والعقيدة الإسلامية ملاذ المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها ، تمنحهم ماتمنحهم من أمل ورجاء وثقة وطمأنينة ، وتربطهم برباط أخوة الإسلام الوثيق . هى عقيدة العدل والمساواة ، عقيدة الأخوة والمحبة ، عقيدة التعاون والتعاضد ، عقيدة القلب والعقل ، عقيدة الدين والدنيا . تفتح للمسلمين أبواب المعرفة ، و تحث على البحث والنظر . تسمح لهم بقبول ما يستحدثه العلم والفن على مر الزمن ، ولاتحرمهم شيئا من خير العلم والحضارة .

وكم عرض العقاد للدين والعقيدة فى كتبه ومؤلفاته ، فى أحاديثه وإذاعاته فى مقالاته ومساجلاته ، فى عبقرياته وفلسفاته . ونكتفى بأن نشير منها إلى كتابين اثنين ، هما : « الله » ، و « الفلسفة القرآنية » .

ففى الأول أثبت بوضوح أن التوحيد أشرف العقائد الإلهية ، واجدرها بالفكر الإنسانى فى أسمى مراتبه ، وأن الإله الواحد ذات تخالف جميع الذوات . هو خير مطلق وكمال مطلق ، وليس لعقولنا المحدودة أن تحيط بهذا الكمال . ولايتنافى كماله مع وجود الشر فى العالم ، لأن فى وجوده حكمة بل ومصلحة . ففى الآفات عظة وعبرة ، وهى بلا نزاع سبيل من سبل الارتقاء وتنازع الأحياء . وللآلام غاية ، ولا شك فى أنها وسيلة من وسائل التهذيب والتطهير .

وفى « الفلسفة القرآنية » ، يشرح العقاد مبادىء الإسلام السامية ، ويبين أن دعوته قامت على الحق والحرية والعدل والمساواة ، وحددت علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، ورسمت للحكم نظماهي خير ما تساس به الجماعات .

# طه حسين مكافحاً

سيداتي وسادتي :

كان صديقنا السيد الدكتور الزيات ، مستشار السيد رئيس الجمهورية ، حريصاً على أن يشترك معنا في هذا التأبين ، وكانت له كلمة ، ولكن مهمة مفاجئة اضطرته للسفر إلى الخارج . وهو يبعث بصادق أسفه لحرمانه من الاشتراك معنا ، وينقل إلينا تحية زوجة الفقيد وابنته وولده وشكرهم الخالص ودعواتهم للمجمع والمجمعيين بالتوفيق والسداد في كل ما اضطلع الفقيد الكريم به من حرص على اللغة وتعهد لها .

* * *

هناك أناس خلقوا للكفاح ، يستعذبونه ويستطيبون كل شيء في سبيله . يرون فيه أداء للواجب وإرضاء للضمير ، وسبيلا ناجعا للنهوض والإصلاح ، ويضربون فيه مثلا للجرأة والشجاعة . « وطه حسين ؛ مكافح مناضل » ، تلك ظاهرة ملحوظة في حياته كلها ، كافح في صباه وشبابه ، كما كافح في كهولته وشيخوخته وبرغم مرضه في سنيه الأخيرة بقي قوله وفكره يحملان شارة الكفاح والنضال كافح وناضل في ميدان العلم والتعليم ، في ميدان الأدب واللغة ، في ميدان الوطنية والسياسة . وكلفه كفاحه ما كلفه من عنت ومشقة ، وجلب عليه ما جلب من خصومة وعداء ولا يخلو الكفاح أحيانا من غلو وشطط . وكان يرى أن الرجل ليس رجلا إذا استقامت له الحياة كلها ، فلم يكن له فيها خصم ، إنما الرجل كل الرجل هو الذي تستقيم له حياته كما يريد هو أن تكون وكما يريد ضميره القوى النقي أن تكون ، وكما يريد عقله الذكي أن تكون .

---

( * ) ألقيت في حفل التأبين الذي أقامه المجمع للمغفور له الدكتور طه حسين – رئيس المجمع ، في مساء يوم الأربعاء ٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٧٣ بدار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والتشريع – بالقاهرة .

ويطول بنا الحديث إن وقفنا عند جوانب كفاحه المختلفة . ويكفى أن نعرض نماذج منها . كافح فى صباه بعد أن فقد بصره ، وكأنما شاء أن يعوض ما حرمته الطبيعة منه ، فحفظ القرآن كله ولما يبلغ العاشرة . واستمر يكافح ليتزود علميا وثقافيا بأكمل زاد ، ويتسلح بأجود الأسلحة ، فالتحق بالأزهر وهو فى حدود الثالثة عشرة من عمره وتتلمذ على كبار الشيوخ حين ذلك ، أمثال الشيخ بخيت ، ومحمد العدوى ، ومصطفى المراغى ، وسيد المرصفى ولم يفته أن يستمع إلى آخر درسين ألقاهما الأستاذ الإمام فى الرواق العباسى . وكان يتابع دروسه صباحا ومساء ، لا يكل عملا ولا يدخر وسعا ، وقد عرف بين شيوخه بالجد والتحصيل ، وقوة الحجة والحذق فى الحوار والجدل ، وانتهى به جدله أن طرده شيخ الأزهر مع زميلين له ، ولم يعد إلى درسه إلا بعد أن شفع له لطفى السيد الذى رحب به فى « الجريدة » وشجعه ، وأخذ على عاتقه رعايته وتوجيهه . .

وما أن فتحت الجامعة المصرية القديمة حتى طرق بابها ، وتابع دروس كبار أساتذتها ، فاستمع لأحمد زكى ( باشا ) ، وأحمد كمال ( باشا )، وإسماعيل رأفت ( بك ) ، ومحمد الخضرى ، ومحمد المهدى من المصريين ، والحويدى وليتمان ، وسانتلانا من الأوربيين . ولم ينقطع مع هذا عن الدروس الأزهرية وكان يصطحب أحيانا أستاذه وصديقه « سانتلانا » إلى درس الشيخ سليم البشرى فى التفسير ، ودفعه ولوعه بالجدل إلى أن يناقش بحضور الضيف الأجنبى الشيخ البشرى فى مشكلة الجبر والاختيار ، وكان له أيضا حوار وجدل مع بعض أساتذته فى الجامعة ، وأثار غضب الشيخ محمد المهدى الذى رفع أمره إلى مجلس الجامعة ، وطالب بفصله . ودفعته دراسته الجامعية إلى تعلم اللغة الفرنسية ، ولقى فيها عنتا كبيرا ، ولكنه لم يجودها إلا أثناء مقامه فى فرنسا ، وختم مطافه فى هذه الجامعة بتقديم رسالة « فى تجديد ذكرى أبى العلاء » للحصول على الدكتوراه ، ونالها بتقدير « جيد جدا » ، وكان يمكن أن يحصل على تقدير « فائق » لولا حفيظة الشيخ المهدى الذى لم ينس حملات تلميذه السابقة . وما إن نشرت هذه الرسالة حتى أثارت ضجة ، واتهم صاحبها بالإلحاد ، والزندقة ، ووجه سؤال إلى الجمعية التشريعية يطالب بحرمانه من حقوقه

الطهطاوى » و « محمد عبده » من التخلص من السجع والجناس والمحسنات اللفظية ، وتخرج فيها طه ، وهيكل ، وعزمى ، ومنصور فهمى ، والزيات الذين كانوا قدوة فى الأداء الفنى السائغ السهل ، وقد أخذ على طه حسين شىء من التكرار وبالغ فى ذلك خصومه ومنافسوه ، ولو كان فى وسعه أن يكتب لتفادى منه الكثير ، على أن هذه هنة هينة إلى جانب سلاسة أسلوبه وعذوبته ، ولعله تأثر فى هذه السلاسة بشىء من الأدب الفرنسى ، ولكن أسلوبه من أصفى الأساليب العربية المعاصرة ، ولا يحمل أى طابع أجنبى ، وهو أقرب ما يكون إلى أسلوب كبار كتاب الصدر الأول ، أمثال « عبد الحميد » ، و« ابن المقفع » ، و « الجاحظ » .

وبعد أن رجع فقيدنا من أوربا إلى شرقه القديم ، واتصل بصحيفة «السياسة» وهى إلى حد ما امتداد « للجريدة » وأسرتهما واحدة تقريبا ، وفيها التقى « طه » بزميله القديم « هيكل »، واشترك معه فى إدارة الصحيفة ، وناب عنه أحيانا فى رياسة تحريرها . وكان له فى « السياسة الأسبوعية » مجال فسيح وكم كان قراوءه ينتظرون فى شغف « حديث الأربعاء » الذى فتح أبوابا ثقافية متعددة ،وقاد حركة نقد حية نشيطة ، كم نود أن نحييها . وإذا كان طه حسين قد كتب فى « الجريدة » و« السياسة » هاويا ، فإنه بعد إحالته على المعاش أصبح محترفا ، وطلب إليه الوفد عام ١٩٣٣ أن يرأس تحرير صحيفة « كوكب الشرق » ، وأصبح يؤيد حزبا سياسيا طالما حاربه فى عنف . غير أن تعاونه مع « حافظ عوض »؛ صاحب امتياز هذه الصحيفة لم يدم طويلا واضطر أن ينفصل عنه ، وأن يشترى « صحيفة الوادى » وأن يديرها لحسابه الخاص نحو عام ، وكبدته خسائر فادحة . ثم قنع بعد هذا بمواصلة الكتابة للصحف هاويا مرة أخرى فى بحوث ودراسات أدبية ، وربما كانت له علاقات منتظمة ببعضها « كالجمهورية » و« الأهرام » فى العشرينات الأخيرة .

وكافح طه حسين أخيرا فى ميدان السياسة ، وما أقساه من ميدان ؛ ورحم الله الأستاذ الإمام الذى قال فيه قولته المشهورة ولا أظن أن فقيدنا كان مذهبيا متحزبا تحزب التبعية والانقياد فيما أخذ به من اتجاهات سياسية ،

وإنما هى تيارات ، أو بعبارة أدق صداقات جاراها يمينا تارة ، ويسارا تارة أخرى ، وما كان أشد تأثره بهذه الصداقات ، وما كان أسرع استجابته لها . وقد نال من هذه التيارات ما نال من صعود وهبوط ، وتقدير واستنكار ، وحظى بالغضب والرضا السامى فى لحظات متباعدة أو متلاحقة . وكان شأنه فى البداية شأن كل مواطن مستنير عاش فى جو الثورة العرابية ، وأدرك حركة « مصطفى كامل » ، فهو ينكر الاحتلال البريطانى ، ويطالب بالاستقلال .

وفى اتصال فقيدنا « بعبد العزيز جاويش » و« لطفى السيد » ما اجتذبه نحو السياسة ، كما اجتذبه نحو الصحافة ، على أنا لا نلحظ له فى الحقيقة نشاطا سياسيا واضحا طوال مرحلة الدراسة والطلب ، لا فى مصر ولا فى فرنسا . ولم يبد هذا النشاط إلا يوم أن انضم إلى صحيفة « السياسة » . واندمج مع أصدقائه الأحرار الدستوريين ، وحسب معهم . وانتهى به عمله الصحفى إلى الدخول فى مهاترات حزبية ما كان أغناه عنها ، وأثارها شعواء ضد الوفد والوفديين ، ولم يعف سعد زغلول من حملته برغم ما كان له من أياد عليه . ونتساءل هل اشترك فعلا فى التنظيم الداخلى لحزب الأحرار ؟ وهل عد من أعضائه ؟ أغلب الظن أنه كان مجرد صديق ومناضل خطير ناصر الحزب مناصرة كبيرة . ولم يختلف عن ذلك كثيرا يوم أن انضم إلى صفوف الوفديين . وحمل رايتهم ، ودافع عن مواقفهم ، وأصبح أحد وزرائهم . وود كثير من أصدقائه أن لو عاش للأدب والثقافة وحدهما . وقد وصل فيها إلى القمة ، وأحرز مجدا يزيد على مجد كثير من السياسيين . وودوا بخاصة أن لو لم يغل فى المضمار السياسى ذلك الغلو الذى أساء أحيانا إلى مقامه فى الأدب وبين الأدباء .

وفى عام ١٩٤٠ دخل طه حسين مجمع اللغة العربية فى زمرة كريمة من قادة الفكر والرأى ، نذكر من بينهم « لطفى السيد » و « عبد العزيز فهمى » « والشيخ المراغى » ، « وهيكل » ، « ومصطفى عبد الرازق » . دخله وقد جاوز الخمسين ، وحق له أن يركن إلى شىء من الهدوء والراحة . ولكن أنى له وسجيته الكفاح والنضال . وهكذا نراه يعنى بالتنسيق والتنظيم ، ويسهم فى

كثير من اللجان . ويحاول جهده أن ينهض بالعربية لتلائم حاجات العلم ومتطلبات الحضارة ، ويدخل مع زملائه فى جدل محكم وحوار ممتع . اشترك على أثر دخوله فى مكتب المجمع الذى عهد إليه بتعديل اللائحة الداخلية وكان همه أن يبرز فيها شخصية المجمع ، ويؤكد استقلاله ، ويوفر له وسائل العمل والإنتاج .

وكم طالب بأن تكون له مطبعة خاصة . واقترح أن تضم إليه مطبعة دار الكتب بقسمها الأدبى ولا يزال المجمع يعانى من شئون الطبع ما يعانى إلى اليوم . وأراد « لمعجم ألفاظ القرآن » أن يقوم على أساس من المنهج التاريخى ، وأن يسلك به ما سلك فى كتب العهد القديم ، وكان له فى ذلك حوار متصل مع الشيخ المراغى ولانزال نذكر ما كان بينه وبين زميله « عباس العقاد » من محاورات كانت تبعث فى جلساتنا نشاطا وحيوية . وإذا حمى وطيسها تدخل فيها « لطفى السيد » فهدأت وسكنت .

وتحمس طه حسين لتيسير النحو تحمسا شديدا . ورحب بالمشروع الذى بعثت به وزارة المعارف إلى المجمع ، ورغب فى أن يوضع له كتاب يوضحه ويطبقه ، وأعلن أنه مستعد أن يتولى بنفسه وضعه . ويوم أن يئس المجمع من إخراج معجم « فيشر » التاريخى ، اتجه نحو فكرة وضع معجم كبير . وأبى طه المكافح إلا أن يضطلع بعبء التنفيذ ، وهذه مهمة عشت معه فيها . وزاملته فى تنفيذها . وأشهد أنه بدأ أولا فى رسم منهج هذا المعجم . وقضى عدة سنوات يتابع إعداد قدر من مواده . ويراجعها فى أناة وروية ، واستطاع أن يخرج منها نموذجا فى نحو ٥٠٠ صفحة ،وقد دفع به المجمع إلى الباحثين والمتخصصين راجيا أن يوافوه بما يعن لهم من ملاحظات وتعليقات وكان هذا النموذج أساسا سار عليه المجمع فى إخراج معجمه الكبير . تلك أمثلة من جهوده المتصلة فى مجمع الخالدين ، وقد كنا نحس جميعا أنه بماضيه الحافل ركن ركين من أركان المجمع ، وأن رسالته وثيقة الصلة برسالته ولقد كانت رحلته فيه خصبة طويلة ، بلغت ٣٣ عاما ، وهى أطول رحلة لمصرى من الخالدين .

فلم يكن لطه حسين بد من أن يلجأ إلى رائده الثانى ، وهو لطفى السيد الذى كان معجباً بقوة حجته ووضوح جدله ، وسبق أن شفع له عند شيخ الأزهر الذى كان يريد أن يحرمه من متابعة دراسته . وفى مدرسة « الجريدة » استكمل طه حسين إعداده الصحفى ، وعمل فيها مع زملاء آخرين كانوا من كبار الصحفيين المعاصرين ، أمثال : محمد حسين هيكل ، ومحمود عزمى ، وأحمد حسن الزيات ولهذه المدرسة شأن ملحوظ فى تطوير الأداء الصحفى ، فاستكملت ما بدأ به رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده من محاربة المحسنات اللفظية من سجع ، ومحاولة التخلص من البيان والبديع . وآثرت الأسلوب السهل السائغ الذى يتابعه القارئ فى يسر ودون توقف . ولطه حسين فى هذا قدم صدق ومنزلة رفيعة ، فقد استولى على قرائه ومستمعيه بأسلوبه السهل وعباراته العذبة ، وما كان أشبهه بعبد الحميد الكاتب ، أو ابن المقفع ، أو الجاحظ من كتاب الصدر الأول .

بيد أن ريادة طه حسين الصحفية الحقة إنما بدأت بعد عودته من بعثته ، فأسهم فى ميدان الصحافة إسهاماً ملحوظاً فى عقود ثلاثة متلاحقة من هذا القرن من العقد الثالث إلى العقد الخامس ، ولم يغفلها فى العقدين التاليين ، وقد ملأ الأعين والآذان بمقالاته ومحاضراته حين استوقفته قضية الشعر الجاهلى طوال عشر سنين أو يزيد . شارك زميله القديم هيكل فى إدارة شئون « جريدة السياسة » وناب عنه أحيانا فى رياسة تحريرها .

وسلك « بالسياسة الأسبوعية » مسلكاً ثقافياً فسيحاً ، فتح أبوابا شتى للبحث والدرس ، والحوار والمناقشة وكم كان قراؤه يرقبون فى شوق كل أسبوع « حديث الأربعاء » .

* * *

وطه حسين أديب رائد فى منهجه وبحثه ، فى درسه ومحاضراته ، فلم يقنع فى بحوثه الأدبية بما درج عليه أصحاب التراجم فى التعريف بالكتاب والشعراء من الوقوف عند حياتهم الشخصية وذكر بعض مؤلفاتهم وحرص الأستاذ الأديب الكبير على أن يربط هؤلاء الكتاب والشعراء ببيئتهم والظروف المحيطة بهم ، وهذا ربط طبيعى ومنطقى ، لأن الحياة الأدبية فى مجتمع ما وثيقة الصلة بالبيئة الطبيعية ، والحياة السياسية والفكرية فى هذا المجتمع بوجه عام . وقد

توسع فى هذا الربط والتحليل توسعاً كبيرا ولاحظ بحق أن بعض أصحاب التراجم قد لا يتحرون الدقة فيما ينقلون ، وكثيرا ما يأخذ لاحقهم عن سابقهم فى غير ما تحقيق ولا تدقيق وأخذ نفسه بمبدأ الشك الديكارتى الذى كان معجباً به ، وحاول ما وسعه أن يطبقه وكان يرى أن الآراء والأحكام قابلة للأخذ والرد ، والتحليل والمناقشةإلى أن يقوم الدليل على صحتها . وكم فتح شكه هذا أعينا كانت مغمضة ، وأذهانا كانت مغلقة .

ومن الكسل الذهنى والفكرى أن يقال : ما ترك الأول للآخر شيئا ، بل لقد ترك له الشئ الكثير ، وفى وسعنا أن نبحث كما بحث الأقدمون ، وأن نضيف مالم يضيفوه ، وهذا فتح جديد قال به طه حسين الرائد . وكان من آثاره قضية الشعر الجاهلى التى شغلت الأذهان عدة سنين ، وقيل فيها ما قيل وكتب ما كتب ولسنا بصدد هذه القضية اليوم ، وكل ما يعنينا أن ننوه بالمنهج العلمى الذى دعا إليه طه حسين وكان له أثره فى الدراسات الأدبية التالية ، بل فى البحث العلمى بوجه خاص .

وطه حسين رائد فى درسه ومحاضراته . فقد حرص على أن يسهم معه تلاميذه فى درسه وبحثه ، ووجههم نحو قضايا ومشاكل دعاهم إلى أن يعالجوها وحاسبهم على جهودهم فى حزم وجد . واتخذ من رسائل الماجستير والدكتوراه وسيلة لتطبيق المنهج العلمى الدقيق إن فى التعريف بالأشخاص والمدارس ، أوفى شرح الآراء والمذاهب ، أو فى تحقيق النصوص وكون بذلك جيلا من أساتذة المستقبل ، أكتفى بأن أشير إلى أربعة منهم وهم : الدكتورة سهير القلماوى ، والدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطئ » ، والدكتور شوقى ضيف ، والدكتور طه الحاجرى .

أما محاضراته ففيها هى الأخرى ريادة جديدة ، فلم يقف بها عند الحرم الجامعى ، بل خرج بها إلى قاعة المحاضرات العامة ، فى الجامعة الأمريكية ، أو فى الجمعية الجغرافية .

وأقبل عليها جمهور المثقفين من الجامعيين وغيرهم ، وفتح بابا فسيحاً للتعليق والملاحظة ، أو للنقد والمناقشة وأحدث نشاطا فكريا وثقافياً ما أحوجنا أن نستعيده .

* * *

وطه حسين أخيرا رائد جامعى ، فضرب مثلا فريدا لطالب أزهرى فاقد البصر لم يقنع بصحن الأزهر ، ولا بشيوخه وأعمدته ، بل جاوز هذا كله إلى أول نواة لحياة جامعية حديثة . فالتحق بالجامعة المصرية القديمة ، وأقبل على دروسها ومحاضراتها إقبالا شديدا ، وتتلمذ لأساتذة آخرين غير شيوخه الأزهريين نذكر من بينهم أحمد زكى ( باشا ) ، وأحمد كمال ( باشا ) ، وإسماعيل رأفت ( بك ) ومحمد الخضرى ، ومحمد المهدى من المصريين ، وجويدى ، وليتمان وسانتلانا من الأوربيين ، وكانت تربطه بالأخير خاصة علاقة وثيقة ، وكثيرا ما صحبه فى متابعة درس الشيخ البشرى فى التفسير وأقبل طه حسين على الدرس الجامعى إقبالا شديدا فى شوق ورغبة . وكان محل تقدير من أساتذته ، لتفتح ذهنه وقوة عارضته ، وإن ضاق بذلك أستاذه محمد المهدى . ودفعه البحث الجامعى إلى تعلم اللغة الفرنسية ، وإن لم يجودها إلا بعد سفره إلى أوربا . وانتهى به المطاف فى الجامعة المصرية القديمة إلى تقديم رسالة للدكتوراه حول « أبى العلاء المعرى » وحصل عليها بتقدير رفيع . وما إن نشرت هذه الرسالة حتى اتهم صاحبها بالإلحاد والزندقة ، وطلب إلى الجمعية التشريعية أن تحرمه من حقوقه الجامعية ، ولم ينقذه إلا سعد زغلول ، الذى كان رئيساً لهذه الجمعية حين ذلك .

وقدر له أن ينعم بحياة جامعية أخرى خارج مصر ، فأوفد فى بعثة إلى فرنسا إبان الحرب العالمية الأولى وقضى هناك نحو خمس سنوات ، أمضى منها عاما واحدا فى مونبلييه والباقى فى باريس ، وتتلمذ لكبار أساتذة الاجتماع والتاريخ فى السوربون ، أمثال : دور كايم وليفى بريل ، وسينيوس وأولع بالحضارة اليونانية الرومانية . مما دفعه إلى تعلم اليونانية واللاتينية وتمكن من الأخيرة تمكنا لا بأس به ، وتزود بزاد وفير من الأدب الفرنسى وحصل على الليسانس فى الآداب ، ثم توّجت جهوده فى السوربون ببحث عن « ابن خلدون » حصل

به على الدكتوراه من جامعة باريس إلى جانب الدكتوراه السابقة التى حصل عليها من الجامعة المصرية القديمة .

وفى عام ١٩١٩ عاد إلى وطنه ، وشغل بالصحافة زمنا ثم أنشئت جامعة « فؤاد الأول » وضمت إليها الجامعة المصرية القديمة ، وكان لابد أن يفسح المجال لطه حسين فى الجامعة الجديدة ، لأنه وثيق الصلة بسابقتها ، وفى الجامعة الناشئة بدأت ريادته الجامعية الحقة التى حاول أن يضع فيها تقاليد سليمة ، وأخصها أولا إيمانه بأن العلم لا وطن له ، وعلى الجامعة أن تستعين بمن تدعوه من أساتذة الغرب وعلمائه ، وتوسعت كلية الآداب فى ذلك توسعاً كبيرا وأصبحت شبه كلية عالمية يلتقى فيها الأساتذة الفرنسيون والبلجيكيون والأساتذة الإنجليز والألمان إلى جانب المصريين وسعى طه حسين جاهدا أيضاً إلى أن يوفد أكبر عدد ممكن من خريجى كليته إلى المعاهد الأوربية الكبرى ، وأعد بذلك أساتذة المستقبل من المصريين .

وعنى ثانياً بالدراسات الكلاسيكية ، فأنشأ قسماً مستقلا للغات القديمة ، وأصبح لليونانية واللاتينية مكان فى كلية آداب عربية . ولم يغفل اللغات الشرقية القديمة ، وإن عدها فرعاً من قسم اللغة العربية .

وآمن أخيرا إيمانا جازماً باستقلال الجامعة ، وضحى فى سبيله ما ضحى وكان يرى أن البحث الجامعى لا يمكن أن ينمو ويزدهر إلا فى جو الحرية والاستقلال وليس لوزير أن يفرض عليه رأيا ، أو أن يرسم له اتجاها ، ومن مستلزمات هذا الاستقلال أن توفر للجامعة الاعتمادات المالية اللازمة ، التى تمكنها من أداء رسالتها وأن تحمى هيئة التدريس من أى تدخل أو عدوان .

هذا هو طه حسين الرائد ، وقد تحقق كثير من أهدافه ، وقدر لهذه الأهداف أن تحيا وتستقر ، ولكن الزمن أبى إلا أن يعدو عليها ، وفعلت السياسة فعلتها فى قدر كبير منها .

ولعل فى إثارتها ما يوجه النظر إليها ويدعونا إلى أن نستمسك بها مرة أخرى وهذا خير إحياء لذكرى طه حسين .

كليته بكبار المتخصصين الأجانب فى الدراسات الإنسانية على اختلافها دعاهم لإقامة طويلة أو لزيارة مؤقتة . وما كان أشبه كلية الآداب حين ذاك بمؤتمر دولى يجمع بين المصرى والأجنبى الفرنسى والإيطالى ، بين الإنجليزى والألمانى ويبدو أننا أصبحنا لا نرحب بهذا التبادل ولا نشجع عليه ، وما أحوجنا إليه بالقدر الذى تستمسك به الجامعات الكبرى فى أوربا وأمريكا .

وطه حسين أخيرا اشتراكى رائد ، قال بالاشتراكية فى وقت لم يكن الكلام عنها مباحاً ولا مسموحاً به ، وكان لكتابه « المعذبون فى الأرض » صدى امتد إلى الحياة البرلمانية وأثير حوله ما أثير من سؤال واستجواب ، ونقد وتجريح ولو اتسعت آفاقنا لصفقنا له فى حينه ، وأعددنا العدة لإشتراكية عملية حقة ترعى حقوق الإنسان وتقدسها ، وتحقق متطلباتها ، ولا تزال جملته المشهورة حول مجانية التعليم تردد على الألسن ، ومؤداها أن التعليم كالماء والهواء وينبغى أن يوفر للجميع . وأخشى ما أخشاه أن تكون هذه الجملة قد فهمت على غير وجهها ، وطبقت تطبيقاً غير سليم ، لقد كان طه حسين يريد بالتعليم أن يكون نقياً نقاء الماء العذب المعد للشرب وصافياً صفاء الهواء الطلق الصالح للتنفس أما أن تكدس الأعداد تكديساً وتملأ الفصول ملئاً لا يسمح بإعداد موهبة ولا يعين على خلق طاقة ، فهذا لم يقصد إليه طه حسين بحال .

إن لطه حسين جوانب شتى ، فهو أديب وقصاص ، باحث وناقد ، رائد من رواد الفكر والثقافة ، لغوى ومجمعى ، عميد ووزير ، صحفى وسياسى ، وله فى كل جانب من هذه الجوانب خلق وابتكار ، وآراء ونظريات ، وأنا على يقين من أنكم ستوفون فى ندوتكم هذه كثيرا من هذه الجوانب ، وتقولون فيها كلمتكم الحقة والمنصفة ، وكلى رجاء أن تجمع بحوثكم ودراساتكم فى كتاب يقدم للناس ، ويفيد منه من لم يشتركوا معنا ومن لم يشهدوا حفلنا .

ولا يفوتنى قبل أن أختم كلمتى هذه أن أتوجه باسم زملاء طه حسين وإخوانه بالشكر الخالص للسادة العرب والمستعربين الذى تفضلوا بالاشتراك فى هذه الندوة وصبغها بصبغة دولية ، وهم من عشاق طه حسين ومحبيه الذين حرصوا على أن يعربوا عن آية من آيات الوفاء والتقدير .

والسلام عليكم ورحمة الله .

# طه حسين المجمعى

قضى طه حسين فى مجمع الخالدين ثلث قرن تقريبا كان لى حظ مصاحبته فى معظمه ، دخله فى نوفمبر من عام ١٩٤٠ ، وبقى به إلى أن لقى ربه فى نوفمبر من عام ١٩٧٣ . دخله فى زمرة من كبار الخالدين ، هم : لطفى السيد ، وعبدالعزيز فهمى ، ومصطفى المراغى ، ومصطفى عبد الرازق ، وهيكل ، وعلى إبراهيم ، والعقاد ، وأحمد أمين ، وعبد القادر حمزة ، عشرة كاملة يعدون حقاً فى مقدمة البناة والمشيدين ، دخله ولما يمض على إنشائه بضع سنوات ، فلم يكن قد استقر له عرف ولا اتضح له تقليد وشاء مع هذا المجمع الكريم أن يدعم أسسه ، وأن يعيد النظر فى خطة عمله . فوضعت له لائحة داخلية جديدة تعتبر نبراساً لما نسير عليه حتى اليوم ، وكونت لجانه المتخصصة . وأثيرت طائفة من المشاكل الكبرى التى تتصل بمتن اللغة ، ونحوها ، وتيسير كتابتها ، ورسم حروفها وبعثت فى المجمع حركة تحاول أن تنهض فى غير طفرة ، وأن تجدد دون عدوان على أصول اللغة . ولا شك فى أن هذه المرحلة فى تاريخ مجمعنا تعد بداية نهوض ملحوظ ، وفاتحة عصر ذهبى أسهم فيه طه حسين بعقله وقلبه ، بلسانه وقلمه ، بإيمانه وحماسه ، بحميته ونشاطه .

ولقد كان على بينة من نظم الهيئات والمجامع العلمية واللغوية الكبرى ؛ يسترشد بها ، ويأخذ عنها ، وكثيرا ما نوّه مع أستاذه لطفى السيد بالأكاديمية الفرنسية وما استقر لها من نظم وتقاليد . وكان جامعياً حقاً يؤمن بالبحث والدرس ويعول على التخصص ، ويعتد بالمتخصصين . فربط المجمع بالجامعيين وعزز الاستعانة بالأساتذة والخبراء . وأيد ما وسعه استقلال المجمع ماليا وإداريا ، وقد كان يوم أن دخله مجرد فرع من فروع وزارة المعارف يتبعها فى ميزانيته وموظفيه ، ولم يلبث أن أصبح هيئة مستقلة فى شئونها المالية والإدارية ، ولرئيسه فى ذلك سلطة الوزير . وفى مناسبتين متلاحقتين شاء أن يكون للمجمع مطبعة خاصة يشرف عليها وتضطلع بمطبوعاته ، وعرض عليه فعلا مطبعة دار الكتب مرة ، ومطبعة الكاتب المصرى مرة أخرى ، ولو أخذ مجمعنا بهذا العرض

الكريم لتفادى كثيرا من صعوبات الطبع والنشر التى تصادفنا كل عام . وأملنا كبير فى أن تتوفر للمجمع مطبعة حديثة ملائمة فى مبناه الجديد ، وكم كان فقيدنا الكريم شغوفا بأن يرى هذا المبنى الذى دعا إليه غير مرة ، ورأى فيه مايحقق لمجمع الخالدين مظهرا من مظاهر مكوناته .

وطبق طه حسين لأول مرة سنة استقبال المجمعيين الجدد خير تطبيق . وتقضى هذه السنة بأن تعقد جلسة علنية يضطلع بها اثنان على الأقل : عضو قديم يستقبل باسم المجمع زميله الجديد ، ويتولى هذا الزميل الحديث عن العضو الراحل الذى حل محله ، وفى ثنايا الحديثين أدب وحكمة ، وعلم وفلسفة . ولطه حسين كلمات استقبال خالدة ، أولاها تلك التى استقبل بها صديقه عبد الحميد بدوى وقد انبعثت من القلب ، فنفذت إلى نفوس السامعين جميعا ، وتلتها كلمات أخرى ليست أقل روعة فى استقبال تيمور ، وتوفيق دياب ، والأستاذ توفيق الحكيم وفضيلة الشيخ الباقورى . والحق أن هذه الكلمات قطع من الأدب الرفيع ، ولوحات أخاذة تصور أصحابها تصويرا دقيقا ، وتكشف عن بعض الأعلام فى حياتنا الحاضرة . وما أجدرها أن تنشر بين الناس ، وأن ينعم بقراءتها الطلاب والدارسون .

والخالدون دائما بين استقبال ووداع ، « سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » . وبقدر ما يحفلون باستقبال الوافدين ، يحرصون على أداء واجبهم نحو الراحلين . وقد اضطلع طه حسين بتوديع أربعة من الخالدين هم على التوالى : عبد العزيز فهمى ، وهيكل ، وعبد الوهاب عزام ، ولطفى السيد . عاشرهم جميعاً ، وعرفهم عن قرب ، فكان أقدر المجمعيين على الوفاء بحقهم . وكانوا فوق هذا من أحب الناس إليه ، وأقربهم إلى قلبه . وإنا لنحس فى تأبينه لهيكل بحرقة الصديق ، وهو يتأسى بقول الشاعر :

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا     ليـل يـكر عليهم ونهار

وفى تأبينه للطفى السيد ، وكان منه بمثابة الإبن من أبيه يتأسى بقول آخر :

ليس على طول الحياة ندم     ومن وراء المرء ما يعلم
يموت والد ويخلف مولود     وكل ذى أب يتيم .

سيداتى ، سادتى :

هذا موقف من مواقف طه حسين الإصلاحية والمجمعية إزاء أمر آمن به ودعا إليه ، وله مواقف أخرى لا يتسع المقام لسردها ، ويكفى أن أشير إلى اثنين منها . ويتصل أولهما بالمصطلح العلمى ، وللمجمع فيه جهد عظيم ومتصل . وقد حاول المجمعيون فى البداية أن يضعوا بأنفسهم مصطلحات للحقائق العلمية المختلفة ، وربما لجأوا إلى بعض الألفاظ الغريبة والمهملة ، دون اعتداد باستعمال المتخصصين وما اصطلحوا عليه . وهذا ما أنكره طه حسين ، ودعا إلى البحث أولا عن استعمال أهل الفن والصنعة ، وللعلم لغة يعرفها أهله وواجب المجمع أن يستمع إليهم ، وأن يصدر عنهم ما دامت استعمالاتهم لا تتعارض مع أصول اللغة ، بل عليه أن ييسر مهمتهم وأن يفسح صدره لاجتهادهم . ولا بأس من التعريب إن دعت إليه ضرورة ، وبخاصة تلك الألفاظ التى ترجع إلى أصل لاتينى أو يونانى احتفظت به اللغات العالمية الكبرى ، والعلم لا وطن له . وهذا ما يسير عليه المجمع اليوم ، ومن الخطأ أن يظن أنه مصنع ألفاظ أو دار لوضع مصطلحات .

وكان طه حسين كبير الرجاء فى أن ينجز المستشرق الألمانى فيشر مهمته ، وأن يخرج « المعجم التاريخى » الذى تعاقد مع المجمع عليه . ولكن مع الأسف حالت الحرب العالمية الثانية دونه ومتابعة السير ، وعاجلته المنية بعد أن وضعت هذه الحرب أوزارها بقليل . فلم يكن بد من أن يتولى المجمع الأمر بنفسه ، وأن يعد له عدته ، ورأى أن يستبدل « بالمعجم التاريخى » ما سماه « المعجم الكبير » وألف له لجنة خاصة حرص طه حسين على أن يكون مقررها . وقد زاملته فيها . ووقفت على ما أنفق فى سبيل المعجم الكبير من وقت وجهد ، ولم تصرفه الوزارة يوم أن اضطلع بأعبائها عن متابعة تأليفه ، وفى عام ٥٦ استطاع أن ينشر منه جزءا فى نحو خمسمائة صفحة من القطع الكبير عده مجرد تجربة دعا المتخصصين فى اللغة من عرب ومستعربين إلى قراءتها ، وتسجيل ما يمكن أن يلاحظوه عليها . وقد رسمت هذه التجربة المنهج ، وحددت الغاية ، وكانت الدعامة الأولى لهذا المؤلف الطويل النفس . ولولا المرض لتابع طه حسين السير ، واستمر فى تحمل هذا العبء الثقيل .

***

تلكم نماذج من ثمار طه حسين المجمعى ، وسيبقى ذكره دائما بين الخالدين .

# مع طه حسين

عشت معه زمناً غير قصير ، وإن لم أكن قد لقيته بعد ، يوم أن قامت معركة الشعر الجاهلى ، ويالها من معركة ! فقد كانت حامية الوطيس ، اشتبكت فيها جهات مختلفة ، وتألبت طوائف متعددة ، وهى ولاشك حدث هام من أحداثنا الثقافية فى بدء العشرينيات من هذا القرن . لم تقف عند الخاصة ، بل امتدت إلى العامة ، وكانت مثار حديث فى المجالس والأندية . وبلغت فيها الخصومة أشدها ، والحملة أقصاها ، إلى حد أن رمى صاحب الشعر الجاهلى بالخروج على الأدب واللغة ، بل على الدين . وإمعاناً فى النكاية أثير موضوعه فى مجالسنا النيابية الناشئة ، وأريد أن يحاسب المسئ على إساءته ، وقيض الله للموقف حين ذاك وزيراً للمعارف انتصر لحرية الرأى أولا ، وترك للمتهم البرئ أن يدافع عن نفسه بلسانه وقلمه . وقد فعل ، وخلف لنا فى هذه القضية صحائف فيها أدب رفيع ، وحجة بالغة ، وجدل مفحم . وشاءت الأقدار أن يصبح خصم الأدب واللغة عميداً للأدب فى العالم العربى جميعه ، ووزيراً للمعارف ، ورئيساً لمجمع اللغة العربية . ويوم أن انتقل إلى جوار ربه عد بطلا شعبياً ، وسارت الأمة كلها وراء نعشه ، وخطر ببالى وأنا سائر فى جنازته ذلك التباين التام بين الأمس واليوم ، « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

والتقيت به لأول مرة فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد بهولندا عام ١٩٣٢ ، وكنت لا أزال طالباً بجامعة باريس . ورغبت فى أن أشهد هذا المؤتمر الذى شدت له مصر الرحال ، وأوفدت إليه جمعاً كريماً من رجال العلم والأدب ، وعلى رأسهم سفيرنا فى إنجلترا وهولندا ، ولا أظننا حفلنا قط بمؤتمر المستشرقين مثلما صنعنا تلك المرة ، وما ذاك إلا لأنا كنا نحمل إليه اقتراح « حروف التاج » التى عنى بها الملك فؤاد عناية خاصة . وكانت مظاهرة استلفتت نظر علماء الاستشراق على اختلافهم ، ولكن لم يعد صداها تلك اللحظات التى عرض فيها هذا الاقتراح . ومشكلة الكتابة العربية أوسع بكثير من « حروف التاج » ،

وأشهد أن حديثي مع طه حسين لم يدر حولها مطلقاً ، ولا أظنه كان مؤمناً بها . والذي تحدثنا فيه بخاصة هو ربط الثقافة الفرنسية بالثقافة العربية ، وشعرنا بحاجاتنا الماسة إلى شباب يجيد العربية والفرنسية معاً ، كي يتم التبادل على وجه أكمل . وإذا كنا قد شعرنا بذلك فى أول العقد الرابع من هذا القرن ، فإنا نحس اليوم أنا لم نخط خطوات تذكر فى هذه السبيل ، بل بالعكس نحن فى ضعف زائد ومستمر .

وما أن عدت من بعثى عام ١٩٣٥ حتى دعيت للتدريس بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، والتقيت بطه حسين للمرة الثانية ، وبقيت على اتصال به منذ ذلك التاريخ . وإذا كانت عضوية مجلس الشيوخ قد شغلتنى خمس عشرة سنة فيما بين عامى ٣٧ ، ٥٢ ، فإنها لم تصرفنى عن الحياة الجامعية بحال . وأعتقد أن العقد الرابع من هذا القرن كان من أزهى عصور جامعة القاهرة ، تأكد فيه استقلالها ، واستقرت شيئاً فشيئاً تقاليدها . وكانت كلية الآداب بوجه خاص رائدة فى وضع هذه التقاليد ، ورمزاً حياً لهذا الاستقلال . وقد أبلى فى هذا طه حسين بلاء حسناً ، وناصره أستاذه وراعيه منذ البداية لطفى السيد مدير الجامعة . ورغب رغبة أكيدة فى أن تكون آداب القاهرة ، وهو أول عميد مصرى لها ، على غرار كليات الآداب فى الدول العظمى ، فإلى جانب اللغات الحية استمسك باللغات القديمة : شرقية كانت أو غربية ، كالسريانية والعبرية ، واليونانية واللاتينية ، واستعان على ذلك بالمختصين من الأجانب ، وأعد العدة للمستقبل بمن أوفدهم إلى الخارج من شباب الجامعيين للتمكن من هذه اللغات . ولاحظ أن المدرسة الثانوية القديمة لاتفى بحاجات النهوض والتقدم ، وليس فى خططها ولا برامجها ما يمكنها من الإعداد للتعليم الجامعى ، وفكر فى أن تكون للجامعة مدارس خاصة تعدلها ، ولعل هذا هو الذى دفع إلى إصلاح التعليم الثانوى الذى تقرر عام ١٩٣٥ .

وكان مؤمناً الإيمان كله بأن العلم لا وطن له ، وأن الثقافة الإسلامية إبان نهضتها قامت على الأخذ والعطاء فى غير ما تحيز ولاتحزب ، « والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها » . ولذلك سعى سعياً حثيثاً فى أن يوفد إلى الخارج من أبناء كلية الآداب أكبر عدد ممكن ، لكى ينهلوا من حياض العلم والمعرفة .

ولاشك فى أن هذا الرعيل من أبنائه وتلاميذه هو الذى تابع السير وحمل الأمانة إن فى الجامعة أو خارجها . وكم كان يعتز بمبعوثيه ويتودد إليهم ، ويحرص على أن يلقاهم إن مر بالبلد الذى يعيشون فيه . وما نشكو منه اليوم من فقر أو نقص فى التخصصات المختلفة ، إنما يرجع إلى أنا لم نلتزم هذه السياسة ، ولم نتابع السير فى هذا الطريق ، برغم توسعنا فى التعليم الجامعى . ذلك التوسع الذى يتطلب عدة أقوى وسلاحاً أمضى . ورحم الله لطفى السيد الذى كان يقول : نحن فى حاجة ماسة إلى قيادات حازمة حكيمة ، والجامعة هى المكان الوحيد لإعداد هذه القيادات .

ولم يقنع طه حسين بمن أوفد من بعوث ، بل حرص على أن تحظى كليته بكبار المتخصصين الأجانب فى الدراسات الإنسانية على اختلافها . فدعا نفراً من الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع ، ومن الأدباء وأساتذة اللغات القديمة والحديثة ، ومن المؤرخين والجغرافيين ، دعاهم لإقامة طويلة أو لزيارة موقتة . ومنهم من كان يخاطب طلابنا بلغتهم ، وأغلبهم كانوا يلقون دروسهم بالفرنسية أو الإنجليزية ولم يعز على هؤلاء الطلاب أن يتابعوا الدرس ، وأن يفيدوا منه . ويسوءنى أن أقرر أن عامة شباب اليوم لايقوون على ذلك ، وزادهم من اللغات الأجنبية جد ضئيل ، وليس فى وسع الجامعة أن تتدارك كل مافات المدرسة الثانوية . وما كان أشبه كلية الآداب حين ذاك بمؤتمر دولى يجمع بين الشرق والغرب ، بين الفرنسى والإيطالى ، بين الإنجليزى والألمانى ، وأريد بأقسام اللغات الأجنبية خاصة أن تغذى بواحد أو أكثر من الأساتذة الناطقين بها الذين ربوا عليها ، وفقهوا أدبها وتاريخها . وربما نكون قد توسعنا فى هذا بعض الشىء أو لم نحسن الاختيار أحياناً ، ولكن لاشك فى أن هؤلاء الأساتذة الأجانب كانوا همزة وصل نافعة ، ومصدر غذاء جديد ، لهم علمهم وتجربتهم ، ومن الخير أن نفيد من مناهجهم فى البحث والدراسة . ويبدو أنا لانرحب الآن بهذا التبادل ولا نشجع عليه ، وما أحوجنا إليه بالقدر الذى تتمسك به الجامعات الكبرى فى أوروبا وأمريكا .

* * *

تلك صور من مواقف طه حسين وآرائه ، وبعض جوانب من مظاهر نشاطه ، ومجال القول فيه ذو سعة ، ولن يقف الحديث عنه عند ما نكتب ونصور اليوم ، بل سيبقى ما بقى أثره وإنتاجه .

# طه حسين ومشكلة النحو

أخذ طه حسين نفسه بضروب من الإصلاح والتجديد فى ميادين الأدب واللغة ، والتربية والتعليم ، وأنجز منها ما أنجز ، وعز عليه ما عز . وقد عاش مع النحو العربى منذ شبابه الباكر درسه مع أقرانه فى الأزهر تلك الدراسة الطويلة المتصلة ، وشغل به كثيراً وإن كان درس المرصفى فى الأدب أحب إلى نفسه . ثم أوفد إلى باريس ، وكان لابد له أن يدرس اللغة الفرنسية ، وأن يتعمق فى درسها ، وأضاف إليها شيئاً من اللاتينية واليونانية . وأتاح له هذا أن يقارن بين نحو العربية وأجرومية بعض اللغات الأخرى ، وبخاصة أجرومية اللغة الفرنسية . وبعد أن عاد من بعثته إلى مصر استوقفته الخصومة الثائرة بين أنصار العامية ورجال الفصحى ، وأدرك ما للنحو من شأن فى ذلك ، وأحس بالضرورة الماسة إلى إصلاحه وتيسيره .

ولاشك فى أن النحو العربى حظى بعناية لم يحظ بها نحو فى لغة أخرى ، نشأ فى أخريات القرن الأول الهجرى ، ونما وتكون فى القرنين الثانى والثالث ، واستمر يبسط ويفصل فى القرون الخمسة التالية . تعددت مدارسه ، وتعاصرت أو تلاحقت ، تآلفت تارة أو تعارضت تارة أخرى ، تأثرت دون نزاع بما حولها من دراسات فى الفقه والكلام ، والمنطق والفلسفة ، ووضعت فى النحو كتب شتى : بين منظوم ومنثور ، بين متن وشرح ، وسما بعضها إلى مرتبة الأمهات كـ « الكتاب » « لسيبويه ، » و « الألفية » لابن مالك ، « والمغنى » لابن هشام . أولـع به خاصة الخاصة ، فوقفوا عليه حياتهم ، وتفننوا فيه ما وسعهم . وامتد النحو إلى الدراسات الإسلامية الأخرى من فقه وكلام وأدب وبلاغة ، فاختلط بها وامتزج فيها . ونستطيع أن نقرر أن الدراسات النحوية كادت تستوعب النشاط الفكرى والثقافى فى المعاهد العلمية العربية الكبرى طوال القرون الستة الأخيرة .

وقد غلا النحاة فى فلسفة النحو كثيراً ، أو ما سمى ميتافزيقا النحو ، أولعوا بنظرية العلية وهى نظرية فلسفية فى أساسها ، وأسرفوا فى ذكر العلل

وأنواعها ، واستخدموا العلة الواحدة فى إثبات الشىء وضده . ووقفوا طويلا عند نظرية العامل ، وهو ضرب من العلة . وتوسعوا فى « التوجيهات والألغاز » النحوية ، وعقدوا بعض القواعد التى يصعب استيعابها . ويقال إن الكسائى وهو شيخ الكوفيين ، مات وهو لايحسن « نعم وبئس » ، وأن تلميذه الفراء فارق الدنيا وفى نفسه شئ من « حتى » اللهم إلا إن كان من تحامل البصريين . على أنا لانزال نشكو حتى اليوم من العدد وتمييزه ، ولا النافية للجنس أو للوحدة ومن بابى التنازع والاشتغال .

ولم تسلم هذه الفلسفة وهذا التعقيد من النقد قديماً ، فلاحظ ابن حزم أن « علل النحو فاسدة » ودعا ابن مضاء الأندلسى إلى إلغاء نظرية العامل ، ونشر كتابه « الرد على النحاة » عام ١٩٤٧ ، وحرص طه حسين على أن يلقى عنه كلمة فى الدورة الثالثة عشرة لمجمع اللغة العربية ، معلناً أن فيه ما يؤيد وجهة نظره من ضرورة إصلاح النحو وتجديده . وسبق لابن تيمية أن خطأ سيبويه فى عشرات المسائل ، وخالف ابن قيم الجوزية فى كتابه « بدائع الفوائد » علماء النحو والصرف مخالفة صريحة .

ولم يكن بد لطه حسين أن ينكر هذه الفلسفة لأنها لا تلائم العصر ، ولاتتفق مع سياسة « التعليم للجميع » ، ودعا إلى إصلاح النحو وتيسيره على شباب المتعلمين . وشاءت الأقدار أن يقوم الدكتور بهى الدين بركات على أمر وزارة المعارف عام ١٩٣٠ ، وكان يلمس ما يكتنف تعلم اللغة العربية من صعاب ، فأمر بتكوين لجنة كان طه حسين أحد أعضائها لتيسير النحو واقتراح قواعد جديدة على ألا يمس أصل من أصول اللغة . ومضت اللجنة فى عملها ، وانتهت إلى طائفة من المقترحات التى تخلص النحو من فلسفته ، وتقدمه إلى النشء فى صورة سهلة ميسرة . والأصل فى الأجرومية أن تكون ذات طابع محلى تعليمى ، بعيد عن الفلسفة والتعمق ، والغموض والتعقيد . واستطاعت اللجنة أن تحذف التفاصيل التى لا داعى إليها ، وأن تقتصد فى المصطلحات وما أكثرها ، وصوبت إلى صميم القواعد النحوية من تكوين الجملة وأجزائها ، وهونت من أمر الإعراب ، وهو عقدة العقد ، وصدرت فى كل ما ذهبت إليه عن قواعد مقررة وآراء سابقة ، فلم تخرج — كما طلب إليها — على أصل من أصول اللغة ،

ولم تغير فيما اتفق عليه النحاة إلا بمقدار ، وتخيرت من مذاهب القدماء أقربها إلى الفكر الحديث ، وأيسرها على الناشئين . وبدا النحو الذى اقترحته أشبه ما يكون بأجرومية بعض اللغات الحية كالفرنسية أو الإنجليزية . ومع هذا أبى التغيير الوزارى إلا أن تهمل مقترحاتها ، وأن تبقى مطوية فى وزارة المعارف عشر سنوات أو يزيد .

ولم تنشر إلا يوم أن أحيلت على مجمع اللغة العربية ليدلى فيها برأيه ، وقد عكف على درسها طويلا ، فتفرغت لها لجنة الأصول زمناً ، ووقف عليها مؤتمر الدورة الحادية عشرة ثمانى جلسات . ودافع عنها طه حسين فى صدق وإيمان ، أراد أن يسلك بها مسلك التنفيذ . فدعا إلى تكوين لجنة لتأليف كتاب تطبيق هذه المقترحات ، وأظهر استعداده للاشتراك فى هذه اللجنة ، بل ما كان يرفض أن يضطلع بالعبء وحده . ولكن وزارة المعارف لم تحرك ساكناً ، برغم توجيه نظرها مرة ثانية إلى قرارات التيسير فى مؤتمر الدورة الخامسة عشرة ، وبقى الموضوع فى طى النسيان نحو عشر سنوات أخرى .

وفى جلسة علنية من جلسات المجمع شاء طه حسين أن يعرض مشكلة النحو على جمهور المثقفين ، وقد دعت إلى ذلك وزارة المعارف من قبل . فألقى عام ١٩٥٥ بدار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع محاضرة عنوانها « مشكلة الإعراب» ، وشهدها جمع من كبار العلماء والأدباء وأساتذة الجامعات . ودعا فيها إلى تيسير الكتابة وتيسير النحو معاً ، وقال : « إن علم النحو من أحب العلوم العربية إلى نفسى ، لأنى أجد لذة فى قراءة الكتب النحوية المعقدة — على ما فيها من فلسفة وتعقيد — مثلما أجد عند قراءتى لشعر رائع لجرير أو لبشار » . ولكن « إذا كان هذا النحو مستحباً إلى الأخصائيين وإلى الذين يفرغون لمثل هذه الدراسات ، فمن الحمق كل الحمق أن يفرض على الشباب فى القرن العشرين » أقول من الحمق ومن الخطأ أن نأخذ عقول الشباب بتعلم هذا النحو والخضوع لمشكلاته وعسره والتوائه ، لأن ذلك لا يلائم الحياة الحديثة ولا التفكير الحديث . ولابد من تيسير النحو تيسيراً يتيح للشباب أن يتعلم العربية فى يسر وفى غير عنف . ولم يفته أن يشير إلى أن المشروع الذى

أقره مجمع اللغة العربية يفي بهذا الغرض ، « وهو نائم فى وزارة المعارف منذ أعوام ، ولايزال نائماً إلى الآن فى وزارة التربية والتعليم ينتظر من يوقظه » .

والواقع أن فى هذا المشروع تيسيراً ملحوظاً ، فإنه يرى الاستغناء عن الإعراب التقديرى والمحلى ، وعن التفرقة بين علامات الإعراب الأصلية والفرعية ، وعدها كلها علامات إعراب . وصرف النظر عن الضمائر المستترة وجوباً وجوازاً ، وعد الضمائر البارزة المتصلة حروفاً دالة على نوع المسند إليه أو عدده ، ولم ير ضرورة للنص على عائد الموصول . واعتبر التعجب ، والتحذير والإغراء ، ونحوها ، تراكيب تشرح على أنها أساليب ، دون وقوف عند تفاصيل إعرابها . واكتفى من الصرف بتصريف الفعل وصوغ مشتقاته ، وفى الاسم بالتثنية والجمع . ولاحظ طـه حسين بحق أنه ليس فى هذا ما يغضب الله ورسوله ، ولا ما يضير لغة القرآن فى شىء . وعندما أنزل القرآن لم يكن النحو موجوداً ، وقد تلاه المسلمون قبل أن يعرفوه ، ولا يزالون يتلونه اليوم دون تفكير فى القواعد النحوية ، ويعدونه فوق النحو والصرف معاً ، والنحاة بصنعتهم هم الذين حاولوا أن يطبقوا قواعدهم على ألفاظ القرآن وجمله ، وربما عز عليهم ذلك أحياناً . ومشروع التيسير فى حقيقته لايلغى علم النحو القديم ، وإنما يكل أمره إلى الاخصائيين والمتفرغين ، ولهم أن يكتبوا فيه ماشاءوا ، وأن يبحثوا ويتعمقوا . أما النشء فرفقا به ، وحرصاً على وقته وجهده ينبغى أن يعلم العربية من أيسر سبيل ، ونحن نريد له أن يتعلمها فى الحقل والمصنع ، فى القرية وفى المدينة على السواء .

وحاولت فعلا وزارة التربية والتعليم عام ١٩٦١ أن تضع مشروع تيسير النحو موضع التنفيذ ، ومضت فى ذلك نحو عامين . فوضعت فى النحو كتب جديدة على أساسه ، ولم تعرض على المجمع كما كان متفقاً عليه ، ولم يشترك فى وضعها أحد من أعضائه . وبدأ التلاميذ يتعلمون النحو الميسر ، لا فى مصر وحدها ، بل فى سوريا أيضاً ، وكم كان طه حسين معنياً بهذه المحاولة ، تابعها عن قرب ، تمنى لها التوفيق ، وود أن لو استطاع أن يعززها ، ودفع زميل الشباب أحمد حسن الزيات إلى أن يساندها ولأمر ما عدل عنها ، وأغلب الظن أن فريقاً من المعلمين لم يتهيأ لتدريس النحو الميسر تهيؤ التلاميذ لتعلمه ، ونشهد

# أمين الخولى

رحمه الله رحمة واسعة ، فقد كان أمة وحده ، أمة فى قوله ، يدلى بالكلمة فتحفظ عنه ، وتعزى إليه ، ويرسل الجملة فتصير مثلا ، تحيا بحياة الأحداث وتتردد فى شتى المناسبات ، وكان أمة فى علمه له مسلكه الخاص وطريقته المستقلة ، عرف بزيه كما عرف بمنحاه فى الحياة ، يأبى التقليد والمحاكاة ، ويمقت المحاملة والمسايرة فى غير اقتناع ، وكان أولا وأخيرا أمة فى رأيه ، يخرج به على المألوف ، ويعارض الشائع والمشهور ، يعتد به ويدافع عنه ، وما أبلغ حجته ، وما أعظم إقناعه .

عرفته أول ما عرفته فى مدرسة القضاء الشرعى ، فكان على قمة الهرم وكنت فى قاعدته : ولكن ثورة سنة ١٩١٩ أبت إلا أن تجمعنا فى سلك واحد وفكنا نلتقى للتشاور والتداول . نعد العدة ، ونهيئ أنفسنا للنضال والجهاد ، لقد خرجنا هاتفين محتجين . وإن أنس لا أنسى يوما قمنا فيه بمظاهرة كبرى قينا فيها ما لقينا من بطش الجنود البريطانيين وعدوانهم . وكان صوته المدوى ينسى المتظاهرين آلامهم . وكأنى به لا يزال يهتف :

اضربونا بالمدافع — ما لأمر الله دافع .
اضربونا بالرصاص — فالحياة فى القصاص

وتتلمذت له فى درس من دروس الأخلاق . وأشهد أنه لم يكن يعرف حين ذاك لغة أجنبية . ولم ينح بعد منحى فلسفيا . ومع ذلك استطاع بذهنه الوقاد وفطرته السليمة أن يفلسف كتب الأخلاق القديمة ، فيبحث فيها عن أصول ومبادئ ، ويقيمها على أسس ودعائم ، ويصوغها فى ثوب قشيب جذاب ، حتى بدت أشبه ما تكون بالدراسات الأخلاقية الحديثة التى تعنى بالطبائع البشرية ، وتحاول أن ترسم المثل الإنسانية . ومنذ ذلك التاريخ وهو ينفر من الحفظ والتلقين ، ويعنى العناية كلها بقوة الحجة ووضوح الشخصية .

ثم افترقنا لفترة غير قصيرة . واختير ليسهم فى تمثيلنا السياسى الأول فى ألمانيا وإيطاليا وأتيحت له الفرصة أن يرى الغرب بعينه ، وأن يعيش بين

أهله ، وتفتحت أمامه آفاق فسيحة . ولم نلتق إلا عام ١٩٣٥ ، وعلى بساط العلم مرة أخرى ، فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، التقينا هناك لقاء الزملاء ، وكانت أول كلمة قالها لى : ليس شىء أحب إلى الأستاذ من أن يزامل تلميذه . كان يتولى التدريس بقسم اللغة العربية ، وكنت أضطلع به فى قسم الفلسفة وشاءت المصادفات أن يكون بيننا طلاب مشتركون ، فكانوا لا يملون الحديث عن نظراته العلمية وأفكاره الفلسفية . وفى الحق أنه كانت له آراء فى التفسير والبلاغة يعز عليهم أن يكشفوها . وقل من الباحثين من يهتدى إليها . تعينه دائما القضايا الكبرى والمنهج العلمى الدقيق . ويعرف كيف يبرز ما فى الفكر الإسلامى من أصالة وابتكار . وليته اتجه نحو نشر دروسه جميعها فى البلاغة وعلوم القرآن إنها ولا شك ثروة علمية يعتد بها . ولكنه فيما يظهر كان يؤثر الرسائل الصغيرة التى يعرض فيها رأيا جديدا ، أو يدافع عن قضية معينة .

وقدر لنا أن نفترق ثانية وبعد زمالة دامت سبع سنوات . وكان فراقنا هذه المرة أطول . فلم نلتق إلا سنة ١٩٦١ ، وفى مجمع الخالدين . وهناك استقبلناه فى شوق إليه وتعويل عليه . ويعلم الله أنه حقق آمالنا كلها ؛ قضى معنا خمس سنوات أو تزيد قليلا ؛ فكانت كلها إنتاجا متصلا ونشاطا فياضا ؛ أغدق فيها ما أغدق على المجمع من ثمار ، انضم إلى لجنة الأصول وكان مقررها الذى يحمل رسالتها ويعبر عن رأيها ؛ ولم يمر مؤتمر من مؤتمرات المجمع الخمسة الماضية إلا وله تحقيق فى ترجيح رأى لغوى ؛ أو كشف عن رخصة تيسر أمر العربية على الباحثين والدارسين ؛ وأسهم فى لجنة معجم ألفاظ القرآن وأعد جزءا من أجزائه ؛ ونأمل أن يخرج إلى القراء قريبا ؛ واشترك فى عدة لجان أخرى ؛ فكان له فى لجنة الأدب توجيه وتقويم . وفى لجنة القانون ملاحظات ومقترحات ؛ وكانت لجنة المعجم الكبير ترقب مشاركته وإسهامه ، أما المجلس فكان له فيه ركن يعرف به ، ويشع منه ضوءه ، وإذا ما تخلف يوما أحسسنا بغيابه ، ويأبى الله إلا أن أحرم من زمالته ؛ وأن يغيب عنى ذلك الغياب الذى لا رجعة بعده ؛ افترقنا أخيراً وإلى الأبد ؛ وفقدته على غرة وكان ملء السمع والبصر .

أيها الأمناء

إن أستاذكم كان صاحب رسالة ، ولا شك فى أنه لقنكم إياها ، وكانت رسالته دعوة حارة وصادقة إلى التجديد والإصلاح . كان ينشد تجديداً شاملا فى المظهر والمخبر ، وأذكر أن مشكلة توحيد الزى شغلتنا معا فترة طويلة منذ نحو أربعين سنة . كان يؤمن بالإصلاح إيمانا جازما ويريد به أن يستوعب مظاهر حياتنا على اختلافها ، فينصب على العادات والتقاليد ، ويشمل الأنظمة والقوانين ، والفكر واللغة . فنادى بإصلاح الأسرة ، وكتب فى إصلاح الأزهر ورسم سبلا فى إصلاح النحو وتطوير اللغة ، وكان يمقت الجمود الزائف والتقليد الأعمى ، ويرى أن الدين متين وأن الشريعة سمحة وقد قبلا ويقبلان كل تجديد وإصلاح لا يتعارض مع الأصول الكبرى والمبادئ المقررة ، ومن آخر مؤلفاته : « المجددون فى الإسلام » . أما مجرد محاكاة الغرب والافتتان ببدعه ومستحدثاته ، فلم يكن أقل تحاملا على ذلك من حملته على السلبية الجامدة التى تؤدى إلى الفناء . كان يهدف إلى إصلاح ينبع من صميمنا ، ويربط حاضرنا بماضينا ويبقى على معالم الحضارة الإسلامية التى تعتمد على أصول تختلف كل الاختلاف عن الحضارة الغربية .

أيها الأمناء

هذه هى الرسالة ، وإنها لأمانة فى أعناقكم ، وإن فى قيامكم عليها لتخليدا لذكرى أستاذكم فوق كل تخليد .

# كارل بروكلمان الببليوجرافى

شهدت حركة الاستشراق بألمانيا ، فى النصف الأخير من القرن الماضى والثلث الأول من هذا القرن ، نشاطاً ملحوظاً قل أن نجد له نظيرا فى بلد أوربى آخر وقام على أمرها جماعة من كبار الباحثين قلبوا الثقافات الشرقية ، على وجوهها وتعمقوا فى درسها ، وكشفوا عن كثير من أصولها ومصادرها ، وعنوا عناية خاصة بالثقافة العربية ، ففقهوا لغتها وتذوقوا أدبها ، وتفهموا علومها وفلسفتها ولم تفتهم جوانبها السياسية والاجتماعية وكانوا فى ذلك مثال العمل الدائب والنفس الطويل لا يدخرون وسعاً ، ولا يملون بحثاً ، يحرصون على أن ينهلوا من النبع الأول ، وأن يصدروا عن الأصول الوثيقة ، لا يتعجلون غاية ، ولا يسارعون إلى حكم لم تستبن حجته ، وقد يقفون حياتهم كلها على لون خاص من ألوان الدرس والبحث .

وفى هذا الجو نشأ كارل بروكلمان ولد فى العقد السابع من القرن الماضى وعمر إلى العقد السادس من هذا القرن . تسعون سنة تقريباً قضاها فى دراسة أدب العرب وتاريخهم وحضارتهم . كان يؤمن الإيمان كله بالثقافة العربية قدرها حق قدرها ، وأولع بها ، درسها فى صبر وجلد ، وأخرج فيها طائفة من البحوث القيمة ، فى مقدمتها « تاريخ الأدب العربى » الذى ذاع شرقا وغرباً وخلد اسم صاحبه ولا شك فى أن بروكلمان ، بين المستشرقين المعاصرين ، أكثرهم ذكرا ، وأذيعهم صيتا ، وسر ذلك فيما نعتقد كتابه هذا ، ذلك لأنه بما اشتمل عليه من بحوث ببليوجرافية ، أداة نافعة من أدوات الدرس ، ومشكاة تنير طريق الباحثين . وبروكلمان أديب ومؤرخ لغوى ونحوى ، عالم وببليوجرافى .

* * *

ويعنينا أن نقف قليلا عند بروكلمان الببليوجرافى ، وما أشبهه بكبار وراقى العرب أمثال ابن النديم صاحب « الفهرست » وياقوت صاحب « معجم الأدباء »

والدراسة البيليوجرافية تستلزم اطلاعا واسعا وبحثا مستفيضاً ، وقد عكف عليها بروكلمان نحو سبعين عاما ، جمع فيها ما استطاع من كتب مطبوعة ، وكشف عما اهتدى إليه من مخطوطات ، وضمن ذلك كله كتابه « تاريخ الأدب العربى » ، الذى نشره لأول مرة فى جزءين عام ١٨٩٨ ثم أضاف إليه عام ١٩٣٧ جزأين آخرين يبلغان ضعف الجزأين الأولين ، وفى عام ١٩٤٢ نشر الجزء الخامس والأخير الذى ينصب على الأدب العربى الحديث . وما إن استكمل كتابه حتى أخذ ينقحه ويهذبه . وفيما بين عامى ١٩٤٣ و١٩٤٧ أخرج مرة أخرى الجزأين الأولين فى غير قليل من التنقيح والتهذيب ، ولو مد فى أجله لتابع السير ، وتعهد الأجزاء التالية بالتنقيح والتهذيب .

والأدب عنده مبسوط الدلالة فسيح الميدان ، ويكاد يعادل الثقافة فى مدلولها العام ، ينصب حقاً على النظم والنثر ، ولكنه يذهب بهما إلى كل ما يجود به الفكر والقريحة ، فيصدق على جميع الصور اللفظية التى تعبر عن الخيالات والمعانى ولا يقف مؤرخ الأدب عند بحث الجمال اللفظى والبلاغى فى لغة ما ، بل يعنى بالدراسات الإنسانية والعلمية والفلسفية ولا سبيل له أن يفهم الحياة الأدبية إلا إذا ألم ببيئتها الطبيعية وظروفها الاجتماعية والإنسانية ، ووقف على ما يدور بجانبها من بحوث ودراسات .

ففى درس الأدب تاريخ وجغرافيا ، وعلم وفلسفة ، وفقه ودين . وهكذا شاء بروكلمان بكتابه « تاريخ الأدب العربى » فجاء موسوعيا شاملا مستوعبا ، يجد فيه عشاق الثقافة العربية ألوانا من الدراسة والبحث ، ولعل هذا من أسباب ذيوعه وإقبال الباحثين عليه . هذا إلى أن بروكلمان لم يقف فى درسه للأدب العربى عند البحث الموضوعى ، بل شاء أن يضيف إليه قسطا من البيليوجرافيا . وهنا يعرض لناحية فى الأدب العربى تعالج من قبل على نحو ما عالجها ، وبخاصة ما اتصل منها بالمخطوطات والكتب النادرة ، وقد أعد نفسه لها باطلاعه الواسع وأسفاره المتعددة ، فجمع ما استطاع جمعه من الفهارس المتصلة بالثقافة

العربية ، والمعروفة فى مكتبات الشرق والغرب ، وشاءت الصدف فى أوائل هذا القرن أن يبدأ زميل له هو الأستاذ ريتر فى فتح صناديق مكتبات استانبول وهى حافلة بالتراث الإسلامى ، وقد أفاد منها بروكلمان ما وسعه . وتوافر له نحو ١٦٨ فهرسا من مكتبات العالم أجمع ، عرف كيف يستنطقها ، ويستخلص منها ما اشتملت عليه من أسماء كتب ومؤلفات قديمة . وكان لابد من جلد كجلده ومثابرة كمثابرته ؛ لكى تصبح هذه القطوف دانية ، وتلك المعلومات متداولة بين المتخصصين .

فهو فى حديثه عن أعلام الفكر والأدب العربى لايقنع بأن يعرف بهم ويشرح آراءهم ، بل يحرص على أن يسجل إنتاجهم مخطوطا كان أو مطبوعا ، ويشير إلى الدراسات التى اتصلت بهم قديمة كانت أو حديثة . وبذا نستطيع أن نعد « تاريخ الأدب العربى » دليلا ببليوجرافيا ، بقدر ما نعده كتاب أدب .

ولبروكلمان شأن يذكر فى عالم المخطوطات العربية ، فقد وجه النظر إليها فى كتاب مطبوع متداول ، وعهدنا بها أن تسجل فى فهارس محدودة لا يلجأ إليها إلا نفر قليل من المتخصصين ؛ فكشف عنها الغطاء ، وأدخلها فى ميدان البحث العام .

ومنذ أخريات القرن الماضى اتجهت أنظار المستشرقين نحو التراث العربى وبدئ فى إحيائه ، وقامت فى أوربا حركة لنشر المخطوطات العربية ، ولم تلبث أن نمت فى أوائل هذا القرن . وفى وسعنا أن نقرر أن بروكلمان غذاها بغذاء صالح فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » ، ووجه بعض الباحثين نحو تحقيق المخطوطات ونشرها ، ولم يقتصر توجيهه على محققى الغرب ، بل أفاد منه أيضا محققو الشرق ؛ فقد أعانهم على تحديد مكان المخطوط ، وبيان رقم سجله فى دار الكتب التى تحتويه. وبصرف النظر عما وقع فيه من أخطاء ، كان بحق هاديا ومرشدا ، وكم من مخطوطات لم يتجه إليها النظر لأول مرة إلا عن طريقه .

ويوم أن فكرت الجامعة العربية فى إنشاء معهد للمخطوطات ، حرصت على أن تستعين ببروكلمان وبكتابه « تاريخ الأدب العربى » ؛ فقد رأت فيه عونا

على حصر المخطوطات التى ينبغى جمعها والكشف عن مظانها . واستقر رأى الإدارة الثقافية بالجامعة عام ١٩٤٧ على ترجمة هذا الكتاب ، وبعثت بذلك إلى مؤلفه مستأذنة أولا وراغبة ثانيا ، فى عونه ومشورته . وقد هزت الفكرة بروكلمان هزا عنيفا وعدها أعظم تتويج لجهوده المتواضعة فى خدمة العربية التى أولع بحبها وأمدته آدابها دائما بلذة ومتاع لم يحظ بهما فى لغة أخرى . وما كان يتوقع أن كتابه سيروق العرب أنفسهم ، وستستعين به الإدارة الثقافية بالجامعة العربية فى تأسيس معهد من معاهدها .

وتبودلت الرسائل بينه وبين الإدارة الثقافية زمنا ، فرسم معها منهج الترجمة ووسائل تنفيذها . واقترح عليه تدارك بعض ما فاته ، وعرضت عليه فهارس مخطوطات مكتبات عربية لم يقف عليها من قبل . وبروح العالم المخلص رحب بها ، وود أن لو أضيفت إلى جهوده البيليوجرافية السابقة . ورغبة منه فى تقديم معونة صادقة والقيام بإسهام أتم وأكمل ، عرض على الإدارة الثقافية أن يقوم هو نفسه بترجمة كتابه إلى العربية ، وبعث فعلا بنموذج من هذه الترجمة ينصب على مقدمة الكتاب ما أشبهه بتأليف جديد منه بترجمة نص قائم . وكأنما شاء أن يتدارك نقصا وأن يستكمل مادة . وليته استطاع أن يتابع ترجمته حتى النهاية . ولم يفت الإدارة الثقافية أن تفيد من هذا النموذج ، ووضعته تحت يد المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار الذى استطاع أن يترجم أجزاء ثلاثة من الكتاب ، نشرت ونفد أولها ، والأمل كبير فى أن تترجم الأجزاء الباقية .

هذا هو كارل بروكلمان فى دراساته البيليوجرافية ولاشك فى أنه خدم العربية خدمة نذكرها ونقدرها ، وقد شاءت جامعة مارتن لوثر بمدينة هالة أن تحتفل فى منتصف سبتمبر الماضى بمرور مائة عام على مولده ، وهو أحد أساتذتها ، ورئيس معهد الدراسات الشرقية بها . ووجهت الدعوة إلى نفر من الباحثين لكى يسهموا معها فى هذه الذكرى ، ولباها عدد غير قليل من مفكرى العرب وأدبائهم ، حرصا منهم على أن يشتركوا فى ذكرى باحث أحب العربية فى إخلاص ، وأفنى حياته فى خدمتها ، وكانت هذه الذكرى عامرة بالدرس والبحث . ثلاثة أيام كاملة قضيناها فى درس متصل صباح مساء فى ثلاث قاعات ، خصصت أولاها للأدب واللغة ، ووقفت الثانية على التاريخ ، والثالثة على الفنون والآثار . وكل تلك ميادين كان بروكلمان فيها من الرواد والمتخصصين

والمتخصصين . ونعتقد أن هذه الدراسات ستخرج قريبا للقراء وسينتشر ثمارها بين الناس . ونود فقط أن نشير إلى شئ من جانبها اللغوى ؛ فقد أخذنا بما رأينا من تعلق بعض شباب الألمان باللغة العربية فى جامعتى هالة وليبتزج ، فهم يجيدونها قراءة وكتابة ويحسنون نطقها والتحدث بها أحيانا ، ومنهم من لم يضع قدمه فى العالم العربى بعد ، وكأنما يريدون أن يستعيدوا أيام بروكلمان فى هالة ، وفيشر فى ليبتزج ، ولهذا الشباب دراسات فى فقه اللغة ونحوها لا تخلو من عمق ودقة ، ومنها ما يفتح آفاقا جديدة فى علم اللغة المقارن .

ولم تدخر ألمانيا الديمقراطية وسعا فى العناية بمن وفدوا إليها ؛ استضافتهم نحو أسبوعين ، وأمتعتهم بريفها الجميل ومناظرها الطبيعية الرائعة ، وطافت بهم فى كبرى مدنها الصناعية والتجارية ، ومكنتهم من زيارة بعض المتاحف والمعاهد . ويسرنى أن أنوه هنا بسياحة فى مكتبتين : إحداهما مكتبة المخطوطات الشرقية الشهيرة بمدينة جوتة ، والأخرى مكتبة جامعة ليبتزج . وفى هاتين المكتبتين ذخائر ومخطوطات يرجع العهد ببعضها إلى القرن الثانى الميلادى . وفى مكتبة جوتة ، بوجه خاص ، كنوز عربية ما أجدرنا أن نكشف عنها ، ونرسل بعوثا خاصة لدرسها ، وتصوير ما ينبغى تصويره منها ، ونعتقد أن ألمانيا الديمقراطية ترحب بذلك ، وترى فيه سبيلا من سبل التعاون الثقافى الذى تنشده .

* * *

وتخليدا لذكرى بروكلمان رأت جامعة مارتن لوثر أن تنشئ معهدا خاصا يحمل اسمه وتزدهر فيه الدراسات العربية كما ازدهرت على يديه . ولعلها تفكر إعادة طبع كتاب « تاريخ الأدب العربى » ، وإضافة ما كشف عنه من أصول ومخطوطات فى العشرين سنة الأخيرة . ولن يفوت العرب بدورهم أن يسهموا فى هذا التخليد . وأيسر سبيل لذلك أن تتم الجامعة العربية ما بدأت وتستكمل ترجمة هذا الكتاب نفسه .

وفى وسعها أن تضيف إلى هوامشه وملحقاته قدرا من ذخائرها فى معهد المخطوطات الذى كان لبروكلمان شأن فيه .

# محمد كامل حسين

## ( كامل حسين الأديب )

سيداتى ، سادتى :

رحم الله كامل حسين بين الخالدين الأبرار ، ورحمه الله بين الزملاء الأخيار ، ورحمه بين الأصدقاء الأوفياء . ولقد عرفته منذ نصف قرن أو يزيد ، وعرفته أديبا قبل أن أعرفه عالماً وطبيباً ، وهذه هى الناحية التى أود أن أقف عندها قليلا ، وعرفته من خلال صحيفة أحدثت ما أحدثت من حركة فى حياتنا الأدبية والفكرية ، وأعنى بها « السياسة الأسبوعية » ، كان يسهم فيها مع قادة النهضة الأدبية المعاصرة حين ذاك . أمثال الدكتور هيكل وطه حسين . واختار لنفسه اسما مستعاراً هو « ابن سينا » ، وسألت عن « ابن سينا » القرن العشرين ، فقيل لى إنه طبيب شاب حصل على بكالوريوس الطب ولما يجاوز الثانية والعشرين ، وما إن أمضى سنتى الامتياز بطب القاهرة حتى أوفد فى بعثة إلى إنجلترة ، ومن هناك كان يراسل « السياسة الأسبوعية » وينشر فيها بواكير إنتاجه الأدبى ، ولم تقف مقالاته عند الطب والصحة العامة ، بل امتدت إلى « اللغة » ، والبحوث الأدبية ، ولو سمى نفسه « ابن المقفع » ، أو « عبد الحميد » ما عز عليه .

وجمعتنى وإياه مجالس لطفى السيد ، وكم كانت ملأى بالأدب والحكمة بالعلم والفلسفة ، بالتوجيه والإصلاح . وتمر بنا أمور لها شأنها ، وقل أن نفكر فى تسجيلها مع أنها من ذخائر الماضى وعدد المستقبل . وما أشبه مجالس لطفى السيد بمجالس « الإمتاع والمؤانسة » ، وإن لم تجد بين المعاصرين من يعنى بها

كما صنع أبو حيان التوحيدى . وكان صوت كامل حسين فى هذا المجلس مسموعا ، وكلامه عذبا ، وتعليقه واضحاً ونقده سمحاً. وكان يعرف منزلته بين العلماء والأطباء ، ومع هذا كان حديثه فى تلك المجالس يدور غالباً حول الأدب واللغة والإصلاح والتجديد . ولا أزال أذكر مجلساً منها عقد بقاعة لطفى السيد فى نادى محمد على — نادى التحرير اليوم — على أثر ظهور قصة أديبنا الخالدة : « قرية ظالمة » ، وكان بين من شهدوا هذا المجلس عبد الحميد بدوى ، وبهى الدين بركات . وما كان أشبهه بحفل تكريم منه بمحاكمة أدبية ، وإن لم يخل من تندر رقيق وخشية وتوجس من أن تثير القصة بعض رجال الدين وقد سبق للحاضرين جميعاً أن قرأوها ، وقدروها قدرها ، وكأنهم كانوا يتوقعون ما ستحظى به من إعجاب وتقدير لدى كبار الكتاب والمثقفين .

وتوثقت صلتى به يوم أن اختير عضواً بمجمع اللغة العربية عام ٥٢ ، وسعدت باستقباله وقلت فيه حين ذلك : « قل أن نجد من يقبل على الثقافة إقباله ويحب القراءة حبه ؛ فلا تكاد تذهب إلى محاضرة عامة فى علم أو أدب أو فلسفة إلا وتراه فى مقدمة المستمعين . ولا يكاد يظهر كتاب قيم فى العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية إلا ويسارع إلى قراءته . وكم ساءلت نفسى كيف يوفق صاحبنا بين هذا وبين أعبائه المتعددة ، فى درسه ، وفى عيادته الخاصة ، وفى سهره على مرضاه فى منازلهم أو فى المستشفيات » .

ولم تقف قراءة كامل حسين عند ( الحديث والمعاصر ) ، بل أبى إلا أن يجمع بين الماضى والحاضر ودون أن أعرض لإلمامه الواسع بالثقافات العالمية الكبرى ، أحب أن أشير إلى تمكنه من الثقافة العربية . عرف أصولها وأحاط بشتى جوانب درسها فى عمق وسعة ، وكون فيها رأيه الخاص . ولا أظن أن من بين أقرانه من عنى بقراءة « المغنى » « والتصريح » فى النحو ، أو من فتش كثيراً فى « القاموس » « واللسان » من كتب اللغة ؟

أما الأدب فله فيه درس وبحث ، ونقد وتعليق ، وحكم ورأى ، وقد وقف طويلا عند المتنبى وأبى العلاء ، وكشف فى مجمع الخالدين عن حسه اللغوى وذوقه الأدبى .

* * *

وكتب اللغة فى رأيه تحتاج إلى تعديل وتنقيح ، فتكتب بروح العصر وفى ضوء التقدم العلمى الحديث ، وتستبعد منها المماحكات اللفظية ، والتعليلات السطحية . ونحن باختصار فى حاجة ماسة إلى معجم حديث مصفى ، حديث فى اختيار ألفاظه ، حديث فى تحديد معانيه . لا يذكر فيه اختلاف اللهجات ، ولا استعمال الأضداد للفظ الواحد ، ولا يقبل فيه إلا صيغة واحدة للكلمة . وإلا مصدر واحد للفعل ، وإلا جمع واحد للاسم وتشرح فيه الألفاظ شرحاً دقيقاً واضحاً ، يتمشى مع ما انتهى إليه العلم الحديث .

* * *

يقدر كامل حسين العربية قدرها ، ويعتز بها ، ويريد لها أن تستعيد مجدها وأن تصبح لغة العلم والفن ، وأن تؤدى رسالتها على أكمل وجه ، وأن تأخذ مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى . ينقد بعض جوانبها ، ولكنه نقد بناء يرمى إلى الإصلاح والتجديد ، وليس ثمة لغة لا مأخذ عليها . وحسه الأدبى لايقل عن حسه اللغوى . درس الأدب العربى درساً عميقاً ، وحاول أن يطبق عليه المنهج المقارن ، فيقارن أدباء العربية بعضهم ببعض ويقارنهم ببعض الأدباء العالميين . وفى المقارنة تشويق وفتح لأبواب مغلقة .

ولعله لا يسلم بنظرية التحليل النفسى ( سيكلوجيا ) ، ولكنه لا يرفض أن يطبقها فى دراساته الأدبية . فهو يرى مثلا أن ما فى شعر المتنبى من غموض وتعقيد أحيانا إنما يرجع إلى ما صادفه من خيبة وفشل ، ذلك لأن هذا الشاعر الكبير الذى شغل الدنيا وملأ الأسماع لم يحقق شيئا من أهدافه السياسية والاجتماعية فشاء أن يتخيل فى شعره مشاكل وصعوبات يحاول تذليلها ، فينجح هنا بعد أن فشل هناك . ونقائض الفرزدق ، وقوله الفاحش ، وهجاؤه المقذع حتى لنفسه وأهله ربما كان وليد ضعف وقصور فى الشخصية .

وبعكس هذا سما فى رأيه أدب أبى العلاء بسمو شخصيته ، وهو عنده أقوى رجال الأدب العربى شخصية ، وأعمقهم تفكيراً ، وأصدقهم عاطفة ، وأحدهم ذكاء ، حقا إن نثره وشعره لم يخلوا من مآخذة ؛ ففى سجعه ضعف وتكلف احيانا ، وفى شعره تشبيهات غامضة ، وفى معانيه تكرار ، وفى تعبيراته إسراف

عذوبته من رقة صاحبه ودماثة خلقه ، يقرب الأفكار البعيدة ، وييسر البرهنة الدقيقة يمقت الصناعة اللفظية والجمل الطنانة ويكره السجع والتكرار ، كان معجبا بالفكر المستقيم ، ويعده أكبر نعمة وأكبر لذة فى الحياة ، والفكر المستقيم يؤدى عادة إلى تعبير مستقيم .

رحم الله كامل حسين رحمة واسعة ، وجزاه خير الجزاء .

والمشكلة فى حقيقتها مزدوجة ، هى مشكلة قراءة وكتابة معاً ، وليس من اليسير أن يقدم لها حل يعالج الجانبين معاً . واتجهت اللجنة خاصة إلى معالجة مشكلة القراءة ، فأوصت بالتزام الشكل الكامل فى كتب المرحلة الابتدائية وبشكل أو آخر الكلم فى كتب المرحلة الإعدادية ، وبشكل ما يتوقع خطأ التلميذ فيه فى كتب المرحلة الثانوية ، ورحبت وزارة التربية والتعليم بذلك ، وفى هذا ما ينشئ التلميذ على القراءة الصحيحة والنطق السليم . ودرست اللجنة فى تفصيل صور الحروف والهمزات وعلامات الترقيم فى صندوق الطباعة العربية ، ورأت الاكتفاء بصورة واحدة للحرف الواحد كيفما كان موضعه فى الكلمة وخفضت صور الهمزة وعلامات الترقيم . فهبطت بصندوق الطباعة العربية إلى ١٣٥ صورة ، واقترب كل القرب من صندوق الطباعة اللاتينية الذى تبلغ صوره ١١٥ .

ووضعت لذلك نموذجاً صادف نجاحاً ملحوظاً ، واخذ به كثير من دور النشر وسبك الحروف . وكم كان زكى المهندس ، وهو أستاذ خط بقدر ما هو أستاذ أدب ولغة ، عوناً للجنة فيما انتهت إليه من صور وأشكال . ولا شك فى أنا نقرأ اليوم أكثر مما نكتب ، ولا تزال مشكلة الكتابة فى حاجة إلى معالجة وتيسير وليتنا نقنع بخط الرقعة كتابة ، ونعرف كيف نمكن أبنائنا من تجويده .

وأما لجنة الأصول فهى لجنة التجديد والتطوير ، لجنة التشريع اللغوى إن صح هذا التعبير ، وواجب المشرع أن يلحظ الظروف والملابسات ، وأن يسعى جاهداً إلى سد حاجات العصر ومقتضياته .

ولجنة الأصول من أهم لجان المجمع ، بدأت تعمل فى نشاط منذ دور الانعقاد الأول ، وأنتجت بعد بحث وتمحيص ، واطرد إنتاجها دون انقطاع واستطعنا عام ثلاث وستين أن نخرج ثمار هذا الإنتاج طوال ثلاثين سنة ، من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين . أخرجناه فى مجلد بعنوان: « مجموعة القرارات العلمية » ، ويقع فى أربعة أبواب : أولها « فى أقيسة اللغة وأوضاعها العامة» ، وثانيها « فى الترجمة والتعريب وكتابة الأعلام » ، وثالثها

« فى وضع المعجمات والمصطلحات » ، ورابعها « فى تيسير النحو والصرف والكتابة العربية » ، ويشتمل على ما يزيد عن ٢٠٠ قرار .

والتطوير فى شد ومد دائما بين تيارين متعارضين: تيار التيسير والتجديد، وتيار الجمود والمحافظة، وربما طغى أحدهما على الآخر . وللمجمعيين حوارهم وجدلهم ، وقد تنزع مناقشاتهم أحيانا منزعا نظرياً ، وتسمى عن قصد أكاديمية فتنسى الملاءمة بين الماضى والحاضر وتعجز عن سد الحاجة ، وتبطئ بالنهوض المنشود . عاش زكى المهندس ١٥ سنة أو يزيد رئيساً للجنة الأصول فى هذا الجو وتحت ضغط هذا التقابل ، وقد واجهه فى حضور بديهة وسرعة خاطر ، فى مهادنة ومسالمة ، فى صبر وجلد نادرين . وكثيراً ما امتد بحث الموضوع الواحد فى هذه اللجنة شهراً أو شهرين ، تقدم فيها البحوث تلو البحوث ، وتثار وجهات النظر المختلفة ، فكان الخاض عسيراً والوصول إلى قرارات غير يسير . ومع هذا استطاعت أن تخرج فى هذه المدة مجلدين متلاحقين « فى أصول اللغة » ظهر أولهما عام ٦٩ ، وثانيهما عام ٧٥ ويشتملان على أعمال ١٤ دورة من دورات المجمع ، وفيهما ما يكشف عما بذل فى سبيلهما من جهد صادق وعمل دائب ، أشرف عليه زكى المهندس ورعاه . فيها عود على بدء وتدارك لبعض ما فات ، أو تيسير وتجديد فى أقيسة اللغة وأوضاعها ، وفى بعض الأحكام النحوية والصرفية ، وفى بعض الألفاظ والأساليب العربية والمعربة .

رحم الله زكى المهندس بين العاملين الأبرار ، ورحمه الله بين الزملاء الأخيار ورحمه الله بين المخلصين الأولياء ، والسلام عليكم ورحمة الله .

## خاتمـة

حمل مجمع اللغة العربية راية السرايا منذ نشأته فسمى مجمع فؤاد الأول ومجمع فاروق وأستطيع أن أقرر أنه لم يفد كثيراً من هذه الراية . وكنت آمل أن يكون لها دور فى اختيار مكان ملائم له ما دام يحمل رايتها وقد بدأ أول اجتماع له فى بيت أنيق على شاطئ النيل من الجانب الغربى فى الجيزة وأعتقد أنه كان فى الإمكان أن يخصص هذا الموقع للمجمع ولكن يظهر أنه عز على المسئولين أن يشغل المجمعيون هذه الدار وقضى هؤلاء المجمعيون نحو ثلاثين عاماً أو يزيد متنقلين بين دور متواضعة مختلفة فى قلب القاهرة أو فى الجيزة ورحم الله الزميل الكريم بدر الدين أبوغازى الذى مكننا بعد أربعين عاماً تقريباً من الموقع الذى نشغله الآن على شاطئ النيل ولو تأخرنا قليلا ما وجدنا سبيلا إلى هذا الشاطئ واستطاع المقاولون العرب أن يقيموا المبنى الذى نشغله فى فترة محدودة وإن حالت الاعتمادات المالية أحياناً دون متابعة السير وأصبح لمجمع اللغة العربية المصرى مبنى يتلاءم مع رسالة مصر فى خدمة اللغة .

وتلك صعوبة ذللت بعد فترة طويلة وصادفتنا صعوبات أخرى تتعلق بالطبع والنشر وإخراج إنتاج مجمع اللغة العربية إخراجاً يتلاءم مع سمو موضوعه ومع الدور الذى انطلقت به مصر لخدمة اللغة أمام العالم العربى الإسلامى ، وكم كنا نتمنى أن تكون هناك دار متخصصة فى هذه الناحية فتتلقى إنتاج المجمع وتقوم بإخراجه الإخراج الملائم وتشرف على توزيعه ونشره فى العالم العربى والإسلامى وطلابه كثيرون وقد يحضر بعضهم إلى دار المجمع ليحصل على ما يستطيع الحصول عليه من مطبوعات وإذا كان إنتاج المجمع فى ربع القرن الأول من حياته قليلا أو معدوماً أحياناً فإنه نما على مر الزمن فى الربع الثانى ويكفى أن أشير إلى أنه أخرج من المعجمات على سبيل المثال :

المعجم الوسيط الذى يعتبر المعجم العربى المصرى الذى يحرص طلاب العربية على اقتنائه وقد أعيد طبعه غير مرة لدى ناشرين اتجروا به ولم يستأذنوا المجمع فى شىء وأخرج أيضاً معجماً وجيزاً مستخلصاً من المعجم الوسيط

وأسعدنا أن وزارة التعليم شاءت أن تجعل منه معجماً مدرسياً لكى يحل محل مختار الصحاح .

والمجمع الآن بصدد معجم كبير اخرج منه جزاين انصب أولهما على حرف الهمزة وانصب الثانى على بعض الحروف التالية وأملنا كبير فى أن يخرج الجزء الثالث إلى النور قريباً .

واتجه المجمع أيضاً نحو إحياء التراث واخرج منه قدراً كان مهملا ككتاب « التكملة والذيل والصلة » للصغانى ، و « الجيم » للشيبانى و « كتاب الأدب » للفارابى وهو يرحب بكل تحقيق يضطلع به الباحثون فى ميدان الأدب أو اللغة .

وله معجم آخر خاص فريد فى بابه وهو معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى أخرجه فى أجزاء منفصلة على مر الزمن ثم انتهى به أخيراً إلى طبعة ثالثة فى جزأين يتوالى السؤال عنهما والإفادة منهما .

هذه هى ناحية الطبع والنشر ويعانى المجمعيون فيها ما يعانون ولا يزالون يأملون فى أن تضطلع بذلك هيئة تسد الحاجة وتحقق النشر الدقيق الذى يتلاءم مع المؤلفات اللغوية .

( I. S. B. N - 5037 - 04 - 2 )

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة
رمزى السيد شعبان

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٩٠٣ / ١٩٩١

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٩٥٦٦ — ١٩٩٣ — ٣٠١٢

# مجلة مجمع اللغة العربية

## بحوث مؤتمر الدورة
## الخامسة والستين
## القسم الثانى

العدد التسعون
شعبان ١٤٢١هـ
نوفمبر ٢٠٠٠م

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين في السنة )

## العـــدد التســـعون

( القســـم الثاني )

شعبان ١٤٢١ هـــ / نوفمبر ٢٠٠٠م

محررا المجلة :

جمال عبد الحى أحمد

خالد محمد مصطفى

# الفهرس

# الفهرس

# الفهرس

# أولاً :

# بحوث ألقيت في المؤتمر

## العربية لسان الله تعالى ، نزّل بها آدم عليه السلام ... *

للأستاذ علي رجب المدني

آن لأولي العلم والشجاعة في الحق أن يدلوا بدلائهم ، ليزيحوا الغطاء عن هذه الحقيقة الكبرى .

**حضرات الزملاء الأجلاء :**

كان من نعم الله عليَّ أن هداني لإطلاق صيحة الحق هذه في دورة مؤتمرنا العتيد ( الرابعة والستين ) بالبحث الذي شرفت بإلقائه على أسماعكم الكريمة العام الماضي .

ولعلكم تذكرون أن السيد الجليل رئيس المجمع تفضل فتدخل – فور انتهائي من إلقائه – طالبًا التمهل في التعقيب والتعليق عليه؛ حتى يتسنى – لمن يود ذلك – المزيد من البحث والتأمل مراعاة للطبيعة غير العادية لموضوع ذلك البحث. ولقد كان هذا الرأي من لدن السيد الرئيس بادي الوجاهة والحكمة وبُعد النظر؛ مما آمل أن يتكشف عن مداخلات تثري الموضوع وتوليه حقه من البحث والإيضاح والدفع به إلى ساحة الاهتمام العام .

وها أنا اليوم أعود لأستصرخ الضمائر والمدارك الرفيعة لدى كل من لا تأخذهم في الحق لومة لائم – وأنتم من يمثلون الطليعة بين هؤلاء – أن يتجاوبوا مع هذه الصرخة ويبسطوا لها من عقولهم وألسنتهم وأقلامهم أجنحة تمكنها من أن تأخذ طريقها إلى مدارك الناس أجمعين ووعيهم وتعيد حقيقة من كبريات الحقائق إلى عرشها وتألقها .

**أيها السادة :**

ليس من الغيبيات أن القرآن الكريم مصوغ بلغة عربية خالصة ، وكذا الاعتقاد بأن الله صائغه إنما يستتبع بالضرورة الاعتقاد بأن العربية هي لسان الله تعالى .

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة السابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم السبت ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٣ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٩م.

وليس من الغيبيات كذلك أن آدم وزوجه وبنيه ونبي الله نوحًا وقومه وهودًا وصالحًا وقومهما هم جميعًا عرب ، وأن القواميس العربية الكبرى ، وفي مقدمتها لسان العرب لابن منظور ، وكتب التاريخ الخالية من الزيف والخيال كلها تسلم بأن أولئك الرسل وأقوامهم – وهم طلائع وأصول الجنس البشري – كانوا جميعًا عربًا في تخاطبهم وأسمائهم وأسماء أقوامهم، وهذا يكفي للقول بأن العربية هي أصل اللغات وأن الناطقين بها هم أصل الجنس البشري، كل هذا ليس مجرد إيمان بالغيبيات ، وإنما هو إيمان بحقائق ناصعة الوضوح لا تقوى أية مفتريات في التاريخ على دحضها وإحلال تصورات أخرى محلها...

ولئن كان من المسلم به – إيمانًا – أن علم الله يستوعب كل ما استحدثه البشر من ألسن ولهجات وأنه أحاط بكل شيء علما ، لكن ذلك لا يمكن أن يغطي حقيقة أن العربية هي لسان الله تعالى الذي تنزه عن أن يستعمل غيره في صياغة كتاب يخاطب الإنسان في كل مكان وزمان ولا يختص قومًا بعينهم ... وهو لسان أبيهم الأول آدم عليه السلام .

ولقد ألمحت في بحثي بالدورة الرابعة والستين إلى أن كل ما أورده القرآن من أخبار الرسل السابقين وأخبار شعوبهم وما أورده من حوار مع مختلف الأطراف منذ حادثة خلق آدم عليه السلام ، وأن ذلك يؤكد حقيقة أن كل تلك الأطراف إنما كانت تتكلم العربية ، كما ألمحت إلى أن جميع ما ينسب إلى السماء من كتب وصحف قبل محمد صلى الله عليه وسلم لم يبق له وجود على الأرض منذ أن رفع المسيح عليه السلام ، وأن هذا وحده كاف للتعتيم على مقولة أن لغات غير العربية كان لها دور في كل ذلك .

ولعل من أسس الإيمان بالله وأصوله الاعتقاد بأن العربية لسان الله

تعالى التي علمها ملائكته ورسله منذ آدم وجعلها لغة الأسماء كلها التي علمها آدم منذ خلقه إياه ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ الآيات من ٣١ إلى ٣٣ من سورة ( البقرة ).

إن بعضًا مما يصر الناس على تسميته (حقائق التاريخ) ويعرضونه في عداد المسلَّمات لا يعدو كونه من قبيل الأساطير كتلك التي تتحدث عن آلهة وإلاهات الجمال والحب والشمس والحرب وما شاكلها من إلاهات وآلهة تثير السخرية والضحك وهي مما تزخر به المدونات والمؤلفات منذ القدم – ولسنا معنيين بمخاطبة واضعيها ولا معتنقي ما تضمنته من هراء وأراجيف–وهي لا ترقى بحال إلى مستوى الحقائق التاريخية التي تضافرت لها أدلة الصدق والجدية والتأييد مثل ما تضافر لحقيقة ( أن العربية لسان الله تعالى نزل بها آدم عليه السلام ) .

إن آصرة النسب لواضحة بين الكثير من مدونات التاريخ وتلك الأساطير؛مما جعل مقولات التاريخ - في معظمها – ظنية لا يطمئن اليقين الواعي لاعتناقها والتسليم بها دون كثير من البحث والتمحيص والاتهام .

**حضرات الزملاء :**

إنه لا يجوز أن يدعي أحد أنه قد وُجد ( أو سيوجد ) على مساحة الكرة الأرضية كلها بشر غير عرب إلا إذا جاز القول بأن ثمة أعراقًا تنحدر من صلب أب للبشرية غير آدم العربي الذي نزل باسم عربي وحاوره ربه منذ ساعة خلقه بلسان عربي وانطلقت من صلبه كل أجيال البشرية التي كانت تنطق العربية ووجدت قبل

الطوفان وبعده. وذلك كله إذا اقتنعنا بأن العربية إنما تخضع للتعريف الذي أصدره محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –في قوله لزعماء قبيلتين من العرب تباروا أمامه في التدليل على التميز في الانتماء العربي : «ليست العربية في أحدكم من أب أو أم وإنما هي لسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي...»وقوله في خطبة الوداع: «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم من آدم وآدم من تراب » .

إن توزع البشر إلى قوميات وقبائل لا ينال من حقيقة انتمائهم الأول ، وأنهم ينحدرون من صلب عربي واحد ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة... ﴾ الآية (١) من سورة النساء .

وإذا قصرنا اهتمامنا ونظرنا على المراجع التاريخية الجادة التي ترفَّع مؤلفوها عن تزييف التاريخ فلم يجنحوا إلى الخيال العابث ، وإنما استشرفوا حقائق التاريخ الإنساني من خلال شفافية روحية عالية اقتربت بصبر وجلد على البحث والتحقيق وتقصِّي الملابسات ، في ظل إيمان صادق وعميق بالحقيقة العظمى المتمثلة في القرآن ، وما تضمنه من دلالات وإشارات وينابيع مَعلومات لا يأتيها الباطل ، وآيات صريحة دالة على أنه صدر عن الله بلسان عربي مبين وأنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ، وإذا استقر اليقين لدى سكان كوكبنا على أن من يسكنه من بشر إنما هم – جميعا – امتداد لآدم العربي وحده وأنه لم يدع أحد الانتماء أصلاً لغيره فإنه لا مناص من التسليم بأن البشرية التي تسكن الأرض منذ آدم العربي الذي حمل اسمًا عربيًّا وتكلم وذريته – حتى عهد إبراهيم وابنه إسماعيل- العربية إنما هي شعوب عربية رغم ما طرأ عليها من تشتت أدى إلى استخدامها العديد من التغيرات والمصطلحات التي اختلفت عن جوهر

العربية في أصولها الأولى وتهذيباتها الثلاثة -التي بدأت بالتهذيب الأول على عهد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وهي ما عرف باللغة الخالصة- وما كان لذلك الاختلاف أن يحول دون التسليم بأن العربية هي الأم وأن ما استجد حولها من ألسن ولهجات ليست ندًّا لها ولا تصلح موضوعًا للمقارنة بل ولم تحُل أصلاً دون أن تتكلم شعوبها في بدايات الشتات البشري العربية الأصلية وتعي مضامينها .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا ﴾ الآية الأولى من سورة النساء .

إن من الحقائق التاريخية التي يتعين التوقف عندها لمزيد من التأمل واستنباط الدليل ، حقيقة أن أبانا آدم -عليه السلام - كان قد عاش إلى عهد حفيده نوح - عليه السلام - الذي كان ينتمي إلى قوم حملوا اسم ( بني راسب )، وما من شك في أن ( بني راسب) هؤلاء كانوا يمثلون فئة كبرى من ذرية آدم التي تكاثرت على مدى السنوات الألف الفاصلة بين نزول آدم وعهد نوح عليهما السلام ، وهذا كاف لإلقاء الضوء على حقيقة أن ذرية آدم جميعها كانت عربية تتكلم العربية وتحمل اسماءً عربية دل عليها اسم قوم نوح ( بني راسب ) وأسماء نوح وبنيه والثمانين الذين اصطحبهم معه في الفلك ونزلوا معه ومع بنيه الثلاثة عند الجودي وأنشؤوا في سفحه المدينة التي أطلقوا عليها (الثمانين) تخليدًا لعددهم عندما غادروا السفينة،وقد أوردنا ما ذكره المسعودي في (مروج الذهب) من أخبارهم وما أكده من أن مدينتهم تلك كانت لا تزال تحمل ذلك الاسم حتى تاريخ تدوينه لهذا الحدث التاريخي ( أي إلى سنة ٣٣٢ من الهجرة النبوية ).

فإذا أضفنا إلى الحقائق المتقدمة حقيقة أن أول من عُرف من شعوب عقب الطوفان إنما هم قوم عاد ( الأولى ) وثمود أي قوم هود وصالح عليهما السلام وأن هذين الرسولين وقومهما كانوا من العرب الذين عرفوا في التاريخ المعاصر المتداول عالميًّا بالعرب البائدة ، وأن بعضًا منهم أفلتوا من الهلاك وانتشروا إلى ما بعد عهد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، إذا وضعنا كل ذلك في أذهاننا فإننا لا نملك إلا أن نسلم بحقيقة أن العربية - لغةً وانتماءً- كانت المتفردة، وإن ما دخل عليها من ألسن ولهجات إنما كان ثمرة التطور والتشتت ونشوء متطلبات ومستحدثات في حياة البشر أدت إلى نشوء كل ما نشأ من مفردات وأساليب نطق فرضت نفسها - على مر القرون- كأساليب نطق سائدة استحقت أن تحمل اسم ألسن أو لهجات . كما لا نملك إلا أن نسلم أن من تعاقب من الرسل منذ إبراهيم وبنيه كانوا جميعًا عربًا يتكلمون العربية .

ولا يفوتني أن أذكر هنا أن السيد المهندس رائف نجم وزير الأوقاف الأردنيّ الأسبق ، كان قد صرح في حوار أجري معه في برنامج ( الشريعة والحياة ) الذي تذيعه قناة الجزيرة الفضائية أسبوعيًّا ، ( وكان حوارًا سعدت بمتابعته مساء يوم ١٩٩٨/٩/٦) أقول إنه قد صرح بما نصه :

أن القدس كانت عربية منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ( أي منذ ما يقرب من خمسة آلاف عام ) وهذا يشمل الفترة التي وجد فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام والملك نمرود اللذان أورد القرآن ما تم من حوار بينهما في سورة البقرة .

كما أفادت تقارير حفريات واكتشافات علمية أذيعت في الشهر الثامن من السنة نفسها وأكدت بشكل يقيني أن العربية هي اللغة المتداولة في تلك الفترة في منطقتي العراق وفلسطين

وبالأحرى في المناطق الأخرى من الجزيرة العربية ، وهي المناطق التي شهدت تحركات سيدنا إبراهيم وبنيه على ما هو معروف في التاريخ دون منازع ، ومن شأن ذلك أن يلقي الضوء على حقيقة ما أورده ابن كثير في البداية والنهاية من أن أبياتًا خمسة من الشعر العربي وجدت منقوشة على قبر سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مما يمكن الرجوع إليه في ترجمته لذلك الرسول العربي العظيم، كما يلقي الضوء على حقيقة عروبة بنيه وأحفاده جميعًا الذين وصف القرآن بعضهم بالظالمين في الآية الكريمة : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ... ﴾ الآية ، وهم ممن جنحوا إلى التنكر لكل القيم الكريمة وإلى محاولة تزييف وتحريف كل شيء حتى مفردات العربية التي لووا بها ألسنتهم لدرجة أنهم استحدثوا – دون حياء – تقديمًا وتأخيرًا بين الراء والباء فقالوا العبرية بدلاً من العربية سفهًا وبغيًا ورغبة في التميز والخروج على المألوف .

إن العبرية والعبرانية مفردتان مترادفتا المضمون جاءتا على أحد تعليلين من اسم ( عابر ) أحد أحفاد سام بن نوح الذي وُضع في أذهان اليهود ومعتقداتهم أنهم ذريته التي تتصل من خلاله نسبًا بسام بن نوح ، أما التعليل الثاني فإنه يذهب إلى أن العبرية أو العبرانية إنما جاءت من عبور أبينا إبراهيم عليه السلام نهر دجلة متجهًا إلى فلسطين ومصر . وسواء أخذنا بهذا التعليل أم بذلك فإن كلاً منهما يصب في معين واحد هو إبراهيم عليه السلام الذي قلنا عن عروبته ما يمكن الاكتفاء به كحد أدنى في هذه المرحلة ، وهو ما يكفي لإلقاء الضوء على حقيقة ارتباطنا به جميعًا كأبناء له عرب نمثل جميعًا امتداداً لعروبته وعروبة آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا... ﴾

صدق الله العظيم ، الآية (٧٨) من سورة ( الحج ).

ولو صح عن اليهود الانتماء الحقيقي لإبراهيم بدماء نقية طاهرة لما استباحوا لأنفسهم ما ظلوا يستبيحونه عبر التاريخ من بغي وعدوان وتمرد على قيم الأخلاق ونواميس الإنسانية التي لا تسمح لأبناء الأب الواحد أن يتنكروا لروابط الدم ويندفعوا في مسيرة العدوان والتتبير والحقد الأعمى وتشريد الإخوة من أرضهم ومساكنهم، كما نراه مستمرًا كل يوم في فلسطين وخارجها .

إن ما تقدم يلقى مزيدًا من الضوء على حقيقة أن استخدام تعبير العبرية لا يعدو أن يكون محاولة ساذجة للخروج من تحت رداء العربية بغية التميُّز، وأنها مجرد حيلة أملاها الشيطان على ألسنة من ابتدعها وروج لها لتمهد السبيل إلى كارثة التمزق والانفصال والتصادم بين أبناء الأسرة الواحدة كجزء من مسلسل الإفساد في الأرض ، فلا مضمون للعبرية إلا أنها العربية محرفة ومقصودًا من وراء تحريفها الوصول إلى كل الأهداف الشريرة التي حقق من تعاقب من أخلاف محرفيها معظمها ولا تزال أحلامهم المريضة تغريهم بالمضي وراء سراب استكمالها رغم ما يحيق بهم من ذوبان هبط بكيانهم من أعلى منزلة احتلوها في هذا الكوكب على عهد داود وسليمان عليهما السلام ، حيث كانوا أعظم وأقوى أمة على الأرض ، إلى مجرد شرذمة ممزقة من شذاذ الآفاق تراهن على غرائز البشر ونزعات الشر لتنشر الفساد في الأرض وتحول دون التوجه الحقيقي إلى الله توجهًا قائمًا على التوحيد والتوحد والتجرد من كل نزعات البغي والعدوان .

﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة...﴾ ، الآية (١١٢) من

سورة (آل عمران) .

إن التحصن من بغي الإخوة إنما يتطلب تماسك الفريق العاقل وتحصنه بمفهوم القوة المطلق بتدعيم كيانه اقتصاديًّا وعلميًّا وحضاريًّا ودفاعيًّا وإنسانيًّا بالقدر الذي يتكفل بسد جميع المنافذ على الشقيق المتمرد الباغي على قوانين الله حتى يتم إحباط خططه العدوانية واستمالة من لا تزال به بقية من النوازع الإنسانية والأخلاقية من فريقه للعودة إلى أحضان الأسرة عودة تكسر شرة البغي فيمن يتبقى من هذا الفريق على ضلاله ممن تأذن الله بأن يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، حتى ينتهوا إلى قلة قليلة لا حول لها ولا سلطان تفر بتمردها وبغيها وتختبئ وراء الحجارة تتستر بها ( كما ورد في الأثر ) حتى تقوم الساعة .

إن الله لم يلعن إسرائيل عليه السلام الذي ننتمي إليه نحن بعقيدة الإسلام وينتمون هم إليه بادعاء النسب والنبوة وإنما ﴿ لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ ، الآية (٧٨، ٧٩). من سورة المائدة .

ولست أجد تبريرًا لأي مسلم في سكوته على تطاولهم باستخدام اسم إسرائيل اسمًا لدويلة العدوان والعمالة والغدر التي زرعتها أطماع الهيمنة والتسلط الاستعماري وعززتها بكل عناصر القوة لتعيث فسادًا وفتكًا بالإخوة داخل بيت الأسرة .

وكيف يتسنى ذلك لمسلم - يعلم أن إسرائيل إنما هو رسول الله يعقوب ابن إسحق ابن أبينا إبراهيم الذي ننتمي-بأمر كتابنا- لملته والذي سمانا المسلمين من قبل وحفيده يعقوب الذي قال لبنيه إذ حضره الموت﴿ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون﴾ . والذي قال لهم

قبل ذلك: ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ والذي بنى لنا المسجد الأقصى - بعد أربعين عامًا من بناء جده إبراهيم للكعبة الشريفة - ليكون مسجدًا للمسلمين لا مصلى لليهود يمارسون فيه طقوسًا لا صلة لها بتعاليم السماء ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾، الآية (٨٥) من سورة (آل عمران).

﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ ، الآية (٨٤) من سورة (يونس) .

فالرسل جميعًا منذ آدم عليه السلام لم يجيئوا إلا بدين الإسلام . ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ، الآية (١٩) من سورة ( آل عمران ) .

إن المدخل الوحيد لساحة النصر المؤكد الذي التزم الله بتحقيقه للمؤمنين إنما يتمثل في الإيمان بالله إيمانًا فيه كل الصدق والامتثال لتعاليمه امتثالا يتجلى في الائتمار بما أمر والانتهاء عما نهى ، مع توفير ما سبق ذكره من عناصر القوة الحضارية الإنسانية والاقتصادية والعلمية والدفاعية . ﴿ وكانَ حقًّا علينا نصر المؤمنين﴾ ، الآية (٤٧) من سورة (الروم) .

إن انعدام الادعاء بوجود أي أب للبشرية وأية أم لها غير آدم وحواء عليهما السلام وذلك على مساحة الكرة الأرضية - ومنذ خلق آدم وزوجه - يجعل القول بوجود أجناس وأعراق ولغات سبقت الجنس العربي والعرق العربي واللغة العربية أمرًا غير منطقي ولا معقول ما دامت كل أفواج البشر التي تعاقبت على هذه الأرض منذ نزول آدم وزوجه إنما تنتمي بالنبوة لهذين الأبوين العربيين وتشكل بالتالي أسرة بشرية واحدة ما استمر تعاقبها، على النحو الذي أكدته الآية الأولى من سورة النساء السابق ذكرها: ﴿ يا أيها

الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا ﴾ .

ومن هنا يحق للبشرية أن تزهو باكتشاف رابطة الأسرة والأخوة والدم بين كل البشر قديمهم وجديدهم وتراجع ما درجت عليه من ممارسات تتنافى مع هذا المفهوم بما أضفته من صبغة الغربة والتغاير بين فصائلها مما أدى إلى كل ما تعاقب من أحقاد ومشاحنات وحروب ومصادمات خلقت كل ما عرفه تاريخ البشرية من مآس وآثار دمارٍ وعدوان يَنْدَى لها جبين العقلاء من بني آدم وحواء وتغضب منهما روحاهما وأرواح جميع الأنبياء والرسل والصالحين الذين تعاقبوا على سطح هذا الكوكب فضلاً عن غضب الخالق العظيم جلت قدرته وآلاؤه .

ولو قدر لهذه التصورات أن تجد طريقها إلى النور وأدمغة الناس في كل أرجاء الأرض فإن النتيجة الحتمية والطبيعية لذلك ستكون تحولاً كليًّا، وانصرافًا عن نزعات الأثرة والعدوان، وعودة إلى مفهوم الأسرة البشرية الواحدة التي يتوقع منها أن تلتزم - ولو بالحد الأدنى - من الوفاق الأسري وتبادل المشاعر الكريمة وعاطفة الود والتعاون بدلاً من غرائز العدوان وتسلط الأقوياء على الضعفاء انغلاقًا على المفهوم الضيق للعلاقات البشرية وما تعورف عليه - ضلالاً - من انتماءات لا تتفق مع مفهوم الأسرة الواحدة .

وعندئذ فقط يَحِل الحوار القائم على مفهوم الإخاء والاحترام والود محل كل ما لوث وجه الأرض من مصادمات ومنازعات وحروب خلفت من الدمار ما لا قبل للعقل السليم بتصوره أو تبريره بين الإخوة ، وتتم بذلك الاستجابة لأمر الله تعالى الذي قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في

السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ الآية ( ٢٠٨ ) من سورة البقرة .

**سادتي الزملاء الأبرار :**

إننا نستدر عفو الله ورضاه وعونه إذ نتجه بكل ما أنعم الله على مجمعنا الميمون هذا من ممكنات وقدرات وعبقريات للوفاء بأعظم رسالة حُمّلنا إياها، هي رسالة تعميم اللسان العربي على البشرية حتى تتمكن من أن تقرأ كتاب الله باللسان الذي أنزل به ولا يتأتى إدراك ما تضمنه من إعجاز إلا من خلال هذا اللسان والبلاغة التي تشعها تركيباته اللفظية التي تمثل ركنًا أساسيًا في ذلك الإعجاز الذي يَنفُذُ تأثيره إلى أعماق النفوس والضمائر والعقول ويجعل من مجموع التعاليم الإلهية التي تضمنها مسلمات تقبلها تلك العقول وتنصاع للإيمان بها ، الإيمان الذي يطلبه الله من عباده ويعلق نصرته على توافره والذي هو في الوقت ذاته الدافع الحقيقي للالتزام بأوامره ونواهيه .

إن جميع الإخوة الذين تحدثت معهم في هذا الشأن آمنوا بفاعلية قيام مؤسسة يكون هدفها إقامة مجمعات لتسجيل حصص تعليمية بالصوت والصورة تمكن من يقتني أشرطتها من أن يتعلموا اللغة العربية بالأساليب والطرق التي درجت عليها الدول المتقدمة في تعليم وتعميم لغاتها وذلك في دورات ومراحل دراسية متدرجة حتى يتحقق لهم أن يقرؤوا القرآن مفسرًا ويدركوا أوجه إعجازه على نحو ما ذكرت .

إن إمكانية قيام هذه المؤسسة ومضيها في أداء رسالتها بعزيمة ويسر يتطلب تزكية وعونًا ومساندة من مجمعنا العظيم ، وهو ما آمل أن يتمثل في أن يَكِلَ مجمعنا إلى إحدى لجانه دراسة هذا المشروع وإصدار توصياتها بما تراه من ضروب المساندة والتأييد .

**علي رجب المدنى**

عضو المجمع

من الجماهيرية العربية الليبية

## الفصحى والعامية

## العامية اليافاوية تأملات وتساؤلات *

للأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني

**مدخل:**

" الفصحى والعامية هو الموضوع الذي اختاره مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية موضوعًا رئيسيًا لمؤتمره السنوي الذي عقد في المدة من ٨ مارس إلى ٢٢ من مارس سنة ١٩٩٩م. وقد رغب إلى أعضائه أن يقاربه كل منهم " بتناول العامية في بلده وعلاقتها بالفصحى من حيث التأثير والتأثر " .

الموضوع حيوي قديم جديد . حيويّ لأنه يتعلق باللسان الذي هو وسيلة التواصل بين بني الإنسان في قوم يجمعهم لسان واحد . وقديم لأن أجيالاً شُغلت بالنظر فيه منذ أن تباعدت "العامية" عن "الفصحى" قديماً. وجديد لأنه مطروح اليوم في عصر ثورة الاتصال التي تعددت فيها وسائله إذاعة وتلفزة وسينما ومسرحًا وصحافة ومطبوعات .

تداعى إلى خاطري وأنا أتأمل في الموضوع أنني أمعنت النظر فيه قبل عقدين من السنين في صيف عام ١٩٧٨ الميلادي ، وكتبت يومها قصة انعطافي لالتزام التحدث بالفصحى ، وعرضتُ أيضاً كيف يستقبل الناس ذلك . وقد شدني هذه المرة أن أتحدث عن العامية في بلدي . والحديث عن البلد أثير إلى نفس كل إنسان ، ولكنه في حال المنكوب باغتصاب بلده يأخذ بعدًا آخر بما يتضمنه من استحضار ذكريات ، وما يعبر عنه من عزم على استرداد الحق وتحرير الأرض والعودة إلى الدار. وبلدي هو " يافا " إحدى بلدان فلسطين في بلاد الشام .

---

*ألقى هذا البحث في الجلسة السابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم السبت ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٣ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٩م .

أستشعر الحاجة بين يدي الحديث عن " عامية يافا " إلى التمهيد باستحضار دلالتيْ كلمتيْ " الفصحى " و" العامية " بإيجاز .

العامية في المعجم الوسيط هي " لغة العامة وهي خلاف الفصحى ". " والعامة " خلاف " الخاصة " . والفصاحة هي " البيان " في المعاجم . واللفظ الفصيح " ما يدرك حسنه بالسمع " . وإنسان فصيح " يحسن البيان ويميّز جيد الكلام من رديئه" . وفصح الرجل " انطلق لسانه بكلام صحيح واضح " ، والأعجمي " تكلم بالعربية فجادت لغته ولم يلحن " . وألحن الرجل في كلامه: " أخطأ ". ويجمل القول في " الفصحى " أنها تحرص على صحة اللفظ ووضوحه ، بينما تعاني " العامية " من تحريف اللفظ وغموضه . وقد عني علماء اللغة بالحديث عن " مقياس الصواب اللغوي " الذي تلتزم به الفصحى، وعرض الدكتور عبد العزيز مطر في كتابه "لحن العامة" ما قاله عدد منهم ، قديماً وحديثاً ، ينتهي إلى أن هذا المقياس يقوم على دعامتين هما: المحافظة على سلامة اللغة العربية ، ومراعاة التطور الذي تخضع له. وهذا يعني القياس على كلام العرب القدماء وعلى القرآن الكريم الذي هو أعلى مراتب الفصاحة أنزله الله تعالى وحيًا على نبيه محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – كما يعني تطبيق القواعد التي بيّنها علماء اللغة ، وانتهت إليها المجامع .

في ضوء هذا التحديد لمصطلحيْ الفصحى والعامية، يمكن أن نلاحظ أن أهم الفوارق بينهما ، هو تحريف النطق ببعض حروف اللغة، وتغييره كليًّا في بعض الأحيان وإهمال إعراب أواخر الكلمات، وتغيير حركات حروف الكلمة في العامية، وهذه الفوارق تؤدي إلى فارق آخر مهم. هو وحدانية الفصحى العربية بينما تتعدد العاميات العربية بتعدد أنحاء الوطن الكبير واختلاف اللهجات. وواضح أن هذه الفوارق

تضع الفصحى في مكانة متميزة ، وتجعلها " الأُنموذج " للسان الراقي الحريص على النطق الصحيح للحروف ، وعلى الإعراب ، وعلى سلامة الكلمة . ولافت أن العامية في بلد ما تتفاوت في درجة قربها من الفصحى بين حي وآخر . ولافت أيضًا أن هناك تشابهًا بين العاميات المختلفة في بلاد العرب في جوانب تحولها عن الفصحى صوتيًا وصرفًا ونحوًا ، وإن ذهب كل منها مذهبه .

**" يافا " وعاميتها:**

" يافا " البلد الذي نتحدث عن عامية أهله ، تقع على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وهي – منذ أنشأها قبل حوالي خمسة آلاف سنة الكنعانيون – وثيقة الصلةِ بمدنهم الأخرى في فلسطين وسورية الكبرى مثل القدس ودمشق وبيروت وعكا وغزة وأريحا ، وبمدن مصر القريبة منها جنوبًا . وقد مكّنها كونها ميناءً بحريًّا متوسطيًا من التواصل مع موانئ البحر الأبيض المتوسط الأخرى . وعرفت منذ القديم بجذبها وافدين جدًا للإقامة بفعل حيوية النشاطات فيها. وعامية " اليافاويين " العربية تعرضت لمؤثرات المكان والزمان ، وتميزت بلهجة " يافاوية " .

حين رزئت يافا بنكبة عام ١٩٤٨م اضطر غالبية أهلها إلى الخروج منها ولجؤوا إلى بلدان أخرى مجاورة . وبقي فيها حوالي خمسة آلاف تحت الاحتلال الصهيوني الإسرائيلى ، تزايد عددهم فبلغوا بعد نصف قرن حوالي ثلاثين ألفًا . ولا يزال هؤلاء يتحدثون بالعامية اليافاوية القديمة مع حدوث تطور محدود عليها. وقد حافظ أهل يافا "اللاجئون" على لهجتهم إلى حد ما في بيوتهم ، ولكنهم تأثروا بلهجات البلدان التي انتقلوا إليها . ويطيب لهم استذكار " لهجة يافا العتيقة " في محافلهم لما تثيره لديهم من حنين . وقد تضمنت أمسية " يافا عالبال " التي نظمها اليافاويون المقيمون في الكويت في ربيع عام ١٩٩٠م قبيل زلزال الخليج،

فقراتٍ مؤثرةً من الحوار " باللهجة العتيقة كما أسموها . وتم توزيع شريط الفيديو الخاص بتلك الأمسية على نطاق واسع بين اليافاويين. وقد رجع كاتب هذا الحديث إلى تلك الفقرات بين يدي كتابته . وإلى كتب عَنْ يافا .

لتقديم فكرة عن عامية " يافا " نوجز وصف اللهجة اليافاوية العامية في نقاط مختارة .

١-هناك عدد من الحروف الصوتية يجري تحريفها وتحويلها، " فالقاف " تلفظ آ ؛ " وقادر " مثلاً تلفظ " آدر " و" قلت" " ألت " و" أفريقيا " " أفريئْيا " وهكذا . و"الظاء" تلفظ ضاداً غالبًا . فاليافاوي يقول ضَهر عن الظَهْر، وضُهْر عن وقت الظُهْر. وأحيانًا تلفظ " ظاءً " مشوهة .

كلمة " ظريف " مثلاً تلفظ الظاء فيها بدون إخراج اللسان بين الشفتين ، فيخرج حرف الظاء: أقرب إلى زاي مفخمة ثقيلة. وحرف الذال ينطق دالاً، فَذنَبٌ يصبح "دَنب"، وديب بدل ذئب . وقد ينطق مشوهًا بدون إخراج اللسان فيأتي أقرب إلى الزاي. وحرف الثاء ينطق تاءً فثمين تمين ، وثوم توم . وقد ينطق مشوهًا فتحول الثاء إلى سين عند بعض أبناء يافا الوافدين من أقطار مجاورة شاع فيها هذا التحريف.ومن الملاحظ أن المتعلمين من أبناء يافا كانوا يلفظون هذه الحروف صحيحة . ذلك أن أسلوب التعليم حرص على سلامة النطق ، وجرى تدريب المعلمين على الالتزام بالنطق السليم .

ولافت أن تحريف هذه الحروف شائع في لهجات عامية أخرى بأشكال أخرى .

٢- تعمد اللهجة العامية في "يافا" إلى تحريك الحرف الثاني في الأسماء إذا كان ساكنا فبحْر تلفظ بَحَرْ. وقَبْر تلفظ " قَبِر " أو أَبِر تحديدًا . وشمْس تلفظ " شَمِسْ " وهكذا. ولافتٌ هنا أن عدم الالتزام بلفظ الحركة في آخر حرف دعا إلى نقل الحركة للحرف الثاني الساكن . وتحريك عين الفعل شائع

حين يتصل به ضمير المتكلم مثل أَكَلِتْ و شْرِبِت وضَرَبِت وشعْبَطِت بمعنى تسلقتُ .

٣- تقول العامة إجا زيدْ ، وإجَتْ مريم ؛ بدلاً من جاء زيدٌ وجاءت مريمٌ. فالهمزة في فعل جاء انتقلت من آخر الكلمة إلى أولها فصارت مثل أتى ولكن مع الكسر بدل الفتح. و"شيءٌ" في عامية يافا تنطق إيشي . " ولي " تنطق إلِي .

٤-يقول اليافاوي مناديًا أخاه" يا خوي"، وأباه " يابا " ، وأمَّه " يامّا " مُشددًا الميم ومفخمًا، وأخته " ياختْي ". ويقول مشيرًا إلى زوجه " مَرَتي " بفتح الميم والراء التوالي . وتقول اليافاوية "جوزي " بدلاً " من زوْجي .

٥-كلمة " عَمَّال " لها دور خاص في العامية اليافاوية ، وهي تدل على استمرار الفعل وتأتي قبله . فيقال عَمال ياكل وعمال يشرب وعمال يلبس . وأحيانًا للفعل حرف الباء في أوله ، فيقال عَمال بياكل . وأحيانًا يجرى اختصار عَمال إلى عَمْ، فيقال عَمْ ياكل أو عم بياكل ( عَمبياكل ) ، وأنا " عَمْبَشْرَبْ " ، وهي " عْمتغسِل أو عمْبتغسل " ، وهُمْ " عمبيلعبوا، وأنت " عمبتُدرُس " إلى آخره.

أحيانًا أخرى يكتفى بالباء تضاف إلى أول الفعل لتفيد الاستمرار ، فيقال جوابًا عن سؤال ماذا تفعل " بَدْرُس " و " بَشْتغِل " . ويقال عن سَمَكٍ يتحرك " بلَعْبِط "

٦-تتضمن اللهجة العامية اليافاوية أصواتًا لها دلالات ليس فيها حروف ، مثل صوت " الشَخْرَة " وهو يخرج من الحلق ويشبه نطق حرف الخاء ، ويدل على الاحتجاج الشديد والاعتراض القوي . وهناك صوت يخرج من أول الفم بتحريك اللسان فيه، يجمع بين الطاء والسين في اللفظ، ويستخدم للتعبير عن الأسف إذا وقع فعل مؤسف، وعن التجذير تحسبًا من وقوعه.وهو يقابل معنى "لَهْ لَهْ" . وصوت " سْ "السين الساكنة - يشير إلى التزام الصمت. وهو اختصار الكلمة " هُسْ ". وقد يقول واحدٌ لآخر:

" سْ .. ولا كلمة " وتقول الأم مشيرة لطفلها الرضيع وهي تنبه أولادها إلى أنه نائم " سْ " واضعة سبابتها على شفتيها شاقوليًا . وصوت الشخرة بين هذه الأصوات غير مقبول بين الآداب العامة ، ولذا ينأى المؤدبون عنه . وقد يغفرون لصاحبه إذا بلغ السيل " الزبد ، وفاض به الكيل من أمر ما ، " فشخَر شخرة " . والمرأة اليافاوية تقول " يوه " وعلى الأدق " يُهْ " للدلالة على الاحتجاج أو الاستغراب .

٧–في العامية اليافاوية كلمات أعجمية جرى تعريبها بلفظها الأعجمي ، وإن تغير النطق بها شيئًا ما .وهي دخلت اللغة بفعل " احتكاك حضاري ". وهذا شأن أسماء أشياء جرى استيرادها . والأشياء المادية سرعان ما تنقل من حضارة إلى أخرى بسهولة وبلا حرج، كما يلاحظ علماء تاريخ الحضارة ، على عكس الأفكار والعقائد . وكثيرة هي الأشياء المادية التي نقلها غربيون من حضارتنا بأسمائها . واليافاوي يقول " ساكو " عن السترة ، وهي كلمة إيطالية، كما يقول"جاكيت" . ويقول " باص " عن حافلة الركاب، وهي كلمة إنجليزية ، لأن استخدام " الباص "عمّ" في عهد الاستعمار البريطاني.ويقول " ترين " عن القطار ، وهذه كلمة إنجليزية أيضًا ، و" موتور " ، و" راديو " ؛ كما يقول "كوبّانية " عن الشركة محرفًا " كومباني " . ويقول " بوليس " محولاً الألف إلى باء ومادًّا الياء . وقد ألِف المتعلمون استخدام ما تمت ترجمته وشاع قطار، ومحرك، ومذياع، وشركة، وشرطة .

٨–في العامية اليافاوية ميل قوي لمد آخر حروف الكلمة وحرف العلة الذي يسبقه. فاليافاوي يقول " تعال " يا " خوووي " ، و" خلييل ".

٩–" بِدّي " كلمة مهمة في العامية اليافاوية. وهي تعني "أريد" أو أبغي" ، وأصلها " بودي " . وهي شائعة في أنحاء أخرى من بلاد الشام ، ولكن مع فتح الباء بدل كسرها في لبنان . واختصارها يماثل اختصار " أبغي "

إلى " أبي " في الخليج و" تبغي " إلى " نِبّي " في ليبيا . وهي تصرَّف مع الضمائر "بدّو " بِدْها، وبِدْهُم ، وبِدْنا، بِدْكُم، بِدّك.

راح أو على الأدق "رَحْ" كلمة أخرى مهمة تفيد المستقبل:" رَحْ أروح بعد شوي لَدارنا"."رَحْ اشْتري بُكره الكتاب"

١٠-العامية اليافاوية حافلة بكلمات فصيحة تستخدم بمعناها الدقيق . فاليافاوي يقول " كزّ " على أسنانه ويقول " كزم " شأفة أي شقْفة ، بمعنى كسر قطعة بفمه . وهكذا

١١-يقول اليافاوي " ولَهْ " و " ولِهْ " للذكر والأنثى على التوالي . وهما مقابل " ولُو " و " ولْي" ( ياء مائلة ) في الشام و " ولْا " و " ولْي " في بيروت . " ولَه " شائعة في مصر . ويحولها اليافاوي إلى " ولَك " ويقول " وَلكِ " للأنثى " وولْكم " للجمع

١٢- " مِشْ " تستخدم للنفي في العامية اليافية . " مش عايز " أو " مش عاوز " و " مش رايح " و" مش عارف " " ومش نافع "

والعامية اليافية تلتقى في ألفاظ كثيرة مع العاميات الأخرى و " بدّي " بمعنى أريد أو أبغي تصبح " بدّيش " للنفي . ويجري تصريفها " بِدْكاش " إنْتَ ، و" بِدّوش " هو ، وبِدْهاش " هي ، و" بدناش " نحن ، و " بِدْكُمش " أنتم . والكلمة ونفيُها تستعملان في صيغة الاستفهام بِدّك ؟ بدكاش ؟ وبِدكيش ؛ إنتِ . والعامية النابلسية تستخدم " بدكيش " للذكر والأنثى.وإيش بِدّك؟ تعني " أي شيء بُودِّك " ؟

" وبلاش " كلمة شائعة في اليافاوية . وأصلها " بلا شيء " . ومن الأمثلة " بلاش لَتّ وعجن " .

إن التأمل في النقاط الاثنتي عشرة التي حاولنا أن نصف بها " العامية اليافاوية " يؤكد ما سبق أن ذكرناه من أن في العامية تحريف النطق ببعض الحروف، وتغييره كليًّا في بعض الأحيان ، وإهمال إعراب أواخر الكلمات ، الأمر الذي يؤدى غالبًا إلى تغيير حركات حروف الكلمة . فإذا استحضرنا مختلف " العاميات "

العربية ، ألا يمكن أن نجد النقاط الاثنتي عشرة هذه واردة بشأن كلٍّ منها ، مع اختلاف في شكل التحريف وتغيير حركات حروف الكلمة ! الأمر الذي يبرز تشابهًا في جوانب تحول هذه العاميات عن الفصحى وإن ذهب كل منها مذهبًا .

أسئلةٌ تبرز عند هذا الحدّ من الحديث تتعلق بتطور اللغات بعامة . ما تفسير تعدد اللهجات في اللسان الواحد؟ متى بدأ هذا التعدد؟ لماذا يحدث هذا التحول في اللغة؟ كيف يتم التوافق في "الأمة " على فصاحة اللسان واللغة الفصيحة " الفصحى" ويتم من ثمَّ تحديد مقياس الصواب اللغوي ؟ وفيما يتعلق باللسان العربي بخاصة؛ لماذا لم يؤد التحول في " اللغة الأصل " إلى ظهور لغات جديدة ، منذ ظهور الإسلام ، كما حدث مع لغات أخرى مثل اللاتينية في أوربا ؟ وهل من المتوقع أن تبقى عاميات عربية إلى جوار الفصحى ؟ وإذا كانت الفصحى هي " نموذج " اللسان العربي الراقي فكيف نعمل لتقريب العاميات العربية منها ؟

**تساؤلات وتأملات:**

لماذا تتعدد اللهجات في اللسان الواحد؟

بحوث كثيرة جرت حول نشأة اللغة ، منذ القديم ، ليس هذا المجال مجال عرض عصارتها . ولكن نشير إليها بين يدي محاولة الإجابة عن هذا السؤال . ونلاحظ ابتداءً أن جميع الألسنة في الاجتماع الإنساني تشهد تعدد لهجات فيها ، كما أنها تشهد حدوث تطور مستمر في كل لسان وفي كل لهجة .

إن الرؤية المؤمنة للإنسان وللاجتماع الإنساني تقف أيام ما جاء به الوحي الإلهي في سورة الروم عن كون اختلاف الألسنة والألوان من آيات الله سبحانه . وهذا الاختلاف متصل باختلاف المكان . ويبدو أن في الإنسان نزوعًا فطريًا إلى إصدار أصوات تعبِّر عنه أُسوة بما يسمعه ممن حوله منذ طفولته الأولى. نرى هذا في الرضيع وقد قارب الحول.ولا

يلبث أن يكتسب لغة قومه . ومع انتشار الأقوام في أرض الله الواسعة تبلبلت الألسنة وتفرقت . والبلبلة في القاموس المحيط " اختلاط الألسنة " بينما البِلَّة بالكسر " جريان اللسان وفصاحته ووقوعه على مواقع الحروف واستمراره على النطق وسلامته" وهي أيضًا الخير والرزق ". وكأن الفصاحة خير ورزق .

**متى بدأ هذا التعدد ؟ وما أسبابه ؟**

تعدُّد اللهجات في اللسان الواحد إذًا قديم قدم السياحة في الأرض والانتشار في ربوعها . ويبدو أنّ لما تحفل به الطبيعة من أصوات ، من هدير أمواج، وخرير مياه، وصفير رياحٍ،وشدْو أطيار،وأصواتِ حيوانات، لكل منها اسمه وأثره في تكوين اللغة، كما يبدو أن احتكاك لسانٍ بلسان آخر يؤدي إلى تبادل التأثير بينهما وفقًا لسنن تفاعل الحضارات التي شرحها علماء التاريخ الحضارى .

وهذا عامل آخر من عوامل التحول في اللغة وتطويرها . وقد لفت نظر كاتب هذا الحديث ما سمعه عن لهجة قرويين من منطقة بلده "يافا " هاجروا إلى الساحل الشرقي في الولايات المتحدة بعد نكبة وطنهم ، فأدخلوا على عاميتهم تطويرًا واضحًا تعربت فيه كلمات إنجليزية كثيرة وجرى تصريفها، فكأنها عامية جديدة. وبين يدي أخذ فكرة عنها يتداعى إلى الخاطر مثل على كلمة أعجمية جرى تعريبها، كلمة " فنِّشَ" التي شاعت في منطقة الخليج للدلالة على " إنهاء الخدمة" بينما "فنَّش" في اللسان العربي تعني: استرخى، كما يقول صاحب المحيط . وفي تلك اللهجة تقول الأم مستفسرةً من ابنها الذي وصل من عمله " برَّكت الكار يَمّا ؟ " والكار Car هي السيارة ، والفعل " بَرَّك " هو من Park وقد تحولت P إلى باء ، و " يَمَّا " هو نداء الأم لابنها والابن لأمِّه في اللهجة اليافاوية ، وأصلها " يا أماه " . ويقول الابن لأبيه " إجا البوستمان وهادي البِل " وقد استخدم كلمتين إنجليزيتين مقابل ساعي البريد

وكشف الحساب ، وجرى تمديد الثانية تبعًا للهجة فلم يقل " بِل ". وأدخل "أل" التعريف في الحالتين. وفي تلك اللهجة توصف سيارة بأنها " مكندشة " و " مُهَيَّته " إشارة إلى أنها مزودة بالتكييف Condition وبالتدفئة Heat. وهي سيارة " فُلِيْشن " تحريف Fullobtion . ويُقال " سيِّزْتْ " من Size أي قِسْت . وهكذا .

قد يكون هذا المثل صارخًا في إبراز استيعاب العامية لكلمات لسانٍ آخر ، والمدى الذي يمكن الذهاب إليه في هذا الاستيعاب ، ولكنه يدعو إلى الخاطر أسئلة أخرى رأيناها في وطننا الكبير ، تُعرَّب فيها أسماء الأدوات وأحيانًا الأفعال . ومن اللافت في جميع الأمثلة أن هناك ثوابت في اللهجة تبقى قائمة تُشير إلى أصولها . وهذا ما يفسر احتفاظ اللهجات العامية في أقطارنا العربية بلهجات العرب القدامى في جزيرتهم العربية . ولا يزال بعض أبناء فلسطين يلفظون القاف كافًا ، وبعضٌ آخر يحوّل كاف آخر الكلمة إلى شين ، وثالث يلفظ التاء بقرنها بالسين " تس " ، وجميعها لهجات عربية قديمة تحدثت عنها كتب الأدب وقدَّمها أحمد تيمور في رسالة له حول الموضوع .

مجمل القول: إن تعدد اللهجات في اللسان الواحد قديم ، وإن من أسباب حدوثه أثر المكان واحتكاك الحضارات ؛ وهي ظاهرة مستمرة ، وفي استمرارها تحافظ اللهجة على ثوابت فيها تميِّزها . ويكون انتشارها في دائرة بعينها تُنسَبُ إليها بلدٌ أو قطرٌ أو قومٌ أو تجمعٌ . وتقوم هذه اللهجة إلى جانب اللسان الفصيح ، فتكون هي العامية ويكون هو " الفصحى ". ويبرز السؤال: كيف يتم التوافق في " الأمة " على فصاحةِ اللسان " والفصحى " ، التي تصبح نموذج الصواب اللغوي ؟

ظاهرة التوافق هذه تعرفها كل الأمم في الاجتماع الإنساني . ويتم هذا التوافق من خلال تفاعل اجتماعي يُعلي من شأن الفصاحة،وحسن البيان،

وجيد الكلام، وسلامة النطق للحروف. ويعبِّر عن ذلك كله الأدب شعراً ونثراً والدين وصايا وأوامر ومعتقدات . ويشتهر فيه أهل العِلم والشعراء والخطباء. ويحفظ تراث الأمة ذلك في ذاكرتها التاريخية والأدبية. ولكل أمة تراثُها الشفهي والمكتوب. وقد حفظ أجدادنا في مصر عقائدهم في متون الأهرام وأدبهم مكتوبًا، وفي بلاد ما بين الرافدين كانت ملحمة جلجميش . وفي جزيرة العرب تداول الناس في الأسواق أجمل الكلام وأعلوا من شأن المعلقات الشعرية . وفي اليونان كانت الإلياذة والأوديسة والشاعر هوميروس ومؤلفو المسرح ، وهكذا وصولاً إلى شكسبير في بريطانيا وأقرانه في بلادٍ أخرى،ومن ثم إلى عصرنا. ويصبح هذا التراث محور الثبات في اللسان والحافظ له من بلوغ العامية في تحولها درجة التغير وظهور لغة جديدة .

ماذا عن التوافق على الفصحى في اللسان العربي ؟ وكيف حافظت الفصحى العربية على وحدة اللغة ؟ اللسان العربي قديم ــ كما يقول لنا علماء اللغات –وقد تعددت فيه لهجات القبائل،وبرزت إلى جواره في المنطقة المحاذية لجزيرة العرب ألسنة أخرى قديمة مثل الأكادية في بلاد ما بين الرافدين والكنعانية الفينيقية على الساحل السوري والعمورية والأرامية في بلاد الشام والمصرية القديمة في مصر . ويلاحظ عدد من العلماء منهم بروكلمان أن هذه اللغات تعود إلى لغة أمٍّ واحدة أقرب ما تكون إلى اللَّحن العربي الفصيح. وتشمل شجرة هذه اللغات العبرية والحبشية . وكاتب هذه السطور يستشعر الحاجة إلى سماع آراء علمائنا الضالعين في دراسة هذه اللغات في العلاقة القائمة بينها، ومن ثم في كيفية تفرقها .

لقد ميّز العرب منذ القديم في جزيرتهم وأطرافها بين لغة فصيحة جميلة راقية وأخرى لا ترقى لها . ويشير عبد العزيز مطر في حديثه عن المقياس الصوابي عند اللغويين القدماء

إلى ما جاء في المُزهِـر نقـلاً عـن الفارابي والسيوطي أن الذيـن نقلـت عنهم اللغة العربية من قبائل العـرب قيس وتميم وأسد ثم هُذَيـل وبعـض كنانة وبعض الطائيين،"ولم يؤخذ عـن حضري قط ولا عن سكان البراري ". وكان سيبويه يقول: " سمعنا العـرب الموثـوق بـهم، وسـمعنا فصحـاء العرب"، ومثله ابن جني والأصمعـي وغيرهم من علماء اللغة . ونسـتطيع أن نرى أمثلة علـى الفصحـى قبـل الإسلام في شعر المعلقات وأمثاله وما حفظه الناس من حِكَم الحكماء وخطب الخطباء .

الجديد الذي مثل نقطة تحـول في اعتماد معيار الفصاحة والحفـاظ على الفصحى كان حيـن أنـزل الله سبحانه الذي علم آدم الأسماء كلها بعد أن خلقه من طين ، القرآن الكريم على خاتم أنبيائه ورسله محمد بن عبـد الله كتابا عربيًّا " بلسان عربي مبين " فقـد اعتمده العرب منذ ذلك الحين " إلـى مراتب الفصاحة ". وكانت قريش قبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم مشـهورة بين القبائل بفصاحتها . وواضـح أن اعتنـاق العـرب للإسـلام جعلـهم يتمسكون بالحفاظ على سـلامة لغـة القرآن الكريم . وأضحى إتقانها فرضًا دينيًّا . وهكذا توالت العناية باللسـان العربي قرنًا بعد قرن، فأمكن الفصحى أن تحافظ على وحدة اللغة لاعتبارهـا الأنموذج ، وسـط تعـدد العاميـات العربية التي كثرت بعد الفتوح . وقـد نقل القلقشندي في صبح الأعشى فـي معرض حديثه عن المعرفة بالعربيـة قول عمر بن الخطاب "تعلموا اللَّحـن (أي اللغة) والفرائض فإنها من دينكم". وقال في فضل العربيـة " ولا خفـاء أنها أمتن اللغات وأوضحـها بيانًـا ، وأذلقها لسانًا، وأمدُّها رواقًا ، وأعذبـها مذاقًا ، ومن ثم اختارهـا الله تعـالى لأشرف رسله، وخاتم أنبيائه ، وخيرته من خلقه، وصفوته من بريته، وجَعَلـها لغةَ أهل سمائه وسكان جنته ، وأنـزل بها كتابه المبين الذي لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه" .ولافتٌ في

قوله أثر البعد العقيدي في إعلاء شأن اللسان العربي.

هكذا تأكدت مكانة " الفصحى " التي يمثل القرآن الكريم أعلى مراتبها، وقدْ نزل بلَحن قريش . وأضحت " الفصحى " هي المعتمدة في الكتابة الرسمية والكتابة الراقية. "فالكاتب لابد له من حفظ كتاب الله تعالى " عند القلقشندي " حتى لا يزال مصوراً في فكره، دائرًا على لسانه، ممثلاً في قلبه، ليكون ذاكرًا له في كلامه ، وكل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد به فيها ، ويفتقر إلى قيام قواطع الأدلة عليها . " وقد قال الرشيد يومًا لبنيه: " ما ضرَّ أحدكم لو تعلم من العربية ما يُصلِح به لسانه . أيُسَرّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وأمته ؟ " . وحين تم جمع الحديث الشريف الصحيح أخذ الحديث النبَوي مكانة تلي مكانة القرآن الكريم في الاستشهاد به دلالة على فصيح الكلام.على مدى ثلاثة عشر قرنًا من العُمران الحضاري العربي الإسلامي، استمرت ظاهرة " تعايش " الفصحى والعامية في تفاهم وتكامل . فأما التفاهم فيتجلى في إدراك حقيقة وجودهما معًا جنبًا إلى جنب في الاجتماع الإنساني ، والتسليم بمكانة الفصحى العالية ومرتبتها الرفيعة . وأما التكامل فيتجلى في أداء كل منهما دوره في ضوء حقيقية أن الاجتماع الإنساني منذ كان فيه عامة وخاصة، يشهد نزوعًا عند أفراده للارتقاء ببذل الجهد لنيل العلم والاستزادة منه . فالعُلو يقتضي مجاهدة. ورحم الله أبا الطيب القائل:

" ولو لم يعلُ إلا ذو مقامٍ".

وقد عبرّ عن هذا المعني الشاعر السكندري اليوناني كافافيس في قصيدته " أولى درجات السلم " التي يحكي فيها كيف جاء الشاعر الشاب افيمنيوس إلى أستاذه ثيوكريتوس يشكو من أن سنتين مرتا وهو يكتب ولم يتوصل إلا إلى قصيدة غزلية " واحسرتاه ،

أرى سلم الشعر عاليًا .

عاليًا جدًّا أراه .

ومن هذا الدرج الذي أقف عنده هنا لن أرقى ، أنا المسكين أبدًا " . ويرد عليه ثيوكريتوس بأن كلامه تجديف غير لائق " وإن كنت عند أولى الدرجات فيجدر بك أن تفخر بذلك وتسعد . فليس بالقليل أنك وصلتَ إلى هنا . والذي أنجزتَ هو لكَ شرف كبير . وهذا الدرج الأول عن عامة الناس يبعد كثيرًا . وكي تطأ قدمك ذاك الدرج يجب أن تكون بَحق في مدينة الفكر مواطنًا " . ومن اللافت في الاجتماع الإنساني أن العامة في كل الأمم يعلون من شأن هذا الارتقاء ويعبرون عن ذلك باحترامهم الفصحى وتجاوبهم معها وإعجابهم بها . وقد ألمحتُ إلى ذلك فيما كتبته عن " كيف يستقبل الناس الفصحى ؟. "في" قصتي مع الفصحى ". ويتداعى إلى الخاطر تناول برنارد شو موضوع لغة العامة الخاصة في مسرحيته بيجماليون التي اقتبستها السينما في فيلم " سيدتي الجميلة " .

تجدر الإشارة هنا إلى أن للكلام الفصيح درجاته التي يتوافق عليها أهل العلم والأدب في كل زمان، مضمونًا وأسلوبًا وبلاغةً ، ليكون الأفصح منه هو " الفصحى " . ويمكننا أن نلاحظ في الموَّال الذي أورده ابن خلدون في مقدمته مدى قرب لغته من الفصحى:

طَرقْتُ باب الخبا قالت مَنْ الطارقْ

فقُلت مفتونْ، لا ناهب ولا سارقْ

تبسَّمت، لاحْ لي من ثَغرها بارق

رَجَعْتُ حيرانْ، في بَحْرِ الغرامْ غارقْ

وشبيه بذلك زجل عامي رفيع عرفته أمتنا قديمًا وحديثًا ، وقد سمعنا منه في عصرنا أمثلة يوقف أمامها قال بعضها شعراء أجادوا قول الشعر بالفصحى ، ومنها روائع لأمير الشعراء أحمد شوقي تغنّى بها محمد عبد الوهاب مثل " النيل نجاشي " . وأتقن بعضها شعراء العامية من أمثال بيرم التونسي وفؤاد حداد والزُّغبي والأبنودي ؛ واشتهرت حين تغنى بها مطربون مجيدون .

ويثور هنا تساؤل

إذا أردنا للتفاهم والتكامل بين الفصحى والعامية أن يتعززا انطلاقًا من أن للكلام درجات أعلاها الفصحى، ألا ينبغي للنقد الأدبي أن يعنى بتصنيف العامية وإبراز الأدب العامي الجيد بهدف الارتقاء به درجة إلى أن يبلغ الدرجة العليا فيصل إلى الفصحى؟

بعض الحريصين على سلامة اللسان العربي يرون ذلك ، وقد مارسوه في حدود ضيقة، ومنهم الناقد علي الراعي . ولَكِنّ البعض من الحريصين على سلامة اللسان العربي يخشى من ذلك حتى وإن كان الهدف الارتقاء بالعامية . ومردّ هذه الخشية أن جديدًا طرأ في عصرنا أخلّ في التعايش الإيجابي بين العامية والفصحى الذي استمر ثلاثة عشر قرنًا . وذلك منذ أن رزئت أمتنا العربية ودائرتها الحضارية الإسلامية بالغزو الاستعماري الغربي الذي استهدف تجزئة الوطن الكبير وتفكيك مجتمعاتنا، فاستهدف " الفصحى " الجامعة بعدائه، وحاول فرض"العامية" وصولاً إلى تكوين التفرقة ، وبروز لغات جديدة .

على الرغم من أن قوى الهيمنة الاستعمارية تابعت حملاتها على اللسان العربي بمزاعم عجزه ووظفت في ذلك من نجحت في استلاب هويتهم العربية من أبناء الأمة في معاهدها، إلا أن قوى النهوض في الأمة الذائدة عن لسانها والمتمسكة بهويتها نجحت في إفشال هذه الحملات إلى حدٍّ ليس بالقليل . وقد دخلت معركتها للدفاع عن اللسان العَربي مرحلة جديدة اليوم في ظل هجمة قوى الهيمنة الغربية " بالعولمة " وتوظيفها للتحكم في الإعلام والتدخل في المناهج التربوية لفرض مخططاتها التي منها تعميم عامية هابطة والقضاء على الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم . والحق أنه إذا كان مخطط العولمة قد رمز إلى سيطرته " بأكل الهامبورجر ، وشرب الكولا ، ولبس الجينز ،

ورقص الروك وسماع CNN ، فإنه يمكن أن يضاف " والرَطْن بلسان عامي هابط تغلغل فيه الدخيل ".

كيف السبيل لِصدِّ هجمة العولمة هذه على اللسان العربي، وتحقيق انتصار حاسم عليها يحفظ للأمة لسانها وهويتها وثقافتها وحريتها؟

لقد عني مجمع اللغة العربية بمصر ومعه المجامع الأخرى الشقيقة في وطننا العربي بالإجابة الفكرية عن هذا السؤال ، فبلورت توصيات من خلال دراسات ، وقرنت الفكر بالفعل في حدود استطاعتها. وتركزت هذه التوصيات على العناية باللسان العربي في مناهج التربية والتعليم وفي وسائل الإعلام. وهي تطالب باتخاذ القرار السياسي الذي يتبنى هذه التوصيات ويضعها موضع التنفيذ "لأن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ". وقد عرف وطننا العربي أكثر من مثل مُشرِق على ذلك في عدة أقطار عربية تضمن تعريب العلوم والحفاظ على اللسان العربي من الدخيل والعودة إليه من الاغتراب في أسر لسان آخر أعجمي .

وبعدُ . فإنَّ من المتوقع استمرار وجود العامية والفصحى جنبًا إلى جنب في وطننا الكبير مستقبلاً ، وكذلك مُضيّ قوى الهيمنة الطاغوتية في محاربة الفصحى في سعيها لغرض تسلط العولمة . ومن المؤكد في الوقت نفسه أن تشهد الأمة متابعة أعلامها العمل للحفاظ على اللسان العربي وإصلاح ألسنة الناشئة والارتقاء بالعامية لتقترب من الفصحى . فذلك هو التعبير عن الصحوة واليقظة والنهضة وعن الاستجابة الصحيحة لتحدّي " رطانة العولمة " وما يتصل بها من تحديات محاولة التسلط . وإن لهؤلاء الأعلام ، قادةً سياسيين وعلماء وأدباء ومُربين ، دورًا خاصًا في تقديم الأنموذج للسان العربي الفصيح الراقي ليكونوا الأسوة لقومهم وسوف يبقى نصب أعين

اليافاويين ومعهم كل أبنـــاء العروبـــة
تحرير يافا العربيـــة وفلسطين بعامـــة
كي لا يكـــون اللسان العربـــي غريبًا

فيها. واسمحوا لـــي أن أســوق إلـــى
حضراتكم قصة مع الفصحى والنـــاس
من كتاب " رحلات ولحظات ممتدة ":

## قصة مع الفصحى والناس

من كتاب " رحلات ولحظات ممتدة "

مضت علي أعوام كثيرة منذ أن التزمت الحديث باللغة الفصحى . أكثر من عقدين من السنين منذ أن بدأت المحاولة . وقد وعدت أن أقص حديث قصتي مع الفصحى لأُجيب أولئك الذين يسألونني حين تلفت أنظارهم لغتي سؤاليْ لماذا ؟ ومتى ؟ بحثا عن السبب وعن أصل الحكاية. كذلك لأبيِّن من واقع تجربتي كيف يستقبل الناس – على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم – الحديث بالفصحى ، وإلى أي مدى ينسجمون معه . وكيف يكون موقف المتحدث وهو يُصرِّف أمور حياته اليومية ، وإلى أيّ مدى يعبر عن نفسه أمام الآخرين ويتواصل معهم . وفي ذهني وأنا أطرح ذلك كله النظر في مستقبل الفصحى بين الناطقين بالعربية .

لم أنشأ في بيت يحرص على الحديث بالفصحى . فقد كانت لغة المخاطبة اليومية بين أفراد أسرتي هي " لهجة " أهالي يافا أو لأَقل على التحديد لهجة المثقفين من أهالي يافا. لأني مازلت أذكر كيف لاحظت ونحن أطفال نمرح على الشاطئ اختلاف لهجتنا عن لهجة" البحارة " ولذّ لي ولأخويَّ وأقراننا أن نقلد تلك اللهجة .

ولا أذكر أن أساتذتي في المرحلة الابتدائية بيافا حرصوا على أن يتمسك تلاميذهم بالفصحى في الحديث اليومي ، وإن كان بعضهم قد حَبَّبَ إليَّ اللسان العربي بنطقه الجميل له، ولم يطرأ تغيُّر يذكر على صعيديْ البيت أو المدرسة في الموقف من الفصحى حين فرضت علينا "النكبة " عام ١٩٤٨م النزوح عن فلسطين إلى لبنان فسورية . كنت آنذاك في الثانية

أن اللغة تكتسب سماعا . ولا بد أن تؤخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار في طريقة تدريس اللغة العربية للأجيال الصاعدة .

ويمكن أن نذكر أيضا أن الصبي بعد أن نال شهادة الدراسة المتوسطة بدأ يعاون أخاه الأكبر في إعطاء دروس خصوصية في الرياضيات . وكان أخوه قد عمل مدرسًا وهو في السادسة عشرة من عمره ليسهم في إعالة أسرته . وقد شعر الصبي بأهمية إتقان التعبير عن نفسه وهو يلقي هذه الدروس .

ويمكن أن نذكر أخيرًا أن الصبي أحس من نفسه في تلك الفترة إقبالاً على الدين وانعطافا إلى التدين ، فبدأ يصلي الجمعة ويقرأ القرآن ويدخل في محاورات مع أقرانه حول الدين والحياة .

التغيّر الجذري الذي طرأ على حياة الصبي وقع حين نال شهادة الدراسة الثانوية وهو في الخامسة عشرة من عُمره إذ فرضت ظروف أسرته المادية عليه أن يعمل مدرسا ليتيح لأخيه الأكبر أن يتابع دراسته الجامعية ، بعد أن أدى واجبه في الإنفاق على الأسرة ثلاث سنوات .

ولما كان عمر الصبي دون السن التي يشترطها تعيينه في " الحكومة " ، فقد اتجه إلى العمل في مدرسة خاصة " إعدادية " افتتحت حديثا في ناحية نائية. وهكذا تعاقد على تدريس الرياضيات والعلوم في ثانوية " الشريف الرضى " بالقرداحة من أعمال قضاء جبلة بجبل العلويين .

أقبل المدرس الصغير على عمله الجديد.وما زلت أذكر كيف استشعر أهمية إتقان التعبير عن نفسه. ووجد نفسه أمام سؤال برز أمامه ولابد له من إجابة. السؤال هو: بأية لهجة يلقي دروسه ويتعامل مع طلابه ؟ كان لا يزال يتحدث في بيته باللهجة اليافية، وكان قد بدأ يتقن الحديث بلهجة أهل مدينة اللاذقية ، وهو يُدرّس طلابا يتحدثون بلهجة ثالثة . وما أسرع ما تعود على سماع اللهجة

الجديدة . ولكنه لم يحسن التحدث بها. ولاحظ أن لهجته غريبة على سماع طلابه ، كما أن محاولته التحدث بلهجتهم غريب على سمعه هو . وهكذا لخص الموقف بينه وبين نفسه " إنْ ألقيت دروسي بلهجتي فتحت مجالا لتعليقاتهم وربما ضحكوا على بعض تعبيراتي ، وإن ألقيتها بلهجتهم قد يضحكون لعدم إتقاني، ويقينا سأضحك أنا على نفسي " وجاءت إجابته على السؤال تلقائية بأن انعطف إلى الحديث باللغة الفصحى .. لغة القرآن والأدب والكتب .

ارتاح المدرس الصغير إلى محاولته التعبير عن نفسه بالفصحى، وانتبه في تلك السنة إلى أهمية ملاحظة قواعد اللغة عند إلقاء الدروس . وقد حدث مرة أن كتب على السبورة أسئلة اختبار للطلاب في مادة الهندسة . وكان من بين الأسئلة سؤال نصه " عَرّف الزاويتان المتبادلتان " . ولم ينبهه أحد من طلابه إلى الخطأ النحوي الذي وقع فيه، ولكن مدير المدرسة مرّ عرضا به فلاحظه وفي وقت لاحق راجعه فيه بمحبة ومودة . ومع أن صاحبنا ساق الحجة التي كان يسمعها بين طلاب القسم العلمي بأنه مدرس علوم لا شأن له بقواعد اللغة العربية ، إلا أنه في أعماقه لم يكن مقتنعا بها . وشعر بضرورة استرجاع تلك القواعد والحرص على التعبير بلغة سليمة . ومن خلال مراجعته لنفسه لم يرَ وجود أي تناقض بين إتقانه لغته العربية وبين كونه مدرس رياضيات وعلوم . وهكذا بدأ يهتم بملاحظة النحو في حديثه محاولا تطبيق ما تعلمه من قواعد . وقد قرأ فيما بعد في أحد كتب التراجم وهو كتاب " شذرات الذهب " لأبي الفلاح الحنبلي كيف تعلم الشيخ أحمد الدجاني – وكان من الصوفية وقد توفي سنة ٩٦٩هـ – النحو " .. كان الشيخ أحمد لا يعرف النحو فبينما هو في خلوته بالأقصى إذ كوشف بروحانية النبي - صلى الله عليه وسلم – فقال له

أيا أحمد تعلم النحو، قال: فقلت له يا رسول الله علِّمني، فألقى عليَّ شيئا من أصول العربية ثم انصرف ، قال فلما ولى لحقته إلى باب الخلوة فقلت : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وضممت اللام من رسول . فعاد إلى وقال لي أما علمتك النحو أن لا تلحن. قل يا رسول الله بفتح اللام . قال فاشتغلت بالنحو وفتح اللهُ عليَّ فيه " .

بدأ لسان صاحبنا ينطلق بالفصحى في تلك السنة الدراسية خاصة بعد أن تطوع لتدريس مادة الدين حين لم يجد مدير المدرسة مدرسا يتحمَّس لتدريسها. فقد حرص على أن يُحَضِّر المادة تحضيرا جيداً ويحفظ الآيات القرآنية المقررة . وخاض بتدريسه هذه المادة تجربة غنية أفاد منها الكثير على صعيد التعامل مع اختلاف المذاهب وخرج منها بفهم أعمق لروح الدين ورفضٍ للتعصب والجمود ومعرفةٍ صحيحةٍ للمذهب العلوي بدَّدت عنه كثيرا من الأخطاء الشائعة التي سمعها تتردد عنه . ولهذه التجربة حديثها الخاص بها .

تأكدت لدى المدرس الصغير أهمية الالتزام بالفصحى أثناء قيامه بعمله كمعلم حين انتقل في العام التالي إلى العمل بثانوية أريحا الأهلية ببلدة أريحا بين حلب واللاذقية . فقد وجد نفسه أمام لهجة جديدة عليه . ولا حاجة به إلى خوض تجربة الحديث بها ما دام قد أنس إلى الحديث باللغة الفصحى . وزاد إقباله خلال السنوات الثلاث التي أمضاها في أريحا على القراءة فطاف بين كتب مكتبة المدرسة يقرأ بِنهَمٍ التراث والحديث والمترجم عن اللغات الأخرى . كما قَوِيَ اهتمامه بالدين فباشر في حفظه أجزاء من القرآن الكريم . ونما لديه أيضا الاهتمام بالعمل العام فبدأ يشارك في النشاط السياسي ويلقي الخطب فالمحاضرات . وهكذا بدأ يتحدث بالفصحى خارج حجرة الدرس ويستخدمها في حديثه اليومي .

انتقل صاحبنا للإقامة في دمشق بغية الجمع بين العمل ومتابعة دراسته الجامعية وذلك بعد أن استقر رأيه على دخول كلية الآداب والتخصص في دراسة التاريخ ، حين تعذر عليه دخول كلية العلوم أو كلية الهندسة لأنهما تتطلبان التفرغ الكامل. وعمل مدرسا في ثانوية حيفا للبنات وثانوية فلسطين للبنين وهما من مدارس وكالة الغوث التي يتلقى العلم فيها أبناء فلسطين .

كانت عادة التحدث بالفصحى قد تمكّنت منه . وقد تابع تدريسه للرياضيات ثم لمادة الديانة ووجد أن الفصحى تسعفه في استخدام التعبيرات بدقة . وأنا أذكر كيف تطوّع لتدريس مادة الديانة حين علم من مديرة المدرسة بأن مُدَرِّسة اللغة العربية طلبت من طالبات السنة الأولى الإعدادية أن يقفزوا عن الفصول الأولى من الكتاب المقرر التي تبحث في الطهارة " ويدبسونها " ـ أي يغلقون صفحاتها بالدبابيس ـ لأنها تتحدث عن البلوغ والمسائل المتعلقة بالجنس . وذهب صاحبنا يومها بعد أن اتفق مع زميلته إلى المفتش وعرض عليه استعداده فكان أن عهد إليه بتدريس الدين . وقد أقبل على شرح الكتاب المقرر من أوله ولاحظ أن استخدامه الفصحى في الشرح مَكّنه من تناول أي موضوع بجدية ووضوح،وأثمر دوما تجاوب طالباته وطلابه معه وانجذابهم إلى درسه . وأنا أذكر كيف استفسرت إحدى الطالبات عن معنى آية الصوم "أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم .. " ربما بقصد اختباره وإحراجه، وربما عن حسن نية . فرد عليها بشرح وافٍ لأسباب نزول الآية ولمعاني مفرداتها ومعناها الإجمالي ، والصف بمجموعِهِ مشدود إليه . وقد أتاح له تدريس مادة الديانة فرصة توجيه طلابه والقيام بتجربة غنية في مجال تربية الشباب وتعريفه بحقائق الحياة وتثقيفه جنسيا ، ولا مجال هنا لشرحها وإنما أشير إلى دور اللغة الفصحى في إنجاحها .

ويبدو أنّها خلّفت أثراً ملموساً بين التلاميذ . وقد أخذتُ فكرة عن هذا الأثر حين التقيت أثناء حضوري اجتماعا في أبي ظبي بأديب شاب لامع في مجال الإذاعة مع آخرين في حفل رسمي،فإذا به يتحدث للحاضرين كيف شدّه إلى عشق اللغة العربية والتحول إلى الأدب مُدرِسه الشاب الذي كان يُدرس الدين في مدرسة فلسطين الثانوية بدمشق ، ولا يتحدث إلا باللغة الفصحى . وقد جذبته الفصحى فداوم – وهو النصراني – على حضور دروس الدين الإسلامي واتصل منذ ذلك الحين بالأدب .

ثلاث سنوات أمضاها صاحبنا في دمشق تمكنت خلالها الفصحى منه وتمكن هو منها. وقد ساهم في تمكّنه منها إقباله في تلك الفترة على الجلوس إلى شيخ عالم جليل مع مجموعة من أصدقائه مرتين كل أسبوع لقراءة القرآن وسيرة ابن هشام وبعض كتب الفقه على يديه. وأنا أذكر كيف شعر صاحبنا بروعة دراسة اللغة سماعا وبالفائدة التي عادت عليه من تلك الدروس . ويكفي للتدليل على عظم هذه الفائدة ملاحظة التقدم الذي أحرزه في قراءة النصوص .وأنا أذكر كيف احمرّ وجهه خجلا في الجلسة الأولى حين وصله الدور وقرأ صفحة من سيرة ابن هشام فأخطأ ــ وهو الذي يعمل في التدريس ــ عدة أخطاء . ولكنه استطاع بعد فترة أن يقرأ صفحات دون أن يلحن مرة .

كذلك ساهم في تمكنه من الفصحى خلال تلك السنوات متابعة الانشغال بالعمل العام ، وكانت سورية تمر بفترة دقيقة . وقد أقبل على العمل السياسي واندفع فيه وازدحمت أوقاته بالقراءة والحوار ، وبرز كموجّه سياسي يتقن الدعوة لأفكاره بين طلابه وزملائه من الطلاب الجامعيين . وشهدت تلك الفترة أيضا محاولته الأولى في كتابه المقالات الفكرية . وكان يقرأ بشغف المجلات الأدبية ويتابع باهتمام المعارك الفكرية فيها .

وقد نشر آنذاك مقالته الأولى في مجلة الآداب البيروتية . ووجد رغبة في معالجة الكتابة منذ أن أقبل على القراءة وهو في الثالثة عشرة من عمره وشعر بحاجته إلى تسجيل بعض ما يجيش في نفسه من مشاعر أو في رأسه من أفكار .

ولقد ظهرت آثار تمسكه بالفصحى في دراسته الجامعية بأن حقق تفوقا ملحوظا فيها وعلى الخصوص في عرض أبحاثه ، وعند دخول الامتحان الشفوي . وبالطبع فإن الفضل في هذا التفوق يعود في المقام الأول للخبرة التي اكتسبها من عمله كمعلم .

كان في الثانية والعشرين حين أنهى دراسته الجامعية وحصل على إجازة في الآداب " قسم التاريخ " . وقد اتجهَ إلى الانضمام لوالديه في طرابلس الغرب فعمل هناك مدرسا للتاريخ في معهد للمعلمين ولم يلتفت كثيرا إلى تَغير اللهجة عليه لأن الفصحى كانت قد تمكنّت منه فأصبحت وسيلته في التعبير ، اللهم إلا من زاوية اهتمام نما عنده يدفعه إلى التأمل في هذه اللهجات والبحث عن أصل الألفاظ وكيفية تطورها ، وقد خرج من هذا التأمل وهذا البحث بنتائج تستحق حديثا خاصا . وتابع صاحبنا خلال تلك الفترة إقباله على القراءة ، وتمكنت منه عادة كتابة خواطره من وحي ما يعيشه في يومه حتى التزم بالكتابة الصحفية والتأليف. كما تابع بهمّة العمل العام وانتظمت محاضراته في السياسة والأدب والفكر. واقترنت صورته بالفصحى فلم يعد الناس يذكرونه إلا بهما ولم يعد هو يأنس إلا لها.

حين أراجع ما كَتَبْتُ في الإجابة عن سؤال " لماذا ؟ " أجد أنني كعادتي اتَّبعتُ المنهج التاريخي في حديثي . وقد أوضَحت أصل الحكاية ، وأظنني عللتُ وسببت . ولكن يبقى في مجال التعليل والتسبيب أن أذكر حديثا – يخطر الآن على بالي – جرى بيني وبين أخي إبراهيم الغويل

في طرابلس إبان تلك الفترة . كنا في انطلاقة الشباب نعيش حياتنا عريضة ونجاهد لنجسّد ما نؤمن به من أفكار ومعنا ثالثنا المرحوم علي وريث صاحب " البلاغ " . وكان إبراهيم مطلقا لحيته على غير المألوف في الخمسينيات وأوائل الستينيات.. فسألته يومها لأول مرة .. وكان قد مضي على صداقتنا سنوات .. عن قصة إطلاقه للحيته ، فقص علي القصة، ذاكرا أنه لم يحلقها منذ أن نبتت في وجهه ومبينا أنه حين يفكر في السبب يجد أن إطلاقها كان يعلن "تميزا " عن واقع محيط به لا يرضى عن كثير مما فيه ،" وإعلانا لهوية " جديدة ولأفكار يبشر بها. ثم أشار بدوره إلى حديثي بالفصحى ولاحظ تشابهًا في الحالين. وقد عدت إلى نفسي يومها فلم أستبعد منطقه في التعليل ورأيت أن الظروف التي أحاطت بي تفاعلت مع أفكار فتى حالم يؤمن بأن له دورا في التقدم بأمته، ويعتقد أن الحياة مسؤولية والتزام ، ويبشر بمستقبل أفضل .

كيف يستقبل الناس على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم ومشاربهم الحديث بالفصحى ؟ ما هي ردود أفعالهم عليه ؟ وإلى أي مدى ينسجمون معه ؟

إجابتي هي من واقع تجربتي التي تمتد على مدى ربع قرن وإذا أردت أن أصف التجربة بكلمة أو كلمتين أقول إنها " إيجابية واعدة ". إيجابية لأن استقبال الناس لها – على اختلافهم – تشير في الغالب إلى انسجامهم معها . وواعدة لأن تجاوب الناس معها سريع .

الملاحظة الأولى التي ألاحظها حين أتحدث بالفصحى مع أناس أقابلهم للمرة الأولى في السوق أو في الشارع متناولا أمور الحياة اليومية هي أنهم يصابون للوهلة الأولى بالدهشة والاستغراب . ولكنهم ما أسرع ما يألفون " النغمة " .

ملاحظتي الثانية هي أن ردود فعلهم في الغالب – تكون بإجابتي " بالفصحى " . فإن كانوا من العامة

الذين تلقوا قدرا بسيطا من العلم استخدموا " الفصحى المدرسية " وإن كانوا من المثقفين انطلقوا في حوار فصيح يعطي الحديث طابعا رفيعا . وحين يجري الحديث مع أميين يأتي الرد بالعامية مع إظهار فهمهم لما قلت وظهور ما ينبئ بسرورهم لسماع اللغة الفصحى . ولا يخلو الأمر من قلة نادرة تأخذ الأمر كله مأخذ الهزل متأثرة بالصورة المشوهة التي تقدمها بعض التمثيليات الإذاعية والتلفازية والأفلام السينمائية للحديث بالفصحى . ولكن ما أسرع ما يتحول الأمر إلى الجد حين أتابع حديثي بتلقائية غير ملتفت إلى نغمة السخرية وكأني لم أنتبه لها أو أشعر بها .

لقد استخدمت تعبير" الفصحى المدرسية " لأميزها عن "الفصحى" . لأني ألاحظ من تعليق الناس على حديثي وأحاديث آخرين يلتزمون بالفصحى أنهم يؤكدون سمة التلقائية وخاصية السلاسة في هذه الأحاديث. ويشيرون إلى ما يسمونه اصطناع الحديث بالفصحى . وأنا أسلم بهذا التفريق ومرده فيما أعتقد أن التزام الحديث بالفصحى يكسب الحديث التلقائية والسلاسة بينما أسلوب تعليمها في مدارسنا والاقتصار عليها عند قراءة النصوص العربية ليس إلا هو الذي بذلك الاصطناع .

ملاحظتي الأخيرة هي أن جُلّ الناس بعد أن يتجاوزوا وقع مفاجأة الحديث بالفصحى وبعد أن يظهروا ردود فعلهم الأُولى عليه ما أسرع ما يألفون هذا الحديث وينسجمون معه ومن هنا فإن موقف المتحدث بالفصحى وهو يصرف أمور حياته اليومية هو موقف قوي أهم ما فيه أنه قريب إلى قلوب الآخرين كما أنه أقدر على التعبير الدقيق، وهذه القدرة على التعبير الدقيق لا تمنع المتحدث بالفصحى أن يشعر أحيانا بحاجته إلى استخدام تعبير يشيع على ألسنة العامة. وقد درجت في مثل هذه الحالة على استخدامه بلا تردد أني وجدت بعد متابعة في المعاجم أن كثيرًا من تعبيرات العامة

هي تعبيرات فصيحة في الأصل وقد وردت في القواميس . أما إذا كنت متأكدًا من بعد التعبير عن الفصحى فإني أمهد لاستخدامه بقول " كما يقول العامة "أو" كما يقال باللسان العامي ".

ولقد فكرت في سر أُلفة الناس للفصحى . وانسجامهم معها فرجحت أن السبب يعود إلى لغة القرآن الكريم الذي يستمعون إليه ويرددونه بخشوع. كما أنها لغة القراءة الجادة سواء في الصحف أو الكتب . وهي في الوقت نفسه لغة الحديث الرفيع الذي يستمعون إليه في الإذاعة أو في المحاضرات العامة أو في الخطب الرسمية أو في حوار الخاصة .

والآن وبعد هذا الحديث الذي طال عن الفصحى وقصتي معها لابد لي كي أوفي هذه القصة وأكملها أن أقول إن تجربتي طرحت أمامي منذ فترة سؤالاً جذريا هو " ما هي الفصحى وما هي العامية ؟ . وقد حاولت أن أجد الإجابة الوافية له .

وأذكر أنني طرحت السؤال أمام أخي إبراهيم في محاوراتنا التي كانت تتصل يوما بعد يوم - إبان إقامتي - بطرابلس وتجوب بنا عوالم الفكر ، والحياة والكون ، فساعدتني تعليقاته ونظراته على تلمس طريقي في الإجابة . كما أذكر أنني طرحت السؤال على أخي الكبير الدكتور إسحاق موسى الحسيني في لقائنا الأخير بالقاهرة أثناء مشاركته في مؤتمر مجمع اللغة العربية . وخصصنا للإجابة عليه نصيبا من وقت الحوار الذي كنا نحرص عليه يوميا وتوفره لنا رفقة الطريق .

الفصاحة في المعاجم " البيان" واللفظ الفصيح " ما يدرك حسنه بالسمع " . وفصح الأعجمي " تكلم بالعربية فجادت لغته ولم يلحن " . ورجل فصيح " يحسن البيان ويميز جيد الكلام من رديئة "وكلام فصيح " يعين صاحبه على إجادة التعبير . و"الفصاحة " من أفصح اللبن إذا ذهبت رغوته . ولقد قدر العرب منذ القديم

الفصاحة وميزوا بين اللغة العالية ولغة العامة ويبدو أن التفريق الواضح بين لغة فصحى ولغة عامية هو أمر حديث نسبيًّا يعود إلى القرن الماضي. ولقد ألحّ هذا الأمر مع ظهور اليقظة في خِضَمّ الحوار حول لغة التعبير وطريقة الكتابة .

وفي محاولتي أن أجد الإجابة الوافية للسؤال الذي طرحته تجربتي أمامي كنت أتتبع باهتمام لهجاتنا العامية. وكلما استوقفتني كلمة أهرع إلى المعجم بحثا عنها .. وقد وجدت أن كثيرا من الكلمات المتداولة في هذه اللهجات كلمات فصيحة جاء ذكرها في المعاجم ولاحظت أن كل لهجة اختارت كلمة بعينها فتداولتها . وفي الغالب طرأت على العديد من هذه الكلمات تغييرات بفعل الإبدال والإدغام ولا أريد هنا أن أسترسل في إيراد الأمثلة مؤجلاً ذلك لبحث أرجو أن أعكف على كتابته ، ولكن أكتفي بذكر تعبيري " نبي وبدي " وكلاهما بمعنى الإرادة والرغبة . والأول يشيع في بعض أقطارنا العربية بشمال أفريقيا بينما يشيع الآخر في بلاد الشام. إن أصلهما هو "نبغي"و" بودي " وكلاهما في الأصل فصيح كما نرى ، وقد تعرضتا للتغيير .وتتبعت أيضا طريقة اللفظ في اللهجات فقادني ذلك إلي البحث عما كتب عن لهجات العرب القديمة . ووضح لي أن لهجاتنا الحالية إنما هي استمرار لها . وتأكد لي أنه لولا اعتمادنا نحن العرب لغة واحدة في الكتابة لتحولت هذه اللهجات إلى لغات ولحدث للغة العربية ما حدث لغيرها من اللغات القديمة التي تفرق كل منها لعدة لغات.

إن هذه اللغة الواحدة هي لغة القرآن الكريم ، وهي قبل ذلك لهجة قريش البليغة وكانت قريش كما قال أبو نصر الفارابي " أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، أسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا ، وأبينها إبانة عن النفس " ويبدو لي أن التجاوب الذي يلاقيه حديثنا بالفصحى موروث منذ أن

برزت لهجة قريش بين العرب قبل الإسلام ومنذ أن اختار الله اللسان العربي المبين لينزل به القرآن الكريم. ولقد استوقفني في مستهل تجربتي ما عبر به أبو الريحان البيروني عن مشاعره تجاه اللغة العربية في كتابه " الصيدنة "ديننا والدولة عربيان ، والدين والدولة توأمان يرفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية. و " الهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية .. "

إن هذه المنزلة النفسية وهذه المزية العملية للفصحى تجعل المستقبل لها . ومن المؤكد أن البون القائم بين العامية بلهجاتها وبين الفصحى يمكن أن يضيق تدريجيا مع انتشار التعليم واعتماد سياسة إعلامية ثقافية صحيحة في الإذاعة والصحافة ووسائل الإعلام الأخرى .

أخشى أن يسوقني حديثي عن قصتي مع الفصحى إلى الاستطراد لمعالجة موضوعات كثيرة تتصل بواقع الفصحى ومستقبلها . وقد وجدت في نفسي وأنا أكتب ميلا إلى الحديث عن الفصحى والتجزئة السياسية، والفصحى والقيادة السياسية، والفصحى والتقدم العلمي. والفصحى والدور الإنساني لأمتنا . كما وجدت نفسي مهتما بمحاولة الإجابة عن سؤال كيف ؟ بشأن تضييق البون القائم بين العامية والفصحى . وحين أخذت استراحة من الكتابة انعطفت إلى مكتبتي لأراجع البحث القيم الذي كتبه عن مجال اللغة العربية عبد الكريم اليافي في كتابه "دراسات فنية في الأدب العربي " . ثم عاودت قراءة البحث القيم الذي كتبه الدكتور حسام الخطيب عن عموم اللغة العربية في عصرنا وطرح فيه ملامح المشكلة اللغوية في البلاد العربية ، وذلك في كتابه " ملامح في الأدب والثقافة واللغة " وقد تفضل بإهدائه لي عند لقائنا الأخير في غمرة حديث طويل عن مستقبل الفصحى. ومررت أيضا بكتاب جرجي زيدان " الفلسفية اللغوية

والألفاظ العربية " مستذكرا بعض ما طرحه من قضايا .

إذًا فلأختم حديثي راجيا أن أكون قد أجبت من خلال قصتي مع الفصحى عن سؤالي لماذا ؟ ومتى ؟ وقدمت شهادة واقعية لتجربة يمكنني القول بأني سعيد بها وأراها تجربة واعدة لأن المستقبل سيكون للفصحى.

**أحمد صدقي الدجانى**

- عضو المجمع المراسل من فلسطين

# نظرات

## في كتاب "*ردّ العاميّ إلى الفصيح*"

## للشيخ أحمد رضا العاملي *

للأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

**سيرة المؤلف:**

أبو العلاء ، بهاء الدين ، أحمد ابن إبراهيم بن حسين بن يوسف بن محمد رضا العامليّ ، من الباحثين المتعمقين في اللغة العربية والأدب العربي والنقد الأدبي .

ولد سنة ١٢٨٩هـ الموافقة لعام ١٨٧٢ للميلاد ، ببلدة النبطية ، إحدى قرى جبل عامل في الجنوب اللبناني ، في أسرة عرفت بحب العلم والتقوى والبر بالفقراء . وفي النبطية بدأ يتلقى العلم في الكتاتيب ، وكان التعليم فيها يقتصر على قراءة القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والحساب. ولمّا بلغ الثامنة من عمره أرسله والده إلى بلدة " أنصار "، من أعمال النبطية ، فتلقى في مدرستها علوم اللغة والنحو والصرف . ثم استدعاه والده إلى النبطية فاستمر في تلقي العلم في مدرستها ، فتعلّم الحساب والجغرافيا وعلوم العربية .

وتوفي والده سنة ١٨٨٤م ، وكان في الثانية عشرة من عمره ، فاضطر إلى التوقف عن طلب العلم مدة ثلاث سنوات، عاد بعدها إلى متابعة الدراسة ، وكان لأستاذه محمد علي إبراهيم الحسيني الفضل الكبير في إغناء زاده الثقافي في جوانب شتى من المعرفة ، وكان الفتى طُلَعةً مشغوفًا بمطالعة الكتب اللغوية والأدبية ، ثم نمت ثقافته بانتسابه إلى المدرسة التي أنشأها في النبطية العالم البحّاثة السيد حسن يوسف آل مكي

* ألقي هذا البحث في الجلسة الثامنة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأحد ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٤ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٩م.

الحسيني .

ولما آنس بهاء الدين من نفسه المقدرة على العطاء العلمي ، بعد أن اكتمل زاده الثقافي ، انصرف إلى التدريس ، والتف حوله طلاب كثر ينهلون من معين معارفه الثر ، وقد نبغ منهم فيما بعد علماء وأدباء مشهورون، منهم الشيخ أحمد عارف الزين الذي أنشأ دار العرفان بصيدا وأصدر مجلة العرفان .

وإلى ذلك كله كان المؤلف يشارك في الحياة الاجتماعية والحركة العلمية في بلدته ، فكان أحد مؤسسي " جمعية المعارف " بالنبطية وأحد المدرسين في مدرستها ، وأحد مؤسسي المحفل العلمي العاملي. وكان دائب النشاط ، بعيد الهمة، يوالي المجلات الأدبية والعلمية ببحوثه ومقالاته ، ويلقى المحاضرات في مختلف الموضوعات .

وفي عام ١٩٣٠م اختاره المجمع العلمي العربي بدمشق ( مجمع اللغة العربية اليوم ) عضوًا مراسلاً فيه وكلفه وضع معجم لغوي حديث ، وهو المعجم الذي ألّفه الشيخ أحمد رضا وسمّاه " متن اللغة ".

ولم يكن المؤلف معزولاً عن الشؤون الوطنية والقومية ، فكان من الوطنيين الساعين إلى النهوض بأمتهم ووطنهم ، المناهضين للاستبداد ، فجر ذلك عليه نقمة المتسلطين الأتراك ، ولم ينج من مشنقة السفّاح جمال باشا إلا بأعجوبة ، ولما احتل الفرنسيون سورية ولبنان وقف في صف المناهضين لسلطانهم، وظل متشبثًا بمبادئه الوصنية والقومية حتى واراه الثرى عام ١٩٥٣ للميلاد .

آثاره :

كتب أحمد رضا عشرات من المقالات والبحوث والتعليقات في مختلف المجلاّت ؛ ومنها مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق . ولم يكتف بذلك فألف طائفة من الكتب اللغوية ، والفقهية وغيرها وأهم

مؤلفاته معجم " متن اللغة " فقد عهد إليه مجمع دمشق بتأليف معجم لغوي يجمع ما حوته المعجمات، ويضيف إليها ما استُحدث من مصطلحات في المجامع العربية، ويضيف إلى ذلك كله ما ورد في كتب التراث من ألفاظ لم ترد في المعجمات . وقد أنفق أحمد رضا في تأليف هذا المعجم سنوات طوالاً . ومن المؤسف أنه لم يتح له أن يراه مطبوعًا في حياته ، فنشرَ بعد وفاته واستغرقت طباعة أجزائه الخمسة سنوات ثلاثًا ، من ١٩٥٨م حتى ١٩٦١م .

وهذا المعجم من أنفس المعجمات التي وضعت في العصر الحديث .

وقد ألحق المؤلف بمعجمه كتابين اختصر فيهما متن اللغة ، تسهيلاً على المراجعين غير المتخصصين، وألف إلى ذلك ، كتابًا أسماه ". التذكرة في الأسماء المنتخبة للمعاني المستحدثة ". ومن مؤلفاته الأخرى :" رسالة الخط " و " هدية المتعلمين" و" الدروس الفقهية " و " ردّ العامي إلى الفصيح" وهو الكتاب الذي نحن بصدده . وله مؤلفات أخرى لا تزال مخطوطة .

**كتاب " ردّ العاميّ إلى الفصيح "**

نشر البحاثة الشيخ أحمد رضا في مجلة المجمع العلمي العربي بحوثًا بعنوان " الغريب الفصيح في العاميّ " بدءًا من الجزء العاشر من المجلد السادس في تشرين الأول ( أكتوبر ) سنة ١٩٥٦م ، وبدأ أول بحث تحت هذا العنوان بقوله :" ربما ينكر بعض من درس علم البيان هذا العنوان ، إذ يرى الغريب موصوفًا بالفصيح ، وقد تعلّم أن الفصاحة في المفرد خلوصه من الغرابة ، فكيف يكون إذًا الغريب فصيحًا ؟ فاستمع لما يتلى عليك من معنى الغريب الفصيح :

الغريب هو في عرفهم البعيد عن الاستعمال ، وفسّر علماء البيان الغرابة بكون الكلمة غير ظاهرة

المعنى ولا مأنوسة الاستعمال ، ويريدون بالاستعمال استعمال الفصحاء ، فالغرابة بتفسير علماء البيان هذا أخصّ من البعيد عن الاستعمال، فإذا كانت الكلمة مستعذبة اللفظ ، خفيفة على اللسان ، غير حوشية ولا مستكرهة ، فكيف تكون غير فصيحة لأنها غير مأنوسة. وإذا كانت اللغة تقبل بعض الكلمات الأعجمية إذا صقلت وشُذّبت وجرت مجرى كلمات اللغة العربية ، فكيف باللفظ العذب الجميل من كلمات المصقول البعيد عن المألوف فلا يصل إلى درجة الأعجمي المعرّب .

على أن مثل هذا البحث لم يهمله أئمة اللغة ، فقد قال ابن دُرستويه وحكاه في المزهر :" ليس كل ما ترك الفصحاء استعماله بخطأ ، فقد يتركون استعمال الفصيح لاستغنائهم عنه بفصيح آخر أو لعلة غير ذلك ". وقال أيضًا :" إنما الفصيح ما أفصح عن المعنى واستقام لفظه على القياس لا ما كثر استعماله ".

وقال السبكي في عروس الأفراح :

" ينبغي أن تحمل الغرابة بالنسبة إلى العرب العرباء لا بالنسبة إلى استعمال الناس ، وإلاّ لكان جميع ما في كتب الغريب غير فصيح، والقطعُ بخلافه ".

ثم يقول المؤلف :" وبعدُ ، فإن في القرآن والحديث الشريف - وهما ما هما لا يدانيهما في الفصاحة كلام - من الغريب ما جرّد الأئمة الأعلام وفطاحل اللغة أقلامهم لشرحه ، كابن قتيبة والزمخشري ، وكتبهما في غريب القرآن وغريب الحديث معروفة، فهل كان هذا الغريب غير فصيح، واسمه كما ترى " الغريب "؟".

وبعد أن يطيل المؤلف في الحديث عن الفصيح والفصاحة يعرّف العاميّ بقوله: " العاميّ منسوب إلى العامة ، وهم عامّة الناس ، ويقابلهم الخاصة ". ويقول بعد ذلك :" كانت العامية تبعد عن الفصحى بتطاول المدّة يوم أديلت دول العرب وامتد

فيهم ملك الأعاجم وكثر اختلاط العجمة بالعروبة وقضت سياسة ملوك الأقطار العربية من الأعاجم نزعة ولغة أن لا يأبهوا للعربية . كان ذلك إلى حين ثم انبعث بصيص النور إلى اللغة ، لأن روح الحياة لابد أن تنبض إذا خف عنها كابوس المرض، فأخذت اللغة في الانتعاش في العصر الأخير وظهرت العصبية القومية، وعنيت الأمم بلغاتها ، فنهض العرب مع الناهضين لإنعاش الفصحى من لغتهم نهضة متثاقلة ، ولكنها اسمرّت فنمت وزهر عصرها في مصر ثم في الشام و العراق ، وكان للجرائد والمجلات أثر صالح في ذلك، فكثرت الخاصة بين العامة وأُولع العامة بالتقرب من الخاصة ، فكان من ذلك فاتحة أمل جديد ، لو أن للعرب دولة مستقلة لسارت لغتها شوطًا صالحًا ".

ثم يتحدث عن الفصيح والعامي من حيث الاستعمال فيقول :" لم تخرج العامية ، مع تحريفها وعدم ضبط قواعدها ، عن كونها لغة عربية ، والتحريف كان معروفًا باختلاف لغات العرب ، وإن كان بين الفصيح والعامي أشدّ ، وهو في العاميّ أكثر وبه ألصق ".

ثم جعل الباحث للفصحى ضروبًا ثمانية ، " فمنها ألفاظ انفرد بها متقدمو العرب وتركها المحدثون ، وضرب لذلك مثلاً " عيسور " للناقة الشديدة السريعة ، فقد استعمل مَن بعدهم مكانها لفظ " علنداة " . ومنها ألفاظ استعملها المتقدمون وخواصّ المحدثين ولم تعرفها العامة كقولهم : طَخية عمياء ومرة سوداء ". ومنها ألفاظ استعملها العرب وعرفتها العامة وقلّ استعمال الخاصّة لها فلم تشع بينها ، ومنها ألفاظ للعرب فيها لغتان أو أكثر أخذت العامة ببعضها والخاصة ببعض آخر كفزّ عند العامّة وقفز عند الخاصة ، وما فيها دومري ( تومري ) عند الخاصة .

وقد وقف الباحث عند هذين الضربين الأخيرين ، فعثر على ألفاظ قل استعمال الخاصة لها حتى كادت تعدّ غريْبة عندهم ، ولكنها كثيرة الورود في كلام العامّة ، فأراد أن يذكرها تذكرة للباحثين .. ومن هذه الألفاظ :

-**أرَم فلان اللقمة** : إذا قطع رأسها بأسنانه ، وهي فصيحة ، ففي القاموس المحيط : أرمتُ ألسنةَ القوم، قطعتها ، وأرم ما على المائدة : أكله .

-**برطم ومبرطِم**: يقول العامة : برطم فلان إذا تضخمت شفتاه من الغضب ، ويقولون للعبد الضخم الشفة : هو مبرطِم وفي اللغة، البرطام: الضخم الشفة؛والبرطمة:الانتفاخ من الغضب .

-**بغو** :يقولون للثمر إذا قطف قبل نضجه: هو بغو ، وفي اللغة : البَغْو : الثمرة قبل نضجها .

وتابع الباحث إيراد الألفاظ العاميّة التي لها أصل فصيح ، منسوقة على أحرف الهجاء ، حتى استوفاها في ثلاثة أعداد متتابعة من مجلة المجمع العلمي العربي .

ثم بدا له بعد سنوات أن يستأنف هذا الموضوع وجعل عنوانه: " العامي الفصيح " ، وذلك بدءًا من المجلد التاسع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي وتتابعت مقالاته في هذا الموضوع حتى بلغ عددها عشرًا نشرت على مدى خمس سنوات من عام ١٩٤٤م حتى ١٩٤٨". وكان حينئذ قد شرع في تأليف معجم "متن اللغة ".

استهل حديثه في هذا الباب بقوله : " كنت وأنا أعمل في تأليف كتابي " متن اللغة " يعرض لذهني كلمات عامية لها معنى الفصيح الذي أدوّنه فأعلّق الكلمة العاميّة على هامش الصفحة ، وربما كان اللفظ العاميّ هو لفظ الفصيح ، ولكن الفصيح غريب والعامي مشهور ، فأعدّه من الغريب الفصيح في العاميّ ، أو يكون في العاميّ تحريف قليل أو كثير من قلب

أو إبدال ، فأدلّ عليه ، ولم أعن بالتحريف في الحركات لأنها ، فيما أرى ، أكثر من أن تحصى بين العاميّ والفصيح .

وربما كانت العاميّة دخيلة أو مولّدة. لم يعرفها الأولون ، بل عرفت في عصر العباسيين ومَن بعدهم ، فأذكر ما وصل إليه بحثي فيها ، المقصور على الكتب العربية التي بيدي.

وربما بدا لي في بعض ما نسبه الباحثون في الألفاظ المعرَّبة إلى غير العربية وعدّه دخيلاً فيها ، أنه عربي أو يمكن تخريجه على أنه عربي ، فأذكر ما تراءى لي فيه ، لأنني رأيت أن بعضهم أسرف في إلحاق كثير من الكلمات العربية بالسريانية أو غيرها من اللغات ، مع أن إرجاعها إلى أصل عربي واضح أو ممكن على الأقل فلا ينبغي والحال هذه جعله دخيلاً ما دام لعروبته وجه .

ولما بلغت النهاية من تأليفي " متن اللغة " رأيت أنه قد أصبح في يدي طائفة من هذه الكلمات العاميّة صالحة لأن يفرد لها مؤلَّف خاص يُتوسع في البحث فيه حسب الوسع والطاقة ، فشرعت في كتابي " العاميّ الفصيح " وأنجزت حتى الآن أكثر من ثلثيه .

وإنه لغني عن البيان أن أكثر ما ذكرته من العاميّ إنما هو من اللهجة التي أسمعها كل يوم بل كل ساعة ، وهي لهجة جبل عامل وساحل دمشق وما يليه من سفوح لبنان ، وهاؤم اقرؤوا كتابيه ".

وبعد المقدمة التي وضّح فيها الدافع إلى كتابة هذه الفصول في العاميّ الفصيح، والنهج الذي اتبعه ، واللهجة التي اعتمدها ، شرع في ذكر الألفاظ العاميّة التي لها أصل فصيح ، منسوقة على أحرف الهجاء .

وأول لفظ ذكره هو لفظ "الأرميّة" فذكر أنها عند العامّة : أصل

الشجرة في الأرض ، ويغلب أن تكون كالعقد أو كالعقدة المتصلة . وهي إمّا من الأرومة . قال في تاج العروس : "والأرومة بالفتح، وتُضم، لغة تميمية: الأصلُ، (ج) أُروم، وإما من (الأربيّة) على الاستعارة من أربيّة الفخذ ، أبدلت الياء ميمًا . ثم أورد ما ورد في المعجمات من معاني الأربيّة وهي لا تخرج عن كونها أصل الفخذ.ثم قال: ( وفي اللسان : أربيّة الرجل : أهل بيته وبنو عمّه ، ولا تكون الأربيّة من غيرهم ".

ثم ذكر الباحث وجهين آخرين فقال :" وإما من أرمولة العرفج " أي أصوله وإما أن تكون هي القِرميّة ، بالقاف كما يلفظها أبناء جنوبي لبنان وأعرابهم ، فتكون من قِرميّةِ البُرة على التجوزّ . قال في القاموس : والقرميّة ، بالكسر : عقدة أصل البُرة من أنف الناقة ، والبرة : حلقة في أنف البعير أو في لحمة أنفه ، إلا أن العامة تضم القاف ".

ويتضح من تخريجات الباحث هذه أنه أورد جميع الاحتمالات في مأخذ لفظ الأرميّة من الفصيح ، وربما يرجح عندنا أنها محرفة عن الأرومة بمعنى الأصل . ولكن الباحث اجتهد في البحث عن الألفاظ الفصيحة التي تقارب لفظ ( الأرميّة ) العامية ، وهذا الأمر يدل على ما بذله من جهد في التتبع والتقصي .

وهذا اللفظ مستعمل عندنا في سورية ، ويطلق على أصل الشجرة كما يطلق على أصل نبتة الخس وعلى أشياء أخرى .

وتوالى نشر مقالاته في هذا الموضوع طوال سنوات خمس واستغرقت عشر حلقات انتهى فيها إلى كلمة (الزوم)، فذكر أنها عند العامة المرق وماء الغُسالة ورجح أنها دخيلة .

ثم بدا له بعد ذلك أن يفرد كتابًا مستقلاً لموضوعه هذا، وجعل عنوانه: " ردّ العامي إلى الفصيح ".

وقد نشر هذا الكتاب قبل وفاته بعام واحد ، أي سنة اثنتين وخمسين وتسعمئة وألف للميلاد ، وطبع بمطبعة العرفان بصيدا، واشتمل على ما يناهز ألفًا وأربعمئة كلمة ملأت أربعين وأربعمئة صفحة .

والكتاب يبدأ بمقدمة كتبها الشيخ سليمان ظاهر ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وضح فيها عمل المؤلف في كتابه ونهجه فيه ، ثم عرض للمحاولات التي قام بها في القرن العشرين فريق من الناس ، لإحلال العامية محل الفصحى عن سوء نية ، وكذلك حاول فريق آخر استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي ، وعلّق على هاتين المحاولتين بقوله : "فقيّض الله لها في الجاهلية من صانها لا في التدوين ، وهو يومذاك مناط الثريا ، والكتابة تكاد تكون معدومة ، بل دونت في شعر الجاهليين وفي خطبهم وملاحمهم وكلماتهم الحكيمة وأمثالهم السائرة ، وقيّض لها في ظهور الإسلام الكتاب الحكيم ... "، ثم أثنى على جهد المؤلف فقال :" وكان ردّ العامي إلى الفصيح ثمرة من ثمرات جهوده في كتبه اللغوية الثلاثة، ونتيجة من نتائج ما كان يعثر عليه من كلم عربية أصيلة تستعملها العامة بنوع من التحريف والتغيير .

والمؤلف حاضر الذاكرة ، سريع الملاحظة ، أُوتي مع دقة النظر وذكاء الطبع صبر العلماء وأناة الحكماء ومزية التحقيق ".

وقد مهد المؤلف لكتابه بالتمهيد الذي أوردناه آنفًا والذي استهل به مقالاته في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

وقد رجع المؤلف في تقصي أصول الكلمات العامية في الفصيح إلى أمهات المعجمات وكتب العربية واعتمد خاصة على تاج العروس للزبيدي وما استدركه على القاموس المحيط ، فبذل في هذا التتبع جهدًا عظيمًا .

وبين المؤلف في مقدمة كتابه أنه ذكر من الألفاظ العامية ما هو شائع في موطنه " جبل عامل " ، في جنوبي لبنان .

ولما كان لكل بلد في سورية ولبنان وفي أي قطر آخر لهجته العامية التي تختص به،فقد اخترت من الألفاظ التي أوردها أحمد رضا ما هو شائع في العامية السورية عامة، وفي عاميّة أهل دمشق خاصة . فقد تتقارب اللهجات العامية في البلدان الشامية في ألفاظ وتتباعد في ألفاظ أخرى، وربما أضفت إلى ما ذكره الشيخ رضا بعضًا مما يرد في عامية أهل دمشق وأحاول ردّها إلى أصلها الفصيح . وسوف أذكر الألفاظ العامية التي اخترتها منسوقة على أحرف الهجاء .

**آدمي ــ أوادم:**

تستعمل كلمة ( آدمي ) مع جمعها ( أوادم ) عندنا للدلالة على الإنسان الحسن الخلق المستقيم السيرة، وفي لهجة قوم المؤلف : فلان آدميّ في عشيرته وآدميّ في قومه ، أي هو عين من أعيانهم ، وهم أوادم أي أشراف بلدهم وأعيانهم ، وفي اصطلاح أهل البادية: أوادم الرجل : خدمه وأعوانه ، فمعناه عندهم نقيض معناه في الحاضرة . وقد رجّح المؤلف أن هذا اللفظ مأخوذ من قولهم: فلان أَدَمه قومه وأُدمُهم ، أي سيّدهم ( أساس البلاغة) ، وفلان إدام قومه وأَدْم بني أبيه لمن يُصلح أمورهم، وآدَم بين القوم إذا أصلح بينهم . ولا يبعد عندي أن يكون لفظ ( آدمي ) منسوبًا إلى سيدنا آدم ، للتفريق بين بني آدم وسائر المخلوقات .

**تمألس به وعليه:**

في عاميتنا ولهجات أخرى يراد بهذا اللفظ الهزء والسخرية ، ويرى المؤلف أنه مأخوذ من لفظ ( المألوس ) وهو المجنون ... وفي اللغة : أَلِس أَلْسًا فهو مألوس إذا اختُلط وذهب عقله والأس : الجنون .

**أمّن الشيء:**

يقولون : أمّن المال للعمل الفلاني ، وأمّن نفقة الطريق قبل سفره أي وثق من حصوله على المال ، وهو في الفصيح مأخوذ من أمِن البلد إذا اطمأن به أهله ، وأمِن الرجل : اطمأنّ قلبه . ويرى المؤلف أنه قد يكون منقولاً من : قَمّن الشيءَ إذا أشرف عليه ليأخذه ، فأبدلت العامة الهمزة بالقاف ، وهو شائع في اللهجات العاميّة .

**الأمّيم :**

الأمّيم عند العامة ( بفتح الألف وتشديد الميم ) :هو مَوقد النار في الحمّام . وجاء في القاموس المحيط : القَمِين كأمير : أتّون الحمّام ، وربما يكون هذا اللفظ مأخوذاً من القِمامة .

**الأُوْبة:**

في لغتنا : الجماعة ، وفصيحها عند المؤلف: الحوبة ، وهم ذوو الرحم والجماعة المؤتلفة : ويحتمل عندي أن يكون مصدرها : الأُوبة ، بمعنى الرجوع ، مصدر آب يؤوب ، وأنها نقلت من معنى الرجوع إلى القوم الراجعين ثم أطلقت على الجماعة .

**بحبش:**

في لغة العامة : بحث ونقّب ، وفصيحها : بَحّش ، ونحن نستعملها على الأصل فتقول : بحش الأرض إذا حفرها ونقّب فيها .

**البحص:**

الحصى ، وهو في الفصيح : الحصب، أحدثوا في الكلمة قلبًا مكانيًّا ومثله كثير في لغة العامة .

**بحلق:**

بمعنى : وسّع عينيه لينظر، مأخوذ من حملق،على القلب والإبدال.

**البدلة:**

أصلها : البِذْلة ، وهي ما لا يصان من الثياب . وقد تغيرت دلالتها فأصبحت تدل على اللباس الأنيق .

**برطَمَ:**

معناها : أرخى شفتيه وزمّهما غضبًا ، وهو من البرطمة ، بمعنى

تضخم الشفة ، وهي لفظة فصيحة .

**بَرَم على الشيء:**

في عاميتنا معناه : بحث عنه في مظانه وأصله من برم الحبل إذا فتله على طاقين ، ومنه أخذ لفظ ( المبرومة ) وهي نوع من الحلوى معروف في بلاد الشام ، وكذلك يراد بها السوار الملتف .

**البطاقة :**

هي الرقعة التي يكتب فيها اسم صاحبها وهي في اللغة : الرقعة الصغيرة ، جاء في لسان العرب في حديث ابن عباس: قال لامرأة سألته مسألة: اكتبيها في بطاقة، أي في رقعة صغيرة .

**بعزق المال:**

معناه : بدّده ، والعامة تقلب القاف همزة، وهو في الفصيح : تبعثق مأخوذ من تبعثق الماء إذا خرج من حوض ففاض .

**بلص:**

بلص مال فلان : أخذه احتيالاً، وفي اللغة : بلّصه - بتشديد اللام - أخذ ماله فلم يدع شيئًا عنده .

**تبلكم:**

استعصى عليه الكلام، وهو في الفصيح: تبكّم عليه الكلام: استعصى .

**البهدلة:**

البهدلة في لغة العامة هي التنقّص والشتم ، وإنسان مبهدل : قليل الترتيب سيء الانتظام في ملبسه وأعماله . وقد ذهب المؤلف إلى أنها مأخوذة من البَهْدل، وهو جِرو الضبع، والضبع معروفة بقذارتها ونتن رائحتها . وهو مأخذ بعيد في ظني . وفي اللغة كذلك : بهدل الرجل إذا عظمت ثَندوءته، وهي بمنزلة الثدي للمرأة، فاللفظ بهدل فصيح ولكن دلالته في اللغة مختلفة عن دلالته في لغة العامة، والأقرب أن يكون لفظ (بهدل) مأخوذاً من تهدّل أي استرخى ، والهديل : الرجل الأشعث الشعر .

**تبهور:**

في لغة العامة يدلّ على

الافتخار والتحدّي وهو مأخوذ من الابتهار في الفصيح وهو ادّعاء الرجل كذبًا ما ليس فيه .

**باخ اللون:**

في لغة العامة:تغيّر وبهت وهو مأخوذ من باخت النار إذا سكنت وفتر حرّها .

**الجِفص :**

في لغة العامة وصف للرجل الخشن المعاملة والطبع وفصيحه : الجِبس ، وهو الرجل الثقيل الذي لا يجيب إلى خير .

**جَخّ:**

في عاميتنا معناه : لبس لباسًا فخمًا وتأنّق فيه ، وعند المؤلف أنه ربما يكون مأخوذاً من جخف بمعنى تكبر وافتخر .

**جَدع:**

في عاميتنا وعامية أهل مصر معناه الشاب الجريء النشيط ومأخذه من الجَذَع، وهو الشاب الحدث السن القوي .

**جَرَد:**

البضاعة أحصاها ليعرف ما بيع منها وما بقي وهو في الفصيح مأخوذ من الجَرْد ، وهو بقية المال ( القاموس ) .

**الجُرْن :**

هو حجر منقور كالحوض الصغير يستعمل لصنع الكبّة وفي الفصيح : الجرن حجر منقور يصب فيه الماء ليتُوضّأ به .

**الجُنفيص:**

هو عندنا نسيج من غليظ الكتان أو من ليف الشجر،وفي اللغة: الشِنِفاص، ويحتمل أنه من الدخيل .

**الجُورة:**

الحفرة المستديرة في الأرض وهي في الفصيح : الجُفرة .

**الحَدّوته والحتوتة:**

الحكاية وهي في الفصيح الأحدوثة.

**الحردبّة:**

في العامية: النتوء في الظهر

وهي مأخوذة من الحَدَبة والرجل : أحدب .

**دلوقت:**

في عامية مصر بمعنى الآن وهو مأخوذ من : ذا الوقت ، وفي عاميتنا : هَلأ، مأخوذ من : هذا الآن .

**حاسِب:**

في عاميتنا وعامية مصر معناه:قف، وهو مأخوذ من حاسب الرجل:إذا قتّر على جواده في المشي.

**حَوّش الشجرة:**

قطف ما عليها من الثمر وهو في الفصيح : حاشه يحوشه أي جمعه.

**خُشّ:**

في عامية مصر معناه: ادخل ، وهو لفظ فصيح ابتذل في الاستعمال .

**خَلص:**

في لغتنا ولغة أهل مصر معناه: نفد وانتهى وهو في الفصيح : تخلّص منه : نجا وسلم ، أو من خاص إليه أي انتهى إليه .

**خَمّ:**

الطعامُ واللحم تغّيرت رائحته وفسد وهي كذلك في الفصيح .

**دحشه:**

في العامية معناه : أدخله وفصيحه : دحش الثوب: أدخله في الوعاء .

**دشَّر:**

في العامية: ترك ، وهو مأخوذ من:جَشَر الشيء إذا تركه وتباعد عنه.

**دَغْمر:**

فلانًا : أخفى عنه ما يريد ليوقعه في شرك وورّطه، وفي اللغة: دَغْمر عليه الخبر:خلطه،ومثله:دخمر .

**المُدَمَّس:**

في لهجات أهل الشام ومصر : الفول المدفون في الرماد لينضج ، وهو فصيح من دَمَّس الشيء : دفنه وغطّاه .

**دندل:**

في العامية: أنزله من علٍ وهو مأخوذ من تدلدل الشيء:تهدّل وتحرّك.

**الزلغوطة:**

في العامية: صياح النساء في الأفراح ، وهي في اللغة مأخوذة من : زَغْرد وزغرودة البعير: هدير للإبل تردده في حلوقها .

**المسطول:**

يطلق على من ذهب المخدّر بوعيه وهو عند المؤلف مأخوذ من : سنطل الرجل إذا مشى مطئطئًا، والمُستنْطِل: المتمايل لا يملك نفسه .

**السَّطل:**

في العامية الوعاء المعروف وهو هو في الفصيح .

**شَلَّحه:**

معناه في العامية : سلبه ماله وثيابه وهو لغة سوادية قديمة في الاستعمال .

**المُشْوار :**

في العامية مأخوذ في الفصيح من شار الدابة : ركبها عند عرضها على المشتري فذهب وعاد ، وفي اللسان : التشوير : أن تشوّر الدابة لينظر كيف مشوارها أي سيرها .

**المَصْطَبَة:**

بفتح الميم هي الدكة المرتفعة يجلس عليها فصيحها:المُصْطَبَة بضم الميم .

**الساطور:**

للسكين الضخمة التي يستعملها الجزار هو في الفصيح:الصاقور، وهو الفأس العظيمة تكسر بها الحجارة .

**اصطفِل:**

أي اعمل ما تريد فصيحه : افتصِل على القلب ، ومثله : فلان لا يسترجي أن يعمل كذا ، أي لا يجرؤ ، فصيحه : لا يستجرئ .

**كسر الصُّفرة:**

في لهجتنا معناه : تناول طعام الإفطار، وهو لفظ فصيح ، فالصَّفْرة هي الجوع ، أي كسر جوعه .

**طبّه على وجهه :**

فصيحه : كبّه على وجهه .

**العتّال:**

( الشيّال بلغة أهل مصر ) لفظ

فصيح مأخوذ من عتله أي حمله .

**العُطلة:**

بمعنى البقاء بلا عمل فصيحه مأخوذ من تعطل الرجل إذا بقي بلا عمل .

**عيّط له:**

في لغة العامة معناه: ناداه ، وهو مأخوذ من التعيّط وهو الجلبة والصياح .

**العائلة:**

بمعنى الأسرة فصيحها: العيال، وهم من يعولهم الرجل .

**الفتّوش:**

في لهجتنا : خبز يُفَتّ ويخلط به الزيت والحمض وفصيحه : الفَتُوت.

**فلّس:**

الرجل إذا نفد ماله فصيحه: أفلس.

**قَبّ:**

قب شعر رأسه إذا انتصب فزعًا فصيحه : قَفّ شعرُه .

**لا تقارشني :**

بلغة العامة : لا تتدخل في أموري ( بإبدال القاف همزة ) مأخوذ من المقارشة وهي في اللغة : التداخل .

**القَرَف:**

يدل في العامية على الاشمئزاز وهو مأخوذ من القرف بمعنى مداناة المرض .

**قَزّت نفسي:**

عن الشيء ( بإبدال القاف همزة ): أبته وعافته وهو فصيح ، ففي اللسان : قَزّت نفسي عن الشيء : أبته وعافته .

**القشاط:**

بمعنى السَير من الجلد يشد به وسط الرجل مأخوذ من كشط الجلد وقشطه أي قشره .

**القُضامة:**

للحمص المعالج بالقلي أو الشي مأخوذة من قضم الطعام إذا أكله بأطراف أسنانه .

**قَمّر الخبز:**

حمّصه ( والعامة عندنا تبدل القاف همزة ) ، وهو مأخوذ من جَمّر اللحم إذا وضعه على الجمر .

**القماش:**

بمعنى النسيج مأخوذ من قُماش البيت وهو متاعه .

**كبتل الشيء:**

جمع أطرافه وضمّ بعضه إلى بعض فصيحه : كَتله أي جعله كُتلاً .

**كربشه:**

بمعنى قيده ومثلها : كلبشه ، والكَلَبشة في لغتنا: القيد، وفي اللغة: كربش أي أخذ الشيء وربطه .

**كُرمالك:**

عبارة تستعمل بمعنى ( إكرامًا لك ) ، وهي فصيحة : كُرمى لك .

**كمان:**

في العامية معناه طلب تكرار العمل والزيادة وأصله عند المؤلف : كما كان .

**كُويِّس:**

في اللهجة المصرية مأخوذ من الكَيِّس وهو الظريف الخفيف .

**لتّ في كلامه ولتلت:**

أي جاء بكلام فارغ لا معنى له وهو مأخوذ من لثلث بالمعنى نفسه .

**لزق:**

الطعام في القدر فصيح ومثله : لصق .

**لطشه:**

ضربه بجمع يده وبكفه هو عينه في الفصيح ومثله : لطسه .

**لهط الطعام:**

أكله بشره ونَهم مأخوذ من لهد ما في الإناء لحسه وأكله ، أو من رهطه،والرهط عِظم اللقم وشدة الأكل.

**ليكو:**

في لهجتنا معناه : هاهو ، وهو تحريف عن : إليكه .

**مَرَق من هنا:**

أي مرّ، ( مع إبدال القاف همزة )، وفي الفصيح: مرق : خرج

بسرعة ومرق من الدين : خرج عنه فهو مارق .

**المريول:**

عند العامة كساء بدون كُمّين تشدّه المرأة على وسطها عند الطهي ويشدّ على صدر الصبي ليقي ثيابه . وفي اللغة : رال الصبيّ على ثوبه إذا سال لعابه عليه فالمريول بصيغة المفعول، فهو مريول عليه ، فهو عربي فصيح .

**المَنْدل:**

ما يعمله المشعوذ للاطلاع على المخفيّ ، فهو يضع الماء في إناء ثم يقرأ عليه العزائم والرقى ، وهو عند المؤلف اسم آلة من ندل أي اختلس .

**المعلقة:**

( بإبدال القاف همزة ) هي في الفصيح: ملعقة، على الإبدال والقلب .

**الميجانا:**

ضرب من الغناء شائع في بلاد الشام، ويرى المؤلف أن أصله من المَيجنة وهي مدقّة القصّار ، فكأن القصارين هم الذين أوجدوا هذا النوع من الغناء فقد كانوا يرددونه عند دقهم بالميجنة .

**نطّ:**

بمعنى قفز من أعلى إلى أسفل، في اللغة : النطّاط : الوثّاب القفاز .

**هرَّ:**

الحبّ من العنقود بمعنى تساقط مأخوذ من الهرهرة وهي صوت جريان الماء وانصبابه، والهرهُور: ما تناثر من حب العنب ، فاللفظ فصيح .

**اهترى الثوب:**

وانهرى ، مأخوذ من تهرّأ اللحم إذا سقط عن العظم .

**ودّر:**

ودّر فلان ماله إذا بدده وودّر الهر إذا أبعده عن داره ، وفي اللغة : ودّر فلان ماله توديراً : بدّده ، فالعامية فصيحة .

**وشوش:**

وشوش فلان فلانًا أي ألقى في

أذنه الكلام همسًا ، وفي اللغة : الوشوشة : كلام فيه اختلاط لا يكاد يفهم ومثله : وسوس ، وتوشوشوا : همس بعضهم إلى بعض .

هذه نماذج مما أورده العلاّمة الشيخ أحمد رضا العاملي في كتابه " ردّ العاميّ إلى الفصيح " ، وقد اقتصرت من هذه النماذج على ماله صلة باللغة الفصيحة فلم أثبت ما أُخذ عن اللغات الأخرى كالتركية والفارسية ، وكذلك لم أذكر ما كان لفظه في الفصيح يخالف مخالفة تامة لفظه العاميّ ، فهذا الباب واسع يحوج الباحث إلى التماس اللفظ الفصيح في كتب اللغة والتراث لكل لفظ عاميّ ، ويحتاج إلى بذل جهد كبير لمعرفة مأخذ اللفظ العاميّ، مثال ذلك : السِنّارة التي يصاد بها في الماء فصيحها: الشِصّ ، وعود الكبريت هو في الفصيح : النُبخة ، واستعمل له المحدثون لفظ : عُود الثقاب ، ولفظ كبريت مستعمل منذ القديم ، والبيرة للشراب المعروف فصيحها: الجِعة ، ونحو هذا .

وقد بذل المؤلف في ردّ الألفاظ العامية إلى الفصيح جهدًا عظيمًا ولقي في تقصي كتب اللغة عناءً كبيراً لا يقوى عليه إلا أولو العزم والجلد . وعمل الباحث يفيد في تقريب العامية من الفصحى وفي إغراء العامة باستعمال الفصيح .

على أنني قد لا أوافق المؤلف في بعض ما ارتآه من مآخذ الكلمات العامية وردّها إلى الفصيح ، ولكنه اجتهد في ذلك ، ولكل مجتهد أجر .

**محمد إحسان النص**

عضو المجمع المراسل

من سورية

# المناظرة عبر النصوص

# أو

# المناظرة غير المباشرة في التفاسير القديمة للقرآن الكريم *

للأستاذ الدكتور فريد ليمهاوس

في الآية الكريمة ١١٩ من سورة "النساء" أُخبِرْنا عن قول الشيطان المريد في مصير الذين شاقّوا الرسول ﷺ ﴿ لأضلنهم ولأمنيهم ولآمرنهم فليبتكن ءاذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ .

ومن ظاهر الآية يبدو المعنى العام لعبارة ﴿فليغيرن خلق الله﴾ واضحًا ولكن منذ الفترة المبكرة من تفسير القرآن الكريم نلتقي بمناقشات حادّة أو مناظرات حامية في المعنى الدقيق الصحيح . روى لنا مثلا السمرقندى في تفسيره الذي كتبه بعد تلك الفترة المبكرة بقرنين ونصف تقريبا. وقال : قال عكرمة:هو الخصاء، وهكذا روى عن ابن عباس،وأنس بن مالك. وروى عن سعيد بن جبير قال: هو دين الله، وهكذا قال الضحاك ومجاهد ، وقيل لمجاهد إن عكرمة يقول: هو الخصاء، فقال ماله، لعنه الله، وهو يعلم أنه غير الخصاء ، فبلغ ذلك عكرمة فقال ؛ هو فطرة الله . (١)

وفي رواية في تفسير الطبري المجمّع قبل تفسير السمرقندي بنحو نصف قرن نجد مجاهدا يتكلم بصراحة زيادةً على ذلك :

عن القاسم بن أبي بزة قال لي مجاهد سل عنها عكرمة " ولآمرنهم فليغيرن

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة الثامنة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأحد ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٤ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٩م .

(١) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لأبي ليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى المتوفى سنة ٣٧٥ هـ ، تحقيق وتعليق الشيخ على محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور زكريّا عبد المجيد النوتي ، بيروت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .

خلق الله "، فسألته فقال:الإخصاء . قال مجاهد : ماله ، لعنه الله !فوالله لقد علم أنه غير الإخصاء ؛ ثم قال : سله فسألته فقال عكرمة : ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى :﴿ فطرة الله الّتى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ [ الروم : ٣٠ ] ؟ قال: لدين الله، فحدَّثت به مجاهدًا فقال:ماله أخزاه الله!

تدور نقطة الخلاف في هذه المناقشة حول الحجة نفسها فقد اتّفقت كلتا وجهتي النظر في أن دليل صحة التفسير موجود في سورة الروم (الآية ٣٠ ) بأن معنى "خلق الله" مترادف لفطرة الله . وواضح كل الوضوح أن ثمة اختلافًا بين الجانبين؛ هل يكون المعنى في هذه الآية حرفيًّا أو مجازيًّا؟ كان عكرمة يعبّر عن رأيه أنه حرفي وأن المراد " الطبيعة " أو "النظام الطبيعي" أو" الطبيعة كما خلقها الله ".واعتقد مجاهد أن المعنى المجازي هو الصحيح وأن المراد: " صبغة الله التي خلق عليها الناس " كما كان عبَّره أبو عبيدة في كتابه " مجاز القرآن " مثلا (*).

يتكرّر هذا النوع من الخلافات في الرأي بين مفسري القرن الأول الهجري كثيرا في تفسير الطبري وفي تفسير السمرقندي كما في غيرهما من التفاسير.وهذا شيء معروف. وكلمات العنف والشدة المروية عن تلميذي ابن عباس المشهورين أقل وهذا معروف طبعا، ولكن المثل المذكور ليس باستثنائي . في المناظرات المنقولة من أهل السلف في تفسير السمرقندى وتفسير الطبري نلاقيهم بكلامهم بلا لفٍّ ولا دَوَران كما في المثل التالي:

وهو الاختلاف حول مسألة مَن المقصود بالضبط بالرجال في آية (٤٦) من سورة الأعراف ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ وحيث اختلف أهل التفسير من السلف في صفة الرجال المخبر

(*) مجاز القرآن صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة ٢١٠هـ ، عارضه بأصوله وعلّق عليه محمد فؤاد سزكين ، القاهرة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م الجزء الثاني ص ١٢٢

عنهم أنهم على الأعراف . قال بعضهم: هم قوم من بني آدم ، استوت حسناتهم وسيئاتهم. وقال آخرون كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا.وقال آخرون : بل هم قوم صالحون فقهاء علماء. وقال آخرون : بل هم ملائكة ، وليسوا ببني آدم (١) . وكذلك نجد في تفسير السمرقندي : وروى عن أبي مجاز أنه قال هم الملائكة : فبلغ ذلك مجاهدًا فقال كذب أبو مجاز .

يقول الله تعالى:﴿ وعلى الأعراف رجال﴾. فقال أبو مجاز: لأن الملائكة ليسوا بإناث ، ولكنهم عباد الرحمن . قال الله: ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾... الآية (١٩) من سورة الزخرف .

والأمر الغنيّ عن البيان هو أنّ المفسرين المتأخرين مثل الطبري والسمرقندى كانوا يستعملون رواية تلك المناقشات والمناظرات كوسيلة إيضاحية وتعليمية في بيان الصواب عندهم . والظاهر أيضًا أنهم موقنون بأن روايات تلك المناقشات والمناظرات صادقة وأنها حدثت فعلاً. والعجيب أن هذا النوع من المناقشة والمناظرة غائب في نصوص التفاسير المبكرة الموجودة حاليا . وأيضًا أنّ بعض المفسرين مثل النحاس الذي عاش في الجيل الذي بعد الطبري قد تهربوا من فكرة النزاع بين أسلافهم الثقات في علم التفسير . وكذلك نجد النحاس في كتابه " معاني القرآن الكريم" (٣) يخبر في إطار تفسير سورة النساء: الآية (١١٩) بكلا الخلافين المذكورين أعلاه وقال بعد ذلك : " إن هذه الأقوال ليست بمتناقضة، لأنها ترجعُ إلى الأفعال ".

(١) انظر في تفسير الطبري

(٢) تفسير السمرقندي

(٣) معاني القرآن الكريم للإمام أبي جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ ، تحقيق الشيخ محمد على الصابوني ، مكة المكرمة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م الجزء الثاني ص ١٩٦٠ .

ويبدو أن هذا الميل إلى الملاءمة بين تفسيرات السلف المتناقضة كان يتزايد مع مرور الزمن.وربما على الصواب، وربما كان بعضهم يهتمون بأقوال السلف المتناقضة المروية في المراجع المتأخرة اهتمامًا أكثر من الضروري سواء أكان صوابًا أم خطأً وكنا – منذ عهد قريب – لا نستطيع المراجعة لأن المراجع المبكرة نفسها لم نتوصّل إليها توصّلا مستقلا.ولكن في أيامنا هذه نجد لأول مرة بين أيدينا طبعات محقَّقة لبعض التفاسير القديمة ومن أهمها تفسير مجاهد [(١)] وتفسير سفيان الثوري [(٢)] وتفسير عبد الرزاق الصنعاني [(٣)] وتفسير مقاتل بن سليمان [(٤)] .

وفي هذه المراجع الأصلية المتاحة الآن والتي ترجع في صيغها المدوّنة إلى النصف الثاني للقرن الثاني الهجري لا نجد هذا النوع من المناظرة المباشرة كما نجدها عند الطبري أو السمرقندى في شكل قصة حادثٍ قد حدث .

وبطبيعة الحال لا نجدها لأن من مميزات هذه التفاسير القديمة المنشورة حتى الآن أنها لم تفسّر إلا عددا قليلا من كلمات القرآن الكريم أو عباراته . هذه الكتب من المرحلة الأولى للتفاسير المدوَّنة وهي في أغلبية الأحوال تسجل المواد المروية عن

(١) تفسير مجاهد للإمام المحدث المقرئ المفسر اللغوي أبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي رحمه الله، قدم له وحققه وعلق على حواشيه عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي،إسلام آباد ١٩٧٦( إعادة الطبع بيروت بدون تاريخ)؛ فسير الإمام مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٢ هجرية،تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل،القاهرة ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م

(٢) تفسير القرآن الكريم للإمام أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفي المتوفى سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م ، صححه ورتبه وعلق عليه امتياز على عرشي ، رامبور ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥م ( طبعة جديدة بيروت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م

(٣) تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق بن همّام الصنعاني ١٢٦ – ٢١١ هـ ، تحقيق الدكتور مصطفى مسلم محمد ، الرياض ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩م

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان٨٠ – ١٥٠هجرية،تحقيق الدكتور عبد الله محمود شحاته،القاهرة ١٩٧٩– ١٩٨٩م

التابعين أو الصحابة . ولا يزيد محتواها عن مترادفات بعض الكلمات الغامضة وشروح قصيرة لبعض العبارات العَويصة وأحيانا بعض القصص التوضيحية .

وإذا كانت التفاسير القديمة من طبيعتها لم تسجِّل المناقشة أو المناظرة فهل يمكننا أن نكشف فيها آثار تلك المناظرات المروية عند الطبري والسمرقندى وغيرهما من المراجع المؤلفة بعدها بقرن ونصف على الأقل؟

إنّي مقتنع بأننا نجد الرد الإيجابي على هذا السؤال في ظاهرة من الظواهر التي نلتقي بها في التفاسير . وهي ظاهرة غير مجهولة ؛ هي معروفة وربما غير مفهومة تماما .

نجد المفتاح في تفسير عبد الرزاق الصنعاني ( المتوفى سنة ٢١٠هـ ) . وعلى غير المألوف في هذا النوع من التفاسير نجد المناظرة المذكورة أعلاه بين مجاهد وعكرمة في رواية عن القاسم بن أبي بزّة : قال أمرني مجاهد أن أسأل عكرمة في قوله تعالى ﴿فليغيرن خلق الله﴾ قال: هو الخصاء ، فأخبرت مجاهدا ، فقال أخطأ ، ﴿فليغيرن خلق الله﴾ قال : دين الله (*) .

وقعت هذه الرواية عن القاسم بن أبي بزة في سياق سلسلة ست روايات تحتوي تفسيرًا لهذه العبارة القرآنية . وعلى الشكل المعتاد في التفسير القديم لا نجد إلا مترادفات في أربع منها وأما التفسيران الباقيان فهما أوسع قليلا، وكلاهما في شكل قصة قصيرة جدا .

وإذا أمعنّا الفكر في طريقة تقديم هذه التفسيرات الستة التي استعملها عبد الرزاق هنا لا حظنا أمرين غريبين، أولهما: هو عدد التفسيرات ورواياتها؛ فعبد الرزاق عمومًا لا يقدّم إلا تفسيرًا واحدًا لكلمة أو عبارة غامضة وعادةً

(*) الجزء الأول ، ص ١٧٣

ما تكون روايته عن شيخه معمر بن راشد فقط .

آخرهما هو ترتيب هذه التفسيرات الذي لا يبدو أن يكون جزافيا . وأسرد هذه التفسيرات الستة على النحو التالي:

التفسير الأول : عن معمر عن قتادة يساوى خلق الله بدين الله .

التفسير الثاني: في رواية عن الربيع ابن أنس يذكر أن الخصاء من تغيير خلق الله .

وكذلك التفسير الثالث: في رواية شهر ابن حوشب ولكن بإضافة قول الحسن إن خصاء الغنم لا بأس به.

التفسير الرابع: هو المذكور عن القاسم ابن أبي بزة والذي يذكر الاختلاف بين عكرمة ومجاهد والذي يدل ضمنًا على صواب مجاهد .

التفسير الخامس: في رواية أخرى عن القاسم يذكر مثله .

والتفسير السادس: عن سفيان الثوري عن قيس بن مسلم عن إبراهيم بن جرير البجلى يساوي خلق الله بدين الله مرة أخرى .

والواضح كل الوضوح أن هذا الترتيب منظم تنظيما ذكيًّا . وهذا هو الذي يهمنا في بحثنا هذا ؛ لا تهمنا هنا الخلافات في الرأي نفسها، ولكن تهمنا آليات تقديم الخلافات . وهذه الآليات هي التي لا تُظهر لنا علامات المناقشة أو المناظرة ولكنها تُظهر لنا العلامات المميزة للتدريب على المناظرة :

أولا : تقديم تفسير معمر شيخ عبد الرزاق ( الرواية الأولى ) .

ثانيا: تقديم الرأي المعارض ( الرواية الثانية ) .

ثالثا : إعادة تقديم الرأي المعارض مع تضعيفه قليلاً ( الرواية الثالثة ) .

رابعا:إبطال الرأي المعارض بالاستناد إلى روايتين جديرتين بالاعتماد والقبول (الروايتان الرابعة والخامسة).

وخامسًا : إعادة تقديم التفسير الأول حرفيا عن حُجة أخرى ( الرواية السادسة ) .

وليست هذه الآليات أو آليات مشابهة

استثنائيةً في التفسير القديم . في رواية آدم بن أبي إياس عن ورقاء بن عمر عن عبد الله بن أبي نجيح عن تفسير مجاهد مثلا نجد في الموضع نفسه أربعة تفسيرات مرتبة بترتيب متشابه. وكذلك نجد أمثالاً كثيرة تقدّم قضية تفسيرية معينة بطريقة متشابهة وبترتيب متشابه ، ونجد هذه الأمثال في تفسير سفيان الثوري وتفسير مجاهد وتفسير عبد الرزاق فيما يأتي : "سورة البقرة" ١٩٧ ، ٢٣٧، ٢٨٢، "سورة النساء" ٦، ٤٣ ، ١١٩، "سورة الأعراف"٤٠، ٤٦، "سورة التوبة" ٣ ، "سورة هود" ٥، "سورة يوسف" ١١٠، "سورة إبراهيم" ٢٥ ، ٢٨ ، "سورة الإسراء" ١٦ ، "سورة الحج" ٢٨ ، "سورة النور" ٣، "سورة السجدة" ٢١، "سورة الذاريات" ١٧،"سورة النجم"١١. وعلى ما يبدو كان معنى هذه الآيات أو مضمونها قابلا للمناقشة في منتصف القرن الثاني الهجري وهو تاريخ تدوين التفاسير القديمة المذكورة ونستطيع أن نستنتج منها أن مدوّني التفسير في تلك الفترة ما قاموا بتسجيل التفسير الذي يذكر الآراء المعارضة أو المنحرفة عن آراء مذاهبهم . وأعتقد أنهم عملوا ذلك لتقوية تلاميذهم ولإِعدادهم للمناقشة والمناظرة .

هذا ، ولا نعرف إذا كان هذا النوع من المناقشة أو المناظرة قد حدث فعلا في فترة سابقة لهذه الفترة أو لا ، مثلا بين تلاميذ ابن عباس، كما كان يروى الطبري والسمرقندي . لا نستطيع أن نُثْبِت ذلك . على كل حال إِنى أعتقد أنهم ، إذا كانوا يتناقشون ، ما كانوا يتناقشون بطريقة مباشرة ، وجهًا لوجه . الظاهر أنّ المناقشة كانت غير مباشرة عبر الوسطاء كما يروى الطبري والسمرقندي، أو عبر النصوص كما توهِمنا التفاسير القديمة المنشورة حتى الآن .

**فريد ليمهاوس**

عضو المجمع المراسل من هولندا

## من ملحمة الرحيل ...*

قصيدة للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي

ألي في هوًى أرجوهُ نفحةُ واصلِ
وهل أبتغي في الخَطْب نفحةَ نائلِ
معاذَ الهـوى لم أبغه غير حاجةٍ
ظللتُ أرجِّيهـا جوابًـا لسائـل
أفي رَحِيـمٍ جذّاء بـتّ مـرزّءًا
وقد بُتَّ عن عِرقٍ مدى العمر واصل
مضَى الشمل واعتاصت بهم سُبُل النوى
وأوحش في أهلٍ ضياع المجاهـل
إلى أيـن ، للـدار التي حيزَ خيرها
إلى الوارش الموبوء في ذلّ باطل ؟
ومن أين، من أخرى تقبّض ظِلّهـا؟
فليس به شِبْرٌ يُعـافُ لواغـل
أرى صحبيَ الأدْنَيْن شـالت نَعامـةٌ
بهم فاستبيحوا للدواهي الغوائـل
أعِنّي على طـلٍّ تعـذّر أمـره
فكيف أرجّي بعده صَوْبَ وابل ؟
وهَبْني أخـا خطبٍ بفطنة حابـلٍ
ولم يكُ من حَبْلَى شجون حبائـل
ولستُ بمجـدودٍ تصـدّى لأمـره
ببعض مُعينٍ أبلَجِ الوجه نـابـل
ومـن أين لي مالا أُطيق امتلاكه
ملاذاً بيَمٍّ لستُ فيه بساحـل ؟

* * *

أخا العصر،هل لي أن أرى في سماحة
وصالَ مُحِبٍّ حافظِ الودِّ حامـلِ ؟
لقد حيلَ ما بيني وبين صناعتي
وهل لي أن أجتازَ بعضَ الحوائلِ ؟
وقلتَ : أما تُدلي بدلوك قاصدًا
لجائزةٍ حيزت لبعض الأجـادلِ ؟
فقلتُ : أفِقْ عن غيٍّ ساهٍ مُضَيِّعٍ
وخذْ حَذَراً مما أُرِيـدَ لخامـلِ
فتلك التي يسعى لها كلُّ سابحٍ
لسلعة ما يحظى بها كلُّ جاهـلِ
جوائز قد حيكت ، وقد طار طائر
إلى حيث يُلفَى في حِبالة خاتـل
أضاليلُ لا ندري مجال سباقها
وكم يُطَّبَى للسبق غيرُ المناضـلِ
حداثةُ عصرٍ لستَ تعلمُ كُنْهها
ترامَى إليها كلُّ أخرقَ ناصـلِ

* ألقيت هذه القصيدة في الجلسة التاسعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الاثنين ٢٧ من ذى القعـدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٥ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٩م .

هل الفنُّ إلاّ لعبةٌ لا يُرَى لها
سوى كلِّ منبوزٍ بإعياء باقـــلِ
وأيـــن البليغ السمح في كلماتـــــه
بما كان فيها بعضُ سَحْبانَ وائلِ ؟
على عصرنـــا فليَبْكِهِ كلُّ ثاكـلِ
ويرثي الذي نشقى به كلُّ فاضل
أخي لستَ تدري مـــن حديثيَ جُلَّه
وما أنا عن شيءٍ به خيرُ ناقـــلِ
خلـــوتُ لنفسي أستعيد شُجُـونَهـــا
ولم أستفدْ ممّا خلوتُ بطائـــــلِ
ولي في ابتعادي عن "غثاء" المنازل
تجـــاربُ ممّا نلتُه في المحافـــلِ
فما أنا من أمري بـــذروة منصبِ
وغـــاربه الأدنى إليه، بفاتـــلِ
أجمتُ التي قد لاكَها كلُّ مـــاضِغٍ
وكم عِفتُ ما قد كان لُهنَة آكلِ
تَناءَيتُ عـــن طَـــرْقٍ تغيَّر رَنْقُه
إلى غيرِ هذا من كريمِ المناهـــلِ

* * *

أخا العصر ، إنّ العصر في ظُلُماتِهِ
فكيف أرى في عاجلٍ نورَ آجلِ ؟
وكيف أرى في آخرِ الليـــل قادمًا
ليبدأ " قرنًا ثالثًا " بالرذائـــل ؟
أيُزرَع فينـــا غامرٌ بـــانَ خُبثُهُ
ليحصد منّا عامـــرًا في سنابـــل ؟
ويُسألُ أهلونا ، وأين لقاؤهــــم :
متى سَيُنِيُر الليلَّ ضوءُ المشاعِــلِ ؟
وقالوا لنا في الأمــر " عَوْلَمُ " أُمّةٍ
إلى أُمَمٍ بتَّتْ حبـــال القبائــــلِ
أَقِلْنيَ عـــذرًا إنْ جهلتُ جديدَنـــا
" بَعْولَمةٍ " حيزَتْ لشتّى المقاتـــل
أليسَ بحـــقٍّ إنْ تشـــاءمَ ذو حجًى
وأيـــن أنـــا من حكمة المتفائلِ ؟
أَنِلْني بيانًا إنْ تداعَتْ خواطـــــري
يكونُ جوابًا عن شُجُونِ مسائلي
لقد طرقَتْنا الحادثاتُ فـــلاَحَ في
دُجَى الليلِ لمحٌ من وجـــود دلائلِ
أفَدتُـــكَ أنِّي لستُ أدرِكُ " عَوْلمًا "
و" عَوْلَمةً " يقسو بها قـــولُ قائلِ
وقد كان لي من ذاك في بعض "نَوفَل"
كثيرِ النَّثا سَمْحِ الجدا والنوافـــل
وقـــد أتلقَّى في مسيريَ "كوثـــرًا "
يهمُّ إليه كلُّ صديـــان نـــاهلِ

وقد كان لي في " حَومَلٍ " وهو مشعر
"بسقط اللوى" بين الدَّخول لداخل
مَناسكُ لم أبرح أُصاب بسحرهـــا
فلا أنــتَ تدري بعدها سحرَ بابلِ
إذا كـــان لي هــذا فكيف أُديره
" لعَوْلَمـــةٍ " راحت بدَأبيَ شاغلي
وكيف أراني عند "خَصْخَصةٍ " شدا
بها كلُّ مفتون "بغربِ " مطـاولِ
وأخرى عرفتُ الضيمَ فيها وإنّهـا
" تخاصية " يسطو بها غير فاعـلِ
ولستُ أراني عند " خوصصةٍ " مشى
بها ذو هوًى في "مغربٍ" غير حافل
أخي بعضَ عذرٍ إن تجاوزتُ مجلسي
ورُحتُ إلى جدٍّ من الخطب نازل
عرفتُ بـــه أن المصيبـــة محنـــةٌ
وأنّا امتُحِنّا في شـــرور النوازل

* * *

" تقول التي من بيتها خفَّ محمَلي " :
إلى أين تسعى في حديث الأوائـلِ؟
إلى أين تسعى في ديـــار تضاءلت؟
وقــد صيحَ في ربعٍ بها متضائــل
إلى أين ؟ لا تلك الديـــار سخيّة
وهُنّ ، وقد ألْوَيْنَ ، غير أواهـــل
إلى أين تسعَى لستَ في ميعة الضحى
وما أنت في ضافٍ من العمر رافلِ؟
أللـدارس الماضي القــديم بخيره
ولم يَخْلُ من شرٍّ بغيض الطوائـل
تَحمَّـــلَه أسلافُنـــا بَرويّـــةٍ
وفاتـــوا ولم نلقَ المصير بطائـل
كأني بك المفتون في غير معشـرٍ
عدَلتَ بهم عن حاضر غير آمـل
وما أنت فيهم لو سمعت ضجيجهم
وجَعْجعةً لا طِحْن فيها لبـــاذل
" فدَع عنك نَهْباً صِـيح في حجَراتـه
ولكنْ حديثًا ما حديث الدواحل "
كأنّك تستهدي القــــرون برحلةٍ
وحُمِّلتَ ما حُمِّلتَ زادًا لراحـل
طويتَ بها طيّ السِجلِّ أشابـــةً
من الكُتُب اللائي تُركنَ لعامـل.
حَمَلتَ بما تسعَى ركـــازاً تجمَّعَت
به صفوة يغنَى بها كل عاقـــل
وقلتَ ، وأنتَ البَرُّ نحـو أرومـة:
متى نتأسَّى بالعظام البواســـل؟

متى نتأسّى " بابن إدريس " قائلاً :

لنـــا لغة للعارفين الفطاحـــلِ؟

لكـــلِّ عظيمٍ بـــل نبيٍّ بعلمِهِ

وخذ أنتَ ما يسعى له كلُّ كاملِ

* * *

لكَ الله من عصر تَسلَّح أهلُـــهُ

بكل خبيثٍ للمكـــارم قاتـــل

فلم تبقَ فينـــــا مُنّةٌ نحتمي بها

لنرأب مما أحدثوا بالمعـــــاول

فكيف أجيء اليـــوم أسمع لاغطًا

وماذا بشيء فاقد اللون حائـــل

وهـــل لك في لحـــنٍ تعثَّر سيرُه

وصار إلى نَخْبٍ عن الحقّ مائلِ

وماذا ، وأنت المبتغي مـــن وسيلةٍ

أطيح بها فاستُبعِدَت في الوسائـــل

ولستَ بهـــذا تنتهـــي لمحجّـــةٍ

نأت بسخيفٍ من مُحالٍ وزائـــل

* * *

أقول : وقد تابعتُ قـــول حليلتي

وقد كان لي منه جهاد الحلائـــل

تحدّت معي كلّ الصعـــاب حفيّةً

بما عرفت بين النســـاء الأصائل

وكانت مُعيني وقتَ ضعفي وعُدَّتي

متى عرضت لي واقشَعَرَّتْ مراحلي

وقلتُ لها : إني بما كان من جوًى

لما أنا من أُمّ اللغات الفواضـــل

وما رحتُ في دأبي وجِدِّيَ قاصدًا

ومُستقريًا آثار تلك المنــــازلِ

لَيَعطِفُني للدارِ أهـــل ومَرحب

فقدتُ بهم مـــا كان من زَيْن نائلي

ويَحزُنني إخوانُ صِدقٍ تركتُهُمْ

فلم يُغنني شيئًا بريدُ رسائـــــلي

وأذكر أنّي قـــد تَلَفَّتُ مُرســـلاً

إلى الدار عيني والحِمَى والخمائـــل

أبثُّكِ أنّي قـــد تبـدَّلتُ غربـــة

حُمِلتُ عليها لستُ عنها بنا كـــل

أُدَمْتُ مطال الخطب والخطب غصّةٌ

وقد زادني منها غيابُ المماثـــل

وقد نـــال مني أنني ذو حماســـةٍ

بمعترَكٍ ألقَـــى نـــزاع المشاكـــل

فقدتُ سلاحي هِمَّـــةً أحتمي بها

وكيف بواهٍ متعَب القلب فاشـــل؟

وإنّي إلى أخـــــرى ليـــاليَّ راحلٌ

وأحسب أن قد لاحَ صِدقُ المخايلِ

* * *

أذمُّ النوى ، ويحَ النوى ، قُتِل النوى
تطلَّبتُها نجـــوَى فواتَتْ بحافــلِ

سعَى فيه ذو خَطبٍ بزُغْب الحواصلِ
ولم أرَ فيها ذاتَ طوقٍ لزاجــلِ

وضيمَ بــه ذو عَوْلةٍ أيُّ عائــل
فدَعْ عنك نقدًا صيغ في نَزَواتــه

وكم غيــل ذو بأسٍ بنُهزةِ غائــلِ
ولم أكُ عمّا قد ظُلمتُ بغافــلِ

فطوبَى لمدفوعين في التيه هالهــم
أُخِذنا بعصرٍ ضَامَ في شَطَحاتــه

من القَدَر الساعي أيُّ هائـــلِ
جموعًا ترامَت من عليٍّ وسافــلِ

وطوبَى لمنزوعين عن أمَّـةٍ مشت
وهل يستوي ذو مَسْكةٍ ونقيضه؟

إلى أُختِها لم تستفد من حمائــلِ
وكم كــان من هذا لِحافٍ وناعل

نسينا الذي قد كان من حُرُماتنا
وكم أتوقَّى سوء قــولٍ لقائــل

وكُنّ مصونات الحمى والدخائلِ
وما كان من هَمْزٍ ولمْزٍ لعــاذل

* * *

ظَلَمتُ القوافي سُمتُها غيرَ ذي هوًى

ولا أنا منها في حماسة باســلِ

إبراهيم السامرائي

عضو المجمع من العراق

# تحقيق التراث اللغوي ونشره
# في المملكة العربية السعودية
## ( مرحلة الريادة ) *

للأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب

لا يفوت الدارس لحركة التأليف في الجزيرة العربية قبل قيام المملكة العربية السعودية أن يلحظ أن حقل النحو على الخصوص كان من الحقول الحية في حلقات العلماء ، وذلك لإدراكهم أهمية علم العربية بوصفه الأداة التي لا غنى عنها لفهم العلوم ، أو التعبير عنها . ولقد انصرفت الجهود في سبيل ذلك إلى العناية بتأليف المتون الصغيرة ، وشرح المتون المعروفة "كالآجرُّومية"، و"الألفية" ، ووضع الحواشي على هذه المتون وعلى شروحها ، والعناية بالتقريرات على تلك الحواشي .

ولعل من أبرز المؤلفين في هذا المجال أحمد زيني دحلان الذي نجد له شرحًا على ألفية ابن مالك بعنوان : "الأزهار الزينية في شرح متن الألفية" طبعه في بولاق سنة ١٢٩٤هـ ، ثم في مكة المكرمة سنة ١٣٠٥ هـ ، وله شرح على " الآجرومية" طبع أول مرة في المطبعة الشرقية بالقاهرة سنة ١٢٩٧ هـ وبهامشه متن الآجرومية ، كما أن له رسالة في " المبنيات " ورسالة متعلقة بمسألة " جاء زيد " طبعتا كلتاهما بالمطبعة الشرقية في القاهرة سنة ١٢٩٨ هـ ، ونجدهما أيضًا ضمن المطبوعات التي ضمتها قائمة المطبعة الماجدية في مكة.

وتعد " الآجرُّومية " أهم متن حظي بعناية علماء تلك الفترة ، فقد

---

* ألقى هذا البحث في الجلسة التاسعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الاثنين ٢٧ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٥ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٩م .

تناولوه بالشرح والتحشية، والتقرير، والنظم، والإعراب . فإلى جانب شرح أحمد زيني دحلان الذي ألّفه سنة ١٢٩١هـ وطبع بالمطبعة الشرقية في القاهرة سنة ١٢٩٧ هـ ، والحاشية التي وضعها عليه محمد معصوم بن سالم السمارانى السفاطوني وأنهى تأليفها بعد العشاء " لتسع بقين من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمئة بعد الألف " ، نجد كتابين لمحمد بن عمر النووي الجاوي البنتني (ت١٣١٦ هـ) أحدهما بعنوان: "فتح غافر الخطية على الكواكب من نظم الآجرُّومية"، وقد صدر في بولاق سنة ١٢٩٨هـ وهو حاشية على "الكواكب الجلية" لعبد السلام النبراوي، وقد طبع المتن على هامش هذه الحاشية ، والآخر كتاب بعنوان:"كشف المروطية عن ستور الآجرومية"،طبع في القاهرة بالمطبعة الشرقية سنة ١٢٩٨ هـ .

وقد تصدى الشيخ عبد الله بن عثمان العجمي ـ أحد كبار علماء مكة -لإعراب ألفاظ الآجرُّومية في رسالة سماها: " الخريدة البهية في إعراب ألفاظ الآجرُّومية " طبعت في المطبعة الأميرية بمكة سنة ١٣١٣ هـ .

غير أن العناية بالآجرومية تعدَّت ما ألفه علماء ذلك العصر إلى بعض ما ألفه السلف حول هذا المتن النحوي ، ومن ذلك الكتاب الذي نشره الشيخ عبد الله الباز – أحد تجار الكتب في مكة – وطبع بمطبعة بولاق في مصر سنة ١٢٨٥ هـ باسم : "شرح الفواكه الجنية على متممة الآجرُّومية للشيخ أحمد الفاكهي ( ت ٩٧٢هـ ) " وبهامشه متن ذلك الشرح وهو"متممة الآجرومية في علم العربية" للعلامة شمس الدين محمد بن الشيخ محمد الرعيني المشهور بالحطّاب المكي ( ت ٩٥٤هـ ) ، وكذلك " شرح الآجرومية " لعبد الملك ملا عصام الأسفراييني ( ت ١٠٣٧ هـ ) الذي صدر في مكة سنة ١٣٢٩ هـ .

وإذا تركنا الآجرومية والأعمال

التي تناولتها لانعدم مؤلفات أخرى تعلقت بشرح متون أخرى ، أو ألفت في مسائل النحو بعامة ، أو اقتصرت على مسائل بعينها . وقد مر بنا أن لأحمد زيني دحلان شرحًا لألفية ابن مالك طبع في بولاق ومكة ، كما نجد تقريرات لمحمد حسين المالكي (ت١٣٦٨هـ) على "حاشية الخضري على ابن عقيل"[١]، وتقريرات له على " همع الهوامع " [٢] ، ويذكر له كتاب بعنوان: " فرائد النحو الوسيمة شرح الدرة البتيمة " طبع في القاهرة سنة ١٣٤٦هـ[٣]، ومنها كتاب أحمد بن محمد الفطاني بعنوان:" تسهيل الأماني في شرح عوامل الجرجاني"، وقد طبع في القاهرة بمطبعة محمد أفندي مصطفى سنة ١٣٠١ هـ وأعيد طبعه في القاهرة بالمطبعة الميمنية سنة ١٣١٩ هـ، وقد ذكره بيان الماجدية .

ومن كتب الشروح أيضا كتاب سليمان ابن أحمد الفقيه بعنوان :" المنحة الوهبية على الرسالة الشبراوية " ، شرح به منظومة عبد الله الشبراوي وطبع في مكة بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٠٤ هـ .

ومن المؤلفات العامة في النحو كتاب محمد أسعد بن جنيد الجاوي بعنوان: " النبذة السنية في القواعد النحوية " ، وقد طبع في مكة بالمطبعة الأميرية سنة ١٣١٣ هـ .

ونشر لأحد علماء مكة المكرمة ( لم يذكر اسمه ) كتاب بعنوان : "نزهة الطلاب في الكشف عن قواعد الإعراب " ، وذلك في القاهرة بالمطبعة الحسينية سنة ١٣٣٢ هـ .

أما المسائل المفردة في النحو فقد مر بنا رسالتا أحمد زيني دحلان التي تناولت إحداهما موضوع المبنيات

---

(١) الفضلي ، عبد الهادي فهرست الكتب النحوية المطبوعة ، الزرقاء ، مكتبة المنار ، سنة ١٤٠٧ هـ ، ص ٦٣، ولم يذكر عنه معلومات ببليوجرافية.

(٢) نفسه، ص ٦٤، ولم يذكر عنه معلومات ببليوجرافية

(٣) الفضلي ، ص ١٤١.

والأخرى مسألة جاء زيد ، ونضيف إلى ذلك رسالة أحمد بن إسماعيل البرزنجي المدني ( ت ١٣٣٧هـ) بعنوان " إصابة الدواهي في إعراب إلا هي " [١] .

غير أن أهم كتاب تراثي نحوي صدر في مكة المكرمة قبل العهد السعودي وطبع بالمطبعة الأميرية هو كتاب"تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" لجمال الدين ابن مالك ( ت ٦٧٣هـ ) الذي طبع أول مرة في مكة سنة ١٣١٩هـ ، وعلى هامشه فوائد منتخبة من شرحه لابن مالك وللدماميني [٢] .

واستمرت العناية بالمتون بعد توحيد الجزيرة على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، فالآجرومية تطبع في مصر في المطبعة السلفية ضمن مجموع على نفقة عبد الرحمن بن سعد بن سعيد الذي وصف في صفحة العنوان بأنه " نائب جلالة الملك ابن السعود في ينبع الحجاز " وذلك سنة ١٣٤٥ هـ ، كما نجدها تطبع مع حاشية عليها علقها عبد الرحمن محمد بن قاسم وذلك في المطبعة العربية بمكة المكرمة سنة ١٣٥٨هـ .

أما أول عمل لغوي تراثي كبير يصدر بعد قيام المملكة العربية السعودية فهو بلا شك كتاب " تهذيب الصحاح " للزنجاني الذي حققه أحمد عبد الغفور عطار ( ت ١٤١١ هـ / ١٩٩١م ) بالاشتراك مع عبد السلام محمد هارون ونشر سنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م ، وبذلك يكون العطار أول من دخل غمار التحقيق اللغوي

(١) نفسه ، ص ٣٤ ، ولم يذكر عنها معلومات بيلوجرافية .

(٢) طبع " التسهيل " مرة أخرى في مصر بتحقيق محمد كامل بركات ونشرته وزارة الثقافة المصرية سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، ولم يشر المحقق إلى نشره في مكة المكرمة وهي أول نشرة له ، ثم نشر المحقق نفسه " شرح التسهيل " لابن عقيل بعنوان : " المساعد على الفوائد " في مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي بمكة سنة ١٤٠٠هـ في أربعة مجلدات .

الحديث من أبناء هذه البلاد .

أخرج العطار وزميله عبد السلام محمد هارون نسخة جيدة مضبوطة من " تهذيب الصحاح " للزنجاني عن نسخة خطية فريدة تحتفظ بها مكتبة محمد سرور الصبان كتبت بخط يشبه خط القرن التاسع الهجري، وضم الكتاب ثلاث مقدمات:أولها – للناشر محمد سرور الصبان الذي يعد أحد طلائع الأدباء والمفكرين في المملكة، تحدث فيها حديثا يبين اهتمامات جيله باللغة العربية ، ومحاولة إصلاحها، وتسهيل قواعدها ، وقد تجلى ذلك في طلبه من زملائه المثقفين في الحجاز أن يدلي كل منهم برأيه مكتوبا حول هذا الموضوع ، ثم جمع إجابات هؤلاء المثقفين في كتاب سماه " المعرض " وصدر مطبوعا قبل ٢٨ عاما من صدور كتاب " تهذيب الصحاح " للزنجاني .

وطالب بإنشاء مجامع لغوية في كل قطر عربي تكون مهمتها" تسهيل قواعد اللغة العربية وحذف الفضول من كتب النحو والصرف، مما يعقد على الطالب وغير الطالب ـ من غير الراسخين في العربية – لغته التي يعبر بها عن تجاربه الشعورية، وخواطره وأحلامه ، وأن تؤلف كتب في النحو للطلبة، ومرجع كبير للعلماء يتفق عليه من قبل المجامع اللغوية والعلمية ، ويتقيدون بما يؤلف في هذا الباب ، ولا يخرجون عنه ، ويعملون على نشره في كل بلد عربي" (١) .

إن نظرة محمد سرور الصبان في هذه المقدمة هي النظرة العروبية الشاملة التي تتطلع إلى تحقيق الوحدة العربية ، وقد رأى أن يسبق ذلك كله توحيد طرق تعليم اللغة والحفاظ عليها أولا في أقطار الأمة العربية ، ويتبعها بعد ذلك توحيد برامج التعليم الأخرى (٢) .

(١) تهذيب الصحاح ، ص ١٢

(٢) الموضع السابق

ثم دعا بعد ذلك إلى نشر كتب التراث ، وبعث المخطوطات النادرة التي تزدحم بها المكتبات بعثا علميا صحيحا [٣]، وأشار إلى أنه كان ينوي إعداد هذا المخطوط للنشر لولا ما شغله من أعمال ، فوكل أمر تحقيقه ونشره إلى الأستاذ المحقق أحمد بن عبد الغفور عطار " الذي رأى أن هذا العمل لا يبلغ كماله المنشود إلا إذا ظفر بعناية العلامة الجليل الأستاذ المحقق عبد السلام هارون" [٤].

وتبعت مقدمة الصبان مقدمة مختصرة لعبد السلام هارون تحدث فيها عن معرفته القريبة بالعطار ، وأنها لم تتعد السنتين ، وأنه قبل التعاون معه في إخراج الكتاب وفاء بحق الصداقة والتعاون الثقافي، مع المشاركة في نشر العلم [٥] ، إلى جانب ما رآه من أن منهج الكتاب يؤرخ لبعض الألفاظ اللغوية المعاصرة في الحجاز وردها إلى أصولها العربية وتبين منزلتها في الفصحى من حيث الصحة أو الخطأ ، وأن ذلك أمر لا يستطيعه أحد المحققين وحده [٦] ، وذكر أن الزمن المقدر لإخراج هذا الكتاب كان ثلاث سنوات ، ولكن بفضل الله ثم بفضل التعاون الصادق والنية الخالصة ...لم يستغرق من الزمن أكثر من نصف السنة " [٧] .

وتلت ذلك مقدمة أحمد عبد الغفور عطار، وهي مقدمة طويلة استغرقت ٤٥ صفحة ، تحدث فيها عن اللغة العربية وسعتها، وعدم استغراق الأدباء المثقفين لمعجمها، ودعا فيها إلى فتح أبواب الاشتقاق والتعريب .

(٣) الموضع نفسه ، ص ١٩

(٤) الموضع نفسه ، ص ص ١٩–٢٠

(٥)المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٦)المرجع السابق ، ص ٢٤

(٧)الموضع السابق .

كما تحدث عن جمع اللغة واحتفاء اللغويين بالإعراب ، وتحدث عن تنقية اللغة وإنكار العلماء استعمالات صحيحة في شواهد مثل " شتان " وكلمة " استأهل " . وتطرق إلى ذكر العلماء الذين اعتنوا باللغة وجمعوا موادها كالخليل بن أحمد وابن دريد ، ثم عرج على الجوهري الذي يعده أول من وجه تأليف المعجم العربي هذه الوجهة[١] ، فترجم له وذكر أين ألف كتابه ، كما ذكر الاختلاف في ضبط اسم معجمه، والمعاجم المعاصرة له ، وما لقي هذا الكتاب من تهذيب واختصار ونقد ودفاع، وآراء العلماء فيه ، وأثر "الصحاح" في التأليف اللغوي، ثم سرد الشروح والتعليقات والمختصرات والترجمات إلى اللغات الإسلامية التي حظي بها معجم "الصحاح" .

وبعد ذلك أفرد ترجمة للزنجاني ( ص ٥٦ ) كما تحدث عن نسخة " تهذيب الصحاح"ووصفها بأنها" نسخة فريدة في مكتبات العالم جميعا كتبت بخط يشبه خط القرن التاسع الهجري وقعت إلى الأديب ... محمد سرور الصبان،وليس على النسخة اسم الكتاب ولا اسم مؤلفه "، مما حمل المحقق على البحث والتنقيب عن اسم الكتاب والمؤلف، ولم يهتد إلى اسم الكتاب الأصلي ، أما اسم المؤلف فقد اهتدى إليه بمقارنة ما ورد في مقدمة الكتاب بما نقله السيد محمد صديق حسن خان في مؤلفة "البلغة في أصول اللغة " في الفصل الذي عقده عن صحاح الجوهري ، وذكر أنه مقدمة محمود ابن أحمد الزنجاني للكتاب الذي اختصر في كتابه الأخير " ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح" [٢]، علاوة على أن النص الذي أورده صاحب "البلغة" قد أورده أيضا مؤلف

(١) المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٧

" كشف الظنـــون " ، وبذلـك قطـع المحقق بأن هذا الكتاب هو نفسه كتاب الزنجاني .

أما منهج التحقيق فقد أفرد لــه أربع صفحات تحدث فيهـا العطـــار عن الجهد الذي بذلـــه وزميلـه فـي إخراج هذا الكتاب إلى الناس قـائلا : " إننا بذلنا النكيثة ( أقصى الجهد ) في سبيل إخراج الكتاب إخراجا علميـا ، واتبعنا في سبيل ذلك أكثر من ثلاثيـن منهجا " (*).

والناظر فـــي الخطـة التـي وضعها المحققان لإخراج الكتـــاب لا يملك إلا أن يقرر أن المحققين قد بـذلا جهدا محمودا في سبيل ضبط النـص ، ومعارضتــه بنسـخة " الصحـــاح " المطبوعة، عــلاوة علـى نسـختين مخطوطتين إحداهما مخطوطة مكتبـة عارف حكمت في المدينة، المكتوبـة سنة ٦٨١هـــ ورقمـها ٧٩ لغـة . والأخـرى مخطوطـــة دار الكتـب المصرية المقروءة علـــى العكـبري ورقمها ٥٠٧٩هــ.ولم يكتف المحققان بضبط الألفاظ وإنما أوردا اللغات التي وردت في الضبط مع التنظير لذلـك ، وشملت المعالجات اللغوية للمحققيـن أوجها عدة منها :

١- النـص علـى جمـوع بعـض المفردات ومصادر الأفعال التي أهملها المؤلف .

٢- عقد المقابلات والتنظـيرات فـي المعاني والألفـاظ التـي وردت فـي المعجم .

٣- عقد المقابلات والتنظـيرات لمـا ورد في العامية الحجازيـة والنجديـة والمصريـة مطابقـا لمـا ورد فـي الفصيح.

٤- بيـان أصـل الألفـاظ العربيـة والدخيلة التي وجدت في اللغة العربية.

٥- الإشارة إلى الكلمات التي ذكـرت في غير أبوابها من قبـل الجوهـري وتبعه الزنجاني مثل " حانـوت " التي

(*)المصدر السابق ، ص٥٩

ذكرها الزنجاني في مادة ( ح ي ن ) وحقها أن تذكر في ( ح ن ت ) .

٦- بيان أوهام الجوهري مما كتبه الصغاني وابن بري وغيرهما .

٧- بيان أوهام غير الجوهري من اللغويين .

٨- تصويب ما ظنه بعض أئمة اللغة لحنا وليس بلحن .

٩- بيان بعض المصطلحات العلمية والأدبية القديمة والمعاصرة ، وذلك بالرجوع إلى المصادر القديمة والحديثة ، والاتصال بالأعلام في هذه العلوم والفنون .

١٠- الإشارة إلى التصحيف والتحريف لدى بعض مؤلفي المعاجم مما لم يشر إليه الزنجاني .

١١- إثبات بعض النوادر والغرائب اللغوية مما يعد إضافة إلى المعجم ، مع إيراد أمثلة لذلك .

وفي مجال تفسير الغامض وشرح المستغلق نجد المحققين يهتمان بتوضيح ما في عبارة الكتاب من غموض لغوي مما شرحه العطار بقوله :" وبذلك تغلبنا أيضا على التفسير الدائري الذي يعد من عيوب معاجمنا " ، وضرب لذلك مثلا "بالقلام" بالتشديد الذي يفسر " بالقاقلي" الذي يفسر " بالقلام " إلى جانب تفسير ما ذكر الزنجاني بأنه معروف ، ولكنه يحتاج إلى حد لغوي أو علمي أو أدبي أو تاريخي .

وأشار منهج المحققين إلى العناية بأسماء الأعلام التي وردت في الموارد اللغوية، وترجمتها ، مع بيان مصادر الترجمة، وكذلك بيان أسماء القبائل والفرق والطوائف الدينية والأجناس البشرية ، وتحقيق مواضع البلدان وتعيينها استعانة بالمراجع القديمة والحديثة ، والكلام على أيام العرب التي ورد لها ذكر في المعجم ، وبيان المراجع التي تكفلت بذلك .

وفي مجال العناية بالشواهد في الكتاب نجد إشارة إلى تحقيق القراءات القرآنية والشواهد الشعرية ، ونسبة ما

لم ينسب منها إلى قائله ورد ما نسب إلى غير صاحبه خطأ ، وإيراد أصح الروايات لهذه الشواهد .

وقد ألحق بالكتاب تسعة فهارس أحدها فهرس لغوي مرتب على ترتيب أوائل المواد على غرار " أساس البلاغة " للزمخشري، وهو أضخم هذه الفهارس إذ شمل جميع مواد الكتاب ( ص١١١٤- ١٣١٨ )، وتبعه فهرس لمسائل العربية في صفحة واحدة ، ثم فهرس القبائل والطوائف ونحوها ، وفهرس البلدان والمواضع ونحوها ، وفهرس المراجع . ويلاحظ أن فهرس المراجع يضم ما ذكر من مراجع في هوامش صفحات الكتاب مدلولا عليها بأرقام الصفحات التي ورد فيها كل مرجع . أما المعلومات الببليوجرافية فقد جعلت في أسفل صفحات هذا الفهرس وهي مختصرة.

وقد بلغت المراجع ١٩٢ مرجعا، منها مخطوطات مثل " تهذيب اللغة " للأزهري، و" التكملة للصغاني " ، و"الأزمنة" لقطرب ، و"ما اختلف لفظه واتفق معناه" لأبي العميثل ونحوها .

والواقع أن الناظر في صلب التحقيق يلاحظ أن ذكر المراجع يأتي في كثير من الأحيان دون ذكر الصفحات أو الورقات أو المادة ، فمثلا في ص ٦:" التكملة للصغاني " و " العباب للصغاني " ونحو ذلك .

شهدت السبعينيات الهجرية ( الخمسينيات الميلادية ) نشاطا في التحقيق ملحوظا لأحمد عبد الغفور عطار، فقد أصدر مع زميله عبد السلام هارون " تهذيب الصحاح " سنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م ، وبعده بأربع سنوات أصدر منفردا تحقيقه المعروف لمعجم "الصحاح " بعنوان : "الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية"، ثم في السنة نفسها صدر له تحقيق كتاب " ليس في كلام العرب " للحسين بن أحمد بن خالويه .

وتدل مقدمة "الصحاح" على أنه فكر في نشر كتاب "التكملة " للصغاني

وطبع بضع كراسات منه ، ثم وجد أن وقته لا يتسع لهذا العمل الضخم فأرجأ نشره ، ولكنه أعد العدة لذلك ، إلى جانب نشر "تهذيب اللغة" للأزهري بعد أن ينتهي من طبع "الصحاح "(١) .

صدر العطار تحقيقه للصحاح بمقدمة طويلة تعد كتابا قائما برأسه ، وقد نشرت هذه المقدمة أول أمرها منفصلة ، ثم أضيفت إلى " الصحاح " عندما طبع كاملا(٢).

تناولت مقدمة العطار الحديث عن حياة اللغة العربية في مجتمعها الأول معتمدا في معظم أقواله على عباس محمود العقاد في كتابه " أبو الأنبياء" ، كما تناول حديثه جهود العلماء في جمع اللغة وتنقيتها وعنايتهم بحفظها وتيسيرها،ثم أفرد الكلام عن المعاجم ، تسميتها ومتى ظهر التأليف فيها عند العرب، وبحث في أي الأمم سبقت في تأليف المعجم، فتحدث عن إسهام الآشوريين والصينيين الذين ذكر لهم معجمين طبع أحدهما سنة ٥٣٠ (كذا) بعد الميلاد ، وطبع الآخر (كذا) سنة ١٥٠

(١)الجوهري ، الصحاح ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ، مطبعة دار الكتاب العربي ، سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م ، ١٧٠/١ .

(٢)تأرجحت هذه المقدمة بين الطباعة مستقلة والطباعة مضافة إلى "معجم الصحاح"، فقد صدرت أول مرة على الأرجح سنة ١٣٧٥هـ إذ لم يذكر لها تاريخ نشر ، ولكننا أفدنا ذلك من إهداء العطار هذه المقدمة إلى الشيخ سليمان الصنيع ، والنسخة محفوظة في مكتبة جامعة الملك سعود ، وتاريخ الإهداء ١٣٧٥/١١/٢هـ ـ ١٩٥٦/٦/١١م ؛ وتاريخ كتابة المقدمة ٦ رجب سنة ١٣٧٥هـ /١٨ فبراير ١٩٥٦م ، وكان النشر على حساب حسن شربتلي في مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، وجاءت في ٢٨٢+١ صفحة مزودة بفهارس للموضوعات والأعلام والطوائف والقبائل والأمم والأجناس ، وفهرس للأماكن والبلدان ، وآخر للكتب الواردة في أثناء البحث ، وفهرس للمراجع ، وكانت الفهارس من إعداد فتية أمين . ثم طبعت مع الكتاب الذي انتهت طباعته في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٧هـ كما جاء في ختام الجزء السادس منه ، وصدرت هذه المقدمة منفصلة أيضا بعد ذلك ، ثم أعيد طبعها في دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م في ٢٢٤صفحة ، ثم طبعت مع "الصحاح" في دار العلم للملايين سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، وجميع الطبعات التي أعقبت الطبعة الأولى خلت من الفهارس سوى فهرس الموضوعات .

قبل الميلاد ، وكذلك إسهام اليونانيين القدماء . وكل ذلك مستقى من ترجمات أعدت له لبعض المواد المتعلقة بالمعاجم في دوائر المعارف المختلفة، ثم أفرد الحديث لطليعة المعجم العربي وذكر أن العرب سبقوا إلى وضع المعجمات الكاملة ، وتحدث بعد ذلك عن الخليل وكتابه "العين" وإنه فيه مبتكر لا مقلد، ونسبة كتاب "العين" له. وانطلق من ذلك إلى الحديث عن رواد المعجمات العربية والمؤلفين، وإلى ذكر المدارس المعجمية الأربع وهي: مدرسة الخليل، ومدرسة أبي عبيد ، ومدرسة الجوهري ، ومدرسة البرمكي ، ثم أفرد الحديث عن الصحاح ومؤلفه ، وآراء العلماء في الكتاب ، ومنهجه ومزاياه والهنات التي لوحظت فيه، وأثره في التأليف بعده ، والمؤلفات التي دارت حوله تعليقا وتحشية ونقدا ودفاعا واختصارا وترجمات ونحوها.

قرظ عباس محمود العقاد مقدمة العطار في كلمة قدم بها "الصحاح" ( ص ١-٨ ) فوصفها بأنها أول مقدمة من نوعها في تاريخ المعجمات العربية ، وأن قيمتها تكمن في الآراء التي اشتملت عليها ، وضرب أمثلة على آراء العطار التي رآها صائبة .

لقد كان عمل المحقق في الصحاح عملا رائدا في التحقيق العلمي العربي للمعاجم ،فلسنا نعرف قبله معجما محققا علميا ( إذا استثنينا "تهذيب الصحاح" )، وقد اعتمد العطار في نشرته هذه على ثلاث نسخ :

١-نسخة خزانة محمد خليل عناني من أهل مكة ، وهي بخط محمد بن عبد الله بن الحسن بن أبي البقاء البصري، قاضي البصرة المتوفى سنة ٤٩٩هـ ، وقد نسخت سنة ٤٥٠هـ وعليها حواش وتعليقات للقاضي البصري .

٢-نسخة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة رقمها

بالمكتبة ٧٩ وقد كتبت سنة ٦٨٦هـ(*) ووصفها العطار بأنها نسخة يوثق بها.

٣-نسخة دار الكتب المصرية (لم يذكر رقمها ولا معلومات عنها ، ومن المرجح أن تكون ذات الرقم ٥٠٧٩ ) وهي نسخة مقروءة على العكبري وقد استعان بها وزميله عند تحقيق" تهذيب الصحاح " للزنجاني.

وأشار إلى نسخ أخرى لكنه لم يذكر عنها شيئا ( ص ١٥٣ ) ، غير أن الناظر في "الصحاح" لا يلبث أن يكشف أن منهج المحقق في معارضة النسخ الخطية لا يخلو من بعض الاضطراب . وأول ذلك الاضطراب يبدو في اعتماد المحقق على النسخة المطبوعة في بولاق اعتمادا كليا ، مع معارضتها ببعض النسخ ، ويتوقع الناظر في الكتاب أن يشير المحقق إلى النسخة المطبوعة على أنها إحدى النسخ التي يصدر عنها في تحقيق الصحاح ، ولكنه لم يفعل ذلك وكانت النتيجة أن اختلطت في نشرته الإشارات إلى النسخ الخطية التي ذكرها في مقدمته معتمدا إياها في التحقيق بتلك الإشارات التي ذكرها مصحح المطبوعة الأولى .

لقد نشر "الصحاح" أول مرة في بولاق وصدر الجزء الأول منه سنة ١٢٨٢هـ بتصحيح الشيخ نصر الهوريني، وصدر الثاني سنة ١٣٠٢هـ بمراجعة الشيخ محمد الصباغ ، وقد حفلت هوامش النسخة الأولى بكثير من التعليقات للمصححين السابقين وخاصة الشيخ نصر الهوريني ، فأدخل العطار معظم الهوامش في هوامش نسخته الجديدة دون أن يشير إلى أنها هوامش المطبوعة السابقة ، ولعله اكتفى في كثير منها بإشارة المصحح السابق إلى نفسه في نهاية كل تعليق بقوله : " قاله نصر " أو ما أشبه ذلك . وكان المصحح السابق للمطبوعة البولاقية

(*) سبق أن ذكر في مقدمة تحقيق " تهذيب الصحاح " أنها نسخت سنة ٦٨١هـ ، وأن رقمها ٧٩ لغة .

يشير إلى مصادره فأثبت العطار بعضها وحذف بعضها الآخر ، وبذلك اختلط الأمر على القارئ بين ما راجعه المحقق وبين ما راجعه من سبقه من المصححين ، ففي الصفحة رقم ٤٠ من الجزء الأول (ع٢ هـ٣) جاء في الهامش :" ... وقع في بعض النسخ تكرار للفظتين ... إلخ " ، وهي ملحوظة منقولة بحذافيرها من المطبوعة السابقة ( ٦/١ ) دون الإشارة إليها، وتوحي للقارئ العادي بأن لدى المحقق نسخا أخرى راجعها، مع أن الحديث للمصحح السابق نصر الهوريني .

وفي الصفحة رقم ٧٢ من الجزء الأول ( ع ٢ هـ١ ) نجد هذه الملحوظة: "في بعض النسخ زيادة..."، وهي برمتها منقولة من المطبوعة السابقة ( ٢٣/١ ) سوى أن الناشر السابق قد نكر كلمة"نسخ" والعطار عرفها "بأل" ، وكذلك ص ٢٩ ( ع٢ ) الخاص بصدر بيت للفرزدق هو :

" ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا "

فقد جاء فيه"صدره كما في بعض النسخ"،وهي ملاحظة منقولة برمتها من البولاقية (٢٧/١) .

ومثل هذه الإشارات كثيرة في هوامش النسخة ، وهي إشارات لا تدل على نسخ بعينها ، كما لا تدل على أن العطار قد رجع إلى هذه النسخ ما دام ينقل نقلا مباشرا من هوامش المطبوعة السابقة. ولو أشار المحقق إلى استيعابه لهوامش المطبوعة السابقة لأعفى نفسه من مغبة الوقوع في الخطأ ، ولكان جهده أقرب إلى المعهود في أمثاله من الدقة والأمانة العلمية.

وكثيرا ما نجد الإشارة إلى مخطوطة مجهولة في ثنايا هوامش الكتاب، ففي صفحة ٢٩١ (ع٢ هـ٣) نجد قوله في "المخطوطة:"من أن أقول لعا " ولا ندري على أي مخطوطة تدل هذه الإشارة ، أهي مخطوطة عناني أم مخطوطة عارف حكمت أم

مخطوطة دار الكتب أم غير ذلك .

وكذلك في هـ١ من ع١ ص ٢٩٢ إذ يقول:" في المخطوطة " من آل عبد منات " ، ولا ندري أي مخطوطة يعني .

والأمر نفسه يحدث في ص ٢٩٣ ( ع١ هـ٢ ) إذ نجد هذه الإشارة :" في المخطوطة : وذابة " .

والغريب أنه ينقل أحيانا زيادات هذه المخطوطة في الهامش بدلا من أن يضعها في صلب الكتاب ما دام قد اعتمدها أصلا ، مثل قوله في ٥/١٨٦٤- ١٨٦٥ تعليقا على شطر الأعشى :

" وأصاب غزوك أمة فأزالها "

فقد جاء في الهامش٢من ع٣ :"صدره: ولقد جررت لك الغني ذا فاقة "، وبعده في المخطوطة زيادة: الأمة: الملك ، والأمة : أتباع الأنبياء، والأمة : الرجل الصالح .. إلخ " .

وقد بلغت هذه الزيادة ستة أسطر في الهامش ، وهذا يدل على أن المحقق قد اقتصر على المطبوعة وجعلها أصلا يراجعه على المخطوطات ، مع أن المتوقع أن تكون المطبوعة نسخة أخرى تراجع عليها المخطوطة المعتمدة للنشر كما هو الحال لدى المحققين .

ويتبادر إلى الذهن أننا هنا بإزاء مخطوطة واحدة يرجع إليها المحقق عند التصحيح والمقابلة ، وقد يظن القارئ أن هذه هي طريقته في الإشارة إلى المخطوطة المعتمدة لديه وهي مخطوطة القاضي البصري التي أسماها المحقق "مخطوطة عناني"، ولكننا ما نلبث أن نجد في هوامش الصحاح إشارات إلى هذه المخطوطة بعينها وإلى مخطوطة دار الكتب أو مخطوطة المدينة، ففي ٣٩/١ ع٢ هـ٣ نجد الإشارات الآتية :" ليست في المطبوعة ولكنها في مخطوطة المدينة ".

وفي ٤٥/١ ذكر الجوهري بيتا نسبه إلى الطرماح ووضعه المحقق

بين معقوفين وقال في الهامش رقم ٤ من ع٢ : " هذه الزيادة في نسخة المدينة ، ونسخة العناني ".

وفي ص ٣٥ (ع٢ هـ٢): "ولا" بآدية ، كما في مخطوطة دار الكتب ".

وفي ص ٤٨ (ع١ هـ١):" في مخطوطة دار الكتب المقروءة على العكبري: تخاطأت ..." ، وفي ص ٥٢ ( ع١ هـ١ ) :" في مخطوطة الدار " : " يقال الرثيئة " ، وفي ص ٥٣ ( ع٢ هـ٢ ) : " في مخطوطة الدار بضم الراء " ، وفي الهامش الذي بعده " في نسخة الدار:فيه" ، مثل هذه الإشارات إلى فروق النسخ كثيرة وخاصة ما يتعلق بنسخة مخطوطة دار الكتب المصرية.

على أن من الإنصاف أن نذكر أن العطار في تحقيقه للصحاح قد صوب كثيرا من أخطاء المطبوعة السابقة ، وخاصة ما يتعلق منها بالتصحيف أو التطبيع اعتمادا على المخطوطات التي رجع إليها أو كتب اللغة الأخرى .

وملاحظات المحقق على المطبوعة السابقة ليست قليلة وإنما تنتشر على صفحات نسخته ، ولسنا نستقصي الأمثلة هنا وإنما نكتفي بالإشارات القليلة ففي ٤٨/١ (ع٢ هـ٤ ) علق العطار على بيت زهير :

بآرزة القفارة لم تخنها
قطاف في الركاب ولا خلاء

فقال في ( هـ ٤ ع١ ) :" في بعض النسخ " بآزرة ، " وكذلك في المطبوعة ،والصواب "بآرزة" بتقديم الراء على الزاي المعجمة ".

وفي ١٢٦/١ (هـ١ ع١) يعلق المحقق على بيت لبيد :

فكلفتها همي فآبت رذية
طليحا كألواح الغبيط المذأب

يقول المحقق (ع١ هـ١ ) :"في المطبوعة الأولى:"فآبت رزية" محرفة، وفي ١٥٧/١ (ع١) يرد بيت جرير :

أعبدا حل في شعبى غريبا
ألؤما لا أبا لك واغترابا

يعلق المحقق على ذلك في (هـ٣) على كلمة " ألوما " بقوله : " في المطبوعة الأولى : ألوحا " تحريف " ، ويعلق على كلمة "الصقعب"( ١٦٣/١ ع٢ هـ٢) بقوله: " وردت المادة في الطبعة الأولى : "صعقب"و" الصقعب"كلاهما محرف ".

وإذا تركنا ملاحظات المحقق على التصحيف والتحريف وهي كثيرة، فإننا لا نعدم ملاحظات أخرى هي من صميم التحقيق والمراجعة .

ففي ٣٥٤/١ (ع٢ هـ١) يعلق المحقق على بيت لأبي دؤاد بقوله : " في المطبوعة الأولى :

" من شعثاء عمدا وبالحبل "

ولا يستقيم به الوزن وتصحيحه من اللسان"، وفي ٣٨٠/١ (ع١ هـ١) يعلق المحقق على بيت أنس بن نهيك:

عزمت على إقامة ذي صباح

لأمر ما يسود من يسود

بقوله: "ورد البيت في المطبوعة الأولى مقدم العجز على الصدر " .

غير أن من الغريب أن المحقق في بعض الأحيان يترك التصحيف كما هو في النسخة ويشير إلى تصحيحه في الهامش كما في ١٨٨/١، فقد جاء في أصل الكتاب:" وأما قول المتنخل اليشكري : ..." فعلق المحقق ( ع١ هـ١ ) " وكذا في اللسان ، واسم اليشكري المنخل وأما المتنخل فهو المتنخل الهذلي "، ويشبه ذلك ما جاء في ٣٣٥/١ ، فقد ورد في صلب الكتاب أن " الأفلج " من الرجال هو " البعيد ما بين الثديين " فعلق المحقق (ع٢ هـ٢ ) بقوله: " ما بين الثديين تصحيف، والصحيح ما بين اليدين تثنية يد " ، وكان الواجب أن يصحح التصحيف في الأصل لأن من المستبعد أن لا يعرف الجوهري الفرق بين الاثنين .

وإذا نظرنا في هوامش المحقق الأخرى سواء ما كان منها تصويبا ، أم تكملة ، أم نسبة شاهد شعري ، أم تصحيح اسم شاعر ، فإننا نجد المحقق

يشير إلى ذلك باختصار شديد ، ونادرا ما يشير إلى مصادره في ذلك ، وإذا أشار فإنه يغفل الإشارة إلى مواضع التعليق من صفحات تلك المصادر .

مثال ذلك ما جاء في ١١٢/١ في مادة "حشب" قال الجوهري : "الحوشب : المنتفخ الجبين . قال الشاعر :..."، فعلق المحقق في الهامش على كلمة " الشاعر " بقوله : " الأعلم الهذلي " ، ولم يورد مصدره في النسبة . وفي ١١٣/١ قال الجوهري : " قال الراجز ..." ، فقال المحقق في الهامش :" هو الشماخ " ، وفي الصفحة نفسها ( ع٢ ) مادة "حظب" قال الجوهري "قال الطماحي"، فعلق المحقق في الهامش بقوله : " هو زياد " . وأحيانا يستوعب هامش المطبوعة السابقة دون الإشارة إليه بل دون الإشارة إلى مصدره . وفي ١١٣/١مادة "حظرب" قال الجوهري : قال الشاعر: فعلق المحقق في (هـ٢) قائلا: " هو طرفة "، وهو في مطبوعة بولاق هكذا ( هو طرفة مرتضى ) ، وهكذا تأتي الإشارات إلى الشعراء دون توثيق أشعارهم بالرجوع إلى مصادرهم ، وإن كان المرجح أن معظم اعتماد المحقق على اللسان .

وكذلك الأمر عندما يكمل المحقق بعض الأبيات الشعرية بإيراد الصدر أو العجز أو الشطر من الرجز، أو يضيف إليها أبياتا قبلها أو بعدها ، فإنه قليلا ما يورد مصدر التكملة ، ومثال ذلك في ١١٢/١ ما أورده المؤلف من شطر بيت رؤبة:

" وقد تطويت انطواء الحضب " ، فقد علق المحقق عليه بقوله:"وبعده: بين قتاد ردهة وشقب" ولم يورد مصدره .

والأمر نفسه يلاحظ عند التصويب أو التوجيه، فإنه قلما يذكر مصدره ، ومثال ذلك ما جاء في الأصل (١١١/١): " قال نهيك الفزاري " ، فعلق عليه المحقق بقوله : " صوابه نهيكة الفزاري " ، وذكر البيت الذي قبله ومناسبته لكنه لم يذكر

مصدره في ذلك.

وأحيانا يذكر المصدر ولكنه لا يذكر الموضع منه، ومثال ذلك قول الجوهري (١٢٨/١) :" الذنابي شبه المخاط يقع من أنوف الإبل " ، فقد علق عليه المحقق بقوله :" الصواب "الذناني" بنونين كما في المزهر"، ولم يذكر الموضع منه . ومن ذلك قول بشر بن أبي خازم الذي أورده الجوهري ( ١٢٩/١ ) :

فكانوا كذات القدر لم تدر إذ غلت
أتنزكها مذمومة أم تذيبها

فقد علق المحقق على كلمة "أتتركها" بقوله:"في المفضليات : أتنزلها "، ولم يشر إلى الموضع ، ومن ذلك ما قد يرد في المخطوطة من زيادات لا يدخلها في أصل الكتاب: ففي مادة " لعج " (ج١ ص ٣٣٨ ع٢ ) ورد في صلب الكتاب " قال الهذلي " :

ضربا أليما ببت يلعج الجلدا

فأشار المحقق في الهامش رقم ٣ بقوله :" في المخطوطة : إذا تأوب نوح قامتا معه " ، أي أن صدر البيت قد ورد في " المخطوطة " ، فإن كانت هذه " المخطوطة " معتمدة لديه فقد كان من الواجب إدخال الصدر في صلب الكتاب مع الإشارة إلى ذلك في الهامش ، وهو المتبع عند المحققين .

ومثله ما ورد في ٣٢٧/١ إذ أورد شطرا من رجز وقال في الهامش:"بعده:والبكرات اللقح الفوائجا" كما في المخطوطة .

على أننا لا نعدم الاعتماد على المخطوطة وتقديم نصها في صلب الكتاب ، ومن ذلك ما ورد في ٥٧/١ إذ جاء في الأصل:" قال أبو عبيدة " ، فعلق المحقق بقوله :" في المطبوعة أبو عبيد وما هنا موافق لما في نسختي المدينة ودار الكتب وفي التاج"، وكذلك تعليق المحقق على لفظة "الرازح" (٣٦٥/١ في ع١ هـ٤)، وقال المحقق :" كذا في المخطوطة، وفي المطبوعة الرزاح ".

وأحيانا يكون تصحيح المطبوعة الأولى اعتمادا على مصادر أخرى كاللسان أو التاج أو غيرهما ، ومثال ذلك ما جاء في ١/١٢١:" قال الزفيان : " فعلق المحقق بقوله :" في المطبوعة الأولى " الرقيات " وفي حواشيها لعله عبيد الله بن قيس الرقيات ، وهو تحريف صوابه من اللسان ، والزفيان راجز مشهور" .

وفي ١/١٤٨ قال الجوهري : " السقب : الطويل من كل شيء مع ترارة "، علق عليه المحقق بقوله : " الترارة:امتلاء الجسم وفي المطبوعة الأولى:" نزارة " تحريف صوابه من اللسان،ولم يذكر الموضع من الكتاب .

وفي تعليق على تعبير لامرأة من العرب (١/٣٦٥) قالت فيه : " أرسحتنا نار الزحفتين " علق المحقق بقوله : انظر الجزء الرابع من كتاب الحيوان للجاحظ " دون أن يذكر موضع الإشارة من ذلك الجزء .

وعلى الرغم من أن المحقق لم يلحق الكتاب بمسرد يضم المصادر والمراجع ، إلا أننا نجد في ثنايا هوامشه إشارات إلى مصادر كثيرة ، ولعل أكثرها دورانا " لسان العرب " وهو أكثر ما اتكأ عليه المحقق في المراجعة ، كما أننا نجد إشارات إلى "المقاييس" ، و"التاج" ، و"القاموس" ، و"مختار الصحاح" ، و"التكملة" للصغاني، و"حواشي ابن بري"، و"محشى القاموس"، و"الاقتضاب" ، و"نوادر أبي زيد"، و"أساس البلاغة"، و"كتاب سيبويه" .

ومن كتب الشعر"المفضليات" ، و"جمهرة أشعار العرب" ، وإشارات عديدة إلى دواوين الشعراء .

وفى سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) صدرت الطبعة الثانية من الصحاح بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، وهذه الطبعة لم تزد على سابقتها بشيء إذ إنها مأخوذة عنها بالتصوير سوى احتوائها على مقدمة لهذه الطبعة (ص : ز ــ ط ) ندد فيها المحقق

بمعجم صدر سنة ١٩٧٥م بعنوان : "الصحاح في اللغة والعلوم" إعداد نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي وتصنيفهما، وتقديم الشيخ عبد الله العلايلي ، ذكر فيها أنهما تضيفا ما كتبه في مقدمة "الصحاح" الأولى وبخاصة ما سبق به غيره من آراء ، كما لم يشيرا إلى تحقيق الصحاح ولا إلى المقدمة قائلا : " ولو ذكرا جهدنا العلمي لكانا أمينين وممن يضطلعون بالأمانة العلمية ، ولما نقص من قدرهما بل لزاد، أما إغفال الذكر فخيانة تدين المتصفين بالسطو على جهود الآخرين وادعائهما إياها ، ولا يسعهما الادعاء بعدم الاطلاع على جهودنا ، ولو ادعيا ذلك لكانا من المفترين ، ولأضافا إلى إثم السطو إثم المكابرة والافتراء ، لأن ما ادعياه في " المقدمة " المنسوبة إليهما لم يجئ قط عن أحد غيرنا " ( ص : ح ) .

وكتب العطار في هذه الطبعة مقالة بعنوان : " الجوهري مبتكر منهج الصحاح ( ص١- ١٥ ) رد فيها القول بأن البندنيجي في كتاب " التقفية " هو المبتكر لمنهج الجوهري، وأنكر أن يكون البندنيجي قد ابتكر منهجا معجميا، كذلك الذي نجده في الصحاح.

وقد كان مقال العطار تعليقا على ما جاء في مقال لبكري الشيخ أمين، ذكر فيه رأيا للأستاذ حمد الجاسر فحواه أن البندنيجي المتوفى قبل الجوهري بما يقارب مئة عام قد ألف كتابا سبق به الجوهري في ترتيب المعجم على النظام الوارد في الصحاح الذي يعزى ابتكاره إلى الجوهري . وقد نشر العطار مقال بكري الشيخ أمين في هذه الطبعة ( ص ١٦-٢٩ ) بعنوان : " الأثر الخالد ...معجم الصحاح تهذيبه ومقدمته " بعد أن حذف منه فقرات لم ير لها أهمية ، وهو مقال استعرض فيه الكاتب مقدمة الصحاح وأثنى فيه بإفراط على جهود المحقق في

" التهذيب " وفي تحقيق " الصحاح " ، مما أدى إلى المبالغة والوقوع في أخطاء واضحة منها قوله: " إن محقق الصحاح قد وثق الأحاديث النبوية ، وبين أماكن ورودها في كتب الحديث، ومثلها فعل في الآيات القرآنية الكريمة والأمثال العربية والأسماء والأعلام والمواطن والقبائل واللغات المختلفة" ، فالناظر في "الصحاح" لا يكاد يجد شيئا من ذلك، فالآيات القرآنية لم تخرج ، والأحاديث لم توثق على كتب الحديث، ومئات الأعلام والقبائل والمواطن تمر دون الإشارة إليها .

ويبدو أن كاتب المقال كان يكتب تحت إيحاء عمل المحقق في كتاب "تهذيب الصحاح" للزنجاني،وهو كتاب بذل فيه المحقق جهدا أكبر من تحقيق الصحاح من حيث التحقيق والتوثيق .

وفيما عدا هاتين المقدمتين اللتين أضيفتا إلى الكتاب في هذه الطبعة لا نكاد نجد اختلافا بينها وبين الطبعة الأولى إذ أنها مصورة عنها .

ونشر جواد محمد الدخيل سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م نقدا لطبعة العطار للصحاح بعنوان " ملاحظات على صحاح الجوهري" (*) ، وقد بلغت ملحوظاته ٢٩٦ ملحوظة نبه فيها على نقل المحقق لحواشي النسخة القديمة دون الإشارة إليها ، وما يسببه ذلك من إبهام حول معرفة النسخ الخطية التي رجع إليها . وصوب بعض ما طرأ على ألفاظ هذه الطبعة من تصحيف أو تحريف ، وتتبع المحقق في بعض مقولاته عن اللسان التي كانت خاطئة بسبب ما اعترى نسخة اللسان المطبوعة من خلل ، وذكر مآخذه المنهجية على نشرة العطار في الحلقة الثانية المنشورة في مجلة "العرب".ويمكن تلخيص هذه

(*) نشر أولا في جريدة الجزيرة ( شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ / مايو ـ يونيو ١٩٨٥م ) ، كما نشر في مجلة العرب مج ٢١ (١٤٠٦ـ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ـ١٩٨٧م ) ص ٥٠٣ و ٦٢٦ و ٧٥٣ ومج ٢٢ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ) ص ٨٧ و ٢١١ .

المآخذ بالأتي(*) :

١-أن العطار لم يكن تحت تصرفه جميع مخطوطات الكتاب ، إذ لم يكن لديه إلا مخطوطة واحدة ، ومع هذا فلم يكن يعتمد عليها؛ وإنما اعتمد على المطبوعة المصرية القديمة ، وكان عليه أن يتجاوز هذه المطبوعة خاصة بعد توافر الكتب المطبوعة المزودة بالفهارس الحديثة ، وبعد التقدم الفكري بالنسبة إلى نشر تلك المطبوعة . ومع ذلك ففي مطبوعة العطار أخطاء جاءت صوابا في المطبوعة القديمة.

٢-أن الجوهرى اعتمد على كتب معينة بقي معظمها ولم يرجع إليها المحقق .

٣- عدم استساغة إيراد المحقق ما قبل الشاهد الشعري وما بعده ، إلا إذا غلط المؤلف في القافية فلا بأس عندئذ من إيراد بيت آخر من القصيدة كي يتأكد القارئ من خطأ المؤلف .

٤-اعتمد العطار على "اللسان" في قراءة نص "الصحاح"،ولم ينتبه إلى ما في نسخة اللسان القديمة من الأخطاء.

لقد لخص الناقد ملحوظاته المنهجية في الحلقة الثانية المنشورة في مجلة "العرب" حتى لا يكررها فيما بعد أو يقف عندها ، واعدا أنه سيقتصر بعد ذلك على الأخطاء العلمية . ولقد كانت ملحوظاته دقيقة ومفيدة في معظمها ، وكان من المنتظر أن يكمل رحلته مع صفحات الكتاب فينقب ويصوب ويضيف ، لكنه توقف بعد نشر الحلقة الخامسة من هذا النقد بعد أن شملت وقفاته مع الكتاب الجزء الأول وشيئا من الجزء الثاني منه .

غير أن من الحق أن نقول إن بعض ما أشار إليه الناقد يدخل ضمن إطار الأخطاء المطبعية التى قلما يخلو منها كتاب ، ولا يعد العطار بدعا في هذا بين المحققين.

(*) العرب ، مج ٢١ ص ٦٢٦ .

أما القول بأن العطار قد اعتمد على مخطوطة واحدة فهو قول تعوزه الدقة ، وقد مر بنا أنه قد رجع إلى ثلاث مخطوطات اثنتان منهما من المدينة ومكة والثالثة من دار الكتب المصرية . ولعل من العسير أن يجمع محقق جميع مخطوطات كتاب كبير كالصحاح وينظر فيها جميعا ، وليس ذلك مطلوبا منه ، بل المتوقع أن يختار من المخطوطات أوثقها وأكثرها قربا من المؤلف أو عصره وأصحها من حيث النسخ والمقابلة ، وغير ذلك من شروط لا نظن أنها كانت تغيب عن ذهن الأستاذ العطار ، ولكن الرغبة في إخراج الكتاب بسرعة كانت – في الغالب – وراء اكتفائه بالنسخ الثلاث مع قلة اعتماده عليها في التحقيق.

والخلاصة أن كتاب "الصحاح"، وإن بدا فيه بعض الاضطراب في المراجعة على النسخ وبعض المآخذ المنهجية الأخرى التي نختلف مع المحقق حيالها، إلا أن ذلك لا يغض من جهد العطار في تجلية الكتاب للقارئ وتيسيره له، إذ تميزت نسخة العطار بكونها نسخة مضبوطة بالشكل لما يشكل ، مصححة على عدة مخطوطات ، مراجعة على بعض كتب اللغة الأخرى، وهذا كله يضعنا بإزاء نسخة هي أفضل كثيرًا من النسخة البولاقية السابقة .

ولعل ما أشرنا إليه من عدم استيفاء بعض المعلومات ، أو عدم الدقة في مراجعة المخطوطات مرجعه إلى السرعة التي فرضها المحقق على نفسه لإنجاز الكتاب – مع ضخامته – في وقت قصير، إلى جانب اشتغاله في أعمال لغوية أخرى في الوقت نفسه .

* * *

ونشر العطار سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م تحقيقه لكتاب "ليس في كلام العرب" لابن خالويه في القاهرة على نفقة حسن شربتلي ، وقد اعتمد فيه على أربع نسخ :

الأولى: النسخة المطبوعة التي سبقت طبعته وهي طبعة أحمد بن الأمين الشنقيطي التي صدرت في القاهرة بتاريخ ١٣٢٧هـ، ولم يكتب العطار أي تفصيلات عنها وعن محققها ، أو تاريخ صدورها، وإنما اكتفى بقوله : " النسخة المطبوعة المعروفة " .

والثانية : نسخة مكتبة محمد سرور الصبان ، وقد كتبت في مكة سنة ٤٨٠هـ بخط خلف بن رزيق القرطبى ، وقد وصف العطار خطها بأنه " ردىء " وفيها سقط .

والثالثة : نسخة المتحف البريطاني ( لم يذكر رقمها ) ، وقد ذكر أن الإدارة الثقافية بالجامعة العربية قد قامت بتصويرها ، وهي مكتوبة بخط مأمون بن محمد العجمي سنة ٧٠٤هـ ، وقد اعتمد على هذه المصورة ووصفها بأنها " نسخة موثوق بها " .

والرابعة : نسخة كتبها الشيخ أحمد بن حسن ستى مصححة على نسخته التي وقع تاريخها في ١٠جمادى الآخرة سنة ١٣٣٩هـ والتي قوبلت على نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت ، وذكر العطار أنه حصل على نسخة الشيخ " ستى " بالشراء من زوجته المصرية ، كما أنه راجع مكتبة عارف حكمت ولم يجد النسخة التي أشار إليها الشيخ " ستى " .

اتبع العطار في تحقيق هذا الكتاب المنهج الذي اتبعه في الصحاح، فلم يتخذ أيا من النسخ الخطية أصلا ، وإن كنا نلاحظ أنه يشير كثيرا إلى نسخته الخطية وبين ما فيها من اختلاف أو خطأ ، وهي ــ على الأرجح ــ نسخة الشيخ "ستى" المتأخرة تاريخيا . كما نجد إشارة وحيدة إلى نسخة الصبان (ص ١٩٣)، ويبدو أن هذه النسخة أيضا لم تنج من التحريف . وقد أشار العطار أيضا إلى أخطاء مطبوعة الشنقيطي ، لكنه استوعب كثيرا من هوامشها مما يدل على أنه اتخذها أصلا راجعه على

النسخ الأخرى .

وبالجملة فقد اعتنى بضبط الكتاب ، وتحقيق نسبة بعض الشواهد إلى أصحابها ، مع الإخراج الذي يفضل كثيرا المطبوعة السابقة .

غير أن عمل العطار لم ينج من الملاحظة ، إذ نشر مازن المبارك نقدا لهذه الطبعة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق بعنوان : " ليس في كلام العرب لابن خالويه ، موازنة بين طبعتين" (١)، يقصد طبعة العطار والطبعة المصرية بتحقيق أحمد بن الأمين الشنقيطي . وكان معظم النقد الذي أورده المبارك منصبا على استيعاب العطار لهوامش الشنقيطي دون الإشارة إليه (٢). كما أشار إلى أن هذه النشرة ناقصة إذ أن في معهد المخطوطات العربية جزءا من كتاب "ليس في كلام العرب" لابن خالويه ، صوره المعهد عن نسخة مخطوطة في استانبول ( شهيد علي ١٢٤٣) راجعها ثم قال : " وجدت أسلوب ابن خالويه في ترتيبه لأبواب كتابه وعرضه لموضوعاته ، وحسب القارئ أن يعلم أن هذا الجزء الخامس وحده قوامه ١٧١ ورقة (٣) ، وإن صح هذا فإنه يدل على نقص كبير في النسخة المحققة ، ذلك أن أوراق كل واحدة من المخطوطات الأربعة التي اعتمد عليها المحقق لا تزيد على ٥٠ ورقة، كما أن المطبوعة القديمة صفحاتها ( ٧٦ صفحة) . وذكر المبارك أن العطار قد أشار في أحد هوامشه ( ص٩١هـ٣ ) إلى أنه" سقط من هنا أربعة أبواب ذكرت في النسخ الأخرى" ، ومعنى ذلك أن هذه النسخة المحققة هي أنقص النسخ جميعا ، كما لاحظ الناقد أن المحقق قد قفز بابا من أبواب الكتاب في نسخة الشنقيطي(٤) .

---

(١) المبارك ، مازن ، ليس في كلام العرب لابن خالويه ، موازنة بين طبعتين ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٤٩، ج٢ ربيع الأول ١٣٩٤هـ / نيسان ( أبريل ) ١٩٧٤م ، ص ٤٢٦ـ٤٣٥ .

(٢) نفسه . (٣) نفسه . (٤) نفسه ، ص ٤٣٠ .

وانتقد المبارك أن يضع المحقق بعض الحواشي في المتن كما حدث في ص ١١٦ و ١٧٠ [١].

ولعل أهم المآخذ على هذه النشرة ما يأتي :

١- أن المحقق لم يلتزم نسخة صحيحة موثوقة يعتمد عليها في إخراج أصل الكتاب ، فحدث ذلك الاضطراب في الرجوع إلى النسخ التي وجدناها في تحقيقه للصحاح .

٢-أن المحقق لم يشر إلى جهود سابقه أحمد بن الأمين الشنقيطي ، بل استوعب أكثر ما جاء في طبعته دون الإشارة إليه ، وأحيانا بتلخيص أو تصرف .

٣-أن المحقق أقحم في النص ما ليس منه كأسماء الشعراء مثلا ، فإذا قال ابن خالويه مثلا :"وينشد " أضاف المحقق بين قوسين صغيرين " لحميد الأرقط" [٢]، وإذا أورد ابن خالويه شعرا وكانت له رواية أخرى أورد المحقق الرواية الأخرى بين قوسين مثل:" ما جاء في ص ٩٢"، وأنشد :

يقول أهل السوق لما جينا

هذا ورب البيت إسرائينا

" ويروى الشطر الأول :

قالت وكنت رجلا فطينا " [٣]

وقوله : " ويروى الشطر الأول .... إلخ " ، وهو ليس من كلام ابن خالويه وإنما من كلام المحقق ، وقد أدرجه في صلب النص بعد وضعه بين قوسين .

وبعد أكثر من عشرين سنة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ) أصدر العطار الطبعة الثانية من كتاب " ليس في كلام العرب" في مجلد بلغت صفحاته ٥٩٩ صفحة طبع في بيروت، وفي هذه الطبعة استدرك كثيرا مما فاته في الطبعة السابقة ، فقد أضاف الأبواب الأربعة السابقة التي

(١) نفسه ، ص ٤٣١ .

(٢) انظر مثلا : الطبعة الأولى للصفحات التالية : ٩٠،٤٦،٤٢،٢٠ ( نثر )

(٣) ط١ ، ص ٩٢ ، وانظر أيضا ص ١٦٥ في مثل آخر .

ذكرت في النسخ الأخرى عدا مطبوعته ،وأعاد الباب الذي قفزه في طبعة الشنقيطي، ووضع في الهوامش ما كان موضوعا من التعليقات في صلب الكتاب، ويبدو واضحا أن تلك التعليقات التي انتقد المبارك ورودها في الطبعة الأولى في صلب الكتاب قد دخلت فيه بفعل اضطراب طباعي ، يدل على ذلك أن العطار عندما وضع تصويبا في الطبعة الأولى استغرق سبع صفحات ، أشار إلى أن موضع بعض هذه الإشارات في الهامش ، وفاته بعضها في التصحيح ، ولم يفطن إلى ذلك المبارك عندما كتب نقده .

كما أن المحقق زاد في التعليقات واستدرك كثيرا مما فاته في الطبعة الأولى ، ولعل أهم ما أضافه إلى هذه الطبعة تلك الفهارس المتعددة التي شملت الآيات والأحاديث والأقوال والأمثال ، وفهرس الشعر والبلدان والأمكنة والمياه ، وفهرس الأعلام والكتب واللغة ، إلى جانب فهرس أبواب الكتاب .

تمثل أعمال أحمد عبد الغفور عطار في التحقيق اللغوي المحاولات الأولى في المملكة العربية السعودية لإخراج كتب التراث اللغوي إخراجا علميا ، ويمتاز العطار اللغوي بصنع المقدمات الضافية التي تفي بالدقائق وتحيط بالمادة من جميع أقطارها ، كما نجد في مقدمته لـ " تهذيب الصحاح " ، ثم مقدمته لـ "الصحاح " التي أفردها في كتاب مستقل ، ومقدمته لـ "تهذيب اللغة" ، ومقدمته لتحقيق "شرح مقصورة ابن دريد" .

وهو في بحثه اللغوي ليس مقلدا أو تابعا وإنما هو مفكر جرىء إذا لم يرقه الرأي القديم طرحه وبحث عن بديل له ، فهو مثلا يورد ذلك الرأي الذي ذكره بعض العلماء من أن سبب اختيار الجوهري ترتيب معجمه على أواخر الكلمات التيسير على الشعراء والكتاب في حالتي النظم

وغيره من القراءات والنظر بالتالي في أهم المفاهيم التي بنيت عليها هذه الأصول وذلك مثل مفهوم "قراءة العامة " عند هؤلاء العلماء من القرن الثاني والثالث .

أما النظر في المفاهيم فقد حاولنا، منذ زمان طويل، أن نتتبع الألفاظ الدالة عليها في جميع الكتب التي وصلت إلينا من تلك التي ذكرت بكثرة فيها(*) بل وفي جميع سياقات هذه الألفاظ التي وردت فيها . ولا يكفي – في نظرنا – أن يعتمد في ذلك على التحديدات وحدها . وذلك لأن المصطلح قد يكون غائبا في زمان معين في جميع المؤلفات التي يتعلق موضوعها به ولهذا دلالة وقد يستعمل في زمان آخر بمعنى غير الذي تعورف عليه في زماننا هذا أو زمان آخر .

أما اختيارنا لهذه الفترة بالذات فلأن كل من جاء بعد ابن مجاهد من المؤلفين للكتب التي تطرقت إلى القراءات قد اتبعوا النهج الذي سار عليه ، جزئيا أو كليا . وهذا ترتب عليه تحول عميق للنهج القديم وطرأ تأويل جديد لأصول التصحيح . فأردنا أن نعرف بالضبط ما الذي امتاز به المتقدمون في فهمهم لهذه الأصول وكيف تم استعمالهم لها .

**أ) الأصول الثلاثة:**

يردد المتأخرون من علماء القراءات قول أبي عمرو الداني: "وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل . والرواية إذا ثبتت عندهم لم يردّها قياس عزبية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة

(*) أهمها كتب " معاني القرآن " أو إعرابه للأخفش والفراء والزجاج والنحاس وتفسير الطبري وكتاب المصاحف لابن أبي داود وإيضاح ابن الأنباري وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة وما قيل عن مختلف القراءات في كتب النحو من الصدر الأول ككتاب سيبويه والمقتضب للمبرد وغيرهما. ثم النقول الكثيرة التي نقلت في الكتب التي وصلت إلينا من كتب القراءات القديمة لأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم السجستاني ومحمد بن سعدان والقاضي إسماعيل ابن إسحاق وغيرهم.

يلزم قبولها والمصير إليها"( من كتاب جامع البيان ، اللوحة 190 وفي النشر، 10/1 ) .

هذا كلام سليم ومع ذلك ينقصه شيء مهم جدا وهو الإجابة عن هذا السؤال الذي يثيره هذا النص في النفوس وهو:إذا كانت القراءة لا تثبت بفشو لغة ولا قياس عربية ــ وهذا مسلم به ــ فلِمَ لمْ تخبرنا في كلامك هذا بالذات بماذا تثبت ؟ وما هي الأصول التي أجمع العلماء من السلف على العمل بها في ذلك؟ ثم إذا كانت القراءة سنة متَّبعة ــ وهذا لا يشك فيه أحد(*) ــ فهل تثبت مثلما تثبت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم؟

إن الروايات والطرق إلى القرّاء السبعة التي جمعها الداني في هذا الكتاب ( أكثر من 500 ) وكل من سار على هذا النهج في كتب القراءات تدل على أن أهم وسيلة لإثبات القراءة هو الإسناد الصحيح ومع هذا فإن الداني نفسه يقول في هذا الكتاب بالذات إن القراءة لا تنقل نقل الأحاديث ( اللوحة 9) . إذن فما هي معايير القراءة الصحيحة ؟

وضع العلماء بالفعل أصولاً لمعرفة الصحيح الثابت من القراءات وقد اشتهر عن الإمام مكي بن أبي طالب أنه أول من جمع هذه الأصول وهي ثلاثة . ويذكر الكثير من المؤلفين المحدثين ( وبعض القدامى مثل أبي شامة) ، الإمام مكي بن أبي طالب كأقدم من ذكر بالنص الصريح الأصول الثلاثة . قال مكي في كتاب الإبانة: "وقسم يقرأ به اليوم وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهي : أن ينقل عن الثقات إلى النبي – صلى الله عليه وسلم–ويكون وجهه في العربية التي

(*) أجمع اللغويون والنحاة على ما أجمع عليه غيرهم من أن القراءة سنة وأقدم نص نقل إلينا هذه العبارة هو في كتاب سيبويه (74/1) وحتى النحاة الذين طعنوا في بعض القراءات صرحوا بذلك كالمازني ( في مجالس العلماء ، 294 ) والزجاج في أكثر من موضع في كتاب معاني القرآن وأبي على الفارسي ( في الحجة ، 29/1 ) وابن جني ( في المحتسب 233/1 ) .

انظر ما يلي من كلامنا فيما يخص اعتدادهم بالقياس .

نزل بها القرآن شائعا ويكون موافقا لخط المصحف"(ص 18 ).

والحق أن هذه الأصول الثلاثة قد أشار إليها هكذا مجتمعة وبالنص الصريح أقدم العلماء فمنهم الفراء في كتاب " معاني القرآن " وهو معاصر لبعض قراء الأمصار . قال :" اتباع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحب إلي من خلافه " (293/2). وفي زمانه أيضا أو بعده بقليل يصرح أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب القراءات " : " الاختيار عندي في هذا الباب كله الوقوف عليها بالهاء بالتعمد لأنها إن أدمجت في القراءة مع إثبات الهاء كان خروجا من كلام العرب وإن حذفت في الوصل كان خلاف الكتاب . فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الهاءات اجتمعت له المعاني الثلاثة من أن يكون مصيبا في العربية وموافقا للخط وغير خارج من قراءة القراء " ( ذكره ابن الأنباري في "الإيضاح" ، ص 311 ) . ونجد هذه المعاني الثلاثة مذكورة بعبارات مختلفة في أقدم ما وصل إلينا في علوم العربية وهو كتاب سيبويه، وسيبويه عاش في زمان الخليل، وعيسى بن عمر، والكسائي وقبل يعقوب وخلف . جاء في الكتاب:" إلا أن القراءة لا تخالف لأن القراءة سنة " (74/1) (*). وكذلك («ما هذا بشراً» في لغة أهل الحجاز وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف ) (28/1). أما موافقة القراءة لكلام العرب فسيبويه يذكر الكثير من التوجيهات التي وجه بها القراء النحويون وغيرهم لبعض القراءات من تلك التي جاءت على لغة من لغات العرب .

**1-الأصل الأول:**

**قراءة القراء وأهميته القصوى ( مع الأصل الثاني : الموافقة للمصحف )**

(*) ينسب المتأخرون هذا القول غالبا إلى الشعبي ( مات في 150 ) ( غاية النهاية ، 350/1) . وينسبها أبو عبيد في فضائل القرآن بإسناد صحيح إلى عروة بن الزبير وبإسناد آخر صحيح إلى زيد بن ثابت ( الفضائل ، 374/4 ) .

**1) مصادر القراءة عند أبي عبيد القاسم بن سلام:**

ليس من أثر يؤثر ، أيًا كان محتواه ، إلا وله مصدر يجب التأكد من صحته علميا؛ وذلك بإسناده في أول الأمر إلى من رواه . وهذا ينطبق على الحديث النبوي وعلى القراءات على السواء . ولذلك يخضع العمل العلمي في تصحيح السند للأصول والمنهجية العلمية العظيمة التي وضعها علماء الحديث في أقدم العصور وعمل بها بعد تحسينها علماء القرن الثالث . وعلى الرغم من ذلك فإن للقراءة ، كما هو معروف ، خصوصية لا يوجد مثلها في الحديث. فإن الأثر في القراءة يراعى فيه الجانب اللفظي ويجب أن ينقل بهذا اللفظ أي كما سمع وإلا فليست قراءة بخلاف الحديث . ولذلك تشدّد العلماء في أقدم العصور في رواية القراءة فلم يكتفوا بالرواية البحتة بل التزموا التلاوة والمشافهة سواء أكانت بالعرض أم بالسماع للفظ الذي ينطق به القارئ فقط أم مع العرض عليه .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام في «كتاب القراءات» في فصل سماه « هذه تسمية أهل القرآن من السلف على منازلهم» (*)

" فمما نبدأ بذكره في كتابنا هذا سيد المرسلين وإمام المتقين محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي أنزل عليه القرآن، ثم المهاجرون، والأنصار وغيرهم من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من حُفظ عنه منهم في القراءة شيء وإن كان ذلك حرفا واحدا فما فوقه " .

ثم يذكر أبو عبيد أسماء المهاجرين والأنصار الذين حفظ عنهم في القراءة ولو حرفًا واحدًا . وهنا يجدر بنا أن نميز بين الصحابة الذين أثر عنهم الحرف أو الحرفان أو أكثر وبين الذين قرؤوا على النبي

(*) نقل هذا النص بكامله السخاوي في " جمال القراء ( ص 424-432 )

- صلى الله عليه وسلم - القرآن كله - على حد تعبيرهم ـ أو جزءًا منه أو عرض عليهم بعض الصحابة والتابعين أيضاً القرآن كله . فكانوا بذلك المصدر الأساسي للقراءات التي اشتهرت فيما بعد؛ لأن هذه القراءات هي التي تناقلها العلماء .

وذكر أبو عبيد أسماء أولئك الصحابة وهم من المهاجرين : " أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان،وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة بن اليمان، وعبد الله ابن عباس،وعبد الله بن عمر،وعبد الله ابن عمرو، وعمرو بن العاص، وأبو هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن السائب، قارئ مكة " . ومن الأنصار رضي الله عنهم : أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل،وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبو مجمع بن جارية ، وأنس بن مالك. ثم ذكر أزواج النبي - صلى الله وعليه وسلم - اللاتي رويت عنهن حروف من القرآن : عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأضاف الهذلي، أم حبيبة ( الكامل ، الورقة 139 ) .

ويذكر أبو عبيد بعد ذلك ، طبقة التابعين الذين رووا عن هؤلاء الصحابة، وههنا أيضا لا يكتفي بذكر المقرئين منهم بل جمع بين المقرئين وغيرهم معتدًّا فقط بما ينسب إليهم من حروف القرآن أيًّا كانت الطريقة التي تلقوا بها هذه الحروف، وكيفية نقلها إلى غيرهم. وهذا الجمع وإن كان له مبرر قوى، وهو أن تحقق المحافظة على كل ماروى حتى يمكن التصحيح والاختيار ، فإنه ربما أدى الكثير من المتأخرين والمحدثين إلى التسوية في الاستدلال أو الاحتجاج في شتى العلوم بين جميع ما يروى من القراءات .

ويمكن أن نستخلص من القائمة التي ذكرها أبو عبيد ـ ومن الكتب التي ظهرت بعده ـ أسماء التابعين الذين قرأ عليهم وهم الذين سموا بأئمة الأمصار . وهم من المدينة : سعيد بن

المسيبب، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعطاء بن يسار، وزيد بن أسلم ، ومسلم بن جندب ، وزيد بن رومان، وصالح بن الخوات . ومن مكة: عبيد الله بن عمير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر، ودرباس وغيرهم.ومن الكوفة: أصحاب عبد الله ابن مسعود،وأبو عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، والشعبي، والربيع ابن خثيم وغيرهم.ومن البصرة : أبو العالية الرياحي،وأبو رجاء العطاردي، ونصر بن عاصم، ويحي بن يعمر، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة وغيرهم . ومن الشام : المغيرة بن أبى شهاب صاحب عثمان بن عفان .

والجدير بالذكر أن هذه القائمة لا تحتوى على كل التابعين الذين روى عنهم حرف من القرآن أو أكثر إلا أن أبا عبيد قد ذكر عددا من هؤلاء التابعين في كتابه بعد مقدمته عند تتبعه للحروف التي قرئت أو رويت من أول القرآن إلى آخره . وهكذا فعل أبو حاتم السجستاني في كتابه «الكبير في القراءات» إلا أنه ذكر عددا كبيرا من التابعين المعروفين وغيرهم ممن لا يعرف [١] .

**2) مقياس " من تقوم بهم الحجة" [٢]**

قال أبو عبيد بعد ذلك : " ثم قام من بعدهم بالقرآن قوم ليست لهم أسنان من ذكرنا ولا قدمتهم غير أنهم تجردوا للقراءة واشتدت بها عنايتهم ولها طلبهم حتى صاروا بذلك أئمة يأخذها الناس عنهم ... وهم خمسة عشر رجلاً من هذه الأمصار المسماة

(١) انظر الإيضاح للأندرابي . وتناقل هذا الكلام كل المؤلفين الذين جاؤوا بعد أبي عبيد وأضاف مؤلفو القرن الرابع والقرن الخامس أسماء من لم يرو له شيء ( مثل عبد الرحمن بن حاطب في كتاب «الكامل» للهذلي) أو مجاهيل ( مثل خثيم بن قيس وظبيان بن مالك في «الكامل» أيضا ، اللوحة 39ب ). ذكر الهذلى أسماء 32 تابعيا من المدينة و 10 من مكة و 61 من البصرة و 38 من الكوفة و 12من الشام وغير ذلك ( نفس المرجع ) .

(٢) يكثر من استعمال هذه العبارة علماء أواخر القرن الثالث ولا سيما الطبري وأبو جعفر النحاس.

في كل مصر منهم ثلاثة رجال " (١).

يذكر أبو عبيد بعد ذلك أسماء هؤلاء الأئمة : من المدينة : أبو جعفر وشيبة، ونافع .ومن مكة: عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس، ومحمد بن محيصن . ومن الكوفة : يحيى بن وثاب، وعاصم بن أبي النجود، والأعمش، وطلحة بن مصرف، وحمزة، وذكر أيضا الكسائي. ومن البصرة : عبد الله بن أبي إسحاق، وأبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، وعاصم الجحدري.ومن الشام: عبد الله بن أبي عامر، ويحيى بن الحارث الذمارى وثالث ذكر أنه نسى اسمه ( جمال القراء ، 429-431).

فأكثر هؤلاء هم قراء : قراء من الصحابة، وقراء من التابعين(٢) وقراء الأمصار الذين صاروا أئمة في هذا الشأن . فعبارة العلماء القدامى : " قراءة القراء " هي قراءة هؤلاء الذين ذكرهم مؤلفو كتب القراءات في نهاية القرن الثاني ومن أوائلهم أبو عبيد القاسم بن سلام (٣).

هذا وأجمع العلماء منذ القرن الثاني على أن القراءة إذا لم يقرأ بها إمام من أئمة الأمصار فلا تصح كقراءة . أي العالم المتخصص في القراءات الخبير بها بحكم تلقيه إياها مشافهة من الصحابة أو التابعين القراء. ولهذا فكل قراءة لم ترو عن

(١) ذكر أبو عبيد أكثر من 15رجلا. في الواقع فالذين ذكرهم كأيمة يبلغ عددهم 20 رجلا . ونقل ابن الجزري كلامًا أخذه من هذا النص وزاد عليه ونقص بحيث صارت تتراءى فيما نقله النظرة الخاصة بالعلماء المتأخرين في القراءات ( النشر 7-6LI وما بعدها ).

(٢) ولا ننسى أن التابعين – مثل الصحابة – طبقات. فأقدم الأئمة من أئمة الأمصار هم من التابعين فأبو جعفر أقرأ الناس قبل 63 ( سنة وقعة الحرة ) و " قرأ ( كما يقول العلماء ) على من قرأ على من قرأ على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " . وابن عامر وعاصم وابن كثير تابعون أيضا. والجدير بالملاحظة أيضا هو أن أئمة الأمصار ظهروا في عصر واحد تقريبا أي بعيد إرسال عثمان للمصاحف إلى الأمصار وإلى غاية ظهور أقدم الكتب التي عنيت بالقراءات ( قرن تقريبا ).

(٣) وهؤلاء المؤلفون هم أيضا قريبو العهد بأئمة الأمصار بل قد تتلمذ عليهم بعضهم مثل أبي عبيد ومحمد ابن سعدان ولأنهما عاصرا المتأخرين منهم كالكسائي ويعقوب وغيرهما.

إمام [1] فلا أساس لها من الصحة كقراءة لأنه حتى ولو كانت صحيحة فليس ذلك مقطوعا به. وإلى ذلك يشير الزجاج في كتابه "معاني القرآن": " ولا تقرأن بها أن تثبت رواية صحيحة عن إمام في القراءة وقد روى أن إنسانا قرأ بها من المتقدمين ولكنه ليس ممن أخذت منه القراءة ولا له حرف يقرأ به " ( 97/5) . ويقول أيضا: " وكل ما جاز في العربية ولم يقرأ به قارئ فلا تقرأن به" ( 288/3). وقال أيضا: "وذكر أبو عبيد أنها تجوز في العربية " ( المعاني245/1 ). وعلى هذا فكل ما سمع من فصحاء العرب في ذلك الزمان ولم يقرأ به فيمكن أن يكون جائزا في العربية لكنه غير جائز في القراءة.وأكثر الفراء من ذكر القراءات التي تجوز في العربية ولم يقرأ بها أحد. من ذلك قوله : " وقال لي هذا الشيخ : لو حفظت الأثر فيه لقرأت به" ( معاني القرآن 33/3 ).

وهذا شبيه بما يروى عن أبي عمرو بن العلاء بهذا الصدد : لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا " ( كتاب السبعة ، 38 ). ويقول الأخفش نصبت العدّة على" فَلْيَصُمْ عِدة ( البقرة، 184) إلا أنه لم يقرأ " ( 158/1) .

**3 ) مميزات أيمة الأمصار : أهمها أن نقلهم هو نقل بطريق العرض والسماع**

هذا ويمكن أن نتساءل عن أبي عبيد هل ذكر في مقدمة كتابه كل الأئمة [2] المعتمدين؟ فالإجابة عن ذلك تنحصر في قائمة الذين ذكرهم مؤلفو الكتب التي عنيت بالقراءات قبل القرن

(١) رويت، مثلا عن أعرابي فصيح أو عن شاعر أو أمير أو والٍ أو فقيه وغير ذلك ممن رويت بالفعل قراءات عنهم ولم يكونوا من القراء وبالأحرى من أئمة الأمصار.

(٢) تلقيبهم بالأئمة قديم جدا. فقد ورد في كتاب " مجاز القرآن " لأبى عبيدة (170,13/1) وهو من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء إمام من أئمة الأمصار وهناك دلائل على أن كتابه هذا ظهر في زمان ظهور كتاب سيبويه أو قبله بقليل ( منها عدم استعماله لكلمة " النحو " كعلم مثلا ) ( انظر بحثنا الذي ألقيناه في مؤتمر مجمع القاهرة في سنة 1996( "أقائم الزيدان "؟ ) .

الرابع [١] ممن كان ينتمي إلى القراء الذين " بهم تقوم الحجة " على حد تعبيرهم . فقد ذكر أبو عبيد في كتابه عددا كبيرا جدا من الروايات بإسنادها مرفوعة إلى الصحابة والتابعين وإلى أولئك الأئمة الذين ذكرهم في مقدمته أنفسهم [٢] . فهذه روايات رويت مثل الحديث ويجب أن لا نخلط بين ما روى بهذه الطرق مثل الحديث وبين ما وصل إلى الناس بطريق الإقراء كما سنراه قريبا . والتمييز بين هذه الطرق يسير بالنسبة إلى كتب القراءات التي ألفت قبل القرن الرابع . فكثيرا ما يشير مؤلفو هذه الكتب إلى القراءات المنقولة بطريق السماع والعرض باستعمالهم لمصطلح : «أهل مكة» أو «أهل المدينة» أو «البصرة» أو «الكوفة» أو «الشام» ويذكرون على الفور من خالف قراءة غيره من نفس البلد أو بلد آخر .

فهؤلاء الذين تأتي أسماؤهم في هذا السياق هم عندهم أئمة الأمصار وما روى عنهم أكثر أصحابهم تم بطريق الإقراء . وهذا لا يمنع من أن تذكر أسماء التابعين والصحابة الذين رويت قراءتهم مع قراءات الأئمة ( وقد تروى روايات بهذه الطريق عن الأئمة أنفسهم كما قلنا ) .

وبذلك أيضا نعرف أن الحسن البصري معدود في " أئمة الأمصار " ـ أئمة البصرة خاصة وإن لم يذكره أبو عبيد في قائمة مقدمته . قال النحاس في " إعراب القرآن " : هذه قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة إلا الحسن فإنه قرأ هو والكوفيون : ( " نَزَّلَ بِهِ الرُوحَ الأمينَ " الشعراء 193 ) ( 191/3) . وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى عبد الرحمن بن هرمز الأعرج. قال النحاس: " قرأ أبو عمرو وعبد الله بن أبي إسحاق وعبد الرحمن

(١)أي قبل المنعرج التاريخي الذي يتمثل في ظهور كتاب السبعة كما سنراه فيما يلي .

(٢) ونعرف ذلك بفضل النقول الكثيرة التي نجدها في الكتب التي وصلت إلينا ( خاصة في كتابي النحاس وكتب ابن جني ) .

الأعرج وهو أحد أستاذي نافع:( " يَوْمُ لا تملك ". الانفطار 19 ) بالرفع " ( 170/5) . إلا أن الأعرج هذا لم يذكره أبو عبيد في قائمة الأئمة بل ذكره ضمن التابعين القراء من المدينة.

وأصح قول في صفة الإمامة هو ما أشار إليه أبو عبيد ومن جاء بعده ( إلى غاية الطبري ) من أنهم: "صاروا بذلك (أي بالعمل العلمي الذي قاموا به) يأخذها الناس عنهم ويقتدون بهم فيها " جمال القراء ، 428). أي يأخذ هذا الكثير من العلماء عنهم جيلا بعد جيل . فكثرة من أخذ عنهم سماعا وتلاوة من العلماء المعروفين لا الرواة المجهولين هي في الحقيقة الميزة الأساسية للإمامة في القراءة . فهذا هو الذي يسميه الطبري " بنقل وراثة " (١) وأخذ منه ابن خالويه هذه العبارة العميقة الدلالة فقد قال في كتاب القراءات : " ففي ذلك ما ورد علينا من القراءة على لفظتين فصاعدا غير مخالف للمصحف والإعراب وتوارثته الأئمة غير متضاد في المعني " (25/1).

وهذا يذكرنا بما يقول الأندرابي صاحب " الإيضاح في القراءات العشرة " : " ومنهم ( أصحاب ابن كثير ) من قرأ عليه ومنهم من سأله عن الحروف ومنهم من سمعه يقرأ بالناس في رمضان" ( " قراءات القراء المعروفين"، 71 ) . فالنقل بالطريقة الأولى حجة (مع شروط أخرى) . وقد رويت المئات من القراءات بالطرق الأخرى عن الصحابة والتابعين والأئمة أنفسهم بل وعن النبي – صلى الله عليه وسلم – (٢) والكتب التي عنيت بالقراءات قبل القرن الرابع

(١) " لأنها القراءة المنقولة نقل وراثة " ( تفسيره 216/4-217) والقرآن متلقى ، " بالرواية والوراثة عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا بما هو مكتوب في الصحف " (554/6) انظر أيضا : 147/7 .

(٢) وقد جمع أبو عمر الدوري هذه الروايات عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في كتاب ( نشر في المملكة السعودية منذ عهد قريب )

مفعمة بهذه الروايات زيادة على قراءات الأئمة وقد تروى القراءة التي قرأها أكثر من إمام بطريق غير طريق الإقراء مع وجودها فيما نقله العلماء بالإقراء . وقد يذكر العلماء الظرف الذي قرئت فيه القراءة وذلك مثل ما حكى الفراء عن أبي إسحاق ( السبيعي ) أنه قال:"كنت أصلي خلف أصحاب علي وأصحاب عبد الله فأسمعهم يقرؤون... " (119/3). وعن أبي قتادة عن أبيه قال:" سمعت الحسن ابن علي بن أبي طالب على المنبر يقول : " ذق أنك " ( الدخان ، 49 ) بفتح الألف" ( 43/3 ). وكما حكى ابن أبي داود في كتاب المصاحف: " ... عن الأسود وعلقمة أنهما صليا خلف عمر فقرأ بهذا " (وغير الضالين) " (51) . وكثيرا ما تذكر هذه الروايات إذا خالفت القراءة المنقولة بالإقراء ولا سيما إذا اجتمع عليها الأئمة وذلك ليبينوا شذوذها ويحاولون دائما أن يبينوا مع ذلك ضعف الرواية بتضعيف الإسناد [١] . وقد يلجؤون إلى هذه الروايات إذا صح سندها لاختيار قراءة فتكون حينئذٍ عندهم حجة[٢] .

وعلى هذا فإن الذي نقل من القراءات إنما نقل بقناتين اثنتين :

(1) قناة النقل بالعرض والسماع بالاعتماد على من قام بذلك من الأئمة[٣] .

(2) قناة النقل بالرواية المحضة وهو ما يسميه الداني"بالقراءات المنقولة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نقل الأحاديث التي لا يجوز إثبات قرآن بها"("جامع البيان، اللوحة9 ")[٤].

(١) انظر مثلا " إعراب القرآن للنحاس : " لا يوجد بإسناد صحيح " ( 199/3 ) وقال : " وفي إسنادها نظر " (161/4 ) و" إسناده ضعيف لأنه لا يعرف إلا من حديث السدى " 247/4 .

(٢) قال الفرّاء :" والرفع أحب إليّ لأنها قراءة على وابن مسعود وعبد الله بن عباس". المعاني، 384/2. وقال أبو عبيد :" لكثرة من قرأ بها وأنها قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – " 126/2).

(٣) وهو بنفسه أخذ عرضا وسماعا من الصحابة ( مثل أبي جعفر وابن عامر ) أو من التابعين الذين ذكروهم وأخذ هؤلاء من الصحابة والصحابة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما هو معروف.

(٤) وتحتوي سنن الترمذي وابن أبي داود وغيرهما على عدد من القراءات المروية بهذه الطريقة.

وعلى هذا الأساس فلا يمكن عند أولئك العلماء الاعتداد بالعدد الكبير من الروايات لنفس القراءة إذا كانت رواية محضة فقط أي إذا لم يقرأ بها الأئمة ولم تنقل بالإقراء . وهذا بقطع النظر عن الضعف الذي يمكن أن يتصف به سندها[١] . فقد يذكر العلماء للقراءة أكثر من 12 رجلا كمصدر لها ( وقد يكون منهم من الصحابة والتابعين وحتى الأئمة[٢] ) وهي غير مقبولة عندهم لأنها لم تنقل بالإقراء . ويدخل في هذا الجنس جميع ما روى مما يخالف المصحف إذ لم يقرأ به أحد من أئمة الأمصار ( وما نقل عنهم من ذلك فبالرواية فقط لا بالإقراء ). أما ما خالف العربية فهو جنس آخر غير هذا وسنتناوله فيما بعد .

والخلاصة يمكن أن نقول بأن كل ما روى عن الصحابة وغيرهم برواية مجردة كمثل ما سمع من الصحابي وهو يصلى أو يخطب فلن يصير ذلك عند العلماء المتقدمين مصدرا للقراءة الصحيحة إلا إذا وافقت إحدى القراءات الواردة بطريق الإقراء أي بالسماع والعرض وتكون عندئذ تأكيداً لتلك القراءة وحجة لاختيارها من بين القراءات الصحيحة الأخرى الواردة هي أيضا بالطريقة نفسها [٣] .

**4) المقياس الأخطر في إطار قراءة القراء : وهو مقياس قراءة العامة أو قراءة الجماعة أو الناس**

إن مقياس قراءة العامة أو القراءة المجتمع عليها هو أهم مقياس لجأ إليه العلماء المتقدمون لتصحيح القراءة بعد المقياس السابق الذي هو نسبة القراءة إلى أئمة الأمصار ( المقرئين ).

---

(١) أما إذا صح فقد تكون حجة لا لإثباتها دائما ( لأنها قد تخالف المصحف ) بل لترجيح الاختيار لقراءة قرأ بها الأئمة القراءة :". قال الفرّاء:" وهي قراءة عبد الله فهذا حجة لمن قرأ ( لَخُسِفَ ) " ( 313/2).

(٢) انظر المحتسب لابن جني مثلا ( 318/1و 366 : أربعة عشر قارئا روى عنهم نفس القراءة )

(٣) والدليل على ذلك كثرة ما روى عن الأئمة بأنهم كان يتم اختيارهم للقراءة التي يؤيدها ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أو جماعة من الصحابة الذين قرؤوا عليه القرآن.

ويمكن أن نقول على الأرجح أنهما في نفس المستوى من الخطورة عند القدامى؛ لأن القراءة إذا نقلت عن إمام واحد أو أكثر من واحد ولم تكن معروفة ولم تشتهر ( نقلها رجل واحد من أصحاب الإمام مثلا ) فإن العلماء المتقدمين لا يرتاحون لها ويختارون حينئذ قراءة أكثر القراء وما يسمونه بقراءة العامة أو قراءة الناس أو الجماعة (*) أو ما انعقد عليها إجماع القراء.وهي بالضرورة القراءة الفاشية. ففشوّ القراءة بهذا المعنى ( أي بالنسبة إلى مجموع القراء المعروفين وهم أئمة الأمصار فقط المتجاوزين عدد السبعة فلا تخص مصرا واحدا ) هو أصل الأصول في هذا الميدان قبل القرن الرابع . وهاهي ذي بعض ما جاء في كتبهم بهذا الصدد:قال الأخفش (سعيد بن مسعدة) في "معاني القرآن":

" وهي قراءة العامة وبها نقرأ لأن الكتاب عليها " (71) .

"والرفع قراءة العامة وبه نقرأ " (183).

" وإنّما نقرأ " لا يُطْعَمُ " لاجتماع الناس عليها ( 270) ( الناس هم العامة أي كل الذين ذكرهم أبو عبيد أو أكثرهم ) ونقرؤها " طائف " لأن عامة القراء عليها" ( 316).

" وهذا أجود في العربية وأكثر في القراءة وبه نقرأ" ( 346).

" فهو يجوز فيه الرفع وهي اللغة الكثيرة غير أن الجماعة اجتمعوا على النصب وربما اجتمعوا على الشيء كذلك مما يجوز والأصل غيره" (79).

وأخذ الأخفش هذه الملاحظة الأخيرة – وهي خطيرة جدا – من كلام شيخه سيبويه:" فأما قوله عز وجل" : " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ " ( القمر، 49 ) ... هو عربي كثير. وقد قرأ بعضهم :" وأمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُم" ( فصلت، 17) إلا أن القراءة لا تخالف لأن القراءة سنة" ( 74/1 ). وأخذ خاصة من هذا الكلام الآخر:" وقد قرأ

(*) وتكثر عند المتأخرين لفظة " الجمهور "عوض الجماعة أو العامة . وقد وردت بقلة في " معاني الزجاج ( 136/1).

ناس [1] : والسارقَ والسارقةَ ( المائدة 38 )... وهو في العربية على ما ذكرت من القوة . ولكن أبت العامة [2] إلا القراءة بالرفع" ( 72/1 ).

ففي أقدم الأزمنة، كما رأيناه، أي في زمان أئمة الأمصار أنفسهم، يعتبر أولئك الأئمة والعلماء أن القراءة التي لا تخالف هي قراءة أكثر القراء فقراءة عيسى بن عمر منفردة بهذا الاعتبار وإن كانت العربية تجيز ما قرأ به وهو أفشى لغات العرب[3] إلا أن الواجب هو اتباع القراءة الفاشية عند الأئمة لا التي توافق أفشى اللغات ( هذا عند سيبويه ومن تبعه ).

أما الفراء فلا تخلو صفحة من كتابه في " معاني القرآن "، أو يكاد، من عبارة"العامة" وما يرادفها: فإنه وإن كان يصوّب الكثير مما قرأ به قارئ واحد أو اثنان ما دامت العربية تجيز ذلك إلا أنه يختار دائما ما اجتمع عليه القراء:

-"وقراءة العامة بالياء وقد قرأ الحسن فيما ذكر لي ... " ( 36/2 ).

-"عامة القراء مجمعون على أن قطران حرف واحد" ( 79/2 ).

-"أكثر القراء على كسر الشين" وقد قرأ بعضهم" ( 97 ).

-"وأكثر القراء على ( يدافع ) وبه أقرأ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ... وكل صواب" ( 227 ).

-"أكثر القراء على نصب الهدى والرحمة على القطع" ( 326 ).

- "اجتمع القراء على تخفيف النون من ( ذانك ) ... " ( 307 ).

---

(١) منهم خاصة عيسى بن عمر الثقفي وهو قارئ من شيوخ سيبويه.

(٢) يفسر الزجاج هذه العبارة ( الطاعنة في القدم كما نراه ): " يعني بالعامة الجماعة " ( معاني القرآن، 172/2 ).

(٣) ففشوّ القراءة عند أئمة الأمصار ( لا عند غيرهم ابتداء ) ، هو كما نرى ، أهم مقياس عند المتقدمين من مؤلفي كتب القراءات وخاصة النحاة . وهذا يسكت عنه الكثير من المتأخرين ( مثل الداني ) .

- "الحيّ القيوم " قراءة العامة " وقرأها عمر بن الخطاب وابن مسعود " القيام" (190/1 ).

-"والاجتماع من قراءة القراء أحب إليّ ( 143/3).

ويكثر الفراء أيضا من استعمال عبارة " العوام " بمعنى جماعات القراء : " قراءة العوام : أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة .."(288/3) ( انظر أيضا 107/2 و 207/2 و 254 - 294 - 410 و 36 - 87 - 25/3 - 26 - و 225 -227 -288 وغير ذلك). كما يستعمل أيضا عبارة:" قرأها الناس"وهو يريد أكثر القراء ( وغير ذلك ). (105-71/3,339/1).

ويجب أن ننتبه إلى شيء مهم: لا يريد الفراء وجميع مؤلفي كتب القراءات المتقدمين من عبارات:العامة والناس والجماعة إلا ما يعنون من عبارة أكثر القراء ( من الأئمة فقط ) لا كل القراء ( إلا قليلا ) وحتى عند قوله: " اجتمع القراء " لأنه يذكر غالبا في هذا السياق القراءة المخالفة لها وينسبها إلى شخص واحد أو اثنين[١] ولا يهتم أن يكون أحد السبعة ( إذ كتاب الفراء ظهر إلى الوجود في نهاية القرن الثاني أي قبل كتاب القراءات لأبي عبيد ) . قال الفراء : " قرأها يحيي بن وثاب بالياء وقرأها الناس بعدُ بالتاء (لا تخفى) وكل صواب" (181/3) . و" قرأ العوام " أثارة " ( الأحقاف ,4 وقرأها بعضهم ــ قرأ أبو عبد الرحمن السلمي فيما أعلم ــ " أثرة " (50/3) و"... عن يحيي .. أنه قرأ " سُلُفا " ( الزخرف ، 56)... والعوام بعد يقرؤون " سَلَفًا " [٢] . ولا يريد الفراء في كل هذه الأمثلة تضعيف القراءة التي تخالف العوام بل قد يصوبها إذا كانت لغة معروفة . أما

(١) وقد يستثنى أهل مصرٍ من الأمصار بأكملهم :" قرأ الناس بكسر السين وأهل الحجاز يرفعونها وهما لغتان " 141/3 ).

(٢) ففي كل صفحة تقريبا يسير الفراء على هذا النهج, انظر : " الأعمش ... الناس " (113/3) " العوام ... يحيي " (53/3-141-181-280..) ، " العوام ... الحسن " (176/3-265) وغير ذلك كثير .

في غير هذه الحالة وخاصة إذا لم يجد لها وجهًا في العربية فإنه لا يجد أي حرج في تضعيفها مثل كل العلماء المتقدمين سواء أكانوا من النحاة أم من الفقهاء أم المفسرين أم غيرهم .

ويستعمل قطرب في كتابه " معاني القرآن" هذه العبارات أيضا : " قراءة الناس " كلهم " جُدَد " وقراءة الزهري : جُدَد ( نقله ابن جني في " المحتسب " ، ( 200/2 ).

ويأتي بعدهم أبو عبيد ، وأبو حاتم، ومحمد بن سعدان، والقاضي إسماعيل، وأبو جعفر الطبري، والزجاج والنحاس، فيجمع كل هؤلاء على أنَّ ما عليه أكثر القراء ( من الأمصار المعروفين ) هو أصح ما قرئ به وأفضل .

أما أبو عبيد وأبو حاتم فما نقل عنهما ( وهو كثير جدا ) فإنه يدل على أنهما حذيا حذو من سبقهما في الاعتماد على مقياس اجتماع القراء وتضعيف ما خالف قراءتهم إذا خالف العربية وقد بالغا أحيانا في رد بعض القراءات كما سنراه .

أما الزجاج وتلميذه أبو جعفر النحاس فقد حررا فيما كتباه عن القراءات الأصول التي اعتمد عليها المتقدمون كما فهموها لا كما فهمها المتأخرون وذلك بكيفية حاسمة .

يقول الزجاج : " لأن القراءة سنة فالأولى الاتباع وأولى الاتباع الأكثر " ( معاني القرآن ، 321/2). "والأجود اتباع القراء ولزوم الرواية فإن القراءة سنة وكلما كثرت الرواية في الحرف وكثرت به القراءة فهو المتبع ...وكل ما قلت فيه الرواية وضعف عند أهل العربية فهو داخل في الشذوذ ولا ينبغي أن يقرأ به " (288/3). فهذا هو معنى الشاذ عند جميع العلماء المتقدمين .

" ولا يقرأ القرآن إلا كما قرأت القراء المجمع عليهم في الأخذ عنهم "

(151/1). " والذي ينبغي أن يقرأ ما عليه المصحف وهو" القيوم " بالواو .. لأن المصحف مجمع عليه ولا يعارض الاجتماع برواية لا يعلم كيف صحتها" (*) (374/5) .

"وبعد فالذين قرؤوا بالرفع هم قراء الأمصار وهم الأكثر والحسن قد قرأ ... " (67/3-68) . " وهذه القراءة ليست بشيء لأنها خلاف ما عليه أهل الأمصار من أهل القراءات" (165/3) .

"وليس يعارض الإجماع وما أتى كتاب الله – تعالى – ووجد في جميع ديوان العرب بقول قائل " أنشدني بعضهم " (394/1).

"ولا ينبغي أن يقرأ بما يجوز إلا أن تثبت به قراءة صحيحة ويقرأ به كثير من القراء " (51/1).

ويقول النحاس في " إعراب القرآن " : "فقراءة الجماعة الذين بهم تقوم الحجة حتى مطلَع " ( القدر، 5 ) (270/5) .

" وهي القراءة التي قامت الحجة بها من جهة الإجماع"(244/5) .

" هذه القراءة التي عليها جماعة الحجة وما يروى من غيرها يقع فيه الاضطراب وكذا أكثر القراءات الخارجة وإن وقعت في الأسانيد الصحاح " ... (14/5).

" وهذا أيضا يُكره أن تعارض به قراءة الجماعة بما لم يقرأ به وبحديث إن صح لم تكن فيه حجة " (63/5). " لأن كتاب الله لا يحمل على المقاييس وإنما يحمل على ما تؤدّيه الجماعة " (365/4) .

"هذه القراءة شاذة والعامة على خلافها وقل ما يخرج شيء عن قراءة العامة إلا كان فيه مطعن " (348/2) .

" والديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة " (231/5).

أما أبو جعفر الطبرى صاحب التفسير فهو أشد العلماء تمسكا بقراءة

(*) أشار إلى ذلك القاضي إسماعيل بن إسحاق وهو زميل الزجاج وذكر ذلك مكي في الإبانة، ص 20-21.

العامة إلا أنه تجاوز هذا الأصل حيث رفض ، كما سنراه ، قراءة الواحد ، أو أكثر، الموافقة للعربية والمصحف.

يقول الطبرى :

" لإجماع الحجّة من القراء على قراءة ذلك كذلك ... وما انفرد به من كان جائزا عليه السهو والخطأ " (129/2).

"والصواب...ما عليه قراء الأمصار... لإجماع الحجة من القراء على صحة ذلك وما اجتمعت عليه حجة وما انفرد به المنفرد عنها فرأي ولا يعترض بالرأي على الحجة " (283/3).

" إنما هو خبر رواه حجاج عن هارون لا يجوز أن [ يكون ] ذلك في قراءة عبد الله كذلك ... لا يجوز تركه لتأويل قراءة أضيفت إلى بعض الصحابة بنقل من يجوز في نقله الخطأ والسهو " (329/3).

أما من حيث ما يوجبه العلم والبحث العلمي فمقياس الأكثرية في إطار معين هو أوفق مقياس وأنسبه بالموضوعية . وهذا قد كان يشعر بأهميته علماء المسلمين أكثر من غيرهم في أي حضارة كانت قديما وحديثا . قال القرطبي : " وقد زعم من طعن على القرآن فقال: " أخالف المصحف كما خالف أبو بكر الصديق فقرأ : " وجاء سكرة الحق بالموت " " وجاءت سكرة الموت بالحق . ق ، 19 ". فاحتج عليه بأنّ أبا بكر رويت عنه روايتان : إحداهما موافقة للمصحف فعليها العمل والأخرى مرفوضة تجرى مجرى النسيان منه إن كان قالها أو الغلط من بعض من نقل الحديث " (12/17).

فأما ما اختلف فيه القراء وكثر من قرأ بقراءة على مثل من قرأ بقراءة أخرى فقد إعتبره أكثر المتقدمين أنه صحيح خصوصا إذا كانتا لغتين معروفتين. قال أبو جعفر الطبري: "واختلف القراء في قراءة الحج فقرأ ذلك جماعة من قراء أهل

المدينة والعراق بالكسر ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ وقرأ جماعة أخرى منهم [بالفتح] ... وهما لغتان معروفتان للعرب ... " (18/4). ويصفهما بأنهما: "مستفيضتان " في قراءة أهل الإسلام ... وقد جاءتا مجيء الحجة"(19/4).[١] فهذا " المستفيض " أي الفاشي هو مثل المجمع عليه في الصحة.ولا سيما إذا اجتمع أهل بلدين أو أكثر أو قراء مشهورون . وسنرى فيما يلي ما قاله النحاس عن القراءة التي يجتمع عليها أهل الحرمين ومعهم عاصم (384/2)[٢]. وقال في مكان آخر : "فالقراءتان صحيحتان قد رواهما الجماعة (163/5) وقال : " فالقراءتان جميعا نقلهما الجماعة عن الجماعة " (239/5) . فالعبرة عند النحاس هي بكثرة من قرأها من كبار القراء مع كثرة من نقلها عنهم [٣] . وللطبري نفس التصور إذ قد يصف بالاستفاضة أيضا النقل للقراءة ( تفسيره ، 478,78/1) [٤]

ولابد أيضا من الإشارة هنا إلى أصل هام لجأ إليه أيضا أكثر المتقدمين ولا سيما الطبري والنحاس وإن لم يخص لفظ القراءة وهو : ألا تناقض القراءة المعنى الذي تقتضيه قراءة العامة وإجماع المفسرين .

**5-الرد على من تجاوز الأصول ولا سيما مقياس قراءة العامة وأساء تطبيقه**

إن أول من رد على تجاوز الحد في تطبيقه لمقياس قراءة العامة وغيره من الأصول التابعة له هو الزجاج ثم تلميذه النحاس كما أشرنا

(١) والفراء هو من أقدم من استعمل هذه الصفة ( المعاني 48/2) .

(٢) والنحاس هو من أوائل من صرح بأنه " إذا جاء الشيء على هذا الاجتماع حظر في الديانة أن يقال إحداهما أولى من الأخرى290/5).

(٣) بخلاف الجمع عليه فالإجماع ، عند النحاس ، لا يزال يدل عنده ـ وهو آخر المتقدمين ـ على إجماع أئمة الأمصار مع من سبقهم ليس إلا ( وكذلك الطبري ) .

(٤) أما ما أُجمع عليه فيصفه أيضا ، زيادة على ذلك ، بالنقل المستفيض (478,78/1 وغيرهما ) وكل هذا سيمهد الطريق لاستبدال " كثرة القراء " بـ " كثرة الرواة عنهم " وقيام مقياس التواتر مقام إجماع القراء.

إلى ذلك . يقول الزجاج :

" رأيت مذهب المازني وغيره رد هذه القراءة ( أتحاجونا.البقرة، 139) وكذلك ردوا ( فبم تبشرون. الحجر، 54). قال أبو إسحاق": والإقدام على رد هذه القراءة غلط لأن نافعا -رحمه الله- قرأ بها وأخبر إسماعيل بن إسحاق القاضي أن نافعا - رحمه الله -لم يقرأ بحرف إلا وأقل ما قرأ به اثنان من قراء المدينة وله وجه في العربية فلا ينبغي أن يرد (4746/5) (*)

وقال النحاس بدوره :

"وفي هذا طعن على جماعة من القراء تقوم بقراءتهم الحجة: منهم الحسن وشريح، وأبو جعفر، والأعرج، وشيبة ونافع ، وأبو عمرو ، وابن كثير والعاصمان. والقول في هذا أنهما قراءتان مستفيضتان قد قرأ بهما الجماعة" (296/4).

" وردّ [ أبو عبيد ] قراءة أهل الحرمين وعاصم وحمزة لأنهما على فَعَل / يَفْعَل وكذا أنكر قَنَط / يقْنِط ولو كان الأمر كما قال لكانت القراءتان لحنا وهذا شيء لا يعلم أنه يوجد أن يجتمع أهل الحرمين على شيء ثم يكون لحنًا ولاسيما ومعهم عاصم مع جلالته ومحله وعلمه وموضعه من اللغة ...." (384/2).

ونضيف إلى ذلك بعض ما تجاوز فيه الطبري لما رسمه المتقدمون من أنه إذا اختلف القراء (المعروفون المشهورون) اختلافا واسعا فينظر في

(*) وظلم المازني نافعا ظلما فادحا عندما لحنه في القراءة التي انفرد بالرواية عنه خارجة بن مصعب ( " معائش " بالهمزة . الأعراف ، 9 ) . فهذه رواية شاذة بالنسبة إلى من روى عن نافع وقد رويت عن الأعرج ( مختصر ابن خالويه، 42 وإعراب القرآن للنحاس 115/2 ). فهي تخالف جميع ما قرأ به الأئمة وما روى عن غيرهم. وقد نسب أبو حيان هذه القراءة أيضا إلى ابن عامر وهو ينسب الكثير من الشواذ إلى الأئمة وغيرهم ويكتفي فى ذلك بذكر الكتب ( كمرجع ) التي صدرت في القرن الخامس خاصة ( منها اللوامح لأبي الفضل الرازي والإقناع للأهوازي ). والقول بـ " أنها قد رويت " غير كاف لإثبات القراءة لأن العبرة بكثرة من نقل القراءة بالإقراء عن الإمام من أصحابه أنفسهم لا بالرواية خارج هؤلاء الأصحاب ومن أصحابه الذين اشتهروا بالنقل عنه ليس إلاّ.

كل قراءة من حيث موافقتها للمصحف والعربية . وهكذا كان يفعل المتقدمون فإنهم يجيزون دائما القراءة ولو قرأ بها إمام واحد إذا جاءت على لغة من لغات العرب الفصيحة [١] ( وسنرى أن هذا سيختلف فيه المتأخرون عن المتقدمين اختلافا جوهريا) أما الطبري فقد رفض الكثير من القراءات لقلة القراء بها فقط أو ما يبدو له أنه كذلك وقد يغلط في ذلك ويبالغ في رفضه للقراءة [٢] هذا وقد يجيز القراءتين المستفيضتين على حد تعبيره وليس ذلك عنده بمطرد .

هذا يخص مبالغات وتسعف بعض النحاة أما القول الشائع في زماننا هذا [٣] بأنهم أرادوا أن يخضعوا القراءات ( والاستعمال اللغوي عامة ) للقياس أو لما قعدوه من القواعد فهو مجازفة خطيرة أما القياس فجمهور النحاة يقدمون الاستعمال عليه ما لم تكن لغة غريبة ولم يروها إلا واحد أو لغة شاذة قليلة جدا في الاستعمال ( لأكثر العرب). فالخروج عن القياس لا يطعن فيه النحوي إلا إذا كان قليلا جدا في الاستعمال أو روى برواية ضعيفة فالاستعمال هو الأصل وهو

---

(١) وقد رأينا الفراء يصوّب الكثير مما قرأ به واحد إذا كان على لغة من لغات العرب بل ويتحرج أحيانا فيعترف أنه قد تكون لغة لم تبلغه ( 331/2 389) انظر أيضا 338/2 و 419-420 و 419-420 وغير ذلك) وهكذا فعل الأخفش. يقول عن بعض القراءات :" كل من لغات العرب" ( 184/1) والأزهري (وإن كان من القرن الرابع) يمثل جيدا هذه النزعة . يقول في كتابه في القراءات: " فبأي لغة قرأت فقد أصبت إذا قرأ به قارئ بالسنة " ( 34/1). والنحاس هو من أقدم من رجع عن ذلك وصرّح بأن القرآن إنما يأتي بأفصح اللغات " إعراب القرآن " ( 455/2) . وأجمع العلماء على ذلك بعده ( انظر مثلا المحتسب ، 296/1 و 84) وعذر النحاس هو خوفه من أن توجه القراءة بتوجيه بعيد والاحتجاج في القرآن بالشعر الذي له لغته الخاصة ( انظر " إعرابه " 263/3 والخاصة ص 51).

(٢) وقد يتعسف أحيانا فيحكم ( تفسيره ،573/1) بدون تحقيق على أن قراءة مثل ( أم يقولون . البقرة 140 ) بالياء أنها شاذة ! وقد قرأ بها ابن كثير ونافع وعاصم عن أبي بكر وأبى عمرو (السبعة لابن مجاهد، 171) فهذا بلا شك من عدم التحقيق .

(٣) وقد سبق إلى بعض المتأخرين مثل ابن الجزري في كتاب" منجد المقرئين" (64) وابن المنير ( ممن شرح كشاف الزمخشري ) وغيرهما .

الأول ينطلقون منه وينتهون إليه . ومع ذلك فقد جمعوا اللغات الغريبة والقليلة لتعرف. وقد شذ المبرد شذوذا كبيرا عن ذلك في ردّه المتعسف لبعض اللغات الفصيحة بدعوى أنها لم يثبت سماعها . فهو لا يمثل أبدا الجماعة من النحاة المتقدمين . وقد ردّ عليه كل من جاء بعده من البصريين وخاصة أبا على الفارسي وابن ولاد وابن جني .

أما فيما يخص القواعد التي استنبطوها فأكثرها تقدم المسموع على القياس إذا خالفه وكان هو الشائع في الاستعمال . وأما نقصان استقرائهم لكلام العرب فكيف يمكن أن يستدل على ذلك بما حكاه واحد من العلماء من لغات غريبة وسكت عنه العشرات من العلماء الآخرين وكيف نرتاح لهذا القول ولم يقم أحد في زماننا بمسح كامل لما وصل إلينا من النصوص التي نقلت (*)عن فصحاء العرب بل وكيف نستدل على ذلك وقد أغلق باب السماع منذ نهاية القرن الرابع بذهاب الناطقين السلقيين ؟

**الخلاصة :**

يمكن أن نستخلص من كل ما سبق ما يلي في نظرة مؤلفي كتب القراءات أو علوم القرآن قبل القرن الرابع :

1) القراءة هي نقل محض فلا يقرأ بشيء إلا إذا قرأ به إمام من أئمة الأمصار ولا يصح عن أمام واحد إلا بشروط سنراها فيما يلي .

2) هذا النقل حصل بطريقين : طريق الرواية المحضة مثل الأحاديث وطريق السماع والعرض.

أما الأول - فيحتاج إلى سند صحيح ولا يحتج به إلا إذا قرأ به إمام معروف أو أئمة وقد يحتج به في أحوال معينة في الاختيار

(*) وهذا المسح أو الحصر ( بالحاسوب بالاشتراك بين الباحثين العرب ) هو أحد أغراض مشروع الذخيرة اللغوية العربية الذي اقترحناه على المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ أكثر من ١٠سنوات . وتفضل مشكوراً اتحاد المجامع العربية في 1998 فرحب به وأصدر في ذلك قرارا .

أما إذا خالف المصحف أو العربية فلا يصح .

وأما الثاني - فهو إما مجتمع عليه أو مختلف فيه. ويأتي تفصيل ذلك بعد هذا .

3) القراءة المجتمع عليها ( أكثر القراء المعروفين من أئمة الأمصار والصحابة والتابعين ) هي أصل يرجع إليه؛ أي حجة في ذاتها فلا تحتاج إلى أي وسيلة عقلية أو نقلية لتصحيحها؛ وذلك بحكم اجتماع من تقوم بهم الحجة على القراءة بها . فلا تحتاج إلى موافقة المصحف إذ يستحيل اجتماع القراء على ذلك ولا إلى "فشو لغة" إذ قد تكون على لغة كثيرة ولكنها دون الأكثر في كلام العرب ( السارق والسارقة بالرفع مثلا) . ولا دخل للقياس [١] فيها وفي غيرها؛ لأن السماع أولى وقد يبطل القياس .فهي إذن أصل يحتج به ولا يحتج له .

4)المختلف فيه إما أن يكون الاختلاف فيه بين جماعتين ( أو ثلاث نادرا) فالقراءتان المختلفتان تعدان غالبا مستفيضتين فتعد كل واحدة منهما قريبة من القراءات المجتمع عليها.وقد تختار بين هاتين القراءتين التي توافق الأفصح من كلام العرب[٢] وعند الكثير التي توافق رويت- بدون إقراء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أو الكثير من الصحابة.

5) المختلف فيه محك صحته هو موافقة المصحف والعربية ليس إلا

(١) ظلم المتأخرون من النحاة المتقدمين في هذا ظلما كبيرًا ، إذ لم يعتمد أحد منهم، كما سبق أن قلناه ، على القياس وحده للطعن على قراءة بل على عدم وجود لغة توجه بها هذه القراءة (التي تجيء غالبا عن أمام واحد ) فهذا سماع وليس قياسا وقد يذكرون الموافقة للقياس بعد ذكرهم السماع فيكون ذلك أجود عندهم فقط .

(٢) هذا في حالة الاختيار أما في حالة توثيق القراءة فلا . فقد رأينا سيبويه والأخفش والفراء وغيرهم يعترفون بأن العامة أبت إلا القراءة بما هو كثير ولكنه ليس هو الأكثر في كلام العرب .

وخاصة القراءة التي ينفرد بها قارئ واحد . ولا يراعي المتقدمون في ذلك الإمام في حد ذاته أبدا ولذلك رفضت قراءات من السبعة ومن غيرهم .

6) يتشدد المتقدمون في نقد قراءة المنفرد بها إذا ابتعدت عن العربية ويسمونها كما رأينا بالشاذة ( وكذلك المخالفة للمصحف فهي شاذة أيضا لخروجها عن الإجماع ) مع محاولة أكثرهم لإيجاد وجه لها ولا يلجؤون غالبا إلى الوجه البعيد . ولا تصح بالروايات الكثيرة من غير طريق الإقراء (من أئمة الأمصار )

7) وقد يبالغ بعضهم في هذا التشدد إلى حد التعسف وخاصة المازني والمبرد وفي بعض الأحيان أبو عبيد وأبو حاتم .

بدأ العلماء في نهاية القرن الثالث يتحرجون من هذا التشدد وخاصة إذا كان فيه ظلم للقارئ أو غلط فادح بعدم التحقيق . ويظهر هذا التحرج بوضوح عند الزجاج وتلميذه النحاس . وهذه النظرة وهذا السلوك سيخالفهما بعض الرائدين للنظرة المقابلة لها التي ظهرت في بداية القرن السادس .

**ب) تحول نظرة المتقدمين مع المقارنة بين المتقدمين والمتأخرين :**

إن هذه النظرة وهذا السلوك قد تغيرا دفعة واحدة بعد اختيار ابن مجاهد لسبعة قراء والفصل بينهم وبين غيرهم ( بتأليفه لكتاب السبعة والكتاب الذي اعتمد عليه ابن جني فيما يعدّه من الشواذ ) .

ويجب أن نلاحظ أن هذا التحول لم يمس النظرة كلها بل أصاب فقط عند ابن مجاهد كيفية التناول للقراءات ولأصحابها إذ بقيت المواقف القديمة على ما كانت عليه وذلك مثل تضعيف القراءات المخالفة للعربية وغير ذلك ( ثم إن الكتب التي ظهرت في القرن الرابع مازالت كما قلنا تستعمل المصطلحات التي شاعت عند المتقدمين ) .

**1-لماذا اكتفى ابن مجاهد بسبعة قراء ؟ ورد الفعل لبعض العلماء على ذلك :**

حاول ابن مجاهد هو نفسه أن يجيب عن ذلك . قال في كتاب «السبعة» :« القراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن أوليهم تلقيا. وقام بها في كل مصر من الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين أجمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه وتمسكوا بمذهبه»

فهذا هو السبب الرئيسي في اعتقادنا. فالنظرة تغيرت لأن ابن مجاهد جعل المرجع في القراءات ما كان عليه الناس في كل مصر بدليل قوله :" أجمعت الخاصة والعامة على قراءته " لا ما كانت عليه مجموعة القراء من أئمة الأمصار في زمانهم فقط فيهتم بهؤلاء بقدر ما لاحظه – وما استوحاه من كتاب أبي عبيد– في زمانه من اتساع قراءات بعض الأئمة . ولا شك أنه أقبل على ما لاحظه أبو عبيد : " وإليه [ نافع ] صارت قراءة أهل المدينة "... وإليه [ ابن كثير ] صارت قراءة أهل مكة... ثم تلاهم [ يحيى بن وثاب وعاصم والأعمش ] حمزة..والذي صار معظم أهل الكوفة إلى قراءته فأما الكسائي فإنه كان يتخير القراءات... " (جمال القراء، 429-430).

فمئة سنة تقريبا بعد ذلك كان نفس الأئمة تتقاسم قراءاتهم الأمصار حسبما لاحظه ابن مجاهد في زمانه (باستثناء الكسائي إلى حد ما ). وهذا الذي جعل الهذلي يزعم أن مسبع السبعة إنما هو أبو عبيد وهذا لا يخص ، في الحقيقة، إلا هذه الملاحظة التي لاحظها أبو عبيد(*)بالنسبة إلى زمانه أما الاكتفاء في النظر في القراءات بسبعة أئمة فهو لابن مجاهد وحده إذ يحتوى كتاب أبي عبيد على جميع ما قرأ به القراء مما بلغه هو وروى له أو قرأ به. وهذا النهج هو الذي سار عليه كل المؤلفين قبل بداية القرن الرابع .

(*) انظر الكامل ، لوحة ١٦ .

وقد ردّ على اكتفاء ابن مجاهد بالسبعة بعض من جاء بعده ولاسيما في القرن الخامس ومنهم القراب الهروي [١].قال :" التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر سنة وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك وذلك لم يقل به أحد"(نقله في الإتقان ، 81).

وقال أحد معاصري مكي بن أبي طالب وهو المهدوي:" أما اقتصار أهل الأمصار على نافع [ وغيره من السبعة ] فذهب إليه بعض المتأخرين اختصاراً فجعله عامة الناس كالفرض المحتوم حتى إذا سمع ما يخالفها خطّأ أو كفّر وربّما كانت أظهر وأشهر ... القراءة المستعملة التي لا يجوز ردّها ما اجتمع فيها الشروط الثلاثة ... سواء أكانت من الأئمة السبعة .. أو غيرهم ( نقله في النشر 37-36/1 ) [٢].

والجدير بالملاحظة أن هذا المهدوي نفسه ألف كتابا في قراءات السبعة (الهداية) وله كتاب آخر في تعليلها (الموضح)فلم يخرج من الخطة التي رسمها ابن مجاهد [٣].

هذا وقد أظهر بعض العلماء في القرن السابع – وهم قليلون جدا – شيئا من التحفظ بالنسبة إلى إطلاقهم اسم الشاذّ على غير السبعة (والعشرة). منهم ابن الجزري نفسه فقد قال :" ... الأئمة أجمعوا على قراءات السبعة ونحن نقول بذلك ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون ماعدا السبعة ليس بصحيح .. ولا يلزم أيضا أن يكون ما وراء العشرة غير صحيح " ( منجد المقرئين ، 52 ) وعزا ابن الجزري إلى ابن تيمية هذا القول:

---

(١)محدّث فقيه ومقرئ . مات في 414 هـ.

(٢) المهدوي مع مكي هما أقدم المتأخرين الذين قالوا – مثل أبي شامة في القرن السادس وابن الجزري في القرن الثامن – بضرورة الاعتماد على الأصول الثلاثة.

(٣) وقد وصلا إلينا انظر " المهدوي" للدكتور عبد الكريم بن محمد الحسين البكار .

«من ثبتت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة أو قراءة يعقوب ونحوهما كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتبرين » ( نفس المرجع 47 ).

**2-الفوارق الأساسية بين المتقدمين والمتأخرين من مؤلفي كتب القراءات:**

**1) مميزات عمل ابن مجاهد :**

يفسر هذا التناقض – في اعتقادنا–تأثر هؤلاء القراء من القرن الرابع وما بعده ببيئتهم ولاسيما مع إقبال الناس الكبير على كتاب ابن مجاهد؛ إذ وجدوا فيه ضالتهم فلأول مرة قدمت لهم في حجم صغير كل القراءات الفاشية في الأمصار . وأؤكد على أهمية عبارة "خاصتهم وعامتهم " التي استعملها ابن مجاهد نفسه . فهذا مكي بن أبي طالب قد صرح بأن الناس أرادوا " في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به .. " (الإبانة، 47 ) فهذه كانت أمنية المتعلم وأما المتخصص العالم فكان يود أن يرضي كمعلم من يأخذ عنه وكعالم بحاثة أن لا يرتبط بالسبعة حتما .

هذا وأضاف بعضهم إليها قراءة إمامين أو ثلاثة بل أكثر من ذلك كما فعل الخزاعي في "المنتهي"[١] وأبو معشر الطبري في " سوق العروس "والهذلي في" الكامل " ( من الكتب التي وصلت إلينا ) . ولاشك أن خروج ابن شنبوذ عن الجماعة كان سببه الأول إقبال الناس على ما قام به ابن مجاهد [٢] وتضييقه عليه مجال

(١) وقد نجح ابن مجاهد في هذا وله فضل كبير جدا إذ كانت القراءات لا يقبل عليها إلا المتخصص .

(٢) ولهذا فلا عجب أن يقول مكي أن أبا حاتم زاد 20 رجلا وكذلك الطبري وأن أبا عبيد زاد على هؤلاء 15 رجلا. والواقع أن هؤلاء العلماء لم يزيدوا شيئا على أئمة الأمصار لأن عددهم كان منحصرا فيما بين 20 و25 إماما . فكتب القراءات قبل القرن الرابع كانت تشملهم كلهم أو أكثرهم . أما الذين رويت عنهم قراءات كثيرة ( ربما قرأ بها الأئمة) من الصحابة والتابعين فعددهم كذلك محصور (ذكرهم أبو عبيد) إلا أن هناك عددا كبيرا من التابعين والفقهاء والمحدثين المعروفين والأقل منهم شهرة قد وردت عنهم قراءة أو قراءتان وأكثرها من الشواذ (يذكر ابن جني مثلا في المحتسب أسماء لـ 282 ممن روى عنه وأما في مختصر ابن خالويه فذكرت أسماء 193 ممن رويت عنه قراءة شاذة وفيهم أيضا الشعراء والأعراب والولاة والأمراء ( وأكثرهم ذكرهم أبو حاتم في كتابه الذي وصف بأنه كان حافلا ) .

القراءات فتجاوز رد الفعل المعقول إلى فعل غير لائق بمقامه .

فحتى هؤلاء الذين أضافوا أبا جعفر ويعقوب وخلفًا وغيرهم إلى السبعة لم يغيروا نظرتهم إلى القراءات بإضافاتهم هذه ومازالت هي نظرة ابن مجاهد؛ لأنهم أضافوا هؤلاء الأئمة على السبعة وهم مهتمون بمجموعة قراءات أبي جعفر أو يعقوب وغيرهما. كما أن الذي كان يهم ابن مجاهد هو المجموعة الكاملة من قراءات كل واحد من السبعة .

إن النظرة القديمة إلى القراءات يعتمد فيها أصحابها على النظر في كل ما قرئ به أو روي من حروف القرآن حرفا حرفا بحسب ترتيب الآيات والسور فيحصر كل ذلك وتقوّم صحة القراءة بمراعاة الأصول التي مر ذكرها فتصحح بعض القراءات وتستنكر بعضها الآخر، كل ذلك مع بيان الأسباب؛ ولهذا كانت الكتب التي تطرقت إلى القراءات كبيرة الحجم جدا؛ لأنها كانت مسحا حقيقيا لكل ما روى وقرئ أيا كان القارئ .

أما مع ابن مجاهد وابتداء مما عمله فالنظرة الجديدة تعتمد على النظر في مجموعات كاملة ومعدودة من القراءات تنسب إلى أئمة معينين هم السبعة لا المسح الكامل لجميع ما روى وقرئ . واعتمد ابن مجاهد في اختيار هذه المجموعات على ما كان فاشيا في زمانه (وزمان أبي عبيد ) كما قلنا « وجاء تقسيمه مطابقا لتقسيم أبي عبيد على الرغم من مرور قرن على ذلك» (*) واختيار ما كان رائجا في الأمصار أدّى إلى الاهتمام بالأئمة الذين أقبل الناس على قراءاتهم واعتبار هذه القراءات بأكملها مرجعا دون غيرها .

وقد برر أحد علماء القرن السابع وهو أبو شامة اختيار ابن مجاهد بمبرر قوى . قال في كتاب

(*) وحكى الداني عن شيخه طاهر بن غلبون أن قراءة يعقوب قد غلبت في البصرة على قراءة أبي عمرو ( نهاية القرن الرابع ) (غاية النهاية، 387/2 ).

" المرشد الوجيز " : " فإن القراءات المنسوبة إلى كل قارئ عن السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء لشهرتهم وكثرة الصحيح المجتمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم " ( ص 174)

**2) مفهوم المجتمع عليه والشاذ عند المتقدمين والمتأخرين :**

إن القول بوجود مجتمع عليه وشاذ في جميع القراءات المقروءة والمروية (المنسوبة إلى السبعة وغيرهم) هو قول ذهب إليه كل العلماء منذ أبي عبيد إلى بداية القرن الرابع . أما بعد ذلك فعلى الرغم من تقسيم ابن مجاهد القراءات إلى مجموعات كاملة منسوبة إلى السبعة وتسمية الناس بعده لغير السبعة بالشاذ فإن جميع العلماء كانوا يقولون بوجود الضعيف في جميع القراءات، باستثناء ابن خالويه فيما يخص السبعة فقط (*) ومن تبعه من تلاميذه - كابن غلبون وابنه - وبعض تلاميذهما ( كابن مطرّف والداني من المغاربة) فالشاذ في القرن الرابع والقرن الخامس هو إذًا ما خالف المصحف أو ما خرج عن السبعة ( ثم العشرة ). ولهذا صار لفظ المجتمع عليه والشاذ بعيدين من حيث الدلالة عما كانا عليه في زمان أبي عبيد إلى نهاية القرن الثالث . أما في القرن السادس فالتجأ بعض المختصين في الأصول والتفسير لأول مرة ثم القراء بعدهم إلى مقياس آخر هو تواتر القراءة وسنتكلم عنه في ملحق خاص.

ونستطيع أن نقول إن المجتمع عليه قبل ابن مجاهد هو ما اجتمع على القراءة به أكثر القراء أئمة الأمصار وهم معدودون (حوالي 22) مع ما يؤيد ذلك مما روى عن

(*) وهو أول من دفع عن القراء السبعة (وربما سبقه إلى ذلك أبو طاهر بن أبي هاشم تلميذ ابن مجاهد بكتابه " الانتصار لحمزة ". يقول ابن خالويه: " وقد اجترأ جماعة في الطعن على هؤلاء السبعة في بعض حروفهم وليس واحد منهم عندي لاحنًا بحمد الله (إعراب القراءات السبع، 198). أما التضعيف لغير السبعة فصدر منه الكثير من ذلك .

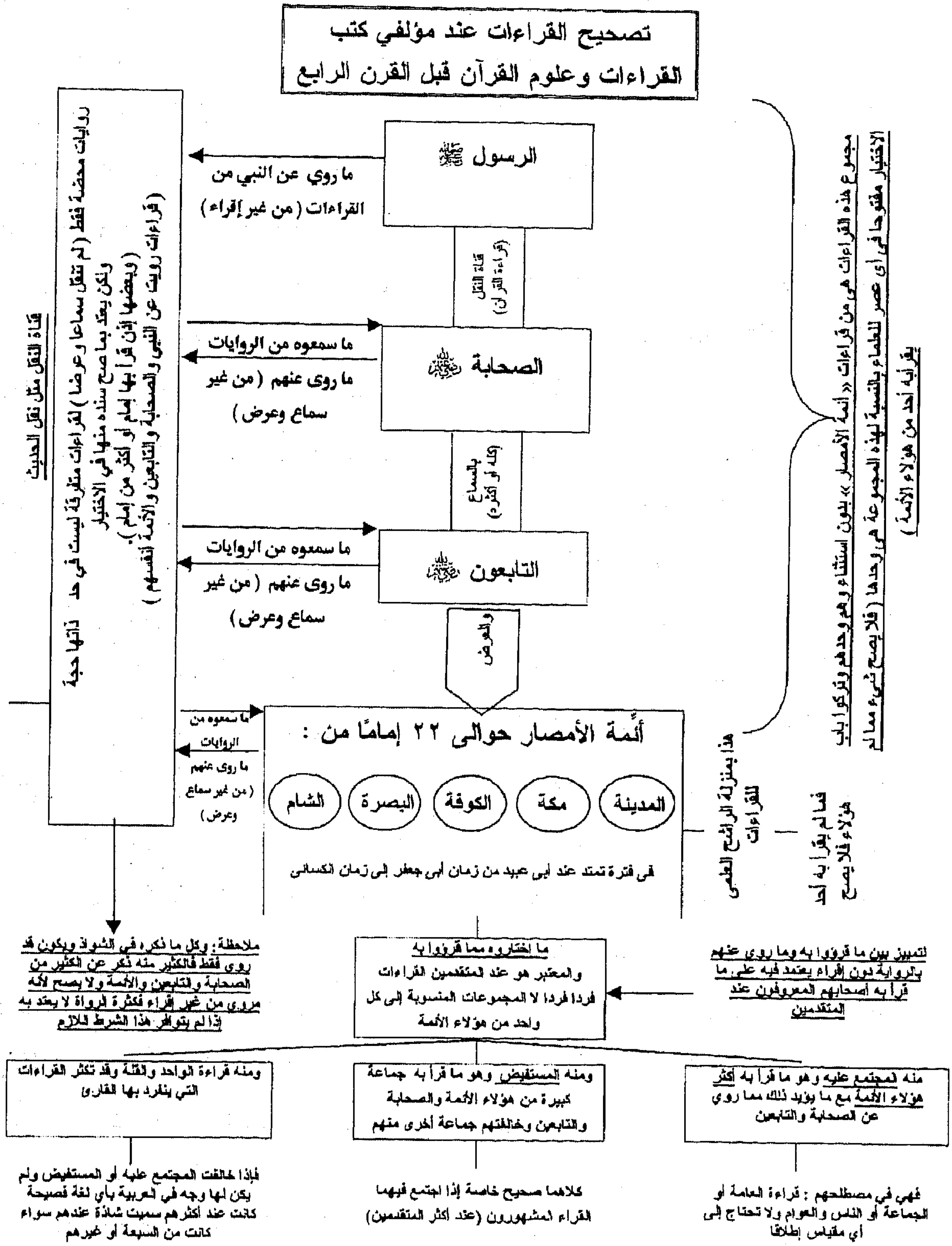
الصحابة والتابعين.

أما عند ابن مجاهد فمما قاله في مقدمة كتابه -وقد سبق أن ذكرناه- (*) نشعر أنه ربط استفاضة القراءة بإقبال جميع القراء عليها في زمانه في حين كان القدامى يحصرون المجتمع عليه في زمان القراء الذي يمتد من الصحابة القراء والتابعين القراء إلى أئمة الأمصار فقط وهم الذين أحصاهم أبو عبيد ومن بعده قبل القرن الرابع ليس إلا . وكانت حجة المتقدمين تجرد هؤلاء الأئمة للقراءة - كما قال أبو عبيد - (كلهم لا السبعة فقط ) مع قرب عهدهم بالوحي ( فأبو جعفر أقرأ الناس في المدينة أربعين سنة تقريبا بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فباجتماعهم كانت تقوم الحجة عندهم لا بالسبعة فقط ولا بالروايات الصادرة من غير إقراء .

**الخاتمة :**

إن فشو اللغة وقياس العربية لا تثبت بهما القراءة كما قال أبو عمرو الداني. إلا أن هذا لا يخص، عند المتقدمين ، إلا القراءة المجتمع عليها بمعناها القديم ( قبل ابن مجاهد ) أي قراءة أكثر القراء أئمة الأمصار أو جماعة كبيرة منهم وبما يؤيد ذلك مما روى عن الصحابة والتابعين. فأما فشو اللغة أي استعمال العرب الأكثر- والفصيح يكفي عند الأقدمين - فتثبت به القراءة التي قرأ بها واحد من هؤلاء الأئمة أو قلة منهم - لا ما نقل عنه نقل الحديث بل ما نقله أصحابه عنه بالإقراء . ولا دخل للقياس في ذلك إطلاقا : إنما تذكر الموافقة لقياس العربية أحيانا بعد أن تثبت هذه القراءة الخارجة عن المجتمع عليه بموافقتها للاستعمال الفصيح استئناسا فقط وإلا فالاستعمال الكثير الفصيح يبطل كل قياس مخالف له ( انظر فيما يلي الجدول الذي لخصنا فيه كل ما سبق )

(*) " اجتمعت الخاصة والعامة على قراءته " .


تصحيح القراءات عند مؤلفي كتب القراءات وعلوم القرآن قبل القرن الرابع
الرسول ﷺ
ما روي عن النبي من القراءات (من غير إقراء)
قناة النقل (قراءة القرآن)
الصحابة رضي الله عنهم
ما سمعوه من الروايات
ما روى عنهم (من غير سماع وعرض)
بالسماع (كله أو أكثره)
التابعون رضي الله عنهم
ما سمعوه من الروايات
ما روى عنهم (من غير سماع وعرض)
والعرض
روايات محضة فقط (لم تنقل سماعا وعرضا) لقراءات متفرقة ليست في حد ذاتها حجة ولكن يعتد بما صح سنده منها في الاختيار (وبعضها إذن قرأ بها إمام أو أكثر من إمام). (قراءات رويت عن النبي والصحابة والتابعين والأئمة أنفسهم)
قناة النقل مثل نقل الحديث
ما سمعوه من الروايات
ما روى عنهم (من غير سماع وعرض)
أئمة الأمصار حوالى ٢٢ إمامًا من :
المدينة
مكة
الكوفة
البصرة
الشام
فى فترة تمتد عند أبى عبيد من زمان أبى جعفر إلى زمان الكسائى
مجموع هذه القراءات هي من قراءات «أئمة الأمصار» بدون استثناء وهم وحدهم وتركوا باب الاختيار مفتوحا في أي عصر للعلماء بالنسبة لهذه المجموعة هي وحدها (فلا يصح شيء مما لم يقرأ به أحد من هؤلاء الأئمة)
هذا بمنزلة الرائج العلمى للقراءات
فما لم يقرأ به أحد هؤلاء فلا يصح
ما اختاروه مما قرءوا به
والمعتبر هو عند المتقدمين القراءات فردا فردا لا المجموعات المنسوبة إلى كل واحد من هؤلاء الأئمة
لتمييز بين ما قرءوا به وما روي عنهم بالرواية دون إقراء يعتمد فيه على ما قرأ به أصحابهم المعروفون عند المتقدمين
ملاحظة: وكل ما ذكره في الشواذ ويكون قد روي فقط فالكثير منه ذكر عن الكثير من الصحابة والتابعين والأئمة ولا يصح لأنه مروي من غير إقراء فكثرة الرواة لا يعتد به إذا لم يتوافر هذا الشرط اللازم
منه المجتمع عليه وهو ما قرأ به أكثر هؤلاء الأئمة مع ما يؤيد ذلك مما روي عن الصحابة والتابعين
ومنه المستفيض وهو ما قرأ به جماعة كبيرة من هؤلاء الأئمة والصحابة والتابعين وخالفتهم جماعة أخرى منهم
ومنه قراءة الواحد والقلة وقد تكثر القراءات التي ينفرد بها القارئ
فهي في مصطلحهم : قراءة العامة أو الجماعة أو الناس والعوام ولا تحتاج إلى أي مقياس إطلاقا
كلاهما صحيح خاصة إذا اجتمع فيهما القراء المشهورون (عند أكثر المتقدمين)
فإذا خالفت المجتمع عليه أو المستفيض ولم يكن لها وجه في العربية بأي لغة فصيحة كانت عند أكثرهم سميت شاذة عندهم سواء كانت من السبعة أو غيرهم

## ملحق
## في تاريخ مصطلح التواتر

يكثر المتأخرون في القرن السابع من استعمال عبارة " هذه قراءة متواترة" وكذلك المحدثون، والغريب أن هذه العبارة لا نجد لها أي أثر فيما تركه مؤلفو كتب القراءات (وما يقاربها ) من المتقدمين ( وقد تأتي عندهم قليلا كلمة "تواتر " أو مشتقاتها فيما يخص الحديث والأخبار عامة ) . وكذلك هو الأمر عند النحاة المتقدمين. وهذا ينطبق أيضا على ما وصل إلينا من كتب القراءات أو كتب النحو التي جاء فيها ذكر القراءات من القرن الرابع (*) .

استعمل مفهوم التواتر أول ما استعمل عند المتكلمين في وقت مبكر جدا: وهو القرن الثاني. فقد ذكر الخياط عن هشام بن الحكم (المتوفي في 176 ) أنه يزعم " أن مجيء التواتر يوجد العلم وأن أهل العلم مختلفون في الأخبار وهل التواتر صحيح أم غيره؟ فهو كلام يدور بين المعتزلة.." (الانتصار، 113-114) .

ثم أخذ هذا المفهوم الأصوليون وأولهم هو الإمام الشافعي وكان قد رد، كما هو معروف ، على من أنكر حجية الأخبار عن رسول الله

(*) وذلك مثل "كتاب سيبويه" وجميع شروحه القديمة و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة و"معاني القرآن" للأخفش و"معاني القرآن" للفراء و"مشكل تأويل القرآن" لابن قتيبة و"تفسير الطبري" و"معاني القرآن" للزجاج و"إعراب القرآن" للنحاس و"إيضاح" أبي بكر بن الأنباري وكتاب "المصاحف" لابن أبي داود و"السبعة" لابن مجاهد و"الحجة" لأبي على الفارسي و"أصول النحو" لابن السراج و"إعراب القراءات" لابن خالويه و"تعليل القراءات" للأزهري و"المبسوط في القراءات العشر" لابن مهران و"المحتسب" لابن جني ( وكل كتبه في النحو والصرف). و"حجة القراءة" لأبي زرعة أضف إلى ذلك كل كتب القراءات التي ألفت في القرن الخامس ( " كالمنتهى " للخزاعي و"الكامل" للهذلي و"الروضة" للحسن بن عبد الكريم المالكي وغيرها ).
أما النقول (الكثيرة )التي نقلها النحاس وابن جني والسخاوي ومكي والداني وغيرهم عن أبي عبيد وأبي حاتم والقاضي إسماعيل بن إسحاق وغيرهم فلم أعثر فيها إطلاقا على العبارة التي ستشيع فيما بعد:" قراءة متواترة".

– صلى الله عليه وسلم – كليا أو غير المتواتر منها. وميز الشافعي في العلم بين ما نقلته "عامة عن عامة " وبين ما هو:"علم الخاصة". وقال:" ولا تقوم الحجة بعلم الخاصة حتى يكون نقله من الوجه الذي يؤمن فيه الغلط " (جماع العلم،37-38).ثم ميز"خبر العامة عن العامة " عن" تواتر الأخبار".

وانفراد الشافعي [(1)] بإعطاء التواتر معنى لا نجده عند الأصوليين من القرن الثالث والرابع وهو أن تتّفق روايات نفر من الرواة مع تباين بلدانهم واختلاف طرق أخذهم وإن قل عددهم (نفس المصدر،55 ) وأما عند عيسي بن أبان (فقيه أصولي توفي في 221) – وعليه اعتمد أبو بكر الجصاص (المتوفى في 370) في كتابه «في أصول الفقه» – فالتواتر عنده يحصل "بامتناع جواز التواطؤ والاتفاق على مخبره كعلمنا بأن في الدنيا مكة والمدينة وخراسان وهو يوجب العلم" [(2)](الجصاص، اللوحة 161-162) فبذلك يصبح "علم العامة" و" الخبر المتواتر " شيئا واحدا . ويقابله "خبر الخاصة" الذي يكثر الشافعي من استعماله أو " خبر الآحاد" أو " خبر واحد" عند المتكلمين. يقول الباقلاني:"غير أن الفقهاء والمتكلمين قد تواضعوا على تسمية كل خبر قصر عن إيجاب العلم خبرًا واحدًا وسواء عندهم رواه الواحد أو الجماعة التي تزيد على الواحد" (التمهيد، 386) وأحسن حد للتواتر هو الذي نجده في أصول السرخسي (المتوفى في 490) (ص282/1) :" وحد ذلك أن ينقله قوم لا يتوهم اجتماعهم وتواطؤهم على الكذب لكثرة عددهم وتباين أمكنتهم عن قوم مثلهم هكذا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيكون أوله كآخره وأوسطه كطرفيه ".

هذا ينطبق عندهم على أخبار رسول الله – صلى الله عليه سلم – وكذلك على نص القرآن الكريم فالعلم به هو "علم عامة " ليس إلا. قال

(١) هذا بالنسبة إلى المتقدمين وهذا لا يمنع أن يكون سبقه بعض المتكلمين إلى ذلك. أما استعماله للفظة التواتر فقليل بالنسبة للمصطلحات الأخرى ولم ترد إلا مرة واحدة في الرسالة :" لأن الأخبار كلما تواترت وتظاهرت "، 433) وكذلك هو الأمر بالنسبة لأبي عبيد فقد استعمل مرة واحدة هذا المصطلح في "الفضائل " قد تواترت هذه الأحاديث"،344/4).

(٢) وأما خبر الواحد فيوجب العمل في الفقه لكن بشروط كما هو معروف .

الشافعي : " العلم من وجوه منه إحاطة في الظاهر والباطن ... فالإحاطة منه ما كان نص حكم الله أو سنة لرسول الله نقلها العامة عن العامة" (الرسالة ، 478) .

وقال أيضا :" أما ما كان نص كتاب بيّن أو سنة مجتمع عليها فالعذر فيه مقطوع" 357-359 ) ومن ثم صرّح كل الأصوليين الذين تلوا بأن ما ينقل آحادا فليس بقرآن ". لأن القرآن مما تتوافر الدواعي على نقله .. والعادة تقضى بالتواتر في تفاصيل ما هو كذلك". ( كشف الأسرار للبزدوى المتوفى في 229/1,482) وقال قبل ذلك الباقلاني (المتوفى في 403 ) بعد ذكره لقراءات مخالفة للمصحف :" ونحن لا نجيز أن يقرأ من طريق آحاد ولا تقرأ إلا بما تواتر نقله "( نكت الانتصار ، 102) وقال القاضي عبد الجبار من المعتزلة وهو معاصر له: " قد بينا أن بالنقل المتواتر يعرف القرآن"( المعنى إعجاز القرآن، 150).

وأقدم من تأثر بما قاله الشافعي ممن ألف في القراءات هما الطبري والنحاس. ونشعر بذلك بما يجيء فيما كتباه، من مصطلحات الأصوليين في ذلك الزمان : نقل الجماعة عن الجماعة - الأمة -[ قراءة] أهل الإسلام - مقطوع العذر وغير ذلك (انظر تفسيره 78/1 و 391-392) .

وأول قارئ، في علمنا ، صرّح بذلك هو مكي بن أبي طالب فقد عاصر هؤلاء المتكلمين وكان هو نفسه أصوليا. وقال: "إنما يثبت القرآن بالإجماع والأخبار المتواترة المقطوع على غيبها "(الكشف ، 23/1) واستعمل لفظة التواتر قبل ذلك في"التبصرة"(*) ( ص 63 ) وأيضا في الإبانة ( ص 25 ) والجدير بالملاحظة هو عدم لجوء مكي إلى مفهوم التواتر في الكشف (وهو كبير الحجم ) في غير هذا المكان وكلما استعمل كلمة التواتر فإنه يردفها بكلمة إجماع فيبدو أنهما متلازمتان عنده.

(*) ألفها في 391 (في حياة الباقلاني وعبد الجبار و"الكشف"في 424 ( يصرح بذلك هو نفسه).

مع أن الأول يختص عند المتقدمين بجماعة معينة والثاني يخص عند الأصوليين نقل الخبر. ونذكر أيضا معاصرًا له وهو صاحب " كتاب المباني" (ألف في 425) . قال : " نقلوا [ القرآن ].. نقلا مستفيضا منتشرا متواترا " (جفري ، 39) . غير أن كل هذا يخص نص القرآن المتواتر . أما القراءات فمن أقدم من استعمل لفظة التواتر فيها من المتكلمين هو الباقلاني نفسه . قال في "نكت الانتصار": "ويدل على أنه [عثمان] لم يكن يمنع أحدا أن يقرأ بغير ما في مصحفه إذا كان متواترا" (141) . وكذلك عبد الجبار :" على أن القراءات المختلفة معلومة عندنا باضطرار لذلك نستجهل من يرويها من جهة الآحاد " ( نفس المصدر ،162) .

وأما العلماء الذين كان لهم سهم في التفسير فمن أقدم من وصف القراءة بالتواتر نذكر أبا نصر القشيري[١] .قال : " لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – تواترا يعرفه أهل الصنعة " ( ذكره في إبراز المعاني ، 412 ).

أما القراء أنفسهم فمن أقدم من صارت صفة التواتر تطلق باطراد عنده على السبعة فهو علم الدين السخاوي (المتوفى في 642) [٢] وروى عنه القسطلاني أنه قال : " فقراءة السبع كلها متواترة" وقبل ذلك :" ولا يقدح في تواتر القراءات السبع إذا أسندت بطريق الآحاد " ( لطائف الإثارات 78/1) وهذا يناقض ما قاله نصًّا في " جمال القراء" (241-242) وكان لا يرى مثل من جاء بعده أن الثلاثة الذين أضافهم ابن مهران وغيره تستحق قراءاتهم في جملتها هذه الصفة [٣] والفتوى التي أفتاها

(١) فقيه أصولي ومفسر توفي في 514.

(٢) وهو تلميذ الشاطبي صاحب "حرز الأماني " وهو نظم للتيسير كما هو معروف وممثل في زمانه لنزعة ابن خالويه ( أقدم من رد الفعل على من ضعف بعض ما قرأ به السبعة ).

(٣)انظر "جمال القراء " 437و476 .

معاصره - من غير القراء - وهو ابن الصلاح تدل على أن في هذا العصر تبلورت نهائيا فكرة اعتبار السبعة كلها متواترة . ورد على ذلك تلميذ السخاوي وهو أبو شامة (المتوفى في 665) صاحب " إبراز المعاني " في كتابه " المرشد " (وقد سبق أن ذكرنا شيئا من كلامه ) وقال أيضا :" وقد شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن القراءات السبع كلها متواترة أي كل فرد مما روى هؤلاء الأئمة السبعة .. ونحن بهذا نقول لكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق.. مع أنه شاع واشتهر واستفاض فلا أقل من اشتراط ذلك إذا لم يتفق التواتر في بعضها " (177) . وقال أيضا :" الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف [ الثلاثة ] لا فيمن تنسب إليه" (174) .وقال :" فإن اختلت هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة . أشار إلى ذلك كلام الأئمة المتقدمين ".

ورد على كلام أبي شامة بعنف ابن الجزرى في شبابه ( " في منجد المقرئين" 63-64)ثم ترك مفهوم التواتر في كتاب النشر (ص 49) حيث ذكر كلام أبي شامة ولم يرد عليه ( ص13) كما فعل في "منجد المقرئين" بل استشهد بكلامه وهذا لم يخرجه من عامة القراء في عصره (وبعده) في دفاعهم المشروع عن السبعة . واعتمد في ذلك على ما قاله علماء الحديث في تشبيههم المتواتر الذي لم يحصل فيه التواتر إلا ابتداء من أئمة الأمصار ( ومن زمن الصحابة ) بالمشهور من الأحاديث وهو الذي " تلقته الأمة بالقبول " حسب تعبير المحدثين والأصوليين ( ومن أقدمهم أبو إسحاق الشيرازي المتوفى في 476).وصرح بذلك أيضا الزمخشرى ( المتوفى في 528) في الكشاف (224/1) ومهد لذلك الطبري وغيره بالنسبة للقراءة بتوسيعه لصفة الاستفاضة للأمة كلها وأهل الإسلام . يقول: "ما جاءت به الأمة نقلا مستفيضا" (78/1 و391.932 وغيرها ) فالمستفيض هنا يخص النقل

لا استفاضة القراءة ضمن جماعة .

أما الفوارق الأساسية التي يفترق بها المتقدمون من مؤلفي كتب القراءات وما يقاربها بالنسبة إلى مفهومي المتواتر والمجمع عليه فتنحصر ، في نظرنا ، فما يلي :

1-المجتمع عليه عند أبي عبيد وغيره من المتقدمين هو :

-ما أجمع عليه أفراد جماعة معينة محصورة العدد في زمان معين : وهي أكثرية أئمة الأمصار وهم حوالي 22 إماما وأكثرية الصحابة والتابعين الذين روى عنهم نفس ما قرأ به هؤلاء الأئمة[1] وقد تكون جماعة كبيرة منهم ، كما سبق أن قلناه قرأت بشيء وخالفتها جماعة أخرى فكلاهما يسمونه مستفيضا وهو صحيح خصوصا إذا اجتمع فيها أئمة مشهورون .

- وأما الشاذ عند المتقدمين فهو كل ما خرج عن هذا المجتمع عليه أو المستفيض مع مخالفته للعربية أو لمجرد مخالفته للمصحف والموافق له مما قرأ به واحد ولم يخالف العربية ليس بشاذ عند أكثرهم.

2-والمتواتر عند أكثر المتأخرين هو:

- ما رواه جماعة عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب من البداية إلى المنتهى من غير تعيين عدد[2].

وكانت هذه الجماعات عند المتكلمين والأصوليين القدامى هي "جماعات المسلمين "[3] (العامة عن العامة عند الشافعي).وتواتر الخبر بها كان يخص عندهم " نص الكتاب" و"السنة المجتمع عليه "كما رأينا. أما بعد القرن السادس فتواتر الخبر صار ينطبق أيضا على مجموعات القراءات المنسوبة إلى الأئمة كالسبعة أولاً ثم العشرة . وقد

(١) أما ما روى عنهم ولم يقرأ به إمام من هؤلاء فلا يعتد به ( لأنه لم يوافق ما قرئ به سماعا وعرضا ) .

(٢) من " لطائف الإشارات " للقسطلاني 69/1 وهو مأخوذ من " منجد المقرئين "لابن الجزري بزيادة عبارة "يمتنع " .. ( ص 15 ).

(٣) وكذلك عند قراء القرن السابع قال السخاوي : " لا يجوز القراءة بشيء منها لخروجها عن إجماع المسلمين " ( جمال القراء " ، 241).

يوصف هذا المتواتر بالمجمع عليه [1] وبذلك يصبح عندهم ما قرأ به الواحد متواترًا بالنسبة إلى كل المسلمين[2] قال عبد الوهاب بن السبكي في فتوى أفتاها: " كل حرف انفرد به واحد متواتر ... ليس التواتر في شيء منها مقصورا على من قرأ بالروايات بل هي متواترة عند كل مسلم.. ولو كان عاميا جلفا لا يحفظ من القراءة التي لا يعرفها إلا أهلها ! ثم ماذا عساهم أن يعرفوا من القرآن إلا القراءة التي يصلون بها ».

–وأما الشاذ عند أكثر المتأخرين فهو: كل المجموعات من القراءات (وما تفرق منها ) المنسوبة إلى غير السبعة عند الأكثر ( فتوى ابن الصلاح وغيره) .

هذا وقد أشرنا إلى أن القراء ومؤلفي القراءات (وكل من تطرق إليها من النحاة واللغويين )منذ بداية القرن الرابع إلى القرن السادس وإن كانوا قد اتبعوا كلهم ابن مجاهد في اعتبار القراءات كمجموعات حروف منسوبة إلى السبعة (ثم العشرة) فإن أكثرهم باقون على ما اصطلح عليه المتقدمون. فلا يزال أكثرهم يستعملون ألفاظهم : المجمع عليه وقراءة العامة أو الجماعة وأئمة الأمصار والعوام والخروج من كلام العرب وغير ذلك.

(١) قال ابن الجزري في " المنجد" :" وكيف يكون ما أجمع عليه القراء أمما عن أمم غير متواتر"(ص 60) فهذا التواتر عندهم هو من جنس " ما يوجب العلم " بوجود مثل مكة والمدينة وخراسان وغير ذلك.وقد يختلط هذا المفهوم بالإجماع كما بين ذلك جيدا السرخسي (أصول، ص 312) إلا إجماع القراء الثقات المعروفين بما أنه ، عند المتقدمين ، إجماع أئمة الأمصار ( مع قراء الصحابة والتابعين ) فلا يبلغ حد التواتر فكل متواتر على هذا مجمع عليه وليس كل مجمع عليه متواترا . وفي " اللطائف " :.. الآن الذين قرؤوا هذه القراءات العشرة وأخذوها عن الأمم المتقدمين كانوا أمما لا تحصى وطوائف لا تستقصى والذين أخذوا عنهم أيضا أكثر وهلم إلى زماننا هذا فقد علم مما ذكر أن السبع متواترة اتفاقا وكذا الثلاثة ... " (77/1).

(٢) أما اعتبار نص القرآن المتمثل في مصحف عثمان فهو كذلك عند أقدم العلماء. انظر ما قاله أبو عبيد في "فضائل القرآن ":".. الذي بين اللوحين .. هو ما ثبت في الإمام الذي نسخه عثمان.. وإسقاط ما سواه ثم أطبقت الأمة فلم يختلف في شيء منه يعرفه جاهلهم كما يعرف عالمهم وتوارثه القرون بعضها عن بعض ويتعلمه الولدان في المكتب" ( ص 326-327) .

فقد كان أبو بكر بن الأنبارى [1] وابن خالويه وأبو علي الفارسي وابن جني وابن مهران والأزهري وأبو زرعة وابن الباذش ومكي في كتابه"الكشف" (لا في الإبانة) وغيرهم يقصدون من هذه الألفاظ ما قصده المتقدمون في الغالب . إلا أنهم قصر أكثرهم معني العامة على السبعة عند تعرضهم لكل قراءة وذلك ابتداء من ابن مجاهد، وقد بينا فيما سبق النهج الجديد الذي سار عليه صاحب السبعة : فالعامة عنده هي في الغالب أكثرية السبعة (112-111) أو عامة أصحاب الواحد منهم 149 )[2] وما عدا السبعة فهو شاذ، كما رأينا. فهذا أيضا موقف طارئ. أما ابن جني فقد قال في " المحتسب" ... أتى ذلك ضربين: ضربا اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار وهو ما أودعه أبو بكر بن مجاهد –رحمه الله – في كتابه ... وضربا تعدى ذلك " فسماه أهل زماننا شاذا أي خارجا عن قراءة القراء السبعة"(32/2) وابن جني في كتابه هذا يريد أن يبين أن هذا الذي يسمى شاذا في زمانه فالكثير منه هو " آخذ من سمت العربية مهلة مبدؤه لئلا يُرَى مُرًى أن العدول عنه إنما هو غض منه " (ص 33 ).

وفي هذا التقسيم لأهل زمانه شيء من الإبهام والتحكم، لأنه يوهم ، كما قلنا، أن جميع القراءات التي قرأ بها غير السبعة (ثم العشرة فيما بعد) شاذة . ولا نعتقد أنهم أرادوا، في القرن الرابع ، أنها غير صحيحة بل ربما قصدوا أنها غير مقطوع بصحتها وهو رأي السخاوي ( في القرن السابع). وترتب على استبدالهم مقياس إجماع أئمة الأمصار والصحابة والتابعين بمقياس ما قرأ به السبعة فقط أن صار كل ما في السبعة هو وحده المقطوع به ولو قرأ به واحد منهم . ومقياس ما قرأ به السبعة فقط أن صار كل ما في السبعة هو وحده

(١) ينتمي ابن الأنبارى في الحقيقة – مثل النحاس وابن أبي داود – إلى المتقدمين وإن عاشوا جزءا من حياتهم في بداية القرن الرابع .

(٢) إلا أنه قد يستعمل عبارة :"أهل مكة " (445و556)

المقطوع به ولو قرأ به واحد منهم . ومقياس ابن مجاهد هو إجماع الناس ( في كل بلد في زمانه ) على قراءة واحد من الأئمة كما رأينا . ( ثم صار هذا الإجماع الخاص ابتداء من القرن السادس هو " تواتر القراءة " أي تواتر النقل ). أما الإبهام فاجتماع أكثر القراء في قول ابن جني قد يحتمل أن يكون بالنسبة إلى كل بلد على حدة وهو ما قصده ابن مجاهد لا اجتماع أكثرهم مجموعين . فلو ذهب هذا المذهب الأخير لكان أقرب إلى مقياس "قراءة العامة" (عامة الأئمة في زمانهم) الذي عمل به المتقدمون لأنه من المرجح أن يحصل اجتماع أكثر الأئمة - السبعة وغيرهم - باجتماع هؤلاء السبعة لكثرة ما جاء عنهم من المجتمع عليه وما يقاربه .

وأكبر شبهة تترتب على إقصاء غير السبعة أو غير العشرة هي في تشذيذ الكثير من القراءات التي لم يقرأ بها واحد منهم وقرأ بها غيرهم من باقي الأئمة كابن محيصن وحميد بن قيس وغيرهما مع إثبات العلماء أنها موافقة للعربية زيادة على موافقتها المصحف . وقد يقرأ جمع غفير من الأئمة من غير العشرة إلا حمزة مثلاً فتصير بحمزة وحده غير شاذة ! .

فمن ذلك قوله تعالى «فأصبح هَشِيمًا تَذْرُوه الرِياحُ» . (الكهف ، 45) قرأ السبعة (تَذْرُوهُ الرّياحُ ) .

وقرأ الحسن والأعمش وطلحة بن معرف وابن محيص ( الريحُ ) وروى هكذا أيضا عن إبراهيم النخعي وزيد ابن على وابن أبي ليلي(*). هؤلاء أربعة أئمة مع ما يؤيد ذلك من الروايات . وهي غير خارجة عن كلام العرب إلا أنها خارجة عن السبعة والثلاثة.

وكذلك قرأ (جنات عدن. مريم 61 ) بالرفع الحسن وعيسى بن عمر والأعمش (مختصر ابن خالويه ،85)

( *) وقال صاحب الإتحاف (216/1) أن حمزة والكسائي وخلفا قرؤوا بها ( لم ينص على ذلك صاحب المبسوط وابن مجاهد بالنسبة إلى الأولين وأما أبو حيان فذكر خلفا ) (133/6)

العربية .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :

« فأجْمِعوا أمْرَكم وشركاءكم». (يونس،71) قال ابن جني في "المحتسب" : ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن والحسن وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وسلام ويعقوب ورويت عن أبي عمرو... مكسورة الميم ورفع (شركاؤكم) وقرأ (فاجْمَعوا أمرَكم)غير مهموزة والميم مفتوحة و( شركاءكم ) نصبا الأعرج وأبو رجاء وعاصم الجحدري والزهري ورويت عن الأعمش (261/1) فأما القراءة الأولى فهي صحيحة لوجود أحد العشرة فيمن قرأ بها ولولا ذلك لكانت شاذة .

فكل هذا يزيدنا يقينا أن المتأخرين من أجل بعدهم عن منابع القراءة في الزمن كانوا لا يرتاحون إلا للقراءة التي كثرت الطرق فيها إلى الأئمة وهذا معنى التواتر عندهم إلا أن ثقتهم بهذا النوع من القراءة اتسعت فشملت كل ما احتوت عليه المجموعات من القراءات التي اعتبروها متواترة . فيكفي عندهم أن يكون قرأ بها أحد السبعة أو العشرة. لذلك تصير قراءة معيّنة للحسن أو الأعمش أو أي إمام من غير العشرة صحيحة إذا تواترت عن يعقوب(*)مثلا وهو جدّ متأخر عنهما أو خلف وهو معاصر لأبي عبيد ! ولا يبالون بموافقتهما للعربية لأنها أصبحت مثل: المجمع عليه عند أئمة الأمصار " مع الفرق الكبير الذي يوجد بين المفهومين .

أما تضعيف القراءات من السبعة وغيرهم فكل هؤلاء بل أئمة الأمصار أنفسهم صدر منهم ذلك وكذلك ابن مجاهد. وأوّل من امتنع من ذلك هو ، كما قلنا ، ابن خالويه ثم أصحابه ( كعبد المنعم بن غلبون وابنه وتلميذ هذا الأخير أبو عمرو الداني ) ونستثني من أصحاب ابن غلبون مكي ابن أبي طالب .

(*) فيما يخص يعقوب انظر " المبسوط " لابن مهران ص 211m205، 234.230، 449,305 وغير ذلك .

وابتداء من القرن السابع بعد صدور الفتاوى من ابن الصلاح وغيره أجمع العلماء على الامتناع المطلق من تضعيف قراءة من قراءات السبعة واستنكار ما صدر من ذلك من المتقدمين و غيرهم. ومن النحاة فابن مالك هو أول نحوي جعل الاستشهاد بما ينفرد بقراءته أحد السبعة والقياس عليه أمرا مطردا ولو أجمع النحاة من أقدم العصور إلى زمانه على مخالفته للعربيّة واتّبعه في بعض ما ذهب إليه أبو حيّان الأندلسي بل ورد بشدة على كل ما هو تضعيف لقراءة أيا كانت إلا القليل منها وحجته أن العلماء الثقات قد رووها [(١)].

أما ما انتهى إليه ابن الجزري في كتابه " النشر " ( لا في كتابه "المنجد") فهو ناتج في الوقت نفسه ، من موقفه القديم وهو القول بعدم وجود ما يبعد عن العربية في السبعة أو أقل القليل وموقفه الجديد وهو جنوحه الطارئ، إلى ترك التواتر كمقياس لصحة القراءة ، [(٢)] ورجوعه بالتالي إلى الأصول الثلاثة إلا أنه استبدل مقياس المتقدمين وهو "قراءة الجماعة" ( أو "عامة أئمة الأمصار" الذين ذكرهم المتقدمون ) بمجرد صحة السند وفارق بترك التواتر أغلبية معاصريه ومن جاء بعده . وقد "تعقبه،كما يقول القسطلاني (اللطائف 69/1-70) الشيخ أبو القاسم النويري . فقال :"عدم اشتراط التواتر قول حادث، مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم لأن القرآن عند

(١) حتى الشواذ المجمع على شذوذها في كل زمان يقول إنها رواها العلماء( مثل أبي الفضل الرازي وابن خالويه في مختصر الشواذ ! ) وقد حاول المتقدمون توجيه ما استضعفوه ووفق بعضهم إلى حد بعيد كتوجيه علي بن سليمان الأخفش لقراءة عاصم ( نجي المؤمنين . الأنبياء ، 88) فهو رائع ( انظر إعراب النحاس ، 78/3 ).

(٢) وذهب هذا المذهب بعض المتأخرين كالزركشي مثلا قال : والتحقيق أنها [ القراءات ] متواترة عن الأئمة السبعة فأما تواترها عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ففيه نظر فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات وهي نقل الواحد عن الواحد لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة وهذا شيء موجود في كتبهم " ( البرهان ، 318/1-319).

جمهور أئمة المذاهب الأربعة ... هو ما نقل بين دفتي المصحف نقلا متواترا... ولا يخالف من المتأخرين إلا مكي وتبعه بعض المتأخرين".

أما ما ادعاه من حدوث هذا القول فغير مطابق للواقع فليس مكي أول من تكلم عن المقاييس الثلاثة ولم يستبدل التواتر بها؛لأنه لم يستعمل هذا المقياس في القراءات أحد من علماء القراءات قبله كما رأينا. وإن صحّ أنّ مكيا نفسه قد صرح بأنه لا يثبت قرآنًا إلا بالنقل المتواتر (الإبانة ص 24 وسبق أن ذكرنا ذلك ) فإنه لا يستدل بتواتر القرآن على تواتر القراءات السبع وغيرها فَرْدًا لأن تواتر القرآن تكفيه قراءة واحدة . ومعنى ذلك أن القرآن لا يلزم من تواتره تواتر جميع القراءات السبع ضرورة وفَرْدًا فَرْدًا إذ تواتر قراءة في آية وقراءة في آية أخرى دون أن تجتمع القراءات السبعة كلها كافٍ لتواتر القرآن بأجمعه ( مع تواتر النص المتمثل في مصحف عثمان ثم نزول القرآن على سبعة أحرف لم يفض إلى تواتر كل هذه الأحرف ). والحادث في الأمر هو، في الحقيقة ، اشتراط التواتر بالذات لا عدم اشتراطه وقبل ذلك الوصف للقراءات نفسها بالتواتر : لا الوصف وحده بل مع الترك النهائي لمقياس السلف وهو" قراءة العامة "(عامة أئمة الأمصار ) وحدث ذلك أول ما حدث في النصف الأخير من القرن الرابع عند المتكلمين والأصوليين خاصة حيث عمموا التواتر للقراءات أما التعميم الذي سموه" قراءة متواترة" إلى السبعة ثم الثلاثة وقصره عليها فانتشر وعمّ في نهاية القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع بما صدر من الفتاوى وغير ذلك .

وبهذا ندرك موقف ابن الجزري فهو جد معقول وهو أقرب المتأخرين مع أبي شامة إلى العلماء

المتقدمين . ودفاعه عن العشرة أيضا له ما يبرره فما من قراءة من السبعة أو العشرة إلا ولها وجه إلا القليل كما أثبت ذلك علماؤنا في أقدم الأزمنة.

والله ولي التوفيق

**عبد الرحمن الحاج صالح**

عضو المجمع المراسل

من الجزائر

## المراجع

-إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة، تحقيق عطوة عوض. القاهرة 1402 هـ.

-الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، جزآن ، القاهرة 1951م.

-إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ، القاهرة.

-الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب . تحقيق د.عبد الفتاح شلبي. القاهرة بدون تاريخ .

-أصول السرخسي ( أبو بكر بن أحمد)، القاهرة ، جزآن ، 1372هـ.

-أصول الجصاص (أحمد بن علي ) مخطوط دار الكتب المصرية رقم 229 أصول .

-أصول البزدوي ( علي بن محمد ) . الأستانة ، 1307هـ.

- البرهان في علوم القرآن للزركشي. تحقيق أبي الفضل إبراهيم . القاهرة 1957م.

-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي . القاهرة، 1328هـ.

-التبصرة في القراءات السبع لمكي ابن أبي طالب ، تحقيق محيي الدين رمضان . الكويت ، 1405هـ .

-جامع البيان ( تفسير الطبري) تحقيق محمود محمد شاكر . القاهرة16 جزءاً 1374هـ.

-جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو الداني مخطوطة دار الكتب المصرية رقم 3 م.

-الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي . القاهرة، 1955م .

-جمال القراء لعلم الدين السخاوي . تحقيق د.علي حسين البواب جزآن . مكة المكرمة ، 1408هـ.

-جماع العلم للإمام محمد بن إدريس الشافعي . تحقيق محمد أحمد عبد العزيز. بيروت الطبعة الأولى.

-المرشد الوجيز لأبي شامة تحقيق طيار التي قولاج، بيروت ، 1395هـ.

-الرسالة للإمام الشافعي . تحقيق محمد شاكر ، القاهرة 1940 .

-السبعة في القراءات لابن مجاهد . تحقيق د. شوقي ضيف.القاهرة،1972م.

-إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه . تحقيق د.عبد الرحمن بن سليمان العثيمين . القاهرة جزآن 1413هـ .

-إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس. تحقيق د.زهير غازي زاهد . بغداد.15 جزءاً 1405هـ.

-فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق أحمد الخياطي . رسالة ماجستير . دار الحديث الحسنية، الرباط، 1406-1407 هـ.

-الكامل لابن جبارة الهذلي . مخطوطة الأزهر .

-الكشاف للزمخشري.القاهرة.4أجزاء 1954م.

- الكشف عن وجوه القراءات لمكي ابن أبي طالب تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق، جزآن، 1974م.

-كتاب الانتصار للخياط ، تحقيق نادر بيروت ، 1957م.

-كتاب سيبويه، بولاق 1316هـ.

-كتاب التمهيد لأبي بكر الباقلاني . تحقيق الأب يوسف مكارثي . بيروت، 1957م.

-لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني . تحقيق عامر عثمان ود . عبد الصبور شاهين، القاهرة . الجزء الأول، 1972م.

-المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر بن مهران ، تحقيق سبيع حكمى ، دمشق، 1407 هـ.

-مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه،نشر برجستراسر ، القاهرة، 1934م.

-المحتسب في شواذ القراءات لابن جني تحقيق علي النجدى وزميليه . جزآن . القاهرة .

-مجاز القرآن لأبي عبيدة . تحقيق فؤاد سزكين ، القاهرة، جزآن، 1959م.

-المغني في إعجاز القرآن للقاضي عبد الجبار، تحقيق أ.الخلوي، القاهرة. 1960.

-معاني القرآن وإعرابه للزجاج . تحقيق عبد الجليل عبده شبلي .

-معاني القرآن لسعيد بن مسعدة الأخفش . تحقيق د. فايز فارس .

الكويت ، جزآن، 1970م.
-معاني القرآن للفراء تحقيق محمد على النجار وغيره. القاهرة . 3 أجزاء 1955-1972م.
-نكت الانتصار لأبي بكر الباقلاني . تحقيق د. محمد زغلول سلام . الإسكندرية .1971م.
-النشر في القراءات العشر لابن الجزري. تصحيح محمد علي الصباغ. القاهرة . بدون تاريخ .

# مَعاجِمنا العِلْميَّة *

للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد

نحن جميعًا ننادى من فوق هذا المنبر ، ومن فوق كلِّ منبر متاحٍ لنا في بلد عربيّ ، بتعريب لغة العلم . ولا أقول تعريبَ العلم ، كما يجرى على ألسنة بعضنا أحيانا ، فتعريب العلم قضيةٌ أكبر حجما وأوسع مدًى ، ولكن تعريب لغة العلم خُطوة أساسية نحو بلوغها . بل إننا في الجمعية المصرية لتعريب العلوم، مثلاً ، نكاد نقصر دعوتنا في الوقت الحاضر على تعريب التعليم العالي ، لأنه هو الذي يمكِّن من تعريب التعليم كلِّه ، وتعريبِ لغة الأعمال ، وتعريب الثقافة العلمية ، وتأصيلِ الروح العلمية وتقدير دور العلم في الحضارة المعاصرة بين أبناء أمتنا والتوحيدِ بين أهل الثقافتيْن منهم، كما يقال . ( عبد الحافظ حلمي محمد ، ١٩٩٤) .

وتؤدى المعاجم العلمية دوراً أساسيا في تعريب لغة العلم ، ومن ثَمَّ ينصرف قسط كبير من جهودنا في مجمعنا بالقاهرة في وضع المعاجم العلمية في شتَّى التخصصات . وتشمل دائرة اهتمامنا العلومَ بإطلاق، فهي تضم ــ إلى جانب معاجم العلوم الطبيعية والرياضية ــ معاجمَ العلومِ الشرعية والفلسفية والإنسانية، فلا يخرج من دائرتها سوى معاجم اللغة الأصيلة بأحجامها ومستوياتها وأهدافها المختلفة . والمعاجم العلمية لها مطالبها وخصائصها التي تنفرد بها دون معاجم اللغة. ونحن ننهمك في عملنا وننغمس فيه ، فلا تكاد تُتاح لنا فرصةُ التقاط الأنفاس وتَدَبُّرِ ما نصنع. ولكنْ فضلا على النقاش الموضوعيّ حول مدلولات مصطلحات المعاجم نفسها ، يثور بين الحين والحين جدل، ويدور حوار، حول مسائلَ مَنهجيةٍ

---

* أُلقي هذا البحث في الجلسة الحادية عشرة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الثلاثاء ٢٨ من ذي القعدة سنة ١٤١٩ هـ ، الموافق ١٦ من مارس سنة ١٩٩٩م.

وأمورٍ مُعجمية ومبادئَ عامة،لا يسمح المجال في المعتاد باتخاذ أحكام قاطعة فيها .

وهكـذا ظهرت الحاجة إلى أن يكون لنا وقفةٌ لدراسة هذه الأمـور . وبحكم " مشاغباتي " المتكررة ، بـدا أنه ينبغي عليَّ أن أصـدع بـالأمر ، وأن أحمل هذه الأمانة ، فكنت ظلومًـا لنفسي ، ولكنني أرجو ألا أكون جهولا أيضا ، بل جاهلا فحسب . فأنا لسـت من أهل علم المعجميات ، وإنْ كنـت مدمنًا الاطلاع على المعاجم ــ أحيانـا حتى بغير قصد ــ وممارسًا للاجتـهاد في صناعة المعاجم ، والموسـوعات أيضا ، وفيها من المعجمات مشـابه . فقلت أعمل بقول أجدادنا: سلْ مجربًـا ولا تسألْ طبيبا . ورأيت أن نسـتأنس فيما نعرض بآراء هذه الصفـوة مـن العلماء في مؤتمرنا السنويّ . وهكـذا تورَّطت ؛ ولكنْ تفلّت الوقت منى، فإذا بالمؤتمر ــ الذي أعلم ميقاته منذ عـام مضى ــ يفاجئني، ولم أتمكـن مـن إعداد ما قصدت إليه كما أهوى وكمـا يليق بمقامكم . فقنعت بأن أقدم بعـض ما يدور بخاطري ، ليكـون " ورقـةَ عمـل " ــ كمـا يقولـون ، تحـرك السكون، وتقدح الأفكار، ولعل في هذا بعضَ ما نرجوه. وليس في موضوعنا خروج على مِنهاج مؤتمرنـا، فـهو يتناول الفصيحَ الـذي نتوخـاه فـي معاجمنا العلمية ، ويتجنب العامية .

والأعمـال العلميـة تتحـدد بالغايات التي تهدف إليها . فمجمعنـا يبتغي من إعداد معاجمه العلمية توفيرَ مصادرَ معتمدةٍ تهيئ لمن يراجع أيًّـا منـها ــ فيمـا أرى : أولا : مقـابلاً عربيا صحيحا للمصطلح العلمي الـذي يعرض له فيما يقرأ أو يكتب ، وثانيا: تحديدًا دقيقًـا ووافيـا لمعنـى هـذا المصطلح ، وثالثاً : رفيقا مساعدًا لـه في دراسته ، وذلك بفضل نظام محكـم من الإحالات في المعجم الذي يرجـع إليه . ولو كان الهدفُ الأول وحـده ــ وهـو توفـير المقـابلات العربيـة

للمصطلحات ــ هو غايتَنا ، لكفي إعدادُ مساردَ بالمصطلحات الأجنبية ومقابلاتها العربية ــ مع وجود معجم أجنبي متخصص جيد بين يدَيْ الدارس . ولكن هدفنا الثاني ــ وهو إعداد التعريفات الدقيقة للمصطلحات ، يبتغي إغناءه عن ذلك المعجم الأجنبي، الذي قد لا يكون مستطيعًا الحصول عليه أو قراءته بفهم كامل. ثم إن للتعريفات فائدةً أخرى ، وهي تحديدُ المدلولِ المراد للمصطلح ، لأنه قد تكون له دلالات مختلفة ــ حتى في العلم الواحد . وأما عن الهدف الثالث، الذي لا يتأتّى إلا بإحكام الإحالات ، فأرجو أن أتكلم عنه بشيء من التفصيل فيما بعد . وثمة هدفٌ رابع من إعداد معاجمنا المجمعية المعتمدة ، وهو أنها خطوة مهمة في سبيل شيوع المصطلحات العربية وتوحيدها في أرجاء الوطن العربي ، وإنْ كان هذا موضوعا آخر ، قد يكون قائما بذاته .

فإذا تساءلنا لمن نُعِدّ معاجمنا ؟

قلت : إننا نعدها للأستاذ والطالب ، والقارئ المتخصص وغير المتخصص، والمؤلف والمترجم . وعلى هذا فليس الصواب أن نتخلّى عن صحة تعريفاتنا ودقتها بدعوى أنها يجب أن تكون مناسبةً لتلاميذ المدارس . نعم ، ينبغي أن تكون ميسَّرة غيرَ مستغلقةٍ على الأفهام، ولكن في حدود . أما ما يناسب التلاميذ فهو من اختصاص التربويين ومؤلفي الكتب المدرسية . وقد يدعو الأمر إلى إعداد قواميس خاصةٍ مناسبة لأعمارهم ومراحلهم الدراسية، وتجمع بين أكثر من علم واحد . وينبغي أن أنبّه وأن أنتبه، قبل أنْ أستطرد إلى جوانبَ أخرى من الموضوع ، إلى أننا الآن بصدد المعاجم لا المصطلحات ، فموضوع صوغ المصطلحات قضية، أو قضايا، قائمة بذاتها تكلمنا فيها كثيرا ، ويبدو أننا سوف نتكلم عنها طويلا !

والتعريفات تنال جُلَّ عنايتنا وتستنفد معظم أوقاتنا ، وهي التي تتطلَّب أن يقوم بإعداد المعجم العلمي أساتذة لهم دراية واسعة بتخصُّصاتهم. بيد أنَّ للتعريفات تكاليفَ ، أهمها أنها تزيد من حجم المعجم كثيرًا. وهذا قد يدعونا إلى محاولة تحديد ذلك الحجم ؛ مثلا : بالتزامنا بمعجم أجنبي معين . ولكن معجمنا العلمي ليس ترجمة عربية لأي معجم أجنبي واحد بعينه، ولا ينبغي له أن يكون . بل إنه يجب أن يكون قائما على محاولة الشمول ، والتنسيق ، وحسن الانتقاء من مصادر متعددة، من المعاجم والكتب وغيرها من المراجع المعتمدة ؛ ولذلك قلنا إنه يجب أن يعدَّه الأساتذة الخبراء . ولكن لا بأس من اختيار معجم متخصص حديث ذي سمعة عالمية رفيعة ، كي يكون هيكلا أساسيا ، يُزاد عليه ، ويحذف منه، بل تصوَّبُ مادته ــ كما يحدث في كثير من الأحيان .

وهذا يؤدى بنا إلى تساؤل آخر: ما هو الحدُّ المناسب في تعريف المصطلح؟ إننا نرى أحيانا تفاوتا في معاجمنا بين الإيجاز الشديد ، الذي يكاد يخلو من الدلالة ، أو الإطنابِ الذي يثير ــ على الدوام ــ اعتراض مجلسنا الموقر . ولكننا نهتدى بالخبرة إلى ما يُعدُّ تعريفا للمصطلح مفيدًا ووافيا . وسأضرب مثالا ، مما تشرفنا بعرضه عليكم هذا الصباح :

درجة الكلوريَّة

chlorinity

قياس المحتوى الكلورى لماء البحر مقدرا بالوزن [١] . وتعرَّف بأنها كمية الكلور ، مقدرة بالجرامات، في كيلو جرام واحد من ماء البحر [٢]. والدرجة الكلورية ودرجة الملوحة مقياسان للملحيَّة saltiness لماء البحر. ويمكن أن يعبر عن العَلاقَة بينهما رياضيا بأن درجة الملوحة تساوى ١,٨٠٦٥٥ من الدرجة الكلورية [٣].

ويمكننا أن نتوقف عند نهاية المستوى الأول ، أو نهاية المستوى الثاني ؛ ولكن يبدو جليا ـ للمختص ـ أن الفائدة لا تتم إلا بذكر المستوى الثالث أيضا. ( والمستويات الثلاثة تدل عليها الأرقام المحصورة بين الأقواس ، وقد أدخلتها هنا، وليست في التعريف الأصليّ ).

ومن الأمور التي نحرص عليها في صوغ تعريفات مصطلحاتنا تحقيقُ أسماءِ العلماء الذين يرد ذكرهم في المصطلح ، وجنسياتِهم ، وتاريخ حياتهم أو تاريخ وفاتهم ، أو تاريخ عملهم العلمي الذي يشار إليه . أما أسماء الأعلام والأعيان الطبيعية، كأسماء النباتات والحيوانات ومجموعاتها التصنيفية فتكتب بصيغها العلمية الرسمية ، فضلا على أسمائها التي تشتهر بها في لغة أجنبية دارجة وفي اللغة العربية ، على ما في هذا من صعوبات بالغة تواجهنا في بعض الأحيان ( عبد الحافظ حلمي محمد ، ١٩٩٥) . ومثل هذا يقال عن أسماء المعادن والصخور والعصور الجيولوجية، ونحوها . وكذلك تحرص التعريفات على ذكر الصيغ الكيميائية للمواد، والثوابت والمعامِلات الفيزيقية والرياضية، وما إلى ذلك من الأمور العلمية الفنية الدقيقة .

والخوف من تضخم المعجم قد يدفعنا إلى علاج الموقف بحذف مداخلَ كاملة من المعجم الذي يُنظر في إعداده . وهذا ما اضطُرَّت لجنة مصطلحات الكيمياء والصيدلة، مثلا ، إلى فعله. فقد حذفت اللجنة، فيما أعلم، كثيرًا من أسماء المواد الكيميائية والصيدلانية على أنها ليست مصطلحات ، بمعنى الكلمة ، ولا يتغير مبناها من لغة إلى أخرى . وهذا أسلوب له محاذيره ، إذا تذكرنا الأهداف الثلاثة ، أو الأربعةَ ، التي قلنا إننا نبتغيها من إعداد معاجمنا ، فمنها التزويدُ بالمادة العلمية ، التي تغنى القارئَ عن اللجوء إلى معجَم

أجنبي . كذلك هناك أسماء شائعة لموادّ لابد من تفسيرها ، مثل : Paris green, common salt ,Epsom salts ونحوها . وثمة اعتراض آخر يوجه إلى بعض المصطلحات على أنها كلمات لغوية عادية . ولكن هذه الكلمات العادية ترد في المعجم العلمي لأنها تكون قد اكتسبت دلالة اصطلاحية معينة. ويشيع في المصطلحات المستحدثة، وبخاصة بين العلماء الأمريكيين ، استعمالُ ألفاظ الحياة اليومية العادية، والعزوفُ عن المصطلحات التقليدية أو اللاتينية أو الإغريقية الأصل ، كما في gene library , luxury genes , housekeeping genes أو gene bank!

وعندما تتجمع النذر بتضخم معجم علميٍّ ما عن الحدود المقبولة عمليا ، قد يعالج الموقف بأسلوب آخر : وهو توليد معاجم فرعية ، في فروع مستقلة من العلم الذي يتناوله . فمثلا، معجم علوم الأحياء والزراعة ، يتحمل في الواقع أعباء جملة من العلوم في وقت واحد . والجمع بين هذه العلوم بين دفّتَيْ معجم واحد أمر مفيد ولا شك ، ليس من الناحية العملية وحدها ، وإنما من نواحٍ فنية أيضا : فبعض المصطلحات أقرب لأن يكون عاما مشتركا بين علوم الأحياء جميعا . ثم إن مرتاد المعجم قد يتعذر عليه أن يحدس في أي فرع من علوم الحياة والأحياء يقع المصطلح الذي يريده ، وهو جاهل أصلا بمعناه، في غالب الأمر .ولكن قد يكون الحل هو: الحفاظَ على معجم عام في علوم الحياة يستبعد التفاصيل الدقيقة في الفروع ، ثم إعداد معاجمَ مستقلة في علوم : الحيوان ، والحشرات ، والنبات والأحياء الدقيقة ، والوراثة والبيولوجيا الجزيئية ، والإكولوجيا وعلوم البيئة ، وغيرها. والتخطيط لعمل هذه المعاجم مسألة دقيقة للغاية ، لوجود التداخل الكبير بينها ، ولضرورة التعرض للتفاصيل الدقيقة في هذه الفروع المستقلة . وعلى هذا المنوال أيضا ،

تنشأ مشكلة العلوم البَيْنيَّة ، التي قد يتطلب بعضها ، حين يكتمل كيانه ، معاجم مستقلة .

وثمة مشكلة أخرى تجابه معاجمنا العلمية ، وهى الاجتهاد في حلِّ المعادلة الصعبة بين بطء عملية الإعداد ، وضرورة مواكبة الحداثة . وهذا موقف فيه كثير من التحدّى ؛ فمنهاجنا الرصين القويم منهاج طويل، يتضمن الالتزام بمرور المصطلحات العلمية من اللجنة المختصة ، ثم إلى مجلس المجمع ، ثم إلى المؤتمر السنوىّ ( وفي هذه المراحل الثلاث مداولات لا تكاد تنتهي،كما تعلمون)، ثم إلى مجموعة المصطلحات السنوية، ثم إلى المعجم المعدّ للطباعة ، ثم صدورِ المعجم . ومن ناحية أخرى ، أمامنا ذلك السيل من المصطلحات الجديدة التي تتدفق علينا كل يوم . وإعداد طبعة جديدة من معجمٍ ما، لا يتأتّى إلا بعد مراجعة الطبعة السابقة مراجعةً شاملة،مع إضافة المستحدثات إليها ، حين تُستوفى في حروف الهجاء جميعا ــ لا قبل ذلك ــ ، وبعد مرورها في سباق الموانع الذي ذكرت. وعند إصدار الطبعات الجديدة المراجَعَة، قد يُنظر في استبعاد المصطلحات التي أصبحت بائدة أو قليلة الاستعمال، ولو أن بيننا من يرى فائدةً في الإبقاء عليها، لأنها لن تمحى آليًّا من الأعمال العلمية القديمة المنشورة التي يراجعها الباحثون .

ومن الحلول التي يلجئنا إليها أسلوبنا المتأنِّى في إعداد المعجمات العلمية إصدارُ المعجم الواحد في أجزاء ، يفصل بين صدور الجزء الواحد منها وما يليه مدة قد تطول سنوات . ولكن هذا الأسلوب فيه عيبٌ واضح ، إذ إن المعجم ــ بداهة ــ لا تتم فائدته إلاَّ حين تكتمل أجزاؤه . ثم إن صدور أجزاءِ المعجم متفرقة لا يكفل لها عنصرَ التعاصر والتجانس، من حيث حداثةُ المادة العلمية وأسلوبُ المعالجة ، ولا عنصرُ التماسك الذي

يتوفر بالإحالات المحكمة. ويقلِّل من أهمية هذه المآخذ أن اللجان تنظر إلى المعجم في هيئته الكاملة ، حتى وهى تدرس جزئياته . ولكن لعل العلاج الأوفى هو الإسراعُ بإعداد طبعة كاملة من المعجم ، بعد صدور آخر أجزائه، ومراجعة الأجزاء كلها مراجعة شاملة.وهى كلها حلول باهظة الجهد والتكاليف ، والله المستعان .

ثم نأتي الآن إلى طائفة من الإجراءات أو التقنيات المعجمية . أولها: كيف نرتب المداخل في معاجمنا العلمية. الجواب ، على البداهة، هو الالتزام بترتيب المداخل الأجنبية بهجائها ، وفقا للأساليب المتبعة ، لأن المُراجع يدخل إلى المجهول من باب المعلوم عنده ، أو ــ بلغة أخرى ــ يدخل إلى الأجوبة من باب الأسئلة . فإضافةً إلى مدلول المصطلح يبتغى المراجع معرفة مقابله العربي ، الذي لا يعرفه تأكيدا . ولا عبرة هنا بالقول بأن الأوْلوية ينبغي أن تكون للغة العربية .. فالذخيرة عربية، والمفتاح أجنبي . ولكنْ، على افتراض أن المصطلح الذي يعترض القارئ عربي ، ويريد أن يعرف مدلوله ومقابله الأجنبي ، يمكنه أن يجد ضالته عن طريق مسرد عربي/ إنجليزي ( على افتراض أن الأصل إنجليزي ) يأتي في نهاية المعجم ، وحبّذا إتْباعُ هذا المسردِ بآخرَ فرنسي/ إنجليزي ، حتى يتكاملَ المعجم وتعمَّ فائدته في المشرق والمغرب العربي العربيين . ولكن عندما شرع أساتذة الفلسفة في مجمعنا ، مثلا ، في عمل معجم لمصطلحات الفلسفة الإسلامية ، والتزموا بهذه القاعدة، كنتُ أوَّلَ من نادى بأن يكون المدخلُ في هذا المعجم – وأمثاله – عربيا، كما يقضى المنطق السليم ، لأنْ معظم المداخل أصلها عربي ، وتجتهد اللجنة في تفسيرها وإيجاد مقابلات أجنبية لها. وارتاحت اللجنة إلى هذا الاقتراح وأخذت به .

ومن الأمور التي تعترض عملنا أحيانا ، أن يكون للمصطلح الواحد أكثرُ من معنًى واحد . وقد تكون هذه المعاني في علوم مختلفة ، وعندئذ ترد في معاجم تلك العلوم المختلفة ، دون إشكال . ولكن معاجم بعضِ العلوم الأخرى قد يضم المصطلح نفسه،وعندئذ ينبغي أن يستعير هذا المعجمُ مقابله العربي وتعريفه من معجمه الأصلي ؛ وهذه قاعدة متبعة عندنا في معظم الأحيان ، إلا إذا رُئى أن يُعرَّف المصطلح تعريفا أكثر مناسبة للمعجم المستعير .

وعند تعدد المدلولات ، يجوز لمعجمٍ أن يقتصر على المعنى الذي يناسبه من معاني المصطلح، إذا لم يكن ثمة داعٍ إلى الإشارة إلى المعاني الأخرى. وبعض الصفات ، أو الأسماء ، قد يتغير معناها من مجال إلى مجال ، وعندئذ يكون الحلُّ هو عدم إيرادها مجردة، بل متصلة بموصوفاتها، كما في قولنا : molar teeth ، و molar solutions، مثلا .

وعندما يكون للمصطلح الأجنبي أكثرُ من معنًى واحد، يمكننا أن نضع له مقابلاتٍ عربيةً بعدد تلك المعاني أو بعضها ، إذا كان ذلك مناسبا ، لفضِّ الاشتباك بينها ، كما يقولون ؛ ولكن هذه قضية مصطلحية، قبل أن تكون مشكلة معجمية . وعند تعدد المعاني ، يحسن أن يأخذ كلُّ معنىً رَقْما فرعيا ( وربما مقابلا عربيا مستقلاًّ أيضا، كما قدَّمنا ) . ولا بأس من أن يُشار إلى فرع العلم الذي يقع فيه ذلك المعنى ، إذا كان ذلك واردًا. وإذا لم يكن لكلٍّ من هذه المعاني مقابلٌ عربي مختلف ، تُرتب ترتيبا تنازليا وفقا لأهميتها .

وعلى الرغم من الدقة التي يتوخاها العلماء في وضع مصطلحات علومهم ، قد يحدث ترادف بين بعضها وبعض ، لأسباب كثيرة ، منها ما هو تاريخي ، ومنها ما هو موضوعي يختلف باختلاف الزوايا

التي يُنظر منها إلى المصطلح الواحد. ففي معجم الرياضيات ، مثلا ، نجد : Abelian group، و commutative group اللذين ترجمهما المعجم إلى : زمرة آبلية ( نسبة إلى عالم الرياضيات Abel) ، وزمرة إبدالية (نسبة إلى خاصة الإبدال المميزة لها). والحل الذي اتخذه معجم الرياضيات ، مُحِقًّا ، هو وضع مقابلين عربيين ، ووضع علاقة التساوي بين المصطلحين الأجنبيين، وكذلك بين المصطلحين العربيين.( وسوف نعود إلى هذا عند التكلم عن نظام الإحالات، بعد قليل ) .

والخلاف بين اللغتين العربية والإنجليزية في علاقة الصفة بالموصوف ، والمضاف والمضاف إليه ، يفرض نفسه في ترتيب المداخل في المعجمات العلمية. فالوصف " primary " ، مثلا ، يأتي قبل موصوفه في نحو ثلاثين مصطلحا في أحد المعاجم البيولوجية . وتأتي هذه المصطلحات متلاحقة وفق الترتيب الهجائي لموصوفاتها ، أما مقابلاتُها العربية فَتُوَزِّعها على عدد كبير من حروف الهجاء ، وقد يكون هذا هو الأقربَ إلى المنطق السليم(لأن الهدف الحقيقي هو الموضوعات ) . والعجيب أن ذلك المعجم الإنجليزي لا يلجأ ــ في هذه الحالة ــ إلى توزيع هذه الموصوفات في مواضعها الهجائية ، متبوعة باللفظ primary، وبينهما فاصلة ، كما يتبع في أحوال مماثلة . ولكن معجم المجمع في الكيمياء والصيدلة، مثلا ، أورد نحو ٢٥٠ حَمضًا تحت لفظ acid ، متبوعًا كلَّ مرة بفاصلة ثم باسم حمض معين بذاته . بيد أنه لجأ إلى علاج الوضع ، من ناحية أخرى ، بإيراد هذه الحموض ، أو معظمِها ، بصياغتها الإنجليزية الطبيعية التي تقدم الموصوف ، فوزعها على عدد كبير من حروف الهجاء ، مثل acetic acid في حرف A ، و glutamic acid في

حرف G ، و sulfuric acid في حرف S ، وهكذا ، ذاكرًا في كلِّ مرة : "( انظر:حمض acid) " . وهذا الوضع يحاول معالجة الموقف من طرفيه ، وأن يجمع بين الحسنيَيْن ، ولكنه أدخل في المعجم مداخل بضِعْفِ عدد الحموض المعنية ( نصفها مداخل تدرج ، ويحالُ منها إلى : acid ، ولكنها تشغل حيزا على كلِّ حال ) . وقد يكون المنطق أن تورد الحموض بأسمائها دون قلب ، لأن هذا هو الذي يتجه إليه مُراجع المعجم عادة . وقد يرى مؤلفو المعجم أن يحيلوا قارئهم كلَّ مرة إلى مصطلح " acid" ( للإلمام بتعريف الحمض بصفة عامة – إذا كانت هناك ضرورة لذلك ، وهو أمر مستبعد ). وهذا الإجراء لا يضاعف عدد المداخل في المعجم .أما جمع الحموض المنصوص عليها في المعجم كلِّها في مكان واحد فلا يبدو أنه يحقق هدفا معجميا ، إنما هو أقرب إلى أسلوب فهارس الكتب الكاشفة .

وهذا الذي قدمته ليس قاعدة صمَّاء، ففي بعض الأحيان يكون من المفيد لمراجع أن يحدد عدداً من المصطلحات يجمع معاً أوصاف موصوف واحد . وذلك من قبيل ما رأيناه في مجموعة مصطلحات الرياضيات بالأمس القريب ، عندما جُمع من أوصاف وخصائص الخط (line) في حيز واحد: line, broken ، و line, directed،و line, ideal ... إلخ ( ولو أنني أعتقد أنه ليس هناك وجه لضم line,half معها ، لأنه مدخل مستقل بمعنى " نصف خط " وليس " خطا نصفيا "، فلا يأتي إلا في half-line .كذلك جُمع بين- line, و- lines, في مصفوفة واحدة ؛ وهذه مسألة فيها نظر ) .

وما قدَّمناه عن مصطلح "acid"، يصدق على كثير من المصطلحات التشريحية ، التي يُجمع عدد كبير منها تحت : artery و vein و nerve و muscle ونحوها . أما في مصطلح

"bone"( عظم ) ، فقد لا يلتصق اللفظ بأسماء كثير من العظام ، التي تعرف بأسمائها مجردة ، مثل clavicle ( الترقوة ) . واتّباع الأسلوب اللاّتينيّ في تسمية الأجزاء التشريحية يجعل ترتيبها متّسقًا مع ترتيب مقابلاتها العربية ( تحت مصطلح واحد ، هو الموصوف ) ، أما عند اتباع الأسلوب الإنجليزي ، فيختلف الترتيبان ، مثلا : المصطلحات sinus caroticus و s.cavernosus ، و s.venosus تأتى كلّها وأضرابها تحت " sinus " ، وفي العربية تحت "جيب " : الجيب السُّبَاتى، والجيب الكهفي ، والجيب الوريدى ، على الترتيب . أما اتِّباعُ الأسلوب الإنجليزي فيفرقها إلى blood sinuses، و cerebral sinuses، و cervical sinuses وهكذا. وأما مقابلاتها العربية فتأتى تحت " جيوب " ( جيوب دموية ، وجيوب مخية ، وجيوب عنقية ، على الترتيب ) .

وهذه كلها ، وأمثالها ، مسائل فنية لا يستعصى حلُّها على دقة تحليل المواقف وحسنِ التصرّف فيها ، ولكن القاعدة الذهبية هنا ، وفي كثير من الأمور المعجمية الأخرى، هي : **الالتزام والاطِّراد** ، أي اتباع قاعدة واحدة في المعجم الواحد ، دون استثناء ــ إلاّ ما يقع في حدود الخطأ البشرى الذي يبتغى الكمال ولا يبلغه ، أو لأسباب منطقية ملجئة للمخالفة .

ثم نأتي في الختام إلى قضية لعلها أهم القضايا المعجمية جميعا ، وهى أسلوب الإحالات . وأعتقد أن أسلوب الإحالات المحكم هو أكبر خدمة علمية معجمية يقدمها صانعو المعجم إلى مراجعيه ، وهى التي ترفع قيمة المعجم درجات، إن حَسُن أداؤها. ونظام الإحالات ، بطبيعته ، نظام معقد متشابك ، ولكننا لاحظنا ، في أثناء مراجعاتنا لمصطلحات معاجمنا في مجلس مجمعنا ، أن لجاننا تذهب أحيانا طرائقَ قِدَدًا ، ومن ثم كانت

الدعوة إلى تبادل الـرأي والخبرة ، ابتغاء توحيد الأسلوب . وسأحاول أن أوجز في ختام حديثي ما أرى أنه أهمُّ قواعد الإحالات في المعاجم العلمية :

١-في حالة الترادف الكامل :

أ - يُذكر المترادفان الأجنبيان وبينهما علامة تساوٍ ، ويدرجان وفق هجاء المرادف الأول منهما، ويذكر أمامهما المقابلان العربيان بالترتيب نفسه .

ب- يُكتب التعريف كاملا عند ذكر أهم المصطلحين وأكثرهما استعمالا وشيوعا . ( ولا يحال منه إلى المرادِف الآخر ) .

جـ -يُدرج المرادف الثاني ، الأقلُّ أهمية ، في موضعه الهجائي مع مرادفه الثاني وبينهما علامة تساوٍ ( على عكس الوضع في" ب " ). ويكتب أمامهما المقابلان العربيان بالترتيب الوارد هنا . ولا يكتب أي تعريف ، إنما يكتب أول السطر ، ودون قوسين :

انظر : ............

وتكون الإحالة المنطقية إلى المصطلح الإنجليزي الأشيع، لأن مفتاح المعجم إنجليزي ، ولا ضرورة لذكر المقابل العربي في عبارة الإحالة.( وعكس هذا إذا كان مفتاح المعجم عربيا،كما تقدم).

د- التعريف يكتب مع المصطلح الأهم والأشيع كما تقدم ، وليس أمام أول المترادفيْن ورودا في المعجم ( لأن المعجم ليس كتابا يقرأ بترتيب صفحاته ) .

هـ -بعض المجتهدين ينادى بأن يكون للمترادفين الأجنبيين مقابل عربي واحد . ولكنْ هذه مسألةٌ " مصطلحية لا " معجمية "، ولعلَّ الأفضل ذكر مقابلات عربية بعدد المترادفات الأجنبية. مثال ( مما عرضناه عليكم اليوم ) :

chromosome deficiency = chromosome deletion

قصور كروموسوميّ = حذف كروموسوميّ .

انظر : chromosome deletion .

وفي موضع آخر :

chromosome deletion = chromosome deficiency

حذف كروموسوميّ = قصور كروموسوميّ

( التعريف ............ )

( وقد يكتفى هنا بذكر المرادف الأهم وحده ، فتقول :

حذف كروموسومي

chromosome deletion

( التعريف ............)

د-واضح أنه لا يتكرر التعريف الواحد مرتين في المعجم إطلاقا . ( يحدث أحيانا أن يُذكر التعريف بصيغتين مختلفتين أمام كل من المترادفين، وهذا خطأ منطقي بيّن ) .

٢-إذا ورد في التعريف مصطلح أو عبارة يُخشى ألا يعرفها القارئ ، يحال بعدها مباشرة في المتن بين قوسين إلى مصطلح يفسرها ...

( انظر : ... ) ...

٣- إذا قدَّر المؤلف أن التعريف بعامة لا يُفهم، أو لا يتم فهمه، إلا بالرجوع إلى مصطلح أو مصطلحات أخرى ، يحيل القارئَ في أول السطر بعد نهاية التعريف ، إلى ذلك المصطلح أو تلك المصطلحات ، ويكون ذلك بين قوسين.

( انظر : ......... ، و ............ ) .

٤-إذا رأى المؤلف أنه من المفيد أن يحيل القارئ إلى مصطلح معاكس أو مقابل ، يذكر في أول السطر :

( انظر : .........) .

أو : ( قارن :.........) .

٥-إذا رأى المؤلف أن يفيد القارئ بإحالته إلى مصطلح آخر ، أو عدد من المصطلحات الأخرى ، يستكمل بها إحاطته بالموضوع المعنيِّ، ذكر في أول السطر بعد التعريف :

( انظر أيضا:...... ، و ......، و...).

٦-قد يُجمع بين المطلبين في " ٤ " و " ٥ " على النحو التالى :

( انظر : .........؛ وانظر أيضا : ......) .

٧- قد يلجأ واضعو المعجم إلى اختصار عبارات الإحالة على الوجه التالي :

أ= انظر .

أأ = انظر أيضا .

ق = قارن .

٨-عند الإحالة إلى مصطلح آخر، لا يقال: ( انظر...... في هذا المعجم )، لأن هذا من نافلة – أو سَقَط ــ القول. ولا يحال قارئ المعجم إلى معجم آخر - حتى إن كان من أعمال المجمع ، ويترك هذا لاجتهاده ، أو التوجيهات من قبل واضعي المعجم في مقدمته .

٩-قد لجأ بعض المعاجم إلى كتابة المصطلح الذي يراد الإحالة إليه، إذا ورد في متن التعريف ، بفنط أسود ( ثقيل ) . ويحسن في هذه الحالة أن هذا " الفنط" لا يستعمل إلا في ألفاظ المصطلحات وحدها . ( وهذا قيد محدّد ) .

١٠-بدلا مما سبق في "٩" يميّز لفظ المصطلح بوضع علامة نجمية صغيرة تعلو بدايته لا نهايته ( في اللغتين العربية والإنجليزية،وغيرهما)، لأن البداية هي التي تقود إلى المدخل الصحيح في المعجم . وينطبق هذا حتى على الكلمات المركبة ، مثلا : وهكذا *atomic weight ،*atoms ، *analytical chemistry. ( وقد رأينا محاولةً من هذا القبيل في مصطلحات الأدب ، التي عرضت علينا ) .

١١-القاعدة الذهبية في نظام الإحالات، وغيرها من الإجراءات المعجمية ، هي **الالتزام والاطّراد**، كما تقدم.

وثمة بضع ملاحظات ختامية أخرى، منها ضرورة ضبط المصطلحات بالشكل وبخاصة حينما يُخشى اللبس . وكذلك في صياغة متن التعريف ، تضبط الكلمات التي يُخشى من نطقها أو فهمها خطأً ضبطًا لغويا، بل تضبط أحيانا ضبطا إعرابيًا ، وبخاصة عندما تطول الجمل ، وتتباعد المعطوفات،أو يقدم المفعولُ،

ونحو ذلك. وينبغي استعمال علامات الترقيم ، بدقة ولكن بغير تقتير ، لأنها أدوات مهمة للفهم الصحيح . ويجوز كتابة المقابلات الأجنبية لبعض الألفاظ الواردة في التعريف ، بغير إسراف، بقصد تحديد المقصود ، أو التعريف بالمصطلح الأجنبي ، لإمكان الكشف عنه إذا دعت الضرورة . وكذلك ينبغي العناية بجودة الطباعة، وجودة ورق المعجم ، ومتانة تجليده (وحبذا جماله أيضا !) ، لأنه كتاب معدٌّ للرجوع الكثير المتكرر، لا للقراءة مرة واحدةً أو بضع مرات قلائل . وينبغي أن يقدم للمعجم بتمهيد فيه إرشاد للقارئ إلى طريقة ترتيبه ، ونظام الإحالات فيه، وأفضل الوسائل لحسن الإفادة منه .

ومن مشاكل معاجمنا العلمية ، قلة حيلتنا في نشرها وتوزيعها ، على الرغم من أن المجمع لا يردُّ طالبا يستهديها ، وإنما يجب أن تتاح للبيع أيضا بأسعار رمزية ، لأن البيع من منافذَ متعددةٍ يمكِّن أي قاصد من أن يحصل على ما يُريده منها بيسر . وقد سمعت من الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد سالم الصباغ ، منذ أيام، أنه يرجو أن نتمكَّن من تيسير نشر معاجمنا ومصطلحاتنا وأعمالنا المجمعية الأخرى عبر شبكة المعلومات الدولية (الإنترنتْ ).

وأخيرا أعتذر عن أنني أطلت وقَصَّرت: أطلت الكلام ، وقصَّرت في الوفاء بما تصدّيت له. ولكنني أتأسَّى بقول سيدنا شعيب ، عليه السلام :

﴿ ... إنْ أريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعتُ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب﴾ ( هود : ٨٨)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**عبد الحافظ حلمي محمد**

عضو المجمع

## المراجع

عبد الحافظ حلمي محمد، ١٩٩٦م. " تعريب التعليم الجامعي: ضرورات ملزمة ، ومنافع مؤكدة ، واعتراضات مفنّدة " .
بحث ألقي في مؤتمر مجمع اللغة العربية، بالقاهرة ، في دورته الستين- أبريل ، ١٩٩٤.
مجلة مجمع اللغة العربية، ٧٩ : ٢٥ - ٣٥ .

عبد الحافظ حلمي محمد، ١٩٩٧م . " الأسماء العربية لأجناس الحيوان وأنواعه ". بحث ألقي في مؤتمر مجمع اللغة العربية، بالقاهرة ، في دورته الحادية والستين - أبريل ، ١٩٩٥م. مجلة مجمع اللغة العربية ، ٨١ : ٦٢- ٧٤ .

Lawrence, D.( ed. ) 1990. Henderson's Dictionary of Biological Terms (10 th ed. )
Longman Scientific and Technical , Essex.

# رؤية عربية لتوحيد المصطلح العلمي وتقييسه*

للأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي

## ١ - مدخل:

إن حديثي إليكم سيدور حول البحث عن منهج يساعدنا على الفوز بمصطلحات عربية موحدة مشتركة في رؤية علمية وثقافية وحضارية منشودة، يبدو أنها صعبة المنال، إن أخذنا بعين الاعتبار البلبلة التي تستبد بمصطلحاتنا ومفاهيمها. وهي تتمثل أساسا في ترادف يذهب الشرَّة وفي مشترك لفظي يكاد يكون عنوانا عن اشتراك فكري وعقلي، وفي معربات ودخيلات قد اشتد الخلاف في نقلها نقلا صوتيا علميا إلى العربية بين مُتَفَرنسين ومُتأمْركين ومُتَرَوِّسين ومتألمِنين من بني جلدتنا، فضلا عن المتعاطفين مع حضارات اليابان والصين والطليان ... إلخ

ويشهد على ذلك في مستوى الكيف كلمة " تليفون " التي اقترح لها هاتف ، ومِسَرَّة ومِقوَل، وإرزيز ... إلخ. أما كلمة "كمبيوتر" فهي الرّتابة، والنظامة، والحاسوب ، والحسوب بالمغرب العربي،والكمبيوتر والحاسب الآلي، والعقل الإلكتروني ، والمحسب الكهربائي في المشرق العربي.أما فيما يتعلق بهاردوير، فلقد قيل فيها: أجهزة تحضير وتحليل البيانات _ وأجزاء جهاز الكمبيوتر، والأجزاء الصلبة لنظام الكمبيوتر. وفي هذا الإطار ترجم مصطلح General linguistics بخمسة وعشرين مصطلحا. وفي الزيادة خير ونعمة!!

وفي مستوى نقل أصوات المعربات والدخيلات اشتد الخلاف بين من يفضل اعتماد النطق الأنكلوسكسوفي عند نقلها إلى العربية ومن يفضل النطق الفرنسي اللاتيني .

* ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الثانية عشرة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الثلاثاء ٢٨ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٦ من مارس ( أذار ) سنة ١٩٩٩م .

ولقد أقر مجمعنا قرارين متضـادين : أحدهما – عام،اقترحه الأمير مصطفى الشهابي، ويتمثل في اختيار النطق الفرنسي.والآخر – يتعلق بنقل الشهور لاسيما الغربية منها حسب النطق الإنجليزي . والأمثلة على تلك البلبلة الصوتية كثيرة. فهل نقول تيُولِيب أو تُوليب ( tulipe ) تعبيرًا عن الزهرة الهولندية الجميلة؟ وهل تنقل Hydrogenation بـ هدرجة أو درجتة ؟

ولقد بذلت المجامع ولاسيما مجمعنا الموقر، جهودًا كبيرة للفوز بنظام صوتي علمي على غرار نظام كوبنهاجن الدولي الصوتي ، يؤمِّن للعربية دقة علميّة عند نقل المصطلحات وأسماء الأماكن والأعلام حسب نطقها عند أهلها.

أما من حيث الكم، فإننا نلاحظ أن كل جهودنا التوحيدية المختلفة لم توفر لنا سوى عشرات الآلاف المعدودات من المصطلحات التي ندعوها بالموحدة. فلو اكتفينا بما وفره مكتب تنسيق التعريب في مؤتمراته المختلفة لوجدنا أنها لا تزيد في أحسن الحالات عن ١٠٠,٠٠٠ مصطلح موحد بطرق فيها نظر، حسبما تفيدنا بذلك نشرته الداخلية لاسيما نشرته المقدمة لمؤتمر التعريب بالسودان. فأين نحن من الملايين المملينة من المصطلحات الموحدة الفرنسية والإنجليزية والروسية. واليابانية ... إلخ؟ . أما مصطلحات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فإنها لم تُحْصَ إلى يومنا هذا إحصاء دقيقا فضلا عن أنها ليست ملزمة للجميع. ويدل على ذلك الاختلاف في شأنها مع مجامع دمشق وبغداد، والأردن، وبيت الحكمة في تونس، والأكاديمية الملكية بالمغرب. ويكفيني تدليلا على هذا الشأن ما أشار إليه مصطفى الشهابي في كتابه " المصطلحات العلمية والفنية في اللغة العربية في القديم والحديث " إن هذه المعطيات تدعوني إلى أن أبدي بعض

الملاحظات المهمة أمنا للبس وتوضيحا للمواقف من قضايا مبدئية ومنهجية أساسية منها على وجه الخصوص:

أ ) أن الترادف ، والمشترك اللفظي؛ والأخذ والعطاء تمثل مظاهر لغوية ليست مقصورة على العربية بل تلحق كل اللغات لكن مع الفارق الذي يتمثل في تصوراتنا اللغوية المتعلقة بالتوحيد ومستلزماته العلمية البحتة.

ب) أن تلك التصورات تتمثل في أربع إشكاليات تستحق أن نعنى بها قبل أن ندعو إلى التوحيد توحيدًا علميا له أبعاد تربوية وثقافية وحضارية.

ج) أن المنهج التوحيدي الذي ندعو إليه ، يفترض في مستوى المؤسسات اللغوية والمتخصصين، والمجتهدين ومنهم الصحافيون، في نطاق اللغة العربية الفصيحة المعاصرة، ألا نفاضل مسبقا بين مصدر وآخر أو بين وسيلة من وسائل الموضع ( مجاز، اشتقاق ، تعريب، نحت ، ارتجال ) ، لاسيما إذا أردنا أن نصف الساحة اللغوية بدون إقصاء أو أحكام مسبقة لصالح هذا على ذلك، من شأنها ألا تساعدنا على تشخيص الداء وتصور الدواء. ولعل أحسن طريقة لمعالجتها أن نعرضها كلها على الإشكاليات الأربعة المذكورة نفسها سابقا قبل اقتراح توحيدها توحيدًا علميا. فما هي الإشكاليات المعنية؟ وما هي المبادئ التي اعتمد عليها مشروعنا في التوحيد والتقييس؟

## ١-٢ إشكاليات المصطلح

لقد أفاد بها علم المصطلح الحديث في المستوى النظري ومصطلحاتنا العربية المعاصرة التي وضعتها المجامع والمؤسسات والمتخصصون في مختلف العلوم. فلا يمكن أن نتطرق إلى موضوع توحيد مصطلحاتنا وتقييسها دون إشكاليات أربعة لابد من العناية بها ، وهي تتمثل فيما يلي:

أ ) افتقاد مدونة مصطلحية عربية تحتوى على كل الرصيد العلمي والمصطلحي العربي المعاصر كَمًّا وكَيْفًا في مختلف العلوم سواء بالوضع أو الترجمة أو التعريب ، ومفادها أن نوفر للمصطلحى المُوَحِّد وثيقة كاملة شاملة مصطلحية مصدراً تعبر عن آراء ومناهج وترجمات كل المعنيين بعلم من العلوم لأجل مقارنتها وموازنتها حسب مقاييس لغوية وزمانية ومكانية، وحتى اجتماعية وثقافيّة تساعدنا على استخلاص مختلفها ومشتركها طمعًا في توحيدها الاعتماد على قوانين عامة وقواعد ترتكز على الغالب والمطرد خلافًا للمبادرات التوحيدية الرائجة التي كثيرًا ما اعتمدت على عينات جزئية محدودة كَمًّا وكَيْفًا وزمانا ومكانا .

ويبدو لنا أن بناء هذا الرصيد ممكن اليوم لما وفرته لنا المجامع والمؤسسات العربية المتخصصة ـ وهى كثيرة ـ من المصطلحات العربية المخزنة والمبرمجة .

ب) غنائية الخطاب العلمي والحضاري العربي الحديث الذي يتخبط في تيه بين التراثيات والحدثيات دون أن يخرج منها بوسيلة ناجعة ومقنعة . فهو يدعو إلى تعويض الحديث بالرصيد العلمي العربي القديم دون أن يدلل على ذلك، ودون أن يعنى بذلك القديم عناية علمية عميقة؛ لأن عنايته به لا تتجاوز مجرد التغنى به لأسباب تستحق الدرس والتحليل . فلقد لاحظنا مثلا أن كثيرًا من المتخصصين العلميين يدعون إلى اعتماد مُخَصَّصِ ابن سيده للاستفادة من مصطلحاته في ميادين الحيوان أو الزراعة أو النّبات ... إلخ دون أن يطبقوا لذلك تطبيقا مبررًا . فلقد دعا أمين المعلوف في مقدمة " معجم الحيوان " وأحمد عيسى في " معجم النبات" ومصطفى الشهابي في " معجم الألفاظ الزراعية " إلى ضرورة

الاستفادة من ذلك الرصيد دون أن يبرهنوا على ذلك؛ إذ لم يأخذ أحد منهم ــ كما بيّنت دراستنا في هذا الشأن ــ أكثر من ثمانية مصطلحات من المُخَصَّص . فما هي أسباب ذلك ؟ أهو قصور القديم عن أداء الحديث أم غبن المحدثين لرصيد القديم مع التغني به للتبرؤ من تهمة التفريط فيه لا سيما وأن رصيده لم يستقرأ استقراء عميقا وجديا في مدونات جامعة شاملة استعيض عنها بغنائيات لا تسمن ولا تغنى من جوع ، في ما نحن فيه من حاجة إلى توظيف في ذلك الرصيد التراثي توظيفًا منهجيا كميا وكيفيا يستعان به في معركة التوحيد والتقييس .

جـ) الخلط بين اللفظ أو الكلمة العادية (word) والمصطلح (term) العلمي أو الفني أو التكنولوجي . فالأول ينتسب إلى اللغة العامة والثاني إلى علم المصطلح؛ مما يترتب عنه أن الأول يدخل في إطار العلامة اللسانية العامة والثاني يندرج في نطاق العلامة المصطَلحية . ومن ذلك أن اللغة أو الكلمة علامة لسانية مركزة على دال ومدلول ( مبنى ومعنى ) لا صلة بينهما، وينشأ منهما المفهُوم . ويعبر عن ذلك بما يلي :

العلامة اللسانية العامة :

$$\frac{\text{الدال (١)}}{\text{المدلول(٢)}} \quad \frac{\text{اللفظ (١)}}{\text{المفهوم(٢)}} \quad \frac{\text{لف (١)}}{\text{مف (٢)}}$$

وكثيرا ما تكون الصلة بين الدال والمدلول اعتباطية فليس بالضرورة أن يكون كل صالحٍ صالحًا. فلو كان الاسم تعبيرًا عن المسمى لكان لنا اسم واحد للفرس أو الفيل ... إلخ في كل اللغات .

أما المصطلح فهو خلاف ذلك لا سيما في معادلته التي هي كما يلي:

العلامة اللسانية المصطلحية =

$$\frac{\text{المدلول(١)}}{\text{الدال(٢)}} \quad \frac{\text{المفهوم(١)}}{\text{اللفظ (٢)}} \quad \frac{\text{مف (١)}}{\text{لف (٢)}}$$

فالمفهوم سابق للفظ المسمى به لأن المصطلح صلح وتصالح بين

متخصصين . فالصلة بينهما مقصودة معيارية مختارة، وينشأ مفهومها من طبيعة الشيء ووظيفته مما يترتب عنه أن يكون لكل مفهوم مصطلح واحد لا تشويش فيه إلا بمقدار ضئيل . فالترادف يكون مستحيلا إذا كان المفهوم المصطلحي مأخوذًا مثلا من اسم مخترعه مثل كلمه كيلومرتز وخوارزمية ...وعلى هذا الأساس لابد أن يتفرد بوضع المصطلح العلمي أهل الذكربه والمتخصصون لا الأدباء والمعجميون ومن لف لفهم .

د) وحدة المصطلح مطلوبة لكن ليس في كل الحالات . فوحدة المصطلح لا تعني بالضرورة وحدانيته لأنه يوجد من العلوم مالا يقتصر على مصطلح مفرد . وذلك شأن المصطلحات الكيميائية أو التكنولوجية التي كثيرا ما تتكون من عنصرين فأكثر إلى حد عشرة عناصر، إذا أسقط واحد منها استحال معناها . ومثال ذلك : ثنائي الأكسيد يكون مصطلحا واحدًا لو أسقط أحدهما لانتفى معنى هذا الجسم الكيميائي وذلك شأن : integrated orthographic

( وهو : المدقق الإملائي المندمج ) correctorوعلى هذا الأساس لا يمكن التقيد بصفة مطلقة بما تدعو إليه المجامع العربية من وضع مصطلح واحد لمفهوم واحد حتى تتحقق وحدة المصطلح العربي . ولذلك يكون المصطلح مفردة في علوم معينة كما يمكن أن يكون قالبا أو نسقا متكونًا من عناصر متعددة في التكنولوجيا على وجه الخصوص وفروعها .

نستخلص من كل ما ذكرنا من الإشكالات الرئيسية الأربعة السابقة أن توحيد المصطلح يستلزم طرح تصورات ومناهج تؤسس لمبادئ وحدته؛ لأنها تكون شرط لزوم يمهد لتوحيده وتقييسه اللذين يعتبران شرط كفايته .فكيف يكون التوحيد؟ .

**مبادئ التوحيد : التقييس**

نبدأ هذا المبدأ بثلاث ملاحظات مهمة:

**أولها:** أن التوحيد المنشود يتطلب مدونة شاملة كاملة تحتوى على كل مصطلحات علم من العلوم بمفرداتها العربية أو الدخيلة المعاصرة دون إقصاء أو حكم مسبق .

**ثانيها** :اعتماد هذا المشروع في التوحيد المطبق على المصطلحات المفردة لأنها الغالبة؛ ولأن ما يطبق عليها صالح لأن يطبق على غيرها من المصطلحات الثنائية أو المتعددة العناصر .

**ثالثها:** لا يدخل في مقاربتنا هذه أمثلة مطبقة لتوحيد نظام صوتي لنقل المعربات والدخيلات التي يمكن أن نطبق عليها المبادئ نفسها الآتي ذكرها.فما هي مبادئ التوحيد المنشودة (*) ؟ إنها أربعة: لغوية وصرفية ونحوية ورياضية توليدية تتمثل فيما يلي :

المقاييس الكمية للتقييس .

أ-الاطراد أو الشيوع : يقاس المصطلح المقترح باعتبار المصادر والمراجع التي تؤيد المصطلح الواحد وتحتج له. ولقد حصرناها في خمسة مصادر على أقل تقدير . فيختار اللفظ الأغلب ورودًا فيها . كما تدل على ذلك اللوحة التالية حيث يسند له درجة تنازلية بحسب تنازل المصادر المؤيدة له :

| عدد المصادر والمراجع المثبتة للمصطلح | الدرجة المسندة |
| --- | --- |
| ٥ م . م . | ١٠ |
| ٤ م . م . | ٨ |
| ٣ م . م . | ٦ |
| ٢ م . م . | ٤ |
| ١ م . م . | ٢ |

ب ـ يسر التداول : يقاس على أساس الحروف الأصول في العربية التي تتركب منها المصطلحات . فيختار المصطلح الأقل حروفًا أصلية

(*) لقد اعتمد مكتب تنسيق التعريب طريقة في توحيد المصطلح ترتكز أساسا على المصطلح الأكثر شيوعًا عند أهل الذكر في الأقطار العربية وذلك لا يكفى .

كما تشهد بذلك اللوحة التالية وذلك حسب درجة تنازلية كذلك :

| عدد الحروف الأصول للمصطلح | الدرجة المسندة |
|---|---|
| الثنائي الحروف | ١٠ |
| الثلاثي الحروف | ٨ |
| الرباعي الحروف | ٦ |
| الخماسي الحروف | ٤ |
| السداسي الحروف | ٢ |

وذلك لأسباب صرفية ورياضية.والكلمات الغالبة في العربية لا ثنائية ولا رباعية ولا خماسية بل ثلاثية؛ لأن الثلاثي متمكن في العربية، كما قال سيبويه في " الكتاب " ولأن قانون زيف (loi de zipf) يفيد بأن شيوع اللفظ على عكس طوله . ولقد أثبتنا كل الحروف الأصول للمصطلح الواحد، على قلة ورود بعضها (١٥. كلمة ثنائية في القرآن ) حتى يبرر دور الكلمات الثلاثية التي تحتل مكانة تكاد تكون مثلى حسبما يشهد بذلك الدرجة المخصصة لها في اللوحة السابقة .

جـ) الملاءمة: تضبط بحسب الميادين التي يستعمل فيها المصطلح كما تشهد بذلك اللوحة التالية :

| عدد الميادين المستعمل فيها المصطلح | الدرجة المسندة |
|---|---|
| ميدان واحد | ١٠ |
| ميدانان | ٨ |
| ثلاثة ميادين | ٦ |
| أربعة ميادين | ٤ |
| ستة ميادين | ٢ |
| أكثر من ستة ميادين | ١ |

فهي تخضع لمبدأ رياضي مفاده أن قوة ملاءمة المصطلح على عكس توسعه إلى ميادين عديدة. فتسند أعلى درجة للمصطلح الذي يقتصر استعماله على ميدان واحد .

د) التوليد اللغوي : تضبط بحسب المشتقات التي تتولد من المصطلح الواحد . فيختار المصطلح الذي تشتق منه صيغ أكثر من غيره كما تشهد بذلك اللوحة التالية :

| أنواع المشتقات | الدرجة المسندة | أنواع المشتقات | الدرجة المسندة |
|---|---|---|---|
| ١٠ مشتقات فأكثر | ١٠ | ٥ مشتقات | ٥ |
| ٩ مشتقات | ٩ | ٤ مشتقات | ٤ |
| ٨ مشتقات | ٨ | ٣ مشتقات | ٣ |
| ٧ مشتقات | ٧ | مشتقان | ٢ |
| ٦ مشتقات | ٦ | مشتق | ١ |

والملاحظ أن اختيار المصطلح يكون حسب درجة تصاعدية متصلة بعدد المشتقات التي يمكن توليدها منه.

فالخلاصة من هذه المبادئ الكمية للتقييس والمبررة لسانيًّا ورياضيا هو أنها تضبط لأول مرة ضبطا مرقما الفصاحة في مستوى المفردات والمصطلحات فضلاً عن أنها تضبط مقاييسها الكمية التي يمكن الاحتجاج لها لغويًّا ولسانيًّا.

**١-٤ التقييس المطبق :**

يجد القارئ في اللوحة التالية مثالاً مطبقًا من التقييس مأخوذًا من العربية . فلقد قسنا لترجمات كلمة telephone من الفرنسية والإنجليزية إلى العربية وهي ترجمات واردة في المصادر والمراجع العربية الموثقة على جذاذة المصطلح.

المعنى:

| الرقم | الترجمات | الاطراد | يسر المعالجة | الحوافز | الملاءمة | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | تليفون | ٩ | ٦ | ٦ | ٩ | ٣٠ |
| ٢ | هاتف | ٩ | ٨ | ٨ | ٩ | ٣٤ |
| ٣ | مسَرَّة | ١ | ٣ | ٦ | ١ | ١١ |
| ٤ | مقوَل | ١ | ٣ | ٦ | ١ | ١١ |
| ٥ | إرزيز | ١ | ٢ | ٦ | ١ | ١٠ |
| ٦ | سماعة كبريت | ١ | ١ | ١ | ١ | ٤ |
| ٧ | سماعة حديثة بالسلك | ١ | ١ | ١ | ١ | ٤ |
| ٨ | آلة تكلم على بعد | ١ | ١ | ١ | ١ | ٤ |
| ٩ | آلة متكلمة | ١ | | ١ | ١ | ٤ |
| ١٠ | تلغراف ناطق | ١ | ١ | ١ | ١ | ٤ |

إن المصطلح الفصيح الفائز في العربية هو " هاتف " يليه " تليفون " باعتبار مجموع الدرجات المتقاربة المسندة لهما. وبالتالي يمكن في بعض الحالات اعتماد لفظ ثان مرادف إذا كانت درجته عالية ويترك للاستعمال الاختيار النهائي بينهما . فهل يمكن لنا أن نوفق إلى جزء من المقترحات الواردة في المحاور الثلاثة السابقة؟

وهل يكتب لنا يومًا أن نتفق ونطبق هذه المنهجية العربية التقييسية المقترحة أو غيرها إن كانت أحسن منها؟ . إن الأمر مربوط بعزيمتنا على اختيار الأصلح وإنجازه حسب مخطط معقول، نرجو أن يكون له صدى في توصياتنا وقراراتنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

**محمد رشاد الحمزاوي**

عضو المجمع المراسل من تونس

# النسق الفصيح والنسق العامي
# في المنهج التعليمي للغة العربية *

للأستاذ الدكتور عباس الصوري

يدخل هذا الموضوع ضمن مسار الأبحاث التي تحاول رصد موقع اللغة العربية داخل الثقافة المعاصرة في مظاهرها المختلفة. ويبدو هذا جليا في نقاط التقاطع والحوار بين الثقافة العربية في شموليتها وبقية الثقافات المعاصرة .

الإجابة عن ذلك تقتضي منا تحليل عدة أوضاع توجد فيها لغة العروبة على محك العصر . وسنكتفي في هذا العرض بالحديث عن مدى استعداد لغتنا العربية لتؤدى مهمتها مثل سائر اللغات الحية ، خصوصا وأن الإقبال عليها في تصاعد مستمر لأسباب كثيرة .

فالعالم العربي يوجد حاليا في عمق الاهتمامات الدولية لما له من موقع وما يزخر به من ثروات ، اشتد الصراع حولها في العقود الأخيرة ، وهذا كاف لجعل لغة العرب وثقافتهم هدفا لمزيد من الاختراق . هذا فضلا عن أن اللغة العربية بحكم أهمية تراثها المتنوع وفعل حجم متكلميها الهائل ، كل ذلك أهلها لتكون ضمن اللغات الأولى في حظيرة الأمم المتحدة لغة الترجمة ، ولغاية التعارف وتبادل الصلات بين الشعوب الشقيقة والصديقة على السواء.

ثم إن العربية فوق هذا وذاك لغة الثقافة والدين لكثير من الشعوب التي تدين بالإسلام ولكنها لا تتكلم العربية مثلما هو الحال في آسيا وأفريقيا وغيرهما من المناطق ، وللمسلمين هناك اهتمام بالغ بتعلم لغة

---

*ألقي هذا البحث فى الجلسة الثالثة عشرة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأربعاء ٢٩ من ذى القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٧ من مارس ( أذار ) سنة ١٩٩٩م .

القرآن الذي به يتعبدون .

لهذه الأسباب وأخرى اجتماعية واقتصادية وسياحية أيضا ، كانت العناية باللغة العربية شديدة ، مما جعل المشتغلين بشؤون البيداغوجية يركزون البحث عن أنسب السبل لتيسير مهمة التدريس وإعداد البرامج اللائقة والطرائق الميسرة والوسائل الفعالة لتبسيط عملية تعلم اللغة العربية. فماذا تحقق من ذلك ؟

إن العناية بالشيء لا تعد شرطًا في تحصيله بالضرورة، فكثرة الاهتمام، قد تفتح المجال لابتداع المناهج وابتكار الأساليب ، قد تساعد في توسيع هذا المجال ليشمل سائر العراقيل التي تعوق اللغة العربية في أداء مهمتها كلغة المسلمين ممن يتكلمها ، وممن لا يتكلمها ، ولكن ذلك ليس شرطا في النجاح .

فإذا أخذنا على سبيل المثال لا الحصر ، الأبحاث التي أجريت من قبل الباحثين في معهد الخرطوم الذي يهتم بنشر اللغة العربية خارج نطاق العالم العربي وحاولنا الإلمام بعينة منها ظهرت خلال الثمانينيات لوجدنا الأعداد التالية :

- 70 بحثا أنجز في موضوع الظواهر النحوية والصرفية والصوتية .
- 80 بحثا في المشاكل التربوية وقضايا التدريس .
- 20 بحثا في تعليم المهارات اللغوية .
- 30 في بناء المناهج وتخطيطها وتصميمها.
- 40 في تأليف النصوص التعليمية .
- 50 دراسة في السياسة اللغوية .
- 20 بحثا في الوسائل التعليمية .
- 70 في ميدان التقويم .
- 30 في طرائق إعداد المعلمين
- 350 في دراسة الوضعيات اللغوية في البلاد الإسلامية ... إلخ .

فإن أضفنا إلى الرُّكام الذي يتزايد كل سنة ما هو موجود في السوق مما ألف في البلاد العربية أو خارجها من كتب التعليم ومعاجم

وأشرطة سمعية وبصرية سنجد حقيقة حصيلة هائلة من الأبحاث في الطرق والمناهج والأساليب المتنوعة في أهدافها وفي محتوياتها وفي منظورها ولكنها جميعا تعد أداة لتقريب العربية لمن يود تعلم المستوى الفصيح منها ، فماذا نستفيد من كل هذه الجهود ؟ سنرى ذلك على المستويات التالية :

1- على مستوى الأهداف .

2- على مستوى المنهاج .

3- الطريقة المتبعة .

4- المحتوى .

**1- على مستوى الأهداف :**

يمكن أن ننظر إلى تعلم اللغة العربية لغايات لغوية محضة كما يمكن أن ندرسها لغاية ثقافية . ومن الصعوبة الفصل بينهما ، ويبدو أن هذا التقسيم متأت من إقبال الدارسين من غير العرب على معرفة اللغة والذين أعدّت لهم برامج دون الاهتمام بالجانب الثقافي الذي يوقع في الإحراج بالنسبة لهؤلاء عندما يتعلق الأمر بدراسة نصوص القرآن والحديث والسنة والفكر الإسلامي لأنها تعد من مكونات الثقافة الإسلامية.

إن الرهان على الدرس اللغوي المحض محفوف بكثير من المزالق ، وعلى رأسها كون اللغة ليست مجرد متن جامد وإنما هي عالم حي يحكي تجربة قوم بثوا فيها خلاصة عواطفهم وسجلوا فيها مختلف رؤاهم الفكرية في الكون وفي الناس وفي الحياة .

**2- على مستوى المنهاج :**

هناك المنهاج الخاص بتعليم العربية لأهلها ، وهو يروج عادة في الدول العربية. وهناك المنهاج الموجه للطلاب المسلمين من غير العرب مثل المناهج الرائجة في السعودية ومصر ( بالأزهر )، وبعض البلاد المشرقية الأخرى، ولها طابع ديني . وهناك المناهج الموجهة لغير المسلمين ، ويحاول أصحابها أن ينسجوا على منوال الكتب السياحية التي تتبع اللغة مثل أي إنتاج سياحي آخر ، فهي

تسعى لتبسيط الدروس إلى حد تصبح معها مجرد جمل وتعابير جاهزة قصد تبادل الحديث في شؤون الحياة العادية...

**3-على مستوى الطريقة :**

هناك الطرق التقليدية التي تجعل من درس العربية أداة للثقافة الإسلامية ، فهي تعتمد على القراءة والنحو للمرور سريعا إلى متون الفقه والشريعة والأدب.

وهناك المناهج الموجهة لغير المسلمين، وهي تنبني أساسا على ما يسمى بالطرق الحديثة وهي تهدف إلى تركيز على لغة الحديث ، لذلك استعملت الآلات السمعية والبصرية التي تساعد على تحقيق ذلك ، وإلى هذا النوع نشير – في حديثنا – لأهميته وسرعة انتشاره .

**4- على مستوى المحتوى :**

أي مستوى المحتوى اللغوي الذي نهدف إلى تبليغه : وهنا نصل إلى عمق المشكل ، فاللغة أساسا ليست مجرد قواعد تحفظ ومبادئ تعرف بواسطتها القوانين التي تتحكم في الصرف والنحو والبلاغة ، اللغة – كما يقول ابن جني – أصوات ... أي ألفاظ وعبارات منطوقة ومسموعة، وسواء أكانت العربية تدرس للمسلمين من غير العرب أم لغيرهم من الشعوب الأخرى ، فالأصوات في اللغة العربية تطرح مشاكل تتصل بالاستماع أولاً ثم التلفظ ثانيا ، وهندسة الأصوات مثل هندسة الكتابة. فكما أن الدارسين تبقى في نفوسهم أشياء من إرغامهم على الكتابة من اليمين بدلا من اليسار الذي ألفوه ، فكذلك يجدون غرابة لا تنتهي تجاه نظام الأصوات العربية .

فهناك إذن مشكل النطق لأن الطرق الحديثة كلها أجمعت على إعطاء لغة الحديث الأهمية الكبرى وبها تكون البداية في المستويات الأولى ، ومنها التي تسعى إلى جعل لغة الكتابة بعد تعلم المشافهة مثلما

يحصل في تعلم اللغات الغربية وهـذا ما يجعل تعلم العربية يقع في دائـرة مغلقة ، الخـروج منـها يتـم عـبر منعطفين : إما تعليم المشافهة الفصيحة أو تعليم المشافهة غير الفصيحة .

– بالنسبة للاتجاه الفصيح: يجد تبرير موقفه في أن المشـافهة بغـير الفصحى تتم ليس بعامية واحدة وإنمـا بعاميات مختلفة ، معظمها يتميز بعـدم الانقياد في قواعده، وطريقة كتابتـه ، وضبط نظامه الصوتي والصرفي. فما هي اللغة العربية العامية أو العاميـات التي يجب تدريسها للطلاب الأجانب ؟ إن كان الجواب هينا في الاختيار فـهو ليس ممكنا علـى مسـتوى الإنجـاز والتحقيق ... ولا مجال للخوض فـي اللغة العامية الأقرب إلى الفصحـى أو السقوط في فخ التفاضل... لهذا اختـار هذا الاتجاه ( الفصحى ) لأنـها لغـة العرب جميعا ، وبها يمكن التفاهم فـي جميع الدول العربية .

–الاتجـاه الثاني : يرى أن الفصحى تصلح للدراسة الأكاديميـة ولمعرفـة الدين والأدب والثقافة ، أما من يرد أن يحتك بالعرب فـي حياتـهم اليوميـة ويعرف كيف يخاطبـهم ، فـالفصحى وحدها غير كافية ، بل يمكن أن تكون عامل إحباط في التعامل مع العـرب بسبب صعوبة مخارج الحروف وكثرة الاشتقاقات، وأنواع الأفعال والجمـوع إلخ ...

والواقع أن هذه الثنائية: ثنائيـة اللغة والكلام ، الفصحى والعاميـة ، الفكر والممارسة ... هو مشكل تعليـم جميع اللغات ، لكن بنسـب متفاوتـه طبعًا ، وهو يجد له حلا في الثقافـات التي لا يوجد فيها تباعد كبير بين اللغة العالمة (لغة الثقافة ) والفكر، واللغـة العامية؛ لغة السوق والتواصل البسيط. لكن في العربية الأمر يختلـف، فقـد يصل التباعد إلى حـد الاختـلاف ، وللمهتمين بالموضوع مواقف مختلفة :

–الموقف التقليدي من العامية :

التجاهل ، وهي عند أصحابه تشكل

خطرًا على الفصحى، لذلك وجب تنقية الدرس الموجه للعرب ولغير العرب من جميع الشوائب العامية ، ويكون المعيار عندهم هو المتون الأدبية الكلاسيكية ، وهي الجديرة بالدرس ، وهي أساس الوحدة بين العرب وما سواها يعد خرقا يجب محاربته ... وتقوم البيداغوجية عند هؤلاء على مفهوم الخطأ انطلاقا من المعيار .

– الموقف البيداغوجي :

المشكل يكمن أساسا في كيفية تأسيس الدرس اللغوي بالعامية إن كان لوجود هذا الدرس ضرورة. وكيف يمكن التحكم في الخلافات بين العاميات ؟ وما هو النموذج المطلوب في النطق والنبر والتنغيم ؟ وما الموقف من التداخل بين العامية والفصحى ؟ ولحد الساعة ، لا توجد تجارب لنقل العاميات عن طريق المشافهة إلى الدرس الكتابي المبني على ضوابط متفق عليها ، فالمستشرقون اهتموا بالعاميات كثيرًا ووضعوا لها قواميس لترجمتها وحاول بعضهم رسم الخرائط اللغوية مثلما فعل " ولفنسن " في محاولته وضع جغرافية لهجية للعالم العربي أو كما فعل " كانتينو " الفرنسي في دراسته للهجة حوران وتدمر إلخ ...

ولمحمد جواد النوري أطروحة حول " لهجة نابلس " الفلسطينية 1973 ، ويرى إبراهيم أنيس في كتابه " في اللهجات العربية " . " أن مثل هذه الدراسات من شأنها أن تخدم اللغة الفصحى " ، وهو في الغالب يقصد اللهجات العربية القديمة . إن هذه الدراسات لا تخدم اللغة الفصحى – كما يرى أنيس – بصفة مباشرة ، وإنما تكون جهود أصحابها أساسا لإقامة الدرس اللغوي اللهجي ، أما معظم هذه الدراسات فيقوم على أساس البحث التاريخي لمعرفة ماضي اللغة وتراثها أو يكون الهدف لغويا لإثبات العلاقة مثلا بين الفصحى والعامية ، فماذا عن هذا الموقف الأخير ؟

-الموقف اللغوي :

مشكلة هذه الدراسات أنها تغفل أولاً التفاعل الاجتماعي اللغوي ، فهناك نوع من هذه الدراسات في بعده عن التفاعل المذكور يتخذ سبلاً سهلة لضبط عنصر التجانس بين الفصحى والعامية، وهكذا تخلط هذه الدراسات بين عدة مفاهيم مثل مفهوم " الاندراجية " الذي تذكره تصريحا ولكنها تقيم مفاهيمها عليه ضمنيا . فهذا المفهوم عند اللسانيين يحيل على معنى " التغير " ومعنى التغير يوضحونه بدرجة من درجات التطور، والتطور يقام على أساس مبدأ "الأصل ــ الفرع "،وإذا فهمنا العلاقة بين الفصحى والعامية على هذا الأساس أي على أساس التغير اللغوي، سنجد بعض اللغويين يرون أن العلاقة بين الأصل والفرع لا تشكل قطيعة . يقول د. منذر عياشي في كتابه " قضايا لسانية وحضارية" " إن الفارق بين الفصحى والدارجة فارق في الأداء لا يمس السطح "،أما القطيعة " فهي مسافة لسانية تفصل بين لغة وأصلها التاريخي المنسلخة عنه ... تشكل انفجارا يصيب اللغة الأم ويحيلها إلى لغات متباعدة " ، وليس بهذا المعنى تعيش الفصحى تطورها ، فالتطور بالنسبة إليها استمرار للماضي في الحاضر... وهذا التطور الخاص للغة العربية يعكسه حضور التراث في كل مناطق المتن المعجمي للغة العامية ؛ لكن المسألة ليست من البساطة للحسم فيها بهذه الطريقة .

فالتغير الذي يحصل في لغة ما خلال مسارها التاريخي له أبعاد متعددة : هناك الزماني والمكاني والتغير الفردي للمتكلمين : يكون نفسيا وفسيولوجيا .

يقول ابن خلدون في المقدمة : " لغة العرب العهد مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير ، وذلك أنا نجدها في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المصري ، ولم يُفقد منها

إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير " .

حسب هذا النص ، فالتغير الذي أصاب لغة المشافهة في زمن ابن خلدون أصابها في دلالة الحركات ( أي الإعراب ) أما بنية الكلام فقد بقيت على ( سُنن اللسان المصري ) كما يقول ، واستعاض الناس إذ ذاك بالتقديم والتأخير ( أي التركيز على الرتبة ) بدل حركات الإعراب .

التغيير إذن يكون على عدة مستويات :

-المستوى الصوتي: وهو رائج حتى في الفصحى ذاتها ( وهو من أكثر المشكلات صعوبة في البحث اللساني كما يرى " دوسوسير " وغيره .

-المستوى المعجمي : وهو مجال انتقال المفردات وتغيرات دلالاتها ، وتغيير بنيتها الصوتية وما يحدث فيها من إسقاط وحذف أو تسكين أو إدغام وإبدال ودمج .

-المستوى النحوي والصرفي : وهو الذي أشار إليه ابن خلدون ، ولعله أخطر أنواع التغيير الذي إذا تجاوز حدا معينا يحدث القطيعة ، أما التغيرات على مستوى الأصوات والمفردات فهو شيء طبيعي .

ويبدو لي أن بعض الدارسين قلبوا النظرية بقولهم بعد تغيير الدلالة ومحاولة البرهنة على ثباتها دون تغيير في العامية . مما جعل في المغرب عندنا ، بعض علمائنا يعملون على إصدار بعض الجداول الأخرى للاستدلال بها على أن العامية لا تشكل مظهرا من مظاهر التطور ، وإنما هي في حد ذاتها أصل وغيرها تفرع عنها. ويبدو لي أن هؤلاء ــ وعلى رأسهم الأستاذ الشاعر محمد الحلوى ــ لاحظوا شبه قطيعة مع الفصحى في الحياة الاجتماعية ، وأن انتشار التعليم وارتفاع المستوى الثقافي بين المتعلمين أذكى في نفوس اللغويين البحث عن العودة إلى ماضي الثقافة

العربية النير ، فأرادوا أن ينبهوهم إلى ما تتوفر عليه العامية من رصيد أثيل يجب الإلمام به قبل البحث عن التجديد، لاحظ مثلا الأستاذ الحلوى أن مفردات مثل الأفعال: كرس ، كردس، كشط ، والأسماء مثل : الكيدر ، الغطار ، الغراف إلخ ... هي ألفاظ فصيحة ولكنها ضائعة ، ودراسة هذا الرصيد اللهجي المهجور ، يطرح عدة مشاكل رغم الإغراء الذي يجعل المرء يعتقد أنه من اليسر سد الثغرة بين الفصحى والعامية .

والواقع أن مثل هذه الأبحاث لها أهمية كبيرة في معارفنا على مستويات أخرى ، فنحن إذا عدنا إلى هذه الرسوبات الفصيحة في القاموس العامي لنبحث متى حصل تقاطعها ؟ وأين ؟ وحينئذ نبحث في " كيف " ؟ وقد حاول باحثون في المغرب (وفي المشرق أيضا ) الإجابة عن " كيف " هاته ، لكن المفروض أن يكون ذلك وفق منهج واضح وقواعد لغوية محكمة يمكن بواسطتها تحديد ما يحدث بين لغتين من اقتراض أو استعارة أو تضمين بفعل ــ صلة القرابة والجوار ووحدة الأرومة أو بفعل الهيمنة والإقصاء . فلفظة " خايب " التي يعزيها الأستاذ الحلوى مثلا ــ في أحد جداوله - إلى مادة " خاب " ( من قولنا خاب سعيه ) ، لا ندري هل هي فعلا، عندما دخلت في القاموس العامي ؟ هل وردت من هذه المادة المذكورة أو أنها مشتقة من مادة أخرى أقرب إلى المعنى العامي؟ وهو معنى الدمامة والقبح ( معناها في العامية ) ، وقد وجدت هذا اللفظ صدفة في رسالة الغفران هكذا " خيعاب ".كما أورد أبو العلاء في هذه الرسالة ألفاظا أخرى من صميم عاميتنا مثل: البرمة، والطارِمة، والرتاج ... إلخ .

فالباحث عندما عالج في العامية مثلا هذه الأفعال مشتتة في جداوله :

كربع ـ كرفس ـ كردس ـ كردع

وهى رباعية ، لم ينبهنا إلى الأصل الثلاثي الفصيح: ربع، رفس ، هرس ، ردع ...

وأن الكاف الزائدة في شكليها ( ك / كَ ) ما هي إلا زيادة لمعنى ، حصلت خارج قاعدة " سألتمونيها " المعروفة ، وقد نبه على ذلك قديما فقهاء اللغة بصدد تحليل أصولية الفعل الرباعي المجرد ...

والذي نريد أن نلفت الانتباه إليه هو أن القاموس العامي ، مثلما لاحظ ذلك الأستاذ إبراهيم السامرائي ، منبها إلى ما في دراسة هذا القاموس من فائدة للفصحى ودعامة لها ، فالعامية طوعت كثيرًا من الصيغ وهي أبطأ من حيث التطور من غيرها، ولنأخذ على ذلك فقط مثال: «اسم الآلة» كيف تطور في الفصحى ولكن العامية جاءت لتحسم بتوسيع مجال صيغ اسم الآلة ليشمل حاجيات العصر من مستجدات نحتاج إليها في المعمل وفي البيت وفي الحياة العامة وذلك بإضافة صيغ أخرى إلى الصيغ الثلاث المعروفة ومن هذه الصيغ المستحدثة صيغة " فعّالة" مثل ثلاجة وغسالة وكسَّارة ... إلخ .

**عباس الصوري**

عضو المجمع المراسل

من المغرب

# مخطوطة في الطب النبوي بمكناس

## لابن صاحب الصلاة*

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

تناهت إلي أخبار لائحة المخطوطات التي كان أمين خزانة الجامع الكبير بمدينة مكناس قام بإعدادها سنة ١٩٧٢، وقد كانت اللائحة تحتوي فيما تحتوي عليه، على عنوان ( شرح الأحكام ) لابن صاحب الصلاة : الجزء التاسع والعاشر بدون أية معلومة زائدة (١).

وبالنظر لما يربطني من صلةٍ سابقةٍ بأحد أعلام الغرب الإسلامي ممن كانوا يحملون اسم ابن صاحب الصلاة ، هو عبد المالك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي، المكنى أبا مروان وأبا محمد وأبا عبد الله ، والشهير بابن صاحب الصلاة مؤلف تاريخ الموحدين المعروف تحت عنوان ( المن بالإمامة على المستضعفين .. ) (٢) بالنظر لذلك فقد شغلت بأمر هذا المخطوط أو بالأحْرى أمر مؤلفه ابن صاحب الصلاة. فمن يكون هذا الرجل؟ أهو المؤرخ الذي أعرف أم هو شخص ثان ؟

وقد قمت بادئ ذي بدء بالاطلاع على ( شرح الأحكام ) الذي زودني

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة عشرة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأحد ٣ من ذي الحجة سنة ١٤١٩هـ الموافق ٢١ من مارس ( أذار ) سنة ١٩٩٩م.

(١) في زيارة لي حديثة للمكتبة بمكناس 16 نوفمبر 1998 أوقفني السيد عبد السلام البراق على جزء جديد من شرح الأحكام عثروا عليه كان هو الأول على ما يعتقد وهو مبتور الورقات الأولى .. ويبتدئ هذا الموجود بالأثر الشريف : " لو يعلم المار بين يدي المصلي ما عليه ... ثم يستمر إلى أن يذكر: ( باب يدل على أن الإثم إنما يكون على من علم بالذنب وارتكبه مستخفاً به ومن لم يعلم فلا إثم عليه ) هذا والمخطوطة من مقياس كبير طول الورقة نحو 30 على عرض 20 وتتألف من 27 سطرًا .

(٢) هذا التأليف المخطوط يوجد أصلا في مكتبة أكسفورد ، وقد كنت حققته كرسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا عام 1963 وقد طبع ثلاث مرات 1964 بيروت 1979 بغداد 1987 بيروت ، فليرجع إليه وخاصة المقدمة .

بصورته مشكوراً القيم على الخزانة المذكورة ، وسرعان ما اتضح لي أنني أمام مؤلف ينتمي هو الآخر للعهد الموحدي لكنه ليس مؤرخا وإنما هو محدث من مستوى رفيع، وبالنظر لكون اللائحة المشار إليها لم تقدم أية معلومة عن المؤلف ولا عن التأليف، فقد حاولت أن أتعرف على ابن صاحب الصلاة هذا ، وتجمعت لدى طائفة من الأسماء وخاصة منها الأسماء التي كانت لها صلة بالحديث.

**المراجع التسعة لابن صاحب الصلاة:**

إن الشخصية التي كنت أنشد الوصول إلى ترجمتها لم تكن عادية ويكفي أن أشير منذ البداية إلى أن الرجل في تأليفه اعتمد على تسعة مصادر كلها تعتبر من عيون المراجع في الحديث والفقه معًا أذكرها حسب الترتيب التاريخي ...

هناك الخطابي ( ت 388) [1] الذي يعتبر أول شارح لصحيح الإمام البخاري على الإطلاق وكان ابن صاحب الصلاة يعتمد عليه، والهروي ( ت 401) [2] الذي يعتمد عليه في كتاب الغريبين، وعبد الوهاب ( ت421) [3] الذي يعتمد عليه في

(١) هو أبو سليمان حمْد ( بتسكين الميم ) بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي ، فقيه محدث ، له تصانيف منها معالم السنن في شرح كتاب السنن الذي حققه محمد حامد الفقي، حلب 1920 – 1934ومنها (غريب الحديث ) الذي جعله تتمة لكتابي أبي عبيد القاسم بن سلام ( 224 م ) وأبي محمد عبد الله بن قتيبة ( 226هـ) في غريب الحديث وقد حققه عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى، مكة 1412 – 1982، ومنها أعلام السنن في شرح صحيح البخاري الذي حققه يوسف الكتابي ، الرباط رقم الإيداع561 – 91 وقد توفي في شهر ربيع الأول 388 بمدينة بست ( من بلاد كابل )..
ابن خلكان : الوفيات ، تحقيق د. إحسان عباسْ صادر بلبنان 1969 ج 2 ص 214.

(٢)أبو عبيد أحمد بن محمد العبدي نسبة إلى هراة إحدى مدن خراسان ، صاحب كتاب (الغريبين ): جمع فيه بين تفسير غريب القرآن الكريم والحديث النبوي وقد شاع في الآفاق، كان الهروي من العلماء الأكابر .. كانت وفاته في رجب سنة 401. ابن خلكان : الوفيات ج 1 ص 95.

(٣) هو القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي ، ويعتبر من أعيان علماء الإسلام، أخذ عن أبي بكر الأبهري ، وتفقه على عدد من كبار العلماء كما أخذ عنه الكثير من أعيان الأساتذة ... كان أبو بكر الباقلاني معجبا بأبي عمران الفاسي فكان يقول : لو اجتمع في مدرستي هو وعبد الوهاب لاجتمع علم مالك ؛ أبو عمران لحفظه وعبد الوهاب لبصره، له تآليف عديدة منها شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت421 ). الوفيات لابن خلكان ج 3 ، ص 219 ــ 222 .

شرحه للرسالة،وابن بطـــال(ت449)[١]، الذي يعتمد عليه في شـــرح صحيـــح الإمام البخاري ،غالبه في فقه الإمـــام مالك وابن عبد البر (ت463)[٢]الـــذي يعتمد عليه في كتابه الاستذكار بمذهب علماء الأمصار، والباجي (ت474) [٣] في كتابه المنتقى، وابـــن رشـــد ( ت 520 )[٤] الذي يعتمد عليه في تأليفـــه البيان والتحصيل،والمـــازري(ت538)[٥] في كتابه إكمال المعلم بفوائـــد مسلم ،

(١) هو أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، المحدث الفقيه، روى عن عـــدد من الثقاة ، وأخذ عنه جماعة – هو صاحب شرحه المعروف على البخاري في عدة أسـفار يوجـد بعـض المخطوط منها في خزائن المغرب توفي سنة 449 . ووقفت على بعضها بالمدينة المنورة، مكتبـــة الشـيخ حماد الأنصاري شوال 1419 = فبراير 1999 .

ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب طبعة حجرية بفاس 1316 ص 199 ، محمد العـــابد الفاسي:فهرس مخطوطات خزانة القرويين ج1 ص 141 – 144 طبعة 1399 دار الكتب ، الدار البيضاء .

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها ... كاتبه الجلة مـن أهل المشرق ... وسمع منه الكثير، ألف في الموطأ كتبا مفيدة منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعـــاني والأسانيد .. ومنها الاستذكار بمذهب علماء الأمصار الذي يعتمده ابن صاحب الصلاة إلى آخـــر اللائحـة الطويلة ، وليس الاستذكار اختصارا للتمهيد كما قيل ، توفي في ربيع الثاني سنة 463.

الوفيات لابن خلكان 72 ، ص 66-72.

(٣)أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف التميمي الحافظ النظار، رحل إلى المشرق سنة 426 وحج أربع حجج، وأقام بمكة أربعة أعوام مع أبي ذر الهروي ، وأكثر نسخ البخاري الصحيحة بالمغرب إما رواية الباجي عن أبي ذر سنده وإما رواية أبي علي الصدفي سنده، وأقام ببغداد عدة أعوام يدرس ويقرئ الحديث وهو صاحب شرح الموطأ ... انتقى منه كتابه (المنتقى في سبع مجلدات ) ، أحسن كتاب ألف في المذهب المالكي توفـــي سنة 474.

الوفيات 408,2 -409 د. التازي صحيح الإمام البخاري بخط الحافظ شيخ ابن سعادة – دعوة الحق مـــارس 1973 –مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد 19 ج 1 مايو 1973 – مجلة البحث العلمي محـــرم 1385 – يناير 1973.

(٤)أبو الوليد محمد بن رشد القرطبى إليه كان المرجع في حل المشكلات الفقهية، تفقه على أعيان العلمـاء ، وأجازوه ، وهو صاحب ( البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل) وله غير هذا من عيون التأليف توفي في ذي القعدة 520 .          الوفيات ج 7 ، ص 135.

(٥) أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري كان واسع الاطلاع والباع ... ومما أثر عنه فـــي دروسه أنه كان يمزج دروسه بحكايات تنشط طلبته ويقول: إنها جند من جنود الله ! أخذ عن فطاحل العلماء كما أخذ عنه أعيان العلماء كان من هؤلاء ابن الفرس وابن تومرت وابن رشد الحفيـد والقـــاضي عيـاض وأبو القاسم ابن القاضي الشهيد المعروف بابن الحاج أو صاحب الصلاة، وكان يفزع إليه في الطـــب كمـا يفزع إليه في الفتوى، له عدة تآليف كان منها كتابه المعلم في شرح صحيح مسلم توفي سنة 356. الوفيـــات ج 4 ص 285 . محمد الشاذلي النيفر : تحقيق ( المعلم بفوائد مسلم ) للمازري. الدار التونسية للنشر 1988.

وعياض ( ت 544 )[١] .

وقد كان ابن صاحب الصلاة يشير إلى الأعلام التسعة بحروف ترمز إلى المؤلف أو إلى التأليف[٢] ..

لقد تجلّى واضحًا من خلال مصادر ابن صاحب الصلاة أن الرجل ينتمي إلى المذهب المالكي بل وأنه مغرق في نصرة المذهب ، كما تجلي واضحًا من خلال تواريخ مراجعه أنه عاش في فترة معروفة الزمن فهو مثلاً يرجع إلى ابن رشد الجد وليس إلى ابن رشد الحفيد ..

وكل هذا حملني على البحث عن الذين يحملون اسم ابن صاحب الصلاة ضمن إطار " المالكية " وفي أثناء القرن السادس بالذات، وهنا وجدنا أنفسنا أمام عدد ممن يحملون اسم ابن صاحب الصلاة، فمن هو هذا الذي ألف كتاب شرح الأحكام ؟

وقد حاولنا أن نجد من خلال أسماء التآليف التي تحمل عنوان الأحكام في هذه المرحلة وأن نجد من خلال التاريخ ما قد يدلنا على الطريق[٣]. كما حاولنا أيضا أن نجد من خلال تراجم " أبناء " صاحب الصلاة تآليفَ لبعضهم حول هذا الموضوع ، فهناك ابن صاحب الصلاة الأديب اللغوي (ت 550) [٤]، وهناك ثان ( ت 578)[٥] ، وهناك صاحبنا مؤلف تاريخ الموحدين سالف

(١) هو القاضي أبو الفضل عياض موسى بن عياض اليحصبي شيخ الإسلام وقدوة العلماء والأعلام، خصصت ترجمته بالتأليف ، ومنها أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أخذ عن عيون العلماء .. وأجازه الكثير من الرجال .. ألف التآليف العديدة وكان منها ( إكمال المعلم في شرح مسلم ) الذي يعتمده ابن صاحب الصلاة إلى آخر التآليف العديدة ، توفي بمراكش في جمادى الآخرة سنة 544.

(٢)أشار ابن صاحب الصلاة بحرف الطاء للخطابي، وبالواو للهروي، والهاء للقاضي عبد الوهاب ، والباء لابن بطال، وبالسين لكتاب الاستذكار لابن عبد البر وبالجيم للباجي وبالشين لابن رشد وبالزاي للمازري وبالعين لعياض .

(٣ ) انظر التكملة لكتاب الصلة – الذيل والتكملة – نفح الطيب – كشف الظنون.

(٤) ابن الأبار : التكملة تحقيق كوديرا مدريد رقم 2045 .

(٥) التكملة رقم 1402.

الذكر [١]، وهناك رابع كثيرا ما استوقفني: هو محمد بن أحمد بن الحسن الذي حدث عنه أبو القاسم سليمان ابن الطيلسان والمتوفى سنة 607 وهو من أهل قرطبة[٢]، وهناك خامس توفي سنة 607 له ترجمة حافلة[٣].. وسادس شاطبي توفي سنة 625 [٤] وهناك عمر أبو جعفر ابن صاحب الصلاة البجانسي [٥]، وهناك ابن صاحب الصلاة المكنى أبا بكر[٦]، وهناك عمر أبو جعفر ابن صاحب الصلاة [٧]، وهناك ابن صاحب الصلاة الوليني الذي وصف جامع قرطبة [٨] على أن هناك جماعة منهم لم يعرف تاريخ وفاتهم من أمثال سعيد الكناني [٩]. وقد فاوضت بعض الزملاء الأعزاء ممن كنت أعرف عن صلتهم بالموضوع .

وملت في نهاية المطاف إلى الرأي الذي كان يرى أن القصد إلى ابن صاحب الصلاة المالقي المستشهد في وقعة العِقاب يوم الاثنين14 صفر 609 وكان ذلك اعتمادا على إشارة وردت عند بعضهم في ترجمة هذا الشهيد تقول إنه صنف في الحديث[١٠]...

وقد رجعت إلى المراجع الأندلسية وبخاصة إلى التكملة لابن

(١) التكملة رقم 1726. (٢) التكملة رقم 907.

(٣) التكملة رقم 916. (٤) الذيل والتكملة ج 6 ص67.

(٥) نفح الطيب ، 2، 690.

(٦) 3-469 –

(٧) المصدر السالف نفس الصفحة

(٨) النفح ج١ 552-

(٩)التكملة 1291 ، المن بالإمامة تحقيق د. التازي طبعة ثالثة ، دار الغرب الإسلامي 1987 ص7-8 ابن خلدون (يحيى ) : بغية الرواد في ذكر بني عبد الواد، طبع الجزائر 1321=1903 ، ص23-51 ، المعلم بفوائد مسلم تقديم وتحقيق الشيخ الذيفر، طبع تونس 1988 ، ج ١ص 182 .

(١٠) كان من رأي زميلنا الأستاذ محمد المنوني شفاه الله أن القصد إلى ابن صاحب الصلاة المترجم في بغية الرواد، وقد ترجح لدى رأي الزميل الدكتور محمد بنشريفة الذي استمزجت رأيه ، شاكرا لهما مساعدتهما أمواتًا وأحياء ...

الأبار والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي وما تفرع عن هذين المصدرين ابتداءً من "الديباج" لابن عرضون ، لأعرف المزيد عن ابن صاحب الصلاة مؤلف "شرح الأحكام" قبل أن آخذ في دراسة محتوى المخطوط أو بالحري بعض أبوابه التي كانت تهمني ، وهكذا وجدنا أن ابن الأبار يترجمه على أنه محمد بن حسن بن محمد بن خلف الأنصاري وأنه من أهل مالقة ويعرف تحت اسمين اثنين : ابن صاحب الصلاة ، وابن الحاج ويكنى أبا عبد الله .

**عن الذين سمع عنهم بالأندلس :**

وبعد هذا نذكر لائحة لبعض السادة الذين – سمع منهم– بالأندلس وهو خمسة:

أبو عبد الله بن الفخار (١)

أبو محمد عبد الحق بن بونه(٢)

أبو خلد بن رفاعة (٣)

(١) ترجمه ابن عبد الملك المراكشي ترجمة حافلةً في السفر السادس من كتاب الذيل والتكملة فذكر أنه محمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد الأنصاري مالقي بلنسي الأصل ، أبو عبد الله ، ابن الفخار ... روى عن جماعة منهم أبو بكر ابن العربي الذي أكثر عنه ... أبو مروان ابن بونه، وله إجازات ، وروى عنه عدد كبير منهم أبو سليمان بن حوط الله تلميذ ابن صاحب الصلاة موضوع الحديث وأبو محمد بن حوط الله ... كان من أحفظ أهل زمانه للحديث والفقه واللغات والأدب والتواريخ بارا بطلاب العلم مبالغًا في إكرامهم... وهو الذي سئل : هل كان يستعين على الحفظ بما يذكره الأطباء ؟ فقال : قد كان ذلك ! كان حسن الخلق مع دعابة فيه ... قال ابن اخته الطبيب أبو محمد الفخار : سافرت مع خالي من مالقة إلى مراكش حين استدعى إليها ... فكان لا يفتر عن القراءة ليلاً ونهاراً وقد استجلبه المنصور الموحدي سنة ثمانين إلى مراكش ليسمع بها عليه ، وكان يُجله كثيرًا ويقربه ، واستصحبه حين توجه إلى إفريقية سنة 575 مباهيًا به ... ولد بمالقة سنة 511 وتوفي بمراكش في السابع عشر من شعبان سنة تسعين وخمسمائة،ويقال:إن المنصور صلى عليه داخل جامعه الأعظم بالقصبة في القبة الغربية القبلية منه ... المراكشي ، الذيل والتكملة ، رقم الترجمة 218 – ص 87-88-89-90 ، وانظر الأعلام للعباس بن إبراهيم 1977 المطبعة الملكية الرباط ج 4، 125 .

(٢) عبد الحق بن عبد الملك بن بونه بن سعيد العبدري المالقي أبو محمد ... سكن مدينة المنكب وسمع من أبيه أبي مروان الذي كان يعتني به ويُسمعه صَغيرًا ورحل به إلى قرطبة فأورثه ذلك نباهة ، وأخذ عنه جماعة من شيوخ ابن الأبار ... عالي الإسناد صحيح السماع ...روى عنه ابن حوط الله وابن عطية وابن الفرس ... توفي في آخر سنة سبع وثمانين وخمسمائة، التكملة لابن الأبار رقم 1806.

(٣) أبو خلد ( وليس أبا خالد ) يزيد بن محمد بن يزيد الخمي الغرناطي ابن رفاعة ، وبها يعرف ويعرف أيضا بابن الصفار سمع عددا من الرجال ، منهم أبو محمد بن عطية وأبو بكر بن العربي أبو الفضل عياض .، وأجازه أبو محمد بن عتاب وأبو بحر الأسدي وعدد كثير، توفي في المحرم سنة خمس وثمانين وخمس مائة ، التكملة ، رقم 2108.

أبو محمد بن عبيد الله (١)

أبو جعفر بن حكم(٢)

**ويضيف ابن عبد الملك المراكشي** في كتابه الذيل والتكملة إلى هذا أن بعض رجال الأندلس أجازوا ابن صاحب الصلاة ومن أولئك الرجال :

أبو بكر ابن الجد (٣)

أبو بكر ابن أبي زمنين (٤)

أبو عبد الله ابن زرقون (٥)

أبو القاسم الشراط (٦)

(١) القصد إلى أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عُبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن ذي الفنون الحجري كان يقول : إن أصلهم من جهة طليطلة وأن بينهم وبين ذي النون المتأمرين بطليطلة قرابة .. خرج إلى مالقة ثم جاز البحر إلى مدينة فاس، ومنها انتقل إلى سبتة ثم استدعي إلى حضرة السلطان بمراكش ليسمع عليه هناك .. ثم عاد إلى سبتة حيث أدركه أجله عام 591 وبها دفن، وهو من أشهر علماء وقته وإليه كانت الرحلة للسماع فيه وقد أجاز ابن صاحب الصلاة الذي لقبه أيضا في سبتة على ما نقرأ في الذيل والتكملة 1416.

(٢) أبو جعفر بن حكم محمد بن حكم بن محمد من أهل سرقطسة وجده ذو الوزارتين محمد بن أحمد كان صاحب مدينة سالم ... روى عن جماعة واستقر بمدينة فاس وولي أحكامها، حدث عنه أبو محمد بن بونه، وتوفي بتلمسان في نحو سنة 538، وقد ورد ذكره ضمن عدد من تراجم الرجال ، نذكر من هؤلاء عبد الله ابن الحسن بن أحمد الأنصاري من أهل مالقة، التكملة الترجمة رقم 1433.

(٣) أبو بكر ابن الجد محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري الفقيه الحافظ من أهل إشبيلية سمع من الهوزني صحيح مسلم ولقي بقرطبة أبا الوليد بن رشد الذي ناوله كتاب البيان والمقدمات ، وعني في أول أمره بالعربية فبرع فيها ثم مال إلى دارسة الفقه ومطالعة الحديث بتوجيه من أبي الوليد بن رشد ... وقدم للشورى مع أبي بكر بن العربي ... وتمكن من الحظوة عند الملوك وهو من الأعيان الخمسة الذين حضروا موقعة وبذة مع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ونال دنيا عريضة واستفاد ثروة عظيمة ، كان خطيبا مفوها يبلغ بالبديهة ما لا يبلغ بالروية لكنه لم يشتغل بالتأليف على غزارة حفظه، توفي بإشبيلية في 4 شوال 586 – ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص 94 – التكملة رقم825.

(٤) أبو بكر ابن أبي زمنين محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن أبي زمنين المري غرناطي تفقه بأبي الحسن بن عمر بن أضحى وأبي عبد الله بن مالك وغيرهما وكان من أهل المعرفة والذكاء توفي معتبطا سنة أربعين وخمسمائة، المراكشي: الذيل والتكملة رقم 259 ص 101.

(٥) أبو عبد الله ابن زرقون هو محمد بن سعيد.. الأنصاري من أهل إشبيلية سمع عددا من فطاحل العلم منهم أبو محمد بن عبدون وأبو الفضل بن عياض أبو عبد الله بن الحاج يعني مترجمنا ابن صاحب الصلاة ، وأبو مروان الباجي ولي قضاء شلب وسبتة، كان أحد سروات الرجال ، يعترف له بذلك أبو بكر بن الجد، حسن الشارة لين الجانب ، ومن تواليفه كتاب الأنوار جمع فيه بين المنتقي والاستذكار ... توفي بإشبيلية في منتصف رجب سنة 586 –التكملة رقم 824.

(٦) أبو القاسم الشراط هو عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري من أهل قرطبة سمع الحديث من أبي القاسم بن بقي وأبي الحسن بن مغيث وأبي عبد الله بن الحاج أي مترجمنا ابن صاحب الصلاة ، وأبي بكر ابن العربي وغير هؤلاء وأجاز له ما رواه أبو الحسن بن نافع وغيره وكان عارفًا بالقراءات وطرقها أقرأ بالمسجد الجامع بقرطبة وأسمع الحديث وأخذت عنه جماعة .. توفي بقرطبة 12 جمادى الآخرة سنة 586 ، التكملة لابن الأبار رقم 1620 .

أبو محمد بن جمهور (١)

وإذا ما رجعنا إلى الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي فإننا سنكتشف معلومات إضافية عن مترجمنا ابن صاحب الصلاة، وهكذا استفدنا أن هناك ذكرا لثمانية أسماء أخرى لشيوخ ابن صاحب الصلاة بالأندلس علاوة على الخمسة المذكورين من لدن ابن الأبار وهم :

أبو الحجاج بن الشيخ (٢)

أبو الحسن بن كوثر (٣)

أبو عبد الله بن عروس (٤)

أبو محمد عبد الله بن حوط الله (٥)

عبد الصمد بن يعيش (٦)

(١) أبو محمد بن جمهور هو عبد الله بن أحمد بن جمهور القيسي من أهل إشبيلية سمع من أعيان العلماء مثل أبي بكر بن العربي وغيره، وأخذ القراءات عن أبي الحكم بن بطال وأجازه أبو طاهر السلفي وغيره وولي الصلاة بجامع عذبش من إشبيلية له بصر باللغة ومعرفة بالشروط واستقلال بعقدها ، حدث عنه جماعة من الشيوخ توفي ببلده في العشر الوسط من ربيع الآخر سنة 592 ، التكملة ، الترجمة رقم 1417.

(2) أبو الحجاج هو يوسف بن محمد بن عبد الله ... البلوي المالقي المعروف بابن الشيخ سمع أبا عبد الله بن الفخار .. وحج سنة ستين فسمع الأحكام الكبرى ببجاية من أبي محمد عبد الحق .. أخذ عنه أبو سليمان بن حوط الله .. بنى ببلده مالقة خمسة وعشرين مسجدا من صميم ماله ... وحفر بيده أزيد من خمسين بئراً ، وغزا عدة غزوات مع المنصور الموحدي بالمغرب ومع صلاح الدين بالشام ، أدركه أجله في رمضان سنة 604 ، التكملة رقم 2089.

(٣) هو علي بن أحمد بن كوثر المحاربي أبو الحسن الغرناطي ، سمع من والده أبي العباس وحج معه فسمعا بمكة جامع الترمذي سنة 547 من أبي الفتح الكروخي ... ولقي بمصر أبا العباس أحمد بن الحطيئة، قرأ عليه سنة 553 ... وتصدر بغرناطة للإقراء وللإسماع .. روى عنه ابن حوط الله ، وقد ورد ذكره في بعض التراجم، انظر رقم 1433 ... أدركه أجله في ربيع الآخر سنة 589،التكملة رقم 1875.

(٤) ابن عروس محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد... السلمي من أهل غرناطة يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن عروس ، سمع أيضا من أبي بكر بن العربي وروى عن أبي مروان بن بونه.. وتصدر للإقراء ببلده وإسماع الحديث وولي الصلاة والخطبة بجامعه، أخذ الناس عنه كثيرًا ، أدركه أجله يوم 15 رجب سنة 590، التكملة رقم 835.

(٥) أبو محمد عبد الله بن حوط الله الأنصاري الحارثي من أهل أنده ( عمل بلنسية ) سمع أباه .. ثم جال بلاد الأندلس وبها يومئذ بقية من الرواة وجلة من المحدثين يأخذ ويروي ، وممن لقيهم بقرطبة أبو القاسم ابن بشكوال وأبو الوليد بن رشد وأبو عبيد البكري... وبإشبيلية أبو بكر بن الجد .. وبغرناطة أبو خلدين رفاعة وأبو الحسن بن كوثر وأبو جعفر بن حكم، وبمالقة أبو عبد الله بن الفخار وأبو الحجاج بن الشيخ .. وبسبتة أبو محمد بن عبيد الله.. وقد كاتبه من أعيان المشرق أبو الفضل بن الحضرمي وأبو محمد بن عساكر كان .. لامعًا في صناعة الحديث حسن الحظ له كتاب حول شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وهو ممن امتحنوا بالتجول فضاعت كتبه وذهبت أصوله، لم يكن في زمانه أكثر مسموعًا منه ومن أخيه أبي سليمان .. استأدبه المنصور الموحدي لبنيه وحظي لديه ونال من الموحدين وجاهة متصلة ودنيا عريضة .. وولي قضاء قرطبة وإشبيلية ومرسيه والعدوة، أدركه أجله بغرناطة وهو يقصد مرسيه بتاريخ 12 ربيع الأول سنة 612 ثم نقل إلى مالقة ، دفن على مقربة من مسجد الغبار ... التكملة رقم 1435.

(٦)عبد الصمد بن محمد بن يعيش الغساني من أهل المنكب وخطيبها روي عن عياض وابن العربي وتصدر للإقراء وأخذ الناس عنه:أبو القاسم الملاحي وأبو محمد حوط الله .. وقد حدث عام 592، التكملة رقم 1800.

عبد المنعم بن الفرس [١]

أبو عبد الله الاستجي[٢]

أبو جعفر الحصار [٣]

**عن اللذين سمع منهما في بجاية:**

ويؤخذ من ابن الأبار وابن عبد الملك أن ابن صاحب الصلاة هذا ابتدأ رحلة للمشرق عام 580 بقصد أداء فريضة الحج... حيث لقي في طريقه بالمغرب الأوسط، في بجاية أبا محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن الإشبيلي الذي كان نزيل المدينة[٤] فسمع منه على نحو ما سمع هناك من أبي عبد الله بن الحرار[٥]

(١) عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي أبو محمد ابن الفرس سمع جده وأباه .. كان له تحقق بالعلوم على تفاريقها وتقدم في حفظ الفقه مع المشاركة في علم الحديث .. لم يكن في الأندلس أحفظ لمذهب مالك من عبد المنعم ابن الفرس، وقد ألف كتابا في أحكام القرآن .. واضطرب قبل موته من علة خدر طاولته، وتوفي في الرابع من جمادى الآخرة 597 وشيعه خلق كثير وكسر الناس نعشه وتقسموه .. التكملة، الترجمة 1814 – الأعلام لعباس بن إبراهيم ج 8 ص 382.

(٢) الاستجي هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الحميري ، من أهل قرطبة وسكن في مالقة، يكنى أبا عبد الله ويعرف بالاستجي روي عن شريح، سمع عنه صحيح البخاري، وأخذ عن ابن العربي ... وأبي مروان ابن بونه وأبي بكر بن عياش بن فرج، وأقرأ بمالقة وولي الخطبة بجامعها وحدث وأخذ عنه وكان من أهل الفضل والصلاح ، حدث عنه أبو سليمان بن حوط الله، توفي بمالقة سنة 577 ، التكملة رقم الترجمة786.

(٣) لعل لابن جعفر هذا صلة بأبي جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي من أهل غرناطة المعروف بابن القصير، روي عن ابنه أبي الحسن وعن أبي الوليد بن رشد وأبي بكر بن العربي، كان بصيرا بصناعة الحديث وامتحن بالتجول في البلاد ، وحدث بتونس عام 574 ثم ركب البحر للحج، فاستشهد بمرسى تونس أواخر عام 576، التكملة رقم 1607.

(٤) هو أبو محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي يعرف بابن الخراط نزيل بجاية .. روي عن أبي الحكم بن برجان دفين رحبة الزرع بمدينة مراكش حيث جدد ضريحه من لدن الملك الحسن الثاني .. كتب إليه محدث الشام أبو القاسم بن عساكر وغيره وأخذ عنه عدد من جلة العلماء وصنف التصانيف الجليلة كان منها الأحكام الكبرى والأحكام الصغرى في الحديث ولعل ابن صاحب الصلاة موضوع حديثنا تأثر به في تأليفه شرح الأحكام ، توفي ببجاية سنة 581 .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد السبتي الأنصاري : مالقي أبو بكر بن الحرار أجاز له بعض المشارقة المذكورين في رسم أبي الطاهر أحمد بن علي السبتي الهواري كان ممن روى عنه أبو سليمان بن حوط الله ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة ، السفر السادس تحقيق د. إحسان عباس ص 6 الترجمة رقم 2 بيروت 1973.

**عن الذين سمع منهم في الإسكندرية:**

وقد سمع بالإسكندرية أربعة أعلام هم:

أبو عبد الله بن الحضرمي (١)

أبو الفضل بن دليل الكندي (٢)

أبو عبد الله الكركنتي (٣)

أبو الثناء الحراني (٤)

ويضيف ابن عبد الملك المراكشي اسم نزيل الإسكندرية أبي إسحاق بن عبد الله البلنسي والذي لم نجد له ذكرا في أعلام الإسكندرية ولا في رجال بلنسية !

**عن الذين لقيهم بمكة :**

وقد لقي ابن صاحب الصلاة بمكة عام 583عدداً من العلماء الذين كانوا يجاورون هناك أمثال :

أبي إبراهيم الخجندي (٥)

أبي عبد الله بن أبي الصيف اليمني (٦)

أبي إبراهيم التونسي (٧)

---

(١) ابن الحضرمي أبو عبد الله ، من المشارقة الذين أجازوا أبا القاسم الملاحي على ما نقرؤه في التكملة الترجمة رقم 960 كما كان من الذين كاتبوا أبا سليمان داود بن حوط الله على ما نجده في التكملة أيضا الترجمة رقم 205.

(٢) أبو الفضل بن دليل الكندي يسميه ابن عبد الملك المراكشي بعبد المجيد، ولعل له صلة بأبي اليمن الكندي الذي راسل العلامة الأندلسي أبا سليمان بن حوط الله على ما نقرؤه في التكملة الترجمة رقم 205 وانظر الترجمة 1433.

(٣) يكنيه ابن عبد الملك بأبي عبد الله على نحو ما نجده في الترجمة رقم 1433 .

(٤) أبو الثناء حماد بن هبة الله بن حماد بن فضيل الحراني مؤرخ من حفاظ الحديث الشريف من أهل حران (في الجزيرة الفراتية) كان تاجرا كثير الأسفار هو صاحب (تاريخ حران) وكان ممن كاتبوا أبا سليمان داود بن سليمان بن حوط الله على ما نجده في تكملة ابن الأبار الترجمة رقم 205 ، الزركلي : الأعلام 303,2.

(٥)الخجندي يذكره ابن عبد الملك باسم عبيد الله بن عبد اللطيف الخجندي، ويذكر ابن الأبار أن ابن صاحب الصلاة سمع من الخجندي الأربعين حديثا، ويظهر لي أنه أي ابن الأبار التبس عليه الخجندي باليمني آتي الذكر مباشرة.

(٦) ابن أبي الصيف ( بالصاد وليس بالضاد) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن علي أبو عبد الله ابن أبي الصيف فقيه شافعي أصله من زبيد أقام وتوفي بمكة ، له كتب منها " الأربعون حديثا " جمعها عن أربعين شيخاً من أربعين مدينة،وهو من العلماء المشارقة الذين أجازوا أبا القاسم الملاحي على ما نقرؤه في التكملة الترجمة 960 كما كان من المراسلين لأبي سليمان بن حوط الله على ما نجده في التكملة ، الترجمة رقم 205 الزركلي : الأعلام : 211,6.

(٧) التونسي أبو حفص ، لم نتمكن من الوقوف على ترجمته .

أبي حفص الميانشي [١]

ونحن بالمشرق مع ابن صاحب الصلاة، نضيف معلومة قدمها إلينا ابن عبد الملك في الذيل والتكملة ، ويتعلق الأمر بالإجازات التي نالها ابن صاحب الصلاة من بعض أعيان علماء المشرق نذكر منهم :

الحسن بن هبة الله بن محفوظ الربعي [٢]

أبا الحرم مكي [٣]

أبا الظاهر بن عوف [٤]

أبا الطاهر الخُشوعي [٥]

أبا القاسم بن عساكر [٦]

---

(١) ذكر ابن عبد الملك المراكشي الاسم كاملاً للميانشي هكذا : أبو علي الحسن بن حفص عمر ابن عبد المجيد الميانجي وهو من العلماء المشارقة الذين أجازوا أبا القاسم الملاحي على ما نقرؤه في التكملة ، الترجمة رقم 960.

(٢) الربعي أبو المواهب الحسن بن هبة الله ابن محفوظ بن صصري الربعي التغلبي الدمشقي ، من حفاظ الحديث، كان محدث دمشق، له رباعيات التابعين وفضائل بيت المقدس وفضائل الصحابة وعوالي إلى ابن عيينة وغير ذلك ، الزركلي : الأعلام 2 , 141.

(٣) أبو الحرم مكي : نعتقد أنه مكي بن ريان بن شبة ، شاعر ضرير عالم بالقراءات ولد بما كسين من أعمال الجزيرة الفراتية على نهر الخابور ذهب بصره وهو صغير السن ورحل إلى بغداد والشام واستقر وتوفي بالموصل بعد أن قام بزيارة بيت المقدس ، وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق د. إحسان عباس ص 279 .

(٤) حول أبي الطاهر وقفنا في التكملة ، مرات عديدة على تراجم تحمل إجازة أبي الطاهر لبعض الشخصيات الأندلسية مثل ابن حوط الله والملاحي ، انظر الترجمة رقم 205 ورقم 960 ، وانظر مع هذا الذيل والتكملة ، السفر 5 قسم 2ص 685 .– رقم 1294.

(٥) الخشوعي وردت الإشارة للخشوعي في بعض تراجم علماء الأندلس أذكر منهم على الخصوص أبا محمد عبد الله المالقي الترجمة رقم 1433 هذا ويتأكد لدي أن هناك صلة لأبي الطاهر الخشوعي هذا بأبي طاهر بن بركات بن إبراهيم من رجال الحديث الذي روي عنه في سبب تسميتهم بالخشوعي أن جدهم كان يؤم بالناس فتوفي بالمحراب فسمي بالخشوعي . الأعلام : الزركلي 3 , 218 .

(٦) ابن عساكر علي بن الحسين بن عبد الله أبو القاسم الحافظ الملقب ثقة الدين من أعيان الفقهاء الشافعيين وغلب عليه الحديث فاشتهر به له" تاريخ دمشق " في ثمانين مجلدًا ، وإن العمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل ذلك الكتاب ! وله كتب أخرى منها الإشراف على معرفة الأطراف في الحديث ، وتبين كذب المفتري فيما نسب لأبي الحسن الأشعري وكشف المغطى في فضل الموطأ ، وله معجم النسوان ، توفي سنة 571 . وفيات الأعيان لابن خلكان ج 309,3.

إلى جانب آخرين مذكورين في رسم أبي الطاهر أحمد بن علي السبتي[(١)] باستدعاء أبي عبد الله بن إبراهيم بن حريرة [(٢)] .

وإذ عرفنا عمن لقيهم ابن صاحب الصلاة بمكة فإنه من المفيد أن نذكر أن ابن عبد الملك المراكشي أضاف اسم أبي إبراهيم التونسي واسم أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الغساني اللذين لم نعرف عنهما ما نقول إضافة إلى هذا نذكر أن ابن صاحب الصلاة لقي بمكة أبا عبد الله محمد ابن مفلح الذي أجازه لفظا وخطا والذي لم أقف له على ترجمة كذلك .

**ابن صاحب الصلاة بفاس:**

لكن الذي انفرد بذكره ابن عبد الملك في الذيل والتكملة هو أن يفيدنا أن ابن صاحب الصلاة موضوع الحديث قضي ردحًا من الزمان في العدوة المغربية وبالذات في مدينة فاس حيث أخذ عن عالمين كبيرين أجازا له وهما:

أبو الحسن بن فرحون [(٣)]

وأبو عبد الله بن عبد الكريم [(٤)]

(١) وردت الإشارة لهذا الرسم في جهات أخرى وأذكر على سبيل المثال ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك الأنصاري ابن الحرار الذي أجازه المشرقيون المذكورون في رسم أبي الطاهر أحمد بن علي... الذيل والتكملة لابن عبد الملك السفر السادس الترجمة 2 ص6 .

(٢) ابن حريرة هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن غالب بن يعلي من أهل مالقة ويعرف بابن حريرة ، وهو من غمارة أصلا روى بالأندلس عن ابن الفخار وأبي محمد بن عبيد الله وأبي محمد بن الفرس وأبي بكر بن زمنين ... ورحل حاجا فسمع بالإسكندرية من عدد كبير من الأعلام ، ولقي بمكة أبا عبد الله ابن أبي الصيف اليمني وابن علوان التكريتي واللائحة طويلة جدا وفيها الحرة تاج النساء بنت رستم بنت أبي الرجاء، من أتم الناس عناية بطريقة الحديث ، وقفل لبلده وورد على مراكش فقام بها يسيرا لعقد الوثائق وألف كتاب الأربعين في فضل المعونة والمعين، توفي في سنة 637 التكملة الترجمة 1007 – الذيل والتكملة رقم 234 ص 93. -

(٣) القصد ابن أبي الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي ، الذي يذكر ابن الأبار أنه حج وسمع من السلفي وجماعة ونزل مدينة فاس وكان عالمًا بالفرائض والحساب ، ثم حج وجاور إلى أن توفي سنة 591 ، التكملة رقم 1880.

(٤) القصد إلى محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي من أهل مدينة فاس يكني أبا عبد الله ، كان إمامًا في علم الكلام وأصول الفقه مدرسا بذلك حياته كلها، له رجز في أصول الفقه، روي عنه جماعة منهم أبو الحسن الشاري الذي بني مدرسة سبتة وقد نسب له الجزنائي كتاب المستفاد في ذكر الصالحين من فاس والعباد ، توفي في ذي الحجة 596 التكملة رقم 1062 ورقم 1922 ، د التازي : تاريخ جامع القرويين ج1 ص 176 طبعة بيروت 1972.

وهذه معلومة تستحق الوقوف عندها لكي نعرف عن المركز العلمي الذي كان للمدينة حتى على عهد الموحدين الذين حوّلوا عاصمتهم السياسية إلى مدينة مراكش .

وفي سبتة التقى مرة أخرى بأبي محمد ابن عبيد الله سالف الذكر الذي أجازه .

## عن بعض الذين رووا عنه:

وقد أخذ عنه عدد كبير من الجلة ذكر بعضهم ابن الأبار وأتى ابن عبد الملك ببعضٍ آخر منهم ، ونسوقهم هنا مترجمين واحدًا واحدًا لنعرف قيمة الرصيد العلمي الذي خلفه هذا الرجل العظيم ، ونُنبِّه منذ البداية إلى أن أكثر الذين أخذوا عنه كانوا نظراء له ، وكان منهم أيضًا من هم أكبر منه سنا ! ففيهم:

أبو القاسم الملاحي (١)

أبو سليمان بن حوط الله (٢)

(١) أبو القاسم الملاحي ( نسبه إلى الملاحة قرية على بعد بريد من غرناطة ) محمد بن عبد الواحد بن مروان الغافقي الداخل إلى الأندلس ... سمع من أبيه وخاله أبي إسحاق وأبي الحسن بن كوثر وأبي عبد الله ابن عروس وأبي خلد بن رفاعة وأبي محمد بن الفرس وأبي جعفر بن حكم وأبي عبد الله بن بونه وأخيه أبي محمد عبد الحق وأبي بكر بن أبي زمنين .. من جملة من أجازه أبو بكر بن الجد الذي كان من الخمسة الذين حضروا مع يوسف بن عبد المؤمن موقعة وبذة على ما أسلفناه، كما أجازه أبو محمد بن عبيد الله ... وقد أجازه عدد كبير من العلماء المشارقة، أما عن شيوخه فقد يزيدون على مئة وخمسين منهم ابن صاحب الصلاة موضوع الحديث، ومنهم من شيوخ ابن الأبار جماعة ، كان مقدما في صناعة الحديث شديد العناية بالرواية ... وقد ألف تاريخًا في علماء البيرة وأنسابهم وأدبائهم .. ومن كتبه أنساب الأمم العرب والعجم سماه (الشجرة) وكتاب الأربعين حديثًا بلغ فيه الغاية .. توفي سنة 619 وقد أسهب ابن عبد الملك في ترجمته، التكملة رقم 960 – الذيل والتكملة السفر السادس ص 413-414-415-416-417-418.

(٢) أبو سليمان داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن .. بن حوط الله الأنصاري الحارثي من أهل أندة من ( عمل بلنسية ) وسكن مالقة أخذ عن أبيه وأخيه أبي محمد عبد الله وتجول بلاد الأندلس للسماع من علمائها .. ولقي بقرطبة أبا القاسم بن بشكوال وأكثر عنه ولازمه نحوا من عامين.. وسمع بها أبا عبيد البكري .. وبمالقة أبا عبد الله الفخار .. وبالمنكب سمع أبا محمد عبد الحق بن بونه، وبغرناطة أبا عبد الله ابن عروس وأبا الحسن بن كوثر وأبا بكر بن زمنين وأبا جعفر بن حكم ولقي بسبتة أبا محمد ابن عبيد الله .. وممن كاتبوه من المشرق أبو عبيد الله بن الحضرمي وأبو الثناء الحراني وأبو اليمن الكندي وابن أبي الصيف، وقد ألف في أسماء شيوخه كتابا قرأه عليه ابن الأبار وهم يزيدون على مائتي رجل وكان فيهم دون شك ابن صاحب الصلاة موضوع حديثنا .. وهو وأخوه أبو محمد بن حوط الله كان أوسع أهل الأندلس رواية في وقته .. وقد ولي قضاء الجزيرة الخضراء ثم قضاء مالقة وبها توفي على قضائها سادس ربيع الآخر سنة 631 ،التكملة ، الترجمة رقم 205 .

أبو إسحاق القصير المالقي [١]
أبو بكر بن عبد النور [٢]
أبو جعفر ابن عثمان الورّاد [٣]
أبو الحسن بن عبد الله الهواري [٤]
أبو الحسن محمد بن أبي زكرياء بن مجاهد [٥]
أبو الطاهر أحمد بن علي بن عبد الله الهواري [٦]
أبو عبد الله بن أبي جعفر بن الجيار [٧]

---

(١) أبو إسحاق القصير المالقي لم أجد له صدى فيما أتوفر عليه من مصادر ومراجع ولعل له صلة بعبد الرحمن بن القصير الذي ورد اسمه ضمن ترجمة أبي القاسم الملاحي في الذيل والتكملة ج سادس ص 43.

(٢)أبو بكر بن عبد النور : له ترجمة حافلة سواء في التكملة أو في الذيل والتكملة ، هو محمد بن عبد النور ابن أحمد من أهل إشبيلية يكنى أبا عبد الله أيضا تصدر الصلاة، وابن زرقون وأبو القاسم بن بشكوال ، وعبد المنعم بن الفرس .. أجازه من أهل المشرق باستدعاء أبي العباس النباتي منهم الحسين بن باز، وعمر التكريتي ومحمود ابن أبي العز الكازروني ويحيى بن سعد التكريتي في عدد كبير جرى ذكرهم مستوفي في رسم أبي العباس النباتي .روى عنه أبو عبد الله بن سعيد الطراز الذي هو أيضا من تلاميذه ابن صاحب الصلاة على ما سنرى ، كان واسع الرواية في الحديث والبصر به عني بالرحلة إلى المشايخ ، عاكفا على العلم طول عمره إلى أن استشهد في كائنة قصر أبي دانس آخر أحد شهري ربيع من عام 614 ، وكان كثيرا ما يحضر الغزوات ، التكملة رقم 933 –الذيل والتكملة – السفر السادس رقم 1112.

(٣) أبو جعفر ابن عثمان الوراد من الذين أخذوا أيضا من الشاعر أبي عبد الله المعروف بمرج الكحل : المقري : نفح الطيب 51,5 تحقيق إحسان عباس ، بيروت .

(٤) أبو الحسن هو علي بن عبد الله الهواري .. روى ابن عبد الملك أنه روى عن الحاج أبي عبد الله بن صاحب الصلاة بمالقة ، وأنه كان محدثا نبيلا كاتبا محسنا .. الذيل والتكملة السفر الخامس، القسم الأول .

(٥) أبو الحسن محمد بن أبي زكرياء بن مجاهد، نتساءل عما إذا كانت له صلة بعلي بن محمد بن مجاهد الذي روى عن القاضي أبي بكر بن العربي، الذيل والتكملة سفر خامس قسم أول ص 392 رقم 660.

(٦) أبو الطاهر أحمد بن علي بن عبد الله الهواري، هذا السيد هو ابن لأبي الحسن علي بن عبد الله الهواري ، وقد ورد ذكره في ترجمة ابن الجيار آتي الذكر الذي أجاز له بعض المشارقة حسب رسم أبي الطاهر أحمد ابن علي السبتي .. الذيل والتكملة السفر الخامس القسم الثاني ص 785، رقم الترجمة 1294 .

(٧) أبو عبد الله ابن أبي جعفر ابن الجيار هو محمد بن أحمد بن عبد المجيد بن سالم بن تمام.. الحجري : مالقي وهو ولد الفاضل أبي جعفر، روى عن أبيه وعن أبي جعفر الحصار وأبي الحجاج بن الشيخ وأبي محمد الخشني وأبي سليمان بن حوط الله سالف الذكر ... وقد أجازه المشرقيون في رسم أبي الطاهر أحمد بن علي السبتي باستدعاء أبي عبد الله بن إبراهيم بن حريرة، كان بارع الخط متقن التقييد، انقطع إلى خدمة العلم إلى أن توفي دون الثلاثين من عمره وثكله أبوه، الذيل والتكملة سفر6 قسم 2 وانظر صفحة 309 رقم 609 س 5 ق 1 الذيل التكملة صفحة 685 رقم 1294 .

أبو عبد الله بن محمد بن سعيد الطراز [1]

أبو عمرو بن سالم [2]

أبو القاسم عبد الرحمن بن سالم [3]

أبو القاسم محمد بن الزيتوني [4]

إلى آخرين أشرنا إليهم أثناء ترجمتنا لبعضهم ...

* * *

تلك حصيلة لحياة ابن صاحب الصلاة الذي عرف أيضا تحت اسم ابن الحاج كما حمل ألقابا ونعوتًا تعبر عن مكانته العلمية الكبرى التي تجلت - في صدر ما تجلت فيه - في هذه الموسوعة التراثية الكبرى : شرح الأحكام ، ونحن على يقين من أنه لو لم يتعرض لما تعرض له في الوقعة المشؤومة لكان ترك لنا تراثًا أغنى وأوفر من حيث تأليفه، ومن حيث طلبته الذين أصبحوا منارة العدوتين: الأندلس والمغرب .

---

(١)هو محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري من أهل غرناطة يكنى أبا عبد الله ويعرف بالطراز سمع عددًا كبيرًا من الناس علاوة على ابن صاحب الصلاة من هؤلاء أبو القاسم الملاحي الذي أخذ هو الآخر عن ابن صاحب الصلاة الأمر الذي يؤكد ما قلناه في البداية من أن أكثر الآخذين عن ابن صاحب الصلاة نظراؤه أو أسن منه .. .. وقد أجازه عدد من الرجال .. منهم أبو جعفر الحصار وأبو محمد بن حوط الله وأخوه أبو سليمان .. وقد تلقى مكاتبات من المشرق مثلا من أبي اليمن الكندي وله فهرسة مشتملة على أسماء شيوخه وما روي عنهم وقعت إلى ابن الأبار وهو بتونس في أعقاب مهمته المعروفة، وقد أدركه أجله في شوال 645 . التكملة الترجمة 1032 – الذيل والتكملة ج 6 ص 210 – 413.

(٢)أبو عمرو بن سالم هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن صالح الهمداني، ما لقي ، يكنى أبا عمرو بن سالم، روى علاوة على ابن صاحب الصلاة عن عمه أبي الربيع بن سالم وأبي سليمان بن حوط الله وأبي عبد الله بن طاهر، وأجاز له من الإسكندرية أبو القاسم عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمر بن العباس الخطيب. الذيل والتكملة – نفح الطيب 3 ، 403.

(٣)أبو القاسم عبد الرحمن بن سالم: لم أعثر في المصادر التي أتوفر عليها، على ترجمة لهذا التلميذ الذي أخذ عن ابن صاحب الصلاة .. وقد كان أقرب إلى أبي القاسم عبد الرحمن بن تمام الأنصاري . من أهل مالقة، المتوفى سنة 581 ، التكملة رقم 1614.

(٤) هو محمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري من أهل غرناطة ، يعرف بالزيتوني ويكنى أبا عبد الله، أقرأ القرآن ببلده وأخذ عنه، توفي بعد أبي جعفر بن حكم سنة 898 ، التكملة رقم 867.

والواقع أن معركة العِقاب لم تكن شؤمًا فقط على الحضور الإسلامي بالجزيرة ولكنها كانت شؤمًا على الفكر والعلم والمعرفة في كل جهات العالم الإسلامي .

فلقد حصدت عدداً من الرجال الذين كانوا معالم تهتدى بهم الساحة الأندلسية، عرفنا منهم إلى جانب ابن صاحب الصلاة أسماء أخرى أمثال ابن عات الشاطبي الذي افتقد في ساحة المعركة! وأمثال أبي الصبر أيوب السبتي وغير هؤلاء .

وقد عكست الوقعة بظلها الكئيب على إنتاجات أولئك الشهداء فأهمل بعضها وضاع البعض الآخر ، ولا أدل على هذا من أن يختفي كتاب ( شرح الأحكام ) من سائر المراجع التي تحدثت وباختصار شديد عن علامتنا المحدث ابن صاحب الصلاة.. ! ومن حسن الحظ أن "يفلت" بعض ذلك الكتاب حتى نجد نصوصًا منقولةً عن علماء جلة ضاعت منها تلك النصوص أو بعضها أو حرقت لكنها بقيت في شرح ابن صاحب الصلاة ناطقةً بما قاله أولئك العلماء الأعلام !

وبعد أن تعرفنا على هذه المعلمة الكبرى سواء من خلال شيوخه وتلامذته، سواء في الأندلس أو عندما تجشم مصاعب الرحلات التي قادته - بعد التنقلات بين القواعد الأندلسية - إلى المغرب الكبير حيث زار مدينة بجاية التي كانت قاعدة من القواعد العلمية ليصل إلى الإسكندرية ... ومنها إلى الأماكن المقدسة فيجتمع بطائفة أخرى من العلماء في مكة .. قبل أن يعود إلى وطنه فيقصد العاصمة العلمية فاس التي كانت تزخر بالرجال الذين أخذوا بأطراف العلم فيجتمع فيها بمن عرفنا عنهم ويعود إلى الأندلس بحصيلة معرفية زاخرة، أمسى ابن صاحب الصلاة بعدها كعبة للقصاد الذين تهافتوا عليه بعد أن سمعوا بعودته ..

ومن خلال رصيد حياة هذا الرجل الجليل القدر على جوانب

أخرى من واقع العالم الإسلامي على العموم ومن الواقع الذي كان يعيشه الغرب الإسلامي في قمة عهد الدولة الموحدية في القرن السادس الهجري..

وهكذا فعلى الصعيد الدولي وقفنا على محطات جد مهمة في تاريخ العلاقات بين المملكة المغربية والأندلس ، وعلى محطات مهمة في تاريخ العلاقات بين المملكة المغربية وبين النورمانديين في صقلية الذين كانوا يحاولون الاستيلاء على سواحل المغرب الأدنى حيث شاهدنا حضور المغرب في الواجهتين معا!!

وإلى جانب هذا شاهدنا موقف المغرب الكبير في واجهة ثالثةٍ في المشرق: العلاقات بين قادته وبين قادة المشرق حيث قرأنا عن حضور المغرب إلى جانب السلطان صلاح الدين الأيوبي في مقاومته لاجتياح الفرنج لبعض المواقع في الجناح الشرقي للإسلام عندما شاهدنا أن المجاهدين المغاربة يقصدون إلى تلك الواجهة من غير أن تمنعهم مقاومتهم لمحاولة هيمنة الفرنج في الغرب الإسلامي !!

وقد قرأنا عن أبي الحسن علي المالقي الذي قصد بلاد الشام للجهاد والذي عندما فتح السلطان صلاح الدين بيت المقدس أصبح هو المرشح المؤهل للإمامة بالمسلمين في بيت المقدس، ثالث الحرمين وأولى القبلتين، ومن الطريف أن نسمع أن هذا الرجل لما توفي سار النصارى في جنازته ونشروا ثيابهم على نعشه للتبرك به !!

ومن خلال تراجم بعض الذين كانت لهم صلة بابن صاحب الصلاة سواء في المغرب أو المشرق عرفنا عن التجاوب الذي كان بين الأوساط العلمية سواء أكانت مقيمة في المدن الأندلسية الكبرى، أم القواعد المغربية أم في بلاد الإسكندرية أم في المدن الحجازية أم الجزيرة الفراتية ، حيث قرأنا عن الأواصر المتينة التي كانت تجمع بين المشايخ هنا وزملائهم هناك،حيث قرأنا عن اللوائح الطويلة العريضة لطائفة من الأساتذة بالمشرق

الذين كانوا يراسلون زملاءهم في المغرب ولا يتأخرون عن الإغداق عليهم أي على المغاربة بإجازاتهم التي تعترف لهم بطول الباع في ميادين تخصصاتهم، ومن هنا لم يكن غريبا علينا أن نجد أن الجسور التي كانت تربط بين جناحي العالم الإسلامي كانت من المتانة والقوة بحيث إنها أسهمت وبصفةٍ قوية في ازدهار الحركة الفكرية بالعالم الإسلامي ومن غير فرق بين الذين ينتسبون إلي هذا المذهب أو ذاك ، أو الذين يتبعون لهذا الحاكم أو ذاك ، الأمر الذي يعطينا صورةً متكاملة وصادقةً - من خلال كل ذلك الرصيد - عن عالم إسلامي يشعر شعوراً واحدًا ويتطلع إلى هدف واحد هو أداء الرسالة التي تلقاها المسلمون من سلفهم والتي يبذلون جهدهم لتلقينها للجيل الصاعد الذي يحمل الرسالة للذين يأتون من بعده .

كثيرة هي الجوانب التي تشدنا إلى الاهتمام بابن صاحب الصلاة: هذا النموذج الذي كم له من نظيرٍ في مغرب الأمس، نموذج العالم المتمكن الواسع الاطلاع الذي لم يمنعه علمه الغزير أن يتتلمذ على نظرائه وأقرانه ولم تمنعه مصاعب الرحلة ولا تجشم الأسفار من أن يبحث عمن يزيد في علمه ويقوي من سنده، وهكذا أصبحت ترجمة الرجل أيضًا مرجعًا لمن يريد أن يؤرخ للحياة العلمية بالديار المشرقية أثناء القرن السادس الهجري..

ومن هنا يصح القول إن الاهتمام بشرح كتاب الأحكام لابن صاحب الصلاة المحدث، هو في واقع الأمر اهتمام بالحديث وبالفقه ، وباللغة العربية التي - كما نعلم- تظل الطريق الوحيد لمن يريد أن يعرف عن كتاب الله وسنة رسول الله.

وإذا ثنّى الله ليَ الوساد فسأعمل على نشر بعض الفصول منه لكن ما لا يدرك كله لا يترك جُلّه كما تقول الحكمة العربية ، ولهذا فإني سأبدأ اليوم بتقديم الباب المتعلق بالطب كما عرفه سلفنا الصالح ، وبخاصة في

العهد النبوي على ما دونه الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما ومن أتي بعدهما من عيون رجال الحديث والأثر ...

**فماذا عن المخطوطة موضوع الحديث؟**

يتناول السفر العاشر من شرح الأحكام اثني عشر بابا على هذا الترتيب :

١- باب الحد في الخمر.

٢- باب في الأطعمة .

٣- باب في الأشربة .

٤- باب في اللباس والزينة .

٥- باب في الأسماء والكنى .

٦- باب في السلام والاستئذان.

٧- باب في العطاس والتثاؤب.

٨- باب في الأمراض وما يصيب المسلم.

٩- باب في الطب.

١٠- باب في قتل الحيات والوزغ.

١١- باب في السعادة والشقاوة والمقادير.

١٢- باب في الرؤيا .

وقد حصل بتر في أواخر باب الطب الذي وقع اختياري عليه كنموذج أقدمه للمهتمين بعمل ابن صاحب الصلاة المحدث ، وبالخصوص للمهتمين بالطب النبوي، وكنت أتمنى أن يكون هذا الباب كاملاً حتى يكون موضوعي مستوفيًا للغرض لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله كما يقولون .

وأحب أن أثير الانتباه منذ البداية، إلى أن اهتمام ابن صاحب الصلاة بموضوع الحديث يندرج حسب اعتقادي ، في دعوة الدولة الموحدية بالمغرب إلى توجيه الرأي العام إلى العناية بكتب الأصول وليس إلى كتب الفروع المتشعبة التي أحرقت على ما هو معلوم، ذلك هو المبدأ الذي رأينا أن الحكم يقوم عليه ، وحسبنا هنا أن نرجع إلى ما رواه المراكشي في كتابه المعجب عن أمر الخليفة المنصور الموحدي أبي يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، أمره بالاقتصار على الأصول والابتعاد عن كتب الفروع ، أي الاقتصار على الصحيحين : البخاري

ومسلم، والموطأ والترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي وسنن البزار ومسند ابن أبي شيبة وسنن الدارقطني وسنن البيهقي..

كان قصد المنصور- كما يقول المراكشي- حمل الناس على الظاهر، وكان هذا قصد والده يوسف وجده عبد المؤمن ولكنهما لم يظهراه وأظهره هو..

ويشهد لهذا عند المراكشي ما أخبره به غير واحد ممن لقي الحافظ أبا بكر ابن الجد أنه أي أبا بكر ابن الجد أخبرهم قال:

لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب أول دخلة دخلتها عليه، وجدت بين يديه كتاب ابن يونس ، فقال لي : يا أبا بكر ، انظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله !! أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا، فأي هذه الأقوال هو الحق ؟! وأيها يجب أن يأخذ به المقلد ؟! فافتتحت أبين له ما أشكل عليه من ذلك، فقال لي، وقطع كلامي: " يا أبا بكر،ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف أو هذا ، وأشار إلى سنن أبي داود وكان عن يمينه أو السيف !

فظهر في أيام يعقوب ما أخفي في أيام أبيه وجده ، ونال عنده طلبة العلم أي علم الحديث ما لم ينالوا في أيام أبيه وجده وانتهى أمره معهم إلى أن قال يوما بحضرة كافة الموحدين يسمعهم ، وقد بلغه حسدهم للطلبة على موضعهم منه وتقريبه إياهم وخلوته بهم دونهم: يا معشر الموحدين أنتم قبائل، فمن نابه أمر فزع إلى قبيلته وهؤلاء يعني الطلبة ، لا قبيل لهم إلا أنا ، فمهما نابهم أمر فأنا ملجؤهم وإلى فزعهم وإليّ ينسبون"

فعظم منذ ذلك اليوم أمرهم وبالغ الموحدون في برهم وإكرامهم [1] ...

أعتقد أن ابن صاحب الصلاة

(١) عبد الواحد الماركشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب (المكتوب عام 621 ) مطبعة الثقافة – سلا – المغرب الأقصى 1357-1938 ص 172.

صاحبنا المحدث، كان ممن شملهم المنصور بحمايته وعنايته ورعايته وهو يؤلف كتابه العظيم هذا : شرح الأحكام ، معتمدًا فيه فقط على ما قال الله ورسول الله، بعيدًا عن مدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد ومختصره وتهذيب البرادعي وواضحة ابن خبيب وما شابه هذه التآليف أو نحوها مما تعرضت منه الأحمال إلى ألسنة اللهب في العاصمة العلمية : فاس على ما يحكيه شاهد عيان !

فالتأليف الذي بين أيدينا تأليف ينبغي أن يقرأ على هذا الأساس، فما هو الجديد في أسلوبه؟

الكتاب أولاً يعتمد على صحيح الإمام مسلم في منطلقه ونحن نعلم أن المغاربة يقدمون مسلمًا على البخاري في الأصحية حسبما تدل عليه أكثر من إشارة سواء فيما حمله تأليف الإمام المازري المعنون بالمعلم بفوائد مسلم أو تأليف القاضي عياض : إكمال المُعلم بفوائد مسلم ، أو الإمام القرطبي : المفهم في شرح مسلم (١)

وقد كاد تأليف ابن صاحب الصلاة يحمل اسمًا على نحو المعلم أو المكمل، فهو على كل حال كتاب في خدمة الصحيحين وخاصة صحيح الإمام مسلم...

وبالتتبع وجدناه ، حسبما توفرنا عليه من المخطوط ، يعلق على نحو أربعة وعشرين حديثًا صحيحا معتمدا في تعاليقه على معظم المصادر التسعة التي أشرنا إليها في بداية الحديث .

**الحديث الأول :**

حديث النبي صلى الله عليه وسلم:" لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء يبرأ بإذن الله ".

لقد نقل ابن صاحب الصلاة هنا عن القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢) ما يتصل بضبط كلمة الداء والدواء من الوجهة اللغوية ثم ينقل

(١) تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر لكتاب "المعلم" تأليف المازري الدار التونسية للنشر 1988ص 184-188.
(٢) حقق هذا التأليف حديثا من لدن الدكتور يحيى إسماعيل 1419=1998 ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ج.م.ع المنصورة الجزء السابع ص ١١١.

عن الإمام المازري في كتابه المعلم بفوائد مسلم ما يشهد لصحة هذا الحديث الشريف فإن الأطباء يقولون : إن المرض يعني خروج الجسم عن المجرى الطبيعي ، والمداواة تعني رد الجسم إلى ذلك المجرى، وهنا نستدل بقول ( أبو قراط ) الذي يرى أن الأشياء تداوى بأضدادها إلى آخر النص الكامل الذي نورده على حدة .

**الحديث الثاني :**

حديث أسماء أنها كانت تؤتَى بالمرأة الموعوكة ( بالحمى ) فتدعو بالماء فتصبه في جيبها وتقول : إن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أبردوها بالماء وقال: إنها من فيح جهنم ..

وشرحًا لهذا الحديث يستمد ابن صاحب الصلاة من القاضي عياض في تأليفه سالف الذكر الذي ينقل عن الموطأ عبارة ( بينها ) أي بين الموعوكة وبين جيبها ، قال عيسى ابن دينار تصبه بين طوقها وجسدها إلى آخر النقل(١).

وبعد شرح عياض يأتي ابن صاحب الصلاة بشرح الباجي في المنتقى نقلاً عن ابن دينار كانت أسماء تأخذ الماء وتصبه فيما بين طوقها وجسدها (٢) ..إلخ.

ويعود ابن صاحب الصلاة للنقل عن المازري في المُعلم(٣) .. وكان الجديد في هذا النقل أن ابن صاحب الصلاة يتعمد مناقشة بعض الأطباء الذين لا يرون من وجهة نظرهم استعمال المحموم للاغتسال بالماء البارد باعتباره يؤدي للخطر والهلاك .. وهنا يضيف ابن صاحب الصلاة رأيه فيما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وفيما أضافه بعضهم مما لم يكن

(١) عياض : المعلم 121,7-122.

(٢) الجزء السابع المنتقى ، شرح موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس طبع العاهل المغربي المولى عبد الحفيظ بمصر 1333 مصر ص 263.

(٣) يلاحظ أن مخطوطة ابن صاحب الصلاة تحتوي على زوائد لا توجد في الطبعة التونسية.

من قول الرسول عليه السلام ويبين رأي الأطباء حول الموضوع ردًّا على الملاحدة !

ويتخلص ابن صاحب الصلاة تزكية رأيه اعتماداً على ما ورد عند ابن عبد البر في الاستذكار، يتخلص إلى نقل عن ابن بطال حول شرح حديث أسماء المتعلق بإيراد الحمى بصب الماء على جسد المحمومين وأنه يختلف حسب ظروف المصابين(١) .. وكل هذه النقول كان الهدف منها شرح الحديث الشريف ورفع اللبس الذي قد يشوش على القصد.

**الحديث الثالث :**

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله عليه وسلم : اسقه عسلاً فسقاه ثم جاءه فقال : إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقا ، وقال له بعد الرابعة : صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلا فسقاه فبرئ .

هنا عند هذا الحديث يبتدئ ابن صاحب الصلاة بنص ابن بطلان الذي يستنبط من الحديث أن تأثير الدواء قد يتأخر ، إلى آخر النص الذي سنأتي عليه في نهاية البحث(٢).

ثم ينقل عن عياض نصه حول أن القصد إلى أنه شفاء بعض الناس دون بعض ، وتخلص إلى نقل آخر عن ابن بطال يشير إلى هذا المعنى وهو أنه أي الشفاء يكون على حسب ما تقتضيه حالة المريض بمعنى أن الحديث ليس على إطلاقه ، وقد جاء في القرآن نفسه ما لفظه العموم والمراد به الخصوص ..

ويختم الكلام عن حديث العسل بما أورده الإمام المازري في المعلم حول الحقيقة في أمر تناول العسل ودفع

(١) لم يقدر لنا أن نجد ابن بطال إلا عندما زرنا المدينة المنورة شوال 1419 هـ = فبراير 1999م ، حيث وقفنا على صورة من النص المذكور في مكتبة الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله ونحن نغتنم هذه الفرصة لتقديم الشكر لأبنائه وخاصة الشيخ عبد الباري ، انظر صفحة 13 من مخطوطة المدينة .

(٢) انظر مخطوطة المدينة ص 3و11.

الإشكال الذي يورده بعض الأطباء حول هذه الوصفة مما سنورده في النص، ويظهر الإمام المازري هنا طبيبًا في الوقت نفسه الذي يدافع فيه عن مصداقية قول الرسول صلى الله عليه وسلم [١]...

**الحديث الرابع :**

( إن في الحبة السوداء شفاءً من كل داء) ويبتدئ في شرح هذا الحديث الذي أورده الإمام مسلم كذلك بنقل نص الإمام عياض في المعلم وهو يفسر أولاً أن القصد بالحبة السوداء هو الشونيز الذي ينطق به المغاربة شانوز بفتح الشين .. وربما كان هو ما يسمى في بعض بلاد المشرق بالبطم أو الضرو وبعد تحقيق في اللفظ ينقله عن المازري يعود لعياض الذي اهتم برأي الأطباء حول الحبة السوداء مقارنة مع ما ورد في الحديث الشريف معتمدًا في ذلك على معلومات للطبيب اليوناني المعروف جالينوس، وهي جميعها تؤكد فعالية تناول الحبة السوداء للرجال والنساء على السواء ...

**الحديث الخامس :**

( التلبينة مجمة لفؤاد المريض)

والتلبينة نوع من الحساء، وكلمة مجمة تعني تزيل انقباضه، وهنا ينقل عن القاضي عياض وعن الإمام المازري الذي يتحدث أيضا عن أثر السفرجل في التسلية عن القلب كذلك ...

**الحديث السادس :**

عن سعد بن أبي وقاص : مرضت مرضًا أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي فقال: إنك رجل مفؤود (فأت الحارث بن كَلدة أخا ثقيف فإنه يتطبب،فليأخذ سبع مرات من عجوة المدينة فليُجاهن .. )

وحول الحديث ينقل عن الخطابي

(١) يلاحظ هنا بعض الفرق بين ما يوجد عند المازري مطبوعًا وبين ما رتبه ابن صاحب الصلاة في مخطوطته على ما سنرى عند إيراد النص الكامل .

في كتابه غريب الحديث [1] حول معنى المفؤود وأنه على نحو المرؤوس المصاب في رأسه والمبطون والمصدور.. ثم ينقل عن ابن بطال حول وضع اليد على المريض تأنيسًا له وملاطفة ، ويعود للنقل عن الخطابي الذي شرح بقية الحديث المروي عن سعد : فليجاهن ...

**الحديث السابع :**

حديث عائشة : لددنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فأشار ألا تلدوني، فقلنا كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: لا يبقى أحد منكم إلا لد غير العباس فإنه لم يشهدكم !

وعن شرح هذا الحديث ينقل ابن صاحب الصلاة عن القاضي عياض حول كلمة اللدود: التي تعني ما يُصبُّ في أحد جانبي فم المريض ، كما ينقل عنه أيضا أن سيدنا عمر بن الخطاب أخذ بهذا الحديث : ( لا يبقى أحد منكم إلا لد)، أخذ به في قتل من تمالأ على قتل الغلام بصنعاء [2] .

وحول الاقتصاص ممن قاموا بلد رسول الله على كره منه نقل عن ابن بطال الذي يذكر أنه أشار في آخر كتاب الديات إلى هذا المعنى أي إذا أصاب قوم من رجل هل يقتص منهم جميعهم ؟

**الحديث الثامن :**

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أم قيس دخلت بابن لي على رسول الله عليه وسلم وقد أعلقت عليه من العُذرة ( أي رفعت لهاته بأصبعي

(١) نشر غريب الحديث مؤخراً بتحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة 1402 ص 196-195 التعليق رقم ١، هذا ويظهر أن ابن صاحب الصلاة ينقل أحيانًا من تآليف أخرى للخطابي.

(٢) الإشارة إلى الحديث الذي رواه عبد الرزاق (477,9) باب النفر يقتلون الرجل،وفيه أن امرأة من صنعاء غاب عنها زوجها وترك في حجرها ابنا له من غيرها يقال له أصيل، فاتخذت المرأة بعد زوجها خليلا فقالت : إن هذا الغلام يفضحنا فاقتله فأبى فامتنعت منه، فطاوعها فاجتمع على قتل الغلام الرجل ورجل آخر والمرأة وخادمها فقتلوه ثم قطعوه أعضاء وجعلوها في عيبة فطرحوه في ركية بناحية القرية، فلما بلغ عمر خبره قال : والله لو أن أهل صنعاء اشتركوا في قتله لقتلتهم جميعا .. قال ابن حجر في الفتح إسناده جيد) (12-191) .

عياض : إكمال المعلم ج 7 ص 123 تعليق 5.

لعذرةِ أي لوجع حلق أصابه ) .

هنا نجد ابن صاحب الصلاة ينقل عن المازري الخلاف في معنى الإعلاق كما ينقل عن عياض حول معنى الإعلاق والعذرة ، وينقل عن الخطابي وعن ابن بطال وقد نهى رسول الله عن الطريقة التي سلكتها أم قيس لعلاج ابنها من العذرة.

**الحديث التاسع :**

قوله صلى الله عليه وسلم : " عليكن بهذا العود الهندي ( القسط ) فإن فيه سبعةَ أشفية منها ذات الجنب ومنها العذرة .

وهنا نقل عن عياض الرد على من أنكر التشفي بالقسط، واستدل بما قاله ديسقوريدوس وجالينوس وابن سينا وهم- أهل دراية بصناعة الطب.

**الحديث العاشر :**

قوله صلى الله عليه وسلم للذي سأل عن الخمر وقال : إنما أصنعها للدواء فقال إنه ليس دواءً ولكنه داء ...

وهنا ينقل عن أحد تآليف الخطابي الرأي حول الخلاف في التداوي بالخمور[1] ...

**الحديث الحادي عشر :**

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء الخبيث ، ويبين أن الدواء الخبيث يأتي خبثه من وجهين : أحدهما خبث النجاسة ... ثانيهما من الطعم والمذاق .

**الحديث الثاني عشر :**

قوله صلى الله عليه وسلم الكَمْأة وماؤها شفاء للعين [2]...

**الحديث الرابع عشر :**

إن خير ما تداويتم به الحجامة والسعوط واللدود والمشِي[3] ، وهذا على الطرة يسار الصفحة 163.

**الحديث الخامس عشر:**

عن جابر بن عبد الله قال : رُمِيَ أُبَي يوم الأحزاب على أكحله فكواه رسول

---

(١) يراجع باب في الأشربة من السفر العاشر .

(٢) تراجع الصفحة 39 من مخطوطة ابن صاحب الصلاة السفر العاشر باب في الأطعمة.

(٣) القصد بالمشي بكسر السين إلى المسهل وليس إلى المشي بتسكين الشين ولو أنه علاج كذلك .

الله صلى الله عليه وسلم. وهذا الحديث أيضًا على الطرة يسار الورقة 163.

**الحديث السادس عشر :**

الشفاء في ثلاث : في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بالنار وما أحب أن أكتوي .

وحول حديث الحجامة ينقل عن عياض كما ينقل عن الاستذكار لابن عبد البر الذي يحيل على ما في التمهيد من آثار كثيرة في فضل الحجامة والتداوي بها وإباحة التداوي بكل ما يُرجى نفعه مما يؤلم وما لا يؤلم . كما نقل عن ابن بطال [1] قال الطبري:وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحتجم على رأسه وبين كتفيه حيث يقوم بالجمع بين الأحاديث النبوية حول الموضوع.

وحول كرهه هو للاكتواء مع تشريعه لأمته ، يسوق ابن بطال نظائر مثل عدم تناوله لبعض أنواع الطعام لكونه يعافها .

ويخلص ابن صاحب الصلاة بعد هذا إلى موضوع جد مهم هو الرد على بعض غلاة الصوفية الذين لا يقولون بتشريع العلاج معتقدين أن كل شيء بقضاء وقدر .. وهكذا نجد أن المؤلف يبحث عن كل الدلائل الشرعية التي تسنن استعمال الدواء للأمراض الطارئة، وأن الله الذي أنزل الداء أنزل الدواء، وهو مثل الأمر بالدعاء لنا في الأمور، والأمر بالتوقي من المعاطب مع أن الأجل لا يزاد فيه ولا ينقص، ثم ينقل عن ابن رشد في البيان والتحصيل حول التداوي بالحجامة وقطع العروق [2] مؤكدًا أنه لا يوجد تناقض أبدًا بين العلاج وبين التوكل كما ينقل عن الخطابي ، ومن جهة أخرى فإن ابن صاحب الصلاة يزيف رأي بعض الملاحدة الذين يحاولون التشكيك فيما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم حول بعض النوازل الصحية مؤكدًا أنه قل ما يوجد في علم

---

(١) مخطوطة المدينة المنورة التي وجدتها في المكتبة الخاصة للشيخ حماد الأنصاري رحمه الله ص4-5 .

(٢) البيان والتحصيل لابن رشد ج 18 دار الغرب الإسلامي ص 441-443.

الافتقار إلى التفصيل مثل ما يوجد في صناعة الطب حتى إن المصاب بمرض قد يكون هذا الدواء نافعًا له في هذه الساعة ثم يعود داء في الساعة التي تليها لعَارض يتجدد ، والأطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمن والعادة والغذاء على ما يذكره القاضي عياض رحمه الله .

**الحديث السابع عشر :**

كنا نرقى في الجاهلية فقلنا يا رسول الله : كيف ترى ذلك ؟ فقال : اعرضوا عليَّ رقاكم ،لا بأس بالرقَى ما لم يكن فيها شرك .

وهنا يأتي بنص للباجي في المنتقى[١] ويؤكد أنه لا خلاف في جواز الرقى بأسماء الله تعالي وبكتابه.

ثم ينقل عن المازري ما يعزز الرأي باتخاذ الرقى ما لم تؤد إلى محظور..وهل هي معدودة من السحر أو من الرقية ؟ وختم هذا النقل بما ورد عن " النشرة " وقد حكى البخاري عن سعيد بن المسيب أنه قيل له عن رجل أخذ عن امرأته. أيحل عليه أن ينشر؟ قال : لا بأس به إنما يريد الإصلاح .

**الحديث الثامن عشر :**

حول الذي رقى الملدوغ بفاتحة كتاب الله فأعطى قطعًا من الغنم : فقال رسول الله : ما أراك أنها ( أي الفاتحة ) رقية، خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم !..

شرحًا لهذا الحديث يأتي ابن صاحب لصلاة بنص القاضي عياض وبنص ابن بطال [٢] ويعود لعياض ليذكر أن موضع الرقية من أم القرآن هو قوله تعالي :" وإياك نستعين " ، يضيف عن ابن بطال الرقية بالمعوذات [٣] ويختم هذا بما رواه مالك في الموطأ أن أبا بكر الصديق

---

(١) الباجي : المنتقي ج 7 ص 257.

(٢) هنا في نص ابن بطال أنه يكمل نقصًا في مخطوطة المدينة المنورة التي وقفت عليه في المكتبة الخاصة للشيخ حماد الأنصاري رحمه الله.

(٣) انظر مخطوطة المدينة ص 16.

دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها فقال أبو بكر ارقها بكتاب الله يعني التوراة لأن ذلك كلام الله الذي به الشفاء معلقًا عليه بما ورد عند الباجي، ثم ابن عبد البر عن القصد من النفث أو التفل أو النفخ الذي يقوم به الراقي على ما سنورده في النص ....

**الحديث التاسع عشر:**

قوله صلى الله عليه وسلم : " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا لا حساب عليهم وهم الذين لا يسترقون ولا يكترون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون "، فقال عكاشة : أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، فقال آخر وقال : وأنا منهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم: سبقك بها عكاشة !

هنا ينقل ابن صاحب الصلاة عن ابن بطال الذي قام بشرح الحديث نقلا عن الطبري [1] ... وقد تخلص بعد هذا لموضوع التوكل وهل أنه يغني عن الأخذ بالطريق الطبيعي للعلاج والحصول على الغذاء ..وهنا يؤكد ابن صاحب الصلاة أن من السنة أن يسعى الإنسان إلى ما لابد منه من مطعم ومشرب وملبس لقوله تعالى: "وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام"![2] .

لقد عالج ابن صاحب الصلاة هذا الموضوع بما يستحقه من واقعية وموضوعية حتى لا يقع المؤمن في أخطاء قد تؤدي به إلى الخطر ، وبماذا نفسر إذن نصح النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أتى ببعير وسأل : أعقله وأتوكل أم أطلقه وأتوكل ؟ فقال : اعقله وتوكل !!

**الحديث العشرون :**

حديث عائشة : كان رسول صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ...

اهتم ابن صاحب الصلاة بهذا الحديث الذي روته السيدة عائشة ، والذي ظل مشغلة للناس ، ويتعلق بقضية من أهم قضايا الإسلام ، وهي

(١) مخطوطة المدينة ص 7 .

(٢) الآية الثامنة من سورة الأنبياء.

هل أن النبي سحر ؟ اهتم بها كثيرًا وظهر ذلك فيما أتى به من نقول ونصوص ... وأنا أذكر جيدا أن هذه القضية كانت مجال صراع كبير في الأربعينيات بين الشيخ محمد بن العربي العلوي والشيخ المدني ابن الحسني بمجلس السلطان محمد بن يوسف في أحد شهور رمضان .. فلقد كان الأول ممن زيف أمر السحر بينما كان رأي الثاني أن السحر أمر موجود وواقع ، وقد استمرت أصداء ذلك الصراع طويلا بيننا نحن الطلبة حيث تسربت إلينا تفاصيل المجلس السلطاني الذي انتهى إلى تغلب الرأي القائل بأحقية السحر ...

وهنا نرى من خلال النصوص التي أوردها ابن صاحب الصلاة أن هذه المسألة لم تكن من السهولة بمكان وأنها استمرت محل نزاع بين العلماء، وهنا سنقف على رأي المازري ورأي عياض الذي أطنب في الموضوع وكذا ابن بطال الذي نجد له هنا في مخطوطة مكناس ما لم نجده في مخطوطة المدينة التي بتر فيها القسم الخاص بالسحر وكأنها لا ترضى على القول بسحر النبي لما يحدثه ذلك من اضطراب كبير في الآراء بين الناس...!

وقد تخلص بعد هذا التدخل الطويل إلى الحديث عن النشرة التي سبق وأن قلنا إنها نوع من رقية يفك بها السحر ، والانفصال على أنها جائزة لتخليص الناس من شرور السحر ، وقد ورد في قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم : هلا تنشرت ؟ ويذكرون من ذلك أن يأخذ المرء سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ويخلطه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والمعوذات ثم يحتسي منه ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذب عنه كل ما به ...

**الحديث الواحد والعشرون :**

قوله صلى الله عليه وسلم : العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغتسلوا ".

وعن هذا الحديث أيضاً يستدل بما رواه عن المازري الذي يذكر أن الجمهور من علماء المسلمين أخذوا بظاهره بالرغم من إنكاره من لدن طوائف من المبتدعة، وقد نقل ابن صاحب الصلاة أن بعض الطبائعيين المثبتين للعين أن العائن تنبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعيون إلى آخر الحديث الطويل الذي استدل فيه أيضًا بنصوص القاضي عياض والباجي والمازري الذي بيَّن كيفية الوضوء بالنسبة للعائن، وقد عاد إلى عياض الذي تمم الكلام على ما يتعلق بغسل العائن على نحو ما قالته البقية من الفقهاء والمحدثين أمثال ابن رشد والباجي وابن عبد البر وابن بطال .

وتنتهي النصوص الواردة إلى ضرورة اجتناب العائن والحرز منه بل وأمر الإمام له بالتزام بيته لأنه أصبح في حكم المجذومة التي منعها عمر بن الخطاب من الطواف !!

**الحديث الثاني والعشرون :**

رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة !

والحديث كما نرى يتعلق أيضا بالإصابة بالعين، وهنا نجد ابن صاحب الصلاة يستعين على إظهار الأحكام بما ورد عن الرواة وعن البادي، وأن النبي دعا عامر ابن ربيعة وتغيظ عليه قائلا : علام يقتل الرجل أخاه؟ ألا بركت ؟ أي ألا قلت: تبارك الله ... إلى آخر النصوص .

**الحديث الثالث والعشرون :**

لا يورد ممرض على مصح :

والقصد إلى أن الممرض أي صاحب الماشية المريضة لا ينبغي له أن يختلط مع صاحب الماشية الصحيحة فيؤذيه ...

وهذا موضوع آخر يتعلق بالعدوى حيث نجد نقولاتٍ جد مهمة عن الباجي[1] الذي يطرح موضوع : هل أن الحديث منسوخ بالحديث

(١) الجزء 7 ص 264-265 .

الآخر: لا عدوى .. وماذا يعني قوله صلى الله عليه وسلم : فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد " .

ويأتي ابن صاحب الصلاة بعد هذا بما أورده المازري حول الموضوع محاولاً الجمع بين مدلول الحديث الذي يفرض حظر اتصال المرضى بالأصحاء والحديث الذي يقول : لا عدوى .

ويختتم ما يوجد من مخطوطة بمكناس بالنقل عن ابن بطال : وزعم بعض أهل البدع ، ويقصد به إلى الجاحظ عن النظام حسبما يوجد في مخطوطة ابن بطال بالمدينة المنورة ، أقول زعم ذلك البعض أن قوله عليه السلام لا عدوى يعارض قوله " لا يورد ممرض على مصح"كما يعارض " فر من المجذوم فرارك من الأسد" ... وقوله لا عدوى إعلام منه لأمته أنه لا تأثير لذلك حقيقة ، وقوله لا يورد ممرض على مصح نهى فيه للمريض أن لا يورد ماشيته المرضى على ماشية أخيه الصحاح لئلا يتوهم المصح أن مرض ماشيته الصحيحة إنما حدث من أجل ورود المرضى عليها فيكون ذلك داخلاً في وهمه [1] .

**عبد الهادي التازي**

عضو المجمع من المغرب

---

(١) هنا تقف مخطوطة مكناس حيث تستمر مخطوطة المدينة المنورة في الحديث ضمن باب بعنوان باب الجذام وفيه عن أبي هريرة قال النبي عليه السلام : لا عدوى ولا طيرة ...

# رفاعة رافع الطهطاوى والتعريب *

للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين

السيد رفاعة رافع الطهطاوى جبل من الثقافة والمعرفة لم يتكرر في عصر النهضة الحديثة، إنه فرد أصلح أمة ونبه أجيالاً وأحدث تبدلاً واسعًا في الساحة الأدبية والفكرية والعلمية ذهب إداريًّا وأصبح طالب علم نهم الفكر متوقد الهمة وفي فرنسا وجد كثرة في العلوم والفنون والآداب التي لم يدرسها في الأزهر الشريف ، وكان يظن أنه درس علوم عصره كلها فأحس بحاجته إلى هذه المعارف الجديدة ، وضرورة نقلها إلى أمته ترجمة وتعريبًا، إنه وجد اتساعًا كبيرًا في المعارف التي قدمت الغرب وطورت حياته فعرب ما رآه جديرًا بتقدم وطنه، واحتك بالعلماء وساجلهم ليسبر غور الحضارة ويتعرف على. جذور الفكر الغربي وأسباب تطوره الحضاري وازدهاره، لأن في نقل علوم الغرب خير وسيلة لرفع المستوى العلمي والفكري لبلاده ليفتح الأذهان وينمي المدارك بنشر علوم الغرب بين أبناء وطنه .

واستمر مواصلاً التعريب مع طلابه عندما أسس مدرسة الألسن واختار لها خمسين من الطلاب الذين يحسنون العربية واللغة الأجنبية ووضع في منهجها دراسة التركية والفارسية إضافة إلى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، ورأى فيها نبعًا ثرًّا، ومركزًا مهمًّا للتعريب وفضلها على إرسال البعوث إلى الغرب، وأضاف علومًا تساعد الطالب على اتساع فكره، واطلاعه على العلوم المفيدة كالتاريخ والجغرافية والحساب وعندما يجد الطلاب صعوبة في الجمل أو وضع مصطلح كان يسعفهم بالنصح وإذا ما انتهى المعرب من

* ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة عشرة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأحد ٣ من ذي الحجة سنة ١٤١٩هـ الموافق ٢١ من مارس ( أذار ) سنة ١٩٩٩م.

مادة كانت تعرض على مراجع ليطلع على دقة التعريب وأصالة اللغة العربية، إنه إنسان صابر سبع عشرة سنة دون كلل أو ملل في هذه المهمة ولم يتوقف حتى عندما نفاه عباس إلى السودان فترجم التليماك لفانلون برغم مصاعب الإقامة والبعد عن الأهل والشعور بالإحباط من هذا النفي فقال:

على عدد التواتر معرباتي
تفي بفنون سلم أو جهاد
وملطبرون يشهد وهو عدل
ومنتسكو يقر بلا تمادي
وقد فارقت أطفالاً ضعافًا
بطهطا دون عودي واعتيادي

ولما توفي عباس وجاء سعيد عاد إلى مصر وعاد إلى مكانته الأولى وزادت مساحة نفوذه وزاد نشاطه فقد أوكلت إليه أعمال إدارية متعددة ومن أعماله المهمة ترجمة القانون الفرنسي الأساسي ( كود نابليون ) ووضع المصطلحات القانونية معتمدًا على الشريعة الإسلامية وأحكامها .

## تعليم البنات :

في الوقت الذي يصدر أحد العلماء في قطر عربي فتوى (الإصابة في منع النساء من الكتابة ) نرى الطهطاوي يبذل جهودا كبيرة يدعو فيها إلى تعليم المرأة لإيمانه بحقها في المساواة مع الرجل فقد قال في (المرشد الأمين للبنات والبنين ) بضرورة تعليم البنات لأن التعليم ( يزيدهن أدبا وعقلا ويجعلهن للمعارف أهلا ويصلح به لمشاركة الرجال في الكلام والرأي فيعظمون في قلوبهم ويعظم مقامهن ) .

ويبدو أن زوجة إسماعيل تأثرت به فأسست أول مدرسة للبنات سنة١٨٧٣م فأثمرت البذرة التي بذرها رفاعة في مصر ومن ثم في الشرق العربي، وبالرغم من اهتمام محمد على باشا بالعلوم التي تخدم الجيش فقد عرب الطهطاوي بعض الكتب الأدبية وترجم قصيدة لفولتير في رثاء لويس الرابع

عشر ويبدو لي أن التليماك كان لها أهمية كبيرة في هذه المرحلة فقد نقلت إلى التركية التي قالت عنها جريدة الزوراء [1] في بغداد إنه ( تأليف لطيف مجموع من حكايات ظريفة وضعها لأجل تعليم الصبيان وتفهيم الفنون وترجمة أجمل وألطف حكاياتها).وسميت (حصة دون قصة)، وطبعت في مطبعة الولاية، في حين أن الطهطاوي سماها ( مواقع الأفلاك في وقائع تليماك ) ورآها تنشر الأخلاق والفضائل والسجايا العالية .

**الأمور الغريبة في فرنسا :**

وقد استرعى انتباه السيد رفاعة أسلوب تناول الطعام فقال في تلخيص الإبريز [2] (ولم نشعر في أول يوم إلا وقد حصل لنا أمور غريبة في غالبها وذلك أنهم أحضروا لنا عدة خدم فرنساوية لا نعرف لغاتهم ونحو مئة كرسي للجلوس عليها لأن هذه البلاد يستغربون جلوس الإنسان على نحو سجادة مفروشة على الأرض فضلاً عن الجلوس بالأرض ثم مدوا السفرة للفطور ثم جاؤوا بطبليات عالية ثم رصوا من الصحون البيضاء الشبيهة بالعجمية وجعلوا قدام كل صحن قدحًا من القزاز وسكينًا وشوكة وملعقة في كل طبلية قزازتين من الماء وإناء فيه ملح وآخر فلفل ثم رصوا حول الطبلية صحنًا كبيرًا أو صحنين ليغرف أحد أهل الطبلية ويقسم على الجميع فيعطي لكل إنسان في صحنه شيئًا يقطعه بالسكين التي قدامه ثم يوصله إلى فمه بالشوكة لابيده فلا يأكل كل إنسان بيده أصلاً ولا بشوكة غيره أو سكينة أو يشرب من قدحه أبدًا ويزعمون أن هذا أنظف وأسلم عاقبة ومما يشاهد عند الإفرنج أنهم لا يأكلون أبدًا في صحون نحاس ولا في أوانيه أبدًا فهي للطبخ فقط بل دائمًا يستعملون الصحون المطلية وللطعام عندهم عدة من المراتب معروفة وربما كثرت

(١) العدد ٢/٦٢ سنة ١٢٨٧ هـ، القصة القصيرة في العراق ، ص ٢٣ ، ط ١٩٧٤.

(٢) تراثنا والمعاصرة ، ص ٢٧، ٢٨، ٣٠، ١٠٦، ١٠٧.

وتعددت كل مرتبة منها، فأول افتتاحهم الطعام يكون بالشوربة ثم بعد باللحوم ثم بكل أنواع الأطعمة كالخضروات والفطورات ثم بالسلطة مثلاً خضر منقوشة بلون السلطة ثم يختمون أكلهم بأكل الفواكة ثم بالشراب المخدر إلا أنهم يتعاطون منه القليل ثم بالشاي أو القهوة . وهذا الأمر مطرد للغني والفقير كل حسب حاله ثم إن الإنسان كلما أكل طعامًا في صحن غيره أخذ صحنًا غير مستعمل ليأكل فيه طعامًا آخر ثم (إنهم أحضروا لنا آلات الفراش ) والعادة أنه لابد أن ينام الإنسان علي شيء مرتفع نحو سرير) [1]

واهتم السيد رفاعة بتعريب القضايا التي تتحدث عن الحرية وأكد واهتم على المساواة التامة بين أبناء الشعب وبأن ملك فرنسا ليس مطلق التصرف وعليه العمل بالدستور وليس هناك فرق بينه وبين أبناء الشعب لأنهم متساوون الرفيع والوضيع ويقدر ابن الشعب إقامة الدعوى على الملك نفسه ( مناهج الألباب ) واهتم بتعريب ما تنشره الصحافة التي سماها الجورنالات والجازيتات ، واهتم بالحرية الفردية للإنسان وحرية الانتقال والعمل؛ لهذا قدر الزعيم الفرنسي لا فاييت لأنه ضد الظلم والاستبداد وأكد أن الشعب الفرنسي لا يخاف من السلطة لأنها لا تنفي ولا تحبس ولا تصادر الأموال وهو آمن لأن القوانين تضمن له كل هذا وتصونه من عبث السلطة .

إنها إشارات واضحة ضد الوضع العام في الشرق وعالمه المقيد فهل يمكن الآن أن يؤلف كاتب في هذا العصر ما ألفه رفاعة ؟ وما مصير هذا الكاتب إذا عارض السلطة ؟ لا أدري هل كان محمد علي باشا واسع الصدر فقبل هذه الآراء أم أنه لم يطلع على كتب الطهطاوي في الحرية

(١) تلخيص الإبريز ٢٤ ، وحجازي ١٨٦

الفردية ومقاضاة الحاكم المستبد أمـــام القضاء ، ولا شك في أن آراءه عـــن الظلم والاســتبداد والحريـــة والحكـــم الفردي أثرت في المفكرين فقد ألـــف الكواكبي كتابيـــه أم القـــرى وطبـــائع الاستبداد متأثرًا بدعوة الطهطاوي فقال في أحد كتبه (الاستبداد يسلب الراحـــة الفكرية فيفني الأجساد فـــوق ضناهـــا بالشقاء فتمرض ).

وبعد ذلك بتقدم الأيـــام بـــدأت الجرائد تناقش هذه القضايـــا ونشـــأت فكرة المحافظة والتطور فتنبه الشـــرق وأصبحت مصر مثـــلاً يحتـــذى فـــي القضايا الفكرية والأدبية ولا شـــك أن تعريب الطهطاوي كان المنبع الـــذي ارتوى منه الفكر الحديث .

## حركة التعريب والطهطاوي

كانت رغبة مثقفي مصر شديدة للتعرف على علـــوم الغـــرب عندمـــا احتكت بهم الحملة الفرنسية، فقد شاهد علماؤها التجارب التي يقوم بها علماء المجمع العلمي ومنهم الشـــيخ حســـن العطار وكان واسع الأفق ذكيًا فبهرته تجارب الغرب .

لذلك أوصى تلميـــذه رفاعـــة الطهطاوي بأن يسجل مشاهداته فـــي فرنسا فكتب (تلخيص الإبريز ) سـجل فيه بدقة كل ما رآه وسمعه عن الحياة في فرنسا ولم يغفل شيئًا مهمًا حتـــى إننا وجدناه يذكر المجامع التـــي فـــي باريس وعلماءها وأبرز ما أثـــر فيـــه الحرية الفردية وحرية الانتقال وعـــدم خوف الشعب من الدولة .

ولا أريد في هذه العجالة ذكـــر كل جهوده في التعريـــب والترجمـــة والتأليف فقد استوفت الكتب التي كتبت عنه ما أريد ولكن لابد من ذكر أثـــر هذا الرائد في النهضة الفكرية والأدبية والعلمية في مصر والشرق فقد كـــان طوال حياته يعتمد اعتمادًا كبيرًا علـــى التعريب والترجمة وركز جهوده عليها سواء كانت في مدرسة الألسن أو فـــي قلم الترجمة .

إن إعجابي بصبير هذا الرائـــد

الكبير الذي أحدث حركة كبيرة في مصر أدت إلى نهضتها بالعلوم والآداب والتعليم والصحافة جعلتني أسهم في مؤتمر أقامته جامعة المنيا.

وجدت رفاعة شديد العناية بتقصي المعاني الدقيقة وغلبت عليه هذه الدقة في أسلوبه وبخاصة الكتب العلمية وما كان قادرا على الخروج على السجع الذي كان سمة الحياة الأدبية وكان سهل العبارة واضح الأسلوب دقيقًا في وضع المصطلحات العلمية وضبط أسماء الأعلام الأدباء الذين أخذ عنهم، وقد وجدت شرحًا لطريقة الضبط في كتاب (التشريح العام)[1]يقول فيه:( فيه كثير من الأسماء الأعجمية سواء كانت فرنساوية أو يونانية كأسماء مهرة المشرحين ، وبعض حيوانات قد ذكرت للتبيين ، وأسماء بعض أمراض ومفاصل ، ولعجمتها كان التحريف حال التلفظ بها حاصل ، ولا يمكن النطق بها على حقيقتها إلا بالضبط التام، الذي يستقيم به الكلام، ولا سبيل إلى ذلك إلا بضبطها بالعبارة ، لأن الضبط بالشكل غير مأمون الخسارة، أمرني حضرة ناظر مدرسة الطب الإنساني العام بايرون، أن أضبطها بالعبارة ليسهل التلفظ بها ويهون، وأن أرتبها حسب حروف المعجم لتكون مراجعتها أسهل وأقوم وأحكم ).

إن اعتماد رفاعة على التعريب في نقل علوم الغرب وأفكاره وآدابه كان السبب المباشر في نشر الوعي واليقظة الفكرية وبقي طوال حياته مهتمًّا به سواء في الكتب المعربة أو في مقالاته في روضة المدارس أو عندما أشرف على الوقائع المصرية وإدارته قلم الترجمة أو مدرسة الألسن ولم تشغله الأعمال الإدارية الكثيرة التي عهدت إليه عن التعريب .

ومن آثار التعريب في الصحافة أن مهد لصدور الجرائد والمجلات فيما بعد، كان رفاعة رائدًا في وضع

(١) تشريح الطب لكلاربولاق وتراثنا والمعاصرة ص ١٠٨ .

المصطلحات العلمية والتعريب من الفرنسية فقد انفرد في وضع المصطلحات فلم نجد فوضى في وضعها إلا عندما كثر المعربون في الأقطار العربية وتنوعت المؤسسات والمجامع وانفرد بعض المعربين بوضع مصطلحات حسب أهوائهم فكثر عددها في مادة واحدة أو مخترع جديد وتناقضت المصطلحات وهذا ما يعانيه مجمع اللغة العربية اليوم في محاولاته الجادة في توحيد المصطلحات العلمية .

لابد من تكريم هذا الرائد في العودة إلى ما ترجم وعرب من الكتب وإبراز المصطلحات التي وضعها وإعادة طبع ( قاموس القواميس ) وإضافة المصطلحات الحديثة عليه للمقارنة الموضوعية وفي دار الكتب ترقد هذه الكتب على الرفوف فهي كثيرة ومنها:

١-أحسن الأغراض في تشخيص ومعالجة الأمراض تأليف محمد التونسي .

٢-الأزهار البديعة في علم الطبيعة تأليف مسيو بايرون معلم الكيمياء في مدرسة الطب .

وأتمنى جمع مجلة يعسوب الطب الناقصة ودراسة مصطلحاتها التي عربها المختصون بعلوم الطب والتي كان يشرف عليها محمد علي البقلي وإبراهيم الدسوقي .

وأخيرًا نحن في عصر كثرت فيه المخترعات فأرى ضرورة اتساع رقعة التعريب والمساهمة الكبيرة في وضع المصطلحات وتوحيدها فقد عرب رفاعة وجماعته ما يقارب ٢٠٠٠ من الكتب، فكيف نقابل الحركة العلمية الواسعة التي جاءتنا بالحاسوب والصواريخ والإنترنت؟. أمنية أرجو أن تتحقق لتطوير الأمة واللغة ، ولكن من أين لنا المال والرجال والهمة والصبر ؟

**يوسف عز الدين**

عضو المجمع المراسل من العراق

من مصادر البحث :


١-في الأدب العربي الحديث ، عمر الدسوقي .

٢-تراثنا والمعاصرة، يوسف عز الدين.

٣-الاشتراكية والقومية ، يوسف عز الدين .

٤-أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي ، د. محمود فهمي حجازي.

٥-مناهج الألباب ، الطهطاوي .

٦-طبائع الاستبداد ، الكواكبي .

٧-أم القرى ، الكواكبي .

٨-تلخيص الإبريز ، الطهطاوي .

٩-روضة المدارس .

١٠-يعسوب الطب .

١١-شعراء الوطنية،عبد الرحمن الرافعي.

١٢-تاريخ الأدب الحديث ، عبد الصبور السيد الغندور.

# الفصحى والعامية في رحاب مجمع اللغة العربية بالقاهرة
## أزمة مزمنة *
## ( ١٩٤٣ - ١٩٦٠ )

للأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوى

**١-١-مدخل :**

لقد آثرت أن أسهم في القضية المطروحة في هذه الدورة [١] بالعودة إلى ما قيل فيها في رحاب المجمع قبل 65 سنة مضت إن اعتبرنا أن المجمع قد عالجها لمدة سنة تقريبا حسبما سجلناه من مداولاته وأعماله بمؤلفنا " أعمال مجمع اللغة العربية : مناهج ترقية اللغة تنظيرًا ومصطلحا ومعجما"[٢] . فلعلنا سنكتشف أننا نتحدث في قضية قد بت في أمرها ولا داعي إلى أن تعود حليمة[٣] إلى عادتها القديمة . ولعلنا سنلاحظ أننا أمام قضية طبيعية مزمنة لم تنزل حق منزلتها من الدرس والتعمق في نطاق اللهجات البحث وطبقاً لما تستوجبه الدراسات اللسانية الحديثة التي زودتنا بمفاهيم وآليات تستحق العناية . ولعلنا كذلك سنستخلص منها أننا نظرنا إلى قضية اللهجات نظرة مُقَنَّعَة تنكر هذه الظاهرة الكونية التي واجهتها وستظل تواجهها كل اللغات لا سيما الكبرى والحضارية منها مثل العربية ولعلنا ما زلنا نطرحُ القضية مثلما طرحها المتقدمون من المجمعيين وحتى من القدماء... ولعل .. ولعل .. إن هذه الاحتمالات واردة بالمقارنة بين مواقف الأمس وما عسى أن يظهر منها اليوم لاسيما ونحن مدعوون إلى محاسبة المجمع ــ وبالأحرى أنفسنا على الالتزام بأهداف دستوره التي تفترض أن يوفق بين عنصرين يبدوان متناقضين وكأننا باللغة تعكس معادلاتنا الصعبة ــ في

* ألقى هذا البحث في الجلسة الرابعة عشرة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأحد ٣ من ذي الحجة سنة ١٤١٩هـ الموافق ٢١ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٩م .

ميادين أخرى وعجزنا عن الخروج منها .. ويتمثلان في المحافظة على سلامة اللغة مع جعلها وافية بمتطلبات العلوم وبمواكبة العصر بكل مظاهره البارزة ومنها اللهجات .

ولقد استعنا في محاولتنا هذه بكل ما وفره المجمع من وثائق رسمية وعلمية ومجمعية : دساتيره ولوائحها ومحاضره ومجلاته المختلفة وترجمات أعضائه وتدوينات تاريخه . وهى تفيدنا بأن المجمع قد عالج القضية في محاور أربعة استخلصناها من مقارنات متداخلة ومتناثرة أحيانا . وعلى نقاط تستحق النظر وتدور حول :

(1) القضية : أهدافها ووسائلها .

(2) معركة المفاهيم والمصطلحات

(3) فتح باب السماع من المحدثين

(4) معجم العامية وأصواتها ونحوها .

**١-٢ : الأهداف والوسائل**:الملاحظ أن هذه القضية قد نزلت سنة ١٩٣٤ منزلة القضايا اللغوية الجوهرية الأساسية (٤) مثل إصلاح الكتابة وتيسير النحو ومساواتها بها. ويعد ذلك نقلة نوعية في تاريخ الدراسات اللغوية العربية وبالأحرى في الجدل اللغوي وما أشده وما أكثره في هذا الحقل المتفجر منه لأن المجمع كان أول مؤسسة عربية رسمية يسبح دستورها بهذا النوع من الجدل الذي يرى فيه بعضهم خرقا لتقاليد راسخة تكاد تكون مقدسة . وخلافا لعنوان دورتنا الحاضرة " الفصحى والعامية " المطروح سنة ١٩٩٩م. فإن الموضوع قد طرح تحت عنوان آخر يفيد مفهومًا مغايرًا وهو "دراسة اللهجات دراسة علمية".ولا شك في أن مصطلح " العامية " يعبر، من خلال المقارنة بين العنوانين، عن حكم يكاد يكون مسبقا إن لم نقل عن مواقف فيها دونية بقدر ما جاء سابقه وصفيا حياديا يطلب دراسة موضوعية علمية يمكن أن يحكم بمقتضاها للهجات أو عليها .

جاءت مسألتنا مذكورة في دستور المجمع وفي لائحته المطبقة له

وعرض أمرها مبكرًا في الدورة الأولى بالجلستين الثانية والرابعة بتاريخي ٢، ٤ فبراير ١٩٢٤ وتكونت لجنة اللهجات وما وراءها من خلفيات وطرحت أهدافها وما كان لها من قراءات . ويكفينا هنا أن نشير إلى أن تسميتها وتركيبتها كانتا محل أخذ ورد ودقة وحيطة فلقد ألحقت بلجنة المعجم التاريخي ، ثم بلجنتي الآداب والعلوم الاجتماعية والفلسفية دون أن يفكر بتاتا في ربطها بلجنة الأصول مثلا ومالها من حالات وثيقة بها . وتجاذبتها تيارات لغوية وذهنية أولها تراثي محافظ منه الشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ إبراهيم حمروش ، والأب أنستاس مارى الكرملى.

وثانيها استشراقي متعاطف منه إينوليتان ، وهملتون جب وأوغيست فيشر .

وثالثها وسطى معتدل منه حسن حسنى عبد الوهاب تعويضا لعلى الجارم وتمثيلا للمغرب العربي ، وعيسى إسكندر المعلوف . وكان لأغلبهم صلة وثيقة بالموضوع مما تشهد به أعمالهم السابقة واللاحقة (٥)

ولقد طرأ على تركيبة اللجنة وأهدافها ومداولاتها تغييرات وأحداث منها أنه لم يبق فيها من الشيوخ إلا الشيخ حسين والى عندما تسلم رئاستها فارس نمر ، ومرت بمجادلات كادت تعصف بها ولا سيما في الدورة الرابعة التي بلغ فيها الخلاف أشده ، مما دعا المجمع إلى عدم نشر محاضر جلسات تلك الدورة حفاظا على سمعة المجمعيين الذين طرحوا القضية على البرلمان . ولقد حافظ المجمع حتى في العهد الجمهوري على دراسة اللهجات العربية التي أصبحت لجنتها " تدعى لجنة اللهجات والنصوص القديمة" . وقدمت في مختلف حقبها مشاريع متنوعة دون أن ينفذ منها الكثير . فمنها ما دعا إلى دراسة اللهجات العربية كلها صوتا وصرفا ونحوا ومعجما بالاعتماد على مبادئ القراءات

القرآنية ، ووضع أطالس ومعاجم لها واستقراء خصائصها مع تزويد الدارسين بكل الوسائل المطلوبة ، ومنها ما قصرها على اللهجة المصرية والاستفادة منها . ولم يمنع هذان المنهجان المجمعيين من غير أعضاء اللجنة من الإسهام في الموضوع بطرح مبادرات جريئة تجاوزت اللجنة ولم يكن لها كذلك أثر عميق في معالجة الأزمة القائمة ، مما تدل عليه عودتنا إليها اليوم .

فكيف طرحت القضية قانونيا ولغويا ؟ بادر الشيخان محمد الخضر حسين وأحمد عيسى الإسكندري [٦] إلى تخريج البندين القانونيين المتعلقين باللهجات تخريجا مفاده أن المراد منها " إرجاع الألفاظ العامية إلى أصولها العربية " الفصيحة الصحيحة أسوة بعمل أحمد تيمور باشا في مؤلفه " معجم الألفاظ العامية " مما يفترض وجوبا أن تقتصر العملية على التهذيب والتصويب وأن تستبعد " العامية" التي عوضت مصطلح " اللهجات" من أداء أية وظيفة لغوية أو تربوية أو أدبية جمالية وحتى علمية مصطلحية . وخالف هذا الرأي كل من فارس نمر ، وعيسى إسكندر المعلوف ، ونلينو الذين أكدوا على أهمية اللهجات وأدبياتها وآدابها ، مثل: ألف ليلة وليلة والموشحات... إلخ ، وعلى جدوى أصواتها وصرفها ونحوها في إدراك مفهوم الفصاحة التي غبتها المعاجم الكبرى [٧]. وقد نحا منحاهم تقريبا الشيخ عبد القادر المغربي الذي أكد على أن هذه الدراسة كفيلة بأن تساعد على وضع أسس " لغة وسط " بين الفصحى والعامية . ودعا محمد كرد[٨]على بتأييد من الشيخ أحمد عيسى " العدو الأزرق " للتعريب [٩] ومالف لفه ــ إلى رفض العامية والتفكير في فصحى بدون إعراب [١٠].

إن هذه الآراء تبدو جريئة إلى حد ما لأنها لم تلتزم بالرفض المطلق ودعت إلى حلول وسطى ظهرت في

رحاب المجمع الذي كان في غالب الأحيان وفى بداية طرح القضية برلمان لغويا مفتوحا يتقابل فيه الرأي والرأي المخالف في نطاق آداب حوارية أكد عليها بوجه خاص في أدبياته لاسيما المتعلقة منها بمواصفات المجمعي وهى تدور حول مفاهيم وأخلاقيات مثل : " البحث والتنقيب ، وتحرى الحقيقة والصواب ، والجهد الطويل والعشق والصدق ، وطمأنينة العلماء " [١١] وهى شبيهة بما ورد منها تقريبا بدستور المجمع الفرنسي الذي يطلب من المجمعي أن يحتج للقضايا جهرا وبعمق دون مقاطعة ولا غيرة ودون التعليق على رأى الغير بحماس وسخرية " [١٢] كان ذلك في البداية ...!!

**١-٣ معركة المصطلحات** : تركزت القضية لغويا في أول أمرها حول معركة المصطلحات ومفاهيمها وما وراءها من خلفيات وذهنيات معرفية وثقافية سيكون لها آثار في استجلاء الرؤى وضبط مواطن الاتفاق والاختلاف ومنها تحقيق المقاصد والأهداف . فلقد دارت المجادلة أولا حول الفصيح والفصاحة والعامي والعامية تغلب عليها التخريج التراثي في تعريف الفصيح ومفاده حسب رأى الشيخ أحمد عيسى الإسكندري " فهو كلام العرب الذين يعتد بعربيتهم "[١٣] ، زمانهم ومكانهم محددان بالقرن الثاني في المدن والثالث في البوادي وقيل الثالث والرابع ، يبدأ بعدها المولد وقد عرفه الشيخ حسين والى " وسمى المولد من الكلام مولدا إذا استخدموه ولم يكن من كلامهم فيما مضى "[١٤] ولقد عزز رأيه برأي السيوطى الذي أدخل في الحلبة مفهوما عرفيا جديدا وهو المصنوع فقال " والمولد هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم. والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح ". [١٥]

وزودنا الشيخ عبد القادر المغربي بمفاجأة طريفة كعادته عندما

عرض على أهل الذكر والمجمعيين مسألة استفتائية رائدة في مبدئها ، معتمدة اليوم في الدراسات اللغوية[١٦] الميدانية وسماها الكلمات القاموسية صنفها إلى سبعة منها خمسة فصيحة يمتد زمانها حتى زمن الشيخ محمد عبده ، يلحق بها صنف سادس يتعلق بما سماه " تعريب الأساليب "[١٧] أما السابع فهو يشمل الكلمات التي يستعملها العوام وهو عنده فصيح لأنه مطرد الاستعمال ، والاطراد حجة في هذا المجال اعتمادا على القدماء.[١٨]

واصطدم مفهوم العامي بمفهوم المتروك اعتمادا على اقتراح من علي الجارم يهدف منه إلى تعويض المتروك المهجور المعاش بالعامي المطرد . ومثال ذلك تعويض " الصنبور " وهو النخلة النابتة في جذع نخلة أم بـ "حنفية الماء" و "المشير" بـ" عقرب الساعة" و "الحلاق" بـ " المزين " ... إلخ ، وإن كانت هذه الأمثلة تنسب إلى المولد الحديث أكثر منها إلى العامي الصريح صوتا وصرفا ونحوا .

ورد على هذه المقاربات كثير من المجمعيين ومنهم منصور فهمي[١٩] نيابة عنهم باعتبار أن هذه التعريفات وما وراءها من حدود زمانية ومكانية مصطنعة حتى في حدود الفصاحة ذاتها. فلقد خرقها الجرجاني وابن هشام بالاحتجاج بشعر المتنبي في كتابيهما الوساطة ومغني اللبيب . ، كما خرقها الرضي الاسترباذى في المفصل وفي تعليقه على كافية ابن الحاجب وتمخضت هذه المجادلة عن قرار للمجمع يعد خطوة إلى الأمام يؤسس للمولد ويدعمه نسبيا معتبرا أن المولد نوعان أولهما ما استنبطوه لاعتماد طرق الكلام العربي ومنها المجاز والاشتقاق . وهو عربي يعتد به وثانيهما ما اعتمدوه سواء باستعمال لفظ أعجمي لم يعرب أو لفظ قد تغير صوتا ودلالة لا يصوب أو لفظ مرتجل.[٢١] وذلك ما أكد عليه الشيخ أحمد الإسكندري عند احتجاجه

لقرارات المجمع معتبرا أن إدارج العامية في المسرح والرواية والصحافة خرق لقواعد اللغة وموازينها وسلامتها. والحجة هنا تبدو لغوية بقدر ما هي دستورية تعتمد على عنصر من عناصر المعادلة المذكورة سابقا ـ وهو المحافظة على سلامة اللغة ـ دون اعتبار للواقع اللغوي الغالب السائد في المجتمعات العربية المعاصرة .

والملاحظ في هذا الشأن أن هذا القرار قد خطا خطوة بالقضية إلى الأمام لأنه تجاوز موقف السيوطي السابق الرافض للاحتجاج بالمولد الذي نزل منزلة فصيح حديث من درجة ثانية ليست له درجة الامتياز التي يتتبع بها الفصيح الشعري الجاهلي العرقي وما لف لفه على سبيل المقاربة والنمذجة . فكأننا في حرب مواقع يتخلى عنها أصحابها بمرارة تحت ضغط كبير تفرضه نسبية المصطلحات السابقة حتى في حدود الفصاحة التراثية وفي مواجهة الواقع اللغوي المواكب سواء المولد منه أو العامي ولقد سعى المجمع إلى أن يتجاوز هذه المرحلة من الفصيح الأفصح والفصيح المولد إلى العربي المعياري المقيس دون اعتبار للزمان والمكان ومفاده أن ما قيس على كلام فهو من كلام العرب دون سواه . وهو مبدأ سبق للمازنى أن عبر عنه من زمان وأورده ابن جنى في خصائصه ، وطبق له المجمع فيما بعد في معجمه الوسيط بإدراج مفاهيم مثل: المعرب والدخيل والمحدث والمجمعي التي أشرنا إلى إشكالاتها في غير هذا المكان .(٢٣)

وبهذا القرار يبدو أن الجدل قد اكتمل على الأقل في مستوى التراشق بالمصطلحات وانتهى بطرد العامية من الحلبة وذلك من خلال مقاربتين إحداهما بينت أن المعركة كانت تستلزم تصفية الحسابات بين أنصار الفصاحة وذلك بتجاوز متناقضاتها الداخلية وبالوصول إلى مفهوم المقيس بدون زمان ولا مكان، وهو ما يعتبر كسبا

لغويا ومنهجيا مفيدا . أما المقاربة الثانية ، وهى فرع من الأولى فهي تقول على كل حال بلغة مثالية صافية مكتوبة نخبية تدعى الفصحى وبعضهم يسميها الفصيحة لتجابه لغة ملوثة منطوقة جماهيرية تدعى اللهجة وبعضهم يصر على تسميتها بالعامية . ويبدو أن الكفة كانت لصالح "الصفاء المعدل على حساب " التلوث " وإن كانت الفصاحة الصفاء فصاحات معدلة[٢٤] كما نبهنا إلى ذلك فيما سبق...

**٤-١ السماع من المحدثين** : تجسمت العودة إلى الجدل إثر حدث لغوى مهم طرحه أديب كاتب وصحافي مشهور بدا له أن الحلول السابقة لا تفي بالغرض ولا تشفى الغليل وهو يعيش ثلاثية لغوية في جميع مستويات سلوكه اللغوي : لغات الأدب والصحافة والشارع . ويعنى به أحمد حسن الزيات الذي فجر القضية " من جديد في بحث مشهور عنوانه : " الوضع اللغوي وحق المحدثين فيه" [٢٥] طرح فيه منزلة المحدثين من التصرف في السيادة اللغوية في جميع وجوهها فصحى وعامية ومن حق تقرير مصيرها على ضوء ماضيها وتجاربها وباعتبار مواكبة العصر ومستلزماته وصلة اللغة بالواقع المعيش فضلا عن التناقض القائم الذي يقر للأموات التشريع في اللغة باسم الأحياء مؤكدا على أن مفهوم الفصاحة مفهوم نخبي لأن ٩٠% من أمة العرب في عهدها المجيد كانوا يتكلمون العامية وليس لهم صلة بمفهوم الفصاحة القديمة وذلك شأنهم اليوم مما يحتم فتح الوضع من جديد وتمكين المحدثين منه سواء بسواء مع القدامى وأكثر منهم . ولقد أيد هذه النزعة محمود تيمور في بحث عنوانه " لغة المجتمع [٢٦] في ميدان الفن والإبداع" وآزرهما مصطفى الشهابي فيما يتعلق بلغة المصطلحات العلمية والفنية في بحثه "المولد والعامي في علوم الزراعة والمواليد " [٢٧] وكان مفاد مقاربة الزيات وحججها النافذة

تجاوز معركة المصطلحات ومفاهيمها وقياساتها وفتح باب السماع من جديد على مصراعيه للصيغ المقيسة وغير المقيسة وتحرير ذلك السماع من الحدود الزمانية والمكانية والأخذ من المحدثين من جميع أصنافهم لا سيما أهل الذكر وأصحاب الحرف والمهن والعلوم والفنون المعاصرين . فلقد دعا إلى وصف اللغة من جديد في جميع مستوياتها لبنائها على أسس حديثة ملتصقة بالواقع متفاعلة معه ، موفقة بنسبة كبيرة بين نخبتها وعامتها كما هو الشأن في اللغات الرائدة التي وعت هذا الصنف من الأزمات اللغوية الفكرية والخطرية فى إبانها ووجدت لها الحلول الصعبة المناسبة .

وراء هذه المقاربة ما وراءها لو طبقت لكان وقع شديد إذ إنها تقر لأول مرة استقراء اللغة ووصفها بعد سيبويه منذ ما يقرب من اثنى عشر قرنا ، ولعلها تفتح لكتابة التراث بلغة جديدة على غرار اللغة اللاتينية التي كتب تراثها بلغات مختلفة منها الفرنسية والإنجليزية اللتان كتبتا أيضا من جديد مسرح موليير وشكسبير لأنهما تراجعان بعد كل نصف قرن ويدخل عليهما ما يقره المطرد الشائع مع رصف المتروك في المعاجم التأصيلية التاريخية فكيف سنقرأ الجاحظ إن طبقنا ذلك على العربية ؟ وما كان موقف المجمع منها؟أصدر المجمع قرارين(٢٨) يؤسسان للأخذ من العامية مبدئيا ويؤكد أن دراسة الألفاظ الشائعة وقبول السماع من المحدثين شريطة أن تدرس كل كلمة على حدة وألا يكون لها مقابل عربي وأن تكون مستساغة . وتلك سنة المجمع إلى عهد قريب فيما يبدو ، يفتح الأبواب للمهج والآمال ويعدل الأقوال من خلال المواقف والأعمال. ولا شك في أن هذين القرارين يمثلان خطوة إن لم نقل التزاما بالدور الذي تحتله اللهجات في حياة الناس اليومية السياسية والثقافية في فترة من تاريخ مصر والعالم العربي قد حظيت فيه

الجماهير وتعلمها وتربيتها وثقافتها وحقوقها الدستورية والاجتماعية[٢٩] بمكانة مهمة تبوئ لغاتها وآدابها الشعبية وحكمها منزلة متقدمة كان لها ولا شك صداها النسبي في هذه المقاربات التي طوعها المجمع إلى فصاحة مفتوحة، وإن على حذر، مما يشهد بالجهود المتواضعة من أجل التوفيق بين التراث والحداثة. ولا شك في أن هذه المواقف وما وراءها من خلفيات قد ساعدت على تطور الذهنيات ووجهتها إلى طرح مشاريع عملية.

**١-٥ اللهجات : رصيدها وأطالسها ونظامها:**

الطريف في هذا المستوى أن هذه الفكرة قد مهدت لها مواقف رسمية وأخرى مجمعية كانت من قبل مشددة منها أن محمد كرد علي نبه إلى " عجائب اللهجات " [٣٠] وما يمكن أن يستفاد منها ومن رصيدها اللغوي على غرار المعاجم الأوربية في هذا الميدان الذي ولجه عباس محمود العقاد بمقاربة عنوانها "من اللهجات العامية آمال" [٣١] فضلا عما دعا إليه باستمرار الشيخ عبد القادر المغربي والأمير مصطفى الشهابي لسد ثغرات معاجمنا الأمهات في الميادين المهنية والحرفية. ونبه مجمعيون آخرون إلى العناية بمظهر من اللهجات ومستوى من مستوياتها يتعلق بالمغرب الشعبي ودخيله اللذين كثيرا ما دخلا العربية عن سبيل لهجاتها. ولقد احتج لذلك عبد الوهاب عزام في بحثه عن " الألفاظ الفارسية والتركية" [٣٢] والشيخ محمد الفارسي في بحثه عن " الأمثال المغربية والأستاذ أ. أ. أمين في بحثه " كلمات من اللهجات السودانية " [٣٤] وغيرهم كثير من المجمعيين الخالدين ، مما يشهد بعروبية القضية وأهميتها وشدة الأزمة والطمع في رؤية منصفة منقذة.

والغريب في الأمر أن هذه المقترحات قد تجسمت في مشاريع من

خارج المجمع دفعت بها إليه وزارة التربية المصرية منها مشروعان يتعلقان بالنظر في معجمين .

أ- معجم الألفاظ العامية لأحمد تيمور باشا وهو حسب رأى نلينو معجم مفتاح يشتمل على الألفاظ العامية وتفسيرها التاريخي والاجتماعي ولم يصدر إلا سنة ١٩٦٠.

ب - معجم أصول الكلمات العامية في اللغة العربية لأحمد عيسى وزير التربية سابقا والذي كانت له أياد بيضاء على تأسيس المجمع ودعم مشاريعه .

وتعد عناية المجمع بهذين المعجمين غنيمة للطرفين المتنازعين. فلقد دخلت العامية المجمع من بابه الرسمي وإن كان بإيعاز من الوزارة المشرفة شريطة أن تقاس بمقاييس الفصحى ، وأن ترجع إلى أصولها حتى وإن اشتد الخلاف في شأن تلك الأصول وفي جدوى هذه المنهجية ، من ذلك الخلاف حول أصل " برتع " و" يتدحدح"، إذ نسبت الأولى إلى"بركع" والثانية إلى " دح الشيء " أخفاه . وكان في ذلك النقاش شجون وفنون وهموم [٣٥] سيكون لها أثرها في المعجم الوسيط الذي ترخص استعمال العامي المفصح المصري تحت راية المولد مثل " زعل من الشيء " غضب منه ، و " مزين " بمعنى حلاق .

إن هذه المعاجم وما وراءها من مبادرات رسمية تعكس نظرية الفصيح والمولد التي تقر أن العامية لن تدرس لذاتها ولحد ذاتها مهما كانت المحاولات الرامية إلى ذلك ومنها محاولة المجمعي محمد فريد أبو حديد في بحث كانت له أصداء في المجمع وخارجه وعنوانه " موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى" [٣٦] ولم يسلم صاحبه من اتهامات كثيرة منها تعويض لغة القرآن باللغة العامية.[٣٧] ومفاد مقاربته أنه نزل اللهجة منزلة اللغة واعتبرها مستقلة قواعد ومقاييس ومعجما وآدابا عن

الفصحى، فضلا عن أن ظاهرتها ليست بدعة وأنها لغة الحياة والفصحى لغة الدراسات ، مما يستدعي البحث عن مواطن تفاعلهما ولو أدى ذلك إلى القطيعة تجنبا لحياة فكرية معزولة عن الحياة الجماعية والاجتماعية فهل من حل؟

ركزت الجهود على وضع أطالس اللهجات ونظامها النحوي .ولقد بدت الفكرة معقولة لأنها تقتصر على خرائط لغوية جغرافية ليس لها أثر تربوي أو أدبي أو علمي فضلا عن أنها تحقق مشاريع عملية مفيدة . فاقترح نلينو وضع أطالس شاملة للهجات تساعد على وضع نظام صوتي يضبط أسماء الأعلام والأماكن خدمة لمشروع أوسع وأشمل لغاية وضع نظام مجمعي صوتي عربي دولي [٣٨] على غرار نظام كوبنهاجن العالمي لنقل الأعلام والأماكن والدخيلات المعربات من العربية وإليها نقبلا علميا. وعرضت مناهج كثيرة لتحقيق ذلك منها منهجية Griller الفرنسية ومنهجية Wenker الألمانية.

وتبع ذلك مشروع ثان للويس ماسينيون يدعو إلى أطلس مصري للحرف والمهن على غرار قاموس الصناعات الشامية للقاسمي . وأيد ذلك بتطبيقات وفقا لمقاييس وضعها في هذا الشأن MAREEL MAGET سنة ١٩٤٩م .

ودرس المجمع مشروعا ثالثا قدمه خبيره في اللهجات شارل كوينز لأطلس مصري في إحدى عشرة لوحة صوتية وست عشرة لوحة صرفية وثلاث لوحات دلالية. ولم يطبق حسب علمنا لتلك المشاريع داخل المجمع إلا إذا أدرجنا في هذا السياق قرار المجمع بإجازة استعمال أسماء الشهور حسب الرزنامات الهجرية والرومية والسريانية والقبطية[٣٩] التي للعامية فيها نصيب مع تفضيل النطق الإنجليزي بها وإن سبق لمصطفى الشهابي أن دعا إلى تفضيل النطق الفرنسي المعتمد في أغلب بلاد المغرب العربي. في مستوى

الأصوات عرض على المجمع مقترح قدمه المجمعي حسن حسنى عبدالوهاب سعيًا إلى إقرار نطق عربي مشترك بها وفضل الشيخ المغربي أن يعتمد على نظام العامية المصرية الصوتي. وفي هذا السياق زكى المجمع مبدئيا مشروع خبيره خليل عساكر وهو يتعلق بنظام لرسم أصوات العامية عالج فيه عقدها الحركي وجزءًا من أصواتها الساكنة.

وكان النحو العنصر المغبون من القضية رغم ما قدمته لجنة اللهجات من اقتراحات تهدف إلى دراسة اللهجات صرفا ونحوا وأسلوبا دون أن تقدم في ذلك مشروعا واضحا. فاقتصرت المبادرات على مجموعة من الرؤى والأفكار التي شملتها دراسة محمد فريد أبو حديد التي قبرت بدون رجعة.

فما عسانا نستخلص من الجدل المتعلق بدراسة اللهجات دراسة علمية من زمان والتي تعود إلينا اليوم تحت عنوان الفصحى والعامية رغم كل المحاولات السابقة ؟ نلاحظ : اقتراح مشاريع واتخاذ مبادرات وقرارات قل أن استحالت إلى تطبيقات عملية مما يفيد أن الجدل في صيغته المعتمدة لا طائل وراءه ويعود ذلك إلى:

أ ) موقف مبدئي صارم ميز بين لغة معيارية صافية ولهجة وليدة ملوثة كأنها معضلة يتحتم عودتها إلى الأصل دون اعتبار أن كل لغة كانت في أول أمرها لهجة قد حالفتها ظروف عقدية أو سياسية أو حضارية (٤٠) وأن فصاحتها ستؤول، إن تحضرت وامتدت على مساحات كبرى واستعملتها شعوب كثيرة : إلى فصاحات ولهجات لابدَّ من تدبر أمرها.

ب) اعتماد مفاهيم مفاتيح مثل الفصيح الأفصح والمولد المخضرم أو المعاصر المولد منه .. إلخ، لدمج العامي فيها دون السعي إلى البحث عن مظاهر التفاعل بين اللغتين مثل اعتماد عجائب اللغات آمالا لتنمية معجم

الفصحى بمشترك العامية المطرد الشائع في الأقطار المستعملة لهما كتابة ونطقا .

جـ) انعدام دراسات متخصصة مكتملة تدرس فيها اللهجات لذاتها ولحد ذاتها من خلال عينات عربية متنوعة تستخرج منها خصائصها بدون قيود ولا شروط مسبقة لتوفير فرصة تاريخية موضوعية لمقارنتها بالفصحى طمعا في حلول ممكنة.

د) استبعاد القضية باسم مبادئ عقدية وسياسية وثقافية لمعالجة قضية لغوية تعتبر العامية خطرا على الفصحى وبالتالي على القرآن الكريم والدين والوحدة العربية المنشودة ، وما وراء ذلك من مواقف تصل إلى حد الاتهام بالكفر والخيانة والمؤامرة .. إلخ ، لكل من تجاسر على تقديم حلول لهذه المعضلة التي ستنال من الفصحى ولهجاتها إن استبد بها التمذهب الذي وسمه بعضهم بخطر الفصحى على العربية(٤١) سواء بخطر العامية على الفصحى، مع ملاحظة أن العقيدة لا تنتشر بلغة واحدة وأن الأديان الكبرى التي جاءت للعالمين قد شملت المعمورة بدون مباني ودلالات لغات ، وأن المسلمين غير الناطقين بالفصاحة العربية هم أكثر ملة الإسلام .

فهل من مقترحات تساعدنا على أن نتقدم؟ يبدو أن ذلك يكون بالمقارنة والتدرج من خلال :

أ ) نشر الدراسات والبحوث والقرارات التي صدرت عن المجمع لتكون نواة لدراسات مستقبلية .

ب) دراسة اللهجات لذاتها ولحد ذاتها وتدريس خصائصها وآدابها في معاهد متخصصة تعنى بالآداب والفنون الشعبية والحرف والمهن .

جـ) عقد ندوات عربية متخصصة يشارك فيها أهل الذكر من ميادين مختلفة لتصبح القضية قضية عربية إسلامية دولية لاستصدار مقترحات وقرارات جماعية مبررة ومقنعة ونافعة منها النظر في وصف جديد

للعربية فصيحها وعاميتها في القديم والحديث في سبيل حلول ممكنة على ضوء الدراسات اللسانية الحديثة .

د) استقراء معجم اللهجات المطرد والمشترك حسب حقب يتفق عليها واستثماره لتنمية الفصحى وتطعيمها مبنى ومعنى .

هـ) تخليص صلات الفصحى بجميع أنواعها باللهجات بجميع مستوياتها من الأحكام الازدرائية ومن القطيعة القائمة بينهما وبالأحرى من الغربة التي تقبعان فيها لتتواصلا وتتكاملا لأداء وظيفتين إحداهما ثقافية والأخرى اجتماعية مثلما تشهد بذلك هذه المقطوعة لبيرم التونسي التي تتفاعل فيها الفصحى ولهجتها المصرية فرحا بالعودة من الغربة إلى الأوطان، لا يقل وقعها عن وقع نفس المقطوعة لو كتبت كاملة بالفصحى مع العلم أن الشعر بشاعره ، وهو هنا بيرم التونسى الذي يقول :

" غلبت أقطع تذاكر
وشبعت يا رب غربة
بين الشطوط والبواخر
وبين بلادنا وأوروبة
في بور سعيد السفينة
وقفت تفرغ وتملا
والبياعين حوطونا
بكارت بوستال وعمله
لكن بوليس المدينة
ما تفوتش من جنبه نملة
يا بور سعيد والله حسرة
ولسه يا إسكندرية
هتف بي هاتف وقال لي
انزل ومن غير عزومه
انزل ساعة تجلي
فيها الشياطين في نومه
انزل ده ربك تملي
فوقك وفوق الحكومة
نطيت في ستر المهيمن
عالبر يا حكمدارية
وأقول لكم بالصراحة
اللي ف بلادنا قليلة

عشرين سنة في السياحة
بشوف مناظر جميلة
ما شفت يا قلبي راحة
في دى السنين الطويلة
إلا اما شفت البراقع
واللبدة والجلابية "

حرام أن يموت هذا الإبداع الفصيح وأن يخرج من تاريخ ذاكرتنا الفكرية والثقافية والجمالية وأن ندفنه باسم ... وباسم ... وباسم ... الأسماء كلها ومالها من تخريجات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

**محمد رشاد الحمزاوي**
عضو المجمع المراسل من تونس

## الهوامش

١) وموضوعها " الفصحى والعامية "

٢) محمد رشاد الحمزاوى: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة – دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨م، ص ٦٧٣

٣) وفي المشرق العربي "ريمة "

٤) ومنها كذلك المصطلحات العلمية، والمعاجم بأنواعها

٥) ونذكر على سبيل المثال :

أ ) عيسى إسكندر المعلوف : اللغة العربية العامية، مجلة المجمع ١/٣٥٠ – ٣٦٠

ب) حسن حسنى عبد الوهاب : تحقيق " الجمانة في إزالة الرطانة " لمجهول عن اللهجات في تونس والأندلس .

وقد خصص نلينو دراسة للهجة المصرية سنة ١٨٩٤. واكتشف نلينو نصوصا صفائية وثمودية حل ألغازها لأول مرة .

٦) محاضر الجلسات ١/٢٧وما بعدها.

٧) المصدر نفسه

٨) المصدر نفسه ١/٢٨٧

٩) نفسه ص ٢٩٢ - ٢٩٣

١٠) وقد وسمه بذلك الوصف الأمير مصطفى الشهابي في كتابه المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث – القاهرة ١٩٦٥

١١) محاضر الجلسات ١/٣٩٣

١٢) مجلة المجمع ٤/٣، ١٧٣، ٥/٤ ، ٨٣، ١٨٧

١٣) بليسون ودولفي – تاريخ المجمع الفرنسي، باريس ١٨٥٨ جزء ١/٤٩١

١٤) محاضر الجلسات ١/٣٠٣

١٥) محمد رشاد الحمزاوى : أعمال مجمع القاهرة ص ٢٦٧

١٦) السيوطى ، المزهر ١/٣٣٤

١٧) محاضر الجلسات١/٢٩٤، ٣٢١ ، ٣٣٠

١٨) وهو يعنى بها نقل أساليب تعبيرية أعجمية بلغة عربية مستقيمة مثل: " لا جديد تحت الشمس " و " أعطاه فرمانا أبيض " .

١٩) محاضر الجلسات ١/١٨٥، ٢٥٧.
ولقد سبق لأبي عمرو بن العلاء أن قال في الفصيح هو ما " يحمل على الكثير"

٢٠) نفسه ٣١٣/٧

٢١) نفسه ٣٣٠/١

٢٢) محمد رشاد الحمزاوى : أعمال مجمع القاهرة ص ١٨٣

٢٣) محمد رشاد الحمزاوى: المعربات والدخيلات فى المعجم الوسيط- حرف الباء عينة - مجلة المجمع ١٩٩٧ .

٢٤) محمد رشاد الحمزاوى : العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات بيت الحكمة ــ بيروت ١٩٨٦ حيث أسسنا لمفهوم الفصاحة فصاحات منذ زمان وقد أخذ عنا كثير من الناس بهذا المفهوم دون الإشارة إلينا ــ انظر مثلا مقدمة معجم " الفصيح العام " لأحمد موسى في لبنان .

٢٥) أحمد حسن الزيات : الوضع اللغوي وهل للمحدثين حق فيه ــ مجلة المجمع ١١٠/١٨ ، ١١٦

٢٦) محمود تيمور : لغة المجتمع ــ مجلة المجمع ١٩/٩-٣١

٢٧) مصطفى الشهابي: المولد والعامي في علوم الزراعة والمواليد ، مجلة المجمع ٩١/١٣-٩٤

٢٨) مجمع اللغة العربية : مجموعة القرارات ، القاهرة ١٩٦٣ ص ١٣.

٢٩) التمذهب الوحدوي الاشتراكي الذي أسست له الناصرية كان له لا محالة أثر كبير على هذه المواقف .

٣٠) محمد كرد على:عجائب اللهجات، مجلة المجمع ١٣٧/٧

٣١) محمود عباس العقاد: من اللهجات العامية آمال، مجلة المجمع ١٠٧/١٠-١٠٩

٣٢) عبد الوهاب عزام : الألفاظ الفارسية ، مجلة المجمع ٣٦٢/٨-٣٦٥

٣٣) محمد الفاسي: الأمثال المغربية، بحوث ومحاضرات ١٩٦٠-١٩٦١ ص ٢٠٤-٢١٦

٣٤) أ.أمين : كلمات من اللهجات السودانية: مجلة المجمع ١٢٢/٩-١٢٤

٣٥) محاضر الجلسات:٤/١٣٧ ؛ ٣٨٤

٣٦) محمد فريد أبو حديد : موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى – مجلة المجمع٧/٢٠٥-٢١٨

٣٧) محيى الدين الخطيب : لغة القرآن والتطور، مجلة الفتح عدد ٨٥٠ ، ١٣٦٦ ص ١-١٤

٣٨) محمد رشاد الحمزاوى : أعمال مجمع اللغة العربية ص ٢٠٠-٢٢٠

٣٩) وقد استثنيت سورية من استعمال القبطية وهمشت مكانة المغرب العربي كالعادة .

٤٠) الملاحظ أن العربية انطلقت أساسا من لهجة قريش التي نزل فيها جل القرآن . وذلك شأن الفرنسية النابعة من لهجة توران والإسبانية المتولدة من لغة عسكر قشتاله ، والإيطالية من لهجة توسكانا ... إلخ .

٤١) كان ذلك في مقالة مشهورة للروائي التونسي البشير خريف المشهور صاحب رواية " الدقلة في عراجينها "

# حول مشروع معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية*

للأستاذ الدكتور كمال محمد دسوقي

**١-ألفاظ الحياة الاجتماعية العامة والخاصة :**

في أول تعقيب للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع على بحث الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة بعنوان " المعجم العربي الموحّد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث " الذي كان أول بحث يلقى في مؤتمر المجمع بدورته الرابعة والستين ١٩٩٨/٩٧ ــ بالثناء على هذا البحث الرائع ، والشكر لمُقدمهِ صاحب المبادرة بالمشروع ، الذي عرضه على اتحاد المجامع في العام الماضي فوافق عليه وبعث الرئيس برسائل متعددة إلى المجامع العربية للأخذ به استعداداً للعودة إلى دراسته هذا العام واتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذه في مجامع الدول العربية المختلفة وجامعاتها ــ راجيا السادة الزملاء أن يتقدم كل من له رأى منهم باقتراحه مكتوبا لتنظيم القيام بهذا العمل الذي تنتظره الأمة العربية ، ويستأنف به مجمع اللغة القاهري تفكيره منذ القدم وإصداره بالفعل معجم ألفاظ الحضارة الذي نفدت طبعته ( ١٩٨٠ ) ... أُعطيت إشارةُ البدء لكل المهتمين بالموضوع من أعضاء المجامع العربية للكتابة في كيفية اتخاذ خطوات تنفيذ هذا المشروع على النحو الذي تبناه وشرع بالفعل في إجرائه بالأردن ــ بارك الله فيه ــ أستاذنا الدكتور خليفة ــ مبينا في خاتمة ورقته العلمية الرائعة القرارات التي اتخذها مَجمعُه الجليل ، بشأن أهداف المشروع ، والمدة التي يحتاج إليها إنجازه، ومراحل هذا الإنجاز ، ونموذج بطاقة

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة عشرة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأحد ٣ من ذي الحجة سنة ١٤١٩هـ الموافق ٢١ من مارس ( أذار ) سنة ١٩٩٩م.

الباحثين الموزعين على مختلف مراكز جمع البيانات عن كل مصطلح: الموقع،البيئة،المهنة،المجال،الموضوع.

وقد استمعنا بإعجاب واستيعاب لما دار بعد ذلك من تعقيبات ــ على الترتيب ـ للأستاذ على رجب المدني بضرورة التفرقة في مشروع هذا المعجم بين تسميتَي التوليد والتحديث ، ونسبتَي الهوِية والهِيية بدل الهُوِيّة ( التي رآها الدكتور السامرائي أصح)، وتأكيد الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي علىٰ هدفي المشروع : الجمع والحصر ، ثم التوحيد ( ولو بمجرد جمع الألفاظ المترادفة من البلاد العربية في حيز واحد ) ، وإشارة الأستاذ الدكتور محمود علي مكي إلى سابقة جهود الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي في توجيه طلابه بآداب القاهرة لإعداد معاجم ألفاظ الحياة العامة مادة لرسائلهم الجامعية واشتراكه هو معهم في دراسات معاجم كتب أبى حيان التوحيدي، ومجموعات رسائل كتاب الدولة الفاطمية،ومناقشة رسائل كتب رحلات ابن بطوطة وأبى حامد الغرناطى وابن حبير البلنسى .. يلي ذلك ما تفضل به الدكتور عبد الهادي التازي من اقتراح ربط ألفاظ الحضارة بصعيدها الميداني:الحرفي، البحري، الوظيفي، الدبلوماسي ( الذي وجد هو فيه بحكم توليه العديد من المناصب الدبلوماسية مئات الكلمات التي استعملها العرب فيما يتصل بالعلاقات الدبلوماسية بين العرب وغيرهم).. وأخيرًا تعقيب الدكتور محمد إحسان النص بإيثار تعبير ألفاظ " الحياة العامة " على تعبير " ألفاظ الحضارة" لكون الحضارة خلاف البداوة، ولَفتِهِ النظر إلى مصادر أخرى لهذه الألفاظ في معاجم المعاني التي منها: اللغة للثعالبي، التلخيص في أسماء الأشياء للعسكري، وصبح الأعشى للقلقشندي، والمخصص لابن سيده.

ولقد كان من يمن الطالع في ذات الجلسة المباركة التي عُرض فيها

ونوقش مشروع المعجم المقدم من المجمع الأردني، التثنية بالبحث القيم عن " رحلة ابن بطوطة " الذي ألقاه العلامة التازي - مما عقبتُ عليه ( أول المعقبين ) بالإشادة بما أفاء علينا من وضع هذا الرحالة العظيم لقاموس ألفاظ مختلف البيئات الإقليمية والجِهَوية التي زارها، فردها إلى أصولها بما يعطي صورة للحياة الفكرية المُعبّر عنها بتلك اللغات في القرن الثامن الهجري، وإنه من بين ستمئة كلمة حواها قاموس ابن بطوطة في نحو اثنتي عشرة مادة لغوية أجنبية ضمت إلى الكلمات المغربية المئة والخمس والثلاثين، نجد كلمات فارسية وتركية أو مَغولية، من بلاد الهند والسند، لغتي مالي والصومال، ماليزيا وبورما، الصين ومصر، الرومية واليونانية .. إلى غير ذلك من المفردات التي استطاعت العربية أن تقتحم بها قواميس الأمم الأخرى لتفرض نفسها عليها وتكون إلى جانبها. ثم إن هذا البحث الجليل أثار بعد ذلك من التعقيبات ( في حدود ما سمح به الوقت وقد قاربت الجلسة على الانتهاء) ما يليق بتقدير الزملاء لأهمية البحث وبراعة الباحث، وأول هذه التعقيبات ملاحظة الدكتور الضبيب أن الكثير من الكلمات التي أوردها العلامة التازي وأعطاها الجنسية المغربية هي من التراث العربي المشترك ، وردت عند الجاحظ وتشيع في البلاد العربية، وثاني التعقيبات حديث شيخنا السامرائي عن اهتمامه منذ أكثر من أربعين سنة برحلة ابن بطوطة ووقوفه فيها على الدخيل والفني القديم والعراقي الذي ما زال بعضه جاريا في العراقية الدارجة. فمع الإشارة إلى كون عربية ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري ليست عربية سليمة الأداء نحوا وصرفا، وفيها ما يقف عليه القارئ في " ألف ليلة وليلة " يشير الأستاذ الدكتور السامرائي لسبعة عشر لفظًا مما أثبته الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي في المعجم المغربي برده إلى

أصوله في لغات المشرق والمغرب التي زارها ابن بطوطة والتي لم يزرها في القديم والحديث - مما أكد عليه الأستاذ الدكتور محمود علي مكي، وهو يتفق مع الدكتور الضبيب في كون الكثير من الألفاظ الواردة ألفاظًا مشتركة بين المغرب وبعض البلاد العربية ( وإن اختلف معه في بعض الألفاظ من حيث اشتقاقها ودلالتها ؛ ومما علق عليه الأستاذ الدكتور خليفة بأنه إثراء للبحث الذي قدمه الأستاذ الدكتور التازي - لكونه بحثا في الصميم وفي الجوهر.

وعلى ضوء من هذه الاستثارة الفكرية حول مشروع معجم ألفاظ الحضارة أو الحياة العامة أو الاجتماعية، وفي حموة هذا العصف الذهني الذي شملنا جميعا - حيث كنت آخر المعقبين على البحث الأول، ألهج بالحمد والثناء على فكرة المشروع والمبادرة بوضعه موضع التنفيذ على يد صاحبه الألمعي الملهم - الذي شكرت له تفضيله عبارة " الحياة العامة " أو " الحياة الاجتماعية " على لفظ " الحضارة " في تسمية المعجم - لكونها ( كما جاء في تعقيب الأستاذ الدكتور إحسان النص أيضا ) خلاف البداوة ، ففي العلوم الاجتماعية مقابلة البادية بالحاضرة، والتبدي بالتحضر، والريفي أو البدوي بالحضري؛ وفي قول الشاعر القديم استنكار حضارة أهل المدن ( بفتح الحاء وكسرها وضمها ) مقابل بداوة الرعاة الرحل بخشونتهم ورجولتهم:

فمن تكن الحضارة أعجبته

فأي رجال بادية ترانا!

ومع أن الحضارة لا تقتصر فقط على التحضر في أساليب المعيشة والاستقرار والترف والنعيم المادية، بل إن لها أيضا جوانبها المعنوية الروحية الأدبية والدينية الأخلاقية - التي تفرق أكثر من الماديات بين البدوي أو الريفي والحضري ، ومع تأكيد علماء الاجتماع على أن أية جماعة من الناس منذ خلق الله الأرض ومن عليها لهم حضارتهم التي تتمثل

في نظام عبادة وطقوس أو شعائر دينية ، نظام أسرة وزواج وتربية أبناء، نظام اقتصاد وأسباب معيشة ، نظام اتباع قائد يسوس الجماعة ويدفع عنها اعتداء الغير من خارجها .. مع كل هذا يظل الجانب المادي في كلمة الحضارة هو ما يرد إلى الذهن كتَمدُّن ـ أي سكنى المدن ـ وتقدم من الحضارة إلى المَدنيَّة ـ مما يطغى على الفروق الهائلة فيما بين البدو والحضر من قيم وتقاليد وأعراف ـ مهما نلاحظ من ضيق البون بينهما حديثا وقد تحولت القرى إلى مدن صغرى وآلت ضواحي وحواشي المدن الكبرى والعواصم الضخمة إلى منتجعات ريفية هادئة يسكنها أكثر المتمدينين رفاهة وترفا وتحضرا ـ لشيوع أدوات المعيشة الآلية الكهربائية والإلكترونية التي يحاكى الريفيون المدنيين في التنعم بها ، والتماس المتحضرين الراحة والسكينة في القرى السياحية والجبلية الخلوية .

كذلك فإنني رجوت في تعقيبي تجنب استعمال كلمة " ثقافة " ـ اللفظ الذي شاع استخدامه أخيرا مرادفا لكلمة حضارة ـ ربما لإبراز الجوانب الروحية المعنوية والأدبية للمدنيات الصناعية التكنولوجية الحديثة التي تطغى فيها الماديات على المعنويات فتتراجع القيم والأخلاقيات ـ مهما ينسحب استعمال لفظ ثقافة في الدراسات العلمية أيضا على أقدم المجتمعات الذي لا يخلو من حضارة أو ثقافة ـ مادية ومعنوية معا ـ مع ترجيح المادي أو المعنوي بنسبة تأثر وتأثير أحدهما في الآخر . ومع أن لفظي حضارة وثقافة في العربية يقابلهما في اللغات الأجنبية كلمة واحدة هي كلتشر في الإنجليزية ، وكيلتير في الفرنسية وكولتور في الألمانية ، وكولتورا في الإيطالية والإسبانية ، لم يزل لفظ الثقافة يثير في الذهن النواحي الأدبية واللغوية التي تكتسب بالتعلم والتثقف ـ بقدر ما أن لفظ المثقف ـ في مقابلته

بالحضري المتمدن ــ وقد لا يكون حاصلا على أدنى شهادة دراسية أو منشغلا بالقضايا الفكرية لكن انهماكه في دنيا المال والأعمال هو الذي جلب له المركز الاقتصادي الاجتماعي ــ لا يطلق إلا على المتعلم المطلع ( بل المشارك ) في قضايا مُجتَمعِه ومشاكله وهمومه وكلنا على علم بما يجرى في ساحات العمل الثقافي من مساجلات ومتابعات في الأدب والفن ، الشعر العمودي والقصيدة النثرية ، التراثية المحافظة أم التجديد والتحديث، الحداثة وما بعد الحداثة ، العولمة والكونية والكوكبية ، الغزو الثقافي والخصوصية القومية داخل العالمية الإنسانية .. مما عرضتُ في بحث العام الماضي للمؤتمر حديثي عنه كصراع بين العلم والتعليم والإعلام حول قضايا اللغة ــ حيث المجلس الأعلى للثقافة وأجهزة الإعلام والصحافة مسرح جدل وحوار على كافة الأصعدة وفي كل المجالات ــ يغرى بالشوفينية والانتصار لبلد المثقف العربي وهويته الذاتية حتى على ثقافات وهُوِيَّات أشقائه في نفس اللغة وآدابها وفنونها ــ مما تفاقم أخيرا في معرض القاهرة الدولي للكتاب ــ حيث المأمول من التقاء المثقفين العرب على صعيد واحد تلاقى الأفكار وتلاقُح الثقافات وتوحيد الذاتي والمحلى والإقليمي منها في ثقافة متكاملة يدخل بها العرب الألفية الثالثة كأمة واحدة في إطار تكتلات الأمم والشعوب الأخرى المندمجة في نطاق العالمية والإنسانية جمعاء .

وكما رجوت اطِّراحَ كلمتي الحضارة والثقافة على النحو الذي آمل أن أكون قد أوضحته ، رجوت أيضا استبدال عبارة " الحياة الاجتماعية " بعبارة " الحياة العامة " في تسمية هذا المعجم ــ بما تنطوي عليه من علاقات شخصية وثيقة وإنسانية حميمة تتمثل في خصوصيات الزواج والعشرة وتربية الأبناء وكفالة أبوة وبنوة ونسب قرابة ومصاهرة ووراثة ووصية وهبة .. أعمّ كثيرًا وأوسع من

الحياة العامة التي هي علاقات اتصال وتعامل مع جماهير الناس ومنظمات الحياة الاقتصادية والسياسية ومؤسسات العمل الرسمية والأهلية والتطوعية الخيرية التي هدف العمل فيها الصالح العام وتحقيق الرخاء الاجتماعي والتقدم والارتقاء ــ بما تحمله صفة "العام " في مقابل " الخاص ". وقد أوضح أستاذنا عبد الكريم ذلك بحاسته الملهمة ــ في قوله: إننا عندما نتحدث عن ألفاظ الحضارة في مشروعنا المعجمي في الوقت الحاضر، فإنما نعني جميع الألفاظ التي يستعملها الإنسان العربي في حياته العامة من مأكل ومشرب وملبوسات وما يتعلق بها ، من منزل وأدوات منزلية وما يتعلق بشؤون البيت ، وكذلك أسماء الأماكن العامة والخاصة وما يتعلق بها ، والمكاتب وأدواتها وأجهزتها ، والمركبات وما يتعلق بها ، والحرف وأنواع المهن والصناعات وأدواتها والمواد المستعملة فيها ، وكذلك ما يتعلق بالتربية الرياضية وأنشطتها ، جوانب الحياة الفنية ، ومجالات الترويح والزينة ... ويتعدى هذا المدلول التعبير عن الأدوات والأشياء المادية إلى التعبير عن الحياة الثقافية العامة التي تنم عن الحس الحضاري والاجتماعي والذوق الجمالي في التعامل بين الأفراد والجماعات في الحياة اليومية ، وفي لغة مختلف وسائل الاتصالات الجماهيرية . لذا فهو يفضل في تسمية معجمه الموحّد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث الأخذ بعبارة " ألفاظ الحياة العامة " بوصف أن هذا التعبير أكثر دقة ووضوحا ، وأبعد عن اللبس الذي تثيره عبارة " ألفاظ الحضارة في العصر الحديث "فهو ــ حفظه الله ــ يعتمد عبارة " الحياة العامة " بديلا للحضارة في العصر الحديث ، وكثيرًا ما يرادفها في سياق حديثه بعبارة " الحياة الاجتماعيّة " التي يرى من غير شك أنها أعم وأشمل لما في حياة الناس اليومية من خصوصيات علاقات إنسانية قرابية حميمة .

**٢-دواعي مسيس الحاجة لهذا المعجم :**

وإذ يبين الباحث أن ألفاظ الحياة الاجتماعية اليومية – التي تضرب بجذورها بعيدًا في حياة أمتنا العربية بمختلف أقاليمها – إنما تنشأ وتنمو وتتطور عبر القرون عن الحاجة إلى التعبير عن شؤون هذه الحياة وكل طارئ جديد عليها ، بعفوية وإشاعة استعمال ، فهو يؤصل لهذا التفقه في اللغة بالإشارة لقضية اللبس الذي حدث في فهم العلاقة بين لغة الحياة اليومية وألفاظها الدالة على مختلف شؤون الحياة المعيشية وبين العامية ، حيث – بينما رسّخت الفتوحات الإسلامية أصالة تعريب الشعوب المختلفة التي اعتنقت الإسلام بحيث ظل النص القرآني هو النص الذي نشأت حوله جميع الدراسات اللغوية والأدبية الأخرى ، والعربية هي لغة التفسير والحديث والفقه ولغة الشعر والنثر والعلم – كان إلى جانب لغة المعاجم الفصحى هذه ( بثوابتها نحوا وصرفا وتجويد ألفاظ وأساليب ) لغة محلية للحياة الاجتماعية تضع التنوع المحلى داخل التوحد القومي بالفصحى للباحثين والدارسين والمؤلفين في العلم، لغة – ليست بالضرورة العامية الدارجة المحلية ، أو الجهوية الشعبية الشائعة، لكنها التي تعبر عن حاجات الإنسان في حياته اليومية المعاشية من مطعومات وملبوسات ومشمومات وأثاث وبيوت ومساجد وأدوات وحرف وصناعات وتجارات ... قد استوعبته العربية من قبيل " أدب الحواس " مما لم يكن معروفا في بيئاتها الأصلية ، فأخذته من حضارات الأمم الأخرى على سبيل التعريب ، وأدخلته لغتها وأجرت عليه قوانين العربية ، بل أضفت عليه في كثير من الأحيان رونق العربية . لقد جعل هذا الرافد الأصيل – إلى جانب الاشتقاق والمجاز والنقل والنحت والوضع ... من العربية لغة واحدة نامية عبر مسيرتها التاريخية ، قادرة على التعبير عن حاجات الإنسان العربي وعن كل جديد عليه – سواء أكان

أعجمي المنبت أم عربي المنشأ .

فإن تكن المعاجم التراثية العربية قد نأت بنفسها عن تسجيل ألفاظ الحياة اليومية وتعابيرها لأنها تراها خارجة عن مناهجها ولا تقع في مجال اهتمامها ــ لا لاتهام بعجمتها أو غمز لفصاحتها ، وإذا كان ابن منظور لم يتعرض في مُعجَمِهِ "لسان العرب " ــ كمرجع لغوى أساسي للباحثين والدارسين ومراكز البحوث ــ لمؤلفات المؤرخين والجغرافيين والأطباء والنباتيين والفلكيين والقصاصين ومصطلحاتهم ومفردات لغاتهم ومستويات أساليبهم التي تقترب من اللغة المحكية، ولم يتردد الجاحظ في الاجتهاد اللغوي بعيدا عن المعجم الذي تعارف عليه اللغويون في ذات العصر، وكان ابن المقفع منذ بداية العصر العباسي قد نحا باللغة المكتوبة منحى لا يبعد كثيرا عن اللغة المحكية من حيث الألفاظ والتعابير والنظم والأصفهاني في مصنفه " الأغاني " يصور من جوانب الحياة الاجتماعية والفنية في العصر العباسي هذا ما جعله مصدرا للتطور اللغوي تصل نسخته الأولى من بغداد إلى قرطبة ــ دليلا على أن الألفاظ الحضارية والاجتماعية الشائعة في المجتمع البغدادي لم تكن غريبة على الذوق الجمالي في المجتمع القرطبي في أزهى عصوره ــ ومثل هذا قصص التنوخى وحكاياته ، و " البخلاء " للجاحظ وسائر مؤلفاته ــ كمظهر لمدى اختلاط عاصمة خلافة الدولة الإسلامية بالأمم الأخرى والطابع الخاص للحضارة الفارسية في الحياة الاجتماعية.. فالقطيعة التي تمت بين اللغة المَحِكيَّة ولغة الكتابة العلمية والأدبية هي التي زادت الفصحى عزلة والعامية انتشارا واستشراء فصار المستعربون يفكرون في وضع معاجم للعاميات الفارسية والتركية في أوربا منذ القرن السابع عشر الميلادي، وكان ذلك داعيا للمفكر العربي أحمد تيمور أول العشرينيات من القرن العشرين لاتخاذ زمام

المبادرة بمقالاته في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق والمجاهرة بالدعوة إلى تفصيح أدوات الحضارة أو تحضير أدوات الفصحى للتغلب على فتنة ( لعن الله من يوقظها) بين تيارى التعبير بالألفاظ الدارجة على الأفواه في ميدان الحياة العامة الحضاري ( مما معناه طغيان العامي والدخيل ) ، والإفصاح في التعبير بالتنقيب في مكانز اللغة عن العربي الصميم .

وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مع تمسك الأستاذ محمود تيمور ــ الذي استقبله المجمع لعضويته عام ١٩٥٠ ــ بمبدأ تفصيح ألفاظ الحضارة أو تحضير كلمات الفصحى، بعد إمساك لعقدين من الزمان اتقاء لما يُتندر به على المجمع من زعم تعريبه الساندويتش بشاطر ومشطور وبينهما كامخ ، ومجاهرته بهذا المبدأ إيمانا بقول أمين المجمع حينئذ ( ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦ ) إبراهيم مدكور: إن ألفاظ الحضارة ضرب آخر من المصطلحات اللغوية ، قد تكون معالجته أعسر من معالجة المصطلح العلمي ، فالإجماع عليها ليس بالأمر الهين ، ولا بد أن نستعين عليها بشتى الوسائل ، وإزاء مالا يزال بالمجمع من سجال بين الأعضاء حول الوسائل التي يمكن التذرع بها لتزويد اللغة العربية بالجديد من المصطلحات في مختلف ميادين الحضارة الحديثة : ما بين محبذ للأخذ من ألفاظ السوق ما يتفق وقياس العربية واستبعاد ما يخالفها ، ومناقش لفكرة أخذ الأسماء التي يطلقها الصناع وأصحاب الحرف على آلاتهم وأدواتهم كما هي دون مناقشة ثم تلمس وجه الصواب فيها ، وملاحظ لكون الكثير من ألفاظ السوق يستخدم في مصر وغير مصر من البلاد العربية ــ ويعني هذا أنه قديم وصحيح وإن كانت المعاجم لم ترصده، وإجازة تعريب المسميات الأجنبية وترجيح هذا التعريب على قبول كلمات عربية محرفة ، وتعقب استخدام الجمهور كلمات عربية بحتة

بالسليقة .. خلص تيمور إلى اتباع لطفي السيد منشئ لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة ونادى بأن يكون هناك معجمان أحدهما معجم اللغة لإثبات ما استقر من الكلم -فذاك هو ديوان العربية وسجل ألفاظها ، والآخر معجم الحضارة لعرض ما نجم وما ينجم من جديد الألفاظ والتعبيرات ، أو للتعويض عن ألفاظ أجنبية طارئة ــ فلا ينتقل من ألفاظ هذا المعجم الحضاري إلى المعجم اللغوي إلا ما تأصل التعبير عن معناه بين كثرة الناطقين بالعربية بحيث يصبح جديرا بالتسجيل والإثبات إذ السعي إلى وضع مقابل صحيح لألفاظ الحضارة أو الحياة العامة ليس مقصوداً به فرض ذلك على أفواه العامة في البيوت والأسواق ، لكن المقصود إسعاف الأقلام الكاتبة بما يسد حاجة التعبير من ألفاظ فصاح لمسميات حضارة شاملة ، وإشاعتها في الصحف السيارة والكتب المتداولة، وإذاعتها في مجالات الإذاعة الفصيحة على اختلاف منابرها ومنصاتها في حياتنا العلمية والاجتماعية على أوسع نطاق .

ولاعتقاد تيمور- في خضم هذا الجدل ومهما يجاهر بدعوته انتصاراً للفصحى ــ أن القضية الشائكة أمام معجم ألفاظ الحضارة أن هذه الألفاظ وإن تكن كلمات الحياة العامة التي تستعمل في البيوت والشوارع وعند أصحاب المهن وفي المدارس والمكاتب ودور الفن واللهو... فهي خلايا حية في بنية اللغة العربية ، تهبها جديدا من النمو والثراء والشمول، ولحساسيته لإنكار الناس على المجمع أن يراقب أفواههم فيما يتناقلونه من كلمات البيوت والشوارع والأسواق وكأنه يتدخل فيما لا يعنيه ، فقد آثر أن يصرف جهده إلى ميادين خاصة هي مصطلحات العلوم والفنون التي تدرس في معاهد التربية والتعليم، ورأى منهجا مُتكاملاً أن يشارك جمهور الناس وعامة الكتاب والعلماء إلى جانب المؤسسات اللغوية ويظل

هو يترصد لكل جديد من الكلم ويلاحق ما يستجد من ألفاظ في الحيلة العامة فيُحلّه محل النظر والتمحيص . وهكذا سار المجمع في إقراره ألفاظ الحضارة على غرار منهجه في وضع المصطلحات العلمية والفنون وإقرارها بدءا بالمصطلح الأجنبي إنجليزيا أو فرنسيا ووضع ما يقابله باللغة العربية مع شرح واضح ودقيق بالعربية وبعد إقرارها من المجلس تعرض على المؤتمر لتنشر في مجموعات مصطلحات المجمع ، من ذلك مصطلحات ألفاظ الحضارة في صنعة الكهرباء ، وحرفة تشكيل الحديد بالتسخين والطرق ، والسباكة ، والرقص .. ومنها أيضا ما أقره مؤتمر المجمع بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي لمئة وأربعة مصطلحات مقترحة شائعة كالثلاجة والفريزر وتكييف الهواء ... ومئة وأربعة مصطلحات في علم المصريات كألفاظ حضارة قديمة ... وما صدر أخيرا باسم معجم ألفاظ الحضارة مقسما إلى قسمين : في الأول : الثياب وما يتعلق بها ، المأكولات والمنزل والأدوات المنزلية ، فالأماكن وما يتعلق بها ، والمكتب وأدواته ، والمركبات وما يتعلق بها ، والحرف والصناعات والمواد المستخدمة فيها ، ثم التربية الرياضية وألفاظ أخرى متنوعة ، أما القسم الثاني فيشتمل على ألفاظ الفنون التشكيلية ومصطلحاتها ، وعلى مصطلحات الرقص والموسيقا ومصطلحات السينما – مما كان جديرا بأن تُشكل له فيما بعد بالمجمع لجنة خاصة بمصطلحات الفنون .

**٣- تفصيح العامي أهم روافد معجمنا العربي :**

على أن كل ما سبق ذكره من محاولات ( تحضير ) كلمات الفصحى لم يكن ليغنى على صعيد مواز عن انطلاق محاولات ( تفصيح ) ألفاظ الحضارة التي تجرى بالسليقة على ألسنة الجمهور وأصحاب الحرف والصناعات في البيوت والأسواق وهي عربية أصيلة وإن حسبوها غير

ذلك . فالجُهود الفردية التي سبقت الإشارة إليها للباحثين والدارسين والمؤلفين في العلوم والفنون وهم يتصيَّدون الألفاظ الفصاح في دواوين الشعراء وأدَب مشاهير الكتاب في القديم والحديث – كسلسلة معاجم العلامة عبد العزيز بن عبد الله بالرباط في المهن والحرف المختلفة، ومعجم أدوات الجراحة للعالم الطبيب التونسي أحمد دياب- وغيرهما ممن انتهجوا منهج "معجم ألفاظ الحضارة" القاهري .. إنما هي تعريب لألفاظ الحضارة الغربية لاَ يَفِي بأصالة ألفاظ حضارتنا العربية في حياتنا اليومية ، ترتيبُ ألفبائية معاجمها فرنسي أو إنجليزي يوضع أمامه ترجمةُ اللفظ بالعربية وتحته تعريفه الدال عليه ، ومع أسباب الحياة الاجتماعية وأساليب المعيشة وطرز الأدوات والوسائل المستخدمة تنهمر كل يوم تعابير ومصطلحات العلم والتكنولوجيا الدالة على سيادة لغة الإرسال والاستقبال العامية المقروءة والمسموعة عبر قنوات الاتصال الفضائية التي يلهث المجمعيون في إيجاد ترجمات وتعريفات لألفاظها ليحُدّوا طغيان الأجنبي والدخيل على اللسان العربي الأصيل في لغة الحياة اليومية في كافة المجالات ، وليواجهوا اللهاث الذي أصاب الناس وهم يهرعون إلى تعليم النشء لغة العصر الرمزية المشفرة على شبكات الاتصال العالمية – التي سوف تفقدهم الهوية الذاتية والقومية الثقافية – مهما تذرعوا بضرورة إعداد الأجيال للعيش في عالم جديد ، ومهما يُجأر بالشكوى وبتعالى الصراخ في المناداة بحماية اللغة القومية من الإهمال ( والإذلال) واللغاتُ الأجنبية تزحف عليها في المدارس والأماكن العامة لتتراجع هي في أحاديث الناس اليومية عن أسماء المآكل والمشارب والمأوى والملبس بالإعلانات ولافتات المحال – إلى حد المطالبة بإصدار قوانين حماية اللغة القومية ومنع الناس من التشدق بالألفاظ الأجنبية – وبالتالي التفرنج

بما يترتب على ما تلوكه الألسنة من تظاهرات ادعاء الحياة العصرية كأن ليس لكل جديد أو مستحدث من أشياء الحضارة الحديثة ومسمياتها لفظ في لغتنا يجرى بالسليقة على ألسنتنا- لو أردنا وحرصنا -لا يلزم إلا أن يكشف عنه المجمعيون ليعطوا الناس (إجازة) استعماله دون تحرج أو استحياء.

ولم يكن هذا الاتجاه إلى ( تفصيح العامية ) غائبا طوال الوقت عن الساحة ، بل ظل مساوقاً لاتجاه (تحضير الفصحى) على يد المجمعيين الغيورين على اللغة وسلامتها في الحياة العامة ــ كما في لغة العلم والآداب والتأليف والكتابة ــ تطميناً للناس على صحة ما يسمعون ويقرؤون ويتحدثون عنه في البيت والشارع والسوق، وتثبيتا للصحفيين والإذاعيين والإخباريين الذين يخاطبون الجماهير في ارتجال وعلى عجل بالأجنبي المعرب ، في خشية ووجل من أن يُتهموا بالعامية والركاكة فيما هو فصيح أصلا ومقبول علما وعملا . فمنذ عام ١٩٩٠م، وكان العلامة اللغوي العريق أمين على السيد عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد عكف على إثبات " العامي الفصيح من المعجم الوسيط " يقدم لمؤتمر المجمع السنوي عدة أبواب:من الهمزة حتى الثاء (١٩٩٠م)، الجيم والحاء (١٩٩١م )، الخاء حتى الراء ( ١٩٩٢م ) ، الزاى حتى الضاد (١٩٩٣م ) . ومن الجزء الثاني من الوسيط ــ وكان قد انشغل لبضع سنوات ببحوث لغوية أهمته ــ عرض في مؤتمر١٩٩٧م أبواب الطاء والظاء والعين ، وفي عام ١٩٩٨م قدم بابي الغين والفاء ، وهو مستمر في مهمته أعانه الله وأثابه ومد في عمره ، بقدر ما ييسر للغة الحياة اليومية من تثبيت جرّيانِها بأصالة وفصاحة على ألسنة العامة فلا يكون هناك حرج في التخاطب بها وإساغتها ، كذلك فإن لجنة الألفاظ والأساليب بالمجمع تتابع نشاطها في عرض قراراتها سنويا على المؤتمر في شأن الاستعمالات

العصرية لما يستجد من ألفاظ الحضارة التي لم تتعرض لها المعجمات القديمة – سواء في اللفظ أو المعنى – وإن كانت لتزداد شيوعا وجريانا على الألسنة والأقلام ، فتجيز استعمال اللفظ اسما ( وما يشتق منه ) في المعنى الحديث ، ومن باب التوسع في الدلالة ، وهنا أيضا تأصيل وتفصيح لما يشيع استعماله في بلاد عربية أو في الزمن الحديث والمعاصر كالبرمجة والنمذجة وتعويم النقد وتصفية الحسابات .. في أعمال اللجنة التي ستُعرض على مؤتمرنا هذا العام لإقرارها – بما يجيز للغة الحياة اليومية استعمالها دون حرج أو تردد ، وكذلك قبولها وإساغتها لدى المُتَلَقِّي ، كما يُطمئن الصحفي والإذاعي والمدرس والمربى والمؤلف والمثقف عموما على سلامة استخدامه للغة المحكية دون اتهام بالجهل أو التفرنج ، وتحُد من طغيان لغات الفرنجة الوافدة مع مسميات حضارتها الغازية لبلادنا على أصالة ألفاظ حضارتنا المتجددة المتطورة المستجيبة لتَسارُع مستحدثات العصر ومخترعاته واكتشافاته .

وكان يكفي تكامل اتجاهَي تفصيح العامي من ألفاظ الحياة الاجتماعية هكذا مع تعريب ألفاظ الحضارة الغربية الحديثة على النحو الذي يتمسك به المجمعيون والأكاديميون من البُحَّاث والمعجميين بالتنقيب في بطون المصادر التراثية والمحدثة الوفيرة – التي أشار العلامة عبد الكريم في خاتمة مقاله إلى خمسين منها – لو لم يكن لا يزال يُحزنه عدمُ وجود مصادر يمكن أن يعود إليها الكاتب العربي أو متعلم العربية من غير الناطقين بها .. في تكامل تيارَى التفصيح والتعريب هذين ولو في معجمين مستقلين بما يُرضى المحافظين من سدَنة اللغة وحُمَاتها والراغبين في عموم الاستفادة بتطورها وصلاحيتها لكل زمان ؛ فالأستاذ الكبير عبد الكريم خليفة يتطلع إلى مشروع لغوى قومى شامل يضع

له خطة عمل محددة ليصدُر عن اتحاد المجامع هذا المعجم الموحَّد لألفاظ حضارة أمتنا العربية في عصرنا الحديث لا يتعدى المدلولُ الواحد فيه اللفظةَ أو اللفظتين ، بهدف رعاية وحدة الأمة العربية وتوطيد دعائم وحدتها الثقافية ، يؤمِن القائمون عليه بأهميته كما يشعرون بالحاجة إليه ، فهو يبادر باتخاذ قرار مجمعه الأردني الجليل بمناقشة هذه الخطة ووسائل تنفيذها، ويؤلف برئاسته لجنة خاصة بها وعضوية ستة من أعضائه الأمجاد، ليخلُص الجميع إلى أفكار عملية في وضع المشروع موضع التنفيذ ، أولها أن وضع المعجم العربي الموحَّد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث عمل لغوى قومي جليل تبناه مجلس اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية ويتعين وضعُ خطة عمل موحدة يصدرها الاتحاد لتلتزم بها المجامع والمؤسسات المشاركة في إنجاز هذا المعجم وهي تعمل على تحقيق أهدافه في المدة التي يحتاج إليها هذا الإنجاز .

وثانيها : أن يقوم كل مجمع عربي بحصر أقصى ما يستطيع حصرَه من ألفاظ الحضارة والحياة الاجتماعية في قطره وتخزينها في حاسوبه وفق منهجية واضحة على مستوى الوطن العربي ــ تلك المنهجية التي تقتضي : ثالثا إذا أردنا الشمول في موضوعات الحياة بالنظر إلى حجم العمل ومجالاته التقسيمَ إلى مداخل قطاعية لمسميات الأشياء الدالة على الحياة بمختلف محاورها . وفي الحاسوب المتوافر بكل مجمع ما يُسهِّل ــ رابعا ــ عملياتِ التخزين والاسترجاع والفرز ... في ثلاث مراحل تنفيذ هذا المشروع :

١-القيام برصد جميع ألفاظ الحضارة المستعملة في كل قطر عربي وتخزينها.

٢- قيام لجنة من الخبراء بفرز ودراسة الألفاظ المختزنة وفق منهجية معينة على مستوى القطر بحيث لا يتجاوز المدلول الواحد لفظتين .

٣-تكليف اتحـاد المجـامع خـبراء مختلف الأقطار العربية بغربلة هـذه المشاريع للوصول إلى المعجم الموحَّد الذي لا يتجاوز المدلول الواحـد فيـه اللفظتين ــ باتبـاع قواعـد الشـيوع والفصاحة والسهولة وما هو موجـود في التراث ... إلخ .

وفي انطلاق لجنـة مشـروع المعجـم العربـي الموحـد لألفـاظ الحضارة نحو تحديد معالم تنظيم هـذه العملية ــ باعتبارها لجنـة توجيهيـة لإنجاز هذا المشروع في الأردن ــ تم تقسيم العمل إلى أربعة مراكز تنتظـم جغرافيًّا وديموغرافيًّـا كـل منـاطق الأردن وكافة شرائحه الاجتماعية هي مراكز الجامعات الأربع : الأردنيـة ، اليرموك ، آل البيت ، مؤتة ــ حيـث تألف كلُّ مركز من رئيس واثنين مـن أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين، مهمتـها اختيـار البـاحثين وتحديـد عددهم،ورسم خطة العمل والإشـراف على التنفيـذ وتمحيـص المعطيـات وتقديم ذلك كله للهيئة العامة التي هـي مكونة من أعضاء لجنـة مشـروع ألفاظ الحضارة ورؤساء مراكز البحث الأربعـة المجتمعيـن بشـكل دوري للمتابعة ــ في حرص على كامل تمتع الباحثين ورؤسـاء المراكـز بـروح عمل الفريق وحسن التفـاهم وصـدق الإيمان بأهمية المشـروع والرغبـة الأكيدة في إنجـازه وفـق النمـوذج الموزع على الباحثين ــ المرفـق ــ الذي يرصد فيه كـل بـاحث باسـمه وتوقيعـه بيانـات اسـم المصطلـح ( مضبوطا بالشكل ) وأصله وتعريفـه وتوضيحه بالرسم عند الضرورة فـي حدود الموقع والبيئة والمهنة والمجـال ( بيت،مدرسة،مسجد، شارع، مزرعة، مصنع ، مستشفى، معمل أو مختبر ... فندق أو مقهي،مؤسسة،مكتب،مسرح)، وأخيراً الموضوع الذي يشتمل عليـه المجال ( البيت : أنواعـه وأجـزاؤه ومحتوياته : أطعمـة ، مشـروبات ، ملبوسـات،أثـاث،أدوات وأجهزة.. ).

أصبح لزامًـا إذن علـى كـل مجمع لغوي في اتحاد المجامع العربية

يمثل الوطن العربي الكبير في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والرافدين وليبيا والسودان والمغرب العربي في الشمال الأفريقي ـ أن يتبنى خطة العمل هذه التي بدأها المجمع الأردني، بذات توجهات تنفيذ ذلك المشروع القومي الجليل ، لكي يشرع كل مجمع على الفور بحصر أقصى ما يستطيع حصره من مصطلحات وتخزينها في حاسوبه ـ مقسمة إلى المداخل القطاعية الموحدة لمسميات أشياء الحياة الاجتماعية المعاصرة .. على مراحل التنفيذ ثلاث المذكورة : الحصر والتخزين، الفحص والدراسة ، الغربلة والتوحيد ، وأن يشكل لذلك اللجنةَ التوجيهية، ويوزع العمل على مراكز بحث تمثل جغرافية وديموغرافية مختلف البيئات،ويؤلف كل مركز من رئيس ومختصين من جامعة الإقليم ليختاروا عدد الباحثين المحليين اللازم لجمع البيانات ويتولوا رسم خطة العمل والإشراف على التنفيذ،وتكوين الهيئة العامة المشكلة من أعضاء لجنة المشروع ورؤساء مراكز البحوث المكلفة بالمتابعة والتمحيص وتلقي البحوث وموافاة اتحاد المجامع بها للتوحيد والتنسيق . وعلى مجمع اللغة القاهري إذًا أن يحشد خبراء وأعضاء لجان ألفاظ الحضارة ، والتاريخ والآثار ، والجغرافيا والأنثروبولوجيا ( علوم اجتماعية ) ، واللغة والأدب ( ألفاظ وأساليب ، لهجات ، إحياء تراث...) ـ على النحو الذي حشد به كل الطاقات من داخل المجمع وخارجه لتسريع إنجاز ( المعجم الكبير) ـ مع اعتماد الميزانية الكافية لمكافآت الخبراء والباحثين ... ومطبوعات استمارات وجداول تفريغ بيانات ـ لينطلقوا راضين إلى ميادين العمل في صعيد مصر وجنوب الوادي وسيناء والساحل الشمالي ووسط الدلتا وشرقها والعاصمة القديمة .

**٤-كيف نجعله موحِّدًا لتنوعات لهجات أقطارنا :**

في تعقيبي على بحث الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة بجلسة

مؤتمر المجمع ٩٧_١٩٩٨ عن مشروع معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية الذي هو مدار حديثي في هذا المقال ، أخذني الحماس والانبهار إلى حيث الإشادة بالإعجاب والتقدير للاستفادة بأطروحة دكتوراه الأستاذة ندى عبد الرحمن يوسف الشايع بقسم اللغة العربية بالجامعة المستنصرية التي عنوانها "معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العشر " الذي نشرته مكتبة لبنان / بيروت ١٩٩١م ، فقد كان هذا البحث العلمي الرائد في موضوعه ومنهجه موفقا غاية التوفيق فيما نحن بصدده الآن من كافة الوجوه – إذ يُعنون للدراسة أولاً بعبارة " ألفاظ الحياة الاجتماعية " وقد رأينا استحسان الباحث والمعقبين على البحث لهذه التسمية للمعجم وتفضيلها على كلمتي" الحضارة الحديثة " " والحياة العامة " وثانيًا : هو يرصد ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العرب: امرؤ القيس ، زهير بن أبى سلمى ، طرفة بن العبد ، لبيد بن ربيعة ، عنترة العبسي ، الحارث بن حلزة، عمرو بن كلثوم ، الأعشى ، النابغة الذيباني، عبيد بن الأبرص – إضافة إلى ما سبق لها من إعداد معجم مماثل لديوان عمرو بن قميئة ، واضعة بذلك اللبنة الأولى من المعجم التاريخي للغة العربية الذي نهفو إليه ، ثالثا : هو يحصى الألفاظ الدالة على الحياة الاجتماعية من ثنايا تلك الدواوين فيحصرها في أحد عشر محورا دلاليا رئيسيا تتفرع عنها محاور أخرى دلالية صغرى على النحو التالي :

١- ما دل على القرابة.

٢- ما دل على العلاقات الاجتماعية :

أ- روابط اجتماعية.

ب- أسماء جماعات الناس.

ج- البعد والفراق والهجر والوصال.

د- العهد والخلف والكفالة.

٣- ما دل على الأخلاق والصفات.

٤- ما دل على الحالة الاجتماعية.

ويشمل :

أ-الطبقات الاجتماعية.

ب – الحرف والمهن.
ج– الحالة الاجتماعية.
٥– ما دل على المسكن والإقامة والارتحال، ويشمل :
أ– ما دل على البيوت وما فيها وما حولها .
ب– ما دل على الحلول والارتحال .
٦– ما دل على الطعام والشراب وأدواتهما، ويشمل:
أ– ما دل على الطعام .
ب– ما دل على الشراب .
ج– ما دل على أدوات الطعام .
د– ما دل على أدوات الشراب .
و– ما دل على الآبار والأحواض .
٧– ما دل على اللباس وأدوات الزينة والعطور والفرش ـ ويشمل :
أ– ما دل على لباس الرأس .
ب– ما دل على الكسوة
ج– ما دل على لباس القدم .
د– ما دل على الحلي ومواد التجميل .
هـ–ما دل على العطور والرياحيين .
و– ما دل على الفُرش .
٨–ما دل على وسائل النقل ومعداتها ـ ويشمل :
أ– ما دل على الإبل .
ب –ما دل على الجياد .
ج– ما دل على المراكب .
د– ما دل على السفن .
٩– ما دل على الحرب وعدتها ويشمل:
أ– ما دل على الحرب والطعان والقتال.
ب– ما دل على الجند والسلاح .
ج– ما دل على الغنائم .
١٠– ما دل على الدين والعبادة .
١١– ما دل على الطرب وأدواته .

إن هذا التقسيم لمحاور دلالية رئيسية وفروع صغرى لكل منها رمزه الرقمي والأبجدي على الترتيب لهو المنهج العلمي الأمثل في تحليل جداول تفريغ معطيات البحث الموزع على الباحثين الميدانيين بطاقاتُها أو استماراتُها - وهو وإن كان لا يعطى إلا الصورة الأولية للحضارة العربية الجاهلية كما وردت في دواوين شعراء المعلقات ، فمن الممكن الاهتداء بها

في تقسيمات محاور العربية الحديثة إلى محاور وفروع إضافية ، في وسائل النقل مثلا : السيارات والدراجات البخارية والطائرات ... وفي الطرب وأدواته : الغناء والموسيقا والأوبرا والمسرح والسينما والتلفاز ، وسوف تساعد الحاسبات في سرعة ودقة تفريغ البيانات وتحليلها وإعطاء تكرار شيوع اللفظ في كل بيئة ومجال .

ويبقى بعد ذلك التساؤل عن كيفية استطاعة معجم موحّد لألفاظ الحياة الاجتماعية في ما لن يَقلّ عن سبعة مراكز بحوث تنشئها المجامع العلمية لعشرين بلدا عربيا - مهما نُشدد التوصية على منهجية عدم تجاوز المدلول الواحد لفظتين في كل قطر- ثم بعد ذلك نفس الشيء بالنسبة للمشروع ككل بالهيئة العامة في اتحاد المجامع، والاختيار بمعيار الشيوع والفصاحة والسهولة والتراثية.. لقد استبقنا الإجابة على هذا التساؤل أيضا في معرض تعليقنا على البحث الرئيسي للمشروع في نفس الجلسة بأنه لا ضير على المجمع القُطري أن يلتزم بعدم تجاوز اللفظين لكل مدلول، أما في غربلة الألفاظ بحاسوب اتحاد المجامع فلا غنى عن أن يتحقق التوحيد في المصطلح العربي من خلال تنوعات الألفاظ التي حصرتها مراكز البحوث القطرية - وذلك بإيراد ما سجلته الخصوصية المحلية لكل قطر، مشفوعا برمز يشير للإقليم أو الجهة التي رصده فيها مركز البحث - على نحو ما انتهجه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فيما كان يصدره من معاجم علمية منذ أول السبعينيات،من الإشارة للمجمع أو المؤتمر أو الوزارة أو المكتب الذي قام بالتعريب ... برمز يدل عليه: مثل مج ق = مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، و م = وزارة التربية والتعليم في مصر ، و ك = وزارة التعليم بالكويت ، مج ع = المجمع العلمي العراقي ، و سو =

وزارة التربية والتعليم في سورية ، لأنه لا سبيل إلى استعمال رمز ا ج = إجماع المصادر كلها على قبول اللفظ المحلي - حتى في المصطلحات العلمية التي أصدرها المكتب – فمن باب أولى – تكون الإشارة لهذه التنوعات التي لا حصر لها بمختلف البلدان العربية اعترافا بعدم توحيدها لفرض الموحَّد منها باتحاد المجامع على ألسنة الذين لن يتقبلوها وإشعارا بثراء لهجات الأمة العربية التي أفصحوا بها على السليقة وبالفطرة السليمة عن حاجات حياتهم اليومية ، لكونها حية ومتطورة - وأولا وأخيرا وضع خريطة معجم جغرافي للهجات شعوب الأمة العربية في المكان يكمل ويفيد المعجم التاريخي في الزمان للعربية – لغة القرآن الكريم ، مصداقا لقوله تعالى "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة " .

**كمال محمد دسوقى**

عضو المجمع

# ثانيًا:

# شخصيات مجمعية

## أ- تأبين المرحوم الأستاذ

## عبد الكريم العزباوي عضو المجمع :

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٦ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ٢٢ من فبراير سنة ١٩٩٩م ، أقام المجمع حفلاً لتأبين المرحوم الأستاذ عبد الكريم العزباوي صابر عضو المجمع .

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في الحفل :

## افتتاح الجلسة

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

**سيداتي ... سادتي :**

لقد كان الفقيد في بداية حياته يخدم المجمع من الناحية الإدارية والتحريرية حتى سنة ١٩٧٣م ، ثم ظل يعمل في حقل التحقيق كثيرا، شارك في إخراج أجزاء كثيرة من الأغاني ومن معجم تاج العروس، وله كتابان في الحديث النبوي أخرجهما باسم الجامعة السعودية بمكة،وقد شارك الأستاذ أبا الفضل إبراهيم ومحمود غنيم وغيرهما من الأساتذة الأفاضل الذين عنوا بإحياء التراث القديم، وعين عضوًا في المجمع سنة ١٩٨٩م وكان طيبًا خجولاً، واشترك في لجان المجمع وأفادها إفادات علمية كثيرة وظل يعمل بها إلى أن انتقل إلى رحمة الله وحزن الجميع عليه حزنًا شديدًا لوفاته لهدوئه وصوته المنخفض وانعزاله . ويوجد له الكثير من الأعمال العلمية بمكتبة المجمع لمن يريد الاطلاع عليها لتروا الجهد العلمي الذي قدمه خدمة للغة العربية، ولكن هذه هي الدنيا يعيش فيها الإنسان ما يعيش ثم يلبي نداء ربه ، ففي هذا المدرج استقبل وفي نفس المدرج نودعه فالحياة استقبال ووداع، تغمد الله الفقيد برحمته وجزاه خير الجزاء وألهم الأسرة الصبر والسلوان.

وزميلنا الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع، وهو زميله في لجنة المعجم الكبير سنوات سيلقي كلمة المجمع عن الفقيد فليتفضل .

## كلمة المجمع في تأبين الفقيد الراحل

للأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع

**الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف**

**رئيس المجمع :**

**الأساتذة الزملاء الأجلاء :**

**أيها السادة :**

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد

فإن قدر الإنسان منوط بعمله؛ فبالأعمال يتفاضل الناس . ولا ريب في أن الاشتغال بالعلم أرقى الأعمال.

وقد كرم الله تعالى الإنسان بأن خصه بشرف العلم ؛ منذ خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، بل إنه – جلت حكمته – رفع قدر آدم حين علمه علما عجزت عنه الملائكة .. ثم زاد قدره تشريفًا حين أمرهم بالسجود له !

وهكذا بدأ الله تعالى خلق الإنسان بشرف العلم ، كما ختم رسالاته بشرف العلم، فاستهل وحيه إلى خاتم أنبيائه ورسله بقوله: " اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم".

وليس قبل هذا وبعده تأكيد لشرف العلم ، وتنويه بعلو قدره، وعظم أثره في الحياة !

وليس قبل هذا وبعده تكريم للإنسان؛ بمنحه وحده شرف العلم !

ولسان العلم واللغة:

فهي المعبرة عنه؛ نطقا ، وكتابة .

وهي الحافظة له .. ذخرًا يبقى على امتداد الزمان .

وهي الناقلة له .. نورًا تسعى به من مكان إلى مكان .

والعلم بأي لغة شرف .

ولكن العلم بلغة اختارها الله على سائر اللغات لسانًا لذكره الحكيم شرف لا يعلوه شرف، بل لا يطوله شرف !

وقد حباكم الله – أيها المجمعيون – بهذا الشرف الأسمى؛ لأنكم القوامون على هذه اللغة ؛ حتى تستعيد مكانتها العلمية العالمية!

وليس ذلك ببعيد على لغة حملت وحدها أمانة العلم ، وأدت رسالته باقتدار فذ، طوال قرون سادت فيها كل اللغات، وانعقد لها لواء العلم والحضارة !

ولكن جعل العلم بالعربية شاملاً كل فروعه : النظرية والتطبيقية يقتضي أن يسبقه علم بالعربية ، في أصولها ، واشتقاقاتها ، وضوابطها اللفظية والأسلوبية، ومعجماتها العامة، والخاصة .

وأنتم – أيها المجمعيون – سدنة هذه اللغة ؛ بما تُعِدُّون من مصطلحات في العلوم، والآداب ، والفنون ، وبما تيسرون على القارئين والكاتبين من أمور تتصل باللغة ، وبما تعكفون على إحيائه من نفائس تراثنا العربي، وبما تنهضون به من رعاية وحماية للفصحى من كل عامي أو دخيل ، وبما تضعون من معجمات لغوية وعلمية .. فصرتم بذلك سدنة العربية الشريفة الخالدة .

وهذا سادن مجمعي عريق، أشرف اليوم بتأبينه ؛ هو المرحوم الأستاذ الجليل ، والصديق الحميم : عبد الكريم العزباوي!

وقف حياته على العلم المعجمي اللغوي، ويعد من الرعيل المجمعي الأول، الذي عمل في جهاز التحرير ؛ فقد التحق بالمجمع عام سبعة وثلاثين محررا بالمعجم الوسيط ؛ باكورة المعجمات اللغوية المجمعية . وقد كان المعجم الوسيط حينذاك ما يزال جنينًا يتخلق في رحم لجنته !

كان المجمع في سنواته الباكرة حين التحق به عبد الكريم ، عقب تخرجه في دار العلوم، وكان العمل المعجمي اللغوي يسير على أقوم نهج علمي ؛ فقد كان محررو المعجم الوسيط يعدون مواده اللغوية تحت الإشراف المباشر لأعضاء لجنته وخبرائها؛ فيقوم كل محرر بإعداد المادة اللغوية بتوجيه، ومتابعة ، ومراجعة، من العضو أو الخبير الذي يشرف عليه .

فعضو اللجنة أو خبيرها يضع للمحرر قائمة بمصادر مادته المعجمية، كما يضع في يده مفاتيح الدخول إلى هذه المصادر، والتعامل معها، موضحًا ما اتخذته شرعة ومنهاجا في عرض موادها اللغوية، أو الاصطلاحية، أو الموسوعية ، فلم يكن للمعجمات التراثية نهج واحد متبع، ولم يكن لها – كذلك – نَسَق واحد في عرض المادة كمًّا وكيفًا .

ثم يتابع المشرف عمل المحرر في إعداد المادة المعجمية حتى تستوي قائمة على أصولها اللغوية المنهجية .

هكذا كان العمل المعجمي في لجنة المعجم الوسيط، ثم في لجنة المعجم الكبير، وقريبٌ من ذلك في اللجان العلمية .

وقد تولدت عن هذه الصلة العلمية الحميمة بين المشرف والمحرر صلة أخرى سداها ولحمتها أبوة وبنوة!

وقد حدثني الأستاذ عبد الكريم عن تلك الصلة المثلى التي كانت بينه وبين المشرف عليه في إعداد المعجم الوسيط؛ وهو الأستاذ العلامة إبراهيم مصطفى، عضو المجمع ، وصاحب الكتاب المشهور"إحياء النحو".

فلم يكن عملهما معًا مقصوراً على المجمع ، محصوراً في أوقات العمل الرسمية، بل تجاوز ذلك إلى خارج المجمع، في أوقات أخرى من نهار أو ليل؛ فقد كان المحرر الشاب عبد الكريم يختلف إلى دار أستاذه المشرف إبراهيم مصطفى ، حيث كانا يعملان معًا فيما عهد إليهما من مواد المعجم الوسيط، وقد يمتد العمل بهما إلى وقت متأخر من الليل !

ومن طريف ما حكاه لي أنه كان ذات ليلة في دار الأستاذ إبراهيم مصطفى، لمراجعة مادة أعدها للمعجم الوسيط، وكان ذلك في أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد أخذ الألمان يشنون غاراتهم الجوية على مصر،بين

حين وآخر، وفي هذه الليلة أطلقت صفارات الإنذار، فأطفئت الأنوار، وأسرع الناس باللجوء إلى المخابئ فزعين!

ولكن الأستاذ إبراهيم مصطفى جاء بمصباح غازي – بعد أن أطفأ الأنوار الكهربية في بيته، وأغلق نوافذه، وقال:

– سنظل هنا – يا عبد الكريم – نواصل عملنا في ضوء هذا المصباح!

وواصلا عكوفهما على العمل حتى أطلقت صفارات الأمان، وكانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل، فنهض المحرر الشاب عبد الكريم ليمضي إلى بيته، ولكن أستاذه الشيخ استوقفه قائلا:

– انتظر يا عبد الكريم حتى أوصلك بسيارتي إلى دارك.

فقال له:

– الغارة انتهت – يا أستاذي – والترام يعمل حتى الواحدة بعد منتصف الليل.

ولم تجد محاولات عبد الكريم في إقناع أستاذه الطاعن في السن بالعدول عن توصيله، في هذا الوقت الذي كان يبلغ منتصف الليل، والظلام ما يزال مطبقا على القاهرة، ونزل الأستاذ الشيخ إلى حيث أخرج سيارته من مكمنها بأسفل داره، وأخذ يشق بها ظلمات الشوارع، حتى أوصل المحرر الشاب إلى داره!

هكذا كانت الصلة وثيقة وحميمة بين أعضاء المجمع ومحرريه، صلة مثلى خلقًا وعلمًا؛ يتاح في كنفها لهؤلاء المحررين أن يقبسوا أخلاق العلماء من هؤلاء الأعضاء، العمالقة الأفذاذ، كما يتاح لهم أن يفيدوا من علمهم الجليل، وخبرتهم الثرية العريقة؛ فيجمعون بين المدارسة النظرية، والممارسة الميدانية، في العمل المعجمي.

وبذلك كان المجمع أشبه بجامعة لعلم المعجمات، وعمل المعجمات!

**أيها السادة :**

مضت الأعوام بعبد الكريم، وهو يرقى في درجات التحرير ؛ فرقي من المحرر، إلى المحرر الأول.. ثم إلى رئيس التحرير، حيث تأهل - بما اكتسبه من علم ، ودربة ، وخبرة - لأن يتبوأ مركز الأستاذ الذي يشرف على المحررين ، ويراجع ما أعدوه من المواد المعجمية، وكان يشاركه في ذلك زميلان جليلان، هما : الأستاذان: عبد العليم الطحاوي ، وعلي هلالي، وقد أدركنا - أخي مصطفى حجازي وأنا - ذلك العهد ، وأشرفنا على ما يعده بعض محرري المعجم الكبير .

وقد ظل الأستاذ عبد الكريم يرقى الدرجات الوظيفية المجمعية حتى حاز منصب المراقب العام للمعجمات وإحياء التراث ؛ فكان يشرف على المعجمات اللغوية الثلاثة : معجم ألفاظ القرآن الكريم، والمعجم الوسيط، والمعجم الكبير ، كما كان يشرف على إحياء التراث اللغوي، فأصدر المجمع العديد من نفائسه.

ثم بلغ الأستاذ عبد الكريم أعلى الدرجات الوظيفية بتقلده منصب المدير العام للمجمع ، عام سبعة وستين، وظل يشغل هذا المنصب إلى عام اثنين وسبعين، حين بلغ سن التقاعد الوظيفي ، فاختير - فور بلوغه هذه السن - خبيرًا بلجنة المعجم الكبير ، ثم انتخب عضوًا عاملا بالمجمع عام تسعة وثمانين . وخلال ذلك - في أواخر السبعينيات - شارك في تأسيس مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، حيث قام بتحقيق بعض المخطوطات ، ومراجعة بعض آخر ، وإعداد بحوث لغوية لنشرها في مطبوعات هذا المركز.

وإذا أردنا أن نستجلي ما أنجزه من أعمال علمية فسيطالعنا الكثير من تحقيقاته اللغوية، والأدبية ، والعلمية .

فهو قد حقق للمجمع الجزء الثالث من كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني.

وحقق للهيئة المصرية العامة للكتاب الجزء الرابع من تهذيب اللغة للأزهري، وخمسة أجزاء من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، هي الأجزاء الثامن عشر، والتاسع عشر، والحادي والعشرون ، والثاني والعشرون ، والرابع والعشرون.

وحقق لإدارة إحياء التراث العربي بدولة الكويت سبعة أجزاء من معجم "تاج العروس" للزبيدي ، هي الأجزاء: الثالث، والحادي عشر ، والثامن عشر، والعشرون، والسادس والعشرون، والثاني والثلاثون، والسادس والثلاثون .

وحقق لمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى كتابي: "غريب الحديث" للإمام أبي سليمان الخطابي، و"المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث" للإمام أبي موسى الأصفهاني، و"الناسخ والمنسوخ" لابن الجوزي، و"فَعَل وأفْعَل" للأصمعي .

وقد كان لي شرف مشاركته في تحقيق الجزء الرابع من كتاب"سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" للإمام الصالحي.

أما التحقيق العلمي فقد حقق منه كتاب "الموجز في الطب" لابن النفيس، وراجعه العلامة المجمعي الدكتور أحمد عمار النائب السابق لرئيس المجمع .

**أيها السادة :**

ذلكم هو الأستاذ الجليل عبد الكريم العزباوي ، الذي يعد أطول الأعضاء عمرًا بالمجمع ؛ فقد أمضى به إحدى وستين سنة، من عام سبعة وثلاثين إلى عام ثمانية وتسعين، تخللتها أعوام قليلة أمضاها بجامعة أم القرى، ولكن عمله فيها كان امتداداً لعمله المعجمي المجمعي، وبذلك ظل نشاطه العلمي – طوال حياته – قائمًا على شريعة المعجمات اللغوية .

والمعجمات بعامة – اللغوية ، والأدبية، والعلمية ، والفنية ،

والحضارية– تكاد تستأثر بأعمال المجامع ، ولعل ما يفصح عن الرابطة الحميمة – في لغتنا– بين"المجمع" و"المعجم" هذا الاتفاق التام بين أحرف الكلمتين : ( مجمع ، ومعجم ) ؛ فهما تتكونان من ميمين، وجيم وعين، وتلك صلة قربى بين الكلمتين!

أيها السادة :

كان المجمع البيت الثاني لعبد الكريم، طوال أعوام جاوزت نصف قرن، حيث كانت الأسرة المجمعية تأتلف على إخاء ومودة،وتجتمع على ورد موورود من العلم اللغوي المجمعي، وكم كانت هذه الأسرة المجمعية تتابع العمل إلى ردح من الليل، ثم تفترق على تحية المساء، لتلتقي – بعد ساعات – على تحية الصباح !

كان العمل المجمعي لا يستأثر بعقل عبد الكريم فحسب، فقد كان يستأثر أيضًا بقلبه ، وذات نفسه ، وبآماله ومطامحه .

وسأدع لعبد الكريم موقعي من القول هنا، لأسوق إليكم كلمات قالها في حفل استقباله ، حيث يقول :

" .. وقد أتاح لي المجمع أن أشتغل باللغة العربية طوال هذه السنين ، وبخاصة في تأليف المعاجم، حيث بدأت العمل في "المعجم الوسيط" حتى فرغنا منه – بحمد الله – ثم أخذنا في تأليف " المعجم الكبير"، وواصلت العمل فيه منذ بدايته إلى الآن، حتى جرى حبه في دمي، وصار من أغلى أمنياتي أن أفرغ له جهدي ما بقي لي من العمر "!

هذه أقباس من حياته العلمية المجمعية، التي وهبها زهرة شبابه، ورحيق كهولته، وصبابة شيخوخته! جزاه الله عما قدم للغة وللمجمع خير الجزاء .

ولقد جمل هذه الحياة العلمية خلقه الجميل الجليل، الذي طالما تفيأنا ظلاله،وتنفسنا عطره،واستشرفنا نوره، وآوينا إلى بره ، ومروءته ، ومودته!

ولكم أشفق علـــى نفســي مــن الحديث عن عبد الكريم الصديق، الذي كان نبعًا ثرًّا يفيض بالحب ، والوفاء ، والعطاء !

وأقول هنا : حسبي !

فإني أخشى أن يغص بياني، بمــا يجيش به جناني، من عبـــرات حب ملتاع ، وشـــجن مـــوار بالذكريـــات الغاليات!

والسلام عليكـــم ورحمـــة الله تعـــالى وبركاته.

**إبراهيم الترزي**

**الأمين العام للمجمع**

## كلمة الأسرة

للأستاذ سامي عبد الكريم العزباوي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ *فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال* ﴾ صدق الله العظيم

**الأستاذ الكبير شوقي ضيف رئيس المجمع:**

**الأساتذة أعضاء المجمع، سيداتي وسادتي:**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أشهد أني لم أشعر في حياتي بموقف العجز عن القول مثلما أشعر به الآن وأنا أتحدث إلى عمالقة اللغة والأدب والعلم أعضاء المجمع الخالدين، فاغفروا لي تقصيري في الوفاء بحقكم من الشكر الجزيل العميق باسمي واسم الأسرة على إقامتكم هذا الحفل الكريم لزميلكم والدنا عبد الكريم الذي كان عظيم الحب والتقدير لكم ، وعظيم الفخر بزمالتكم والعمل معكم في خدمة اللغة العربية الخالدة التي أمضى حياته كلها في خدمتها وبخاصة في المعجم الكبير الذي كان يعتز كل الاعتزاز به وبأعضاء لجنته وخبرائها ومحرري هذا المعجم الكبير.

شكرًا خالصا لأستاذ الأجيال الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع على كلمته التي كرم بها والدي رحمه الله، وشكرًا خاصًّا لوالدنا الحبيب الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع الذي كان بحق أعز صديق لوالدنا الحبيب رحمه الله ، والذي بلغ من حب والدي له واعتزازه به أنه كان يخصه دائما بالدعاء له معنا عقب صلاته، وأنه لجدير بكل الحب والإعزاز والإجلال ، فقد كان نعم الصديق المخلص الوفي لوالدنا رحمه الله، وسوف يظل نعم الوالد والأخ الأكبر لنا مدى الحياة . أسأل الله تعالى أن يحفظكم ويرعاكم حماة للغة القرآن الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## كلمة الختام

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

أشكر الأستاذ سامي عبد الكريم العزباوي على هذا الوفاء الكبير الجميل للوالد وأرجو له وللأسرة الكريمة أن يتقبلوا عزاء المجمع، فهذه هي الدنيا نكون ثم نولد ونعيش بها مدة قصيرة ثم الوداع، وأسأل الله للأسرة أن يهبها الصبر ويلهمها العزاء وأسأل نفس السؤال وأدعو نفس الدعاء لحضراتكم. فالأستاذ عبد الكريم العزباوي سيظل بيننا بأبحاثه وكتبه وهي موجودة بالمكتبة لمن يريد الاطلاع عليها .

ونسأل الله أن يتغمده برحمته، وأن يفسح له في جنته جزاء أوفى لما قدم للمجمع ولأمته العربية من أعمال عربية جليلة وأشكر حضراتكم على الحضور للمشاركة في هذا الحفل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**ب- تأبين المرحوم فضيلة الشيخ**

**محمد متولي الشعراوي عضو المجمع :**

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعـــاء ٨ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ٢٤ من فبراير سنة ١٩٩٩م ، أقام المجمع حفلاً لتأبين فضيلة الشـيخ الإمـام محمد متولي الشعراوي عضو المجمع .

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في الحفل :

## كلمة الافتتاح

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

نجتمع اليوم لتأبين العلامة الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي ، رحمه الله ، وهو لا يخفى عليكم جميعا، فهو صاحب التفسير العظيم للقرآن الكريم حيث كان يرسل خواطره حول آيات القرآن في عرض يغري الناس جميعا بأن يحاولوا دائمًا معرفة الأماكن والأوقات التي تذاع فيها محاضراته، يقدم الوعظ الديني بلغة تشبه الأناشيد، فهي اللغة المحببة إلى الناس جميعا في أطراف الأرض ، وفي أنحاء المعمورة، وكان على علم واسع بالشريعة الإسلامية، فكان يصل بين آيات القرآن والشريعة وصلا محكما ، يروع به سامعيه، ويتحدث في مسائل كثيرة، منها: القضاء والقدر ، ولم يكن يترك مسألة من المسائل التي يهتم بها المجتمع إلا ويعرضها من خلال القرآن، لأنكم كما تعلمون الإسلام جاء خاتمة الديانات بإصلاحات كثيرة للمجتمعات، وكان من منهجه أنه يفسر القرآن بالقرآن، وكان يبسط حديثه كل البسط، ويقابل بين الآيات القرآنية في تفسيره، مع عنايته الشديدة بالمعاني الإنسانية التي عرضها القرآن الكريم من الأخوة الواجبة بين المسلمين، بل العلاقة بين غير المسلمين من أهل الكتاب والوثنيين، وأيضًا من هذه المعاني الإنسانية الرحمة التي عرضت مرارًا في القرآن الكريم، ولم يكن مفسرًا فقط، بل كان مفسرًا واعظًا، ولذلك كان لا يعنى بكتابة التفسير، وكان يحب دائمًا هذا الحديث الخطابي الذي يمتلئ بالحرارة والحماسة التي جعلت محبيه يتلقفون كلماته ويعجبون به إعجابًا شديدًا ، مما كان له الأثر الواضح في تحريك المشاعر الإنسانية للنظر والتأمل في آيات القرآن الكريم ، وكان يقف وقفات طويلة إزاء العقيدة الإسلامية،

وما ذكره القرآن من طلب التأمل في الآيات الكونية التي تدعو من يتعمق في فهمها إلى الإيمان بوحدانية الله تعالى. " وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون" فكان يعرض التدبر القرآني والإلهي لهذه الأمة الإسلامية أن تحمل كل ما أراده الله من إصلاحات للمجتمع ، فالعلامة الإمام الكبير الشيخ الشعراوي شخصية فذة من الشخصيات التي يهبها الله للأمم في القرون تلو القرون، وهذا المجمع تشرف بعضويته، ولا يزال يتشرف به.

وكان الشيخ الشعراوي موضع دهشة للغربيين، لا نزال نحن نعجب عجبًا شديدا من طريقته في التفسير ، طريقة تقوم على اللغة القريبة من اللغة المتداولة ، ولذلك كانت تخاطب القلوب مباشرة، بالإضافة إلى ما يبسطه من محبة الله ومحبة رسوله، وطاعته لهما والبعد عن معصيتهما فعمله كان عملا ضخمًا للمسلمين والإسلام، لا نملك الآن إلا أن نترحم عليه، وهو من أهل الفردوس إن شاء الله ، سبقنا إلى الدار الآخرة ، ولا نزال نأتم به في كثير من أفكاره التي نثرها في تفسيره. ويتفضل الأستاذ العلامة الدكتور محمد نايل أحمد ، صديق ورفيق الشيخ الشعراوي ليلقي على حضراتكم تأبينه باسم المجمع .

# دمعة وفاء

## في ذكرى إمام الدعاة وشيخ الهداة

## الشيخ محمد متولي الشعراوي

للأستاذ الدكتور محمد نايل أحمد

هل فارقنا حقا زميل العمر ورفيق الدرب؟! إني لا أكاد أصدق .. إني لأراه الآن على كرسيه، يحدث ويفسر ويوجه ، وأرى جماهير الشعب في حلقات ، تلتف حول الكرسي تسمع وتصغي في وقار وصمت، تتزود ما يلهمه الله من فيوض ربانية وإلهامات نورانية ، ولمحات إيمانية ..

هل يموت من ملأ الدنيا بأحاديثه وتوجيهاته على مدى سبعين عاما أو يزيد؟

إن العلماء العاملين المخلصين لا يموتون، إن أعمالهم وجهادهم عمر أبدي يصل أعمارهم البشرية، فتظل أشخاصهم ماثلة في أعين الناس لا تفارق ولا تختفي .

هل فارقنا العز بن عبد السلام عالم عصره؟ وهل غادرنا مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول جنود الحرية ودعاة الاستقلال؟

إن العلماء والزعماء والقادة لا يموتون كما يموت سواد الناس ، إنما تبقى أشخاصهم وجهادهم وتراثهم وخطبهم وأقوالهم ، تدوي في أسماع الناس وسمع الزمان.. وهذا هو الخلود الحق .

لقد عرفت الشيخ الشعراوي طالبا فمدرسا فداعية، يدوي صوته في الآفاق ويطوف عطاؤه في العالمين ، الإسلامي والعربي يقبل إليهم ويفدون إليه في دورات متوالية لا تنقطع.

وحين تقدم به السن اتخذ من الهضبة العالية، المشرفة على حرم السيدة نفيسة رضي الله عنها مقرا ومقاما ، يتوافد إليها الناس ليجد طالب العلم طلبته، وطالب الحاجة حاجته .

لقد كان الشعراوي رحمه الله من أعيان العلماء ، بسط الله له في الرزق كما بسط له في العلم، يعطي من هذا وهذا، عطاء من لا يخشى الفقر " ورزق ربك خير وأبقى .

توفر الشيخ العالم على كتاب الله، يدرسه للناس ويفسره ويوضح مراميه وإشارته.

لقد ظل العلماء يفسرون قصة بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض على أنها تاريخ مضى، ولكن الشعراوي بحسه اللغوي وذوقه الواعي فهم من التعبير" بإذا " أنها لم تنته بعد، وأن لها بقية ستأتي " فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ( فاتحين لا زائرين ) وليتبروا ما علوا تتبيرا " وهذا وعد من الله ووعد الله لا يتخلف.

ولئن كانت إسرائيل تستعلي اليوم بالأمريكان ، فسيزول الأمريكان كما زالت إمبراطوريات زالت، بعد أن عظم سلطانها في الأرض طويلا.. وإن الأحداث لواعدة وإن البشائر لآتية إن شاء الله.

إن من يتابع تفسير الشعراوي سيجد فيه من الرموز والإشارات ما يكاد يبلغ درجة التصريح بأن الغد للإسلام ولأمة الإسلام، وأن الدائرة ستكون على أعداء الله وأعداء الدين، حتى ينطق الحجر، وينادي المسلم أن يأخذ لنفسه ولدينه ما وعده الله به ، ولن يخلف الله وعدا وعد به رسوله وأمته .

وكأني بالشعراوي يترقب هذا اليوم وهو في قبره بسعادة تنسيه ما لقي في دنياه من هموم ومتاعب .

رحم الله الشعراوي وأسكنه فسيح جناته وسره بنصر أمته وسيادة دينه في الأرض بقدر ما أدى لدينه وأمته ووطنه من جهد وجهاد ، وعطاء غامر، سيبقى على الأيام ، ذكرى عطرة تبهج أرواح المسلمين، وتملأ صدورهم بالأمل المشرق بعودة

أمجادهم وسيادة دينهم وأمتهم (ويومئـذ يفرح المؤمنون بنصر الله ) وبظـــهور دينهم على الأديان كلـــها، كمـــا قـــال تعالى:( هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

**محمد نايل أحمد**

عضو المجمع

## مرثيات في وداع الفقيد الراحل

للأستاذ الدكتور محمد حامد الحضيري

بسم الله الرحمن الرحيم

مساهمة في تأبين فضيلة الإمام الراحل الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي يقيمه " المجمع اللغوي" ظهر الأربعاء ٨ من ذي القعدة ١٤١٩هـ الموافق ٢٤ من فبراير ١٩٩٩م بمقره الكائن بالزمالك يسعدني أن تلبى رغبتي بإلقاء هذه القصائد في تخليد وتمجيد الإمام الراحل فقيد الأمة الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي ، رحمه الله .

## قدوة شعبنا

يــا مُلْهِمًا شيدْتَ العلــومَ بنــاءَ وأحبَّكَ الجمهورُ يا علمًا سمَا
دينًا لِتُعْلــي الشِّــرعَةَ الغــرَّاءَ أعددتَـــه أن يقتـــدي العظمــاءَ
داويتَ من عذبِ الكلامِ جراحَنا مَن خلَّدوا ذكرًا ومجدًا للورى
فسَّــرته نــورًا أشــعَّ ضيــاءَ مازال يدفـــع للهدى الشــرفاءَ

* * *

أثرى الديارَ وعم أرجاءَ الدنَى
ومحَا سخامًا عمَّنـــا أو جــاءَ
سيظل ما قدَّمتَ يثْري أمـــةً مازِلْتَ شعراويُّ قدوةَ شعبِنا
رَفعتْ إليكَ الرايـــةَ البيضـــاءَ يقفو خطـــاك محبــة ووفــاء

* * *

أنت الــذي عبَّدتَ نهجَ حياتِهــا أنت الذي علمته آيى الهدى
وصقلتها تبني الغــدَ الوضَّــاءَ ليكون شــعبًا راقيًــا معطــاءَ
ودعوتَ للتجديدِ في ثوبِ الهُدى ربيته يُعلِي تراثَ أماجدٍ
كي تصلحَ المِعوجَّ والأخطـــاءَ نشروا الكتابَ وخرَّجــوا النجبــاءَ
قاومتَ كل تطرفٍ وجهالـــةٍ وغرستَ فيه عقيدةً ومبادئًا
غرستْ وبــاءً شجَّع الجهـــلاءَ تُثري النفوسَ عزيمةً ومضــاءَ
حذَّرت من عصبيةٍ حمقـــاءَ نهجًا رسمتَ سبيلَه كمنارةٍ
من أجــل أن تُعلي الإخــاء لواءَ تهدي الدعاة ليُنشـئُوا الأبنــاءَ
أنت الذي مازلت تحفزُهم لكي
يســتلهمــوا أعمالك البلجــاءَ

* * *

لتقام كبرانا العظيمة وحدة في جنة الفردوس صفو أئمة

تعلـــي البنـــود عليَّـــةً شـــمَّاءَ سـبقوا ولاقــوا ربهــم أمــناء

ويُطهِّرَ القدسَ الشريف جهادُنا أسفارُ تَبْقى خالــداتٍ للبحو

ويعيــد للوطــــنِ الكبيرِ بنـــاءَ ث وأنت تبقى القمَّـــةَ العليـــاءَ

رَمْزًا لِمَنْ رامَ الحياةَ مجاهدًا

يَبني العقـــولَ ويلْهم الأكفـــاءَ

* * *

# صوت الحق

أَصوتَ الحقِّ مــا طأطأتَ هامَــا
وما جــاملتَ أصنامًــا لثامَــا
وفي صوتٍ يجلجل قُلتَ عُودوا
إلى شرعٍ يكون لكـــم نِظامَــا
كتـــــابُ الله يكفيكـــم إذا مــا
تمسَّــكتم بــه شُــمًّا كِرامَـــا
يُطبَّقْ كيْ يزيلَ غدًا عتامًــــا
أحاقَ بكـــم وأدجـاكم ظَلامَــا
ولكنْ ما سمعتمْ صوتَ حـــقٍّ
يُنـــاديكمْ وما زلتـــم نيامَا

* * *

متى يا مَنْ رَدَمْتُمْ شرعَ ربِّي
وهدّمتـــمْ مناهجَـــه انتقامًـــا ؟
متى سنعيدُ مجدًا من تـــراثٍ
لأمجادٍ لنا صـــانوا الذِّمَامــا ؟
لِنَلْحَقَ من سمَوْا بالعلم فينــا
ولم يَحنُــوا لهمْ رأســـًا وَهَامَا

* * *

أداعيـــةً أشمًّــا عبقريًّـــا
ملأتَ السَّوحَ يا علَمًـــا إمامَــا
بأسفارٍ تُغَطِّي دارَ عُرْبِــــي
وإســـلامي وعالَمَنـــا تمامَــــا
عظيمًا عِشتَ رمزًا في بلادي
وربَّيْـــتَ الفَطَاحِلـــةَ العِظامَـــا
سَموْتَ بقـــوةِ الإيمانِ تتلـــو
كتـــابَ الله تفســـيرًا تســـامى
وكنتَ الصَّحوةَ الكُبْرى فعمَّتْ
عوالمنـــا وأيقظْـــتَ النيامـــا
فلـــم ترضخ لمـــالٍ أو لجاهٍ
لمن ملؤوا بطونَـــهمو حَرامَـــا
بإيمـــانٍ قـــويٍّ في ثبـــاتٍ
على نهجِ الهدَى تَدعُو السَّـــلامَا
وما خلَّدتَ من علمٍ سيبقـــى
سراجًا نـــيِّرًا يـــهدي الأنامَـــا
وفي رحب القداسة في جنانٍ
تُلاقي الله والصَّحـــبَ الكِرامَـــا

## إمام الأمة

قطــبٌ جليــلٌ عالــمٌ　　　مُصــــابُنَـــا فيـــك كبيرْ
رمزُ الأئمــة الشَّهيـــرْ　　　يا صاحِبَ الكنزِ الوفيرْ
تفسيرُه وحـــــي السَّمَا　　　أســـفارُ في أسمى العلـــو
ءِ ، شــقَّ دربًـــا للمسيرْ　　　مِ ، كالمصابيـــح تنيرْ
للدارسين البـــــاحثيـــ　　　دروبَ كـــلِّ قاصــــــدِ
ن شَعَّ كالبـــــدرِ المنيرْ　　　للعلمِ في كلِّ العصورْ
دعا لأسِّ شــرْعَـــةِ　　　ومَنْ عَنَوْا أن يَقْــــرَؤو
للوطنِ الغالـــــي الكبيرْ　　　ك في السماءِ والبُكُورْ
يَستلهــمُ الآيِ عما　　　تَبْكِيكَ شــيخَنـــــا الدُّمــو
داً للبنــــاء والمصيـــرْ　　　عُ والقوافِـــي والبحورْ
دافعَ عن دينِ الهُـــدَى　　　وإنَّ مـــا خلَّـــــدتَـــــه
مِن وافدِ الغـــربِ الخطيرْ　　　يَبْقَى كَسَلســـالٍ نَميرْ
خلَّدَ للنـــــاسِ مبـــا　　　يَشْـــفِي غليـــلَ كلِّ با
دي باقيـــاتٍ في الصدورْ　　　حثٍ على الدِّينِ غَيـــورْ
ومنهجًـــا لِيُقْتَـــــدَى　　　نَمْ في ديارِ الخلدِ في الـــ
فيــــه ثميـــنٌ وأثيـــرْ　　　جنَّاتِ مع صحبٍ وحورْ
ضمَّنَـــــهُ مَعارِفًـــا
تهزُّ أعمـــاقَ الشُّعـــورْ
وفيــه شـــحـــذٌ للعقــو
لِ ، فيه تنويرٌ ونـــورْ

* * *

**محمد حامد الحضيري**
مواطن عربي من
الجماهيرية العربية الليبية

## وداعًا أبا سامي

للأستاذ الدكتور سعد ظلام

**إلى روح مولانا إمام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي رحل عن دنيانا وكنا في أشد الحاجة إليه**

بروحيَ لو تُفْدَى : لَجِئتُك فَاديا ... وشيَّع إحدى قبلتيْه ... ومنبرًا
وقدَّمْتُ قلبي ... والمنى وفؤاديا ... وجزءًا عزيزًا بالحضارة زاهيا
ولكنَّها الآجالُ ... والعمرُ والدُّنى ... وقد كان مأزومًا ... فكنتَ رجاءه
وسفرٌ طواه الموتُ فينانُ عاليا ... وقد كان محروبًا ... فكنتَ المُداويا
وداعًا "أبا سامي".. فذاك مصيرُنا ... فيا أيها اليومُ الذي لا أُطيقُهُ
وهذا قضاءُ اللهِ في الخَلْقِ ماضيا ... وأنتَ غرابُ البيْنِ أسحمَ داجيا
نعاكَ صباحٌ كالنَّواعي .. فساءنا ... خطفتَ ائتلاقًا واخْضِرارًا ... وبسمَةً
وساءَ صباحٌ كان الشيخ ناعيا ... وأفراحَ عرسٍ قد رَجَعْنَ بَواكيا
نظرتُ .. كأنَّ الشمسَ مالتْ بأُفْقِها ... ويتَّمتَ فينا الحبَّ وهْو رسالةٌ
وملَّتْ مداها ... والسَّنا والمراقيا ... وأرغمتَنَا ألا نُرجِّي التَّلاقيا
وأن سحوبًا غلَّ فيها ضياءَها ... رَحَلْتَ " أبا سامي " فسوَّدتَ أفْقَنا
وأثقل فيها خطوها والمعاليا ... وبَيَّضْتَ بالآلام تلك المآقيا
دهَتْها الغواشي بالفراق ... وراعها ... ملايينُ هبَّت للوداعِ ... أسيفةً
وداعٌ .. ومت أقسى النوى والغواشيا ... سقاها الردى كأسًا من الحزن ضاريا
تُناغى أماسيَها الصعابُ بفقده ... يتامى..كأنَّ الموتَ ألجم حِسَّهم
وتخشى الأماسي أن يَصِرْن مآسيا ... وأعمل فيهم ما يفوقُ المواضيا
وأزهرُنا المعمورُ أجهشَ باكيا ... وها هُم...حواريُّوك..في كلِّ موقعٍ
وودَّع تاريخًا مضيئًا ... وغاليا ... بهِم مِنْ سهامِ القهرِ والغدرِ ...مابيا

يُعَزَّوْن فيمن كان ملءَ حياتهم
ربيعًا يُرجّى أو طبيبًا .. مُداويا
ومن كان ملءَ السمع والقلب علمه
وصوتٌ كصوتِ الحقِّ بالحقِّ..داويا
يهزُّ متونَ الظلمِ صوتٌ هزيمه
يقول فلا يخشى سوى الله...راعيا
عيونٌ على المحراب..والمصحف الذي
غزلت بدنيـاه حياتَك .. ثاويـا
وأنتَ به نعم الخبير سماؤه
تصيد بها النجماتِ ... حلَّينَ حاليا
كشفتَ بنورِ الله عذبَ ضيائه
وأخرجْتَ منـه دُرَّه واللآليـا
مهارةُ صيَّادٍ ... وبوحَةُ عاشقٍ
أديبٍ وفيض كالتدفّـق هاميـا
وأنت ... وربِّ البيت فنان مصحفٍ
حباك الإلهُ الذَّوقَ فينـانَ راقيا

* * *

ويا أيُّها الركبُ المسافِرُ للسَّما
وأنتَ تُغذ السيرَ ... فرحانَ هانيا
تركتَ بنا الأشجان ترعى نفوسنا
وتـزرع أيامًا تُشيبُ النواصيـا
فتسودُّ في وجه الحياة وجُوهُنا
وتكلـحُ آفاقُ الدُّهـورِ تغابـيا
ترفَّق بنا ... يا أيها الركبُ ... إنَّنا
لفي حاجةٍ قصوى إليه ... تناهيا
فَمَنْ يدعـو لله كمثـل " محمـدٍ "
ومَنْ لكتابِ الله سهرانَ ... تَاليا
يُنقِّب عن معنًى ... ويشـرحُ لفظةً
ويسلك بالحب المضيء المثانيا
ومَن لهتافِ الحقِّ يَهـدِرُ صوتُـه
فتهتزُّ أركانٌ ... وتجثو تداعيا
ومَن للأُلى زَجُّوا بحضنك ضَعفَهم
فَكنتَ لهم كهفًا أمينًـا وحانيـا
يتامى كأنَّ الموتَ غـال أبَـاهمُ
وما أضعفَ المجنىّ ... وأقساه جانيا

* * *

ويا أيُّها الحزن الذي شقَّ صدرنا
وداس بُخفَّيْه السنا والأياديا
وحطَّمَ أفناني ... وهدَّ ... منائري
وخلَّى مشاعري الغِضَابَ بَواكيا
عزيزٌ علينا أن تفارق شيخَنا
ونحنُ على حالٍ تَسُر الأعاديا

نُفتِّشُ عن شيخٍ قؤولٍ ... فلا نرى
وقارٍ...فلا نلقى سوى الضعف قاريا
وها أنتَ قد ودعت ... فارتاع حالُنا
وأظهر فينا كلَّ ما كان خافيــا
عزيزٌ علينا يا نموذجَ نفسِهِ
فراقُك .. يا طِبَّ القلوب ..وشافيا
عزيز على مثلي ... وإنك قدوتي
وإن كنتُ قد حُوصِرْتُ نَايًا..ونَاديًا
وقدْ حِيلَ ما بيني .. وبين مواهبي
كما حِيلَ بين الزَّرعِ والماءِ صافيا
رَشفتُ كؤوسَ الحزنِ حتى رَشفتُه
ولكن رفَضتُ الضَّعفَ حتى التفانيا
تَصبَّرتُ حتى قيل إنِّي صابرٌ
ومن لي بهذا الصبر حِسًّا مُداجيا
فجئتُ وفي رُوحي بقايا عزيمةٍ
لأعزِفَ من حزني لحونًا غواليا
وأمتصُّ من نُعمَى حديثِك نَفحَةً
أصوغُ بِها نفســـــي إليكَ مُناجيا

* * *

أتيت كأني في الحديد مقيَّدٌ
تموتُ أحاسيسي وتَحيًا تفانيا
أتيت ولكن في وضوئي وروعتي
وأحرمتُ قلبًا ناصعَ الطهْرِ سَاعيا
كأني بِسَاحات "الحطيم" و "زمزم"
أعالج قلبًا بالوضاءةِ رَاجيًا
كأنِّي على بابِ "الحسين"و"جعفرٍ"
أمدُّ أكفِّي بالضرّاعةِ داعــيا
تهيَّبْتُ .. والخطواتُ أثقلها الأسى
وأشفقتُ لما جِئتُ روضَكَ بَاكيا
أقدِّم خطوى ثم أرجع ثانيا
وأحزِمُ صَبري ثم يرتدُّ خاويا
وأبوابُك السَّبع المَثاني ... ومن لنا
بمثل المثاني مدخلاً متناغيا
ومن أين؟ والأبوابُ عاليةُ الذُّرى
ونبض المعاني كالسَّما متراميا
مَعارج إيمانٍ .. ونُبلٍ.. وحكمةٍ
ومعراج أخلاقٍ يجوز المراميا
أتيتُ إلى أبوابِ علمك قابسًا
فحيثُ التفتْنا .. كان نورُك هاديا
دخلتَ تضَاعيفَ الحياةِ.. فَرُدتَها
زعيمًا سياسيًّا..أديبًا.. وحاديا
فرأيُكَ مقبولٌ ونُصحُك سائغٌ
وأمرُك تُلقيه فيُصبحُ مَاضيا

وكم موقفٍ لله أنتَ وقفتَه
لتدفعَ ظلمًا، أو تقيمَ المباديا!
تواضعتَ في غير اتضاعٍ وإنّما
تكونَ المعاني حيث تبدو روانيا

* * *

أأحكي عن الشعر الذي أنت نسبةٌ
إليه وكم دبجـــت فيه القوافيـــا ؟
أم الفقه والفُتيا؟ أم الدين والحجا؟
أم الحفظ للقرآن أسنى عواليا؟
أم البر والإعطاء والجود والندى؟
تعم قريبًا في العَطاءِ.. ونائيا

* * *

"دقادوس" قد أنجبْتِ للدين عالِمًا
وبحرَ علومِ اللهِ مد السواقيا
ومجتهدًا كالشافعي و" مالكٍ "
وصِنْوَ ابن عباسٍ"وعزًّا" وداعيا
ونجما على الآفاق في كل منتدى
يرد ضلالات ويُفحم غاويا
ومن هو سبّاقٌ إلى كلِّ غايةٍ
ومَن حُبُّه زكّى القلوب تصافيا
ومن هو نجمُ الدينِ في كلِّ محفلٍ
يُعطِّرُ بالقول المضيء المَجَاليا
وكم صاول الإلحادَ وهْو مُدجَّجٌ
وماهَابه.. والأفْقُ يهْمى دواهيا
ومن مثل "شعراوي" إمامًا وأمةً
وخُلْقًا رضيًّا كالشُّعاعِ تساميا
وأفصحُ ما فيه الذي لا يُذيعه
وقد ظل سرًّا مطمئنا .. وخافيا
وليس يُذيع الروض إلا عبيره
ولو كان من يجنيه لِصًّا وجانيا
سيُرضيك إما كنت يومًا صديقه
وترضاه إما كنتَ يومًا مُعاديا
سترضاه في الحاليْن صدق مودّةٍ
ويُرضيك في الحاليْن بالودِّ صافيا
فلا هو غدَّارٌ .. ولا هو كاذبٌ
ولا هو عيَّابٌ..وليس مرائيا

* * *

فيا أيها الشيخُ المقيم.. وإن نأى
لَذكرُكَ كالأهرام مازال باقيا
يضوع على تاريخنا ووجودنا
ربيعًا يبُثُّ الطِّيبَ فينان زاكيا
ويملأ بالإشراق وجْه حياتنا
ويمْهدنا نفسًا .. ودَرْبًا.. وناديا

ستبقى بما قدَّمت للمجد أولاً
وتبقى بما أبْقَيتَ للخلد ثانيا

على كل أفقٍ مصحفٌ .. وملائكٌ
وقلبُ نبيٍّ مشرقَ الوحي.. داعيا

وألف صلاةٍ ضمَّختْك بعطرها
وسيل من الرحمات يهمى سَوَاقِيَا

سلامٌ عليكم يا إمامَ دُعَاتنا
مع الرُّسلِ مَرْضيًّا عليكَ..ورَاضيا

**سعد ظلام**

عميد كلية اللغة العربية بالأزهر

## أول عيد

### قصيدة في تأبين الفقيد الراحل

للأستاذ الدكتور عصام محمد القطقاط

إمامًا أتينا مُفْعَمين فهلْ نُفْضي    وتقرأ قرآنا وتلقي خواطرا

أم البوحُ من بعدِ العتابِ فنسْتَرضي؟    أتينك إلهامًا من الله ذي الفيضِ

لِكهفِ هُرِعْنَا مُدلجين فعمَّنا    تمسَّكتَ بالغرَّاءِ في كل·موضعِ

بِنورٍ وعطرٍ مُشرقٍ دائمِ الوَمْضِ    ونافَحْتَ عن صحبٍ ودينٍ بمنقض

بكينا لعلَّ الدمعَ يُذْهِبُ حرَّها    شفيعٌ لكم حبُّ الإله وحبُّهُ

فزاد الجوى ما كان بالصدرِ من رمْضِ    وطولُ سجودِ منك في النفل والفرضِ

نزلتَ بساحٍ في الجنان ببرزخٍ    وفضلٌ كريمٌ كنت دومًا تذيقه

ترى مقعدًا في جنة الخلد في الرَّوْضِ    فروعك إذ يسري بجسمِكِ كالنبض

بنـــزلِك طوفانٌ منَ الحُبِّ صادقٌ    جزاكم إلهي عن شبابٍ وشيبةٍ

أحاطك يجري من علاها ومن رَبْضِ    أحبُّوكمو في الله والناشئ الغضِّ

**عصام محمد القطقاط**

## كلمة الأسرة

للأستاذ سامي محمد الشعراوي

أما قبل فباسم الله لكل قصد، سبحانه له أجمل الثناء وأجل الحمد وخير الصلاة وأزكى السلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - رحمة الله ومسك الختام.

سيادة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع الموقر: السادة الأجلاء: أعضاء المجمع أيها الحفل الكريم ،

أما بعد ...

فمن قدر الله أن أنوب عن أسرتي آباء وإخوة وأبناء - أسرة المغفور له - بإذن الله- المرحوم بفضل الله ورحمته فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي - أنوب عنهم في مناسبة اليوم ، ولست بهذا المقام أولهم ولا أولاهم، وهكذا شأن اللسان: يعبر لا لأنه أشرف الأعضاء وأكرم الجوارح، فهو إذ يقول إنما يترجم عن غيب : من عقل يفكر، وقلب ينفعل ، وعواطف تمد ، فإذا كنت أنا اللسان فأسرتي هي اللب وهي الجنان.

وإذا كان لكل مقتضى حاله، ولكل مقام مقاله ، فإن حال اليوم أكرم الأحوال داعيا، وأنبل المقامات مقتضى، وهل هناك أكرم من شكر ذوي العلم حقلا أينع ثمره وآتى أكله بحراسة صفوة عقول العرب والمسلمين والمثقفين الفاقهين أعضاء مجمع الخالدين.فمن أحق فرحا بالثمار منكم يا غارسي الأشجار ومن أولى بالبشر والحبور من ناثري البذور؟

وهذا الشكر والثناء أيها السادة عبادة أمرنا بها الله الذي يؤتي كل ذي فضل فضله لتمتع النفوس بآثار نعمة الله علينا وعلى الناس ، وجل القائل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ . انظُرُوا إِلَى

ثَمَرِهِ إذا أثمَرَ ويَنعِهِ إنَّ في ذلكم لآياتٍ لِقومٍ يؤمنون﴾.

وأسمى ما في هذا الموقف من معان، وأجل ما له من ظواهر :

شعور بالنعمة وتقدير للجهود وحفز للهمم إلى درك الأعلى ونوال الأكمل.

وهو عرفان بالجميل ، عرفه التفاني في إبراز كل جليل نبيل .

وهو ثناء على الهمة ، ليتفانى الجميع في إخلاص العمل لإسعاد الأمة .

وهو ثمن أدبي لسلف المجهودات ، وعربون روحي لحاضر الإتقان ومستقبل الأمنيات.

وهو الأمنية التي يضعها المكرمون بين يدي الأمة، ليعرف أن ما يناله المكرمون من فضل إنما هو لما قدموه من بذل، وهم – بما حازوا من تقدير– أسوة تهيج هواة التقصير، فتدفع المتمهل ليعجل ، والكسول ليعمل حتى نبلغ آمالنا الجسام في نهضة العربية وبعث مجد الإسلام .

وإن كان من احتسبناه عند الله قد نال تكريم الأمة كلها شعوبا وملوكا ورؤساء وشيوخا وأمراء وأفرادا وهيئات، فإنه اليوم يصل إلى القمة التي لا تدانيها في دنيانا قمة، ولا مطمح لأعلى منها إلا أن تكون بفضل الله الجنة .

أيها السادة والسيدات: أحيي عن الجميع وعن الشيخ المرحوم – بإذن الله– وأحبابه سيادة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف وشيخنا الأستاذ الدكتور محمد نايل، وكل من أسهم في هذا اللقاء فكرة وإعدادا وتنفيذًا ، أو حتى فرحا وترحيبا، وأحييكم جميعا داعيا للأمة بالنصر والتمكين .

والله يرعاكم ويرعى لكم ويوفقكم في كل ما تأتون وكل ما تدعون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

**سامي محمد متولي الشعراوي**

أمين عام مجمع البحوث

الإسلامية بالأزهر

جـ – تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور

**عبد السميع محمد أحمد** عضو المجمع :

في الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين ١٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق الأول من مارس سنة ١٩٩٩م، أقام المجمع حفلا لتأبين فقيد المجمع الأستاذ الدكتور عبد السميع محمد أحمد عضو المجمع.

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في الحفل :

## كلمة الافتتاح

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

نفتتح هذه الجلسة لتكريم ذكرى الأستاذ الدكتور عبد السميع محمد أحمد الزميل العزيز الذي فوجئنا بفراقه لنا من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية .

والدكتور عبد السميع محمد أحمد ممن عملوا طويلاً في المجال العلمي اللغوي فله فيه كتاب كتبه عن المعجمات الحديثة ، وله أعمال أخرى قيمة . وقد أتم تعلمه في كلية دار العلوم ثم التحق بقسم اللغات الشرقية الذي أنشأه الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام حين كان عميدًا. وشغف الدكتور عبد السميع باللغة الحبشية.وكتب فيها بحوثًا عرض بعضها علينا في جلسات المجلس بالمجمع.

والموت كأس دائر على الجميع ، فكلنا ينتظر هذا المصير باطمئنان كما استقبله الزميل المرحوم الدكتور عبد السميع .

وسيلقى كلمة المجمع على حضراتكم الدكتور عبد الرحمن محمد السيد فليتفضل .

## كلمة المجمع في حفل تأبين الفقيد

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد ، عضو المجمع

السادة الأعضاء .

لقد أثار فيَّ مشاعرَ متعددة ، نعيٌ للدكتور عبد السميع نُشير في ٩٨/٨/٢٧ بصحيفة الأهرام هذا نصه:

قسم اللغة الصينية بالكلية ينعى بمزيد الأسى مُؤسِّسه العالم الدكتور عبد السميع محمد أحمد العميد الأسبق للكلية ، تغمده الله بواسع رحمته ، وللأسرة خالص العزاء .

هذا النعي جعلني أسترجع ذكريات مثيرة عندما عرفت الدكتور عبد السميع الذي كان مشرفا على قسم اللغة العربية بمدرسة الألسن العليا، ولم يكن يُقْصَد بالقسم في ذلك الوقت المعنى المتعارف عليه الآن، وإنما كان المقصود به من يقومون بتدريس اللغة العربية لطلاب الأقسام المختلفة بمدرسة الألسن، وإن لم يكن من بينها قسم يضم طلابًا يدرسون اللغة العربية.

هذا هو الوضع الذي كانت عليه مدرسة الألسن العليا، ولكن هذا الوضع لم يُرْضِ طموحَ المشرف على قسم اللغة العربية بالألسن .

فسرعان ما أنشئ هذا القسم بسعيه تابعًا لمدرسة الألسن، وسرعان ما تحولت مدرسة الألسن العليا إلى كلية الألسن الجامعية التابعة لجامعة عين شمس ، بعد أن تولى الدكتور عبد السميع منصب وكيل مدرسة الألسن في سنة ١٩٦٧م، ثم منصب عميد مدرسة الألسن إلى آخر سنة ١٩٧٣م ، ثم صار عميدًا لكلية الألسن حتى آخر الشهر السابع من سنة ١٩٨١م.

بعد ذلك صار أستاذًا متفرغًا بكلية الألسن، ورئيسًا لقسمي اللغات الصينية واللغات الإفريقية . وعضوًا بلجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

إن الذي يتابع هذا العمل يشعر بأنه خطوات محسوبة ، صادرة عن عقلية منظمة ، حرصت – في هدوء – على أن يكون لوجودها أثر ، وأن يكون هذا الأثر في أكرم الميادين وأشرفها ، على أن يتم كل ذلك في صمت وتواضع، ودون جلبة أو إعلان.

السادة الأعضاء ، لم يكن جهد الدكتور عبد السميع مقصورا على ذلك الجهد الإنشائي الكبير، ولكنه كان له بجواره جهود علمية ،لها أثرها وقيمتها : فقد نشر قوانين الملوك طبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٦٥م، كما نشر المعاجم العربية طبعة دار الفكر العربي سنة ١٩٨١م. إلى جانب دليل مدرسة الألسن طبعة جامعة عين شمس سنة ١٩٧٥م، وأصدر صحيفة الألسن في خمسة أعداد.

كما أن له عدداً من البحوث المنشورة في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، وفي صحيفة الألسن، وفي غيرهما .

وقد تُوِّج كل هذا النشاط بمنحه وسام الجمهورية وقد رأيتموه بينكم عالمًا فاضلاً متواضعًا حريصًا على أداء واجبه، وعلى حضور جميع الجلسات مع أشد الآلام التي كان يتحملها ، والتي لابد أنكم كنتم تشعرون بها .

رحم الله العالم الكبير ، وعوضنا عنه خيرًا.

وإنني لأرجو ، بعد أن عرفنا جهد هذا العالم الجليل ، أن نجد من زملائه، أو من تلاميذه مَن يقضي بعض وقته في إعداد صورة كاملة للمراحل المختلفة التي مرت بها مدرسة الألسن العليا، ثم كلية الألسن العليا، لتكون سجلا شرفا لهذه المراحل الأمينة المخلصة .

**عبد الرحمن السيد**

عضو المجمع

## كلمة الأسرة

## في حفل تأبين الفقيد

للمهندسة لميس ابنة شقيقته

**بسم الله الرحمن الرحيم**

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ صدق الله العظيم.

أتشرف من موقعي هذا بإلقاء كلمة عن الدكتور عبد السميع محمد أحمد فهو ليس بالخال وإنما هو الوالد، وكان نعم الوالد، فغمرنا بحنان الأبوة، وأنار لنا الطريق بهديه وعقله الرزين، فقد كان صديقًا صدوقًا، وهبه علمهُ الغزير تواضعًا جمًّا.والحقيقة وأنا فوق هذا المنبر وفي هذا الموقع العظيم لا أجد من الكلمات ما يوفيه بعض حقه، فمعذرة، وأسأل الله تعالى أن يلهمنا الصبر على فقدانه وإن كنا افتقدناه جسدًا فقط ولكن الروح ستظل معنا فليرحمه الله ونحن جميعًا ندعوه تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن ينزله منازل الأبرار والصديقين والشهداء وأخيرًا أتقدم بالشكر للسيد الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع والسادة الأساتذة أعضاء المجمع والحضور جميعا . وأكرر الشكر .

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

## كلمة الختام

## في حفل تأبين الفقيد

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

أشكر السيدة المهندسة لميس على هذه الكلمة الطيبة وفاءً للدكتور عبد السميع محمد أحمد كما أشكر الزميل الدكتور عبد الرحمن محمد السيد على الكلمة الطيبة التي ألقاها عن أعمال الفقيد وكنا جميعا بالمجمع حفيون به حقيقة ؛ لأنه كان أستاذًا عالما فاضلا طيب النفس، وتمتعنا كثيرا بحديثه في مجلسنا وقد أفاد المجمع بعلمه في لجنتي المعجم الكبير ولجنة اللهجات، فقد قدمت لجنة اللهجات للمجلس بحثًا له عن اللهجة الحبشية القديمة ولا شك أن المجمع سوف يفتقد فيه العالم الجليل والمجمعيّ الكبير، كما فقدنا في العام الماضي تسعة سواه فكلما جفت دموعنا على فقد عزيز علينا أخذتنا مرة أخرى الدموع على فقيد جديد فتلك هي الدنيا. كل إنسان فيها له أجل محتوم وقدر معلوم رحم الله الفقيد ، فسرعان ما فقدناه بعد أن استقبلناه فليس بين حفل استقباله وتأبينه وقت طويل، والحياة الأوقات فيها مهما طالت قصيرة.

ونشكر حضراتكم على مشاركتكم لنا في تأبين الفقيد الغالي، ونقدم العزاء الخالص لأسرته الطيبة وللزميل الدكتور عبد الرحمن السيد ونرجو الله أن يتغمده برحمته وأن يفسح له في الجنة جزاءً لما قدم لأمته وللمجمع والجهات العلمية التي عمل بها. وشكرًا لكم جميعًا

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

د– تأبين المرحوم الأستاذ

**عبد الرحمن محمد السيد** عضو المجمع :

في الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الاثنين ٢١ من رمضان سنة ١٤٢٠هـ الموافق٣ من يناير سنة ٢٠٠٠م، أقام المجمع حفلا لتأبين المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد السيد عضو المجمع .

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في الحفل :

## كلمة الافتتاح

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

**سيداتي - سادتي :**

**أيها السيدات والسادة :**

نجتمع الآن لتأبين الأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد السيد عضو المجمع الراحل، وهو عالم جليل قام بدور علمي كبير في كلية دار العلوم، وله فيها تلامذته ومحبوه، وله في مجمع اللغة العربية أيضًا أصدقاؤه ومحبوه، غير أن كل إنسان لابد أن يموت ؛ فقد حكم الله تعالى بالموت على كل المخلوقات، وقال في كتابه العزيز: "كل نفس ذائقة الموت"، ولكنْ لكل أجل كتاب، ولاشك أن الذي يجيء أجلُه لا يستأخر ساعة ولا يستقدم، فقد قال الله تعالى:﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ .

والآن يتفضل الدكتور أحمد علم الدين الجندي بإلقاء كلمة المجمع في تأبين الفقيد .

## كلمة المجمع في تأبين الفقيد

للأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي

بسم الله الرحمن الرحيم

**الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع :**

**الأساتذة الزملاء الأجلاء :**

**أيها السادة :**

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد :

- فقد استُقبل المرحومُ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد في مجمعكم الموقر في شهر رمضان المعظم وشاء الله ولا رادّ لقضائه أن يقام له حفل تأبين في رمضان أيضًا، وشهر رمضان هو شهر الجمالِ والكمال والجلال، والانتصار في بدر، وفتح مكة، والقادسية، وعينِ جالوت، وعبورِ القنال في سيناء، وفيه ليلةُ القدر التي هي خير من ألف شهر، وفيه القرآن العظيم نزل، هدى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان. فجعل استقبال الفقيد وتوديعه في مجمعكم الرزين الوقور في شهر رمضان شرفًا زمانا ومكانا.

واسمحوا لي أن أرتل من كلام ربنا عزّ وجل، آيات كريماتٍ أفتتح بها هذا الموقف الخاشع : بسم الله الرحمن الرحيم :﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفى الآخرة، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون، نزلاً من غفور رحيم، ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا،وقال إنني من المسلمين، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم، وما يلقّاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ صدق الله العظيم : ( فصلت الآيات من ٢٨ إلى٣٥ )

**سيادة الرئيس. السادة الأعضاء :**

نلتقي اليوم لنقضي لحظات مع ذكرى عزيزة علينا، وذلك حين رأينا النجم الثاقب كيف يهوى من عليائه، فينطفئ ضياؤُه، وتخمُدُ جذوتُه، وفي كل لحظة يا ربّ قافلة تسير من الوجود إلى العدم، ففي الخريف تذهب الأغصانُ والأوراق منهزمة إلى بحار الموت، والطائر يرتدى السواد حزينا نائحا على الخضرة والأعشاب التي كانت بين يديه، فيتمحى الكون وتذوب الذوات، سبحانك أنت، فلا أشباه تماثلك ، ولا أمثال تشاكلك ،ثم يجيء الأمر من صاحب الأمر، فيتغير العالم كلُّه في لحظة واحدة، يتغير ازدهارُ الربيع إلى جفاف الخريف . وينادى لمن الملك اليوم؟ فيجيب صاحب الأمر : لله الواحد القهار. ويصور القرآن العظيم هذا المشهد في قوله ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ وشيئان يَخْرجان عن إرادة الإنسان:الرزق والموت. ﴿ وما تدرى نفسٌ ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأي أرض تموت﴾ صدق الله العظيم.

والآن : أصير إلى حياة الفقيد - أحسن الله إليه- أتحدث عنها من مستهلها، وأمضى معه فيها إلى أن لقي ربه في جنات النعيم .

-ولد الفقيد في الحادي عشر من أكتوبر سنة ثماني عشرة وتسعمائة وألف، ثم حفظ القرآن الكريم، والتحق بالأزهر الشريف، وحصل على الشهادة الثانوية منه،وكان ترتيبه الثاني،ثم حصل على الليسانس من دار العلوم سنة ست وأربعين وتسعمئة وألف، وكان يتردد بين دفعته فيها بين الأول والثاني، ثم على الدكتوراه سنة اثنتين وستين، وعينّ مدرسا بمدرسة الألسن العليا، ثم مدرسًا بدار العلوم سنة ثلاث وستين، ثم أستاذًا بها .

-وقد أُعير - رحمه الله -إلى جامعات الأردن والبصرة ، والملك عبد العزيز بجدة وظل بها إلى سنة سبع وسبعين،

ثم عين وكيلا لدار العلوم سنة سبع وسبعين، ثم رئيسا لقسم النحو والصرف والعروض فيها، ثم أستاذا متفرغا سنة أربع وثمانين، وعضوًا باللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة إلى سنة تسع وثمانين.

-كما اختير عضوًا باللجنة العلمية بقسم اللغويات بجامعة الأزهر الشريف، وعضوًا بالمجلس القومي للتعليم، وقد مُنح وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة تسعين. وفي سنة تسع وثمانين اختير عضوًا بمجمعكم الموقر.

- ومن قبل ذلك بكثير قضى من حياته المباركة أعواما يعلّم في مدارس الدولة ويشارك في مناقشة الرسائل الجامعية، فتخرج عليه أفواج إثر أفواج، ثم انبث هؤلاء وأولئك في العالم العربي فكانوا حملة أمانة ومناهل عرفان .

-وفى جميع مراحل حياته كان الفقيدُ فتي جاداًّ طلوبا ، وكهلا متمرسا دؤوبًا وشيخا صادق التجربة، واسعَ المعرفة، دانت له مصاعبُ العربية، وأفضتْ بأسرارها إليه فكان - رحمه الله - قيمة وقمة.

مؤلفاته:

١-« مدرسة البصرة النحوية» ، وقد زكّى هذا الكتابَ عالمان جليلان من أعضاء المجمع أوّلُهما : المرحومُ الأستاذ على النجدي ناصف، وثانيهما: المرحوم الأستاذ عباس حسن .

٢-« نحو ابن مالك بين البصرة والكوفة» .

٣-« الكفايةُ في النحو» ويقع في ثلاثة أجزاء.

٤-«العروض والقافية» .

٥-« شرح التسهيل لابن مالك» في أربعة أجزاء، وقد شاركه في بعض أجزائه الدكتور محمد بدوي المختون، عليه رحمة الله .

٦-مقالاتٌ وبحوثٌ منشورة في المجلات المتخصصة، وتشتمل على طائفة قيمة من البحوث والدراسات، وهى جميعا تعدّ سَواءً في شرفِ المنزلة ، واستقامة المنهج، والفكر

المستنير، والعمق والأصالة .

**أما أعماله في المجمع :**

فقد اشترك في لجنة الأصول، ولجنة الألفاظ والأساليب، كما أسهم في أعمال لجنة المعجم الكبير - التي تعمل على إخراج معجم كبير وافٍ يحفظ للغة حياتها، ونماءها والأممُ ما عاشت لهم لغتهم عاشوا على موصولة، تردّهم إلى غابر، وتجمعهم على حاضر، وتربطهم بمستقبل .

وكان – رحمه الله – في جميع أعماله في المجمع ينشط للحوار والنقد والتمحيص، فإن كان العمل صالحا مدحه وزكّاه، وإن بدا له فيه مأخذ أمسك به، وجهر برأيه فيه، فإما موافقة عليه، وإما حوارٌ ومحاجةٌ تطول حتى ينجلي الرأى ، وكثيرًا ما كان يُسمع صوتُه صائحا يحتج أو يعترض أو يعقب، وهو في جميع هذا ينزع إلى التحدى والمساجلة حتى تصطرع البيانات وفاقا وخلافا ، قوةً وانفعالا.

ومع كلّ هذا كان مخلصا لعمله أشدَّ الإخلاص، وأشهدُ ما رأيته غاب أو تأخر عن عمله في دار العلوم أو في المجمع إلا لعذر قاهر، ولا أنسى يوما كان فيه رئيس الامتحان العام بدار العلوم في السبعينيات، وكانت بعضُ الفرق تؤدِّى امتحانها في دار العلوم القديمة بحىّ المنيرة، وبعضُها الآخرُ بالجيزة، وقد طلبني لأشاركه العمل. فوافقت، إلا أنني لم أستطع أن أسير معه إلى النهاية للعمل الشاق في مكانين مختلفين بعيدين عن بعضهما، وقلت له : لن أستطيع معك صبرًا .

على أن الفقيد – رحمه الله –كان يأخذ نفسه بالشدة في أكثر مواقفه ، ولم يكن يجنح إلى الرخَصِ في أداء واجبه، فقد شاهدته هذا العام قبل مرضه الأخير، يدخل القاعة التي نلتقي فيها للعمل – محمولا على سواعد الموظفين الذين تلقفوه على باب المجمع ، وأصرّ أن يذهب

للجنة متحاملا على نفسه ، ولكننا رفضنا هذا الإصرار منه بشدة، وذهبنا به إلى منزله سريعا لخطورة حالته.

**وبعد ،**

فإن الحديث عن المرحوم الدكتور عبد الرحمن متشعب ومستفيض، وهيهات أن يتسع له مثلُ هذا المقام "وحسبي في ختام كلمتي أن أردّد قول أحد العارفين " عندما تتجلّى الهيبةُ يكون السُكوت،وعندما تحتد البصيرةُ يكون الكشف والصمت ، وكلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة !!!

سلام على الناسك النحوي، وربيب سيبويه والكسائي.

فنم في جوار ربّك قرير العين، أحسنَ الله جزاءك ، وأنزلك منازل الأبرار .

وإني لأرجو الله حتى كأنني
أرى بجميل الظن - ما الله صانع

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

**أحمد علم الدين الجندي**

عضو المجمع

## كلمة كلية دار العلوم فى تأبين الفقيد

للأستاذ الدكتور علي أبي المكارم عميد الكلية

**الأستاذ الجليل الدكتور**

رئيس المجمع :

**الأساتذة الأجلاء** أعضاء المجمع :

**أيها السادة :**

أرجو أن تأذنوا لي أن أتقدم إليكم جميعا بالتحية الخالصة مشفوعة بالاعتزاز البالغ، لتفضلكم بإتاحة هذه الفرصة لي للحديث في هذه المناسبة الجليلة، التي تغمرني فيها مشاعر يختلط فيها الأسى العميق بالاستسلام ، والألم الممضّ بالصبر، والحزن ينبض في حنايا القلب بالرضا .

وإنه لعزيز عليّ أن أتحدث في ذكرى الأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد – رحمه الله وغفر لنا وله – فلقد كان بالنسبة لي أخا أكبر– بكل ما تعنيه هذه الأخوة من مودة صافية، وتوجيه مخلص، وإيثار كريم، كما كان– طيب الله ثراه – صديقا حقيقيا برغم قدر من اختلاف في المشارب، وتنوع في الاتجاهات، وتعدد في المواقف والآراء والاهتمامات، ولكنه الاختلاف الذي يجمع ولا يفرّق، والتنوّع الذي يقوّى ولا يضعف، والتعدد الذي يسلم إلى التكامل، فالصلة مع هذا كله، وبفضله، تزداد نموًّا واتساعًا وثراء، وتتأكد عمقا ورسوخا وصلابة .

ولست في حاجة - أيها السادة - إلى أن أتحدث بالتفصيل عن طفولة عبد الرحمن السيد ونشأته وشبابه الباكر، فلقد سبق أن وقفتم على ذلك في كلمة الأستاذ الدكتور أمين السيد في حفل الاستقبال الذي أقيم له حين انضم إلى أسرة مجمعكم الموقّر،وهو لا يكاد يختلف في هذه المرحلة عن ملايين الأطفال المصريين الذين يولدون في القرى الثاوية في أعماق الريف، إذ يلتحق بالكُتاب ليتعلم القراءة والكتابة، ثم يندلف

إلى المدرسة الأولية في القرية لينتقل منها إلى المدرسة الابتدائية في ( دكرنس ) عاصمة المركز، ولكنه ما يكاد يصل إلى الفرقة الثالثة فيها حتى يقرر أبوه بتأثير عمه الأزهري أن يحوله إلى الأزهر، فيحفظه القرآن، ليلحقه بعد ذلك بالمعهد الديني ليمضى فيه سنوات تسعا، ينتقل بعدها إلى دار العلوم ليحصل منها على شهادته العالية سنة ١٩٤٦م، وعمره حينئذٍ نحو ٢٨عاما.

وإذا كان لا يختلف عن كثيرين غيره في مرحلة الطفولة والشباب، فإنه لا يختلف كثيرا في مطلع حياته العملية بعد التخرج عن كثيرين ممن التحقوا بدار العلوم، إذ يعين مدرسا في المرحلة الابتدائية، فالثانوية، ثم مدرسا في مدرسة الألسن العليا بعد أن يحصل على درجة الماجستير من دار العلوم، وينتهي به المطاف مدرسا في دار العلوم بعد أن يحصل منها على درجة الدكتوراه سنة ٦٢/١٩٦٣م.

ولكن عبد الرحمن السيد - غفر الله لنا وله - برغم عناصر التشابه والتماثل بينه وبين كثيرين من جيله لا يتطابق معهم، بل يظل نموذجا متميزا جديرا بالتأمل، ومرد هذا التميز في تقديري إلى مقوماته الأخلاقية التي تركت تأثيرها في اتجاهاته السلوكية، وصاغت ملامحه النفسية، وحددت آفاق رؤيته العقلية، وتلتقي هذه المقومات في مجموعة من الصفات تضافرت وتكاملت، بحيث كانت تمثل في مجموعها إطارا كليا طبع هذه الشخصية بطابعه فى كل مجالات عملها ومراحل حياتها .

وفى طليعة هذه الصفات ما كان يتسم به - رحمه الله - من جدّ وإخلاص، وشجاعة في الحق وأناة وتدبّر، واعتزاز بالنفس ملؤه التواضع الذي لا تكلف فيه، والإنصاف الذي لا تزيد معه، ولقد يكون وجود صفة واحدة من هذه الصفات أمرا يدعو إلى الإعجاب، ولكن أي صفة منها

وحدها- وإن أعجبنا بها - دليل نقص وعلامة قصور ، فالجد في العمل حين يخلو من الإخلاص يحيل هذا العمل إلى أداء شكلي لا روح فيه، وربما يصبح لا جدوى منه، والشجاعة دون أناة وتدبر تتحول إلى اندفاع وتهور، والتواضع المتكلف إشارة ظاهرة إلى استعلاء خفي ممقوت، فاجتماع هذه الصفات معا دلالة اكتمال يحسب لصاحبه لا محالة .

وكما برزت هذه الصفات واضحة في علاقاته العملية فإنها تجلت في جهوده العلمية،بحيث يمكن القول بأن هذه الجهود - في مجموعها - تجسد هذه الصفات وتعبر عنها، واسمحوا لي- أيها السادة الأجلاء - أن أعرض لهذه الجهود بالإشارة العجلى إليها من خلال أطر ثلاثة :

الأول - مؤلفاته العلمية .

والثاني- الرسائل والمناقشات في حياته الجامعية .

والثالث - بحوثه المجمعية .

ومؤلفاته العلمية نحو ثمانية، وأهمها في تقديري ثلاثة: مدرسة البصرة النحوية ، ونحو ابن مالك بين البصرة والكوفة، والكفاية في النحو، يضاف إليها رابع هو تحقيقه لكتاب شرح التسهيل لابن مالك، بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد بدوي المختون - رحمه الله - وخامس هو : المنهج الميسّر للنحو العربي، الذي وضعه بتكليف من المجلس القومي للتعليم بالمجالس القومية المتخصصة، بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور أمين السيد عضو المجمع، وعلى أبى المكارم.

وتلتقي هذه الكتب في سمات مشتركة، فهي تدور حول أهم القضايا والمشكلات النحوية، وفى طليعتها المسائل الخلافية ، والأصول النحوية، والمصطلحات، والأحكام والتوجيهات، والعلل والتعليلات، وتشترك في تقديم صورة لعالم مجتهد يخلص لعلمه ويعكف عليه ويواجه المشكلات

العلمية ويحسن التأتي لحل هذه المشكلات، إذ يجمع مادتها من مصادرها الأصلية بصبر وأناة، ويتفهم الآراء الواردة فيها على وجهها دون تزيد أو افتعال ، ويناقشها بمنطق العلم الذي لا تسرع فيه، ويوازن بينها بإنصاف لا تحيز معه، ويصل من خلال ذلك كله إلى بعض الآراء الخاصة التي يقدمها بأسلوب يجمع بين اعتزاز المجتهدين وتواضع العلماء العارفين .

ولقد يكون وضع الرسائل التي أشرف عليها : عبد الرحمن السيد ضمن جهوده العلمية أمرا يثير التساؤل، خصوصا بعد أن وجدنا من المشرفين من لا يشرفون، فلا هم يقرؤون، ولا يتابعون، ولا يوجهون، وحين ينتهي بهم الأمر إلى جلسة المناقشة العلنية لا يعرفون ما يقوله المناقشون، وإذا اضطرتهم الملحوظات إلى التعليق فبالكلمات الفضفاضة الهلامية ينطقون. ولكن من يعرف عبد الرحمن السيد ويقف عن قرب على أسلوبه في الإشراف العلمي لا يتردد في أن يضع أعمال تلاميذه الذين أشرف عليهم في إطار جهوده التي لا ينبغي إغفالها، إذ كان يختار لتلاميذه موضوعات رسائلهم، ويخطط لهم ومعهم، ويهديهم إلى ما يراه من مصادر تعينهم، ويتابع عملهم ويقومهم أسلوبا وتفكيرا واستنتاجا، ومن هنا لا نرى حرجا في أن نجعل هذه الأعمال نابعة من الرؤية الكلية لعبد الرحمن السيد، بقدر ما تصوّر في الوقت نفسه الجهود العملية التطبيقية لتلاميذه .

وهذه الأعمال بدورها تجمع بين التحقيق ودراسة الظواهر والمقولات والمشكلات، وتشمل في التحقيق عددا من النصوص الأساسية في النحو العربي، منها: كتاب شرح أبيات سيبويه، والمفصل لعفيف الدين الكوفي، وشرح ديوان الأريب للسامولي، وشرح

كافية ابن الحاجب لعيسى الصفوى، وشرح شواهد الإيضاح لأبى على الفارسي، وشرح الجمل لابن العريف .

وتقصد الدراسات التي وجه إليها إلى تناول الظواهر والمقولات المشكلة والمسائل الملحة، وفى طليعتها: مقولة النيابة في النحو العربي، وظاهرة المطابقة، ومقولة التعليق، والتأويل، والتعيين، والخلاف بين علماء البصرة، ومشكلة المعنى بين النحو والبلاغة.

وتؤكد هذه الأعمال بدورها اتساقها مع الخط الفكري الذي حكم مؤلفات عبد الرحمن السيد، من حرص على خدمة التراث النحوي، وتجلية غامضه، وتوضيح خافيه، والكشف عن عناصر الثبات والتغير فيه، لتكون خدمة هذا التراث النحوي بكل جوانبه نقطة الانطلاق نحو استخدامه في تطويره لمواءمة المستجدات في الحياة اللغوية، ومحاولة احتواء هذه المستجدات في إطار الثوابت الأصولية.

وهكذا حين انتخب عبد الرحمن السيد عضوا في مجمعكم الموقر كانت كل الظروف مهيأة له للانتقال من مرحلة خدمة التراث النحوي إلى مرحلة استخدام هذا التراث ، ومن هنا مضت بحوثه في لجنة الأصول تتعرض للمشكلات النحوية ذات الطابع التطبيقي، والمشكلات اللغوية التي تحتاج إلى توجيه نحوى، فتدور هذه البحوث حول مسائل العوامل والأساليب والتراكيب والأحكام ، وهى مسائل - بطبيعتها - تختلف فيها وجهات النظر ، وتتعدد إليها زوايا الرؤية، ولكنه استطاع بمقدرته المتميزة في استيعاب الآراء وموازنة الأدلة أن يصل إلى اجتهادات تحسب له، وأن يثبت بها مقدرة النحوي المتمكن على توظيف الأصول النحوية توظيفا صحيحا، يسهم في خدمة النشاط اللغوي ويوجهه. فلا

يظل هـذا النشـاط تحـت سـيطرة التطور العشوائى، بل يخضع لضوابط التطوير والتوجيه العلمـي الإداري، وبهذا تنمو اللغة لمواكبة المسـتجدات والمتغيرات في جميع المجالات، كمـا يرجو لها المخلصون من أبنائها .

لقد كانت مرحلة المجمـع - علـى قصرها في حياة عبد الرحمن السـيد - مرحلة شديدة الخصوبة بمقياس الكـم وبمقياس الكيف معـا، فقـد أثمـرت أكثر من عشـرين بحثـا، تنـاولت قرابة أربعين مسـألة ، في كثير منها اجتهادات خاصة ، ولكنها بفضل مـا اتسمت به من دقة وتحريـر وضبـط وتأصيل أصبحت جزءا مـن تـراث المجمع وإضافاته، وبـهذه المرحلـة اكتملت الرحلة في حياة عبد الرحمـن السيد وعلاقته بالتراث ، فكما أخذ منه أعطاه، وكما امتاح منه منحه ، وبقدر ما أفاد منه أفاده .

رحم الله عبـد الرحمـن السـيد رحمة واسعة، وأفسح له في جنتــه، وعوض العلم فيه خيرا .

**والسلام عليكم ورحمة الله**

**على أبو المكارم**

عميد كلية دار العلوم

## كلمة الأسرة

للأستاذ محمد قاسم

**السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع:**

**السادة أعضاء المجمع :**

**السادة الحضور:**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد أولتنى أسرة العالم الكبير الأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد السيد شرف المشاركة في تأبينه.

وإني لأتقدم بخالص الشكر وعظيم الثناء لأولئك العلماء الأجلاءِ الذين تحدثوا عن الفقيد الكريم، كما أتقدم بخالص الشكر وعظيم الثناء لجميع الحاضرين من أعضاء المجمع الموقر وغيرهم من أصحاب الفضل الأوفياء.

لقد كان الراحل الكريم قبل اختياركم إيَّاهُ عضوًا بالمجمع - كان عضوا باللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين والأساتذة ، وعضوا باللجنة العلمية بقسم اللغويات بجامعة الأزهر، وعضوا بالمجالس القومية المتخصصة ، التي طلبت منه تأليف كتاب في النحو الميسَّر لغير المتخصصين، فنهض بهذا العبء، مستعينا باثنين من زملائه، وهذا الكتابُ مُعَدٌّ للطبع .

وقد مُنِحَ وسامَ العلومِ والفنون من الطبقة الأولى .

وشغل بالتحكيم في عشرات الأعمال العلمية في مختلف البلاد الإسلامية والعربية .

وكان مِلءَ السمعِ والبصر في عمله بكلية دار العلوم ، كَفَاءةً وجدّيةً وحِرْصًا عليها في كل أمورها .

وقبل تخرجه في عام ١٩٤٦م تزعم حركة عملت في أجواءٍ قاسيةٍ على ضَمِّ دار العلوم إلى الجامعة ، وقَدْ تَمَّ هذا ، وأصبحت كليةً جامعيةً مَنَحَتْهُ وزملاءه أولَ ليسانسٍ في تاريخها ، وأهَّلَتْهم للحصول على الدرجات الجامعية المختلفة .

ثم أمضى بالمجمع عشر سنواتٍ كاملة ، مَلأها بالأبحاث العلمية النافعة فكان هَدَفُه تَيْسيرَ النحوِ في لجنةِ الأُصُول.وفى لجنة الألفاظ والأساليب صحَّح عشرات الكلمات وعشرات العبارات، وردًّها إلى الأصل الفصيح، وأسهم في أعمال لجنة المعجم الكبير .

وأعماله العلمية جديرة بإعادة طبعها ، ليعم النفع بها ، ويتضاعف الأجر والثواب عند الله، أطال الله بقاءكم وأعظم أجركم؛ فقد أكرمتم الراحل الكريم حَيًّا وميّتًا وذكرتموه بالعلم والفضل، فجزاكم الله خير الجزاء وأسكنه دار السلام، مع النبيين والصدِّيقين والشُهَدَاءِ والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا.

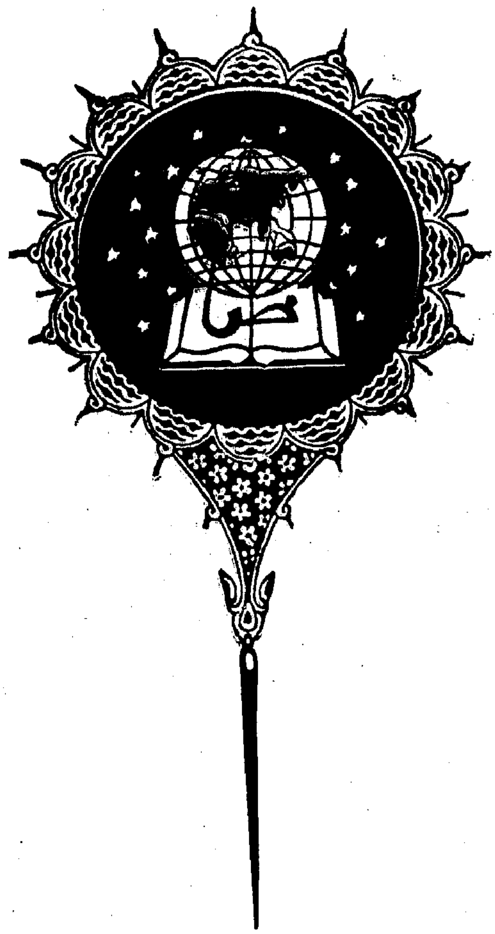
**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

## كلمة الختام

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

أشكر لحضراتكم مشاركتنا في هذه الذكرى الكريمة للدكتور عبد الرحمن السيد - رحمه الله - والحقيقة أن المجمع فقد أعلامًا كثيرة في هاتين السنتين الأخيرتين ، فقدهم علمًا وراء علم ، ونحن - في المجمع - نشعر بالحزن العظيم إزاء الأعضاء الراحلين جميعًا ، وأقدم باسم المجمع أسمى العزاء الخالص للأسرة الكريمة، تغمَّد الله الفقيد برحمته ورضوانه .

مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر
٩٢ ش قصر العينى - القاهرة ت : ٧٩٥١٨١٠ - ٧٩٥١٨١٨



# مجلة مجمع اللغة العربية

العـــدد
الخامس والثمانون
المحرم ١٤٢٠هـ / مايو ١٩٩٩م
«القسم الثانى»

**اهداءات ٢٠٠٣**

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين في السنة )


## العدد الخامس والثمانون

المحرم ١٤٢٠ هـ / مايو ١٩٩٩م

" القسم الثاني "

رئيس التحـــرير

**إبراهيم التـــــرزي**

أمين التحـــرير

**سعـــد توفيـــق**

مساعدة أمين التحرير

**سميرة شعـــلان**

محررا المجلة :

جمال عبد الحي أحمد

خالد محمد مصطفى

# الفهرس

# الفهرس

# بحوث ومحاضرات

# أولاً: أبحاث
# ألقيت في المؤتمر

# تعليم اللغة العربية للناطقين بلهجة من لهجاتها

# في مراحل التعليم الهولندي *

للأستاذ الدكتور فريد ليمهاوس

الحقيقة أنّ سبب هجرة العرب إلى هولندا مجهول إلى حدٍّ ما.ولعل السبب قلة عدد المهاجرين نسبيّا فربما لا يزيد عددهم عن ربع المليون. وإن كان عدد المنتسبين إلى الشرق الأوسط غير ضئيل فأغلبيتهم من ريف المغرب العربي أصلاً .

ابتدأت موجة الهجرة فى أواخر الخمسينيات، وبلغت أوجها فى الستينيات وأوائل السبعينيات . وقد اكتسب الدفعات الأولى من العمال الأميين البسطاء – الذين وقعوا فى الفخ كمعظم المهاجرين إلى أوربا وقتذاك -قوتًا بسيطًا وادّخرت مبالغَ زهيدة؛ لتحويلها إلى الوطن؛ لتيسير معيشة أسرهم هناك،ولكن لم يتمكن أولئك المهاجرون من كسب الثروة المطلوبة؛ للعودة إلى الوطن ، ولبدء صفحة جديدة فى حياتهم مع قومهم.

والنتيجة معروفة ، فبدل العودة إلى أسرهم مكثوا بالبلاد الواطئة إليها كما مكث غيرُ العرب من العمال الأجانب فى هولندا وسائر بلاد أوربا. وبدأ الفصل الثاني من تاريخ هذه الهجرة بجمع شمل الأسر فى هولندا، واندماجهم فى المجتمع الهولندي . وربما لا ييئس أكثرُهم من العودة إلى الوطن يومًا ما وبحكم العادة يتعلّم أولاد العرب القاطنون هولندا فى المدارس الهولندية ، التى كانت تقوم على تدريس المناهج الهولندية ؛ فلم يدرسوا اللغة العربية رغم أن أغلبيتهم يتكلم لهجة من لهجاتها . وبطبيعة الحال افتقر شباب العرب المقيمون فى هولندا إلى دراسة اللغة الأصلية . واعترفت السلطات التربوية بحق

* ألقى هذا البحث في الجلسة الخامسة عشرة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم الثلاثاء ١٦ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م.

تدريس اللغة الأصلية الخصوصية . وكان هذا الاعتراف وفقًا للمبدأ الذي مُنح للفريزيين الأصليين المقيمين فى محافظة فريزيا، حق تعلّم لغتهم الخاصة المختلفة عن اللغة الهولندية، على الأقل فى السنوات الثلاث الأولى من مرحلة التعليم الابتدائي . وطُبِّق هذا الحق على أولاد الأتراك والمغاربة المقيمين فى هولندا بتقديم البرنامج المعروف بعنوان Onderwijs (OETC) in Eigen Taal en Cultuur أى (تعليم اللغة والثقافة الخاصة الأصلية ) .

ابتدأ البرنامج سنة ١٩٧٤م، وكان يُدَّرس في أول الأمر بالإضافة إلى الدروس الهولندية المقررة فى مرحلة التعليم الابتدائى . ورغم وجود مصاعبَ شتّى – مثل :قلة المدرسين، ونقص المناهج التعليمية ، وانخفاض عدد الحصص ، التى كانت تقل فى معظم الأحيان عن ثلاث ساعات فى الأسبوع– ازداد عدد التلاميذ المشتركين فى هذا البرنامج، لأول مرة، فقد بلغ عدد التلاميذ الذين اشتركوا فى برنامج تعليم اللغة والثقافة العربية فى سنة ١٩٨٢م - على سبيل المثال – عشرة آلاف تلميذ تقريبا، أى ٦٠٪ من التلاميذ المستهدفين. وبفضل ملاحظات النقد من جانب الوالدين، وتصحيح المناهج التعليمية المتوافقة مع موقع التلاميذ فى البيئة الهولندية غير العربية، التى كانوا يعيشونها ويتعايشون معها تحسّنت نتائج هذا النوع من تعليم اللغة العربية للتلاميذ الناطقين بلهجة من لهجاتها ،ومع ذلك تُعتبر هذه النتائج محدودة بطبيعة الحال فكانت هناك مشكلة .

وللمشكلة ناحيتان: أولاً: لم تكن لغة أولئك التلاميذ الناطقين باللغة العربية وأهليهم هى اللغةَ الفصحى بل اللغة الدارجة – وفى الأغلب الغالب كانت لهجة من لهجات المغرب – وثانيًا: بيئتهم المدرسية هى البيئة الهولندية وجميع المقررات الأخرى كانت تُدرس باللغة الهولندية.

ولا عجب أن النتائج محدودة فعلا إذا قورنت بالمستوى المحقّق فى البلاد العربية

بعد اختتام التعليم الابتدائي . ومع ذلك فالمهم أن نسبة كبيرة من أولاد العرب المقيمين في هولندا آنذاك كانت تجيد إلى حدٍّ ما اللغة العربية.

ومن عهد قريب أُدرِجت مادة اللغة العربية ضمن المناهج الدراسية فى المدارس الإعدادية الهولندية ونتيجةً لذلك أصبحت اللغة العربية - لأول مرة - مادة رسمية في الجدول الرسمي القومي للتعليم الإعدادي الهولندي عام ١٩٩٥م.وتم التقدير الأول لمستوى النتائج في شهر سبتمبر من العام الماضي في مؤتمر صغير أُقيم في دار المعهد المركزي لوضع الامتحانات وتطويرها Centraal Instituut voor Toets Ontwikkeling (CITO) وليس هذا خاتمة المطاف حيث بدأت المناقشات لإدخال اللغة العربية كمادة رسمية في جدول الامتحانات الرسمي حتى في التعليم الثانوي .

وعلى الرغم من كل هذه التطوّرات الإيجابية، فأغلبية الطلبة الذين ينتمون إلى الجالية العربية والذين يدخلون الجامعات الهولندية ومعاهد الفنون التطبيقية،هم ناطقون بلهجة من اللهجات العربية وليسوا قادرين على قراءة اللغة الفصحى أو كتابتها، أو حتى النطق بها بمستوى مُرضٍ. والسبب كما أوضحتُ فيما سبق أن اللغة العربية لم تدخل في بعض المدارس الإعدادية إلا منذ عهد قريب و لم تدخل المدارس الثانوية حتى الآن .

ومع ذلك نلاحظ في الجامعات الهولندية أن أغلبية الطلبة العرب المندمجين في المجتمع الهولندي راغبون في استخدام اللغة العربية الفصحى؛ قراءةً وكتابةً وحديثًا .ولذلك يختار البعض منهم اللغة العربية التي تُدرس في أقسام اللغة العربية كمادة فرعية ويحضرون الدروس والمحاضرات في هذه الأقسام ،غير أن هذه الدروس مخصصة للطلبة الهولنديين الذين لا يعرفون اللغة العربية على الإطلاق .

ويمكن أن نلخّص المشكلة فيما يلي :

تعليم مادة اللغة العربية الفصحى في الجامعات الهولندية يسير وفق قواعد اللغة الهولندية ومفهومها، وليس من منطلق اللهجات. وكان من نتيجة ذلك تناقص دوافع الطلاب وتركهم الدروس، مع أن الرغبة مازالت موجودة وليس السبب الوحيد أن إجادتهم للغة العربية تدعم هويتهم العربية على مستوى لغوى يتناسب مع مستوى ثقافتهم الهولندية، بل لأن إجادة اللغة العربية كانت تزيد من فُرض الحصول على وظيفة في سوق العمل. فتزدادُ أهمية اللغة العربية كتابةً وحديثًا في المنشآت والهيئات الهولندية والأوربية في الميادين الثقافية والدينية والاقتصادية التي تُجرى اتصالات مع العالم العربي مثل: البنوك، ومؤسسات التصدير، وجمعيات المساجد، ووزارات الخارجية، والسفارات العربية... إلخ .

إنّ انتماءهم للحضارتين الأوربية والعربية مَع خبرتهم الخاصّة فى ميدان دراستهم، يزيد كفاءتهم للقيام بالوساطة المتمرسة بين الحضارتين في مجالات شتى .

بناءً على ذلك قمنا في الشعبة العربية من قسم لغات الشرق الأوسط وحضاراته في جامعة خرونينغن بتهيئة مشروع لتطوير برنامج جامعي خاصّ لتعليم اللغة العربية للطلبة الناطقين بلهجة من لهجاتها، وطلبنا التمويل المادي من المركز المتخصص بشؤون التعليم العالي للطلبة من أصل أجنبي Expertise Centrum Hoger Onderwijs Allochtonen . ولقد حصلنا على موافقة المركز في تمويل المشروع في بداية هذا الشهر .

وسيشاركني في وضع المنهج الزميلان المدرّسان في القسم السيدة فريدة جواد، والسيد نصر الملاح . وسنستند في تطوير هذا البرنامج المذكور إلى المنهج المشهور الذي قام بإعداده جماعة من الخبراء العرب تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وهو " الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها "

( ٣أجزاء ) للأساتذة: السعيد محمد بدوى، وفتحى على يونس، ومحمد حماسة عبد اللطيف ، ومحمود الربيعي، ومحمود البطل. وهدف مشروعنا هو إعداد كتاب مرافق لهذا المنهج المفيد يشرح الاختلافات البارزة بين اللهجات واللغة الفصحى للطلبة الناطقين بلهجة من اللهجات العربية . ونريد أن نعرفهم هذه الاختلافات فى جميع دروس الكتاب الأساسي وعلى مستوى الصوت أو اللفظ، على مستوى الصرف والنحو، وكذلك على مستوى القاموس . وهدفنا الأساسي هو إتاحة الفرصة للطلبة لتقوية إلمامهم باللغة العربية الفصحى بطريقة سليمة بعد إتمام كل دروس الكتاب الأساسي.وبالتالي نأمل باعتبارنا قسمًا متخصصًا فى لغات الشرق الأوسط تابعًا لجامعة خرونينغن أن نساهم فى تطوير المجتمع الهولندي المتعدّد الثقافات بإذن الله . ونأمل كذلك أن نفيد من الخبرة العريضة العميقة فى هذا المجال الموجود لديكم أيها الزملاء الأعزاء ولدى سائر الخبراء فى العالم العربي إن شاء الله .

**فريد ليمهاوس**

عضو المجمع المراسل من هولندا

# معنى التعريب في فكرنا اللغوي القديم وضوابطه ، وصور منه*

للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة

## أولا : ضرورة توافُر الصحة اللغوية والوضوح في المعرَّب :

التعريب موضوع مهم في فكرنا اللغوي القديم ، فقد اهتم به هذا الفكر منذ أول كتاب وضع فيه ، وهو كتاب سيبويه العظيم ، وكل ما كُتِب فيه من بعده وفي طريقته وضوابطه الأساسية ومنهاج العرب فيه، مبني على ما جاء فيه ومؤسَّس على أصوله التي أصّلها، ووصف به واقعة في لغة العرب ، إذ ما جاء في الكتاب هو وصف دقيق لطريقتهم أو منهاجهم في التعريب ، وهو في الوقت نفسه تحديد وبيان لما يجب أن يكون عليه التعريب من الالتزام بنظام العربية في نطق الكلمات، وما تتركب منه من حروف، وما يجب أن يتّسم به من مواءمةٍ للذوق العربي السليم ، وما يجب أن يعتاده، ويقدم له من الأبنية والأساليب الفصيحة،حتى إن الكلمات العربية الخالصة العروبية يشترط علماء البلاغة لفصاحتها وتقبُّل الذوق السليم لها ثلاثة شروط أساسية تجعلها مقبولة فيه ، خفيفة على الألسنة ، متداولة بين الناس ، مفهومة منهم ، وهذه الشروط الثلاثة معروفة في مقدمات [1] كتب علوم البلاغة العربية، وهي - باختصار وتصرف :

أ- السلامة من تنافر الحروف الذي يكون بالتقارب الشديد في مخارجها أو تباعدها فيه، بحيث تكون الكلمة ثقيلة على اللسان

* ألقى هذا البحث في الجلسة الخامسة عشرة من جلسات مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم الثلاثاء ١٦ من ذي القعدة ١٤١٧هـ الموافق ٢٥ من مارس ( آذار) ١٩٩٧م .

(١) تنظر مثلا مقدمات الكتب التالية :

– شرح السعد المسمّى " مختصر المعاني في علوم البلاغة " ، تأليف العلامة سعد الدين التفتزاني ، تعليق أستاذنا المرحوم الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

– البلاغة الواضحة تأليف الأستاذين الكبيرين : علي الجارم – ومصطفى أمين ، طبعة دار المعارف .

– المنهاج الواضح للبلاغة – ط ١٩٥١/٢م – تأليف أستاذنا المرحوم الشيخ حامد عوني .

يعسر النطق بها ، والحكم في ذلك للذوق السليم المتمرّس بنظام الفصحى وأساليبها، فما مجّه هذا الذوق وعدّه ثقيلا عسير النطق ، فهو متنافر ثقيل سواء أكان متقارب الحروف أم متباعدها ، أم غير ذلك مما قد تكون صيغته أو تركيبة حروفه غير مألوفة في اللسان العربي .

ب- السلامة من مخالفة الوضع اللغوي، وهي أن تكون الكلمة مخالفة لمقاييس العربية وما سنّه العرب في بناء كلماتها ، وما استنبطه علماء النحو والصرف منها من الأصول والقواعد لقياس كلام المولدين عليها، سواء أكانت الكلمة مفرة أم جمعًا .

ج- السلامة من الغرابة ، وهي أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة الدلالة على المعنى الموضوعة له لعدم تداولها في لغة العرب الخلص، فيُحتاج في معرفتها إلى بحث وتنقيب طويلين في معاجم اللغة إذ لا يذكرها إلا القليل من اللغويين ، أو لعدم استعمالها - عند العرب الفصحاء - بالمعنى الذي استعملت فيه أو أريد منها ، فيحتاج إلى تخريجها على وجه بعيد أو تأويل غريب .

**شروط الكلام الفصيح :**

وكما يشترط في الكلمة المفردة هذه الشروط فإن ثمة شروطًا في الكلام المركب ليكون فصيحًا وذلك بأن يسلم مما يلي :

أ- من ضعف التأليف ، وهو الخروج عن قواعد اللغو والنحو المطّردة في تركيب الكلام وصياغة الأساليب .

ب- ومن تنافر الكلمات، بحيث لا يكون اتصال بعضها ببعض مما يسبب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان .

جـ ومن التعقيد بقسميه: التعقيد اللفظي ، وهو أن يكون الكلام خفيّ الدلالة على المعنى المراد بسبب سوء تركيبه وترتيب كلماته، بالمخالفة لقواعد النحو ونظم الكلام الفصيح .

والتعقيد المعنوي، الذي يتمثل في استعمال المتكلم أو الكاتب الكلمة أو الكلمات في غير معانيها الحقيقية أو غير معانيها الموضوعة لها .

إن تحقيق هذه الشروط أمر ضروري أو أمر مهم؛ للحصول على أسلوب علمي صحيح الكلمات والتراكيب، واضح الأداء والمعاني، إذ لا يُطلّب في هذا الأسلوب سوى الصحة والوضوح.

وإذا كان هذا في الكلمات العربية والأصل والكلام المركب منها، فإن منهج العرب في التعريب يُؤذِن بأنهم كانوا حريصين أشد الحرص على تذويب المعرب في لغتهم وصبغه بصبغتها، وطبعه بطابع أساليبها وصياغة كلماتها إذا ما اضطروا إلى الاقتراض اللغوي، وهو أمر واقع لا ريب فيه، ويرجع ذلك إلى عاملين رئيسيّن: عامل الاتصال والاختلاط بالأعاجم، وعامل الحاجة إلى أخذ أشياء غير معروفة في المجتمع العربي، فتدخل العربية بأسمائها الأعجمية، فإذا انقضى زمن عليها تدخل في ضمن اللسان العربي حتى ليخيل إلى من لا يعرف أصلها أنها عربية الأصل والنجار[1].

وهذا هو منهج القرآن الكريم في التعريب، حتى أنكر كثير من العلماء أن فيه شيئًا منه، مع قول بعض الصحابة والتابعين وكثير من العلماء بوجوده فيه، فقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - توفيقًا بين الرأيين: " وكلاهما مصيب إن شاء الله تعالى، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب على ألسنتها فعربته فصار عربيًّا بتعريبها إياه فهي عربية في هذه الحال " [2].

وهذا المنهج هو الذي يجب أن يتبع وأن نسعى لتحقيقه خصوصًا في هذا العصر الذي اتسعت فيه ميادين التعريب فشملت الألفاظ والأساليب وأصنافًا من العلوم، والثقافات، والمصطلحات، والمفاهيم الحضارية، والإنسانية مما يؤثر في الألسنة والعقول

---

(١) وينظر في هذا المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨/٧٠٥ للدكتور جواد علي.

(٢) المعرّب لأبي منصور الجواليقي ص ٥٣، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.

والسلوك ، فإذا لم نخضعه لمناهج تفكيرنا اللغوي والعقلي، فإنه يكون خطرًا على مستقبل أبنائنا وأجيالنا العربية الإسلامية ، وعلى لغتنا العربية الفصيحة الموحدة .

## ضرورة علوم العربية للمعرّب :

ثم إنه لا شك أن علم اللغة بمعناه القديم عند علمائنا اللغويين ضروري جدًا لمعرفة الكلمات الفصيحة المروية عند العرب المتضمنة لمقاييسها، التي يجب أن تُبنى عليها كلمات الناس المقيسة ، فهو علم الرواية : رواية كلام العرب وجمعه في المعاجم والتمييز بينه وبين الكلام غير المروي عنهم، مثل المعرب والدخيل أو المستعمل في معان لم تضع العرب الكلمات لها ؛ ولذا نجد العلامة الأستاذ نصر الهوريني في تقديمه للقاموس المحيط يعرِّفه بقوله :" وأما حد الفن - علم اللغة- فهو علم يبحث فيه عن مفردات الألفاظ الموضوعة من حيث دلالتها على معانيها بالمطابقة " - ويقول: وقد علم بذلك أن موضوع علم اللغة المفرد الحقيقي ، ولذلك حدَّه بعض المحققين فقال :" وعلم اللغة هو علم الأوضاع الشخصية للمفردات"،ويقول:"وغايته الاحتراز عن الخطأ في حقائق الموضوعات اللغوية والتمييز بينها وبين المجازات والمنقولات العرفيّة"، قال بعض المحققين:" معرفة مفردات اللغة نصف العلم؛ لأن كل علم تتوقف إفادته واستفادته عليها ".

فهو علم مهم في التعريب وإمداد المعرب بما يحتاج إليه من الكلمات العربية الفصيحة ، ومصادر هذا العلم المقروءة: القرآن الكريم ، وكلام العرب الفصيح - شعرًا ونثرًا - في الجاهلية وصدر الإسلام، ثم أساليب العلماء والفصحاء وتراثهم الفكري،- وكذلك - علم الصرف، فهو العلم الذي يختص بالجانب القياسي من اللغة، فيحلل كلماتها، ويصوغ القوانين والقواعد الكلية لصياغة

الكلمات وبيان موازينها، ومعرفة ذواتها في أنفسها من غير تركيب، وبه يمكن تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني لا تحصل إلا بذلك التحويل، فهو علم الاشتقاق القياسي الذي يعتبر أكبر وسيلة للتوسع اللغوي السليم، وإكثار مواد اللغة وتشعيب، كلماتها، وإدخال غير العربي في دائرة المقاييس والأوزان العربية، وإعطائه الصبغة العربية.

ويضاف إلى ذلك علوم الأساليب والتراكيب: علم النحو، وعلم المعاني، وغيرهما من العلوم العربية المساعدة، فهي ضرورية لتحقيق الأسلوب الصحيح الذي سبق لنا وصفه إلى جانب كثرة الاطلاع والتمرس بالأساليب الفصيحة.

ومعرفة اللغة أو اللغات المعرَّب عنها اللفظ معرفة دقيقة عميقة، ومعرفة معنى اللفظ المعرب معرفة دقيقة، إن التعريب أصبح عملاً علميًا متخصصًا وواقعًا حيويًا ضروريًا ولغويًا معقدًا في طرفيه: اللغة الأجنبية المأخوذ منها، واللغة العربية الآخذة، فلابد من إتقانهما أو التعاون بين المتخصصين في كل واحدة منهما، كما هو حاصل في المجمع، لأنه قد يكون من الصعب على الشخص الواحد التعمق فيهما، والجمع بينهما جمعًا متساويًا أو متقاربًا قويًا، فوق أن المعرب أصبح أغلبه كلمات وأساليب وموضوعات علمية متخصصة لا يعرفها معرفة دقيقة إلا المتخصصون فيها.

**التعريب فصاحة وبيان:**

ما أسلفته في هذه المقدمة لبحثي حاولت أن أثبت به أن التعريب يجب أن يتوافر فيه أمران: الصحة اللغوية، ووضوح الدلالة: دلالة المفرد والأسلوب أو الكلمة والكلام، وهو أقل ما يجب في الأسلوب العلمي، عندما يكون عربيًا محضًا وكلماته عربية محضة، فيجب أن يطبق ذلك

في الكلمات والأساليب الدخيلة؛ لأنها إدخال لخلايا غريبة في جسم اللغة العربية، فلابد أن تكون موائمة له صالحة للانصهار فيه والذوبان في هيكله ونظام فصاحته ، ولعل مما يزكي هذه النظرة تسميته بالإعراب والتعريب، وهما بمعنى واحد يعنيان الفصاحة والإبانة والوضوح ، قال ابن منظور[1] :" وقال أبو عبيد : إنما هو يعرَّب بالتشديد ، يقال : عرَّبْتُ عن القوم إذا تكلمت عنهم ، واحتججت لهم،وقيل:إن أعرب بمعنى عرّب " ، وقال الأزهري[2] :" الإعراب والتعريب معناهما واحد وهو الإبانة ، يقال : أعرب عنه لسانه وعرّب أي أبان وأفصح ، وأعرب عن الرجل : بيَّن عنه، وعرَّب عنه: تكلم بحجته "، ويقول شهاب الدين أحمد الخفاجي: "واعلم أن التعريب نقل اللفظ من العجمة إلى العربية ، والمشهور فيه التعريب وسماه سيبويه وغيره إعرابًا وهو إمام العربية فيقال حينئذ معرّب ومُعْرَبٌ " [3] .

## ثانيا : المعرب في كتاب سيبويه :

هذا وإني لألمح في صنيع سيبويه- وهو أول المتحدثين عن التعريب من علماء العربية والقدوة لغيره فيه - لألمح أنه يدخله في علم الصرف، ومباحث أمثلة الكلم العربية، وأوزانها الواردة عن العرب من الأسماء والصفات غير المعتلة والمعتلة ، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجئ في كلامهم إلا نظيره من غير بابه "،وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل" [4]، يسميه النحويون لعهده هذا الاسم ويحصرونه في مباحث قليلة تتعلق بالتمرين على إيجاد كلمات على أوزان ما بنت العرب من كلمات، ثم إجراء ما تجريه العرب في كلماتها المعتلة من تغيير في الكلمات المقيسة عليها،وكانوا يرون أن التصريف جزء

(١) االلسان ( عرب )

(٢)تهذيب اللغة ( عرب ) ج ٢/٣٦٢

(٣ )شفاء الغليل فيما دخل فى لغة العرب من الدخيل ، ص٣

من النحو. يقول العلامة رضي الدين الأستراباذي في شرح الشافية [1] : " واعلم أن التصريف من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصناعة، والتصريف على ما حكى سيبويه عنهم : هو أن تبني من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن، ثم تعمل في البناء الذي بنيته ما يقتضيه قياس كلامهم - كما يتبين في مسائل التمرين - إن شاء الله تعالى"، ولكن المتأخرين من النحاة انتهوا إلى أن التصريف تشمل مباحثه كل ما يتعلق بالكلمة العربية المفردة من الجانب القياسي في اللغة - كما سبق أن ذكرت - وبذلك أصبح هذا العلم كثير الأصول محددة المباحث والأبواب قسيما للنحو لا قسما [2] منه .

في إطار نظرة سيبويه السابقة للتصريف وهو أنه وسيلة للبناء والتغيير ، ذكر الإعراب أو التعريب فعنونه بقوله:" هذا باب ما أعرب من الأعجمية[3] " ثم قال :" اعلمْ أنهم مما يُغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتة " [4] وهذا الصنيع يشعر أن تغيير اللفظ الأجنبي أو الأعجمي الذي فيه حروف غير عربية أمر لابد منه ولا محيد ، وهو لا يفترض هذا الحكم افتراضًا ، وإنما يصف واقعًا لغويًا كان عليه العرب ، وجاءت في إطاره كلماتهم المعربة ، فهو يدمج التعريب فيما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال ، ويبدأ حديثه عنه بالتغيير ، تغيير الحروف الأعجمية بحروف عربية مناسبة ، وهذا يوحي بأن تغيير الكلمة المعربة أمر مبدئي وتصرف مرغوب فيه ، وهو يستدعي النظر إليها من ناحيتين:

الناحية الأولى: من حيث بنية الكلمة وحروفها المركبة منها ، فإذا كان فيها بعض الحروف الذي لا يوجد له نظير

(١) ج ١/٦-٧ تحقيق الأساتذة محمد نور حسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) كتاب سيبويه ج ٣٠٣/٤ .

(٣ : ٤ ) السابق ص ٣٠٥ - ٣٠٧ .

في العربية فإنهم يوجبون إبعاده واستبدال حرف عربي به قريب منه يؤدي معناه مثل الحرف الذي بين الجيم والكاف في اللغة الفارسية فإنه ينطق ويكتب جيمًا عربية خالصة ، وقد يجعل قافًا أو كافاً ، وهو إبدال ضروري لابد منه ، يقول سيبويه : اعلم أنهم ( أي العرب ) مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتة "[1]، ثم يعقد بابًا آخر لتفصيل هذا الإجمال بعنوان " هذا باب اطراد الإبدال في الفارسية"،[2] وهو واضح الدلالة على وجوب التغيير في الكلمة المعربة إذا كان فيها ما يوجب التغيير في نوع الحروف أو الصبغة والوزن، ومن أقواله في هذا الباب قوله : "يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم الجيم لقربها منها ولم يكن من إبدالها بدٌّ ؛ لأنها ليست من حروفهم وذلك نحو الجربز[3] والآجر[4] والجورب[5] "، وقوله: " وربما أبدلوا القاف (أي جعلوها بدل الحرف المذكور؛ لأنها قريبة أيضا، قال بعضهم : " قربز "، وقالوا: " كربق وقُرْبَق "، ومثل الهاء التي تكون في أواخر الكلمات الشبيهة بهاء السكت العربية في مثل كُوسَهْ[6] ومُوزهْ[7] فإنهم يبدلونها جيمًا أيضًا، قال سيبويه : " يبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم - إذا وصلوا - الجيم ، وذلك نحو كُوسَه ومُوزَه ، لأن هذه الحروف تُبْدَل وتحذف في كلام الفرس - همزة مرة وياء مرة أخرى، فلما كان هذا الآخر لا يشبه أواخر كلامهم صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم ، وأبدلوا الجيم ؛ لأن الجيم قريبة من الياء ، وهي من حروف البدل،والهاء قد

(١ ، ٢ ) كتاب سيبويه ج ٤/٣٠٥ - ٣٠٧ .

(٣) الرجل الخبّ - فارسي معرب المعرب للجواليقي - تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر ص ١٤٤،٥٥، ٣٠٧ .

(٤) المعرب / ٦٩ وفيه لغات . (٥) السابق وستأتي .

(٦) السابق ص ٣٣١ وهو الناقص الأسنان .

(٧) السابق ص ٣٥٩-" المُوزج :- الخفّ - فارسي معرب وأصله موزه ".

تشبه الياء ، ولأن الياء قد تقع آخره ، فلما كان كذلك أبدلوها من الكاف، وجعلوا الجيم أولى؛ لأنها قد أبدلت من الحرف الأعجمي الذي بين الكاف والجيم فكانوا عليها أمضى "، وأضاف :" وربما أدخلت القاف عليها كما أدخلت عليها في الأول فأشرك بينهما، وقال بعضهم : "كُوسَق "، وقالوا : كربق ، وقالوا : قُرْبَق ".

ومثل الحرف الذي بين الباء والفاء، فإنهم يبدلونه فاء وربما أبدلوه باء ، يقول سيبويه : " ويبدلون من الحرف الذي بين الباء والفاء الفاء نحو الفِرِند[1] ، والفندق [2] ، وربما أبدلوا الباء لأنهما قريبتان جميعا ، قال بعضهم : البِرِنْد [1] ".

ويختم سيبويه كلامه بقاعدة كلية موجبة شاملة وهي قوله :" فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية ".

ومثل تغيير الحرف الذي ليس من حروفهم، تغييرُهم حركات الكلمة التي ليست من حركات كلماتهم ، قال سيبويه : " ومثل ذلك تغييرهم الحركة التي في زَوْرَ وأَشوبْ فيقولون: زُورٌ وأشوبٌ ، وهو التخليط؛ لأن هذا ليس من كلامهم " .

زور وأشوب جعلهما الجواليقي مثالاً لما أبدل العرب حركته ، وقد شُكلت الأولى في الكتاب بفتح الزاي وسكون الواو والراء ، ورُسمت الثانية بعلامة مد الهمزة قبل التعريب ثم شُكلت الأولى بالضم ، والثانية همزة غير ممدودة. وقال الدكتور محمد حسن عبد العزيز :" وفسَّره الشيخ طاهر الجزائري بقوله : و " زُور " بالضم بمعنى القوة معرب من زور بضمة مشوبة بالفتحة فأبدلت فيه هذه الضمة بضمة خالصة، وهذا الإبدال لازم لعدم وجود الضمة

---

(١) قال الجواليقي:" والفِرِنْد فارسي معرب وهو جوهر السيف وماؤه وطرائقه ، وقد حكي بالفاء والباء " – المعرب ص ٢٩١، وينظر البِرِنْد بالمعنى نفسه ص ١١٤ .

(٢) السابق ٢٨٧ .

المشوبة في العربية المشهورة [١] "

قد يبدل الحرف العربي في الكلمة المعربة وليس بواجب ، وأما الحرف الذي هو من حروف العرب، فإنه لا يطرد ولا يجب، يقول سيبويه :" وأما ما لا يطرد فيه البدل فالحرف الذي هو من حروف العرب نحو سين سراويل وعين إسماعيل أبدلوا للتغيير الذي قد لزم ( أي : لزم بدخول الكلمة في العربية ) كما يأتي في الناحية الثانية، فغيروه لما ذكرت من التشبيه بالإضافة (أي النسبة) فأبدلوا (سين سراويل) من الشين نحوها في الهمس والانسلال من بين الثنايا، وأبدلوا من الهمزة العين؛ لأنها أشبه الحروف بالهمزة [٢]، وقالوا: قفشليل، فأتبعوا الآخر الأول لقربه في العدد لا في المخرج".

الناحية الثانية: من حيث وزن الكلمة وهيئتها من الملاحظ أن العرب كثيرًا ما يغيرون أوزان الكلمات التي يدخلونها في لغتهم، ويحرصون أشد الحرص أن يكون وزنها سائغًا في أذواق أبناء العربية مقبولاً في أوزانها ، ولكنهم قد يقبلون إبقاء الكلمة على وزنها الأول وتركيبها إذا كان يشبه وزنًا من أوزان العربية مركباً من حروف مقبولة فيها .

ولذلك نستطيع أن نجعل ما ذكره سيبويه من صيغ المعرب عند العرب ثلاثة أقسام ، وقد بدأ حديثه عنها بقوله [٣]: " فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه " ، ثم ثنّى بتفصيلها فقال :

أ- فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدِرْهَم [١] ألحقوه ببناء هِجْرع ،

(١) التعريب في القديم والحديث ص ٦٥، عن التقريب ص٤.

(٢) قال الجواليقي :" وقالوا سراويل وإسماعيل وأصلهما شراويل وإشماويل وذلك لقرب السين من الشين في الهمس" ، المعرب ص ٥٥، وفي المزهر ج ٢٧٤/١ أن إسماعيل أصله إشمائيل ، وفيه " وكذلك قفشليل – أبدلوا الشين من الجيم واللام من الزاي والأصل قَفْجليز، وأما القاف في أوله فتبدل من الحرف الذي بين الكاف والجيم ' والقفشليل: المغرفة.

(٣) كتاب سيبويه ج ٤ / ٣٠٣ .

وبَهْرج[٢] ألحقـــوه بسَـــلْهَب وديـنَـــار[٣] ألحقوه بدِيَمـــاس ودِيبَـــاج[٤] ألحقـــوه كذلـك .

وقـــالوا: إسـحاق[٥] فـــألحقوه بإعصار، ويعقوب[٦] فـألحقوه بـيربوع، وجَورب[٧] فألحقوه بفوعـــل، وقـــالوا : آجور[٨] فـألحقوه بعـاقول ، وقـــالوا : شبارق[٩] فألحقوه بعُذافـــر،ورسـتاق[١٠] ألحقوه بقِرطاس،ولمـــا أرادوا أن يعربـــوه ألحقوه ببناء كلامـــهم كمـــا يلحقـــون الحروف بالحروف العربيـــة".

فهذا القسم تصرفوا فيـــه،وألحقـــوا كل بناء منه ببناء مـــن أبنيـــة كلامـــهم وأوزانه، ولم يتركوا فيه حرفًا من غـــير حروفـهم.

ب- القسم الثاني ما غيروه عن وضعــــه الأعجمـــي وبنائـــه قبـــل التعريـــب، ولكنـــهم لم يلحقـــوه إلحاقًـــا كـــاملاً بـــأوزان الكلمـــات العربيـــة وأحكـــام صيغـــها وأنـــواع التصـــرف فيـــــها بالاشتقاق والتحويل، والـــذي حملـــهم على تغييرها أن الكلمـــة الأعجميـــة أو غير العربيـــة، يحتم دخولهـــا العربيـــة،

---

(١) هي من المعرب عند الأقدمين ، ينظر المعرب للجواليقي ص ١٩٦، وفي هامشها ذكر الأستاذ المحقـــق بعـــض المراجع المؤيدة لهذا القول ولكنه شكك في صحته، والهجرع : الطويل الممشوق أو الطويل مطلقا ، اللسان (هجرع) ٨ /٣٦٨.

(٢)البهرج : الشيء المباح والرديء ، اللسان (بهرج)، وقال: " هو إعراب نِبَهْرَهُ فارسي " ، والسَّلْهب: الطويـــل ، السابق (سلهب ) .

(٣)المعرب ١٨٧ ، وقال :" والدينار فارسي معرب وأصله دنّار " ، والديماس : الحمّام ، اللسان ( دمس)

(٤) ديباج: ضرب من الثياب بالكسر والفتح مشتق من الدبج وهو النقش والتزيين فارسي معرب، اللسان ( دبج)، وقال عن الديباج : ( مولّد )

(٥) المعرب ٦٢، وقال :" إسحاق أعجمي وإن وافق لفظ العربيّ " .

(٦) أعجمي ، المعرب ص ٤٠٣ .

(٧) جوزب أصله كَورب ، المعرب ص ٥٥ ، ألحقوه بكوكب / ٥٦ .

(٨)في اللسان ( أجر ) هو طبيخ الطين وفيه وجوه كثيرة من الضبط ، وقال :" وآجور على فاعول وهو الذي يبـــنى به فارسي ومعرب " .

(٩)شُبارق : مقطّع وممزّق ، اللسان ( شبرق ) ، ولم يذكر أنه معرب ، والعُذافر : الصُّلْبُ العظم الشديد والأنثـــى بالهـــاء ، الســـابق ( عذفر )

(١٠) في اللسان ( رستق ) عن اللحياني : الرزتاق والرستاق واحد فارسي معرب ألحقوه بقرطاس وهو السواد .

بتعريبها، إبدال حروفها غير العربية حروفًا عربية - كما سبق - فحملهم تغيير الحروف على تغيير الحركات، كما يغيرون بنية الكلمة العربية وحركاتها في الإضافة:أي نسبة الشيء إلى غيره، وربما حذفوا بعض حروف الكلمة المعربة كما يحذفون في هذه النسبة، ويزيدون حروف الكلمة فيما يبلغون به البناء وما لا يبلغون به بناءهم : (أي ما يلحقونه بأبنية كلماتهم وما لم يلحقوه) ، قال سيبويه في هذا القسم : " وربما غيروا حاله عن حاله في الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية فأبدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربيًّا غيره ، وغيروا الحركة، وأبدلوا مكان الزيادة ولا يبلغون به بناء كلامهم؛ لأنه أعجمي الأصل ، فلا تبلغ قوته عندهم إلى أن يبلغ بناءهم، وإنما دعاهم ذلك أن الأعجمية يغيرها دخولها العربية بإبدال حروفها ، فحملهم هذا التعبير على أن أبدلوا وغيروا الحركة، كما يغيرون في الإضافة (أي:النسبة) إذا قالوا:هنيّ نحو زباني[1] وثقفي[2]، وربما حذفوا كما يحذفون في الإضافة، ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء،وما لا يبلغون به بناءهم، وذلك نحو آجر[3] وإبرَيْسَم[4] وإسماعيل[5] وسراويل[6] وفيروز[7] والقهرمان[8] ".

(١)زباني نسبة إلى زبينة بإبدال الياء ألفا مثل طائي في النسبة إلى طيْئي، قال سيبويه : " وكان القياس طَيْئيٌّ وتقديرها طيعيٌّ ولكنهم جعلوا الألف مكان الياء وبنوا الاسم على هذا كما قالوا في زبينة : زبانيّ " ، كتاب سيبويه ٣٧١/٣ ، والقياس زبنيّ ، السابق ص ٣٢٨ – ٣٣٥ .

(٢)نسبة إلى ثقيف والقياس ثقيفي ، السابق ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٣)تقدمت .

(٤) المعرب ص ٥٦، ٧٥، قال :" الأبْريْسَمُ أعجمي معرب بفتح الألف والراء، وقال بعضهم : إبْرَيْسَمَ بكسر الألف وفتح الراء ، وترجمته بالعربية الذي يذهب صُعُدا ".

(٥) تقدمت

(٦)تقدمت

(٧) اسم أعجمي ممنوع من الصرف عرف عن العرب كثيرا، المعرّب ص ٢٩٤ وهامشها للمحقق .

(٨ ) المعرب /٥٦ ، وجعله من أمثلة ما زادوا فيه، قال : "وقهرمان وأصله قِرْمان " .

" قد فعلوا ذا بما ألحق ببنائهم وما لا يلحق من التغيير والزيادة والحذف لما يلزمه من التغيير ".

ومن هذا النص ندرك أن تغيير الكلمة المعربة عند إدخالها العربية أمر مألوف وواقع في منهج التعريب العربي، وهو يكاد يكون عامًّا في كل الكلمات المعربة، شاملاً للحروف غير العربية حرفاً عربيا آخر ، والحروف الواقعة في مواقع الزيادة ، وقد يزيدون في الكلمة المعربة حرفًا أو أكثر ، وقد يحذفون بعض حروفها ما يحذفون من الكلمة العربية المنسوبة ، كما يشمل هذا التغيير حركات الكلمة وطريقة تشكيلها .

ودخول الكلمة الأعجمية في العربية يحمل على ذلك كله ويقتضيه وهو ما يحمله سيبويه في قوله :" وقد فعلوا ذا بما ألحق ببنائهم وما لم يلحق من التغيير والإبدال والزيادة والحذف لما يلزمه من التغيير ".

ج- القسم الثالث في كلام سيبويه ـ من المعرَّب هو ما لم يغيروا بناءه الذي كان له في لغته الأولى قبل التعريب بشرط أن تكون حروفه عربية خالية من غيرها ، قال سيبويه: " وربما تركوا الاسم على حاله، إذا كانت حروفه من حروفهم (حروف العرب) كان على بنائهم أو لم يكن، نحو خراسان[1]، وخرَّم [2]، والكُرْكُم [3]. وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم، و لم يغيروه عن بنائه في الفارسية نحو فرند[4] وبقَّمْ [5]، وآجر[6] وجربز [7]".

(١)المعرب / ٥٦ ، ١٨٣ .

(٢)المعرَّب ص ٥٦، وقد جعلها كسابقتها من أمثلة ما تركوه على حاله، وفي ص ١٧٩ حكى خلافا في كونها معربة ، وقال :" وقال غير أبي عبيدة: هي أعجمية ، ومعناه يعود إلى الطيبة والنشاط والفرح.

(٣)المعرب /٥٦، ٣٣٩، وقال:" قال ابن السراج: والكركم : أعجمي معرب وهو الزعفران ، الواحدة كركمة ".

(٤)تقدمت .

(٥)المعرب ص ١٠٧، وقال :" ابن دريد والبَقَّم فارسيّ معرّب وهو صبغٌ أحمر، وقد تكلمت به العرب".

(٦)تقدمت . (٧) تقدمت .

هذا وقد ختم سيبويه الباب الثاني من باب الإعراب أوالتعريب السابق ذكرهما وتفصيل ما فيهما بقوله :" فهذه حال الأعجمية، فعلى هذا فوجهها " (١)

هذه هي أقسام المعرب، وأحكام بنيتها، وحروفها. ومنهج العرب في التعريب كما يصف ذلك كله ويحدده سيبويه في كتابه الخالد، وهو ما نجده في كتب النحاة الذين اهتموا بذكر المعرب من بعد سيبويه ، فقد تبعوه ولم يخرجوا عما ذكره ، وإن كان بعضهم قد زاده تفصيلاً واستخرج بعض الأحكام والضوابط التي لا نجدها واضحة في كتاب سيبويه .

وسيأتي بعض الحديث عن التعريب ومنهجه في المعاجم اللغوية .

## ثالثا:المعرب لأبي منصور الجواليقي:

هذا الكتاب مهم جدًّا، وأحسن ما عرف من كتب المعرَّب إلى الآن ، وقد زاد حسنًا، وارتقت قيمته وصحةُ نصوصه بتحقيق الأستاذ الكبير أحمد محمد شاكر - رحمه الله تعالى - إياه ، وقد رأيت أن أقدِّم - هنا - ما ذكره الجواليقي فيه في هذا الموضوع الذي فصَّله سيبويه، لأنه في الموضوع نفسه، وإجمال لما ذكره سيبويه ، ثم تفصيل له بالتطبيق والأمثلة التي سبق كثير منها ، وقد ذكره الجواليقي بعنوان " باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي " ، قال تحت هذا العنوان :

" اعلم أنهم كثيرًا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها ، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجًا، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضًا ، والإبدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم ، وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب ، وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك

(١ )كتاب سيبويه ج ٣٠٧/٤.

ساكن ، وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه"[1].

إنه إجمال لما فصَّله سيبويه وتوضيح لبعض نصوصه، مما يجعل كلام سيبويه بيانًا لمنهج العرب في التعريب ولمذاهبهم فيه ، وأنه الأصل والمصدر الذي استقى منه كل الكاتبين في التعريب من بعده.

ثم إنه من المعلوم أن أبا منصور الجواليقي قد جمع في كتابه هذا كلَّ ما وصل إليه علمه منه ، وقال في مقدمته : "وهذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ونطق به القرآن المجيد ، وورد في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وذكرته العرب في أشعارهم وأخبارهم ليعرف الدخيل من الصريح ، ففي معرفة ذلك فائدة جليلة ، وهي أن يحترس المشتق فلا يجعل شيئًا من لغة العرب لشيء من لغة العجم ".

وقد رتبه على حروف المعجم مراعيًا الحرف الأول فقط من الكلمات المعربة التي ذكرها .

**رابعا : المعرب في بعض كتب النحو الأخرى :**

لم أر في أكثر كتب النحو المتداولة اهتمامًا بذكر المعرب وأحكامه ، ولكنني أذكر كتابين من كتب النحو المشهورة ومصادره الممتازة ، اهتم مؤلفاهما بذكره على اختلاف في المنهج والمقدار وهما:

أ- "الأصول في النحو"[2] للإمام أبي بكر بن السراج النحوي المتوفي سنة (٣١٦هـ).

ومن المعروف المؤكد أن هذا الكتاب مبني على كتاب سيبويه وأصوله، فهو ترتيب لمسائله،وتوضيح للغامض منه، وتحديد لقواعد النحو

(١ )المعرب ص٥٦، وينظر أيضا " في التعريب والمعرب " وهو المعروف بـ" حاشية ابن بري على كتاب المعرب " ص ٢٢-٢٣، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي .

(٢)طبع بتحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي – طبع مؤسسة الرسالة – بيروت .

والتعاريف والأقسام فيه، مع اجتهاد مؤلفه وإضافته الكثير من آراء النحاة الآخرين البصريين والكوفيين ، ومما يظهر فيه اعتماده على سيبويه ما ذكره في المعرب، فهو اختصار وتوضيح لما في الكتاب : بابي التعريب السابق والتفصيل السابق لهما ، قال ابن السراج : " باب أبنية ما أعرب من الأعجمية " ، " الكلام الأعجمي يخالف العربي في اللفظ كثيرًا ، ومخالفته على ضربين : أحدهما مخالفة البناء ، والآخر مخالفة الحروف .

فأما ما خالف حروفه حروف العرب ، فإن العرب تبدله بحروفها ولا تنطق بسواها، وأما البناء فإنه يجيء على ضربين : أحدهما : قد بنته العرب بناء كلامها وغيَّرته كما غيرت الحروف التي ليست من حروفها ، ومنه ما تكلمت به بأبنية غير أبنيتها، وربما غيَّروا الحرف العربي بحرف غيره؛ لأن الأصل أعجمي " (١).

ثم فصل هذا الإجمال بعض التفصيل بأسلوب نقي واضح وبأمثلة من الكلمات المعربة، كلها من أمثلة سيبويه وقد تقدَّمتْ .

ب ـ الثاني :" ارتشاف الضرب من لسان العرب " للإمام أبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ( ٧٤٥هـ ) ، ونرى في هذا الكتاب اهتمامًا واضحًا بالمعرب ، فقد تعرض له في موضعين من هذا الكتاب ـ فيما أعلم ـ هما :

الأول بعنوان :" فصل الأسماء الأعجمية " ، ذكره في ضمن أحكام وأقسام أبنية الأسماء المجردة والمزيدة ، وما ذكره في هذا الفصل هو تلخيص وتحديد لما ذكره سيبويه، وسبق تفصيله .

قال أبو حيان :" صنَّف أبو منصور الجواليقي فيها( في الأسماء الأعجمية) كتابًا حسنًا ، ودلائل العجمة مذكورة في باب ما لا ينصرف ، والأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام : قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد

(١ )السابق ج ٢٢٣/٣ .

والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع مثل دِرهم وبَهْرَج.

وقسم غيرته و لم تلحقه بأبنية كلامها ولا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو آجر وإبرَيْسَم .

وقسم تركوه غير مغير .

فما لم يلحقوه بأبنية كلامها لم يعدَّ منها وما ألحق عدَّ منها ، مثال الأول: خُراسان لا يثبت به فُعالان ، ومثال الثاني : خُرَّم [1] ألحق بسُلَّم، وكُركُم ألحق بقُمقُم "[2] .

والحكم الواضح الذي استفدناه من هذا التقسيم الموجز الواضح أن المعرَّب الذي ألحقته العرب بأبنيتها يعتبر منها وتجري عليه أحكامها في اعتبار الأصلي والزائد والوزن ، والأمثلة كلها تقدمت في أمثلة سيبويه.

## خامسًا : ما يعرف به الأعجمي الدخيل في العربية :

الموضع الثاني الذي تعرض فيه أبو حيان للمعرّب هو " باب ما لا ينصرف " كما ذكر هو نفسه في الموضع الأول .

وقد ذكر في هذا الموضع [3] العلامات اللفظية التي يعرف اللفظ الأجنبيّ المعرب بها أو ما سماه هو "دلائل العجمة " ، ذكرها في الارتشاف[4] مختصرة في الباب المذكور ، ونقلها الإمام السيوطي في المزهر [5] من شرحه الكبير للتسهيل: " تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد " لابن مالك ، وعنونها بقوله :" فصل قال أئمة العربية تعرف عجمة الاسم بوجوه"، وهي بتصرف وإضافة للشرح:

---

(١)في المطبوعة حرم بالحاء ،والصواب:خرم بالخاء.

(٢) الارتشاف ج ٧٢/١ .

(٣) السابق ص ٤٣٨

(٤) السابق ج ٧٢/١ .

(٥) السابق ج ١٧٠/١ .

أ-النقل ، بأن ينقل أحد أئمة اللغة العربية أن كلمة مستعملة في اللسان العربي هي معربة منقولة من لغة أخرى، وهو دليل قوي معتبر في مصادرنا ومعاجمنا اللغوية ، وهي ملأى بنقول أئمة العربية الصحيحة ، من أمثال أبي بكر بن دريد المتوفى سنة (٣٢١هـ) ، وأبي منصور الأزهري المتوفى سنة (٣٧٠هـ) ، وإسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى على كثير من الكلمات التي يذكر بعضهم أنها معربة، ويجعلها آخر غير عربية محضة، أو هذا يفسرها بتفسير، وذاك يفسرها بتفسير آخر مثل كلمة البُخت والبُختية-بضم الباء فيهما- قال صاحب اللسان [(١)] :" البُخت والبُختية : دخيل في العربية أعجمي معرب وهي الإبل الخراسانية .. وبعضهم يقول: إن البخت عربي وينشد لابن قيس الرُّقَيّات :

يَهَبُ الألفَ والخيولَ ويسْقي
لبن البُخْتِ في قِصاع الخَلَنْجْ"

والذي قال: إنها عربية هو ابن دريد في الجمهرة[(٢)]، قال : " والبُخت جمع بختيّ عربي صحيح " ، ولكنه جعل البَخت بفتح الباء معربا فقال : " والبَخت فارسي معرب ، وقد تكلمت به العرب وهو بخت الجد " : أي الحظ ، وهذا النص نقله صاحب اللسان [(٣)]،وأضاف إليه قوله: " قال الأزهري : لا أدبي أعربي هو أم لا ؟ ورجل بخيت : ذو جد ، قال ابن دريد: ولا أحسبها فصيحة".

ومع ملاحظة ما قد يكون في هذه النقول من الأحكام الناقصة أو المستعجلة مما يقوله [(٤)] المتعمقون في الدراسات اللغوية الحديثة واللغات، التي كانت تنقص كثيرًا من الأئمة

(١ )( بخت ) ج ٢/٩/- ١٠

(٢) ج٢/٢٥٢..

(٣) ( بخت ) ج ٢/٩/- ١٠

(٤) وينظر في هذا تقديم المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام لكتاب المعرب لأبي منصور الجواليقي، تحقيق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر ص ٣-٨، والتعريب في القديم والحديث ص ٤٨-٤٩ للدكتور محمد حسن عبد العزيز .

السابقين والمتخصصين في اللغة العربية في العصر الحديث .

ثم إن هذا الدليل أصبح دليلاً تاريخيًّا يفيد في الحكم على الكلمات التي عربت في الماضي في الجاهلية وصدر الإسلام من اللغات التي احتكت بها العربية في ذلك العصر وهي لغات معينة على رأسها الفارسية .

ب-الدليل الثاني خروج اللفظ المعرب عن أوزان الأسماء العربية نحو إبْرَيْسَم - فإنه لا يوجد لهذا الاسم نظير عربي يشاركه في الوزن ، ومثل خراسان فإنه لا يثبت به فعالان كما سبق ، ومثل بقم فإن وزنها " فعل " بتشديد العين لا يوجد في الأسماء العربية إلا نادرًا، ولذا قال ابن منظور[1] :" فثبت أن فعَّل ليس في أصول أسمائهم،وإنما يختص بالفعل ".

ج-الثالث أن يكون أوله نونًا ثم راء نحو نرجِس، فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية ، وفي نرجس يقول الجوهري [2]:" نرجس معرب والنون زائدة لأنه ليس في الكلام فَعْلِل ، وفي الكلام: نَفعِل " أي: فِعْل، وفي تاج العروس للزبيدي جدال في إثبات عربية الكلمات التالية "نرز" [3] و"نرس" [4]و"نرش" [5]، فقد قيل: إنها معربة لوجود الراء بعد النون في أولها.

د-الرابع أن يكون آخره زايًا بعد دال نحو مهندز فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية وقال الجواليقي[6] : " وليس في كلامهم زاي بعد دال إلا دخيل من ذلك " الهندار" والمهندز، وأبدلوا الزاي سينا فقالوا :"المهندس".

هـ- أن يجتمع في الكلمة الصاد والجيم مثل الصولجان والجصّ ، وفي الجصّ يقول صاحب اللسان[7] :

(١) في اللسان ( بقم ) .

(٢) الصحاح ( نرجس ) .

(٣) التاج ٤ / ٨٥١ .

(٤)السابق / ٢٥٦ . (٥)السابق ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٦) المعرب ص ٥٩ . (٧)( جصص ) ج ٧ / ٦٠ .

الجصُّ والجص معروف الذي يطلى به وهو معرب، قال ابن دريد: هو الجصُّ ولم يقل الجَصّ (بفتح الجيم)، وليس الجص بعربي وهو من كلام العجم ".

و-السادس أن يجتمع في الكلمة الجيم والقاف نحو المنجنيق ، وفي هذا يقول الجوهري= (1) :" الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب إلا أن يكون معربًا أو حكاية صوت نحو " الجردقة " وهي الرغيف و " الجرموق " الذي يلبس فوق الخف و " الجرامقة " قوم بالموصل أصلهم من العجم و " الجوسق " : القصر و "جِلِّق" بالتشديد وكسر الجيم واللام موضع بالشام و "الجُوالق " وعاء، والجمع الجوالق بالفتح - والجواليق أيضًا ".

ز-السابع أن يكون اللفظ خماسيًا أو رباعيًّا عاريًا من حروف الذلاقة، وهي " الباء والراء والفاء واللام والميم والنون" ، فإنه متى كان عربيًّا فلابد أن يكون فيه شيء منها نحو سفرجل وفرزدق وجعفر وجوهر .

هذه أدلة معرفة اللفظ الأعجمي في تراثنا اللغوي ومعاجمه ، قدمناها مشروحة مفصَّلة بخلاف ما ذكرت عليه في المصدرين السابقين (2).

**سادسًا : المعرب وتعريفه في المعاجم اللغوية:**

المعاجم اللغوية هي المصادر الأولى للمعرب الذي عربته العرب الفصحاء ، وللمولد الذي دخل اللغة العربية من بعدهم ، فهي التي جُمِع فيها كلام العرب الفصيح وفُرِّق فيها بين العربي الأصيل والمعرب والدخيل، وكتب المعرب التي جمعت المعرب وخصصت له- مثل معرب الجواليقي - أكبر شاهد على ذلك فأكثر ما فيها منسوب إلى مؤلفي هذه المعاجم أو منقول منها،وكذلك ما قدمناه في هذا البحث من تفسير وتوثيق للكلمات

(1) الصحاح ج ١٤٥٤/٤ ( فصل الجيم ، باب القاف ) ، وينظر المزهر ج ٢٧١/١ .

(2)وينظر فيها أيضا المعرب ص ٥٩ – ٦٠ للجواليقي .

المعربة المذكورة في كتب النحو ، ومن بيان لأدلة معرفة المعرب إنما كان بالرجوع إليها والاعتماد عليها ، وقد علمنا أن الدليل الأول منها هو نقل أئمة اللغة الذي سُجّل في هذه المعاجم والمرجع إليها فيه .

ويصدق هذا القول على كل معاجمنا المعتمدة المتداولة ، مثل جمهرة اللغة لابن دريد ، وتهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ، والصحاح لإسماعيل الجوهري - وغيرها .

فالجمهرة - مثلاً - يعتبر من المعاجم الصغيرة، ولكنه جمع مادة غزيرة من المعرب والمولد وكلمات كثيرة منها، بلغ فهرسها ثماني صفحات بعمودين في النسخة المحققة، وقد أحسن صنعًا الدكتور رمزي منير بعلبكي محققه بصنع هذا الفهرس، فأفاد فائدتين : فائدة إبراز ما في هذا المعجم القيم من الألفاظ المعربة والمولدة ، فعنوان هذا الفهرس يجمعهما. وفائدة معرفتها وسهولة العثور عليها والرجوع إليها .

ويبلغ اهتمام ابن دريد بالمعرب ذروته فيعقد له بابًا في آخر الكتاب بعنوان: " باب ما تكلمت به العرب من كلام العجمة حتى صار كاللغة".

ويذكر تحته كلمات كثيرة معربة يخللها بكثير من الآراء والشواهد وأحكام المعرب مثل ما فعل في ثنايا الكتاب .

ويظهر لي أن المصدر الأول - من المعاجم اللغوية - للمعرب، ولذلك كثرت النقول عنه، واعتمدت أقواله فيه، ولولا خوف الإطالة لضربنا لذلك بعض الأمثال، أو لسقنا بعض النماذج الموضحة.

**الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري:**

وهو أيضًا معجم ممتاز ومصدر مهم جدًا للمعرب، وقد كثُرت النقول عنه في معاجم المتأخرين مثل لسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي ، وقد سبق لي نقل بعض أقواله في المعرب.

**تعريفه للمعرب :**

ويظهر لي أن هذا الإمام اللغوي هو أول من اهتم بتعريف المعرب من المعجميِّين الكبار المشهورين ، قال في معجمه المذكور :" وتعريب الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها ، تقول:عرَّبته العرب وأعربته أيضًا" [(١)]، وقد نقل هذا التعريف كثير من أئمة اللغة الكبار - كما يأتي .

وأنا أفهم من قوله :" على منهاجها " أنه على منهاجها في التعريب ، وهو ما سبق وصفه من كتاب سيبويه وغيره وبيان أقسامه ، فهذا التعريف تقرير لما قاله سيبويه واستخلاص منه ولا يختلف معه ، ومعنى " تتفوه به " : تلفظ به أفواهها وتجريه في كلامها على نحو ما ذكر سيبويه وقسَّم ، إذ ما تتفوه به العرب يشمل ما حمل على نظيره العربي لإمكان حمله عليه وإلحاقه به - وهو الكثير - وما لم يحمل على نظيره العربي فتكلموا به كما تلقوه بشرط أن يكون خاليًا من الحروف غير العربية - كما سبق - لذا فإني أخالف ما قيل عن الجوهري :" اشترط في الكلمة المعربة أن تتفوه بها العرب على منهاجها في بناء ألفاظها ، وهو منهج يخالف ما انتهى إليه سيبويه"، [(٢)] وهو تعريف وليس بمنهج، إذ هو لم يطبق عليه بما يوافق هذا التفسير أو يدل عليه ، ولم يتوسع في شرحه بذكر أمثلة له تجعلنا نحكم بهذه المخالفة لسيبويه ، بل إن تطبيقاته الكثيرة على هذا التعريف وما ذكره من الكلمات المعربة وأحكام المعرب في ثنايا كتابه " الصحاح " لا يختلف عما ذكره المعجميون الآخرون في المنهج العام ، ومن ذلك قوله[(٣)] : " البَهْرَج : الرديء من الشيء وهو معرب يقال: دِرهَمٌ بَهْرَج"، وقد

(١)الصحاح ( عرب ) ج ١/١٧٩، تحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين ، بيروت .

(٢)ينظر " التعريب في القديم والحديث " ص٧٢ للدكتور محمد حسن عبد العزيز .

(٣)الصحاح ج ١/٣٠٠.

تقدمت هذه الكلمة في أمثلة سيبويه للمعرب - وقال عنها ابن دريد[1] : " والبَهرج: الباطل وهو بالفارسية نِبَهره ".

إن منهج العرب في التعريب هو ما وصفه سيبويه، وانتهى إليه الجوهري فعبر عنه تعبيرًا موجزًا محكمًا على أسلوبه في التعبير المحكم .

وهل من المعقول أن تبني العرب كل المعربات بمنهج بناء ألفاظها وهي تنقلها من لغات أخرى تختلف عن لغتهم قليلاً أو كثيرًا في بناء كلماتها وحروف هجائها.

والجوهري في تعريفاته وذكره للمواد اللغوية وتحديده للمعاني دقيق محكم موجز ، وقد نقل علماء[2] اللغة والنحو تعريف الجوهري المذكور، ولم يروه مخالفًا لما انتهى إليه سيبويه ولا مذهبا مستقلاً عن الآخرين، وذلك دليل على موافقتهم عليه، واعتمادهم إياه على تفسيره السابق ، فهو يمثل رأي هؤلاء الأئمة كلهم، وليس تعبيرًا عن مذهب خاص بصاحبه كما رأى بعض العلماء .

**تعريف الفيومي للمعرب :**

عرف الشيخ أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيُّومي المتوفى سنة (٧٧٠هـ) في معجمه الصغير الشهير " المصباح المنير" بقوله : " والاسم (المعرب) الذي تلقته العرب من العجم نكرة نحو إبْرَيسَم، ثُم ما أمكن حمله على نظيره من الأبنية العربية حملوه عليه، وربما لم يحملوه على نظيره، بل تكلموا به كما تلقوه، وربما تلعبوا به فاشتقوا منه، وإن تلقوه علمًا فليس (بمعرب) وقيل فيه أعجمي مثل إبراهيم وإسحاق "[3] .

وهو تعريف واضح أجمل فيه الفيومي منهج العرب في التعريب بما يزكي تفسيري السابق لتعريف

---

(١)الجمهرة ج ١٣٢٤/٣، وينظر أيضا ص١١١٣.

(٢)ينظر مثلا : لسان العرب ( عرب )ج ٥٨٩/١، ط دار صادر ، بيروت ، وتاج العروس - المقدمة ج ٩/١ وأعاد ذكره في ص ٣٧٣ ( عرب )

(٣)في مادة ( عرب ) .

الجوهري ، قاصرًا اسم المعرب على ما كان نكرة من الأسماء ، وأما ما كان علمًا من الأسماء غير العربية، فإنه يسمى أعجميا، ولا يقال: إنه معرب، ومضيفًا قوله :" وربما تلعبوا به فاستقوا منه "، أي: ربما تلعب العرب وتلهّوا بالاشتقاق من الكلمة المعربة ، وكأنه يقصد أن هذا الاشتقاق ليس كثيرًا لتعبيره بـ "ربما"، وأنه ليس بعمل جاد قياسيّ لأن اللعب ومنه تلعب ضد جدَّ ، وقد نقل[1] الإمام السيوطي أقوال أئمة اللغة بمنع اشتقاق الاسم المعرب، ولكنه ذكر ما يفيد أنه قد يشتق منه ، مثل كلمة لجام - وهي معرب لغام - التي ذكر السيوطي جميع المشتقات؛الأسماء والأفعال منها، وقال:"وليس تبينهم لأصله (أي: تبيين اللغويين لأصل المعرب) الذي نقل عنه وعرب منه باشتقاق له؛ لأن هذا التبيين مغزى والاشتقاق مغزى آخر،وكذا كل ما كان مثله"، وهذه ملاحظة قيمة يجب اعتبارها واستحضارها، وقد ذكر الفيومي كلمة " لجام " في حرف اللام وذكر خلافًا في كونها معربة ، وذكر الأفعال المشتقة منها، قال : " اللجام للفرس قيل : عربي ، وقيل معرب ، والجمع : لُجُم مثل: كتاب وكتب ، ومنه قيل للخرقة تشدها الحائض في وسطها " لجام "و " تلجَّمت " المرأة: شدت اللجام في وسطها و " ألجمت " الفرس " إلجاما " : جعلت اللجام في فيه، وباسم المفعول سمى الرجل".

وذكر صاحب القاموس المحيط هذه الكلمة في " ل ج م " وقطع بكونها معربة، فقال : " اللجام- ككتاب- للدابة فارسي معرب " ، وذكر كثيرًا من مشتقاتها .

ومن الكلمات المعربة التي ذكرها الفيومي كلمة " المجوس " ، قال المجوس أمة من الناس، وهي كلمة فارسية و " مجس " صار من المجوس ، كما يقال : تنصَّر وتهوَّد إذا صار من النصارى أو من اليهود و " مجَّسه "

---

(١) المزهر ج ١ /٢٨٦ وما بعدها .

أبواه جعلاه مجوسيًّا ".

فكأن هذه الكلمة مما تلعب به العرب بالاشتقاق منها .

وبذلك نعلم أن الاشتقاق من الاسم المعرب أمر مأنوس وغير منكور ، ونعلم من هذا التعريف وأمثاله أن التعريب تلق أخذ من لغة أخرى بحكم الالتقاء بين جماعتين من الناس ، والحاجة إلى الكلمة المعربة ، وليس عملاً نظريًّا تصنف فيه الكلمات وتعد في قوائم للاستعلام والتداول في غير لغتها .

**سابعا: الفرق بين المعرب والمولد والمصنوع :**

الإمام السيوطي جعل المعرب "النوع التاسع عشر" في كتابه " المزهر " [1] وعنونه بقوله : " معرفة المعرب " ، وبدأ حديثه عنه بتعريفه فقال : " هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها".

قال الجوهري في الصحاح :"تعريب الاسم الأعجمى أن تتفوّه به العرب على منهاجها، تقول : عربته العرب ، وأعربته أيضًا ".

وجعل المولد " النوع الحادي والعشرين " [2] بعنوان " معرفة المولد" وبدأ الحديث عنه بتعريفه فقال:" وهو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم ، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح ، وهذا بخلافه".

وفي مختصر العين للزبيدي : " المولد من الكلام المحدث " .

وفي ديوان الأدب للفارابي يقال : " هذه عربية وهذه مولدة " .

وقد نقل هذين التعريفين العلامة مرتضى الزبيدي في مقدمة شرحه للقاموس : " تاج العروس من جواهر القاموس " [3].

فالمعرب ما تفوهت به العرب الذين يحتج بكلامهم ، وأدخلته في

---

(١) المزهر ج ١ /٢٨٦ وما بعدها .

(٢) السابق ص ٣٠٤ . (٣) ج ١/٩ .

لغتها،وهو ما وصفه سيبويه ومنهجهم في استعماله وأقسامه،وسجّلته المعاجم اللغوية مما سبق الحديث عنه تفصيلاً .

والمولد ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم ، والمولدون هم المتكلمون بالعربية الذين جاؤوا بعد عصر الاستشهاد، ودخول اللحن في كلام العرب ، وقد جاء في لسان العرب [1] قوله: " وإنما سمي المولد من الكلام مولّدًا إذا استحدثوه و لم يكن من كلامهم فيما مضى " ، وقوله :" والمولد: المحدث من كل شيء ، ومنه المولدون من الشعراء إنما سموا بذلك لحدوثهم " .

والمصنوع : المفتعل الذي يورده صاحبه على أنه عربي فصيح ، وهو بخلافه ، أي : يكون ادعاؤه فصاحته غير صحيح ومرفوض .

وبذلك ننتهي إلى أن الوصف بـ "المعرب" خاص بما عربته العرب الذين يحتج بكلامهم ويستشهد به في اللغة وعلومها، وشهاب الدين أحمد الخفاجي جمع في كتابه " شفاء الغليل فيما دخل كلام العرب من الدخيل " بين المعرب والمولد ، فقال في أوله بعد ذكر المعرب للجواليقي :" وأضفت إليه فوائد ونظمت في لباته فرائد وضممت إليه قسم المولد وهو إلى الآن لم يدون في كتاب ".

**ثامنًا: نتائج وملاحظات :**

بعد هذه الجولة في المعرب في فكرنا اللغوي القديم نستطيع أن نستخلص مما ذكرناه في هذا البحث النتائج والملاحظات التالية :

١-أن التعريب كان أمرًا واقعًا في لغتنا العربية منذ عصرها الأول ، وأنه كان مادة لغوية معروفة عند أئمة اللغة الأوائل، فهم الذين رووه وسجلوه في معاجمهم ولا يوجد من يخالفهم فيه ، بل من جاء بعدهم - كثير منهم توسعوا فيه وقدموا فيه دراسات قيمة وكتبًا جامعة منطلقين من أسس الأوائل ونظرتهم إليه ، لأنه من المعلوم لديهم جميعًا ، ومن المسلم به أن اقتراض اللغات بعضها من بعض أمر واقع

(١)ج ٤٦٩/٣ - ٤٧٠ ( ولد ) .

مسلم به ولا جدال حوله، ومن هذه اللغات لغة العرب ، وقد زاد هذا الأمر وضوحا في العصر الحديث، فكان الاهتمام به كبيرًا واسعًا لشدة الحاجة إليه في ميادين كثيرة من العلم والمعرفة وشؤون الحياة المختلفة .

٢-أن التعريب في عصر الفصاحة السليقية كان للكلمات الاسمية الدالة على أشياء حسية من أسماء الألبسة، والأشربة، والأدوية ، والنقود، والأواني، والأماكن، والأبنية، والمصنوعات - وأشباه ذلك - بنقلها إلى العربية ، ولم يكن للجمل والأساليب والأفعال ولا للمعاني ، فلا نجد في الكلمات المعربة المسجلة في المعاجم فعلاً واحدًا ولا في كتب النحو، بدليل ما وصفنا من منهج سيبويه فيما ذكره من المعرب وأقسامه ومنهج العرب في التعريب وهو ما يؤيده عمل اللاحقين المؤلفين في المعرب مثل أبي منصور الجواليقي الذي خصص كتابه " المعرب " للأسماء المفردة المعربة، وهي حقيقة تؤيدها الدراسات اللغوية التاريخية التي اهتم أصحابها ببيان اتصال العرب بغيرهم من الأمم المجاورة وأنهم لم يكونوا منعزلين، وأنهم استفادوا لغويًا وأدبيًا من هذه الأمم، مثل ما فعله المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد أمين الذي توسع[1] في هذا الموضوع ولكنه لم يقدم دليلاً على هذا الاتصال والاستفادة سوى الكلمات المعربة فقال :" ودليلنا الآن على هذه الاستفادة ما أخذه العرب من كلمات كثيرة فارسية ورومانية ومصرية وحبشية، نقلها هؤلاء التجار وأمثالهم وأدخلوها في لغتهم وجعلوها جزءًا منها وأخضعوها لقوانينها وتعلق بها القرآن الكريم " .

وهذا الذي قررناه هنا هو أهم النتائج التي انتهت إليها المناظرة التي جرت في حفل نادي دار العلوم عام (١٩٠٨م) بين الشيخين : محمد الخضري وأحمد الإسكندري، كما لخصها الدكتور محمد حسن عبد العزيز في كتابه : " التعريب في القديم

(١ )ينظر كتاب " فجر الإسلام " ص ١٢-٢٩ ط١١ ، وينظر أيضا : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦١٩/١ للدكتور جواد علي .

والحديـــث ص ١٧٤-١٧٥".

٣- أن منهج العرب في التعريب قائم على تغيير الكلمة المعربة عن وضعها في اللغـــة المأخوذة منها بما يجعل حروفـــها كلـــها عربية، إن كان جلها أو بعضها غير عربي، وهذا إبدال واجب ، وبما يخضعها لأوزان كلمات العرب أو يقربها منـــها تقريبًـــا يجعلها سائغة في الذوق العربي ، ســـهلة النطق على ألسنة أبناء العربية، مقبولـــة لا ينفر منها سمعهم ، ولا يوحي نطقهم بهـــا أنهم يرتضخون كلمات أجنبية، أو أنهـــم عرب لغتهم غير العربية ، ويكون هـــذا التغيير بإبدال حرف من حرف ، أو زيادة حرف ، أو نقصان حـــرف ، أو إبـــدال حركة بحركة ، أو إسكان متحـــرك ، أو تحريك ساكن .

وأما بالنسبة لأبنية الكلمات وأوزانها، فإن العرب ـ بحكم مبدأ التغيير والتصرف في الكلمات المعربة- ألحقوا أكثر المعربات بأبنيتهم وأجروا عليها أحكامها في اعتبار الزائد والأصلي والوزن ، والاشتقاق منها أحيانًا ، وما غيروه ولم يلحقوه بأبنيتهم لا تجري عليه هذه الأحكام، ولا يعتبر فيه ما اعتبر في النوع الأول، وقد يقبلون إبقـــاء الكلمة المعربة على صيغتـــها الأصليـــة ، وهي قسمان : قســـم لا نظـــير لـــه في أوزانهم، فلا يلحقونه بشـــيء منـــها ولا يثبت به وزن قياسي في لغـــة العـــرب ، وقسم له نظير فيها ، فإنهم يلحقونه بنظيره ولا يجرون عليه الأحكام القياسية الـــتي يجرونها على النوع الأول .

٤-النحويون هم الذين وصفـــوا منـــهج العرب في التعريب وحـــددوا ضوابطـــه وأقسامه باعتبار استعمال العرب إيـــاه ، ولكنهم لم يعرفوه ، وإن عرفه اثنـــان ـ فيما أعلم ـ مـــن اللغويـــين أصحـــاب المعاجم، الأول الجوهري في الصحـــاح، وتعريفه قد سبق ذكره وشرحه ، وهـــو الرائج في معاجم اللغة الكبرى، فهو يمثـــل مذهبهم جميعًا ويلخص منهج العـــرب في التعريب كما وصفه سيبويه والنحويـــون من بعده ، فهو ينتهي إلى ما انتهى إليـــه سيبويه ولا يختلف معه، ولا مع غيره مـــن النحاة ، والثاني الفيومي صاحب المصباح،

وقد أثار في تعريفه إياه قضيتين مهمتين : الأولى أن التعريب إنما كان في الأسماء النكرات فهي المعربة ، وأما الأسماء الأعلام المنقولة إلى اللغة العربية من اللغات الأخرى فهي أعجمية غير معربة ، والثانية أن العرب قد يشتقون من الكلمات المعربة - مثل كلمة " لجام "- وهو تعريف واضح أجمل فيه منهج العرب في التعريب ، ولا يختلف في مضمونه عن تعريف الجوهري.

٥-الاشتقاق من المعرب الملحق بأبنية العرب فعلته العرب وأجرته في كثير من الكلمات المعربة ، وأما ادعاء اشتقاقها وادعاء أصول ترجع إليها فغير مقبول ولم يقل به أحد من اللغويين ، وتبيين اللغويين لأصول الكلمات المعربة التي نقلت منها أو عربت منها ليس باشتقاق لها ، لأن التبيين مغزى والاشتقاق مغزى آخر - كما يقول الفيومي ويقول شهاب الدين أحمد الخفاجي :" ولا يصح الاشتقاق فيه؛ لأنه لا يدعي أخذه من مادة الكلام العربي" (١)

وجعل الجواليقي فائدة معرفة المعرب أن يحترس المشتق، من الخلط بينه وبين العربي المحض فقال :"ففي معرفة ذلك فائدة جليلة ، وهي أن يحترس المشتق فلا يجعل شيئًا من لغة العرب لشيء من لغة العجم " (٢)

٦-لم يصرح أحد من اللغويين فيما نقلت عنهم في هذا البحث ولا في غيره - فيما أعلم - أن التعريب قياسي ، فكل أقوالهم وشروحهم ورواياتهم كانت وصفًا لاستعمال العرب المعرب ومنهجهم فيه بإسناد ذلك إليهم، فما دخل اللغة بعدهم يعد مولدًا لا معربًا - كما سبق - في الفرق بينهما ، ولذلك كان قول الشهاب الخفاجي: "وهو سماعي فما عربه المتأخرون يعد مولدًا وكثيرًا ما يقع في كتب الحكمة والطب ، وصاحب القاموس يتبعهم من غير تنبيه على هذا ، ولعل سماعيته مخصوصة بغير الأعلام إذ كل ينادي بعلمه من غير نكير"، ممثلا لرأي جميع اللغويين والنحويين ، ويؤكد

(١) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ص ٣.

(٢) المعرب ص ٥١ .

ما جاء في مجلة المجمع [1] احتجاجا لقرار المجمع في المعرب والمولد ، وهو : "لم يلهج الناس في نصف القرن الماضي بمسألة من مسائل اللغة مثلما لهجوا بمسألة جواز التعريب للمحدثين أو منعه مع إجماع أئمة اللغة على منعه للمحدثين " .

وليس معنى كونه مولدًا أنه مرفوض في كل الأحوال، بل إنه قد يكون الأخذ به واستعماله أمرًا ضروريًا على أن تكون صياغته وحروفه على منهج العرب في التعريب، ولذلك كان قرار المجمع شاملاً للمعرب والمولد منظمًا للأخذ بهما .

**قرار المجمع في المعرب والمولد أصح تعبير عن منهج العرب في التعريب:**

٧- تأسيسا على كل ما سلف في هذا البحث أرى أن أصح تعبير وأكمله عن منهج العرب في التعريب وما يجوز لنا استعماله من الألفاظ الأعجمية من المعرب والمولد وما لا يجوز هو قرار المجمع الصادر منذ أكثر من ستين عامًا والمنشور في العدد الأول من مجلة المجمع (ص٣٣-٣٤) وهو:

**أولاً: قرار المعرب :**

" يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم ".

وجاء في الاحتجاج له وشرحه - في العدد نفسه (ص٢٠٢)- : "فعبارة القرار تقتضي إجازة استعمال بعض الأعجمي في فصيح الكلام، وتقييده بلفظ "بعض"دون جنس الألفاظ يفيد أن المراد الألفاظ الفنية والعلمية التي يعجز عن إيجاد مقابل لها لا الأدبية، ولا الألفاظ ذات المعانى التي يتشدق بها مستعجمة زماننا من أبناء العرب والمراد من العرب في القرار: العرب الذين يوثق بعربيتهم، ويستشهد بكلامهم، وهم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع".

(١) العدد الأول ص ١٩٩.

**ثانيا : قرار المولـــد :**

" المولد هــو اللفــظ الــذي اســتعمله المولَّدون على غير اســـتعمال العـــرب - وهو قســما

أ-قسم جروا فيه أقيسة كـــلام العـــرب مـــن مجـــاز أو اشـــتقاق أو نحوهـــا ، كاصطلاحـــات العلـــوم والصناعـــات وغير ذلك، وحكمه أنه عربي ســـائغ .

ب-وقسم خرجوا فيـــه عن أقيسة كلام العرب ، إما باستعمال لفظ أعجمـــي لم تعربه العرب ، وقد أصدر المجمع في شـــأن هذا النوع قراره : إما بتحريف في اللفـــظ أو في الدلالة لا يمكن معه التخريج علـــى وجه صحيح ، وإما بوضع اللفظ ارتجالاً.

والمجمع لا يجيز النوعين الآخريـــن ".

والله أعلـم

**إبراهيم عبد الله رفيدة**

عضو المجمع المراسل من ليبيا

# تقرير عن ندوة
# " الأرقام ومكانتها في قضية التعريب"*
# ٢٠ فبراير ١٩٩٧م

للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد

ارتأت " الجمعية المصرية لتعريب العلوم " أن تمهد لإقامة مؤتمرها السنوى الثالث (١٢و١٣ مارس ١٩٩٧م ) بعقد ندوتين، إحداهما عن" الأرقام ومكانتها فى قضية التعريب "، والأخرى عن " الرموز ومكانتها في قضية التعريب" .

وذلك لأننا قد لاحظنا أن الشجون في المؤتمرات العامة عن التعريب تتشعب وتتداخل ، وتتكرر الأحاديث في قضية قديمة متجددة ـــ وقد تفتقر الرؤى فيها إلى التحديد والتركيز .

وعقدت الجمعية ندوتها الأولى ( "عن الأرقام" ) يوم الخميس ١٩٩٧/٢/٢٠م، فى رحاب مجمع اللغة العربية ، وبرئاسة رئيسها . وكان الإقبال على حضور الندوة ممتازًا ، كذلك كان حضور رجال الإعلام بارزاً، كما أن اهتمام وسائل الإعلام بالندوة كان، قبل عقدها وبعده ، واضحًا ( نشرتُ بجريدة الأهرام مقالاً قصيرًا ، يوم السبت ١٩٩٧/٢/٨م، عن تاريخ الأرقام ، مع التنويه .

وافتُتحت الندوة بتلاوة مباركة لما تيسر من القرآن الكريم ، ثم بكلمة ضافية ألقاها الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع ورئيس الندوة ، حيا فيها الجمعية والحاضرين ، منوّها بأهمية الحساب والأرقام ، ومستعرضًا تاريخ العدد والحساب في الأمم السابقة ، مُنتهيًا إلى الدور البارز الذي قام به العلماء المسلمون في هذا المجال. ثم تحدث الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد معرّفا بالجمعية وتاريخها وجهودها السابقة وبرنامجها لهذا العام ، وشاكراً للأستاذ الدكتور شوقي ضيف أنْ فتح أبواب

* ألقي هذا التقرير في الجلسة الخامسة عشرة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين، يوم الثلاثاء ١٦ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٥ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٧م.

المجمع للهيئات الجادّة المهتمة بقضايا اللغة والتعريب،ومستعرضًا تاريخ الأرقام الهندية العربية ، ومنوِّها بأن الجمعية قد شكَّلت لجنة لدراسة موضوع الأرقام دراسة موضوعية تعتمد الأسلوب الإحصائيّ الهندسيّ التحليليّ لصورتي الأرقام الشائعتين،ومدى توافق كل منها مع الخط العربي. ثم تكلم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله الشامي رئيس لجنة الأرقام والرموز بالجمعية ليقدم عرضًا وجيزًا لعمل اللجنة ، وعارضًا برنامج الندوة .

وتضمَّن برنامج الندوة سبعة بحوث ، أضيف إليها بحثٌ ثامن لطبيب مصري ، حضر من السعودية ليقدم للندوة فكرته الخاصة المبتكرة لنظام جديد من أشكال الأرقام. وكانت البحوث السبعة المقدمة كما يأتى :-

١- الأرقام الحسابية العربية .

للأستاذ الدكتور بديع توفيق محمد حسن.

٢- المنهج والتربية في الأرقام .

للأستاذ الدكتور ابن النيل الصيرفي

٣- بعض مشاكل الرقم في العربية المعاصرة.

للأستاذ الدكتور محمد عبد الله الشامى .

٤-تجانس الأرقام الهند عربية مع أشكال الحروف العربية وأشكال حروف لغات أخرى .

للأستاذ الدكتور محمد يونس الحملاوى، والدكتور محمد يسري النحاس.

٥- نحو نظرة متكاملة لقضية الرقم العربي المشرقي والمغربي .

للدكتور محمد يسري النحاس ، والأستاذ الدكتور محمد يونس الحملاوي.

٦- دراسة تحليلية لتاريخ نظام العد ودوره في تقدم الرياضيات

للأستاذ الدكتور نادى كمال عزيز جرجس.

٧- الأرقام في تراثنا العربي .

للدكتور عبد الخالق يوسف سعد.

وكان أهم ما أثمرته البحوث المقدمة وما دار حولها من نقاش ما يلي :

١- تمحيصٌ لتاريخ الأرقام المشرقية ( التي تعرف في الغرب باسم " الهندية " ) والأرقام المغربية ( التي تعرف في الغرب

باسم "العربية"، وأحيانا باسم "الغبارية").
وظهر ما يقارب الاتفاق الكامل على أن كلتيهما هندية عربية .

٢- نحا بعض البحوث منحًى هندسيا إحصائيًّا تحليليًّا لدراسة أشكال منظومتَيْ الأرقام وحروف اللغة العربية وبعض اللغات الأخرى . وكانت هذه البحوث تهدف إلى :

أ- تبيين مدى ملائمة الأرقام المشرقية للحروف العربية .

ب- تحديد مدى كفاءة تَعَرُّف كلٍّ من الأرقام المشرقية والمغربية بين حروف عربية .

جـ- محاولةِ استنتاج النشأة الأولى للأرقام المشرقية والمغربية من دراسة علاقة كل منهما بأشكال حروف اللغتين الآرامية والسنسكريتية (ويثير هذا الاتجاه جدلاً غير قليل ).

٣- تدل هذه الدراسات على أن الأرقام المشرقية أكثر توافقًا مع الخط العربيّ، وعلى أنه ليس هناك ما يدعونا ، في مصر والمشرق العربيّ ، لنبذ الأرقام المشرقية واستبدال المغربية بها .

٤- فضلًا على هذه النواحي العملية ، تَمَسُّكُ المشرق بالأرقام المشرقية فيه حفاظ على تواصل التراث العربي القديم بالحاضر ، ومحافظةٌ على هُويتنا ، ويُسْرٌ لاتصالنا بالبلاد الإسلامية التي تستخدم الأرقام المشرقية . ( استُخدمت الأرقام المشرقية باطراد منذ أواخر القرن التاسع الميلادي ، فقد ظهرت فى مخطوطة لكتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي ، عام ٨٢٠م) .

٥- ثمة أدلة من التراث تظهر جواز قراءة الأرقام المشرقية من اليمين إلى اليسار ، أي بدءًا بالآحاد ثم العشرات وهكذا ، أو من اليسار إلى اليمين ، أي من الخانات العليا إلى الدنيا .

٦-المشكلتان الملحتان في الأرقام المشرقية، هما : الرقم٢، والصفر الذي يكتب نقطة، وقُدِّمت بعض الاقتراحات .

٧- قيل على الجانب الآخر: إن الأرقام المغربية لها صفة الذيوع العملي والتكنولوجي ، كما في الساعات الرقمية وأجهزة القياس المختلفة ، التي يستخدمها عامة الناس في العالم، مشرقه ومغربه

ولكن العلامة العشرية، التي تمثل بنقطة ، قد تكون مصدراً خطيراً لأخطاء فادحة .

٨- هناك حاجة ملحة لأن تتولى هيئة مسؤولة، كمجمع القاهرة للغة العربية ، عمل دراسة تؤدى إلى توصيف قياسي للأرقام المشرقية ، على نحو ما تم بالنسبة للخط العربي وقد أوصى المجتمعون في الندوة بأن تُقدَّم خلاصةُ ما انتهت إليه من نتائج إلى مجلس مجمع اللغة العربية ، لعرضها على المؤتمر السنوي للمجمع وإثارتها فيه ، لاسيّما وأن هناك دعاوى ملحة تروّج لإحلال الأرقام المغربية محل المشرقية فى بلاد المشرق .( ووافق مجلس المجمع على ذلك ) .

**على هامش الندوة :**

قدم الأستاذ الدكتور سعيد النجار خطابا كان قد وجهه إليه،فى ١٩٨٧/١٠/٢٧م، الدكتور عبد الحسن زلزلة ، الأمين المساعد للشؤون الاقتصادية بجامعة الدول العربية وقتئذٍ ، مشفوعًا بمذكرة حول الموضوع ، يتضح منها ما يلي :

١-أثير موضوع الأرقام في المؤتمر الأول للتعريب، الذي انعقد في المغرب عام ١٩٦١م ؛ ثم عُقدت في تونس عام ١٩٦٣م حلقة دراسية لتوحيد الأرقام العربية فأوصت الدولَ العربية بتعميم الأرقام الغبارية ( العربية) ، وأقر مجلس جامعة الدول العربية هذه التوصية في مارس ١٩٦٥م .

٢- أيّد مؤتمر التعريب الثاني ، الذي عقد في الجزائر عام ١٩٧٣م، القرار السابق ، ولكنه أوصى بمتابعة دراسة الموضوع . ولما طُلب من المجمع العلمي العراقي بيانُ الرأي فيما انتهت إليه حلقة تونس ، كلف المجمع " أحد الباحثين "بوضع تقرير في الموضوع ، فانتهى الباحث إلى القول : " إن كُلاًّ من الأرقام المشرقية والمغربية ذو أصول عربية ، وهما يتساويان بانتسابهما إلى العرب ، ومن الأصح أن يعمم استعمالهما فى البلاد العربية فى الوقت الحاضر كشكلين متميزين من أشكال الأرقام العربية ، وذلك من أجل تحقيق وحدة ثقافية عربية فى الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه " ؛ فاعتمد المجمع العراقي هذا التقرير ونشره فى مجلته .

٣- عُرض موضـــوع استخدام الأرقـــام المغربية بدلاً من المشرقية على مؤتمر مجمـــع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الأربعـــين عام ١٩٧٤م ، فأحال الموضوع على لجنة الرياضيات التي قدمت تقريرًا إلى مؤتمـــر المجمع في دورته الحادية والأربعين عـــام ١٩٧٥م فأوصى المؤتمر بإحالة الموضـــوع إلى اتحاد المجامع العربية .

*والظروف لا تسمح بفتح باب المناقشـــة في الموضوع وتفاصيله الآن ، ولكن قـــد يرى المؤتمر ، مثلا :

١-التوصيةَ بتأييد استمرار بلاد المشـــرق العربي في استخدام الأرقـــام المشرقيـــة ، وعدم العدول عنها إلى الأرقام المغربية .

٢- التوصيةَ بإحالـــة موضـــوع وضـــع المواصفات القياسية للأرقام المشـــرقية إلى لجنة الرياضيات بمجمع اللغـــة العربيـــة بالقاهرة .

٣- دراسة القضية برمتها ضمن أعمـــال مؤتمر المجمع فى دورته القادمة.

والله ولىُّ التوفيق .

**عبد الحافظ حلمي محمد**

عضو المجمع

ورئيس الجمعية المصرية لتعريب العلوم

# مقررات تعريب التعليم الجامعي*
## في مجال العلوم الإنسانية

للأستاذ الدكتور كمال محمد دسوقي

### ١- مدخل صدق:

عاصرتُ تجربة تعريب التعليم الجامعي للعلوم الإنسانية في مرحلة الطلب بقسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٤٢م إلى ١٩٤٦م حيث كان يتزايد عدد أعضاء هيئة التدريس المصريين المرحومين: الشيخ مصطفى عبد الرازق، والدكاترة منصور فهمي ، وعثمان أمين ، ويوسف مراد، ومحمد الخضيرى ، وعبد العزيز عزت ..والذين أطال الله بقاءهم: إبراهيم بيومي مدكور، وعلى عبد الواحد وافى، وعبد الرحمن بدوي ، ومحمد عبد الهادي أبو ريدة في حين أن عدد الأساتذة الأجانب يتناقص وهم : بربيه ، وما سنيون، وكراوس ، وبرستيانى ، ولا مونت، وموروسير .. كانت المحاضرات تلقى بلغة المحاضر — عربية أو أجنبية، وكنا ندون محاضراتهم بالسرعة الإملائية التي كانوا يتعمدون المحاضرة بها . لكن المراجع كانت كلها باللغة الأجنبية ( وكذلك كان تدريس اللغة اللاتينية بجميع أقسام الكلية باللغة الإنجليزية أو الفرنسية ) .

وكان محظوراً علينا أن نرجع للترجمات أو المؤلفات فى العربية التى بدأت تظهر على استحياء عن لجنة التأليف والترجمة والنشر — كقصة الفلسفة اليونانية والحديثة ، وفلسفة الذرائع (البراجماتزم)، ومحاورات أفلاطون والمدخل إلى الفلسفة.. وعن دار الكتب المصرية كالطبيعة وما وراء الطبيعة والأخلاق لأرسطو — ترجمة المرحوم أحمد لطفي السيد ، بل تاريخ الفلسفة اليونانية فالحديثة للمرحوم يوسف كرم ( رغم الاعتراف به كنص دراسي

---

* ألقي هذا البحث فى الجلسة السادسة عشرة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين، يوم الأربعاء ١٧ من ذي القعدة سنة ١٤١٧ هـ الموافق ٢٦ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٧ م .

متفوق ) ـ بدعوى الأسلوب القصصي أو الأدبي لا المذهبي الفلسفي فى الحالة الأولى ، وضرورة الرجوع للمصادر فى لغتها الأم لا إلى الترجمات ـ مهما حسنت ـ فى الحالة الثانية ، ووجوب أن يعيش الطلاب حياة الفيلسوف ومؤلفاته بلغته ونص كتاباته وأقواله فى عصره .. فى الحالة الثالثة ، وعمومًا كان هذا لنزعة كهنوتية محافظة على مستوى الدارسين ونصوص الدراسة كليهما .

ولما لم نكن ضعافا فى اللغات الأجنبية لتكويننا المبكر على إجادتها قراءة وكتابة، حيث كان مناط التفوق والامتياز هذه الإجادة للغات الأجنبية التي يكشف نقل المكتوب بها من أفكار إلى اللسان والفكر العربيين ( بقراءاتنا الخاصة وأثناء المناقشات والبحوث ) عن تمكن طالب الامتياز أيضًا من ناصية اللغة العربية (بل حفظ القرآن — كما اكتشف بعض الأساتذة فى أسلوب كاتب هذا المقال )، فقد كنا أهلا للاطلاع والتعلم باللغة الأجنبية والمناقشة والبحث والامتحان باللغة العربية . وشمرنا عن ساعد الجد فى تطعيم مذكرات الأساتذة بقراءات خاصة مترجمة أو ملخصة ـ حتى أنني لأحتفظ فى مذكراتي إلى اليوم بترجمة مادة ميتافيزيقا ومادة إدراك كلى .. بدائرة المعارف الكبرى ( الفرنسية ) وكان الجدل حول تعريب مصطلح يستدعي إظهار القدرة على الرجوع لأمهات الكتب والمعاجم العربية من جانب الأستاذ (والطالب الذى لديه موهبة لغوية). فكم أخذ منا لفظ "ترانسندنتال" عند كانت ـ بل كتابة اسم كانت نفسه بالعربية . أهو كنت ؟ أم كانط ؟ أم كنط ؟ مع أستاذنا المرحوم عثمان أمين .

كذلك فقد كان الأساتذة المصريون ـ على تمكنهم من اللغات الأجنبية وإجادة استخدام العديد منها ، لدرجة إعطاء المصطلح أثناء المحاضرة بلغته الأصلية (ولو كانت القديمة المهجورة، لكنها لغة العلم كاللاتينية واليونانية ) وتدريس النص بلسان قومه ولو كان الألمانية ( التى لم يكن يدرسها غير طلاب الامتياز منذ السنة الثالثة،وبقدر لا يكفي لاستخدامها إلا بعد التخرج والتمرين ) —كانوا ذوي

علم وفضل، يحرصون – إلى جانب الاغتراف من اللغات التي درسوا هم أنفسُهم بها – على العطاء باللغة القومية ( التي لم يكونوا أقل تمكنًا منها ). ومن سماحة نفوسهم وملء مراكزهم، كانوا يتواضعون فيعرضون علينا أثناء المحاضرة أن نقترح اللفظ العربي لمصطلح أجنبي تقف عنده ألسنتهم؛ لأنهم ما فكروا في تعريبه قبيل الدرس أو قد فكروا عند الاستعداد للدرس فلم يستقروا على رأي فيه. وكم كان يسعدهم أن ينطق أحدنا باللفظ العربي رمية من غير رامٍ – فيفرحون به ويعتمدونه وتسير المحاضرة. لم تكن لديهم عقدة الأجنبي بقدر ما كان رسالة لهم التدريس والتأليف في العربية، والواحد منهم الذى كان متبحرًا في العربية إلى جانب دراساته الأجنبية كان غواصًا على درر اللفظ يملأ فمه عند الإلقاء مسعفًا غرابة اللفظ على سمع الطلاب بما هو ترجمة له ، ومردفًا الدهشة بالتحليل اللغوي لكلا اللفظين، العربي والأجنبي؛ ليطابق بينهما . أما الذي هو لتوِّه عائد من البعثة أو هو قد عاد من زمن ولكن عربيته لم تستقم بعد– كالمرحومين عزت ومراد على الترتيب – فقد كان إما جريئًا مغامرًا في استحداث اللفظ الذي يستقيم به المعنى ولو أثار الضحك ( كالمرحوم عبد العزيز عزت وهو يقول : الدينا ميك سوسيال، الاستاتيك سوسيال – اكتبوها كده ) ، أو متشكّكًا مترددًا هيابا كالمرحوم يوسف مراد الذي انتهى به الأمر إلى اصطناع مهمة تعريب المصطلحات النفسية قبل ظهور جماعة علم النفس التكاملى التي أنشأها لنا سنة ١٩٤٤ – ١٩٤٥م .

بهذه المعاناة الحية التي عشناها في مرحلة الطلب لازدواجية ــ بل تعدد ــ لغة التدريس في قسم الفلسفة العريق بآداب القاهرة ، خلصنا إلى تعريب العلوم الإنسانية من اجتماع وفلسفة وعلم نفس. فحيث توافرت الرغبة والقدرة لدى الدارس والمدرس لم يكن هناك ما يوقف سير القافلة ، وما دامت المادة العلمية التي نعربها مفهومة– في لغتها الأصلية–

الفهمَ الصحيح الذي لا يخطــئ هــدف الكاتب أو سياق النص ، لم يكن ثمة عقبة تعترض السير فى تعريب المصطلح وترجمة العبارات بالدقة التى– إذ لا تخرج علـى النص الأجنبيّ – لا تجافى أيضًا حسـن الصياغة العربية ؛ لذا فإن الترجمة صاحبت التعريب نشرًا وساندته تأليفًـا . فكمـا بكرت ترجمة حنـا خبـاز لجمهوريـة أفلاطون، ولطفي السيد لأعمال أرسـطو، وزكى نجيـب لمحـاورات أفلاطـون، والخضيرى لمقال د يكـارت .. تـأخر تأليف على عبد الواحد للأسرة والمجتمـع والمسؤولية والجزاء ، وعثمـان أمـين لكتابيه عـن ديكـارت والزواقيـين ، ويوسف مراد لمبادئ علم النفس العـام ، وعبد الرحمن بدوي لربيـع وخريـف الفكر اليوناني وأفلاطون وأرسطو ..الـتي هي فى معظمها محاضراتهم الملقاة بالعربيـة لسنوات طويلة فلـم يكـن التـأليف للطلاب وقتئذ مرغوبًا فيه لكيلا يركنـوا إلى النص العربي ويقصروا عـن قـراءة المراجع الأصيلة، كما كانت تسيطر علينا حكمة سقراط المقللة لأهم يـة الكلمـة المكتوبة والمقروءة، إذا قيست إلى الحـوار الفلسفي وحديث العقول والأرواح .

وأسهمت يافعًا بترجمة "مدارس علـم النفس المعاصرة " لود ورث . ففي شـتاء ١٩٤٤م، وكنا نختلف لدار المعـارف في مقرها القديم بالفجالة ، تذاكر نفر مـن المدرسين : يوسف مـراد، وفريـد أبي حديد، وأمين مرسى قنديل، وأبي مديـن الشافعي، وأنيس منصور .. حاجة هـذا النص إلى الترجمة . وأصبحتُ فاسـتعرته من مكتبة الجامعة ، ثم حصلت على طبعة جديدة منه أهدانيها الماسوف على شـبابه الممتاز أبو مدين الشافعيّ ، وشـرعت فى الترجمة إلى أن فاجأت الأستاذ بعد شهرين بنصف الكتاب مترجمًا ومعدًّا للطبـع فى مجموعته التي كان قد أنشأها – جماعـة علم النفس التكاملي – حيث اعتمده ثاني كتبها . وكانت تجربة – يكفى أن تقـرأ ثلاثة السطور الأخيرة من خاتمة تقـديم الترجمة لتدرك الشكوى من عناء التعريـب ومشقة الرجوع للمعاجم ومعايشة النص: "وما أشق أمانة الترجمة على مـن عـانى تجربتها ، فليكن للمترجم من حسن ظنك وسعـة أفقك ما لا تكبر معـه هفـوة

محتملة،أو زلة قلم غير مقصودة، أو وجهة نظر، أو قول مخالفة " [1] لقد كنا وقتها نعتبر الترجمة أشق من التأليف ، ولا نختلف حول ترجيح الاهتمام بالمعنى والأسلوب الغربي (مع الالتزام بالنص ) على مجرد الترجمة الحرفية ، لكننا الوقت نفسه كنا نتهيب التأليف ونستكثره على طالب الدراسات العليا، ولا نفعل ذلك بالنسبة للترجمة .

وفى مدرسة "جماعة علم النفس التكاملي" تهيأ لنا منبر " مجلة علم النفس " التي كنا فيها ننشر البحوث، والمقالات، وملخصات الكتب الحديثة، ونفهرس المصطلحات المعربة التي نلتزم بها كجماعة فى كتاباتنا المؤلفة والمترجمة كرسائل وأطروحات[2] . وكان لدينا قناعة بأن ما يتفق عليه كتعريب لمصطلح لا ينبغي لأحدنا أن يشذ عنه ولو لم يقبله بذا قبلت على مضض تعريب موضوع التجربة فى المعمل بالفحوص subject وبدأت آلفه وأسيغه، ودافعت عن توحيد المصطلحات على أى نحو اتفق عليه عندما حمل المرحوم الأهواني على أستاذنا واتهمه بالعجمة فى بعض مصطلحات كتابه: "مبادئ علم النفس العام "بمجلة الرسالة القديمة للزيات (١٩٤٨م) - لأننا كنا نعتبر تعريب المصطلحات مهمة مؤقتة بعدها ننطلق فى الكتابة العربية ونبحث فى المعمل ونطور مادة العلم ذاتها. وهكذا أجزنا ألفاظ التقمص (من لبس القميص ) والنكوص والتبرير والإسقاط والاستبار والتشريط وغيرها من مصطلحات التحليل النفسي والسلوكية التى تصف عمليات النفس الباطنة والسلوك الظاهر على الترتيب .

من أجل هذا عزَّ على ـــ بعد ثلاثين سنة من هذه الجهود واستقرار مصطلحات العلم على نحو يمكن معه القول : قديم شائع خير من جديد مهجور ـــ أن يطلع

(١) كمال دسوقى ـــ تقديم ترجمة "مدارس علم النفس المعاصرة "، تأليف روبرت ودورث ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٨م ص ٤٣ .

(٢) مجلة علم النفس المصرية التى أصدرتها ربع سنوية " جماعة علم النفس التكاملية " برئاسة تحرير مصطفى زيور ويوسف مراد ، دار المعارف بمصر ، ٢٤ عددًا ، من سنة ١٩٤٥م حتى ١٩٥٢م .

علينا زملاء لنا فى كلية التربية بالجامعة اللبنانية ، ومنهم من كان معنا تلك الفترة أو بعدها بقليل فى القاهرة ، بمحاولة تجديد للمصطلحات تغرب فى النحت والاشتقاق وتبلبل مسيرة الكتابة فى علم النفس .

وأغرب من هذا أنها تنسب التعريب لبلدها العربي وتقابل التعريب ( اللبناني) هذا بالتعريب (المصري ) السابق ، فتنص مرارًا على أن الترجمة "المصرية " لهذا اللفظ هي كذا ! وتساجلنا على صفحات جريدة "النهار" التى لم تبخل بدورها فى إذكاء جذوة الحوار على مدى سبع مقالات من جانبى وخمس أو ست مقالات ردود، ورد على الرد من جانب الزملاء [1] وآمل أن يكون قد اتضح لهم جوهر ما أريده، وهو ألا ننشغل عن تقدم العلم فى العربية بالارتداد عما تم الاستقرار عليه من مصطلحات، وألا نجعل ثمة تعريبا مصريًّا، وآخر لبنانيًّا، وثالثًا سوريًّا أو عراقيا ..فليس من مصلحة علم النفس – بعد ما قطع الشوط الطويل منذ أوائل الأربعينيات فى بلادنا – أن يعدل عن ترجمة "اختبار نفسي" إلى " روائز " وتقمص إلى "تماهى" ( من الماهية بدل الهوية ) ،" وتنبؤ إلى "تنذر " ، و " شبق " إلى "غلمة "، " وتفكك " إلى " اندثار" و"صدق الاختبار " إلى " أمانة الروائز " بما لها من إغراب ينصرف معه الدارسون عن الاشتغال بمادة العلم إلى البحث فى اللغتين العربية والأجنبية عن المصطلح – وهذا قليل من كثير من المصطلحات التي جاء فيها الزملاء بالجديد الذي تستغرق الألفة به أجيالاً وأجيالاً لكي يسهل استخدامه على السجية – مثلما حدث لنا منذ خمسة وثلاثين عامًا حتى الآن .

**٢–تلقائية التعريب :**

تلك كانت تجربتنا لتعريب التعليم الجامعي فى مجال العلوم الإنسانية، عرضتها بشيء من التفصيل والمسرحة؛ لأنني من ثنايا هذا

(١) جريدة "النهار اللبنانية " – أعداد ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨/٣/١٩٧٥م وأعداد ٢٨، ٢٩، ٣٠/٤/١٩٧٥م.

العرض سوف أستخلص مقومات التعريب التى لا يتم بدونها – مع تحفظ لابد منه وهو : أن التعليم فى مصر لم يكن فى يوم من الأيام أجنبيًّا كله ، حتى فى مراحل التعليم قبل الجامعية وقبل إنشاء الجامعة المصرية الأهلية سنة ١٩٥٨م بغالبية من الأساتذة الأجانب من كل الجنسيات . فالروح العربية للمصريين المتعلمين ببعثات فى الخارج كانت أسبق من الجامعة فى تعريب العلم الغربي – المادي منه والإنساني – والمثقفون المصريون كانوا يتلقون العلم أجنبيًّا ليفكروا فيه وينطقوه عربيًّا .وتلك سمة من سمات الشعب المصري فى كل عصور غزوات الغرب والشرق لبلاده: أن يطبع ثقافة الغزاة بطابعه ويحيل ما جاؤوا به من فكر حضاري إلى ما لديه هو من قبل ليذوب الجديد الطارئ فى تليده العريق، وينقذف الوارد الوافد على الأصيل الأثيل فيدمغه وحسب، من غير أن يزيله أو يقضي عليه؛ لأن كل جديد على الثقافة العربية كان ينبني على أصالة حفظ القرآن، وتقويم اللسان العربي بعلوم التجويد ، والنحو، والصرف، والبلاغة .. التي تكتسب مهاراتها في الكتاتيب منذ الطفولة ، فلا يؤثر في جوهرها التعليم بالغرب . كذلك فلم تخلُ الجامعة المصرية الأولى من فطاحل المصريين فى كل التخصصات إلى جانب أكبر علماء الإنسانيات فى الغرب الأوربي .

وما من شك فى أن هذه التجربة الحية التى عشناها بقسم الفلسفة الموحد فى كلية آداب القاهرة (١٩٤٢-١٩٤٦م) – حيث درسنا تاريخ الفلسفة بمختلف عصورها، والمنطق، والاجتماع، وعلم النفس، والأخلاق، وسائر العلوم الاجتماعية ( من قبل أن ينشعب هذا القسم الآن بآداب الإسكندرية إلى أربعة أقسام آخرها الأنثروبولوجيا) قد حدث مثله فى بقية أقسام العلوم الإنسانية بالآداب وفى كليات الحقوق والتجارة والاقتصاد والعلوم السياسية بضمنها فى جامعة القاهرة والإسكندرية ( التي أنشئت أول الأربعينيات ). بل لعله كان يحدث مثله – بمعاناة أكبر – فى الكليات العملية رغم أن التدريس فيها كان ولم يزل

حتى عهد قريب باللغة الإنجليزية . وأسوق مثالاً لهذه المعاناة للتجربة بحيوية الكتاب وأصالتهم وحماسهم الذي ألفه الأستاذ المهندس حسن حسين فهمي [(١)] – ذلك الكتاب الذي أوصى بنشره مجمع اللغة العربية ، وتلك التجربة التي قرظها الدكتور طه حسين فى مقدمة الكتاب بما هو أقل ما يقال فى خوض معركة تعريب العلوم المادية بجهود فردية على يد أستاذ هندسة جليل. كذلك أعبر – فى هذا الصدد – عن أكبر تقدير واحترام لجهود الدكتور محمد شرف واضع معجم المصطلحات الطبية والطبيعية والفلكية[(٢)] العظيم الذى ذلل تدريس الطب والعلوم الطبيعية والحيوية من نبات وحيوان وتشريح ووظائف أعضاء ، والذي يعتبر أهم ما فيه أصالة المؤلف فى الإحاطة باللغة العربية المعجمية التي ليس بعدها فى الرجوع إلى المصادر الأصلية للتراث زيادة لمستزيد .

حدث هذا من قديم ولا يزال الدكتور أنيس فريحة (١٩٩٥م) [(٣)] . " يردد عجز العربية عن اللحاق بالعلوم والفنون ، بحجة أن العرب لم يشاركوا فى صنع الحضارة الأوربية التي تعمل منذ ثلاثة قرون ، وقد انقطع مددهم لحضارة الغرب قبل ذلك ، وأن التفكير العربي وقف فى التاريخ عند نقطة بعينها ، فمن الطبيعي أن تجد العربية نفسها الآن عاجزة عن اللحاق بالعلوم والفنون – حيث إن لغة كل شعب هي مرآة حياته ، وأنك تطلب المستحيل من لغة الاسكيمو ـــ التي هي أداة حسنة للتعبير عن حياتهم – أن تنقل حضارة الغرب بروحه وفكره وعلمه .. "فمع اعترافه بأن اللغة العربية غنية بمفرداتها فى نواح كثيرة ، عظيمة الإمكانيات فى اشتقاقها وقياسها، يحتج بأنك قد تجد فى العربية مئة اسم لشيء واحد في حين أنك لا تجد لفظة واحدة لأشياء تقع تحت حواسنا . ويضرب مثلاً

(١)حسن حسين فهمي – المرجع فى تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨م ص٢ ، ٣ .

(٢) محمد شرف–معجم إنجليزي عربي فى العلوم الطبية والطبيعية والفلكية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٩م .

(٣) أنيس فريحة ـــ نحو عربية ميسرة ، دار الثقافة ببيروت ١٩٥٥م ص ٢٦-٣١ .

كلمة (صوت ) التي لها فى الإنجليزية تسعة ألفاظ ، وكلمة (لغة أو لسان ) التى لها فى الفرنسية أربعة ألفاظ ــ هكذا

| | |
|---|---|
| intonation | voice |
| phonology | sound |
| langue | noise |
| language | accoustics |
| parole | pitch |
| parler | tone |
| | resonance |

وهو لو أعمل ذهنه ــ فضلاً عن أن يرجع للمعاجم العربية – لوجد أن لكل مفردة من هذه المفردات الأجنبية أكثر من مرادف فى العربية . كما يقرر ــ مع العجب ــ أننا الشعب الوحيد الذي يجب أن يفهم ليقرأ ، في حين أن جميع شعوب الأرض تقرأ فتفهم –أى إن كل اللغات أهلها يقرؤون ليفهموا ، أما نحن فنفهم لنقرأ ( قراءة صحيحة ) . والسبب فى ذلك – كما يقول – اقتصار العربية فى كتابتها على الحروف الصامتة لا المَصوتة vowels(مثال : فستكون) – مما يذكرنا بالحوار (البيزنطي ) الذي تحاجّ به اثنان من العرب : لم لا تقول ما يفهم ؟ ولم لا تفهم ما يقال ؟

### ٣–الإنسانيات بطبيعتها فكر مشترك:

إلى جانب كون التعريب فى العلوم الإنسانية يجيء هكذا طبيعيًّا طيعا ومتدرجا سهلا – بفضل رغبة وقدرة الدارس والمدرس كليهما على تملك ناصية الأفكار والمفاهيم العلمية بلغتهما القومية؛ لتنعكس الأفكار معبرا عنها باللسان العربي على قضايا العرب السلوكية الاجتماعية الإنسانية ، وبفضل تمكنهما من اللغتين الأجنبية والعربية كلتيهما ( لكن فى غير حماس للغة الموضوع أو بلد البعثة الدراسية، وبوطنية تتحمس لإعلاء اللغة الأم فى استيعاب ما هو مشترك بين الناس من فكر ) .. يمكننا أن نضيف إلى ذلك طبيعة العلوم الإنسانية ذاتها من حيث :

١– إنها تدرس موضوعات وقضايا هي واحدة في العقل الإنساني لا يختلف التفكير فيها أو فهمها عبر الثقافات أو يعسر استيعابها مهما تفاوتت درجة التقدم فى الحضارة بل الرقى فى المدينة . فهي أكثر ربطًا للدارس ببيئته وحضارة بلده ولسان قومه فيما تنقل من أفكار – لأن

سياق اللغة فيها سياق فكرى لا مجرد سياق تعبيرى .

٢- إن مصطلحات العلوم الإنسانية اشتقاقات ونحوت لغوية - لارتباط المصطلح بفكرة عامة أو مفهوم كلى مجرد- على خلاف اصطلاحات العلوم المادية التى تدمغ أشياء، ومواد، وآلات، ومستحدثات صناعية، أو تكنولوجية قد تكون غريبة على تصور أو تخيل الدارس والمدرس باللغة العربية ، فهي مصطلحات ثقافية مادية لا تجريدات العقل الإنساني الواحد عند كل بني الإنسان تعبيرا عن الفكر المشترك .

فإذا سلمنا بحقيقة الترابط بين اللغة والموضوع - سواء لغة المواقف الاجتماعية اليومية، أو لغة الكتابة والقراءة فى القانون أو الفلسفة - مع توافر الدور أو الهدف الذي تتوخاه من استعمال اللغة - مما أثبتت التجربة أنه يجعل استعمال اللغة للناطقين بها فى الأصل ( مع إتقان اللغة الإنجليزية كلغة دراسة وإقامة طويلة فى بلادها ) مسلمة لا شية فيها، مقابل التردد والاستعانة بكلمات عربية لإيضاح الفكر عند الحديث فى الأمور نفسها باللغة الإنجليزية ، وعمومًا استعمال الفصحى لدى مناقضة الأمور السياسية أو الدينية وكثرة ترديد المفردات والمعاني الأجنبية لدى الحديث فى أمور ميكانيكية تتعلق بالآليات بشكل خاص [1] .. إذا سلمنا بحقيقة الترابط هذه بين اللغة والموضوع، وأثر ذلك فى تحديد خصائص الأسلوب التعبيرى ، عرفنا لماذا كان تعريب الإنسانية أيسر منه بالنسبة للعلوم المادية : إن العلوم الإنسانية بطبيعتها علوم عقلية تثير أفكارا ومفاهيم عامة يشترك فى تلقيها الناس جميعًا ، وموضوعها التجريدات والتعميمات السلوكية والاجتماعية والثقافية التى فطر العقل الإنساني فى كل مكان على الانطباع بها وإدراكها وتمثلها.

ثم إن العلوم الإنسانية -مهما استوردت المستحدث من الأفكار واستعارت

---

(٧) مصطفى لطفي - اللغة العربية في إطارها الاجتماعي ، الكتاب الثاني في تحديث اللغة العربية من مجموعة الدراسات الإنسانية . نشر معهد الإنماء العربي بلبنان ، بيروت ١٩٧٦م ص ٧٧ وما بعدها .

الأجنبي من الثقافات ـ لا يمكن الاستفادة بها إلا إذا طوعها العقل وطابقها بالبيئة ، فهي تنقل الفكرة أو المفهوم أو النظرية منصهرة فى بوتقة محلية ومقيسة على واقع ايكولوجى . وسواء تقبل أصحاب العلوم الإنسانية فى البلد المنقول إليه ( أو نبذوا )فكرة مستوردة ، فالمحك لدى القبول أو الرفض هو الملاءمة لعقل الناقل وبيئته وبلده ( مثال: نظم الزواج، والطلاق، والميراث، والبنوة ..فى الأسرة ، والاقتصاد، والتشريع، ونظام الحكم .. )، والعكس صحيح بالنسبة لاستعارة الثقافات المادية والتكنولوجيات:حيث يتم نقل الاختراع أو الاكتشاف وربما الأخذ بهما والاستفادة منهما؛ قبل استيعاب الفكرة العلقية التي تساندهما أو النظرية العلمية التي يقومان عليها – فى لغة بلدهما الأجنبي – فضلا عن البدء فى تعريب الفطرة أو النظرية .فلا جدال إذن فى حقيقة كون العلوم الإنسانية أيسر تعريبًا ( لأنها تنقل الفكر الواحد إلى لغة قابلة لاستيعاب الأفكار، والجهد حينئذ هو فى سهولة التعبير ) من العلوم المادية ( التي تنقل أفعال المواد والأشياء والصناعات ووظائفها وتراكيبها فى لغة البلد الذي أوجدها قبل التفكير فيها، أو التعبير عنها بهذه اللغة وتمهيدا لتعريب هذا الفكر العملي والوظيفي المادي ) ( مثال : استخدام التلفزيون ، ومن قبل المذياع والهاتف واللاسلكى والسيارة .. بخبرة أجنبية قبل دراسة آليتها فى لغتها ثم تعريب هذه الآليات لتدريسها بالعربية )

ولتوضيح أكثر نذكر بحقيقة أن لكل شيء تركيبه ووظيفته، سواء المادي أو المعنوي ، وأن علماء نفس الطفل وأصحاب العلوم الاجتماعية على علم بأن الكائن الإنساني فى نموه وارتقائه يتعرف على الوظيفة والاستخدام قبل أن يتساءل عن التركيب والبناء ، ويستجيب لـ ( كيف ؟ ) قبل الإجابة عن السؤال بـ ( ماذا؟ ) و( لماذا )؟ : الطفل يضع قدميه في حذاء والده ويلبس نظارته، والبنت تستخدم سرًّا أدوات زينة أمها – قبل أن يعرف الجميع مم تتركب هذه الأشياء وما فائدتها – أي يعرف كيف تستخدم قبل أنّ يعرف مجرد اسمها:

هكذا الأمر بالنسبة لاستعارة الثقافات : الوظيفة والاستخدام عملية أسبق من التفهم العقلي أو النظري لتركيب المادة المصنوع منها الشيء والاسم الذي يطلق عليها، أو الفكرة التي تساند أداءها لوظيفتها وفاعليتها . بذا فإن جوهر تعريب الماديات نقل تسمية غريبة على الذهن واللسان لمسمى غير مفهوم بعدُ فكرته أو تركيبه مهما يكن معروف الفائدة والاستعمال ، فيجيء الربط بين التسمية والمسمى عفويًا تحكميًا - مقابل كون تعريب الإنسانيات عملية نقل أفكار شائعة وسائغة بعلامة أو إشارة تعبيرية لا تخفى على عقل الناقل والمنقول إليه ولسانهما ، ثم تعلمها باقتران تداعي الأفكار المقيد واسترجاعها من الذاكرة بعقلانية التفكير والتعبير .

والفرق في الحالين إذن هو في مطابقة التفكير والتعبير . فإن تكن اللغة هي لسان العقل وعبارة الفكر - أي الفكر معبرًا عنه، والعقل ناطقًا ومتكلمًا بصوت عال، وإن يكن الفكر - بعبارة أخرى- تعبيرًا صامتًا والكلام تفكيرًا بصوت مسموع ، ففي الإنسانيات بل العقليات بوجه عام ( رغم كونها، وربما بسبب كونها ، تعمل على مجردات ذهنية وتعنى بالعلل البعيدة والغائبة ) يتطابق التفكير بالأجنبية والتعبير بالعربية ، في حين أن العلوم المادية التي تعمل على المحسوسات بل الملموسات، وتعنى بالعلل القريبة والفاعلة، قد يظل التفكير فيها باللغة الأجنبية مفارقا للتعبير بالعربية، أو على الأقل يلزم استحضار التسمية الأجنبية فى الذهن لحظة التعبير أو التحدث أو الكتابة بالعربية مهما شاع المصطلح العربي .

## ٤-الاصطلاح اتفاق على صلاحية :

أما الطبيعة الثانية للعلوم الإنسانية ، التي يسرت تعريبها أسبق من غيرها، فهي أن اصطلاحات هذه الطائفة من العلوم تسميات لفظية للمعاني المجردة والأفكار العامة، أو المدركات الكلية والمفاهيم العقلية، يسهل وجودها أو إيجادها بالاشتقاق أو النحت في اللغة العربية بوفرة وغناء - أما تسميات مواد الطبيعة، والكيمياء، والصيدلة .. الحديثة الاكتشاف، وأسماء الأجهزة والأدوات

والمعدات ، التي يتوالى اختراعها في الغرب وتسمى بأسماء ذات أصول يونانينة أو لاتينية قديمة (مهما تصر فهي إنجليزية أو ألمانية أو فرنسية حديثة ) فقد لا يسهل إيجاد اللفظ العربي المقابل لبعضها بأي نحت أو اشتقاق، ويتعين نطق وكتابة بعضها في أكثر الأحيان كما تنطق أو ترسم في لغتها الأجنبية .

إن اصطلاحات فلسفية واجتماعية وقانونية واقتصادية ..كالمثالية والواقعية، والوجود والعدم، والنشوء والارتقاء ، والهيولى والصورة، والجوهر والعرض ، والكم والكيف ، والجريمة والعقاب ، والمسؤولية والجزاء ، والعرض والطلب ، والرأسمالية والاشتراكية والشيوعية ، والتقدم والتقهقر،والتطور والتغير ، وحرية التجارة ، laissez-passer,laissez-faire ..

كلها ألفاظ ترد على ذهن الدارس العربي فور سماعها أو قراءتها بالإنجليزية أو الفرنسية لأول مرة ــ مهما حلا له للدقة أن يقول (الهيولي )أو ينطق بالعبارة الفرنسية الدالة على حرية التجارة .

ويتوقف الأمر دومًا على ما لذى العربي من ثورة لغوية هي محصلة قراءاته اليومية ولغة تخاطبه المهنية . فما له، في العربية، اللفظ الذي يعطي دلالته الأجنبية كاملة يثب إلى الذهن ويستقر باسمه ومعناه ، وما ليس له بعدُ تعريب ما أو ترجمة، اصطلح عليها باتفاق أو اختلفت حولها الآراء .. يحلل اللفظ الأجنبي إلى جذره الأصلي ويبحث له في العربية عن جذر مقابل، ثم تصاغ ترجمته بتفعيلة اسم الفعل أو الفاعل أو المفعول أو المصدر أو الحال التي هو عليها .

والحق يقال إن الكثير من اصطلاحات الهندسة والطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والتشريح والفيزيولوجيا – مما هو اسم فعل أو وصف لعمليات تحليل وتركيب وتفاعل وتشغيل ــ هو اشتقاقات لغوية أيضا يسهل تعريبها ، حتى ما ينقل منها بالرسم كالميكنة والتقنية والاستاتيكا والديناميه والطوبولوجيا والجيولوجيا .. أما أسماء المواد والآلات أو الأجهزة طبيعية ، ومصنوعة، فهي التي قد تجعل تعريب هذه العلوم لا يخلو من

استعمال اللفظ الأجنبي بالضرورة كما ينطقه أهله بلسانهم في ثنايا السياق بالعربية . إذ كيف يترجم المعرب الكلمات التالية: مغنسيوم ، كلوريد ، كلسيوم ، أو كسجين ، بوتاسيوم ..؟ وكيف يعرب أسماء أدوية الصيدلة ( أقربازين ): يود ، أنسولين ، كافيين ، نيكوتين ، أدرينالين ، هيموجلوبين ... بأفضل من نقلها كما تنطق به في لغتها وبرموز كتابتها الأجنبية التي تجعل تعريبها مجرد رسم لا ترجمة ؟ لقد أجاز العرب الأوائل – على ما لهم من طول باع في مفردات الفصحى – أن يرد خلال كتاباتهم العربية ألفاظ : اللوجوس ، الهيولانى ، الاستقص ، الميتافيزيقا ، السوفسطيقا ، الثيولوجيا .. وكان لهم في ذلك أسوة بما ورد في القرآن مع ألفاظ فارسية كالسندس والإستبرق ..

فإن يكن تعريب سياق النص ( وهو من قبيل اللغة الجارية التي يكتب ويقرأ بها الناقل إلى العربية ) أمرًا سهلاً على المعرب – حيث يسبق لسانه الفكر الذي يخلص إليه من النص الأجنبي وتسعفه العربية بالتعبير الملائم – فإن أمر المصطلحات هو ما يعترضه من حين لآخر .

وفي هذا لسنا أول النقلة للعربية ، إذ لدينا تراث ثرٌ يحفل بكل تليد وطريف في هذا المضمار ، ولن تختلف وسائلنا في تعريب المصطلحات – قواعد ومزاولة– عما اتبعه أوائل النقلة للعلوم الدخيلة على حضارة العرب – في إطار السير على مذهب القائلين بضرورة الدوام على الاشتقاق والتعريب أولى من مذهب القائلين بالتشدد من علماء اللغة الذين يتشبثون بالسماع عن عرب الجاهلية والمخضرمين– لكيلا تجمد اللغة عن النمو والاتساع لاستيعاب العلوم الحديثة – هذه الوسائل – بل القواعد، هي[1] :

١– اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معربة للدلالة على المعنى الجديد.

٢– تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمي الجديد .

---

(١) الأمير مصطفى الشهابي ــ المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ، معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ١٩٥٥ م ص ص ٢٣ ــ ٢٤ .

٣- ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها .

٤- تعريب كلمات أعجمية وعدها صحيحة .

بعبارة أخرى ، إن " وضع المصطلح يجب أن يمر بالمراحل الآتية — إن لم تلفح الأولى ، جُربت التالية" [(١)] .

- التفتيش عن المقابل العربي الفصيح في المعاجم اللغوية .

- التفتيش عن المقابل العربي الفصيح في التراث العرب ولو أهملته المعاجم .

- الالتجاء إلى المشتقات القياسية ، أو تضمين اللفظ القديم معنى جديدًا ، أو النحت من كلمتين أو أكثر .

- التفتيش عن الألفاظ المولدة في التراث العربي الصادر بعد عصور السلامة اللغوية.

- قبول الألفاظ العامية التي لا يوجد لها مقابل فصيح كما نرى عند أهل الصنائع.

- قبول بعض المصطلحات العلمية الأجنبية التي شاعت في لغات العالم - كما في علوم النبات والحيوان .

أما " كيف يمكن للعالم العربي أن يتخلص من مشكلة المصطلح؟ " فثمة اقتراحات وتوصيات كثيرة أجملها المسؤولون أخيرًا[(٢)] . . بعضها للمختصين ( يعرفونه جيدًا) والبعض للهيئات ( جمعيات ومجامع وجامعات..) وهو حاصل فعلا ، ولا بأس من التذكير به:

١- اختلاف المصطلحات ينبغي للقضاء عليه الإكثار من عدد المؤتمرات العلمية .

٢- ينبغي للمصطلحات أن يضعها المتخصصون من أعضاء المجامع العلمية كل حسب اختصاصه ، ثم تعرض على المجامع اللغوية لإقرارها .

٣- توحيد المصطلحات العربية تحت إشراف الجامعة العربية ، أي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وبمعاونة أعضاء المجامع الأربعة بالقاهرة ودمشق وبغداد وعمان .

---

(١) حسين نصار اللغة العربية والتعليم الجامعي ، مجلة اتحاد الجامعات العربية ، العدد الخامس ، مارس ١٩٧٤ م ص ٤٣ — ٤٤ .

(٢) اللغة العربية وتحديات العصر — للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، اللسان العربي ، مجلد ١٣ ، ١٩٧٦م ، ص ١٣ — ١٤ .

٤- تتبع الأساتذة لما تقره المجامع اللغوية من المصطلحات وتطبيقهم إياها في تدريسهم وتأليفهم .

٥- قبول المصطلحات العلمية العالمية بألفاظها اللاتينية، كما تقبلها جميع اللغات ومن ضمنها الروسية .

٦- الاقتصار على التعريب الحرفي للمصطلحات ذات الطابع الدولي وتوفير الجهد على المجامع اللغوية.

٧- الإكثار من ترجمة أمهات الكتب العالمية وإيجاد لجان متخصصة في التأليف في مختلف الفروع باللغة العربية، وانعقاد لجان دائمة تابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تضم أساتذة الجامعات ورجال الصناعة من أجل توحيد المصطلحات العلمية .

٨- إدخال الألفاظ العامية التي لا يوجد لها مقابل في الفصحى مثل مصطلحات أهل الصنائع .

٩- قيام مكتب التنسيق بمهمة التوجيه والتعريب .

١٠- نشر معجم لمصطلحات التقنية الأجنبية مع جميع مقابلاتها العربية.

١١-إصدار قاموس عربي علمي عصري تساهم فيه جميع الهيئات العلمية بالوطن العربي .

١٢- عقد حلقات على نطاق الوطن العربي لبحث مسألة تجديد اللغة العربية تحت إشراف مكتب تنسيق التعريب .

**٥-التعريب للتدريس: الأستاذ والطالب:**

يتضح، إذن، أن تعريب العلوم للتعليم الجامعي اليوم ـــ وهو أمر واجب تحتمه ضرورة نقل الثقافات في بلاد تقدمتنا حضاريًّا إلى لغتنا وفكرنا ، بل هو " أهم وسائل تقدمنا العلمي " [1] – يركز على جانب الأسلوب أو السياق ( ليؤدي النصُّ العزبي في يسر وسلامة الفهم الذي يؤديه النص الأجنبي لأصحاب لغته وأهل لسانه) ثم على جانب الألفاظ المفردة ( التي اصطُلح في اللغة المنقول إليها على أن تبعث في ذهن القارئ معنى معينًا

(١) التعريب أهم وسائل تقدمنا العلمي، محاضرة الدكتور عبد الغنى ماجد السروجي بالمؤتمر العربي السادس لطب الأسنان ببغداد . اللسان العربي ـــ المجلد السابع ، الجزء الأول ، يناير ١٩٧٠م .

غير مجرد اللفظ أو التسمية اللغوية ، وغير أو ضد أو دون .. معناه اللغوي أو الدارج ، فيحاول الناقل أن يأتي في العربية باللفظ الذي يثير في ذهن القارئ العربي هذا المعنى الخاص المصطلح عليه للفظ الأجنبي في سياق النص الأجنبي .

وأيا ما كان الأمر ، فلسنا في هذا العصر المتأخر أول النقلة ، ولن نتعدى شروط النقل العامة في مختلف العلوم، تلك التي اتبعها القدماء من المؤلفين والمصنفين العرب، وما يراعيه حتى اليوم كل قائم بالمهمة – شعر بذلك أم لم يشعر . لقد خضنا التجربة كما سبق القول بطريقة طبيعية وعلى السجية ، ودون جدل حول ما إذا كان التعريب ضروريًا أو ضارًا ، غاية في ذاته أو وسيلة ، أو شعور بحقيقة كون المصطلحات في الدراسات الأدبية والإنسانية أيسر منها بكثير في العلوم الصحيحة ، أو إدراك لدعوى [1] أن اللغة العربية صالحة كأداة في تلقين الدراسات الأدبية والإنسانية، غير صالحة لتلقين التقنيات ، بل غيرآ بهين بكون " العربية لا يمكنها أن تحتل فجأة مكان اللغات العلمية" ، أو متسائلين عما إذا لم نكن نحن" الجيش الجرار من المترجمين" المطلوب انتدابه ليكون لاهثًا في ملاحظة ما يستجد من مؤلفات في العلوم الإنسانية[2] .

فالذي يتكلم اليوم عن التعريب للتدريس يطرق بابًا مفتوحًا على مصراعيه، إذ إن هذا الهدف هو في وجدان المعرب مؤلفا كان أم مترجمًا – فضلا عما تزخر به أخيرا صحيفتا "اللسان العربي " و" اتحاد الجامعات العربية "من مقالات أغلب ما ينادى به كتابها معمول به فعلا، وهو وصف لواقع الحال، ومجرد تعبئة تنسيق وتوحيد للجهود الفردية والرسمية بكل بلد حسب

---

(١) دكتور عبد الحميد المهيري ــ تعريب التعليم في الجزائر ومشاكله ، اللسان العربي جزء ١ مجلد ٨ (١٩٧١م) ص ١٤٨ .

(٢) دكتور المنجي الصيادي ــ تطوير مفهوم التعريب في تونس ، اللسان العربي ، مجلد ١٣ ،مكتب تنسيق التعريب بالوطن العربي ، ١٩٧٦م ص ٧١ .

المرحلة من التقدم والتـــأخر في تعريـــب التعليم التي يمر بها . فشروط النقل العامـــة للتعريب من أجل التعليم هي[1] :

١- تحرى لفظ عربي يؤدى معنى اللفـــظ الأجنبي - وهذا يقتضي أن نكون مطلعين اطلاعًا واسعًا على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعاجم العربية وفى مختلف كتبنا العلمية القديمة .

٢-إذا كان اللفظ العلمي الأجنبي جديدًا، أي ليس له مقابل في لغتنا ، ترجمناه بمعناه كلما كان قابلا للترجمة ، أو اشتققنا لــه لفظًا عربيًا مقاربًا . ونرجـــع في وضـــع اللفظ العربي إلى وسائل الاشتقاق المعروفة وإلى المجاز والنحت ، نستفيد أولا من كل إمكانيات لغتنا ولاغضاضة بعدُ في أخـــذ الأعجمي[2] :

٣-وإذا تعذر علينا وضع لفـــظ عـــربي بالوسائل المذكورة عمدنا إلى التعريـــب مراعين قواعده قدر المستطاع .

ومن الضروري أن يضاف لهذه الشروط المعمول بها في نقل مختلف العلوم الحديثـــة إلى العربية، القواعدُ التي وضعها مجمــــع اللغة العربية المصري [3] . مثل تفضيـــل العربي على المعرب القديم إلا إذا اشـتهر ، وتفضيل الاصطلاحات العربيـــة القديمـــة على الجديدة إلا إذا شاعت ، وتفضيـــل الكلمة الواحدة على الكلمتين أو أكـــثر، كلما أمكن ذلك ، والاقتصار على اســـم واحد للمعنى الواحد .

ولا خلاف كذلك على كون " تعريـــب المدرسة أساس كل تعريب "، " والمدرسة من الكتاب إلى الجامعة"، "وتعريب التعليم من المعلم إلى الكتاب" [4] - حتى نكـــون قد عربنا جماعة تقوم بتعريب الجماعات ، وتعريب الاجتماع، وتعريب البيـــوت.. وهذا يتطلب منا " إعداد كتب موحـــدة . ومصطلحات موحـــدة، ومعلـــم عـــربي يستطيع أن يـــؤدى رسالته العربية في كل

(١)الأمير مصطفى الشهابي ، مرجع سابق ص ٨٣ ــ ٨٤ .

(٢) الدكتور خير الدين حقي ــ وحدة المصطلح العلمي، اللسان العربي ، العدد الثاني ، يناير ١٩٦٥م.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، جـــ ١ ص ٣٧، و جـــ ٢ ص ٣٥ ، والشهابي ص ٦٧ .

(٤) فضيلة الشيخ محمد الإبراهيمي الجزائري ــ اللسان العربي ، العدد الرابع ص ٥٤ ــ ٥٦ .

قطر عربي [1] ." فإن تكن أكبر عقبة تلقانا في هذا الطور هي تعريب المعلم نفسه — ويجب أن نحتاط لهذا [2]" .

وإذا " كانت العوائق النابعة من اللغة العربية ذاتها (كالقواعد من نحو وصرف والخط العربي .. التي جمدت و لم تتطور ، وقصور المصطلحات التي لا تجاري المخترعات والاكتشافات بنفس السرعة..) لا تنفرد بها لغتنا بل تشاركها وتزيد عليها فيها الألمانية والروسية من غير أن يمنع ذلك استخدامهما في العلوم ونحن نرسل أبناءنا ليدرسوا بهما " .. إلى جانب العوائق النابعة من القائمين بالتدريس أنفسهم الذين مرنوا على استخدام اللغة العربية دارسين ومدرسين؛ فصارت لسانهم وقلمهم .. [3] كلها مما يمكن التغلب عليه في المراحل الأولى لتعريب التعليم ، حيث كان التعليم — أقصد الجامعي منه فحسب — باللغة الأجنبية ، فقد استقر " اتفاق الجميع — لاعتبارات قومية وعلمية واجتماعية — على أن اللغة العربية هي الأداة الطبيعية للتعليم الجامعي، وأنه إذا عدل عنها في نطاق العلوم فذلك لأجل محتوم ، ولا يبقى إذن غير الاهتمام بالأستاذ والطالب والكتاب فيما يتصل بالنقل من الأجنبي إلى العربية " .

ووجه الضرورة للتعريب — بالنسبة للطالب الجامعي أولاً — أن الدارس ( لضعف مستوى لغته الأجنبية ) يحارب في جبهتين ؛ لأن " جامعاتنا — بسبب الهبوط المستمر في مستوى اللغات الأجنبية عند الطلاب، الذي يلاحظه القائمون بالتدريس ، ( إن لم تعرب ) — تزيد الأمر تعقيدًا . فإذا حاول الطالب العادي الاطلاع على المراجع الأجنبية اصطدم بحاجز اللغة الذي يكبل تفكيره ويصرفه عن الموضوع ويفصله عن تتبع تسلسل المعنى مما يضطره إلى بذل جهد مضاعف، وإنفاق كثير من الوقت فى محاولة استيعاب أجزاء يسيرة وصفحات معدودة، إنه يشتت طاقته الفكرية في ناحيتين مختلفتين : أولاهما : فهم المقصود

(١) السيد يوسف — تعريب التعليم في العالم العربي، اللسان العربي، عدد ٤ ص ٥٣ — ٥٦.

(٢) الإبراهيمي — ص ٥٥ .

(٣) حسين نصار — مرجع سابق ص ٣٧ — ٤٥ .

اللفظي ، وثانيتها: استيعاب المغزى العلمي[٤] . فحاجة الطالب إذن لتلقي العلم الأجنبي بالعربية نابعة من ضعف مستوى تحصيله للغة الأجنبية في المراحل قبل الجامعية .

وقد تنعكس الآية بالنسبة للأستاذ - بأول أجيال التعريب على الأقل - فتصبح المشكلة لدى الذين درسوا بالخارج على غير تمكن من العربية أو استعادة لها، هي سهولة جريان اللفظ الأجنبي أو العبارة الأجنبية على اللسان أو القلم، وبالتالي نرى ازدواجية أو ثنائية لغة التدريس .ولا غضاضة في ذكر المصطلح الأجنبي على الفور بعد اللفظة العربية، كما لا ضرر من اقتباس العبارة الأجنبية الأصلية عقب النطق بها بالعربية - حتى في كتابة أسماء الأعلام؛ ليسهل النطق بها . لأن تعريب العلم للتدريس لا ينافي التفكير فيه وفهمه بعقل قومه كما عبروا عنه بلسانهم ، ولأن في ذلك تقوية في الوقت نفسه للغة الأجنبية، وربطًا لمعانيها بالعربية ، وتمكينًا للمتفوقين من الطلاب الذين سيصبحون أساتذة يغترفون الجديد من مصادره الأولى، أن يرجعوا للنصوص الأجنبية . فما دامت العربية هي لغة التدريس أساسًا، فمن المفيد التذكير دائما بالمصطلح الأجنبي تحقيقًا للفوائد التي ذكرناها .وهذا ما أراعيه شخصيًّا في محاضراتي وطباعة كتبي، حيث لا يخلو سطر عربي من لفظة أجنبية، أو يرد تعريب مصطلح لا يتبعه الأصل ـــ مهما تذمَّر الطابعون .

وعمومًا ، فإن متطلبات النقل إلى العربية ، أي ما يشترط فيمن يقوم بالتعريب ، ما يلي :

١- الإلمام الواسع بمادة العلم والإحاطة الكاملة بما يرد فيه من أسماء ومسميات في أمهات مراجعه وعيون مؤلفاته .

٢- المعرفة الكاملة بألفاظ ومفردات وتراكيب عبارات اللغة المنقول منها - لغة الكتابة العلمية الأجنبية في هذه المادة، ومفردات ألفاظها العلمية المصطلح عليها.

(٤) د. عبد الوهاب محمد عامر - التعريب ضرورة في الجامعات العربية، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد ٩ ، مارس ١٩٧٦م ص ٦.

٣- الاطلاع الدائم والمستمر على كتب التراث العربي في المادة نفسها، والألفة الكاملة بما ورد على لسان وأقلام الكاتبين فيها- من دلالات ألفاظ، ومعاني جمل وعبارات .

٤- ملكة تلبيس اللفظ للمدلول، والاسم للمسمى، والعبارة للفكرة - فيما بين المنقول منه والمنقول إليه - مع تمييز واعٍ لما عساه يتلبس بمرادف أو مجانس أو مطابق أو مضاد ، في اللغة الأجنبية والتعريب .

٥- حاسة واعية بالشائع من الخطأ، والمهجور من القول،لتجنب الناقل للعربية عدم الوقوع على التسمية الصحيحة من بين ما هو موجود، أو إطلاق الاسم على غير مسمى، أو على الخارج عن الموضوع.

٦- مداومة الرجوع للمعاجم العربية والأجنبية كليهما في اللغتين المنقول منها وإليها ، للتيقن من أن المعنى الذي يراد الدلالة عليه باللفظين فى اللغتين هو وحده المقصود .

**٦-الترجمة والتلخيص والتأليف :**

وإذ يوفق للفظة الصحيحة التي لا تخطئ هدف ترجمة المصطلح الذي يتعرضه من حين لآخر - خصوصًا في النصوص الافتتاحية من كتاب أي مؤلف يأخذ عنه (لأنه بعد ذلك يتكرر استعمال المؤلف الأصلي لرصيد مصطلحات علمه أو اصطلاحاته هو الخاصة في لغته )- فإن أمر تعريب النص الأجنبي لا صعوبة فيه إذا كان الناقل مترجمًا متمكنًا من اللغتين المنقول منها وإليها. وهنا لابد من أن أفرق بين ما إذا كان الناقل مترجمًا أو ملخصًا أو مؤلفًا . فإن يكن مترجمًا، فلا ينبغي له إلا أن يسير مع النص جملة جملة وعبارة وعبارة .

لابد له من غير شك أن يقدم ويؤخر ، يبدأ بالفعل بدل الاسم ( لكون التعبير فى اللغات الأجنبية بالجمل الاسمية ذات المبتدأ والخبر أكثر منه بالجمل الفعلية ذات الفعل والفاعل أو نائب الفاعل )، ولكن لا يجوز له بأي حال من الأحوال أن يحذف جملة اعتراضية أو يتجاوز عبارة توضيحية أو

يتخطى بعض الأمثلة ولو كانت من قبيل التزيد والتكرار، أو يتغاضى عن ظرف زمان أو مكان أو حال ..لأن فى ذلك تفويتًا على القارئ العربي لتحديدات أو تحفظات أو تبسيطات فى الأسلوب والعرض، لا شك أن المؤلف قد قصد إليها قصدًا مهما تكن طبيعة أسلوبه وعرضه، ومستوى القراء الذي يكتب لهم. إنك إذا ترجمت مؤلفًا لأحد الكتاب من العلماء أو الأدباء إلى لغتك - منشورًا باسمه كمؤلف - فلا يحق لك أن تتصرف على أي نحو فيما يقول (فضلاً عن أن تقوّله ما لم يقل ) وإنما توصل أفكاره بحذافيرها لقارئك العربي على مسؤوليته هو كمصدر أساسي لهذه المعلومات ، وتهبه لقراء ترجمتك على حاله من تعبيره وتفكيره، وبالصورة ذاتها التي رسمها قلمه لفكره .

كنت مراجعًا لأحد الكتب المترجمة في مجموعة الألف كتاب التي كانت تصدرها إدارة الثقافة المصرية، وكان المترجم زميلاً فاضلاً وصديقًا عزيزًا، اشتغلنا معًا في صدر حياتنا بتدريس اللغة الفرنسية، كان متمكنًا من الفرنسية وأديبًا في العربية ، لكنه - بروح الفنان والمعلم وبهواية البساطة والوضوح - كان يسقط عبارات بأكملها من النص، ويتصرف بحذف ما هو مكرر أو تفسيري ، ويتجاوز أية عبارة غامضة، أو تلك التي يلزم لصياغتها الرجوع للمعاجم للكشف عن لفظة غريبة عليه ( اسم شخص كانت أو اسم بلد أو اسم موضع ..) إن أمانة نقل العلم إلى اللغة القومية لا تتعين بأكثر مما تتعيَّن في الترجمة . وإذ المترجم مصور لأفكار وآراء غيره ، فلا ينبغي إلا أن ينقل الصورة كما هي - حتى بغير ( رتوش ) لمسات التجميل أو التحسين أو الإخراج.

ولقد يعمد بعض المترجمين إلى إخفاء آراء للمؤلف تكون مخالفة لآراء قومهم هم - في الدين أو الخلق أو السياسة أو الاجتماع . والمترجم ليس حاميًا للمؤلف من آراء لم يخش هو من إعلانها وإذاعتها، كما لا ينبغي له من الناحية الأخرى أن يكذب أهله بإخفاء ما يراه الآخرون حقيقة لا يريدون أن تخفى عليهم ، ولو تعلم هؤلاء بلغة قوم المؤلفين الأجانب فى

أصولها بدلاً من ترجمتها للعربية – مثلا – لأمنوا مكرهم . فخير ما يحدث حينئذ أن يورد المترجم آراء الأجنبي كما هي ، ويعلّق عليها أو يدافع عن قومه بنقضها. ومثلها كان يفعل في جيلنا ( ببراعة وعدم قصور أو تقاعس ) العلامة أبو ريدة، وهو يرد على المستشرقين في مؤلفاتهم عن الحضارة الإسلامية والفلسفة الإسلامية .

فأما إذا كان الأمر يتعلق بالتلخيص للتأليف أو التصنيف، فإن مهمة المؤلف والمصنف تكون أيسر إذ يحق له أن يختار ما يأخذ به وما يدع. وإذ هو مجمع لآراء الكثيرين في نقطة بعينها بدلا من كون المترجم ناقلا لتسلسل أفكار مؤلف واحد في موضوع واحد ، فهو بالخيار – لغرض الاختصار – بين أن يسقط المتكرر والمتشابه والمسبوق .. دائمًا مع الإشارة أو التنبيه لما فعل ، و بين الحرص على ألا يقول المؤلف الأصلي ما لم يقله، أو يُحسِّن المترجم أو يقبح من آراء المؤلف وأفكاره إلا في معرض الرد أو التعليق أو النقد .. بحيث يكون واضحًا تمامًا ما هو للمؤلف الأصلي وما هو للناقل .

ولأن"ناقل الكفر ليس بكافر" فللمعرب هنا حرية حركة أكثر من الترجمة . فبالإضافة لحق اختيار ما يأخذ وما يدع ، ليس ثمة التزام بالرد أو الدفاع إلا إذا أراد أو استطاع . والغالب أنه لا يحتاج لهذا إلا إذا تعلّق الأمر بمسائل تختلف فيها الآراء أو تصطرع حولها الأفكار، والحال كذلك – من باب أولى – عندما يكون المعرب مؤلفًا لمختلف الآراء ومصنفًا لشتى الأفكار – حيث ينطبق عليه دائما الالتزام بدقة العرض مهما أوجز أو لخص ، وعدم التطاول بالنقد إلا إذا غاص في عقل المؤلف ووثق مما يريد قوله؛ ولأن " المعنى في بطن الشاعر "فلا يجوز لناقد أن يتصدى بالنقد إلا إذا عرف عن النص ما يعرف عنه صاحبه وأكثر،إذ إن هذا الـ (أكثر) هو الذي يجيز له أن ينقد – كما علمنا من قديم الإمام الغزالى إذ يقول : " فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه، والاطلاع على كنهه رمى فى عماية .. وعلمت يقينًا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوى أعلمهم فى أصل

(ذلك ) ثم يزيد عليه ويجاوز درجته ، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة . وإذا ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساد حقًّا " [1] .

وكما أن الترجمة تقتضي فيها الأمانة العلمية نقل كل ما قاله المؤلف الأجنبي حرفيًا في النص، ولا بأس من التعليق أو الرد بهوامش الصفحات -دون إضافة أو حذف أو تبديل - فهي تقتضي أيضًا الأمانة العلمية في التأليف بأن ينسب المؤلف العربي إلى من ينقل عنهم من الأجانب ، وأن يوثق النص العربي في كل موضع رأي أو فكرة باسم صاحب هذا الرأي أو تلك الفكرة، فإذا عُرِضت أية نقطة لا إشارة لمصدرها، تكون منسوبة إليه هو بخيرها وشرها - مما يكون أيسر منه تكرار الإشارة للمرجع الأصلي ولو توالت وتكررت الإشارات. ولا نبارك في التأليف للتدريس الجامعي أن تجيء صفحات النص طوال الكتاب خلوا من أية إشارة مرجعية، ثم يحشد المؤلف في خاتمة الكتاب ما لا فائدة في حشده إن صح أنه أخذ عنه كله أو رجع إلى بعضه كمصدر ثانوي فضلاً عن ضرورة تحري المرجع الأصلي . أنا أعلم أن صعوبات تتصل بالطباعة هي التي تحول دون ذلك ، لكن أمانة تعليم الطلاب الأمانة العلمية، وهم ينقلون عن المؤلفات العربية في بحوثهم ورسائلهم - ناسبين لمؤلف أستاذهم كل من أخذه عن الغير من دون إشارة مرجعية بكل موضع أخذ عن الغير - تتطلب منا غير ذلك، وأحيي الطريقة المبتكرة للإشارة للمرجع في صلب النص بذكر رقم المرجع في الترتيب الأبجدي، يتلوه رقم الصفحة فيه وإن كنت شخصيًا أشق على نفسي بجعل قارئي يعيش معي آراء ونظريات المؤلفين الأجانب الذين أرجع لهم وآخذ عنهم، لا أظهر إلا حيث يقتضي المقام التلخيص أو التفسير أو النقد ، ويكون واضحًا تمامًا أن هذا لي وإن قل .

وسواء الترجمة والتأليف ، لا غنى عن تعريب كتابة اسم العَلَم أو اسم الشيء

(٢٢) الغزالي - المنقذ من الضلال ، تحقيق وتقديم د.جميل صليبا ود . كامل عياد ، دار الأندلس ، بيروت، لبنان ، ص ٩٤ - ٩٥.

الذي عرب كيفما نطق .. قبل إيراد كتابته بالحروف اللاتينية أو غيرها . ففي ذلك فائدتان هما: إقرار التعويد على النطق به في العربية نطقًا سليمًا، وتذليل صعوبة الفهم للقراءة بدل القراءة للفهم التي أشار إليها الدكتور أنيس فريحة. ويراعى في ترجمة الأعلام أيضًا ألف التسكين للأسماء الأجنبية التي يبدأ نطقها بالسكون ، والمعرفة بالتفاعيل من أجل الاشتقاق، والتحويل والنحت ، والصياغة العربية اللفظية الدالة على اسم الفعل ، أو اسم المرة، أو اسم الزمان،أو اسم المكان ، أو الحال .. مما يرد في علوم البلاغة والمعاني والبديع ..تجنبا للأخطاء الشائعة كقولنا " حكم عليه بالسجن " تنطق بكسر السين بدل الفتح . وبهذا الصدد أتمنى على المترجمين للعربية والمؤلفين فيها أن يَدَعُوا اللفظ الذي قد يختلط بغيره في الكتابة العربية عند الطبع لتشابه بينهما أو تطابق ...أو عسى أن يقرأه البعض على عجل ، أو بعمى قلب أو بصيرة لفظًا آخر يترتب عليه التحريف في المعنى أو استثارة السخرية . فجزى الله خيرًا عن العربية الإمام علي بن أبي طالب وأبا الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم في تنقيط الحروف الأبجدية واحدة أو مثنى أو ثلاث أعلى أو أسفل الحرف لينطق صحيحًا بوضع النقط فوق الحروف . وأسوق دعابة الجهول الذي ينطق الحديث الشريف: " المؤمن كيس قطن[1] " وإمام المسجد الضرير الذي قرئ له بتصحيف الحديث الشريف أيضًا " لا تصلح الصلاة إلا بخشية وقُفة وسكينة وفار " [2] -ماذا لو صدقه بإيمان العجائز فعمل به ؟

في كتاب لي عن " اختيار الأفراد " يشيع استخدام كلمتي اختيار واختبار (نفسي أو عقلي )، فما كان أحرصني على دقة مراجعة وتصحيح تجارب الطبع، وفي كتاب آخر عن " دينامية الجماعة " نبهت القارئ إلى أن لا تختلط عليه اشتقاقات ألفاظ معربة هي غاية في التقارب اللفظي مثل : توافق وتواقف ، تحصيص وتخصيص ، أدائي وأداتي ..

وعمومًا ، لا غنى عن الذوق الفني في اختيار اللفظ وإيراد السياق - بحيث لا يختار من بين جملة مترادفات غير أبسطها

---

(١) أصل الحديث :" المؤمن كيِّسٌ فَطِن " .

(٢) أصل الحديث :" لا تصلح الصلاة إلا بخشية وعِفّة وسكينة ووقار " .

فهمًا ، وأقربها إلى الحسن،وأرقها وقعًا على الأذن أو العين ، وأسلسها انسياقًا مع العبارة.وتلك هي عبقرية نقل الفكر الأجنبي بلسانه الأعجمي إلى فكر قومي بلسان عربي مبين – التي يفتقدها الكثير من الترجمات بل المؤلفات في العربية ، حيث يبدو النص رطانة جوفاء تستغلق على الفهم .. إذ المترجم أو المؤلف – بافتراض فهمه الكامل لما يريد نقله إلى العربية من معنى – يتقعر في تخير ألفاظ لغته العربية تكلفًا منه للتبحر فيها ، مما يحدث لنا ونحن نكتب بالإنجليزية أو الفرنسية ، حيث نعمد إلى إظهار الثراء في مفردات وتعابير اللغة الأجنبية، فيجيء السياق مليئًا بالنشازات والمزالق التي تستوقف ذهن القارئ الأجنبي كاشفة عن العجمة، حتى ولو لم تشغله عن فهم المعنى، ومثيرة ابتسامة الرثاء عند كل (مطب) لغوي على طريق أسلوب غير ممهد . وهنا أتذاكر ما كنا نتندر به عن أستاذنا المرحوم أحمد أمين،حين أراد أحد المستشرقين أن يكتب له عبارة إهداء على أحد كتبه ، فلم يجد في معجم مفردات ابن سيده بين ألفاظ:فيض، نبع، نهر، سيل، بحر ، غزير .. غير كلمة ( خرارة ) – فكتب له شاكرًا إياه على خرارة علمه.

حقًّا إنه ينبغي للمعرب ألا تخلو خزانة كتبه من كل ما يلزم من معاجم اللغة العربية واللغات الأجنبية التي هي في حوزته كمصدر من مصادر علمه بفنه وتخصصه ، بل الأصول القديمة التي تعد هذه اللغات الأجنبية تطورًا لها ، وكذلك كافة المراجع العامة الموسوعية، والخاصة التفصيلية، التي يهديه الرجوع إليها لحدود المعنى المقصود أن يحيط به المصطلح إحاطة جامعة مانعة ، ثم – بتوافر هذا الرصيد المرجعي لديه – لا يتوانى ولا يقعد عن عناء تناول هذه المراجع لاستشارتها– من الطرفين – حتى في مصطلح ثبت له في ذهنه وأنس إليه أو رضي عنه. فعساه – مع مداومة التنقيب في المعاجم، لا يجمد عند مصطلح أو لعله يجد ما هو أفضل .

وبتواضع رجل العلم، ينبغي للمؤلفين في اختصاصهم ألا يغمطوا اجتهاد السابقين حقه من التقدير . فإذا جاء أحدنا بلفظة موفقة كترجمة لمصطلح

وليس لدينا لها تعريب مما جاء به، تبعناه شاكرين إلى أن يتسنى للجميع إيجاد ما هو أفضل – بدلاً من أن نظل هكذا " كل حزب بما لديهم فرحون"، فتتكاثر المصطلحات وتتنافر ويعسر على الدارسين الجدد الترجيح والاختيار . لا شك أن لزملائنا في علم النفس مثلاً ما يبرر تمسكهم بالتعزيز ترجمة لـ reinforcement التي درجنا على تسميتها التدعيم . لكن اللفظ الإنجليزي يحمل من معاني التقوية والتثبيت أكثر مما يدل على العز أو الاعتزاز ، كما أن الكتابة العربية لكلمة "تعزيز" قد تختلط بكتابة كلمة "تعزير" التي هي في نفس الموضوع بمعنى التوبيخ كعقاب ، وربما أيضًا بكلمة "تغرير" – مما سبقت الإشارة لوجوب تفاديه. إن روح الرضا هذه بما هو سليم ومقبول ( مقابل الحرص على التفرد والرغبة في التجديد ) هي قبل أي شيء آخر ( كنشر أعمال مجامع اللغة ومكتب تنسيق التعريب ... ) وسيلة توحيد المصطلحات المؤدي لوحدة الفكر في الكتابات العربية. فإذا كان التعريب تثقيفًا وتحضيرًا للأقطار العربية عن طريق نقل ثقافات وحضارات أجنبية إليها، فالنقل بطريقة موحدة هو المحقق لهذه الغاية .

### ٧–تشريعات نقل الكتب والملخصات:

مع أنني كنت أترجم كتاب " مدارس علم النفس المعاصرة " الذي أشرت إليه آنفا لحساب دار المعارف بتكليف من أستاذنا رئيس جماعة علم النفس التكاملي في مطلع النصف الثاني من أربعينيات هذا القرن ، دفعتني حماسة الشباب للكتابة للناشر الأمريكي رونالد بريس طالبًا الإذن بحق المؤلف لإخراج الترجمة العربية إلى النشر، وجاءني الرد بأنه لا يهمهم "في الوقت الحاضر " إخراج ترجمة عربية لهذا الكتاب وأنني لابد أن أتفق معهم سلفًا على حق المؤلف هذا . وتحمست أكثر ، فكتبت للسفير الأمريكي بالقاهرة(حيث كنا نختلف لمكتبة شارع الشيخ بركات ) طالبًا التوسط لدى الناشرين لثقتي في أنه يهم أمريكا أثناء الحرب العالمية، وبعدها تعريب المؤلفات الأمريكية لقراء العربية،

وبعد محاولات من جانبه أفادني بأننا قد "اصطدمنا بصخرة عاتية" فى شخص هؤلاء الناشرين الذين يصرون على الاتفاق مقدمًا على حق المؤلف، ظنًّا منهم أن عشرات الآلاف من النسخ سوف تباع بمئات آلاف من الدولارات . ولم ألزم الصمت ولم أُخفِ الأمر على الأستاذ الناشر ودار النشر، إلا عندما تأكدت أن مصر ليست ملزمة باتفاقيات النشر الدولية . وزاد اطمئناني بعد ما درست القانون، وطلبت من ( المرحوم )دكتور مختار القاضي كتابًا يتعرض لهذه القضية ، فأعطاني كتاب ( حق المؤلف ) (١) الذي كان رسالته للدكتوراه في كلية الحقوق ( ١٩٥٩/٥٨م) ومنه استيقنت أنه يحق لنا ترجمة المؤلفات الأجنبية بعد مرور خمس سنوات على ظهورها من غير أن نخشى رجوع الناشر علينا بالمطالبة المالية وهكذا – فيما بعد أول الستينيات – كنت أؤجل طبع الكتاب من مكتبة " الثورة الإدارية " التي أنشأتها، وريثما تمر على نشره في بلاده خمس السنوات اللازمة .

٣٥٤ لسنة ١٩٥٤م لحماية حق المؤلف تنص على أن حق المؤلف لمصنف بلغة أجنبية ( وحق من ترجم هذا المصنف من لغته الأصلية إلى لغة أجنبية أخرى) ينقضي بمضي خمس سنوات بالنسبة لكل شخص يقوم بترجمة هذا المصنف إلى اللغة العربية ، وبشرط ألا يكون واضع المصنف الأصلي أو المترجم إلى لغة أجنبية أخرى قد قام بنفسه أو بواسطة غيره بترجمته إلى العربية قبل مضى خمس السنوات. فإذا فعل حفظ حقوق التأليف خمسين سنة بعد وفاته. وتبدأ مدة الخمس السنوات من تاريخ أول نشر للمصنف الأصلي، أو أول ترجمة للمصنف الأصلي إلى لغة أجنبية ينقل عنها إلى العربية .

والمادة الخامسة من مشروع قانون الجامعة العربية لحماية حق المؤلف (٢٣سبتمبر ١٩٤٧م) تنص على أن: "يتمتع بالحماية من قام بترجمة مصنف إلى لغة أخرى ، وكذلك من قام بتلخيصه أو تحويره – بما فى ذلك إظهار كل صور المصنفات الموجودة بشكل جديد . ولا

(١) مختار القاضي ـــ حق المؤلف ، جزءان ، الطبعة الأولى ، الأنجلو المصرية ٥٨ / ١٩٥٩م .

تخل هذه الحماية بحقوق مؤلفي المصنفات الأصلية".ثم تضيف المادة ١١ أنه:" يسقط حق المؤلف فى ترجمة مصنفه إلى العربية إذا لم يباشر هذا الحق بنفسه أو بواسطة غيره فى مدى عشر سنوات من تاريخ أول نشر للمصنف . وتجوز ترجمة المصنفات إلى اللغة العربية بعد مرور سنة من تاريخ طلب التصريح بترجمتها ممن آل حق الترجمة دون قيامه بها . وفى هذه الحالة يعوض المؤلف أو من آل إليه حق الترجمة تعويضا عادلا ... "

فلما كان المؤلف الأصلي لأي مصنف تنقله إلى العربية له حق مادي ( هو فرصة الكسب التي تفوتها عليه الترجمة ) وحق أدبي ( هو الاستيقان من قدرة المترجم على إيراد الترجمة في أمانة ودقة ) ، ولكيلا يكون النقل أو التحويل بالترجمة خيانة كما يقول المثل الفرنسي ، وإتلاف الترجمة السيئة جزاء جريمة التقليد هذه كاعتداء على حق المؤلف المادي والأدبي، حَفِظ القانون للمؤلف حق كونه صاحب الحق المطلق على مصنفه من الناحية المادية والأدبية ، كما حفظ القانون حق عدم إضاعة جهوده بإتلاف أو تغيير المعالم إذا كان النزاع المطروح خاصًّا بترجمة مصنف إلى اللغة العربية خلافًا لحكم المادة الثامنة (بحيث يقتصر الحكم فى النزاع على تثبيت الحجز التحفظي على المصنف المترجم وفاءً لما تقضى به المحكمة للمؤلف من تعويضات وعموما وضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة للمؤلف وفاء للغة القومية للبلاد فلا يسرى الإتلاف إلا فى حالة واحدة هي إجراء الترجمة قبل سقوط حق المؤلف الأصلي فى الإذن بها، وبشرط أن تكون الترجمة سليمة ، ومن لغة أجنبية إلى اللغة العربية لا العكس .

هذا عن ترجمة المؤلفات الأجنبية إلى اللغة العربية . أما عن النقل من المصنفات الأجنبية للأغراض العلمية فثمة تسامح كبير فى كل تشريعات حماية حق المؤلف، وجواز نقل مقتطفات من مصنفات الغير خدمة للكتب الدراسية والثقافية العلمية وكتب الأدب والتاريخ والعلوم . وتجرى التفرقة بين ما إذا كان الكتاب المنقول عنه يتضمن كشفًا جديدًا أو نظرية جديدة —

حيث لا " جريمة تقليد " للكشف أو النظرية ، بل للمصنَّف الذي يحوى الكشف أو النظرية (بوصفهما أحدهما أو الأخرى عملية سلبية ليس للمؤلف إلا فضل معرفتها والتعريف بها ) ..أم يتضمن اختراعًا ( لا جريمة تقليد فى ترجمة كتابة صاحبه عنه للآخرين ، بل فى تطبيقه والإفادة منه عمليًا وماديًّا ) . كما يقسم النقل إلى العربية عن المؤلفات الأجنبية إلى ثلاثة أنواع:الاجتزاء citation بمعنى التسجيل الحرفي الدقيق لبعض ما ورد فى مصنف المنقول عنه (وهو ليس جريمة تقليد ما ذام المصنّف لم يُنقل بكامله)، والتصنيف أو الجمع compilation الذي هو تجميع وتنسيق وتبويب مختارات من عدة كتب بمجهود التأليف الشخصي الظاهر فيها ( الذي ليس تقليدًا أيضًا )، ثم اقتباس الفكرة الذي لا يمس الشكل، ولا شأن له بنقل النص المعبر عن الفكرة فى الأصل ( وهو أيضا ليس واجب الحماية وليس ممنوعًا بالنظر إلى حقوق التأليف ) .

لكن الاجتزاء لكي يكون مباحًا ينبغي أن يقتصر على أجزاء قليلة من المصنف (لا يجوز نقله كله أو أغلبه ) . فالنقل الواسع من مصنفات الغير – ولو بحجة التعليق على النص – محرم فى القضاء الفرنسي، كما أن الاختصار ممنوع أيضًا. ومعيار القلة والكثرة فى الاجتزاء ألا يغنى الكتاب الناقل عن الكتاب الأصلي وينافسه ( أي ألا يعفى الكتاب الجديد قارئه من الرجوع إلى المصدر المنقول عنه). ثم إن النقل ينبغي أن يكون لغرض علمي . فالكتب الدراسية وكتب الأدب والتاريخ والعلوم والفنون يباح النقل فيها عن المصادر الأجنبية للأغراض التعليمية – لتوضيح فكرة أو إجراء نقد .. طالما أن المصنف منشور من عدة نسخ وليس بعدُ مخطوطًا، وبشرط أن يشار إلى المصدر المنقول عنه – أي يذكر بوضوح المرجع الأصلي واسم مؤلفه .

٨–خاتمة :

التعريب واقع معاش بقدر ما هو ضرورة قومية . ووجه الحاجة إليه أساسا التعليم.

فإذ النقل عن ثقافات أخرى تقدمتنا في التحضر والمدنية هو سبيلنا الذي لا سبيل غيره للحاق بالركب واستعادة التفوق، وطالما أن الأيام دول، وأن العلم والتكنولوجيا هما الآن وسيلة التقدم ، فلا مناص من استيعاب العلم والتكنولوجيا . والتعريب في العلوم الإنسانية أيسر منه بكثير في العلوم المادية - بالنظر لوحدة العقل الإنساني الذي يتقبل المفاهيم والمجردات الفكرية التي هي موضوع الإنسانيات . والتشريعات والقرارات القومية والقطرية لكل بلد عربى تشجع على تدارك ما فاتنا من علم وفن . والمنظمات الإقليمية العربية قطعت الشوط على طريق تذليل التعريب وتوحيد المصطلحات ..مما يجعل المنادى بتوصيات للتعريب الآن ، بأي جانب من جوانب القضية ، كالذي يستجمع كل قوته ليدفع بابًا مفتوحًا على مصراعيه . كما أن الجهود الفردية والجماعية في الوطن العربي بعامة وبكل بلد عربي على حدة، لم تأل جهدًا أو تدخر وسعا فى تعريب التعليم من القاعدة إلى القمة – حتى ما كان منها إلى عهد قريب مستعمرًا أو مغتربًا ثقافيًا ولغويًا . فلا نجد ما نختتم به هذا المقال خيرا من ترديد افتتاحية الجرجانى لأسرار البلاغة [1] وكأنه معنا اليوم فى قضية التعريب – إذ يقول :

" اعلم أن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها ، ويبين مراتبها ، ويكشف عن صورها ، ويجني صنوف ثمرها ، ويدل على سرائرها ، ويبرز مكنون ضمائرها .. فلولاه لم تكن لتتعدى فوائد العلم عالمه ، ولا صح عن العاقل أن يفتق عن أزاهير العقل كمائمه ، ولتعطلت قوى الخواطر والأفكار عن معانيها .. ولكان الإدراك كالذي ينافيه من الأضداد ، ولبقيت القلوب مقفلة على ودائعها ، والمعاني مسجونة فى مواضعها، ولصارت القرائح عن تصرفها معقولة ، والأذهان عن سلطانها معزولة ... "

**كمال محمد دسوقي**

عضو المجمع

(٢٤) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق ، ريتر ، استانبول ، مطبعة وزارة المعارف ١٣٥٤ هـ ص ٢ ف ١ / ١

# أربعون عامًا مع المصطلح
## من البطاقات إلى الحَوْسَبَة *

للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط

هُنَّ بضعٌ وأربعون سنةً في ركاب المصطلح.

بَدَأْنَ في النصف الأول من عَقْد الخمسين من هذا القرن ، يوم كنتُ أسْفرُ بين عَلَمَيْن من أعلام المصطلح العلمي في هذا العصر ، هما أستاذايَ: الدكتور مرشد خاطر،وأبي الدكتور أحمد حمدي الخياط . وكانا في تلك الحقبة كهلَيْن يَطآن أعتلب الشيخوخة . وكانا يعملان معًا في إعداد موسوعتهما التي أسمياها " معجم العلوم الطبية " . وكان يصعب عليهما أن يجتمعا كثيرًا لمناقشةِ ما يَضَعان من مصطلح ، فكنتُ – كما قلتُ – أسْفِر بينهما ، أنقل لكلٍ منهما رأي أخيه . ثم بدأت أقحمُ رأيي بين الفينة والفينة ، وكان إذ ذاك فجًّا بالغ الفجاجة ، فكانا يصبران عليَّ ، ويحتفيان بما أقول احتفاء تعليم لا احتفاء قبول. ولكن آراء الفتى لم تلبث أن تناضجت وأخذت تنال القبول شيئًا فشيئًا. وكانا قد فرغا أو كادا – مع زميلهما الأستاذ الدكتور صلاح الدين الكواكبي ، طيَّب الله ثراهم جميعًا – من إعداد الإخراجة العربية لمعجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور كليرفيل ، فكنت أقرأ ملازم هذا المعجم الموحَّد الأول بعد طبعها ، وأعددت قائمة طويلة بألفاظ ظننت أنها أفضل في الدلالة على المعنى من بعض ما وضعوه من مصطلحات . ولا تَسَلْ عن فرحة الفتى يوم ارتضوا جلَّ ما اقترحه ، وألحقوه بالمعجم على أنه تصويب ... كان ذلك في نظره يومًا مشهودًا .

ثم نشرت سنة ثمان وخمسين كتابًا لي في ثمانين وأربعمئة صفحة ، أسميته "الكيمياء السريرية العامة"،وحاولتُ فيه أن أجد أو أضع لكل مصطلح أجنبي

---

* ألقى هذا البحث في الجلسة السادسة عشرة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم الأربعاء ١٧ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٦ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٧م

مصطلحًا عربيٌّ النجار يقابله. وقد كان غاية في المشقة ، ولاسيما في ميدان الكيمياء ، وهو ميدان عسير الارتياد ، وقدمت – بين يدي الكتاب – مقدمة طويلة في ثماني صفحات، أستأذنكم في أن أنقل منها ذلك الجزء الذي يتصل بالمصطلح :

قلت :

" لا عجب إذن أن أكون قد جهدتٌ جهدي لكي تكون لغة هذا البحث عربية سليمة، وأن أستعمل من المصطلحات ما أقرّه أساتذتنا الأجلّة في كلية الطب في دمشق ، بناة صرح النهضة العلمية القومية في هذا العصر ، وإن يكن من جملة المصطلحات ما قد يعتبر جديدًا ، سعيتُ في وضعه بجهد خاص ، وبولع في اللغة ورثته عن أستاذي الوالد رعاه الله ، ورأيت أن أعقب هذا البحث بدليل لها، واخترت منها المقاييس العامة والمفردات التي هي أكثر تداولاً ، فجعلتها في بطاقة صغيرة ربطتها بالكتاب ليسهل الرجوع إليها في كل حين . وإذا كنت قد حاولت أن أبتعد عن المصطلحات الصعبة أو التي قد يبدو فيها شيء من النُّبُوّ والتقعُّر لأول وهلة ، فإني أعتقد أن هذه الكلمات مهما بدا لنا من غرابتها خير وأقل عجمة من أن نستخدم كلمة أجنبية في أبحاثنا ، ولو أن ذلك لا يبلغ حدَّ التعصب إلى ألاّ نستعمل أية كلمة أجنبية على الإطلاق. ولطالما رأينا الناقدين في أوائل هذه النهضة يستهجنون طائفة من الألفاظ التي استعملها بعضهم لحاجة العصر، ثم دار الزمن في دورته ، فلم يلبث أن هذبها الاستعمالُ واستساغها الذوقُ فأصبحت مألوفة . "

"ولطالما ظن الكثيرون – وأنا منهم – أن هناك ألفاظًا استأثرت بها اللغاتُ الأجنبية ، يضيع كل جهد في البحث عن مقابل لها في العربية ، إلى أن أسعدني الحظ مؤخرًا ، فأظفرني بطائفة من المفردات التي يراها القارئ في أثناء هذا البحث، وهي تقابل تلك الألفاظ الأجنبية أتم مقابلة . "

" وإذا كنت قد استبدلت بعض المصطلحات الجديدة ، بكلمات وُضعت

قديمًا وشاعت وهي في حقيقتها خاطئة، فإنما ذلك لاعتقادي أن الخطأ لا يكون صوابًا ، وأن الحق حق منذ خلقه الله إلى يوم القيامة ، وأن تعارف الناس على الباطل واتفاقهم عليه ، لا يكون عُذرا لإبقائه والاستمساك به ".

" ولن تزال هذه المصطلحات في صقل وتعديل ، حتى تغدو في المستقبل أقرب ما تكون إلى الإتقان والتوحيد إن شاء الله ، وتكثر الكتب العربية العلمية وتثمر وتزداد . "

" وليس يعني التأليف بالعربية والتعليم بها ، إضعافًا لتعلم اللغات الحية الأخرى ، ولا تأخيرًا عن اللحاق بركب العلم الحثيث السير ، كما يزعم ذلك بعض عملاء الاستعمار الذين يسوؤهم تخلص عقليتنا وعلومنا من العبودية الفكرية ، فهذه العصابة الغاصبة في فلسطين ، قد أخذ علماؤها ينبشون اللغة العبرية التي أكل الدهر عليها وشرب وفعل غير ذلك؛ ليستخرجوا من دارسها مفردات تغنيهم عن استعمال الكلمات الأجنبية في الاصطلاح واللغات الأجنبية في التعبير . "

" إنما السبب في ذلك الضعف وذلك التأخر ، ضعف في أساليب تعليم اللغة الأجنبية في المدارس من جهة ، وعزوف عن التوسع فيها من قبل الطلاب من جهة أخرى، وليس يقبل عاقل أن يعالج الخطأ بالخطأ ، وأن نضحي بلغتنا على مزاياها العديدة، لتلافي ذلك الضعف وذلك الكسل ، وإنما علاج ذلك تقوية ذلك الضعف ، وإنهاض الهمة ، وتبيان أهمية التوسع المقبل والتتبع المستمر . ولعل في إعداد هذا البحث، على تعدد مصادره واختلاف لغاتها، دليلاً متواضعًا على ما أقول . "

انتهى ما أردت اقتباسه .

* * *

وعلى الرغم مما قلته عن محاولتي الابتعاد عن المصطلحات الصعبة أو التي يبدو فيها شيء من النُبُوِّ والتقعُّر ، فإن هذا الكتاب نفسه استعجم عليّ عندما أعدت قراءة بعض صفحاته بعد حين ! ومن هنا بدأتْ رحلتي مع المصطلح

تتماوج ،تستعْسر أحيانًا، فأتعصَّبُ للكلمات العاربة بل البائدة لا أرتضي بها بديًلا، وتمشي مستقيمة الصَّوْب أحيانًا لا تزيغ يمنةً ولا يَسْرة، وتجنح أحيانًا كثيرة مَجْنَحَ الرُخَص ، فأستبيح في سبيل الضرورة العلمية أشياء لم أكن لأبيحها لنفسي لولا ذلك .

ثم جاءت خطوةٌ مهمة على درب تعريب التعليم الطبي . فقد ألَّف " اتحاد الأطباء العرب " سنةَ ست وستين لجنةً لتوحيد المصطلحات الطبية ، تضمُّ صفوةً من المؤمنين بوجوب التوحيد، المتمكنين من المعرفة بالطب واللغة ، من الأقطار التي فيها كلياتُ طب وطنية راسخةُ القَدَم، وعَهِدَ إليها أن تنهض بإعداد معجم موحد للمصطلحات الطبية ، يَضُمُّ من الكَلِم أكثرها تداولاً في التعليم والتأليف والممارسة ، وتجتهد فَتَضَعَ لكلٍّ منها لفظًا يقابله من أصلح التعابير .

وقد أحسن الظنّ بي أعضاء اللجنة فألحقوني بهم وضمُّوني إليهم ، وبدأت بذلك مرحلة جديدة في رحلتي مع المصطلح . وقد مثّلت اللجنة في أعضائها مراحل التطور الفكري لواضع المصطلح. فقد كان من أعضائها السابقون الميسرون،وأعني، على الخصوص،أستاذينا الجليلين حسني سبح ومحمد أحمد سليمان تغمّدهما الله برحمته وأحسن إليهما، كما كان من أعضائها من انضموا حديثًا إلى المسيرة ، وأشهدُ لقد كانوا من أكثر الناس حرصًا على ما يعتقدون أنه سلامة اللغة ، وحمية للألفاظ الأصيلة ، بل كانوا يُصرّون ما استطاعوا على استعمال الألفاظ الثلاثية الأحرف ، قالوا : لأنها أعرق في العربية وأكثر اختصاراً؛ وعلى استعمال مصطلح يتألف من كلمة واحدة ولو شق اشتقاقها في مقابل اللفظة الأجنبية الواحدة، حرصًا على الانسجام والتناسق ؛ ويصرون على الكلمات العاربة وينفرون من الكلمات المستعربة أو الدخيلة، فلا يقبلون بما يقبلون منها إلا كما يقبل المضطر أن يأكل من الموقوذة أو المنخنقة. ووجدتني بين هؤلاء وأولئك . فأنا أرى في السابقين ما أطمح إليه

وأرنو من سلامة اللغة ووضوح اللفظ وسلاسة التعبير، وأبصر في الآخرين نفسي قبل عشرة أعوام فأحن إليها وأضن بها. وكثيرًا ما كان الجدال يحتدم، والاتفاق على اللفظة الواحدة يستغرق ساعاتٍ طوالاً، حتى لقد قلت مرة ترطيبًا للجو:

إذا ما رُمْتَ تعريبًا فأقدِمْ
ودَعْكَ من العزيز المستحيلِ
وجانبْ كلَّ حوشيٍّ غريبٍ
وإن يكُ من ثلاثيٍّ الخليلِ
وخُذْ ما تستطيع من ابن سينا
ولو قد شابَهُ بعضُ الدخيلِ
سترضى أمُّك الفُصحى ولكن
سيغضب منك "فلان... "

وفلانٌ هذا كان أشدَّنا في الحرص على سلامة العربية والغيرة عليها، ومحاذرة أن تشوبها شائبة، والرغبة في أن تبقى مسلَّمة لاشيةَ فيها. وكان من إخواننا أعضاء اللجنة من يفتأ يذكّر إخوانَه بأننا نضع مصطلحات للاستعمال والتداول، لا عينات تُحنَّط ويُحتَفَظُ بها على رفوف المختبرات.

ولكن تجربة اللجنة كانت غنيَّةً ثريَّة، وأثمرت الطبعات الأولى، والثانية، والثالثة من " المعجم الطبي الموحد "، وهو - بكل تواضع - مَعْلَمٌ من المعالم المهمة على درب تعريب العلوم الصحية في العصر الحديث، أي نقلها إلى اللسان العربيّ، والتفاعل معها من قِبَل الفكر العربيّ، واستيعابها من قِبَل عامَّة العرب وخاصَّتهم، كلٌّ بحسبه.

وقد تقبل الناس هذا المعجم بقبول حسن وأحلُّوه مكانًا حسنًا، على الرغم من بعض ما فيه من كلمات مستوعرة، وارتضوه بما أنه موحد، يحاول أن يَلُمَّ لهذه الأمة بعض شعثها، واستعمل الكاتبون في تآليفهم ومقالاتهم جُلَّ ما فيه من ألفاظ، وكان لوضعه موضعَ التداول أثرٌ كبير في الحكم على صلاحية مصطلحاته، وعونٌ كبيرٌ لنا في إعداد الطبعة الجديدة التي ندعو الله عز وجل أن يعين على إخراجها قريبًا، وقد زاد عدد ألفاظها من خمسة وعشرين ألف مصطلح إلى مئة وخمسين ألف مصطلح.

وقد تجلّى هذا العون في بَلْوَرَةِ الموقف الذي ينبغي اتخاذه في صَوْغ المصطلحات. وقد سبق لي - في مجمع اللغة العربية الأردني - أن ذكرت بعضًا من مواد " مجلة الأحكام العدلية " التي أخذت أهدّى بها في هذا الصدد. فمن ذلك المادة الخامسة من مواد " المجلة " التي تقول : " الأصلُ بقاء ما كان على ما كان "، والمادة السادسة التي تقول: " القديم يُتْرَك على قِدَمه ". ففي هاتين المادتين أصلٌ جليل يحسن أن نأخذ به في مجال المصطلحات، فنتركَ المصطلح القديم على قدَمه ما كان صالحًا ، ولا نَعِدلَ عنه إلا لمسوغ واضح. وبذلك نستبعد شطرًا صالحًا من مصطلحات أسلافنا من مجال المناقشة . ذلك أنه " ما ثبت بزمان يُحكم ببقائه، ما لم يَقُم الدليلُ على خلافه" كما تقول المادة العاشرة من مواد " المجلة " ، وأن " الاجتهاد لا يُنقَض بمثله " كما تقول المادة السادسة عشرة . فلا نغيِّرُ المصطلح لشهوة التغيير، كما يحدث مع الأسف في كثير من الأحيان .

وأصلٌ آخر نجده في المادة السابعة عشرة من " المجلة " التي تقول :" المشقة تجلب التيسير " ، يعني أن الصعوبة تصير سببًا للتسهيل. والأصلُ فيها قولُه تعالى: " يريد الله بكم اليُسر ولا يريد بكم العُسر"، وقول النبي صلى الله عليه وسلم "يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا".وما أحرانا أن نهتدي بهذا الهدي الكريم ، فنتفق على أن نستعمل من الكلام أيسره وأسهله، ونبتعد عن غريبه ومستصعبه، وعمَّا ينفر الناس من اعتناق المصطلحات العلمية العربية ويصدُّهم عن الإيمان بالتعريب .

وثمّة أصلٌ ثالث نستنبطه من مواد " المجلة " السادسة والثلاثين إلى الثانية والأربعين، وهي التالية: " العادة محكَّمة"، " استعمال الناس حجةٌ يجب العمل بها "، " لا يُنكر تغيُّر الأحكام بتغيُّر الأزمان " ، و" الحقيقة تُترك بدلالة العادة" ، " إنما تعتبر العادة إذا اطّردت أو غلبت" ، " العبرة للغالب الشائع لا النادر ".

وفحوى هذا الأصل المهم ، أن نعير

استعمالَ الناس ما يستحقُّه من اهتمام . وللناس مسلكٌ عجيب في استحسان الألفاظ أو استقباحها ، وكثيرًا ما يحار المرء فيه، ولا يستطيع أن يعثر له على تعليل .

فقد تقبَّل الناس مثلاً – خاصَّتُهم وعامَّتُهم – لفظة " الإذاعة " بقبول حَسَن، ولم يجدوا حَرَجًا في استعمالها على أوسع نطاق ، أو في أن يقولوا "المذيع" و " المذيعة ". ولكنهم توقفوا في استعمال لفظة " المذياع " فلا تكاد تستعمل – إن استُعمِلت – إلا في أضيق الظروف ، والله أعلم كيف ذلك كان !

وقد اقترحتُ لفظة " الحاكي" – وهي لفظة لطيفة خفيفة الدم- لتقابل ما يستعمله الناس باسم " الفونوغراف" أو " الغراموفون: " أو " البيك آب " .. ولكنها ماتت ، وعاشت الألفاظ الأجنبية المقابلة لها ، على اختلاف في البلدان والمجتمعات .

وقد استحبَّ الناس لفظة " الفشل " وأصلُ معناها الضعف – ففضّلوها على "الإخفاق " و " الخيبة "، واستعملوها في مثل " الفشل الكلوي " ، واشتقُّوا منها "الإفشال " و " الفاشلين ".

وعندما أصاب الزلزال القاهرة ، تَضَعْضَعَ بنيان بعض المباني ، فقررت الحكومة أن تُجري لها عملية " تمكيث ". ولكن الناس جميعًا شاؤوا أن يسمعوا "التمكيث" على أنه "تنكيس"، وهو – كما لا يخفى – عكسُ المراد .

ولو ذهبتُ أُعدِّدُ الأمثلة لضاقَ بيَ الوقت ، ولكنني أرى من الخير أن نتخذ مبدأ من مبادئ منهجيتنا في وضع المصطلح العملي وتوحيده ، تحكيمَ العادة، والعمل- باستعمال الناس على أنه مُسَوِّغ للترجيح إذا صحَّ مصطلحان ، ذلك مع التقيُّد بالقَيْدَين الأخيرين اللذين وردا في "المجلة " : "إنما تعتبر العادة إذا اطَّردت أو غلبَتْ "والعبرة للغالب الشائع لا النادر ". وقد كان أستاذنا الجليل الدكتور حسني سبح – رحمه الله– كثيرًا ما يردد المقولة المعروفة :" الخطأ المشهور خيرٌ من الصواب المهجور".

أما الأصل الرابع الذي رأيت من الخير اقتباسه من مواد " المجلة " ، فقد وجدتُه في المواد الحادية والعشرين، والثانية والعشرين، والثانية والثلاثين . تقول الأولى: "الضرورات تبيح المحظورات " ، وتقول الثانية :" الضرورات تقدر بقدرها"، وتنص الثالثة على أن " الحاجة تُنزَّل منزلة الضرورة ".

وقد سَبَق لي أن تحدَّثتُ في هذا المجمع المبارك عمَّا أسميته " نظرية الضرورة العلمية " ، وقلت: إن علماء العربية اكتشفوا أن ثمّة "أصلاً " كان عليه بنيان هذه اللغة الشريفة ، وحاولوا أن يتصوروا كيف كان. ثم تبيّن لهم أن ثمّة منزعًا دائمًا إلى " الخروج على الأصل" ، وإلى "الخروج عن القياس على الأصل"؛ وتلك عمليةٌ تُزاولها الجماعة ويُزاولها الأفراد، وتتجلى فيها حيوية اللغة وحَرَاكُها. فإذا مارستها العربُ جماعةً كانت مقبولةً على الإطلاق وحلت محل الأصل ، وإذا مارسها الأفراد كانت مقبولة في بعض الأحوال وأطلق عليها اسم " الضرورة " .

وهي تتجلى في اتجاهين اثنين : الاتجاه الأول هو الخروج على الأصل اقتداء بما فعلته الجماعة اللغوية في بعض الأحوال ، والاتجاه الثاني هو العودة إلى الأصل ببعض ما أخرجته الجماعة اللغوية عن أصله .

وقد دعوتُ – ولا أزال أدعو– إلى الاعتداد بهذين الاتجاهين في ركوب الضرورة ، والاقتداء بهما في سبيل الدقة العلمية ، وإنْ كنتُ أفضِّل أن تقوم الجماعة اللغوية العلمية بذلك – وهي لجان التوحيد، والمجامع، واتحاد المجامع – فتستمد الألفاظ المولدة على الضرورة من السلطان الجماعي قوةً كقوة الخارج على الأصل فيما أخرجته الجماعة اللغوية عن أصله حتى أصبح أرسخ من الأصل .

* * *

هكذا تطوَّر موقفي من قواعد وضع المصطح، فأصبحتُ بعد تشدُّد وتزمُّت أومن باتباع هذه القواعد العامة التي أسلفت الحديث عنها وهي: أولاً: ترك القديم على قِدَمه ما كان صالحًا ، وعدمُ العدول عنه إلا لمسوِّغ قوي، وثانيًا :

الحرصُ على المصطلحات السهلة الميسَّرة المقبولة،والبُعد قدرَ الإمكان عن الألفاظ المتوعِّرة ، وثالثًا : اعتبارُ استعمال الناس حجةً يجب العمل بها،والبحث عن بديل مناسب لأيِّ مصطلح يرفضه الجمهور ، ورابعًا: إباحة المحظور في سبيل الضرورة العلمية وتنزيل الحاجة منزلة الضرورة.

ومن أجل ذلك عَدَلْتُ في الإخراجة الجديدة للمعجم الطبي الموحد عن كثير من الألفاظ التي ظَنَنَّاها أفضل مما كان يستعمل قديمًا، ثم تبيَّن لي أننا لم نكن على حق ، وتجنَّبتُ- ما استطعتُ- المصطلحات التي ينبو لفظُها أو يصعب نطقها ، واستبعدت الكلمات التي لم يقبلها الناس -وأعني بالناس أولئك الذين استعملوا المعجم الطبي الموحد في التأليف والكتابة بالعربية والترجمة إليها في غضون السنوات الأربع عشرة الماضية- واستبدلتُ بها ما استحبّه الناس، إن صح، أو ما ظننتُ أنه أكثر مقبولية،إن صح التعبير ، واستَبَحْتُ في سبيل الضرورة العلمية كثيرًا من الأوضاع التي منها ما أقرَّه هذا المجمع المبارك من قبل ، ومنها ما أتمنى أن يُقرَّه هو أو اتحاد المجامع ، فيضبط للناس قواعد وضع المصطلح، وييسرها عليهم في الوقت نفسه .

وإنْ أنْسَ لا أنْسى أن أشير إلى إصرارٍ كان منا على أن نجد مصطلحًا مؤلفًا من كلمة واحدة في مقابل الكلمة الأجنبية الواحدة. وقد وُفِّقنا في كثير من الألفاظ حقًّا ، ولكن التوفيق جانَبنا في غيرها . فقد استعملنا " لا " مركبة مع كثير من الكلم ، لتقابل تلك الألفاظ التي تبتدئ بأداة النفي "a" في اللاتينية . فإذا بنا أمام طائفة من المصطلحات لم يقبلها الجمهور. إذْ قلنا مثلاً؛ "اللاخطوية"، و"اللاقرائيّة "، و " اللاحسابية "و"اللاجلوسيّة "وما أشبه ذلك. فلما قلنا: " تعذُّر الخطو" و " تعذُّر القراءة "و" تعذُّر الحساب "و" تعذُّر الجلوس" رحبوا، بها والحق معهم ، فقد أصبح المصطلح تعريفًا في الوقت نفسه مثل قولنا: "التهاب المعدة "، و " التهاب الأمعاء " . هذا مع أن الناس تقبلوا

واستعملوا بكل توسع ألفاظًا من مثل " اللامركزية " ، و "اللانهائية " !

أعود إلى سنواتي الأولى مع المصطلح، فأذكر أن أبي – رحمه الله- اشترى مقطاعًا يقطع الورق ، وكان يخصص سُوَيْعَةً كل عشيَّة يقطع ما تراكم لديه من أظرُف الرسائل التي تأتيه ، وكانت كثيرةً إلى بطاقات صغار ، أعْتَدَها لكتابة المصطلح عليها بلفظَيْه العربي والأجنبي ورقمه، من ألفاظ "معجم العلوم الطبية ". كما اتَّخذ بطاقات كباراً لكتابة مصطلحٍ مصطلحٍ مع تعريف كل منها . وقد كنت أصطحب بعض هذه البطاقات معي أنَّى ذهبتُ أو رَحَلت، فكان العمل عليها هيِّنًا ميسوراً. وتلك طريقة عملية مألوفة كان أسلافنا يعمدون إليها، فيكتبون في جذاذات كثيرًا مما كانوا يرغبون في تسجيله للرجوع إليه.

أما وقد ظهر الحاسوب بإمكاناته العريضة ، فقد كان لزامًا أن نستفيد منه في العمل المعجمي والمصطلحي إلى أبعد الحدود . وقد سنَّ هذه السنة الحسنة أخونا العلاّمة الجليل الأستاذ أحمد الأخضر غزال في مكتب الدراسات والأبحاث للتعريب في الرباط فصنع قاعدة للمعطيات المصطلحية، لا أعرف قاعدة أوسع منها ولا أوْعَب، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة إن شاء الله .

وقد اقتدينا به في هذه المرحلة الأخيرة من مراحل إعداد الإخراجة الجديدة من " المعجم الطبي الموحد " ، فأدخلنا المصطلحات التي بلغت مئة وخمسين ألفًا في الحاسوب . ولا تَسَلْ عما تحقَّقنا لذلك من فائدة . فقد ساعدنا ذلك على ضبط المصطلحات ، وشكلها ( تشكيلها ) ، ودقة ترتيبها ، والتأكد من أننا لم نستعمل اللفظة العربية الواحدة لأكثر من مقابل أجنبي واحد . ثم إننا استطعنا – بإضافة روامز خاصة – أن نصنِّف المصطلحات بحسب الموضوع، بحيث نستطيع – متى نَجَز المعجم برمّته إن شاء الله – أن نستخرج عشرات من المعاجم التخصُّصية.

وللحَوْسَبَة فوائد غير ذلك كثار .

فهي تُيَسِّر إيصال حصيلة العمل المصطلحي إلى المستفيدين بأسرع وقت وأهون سبيل ، سواء استُنسِخَتْ على أقراص لدنة floppy disks ، أو على أقراص مكتنزة compact disks بذاكرة مقصورة على القراءة CD-ROMs . ثم إن الحَوْسَبَة تيسِّر التعرف على مواقف المستفيدين من المصطلحات ، وتتيح التعديل والتنقيح والتشذيب بحسب مقتضى الحال . وخلاصة القول أن المصطلحات العلمية والتقنية تصبح بفضل الحَوْسَبَة أشبه بكائنات حية: تولَد، وتسجَّل ، وتنمو، ويُراقب تطوُّرها ، وتتحرّك بين الفروع العلمية المختلفة .

وقد كان لابد من إعداد عدد من البرامج الحاسوبية لإتاحة البحث في مفردات المعجم باللغة العربية أو الأجنبية، ولإتاحة البحث في مفردات المعاجم الفرعية المتخصصة المنبثقة عنه ، ولتصفح مداخل المعجم باللغة العربية أو الأجنبية ، ولحفظ وطباعة نتائج البحث بسهولة في نهاية كل جلسة من جلسات العمل عليه . ثم توزيع المعجم بشكله المُحَوْسَب لاختباره من قِبَل عددٍ كبير من الزملاء الذين يستعملون مصطلحاته ، استجلابًا لآرائهم .

وقد أدخلنا في برنامج مستقل جُلَّ المصطلحات العلمية الطبية والبيولوجية التي أصدرها هذا المجمع المبارك ، وسوف نستكمل هذا الإدخال قريبًا إن شاء الله ، ونقدم دراسة مفصَّلة عن حَوْسَبَة مصطلحات المجمع في المؤتمر القادم بحول الله .

وبعد ، فقد طالت هذه الرحلة مع المصطلح ، ولكنني أرجو أن يكون في استعراضها بعض فائدة . ولله الأمر من قبلُ ومن بعد .

**محمد هيثم الخياط**

عضو المجمع المراسل من سورية

# العامِّي الفصيح

## من المعجم الوسيط*

### ( من الجزء الثانى :باب الطاء ــ باب الظاء ــ باب العين )

للأستاذ الدكتور أمين على السيد

تقـــديم :

ضمن بحوث مؤتمر الدورة السادسة والخمسين(سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) في الجزء الأول ، وهو الجزء السادس والستون ، وتاريخه ذو القعدة ١٤١٠هـ مايو ١٩٩٠م نُشِر بحث لى تحت عنوان :

**" العامي الفصيح : شذور من وحى هذا العنوان "**

وقد صدَّرتُ هذا البحث بكلمة موجزة عن نشأة اللغة العامية وبعض سماتها من ندرة الإعراب ، واختلال قواعد التصريف ،وحرية النحت ، وإدماج بعض الكلمات في بعض، والمزج بين الكلمات، ومسخ النطق ببعض الحروف، وعدم مراعاة الترتيب عند تركيب الجمل، وغير ذلك من الظواهر .

وحين وضع المجمع " العامي الفصيح " ليكون مجالاً لبحث في المؤتمر، اتجهت إلى المعجم الوسيط، واقترحت توزيع مادته على السادة الزملاء أعضاء المجلس الموقر ، لاستخراج ما فيه من العامِّي الفصيح ، ولما لم يتم هذا رأيت أن أبدأ بنفسي بتقديم الموضوع ، ثم اتجهت إلى المعجم الوسيط فقرأت منه أربعة أبواب : باب الهمزة ــ باب الباء ــ باب التاء ــ باب الثاء . وأخرجت منها المفردات التي توضع تحت عنوان " العامِّي الفصيح " .

وفي مؤتمر الدورة السابعة والخمسين تقدمت بحرفين من حروف الهجاء تحت عنوان " العامي الفصيح من المعجم الوسيط "وهما: باب الجيم ــ باب الحاء .

وفي مؤتمر الدورة الثامنة والخمسين

* ألقي هذا البحث في الجلسة السابعة عشرة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين، يوم السبت ٢٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ، الموافق ٢٩ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٧م.

تقدمت بأربعة أحرف، تحـــت العنـــوان المذكور هي:باب الخاء ــ باب الـــدال ــ باب الذال ــ باب الراء .

وفي مؤتمر الدورة التاسعة والخمســـين تقدمت بأبواب ( الزاى، والسين،والشين، والصاد، والضاد ) وهي خاتمة الجزء الأول من المعجم الوسيط .

ثم أعود في مؤتمـــر الـــدورة الثالثـــة والستين لأقدم أبواب ( الطـــاء والظـــاء والعين ) من المعجم الوسيط ) .

## بــــــاب الطـــــاء

الطابور : جماعة العسكر ، والصـــف . والطابور الخامس – من العـــوام من يعرفه ، وهم أنصار العدو من أهل البلد أو المقيمين فيه ، وهـــو دخيل .

طأطأ :من الشيء : خفض من شـأنه . وطأطأ رأسه : خفضه . والعـــوام تسهل الهمزة ، وتسهيل الهمـــزة عند كثير من القبائل العربية شائع مشهور .

الطب :والطبيب والطبيبة، وطببة من معجمهم ، ومن كلامهم مـــن حب طب .

طبخه : أنضجه،وشواه.وطبخ الطـــوب أحرقه . وطبخ الطعام، وانطبـــخ الطعام. والطبـــاخ: الطـــاهي. والطبخ بمعنى المطبوخ. والمطبخ : موضع الطبخ،والجمع مطـــابخ – كل هذا من الغامي الفصيح .

طبطب : الماء والسيل ونحوهما:صوت في تلاطمه. والطبطبة:حكاية صوت الماء ونحوه، وحكاية وقع الأقـدام عند السير – هذه المعاني لا يعرفها العوام، ولكنهم يعرفون اللفـــظ ويستعملونه بمعنى آخر، فيقولون: طبطب على اليتيم، بمعنى مســـح على كتفيه ووضع يـــده علـــى ظهره سمة للحنان والعطف عليه، والطبطبـــة عندهـــم: الحنـــان والتدليل.والطبطابة معروفة عنـــد كثير منهم وهى خشبة عريضة ، تُلعَب بها الكرة .

طبع : يعـــرف العـــوام كثيرًا مـــــن

استعمالات هذه المادة،فيعرفون طبع الكتب والصحف والمجلات. والطباعة: حرفة الطباع أو الطابع. والمطبعة بفتح الميم: اسم المكان المعد لطباعة الكتب. والمطبوع :ما طبع.ومن كلامهم فلان مطبوع على حب الخير. ومنه فلان تطّبع بطبع فلان، أي تخلق بأخلاقه . وتطبيع العلاقات يعرفه رجل الشارع.وطبع الرجل أولاده على كذا : عوَّدهم عليه .

طبق : يؤكل فيه.والطبقة الدرجة والمرتبة. والمطبقية :ما نصف فيها الأطباق. والطابق، والطابوق، وانطبق،ومطابق،ويطابق، وغيرها من المشتقات يعرفها العوام .

طبل : الطبل معروف عندهم ومثله الطبلة. والطبلية التي يؤكل عليها والطبال صاحب الطبل، أو الضارب عليه، أو الماهر فبه .

طبن :العوام يستعملون (الطابونة) ويجمعونها على طوابين ، ويطلقونها علي المخبز أو الفرن ، وقد أثبتها المعجم الوسيط على أنها من استعمال المحدثين .

طث : العوام يعرفون هذه المادة بإبدال الثاء سينًا ،فيقولون :طس فلان فلانًا بمعنى :ضربه ودفعه ،وقد وردت في الفصيح كما سيأتي :

طجن : الطاجن صحفة تتخذ من الفخار، ينضج فيها الطعام في الفرن ،ويصفون هذا الطعام بأنه مطجن .وجمع الطاجن طواجن، والكلمة معربة ومعروفة .

طحطح : الشيء طحطحة:كسره وبدده إهلاكًا، ويقولون: فلان مطحطح - بكسر الميم في أوله - إذا كان شيخًا هرمًا .

طحل : الطحال معروف عندهم في الإنسان والحيوان ،ويضمون الطاء .

طحلب : والطحلب كذلك،ولكنهم يجعلون الطاء تاء أو دالاً ويجمعونه علي طحالب .

طحن : الحب وغيره طحنًا: صيره دقيقًا، والطاحونة وجمعها طواحين، والطحان الذي يعمل في الطاحونة، والطحن ، والطحين، والمطحن آلة الطحن ومكانه، وجمعها مطاحن.وانطحن الحب، والعامة يسمون هذه الآلة : مطحنة – بفتح الميم، والفصيح كسرها .

طخَّ : الشيء طخًّا: رماه وأبعده، وطخ: شرس وساء خلقه، وتجرى علي ألسنتهم عبارات تحتوى على هذه المادة،كقولهم: فلان طخ فلانًا بالبندقية، وقولهم : طخَّه بلسانه أي شتمه ويطلقون على الأحمق صفة طخاخ .

طرأ : ومشتقات هذه المادة من معجمهم فيقولون"طرأ لفلان عذر، ويقولون: اعتذر فلان لأمر طارئ. وحالة طوارئ . وقانون الطوارئ .

طرب : من معجمهم: الطرب بمعنى الغناء وبمعنى الارتياح، ويسمون المغنى الحسن الصوت بالمطرب.

الطوربيد : معروف لهم وهو دخيل .

الطربوش : معروف لهم أيضًا وهو دخيل وجمعه طرابيش .

طرح : يعرفون من هذه المادة : الطرح،وطرح البحر في مصر : ما يعلو على ضفة النيل من الغرين ويزرع،ويعرفون الطرحة وبخاصة طرحة العروس ، والمطرح : المجلس والمسكن ونحوهما،والمطرحة: ما يطرح بها الخبز في الفرن( وهي مولدة ) ويجمعونها على مطارح. ومن كلامهم: فلان جلس مطرح فلان، أو أخذ مطرح فلان في العمل .

طرد : يعرفون هذه المادّة، ويستخدمون مشتقاتها في أحاديثهم : كالطرد والطارد والمطرود ومطاردة اللصوص،

والطرد يرسل في البريد ونحوه ، والطرادة والطراد من السفن الحربية الكبيرة، ويجمعون المطرود على المطاريد،ولهذا الجمع وجه في الفصحى .

طرز : يعرفون التطريز والطرزى ويجعلون طاءها تاء ، والطراز والمطرز، ويقولون هذا الشيء أحدث طراز، وهذا طراز آخر.

طرش : الطرش ثقل السمع ، والأطرش الأصم،وفلانة طرشاء ، ولكنهم لا يمدون آخره بل يقولون :هي طرشة، بالتاء بدل الألف الممدودة .

طرطر : يعرفون من هذه المادّة: الطرطور- بفتح الطاء - وهو القلنسوة الطويلة الدقيقة الرأس، ويجمع على طراطير.ويستعملون الطرطور مجازًا للشخص الذي لا فائدة فيه . ويقولون هذا الشيء مطرطر بمعنى مرتفع على سبيل المجاز أيضًا .

طرف : طرف كل شيء آخره، وفلان يجلس في طرف الصف،وطرفت عينه من ضربة أو غيرها، وفى العقود يقولون: فلان طرف أول وفلان طرف ثان ، والجمع أطراف( وهو مولدٌ) ويعرفون الطرفاء ولكنهم يجعلونها بالتاء ويقولون : طرفة .

طرق : يعرفون الطريق والطرقة والطارق والمطروق والطرق، وانطرق الحديد بالمطرقة ومن كلامهم : لكل إنسان طريقته في الحياة. ومنه هذا مكان مطروق .

طرم : طرمت بيوت النحل : امتلأت من العسل. وأطرمت أسنانه علتها الخضرة . والطرم الشهد. هذه المعاني لا يعرفها العامّة، ولكنهم يستخدمون الطرم في موضع الثرم، وهو سقوط الأسنان .

طرى : من معجم العوام طرى بكسر

الطاء والراء والفصيح: طَرِيَ . والصفة منه طرىّ ومنه الطراوة أيضًا ومن كلامهم طرّاه أي جعله طريًّا .

الطازج : عند العوام طازة – بتاء بدل الجيم ، وهي معربة وأصلها ( تازة ) .

الطست : إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه يغسل فيه معروف عندهم بالشين المعجمة. ويعرفون طس فلانًا "طعنه أو خاصمه أو ضربه. والطست معرب ( تشت ) والجمع : طسوت .

الطشت : الطست وقد أقر المجمع استعمال العوام لها بالشين .

الطشاش : من المطر:الرشاش.والطشاش: ضعف البصر، ومنه المثل : الطشاش ولا العمى، وهو من معجمهم .

الطعم : والطعام كل ما يؤكل ، والتطعيم بزرع غصن من غير شجره ليتكون منهما ثمر جديد،وطعم الخشب بالصدف ونحوه، واستطعم الشيء : وجد طعمه لذيذًا. والطعم:ما تدركه حاسة الذوق من طعام أو شراب. والطعم: ما يلقى للسمك وغيره لاصطياده، والمصل يحقن به الجسم ليكتسب مناعة من المرض . والطعمية معروفة(وهي محدثة). والمطعم :مكان يقدم فيه الطعام بالثمن ويجمعونه على مطاعم . كل هذا من معجم العوام .

الطعن : العيب، والطعن في الأحكام القضائية،والطعن بالرمح ونحوه، والطعن في العرض أو في الرأي أو في الحكم ، والطاعون كل هذا معروف عندهم .

الطغام : أرذال الناس وأوغادهم . بعض العوام يعرف هذا ، ويعرف أن الطغومة هي الدناءة والضعف والحمق .

الطغيان : من معجم العوام : فلان طغى بمعنى جاوز الحد. وفلان طاغية بمعنى عظيم الظلم، وفلان طاغوت من الطواغيت. الطغيان سبب من أسباب الخراب، وأطغاه المال والسلطان.

الإطفاء : يعرف العوام: المطافئ بأنواعها المختلفة، ولا يعرفون مفردها وهو المطفأة، ويستدعون رجال الإطفاء إذا شب حريق في مكان ما .

الطفح : طفح الإناء أو النهر أو الحوض ونحوه طفحًا: امتلأ حتى فاض من جوانبه، ومن كلامهم طفح الكيل - إذا جاوز الأمر حده .

طفس : يعرفون مقلوبها فطس أي مات، ويعرفون طفس طفاسة بمعنى قذر واتسخ، وهو طفس .

طفف : يعرفون تطفيف الكيل والميزان، وهو البخس، ويعرفون الآية الكريمة :"ويل للمطففين " والطفافة: الشيء اليسير . والطفيف الشيء القليل .

طفل :يعرف العوام من هذه المادة مشتقات كثيرة منها الطفل والأطفال والطفولة والتطفل والطفيلي الذي يغشى الولائم دون دعوة .

طفا : الشيء فوق الماء : علا و لم يرسب، ويعرفون: الأشياء الطافية على سطح الماء .

الطقس : الطقس والطقوس معروفة عند النصارى. والعوام يعرفون الطقس بمعنى حالة الجو، وهي محدثة وجمعها طقوس.

طق : طق طقا - صوت . طقطق : صوت أو كثر صوته .

الطقم : مجموعة متكاملة من الأدوات تستعمل لأغراض خاصة، وجمعه أطقم (مجمعية) .

الطلب : مادة معروفة عند العوام بأكثر مشتقاتها مثل طلب - يطلب - اطلب - طالب - مطلوب -

الطلاب – الطلبة – المطلب – المطالب – الطلب – الطلبات ...

الأطلس : يعرفه أولياء الأمور من أبنائهم الطلاب .

طلسم : الساحر ونحوه: كتب طلسمًا، ومن كلام الصوفية: سر مطلسم وحجاب مطلسم وذات مطلسم : غامض. ويقال طلسمه أي أزال غموضه ووضوحه وفسره .

طلع : مادة معروفة عندهم أيضًا بأكثر مشتقاها مثل: طلع . يطلع . أطلع . طالع . وطالع المقال مطالعة: قرأه. وطلع النخل معروف – ومن كلامهم: لفلان تطلعات – الاستطلاعات معروفة عندهم لكثرة جريانها على الألسنة وفي الصحف والمجلات. وكذلك الطلائع. ومن كلامهم :صاحب الطلعة البهية. ويعرفون طليعة الجيش ، ومطلع الفجر ، والمطلع عندهم مكان الطلوع في مرتفع من المرتفعات .

طلق :العوام يعرفون من هذه المادة أكثر ما تدل عليه فيعرفون طلاق المرأة من زوجها ، ويعرفون طلاقة الوجه ، وطلاقة اليد بالخير، وطلاقة اللسان ، والطلق يصيب المرأة في المخاض وهو وجع الولادة، ويعرفون إطلاق الأسرى، وإطلاق الماشية لترعى، وإطلاق الخيل للسباق، وإطلاق المدفع ، وهذا الاستعمال مولد، ويعرفون الانطلاق بمعنى الذهاب والمرور ومضي الخيل إلى الغاية في السباق، ويعرفون الطالق من النساء وهي المحررة من قيد الزواج. ويقولون رجل مطلاق، أي كثير التطليق للنساء .

طل :من معجم العوام هذه المادة وهم يقولون أطل علينا بمعنى دنا واقترب، والطل المطر

الخفيف، والندى والطل:ما بقي شاخصًا من آثار الديار. ويستعملون الطل بمعنى البرد الشديد ، ولهذا الاستعمال صلة بالاستعمال الفصيح ؛ لأن المطر قد يصحبه برد في الغالب .

طلمس : من معجمهم: طلمس الكتابة بمعنى محاها أو أزال بعض حروفها .

طلى الشيء بكذا : دهنه بما يستره .

طمر الشيء طمرا : ستره - وطمر البئر ردمها - وطمر المطمورة ملأها بالطعام أو غيره والطمر الثوب الخلق البالي. والمطمورة مكان تحت الأرض قد هيئ ليطمر فيه البر والفول ونحوهما .

طمس الشيء : شواهه أو أزاله .

طمطم : مع كلامهم مطمطم بمعنى ممتلئ. والطماطم معروف عندهم، ويطمطم في معجمهم معناه يتكلم بما لا يفهم .

طمع : الطمع، وطمعه، يتطمع - بالإدغام: يطمع وكسر ياء المضارع. والطماع: الكثير الطمع. والمطمع: الطمع وما يطمع فيه .

طم الشيء : كثر - طم فلان الحفرة بالتراب:ردمها وسواها بالأرض . والطم : الماء الكثير ، والطامة يعرف العوام أنها يوم القيامة .

اطمأن : من معجمهم : اطمأن فلان في مسكنه بمعنى استقر . واطمأن القلب بمعنى: سكن بعد انزعاج . وبعضهم ينطق كلمة " الطمأنينة " يريد بها الاطمئنان.ويقولون: فلان عنده اطمئنان أي ثقة وعدم قلق .

طما الماء :ارتفع وملأ النهر.والطمى يحمله السيل ويستقر على الأرض رطبًا أو يابسًا من معجمهم .

الطنيب :من وجبت عليك إجارته وحمايته، ومن عباراتهم: أنا طنيب فلان أي مستنجد به .

الطنبور : آلة من آلات اللعب واللهو والطرب ذات عنق وأوتار. وآلة من آلات السري تدار باليدين . ( محدثتان )

الطَّنج : الصنف والنوع ومن عبلوات الأمهات لأبنائهم : فلان ليس من طنجك فلا تصاحبه .

الطَّنجرَةُ :قدر أو صحن من نحاس أو نحوه من المعروف عندهم .

طنطن : دندن. الطنطنة : كثرة الكلام والتصويب والكلام الخفي والدندنة .

طَنَّفَ : طَنَّفَ فلان للأمر : فعله . ومن كلامهم : فلان يطنف عندنا كل حين أي يزورنا .

طنَّ طنينًا : صوت ورَنَّ. يقال: طن الذباب، وطن النحاس، وطن العُود وطنت الأذن.والطُّن:وزن للأثقال، يقدر كيلو جرام ، والجمع أطنان. والطنّان: فعّال من طنَّ يقولون: قصيدة طنانة أو طنانة رنانة، يريدون : ذائعة الصيت والذكر في الأقطار . والطنين نوع من الأصوات كصوت الناقوس والعود، ويقال:خطبة أو مقالة أو قصيدة لها طنين أي صدى وذكر وجلجلة في المحافل .

الطَّهارة : النقاء من النجاسة والدنس والبراءة من كل ما يشين . وطهارة الحائض أو النفساء : انقطاع الدم أو الغسل "وطَهّر الشيء بالماء وغيره جعله طاهرًا. وطهّر الولد: ختنه. وطهر القناة أو الترعة: أخرج ما رسب فيها من الغرين (محدثة)، والطاهر النقى، ومن كلامهم :فلان طاهر الثوب أو الذيل أو العرض أي نزيه شريف، والطاهر من الماء : الصالح للتطهر به ـ كل ما استعمل من هذه المادة من معجم العوام.

الطاهي : الطباخ والجمع طهاة ،

والطهى:الطبخ والإنضاج من معجمهم .

الطوب : واحدته طوبة - قيل : إنها لغة مصرية قديمة.والطوّاب: صانع الطوب .

طوبة :خامس الشهور القبطية - هذا كله معروف لهم .

طاح : طاح الشئ من يده:سقط. وطوّحه: ضيّعه أو: توهه. وتطّوح:جاء وذهب فى الهواء وغيره، وتطوّح فى البلاد ونحوها :ذهب هاهنا وهاهنا .

الطّود : الجبل العظيم.والمُنطاد: ضرب من الطائرات، يصنع من النسيج ويملأ بغاز الهيدروجين،ويطير في جو السماء، حاملاً في أسفله سلة كبيرة تستعمل في الركوب ونحوه (محدثة )ويعرفها العوام.

طار : طار الشيء:حام حوله - طوّره: حوّله من طور إلى طور.تطوَّر: تحول من طور إلى طور(مج) التطوّر: التغير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها ،ويطلق أيضًا على التغير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع.والطوار :جانب الطريق المرتفع قليلاً يمر فوقه المشاة(محدثة). والطور: المرة والتارة. والحدّ - يقولون: تعدى فلان طوره أي جاوز حده وقدره.والحال والهيئة - يقولون: فلان على طوره، ولكنهم يضمون الطاء ويجعلون الواو حرف مد،بعد أن كانت حرف لين من فتح الطاء .والطور بضم الطاء : الجبل .

الطاس : إناء من نحاس ونحوه يشرب فيه أو به، والعامة يقولون: طاسة .

الطاووس : طائر حسن الشكل كثير الألوان، يبدو كأنه يعجب بنفسه وبريشه، ينشر ذَنَبه. ويطلقونه على الجميل من الناس ونحوهم .

طوش : طوّش فلانًا : خصاه وجَبَّ ذكره، والطواشي:الخَصِيّ،وهم طواشية -هذا من معجم العامة.

الطاعة : الطاعة: الانقياد .وطاوعه فيه: أطاعه .ومن كلام العَوام: أمـر مطـاع ،وأمـرك مطـاع . وطوّعت له نفسه كذا : أطاعته وزينته وشجعته عليه.وانطـاع له: خضع وانقاد. وتطـوّع : تكلف الطاعة، وتنفـل وقـام بالعبادة طائعًا مختـاراً دون أن تكـون فرضًـا - وتطّـوع للجندية، وهم يقولون :اطّوع، بالقلب والإدغـام، وأصلـه تطوع. واستطاع الشيء: أطاقه وقدر عليه وأمكنه.ويقولـون: هو طوع يدك أو إرادتـك أي منقاد لك. ويعرفون الطّيِّع بمعنى الطائع. والمطـاوع : المطيـع الموافق. والمطواع من يسرع إلى الطاعة .والمطّوِّع : المتطـوع للجهاد أو لعمل الخير .

طاف :طاف حوله وبه وعليه وفيه:دار وحام. وطوّف مبالغة في طاف. وتطوّف: طاف . الطـائف: حارس البيوت، ومن كلامهم : الطوّافة حاضرون- الطـوّاف حول الكعبة معروف عندهـم والطوف عندهم بضم الطـاء: جدار ونحوه يقام حول قطعـة من الأرض. الطوفان: ما كـان كثيرًا أو عظيمًا من الأشـياء أو الحوادث بحيث يطغـى علـى غيره، والفيضان العظيم كالذي أهلك قوم نوح. والطـوّاف : الكثير الطوّاف ، وموزع البريد في القرى ( مولد ) والمطـاف: الطواف ، وموضع الطـواف حـول الكعبـة وغيرهـا. والمطوِّف: من يقوم على إرشاد الحجاج إلى ما يتعلق بمناسـك الحج .

طاق : طاق الشيء طوقًا :قدر عليه . طوَّقه الطُوق وبه :ألبسه إيـاه -

والطاقة بمعنى القدرة وما يستطيع الإنسان أن يفعله بمشقة، وطاقة الزهر أو الريحان: عيدان أو زهر. والطوق: القدرة، وكل ما أحاط بشيء خلقة كطوق الحمام، أو صنعة كطوق الذهب والفضة يحيط بالعنق، والعامة تضم الطاء.

طال : طال الشيء طولاً: علا وارتفع. وأطال عليه الليل وغيره: طال؛ وأطال الشيء: جعله طويلاً، وقالوا أطال الله بقاءة: مدَّ في عمره. وأطوله أطاله، وطاول فلانًا في الدين ونحوه: ما طله وتأخر في أدائه، طوّل الدابة: أرخى لها حبلها، وتطاول عليه: اعتدى والطاولة: لعبة النرد (دخيل) والمائدة (دخيل) والطوال: الطول ومدى الدهر، ويقولون: لا أكلمه مدى الدهر، والطّوالة: مذود البهائم (محدثة) والطُّول: مقابل القِصَر أو القرض، والطويل خلاف القصير أو العريض ويقولون: فلان باعه طويل أي جواد، وطويل اليد (عند المعاصرين) الخائن واللص أو السريع الاعتداء باليد.

طوى : طوى الشيء طيًّا: ضم بعضه على بعض، أو لف بعضه فوق بعض، وطوى السر: لم يظهره، وطوى بطنه: أجاع نفسه. ومن كلامهم: فلان حسن الطوية، أي نقي الضمير. والمطواة: سكين صغير ذو نصل أو نصال تطوى في النصاب (محدثة) والعوام ينطقونها بفتح الميم وحذف المد فيقولون: مطوة.

طاب : طاب الشيء: جاد وحسن ولذ وصار حلالاً، وطابت الأرض: أخصبت، وطابت نفسه عن الشيء: تركه راضياً، وطيَّب الشيء: صيره طيِّبًا، وطيب خاطره: أرضاه ولاطفه ومازحه أو هدَّأه وسكنه، والأطيب يثنى

فيقال: الأطيبان وهما الأكل والنكاح، أو النوم والنكاح أو الشحم والشباب، والطيب : ما يتطيب به من عطر ونحوه والطِّيب:الأفضل من كل شيء، ومنه قولهم:طيب العيش وطيب الحياة، والطّيب: كل ما تستلذه الحواسّ، وكل من تخلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل . يقولون : فلان طيب القلب أي طاهر الباطن، وامرأة طيبة أي عفيفة ، ونفس طيبة أي راضية بما قدر لها، وكلمة طيبة أي حسنه جيدة، وبلدة طيبة أي كثيرة الخير، ومساكن طيبة أي طاهرة، والمطايب:خيار كل شيء وأفضله .ومما ابتكره العوام قولهم: فلان مطيباتى أي يزين الأشياء عند البيع أو الشراء أو غيرهما من أنواع التعامل .

أطاح :.أطاحه : أى أهلكه وأذهبه .

وطيّحه : طوّحه وأذهبه .

طاخ طاخ أي تلطخ بالقبيح أو الباطل من قول أو فعل ، وجهل وطاش وتكبر - والطائخ: الأحمق والقذر لا خير فيه . وزمن الطِّيخة أي زمن الفتنة والحرب. لا يستخدم العوام شيئًا من هذه المعاني لكنهم استخدموا كلمة (طاخ) اسم صوت للطلق الناري، وكأنهم أخذوها من الطيخة بمعنى الحرب .

طار :طار الطائر ونحوه طيرًا وطيرانًا : تحرك وارتفع في الهواء بجناحيه، وطار فلان إلى بلد كذا : سافر بالطائرة إليه.ومن كلامهم :من جاور الحداد تطاير عليه الشرار. وتطيّر بمعنى تفاءل وتشاءم.والطائر من الحيوان: كل ما يطير في الهواء بجناحين ويقال في الدعاء للمسافر: على الطائر الميمون. والطائرة معروفة

وتستعمل في النقل وفى الحرب وهى (محدثة) كذلك المطار والطيار

طاش : طاش طيشًا وطيشانًا : اضطرب وانحرف.يقال : طاش فلان أي نزق وزل وطاش عقله: خفّ وتشتت وطاش السهم أي لم يصب الهدف. والطائش : الأهوج، والذي لا يصيب إذا رمى .

طيَّن : مبالغة في طأنه بمعنى لطّخه بالطين ، والطيان:صانع الطين ومباشره، والطين معروف ، والطينة قطعة منه .

## باب الظاء

الظبي :الغزال، وهو معروف عندهم، ويشبهون به،فيقولون :مشية غزلانية .

ظَرُف : يعرفون من هذه المادة: الظرافة والظرف،ولكنهم يضمون الظاء في الظرف ،ويعرفون : الظريف بمعنى الحسن، ويعرفون:تظارف أي تكلف الظرف وليس بظريف ،ومثله:تظرّف ، ويعرفون :استظرف فلانًا أي عده ظريفًا. والظرف: الوعاء وكل ما يستقر فيه غيره، والمظروف: ما اشتمل عليه الظرف ،يقال :بعثت بالرسائل مظروفة ( وهذه محدثة ).

ظفر : يعرف العوام من هذه المادة الظفر ولكنهم يقلبون الظاء ضادًا ويجمعونه على(ضوافر ).

ظلف : الظِّلف : الظفر المشقوق للبقرة والشاة والظبى ونحوها ،و لم أسمع منهم إلا "ذوات الأظلاف" سمعتها من بعضهم.

ظَلّ : تقلب الظاء ضادًا في استعمال الظل والمُظِلّ،ومن كلامهم: فلان كان شجرة مضلة ، أي كان يعطف على غيره ونطق العوام بسكون الميم في أول الكلمة وبالضاد بدل الظاء . وبعضهم ينطق الكلمة بالظاء

عندما يتحدث عن الظلال في الرسم وقد يخرج لسانه في الظاء فيكون النطق فصيحًا. ومنهم من يقول:استظل فلان بشجرة ، وظلّل فلان فلانًا بكذا .ومن كلام العوام : نعمل لك"ضُلّيلة " ولعل أصلها ظليلة من قولهم :ظل ظليل ،ثم صغرت وقلبت الظاء ضادًا ، فصارت "ضُلّيلَة " .

ظلم : مادة كثيرة الدوران على ألسنتهم وكذلك مشتقاتها وهم يستعملون الظلم كثيرًا في أحاديثهم وكذلك يستعملون: ظَلَمَ ،ويظلم ،وظُلم وظالم ومظلوم والمظلمة أي ما يطلبه المظلوم . وتظلّم : شكا الظلم، وتظالم القوم : ظلم بعضهم بعضًا.والظلام: ذهاب النور. ومن معجمهم .ليلة ظَلْمَة بإبدال الظاء ضادًا ومنه: أظلمت الدنيا في عين فلان ، وأظلم البيتَ : جعله ظلامًا .

ظن : الظن :إدراك الشيء بغير يقين ، أو إدراك الشيء مع ترجيحه. ويستعملون من هذه المادة الفعل فيقولون:ظننت وأظن ويا فلان ظن كما تشاء ، والظّنان عندهم كثير الظن، وظن السوء من معجمهم ، لكن من النادر إخراج اللسان عند نطق الظاء .

ظَهَرَ : ظهر الشيء : تبين ،وأظهر فلان الشيء: بينه ومن عباراتهم : يظهر أن فلانًا سافر ، أو الظاهر أن فلانًا سافر ونحوها . ويعرفون : التظاهر والمظاهرات وظِهَارة الثوب ولكنهم يجعلون الظاء ضادًا ويكسرونها، والظهر خلاف البطن، يقولون : فلان يقرأ القرآن عن ظهر قلبه أي من حفظه دون نظر في المصحف. والظُّهر:ساعة الزوال والظهير: المعين ، وأحد لاعبي

كرة القدم ، والمظهر: الصورة التي يبدو عليها الشيء .

## بـــاب العــين

عبأ : عَبَأ الشيء بمعنى هيأه أو جعل بعضه فوق بعض لا يعرفونها مخففة وإنما يشددونها ويسهلون الهمزة فيقولون:عَبَّى الشيء يعبيه بكسر حرف المضارعة، ويعرفون التعبئة عند الحرب . والعباءة معروفة عندهم، ولكنهم يقلبون الهمزة ياء وهى فصيحة كما جاء في القاموس المحيط ( العباية : ضرب من الألبسة كالعباءة ) وستأتي في (عبا ) .ويعرفون الأعباء التي يتحملونها ،ولا يعرف المفرد منها إلا قليل منهم .

عَبّ : عب الماء أي شربه بلا تنفس أو مَصَّهُ .

عبث : يعرفون العبث بمعنى عمل ما لا فائدة فيه ، ويبدلون الثاء سينًا .

عبد : يعرفون العبادة والعبودية ، ويعرفون قول الناس: عبد الله وأعبد الله، وفلان يتعبد أي ينفرد بالعبادة، والاستعباد معروف وكذلك:العابد والعُبَّاد، والعِباد بمعنى الخضوع لله. والعبد: الرقيق، وقد انتهى الرق. وكل إنسان عبد الله . وعبَّاد الشمس : نبات معروف والمعبد: مكان العبادة. ومن العوام من يعرف العبادلة لمخالطتهم أهل العلم .

عبر : عبر النهر عبوراً: قطعه من شاطئ إلى شاطئ ، وكذلك الطريق.والعبرات بمعنى الدموع، وعبير الزهر ، وفلان يعبر عما في نفسه، وعَبّر الرؤيا:فسرها . واعتبر الشيء : اختبره وامتحنه واعتد به (مولد)وعابر السبيل : المسافر. والعبارة بمعنى الكلام. والعبرة: الاتعاظ والاعتبار بما مضى، والعجب . والعبور من الغنم : ما كانت فوق الفطيم

من إناث الغنم،والعامة تقول : عبورة ،بالتاء في آخرها .

عَبَسَ : يعرف العوام قوله تعالى (عبس وتولى ) -.ويقولون:فلان عبَّس حين رآني أي :تجهم ،والعابس والعَبُّوس والعباس من معجمهم.

عبط : يقولون :رجل عبيط:أى أبله غير ناضج ، وهذا تعبير محدث.

عبق : من هذه المادة يقولون: عبَّق (بالتشديد) .بمعنى ملأ المكان برائحة طيبة، أو بالدُّخان أو غيره. وفى الوسيط: عبَّق رائحة الطيب : ذكاها .

عبقر : من كلامهم :فلان عبقرىّ .بمعنى : لا يفوقه أحد .

عبل : يقولون:جاء فلان بعَبَلِهِ أي: غير مُعنَى بهندامه ونظافته وأصله من الشجر يكون عليه ورقه لا يشذب ولا يُهذَّب (محدثة) .

عبا :يستعملون المضعف من هذه المادة فيقولون: عبى المتاع والجيش ونحوهما، .بمعنى هيأ وجهز وأعدّ.والعباية هي العباءة كما تقدم في (عبأ) وعُبُوَّة الشيء: مقدار ما يملؤه مثل : عبوة كيس القطن قنطار (محدثة).

عتب : يعرفون من هذه المادة: العتاب والمعاتبة وعاتبه وتعاتبوا ويقولون : ما عتبت باب فلان أي ما دخلت داره، واستعتبت فلانًا أي: استرضيته، ويعرفون: عبة الباب أي خشبته التي يوطأ عليها .

عتد : من العامة من يعرف العتاد .بمعنى : عدة كل شيء، ومنهم من يعى قول الله تعالى : ﴿وأعْتَدَتْ لهن متكأً ﴾.

عترس : عترس فى الأمر:أخذ فيه بالجفاء والعنف، والعِتريس: الغضوب الجبار والعامة تفتح العين والفصيح كسرها .

عتق : يعرفون من هذه المادة : أعتق العبد،وعتّق الخمر،وخمر معتقة،

والشيء العتيق أي القديم ، والبيت العتيق أي الكعبة .

عَتَل : عتله عتلاً أي جرّه جرًّا عنيفًا وجذبه فحمله، والعتّال :الحمال بأجرة، والعَتَلَةُ: عمود قصير من حديد له رأس عريض يهدم به الحائط، ويقلع به الشجر والحجر، والعُتُلّ: الشديد من كل شيء، ومنه: رجل عُتُلّ أي جاف غليظ .

عتَم : عتم الليل: أظلم، وعَتَّم:دخل في وقت العَتَمة،وعَتَمَةُ الليل: ظلام أوله بعد زوال نور الشفق .

عَتِهَ : يعرفون العته بمعنى نقص العقل وسوء التصرف، ويقولون:فلان معتوه .

عتا : من كلامهم:فلان من العتاة أي من المستكبرين المتجاوزين الحد. والعاتي عندهم الجبار الذي لا يرحم .

عَثّت : عثت العثة الصوف أي أكلته، والعثة : حشرة تلحس الجلود والفراء والألبسة والبسط . العوام تعرفها ، وتجعل الثاء تاء، وتكسر العين .

عثر : عثر على الشيء أي وجده ، والعوام يعرفون هذا ويجعلون الثاء تاء .

عثمان : لا يعرفون أن العثمان فرخ الثعبان ولكنهم يسمون بعثمان.

عجب : من معجم العوام صيغ كثيرة مأخوذة من هذه المادة منها: هذا الأمر له العجب، وأعجبه الشيء: عجب منه وسُرَّ به، وعجّبه:جعله يعجب، وتعجب من الشيء : استهواه واستماله، واستعجب: اشتد تَعَجُّبُهُ ، ويقولون :هذا أمر عجيب، وقصة عجيبة، وشيء عجيب. وهي عجيبة .

عجر : من العجائب ـ وليس لأسلوب التعجب القياسي عندهم استعمال مما سمع على ألسنة

العوام قولهم :فلان كله عجر وبجر،وقولهم :نحن نعرف عجره وبجره،وهم يقصدون العيوب والمثالب .

عجرف : تعجرف على القوم أي تكبر، وفى فلان عجرفة أي جفوة في الكلام وخُرْق في العمل، وعجارف الأيام : أحداثها وصروفها وقالوا: فلان متعجرف، وأكثرهم ينطقونها فصيحة .

عجز: عَجَزَت المرأة أى صارت عجوزاً كبرت و أسنت. و عجزَ عن الشيْء :ضعف.و لم يقدرْ عليه، فهو عاجز و الجمع عجزة ويعرفون ملجأ العجزة والأيتام. وعجّزت المرأة:صارت عجوزاً، و عجَّزْتُ فلاناً:ثبطته و عوّقته. والعجوز:الهرم،للذكر و الأنثى،و أيام العجوز معروفة عندهم، و المعجزة للأنبياء والرسل معروفة عندهم وهي أمر خارق للعادة يجيْء تأييداً للنبوة.

عجعج : نسمعهم يقولون عمن يكثر صياحه ويقل عمله: فلان عجعاج .

عجل : من معجمهم. العجلة من الشيطان. وفى العجلة الندامة ، والعجلة: السرعة وعجَّل الشيء، وتعجَّله : أخذه بسرعة واستعجله، والعجل: ولد البقرة والجمع : عجول . وعجلة القيادة: العجلة التي يوجه بها السائق السيارة ونحوها(محدثة) والعجلة : الدراجة معروفة . والمعجَّل: المقدم،ومنه معجل الصداق وهو ما يدفع من المهر عند عقد النكاح .

عجم : يعرفون الأعجمي بأنه واحد العجم ،وربما يطلقونه على الأخرس ويقولون:لسان أعجمي أي غير عربي ، والعجم غير العرب، والواحد

منهم عجمـــي. والعجمـــاء : البهيمة ، ولكنهم يحذفون المـدة والهمزة ويجيئـــون بالتـــاء في آخرها فيقولون عَجْمَة .

عجن : عجن الدقيق بالمـــاء: خلطـه ولاكه. والعجّان : من مهنتـه العجْن. والعجـــين:الطحـين المعجون بالمـــاء . والمعجـن : ما يعجن فيه والعوام يفتحــون الميم. والمعجنة – بكسر الميم ما يعجن بـــه – والمعجـــون مـن الأدوية ما عجن .

العجوة :ضرب من أجود التمر بالمدينة. والعوام يعرفون العجوة بأنهـــا ما يخلط من التمر بعضه ببعـض ويركم .

عَدَّ : عد الدراهم وغيرهـــا :حسـبها وأحصاها . وعَـــدّد الشـــيء أحصاه. وعدّدت النائحـــة : ذكرت مناقب الميت . واعتدت المرأة :دخلت في عدتها بعـــد الطـــلاق أو وفـــاة الـــزوج. واعتدت:انقضت عدتها. واعتد بالشيء : أدخله في الحســـاب والعدّ، ويقولون : هذا شيء لا يعتد به أي لا يهتم به. ومـــن كلامهم:تعدّدت الأســـباب.. واستعدّ له : تهيأ ، والاســـتعداد للأمر معروف عندهم.والتعداد: إحصاء الســـكان في فـــترات معينة(محدثة) والعدد : مقدار ما يعد، والأعداد.والعدّاد: آلـــة تستعمل لقيـــاس الزمـــن أو سرعة بعض الآلات أو الكميـة المستهلكة من الماء أو الكـــهرباء أو الغاز أو نحوها ( مجمعيـــة ) والعُدَّة ما يستعمل في العمل من أدوات، والعامـــة يكســـرون العين. والعدَّة للمـــرأة: مـــدة تقضيها بلا زواج بعد طلاقـــها أو وفاة زوجها .

عدس : العدس معروف عنـــد العـــوام ومنهم من يفتح العين والدال ، ومنهم من يسكن الـــدال ،وإذا

لم ينقشر يقال له :عدس أبو جبة . والعدسة في المنظار الطبي وفى آلات التصوير وفى المكبرات يعرفها العوام .

عدل : عدل في حكمه إذا حكم بالعدل، وعدل عن هذا الأمر أي رجع عنه، وعادل بين الأمرين أي سوَّاهما، ومنه معادلة الشهادات، وعَدَّل الشيء إذا أقامه وسوَّاه ، وعَدَّل الشاهد إذا زكاه، واعتدل إذا توسط بين حالين ويقولون: ماء معتدل، أي بين الحار والبارد، وجو معتدل، أي بين الحرارة والبرودة، وجسم معتدل، أي بين الطول والقصر،أو بين البدانة والنحافة، والتعادل بين الفريقين في المباريات الرياضية وغيرها، واعتدال الليل والنهار، والعدالة ورجال العدالة، والمعدَّل في التقدير، والعديل : المثل والنظير، وعديل الرجل : زوج أخت امرأته ، ومن أعلام الذكور: عادل ، ومن أعلام النساء عديلة – كل هذا وغيره من معجم العوام .

عدم : عدم المال إذا فقده،وفلان معدم أي فقير ، وهو عديم الحيلة ، أي عاجز عن تصريف أموره، وحكم القاضي بالإعدام، أي بإزهاق روح المجرم ، وحال فلان عدم، وهو عديم، أي فقير لا مال له. ونبات عديم الرائحة (مولد) والمعدوم غير الموجود، ويقول العامة:فلان عدمان بمعنى ضعيف أو مريض، وهذه الصفة لم ترد في القاموس المحيط ولا في لسان العرب ولا في المصباح المنير .

عدن : يعرفون من هذه المادة: المعدن والمعادن، ويقولون: فلان معدنه طيب،وهو معدن الخير والكرم، معنى الأصل ، ويفتحون الدال والفصيح كسرها .

عدا : من معجمهم: سباق العَدْو. والعداؤون. والعُدْوان على حق الغير . وفلان يعادى فلانًا أي يخاصمه ويصير عدوًّا له . واعتدى عليه بمعنى ظلمه . وكذلك: تعدّى. ويستخدمون العبارة الكريمة: ﴿ لا عدوان إلا على الظالمين﴾ والمَعَدِّيَّةُ : المركب يعبر عليها من شاطئ إلى آخر ( محدثة ).

عذب : يعرفون : الماء العذب، والشراب العذب، والحديث العذب.وعَذَّبَ فلانًا: عاقبه ونكل به. والعذاب: العقاب والنكال، وكل ما شقّ على النفس ويعرفون الحديث الشريف: "السفر قطعة من العذاب"ويعرفون عذبة العمامة، ولكنهم يجعلون الذال دالاً .

عذر : عذ فلانًا فيما صنع: رفع عنه اللوم فيه، ومن عباراتهم: لفلان العذر في هذا الأمر . واعتذر فلان أي صار ذا عذر، واعتذر عن فعله : تنصَّل واحتج لنفسه.تعذَّر عليه الأمر: شق وتعسر. واستعذر إليه : قدم إله الاعتذار .والعذر : الحجة التي يعتذر بها. والعذراء: البكر ، وأحد بروج السماء والمعذرة: الحجة .

عذل : عذله بمعنى لامه ، ومنهم من يحفظ المثل القائل : "سبق السيف العذل ".والعُذَّال بمعنى اللُّوَّام تجرى على ألسنة العامة وتشيع في أغانيهم . وكذلك العواذل. ولكنهم يستعملون الجمعين للمذكر والمؤنث .

عرب : من معجمهم: العَرَب والعُرْب والأعرابيّ والأعراب، وتَعَرَّب بمعنى تشبَّه بالعَرَب. والعَرَبُ : أمة من الناس سامِيَّة الأصل، منشؤها جزيرة العرب، والنسب إليها: عربي ، ويقال:لسان عربي، ولغة عربية،

والعربة معروفة عندهم. ولكنهم ينطقونها (عَرَبيّة)وقد يضيفون إليها كلمة (كارّو) .والعَرْبون بفتح العين فصيح وهو ما يعجل من الثمن على أن يحسب منه إن مضى البيع . وعربنه : أعطاه العَربون .

عَرْبَد : ساء خلقه ،وعربدة السكران ، والعربيد عندهم بفتح العين الكثير العربدة والشرير ومن يؤذى الناس فى سكره .

عرج : العرج والعَرَجان والأعرج والعُرْج معروفة عند العامة والفعل عَرَج بفتح الراء والفصيح كسرها . والمعراج الذي عرج عليه الرسول ﷺ ليلة الإسراء من معجمهم ، وتعاريج النهر منعطفاته من معجمهم .

عَرَّ :عرَّ فلانًا : لقبه بما يشينه وساءه ورماه بما يكره. والمعتر: الفقير ، والمَعَرَّة:الأذى والإساءة والمكروه .

عرس : العرس : الزفاف والتزويج. والعروس: المرأة وكذلك الرجل والعروسة: الزوجة (محدثة) والعريس: الزوج والجمع: عرسان.

العرش :الملك وسرير الملك، ويقولون : استوى الملك على عرشه، والعريش:ما يستظل به،وما يصنع للعنب كي يعلوه،والعريش : السقف، وعَرَّش البيت سقفه

العرصة : قرص من الطين المحروق أو صفيحة من الحديد تثبت في التنور لينضج عليها الخبز وغيره (مولد).

عرض :عرض له أمر،وعرض له عارض، وعرض الأمر على صاحبه، وعرض الشيء : أظهره لذوى الرغبة في شرائه ،وعرض الدابة على الحوض: سامها أن تشرب ، وعارض فلانًا معارضة : جانبه وعدل عنه ،وعارض الكتاب بالكتاب: قابله به،وعارض فلانًا: ناقضه في الكلام والرأي، ( في القضاء ) عارض في الحكم

الغيابي: رفعه إلى المحكمة التي أصدرته طالبًا إلغاءه أو تعديله (مجمعية) وعَرَّض الشيء: جعله عريضًا، وعرَّض فلانًا لكذا: جعله عرضة له. واعترض عليه: أنكر قوله أو فعله، تعارضا: عارض أحدهما الآخر، تعرَّض: تصدَّى، وتعرَّض فلان لكذا: صار عرضة واستعرض القائد الجند، واستعرض عضلاته، والعارض: الآفة تعرض في الشيء، والمانع، والعارضة: يقال: إجازة عارضة يمنحها الموظف لعارض طرأ له (مولدة) وعارضة الأزياء معروفة. والعرض خلاف الطول، وعرض الحال: طلب مكتوب يقدم إلى صاحب الأمر أو صاحب السلطان؛ دفعًا لظلم أو جرًّا لغنم (محدثة) والعرض: ما يمدح ويذم من الإنسان، والعوام يفتحون العين والفصيح كسرها. والعرض بضم العين جانب الشيء ومن كلامهم: ضرب به عرض الحائط، وأعراض المرض: ما يحسُّه من الظواهر الدالة على المرض (مج) والعريضة: الصحيفة تعرض بها حاجة من الحاجات، وعريضة الدعوى (محدثة) والمعارضة، في القضاء، وفي السياسة. والمعرض: مكان تعرض فيه الأشياء.

عرف: من معجمهم، وكذا عارف وعريف، وعُرف الديك، وعرَّف فلانًا الأمر، واعترف بالشيء، واعترف بذنبه، وتعارفوا، وتعرف إلى فلان، واستعرف، والعُرْف، والتعريف، والتعريفة (مج) والعَرَّاف، وعرفات، ويوم عرفات، وعرفة، والحكم العرفي، والمعرفة والمعارف، والمعروف خلاف المنكر.

عرق: يعرفون العرق بمعنى رشح الجلد، والوصف: عرقان، كما يعرفون العراق والعِرْق بمعنى مجرى الدم في الجسد ومن معارفهم: حقنة في العرق، وبمعنى خشبة مرتفعة طويلة

يعرَّش بها سقف البيت ونحوه، والعَرَق:شراب مخمّر مقطر مسكر، يتخذ في مصر والعراق من البلح، وفى الشام من العنب (محدثة) والعَرَق:أجر الأجير أو العامل مجازًا (محدثة ) .

(عرقب):الدابة : قطع عرقوبها، والعرقوب من الإنسان ومن الدابة معروف عندهم، ولكنهم يفتحون العين والفصيح ضمها.ويطلقون كلمة عرقوب على أركان الأرض الزراعية التي لا يصل إليها المحراث، ومن كلامهم : عرقب الأرض أي عزقها وشقها لكي يزرعها مع غيرها، ويسمون كل ركن عرقوبًا بفتح العين أيضًا وهى من المعنى المدون في قول المعجم : والعرقوب من الوادي: ما انحنى منه والْتَوَى ، والطريق الضيق في الجبل .

المعركة : موضع القتال الذى يعتركون فيه (ج) معارك .

العرمة :الكُومة من القمح المدوس الذي لم يُذرَّ،والعوام يقولون :الكوم .

العرمرم : يقولون:جيش عَرَمْرَم أي كثير.

العروة : من الكوز:مقبضه ،ومن الثوب والقميص مدخل الأزرار، والعروة عند الزراع :موعد زراعة بعض أصناف الخضر التي تزرع أكثر من مرة في السنة، يقال : إن البطاطس تزرع في عروتين من السنة،وهذا المعنى الأخير أخذه المجمع مما جرى على ألسنة الزراع، ودوَّنه في المعجم الوسيط .

عَرِى : يعرفون من هذه المادة كلمة عريان،ويكسرون العين وهى بالضم .

عزب :ويعرفون العازب والعُزَّاب والعزوبة لمن لا زوج له ، ويقولون:فلان تعزّب زمانًا ثم تأهل، وكذلك المرأة. والأعزب: العازب. والعِزبة: مزرعة فيها مسكن المالك وحوله بيوت الفلاحين (محدثة) .

عزر : فلانًا أي لامه ،والتعزير :اللوم والتأنيف .

عَزَّ : فلان بمعنى قوى وبرئ من الـــذل، وعز الشيء : ندر وقلّ فلا يكـــاد يوجد، وعز عليه أن يفعل كـــذا: شقَّ عليه، وهو عزيز عليه أي يحبه ومن دعائهم: أعزك الله - ومـــن كلامهم : فلان يعـــتز بكـــذا أي يحفظه ويدافع عنه . وفلان أعز من فلان أيْ أقوى وأشد. والعـــزة: القوة والغلبة.ويحفظون:"لله العزة". والعزيز:اسم من أسماء الله تعـــالى، ويسمون أبناءهم:عبـــد العزيـــز. والمعز: من أسماء الله تعالى ومعنـــاه الواهب العزة لمن يشاء .

عَـــزَقَ : الأرض أي شـــقّها ،وعـــزق الحقل:كشف تربتـــه الســـطحية ليتعرض ما تحتها للهواء وأشـــعة الشمس ( مولد ) .

عَزَلَ : عزله أي أبعده ونحاه،ويقال:عزله من منصبه، ويقال : عزل التبن عن القمح،وعزل المرضى عن الأصحاء بمعنى أنزلهم في مكان منعزل اتقـــاء العدوى.وانعزل عنه: تنحى وبعد، والأعزل من الناس:من لا ســـلاح معه. والعازل الكهربائي (بمجمعية ) والعُزلة والانعزال من معجمـــهم ، ومنه : فلان بمعزِل عن كذا .

عزم : عَزَم فلان عزيمة إذا جدَّ وصـــبر. وعزم على فلان:أمره وشدَّد عليه. وعَزَّم الراقي : قرأ العزائم، وعَـــزَم على الأمر: أراد فعله وعقد عليـــه نيته.والعزْم:الصبر والجد. والعزيمة: ما عزمت عليه ، ومنهم من يعرف الفرق بين العزيمـــة والرخصـــة، ويعرف الحديث الشـــريف: " إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كمـــا يحب أن تؤتى عزائمه " .

عَزِىَ : يَعْزى عزاء إذا صبر على ما نابه - يعرفون العزاء،ومن كلامـــهم : يقصر العزاء على تشييع الجنـــازة . ومنه : عَزَّيْتُ فلانًا أي صبرته لمـــا أصابه. وبرقية العـــزاء، وكـــثرة التعازي مما يجرى على ألسنتهم .

عَسَرَ : يعرفون من هذا الأصل: العســـر ضد اليسر، ويقرؤون قـــول الله :

﴿ إن مع العُسْر يسرا﴾ وعسر الولادة أي صعوبتها. وعسر المدين أي ضيق ذات اليد. وفلان أعسر أي لا يعمل إلا بيده اليسرى. وفلان معسر أي مفتقر ضيق الحال. والعُسرة: ضيق ذات اليد، ومنهم من يحفظ قول الله: ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾.

عَسَّ : فلان: طاف بالليل يكشف عن أهل الريبة، وعسعس بمعنى فتش وبحث.

عسف : من هذه المادة عرفوا : تعسَّف بمعنى ظلم، وفلان متعسِّف أي ظالم .

عسكر : العسكر: الجيش . عسكر القوم بالمكان: تجمعوا. والعسكري: الجندي (مولدة ) والمعسكر: مكان العسكر ونحوهم .

عسل : العسل معروف. وعَسَّل النائم: نام نومًا خفيفًا (محدثة ) والعَسَّال : مستخرج العسل من موضعه وبائعه .والعسل الصافي مما تخرجه النحل من بطونها ،ويطلق على ما يتخذ من الرطب وقصب السكر . والعسل الأسود: عسل قصب السكر (محدثة ).والعَسَلي :ما كان بلون العسل.والمعسول : المخلوط بالعسل.وهو معسول الكلام أي حلو المنطق ومعسول المواعيد أي صادقها .

عسى : من محفوظهم : لعل وعسى ، من لَعَلَّ ... من عَسَى .

عشب : العشب والأعشاب من مفرداتهم .

عشر : عشَّرت الناقة: صارت عشراء. تعاشر بالمعروف أو تفارق بالمعروف. يوم عاشوراء بالقصر: عاشورا، وأكثرهم يلحقون تاء التأنيث بآخره فيقولون: عاشورة. العَشَرة مستعملة عندهم في العدد مذكرًا ومؤنثًا. العُشْر: جزء من عشرة أجزاء من الشيء .عشيرة الرجل : بنو أبيه الأقربون وقبيلته.

وهو حسن العِشْرة أي المخالطة والمصاحبة. وهو عِشَرِيٌّ أي يحب مخالطة الناس .

عُشّ : عشّ الطائر معروف، وعَشَّش الطائر: بنى له عشًا، وهم يكسرون العين والفصيح ضمها، ويجمعون العش على عشاش بسكون العين ، وكأنهم يريدون الجمع في الفصحى وهو : عِشاش وأعشاش .

عشق : يعرفون العشق وهو أشد الحب، ويعرفون العاشق والعاشقة والعشيق والمعشوق ويعرفون التعشيق وعشق الشيء بآخر أدخل طرف أحدهما بين أطراف الآخر.

عشم : العشم بمعنى الطمع ، وتعشّم فلان متعشم مع تغيير الضبط أي بكسر الميم وسكون التاء واشتقوا منها : عشمان .

عَشَا :عشا فلان أي ساء بصره ليلاً، وهو أعشى وهي عشواء، وأعشى فلانًا: أطعمه العشاء، وعشّاه : أطعمه العشاء أيضًا، وتعشّى: أكل العشاء، ويقال: تَغَدَّ به قبل أن يتعشّى بك ، والعَشَاء: طعام العشِيّ، والعشاء: أول ظلام الليل، أو من صلاة المغرب إلى العَتَمَة، والمساكن العشوائية التي بنيت دون مراعاة لنظام المباني، وكأنها أخذت من قولهم : ركب العشواء أي خبط أمره على غير هدى .

عصب : عصب الشيء عصبًا: طواه ولواه وشده - يقال: عصب رأسه بالعصابة . وعصب الشجرة: ضم ما تفرّق من أغصانها بحبل. وعَصَّبه أي شده بالعصابة -وتعَصَّب: شد العصابة. وتعصب القوم عليهم : تجمعوا . وتعصَّب فلان :كان ذا عصبية ويقال: تعصَّبت له، وتعصَّب معه :نصره. والعِصَابة :ما يشد به من منديل أو خرقة ، والجماعة من الناس - والعَصَب: ما يشد المفاصل ويربط بعضها ببعض. والعُصْبَة : الجماعة من الناس .وعَصَبة الرجل: بنوه وقرابته لأبيه، أو قومه الذين

يتعصبون له وينصرونه. والعصبّي : من يعين قومه على الظلم،أو من يحامى عن عصبته ويغضب لهم ، ويقال : رجل عصبيّ أي سريع الانفعال (محدثة) والعصبيَّة : المدافعة عمن يلزمك أمره.وبعضهم يحفظ العبارة القرآنية: ( هذا يوم عصيب) أي شديد الحر أو شديد الهول .

عصد : لا يعرف العامي من هذه المادة إلا العصيدة،وهى دقيق يضاف إليه ثلاثة أمثاله من الماء كيلاً ،ولا يزال يحرك على نار هادئة، حتى يغلظ قوامه ،فيُصَبّ عليه السمن واللبن المحلى بالعسل أو السكر .

عصر : عصر الشيء عصرًا: ضغطه ليستخرج ما فيه، يقال : عصر الثوب وعصر الليمون.والإعصار: ريح تهب بشدة وتثير الغبار . والعصارة :ما يؤخذ من الشيء إذا عصر .والعصر : الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشمس . وصلاة العصر .والعصر : الدهر والزمن ينسب إلى ملك أو دولة أو حدث مثل عصر الذرة.والعصَّارة : آلة تعصر بها الفواكه و نحوها (مج) والعصير: ما يؤخذ من الشيء عند عصره، مثل عصير البرتقال . والمعصرة: المكان يعصر فيه السمسم ونحوه لاستخراج الزيت.

العضعص : أصل الذَّنَب ، وهو العُصعُوص .

عصفت :الريح إذا اشتد هبوبها،فهي ريح عاصف أو عاصفة من العواصف يقال: يوم عاصف، وليلة عاصفة ، أي تعصف فيها الرِّيح.

عصفر : الثوب وغيره إذا صبغه بالعصفر، وهو نبات يستعمل زهره تابلاً ،ويستخرج منه صِبْغٌ أحمر تصبغ به الثياب ونحوها، والعصفور : جنس طير ،والأنثى: عصفورة. ويقال : زقزقت عصافير بطنه إذا جاع ، وطارت عصافير رأسه إذا تَكَبَّر ، والعُصْفُورة :

خشبة على شكل العصفور يغلق بها الباب (محدثة).

عصلب :الرجل أي كان شديد العصب، والعصلب : القويّ الشديد الخَلْقِ من الرجال .

عصلج :الشيء: تعسّر واشتد (محدثة ) .

عصم :عصم الله فلانًا من الشر أو الخطأ: حفظه ووقاه ومنعه . ويعرفون معنى قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾واعتصام العمال بمصانعهم ،أو الطلاب بمعاهدهم، حتى تجاب مطالبهم. والعاصمة: المدينة التي بها مقر الحكم ،وسموا أبناءهم بعاصم،وحفظوا المثل القائل: ما وراءك يا عصام ؟ وقالوا :فلان عصاميّ أي ساد بشرف نفسه،وحفظ كثير منهم قول النابغة :

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكرَّ والإقداما

ويعرفون العصمة بضبطها الفصيح، ويقولون: العِصمةُ لا تكون إلا لنبى ، والعصمة بمعنى رباط الزوجية يحله الزوج متى يشاء ،وللمرأة حله ، إذا اشترطت ذلك في العقد .

العصا : ما يتخذ من خشب وغيره للتوكؤ أو الضرب،وقد يلعبون بالعصا كما يلعبون بالسيف، ويقولون للمستذل:عبد العصا، ومنهم من يحفظ قول الشاعر :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة

والعِصِيّ المملوحة : نوع من الخبز على شكل العصيات الصغيرة (محدثة ) .

(عصاه) : يعصيه معصية وعصيانًا : خرج من طاعته وخالف أمره فهو عاص وعَصِيّ.وتَعَصَّى عليه واستعصى وهو مستعص. والعصيان:الامتناع عن الانقياد.

(عَضّه ) :أمسكه بأسنانه،والعَضّ ، وعضَّض الشيء: عضه عضًّا كثيرًا .ومن كلامهم :هذا الولد عضَّاض يَعَضُّ أيَّ يد تمتد إليه .

عضل : العَضَلة معروفة عندهم، ومن كلامهم: فلان شديد العضلات. ومنهم من يقول : هذه المسألة معضلة أي مشكلة لا يهتدي لوجهها، ومنهم من يعرف الداء العضال أي الذي لا دواء له.

العُضْو :جزء من مجموع الجسد كاليد والرجل والأذن، والمشترك في حزب أو شركة أو جماعة أو نحو ذلك ، وهو عضو وعضوة (مجمعية) والجمع أعضاء . والعضوية: صفة العضو في جماعة(مجمعية) ومن كلامهم: سقطت العضوية عن فلان .

عَطَبَ : في مجمعهم من هذا الأصل : عطّب التشديد، ويعطب، ومعطّب بكسر الطاء اسم فاعل، وبفتحها اسم مفعول ، ولا يضمون الميم التي في أولها وإنما يسكنونها،مجتلبين همزة وصل قبلها ( امعطّب - امِعطّب )

عَطِر : هذه المادة بكل مشتقاتها ومصادرها في معجم العوامل مع بعض التغيير في الضبط فالعطر مثلاً بكسر العين في الفصيح، ولكن منهم من يضمها، وعَطّره مُستعملة بضبطها الصحيح ، ومعطر - بتسكين الميم واجتلاب همزة وصل.والعطارة:حرفة العطار. والمعطر عندهم بكسر الميم التي تضم في الفصيح،والعطار: بائع العطر ونحوه .

عطس : عطسًا وعطاسًا،وعطّسه ، والعطسة - من معجمهم بمعنى اندفاع الهواء من الأنف بعنف لعارض .

عطش : العطش: إحساس بالحاجة إلى شرب الماء،وهو عطشان وهي عطشانة،وفلان متعطش لرؤية فلان، أو متعطش إلى كذا ، وعطّش فلانًا : أظماه .

عطف : العطف بمعنى الحنان والرحمة ،

وتعطّف عليه : وصله وبَرَّهُ وأشفق عليه،وتعاطف القوم: عطف بعضهم على بعض، واستعطف فلان فلانًا، سأله أن يعطف عليه، والعاطفة : القرابة والشفقة والصلة، ومن كلامهم : فلان عاطفي ، وفلان يمشي ورا عواطفه - بقصر كلمة (وراء ) والفصيح المد، وهم لا يستعملون كلمة (وراء) إلا مقصورة، ومن أسمائهم : عاطف للمذكر، وعواطف للمؤنث .

عطل : من كلامهم : فلان عُطُل بضم أوله وثانية مخالفين الفصيح (عَطِل ) ومعناه تعطّل أي بقي بلا عمل،ومنه: عطّل الشريعة أي أهملها و لم يعمل بها، والعُطْل والعاطل والعطلة، بمعنى بقاء العامل بلا عمل، والعطلة مدة يوم أو أكثر تعطل فيها الدواوين والمدارس ( محدثة ) وتسمى العطلة الأسبوعية، وعندهم العطلة الشهرية والعطلة السنوية ، والعطلة الموسمية كعطلة جنى القطن مثلاً .

عَطَنَ : عطن التيل :ألقاه في الماء ليلين وترق أليافه (مولد)وفلان واسع العطن أي واسع الصبر والحيلة عند الشدائد وسخيّ كثير المال. وضده: ضيق العطن . والمعطن: مكان عطن التيل ونحوه وجمعُه معاطن .

عطا :يستعمل العوام هذا الفعل بمعنى أعطى ، فيقولون: فلان عطانى كذا،وكذلك يستعملون: يعطى بكسر حرف المضارعة ، فيقولون : فلان يعطي، ومن دعاء الأمهات لأولادهم قولهن: ربنا يجعلك تعطي ولا تستعطي. كما يستعملون العطية والعطاء مقصوراً ، ومن أسمائهم :عطية للمذكر، وعطيات للمؤنث .

عظم : عظّم فلان فلانًا: كبّره وفخّمه. تعاظم فلان: ادعى العظمة. تعاظم الأمر: جاوز الحد. استعظم فلان: تعظم وتكبر. استعظم الأمرَ: رآه عظيمًا. العظم : القصب الذي عليه اللحم (ج) العظام. العظْمة: واحدة العظم، وهم ينطقونها بالضاد (عضمة) والعظمة بفتح العين والظاء: الكبرياء والنخوة والزهو ، وعظم الشيء وجلاله (مولد) ومُعْظَم الشيء: أكثره .. ينطقون أكثر هذه الصيغ بالظاء دون أن يخرجوا لسانهم في نطقها.

عَفَرَ : عَفَره عفرًا : مرّغه في العفر أي التراب، أو: دسَّه فيه. عفر الزرع: سقاه أول مرة ، ويشددون الفاء فيقولون: عفّرنا الذرة مثلاً. والتعفير بعد ظهور الزرع بأيام معدودة. وعفّر الزرع رشّه بالمبيد ليهلك ما فيه من آفات (محدثة) عَافَر في الشيء : عالجه ليصل منه إلى ما يريد به (مولدة) وانعفر الشيء : تترب وتمرّغ في العفر، ومثلها: تعفر. والعَفَر: وجه الأرض والتراب. وزرع العفير: بذر الحبوب في الأرض قبل سقيها (مولد) تَعَفْرَت: صار كالعِفريت، والعِفريت : الخبيث المنكر وجمعه العفاريت، وهم يفتحون العين .

عفش :عفش الشيء عفشًا: جمعه . وقد أخذوا من هذه المادة عدة كلمات، لها معانٍ مثل : عَفَّش أي تكلم بكلام بذيء، ويطلقون كلمة عَفْش على الأثاث، ويقولون: فلان عِفِش أو فلانة عفْشة بكسر أول الكلمة بمعنى سوء التصرف .

عَفَّ : العفة والعفاف بمعنى الكف عما لا يحل ولا يجمل من قول أو فعل، وهو عفيف ، وهي عفيفة، إذا افتقر لا يسأل الناس، ويتعفف عما في أيدي الناس . والعفة : ترك الشهوات من كل شيء،

وغلبت في حفظ الفروج.

عفق : عفقه بالسوط : ضربه به .

عفن : عفن الشيء : عرضه لأسباب الفساد والتغير حتى عفن: عَفّنَ الشيء : عَفَنه. وتعفن الشيء ، والعَفَنُ نباتات فُطرية تعيش مترممة وتسبب التعفن والفساد .

عفا : عفا عن ذنبه: لم يعاقبه عليه. عافاه الله معافاة وعافية: أبرأه من العلل وأصحه.وعافت الدولة فلانًا من الجندية معافاة: لم تجنده لسبب ما (محدثة) تعافى فلان : نال العافية.والعافية:الصحة التامّة. وبعضهم يحفظ عبارة (على الدنيا العفاء ) العفو والاستعفاء والعافية معروفة .

عقب :عاقب فلانًا بذنبه معاقبة وعقابًا: جزاه سوءًا بما فعل. عقّب فلان: تتبع حقه ليسترده. وعقّب على قوله : ناقشه فيه وراجعه (محدثة) العاقبة: الجزاء بالخير ، وآخر كل شيء أو خاتمته ، ومن كلامهم : العبرة بالعاقبة ، ومن دعائهم: نسأل الله حسن العاقبة . والعاقبة عندكم في المسرات. والعقوبة: العقاب، ومنه: قانون العقوبات .

عَقَدَ :عقد الحبل ونحوه:جعل فيه عقدة. وعقد طرفي الحبل ونحوه: وصل أحدهما بالآخر بعقدة تمسكهما فأحكم وصلهما. وعقد البناء : ألصق بعض حجارته ببعض بما يمسكهما فأحكم وصلهما. وعقد البناء: ألصق بعض حجارته ببعض بما يمسكهما فأحكم إلصاقها ، أو بناه مقوّسًا . وعقد البيع واليمين والعهد: أكده . عاقده : عاهده . وعقّده: عقَده. وعقّد الكلام: لم يأت به على وجهه في الأداء . واعتقد فلان الأمر : صدقه وعقد عليه قلبه وضميره . وانعقد الحبل أو البناء أو اليمين، وتعاقد القوم : تعاهدوا، وتعقّد الخيط ونحوه: انعقد، وتعقد الكلام : أعيا فهمه لسوء تركيبه أو خفاء معناه.

والعقد: ما عقد من البناء،والعقد: العهد، والعقد: اتفاق بين طرفين، يلتزم بمقتضاه كل منهما تنفيذ ما اتفق عليه،كعقد البيع والزواج. وعقد العمل عقد يلتزم بموجبه شخص أن يعمل في خدمة شخص آخر لقاء أجر (مجمعية ) والعقد بكسر العين: خيط ينظم فيه الخرز ونحوه يحيط بالعنق والجمع عقود. والعقدة معروفة عندهم بمعانيها المختلفة كالعقدة النفسية وعقدة الحبل وعقدة البناء وغيرها. والعقاد: صانع الخيوط والأزرار المنسوجة وبائعها . والعقيد رتبة عسكرية فوق المقدم ودون العميد (محدثة ). والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده ( مُولّد) وفى الدين ما يقصد به الاعتقاد،دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل والجمع عقائد (مولد) والعنقود من العنب ونحوه : ما تراكم من ثمره في أصل واحد .

عقر : عقر الكلب الولد : عضّه . وعقر الحيوانَ:ذبحه. ورجل عاقر وامرأة عاقر ، إذا لم يلدا. وعاقر الخمر : لازمها وداوم عليها. والعقار : كل ملك ثابت له أصل كالأرض والدار (ج) عقارات. ويعرفون العقاقير الدوائية ولا يعرفون المفرد منها ، كما يعرفون الكلب العقور .

عقرب : العقرب معروفة عندهم ، وكذا العقربة وبرج العقرب، وعقرب الساعة (محدثة) والمعقرب من الناس : الشديد الخَلْق المجتمعة .

(عقصت ) : المرأة شعرها: أخذت كل خصلة منه فلوتها ، ثم عقدتها، حتى يبقى فيها التواء ثم أرسلتها، أو : لَوتهُ وأدخلت أطرافه فى أصولها ، وجعلت منه مثل الرمانة في قفاها أو على رأسها. وعقص الرجل أمره : لواه ولبَّسه .

عقف : يعرفون من هذه المادة كلمة

العقافة وهى خشـــبة في أحـــد طرفيها التواء وانحناء، يجذب بهـــا الشيء.ومنهم من يعرف الصليب المعقوف .

عَقّ : عقَّ الولد أباه : اســـتخف بهـــا وعصاه وترك الإحسان إليه فـــهو عاقّ وعقّ وعَقُوق . وعقَّ رحمه: قطعها.والعقيق :حجر كريم أحمر تعمل منه الفصوص،يكون باليمن وسواحل البحر المتوسط، واحدته عقيقة . والعقيقة : الذبيحة الـــتي تذبح عن المولود يوم سُبوعه عند حلق شعره .

عَقَلَ : عَقَل عقلاً : أدرك الأشياء علـــى حقيقتها، وعقل الغـــلام: أدرك وميز.وعقال البعير معروف، وهم ضم رســـغ يـــده إلى عضـــده وربطهما معًا بالعقـــال ليبقـــى باركًا. واعتقلت الشرطة المتـــهم: حبسته حتى يحـــاكم (محدثـــة) والعاقل: المدرك وهى عاقلـــة . والعاقول :نبات يكثر في أوديـــة الصحراء والأراضي المهملة وهـــو من أجود العلف للإبل.والعقـــال: الحبل الذي يعقل بـــه البعـــير. والعقال: جديلة من الصـــوف أو الحرير تلف على الكوفية فتكونان غطاء للرأس (مجمعية ) والعقل ما يكون به التفكير والاستدلال،وبه يتميز الحسن من القبيح والخـــير من الشر والحق مـــن البـــاطل. والعقلة في الرياضة البدنية معروفة عند العوام.والمعتقـــل: المحبـــس والملجأ والحصن (ج) معاقل .

عقم : يعرفون: الرجل العقيم والمـــرأة العقيم، ويعرفون التعقيم والمعقّـــم، والعُقْم أي الحالة التي تحـــول دون التناســـل في الذكـــر والأنثـــى (مجمعية).

عكر :عكر الماء ونحوه : كدر،فهو عكر وهى عكـــرة -بكســـر العـــين والكاف، ومن كلامهم: فـــلان يصطاد في المـــاء العكـــر أي : يستفيد من اضطـــراب الأمـــور

(محدثة ) ويعرفون من قصة الذئب والحمل: يا هذا عكّرت عليّ الماء .

عكز : عكز على عكازته: توكأ عليها. وعكز الرمح: غرزه في الأرض ، وتَعَكَّزَ على عكازته. والعكاز: عصا يتوكأ عليها والجمع : عكاكيز . والعكازة: العكاز .

عكس : الشيء عكسًا: قلبه ورج آخره على أوله.عكس الراكب الدابة : جذب رأسها إليه لترجع القهقرى: وعكس على فلان أمره: ردَّه عليه . وعكست المرآة المنظر : أرته على صفحتها (مولد)وانعكس الشيء :انقلب .

عكش : الشيء: جمعه،والعوام يستعملونه بمعنى إمساك الشيء والقبض عليه.

عكف : عكف في المكان عكوفًا: أقام فيه ولزمه.وعكف في المسجد: أقام فيه بنية العبادة .وعكف على الشيء : أقبل عليه ولزمه و لم ينصرف عنه.واعتكف في المكان: أقام فيه . والاعتكاف: الإقامة في المسجد على نية العبادة .

عَكَّ : من معاني هذه المادة فى المعجم الوسيط: عكَّ الحرَ عكًّا : اشتد مع سكون الريح، وعكَ الرجل : أقام واحتبس. وعك بالأمر : ردده حتى تعب منه. وعكت الحمى فلانًا لزمته وأضنته.وعك الكلام :فسره.وقد جاء هذا الفعل في معجم العامة بمعنى أفسد وأتلف وأتى بما لا ينفع من الأمور ، ومن كلامهم إذا رأوا شيئًا من هذا : " إيه العكّ دا " يريدون: ما هذا العك، ومنه : فلان عكّاك أي مفسد ومتلف، ومنه أيضًا وصف هذا بالعكعكة، ويشتقون مضعف الرباعي من مضعف الثلاثي ، فيقولون : فلان عكعك الشيء إذا أفسده ولم يحسن أمره.ومن المعاني التي تستعمل في بعض البلاد : العكة،

وهي زقّ صغير للسمن ، وهذا من الفصيح .

عَكَلَ : عكل عليه الأمر: التبس واشتبه. والعكال: حبل كالعقال .

عَكَمَ : عكم المتاع: شده بالعِكام ، وهو ما يشد به من حبل أو خيط ، والعكّام: الذي يعكم الأعدال على الدواب ونحوها. وعكم الشيء:أمسكه بشدة.وفلان عكم اللاعب فهو معكوم، والمعنى الأخير من استعمال العوام.

العُكوة :أصل الذَّنَب . والوسط الغليظ.

عَلَّبَ : علّب الرجل: اتخذ العُلبة، أو: صنعها . وعلّب الفاكهة واللحم والخضر ونحوها: وضعها مطبوخة في العلب لتحفظ بطريقة خاصة (مجمعية)،والعلبة:وعاء من خشب أو ورق أو صفيح معدني يحفظ فيه الشيء (مولد) (ج) علب .

عَلَجَ : عالج الطبيب المريض :داواه. وعالج الشيء علاجًا ومعالجة : زاوله ومارسه . والعلاج : اسم لما يعالج به ومن كلامهم : الطبيب وصف لي العلاج .

عَلَفَ : علف الحيوان : أطعمه العلف ، فهو معلوف، وهي معلوفة . والعلاَّف: بائع العلف. المعلف: موضع العلف،وهم يفتحون الميم.

عَلِقَ : عَلِقَ الشيءُ الشيءَ،وعلق به: نشب فيه واستمسك به، يقال: علق الشوكُ الثوب وبه. وعَلِقَ فلانًا وبه: تمكن حُبُّه من قلبه . وعلق الشيء بالشيء وضعه عليه، يقال: علق الثوب على المشجب، وعلّق بابًا على داره : نصبه وركبه.وعلق أمره: لم يعزمه ولم يتركه، ويقال : علَّق القاضي الحكم : لم يقطع به.وعلق على البهيمة :علفها العليق (مولدة) وعلّق على كلام غيره تعقبه بنقد أو بيان أو تكميل أو تصحيح أو استنباط (مولد) والعلاقة : الصداقة والحب اللازم للقلب – بفتح العين. والعلاقة بكسر العين

ما يعلق به السيف ونحوه. والعوام يشددون اللام.والعليق : ما تعلفه الدابة من شعير ونحوه. والمعلاق: كل ما يعلق عليه الشيء،وما علق من لحم وعنب وغيرهما. والمعلقة: المرأة التي لا يعاشرها زوجها ولا يطلقها فلا هي متزوجة ولا هي مطلقة .

العلقم : كل شيء مُرّ. ونبات الحنظل والمرارة .

العليل : المريض . والمعلول أيضًا . وعلّل فلانًا بطعام أو غيره : شغله به ولهّاه. وعلل الأمر: بيّن علته وسببه. واعتل الرجل: مرض . والتعليل: تبيين علة الشيء . والعلة : المرض الشاغل .

عَلِمَ : الشيء علمًا : عرفه . وعلّم فلانًا الشيء تعليماً:جعله يعلمه . وفلان يتعالم : يدعي العلم ويتظاهر به.تَعلّم الشيء: أتقنه. والعالم بفتح اللام:الخلق كله، أو: كل صنف من أصناف الخلق كعالم الحيوان وعالم النبات وعالم البحار . والعلامة: ما ينصب في الطريق فيهدى به ، أو ما يفصل به بين الأرضين، أو ما يراه الطبيب من دلالات المرض . ويقولون: فلان علاّمة بتشديد اللام للمبالغة.والعلم : إدراك الشيء بحقيقته واليقين، ومن كلامهم: العلم عند الله. والعَلَم : العلامة والأثر ،وشيء منصوب في الطريق يهدى به، والراية، ويعرفون: تحية العلم . والعليم : كثير العلم (ج) علماء. والمعَلّم: من يتخذ مهنة التعليم، ومن يتقن إحدى المهن ويمارس تعليمها (مولد) واستخدموا كلمة:معلومة وجمعوها على معلومات ،وكذا كلمة :مَعْلَمة وأطلقوها على البارع في حرفة من الحرف ، وقالوا :فلان معلمة .

علن : من كلامهم : فلان اعتدى على فلان علنًا .وفلان أرسل إلى

فلان إعلانًا على يد محضر. أو أعلنت المحكمة أو النيابة فلانًا أي كلفته الحضور أو أعلمته بالحكم (محدثة)والإعلان :إظهار الشيء بالنشر عنه في الصحف ونحوها (محدثة )والعلانية:خلاف السرّ .

علا : علا الشيء: ارتفع ، فهو عال، ويقال : علا النهار.ويحفظون قول الله تعالى ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ وعلّى الشيء:رفعه وجعله عاليًا، وتعالى فلان : ارتفع .واستعلى الشيء : صعده. والعلا : الرفعة والشرف ،ومن أسماء بناهم: علا.والعلاوة من كل شيء: ما زاد عليه ، وعلاوة العامل والمستخدم:ما يزاد على مرتبه الأصلي كل مدة معينة تمضى في العمل ، وهى العلاوة الدورية أو علاوة الترقية(محدثة) ومنهم من يحفظ الحديث الشريف:" اليد العليا خير من اليد السفلى " .

علون : الكتاب :عنونه،والعلوان لغة في العنوان .

على : حرف الجر يستعملونه كاملاً بلفظه إذا كان بعده حرف متحرك كقولهم:تصبح على خير، وفلان تزوج فلانة على حب ، وكثيرًا ما تحذف اللام والمدة وتبقى العين كما جاء في قول الشاعر :

فما سبق القيسى من ضعف حيلة
ولكن طفت عالماء قلفة خالد

أي على الماء . ومن هذا قولهم : اجلس عالكرسى .حافظ عالمفتاح. اركب عالحصان .

عمد :عَمَّد القوم فلانًا : جعلوه عميدًا عليهم أو عمدة لهم (محدثة). واعتمد عليه : اتكل واعتمد الرئيس الأمر : وافق عليه وأمر بإنفاذه(محدثة). وتعمد الشيء : قصده .وفعل الشيء عمدًا : قصده بجد ويقين . والقتل العمد (في الشرع ):أن يتعمد القاتل

القتل بسلاح وما يجري مجــراه .
والعمدة : رئيس القرية أو المدينة (محدثة)(ج) عُمَــد.والعمــود : دعامة رأسية كأعمدة المسـجد ، وعمود الإشارة: عمود بــأعلاه ذراع ، يشار بها إلى أن الطريــق مفتــوح (محدثــة) وعمــــود الطعام:أوعية يركب بعضها فوق بعــض علــى شــكل عمــود (مجمعية)والعميد : مدير الكلية في الجامعة (محدثة) ورتبة عســكرية فــوق العقيــد ودون اللـــواء. والمعمودية عنــد النصــارى:أن يغمس القَسُّ الطفلَ في ماء يتلــو عليه بعض فقر من الإنجيل ، وهو علامة التنصير عندهم .

عَمَرَ : عَمَّر الله فلانًا: أطال عمــره ، وعمّر المنــزل:جعله آهلاً، وعمّر الأرض: بنى عليها وأهّلها.واعتمر فلان: أدى العُمرة. واســتعمرت دولة دولة أخرى فرضت عليــها ســيادتها واســتغلتها (محدثــة) والعِمارة: البنيان،أو مبنى كبير فيه جملة مساكن في طوابق متعــددة (مجمعية )( ج ) عمائر ويجمعــها العامة بالياء بدلاً من الهمـــزة ، والعُمْر: مدة الحياة. والعُمْــرانُ : البنيان، وما يُعَمَّر به البلد ويحسن حاله،ومن كلامهم :امتد العُمْران في المدن الجديدة.والمســـتعمرة: إقليم يحكمه أجنبي يتوطنـــه ،أو يكتفــي باســتغلاله اقتصاديًّــا وعسكريًّا (مجمعية) المعمــاري : المهندس الــذي يمــارس مهنــة العمارة(محدثة) والمعمورة :الــدار المسكونة، وتطلق على ما عمــر من الأرض.

عمش :عَمِشَ فلان عَمَشًا:ضعف بصره مع ســيلان دمعــه في أكــثر الأوقات، فهو أعمـــش وهــى عمشاء، ولكنهم يحذفون همــزة الممدود ويأتون بالتاء بدل الألف في المؤنث فيقولون : عمشة .

عَمُقَ : يعرفون من هذه المــادة : عُمْق

وعَميق وعَمَّق وتَعمَّق في الأمـــر: دقَّقه .واستقصاه .

عَمِل : هذا الفعل ومصدره ومشـــتقاته وصيغ الزيادة التي وردت منـه في الفصحى من معجم العوام مـــع بعض التغيـــيرات في الضبـــط، فالثلاثي المجرد بعضـــهم ينطقـــه بفتح العين والميم، وبعضهم ينطقه بكسرهما. ومن معجمهم: العامل وعامَلَه وعَمَلَه وتعامل واســتعمل والعمالـــة والعمـــل والأعمـــال والعَمْلـــة والعُمْلـــة والعُمَّـــال والعُمُولة بمعنى المال الذي يـأخذه السمسار أو المصرف أجرًا علـــى قيامه بمعاملةٍ مـــا ( مجمعيـــة ) والعميل والعمليَّة: جراحيـــة أو حربيـــة أو ماليـــة (محدثـــة) والمستعمل من الثياب وغيرهـــا والمعـــاملات بمعـــنى الأحكـــام الشرعية المتعلقة بأمر الدنيا كالبيع والشـــراء والإجـــارة والمعمـــل (محدثة) والمعمول .

عَمَّ : عَمَّ الشيء عمومًا: شمل ، وعَمَّ القوم بالعطية،وعـمّ المطرُ الأرضَ، وعمَّ الناسَ بخيره ومعروفه ،وعَمَّمَ الشيء:جعله عامًّا، ضد خصَّصه، وعمَّم زيدًا:ألبسه العمامة.وتعمَّم الرجل: كوَّر العمامة على رأسه. والأعمّ :الجمع الكثير من النـاس، وخلاف الأخص .والعامة مـــن الناس خلاف الخاصة .والجمـــع عوامّ . والعـــامِّيُّ منســـوب إلى العامة ،ومن الكلام ما نطق بـــه العامة على سنن الكلام العـــربي. والعاميَّة:لغة العامة، وهى خلاف الفصحى.وقول المعجم الوسيط : "وهى خلاف الفصحى " ينبغـي إعادة النظر فيه. والعمامة : مـــا يلف على الرأس (ج) عمـــائم، والعامة تضيف إلى الجمع صيغـــة عِمَم.والعـــم : أخـــو الأب(ج) أعمام . والعمَّة :أخت الأب(ج) عمات.والعِمَّة: العمامة.والعميم: كل مـــا اجتمـــع وكثر ، ومن

كلامهم: جاء فلان بالخير العميم.

عَمَنَ :يعرفون (عَمَّان) عاصمة الأردن.

عَمِيَ :عَمِيَ فلان: ذهب بصره كله من عينيه كلتيهما، فهو أعمى (ج)عمى وعُميان، وهي عمياء والجمع عمى. وعمَّاه: صيره أعمى. وتعامى :أرى من نفسه أنه أعمى العينين وليس به عمى.

عنب :ثمر الكرم وهو طريّ(ج)أعناب. وعنب الذئب نبات معروف عندهم. العنبا: الأنبج. وهو جنس شجر مثمر .. يؤكل ويربَّب وينعصر شرابًا ، وهو من شجر البلاد الحارة .شاعت زراعته في مصر وهو المعروف بالمنجة ، واللفظة هندية .

العنبر : مادة صلبة يفرزها بعض الحيتان. وبناء رحب يتخذ للخزن أو العمل. ومأوى للجنود أو المرضى (معرب أنبر ) ج: عنابر.

عنت : العَنَتُ الخطأ والمكابرة عنادًا . ومن كلامهم :فلان تعنَّت ، أو يتعنَّت، أو : متعنِّت، مع تغيير في ضبطها : فالميم في أولها مكسورة والتاء ساكنة ، وكذلك يكسرون حرف المضارعة في الفعل المضارع .

عنتر : عنتر: يعرفون : عنتر بن شداد، وعنتر وعبلة ،...

العنجهية : الكبر والتعظم والجفاء .

عَنَدَ : تباعد وانصرف .وعَنَدَ فلان: استكبر وتجاوز الحد في العصيان. وخالف الحق وردّه وهو يعرفه عاند، وعنيد، وهي عنود وعاندة، وعاند فلان معاندة وعنادًا: خالف وردّ الحق وهو يعرفه . وعاند فلانًا خالفه وعارضه فيما يفعل ــ وتعاند الخصمان: تجادلا. عند ظرف مكان أو زمان .والعَنُود : الشديد العناد .

عندل : العندليب: صوت. والعندليب: طائر صغير الجثة، سريع الحركة ، كثير الألحان . يسكن البساتين ،

ويظهر في أيام الربيع .

العنـــز : الأنثى من المعز والظباء .

عَنَسَتِ : البنت البكر : طال مكثـــها فى بيت أهلها بعـــد إدراكـــها ولم تتزوج. فهي عـــانس والجمـــع عوانس .وعنس الرجل :أَسَنَّ ولم يتزوج،فهو أيضًا عانس ، وأكـثر ما يستعمل في النساء. وعنَّـــس البنتَ البكرَ أهلُها : حبسوها عن التزوج حتى فاتها سنُّ الزواج .

العنصر : الأصل والحسب.يقال :فـــلان كريم العنصر.والعنصرية : تعصب المرء أو الجماعة للجنس (محدثة).

العنصل : نبات معمر،له ورق كـــورق الكراث ويعرفه العامة بالعُنْصيل.

عَنُفَ : العُنْفُ معروف عندهم وهـــو الأخذ بشدة وقسوة، والوصـــف منه عنيف ، وكذلك عنَّفه ويعنفه والتعنيف .

عانقه : معانقة وعِناقًا :أدنى عنقه مـــن عنقِه وضمه إلى صدره.واعتنـــق الأمر: لزمه. واعتنق دينًا: لزمـــه (مولد) وتعانقا: عانق أحدهمـــا الآخر محبة.والعُنُق :الرقبة، والعنق من كل شيء أوله.ومنهم مـــن يعرف العنقاء .

العنكبوت : معروف عندهم ،ومنهم مـــن يحفظ قوله تعالى:﴿ وإن أوهـــن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ .

(عُنَّ ) :الرجل عنة: عجز عن الجمـــاع لمرض يصيبه، فهو معنون وعَنِـين وعِنِّين، والعُنَّة: عجـــز يصيـب الرجل فلا يقدر على الجماع .

عَنْوَنَ : الكتاب عنونة وعنوانًا :كتـــب عنوانه .والِعُنوان : ما يستدل بـــه على غيره ومنه عنوان الكتاب .

عَنَا : عنا:خضع وذل،ومنهم من يحفظ قوله تعالى :﴿ وعنت الوجـــوه للحيِّ القيوم﴾ ويعرفون العنايـــة، وفى معجمهم : فلان في غرفـــة العناية المركزة، ويحفظون الحديث الشريف: " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه "ويودِّع بعضهم بعضًا بقولهـــم : في عنايـــة الله

ورعايته.وقليل منهم يحفظ قصيدة البردة للإمام البوصيرى ويذكرون منها قوله :

عناية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

وعاناه : قاساه وكابده،والمعاناة، وفلان يعاني أي يتحمل المكروه، وعَنّى فلان فلانًا :كلّفه ما يشق عليه،واعتنى فلان بالأمر: اهتم به. وتعنّى فلان: أصيب بالتعنية (مولد). والعناية الإلهية : تدبير الله للأشياء (مجمعية) ومعنى الكلام ومعناته من معجمهم .

عهد : عهد فلان إلى فلان عهدًا : ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه.وعاهده أعطاه عهدًا.وتعاهدًا : تحالفا . وتعهّد بالشيء :التزم به، ومنه المتعهد والعهد:العلم. والعهد : الوصية. والعهد القديم والعهد الجديد: الأول كُتِب قبل المسيح، والثاني كُتِب بعد المسيح .وولي العهد: من يسمّى ليكون وارثًا للملك والسلطان. والعُهْدة : الأعيان الموكول حفظها إلى مؤتمن مسؤول، وهو صاحب العُهدة المسؤول (محدثة) وكذا المتعهد. والمعاهدة: اتفاق دولتين أو أكثر لتنظيم علاقات بينها (مجمعية )والمعهد : مكان يؤسس للتعليم أو البحث كمعهد الدراسات العليا، ومعهد البحوث (محدثة) (ج) معاهد .

عَهَرَ : عَهَرَ المرأةَ : زنى بها ، فهو عاهر، وهى عاهر أو عاهرة، والعهْر: الفجور .

العاهل :الملك الأعظم. والعاهلية: مملكه العاهل كالإمبراطورية (محدثة) .

عَهَنَ : يعرفون من هذه المادة : العِهْن وهو الصوف .

عَوِجَ : العُود ونحوه عَوَجًا:مال وانحنى. وعَوِجَ الإنسان عِوَجًا :ساء خُلُقه وانحرف دينه.وعوّج العودُ ونحوه:حناه.وانعاج الشيء:انحنى، والعوام ينطقونها على الأصل

دون إعلال ، فيقولون : انعوج.

عاد : عاد العليل عيادة : زاره، وعاد الطبيب المريض: زاره للعلاج (مولد) وأعاده: كرَّره. وأعاد الشيء إلى مكانه: أرجعه. وعاوده:رجع إليه بعد الانصراف عنه. وعيَّد: شهد العيد واحتفل به. واعتاد الشيء: جعله من عادته وعوّده الشيء: جعله من عادته.تعودّ الشيء : صيرّه عادة له.واستعاد ما فقده: استرده. والأعود: الأنفع.والعائد: ما يعود من ربح على المشترك في جمعية تعاونية أو نحوها (مولد). والعوائد: ما تفرضه المجالس البلدية أو القروية من المال سنويًّا على العقار المبني (مولد).والعادة: كل ما يفعل من غير جهد لاعتياده. والعَوْد: الرجوع وفى المثل: "العَوْد أحمد" والعُود :كل خشبة دقيقة كانت أو غليظة. والعُود : ضرب من الطيب يتبخر به. والعود: آلة موسيقية وترية يضرب عليها بريشة ونحوها. والعوّاد: صانع العيدان ، والضارب عليها. والعيادة :مكان يخصصه الطبيب ليفحص فيه مرضاه (محدثة) والعيد: كل يوم يحتفل فيه بذكرى كريمة أو حبيبة. والمعاودة : ظهور أعراض المرض بعد اختفائها .والمعيد : من يتولى إعادة شرح ما غمض من شرح الأستاذ لتلاميذه (مولد)ومن يتولى منصبًا تعليميًّا في الجامعة قبل أن يحصل على منصب المدرس (محدثة) .

عاذ : يقولون : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .أعاذه بالله:حصنه به وبأسمائه .وعوَّذه : أعاذه ،أو علق عليه العُوذَة. وتعوذ به: لجأ إليه واعتصم. ويقال: تعوذ بالله. واستعاذ بالله : تعوذ. والعُوذَة : التميمة أو الرُّقية يرقى بها الإنسان من فزع أو جنون. والعياذ:

الملجأ، والعياذ بالله منه: أعوذ . والمعوذتان: سورة الفلق وسورة الناس من التنزيل العزيز.

عار : عار الإنسان وغيره : صيَّره أعور، والعور: هاب بصر إحدى عينيه. وأعاره الشيء : أعطاه إياه عارية. وعَوَّره:صيَّره أعور . واعورَّت العين عورت ، ويقال : اعورّ فلان. واستعار الشيء منه: طلب أن يعطيه إياه استعارة — والاستعارة: صك يطلب به القارئ كتابًا من المكتبات العامة يذيله بتوقيعه ، فيكون سندًا عليه (محدثه) والأعور: الجزء الأول من المعى الغليظ (مجمعية) والعورة: كل ما يستره الإنسان استنكافًا أو حياء.

عازه : الشيء : لم يجده وهو محتاج إليه.

عاس : طاف بالليل .

عاص : الأمر : صعب ، فهو عويص. وعَوَّص فلان : ألقى كلامًا عويصًا .

عاض : عاضه بكذا ،وعنه ومنه: أعطاه إياه بدل ما ذهب منه. وعوَّضه منه .وتعوّض منه : أخذ العِوَض. والعِوَض : البدل والخلف .

عاق : عاقه عن الشيء: منعه منه وشغله عنه. وعوَّقه عن كذا : عاقه . وتعوّق: امتنع وتثبَّط .

عال : الرجل عياله: قام بما يحتاجون إليه من طعام وكساء وغيرهما . وعوَّل عليه : اعتمد عليه واتكل واستعان به ، يقال : عولنا على فلان في حاجتنا فوجدناه نعم المعوَّل. والعائلة:من يضمهم بيت واحد من الآباء والأبناء والأقارب (مولد) والعيِّل: أهل بيت الرجل الذين ينفق عليهم (ج) عيال. والمعول: آلة من الحديد ينقر بها الصخر (ج) معاول .

عام : عام في الماء : سبح فيه، فهو عائم – والعوام يقلبون الهمزة ياء، فيقولون : عايم .وعوَّام

ويقولون: عـــامت الســـفينة في البحر. وعوّمها: أسبحها في الماء. والعوّام : السباح الماهر. والعوّامة بيت من خشب أو نحوه يقـــام على سطح الماء ( مجمعية ) .

أعانه : على الشيء : ساعده، وعاونـــه معاونة :أعانه .وتعاون القـــوم: عاون بعضهم بعضًا .واســـتعان فلان بفلان : طلب منه العـــون. والإعانة :منحة ماليـــة تمنحـــها الدولة بعض المنشآت الصناعية أو الزراعية حماية لها من المنافســـة الأجنبية (مجمعيّـــة) والتعـــاون: تكوين جماعات للقيـــام بعمـــل مشـــترك لمصلحـــة الأعضـــاء والاستغناء عن الوسيط (مجمعية ) والعانة : الشعر النابت في أســـفل البطن حول الفرج .والعـــون : المعـــين (ج) أعـــوان ، ومـــن دعائهم:كان الله في عون فـــلان. والمعاون : المساعد ، والموظـــف المساعد مثل: معـــاون الإدارة ، ومعاون النيابة(محدثة ) والمعونة : العون .

العاهة : ما يصيب الزرع والماشية مـــن آفة أو مرض .

عوى : الكلب والذئـــب، أي صـــاح أحدهما صياحًا ممـــدودًا ليـــس بنباح.

عاب : من كلامهم :فلان عـــايب - بالياء - وعيَّاب . وفلان معيوب وعيَّب فلان فلانًـــا: نســـبه إلى العيب. والعيبة بكسر العين مـــن معجمهم ، والفصيح فتحها.

عار : عَيَّر فلان فلانًا: نسبه إلى العـــار وقبَّح عليه فعله. وتعايروا : عـــيَّر بعضهم بعضًا.والعار: كل مـــا يلزم منه سبّة أو عيب. والعيـــار- بكسر العين : كل ما تقدر بـــه الأشياء من كيل أو وزن ، ومـــا اتخذ أساسًا للمقارنة (مجمعيـــة) والعيار الناري : قذيفة تطلق مـــن المسدس ونحوه (محدثة ). وعيـــار النقود : مقدار ما فيها من المعدن

الخالص المعدود أساسًا لها بالنسبة لوزنها (مجمعية ).

عاش : عاش عيشًا، وعيشة ومعاشًا : صار ذا حياة، فهو عائش. وأعاشه الله عيشة راضية. وعايشه: عاش معه. عَيَّشه: أعاشه. وتعايشوا :عاشوا على الألفة والمودة. ومن معجمهم: التعايش السلمي .وتعيَّش: تكلف أسباب المعيشة. والعائش - وينطقونها بالياء:ذو الحالة الحسنة، وكذا العائشة . والعيش : معناه الحياة ،وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب، والدخل ، والخبز. والعيشة: حالة الإنسان في حياته ، ومن كلامهم :فلان عيشته هنية .والعيَّاش : صانع العيش أو بائعه.والمعاش:ما تكون به الحياة ، والمرتب الذي يتقاضاه من قضى مدة معينة في خدمة الحكومة عند انقطاعه عن العمل (مجمعية) والمعيشة: المعاش (ج) معايش .

عيَّط :صاح مرة وبكى(مولد) والعِيَاط : الجلبة والصياح والبكاء ( مولد ) والعَيَّاط :الصيَّاح . وفى القلموس المحيط : وعِيط - بالكسر مبنية: صوت الفتيان النزقين، إذا تصايحوا ، أو كلمة ينادى بها عند السكر أو عند الغلبة ، وقد عَيَّط تعييطًا إذا قاله مرة فإن كرر فقل: عطعط .وهذا يعنى أن لفظ "عَيَّط"فصيح قد ورد في المعاجم، بمعنى : قال : عِيط والجديد استخدام هذا اللفظ بمعنى بكى على سبيل المجاز ، فقد نقلت عَيَّط من التعبير عن صوت الفتيان النزقين وتصايحهم إلى مجرد الصوت والتصايح ثم عَبَّر بها عن البكاء بصياح .

عاقه : عاقه يعيقه عَيْقًا : منعه وشغله وصرفه .

عال : عال فلان عيلا وعيلة افتقر . وكثر عياله، فهو عائل. وعال

الميزان: نقص أو زاد.وعال فلان: جار. وأعيل : كثر عياله، فهو مُعْيل . وعَيَّل : كثر عياله - وعَيَّل عياله: قاتهم وكفلهم وأنفق عليهم. والعالة : الفقر والفاقة، والعيلة: الفقر والحاجة . والعَيِّل : عَيِّل الرجل: أهل بيته الذين يكفلهم (ج) عِيَال، يقال: عنده كذا وكذا عَيِّلاً. ورجل مُعَيِّل أي ذو عيال.

عان :عان الحفار عَيْنًا –حفر حتى بلغ عيون الماء، ومنه: ماء مَعِين . والعين : الجاسوس. وعان الحاسد فلانًا: أصابه بعينه أي حسده ، والمصاب معيون وعاينه معاينة: رآه بعينه، ولقيه عيانًا ومعاينة ، وفى الكلام :ليس الخبر كالعيان . وعَيَّنَ الشيء:خصَّصه من الجملة. وعيَّن فلانًا في وظيفته : قلَّده إياها (مولد) . والعين :عضو الإبصار للإنسان وغيره من الحيوان،وينبوع الماء، والجاسوس، ورئيس الجيش، وكبير القوم وشريفهم وذات الشيء ونفسه والحاضر من كل شيء، والعين واحد الأعيان،ومن كلامهم : ابني قرة العين، وأنت على عيني في الإكرام والحفظ.وعين الجمل: الجوز - على التشبيه (مولد) وعين السمكة: غلظ في صلابة يكون في الجلد من ضغط أو احتكاك، كما يحدث في أصابع القدم من ضغط الحذاء . والعَيِّنة: جزء من المادة يؤخذ منها نوذجًا لسائرها (مجمعية ) .

عَيَّ : يعرف العوام من هذه المادة (العيا) بالقصر بدلاً من المد.والعيا عندهم يرادف المرض، كما يعرفون الوصف بعيَّان، وهو يرادف المريض،ويلحقون بالمؤنث تاء ، فيقولون : فلانة عيانة .

**أمين علي السيد**
عضو المجمع

# التعريب
## مفهومه وتجاربه بين ماضي اللغة وحاضرها
## والتجربة الفلسطينية *

إعداد

الدكتور يونس عمرو رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني

عرض وتعليق : الدكتور حسن عبد الرحمن السلوادي

عضو المكتب التنفيذي لمجمع اللغة الفلسطيني

**مقدمة :**

التعريب، مسألة من أكثر المسائل إلحاحًا في موضوعات الدرس اللغوي الحديث والمعاصر في علوم العربية ، ولعل السبب في ذلك أن اللغة العربية في هذه الفترة من حياتها الطويلة، تعرضت إلى تيارات من رياح التأثير الخارجي ، لم يسبق لها أن تعرضت لمثلها من قبل في مراحل حياتها السابقة، فضلا عن تقطع الأوصال بين أوطانها، والاختلاف البيّن بين المرتكزات الثقافية والفكرية، التي راحت تسود في كل وطن على حدة، بفعل أعمال الأستعمار الحديث،التي كان من أهم أهدافها ، العمل على ضرب اللغة العربية واضمحلالها، طعنها في الإسلام. علمًا بأن التعريب كظاهرة في اللغة العربية،لم يكن جديدًا، بل واكب هذه اللغة منذ القدم وسايرها في العصور المختلفة، سواء عصور الازدهار أم عصور الضعف .

ولأن التعريب مهم في حياة اللغة العربية، سنعمد في هذه الورقة إلى بيان مفهومه ، والتفريق بينه وبين غيره من المصطلحات التي تحمل المفهوم نفسه أو تبتعد عنه ، ثم سنتعرض إلى جانب من تجارب العرب وجهودهم في التعريب في

* ألقي هذا البحث في الجلسة السابعة عشرة يوم السبت ٢٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٧ هـ الموافق ٢٩ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٧م.

الماضـــي والحاضر، مع إفراد وقفة لجهود الفلســـطينيين في هذا المجال، خاصة وأنهم عاشوا فترة لا يستهان بها تحت الاحتلال الإسرائيلي، كان لها بالغ الأثر على لغتهم العربية وثقافتهم ، من خلال تغلب العبرية لغـــة إسرائيل ، ثم بيان المخاطر التي تحيق بثقافة الفلسطينيين بعامة ، وبلغتهم العربية بخاصـــة، إذا ألقـــي الحبل على الغارب ، وقوبل هذا الأمر بالاستهتار، تلك المخاطر التي تنبه لها الفلسطينيون ، وبذلوا جهودًا مخـــتلفة لمقاومة التأثير الصارخ للعبرية في العربـــية ، بصـــورة تكاد تكون مرعبة ، وبخاصـــة في لغـــة الخطـــاب الاجتماعية والحرفـــية ، وفي أوســـاط مختلف الفئات العمرية، تلك الجهود التي تكللت بإنشاء مجمـــع اللغة العربية الفلسطيني، مع إبراز العقبات التي اعترضت إقامة هذا المجمع ، والمشاكل التي مازالت قائمة على الطريقة.

**التعريب:**

لمـــا كانـــت اللغة ظاهرةً إنسانيةً من خصائص المجتمع البشري،وتخضعُ خضوعًا مطلقًـــا لتلك الخصائص، والتي من أهمها نظام التبادل العام المادي والفكري ، ذلك الـــنظام الذي أثر تأثيرا مباشرًا في علاقة اللغات الإنسانية،سواء في قطاعات المجتمع الواحـــد، أم فيما بين المجتمعات المختلفة، ومظاهـــر التطور الحضاري عبر العصور تقـــف شـــواهد على التبادل بين لغات البشر، وآثار ذلك واضحة كل الوضوح ، وبخاصـــة بعد التقدم المهم الذي جرى في مجالات البحوث اللغوية ، وعلم اللغة في العصر الحديث ، تلك البحوث التي أثبتت أن اللغـــة السنسكريتية مثلاً - لغة الهنود القدماء المقدسة- مازالت ذات وجود في لغات أوروبية حديثة، كاللغة الإنجليزية أو اللغة الألمانية، بل أثبتت هذه البحوث، أن مجموعة من لغات بلادنا القديمة ، البابلية والآرامـــية والفينيقية الكنعانية ، والعبرية، والحبشية ، والعربية، ما هي إلا بنات للغة واحـــدة، هـــي اللغة السامية، كما ثبت التقارب بين لغات مختلفة جعلها تنظم في عائلات ذات خصائص موحدة،ثبت أيضًا وجود جزء من التأثير التأثر بين لغات لا تنحدر من أصول موحدة .

إن التعصب البشري لنقاء الجنس ، أثر إلى حد ما على التعصب للغة، في تصور

لنقائها وأفضليتها عن غيرها من اللغات، وهــذا أثبت فشلاً ذريعًا، حين ظهر مع الـزمن فقر هذه اللغة،الذي أدى بها إلى الاقـتراض مـن اللغـات التي قدر لها الاحتكاك بها ، وبخاصة في مجال المفردات، ذلك الاقتراض الذي عرف بالدخيل، هذا المصطلح الذي توقف عنده العلماء العرب للتعريف به،وهل هو مرادف للمعرب ؟!.

لقد تنبه علماء العربية القدامى [1] إلى كلامهم بعد أن تحولوا ببنيته الأجنبية إلى البنية التي توافق العربية ، وأخضعوه تماما إلى قواعـد الصـرف العربي، مثل كلمة (درهم ) اليونانية الأصل ، التي أخضعوها للوزن الصرفي ( فِعْلَلَ )، كما أخضعوها لنوامـيس الاشتقاق العربي، وهو المنهج الأول، والـثاني تمثل في تغيير طفيف في حروف الكلمة المعرّبة ، إلى حروف عربية توافق إمكانات النطق العربي، مثل كلمة (صمويل)، المحورة عن ( شموئيل )، وأما الثالث، فقد أدخله العرب كما هو دون تغيير، مثل كلمة ( بُستان )، وهي نفسها ( بوستان ) الفارسية، وهنا اتفق الباحثون العـرب، على أن ما أخذه العرب دون إجـراء تغـيير عـلى بنيته، إنما هو من الدخيل، وضربوا الأمثلة لذلك [2].

إن المتتبع لمسألة الدخيل في اللغة ، يجد أنهـا تعتـبر جزءاً من مناهج الاقتراض اللغوي التي لجأ إليها العرب، والتي يمكن لهـا أن تكـون جهداً من جهودهم في التعريب،بمعنى أن التعريب أعم من الدخيل ويشمله،حتى أن القدامى من علماء العربية لم يلتفـتوا إلى هـذا الفارق بين الدخيل والمعرب، واعتبروا كل ما ليس من أصل عـربي، ودخـل إلى العربية على أي من المـناهج السـابقة الذكر، معرّبًا بل إن أحدهـم خصَّص كتاباً لهذا المعرّب، لم يفـرق فيه بين معرب ودخيل، وهو أبو منصور الجواليقي وكتابه ( المعرب ).

وعلـيه، فيمكن القول: إن مصطلح التعريب هو الأعم والأشمل، وهو الواجب الاستخدام في الظاهرة اللغوية ، وذلك بناء على عمومية مصطلح المعرّب وشموله لكل

(١) السيوطي :ـالمزهر في علوم اللغة ( تحقيق أحمد جاد المولى ورفاقه ) ، القاهرة – ج ١، ص٢٦٩.

(٢) حسن ظاظا : كلام العرب ، مطبعة المصري ، الإسكندرية ١٩٧١ـــ ص ٥٨ ـــ ٦٠

ما دخل إلى العربية وهو أصلاً ليس منها ، سـواء دخل بوساطة منهج الاشتقاق أو النحت أو التوليد- لفظياً كان أو معنوياً -زيادة على ما دخل كما هو دون تغيير، واعتبر دخيلاً، وقد عرض أستاذنا الدكتور حسـن ظاظا آراء العلماء القدامى عرضاً موفقـاً، يـبرز مفهوم عدم التفريق بين المصـطلحين، بـل يؤيد أن كل دخيل معرب [1].

وأما عن كيفية استقبال العرب لما هو ليس من كلامهم،فقد كانوا يحدثون تغييراً يـتلقون، إذ يبدلون الحروف التي ليست من حروف العربية ، إلى تلك الأقرب في مخرجها، أو يغيرون في حركة الحرف أو يسـكنونه ، أو أنهم يلجؤون إلى حذف حرف أو زيادة آخر،فمثلاً ما كان يأتيهم من الحروف بين كاف وجيم، كانوا إما أن يجعلوه كافاً أو جيماً أو يستبدلوه قافاً، مثل كلمة كربج [2]، استخدموها كربج، وقربق. وهكـذا فإن الأمثلة كثيرة يمكن الرجوع إليها في مصادر اللغة [3].

غـير أن العـرب في بعض الأحوال، استقبلت ما هو معرب دون تغيير وأبقته كما هو في أصل مصدره دون تغيير ، مثل سجنجل الرومية .

جديـر بالذكر أن العرب في تعاملهم مـع المعـرب ، سلكوا مناهج محكمة في اسـتقبالهم له ، فمـنه ما غيروه ليتوافق وعـاداتهم اللغوية ، ثم ألحقوه بكلامهم كما لو كان عربيًّا فصيحًا ، وقسم آخر غيَّروا فيه، ولكنهم لم يلحقوه من حيث البنـية والوزن، فبقي فيه ما يدل على أنه دخيل . والثالث الذي استقبلوه كما هو دون تغيير، والمتتبع لجهود السلف في مجال تتبع الدخيل وضبطه يدرك إلى أي مدى كـان القدامى حريصين على إنماء اللغة وإثـرائها ضـمن القيود التي تحفظها من الجمـود أو التخلف أو المسخ والانهيار ، وما دام الأمر كذلك، فقد واصل المحدثون من علماء العربية المسلك نفسه في منهج

(1) المرجع السابق ، ص٧٥،٧٤

(2) كربج : معناها الحانوت

(3) الخفاجي ( شهاب الدين أحمد ) : شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، القاهرة ١٣٢٥ هـ ، ص ٤ وما بعدها .

مـــن الـــرقابة والتصـــدى لتيار الجديد الجـــارف، وظهـــور فجوات واسعة في مجالات التعبير أمام التطور السريع في حياة العصر الحديث، ولنقف على المصطلحات الحديثة التي أطلقت على مناهج التعريب، واشتغل بموجبها علماء العربية المحدثون .

**أولاً: المعرب:** وصف اللفظ الذي دخل إلى اللغـــة العربية من لغة أخرى في عصر الاحـــتجاج اللغوي، ووضع كما هو في المعنى المقصود به في أصله، مثل : السراط، والزنجبيل ، والإبريق ، والسندس وغيره .

**ثانياً: الدخيل** : وصف اللفظ الذي آخذه العـــرب المـــتأخرون عن عصور العرب الفصحاء الذين يحتج بكلامهم ، أي بعد عصـــر الاحتجاج ، بحيث استخدم اللفظ الدخـــيل كما هو أو بتحريف طفيف ، كمـــا سبقت الإشارة، مثل : كوفية [١]، وجمرك [٢]، والبابور، واللمبة ، والموتور ، والتلفون ، والتلفزيون وغيرها .

**ثالثاً: المولّد** : وصف للفظ عربي البناء ، تحول به العرب المحدثون من معناه الأصلي في القـــديم ، إلى معنى آخر جديد، يتوافق ومستجدات العصر ، مثل : الجريدة تحول المعـــنى مـــن جـــريدة النخيل ، إلى معنى الصـــحيفة ، القطـــار ، تحول عن معنى القافلة القديم ، إلى معنى ( الترين ) قطار السكة الحديد [٣] .

**رابعـــاً: العامّي** : وصف للفظ خرج عن مجراه الفصيح ، ليدخل قيد الاستعمال في اللغة المحكية الواسعة الانتشار بين الناطقين بالعربية مما عرف باللهجات العامية، مثل: (كِدَا) المصرية من الأصل كذا، و (هيك) الشـــامية من الأصل هكذا، و (هكّي ) المغربـــية من الأصل هكذا نفسه ، ومثل هذا كثير .

**خامســـا: اللحن** : وصف للفظ نال منه الـــتحريف أو التصحيف الصوتي، بحيث خرج عن صورته الفصيحة، نطقا وكتابة،

---

(١) الكوفية : cophia : لاتينية الاصل، تطلق على نوع من غطاء الرأس .

(٢) جمرك: لاتينية الأصل كمركيوم Commercium ، دخلت إلى العربية بوساطة التركية ( كمرك ) .

(٣) يمكـــن الـــرجوع حول المولد إلى كتاب المولد ( قسمان ) ، تأليف د. حلمي خليل ، الهيئة المصرية العامة للكـــتاب ، الإسكندرية ١٩٧٩م، الذي تتبع فيه ظاهرة التوليد في اللغة العربية في مراحلها المختلفة حتى العصر الحديث .

مثل: ( عريس)، تحريف للكلمة (عروس) التي تدل على الذكر والأنثى، حرفت بتحويل الواو ياء لتدل على الذكر ، وبقيت الكلمة الفصيحة لتدل على الأنثى فقط، ومنها (جردون)، المحرفة لحنا عن كلمة (جرذان) الفصيحة، ومثل كلمة (تور) المحرفة عن كلمة (ثور) الفصيحة ، بتصحيف من الثاء المثلثة إلى التاء المثناة[1].

وهكذا فقد وجد أن التعريب ضروري للغة، لكي تساير التطور الحضاري والفكري ، وهذا ما أدركه علماء العربية المحدثون منذ القرن التاسع عشر، بحيث أشار كل منهم إلى هذه المسألة،وأبدى رأيه فيها،وإن كان بعضهم يؤيد التعريب ، والبعض الآخر يدعو إلى التوليد متهيبًا من التغريب، إذا كان سيتم عشوائيًا، فترى الشيخ إبراهيم اليازجي يطالب بألا تُعرب لفظة من الألفاظ إلا بعد أن تجرى عليها تغييرات تلائمها مع طبيعة اللغة العربية، وتتجانس مع ألفاظها، ومحمد كرد علي هو الآخر ، يشير إلى مثل هذا عند الشيخ أحمد فارس الشدياق ، الذي من جهوده المتحفظة من التعريب العشوائي نشرة لألفاظ أجنبية وفي مقابلها مقابلاتها العربية، وجهود أخرى للشدياق لجأ فيها إلى التوليد ، ومنها ابتكار لكلمة الجريدة، والمؤتمر ، والحافلة، والمنطاد، والسلك البرقي (التلغراف)،وجهود أخرى أكثر، تواصلت للغويين العرب المحدثين، من أمثال الشيخ خليل اليازجي ، الذي لجأ إلى التوليد ، فوضع كلمة الجواز دليلاً على وثيقة السفر ، وكلمة الردهة للساحة في الدار ، والقفاز للباس الكفين ، والنوط للنيشان أو الوسام، والصبحة لوجبة الصباح ( الترويقة بالعامية اللبنانية)،ولا تكاد ترى اسماً من أسماء هؤلاء العلماء والكتاب، وبخاصة اللبنانيون منهم،إلا وجدت جهداً له في هذا الميدان ، قل أو كثر ، ونذكر منهم الدكتور خليل سعادة، والمعلم شاكر شقير، والشيخ نجيب الحداد ، والدكتور بشارة زلزل، والشيخ عبد الله البستاني، وغيرهم كثر ، وقد أحصاهم بدقة متناهية الدكتور حسن ظاظا في كتابه كلام

(١) حول هذه الأساليب ، يمكن الرجوع إلى كتاب كلام العرب ، د. حسن ظاظا ، ص ٧٩،٨٠.

العرب، مما لا يتسع له المقام هنا .

إن الجهـود المخـتلفة في ميدان إثراء اللغـة في العصر الحديث، تضاربت فيها المواقـف بين مؤيد للتعريب ومعارض له لينحاز إلى التوليد،حفاظاً على أصالة اللغة وثروتها اللفظية، وخوفاً من أن تختلط هذه الثروة في تراكم هائل، لا يمكن معه معرفة الأصـيل مـن غيره، بل لا يمكن معرفة الأصـول التي انحدر منها كل جانب من هذه الألفاظ أو تلك ، حتى عمد البعض من علمائنا المحدثين إلى دعوة نعتبرها ذات أهمـية، ألا وهـي دعوة الدكتور حسين نصـار إلى وضـع معـاجم ثلاثة تحصر الأصيل وتفصله عن غيره، بل تفصل بين الأصـيل والسـاميّ الأصل والدخيل ، وذلـك بـأن يخصص معجم للأصيل ، ومعجـم آخر للمشترك مع الساميات، ومعجـم ثالـث يخصص للدخيل ، وقد لقيت دعوته هذه وقعاً طيباً في الأوساط اللغوية العربية [1].

## الدعوة إلى إنشاء المجمع اللغوي :

لما كانت هذه الجهود التي ذكرنا منها ما يعتبر نزراً من شيء كثير، كلها فردي يخضع للاجتهاد الشخصي،ولا يقوى على الانتشـار والتعميم ، بل لا يُلزِم أحد فيه أحـداً ، فإن الحاجة ظهرت إلى ضرورة إخضـاع هذه الجهود إلى مؤسسة رسمية ذات سـلطة علمية، فكانت الدعوة إلى إنشـاء المجمـع اللغوي، كمؤسسة هي الأقـوى والأكـثر تأثيراً على التعريب وضـبطه ونشره، فكان من أوائل علماء العربـية في العصـر الحديث من دعا إلى إنشـاء مجمـع لغوي، تنحصر مهمته في التعريـب، الأستاذ محمد الخضري، حين حدد مهمة المجمع بحصر الأسماء والأعلام الأجنبية،ثم إجراء بحث موسع للعثور على مقـابل عربي لها، فإن تعذر يجري تعريبها وهـذا ما ذكره الدكتور إبراهيم مدكور في كـتابه ( مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً. ص١٥ ) .

إن هذه واحدة من الإرهاصات الأولى لوعـي عـلماء العربية في فهم مشكلة التعريـب الفـردي، وقصوره عن تعميم الكلمة المعربة أو المولدة والحفاظ عليها ،

(١) حسـين نصار: نحو معجم جديد، سلسلة الألسنية أحدث العلوم الإنسانية - مجلة الفكر العربي، طرابلس - ليبيا ، ١٩٧٩م ، ص٢٤،٢٣ .

إذ ما زلنا نميل إلى استخدام كلمة (باص) بدلاً من (حافلة)، و(تلفون) بدلاً من (هاتف)، رغم السهولة والتعميم والانتشار. وهكذا فقد تواصلت الدعوات في مختلف أنحاء الوطن العربي لإنشاء مجمع رسمي للغة، حتى قدر لهذه الدعوات أن ترى النور، في إنشاء أول مجمع رسمي للغة في دمشق،باسم (المجمع العلمي العربي بدمشق). وقد أعلن عن مولده في الثامن من شهر حزيران يونيو من العام ١٩١٩م، وقد لقي الدعم المالي من الحكومة السورية آنذاك، ولولا هذا الدعم لما رأى النور،وجعلت لهذا المجمع شخصية اعتبارية مستقلة،كمؤسسة، ذات استقلال إداري ومالي، ولعل السبب الرئيسي في دعم الحكومة للمجمع السوري، هو أنها استقلت عام ١٩١٨م عن الدولة العثمانية، وظهرت فيها حركة وطنية قومية، نادت بتعريب سجلات الدولة، وتأليف الكتب المدرسية باللغة العربية، مما جعل الحاجة ملحة للأدباء واللغويين، الذين عليهم أن يضعوا البدائل للمصطلحات التركية والفرنسية، التي كانت سارية في لغة السجلات ودواوين الدولة، مما دفع إلى تشكيل لجان للترجمة والتأليف، كانت هي نواة مجمع اللغة الأولى، فصدر المرسوم الرسمي بإنشاء المجمع، مشفوعاً بتولي الأستاذ محمد كرد علي رئاسته، الذي يمكن اعتباره المؤسس للمجمع السوري، وهذا ما ذكره محمد كرد علي نفسه، ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٤٠- ٦- ٨) لسنة ١٩٦٥م.

وهكذا باشر المجمع العلمي بدمشق مهماته في خدمة اللغة العربية وإنمائها، في مناهج وأساليب مختلفة، لسنا هنا بصدد صدها وتتبعها، وإن كانت جهوده ذات أثر فاعل في إثراء اللغة وصيانتها في مجالات التعريب، مما يمكن الاطلاع عليه في نشرات المجمع وبحوثه وخاصة من خلال مجلته.

وفي عام ١٩٣٢م، صدر مرسوم حكومي، يقضي بإنشاء المجمع اللغوي الثاني في القاهرة، وهو (مجمع اللغة العربية المصري)، وقد حدد المرسوم أغراض هذا المجمع التي تبرز الفرق الواضح

بين ظروف إنشائه ، وظروف إنشاء مجمع دمشـــق ، إذ إن هذه الأغراض في مجملها تـــنص على خدمة اللغة العربية وآدابها، وعلومهـــا، والناطقين، بها في كل أوطان العرب،ولأهمية هذه الأغراض،وصلاحيتها كـــأهداف لمطلـــق المجامع العربية في كل زمان ومكان ، نلخصها في الآتي :

**أولاً**: المحافظة على سلامة اللغة العربية ، وجعلها قادرة على تلبية احتياجات العلوم والفـــنون في الـــتقدم الحاصل، وجعلها ملائمـــة لمتطلبات الحياة المعاصرة ، بحيث يتم وضع معاجم وتفاسير ووسائل مختلفة، تـــبين ما يمكن أن يؤخذ به ومـــا يجب تركه من الألفاظ والتراكيب.

**ثانـــياً**: وضع معجم تاريخي للغة العربية ، وإجـــراء بحـــوث تـــبين تاريخ بعض الكلمات العربية ، وتغير مدلولاتها .

**ثالثاً** : دراسة اللهجات العامية الحديثة في مصر وغيرها من الأقطار العربية .

**رابعاً** : البحث والدرس لكل ما يؤدي إلى تقدم اللغة العربية وازدهارها .

كما تضمن مرسوم إنشاء المجمع أن تكون لـــه مجلة خاصة به، تنشر فيها أبحاثه التي ينبغي أن ينشر فيها ما يجب استخدامه من ألفاظ اللغة وتراكيبها،وما يجب البعد عنه، وهـــذا واضح فيه هدف ضبط التعريب والتوليد اللغوي، كأهم مسألتين تواجهان اللغة وإنماءها ، أو اندثارها واضمحلالها .

وفي عام ١٩٣٤م، عينت لجنة المجمع التي شكلت أعضاءه ، الذين جعلوا على ثلاثة أصناف هي: عاملون ، وفخريون ، ومراسلون ، فكان من بينهم رجالات من أهل اللغة والأدب والفكر،في مصر والعالم العربي ، وكذلك من بعض الدول الأوربية مـــن المستشـــرقين الألمـــان والإنجلـــيز والفرنسيين والطليان .

لقـــد اســـتطاع مجمـــع اللغة العربية المصـــري، أن يحقق الهدف الأكبر الذي أنشـــئ مـــن أجله، ألا وهو الحفاظ على اللغة وأصالتها ، إلى جانب إثرائها وإنمائها بكـــل مـــا يلـــزم لـــتطورها ومجاراتها لاحتـــياجات العصر، ومنشوراته وندواته ومؤتمـــراته المتواصـــلة منذ نشأته إلى هذا اليوم،تشهد على ذلك،وبخاصة في مجالات التعريب، الذي دعا إليه مجمع اللغة العربية المصـــري كمنهج لا مفر منه أمام تنوع

وتشعب البحوث العلمية ومستجداتها المتسارعة، بحيث كان الأخذ بالتعريب، استئناساً بما فعله أجدادنا القدامى، حين أخذوا المصطلحات العلمية عن اليونانية واللاتينية والهندية والفارسية والتركية والساميات، مما يجيز لنا الأخذ الآن عن الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والألمانية وغيرها.

غير أن مجمع القاهرة، قد تطرق بجهود أخرى، وإن قلت، إلى عملية تيسير قواعد اللغة، إلى جانب الإنماء اللفظي، فدعا الكتاب والأدباء إلى السير حسب قواعد اللغة ونحوها، وعدم مخالفتها.

والمتتبع لمنشورات المجمع المصري، يلاحظ الجهود العظيمة التي خدم فيها العربية، وبخاصة من خلال جهوده المعجمية، وعلى رأسها المعجم الوسيط الذي ظهر في عام ١٩٦٠م، وغيره من المعاجم والدراسات.

وفي العراق، ظهرت محاولات لإنشاء مجمع لغوي، بدأ في عام ١٩٢٥م، ثم في عام ١٩٢٦م، وبقيت تتعثر حتى أعلن عن إنشاء ( المجمع العلمي العراقي ) عام ١٩٤٧م بقرار من وزارة المعارف العراقية، سار على خُطَى المجمع المصري في أغراضه وأهدافه، التي ترتكز في مجملها على إثراء اللغة وإنمائها، والمحافظة على سلامتها وضبط التعريب فيها، غير أن هذا المجمع لم يصدر عنه أي معجم حتى الآن، وجل اهتمامه انصب على المصطلحات بالنقل والتعريب والاشتقاق، وهذا ما أكده الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع في كتابه ( المباحث اللغوية في العراق ص ١٢٢ )، وهكذا فتعتبر جهود المجمع العراقي في مجال المصطلحات، والكلمات التي تختص بمظاهر الحضارة المعاصرة، مميزة له، بل إنه ما زال يوجه نشاطه إلى مجال الألفاظ أكثر من غيرها من مجالات اللغة، مما يمكن الوقوف عليه في مجلة المجمع.

لأن مجامع اللغة العربية في مجملها، أنشئت تحقيقاً للهدف الأكبر لها، وهو التعريب وضبطه والسيطرة عليه في إثراء الثروة اللفظية العربية بما ينقصها أو تحتاجه، فقد دأبت المجامع اللغوية العربية، والهيئات والمؤسسات والحكومات إلى

عقد المؤتمرات والندوات الخاصة بالتعريب؛ ولأن هذا ما كان من المهمات الأساسية للمهتمين بشؤون العربية الغيورين عليها في مختلف البلاد العربية، فقد أنشئ (المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط ) عام ١٩٦١م ، تحقيقاً لتوصية أحد مؤتمرات التعريب التي دأب العرب على عقدها في مختلف الأمصار، ذلك المؤتمر الذي عقد في الرباط فيما بين الثالث والسابع من شهر نيسان ( أبريل ) عام ١٩٦١م. بحيث جعل هذا المكتب تحت مظلة جامعة الدول العربية، وانبثقت عنه شعب في الأقطار العربية، تنصب على مواصلة العمل على المصطلحات العلمية والحضارية في العالم العربي، وقد حددت لهذا المكتب أغراضه وأهدافه نوجزها فيما يلي:

**أولاً:** إنشاء مكتب في كل بلد عربي يسمى ( الشعبة الوطنية للتعريب ) .

**ثانياً:** تقوم كل شعبة بجمع حصيلة الأعمال التي تنتج عن أعمال التعريب سواء في المجامع، أو الهيئات والمؤسسات المتخصصة، وكذلك النشرات والمحاضرات والكتب التي تتعلق بهذا المجال ، وتزود به المكتب في الرباط .

**ثالثاً:** ينسق المكتب في الرباط بين ما يصله من نتاج، وينشره ليكون بين يدي المشتغلين بالترجمة والتعريب [1]، ولأجل فاعلية هذا المكتب فقد أصدر مجلة خاصة ببحوثه وأعماله، هي ( مجلة اللسان العربي)، التي حوت أعدادها حتى الآن عددًا ضخمًا ومهمًا من البحوث اللغوية ، وبخاصة في مجال التعريب .

إن هذا المكتب، قد توغل في خدمة اللغة العربية من خلال مسألة التعريب ، بحيث شكل لجانًا استشارية لغوية ، يمكنها أن تجيب عن أي تساؤل يطرأ في هذا المجال ، بل إن هذا المكتب باشر تصحيح الأخطاء الشائعة في التعابير اللغوية العامة مثل اللافتات وأسماء الشوارع ، وتوعية الناطقين بالعربية إلى كل خطأ يقعون فيه مخالف لقواعد اللغة ومفرداتها وأوزانها ،

---

(١) حلمي خليل: المولد، دراسة في نمو وتطور اللغة العربية في العصر الحديث. الهيئة المصرية العامة للكتاب – الإسكندرية – ١٩٧٩م ( غير موضع ).

بل إن من أروع ما استنّه المكتب،تخصيص أسبوع من كل عام لقضايا التعريب ، فقد جعل أسبوع عام ١٩٧٨م ، تحت شعار ( العربية لغة العلم والتكنولوجيا عام ٢٠٠٠ ) (١) .

وفي ظروف مشابهة لظروف نشأة المجامع اللغوية العربية الأخرى،أنشئ مجمع اللغة العربية الأردني في عمان، وبقرار رسمي، ليسهم هو الآخر في إنماء اللغة وتطويرها ، جنبًا إلى جنب مع المجامع اللغوية الأخرى. (١)

**التجربة الفلسطينية والمجمع الفلسطيني:**

لا شك في أن التجربة الفلسطينية في مجال التعريب، تعتبر متواضعة للغاية، ولعل للفلسطينيين عذرهم في ذلك، فهم أناس عاشوا النكبة التي تعرضوا لها في مختلف البقاع التي وجدوا فيها،سواء على أرضهم تحت الاحتلال، أم في المهاجر.هذا من غير نسيان جهود علماء فلسطينيين أسهموا في جهود التعريب من خلال المشاركة في مواقع وجودهم في الأوطان العربية ، سواء بجهود فردية، أم خلال المجامع العربية، وبخاصة المجمع المصري، والمجمع الأردني .

إن حياة الفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلي سنوات عديدة ، أورثت ظروفًا خاصة متميزة تختلف كثيرًا عن ظروف سائر الشعوب العربية في الفترة المعاصرة ، وبخاصة في المجال الثقافي والحياة العامة، أمام الهجمة الشرسة للثقافة الإسرائيلية، التي نعترف بأنها باتت تغزو مناحي الحياة العامة، سواء من خلال الاحتكاك المباشر بين الشعبين في التعامل اليومي، أم على مستويات التجارة والاقتصاد، والزراعة والصناعة، والأعمال الخاصة والعمال ، بالإضافة إلى التغلغل الذي جرى من خلال وسائل الإعلام الإسرائيلية المسموعة والمرئية والمكتوبة ، وخاصة تلك التي تنطق باللغة العربية .

إن ما سبق ذكره ، أثر تأثيرًا مباشراً في جانب غلبة اللغة العربية في هذه المجالات،على اللغة العربية، بحيث انتشرت

(١) ياسر الملاح : تجارب في التعريب ، ص ٦٨ .( نقلاً عن كتاب التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، لمحمد المنجي الصيادي (بيروت ١٩٨٠م– ص ١٨١).

العبرية على ألسنة الفلسطينيين انتشارًا واسعًا، وبدرجات متفاوتة، نحن بحاجة إلى إجراء دراسة عملية تبين عدد الفلسطينيين الذين يعرفون أو يتقنون العبرية .

ولعل أخطر ما في الأمر،أن العبرية من خلال ألفاظ أو تراكيب،بدأت تتطرق إلى اللهجة الفلسطينية المحكية، وعلى جميع المستويات العمرية،من الكبار إلى الصغار، بل إن الكثير من المصطلحات والأسماء العبرية ، تمكنت من ألسنة الناطقين الفلسطينيين وحلت محل نظائرها العربية ، بصور تكاد تكون تامة، حتى أن الكثيرين نسوا تمامًا تلك النظائر العربية، والأخطر من ذلك أن كلمات عامة من اللغة العربية، أصبحت تستخدم استخدامًا واسعًا وشعبيًا بين الفلسطينيين في خطابهم اليومي فيما بينهم، وليس بينهم وبين اليهود، ومن ذلك مثلاً، كلمة (بسيدر) ، التي تقابلها بالعربية الفصحى ( حسنًا ) أو ( نعم )،وبالعامية (ماشي)،وعبارة ( علما كوم ) ، التي تقابلها بالعربية الفصحى عبارة (في الموقع ) أو (في المكان نفسه ) ، وبالعامية ( على المحل )، وغير ذلك الكثير من الألفاظ والعبارات،التي تستخدم في الأوساط كلها المثقفة وغير المثقفة ، بل إن الحياة الفلسطينية تحت الاحتلال، فرضت على قطاع كبير من الناس، تعلم العبرية كتابة وتعبيرًا، وليس تعلمًا محكيًا فقط، جاء بحكم الاختلاط الناجم عن أيّ من الأسباب كالعمال والتجار مثلاً .

إن ما سبق ذكره، بات يشكل بعدًا مؤرقًا للمثقفين الفلسطينيين بعامة، وللمتخصصين في اللغة من كتاب وأدباء وأساتذة جامعات بخاصة، ويضاف إليه، كون فلسطين مهد الأديان وموئل الرسالات، مما جعلها قبلة للكثيرين من الأجانب الذين يقيمون في مدنها المقدسة كالقدس وبيت لحم، أو يأتون للزيارة حجّاً أو سياحة، بحيث لو قدر لك أن تمشي في أحد شوارع القدس، مُطرقًا السمع منعمًا النظر،فلسوف تسمع ناطقين بلغات أجنبية اثنتين أو ثلاث أو أكثر في آن واحد، كل هذه الأحوال والظروف ، استرعت انتباه المثقف والمتخصص اللغوي الفلسطيني ، وجعلته يفكر في هذه المشكلة بحجم معين .

إن أول توجه استرعى الانتباه، ما لاحظه أساتذة اللغة العربية ، من تدهور حل بها في أساليب تدريسها، أو التدريس بها في الجامعات والمعاهد الفلسطينية ، فكانت المبادرات الأولى للوقوف على هذه المشكلة ، تلك المبادرات التي تعتبر تجارب فلسطين للحفاظ على العربية ، وضمان حمايتها ومسايرتها للتطور العصري ، وسوف نتتبع هذه المبادرات .

**أولاً:** ( ندوة فلسفة التعليم الجامعي والدعوة إلى تعريبه)يوم ١٩٨٥/١٢/٢٠م في القدس .

قد نظمت هذه الندوة بمبادرة من المتخصصين وأساتذة اللغة العربية في الجامعات والمعاهد الفلسطينية، في ظل الأحوال والظروف التي سبق الحديث عنها، فضلاً عن وضع من الخلل في لغة التعليم في هذه الجامعات، وسوء وضع اللغة العربية ومكانتها كأداة للتعليم ، وقد تبنى مجلس التعليم العالي الفلسطيني هذه الندوة ، التي نشرت أوراقها ومناقشات المشاركين فيها ضمن كتاب خاص بعنوان: ( فلسفة التعليم الجامعي والدعوة إلى تعريبه ) .

يمكن الوقوف على رأي المجلس بل غرضه وفهمه لهذه الندوة من خلال تقديمه للكتاب في العبارة التالية :" إن اللجنة التنفيذية - لمجلس التعليم العالي - ومن إدراكها لأهمية وجود فلسفة للتعليم العالي، ومن إحساسها بضرورة التعريب للتعليم العالي والفلسطيني، وكجزء من تعريب التعليم في الوطن العربي بأسره ، دعت إلى عقد هذه الندوة الرائدة، التي يشارك فيها هذا الحشد المبارك ، إيمانًا منها بأنها تجربة لابد من خوضها آجلاً أم عاجلاً .

وفي مبررات عقد هذه الندوة، يقول الدكتور ذياب عيوش - عضو المجلس في حينه - مبررًا الطلب من المجلس لعقد هذه الندوة ، ما جاء في الكتاب (ص٩) :" ما زال عدد كبير من أساتذة الجامعات في الأرض المحتلة، يدرس بلغة غير اللغة العربية، إما لعجز في نقل المصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية، أو لاعتقادهم بأن لغتنا لا تصلح للتعامل مع العلوم الحديثة ، أو لأسباب أخرى تتعلق بعدم

توافر المراجع العربية الجيدة ".

إن أهم ما يميز هذه الندوة ، هو دعوة أساتذة الجامعات الفلسطينية من المتخصصين باللغة العربية وغيرهم من أساتذة الكليات الأخرى، فضلاً عن ممثلين من النقابات المهنية والكتاب والأدباء والإعلاميين. وقدمت في الندوة ثلاث ورقات :

**الأولى**:بعنوان: (فلسفة التعليم الجامعي في الوطن المحتل والدعوة إلى التعريب) ، إعداد الدكتور ذياب عيوش ( المتخصص في علم الاجتماع)،الذي قدم ورقة متميزة في موضوعها، ركز فيها على ضرورة تعريب التعليم الجامعي في عرض متنوع الأسباب والمظاهر ، حتى يقول في معرض ورقته (الكتاب، ص٣٠ و ٣١):"وتعريب التعليم العالي ينبغي أن يبدأ بالعناية بتدريس اللغة العربية منهجًا وكتابًا ومعلّمًا ...".

ثم يقول ( الكتاب، ص٣٢) :" إن مشكلة التعريب، ليست أكاديمية أو معجمية قاموسية، على الرغم من أهمية تعريب المصطلحات وإثراء اللغة بالكلمات التي تعبر عن المفاهيم الحديثة ، علمية ، وصناعية ، وتقنية ، وإنما هي مشكلة وضع العربية في المكان الذي يتطلبه مقامها كلغة لأمة واحدة ...".

ثم أعقب الورقة نقاش أثْرَى مضمونها، بحيث أجمع المشاركون على ضرورة تعريب التعليم العالي الفلسطيني،من خلال الارتقاء باللغة العربية، ووضعها في المكان الذي يليق بها، من واقع الشعور بالاعتزاز بها كلغة قومية،تصلح لكل مجالات التعبير، وتقوى على أن تكون لغة التعليم الجامعي.

**الثانية**: بعنوان : ( تجارب في التعريب من الماضي والحاضر )، إعداد الدكتور ياسر الملاح ( وهو متخصص في اللغة العربية )، عرض فيها مفهوم التعريب وجهود العرب القدامى في الاقتراض اللغوي من لغات الأمم السابقة ، وأهم الكتب العربية القديمة التي تناولت هذا الموضوع ، ثم عرج على جهود العرب المتأخرين في التعريب، فلمس كل جهد فردى أو جماعي، وبخاصة جهود المجامع اللغوية العربية ، ثم ينتهي إلى التأكيد على تعريب

التعليم الجامعي والابتعاد عن ثنائية اللغة فيه ، معتبرًا أن القضية قضية وطنية ، ورسالة حضارية، يجب الحرص عليها والسعي إلى المحافظة عليها . ثم اتبع عرض الورقة بنقاش بين المشاركين أثرى مادتها وركز مضمونها ونتائجها .

**الثالثة:** بعنوان: ( تعريب التعليم الجامعي. كيف ؟ ) ، إعداد الأستاذ زهير الكرمي ( وهو متخصص في علم الأحياء )، لقد أكدت هذه الورقة على مسألة تعريب التعليم الجامعي ، باعتباره ضرورة وطنية وقومية، غير أنها حذرت من انحدار اللغة الفصحى، وانحياز الناطقين العرب في مجتمعنا نحو العامية ، خاصة وأن الكثيرين منا يخطئون أخطاءً فاحشة، ولا يهتز لهم رمش، وعليه ، فإن هذه الورقة تنادي بالإصلاح من حال اللغة على ألسنة الناطقين قبل القراء ، بأن يتعلمها الطفل تعلمًا صحيحًا إلى جانب لغة أجنبية أخرى، لضرورة مواكبة الجديد في العلم ، بحيث يكبر هذا الطفل، ويكبر علمه معه . ثم تدعو الورقة إلى التعريب المباشر للمصطلحات، دون إجهاد النفس في الترجمة إلى العربية . ثم اختتم النقاش حول هذه الورقة ، ليدخل في طرح عدد من التوصيات الخاصة بالندوة كلها ، وكان من أهم هذه التوصيات :

(١) ضرورة إنشاء مجمع لغوي عربي فلسطيني، يسهم فيه علماؤنا إسهامًا فاعلاً في إثراء اللغة بالمصطلحات، وإيجاد البدائل للغريب الوافد .

(٢) أن يكون تعليم اللغة العربية إلزاميًا بمقدار معلوم من الساعات في السنة الأولى، ولا يعفى أي طالب من هذه الساعات مهما كان تخصصه .

(٣) عقد ندوات أخرى مستمرة ومستفيضة ، وأن تعتبر هذه الندوة البداية في مشروع ضخم .

(٤)تدريس مقررات جامعية في الترجمة والتعريب .

ثم ذيل الكتاب بتفاعلات إعلامية في الصحف والمجلات الفلسطينية،التي أجمعت كلها على أهمية هذه الندوة وأكدت على ضرورة التعريب في الجامعات والمعاهد الفلسطينية، فبعض هذه الصحف طرح استبانة للرأي حول هذا الموضوع،

كمـــا أن الأصوات جميعًا طالبت بمواصلة هذا العمل .

**ثانيًا:** ( ندوة حاضر اللغة العربية وأساليب تدريسها في الجامعات الفلسطينية ) .

جـــاء انعقـــاد هذه الندوة، تواصلاً لتوصـــيات الندوة الأولى ( فلسفة التعليم الجـــامعي )، بدعـــوة من مركز الأبحاث الإسلامية في القدس،التابع لجامعة القدس، في الـــيومين ٢٧، ٢٨ مـــن شـــهر آيار ( مـــارس ) عام ١٩٨٧م ، وشارك فيها عـــدد كبير من أساتذة اللغة والأدب في الجامعـــات والمعـــاهد، وعـــدد آخر من المهـــتمين بشـــؤون اللغة، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور إسحق موسى الحسيني – رحمه الله – رئيس المركز،عضو مجمع اللغة العربـــية بالقاهـــرة، وقـــد جرت الندوة بالتنســـيق مـــع مجلـــس التعلـــيم العالي الفلسطيني .

عُرِضـــت في الـــندوة أوراق كـــثيرة متنوعة، تناولت مجال التعليم، وعلوم اللغة العربية، ولإنجاح هذه الندوة ، باعتبارها جهـــدًا جـــادًّا للتعامـــل مع قضية اللغة العربـــية وحالهـــا الـــتي يمـــر بها المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال،تم تشكيل لجنة مشـــرفة على هذه الندوة وما يلحقها من ندوات وجهود ، برئاسة الدكتور إسحق موســـى الحســـيني، وأعضاء هذه اللجنة كـــلهم من ذوي الاختصاص والمسؤولية في الجامعات الفلسطينية ، وهم :

١-الدكـــتور إســـحق موسى الحسيني جامعة القدس – رئيسًا .

٢-الدكتور حسن عبد الرحمن السلوادي – جامعة القدس – عضوًا .

٣-الدكـــتور ياسر الملاح – جامعة بيت لحم – عضوًا .

٤-الدكتور يونس عمرو- جامعة الخليل – عضوًا .

٥-الدكـــتور ناجي عبد الجبار – جامعة بيرزيت – عضوًا .

إن هـــذه النخـــبة، كانت نواة الهيئة التأسيســـية لمجمع اللغة العربية الفلسطيني فيما بعد ، في مراحل الدعوة إلى تأسيسه، مما اقتضى التنويه هنا .

وإنصـــافًا لتلك الحال التي عرضت في تلـــك الـــندوة من وضع اللغة العربية ، وموقف المتخصصين الفلسطينيين من هذا

الوضع الذي أهمهم وأتعبهم ، فقد نشرت أعمال الندوة كاملة في كتاب كامل من قبل مجلس التعليم العالي، واستكمالا لهذا الإنصـــاف، نتطرق للأوراق التي عرضت في هذه الندوة بإيجاز .

**الورقة الأولى**:بعنوان:( برامج اللغة العربية وآدابها في الجامعات الفلسطينية)، إعداد : الدكتور ناجي عبد الجبار (وهو متخصص في اللغة العربية ) من جامعة بيرزيت .

جـــاءت هــــذه الورقـــة في قسمين: الأول: تناول برامج اللغة العربية كما هي في دوائـــر التخصص في مختلف الجامعات الفلســـطينية، مـــع مناقشـــة الإيجابيات والسلبيات، القوة والضعف في كل جامعة على حدة، مقارنة بسائر الجامعات .

والثاني ، فقد طرح تصورًا لبرنامج مقترح لتخصــــص منفرد شامل يمكن تطبيقه في الجامعـــات، ركـــز على نوعية الطالب والمعـــلم في قسم اللغة العربية، فالطالب لابـــد أن يكـــون من المتفوقين في اللغة العربية قبل الدخول إلى دراستها، ثم عليه أن يواصل هذا التفوق، وكذلك ضرورة وجود معلم قوي في هذه اللغة وفروعها، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ثم عرض قائمة مـــن الـــبحوث والموضوعات بشمولية ممتازة، تكون لازمة للمتخصص في علوم العربـــية وآدابها، ثم أعقبت الورقة بنقاش أثرى موضوعها .

**الورقـــة الثانية**:بعنوان : ( تقويم الكتاب الجامعي المقرر لمواد اللغة العربية وآدابها )، إعداد كل من:د.كرم زرندح ( متخصص في اللغـــة العربـــية )، ود . إحسان الأغا ( متخصص في التربية وعلم النفس) وكلا الأستاذين من الجامعة الإسلامية في غزة .

وقـــد عـــرض الباحثان لهدف الورقة بقولهما :" يهدف هذا البحث إلى تحديد مواصفات الكتاب الجامعي في مجال اللغة العربية بصفة عامة، وذلك بقصد مساعدة المعلم والطالب على اختيار الكتب اللازمة لدراسة المقررات الجامعية في اللغة العربية، وتحديـــد الأســـس اللازمة لوضعها بعين الاعتـــبار عـــند تألـــيف الكتب اللازمة لطلاب الجامعات في دراسة مقررات اللغة العربية ... " ( الكتاب ، ص٥٠ ) .

ثم تواصـــل الورقـــة بيان مواصفات الكـــتاب الجامعي المتخصص بشكل عام،

وكتاب اللغة العربية بشكل خاص، مع التركيز على أهمية لغة الكتاب، وبالذات كتاب اللغة العربية، ثم انتهت الورقة باستبانة تلزم بتقويم الكتاب الجامعي بصفة عامة. ثم جرى نقاش حول هذه الورقة أثرى مادتها وأهدافها .

**الورقة الثالثة:** بعنوان: ( علم اللغة، موضوعاته وأساليب تدريسه ) ، إعداد : الدكتور ياسر الملاح (متخصص في اللغة العربية ) من جامعة بيت لحم .

تركز هذه الورقة على مفهوم علم اللغة وموضوعه على أنه موضوع حديث، مع عرض لآراء العلماء المحدثين حول هذا الأمر من أجانب وعرب ، ثم هناك عرض مفصل لمصطلحات العربية من علم اللغة إلى فقه اللغة، والنحو والصرف، مع بيان لموقف علماء العربية القدامى من هذه المصطلحات وفهمهم لها ، مع التطرق إلى المناهج الحديثة لدراسات العلوم اللغوية ، التي عرضت بصورة دقيقة للغاية، بحيث يبدأ تدريس علوم اللغة، بالأصوات وتشكيلها، ثم علم الصرف، والمعجميات، ثم علم النحو ، ثم علم الدلالة، وتتطرق الورقة كذلك إلى الاتساع التخصصي الميداني لعلوم اللغة، مثل علم اللغة الصناعي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، إلى أن يصل الباحث إلى المنهج المحدث في دراسة العلوم اللغوية فيقول :

" ... ولكن العلماء استطاعوا خيرًا تصنيف مجالات علم اللغة إلى قسمين كبيرين هما :

١-علم اللغة النظري .

٢-علم اللغة العملي .

ويعنى القسم الأول برسم معالم النظرية اللغوية ودقائق هذه النظرية . كما يعنى القسم الثاني بتطبيق علم اللغة في الحياة والاستفادة منه في المجالات العملية".

( الكتاب ، ص ٦٨) .

وهكذا ، تواصل الورقة عرض مضمون يأتي على جهود العرب القدامى في مجالات علوم اللغة المختلفة ، مقارنة بما يدعي العلماء الغربيون بأنها من مبتكراتهم، ليتبين أن العرب سبقوهم إليها بزمن بعيد، بما في ذلك جهود القدامى في مجال الاقتراض اللغوي والتعريب،وأساليبهم إلى ذلك .

فيما يتعلق بالكتاب الجامعي للغة العربية، يعرض الباحث إلى مبادرة متقدمة سبق أن قام بها عدد من أساتذة العربية في الجامعات الفلسطينيه تهدف إلى تأليف جماعي لكتاب موحد في علوم العربية وآدابها، يطرح للتدريس، بحيث بادر عدد من الأساتذة المتخصصين في أواخر عام ١٩٨٣م ، إلى القيام بهذا العمل وهم :

١-د.أحمد نعيم القراعين من جامعة بيرزيت .

٢-د. محمد جواد النوري من جامعة النجاح الوطنية في نابلس .

٣-د. محمود أبوكتة من جامعة بيت لحم.

٤-د. ياسر الملاح من جامعة القدس .

٥-د. يونس عمرو من جامعة الخليل .

التقى هؤلاء لمناقشة إمكانية العمل ، غير أنهم لم يحققوا نجاحًا لظروف مختلفة ، ورغم ذلك فإن هذا الموضوع ما زال ملحًّا في التواصل إلى كتاب اللغة العربية الجماعي .

وبعد،فإن الباحث يتطرق إلى مقترحات لخطط تدريس مقترحة تضمن التكامل في دراسة اللغة العربية وآدابها في الجامعات والمعاهد الفلسطينية .

وتتميز هذه الورقة عن غيرها من الأوراق ، بأن ذيَّلها صاحبُها بقائمة كبيرة من أسماء الكتب والمؤلفين في مختلف مجالات علوم اللغة العربية من العصر الحديث، لتكون دليلاً سريعًا للدارس الجامعي والأستاذ على حد سواء . ( الكتاب ، ص ٨٦ - ٩٣ ) .

**الورقة الرابعة** : بعنوان: ( علم اللغة والساميات)، إعداد الدكتور يونس عمرو ( متخصص في اللغة العربية والساميات) ، من جامعة الخليل .

تعرض هذه الورقة، إلى نظرية نشأة اللغة ، وموقف علماء العربية الأوائل منها بين توقيف واصطلاح ، مع التركيز على الجانب التاريخي لمكانة العربية بين اللغات السامية الشقيقة، مما أمكن معه اعتبار اللغة العربية حاملة لخصائص الساميات كافة، وعلى جميع المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، والأدوات والضمائر ، بحيث يمكن من خلال الدرس المقارن بين العربية والساميات الأخريات، حل الكثير من الألغاز على المستويات كلها،

وبخاصة الألفاظ ودلالتها، وقد تضمنت الورقة عددًا من الأمثلة على الدرس المقارن لألفاظ مختلفة توجد في العربية وشقيقاهما الساميات ، مما يدعم الحاجة الملحة إلى عمل معجم ساميّ مقارن ، يخدم - في تركيز - كثيرًا من دلالات ألفاظ يتعامل معها البعض تعاملاً خاطئًا مثل كلمة «ملاك»، والتي تعني رسول حسب الأصول السامية،كمشتق من المادة السامية (لأك)، ومزيدها ( ألأك ) بمعنى (أرسل)، لا يخفى ما لهذا اللون من الدراسة من دور في خدمة التعريب، وتأصيل ما يعتقد بأنه من الدخيل .

وقد نوقشت هاتان الورقتان الثالثة والرابعة معًا،مما أثرى مضمونهما ومادهما.

**الورقة الخامسة** : بعنوان:( جهود تيسير النحو في الماضي والحاضر)، إعداد: الدكتور حسن السلوادي( وهو متخصص في اللغة العربية ) ، من جامعة القدس .

أشارت الورقة إلى أن الدعوة إلى تيسير اللغة وتبسيط قواعدها ليست حديثة العهد كما يظن، بل إنها كانت مواكبة لنشأة النحو، إذ يقول الباحث: " ... لا يغيب عن أذهاننا تلك الثورة التي أعلنها عمارة الكلبي على طريقة المستعربين ، وهجومه على جمود النحاة واللغويين متعاليًا عليهم بطبعه وسليقته العربية حين قال :

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم
وبين قوم على إعرابهم طبعوا
ما كل قولي مشروحًا لكم فخذوا
ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

ولا يغيب عن أذهاننا أيضًا ضجر الجاحظ وتذمره من أصحاب النحو،الذين استبد بهم جمود القريحة وغلبة الصنعة والتكلف، حتى رأيناه يوصي الصبية ومؤدبي الخاصة، بألا يشغلوا قلب الصبي بعويص النحو ومسائله الوعرة ... " ( الكتاب ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ )

وتواصل الورقة عرض مواقف العلماء القدامى الذين دعوا إلى تيسير النحو وقواعد اللغة ممن عاصروا نشأة النحو أو أتوا بعدها، حتى جاء دعاة لهذه المسألة في العصر الحديث، من أمثال حفني ناصف ، وعلي الجارم، وإبراهيم مصطفى، وخليل السكاكيني، وطه حسين،

وإسحق الحسيني، وشوقي ضيف، وغيرهم ممن نقدوا قواعد النحو، ودعوا إلى تبسيط هـذا العـلم وتيسيره على إفهام القارئ والمتعلم العربي، باختزال قواعده إلى عدد قليل ، كما فعل الدكتور شوقي ضيف ، في مقالته: ( تيسير النحو ) التي نشرت في مجلـة مجمع اللغة العربية محاضر وجلسات ( ج ٤٧ ، ص ١١ ) .

وهكذا تواصل الورقة عرض المحاولات كافـة ، والـتي سعى من خلالها العلماء المحدثـون إلى عـرض صورة من تبسيط القواعـد بتفصـيل دقيق ، إلى أن تبين جانبًا آخر من ضرورة تيسير النحو، وهو إعداد معلم اللغة إعدادًا يساير هذا التيسير ، لتحقـيق المـبدأ المطلوب،وهو تيسير وتبسـيط تعلـيم هذا الفرع الجاف من فروع اللغة العربية .

ثم يـنهي الباحث ورقته، بمقترحات اللجـنة الوزاريـة المصرية لتيسير النحو والصـرف ١٩٣٨م ، وقـرارات المؤتمر الـثقافي العربي الأول في اللغة والقواعد ، وتوصيات مجمع دمشق ، وتوصيات مجمع العـراق ، وتوصـيات ندوة اتحاد المجامع اللغويـة في الجزائر ١٩٧٦م .( الكتاب ، ص ١١٢ - ١١٧). وكلها تجمع على أن تيسـير عـلم النحو والصرف، وتبسيط تعليمه ضرورة ملحة.

**الورقة السادسة:** بعنوان: ( تدريس النحو العـربي في مـراحل التعلـيم الجامعي ، مشـكلات وحلول ) ، إعداد : الدكتور محمود أبو كتة (متخصص في اللغة العربية) من جامعة بيت لحم .

لا تعتبر هذه الورقة أن المشكلة تكمن في الـنحو نفسه بين قديمه وجديده، بل تكمـن المشـكلة في طـرائق تدريسه وتعددهـا،وكل ما يسهم في تكوين هذه العملـية، ابـتداءً بالمعلم، فالمتعلم، فاللغة المتعلمة .

ولهذا يطرح الباحث سؤالين اثنين لحصر المشكلة هما :

أ-مـا سـبب تعثر المتعلمين في الدرس النحوي ؟

٢-ما أمثل طريقة يمكن اتباعها في تعليم الدرس النحوي ؟ (الكتاب،ص ١١٩ ).

ثم تحـدد الورقـة المشكلة وحلها في معـرض الإجابة على السؤالين ، في أن

الـــنقد الموجه إلى علم النحو يتأرجح بين نقد السلف، وتبرئة الخلف، أو صب النقد على مادة النحو نفسها، في جدل لا طائل تحـــته، أو التوقف عن المسائل الخلافية ، والقواعـــد الفرعـــية، بدلاً من الاهتمام بالقضـــايا والقواعد الكلية والأساسية ، وإثقـــال المعلم والمتعلم والمنهاج بالمسائل الخلافية وتعدد وجوه الإعراب ، في أول مـــراحل التعليم الجامعي ، ثم الوقوع في شـــرك التعليل النحوي الذي يحيد بالمتعلم عن الهدف الأصيل من تعلم النحو ، وهو إجادة النطق السليم، والتركيز على فلسفة الإعـــراب ، والاحتكام إلى قواعد المنطق العقلية الجدلية .

ومن الحلول التي تطرحها الورقة لهذه المشـــكلة، التنســـيق في تأليف الكتاب الجامعي المنهجي، الذي يجمع بين اتساع المـــادة في الكتاب القديم، ومنهج العصر الحديث ولغته ووضع منهج مبسط ودقيق للمادة المراد تدريسها ، وجعلها أولاً وقبل كل شيء واضحة في ذهن المعلم ، الذي يجب أن يكون متخصصًا بل مؤهلاً تأهيلاً فيه الكفاية لصاحبه، لا بحيث يستطيع أن يعطي .

**الورقة السابعة**: بعنوان: (الدرس الصرفي، أساليبه وجدواه ) ، إعداد : الدكتور يحيى جـــبر ( متخصص في اللغة العربية ) من جامعة النجاح الوطنية .

تعـــرف الورقة بعلم الصرف وعلاقته بغـــيره من علوم العربية، كالمعاجم وعلم النحو، وتبرز مصاعب هذا العلم، التي من أهمهـــا كـــثرة القواعـــــد التي لا يمكن الإحاطة بها وحفظها، بمعنى أن إشكالات عـــلم الصرف هي نفسها إشكالات علم النحو، وهكذا فيتتبع الباحث بدقة مواقف القدامى من هذا العلم ومصاعبه ، والطرق التي اقترحوها لتدريسه، ثم يعرض الباحث الأساليب التي يمكن أن تتبع لتدريس علم الصرف، وإن كان يقر بأنها متداخلة مع أســـاليب تدريـــس النحو، فيحصرها في أربعة نلخصها في الآتي :

١-الأســـلوب الاستقرائي : ويعتمد على تداعـــي المعاني التي تستند إلى المعلومات السابقة مع التطبيق النصّي وحل التمارين.

٢-الأسلوب الاستنتاجي : وهو بوضع القاعدة ، ثم طرح الأمثلة المناسبة لها .

٣-الأسلوب الاستجوابي: يقوم على تحضير سابق للموضوع، ثم يستجوب الدارس فيما درس، ومن خلال نقاش وأخذ وردّ تثبت المعلومات .

٤-أسلوب المحاضرة : وهو بإلقاء المحاضرة من قبل المعلم، والطلبة يستمعون ويسجلون .

غير أن الباحث يعرض طريقة أخرى للتدريس، يسميها بالطريقة الاقتضائية حيث يقول عنها:"... ولعلها خير الطرق، حيث تقوم على تدريس المعارف اللغوية أثناء الدروس الأدبية والمطالعات، بطريقة عملية دون تخصيص حصص مستقلة لتلك المعارف ... " ( الكتاب ، ص ١٣٢ ) .

ثم أعقبت الأوراق حول أساليب التدريس بنقاش ، بين المشاركين تضمن عددًا من المقترحات التي تصب في المصب نفسه لهذه الأوراق .

**الورقة الثامنة:** بعنوان: ( أساليب تدريس البلاغة)، إعداد:بسام القواسمي (متخصص في اللغة العربية ) ، من جامعة الخليل .

تبين هذه الورقة علاقة البلاغة بفنون العربية، من الأدب إلى النحو إلى النقد، ثم غايات ووسائل تدريسها، والتي في مجملها تنادي باختيار النصوص الجيدة المشوقة الجذابة – ويتم الاعتماد عليها في شرح المطلوب من مجالات البلاغة ، مع الابتعاد قدر الإمكان، عن التعريفات والتقسيمات والتفريعات التي تغرق الطالب في متاهات تجعله ينفر من البلاغة كعلم وفن .

ثم تعرض الورقة إلى أساليب تدريس البلاغة بين القديم والجديد ، وتلمس مواطن الخطأ في ذلك .

**الورقة التاسعة:** بعنوان : ( أهمية الإحصاء في دراسة بعض الظواهر العروضية ) ، إعداد: الدكتور عادل أبي عمشة ( متخصص في اللغة العربية ) من جامعة النجاح الوطنية .

تبدأ هذه الورقة ببيان وجهة نظر حول صلاحية المنهج الإحصائي التحليلي في درس العروض،كونه يعتمد على قوانين ثابتة من البحور إلى القوافي، وقد اختار الباحث مسألة ( الرويّ ) كظاهرة عروضية ملفتة للنظر في القصيدة

العربية قديمًا وحديثًا، ولأنه أهم حروف القافية، بل هو الذي تبني عليه القصيدة، إذ يلتزم في أبياتها جميعًا وتنسب إليه،ليقال هذه قصيدة رائية، أو ميمية، أو سينية .

وأهـــم ما توصل إليه الباحث قوله : " ... نلاحظ أن أكثر حروف الهجاء ، بل كلها مما يصلح أن يكون رويًا ، لكنها لا تستعمل جميعًا بنفس القدر !؟ ( الكتاب، ص ١٤٥ ) .

وتعـــرج الورقة على دراسة تطبيقية تناولت ثلاث مجموعات من عيون الشعر العـــربي، هي المفضليات، والأصمعيات ، وديوان الأعشى الكبير، وصنفت قوافيها حسب الروي في جدول واحد ، لتتوصل إلى نتـــيجة ثابتة متقاربة جدًا في استخدام الحـــروف بين القصائد المختلفة، مع بيان أكـــثر الحروف استخدامًا في هذا المجال ، بحيـــث تـــبين أن حـــرف الميم من أكثر الحـــروف العربـــية استخدامًا للرويّ في القصيدة العربية .

أمـــا عن أساليب تدريس العروض ، فتـــبين الورقـــة، أن بعض المدارس تجعل العروض فرعًا من مجالات اللغة، بأن يضم إلى البلاغة أو الصرف ، والبعض الآخر ، يتعامل معه كعلم مستقل .

وتتدرج الورقة في بيان مراحل تدريس العروض، بأن تبدأ بالتعريف به كعلم أو فـــن، وعلاقته بالموسيقى حسب مبادئ الخلـــيل بن أحمد واضع هذه المبادئ، ثم يـــأتي دور الكتابة العروضية، ثم الحديث على المصطلحات العروضية، المتعلقة ببيت الشـــعر، والصـــدر والعجـــز، والمقاطع العروضـــية، مـــثل الأسباب و الأوتاد ، والفواصل ، أو المصطلحات المتعلقة بالعلل الخاصـــة بالتغيرات التي تطرأ على تفاعيل العروض ، أو الضرب ، أو الحشو .

وتنـــتهي الورقة بعدد من المقترحات حـــول تدريس مادة العروض أهمها، أن يعـــامل هـــذا العلم على أنه مستقل، ولا يـــربط بأيٍّ من فنون العربية الأخرى أو علومها .

ثم جرى نقاش للورقتين،هذه وسابقتها أثرى مادتهما .

**الورقة العاشرة:** بعنوان: (تقويم أساليب تدريـــس الأدب العربي القديم في كليات الآداب بالجامعات الفلسطينية ) ، إعداد :

د.محمد صيام ( تخصص في اللغة العربية )، ود. حسان ألاغا ( تخصص مناهج وطرق تدريس ) ، وكلاهما من الجامعة الإسلامية في غزة .

تبدأ هذه الورقة بإبراز دور شخصية المدرس في التأثير على تعليم المادة في الجامعة، ولذلك لا بدّ من إخضاع هذه الشخصية إلى التقويم المستمر .

ثم تبين الورقة الضرورة الملحة لتدريس الأدب القديم، حيث إنه المنهل الغزير الذي نهل منه أدباء العربية منذ القدم حتى عصرنا الحاضر كمصدر وأساس للأدب العربي عبر العصور، بل إنه مصدر من مصادر لغة الدين الإسلامي ، وتاريخ العرب والعربية، ولذلك فإن تدريسه في المدارس والجامعات يحظى بأهمية خاصة، بدأ بالعصر الجاهلي، ثم بعصور الإسلام .

تعرض الورقة إلى عدد من أساليب تدريس الأدب القديم ، كان من أهمها ، ربط الطالب بالمكتبة ، ذلك الأسلوب الذي يؤكد على المدرس نفسه، في أن يكون قدوة لتلاميذه ، فيضفي عليهم من شخصيته الأكاديمية ما يفيدهم ويعينهم على الاطلاع على الأدب ومراجعه .

وتنتهي الورقة بعدد من المقترحات الداعمة لأساليب التدريس أهمها ، الدراسات المقارنة بين تدريس الأدب القديم وغيره من الأنواع الأدبية، بهدف التقويم المستمر ، ليتبين الطالب الفروق بين هذا الأدب وتلك الأنواع .

**الورقة الحادية عشرة:** بعنوان: (في أساليب تدريس الشعر العربي الحديث والمعاصر )،إعداد:الدكتور ياسر أبي عليان ( تخصص لغة عربية)، من جامعة الخليل .

تبدأ الورقة ببيان أهمية هذا الشعر مع ربطه بالأدب القديم وبما لدى الأمم الأخرى، وتسليط الضوء في تدريس الأدب والشعر الحديث ، على دوره في تصوير الحياة العامة للشعوب .

وتقسم الورقة فنون الأدب الحديث فيما يلي: الأدب المعاصر، وبيان ما يتضمن من فنون ، والأدب المهجري ، ومفهومه وفنونه ، ثم الأدب الفلسطيني ، وما يصور من مأساة الشعب الفلسطيني ،

ثم الأدب المقارن ، وأهميته في بيان مواطن الشبه والاختلاف في أحوال الشعوب . وتنادي هذه الورقة بضرورة الاطلاع على الآداب الأوربية الحديثة .

وتتطرق الورقة من بعد إلى اتجاهات هذا الشعر، وهي: الاتجاه الوطني، والاتجاه القومي، والاتجاه الإسلامي، والاتجاه الإنساني ، فتبين تغطية هذا الشعر لهذه الاتجاهات كافة بثراء كامل .

ثم تتناول الورقة فنونًا من الشعر الحديث والمعاصر ، من حيث الشكل ، وما طرأ من تجديد في هذا المجال .

وتنتهي الورقة ببيان مشكلات تدريس هذا الفن، من عدم توافر الكتب المناسبة ، بالإضافة إلى كثرة الأخطاء اللغوية التي تضع مهمة صعبة على عاتق الأستاذ الجامعي، وقلة مصادر البحث المتاحة للطالب، وضيق صدر المحاضرين ، الذين إذا خالفهم الطالب في رأي ينحاز للقديم ضد الجديد تثور ثائرتهم .

ثم جرى نقاش حول الورقتين الأخيرتين أثراهما وبخاصة في مجال التعريف بالمصطلحات .

**الورقة الثانية عشرة:** بعنوان : ( طرق تدريس مادة النقد الأدبي القديم )، إعداد: الدكتور سمير شحادة ( متخصص في اللغة العربية )، من جامعة بيرزيت .

تعرض هذه الورقة مناهج تدريس النقد القديم، وهي: المنهج التاريخي، ويقوم على تحديد سمات العصور التاريخية ، والمقارنة بينها. ثم المنهج الفني، ويقوم على تحديد الأصول الفنية الموضوعية ، التي يجب أن تتوافر في النص الأدبي ليكون صالحًا للبقاء . والمنهج التطبيقي، ويقوم على رصد الملاحظات والنصوص النقدية التي تمثل مسيرة النقد الأدبي القديم ، من ملاحظات جاهلية، فإسلامية فأموية فعباسية، حتى تلك التي وردت في بطون الكتب النقدية المختلفة عبر العصور .

ويبدي الباحث تجربته الشخصية في تدريس النقد، فيعلن أنه حاول السير حسب منهج من هذه المناهج ، غير أنه لم يستطع ، مما اضطره إلى الأخذ بأسلوب توفيقي بينها جميعًا .

تنتهي الورقة بمقترحات أهمها: اتباع المناهج السابقة كافة، وإيجاد الكتاب

الملائم الذي يوفق بين هذه المناهج .

**الورقة الثالثة عشرة:** بعنوان: ( التعليم الجامعي الفعال في تدريس النقد العربي الحديث )، إعداد د . إبراهيم العلم (تخصص لغة عربية) من جامعة بيت لحم.

تبدأ الورقة بطرح ضرورة مشاركة الطلبة في العملية النقدية ، بعرض النص وتذوقه ثم عرضه على موازين الجمال والحكم عليه شكلاً ومضموناً .

وتحدد الورقة مناهج تدريس النقد الحديث في منهجين اثنين هما: المنهج التاريخي، والمنهج الفني، وتؤكد على الأخذ بهما معاً ، في أسلوب من النقاش العام بين الطلبة والأستاذ، أو الطلبة فيما بينهم بتوجيه من أستاذ المادة .

ودار نقاش حول الورقتين الخاصتين بالنقد معاً،ربط بين مادتهما وأبرز ضرورة عدم الانفصال بين الموضوعين ومناهج تدريسهما

**الورقة الرابعة عشرة:** بعنوان: ( تصميم خطة المساق )، إعداد: الدكتور فهيم جبر ( تخصص تربية - طرق تدريس ) ، من جامعة النجاح الوطنية .

تبرز الورقة أهمية وضع المدرس لخطة تدريس فاعلة لمادته ، حتى يعلن الباحث عن عدد من الوصايا للمدرس ، تدور في التخطيط المسبق لخطة التدريس وعرضها على الطلبة ومناقشتهم فيها ، وإعطائهم الحق في المشاركة وإبداء الرأي في هذه الخطة ، وإمكانية الأخذ بآرائهم ، كل ذلك مشفوعاً بتحديد مصادر المادة سلفاً.

وتعرض الورقة عناصر خطة المساق ، وهي : اسمه ورقمه ، ووصفه ، وأهدافه الرئيسة ، ومحتواه وتوزيع هذا المحتوى على وحدات،وأساليب تقويم هذا المساق.

وانتهت هذه الورقة بمقترحات ومناقشات، وانصبت حول صلاحية مضمونها لتدريس اللغة العربية في الجامعات .

إن هذه الندوة من أهم الندوات التي عقدت في فلسطين ، بين سابقاتها ولاحقاتها ، خاصة وأنها جاءت شاملة لكل فروع اللغة العربية وموضوعاتها ، وخير تقويم لها جاء على لسان أستاذنا المرحوم الدكتور إسحق الحسيني، الذي قال: " إن هذه الندوة هي أول ندوة تعقد

في بلادنا في هذا الموضوع منذ عهد الانتداب، فلم نجتمع هكذا لمرة واحدة ، لذلك لم يكن لها نظير فيما سبق . بصدق وصراحة، لقد دارت هذه الندوة في أطر أخلاقية أدبية عقلانية في موضوعها بطريقة انعدم نظيرها فيما سبق. أتاحت هذه الندوة أن نتبادل الرأي بصراحة في الموضوعات المختلفة في مواد اللغة العربية". ( الكتاب ، ص ٢٩٩).

ولعل أهم ما يميز هذه الندوة ، أنها أبرزت وبإلحاح حاجتنا نحن الفلسطينيين إلى إنشاء مجمع للغة العربية في القدس الشريف ، وهذا ما أكد عليه المشاركون، واقترحه بعضهم صراحة، ونادى بهذا أستاذنا المرحوم الدكتور اسحق موسى الحسيني مع تبريره حين قال في كلمته الختامية "... تنبع أهمية الاقتراح - اقتراح إنشاء المجمع - من أننا نكاد نكون في ضياع ، لذلك يجب التفكير في أهمية هذا المقترح " . ( الكتاب ، ص ٢٣٠).

لقد تفاعل الباحثون والرأي العام والصحافة مع هذه الندوة تفاعلاً منقطع النظير ، تأكيداً لأهميتها ، فقد كتب الكثير من الإعلاميين والباحثين المقالات والكلمات ، التي تشيد بما جاء في هذه الندوة وتدعو إلى تواصل الأعمال التي جرت فيها ، وفي غالبية ما نشر ، تمّت المطالبة بإنشاء مجمع للغة العربية في فلسطين يكون مقره في القدس، فمما قال الدكتور حسنن السلوادي ، مدير مركز الأبحاث الإسلامية في القدس ، في مقال له في جريدة القدس الصادرة في ١٩٨٧/٤/٥م : "... تبقى قضية واحدة أشار إليها بعض الأخوة المشاركين في الندوة ، وهو أن تنبثق عن الندوة هيئة شبيهة بمجمع اللغة العربية ، تجتمع دورياً لدراسة مشكلات اللغة وأساليب تدريسها، وواقعها في بلادنا ، وهو اقتراح وجيه، سبق بحثه، بل اعتمد بصدده توجيه في ندوة التعريب الجامعي ، التي عقدت بمبادرة من مجلس التعليم العالي في القدس".

وهكذا،فقد كانت هذه الندوة عظيمة الفائدة ، حيث وضعت النقاط على الحروف في تشخيص مشكلة العربية في المجتمع الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال،

وبخاصة في المستوى التعليمي في الجامعة أو في المدارس إذ أكد على حاجة هذا الشعب، إلى وجود مؤسسة رسمية ترعى شؤون العربية، ولم تكن الدعوة تبلورت بعد ، ولم تكن عُرضت بأسلوب صريح ؛ لكي تكوّن هذه المؤسسة التي عُرِفت فيما بعد باسم " مجمع اللغة العربية "، على كل حال كان لهذه الدعوة صدى سوف يترسخ بصراحة فيما بعد كما سنرى .

**ثالثاً: الندوة الثانية لحاضر اللغة العربية ، بعنوان** : ( الأدب العربي، موضوعاته وأساليب تدريسه). عقدت في رحاب جامعة بيت لحم في التاسع من تشرين الأول ( أكتوبر ) عام ١٩٨٧م ، وقد نشرت موضوعاتها في كتاب خاص من قبل مركز الأبحاث الإسلامية في القدس بالتعاون مع الجامعات الفلسطينية عام ١٤١٠ هـ /١٩٩٠م .

لقد جاء عقد هذه الندوة تواصلاً لسابقاتها، وتحقيقاً للتوصيات المطروحة في الندوة السابقة على وجه الخصوص ، إذ عملت اللجنة التحضيرية للندوة السابقة بكل مثابرة على عقد هذه الندوة في جامعة بيت لحم التي خصصت للأدب العربي القديم ، على أن تعقبها ندوة للأدب العربي الحديث ، تعقد في جامعة بيرزيت، ( لم تعقد لظروف قاهرة وبخاصة ظروف الانتفاضة الفلسطينية ).

لقد جاء في هذه الندوة ست ورقات ، سنعرضها ورقةً ورقةً على النحو التالي :

**الورقة الأولى:** بعنوان : ( الأدب الجاهلي - موضوعاته وأساليب تدريسه ، مشكلات وحلول )

إعداد : كمال الريماوي ، من كلية الآداب للبنات في جامعة القدس .

عرضت هذه الورقة جانباً من خصائص الأدب الجاهلي ومصطلحاته وميادينه وأغراضه ، واجتهادات من الباحث في تدريسه بإيجاز شديد .

**الورقة الثانية** : بعنوان : ( أساليب تدريس الأدب الجاهلي )، إعداد: ختام سليمان ، من جامعة بيرزيت .

ركزت هذه الورقة على أهمية تدريس الأدب الجاهلي ، كأول سجل تاريخي للأمة العربية، والأرضية الراسخة للأدب العربي في مختلف العصور، مع نماذج من

الشعر الجاهلي التي تبرز أهمية هذا العصر في الأدب العربي وفنونه .

وتنتهي الورقة،بعرض لأساليب الأدب الجاهلي،والتي تكون بالمراحل التالية : مرحلة قراءة النص، ثم مرحلة الشرح ، ثم مرحلة التذوق ، ثم مرحلة التقييم والحكم الناقد. وذيلت هذه الورقة بقائمة من المصادر والمراجع المهمة في تاريخ الأدب الجاهلي.

**الورقة الثالثة** :بعنوان : ( أهمية التاريخ في تدريس الأدب الأموي ) ، إعداد : د.خليل عودة،من جامعة النجاح الوطنية.

تبدأ الورقة بإبراز علاقة التاريخ بالأدب، والتأكيد على أنها وثيقة مهمة للغاية، باعتبار أن التاريخ هو مفتاح الدراسة الأدبية،والأدب مصدر من مصادر هذا التاريخ . وتبرز هذه الورقة أيضاً الفائدة والغايات من الاعتماد على التاريخ في درس الأدب الأموي، على اعتبار أن دراسة الحوادث التاريخية تشرح الكثير من الأدب ونصوصه،وبخاصة المناسبات، مع التحذير من الإغراق في دراسة الحوادث التاريخية على حساب الأدب والنصوص.

وذيلت هذه الورقة بعدد من مصادر الأدب الأموي ومراجعه .

**الورقة الرابعة**:بعنوان: ( الأدب العباسي: موضوعاته وأساليب تدريسه)، إعداد : د. ياسر الملاح ، من جامعة بيت لحم .

تناولت هذه الورقة حديثاً حول العصر العباسي ومراحله ، وكثرة الإنتاج الأدبي في هذا العصر، الذي طال أكثر من غيره من العصور ، بحيث لا يكفيه زمن البرامج التي جعلت لغيره في الخطة التدريسية ، الأمر الذي جعل الباحث يقترح تلافياً لهذا ، أن يدرس الأدب العباسي من خلال ثلاثة مقررات ، يمكن أن يكون منها ما هو إجباري ، وما هو اختيلري ، والمقررات هي :

١- الشعر العباسي .

٢- النثر العباسي .

٣-الأدب العباسي .

ثم يواصل الباحث في ورقته ، عرض تصوره لتدريس هذا الأدب من خلال تجربته في تدريسه كأستاذ في جامعة بيت لحم ، وهو عرض يمكن الأخذ به لتدريس هذه المادة .

**الورقة الخامسة** : بعنوان: ( الأدب الأندلسي: مادته، وحدوده، وأسباب دراسته ، وطريقة تدريسه ) ، إعداد : حسن فليفل ، من جامعة الخليل.

تبدأ هذه الورقة ، بحديث موجز عن مادة الأدب الأندلسي، ومناهج عرضه بين المتخصصين، فمنهم من ركز على ترتيب هذا الأدب زمنياً بحسب العصور السياسية، ومنهم من أرّخ لهذا الأدب دفعة واحدة، دون التفصيل الزمني، ومنهم من آثر درس جزئيات من الأدب الأندلسي، دراسة عميقة ، أو توجهوا إلى دراسة مصادره ، تمهيداً لتأريخه بشمولية بعيدة عن التعميم .

ثم تحدد هذه الورقة الأدب الأندلسي على أنه من نتاج الأجيال التي ولدت وعاشت في الأندلس ، وأسباب دراسة الأدب الأندلسي ، تكمن في كونه يُشكّل مرحلة من مراحل الأدب العربي، فقد عاش في بيئة لها خصوصيتها ، ومع ذلك لم يخرج عن دائرة الأدب العربي بعامة .

وتنتهي الورقة بتوصيات ومقترحات من أهمها: أن تخصيص الجامعات مقررًا واحدًا للأدب الأندلسي ، لا يكفي لهذا الأدب الذي عاش ثمانية قرون، فهو يحتاج إلى مقررين على الأقل ، أولهما يتناول النثر ، والثاني يتناول الشعر، ثم لا بد من الإقبال على تأريخ علمي موسع للأدب الأندلسي في ظل التطور العلمي الحديث .

ثم تنتهي الورقة بخطة مفصلة لتدريس الأدب الأندلسي ، وقائمة بمراجعه .

**الورقة السادسة** : بعنوان : (موضوعات أدب مصر والشام ) ، إعداد : الدكتور ناجي عبد الجبار ، من جامعة بيرزيت .

تعرض هذه الورقة المساحة الزمنية الواسعة التي يغطيها هذا الأدب، والتي تصل بين الأدب العباسي وأدب العصر الحديث، بما في ذلك أدب الفترة الصليبية، الذي لم يحظ بالاهتمام بعد، رغم أنه يغطي فترة ذات أهمية بالغة من تاريخ الأمة . ثم تبين الورقة وصفاً لمساق هذا الأدب، ثم خطة لتدريسه موزعة على ستة عشر أسبوعاً ، مدة الفصل الدراسي . وتنتهي الورقة بقائمة لمصادر المادة .

وهكذا ، تمخضت هذه الندوة عن عدد من التوصيات، ينصب في معظمه

على ضرورة وضع خطة شاملة موحدة لتدريس موضوعات الأدب العربي في الجامعات الفلسطينية، و ضرورة تواصل عقد اللقاءات والندوات بين الأساتذة والمتخصصين في هذه المجالات .

**الجهود الفردية:**

لقد تعرضنا لجهود جماعية في المجتمع الفلسطيني،من خلال الندوات والمؤتمرات، التي عقدت في مواضع مختلفة من مؤسسات التعليم العالي الفلسطيني ، وبينت نتائج هذه الندوات، في مجملها، أن إمكانية رعاية اللغة العربية ومجالاتها ممكنة، وإن كانت في وضع يمكن إن يُحكَم عليه بأنه جيد .

غير أن هذه الجهود الجماعية ، واكبتها جهود فردية لأساتذة الجامعات من باحثي اللغة وأساتذتها ، الذين تنبهوا إلى أوضاع اللغة في المجتمع الفلسطيني ، فكتبوا العديد من البحوث والدراسات ، وشاركوا بإلقاء المحاضرات،التي من خلالها يمكن أن نتبين مدى حرص أساتذة اللغة الفلسطينيين على صيانة لغتهم والارتقاء بها ، في ظل ظروف لا تسر .

وسنعرض في الآتي نماذج من بحوث هؤلاء الزملاء،نسوقها أدلة على ما نقول.

**أولاً:** كتاب: (لمحات في فقه اللغة العربية)، تأليف الدكتور يونس عمرو ، من جامعة الخليل، وهو من ( منشورات الوكالة الفلسطينية - القدس ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م ) .

جاء تأليف هذا الكتاب ، تلبية لحاجة طلبة قسم اللغة العربية في جامعة الخليل، لكي يقفوا على جانب من تاريخ اللغة واللغة العربية والساميات، ودراسات المعجم العربي المقارن، في تاريخ اللغة ، وقد سار في هذا الكتاب على النهج التالي:

بدأ بتعريف مفهوم اللغة،وبتعريف اللغة والكلام وألوان التعبير، ثم أفرد فصلاً للغة العربية واللغات السامية،وآخر للغة العربية نفسها، فكانت الدراسة تنصب على الأصول المقارنة لهذه اللغات ، وجوانب من حياة العربية بين لغة النقوش والفصحى، ثم صراع الفصحى والعاميات في العصر الحديث، وتناولت الدراسة مقومات اللغة العربية ودعاماتها من

الظواهر اللغوية التي حافظت على بقاء هذه اللغة حية في وضع متواصل، مما لم يتوافر للغة أخرى في العالم، فقد قدر لها الانتشار في سائر أرجاء الأرض، حياة أخذ وعطاء وبقاء، كما أفرد فصلاً للمعجم العربي المقارن ضمن دراسة نموذجية لهذه الدراسة، مع بحث تاريخي لعدد من الكلمات، الدخيلة أو المعرَّبة، من مختلف الأصول، السامية المشتركة، والفارسية، والتركية، واليونانية، واللاتينية، كما أفرد فصلاً آخر لدراسة مقارنة بين أصول اللغة العربية والساميّات، كالجذور، والإفراد والتثنية والجمع، والتركيب الإضافي، والتعريف، والضمائر، وعدد من العوامل، كان الهدف من ذلك بيان الأصول المشتركة لهذه الجوانب في اللغات السامية، وبيان كيفية حفاظ اللغة العربية على أصالتها بتميز جعلها تختلف عن سائر اللغات السامية.

**ثانياً:** (طرائق إثراء اللغة العربية وضوابط نقل الألفاظ الأجنبية إليها)، بقلم: الدكتور محمود أبو كتة، من جامعة بيت لحم. (مقالة علمية نشرت في مجلة جامعة بيت لحم. المجلد ٧، ١٩٨٧، ص ٦١-٨١).

تبرز هذه المقالة عدداً من المرتكزات التي تخدم مضمونها بحيث تسوق الضوابط التي وضعت قديماً لمعرفة الأصيل من الدخيل، ومشكلات التعريب بين الماضي والحاضر، وبيان كيفية التعريب التي كانت متبعة في العربية - مع تتبع أهم المصادر التي أشارت إلى هذه الكيفية، كما تركز هذه الورقة على مكانة الترجمة، كإحدى وسائل التعريب المهمة، فتبرز دورها في التعريب، والعقبات التي تعرقل هذا الدور، وسبل التغلب عليها، كما تتحدث الورقة عن وسائل أخرى لإثراء اللغة من داخلها، على اعتبار أن هذه الوسائل يمكن أن تحد من التعريب، كالاشتقاق بأنواعه، والنحت، والمجاز، والتوليد، والقياس.

ولدى إنعام النظر في هذه المقالة، يمكن القول بأنها تصلح دليلاً للمترجمين واللغويين، يمكن أن يسهل في تعاملهم مع ألفاظ أو رموز لا مقابل لها في اللغة العربية، و إننا، نحن الفلسطينيين بخاصة،

نخوض تجربة التعليم الجامعي حديثًا ، ونتعامل مع بيئة تغلبت فيها لغة المحتل، ووجدت فيها لغات أجنبية كثيرة لجاليات تعيش في الأرض المقدسة .

**رابعاً:** كتاب : ( دراسات في المعاجم العربية )، تأليف: الدكتور محمد جواد النوري، من جامعة النجاح الوطنية ، وزميله علي خليل حمد، وهذا الكتاب من ( منشورات مطبعة النصر التجارية - نابلس ، عام ١٩٩١م ) .

وهو يعالج مسألة المعجم العربي، والقصور الهائل الذي تعانيه لغتنا العربية اليوم في هذا المجال ، على اعتبار أن هذه الدراسة ، تضع اليد على الداء ، وتعلن الأمنية للتخلص منه ، وذلك في المقدمة حيث يقول المؤلفان :" ... وهذا الوضع ، الذي تعيشبه لغتنا الآن يقترب في بعض جوانبه إلى حد كبير، من ذلك الوضع الذي عاشته هذه اللغة قبل ميلاد المعاجم الضخمة على التربة العربية ، في القرنين الثاني والثالث الهجريين وما بعدهما .

وكما قام جيل الرواد الأوائل بصهر تلك الرسائل المعجمية المتعددة الفروع والمواصفات في بوتقات معجمية واسعة ، فإن باستطاعة الجهات اللغوية المتخصصة في الوقت الحاضر ، القيام بصياغة تلك المتفرقات المعجمية المتناثرة ، في هيئة موسوعات معجمية تضطلع بدورها الحضاري، فتقدم الإجابات الوافية على كل الأسئلة التي يحتاجها الإنسان العربي المعاصر ... ولا شك في أن التجربة المعجمية الرائدة ، التي قام بها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بالتعاون مع المستشرق الألماني ( فيشر ) ، والتي تمثلت في إصدار الجزء الأول من المعجم الكبير، تعد خطوة نوعية متميزة، يمكن بالمثابرة والعمل المتواصل ترسيخ مبادئها ، وتعميق جذورها ، وتحديث معطياتها على نحو مستمر ، لكل من أراد الأخذ بيد المعجم العربي المعاصر نحو آفاق التقدم والرقي ..." ( الكتاب ، ص ٦٢٥) .

أما عن مضمون هذا الكتاب ، فقد عالج بدءًا مشكلات اللغة العربية، ثم عرض لمحة تاريخية عن أوضاع اللغة قبل وضع المعاجم ، ثم تحدَّث عن المعجم اصطلاحاً ومفهوماً، فأنواع المعاجم ، ومدارسها ومناهجها عند العرب ،

فعرضت الدراسة تسعة عشر معجمًا من مختلف العصور والمدارس والأنواع ، بأسلوب شامل ودقيق، فتحدثت عن مؤلف المعجم وعصره ، والوضع السابق ، والنهج الذي سار عليه المؤلف في معجمه.

إن هذا الكتاب يعتبر – بحق – مرجعاً توثيقيًا للمعاجم العربية ، يعرّف بكل واحد منها تعريفاً يكاد يغني المطلع عليه عن الرجوع إلى المعجم الأصلي بهدف التعرف عليه أو على مؤلفه أو منهجه ، بل إنه يفيد في التعرّف على الأحوال السابقة للمعجم التي لم يتحدّث عنها صاحب هذا المعجم .

إن هذه الدراسات النموذجية التي ذكرناها ، إنما تعتبر جزءًا من عدد كبير من الدراسات اللغوية والأدبية ، التي وضعها المتخصصون الفلسطينيون في زمن قصير، وفي ظل ظروف قاسية للغاية ، من غير مسعف أو معين، كلهم فيما كتبوا أشاروا تلميحاً أو تصريحاً ، إلى حاجتنا نحن الفلسطينيين، إلى مؤسسة فلسطينية ترعى شؤون العربية وآدابها وفنونها ، فكانت الدعوة إلى إنشاء مجمع اللغة العربية الفلسطيني في بيت المقدس ، والذي سنتحدث عن ظروف نشأته بشيء من التفصيل على النحو التالي .

**مجمع اللغة العربية الفلسطيني في بيت المقدس:**

عطفًا على ماسبق ، نعرض لنشأة المجمع ، التي كانت نتيجة واستجابة للتوصيات الصادرة عن الندوات المنعقدة، والدعوات الصادرة في الإعلام الفلسطيني، وأوساط المثقفين وأساتذة اللغة الفلسطينيين ، مع الأخذ بكثير مما ذَكره الكتاب التوثيقي ، الذي قام بجمعه الزميل الدكتور حسن السلوادي، عضو المجمع الفلسطيني بعنوان : ( المجمع اللغوي الفلسطيني في بيت المقدس )، ونشره مركز الأبحاث الإسلامية في القدس عام ١٩٩١م ، ذلك المركز، الذي يعتبر بحق المؤسسة الأكثر إلحاحًا في الاهتمام بالدعوة لإنشاء المجمع ومتابعته ، سواء باحتضان الهيئة التأسيسية القائمة على إنشائه، أو بتحمل جلّ الأعمال السابقة على التأسيس، على المستويين المحلي

والخارجي، فلا بدّ من ذكر الجميل لهـذا المركز ورئيسه المرحوم الأستاذ الدكتـور إسحق موسى الحسيني، ومديره الدكتـور حسن السلوادي ، الذي يقول في مقدمـة هذا الكتاب : " إن إنشاء مجمع للغـة في بيت المقدس لن يكون على أية حـال ، إضافة رقمية للمجامع العربية الأخـرى ، أو مناقضاً لها في أهدافها ومنطلقاها ، وإنما سيكون له وجود متميز و ستكون لـه مجالات فريدة، ترفد المجامع العربية وتثريها بألوان من المعرفة والنشاطات اللغويـة ، تختلف إلى حد ما عما تقوم بـه تلـك المجامع الأخرى، وذلك بحكم الظـروف السياسية والاجتماعية والثقافية الاستثنائية التي يمر بها مجتمعنا في الوقت الحـاضر ، وبحكم الوضع الخاص الذي يميز القـدس الشريف عن غيرها من المدن ، لكوهـا مكاناً فريداً في ذاته ، لدراسة اللغة العربية دراسة مقارنة باللغات السامية ، كلغـات الأحباش والسريان والكلدان والعـبريين ، وهو أمر لا يتيسر في البلدان الأخـرى ، وهذا فضـلاً عن أن فيها ثروة لا تقـدر من المخطوطات والوثـائق والسـجلات المحفوظة في المكتبات الخاصة والعامة الـتي تحتاج من يتعهدها بالرعايـة والصيانـة والتحقيق والنشر " .

إن هذه الكلمة على إيجازها، تشـكل مفاداً لمجمل التوصيات والمناقشات والآراء التي أجمع عليها الذين نادوا بإنشاء المجمـع في كل المحافل ، بدءًا بندوة عام ١٩٨٥ م في مجلس التعليم العالي ، والـتي سـبق ذكرها وانتهاءً باستطلاعات الرأي الـتي قام بها مركـز الأبحـاث الإسـلامية ، والمقالات الصحفية التي نشرت في هـذه الفترة نفسها، ونقتطف ما يفيد مـن آراء أصحاها.

فمما كتب الأستاذ محمد شاكر أحمد في جريدة القدس ( الكتاب التوثيقي ، ص ٨٣) ، تحت عنوان: ( المجمـع اللغـوي المقترح ، نريده تجسيداً للكفاءة ): " قضية إقامة مجمع متخصص في الشؤون اللغويـة ... إنها تنبع من الاحتياجات والظـروف الاستثنائية التي نعايشها ، والتي تقتضـي وجود جهاز من اللغويين الأكفاء يسـهر على السلامة اللغوية إن جاز هذا التعبير ، ويتصدى للأخطار التي تهدد بإضعـاف

اتصال الأجيال على اختلافها مع اللغة القومية ".

إن العبارة الأخيرة من هذا القول لصحفي فلسطيني يعيش تحت الاحتلال، تحمل في طياتها المعنى الأكبر ، الذي دفع إلى إنشاء مجمع لغوي فلسطيني ، ذلك المعنى الذي يجسد المخاطر التي تتعرض لها العربية على ألسنة الناطقين بها من النشء الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي .

وهذا الأستاذ على الخليلي الكلتب في جريدة الفجر المقدسية - في حينه - وعضو الهيئة التأسيسية للمجمع ، كتب تحت عنوان: ( صرخة ) : " والآن ، بمجمع اللغة العربية في القدس ، لا سؤال ، وهو الفرح الكبير ، والمسؤولية الفذة لوعاء فكرنا ، وابرز قواعد حضارتنا، وأسس قوميتنا ، وحماية شخصيتنا الوطنية المستقلة ". ( الكتاب التوثيقي، ص ٦٢ )

إن وجهة نظر هذا الكاتب الذي اعتبر إنشاء المجمع اللغوي ، حماية للشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ، إنما تؤكد على أن هذه الشخصية تتعرض للخطر تحت الاحتلال الذي طال أمده ، والخوف بات ملحًا من ذوبان هذه الشخصية بالخلل اللغوي الذي بدأ يتطرق إلي الألسنة ، وما لهذا الخلل اللغويّ من أبعاد هدامة تؤثر على هذه الشخصية سلباً من كل الوجوه .

كما أجريت التحقيقات الصحافية حول الموضوع ، ومنها تحقيق أجراه الأستاذ إبراهيم عفانة ، في جريدة القدس المقدسية الصادرة يوم ١٩٨٧/٩/٢م تحت عنوان : ( أضواء على المجمع اللغوي الفلسطيني المزمع إنشاؤه في بيت المقدس): جرى التحقيق بإلقاء عدد من الأسئلة على نخبة من أساتذة اللغة العربية والمتخصصين في آدابها ، وهم أنفسهم من المطالبين بإنشاء المجمع ومنهم من هو عضو في الهيئة التأسيسية ، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور إسحق موسى الحسيني ، وكلهم أجمع من خلال هذا التحقيق ، على أن المجمع في حد ذاته ضرورة قومية ووطنية ، قبل أن يكون ضرورة علمية ، تخدم اللغة العربية وتحافظ عليها في المجتمع الفلسطيني وفي أروقة الجامعات. ( الكتاب التوثيقي ، ص ٦٤ : ٨٦ ).

ولعل من المقالات التي نشرت تقيم الدعوة إلى إنشاء المجمع اللغوي الفلسطيني، مقالاً لي بعنوان : ( مجمع اللغة العربية ... ضرورة أم كمالية ) ، (جريدة القدس ، ١/٧/١٩٨٧م ، والكتاب التوثيقي ، ص ، ٥٦-٥٩).

شخصتُ في هذه المقالة مشكلتنا نحن الفلسطينيين في تلك الفترة التي شُكّلت فيها الهيئة التأسيسية لإنشاء المجمع ، وانتُخبتُ عضواً فيها ، وراح الناس يتساءلون عن ماهية المجمع وأهدافه ، مما دفع بي إلى كتابة هذا المقال الذي جاء فيه: " إن هذا الواقع جد مؤلم ، ومن يُرِد الوقوف على ما أسمع وأشهد ، فلينظر إلى نفسه فإنه يستطيع أن يجده في نفسه ، قبل أن يرقب صاحبه، في الشارع، وفي وسائل النقل، وفي المقهي والنادي، بل في المسجد وفي قاعات المحاضرات، وفي رحاب الجامعة، ومثل ذلك يجده على صفحات الصحف ، وفي سطور الكتب .

إن هذا الواقع المرير ، الذي تحياه لغتنا العربية على ألسنتنا اليوم، أدّى إلى ضرورة الدعوة إلى إنشاء مجمع للغة العربية ، الذي تكررت الدعوة إلى إنشائه غير مرة ...".

وهكذا ، فقد بادر مركز الأبحاث الإسلامية ، إلى إعداد استبانة وزعت (١٥٠) منها على المتخصصين والمثقفين والمهتمين باللغة العربية ، فأُرجع منها (١٣٠ ) ، أجاب أصحابها بنسبة تزيد على (٩٦% )، بأن المجمع يجب أن يقوم، وغالبيتهم يطالبون بأن يكون مقره في القدس .وبعد تحديد نتائج الاستبانة ، وإعلانها في الصحف، قام مركز الأبحاث الإسلامية، بالكتابة إلى المؤسسات المعنية وعلى رأسها بمجلس التعليم العالي والجامعات والمعاهد الفلسطينية ، واتحاد الكتاب الفلسطينيين وغيرها ، لتشكيل اللجنة التحضيرية لإنشاء المجمع ، وذلك في شهر أيلول من عام ١٩٨٧ م، فتشكلت اللجنة التحضيرية من السادة التالية أسماؤهم، ومنهم فيما بعد، أعضاء في الهيئة التأسيسية للمجمع :

١-د. إسحق موسى الحسيني -جامعة القدس- رئيسًا .

٢-د. إبراهيم الخواجا - جامعة النجاح الوطنية - عضواً .

٣-د. حسن عبد الرحمن السلوادي - جامعة القدس - عضواً .

٤-د. عبد اللطيف البرغوثي - جامعة بيرزيت . عضوًا .

٥-أ.علي الخليلي - جريدة الفجر المقدسية - عضواً

٦-الشاعرة فدوى طوقان - اتحاد الكتاب - عضواً .

٧-د.محمد صيام - الجامعة الإسلامية في غزة - عضواً .

٨- د.محمود أبو كتة - جامعة بيت لحم - عضواً .

٩-د. ناجي عبد الجبار - جامعة بيرزيت - عضواً.

١٠-د.ياسر الملاح - جامعة بيت لحم - عضواً .

١١-د.يونس عمرو - جامعة الخليل . عضواً .

وقد باشرت هذه اللجنة أعمالها ، فكان من أولى المهمات التي قامت بها ، إعداد مشروع النظام الداخلي للمجمع وأهدافه وغاياته،متخذة من مركز الأبحاث الإسلامية مقرًّا مؤقتًا لها .

لقد واجهت المجمع منذ الوهلة الأولى عدة عقبات، من أهمها المقر الدائم ، والتمويل، وقد اقترحت عدة اقتراحات للتغلب على هذه المشكلة،مشكلة التمويل بالذات، كانت في صلبها تدعو إلى إسهامات الأعضاء وجمع التبرعات .

شُكّلت في هذه المرحلة المبتدئة من العمل لجنتان :

**أولاً** - لجنة الدستور : من الأعضاء :

١-د.حسن عبدالرحمن السلوادي .

٢-د. عبد اللطيف البرغوثي .

٣-الأستاذ علي الخليلي .

٤-د.ياسر الملاح .

جدير بالذكر،أن د.ياسر الملاح وحده قام بإعداد مشروع الدستور .( الكتاب التوثيقي ، ص ٤٦).

**ثانياً**: لجنة التمويل : لم تشكل من أعضاء محدودين، بل كان التوجه، بأن يشكل وفدٌ يسافر إلى الخارج لجمع التبرعات .

غير أن هذه الجهود ، لقيت بعض العقبات من الداخل والخارج وعلى رأسها، اندلاع الانتفاضة المباركة في أواخر عام ١٩٨٧م، مما أوقف معظم النشاطات، وأصبح

الوصول إلى مدينة القدس صعباً بفعل الإغلاقات المتكررة، لتنتهي هذه المرحلة من العمل ، بعد أن أرست القواعد الأولي لإنشاء المجمع .

لقد بقيت الجهود مجمدة ، حتى عام ١٩٩٤م ، فتجددت الدعوة للمعنيين بإنشاء المجمع،من الهيئة التحضيرية السابقة، وانضم إليهم عدد آخر من المهتمين ، ليشكلوا الهيئة التأسيسية للمجمع ، وقد أعلنت أسماؤهم في صحيفة القدس الصادرة بتاريخ ١٢/٤/١٩٩٤م، وهم :

١-الدكتور أحمد حسن حامد - أستاذ النحو بجامعة النجاح الوطنية

٢-الدكتور أحمد موسى حرب - رئيس قسم اللغة الإنجليزية بجامعة بيرزيت .

٣- الدكتور حسن عبد الرحمن السلوادي - أستاذ الأدب العربي بجامعة القدس ، ومدير مركز الأبحاث الإسلامية بالقدس .

٤- الدكتور قسطندي مناويل الشوملي - أستاذ الأدب المقارن المشارك بجامعة بيت لحم .

٥-الدكتور عادل أبو عمشة - أستاذ الأدب الحديث المشارك بجامعة النجاح الوطنية رئيس قسم اللغة العربية .

٦- الدكتور عبد اللطيف محمود البرغوثي - أستاذ الأدب العربي بجامعة بيرزيت .

٧-الدكتور عيسي محمد أبوشمسية - أستاذ الأدب العربي المشارك بجامعة بيرزيت .

٨-الدكتور غانم دياب مزعل - أستاذ اللغة العبرية المساعد بجامعة النجاح .

٩-الدكتور محمود أبوكتة - أستاذ النحو العربي بجامعة بيت لحم .

١٠-الدكتور محمود خليل العطشان - أستاذ الأدب العربي بجامعة بيرزيت

١١-الدكتور نبيل خالد أبو علي - عميد البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة .

١٢- الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر - أستاذ العلوم اللغوية بجامعة النجاح الوطنية ( مقرر الهيئة التأسيسية ).

١٣-الدكتور يونس مرشد عمرو- أستاذ اللغات السامية بجامعة الخليل، مدير فرع جامعة القدس المفتوحة .

أضيف إليهم فيما بعد د.أحمد صدقي الدجاني .

بدأت هذه اللجنة اجتماعاتها في مقر اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، وعكفت على تنظيم العمل، فكان أول عمل لها هو إعداد النظام؛ فشكلت لجنة لهذا الغرض من كل من :

١-الدكتور حسن السلوادي.

٢-الدكتور عيسى أبوشمسية .

٣-الدكتور يحيى جبر .

قامت هذه اللجنة ، بالاطلاع على أنظمة المجامع العربية للاستئناس بها ، ثم وضعت النظام ، وعرض على الهيئة التأسيسية، التي ناقشته وأقرته في صورته النهائية ، في الجلسة التي عقدت في مقر اتحاد الكتاب الفلسطينيين في ضواحي القدس ، بتاريخ ٢٤/٦/١٩٩٤م.

وللتوثيق نذكر هنا هذا النظام .

**قانون مجمع اللغة العربية الفلسطيني في بيت المقدس**

المادة١- يسمى هذا القانون (قانون مجمع اللغة العربية الفلسطيني - بيت المقدس) ويعمل به من تاريخ إقراره.

المادة ٢-يكون للكلمات والعبارات التالية حيثما وردت في هذا القانون المعاني المخصصة لها أدناه ما لم تدل القرينة على خلاف ذلك .

المجمع: مجمع اللغة العربية الفلسطيني- بيت المقدس .

المكتب التنفيذي: المكتب الذي يتولى إدارة المجمع .

الرئيس: رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني .

نائب الرئيس: نائب رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني.

أمين السر : أمين سر مجمع اللغة العربية الفلسطيني.

المؤتمر السنوي : المؤتمر الدوري الذي يعقده مجلس المجمع مرة كل عام .

الأكثرية : أكثر من نصف عدد أعضاء مجلس المجمع . .

المادة ٣- أ:يؤسس في دولة فلسطين مجمع يسمى مجمع اللغة العربية الفلسطيني - بيت المقدس. يتمتع بشخصية معنوية ذات استقلال مالي وإداري ضمن أحكام هذا القانون. وله أن يقوم بهذه الصفة بجميع التصرفات

والإجراءات القانونية وأن ينيب عنه فيها أي وكيل يراه .

ب-يكون مركز المجمع مدينة بيت المقدس.

المادة ٤- أهداف المجمع .

١-الحفاظ على سلامة اللغة العربية

٢-حماية اللغة العربية من العواقب التي ترشحها الظروف الراهنة والمتوقعة ، الناجمة عن مزاحمة بعض اللغات الأجنبية .

٣- النهوض بمتطلبات الوقاية والعلاج السريعة، وفي مقدمة ذلك تعريب الاصطلاحات المستخدمة في المجالات النظرية والعلمية وتوحيدها.

٤-ترجمة الأعمال العلمية والأدبية.

٥- إجراء دراسات مقارنة بين العربية وغيرها من اللغات .

٦-البحث والتأليف في آداب العربية ، وتاريخ العرب والمسلمين ، والحضارة العربية الإسلامية .

٧- إصدار مجلة فصلية محكمة ترصد فيها نتائج الدراسات والأبحاث التي يقوم بها المجمع والمختصون .

٨- عقد المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية التي تتناغم مع الأهداف السابقة .

٩-ربط الواقع اللغوي في فلسطين بما يناظره في الأقطار العربية تأكيدًا للوحدة اللغوية ، وذلك بالتعاون مع المجامع العربية الأخرى.

١٠- نشر الدراسات اللغوية ، والعناية بالمخطوطات والوثائق العربية الإسلامية .

١١-دراسة اللهجات العربية الفلسطينية وتحقيقها ونشرها، تمهيدًا لوضع الأطلس اللغوي .

١٣- المحافظة على سلامة اللغة العربية مما يلحقه بها استخدام الدارجة ، وأسلوب الصحافة ولغة الدرس الشائعة، وأخطاء الترجمة ونحو ذلك .

المادة ٥- اللجان :

يؤلف المجمع ما يراه من اللجان التي من شأنها الإسهام في إنجاز أهدافه على النحو التالي :

أ-لجنة الأصول .

ب-لجنة المعاجم والاصطلاحات .
ج- لجنة التراث .
د-لجنة الترجمة والتعريب .
هـ-لجنة المجلة والمطبوعات .
و- لجنة المكتبة .
ز- لجنة التخطيط والدراسات .
ح- لجنة الأطلس اللغوي .
ط- اللجنة الثقافية ، ومهمتها توثيق الصلات مع كل المؤسسات والوزارات ، وإقامة الندوات الثقافية والمسابقات والمعارض والنشاطات الموجهة للجمهور.

عضوية المجمع :

المادة ٦- أعضاء المجمع :

يتألف المجمع من :

أ : أعضاء عاملين يتراوح عددهم ما بين ثلاثين إلى أربعين عضواً من الداخل والخارج ، ويؤلفون مجلس المجمع .

ب: أعضاء مؤازرين .

ج: أعضاء مراسلين .

د: أعضاء شرف .

المادة ٧-أ:يشترط في العضو العامل :

١- أن يكون عربيًّا فلسطينيًّا .
٢-يمكن في حالات خاصة اشتراك أعضاء عاملين من غير الفلسطينيين بما لا يزيد عن خمسة أعضاء .
٣-أن يكون واسع الاطلاع على اللغة العربية، وأن تكون له كتب وأبحاث أصيلة منشورة في أحد فروع العلم والمعرفة ، أو ترجمات قيمة .
٤-أن يكون متمتعاً بالسمعة الحسنة،والخلق الطيب، واحترام المجتمع .
٥-أن يكون قادراً على المشاركة في أعمال المجمع .

ب: يشترط في العضوين المؤازر والمراسل كل ما ورد في (أ)من هذه المادة عدا رقم (١) .

ج: تمنح عضوية الشرف بقرار من مجلس المجمع :

١.لمن يقدم خدمات جليلة للدراسات العربية والإسلامية مادية كانت أم علمية .
٢.للعضو العامل عند بلوغه

السبعين من عمره إذا توقف عن العطاء.

المادة ٨- يختار المجمع بمشاركة ثلثي أعضائه - على الأقل - رئيسًا له لمدة أربعة أعوام من بين من يرشحون أنفسهم ، أو يرشحهم غيرهم بالانتخاب المباشر أو الاقتراع السري، بشرط أن يحصل الرئيس على أكبر عدد من الأصوات ، فإذا استوى اثنان أعيد التصويت بينهما،فإن تكرر التعادل أجريت القرعة بينهما ما لم يتنازل أحدهما للآخر .

المادة ٩-أ: يتم تعيين العضو العامل بموافقة أكثرية الأعضاء في مجلس المجمع، بناءً على تزكية خطية من عضوين عاملين على الأقل،تتضمن صفاته الخلقية ومؤهلاته العلمية .

ب: يتم تعيين العضو المؤازر والمراسل بموافقة أكثرية الأعضاء في مجلس المجمع ، وبناءً على تزكية خطية من عضو عامل واحد على الأقل ، تتضمن مؤهلاهما العلمية وصفاهما الخلقية .

ج:يتم تعيين عضو الشرف بقرار من مجلس المجمع بناءً على تنسيب من المكتب التنفيذي المؤلف بمقتضى المادة (١٢) من هذا القانون .

المادة ١٠-أ: على العضو العامل أن يشارك في أعمال مجلس المجمع ، بما في ذلك حضور جلساته وأعمال اللجان التي يشترك في عضويتها .

ب- للعضو المؤازر والمراسل أن يحضر اجتماعات مجلس المجمع ، وأن يشترك في مداولاته وأبحاثه ، دون أن يكون لهما حق التصويت على قراراته .

المادة ١١- يفقد العضو العامل عضويته في أي من الحالات التالية بقرار من مجلس المجمع :

أ: إذا فقد أحد شروط العضوية

ب: إذا أصبح في حالة صحية لا تسمح له بالمشاركة في أعمال المجمع .

ج: إذا قبلت استقالته .

د: إذا تخلف عن حضور خمس اجتماعات متتالية لمجلس المجمع دون عذر مشروع ، وفي هذه الأحوال يتولى مجلس المجمع اختيار عضو بدلاً منه .

إدارة المجمع :

المادة ١٢- أ:يتولى إدارة المجمع والإشراف على أعماله مكتب تنفيذي يتألف من خمسة أعضاء عاملين ينتخبهم مجلس المجمع لمدة أربع سنوات ، وينتخب المكتب من بين أعضائه رئيسًا للمجمع ونائبًا للرئيس وأمينًا للصندوق .

ب: يعين المكتب التنفيذي أمينًا لسر المجمع من بين أعضاء مجلس المجمع، ويكون مسؤولاً أمام الرئيس عن الأعمال التي يسندها إليه .

المادة ١٣- تناط بالمكتب التنفيذي المهام والصلاحيات التالية :

أ- إدارة شؤون المجمع الإدارية والمالية والعلمية ، والإشراف على أوجه نشاطه .

ب- إعداد مشروع الموازنة السنوية للمجمع وإحالته على الجهة المعنية لإقراره.

ج-إعداد التقرير السنوي عن أعمال المجمع وأوجه نشاطه ورفعه إلى الجهة المعنية .

د-وضع مشاريع الأنظمة التنفيذية وإصدار التعليمات الضرورية لتطبيق أحكام هذا القانون وأي نظام صادر بمقتضاه .

هـ-الإعداد لانتخابات المجمع والإشراف عليها .

و- تشكيل اللجان المتخصصة لمختلف الموضوعات .

ز-إعداد جدول الأعمال لجلسات مجلس المجمع ومؤتمره السنوي .

ح- تعيين أمين السر .

المادة ١٤-يتولى الرئيس المهام والصلاحيات التالية .

أ:يترأس المكتب التنفيذي ويتابع قراراته ، وبصادق على مصروفاته.

ب: ممارسة الصلاحيات المخولة

إليه بمقتضى هذا القانون والأنظمة الصادرة بموجبه .

ج- تمثيل المجمع أمام المحامع والهيئات الأخرى.

المادة ١٥- يجتمع المكتب التنفيذي بدعوة من الرئيس مرة كل شهر،أو كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، ويكون اجتماع المكتب التنفيذي قانونيًّا إذا حضره ثلاثة من أعضائه، من بينهم الرئيس أو نائبه ، ويصدر قراراته بالإجماع أو بالأكثرية .

وإذا تساوت الأصوات رجح الجانب الذي فيه الرئيس .

المادة ١٦-أ:يعقد مجلس المجمع اجتماعًا عاديًّا كل ستة أشهر ، ويحضره من يشاء من الأعضاء المؤازرين، وأعضاء الشرف، ومن الضيوف الذين يرى المكتب التنفيذي دعوهم. ويتم النصاب القانوني بحضور أكثرية الأعضاء العلملين ، وتتخذ القرارات بالإجماع أو بالأكثرية. وعند تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي فيه الرئيس .

ب: تكون جلسات مجلس المجمع مغلقة ، ويحضرها الأعضاء العاملون فقط، إذا كانت الجلسة مخصصة لانتخاب عضو جديد عامل أو مؤازر أو مراسل ويكون النصاب القانوني لها بحضور ما لا يقل عن ثلثي الأعضاء. وتتخذ القرارات فيها بالإجماع أو بالأكثرية .

المادة١٧- يعقد المجمع مؤتمراً سنوياً ، ويحضره الأعضاء العاملون والمؤازرون والمراسلون وأعضاء الشرف والضيوف الذين يرى المكتب التنفيذي دعوهم لبحث الشؤون المتعلقة بالمجمع، وبأوجه نشاطه ، وفقًا لجدول الأعمال الذي يوضع لهذا الغرض .

الشؤون المالية :

المادة ١٨-أ:تبدأ السنة المالية للمجمع في اليوم الأول من شهر كانون الثاني من السنة، وتنتهي في الواحد والثلاثين من كانون أول من السنة نفسها .

ب: تتألف واردات المجمع من :

١-الهبات والإعانات التي ترد للمجمع ويقرر المكتب التنفيذي قبولها بما لا يتعارض وأهداف المجمع .

٢-المبالغ التي تخصصها الجهة المعنية للمجمع

٣- ريع استثمار أموال المجمع

٤- تقوم الجهة المعنية بتكليف من تراه مناسباً لمراقبة حسابات المجمع، وفقًا للقوانين والأنظمة المعمول بها، وبالطريقة التي يراها مناسبة .

المادة١٩- أ:تحدد مكافآت الأعضاء العاملين مقابل حضور جلسات مجلس المجمع بقرار المكتب التنفيذي للمجمع وموافقة الجهة المعنية .

ب: تحدد المكافآت والجوائز والأثمان والأجور وجميع الحقوق المالية الأخرى التي يترتب على المجمع دفعها في سبيل تحقيق غاياته والقيام بمهامه ، وشروط دفعها ، ومقدارها بتعليمات يصدرها المكتب التنفيذي للمجمع .

المادة٢٠-يحيل المجمع ما يراه ضرورياً من قراراته وتوصياته إلى الجهات المعنية بغية تنفيذها وإذاعتها .

المادة٢١- يحق لمجلس المجمع تغيير أي مادة في هذا القانون في المؤتمر السنوي وبموافقة ثلثي أعضاء المجلس .

إجراءات تنظيمية مؤقتة :

المادة ٢٢- أ:- تتولى الهيئة التأسيسية للمجمع أعمال مجلس المجمع والمكتب التنفيذي له لمدة سنة من تاريخ الإعلان الرسمي عن تأسيس المجمع .

ب: تقوم الهيئة التأسيسية ، خلال المادة المنصوص عليها في الفقرة (أ) من هذه المادة ، بانتخاب مكتب تنفيذي مؤقت من خمسة أشخاص من أعضائها لإدارة شؤون المجمع بصورة مؤقتة .

ج: يتولى المكتب التنفيذي المؤقت اختيار الأعضاء العاملين في المجمع، وفقاً لأحكام هذا القانون .

د: عند انتهاء مدة الهيئة التأسيسية

يقوم مجلس المجمع بانتخاب المكتب التنفيذي المنصوص عليه في هذا القانون ، (المادة ١٢-أ).

ومن بعد، فقد تم انتخاب المكتب التنفيذي الأول برئاسة الأستاذ الدكتور يحيي جبر ، وفي عام ١٩٩٦م، تم انتخاب المكتب التنفيذي من السادة الأساتذة التالية أسماؤهم .

١ - الدكتور يونس عمرو - رئيساً .

٢-الدكتور محمد جواد النوري - نائباً للرئيس

٣-الدكتور أحمد حامد - أميناً للصندوق

٤-الدكتور محمود أبوكتة - أمينًا للسر .

٥-الدكتور حسن السلوادي - منسقًا للعلاقات العامة .

وما زالت هذه الإدارة في العمل، إذ أنجزت عدة أعمال ، من أهمها ، تأسيس المقر المؤقت للمجمع في رام الله قرب القدس، والمشاركة في أعمال مجامع اللغة العربية المختلفة، من مجمع تونس إلى مجمع دمشق، فمجمع القاهرة، في ندوة التعريب الجارية الآن، فضلاً عن مراجعة عدد من قواميس المصطلحات المختلفة ،ونسعى الآن إلى الاشتراك في اتحاد المجامع اللغوية العربية بإذن الله .

**يونس عمرو**

رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني

## المراجع


-أبو كتة ، محمود أحمد (دكتور ): طرائق إثراء اللغة العربية وضوابط نقل الألفاظ الأجنبية إليها ، مجلة جامعة بيت لحم ، م ٧،٨،١٩٨٨، ١٩٨٩م .

-الخفاجي ، شهاب الدين أحمد : شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، القاهرة ، ١٣٢٥هـ.

-خليل ، حلمي (دكتور) : المولد ، (قسمان ) ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الإسكندرية ، ١٩٧٩م .

-السلوادي، حسن عبدالرحمن( دكتور ): المجمع اللغوي الفلسطيني في بيت المقدس، منشور مركز الأبحاث الإسلامية في القدس ، ١٩٩١م .

-السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ( تحقيق أحمد جاد المولى ورفاقه ) ، القاهرة .

-طحان ، ريمون : الألسنية العربية (١). ، دار الكتاب اللبناني - بيروت ، ١٩٧٢م.

-ظاظا ، حسن (دكتور) : كلام العرب، مطبعة المصري ، الإسكندرية ١٩٧١م.

-عمرو ، يونس ( دكتور) : لمحات في فقه اللغة العربية ، الوكالة الفلسطينية ، القدس ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦م .

-الملاح ، ياسر (دكتور): تجارب في التعريب (حاضر اللغة العربية وأساليب تدريسها في الجامعات الفلسطينية) ، مجلس التعليم العالي - القدس ١٩٨٧م.

- نصار ، حسين (دكتور ) : نحو معجم جديد ، سلسلة الألسنية أحدث العلوم الإنسانية - مجلة الفكر العربي ، طرابلس - ليبيا ١٩٧٩م.

-النوري، محمد جواد (دكتور) ، وزميله: دراسات في المعجم العربي ، مطبعة النصر التجارية، نابلس ، ١٩٩١م.

-جريدة القدس ، ١٩٨٧/٩/٢م، (أضواء على المجمع اللغوي الفلسطيني المزمع إنشاؤه في بيت المقدس ) ، بقلم إبراهيم عفانة .

- جريدة القدس، ١٩٨٧/٧/١م، ( مجمع اللغة العربية ... ضرورة أم كمالية ) ، بقلم د.يونس عمرو .

-مجلس التعليم العالي:فلسفة التعليم الجامعي والدعوة إلى تعريبه ، القدس ١٩٨٥م.

-مركز الأبحاث الإسلامية : الأدب العربي القديم، موضوعاته وأساليب تدريسه (ندوة عقدت في رحاب جامعة بيت لحم، ١٩٨٧م) ، نشر المركز بالتعاون مع الجامعات الفلسطينية ، القدس ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

-مركز الأبحاث الإسلامية في القدس : حاضر اللغة العربية وأساليب تدريسها في الجامعات الإسلامية ، منشورات مجلس التعليم العالي - القدس ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

# النحو العربي والبنوية : اختلافهما النظري والمنهجي*

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

إن الذي نقصده بالبنوية هو المذهب اللغوي العلمي الذي ظهر في أوربا وأمريكا في بداية القرن العشرين الميلادي وتطور وبلغ أشده في نهاية الأربعينيات. وهو يدعو إلى دراسة اللغة كنظام وكبنية لها وجود سابق لوجود أجزائها ومكوناتها[1] .

وقد عرف جمهور المثقفين العرب في زماننا هذا البنوية الغربية منذ عهد قريب وسبقهم بعض من أوفد إلى أوربا للدراسات العليا في اللغة فاتفق أن كانت البنوية هي السائدة في الجامعات الأوربية أنذاك وذلك على شكل مدارس يتزعم كل مدرسة في كل بلد أستاذ كبير اشتهر ببعض الأفكار في مذهبه البنوى. وقد جاءت هذه البنوية بأفكار علمية، نظرية ومنهجية جديدة، مهمة ومفيدة بالنسبة لما كان متعارفا عليه في الغرب قبل ظهورها.

أما بالنسبة لنا ، معشر العرب ، فقد طرح السؤال عن إمكانية الاستفادة مما يوجد في هذا المذهب الجديد، ولاسيَّما ما ثبتت صحته فيه عند جميع العلماء وهو شيء حسن إذ لابد من أن يراجع العلماء نظرياتهم ومناهجهم العلمية كلّما اقتضى الحال؛ لأن سير العلم لا يتوقف عند قوم دون قوم في تاريخ البشرية ، إلا أن ذلك يقتضي أيضا أن نمعن النظر فيما نقول عنه إنه " قد ثبتت صحته " ولا نتسرع في الحكم على ذلك، بل نطيل البحث عما أدى غيرنا إلى الحكم بصحة ما يقوله البنويون أو أكثره .

أما النحو العربي الذي نقصده فهو نحو

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة التاسعة عشرة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين، يوم الأحد ٢١ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ، الموافق ٣٠ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٧م.

(١) Structuralism نقول " بنوي " كما نقول " قروي " و " تربوي "و" طهوي " وغير ذلك.

الخليل وأصحابه، أو ما وصل إليه النحو في زمانه وزمان سبيوية وفي عهد أتباعهما الكبار. والسبب في ذلك أنهم هم المبدعون للنحو العربي ونظرياته الأصيلة العميقة و لم يبلغ الذين تلوهم ( بعد القرن الرابع ) من الإبداع والعمق ما بلغوه إلا بعض الأفذاذ القلائل، مثل: السهيلي والرضي الاستراباذي . فهؤلاء وحدهم يمثلون في اعتقادنا ، أصالة النحو العربي وروعته .

ولذلك فسنحاول أن نتبيّن فيما يلي ما هي الفوارق الجوهرية التي يفترق فيها النحو العربي عن البنوية، وفي الوقت نفسه ما هي القيمة العلمية لأهم ما اختصت بإخراجه كل واحدة من هاتين النظريتين . ولابد أن نتبين قبل ذلك ما هي أهم ما اتفقت فيه البنوية مع النحو العربي إذ لا يمكن أن تتم المفاضلة بين شيئين إلا إذا اشتبها ولو بوجه .

### ١-بعض ما يتفق فيه النحو العربي مع اللسانيات البنوية

### أ- إن لكلا العلمين موضوعًا واحدًا هو اللغة في ذاتها

تهتم دراسة اللغة عند النحاة العرب والبنويين باللغة في ذاتها، ومن حيث هي أي من حيث كونها أداة للتبليغ أو التعبير عما يكنه الإنسان، ولا تلتفت إلى ما كانت قبل أن تصير إلى ما هي عليه . فهي دراسة آنية لازمانية ( سنكرونية لا ديا كرونية على حد تعبير دى سوسور) فكلاهما يتناول اللغة بالتحليل إلى أجزائها الكبرى والصغرى، وكلاهما يبحث عن كيفية تركيبها بعضها في بعض، إلا أن فضل اللسانيات الغربية على سابقاتها يكمن في اهتمامها الكبير الذي أظهرته في القرن التاسع عشر بتحول اللغات إلى لغات أخرى عبر الزمان، وذلك لم يتبادر إلى ذهن القدامى (لأسباب تاريخية محضة لا لنقص في عقولهم ) [(١)]. وهو الذي يسمونه بتطور اللغات ( المرور على أطوار تتحول فيها مثل الكائنات الحية ). وفضل البنوية هو أنها فتحت الباب من جديد،

(١ )أبدى سيبوية والأخفش بعض الملاحظات القيمة في تحول اللغة عبر الزمان ( انظر كتابنا : علم اللسان العربي وعلم اللسان العام ، المقدمة ). وقد كان للخليل أيضا نظرة دياكرونية في أقوال كثيرة منها اشتقاقه لـ " لن " من " لا" " وأن " وليس " من " " لا" و"أيس".

وعلى أسس علمية جديدة، أيضًا للدراسة الآنية بعد أن غالى التاريخيون بحصرهم الدراسة في الوجهة التاريخية وحدها . وأفضل من هذا هو حملها الباحثين في تاريخ اللغات على أن يتتبعوا تطور بُنَى اللغة لا تطور جزئياتها منفردة.

إلا أن هذا الفضل الكبير جدًّا الذي لا يمكن إنكاره، لابد أن يقترن التنويه به بتنويه ما أخرجه القدامى من العرب وغيرهم من النظريات العميقة وما اكتشفوه من أسرار اللغات فتوارثه الناس، ولكن مشوَّهًا بعد القرن السادس الهجري فيما يخص العرب. وذلك مثل ما قاله العلماء الهنود عن لغتهم المقدسة السنسكريتية، ويقرُّ البنويون إقرارًا نزيهًا بفضلهم عليهم، بل ويذهب الكثير منهم إلى أن أفكارًا كثيرة في البنوية قد سبق إليها الهنود [1] . وذلك مثل التمييز الحاسم بين الصوت الدال وتأدياته المختلفة.وهذا الصوت الذي تتألف منه الوحدات الدالة هو عند أفلاطون جنس من الأصوات، فهو عنده كما قال سوسور : كيان مجرد وليس بمادة،وقد ألحت البنوية على ضرورة التمييز بين الصوت كمادة للحرف وبين الوحدة الصوتية التى هي جنس من الأصوات وبالتالى مفهوم ( concept) له مميزاته . وذلك مثل مفهوم الإنسان فهو تصور لمميزاته وقد فصل ذلك أرسطو في كتبه المنطقية. وأفاد الغربيون مما ترجم إلى اللاتينية من كتب النحو العربي، ولا سيما مفهوم العمل الذي أحياه من جديد تشومسكى في أيامنا هذه .

## ب- ينطلق البنويون من واقع اللغة كظاهرة وكذلك النحاة الأولون

تريد البنوية أن يُعتمد على مجموعة معينة من الخطابات، يدونها اللغويون في عين المكان الذي يعيش فيه، في زمان معين، أصحاب اللغة المراد تحليلها والبحث فيها.وأن يقتصر على هذه المدونة ( Corpus ) هي وحدها، فلا يجسر على تغيير شيء منها، ولا يلجأ إلى ذلك في الاستشهاد بشيء من خطابات الباحث نفسه أو جماعة غير الجماعة المعنية بتلك اللغة .

(١) نقل إلى اللغات الأوربية بعض ماكتبوه في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

ونجد نفس التحرج عند النحاة العرب؛ إذ لا يمكن أن يستشهد إلا بما هو ثابت لا يرد وما هو موجود في دواوين العرب التي دوّنها العلماء من الشعر والكلام المنثور والأمثال، ولا يلجأ إلى غير ذلك. فكل منهم يراعي الواقع كما هو .

ومما يترتب على ذلك هو الاعتماد الأساسي على المشاهدة والسماع لما عند العرب مع معاينة أحوال الخطاب (والشواهد في النحو ما هي إلا معطيات يستدل بها النحوي ). فكل من النحاة والبنويين يجعلون المشاهَد المسموع بالفعل هو مادة البحث والمنطق لكل تحليل، وقد يحاول النحاة أن يفسروا هذا الواقع بوسائل عقلية، قد لا تعرفها البنوية - كما سنراه - إلا أن الرجوع إلى السماع في كل محاولاتهم هو الأساس . أما فكرة المدونة اللغوية المغلقة فهي شيء اختصت به البنوية (1).

## جـ- دورة التخاطب ( The process of communication) وظواهرها

إن اللغة أداة للتبليغ، وتلك هي أهم وظائفها. وتحاول البنوية أن تتفهم الظواهر اللغوية باللجوء إلى مبدأي الاقتصاد والفرق. أما الاقتصاد فهو ميل المتكلم إلى التقليل من الجهود العضلية والذاكرية، التي يبذلها في عملية التخاطب، وقد لجأ أيضًا النحاة إلى مبدأ الاستخفاف في تفسير ظواهر كثيرة، مثل: الحذف والإدغام والاختلاس، وتبين لهم أن بعض الحركات المحدثة للحروف إذا تتالت استثقلها الناطق، كالخروج من الضم إلى الكسر أو ككثرة تتالي الحركات المصوتة، وغير ذلك . أما الفرق فهو ضد ذلك أي ميل المتكلم إلى البيان أي إلى تبيين أغراضه للمخاطب وتخوفه من أن يلتبس كلامه عليه بكثرة الحذف والاختصار وغير ذلك .

(1) فهي ترى أن الوصف الموضوعي للغة لا يمكن أن يتم إلا بإغلاق العينّة من المعطيات، وجعلها المادة الوحيدة التي يرجع إليها الباحث في تحليله واستشهاده . فوصفه ، كما يقول البنويون، لا يخص إلا تلك العينة، وهذا في نظرنا هو موقف سلبي عقيم إذ يجب على الباحث أن يعتمد على ما جمعه هو، وعلى كل ما جمعه سابقوه مما هو ثابت بالإجماع. لأن إجماع الباحثين على صحة معطيات بعضهم هو الذي يضمن الموضوعية ( ويجب ألا تغلق المدونات التي تخص اللغات غير المكتسبة بالتلقين إلا بذهاب أصحاب هذه اللغات . انظر فيما يلي):

ويعرف كل واحد ما يعيره النحاة الأولون من أهمية للتخفيف من جهة ولرفع اللبس من جهة أخرى، في تفسير ظواهر القلب والإبدال والإعلال والحذف وغير ذلك . وهو من أعظم ما أنتجه فكرهم وأهمه بالنسبة إلى التفسير العلمي .

## ٢- أهم ما يوجد من الفوارق بين النحو والبنوية

### - المعيارية والوصفية :

إن هذا الجانب هو أهم كثيرًا من جميع الجوانب التي تخص اللغة؛ لأنه الجانب الذي تكثر فيه الأحكام الخاطئة في زماننا هذا، بل الأوهام الرهيبة عند علماء اللسان سواء منهم الغربيون أو الباحثون العرب .

إن أهم ما تفتخر به البنوية هو مذهبها الوصفي، وتعتبره المذهب الوحيد الذي يستحق أن يوصف بأنه علمي، وتغلو في ذلك أيما غلوّ. ويجب قبل أن نتطرق إلى ذلك أن نذكر أن النزعة الوصفية المغالية تعارض نزعتين في الحقيقة : النزعة إلى الحكم على العبارات بأنها صواب أو خطأ؛ لأنها موافقة أو مخالفة لمعيار اجتماعي ما . والنزعة الثانية هي محاولة تعليل الظاهرة اللغوية .

أما القول بأن التحليل العلمي للغة يقتضي امتناع الباحث عن التدخل في موضوع بحثه بالحكم على ما يدونه من المعطيات بالصواب أو الخطأ؛ فهو صحيح لا مراء فيه؛ لأن الباحث النزيه لا يحكم على المعطيات إلا بما فيها، لا بما يعجبه فيها أو يعجب فئة قليلة جدًّا من المجتمع . وإن صدر منه هذا فهو تحكم محض وخروج عن العلم .

وعلى هذا فإن النحو العربي - مثل النحو التقليدي الأوربي - لا يكون إلا معياريًّا إذ قد يقول أصحابه في كل مناسبة:

إن هذا حسن، وذاك قبيح. ويكون النحوي - مثل سيبويه - في هذه الأحكام من أبعد الناس عن العلم الموضوعي إذ يفضل - حسب أقوالهم - معيارًا على آخر.

والحق غير هذا الذي يقولونه عن النحو العربي ( بالنسبة إلى سيبويه وأصحابه ) وذلك لأسباب منها :

١- أن معيار اللغة ظاهرة من الظواهر، وهي تخص سلوك الناطق بها، فلا يمكن أن نهدر في البحث بدعوى أن الحكم بالصواب والخطأ تحكم محض. فأين هي اللغة التي يقول عنها أصحابها كلهم: إن الصواب والخطأ اللغوي سيان عليهم ، وأية لغة في الدنيا يخطيء الناطق بها عرضًا في عبارة معينة، فلا يقوّمه أحد من أصحابها ؟ وأي لغة في الدنيا يمكن أن ينطق فيها الناطق بأي شيء بدالة دون أن يخضع لما تعارف عليه أصحابها ؟

فكيف يمكن أن نكتفي بالوصف لجانب واحد من اللغة، وهو وحداتها وكيفية تقابلها بعضها إزاء بعض كما يفعله الوصفيون، ونترك كيفية صياغتها التي تضبطها الضوابط.ولماذا نهدر الوصف للضوابط التي تجعل بعض العبارات صحيحة ، وعبارات أخرى لا تحصى غير صحيحة ؟ وقد وقع هاهنا تخليط بين الحكم الذاتي الذي يمكن أن يصدر من الباحث وبين الحكم الصادر من الناطقين باللغة أنفسهم. فالمعيار كظاهرة يجب الاعتداد به، وهو هذا المجموع المنسجم من الضوابط التي يخضع لها بالفعل كل الناطقين أو أكثرهم . ومن هنا نفهم معنى الكثرة واهتمام النحاة الكبير بهذا المفهوم وسنرى ذلك فيما يلي:

٢- أن قولهم :" هذا جيِّد، وذاك رديء " إنما يخص الخروج عن القياس أي الباب لا أي خروج،بل ذلك الذي يكون قليلاً جدًّا في استعمال الفصحاء[1] وهم السليقيون من الناطقين . وهم لا يعتبرونه لحنا أي خروجًا مطلقًا عن العربية.فكل

(١) الفصاحة هنا هي لغوية محضة وهي صفة الناطق الذي يعرف اللغة بالسليقة لا بالتلقين و لم يتأثر ببيئة لغوية أخرى غير بيئته. ولا يعقل أن يحاول الباحث وصف لغة أو لهجة معينة، ويعتمد في ذلك على ناطقين لا يتقنون هذه اللغة إذ لا يمكن حينئذ أن يمثلوا جماعة الناطقين بها . وقد يختار الباحث أن يصف لغة إقليم معين، أو مدينة، أو حي يوجد فيه أكثر من لغة أو لهجة ومتداخلة أحيانا كثيرة، فلا يمكن أن يقول بأنه يصف إحدى هذه اللغات فقط وهي متداخلة مع غيرها.ومفهوم الفصيح عندهم هو قريب جدًّا مما يسميه تشومسكيو غيره : Native speaker

ما أجرى على غير وجهه "(١/٢٧٤)" أو وضع في غير موضعه " (١/٨ )" ولم يستعمل أصلاً أو استعمله القليل من الناس، وتركته عامة العرب الموثوق بعربيتهم فإنهم ينعتونه بالقبيح أو الضعيف أو الرديء،وإن كان المستعمل منه جائزا إذ هناك فرق عندهم بين "المستقيم القبيح" على حد تعبير سيبويه ( ١/٨) ) وبين القبيح الذي لا يستقيم أبدًا، ولا يجوز لأنه جمع بين شذوذه عن القياس وعدم وجوده إطلاقا في الاستعمال. (ويكون غالبا نتيجة لعملية قياسية غير سليمة أو شيء سمع من فرد واحد أو أفراد غير موثوق بلغتهم أو برواية ضعيفة) .

وقد يكون في الاستعمال قياسان اثنان (أو أكثر ) فيكون أحدهما الأصل، والآخر فرعًا عليه، مثل: لغة الحجاز في تشبيه "ما " "بليس " ولغة تميم التي تخضع لقياس آخر وهو الأصل ألا وهو الانتماء الأصلي "لما" إلى الحروف لا إلى باب الفعل الناسخ . أما إدراجها في باب النواسخ ( الجامع هنا هو دخولها على المبتدأ والخبر مثل النواسخ ) فليس بأصل إلا أنه وجد بكثرة في الاستعمال. وهذا يفسر أيضًا معنى قول ابن جني أن لغة تميم هنا أقيس (الخصائص ١/١٢٥) أي أقرب إلى القياس الأصلي وقول سيبويه بأن اللغة الحجازية في فكّ الإدغام في الفعل المضاعف نحو : " أُرْدُدْ" هي " اللغة القديمة الجيدة " (٢/٤٢٤) لأنها جاءت على الأصل . وكذلك قوله عن عدم إمالة أهل الحجاز : " الحجازية هي اللغة الأولى القدمى " (٢/٤١) أى هي الأصل إذ الإمالة فرع لأنها تحدث عن سبب معين .

أما الفتح ( عدم الإمالة ) فهو أصل لأنه غير مسبب ( المنظور هنا ليس هو الأصل في الزمان كما يصرح بذلك ابن جني (الخصائص ، ٢٥٦- ١/٢٦٥ ).

وأما ما يوافق القياس،أصليًا كان أم فرعيًا، وكان كثيرًا في الاستعمال فإن سيبويه وأصحابه ينعتونه بأنه"عربي كثير"أو" عربي جيد"(والكتاب مفعم بهذه العبارات) [1] .

(١) وهذا يفسر معنى قوله " جيدة " في " أرددْ " فليس ذلك لأنها الأصل بل لأنها لم تخالف قياسًا وكانت كثيرة في الاستعمال. وهذا دليل على أن سيبويه لم يحاول أبدًا أن يفرض لغة أهل الحجاز( أما مفهوم الأصل ومفهوم الفرع فهما من أسس المنهجية العلمية العربية كما سنراه ) .

وفي ذلك درجات ( جيـــد، وأجـود، وكثير، وأكثر، وأعرف) ومهما كان، فإن سيبويه وأصحابـه لا يعـدّون الكثـير الاستعمال قبيحًا أيًا كان [1] ويقول بـأن "الشواذ كثيرة" (١/٢٧٣) أي الشواذ عن القياس . ويقول" إنما هذا الأقل ( بالنسـبة إلى نظائرها ) نوادر تُحفـظ ولا يُقـاس عليها " ( ٢/٢١٦). ومعنى ذلـك أنهـا عربية كثيرة وقد لا يجوز غيرها، إلا أنهـا قليلة في بابها أى بالنسبة إلى نظائرها ، فلا يجوز القياس عليها، وذلك مثل:"استحوذ" و" أغْيل" و" باقل " من" أبْقَلَ " عـوض مبقل وغير ذلك. وبالفعل لم يسمع مـن العرب الموثوق بلغتهم اسْتحَاذ، ومع ذلك لا يجوز أن نقول " استقوم " قياسًا علـى " استحوذ " إذ أكثر ما سُمع من هـذا الباب هو قلب الواو . فالشاذ عن بابه غير الشاذ عن الاستعمال ( استعمال عامـة العرب ). [2]

هذا ويعتقد بعض الباحثين أن كلمة "لغة" في قولهم " لغة تميم " و"لغة أهل الحجاز " " لغة هذيل " تدل عند سـيبويه علـى اللهجة بمعناها المحدث أى Dialect، وليس الأمر كذلك. فإن سيبويه يريـد بهـذا اللفظ:الاستعمال اللغوى الخاص بجـزء أو عنصر واحد من اللسان يُسْمَع إما مـن جميع العرب أو أكثرهم،مثل قوله :"وذلك لغة جميع العرب إلاّ أهل الحجاز " ( كسر حرف المضارعة ) ( ٢/٢٥٦) و " إنهـا لغة كثيرة في العرب " ( ١/٣١٦) وإمـا من جماعة معينة وذلك كلغة هذيـل في جمع المعتلّ العين من فَعْلة بفتـح العـين، وإعمال أهل الحجاز " ما " وعدم الهمـز عندهم. فهذه كلها كيفيـات في الأداء كلها جزئية، ولا تدل كلمة لغة فيها أبـدًا على لهجة بأكملها. والدليل على ذلـك قول الكتاب: " ذيت ففيها ثلاث لغـات ... (٢/٤٨) ". وأمـا مَعْدِ يكربِ ففيه

(١) وقد يكون قبيحًا في الكلام المنثور فقط، وغير قبيح في الشعر كما هو معروف لمجيئه في هذا بكثرة دون ذاك. وهذا أيضًا دليل على أن العلماء القدامى لم يخلطوا أبدًا بين النثر والشعر .

(٢)كل ذلك تناوله العلماء بالتفسير والتوضيح بكيفية رائعة، وتوسع فيه ابن جني كما هو معروف. وقد استغلق هذا على الكثير من المتأخرين .

لغات " (٢/٥٠) أي فيه عدة كيفيات في استعمال العرب لها ولا يمكن أن تقوم كلمة " لهجة " مقامها هنا. فالكيفية الخاصة بجزء من اللسان ليست هي اللهجة كلها . وهذا الوهم هو سبب الأحكام الخاطئة التي يحكم بها بعض الباحثين على أقوال سيبويه وأصحابه . وقد ساعد ذلك أيضًا على تبني فكرة المستشرقين التي تجعل من الفصحى اللغة المشتركة الأدبية ( Koiné ) وتميّزها عن " لغات العرب " التي هي عندهم لهجات مغايرة في الاستعمال للغة المشتركة. ومع ذلك فلم ينصّ أحد من العلماء الذين شافهوا العرب الفصحاء على وجود لسان مشترك خارج عن " لغات العرب " بل أكدوا في كل مناسبة أن هذه اللغات هي أوجه من وجوه العربية (Variants) أي تنوّع محلي أو قَبَلِيّ في استعمالهم للعربية الفصيحة ( المقابلة للعامية ) [١]. وأكبر دليل على ذلك هو وجود " لغات العرب " أي تلك الاستعمالات الخاصة ببعض الأقاليم بكثرة في النصوص التي تعتبر أنها جاءت باللغة المشتركة الأدبية، وهي القرآن والشعر [٢].

ويمكن أن أقول في الأخير: إن المعيار اللغوي بالنسبة للعربية هو عند النحاة الأولين مجموع الأنماط والموضوعات اللغوية والأساليب الكلامية، التي كان يستعملها عامة العرب الذين وصفوا بالفصاحة . وأما أن تكون هذه الأنماط قد تغيرت مع الزمان ( من أقدم الشعراء

(١)فكيف نترك شهادة العشرات من العلماء – وفيهم الألمعي العبقري – الذين عاشوا في وسط العرب السليقيين، ونقيس وضعهم اللغوي على الوضع اللغوي اليوناني القديم، أو نقيسه على الوضع الخاص باللهجات العامية قديمًا وحديثًا وقد صارت العربية بالنسبة لهالا يحصل عليها إلا بالتلقين ؟ ونعجب من موقف من اطلع على كتب القدامى جيّدًا ويحمِّل جميع هؤلاء العلماء هذه الغفلة الفظيعة : أن يكونوا غفلوا عن وجود لغة مشتركة منفصلة عن " لغات العرب " مثل ما كان موجودًا وما يزال موجودًا بين العاميات والفصحى ويتهمهم بالتالي بالتخليط بينها في وصفهم للعربية وما يعدونه لهجات منفصلة عنها . أما أن يكون أسلوب القرآن والشعر مغايرًا لأسلوب التخاطب اليومي، فهذا راجع إلى التفنن اللغوي وكيفية استعمال اللغة، لا إلى اللغة في كيانها الذاتي، ومن ذلك الاستعمال المعجز للغة في القرآن .

(٢)وإن شك شاكٌ في صحة وجود هذه " اللغات " في القرآن والشعر فكأنه يكذّب جميع القراء وكل النحاة واللغويين ، معاذ الله . ( يمكن أن يرجع فيما يخص معاني كلمة " لغة " إلى ما كتبناه في مقال "لغة" في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة ، ليدن ) .

الجاهليين إلى نهاية القرن الرابع)، وتنوعت بحسب الأماكن، فهذا مما لا شك فيه إلا أنها تكون مع ذلك لغة واحدة في مُجملها؛ لأنها مكّنت العربي السليقي الذي عاش في القرن الثاني أو الثالث من فهم ما يقوله الشاعر الجاهلي، وأن يفهم ما يقوله من كان يتنمى إلى قبيلة أخرى في مختلف أماكن الجزيرة العربية، اللهم إلا في بعض ما هو خاص بالجاهلية أو بالقبيلة المعنية، أو خاص بخطاب معيّن له قصد معيّن مثل ما جاء في القرآن من الألفاظ التي أحدثها الإسلام . أو ما طرأ من لفظ مُحدَث فصيح، وغير ذلك . واعتمادهم على أغلبية الناطقين ( عامة العرب / أكثرهم ) الفصحاء مع احترامهم لما يكون أقل من ذلك، ولا يخالف النمط يجعل هذا المعيار موضوعيًّا؛ لأن اتساع رُقعة الاستعمال بالنسبة للغة الواحدة هو الذي يضمن هذه الموضوعية، وقد أظهر سيبويه وأصحابه تحرّجًا عظيمًا في ذلك، وأمثل عبارة قالوها في ذلك هي :"ولو قالت العرب : اضرب أي أفضل لقلته و لم يكن بد من متابعتهم " ( ١/٣٩٨) وهذه الأخرى:" فهذا أقوى من أن أحدث شيئًا لم تتكلم به العرب ( ٢/٨٩) وغير ذلك كثير .

**٣- اختلاف النظرة إلى اللغة وما يترتب على ذلك من اختلاف في مناهج البحث**

**أ)مذهب الوظيفية في البنوية الأوربية[1]:**

اللغة وليدة وظيفتها البيانية

**-الوظيفة البيانية :**

تحدِّد الوظيفيةُ اللغةَ وأبنيتها، كما هو معروف، بوظيفتها ليس إلا.وهذه الوظيفة عندها التبليغ والبيان ( Communication)؛ فكل عنصر أو صفة لعنصر يساهم في تأدية هذه الوظيفة يجب أن يدخل في اعتبار الباحث اللغوي، وما لا دور له في ذلك فليس من ميدان البحث اللغوي؛ لأنه لا دخل له في عملية التبليغ، وإن كان له دور آخر مهم . فما له سهم في ذلك يسمونه: Relevant و ( Pertinent بالفرنسية) أي المعتبر في التحليل أو المعتبر

(١)وأهم ممثل لهذه النزعة ، حلقة براغ المشهورة ومارتيني . أما Hjelmslev الدانمركي فله نظرية صورية خاصة .

وظيفيًّا Fonctional أو الذي له دلالة كما يقول النحاة العرب . ويعثر الباحث في الخطاب على معلومات كثيرة لا تُحصى لا تأثير لها في تأدية المعنى وهذا هو الذي يتركه اللغوي [(١)] لغيره من الباحثين غير اللغويين .

هذا كله صحيح إلا أن اللغة لا يمكن أن تحصر كلها في وظيفة التبليغ؛ إذ قد تصلح لأشياء كثيرة غير التبليغ وذلك كالتحليل للواقع (منه اللغة نفسها) والتأثير على المخاطب، وحمله على فعل معين وما يتعلق بالمنولوج، وما يحدث من كلام النفس، وغير ذلك كثير ثم إن هذه الوظيفة البيانية هي عند الوظيفيين في الحقيقة ، وظيفة العناصر اللفظية في التمييز بين معاني الكلام إذ المبدأ عندهم هو أن يتم تمايز المعاني بتمايز الألفاظ. وهذا صحيح فلولا تباين الألفاظ لما حصل البيان عن المعاني إلا أن اللغة لا ينحصر فيها التباين إلا بتباين عناصرها في ذاتها [(٢)] فهنا، علامات وأدلة في اللغة يمكن أن يرتفع بها اللبس إذا اتحدت الألفاظ، وذلك كالسياق عامة، وكعلامات الإعراب، وكاختصاص الاسم بدخول حروف الجر عليه والوصف والإضافة وغيرها، واختصاص الفعل بدخول بعض الأدوات عليه وغير ذلك . ولهذا لا يجد المخاطب صعوبة في فهم الكثير من المشترك والمرادف . أما ظاهرتا الاشتراك والترادف، فهما سر النجاعة التي تتصف بها الألسنة البشرية [(٣)] فكيف يمكن أن تحصر اللغة في وظيفتها البيانية، وأن تحصر هذه الأخيرة في تمييز الوحدات الصوتية وحدها بين المعاني ؟

---

(١) وذلك كالجرس الخاص بصوت شخص معين والنغمات الدالة على حالة نفسية معينة وغير ذلك.

(٢) ويقول مثل هذا النحاة الذين عرفوا منطق أرسطو وأولهم في التاريخ هو أبو بكر بن السراج إلا الرماني كما يقال ). قال في كتابه الموسوم بكتاب الاشتقاق: " الذي يوجبه النظر على واضع كل لغة أن يخص كل لفظ بمعنى لأن الأسماء إنما جعلت لتدل على المعاني فحقها أن تختلف باختلاف المعاني (٢١).

(٣) وهذا له علاقة باعتباطية اللغة ولولا ذلك للصق كل كلمة بمعناها الأصلي ولما استطاعت اللغة أن تعبر عن المسميات والمعاني الطارئة بل التصورات التي تحدث بعد في أذهان الناس. ومن المعروف أن اللسان البشري قادر أن يعبر عما لا وجود له حسا وعلا.

وقد بالغ الوظيفيون في قصر اهتمامهم على الوظيفة التمييزية لذوات الألفاظ وحدها، حتى جعلوا بنية اللغة كلها متوقفة عليها، ومتولدة عنها، وهذا ما يخالفهم فيه الكثير من العلماء حتى من البنويين . ولهذا الموقف الوظيفي المغالي ومواقف أخرى مهمة سنراها تبعات خطيرة : منها النظرة التأملية غير الإجرائية التي امتازت بها البنوية ومنها التخليط بين الوضع والاستعمال، أي بين اللغة كنظام وبنية وبين استعمال الناطقين لها في واقع الخطاب .

وأما البنويون الأمريكيون فإنهم لا يلجؤون أبدا إلى مفهوم الوظيفة لتحديد الوحدات اللغوية، ولا إلى المعنى للتمييز بين الوحدات الصوتية كأجناس ومختلف تأدياتها ( allophones) كما سنراه (1) أما موقف النحاة العرب من الإفادة أو التبليغ فإنهم كانوا شديدي العناية بها إلا أنهم جعلوا لها، كعامل تفسير، ثلاثة ميادين:

**الأول:** هو مجموع الظواهر المتعلقة بإجراء الخطاب ( أو ما يسمى بدورة التخاطب ) يحاولون فيه مثلاً أن يفسروا دور الألفاظ المسماة بالمبهمة : أسماء الإشارة والضمائر والظروف (هي Shifters عند Jackobson) وهو شيء عظيم ( أكثره يوجد في شروح كتاب سيبويه وشروح أخرى مهمة ).

**والثاني:** هو ميدان البلاغة، ولا سيما في علم المعاني.

**والثالث:** هو ميدان تفسير الشواذ عن القياس .

هذا و لم يحاولوا أن يفسروا آليات تفريع البنى من أصولها، وبالتالي تفسير كيفية تولدها باللجوء إلي هذه الوظيفة .

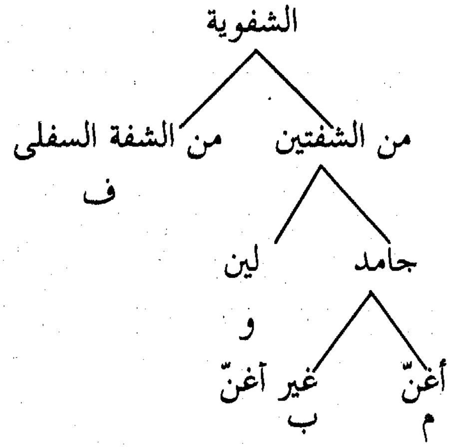
-الوضع والاستعمال عند البنويين وعند النحاة العرب :

يدعى الوصفيون البنويون بأن بنية اللغة تنحصر في نظام خاص تنتظم فيه عناصر اللغة في كل واحد من مستوياتها بحسب تمايز كل عنصر عن العناصر الأخرى.فهو إذن نظام تمايزي أو تقابلي(2) محض ( Oppositional system ). وهذا

(1) ما يسميه بلومفيلد " Fonction "ليس هو الوظيفة إطلاقا بل هو ما يسميه أتباعه بالـ Distribution انظر فيما يلي.

(2) التقابل هنا هو مجرد التمايز، وليس هو التقابل الرياضي الذي هو تناظر.

يقتضي أن يكون كل عنصر مندرجًا في فئة يتميز فيها عن أفرادها بميزات خاصة ( Features)،وكل فئة تندرج في فئة أوسع تتميز فيها عن غيرها بميزات أخرى، وهكذا حتى نصل إلى الجنس العام الذي يشملها كلها في مستواها.ولنأخذ مثال: الوحدات الصوتية [١] في اللغة العربية ، بل فئة منها تسمى الشفوية، فيمكن أن يرسم نظامها التمايزي على شكل شجرة كالتالي[٢] :




فهذا النظام التمايزى الجزئي هو عند هم بنية وتندرج بدورها في نظام تمايزي أوسع هو بنية المستوى الصوتي العربي . ولكونهم يقصرون البنية على النظام الاندراجي الانتمائى فإنهم لا يحددون هوية العناصر إلا بانتمائها إلى فئة معينة، وبالتالي يكون التحديد عندهم بالجنس والفصل فقط كما هو عند أرسطو تمامًا [٣] فالفونيم – أو الوحدة الصوتية – هو مجموعة من الصفات المميزة كما يقولون. فالنظام كله وليد الوظيفة التمييزية .

أما المستوى الأعلى الخاص بالجملة فإن للبنوية الأمريكية المسماة بالاستغراقية أو القرائنية [٤] طريقة خاصة أرقى كثيرًا من طريقة الأوربيين بالنسبة لهذا المستوى. يحاول أصحابها أن يكتشفوا بها بنية الجملة وهي كالتالي :

(١) هي التي يسميها العرب الحروف ( وهذه الكلمة تدل على هذه الوحدات ورموزها الخطية بحسب السياق ) وهي غير الأصوات في ذاتها لأن الحرف الواحد قد ينطق بكيفيات مختلفة بحسب التنوع الإقليمي أو تأثير الجوار كالجيم العربية مثلا وأنواع هذه الجيمات هي الـ (Variants أو allophones).

(٢) أو على شكل أقواس متداخلة [ م/ب] و/ف أو شكل دوائر رياضية وغير ذلك .

(٣)التحليل التصنيفي إلى أجناس وأنواع متداخلة هو شيء معمول به في كل علم، وخاصة في علمي الحيوان والنبات، إلا أنه لا يكتفي بذلك العلماء في اكتشاف أسرار الكائنات .

(٤) Distributionalism ويترجم بعضهم هذه الكلمة بالتوزيعية مع أن معنى Distribution هنا ليس هو التوزيع، بل مجموع القرائن التي يمكن أن يقترن بها عنصر لغوي في الكلام. ( ويريد اللغويون الأمريكيون أن تحدد العناصر باستغراق جميع ما يمكن أن يحيط بها ) .

يبحث اللغوي الأمـــــريكي في الجملـــة التامة عن مكوناتها الكبرى، ثم يبحـــث في كل مكون منها عن مكوناته، وهكـــــذا بالتدريج حتى يصل إلى المكونات الصغرى التي لا تقبل التحليل في مستوى العنـــاصر الدالة ( المورفيمات ). أما على أي مقياس يجزّئ هذه الأشياء إلى مكوناتها القريبـــة ( Constituents Immediat )فهو المقيــاس الذي لا خلاف فيه المعروف عند جميـــع اللغويين من أقدم العصور إلى زماننا، وهو مقيـــاس الاســـتبدال ( permutation أو Commutation ) أي إمكانية إقامة وحدة لغوية بل وحدات مقام قطعة من الكـلام، لا يعرف هل هي وحـــدة أم لا وذلـك كدليل على تكافئهما وبالتالي علــى أن الشيء المُقام مَقام الشيء بما أنه وحـــدة دالة، فهمـــا إذن من قبيل واحد تمامًا. إلا أن الطريقة الأمريكية تشترط هنا – وهـو شيء جديد – أن تكون الوحدة المُقامـــة أصغر ما يمكن حتى يكون ذلك دليلاً على أن الجزء من الجملة، أو من كل المكوّنات التي تحتها هو ، حقيقة، المكوّن القريب لها أي المباشر [1]. وقد رسم هذه العمليـات التجزئية المتدرجة اللغـــوي الأمريكـي هوكت فمثّلها على شكل عُلَب(Boxes).

فالجملة الإنجليزية : The boy opened his bag يمكن أن ترسم بنيتها حسب البنوية الأمريكية هكذا :

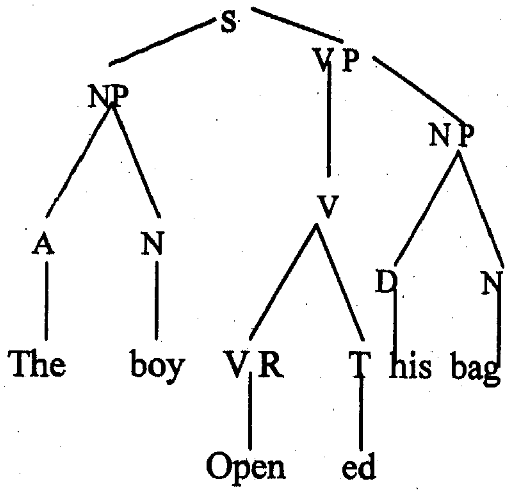
(٢)

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| The | Boy | Opened | | His | Bag | 1 |
| | Boy | Opened | | His | hag | 2 |
| | | Opened | | His | Bag | 3 |
| | | Open | Ed | His | Bag | 4 |
| The | Boy | Open | Ed | His | Bag | 5 |

ويمكن أن يرسم هذا على شكل شـــجرة كما يفعله تشومسكي :

(١) شرح ذلك اللغوي الأمريكي ولس ( Wells ) في مقالة لـــه نشـرها في مجلـة ( Languages 23 (١٩٤٥) ص١-١١).

(٢) يلاحظ الباحث أنه يوجد في المدونة التي دونها ( السماع عند العرب ) جملة مثل John opened وليس فيه إلا وحدتان فيبحث عما يكون مكافئًا منهما ( Expansion) للأول ثم للثاني، وبذلك يستدل على أن the boy ثم opened his bag هما المكونان القريبان للجملة. أما المكون الأول فإنه مكافئ لـ That boy و الثاني مكافئ لـ open the door وهكذا حتى يصل إلى أصغر المكونات، ويكشف عن بنية الجملة (كما يتصورونها ) في الوقـت نفسه أي بفضل التحليل على درجات .




فهذه الرسوم تمثل عند البنويين الأمريكيين بنية هذه الجملة. والشجرة هي أمثل صورة لما قد سبق أن لاحظناه في مستوى الحروف ( الحروف الشفوية) وهو الشكل الاندراجى المتداخل . وهذا الشكل ينطبق على كل ما يسميه البنويون Structure حتى عند تشومسكي الذي تبنى التحليل إلى مكونات قريبة، وإن كان قد بين قصور هذا التحليل فصاغة من أجل ذلك صياغة منطقية [1] النظرية التوليدية ) وحاول أن يصلح هذا النقص بإضافة مفهوم التحويل وكان ذلك حادثًا حاسمًا في اللسانيات الغربية .

## البنية عند العلماء العرب : الوضع والاستعمال عندهم

تختلف نظرة النحاة واللغويين القدامى العرب إلى اللغة عن نظرة البنويين لها في زماننا اختلافا جوهريًّا في عدة نقاط. فلئن كان يهتم كل طرف منهما بالنظام الداخلي للغة وما تقوم به اللغة من دور في الإفادة فإن النحاة الأولين قد ميزوا جيدًا بين كل ما هو راجع إلى الوضع من جهة أي ما يخص اللفظ الموضوع للدلالة على معنى وهذا المعنى المدلول عليه باللفظ وحده، ومن ثم ما يخص بنية هذا اللفظ بقطع النظر عما يؤديه في واقع الخطاب ( أي في حال من أحوال الخطاب الملموسة) ومن جهة أخرى ما هو راجع إلى استعمال هذا اللفظ أي إلى تأديته للمعاني المقصودة بالفعل وهي الأغراض[2]. وأكبر دليل على ذلك هو استنباطهم أولاً لبنى الكلم والكلام بمناهج خاصة وما تدل عليه في الوضع ثم التفاتهم، بعد ذلك، إلى ما تصاب هذه

(١) التحليل للغة هو الذي يصاغ هذه الصياغة لا اللغة نفسها كما قد يتصوره بعضهم .

((٢)فالأول يسميه اللغوي الفرنسي Benvenis-te الذي أدرك هذا الفرق جيدًا ( وكذلك مواطنه J. Gagnepain ليس إلا ) Sémiologiq-ue ويسمى الجانب الآخر بـ Sémantique ( انظر مقالـه: -

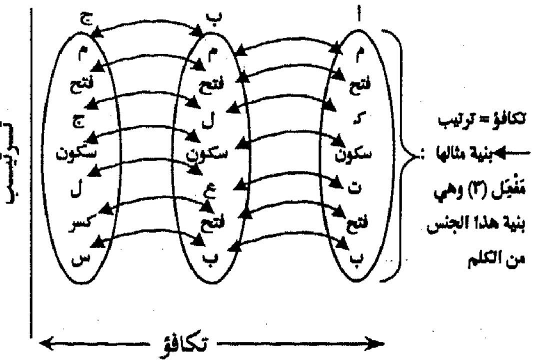
البنى من التغيير في الاستعمال بالحذف والقلب وإبدال وحدة بوحدة أخرى وغير ذلك وما يصاب به المعنى الوضعي من التغيير بسبب الاستعمال الذي يتصرف فيه الناطق بالمجاز والاستعارة والكناية، وغير ذلك . والدلالة في هذه الظواهر هي دلالة المعنى ( معنى عند الجرجاني ). فلا يخلطون بين الدلالة الوضعية وبين غيرها كدلالة الحال ودلالة المعنى هذه ( أو العقلية ) في تحديدهم لبنى اللغة وكل ما يرجع إلى الوضع .

أما كيف يستنبطون البنُى دون أن يلجؤوا إلى ظواهر التبليغ ( وما البلاغة إلا النظر في ظواهر التبليغ الناجع لا في بُنى اللغة في ذاتها) فان ذلك أساسه كلّه البحث عن " الجامع " أي عما يجمع بين أفراد الجنس الواحد ، بالاعتماد ليس على صفاتها المميزة فقط التي تجعلها تندرج في هذا الجنس، وإنما بالنظر في هيئتها وزنتها. فكل هذه الأفراد التي تجمعها هيئتها تكوّن عندهم بابًا وهي نظائر بعضها إزاء بعض؛ لأنه يوجد فيما بينها تناظر لا مجرد تشابه، إذ قد تختلف بعضها عن بعض اختلافًا شديدًا . وكلما اختلفت أكثر كان الجامع بينها - إن وُجد - أعمق والبحث عنه أقرب إلى المنهج العلمي كما يتصوره علماء الفيزياء والأحياء في عصرنا هذا . ويلجؤون في ذلك إلى " حمل" هذه الأفراد بعضها على بعض ، وذلك بجعل كل جزء منها إزاء الجزء الذي يقابله في المرتبة ويعتمدون هنا ، مثل البنوية ، على مقياس التكافؤ وهو صلاحية قيام الشيء مقام الشيء (الاستبدال في الاصطلاح اللساني الحديث ). إلا أن البنوية تريد بذلك أن تعرف عن الجزء من الكلام،هل هو وحدة قائمة بنفسها ( مورفنيم أو فونيم كل في

- Sémiologie de la langue, probl. De ling. Générale, 1974 وقد وضح ذلك جيدًا عبد القاهر الجرجاني قبلهما بقرون. وكل ذلك قد سبق إليه الخليل وسيبويه ولا يمكن أن تفهم أقوالهما في ميدان الدلالات إلا بتدبر ما قاله شراحهما أولا وتلميذ هؤلاء وهو عبد القاهر ( وقبله ابن جنى أيضًا ) (انظر كلام سيبويه . مثلاً في دلالات الفعل اللفظية والعقلية ( ١/١٥). لابد من الالتفات إلى أن هذين العالمين هما من علماء اللسانيات وليسا من المتخصصين في اللغة العربية. أما تشومسكي فهو كذلك إلا أن له اطلاعًا عميقًا على النحو العبري الذي حرر في القرون الوسطى بعد ظهور كتاب سيبويه .

مستواه ) وبالتالي ما هو جنسه [١]. أما النحاة العرب فيريدون أن يكشفوا ليس عن هوية الجزء وجنسه فقط وإنما عن مكانته ودوره في المجموعة من أجزاء العبارة التي ينحصر فيها ، فبذلك تتحدد هويته ليس بإدراجه في فئة بسيطة فقط وإنما ببنائه ، أو بتركيبه في مجموعة مرتبة ، لكل جزء منها موضع خاص يؤدى فيه عملاً وضعيًا خاصًا [٢] وهذه المجموعة بهذا المعنى الرياضي هي ما يسمونه بابًا وحدًّا وقياسًا،ورسْمُه وتمثيلهُ يسمى عندهم مثالا.ولكل مستوى من مستويات اللغة حدود خاصة به. لتأخذ مثلاً مستوى الكلم المتمكنة فحدودها ومثلها في هذا المستوى هو من قبيل البناء، ويعنون بذلك أن أجزاءها مبنية بعضها على بعض على مثال معين بحيث لا يمكن أن تحذف إلا بتلاشي الكلمة كلها. ويمكن أن تصور هذه العمليات الحملية في هذا المستوى

هكذا : أ = مكتب ⇔ ب = ملعب ⇔ مجلس المثال الجامع = مفعل




فالقياس والحد هنا ناتج عن انتماء كل من " مكتب " و"ملعب " و"مجلس " إلى جنس واحد هو اسم المكان الثلاثي، وفي الوقت نفسه من تواجد عناصر على ترتيب معّين في كل واحد منها ولولا الترتيب المعين لما كان هناك قياس أوحد . ويؤدى هذا الحمل إلى تجريد رياضي لا يكتفي فيه بتجريد الصفات المشتركة الذي ينتج عنه الجنس ( الفئة البسيطة ) بل إلى بنية مجردة وهي مثال الكلمة،وتمثل فيها المتغيّرات برموز [٣] ( ف / ع / ل)

(١) وفي الوقت نفسه تُدْرِجها في صنف من أصناف الوحدات ودليلها في ذلك هو فقط تكافؤها في المحور الاستبدالي ( paradigmatic ) مه أجزاء أخرى سبق أن عرفت كوحدات.

(٢) بقطع النظر عما يمكن أن يؤديه مع المكوّنات الأخرى في الإفادة .

(٣) مثل الرموز الرياضية تمامًا ( الفاء تمثل أي حرف صامت من العربية في المرتبة الأولى وهكذا )

والثوابت بالبقاء على أصلها .
ويستنبط النحاة حدّ الاسم وحدّ الفعل ( أي الاسم والفعل بما يدخل على كل واحد منهما وهو مستوى [1] أعلى من الكلمة ) بحد آخر . والفرق بين هذا الحدّ وما يخص الكلمة المفردة في ذاتها هو وجود عناصر في داخله لا تُبنى بعضها على بعض بل هي موصولة فقط لأنها " تدخل على الاسم المفرد أو الفعل وتخرج " كما يقول الخليل وذلك مثل أداة التعريف وحرف الجر ( وقد و لم ولن بالنسبة للفعل )[2] . وهناك فرق كبير جدًّا بين التحليل البنوى والتحليل العربي . فالبنويون ينطلقون في هذا المستوى من الجملة ويقطعونها بالاعتماد على مبدأ الاستبدال مورفيما بحسب تسلسل الكلام[3] أو بالتجزئة إلى مكونات متداخلة كما هو الشأن عند الأمريكيين .
أما العرب فينطلقون من " أقل ما يتكلم به مفردًا " على حد تعبيرهم وهو العنصر الذي يمكن أن ينفرد في الكلام وبذلك يتأكد الباحث أنه وحدة من وحدات اللغة ( مع أنه كلام مفيد ) مثل "كتاب " في جواب " ما هذا " ؟ ثم ينظر ما هي العناصر التي تستطيع أن تدخل عليه يمينًا وشمالاً ولا تغيره عن كونه اسمًا واحدًا. فبهذه الزيادات المتتابعة يتحدد موضع كل عنصر طارئ وما يؤديه فيه، ومجموع هذه المواضع المرتبة تكوِّن حدّ الاسم اللفظي (أي الصوري) لا كمفردة بل" كمجموعة تدخل عليه لوازمها وتخرج". وقد اصطلحنا على

(١) هذا المستوى لم يتفطن له إلا J.Gagnepai-nالذي أشرنا إليه. وقد تنبه اللغويون الأمريكيون إلى أن الجملة ليست ناتجة عن تركيب مورفيمات بل عن تركيب بمجموعات تحتوى على مورفيمات ولكنهم لم يحددوا مُثلها كما فعله العرب .

(٢) ومثل " مقام " فيتضح بالحمل المشار إليه وبالرجوع إلى أصلها أن الواو قد قلبت حرف مد، فيبحثون عندئذٍ عن العلة أي عما صده عن وجهه على حد تعبير الخليل وغالبًا ما يلجؤون في التعليل إلى ظاهرتي الاقتصاد والفرق أو طرد الباب وغير ذلك . ولا أدري لماذا يريد بعضهم أن تكون هذه العلل هي علل أرسطو الأربعة. وكذلك القياس النحوي فهو أبعد شيء عن السلوجسموس.

(٣) التحليل التسلسلي عند الوظيفيين دليل على تخليطهم في منهجهم بين الكلام parole وبين اللسان Langue على الرغم من أنهم من أتباع سوسور. أما اعتبار جميع البنويين الوحدات الدالة ( المورفيمات) كلها كقطع صوتية فهو أيضًا من هذا القبيل مع تفطنهم لوجود النبر وإلى أن للترتيب دلالة في جميع المستويات فهذا الذي سميناه Linearism و Segmentalism هما طاغيان في البنوية إلا في الاستغراقية الأمريكية بالنسبة إلى الأول أو في تحليلهم إلى مكونات غربية ( وكذلك عند اللغوي الفرنسي Tesniére ) .

تسميتها "لفظة" (اسمية أو فعلية) لإطلاق الرضى " اللفظة" على ما هو فوق الكلمة وتحت الكلام مباشرة .

أما مستوى الكلام (أو التركيب) فيبحث هاهنا أيضًا عن المثال المجرد الذي ينبني عليه أقل الكلام المركب، وذلك بحمل كلام على آخر من جنسه (واجب وغير ذلك [١]. ومعنى ذلك أنهم ينطلقون هنا أيضا من أقل ما يمكن أن يتكلم به لكن فيما هو فوق الاسم كما حددناه) . وذلك مثل:"زيد منطلق"وقام عبد الله."[٢] وينظر ما هي العناصر التي يمكن أن تدخل على ذلك دون أن تخرجه عن كونه كلامًا واحدًا . وذلك مثل :

تكافؤ

| ١ | 2 | 3 | 4 |
|---|---|---|---|
| ∅ | زيد منطلق | | |
| | زيد منطلقًا | | أمس |
| كان | زيدًا منطلق | | |
| إن | زيدًا منطلقًا | | |
| حسبت | | | |
| ضرب | زيد عمرًا | | |
| رأى | خالد عبد الله | | وهو راكب |
| ضربـ | ت عمرا | | ظلمًا |
| ضربـ | تـــه | | أمس |

ترتيب

فيلاحظ أن مجموعة (١) تحتوى على عنصرين يتحكم فيهما عنصر آخر لفظًا ومعنى، فيسمونه عاملاً وتفطنوا إلى أن العامل في هذا المستوى لا يتقدّم عليه أبدًا المعمول الأول. [٣] ثم لاحظوا أن موضع العامل قد يكون فارغًا ويسمونه الابتداء،

(١) الواجب عند سيبويه هو المُثبت أما غير الواجب فكالاستفهام والشرط وغيرهما.

(٢) أما مثل " قمت " أو " ضربته " فهو في الوقت نفسه لفظة فعلية وكلام مفيد.

(٣) فإذا حصل أن قُدّم "زيد" على " قام " في مثل " قام زيد " تغيرت البنية والدليل على ذلك العمليات الحملية التالية :

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| قام | زيد | | | |
| ∅ | زيد | قام | ∅ | |
| ∅ | زيد | قام | | أخوه ∅ علامة لفراغ الموضع من اللفظ كالابتداء والضمير المستتر) |

بهذا الحمل استدل على أن الرافع مختلف في العبارتين أي على اختلاف البنية ( المقتضب، ٤/١٢٨ )

وقد يكون كلمة مفردة مثل "كان" و"إن" وأخواتهما، وقد يكون لفظة (اسم وفعل ولوازمهما ) وقد يكون تركيبًا كاملاً، مثل : " أعلمت خالدًا / زيدًا منطلقًا" .

ثم لاحظوا أن عنصرًا رابعًا يمكن أن يُزاد إلا أنه موصول وليس مبنيًّا مع العناصر الثلاثة، وهو عنصر مخصص، ويدخل فيه المفعول فيه والمفعول لأجله والحال وغيرها. وبنية الجملة عندهم تتوقف أولاً على هذه الكيانات بهذه الصيغة، وثانيًا على ما يحتوي عليه كل كيان منها (مفردة تنتمي إلى فئة خاصة ككان وإن وغيرهما وما يترتب على ذلك من الأحكام) وثالثًا إلى ما تجيزه العربية من التقديم والتأخير.

نستنتج مما سبق أن غاية البحث عند البنويين هي اكتشاف الوحدات التي تتكون منها اللغة وذلك بتحديد هويتها التي ليست عندهم إلا صفاتها الذاتية ثم تصنيفها وهذا التصنيف يُبنى على التمايز المتدرج من الجنس الأعلى إلى ما تحته وهو عندهم بنية. ويحصل هذا خاصة في مستوى الوحدات الصوتية [1].أما ما فوقه فيحاولون فيه اكتشاف الوحدات الدالة بتحليل الكلام التحليل التقطيعي الاستبدالي إما بحسب تسلسل الكلام[2] كما عند الوظيفيين وإما بكيفية سلمية كما عند الأمريكيين [3].

والجدير بالملاحظة هو أن جميع البنويين لكونهم لا يريدون أن يتجاوزوا الوصف [4]

---

(١) ولهذا الحصر أكثر كلامهم في الفنولوجية. ويتم الاكتشاف في هذا المستوى عندهم بإحصاء الحروف على محور الاستبدال، ثم استخراج صفاتها الذاتية بمنهج المقابلة بين ما يسمونه بـ Minimal pairs مثل Kill/Gill.

(٢) وبين تشومسكي ما لهذا التحليل التسلسلي من النقائص بصياغته على شكل سلاسل ماركوف ( انظر مقالـه : Three Models for description of language, Readings in Math. Psych., 1965

(٣) وحاول هاريس شيخ تشومسكي وهو بنوى المذهب أن يعتمد في التحليل المؤدى إلى الوحدات على حصر قرائنها فقط .

(٤) لا شك أن البنويين ( الأوربيين خاصة ) تأثروا أيما تأثر بمذهب الإيجابية ويوصف بالـ Positive ويقصد منه هذا النظر فيما هو واقع ثابت أو ما يمكن معاينته لا في الأشياء الخيالية والميتافيزيقية أي الإيجابي المحسوس. ومن معاني هذه الكلمة :" الوضعي " في مقابل الطبيعي ويطلق على القانون لأنه متواضع عليه وليس هذا هو المقصود هنا من كلمة Positive .

فقد قصروا بحثهم، في الحقيقة ،على محاولة اكتشاف الوحدات وتصنيفها كما تنبّه إلى ذلك تشومسكي فكأن دراسة اللغة كلها مقصورة على فكّ رموز النص اللغوي [1] ويؤدى ذلك إلى العناية بدور المخاطب وحده وتجاهل أهم قطب في التخاطب وهو المتكلم. ولهذا حاول أصحاب النحو التوليدي التحويلي أن يعيدوا لسلوك المتكلم أهميته التي يستحقها، وخاصة محاولة التفسير لأهم ميزة تمتاز بها اللغة، وهي قدرة المتكلم على التصرّف في بنى اللغة للتعبير عن أغراضه باستعمال البنى والأوضاع المتعارف عليها فقط في وضع لغته،وبالتالي العبارات التي تنتمي إلى تلك اللغة وحدها. وهذا هو الذي يسميه سيبويه بالمستقيم الحسن. ويدخل فيه ما يستعمله عامة الناطقين أو الكثير منهم سواء أوافق القياس أم لم يوافقه ( لأنه قد يكون قياسًا فرعيًّا قد طرأ وشاع ) فالمعيار إذن ليس هو القياس بل الأكثر والأعراف والضابط لهما هو هذا القياس إذا اطّرد أو الشاذ عنه الذي شاع وكثر [٢].

ويجب أن نتنبه إلى شيء مهم لم ينتبه إليه أصحاب المدرسة التوليدية وهو أن التحليل البنوى هو من قبيل القسمة الأفلاطونية وأهم صفة تتصف بها هذه القسمة هي اندراج شيء في شيء ( Inclusion ) بينما التحليل العربي هو من قبيل القسمة التركيبية وهو إجراء شيء على شيء طردًا وعكسًا (Bijection) . والقياس النحوي العربي جوهره هذا الإجراء ولا طرد ولا انعكاس في القسمة الأفلاطونية ؛ ولذلك فالقياس العربي أرقى كثيرًا لأنه يكوّن دائمًا ما يسمى في الرياضيات الحديثة زمرة ( Group ). وكل

(١ ) أما الأمريكيون فكان لهم عذر وهو عدم فهم اللغوي منهم لجميع لغات الهنود الحمر .

(٢) وما أكثر ما يحصل من التخليط في زماننا بين المعيار والقياس ، ثم بين أنواع من الشذوذ مع أن ابن جنى وقبله أبو علي والرماني وابن السراج قد بيّنوا كل ذلك جيدا كالشاذ عن القياس وهو كثير في الاستعمال والشاذ في الاستعمال وهو القليل والشاذ في الرواية لأنه رواه واحد أو غير ثقة أو خالف جميع الرواة مع أنه شاذ في القياس . كما أنه ينبغي أن نميّز بين كثرة الشيء ( أو قلته ) في بابه وكثرته في ذاته أي شيوعه الجغرافي كما رأينا .

المنطق الأرسطوطاليسى مبني على ما تتصف به هذه القسمة الأفلاطونية : حدّه وقياسه [1].

وأما مفهوم التحويل فلا تعرفه البنوية ( باسثناء هاريس وهو شاذ ) وقد وفق تشكومسكي في إحيائه وإدخاله في النظرية اللغوية غير أنه لم يجعله الأساس في كل شيء كما هو عند النحاة العرب الأولين؛ وذلك لأن إجراء الشيء على الشيء هو عين التحويل بما أن المحول والمحول إليه متكافئان؛ فالتحويل ( مع عكسه ) من وجهة نظر المنطق ( الرياضي الحديث ) تكافؤ غير اندراجي وهو هذا الذي يحصل عليه بالقياس (أما الاندراج فلا يحصل به هذا التكافؤ). ثم التحويل عند العرب تحويلان : هذا الذي يبحث به عن تكافؤ البنى ( توافق البناء عند العرب) وهو الأهم.

وتحويل تفسر به الشواذ عن القياس . وهو السلسلة من التحويلات التي يتوصل بها من الأصل الذي كان ينبغي أن تكون عليه هذه الشواذ إلى الصورة المستعملة التي هي عليه أي بين صيغة مقدرة وبين الصيغ الموجودة بالفعل في الاستعمال [2] وفي كلا الحالين يوجد أصل وفرع( أو فروع ) . أما الأصل الذي هو منطلق كل تحويل فيقول عنه العرب:إنه " ما بُنِيَ عليه ولا يُبنى هو على غيره " أو " ما يفرع عليه الفروع " . [3] فالبناء هنا أو التفريع هو العملية التحويلية . ويمكن أن نقول على إثر ما قالوه: إن الأصل هو الشيء الثابت المستمر لأنه يوجد في جميع فروعه

(١) فكيف يجوز لنا أن نجعل من المفاهيم النحوية العربية التي هي نتيجة لهذا النوع من التحليل الإجرائي مفاهيم يونانية ؟

(٢) وهو الذي ظهر عند تشومسكي في النظرية النمطية ويربط بين البنية العميقة ( المقدرة ) والبنية السطحية إلا أن ذلك ينطبق في هذه النظرية على كل تحويل بخلاف النحو .

(٣) وقد يقترب منه النحو التحويلي إلا أنه يجعل من البنية الاندراجية المنطلق للتحويلات على حين يجعل العرب الأصل المنطلق منه أبسط الوحدات و"أقل ما يتكلم به مفرداً "والفرق كبير جدًّا إذ مجموعة التحويلات هي التي تولد الوحدات نفسها بإحلالها مواضعها من البنية الجامعة .

مع زيادة، ولذلك لا علامة له بالنسبة لفروعه؛ فهي تحتاج إلى علامة مثل المذكر بالنسبة إلى المؤنث، والمفرد بالنسبة إلى المثنى والجمع، والمبتدأ أو الخبر بالنسبة إلى الجملة التي تحتوي على زوائد عليهما، والمضارع بالنسبة إلى الماضي وغير ذلك، وهكذا نلاحظ أن الوحدات اللغوية والبنى التي تدخل فيها " تولدها، عند العرب" التحويلات نفسها بل المجموعات من التحويلات هي نفسها بنى بسبب ترتيبها[1] .


**عبد الرحمن الحاج صالح**

عضو المجمع المراسل

من الجزائر


(١) ينبغي أن نميز بين هذا النحو العلمي الذي يكثر فيه التجريد والتحليل والنحو التعليمي الذي لا يراد منه إلا الاستعانة به على تحصيل الملكة اللغوية إلا أن هذا النحو هو نتيجة عن استثمار ما حققه النحو العلمي من جهة، وعلم تدريس اللغات من جهة أخرى.

## بين العربية والتعريب في الجامعات المصرية*

للأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح

سبق التنويه بمضامين هذا البحث بين " العربية والتعريب" مقرونة ببحث آخر قدَّمه الزميل الأستاذ الدكتور محمود حافظ في مجالات الدراسة، والتدريس، والبحث، والتأليف منذ ما قبل إنشاء الجامعات المصرية الحديثة نفسها . ومع ذلك فلا تزال الشوائب تشوب أساليب مناقشاتها وأحاديثها الأكاديمية أحيانًا ، ويتطلب القضاء على هذه الشوائب ما يلي :

**أولا**: دعوة الجهات الأكاديمية المختصة إلى بذل الاهتمام بالتخطيط الشامل لاستكمال تعريب ما لم يعرب من العلوم المتنوعة في التعليم الجامعي ، تأكيدًا على أولوية اللغة القومية ، وعملاً على توحيد لغة التعليم، وزيادة حصيلة الطلاب من مضامين مواد الدراسة .

**ثانيًا**: التدريج في تحقيق هذا المطلب على مراحل متلاحقة بالنسبة للمرحلة الجامعية الأولى بخاصة ، وبما يتناسب مع طبيعة كل دراسة وإمكاناتها، وخطط كل قطاع من القطاعات الجامعية التي لم يتم تعريب علومها . ( وذلك مع مراعاة التوسع في الوقت نفسه في التأهيل باللغات الأجنبية بمثل ما اقترحته التوصيات ٩، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، من هذا البحث بالنسبة للمرحلة الأولى، والتوصيات من ١٦ إلى ٢٠ بالنسبة لما يليها من المراحل .

**ثالثًا**: حتمية اعتبار ما يتم من تعريب العلوم حافزًا من حوافز تنمية مدارس قومية فكرية وعملية،ذات أهداف ومناهج واهتمامات متميزة، دون قصره على ما يهدفه صالح الدراسة والطلاب من تيسير

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة التاسعة عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الثالثة والستين، يوم الأحد ٢١ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ ، الموافق ٣٠ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٧م .

عملية التعليم، أو تزكية اللغة القومية فحسب .

رابعًا: الدعوة إلى وضع أساسيات اللغة العربية الفصحى،في موضع الاعتبار الفعلي والرعاية القصوى من قِبَل الهيئات الجامعية في أنشطتها المختلفة بالتفصيل الذي سبق شرحه،وحفز الدارسين على الالتزام الدائم بها في المناقشات والشروح والتطبيقات الشفهية، فضلاً عن الأعمال والاختبارات التحريرية .

خامسًا: مضاعفة الجهود القائمة حاليًّا لاستيفاء تعريب التعبيرات والمصطلحات العلمية الأجنبية المستحدثة ، بالبدائل والمترادفات العربية الدقيقة في مختلف التخصصات الأكاديمية والتكنولوجية ، وزيادة المتداول من معاجمها العربية المطورة، وتوحيد مصطلحاتها في البلاد العربية والتنسيق بينها، وتيسير نشرها على نطاق واسع .

سادسًا: تدعيم وتعميم ما أنجزته بعض المؤلفات والمترجمات العربية الحديثة من إلحاق موادها بفهارس جامعة للمصطلحات الأجنبية المتداولة فيها مقرونة بما يلائمها من التعبيرات العربية والاشتقاقات المعربة المناسبة لها، مع إمكان الحفاظ معها على صيغ الرموز الاصطلاحية الأجنبية التي اكتسبت صفة العالمية أو تصعب ترجمتها إلى اللغة العربية.

سابعًا: استثمار قابلية اللغة العربية القومية الفصحى لتوليد المعاني والصيغ العلمية والتقنية المستحدثة على أسس ميسرة من القياس والاشتقاق والاقتباس والابتكار ، في تزكية الانتماء الفكري واللغوي لدى الطلاب الجامعيين، وتوجيههم إلى التمرس العملي على اعتبارها اللغة الصحيحة من المعايير الجوهرية لتوضيح المحتويات الفكرية وتحديد المعاني ومنع الالتباس في مضامين العلوم .

ومعاملة الأخطاء اللغوية والتجاوزات البيانية في إنتاج الطلاب وتعبيراتهم الشفهية واختباراتهم التحريرية معاملة الأخطاء العلمية حتى لا يستهينوا بأحد النوعين لحساب الآخر، ثم تأكيد هذه

المطالب في مجالات الدراسة العليا بوجه أخص .

**ثامنًا:** مضاعفة الجهود القائمة لإحياء عيون التراث العربي العلمي وتحقيقه ونشره، وتحديث معالجته في دراسات مقارنة تجمع بين التأصيل وبين المعاصرة .

وتوجيه الجامعات بتضمين دراسات العلوم مختارات منتقاة من مصادر التراث القومي المتميزة، التي جمعت بين الثراء اللغوي والإبداع العلمي، وذلك بما يزكي معاينة الأستاذ والطالب لقدرة البيان العربي السليم على مجاراة مطالب العلوم في كل عصر،ويكشف عن المبادئ العربية والمستعربة لهذه العلوم، أو يكشف عن جذورها المصرية والعربية القديمة حيثما وجدت .

**تاسعًا:** الضرورة الملحة إلى المزيد من التوسع في تعريب كل ما يمكن ترجمته من المؤلفات الأجنبية الرائدة في علومها ، وموسوعاتها الكبيرة وبحوثها الجديدة، وهو عمل متشعب يتطلب إنشاء جهاز قومي ضخم، يلاحق التزايد الكبير في الكم والنوع لمؤلفات العلوم والفنون المتنوعة ، ويكفل الصلة المباشرة بكل مستحدث فيها،ويتولى تصنيف المعلومات وتيسير نشرها وتداولها وتوضيح ما يمكن أن تتولاه القطاعات المتخصصة للجامعات ومراكز البحوث لتصنيف مفرداته وتقديم الأهم على المهم منه .

**عاشرًا:** الحث على تنفيذ ما نادت به بحوث سابقة، من إعادة تقويم المناهج بالنسبة للغة العربية ومحتواها، وطرق تدريسها، واختباراتها، في مراحل التعليم العام تقويما موضوعيًّا شاملاً ، بما يقضي تنفيذه على القصور الواضح فيما أصبح عليه المستوى اللغوي والتعبيري العربي الذي يخرج طلاب الثانوية العامة به، ويلتحقون بعده بالتعليم الجامعي.وهذا مع التوكيد على ما نكرر ذكره من صلة الترابط الفكري واللغوي، والتكامل العلمي بمدى التوفيق التربوي أصلا في تكون العقلية المتفتحة بين طلاب اليوم وباحثي الغد، وتدريبهم على مواصلة التعلم الذاتي عن رغبة واقتناع .

**حادي عشر :** بحث إمكانية تطوير فصول اللغات الأوربية ذات المستوى الرفيع بمدارس التعليم العام ( والمدارس النموذجية بخاصة ) حتى تجتذب إليها أكبر عدد من ذوي المواهب اللغوية من الطلاب ، وحتى تقوم ببعض ما تقوم به المدارس الأجنبية، وتحل محل مدارس اللغات الخاصة ما أمكن . ومن شأن هذا الإجراء أن يكفل للمدارس الحكومية سمعة طيبة في بلدها، وأن يقلل من ظاهرة الولاء لمدارس اللغات الأجنبية، بما هو أكثر من الولاء للغة القومية بين تلاميذ المدارس الحالية؛ الأجنبية والخاصة، كما يقلل من الانقسام في المشاركة الوجدانية والاندماج الشخصي واللغوي بينهم وبين زملائهم حين التحاقهم بالوسط الجامعي العام .

**ثاني عشر:** إعمال ما سبق أن طالبت به بحوث عدة من ضرورة التشدد العملي من قبل أجهزة الإعلام المنوعة ، في تنقية مواضيعها وعناوينها وإعلاناتها المقررة والمقروءة والمسموعة والمصورة من كل ما يخالف بنية اللغة العربية الصحيحة وسلامة التعبير ، ودقة المعارف العلمية تفاديًا للآثار الانتكاسية التي تصدم المتعلمين والناشئين في الحياة اليومية ، فيحاكيها بعضهم ويرفضها بعضهم الآخر .

**ثالث عشر:** وجوب الإقرار بأن ضرورات استكمال تعريب العلوم والتعليم وتزكية قومية اللغة العربية وتحديثها أكاديميًّا ، لا تحول- بحال من الأحوال - دون وجوب التأهيل المكثف باللغات الأوربية في كل مجالات التعليم ومضاعفة البرامج العلمية والثقافية الأجنبية بين الدارسين . وكذلك مضاعفة فرص المشاركة العلمية بين هيئات التدريس الجامعية العربية وبين مثيلاتها في الخارج .

ولا يُنكر أن عددًا من الوسائل الفعالة في هذا السبيل قائم بدوره فعلاً في الجامعات وأن بعضها الآخر يتطلب توسيع مداه، وقد ورد منها في العرض الموسع لهذا التقرير ما يمكن إجماله فيما يلي :

**رابع عشر:** التزام كل مرحلة جامعية بتخصيص ساعات محددة لبرامج ملائمة

في لغة أجنبية حية تدرس بأسلوب يتناسب مع نوعية التخصص وأهدافه، بحيث يتناول هذا الأسلوب بنية اللغة المعنية وآدابها، أو يتناول مصطلحاتها العلمية والفنية والتكنولوجية التخصصية، أو يتناول مختارات من نصوصها ووثائقها في مجال معين، أو يقوم على الاستفادة من مصادرها ومراجعها لإعداد البحوث السنوية، أو يتيح ممارستها عمليًا قراءة وكتابة، وتداولها في مادة أو أكثر من مواد التخصص.

**خامس عشر:** الاهتمام بأقسام ومعاهد ودبلومات الترجمة من وإلى اللغات الأجنبية في الجامعات، مع ضرورة توافر أعضاء هيئات التدريس المتخصصة والمكتبات والأجهزة الحديثة اللازمة لها، مع ربط ذلك بفتح مجالات العمل لخريجيها في تخصصاتهم.

**سادس عشر:** تكثيف التعامل باللغات الأجنبية في مراحل الدراسات العليا بخاصة، بحيث تتحتم دراسة مادة على الأقل من موادها بلغة أجنبية مع زيادة التفرغ المؤقت للمعيدين والمدرسين المساعدين بالجامعات لاكتساب خبرات فعلية متقدمة في لغة أجنبية أو أكثر.

**سابع عشر:** الحرص على أن تكون رسائل الماجستير والدكتوراه مشفوعة بموجز وافٍ باللغة العربية وآخر باللغة الأجنبية.

وتأكيدًا للنتيجة العملية لهذا النص يحسن أن تتولى كل حولية أو دورية جامعية نشر الملخصات الأجنبية (أو العربية) لما تجيزه جامعتها من الرسائل، وهو مطلب يخرج بها عن دائرة المحلية، ويفيد في التعريف بمضامينها في الداخل وفي الخارج.

وعوضًا عن هذا يمكن إلزام كل صاحب رسالة أكاديمية تُقدَّم باللغة العربية، باجتياز اختبار خاص سابق يقوم على مناقشة وتحليل عدد من المراجع الأجنبية المتصلة برسالته، قبل السماح بمناقشتها:

**ثامن عشر:** إتاحة فرص المهام العلمية وإجازات التفرغ العلمي، للمدرسين والأساتذة المساعدين المؤهلين

بالدكتوراه من الجامعات المصرية، لفترات مناسبة يقضيها كل منهم في بلد أجنبي متقدم ، حتى يعايش اللغة الأجنبية بين أهلها، ويلتزم خلالها بإعداد بحث علمي في تخصصه يقوم به في الخارج منفردًا أو متعاونًا مع غيره .

**تاسع عشر:** رصد أكبر ما يمكن رصده من موازنات وجهود؛ لتوفير ما يتطلبه عمل الأستاذ والطلاب في المكتبات والمختبرات الجامعية، من مراجع وموسعات، ودوريات أجنبية، وأجهزة وأفلام علمية ، وبطاقات وتسجيلات مبرمجة بمعلومات عن كل تخصص؛ مع التسليم بأولوية هذه المطالب على كل ما تدعمه الدولة من احتياجات الجامعات وطلابها .

**عشرون:** التوسع في اعتبار ترجمة المؤلفات الرئيسية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وكذلك الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية، من الإنتاج العلمي للقائمين بها من أعضاء هيئة التدريس الجامعي ، إذا ما ألحقوها ببعض التعقيبات الضرورية لها .

**عبد العزيز صالح**

عضو المجمع

# الإبدال*

للأستاذ الدكتور محمد نايل أحمد

تحدثت في بحث سابق عن رافد من روافد هذه اللغة، وهو" التعاقب" [١] أشرت فيه إلى ما فعله أبو عليّ القالي، إذ أفرد له الجزء الثاني كاملا في أماليه. واليوم أتحدث عن رافد أعظم، هو أكثر نفعًا وأبعد أثرًا في قضية التنمية اللغوية ، إنه الإبدال ، وقد يشتبه الأمر أحيانًا في التفريق بين الإبدال والتعاقب ، بل خَلَط بينهما كثير من المؤلفين ومن هنا أجد من الخير أن أنقل كلمة ابن فارس فى التفريق بينهما، إذ عقد للإبدال فصلاً بعنوان مستقل في كتابه "الصاحبى" [٢] جاء فيه: "من سنن العرب إبدال الحروف ، واقامة بعضها مقام بعض ، فيقولون : مدحَه ومدهَه ... وهو كثير مشهور ، ألّف فيه العلماء . فأمّا قول الله جلّ ثناؤه " فانفلق فكان كل فِرق" [٣] فاللام والراء يتعاقبان، كما تقول العرب: [ فَلَق الصبح وفَرَقُه ].

فهو يرى أن الإبدال يجيء فيما تشابه فيه الحرفان جرسًا وصوتًا ( تقارب المخارج) وأن التعاقب فيما تباعد فيه الحرفان،وهذا هو الفرق الذي ينبغي الالتزام به للتفريق بينهما ، دفعًا للخلط والارتباك.

وبينما لم يحظ التعاقب إلا بالجزء الثاني من الأمالي ، حظى الإبدال بكتابين مستقلين ، وبفصلين محدودين في كتابين آخرين ، بدأ بكتاب ابن السِّكّيت (٢٤٤هـ) الذي أصدره المجمع اللغوي في عام ١٩٧٨ ثم كتاب أبي الطيب اللغوي ٣٥١هـ الذي صدر في دمشق في عام ١٩٦٠، وبفصل في "الخصائص " لابن جني[٤]

*ألقى هذا البحث في الجلسة العشرين من مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم الاثنين ٢٢ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٣١ من مارس (آذار ) سنة ١٩٩٧م .

(١) نشر في بحوث الدورة السابعة والخمسين ، في الجزء السبعين في مايو سنة ١٩٩٢م .

(٢) تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر ص ٣٣٣ .

(٣) ٠٦٣ سورة الشعراء .

(٤) تحقيق الشيخ محمد على النجار ج٢ص٨٢.

( ٣٩٢ هـ)، وآخر في الصاحبي"[1] لابن فارس (٣٩٥هـ).

واهتمام العلماء بالإبدال، وكثرة تأليفهم فيه ، يدل على أهميته الكبرى في باب التنمية اللغوية ، وأنه رافد عظيم النفع في إمداد اللغة بالألفاظ بلا حدود مع إسعاف العلماء في ترجمة مصطلحات العلوم ، إذ يقدِّم لهم أكبر عون في تعريب هذه المصطلحات .

ونظرة متأنية فيما جاء بكتب الإبدال ، من النصوص التي حدث بها هذا التصرف، تبعث العجب من قدرة العرب على تلوين الخطاب ، وتنويع الأساليب.يروي أبو عبيدة [1] من كلامهم ( بيني وبينه قاب رمح،وقاد رمح: أي قدر رمح ) ، ثم (قيدَ رمح وقيب رمح ) ، كما يروي الأصمعي قولهم : قد عاث فيه وهاث فيه .. إذا أفسده ، وتريَّحَ السحاب وتريَّهَ : إذا جاء وذهب [2] - هذا التصرف في ألفاظ اللغة بهذا القدر من التغيير ، وبهذا التوسع العجيب في التبديل والتحوير ، وفي جرأة لا تكاد تقف عند حد ، يعطينا مؤشِّرًا واضحًا بأن هذه اللغة ليست ميراثًا جامدًا ، يأبى التصرف والتبديل ، وإنما هو ضوء أخضر ، يفتح الطريق أمامنا للسير كما ساروا ، وبالنهج الذي نهجوا. بل نحن أشدُّ منهم حاجة إلى اتباع هذه المسيرة التّقدُّمية، لإشباع اللغة بالجديد من الكلمات لتعيش في العصر، وتقضي حاجة التقدم المذهل في علوم الحياة التي تنمو يومًا بعد يوم.

إن الوقوف في مجال الألفاظ عند القدر الذي استعملوه يوشك أن يكون عقوقًا لهذه اللغة ، وصدًّا لها عن وسائل النّمو والحياة ، وملاحقة العصر في نمو حضارته وثقافته ".

ولا أجد حرجًا في القول بأن الفطرة اللغوية في شعوبنا العربية،

(١) تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر ص ٣٣٣.

(١) ، ( ٢ ) ص ١٤٢ من ابن السكيت .

تُولّد من الألفاظ والأساليب قدرًا جعل لجان المجمع تتابعها بالدارسة والتفصيح ، إنها الفطرة التي لا تزال تنبض في عروقنا ، وترفض الحجر أو التحجُّر في منطقها وأسلوب التعامل الواعي مع اللغة في حياتها ، وهو ما تتابعه لجنة الألفاظ والأساليب في هذا المجمع ، لتفصيحه وإقرار استعماله ، ما دام لا يخرج عن أساليب العربية الموروثة .

إن وسائل التنمية اللغوية لا تزال في حاجة إلى المزيد من الدراسة ، وإلى استثمارها وتوظيفها في مواجهة التقدم العلمي والحضاري ، الذي يطالعنا بالجديد يومًا بعد يوم ، لنثبت واقعيًّا أن لغتنا لا تزال حية ، تنمو وتلد وتتكاثر ، وتتمتع بكل مقومات الحياة الحضارية .

إن على علماء اللغة عامة ، وعلماء المجامع خاصة، تبعة ثقيلة، أن يبعثوا الحياة في لغتهم، وأن يقوموا بإمدادها بالدراسات المتخصصة العميقة ، في كل فروع اللغة، ليعيدوا إليها شبابها وحيويتها، إنها محفوظة بحفظ الكتاب الذي نزل بها ، والمطلوب فقط هو تحريك الدماء في عروقها ، ليظل نبض الحياة فيها قويًّا .

**محمد نايل أحمد**

عضو المجمع

# ثانيًا: أبحاث

# لم تُلــقَ في المؤتمر

## التعريب : دائرته وأبعادها

للأستاذ على رجب المدني

أسعدني رئيس مجمعنا الجليل إذ تفضل فضمَّن رسالة دعوتي للحضور تعبيرًا عن سعادته بأن أُعد بحثًا أُسهم به في الموضوع الرئيسي لدورة هذا العام وهو (التعريب) .

وما ذلك إلا لأن هذا الموضوع يمثل بالنسبة لي (الحلم) الذي ما برح - منذ ما يزيد عن نصف القرن - يحتل الجزء الأوسع من اهتمامي وإيماني باتصاله بكل القيم التي تشكل التزامنا حيال عقيدتنا وحضارتنا، وكرامتنا، ودفاعنا عن الصرح الحضاري الذي شيده أسلافنا .

إنني أعلم من مفهوم التعريب المراد منا أن نتحدث في إطاره، أنه يتركز في بحث أنجع الوسائل وأيسر السبل التي تمكن من استيعاب أجيالنا الحاضرة واللاحقة لما استجد من علوم على أيدي حضارات (أملت عليها شهوة الانفصال عن المنبع، وشهوة المنافسة والثأر والاحتواء والغلبة المادية والانتشار ) أن تقيم هذا الصرح العلمي المادي الذي نشاهده والذي يقوم في معظمه على أسس من معارف أبرزها أسلافنا في عصور النهضة الإسلامية التي شيدوا أركانها وخلفوا معالم مجدها ( مع تجاهل أولئك في الكثير الأكثر واعتراف في القليل الأقل بتلك الحقائق والأُسس).

إنني لا أريد أن يفهم أحد أني أنطلق هنا من مفهوم الدفاع عن أمجاد قديمة اختصنا بها التاريخ الإنساني ؛ لأنني لم أنطلق يومًا فى تفكيري ورؤيتى إلا من منطلق إيماني بوحدة الأسرة الإنسانية، تلك الوحدة التي تستبعد فضل ( عربي على أعجمي إلا بالتقوى ) ، والتي تقوم على مفهوم الأب الواحد والأم الواحدة، كما يَبِينُ من أبحاثي السابقة والأسانيد التي أوردتها في هذا المجال من القول ( مما لا أرى داعيًا لتكراره هنا ) ، غير أني أحب أن أضيف في هذا الصدد إلى ما

سبق أن قلته بعضًا مما لم أقله، من شأنه أن يضع نقطًا على بعض الحروف ويبدأ خطوة ( لا يحسن تجاهلها ) في طريق (الألف ميل ) التي ستنتهي إلى إدراك حقيقة تُعرِّف الإنسان ( في كل مكان ) بجوهر العربية ، وما إذا كانت لغة أو منتمى عرقيًا ، وتصنيفها كمصدر لما توالد في محيط الأسرة البشرية من لغات ولهجات منذ آدم عليه السلام .

إن الاستقراء الواعي والمتأني والبعيد عن كل المؤثرات الخارجة عن نطاق (البحث العلمي المتجرد) سوف يصل بالإنسان إلى إدراك الحقيقة ناصعة خالية من الزيف وبعيدة عن التضليل .

وإن ضرورة التحديد والتركيز لتقضي ( من وجهة نظري ) بتجزئة الموضوع إلى عناصر يتم تناول كل منها في بند مستقل يمكن من الإحاطة بأبعاده.

ولذا فقد رأيت أن أضمن هذا البحث بنودًا، أحاول في كل منها الإجابة على سؤال من الأسئلة التالية:

١)ما هي اللغة التي تخاطب بها أبو البشر الأول ( آدم عليه الصلاة والسلام ) مع زوجه وبنيه وأحفاده؟

٢)هل القومية العربية تقوم على وحدة اللغة أو الانتماء العرقي ؟

٣)هل اللغة العربية لغة كسائر اللغات أو أن لها ( من وجهة نظر تاريخية وروحية) تميزًا عالميًا يضعها في مركز التفرد والمصدر لغيرها من اللغات؟

٤)هل صحيح أن اللغة العربية تفردت في مرحلة من التاريخ (اعتورها الجزر والمد ) بمركز الصدارة والريادة في مجالي العلوم والحضارة الإنسانية ؟

إن هذه الأسئلة الأربعة هي ( بين العديد من الأسئلة المتصلة بها ) أهمها وأحدرها بالتركيز عليها في هذا البحث على الأقل .

وإن الإجابة عليها ستتكفل بتأكيد حقيقة أن التعريب لا يعني

فقط أن نُعَرِّبَ ما لدى الآخرين مما نحن في حاجة إليه لمسايرة ركب الحضارة المعاصرة ، وإنما يجب أن نميط القناع عن وجه الحقيقة التي ستخاطب العقل الإنساني والضمير الإنساني بما يستهدف العودة إلى وحدة الجذور التي انطلقت منها شجرة أبناء آدم وحواء الوحيدة الفريدة ، والتي لا تسمح تلك الحقيقة بأن تنافسها شجرة غيرها في كوكبنا لتقسيم البشر إلى أكثر من قومية ومُنتَمى .

وإني لألتمس العون من الله وحده في محاولتي الإجابة على كلٍّ من الأسئلة الأربعة :

إن أهم تلك الأسئلة وأدعاها للجدل والاختلاف إنما هو السؤال الأول الذي أخشى ألا يدع واقع الإنسان المعاصر مجالاً للاقتناع بمضامين إجابتي عليه ، إلا إذا تحقق له قدر من الاهتمام الجدي يجعله موضوع حوار عقلي منفصلاً عن نوازع العاطفة والأثرة ! ... منطلقًا في تجريد مطلق إلى آفاق البحث العقلي الصادق في أعماق التاريخ؛ للتعرف على أهداف الوجود الإنساني السامية فوق هذا الكوكب في اقتناع، ومحاولة إقناع وتحرر من قيود الذات العامة والخاصة .

إن الاعتراف الإيماني الذي تلتقي حوله مختلف المعتقدات الإنسانية بحقيقة المعجزة في خلق الإنسان الأول ( آدم عليه السلام ) الذي أراد الله أن يكون وزوجه المصدر لما بث منهما من رجال كثير ونساء ما برحوا يتعاقبون ويخلف بعضهم بعضًا فوق هذا الكوكب ، هذا الاعتراف يقتضينا أن نعترف أيضًا بأن اللغة التي أخذ يُعرب بها آدم ( أي يفصح ويبين كما تقول القواميس ) عما في نفسه في مواجهة حواء زوجه أولاً ، ثم في مواجهة ما رزقه من بنين وحفدة وما تعاقب بعد هؤلاء من خليقة ، إنما كانت ( أي تلك اللغة ) هي العربية

التي لا تعني تسميتها سوى الإفصاح والإبانة .

وما اسم آدم ( حسبما تعرفه قواميس العربية ) إلا الكلمة العربية الأولى التي اقترنت بخلق آدم عليه السلام.

فالأُدْمَةُ في العربية السُّمْرَةَ ومنها أُدُمَ فهو آدم ، وهو الاشتقاق الذي اختاره الله اسمًا لأبي البشر دالاًّ على ما اتسم به من سمرة تعاقبت كلون غالب على بنيه من بعده بتلاؤمًا مع طبيعة الحياة على كوكب الأرض التي تجعل من اللون الأسمر أكثر الألوان انسجامًا مع تلك الطبيعة .

وإذا كانت أول كلمة اقترنت بخلق آدم عربية كما نرى ، فأحرِ بما تعاقب بعدها من مفردات تُعرِب ( أي تفصح وتبين ) عما يقصد ناطقها ، أن تكون هي اللغة العربية أيًّا كان تركيبها وكيانها اللفظي، وما دخل عليه من تطوير وتغيير حتى عصر الملك نمروذ الذي يروي التاريخ أنه أول عصر بدأت فيه اللهجات واللغات تتعدد وتنتشر، تبعًا لانتشار الإنسان وتعدد ألوانه ومشاربه وأنماط حياته وتباعد مواقع تجمعاته .

وإذا رجعنا إلى العديد من مصادر التاريخ كالبداية والنهاية لابن كثير، ومروج الذهب للمسعودي، وبعض دوائر المعارف والموسوعات التي لا نرى أن نطيل بسرد نصوصها، فإننا نجد فيها ما يؤكد، حقيقة، أن اللغة العربية هي اللغة الأولى التي تكلمها آدم وذريته إلى ما بعد الطوفان وحتى عهد ( نمروذ )، كما سبق أن أشرت ، وما على من يبتغي التأكد مما أقول إلا أن يتقصَّى تلك المراجع ، فسوف يجد فيها ما يؤكد أن آدم لم يقتصر على نطق العربية نثرًا وإنما نظمها شعرًا عربيًّا يرثي به ابنه هابيل عليه السلام، وأن أبياتًا من الشعر العربي أيضًا وُجدت مكتوبة على قبر أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام .

أخلص من هذا التحليل إلى القول بأن الله حين خلق آدم اختار له العربية لغة بدأها باسمه ثم بما علمه من أسماء : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ) الآيتان ٣٠ - ٣١ من سورة البقرة .

وليس ثمة ما يحول دون أن نؤسس رؤيتنا على أساس من الاعتقاد بأن النصوص القرآنية ( في مختلف الأحداث التي تحدثت عنها ) إنما أوردت النص العربي الذي استعمل في تلك الأحداث (وليس ترجمة له) .

وعندما يستقر إيمان المؤمنين على ما ذهب إليه العديد من كبار أئمة الإسلام، كالإمامين البخاري وأحمد ابن حنبل، منَ أن القرآن ( قديم قدم الله ) فإننا لا نملك إلا أن نعتقد أن العربية ( كلغة ) قديمة قدم الله أيضًا إذ أن خصوصية القرآن (بين ما يسند لله من قول ) تجعلنا نعتقد أن الله قد صاغه منذ الأزل بلسان عربي مبين، وليس بنافٍ لهذا أن يكون الله قد أنزل كتبًا بلغاتِ من أنزلت إليهم، بعد أن انتشرت لغات غير العربية، فاقتضت أن يُرسل إليهم الرسل بألسنتهم ليبينوا لهم ؛ ولا يستقيم أن يقال: إن الله قد نقل القرآن إلى العربية، عندما بدأ إنزاله على محمد؛ لأن إعجازه إنما ينبعث من نفحة النطق الإلهي بنصوصه .

ولأن العربية التي آثرَهَا الله بصفتي الإعراب والإبانة،وأنزل بها القرآن على محمد لتكون لغة الخطاب للناس جميعًا والرباط الذي يربطهم بآصرة الآخرة الإيمانية في الرسالة الخاتمة، وضمنها نصوصًا لأوجه حوار دارت بينه وبين الملائكة، وبينه وبين آدم، وبينه وبين إبليس، ثم بينه وبين العديد من الرسل (عليهم الصلاة والسلام ) ، بل وبينه وبين غير البشر من خلقه كالأرض والسماوات ،

هذه اللغة لا يمكن أن يكون الله قد آثر عليها لغة سبقتها، أو لحقتها، ولا يمكن إلا أن تكون لغة الله الأولى .

ولئن كانت اللغات واللهجات قد أخذت تنتشر وتتعدد منذ عهد نمروذ كما أسلفنا، فإن ذلك لا يصلح دليلاً ولا سببًا لنفي حقيقة أن اللغة الأولى والأم هي العربية، ولنا أن ندعم اعتقادنا هذا بالدعائم التالية :

أن الشعوب التي ظهرت إثر الطوفان إنما هي الشعوب العربية المتمثلة في عاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة ، وهي الشعوب التي أفرزت ما بعدها من شعوب ذات لهجات ولغات متعددة بقدر ما طرأ عليها من تشتت، وما باعد بينها من مسافات ، مما يؤكد أن إبراهيم عليه السلام وقومه إنما كانوا امتدادًا لها، احتفظوا بالكثير من نصوصها، ثم تلاحقت مع القحطانية ( في قصة جرهم المشهورة ) على عهد إسماعيل ابنه - عليه السلام - الذي تعده بعض مصادر التاريخ التي أشرت إليها، أول من حقق للعربية" التهذيب الأول " من مراحل التهذيب الثلاثة حسبما أوردته دائرة معارف القرن العشرين في الجزء السادس صفحة ٢٨١ من الطبعة الثالثة الصادرة سنة ١٩٧١ م عن دار المعرفة( بيروت ).

وما أظن شيئًا مما أورده القرآن من حوار بينه، وبين الملائكة في قصة خلق آدم، وما لحقه من حوار معه ومع إبليس وآدم وأهله وبنيه، ثم بين نوح وقومه، وهود وقومه، وصالح وقومه، وإبراهيم وقومه، وبينه وبين ابنه إسماعيل،وما كان منهما من دعاء مشترك لله ، قد كان بغير اللغة العربية التي ارتضاها الله لغة لخاتم كتبه الموجه إلى جميع البشر في النبوة الخاتمة.

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى ما أورده المسعودي بالجزء الأول من كتابه (مروج الذهب ) طبعة ١٩٨٣ الصادرة عن دار الأندلس، وذلك بالصفحة (٥١) فما بعدها مما يلي نصه:

" ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة وهم: سام، وحام، ويافث وكنّاتُه الثلاث أزواج أولاده، وأربعون رجلاً وأربعون امرأة ، وصاروا إلى سفح الجبل فابتنوا هنالك مدينة وسموها ثمانين" ... ( وهو اسمها إلى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة للهجرة ) واندثر عقب هؤلاء الثمانين نفسًا ، وجعل الله نسل الخليقة من نوح من الثلاثة من ولده، وقد أخبر الله عز وجل بذلك بقوله :" وجعلنا ذريته هم الباقين " الآية٧٧ من سورة الصافات والله أعلم بهذا التأويل. انتهى المسعودي .

وأهم ما يعنينا من هذا الاقتباس من مروج الذهب أمر الثمانين واستعمال عددهم اسمًا لمدينتهم مما يلقي الضوء على حقيقة أن العربية كانت هي لغتهم، وحقيقة أن كل ما ورد من خطاب نوح عليه الصلاة والسلام لقومه وابنه يَام ودعائه لربه، إنما كان بالعربية التي كانت لغته ولغة قومه:

" فإن توليتم فما سألتكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين " الآية ٧٢ من سورة يونس . ( من خطاب نوح لقومه )

" ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين".الآية ٤٢ من سورة هود .

ومن منطلقنا هذا لن نكون راكبي شطط، لو قلنا واعتقدنا أن كل حوار ورد في القرآن بين الله ورسوله وبين أولئك الرسل وأقوامهم، إنما تم بنفس النصوص العربية التي أوردها القرآن، وإن استعمال بعض أولئك الرسل وشعوبهم لبعض ما استجد من لغات،منذ عهد الملك (نمروذ)، الذي امتد ملكه خمسمئة سنة ، في مخاطبة أقوامهم لا ينفي بالضرورة أن أولئك الرسل وبعض من أرسلوا إليهم قد ورثوا العربية بالقدر الذي يسَّر لهم استيعاب مضامين تلك النصوص، واستعمال ما استعملوه منها مما لا

يشكل منافاة لمضمون قوله تعالى " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم". الآية ٤ من سورة إبراهيم .

وإذا كان التبيين إنما يعني الشرح والإيضاح فإن نفي المنافاة يتأكد .. ولا يبقى من تعارض أن تكون تلك النصوص القرآنية استعملت بنصها، وأن تكون الألسن واللهجات الخاصة قد استخدمت في النطاق الأوسع من الإيضاح والشرح والتبيين.

**حضرات الزملاء الأجلاء :**

إني أتجنب الإطالة عليكم بالاكتفاء بهذا القدر من الإجابة على السؤال الأول تاركًا لحضراتكم (بما تميزتم به من سعة الاطلاع بالقدر الذي قد يزيد على ما تيسر لي) أن تضيفوا ما ترون في هذا المجال من القول ؛ وأمضي مستعينًا بالله للإجابة على السؤال الثاني :

ولابد لنا قبل أن نمضي في الإجابة على هذا السؤال من أن نورد عددًا من النصوص القرآنية والنبوية التي نستند إليها فيما نعرضه من رؤية وتحليل :

" نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين " إلى آخر الآيات ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ من سورة الشعراء.

" الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر ألاَّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم " الآية ٩٧ من سورة التوبة " .

" ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم" الآية ٩٨ من سورة التوبة ".

ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ". الآية ٩٩ من سورة التوبة

حديث : " ليست العربيــة في أحدكـم من أب أو أم وإنما هي لســـان ، فمـن تكلم العربية فهو عــربي".

حديث : "تعلموا العربيـــة وعلموهـا الناس فإنها لسان الله يوم القيامـــة ".

حديث خطبة الوداع :" أيــها النـاس إن ربكـــم واحـــد وإن أبـــاكم واحــد،كلكـم مـن آدم، وآدم مـن تراب، لا فضل لعــربي علـى أعجمـي إلا بـالتقوى، إن أكرمكـم عنـد الله أتقـــاكم".

**دلالات هذه النصــوص**

إنه لغني عن التأكيد ( الــذي إنمـا يدفع إليه عادة شـك المخـاطب ) أن نقول إن العربية ليســت إلا لســانًا أراد الله له في المدى الأقصى لتقدم الإنســان ووعيه واستيعابه لمضامين الكتاب الـــتي اتخذها الله لســانًا لــه، أراد أن يتطــور على نحو متدرج كرباط قومـــي يتســع حتى يشمل جميع الناس الذيــن يحملــهم هــذا الكوكــب ؛ فتتحقـــق إذ ذاك المشيئة العلوية التي اقتضـت أن يكـون كل بني آدم وحواء الأســرة الإنســانية الكبرى، التي تحدثت عنها الآيـــة الأولى من سورة النساء وضمنتها حديثًــا عـن الأرحام مطالبـــة إيــاهم أن يتقــوا الله فيها .

وإنما تنطلق قوميتنا العربيـــة ( الــتي نعتز بها اعتزاز الرائد بريادته) مــن هـذا المضمون، الذي لا يقيم وزنًــا لمفـهوم الأعراق، والمنتميات العرقيــة، والقَبَليَّــة والعصبية قــدر مـا يقيمــه مـن وزن لقومية اللسان الـــتي تتكفـل وحدهـا بتيسير التخــاطب ( والتعـارف الـذي جعله الله السبب الأوحــد لمـا جعـل عليه البشر مـــن شـعوب وقبـائل) : ( يأيها الناس إنا خلقنــاكم مــن ذكــر وأنثــى وجعلنــاكم شـعوبًا وقبــائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقـــاكم " الآية ١٣ من سورة الحجـــرات.

فالقوميــة الحــق الــتي أراد الله أن تكون الإطار الإنساني للبشــرية كلــها، إنما هــي (قوميــة العربيــة ) كلســان يجمعــها ويتيــح لفرقائــها التعــارف،

والتآلف، والتعاطف، والعمل للخير المشترك بعاطفة العرق الواحد المنحدر من آدم وحواء عليهما السلام ؛ ذلك العرق الذي لا يستبيح قطعه أو توزيعه إلى أعراق تتعارض وتتساقط إلا أولئك الذين يسعون لأن يقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ويفسدوا في الأرض .

وإذا تلمسنا الأدلة والإشارات إلى حقيقة ما تقدم فما علينا إلا أن نقف عند الحكمة الإلهية، التي جعلت القرآن ينصرف عن تمجيد الأعراق والقوميات ولا يتحدث عن خاتم أنبيائه ورسله للناس جميعًا إلا بما يتصل بصفات الكمال الخُلُقيّ دون أن يذكره بانتمائه العربي لأنه بُعث للإنسانية كلها كعظيم من عظمائها الذين يرتفعون فوق نعرات الجاهلية وتبجحها بالأنساب والأعراق ؛ بل إنه آثره بأن يكون من ذرية إسماعيل الذي تنتمي إليه العرب المستعربة حتى لا تدعى العرب العاربة تميزًا لها بانتمائه إليها على نحو يثير تحسسًا أو نقصًا لدى من ليسوا من العرب العاربة ؛ ولقد أضاف إليه تشريفًا جعله ينحدر من أزكى ثلاثة دماء عرفت في المنطقة الوسطى التي اختارها الله موطنا (للأمة الوسطى)، مما يؤكد تميزه وأهليته لأن يكون رسولاً للإنسانية كلها وفق ما أراد الله له ، وما كان اعتزازه الدائم بالانتماء لقريش التي كانت تمثل في معظمها ذلك المزيج الطاهر الزكي من الدماء الثلاثة إلا ليؤكد على حقيقة ما ذكرنا من أنه رسول الإنسانية كلها الذي لا تحكمه عصبية الانتماء إلى عرق بعينه من شأنه أن يدعى التميز على غيره من الأعراق ؛ ولذا فإنه استعاض عن استعمال وصف (العربي) بوصف (المؤمن)، و لم يكن من بين تعاليمه شعار ( العربي أخو العربي)، وإنما كان شعاره الأوحد ( المؤمن أخو المؤمن ) ومضى في توسيع دائرة القرابة بين مختلف

الانتماءات إلى الحد الذي جعله يقول عن سلمان ( الفارسي أبًا وأمًا ) : "سلمان منا أهل البيت "متجاهلاً كل ما يفصل الإنسان عن أخيه الإنسان مما اصطلح الناس قديمًا وحديثًا على الاعتداد ( بل والاعتزاز ) به .

ونزل القرآن العظيم ليقول: " لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون " الآية ٢٢ من سورة المجادلة .

وغني عن الإيضاح ما تنوه به هذه الآية من قومية الإيمان وإخراج الآباء والأبناء والإخوان والعشيرة من دائرتها، إن كانوا يحادون الله ورسوله. أما مغايرونا في العقيدة الذين لا يتسمون بهذه السمة العدوانية في مواجهة الله ورسوله والمؤمنين، فإن الله لم يستنكر علينا أن نبرهم، ونقسط إليهم، ونحترم جوارهم. وحقوقهم الإنسانية ولو لم تصلنا بهم تلك القرابة الوشيجة .

" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهرو على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون" الآية ٨ ، ٩ من سورة الممتحنة .

وفي هذا تأكيد على حقيقة أن سماحة الإيمان لا تسمح للمؤمن بأن يتخذ من العداء والعدوان سلاحًا على من لا يتفق معه في العقيدة ، وأن حقه مقصور على ردّ ما يقع عليه من عدوان، وما ذلك إلا لأن تعاليم القرآن وحدها كفيلة ( وهي تخاطب

عقل الإنسان ووجدانه ) بأن يستأصل من صدره شأفة الحقد، وتستميله إلى سبيل المحبة والتعاطف والتعايش، حتى مع من يختلف معهم في الرأي أو العقيدة أو من يستشعر منهم عداوة له .

" ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم" الآيات ٣٣، ٣٤، ٣٥ من سورة فصلت .

نخلص في الإجابة على السؤال الثاني إلى القول بأن العربية ( كلغة ) هي في ذاتها منتمًى قومي بدأت دائرته ضيقة حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم بدعوة القرآن لتفتح بابها؛ كي تتسع وتتدرج في اتساعها إلى الحد الذي يجعلها لغة الناس جميعًا، وقومية الناس جميعًا مستمدة تميزها هذا مما أوردنا من حقائق تصُبُّ في حقيقة واحدة هي أنها ( لغة القرآن ) الذي أنزل للناس جميعًا باعتبارهم أبناء أسرة كبيرة مترامية الأطراف ينحدر أبناؤها جميعًا من أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء ، وما كان لرباط من هذا القبيل أن يتسع للعديد من القوميات والأعراق والعصبيات، ويتجاوز قدسية الرحم الواحدة ، أيًّا كانت فوارق الرأي والمعتقد .

أما السؤالان الثالث والرابع، فيحسن بنا أن نجيب عليهما بجواب واحد لما بينهما من ترابط وتداخل في المنطلق والغاية .

ولعلي أعفي نفسي والزملاء الذين يتفضلون بالصبر الجميل على سماعي من الاستطراد والإطالة عندما أقول إن التميز التاريخي والروحي الذي تحدث عنه السؤال الثالث يبدو واضحًا من التحليل الذي أوردته في الإجابة على السؤالين الأول والثاني،

على نحو لا يتطلب مزيدًا من التأكيد على تميز العربية تاريخيًا وروحيًا مما يؤكد أن الإجابة على السؤال الرابع إنما تستقي إيجابياتها مما برز من مجموع المزايا والمؤشرات التاريخية والروحية، وما تعالت به أصوات المنصفين، من علماء الغرب والشرق ممن لا تربطهم بالعربية رابطة، من اعتراف واضح وصريح ومنصف (في العديد من مصادرهم) بالدور الفعال الذي أدَّته النهضةُ العلمية العربية في العصور الوسطى للحضارة الإنسانية، مما أدى إلى الأخذ بأيدي غير العرب من الظلمات إلى النور آنئذ؛ وأهَّلَ أحفادهم وأصحاب إرثهم لأن يستردوا من الحضارة المعاصرة دينًا لأسلافهم يضاعف شجاعتهم على أن يقتحموا ميدانها بعزيمة صاحب الحق، الذي ينهض من كبوته ليسترد مكانه بين الآخرين الذين استمدوا جُلَّ أسس حضارتهم السليمة من ميراث أجداده، وهو الميراث الذي انتزعوه من خلال غارات ظالمة استباحوها لأنفسهم؛ لاستلاب ذلك الميراث من أهله الشرعيين، ثم التآمر لعزلهم عن نتائجه والحيلولة بينهم وبين التقدم العلمي الذي يمكنهم من أن يقفوا أندادًا لهم وشركاء مرفوعي الرأس، ويحُولوا دون أن تستباح بلادهم وثرواتهم؛ لينعم الغاصب بلبابها، ويترك أهلها يتمرغون في القشور .

**سادتي الزملاء الأجلاء :**

آن لي أن أتلمس سبيلي لإنهاء هذا البحث ببعض الآراء والمقترحات، التي آمل أن تحقق إضافة إلى ما تتفضلون بإصداره من قرارات، تستهدف تحريك قطارين للتعريب يسيران متوازيين وبسرعة العصر إلى مداهما المأمول ، على نحو ما سأوضحه في الأسطر التالية :

إنني أحب أن أركز على ما أراه ضروريًا من خطوات تهدف إلى جعل التعريب ينطلق في خطين متوازيين : أولهما يمضي إلى المدى الأبعد في

تعريب المصطلحات على نحو أسرع وأشمل وأعمق بالقدر الذي يختصر المسافة الزمنية؛ للوصول لحلم تعريب المناهج العلمية كافة ، وسبيلنا إلى ذلك أن نستفيد من العلماء المختصين (على أعلى المستويات) في استخدام الحاسوب بكثافة أشد وأدق وأعمق؛ حتى نجعل المصطلحات في متناول من يستهويهم التعامل مع أجهزته أكثر مما يستهويهم التعامل مع الكتب والأبحاث المكتوبة، التي لم يعد يقبل على اقتنائها والإفادة منها إلا القليل.

وهذا المنهج المقترح هو ما يمكن أن نسميه ( استيراد المعرفة من خلال التعريب) ولست أراه وحده السبيل الموصل إلى تعريب المناهج، إذا لم يقترن به تحريك قطار موازٍ يسرع بنا إلى تعميم تعليم العربية على مستوى شعوب الأرض كافة باستخدام وسائل التقنية الحديثة، التي يحتل الحاسوب أيضًا محل الصدارة فيها، إلى جانب تقنيات أخرى يحسن بنا أن نكل تحديدها والإرشاد إليها إلى نخبة من العلماء المتخصصين، وبجانبهم نخبة مختارة من الفنيين في مختلف وسائل الاتصال ونقل المعلومات، على النحو الذي تتذوقه أمزجة الناس العاديين، وبالطرق التي درجت عليها الدول المتقدمة، وبلغت بها مراحل متقدمة في تعليم لغاتها، على نحو جعل المسافة بيننا وبينها لا تختلف في تصور الكثير من الناس عن مسافة ما بين القطبين .

وإني أختتم برجاء مُلِحٍّ أن يتفضل مجمعنا في دورته المباركة هذه فيضمن قراراته قرارًا بتشكيل لجنة موسعة تضم من يرغب من الأعضاء ( وآمل أن أتشرف بأن أكون واحدًا منهم ) إلى جانب عدد غير قليل من علماء المجمع الخبراء، وغيرهم ممن تؤهلهم خبرتهم الفنية العالية في مختلف التخصصات التي لا غنى عنها؛ لإعداد برنامج عالمي يساعد على طي مسافات الزمن، وجعل العربية تحتل حيِّزَها اللائق في أذهان وأدمغة الناس

في كل بقعة من بقاع الأرض؛ فنقطع بذلك أهم الأشواط لتعريب الإنسان وتحقيق (قومية العربية ) التي تمكن كل إنسان من أن يقرأ القرآن بلغته؛ فينهل من إعجازه وإشباعه العقلي ما يوحّد عقول البشر جميعًا حول أهداف الإخاء والمحبة والأسرة الواحدة والسلام الشامل .

على رجب المدني

عضو المجمع من الجماهيرية

العربية الليبية العظمى

# التعريب

## حديث قديم ومتجدِّد

## ١٨٨١ - ١٩٢٣م

للأستاذ أحمد شفيق الخطيب

### تمهيد

الحديثُ في موضوع التعريب وعنه قديم ومُتجدِّد - المُتجدِّد منه أذكرُ أني استمعت فيه إلى فيضٍ مُقنعٍ منه في هذه القاعة من زملاءَ أكارم أذكر منهم - على سبيل المثال لا الحصر - الدكاترة والأساتذة مع حفظ الألقاب : عبد الكريم خليفة، ومحمود حافظ، وكمال محمد بشر، وأبا شادي الروبي، وعدنان الخطيب، ومحمد يوسف حسن، وكمال محمد دسوقي، ومحمد رشاد الطوبي، وعبد الحافظ حلمي محمد، وعبد العزيز الرفاعي، ويوسف عز الدين.

وهذه الكلمات، على عِلمي، تضمُّها محاضرُ جَلسات مجلس ومؤتمر مجمع اللغة العربية. وبالتأكيد تضم محاضر جلسات مجامع اللغة العربية ومؤسساتُ اللغة العربية المثيلة في عمّان، ودمشق، وتونس، والرباط، وغيرها مقالات مثيلة . هذا إضافةً إلى محاضر اتحاد الجامعات، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومؤتمرات الوزراء والمسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي ومقرَّراتهم التي تُفرح الأذن ولا تُطرِبُ نتائجُها القلب . وكلُّها تجمع على ضرورة تنفيذ التعريب فوراً دون أن يعني ذلك بحالٍ من الأحوال إهمال اللغة الأجنبيَّة كصلةٍ وثيقة بين المثقَّف العربي ، مهما كان اختصاصه، والثقافات العالمية.

لكني في الصفحات التالية أعرض لحضراتكم مقتطفاتٍ من مقولاتٍ تعود إلى أكثر من مئة عام اخترتُها بتصرُّف بسيط * تدور كُلُّها حول موضوعنا في هذا المؤتمر .

*.مقالات جمعها الدكتور يوسف قزما خوري في كتاب ( نجاح الأمة العربية في لغتها الأصلية ) . دار الحمراء . بيروت . ١٩٩١م .

لعلّ تلك الجُهود لرجالاتٍ أحبُّوا اللغة العربية، تُضيف إلى جُهودكم وجهود محبي العربيَّة حاليًّا ومستقبلاً مزيدًا من الحماسة والاندفاع ، جهادًا في سبيل تحقيق هذا الهدف الذي يقول فيه أحد مقررات المؤتمر الثاني للوزراء والمسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي في تونس عام ١٩٨٣م .

" إذا كان التعريب في الحياة العربية قرارًا سياسيًّا ، فهو في حقيقته قرارٌ تربوي وتعليمي وفي جوهرة خِيارٌ حضاري " .

وفيما يلي أُعيد معكم عقاربَ الزمن إلى موضوع التعريب ومستقبل اللغة العربية قبل قرنٍ من الزمان .

## تعليم العربِ العلوم في اللغة العربية هو أحسن منه في غيرها ( ١٨٨١م )

**بقلم المعلم عبده كحيل**

هذه قضية يقول بصدقها كثيرون من الأجانب . ولا أخال لها مُنكرًا عربيًّا سواءٌ نطق بها مرتجلاً عن هوى أو أوردها عَقِب التروّي والإمعان . ولكي يصحّ صِدقُها أمام الجميع أقول :

### اللغة

إن اللغة العربية لغة غنية تُعَدُّ من أغنى اللغات التي زانها العلم وحسَّنها التمدن . لغة طبيعية الهجاء بخلاف الفرنسية وبالأحرى الإنجليزية مثلاً . أما الصعوبة العظمى فيها وهي الحركات غير الصرفية والنحوية التي توضع عند البعض إزاء الهجاء في غيرها فليست أعظم من صعوبة حروف العلة في سواها ، ويزيلها الاستقراءُ والمزاولة كما يتم لحروف العلة هناك. لغة بديعة الاشتقاق الذي يساعد كثيرًا على اختلاف كلمات تستدعيها الضرورة وتطلبها مقتضيات الحال . لغة يزيدها النحت حياةً ويغنيها عن ذل الاستعارة وشين السرقة من لغات الغير . لغة كريمة الأصل إذ لها الحظ الأوفر من تلك اللغة الأصلية أو الطبيعية . ذلك لي عليه أدلةٌ لا يَسع المقام إيرادها . وإنما أُشير إليه إشارةً باشتقاق آدم من أديمها ، وحواء مِن حيامًا ، وقايين من قنيتها إلخ ؛ وبحكاية الأصوات، مثل: نَقّ، ودق،وطق، وأزيز الرعد والطائرة ، ومُواء القط ، وعواء الذئب والكلب إلخ . لغة عذبة

اللفظ سلِسَة النطق تعشق سماعَــها الأُذُن ويطرَبُ بها الذوقُ السليم .

**الطالب**

إن الدواعي التي تسوق الإنسان إلى دراسة لُغة غيرِه متفاوتة.فمنها طلب المنفعة المادّية بالترجمة والتجارة وغيرهما. ومنها دراسة لغة قوم قصد إفادتهم أدبيًّا أو روحيًّـــا . ومنها لمعرفة الكتب الدينية في اللغة الــتي جاءت فيها بدءًا ، كدرْس غــير عــربي العربيةَ لمعرفة القــرآن، وكـــدرْس غــير مسيحي العبرانية والكلدانية والســريانية واليونانية لمعرفة التوراة والإنجيل . ومنــها تمكن المرء في لغتهِ لافتقارها إلى غيرهـــا كدرس إنجليزي مثلاً اللاتينية واليونانيــة . ومنها مقابلة اللغات مع بعضها للتوصــل إلى حقائق أو إثبات حقائق تاريخية .

الطلبة في بلادنا يكفيهم أن يتمكنوا مـــن فهم اللغة التي يقصدونها والترجمة منها إلى العربية وليس علـــى كلـــهم أن يجدُّوا ليصيروا قادرين علـــى التـــأليف ودرس العلوم فيها. ولذلك يكفيهم أن يدرســـوا اللغة الغريبة سنتين أو ثلاثًا . ولكـــن إذا سبقوا لدرس العلوم في غير لغتهم فيجب حينئذ تفرُّغهم لدرس اللغة التي يعلّم فيــها خمس أو ست سنوات يشتغلون فيها بكل جد قبل أن يدخلوا باب العلوم . وهكــذا يضيعون الوقت الطويل والمال الجزيــل ولا يكونون متضلعين في لغتهم. فإن كـــان الطالب من المعسرين فلا تسعهُ ذات اليــد أن يخسر معظم وقته إلاّ إذا أغناه المغنى .

وإن كان من الموسرين فخيرٌ لهُ أن يتوجـه إلى ذات البلاد التي عليه أن يدرس العلــوم في لغتها حيث هناك يسهل عليه كثــيرًا إتقان اللغة وضبطها . وما مـــن طـــالب عربي يتح لهُ الله أن يدرس ما يــود مـــن العلوم في لغتهِ التي رضعها وألفها حـــتى عشقها ،ويعدل عنها في بلادهِ إلى الـدرس في لغة أجنبية وهو غير مكره ولا مطمـــع بأكثر مما يناله في لغتهِ . ولكم سمعت طالبًا يئن متأوّهًا من مجرد سماعهِ إنه سيدرس في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية . وربما عـــدل بعض الطلبة عن الدرس بسبب ذلك نظرًا لتيقنهم ( وهو يقين حق ) أنّ تعلمـــــهم العلوم في اللغة العربية أســـهل وأجمــل وأكمل وأفضل . هذا ما يلوح لي في هــذا الموضوع الذي يســـتدعي كـــل تبصُّــر

واهتمام قبل نقل الأقدام . وبناء على ما تقدم أقول مؤكدًا ومختتمًا : حقًّا إن تعليم العرب العلوم في لغتهم هو أحسن منه في غيرها .

[ النشرة الأسبوعية ج ١١(١٨٨١) ص ١٥٨ - ١٥٩ ]

## التعليم في لغة غريبة

## ( ١٨٨١م )

**بقلم المعلم إبراهيم كفروني**

يترتب على تعلُّم العلوم في لغة أجنبية ربح وخسارة .أما الربح فهو في سرعة تعلّم اللغة، وأما الخسارة فهي في بطء تحصل العلم المقصود . غير أن ما يكسبهُ الطالب بالإسراع في تعلم اللغة يخسرهُ بما ينقص من إدراكهِ العلم المطلوب وبما يلزم لهُ من الوقت الزائد لأجل تحصيلهِ إياهُ . وكثيرًا ما يُشاهَد ذلك في الذين يدرسون العلوم من السوريين في اللغة الفرنسية فإنك تراهم متضلعين في معرفة اللغة يحسنون التكلم بها والكتابة غير أنك إن سألتهم عمَّا تعلموهُ رأيت أن ما يعرفونهُ من العلم هو دون الطفيف، وكذلك من يتعلم منهم العلوم في اللغة الإنجليزية يستفيد كثيرًا في معرفة اللغة ويسرع في تعلمها غير أنه يقصِّر في تحصيل العلم المقصود ، فربما اقتضى له لتعلُّم الحساب البسيط ثلاث سنوات وللجغرافيا مثل ذلك وللجبر أربع سنين وللمثلثات المستوية والكروية سنتان وللمساحة سنة. وكان في مُكْنتِه أن يتعلم كل ذلك في اللغة العربية في برهة سنتين أو أقل من ذلك .

ولا يخفى ما في التعلم بلغة غريبة من المصاعب على الدارس والمدرس معًا . فإن الدارس لا يدرك المعاني حق الإدراك كما يدركها في لغته وربما اقتضى لهُ أن يدرس اللغة ثلاث سنين - على الأقل- قبل أن يصير قادرًا على تعلم علمٍ فيها مهما يكن بسيطًا وهيِّنًا.أما المدرّس فإنه يلقى من تلميذه عرق القربة ، ويُبلى منه البلاء العظيم، يضيق صدرهُ من ركاكة عباراته، ويُبَحُّ صوتُه وهو يقصد أن يفهمَه ولا ينتفع شيئًا . وكثيرًا ما يقع في حيرة لا يدري أتلميذهُ غير فاهم المعنى أو أنَّه لا يفهمه ويعجز عن إيضاحهِ لقصورهِ في اللغة

وإن من الناس من غرضهُ تعلّم اللغة الأجنبية ومنهم من غرضهُ تعلّم العلوم. فننصح للأول ألاّ يقتصر في درس اللغة التي يطلبها على تعلّم الجداول والمحلورات بل أن يؤثر على ذلك تعلّم علوم في تلك وربما كان الأولى أن تكون تلك العلوم ممّا تعلّمُه في لغته . وننصح للثاني الذى غرضهُ تحصيل العلوم أن يدرسها في لغته بالألفاظ التي يألفها والعبارات التى يفهمها والاصطلاحات التي تعوَّدها فإن لها وقعًا في نفسهِ وتأثيرًا لا تؤثّره الألفاظ والعبارات والاصطلاحات التي في اللغات الأجنبية .

[ النشرة الأسبوعية ج١١( ١٨٨١ ) ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ ]

**لغة التعليم**

**(١٨٨١م)**

**بقلم الدكتور فضل الله عربيلي ب.ع ، د. ط ــ الولايات المتحدة في أمريكا**

حضرة مدير النشرة الأسبوعية المحترم .

إن مسألة جعل التعليم باللغات الأجنبية أصلاً بالمدارس العربية لمن المسائل المهمّة، وفي البحث عنها أمور كليَّة ينبغي ملاحظتها لمن يعزُّ وطنهُ ويهمُّهُ تقدُّم البلاد.ولا يخفى – في هذه المسألة – أن المقصود ليس تفضيل لغة على سواها ولا أيّ اللغات أفضل وأصلح لتعليم العلوم بها، دون تحديد المكان والزمان،بل أتعليم العلوم باللغات الأجنبية في صقعٍ عربي أفضل من تعليمها باللغة العربية أم لا، هي المسألة .فتعليم العلوم بلغة أجنبية لا يقتصر على أبناء العصر الحاضر فقط بل يتجاوز إلى الأعصر المستقبلة .وإذا سَلَّمنا بأفضليّة هذا التعليم فعلينا أن نتصور بإزائنا أن تلامذة هذا العصر سيكونون أساتيذ أبناء الأعصر القادمة وعلماء هذا الزمن الذين هم ضابطو اللغة وحافظو قوانينها ،سيُبدَلون بعلماء أجنبيين نظرًا لتعليمهم ،وذو البصيرة يعلم ما في نهاية تلك السلسلة المتصلة وما في الانقلاب من الضر على اللغة الوطنية وأهلها .

لعمري إن من يقول بأصوبية التعليم باللغات الأجنبية فكأنه يقول بأصوبية وجوب التكلم بتلك اللغات في كل حالٍ بين أفراد كل عائلة عربية ، ونزع اللغة الوطنية تدريجًا حيث تحل محلها لغة أجنبية، فتصبح لغة الجرائد والمطابع

والأشغال العمومية والخصوصية والتأليف والمدارس؛ لأن مدارس البلاد إنما هي مجتمع أفراد العيال، وما البلاد إلاَّ أهلها وأعمالها ، وليس الجامع لهم إلاَّ لغتهم الوطنية . ففي ذلك أمركُلي ونظرٌ خفيٌّ قلَّ من يرضى بهِ. عقيب التأمل والإمعان إذ لم يُرَلهُ سالفٌ في بلاد أخرى إن كان في الأعصر الحاضِرة والغابرة، و لم نسمع بأمةٍ استصوبت تعليم أولادها وهم في بلادِهم بلغة أجنبية فجعلتها أصلاً واللغة الوطنية فرعًا في التعليم، سواء في الأمم المتمدنة أو غير المتمدِّنة، بل نرى أن الأمم أجمع يتعبدون للغتهم إذ هي رباط الأمة وسلسلة الأعمال ويجتهدون لإغنائها وتحسينها بإدخال الترجمات والتأليف الأجنبية التي ينبوعها المدارس ،وضمها إلى مكتبتها. على أننا لا نسلم أن اللغة العربية هي أضعف وأفقر اللغات حتى تكون مقدامًا لهذا العمل .فلو نظرنا إلى الأمة الجرمانية مثلاً فإننا لا نراها تبتدِئُ بتعليم أولادها العلوم الرياضية في مدارسها باللغة الفرنسية على أن للفرنسية الشهرة بها .

ولو نظرنا أيضًا إلى الأمة الفرنسية فلا نراها تجعل لغة التعليم في مدارسها الجرمانية في الطبيعيات على أن لأهل هذه اللغة الشهرة وطول الباع بها. فمن ذلك يظهر لنا أن لا أحد يرضى بأن يسلب أصالة لغتهِ مراعاة لذلك .

فإن قيل إن هاتين اللغتين على غاية من السعة وتعداد المؤلفات ،فيجاب على ذلك أن في العربية سعة أيضًا ، و لم تتعدد المؤلفات بهما إلاَّ بالسعي والهمة لإيجادها للمتعلمين بلغتهم الأصلية ،وجرّ آراء الآخرين إليها،والمحافظة عليها وليس بالقاء عليها بالهجران والإعدام ، بحيث جُعلت فرعًا في المدارس التي إنما هي في الضابط والحافظ للغة .

ففي مدارس الأستانة مثلاً ترى الهمة مصروفة الآن بترجمة كتب التعليم إلى اللغة التركية والتعليم بها على أنها أضيق من العربية كثيرًا وأكثر معلمي تلك المدارس من الأوربيين وما ذلك إلا لأنها لغة الدولة والأهالي .

[ النشرة الأسبوعية ج ١١(١٨٨١) ص ٣٢٥ ــ ٣٢٧ ]

## تعلُّم المرء العلوم في لغته التي نشأ فيها هو أيسر منهُ في غيرها

( ١٨٨١م)

بقلم المعلم إلياس جرجس هنا الريشاني

هذه القضية - قضية تعلُّم المرء العلوم في لغته التي نشأ فيها - حُجتها في صدر كلّ من أولي البصيرة والعرفان إنْ أجنبيًّا وإن عربيًّا سيما إن نظر فيها بعين الحق؛ لأنها لسان حال كل ابن لغةٍ ،يستطيع بها درس ما يشاءُ وتدريس ما يشاءُ وكتابة ما يحلو أضعاف ما يستطيعه في غيرها، فلذلك يعسُر عليه جدًّا إبدال لغته الطائعة لقلمهِ ولسانه لغةً يتلعثم لسانُه عن النطق بما كثر فيها من الألفاظ الغريبة غير المألوفة عندهُ، ويوهن عزم فكرتهِ - قبل أنْ يفوز بمعرفة اصطلاح أهليها بها وإيعاب جميع شواذها ولا سيما إن تفاقمت كما في الإنجليزية . هذا وكثيرًا ما يحجز قلمهُ عن استمرار كتابة كلمات أنستهُ إياها صعوبة التهجئة حتى يدركها بنظرة من قاموسها إن كان بحوزته قاموس، أو بسؤال لأحد من ذويها، عن هذه الكلمات التي لا يستطيع أن يلفظ المتعلم واحدة منها إلاّ على يد أستاذ ولو كان ذا إلمامٍ في القراءة لِكثرة ما تضمنتهُ من الأحرف النافلة: وهكذا يضيِّع قسمًا من ثمين أوقاته قبل إظهار معنًى أو تأدية برهان بلا داع . فلذا في مقدرة ابن اللغة أن يتعلم أكثر العلوم بلغته قبل أن يتضلع بلغةٍ أجنبية . اختبرت هذا في ذاتي وصرح بهِ كثيرون ممن لا يراعون حرمة الجانب انتصارًا للحق . قال أحد النجباء: "بكل صراحةٍ أقول ولا أخشى لومة لائمٍ إنه يسهل عليَّ جدًّا الفوز بأكثر الفنون بلغتي قبل أن أتضلع بلغةٍ أجنبية أذوق من صعوبتها تباريح الكرب " .وقال آخر وهو يئن مُتحسرًا: "إن تعليم العلوم بلغة أجنبية في المدرسة الكلية حرمني إدراك ما أتمناهُ منها " مع أن لهُ من المبادئ في ذات اللغة ما يحملهُ إلى ذلك . فما تقدَّم حدٌّ عام لا يتجاوزهُ أبناءُ اللغة العربية واقفين وصارخين. الحق أولى أن يقال . تعلُّمنا العلوم في لغتنا التي نشأنا فيها هو أيسر لنا منهُ في غيرها وهاك في ذلك بعض الأدلة .

أولاً : لأن لها بين اللغات الحظّ الأوفر

لكونها لغة واسعة النطاق أثيرة الشموس عذبة الألفاظ بعيدة الشواذ محكمة الأصول مضبوطة القيود .

**ثانيًا** : لأن بواسطتها تعمُّ العلوم بلادنا وتمتد من الخاصة إلى العامة بدون مشقة وذلك لأننا نقتدر بها على بث أفكارنا بما تعلمناهُ بطرق شتى لا يمكننا بثها لو تعلمنا بلغة أجنبية تصدنا عن فهم الحقائق بوجه السرعة وعن إيضاحها بعبارات سهلة مفهومة عند الاقتضاء كما شُوهد من أهل التجربة والاختبار .

**ثالثًا** : لا يوافق أحوالنا غيرها.وذلك من جهة عدم إمكان كوننا طلبة علوم تحت يد أساتيذ مع سهولة كوننا مطالعين. هذا والأساتيذ منا الذين قد تضلعوا ببعض لغات الأجانب يفضلون ترجمة الكتب العلمية عليهِ في تعليمها في المدرسة ،فعلى هذا يكون المترجمون أكثر من المعلمين، والمطالعون أكثر من الطلبة ،فحينئذٍ يمكننا الفوز بالبغية في وقت ليس بمستبعد .

**رابعًا** : إن لأكثرية الصوات حقًّا في الحكم على هذه المسألة .فإنهُ قد ظهر لي جليًّا من أن الذاهبين إلى الإبدال هم جزءٌ صغير بالنسبة إلى الكل،فلا يسلم الكل بما يرومهُ البعض من إبدالهم بلغتهم سواها، ويشق على الكثيرين فقد العصبية الكائنة بينهم التي يرغب القلائل فقدانها بجعل العربية فرعًا وغيرها أصلاً . والحق وتابعوهُ لا يرتضون بذلك على الإطلاق.

وأخيرًا إن المحبة والأمانة تجبراننا على ألا نتعدى لغتنا إلى غيرها لأنهُ ليس من العدل سرعة العذل . فلا يحق لنا أن ننكث عهود الصداقة ونصرم حبال المودة بيننا وبين لغتنا ونميتها بجعلها فرعًا . فلا يترك الولد والدتهُ لكونها رثة الثياب،ولا يتغرب إلى غير وطنهِ ليميتها جائعة عريانة، بل ليرجع ويكسُ والدتَه مقدِّمًا لها ضرورياتها مما كسبهُ في غربتهِ .

[ النشرة الأسبوعية ج١١ (١٨٨١) ص ٣٧٣ ــ ٣٧٤ ]

## استبدال لغة التعليم بالعربية في الكلية السورية الإنجيلية عام ١٨٨٢ خسارة لا تعوّض (مُذكّرات نُشرت عام ١٩٥٦م)

**بقلم العالم منصور جرداق**

أبنتُ سابقًا أن العمدة قررت أن تكون الإنجليزية لغة التدريس في دوائر الكلية العالية بدلاً من العربية قبل وقوع الثورة

على اللغة العربية ببضع سنوات. والمشهور أن فكرة إبدال الإنجليزية بالعربية ، أي جعل أو اتخاذ الإنجليزية بدلاً من العربية، منسوبة إلى الدكتور بوست. ولكن العمدة قررت الاقتراح أو الإبدال ولم يذكر قط أن أحدًا عارضة أو اعترض عليه. ويحق لكل عاقل منصف الاستنتاج أن يستنتج أن الغاية الرئيسية من نقل التعليم إلى اللغة الإنجليزية هي أن تكون عمدة الكلية وإدارتها بيد الأمريكان ، الذين يجب أن يكونوا دومًا أسياد الموقف والمسيطرين على شؤون المدرسة وتوجيه سياستها، بدلاً من أن يسيروا تحت رحمة الوطنيين بسبب عقبة اللغة ، لأنه يتعذر على من جدّ ويجد من أساتذتهم الأمريكانيين إتقان العربية ليعلّموا بها ويؤلفوا ( المقتطف مجلد ٩ ص ٦٣٣ ) . وسُمّيت المدة الأولى في تاريخ اللغة في الكلية بالعصر الذهبي ، وذلك لأن العربية كانت لغة المدرسة ، وبها كانت تدرس كل فروع العلوم في الدائرة العلمية والدائرة الطبية ، فضلاً عن علوم اللغة الخاصة من صرف ونحو وبيان وبديع وعروض وقافية . ولكن بعد النقل والإبدال غلبت الإنجليزية على العربية فأخذت محلها وصارت العربية من ذلك الحين إلى الآن فرعًا بعد أن كانت أصلاً، فأهمل فيها تدريس العلوم جملة وتمّ للإنجليزية الفوز وأصبحت سائدة ترفل في مطارف غلبتها وظهورها ، وانسحبت العربية عن مواقف عزّها على منابر العلوم والفنون إلى زاوية علومها الخاصة بها ، وانصرفت النفوس عنها وضجر المتعلمون منها فرأوها طويلة الذيول لكن على غير طائل، وكثيرة الشروح، ولكن لا تشرح صدرًا وبذلك عمدت المدرسة جهدها في إرجاع العربية إلى رونقها الأول فلم تستطع إلى ذلك سبيلاً .

اللغة جسم حيّ نامٍ وليس المراد أن تبقى اللغة ويبقى أهلها كما كانت وكانوا في عصر البحتري والخوارزمي ، ولو استطاع أحد أن يحصي كم دخل العربية من العبرانية والسريانية والقبطية والفارسية والرومية من الألفاظ والتراكيب حتى قبل الإسلام وبعده ببضعة قرون ، لوَجد أن العربية كانت حينئذٍ لغة حية نامية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية الآن.

ولقد عدّ الدكتور يعقوب صروف في الصفحة الأولى من جزء الأقراباذين من قانون ابن سينا الذي ألّفه في بداية القرن الخامس بعد الهجرة، مئة اسم من أسماء النباتات وسائر المواد الطبية فوجد الدخيل منها لا يقل عن سبعين اسمًا وقد ذكرها ابن سينا كلها كأنها أسماء مألوفة في أيامه. وكما كان العلماء من أطباء ورياضيين وفلكيين في ذلك الحين يرحبون بكل كلمة أجنبية تزيد غناء العربية غناء كان الأدباء والشعراء أيضًا لا يستنكفون من استعمال المعرَّب.

والذي أعرفه جيِّدًا أن الدكتور كرنيليوس فانديك هو مؤلِّف الباثولوجيا والبيان والبديع والعروض القوافي والجبر والهندسة والكيمياء والفلك والجغرافيا والنقش في الحجر، ومترجم التوراة من لغاتها الأصلية ترجمة شهد له بصحتها أكابر علماء الأرض وابن حور، واللغوي الذي أتقن عشرًا من اللغات القديمة والحديثة ،والذي درس جيدًا قانون ابن سينا وأبقى في النسخة التي درسها ( الموجودة الآن في مكتبة الدكتور يعقوب صروف ) آثار علمِه وتدقيقه بما ترجمه فيها من الكلمات الطبية لما يرادفها في اللاتينية أو اليونانية — إن الدكتور فانديك جمع الأسماء العلمية والعبارات والاصطلاحات العربية التي وضعها واستخدمها علماء العرب في الطب والفلك والرياضيات والطبيعيات بمساعدة أستاذيه في اللغة العربية الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الأسير- أقدر وأشهر علماء اللغة العربية في عصرهما - ثم راجعها بنفسه في مظانها ومحّصها وقابلها بما ورد في الكتب اللاتينية المترجمة من العربية وأخيرًا بما ورد في الكتب الإنجليزية والفرنسية والألمانية المترجمة من اللاتينية ، وقد فعل ذلك بكل عناية وتدقيق ، وبعدئذ باشر التأليف في المواضع المشار إليها ،فأتت كتبه حجة في الأسماء والتعابير والاصطلاحات العربية وحذا حذوه، لدرجة تذكر، زملاؤه الدكاترة وزتبات وبوست ولويس فأغنوا اللغة العربية ومكانتها بما ألفوه وترجموه ووضعوه في مختلف المواضيع ولكن حينما

نقل التعليم في الكلية من العربية إلى الإنجليزية نضب ذلك المعين الكبير .

ونستنتج مما ذكر أن اللغة العربية - كلغة- خسرت خسارة كبيرة لا تعوض بسبب استبدال لغة التعليم في المدرسة الكلية وجعلها الإنجليزية بدلاً من العربية، وهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى برهان. ومهما قيل لتبرير نقل التعليم من العربية إلى الإنجليزية بحجة أن الإنجليزية أوفر كتبًا وأوسع بحثًا وأن العربية لا تتسع للبحث في العلوم العصرية وتعريب الأسماء والألفاظ والاصطلاحات العلمية الحديثة والتأليف، فهذا تعليل لا سبب حقيقي جوهري - وما أبعد الفرق بين السبب والتعليل - ولإثبات ذلك أقول: إن اللغة العربية اتسعت قديمًا للترجمة والتأليف حينما أمر الخليفة المأمون بترجمة الكتب العلمية من اليونانية والهندية والفارسية والسريانية وغيرها . وكذلك اتسعت حديثًا للترجمة والتأليف حينما أوفد محمد علي الطلبة المصريين للدرس في أوربا وأمرهم بعد عودتهم بترجمة الكتب العلمية إلى العربية، وحينما فتحت الكلية أبوابها وجعلت التعليم باللغة العربية وصار على المترجمين والمؤلفين الجدد أن يحذوا حذو الفارابي وابن المقفع وابن سينا وابن رشد فيبقوا الكلمات العلمية على وضعها وهي تعدّ بالألوف وعشرات الألوف فتغنى العربية بها، ويسهل على المتعلمين تناولها ، أو أن يفتشوا عن مرادف لها في العربية ويهملوا ما لا يجدون له مرادفًا وما تتعذر ترجمته.

وبهذه المناسبة أحب أن أصرّح برأيي في هذا المقام لأنني عانيت الترجمة والتأليف والتدريس أكثر من نصف قرن فأقول : إن العربية ــ لغتنا الشريفة ــ لغة حيَّة نامية اتسعت في الماضي وتتسع الآن في الحاضر وسوف تتسع في المستقبل للترجمة والتأليف ولا يضيرها قط دخول الأسماء الغربية، فقد دخلها ألوف من الكلمات السريانية، والعبرانية، والمصرية، واليونانية، وغيرها ولم تزدها إلا غنى وستدخلها ألوف أخرى ولا تزيدها إلا غنى ولها أسوة بالإنجليزية والفرنسية والألمانية . والكلمات تتنازع البقاء مثل الأحياء ولا يمكث منها إلا كل ما هو صالح ونافع ومفيد . فعلينا ألاّ نكون عثرة في سبيل

هذا النمو الطبيعي المبارك .

"أول ثورة مدرسيَّة في العالم العربي"

منصور جرداق،مجلة أوراق لبنانية[ ج١٢، السنة الثانية،١٩٥٦م ص ٥٦٩ـ ٥٧٤]

## التعليم بالعربية والإفرنجية

## (١٨٩٣م)

### بقلم مُنشئا المقتطف

### (يعقوب صروف وفارس نمر)

إن تعليم العلوم الطبيعية والرياضية بلغة أجنبية له مزايا خاصة بهِ تميزهُ من وجوهٍ شتى. وذلك أن هذه العلوم متقدمة نامية واشتغال الأجانب بها جارٍ على ساق وقدم فلا يكاد يمضي شهر إلاّ وتكشف فيهِ أمور كثيرة غير معلومة ، ويغير كثير من المعلوم أو يعدَّل تعديلاً يجعل ما يؤلف هذا العام في علم يعد قديمًا يكاد لا يعول عليه بعد بضعة عشر عامًا . ولذلك ترى أن من أراد ابتياع كتاب في علم من هذه العلوم فأوَّل ما يسأل عنهُ تاريخ طبع الكتاب ليعلم زمان تأليفهِ . وهذا عامٌّ في تلك العلوم كلها ولكنهُ متفاوت كما هو معلوم عند أربابهِ . ولما كان المؤلفون الأوربيون والأمريكيون مجارين للمشتغلين في هذه العلوم كانت كتبهم المدرسية أصلح للتدريس من كتب غيرهم. ولذلك يجد الإنسان في اللغات الأجنبية أصلح الكتب لتدريس التلامذة وتوسيع عقولهم مما يتعذَّر وجودهُ بالعربية في أحوالنا الحاضرة، غير أن للمسألة وجهًا آخر لا تروج مصلحة البلاد إلاّ بالنظر إليهِ . فلغة الأمة بأسرها هي اللغة العربيَّة. وترقية الأمة علمًا وعقلاً إنما تكون بالواسطة التي تتفاهم بها، وذلك يقتضي أن يكون فيها الأساتذة والمعلمون والمؤلفون والمصنفون، وكلهم يبثون معارفهم في أمتهم بلغتها . وإلاّ اقتصرت الفائدة على الذين يحصلون العلوم فلا تتعدّاهم إلى سواهم . والاختبار يشهد أن من يتعلّم علمًا بلغةٍ لا يتكلف الكتابة فيهِ بلغةٍ أخرى إلاّ إذا اضطر إلى ذلك اضطرارًا أو إذا كان لهُ مطمع آخر . فإذا كانت مدارسنا لا تدرِّس العلوم الطبيعية والرياضية إلاَّ بلغة أجنبية، وكان الدارسون منا لتلك العلوم يجهلون اصطلاحاتها العربية ويستصعبون التعبير عنها بلغتهم العربية، فلا يبقى أملٌ في التأليف والاشتغال بها، ولا تستفيد الأمة

شيئًا من المعارف التي حصّلوها،ولا تكون المدارس الحاضرة أساسًا يبنى عليهِ مستقبل الأمة، ولا يكون لتلك العلوم حظ من الانتشار في هذه الديار ، ولا يكون للأمة كلمة حظ من الاشتغال في ترقيتها على توالي الأعصار .

وهذا الذي نقولـــهُ مؤيـد بالمشـاهدة والاختبار؛ فقد أو شكت المؤلفات العلمية أن تنتفي من الديار الشرقية بعد استبدال اللغات الأجنبية في تعليم العلوم باللغة العربية . ولنا في ذلك كلام طويل لا تستوفيه هذه العجالة.فحسبنا ما تقدم دليلاً على وجوب تعليم العلوم في المدارس الأميرية بلغة الأمة لا بلغة غريبة عنها ، وذلك ليس إنكارًا للنفع العاجل الذي ينتفعهُ الطلاب من التعلُّم باللغة الأجنبية وإنما هو اعتماد على أن النفع العميم الآجل خير من النفع المحصور العاجل .

[ المقتطف ج١٧( ١٨٩٣ ) ص٦٧٣-٦٧٥ ]

## التدريب على التعريب
## ( ١٩٠٣ م)

**بقلم الأب أنستاس ماري الكرملي**

لقد أصبحنا في زمان ضاق دونه نطاق اللغة العربية . وغدا أبناؤها في حاجة ماسّة إلى إدخال المصطلحات الأعجمية في مصطلحاتها العلمية والصناعيّة؛ إذ ليس اليوم من كاتب يكتب عن شيء عصريّ، أو ينتدب لتأدية رسم فكري، أو تصوير أمر فطري ، إلاّ ويتخذ لذلك قوالب غريبة ، وصوراً ألوانها جديدة قشيبة. وهذا ما تشهد به الصحف التي تجوب الأقطار ، والكتب العربية التي تؤلف في جميع الديار . وإن كان الجميع يشعر بهذا الخلل في اللسان ، ووجوب إدخال الأعجمي فيه على تراخي الزمان ، فإنهم لم يتفقوا في الكم والكيف لما يتصوّره كل حزب من وراء ذلك على اللغة من الحيف.

أمّا من جهة " الكم " فإن البعض منهم " أفرطوا" في استعمال الدخيل أيّ إفراط، حتى أثار في كثيرين الهياط والمياط ، واشتد فيهم الصخب والعياط، ومنهم من

" فرّط " [1] أيّ تفريط، حتى عُدّ ممن ليس من هذا العصر الجديد النشيط، بل ممّن إذا قيل له ثمّ يقول "حتى يجيء نشيط"، ومنهم من ركب متنًا " وسطًا" جامعًا بين الطرفين ، يأخذ الزين ، ممّا في الاثنين ، ويدفع الشّين إلى مطارح البَيْن والحَيْن . وهذا الرأي يكاد يكون الرأي الغالب في هذه الأيّام ، وعليه يعول العلماء الأعلام . أما من جهة " الكيف " فإن منهم من ذهب إلى وجوب إدخال اللفظة الأعجمية بهيئتها وصيغتها الأجنبية .ومنهم من قال بأن تُفرغ الكلمة أولاً بقالب عربي ، ثم توزن بميزانٍ قُرشي . فإن كان فيها ما يثقِلُ الميزان، أو يُوقِر الآذان ، طرحت تلك الزيادة، وإن أضرّت بالفائدة أو الإفادة،ثم يسحل مكانها ، ويُزَلّم صوغها وبنيانها ، وبعدئذٍ تبرز الفرائد من وراء ذلك القناع، لترصّع بها أصداف الأسماع، وإن كان فيها ثلم أو نقصان ، يُزاد عليها بعض الزيدان ، لتلحق بأحد الأوزان العربية، والصيغ المسموعة عن أئمة اللغة المُضَرِيّة .وأمّا على أيّ وجهٍ تكون هذه الزيادة أو هذا الطرح ،فممّا يطول فيه الشرح؛ لأنهم تركوه إلى الأهواء والأذواق، أو ما انعقد تحت هذا الباب أو هذا النوع من الرواق .

ومنهم من قال لا حاجة لنا إلى إدخال كلم أعجمية في اللغة العربية ، بل يوضع فيها ما يغني معناها ، فيغني مَغناها ، وذلك على الطريقة التي دخلت بها الكلمة العصريّة في اللغة الأجنبية . وفي كل هذه المذاهب من الآراء ما أثار بين أصحابها حربًا سجالاً ، واستلزم لشرحها مقالات طوالاً . وبعد أن أجلنا النظر في ما كتب هؤلاء الأدباء ، ووقفنا على ما عثرنا عليه في كتب القدماء النجباء الألبّاء، لخّصنا هذه المقالة . لعلّها تكون للعاثر إقالة ، وللجائع عُجالة ، هذا وقد اعتمدنا في كلّ ما حرّرناهُ على أقوال الأئمة ، مؤيدين كل رأي بماله من الأسانيد المهمة ، مستخلصين من نصوصهم بعض قواعد ظواهر، تكاد تزري بالفرائد النوادر ، لا بل بالخرائد النواضر .

١-دفع رأي مَنْ يُفرِط في إدخال الألفاظ

(١) فرّط في الشيء قصّر فيه وعجز ، وهو ضد أفرط.

الأعجمية في اللغة العربية:

إذا أنعمت النظر في ما يكتبه هؤلاء الأدباء ترى ألفاظهم الأعجمية لا تخلو من أحد هذه الأمور الثلاثة، وهي : كلم دخيلة لا مرادفات لها في العربيّة. وكلم لها مرادفات فيها ولكنهم يجهلونها، وكلم يمكن أن يوضع لها مرادفات من نفس اللغة . غير أن هؤلاء الكتبة لا يلتفتون إلى هذه الفروق، بل كثيرًا ما نراهم يدوّنون الألفاظ الأجنبية شغفًا بها وتشيُّعًا لأصحابها، وافتخارًا بإدخال ألفاظ غريبة لا يفهمها جمهور القرّاء تبجُّحًا بالتبحُّر في العلم والمعرفة، وادعاء بهتك حجب المجهولات . هذا وإنّنا نعترض عليهم بقولنا: إذا كنتم تُدخلون الكلمة الفلانية الأعجمية بدون علّة أو بعلة وهمّية، فلِمَ لا تدخلون الكلمة الثانية والثالثة والرابعة بل اللغة بحذافيرها ؟ وإذا كان الهوى و الحكم في هذه الدعوى فسدت كل حجّة ؛ لأنه ليس من قائد يقود الهوى ولا من رادع يردعه . وهوى هذا غير هو ذاك، وما يرحب به زيدٌ يدفعة عمرو ، وعليه فما تلبث اللغة أن تصبح ألعوبة بيد هؤلاء الأقوام المتباينين في المشارب والمذاهب، ولا تعتم أن تنقلب طمطمانية أو رُطينَى أو لغة مبلبلة لا يفهم فيها الواحد لغة الآخر .

ويعترضون : إن العرب لمّا نقلوا كتب الأعاجم إلى لغتهم أدخلوا كثيرًا من الألفاظ العلمية والاصطلاحية من لغات الأجانب، فلماذا يجب علينا أن نكون أغيرَ على العربية من أصحابها الأولين عليها ؟ قلنا: إن ناقلي كتب الأقدمين فريقان: فريق عارف بالعربية وطرقها وأساليبها وشعابها ، ... إلخ ، وفريق لا يعرف منها إلاّ قواعدها العامّة الكافية لإصلاح كلامه وتخليصه من شوائب الخطأ والخطل. فالطائفة الأولى لم تُدخل في العربية إلاّ الشيء النزر الذي لا مندوحة عنه، ومن هذا الفريق مترجمو كتب الحساب، والهندسة، والفلسفة، والمنطق، وعلم الفلك، وعلم ما وراء الطبيعة،والتوراة،وعلم الآداب، والأخلاق ونحوها . فإنك لا تكاد ترى في جميع هذه

العلوم إلاّ القليل من الدخيل ، وأمّا الفريق الآخر فلا يكاد يكلّف نفسهُ عناء في إيجاد الألفاظ العربية المقابلة للأعجمية؛ ولـــذا اجتزؤوا بتدوين الألفاظ على ما هـــي في أصلها. ومن هؤلاء المعربين مترجمو علـم الطب، وعلم الطبيعيات، وعلم المواليد أي الجماد والنبات والحيوان، وما كان مـــن هذا الباب .إلاّ أنه لمّـــا وقعـت تلـك الترجمات بعد ذلك في أيدي الفصحاء من العرب؛ طرحت كثيرًا من الألفاظ الدخيلة وأبقت منها ما شاع وذاع وخفّ علـى الأسماع، إذ لم يعد سبيل إلى إماتتها كمـا يتحققه كل امرئ خال من الغرض .

والخلاصة من هذا الفصل أنه لا يجوز لنـا أن نرحب بكل غريب، ونضيـف كـل دخيل، إن لم يكن ثمّ مالا يغنينا عنـــه أو ضرورة تلجئنا إليه . وعليه فلا يحُسن بنـا أن نجاري الكتبة المعجمين في كـل مـا يكتبونه أو ينقلونه لنا بل علينا أن نتخـذ من الألفاظ الأعجمية ما يفي بالمقصود أو يصلح المفسود .

٢- دفع رأي مَن يفرِّط في إدخال الألفاظ الأعجمية في العربية :

بين كتبة العربيّة في هذا العصر جماعـــة لا يقبل أصحابها بل ولا يريدون أن يسمحوا لكلمة أعجميّة أن تدخل لغتهمْ . غـير أن معظم هؤلاء الأفاضل أناس لا خبرة لهـم باللغات الأجنبية، أو إن أردت فقل ليـس لهم خبرة تامّة، أو ليس لهم وقوف على ما يستحدثهُ كل يوم علماء البلاد الأجنبيّـة، وما يخترعونـــهُ مــن الآلات والأدوات الصناعيّة، وما يستنبطونه من مجـــهولات الطبيعة وأسرارها الخفية ، وما ينشئونه من المصنّفات العلميّة المشحونة مــن المعـاني الدقيقة، والأفكار الأنيقـــة والتصـاوير البديعة، والأوصاف العجيبة التي لم تعـنّ على بال السابقين و لم يطفُ طَيْفـــها في مَطاف مخيّلة الأوّلين. وقول البعـــض: إن الكلمات الدخيلة تبلغ نحو مئة كلمة هـو من المزاعم الصبيانيَّة تفندها الحقيقة في كل زمن إذا ما أحبّ الباحث الصادق النيّـة الوقوف عليها بخلوص الطويّة .

هذا ولنا أسوة بسائر الأمـــم ولغويـها وكتبتها ومصنِّفيها،فإنهم لا يدخلون كلمة غزيبة في لسانهم إلاّ إذا أرادوا أن يعـبروا بها عن صورة معنويّة جديدة، أو يتوخّـوا فائدة من اللفظ أو غاية ،لا يصلون إليـها إذا اتخذوا ألفاظ لغتهم سبيلاً إلى ذلك، أو

إذا لم يجدوا لها مرادفًا في لغتهم ، أو إذا كانت اللفظة في لسانهم تقصر عن تأدية المطلوب من الكلمة الدخيلة . وعليه فمجاراتنا إياهم في هذا الميدان ، مما يحمده كل إنسان، وينطق بالثناء عليه كل لسان. وبدون أن نأتسي بالأجانب فلنقتفِ آثار من تقدّمنا من العرب وكتّابها الضلعاء، فلقد رأيناهم لا يأنفون من اتخاذ الألفاظ الأعجميّة كلّما دعت الضرورة إليها . ولنا من الأعجمي الذي سبق ظهور الإسلام ودخل في إبان انتشاره أو بعدهُ بقليل أو كثير، ما يضمن لنا جواز الأخذ من الأعاجم كلّما مسّت إليه الحاجة، أو قصرت اللغة عن تأديته، أو وضع مرادف لهُ .ورُبّ معترض يقول : إن الأخذ عن الأعاجم إهانة في حق اللغة العربيّة الواسعة كأنّها ترميها بشائبة النقص ، قلنا : لا إهانة في ذلك ولا منقصة؛ لأن هذا يكون إذا كانت اللغة قاصرة عن تأدية الأمور العاديّة أو الطبيعية أو الحاجيّة أو ما شابهها. وأمّا ما في عدا ذلك فلا .

[ المشرق ج ٦(٣ ١٩٠)ص٦٤٤-٦٤٩]

## شكوى اللغة العربية

## (١٩٠٣م)

**بقلم حافظ إبراهيم**

رجعتُ لنفسي فاتّهمتُ حصاتي
وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
رمَوني بعُقم في الشباب وليتني
عقمتُ فلم أجزع لقول عداتي
ولدْتُ ولمَّا لم أجد لعرائسي
رجالاً وأكفاء وأدتُ بناتي
وسِعتُ كتابَ الله لفظًا وغايةً
وما ضِقتُ عن آيٍ بهِ وعِظاتِ
فكيف أضيق اليومَ عن وصف آلةٍ
وتنسيق أسماء لمُخترعاتِ
أنا البحر في أحشائِهِ الدُّر كامنٌ
فهل ساءلوا الغوَّاصَ عن صدفاتي
فيا ويحَكُم أبلى وتَبْلى مَحاسني
ومنكم وإن عزَّ الدواءُ أُساتي
فلا تكِلوني للزمان فإنني
أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجِال الغرب عِزًّا ومَنْعةً
وكم عَزَّ أقوامٌ بعِز لُغاتِ
أتوا أهلهم بالمعجزات تَفنُّنًا
فيا ليتكُم تأتون بالكلمات

أيطرِبُكُم من جانب الغَرب ناعبٌ
يُنادي بوأدي في ربيع حياتي
ولو تزجُرون الطير يومًا علمتمُ
بما تحتهُ من عَثرة وشَتاتِ
سَقى الله في أرض الجزيرة أعظُمًا
يعِزُّ عليها أن تلين قناتي
حفِظْنَ وِدادي في البلى وحفظتهُ
لهنَّ بقلب دائم الحسراتِ
وفاخرتُ أهل الغرب، والشرقُ مطرقٌ
حياءً بتلك الأعظُم النخرات
أرى كلَّ يوم في الجرائد مزلقًا
من القبر يُدنيني بغير أناة
وأسمعُ للكتّاب في مصرَ ضَجَّةً
فأعلم أن الصائحين نعاتي
أيهجُرني قومي عفا الله عنهُم
إلى لُغة لم تتَّصل برُواةِ
سرتْ لوثةُ الإفرنْج فيها كما سرى
لُعاب الأفاعي في مَسيل فراتِ
فجاءت كثَوب ضمَّ سبعين رُقعةً
مُشكّلَــة الألــوان مختلفــاتِ
إلى مَعشر الكتّاب والجَمْعُ حافلٌ
بسطتُ رجائي بعد بَسط شَكاتي
فإمّا حياةٌ تبَعث المَيتَ في البِلى
وتُنبت في تلك الرُّموس رُفاتي
وإما مَماتٌ لا قيامة بعدهُ
مماتٌ لَعَمري لم يُقَسْ بَمماتِ
[ المقتطف ج٢٨(يوليو١٩٠٣)ص٥٥٢]

**التعريب (١٩٠٨م)**

بحث نادي دار العلوم في القاهرة برئاسة القاضي الفاضل حفني بك ناصف في مسألة التعريب أي نقل الكلمات الأعجميَّة كالتلغراف والتليفون إلى اللغة العربية وذلك في ثلاث جلسات . ففي الجلسة الأولى تلا اثنان من أعضائهِ خطبتين مسهبتين، الأولى تجيز التعريب الآن بل توجبه وتبيِّن شرائطه، وقد نشرناها في هذا الجزء من المقتطف ، والثانية لا تجيزهُ الآن بل تقيم الأدلة على أن زمانهُ قد مضى ، وما جاز للعرب في زمن تكوُّن اللغة العربيَّة والتوسُّع فيها لا يجوز لنا الآن . وفي الجلسة الثانية تناظر الخطيبان في هذا الموضوع وشاركهم بعض الأعضاء والحضور.

وفي الجلسة الثالثة تُليَت خطب نفيسة في هذا الموضوع نفسه، نشرناها في المقطم ، وأكثر الخطباء أكّدوا على وجوب التعريب إذا دعت الحال إلى ذلك. وبعد بحث طويل دام أربع ساعات وافق الأعضاء على القرار التالي وهو :

" بعد سماع ما قالهُ جميع الخُطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة قرر نادي دار العلوم أن يكون العملُ على النحو الآتي : ـ يُبحث في اللغة العربيَّة عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة ، فإذا لم يتيسَّر ذلك بعد البحث الشديد يُستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية، ويستعمل في اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض " .

[المقتطف ج٣٣(مارس١٩٠٨)ص٢٦٧]

**أسلوبنا في التعريب**

**(١٩٠٨م)**

**بقلم منشئا المقتطف**

**(يعقوب صروف وفارس نمر )**

سئلنا عن الأسلوب الذي نجري عليهِ في التعريب أي في ترجمة الكلمات الأعجمية أو نقلها إلى العربيَّة .وكان يجدر بالسائل أن يتوسع في السؤال حتى يشمل التعبير عن بعض المعاني التي لم تخطر على بال العرب؛ فإن تعريبها أو التعبير عنها بالعربيَّة لا يخلو من مشقة، قد تزيد على مشقة نقل الألفاظ أو ترجمتها . ويسهل إرجاع الأساليب التي جرينا عليها في الترجمة والتعريب إلى القواعد التالية .

**القاعدة الأولى:** الكلمات الأعجمية التي نعرف لها كلمات عربيَّة ترادفها نترجمها بمرادفاتها . ونريد بالكلمات الأعجمية الكلمات التي من اللغات الأوربية ونقصد بالكلمات العربية كل ما رأيناهُ في كتب اللغة والأدب جاريًا على الأوزان العربيَّة ، ولو كان أصلهُ يونانيًّا كقلم،أو فارسيًّا كإبزيق، أو سريانيًّا كقيس، أو قبطيًّا كسلطان، أو حبشيًّا كمشكاة،وكل ما كان كذلك ولم يكن جاريًا على الأوزان العربية كسالامندرا وجندبيدستر وقنطاريون .

ولهذه القاعدة شواذ قليلة فلا شواذ في الأفعال أي إننا لا نستعمل فعلاً أعجميًّا

إذا وجدنا له فعلاً عربيًّا .

ولا شـواذ في الحـــروف إلاّ في "ده" الفرنسوية و"أوف" الإنجليزيـة و"فـون" الألمانية في مثل لورنزو ده مديسي،وبرنس أوف ويلس، وفون كريمر ، فـإن هـذه الثلاثة ، حروف إضافة أو نسبة، ويُستغنى في العربية عنها . ولكن شيوعها في ما ترد فيهِ من الأسماء المركبة يجعل الاستغناء عنها عثرة في سبيل إدراك المعـنى بسـهولة. فالذي يقرأ كلمة برنـس أوف ويلـس يدرك حالاً أنهُ لقب ولي عـهد إنجلـترا ولكنه إذا قرأ برنس ويلس،أو أمير ويلس، فقد يظن أن المراد بذلك شخص آخر غير ولي العهد . وأما الأسماءُ ففيها كثير مـن الشواذ حيث شاعت الكلمة الأعجميَّـة وصارت أدل على المراد من الكلمة العربية مثل كلمة برنس المذكورة آنفًـا . فإنـهُ يُفضل استعمالها في بعض الأماكن علـى استعمال كلمة أمير، فلوقلنا أمـير أوف ويلس أو أمير ويلس بدلاً من برنس أوف ويلس، لظن القارئ أو السامع أننا نريـد شخصًا آخر غير ولي عهد إنجلترا . وقـد تدلُّ القرينة على المراد ولا يُكتفَى بهـا لأنه يشترط في حسن التعبير أن يـؤدى المعنى المراد إلى ذِهن السامع بأقل ما يكون من الوقت والكلفة والإسراف في القـوة العصبيَّة. وقـد كـان علمـاءُ العـرب المبـرّزون مثل: ابن الأثير، وابن سـينا، وابن البيطار يجرون هذا المجرى أيضًا، فقد كانوا يستعملون الكلمة الأعجمية الـتي ألفتها الأسماع، وصارت أدل من الكلمـة العربيَّة على المعنى المراد . ولكن إذا أمـن اللبس وأمن أيضًا تشويش ذهن القارئ أو السامع، فضلنا اللفظ العربي على اللفـظ الأعجمي، فنقول: الأمراءُ أعضاءُ العائلـة الخديوية، ولا نقول برنسـات العائلـة الخديوية. ونقول أمراء أوربا، ولا نقـول برنسات أوربا .

ومن هذا القبيل ( أي من قبيل الكلمـات الأعجميَّة التي نفضل استعمالها أحيانًا على استعمـال الكلمات العربية أو المعرَّبـة قديمًا)، كلمة ( داءِ المفاصل ) فإننا قـد نستعمل كلمة روماتزم بدلاً منها. وكلمة ( توتيا ) فإننا قد نستعمل كلمة ( زنك )

بدلاً منها . وكلمة ( نشادر ) فإننا قد نستعمل كلمة (أمونيا ) بدلاً منها مراعين في ذلك كلهِ مقامات الكلام من التخصيص والتعميم، وما نتوقعهُ من فهم السامع أو القارئ. مثال ذلك: أنك تجد في الأخبار العلمية في الجزء الماضي كلمة ( روماتزم ) بدلاً من داء المفاصل ، لأن المفهوم من داء المفاصل أنه يقع في مفاصل اليدين أو الرجلين، وقلّما يخطر على بال غير الأطباء أنه يصيب الظهر ، فلما رأينا أن الشفاءَ المُشار إليه في تلك النّبذة كان في الظهر اخترنا كلمة روماتزم، وقد صارت مألوفة عند الجمهور ، وذكرها لا يشوّش ذهن القارئ مثل ذكر كلمة ( داء المفاصل ) وإطلاقها على داءٍ في الظهر ، إذ المراد تأدية المعنى المطلوب إلى ذهن السامع من أقرب الطرق، وبأقل ما يكون من الكلفة فالمقام لا يسمح بأن يظهر الكاتب سعة علمه بألفاظ اللغة .

**القاعدة الثانية** :الكلمة التي لا نعرف لها مرادفًا في العربية، ولكننا نرجح أو نظن أن لها فيها مرادفًا، نفتش في ما عندنا من المظان ونسأل عنهُ ونبحث ، حتى إذا ظفرنا به ووجدنا أنه يؤدي المعنى المراد تمامًا استعملناهُ دون غيره من ذلك كلمة ( mercenaries ) فإن معناها الجنود المستأجرة من بلاد أخرى، على ما كانت العادة تجرى به في الأزمنة القديمة فلما أردنا تعريب هذه الكلمة، قلنا لابدَّ من أن يكون العرب استعملوا كلمة تدلُّ على هذا المعنى . فوجدنا في بعض المظان كلمة (مسترزقة) مستعملة للجنود المستأجرين. ومعناها الاشتقاقي يدل على معناها الاستعاري فاعتمدناها . ومنه كلمة ( tributary ) أي النهر الصغير الذي يصبُّ في النهر الكبير ، فإننا وجدنا لها في كتب الرحلات القديمة كلمة ناصر، والجمع نواصر . ورأينا أنه يسهل إدراك المراد بها من معناها الاشتقاقي، فعوَّلنا عليها، وهلمَّ جرًّا .

وإذا وجدنا أن اللفظ الأعجمي أو العامي الذي ليس عربيًّا كثير الشيوع، واستعمال غيره يضيع الفائدة على القراءِ اضطررنا أن نعدل عن اللفظ العربي أو اللافصيح إلى

اللفظ الأعجمي أو العامي، مثالُ ذلك: أننا وجدنا كلمة تقاوي مستعملة في هذا القطر بدلاً من كلمة بذار. وكلمة السباخ البلدي مستعملة بدلاً من كلمة زبل. وكلمة كوبري مستعملة بدلاً من كلمة جسر. وكلمة طمي بدلاً من كلمة إبليز. وكلمة بوسطة بدلاً من كلمة بريد. فحاولنا في أول الأمر التشبث بالكلمات العربية مثل بذار وجسر أو المعرَّبة منذ عهد طويل، مثل: بريد، ولكننا رأينا أن تشبثنا هذا يضيع الفائدة على جمهور القراء. فإن الفلاح المصري لا يستعمل إلاّ كلمة تقاوي ولا يفهم إلاّ كلمة تقاوي ولا يستعمل إلاّ كلمة كوبري ولا يفهم من كلمة جسر إلاّ حافة مجرى الماء. وإذا أسمعته كلمة بذار مرة في الأسبوع أو في الشهر سمع كلمة تقاوي مئة مرة أو ألف مرة. فرأينا أن محاولة تغيير لغة العامة في هذه الكلمات وأمثالها ضرب من العبث، وإضاعة للوقت، وتضييع للفائدة، فجاريناهم في ما نكتبه لهم، أمَّا ما نكتبهُ لأنفسنا أي إذا خطر لنا خاطر وأردنا التعبير عنهُ نظمًا أو نثرًا، فإننا نعود إلى بذار وبريد، وجسر وإبليز. وأكثر الذين لا يراعون فهم الجمهور يكتبون لأنفسهم لا للجمهور.

القاعدة الثالثة: الأعلام الأعجمية التي رأيناها شائعة الاستعمال كتبناها حسب استعمالها سواءٌ كان قديمًا، مثل: إبراهيم ويوسف، أو حديثًا مثل: ألمانيا وأمريكا وفرنسا ووليم وهنري. والأعلام الأعجمية التي لم يكن استعمالها شائعًا كتبناها كما يلفظها أهلها أو بأقرب ما يكون من لفظها الأصلي مثل بيكنسفيلد وكرومر وهارفي وروزفلت.

والأعلام التي عُرّبت منذ زمن قديم بلفظ مخالف لما تلفظ بهِ الآن عند أهلها، مثل: البندقية لفينيسيا، وصقلية لسيسيليا، فهذه الأعلام نتابع الأقدمين فيها عند أمن اللبس، ولا سيما إذا كان الكلام عن حادثة تاريخية قديمة. فإذا ذكرنا حروب الأتراك مع أهل فينيسيا، قلنا مع البنادقة. ولكن إذا أردنا أن نشير على زارع أو صانع أن يجلب مادة ما لزراعته أو صناعته

من البندقية ، لم نذكرها بهذه اللفظة بل عدنا إلى كلمة فنيس أو فينيسا ، حتى إذا طلب البضاعة من تاجر أو عميل أوربي لم يخطئ هذا مراده .

والأعلام التي أخذها الإفرنج عن العرب وحرفوها،مثل:القاهرة، وقرطبة، وإشبيلية، نكتبها حسب أصلها العربي إذا عرفناه وأمن اللبس .

**القاعدة الرابعة** : في تعريب النكرات الجديدة التي لا مرادف لها في العربي إذا رأينا أن الكتّاب عربوها قبلنا وشاعت الألفاظ التي وضعوها لها، فالغالب أننا نجاريهم ولا نحاول وضع ألفاظ أخرى لها. ولذلك تابعنا أساتذة المدرسة الكلية السورية في تعريب الأكسجين والهيدروجين والنيتروجين والفسفور وهلمَّ جرًّا . وجاريناهم في مثل مغنط فعلاً من المغنطيس، وكهرب من الكهرباء، وترفن فعلاً يراد بهِ كسر جانب من عظم الجمجمة بعملية جراحية . وجارينا جمهور الناس في استعمال التلغراف والوابور والسيمافو والفرقاطة .

وإذا لم نرَ أن الكتّاب سبقونا إلى تعريبها عنينا باستعمال الكلمة التي نقدِّر لها طول البقاء .فلما اخترع التليفون وقرأنا عنه بعد اختراعهِ ببضعة عشر يومًا، عرفنا مزيتهُ حالاً، وثبت لنا أنه سيشيع شيوع التلغراف في كل الأقطار،ويصل إلى بلادنا اسمهُ معهُ ، ولا يهتم التجار الذين يأتون بهِ بكلمة جديدة نضعها لهُ ، حتى فرضنا أننا وجدنا فعلاً عربيًّا معناهُ تكلم الإنسان مع غيره عن بعد واشتققنا منه اسمًا لهذه الآلة، فإن هذا الاسم لا يتغلّب على اسم تستعمله الأمم المتمدنة كلها . ونرى الآن أننا أحسنّا؛ لأننا لم نخالف أمم العالم في الإغارة على اسم وضعه مخترع هذه الآلة لآلتهِ، وإبدالهِ باسم نضعه نحن لها . وقس على ذلك الفونوغراف والميكروفون والأوتوموبيل .

ولما جاء بعض الأمريكيين إلى بيروت بالبيسكل - وكان يتكون من عجلتين إحداهما كبيرة جدًا، والأخرى صغيرة جًدا ، وفي ركوبه مشقة كبيرة - ظننا أنه ليس مما يشيع استعمالهُ، وأن التريسكل ذا

العجلات الثلاث يتغلّب عليه، فلم نستعمل الاسم الإفرنجي بيسكل ولكننا استعملنا كلمة درّاجة، وأطلقناها على الآلتين. والدرّاجة كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بسهولة، والإفرنج أنفسهم الذين وضعوا كلمة بيسكل لذات العجلتين والتريسكل لذات العجلات الثلاث يعدلون عن الكلمتين أحيانًا كثيرة ويبدلون بهما كلمة سيكل أي عجلة، ولذلك فالسعاة في مصر يسمون هذه الآلة "عجلة" وهم – بهذه التسمية – أحكم منا ومنهم؛ لأنهم يستعملون هذا الاسم.

وغنيٌّ عن البيان أننا التزمنا أن نجاري العلماء في المصطلحات العلمية التي تفقد دلالتها بتعريبها كالحامض الكبريتوس، والكبريتيك، والمتاكبريتيك، والهيبوكبريتيك، والهيبوكبريتوس؛ لأن لكلٍّ من هذه الملحقات والزوائد معنًى خاصًّا يدلُّ على تركيب المادة المسماة بهِ، كما يعلم دارسو الكيمياء، فمن يسمي الحامض الكبريتيك بالحامض الكبريتي كمن يسمي الفرس حمارًا لأن لكل منهما رأسًا وذنبًا، والتزمنا أن نجاريهم أيضًا في الأسماء العلميَّة كلها، سواءٌ كانت حيوانية، أو نباتية، أو تشريحيَّة، أي سواءٌ كانت أسماء حيوانات، أو نباتات، أو أعضاء في جسم الإنسان والحيوان والنبات، جارين في ذلك كلهِ مجرى المسعودي، وابن سينا، وابن البيطار، ونحوهم من الأعلام الذين كتبوا في العلوم الطبيعيَّة على أنواعها. والذين خالفونا في ذلك كان خطؤهم أكثر من صوابهم. مثال ذلك: أن الأطباء كلهم يسمون الشريان الكبير الخارج من القلب باسم الأورطي، وقد سماه ابن سينا كذلك، وقال: إن أرسطو طاليس يسميهِ بهذا الاسم، إلاّ أنك ترى في المقالة السابقة أن المرحوم الشيخ إبراهيم اليازجي لم يعجبْهُ هذا الاسم فقال: يجب أن يترجم بالأبهر، ولكن صاحب القاموس يقول: إن الأبهر هو الظهر وعرق فيه ووريد العنق والأكحل. وقال صاحب التاج: إن أجمع الأقوال فيه قول ابن الأثير: إنه عرق منشؤهُ من الرأس، ويمتد إلى القدم.

ويُستنتج من كل ما قرأناه عن وصف هذا العرق أنه وَريد لا شريان، وإذا ثبت أنه الأكحل، فالأكحل وريد حتمًا -كما نص عليه ابن سينا - وأما الأورطي فشريان، ويليق بكل المترجمين أن يطالعوا قانون ابن سينا ليروا كيف كان علماءُ العرب يترجمون هذا من حيث الألفاظ الأعجمية. أما المعاني فإما أن تكون حقيقة أو مجازًا، وكلٌّ منهما إما أنه مألوف عند العرب وخلفائهم، وإما أنه غير مألوف؛ فهذه أربعة أنواع من المعاني المختلفة:

**الأول:** الحقيقي المألوف مثل ركوب الفرس وشرب الخمر، فالمعاني التي من هذا القبيل نترجمها بما يدل على معناها فنقول: شرب الشاي وشرب الفسنت وشرب سر الملك أو نخبه، واستخرج الراديوم واستخرج الفنول.

**والثاني:** الحقيقي غير المألوف نترجمهُ بلفظهِ أو بما يقاربهُ، كصوَّت لهُ وأطلق المدفع. فإن التصويت في الانتخاب معنى جديد لم يكن معروفًا على الصورة الحاضرة، وكذلك إطلاق المدافع؛ لأن المدافع لم تعرف عند العرب إلاّ في أواخر عهدهم في الأندلس بعد وضع اللغة. وأهالي الشام يقولون: قوَّس المدفع والبندقية، وهذه المقولة مستعارة من شدّ قوس الوتر لرمي السهم. وقد نستعمل كلمة رمى من الرماية أي رمي السهام، فنقول رماهم بالقنابل أو بالطرابيد.

**والثالث:** المجازي المألوف مثل: أيقظ الفتنة، وأمات العواطف، ومزَّق الشمل، ووقف منهُ مزجر الكلب، فإننا قلما نجد صعوبة في العثور على ما يرادفهُ في العربية.

**والرابع:** المجازي غير المألوف مثل: لعب دورهُ، وذر الرماد في العيون، وبعدي الطوفان. فالاستعارات التي من هذا القبيل نفتش أولاً عمّا يرادفها، أو يقاربها من الاستعارات العربيَّة، فإن لم نجدهُ واستحسنا الاستعارة الإفرنجية لخفّة لفظها وسهولة إدراك معناها؛ أبقيناها على حالها، أي ترجمناها ترجمة حرفية بتصرُّف أو بغير تصرُّف حاسبين أنها ربح تكتسبه اللغة. ويظهر لنا أن كل الذين تقدَّمونا من المترجمين الأولين، مثل: الطوسي، وابن

المقفّع، وابن حنين، جروا هذا المجرى حتى في ما وضعوه في العربية من الكتب والرسائل؛ ولذلك تجد لكلٍّ منهم تعابير خاصَّة بهِ ليست من مناحي العرب .

فالحاجة إلى التعريب وأساليب التعريب لا يعرفها ولا يقوم بها إلاّ أصحاب كل فن في فنهم.فالجرَّاح الذي قرن العلم بالعمل، والتعلُّم بالتعليم، يعلم ما تحتاج إليهِ صناعتهُ من التعريب، والصيدلاني الذي قرن العلم بالعمل، والتعلم بالتعليم، يعلم ما تحتاج إليه صناعتهُ من التعريب . وقس على ذلك الفلكى، والفسيولوجى، والبيولوجى، والجيولوجي، والنباتي، والرياضي، والنوتي، وقائد الجيش، وصانع الآلات والأدوات . وأما أن تقيم نحويًّا، أو منطقيًّا أو مؤرخًا، أو مُنشئًا لوضع كلمات في علم الفلك، وعلم الهندسة، وعلم النبات، وعلم الحيوان، والعلوم الطبيَّة، والطبيعية، والرياضيَّة، فمثل تخويلك قاضيًا تطبيب الأبدان، وطبيبًا تصوير الألوان. نعم إنه لابد من الاستعانة بعلماء اللغة الذين يحفظون متونها ويسهل عليهم استحضار ألفاظها ، ولكن يستحيل الاستغناء بهم عن العلماء المختصِّين أو الذين لهم ألمام واسع بمختلف العلوم والفنون، وقد قرنوا العلم بالعمل زمانًا طويلاً، وخلاصة المقال أننا نبذل جهدنا في اجتناب الكلمات والأساليب التي ليست عربية ، فنفتش عن مرادفاتها، أو نترجمها بما يؤدي معناها إلاّ إذا وجدنا أنها قد شاعت وصارت مفهومة، أو أنها ستشيع حتمًا وتتغلب على غيرها، أو أنها أعلام لا تترجم . ولا نجهل أننا قصرنا مرارًا فاستعملنا ألفاظًا واستعارات غير عربية ولها ألفاظ واستعارات عربية ، ولكننا لم نفعل ذلك عن قصد إلاّ حيث وجدنا غير العربي أصلح من العربي .

هذا ومما يحسن ذكرهُ هنا أننا أطلقنا كلمة مكروب على كل الأحياء المكروسكوبيَّة قبل أن يطلقها عليها علماءُ أوربا وأمريكا فكنا نعرّب المقالة من مقالاتهم وفيها كلمة باشلس فنضع بدلاً منها كلمة مكروب ، وفيها كلمة بكتيريا فنترجمها

بكلمة مكروب لكي لا نشوش أذهان القراء بذكر ألفاظ غريبة إنما يراد بها تخصيص هذه الأنواع. ثم جعل الكتاب الأوربيون يجرون هذا المجرى أيضا فشاعت كلمة مكروب في كتاباتهم، كما شاعت عندنا ولا ندّعي أنهم فعلوا ذلك اقتداءً بنا كلاّ ، إنما الحاجة إلى الاقتصار على كلمة واحدة دعتهم إلى ذلك كما دعتنا .

واللغة جسم حيٌّ نامٍ، وشأن من يحاول منعها من النمو شأن الصينيين الذين يربطون أقدام بناتهم لكي لا تنمو وتبلغ حدها الطبيعي ، ولكن إذا كان النمو مُشوهًا فلابد من تقييده وتهذيبه. ولا يراد باللغة وأهلها أن تبقى ونبقى كما كانت وكانوا في عصر البحتري والخوارزمي وإلاّ لزمنا ألا نتخذ غير الجَمَل مطيَّة وغير السيف سلاحًا . وهذه خطة لم يجرِ عليها العرب بل نرى بين إنشاء أهل القرن الأول والثاني وإنشاء أهل القرن السادس والسابع نظمًا ونثرًا من الفرق الجلي مالا تجد أكثر منهُ بين إنشاء أهل هذا القرن وتلك القرون، كما يتضح للباحث المحقق . ولو استطاع أحد أن يُحصي كَم دخل العربية من العبرانية، والسريانية، والقبطية، والرومية من الألفاظ والتراكيب حتى قبل انصرام القرن الثالث، لوجد أن العربيَّة كانت حينئذٍ لغة حية نامية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية الآن، وأن الذين يريدون الرجوع بها إلى الصدر الأول، وإقفال أبوابها دون الجديد يعملون على موتها وتضييق سبل المنشئين والمعربين وناشرى لواء العلوم والفنون.

[المقتطف ج٣٣(يوليو ١٩٠٨م) ص٥٥٩ - ٥٦٠ ]

## جعل العربية لغة التدريس في البلاد العربية سبيل إلى ترقية اللغة العربية وتعزيزها

## ( ١٩٢٣ م)

**بقلم الأستاذ أنيس المقدسي من مقال له حول وسائل ترقية اللغة العربية**

اللغة العربية اليوم تحتاج إلى رجال متضلعين من آدابها وتاريخ رجالها ويعرفون فوق ذلك ما أنتجه الفكر الغربي

من أنواع العلوم والفنون فيختارون الأفضل منها، ويمزجونه بمحاسن ما ظهر في تاريخ العرب العلمي، ثم يبرزونه للناس أفكارًا صحيحة قد ألبسها البحث وحسن النظر ثوبًا لغويًا جميلاً بعيدًا عن السخافة والركاكة خاليًا من التشدق والتكلف. ولا مشاحة أن للصحافة يدًا في ذلك، فيجب على الحكومة أن تسن القوانين لتمنع بها غير الأكفاء من ولوج بابها كما تفعل بالأطباء والصيادلة ومن جرى مجراهم.

إن جعل العربية لغة التدريس في البلدان العربية هو أمرٌ مهمٌّ جدًّا، وربما كان أهم الوسائل لترقية اللغة ورفعها إلى مستوى اللغة الحية. ولكن هذا مرتبط بحالة البلاد السياسية والعمرانية. وقد ألمحنا إلى ذلك في كلامنا عن ترقية اللغة العربية لتصير لسان قومية قوية. لماذا يهمل أبناؤنا لغتهم ويتهافتون على اللغات الأجنبية ؟ سؤال لابد من النظر فيه هنا. والجواب عليه ــ لحاجتين سياسية واقتصادية. فالسياسية أن البلدان العربية اليوم تحت سيطرة الأجنبي، وذلك يقتضي نفوذ لغته وامتصاصها حياة اللغة الوطنية كما هو مشاهدٌ في كل مكان. والاقتصادية أن أكثر الأموال التي توظف في البلدان العربية راجعة إلى شركات أجنبية، وذلك كافٍ لتقوية النفوذ اللغوي الأجنبي فيها. ناهيك بأن المهاجَرة وحدها تقتضي أن يكون للغات الأجانب تأثير عظيم جدًّا. فلا وسيلة إذن لتقوية اللغة العربية في أحوال كهذه، إلا أن تدعمها الأحزاب الوطنية التي ترمي إلى الاستقلال، وأن تحمل الحكومات المسيطرة على البلدان العربية على احترام لغة البلاد بجعلها وحدها اللغة الرسمية ولغة التدريس في المدارس الابتدائية والعالية، فتتقوى وينشأ فيها روح التأليف والتنقيب العلمي ويكثر المصنفون في اللغة العربية، ويألف أبناء العربية مع الزمان الصور العلمية والاصطلاحات الفنية بلغتهم، فيجرى الاشتقاق والتعريب والوضع مجرى طبيعيًا، وتصبح اللغة بيسير من الزمن لغة صالحة للعلم والحضارة الحديثة. وليس ذلك بمستحيل أو بعيد، إذا أرادت

ذلك الشعوب العربية ، ولابد من دعوة عامة منظمة يقوم بها حزب وطني منظم تكون غايته إحياء اللغة العربية وتعميم نشرها . ويجب أن تبدأ هذه الحركة في مصر وسوريا؛ لأنهما منبع الحركات العلمية، وتأثير الأجانب فيهما أكثر من تأثيرهم في سواهما، ومتى تم للبلاد ذلك فعندئذ يكفي أن يتعلم أبناؤها اللغات الأجنبية كما يتعلمون اليوم اللغة العربية في المعاهد الأجنبية .

[الهلال ج ٣٢(١٩٢٣م)ص٢٤٥-٢٥٢]

## تدريس العلوم بالعربية في الجامعة الأمريكية (١٩٢٣م)

**بقلم سليمان أبي عز الدين**

إن الاعتماد على لغة البلاد في تلقين العلوم لكل أمة لها وحدة جنسية ولغة صالحة للتعليم؛ أمر طبيعي وقاعدة عامة .

فتلقينا العلوم بلغة أجنبية فيه شذوذ عن هذه القاعدة لا مبرر لهُ، بل هو مضر بنا علميًا ومضعف للغتنا وقوميتنا .

فالعلم أسهل تناولاً على الطالب وأرسخ في ذهنهِ إذا دِرسهُ بلغتهِ التي رضعها مع اللبن مما لو درسهُ بلغةٍ أجنبية . تفوُّق الكثيرين من مُتخرجي الجامعة في عهدها الأول عهد التدريس باللغة العربية يؤيِّد ذلك .

أما العدول عن التدريس بلغتنا؛ فإنه يضيق نطاق التأليف بها،كما أنهُ يحول دون اقتباسها كثيرًا من الاصطلاحات العلمية والفنية التي تساعد على نموها ؛ فبالاقتباس نمت جميع اللغات الحية ، واللغة العربية نالت قسطًا وافرًا من ذلك في أثناء الفتح الإسلامي، وفي أثناء امتزاج الأمة العربية بغيرها من الأمم ، وعندما نُقلت إليها علوم اليونان وغيرها في عهد العباسيين .

أما الضرر القومي من التعليم بلغة أجنبية فظاهرٌ كل الظهور في جميع أنحاء سوريا حيث ترى القوم مختلفي المشارب والنزعات وقد تضعضعت أركان قوميتهم الأصلية دون أن يكتسبوا قومية الأمة التي تلقوا العلوم بلغتها . وهذا من أهم أسبابا ضعف مجموعنا رغمًا عما هو مشهور عن قوَّة أفرادنا .

فمنعًا لهذه الأضرار يجب العمل بحزم وثبات عل إعادة التعليم باللغة العربية

وتذليل العقبات التي تحول دون ذلك .

أما المصاعب، التي يقال إنها اعترضت في سبيل التعليم باللغة العربية في ما مضى، فهي :

١-عدم وجود الكتب العربية اللازمة للتدريس .

٢-عدم وجود مطولات ومجلات علمية تمكن طلاب العلم من التوسع فيها وتتبُّع سير العلوم في تقدمها المتواصل .

٣-افتقار اللغة العربية للاصطلاحات العلمية الحديثة .

٤-عدم وجود أساتذة أكفاء يقومون بتدريس العلوم باللغة العربية .

وقد قيل أخيرًا بوجود عقبة خامسة وهي: أن التدريس باللغة العربية يحرم كثيرين من الطلبة الأروام والأرمن من تلقي العلوم فى الجامعة .

وفي ما يلى رد تفصيلي على كل اعتراض على حدة :

١-إن وجود كتب التدريس في العربية يتوقف على وجود التدريس بهذه اللغة؛ لأنها إذا وجدت و لم تستعمل للتدريس فإنها لا تصلح لأي غرض آخر، وسيضيع كل ما ينفق عليها من الوقت والمال سدًى .

فقرِّروا التدريس باللغة العربية تنشأ الكتب اللازمة لها . فالمقدرة على التأليف موجودة، ورواج الكتب مكفول؛ لأن نطاق المعارف في بلادنا آخذ في الاتساع، ومدارس دمشق والعراق لغتها العربية ، كما أن الحكومة المصرية قد شرعت في تحويل التدريس إلى اللغة العربية .

٢-أما قلة عدد المطولات والمجلات العلمية فناشئٌ عن حصر التعليم بلغات أجنبية، وهذا يجعل أهل العلم أكثر طلبًا للتبحر في العلوم في كتب اللغة التي تلقوا دروسهم بها ، على أنه رغمًا عن هذا فقد أدَّت النهضة العلمية الحديثة إلى تأليف بعض المطولات وإنشاء مجلات علمية وفنية باللغة العربية كالمقتطف، والمجلة الطبية المصرية، والمجلة التجارية، ومجلة المضمار التي تبحث في مواضيع الرياضة الجسدية .

٣-إذا صح الزعم أن اللغة العربية مفتقرة إلى الاصطلاحات العلمية الحديثة؛ فهي

تستوي في ذلك بغيرها من اللغات، فسائر اللغات الحديثة اقتبست ما افتقرت إليه من اللغات القديمة كاليونانية واللاتينية . واللغة العربية في كل عصر كانت تقتبس من غيرها ، كما أن غيرها اقتبس منها. فإليها نُقلت قبلاً علوم الأقدمين وفنونهم وفلسفتهم ومنها نُقلت إلى اللغات الأوربية ، وبها كان التدريس في جميع الأقطار العربية حينما كانت بضاعة العلم رائجة في العراق وسوريا ومصر والأندلس. وأهم أسباب العدول عن التدريس بها في القطر المصري سياسية لا فنية . وهاهي الحكومة المصرية الحالية تنوي الرجوع إلى التدريس بها ، ودمشق والعراق معتمدتان عليها . فكل ما تقدم يسقط حجة القائلين بعدم صلاحيتها للتعليم لافتقارها إلى الاصطلاحات العلمية .

٤- إن وجود عدد غير يسير من الأساتذة الوطنيين في الجامعة الأمريكية،وفي المكتب الطبي الفرنسي في بيروت وفي مدارس الحكومة في دمشق وبغداد؛ من الأمور التي تدحض قول القائلين بعدم كفاية أساتذتنا لتدريس العلوم؛ فالكفاية والكفاءة تتوقفان على الاستعداد الفطري والاقتباس بالدرس والممارسة . ولا أظن أن أحدًا ينكر على السوريين حسن استعدادهم الفطري ولاسيما أنّ أمر الدرس والممارسة ميسرٌ لمن شاءَ، ومدارس أوربا وأمريكا مفتوحة أبوابها لمن طلب التوسع والتخصص . والخطة الحكيمة التي اتخذتها الجامعة الأمريكية بإيفاد أساتذتها إلى جامعات الولايات من الأمور التي تساعد على استيفاء شروط الكفاية . ونحن نسلم بأنه لو كان المطلوب تحويل التعليم من الإنجليزية إلى العربية دفعة واحدة؛ لشعرنا بالافتقار إلى أكفاء لتدريس بعض العلوم ، ولأن غرضنا هو التحويل التدريجي، والشروع فيهِ من الصفوف الابتدائية، ثم التدرج منها إلى الأعلى فالأعلى، سنة فسنة ، ومن ثمّ يتسع الوقت لاستعداد الأساتذة الأمريكيين والشرقيين لتلقين العلوم التي يدرِّسونها بلغة هذه البلاد .

[مجلة الكليَّة ج٩(١٩٢٣)ص١١٧-١٢٠]

## مستقبل اللغة العربية
## مرتبط بالمستقبل السياسي والعمراني للمتكلمين بها .
## (١٩٢٠م)

**أنطون الجميّل في ردّه على استفتاء مجلة الهلال حول مستقبل اللغة العربية**

المعروف أنه لا قيام للغة إلا بقيام دولة تؤيدها وتناصرها . وعلى قدر ما يكون نفوذ الدولة وبَسطةُ أملاكها ونُمو عمرانها بين الدول، يكون مقام لغتها بين اللغات؛ هكذا كان شأن اليونانية في عصر أبطال الإغريق ، واللاتينية في عهد قيصر ، والعربية في زمن بني العباس، والفرنسية في عصر لويس الرابع عشر ، والإنجليزية في أيامنا هذه.

[ الهلال ج٢٨(١٩٢٠)ص٥٨٥-٥٨٧]

فما أشبه أمسِ باليوم !

**أحمد شفيق الخطيب**

عضو المجمع المراسل

من فلسطين

# توحيد التعريب في البلاد العربية

## الصعوبات والحلول

للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين

ضرورة التعريب :

إن تعريب العلوم والفنون والآداب من اللغات الأجنبية ضرورة حضارية؛ لأنه النافذة التي نطل منها على حضارة الغرب ، ونعرف مسيرته الفكرية وتطوره العلمي وتقدمه التكنولوجي ؛ فتصبح الرؤية واضحة أمامنا لواقعه الحضاري وتطوره التقني.

والتعريب يعيد ثقة العالم العربي بنفسه وبعلمه وقدرته الشخصية على الإنتاج والإبداع بلغته ، فتتطور وينفسح المجال العلمي أمامه ، ويُزكي التطور في جذوره الأصالة في نفسه؛ فيتسع أفقه في تجاربه، فيطور مادته، ويجدد في أسلوبه عندما تكون المخترعات الحديثة طوع يديه، ويصبح قادراً على الاستفادة الكاملة منها .. ولا يكون مستعملاً أو مستهلكًا لها دون أن يقدر على صيانتها وإدامتها والسيطرة على عملها بسهولة ويسر .إن فهم الآلات الصناعية ومعرفة أسلوب تشغيلها خير سبيل للسيطرة على المخترعات، والاستفادة منها الفائدة المرجوة من الباحث والدارس والتاجر والعالم .

والتعريب قادر على احتواء الحضارة المعاصرة مهما تعددت أشكالها وقواعدها العلمية .. وبذلك لن نستورد الآلات والمصانع والخبراء؛ لأن الاستيراد والاستهلاك لن يكونا حضارة متقدمة إذا لم نسيطر على المخترعات ونصنعها في أوطاننا وسوف نكون عالة على ما يُصدِّر لنا الغرب بحسب هواه ورغبته .. وهذه اليابان ،والصين ،وروسيا ، وأخيرًا ماليزيا، وتايوان، وكوريا لم تتقدم إلا بعد احتواء هذه المخترعات،وبعد أن

فهمت أسرارها، صنعت ما يفيدها؛ لأنها ترجمت إلى لغاتها كل ما كتب عنها لكي تفهمها فهمًا دقيقًا ، ويسيطر أبناؤها عليها دون وساطة الخبراء الأجانب والمهندسين الذين يصحبون هذه الآلات إلى بلادهم؛ فالعالم الذي درس العلوم بلغته سيستوعب أدق الأجزاء وأوسع التجارب والخبرات في الآلات التي تصنعها الدول الصناعية المتقدمة، ومتى استوعب الأمور الدقيقة في التجربة العلمية والآلة الحديثة فسوف يثق بنفسه ؛ لأنه يشعر بالقدرة على الفهم والاستيعاب ،فيحترم لغته ويتفاعل بها مع العلوم الحديثة ويطورها ، ويبدع في تجاربه ولن يحس بالنقص أو الانبهار أمام التكنولوجيا الغربية، والنظريات العلمية المتطورة .

إن استيعاب العالم لمفردات لغته وفهم ألفاظها وجذورها الحضارية يسهل عليه التطبيق الميداني، والدراسة النظرية؛ لأنه فهم محتويات المواد التي تعامل معها بلغته وعرض مكوناتها وموادها بدقة وعمق ، وانفتح أمامه ميداث الفكر العلمي.

فالتعريب عامل مهم في الإبداع في التجارب العلمية والمستجدات الحضارية العلمية المتطورة .. ويصبح العالم العربي عاملاً مساعدًا في تطوير العلوم المعاصرة ويشارك في مضمار التقدم العلمي والتقني.

ولعل من أهم فوائد التعريب التخلص من الاستلاب النفسي، الذي يحدث عند بعض الدارسين والمفكرين عندما يقارن بين واقعة العلمي وبين العالم المتطور، ويعجب بالغرب وعلومه ولغته. فقد أيقن بعض الدارسين أن لغة الغرب هي لغة القوي المتطور ولغة الذرة، والصاروخ، والحاسب الآلي، وفيها ضمان للانفتاح على العالم والتخلص من الازدواجية النفسية التي يعاني منها وانفصام الشخصية الذى آذاه .

### المعرب والمترجم :

هناك اختلاف واضح بين الترجمة والتعريب فعلى قدرة المترجم وفهمه اللغات يكون قادراً على فهم العبارة وتعريبها وصياغتها بأسلوب عربي فصيح وصياغة عباراته بحسب الذوق العربي السليم .. وهناك صلة لا شعورية بين اللغة والفكر الإنساني، يتحكم فيها المترجم لجذور اللغتين وتاريخهما، وتظهر في انتقاء الألفاظ وصياغة العبارات، ومن فهم الاختلاق الجذري يكون قادراً على تعريب المعاني ووضع المصطلحات بسهولة ويسر؛ لأن الدقة العلمية وفهم الألفاظ وجذور الكلمات تعين المترجم على الصياغة السليمة والأسلوب الفصيح، وتكون النتائج العلمية دقيقة ؛ لأنه سوف يبتعد عن الاقتباس اللغوي الكامل والحرفي، بعد أن استوعب العلوم التي يعرب منها ويصبح شديد الوعي بالذات الحضارية وبلغته وجذورها .

### الاستجابة النفسية :

إن اقتناع المترجم والمعرب بجهده العلمي، وثقته النفسية، وإيمانه بقدرة لغته من أهم العوامل التي تظهر على عملية التعريب؛ لأن التعبير الداخلي يظهر على الكلمات والألفاظ والجمل التي يعربها ومتى أحس باللذة الروحية فسوف تؤثر في عمله الذهني وإنتاجه العلمي؛ لأن صلة اللغة بالعلوم والفنون والآداب صلة تفاعل عميقة الجذور. وعلى قدر سبرغور العلوم وفهم اللغة يكون الإقناع النفسي بجدوى عمله، واتساع مداركه في فهم الأجزاء الدقيقة التي احتوى معانيها وعرَّبها وبخاصة أن قدرة اللغة العربية وطاقتها الكبيرة من العوامل المساعدة على الفهم الدقيق؛ لأن إرثها التاريخي والحضاري زاخر بالقابلية الواسعة، وأن غناها بالمفردات والمرادفات والاشتقاق تساعد المعرِّب على مرونة العمل وحرية التعريب .

## مصر الرائدة :

وقد نجحت عملية التعريب في مصر عندما آمن القائمون عليها في زمن محمد علي باشا بأنهم يخدمون أمتهم؛ فقد كانوا من الأزهريين ذوي الثقافة العربية الأصيلة وترجموا كتب الطب، والفلك، والكيمياء ،والفيزياء ولو استمرت هذه العملية لوفرنا على أنفسنا كثيرًا من الجهود والعناء النفسي، وتخلصنا من القلق الروحي وضياع الثقة باللغة العربية وبقدرة النفس العلمية والإيمان بأمتنا. وقد بقيت اللغة العربية صامدة برغم حكم الدولة العثمانية، والفرس، والمماليك، والإنجليز، والطليان، والفرنسيين، والأسبان للأقطار العربية . بل احتوت هؤلاء وأصبحوا بفضلها مسلمين وتأثروا بحضارتنا وعلومنا .

هناك اختلاف كبير بين العقلية الشرقية والعقلية الغربية، وقد انبهر بعض الدارسين بالغرب لقوته، وتاه وقلق؛ لأنه لم يدرس حضارة الإسلام وجذور اللغة العربية؛ لذلك وجدنا هؤلاء يحومون حول النص ولا يقدرون على التعريب الدقيق؛ لأنهم كانوا بعيدين عن إحدى اللغتين، فقد فكروا باللغة الغربية فكان تعريب النص غير مفهوم عربيًا، وعندما يفكر العربي بلغته يبتعد عن القيد اللغوي الأجنبي فيجيد في التعريب بعد قراءة النص؛لأنه استوعبه وفهمه.

لذلك كان المعربون المصريون زمن محمد علي باشا قادرين على فهم النص الغربي؛ لأن لهم قاعدة عربية أصيلة، إذ فرض محمد علي باشا التعريب على أعضاء البعثات التي عادت بعد الدراسة ووجدنا في تعريبهم سلامة اللغة وفصاحة الألفاظ ودقة الكلمات، ومن هذه الكتب التي عربت :

١- الأزهار البديعة في علم الطبيعة ، تأليف مسيو بيرون معلم الكيمياء بمدرسة الطب ، جمعه من كتب الفن الفرنسية وترجمه يوحنا عنحوري، مع

مساعدة المؤلف لمعرفته اللغة العربية، وصححه يونس الواعظ المصحح .

٢- التشريح العام ، تأليف كلان، ترجمة عيسوي النحراوي، وصحح الكتاب عوض القناتي وعلي العدوي وقابله مع بيرون الكيماوي .

وقد وضعت المؤسسات العلمية زمن محمد علي باشا معجمًا كبيرًا في عدة مجلدات سُمّي قاموس القواميس الطبيعية .

ولابد من ذكر الجهود العلمية الأخرى في إصدار يعسوب الطب، التي كانت تختار المقالات العلمية من مختلف المصادر وتنشرها، وجهود روضة المدارس في هذا الصدد .

**الصعوبات أمام التعريب :**

تقف أمام توحيد التعريب بل التعريب نفسه، كما كان في الجزائر، عدة عقبات مصطنعة منها :

١- عدم إيمان بعض الدارسين بالتعريب نفسه، إذ يضع الدارس العقبات تهربًا من التعريب، وكسلاً من ممارسته وشعورًا بالنقص فيظن اللغة الأجنبية تكسبه زهوًا وفخرًا .

٢- الاعتذار بأننا يجب أن نعرّب كل ما صدر عن الغرب من العلوم، حتى تكون المعلومات العلمية متوافرة؛ ليكون التعريب سهلاً عليهم، وتكون لدينا حصيلة لغوية كافية .. وهذا العذر بعيد عن الواقع؛ لأن عملية الانتظار حتى يتم هذا التعريب سيضيع فرصًا من الاستفادة من التطور السريع للاكتشافات العلمية، ونحن بحاجة إلى مسايرة الركب الحضاري .

٣- الادعاء بأن التعريب سوف يكون سببًا في تدني المستوى العلمي . فهل هبط هذا المستوى في اليابان، والصين، وروسيا، والدول التي تدرس العلوم بلغاتها؟ أم أنها أبدعت وتقدمت وتطورت ؟ لقد حدث العكس ،فقد جاء التطور نتيجة فهم النظريات العلمية الجديدة بلغاتها وممارسة التجارب الكثيرة في الأمم

الأخرى، كما أن بعض الأقطار العربية، تدرس العلوم باللغة العربية، وقد تفوق الخريجون منها لما ذهبوا لإكمال دراساتهم العليا في بلاد الغرب.

٤- ادعاء بعض الدارسين بأن اللغة العربية لا تستوعب المصطلحات العلمية للمخترعات الجديدة، وقد برهن مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجامع العربية الأخرى على خطأ هذا الرأي بما أصدرت من معجمات متعددة في مختلف العلوم، إضافة إلى أعمال المؤسسات العلمية والجامعات ومراكز التعريب، التي سهلت الدراسة والبحث العلمي الرصين باللغة العربية لطلاب العلم الذين يدرسون باللغة العربية.

٥- القول بأن المصطلحات التي وضعت لا تطابق المعنى العلمي والحقائق الحديثة. ونسي هؤلاء أن المصطلح هو ما اصطلح عليه المختصون في أمر من الأمور، فقد وضع الإسلام كلمات جديدة لم تكن معروفة بهذا المعنى قبل ظهوره، فالزكاة معناها نماء الشيء، والصلاة أصلها الدعاء ثم أطلقت على شعائر محددة معروفة ، والكفر معناه التغطية، فقوله تعالى : "أعجب الكفار نباته" أي: الزراع؛ لتغطيتهم البذور في الأرض والستر وغيرها من المصطلحات. وقد أورد ابن فارس في فقه اللغة الكثير من هذه المصطلحات والمعاني ..

ومما لاشك فيه أن هذا القول الخاطئ جاء نتيجة الانعزالية والإقليمية .

٦- جهل بعض الدارسين باللغة العربية ومعرفتهم المحدودة باللغة الأجنبية، حال دون استيعابهم لعملية التعريب بصورة دقيقة فلجؤوا إلى اتهام اللغة العربية بعدم قدرتها على احتواء نصوص اللغة الأجنبية وعدم قابليتها لهضم المصطلحات العلمية في استيعاب معانيها ومضمونها .

٧- عدم وجود أجهزة للتنسيق بين المؤسسات العلمية والتعاون فيما بينها كالجامعات، والمجامع، ومؤسسات التعريب فكل مؤسسة تعرب ما تريد، وتظهر عدداً من المصطلحات المتنافرة فتحول دون توحيد عملية التعريب والاستفادة من الخبرات الكثيرة التي يبذلها العلماء .

٨- قلة المصادر العلمية في المكتبات العامة، ومكتبات الجامعات، والمجامع لكي يستفيد المعرب من وجودها ويرجع إليها طالب العلم ليقوي قابليته لفهم العلوم الجديدة. فمن الضروري إنشاء مكتبات متخصصة تخدم الفكر العلمي والبحث الدقيق لتكون بين يدي طلاب العلم .

**تعريب العرب :**

إن من يدرس ما ينشر في الصحف ووسائل الإعلام، ويتصل بالجمهور العربي في كل مدينة يجد تفشي الكلمات الأجنبية في الصناعات المتعددة بل حتى في طعامنا نجد كلمات لا يفهمها إلا أبناء القطر الواحد، مع أن اللغة العربية تدرس في المدارس والجامعات والمعاهد .

وقد سمعت أن بعض مدرسي اللغة العربية يدرسونها باللغة العامية مثل تدريس الكيمياء والفيزياء، والطب، ويجب أن نتذكر الجهود المضنية التي بذلها الرسول- صلى الله عليه وسلم- حتى جمع العرب على لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم؛ فقد تفرقت هذه اللغة واختلفت ؛ وأخشى اليوم الذي يقال فيه لغة القاهرة، ولغة الإسكندرية، والرياض، والطائف، والموصل، وصنعاء، والرباط، وغيرها من البلدان العربية، كما حدث في اللغات الأوربية .. فتسمع في الشارع شكمان، ومارشير، وكنداسة، وساندويج، وكفرات، وتايرات، وتربجات، وطربيزة، وجربايه، وكويل، والشوب، والطور. وها أنا أقدم قائمة ببعض الألفاظ في البلاد العربية :

مصر: معلقة ، فرن ، لب ، فول سوداني، علبة ، مفك .
العراق : خاشوكة ، مخبز أو تنور ، حب، فستق عبيد ، قوطية ، درنفيز.
ليبيا : كاشيك ،كوشة ، زرعية ، كاكاوية ، حكية ، كشفيتة .
المملكة العربية السعودية: ملعقة، مخبز أو تنور، فصفص، لوز، علبة، مفك.
سوريا : خاشوكة ، فرن أو تنور ، بزر ، فستق ، علبة ، مفك .
ومن المصائب أني سمعت بدويًّا يقول لصاحبه ( أوكي )، وهناك أكثر من إذاعة لبنانية تتحدث باللهجة اللبنانية ولا أدري إن كانت لغة بيروت، أو لغة صيدا، أو صور هي التي تتحدث بها .

الحلول المقترحة لوحدة التعريب :

١- وضع صيغ علمية موحدة ومصطلحات متشابهة؛ ليسهل على الدارس فهم النص العربي في كل أقطار الدنيا العربية بصورة واضحة، وقد سهلت المؤسسات العلمية هذه الخطوة وإن اختلفت المسميات .

٢- تدريس لغة أجنبية مع اللغة العربية لتسهيل العودة إلى المصادر الغربية؛ لأن الطالب متى أتقن لغته ولغة أجنبية أخرى فسوف تسهل عليه الاستفادة من المصادر والمراجع، فيعد الدارس إعدادًا علميًّا على أسس قوية واتجاه سليم، وإذا بدأت هذه العملية من المدارس الثانوية فسوف يكون الطالب مستعدًّا لفهم النص العربي والأجنبي في وقت واحد وسوف تكون الدراسة بالعربية سهلة عليه نظرًا لطاقته الفكرية.

٣- ضرورة التنسيق والتنظيم بين المؤسسات التي تعنى بالتعريب في الوطن العربي؛ لأن التنسيق لا يكاد يذكر بين أصحاب الاختصاص ، وتبادل الخبرات والتجارب يتم بالاجتماعات الدورية، وقد فكرنا في العراق في هذه الاجتماعات وعقدنا أول اجتماع في بغداد، ثم في القاهرة، ولكن الأقطار العربية الأخرى لم

تستجب لهذا التنظيم والتوحيد والتنسيق.

٤- عقد دورات ولقاءات دورية يتبادل فيها المختصون الخبرات والنتائج التي توصلوا إليها في التعريب وإجراء مناقشات واسعة النطاق في هذا الصدد .

٥- ولتسهيل عملية توحيد التعريب لابد من وضع ضوابط عامة، وقواعد محددة لأساليب التعريب يسير في هديها الدارس والمعرب، ويجب أن تعمم على المختصين للأخذ بها. ووضع هذه القواعد من مهمة المجامع ومراكز التعريب، والجامعات .

٦- وقبل كل هذا لابد من وجود المراكز العلمية للتعريب - وهي موجودة في بعض الأقطار العربية - مهمتها المساعدة على العمل، وتسهيل مهمة المعرب ، وطبع المؤلفات وإصدار نشرات دورية ومجلة خاصة بالتعريب، والوقوف أمام الانعزالية والإقليمية التي تحول دون تبادل الخبرات والتجارب بين هذه المؤسسات .

٧- إصدار نشرات ومجلات موحدة الهدف تجمع ما توصلت إليه هذه المؤسسات من مصطلحات، وآراء وتجارب، وخلاصة الأمور التي تهم المعرب التي تصدرها المؤسسات العربية ، والعمل على تنسيق جهودهم وتنظيم عملية التعريب ، تكون بين يدي القارئ للاستفادة اليومية منها، وتباع بثمن رمزي وتستدرك على ما تجده في المؤسسات من ترجمة المقالات العلمية.

وقد سبقنا إلى هذا العمل رفاعة الطهطاوي عندما أصدر مجلة (روضة المدارس ) الصادرة ما بين عامي ١٢٦٥ و١٢٦٨هـ ، و( روضة المدارس ) تجربة رائدة ،مع ( يعسوب الطب ) التي كانت تختار المقالات الجديدة من المجلات الغربية وتترجمها وتضعها بين أيدي الدارسين .

٨- التعريب الميداني، وقد قامت المجامع بتعريب الكثير من أدوات السيارة والمكائن، والحرف وأخذت الجيوش العربية تستعمل أسماء آلات الحرب باللغة العربية، بعد أن صدر المعجم العسكري الذي أصدرته جامعة الدول العربية .

ويمكن أن يبدأ التعريب الميداني في المدارس الصناعية، والمعاهد الجامعية؛ ليخرج المهندس وهو مزود بأسماء الآلات العربية، وينشرها بين العمال عندما يدخل الحياة العملية في المصانع، والمعامل؛ لتكون أكثر انتشارًا بين أبناء الحرف .

٩-ويمكن الاستفادة من المصطلحات العربية في التراث العربي بالعودة إلى كتب العلوم عند العرب، كما استفادت حركة التعريب في زمن محمد علي باشا وأخرجت الألفاظ والمصطلحات التي استعملها العرب، وأخرجت الحركة الألفاظ والمصطلحات القديمة من معانيها إلى المعاني الجديدة؛ لتلائم حاجات الحضارة المعاصرة وفقًا للأسلوب العربي، وقد اخترع هؤلاء بعض الكلمات ووصفوا بعض المصطلحات التي لم يجدوها في هذه الكتب، وكان المعرب فى ذلك الزمن أزهريًّا شديد الفهم وكان يقابل المؤلف الأجنبي بعد أن تتم ترجمة الكتاب، ولا شك فى أن كتب التراث كثيرة المصطلحات، فقد استفاد الغرب من ( القانون ) في الطب لابن سينا وبقي مصدرهم حتى القرن السابع عشر ، كما استفادوا من كتب الحسن بن الهيثم، والخوارزمي،ومن هذه الكتب:

١- الحاوي في الطب للرازي .
٢- مفاتيح العلوم للخوارزمي .
٣- مصنفات في علم الكيمياء لجابر بن حيان .
٤- مقالة في الضوء للحسن بن الهيثم .
٥- القانون في الطب لابن سينا .
٦- جامع مفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار .

وغيرها من كتب العلوم والفلك والجغرافيا .

إن الأسلوب العلمي الذي وضع في فترة محمد علي باشا ، فترة انتقال حضاري ، وبعث علمي ، ونهضة جديدة. وقد تطور العلم الآن تطورًا كبيرًا، اختلفت فيه الأساليب العلمية في البحث بما وصلته المخترعات الحديثة، لكن يمكن الاستفادة من هذه المرحلة فقد كانت أول مرة يلتقي فيها علماء الأزهر بالعلوم الحديثة ، ولهذا كانت تراكيب اللغة جديدة والمصطلحات متقنة وإن اختلف المعاصرون معها، ولكنها تعطينا طريقة التعريب، وتظهر حرصهم على اللغة.

**النشر الواسع :**

قلت إن نشر ما تصل إليه المؤسسات العلمية ، من الضروريات الأساسية لتوحيد التعريب، وأنا أعود فأؤكد على ضرورة وصول جميع الآراء والأفكار إلى جميع المؤسسات بتبادل الخبرات والتجارب، وإن كانت هذه النتائج مختلفة فيمكن فلا مانع من وضع أكثر من مصطلح لكلمة واحدة؛ لأن النشر في المؤسسات العلمية مازال محدودًا ، وتحكمه عدة عوامل ، من أهمها الضيق المالي الذي تعاني منه هذه المؤسسات ، مع شح الدول عليها بالمال الذي يساعد على اتساع الانتشار .. وأتمنى أن تؤسس مطابع خاصة بكل مؤسسة ؛ لتتمكن من طبع النتائج بأعداد كبيرة، وإنشاء هيئات علمية خاصة تنشر نتائج التعريب من معاجم، ومجلات،وكتب علمية مختصة بفروع المعرفة ويناط بهذه الهيئات صلاحيات لتشجيع التعريب وطبع إنتاج العلماء على نطاق واسع على أن تباع هذه المطبوعات بأسعار رمزية لتزيد من التوعية العامة عند أكبر عدد من الناس .

**الجامعة العربية :**

إن جهود الجامعة العربية محدودة في التعريب، ونشر اللغة العربية.

ويمكنها مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من الإسهام في توحيد هذه العملية القومية ، وفي الجامعة العربية اتفاقيات ثقافية مشتركة صدرت عن الحكومات العربية سنة ١٩٤٦ م، ومنها المادة التاسعة التي تنص على الوصول باللغة ( العربية ) إلى تأدية جميع أغراض التفكير والعلم الحديث، وجعلها لغة الدراسة في جميع المواد في مراحل التعليم في البلاد العربية ، ووحدة التعريب أهم قاعدة ترتكز عليها هذه الأغراض .

ومع كل ما يبذل من جهد كبير في الجامعات العربية والمجامع والمؤسسات فلم تحقق وحدة التعريب ما نرجوه لها من انتشار، وكنا نأمل أن تلتزم هذه المؤسسات بوحدة التعريب بالتنسيق والتعاون، وتبادل الخبرات، وكثرة الاجتماعات، ولكن حوائل كثيرة رسمية وغير رسمية تعوق هذا التنسيق وأهمها: قلة المال، وعدم تشجيع الحكومات على الفكرة بالقياس إلى المصروفات التي تصرف على الحفلات والزيارات والمجاملات المتعددة .

إن عملية توحيد التعريب تسير ببطء مع ما تبذله المؤسسات العلمية من جهود كبيرة، وعلى الحكومات مؤازرة هذه الجهود لجعل اللغة العربية لغة العلم والفكر، والشارع، والمهنة، والوقوف أمام وسائل الإعلام التي تنشر اللهجات العالمية بكل جرأة .

ولابد أن أنوه بالعمل الذي قامت به الجزائر، وجهودها في تطبيق قانون اللغة العربية الذي جُمِّد فترة طويلة، إذ صادق المجلس الوطني الانتقالي ( مجلس الأمة المؤقت ) في ١٩٩٦/١٢/١٧م على تعميم اللغة العربية ورفع التجميد عن القانون، الذي صدر في ١٩٦١م، وأدعو الله أن يأخذ بيد المخلصين لتطبيق هذا القانون وأن ينتبهوا إلى الصعوبات والعراقيل التي سوف توضع أمام هذا التطبيق .

## الخاتمة :

إن توحيد التعريب،ونحن في هذه المرحلة، أسهل من أن تمر فترة طويلة ويستحيل فيها تحقيق هذا الهدف؛ فالعالم يتقدم بسرعة صاروخية في جميع المجالات العلمية، والفكرية، والفنية، وأصبحت حتى اللغة التي يدرسونها ويتحدّثون بها ويضعون مصطلحات فى ضوئها تضيق بكثرة هذه المخترعات والتطور العلمي الكبير فما موقفنا نحن ونحن في بداية الطريق إن كنا قد عرفنا الطريق السليم نحو أهدافنا العلمية بصورة واضحة ؟

إن من أول الخطوات التي يجب أن نخطوها تنسيق الجهود في حركة التعريب، والتعاون العلمي، والتنظيم الإداري في جميع المؤسسات والجامعات والمجامع، ويحاول مجمعكم القيام بكل طاقاته عندما تبنى ( اتحاد المجامع العربية ) لأن توحيد التعريب هو الخطوة الحضارية والقاعدة القوية في التطور العلمي والتكنولوجي .. وتكون هذه القاعدة قائمة على وضع تشريع أنظمة وقوانين تسن في الدول العربية، وعلى رأسها الجامعة العربية التي تشرع قبل ذلك في إعطاء امتيازات خاصة للمعرِّبين ،ومن يقفون عمرهم في خدمة توحيده ودفع عجلته إلى الأمام؛ لإتمام الغاية المنشودة من التطور الحضاري للأمة العربية وتجنيد العلماء في خدمة هذا الغرض؛ لنقل علوم الغرب كما صنعت روسيا، واليابان، والصين، حيث ترجمت الفكر الغربي الذي يستمد المصطلح العلمي جذوره منه، فلسهولة فهم هذا المصطلح يجب فهم الجو الفكري له ومعرفة المنهج العلمي الذي وضع هذا المصطلح وبهذا يكون التعريب كاملا؛ لأن فهم الحياة العلمية التي أدت إلى المصطلح والمنهج الذي سار فيه سوف يكون أكثر فهمًا وقربًا للعالِم والمتعلم وأصحاب الحرف بخاصة .

وأخيرا : الإيمـــان الصـادق بـأن المعرب يقوم بخدمـــة علميـة حضاريـة لوجه الله ولتقـــديم أمتـه، فقـد قـال الخوارزمي في القرن الثـــالث الهجـري في مقدمة كتابه (الجبر والمقابلـــة ) مـا موجزه: إن التـــأليف يكـون احتســابًا للأجـر؛ لأن فيـه مشـقة في كشـف أسرار العلم وغوامضـــه .. ونذكـر أن حكام بغـــداد لمـا فرضـوا الأجـور للأساتذة بكى الناس في المســاجد، وقـالوا: إن العلـم كـان لله وأصبـح للمال .

وبخاصـة أن مهمـــة المعـــرب والمترجم ليست سـهلة ، وليـس كـل من يعرف لغتين قادرًا على التعريـــب. نرجو أن يســـدد الله خطانـا ويلـهمنا خدمة اللغة العربية والإســلامية .

**يوسف عز الديـن**

عضو المجمع المراسل من العـــراق

## ( شرب الملح )

### قصيدة للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين

هذه خفقات نفس شاعر حائرة في اضطرام الحياة المعاصرة، تصور قلق الشاعر وحيرته وخوفه من المستقبل الغامض :

ربة الشعر هل علمت بصب
بين هجر تشقينه وبقربِ ؟
والعشيات رحمت صوت وجد
همسات النجوم من كل دربِ
أترى يوقد الحنين رواء ؟
من أتون الجراح ينزف قلبي
ليت شعري والرمل رمل بلادي
ومياهي بها ، تساغ لشربِ
نزفت من جراحها موج هم
ترتوي من دماء أهلي وصحبي
يشرب الملح كل عضو جريح
أيداوى بالملح جرح المحبِّ؟

* * *

كم رضعنا من التفرق سمًّا
لدغته أسنان أفعى وذئبِ
ليت شعري وفي الفؤاد شجون
فوقت سهمه مصيبة شعبِ
أترى توقد الجراح حنينًا
وأتون الجراح تملأ جنبي

* * *

فمتى نسرج المعالي خيولا
تملأ المجد من مفاخر عربِ
وتغني مفاخر الفوز مجدًا
بالسرايا لتنتشي سوح حربِ

* * *

شهداء النضال فى كل ساح
وارتوى من دماهم كل شعبِ
وتغنت بهم ثغور المعالي
وزهت فيهم السماء بشهبِ
بدمانا نذود كل شنار
بشباب ما هاب حماة حربِ
حرقوا ذلة الهوان بعزم
مهدوا فى الخلود أصعب دربِ

* * *

في فمي مضغة من النار سكرى
مذ بلينا منهم بأفدح خطبِ
أمنا ربة المفاخر فاضت
شرف أصلها ، وأمي ، حسبي

* * *

كيف ترضين أمة العرب أني
في تراب الهوان أدفن حبي
أبوار وأنت فيض جدود ؟
نشرت في الوجود أروع خصبِ
ليت شعري وفي الليالي الحيارى
خير أحلامنا تصاب بجدبِ
والغطاريف من أمان عراض
بجنود كوقفة النصر غلبِ
ودمانا تسقي الثري والثريا
وينامون في حرير المحبّ .
* * *

أمنا هذه الرمال ومنها
أشرق النور وازدهى كل شعبِ
سطع النور ضاحكاً من سناها
وهواها ما بين جفن وهدبِ
قد تحملت من قروحك سقماً
ثم زيدت طعنات حقد وغصبِ
ورمال الصحراء خجلى الروابي
من طعين أحبها أي حبّ
أنا أسقي تلك الروابي جراحي
كيف أضحت جدباء من بعد خصبِ؟
نهش الصل زهرة الفجر غدراً .
أوما ترعوي الذئاب لحبّ ؟
* * *

من سيشري هموم قلب جريح
وشجوناً تفيض من كل صوبِ ؟
ترضع الصخر نجمة الصبح ظمأى
ودجاها يصب صدر المصبّ .
أنا أفديك يا بلادي بروحي
وبسمعي وخاطري وبلبي
اسرجي الخيل والسرايا ذنوباً
ووفائي العميق نحوك حبي .
* * *

يا رمال الصحراء حبك شرعي
قد تغنت بها مزامير عتبي
أضرمي في اللحون حبًّا عظيمًا
ثم عبي من المكارم عبّي
إن ربعاً لا يعرف الحب ربع
ليس والله من قبيلي وشعبي
أنا كسرت ريشتي ويراعي
بعدما ضيعوا حروفي وكتبي .
* * *

شمخت بالإباء نفس كريم
قد سقوه من كل ظلم وكربِ
إن أرضي أرض البطولات أرض
ما ونت رهبة لجوع وجدبِ .
* * *

وأنوف كالمجد تشمــخ فخــراً
تنشر المكرمــات فى كل شعبِ
ضاع منا الطريق للمجد حــتى
ضــل مــلاحنا طريق المصبِّ .
* * *
وارتوى البحر من مياه السواقي
وهــو نبــع لكل خير وخصبِ
يا رمال الصحراء فالجو خــال
نامت الأسد واكتوى كل شعبِ
امرحي يا ضباب من غير خوف
واستزيدي من كل جحر ونقبِ
فالوجوه الحيرى تغط بنـــوم
أبــدي كنوم أحجار دربِ .
* * *

أتراني حملت هــم بــــلادي
والحنايــــا مقروحة بين جنبيَ
وبوجهي من كالحــات الليالي
يبسم الهــم مــن شجون بقلبي
نهشت مهجتي فــأن جريحــاً
قلب صب من ظلم نهش وسلبِ
يا مطايا الصحراء يا حفنة الرمل
يــا حجــارة الصخــر هبي .
ليس للعلم فى الديار مكــــان
ومكــان العبيد في كل صوبِ

**يوسف عز الدين**
عضو المجمع
المراسل من العراق

# إسهام في وضع مصطلحات علم القراءات

للأستاذ محمد المختار ولد إبّاه

علم القراءات والتجويد من أكثر العلوم الشرعية صعوبة وتعقيدًا حتى أصبحت دراسته حكرًا على ذوي الاختصاص،فلم تنزل مادته إلى مستوى العامة، و لم تنتشر بين الخاصة بصفتها ثقافة إسلامية ؛ ومن أسباب هذه الصعوبة ارتباطها عادة بحفظ القرآن الكريم ، وهذا الحفظ يحتاج إلى جهد خاص متواصل ليس في مقدور كثير من الناس ، ولاسيما في عهدنا المعاصر الذي لم يعد الاعتماد فيه على الذاكرة منهجًا في التربية والتعليم واستغنى الناس عن الحفظ بسبب سهولة العودة إلى المراجع المتاحة.

ثم إن لهذا العلم مصطلحات خاصة ، بعضها يندرج في علم الأصوات مثل صفات الحروف ، وبيان مخارجها ، وبعضها من صميم القراءات، مثل الرواية، والطريق ، والمتواتر، والشاذ، والأصول، وفرش الحروف ، ومسائل الوقف الابتداء وهي مصطلحات لازالت متناثرة في مؤلفات مختلفة ، متنوعة الموضوعات .

وإسهاما في الجهود المتكررة التي تقوم بها لجنة الشريعة في مجمعنا الموقر ، فإني أعرض مجموعة من مصطلحات علم التجويد ، آملا أن تعين القائمين على هذا العمل بقسط - ولو قل- في هذا المضمار، وذلك بعد فحصها ومراجعتها إن اقتضى الحال من طرف السادة العلماء المشاركين في هذه اللجنة. وإذا ما أقرها المجمع ، فإني أرجو إدراجها ضمن معجم مصطلحات العلوم الشرعية، بعد أن سبق له أن أقر مصطلحات الحديث النبوي ؛ ونظر في مصطلحات أصول الفقه التي عرضت عليه في السنة السالفة .

## الألف

١- **الإمام** :
أحد المصاحف العثمانية، أو المصحف الذي بقي عند الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٢-**الاستعلاء:**
وصف لسبعة حروف يجمعها قولك: "قظ خص ضغط "،وسميت بذلك لاستعلاء اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بها .

٣-**الانفتاح**:وهو صفة لغير الحروف المطبقة .

٤-**الإطباق**: و يقابل الانفتاح، و هو من صفات القوة، و حروفه الصاد، و الطاء، و الظاء .

٥-**الانسفال**: و هو يقابل الاستعلاء ، و أسفل حروفه الياء .

٦- **الأصول**: أحكام قواعد عامة، مثل مذاهب القراء في المد و القصر ، و الإمالة و الفتح، و الإدغام و الإظهار.

٧- **الإمالة**: النطق بالمد المفتوح جانحًا نحو الياء ، و بالفتحة نحو الكسرة.

٨- **الإشباع**: إطالة حركة المد التي قد تصل إلى مقدار ست ألفات في بعض الروايات عن حمزة وورش .

٩- **الإضجاع** : الإمالة الكبرى.

١٠- **الابتداء** : استئناف القراءة أولاً، أو بعد الوقف .

١١- **الانحراف** : من صفة للام.

١٢-**الإظهار** : يقابل الإدغام ، و هو قطع الحرف الساكن ما بعده كإظهار النون في قوله تعالى : من حولكم .

١٣-**الإخفاء** : واسطة بين الإدغام و الإظهار نحو التلفظ بالنون السلكنة قبل الباء .

١٤-**الإدغام**: إدخال صوت الحرف في الذي يليه، و يأتي في المتماثلين إذا سكن أولهما نحو رد و في الحرفين إذا تقارب مخرجاهما،مثل:و قالت طائفة. و إذ ظلموا،و هذا هو الإدغام الصغير، أما الكبير فهو إدغام المتماثلين، و المتقاربين،و لو لم يكن أولهما ساكن مثل:فيه هدى، و خلقكم .

١٥- **الإثبات** : ضد الحذف .

١٦- **الاستطالة** : وصف للضاد لأنه جمع بين الجهر، و الاستعلاء، و الإطباق، واستطال عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام.

١٧- **الأداء** : اختيار الرواية في التلاوة، ويسمى أيضا بالأخذ .

١٨- **الإشمام** : الإشارة بالشفاه إلى الحركة بعد السكون .

١٩- **الاختلاس** : انتقاص الحركة، والميل بها إلى السكون.

مثل قراءة أبي عمرو بن العلاء في " بارئكم ".

**البـاء**

٢٠-**البـدل**: يضاف إلى المد الذي يأتي بعد الهمز نحو ءامن ، و هو متوسط عند بعض القراء.

٢١- **بين - بين**: صفة للتسهيل المتوسط بين التحقيق و حركات الهمزة .

**التـاء**

٢٢- **التدوير** : عبارة عن التوسط فى الأداء بين التحقيق و الحدر ، و هو المختار عند أكثر أهل الأداء .

٢٣- **التحقيق** : تحقيق الهمز عند النطق به من مخرجه ، و تحقيق القراءة الاجتهاد في الترتيل ، مع إشباع الإمداد و إتمام الحركات، و تفكيك الحروف ، و اعتبار مواضع التشديد و الوقف .

٢٤-**التجويد** : مراعاة قواعد الأداء ، و النطق بالحروف وفقا لمخارجها ولصفاتها المعروفة ، وهو واجب عند القراء ، و **يقول** : ابن الجزري في مقدمته:

والأخذ بالتجويد حتمٌ لازم
من لم يجود القرآن ءاثِم

وهو إعطاء الحروف حقها من صفة لها ومستحقها .

٢٥- **التواتر**: تواطؤ جمع كثير من القراء على رواية متصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

٢٦-**التطريب** : التلاوة بلحون أهل الغناء .

٢٧- **التحزين** : التلاوة بما يشبه البكاء.

٢٨- **التعسف**: التكلف في التـلاوة، أو في التلفظ بالحروف .

٢٩-**التفكيك** : تقطيع النطق بحـروف الكلمة .

٣٠-**الترعيد** :ترديد ما يشبه الهمـز في الإمداد، و هو من محظورات الأداء.

٣١-**الترقيص** : التـلاوة على أوزان الأسجاع القصيرة بلحون المطربين.

٣٢-**التخفيف**: ضد التشديد مثل قـراءة كُذِبوا بدل من كذّبوا.

٣٣- **التـام**: صفة للوقف في محـل استكمال المعنى ، مثـل رؤوس الآي نحو الوقف على البسملة.

٣٤-**التعانق** : ترابط بين حكم وقفين في موضعين ، بحيث إن وقفت علـى أحدهما تعين الوصـل في الموضـع الآخر مثل : "الم ذلك الكتـاب لا ريب فيه هدى للمتقين " . ويشـار إليه عادة بثلاث نقط .

٣٥-**التفشي**:وصف للشين لأنه انتشر في مخرجه حتى قرب من مخرج الطاء.

٣٦-**التسهيل**: التخفيف مـن النطـق بالهمزة فينطق بها بين الهمزة واليـاء إن كانت مكسورة، وبين الهمـزة والألف إن كانت مفتوحة ، وبـين الهمزة والواو إن كانت مضمومة.

٣٧-**التلاوة** : كيفية قراءة القرآن.

٣٨-**التهوع** : المبالغة في تحقيق بعـض الحروف كالهمزة مثلاً.

## الجيـم

٣٩-**الجهر**: قوة الاعتماد على الحـرف عند خروج صوته مع منع النفـس من الجريان عند النطق به سـاكنا وحروفه ١٩ وهي التي لم تذكـر في الهمس .

## الحـاء

٤٠- **الحسن** : نحو الوقف على بسم الله

٤١-**الحلق**: وتنسب إليه حروف معروفة وهى الهمزة، والهاء، والعين، والغين، والخاء، والحاء .

٤٢-**الحدر**:الإسراع في التلاوة مع مراعاة بيان الحروف ، وتقويم اللفظ، ومنـه القراءة بالقصر الجائز، والاختـلاس والبدل والإدغام، وهو معـروف في

مذهب ابن كثير وابن جعفر وقالون ورواية الأصبهاني عن ورش .

**٤٣- الحشو**: الكلمة في وسط الآية.

## الذال

**٤٤- الذلاقة** : نسبة إلى طرف اللسان وفي حروفه الراء والنون .

## الراء

**٤٥- الرواية** :ما أخذه مشاهير الرواة عن الأئمة ، مثل رواية قالون عن نافع، والبَزي عن ابن كثير ، والدوري عن أبي عمرو وعن الكسائى .

**٤٦- الرسم** : شكل كتابة المصحف التي قام بها الصحابة في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه .

**٤٧- الطريق** : ما اختاره أحد علماء القراءات من روايات القراء مثل طريق الأزرق عن ورش .

**٤٨- الرؤوس**: رؤوس الآيات هي الكلمات التي تنتهي بها الآية ، ولها أحكام خاصة بها في الوقف ، والإمالة والفتح .

**٤٩- الرخاوة** : وهي وصف لستة عشر حرفًا ، ليست منها الشديدة المذكورة، ولا المتوسطة التي يجمعها " لن عمر " وهي التي يجري الصوت فيها عند سكونها مثل الظاء والضاد .

**٥٠-الروم** : إضعاف النطق بالحركة دون ذهابها نهائيًا .

## السين

**٥١-السند**:مجموعة رجال الرواية بين القارئ والإمام .

**٥٢-السكتة**: إيقاف القراءة قليلا دون تنفس .

## الشين

**٥٣-الشكل** : وضع علامات الحركات، وأول من قام به أبو الأسود الدؤلي- وجعله نقطا؛ فالفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة تحته ، والضمة نقطة بين يديه .

**٥٤- الشدة**: وصف لحروف ثمانية يجمعها قولنا : أجدت كقطب . وشدة الحرف قوة الاعتماد في نطقه

ومنع جريان النفس معه إذا كان ساكنا مثل " الحْق " والحج ".

٥٥-**الشاذ:** هو ما يقابل المتواتر أي ما عدا الروايات العشر المعروفة.

٥٦- **الشفوية:** نسبة إلى الشفتين، والحروف الشفوية هي الواو والباء والميم والفاء .

٥٧- **الشجرية** : والحروف الشجرية هي الجيم والشين والياء نسبة إلى مفرج الفم .

**الصاد**

٥٨- **الصلة** : قد يقصد به مد هاء الضمير نحو فيهي هدى ، أو ميم الجمع ، عليهمو ؛ أما الوصل فهو ما يقابل الوقف.

٥٩- **الصفير** : (حروف ) وهي الصاد والسين والزاي.

**الضاد**

٦٠- **الضبط:** كل العلامات التي في المصحف الزائدة على الرسم ، مثل: الشكل والنقط ، وعلامات الإمداد.

٦١-**الغنة** :صوت خاص يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه ، يظهر في مثل إدغام النون في الميم .

**الفاء**

٦٢-**فرش الحروف:** بسط الأحكام في الكلمات التي اختلف فيها القراء اختلافا خاصا بكل كلمة . مثل : " عند الرحمن " و " عباد الرحمن "

٦٣-**الفتح:** النطق بالمد المفتوح دون إمالة .

**القاف**

- **القراءة** :ما نسب إلى أحد الأئمة : مثل قراءة نافع، وابن كثير، ومن هو مثلهم .

٦٤-**القلقلة** : وصف لخمسة حروف ويجمعها قولك " قطب جد" وسميت بذلك لأنها إذا وقف عليها قلقل اللسان .

٦٥- **القصر:** ويقابل المد المشبع والمتوسط.كاختصار بعض القراء في المد المنفصل على المد الطبيعي ، وقد يقابل الوصل في هاء الضمير وميم الجمع .

٦٦- **القبيح**: صفة للوقف في محل لم يكمل فيه المعنى، وعلى من اضطر للوقوف عنده أن يعيد الكلمة التي وقف عليها .

٦٧-**القرآن**: الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز وللتعبد بتلاوته .

## الكاف

٦٨- **الكافي** : مثل الوقف على نهاية كلام مفهوم المعنى ، نحو : ألا إنهم هم السفهاء.

## اللام

٦٩-**اللين** : صفة تطلق على الألف لزومًا، وعلى الواو والياء في حالة مدهما ، وتسمى أحرف المد .

**اللثوية** - نسبة إلى اللثة ، ويوصف بها الظاء والذال والثاء .

## الميم

٧٠- **الموصول** : في الرسم ما غلب قطعه ، ثم ورد موصولا نحو " وألو استقاموا على الطريقة ".

٧١-**المقطوع**: في الرسم ما غلب وصله، وورد مقطوعا نحو " مال هذا الرسول".

٧٢-**المصحف**: الكتاب المتضمن للقرآن الكريم وحده

٧٣- **المخرج** : المكان الذي ينطلق منه الصوت في الفم، مثل انطلاق العين من الحلق، والقاف من أقصى اللسان، والميم من الشفتين .

٧٤-**المصمت**:صفة للحروف غير الذلقية.

٧٥- **المد** : منه ما هو طبيعي مثل ألف قال،وواو يقول، وياء قيل،ومنه ما هو زائد، وهو ما قد يأتي قبل السكون والهمز وبعضه متصل مثل:"جاء ، ودواب، ومحيايْ".ومنه ما هو منفصل مثل و" ما أنفقتم من نفقة " الآية.

## النون

٧٦-**النقط**: وضع النقط التي تميز بين الحروف التي يشبه بعضها بعضا ، مثل الباء والتاء ، وأول من قام به في المصاحف يحي بن معمر مقيل نصر ابن عاصم الليثي.

٧٧- **النقل** : تحريك الساكن الذي قبل الهمزة بحركتها ، وحذفها ، نحو :"هلَ أتى على الانسان"، فحركة همزة الإنسان نقلت إلى أل التعريف ، وحذفت الهمزة .

٧٨- **النطعية** : نسبة إلى نطع الفم وهو الغار الأعلى أي سقفه ، والحروف النطعية هى الطاء والدال والتاء.

**الهاء**

٧٩- **الهواء** : مخرج حروف المد لأنها لا تسند على جزء معين في الفم .

٨٠-**الهذ أو الهذرمة**، وهي سرعة التلاوة ولا يجوز منه ما يخل بقواعد التلاوة.

٨١- **الهمز**: أداء الهمزة بالتحقيق ، أي دون إبدال أو تسهيل .

٨٢- **الهمس** : ضعف الاعتماد على الحرف عند التلفظ به مع جريان النفس ، وحروفه يجمعها " حثه شخص فسكت "

**الواو**

٨٣- **الوقف** :قطع القراءة في مكان معين ، ويكون بإسكان المتحرك، نحو : لا ريب - أو بمد المفتوح -.نحو غفورا.

**محمد المختار ولد إبّاه**

عضو المجمع المراسل

من موريتانيا

# معجم المصطلحات البحرية في الكويت

للأستاذ عبد الرازق البصير

كان النشاط الاقتصادي في منطقة الخليج عامة، وفي الكويت خاصة، مقصوراً على استخراج اللؤلؤ من البحر وهو نشاط عسير أشد العسر؛ لأن الذين يقومون بهذا العمل يستخدمون أدوات بدائية؛ فهم لا يعرفون الأدوات الحديثة ، والعاملون في هذه المهنة كثيرًا ما تتعرض حياتهم للخطر، فالذي يغوص في البحر لاستخراج اللؤلؤ ، لا يستخدم الجهاز الحديث الذي يمكّنه من التنفس ، وإنما يستعمل شيئًا يسمى "الفطام" وهي قطعة صغيرة تصنع على صورة المقراض يضعها الغواص على أنفه، وتُصنَع من عظام السلاحف، كما يذكر ابن بطوطة فى رحلته، ج١ ص ١٧٧، وتضغط هذه الأداة على أنفه بصورة مؤلمة، ولو أردت ذكر الأدوات التي يستعملها الغواصون لخرجت عن القصد، ويشترك في مهنة الغوص من الكويتيين ألوف من الناس، وكم ابتلع البحر من أولئك المكافحين !

كما تعرض الكثير منهم إلى أمراض مختلفة في عيونهم وآذانهم وأجسامهم، على أن هناك مهنة أخرى للبحارة الكويتيين ، وهي نقل التمر إلى الهند وشرق إفريقيا، واستيراد الخشب لسقوف المنازل وصناعة السفن، وهذا العمل فيه كل المشقة .

وقد أُلِّفَت كتبٌ في الغوص ، تحدث فيها مؤلفوها أحاديث مفصلة، وصفوا فيها حياة أولئك البحارة المكافحين .

وقد رأى مؤلف هذا المعجم (معجم المصطلحات البحرية فى الكويت ) المرحوم أحمد البشر الرومي أن يذكر أسماء معظم السفن وأجزاءها باذلاً جهدًا مضنيًا؛ فإن أسماء تلك

السفن ليست كلها عربية يسهل تفسيرها ، وإنما هي مأخوذة من الفارسية والإنجليزية والهندية، لهذا نجد المؤلف يذكر ما يستطيع أن يذكره من مصادر وأصول ألفاظها ، وسنذكر في هذا البحث ما يتسع له المجال من أسماء السفن ومنها :

### ١- أبغلة

نوع من السفن الكويتية الشراعية ، تستخدم للأسفار البعيدة وحمل البضائع من الكويت والعراق إلى الهند وشرق إفريقيا ، والبغلة تشبه السفن البرتغالية القديمة ، وهي من أقدم أنوع السفن التي استخدمها الكويتيون للسفر في البحار العالمية .

وطول الواحدة ما بين ١٢٠ و١٥٠ قدمًا ، وعرضها ما بين ١٨ و ٣٠ قدمًا، وارتفاعها ما بين ٣٠ و٤٠ قدمًا، وحمولتها لا تزيد عن ٤٠٠ طن ، والمفروض أن هذا الاسم أطلق على هذه السفينة؛ لقوتها وقدرتها على تحمل الأسفار البعيدة ، فالبغل حيوان معروف من فصيلة الحصان ، لهذا فالبغل يملك صلابة الفرس وصبر الحمار ، ومن المعروف أن البغل مركب من هاتين الفصيلتين، وهذا مجرد ظن ؛ لأن المؤلف لم يذكر سبب التسمية .

### ٢- البتيل

سفينة متوسطة الحجم ، ذات شراعين ، وحمولة البتيل في السفر تتراوح ما بين ١٥ و١٦ طنًا ، وتُستعمَل هذه السفينة في رحلات الغوص على اللؤلؤ ، وتتسع لحوالي ثمانين شخصًا،وتمتاز بشكلها الغريب، الذي يشبه سفن الفينيقيين والفراعنة ، وتتكون قاعدة البتيل التي يبني عليها هيكله من وصلتين- على خلاف السفن- أفقيا ، أما الثلث الأخير من ناحية المؤخرة ، فيتراوح ارتفاعه ما بين ١٢ إلى ١٦ درجة تبعًا لما يطلبه مالك السفينة عند صناعتها .

وقد ورد لفظ البتيل في الشعر العربي بمعنى الهضيم الدقيق ، قال يزيد ابن الطَّثرية :

عقيلية أما - مِلاث إزارهـا

فِدعْص وأما خصرها فَبتِيـلُ

وقد رجعت إلى لسان العرب لابن منظور ، فلم أجد تفسيرًا ، يتلاءم مع اسم سفينة البتيل ، ويقال مثل ذلك عن "المعجم المساعد" للأب أنستاس ماري الكرملي، ومعجم " دوزي " وهذه لفظة مشهورة لدى ملاحي دجلة ، وربما تكون هندية .

**٣- بقارة**

نوع من السفن تشبه البتيل انقرضت، وكانت آخر بقارة في الكويت سنة ١٩١٤م ( وتنطق بالجيم القاهرية).

**٤- البوم**

نوع من السفن الشراعية ، حاد المقدمة والمؤخرة ويستخدم الصغير منها في الغوص، ويستخدم منها للقطاعة ، أما الكبير منها فيستخدم في رحلات التجارة لقطع المحيط إلى الهند وزنجبار ، والبوم شائع في الخليج العربي منذ أمد بعيد ، ويغلب على ظني أن المنية عاجلت المؤلف قبل أن يبلغ مناه في التحقيق، وقد سمعت منه- رحمه الله - أنه اقتنى قاموسًا بالتركية والفارسية؛ ليتمكن من تحقيق أصل المفردات، من أين مصدرها؟ وعلى كل حال فإن الشيخ جلالاً الحنفي يقول في معجم الألفاظ الكويتية : إن لفظة البوم من اللهجات الآرية، والبستكية، والكراشية، والأوزية، وهي لهجات فارسية يتحدث بها سكان الساحل الإيراني الجنوبي نقلاً عن معجم أحمد اقتداري بالفارسية .

**٥- دنجية**

( تلفظ بالجيم المصرية ) ، وهي نوع من السفن الشراعية الهندية، أقل انتشارا من الكويتية، وتشبه البوم الكويتي، ولكنها تختلف عنه في مقدمتها التي تشبه مقدمة الشوعي .

**٦- سنبوك**

سفينة من السفن الشائعة في الخليج، مقدمتها زاوية حادة،

ومؤخرها شبه مربعة. يستخدم النوع المتوسط منها بحثًا عن الخليج للغوص بحثًا عن اللؤلؤ ، وفي اليمن يُصنع نوع كبير منه يجتاز به اليمنيون المحيطات إلى الهند وزنجبار ، ويمتاز السنبوك الكويتي بالنقوش الجميلة التي تزين مؤخرته .

وقد جاءت لفظة السنبوك في رحلة ابن بطوطة بلفظ ( صنبوق ) .

**٧- شوعي**

سفينة لا يختلف نوعها عن نوع السنبوك وشكله، إلا في شكل اللوح الذي بأعلى المقدمة ، وتختلف أحجام الشواعي، فمنها ما هو بحجم القارب الصغير ، ويستخدم لصيد السمك قرب السواحل ، ومنها ما يقارب حجمُه حجم السنبوك ، وكثيرًا ما يحوَّل الشوعي إلى سنبوك، إذا كان كبيرا، ويستعمل الشوعي في الكويت فقط دون سائر بلدان الخليج.

**٨- صياد**

والجمع صيابيد ، ويطلق لفظ "صياد" على السفينة من سفن صيد السمك التي تستخدم الشباك .

**٩- ماشوه**

قارب صغير يستخدم للتردد بين السفينة والساحل؛ لنقل البحارة وبعض الأمتعة الخفيفة ، ومؤخرة الماشوه مربعة وأصل الكلمة آرامية من "ماكونا" مجلة لغة العرب ج١١، أيار ( مايو ) ١٩١٤م.

ثم يبدأ المؤلف بذكر بعض أجزاء السفينة.

**١٠- أرقبة السكان**

رقبة الدفة ، وهو الموضع الذي تشد فيه حبال التوجيه الكبيرة، وعصا السكان بالنسبة للسفن الصغيرة ، وتسمى هذه الخشبة التي تدخل في رأس السكان كانه.

**١١- برد**

جانب السفينة الخارجي في منتصف السفينة إلى مؤخرتها .

**١٢- بندار**

مخزن في مؤخرة السفينة، وغالبًا ما يكون في السفن الصغيرة والمتوسطة ، والتي غالبًا ما تمارس

عملها داخل الخليج العربي ، والقيِّم على هذا المخزن يسمى "بنداري".

**١٣- تركيت**

التركيت أصغر الأشرعة، ويستعمل في حالة الرياح الشديدة فقط .

**١٤- خدعة**

والجمع خداع ، والخدعة ، فى موضعينْ على يمين ويسار السفينة بالقرب من منتصف السفينة تجاه مؤخرتها ، وهي عبارة عن غرف صغيرة من الخشب في عنبر السفينة ، وكان أصحاب سفن الغوص يقيمون هذه الغرف الصغيرة لخزن ما يزيد عندهم من المحار ، أما السفن الكبيرة التي تستخدم في السفر فلم يكن يُبْنَى فيها مثل هذه الغرف ، واللفظ يحتمل أن يكون مشتقًا من الخدع ، وهو إخفاء الشيء، وبه سمي المخدع والخادعة، وهو البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير ، قال الراغب : كأن بانيه جعله خادعًا لمن رام تناول ما فيه .

**١٥- ماكري**

والجمع مواكر، والماكري خشبة لا يزيد طولها عن ١٢ سم محدبة، وفي وسطها ثقب، تثبت على المواضع التي أعدت لربط الحبال، فيقوم الماكري بمسك الحبال عن الانزلاق ، ويكون بمثابة كُلاَّب من الخشب ، والكلمة قد تكون من الأوردية، ماكري ومانكري، وفي تونس تسمى قربول .

**١٦- خن**

عنبر السفينة، ويطلق لفظ الخن أيضًا على كل ما غطاه سطح السفينة، والخن كلمة فارسية بمعنى بيت الطابق السفلي من السفينة " المعجم الذهبي " معرب " المعجم الوسيط ".

**١٧- مجداف**

والجمع مجاديف، وتتنوع أشكال المجداف ، ففي سفن الغوص يكون رأس المجداف الذي يباشر الماء قطعة من الخشب مربعة الشكل تلصق بالمجداف وتربط بالحبال، ويوجد في

سفن الغوص الكبيرة ثمانية عشر مجدافًا ، ويقل العدد تبعًا لحجم السفينة ، وتستخدم هذه المجاديف لتحريك السفينة من مكان إلى مكان في المغاص بحثًا عن محار اللؤلؤ ، والمجداف يتكون من:"زبان" و"صوار" و" غربية "و"صف"وظرب"و"طلا " ، وقد ورد في نشوار المحاضرة ج٣ص ١٢٨ لمؤلفه القاضي الحسن بن علي التنوخي " علقت مجدافي في الكرك"، وتدل العبارة من السياق على أنه توقف عن التجديف ووضع مجدافه على الكرك، وفي تونس يسمى "المجداف": مقداف، والصف":فراص، أما الطلا فيسمى "مزاب" ، والزبان : " شطرمب".

## مصطلحات العمل البحري

### ١- اجمع

كلمة يوجهها النواخذة لرئيس السمة ليجمع ما عند البحارة من اللؤلؤ بعد الفلق، ثم يقدم ما اجتمع لديه من البحارة للنواخذة .

### ٢- أخذ

مصطلح يقال عند سبر أعماق البحر لمعرفة عمق الماء ، فيقول من يقيس الأعماق: (أخذ ) أي وصل المسبار القاع وعرف العمق ، ثم يخبر بعد ذلك بمقدار العمق بعد أن يتأكد من العلامات المثبتة بالحبل ، أما إذا لم يصل المسبار القاع ، فإنه يقول: ( ما يأخذ )، ويحدث ذلك إما لعمق الماء أو لشدة سرعة سير السفينة ، ويكون في مسيرة السفينة فقط ، أما في حالة الوقوف فلا يستخدم ذلك .

### ٣- ادحجت

وتنطق باللهجة الكويتية ادحيت، ويقال ادحيت الضربة أي أن الرياح الشديدة فاجأت السفينة ، وكانت ضربة الرياح شديدة ، واللفظ مشتق من اللفظ الفصيح دحج ، فيقال: الريح دحجت الشيء، أي جرته من موضع إلى موضع .

### ٤- بريخة

عملية جر حبل المرساة لرفعها ، وتستخدم البريخة: بصفة خاصة في

سفن الغوص ، نظرًا لطول حبل المرساة والبرخ في اللغة بمعنى القهر، والتبريخ : الخضوع (اللسان : برخ )، ويحتمل أن يكون لفظ البريخة مشتقًا من البرخ نظرًا لأن سحب حبل المرساة يرغم السفينة على التقدم نحو عين الريح أو التيار .

## ٥- تنور

التنور هو البحث عن المحار بواسطة منظار الماء ، وهو عبارة عن صندوق مستطيل الشكل ، قاعدته من الزجاج يرى من خلاله قاع البحر واضحًا ، والغاية من استعمال هذا الصندوق منع تموجات الماء التي تحجب الرؤية ، وقديمًا كان الغواصون يتنورون المحار بدون هذا المنظار بأن يلقوا على سطح الماء قليلاً من دهن السمك ، فيقضي الدهن على عقد الماء التي تمنع الرؤية ، فينظرون من حافة السفينة إلى سطح الماء فيظهر القاع واضحًا، وكانوا يتبعون هذا الدهن الطافي على سطح الماء مع حركة التيار، وفي اللغة: التنور هو الرؤية من بعيد، فيقال تنوروا النار، أي تبصروها من بعيد.

وكثيرًا ما يتعرض البحارة إلى أمراض بسبب كثرة استعمالهم للماء المالح ، وكان علاجهم علاجًا بدائيًا كاستعمال " الجفت " وهو مسحوق كستنائي، يستخرج من ثمر شجرة البلوط ويستخدم علاجًا للالتهابات وقد وصف هذا الدواء ابن البيطار في الجامع لمفردات الأدوية .

وكذلك يتعرض الغاصة لمرض يسمى " الطنان " وهو ألم بين العينين عند نهاية أعلى الأنف يحدث في أثناء الغطس عند بعض الغاصة وعلى الأخص في المياه التي يزيد عمقها عن سبع قامات.

أما الحالة الغذائية فإنها تقتصر على التمر، والسمك، والأرز،والخبز. ولا تسل عن طريقة إعداده ، فإنها تعد إعدادًا ، يكون في حالة لا يأكله إلا المضطر ، وهذه إضافة من الكاتب، أضافها بعد معرفة مؤكدة .

ويلاحظ أن المؤلف قد زار مصانع السفن الشراعية القديمة في تونس ومصر، فاقتبس من مصطلحات هاتين الدولتين للسفن، وقارنها بمصطلحات السفن في الخليج.

ولكي يكون لدينا تصور لعدد السفن البحرية في الكويت، فإنني أوضّح أنها بلغت - عام ١٩٢٠م - نحو ١٢٠٠ سفينة، نقلاً عن إحصائية الموظف المسؤول عن السفن في جمرك الكويت آنذاك.

وإذا علمنا أن سكان الكويت في ذلك الحين يبلغون حوالي مئة ألف نسمة أو أقل، تبين لنا أن مهنة الغوص والسفر تستأثر بأغلب سكان الكويت، لهذا نجد بعض المهتمين بالتاريخ الاجتماعي للكويت، قد عنوا به عناية لا بأس بها، فألّفوا عدداً من الكتب، تحدَّثوا فيها بالتفصيل عن كل ما له صلة بهذه المهنة، فقد تحدَّثوا عمّا تُدره هذه المهنة من مكاسب وما لها من نظم وقوانين، تطرقوا إلى ما يتصل بالسفن من أسماء وغيرها، مما يعني أن الإلمام بهذا البحث بصورة دقيقة يقتضي أن يكون البحث مطولاً، قد لا يحتمله هذا المجال.

**عبد الرازق البصير**
عضو المجمع المراسل
من الكويت

# ملاحظات حول التعريب في الجزائر

للأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله

في أزمنة بعيدة أطلق المؤرخون والكتاب كلمة " التعريب " على تعميم اللغة العربية في الدواوين الإدارية التي كانت فارسية أو بيزنطية ، فقد روى أن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر بتعريب ديوان الشام فأكمله خلال سنة واحدة . وقال كاتبه سرجون الرومي إلى كتاب الروم قولته المعروفة : " اطلبوا العيش في غير هذه الصنعة،فقد قطعها الله عنكم"(١).

وتحدثوا أيضا عن تعريب الشعوب التي استقبلت الإسلام ، فقالوا مثلاً إن بني هلال وبني سليم كان لهم الفضل في تعريب سكان بلاد المغرب . وقد ألح الفرنسيون في دراساتهم على هذه النقطة بالنسبة للبربر : فقد استوقفتهم سرعة التعريب من جهة وبطء الفرنسية من جهة أخرى . فبحثوا عن الأسباب فوجدوها في قوة الحملة العربية وعنف التغرية الهلالية. وتغاضوا عن قوة العقيدة الإسلامية وعن استعداد المسلمين الجدد لتبني لغة القرآن .

ولذلك نتساءل : هل المقصود اليوم هو تعريب اللسان؟ أو تعريب الإنسان؟ أو هو تعريب الإدارة ؟ أو هو تعريب الفكر ؟ ويمكننا أن نستمر في هذا التساؤل : فنتحدث عن تعريب نظام التعليم ، وتعريب المحيط الاجتماعي والاقتصادي والإعلامي : بل وتعريب الحاسوب . وأي من هذه أولى من الآخر، إذا أردنا تحقيق التعريب بسرعة وعلى نطاق واسع ، دون الخلل بالنظام الاجتماعي أو التخلي عن اللغة العربية ؟

ويبدو أن هناك أولويات في تطبيق التعريب ، وليس هناك اتفاق بين علماء الاجتماع ودعاة القومية حول هذه الأولويات . فمنهم من يرى أن تعريب

(١) محمد بن الأزرق [ بدائع السلك في طبائع الملك ] تحقيق علي سامي النشار جـ ١ ، العراق ، ١٩٧٧م، ص ٢٨١، أما ديوان العراق الذي كان بالفارسية فقد عربه الحجاج بن يوسف ، وكان مصير كتابه من الفرس هو مصير كتاب الروم ، ولو أن الجزائر اتخذت موقفًا حاسمًا لتعريب الإدارة فيها خلال فترة قصيرة .

اللسان يتقدم على كل أنواع التعريب . وأن ضمان لغة الخطاب الواحد والتفكير الواحد هو أساس الوحدة السياسية وحجر الزاوية في بناء الأمة . ولذلك أعطوا أهمية كبيرة للمدرسة؛ لأنها في نظرهم هي التي تخرج الأجيال التي تستعمل اللغة الواحدة ، كما اهتموا إلى حد كبير بالمحيط الإعلامي ومنهم من تزاوجوا بين لغتين أو أكثر في النشرات الخبرية وفي الجرائد وفي الندوات والمناقشات . ولكن هذا الاختيار الأول الذي هو المدرسة ، ذلك أن المحيط الإعلامي والإداري قد تغلب ، بل وهدد، نظام التعليم ، وجعله مفصولاً عن الواقع.

وقد قلنا إن تعريب المحيط وحده غير كافٍ ؛ لأن الإدارة إذا بقيت غير معربة فإنها تهدد عملية التعريب من وجهين على الأقل: الأول أن الإدارة غير المعربة تهدد مفعول النظام المدرسي بالانفصام بين ما يتعلمه التلاميذ وما يمارسونه عمليًّا في حياتهم اليومية، والثاني أنها تعرقل دخول المعربين فيها؛ لأنها ترى فيهم نشازًا أو غرباء يجب إبعادهم لضمان المصالح الآنية للنظام القائم.ولذلك يكون اختيار التعريب عن طريق المدرسة وحدها اختياراً غير آمن العواقب.

وقد بلغت بعض البلدان العربية مرحلة التشبع من التعريب المدرسي والإداري والإعلامي . وبدأت تهتم بتعريب الحاسوب ، هذا الجهاز الخطير الذي دخل البيوت والمدارس والشركات والمواصلات ، والاتصالات بكل أنواعها، والواقع أن هناك جدلية في هذا المضمار بالنسبة للمجتمع العربي الذي لم يتشبع بالتعريب. فهل نشر الحاسوب سيساعد أو يعرقل عملية التعريب الأساسية (المدرسة ، الإعلام ، ....)؟ إن هناك على الأقل رأيين في هذا المجال أحدهما يذهب إلى أن الحاسوب سيعرقل مسيرة التعريب؛ لأنه سينتشر باللغة الأجنبية وليس بالعربية، ومن ثم فإنه سيزيد من هوة الازدواجية غير المتوازنة ( لأن الازدواجية هنا تعني غلبة اللغة الأجنبية على العربية في المجال التقني ) . وهناك من يرى أن

الحاسوب، إذا استعمل بالعربية ، سيساعد على نشر اللغة العربية بين الناس ، ولاسيما الشباب المدرسي والجهاز الإداري الشاب ، ومن ثم يقع التعريب بين عناصر المجتمع التي يعتقد أنها متباعدة لغويًا .

ومنذ عقود قليلة كانت الجزائر إذا ذكرت ذكر معها التعريب . فقد استقر في أذهان العرب والمسلمين أن الاستعمار الفرنسي قد فرنسها وجعل أهلها ينسون لغتهم العربية ويتكلمون ويكتبون بلغة فرنسا . وكنت من الذين ساهموا في تقديم صورة الجزائر الحقيقية لمثقفي المشرق العربي أيام دراستي بالقاهرة في الخمسينيات. وقد أقمت مساهمتي على تصحيح الخطأ الشائع ، وهو أن الجزائريين قد انقطعوا عن اللغة العربية ، وأصبحوا يتكلمون ويكتبون بالفرنسية . ومن يرجع إلى كتابي ( دراسات في الأدب الجزائري الحديث) وكتابي الآخر (شاعر الجزائر محمد العيد ) سيطلع على مساهمتي في تصحيح الخطأ .

ومن جهة قام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بمساهمة كبيرة في تصحيح المفاهيم الخاطئة حول التعريب والفرنسية في الجزائر ، حين كان في القاهرة خلال الخمسينيات ، فسواء على منبر جمعية الشبان المسلمين، أو مجمع اللغة العربية، أو صوت العرب، أو غيرها من المنابر كالصحافة والمؤتمرات ؛ فإن الشيخ ببلاغته المعهودة ومعرفته الواسعة بالموضوع ، وتأثيره القوي قد جلا الضباب عن القضية [1] . ذلك أن السلطات الفرنسية في الجزائر قد حاربت اللغة العربية بكل الوسائل المتاحة ومنها الفرنسية. إلى أن نجحت في تكوين جيل أصبح معروفًا باسم النخبة .وأصبح من دعاة الانسلاخ عن الجسم العربي الإسلامي والاندماج في الأمة الفرنسية . ونجحت أيضًا في إغلاق العديد من المدارس والزوايا بحجة أنها كانت تعلم العربية التي تعتبرها الإدارة الفرنسية لغة

(١) مما نشره الشيخ الإبراهيمي مقالة بعنوان :" تعريب المدرسة أساس كل تعريب " في مجلة ( اللسان العربي ) عدد ٤، ١٩٦٦م ( نشرت بعد وفاته ).

أجنبية في عقر دارها . وقد خرج من هذه النخبة من كان لا يكتب إلا بالفرنسية، ولاسيما منذ حوالي ١٩٥٠م. وفي أذهاننا أسماء الأدباء : محمد ديب ، وكاتب ياسين ، ومالك حداد ، ومولود معمري، ومولود فرعون . وكان وجود أمثال الشيخ الفضيل الورثلاني، والشيخ الإبراهيمي، والشيخ أحمد توفيق المدني في المشرق العربي ، وجميعهم كانوا خطباء ورجال فكر ودين ولغة ، قد أنار العقول وصحح الصورة الخاطئة عن الجزائر في المحافل المشرقية .

حقيقة إن المعركة كانت ساخنة مع الإدارة الفرنسية الاستعمارية من أجل إثبات الهوية الوطنية الجزائرية . ولا يمكننا تتبع كل أطوار ومعطيات وتطورات هذه المعركة، التي هي في الحقيقة معركة حضارية ، لأن المسألة ليست فقط منحصرة في اللغة . فقد دعا وزير الداخلية الفرنسي وغيره في الثلاثينيات من هذا القرن إلى ترجمة القرآن إلى الفرنسية، وفرض هذه الترجمة على الشعب الجزائري، ومنع المسلمين من تعليم اللغة العربية أو تعلُّمها ، وحذف كل ما يتصل بالنخوة والقومية من القرآن . وهناك من طالب بغلق الحدود مع تونس لمنع تعلم الجزائريين في جامع الزيتونة . أما الجنرال كاترو، فقد قال إن عشرين مدرسة فرنسية ستؤدي إلى اختفاء اللغة العربية تمامًا من الجزائر خلال عشرين سنة .

إن عزل اللغة العربية كرمز للحضارة العربية والإسلامية ، بدأ منذ الاحتلال ، وتطورت الوسائل والإجراءات ضد اللغة مع رسوخ الاحتلال نفسه. فقد استولى الفرنسيون على الأوقاف منذ البداية، وكانت هي المورد الأساسي للتعليم. وهدموا المساجد والمدارس التابعة لها، وتوقف التعليم بالعربية، وكادت الجزائر لا تجد من يتولى فيها القضاء ومن يقرأ كتابًا من التراث العربي الإسلامي ، حتى الزوايا الصوفية التي كانت معقلاً آخر للغة العربية طالتها يد الإدارة، ووقفت فيها عملية التعريب أو نشر اللغة العربية بين الناس .

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو كيف بقيت العربية مع ذلك على قيد الحياة في الجزائر ؟ ألا يؤكد ما ذكرناه ادعاء من قال في الخمسينيات من هذا القرن إن العربية قد اختفت في الجزائر؟ وهل هناك منافذ أخرى استمرت منها عملية التعريب، رغم كل الإجراءات المانعة؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة يقتضي منّا عودة إلى الماضي البعيد وتتبع مواقف الإدارة الفرنسية من اللغة العربية. ولكننا لن نرجع إلى كل المواقف ولا تفاصيل المسألة وحسبنا من ذلك كله ما يلي :

١- بعد إهمال التعليم بالعربية أحدث الفرنسيون ثلاث مدارس لاستقبال عدد محدود من الطلبة (معدل ٢٠ طالبًا لكل مدرسة) لتوظيفهم في القضاء الإسلامي بعد التخرج ، وتعيين أئمة المساجد الباقية منهم ، أو ما يسمى السلك الديني والقضائي . هذه المدارس كانت تضم حوالي اثني عشر معلمًا ( معدل أربعة لكل منها ) . وكانوا يدّرسون مواد شرعية ومواد عربية ( الفقه والتوحيد ، وقواعد النحو والإنشاء ) . وقد استمرت المدارس على هذا النحو من ١٨٥٠ إلى حوالي ١٨٨٠م . ومنذ هذا التاريخ تولى إدارتها المستشرقون الفرنسيون، وأضافوا إلى مواردها اللغة الفرنسية والحساب وتاريخ فرنسا وجغرافيتها،فأصبحت مزدوجة مع غلبة الفرنسية عليها لغة وثقافة. ورغم ذلك فقد وجدنا نماذج تخرجوا من هذه المدارس وساهموا في خدمة اللغة العربية والدفاع عنها،مثل محمد بن العابد الجلالي.

٢-منذ حوالي١٨٦٠م تغاضت السلطات الفرنسية عن بعض الزوايا الصوفية، لأسباب سياسية، وتركتها تعلم اللغة العربية بنحوها وصرفها وعروضها لبعض طلبة الأرياف ، وكانت السلطات تراقب تعليم الزوايا حتى لا يخرج إلى موضوعات لا ترغب فيها مثل أبواب الفقه الممنوعة ( الجهاد، والجزيه ، والضرائب ). ومن هذه الزوايا نذكر الهامل قرب بوسعادة، وزاوية طولقة قرب بسكرة ، وزاوية ابن

أبي داود في زواوة . ومن أهداف هذا التسامح فصل الجانب التعليمي عن السياسي ، وتفتيت وحدة الطريقة الصوفية التي حاربت الاستعمار بدون هوادة، كما أن من أهداف هذا التسامح تثبيط هجرة الطلبة إلى المعاهد الإسلامية المجاورة أو البعيدة ، مثل الزيتونة بتونس والقرويين بفاس، والأزهر بالقاهرة.

ونتيجة لذلك أخرجت بعض الزوايا مجموعة من المثقفين بالعربية ساعدتهم الروح العصامية والتحدي على الوصول إلى درجة طيبة من الثقافة العربية ، ومنهم: أبو القاسم الحفناوي صاحب كتاب [تعريف الخلف برجال السلف]، ومحمد العاصمي الأديب الذي أفسدته ولاية الفتوى للفرنسيين ، والشيخ عاشور الخنقي الشاعر البليغ الذي درس أيضًا بتونس ، وهو صاحب كتاب ( منار الأشراف ) وهو ديوان شعر ونثر في مدح آل البيت . وكان بعض رواد الحركة الإصلاحية من خريجي هذه الزوايا أيضًا ، وعلى رأسهم الشيخ البشير الإبراهيمي الذي درس في زاوية اقبو قبل هجرته إلى المشرق . وقد أصبح الإبراهيمي حجة في اللغة والأدب، إضافة إلى رئاسته لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

٣- تمكن بعض الجزائريين رغم كل المثبطات ، من الهجرة في طلب العلم خارج الجزائر، فقصد بعضهم الأزهر أو الحجاز أو الشام ، وقصد بعضهم الآخر تونس أو المغرب الأقصى ، وقد استطاعوا بعزيمتهم ووفائهم للغة العربية أن ينالوا حظًّا وافرًا منها ، وأن يرجعوا إلى بلادهم مدرسين ومستنهضين .كان عدد هؤلاء في القرن الماضي قليلاً جدًّا ، ومعظمهم لم يجدوا المجال الحر فتوظفوا عند الإدارة الاستعمارية في دوائر القضاء، أو في المدارس الثلاث الرسمية، أو في بعض المساجد ، ومنهم : الطيب بن المختار (القضاء) ، ومحمد الزجاي (التدريس في المدرسة ) ، ومحمد الصالح بن مهنا (مدرس بالجامع ) وعبد القادر المجاوي (المدرسة ). فقد أكمل الأول دراسته في الشام، وأكملها الثاني والثالث في الأزهر،

وأتم الرابع دراسته في القرويين .

ولكن عدد المهاجرين لطلب العلم ازداد مع حركة الجامعة الإسلامية بين أوائل هذا القرن وبوادر النهضة في الجزائر عشية الحرب العالمية الأولى . وهكذا توجه الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى الزيتونة بتونس سنة ١٩٠٨م . وحسب إحصاء يرجع إلى ١٩١٦م كان عدد الطلبة الجزائريين في الأزهر حوالي عشرين طالبا ، ولعل ضعف هذا العدد كان يدرس بجامع الزيتونة. ومهما كان الأمر فإن فترة العشرينيات والأربعينيات شهدت أفواجًا من الطلبة الذين توجهوا إلى الزيتونة والقرويين، رغم أن الإدارة هناك كانت فرنسية ، وكان أغلب هؤلاء من الطلبة الفقراء . ومن أبرز من رجع منهم إلى الجزائر وتولى الدفاع عن اللغة العربية ونشرها، نذكر الشيخ العربي التبسي (الأزهر) ، والمولود الحافظي (الأزهر)، ومحمد العيد (الزيتونة ) ، وسعيد الزاهري (الزيتونة) ، والهادي السنوسي (الزيتونة ) وغيرهم . وقد تدعمت هذه الفئة برجوع كوكبة من الشيوخ الذين عاشوا في المشرق فترة طويلة كمهاجرين مثل الشيخ الطيب العقبي،والشيخ البشير الإبراهيمي، وأحمد رضا حوحو ، أو كموظفين مثل الشيخ أبي يعلى الزواوي . وكان معظم هؤلاء قد أنتجوا أيضا أدبًا وشعرًا وتأليفًا وخطابة باللغة العربية .

٤- وقد استفادت اللغة العربية من ظهور الحركة الإصلاحية ولاسيما (جمعية المسلمين الجزائريين ) التي ولدت سنة ١٩٣١م. وكان مجال الاستفادة متعدد الجوانب، ويمكننا أن نتحدث عن خمسة مجالات :

أ ـفتح المدارس الحرة ( غير الحكومية ) لتعليم اللغة العربية لآلاف من أطفال الجزائر،وكانت هذه المدارس معبأة بمدرسين،معظمهم تخرجوا من جامع الزيتونة أو كانوا من تلاميذ الشيخ ابن باديس . وكانت هذه المدارس تبنى من تبرعات الشعب.وكانت وظيفة جمعية العلماء هي توفير المعلمين والكتب والمناهج .

ب. مطالبة الإدارة الفرنسية بالاعتراف باللغة العربية لغة رسمية ومن ثمة الاعتراف بصحافتها والكتابة بها في الدوائر الرسمية وفي المحاكم ... ( وكان القانون الفرنسي يعامل الصحافة العربية معاملة الصحف الأجنبية ) .

ج - نشر العربية عن طريق دروس الوعظ والإرشاد في المساجد الحرة ، وفي النوادي التابعة للجمعية ، وفي الأنشطة الأدبية التي يقوم بها التلاميذ كالخطابة والتمثيل المسرحي والعروض الكشفية التي كانوا يقدمونها للجمهور .

د - إحياء التراث العربي الإسلامي عن طريق التعليم المدرسي ، والبرامج والكتب المقررة ، والسلوك والتوجيه ، والكتابات الصحفية والخطب في مختلف المناسبات باللغة العربية الفصحى ، والحث على الاشتراك في المجالات العربية ومتابعة الأحداث الأدبية والثقافية في البلاد العربية (أو الشرق كما كان الاستعمال الشائع).

هـ - كتابة تاريخ الجزائر قديمًا وحديثًا، وبعث الهوية الوطنية التي تعتمد على الأعمدة الثلاثة: الجزائر، والإسلام ، واللغة العربية، والاعتزاز بذلك التاريخ ، والدخول في الرد على من كان يزعم أن "الأمة " الجزائرية غير موجودة في التاريخ، أو كان يطالب بالاندماج في المجتمع والثقافة الفرنسي .

فهذه المجالات الخمسة هي التي جعلت اللغة العربية في الجزائر تنهض من جديد وتستعيد مكانتها ، ويتصل حاضرها بماضيها، وقد نشأ جيل كامل على هذه الهوية الجديدة، وأخذ يستعد ، بناء على ذلك ، لاستعادة الهوية والحرية بالسلاح وليس بالشكاوى والعرائض. ويمكننا أن نقول:إنه لولا هذه الأرضية ما استطاعت الأحزاب السياسية أن تنطلق في برنامجها التحرري . بما في ذلك تفجير ثورة ١٩٥٤م .

إن الناس قد عرفوا الكثير عن كفاح الجزائر السياسي وثورالها خلال الاحتلال، ولكنهم لم يعرفوا إلا القليل ، أو لم يعرفوا أبدًا ، عن كفاح اللغة العربية ورجالها من أجل البقاء ، ولقد ساوى الفرنسيون في

إهمال التعليم عموما - عربيًا وفرنسيًّا - فكانت الأمية سائدة بين جميع الجزائريين، وحين خطط الفرنسيون لإخراج "نخبة" لغتها فرنسية وهدفها الاندماج في الثقافة والمجتمع الفرنسي ، وجدوا الحركة الإصلاحية قد أخذت تحتل الساحة وتمنع " النخبة " من التحدث باسم " الأمة " الجزائرية .

ومن الملفت للنظر أن " النخبة " لم تبدأ بالإنتاج الأجنبي " المكتوب بالفرنسية" بداية حقيقية إلا في أوائل الخمسينيات كما أشرنا، ولكن أدبيات الحركة الإصلاحية - لغة وشعرًا وثقافة وتأليفًا وخطابة -كانت قد انطلقت منذ العشرينيات . فظهرت كتب من أمثال (شعراء الجزائر) للسنوسي سنة ١٩٢٦م ، و(تقويم الأخلاق) للجلالي ١٩٢٧م ، و(كتاب الجزائر ) للمدني سنة ١٩٣١م ، وتاريخ الجزائر للميلي ، ١٩٢٩م ، و(الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ) للزاهري أوائل الثلاثينيات. وكانت مجلة الشهاب ومقالات ابن باديس فيها ، وجريدة البصائر، وجرائد أبي اليقظان ، وشعر محمد العيد تملأ الساحة . فلم تستطع النخبة الاندماجية أن تجد لها موضع قدم بين الشباب الجزائري الذي كان في أغلبه أميًا أو متعلمًا على يد الحركة الإصلاحية. يضاف إلى ذلك أن المبدعين باللغة الفرنسية من الجزائر قد نشروا مؤلفاتهم في فرنسا في معظم الأحيان . وكانوا يكتبون للجمهور الفرنسي وليس للجمهور الجزائري لأنه لا يقرأ الفرنسية، وكان إنتاجهم قد اقتصر على الرواية والشعر والمقالة - باستثناء قلة كتبت عن الفكر الحضاري مثل مالك ابن نبي والاهتمام بالتاريخ مثل شريف ساحلي (وكلاهما غير اندماجي) . وقد التف معظم الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية حول الفكر اليساري الفرنسي. فابتعدوا عن الهوية الوطنية بالدعوة إلى الاندماج أو بالتذبذب ، والإيمان بالأمية والعلمانية .

وفي الطرف المقابل كان مثقفو اللغة العربية يلتفون في معظمهم حول جمعية

العلماء، وكانت جريدة البصائر التي عادت إلى الظهور سنة ١٩٤٧م، لا تعبر فقط عن توجهات المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء، ولكنها كانت تعبر أيضًا عن مدرسة أدبية وكانت مضمارًا للدفاع عن اللغة العربية. فظهرت أثناء ذلك ( ١٩٤٧- ١٩٥٦م ) مقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي التي جمعها فيما بعد في كتاب تحت عنوان ( عيون البصائر)، وقصائد لشعراء مجلّين من أمثال: مفدى زكريا، وعبد الكريم العقون، والأخضر السائحي، والربيع بوشامة، وأحمد سحنون، كما استمر محمد العيد في نشر إنتاجه فيها. فلو نظر الفاحص إلى الجزائر "الفرنسية " ممثلة في النخبة الاندماجية والصحف التي يصدرها المستوطنون وهي كثيرة، والسينما والمسارح والقوانين، لخرج برأي قاطع وهو أن الجزائر قد ضاعت فعلاً على الإسلام والعربية. ولكنه إذا تأمل في التيار الجديد بشبابه الدارس في مدارس جمعية العلماء أو المهاجر لطلب العلم في المعاهد الإسلامية والجامعات العربية، وتأمل في الصحافة العربية - رغم قلة إمكاناتها - وحركة التأليف ( صدرت مجموعات عربية من القصص والروايات والمسرحيات بين ١٩٤٧- ١٩٥٤م ) والمنافسة المسرحية، فإنه سيخرج برأي آخر، وهو أن الجزائر كانت تستعيد هويتها العربية الإسلامية في عزم وثبات.

وقد شجعت الثورة ( ١٩٥٤ - ١٩٦٢م ) عملية التعريب، فكان حدوثها في حد ذاته ضربة قوية للفرنسة وللنخبة الاندماجية. وقد رسخت الثورة مبدأ الهوية الإسلامية العربية، وشجعت على استعمال اللغة العربية في معاملات الثوار مع المواطنين، وكان القضاء بالعربية، والأناشيد بالعربية، فكان الجزائريون يتغنون جماعيًا لأول مرة بالأناشيد الوطنية التي تتحدث عن الجزائر العربية المسلمة وعن التراث وتاريخ المقاومة. وراجت الأغاني الثورية والأناشيد الجماعية التي كانت تذاع من محطة صوت العرب بالقاهرة، وغيرها من المحطات الموجهة إلى

الشعب الجزائريّ، وكان الشباب في أعماق الجزائر يتغنون ببعض هذه الأغاني والأناشيد، كما أن صوت المذيع المعروف عيسى مسعودي كان يهز المشاعر ويلهب العواطف، وهو يتحدث عن إنجازات الثورة. لقد كانت الثورة حدثًا انقلابيا، وأنا هنا أتحدث عن الجانب اللغوي والفكري منها فقط.

ولكن ذلك الانقلاب قد فشل مع الاستقلال في مواصلة اندفاعه إلى نهايته فيما يخص التعريب ، كانت الأمية منتشرة في الشعب الجزائري بنسبة تتجاوز ٩٠٪ ، وكان من الممكن أن تنطلق الجزائر في مشروع التعريب انطلاقة عملاقة لعدة ظروف مواتية: الحماس الشعبي المنقطع النظير، واستعداد البلاد العربية للمساهمة بسخاء في الوسائل البشرية والمادية لإنجاح المشروع. ولكن ظروفًا أخرى غير مواتية تغلبت، منها: اتفاقيات إيفيان التي نصت على " التعاون الثقافي" مع الدولة التي كانت بالأمس مستعمرة، ويستلزم ذلك ارتباطات أخرى اجتماعية واقتصادية، وارتباطات أخرى في ميدان التكنولوجيا والأعلام، ومنها أن القيادة سقطت في أيدي غير الأيدي التي كونتها الحركة الإصلاحية ، بل أن القيادة الجديدة رفعت شعار أيديولوجية غريبة عن البلاد باسم " الثورية والتقدمية والعلمية". وبالطبع اتجهت هذه القيادة نحو أوربا لا نحو الشرق العربي والإسلامي. وهناك شعار آخر رفع عندئذٍ وهو أن رفع الأميّة يمكن أن يتم بأية لغة، وليس بالضرورة بالعربية فقط، وأن تعلم اللغة الفرنسية لا يتناقض مع الوطنية.

فكانت النتيجة بقاء الإدارة فرنسية اللغة، وكذلك الأعلام، والمحيط العام، فإلى وقت قريب كانت أسماء الشوارع في الجزائر ما تزال تحمل أسماء ضباط فرنسيين ساهموا في إبادة الشعب الجزائري. ولقد كانت القيادة تتهرب إلى الأمام، فكانت تتحدث عن التقدم التكنولوجي والعلمي والاقتصادي، وتسكت عن المسألة اللغوية. وإذا ما كانت تثيرها فإنما لكي تربطها بوعود

بعيدة مثل صدور مرسوم يجبر معرفة مبادئ العربية للموظفين بعد كذا سنة. فيتقاعس المتقاعسون ويتآمر المتآمرون، فإذا جاء الموعد المحدد تخلص المعنيون بالمرسوم بطرق ملتوية من الإلزام ، ويبقى الوضع كما كان. كما أن مسألة التعريب لم يكن ينظر إليها على أنها مسألة سيادة ، وإنما فقط على أنها مسألة كمالية تتحقق عندما تسمح الظروف والوسائل؟ وقد قال لي أحدهم خلال السبعينيات : يجب أن يكون للعربية مختبرات كالتي تتوافر للإنجليزية، وعندئذٍ سنتعلمها. وكان المعنيون يمتصون غضب أنصار التعريب برمي الكرة في شباكهم، فإذا تحركوا ضربوهم أو حاكموهم، أو طلبوا منهم عقد الندوات والمؤتمرات حول التعريب لإشغالهم وللاستهلاك المحلي أيضًا، كأن المسألة لا تعني فئة معينة من المجتمع. أما الفئات الأخرى فقد كانت منشغلة بما هو أهم من التعريب في نظر المعنيين بالأمر، وهو البناء الاقتصادي ( بالفرنسية طبعًا ).

ولقد صدرت كتابات عديدة حول مسألة التعريب منذُ السبعينيات. بعضها كتابات وصفية تقريرية، وبعضها كتابات نقدية جزئية. وهناك أيضًا الكتابات التبريرية، وقد اشتغلت لجان عديدة بالموضوع وصدرت التوصيات واللوائح. وضحى العديد بأوقاتهم وسمعتهم لكي يروا تعميم العربية يتحقق . وكان الآخرون يستعملون الفرنسية بدون انزعاج، ولهم مؤلفاتهم وصحفهم وجوائزهم بالفرنسية، ولهم نواديهم ومعاملاتهم المادية والمعنوية، فهم المحظوظون والمدللون في الدولة. فإذا شعروا أن اللغة العربية قد نافست الفرنسية في الإعلام، أو في أوراق رسمية ، أو في المدارس، غضبوا وكتبوا محتجين على الذين يريدون أن يخرجوهم من وظائفهم ويرجعوهم إلى " العصور الوسطى " ويفرضوا عليهم لغة ميتة لا يمكنها أن تستوعب التكنولوجيا والعلوم الحديثة، في حين أن البلاد في نظرهم في معركة ضد التخلف ولابد لها أن تعتمد على اللغة الفرنسية لغة العلم

والتكنولوجيا، فإذا حوصروا وضعفت حجتهم تحركت فرنسا نفسها ، بوسائلها المختلفة،وتحدث كتابها عن كون الفرنسية هي الحل الوسط بين العربية والبربرية، ولابُد للجزائريين من لغة مشتركة، وهي ليست إلا الفرنسية. وعندما تنتهي حدة التوتر تتأخر العربية رغم أن دستور البلاد يقول عنها:إنها هي اللغة الوطنية والرسمية.

لقد كتبت نخبة من الجيل المعاصر عن التعريب واقترحوا حلولاً بناءةً [(١)] منهم الدكتور سعدي عثمان، والدكتور عبد الله الركيبي والدكتور أحمد بن نعمان،وتأسست جمعية الدفاع عن اللغة العربية فكانت تضم عناصر فعالة تحس بمسؤولياتها التاريخية إزاء لغة القرآن والبيان وإزاء الهوية الوطنية. وقد تحمل أعضاؤها الرَّهق والعنت، سهروا الليالي وضحوا بالراحة والأهل. ولكن العراقيل ما تزال تقف في وجوههم، فبالإضافة إلى القوة الفرنكفونية واللامبالاة لدى المسؤولين، ظهرت جمعية تدعى الدفاع عن البربرية التي أصبحت تسمى عندهم اعتباطًا الأمازيغية. وحاول المعرقلون أن يجعلوا البربرية ضرة للعربية، وأن يحدثوا الفتنة بينهما، لكي تبقى اللغة الفرنسية هي " لغة السيادة " كما كانت في عهد الاحتلال ، وقد شرع المشرع قانونًا يجعل العربية لغة التعامل إجباريًا ابتداءً من صيف ١٩٩٢م، ولكن المصطادين في الماء العكر أجَّلُوا تطبيق هذا القانون، وقد سمعنا في الأشهر الأخيرة أن القانون المذكور قد أعيدت له الحياة من جديد، ولكن التجارب السابقة تجعلنا نشك في تطبيقه لأن الأيدي الخفية قادرة على تأجيله أو إلغائه في الوقت المناسب.

ويظهر لبعض الملاحظين أن إحياء ذلك القانون يعود إلى مسألة استراتيجية. فقد ظهرت معزوفات في السنوات لخيرة تقول: إن هناك تلازمًا بين التعريب والحركات الإسلامية، وإن المدرسة المعربة هي التي أنتجت جيلاً من الإسلاميين.

ودعا البعض إلى فرنسة المدرسة من

---

(١) انظر مجلة ( المنهل ) ٤٨٢ ( أغسطس ١٩٩٠م ) . فقد اشتركت مجموعة من الجزائريين المهتمين بقضية التعريب. في ندوة مفصلة غطت جوانب القضية.

جديد، ودعا آخرون إلى تجريد البرامج المدرسية من المواد الدينية ، ولكن المدرسة لم تمس حتى الآن، وظلت تخرج آلاف التلاميذ الدارسين بالعربية والمتشبعين بالروح الإسلامية. فلعل الرجوع إلى قانون ١٩٩٢م يعني استرضاء شرائح عريضة في المجتمع تتعاطف مع الحركات الإسلامية وإبعادهم عنها في النهاية. ومهما كان الأمر فإن التعريب يظل مسألة بين الشد والجذب، ولم يُتخذ بشأنه، رغم مرور قرابة أربعين سنة على الاستقلال، موقفٌ حاسمٌ تحدد على أساسه هوية الوطن ومصير البلاد.

ويمكننا أن نقول: إن المدرسة تظل مهددة بعودة الفرنسية ، ولا يمنع من ذلك الآن إلا عدم الاستقرار الذي تعرفه البلاد. وربما يرجع ذلك إلى الافتقار إلى الإطارات الكافية في الفرنسية. والأكيد هو أن القناعة السياسية والفكرية من أجل التعريب مفقودة. ولذلك تظل مسيرة التعريب اللغوي والفكري غير مستقرة وفي حالة خطر، ثم أن ارتباط الفرنسية بالعلمانية وارتباط العربية بالإسلام يفسر تفسيراً خاصًا في ضوء الأحداث الجارية ، وكل طرف في النزاع يعطيه التفسير الذي يتلاءم مع وجهة نظره. وهذه من النقاط غير الواضحة للقارئ العربي المتتبع لأحداث الجزائر، ولكن الأوربيين والعلمانيين الجزائريين يفهمون ذلك الترابط والتلازم جيداً. أما بالنسبة للفرنسيين فالمسألة قبل كل شيء مسألة نجاح الفرنكفونية التي تعني أيضًا نجاح العلمانية في الجزائر.

وإذا صح ذلك فإن مفاهيم جديدة ستطفو على سطح الحياة الفكرية خلال السنوات الخمسين القادمة بالجزائر . فمنذُ الفتح الإسلامي كانت اللغة العربية هي وسيلة نشر الإسلام والوعاء الحافظ لتراثه، بقطع النظر عن النظم السياسية والدول التي تعاقب. وقد بقي هذا التلازم بين الإسلام والعربية قويًّا خلال العهد الاستعماري، كما أوضحنا، وكانت الثورة الجزائرية قد جسدت ذلك في الميدان، ومنذُ الاستقلال ظهر الفصل بين الإسلام

والعربية، وظهر أيضًا التخلي التدريجي عن كل منهما.

ومن ثم تمركزت الفئات الفرنكفونية في مختلف المصالح في الدولة. واحتكرت الوظائف وسدت الطريق أمام " المعربين" وهكذا تهمَّشَت اللغة العربية كما تهمش الإسلام.

إن هذا التحليل لا يعني أن مسيرة التعريب لم تحقق إنجازات. فقد قطعت أشواطًا في ميادين التعليم والإعلام والمحيط. ولكن المسيرة ما يزال طريقها غير آمن لأنها غير عامة وغير محمية بقوانين ثابتة وممارسات عملية. فهي ما تزال خاضعة للرغبات الشخصية والمناورات السياسية والضغوطات الخارجية ( مثلاً عند تطبيق قانون ١٩٩٢م نشرت الصحف أن الشركات الأجنبية قد اشتكت من أنها لا تملك الوسائل والمترجمين لتطبيق القانون المذكور). ومن ثم نرى أن أمام الشعب الجزائري ومناصريه من العرب طريقًا طويلاً وشاقًّا لإنجاح مسيرة التعريب.

**أبو القاسم سعد الله**

عضو المجمع المراسل من الجزائر

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك

# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء الثامن والستون

شوال ١٤١١ هـ

مايو ١٩٩١م

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ ش عزيز أباظة بالزمالك

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين فى السنة )

الجزء الثامن والستون

شوال ١٤١١ هـ - مايو ١٩٩١م

المشرف على المجلة

الدكتور مهدى علام

رئيس التحرير

إبراهيـــم الترزى

أمين التحـــرير

سعـــد توفيـــق

# الفهرس

# العقلية العلمية فى فكر طه حسين(*)

بقلم الدكتور محمد يوسف حسن

أود فى مناسبة إحياء العيد المئوى لمولد خالد الذكر المغفور له الدكتور طه حسين أن أسهم بمحاولة لتجلية جانب فريد قليل الذيوع من جوانب فكره الفذ . لقد سعدت وشرفت بأن عاصرت ذلك الطود الشامخ فى تاريخ الأدب، بل وفى تاريخ الفكر كله ، عربياً وعالمياً ، فطه حسين أديب فذ ، وفنان عظيم ، بل هو بكل جدارة عميدُ الأدب العربى وزعيمه فى العصر الحديث ، وصاحب أسلوب طليٍّ فريد على مدى العصور . وهو أيضاً ناقد عالم بارع ، ومعلم قدير لا يبارى ، ولكنه - فيما أريد تجليته الليلة من جوانب عبقريته - قد بنى كل هذا - فى رأيى - على عقلية علمية سليقية عنده ، ظهرت أول ما ظهرت فى تمرده وهو فتى يافع على أسلوب الدراسة العتيق العقيم فى الأزهر وقت طلبه للعلم فيه ؛ ذلك لما كان يتسم به هذا الأسلوب من إملائية وعدم قبول للروح العلمية فى الجدل والمناقشة من أجل التوصل إلى الحقائق . وتلك دُجَنٌ مكدِّرة انجابت عن سماء فكره الحر ، وجوانب روحه المنطلق ، لما تحقق له الالتحاق بالجامعة المصرية الوليدة حينذاك ، والتى وجد فيها مبتغاه من العلم ، ووجد فيها صدى لما فى نفسه من اتجاه متحرر فى أسلوب الدرس والبحث كانت ثمرته ذلك الأسلوب الديكارتى النزعة الذى اتسم به أدبه فى البحث قبل أن يسافر فى بعثته إلى فرنسا . ونحن نرى إرهاصات هذا الفكر الديكارتى فى رسالته للدكتوراه بالجامعة المصرية عن أبى العلاء المعرى .

وقد تجلى هذا الأسلوب التحليلى أكثر ما تجلى فى كتابه " فى الشعر الجاهلى " بعد عودته من البعثة واضطلاعه بالتدريس الجامعى فى مصر .

ولا يُبليلَنّ فكر أحد منا ، عن جدوى الكلام عن النزعة العلمية فى فكر طه حسين وبحثه الأدبى ما ظهر فى السنوات الأخيرة بعد رحيله من أهمية الأسلوب التجميعى والكلى ( Synthetic and Holistic )فى أجواء العلم الطبيعى بحثاً وفلسفة ؛ وهو اتجاه يوصف بأنه " لا ديكارتى " لكن له ما يبرره الآن بعد التحول الهائل فى مفاهيم علم الفيزياء الحديثة وبخاصة الفيزياء النووية

---

( * ) حديث ألقى أمام جمعية الأدب المقارن - كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، الاثنين ١٩ من ديسمبر ١٩٨٨ .

والجسمية[1]، وإنى لأحدس أن طه حسين وهو زعيم التجديد والتجدد - أحدُسُ لو أنه بيننا الآن لقال إن هذا الأسلوب مناسب ومفيد الآن فى تناول جوانب معينة فى تاريخ الآداب . بل إنى أزعم أنه قد مارس هذا الأسلوب بالفعل قبل ظهوره فى عالم العلوم الطبيعية بنحو نصف قرن . فقد كان فى العشرينيات والثلاثينيات يدرس الأديب وأدبه ككل ، بل ويدمج فى هذا دراسة شخصية الأديب وظروف مولده وأسرته ونشأته وشيوخه بالإضافة إلى دراسة مجتمعه وظروف عصره السياسية والاقتصادية ... الخ ، ليخرج بنظرية شاملة متكاملة عن طبيعة أدبه وأسلوبه ونزعاته ومصادر وحيه وغير ذلك من الجوانب التى يريد تجليتها ، ويتضح هذا فى دراسته لأبى العلاء المعرى وللمتنبى . وقد كان رائداً فى هذا الأسلوب البحثى فى هذا العصر .

ولقد غشت عصر طه حسين بأكمله من بعد ظهور " ذكرى أبى العلاء "[2] بوقت قصير حتى إصدار الجزء الثالث من " الأيام " ، بل حتى قصة " ما وراء النهر "[3] التى نشرت بعد رحيل الفقيد العظيم . ولقد كان أول ما سمعت أذنى من أدب وأنا بعد طفل يتعلم مبادىء القراءة والكتابة فى الكُتّاب والمدرسة الأولية ، أدب " الأيام " الذى كان يقرؤه لى ويقرئنى إياه ، والدى عليه رحمة الله ليحببنى فى الأدب العربى ، وكان من هواته ، ومن المعجبين برائده الشاب المجدد الثائر فى تلك الأيام . وكم هزتنى وبهرتنى وأنا فى تلك السن الصغيرة الأحداث التى أثارها كتاب طه حسين الفذ " فى الشعر الجاهلى " فى أواخر العشرينيات وأول الثلاثينيات ، وكنت تلميذاً بالمدرسة الابتدائية لكننى كنت أتابع تلك الأحداث بوعى وشغف وتفتح .

وإن أنسَ لا أنسَ تلك الأجواء الفواحة بأريج الثقافة الراقية ، وعبقرية الفكر المنظم ، وسحر الصوت المعبر المتئد الواثق النافذ إلى لباب العقول وحبات القلوب وحنايا النفوس عندما كنا نستمع ونحن أيفاع بالمدرسة الثانوية إلى " حديث الأربعاء " بصوت العميد فى المذياع الذى كان قد دخل مصر منذ سنوات قلائل وأسهم بدور كبير فى نشر

(١) Fritjof Capra a - " The Turning Point " 1982 Pantam books , New York .
b - " The Tao of physics " 1977 Pantam books , New York

(٢) طه حسين : " تجديد ذكرى أبى العلاء " : دار المعارف ، ط ٧ ، ١٩٦٨ .
(٣) طه حسين : " ما وراء النهر " : دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٨١ .

الثقافة وكم كان يثير بيننا هذا الحديث من جدل وتعليقات وتساؤلات وإعجاب لاحد له .

ولقد شغفت بدراسة كتاب " ذكرى أبى العلاء " وأنا طالب بالمدرسة الثانوية ثم فى أثناء طلبى العلم بالجامعة . قرأته وأعدت قراءته بعناية فائقة وشغف شديد وكانت قراءتى له وأنا فى مرحلة الطلب بالجامعة فى كلية العلوم هى أولى لحظات انتباهى إلى العقلية العلمية لدى طه حسين ، فقد كانت نظرتى العلمية للأشياء والأفكار قد تأصلت ، ووجدت أن مثل هذا البحث فى الآداب بما فيه من جدة وكشف مضىء لا تنجزه إلا عقلية ذات سليقة علمية لأديب عبقرى فذ مثل طه حسين .

وتحضرنى ذكرى واضحة ملحة لمناسبة آمنت فيها بأصالة العقلية العلمية وطبيعتها عند طه حسين . تلك هى ذكرى الندوة المشهورة التى عقدتها كلية العلوم بجامعة القاهرة ( وكانت آنذاك الجامعة الوحيدة بالبلاد ) ، عقدت تلك الندوة كلية العلوم عن ( العلم والأدب ) وكان فرسان الندوة على قدر ما تجمع الذاكرة هم : الدكتور طه حسين والدكتور محمد حسين هيكل والدكتور على مصطفى مشرفة عميد الكلية والصحفى الأديب والخطيب اللوذعى توفيق دياب . وانقسم المتحدثون فريقين : إحدهما يدافع عن العلم وبه طه حسين عميد الأدب وزعيمه ، والآخر يدافع عن الأدب وبه مشرفة عميد كلية العلوم ، وكم كانت الندوة مبهرة وساحرة . ولم يكن بالمدرج الذى يتسع لقرابة الألف مستمع مكان خالٍ .

وإن أنس لا أنس دفاع طه حسين الأديب الفنان المرهف الشعور ، لا أنسى دفاعه عن رحاب العلم وساحته ، ولا كلامه المرتب المقنع دفعاً عن الواقعية والبعد عن الأوهام ، والتجرد عند التصدى لدراسة أى موضوع ، من تأثير الأفكار السابقة فيه . ولا أنسى حثه على اللجوء إلى المنهج العلمى التحليلى فى تناول المسائل أياً ما كانت . وقد ضرب أمثالاً طريفة عن بعض الخرافات التى تناقلتها الأجيال مما يصور الماضى على أنه كان أفضل من الحاضر . فكان يقول إن تلك المزاعم قد يكون لها جمالها من حيث إنها حكايات خرافية مسلية فقط . ولكن يجب ألا تؤخذ على سبيل التأكيد بأن كل قديم أحلى وأبرع وأكثر بركة من كل حديث ، فطبيعة الأشياء تجرى على وتيرة واحدة منسجمة طول الزمان

فلا يجوز أن تدفعنا هذه المزاعم إلى الأسى على ما فات وعلى فساد الأشياء مع فساد الزمان ، وإلى اليأس من تطويرها نحو الأحسن بتطوير الفكر الإنسانى نفسه . وقد كان هذا يشدنى إلى المقارنة بين كلام هذا الأديب الكبير الممتاز وما كنا نسمعه فى دروس الجيولوجيا الأولى من أساتذتنا الأوربيين فى نقد نظرية الكوارث القديمة ، وجمع الشواهد على صحة مذهب أساسى فى الجيولوجيا الحديثة كانوا يسمونه

( Docrine of Uniformitarianism )

وكان أول من نادى بهذا المذهب إمام يلقب بأبى الجيولوجيا الحديثة واسمه السير تشارلس لايل فى أواسط القرن الماضى . وكان من نتائج مذهبه هذا أيضاً القاعدة الجيولوجية التى سنها بمنطوق " الحاضر مفتاح الماضى "، وهى قاعدة تنبنى عليها أصول وطرائق كل بحث جيولوجى حتى الآن . ظلت هذه الفكرة والمقارنة فى ذهنى حتى كبرنا وعملنا بالتدريس الجامعى فوضعت لمذهب لايل مصطلحاً عربياً يعرف الآن باسم " مذهب الوتيرة الواحدة " . هل كان طه حسين على علم بتلك المذاهب والقواعد العلمية ؟ أو أن عقليته العلمية السليقية كانت تحدوه إلى هذا النمط من التفكير ؟ والراجح هو الرأى الثانى . ومن كتب طه حسين التى لا تنسى فى حياتى كتابه الفذ " مع أبى العلاء فى سجنه " الذى يغريك ويمهد لك السبيل إن قرأته - مهما يكن تخصصك - إلى قراءة أصعب كتب الأدب العربى وأمتعها على الاطلاق ، والاستمتاع بما تحويه من جواهر الأدب ، وشذرات العلوم ، ومتع الفلسفة ، تلك هى " اللزوميات " و " رسالة الغفران " و" الفصول والغايات " لأبى العلاء المعرى . قرأت هذا الكتاب"مع أبى العلاء فى سجنه " وأنا أخطو أولى خطواتى إلى حياة الجامعة ، وكان هذا الكتاب قد صدر فى وسط الثلاثينات . كم قرأت وأعدت قراءة هذا الكتاب ، ولى معه ذكريات لعل من أثبتها فى ذهنى أنه كان بيدى مصادفة وأنا فى مقابلة بخصوص ترشيحى لوظيفة معيد فى الجيولوجيا بجامعة الإسكندرية فى العام الثانى لإنشائها . وكان الممتحن فى تلك المقابلة العالم والأديب والفنان الراحل الدكتور حسين فوزى عميد كلية العلوم بالإسكندرية آنذاك . وحاولت أن أحول دفة الحديث معه نحو حصيلتى من علم الجيولوجيا

، فكان يثنينى عن ذلك بقوله : أما عن هذا فمثبت فى أوراقك أمامى ، ولكن حدثنى عن هواياتك الثقافية ، فلجأت إلى ما كان بيدى من شاهد على اهتمامى بالآداب وبخاصة أدب طه حسين وبسطت رأياً فى الكتاب ، وإذا بالرجل - وكأنه أعجبه ما عندى من اهتمام بالنزعة العلمية التى تظهر فى الكتاب - يستدعى على الفور معاون الكلية ويأمره أن يسلمنى العمل بقسم الجيولوجيا فى الحال . فكان وجود "كتاب مع أبى العلاء فى سجنه " بيدى الشفيع الأول لتعيينى بهذه السرعة الفائقة ، لاحصولى على تلك الدرجة الرفيعة فى تخصصى .

وأدخلتنى دراسة كتَابَى " ذكرى أبى العلاء " و " مع أبى العلاء فى سجنه " إلى عالم أبى العلاء المعرى . وقد أعود إلى تقييم جو العلم الطبيعى فى الكتابين والعقلية العلمية لصاحبهما بعد أن أنتهى من هذا السرد التاريخى لموضوع الحديث . لقد كان الكتاب المزامن فى الدراسة تقريباً لهذين الكتابين عندى ، هو كتاب" مستقبل الثقافة فى مصر" ذلك الكتاب العظيم الذى أحاط بكل قضية الثقافة والتعليم فى مصر تأريخاً وتأصيلاً وتطوراً وإمكانية للتطوير والتحديث والرقى . ذلك الكتاب بدأ الراحل العظيم فى تطبيق نتائجه ومفاهيمه على التعليم والثقافة فى مصر لما تولى أمرهما مستشاراً ووزيراً لمدة لم تكن للأسف طويلة بالقدر الذى يكفى لتحقيق طموحات طه حسين الواسعة التى تمناها لكل أنواع التعليم ومراحله ، والتى لم تتحقق بالوجهة الفكرية الصحيحة التى كان ينشدها فى دستوره بهذا الكتاب .

وجاءت فترة عاصرت فيها هذه العبقرية الفذة عن كثب لما كان صاحبها العظيم مديراً لجامعة الإسكندرية ومؤسساً لها فى أول الأربعينات ، وكنت فى هذا الوقت معيداً بالجامعة نفسها . ولقيته شخصياً فى تلك الفترة فى بعض المناسبات ، وتأملته واستمعت والتفت إليه بكل جوارحى ومشاعرى ، ولو لم أتحدث إليه إلا بنتف خاطفة من الكلام وعرفت من هو ، وبأى عقلية عبقرية كتب " الأيام " و" فى الشعر الجاهلى " و " ذكرى أبى العلاء " و " مع أبى العلاء فى سجنه " و " حديث الأربعاء " وغيرها وغيرها ، ولكن

أفكاره فى كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر[٤] " كانت دائما هالة وضيئة تراها عينى الباطنة حواليه .

ثم انقطع هذا الاتصال الحلو المشع بكل جمال الثقافة وأصالة العلم ورصانة الحديث وسحره وطلاوته . انقطع هذا الاتصال الصامت تقريبا بانتقال العميد إلى القاهرة وانتقالى إلى انجلترا لدراسة الدكتوراه . وعرفت فى أثناء البعثة بتقلده وزارة التعليم ( المعارف آنذاك ) وما أكد العزم عليه من ثورة فى نظام التعليم كان قد وضع أساسها ونظرياتها فى كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " ، غير أن الأعاصير السياسية لم تمهله لتحقيق ما أراد بالشكل الذى دعا إليه فى كتابه .

وعند عودتى من البعثة سعيت إلى الانتقال إلى جامعة عين شمس بالقاهرة ، تلك الجامعة الناشئة فى ذلك الوقت ، وكان الزملاء يرغبون عن ذلك ويحاولون الفرار منه عندما كانت الدولة قد أجبرت بعض أعضاء هيئة التدريس من الإسكندرية خصوصاً على الانتقال إلى تلك الجامعة لأسباب ربما كانت سياسية ولو أنه كان يُعلن عنها أنها من أجل تدعيم الجامعة الناشئة بالقاهرة . ولكننى طلبت بنفسى الانتقال إليها متذرعاً بإيمانى بضرورة الإسهام فى تدعيمها ، غير أن الذى كان يحدونى إلى هذا فى الحقيقة هو حبى القرب من رحاب المعلم العظيم . وفى القاهرة ، وفى جو القرب المعطر بالثقافة الراقية ، جو القرب من طه حسين ومزيج من هذا الجو مع عقليتى وتكوينى ودراستى العلمية ، ومع ازدياد الحرية وتوافر الوقت للعَلّ والنّهل من موارد الثقافة والأدب بعد حصولى على الدكتوراه ، كان يزداد فى ذهنى وضوح الفكر العلمى والنزعة العلمية عند طه حسين فى معالجة المسائل التى تعرّض لها فى كتبه ( وكان فى ذلك الوقت نائباً لرئيس مجمع اللغة العربية ) . وحلا لى من هذا المنطلق أن أعقد مقارنة بينه وبين صنوه خالد الذكر أبى العلاء المعرى ، وخصوصاً بعد ما قدمنى إلى عالم أبى العلاء كتاباه " ذكرى أبى العلاء " وهو موضوع بحثه للدكتوراه و " مع أبى العلاء فى سجنه " الذى صدر بعد ذلك بأكثر من

(٤) طه حسين : " مستقبل الثقافة فى مصر " :جزءان ، مطبعة المعارف ومكتبتها ، ١٩٣٨ .

عشرين عاماً نتيجة لاصطحاب طه حسين للزوميات والفصول والغايات فى إحدى رحلاته إلى أوروبا . فوجدت أنه بقدر ما بين الشخصية الاجتماعية لكل من الأديبين العملاقين من تباين ، فإن هناك تقارباً وانطباقاً واضحاً بخصوص النزعة العلمية عند كل منهما . وحببنى ذلك فى مزيد من دراسة أبى العلاء لأجلوَ هذه الظاهرة عنده على ضوء ما آنسته فى فكر طه حسين فى هذا المجال . فتعلقت بدراسة " اللزوميات " و " الغفران " وتعمقت فى فهمها . وجمعت من دراسة " اللزوميات " بنظرة الدارس العلمى جملة كبيرة من الشواهد على اطلاع أبى العلاء العلمى الواسع والمتمكن على العلوم الطبيعية والتطبيقية فى عصره واستيعابها بعقلية علمية بالسليقة . ودونت هذه الشواهد فى جذاذات كمادة علمية لبحث نشرته فيما بعد .

وقرّبتنى الأقدار مرة أخرى فى القاهرة من القمة الشامخة عندما تم اختيارى خبيراً للجنة الجيولوجيا بمجمع اللغة العربية فى عام ١٩٥٨ فكنت أحضر جلسات المجمع وطه حسين نائب للرئيس ، ومجلسى بجواره ، أعرض مصطلحات الجيولوجيا فى المعادن والأحجار والجبال وأحوال الأرض . وكم نعم سمعى وانتشت نفسى واغتذى عقلى بتعليقات وأفكار له لم أسمع مثلها ولا ما يدانيها حتى من كثير من المتخصصين . ولا أنسى معركتى مع أحد الجهابذة من أعضاء المجمع من إحدى الدول العربية ، وكان يدعو إلى ترجمة أسماء المعادن والصخور بدلاً من تعريبها ،كأن يسمى معدن الأولفين مثلاً " الزيتونين " ومعدن السربنتين " الثعبانين " وصخر الجرانيت " الأعبل " . لا أنسى مقاومتى تلك الدعوة ، وقد أعجبت طه حسين شجاعتى وأعجبه استبسالى فى الدفاع عن رأيى وأنا بعد فى تاريخ انتسابى إلى المجمع عند عتباته لم أجاوزها إلى مقاعده . ولا أنسى كيف انتصر لرأيى بمهارة وكياسة وتعليل علمى النزعة مؤكداً أن هذه أسماء أعيان لا تجوز ترجمتها " فهى معادن وصخور ثابتة التركيب والمظهر ، كل منها متميز بذاته أينما يوجد كأنه علم ، وإذا جازت ترجمة هذه الأسماء فهل نترجم بالأسوة أسماء جبل المقطم مثلاً أو بئر زمزم أو جبال روكيز ؟ !

إن ترجمة أسماء هذه الأعيان تضيّع معانيها العلمية وتحدث اضطراباً وبلبلة فى

المراجع وفى أفكار الباحثين " .

وظللت أنعم بسويعات قليلة إلى جواره كلّ عام أو دورة مجمعية وهو نائب للرئيس ثم رئيس للمجمع فى عام ١٩٦٥ ، فنفذتُ إلى أعماق أسلوبه الفريد وفكره الفذ ، ظللت احظى بهذه المتعة الفكرية حتى وافاه الأجل فى أكتوبر ١٩٧٣ ، وخلا كرسيه العظيم بالمجمع . وألحّت الأقدار فى ربطى بذكراه فكان من حظى أن أفوز بعضوية المجمع فى العام التالى وبترتيب زمنى فى إعلان نتائج الانتخاب يجعلنى على هذا الكرسى الخالد المتشرف باسمه ، وكان طه حسين أول من تبوأه وأنا من بعده . واهتممت بالمجاز بحثى القديم عن " النزعة العلمية فى شعر أبى العلاء المعرى "[٥] من خلال تعلقى بطه حسين حتى أخرجت البحث ونشر بمجلة المجمع ضمن بحوث المؤتمر السنوى فى عام ١٩٧٦ ، وإنى لأحاول اليوم أن أتم هذه المقارنة بين الخالدين العظيمين احتفالاً بالعيد المئوى لمولد الراحل العظيم صنو أبى العلاء المعرى فى القرن العشرين .

وأول ما أقول فى هذا الصدد إن الشبه بين العلمين العظيمين لم يكن فى تلك الآفة العضوية التى لم تحل بينهما وبين النبوغ والإبداع الفذ الفريد ، بل والتى لم تحل بين النسخة العصرية من هذه الظاهرة الأدبية العبقرية وبين المجد الاجتماعى والسياسى ، ولكن الشبه كذلك كان فى تلك الذاكرة الشاذة الخارقة عند كليهما والتى ظلت كما هى حتى آخر العمر ، تلك الذاكرة التى لو وُصفت حتى بأنها " كمبيوترية " لكان فى هذا الوصف بخس لها . وإنى لأذكر كيف كنت أنصت إجلالا لطه حسين وانبهاراً بقوة ذاكرته فى آخر جلسة حضرها بالمجمع قبل وفاته ( مايو سنه ١٩٧٣ ) وكانت تعرض فيها مصطلحات للجيولوجيا ، وكان يستشهد فيها بآيات من القرآن الكريم وأبيات عويصة من الشعر الجاهلى مناسبة للمقام . أما عن ذاكرة صنوه القديم فناهيك عن الحديث عنها وعن أخبارها ونوادرها التى طبقت الآفاق وغُصّ بها التراث ، وليس اليوم مجالها على أى حال .

---

(٥) محمد يوسف حسن : " النزعة العلمية فى شعر أبى العلاء المعرى " : مؤتمر مجمع اللغة العربية ، رقم ٢٤، عام ١٩٧٥/٧٤،ص، ٣٥٥-٣٧٩ .

وأما عن الشبه القوى الآخر الذى أريد أن أكشف عنه فى هذا الحديث ، فهو ذلك الاتفاق بينهما فى العقلية العلمية ، وقد بينت شأنها عند أبى العلاء فى بحث سابق أشرت إليه . كان أبو العلاء مغرماً ومُعجزاً فى صياغة الحقائق العلمية المعروفة فى عصره فى إطار فنى بديع من الشعر الراقى المتكامل الأركان المعروفة للشعر . وكان يمثل للنظريات العلمية السائدة فى عصره بأشعار يصوغها أجمل صياغة فيثبّتها ذلك فى أذهان طالبى المعرفة من ذوى الذوق الفنى الراقى .

وكان صنوه طه حسين يصنع صنيعاً آخر مع الآداب والنقد الأدبى ، فيمثل ذلك ويستدل على قصده وعلى منطقه فيه بأمثلة من العلوم الطبيعية دامغة تبرر وجهة نظره . وكأنى بضميره كان لا يهدأ ولا يطمئن للرأى الذى أتى به إلا عندما يقوم عليه دليل من موضوع مشابه فى العلوم الطبيعية مما يتفق مع رأيه فى القضية الأدبية التى كان يعالجها .

ولكى نتعرف على هذا الأسلوب ، نسوق بعض الأمثلة الواضحة من كتابات طه حسين بنصها مما يظهر عمق هذه النزعة عنده وأصالتها . فهذه قطعة عن علم التاريخ على هامش بحث له ألقاه فى مؤتمر العلوم التاريخية الذى حضره فى بلجيكا عام ١٩٢٣ ، وهى مقتبسة من أحد كتبه بعنوان " من بعيد "(٦) بالصفحات من ٦٣ – ٦٥ ، يقول : " أشعر أن كثيراً من المصريين سيسخرون من التاريخ والمؤرخين ، ومن المؤتمر والمؤتمرين ، لأن التاريخ ليس من العلوم التى تعين صاحبها على أن يفلسف كما يقتضى العصر الذى يعيش فيه ؛ دائماً هو علم متواضع يزيد فى تواضعه أنه نزل فى هذا العصر عن ميزة قديمة كانت ترفع شأنه وتعلى مكانته وذلك أن الناس كانوا يتخذون الماضى وسيلة إلى فهم المستقبل ( لاحظ نظرته المستقبلية الثاقبة وما تصوره من قدوم تطور جذرى سيؤدى إلى ثورة فى العلم والتكنولوجيا تقلب الموازين والمفاهيم تماماً ، فلا تنفع أية عبرة من الماضى فى فهم المستقبل والاستعداد له . ولاحظ أن هذا الكلام كتب فى عام ١٩٢٣ قبل دخول عصر الكمبيوتر والسفر والفضاء وثورة الاتصالات

---

(٦) طه حسين : " من بعيد " : الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٨ .

الخاطفة . . . ) ، ثم واصل معى قراءة القطعة لنصل إلى قوله : " وكانوا يعتقدون أن له فائدة عقلية لأنه يعين على حسن الاستعداد للحياة . ولكن التاريخ تواضع ونزل عن هاتين الميزتين ، وأصبح لا يزعم لنفسه الفضل فى حسن الاستعداد للمستقبل ، ولا يزعم لنفسه القدرة على حل ألغاز الحياة ، بل أصبح يحذّر من تلك الأساليب القديمة التى كانت تقيس غداً إلى أمس وتفسر اليوم ما وقع منذ قرون ... وأصبح التاريخ ينكر مثل هذه الأساليب ، ويحذر الناس منها ، ويسخر من المتمسكين بها ، بل أصبح ينكر فلسفة التاريخ ، ويقنع بشىء واحد متواضع ، ولكن جليل الخطر ، وهو الوصول إلى استكشاف الحقائق التى وقعت فى الماضى استكشافاً علمياً صحيحاً معتمداً على البحث لا الفلسفة ( ثم استمع معى جيداً إلى هذا التعليل والاستدلال ) إذ يقول : " فهو ( أى التاريخ ) كالكيمياء لا يزعم لنفسه القدرة على تحويل المعادن إلى ذهب ، إنما يزعم لنفسه البحث عن الحقائق من حيث هى حقائق لا أكثر ولا أقل ( ولاحظ هنا تفهمه الجيد للفرق بين أسلوب علم الكيمياء وأهدافه فى القديم والحديث ) . ثم نتابع القراءة " إن أناساً كثيرين فى مصر سيسخرون من التاريخ ومؤتمر التاريخ ، ولكنى أؤكد لك أيها القارىء العزيز أنى لا أسخر من هذا ولا ذاك ، وإنما أكلف بالتاريخ وأعجب بمؤتمر التاريخ . ولكننا قد نصل إلى هذه المنزلة يوم نشعر بأن العلم يجب أن يُطلب لأنه علم ، لا لأنه يمكنك من أن تعيش ، أو من أن تعيش عيشة مترفة " .

فياليت المخططين لتقدم العلوم واللحاق بأهلها فى الغرب والشرق من علمائنا فى العلوم الطبيعية والإنسانية ، يعُون هذا الكلام الهام . وإنى لأرجع التخلف العلمى عندنا – والتكنولوجى بالتالى – إلى عدم تفقه هذه النصيحة العلمية الذهبية ، أو إلى المغالطة فى تطبيقها والتقليل من أهميتها لأسباب دعائية أو سياسية ترضى نزعات رعناء لمحترفى السياسة ، ولا ترضى ضمائر العلماء . وقد حدث هذا بشكل مستفز فى فترات قريبة جداً من التاريخ المعاصر فى مصر . ولو أن مخططينا العلميين وَعُوا هذا الكلام الذى يدعو إليه طه حسين أو أنهم أخلصوا ضمائرهم فيما ائتمنوا عليه ، وترفعوا عن الدعاية وكسب الإعجاب الزائف والجزاء الزائل ،

لكان لنا شأن آخر فى مضمار العلوم والتكنولوجيا غير الذى نحن فيه الآن .

وهاك فقرة أخرى من كتابه " من بعيد " أيضاً من قطعة بعنوان ( الأدب والأدباء ) ص ٢٦٢ ، وهى بصدد التجديد فى الأدب ، يقول : " وهنا تسألنى ماذا أصنع بالقدماء ؟ والجواب يسير : أصنع بالقدماء ما صنعوا بأنفسهم ، فأنا ألتمس عصورهم فى هذه المرآة ، ولا ألتمس منهم العصر الذى أعيش فيه . ولقد كنت أضرب منذ أيام مثلاً للأدباء من أهل مصر : ما رأى أنصار القديم لو طلبنا إليهم أن يُهمَل ما وصل إليه العلم الحديث فى الطبيعة والطب ، وأن يُعتمد فى كليتى العلوم والطب على إشارات ابن سينا وقانونه ، أيرضون أم يصيحون ويستغيثون ؟ لا شك فى أن الأستاذ الشيخ علام يستغيث بالله وبالناس يوم يعرف أن طب باستور وكلود برنار قد أهمل ، وأن طبيبه سيعالجه منذ اليوم كما كان يعالج ابن سينا أو الحارث بن كلدة أو داود الأنطاكى ... ومع ذلك فالأمر فى الأدب كالأمر فى الطبيعة والطب ، لا ينبغى أن يُهمَل طب ابن سينا وطبيعته ، لأنهما يمثلان عصراً من عصور الحياة العلمية ، ولا يُهمَل أدب المبرّد والجاحظ لأنهما يمثلان مظهرا من مظاهر الحياة الأدبية ، فهما يدرسان على أنهما فصل من تاريخ الأدب ، ولكننا نجدّد الأدب درسا وإنشاءً كما يجدد الطبيعيون والأطباء طبيعتهم وطبهم عملا ونظرا »

وأقتبس لك فقرة من مقدمته لكتابه "فى الأدب الجاهلى" ( صفحة ٢٩ ) يؤكد فيها أسلوبه العلمى ، وينبه فيها إلى ضرورة الأخذ بالأسلوب العلمى فى دراسة التاريخ الأدبى وتفهم الشخصيات الأدبية وطبيعة إنتاجها . ويقول : " إنك لا تستطيع أن تفهم الأثر الفنى للكاتب أو الشاعر إذا اعتمدت على ما تعودنا أن نعتمد عليه من علوم اللغة ومن الأنساب والأخبار ومن النقد ، وإنما قد تحتاج أن تعتمد على أشياء أخرى ليس بينها وبين الأدب صلة ظاهرة . ولنضرب مثلاً بشاعر كالمتنبى أو أبى العلاء ، فكن أقدر الناس على فهم النحو وعلوم اللغة كلها والأخبار والتاريخ . وكن أمهر الناس فى علوم المعانى والبيان والبديع ، فلن يكفيك ذلك فى فهم شعر المتنبى وشعر أبى العلاء . وإنما أنت محتاج إلى الفلسفة الخلقية لتفهم المتنبى ، وأنت محتاج إلى الفلسفة الطبيعية ، وإلى الفلك وإلى علم النجوم ، بل إلى الرياضة أحيانا لتفهم شعر أبى العلاء » . وفى حديث له

عن الثقافة ودرس الأدب بكتابه : « فى الأدب الجاهلى » بعد أن أكد طه حسين ضرورة إلمام دارس الأدب بعدد كبير من العلوم اللغوية ، والتاريخ ، واللغات القديمة كالسامية والفارسية واليونانية واللاتينية ، واللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية ، وأيضاً الفلسفة وغير ذلك ؛ يقول فى ص ٢٠ - ٢١ :

ستقول ... أليس اشتراط هذا كله فناً من فنون التعجيز وضرباً من الإغراب والتيه ؟ .... ومن الذى يستطيع أن يصدّق أن أستاذ الأدب فى فرنسا أو إنجلترا يتقن مثل هذا المقدار الضخم من الدراسات قبل أن يأخذ فى درس أدبه الفرنسى أو الإنجليزى ؟ ... ستقول هذا ... فلتلاحظ قبل كل شىء أنى لا أعرف - وأزعم أنك لا تعرف - أستاذاً للأدب الفرنسى أو الإنجليزى يستحق هذا اللقب إلا وقد أتقن اليونانية واللاتينية لغة وأدباً وفقهاً وفلسفة ، ثم أتقن إلى جانب هذا كله لغتين من اللغات الحية على أقل تقدير ، ثم فرغ بعد هذا ... الخ ؛ ثم لنلاحظ بعد هذا أن قد ذهب العصر الذى كان الناس يقبلون فيه أن يلم الرجل الواحد بكل شىء وينفرد بنوع من أنواع العلم يدرسه وينبغ فيه ... انقضى هذا العصر ، وأصبح الأفراد عمالاً يتأثرون فى العلم كما يتأثرون فى الصناعة ، ويتأثرون فى الجامعة والكلية ، كما يتأثرون فى المصنع والمتجر بقانون توزيع العمل ( وانظر هنا إلى تشبيهاته بمسائل واقعية تتصل بالصناعة والعلم والاقتصاد ) . ثم يقول : " ولكن تأثرهم بهذا القانون ليس معناه أن كل واحد منهم يتقن المسألة أو المسألتين ويجهل ما عداهما وإنما معناه أن كل واحد منهم يتخذ العُدة المتقنة لعمله ، ثم يوفر جهوده وقواه على فرع من فروع هذا العمل ليكون له أشدُ إتقاناً فى حين يفرغ رجل آخر لفرع آخر ، وعلى هذا النحو ، فإذا قلنا إن هذه الدراسات المتقدمة أساسية لدرس الأدب ، فإنما نريد أن يفرغ لكل واحدة من هذه الدراسات طائفة من الأخصائيين ، وأن يعتمد الأديب فى بحثه الأدبى على خلاصة ما ينتهى إليه هؤلاء الأخصائيين من النتائج العلمية ... " ( ثم استمع إلى ما يأتى لترى كيف يعود إلى ضرب المثل أو التشبيه بقضية مناظرة من العلوم الطبيعية حتى يطمئن - كما

سبق القول فى أول الحديث - إلى ضمان اقتناعه ، ومن ثم اقتناعك بما يريد إظهاره ) ، إذ يقول : " .. ودع الأدب واقصد إلى أصحاب العلم الخالص فحدثنى : أيستطيع صاحب الحيوان أو صاحب النبات أن يعرض لعلم الحيوان أو علم النبات ولما يأخذ لهذا العلم عدته من إتقان الطبيعة والكيمياء على اختلاف فروعهما ؟ وهل يستطيع أن يتقن الطبيعة دون أن يأخذ بحظ موفور من الرياضة والجيولوجيا والجغرافيا ؟ هل يستطيع أن يأخذ بحظ وافر من هذا كله دون أن يظفر قبل كل شىء بهذه الثقافة المتينة العميقة الواسعة التى يحتاج إليها كما قدمنا العالم والأديب والرجل المستنير ؟ وهل نعرف عالماً فرنسياً خليقاً بلقب العلماء لا يتقن اللغات الحية الأوربية الراقية ولا يأخذ بحظه من اليونانية واللاتينية ؟ "

" ... ثم حدثنى بعد هذا ، أتظن أن هذا العالم الذى اتخذ هذه العدة وتسلح بهذا السلاح يستقل بعلم الحيوان أو علم النبات ، أو يفرغ لما يحتاج إليه فى مادته من الكيمياء والطبيعة والرياضة ؟ كلا إنه يفرغ لفرع من فروع علم الحيوان ، ويعتمد على ما يصل إليه أصحاب الطبيعة والكيمياء من النتائج العلمية ، ولكنه مضطر إلى أن يتقن وسائل علمه ليكون قادراً على المراقبة والمراجعة والملاحظة والتحقيق كلما احتاج إلى شىء من هذا . وكذلك الأدباء أو أساتذة الأدب فى أوروبا وكذلك نريد أن يكون أساتذة الأدب فى مصر " . ( ص ٢٢ ) .

ونلاحظ هنا الدقة والصحة الكاملة فى ترتيب الأولوية للعلوم الطبيعية التى يحتاج إليها دارس علم معين منها . أهو استشار المتخصصين قبل أن يدون هذا الترتيب ، أم أنه بعقليته العلمية السليقية قد استشعر أن هذا هو الترتيب الصحيح ؟ .. والراجح عندى هو الرأى الثانى . ثم نقلب الصفحات لنرى كيف يلخص رأيه فى الموضوع ليعطيك منه الزبد فى إيجاز شامل بعد تفصيل كامل ، ولكنه يحرص رغم الإيجاز على ذكر الأمثلة من العلم الطبيعى والتطبيقى ، وذلك لأنها أمثلة تشير بها عقليته العلمية ، ولعمق اعتقاده فيها يريد أن يؤكد أنها أمثلة

تُحتذى ، فيقول فى ( ص ٣١ ) :

" .. ولكن يجب أن تعود فتفكر فيما قدمت بين يديك فى صدر هذا الكتاب من أن الأدب كغيره من العلوم لا يمكن أن يوجد ولا أن يثمر إلا إذا اعتمد على علوم تعينه من جهة وعلى ثقافة عامة متينة عميقة من جهة أخرى . فقد ضربت لك الأمثال بعلوم الطبيعة يتصل بعضها ببعض ، ويحتاج بعضها إلى بعض ، دون أن يكون بعضها من بعض . فالطبيعة محتاجة إلى الرياضة دون أن تكون الرياضة فصلاً من فصول الطبيعة أو الطبيعة فصلاً من فصول الرياضة " .

وفى ص ٣٥ من الكتاب نفسه يقول : فى موضوع تصنيف الأدب : " .. إنما نريد أن نقول إن الصلة بين الأدب الوصفى والأدب تشبه أن تكون كالصلة بين الفنون الطبيعية والرياضة وعلومها . فقد عرف الناس الفنون الطبيعية والرياضية وانتفعوا بها قبل أن يعرفوا علوم الرياضة والطبيعة ، فمسحوا الأبعاد ، ورفعوا الأثقال ، وحولوا الأجسام من هيئة إلى هيئة ومن صورة إلى صورة واهتدوا بالنجوم ، قبل أن يعرفوا أو يحققوا النظريات التى تعتمد عليها كل هذه الفنون .. "

فمن أهل الأدب فى زمانه من اكتشف كنه هذه العلاقات بهذه الدقة وبهذا القياس إلى نظائرها في العلوم الطبيعية ؟ أما عن أهل العلم الطبيعى فأزعم أن أحداً منهم لم يفكر أو يتطرق إلى مثل هذه المقارنة مهما كان اهتمامه بعالم الأدب . ومرة أخرى أقول : يا مخططى تدريس العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية تفهموا هذا الكلام واقرءوا لطه حسين أعظم من تولى وزارة التعليم فى مصر الحديثة ولكن للأسف لأقصر مدة فى تاريخها ، اقرءوا له إذا أردتم وضع الخطط السليمة لدراسة العلوم والآداب والرقى والتقدم بالبحوث فى مجالاتكم .

وسأقتبس لك فقرة من كتابه " مع أبى العلاء في سجنه " يدافع فيها عن أسلوبه العلمى فى درس الأدب والأدباء ، ويسوق الدليل العلمى على سلامة دفاعه عن رأيه ، وكان بعض الناس قد هاجموه على طريقته فى درس المتنبى ، يقول :

« .. وأنا أعرف أن العلم يكلف أصحابه أهوالاً ثقالاً ، ويحملهم من بعض الأمر على مالا يحبون أن يُحملوا عليه ، فيضطرهم

أحيانا إلى هتك الأستار وفضح الأسرار ، وإظهار الناس من أمر بعضهم على ما لا ينبغي أن يظهروا عليه . تلك تضحيات يتكلفها العلماء في سبيل الوصول إلى الحق ، لا يشبهها إلا ما يتكلفه أصحاب العلوم التجريبية من تعذيب الحيوان في سبيل ما يبتغون من العلم الخالص أو من العلم الذى ينفع الناس فى حمايتهم من العلل والآفات " . ( ص ١٩ ) .

أرأيت كيف يطمئن إلى صحة أسلوب الدرس الأدبى طالما وجد له ما يدعمه من الأساليب المشابهة فى مجالات العلم الطبيعى ؟ وانظر كيف يطمئن إليه مهما يكن من استهجان التقليديين وأنصار القديم لذلك فى دراسة الأدب . ومع ذلك فطه حسين هو الأديب المرهف الشعور ، الجياش العاطفة ، الرحيم القلب . انظر إليه وهو أحيانا يستثنى من هذا الأسلوب من يحبهم من الأدباء ، ويحس فى قرارة نفسه نقاء سريرتهم وإنسانية سيرتهم ، فيمتنع عن معاملتهم بهذا الأسلوب إلى حد ما ، ولكنه فى الحال يعلن أسبابه ومبرراته لذلك ، فتكون النتيجة أنه ينشىء أدبا غاية فى الطلاوة ، وقمة فى الفن الراقى النافذ إلى حبات القلوب ، الآخذ بنواصى الإعجاب . واقرأ لنفسك - إن شئت - ما يلى الفقرة التى اقتبستها لك لترى كيف يبرر هوادته وترفقه وتحفظه عندما يتعرض بالدرس لأبى العلاء ، فلا أظن مجال هذا الحديث يتسع لذلك . ولحظوته بهذه العقلية العلمية ، وميله السليقى إلى الأسلوب العلمى وإعجابه به ، كان طه حسين من أوائل من لفت الأنظار إلى ما يسمى بالمقياس العلمى فى تاريخ الآداب ، بل لعله أول من أدخل تطبيقه على الأدب العربى . وارجع في هذا إلى تلخيصه الرائع للمدارس الفرنسية المختلفة المتفقة فيما بينها ، على حد تعبيره الجميل فى هذا المجال ، وهى مدارس سانت بيف (St. Beuve) . وتين ( Taine ) وبرونتير ( Brunetier ) . ارجع إلى هذا التلخيص فى كتابه " فى الأدب الجاهلى " ، ص ٤٥ وما بعدها ، لتلمس تفهمه العميق لهذه النظريات العلمية الصرفة التى أخذت فى أواخر القرن الماضى من علوم النفس ، والتصنيف الأحيائى ، والبيئة الطبيعية ،

والتطور العضوى لترسم سبلها المختلفة لتأريخ الآداب . انظر إلى قوله : " يتفقون ( أى أصحاب هذه المدارس ) فى أنهم يريدون أن يجعلوا تاريخ الأدب علماً كغيره من العلوم الطبيعية ، ويختلفون فى الطريق التى يسلكونها إلى هذا الغرض . . ثم تأمل نقده النافذ النافع للأسلوب المتطرف لهذه المدارس وعدم انبهاره ورضاه عن تحيزها الشديد فى المعالجة العلمية لتاريخ الأدب ، إذ يقول :

" ولكن أوفقوا فيما حاولوا ؟ كلا ، لم يوفقوا ، ولا يمكن أن يوفقوا ، لا لشىء إلا لما قدمناه من أن تاريخ الأدب لا يستطيع بوجه من الوجوه أن يكون موضوعياً صرفاً ، وإنما هو متأثر أشد التأثر وأقواه بالذوق ، وبالذوق الشخصى قبل الذوق العام . " ( ص ٤٦ ) .

ثم يقول فى ص ٤٩ " فتاريخ الآداب إذن يجب أن يتجنب الإغراق فى العلم ، كما يجب أن يتجنب الإغراق فى الفن ، وأن يتخذ لنفسه بين الأمرين سبيلاً وسطاً " .

ويعجبنى أن أقتبس لك هنا من ختام فصله عن هذه المدارس ( ص ٥٤ من المرجع نفسه ) قوله : " .. إن لفظ التاريخ نستعمله نحن الآن فيما يستعمل فيه الأجانب لفظ " Histoire " وأصل هذه الكلمة الوصف ، والوصف كما فهمه أرسطاطاليس عندما كتب تاريخ الحيوان . فتاريخ الآداب معناه وصف الآداب وصفاً علمياً من بعض الوجوه كما أن التاريخ الطبيعى معناه الوصف العلمى للكائنات الطبيعية .." وهذه الفقرة تصخب بما فيها من مفاهيم علمية أصيلة مكيفة إلى ما يصلح أن يطبق على تاريخ الآداب .

هكذا عرضه المقتدر للمقاييس والمدارس العلمية لتاريخ الآداب . وهكذا نقده المحكم لها . وهكذا يكون الفنان الأصيل والعالم المدقق فى آن واحد .

وتعال معى إلى مثال آخر طريف نتأمل فيه نظريته فيما ذهب إليه أبو العلاء فى أحد فصول كتابه " الفصول والغايات " يقول أبو العلاء : " ... يقدر ربنا أن يجعل الإنسان ينظر بقدمه ، ويسمع الأصوات بيده ، وتكون بنانه مجارىَ دمعه ، ويجد الطعم بأذنه ، ويشم الروائح بمنكبه ، ويمشى إلى الغرض بهامته ، وأن يقرن بين النير وسنير حتى يريا كفرسى رهان ، وينزل الوعِل الرِّعل من النيق

ومجاوره الوذنيق حتى يشد فيه الغرض ، وتكرب عليه الأرض ، وذلك من القدرة يسير، وسبحان ملك الملوك ، عظيم العظماء .» .

لقد علق طه حسين على كلام صنوه العظيم القديم تعليقا ممتازا محيطا من الناحية العلمية والفلسفية ، يخيل لمن تخصص فى علوم البيولوجيا أن المعلق قد تبحر فى قراءة علم تكيف الأعضاء ، وظاهرة الانتهازية فى التطور العضوى ( Opportunism in Evolution ) ولكن رأيى فى كلام طه حسين أنه فقط وليد القريحة والسليقة العلمية لفكره . وأوجز هنا تعليقه إيجازا أرجو ألا يخل بقيمته وعمقه . ولمن يريد الإحاطة فليطلع على الأصل فى كتاب « مع أبى العلاء فى سجنه » صفحات ( ٢٣٢ - ٢٣٧ ) .

يقول طه حسين : « أترى إلى هذا الإنسان الذى صوّره أبو العلاء بخياله هذا الغريب ، ناظرا بقدمه ، ماشيا على رأسه ، سامعا بيديه ...الخ ؛ أترى إلى هذين الجبلين قد استقر أحدهما فى الشام والآخر فى نجد ، وقد جمع بينهما فى قرن فهما يستبقان ؟ ... الخ .

أترى إلى الوحش التى ألفت أعالى الجبال وقد تغير إلفها فاطمأنت فى السهول المنخفضة ؟ أترى على الجملة إلى هذه المفارقات التى تكثر فى الفصول والغايات كثرة تثير الدهش حقاً ؟

ماذا أراد بها أبو العلاء ؟ أما ظاهر هذا الفصل فواضح لا غموض فيه ، فأبو العلاء ينبئنا بأن قدرة الله شاملة تسع كل شىء ممكن فى رأى العقل ، وأن هذا العالم كما هو ليس إلا صورة ممكنة من صور أخرى ممكنة أيضاً ، وأن الذى أوجد هذه الصورة الممكنة قادر على أن يوجد غيرها من الصور.. الخ . حتى يقول : " ولكن أمن الحق أن أبا العلاء لم يقصد إلا هذا ؟ أمن الحق أننا نستطيع أن نكتفى منه بظاهر القول ، وهو الذى يقول :

لا تقيد على لفظى فإنى
مثل غيرى تكلمى بالمجاز
.........الخ .

ثم يتطرق طه حسين إلى شرح نظريات أبيقور فى إنكار العلة الغائية ، وفى ميكانيكية تكيف الأعضاء لوظائفها على أساس أنها وجدت كذلك فقامت بالوظيفة المناسبة لتركيبها ، أو أنها بعبارة أخرى قد

أوجَدَت غاياتها ولم توجد هى لتحقيق تلك الغايات . ثم يعلق بقوله : " وإذن فمن الكبرياء المسرفة أن يظن الإنسان أنه الغاية من وجود العالم . . . . . الخ . "

وأما عن شرحه أن العالم ليس إلا صورة ممكنة من صور أخرى لانهائية ممكنة أيضاً ، فذلك أحسن صيغة علمية فى رأيى لما قصد إليه أبو العلاء فى هذا الفصل من فصوله وغاياته ، كما أنه فى الوقت نفسه أجمل وصف أدبى لما توصل إليه العلم الطبيعى الحديث أخيراً جداً من بحثه فى عالم المادة والقوى وطبيعة الكون ، وما أسفر عنه هذا البحث من نظريات " المادة وضد المادة ونظرية " أصل الكون بالانفجار العظيم " ونظرية " المشاهد المشارك " ، وقاعدة "عدم اليقين " فى مجال الفيزياء النووية والجسيمية . ولايُخرج مثل هذا الشرح فى رأيى سوى مخيلة أدبية عبقرية ، علمية النزعة فى آن واحد .

ومثال آخر من الكتاب نفسه " مع أبى العلاء فى سجنه " ( الصفحات ١٠٥-١١٠) نقتبس منها ما يظهرنا على سجيته العلمية السباقة إلى النظر الفاحص فى الظواهر الأدبية المشكلة وتعليل وقوعها . فهو قد استنبط فى هذا الكتاب نظرية فى أسباب نظم أبى العلاء للزوميات ، فتعال لنرى كيف توصل إلى تلك النظرية . وهو يقدم لذلك فيقول : " وأول ما أواجهك به من ذلك ، وأنا أقدر أنك ستلقاه منكراً له ثائراً عليه ، هو أن اللزوميات ليست نتيجة العمل ، وإنما هى نتيجة الفراغ . وليست نتيجة الجد والكد ، وإنما هى نتيجة العبث واللعب . وإن شئت فقل إنها نتيجة عمل دعا إليه الفراغ ، ونتيجة جد جرٌ إليه اللعب . . . ولأوضح ذلك بعض التوضيح فقد أهدّىء من ثورتك وأحول إنكارك إلى إقرار واعتراف . "

" فقد لزم أبو العلاء داره لا يبرحها نصف قرن ، فقدّر أنت نصف القرن هذا كم يكون من سنة ومن شهر ومن أسبوع ومن ساعة . وقدر أنك اضطررت إلى أن تلزم سجناً من السجون، وليكن هذا السجن دارك التى رتبتها كما تريد وتهوى أثناء هذا الدهر الطويل ، فهل تتصور الإقامة فى هذا السجن أثناء هذه الأعوام المتصلة فى حياة مطردة مستوية يشبه بعضها بعضاً كما يشبه الماء الماء ؟ ونظر أبو العلاء فرأى نفسه بين هذه الألفاظ التى لا تكاد

تحصى وبين هذه المعانى والآراء التى لا تكاد تحصى أيضاً ، ولم يجد معه إلا هذه المعانى وتلك الألفاظ ، ثم نظر فوجد أوقات الفراغ طويلة لا يطاق احتمالها ولا يمكن الصبر عليها . فما قيمة ما حفظ من اللغة ، وما قيمة ما حفظ من العلم إذا لم يعيناه على قطع أوقات الفراغ هذه . . . "

" فلم لا يلعب بهذه الألفاظ ؟ ولما لا يلعب بهذه المعانى . ولم لا يتخذ من الملاءمة بينها على أكثر عدد ممكن من الأوضاع والأشكال والضروب سبيلاً إلى التسلية والاستعانة على الفراغ ؟ . . . " .

ثم قلب الصفحات معى لنصل إلى قوله :

" . . . أحصى حروف المعجم فوجدها ثمانية وعشرين حرفاً ، ثم أحصى الحركات التى يمكن أن تختلف على هذه الحروف فوجدها ثلاثاً ، وأضاف إليها السكون فحصلت له من هذا أشكال أربعة للقافية ، فلما استقام له هذا الحساب أخذ نفسه بأن ينظم شعراً يقفيه بكل هذه الحروف مضمومة ومفتوحة ومكسورة وساكنة . ولو قد اكتفى بذلك لكان فيه الجهد ، كل الجهد والعناء كل العناء ، ولكنه أضاف إليه التزام الحرف الذى يسبق القافية فى البيت الأول من القصيدة أو المقطوعة بحيث لا توجد القافية فى أى بيت من أبيات القصيدة أو المقطوعة إلا ومعها هذا الحرف الذى سبقها فى البيت الأول . . . "

فتأمل كيف سطعت على ذهنه هذه الفكرة الإحصائية فصادفت هواه الفطرى فى التعليل العلمى ،فانصرف يحسبها حساباً ليقيم عليها نظرية مقنعة لأسباب التزام أبى العلاء ما لا يلزم فى نظم سفره العظيم " لزوم ما لا يلزم "

ونترك النصوص إلى باب آخر عن براعة طه حسين فى الوصف المادى الذى هو من أخص أدوات المشتغلين بعلوم التاريخ وأهمها . ولقد كان طه حسين يأتى فى هذا المجال بتشبيهات فريدة تنم عن عقلية علمية تسيطر على فكره عندما يدقق الوصف ليطابق الموصوف . فمن هذه التشبيهات الفريدة وصفه رجلاً بليداً بقوله : ( والحديث للدكتور سيد أبو النجا ، ذكره فى تقديمه لكتاب " مع طه حسين " لسامى الكيالى ) [(٩)] : " له نفس ملساء تتدحرج من فوقها الأحداث فلا تكاد تترك فيها أثراً . " واستمع إلى هذه العبارة الفذة

( ٩ ) سامى الكيالى : " مع طه حسين " : دار المعارف ، سلسلة " اقرأ " رقم ٣٧٥ ، عام ١٩٧٣ .

من كتابه " جنة الحيوان " ( ص ٨ ) ، التى يصف فيها حركة الثعلب وصوته فى مفارقة دقيقة جميلة أخرجها أدبه العبقرى بالاشتراك مع فطرته العلمية الدفينة ، فأقتبس لك هنا تعليق تلميذته الخالدة الدكتورة سهير القلماوى(١٠) فى هذا الموضوع ؛ تقول ( ص ٨٦ ) : " صوت الثعلب الذى يصف شكله على أنه كالكثيب المنهال الذى يسأل الناظر نفسه أإنساناً يرى أم كومة من الرمال لولا هذا الصوت الذى يخرج منه ضئيلاً نحيلاً . ثم تضيف : " وكأنما يريد الدكتور طه أن يقابل بين شكله وصوته بهذه المفارقة التى لا أدرى مدى انطباقها على واقع من أسماه " الثعلب". وصوت آخر لرجل رمز إليه بالطفل فى كتابه " جنة الحيوان " ، يصفه بأن محطم لايكاد السامع يسمعه حتى يستحضر إناء من الزجاج أو من الفخار قد أصابه شق يسير فهو لا يرسل الصوت إذا مس إلا حدثنا بهذا الانحطام وهذا التنفس السريع . " ( ص ٨٧ من المرجع نفسه ) . هذه الأصوات وغيرها كثيرة يعجز عن أن يأتى بها المبصرون من تجاربهم وملاحظاتهم على الأشياء والطبيعة بما يدانى هذا الوصف الدقيق المعجز .

ولنخفف شيئاً من جو الجد الصارم الذى احتوى الموضوعات التى أخترناها ، فنذهب إلى جانب جذاب وهو موضوع الحب فى كتاب لطه حسين بعنوان ( ألوان ) (١١) وقد عقد فيه مقارنة شائقة بين معالجة " ابن حزم " و " استندال " للموضوع . وعنوان هذا الفصل هو : " فى الحب " ، يستهل طه حسين كلامه بقوله : سيبسم لهذا العنوان قوم ، وسيعبس له آخرون . وسيكون بين الباسمين من يبسم عن رضا لأنه يريد أن يقرأ عن الحب شيئاً ، ومن يبسم عن سخرية لأنه لا يرضى أن يكون الحب موضوعاً للحديث فى مجلة يُنتظر منها الجد الصارم ولا يحب منها الإقبال على لغو الحديث . وأما العابسون فسيكون عبوسهم سخطاً خالصاً لأن حديث الحب لهوٌ كله ، وما أكثر الصحف والمجلات التى تلهج باللهو وتغرق فيه . " ..." ومع ذلك فقد كانت حياتنا فى العصر الأول أسمح من ذلك كله وأكثر يسراً ." ويستطرد طه حسين بقدر صفحة أو اثنتين فى معالجة أدبية تاريخية تحليلية شائقة رائعة للموضوع ،وبعدها يقول ص (١٠١) : " لا أريد أن

(١٠) سهير القلماوى : " ذكرى طه حسين " : دار المعارف ، سلسلة " اقرأ " رقم ٣٨٨ ، عام ١٩٧٤ .
(١١) طه حسين : " ألوان " : دار المعارف ، ط ٤ ، ١٩٧٠ .

أتحدث عن الحب مرغباً فيه أو مرغباً عنه ، محسناً له أو زارياً عليه . بل لا أريد أن أتحدث عن الحب في نفسه وإنما أريد أن أتحدث عنه من حيث إنه كان موضوعاً للبحث والدرس والتأليف عند أديبين عظيمين : أحدهما عربي مسلم قديم ، والآخر أوروبي مسيحي حديث . فأما أولهما فهو ابن حزم الأندلسي وقد عاش في القرن الحادي عشر ، وأما ثانيهما فهو استندال الفرنسي وعاش في القرن التاسع عشر . " .

ثم نقلب صفحات عدة يقارن فيها بين الأديبين حتى يقول ص١٠٥:" ومن الحق أن ابن حزم تحرج شيئاً أو كاد يتحرج شيئاً من الكتابة في هذا الموضوع ، ولكنه لم يلبث أن يعفي نفسه من هذا الحرج بآثار رواها في أول الكتاب ... ومنها ما رواه بسنده المتصل إلى أبي الدرداء رحمه الله أنه كان يقول : أجموا النفس بشيء من الباطل ليكون عوناً لها على الحق ... ، وكان هذا أشبه باستئذان للدخول في هذا الموضوع الخطير الذي يظهر أن ابن حزم فكر فيه وعاش معه إلى أن مات . "

وأخص ما يتفق فيه ابن حزم واستندال أنهما لم يريدا أن يكتبا في الحب كتابة المتزيد المتكلف ، وإنما أرادا أن يكتبا فيه كتابة العالم الذي يؤثر البحث والاستقصاء ويعتمد على الملاحظة والمشاهدة ، ويستنبط من هذا كله أصولاً وقواعد هي أشبه بالعلم وأقرب إليه من شبهها بالأدب وقربها إليه ، فليس الذي يعنيهما أن يرويا الأخبار ولا أن يفلسفا في غير موضوع للفلسفة ، وإنما الذي يعنيهما أن ينظرا إلى الواقع ويعمدا إليه ويأخذا منه في غير تكلف ولاتصنع أيضاً ، كلاهما يريد العلم ويعتمد على الظواهر الواقعة ، ولكن أحدهما يعيش في القرن الحادي عشر والآخر يعيش في القرن التاسع عشر . وبين حياة العقل الإنساني في هذين العصرين أمد بعيد ، فابن حزم يعيش في عهد الكلام وما بعد الطبيعة ، واستندال يعيش في عهد العلم والتجربة فليس غريباً أن يكون ابن حزم فيلسوفاً حين يفسر الظواهر الواقعة ، وأن يكون استندال عملياً حين يفسر هذه الظواهر نفسها . "

فانظر معي كيف اكتشف طه حسين في كتابين مشهورين من كتب الأدب يتصلان بهذا الموضوع الحساس الجياش بالعواطف الرقيقة والخيالات الشاعرة آفاقاً علمية واقعية ، وكيف سلط على الكاتبين والكتابين أشعة فاحصة من أجهزة فكره العلمي ، مستنبطاً النظرية العلمية لكل

منهما فى هذا الموضوع الشائق ، وهو فى الوقت نفسه قد استطرد استطراداً جميلاً مقنعاً لم يفسد طرافة الموضوع وحلاوته ، غير أن الوقت يضيق عن تلخيص ما أورده ، فمن يتشوق إلى المزيد ، فليرجع إلى البحث نفسه فى كتاب " ألوان " صفحات ٩٩ - ١١٩ .

وبعد فهذه أمثلة من الفكر العلمى المنبث فى أدب طه حسين الزاخر ، ونماذج من معالجته العلمية للكثير من القضايا الأدبية فى تراثه ، مما سمح به الوقت المتاح لهذا الحديث فى هذه الذكرى .

محمد يوسف حسن
عضو المجمع

# اللغة والثقافة (*)

## للدكتور كمال محمد بشر

يقرر الدارسون أن هناك خمسة عناصر أساسية يمكن اتخاذها معيارا لتصنيف البشرية إلى أمم ولوضع الفوارق بين هذه الأمم وتعيين الخواصّ المميّزة لكل منها .

هذه العناصر هى : الجنس المشترك ( أو الأصل ) - والدين والقومية واللغة والثقافة ، وللغة والثقافة بوجه خاص دور بارز فى هذا التصنيف والتحديد ؛ إذ هما بمثابة المرآة العاكسة لكل أنواع النشاط الإنسانى فى هذه الأمة أو تلك وهذا المجتمع أو ذاك ، وهما فى الوقت نفسه بمثابة المرشد الذى يمكن أن يؤكد هذا التفريق أوَ ينفيَه .

ولموضوع اللغة والثقافة فى مجتمعنا العربى أهمية خاصة ، إذ إن وضعهما أو بناءهما يحتاج إلى نظر ودرس ، كى نتعرف على حقيقة الأمر فيهما ، بالعَود إلى بناء هذا الجانب أوذاك ، ونكشف عن مكوّناته ونخبُرَ هندسته ودرجاتِ التناسق والتكامل بين هذه المكوّنات .

ولعلّ أولَ ما نلاحظه فى هذا الشأن هو أن بناءنا اللغوى والثقافى بناءٌ ينقصه التكامل والتجانس أو الانسجام بين وحداته . ففى هندسته نشاز ، وفى جوانبه ارتفاعات وانخفاضات ، وفى مادته أمشاج وأخلاط من العناصر . وفى عبارة موجزة نقول : إن هُوّيتنا اللغوية والثقافية هوية مهزوزة ، يشوبها نوع من التفكك والاضطراب ، وضربٌ من التنافر والتناقض ، ومن ثمّ يسوغ لنا أن نقرر أن ليست لنا هُويةٌ لغوية وثقافية موحّدة . فاللغة العربية ( وأعنى بها اللغة المنطوقة ) تعانى من بلبلة الألسن وتعدد اللهجات والرطانات التى تُحسب بالعشرات بل بالمئات . وكذلك ثقافتنا القوميّة لم تنجُ من هذه التفرّق والتمزّق ، ولم تسلم من الخلط وخلخلة البناء : فهناك ثقافة الخاصة وخاصة الخاصة ، وثقافةُ العامة وعامةِ العامة ، وثقافةُ رجل الشارع وثقافةُ أهل الحرف والصناعات . وهذه الثقافات ( وإن اتفقت فى بعض الثوابت ، وما أقلّها )

---

( * ) هذا البحث أصل لمحاضرة ألقيت بجامعة الكويت فى أوائل عام ١٩٩٠ ، وكانت معدّة للنشر ( مع غيرها من محاضرات الموسم الثقافى لهذه الجامعة ) فى نهاية العام الدراسى ، ذلك العام الذى انتهى بمأساة الغزو العراقى للكويت الذى أتى على الأخضر واليابس هناك ، وقد رأينا نشره هنا بوصفه رؤية لواقع ما قبل " المأساة " .

تدفع بأصحابها إلى مسارات من السلوك متباينة ، وتوجههم اتجاهات متباعدة ، ومن ثم يصعب الالتقاء عند نقطة الهدف القوميّ بعامة ، وأعنى بها فكرة الانتماء إلى الوطن المعين . وكذلك بالنسبة للغة .

وفى رأينا أن فى دراسة العلاقة بين اللغة والثقافة فرصة طيبة لترتيب الأمور والكشف عن مدى التأثير والتأثر بينهما ، حتى يكون النظر فى أحد الجانبين ( أو كليهما وهو المفروض ) أداة علمية صالحة للتعرف على الجانب الآخر .

ونبادر فنقول إن بين اللغة والثقافة علاقةً وثيقة ، أو هى بتعبير آخر - علاقة الجزء بالكل ، فاللغة أخص والثقافة أعم ، أو قل : إن بينهما علاقة التأثير والتأثر . أما بيانُ مدى هذا التأثير والتأثر والكشفُ عن جذور هذه الجزئية والكلية فى العلاقة بينهما فيحتاجان إلى بحوث مستفيضة مستقلة توجّه جهودها نحو دراسة البناء اللغوى للمجتمع ، بكل مكوّناته وأبعاده وصوره وخواصّه ، وتطبق المنهج ذاته على النظر فى النشاط الثقافى لهذا المجتمع نفسه ، حتى يمكنَ الإتيانُ فى هذا السبيل بنتائج علمية دقيقة .

ولسوف نكتفى هنا بالإشارة إلى بعض صور التأثير والتأثر ومظاهره ، لتكون بمثابة توجيهٍ أو نقطة انطلاق للمهتمين بالشئون اللغوية والثقافية فى مجتمعنا ، مركّزين على الجانب اللغويّ ، لأهميته عندنا فى هذا المقام ، ولخفاء هذا الجانب على بعض الدارسين .

فى البدء نقول : إن اللغة ليست مجرد ضوضاء أو أصواتٍ تلقى فى الهواء ، وإنما هى - فى حقيقة الأمر وجوهره - تجسيد حيّ لكل معارف الإنسان وخبرته ، ودليلُ شخصيته وهُويّته الثقافية . وهى بمثابة الكاشف عن مكنون النفس والعقل . ذلك المكنون الذى يُترجَم - باستدعاء المواقف والظروف - إلى واقع حقيقى فى صورة أحداث فعليّة . وهذا الكشف باللغة يتمثل فى كل ظواهرها : فى أصواتها وطرائق نطقها وأدائها ، ودرجاتِ توافقها وتآلفها ، وفى مفرداتها من حيث اختيارُ صيغها وكلماتِها ونوعيةُ هذا الاختيار ، ومن حيث تراكيبها وما يتصل بذلك من ضم الكلام بعضه إلى بعض ، ونظم هذا الكلام وهندسته ، وغير ذلك من تعليق الكلم بعضه ببعض وتوافقه وتآلفه . ويظهر هذا الكشف كذلك فى معانى الكلام ودلالاته ، ومستويات

هذه المعانى والدلالات من حيث الوضوحُ والغموض والعمقُ والسطحية ، ومن حيث الابتذالُ والمعرفةُ والجهل ، إلى آخر ما يمكن أن نتصوره أو نتوقعه من أساليب الكلام وأنماطه .

وينبغى أن نشير كذلك إلى أنّ اللغة – شأنها فى ذلك شأن الثقافة – خاصّةُ إنسانية ، وأن لها – كما للثقافة – جانبين من الوجود : وجود بالقوة ووجود بالفعل . فالأول طاقة أو قدرة كامنة فى النفس ، أو مركّب ملتّم من القواعد والقوانين ، تكشفه وتنبىء عنه الترجمة الفعلية الواقعة من الفرد أو الأفراد فى الظرف المعين ، وهذا هو الوجود بالفعل . وهذا الجانب الثانى – وهو الوجود الواقع الفعليّ – سابق على الجانب الأول ، جانب القواعد والقوانين المخزونة فى ذهن الجماعة . فمن المقرر أن الأحداث اللغوية الفعلية تقع أولا وتكرارها ووقوعها مرات ومرات فى سياقاتها الاجتماعية تَحدُثُ انطباعاتٌ لها تستقر فى ذهن الجماعة أو الفرد ، وتصبح بمثابة الأنماط العامة التى يمكن أن تُستدعى وتخرجَ حقيقة واقعة فى التعامل فى ظروفها المناسبة . ومهما يكن الأمر فالجانبان مترابطان ومتلازمان وجوداً وعدما ، واستقرارا وتطورا ، والتجديد فى الأول – وهو جانب الطاقة أو القواعد والقوانين – يأتى نتيجة للتعديل أو التغيير والتطور فى الثانى ، ولكن لا يصبح مقبولاً أو سائداً إلا إذا كان مطرد الوقوع واتفقت عليه الجماعة اللغوية المعّينه وقبلتْه .

ومعنى هذا أن الجماعة اللغوية المعّينة قد تتفق فى جملة القواعد والقوانين الضابطة للغتها . وهو اتفاق فى الأساسيّات والجوهريات اللغوية ، ونعنى بذلك المعانى العميقة أو الطاقة اللغوية ، ولكن أصحاب هذه اللغة يختلفون فى الأراء والتطبيق الفعلى ، والسلوك اللغوى بعامة .

فنحن مثلا متفقون فى أن لنا لساناً واحداً يسمى بطريق التجوّز " اللغة العربية " ، ولكنا مع ذلك نختلف اختلافاً بارزا فى التحقيق المادّى لهذا اللسان ، ويكفى أن ننظر نظرة متأملة إلى ما يجرى فى الشارع العربىّ من لهجات ورطانات وصور للكلام مختلفة . والملاحظ كذلك أن الاتفاق أو الافتراق يزيد وينقص بسبب الزمان والمكان والظروف المحيطة بالمجتمع . وهذا يقودنا إلى القول

بعدم وجود اتفاق تامّ أو ما أشبه فى كل أنماط السلوك اللغوى فى البيئة الواحدة . إن الاختلاف ملحوظ من فرد إلى فرد آخر ، بل إن الفرد الواحد يختلف مع نفسه أحيانا فى سلوكه اللغوى وفى طاقته اللغوية كذلك .

وهذا الاتفاق والافتراق فى البيئة اللغويّة المعيّنة ينطبقان بصورة أو بأخرى على الوضع الثقافى لهذه البيئة ؛ حيث تلحظ اتفاقاً فى الثوابت والجوهريات ، واختلافا ملحوظا فى الأداء والسلوك والتعامل الثقافى . فالقيمة الثقافية المعّينة قد يكون متّفقا عليها فى بيئة اجتماعيّة ما ، ولكنها تختلف فيما بين أفراد هذه البيئة فى التحقيق المادّى لها . فالملبس مثلا ذو معنى أو قيمةٍ متفقٍ عليها ، هى الوقاية والزينة وسترُ الصورة ، ولكنه يختلف هنا وهناك من حيثُ صوره وأشكاله وألوانُه وتقديرُه وقطْعُه ( أى تفصيله ) .

ولنا هنا أن نضربَ مثلا واحداً بسيطا يشير إلى حقيقة هذا الاتفاق والافتراق فى الجانبين اللغوى والثقافى بجناحيهما القيميّ والأدائى " الأبوّة " مثلاً قيمة لغوية ثقافية ، ولكن يعبّر عنها وتؤدّى فى مجتمعنا بصور متعددة ، فهناك " دادى" وبابى وبابا ،أبويا ، بيّى ، إلى جانب الصيغتين الفصيحتين : أبى ووالدى . وهناك من الأمثلة ما لا نستطيع إحصاءه فى هذا المقام ، وكلها تدل دلالة قاطعة على مدى التداخل والتشابك بين اللغة والثقافة تأثيرا وتأثرا .

وتظهر هذه العلاقة قوية واضحة فى السلوك اللغوى والثقافى معا . فأنت تستطيع أن تحكم - نوع حكم - على ثقافة الرجل من محصوله اللغوى المتمثل أساساً فى ألفاظه وعباراته وطرائق نطقه وأدائه الصوتى . وقديما قال شاعرهم :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم تبق إلا صورة اللحم والدم

ونحن نقول : لسان الفتى كل الفتى ، لأن الكلام الذى يؤديه اللسان لا يصدر من فراغ ، وإنما يستمد مادته ومكوّناته من مخزون عقله ونفسه ، أى من محصوله المعرفى والثقافى . وقد قالوا فى اللغة الانجليزية " لسانك أنت " " Your Tougue is You "

وكذلك الأمر بالنسبة للثقافة ، حيث تؤثر ثقافة الرجل ودرجتها ومستواها على محصوله اللغوى بصورة أو بأخرى .

ومعنى هذا ، كما قررنا سابقا أن العلاقة بين اللغة والثقافة علاقة جد وثيقة فوحدة اللغة أو تكاملها يستتبع وحدة الثقافة وتكاملها وكذلك تنعكس وحدة الثقافة أو التماثل والتقارب فى مكوّناتها على النشاط اللغوى للمجتمع المعين . ولكن هذه العلاقة ليست لزومية أو ضرورية فى كل الأحوال ، إذ ليس من النادر أن تكون اللغة ( فى عمومها ) واحدة فى حين تختلف الثقافات أو تتنوّع بصورة أو بأخرى . فاللغة العربية ( بمعناها المطلق ) لغةُ العرب جميعا ، ومع ذلك نلمس شيئا من الفروق فى البناء الثقافى بين مجتمع عربى آخر . وكذلك الحال بالنسبة للغة الانجليزية ؛ فهى لغة الإنجليز والأمريكان ، ولكنا - فى الوقت نفسه - نلاحظ خواصّ ثقافيةً مميزة لكل أمة منهما .

وحقيقة الأمر أن الارتباط بين اللغة والثقافة - وحدةً أو تنوعا - يتوقف على درجة الاختلاف اللغوى والثقافى معاً . فكلما كان الاختلاف كبيرا بين اللغات كان الاختلاف بين الثقافات واضحاً . وتقلّ درجة الاختلاف فى الثقافات فى حالة التقارب اللغوى ، أو قلة العناصر الفارقة بين القبيلين .

وينطبق هذا الذى نقول على المثالين المذكورين قبلاً . إنا نزعم أن الاختلاف فى بعض الأنماط الثقافية بين مجتمع عربى وآخر ، يرجع جزء كبير منه إلى الإنماط اللغوية الخاصة بكل مجتمع . وهذا هو الوضع بالنسبة للأوضاع الانجليزية والأمريكية من الوجهتين اللغوية والثقافية . ومالنا نذهب بعيدا : أليس اختلاف اللهجات فى بلدنا منبئا عن تنوع ثقافاتنا ، وأليس هذا التنوعُ فى الثقافات منعكساً على النشاط اللغوىّ ؟ ! لأمر واضح للعيان لا يحتاج إلى دليل .

وإلى هنا نصل إلى سؤال مهم : أتتحدد ثقافة الفرد بلغته أم أن لغته تتحدد بثقافته ؟ سؤال كبير شغل الدارسين وما يزال يشغلهم . وقد قدُمتْ لنا فى الإجابة عنه ثلاثة آراء . فهناك قوم يرون أن اللغة تُملى على الفرد أسلوب حياته وثقافتِه ، ويزعمون أن سلوك الفرد وتفكيره يرتكزان أولا وأخيراً على اللغة . وآخرون يرون أن اللغة ليست إلا أثرا من آثار عقلية المجتمع فهى عاكسة لثقافة هذا المجتمع . وفئة ثالثة ترى أن العلاقة بينهما علاقة تأثير وتأثر وبهذا الرأى الأخير تأخذ ، ونصوغه بعبارة أخرى ، مناسبة لبحثنا هذا ، فنقول : إن العالم

الحقيقى لأى مجتمع ، مبنىّ إلى حدّ كبيرعلى العادات اللغوية ، وإن علاقة اللغة بالثقافة هى علاقة الجزء بالكل : اللغة أخص والثقافة أعم ؛ إذ لها مصادر أخرى غير اللغة .

ما السبيل إذن إلى التعرف على تلك العادات اللغوية ؟ وما الطريق إلى توحيدها أو تقريبها ، بحيث تصبح رافداً متجانسا يصب فى وعاء الثقافة ليعمل بدوره على تكاملها وتماثلها أوتقريب الشقه بين أنماطها ودرجاتها لتصبح ثقافة ذات " هوية "عربية ؟

وما السبيل أيضاً إلى التعرف على الهيكل الثقافى العربى فى عمومه ؟ وما الطريق إلى النظر فى هندسته ونظامه ، كى نتعرف على مدى تجانس وحداته وتناسق مكوناته ، بحيث يمكن لنا أن نتخلص من نتوءاته ونشاز بعض جوانبه ، حتى يصبح عاملاً مهما من عوامل تجويد عاداتنا اللغوية والترقى بها إلى درجة مقبولة من التماثل أو التكامل ؟

هذه أسئلة ذات خطر وبال ، ولا نستطيع الإجابة عنها فى هذا المقام ونحوه إجابة تعدل أهميتها وخطورتها . إن الإجابة العلمية عن هذه الأسئلة تحتاج إلى جهود نفرمن الدارسين ذوىالاختصاصاتالمختلفةالتى تتعاون فيما بينها فى دراسة هذا الموضوع وأطرافه المتعددة . إن الأمر هنا يحتاج إلى جهودااللغويينوعلماءالاجتماع والانثروبولوجيا وعلماء الثقافة كل يأخذ بطرف وينظر من زاوية ويلتقون جميعا عند إجابة علمية دقيقة عن هذه التساؤلات السابقة . ونحن من جانبنا سوف نحاول نوعاً من الاجابة عن هذه التساؤلات بالكشف عن شىء من النقاط المهمة التى يمكن أن تؤخذ فى الحسبان عند النظر فى الموضوع ، آخذين منطلقين اثنين يحددان مسيرة المناقشة للوصول إلى مقترحات محدّدة يسوغ للدارسين من بعدنا أن يأخذوا بها أو يعدّلوا فيها بالزيادة أو النقص ، أو أن يوسعوا فى جوانبها ويعمقوا أفكارها .

هذان المنطلقان هما :

١ - ينبنى الأمر فى إجابتنا هنا على فرْضية علمية قابلة للنظر هى أن كلا من هويتنا اللغوية والثقافية هوية ينقصها التكامل أو الاتجاه الموحد : لغة ذات مستويات وثقافة ذات ألوان وأشكال من النماذج والأنماط .

٢ - التكامل اللغوى والثقافى أمر مرغوب فيه ، بل واجب إنجازه والتمسك به ،

لما ينطوى عليه من أهمية بالغة فى توحيد الفكر والاتجاه القومى وفى تأكيد الروابط الاجتماعية ، وفى تقوية فكرة الانتماء إلى الوطن .

أما فيما يتعلق بالأمر الأول ( وهو البناء اللغوى والثقافى ) فإن النظر الدقيق الواعى يؤكد لنا أن هناك عدة مستويات فى هذا البناء . وهى فى حقيقة الأمر مستويات متداخلة متشابكة ، ليس من السهل الفصل بينها فصلاً تاما أوما أشبه . ولكنا - مع ذلك - نستطيع فى الجانب اللغوى على الأقل - أن نلمس فروقا واضحة بين هذه المستويات ، بحيث يسوغ لنا - وإن بشىء من التعميم - أن نميز بينها وأن نعين بعضا من الخواص الفارقة بينها .

إن الدراسات اللغوية التى جرت وتجرى فى هذا الحقل تشير إلى أن لدينا فى العالم العربى فى مجموعه خمسة مستويات ، وقد تزيد عن ذلك قليلا أو كثيرا ، فهناك الفصحى والأصلية الموروثة والممثلة أساساً فى النصوص المكتوبة فى تراثنا الفكرى والحضارى والثقافى والأدبى ، وهناك ما يدعى أحيانا بالعربية المعاصرة الموظفة فى أعمال المجيدين من المفكرين والمثقفين ورجال العلم والمستخدمة أحيانا فى أقوالهم وأحاديثهم الجادة ذات الصِّبغة الرسمية . وهناك لغة الإعلام مكتوبةً ومنطوقة ، وهناك لغة عامة المثقفين فى حياتهم اليومية ، وهناك اللسان الدارج العام . وهذا الأخير نفسه ذو فروع شتى وألوان متعددة من لهجات ورطانات بيئية أو مهنية وحرفية .

وهذا التحديد الذى قررنا تحديد نسبىّ بنيناه على أساس من الخبرة والتجربة والدرس ، وإن كنا لا ننكر ما بين هذه المستويات جميعا من تشابك وتداخل واضحين ، كما ألمحنا إلى ذلك قبلا . هذا التشابك وذاك التداخل ينبئان عن عدم التكامل فى بنائنا اللغوى وهما أمارة الخلخلة فى مكوّناته والنشازِ فى هندسته ونظامه .

والنتيجة فى كلا الأمرين واحدة : إذا أخذنا بفرضية تعدد المستويات وقعنا فى محظور التعدّد والتفرّق فى الهويّة اللغوية التى تعنى أوتؤدى إلى التعدد والتفرّق فى الهويّة القومية وما يرتبط بها من ثقافة وفكر وأنماط سلوك . وإذا سلّمنا بفرضية التشابك والخلط بين مكّونات البناء اللغوى العربى وقعنا فى إطار الفوضى اللغوية التى ليست لها حدود مرسومة

أو خواصّ معلومة . وهذا يعنى بكل بساطة فقدان الوحدة اللغوية أو التناسقِ اللغوى الذى من شأنه أن ينعكس - شئنا أم لم نشأ - على مسيرتنا الحياتية وما تنتظمه من رؤى ووجهات نظر علمية أو فكرية او ثقافية .

هذا المأزق اللغوى الذى وقعنا فيه نحن العرب ، يختلف الدارسون فى تقديره وفى الحكم على طبيعته ، بل إن بعضهم لا يحسبه كذلك ، ويراه شيئا طبيعياً ينتظم فى الوقت نفسه ثوابت أو عناصر أو مستويات لغوية ذات حدود واضحة نوعا ما ، وخواصّ تميزها مما يجرى معها أو حولها فى السوق اللغوية .

يرى بعضهم أن الخروج من هذا المأزق ( إن كان مأزقا فى نظرهم ) يكمن فى الاهتداء باللغة المكتوبة والأخذ بها واعتمادها لغةً عربية عامة ، تجمع القوم على لسان واحد . فهذه اللغة الموظفة فى أعمال كبار المفكرين والمثقفين وذوى الاهتمام اللغوى الخاص لغةً عربية صحيحة فصيحة ، وإن كانت قد طوّرت لنفسها أنماطاً من الأساليب جديدة ، وسمحت لبعض الألفاظ والصيغ بالانضمام إلى ثروتها ، كى تسدّ نقصاً ، وتتواءمَ مع ظروف الحياة المتجددة . وهذا التجديد وتلك الإضافة لا يخرجان بها عن دائرة القبول ولا يبعدان بها بُعداً ملحوظا عن جملة القواعد والقوانين المستقرة والمتعارف عليها فى فصحانا الأصيلة .

وهذا الزعم - فى رأينا - وإن كان يعرض نفسه بصورة جذابة ، تنقصه الدقة فى النظر ، وعدمُ التعمق فيما يلفُّه من مشكلات تُفسِد فاعليته ، وتقف فى طريق تطبيقه والأخذ به ، وذلك لأسباب كثيرة ، أهمها :

١ - الاعتماد على اللغة المكتوبة وحدها أو جعلُها المحور أو المنطلق الوحيد لإصلاح المسار اللغوى العربى ، ليس الطريق الأمثل فى حالتنا نحن العرب ، وذلك لشيوع الأمّية بين ظهرانتينا إن الأميين ( وهم الأغلبية فيما أظن ) سوف يُحرمون من هذا السبيل ، وسوف يبقَون حيث هم ، بل ربما أدّى ذلك إلى عزلهم لغويا وتوسيع الشقة بينهم وبين مواطنيهم من الذين أتيحت له فرص الإفادة من اللغة المكتوبة .

هذا ، إلى أن لدينا نوعا آخر من الأمّية وهى الأمية الثقافية التى تعنى - فى بعض جوانبها - عدمَ الاهتمام بالقراءة أو العمل على تجويد المحصول الثقافى واللغوى ، وإن كان أهل هذه الفئة يعرفون أو يجيدون القراءة

والكتابة نظريا . إننا - كما يقال أحيانا - نسمع ولا نقرأ : نتلقى معارفنا وخبرتنا وثقافتنا من الكلمة المنطوقة فى الأساس .

٢ - اللغة المكتوبة ليست لغة بالمعنى العلمى الدقيق . إنها تصوير ناقص للكلام المنطوق المملوء بالصدق والحيوية والمنتظم لخواصّ صوتية إلقائية تزيده فعالية وتأثيرا وتعبيرا . واللغة المكتوبة - فوق هذا وذاك - لغة فيها تكلف واصطناع : يسجل الرجل كلامه ويعود إليه مرة ومرات للمراجعة والتحسين والتجويد .

ويرى دارسون آخرون أن علاج مشكلتنا اللغوية يكمن فى الاعتراف بالواقع ، والأخذ بما سمّوه " اللسان الدارج أو اللغة الدارجة " . ولم يقدموا لنا تحديدا علميا دقيقا لهذا المصطلح ومرادفه ، واكتفوا بالإشارة إلى نسبة الشيوع والتوظيف العام فى المجتمع العربى . " فاللغة الدارجة " أكثر شيوعا وأوسع استخداما عند العامة والخاصة على سواء . وهى بهذه السمة تصلح أساساً للعمل اللغوى الذى يهدف إلى الوصول إلى صيغة لغوية مشتركة تجمع الناس على لسان واحد ، أو تناسق الوحدات والمكونات إلى حّد ظاهر فى كل البيئات العربية .

وأكبر الظن أنهم يقصدون باللسان الدارج تلك اللغة ( المنطوقة فى الأساس ) التى تأخذ بنصيب من الفصحى ومن العاميّات البيئية والحرفية والمهنية بنصيب أو أنصبة أخرى . إنها فى نظرهم هيكل وسط بين الفصحى ، كما نعرفها ، واللهجات والرطانات المختلفة .

ويقدم هؤلاء لدعوتهم هذه مجموعة من الأسباب والعوامل التى تقوى من زعمهم أو تسوّغة ، من ذلك مثلا :

١ - أن اللغة الدارجة لغةٌ مهمة فى المجتمع العربى ، بدليل اعتناء بعض الجهات العلمية بها ، كما يظهر ذلك فى وضع قواميسَ لها ومحاولة ضبطها بالتقعيد النحوى والأملائى لها .

وقد ظهرت فى ذلك كلهٌ أعمال دراسية منّوعة بقصد تعليمها واستيعاب قواعدها .

٢ - الدارجة يستخدمها المسئولون فى أحاديثهم الرسمية ، كما يوظفها رجال التمثيل السياسى كأعضاء مجالس الشعب أو الأمة أو نحو ذلك من التجمّعات المسئولة عن الجماهير ومصالحها . نعم ، قد تشوبها الأخطاء والهنات اللغوية ، ولكن ذلك يمكن

التغلب عليه بالخبرة ومرور الزمن أو بالتنبيه والإرشاد .

٣ - الدارجة امتداد للفصحى ومتفرعة عنها ، واستقرت لغةً معترفا بها فى أهم وسائل الإعلام والتثقيف العام كالإذاعة والتليفزيون .

٤ - الدارجة لها نوع من الاستقلال ولها كيان معروف ، وهى تحظى بالتقدير والاحترام . إنها لغة صحيحة وإن كان ينقصها التهذيب والتجويد .

٥ - لا نستطيع أولا تستطيع الجماهير مجاراة الفصحى وتوظيفها فى حياتهم العامة والخاصة . إن الجماهير لا تألفها ، ولا تستوعبها فى الأغلب الأعم بدليل أن كثيرا من الناس يغلقون جهاز الراديو أو التليفزيون عند البّث بها . وينطق هذا بوجه خاص على الشباب وبعض المثقفين .

ويقرر هؤلاء أن الفصحى لغة جامدة ، وما كان لها من حياة إلا بفضل القرآن الكريم .

٦ - الأخذ باللغة الدارجة والاعتراف بها وتوظيفها لغة عامة فى المجتمع العربى يغنينا عن الالتفاف نحو اللهجات العامية التى نادى - وينادى - بعضهم بأهميتها ووجوب التوجّه نحوها ، وجعلها رافدا من روافد التوظيف اللغوى .

فهذه اللهجات كثيرة كثرة بالغة تجعل من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - توحيدها أو تقريب الشقة بين أطرافها المتعددة بحيث تصبح أو تُؤَهّل لأن تكون لغة عامة . هذا إلى أن اللهجات العامية لا تخضع للكتابة عادة ولا تحمل ثقافة قومية ذاتَ بال .

هذا الرأى الزاعم بأحقية اللسان الدارج بالتوظيف اللغوى العام وجعله منطلق التوحيد اللغوى أو أساسَ بناء الهويّة اللغوية ، رأى - هو الآخر - يتّسم بسطحية النظرة ويبعد بنا عن الهدف القومى المنشود .

ذلك أن اللسان الدارج ( أو اللغة الدارجة ) - على الرغم من عجزهم عن تحديد مفهومه بدقة - ما زال هو الآخر مشوباً بشىء من الخلط والاضطراب فى حقائقه وظواهره : فبعض من هنا وأبعاض من هناك . نعم ، إنه فى بعض حالاته ينتظم مكّونات وظواهر فصيحةً بصورة ما ، ولكنه فى الأغلب الأعم ينزع إلى اللهجات العامية يستقى منها شيئا غير قليل من مادته وأساليبه . هذا بالإضافة إلى أن ظواهره الفصيحة ( إن عُدّت كذلك بحق ) مشحونةٌ

بالأخطاء واللحون ، الخارجة عن قواعد العربية وضوابطها المقررة . إن هذا اللسان فى كثير من حالاته لا يراعى قواعد الإعراب أو يخلط بينها ويشوّه نظامها . وكذلك تأتى قواعد نظْمه والتعليق بين مكوناته على وجه غريب غير مألوف فى العربية الفصيحة ، كما يعرفها الثقات من الدارسين . وذلك مّرده إلى الجهل بعربية العرب أو إلى التغريب اللغوى الناتج عن التأثر باللغات والثقافات الأجنبية .

والقول بأن اللغة الدارجة لها وزن خاص فى عصرنا هذا ، بدليل اهتمام بعض الجهات العلمية بها قول ساذج ، تنقصه الحقيقة الواقعة . وهى أن هذه الجهات العلمية التى يشيرون إليها إما جهات أجنبية ( كالجامعة الأمريكية بالقاهرة ) أو جهات أخرى تُعنى باللسان الدارج لهدف خاص مؤقت وهذه الجهات كلها تُعنى باللسان الدارج بصورة ما ، لا بوصفه اللسان العربّى العامّ ، وإنما بقصد التيسير والتسهيل على الدارسين (وكلهم من الأجانب على ما نعلم) فى التعامل اليومى فى الشارع العربى ، وفاءً بحاجات هؤلاء الدارسين فى قضاء مصالحهم الموقوتة من تجارة أو حرفة أو صنعة أو زيارة خاطفة أو سياحة .. الخ .

أما ادعاؤهم أهمية اللسان الدارج بسبب توظيف المسئولين وممثلى الجماهير فى المؤسسات والتجمعات القومية له فهو ادعاء مغلوط ، لان هؤلاء المسئولين والممثلين الرسميين للشعوب ليسوا حجةً فى الحقل اللغوى ولا ينتظر منهم أن يكونوا كذلك ، ولم يكونوا فى يوم من الأيام فى أية لغة على وجه الأرض موردا من موارد جمع اللغة أو مصدرا من مصادرها . إنهم يحاولون وتارة يصيبون وأخرى يخطئون ، شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من المثقفين غير المتخصصين . والمسئولية أو القيادة الجماهيرية لا تعنى بحال القيادة اللغوية .

واتخاذ الإذاعة ( بوسيلتيها الراديو والتليفزيون ) اللغة الدارجة وسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير لا يعنى تفوق هذه اللغة أو أحقيتها بقيادة المسيرة اللغوية . إن الإذاعة – شأنها فى ذلك شأن المواقع الاتصالية الأخرى – تخلط فى وسائلها التعبيرية ، ولسانها الدارج ما زال مملوءا بالاضطراب ومحشّوا بالخطأ والتحريف فى جانبه المزعوم بالفصيح .

والنغمة السائدة بين بعض غير العارفين من المثقفين وغيرهم بأنهم لا يستطيعون مجاراة

الفصحى لجمودها وبعدِها ( أو بُعد بعض أساليبها ) عن الوفاء بحاجات المجتمع فى وقتنا الحاضر نغمةٌ ينقصها الوعى بأسرار اللغة وطبيعتها . العربية فى ذاتها لم تُجمد وإنما جَمّدها أهلوها بعزلها عن التعامل الحى ، وحرمانها من التوظيف العام فى مجالات العلم والثقافة . إنّ اللغة – أية لغة – ترتبط أشدّ ارتباط وأوثقه بالمجتمع الذى تعيش فيه تنمو بنموّه ، وتجمد بجمود معارفه وثقافته وفكره ، وتغدو هيكلا لا حياة فيه بفقدان طاقة الإبداع والابتكار فى هذا المجتمع .

يتبين لنا من هذا كله أن الدعوة إلى توظيف اللغة الدارجة توظيفا قوميا وحسبانها لغة العرب العامّة دعوة تحمل فى طيّاتها ما ينقضُها ، ويجعلُها غير ذات موضوع .

ويكفى أن نوجّه سؤلاً إلى الداعين إلى هذا الطريق ، فنقول : أىّ لسان دارج فى الوطن العربى نؤثره ونلتف حوله ؟ ألم يدركوا أن اللسان الدارج فى وطننا العربى متعدّدُ الأشكال والألوان ؟ ما السبيل إذن إلى الخلوص من هذا المازق ؟ عليهم أن يجيبوا ، وما هم بمستطيعين .

ويبالغ فريق ثالث ويهمس فى السر أو ينادى فى الجهر بصلاحّية اللهجات العاميّة وترشيحها للتوظيف اللغوى العام المنطوق والمكتوب على سواء . ومن حججهم التى ألقْوا بها لتسويغ وجهة نظرهم ما يلى :

١ – اللهجات أقرب منالاً وأسهل توظيفا عند الجماهير ، وهى تمثل الألسنة الحّية الطبيعية المملوءة بالحيوية والصدق فى التعبير عند أصحابها ، وهم يمثلون الأغلبية الساحقة من المجتمع العربى .

٢ – إنها واسعة الانتشار ، بحيث أصبحت تسيطر على السوق اللغوية وتنفذ إلى كل المجالات ، العام منها والخاص على سواء . وهي بهذا اكتسبت من الاستقرار والتمكن ما يرشحها للاعتراف بها وإيثارها على مستويات الكلام الأخرى ، وهى مستويات يصعب الأخذ بها ، إما لصعوبتها وهى اللغة الفصحى ، وإما لبعدها عن عامّة القوم ، وهى اللغة المكتوبة .

٣ – اللهجات – وإن اختلفت فيما بينها فى بعض ظواهرها – تشكل فى مجموعها هيكلا عاما ، يشبه أن يكون لسانا مشتركا أو لغة دارجة .

٤ – اللهجات وجدت وتوجد فى كل مكان

وزمان . وقد وجّه علماء العربية فى القديم جهودهم نحوها ، فنظروا فيها ودرسوها بصورة من الصور ، وأشاروا إلى كثير من قواعدها وضوابطها ، وربما أخذوا ببعضها ، اعترافاً بأهميتها وشرعيتها .

وهذا الزعم بصلاحيّة اللهجات العاميّة للتوظيف العام زعْم مرفوض ، لامن الوجهة القومية فحسب ، بل من الناحية العملية كذلك . ذلك أن هذه اللهجات فائقة الحصر والعدّ ؛ فهى متعددة منوّعة بتنوع البيئات والثقافات والحرف والصنائع والمهن . فالأخذ بها أخذ بشتات من الألسن التى قد تصبح إن عاجلا وإن آجلاً لغات مستقلة لها كيانها الخاص ، شأنها فى ذلك شأن اللغة اللاتينية التى تفرّعت – لأسباب مختلفة – فى فترة من الزمن إلى بضع لغات معروفة مشهورة ، منها الإيطالية والفرنسية والأسبانية ... الخ

وهذا التفرق أو التنوع يؤدى فى سياقنا العربى إلى أمرين خطيرين ، ليس لنا قدرة على مواجتهما أو قبولهما بحال . فهذا الوضع من شأنه أولا أن يهدد القومية العربية التى نسعى جاهدين إلى تأكيدها وتثبيت أركانها ، وهو – ثانيا – يقضى على لغتنا الفصحى أو يعزلها عزلا تاما ويحيلها إلى مجرد أثر تاريخى عفّى عليه الزمن . وفى هذا ما فيه من النّيل بديننا وقيمنا ومبادئنا .

هذا بالإضافة إلى أن القول بأن هذه اللهجات تنتظم من الظواهر المشتركة ما يرشحها لأن تصبح لساناً دارجا عاما قول مبالغ فيه من الناحية العملية . إن وجوه الافتراق والاختلاف بينها كثيرة عميقة ، تجعل من الصعب – إن لم يكن من المستحيل – تطويعها وتهذيبَ أطرافها وتقريبها بعضها من بعض بحيث تصَبح لساناً عامّا بين القوم أجمعين .

إن سهولة التعامل باللهجات وسعة انتشارها لا يعنى أهليتها لهذا الدور المزعوم . فما كانت السهولة وسعة الانتشار من الأمور المسوغة لتبنّى الأشياء ، إذا عارضت هدفاً قوميا ، أو حالت دون تحقيق قيمة وطنية ، تتمثل – فى حالتنا هذه – فى الظفر بوحدة لغوية تستتبع وحدة الثقافة وتقريب وجهات النظر والرؤى .

لا ننكر وجود اللهجات ولا ننكر أداءها لأدوارها فى بيئاتها الضيّقة وهى بهذا الوصف لا تعدو أن تكون مستويات لغوية

خاصة أو لهجات محليّة ، ليست لها صفة العموم ولا تصلح - منفردة أو مجتمعة - لأن تكون اللسان القوميّ العام الذى نناقش مشكلاته فى بحثنا هذا ، والذى نحاول رسم السبل للوصول إليه بوصفه هدفنا المنشود .

وهذا الذى قررنا من الاعتراف بوجود اللهجات هو الذى جرّ علماء العربية فى القديم إلى النظر أحيانا فى اللهجات ( أو ما سمّوه باللغات ) . كان هذا النظر فيها لا بوصفها تمثل اللغة المشتركة أو الفصحى ، وإنما كانوا يعمدون إليها من وقت إلى آخر ، لأسباب معروفة مشهورة ، أهمها الرجوع إليها لتفسير ظاهرة وردت على لسان بعضهم لا تتمشى مع القواعد العامة للفصحى ، أو لبيان أن هذه الظاهرة أو تلك تخرج عن ضوابط الفصحى ، فلا يعتدّ بها إلا فى بيئتها الخاصة بها ، أو لتحديد هوية هذه الظاهرة ونسبتها إلى لهجة معيّنة . وقول ابن جنى فى خصائصه " ولغات العرب كلها حجة " ( ويعنى بها اللهجات ) لا يخرج فى مضمونه عما ذكرنا ، وهو أن هذه اللهجات ( أو اللغات بحسب عبارته ) تستشار أحيانا لتفسير ظاهرة غير مطردة فى الفصحى ، أو لبيان هُويتها ، أو - فى أحسن تقدير - لبيان صحتها وشرعيتها ، وإن كان ذلك فى بيئتها الخاصة ، وهى بيئة عربية يمكن الائتناس بكلامها عند الحاجة ولا يعنى هذا القول بحال فرض هذه اللهجات أو النّصح باتخاذها لسانا عربيا عاما . والتعبيرُ بصيغة الجمع ( لغات أو لهجات ) ينفى إرادته هذا الاحتمال .

* * *

يتبين من كل ماسبق أننا مازلنا نلتمس الطريق الصحيح إلى مستوى لغوى موحّد أو لسان مشترك ينتظم العناصر الأساسية والقواعد الجوهرية التى نشكل منه بناءً عربيا متكاملاً خالياً من التنافر والاضطراب ، ويخلصنا من فوضى التفرق والتشعب المتمثل فى اللهجات العامية أو فيما يُدعى باللسان الدارج ، أو ما يقتصر توظيفه على فئة دون أخرى ، كما هو الحال بالنسبة للغة المكتوبة التى تقابل حاجة المثقفين أو خاصتهم ، وهم قلة فى العدد بالنسبة للجماهير العريضة الواسعة الانتشار الفائقة الحصر .

والسبيل إلى هذا المستوى اللغوى الموّحد ، أو بالأحرى ، إلى لسان عام مشترك يتسم بالتجانس والتكامل ، ويبعد -قدر الإمكان-

عن فوضى اللهجات وتعدّد الرطانات ، سبيل صعب معقّد ، لا يمكن اجتيازه بالآمال والأحلام ، ولا يمكن السير فيه إلا بأتخاذ العُدد والأدوات التى تمهد جوانبه وتُسْلمنا إلى غاياته .

الوسائل أو الأدوات التى من شأنها أن تأخذ بيدنا نحو هذه الغايات كثيرة متنوعة ، ولكنها – فى رأينا – تنحصر فى وسيلتين اثنتين تنتظمان بطبيعتهما كل الوسائل أو العوامل التى لها سبب مباشر أو غير مباشر بالإصلاح اللغوى

أما الوسيلة الأولى ( وهى ليست محلّ البحث التفصيلى هنا ) فتتمثل فى العود إلى الفصحى واتخاذها منطلقا وأساسا للبناء . فالفصحى – قديمها وحديثها – لها وجودها ولها مواقعها ، وإن عزّ التعامل بها أحيانا فى حياتنا العامة والخاصة . والاهتمام بالفصحى لا يعنىَ تلقينَ قواعدها ، منعزلةً عن مادتها ، كما يجرى العمل فى معاهد العلم اليوم . وإنما يعنى الاعتناءَ بكل العوامل والجوانب التى تعمل على تحريكها وإفساح الطريق أمامها . فهناك مادتها التى ينبغى أن تختار نصوصها ونماذجها وفقا لقواعد التدرج من السهل إلى الصعب ، وهناك معلّمها وطلابها ، وهناك مناهجها وطرائق أدائها . وهناك أخيراً وليس آخرا ما نحَسبه أهمّ وسيلة لتطويعها وجعلها مألوفة مأنوسة ، وهو محاولة توظيفها نطقا وأداءً حّيا . وهنا يأتى دور وسائل الإعلام المنطوقة ، وما شابهها من مجالات ، كالنوادى الثقافية والجماعات الخطابية فى دور التعليم ، والمحاضرات والندوات العلمية ، وما إلى ذلك من كل تجمع أو ظرف يجرى فيه التعامل باللسان الحىّ المنطوق ، كالتمثيليات والمسرحيات والأغانى ... الخ

ويأتى على القمة من ذلك كلة العودُ إلى كتاب الله وجعله نقطة البدء فى التجويد اللغوى ، بحفظه ودراسته ، واتخاذه أساس البناء اللغوى العربى .

وربما يَدْعَم هذا الاتجاه الآخذ بالفصحى منطلقا للعمل ويقوّيه أن نسمح بالتقاط بعض الألفاظ والعبارات والأساليب التى توظفّ فى اللغة الدارجة العامة أو بعض اللهجات ، ولها قيمٌ تعبيرية خاصة ترشحها للاقتراض ؛ كأن تكون صحيحة فصيحة ، أو أداةً للتعبير عن معانٍ مستحدثة أو مفهومات جديدة ، اقتضتها ظروف الحياة المتطورة وحاجاتُ العلم

والفكر فى صورتهما الديناميكية .

وليس يغرب عن بالنا أن اللغة الدارجة واللهجات العامية تنتظم قدراً ملحوظا من المادّة اللغوية الصالحة للتعامل الفصيح ، وإن كانت غيرَ واضحة الحدود والمعالم لتشابكها مع أنماط أخرى من الكلام أو الأساليب التى انحرفت بصورة أو بأخرى عن معايير القبول من وجهة نظر خاصة .

هذا الأخذ المشروط من اللسان الدارج واللهجات له مردود عمليّ مباشر ، إذ من شأنه أن يقرّب بين الألسن المختلفة ، ويأخذ بيد العامة وأنصاف المثقفين ويشجعَهم على التماس اللسان الفصيح والتعامل به ، وإن بالتدريج .

وتأتى الوسيلة الثانية للظفر بلسان عربى فصيح متكامل الأطراف والجنبات مكمّلةً للوسيلة الأولى ومصاحبةً لها . ونعنى بهذه الوسيلة الثانية النظرَ فى بنائنا الثقافى ، بالعمل على تجويده وتعميقه وتخليصه من شوائبه الممثلة فى تفككه وعدم الانسجام بين وحداته وأنماطه المتباينة .

ومعلوم أن الثقافة لها دورها البارز فى البناء اللغوى ، سلباً وإيجاباً وقوة وضعفا فالتكامل الثقافى سبيل من سبل التكامل اللغوى ، والعكس صحيح .

وبناؤنا الثقافى - كما نعلم - بناء فاقدا الهوية ، مملوء بأخلاط وأمشاج من المستويات والأنماط المتنافرة ، بل المتناقضة أحيانا . وإذا كنا قد استطعنا أن نحدد - نوع تحديد - المستويات اللغوية التى يجرى التعامل بها فى وطننا العربى الكبير ، فإن تحديد مستوياتنا الثقافية أمر بالغ الصعوبة والتعقيد . ذلك أن ليست لدينا دراسات ترشدنا بصورة يعتمد عليها إلى هذا التحديد ، وإلى وضع شىء من الخطوط التى تميز مستوىً ثقافيا من آخر . هذا بالإضافة إلى أن روافد الثقافة فى أى مجتمع كثيرة متنوعة ، وقابلةٌ للتغيّر والتبدل أحيانا بسرعة ملحوظة . إن هذه الروافد موجودة ، ولكنها أشبه بالأمواج نلحظها ونشاهدها ، ولكننا لا ندرى من أين بدأت هذه الموجة أو تلك أو إلى أين تنتهى . ولكنا هنا أيضا - وبضرب من التجوّز الشديد كذلك - نستطيع أن نقول إن فى مجتمعنا العربى فى عمومه ما يمكن أن يسمى ثقافةَ العامة وثقافةَ الخاصة ، ولكل من القسيمين فروع أو نماذجُ مختلفة ، نلمسها - فى أقل تقدير - فى

السلوك الثقافى الواقع من الفرد أو الأفراد فى البيئة المعينة أو الظرف المعيّن .

وفى السبعينيات والثمانينيات من هذا القرن جدّت أحداث اجتماعية واقتصادية أمدّت هذا البناء المهزوزَ الاركان بروافدَ أخرىَ خارجيةٍ وداخليةٍ شوّهت هيكله وصبغته بألوان ثقافيّة متنافرة .

ويكفى أن نشير هنا إلى آثار العوامل الاقتصادية الطارئة وما ارتبط بها من تغيّر فى البناء الاجتماعى ، بوصف هذه العواملِ المحرّكَ الأساسىّ لهذه الموجات من الثقافات وأنماط السلوك غير المعهودة وغير المقبولة فى آن معاً .

كان الوضع الاقتصادى المضطرب فى بعض البلاد العربية بمردودة الاجتماعى الخطير ، وكان النفط فى بلاد الخليج بمردوده المادى الوفير . دفع هذان العاملان بأهليهما نحو الانشغال بالمادة والكسب السريع ، مضحين فى ذلك بشىء غير يسير من القيم والأعراف العربية التى كنا ننعم بها فى جو يملؤه الحب والتعاطف وتتّوجهُ فكرةُ الانتماء إلى الجماعة وإلى العروبة بمعناها الأصيل .

اتخذ التسابق نحو جمع المادة وإنفاقها أيضا طرائق عدة ، نشير إلى اثنين منها فى هذا المقام بوجه خاص ، بوصفهما نقطتى الانطلاق اللتين تفرعت عنهما وتولدت منهما سائر السبل الأخرى التى تنشد الغاية ذاتها .

يتمثل الطريق الأول فى طوفان الهجرة الداخلية والخارجية . ففى مصر مثلا ، كانت الهجرة من القرية إلى المدينة ومن كلتيهما إلى دول الخليج ، طمعاً فى حياة أرغد وعيش أنعم وسبيل للكسب أسهل مجهودا وأكثر مَردوداً . واستقبل الإخوة فى بلاد الخليج الناعمون بخير الله وفضله جحافلَ العاملين من كل حَدَب وصْوب ، واعتادوا أو اعتاد الكثيرون منهم على شدّ الرحال من وقت إلى آخر إلى بلاد أخرى غير بلادهم ، عربيةٍ أو أجنبية ، طلبا للراحة أو النزهة أو استثمار الأموال والتجارة وعقد الصفقات ، وما إلى ذلك من أهداف ، تسمح أوضاعُهم الاقتصادية بتحقيقها دون عناء أو مجهود يُذكر . وقد تتكرر هذه الرحلات الخارجية فى أوقات متلاحقة وقد تطول أو تقصر .

هذه الهجرات الداخلية والخارجية للقبيلين ( المصرى والخليجى ) كان لها أثرها فى ظهور ثقافات وأنماط سلوك باهتة مشحونة بالخلط

والاضطراب . فالجامعون للمال - أو بعضهم - لا يحسنون توظيفه ويعودون إلى بلادهم مُثقلين بعادات استهلاكية غير معهودة : ينفقون المال ذات اليمين وذات الشمال ويغدقون بلا حساب على أهليهم وأزواجهم القاعدين هناك والمحرومين من دفء الصحبة والعشْرة الأسرية ، حيث تركوهم نهباً للوحدة والضياع ، وحيث عرّضوهم لمسالك الشرّ ومسارب الإحباط .

والمنفقون للمال العربى فى غير أوطانهم يعودون منها وقد جفت جيوبهم وحملوا معهم قدرا غير يسير من الأفكار والعادات التى لا تنسجم فى قليل أو كثير مع ما أستقرّ فى بلادهم وما تعارف عليه أهلوهم من مبادىء وقيم .

هذا المنهج غيرُ الراشد فى التعامل مع المال أو الثروة أحدث شيئا من الفوضى فى التعامل مع الحياة وشيئا من التجاوز فى السلوك الاجتماعى ، وأصبحت المادة معياراً لأقدار الناس ومواقعهم فى البناء الاجتماعى ، الأمر الذى جرّ الجماهير المحرومة من إحدى الحسنيين أو كلتيهما إلى صحوة مفاجئة محمومة ، وأخذوا يفركون أعينهم ويهرشون أدمغتهم : ماذا يفعلون ؟

وكان الطريق الثانى إلى الكسب المادىّ السريع ، المتمثل فيما نسمية « بالتطلّع » . لم يكن ثمة وقت عند القاعدين من هذه الجماهير للتفكير أو الإعداد المناسب للوصول إلى غاياتهم . فقطار المال ينهب الأرض بأصحابه نهبا بسرعة مذهلة ، تعجزهم عن الانضمام إلى ركّابه أو اللّحاق بهم ، إن لم يقفزوا إليه قفزا وليكن ما يكون .

وكان لهم ما أرادوا : قفزوا إلى كل موقع يمكن أن يُمدُّهم بالطاقة التى تجرهم على وجوههم أو تدفع بهم من ظهورهم للحّاق بالقطار المزمجز بلا هوادة أو رحمة . انتشروا هنا وهناك وكانت الفرصة مواتية لظهور فئات من الناس تصيد المال من بحر الفوضى والتسيب وتجْمعهُ : ظهر التجار الجدُد ورجال الأعمال والمقاولات والحِرفيون وأصحاب المهن والصنائع ، والخارجون على القانون والأعراف من المتعاملين بالمخّدرات والمحرمات بيعا وشراء وتعاطيا وإدمانا ، والمعتدين على المال العام والخاص ، ومن الأفّاقين والنصابين ، وما إلى ذلك من فئات أو طبقات تتطلع بنهمٍ وشراهة إلى وضع مادّى يرْفعهم من وهدتهم ويأخذ بيدهم إلى مصافّ المحظوظين .

ولم تستطع فى الوقت نفسه فئات قليلة من الجماهير أن تجارىَ هؤلاء أو أولئك فى منهجهم ذاك الخطير . فانكفئوا على أنفسهم وانعزلوا عن المجتمع وما يجرى فيه من خير وشرّ . وأصابت بعضهم ردة فى الفكر والاتجاه فاتخذوا التعصب مبدأً والتحجر منهجا .

وبقيت فئة ثالثة تندبُ حظها ، لا حول لها ولا طول ، فهى لا تدرى ماذا تفعل فى هذه السوق الهائجة المائجة ، ووقفوا حيث هم فى حيرة من أمرهم ، فهم لا إلى هؤلاء أو أولئك يُنسبون ، ولا هم أيضا بمستطعين الانضمام إلى أىّ من الفريقين أو الفرقاء .

وقد أفرزتْ هذه الفوضى الاقتصادية وتولدت عنها فوضى ثقافية أجتماعية أشدُّ خطرا وأعنفُ فتْكا . وظهر جيل من الشباب ( وانخرط معهم بعض شيوخ الشباب أو شباب الشيوخ ) موزّعَ الخاطر ، مشتّت الفكر ، مذبذب السلوك ، مشدوداً بحكم الفراغ والجدة إلى مراتع الهلكة ومواقع الجنوح والتجاوز ، حتى انفرط عِقْد الانتماء ، وانقطع حبل الوصل بينهم وبين شىء غير قليل من عادات قومهم وتقاليدهم الأصيلة الطيبة .

ونزل الفنانون إلى هذه السوق المتشابكة الأطراف ، قصداً منهم ( كما يّدعون ) إلى فضّ الاشتباك وتعيين المواقع وتحديد المنازل والأقدار ، بتقديم تجسيد حىّ لهذه الفوضى ، علّ الناس يدركون مأساتهم ويلمسون عن قرب ذلك المأزق الثقافى الاجتماعى الذى وقعوا فيه ، فيعودوا إلى رشدهم ويحاولوا ترتيب البيت من جديد .

ولكن خاب ظنهم ( وظننا معهم ) إذ جاءت بعض أعمالهم الفنية ( من أفلام وتمثيليات ومسرحيات ) عاجزةً عن الوفاء بغاياتها ، بل غدتْ هى الأخرى رافدا من روافد التلوّث الثقافى ، ومنطلقا جديدا لمسيرة الانهيار الاجتماعى .وقد وقعت بعض وسائل الإعلام ( وبخاصة التلفزيون ) فى هذه الورطة ، باستقاء مادتها من هذه الأعمال الفنية التى أخطأت طريقها إلى غاياتها المنشودة ، إن كان لدى هؤلاء أو أولئك مثلُ هذه الغايات .

واقتحم ( الفيديو ) السوق الاجتماعية ، بل البيوت الهادئة الوادعة ، فملأها صخبا وضجيجا ، وعلا صوته ، لتنوعّ مادته وما تنتظمه من جاذبية وإغراء . فاختلط الحابل بالنابل ، وتشابك الفن الرفيع بالفن الوضيع ،

وامتلأت النفوس بشتات من الثقافات وألوان من السلوك الجانح ، حتى غابت عن الوعى وانطلقت فى تصرفاتها على غير هدى .

وجاء الكمبيوتر ( أو الحاسوب ) المنزلى ، وما أظنه خاتمة المطاف . ووُظِّفتْ هذه الآلة أسوأ توظيف ، إذا ركَزّتْ أو ركّز مروّجوها على تقديم مواد التسلية وقتل الوقت وتزْجية الفراغ ، فى حين أن هذا الجهاز السحرى يحُسب فى نظرنا من أهم وسائل التثقيف والتربية والتعليم ، وبخاصة فى مجتمع هو فى أشدّ الحاجة إلى توظيف هذا الجهاز توظيفا راشدا عاقلا .

هذا التلوث الثقافى الذى أصبْنا به فى السنوات الأخيرة كان له أثرُه الواضح فى التلوث اللغوى الذى ندركه جميعا على كل المستويات الاجتماعية واللغوية . ظهرت على السطح ألفاظ جارحة ، وعبارات جانحة ، وأساليب جامحة . ولم يعُد توظيفها مقصوراً على أصحابها من الفئات الجديدة التى ملأت حياتنا بغُبار التجاوز والشذوذ فى الأجواء الاجتماعية والثقافية ، بل تعدى هذا التوظيف حدوده وتسلّل إلى مختلف الألسن ومختلف الطبقات .

هذا التسلّل اللغوى استفحل أمره وقوى شأنه ، حتى نَفَذ إلى أفئدة الناشئة وأصبحوا يردّدون أمثلته ويحاكون أنماطه ، وغدتْ مادّتهُ كما لو كانت مكوناً مهما من مكّونات بنائنا اللغوى العربى . تسمع هذه المادة اللغوية ( وربما ترددها ) فى كل سياق ومقام ، ولكنا هنا لا نستطيع حصر هذه المادة أو الكشف عنها كشْفا دقيقا ، كما لا نستطيع تحديد سياقاتها وبيئات توظيفها تحديداً ينبىء عن طبيعتها وخطوط توزيعها على طبقات المجتمع وفئاته . فذلك أمر يحتاج إلى بحوث منوّعة مستفيضة يتحمل مسئوليتها مجموعات من رجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والجغرافيا والثقافة واللغة .

ويكفى فى هذا المقام أن نخصّ بالذكر بعضا من المجالات التى لها سعةٌ من الانتشار غيرُ منكورة وصلاتٌ قريبة من الجماهير العريضة مذكورة . جاءت بعض الأعمال الفنية من أفلام ومسرحيات ... الخ محشوّة بالألفاظ والعبارات الهابطة مبنىً ومعنىً ، ونزلت بأسلوب الأداء اللغوى إلى درجة ملحوظة من الإسفاف والاستخفاف . وكذلك كانت الأغانى الجديدة ، بل وردت كلماتُها أشدّ نُكرا ،

وأبعدَ نُبُوّاً وأكثرشذوذا . وإنما كان هذا الأسلوب فى تأليفها ظنّا من مروّجيها أنها بهذا النهج ، تُرضى أذواق الطبقات الجديدة من ذوى الصنائع والمهن والحرف الذين أوتوا قدرا من المال موفورا ، وأنها فى هيكلها تناسب الهيكل الاجتماعى السائد الطافح بألوان من الثقافات المتباينة .

وهذه الأغانى ( وهى فى حاجة إلى دراسة مستقلة ) لها دورها الخطير فى توجيه الناس واكتسابهم ضروباً من أنماط السلوك وألوانا من الفكْر ناشزة نشوزَ كلمات الأغنيات ذاتها . فالأغنية ( أية أغنية ) كما نعلم من أهم وسائل توصيل الرسالة ، وهى أعمق هذه الوسائل تأثيرا ، وأشُدها وقْعًا فى النفس وأقربُها إلى القبول . ذلك أن الأغنية تمتاز بمجموعة من الخواص الأدائية التى حرمت منها وسائل التوصيل الكلامية الأخرى : فيها الكلمة واللحن والموسيقى والأداء الصوتى الخاص ، وهذه العوامل مجتمعة تشكل وجدان الناس وتنفذ إلى أفئدتهم ، وتلمّسُ أحاسيسهم وتوجّه أفكارهم وطرائق تعاملهم مع الحياة ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرّ . وباختصار شديد ، إن الأغانىّ بمثابة الرسالات الموجّهة الكاشفة : إنها توجّه المجتمع وترسم له خطوط مسيرته وتصرفاته ، وهى فى الوقت نفسه ، تكشف عن عاداته وأعرافه .

وفى هذا المعنى يقول حكيم صينى : " إننى لا أهتم بمن يضعون للناس قوانينهم قدر اهتمامى بمن يكتبون لهم أغانيَهم " . ويؤكد هذا المعنى نفسَه قولُ أرسطو مخاطبا تلميذه الإسكندر الأكبر : " إذا خرجت للحرب وفتحت مدينة ، فاذهب وابحث عن كاتب أغانيها فهو حاكمها " .

وإن ننس لا ننس فى هذا المقام ذِكْرَ مجال آخر من مجالات الاضطراب الثقافى واللغوى فى بيئتنا العربية . درج أهل الخليج العربى منذ سنوات على أستقدام الآلاف المؤلفة من العاملين غير المثقفين وأنصاف المثقفين أو أشباههم من جميع أنحاء المعمورة . وفَد هؤلاء إلى هذه المنطقة يحملون معهم أشتاتاً وأخلاطا من الأفكار والرؤى والاتجاهات ونماذج السلوك ، كما تحركت ألسنتهم بلغات ولهجات ورطانات متباينة ، ليست لها أية صلة بالعربية من قريب أو بعيد . واختلط هؤلاء بأولئك فى جميع مواقع العمل ، بل أشتدّ الاختلاط ، وتسرّب بعض هؤلاء

الوافدين إلى البيوت العربية ، وتولى كثير منهم شئون هذه البيوت وتربية الصغار ورعاية الناشئة .

لسنا ننكر أن هناك مسوّغاً لاستقدام هذه الجحافل من العاملين ، بقصد الاستعانة بهم فى التنمية وتسيير دفة العمل الواسع الجنبات المتنوّع الجهات ، فى منطقة طامحة إلى التقدم والازدهار ، كى يحتل أهلوها موقعا فى ركب الحضارة ، يتناسب مع ما أفاء الله عليهم من نعمةٍ ومنحهم من خير وثراء . ولكنّا هنا نقرّر واقعا ونسجّل ظاهرة ملموسة ، حريّ بنا أن ندرسها ونحللها لنُبدىَ فيها رأيا صالحاً ونتخذ منها موقفاً مدروساً .

ومهما يكن من أمر فليس لأحد أن ينفى ما أشرنا إليه من خلط ثقافى لغوى دخيل على هذه المنطقة الوادعة ، وبخاصة بين الصغار والناشئة . راقبْ هؤلاء وأولئك بحيْدة الدارس المتأمل ، وانظر كيف يتعاملون مع الحياة ، وكيف يرْطنون ويبلبلون بألسنتهم .

* * *

استقرّ لنا بعد كل هذا الذى قدّمنا ما أشرنا إليه فى بدء الكلام من أن بناءنا اللغوى والثقافى بناء ينقصه الانسجام والتكامل ، وأن هذا البناء فى حاجة إلى نظر علمى دقيق شامل ، كى نُصلح من شأنه ونقّومَ أركانه الناشزة النافرة . ولا نزعم أننا أتينا بشئ من سُبل هذا الإصلاح وذاك التقويم ، وإن كانت كلمتنا فى مجملها تنبىء عن بعض من نقاط الانطلاق إلى هذه السُّبل . ولكننا - مع ذلك - نزعم أننا سجلنا واقعا ملموساً وحلّلنا أبعاده وجوانبه ، على ضربٍ من التنبيه والتحذير .

لا ننكر أن بعض الجهات والهيئات والمؤسسات قد تنبهت إلى هذا الموضوع وحاولت محاولاتها فى طرف أو آخر منه ، ولكن كلّ هذه المحاولات أو جلّها جاءت ناقصة أو قاصرة ؛ فلم تجهد نفسها فى التعرّف على جميع أبعاد القضية ولمّ شتاتها ، بوصفها كُلاً متكاملاً ، لا يُغنى جانبٌ منه عن آخر .

فالمجامع اللغوية فى بلادنا العربية تكاد تحصُر عملها فى النظر فى الألفاظ والمصطلحات وما إلى ذلك من حيث تفصيحها أو تعريبُها أو ترجمتُها ، وفى بعض القواعد الثانوية بقصد تسهيلها وتقريبها إلى الناشئة ، ولم تشأ - أو غاب عنها - أن تنظر فى البناء اللغوى العربى بكل مستوياته وتنوعاته ،

حتى تستطيع أن تبدى فيه رأيا على الوجه الذى قدّمنا . ونلحظ كذلك أن هذه المجامع لم تُعر التفاتاً ملحوظا نحو الثقافة ومشكلاتها وعلاقتها الوثيقة بحقل اختصاصها الأول وهو اللغة .

واتخذت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لنفسها اتجاها مضاداً ، إذا ركّزت جهودها على الجانب الثقافى ، واكتفت من الجانب اللغوى بالنظر فى مسائلَ جزئية ، تتمثل أساساً فى حصر المفردات الموظفة فى كتب المراحل الأولى من التعليم ، وفى إصدار معجمها الأخير ( المعجم الأساسى ) . وفى الجانب الثقافى نفسه ، جاء عملها سطحيا لا يمس جوهر موضوعنا فى قليل أو كثير .

أما وزارات الثقافة وما أشبهها من هيئات ومؤسسات فلم ينْجُ جهدها من نقص وقصورٍ ظاهرين فى هذا المجال . فالعمل اللغوى ليس له موقع فى ساحتها ، باستثناء محاولاتها فى تحقيق بعض مخطوطات التراث ونشر بعض المؤلفات ذات الصلة باللغة . وفى الجناح الثقافى ، حصرت هذه الوزارات والهيئات نفسها فى طرف أو آخر منه . فبعض منها وجهّ جل اهتماماته إلى زاوية ضيقة متمثلة فيما سّموه بالفنون من رقصٍ وتمثيل وغناء ، وما إلى ذلك من كل ما له طبيعة التظاهر وإمكانية حشدِ الجماهير . وبعض ثانٍ انصرفت همته ( وهى همّة صحيحة من وجهة النظر الثقافية فى عمومها ) نحو تقديم زادٍ ثقافىّ متنوع ثرىّ ، فى صورة مجلاّت أو كتيبات أو ما أشبه . ولكن هذا الفريق - شأنه شأن الفريق الأول - لم يحاول أن يجمع بين القبيلين ( اللغوى والثقافى ) فى النظر والدرس ، كى نتعرف بصورة علمية صحيحة ، على بنائنا اللغوى والثقافى ، وهو الأمر الذى نزعمه أهمّ وظائفِ هذه الوزارات والهيئات ، إذ هو المنطلق الصحيح لأى نشاط يقع فى دوائرها مهما اختلفت التسميات .

وهناك - على كل حال - جهات أو هيئات أخرى ينبغى الإشارة إلى جهودها فى هذا المجال بوجه خاص . ذلك أنها أدركت هذه المشكلة ووعتْ أطرافها ، وحاولت أن تأتى بشىء ذى بال فى هذا الشأن . فالمدرسة اللغوية الحديثة فى مصر الناهجةُ النهج الاجتماعىّ الأنثروبولوجىّ فى درس اللغة ، كما رسمه مالينوفسكى وفيرث فى لندن ، قد ألمت بطرف مهم من هذه القضية ، إذ ركّزت فى

جزء كبير من بحوثها على النظر فى الهيكل اللغوى العربى ، وحاولت التعرف على مختلف مدارجه ومستوياته مع ربط كل مستوىً ببيئته وسياقه الاجتماعى ، مع الاعتماد فى ذلك كلهِّ على العمل الميدانى الذى يشكّل حجر الأساس فى هذا المنهج . ولكن رجال هذه المدرسة - بحكم اختصاصهم الدقيق - لم يلتفتوا التفاتا يُذكر إلى ما يواكب هذه المدارج والمستويات اللغوية من ثقافات وأنماط سلوك ، ولم يحاولوا فى قليل أو كثير ربط القبيلين بعضهما ببعض .

وثمة جهود أخرى بارزة مشكورة يقوم بها الباحثون فى أقسام علم الاجتماع والأنثروبولوجيا فى مصر ( وبخاصة فى آداب الإسكندرية بقيادة صديقنا العالم الفاضل الدكتور أحمد أبو زيد ) : تتمثل هذه الجهود ( على العكس من جهود المدرسة اللغوية السابقة ) فى النظر العلمىّ الدقيق المبنى على العمل الميدانى الواسع فى البناء الثقافى المصرى ، لاكتشاف تنوعاته ومكوناته ومصادره ، والتعرف على خطوط هذه التنوعات وحدودِ توزيعها ، بحسب البيئة والحرفة والصنعة والمهنة والنوع والسنّ .. الخ .

وهؤلاء الباحثون أيضا - بحكم الاختصاص - لم يُعْنَوْا بالجانب اللغوىّ إلا لماماً ، بقصد التفسير والتوضيح .

وهنا يسوغ لنا أن نقول : ياحبذا لو التقى الجمعان ( جمعُ اللغويين وجمع الاجتماعيين ) ، وانطلق الباحثون هنا وهناك من رؤية موحّدة ، تجمع بين الطرفين اللغوى والثقافى ، لينتهوا إلى غايتنا المنشودة موضوعِ الحديث ، وهو الكشف عن أوضاعنا اللغوية والثقافية بطريق علمى ميدانى صحيح .

وفى مصر أيضا شغلتْ شعبة الثقافة المنبثقة عن المجالس القومية المتخصصة والتى أشرُف بعُضويتها - شغلت هذه الشعبُة نفسها بهذا الموضوع منذ عامين . وما زال العمل قائما ولا يُنتظر الانتهاء منه فى وقت قريب ، نظرا لتنوع أطرافه وتعدد جوانبه المتشابكة المعقّدة . وهذا العمل - وإن كان نظريّا غير معتمدٍ حتى الآن على المسح الميدانى - خُطوةٌ جادّة ثابتة على الطريق الصحيح ، فالتنظير يمثل نقطة الانطلاق إلى كل عمل علمي دقيق ، لتسلمَ له مناهجُه وطرائقُ البحث فيه .

وهكذا نرى أن المحاولات السابقة كلّها يشوب عملَها شىء من النقص والقصور ، إما

لاهتمامها بجانب دون آخر ، وإما لفقدان الرؤية الواضحة لوظائفها أو إهمال المنهج الدقيق فى الدرس والتحليل . وفى رأينا أن هذه الجهود الموزّعة المتناثرة لو تجمعت وتلاقتْ جوانبها بمنهج موحّد مقبول لشكلت لنا أرضيةً صُلبة وانطلاقةً مؤكدة للوصول إلى هدفنا . ولكن يبدو أن الفرقاء يؤثرون العزْلة ، فانصرفوا إلى ذوات أنفسهم أو بيئاتهم الخاصة .

وكان الأمل معقودا على كل حال - على تلك التجمعات العربية الموسومة بمجالس التعاون ، التى كنا نظن أنها نقطة انطلاق فى الطريق الصحيح إلى العمل العربى المشترك المبنىّ ( فيما نأمل ونرجو ) على تخطيط علمّى مدروس ، بهدف الوصول فى نهاية الأمر إلى رؤية عربيّة موحّدة ، أو إلى نوع من التكامل فى البناء العربى ، سياسّيا واقتصاديا وثقافياً . هذا ما كنا نأمله ونرجوه ، ونلحّ فى الأمل والرجاء على المسئولين هنا وهناك أن يمنحوا قضيتنا هذه أولويّة خاصة ، إذ إن اللغة والثقافة هما عماد القومية ، وهما أساس كل نشاط أو عمل أو إنجاز يسعى إلى تأكيد الهُويّة العربية وتحديد ملامحها الخاصة التى تصنع منها كيانا مستقلا منسجمة مكوّناتهُ ومتماسكة جوانبه .

* * *

ونحن من جانبنا ، نقدم لهؤلاء وأولئك ولكل من يهّمه الأمر ويعنيه ، بعضَ الخطوط العريضة أو النقاط التى هى بمثابة الإشارة إلى النظر فى المشكلة من جميع أطرافها وزواياها المتعددة . ونشير قبلا إلى أربعة أمور تتعلق بمنهج الدرس وطرائق إنجازه :

١ - تشكيل فريق عمل من المتخصصين فى علوم اللغة والاجتماع والأنثروبولوجيا والثقافة والإعلام وأصحاب الفكر والرأى . على أن ينتظم هذا الفريقُ أعضاءً من كل البلاد العربية بلا استثناء .

٢ - ينبغى لهذا الفريق أن ينظر فى كل الأعمال التى جرت فى هذا الشأن ، فرديةً كانت أم جماعية ، محلّية أم عامّة .

٣ - الاعتماد على البحث الميدانى فى مختلف البيئات بوصف هذه البيئات المصادرَ الحقيقية للمادة . فالقضايا الجماهيرية لا تُنظر أو تدرس فى الأروقة العلمية أو المكاتب المغلقة ، إلا فى الخطوات النهائية عند تنسيق المادة وتصنيفها وتحليلها والخروج منها

بالنتائج والأحكام العامة .

٤ - ضرورة دعم هذا الفريق سياسيا وماليا .

ونورد بعد بعضَ المجالات التى يمكن أخذُها فى الحسبان ، والتى تشكّل انطلاقة صالحة للعمل ، وهى فى مجموعها تمثل مصادر البحث فى بنائنا الثقافى واللغوى ، وإن كان كل مجال منها يستحق وقفة خاصة .

يجدر بالفريق المشار إليه سابقا أن يتوجه بالبحث والدرس إلى المجالات الآتية ، منفردة أو مجتمعة :

١ - لغة الطفل العربى وثقافته .

٢ - وضع الأم ( والبيت العربى فى عمومه ) لغويا وثقافيا .

٣ - التعليم ومراحله ومناهجه ورجاله .

٤ - لغة الصّحافة ووسائل الإعلام المكتوبة والمنطوقة بوجه خاص .

٥ - لغة الدواوين والمؤسسات ، والأحاديث الرسمّية الموجهة إلى الجماهير .

٦ - أثر اللغات والثقافات الأجنبية فى بنائنا اللغوى والثقافى .

٧ - مسح لغوى ثقافى شامل لفئات المجتمع العربى .

٨ - االكتاب العربى العام ، على مستوياته اللغوى والثقافية .

وفيما يلى بعض التوصيات التى نزعم أنها تمهد الطريق لتجويد لغوى ثقافى عامّ ، من شأنه أن يصل بنا - إن عاجلا أو آجلا - إلى نوع من الانسجام والتناسق فى حياتنا اللغوية والثقافية :

١ - تشجيع الخاصة والعامة على توظيف اللغة العربية الصحيحة نطقا وأداء . فاستعمال الكلام الحىّ المنطوق خير سبيل لاكتساب الخبرة والطاقة اللغوية .

٢ - القدوة الصالحة قولا وفعلا فى الأداء اللغوى والسلوك الثقافى ولا يخدعنا رفعُ الشعارات والكلامُ الأجوف ، دون مواكبة العمل الطيب لهذه الشعارات . وهذه التوصية موجّهةٌ بصفة خاصة ، إلى كلّ من يتولوّن مسئولية القيادة فى مواقعهم ، كرجال الحكم والسياسة والدعاة والمربّين ورجال الجامعات وأولى الرأى والفكر .

٣ - توظيف دُور الثقافة الجماهيرية توظيفا صالحا ، بوضع خطط تثقيفية واضحة المعالم . ويدخل فى هذا الإطار حُسن استغلال النوادى الأدبية والاجتماعية فى هذا الشأن .

٤ – نحن قوم نسمع ولا نقرأ ، ومن ثم ينبغى التشقيفُ عن طريق الحواس ، وأعنى بذلك السمَع والبصر ، بوجه خاص . علينا أن نشجع العامة على تذوق الفن الرفيع من موسيقا وأغانٍ ، وأن نسّهل لهم الرحلاتِ والأسفار وأن نعوّدهم على هذا النشاط .

٥ – العمل على نشر الكتاب العام وتوزيعه بأسعار مناسبة .

وأخيرا ، وليس آخرا العودُ إلى التراث العربى الإسلامى واستنطاقُه وتوظيفُه توظيفا عمليّا مناسبا ، فى حدود جوهريّاته وحاجاتِنا منه ، وما أشدّ حاجتنا إليه ! ! .

إن تراثنا قديم حديث : قديم التاريخ ، حديث الأثر والنفع . إنه ممتدٌ عبرْ فترات الزمن ومنتشرةٌ قيمُه ومبادئه وأفكارُه بين ظهرانينا ، وإن كان لا يعى ذلك غيرُ العارفين . فحرىٌ بنا أن نلتفت إلى هذا التراث القديم المتجدد ، وننظرَ فيه نظرة جديدة ، بتقريبه وتهذيبه وإخراجه فى صورة أمينة ، تُبقى على جواهره وتجّود فى مادته ، بحسن الانتقاء والعرْض والتقديم إلى السوق العربية العامّة .

وليس يعنى هذا بحال أن ننكفىء على هذا التراث وحده ، وننصرف عما يجرى فى العالم من حولنا من معارفَ وخبرات وثقافات . فذلك قول مرفوض جملة وتفصيلا . وحتْم علينا فى هذه المرحلة أن نسترشد بآثار الآخرين ونقتبس منهم ونأخذ عنهم ، ولكنْ فى حدود ما يحفظ لبنائنا العربى ( لغويا وثقافيا واجتماعيا ) كيانه وهويته .

وحَتْم كذلك أن يعلم الناس أن استمرارية الأخذ والنقل مزلق خطير ، قد يؤدى بنا إلى " الترهل " أو التبعية أو فُقدان الهوية أو الوقوع فى مأزق التغريب . إننا – فى إيجاز موجز – ننادى بالاسترشاد بالقديم فى أصالته وبالحديث فى جدّته وطرافته . ولا ينبغى أن نقع فى براثن التبعّية ، فنفقدَ طاقة الإبداع والابتكار فينا ، ونظلّ عالةً على غيرنا أو حلقةً هشّة فى سلسلة أجنبية طويلة ، كلما انصرفَتْ يمينا أو شمالاً تحّركنا معها ، وربما سقطنا على الأرض ضعفاً وعجزا عن ملاحقة المسيرة .

ولعلنا ندرك مأزِق التبعّية هذا فى محيط بعض العلوم ، كالطب والهندسة وما إليهما . لقد وصلنا الآن – بعد صحوة نسبية – إلى موقف الحيرة : أنعّرب هذه العلوم أم نتركُها وشأنها حتى لا ينقطعَ حبل الوصل بيننا وبين

الأقوام الآخرين ؟ . تباينت الآراء وتصارعت وجهات النظر حول هذه القضية .

وإذا كان لنا من رأى فى هذا الشأن ، فنوجزه فى كليمات قصيرات ؛ فنقول : إن تعريبَ العلوم ، أى تناولها باللغة العربية بحثا وتأليفا وتعليما ، أمل يراود كل مخلص يعتز بلغته وقوميته ، ولكن الأمر يحتاج إلى تخطيط وأناةٍ فى الإنجاز والتنفيذ . ذلك أن القضية ليست قضيةً لغوية فحسب ، إنها فى الأساس قضية علمية ثقافية . يحتاج الأمر فى رأينا إلى تعريب الفكر أولا . فإذا فكرّت عربيًا خرجتْ مادتك عربية . وهذا يتوقف على استيعاب المادة العلمية وهضمها ، وعلى إمكانية تناولها تناولا جديدا بشىء من الإبداع والإضافة ، بحيث تصبح نتاجا أو نسيجا عربيا . وإخراج هذا النسيج فى خلقٍ وتقدير عربى يحتاج لا محالة إلى لغة عربية سليمة ، قادرة على التعبير شكلا ومضمونا . فإذا ما مُنحنا هذين الجناحين ( جناح الهضم والاستيعاب والإضافة وجناحَ السيطرة على اللغة العربية ، ) وتأكّدنا من سلامتهما ، فليبارك الله فى آمالنا ويمنحْنا التوفيق فى إنجاز هذه الآمال .

وأظن أن الوقت قد حان للتفكير الجادّ فى هذه القضية على مستوىً قومى ، والأمر مع ذلك يحتاج منا إلى وقفة متأنية ، ليس هذا المقامُ سياق تفصيل القول فيها . فإلى فرصة أخرى إن شاء الله .

كمال محمد بشر

عضو المجمع

# أصداء قريبة

للأستاذ عبد العزيز الرفاعى

هذه أصداء تتردد فى خاطرى ، إثر ما قد أسمع من حوار يتصل ببعض الكلمات المتداولة فى المجتمع العربى كله أو بعضه ، من حيث المبنى ، والمعنى ، والأصالة .

ولا يعدو جهدى فيها أن يكون الرجوع إلى بعض ما تيسر من كتب اللغة ، آملا أن يكون فى إثارتها ما يحفز المتخصصين المتضلعين إلى مزيد من البحث والاهتمام ، لاستكمال الشوط .

*** يا بختك ... !**

ولأبدأ بالبخت .. بمعناه المتداول فى البلاد العربية بمعنى الحظ .. فالناس جميعاً يبحثون عن الحظ الحسن .. وما أنا إلا من الناس .. فلأبحث إذاً عن البخت .. ولكنى لن أبحث عنه عند ضاربة الودع .. ولا قارئة الفنجال ، ولا عرّاف الكف ، ولا المنجمين .. فليس لى عند كل هؤلاء من أرب .. وإنما أنا واحد من أولئك الذين طاردوا السواد .. أعنى سواد الحرف فى بيض الطروس .. وأعماق الكتب .. فعلاقتى إنما هى مع الفيروز آبادى ، والزبيدى ، وابن منظور ، ومن لفّ لفهم .

ومن أعجب العجب أن يطلب ( البخت ) عند هؤلاء .. ولكن ما علينا .. فهكذا كان !

نقول فى عاميتنا ( يا بختك ! ) ، وعندى ان الاستعمال صحيح ، فالنداء ( يا ) هنا للتعجب من وفرة حظ المخاطب .. و ( بخت ) استعملت قديماً بمعنى الحظ .. بغض النظر عما يقال عن أصلها الأعجمى أو الفارسى .. فقد دخلت فى المعاجم العربية القديمة .. واشتق من المادة اسم ( بخيت ) بمعنى محظوظ .

فهذا ابن منظور ( ت ٧١١ هـ ) يقول فى ( لسان العرب ) : « البَخْتُ : الجَدُّ ؛ معروف ، فارسى ، وقد تكلمت - العرب . قال الأزهرى لا أدرى أعربى هو أم لا ؟ . ورجل بخيت : ذو جَد . قال ابن دريد : ولا أحسبها فصيحة . « والمبخوت : المجدود » ا هـ

هذا ابن منظور يقرر أنه « قد تكلمت به العرب » أى أن هناك فتوى بصحة استعمالها.

أما الفيروز آبادى ( ت ٨١٧ هـ ) فيقول فى ( القاموس المحيط ) :

« البَخْت : الَجد ، معرب ... والبخيت والمبخوت : المجدود ... وبخته : ضربَه . »

وهكذا نرى أن الفـيـروز آبادى ، يرى أنه معرب ، أى نقلته العرب إلى لغتها . .

و ( البخت ) مستعمل فى العامية المكية بمعنى ( الحظ ) ، ويقول المكيون فى أمثالهم : ( شختك بختك ) ، ويريدون أن الأمر يعود إلى الحظ .. فكل امرىء وحظه .. ولعل صحة كلمة ( شختك ) هى ( شخطك ) فالشخط فى العامية هو : ( الخط ) بالخاء ثم الطاء .. يرسم على الأرض أو الجدار أو الورق .. ولعل اللفظ جاء من استعمال خط الرمل أو خط الكف .. لاستقراء المجهول .. فكأنهم يريدون أن يقولوا : أنت وحظك ..

اللهم اجعلنا عندك من المحظوظين فى الدنيا والآخرة ..

* **العـــوم**

وأنتقل من ( البخت ) إلى ( العوم ) .. وقد يبدو للوهلة الأولى ، ألاّ صلة بين الاثنين .. ولكن ألم يقولوا : إن البخت يتدخل فى كل شىء .. فلمَ لا يتدخل فى ( العوم ) .. ؟ ألا يحدث فى دنيا الواقع أن ينجو من الغرق من لا يعرف العوم .. ويغرق العوّام الماهر ؟

إن للحظ كيمياء كما قال ابن الرومى .

وإذا كان بعض اللغويين ، قد شكّ فى انتماء البخت إلى أرومة عربية محض ، فليس كذلك الأمر فى ( العوم ) فهو يسبح فى العربية حتى الجذور .

قال ابن منظور : « العوم : السباحة ، يقال العوم لا ينسى ، وفى الحديث : علموا أولادكم العوم ، هو السباحة ، وعام فى الماء عوماً : سبح ، ورجل عوّام ، ماهر بالسباحة . وسير الإبل والسفينة عوم أيضا . قال الراجز :

وهُنّ بالدَّوِّ يَعُمْنَ عَوْما

« .... وعامت النجوم عوماً ، جرت . وأصل ذلك فى الماء .. » ١ هـ

وقد استوقفتنى العبارة الأخيرة .. فهل يكون ( العام ) هذا الحيز الزمنى ( السنة ) مأخوذاً من عوم الفلك ، وجريها ، وركض الأيام ، ما دامت النجوم تعوم ؟ أغلب الظن أن الأمر كذلك ..

ولا يكاد يخرج الفيروز آبادى عما جاء فى ( لسان العرب ) ، إلا أن يشير إلى اسم بعض الأعلام ، مثل ( عويم ) و ( عوّام ) .

إذاً ، فاللفظ .. فصيح .. وهو لا يزال مستعملاً فى العامية العربية ، إن لم يكن

فيها كلها ، فقى بعضها .. فلا نزال فى المملكة العربية السعودية نستعمل يعوم بمعنى يسبح .. ونقول فى أمثالنا : ( ابن البط عوام ) .. وأعتقد أن هذا المثل موجود أيضا فى العامية المصرية [1] .. كما أن اللفظ موجود أو مشتقاته فى الشعبيات المصرية .. فهناك أغنية تقول : ( والنبى يا أحمد علمنى العوم ) .. وأخرى تقول : ( مش قبل ما ترمينى فى بحورك كنت تعلمنى العوم ) .

ونخلص من هذا أن ( العوم ) من الفصيح المستعمل فى العامية الدارجة فى المملكة العربية السعودية ، وفى مصر وأعتقد أن اللفظ قادر على السباحة فى العاميات الأخرى .

## * العرّاف : الصفات التُّناقن

وإذا كانت العلاقة بين العوم والبخت ضئيلة فإنها بين العرّاف والبخت حميمة .. فإذا انصرفت كلمة ( العراف ) إلى الاصطلاح المعروف ، المتصل بالكهانة والكهان .. فهذا مهمته الحديث عن البخت والمستقبل ، والغيب الذى لا يعلم حقيقتة إلامن يعلم السر وأخفى . قال فى ( لسان العرب ) : « والعراف : الكاهن ، قال عروة بن حزام :

فقلت لعراف اليمامة : داونى
فإنك إن أبرأتنى لطبيب »

والشاهد يدل على أن كلمة العراف قد تطلق على الطبيب ، كما قال بذلك أيضا صاحب ( اللسان ) . ومادة ( عرف ) فيه مادة واسعة .. ولا غرو فإن المعرفة بحر .. ! ولكن يهمنى منها هنا أمر واحد .. هو هل يصح أن نطلق كلمة ( عراف ) ، على ذلك الخبير ، الذى يستطيع بدون وسائل علمية أن يعرف أماكن الماء في جوف الأرض .. ؟

نعم ؛ يقول صاحب ( اللسان ) : « ويقال للحازى عراف ، وللقُناقن عراف ، وللطبيب عراف لمعرفة كل منهم بعلمه » اهـ

ومعنى هذا أن أي شخص يبلغ من علمه غايته يصح أن نطلق عليه اسم عراف ، مبالغة فى المعرفة .

ولكن ...

يظل هنا التباس فى استعمال كلمة ( عرّاف ) .. فلماذا لا نختار كلمة أخرى أكثر دلالة على مقصودنا .. أعنى ، خبير التعرف على أماكن المياه الجوفية .. ؟

إننا فى المملكة العربية السعودية نستعمل

---

(١) فى العامية المصرية : ( ابن الوز عوام ) . ( التحرير )

كلمة ( الصنّات ) ونجمعه على ( صنّاتة ) ، وهؤلاء الأشخاص يستطيعون التعرّف على الأماكن التى يصح أن تُحفر فيها الآبار .. ولكن كلمة ( صَنَت ) لا توجد فى الفصحى ، بمعنى التسمّع ، ولكن توجد فى المعاجم كلمة ( نصت ) أى بتقديم النون على الصاد .. وهو قلب يرد فى بعض الألفاظ الفصيحة ، على ألسنة الناس فى اللغة الدارجة .

واللفظة قرآنية ، جاءت فى الكتاب العزيز فى موضعين : فى ( الأعراف ) : « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » . وفى قوله تعالى فى سورة الأحقاف : « فلما حضروه قالوا أنصتوا » .

ودلالة السياق واضحة فى الاستماع بعناية ، لا مجرد الاستماع . ففى الآية الأولى وردت كلمة ( استمعوا له ) ثم ارتدفت بقوله تعالى ( وأنصتوا ) .

وفى الآية الثانية ما يدل على اهتمام الجن بالاستماع الموجه ، فقد أمر بعضهم بعضا بالتنصت ، للاستيعاب .

وفى ( لسان العرب ) : « نصت الرجل يَنْصِت نَصتا وأنصت ( وهى أعلى ) وانتصت سكت ... والنُّصْتة : الاسم من الإنصات ... وأنصته وأنصَت له : مثل نصحه ،ونصح له ، وأنصتُّه ونصتُّ له ، مثل نصحتُه ونصحتُ له ، والإنصات : هو السكوت والاستماع للحديث .. » ا هـ

أما ما جاء فى القاموس فهو تلخيص شديد ، لما جاء فى اللسان .

وقد زاد صاحب ( تاج العروس ) ، بأنه قيده الراغب والفيومى بالاستماع وقالوا : أنصت ينصت إنصاتاً إذا سكت سكوت مستمع وقد نصت - ا هـ

وأحسب أن الحق مع الراغب والفيومى وأن الأصل فى ( نصت ) . ليس ( سكت ) فقط ، وإنما سكت ليستمع بإصغاء وعناية ، واهتمام .. كما دلت على ذلك الآيتان السابقتان . وكما دلّ عليه الشاهد الذى أورده صاحب اللسان ، وهو قول الطرمّاح :

يخافتن بعضَ المضغ من خشية الردى
وينصتن لسمع انتصاتَ القُناقن .

فهو يقول : وينصتن للسمع .. أى لكى يستمعن .

والشاهد الشعرى المشهور :

إذا قالت حذامِ فصدّقوها
فإن القول ما قالت حذام

قال فى ( لسان العرب ) أنه رُوِي :

إذا قالت حذام فأنصتوها ... الخ

إذاً ، فصحة الكلمة الدارجة هى ( نصّات ) للخبير فى التعرف على مواطن المياه فى جوف الأرض لا ( صنّات ) .

ونحن نرى أن كلمة ( تَصَنّت ) تشيع أيضا فى أعمال الاستماع الخفى كما تجىء فى وسائل الإعلام وأن صحتها ( تنصت ) ..

والسؤال هو : هل نضع كلمة ( نصّات ) مكان كلمة ( عراف ) .. ؟ لكى نقترب من الاستعمال الدارج ، ونبتعد عن الاصطلاح الشائع لكلمة ( عراف ) ؟

ولكن قبل الإجابة عن هذا السؤال هناك سؤال أهم .. هو : ألم ترد فى العربية كلمة تدل دلالة محددة على ما نريده .. أعنى ذلك الخبير بأمور المياه ؟

والجواب : بلى .. فهذا الطرمّاح يقول فى الشاهد الذى مرّ بنا :

يخافتن بعض المضغ من خشية الردى

وينصتن للسمع انتصات القُناقنِ

فمن هو القناقن ؟ هذا الذى يُضرب به المثل فى جودة الإنصات ..؟

يقول صاحب ( لسان العرب ) :

« والقِنْقِنُ والقُناقن ؛ بالضم : البصير بالماء تحت الأرض ، وهو الدليل الهادى ، والبصير بالماء فى حفر القُنى ، والجمع : القَناقن ، بالفتح . قال ابن الاعرابي : القُناقن : البصير بجر المياه واستخراجها ، وجمعها قناقن ... قال ابن برى : القنقن والقُناقن المهندس الذى يعرف الماء تحت الأرض . قال : وأصلها بالفارسية ، وهو معرّب مشتق من الحفر من قولهم بالفارسية : كِنْ ، كِنْ أى : أحفر . وسُئل ابن عباس : لمَ تفقد سليمان الهدهد من بين الطير ؟ قال : لأنه كان قُناقنا ، يعرف مواضع الماء تحت الأرض ، وقيل : القُناقن الذى يسمع فيعرف مقدار الماء فى البئر قريباً أو بعيداً . » اهـ

أما صاحب ( القاموس ) فاكتفى بأن قال :

« القُناقن بالضم البصير بالماء فى حفر القنى » . هـ

أقول : نخلص من كل ذلك ، إلى أن اللغة العربية عرفت اصطلاحاً قديماً لهذا الخبير الذى يعرف مواطن الماء أو لهذا العراف ، أو النصّات أو ( الصنّات ) وهو ( القُناقن ) للمفرد بالضم ، والقَناقن بالفتح للجمع .. وهو المهندس فى بعض النصوص السابقة .

وإذا كـان اللفظ ذا أصـل فـارسيٍ ، فـلا علينا ، مـا دمنا قـد اسـتعملناه من عـهـد ابن عباس رضى الله عنهما ، ومن عـهد الطرماح فـأحرى بهـذه الكلمـة أن تأخـذ مكانهـا فى الاسـتـعـمـال .. ولا عـبـرة بما قـد يقـال عن غرابتها .. فهيِ فى الاستعمال القديم لم تكن غـريبـة ، جـاءت فى شـعـرهم ونثـرهم . ولو أحصينا الكلمات الغريبة التى استعرناها من الأمم ، فى لغتنا اليوم فأصبحت سهلة يسيرة ، ذائعة شائعة - لأتعبنا الإحصاء .

عبد العزيز الرفاعي
عضو المجمع المراسل
من السعودية

# بين الأصول والفروع
# فى التغيير الصوتى الصرفى

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

## ١ - الأصل الاشتقاقى :

يرى بعض العلماء أن الأصل - هو الثنائى : فرمى : أصلها الثنائى : رم - حرك حرفه الثانى بفتحة مشبعة علامتها ألف . فلامه ليست حرفا بل إطالة أو إشباع الفتحة السابقة . والمثال : وثب . أصله الثنائى : ( ثب ) زيدت فيه الواو تتويجا . والأجوف قام - أصله : قَمْ أشبعت حركة حرفه الأول . أما المضاعف فهو مركب من حرفين مثل لعْ لعْ . مرْ مرْ ، فهو عبارة عن ثنائيين مكررين ، ومن العلماء الذين يرون ثنائية الأصل : ابن فارس والشدياق وجورجى زيدان والكرملى والدومنكى، ولهم حجج كثيرة منها :

أن أصول الكلمات السامية كانت مؤلفة من حرفين اثنين ثم زيد فيما بعد على كل أصل منها حرف ثالث ، وقالوا : بأن الثنائيات صورة بعيدة مغرقة فى القدم ودليل ذلك التدرج الطبيعى والانتقال من هذه المرحلة إلى ما استقرت عليه الكلمات من ثلاثية الأصوات .

ويرى معسكر آخر أن أصل اللغة يرجع إلى الثلاثى ، وأنه لم يتطور عن غيره ، ولهم أدلتهم أيضا ، على أنه يجب أن نشير إلى أن النظرية الثنائية ما زالت فرضا واحتمالا . وأنها لم ترتق الى مجال القواعد الثابتة ، كما أنه اعترض على النظرية الثلاثية بأنها تنفى أصالة ما عدا الثلاثى وهم مع ذلك يلجأون فى إثبات نظريتهم إلى التأويل .

وعلى مذهب القائلين بأصالة الثنائى وتنميته لما فوقه إلى الثلاثى عن طريق تضعيف الحرف الثانى أو إضافة حرف علّة إلى أول المادة الثنائية أو فى وسطها أو فى آخرها ، يرون أن اللغه وجدت فى أثناء تطورها فى المضعف ثقلا فراحت تبدل من أحد الضعفين حرفا من حروف العلة :

انظر ما يلى : -

كعٌ تطورت إلى كاَع .

ضرٌ يضرٌ ضراً تطورت إلى ضار يضير ضيراً

ذمٌ تطورت إلى ذام .

طبٌ ، غمٌ تطورت إلى طاب ، غام .

مدٌ تطورت إلى ماد

صرَّ ( الصوت ) تطورت إلى صار .

حفَّ تطورت إلى حاف .

غبَّ تطورت إلى غاب .

طمَّ يطمُّ طموما تطورت إلى طما يطمو طموا .

همر تطورت إلى همى .

محق تطورت إلى محا .

حمَّ ( الحديد ) تطورت إلى حمى .

شجب تطورت إلى شجا ( أحزن ) .

هذا وقد يبدل أحد الضعفين نونا مثل احرجم تطورت إلى احرنجم .

اطَّلم تطورت إلى انظلم .

وأبدلت نونا ، لأن النون حرف موسيقى محبب فى اللغة ولهذا يرى بعض الباحثين (١) أن وزن ( إفعَّلَ ) هو الأصل ثم تطور إلى ( انفعل ) فهى صورة جديدة للمطاوعة وهى فرع عن ( افعَّل وافتعل ) .

فالتضعيف هو الوسيلة الأولى لتنمية اللغة ونقلها من الثنائية إلى الثلاثية ، فالمضعف تولد منه على طريق الإبدال : الأجوف ثم الناقص وكأنه نوع من القطعة ( الترخيم ) (٢) ثم المثال ثم السالم فالسالم جاء آخراً لأن زيادة حرف على المضعف أليق بحكمة الواضع فى التفنن فى نقصه ، إذ لو جعلت السالم أصلا لزم عنه العدول من الكمال إلى النقصان .

والدليل على أصالة المضعف قراءة أبى حيوةَ ( وعزنى فى الخطاب ٢٣ ص ) ، وقال ابن جنى فى المحتسب ٢ / ٢٣٢ دار إحياء الكتب العربية تحقيق الأستاذ النجدى ومن معه : أصله : عزَّنى غير أنه خفف الكلمة بحذف الزاى الثانية أو الأولى كماحكاه ابن الأعرابى من قولهم ، ظنْت ذاك : أى ظننت هذا ويمكن لظاهرة المخالفة أن تفسر الصلة بين المضعف وبين الأجوف والناقص :

الجبُّ تطورت إلى الجوْب ( القطع ) .

دسَّس تطورت إلى دسَّى « وقد خاب من دسَّاها » .

تسرَّر تطور إلى تسرَّى .

« وليملل الذى عليه الحق » تطورت إلى « فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » .

فهذه صور للتطور ورسوم للارتقاء .

على أن حدود التطور لم تقتصر على الأفعال وإشتقاقها بعضها من بعض ، بل نرى من ( الأفعال ) ما تطور إلى ( حرف ) خالص

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٩ . د . مصطفى جواد .

(٢) ثنائية الأصول اللغوية ١٢٦ مقال للأستاذ حامد عبد القادر نشر بمجلة مجمع اللغة العربية ج ١١ .

انظر مثلا :

البدوىُّ علا الجبلَ - فهى فعل ومع كثرة الاستعمال والتداول أصبحنا نقول :

البدوىّ على الجبلِ فهى نفسها حرف جر ، والعلاقة بين المثالين واضحة مدلولا واستعمالا [1]

كما كان الأصل الاشتقاقى محل خلاف بين البصريين والكوفيين ، فيرى البصريون أن المصدر هو الأصل والفعل فرع عليه .

وحجة البصريين منها :

أن الفعل يدل على الحدث والزمان ، فلو كان المصدر مشتقا من الفعل لدل على ما يدل عليه الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث : كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وعلى ذات الفاعل والمفعول ، فلما لم يكن المصدر كذلك علم أنه ليس مشتقا منه .

كما إستدلوا على أن المصدر هو الأصل بتسميته مصدرا ، والمصدر هو الموضع الذى يصدر عنه ... فلما سمى مصدرا دل على أن الفعل قد صدر عنه، وكذلك احتجوا بأن قالوا: بأن المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للمقيد ، فكذلك المصدر أصل للفعل

كما احتج الكوفيون بأدلة منها :

أن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ، ألا ترى أنك تقول قاوم قياما - فيصح المصدر لصحة الفعل ، وتقول : قام قياما - فيعتل لاعتلاله فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع عليه .

كما تمسكوا بأن المصدر يذكر تأكيدا للفعل ولا شك أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد ، فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع [2] ... وهناك من الأدلة للفريقين غير هذا،وأرجح رأى الكوفيين فى هذا النزاع مسترشدا بما يلى :

١ - ما يراه نفر من المستشرقين من أن أغلب الكلمات يرجع إشتقاقه إلى أصل ذى ثلاثة أحرف ( لبعضها أصل ذو حرفين ) وهذا الأصل فعل يضاف إلى أوله أو آخره حرف أو أكثر ، فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة .

٢ - أن العقلية الفعلية - قد سادت على اللغات السامية ، لأن لأغلب الكلمات في هذه اللغات مظهرا فعليا . ففى الساميات

---

(١) من دلائل القدم فى اللغة العربية . د أحمد عبد الستار الجوارى . نشر فى البحوث والمحاضرات دورة « ٣٣ » مجمع اللغة العربية .

(٢) الإنصاف فى مسائل الخلاف . لابن الأنبارى . مسألة ٢٨ .

الفعل هو كل شيء [1] ، أما من ذهب إلى أن أصل المشتقات هو المصدر - فهو مذهب نشأ عن الفرس حيث بحثوا فى اللغة العربية بعقليتهم الآرية ، والأصل فى الاشتقاق عند الآريين هو : المصدر - فعلماؤنا متأثرون ومقلدون . وليس النزاع الذى ذكرنا طرفا منه وحده فحسب ، بل وقع خلاف فى دوائر البصرة نفسها حيث قال جمهورهم : إن المصدر متى ثبت أنه أصل للفعل ثبت أنه أصل للمشتقات بالواسطة ، أذ المشتقات متعلقات بالأفعال ، ومتى ثبتت فرعية المتعلق ، ثبتت فرعية المتعلق ، وقال جماعة منهم السيرافى : إن المصدر أصل للفعل ، ولكنه ليس أصلا للمشتقات ، بل الفعل هو الأصل للمشتقات ، إذ لا يلزم من كون الفعل متفرعا عن المصدر، أن تكون متعلقات الفعل متفرعة كذلك عن المصدر ، بل ينقل السيوطى عن طائفة من المتأخرين اللغويين بأن : كل الكلم مشتق ، كما نقل عن طائفة من أهل النظر أن الكلم كله أصل ! وإذا كنا قد رجحنا رأى الكوفيين فما زال الطريق شائكا ، فأى الأفعال هى الأصل ؟ يذهب بعض العلماء المحدثين أن اسم الفاعل هو الأصل ، وبعضهم يذهب إلى أن صيغة الأمر هى أصل اشتقاق الأفعال . أما نحاة العرب فبعضهم يرى أن الفعل الماضى هو الأصل ، وبعضهم يرى أن فعل الحال هو الأصل، وآخرون يرون أن فعل المستقبل ، إلى غير هذه الآراء .

كما يرى بعضهم أن بدايات الفعل فى العربية إنما هى تطور من استخدام بعض صور اسم الفعل [2] ، أو أن الفعل إنما تطور عن كلمات استخدمت وقصد بها الاسم والفعل معا ، ثم أخذ مدلول الفعل فيها يتحدد ، ويستقل بإضافة فكرة الزمن ، ويرى نفر من العلماء أن ننظر إلى ( الجذر ) [3] ، وهذا يحل مشكلة الأصل الاشتقاقى ، فمسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشتراكها فى شيء معين ، والقدر المشترك بين الكلمات المترابطة . وأصح ذلك هو الحروف الأصلية الثلاثة ، فأنت إذا نظرت إلى : ضرب ضارب مضروب مضرب ضرب ، رأيت أنها تشترك فى ( ض رب ) وتتفرع منها ، فهذه الحروف الثلاثة جذور العربية التى تتفرع منها الكلمات .

---

(١) تاريخ اللغات السامية ١٤ تأليف ولفنسون . الطبعة الأولى .
(٢) الفعل زمانه وأبنيته ١٢١ . د السامرائى .
(٣) مناهج البحث فى اللغة ١٨٢ . د تمام حسان . الأنجلو . القاهرة .

فالفعل واسم الفاعل واسم المفعول ... الخ . صور من صور التعبير الشكلى للمادة التى لا يصدق عليها وصف بالفعلية أو الاسمية .

وفى كتب العربية نجدهم يتوسعون فيشتقون من أسماء المعانى ، فلقد اشتقوا من أسماء العدد وهى أسماء معان جامدة ، ففى المخصص [1]: كانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم . كما اشتقوا من أسماء الأزمنة ففى اللسان [2]: وأخرف القوم - دخلوا فى الخريف . كما اشتقوا من أسماء الذوات يديته : ضربت يده، فهو ميدىٌ ، ويُدِىَ : شكا يده [3]، ومن العجب أن العرب قد اشتقت من الحرف ففى الخصائص [4] : سألتك حاجة فلوْليت لى : أى قلت لى ( لولا ) فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من ( لو + لا ) ، ومعنى ذلك أن ( الأصل ) فى اللغة متعدد ؛ إذ قد اشتقت العرب من الأفعال ومن الأسماء الجامدة والمشتقة ومن الحرف .

وفى المشتقات تطالعنا أحوال عجيبة ، فقد نجد مصادر ولا أفعال لها ، كما أهملت بعض المفردات واستعملت جموعها ، كما استعملوا بعض المصغرات من غير أن يستعملوا لها مكبرا ، كما روى عنهم أنهم أماتوا بعض المصادر .

والحقيقة أن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها ، وقد يسبق بعضها بعضا فى الوجود ، ولهذا لا يمكن أن تكون الأفعال حين وجدت وجدت معها مشتقاتها ، فقد تعيش اللغة زمنا وليس بها إلا الفعل وحده أو المصدر وحده - حسب حاجة اللغة واستعمالاتها فى حضارتها وبداوتها .

ملحوظتان : -

(١) إذا ترددت الكلمة بين أصلين فى الاشتقاق فالتمس ما يرجح أحدهما وله وجوه :

أ - كون أحد الأصلين أشرف .

ب - كونه أخص فيرجع على الأعم .

حـ - كونه أسهل وأحسن تصرفا .

د - كونه أليق .

(٢) قد يعرض للفرع المشتق مع الأصل المشتق منه تغييرات منها : -

أ - زيادة حركة كعَلِم من العلْم .

ب - زيادة مادة : كطالب وطلب .

---

(١) ١٧ / ١٢٩ .

(٢) ١٠ / ٤٠٩ .

(٣) اللسان ٢٠ / ٣٠٣ .

(٤) ١ / ٤٣٦ ط الهلال ١٩١٣ م

حـ - زيادة حركة وحرف كضارب من الضرب .

د - نقصان حركة كفرْس من الفرس .

( راجع القائمه فى المزهر للسيوطى )

## ٢ - الأصل والفرع فى المشتقات :

ولكن كيف نتبين الأصل والفرع فى صيغتين مختلفتين مشتقتين ؟ ويحسن قبل أن نجيب أن نتقدم بعدة نصوص نفحصها وفى ضوء ذلك يكون الجواب ، فمنهجنا يسير على استقراء اللغة وفحص مفرداتها أولا وأخذ صفة عامة لها ثانيا ، وذلك قبل أن نتورط فى تعليلات وهمية ، وتقديرات مجردة :

يقول ابن خالويه : ليس فى كلام العرب مصدر فاعل إلا على التفاعل - بضم العين إلا فى حرف واحد جاء مفتوحا ومكسورا ومضموما . قالوا تفاوَت تفاوَتاً وتفاوِتاً وتفاوتُا ( بالفتح والكسر والضم ) ثم علق ابن خالويه على هذا بقول أبى زيد : وهذا غريب مليح [١] .

وقبيلة ( كلاب ) فى النص السابق تفتح ، ( وبلعنبر ) تكسر [٢] .

وأرجح أن الضم هو الأصل لورود ذلك فى القرآن « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » ( الملك آية ٣ ) كما أرجح أيضا أن الفتح فى لهجة ( كلاب ) ، والكسر فى ( بلعنبر ) فرع من الضم ، بدليل أن صيغة الفتح حدث فيها مماثلة : أى توافق حركى ، واللغة فى أثناء تطورها فى السلم التاريخى تهدف إلى هذا الانسجام .

وصيغة : مرفق - القياس فيه فتح العين ، لأن مضارعه على يفعل - بضم العين ولكنه ورد بكسر العين ، وقالوا : بأن الكسر شاذ .

ولكن هذا الذى اعتبروه شاذا ورد أنه بلهجة ( الحجاز ) ، بل قرأ به جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وأبو بكر وأبو عمرو فى رواية هارون - بفتح الميم وكسر الفاء فى قوله تعالى « ويهيّىء لكم من أمركم مرفقا » ( الكهف ١٦ ) ، وجاء فى البحر [٣] أن معاذا أجاز فتح الميم والفاء . وأرى أن هذه الصيغة الأخيرة هى أحدثها فى التطور ، لأن بها توافقا حركيا ، واللغة فى أثناء تطورها تهدف إليه ، لأنه يقلل المجهود

(١) ليس فى كلام العرب ٥ ط أولى .
(٢) اصلاح المنطق لابن السكيت ١٢٢ تحقيق الأستاذين أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون
(٣) ٦ / ١٠٧

العضلى ، إذا عمل الإنسان فيه يكون من وجه واحد .

وكان الحريرى يخطىء من يقول : فلان أشرّ من فلان . ويقول : الصواب : شرٌّ بغير ألف ، وكذلك يقال : فلان خير من فلان ، بحذف الهمزة ، ولا يقال أخير - على وزن أفعل .

والأسلوب الذى خطأه الحريرى ورد فى كتاب الله وفى التراث العربى جاء عن ابن خالويه أن أبا قلابة قرأ قوله تعالى « من الكذاب الأشر » ( القمر ٢٦ ) بفتح الهمزة والشين وتشديد الراء [١] كما ورد أخيرا - فى قول رؤبة (بلال خير الناس وابن الآخيَر)[٢] فأصل : شر وخير : أشر وأخير ، وهما أفعل تفضيل ، وفى قراءة أبى قلابة وشعر رؤبة جاءت على الأصل ، بدليل سماع لهجة عربية نطقت : هذا أخير من هذا . لكن لما كثر استعمال هاتين الكلمتين - حذفوا الهمزه منهما تخفيفا ، فكانتا فى الفصحى ( شر وخير ) .

وكأن الحريرى لا يؤمن بالأدوار التطورية التى مرت فيها العربية ، والدليل على تطور العربية ولا سيما فى باب المشتقات زيادة على ما سبق :

١ - صيغة فعل - بكسر فسكون تقابلها صيغة فعول . تقول الحجاز شرب وتميم : شروب .

٢ - التبادل بين اسم الفاعل والمفعول ( عضد ناشلة ومنشولة ) [٣] .

٣ - التبادل بين فِعْل ( بكسر وسكون ) ومفعول . ومن ذلك : « وفديناه بذبح عظيم » .

٤ - التبادل بين فَعول ومفعول .. فاسم المفعول من الثلاثى من : ركب : مركوب وبجانبها نجد : ركوبا وجزورا بدل : مجزور . ورسولا بدل : مرسول .

وربما كانت صيغة ( فعول ) هى الأصل فى الاستعمال بدليل وجود بقايا لها ، ثم بمرور الزمن ضعف معناها على هذه الصيغة فحاولوا تقويتها بميم زائدة حتى تستعيد قوتها المعبرة فقالوا : مركوب ... وكذلك الميم فى اسم الآلة، فإنها اتصلت بالاسم فى مرحلة متأخرة للتأكيد - فأصبحت : مفعل مثل : مِبرد ، والأصل : ما يبرد ، فما موصولة فارغة من معنى الموصول ، ثم التصقت بها الميم ، فهذه الزوائد كما يراها بعض المحدثين ما هى إلا كلمات مستقلة قديمة [٤]. وكذلك ( مفعَل )

(١) المحتسب : لابن جنى ١٤٧ مخطوط بمكتبة تيمور .
(٢) شرح الدرة ٦٤ ط أولى .
(٣) المخصص ١ / ١٦٤ ط أولى .
(٤) الفلسفة اللغوية ٩٣ جورجى زيدان .

فى اسمى الزمان والمكان إنما جاء تطورا عن اتصال الميم سابقة بصيغة فعلية مضارعة مفتوحة العين .

وعندما قالوا إن اسم الآلة يأتى على مفعال ومفعلة ومفعل - فالرأى أن الأصل هو : مفعال بصيغة المد - أما ما عداه ففرع منه ، ألا ترى أن الحركات فى العربية كانت فى القديم أحرف مدّ ثم اختفت وحل مكانها أحرف صغيرة ، ولهذا كان الخليل يسمى الضمة واوا صغيرة ، والكسرة ياء صغيرة ، والفتحة ألفا صغيرة - فالحركات فرع وأحرف المدّ الساقطة هى الأصل (١) .

### ٣ - حركية الصيغة بين الأصل والفرع :

معلوم أن الثلاثى المجرد له الأوزان الآتية : فعل . بفتح العين وكسرها وضمها والصيغة المضمومة وكذلك المكسورة يعتورهما تغيرات عدة ولا سيما فى الأوزان الصرفية . والقصد من هذه التغيرات هو التخفيف وتوفير الجهد الذى ينزع إليه العربى فى أثناء كلامه .

١ - فعل : بكسر العين سواء أكانت اسما أم فعلا حيث ينطق بها ( فعل ) بتسكين العين مثل : علم : فخذ ، وهذه التفريعات تختص بقبيلة تميم ، على حين أبقتها لهجة الحجاز على حالها بدون تفريع .

وبالاستقراء وجد أن صيغة : فعل بكسر العين يتفرع عنها :

أ - تسكين العين

ب - تسكينها بعد نقل حركتها إلى الفاء فتصير فِعْل مثل : شِهْد فى حلقى العين . وكتف فى غير الحلقى .

جـ - فِعِل ، ويختص بما كان حلقى العين مثل : ضِحِك .

أ - فَعِل - بكسر العين وتفريعها إلى فَعْل بسكون العين :

وذلك مثل قوله تعالى : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ( البقرة ٢٨٠ ) قرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن وغيرهم - بكسر الظاء للتخفيف من نظرة - بكسر الظاء .

ب - وقد تتفرغ صيغة ( فعِل ) بكسر العين إلى ( فعْل بسكونها ) من ذلك :

قوله تعالى ( بئسما اشتروا به أنفسهم ) ( البقرة ٩٠ ) فأصل بِئْس : بَئِس من البؤس سكنت همزتها ، ثم نقلت حركتها إلى الباء ، قال الطبرى « وهى من لغة الذين ينقلون حركة العين من فَعِل إلى الفاء إذا كانت عين الفعل

(١) أنظر مقدمة لدرس لغة العرب ١٧٩ . العلايلى . ط العصرية .

أحد حروف الحلق الستة ، وذلك فيما يقال لغة فاشية فى تميم [1] .

والغرض من هذا التفريع كراهة الانتقال من الأخف إلى الأثقل ، ولهذا آثرت تميم تسكين العين والسكون أخف من الحركة .

جـ - فَعِل - بفتح الفاء وكسر العين وتفريعها إلى ( فِعَل ) بكسر الفاء والعين .

وهذا لا يكون إلا فى الحلقى العين كنعم وبئس فتقول فيها على التفريع : نعم وبئس بكسر الفاء والعين والأصل فيها : نعم وبئس بفتح وكسر الحرفين الأولين معزو إلى تميم ولا يجيز الحجازيون فيها إلا الأصل . ولقد علل الرضى هذا التفريع فى تلك الصيغة فقال : وإنما جعلوا ما قبل الحلقى أن يفتح نفسه أو ما قبله كما فى ( يدمَع ) لثقل الحلقى وخفة الفتح فأتبع فاؤه لعينه فى الكسر [2] وعلل سيبويه لهذا التفريع بأن حرف الحلق لا يناسبه إلا الفتح ولم تفتح العين الحلقية هنا خوفا من أن تلتبس صيغة (فعل ) بفتح العين مع صيغة ( فعل ) بكسرها ، فلما لزمت العين الكسر ، وهى حرف حلق وفى ذلك شىء من الثقل أتبعوا الفاء العين ليحدث نوع من التخفيف بالميل من كسرة إلى كسرة ، وذلك لأن اللسان يعمل فى جهة واحدة فيكون العمل على وجه واحد [3] .

٢ - فَعُل : بفتح الفاء وضم العين وتفريعها إلى فَعْل بفتح فسكون مثاله ما قرىء به « كبرت كلمة » ( الكهف ٥ ) بسكون الباء فى كبر ، وعزيت لتميم [4] . على حين لا تفرع الحجاز فى تلك الصيغة ، قرأ زيد بن على « بما رحبت » التوبة ١١٨ . بسكون الحاء [5] ، ويجوز فى هذا التفريع أى صيغة ( فعل ) بفتح فضم أن تنقل ضمة عينه إلى فائه فيكون على وزن ( فُعْل ) بضم فسكون ، وبها قرىء « وحسن أولئك رفيقا » ( النساء ٦٩ ) بضم الحاء وسكون السين . والنقل فى الحركة هنا لا يصح إلا إذا لمحنا معنى التعجب فيها لأن التغيير فى اللفظ بالنقل صحبه معنى آخر زائدا وهو التعجب ، والتسكين كما كان فى الكلمة الواحدة شمل الكلمتين أيضا ، ومن ذلك أنهم يسكنون هاء ( هو ) و ( هى ) إذا سبقهما واو أو فاء أو لام مثل : « وهو بكل شىء عليم » ، « فهو خير لكم » ، « لهى الحيوان » قرئت بسكون

---

(١) تفسير الطبرى ٢ / ٢٣٨ . ط دار المعارف بالقاهرة تحقيق محمود شاكر .
(٢) شرح الشافيه ١ / ٤٠ . ط حجازى .
(٣) سيبويه ٢ / ٢٥٥ بولاق ، وانظر المخصص ١٤ ٢١٣ .
(٤) البحر المحيط ٦ / ٩٧ .
(٥) البحر المحيط ٥ / ٢٤

الهاء في الآيات السابقة ، والسبب في هذا التسكين أن « فهو » على وزن ( فعل ) فكما جاز أن نسكن ( عضد ) فتكون ( عضد ) جاز تسكين الهاء من ( فهو ) التي بوزن ( فعل ) فتصير ( فهو وهو ) بسكونها .

ويمكن أن نميز الأصل والفرع من هذه الصيغة ، ففي قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين عضدا » ( الكهف ٥١ ) فالصيغة الأصلية : عضد بفتح فضم ثم تطورت إلى عضد بفتح فسكون ثم أخيرا إلى : عضد . بضم العين والضاد ، وهي متطورة عن الأصل ، ولأنها أخف من ( عضد ) بفتح فضم ، وقد وردت قراءات قرآنية على الطور الأول والثاني .

٣ - تفريع ( فُعِل ) : بضم فكسر ولا يكون إلا في المبني للمجهول ومنه : -

أ - قول أبي النجم ( لو عُصْر منه البان والمسك انعصر ) وأصلها : عُصِر بالبناء للمجهول .

ب - وفي كتاب ( العققة والبررة ) ما عزى إلى معبد بن قرط العبدي في هجاء أمه :

( كأنما وجهها قد سفْع بالنار ) [1] بسكون الفاء .

ج - وقرأ أبو السمال « ولعنوا بما قالوا » . ( المائدة ٦٤ ) بسكون العين ، ولقد حسنت هذه القراءة لأن الكسرة وقعت بين ضمتين »[2] .

أما صيغة فَعَل - بفتح الفاء والعين - فلا تفريع فيها لأن الفتح خفيف فلا داعي للخروج عنه ، يقول سيبويه مؤيدا : « وأما ما توالت فيه الفتحتان ، فإنهم لا يسكنون منه » [3] .

وأرى أن سيبويه ومن تبعه من علماء العربية قد جانبهم الصواب ، فقد خفف المفتوح بعض القراء [4] ، أقول : وهم على حق ، إذ السكون أخف من الفتح لأنه يختصر المقاطع ويوفر المجهود ، وعلى ذلك قراءة أبي السمال وأبي المتوكل وأبي الجوزاء ( الجَمْل ) بفتح الجيم وإسكان الميم وذلك في قوله تعالى : « حتى يلج الجمل » ( الأعراف ٤٠ ) .

ومما سبق يتضح أن إسكان البنية ، وهو ما سمي بالتفريع - كان من خصائص شرقي الجزيرة العربية وهو مرحلة متطورة عن الصيغ المتحركة التي هي الأصل وهذا الأصل كان في

---

(١) كتاب : العققة والبررة . لأبي عبيدة معمر ٣٦٥ ، تحقيق عبد السلام هارون .
(٢) البحر المحيط ٣ / ٥٢٣ .
(٣) شرح السيرا في على سيبويه ٥ / ٤١٦ مكتبة تيمور . مخطوط ٥٢٨ ( نحو ) .
(٤) المحتسب ١ / ٣٠٧ مخطوط بالتيمورية رقم ٣٧٩ ( تفسير ) .

قبائل الحجاز ، يؤيد هذا ما جاء فى الخبر ( نزل القرآن بالتفخيم ) وقد اختلف الأئمة فى معنى ( التفخيم ) فبعضهم يرى أنه نزل بذلك ( لعله يقصد الفتحة الصريحة ) ثم رخص فى الإمالة ، وبعضهم يرى : أنه يقرأ على قراءة الرجال ، لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء، وآخرون : أنه نزل بالشدة والغلظة على المشركين ، وبعضهم يرى أن المراد بالتفخيم : تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر دون إسكانها [1] . وأرجح أن هذا المعنى الأخير هو المقصود دون غيره ، لأن من يرى أن معنى التفخيم نزوله بالشدة والغلظة على المشركين مردود ، لأن القرآن كما نزل بالغلظة نزل كذلك بالرحمة والرأفة ، والذى يؤيد ما أرجحه ما ورد عن أبى عبيدة من قوله ( أهل الحجاز يفخمون الكلام كله ) [2] ، وكأن المقصود هو نطق الحركات كاملة دون الجور عليها بالتسكين ، وذلك هو الأصل .

### ٤ - التوافق الحركى وعكسه ودلالتهما على الأصل والفرع

ومما يتصل بحركية الصيغة ما يتوارد عليها من توافق حركى أو عكسه ويكون هذا فى كلمة واحدة فى الأسماء أو الأفعال أو الظروف أو الضمائر ، وفى كلمتين ، وإليك الأمثلة والشواهد :

أولا : التوافق الحركى فى كلمة :

١ - ويكون فى الأسماء وشواهده :

أ - سكارى . كسالى ، غيارى - بالضم والفتح [3] .

ب - يقال فى الضأن : الضيِّن . والضِّيِّن بالفتح والكسر [4] .

جـ - قرأ أبو عمرو (ما أخلفنا موعدك بملكنا) بكسر الميم وقراءة العامة بالفتح [5] .

د - فكاك الرقبة - بفتح الفاء وكسرها .

فالصيغة التى حدثت فيها المماثلة أو التوافق الحركى هى الفرع ، والأخرى هى الأصل .

٢ - ويكون فى الأفعال وشواهده :

أ - فرغ يفرغ - بوزن فعل يفعل - بفتح العين فيهما ، وبوزن فعل يفعل - بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع .

ب - المشهور فى قبائل ( الحجاز ) أن أسماء الأفعال التى على وزن فعال - تبنى على

(١) الإتقان : للسيوط ١ / ٩٥ . ط حجازى .
(٢) المرجع السابق .
(٣) إصلاح المنطق ١٣٢ .
(٤) التذكير والتأنيث للسجستانى ١٢ مخطوط بدار الكتب رقم ٢٦٤ .
(٥) مفردة قراءة أبى عمرو بن العلاء ٥٨ مخطوط بمكتبتى .

الكسر ، وعن أبى حيان أن ( أسدا ) تبنيها على الفتح [1] .

فلهجة أسد أحدث ، ولهجة قبائل الحجاز أقدم، لعدم المماثلة .

جـ - وفى القرآن الكريم ( سنفرغ لكم أيها الثقلان ) قرأت تميم بفتح الراء ، والعامة بالرفع .

د - مضارع : مات ، يموت أو يميت ، ولكن ( بنى طيىء ) يقولون : ( يمات ) . فلهجة طيىء هى فرع للتوافق الحركى . وغيرها الأصل .

٣ - ويكون فى الظروف وشواهده :

حيث - بنصب الثاء على كل حال فى الخفض والنصب والرفع ، والنصب فى الثاء جاء لينسجم مع فتحة الحاء ، فإذا ورد أن بعض القبائل تقول : ( حوث ) [2] ، بضم الثاء ، فأرجح أنها آثرت التوافق الحركى لأن الواو أصلها امتداد للضم ، فكأنهم جانسوا بين الواو والضمة .

٤ - ويكون في الضمائر وشواهده :

أ - كقراءة ابن عامر « آيُّهُ المؤمنون » ( النور ٣١ ) بضم الهاء ، فاللهجة آثرت التماثل .

ب - قراءة سلام : « نُؤْتِهُ منها » ( الشورى ٢٠ ) بضم الهاء [3]

جـ - وقرأ حفص «وما أنسانيه إلا الشيطان» ، « بما عاهد عليه الله » ، «قال لأهله امكثوا » [4] وكان ابن شهاب الزهرى يضم تلك الهاء فى جميع القرآن ، لأنه مدنى حجازى . وأصل هاء الغائب - الضم . والحجاز يضمونها مطلقا - يعنى تبقيه على الضم وهو الأصل .

## ثانيا : التوافق الحركى فى كلمتين :

١ - ويكون فى التقاء الساكنين :

أ - اخشوَا القوم - بفتح الواو، وقوله تعالى : « اشتروا الضلالة » بفتح الواو [5] « وأنتمُ الأعلون » ( آل عمران ١٣٩ ) بضم الميم . « وقالتُ اخرج عليهن » . ( يوسف ٣١ ) باتباع ضمة التاء فى قالت - ضمة الراء فى- اخرج . وحكى أبو عمرو عن أهل ( نجران ) : « براءة مِنِ الله » : بكسر النون . [6]

٢ - كما جاء فى غير التقاء الساكنين :

أ - قرأ بعضهم « فإِنِهم لا يكذبونك » ،

(١) التذييل والتكميل لأبى حيان ٥ / ٢٩ مصور بجامعة القاهرة .
(٢) اللسان ٢ / ٤٤٦ .
(٣) البحر المحيط ٧ / ٥١٤ .
(٤) الهمع للسيوطى ١ / ٥٨ فما بعدها .
(٥) الهمع للسوطى ٢ / ٢٠٠ .
(٦) مختصر شواذ القرآن ٥١ لابن خالويه . نشره : برجشتراس .

( الأنعام ٣٣ ) بكسر الفاء والهمزة [١] ويقرءون : « وإنا ظننا » ( الجن ٥ ) بكسر الواو والهمزة . ويغلب عامل التوافق الحركى على هذه الشواهد ، لتمام النسق الصوتى وكماله ، فهى شواهد متطورة ( فرع ) عن ( أصل ) .

ب - ومثل ذلك قولهم : أخذه ما حدُث وما قدُم . وضمت الدال من حدث حين قرن بقدم ، لأجل كمال النسق الصوتى حفاظا على الموازنة، والأصل فى : حدث - على وزن فَعَل بفتح العين . والضم : فرع عن هذا ( الأصل ) .

٥ - أبواب الثلاثى بين الأصل والفرع .

من المعروف الثابت أن فعل - بفتح العين يأتى مضارعه على يفعل بضمها ، ويفعل - بكسرها ، ويفعل - بفتحها إن كانت عينه أو لامه حرف حلق . وأن مضارع فعِل - بكسر العين يكون على يفعل - بفتحها ، وجاء كسر العين فى المضارع فى أفعال محصورة ، وأن مضارع فعُل - بضم العين لا يكون إلا مضموم العين فى المضارع هذا هو نظام الفعل الثلاثى . فإذا وجدنا فعلا غاير هذا النظام بأن يكون ماضيه على فعل - بفتح العين ومضارعه على يفعل - بفتحها ، وليست عينه أو لامه حرفا من حروف الحلق .

أو يكون ماضيه على فعِل - بكسر العين ومضارعه مضموم العين ، أو يكون على فعُل - بضم العين ومضارعه خلاف ذلك قررنا بأنه من تداخل اللغات .

ومن القواعد الأساسية أنه دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضى لصيغة المضارع ؛ لأن الهدف إفادة الأزمنة ، فجعل لكل زمان مثال مخالف لصاحبه ، وكلما ازداد الخلاف كانت فى ذلك قوة الدلالة على الزمان[٢] ، والعدول عن المخالفة بين الماضى والمضارع لا يجوز إلا لأمر طارىء ؛ وذلك أنه إذا كان عين الفعل أو لامه حرفا من حروف الحلق ، إذا حروف الحلق ثقيلة ، لخروجها من أقصى الحلق ، والضم والكسر ثقيلان ، فلو جاء مضارعه على ( يفعُل ) أو ( يفعِل ) بضم العين أو كسرها - حال كون عين فعله أو لامه حرفا من حروف الحلق - لأدى إلى الجمع بين الثقيلين ، فيجىء مضارعه على يفعل - بفتح العين ، لأن الفتح أخف الحركات ، وليكون خفة الفتحة فى مقابلة ثقل حروف

(١) السابق ٣٠ .
(٢) الخصائص ١ / ٣٨٠ ط . الهلال .

الحلق [1] ، ولهذا رأى النحاة أن الباب الذى اتفقت فيه حركة عين ماضيه وحركة عين مضارعه فى غير باب فعل - بضم العين فرع عن غيره - أى أن الفتح فرع عن الضم والكسر ، إذ لو كان الفتح أصلا لجاء من غير قيد ولا شرط ، ولكنه قيد بكون الحرف حلقيا، أما الضم والكسر فقد ورد بدون قيد .

ولهذا نجد مواده فى المعاجم اللغوية أقل من مضموم العين أو مكسورها .

أما مضارع فعل - بضم العين ، فلم تختلف حركة العين فى مضارعه ، لأنه يعتبر أصليا فى الثلاثى ، فهو لازم لا يتجاوز فعله الفاعل، فأرادوا أن حركة عين الفعل الماضى لا تتجاوزها حركة عين المضارع لتكون حركتا عين الفعل ( الماضى والمضارع ) متوافقين ليدل اللزوم اللفظى على اللزوم المعنوى حتى يكون اللفظ مطابقا للمعنى .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن صيغة فعل - بالضم - فرع عن فعل - بالفتح لأنه لا يلجأ إليها إلا حين يراد المبالغة فى الحدث الذى تتضمنه الصيغة الأصلية ( فعل ) بالفتح [2]

فأما باب نصر ( الأول ) وباب ضرب (الثانى) كلاهما أصل .

وأما باب فعل يفعل - بالفتح فى الماضى والمضارع ففرع عنهما .

وأما باب فعل - بالكسر ، يفعل - بالفتح فأصلى أيضا ؛ لأن الأصل كما قلنا أن يخالف بين حركتى عين الماضى والمضارع فى اللفظ كما خالفه فى المعنى ، ولهذا يطلقون على كل من الباب الأول والثانى والرابع ( دعائم الأبواب ) لأصالتها وكثرة المواد فى المعاجم العربية التى تتواكب عليها . أما باب ( فعل يفعل ) بالكسر فيهما فقليل نادر ، يؤكد هذا أن قراءة حفص القرآنية لا تشتمل على باب ( فعل يفعل ) بالكسر فيهما طبقا لإحصائية فى الأفعال الثلاثية الصحيحة فى القرآن الكريم، كما أن قراءة حفص قد خلت أيضا من باب ( فعل يفعل ) بالضم فيهما إلا فعلين اثنين وهما : كَبُرَ يكبُرُ وبَصُرَ يبصُرُ بالضم فى الماضى والمضارع .

( للبحث بقية )

أحمد علم الدين الجندى

الخبير بالمجمع

---

(1) شرح الجرجانى على تصريف العزى ٣٠ .

(2) فى اللهجات العربية ١٦٩ ط ٣ ، من أسرار اللغة ٣٨ ط ٢ . للدكتور إبراهيم أنيس .

# اللغة والحضارة

للدكتور محمد بديع شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - إسهام اللغة العربية فى أصول الثقافة ومفاهيمها وإثراء الفكر فى التعبير ، لبناء الحضارة ، قبل التاريخ وبعده .

٢ - العرب منحوا العالمَ الأبجدية العربية : أجلُّ نعمة فى الوجود الإنسانى .

٣ - كُتِبَ هذا البحث بمناسبة مفتتح القرن الرابع عشر الهجرى .

## مفهوم الثقافة فى اللغة العربية :

ينبسط على العلوم والآداب والفنون ، التى يطلب فهمها والحذق فيها وعلى هذا يقال : ثقف فلان العلم والصناعة ثقفاً حذقها فهو ثقيف ، ويقال تثقف : أى تعلم وتهذب ، وفلان تثقف على فلان . وتثقف فى مدرسة كذا ، أى تخرج فيها ، فالثقافة جماع عناصر الحضارة فى العلم والصناعة ، والمهارة والتهذيب : تجمع فى مفهومها سلامة الجسم وسلامة العقل ، بين الاتباع والإبداع ، بين الخَلْقِ والخُلُق [١] .

ومن منطلق مفهوم هذه الكلمة الجامعة للمعانى ، ألتى تنير المجتمع الانسانى ، أعود إلى مغارس أصول اللغة فى حضن الأمة العربية ، باسطاً صحائف تاريخها الثقافى بما قدمته للحضارة الإنسانية فى عصورها التالدة والطارفة ، موجزاً القول ، مقتصراً على المعالم البارزة متجنباً ما حدث من حروب وغزوات متوخياً حسب الاستطاعة ذكر عوامل التكوين والبناء الحضارى .

قال علماء التأريخ بما وصل إليهم من الأخبار ، وتخلت عنه بطون الأرض فى الآثار : « إن الطبيعة تنكرت فى حقبة من الزمن للأمة العربية فى شبه جزيرتها ، فرمتها بريح عاتية ، هدمت سدودها ، ودمرت معالم حضارتها ، ثم أعقبها جفاف رماها بقحط أهلك الزرع والضرع ، فاضطر أقوامها إلى الهجرة والارتحال، طلباً للماء والعشب والعيش

(١) بفتح الخاء وسكون اللام فى الأول وضمهما فى الثانى .

فأخذت موجات قبائلها تتدفق على الهلال الخصيب إلى سهُول الرافدين ومشارف الشام وشواطىء الأبيض المتوسط وشواطىء النيل .

ويتفق المؤرخون فى حدود ظنهم ، على أن هذه الهجرات قد تكون بدأت فى الألف الخامسة أو فى مفتتح الألف الرابعة قبل الميلاد وقد تكون أول موجة من القبائل العربية هى الموجة التى نزلت على السومريين ذوى الحضارة الرفيعة المزدهرة فى جنوبى العراق ثم ارتفعت هذه الموجة صعداً إلى أواسط الفرات، وهناك أقامت مدينة أسمتها ( أكّدْ ) ، وهى كلمة عربية خالصة ، تؤدى معنى الإحكام والاستقرار يقال أكّدَ الشيئ تأكيداً وثّقه وأحكمه فأقره ، ومنها أخذت القبيلة اسمها ولقبها فهم الأكديون والرجل منهم أكّدىّ والمرأة أكدية .

ونزل العموريون أبناء عمهم أعالى الفرات والأقسام الشمالية من بلاد الشام وانتشروا فى أواسط سورية وأعالى لبنان ، وامتدوا إلى جنوب فلسطين وأسسوا فى وطنهم الجديد دولة ( عمورد ) أو ( مارتو ) باللغة السومرية واتخذوا من مدينة مارى ، عاصمة لهم - قرب (أبو كمال) المدينة السورية الواقعة على الحدود بين العراق وسورية وتعرف اليوم بـ ( تل الحريرى ) .

ونزل الكنعانيون الذين يرتبطون بالعموريين بصلة القرابة أرض سورية الكبرى ، واستوطنوا معظم أرض فلسطين وفى سفوح جبال لبنان وأنشأوا مجموعة من المدن أطلق عليها اليونانيون اسم فينيقيا ( PHDINIX ) والذين ارتحلوا إلى شواطىء النيل ، قال عنهم المؤرخون ، إنهم انتقلوا فى حدود الألف الرابعة قبل الميلاد ، جاءوا من ناحية السويس ، عبر سيناء أو من جنوبىّ الجزيرة عبر مضيق باب المندب ، جاءوا ومعهم أصول حضارة ، جاءوا بفن التحنيط وبالكتابة الهيروغليفية والوثنية العربية .

قلنا : إن الأكديين كانوا أسبق القبائل العربية هجرة إلى وادى الرافدين ، حطوا رجالهم على الضفة اليمنى من نهر الفرات متجاورين مع السومريين الذين كانوا ينعمون بحضارة ممتازة ، فاختلط الشعبان وتزاوجت ثقافتان : الأكديون ، بما جاءوا به من جزيرتهم والسومريون بما كانوا ينعمون به من تقدم وازدهار فاندفع الأكديون بما لهم من مهارة فقصروا آماد الدهر ، واستقبل عصرهم منهم

خَلقاً وإبداعاً ، فكان أبرع ما جاءت به علوم في الهندسة : تخطيط رِيٍّ متقن في إقامة السدود وحفر القنوات وخزن المياه لإرواء الأرض وبناء المدن ، ثم عمدوا إلى افتتاح المدارس ونشر التعليم والتأكيد على إتقان القراءة والكتابة واعتبارهما مفتاح الحضارة .

لقد فكر هذا الشعب بقوى الطبيعة في خلق السموات والأرض وتعاقب الفصول واختلاف الليل والنهار ومشاهد الطبيعة في جبالها وسهولها وأنهارها وبحارها في جفافها وخصبها فاندفعوا في سبر أسرارها حتى تمكنوا منها واتصلوا بها خلقاً وإيجاداً فعبدوا قواها ، وثبّتوا أصنامهم في معابدهم بما يرمز إليها في عبادة قوة النمو والتوالد تلك العقيدة التي تركت آثاراً تَعَبُّديّة في عقائد كثير من الأمم .

والطبيعة وحدها معلّم ماهر ، خصائصُها تكشف عن أسرارها وتمد الدارس المتفحص فيها بالحقائق ، وتجهزه بالخيال ، فتنطبع المحسوسات في ذهنه ، وتتفاعل الأفكار وتلمع الفكرة الناضجة ، فيعوزها التعبير ، فإذا كانت أداة التعبير محددة واضحة أبرزت المعاني الصحيحة ، وفي تجمع المعاني وضمّ بعضها إلى بعض يكتمل الموضوع بفكر ناضج وهنا موطن الإبداع والابتكار ، وهنا يكمن الجذع الحضاري الذي ينمو ويتفرع ويورف ظلاله ، وإلى هذا يعود سبب الاهتمام بالقراءة والكتابة .

لهذا عمد الأكديون إلى إخوانهم السومريين، فأخذوا عنهم الكتابة المسمارية وفتحوا بها المدارس باللغة الأكدية على طراز لا يبتعدُ عن أحداث ما في يومنا هذا ، فقد جهزوا الطلاب بقوائم مفردات اللغة ، وبالمعاجم ، وشروح اللغة ، وهُيئت لهم مقاعد الفصل وقاعات الدرس ، وصارت اللغة الأكديّة لغة التثقيف واللغة الرسمية في العراق ، وفي الأقطار التي خضعت للحكم الأكدي ، فدخلها الكنعانيون والعموريون والبابليون وتعلموا بها ، واستمرت لغة التخاطب والتدوين في العهد البابلي القديم والعهد البابلي الأخير ، حتى زاحمتها اللغة الآرامية في القرن السابع قبل الميلاد .

فلما انبسط رواق الحضارة الأكدية في العلوم والآداب والصناعة وقويت شوكتهم اندفع سرجون الأول الأكدي ( ٢٣٧١ - ٢٣١٦ ) فبسط سلطانه على معظم الهلال الخصيب وقسم من آسيا الصغرى ، ووصلت

سيطرته على قبائل زاغروس كما أتم الاستيلاء على جميع الدويلات الصغيرة فى جنوبى العراق ، وضم عيلامَ إلى امبراطوريته ، وبنى اسطولاً ضخماً أخذ يمخر عباب الخليج العربى وبحر العرب وخليج عمان والبحر الأحمر ، واتخذ من شط العرب بحيرة عربية ، وقسّم عيلام إلى محافظات وأنشأ على الضفة اليمنى من الخليج محافظة خاصة به يقيم بها أحياناً ويتولى أعماله منها مباشرة ، وضمها إلى محافظات عيلام ، وتعاونَتْ مدينة سوسه : عاصمة عيلام مع مدينة أكد عاصمة الأكديين تعاوناً ثقافياً وسياسياً وعسكرياً مع احتفاظ عيلام بشخصيتها ، فقد كان من عادة هذا الامبراطور المبدع أن يترك للدويلات أنظمتها الإدارية والعسكرية ويكتفى منها بالانضمام إلى كيان امبراطوريته ، ومع ذلك فقد وجّه اهتماماً خاصاً لعيلام ، فجعل مدينة سوسه العاصمة العيلامية مدينة أكدية فى ثقافتها ولغتها وعقيدتها ، واستمرت عيلام على هذا النحو الثقافى إلى القرن الثالث عشر وكانت الأيام دولاً بين سوسه وأكد تصل أحياناً إلى حرب . وأحياناً إلى تحالف متين ففى عهد نارامسن ( ٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ) توثقت الصلة بين الشعبين وعقد تحالف بين خيتا ملك عيلام ، وبين نارامسن دفعاً لخطر يهدد سهول الرافدين من ناحية جوتيم ( GUTIUM ) ، وقد وجد فى هذه المعاهدة ( ٣٥ ) اسماً من أسما الآلهة وأمكن اقتطاف عبارتين منها وهما :

عدوّ نارامسن هو عدوّى

وصديق نارامسن هو صديقى

وورد فى الألواح المكتشفة حول صلة الشعبين : أن كويتك قَبلْ أن يكون ملكاً على عيلام وفى عهد الملك خيتا استطاع أن يقوم بحملات بصفته تابعاً لملك أكد . وأول حملة قادها ، كانت فى وادى الرافدين لإخماد ثورة وقعت فى أعالى نهر ديالى وبعد موت خيتا جاء كوتيك ( ٢٢٤٠ ق م ) ويعد المؤسس الأول لعظمة عيلام وتقول الرُّقُم المكتشفة إنه نال عظمته بما أداه من الخدمات للآلهة ، ولذلك قدر أن يقول عن نفسه إننى أملك هذه الأرض لأن الآلهة اختارتنى لتكون هذه الأرض ملكاً لى.

وفى ظلال الأكديين كان للعموريين دولة فى الفرات الأعلى بلغت شأواً بعيداً فى الحضارة ويذكر المؤرخون أن هذا الاسم أطلق عليهم من

قبل السومريين ومعناه ( الغربيون ) أى القادمون من الغرب ، كما ذكر أن اسمهم مشتق من كلمة عَمَرَ ، بمعنى تردد على المكان وجعله آهلاً خصباً ، وفى عاصمتهم مارى تخلت الأرض عن كنوز لحضارة غنية ، وقد تم ذلك عام ١٩٣٣ ق م فى المكان الذى يسمىَ تلّ الحريرى فلما انتهت دولة أكد ضمت الدويلات العمورية بعضها إلى بعض ولمّتْ شملها وتكونت منها فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد مملكة موحدة دعيت المملكة البابلية القديمة ، ودعى ملوكها بسلالة بابل الأولى بلغ عددهم أحد عشر ملكا حكموا زهاء ثلاثة قرون ( ١٨٩٤ - ١٥٩٥ ) من أشهرهم الملك الكبير حمورابى الذى حكم اثنتين وأربعين سنة ( ١٧٩٢ - ١٥٩٥ ) .

أنهض هذا الملك العظيم الحياة الفكرية من تعثرها ، وامتلك قوة عسكرية ضاربة أعانته على تحقيق منهجه الفكرى والاجتماعى . وحّد جميع الدويلات الصغيرة فيما حوله التى كانت تابعة للدولة الأكدية ، ومن أهمها عيلام : الأكديةُ - ثقافةً - ولغةً - وصناعة وعربيةً عِرقاً .

وكانت عيلام تحالفت مع أور ولارسا ضد حمورابى . وفى السنة الثلاثين من حكمه زحف بجيشه واستولى على أور ولارسا واستمر فى زحفه حتى وصل إلى الحد الشرقى وهى عيلام فبانت له جبال عيلام كالدمن فأخضعها وكتب فى انتصاراته الأغانى التى تمجده منقوشة على الألواح بالحرف المسمارى واللغة الأكدية :

على مدى الأيام ظهر المقاتل المعظم حمورابى الملك

هو الذى عصف بالعدو فى زحفه
هو الذى اكتسح أرض العدو والصديق
وأنهى فى حروبه جميعها قوة المتمردين
وفى زحفه ظهرت جبال عيلام كالدمن

ولا تهمنا انتصاراته الحربية مثلما تهمنا معالم الحضارة التى أقامتها عبقرية هذا الملك الكبير ومن أعظم الوثائق الفكرية ، تلكم الوثيقة العظيمة المتمثلة فى المسلّة التى نُقشتْ عليها شريعته المكتوبة بالحرف المسمارى واللغة الأكدية المفتتحة بالعبارة الرائعة التالية « إن الآلهة قد نادتنى لأمنع الأقوياء من ظلم الضعفاء وأنشر النور فى الأرض وأرعى مصالح الخلق » .

والعدل عنوان الحضارة وفى ظلال العدل والأمان تنطلق الأفكار بالإبداع والابتكار

ويســـود فى المجـتـــمع خُلق عظيم ، وَحَسْبُ المجتمع عدل واستقامه .

فى هذه المسلّة ٢٨٥ مادة يقول عنها بعض علماء الآثار إن فى هذه الوثيقة ما يرجع إلى التشريع السومرى وإن عبقرية حمورابى صاغت من الفكرى السـومرى والفكر البابلى هذه الصياغة البارعة . وفى هذا الرأى شعوبية وتحامل على العبقرية العربية ، ويقول إن آشور انضوَت تحت عدالتها طوعاً وإن عيلام حملتها من أرض بابل إلى سوسه اغتصاباً ، وقد يكون من خطل الرأى أن يؤخذ بالخبر القائل إن الملك العيلامى شتروك ناحونتى الذى غزا بابل حوالى ١١٧١ ق م قد نقلها إلى سوسه عاصمة عيلام إثر انتصاراته على بابل . إن المسلة مكتوبة بالخط المسمارى ومنقوشة باللغة الأكدية على حجر الديورايت الأسود . وقد نصب حمورابى هذه المسلة فى فناء معبد ايزاكيلا معبد الإله مردوخ الإله الرسمى للدولة البابلية ، ونصبَ مثلها فى معبد الآله شمش فى مدينة سيبار الإله الرئيسى للمدينة. ولِمَ لا تكون المسلة نُصبتْ فى مدينة سوسه بمحض إرادة حمورابى . ونحن نعلم الجهدَ الذى بذله الملك سرجون الأكدى فى جعل سوسه أكدية اللغة والثقافة والعقيدة عربية الأصل والنزعة ، كما نعلم أن التشريعات كلها وصلت إلينا بألواح مكتوبة بالأكدية ، إن هذه المسلة عنوان حضارة أمة ذات مجتمع فاضل له آفاقه العلمية فى الهندسة والطب والرىّ والزراعة والتجارة والصناعة والآداب والفلسفة والتشريع ، متماسكة فى علاقات وثيقة بين الفرد والمجتمع وبين الفرد والدولة يستند كل ذلك إلى حفظ حقوق الإنسان ، وقد قال حمورابى إن الآلهة طلبت منه أن يقوم بذلك فيمنع الأقوياء من أن يظلموا الضعفاء فلِمَ إذن لا يصح الافتراض أن حمورابى نصبها بنفسه حين ضم عيلام إلى امبراطوريته لأهمية سوسه وصلة الشعبين صلة قرابة ووحدة لغة وتأريخ وهدف ، لقد عثر على المسلّة فى سوزيان ( الأهواز ) حوالى ١٩٠١ ونقلها الفرنسيون إلى متحف اللوفر شامخة الذرى حاملة عبقرية الشرق إلى عباقرة الغرب مثقلة بالمصطلحات التشريعية بأصول اللغة العربية قبل أن يعرف العرب الإغريق والرومان .

وفى ظلال الأكديين ، وفى المنطقة الشمالية من سهول الرافدين فى البقعة الممتدة على طول ضفة نهر دجلة اليمنى بين

الموصل والشرقاط ، وفى هذه البقعة التى كانت تعرف باسم شوبارتو ، وفى الألف الثالثة قبل الميلاد استقرت قبيلة عربية أسست مدينة آشور نسبةً للآله آشور فعرف أبناؤها بالآشوريين ، ومن ثم أطلق على المنطقة كلها اسم آشور ، وفى هذه البقعة أقام هؤلاء النازحون إمارة صغيرة على غرار المدن الأكدية فى جنوب العراق وظلوا على اتصال دائم بالأكديين يقتبسون منهم صناعة النقش والعمارة ووسائل الزراعة ( رغم أن زراعتهم كانت تعتمد على الأمطار أكثر من الاعتماد على الرى بمياه الأنهار ) ووسائل المعيشة وأسبابها ، ويكتبون بكتابتهم ، ويتكلمون بلهجة تقرب من اللهجة الأكدية إلى أن أصبحت اللغة الأكدية لغة الثقافة والتخاطب ، بل اللغة الرسمية فى المنطقة كلها ، وناهيك بما تأتى به هذه الظاهرة من تقارب وامتزاج بين المدن والإمارات فى شتىَ نواحى الحياة ، وقد وقع الآشوريون تحت نفوذ الأكديين والبابليين ، ثم وقعت تحت أيديهم حضارة البابليين والأكديين والعيلاميين والعموريين والكنعانيين والفنيقيين والمصريين ، وفى اتساع ملكهم واشتداد قوتهم الضاربة قضى سرجون الثانى عام ٧٢٢ ق م على مملكة إسرائيل قضاءً نهائياً وأزالها من الوجود فى أرض كنعان ، ونفى الأسباط العشرة المكوّنة لها ميديا ، وأسكن مكانهم الكثيرين من المدن المجاورة لمدينة القدس ، وزحف أسرحدون بن سخاريب ( ٦٨١ - ٦٦٩ ) على مصر فاستولى على ممفيس وعلى أكثر مدن مصر العليا ، وفى ثورة ترهاقة تمكن آشوربانيبال ( ٦٦٩ - ٦٢٦ ) من التغلب عليه فاستولى على طيبة عاصمة مصر الجنوبية أيضاً وبذلك خضعت مصر كلها للحكم الآشورى ومن بين هذه الغزوات المتكررة واحتكاك الآشوريين المستمر بالشعوب المختلفة ، كانت الحضارة تنمو ، وكانت صناعة الحديد والمعادن تتقدم ، وكانت صناعة الأدوات المعدنية فى أنواعها المختلفة تسير جنباً إلى جنب مع صناعة السلاح ، فقد استخدموا المركبات وأبدعوا فى صناعة المنجنيق بأنواعه المختلفة ، واتسع نطاق تجارتهم باتساع فتوحاتهم ، فأنشأوا لها المراكز المهمة فى أماكن عديدة ؛ وخاصةً فى جنوبى شرقى آسيا الصغرى واهتموا بالاقتباس من الأمم التى اتصلوا بها ، فبرعوا فى الفنون المختلفة، فأتقنوا فنّ النقش والنحت والتصوير، وأخذوا عن البابليين الأدب والفلسفة

والتشريع و تركوا وراءهم خِزانة ثريّة من الرقم الطينية عشر فى الحفريات منها على ٢٥ الفاً نقلت إلى المتحف البريطانى وهى تنتظر من يفك حروفها لتفصح عن فكر ناضج وعبقرية عربية لأمة دوخت شعوب الشرق الأوسط .

وبعد فقد كانت أقاليم الجزيرة والهلال الخصيب بقسميه: سهول الرافدين وبطاح سورية وبادية سيناء وشواطىء النيل بمختلف كياناتها الدولية تعيش فى وحدة جغرافية مترابطة الأجزاء متواشَجة الأصول ، وكانت القوافل التجارية تسير شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، وكان الأكديون يجوبون قلب الجزيرة ، وأسطول سرجون الأول يمخر عباب الخليج العربى وبحر العرب وخليج عمان والبحر الأحمر ، ويسيطر على ما فيها من الجزر والمضايق ويمنع كل طامع للوصول إلى ثغور البلاد ، وكان البابليون يتخذون من تيماء الواحة المعروفة فى الحجاز مقراً لهم أحياناً مع مدينة بابل وكانت سفن الفنيقيين تتهادى فى البحر الأبيض المتوسط تنقل بضائع الشرق إلى الغرب ، ومع اختفاء الامبراطوريات العربية الكبرى مثل أكد وآشور وبابل لم تختف معالم الثقافة والمعرفة فقد تركت تلكم المعالم الحضارية بصماتها فى كل مكان فى الهلال ، والجزيرة ، وقد كانت فى اليمن دول متمثلة فى المعينية والسبأية والحميرية والجرهمية ، وكلها لها مظاهر حضارية ممتازة ، وكانت جميع المواصلات تحت سيطرة هذه الدول ، ومع ذلك فقد كانت الحروب أقدر على التمازج والاختلاط .

واللغة العربية فى لهجاتها بين هذه الدول والأقاليم تتطور وتنمو بين مشاهد الحضارة وعادات الأمة وتقاليدها ومشاهد البداوة وعادات العشيرة وتقاليدها وكان عباقرة العرب لا يفتئون يبذلون الجهد فى تطوير اللغة وتحسين القراءة والكتابة ، وناهيك بهذه اللغة المعطاءة فى أبنيتها وتراكيب أفعالها واشتقاقها فكانت فى عطائها مثل الأم المرضعة هذه ترضع أبناءها أفاويقَ اللبن وتلك ترضع أبناءها أفاويق البيان ، لإقدار العلماء على وضع المصطلحات وإيجاد المفردات وابتداع أسماء المسميات لإكمال صحة التعبير عن التسمية والفكرة فى شتى فروع المعرفة العلمية والفنية والأدبية .

عن كل ذلك كشفت لنا بطون الأرض فى حضارة أكد وعيلام وأشور وبابل ، وعن حضارة العموريين والكنعانيين والفنيقيين

والأراميين والتدمريين والأنباط ، وجاءتنا الأخبار تنبيء عن آداب للخميين في سهول الرافدين، وحضارة الغساسنة في بطاح سورية، وعن اتصال البادية بالحاضرة وصلة الغساسنة بندوة قصي وأسواق مكة : عكاظ ومجنة وذي المجاز صلات يأخذ بعضها برقاب بعض ، حتى بزغت شمس العقيدة الأسلامية فأعيد التأريخ جَذَعَةً ، واشتركت في هذه المرّة السماء تؤكد «اقرأ باسم ربّك الذي خَلَق خلقَ الانسان مَن علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علّم الإنسانَ ما لم يعلم .» وصفوة القول

كشفت لنا بطون الأرض عن كنوز ثَريّة ، كانت مسلّة حمورابي من أجلّ ما عثر عليه . كشفها العالم الفرنسي دي مورجان عام ١٩٠١ في سوسه وحملها الفرنسيون إلى باريس تحمل في جنباتها ٢٨٥ مادة تشريعية غنية بمصطلحات الفقه والقضاء التي تنبيء عن بناء مجتمع تسوده العدالة . وكشفتْ لنا آثار سوسه عن ٤٥٠ لوحاً مكتوباً باللغة الأكدية كلها تعالج الملكيّة وعشرين وثيقة وُجدت في خوخنور ( KHUKHNUR ) وكلها تحتوي شروط الالتزام وإيقاع العقاب على من يخيس بالعقد .

وقد كان العيلاميون يفصلون في قضاياهم بالأصول العرفية المتبعة بينهم فلما تسلّط الأكديون على سوزيانا أخذ العيلاميون يدونون القوانين ، وقد يكون من باب التوضيح أن نذكر حالة من الأحوال المدنية فصل فيها استناداً إلى القانون المدون وردت في لوح من الألواح المكتشفة ولم ترد بَعْدُ في كتاب عربي وهي : ( اشتكى أخوان يطلبان تسليم قطعة أرض استولىَ عليها ابن عمهم الذي كان أبوهما قد تبنى أباه فجعله أخا له ، وهذا بدوره تبنى هذا الولد المشتكى عليه ليكون ابناً له ، فهو على هذه الحالة ابن عمهم . ) ورُفعت القضية إلى القاضي ، فأخذ الولد يدافع عن نفسه قائلاً : إن والد المشتكيين قد تبنى والدي أخاً له ، وإنني استند إلى القاعدة الشرعية التي وضعها الآله ( إن شوشيناك ، والإلهة إشمى كاراب ( ISHME KARAB ) التي تنص على أن تبني الأخ يكوّن علاقة أخوية ، وتبني الولد يكون علاقة أبوية وبناءً على هذا فإنني قد وَرِثتُ الأرض التي حصل عليها والدي من أبيهما الذي تبناه ، فتشكلت المحكمة من المستشار والقاضي والمحافظ وبعضاً من سكان المدينة ووضع كشف بجميع

أملاك أبيهما ، وبعد المداولة والفحص صدر الحكم فى صالح المشتكى عليه ، وسمح له بالاحتفاظ بقطعة الأرض التى حصل عليها أبوه بالتبنى : كأخ لأبيهما ورفضت دعوى المشتكيين ، وكتب الإعلام الشرعى محتوياً على ثلاثة وعشرين شاهداً مبتدئاً بالمحافظ ومنتهياً بكاتب المحكمة ، وذيلت وثيقة الحكم باسمى الآلهين المذكورين ، وطلب فى الوثيقة من الولدين المشتكيين أن يعودا إلى بيتهما بسلام وختمت بختم عليه صورة الآله واقفاً على كرسى رسمى رافعاً يديه إلى السماء داعياً . وقد أرفق بالإعلام الشرعى وثيقة كتب فيها ( إن كل من يعترض على هذا الحكم سواءً من المدعى والمدعى عليه سيقع تحت طائلة غضب الآلهين : ( خوميان ) ، و ( إن شوشيناك ) وستضرب الإلهة إشمى كاراب رأسَ من يدمر هذه الوثيقة .

هذه الحالة تعرب عن وصول القضاء فى عيلام إلى ذروة التقدم فى المرافعات والإجراءات القضائية فى الفصل بين المتخاصمين فضلا عن غناها بالمصطلحات التشريعية التى تستعمل اليوم .

ووردت ألواح تنبىء عن طبيعة الحكم فى إدارة الدولة ، ونتيجة للعثور على ثلاثة ألواح بالأكدية ظهر لنا أن هناك مشاركة بين المملكة البابلية وعيلام فى وضع التشريعات التى طبقت فى عيلام ، من هنا نستنتج أن قانون حمورابى كان نافذاً فى عيلام إلى درجة ما وقد أخذت بابل من القانون الزراعى العيلامى فوضعت فى قوانين بابل لكى ينفّذ قانون حمورابى فى عيلام .

إن طريقة التشريع ( KUBUSSUM ) بالأكدية التى تسمى القانون المقدس للمعبد يضعها الكهنة ويعزونها إلى وحى إلهى أما القوانين الإدارية فيضعها نائب الملك وأمير سوسه .

وكشفت لنا الآثار - فى سهول الرافدين عن ثروات علمية مدهشة ، تركها لنا الأكديون والبابليون والسومريون والآشوريون : كشفت عن ألواح طينية مرقومة ، عليها جداول الضرب ومسائل الجمع والطرح والضرب والقسمة ، والجذور التربيعية والتكعيبية ففى تل حَرْمَل والضَباعىِ الواقعين فى بغداد الجديدة ، اكتشفت رقم طينية من مصنفات المؤسسة العلمية فى ذلك العهد ، تناولت فى كتاباتها نواحى المعرفة من شرائع

وآداب ورياضيات وفلك وجغرافية وموسيقى ومن هذه الرقم لوح يتضمن نظرية هندسية خاصة بتشابه المثلثات على نمط ما عرف بعدئذ بنظرية أقليدس ، وبين هذه الرقم لوح رياضى هندسى على مثال ما عرف بنظرية فيثاغورس ، وبعبارة أوضح إن بعضاً مما عثر عليه من النظريات الهندسية والمسائل الجبرية وجدت فى سهول الرافدين قبل أن يولد أقليدس ويولد فيثاغورس بقرون عديدة ، ولا شك فى أن هذا النتاج الفكرى لم يكن ابن يوم ولا ابن الصدفة ولابد من أنه مستند إلى منهج متطور وكتاب ومعلم .

وناهيك بما قدمته ملحمة جلجامش التى نَسجَ خَيالها على شاطىء دجلة والفرات روائع الفن ، عرضت هذه الملحمة حياةَ الانسان فى خيرها وشرها فى وحشيته وتهذيبه فى قوّته وضعفه فى طموحة ولهوه ، وفى صبره، وجزعه، فى مثابرته وتهاونه وبخيال رائع نشرت فى ثنايا عباراتها سِرّ التكوين والخلود وعلة الفناء والوجود فى حوار جميل بين جلجامش الذى تعتبره الملحمة ثلثى آله وبين الإلهة عشتار بعد عودته مع صديقه أنكيدو وقضائهما على الشرّ فى جسد خمْبابا بين أشجار الأرز وفى ثنايا هذا الحوار الفلسفى لم تغفل الملحمة شأو ما وصلت إليه الصناعة فى سهول الرافدين ، تقول الملحمة :

( رَفَعَتْ عشتار الجليلةُ عينها ورمقت جمال
جلجامش فنادته !
تعالى يا جلجامش كن عريسى !
وَهبنى ثمرتك أتمتع بها . كن زوجى !
وأكون زوجك ! سَأعِدُ لك مركبة من حجر
الآزورد والذهب .
وعجلاتها من الذهب وقرونها من البرونز .
وستُربط لجرّها شياطين الصاعقة بدلاً من
البغال الضخمة . وعندما تدخل بيتنا ستجد
شَذَىَ الأُرز يعبق فيه ، فإذا دخلت بيتنا
فستقبّلُ قدميكَ العتبةُ والدكة سينحنى لك
الملوك ، والحكام والأمراء ، سيقدمون لك
الإتاوة من نتاج السهل والجبل وسيحمل معزك
الثلاثَ ، ونعاجُك التوائمَ . وحمير الحِمل عندك
ستفوق البغالَ فى الحمل ، وسيكون لخيول
مركباتك الصيت المعُلّىَ فى السباق . وثورك
لن يكون له مثيل فى نيره .)

ففتح جلجامش فَمَه وأجاب عشتار الجليلة وقال : ولكن ماذا علىّ أن أعطيك إن تزوجتك أتحتاجين إلى السمن ( الزيت ) والكساء

لجسدك ؟ وأى أكل وشراب تحتاجين إليه مما
يليق بسِمَة الألوهية ؟ أى خير سأناله
لو تزوجتك .
أنتْ ما أنت إلا الموقدِ الذى تخمد ناره فى
البرد !
أنت كالباب الناقص لا يَصدُّ عاصفةً ولا ريحا.
أنت قصر يتحطم فى داخله الأبطال ، أنت
فيل يمزق رَحْله
أنت قير يلوث من يحمله وقربة تبلل حاملها ،
أنت حجر مرمر ينهار جِدَارُهُ
أنت حجر ( يَشْبِ ) يستقدم العدو ويُغْرِيه .
أنت نعل يقرص قدمَ منتعله أيّ من عشّاقك
من بقيتِ على حبه أبدا ؟ وأيّ من رعاتك من
رضيت عنه دائما ؛ تعالىَ أقص عليك مآسى
عشاقك .

ويمثل هذه العبارات الرائعة والأمثلة المحكمة : أخذ جلجامش يحاورها وأخذت اللغة تتدفق لتجعل لما يجول فى الذهن وجوداً خارجياً وثراء لغوياً يعين التفكير على التعبير.

أما آثار مدينة مارى العمورية فى الفرات الأعلى فقد كشفت عن روائع الفن والتنظيم ومعالم العلم والمعرفة فى صناعة الأجيال وقد تم العثور عليها عام ١٩٣٣ ، وأبهج ما فى هذه المعالم الحضارية قصر الملك زمرى ليم (١٧٣٠ - ١٧٠٠ ) آخر ملوك مارى . وقد وجد فيه ما يقرب من ٢٤٠٠٠ لوح طينى مرقوم بالكتابه المسمارية ، ويغلب على لغتها اللهجة الأكدية ، ويحتوى القصر على ٣٠٠ غرفة ممتازة منها غرفتان مزودتان بالمقاعد تشبهان غرفة التدريس أو أبْهاءَ الاجتماعات ، وفى بعض هذه الغرف ألواح جدارية جميلة باطارات ورسوم متقنة الصنع للرجال والآلهة وتتبسط ساحة القصر بأكثر من ستة أفدنة ، فيها مرافق للإستحمام وتصريف المياه . ومن روائعة الفنية رسم ملون بألوان زاهية يمثل الملك يتسلم من عشتار رموز السلطة .

وعلى شواطىء النيل وسهول سيناء وشواطىء البحر الأبيض وصل الفكر العربى إلى الذروة فى الثروة الثقافية من بين قوم تربطهم أواصر القربى والوحدة الجغرافية والمصالح الاقتصادية والسياسية : هم المصريون والفنيقيون ( الكنعانيون ) .

يقول الأستاذ عزة دروزة فى كتابه ( تأريخ الجنس العربى ) نقلاً عن المؤرخ ما سبرو إن لعروق المصريين الأقدمين والعرب الفنيقيين والكنعانيين روابط تشد بعضها إلى بعض ،

وليس المصريون سوى عرب انفصلوا عن مهد العروبة قبل غيرهم ، وفى هذه الهجرة جاءوا بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية والوثنية ، ويقول الأستاذ جورجى زيدان فى كتابه ( العرب قبل الإسلام ن ) قلاً عن المؤرخ KING ( كينج ) إن العرب نزحوا إلى مصر من عهد قديم جداً، ومن الاكتشافات الأخيرة يظهر أن العصر الحديدى بدأ فى مصر حين دخول العرب إليها، أى أن العرب أدخلوا على مصر فن الحدادة فى أقدم أزمنة التأريخ المصرى ، ولعلهم حملوا ذلك من وادى الفرات أو من بلاد كنعان .

لقد ضرب الفنيقيون فى الأرض ومخرتْ سفنهم ، فأبْعَدوا فى البحر وكانوا أول أمة فى التأريخ تاجرت فى البر والبحر ، فكانت تجارتهم تصل من موانئهم على الأبيض المتوسط إلى مراكز تجارتهم فى الخليج العربى، وقد حققوا أعظم عمل بحرى فى دورانهم حول أفريقيا ، قبل البرتغاليين بألفى عام ، وكان عملهم هذا بأمر من فرعون مصر نخاو ( ٦٠٩ - ٥٩٣ ) من السلالة السادسة والعشرين ، وهو الذى أعاد حفر الترعة القديمة التى كانت تربط الفرع الشرقى للنيل بطرف الأحمر الشمالى ، وكانت المدن الكنعانية تحمى دوماً بمصر بل كانت كنعان تعتبر محافظة من محافظات مصر ، وترى فى فرعون مصر حَامياً من هجمات الأعداء ( رسائل ، تل العمارنة رقم ٢٨٥ - ٢٩٠ ) .

لقد أسهم المصريون والفنيقيون فى إبداع الصناعة وتنمية الزراعة والمحافظة على طرق التجارة وسلامة المواصلات البرية والبحرية ، وفى قِصّة ( سنوحى ) الأسطورية وصف دقيق لمعالم الحضارة : أبرز ما فيها دقة الصنع فى الأثاث والثياب والذوق الرفيع فى الْحلِيّ وصناعة الذهب ، والمتاحفُ المصرية والأهرام تنطق رغم صَمْتِ أبى الهول بما وصلت إليه مصر فى الفن وبما كُتِبَ على أوراق البردى من النصوص ، فى الطب والهندسة والعلوم ، والآداب والفلسفة والعقيدة ، وبما نقشت على الألواح فى حوادث الحروب ولم يقل النتاج الحضارى عند الكنعانيين عنه بما عند أبناء عمهم العموريين والبابليين ، والآشوريين والمصريين ، فإن الصلات المستمرة حرباً وسلماً بين الرافدين وبطاح سورية وشواطىء النيل ساعدت كثيراً على تنويع وتلقيح الحضارة بين هذه الأقاليم ، يدل على ذلك ما جاء فى تنوع الكتابة التى كانت تستعمل فى توثيق العقود

وتبادل الأفكار العلمية والأدبية والدينية والمراسلات السياسية ، التى انطوت كلها فيما بعد تحت المسمارية ، واللهجة الأكدية التى عرفت فيما بعد بها مراسلات تل العمارنة . اكتشفت من هذه الكتابات أنواع فى رأس شمرا عام ١٩٢٩ وفى بيبلوس عام ١٩٣٠ . تعلم الكنعانيون الكتابة بالحروف المسمارية واللغة الأكدية فى مدارس أسست خاصة بها مجهزة بالمعاجم وقوائم المفردات والتمارين التطبيقية ، من هذه المدارس اكتشف نموذج لبقايا مدرسة للكتبة ملحقة بمعبداً أوغاريت ، فكانت هذه المسمارية مع الهيروغليفية أساساً لإيجاد الأبجدية الفنيقية . التى هى الأبجدية العربية .

ويعد من أثمن المكتشفات فى أوغاريت الكتابة الأبجدية من النوع المسمارى واللهجة الكنعانية وتضم هذه الأبجدية ثلاثين حرفاً . ويؤكد المؤرخون والأثريون : أن الأبجدية الفنيقية وضعت فى سيناء بمكان يقال له (سرابيط الخادم) لسهولة التفاهم بين المصريين ، والكنعانيين ، الذين يعملون فى مناجم الفيروز ومن بين الهيروغليفية والمسمارية نبعت فكرة جديدة وهى أن تختزل الهيروغليفية ، فيحل الحرف محل الصورة ، ويعطى الحرف الصوت الأول . فى الشىء الذى يمثله ، فعلامة بيت سموها ( بيت ) واستعملوها لصوت (ب) وعلامة ( يد ) سموها ( يود ) واستعملوها لصوت (ي) وعلى هذا النمط تمكنوا من تشكيل مجموعة بسيطة من العلامات التى يمكن أن تتهجى بها الكلمات ، فكانت الأبجدية ، وتم أعظم اختراع أتى به الإنسان فى محيط الحضارة البشرية وقدم العرب بهذا الاختراع أجل نعمة للإنسانية .

واقتبس الأراجون الفنيقية وكتبوا بها وطوروها حتى أصبحت فى عام ٤٨٦ ق م اللغة الرسمية فى المنطقة كلها وعنها أخذ الأنباط الكتابة وطوروها ، فأخذت فيما بعد طابعاً مميزاً وعن الأنباط أخذ عرب الشمال فى الجزيرة أبجديتهم التى أخذت شكلها العربى الذى كتب به القرآن . وأخذ المعينيون الأبجدية الفنيقية لسهولة تناولها ، فدونوا بها لغتهم وهى عامية بالنسْبة إلى لغة بابل ، فتنوعت وتطورت بمرور الأيام حتى وصلت إلى حرف المسند ، وإذا صحت الرواية أن المعينيين كانوا فى سيناء فلا يبعد أنهم أخذوا الفنيقية مباشرة وطوروها وفق المتغيرات الثقافية، وفى ما بين

٨٥٠ ، ٧٥٠ ق م نقلها اليونانيون إلى الغرب بعد أن أدخلوا عليها بعض التحسينات ، ثم تلقفها منهم الرومان ، فانتشرت أبجديات وفق مقتضيات الأحوال والارتقاء فى أرجاء المعمورة ومع هذه الحضارات التى مرت بنا أسهمت دولة الأنباط وتدمر ودولة الغساسنة فى بطاح سورية ودولة المناذرة فى سهول الرافدين . وندوة قصى فى مكة المشرفة على عكاظ ومجنة وذى المجاز تلك الندوة المتمتعة بكيان دولى ونظام شورى متقن وأمن مُستَتب .

## الأنباط :

حفر الأنباط عاصمتهم البتراء بين الأردن والحجاز فى قلب صخر رملى فبدت عروساً تعكس جمالاً فريداً فى الفن وبهاء الطبيعة ، ويقول المؤرخون إن أول تأريخ ثابت لعهد الأنباط هو عام ٣١٢ عندما صدوا هجوماً لأحد خلفاء الإسكندر ، واندفعوا فى استنباط المياه وانتزاع جزء من الصحراء القاحلة ، وحولوها إلى مروج خضراء ، وسيطروا إبّان القرن الرابع على طرق القوافل التى تمر بين جنوبى الجزيرة العربية وشماليها ، وعلى الطريق المؤدية إلى مرفأ غزة فى الغرب وإلى بصرى ودمشق فى الشمال ، وإلى أيلة على البحر الأحمر وإلى مرافىء الخليج العربى عبر الصحراء ، وبسطوا الأمن فى هذه الربوع ، وبرزوا فى الوجود الدولى شعباً ذكيا يمتلك قوة ضاربة وارتبطوا بحلف مع الرومان ، فنمتْ التجارة والزراعة فى ، ظلّهم وأنشأوا مجتمعاً فاضلاً يتصف بالطيبة والوداعة ، حتى إن أفراده لايحتاجون إلى رفع الدعاوى فيما يحدث بينهم .

ولكثرة اتصالاتهم السياسية والتجارية مع الكيانات الدولية والمحيط السياسى والتجارى كتبوا بالقلم الآرامى واللغة الآرامية ، وهم يتكلمون العربية وفى مرور الزمن أخذت الكتابة طابعاً مميزاً عن الآرامية وتكونت الكتابة النبطية . وعن النبطية أخذ عربُ الشمال فى الجزيرة . وبذلك يمكننا القول إن النبطية تعتبر جسراً واسعاً انتقلت عليه ثمار حضارات الأمم السالفة التى تحررت فى أصلاب الزمن من عهد سومر فى جنوب العراق وأكد فى أواسط الفرات إلى الأنباط فى مشارف الشام وإلى الحجاز فى وادٍ غير ذى زرع .

ويقول المؤرخون إن حضارة الأنباط عربية فى لغتها آرامية فى مراسلاتها يونانية رومانية

فى فنها وهندستها المعمارية ولكنها عربية فى أساسها . ومهما يكن فقد عبر الكثير من المصطلحات والمفردات العلمية والأوربية إلى العربية بطريق الأنباط .

تدمر :

ولما أفلت شمس البتراء بزغتْ فوق مدينة ( تَدْمُر ) التى أصبحت فيما بعد مملكة ذات كيان دولى لها أثرها فى السياسة الدولية .

ضربتْ تدمر بسهم وافر فى الصناعة والزراعة والتجارة ، وبسطت نفوذها فى مملكة واسعة شملت سورية وقسماً من آسيا الصغرى وشمالى الجزيرة العربية ، وارتبطت بحلف دفاعى مع الرومان الذين كانوا ضعافاً أمام الساسانيين ، فقد انهزم جيشهم وسقط الامبراطور فاليران أسيراً ثم قتل ، فاستنجدوا ( بأذَيْنَة ) الملك العربى ، فتقدم بجيشه العربى اللجب فهزم الفرس الساسانيين وتتبعهم حتى زَبَنَهم فى عاصمتهم برسبوليس فى فارس . وبسطت تدمر الأمن مابين البحر الأبيض المتوسط والخليج العربى ، فأخذت القوافل التجارية تسير رخاءً فى غدوٍ ورواح . ومن روائع نظام هذه الدولة تشجيع الماهرين من أبنائها فقد أقام ( مجلس الشعب ) تماثيل لرئيس القافلة ، ورئيس السوق فى المحيط التجارى وللقادة فى الجيش مثلما تقام للملك والملكة .

وكتب التأريخ صفحة مجيدة للملكة الزباء أو ( بنتُ زاباى ) أى بنت العطيّة ومعناها فى لهجتنا اليوم ( هِبَة ) فقد حباها الله جمالاً وبسطة فى القوة وكانت تعيش حياة مُتْرَفة فى بلاط تحفه الفخامة ويتبع فى نظامه نظامَ الأكاسرة استنجد بها الامبراطور أورليان لإخماد تمردٍ فى مصر ، فجهزت جيشاً قوامه : ٧٠,٠٠٠ جندى ، فخلعت الحاكم المتمرد وأقامت حامية فى الإسكندريه . وسكّت النقود ووضعت رأس ابنها ( وَهبُ اللات ) على قطعة النقود بجانب أورليان الامبراطور ، ثم نزعتْ رأس أورليان وأبقت رأس ولدها فى اعادة سك النقود ، وخافت الامبراطورية الرومانية من دولة تدمر أن تطردها من الهلال الخصيب وآسيا الصغرى فغدرت بالملكة ، وأُخِذتْ الزباء إلى روما مقيدة بسلاسل الذهب : وقام أورليان بنفسه وفاجأ المدينة ، فهدمها وأعمل السيف فى قوم كانوا بالأمس عدة الامبراطورية ومثال الوفاء العربى ، وموطن الأمن والأستقرار .

وآثار تدمر الشامخة فى منبسط الصحراء فتنة المعالم جمالاً وجلالاً ، وحسبك أن ترى روعة ذلك فى معبد بعل وفى الأعمدة المقامة فى الشارع الكبير المزدانة بتماثيل شيدت لتشريف المواطنين الذين يستحقون التقدير . أما التماثيل النصفية فتمتاز بعيون مفتوحة واسعة وبالكتابة الأثرية فوق الكتف ، وللزخارف المنحوتة أهمية خاصة بالنسبة لتأريخ الفن ومسيرة الحضارة ، اذ أنها تعطينا مبلغ تأثير الفن العربى القديم فى بابل وآشور وفينيقية وكنعان على الرسوم الإغريقية والرومانية مما مهد الطريق لظهور الفن البيزنطى .

ومن التماثيل المهمة تمثال الملكة الزباء الذى أقيم على عمود عال فى شارع الأعمدة الكبير فى (أغسطس - آب) من عام ٢٧١ م نقشت عليه كتابات باللغة اليونانية والتدمرية ولاتزال واضحة إلى اليوم وهى :

إلى سيدتهم سُبْتِمْيَا زنوبيا أكثر الملكات شهرةً وتقوى وإلى القائدين الممتازين بلقب سبتميوس وهما زَبْدة القائد العام وزباى قائد الموقع ( فى آب - أغسطس من عام ٥٨٢ [(١)] ) .

* غسان :

وبينما كانت تدمر تقارع الزمن ويُنذرُ الأفولُ شمسَها كانت قبائل غسان بقيادة زعيمها الأول جفنة بن عمرو وتشق طريقها إلى حوران ، وفى الجابية من منطقة الجولان ألقت عصاها وكونت إمارةً ما لبثت أن صارت دولة تمتلك قوة ضاربة حَسِب لها الروم حساباً ، فارتبطت هذه الدولة العربية معهم بحلف يضمن كرامتها وأخذت تزود عن الروم غزوات الفرس الساسانيين المتعاهدين مع المناذرة فى سهول الرافدين . وفى عهد الحارث بن جَبَلة بلغت ذروة القوة وانبسط سلطانها على المنطقة التى تمتد من البتراء إلى الرصافة شمالى تدمر فشملت البلقاء والصفا وحَران وغدت بصرىَ مركزاً تجارياً تمر به القوافل بين دمشق والحجاز وعلى طول الحدود بين الامبراطورية الرومانية والساسانيةِ أنشأ الغسانيون خطاً طويلاً مؤلفاً من عدة حصون للدفاع عن الرومان ، يقول الأثرى الفرنسى (دوسو رينيه) (RENÉ DUSSAUD) الذى ارتاد جبال حوران: إن من هذه الحصون قصوراً منها القصر الأبيض

(١) هذا التاريخ بالنسبة للعصر السلوقى يبدأ فى تشرين الأول عام ٣١٢ ق م . راجع فيليب حتى حـ - ١ ص ٤٣٨ .

والنمارة ودير الكهف والقلعة الزرقاء ، ويمتاز القصر الأبيض ، بالنقوش الجميلة التى تحتوى على صور وطيور وخيول وفهود وأسود وبقر وأفيال حتى السمك ، وفى الأبنية أثر من الطراز الساسانى مما يدل على سمو الفن والذوق الرفيع فى حضارة متحدرة من الأصول العربية مشتبكة بالرومانية والفارسية .

وتمتاز حضارة الغساسنة باشتباكها فى الحياة الأدبية مع الحيرة وسوق عكاظ فى مكة ، فقد كان الشعراء يترددون بين الحيرة والجابية ومكة وينعتون الملوك والأمراء وقادة الجيوش بالفضل والكرم والحلم والشجاعة والإقدام وقد خلّد حسان بن ثابت بنى غسان بروائع القصائد كما يدعى الانتساب إليهم ، ونقل عنه فى كتاب الأغانى وصف بديع للحياة المترفة التى كان يعيش فيها جبلة بن الأيهم . وكان حسان يقول : ( والله ما جلست معه يوماً قط إلا خلعَ علىّ ثيابه التى عليه ذلك اليوم ) .

ولما تخاصم النابغة الذبيانى مع النعمان بن المنذر قصد بلاط غسان فمدحهم وخلد ذكرهم بشعره ومنه :

وَثقتُ له بالنَصْر إذْ قيل قد غَزَتْ
كتائبُ من غسّان غير أشَائِب .

بنو عَمّه دُنْيا ، وعمروُ بنُ عامرٍ
أولئك قومٌ بأسُهم غيرُ كاذب

اذا ما غزوا بالجيش حَلّق فوقهم
عَصائبُ طير تهتدى بعصائب

إلى أن قال :

ولا عيبَ فيهم غير أن سُيوفَهم
بهنّ فُلول من قِراع الكتائب

وأبرز ما فى حضارة الغساسنة جانب أدبى شعرى فى تهذيب النفوس وبناء الخلق والاعتزاز بالكرامة وكلها عوامل تدفع الفكر الإنسانى إلى الإبداع والإيجاد .

## ندوة قصىّ أو دولة مكة :

أقيمت قواعد أول بيت بمكّة ليفد إليه الناس ، ليشهدوا منافع لهم ويتداولوا فيما بينهم فتمتزج الحضارات ويتعاون الفكر الإنسانى فى الإيجاد والتكوين والاستمراروقد وردت روايات مختلفة فى شأن البيت ، أهمها أن أمرَه أصبح بيد قصىّ وهو من لهازم قريش الذى يقال عنه إنه أول من أصاب ملكاً من أولاد كعب .

وكانت له الحجابة والرفادة والسقاية وهو أول مؤسس لدار الندوة ( مجلس الشورى ) ومهمة هذه الدار : لا تقضى قريش أمراً إلا

فيها، ولا يتشاورون فى أمر نزل بهم إلا فيها، وفيها يعقد لواءُ الحرب ، وميثاق السلم ، ولا يعقد نكاح الا فى هذه الندوة ، ولا يدخلها عضو للبتّ فى الأمور إلا من تجاوز الأربعين ، وهو أهل لأن يفصل فى الأمور ، فهى مجلس شورىً أو مجلس أمة بل هى مدرسة عليا لاستكمال المهارات وتقديراً للقدرات . وكانت الرفادة خَرْجاً تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصىّ ليضع به طعاماً للحجاج يأكلُ منه من لم يكن فى سَعَةٍ ولا زاد ممن يحضر الموسم ، وكانت له السقاية فكان يتخذ للوافدين حياضاً من الجلود توضع بفناء البيت يُسْقَى منها الماء العذب ، ولما أصاب الجدب مكة فى أيامه ، بعث حفيدَه إلى الشام ومعه ما تجمع من خرج قريش ، واشترى به دقيقاً وكعكاً، ونحر الجزور وطبقه وجعله ثريدا وأطعم الناس فسمىّ بذلك هاشماً لأنه هشمَ ولثريد ، جَرى ذلك فى الجاهلية حتى قام الإسلام فاستمر كذلك كما يقول الطبرى إلى أيامنا هذه أى أيام الطبرى فى مفتتح القرن الرابع الهجرى .

ومن أنظمة دولة مكة أن تقف الحرب أربعة أشهر حُرُمٌ يبسط الأمن فيها جناحه وهى رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، و المحرم فتردُ الوفود والقوافل إلى أسواق مكة : فى عكاظ والمجنه وذى المجاز ، تعرض فيها البضائع بيعاً وشراء ويلتقى الأدباء والشعراء، ورواة الأخبار ، فتنشد الأشعار ، ويتفاخر القوم ويتكاثرون ، وتنصب القباب للحكام لمباراة الشعراء ، فيفصلون فى محاسن القصيدة ، فإذا امتازت كتبت بماء الذهب وعلقت على جدار الكعبة ، وسميت معلّقةً أو مذهبة ، ونال قائلها وسام الفخر وحفلت به القبيلة وأقامت الأفراح ابتهاجاً بتخرّج بليغ ينطق بالحكمة والبلاغة ويتصدر قومه عند التكاثر والتفاخر والسفارات بين القبائل ، وبهذا المظهر الحضارى تجمع ثمار أصول الثقافة وتنمو اللغة للإعراب عن التفكير .

## المناذرة :

وفى سهول الرافدين وعلى الضفة الغربية من نهر الفرات ألقى اللخميون عصا الترحال فى منطقة الحيرة وابتنوا القصور ، وكان من أهمها قصر الخورنق والسدير ، يحفّان بمدينة الحيرة التى اشتهرت بصحة هوائها النقىّ لقربها من هواء البرية النقى ، وفى الحيرة تكونت مملكة المناذرة عام ٢٦٨ م وارتبطت مع

الساسانيين بحلف يدفعون به عادية الرومان عن بنى ساسان . حكم فى هذه المملكة اثنان وعشرون ملكاً منحوا فى مدة حكمهم الحضارة العربية مجداً وثراء عسكرياً وتجارياً وثقافياً ، ووقف الشعراء على باب الملوك ، واقتعدت الثقافة فيها مكاناً رفيعاً ، مما جعل ملوك الساسانيين يتركون أولادهم للمناذرة يتأدبون فى ظلهم ، فيتعلمون الكتابة والقراءة والأدب ، ويتدربون على الرماية والصيد والفروسية ، وكان المناذرة يعارضون الفرس فى نشر المبادىء المتطرفة ، وبذلك اختلف المنذر بن ماء السماء مع ملك الفرس قباذ فى شأن مبدأ المزدكية ، ذلك المذهب الإباحى الذى لا يتفق مع المروءة العربية ، وكان العرب لا يزوجون بناتهم لأبناء الفرس فلما طلب كسرى أبرويز يد بنات النعمان بن المنذر لأبنائه أبىَ النعمان ، فوقعت جراء ذلك واقعة ذى قار التى انتصف فيها العرب من العجم .

لقد كان المناذرة يحمون قوافل الساسانيين المثقلة بالبضائع المتجهة إلى قلب الجزيرة غدواً ورواحاً وكان المناذرة على صلة مع الغساسنة حرباً وسلماً وفى أسواق مكة حيث تجتمع وفود العرب وبهذا الامتزاج تزاوجت الأفكار فى مشارف الشام وسهول الرافدين ووديان الحجاز تعبر عن لغة بفصاحة وبناء مكتمل .

## * البادية :

كان نصيب اللغة فى نموها بالبادية أوفر وحظها من أيّة لهجة عربية ، فإن انبساط الصحراء ووضوح مشاهد الطبيعة مَنَحا خيالَ الشاعر العربى قدرة فائقة على التصور والإبداع .

أنه ينشر مناظرها ، بين يديه و يعرض مشاهد الكون على خياله فينفذ إلى دقائق أسرارها ، يقرأها فى القمر ليلة البدر والشمس فى شروقها وضحاها وانحدارها فى أصيلها وفى تلألؤ النجم بمسيره وثبوته فى كبد السماء ، وفى النهر المنبسط حين يداعب صفحته النسيمُ العليل ، ويحسها فى الريح الصرصر والبرق الخاطف والرعد الهادر ، والمزنة الجهام المتهادية فى أجواء الفضاء ، ويتفرّس وجوه الحيوان ، فيبصر ما يريده من طبائعها فى الأسد الخادر والمتوثب ، والنمر المنكمش ليفترس ، والذئب الجائع الذى تتقاذفه الشعاب ، والثعلب الماكر ، والحمل الوديع ، والنسر الكاسر ، والحمامة الأليفة ، ويتوسم وجه الإنسان فيقرأ فى عيون العذارى

عـواطف الحب والإخلاص والأنوثة فى ابتسامتهن المشرقة ، والأمومة فى قسمات وجوههن وأساريرها ، ويتوسم وجوه بنى آدم المختلفة ، فيصل إلى أعماقها ، ويعرف فيها مكامن الشر والخير والحب والبغض والحقد والحسد والكرم والبخل والشجاعة والجبن ، والانتقام ، والحلم والوفاء والغدر والقوة والرحمة واللين والشدة والإثرة والإيثار ، ويرى تعبئة الجيوش فى اصطفاف الخيول تَعْلِك اللجم عليها الكماة ، والرماح مشرعة بأيدى الفرسان ، والسيوف مصلتة يختلط لألاؤها بأشعة الشمس ، والعربى فوق ذلك ذكىّ نافذ البصيرة ، يمارس القيافة والعيافة وينسبُ الرجلَ إلى أهله من آثار أقدامه ومن قسمات وجهه، وقد حملت لغة العرب فى كلماتها المترعة بالمعانى كلمة ( المروءة ) تلك الكلمة التى تدل بكل معانيها على الرجولة التى تنطوى فى ثناياها معانى الشجاعة والكرم والنجدة والعفو عند المقدرة والتواضع والمشورة ، ولعل كلمة الفروسية التى نبطت فى أوربا فى القرون الوسطى حملت هذه المعانى أيضا .

كل هذه المعانى وأكثر منها حملها شعر البادية فى بحوره وأوزانه وجرس إنشاده ، من فخر ومديح وغزل وشراب ورثاء وهجاء ووصف وحكمة وأراجيز للطرد والصيد ، ولم تنطو صفحة شعر البادية بظهور الإسلام وظل محافظاً على طابعة يغذى اللغة بفنون الخيال والوصف .

## * مكة والمدينة :

وفى الربع الأول من القرن السابع الميلادى ومستهل التأريخ الهجرى أخذت مكة على عاتقها فتح أبواب الحضارة الإنسانية عن عهد جديد من أطوار التفكير والإبداع ، بدأته بالتأكيد على تعلم القراءة والكتابة لإقدار الإنسان على دقة التعبير عن التفكير .

فكان المستهل أول سورة نزلت من السماء : «اقرأ باسْم ربك الذى خلق ، خَلَق الانسانَ من عَلَق ، اقرأ وربّك الأكرمُ الذى عَلَم بالقَلَم علّم الانسان ما لم يَعْلم » فإن القراءة والكتابة مفتاح الحضارة والمعرفة ، والوسيلة السليمة لبناء العقل وتهذيب الغريزة .

وبدأت آيات القرآن ترفل بالإعجاز وتمنح اللغة العربية جمالاً وجلالاً بأسلوب جزل وتصوير أخاذٍ رائع ، وأمثال يحدوها منطق مُقْنع تأخذ بيد القارىء والسامع إلى أفق من التفكير الواسع ، جادلَ وفود العرب وبلغاءَهم

بالتى هى أحسن ، فقالوا إنه حديث مفترى وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات فلم يأتوا بسورة واحدة ولم يحاولوا وأكثر ما قالوه فى القرآن ما جاء على لسان الوليد بن المغيرة أعلم القوم بالشعر والرجز والقصيد : قال حين سأله قومه عن مكانة القرآن فى البلاغة والإعجاز : ( والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليحطم ما تحته ) . أعجزهم بيانه فانبهروا ، ودخلوا فى دين الله أفواجاً . كان القرآن معجزة النبوة بين قوم أعظم ما عندهم بلاغة القول وصحة التعبير عن الرأى وناهيك بلغة تكون هى المعجزة ، ففيها عرضت مادة الشريعة وأهداف الرسالة المحمدية . وبها صح التعبير عن الفكر الإسلامى .

أخذت آيات القرآن تنزل تباعاً ، فالآيات التى اكتمل نزولها بمكة اتخذت سبيل الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك والتنديد بالأوثان المنحوتة من الحجر ، تبشر وتنذر وترتفع بالإنسان من ذلّة الوثنية التى انحدرت فى أصلاب الزمن فى عقول الأمم إلى عِزّة الإيمان بالواحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وتهيئة النفوس للسموّ والرفعة ، وتوجيه الإنسان للنظر فى مشاهد الكون وفى خلق السموات والأرض فى تفاعل الطبيعة والإنشاء والتكوين : « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ، ويجعله كسَفاً ، فَتَرىَ الودْقَ يخرج من خِلاله ، فاذا أصَابَ به منْ يشاء مِن عباده إذا هم يستبشرون » ومعنى الاستبشار هنا استقبال الخير فيما تبعثه الطبيعة الممثل فى قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فَسَلَكهُ ينابيعَ فى الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يبهج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً . »

إن فى هذه الآيات صوراً من مشاهد الكون، فيها خيال وفيها تفكير يحدوه منطق يؤدى إلى التسليم بأن هناك موجداً لهذا الكون بارىء ومصور وفى هذه الآيات عرض رائع بأسلوب جميل ولغة سهلة وتعبير واضح .

واتخذت أكثر الآيات المدنية سبيلها فى التشريع ، فحددت بذلك أركان العبادات ، وشرعت حقوق الأسرة فى الميراث والزواج والطلاق وأحكام العتق ، ووضعت قواعد المعاملات وحرم شرب الخمر ولعب القمار وتعاطى الربا والزنا وقتل النفس ، ووضعت الأحكام المتعلقة بالحرب والسلم . وبأروع الأساليب بث القرآن روح المحبة بين الآباء والأبناء وبين الناس وصفوة القول : وضع

القرآن نظام الحكم لأمة ذات مجتمع كريم ثلاثة وعشرون عاماً والوحى ينزل بمنهاج مرتب، والنبى (ص) يحدث ويبلغ ، كان تبليغه وحياً ، وكلامه سنة ، وفعله قدوة . فى غضون ثلاثة وعشرين عاماً حملت اللغة العربية ثقافة أمة بدستور ذى بيان معجز وثروة لغوية تستوعب ما تنتجه مطرقة الصانع وما يبدعه خيال الأديب . إنه منهج جامعة تخرج فيها الخلفاء ، وأمراء الجيوش ، وولاة الأمصار والقضاة والفقهاء والمشرعون والمحدثون ، وناهيك فى تنويه القرآن بالمتخرجين من هذه الجامعة بقوله تعالى : «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً ، محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رُحَماء بينهم ، تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين أمنوا منهم مغفرةً وأجراً عظيماً » هؤلاء هم الذين خرّجتهم جامعة القرآن ، هم الرعيل الأول ، الذين وضعوا قواعد الحضارة العربية الإسلامية ، هم الذين شرحوا معانى لغة القرآن وأغنوا اللغة بالمصطلحات ، والمفردات اشتقاقاً وتصريفاً . هم الذين حرروا الهلال الخصيب ، وحطموا أصنام الرومان ، واجتثوا وثنية الفرس فكفكف الروم أذيالهم من مشارف الشام فى واقعة اليرموك ، وكفكف الفرس أذيالهم من سهول الرافدين فى واقعة القادسية وفى ظلالهم تدفقت الأمة العربية إلى الهلال الخصيب ، عدها المؤرخون أكبر موجة عربية إسلامية فى تأريخ الهجرات العربية .

مصّر عمر بن الخطاب الكوفة والبصرة ، وفتح المربد لابتَيْه للثقافة العربية فانحدر إليهما أجلّة العلماء . فنزل البصرة مالك بن أنس ، فى صدره القرآن وفى ذاكرته مائة وثلاثون حديثاً ، ونزلها قيس بن عاصم الذى قال عنه النبى ( ص ) : هذا سيد أهل الوبر : أى سيد أهل البادية ،كان يفقّه الناس باللغة ، ونزل الكوفة ثلثمائه من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر ، ونزلها سعد بن أبى وقاص والياً ومعلماً ، ونزلها على بن أبى طالب خليفة ومعلماً ، هؤلاء وأمثالهم ثنفقتهم المدينة من بعد ما تخرجوا فى مدرسة النبوة ، وتفرقوا

على الأمصار مشرّعين ومعلمين ، وكانت أروقة المساجد لهم بمثابة قاعات الدرس فى الكليات الجامعية فيها تصطنع الشخصية وتتكون المهارة .

## المربد :

وعلى بعد ثلاثة أميال من البصرة تأسس المربد ، وهو فى اللغة موضع التمر أو الموضع الذى تحبس فيه الماشية أخذ مكانة عكاظ وصار مركزاً للفكر العربى . فانحدر إليه أبناء البادية تجاراً وعلماءً فتألفت من علمائهم حلقات المناشدة والمفاخرة ومجالس العلم والأدب ، فكان الرواة يؤمونه لاستقبال أخبار العرب وأشعارهم ، وكان الشعراء يأتون ومعهم زواتهم للمناضلة والمناشدة ، وكانت المساجلة أمام الجمهور الذى له الحكمُ على النفوذ والغَلَبة . وكان الرواة يقطعون الفيافى ويتوغلون فى أعماق البادية يتحرون الصحة والفصاحة ، ويجمعون الوثائق ، ويشترطون على حملتها صحة الرواية . وكان الشعراء يلقون أشعارهم فى ساحة المربد أو صحن المسجد ، وعنهم يُسَجِّلُ الشعر أو يحفظ . وعرب البادية يتدفقون على البصرة يتكسبون بمعارفهم ويفقهون الناس باللغة : بمشتقاتها ومترادفها ، ويدربونهم على الفصاحة وصحة النطق . ومن شيوخ البادية شيخ يدعى أبا الجاموس ثور بن يزيد كان يفد إلى البصرة فيأخذ الناس عنه اللغة .

ومن علماء اللغة أبو مالك عمرو بن كركرة الذى يقال عنه إنه كان يحفظ اللغة كلها أعنى أنه كان معجماً حياً وله من الكتب : كتاب « الخيل وكتاب خَلْق الانسان » ، وربيعة البصرى الراوية الشاعر الذى له من الكتب كتاب « ما قيل فى الحَيّات » ، وكتاب « حنين الأبل إلى الأوطان » ، وظلت البصرة متصلة بالبادية ، فتخرج على يد شيوخها علماء اللغة والفقه والقرآن والحديث فصنعوا جيلاً متفهماً ، كان أبرزهم عمرو بن العلاء عالم البصرة ، درس على شيوخ مكة والمدينة والبصرة والكوفة ، وهو أحد القراء السبعة الذين أخذت عنهم قراءة القرآن .

ومن الأجلاء الذين وضعوا أصول اللغة التى حملت الثقافة العربية ، العالم النابغة الخليل بن أحمد ، واضع علم النحو فى صورته الأخيرة ، أخذه عنه تلميذه سيبويه ووضعه فى مصنَّفه باسم « الكتاب » ، والخليل بن أحمد ( ت ١٧٥ هـ - ٧٨٦ م ) وضع معجم العين مرتباً

ترتيباً منطقياً يوائم طبيعة اللغة العربية فى مخارجها ، فبدأ بالعين لأنه وجد مخرج الكلام من الحلق ، فجاء ترتيب الحروف الهجائية وفق ما يلى : ع ، ح ، هـ ، خ ، الخ والخليل هو الذى سجل تفعيلات بحور الشعر ، وظل هذا العالم الجليل يعلم الناس حتى تخرج فى حلقات دروسه آلاف الطلاب . ومن علماء اللغة الأصمعى الذى رَوى دواوين كثيرة لعدد من الشعراء ، روى ديوان امرىء القيس والنابغة وزهير وطرفة وعنترة وعلقمة وفى أصمعياته تكمن ثروة لغوية هائلة . وجمع المفضل الظبى فى مفضلياته أصدق أشعار العرب . ومن علماء الكوفة الذين وهبوا اللغة العربية ثروة كبيرة أبو عمرو الشيبانى ( ت ٢١٣ هـ - ٨٢٨ م ) حمل هذا الفاضل نفسه إلى البادية يتلقى عن فصحائها وشعرائها أشعار العرب وفصيح اللغة وغريبها ، فقيل عنه : إنه كتب لنا أشعار ثمانين قبيلة .

فإذا نَعِمتْ شواطىء الرافدين بتمصير الكوفة والبصرة وتأسيس المربد ، فإن مشارف الشام كانت عامرة بالمدن الكبيرة . ولم يؤسس الأمويون فيها غير مدينة الرملة ، وانصرفوا إلى بناء المساجد لتكون مقراً لحلقات الدرس وعبادة الرب ، فبنى عبد الملك بن مروان قبّة الصخرة، وبالقرب منها أقام المسجد الأقصى، وبنى الوليد بن عبد الملك ( ٧٠٥ م ) المسجد الأموى فى دمشق ، كما أنشأ الكثير من المساجد والمدارس والمستشفيات ، وابتنى الأمويون القصور فى بطاح البادية ، أما المعلمون فهم حفظة القرآن والحديث ورواة اللغة من الذين كان يبعثهم عمر بن الخطاب إلى الأمصار ليفقهوا الناس فى الدين ، وكان الأمويون يبعثون أبناءهم إلى البادية ليتأدبوا على شيوخ اللغة ، وفى خلال هذه الفترة اهتم معاوية بكتابة التأريخ بغية التثبت من نسب كل عربى مسلم لتعيين العطاء المفروض من بيت المال ومثل ذلك فعل زياد بن أبى سفيان فى البصرة ، وفى عهد عمر بن عبد العزيز نقلت معاهد الطب والفلسفة والعلوم من الإسكندرية إلى انطاكية ، وظفرت العلوم بعناية خاصة حتى قيل إن أول من أمر بنقل الكيمياء والطب والتنجيم من اليونانية والقبطية إلى العربية كان خالد بن يزيد (٧٠٤ - ٧٠٨ م) .

وصفوة القول إن اللغة العربية مرت فى الوجود الحضارى فى مطاوى الزمن ترفل

بالفخار وأمجاد العرب ؛ حملت مصطلحات العلوم والفنون والآداب والفلسفة فى حضارات السومريين ، والأكديين والعيلاميين والبابليين والعموريين والآشوريين والكنعانيين والفنيقيين، والمصريين ، وألقت عصا الترحال بين الرومان والفرس الذين عاشوا فى الهلال الخصيب مرتبطين مع ملوك الأنباط وملوك تدمر والغساسنة والمناذرة فنعموا بما جاءت به من عقل ناضج وتعبير واضح ورائع فى العلم والفن والأدب فاقتبسوا وأضافوا ، ثم انحدرت لتستقبل ، الفصاحة والبيان فى عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وعادت إلى الجزيرة الأم مثقلة بالعبارة المنسّقة والمصطلح الواضح والمفرد المحدد للمعنى . وفى أقل من عقد من عقود الزمن احتضنها القرآن بين يديه يتحداها فى إعجازها وفصاحتها ، فأقبلت عليه طائعة مبهورة ، يدللها ويهذبها ويكسوها جمالاً وجلالاً ، وجزالة ورقة ، ويمنحها تعبيراً سلساً ، ثم زانها بالمعرفة والفكر والعقيدة السليمة والإيمان ، وارتفع بأمة الضاد من ذلة الأصنام إلى عزّة الديان فنمت ونضجت وحملت شريعة مكتملة وبدأت تعرب عن التفكير فى الخلق والإيجاد ومشاهد الكون وتمخضت عن منهج واضح لتكوين المجتمع الفاضل . انحدرت اللغة إلى المربد ترفل بعقيدة سماوية وتحمل نتاج عقل الأمة العربية فى الحاضر والبادية ، وفى المربد والبصرة والكوفة فى هذه الجامعات الثلاث : برز العالم والأديب والكاتب ، ووضعت الكتب والمعاجم ، وصارت اللغة وعاء العقل وغذاء الروح .

**بغداد وقرطبة :**

جاءت إلى بغداد ثروة تتهادى بها الفصحى بوعاء واسع يجمع فى أعماقه معانى القرآن والحديث فى الفقه والأدب ونظام المجتمع ونتاج لغة البادية فى وصفها الدقيق لمسمّيات كائناتها المنثورة فى صفحة الطبيعة وخيال شعرائها الذى يجمع بين معانى الحاضرة والبادية ومصطلحات العلوم المتحررة من مدارس الأكديين والبابليين والعموريين والآشوريين والكنعانيين والفنيقين والأنباط وملوك تدمر والغساسنة والمناذرة . جاءت العربية رحبة الصدر عريضة الأفق سخيّة ، مستعدة لأن تقدم للجذوة الفكرية التى أذكاها العباسيون كلّ ما يريدون من مفرد ومصطلح يلبس المعانى الجديدة . وبذلك أصبحت العربية خطباً تدور حوله المعارف ، وصار من اللازم

فهم أسرارها فى فقهها ، ومشتقاتها ومفرداتها وأسلوبها ، فاندفع أبناء الفرس والنصارى من أسلم منهم ومن لم يسلم إلى دراستها والتفقة فيها وانكبوا على رواية الشعر وحفظه ودراسة القرآن والحديث ، وتتبع أخبار العرب الأوائل وتقصىّ علومهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ولم يمض النصف الأول من القرن الهجرى الثانى حتى كانت عاصمة العباسيين تموج بعلماء العرب وفصحائهم والمترجمين من العرب وغيرهم بجميع الفروع والاختصاصات .

وأقدم العلماء والأدباء يدرّسون أبناء الخلفاء والأمراء وقادة الجيش فى بيوتهم وفتحت المدارس لأبناء العامة ، وكانت المساجد أمكنة للعبادة والدراسات العليا ، ويجلس الأستاذ مستنداً إلى الاسطوانة فيتحلّق حوله الفتيان وكان لكل حلقة فرع يدّرس فيها ، وقد يجمع المرء إلى تخصصه فروعاً كثيرة فيطلق عليه وعلى أمثاله : المسجديين لعلّوكعبهم وحسن حديثهم فى فنون المعرفة . وكان الخلفاء والأمراء والقادة وسراة الناس يغدقون الهبات على العلماء ، فكان المأمون وهّاباً كثير العطاء فازدهرت المعرفة وزادها انفتاح مجالس المأمون انطلاقاً فى حرية الرأى والكلام ، وكان المأمون نفسه مثقفاً ثقافة عالية ، فجعل من مجلسه ندوة علمية تكاد تشبه عكاظ والمربد ، فَحذِقَ الكثيرون صنعةَ الجدل ومعرفة توجيه الرأى عند إبدائه . أذكى العباسيون جَذْوةَ المعرفة ، فأقبل المترجمون على نقل كتب الأوائل ، ويعتبر أبو زيد حنين ابن إسحق ( ٨٠٩ - ٩٧٣ ) من أوائل المترجمين وينتمى إلى مدرسة جنديسابور أقامه المأمون قيماً على بيت الحكمة ، وهى مؤسسة تشتمل على مكتبة ومتحف ومعهد للترجمة وكان يجيد اليونانية فينقل عنها إلى السريانية ثم إلى العربية ويقال : إن المأمون رسم لإسحق على كل كتاب ينقله إلى العربية أن يأخذ وزنه ذهباً .

قدمت بغداد للحضارة العربية الإسلامية عملاً مجيداً فى التشريع والأدب والحكمة والفكر الاسلامى ، فبرع فيها أئمة المذاهب الإسلامية فى الفقه ، والأدباء والشعراء والكتاب والمترجمون والقضاة ، وعمال الإدارة فى الأقاليم ، وخطّت للعالم وضع أول جامعة عربية فى تأسيس المدرسة النظاميةواغترفت قرطبة من هذا المعين الذى غرفت منه بغداد ، وتلألأ نجمها فى ظلّ عبد الرحمن

الثانى ( ٨٢١ - ٨٥٢ ) ، وتبوأت مركزها العلمى فى عهد الخليفة الأول عبد الرحمن الثالث ( ٩١٢ - ٩٦١ ) ، الذى اعتبر الحامى الأول للعلوم والآداب ، وهو صنو المأمون فى الاندفاع إلى بناء الحضارة .

عُنِىَ المأمون بالكتاب ودور الحكمة وإكرام العلماء وَعُنِىَ الحكم بالعالم والكتاب وتهيئة الوسائل لاصطناع المهارات ، وكان يرسل الوكلاء عنه إلى أصقاع العالم لابتياع الكتب واستنساخها حتى جمع فى مكتبته أربعمائة ألف مجلد وضعها بين يدى الدارسين والباحثين والمترجمين . وكان وزيره محمد بن عامر الملقب ( بالمنصور ) أقوى ساعد له فى تمكين الثقافة بأن تستند إلى الصحة والدقة فى هذه البيئة النشطة . نشطت معاهد العلم ومجالس الأدب ، وفى أحضانها تكونت المهارات والقيادات فى فنون العلم والمعرفة : فى التشريع والطب والصيدلة وعلم الحيوان والنبات والرياضيات والفلك والهندسة والفلسفة والأدب والتأريخ والجغرافية ، واقتعد علم التشريح مكانة رفيعة .

ومن هذه القيادات الماهرة أبو محمد بن على بن حزم القرطبى ( ٩٩٢ - ١٠٦٤ ) المؤلف والعالم ، فقد بلغ ما كتبه أربعمائة مجلد تشتمل على أربعة وعشرين الف صفحة ومن روائع كتبه ما جاء فى الأديان الثلاثة المسيحية واليهودية والمجوسية ، وعرض الدين الإسلامى عرضاً شيقاً ، وكتب فى المذاهب الأربعة الإسلامية والفروع المتفرعة عنها ، ومن المتصوفة أبو بكر محى الدين المعروف بابن عربى اشتهر فى كتابه « الفتوحات المكية » الذى يعتبر من المصادر الأساسية التى أثرت فى كتاب الكوميدية الآلهية التى كتبها دانتى ومن أجلّة العلماء فى الجغرافية أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسى القرطبى ولد فى سبتة ( ١١٠٠م ) ، واتسمت خرائطه بالرسم البالغ فى الدقة . وقد ساعد هذا العالم فى نقل كنوز اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية .

ومن أكبر الفلاسفة أثراً فى الثقافة ابن باجه ولد فى سرقسطة قبل ( ١١٠٦ ) فحمل اللغة العربية فكراً نيّراً فى الفلسفة وأثر تأثيراً بالغاً فى فلسفة ابن رشد ، اشتغل هذا العبقرى العربى فى علم الفلك والطب والهندسة وفى عهده ولد ابن طفيل الفيلسوف الذى اشتهر بكتابه ( حىّ بن يقظان ) ومن

أعظم فلاسفة العرب الأندلسيين وأبعدهم ذكراً ابن رشد محمد بن أحمد ولد فى قرطبة سنه ( ١١٢٦ ) أشهر مؤلفاته الموسوعة الطبية المعروفة بعنوان ( الكليات فى الطب ) عند الغرب وعند العرب اشتهر بكتابه « تهافت التهافت » رداً على الغزالى فى كتابه « تهافت الفلاسفة » .

وابن زهر المولود فى اشبيلية ( بين ١٠٩١ - ١٠٩٤ م ) هو أبو مروان عبد الملك بن أبى العلاء زُهْر أعظم طبيب عربى بعد الرازى ، ألف وكتب وبقيت لنا من أشهر كتبه : كتاب « التيسير فى المداواة والتدبير » وكتاب « الأغذية » .

وصفوة القول استطاعت بغداد وقرطبة أن تلتقيا وتقدما للعلم حضارة عربية إسلامية صنعتها جهود عربية ، فى قرون ازدهر بها الشرق العربى فى شبه الجزيرة والهلال الخصيب والغرب العربى فى شبه جزيرة الأندلس ، فأصبحت قرطبة المنهل العذب لأبناء الغرب فى الدراسة والترجمة وساعدتها صقلية . وجاء الصليبيون إلى الشرق فوجدوا نوراً وهداية وعادوا إلى بلادهم بعد أن دمروا وانهزموا فلم يجدوا إلا ضلالاً وعماية وكتيبات تختبىء فى الأديرة ، ومن هذا المنطلق دق الجرس فتيقظ الغرب .

ظلت أوربا تتخبط فى الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء بعد الغزوات التيتونية وبسببها ، ثم أفاقت فى أيام شارلمان ، ثم انتكست ثم بدأت فى مفتتح الألف الثانية ، طلائع نهضة فيها قبس ضئيل يضئ أحياناً ويخبو أحياناً أخرى ، وفى غمرة هذه الحياة الضالة نبطت خرافات وأساطير وأبحاث تافهة ، لم يستطع المتعالمون الجدد تصنيفها ، ولقد أفاقوا من نوم عميق ، فلما فتحوا عيونهم غشيت فلم تر شيئاً فكان مثلهم كمثل أصحاب الكهف والرقيم ، لقد كان هؤلاء الراقدون المستيقضون فى حاجة شديدة إلى رياضة عقلية تكسبهم قدرة على الابتكار . كان الكتابُ مفقوداً وبالأحرى متوارياً فى الديارات (الأدْيرَة) المنفردة البعيدة عن الطرق التى تسلكها الجيوش ، وأكثر الكتب وجوداً تلك التى تعنى بالقضايا الدينية وتواريخ القديسين ، أما المجموعات الأخرى المكتوبة باللاتينية فإن قسماً منها يفصح عن صور فقيرة فى تأريخ العلم الغابر، وأخرى تَمُتُّ إلى تلك المكتوبة بلغة غير سهلة فى مجتمع يسوده الجهل ، الذى أمعن طور الإقطاع والفروسية فى تعميقه

وكان لصكوك الغفران أثر كبير فى انتشار الفساد ، إذ يكفى لمرتكب الخطيئة شراء صك، أو صكين منها للإعفاء من عقاب الكنيسة وعقاب الآخرة .

تململ الغرب من رقدته على شعاع ضاء سناه من بغداد وقرطبة ، وبدأ اتصال العالم المسيحى بالعالم العربى الإسلامى من جهات ثلاث : أهمها وأولها قرطبة ، حيث تتلمذ الغرب على أيدى العرب ، وثانيها ، الاتصالات التى وجدت بصقلية ، وثالثها الاتصالات التى أنشأها الصليبيون الذين قصدوا المشرق بنية فتح بيت المقدس ، وبهذه الاتصالات أقبلوا على ثمار بغداد وقرطبة للاغتراف من ينابيع العلم الغزير ومن أوائل المسيحيين الذين قاموا برحلة إلى الأندلس ( GERBERT ) (جربرت) المولود فى أوخرى سنة ٩٣٠ م وهو الذى تقلد البابوية باسم سلفستر الثانى ، أول عالم مسيحى عرَّفَ أوربا بالأرقام العربية الأندلسية ، وتلاحقت أفواج المتعلمين والمترجمين ، ونقلت الكتب العربية والشروح التى وضعها العرب على كتب العلوم الإغريقية مع التعليقات المبتكرة ، وتَمَّ نقل الكثير من كتب الأدب والفلسفة والطب والصيدلة والرياضيات والهندسة ، حتى قيل إن ( دانتى ) أحدَ باعثى النهضة الأوربية تأثر بالأدب العربى ، وأن كتاب « الفتوحات المكيّة » لابن عربى ، هو الذى ألهمه تصوير الشئون الأخروية فى « الكوميديا الآلهية » ، وقد أمعن الغربيون فى الترجمة والنقل عن علماء العرب ، فلم يبق فن أو علم إلا مروا به وأخذوا منه حتى أنهم ترجموا كتاب تفسير الأحلام لابن سيرين .

التفتت أوربا إلى إبداع الفكر العربى ، فبدأت طلائع نهضة عارمة فى أواخر القرن الثالث عشر ومفتتح القرن الرابع عشر بدأت بالحث على إتقان اللغة الإغريقية والرمانية والتفقه فى اشتقاقاتها ومصطلحاتها ، للتعرف على ما فى أدب الإغريق من ثروة فكرية ، ولإقدار الطالب على التعبير عما يراه ويشعر به ، لاعتقادهم أن من يملك زمام اللغة يملك صياغة الفكرة وإخراجها إلى الوجود الخارجى لتساعد على الإبداع وكان من أوائل الرواد لهذه اليقظة الفكرية بَتْرَارك ودانتى فى ربوع إيطاليا ، فانطلقت أوربا تبحث وتدرس وتضع المناهج والكتب وإيجاد المعلم ، فوضعت قواعد الإيجاد فى القرنين الرابع عشر

والخـامس عشـر ، وبلغت الذروة فى القـرنين التاسع عشر والعشرين ، فأدهشت العالم فى الفن والعلم والفلسفـة والأدب حتى أصبحت هذه الكرة الصغيـرة التى نعيش عليها تطمع فى اخضـاع ضِخامِ الكرات الدائرة فى أجـواز الفضاء .

منيت الحضـارة العـربيـة الإسـلاميـة بكارثتين مدمـرتين : كـارثة المغـول الزاحفين من الشرق وكـارثة الصليبـيين الزاحفين على الأندلس . زحف قـائد المغـول هولاكـو على بغـداد ، وبعد حصار دام سبعة عشر يوماً وبحيلة غادرة سلّمَ ابن العلقمى وزير الخليفـة المستعصم مفـاتيح الأبواب فى اليـوم الثـامن والعشـرين من شهـر مـحـرم الحـرام لعـام ( ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م ) فـانحدر إليها المغول فقتلوا الخليفة واستأصلوا أهل بيته إلا ولده الصغير وأعملوا السيف فى أبناء بنى العباس وأهل المدينة ، لا يستثنون امـرأة ، ولا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ، وهدموا المساجد وانتزعوا كتب العلم من بيوت الحكمة وألقوها فى دجلة ، فـاسودت عين الدنيا ، ولبست دجلة ثوب الحزن مـصبـوغـاً بالحبـر الأسـود ، وعـادت زهرة بغـداد الناضـرة غـشـاءً أحـوى ، وأسـدل الستـار على قـوة الدنيـا والدين . أما الصليبيـون فى الأندلس فـقـد أخذوا المسلمين بالسيف والنار ودمروا كل ما مروا به مما يَمُتّ إلى الحـضـارة العـربيـة الإسـلامـيـة ، وفى اضطراب فى الشـرق والأندلس فى الغـرب ، أرزَ العلمـاء والأدباء إلى القـاهرة التى حفظها الله فردت المغول ودحرت الصليبيين ، وأغنى ما بقى من الثروة الثقافية « القرآن » مصدر التـشـريع وتكوين الحـضـارة وينبـوع الأدب العـربى، أقـبل العلمـاء إلى القـاهرة من كل صوب فى البلاد العربية بعد هاتين الكارثتين ، فـأخذت القـاهرة زعامة الفكر العربى تعينها دمـشق ، واسـتـأثر الأزهر بالمكانة الأولى بين مساجد مصر ومعاهدها العلمية . وصل إليه جمـهرة من العلمـاء وتصدروا بعضاً من حلقه الدراسيـة وألقوا دروسهم فى الحديث والتفسير والفلسـفـة والمنطق والبـيـان والنحـو . حـفظت القاهرة تراث العربيـة الذى خلفـه لنا الأولون ، وحـمـاه صـلاح الدين الأيوبى من الانحـراف الفـاطمى واستلمـه المماليك ، ونشأ عـهد زاهر أجدر به أن يسمى عـهد الموسوعـات العلمـيـة التى ظهـر منهـا كـتـاب « صبح الأعـشى » ، ومـعـجم « لسـان العـرب » ونهـايه الأدب فى فنون الأدب « ومسالك الأبصار » ، « وحياة الحيـوان » للدمـيـرى ومؤلفـات السيـوطى

وغير ذلك ، واستمرت الحركة الفكرية تسير ببطىء ونشأ الكتاب والعلماء فى الطب والرياضة والطبيعة وفنون الحرب والفروسية ، وكانت القاهرة قد حظيت بالمصلح الكبير ابن تيمية الذى درس فى الجامع الأزهر والذى أيقظ النفوس من رقودها وأزال غشاء الخرافات والأساطير عن جوهر الدين الإسلامى والفكر العربى ، فتبنى تعاليمه من بعده محمد بن عبد الوهاب ومحمد عبده وسار على نهجها جمال الدين الأفغانى . ومن الأساتذة المفكرين الذين علموا فى الأزهر ابن خلدون مؤلف المقدمة المشهورة التى ترجمت إلى اللغات الغربية الحيّة كلها ، ويعده علماء الغرب أول مفكر عالم وضع علم الاجتماع ، وفى ٢٤ من أغسطس سنة ١٥١٦ دخل السلطان سليم العثمانى القاهرة وانتقلت بدخوله الخلافة من زمام قريش إلى يد الأتراك العثمانيين ، وأصبح سلطان الأتراك يمتد على بلاد العرب من حدود مراكش غرباً ويستمر فى سلسلة منتظمة على الشواطىء الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط حتى يصل إلى الأحمر ، ويستقر على الخليج العربى ، فيشمل فى المغرب العربى : تونس وطرابلس الغرب والجزائر ، وفى المشرق العربى : سوريا والعراق والحجاز ونجد واليمن . وامتد سلطانهم فى البلقان حتى وصل إلى فينا فى غرب اوربا ولم يكن للثقافة مركز محدود ما عدا ما كان فى الأزهر وأما الأقاليم الأخرى فقد كان لكل مسجد مدرس ومكتبة ، يرجع إليها الطلاب ويعيشون على نفقة الأوقاف المحبوسة عليهم .

وفى الربع الأخير من القرن السابع عشر ظهر فى نجد محمد بن عبد الوهاب : أدرك سرّ رقود الفكر العربى وعزاه إلى سببين اثنين: الأول شيوع الأساطير والخرافات بين الناس ، وتعلقهم بالأرواح والأشباح والشجر والحجر ، واتخاذها وسيلة للتداوى من العلل ، وبعبارة أوضح انصراف عن التوحيد إلى الوثنية ، والسبب الثانى الركود الفكرى باعتماد الناس على التقليد الذى أخرهم عن الإبداع والابتكار ، فدعا إلى التوحيد وإلى إطلاق باب الاجتهاد على مصراعيه لكل مقتدر مستوف للشروط وجعل الحجة الوحيدة هى القرآن والسنة فمنهما تستنبط الأحكام وصحبت دعوته حركة سياسية وعسكرية متطرفة مما أخاف مقرّ الخلافة ، فأثارت حوله دعاية رمته

بالزندقة والخروج على الخليفة ، وأن حركته تؤدى إلى قيام دولة عربية تناوىء الخلافة التركية . ومهما يكن فإن فى هذه الحركة يقظة فكرية وسياسية نبهت الناس إلى شىء لم يألفوه .

وفى مستهل القرن التاسع عشر وصلت حملة نابليون ( ١٨٠١ م ) إلى مصر طمعاً فى الثروة وفى الاستراتيجية ، ورافق هذه الحملة حملة علمية جاء بها نابليون حيث أسس مجمعاً علمياً على غرار المجمع العلمى الفرنسى ، يهدف إلى البحث والدراسة ويتألف من ثمانية وأربعين عضواً ، فى أربعة أقسام : قسم الرياضيات وقسم الطبيعيات وقسم الآداب والفنون وقسم للاقتصاد السياسى ، ويعتبر مجمعاً استشارياً استغلالياً وغرض الفرنسيين الوقوع على تراث الفكر العربى الإسلامى واستثمار كنوز المواد الأولية والاستيلاء على منطقة استراتيجية على أسس علمية لتحقيق الأهداف فى مقاومة النفوذ البريطانى ، فأنشأ نابليون فى مصر مرصداً ومتحفاً ومختبراً ، وأقام مسرحاً لتمثيل الروايات ، وأسس مطبعة تطبع بالعربية والفرنسية واتخذ المطبعة العربية أداة لنشر بياناته ، وأصلح دار الصناعة الموجودة قبلاً ، وأنشأ مصانع الملابس والقبعات والدباغة والتجارة و الميكانيك ، وجدت مصر بمجىء نابليون شيئا جديداً ، ووجدوا فى جنوده قسوة بما ارتكبوه فى نهب القرىَ والسلب وسفك الدماء ولقى الفرنسيون مقاومة عنيفة فخرجوا من مصر وفى قلوب المصريين منهم جروح لا تندمل .

وفى مستهل القرن التاسع عشر وفى ١٣ من مارس عام ١٨٠٥ تولى محمد على باشا ولاية مصر بفرمان من السلطان فشرع فى تنظيمها وأنشأ جهازاً إدارياً محكماً يليق بدولة حديثة ذات كيان ، وفى غمرة اليقظة الفكرية التى عمّت العالم تفتحت الآفاق أمام مصر فاتجهت إلى ناحيتين : المعرفة والقوة . واتخذ محمد على من الأزهر معيناً لتكوين القيادات العلمية والمهارات الفنية ، واستعان بالغرب فى استعارة العلماء فانشأ المدارس العالية التى أصبحت موطناً للمختصين الوافدين من الغرب والمتعلمين من أبناء مصر، وأخذ يوالى البعوث ، فكانت البعثة الأولى من أربعين طالباً بمختلف الموضوعات ، وقد أحْصيت البعثات فكانت إحدى عشرة بعثة ، ولا ريب فإنها كانت نواة النهضة الحديثة فى

يقظة الشرق العربى . ولم يجد الجميع بدأ من الانكباب على دراسة اللغات الحية والشروع فى نقل آثار الغرب إلى اللغتين العربية والتركية فى مصر ولهذا أسست مدرسة الألسن التى أشرف عليها رفاعة الطهطاوى . نقل هذا العالم وهو يدرس فى باريس كثيراً عن أمهات الكتب الأدبية وتعاون مع تلامذته فى مدرسة الألسن فنقلوا كثيراً من مآثر الغرب إلى لغة الضاد فى الجغرافية والتأريخ والاجتماع والمنطق ومبادىء الهندسة ، ووضع كتباً فى التربية وقواعد النحو وفى الفقه على المذاهب الأربعة . واشترك مع اساتذة مدرسة الألسن كثير من المستشرقين الذين يعرفون العربية فنقلوا آثار الغرب إلى العربية ومن أشهرهم الدكتور بيرون الذى كان من الأساتذة المنتدبين للتدريس فى مدرسة الطب ، ترجم إلى العربية المصطلحات الطبية ، ومهما يكن فقد ازدهرت الترجمة فى أواخر القرن التاسع عشر ازدهاراً عظيماً ونقل إلى العربية آثار قيمة فى الصيدلة والطب والإسعاف ، وأمراض الأطفال والأمراض السارية وأمراض العيون ، وترجمت كتب فى الطب البيطرى وكتب الهندسة والجبر والمثلثات وعلم الحركة والميكانيك وعلم الحيوان والنبات وكتب فى التأريخ والسياسة والتراجم واللوائح والتشريعات الخاصة وفى الإدارة والمالية و ... وفى الاحتلال الإنجليزى تضعضعت حركة الترجمة وتحولت الدراسة فى الكلية الطبية من العربية إلى الإنجليزية ، وبذلك فقدت لغتنا العربية المعطاءة مكانتها .

وأسهمت بغداد فى اليقظة الفكرية فى عهد مدحت باشا ( ١٨٢٢ - ١٨٨٣ ) ترعرع هذا المصلح العظيم فى دار الخلافة ، ولما عضّ على قارحة الكمال تلفّت حوله ، فوجد أمة تنوء بالمآسى أنهكتها حروب البلقان ، فوقعت فى فقر مدقع : أيدٍ عاطلة وزراعة سيئة ، وصناعة مفقودة ، وجهل منتشر ، وولايات نائية عن حدود العاصمة لا يعرف عنها شىء ، فوضع مع صحبه دستوراً لم يطبق ، وفى ٣٠ نيسان من ( ابريل ) لعام ١٨٦٩ عين والياً على بغداد مراً فيها حبل الأمن مضطرباً والقبائل ثائرة تأبى الخضوع للتجنيد وتأبى دفع الضريبة ، فبسط الأمن وجمع الضريبة ووزع الأرض على القبائل وبدأ استيطان القبائل ، ومصر المدن وفتح مدرسة فى كل فضاء وانشأ مطبعة الزوراء ونشر باسمها

( جريدة الزوراء الرسمية ) وشكل المجالس البلدية ، معملاً للنسيج كامل الأدوات ومعملاً للسلاح ، وبنى داراً للحكومة ، وبنى داراً للعجزة وبنى المستشفيات وداراً للأيتام ، وأسس مزرعة نموذجية ، وأرسل المهندسين إلى الأرياف للإرشاد الزراعى ، حتى أصبح الناس أن تعيد بغداد عهد الرشيد ، وبسط نفوذ الدولة فى الأحساء وقطر ونجد والخليج العربى ، وفى هذه الاصلاحات المحوطة بالنزاهة المطلقة ازدهرت النهضة الفكرية ، وفى ظلال الأمن أخذت السفن تجرى غدواً ورواحاً فى دجلة والفرات وشط العرب وكادون، وكانت الملاحة بيد شركة إنجليزية فكون مدحت باشا شركة عثمانية شرعت سفنها تمخر عباب الخليج العربى والبحر الأحمر فخزن لها الفحم فى مسقط وعدن وبندر عباس وبوشهر ، ثم نقل مدحت باشا إلى سورية والياً عليها عام ١٨٧٨ فسبقته شهرته وحفل به الناس واستبشروا بالخير على يديه وسار فى سورية فى الاصلاحات مسيرته فى بغداد وأول عمل قام به إنشاء مدرسة للصنائع وأخرى للفنون وأسس ملجأ للأيتام ونشر الأمن والاطمئنان ، وفتح الشوارع وبنى القناطر وسهل المواصلات بين القرى والمدن وبث روح التآخى بين أهل البلاد فأحبوه واحترموه ، وأطلق حرية الفكر ، فنشط الكتاب والمؤلفون ولم يتركه الحاقدون فدسوا عليه عند السلطان وصار لا يقدم مشروعاً يقوم به إلا رفض فاستقال ولم تقبل استقالته فنقل إلى أزمير بلد تركى ، عام ١٨٨٠ .

فى نهضة محمد على باشا فى مصر ومدحت باشا فى العراق وسورية ، انبعثت الحركة الفكرية وانطلق القلم بيد الأدباء والشعراء والمؤلفين فى التشريع والاجتماع وتدوين التأريخ وسائر العلوم والفنون . وفى مفتتح القرن التاسع عشر نشط الاستشراق للاغتراف من ثقافتنا المشقلة بها لغتنا العربية ، فتأسست أول جمعية فى بنافيا عاصمة جاوا عام ١٧٨١ ثم الجمعية الآسيوية البنغالية أسسها السير وليم جونس فى كلكتا ١٧٨٤ ونشرت بحوثها فى عشرين مجلداً ظهرت ما بين ١٧٨٨ ، ١٨٣٦ وأنشأ الفرنسيون الجمعية الآسيوية فى باريس ١٨٢٠ برياسة سلفستردى ساس ونشرت مجلة اسمتها الجريدة الأسيوية نشرت بحوثاً قيمة فى تأريخ العرب وبحثت فى الشريعة والمذاهب والنحل وعرفت

الغرب بجغرافية البلاد العربية وأنشأ الإنجليز جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية عامة بزعامة الملك وتتابعت دول الغرب تحذو حذوهم فأنشأ الألمان جمعيتهم عام ١٨٤٤ ومثلهم فعلت أمريكا وروسيا وإيطاليا وبلجيكا وهولاندة والدانمرك وغيرهم . نشر دى ساسى كتاب كليلة ودمنة ومقامات الحريرى ورحلة عبد اللطيف البغدادى وألفية بن مالك وألف كتاباً فى النحو ، وكتاباً فى القراءة جمع فيه منتخبات من آثار العرب فى النثر والنظم ونشر تلميذه كاترمير المتوفى سنة ١٨٣٨ مقدمة ابن خلدون ومنتخبات من أمثال الميدانى، وألف فى آثار البابليين والقبط والسوماريين ، ونشر رينو المتوفى سنة ١٨٦٣ وهو تلميذ دى ساسى ، تقويم البلدان لأبى الفداء مع ترجمة فرنسية وألف بيرون المتوفى عام ١٨٤٨ كتابا فى أصول العربية وترجم المختصر فى فروع المالكية وطبعه أصلاً وترجمة وأنفقت على طبعه وزارة الحرب الفرنسية لأن أهل الجزائر من أتباع مالك .

وأظهر الألمان براعة فائقة فى بحوثهم ودراساتهم عن الشرق الإسلامى عرفت بالدقة والعمق وفى طليعتهم فرايتاغ المتوفى سنة ١٨٦١ ألف كتاباً عن اللغة العربية فى الجاهلية والإسلام ، ومعجماً فى العربية واللاتينية فى أربع مجلدات جمع فيه ما اختاره من الصحاح والقاموس وغيرهما ونشر ديوان الحماسة لأبى تمام مع ترجمة لا تينية وعليها شرح التبريزى وزبدة الطلب فى تأريخ حلب وحكم لقمان وأمثال العرب وأمثال الميدانى مع ترجمتها للاتينية فى ثلاثة مجلدات . ويُعد ويستفيليد من أكثر المستشرقين نشاطاً فى نشر أمجاد العرب يربو ما نشره على مائتى كتاب أهمها سيرة بن هشام ، ووفيات الأعيان لابن خلّكان ، ومعجم البلدان لياقوت ، وكتاب الاشتقاق لابن دريد . ونشر فلوجل الفهرست لابن النديم ، وطبقات الحنفية وكشف الظنون فى سبع مجلدات مع ترجمتها إلى اللاتينية وألف نولدكه ١٨٣٦ - ١٩٣٠ قواعد اللغة العربية وقواعد السريانية وتقارب اللهجات وتأريخ القرآن وله دراسات قيمة فى المعلقات الخمس . ووضع بروكلمان تأريخ الآداب العربية وهو سجل حافل مع دراسات قيمة . واشتهر غولد تسيهر المجرى اليهودى بالدراسات الإسلامية باللغة الألمانية ، وكان يتعصب لقومه ونشر كتاب

العقائد عن المرجئة والقدرية والمعتزلة . ومن الإنجليز اشتهر بالمر المتوفى ١٨٨٢ أتقن اللغة العربية وقال الشعر فيها ، طبع ديوان زهير أصلاً وترجمة وألف كتباً فى قواعد اللغة العربية ، ومن المستشرقين الإنجليز كارليل كتب فى آداب العرب وكتب كتاب الأبطال ، عقد فيه فصلاً ممتعاً فى سيرة محمد ( ص ) ونشر جويدى الإيطالى قصيدة بانت سعاد ، وفهرست كتاب الأغانى وكتاب بلاد العرب قبل الإسلام والقى أربعين محاضرة فى الجغرافية والتأريخ وآداب اللغة العربية فى جامعة القاهرة ، ومن مستشرقى هولاندة دى خويه ١٨٣٦ - ١٩٠٩ أشرف على تنظيم المخطوطات الشرقية والتعرف عليها فى مكتبة ليدن ، نسخ وحده جغرافية بن حوقل وقسما من جغرافية الإدريسى ، وطبع غرائب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام ونشر تأريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى ورسالة حى بن يقظان لابن سيناء . أقبل رجال الغرب على هذه الذخيرة القيمة إقبالاً منقطع النظير . أيقظوا الهمم وبعثوا العزائم وفتحوا عيون الغربيين وعيون العرب على ما فى هذه الثروة من مجد عظيم . نقل الغربيون من الأدب العربى إلى اللاتينية ديوان الحماسة وأشعار الهذليين وإلى اللغة الفرنسية دواوين امرىء القيس والنابغة وطرفة بن العبد والخنساء والبردة للبوصيرى وشعر الفرزدق وبعضاً من أشعار المتنبى وأبى العلاء ، ونقل إلى الإنجليزية : المعلقات ولامية العرب وأشعار عنترة ، وديوان البهاء زهير ، وابن خلكان وتأريخ اليمن لعمارة وتأريخ الخلفاء للسيوطى ورحلة ابن بطوطة وابن حوقل ونفح الطيب . ومقامات الحريرى والف ليلة وليلة وكليلة ودمنة . وإلى الألمانية نقل هذان الكتابان واطواق الذهب وكتاب سيبويه . ونقل القرآن الكريم إلى لغات عديدة .

وأقام المستشرقون مؤتمرات كثيرة فى كل مؤتمر تقدم جلائل الأعمال فى التراث العربى . وصفوة القول إن هؤلاء العلماء مهما اختلفت نياتهم وتباينت مقاصدهم قد أفادوا هذا التراث العظيم فائدة كبيرة فحفظوا لنا ما أفلت من يد هولاكو وما نجا من أيدى الصليبيين وما بعدت عنه دودة الأرضة . ولم يكد يطلع القرن التاسع عشر على العالم حتى تكشفت مكتباتهم عن ذخيرة من هذه الأعلاق النفيسة مما قدر بمائتى ألف وخمسين ألف مجلد ومن أجلّ مؤتمراتهم المؤتمر المنعقد فى

استوكهلم عام ١٨٨٩ بدعوة اسكار الثانى ملك الاسوج والنروج الذى اقترح على العلماء المختصين بتأريخ العرب فى الشرق والغرب تأليف كتاب يطرح للمسابقة فى نيل الجائزة وبأن يستوفى هذا الكتاب أحوال العرب قبل الإسلام ويستوعب ما كانوا عليه فى جاهليتهم من العوائد والأحكام وتتبع أحوالهم ، وعلومهم وصنائعهم وأخلاقهم وآثارهم ، . . . وعلى المؤلف أن يستند فى استخراجاته إلى الشعر الجاهلى ، وما تضمنة من الآيات القرآنيه والأحاديث النبوية والتواريخ الصحيحة وقد استجاب لهذا النداء كثير من علماء العرب وعلماء الغرب فلم يحظ أحد بالجائزة الكبرى، وإنما حظى بوسام ذهبى ذى شريط أخضر عَلاَّمةُ العراق والكتاب الكبير السيد محمد شكرى الألسوسى كما حظى بطبع الكتاب على نفقة الدولة صاحبة الاقتراح فظهر كتابه للوجود باسم ( الأرب فى أحوال العرب ) .

وفى غمرة هذه اليقظة الفكرية وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى اندفعت الأمة العربية فى مصر وسورية والعراق إلى افتتاح المدرسة ووضع الكتاب والمنهج فانتشرت المدارس الابتدائية والثانوية وفتحت المعاهد العالية وأسهمت مصر فى جميع هذه النواحى .

واستقدمت الدول العربية الأساتذة من الشرق والغرب وبرز الشعراء والأدباء والكتاب ونشط المؤلفون والدارسون فى نشر الكتب والبحوث وبدأت طلائع الخير فى أفق الأمة العربية وتلاحقت البعوث تترى إلى بلاد الغرب وعادت وفود العلم وفتحت الجامعات والمعاهد الصناعية والفنية والزراعية وشرع يتخرج فيها العلماء والأدباء والقيادات الماهرة ، وتوشجت الثقافة العربية فى بلاد العرب لتعيد سيرتها الأولى فى السير الحثيث كى تواكب الأمم وسوف يأتى اليوم قريباً فتبتعد عن قاموس الأمم النامية فإن فى ماضى أصولنا ثروة أوجدتها عبقرية تكمن فى لغتنا التى هى برهان على مكانتنا فى الوجود ، ويسعدنى أن اختم بحثى بقصة طريفة مر عليها اكثر من سبعة وثلاثين عاماً ، ففى عام ١٩٤٥ كنا ثمانية طلاب نستمع إلى الأستاذ الفاضل الأب ( فرتز ) بما يلقيه علينا بجامعة بازل فى درس اللغة العبرية ، وبكلمة موجزة وجهها إلى الطلاب يقول : ( من أراد أن يطلع على الثقافة الشرقية . فعليه أن يدرس اللغة العربية ، التى جمعت فى معاجمها مفردات

الكلم والمصطلحات لمفاهيم حضارات جاءت قبل التأريخ وبعده ، وإن بينكم « فلان » يشير إليّ ، إنه حفيد أمة كانت تنعم بحضارة زاهرة ، وجهود مبدعة لإسعاد البشرية ، فى الوقت الذى كان أسلافكم يغطون فى الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء .

ثم قال : إن اللغة العربية لغة عجيبة ، تستند فى بناء مفرداتها إلى الثلاثى ، وكل ثلاثة أحرف فى مجموعها تكون كلمة ذات معنى يعرب عنها قاموس اللغة ، وكان من بين الطلاب طالب لئيم ، فقال للأستاذ : طيب ! هل يوجد فى اللغة العربية ما يدل على هذه الكلمة المكونة من ثلاثة أحرف وهى (W I N) كلمة ألمانية من ثلاثة أحرف تعنى النبيذ أو العنب ، ويقابلها بالحروف العربية ( وَيْنٌ ) ، فالتفت إلّى الأستاذ طالباً أن أبحث عن هذه الكلمة . وبرجوعى إلى قاموس الفيروز بادى ( ظهرت المعجزة ) وإذا أنا أمام أمر عجيب إذ وجدت كلمة ( وين ) تعنى العنب الأسود أو العنب الأبيض .

فقصصت الأمر على الأستاذ ، وقلت له : هذه من معجزات المسيح ، فأرجو ألا تحرجنى مرة أخرى ، ففرح الأستاذ فرحاً لا مزيد عليه وفى الدرس الثانى أخبرهم بما حدث وقال : إننى فى الخامسة والسبعين من العمر ، مارست دراسة العربية خمسين عاماً ، لم أجد فى حياتى متعةً تعدل متعتى فى مطالعة الكتب العربية ، إنها لغة تكمن فى مفرداتها ومصطلحاتها عقول ناضجة مبدعة ، وتعرب عن حضارة مزدهرة ، استقبلتها بغداد ، فأبدعت بها حضارة عربية إسلامية لها الأثر الكبير فى حضارتنا اليوم .

رحم الله شاعر العرب حافظ ابراهيم اذ قال فيها :

رجعتُ لنفسى فاتهمت حَصاتى
وناديتُ قومى فاحتسبتُ حياتى

رَمونى بعقم فى الشباب وليتنى
عَقمتُ فلم أجزع لقول عِداتى

أنا البحر فى أحشائه الدرّ كامن
فهل سألوا الغواصَ عن صدفاتى ؟!

محمد بديع شريف
الخبير بالمجمع

| الرقم | بعض المراجع المهمة لهذا البحث |
|---|---|
| ١ | الطبرى : طبع اوربا من سنة ( ١٨٧٩ - ١٩٠١ ) . |
| ٢ | ابن الأثير الكامل : طبع القاهرة ( ١٣٠٣ هـ ) . |
| ٣ | ابن خلدون المقدمة : طبع القاهرة وطبع باريس ( ١٨٥٨ ) . |
| ٤ | ابن القفطى : تأريخ الحكماء طبع اوربا ( ١٩٠٣ ) . |
| ٥ | المسعودى : طبع باريس ( ١٨٦١ - ١٨٧٧ ) . |
| ٦ | ابن النديم : الفهرست طبع لايبك ( ١٨٧١ - ١٨٧٢ ) |
| ٧ | ابن هشام : السيرة طبع اوربا ( ١٨٥٨ - ١٨٦٠ ) . |
| ٨ | ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور بولاق ( ١٣١٢ هـ : ١٨٩٤ - ١٨٩٥ ) . |
| ٩ | دكتور أحمد عزت عبد الكريم : بالاشتراك مع الدكتور محمد بديع شريف والدكتور زكى المحامى القاهرة . |
| ١٠ | دكتور أحمد عزت عبد الكريم : تأريخ التعليم فى عصر محمد على القاهرة (١٩٣٨). |
| ١١ | ابن سعد : طبقات الصحابة طبع اوربا ( ١٩٠٤ ) . |
| ١٢ | جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام دار الهلال بدون تأريخ . |
| ١٣ | دكتور فيليب حتى : تآريخ سورية ولبنان وفلسطين : دار الثقافة بيروت ( ١٩٥٩ ) . |
| ١٤ | ابن تيمية : السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية . |
| ١٥ | دكتور عبد العزيز سليمان نوار : مصر والعراق : دراسة فى تأريخ العلاقة بينهما حتى نشوب الحرب العالمية الأولى القاهرة ( ١٩٦٨ ) . |
| ١٦ | محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية القاهرة ( ١٩٣٦ ) . |
| ١٧ | ( دكتوراه ) محمد بديع شريف : الصراع بين الموالى والعرب : بحث فى حركة الموالى ونتائجها فى الخلافة الشرقية : دار الكتاب العربى القاهرة (١٩٥٤ ) . |
| ١٨ | ( دكتوراه ) محمد بديع شريف : فى مهبط الوحى دار الفكر القاهرة ( ١٩٧٩) . |
| ١٩ | محمد عبده وجمال الدين الأفغانى : العروة الوثقى ، المكتبة الأهلية بيروت ( ١٩٣٣ ). |
| ٢٠ | محمد شكرى الألوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، بغداد ( ١٣١٤ هـ ) . |
| ٢١ | نولدكه : المعلقات الخمسة مترجمة ومشروحة ( ١٨٩٩ - ١٠٩١ ) . |
| ٢٢ | محمد بديع شريف : ديوان اشعار الأمير أبى العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسى . دراسة وتحقيق دار المعارف القاهرة بدون تأريخ |

| الرقم | مختار من المراجع الغربية |
|---|---|
| 1 | enzyklo paedie des islam leiden 1913 FF |
| 2 | A . von cremer, cultur ceschichte des orients unter den chalifen, wien 1875 . |
| 3 | Brocke lmann, Cesehichte der arabishen lileratur I 1898, Supplenent dazu 1937 . |
| 4 | Coldziher, Abhandlungen Zur arabishen Philologie beid-en 1896 - 1899 . |
| 5 | Stuhlmann der Kamf un arabien Berlin 1916 . |
| 6 | Wal ther Hinz : Eve nts of Hamvrbi's Reicn , Lecal Life in old elm cambridg Ancient History . |
| 7 | Kenon ( Kathleen ) Amorites and Canaanites London 1966 . |
| 8 | Driver ( C . R . ) Simitie writing from pictograph to Alpha-beth 1948 . |
| 9 | King, Egypt and Western AsiA in the Light of Recent dico-riery london 1907 . |
| 10 | elay ( A . T . ) the Empire of the Amorites 1919 . |

# المستدرَك
# من معاني فاء العطف

للدكتور صبحي عبد المنعم سعيد

تقديم :

شاء الله – عزّ شأنه – أنْ أُعنى بالنظر في حروف المعانى محاولا استيفاء مدلول بعضها ؛ وقد وفقنى – سبحانه – قبلاً إلى الكشف عن معنىً لحرفي التنفيس لم يَسبق له ذكر فى مصادر النحو ؛ وكنت قد وقفت على هذا الكشف مقالا جعلت عنوانه « المستدرك من معانى حرفى التنفيس » تفضل مجمع اللغة العربية فى القاهرة – بنشره فى الجزء السابع والخمسين من مجلّته .

وهأنذا أُقدّم مرّة أخرى إلى المشتغلين بدرس النحو العربيّ – بحثا آخر فى حروف المعانى ، كانت غايتى عند بدئه أن أنتصر به لمذهب أبى الحسن الأخفش فى معنى الفاء العاطفة فى مثل قول امرىء القيس : « بين الدخول فحومل » ؛ لكن وقع لى – وأنا معنىٌ بتحقيق هذا الغرض – معنىً لفاء العطف ، أراهُ فات النحاة قبلا ، فلم يبِن لأحد منهم .

وجزى الله خيرا من نظر فى مقالى هذا ، فسدّد خطوة ، أو أقال عثرة ، أو دلّ على نهج خفيت عليّ مداخله ،

## معنى فاء العطف بعد ( بين )

الفاء فى مذهب سيبويه :

يقول سيبويه فى ( باب عدّة ما يكون عليه الكلم ) : « أمّا ما يكون قبل الحرف الذى يجاء به له فالواو التى فى قولك : مررت بعمرو وزيد . وإنما جئت بالواو ؛ لتضم الآخِر إلى الأول ، وتجمعهما ؛ وليس فيه دليل على أنّ أحدهما قبل الآخر . والفاء ؛ وهى تضمُّ الشىء إلى الشىء كما فعلت الواو غير أنّها تجعل ذلك متّسقا بعضه فى إثر بعض ؛ وذلك قولك : مررت بعمرو فزيد فخالد ، وسقط المطر بمكان كذا وكذا، فمكان كذا وكذا . وإنما يقرو أحدَهما بعدَ الآخر » (١) .

ويقول فى ( باب ما أَشرك بين الاسمين فى الحرف الجار فجريا عليه ) : « ومن ذلك قولك : مررت بزيد فعمرو ، ومررت برجل فامرأة . فالفاء أشركت بينهما فى المرور ؛ وجعلت الأول مبدوءا به » (٢) .

ويميز سيبويه بين الواو والفاء ، فيقول فى ( باب الواو ) : « ومما يدلك أيضا على أنّ الفاء ليست كالواو قولك : مررت بزيد وعمرو، ومررت بزيد فعمرو ؛ تريد أن تُعلم بالفاء أنّ الآخِر مُرٌّ به بعد الأول » (٣) .

ويقول أيضا فى ( باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك ) : « ومنه مررت برجل راكب وذاهب ؛ استحقهما لا لأنّ الركوب قبل الذهاب ؛ ومنه مررت برجل راكب فذاهب ؛ استحقهما إلاّ أنهّ بيّن أنّ الذهاب بعد الركوب ، وأنهّ لا مهلة بينهما ، وجعله متصلا به » (٤) .

ويتضح من مجموع هذه الأقوال أنّ سيبويه يرى أنّ الفاء العاطفة للأسماء تضمُّ الشىء إلى الشىء كما تفعل الواو غير أنها تجعل ذلك متّسقا بعضه فى إثر بعض ؛ فيكون الأول فى الذكر مبدوءا به فى ملابسة الحدث له ، والمعطوف بعد المعطوف عليه فى هذه الملابسة، وأنهّ لا مهلة بينهما فى ذلك ؛ أى أنّ الفاء العاطفة للأسماء فى مذهب سيبويه - تفيد التشريك ، والترتيب ، والتعقيب .

ونلاحظ أيضا فى هذه الأقوال أن سيبويه عُنى بذكر إفادة الفاء العاطفة للأسماء - معنى الترتيب أربع مرات ، وقد حرص على توضيح هذا المعنى بالتمثيل له فى كل مرة . كذلك نلاحظ أنهَ فى إحدى هذه المرآت مثّل بقول القائل : « سقط المطر بمكان كذا وكذا

فمكان كذا وكذا » ثم شرح معنى الترتيب في هذا المثال بقوله : « وإنما يقرو أحدَهما بعد الآخر [٥] » .

المذهب المنسوب للجرَمي :

والحق أنّ من يمعنُ النظر إلى مثال سيبويه : « سقط المطر بمكان كذا وكذا فمكان كذا وكذا » - يجدُ أنّ الفاء فيه أقربُ إلى إفادة معنى مطلق الجمع منها إلى إفادة الترتيب ؛ إذ لا يصحُّ الادّعاء بأن من كان يقول : « سقط المطر بمكان كذا وكذا فمكان كذا وكذا [٥] » - قد لاحظ ترتيب سقوط المطر في هذه الأماكن ؛ لأنَ هذه الملاحظة تحتاج إلى وسائل علم لم تكن متاحة لمثل هذا القائل في قَرْنِ سيبويه وما قبله ؛ وإنما الأقرب أن يكون قد علم أنَ المطر عمّ مكانين أو أمكنة فأخبرنا بما علم دون أن يُعنى بترتيب الأمكنة تبعاً لسقوط المطر فيها ؛ ولا يُغيـرّ من ذلك شيئا قولُ سيبويه في شرح مثاله : « وإنما يقرو أحدَهما بعد الآخر [٥] » ؛ لأنَ مناط الترتيب في المثال هو سقوط المطر لا تتبُّعُ الخبر أمكنةَ سقوطه [٦] » .

ونسارع فنقول : إنّ شرح مثال سيبويه على هذا النحو إنّما هو مستفاد من قول منسوب إلى أبي عمر الجَرمي ٢٢٥ هـ [٧]، وحكاه ابن عصفور ٦٦٩ هـ حيث قال - وهو يشرح الفاء العاطفة للأسماء : « وذهب الجرميّ إلى أنّها للترتيب إلا في الأماكن والمطر ؛ فإنه زعم أنك تقول : عفا موضع كذا فموضع كذا فكذا وإن كانت هذه الأماكن إنّما عَفَت في وقت واحد . ونزل المطر مكان كذا فمكان كذا وإن كان المطر إنما نزل هذه الأماكن في وقت واحد[٨]»

ونلاحظ في هذا القول أنّ أبا عُمر الجرميّ قد اختار مثالا يقارب مثال سيبويه ليوضح به رأيا يخالف رأيه ؛ فبينما يشرح سيبويه مثاله بقوله : « وإنما يقرو أحدَهما بعد الآخر » - يشرح الجرميّ مثاله بقوله : « وإن كان المطر إنما نزل هذه الأماكن في وقت واحد » ! ثم يسوق ابن عصفور دليل الجرميّ على أنّ الفاء إذا عطفت المكان على المكان أفادت مطلق الجمع دون ترتيب أو تعقيب ، فيقول :

« واستدل الجرميّ على أنها ( لا ) [٩] ترتب في الأماكن بقول النابغة

عفا ذو حُسىً من فرتنى ، فالفوادع
فجنبا أريك ، فالتلاعُ الدوافع

ومعلوم أنَ هذه الأماكن لم تعف على ترتيب ؛ إذ الوقوف على مثل هذا صعب متعذر ، أعني أن يكون الثاني من الأماكن قد عفا بعد الأول

من غير مهلة بينهما ... [١٠] » .

ولا شك أنّ هذا المذهب المنسوب للجرميّ هو الأقرب للصواب ، والأكثر وفاقا لحال من كان يخبر عن عُفُوّ الأمكنة أو سقوط المطر فى ذلك الزمن المتقادم ؛ وإذا كان ذلك كذلك كانت الفاء فى مثل ذلك القول لا تفيد ترتيبا خلافا لمذهب سيبويه ؛ وإنما تضم الآخِرِ إلى الأوّل ، وتجمعهما ، وليس فى الكلام دليل على أنّ أحدهما قبل الآخر ؛ أى أنّ الفاء فى الأماكن والمطر هى والواو سواء .

### مذهب الأخفش ٢١٥ هـ :

لقد حرصنا على وصف المذهب السابق بأنه مذهب منسوب إلى الجرميّ ، ولم نضفه إليه على وجه اليقين ؛ ذلك أنّ الهرويّ قال فى كتابه الأذهيّة : « وقال الأخفش : الفاء فى قوله : ( بين الدخول فحومل [١١] ) بمعنى الواو ، ويريد : وحومل . [١٢] » ؛ ومعنى ذلك أنّ الفاء فى الأماكن لمطلق الجمع ، أى أنّها لا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا ؛ وإذا كان ذلك كذلك كان القول بأنّ الفاء لا ترتّب فى الأماكن هو قول الأخفش شيخ الجرميّ [١٣] لا الجرميّ نفسه ؛ ولعلّ التلميذ كان أكثر جهرا بالخلاف عن رأى سيبويه ؛ إذ علّق على مثال مقارب لمثال الكتاب بما يخالف رأى صاحبه ؛ فاشتهر القول بأنه للجرميّ مع أنهّ قول شيخه أبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ، صاحب سيبويه ، ومذيع كتابه فى الناس [١٤] .

### تفسير قول امرىء القيس على مذهب الأخفش :

يقول امرؤ القيس :

« قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح ، فالمقراة ، لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل [١٥] »

وإذا أردنا أن نفسر هذين البيتين فى ضوء مذهب الأخفش الذى يرى أنّ الفاء فى عطف الأماكن بمعنى الواو ؛ أى أنها تضم الآخر إلى الأول ، وتجمعهما جمعا مطلقا من غير ترتيب ولا تعقيب - قلنا : إن امرأ القيس قد استوقف صاحبيه ، أو صاحبه [١٦] للبكاء من ذكرى امرأةٍ حبيبٍ هاجت ذكراها رؤيةُ دارلها قد استقرّت بسقط اللوى ، وبقى رسمها لم يعفُ ، إذهى محصورةٌ بين أربعة معالم مشهورات : « بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة » .

ومن البيّن أنّ حمل قول امرىء القيس على هذا المعنى أشبه بالصواب ، فالنص يحتمله ، وهو سائغ فى النحو ؛ إذ الظرف ( بين )

وقع على شيئين فصاعدا [١٧] ، والفاء فى البيتين جمعت بين الدخول وما عُطف عليه جمعا مطلقا دون ترتيب ولا تعقيب ، لأن هذه الأماكن قد اشتركت فى أنها حدّت منزل المرأة الحبيب دون أن يسبق أحدُها فى ذلك .

تفسير القول نفسه على مذهب سيبويه :

يقول أبو جعفر النحاس ٣٣٨ هـ : « وفيه من النحو قوله : بين الدخول فحومل ؛ لأنه لا يجوز أن تقول : زيد بين عمرو فخالد؛ لأن (بين) إنما تقع معها الواو ؛ لأنك إذا قلت : المال بين زيد وعمرو فقد احتويا عليه ، فهذا موضع الواو ؛ لأنها للاجتماع ؛ فإن جئت بالفاء وقع التفرق فلم يجز ؛ وعلى هذا كان الأصمعىّ يرويه : « بين الدخول وحومل » .

وأما الاحتجاج لمن رواه بالفاء فلأن هذا ليس بمنزلة قولك : المال بين زيد وعمرو ؛ لأن الدخول موضع يشتمل على مواضع؛ فلو قلت : عبد الله بين الدخول - لتم الكلام ،كما تقول : دربنا مصر ، تريد : بين أهل مصر ، فعلى هذا قوله : « بين الدخول »، ثم عطف بالفاء، وأراد: بين مواضع الدخول وبين مواضع حومل، ولم يرد موضعا بين الدخول فحومل » [١٨]

ومن يتأمل هذا القول يجد أنّ أبا جعفر النحاس يفسر الفاء فى قول امرىء القيس : « بين الدخول فحومل » على مذهب سيبويه الذى يرى أنّ « الفاء تضم الشىء إلى الشىء كما فعلت الواو غير أنهّا تجعل ذلك متسّقا ، بعضه فى إثر بعض [١٩] ، وهذا الترتيب بين معطوفى الفاء يقتضى التفريق بينهما ، لكن الظرف ( بين ) من حقّه أنْ يضاف إلى ما يدل على شيئين فصاعدا ، وأن يقع على ما يضاف إليه وقوعا واحدا لا تفريق فيه ؛ ومن أجل ذلك صرح أبو جعفر بأن « بين إنما تقع معها الواو ؛ لأنها للاجتماع ، فإن جئت بالفاء وقع التفرق ، فلم يجز » ؛ ومن أجل ذلك كان الأصمعىّ يرويه : « بين الدخول وحومل » ؛ ثم عاد فاحتج لرواية الفاء ، فقدّر اشتمال "الدخول" على مواضع ، فصحّ بذلك إضافة (بين) إليه ، كذلك صحّ العطف عليه بالفاء .

وبمثل هذا التفسير فسّر أبو بكر بن القاسم الأنبارى ٣٢٨ هـ - قول امرىء القيس: « بين الدخول فحومل » حيث قال : « والدخول وحومل وتوضع والمقراة مواضع ما بين إمرّة إلى أسود العين ... ورواه الأصمعىّ : « بين الدخول وحومل » ، وقال : لا يقال : رأيتك بين زيد فعمرو . وقال الفرّاء : « بين الدخول فحومل » معناه : بين أهل الدخول فحومل ، معناه : فأهل حومل ، فلذلك جاز

أن يكون المنسوق بالفاء » .[٢٠] [٢١]

ونلاحظ أنّ ابن الأنباريّ زاد على أبى جعفر النحاس بأن روى عن الأصمعيّ أنه قال : « لا يقال رأيتك بين زيد فعمرو » ؛ لأن الظرف ( بين ) « لا يضاف من الأسماء إلا لما يدلّ على أكثر من الواحد ، أو ما عطف على غيره بالواو [٢٢] »، ولأن الواو للاجتماع ؛ فإن جئت بالفاء وقع التفرق ، فلم يجز . كذلك نسب ابن الأنبارى إلى الفراء تفسيرا لقول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » يتفق وما ذهب إليه سيبويه فى معنى الفاء من أنها « تضم الشئ إلى الشئ كما فعلت الواو غير أنّها تجعل ذلك متسقا ،بعضه فى إثر بعض[٢٣] » حيث قال : « وقال الفراء ... معناه : بين أهل الدخول فحومل ، معناه : فأهل حومل ، فلذلك جاز المنسوق بالفاء [٢٤] »

ومن يمعن النظر فى هذا التفسير النحويّ الذى قدّمه الأنباريّ والنحاس مستعينيَن بتراث البصرة والكوفة - يجد أنه تفسير لا يوافق ألفاظ النص ، ولا المعتاد من المعانى ، فامرؤ القيس أمر صاحبيه بالوقوف للبكاء - على منزلٍ واحدٍ لحبيبه مستقر بسقط اللوى ، فقال :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ولم يقل : تنقّلا بين منازل الدخول فمنازل حومل كما يفسّر الأنباريّ والنحاس .

كذلك وصف الشاعر منزل حبيبه بأنّه «بِسِقْطِ اللوى بين الدخول فحومل» وإذا كان «بسقط اللوى» مَعْلما طبيعيا من معالم تلك البقعة فإن ترتيب استقراره بين الدخول وما عطف عليه بالفاء أمراً لا نظنُّ امرأ القيس يُعنى بشرحه ؛ إذ هو لا يستطيع سبيلا إليه ؛ زيادةً على خُلوّ هذا الشرح من فائدة ظاهرة .

وربّما أراد الشاعر أنَ منزل حبيبه مستقر بين الدخول وما عطف عليه بالفاء ؛ وإذا كان كذلك فمن اليقين أنَ ملابسة هذه الأماكن لاستقرار المنزل بينهما لم تقع على ترتيب وتفريق ؛ لأنّ هذه المواضع سابقة النشأة على منزل الحبيب ؛ بل الأقرب أنّ الشاعر جمع بينها فى ذلك جمعا مطلقا .

قول أمرئِ القيس عند جمهرة النحاة :

وإذا كنا لاحظنا اتفاق ابن الأنباريّ والنحاس على شرح قول امرئِ القيس : « بين الدخول فحومل » شرحا لم يوافقا فيه لفظ النص ، ولا المعتاد من المعانى فإنا لنعجب من النحاة الذين قبلوا هذا الشرح ، واستمرّوا يتناقلونه خلفا عن سلف حتى يوم الناس هذا من غير تأملّ ولا تمحيص :

فرضيّ الدين الاستراباذيّ ٦٨٦ هـ يقول :

« اعلم أنّ الفاء تفيد الترتيب سواء كانت حرف عطف أو لا ، فإن عطفت مفردا على مفرد ففائدتها أنّ ملابسة المعطوف لمعنى الفعل المنسوب إليه وإلى المعطوف عليه - بعد ملابسة المعطوف عليه بلا مهلة ، ... ، وقد تجيء الفاء العاطفة للمفرد بمعنى إلى : حكى الزجاجيّ : تقول العرب : مطرنا ما بين زُبالة فالثعلبيّة بمعنى ما بين زُبالة إلى الثعلبيّة ؛ وبعضهم يقول : مطرنا ما زُبالة فالثعلبيّة بحذف ( بين ) مع كونه مرادا ، ...، ولا يجوز حذف ( ما ) لكونه موصولا؛ فلا تقول : مطرنا زُبالة فالثعلبيّة ، وهي أحسن الناس قرنا فقدما ؛ وحكى إجازته عن هشام . ومثل قوله : « قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل ... » البيتان - الفاء فيه بمعنى إلى ، أي منزل بين الدخول إلى حومل إلى توضح إلى المقراة [٢٥]؛ ويجوز أن يكون المعنى : قفا نبك بين منازل الدخول فمنازل حومل فمنازل تُوضح فمنازل المقراة [٢٦]» والناظر في قول الاستراباذيّ هذا يجده يفسر الفاء في « بين الدخول فحومل » بمعنى إلى ؛ وهو تفسير ضعيف لخلو العبارة من ( ما ) وقد قال هو نفسه : « ولا يجوز حذف ( ما ) لكونه موصولا ، أما تفسيره الأخير فهو لا يخرج عن قول الأنباريّ والنحاس الذي نقدناه آنفا .

ويقول ابن هشام ٧٦١ هـ - في أوضح المسالك :

« وتنفرد الواو بأنها تعطف اسما على اسم لا يكتفي الكلام به كاختصم زيد وعمرو ... وجلست بين زيد وعمرو ؛ إذ الاختصام ... والبَينية من المعاني النسبيّة التي لا تقوم إلا باثنين فصاعدا ؛ ومن هنا قال الأصمعيّ : الصواب أن يقال : « بين الدخول وحومل » بالواو ؛ وحجة الجماعة ( يعني أصحاب رواية " بين الدخول فحومل " ) أنّ التقدير بين أماكنِ الدخول فأماكنِ حومل ؛ فهو بمنزلة اختصم الزيدون فالعمرون [٢٧] »

ويقول أيضاً في مغني اللبيب :

« الفاء المفردة ... وترد على ثلاثة أوجه : أحدها أن تكون عاطفة ، وتفيد ثلاثة أمور ، أحدها الترتيب ... وقال الجرميّ : لا تفيد الفاء الترتيب في البقاع ولا في الأمطار بدليل قوله : ( بين الدخول فحومل ) ، وقولهم : ( مطرنا مكان كذا فمكان كذا ) وإن كان وقوع المطر فيهما في وقت واحد . وقيل : تقع الفاء تارة بمعنى ثم ... وتارة بمعنى الواو كقوله : « بين الدخول فحومل » ؛ وزعم

الأصمعىّ أنّ الصواب روايته بالواو ؛ لأنه لا يجوز جلست بين زيد فعمرو ؛ وأجيب بأنّ التقدير بين مواضع الدخول ، فمواضع حومل كما يجوز جلست بين العلماء فالزهاد [٢٨]»

فابن هشام من خلال هذين القولين - يحتج لقول امرىء القيس « بين الدخول فحومل » بحجة لا تخرج عما حكاه الأنبارىّ والنحاس على رغم حكايته قول الجرمىّ : « لا تفيد الفاء الترتيب فى البقاع ولا فى الأمطار » ؛ وكأنّ ابن هشام لم يجد فيما نسبه إلى الجرمىّ مقنعا يدعوه للانتصار لرواية الفاء خصوصا وقد علم أنّ الأصمعىّ يروى قول امرىء القيس بالواو ، وأنه يرى ذلك هو الصواب .

ويقول أبو الحسن الأشمونى ٩٤٩ هـ

« وأما قوله : « بين الدخول فحومل » فالتقدير : بين أماكن الدخول فأماكن حومل ؛ فهو بمثابة اختصم الزيدون فالعمرون [٢٩]»

ونلاحظ أن الأشمونى لم يزد على أن لخّص ما قاله ابن هشام فى أوضح المسالك ؛ فاكتفى بتقدير جمع مضاف إلى كلمتى " الدخول " و" حومل " ؛ لتصح إضافة بين إلى الدخول وما عطف عليه بالفاء ، ويسلم للفاء معنيا الترتيب والتعقيب .

أما الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد- وقد كان - رحمه الله - من أعيان المشتغلين بالنحو فى عصرنا هذا الحاضر - فيقول فى حاشيته التى علّقها على كتاب أوضح المسالك لابن هشام : الشاهد فيه قوله : « بين الدخول فحومل » ؛ ووجه الاستشهاد بهذه العبارة يستدعى أن نقرر لك قاعدتين : أما القاعدة الأولى فهى أنّ (بين) كلمة واجبة الإضافة ، وأنها لا تضاف إلا إلى متعدّد ، سواء أكان تعدّده بسبب التثنية أو الجمع أم كان تعدّد بسبب العطف ... وأما القاعدة الثانية فهى أنّ أصل وضع الفاء العاطفة على أن تدلّ على الترتيب بغير مهلة ؛ ومعنى ذلك أن العامل فى المعطوف عليه قد وقع معناه عليه أولا ، ووقع على المعطوف بعد وقوعه على المعطوف عليه ، ولكن من غير تراخ فى الزمن ؛ وأنّ الأصل فى وضع الواو العاطفة أن تتبادر منها الدلالة على أنّ العامل قد وقع أثره على المعطوف والمعطوف عليه دفعة واحدة ؛ فإذا قلت : جلست بين زيد فعمرو فمعناه أنّ جلوسك قد تمّ أولا بين زيد ثم وقع مرة أخرى بين عمرو ؛ وهذا كلام لا يتحقق فيه ما تقتضيه ( بين ) من الإضافة إلى متعدد ؛ وأما إذا قلت : جلست بين زيد وعمرو فمعناه أنّ الجلوس قد تم بين الاثنين دفعة واحدة ؛ وهذا معنى يليق

بما تقتضيه ( بين ) مما ذكرنا ؛ ولهذا كان الأصمعيّ يقول : أخطأ امرؤ القيس ، وكان من حق العربية عليه أن يقول : « بين الدخول وحومل » . وقد عُنى العلماء بتصحيح عبارة امرئ القيس ، فذكروا أن كلمة " الدخول " لا يراد بها فى هذا الموضع جزئى مُشخّص ؛ وإنما يراد بها أجزاء ذلك المكان ... ؛ ومع تصحيح هذا التخريج لعبارة امرئ القيس فإنا نراه تخريجا لا ينبغى أن نأخذ به ، وقد وقع فى شعر امرئ القيس أيضا مثل ذلك ، وذلك فى قوله :

ما هاج هذا الشوقَ غيرُ منازلٍ

دوارسَ بين يَذْبُلٍ فذقانِ (٣٠)

وقد وقع مثل ذلك فى قول كثيرّ عزّة :

ورسوم الديار تعرف منها

بالملا بين تغلمينَ فريم (٣١)

فالشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد لا يتوقف أن يُصرح بتخطئة امرئ القيس مُسندا ذلك إلى الأصمعى صاحب رواية «بين الدخول وحومل»؛ ثم إنه يحكى دون إسناد تصحيح الأنبارىّ والنحاس لرواية الفاء ؛ لكنه ينصح تلميذه بألاّ يأخذ بهذا التصحيح ؛ لأن العطف على ما يضاف إليه الظرف ( بين ) إنما يكون بالواو لا بالفاء ؛ ثم ينبه تلميذه إلى أنَ امرأ القيس وقع فى شعره هذا الخطأ مرة أخرى حيث قال : « ... بين يَذْبُلٍ فذقان » وأنّ هذا الخطأ وقع أيضا فى شعر كثيرّ عزّة حيث قال : « ... بين تغلمين فريم » !!

ومن يرجع البصر إلى أقوال هؤلاء الأنباه من النحاة يجد أنهم قد وافقوا ما ذهب إليه سيبويه والفراء من أنّ الفاء تفيد الترتيب والتعقيب إذا عطفت الاسم على الاسم مطلقا سواء أكان المتعاطفان شخصين أم مكانين(٣٢)؛ وأنهم ذهبوا فى تفسير قول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » إلى ما حكاه أبو بكر الأنبارىّ وأبو جعفر النحاس فى شرحيهما من تقدير جمع مضاف قبل كلّ مكان مذكور فى البيتين (٣٣) على رغم أنّ هذا التفسير يخالف فى رأينا قول امرئ القيس : « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل (٣٤)» . وقد زعم هؤلاء النحاة أنّ الأصمعىّ كان يروى قول امرئ القيس بالواو، فيقول : «بين الدخول وحومل» ، ومن ثمّ خطأ بعضهم رواية الفاء (٣٥)، بل خطأ بعضهم امرأ القيس وغيره (٣٦).

قول الحسن بن قاسم المرادى ٧٤٩ هـ :

قبل أن نأخذ فى الردّ على ما تقدم من الأقوال يحسن بنا أن نحكى ما قاله أحد مشهورى نحاة القرن الثامن وهو الحسن بن

قاسم المرادى ؛ لأنا لمحنا فى قوله ما يميزه عن غيره سلفا وخلفا ؛ بقول المرادىّ :

« وذهب بعضهم إلى أنّ الفاء قد تأتى لمطلق الجمع كالواو . وقال به الجرمى فى الأماكن والمطر خاصة ... قال امرؤ القيس : بسقط اللوى بين الدخول فحومل » ، وقال النابغة :

عفاذو حُسىً من فَرْتَنىَ الفوارع

فجنبا إريك فالتلاعُ الدوافعُ

... ؛ وقال بعضهم : الترتيب بالفاء على ضربين : ترتيب فى المعنى ، وترتيب فى الذكر ... وأما الترتيب فى الذِكر فنوعان : أحدهماعطفُ مفصّلٍ على مجمل ... والثانى عطف لمجرد المشاركة فى الحكم بحيث يحسن الواو كقول امرئ القيس : « بسِقط اللوى بين الدخول فحومل » ... وأجاز بعضهم فى قوله : « بين الدخول فحومل » أن تكون الفاء بمعنى إلى . وهذا ضعيف .[٣٧] . »

ومن يتأمل قول المرادىّ – وهو من قرن ابن هشام – يجده قد حكى قول الجرمىّ ، واستدل على صحته بقول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » وقول النابغة : « عفا ذو حُسىً من فَرْتَنَى فالفوارعُ ... » ثم ذكر أن الفاء قد تفيد « مجرد المشاركة فى الحكم بحيث يحسن الواو » واستدل على ذلك أيضا بقول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » وحده .

ونلاحظ أن قول المرادى قد خلا من رواية الأصمعىّ : « بين الدخول وحومل » ودعوى أنّها الصواب ؛ كذلك خلا من الحجة التى ذكرها الأنبارىّ والنحاس لتصحيح معنى الترتيب فى « بين الدخول فحومل » .

ردّ رواية « بين الدخول وحومل » :

ذكرنا من قبل قول أبى بكر الأنبارىّ : «والدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع بين إمرّة إلى أسود العين ... ورواه الأصمعىّ : « بين الدخول وحومل » ، وقال : لا يقال : رأيتك بين زيد فعمرو[٣٨]. » . كذلك ذكرنا قول أبى جعفر النحاس : « وفيه من النحو «بين الدخول فحومل» لأنه لا يجوز أن تقول : زيد بين عمرو فخالد ؛ لأنّ ( بين ) إنما تقع معها ( الواو ) ؛ لأنك إذا قلت : المال بين زيد وعمرو فقد احتويا عليه ، فهذا موضوع (الواو) ؛ لأنها للاجتماع ؛ فإن جئت بالفاء وقع التفرق فلم يجز ؛ وعلى هذا كان الأصمعىّ يرويه : « بين الدخول وحومل[٣٩] » ونزيد هنا قول أبى العباس المبرّد : « ... فأما اللوى من الرمل فمقصور ، قال امرؤ القيس : « بسقط اللوى بين الدخول وحومل » كذا

يرويه الأصمعى ، وهذه أصحّ الروايات [٤٠]؛ ومن المعلوم أنّ المبرد تلمذ لأبى حاتم [٤١]، وأبا حاتم تلمذ للأصمعىّ [٤٢].

كذلك جاء فى صدر ديوان امرئ القيس المنسوبة روايته إلى الأصمعىّ قول امرئ القيس :

« بسقط اللوى بين الدخول وحومل [٤٣] » ؛

أعنى عطف "حومل" على " الدخول " بالواو . فالمشيخة من علماء البصرة والكوفة قد أجمعت على أن الأصمعىّ كان يروى قول امرئ القيس السابق بالواو ، وشعر امرئ القيس الذى نُسِبتْ روايته إلى الأصمعىّ جاء فيه «بين الدخول وحومل [٤٤]» بالواو ؛ لكنا نلاحظ أنّ العطف بالواو على ما أضيف إليه الظرف ( بين ) فى معلقة امرئ القيس - قد قُصر على « الدخول وحومل » فى البيت الأول وحده ؛ أما البيت الذى يليه بعده فقد أجمع الأصمعى ورواة المعلقة كافة على روايته باللفظ الآتى :

« فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمُها

لما نسجتها من جنوب وشمأل [٤٥]»

أى أنّ « تُوضحَ » عُطف على « حومل » بالفاء ، كذلك عطف « المقراة » على «توضح» بالفاء ! وإذا نظرنا فى مقتضب المبردّ أقدمِ من زكّى رواية « بين الدخول وحومل » فيما نعرف - وجدناه يقول فى (الواو) : « معناها إشراك الثانى فيما دخل فيه الأول ، وليس فيها دليل على أيهّما كان أولا [٤٦] » ؛ أى أنّ واو العطف عند المبرّد كما هى عند سيبويه والجماعة - تجمع بين معطوفيها جمعا مطلقا من غير ترتيب ولا تفريق . كذلك يذهب المبرّد مذهب سيبويه والجماعة فى تحقيق معنى فاء العطف فيقول : « هى توجب أن الثانى بعد الأول ، وأنّ الأمر بينهما قريب نحو قولك : رأيت زيدا فعمرا ، ودخلت مكة فالمدينة [٤٧] » ؛ أى أن الفاء تُرتب معطوفيها وتُفرق بينهما بلا مهلة ، سواء أكان شخصين أم مكانين .

وإذا كان ذلك كذلك جاز لنا أن نسائل النحاة الذين يزكّون رواية « بين الدخول وحومل » ، ويذهبون مذهب سيبويه فى معنى فاء العطف قائلين : كيف يصحُّ فى مذهبكم أن يُجمع بين " الدخول " و " حومل " جمعا مطلقا من غير ترتيب ولا تفريق على حين يُرتب ويفرق بين « حوملَ » و « توضحَ » ، وبين « تُوضحَ » و " المقراة" - فى قول واحد أُضيفَ فيه الظرف (بين) إلى هذه الأماكن جميعا ؛ أعنى قول امرئ القيس - فى رواية الأصمعىّ : « .. بين الدخول وحوملِ فتوضح فالمقراة ..» ؟

أليس فى هذا تناقض بين بعض القول الواحد وبعض ؟

وإذا كان ذلك كذلك فأىُ الأمرين خير لهؤلاء النحاة ؛ آلاستمساكُ برواية ينسبونها إلى الأصمعىّ ، فيقع التناقض بين معطوفات أضيفت جميعا إلى الظرف ( بين ) فى قول واحد ؛ أم قبولُ ما رواه مُعلقة امرئ القيس ؛ أعنى « بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة[48] » فيتحد حرف العطف فى تلك المعطوفات جميعا ، ويستقيم معنى البيتين على سَنَن واحد ؟

ثم إنّ عطفَ العربِ مكانا بالفاء على مكان أضيف إليه الظرف ( بين ) ليس مقصورا على هذا القول لامرئ القيس ، بل قد رُوِى عنه أيضا قوله :

« ما هاج هذا الشوقَ غيرُ منازل
دوارسَ بين يذبلٍ فذقانِ [49] »

وإذا احتج نحويٌّ فقال : إن البيتَ لم يروه الأصمعىّ فى شعر امرئ القيس - [50] قلنا : إن الأصمعىّ نفسه روى لشاعر جاهلىٍ قديم هو سلامةُ بن جندلٍ السعدىّ [51] -قوله :

لمن طلل مثلُ الكتابِ المنمقّ
خلا عهدُه بين الصُّلَيْبِ فمطرقِ
أكبّ عليه كاتب بدواته
وحادِثُهُ فى العين جِدةُ مُهْرَقِ
لأسماءَ إذ تَهْوىَ وِصالكَ ؛ إنَّها
كذى جُدّةٍ من وحشِ صاحةَ مُرْشِقِ [52]

ونسبة رواية هذه الأبيات إلى الأصمعىّ نسبة صريحة ، فقد ذكرها الأصمعىّ نفسه فى اختياره المسمىّ الأصمعيات [53] ؛ وقد قال فيها سلامة بن جندل : «بين الصُّلَيْب فمطرق» فأضاف ( بين ) إلى « الصُّلَيْبِ ، وعطفَ عليه بالفاء ؛ ولم يأت فى تخريج هذه الأبيات أنّ أحدا رواها بالواو ، فقال : « بين الصُّلَيْبِ ومطرق » [54] .

بل نزيد على ذلك فنقول : إنّ الأصمعىّ روى قصيدة أخرى فيها مثل هذا القول ، وشارك هو نفسه فى شرح أبياتها ؛ فقد روى أبو سعيد السكرىّ عن أبى الفضل الرياشىّ عن الأصمعىّ قول أبى ذؤيب الهذلىّ:

١ - عرفتُ الديار لأمّ الرَّهينِ
بين الظُّباءِ فوادى عُشَرْ

قالوا : « الظُّباء » واد أوموضع . و «الظُّباء» منعرج الوادى ، والواحدة «ظُبَة» . ويُرْوى : « الرُّهَيْن » ، وروى أبو عبيدة وأبو عمرو : « الظِّباء »، وقالا : واحدها «ظُبْيَةَ» وهى منعرَج الوادىِ .

٢ - أقامتْ بهِ فابتنتْ خَيْمةً
على قَصَبٍ وفُراتِ النَّهَرْ

قال الأصمعيّ : « قصب البطحاء » : مياه تجرى إلى عيون الركايا ... [٥٥]»

فأبو ذؤيب الهذليّ يقول : « بين الظُّباء فوادى عُشَر » فيعطف بالفاء مكاناً على مكان أضيف إليه الظرف ( بين ) ، ويشترك فى رواية قوله أبو عبيدة وأبو عمرو والأصمعيّ ؛ ثم يروى السكّرى شرحا لكلمة فى البيت الثانى عن الأصمعى .

وإذا كان ذلك كذلك أصبحنا على يقين من أنَّ الأصمعىّ روى أكثر من مرة شعرا تضمّن عطفا بالفاء لمكان على مكان أضيف إليه الظرف ( بين ) - على رغم ثقتنا فى أبى العباس المبرّد الذى نُسب إليه أنّه قال : «فأما اللّوى من الرمل فمقصور ؛ قال امرؤ القيس : « بِسقطِ اللّوى بين الدخول وحومل » كذا يرويه الأصمعىّ ؛ وهذه أصحُّ الروايات [٥٦]» .

تكرار الشاعر قوله : بين كذا فكذا من الأمكنة :

والحق أنّ عطفَ الشعراء مكانا بالفاء على مكان أضيف إليه الظرف ( بين ) شائع مكرّر فى أقوالهم بحيث لا يلابسه شك ، ولا يتسامى إليه إنكار : فالشاعر الجاهلىّ سلامة ابن جندل يقول أيضا فيما يرويه المفضّل عنه :

« كُنّاً إذا ما أتانا صارخٌ فزِعٌ
كان الصراخ له قرع الظّنابيبِ

* * *

حتى تُركنا وما تُثنى ظعائنُنا
بَأخذنَ بينَ سوادِ الخَطِّ فاللُّوب [٥٧] »

والحارث بن حِلّزة يقول فى معلقته :

وبعينيكَ أوقدتْ هندُ النّا
رَ أخيراً تُلوى بها العَلْياءُ

أوقدتها بين العَقيقِ فَشَخْصَيْ
ـنِ بعودٍ كما يلوحُ الضّياءُ [٥٨]

ويقول الحارث أيضا فى المعلّقة نفسها :

إن نَبَشْتُم ما بين ملحةَ فالصّا
قبِ فيه الأمواتُ والأحياءُ [٥٩]

فها نحن أولاء نرى شاعرين جاهليّين قد كرّر كل منهما عطفه بالفاء مكانا على مكان أُضيف إليه الظرف ( بين ) ، وبعض هذا الشعر رواه الأصمعىّ نفسه [٦٠] .

أما حسّانُ بن ثابت فقد عَطف بالفاء مكانا على مكان أُضيف إليه الظرف ( بين ) خمسَ مراتٍ فى خمسِ قصائدَ معظمها مشهور معلوم ؛ إذ يقول فى العصابة التى نادمها فى الزمان الأول :

أسألتَ رسمَ الدَّارِ أم لم تسألِ

بين الجوابى ، فالبُضَيْعِ ، فَحَوْمَلِ

فالمرجِ مرجِ الصُّفْرَ بيْنٍ ، فَجاَسِمِ

فديار تُبْنى دُرَّساً لم تُحلل

أقوى وعُطِّل منهمُ ، فكأنَّهُ

بعدَ البِلى آىُ الكتابِ المُجْمَلِ (٦١)

فحسّان يقول : « بين الجوابى فالبُضَيْع » ، فيعطف بالفاء مكانا على مكان أضيف إليه الظرف ( بين ) ؛ ولم نسمع أنّ راويا روى ذلك القول بالواو .

ويقول فى " شعثاء " التى لم يحبّ أحدا حُبَه إياها :

انظر خليلى بباب جِلّقَ هَلْ

تُؤنِسُ دونَ البلقاءِ من أحَدِ

أجمالَ شعثاءَ قد هَبَطن من الْـ

ـمَحْبِس بينَ الكُثبانِ فالسَّنَدِ

يَحْمِلنَ حُوراً حُورَ المدامعِ فى الرّيْـ

ـطِ وبيضَ الوجوهِ كالبَرَدِ (٦٢)»

فحسّان يقول :

« بين الكثبان فالسّنَد » ؛ فيعطف بالفاء مكانا على مكان أضيف إليه الظرف ( بين ) ؛ ولم نسمع أنّ راويا روى ذلك القولَ بالواو .

ويقول فى مطلع قصيدة يرثى بها حمزة – رضى الله عنه :

أتعرف الدار عفا رسمَها

بعدك صوبُ المُسْبِلِ الهاطلِ

بين السراديحِ فأدمانةٍ

فمدفعِ الرَّوْحاءِ فى حائلِ

ساءلتُها عن ذاك فاستعْجَمَتْ

لم تدر ما مرجوعةُ السّائلِ

دع عنك دارا قد عَفَا رسمُها

وابكِ على حمزةَ ذى النائلِ (٦٣)

فحسّان يقول : « بين السراديح فأدمانةٍ » ؛ فيعطف بالفاء مكانا على مكانٍ أُضيف إليه الظرف ( بين ) ؛ ولم نسمع أنّ راويا روى ذلك القول بالواو .

ويقول فى إحدى قصائده التى يُرَجِّحُ أنها من جاهليّاته :

لمن الدارُ والرسومُ العوافى

بين سَلْعٍ فأبْرقِ العَزَّافِ

دارُ خَوْدٍ تَشفى الضجيع بعذب الطـ

ـعم مُزٍّ وبَاردٍ كالسُّلافِ (٦٤)

فحسّان يقول : « بين سَلْعٍ فأبْرقِ العَزَّافِ » ؛ فيعطف بالفاء مكانا على مكان أضيف إليه الظرف ( بين ) ؛ ولم نسمع أنّ راويا روى ذلك القول بالواو .

ويقول فى مطلع قصيدة يمدح بها جبلةَ بنَ الأيهم :

لمن الدار أَوْحشَتْ بمعانِ
بين شاطئ اليرموكِ فالصَّمانِ
فالقريَّاتِ من بَلاسَ ، فداريَّا
فسكَّاءَ ، فالقصورِ الدَّوانى
فقفا جاسمٍ ، فأودية الصُّفْـ
ـرِ مغنى قنابلٍ وهجانِ
تلك دارُ الأنيسِ بعدَ عزيزٍ
وحُلولٍ عظيمةِ الأركانِ (٦٥)

فحسَّان يقول : « بين شاطئ اليرموك فالصَّماف » ؛ فيعطف بالفاء مكانا على مكان أضيف إليه الظرف ( بين ) ؛ ولم نسمع أنَ راويا روى ذلك القول بالواو .

وإذا كان الفحول من شعراء العربية قد أكثروا فى أشعارهم من عطفهم بالفاء مكانا على مكان أضيف إليه الظرف ( بين ) - أصبحنا موقنين بصواب رواية «بين الدخول فحومل» . كذلك أصبحنا ملزمين بتفسير ( الفاء ) فى هذا القول تفسيرا يتفق ومعنى الظرف ( بين ) الذى يقضى بأن يضاف إلى ما يدل على شيئين فصاعدا ، وأن يقع على ما يضاف إليه وقوعا واحدا لا ترتيب فيه ولا تفريق (٦٦) ؛ ولا يفى بذلك كلهّ إلا قول أبى الحسن الأخفش : «الفاء فى قوله : " بين الدخول فحومل " بمعنى الواو (٦٧) » .

الفساد تقدير « بين أهل الدخول » :

يروى ابن الأنبارى فى شرح المعلَّقات عن الفراء قوله : « ( بين الدخول فحومل ) معناه : بين أهل الدخول فحومل ، معناه : فأهل حومل ؛ فلذلك جاز أن يكون المسوق بالفاء (٦٨) » .

ويقول أبو جعفر النحاس : « وأما الاحتجاج لمن رواه بالفاء فلأنّ هذا ليس بمنزلة قولك : المال بين زيد وعمرو ؛ لأنّ « الدخول » موضع يشتمل على مواضع ، فلو قلت : عبد الله بين الدخول لتَمَّ الكلام كما تقول : دربنا مصر ، تريد بين أهل مصر ،

فعلى هذا قوله : « بين الدخول » ؛ ثُم عطف بالفاء ، وأراد بين مواضع الدخول ، ولم يُرد موضعا بين الدخول فحومل (٦٩) » .

ومن يتأملّ هذين القولين يجد أنّ أبا زكريا الفراء ٢٠٧ هـ قد فسّر قول امرىء القيس « بين الدخول فحومل » تفسيرا يوافق مذهب سيبويه ، إذ حقق للفاء معنى الترتيب والتعقيب (٧٠) ؛ كذلك يجد أنّ أبا جعفر النحاس ٣٣٨ هـ قد أخذ تفسير الفراء فزاده شرحا وتمثيلا ، واستقر رأيه على أنّ الشاعر « أراد بين مواضع الدخول ، ولم يرد موضعا بين الدخول فحومل (٧١) »

ولو أخذنا بهذا التقدير الذى ذهب إليه أبو زكريا الفراءُ وحكاه الأنبارىّ والنحاس ، وغيرهما من النحاة وشراح المعلّقات [٧٢] لكان معنى قول امرئ القيس : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل لهذا الحبيب بين مواضع الدخول ، ولننتقل بعد ذلك مسرعين لنقف باكين – على منزل آخر له كائن بين مواضع حومل ، ولننتقل بعد ذلك مسرعين لنقف باكين – على منزل ثالث له كائن بين مواضع تُوضح ، ولننتقل بعد ذلك مسرعين لنقف باكين – على منزل رابع له كائن بين مواضع المقراة !! ولا بأس على امرئ القيس بن حُجْر من هذا الهوان الذى نُسبغه عليه ما دمنا حراصا على أن نحقق للفاء معنى الترتيب والتعقيب فى الأماكن كما هى فى الأشخاص : ويبدو لى أنّ أبا الحسن الأخفش قد عرضت له هذه الصورة التى شرحناها تفسيرا لمعنى قول امرئ القيس على أنّ الفاء فيه للترتيب والتعقيب – فعزّ عليه أن يبدو امرؤ القيس فى صورة لا تليق بمكانه السامى بين قومه ، ثم هداه ذلك إلى أن يستنبط من هذا القول أنّ الفاء فى عطف الأماكن بمعنى الواو [٧٣] ؛ وبذلك يكون امرؤ القيس إنما عَنَى منزلا واحدا بسقط اللوى ، تحدّه هذه الأماكن جميعا .

وإذا انتقلنا إلى قول الحارث بن حلّزة فى معلّقته :

وبعينيك أوقدتْ هندُ النا ... رَ أخيرا تُلوى بها العَلْياءُ

أوقدتها بين العقيقِ فشخصَيْـ ... ـنِ بعودٍ كما يَلُوحُ الضيّاءُ

فتنوّرتُ نارها من بَعيدٍ ... بِخَزَازَ ، هيهاتَ منكَ الصِّلاءُ » [٧٤]

– وجدنا أبا جعفر النحاس يقول : فى شرح هذه الأبيات : « ............ ورواية الأصمعىّ : " وشخصين " ولا يجيز أن يُوتى بالفاء بعد (بين) ؛ وقد ذكرنا شرح هذا فى معلّقة امرئ القيس » [٧٥] .

وهذا القول يعنى أنّ أبا جعفر النحاس لم يتأمل الأبيات أدنى تأمل ؛ وإنما وجد (الفاء) بعد ( بين ) فى قول الحارث ، فتذكّر ما قاله فى شرح قول امرئ القيس ؛ فذكّر القارئ به [٧٦] .

وأما ابن القاسم الأنبارى فإنه قال فى شرح هذه الأبيات : « ... معناه : رأى النار بالعلياء ولم يدر أين موضعها من العلياء حتى تأمّلها فعلم أين هى من العلياء ، فقال : «بين العقيق» ، و « العقيق » مكان ... و «شخصان» أكمة لها شعبتان ، فعلم أنّ مُوقَد النار كان بالعلياء بين العقيق وشخصين . وقوله : « بعود » : أراد الذى يُتَبَخَّر به ..

قوله : « تنوّرتَ نارها » معناه : نظرت إلى سناها فى الليل . والتنوّر : نظرك إلى النار ، وتأملك أين هى ؟ قريبة كانت أم بعيدة . ثم قال : « بخزازَ » . و « خزازَ » : جبل بين العقيق وشخصين كما وصف . ثم أطمع نفسه فى اصطلائها فظنّ أنها قريب ، فلما علم أنها بعيدة قال : « هيهات منك الصِّلاء » أى ما أبعده منك (٧٧) » .

ويلاحظ فى هذا القول أنّ ابن القاسم الأنبارىَ أرسل نفسه على سجيّتها لتفهم قول الحارث فوافق شرحه مذهب الأخفش ؛ إذ فسّر الفاء فى قول الحارث : « بين العقيق فشخصين » بالواو ؛ إذ قال : « ... وخزاز جبل بين العقيق وشخصين كما وصف » ؛ ولم يستمسك الأنبارىّ بشئ مما قاله هو نفسه فى شرح عبارة امرئ القيس : « ... بين الدخول فحومل (٧٨) »

والحق أنّ فى أبيات الحارث أشياءَ تحول دون ما ذهب إليه أبو جعفر النحاس من تقدير ( بين مواضع العقيق فمواضع شخصين (٧٩)) ؛ إذ الحارث يتحدث فى هذه الأبيات عن نارٍ واحدة أوقدتها هند بين العقيق فشخصين بعُودٍ مما يُتَبَخَّر به ، وأنه تنوّر هذه النار من بعيد وهو بجبل خزاز فأطمعته نفسه فى اصطلائها ؛ لكنه استبعد ذلك لما تيقّنَ بعد النار عن مكانه؛ وليس بميسورٍ فى هذا المقام أن نتصور هندَ هذه المرأة الحبيب وقد أوقدت نارا بين منازل العقيق ، وانتقلت بعد ذلك مسرعة إلى منازل شخصين فأوقدت بينها نارا أخرى ؛ وأنّى لجارية ناعمة معشوقة أن تأتى ذلك ؟ بل فى أىّ مكانة مرذولة تضع هند نفسها إن فعلت ذلك ؟

ثُمَّ أىُّ صِلاء اشتهته نفس الحارث واستبعده من فوره ؟ أهو صِلاءُ نار مجهولة مما أُوقد بين منازل العقيق فمنازل شخصين كما يريد لنا أبو جعفر أن نفهم ؟ أم صِلاءُ نار تحضرها هند - وقد عطّرتها ؛ ليمتع نفسه بالجلوس إليها أو قريبا من بيتها ؟ ! الواضح أنّ المعنى فى قول الحارث يقتضى أن نفسر ( الفاء ) فيه بمعنى (الواو) ؛ ليضاف الظرف ( بين ) إلى العقيق فشخصين فى وقت واحد دون ترتيب ، ولا تعقيب .

وإذا انتقلنا إلى قول الحارث نفسه فى المعلقة عينها :

إن نبشتُم ما بين مِلحةَ فالصَّا

قِبِ فيه الأمواتُ والأحياءُ (٨٠)

- وجدنا ابن الأنبارى يشرحه بقوله : « إن نبشتم » معناه : إن أثَرتم ما كان بيننا وبينكم

فى الوقعات التى كانت بين مِلحة فالصاقب - ظهر عليكم ما تكرهون من قتلى قتلنا لم تدركوا بثأرهم . والتقدير فيه : إن نبشتم ما بين أهلِ ملحة فأهل الصاقب ،فحذف الأهل ، وأقام مِلحة ، والصاقب مُقامهم ، وملحة : مكان ، والصاقب : جبل (٨١) » .

فأبو بكر بن الأنبارى الذى سكت عن التقدير فى قول الحارث قبل ذلك : « أوقدتها بين العقيق فشخصين » ؛ إذ فسّر ( الفاء ) فى ذلك القول بالواو - يعود إلى التقدير فى هذا البيت ، وهو من قول الشاعر نفسه والقصيدة عينها ! والحارث فى رأى ابن الأنبارى - إنما يتحدث عن قبور كثيرة أُقبر فيها القتلى بعضها بين أهلِ ملحة ، وبعضها بين أهل الصاقب !! ويبدو لى أنّ أبا بكر لم يُمعن النظر فى قول الحارث : « ما بين ملحة فالصاقب » ؛ لأن ( ما ) حدُ بين الشيئين » فيما نقل هو نفسه عن الفراء (٨٢) ؛ وهذا يعنى أنّ الحارث بن حلّزة إنما يتحدث فى هذا القول - عن مكان واحد محصور بين ملحة فالصاقب (٨٣) .

ومن أقوى الشواهد على فساد تقدير ( بين أهل الدخول ) - قول متممّ بن نُوَيْرة يرثى مالكا أخاه :

لقد لامنى عند القبور على البُكَا
رفيقى لتَذرافِ الدموعِ السَّوافكِ
فقال أتبكى كُلَّ قبر رأيتَه
لقبر ثوى بين اللّوى فالّدوانكِ
فقلت له : إنّ الشجًا يبعث الشّجاَ
فَدَعْنى ، فهذا كلُّه قبرُ مالكِ (٨٤)

فمتمم بن نويرة يذكر فى هذه الأبيات قبرا ثوى بين اللوى فالدوانك ؛ ولا يجوز لمفسر يُعنى بقراءة النصوص والإحاطة بمدلول ألفاظها أن يفسّر هذا القول إلا بأنّ مُتَمما يُريد قبرا واحدا دُفن فيه أخوه مالك ؛ وأنّ هذا القبر معيَن محصور « بين اللوى فالدوانك » ؛ وأن فاء العطف فى هذا القول تفيد مطلق الجمع لا محالة .

وإذا كان ذلك كذلك فإنا لنعجب أشدّ العجب مما ذهب إليه أبو على المرزوقىّ ٤٢١ هـ فى أثناء شرحه لهذه الأبيات إذ قال : « يقول : استسرف رفيقى بكائى عند القبور ... فقال مُوَبِّخا : أمن أجل قبولك بين اللّوى فالدوانك تبكى عند كل قبر تراه ؟ ... وقولهُ : « بين اللّوى فالدوانك » : اكتفى ( بين ) باللّوى ، وهو مسترقُ الرمل لوقوعه على أماكن مختلفة؛ ولما اكتفى به جاز أن يترتب عليه فالدوانك (٨٥) » .

فالمرزوقى بعد ما صرّح بانفراد قبر مالك فى قوله : « أمن أجل قبرلك بين اللّوى فالدوانك » – عاد إلى التقدير المحكىّ عن الفراء ، فقال : « اكتفى ( بين ) باللّوى لوقوعه على أماكن مختلفة [٨٦] » ؛ وكأنّ المرزوقى يفسّر قول متمّم بأنه يريد قبرا بين أماكن اللّوى فقبرا بين أماكن الدوانك . وهذا كلام إن صحّ فى رأى عامة من شرح « بين الدخول فحومل » أن يرددوه ، فترديده متعذر فى شرح قول متّمم بن نُوَيرة ؛ إذ هو على يقين من انفراد قبر أخيه ، وانحصار مكانه ؛ وإن حادثة قتلِ مالك بن نُويْرة مشهورة معلومة ؛ وشأن الناس فى كل زمان ومكان أن يُدفن الميّتُ منهم فى قبر واحد .

ومما تقدم يتبين لنا أنّ النحاة الذين يَرَوْن أنّ الفاء تفيد الترتيب فى الأماكن كما هى فى الأشخاص – لا يصبرون أنفسهَم عن تقدير مضاف إلى المكان الذى أُضيف إليه الظرف (بين) وعُطف عليه مكان آخر بالفاء إذ بدا لهم أنّ المعنى يستقيم على هذا التقدير [٨٧] ؛ لكنهم يسكتون عن هذا التقدير أو التذكير به حين يَستعصى المعنى على تأويلهم [٨٨] ؛ وفى حين آخر لا يبالى الشارح بالمعنى وما تدل عليه الألفاظ ؛ بل يكتفى بترديد ما آل إليه من تراث السلف ؛ سواء أكان حجة نحويّة أم تفسيرا [٨٩] .

أمّا من يذهب مذهب الأخفش والجرمىّ ويرى أنّ ( الفاء ) فى عطف الأماكن بمعنى ( الواو ) ؛ فهو يفسّر أقوال الشعراء من مثل « بين الدخول فحومل » تفسيرا يوافق حقائق الحياة ، وطبائع النفوس دون أن يحتاج إلى تقدير مضاف يتعسر اتفاقه ومعنى القول تارة؛ أو يتعذر تارة أخرى .

ولو أنّ تلاميذ الأخفش والجرمىّ عُنُوا بتأييد مذهبهم بأقوال فحول الشعراء كالحارث ابن حلِّزة ، وسلامةَ بنِ جَنْدل ، وحسّانَ بنِ ثابت [٩٠] ؛ أو لو أنّهم عنُوا بالفحص عن سلامة النَّسَق فى رواية الأصمعى « بين الدخول وحومل ... ... [٩١] » أو بإثبات أنّ الأصمعىّ روى مثل هذا القول بالفاء أكثر من مرّة [٩٢] – لاستطاع أبو بكر الأنبارىّ ، وأبو جعفر النحاس ، ومن خلف من بعدهما من النحاة وشرّاح الشعر القديم أن يُفسّروا (الفاء) فى مثل «بين الدخول فحومل» تفسيرا صحيحا لا يخطّئون فيه الفحول [٩٣] ، أو لا يَضطرهم فيه الاتّباع إلى إهمال معانى الألفاظ، وتوهم الكثرة فيما هو منفرد متوحّد [٩٤] .

# اختصاص الفاء بعطف المكان

## اختصاص ( الفاء ) بعطف المكان لإفادة مطلق الجمع :

لقد مضى وقت طويل كنت أظنّ فيه أن إشكال قول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » ينتهى بالانتصار لمذهب الأخفش ، وتقويته بتكثير أدلّته ، ورد حجج مخالفيه ؛ لكن وقع لى - وأنا مَعْنىٌّ بتحقيق هذا الغرض - معنى « لفاء العطف » أراه فات النحاة قبلا ، فلم يُبِن لأحد منهم ؛ ذلك أنّ الشاعر العربىّ القديم كان يختص ( الفاء ) بعطف المكان على المكان ؛ لتشرك بينهما فى الإعراب ؛ ولتجمع بينهما فى ملابسة الحدث جمعا مطلقا لا ترتيب فيه ولا تعقيب ؛ وبيان ذلك فيما يأتى :

يقول امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
سقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضحَ فالمقراةِ لم يعفُ رسمُها
لما نسجتها من جَنوب وشَمْألِ
ترى بَعَر الأرام فى عرصاتها
وقيعانِها كأنّه حبُّ فُلفُلِ (٩٥)

ومن يتأمل هذه الأبيات يجد أنّ امرأ القيس قد استخدم الواو فى عطف " منزل " على " حبيب " ليجمع بينهما جمعا مطلقا فى إضافة « ذكرى » إليها ؛ وليشرك بينهما فى الإعراب ؛ وكذلك فعل فى عطف " شمأل " على " جنوب " و "قيعانها" على "عرصاتها " ؛ أمّا أسماء الأماكن فى قوله : « بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة » فقد اختصت (الفاء) بعطف بعضها على بعض ؛ أى لتجمع بينها جمعا مطلقا فى إضافة ( بين ) إليها ؛ ولتشرك بينها فى الإعراب ؛ وإلى ذلك ذهب أبو الحسن الأخفش ؛ وقد انتصرنا لقوله ، ورددْنا حُجَجَ من خالفه (٩٦).

ويقول امرؤ القيس أيضا :

لمن الدِّيارُ غشيتُها بسُحامِ
فعمايَتَيْنِ ، فهضب ذى أقدام
فصفا الأطيط ، فصاحتين فغاضد
تمشى النّعاجُ به مع الأرآمِ
دار لهندٍ ، والربّابِ ، وفرتنى
ولميسَ قبل حوادث الأيّامِ (٩٧)

ومن يتأمل هذه الأبيات يجد أيضا أن امرأ القيس قد استخدم الواو فى عطف بعض أعلام النساء على بعض فى قوله : « دارلهندٍ والربّابِ وفَرْتَنَى ولميسَ » ؛ أمّا أسماء الأماكن فى قوله : « غشيتُها بسحامِ ،

فعمايتين ، فهضب ذى أقدام ، فصفا الأطيط، فصاحتَيْن ، فغاضرٍ » فقد اختصت الفاء بعطف بعضها على بعض ؛ أعنى لتجمع بينها جمعا مطلقا فى أنّ الديار مستقرة بينها ؛ ولتشرك بينها فى الإعراب . وأما الترتيب بين هذه الأماكن فى ملابسة هذا الاستقرار فغرض لم يعتد الشعراء أن يعالجوه ، ولا نحسب امرأ القيس عُنِىَ به ؛ ومن ثَمّ قال الأعلم الشنتمرىّ فى شرح هذه الأبيات :

« وصف أنّ الدّيار التى غشيها مستقرة بين هذه المواضع (٩٨) » ؛ وإذا كانت هذه الأسماء لجبال قديمة النشأة ، أو أماكن فى حكمها قِدَمة - كان استقرار ديار هؤلاء النسوة بين هذه الأماكن قد وقع وقوعا مطلقا من غير ترتيب ولا تفريق .

ويقول الحارث بن حلّزة :

آذنَتْنا بِبينِها أَسْماءُ
رُبّ ثاو يُمَلُّ منه الثَّواءُ
بعد عهد لها بِبُرقة شمّا
ءَ ؛ فأدنى ديارها الخلصاءُ
فحيّاةٌ ، فالصِّفاحُ ، فأعلى
ذى فِتاقٍ ، فعاذبٌ ، فالوفاءُ
فرياضُ القَطا فأوديةُ الشُّرْ
بُب ، فالشعبتان فالأبلاءُ
لا أرى من عهدت فيها فأبكى الـ
ـيَوْمَ دَلْهاً ؛ وما يَردُّ البكاءُ (٩٩)

ومن يتأمل هذه الأبيات يجد أنّ الفاء فى قول الحارث : « أدنى ديارها الخَلصاء ، فحيّاةٌ .. » إلى قوله : « فالأبلاءُ » قد اختُصّتْ بعطف أسماء الأماكن بعضها على بعض ، وقد جمعت الفاء بين هذه الأماكن جمعا مطلقا فيما أخبر به الحارث عنها بقوله : « لا أرى من عهدت فيها (١٠٠) » ؛ ومثل هذا الخبر المنفىّ لا يُتصوّر أن يلابسه ترتيب ولا تعقيب .

ويقول الحارث أيضا :

أيّما خُطّة أردتُم فَأدّو
ها إلينا ، تَمشى بها الأملاءُ
إن نَبَشْتُم ما بينَ مِلحةَ فالصا
قبِ ، فيه الأمواتُ والأحياءُ
أو نقشتم فالنقش تجشمُه النا
سُ وفيه الصِّلاحُ ، والإبْراءُ (١٠١)

ومن يتأمل هذه الأبيات يجد أنّ الحارث قد استخدم الواو فى عطف « الأحياء » على «الأموات» وفى عطف « الإبراء » على «الصلاح» على حين اختُصتِ الفاءُ بعطف «الصاقب» على « مِلحةَ » ؛ وهما من أسماء الأماكن ، وقد سَبَقَ أن أثبتنا أنّ الفاء فى هذا القول تفيد الجمع المطلق بين معطوفيها ؛

« لأنّ ( ما ) حدٌّ بين الشيئين » كما يقول الفراء (١٠٢) .

ويقول لبيد بن أبى ربيعة :

عفتِ الدّيارُ محلُّها فمقامُها
بمنىً ، تأبّدَ غولُها فَرِجامُها
فمدافعُ الريانِ عُرّيَ رسمُها
خَلَقاً كما ضَمِنَ الوَحِيَّ سلامُها
دِمَنٌ تجرّم بعدَ عَهْدِ أنيسِها
حججٌ خَلَوْنَ حلالُها وحرامُها
رُزقت مرابيعَ النجُّوم وصابَها
ودقُ الرّواعِدِ ، جَوْدُها ودِهامها
من كُلِّ ساريةٍ وغادٍ مُدْجِنٍ
وعشيّةٍ متجاوبٍ إرزامُها
فعلا فروعُ الأيهُقان وأطفَلَتْ
بالجَلْهَتَيْنِ ظِباؤُها ونَعامُها (١٠٣)

ومن يتأمّلْ هذه الأبيات يجد أنّ لبيداً قد استخدم الواو فى عطف « حرامها » على « حلالها » وفى عطف « رهامها » على « جودها » وفى عطف « غاد » على « سارية » وفى عطف « عشيّة » على "غادٍ" وفى عطف « نَعامها » على « ظباؤها » ؛ أما أسماء الأماكن فى قوله « تأبّد غولُها فرجامُها فمدافعُ الريّان » فقد اختصت الفاء بعطف بعضها على بعض ؛ ولا ريب أنّ الفاء فى هذه الأبيات تفيد مطلق الجمع بين معطوفاتها فى التأبُّد ؛ إذ لا نحسَبُ أنّ لبيدا كان عالما بترتيب تأبُّدِ هذه الأماكن حتى يُعْنى بإنباء من يسمعُ قوله نبأ هذا الترتيب .

ويقول لبيدُ أيضا :

بل ما تذكّرُ من نَوَارَ وقد نَأَتْ
وتقطّعتْ أسبابُها ورِمامُها
مُرِّيَّةٌ ، حَلّتْا بِفَيْدَ ، وجاوَرَتْ
أهل الحجازِ ، فأينَ منك مرامُها
بمشارق الجبلينِ أو بمحُجَّرٍ
فتضمنتهافَرْدَةُ فرُخامُها
فصوائقُ إن أَيْمنَتْ ، فمظِنَّةٌ
منها وِحافُ القَهْرِ أو طلخامُها (١٠٤)

فَلبيدُ فى هذه الأبيات قد استخدم الواو فى فى عطف « رمامها » على « أسبابها » ؛ أمّا أسماء الأماكن فى قوله : « فتضمنتها فردةُ فرخامُها فصوائقُ » فقد اختُصتِ الفاء بعطف بعضها على بعض ؛ والفاء هنا مفيدة مطلق الجمع ولا ريب ؛ وما ينبغى لمفسر أن يذهب إلى أنّ الفاء فى هذا القول معناها الترتيب والتعقيب ؛ خصوصا ولبيد يبدو فى هذه الأبيات غير مُتَيقّن من شئون نوارَ التى تقطعت أسبابُها ورمامها »

ويقول النّابغةُ الذُّبيانى :

عفا ذو حُسىً من فَرْتَنَى فالفوارعُ
فجنبا أريك فالتلاعُ الدوافعُ
فجتمع الأشراجِ غيَّر رسمَها
مصايفُ مرَّتْ بعدنا ومرابعُ
توهَّتُ آياتٍ لها فعرفتُها
لِستَّةِ أعوامٍ وذا العامُ سابعُ
رمادُ ككُحلِ العين لأياً أُبينُهُ
ونُؤْيٌ كجِذمِ الحوضِ أَثلمُ خاشعُ (١٠٥)

فالنابغةُ قد استخدم فى هذه الأبيات - ( الواو ) فى عطف « مرابع » على «مصايف» وقد عَنى بهما مطر الربيع ورياح الصيف (١٠٦) ؛ كذلك استخدم ( الواو ) فى عطف « نؤى » على « رماد » ؛ أمّا أسماء الأماكن فى قوله : « عفا ذو حُسىً من فرتنى فالفوارع فجنبا أريك فالتلاع الدوافع فجتمع الأشراج » فقد اختُصّت ( الفاء ) بعطف بعضها على بعض ؛ ومن الفضول أن نُعيد أنّ ( الفاء ) فى هذا القول تفيد مطلق الجمع كالواو (١٠٧).

ويقول زهير بن أبى سُلْمَى :

كأن كُورى وأنساعى ومِيثَرتى
كَسَوْتُهُنّ مُشَبّاً ناشِطاً لَهَقاَ
رعى بغَيثٍ لأوراكٍ ، فناصفَةٍ
من الشّتاءِ فلما شَأْوُهُ نفقا
وقد يكونُ بها حينا تعزُّ بُهُ
وقد تطرَّفَ من حافاتها أنَقَا
عِشْرا وخِمسا فقد طابتْ مراتعهُ
من الربيع ؛ ولم يبدُن وقد زَهَقا
فسار منها على شَيْمٍ يؤمُّ بها
جَنْبَى عمايةَ فالركَّاءَ ، فالعُمَقَا (١٠٨)

ففى هذا القول يستخدم زُهَيْرٌ حرف ( الواو ) فى عطف " أنساعى " على « كُورى » وفى عطف « مِيثَرتى » على « أنساعى » وفى عطف « خمسا » على « عِشرا » أما أسماء الأماكن فى قوله : « رعى بغيث لأوراكٍ فناصفةٍ » وقوله : « يؤمُّ بها جَنْبَىْ عمايةَ فالركاءَ فالعُمقاَ »
فقد اختصت « الفاءُ » بعطف بعضها على بعض ؛ ولا ريب أنّ ( الفاء ) هنا تفيد مطلق الجمع دون الترتيب والتعقيب ؛ إذ زُهَيْرٌ يُصَوِّر ناقته ثوراً قد أشبَّ أولادا ، فهو يرعى بعض هذه الأماكن شتاء ، ويرعى بعضها الآخر ربيعا ؛ وما علمنا أنّ الثيران تقصد إلى ترتيب وتعقيب فى رعيها مواضعَ الكلأ فى الفصل الزمانى الواحد ؛ كذلك لا نحسَب زُهَيراً عُنى بترصّد ذلك ووصفه ؛ إذ لا فائدة مرجوّة منه - فى رأينا .

ويقول زُهَيْرٌ أيضا :

عفا من آل فاطمة الجِواءُ
فيُمنٌ فالقوادِمُ فالحِساءُ

فذُو هاشٍ فميثُ عُرَيْتِناتٍ
عَفَتْها الريحُ بعدك والسَّماءُ
فَذَروةُ فالجَنابُ كأن خُنْسَ النِّعاج
الطاويات بهـــا المُلاءُ (١٠٩)

فَزُهَيْرٌ قد استخدم حرف ( الواو ) فى عطف «السمـاء» على « الريح » ؛ أما أسمـاء الأمـاكن فى قوله : « عفا من آل فاطمة الجواءُ فيُمْنٌ فالقوادمُ فالحِسَاءُ فذُوهاشٍ فَميثُ عُرَيْتِناتٍ ..... فَذَروةُ فالجناب » فقد اختصت ( الفاء ) بعطف بعضها على بعض ، و (الفاء) هنا مفيدة مطلق الجمع بين معطوفاتها؛ إذ الوقوف على ترتيب عفوّ هذه الأماكن صعب متعذّر ؛ وأنّى لزُهَيْرٍ أن يصبر على رصد ذلك لو أراده ؟

ويقول زُهَيْرٌ أيضا :

صحا القلبُ عن سَلْمىَ وأقصرَ باطلُه
وعُرِّىَ أفراسُ الصِّبا ورواحلُه
وأَقْصَرَ عمّا تعلمين ، وسُدِّدتْ
عَلَىَّ سوى قصد السبيل معادلُه
وقال العذَارىَ إنّما أنتَ عمُّنا
وكان الشبابُ كالخليط نزايلُهْ
فَأَصْبحْنَ ما يعرفنَ إلاّ خليقتى
وإلا سوادَ الرأسِ والشيبُ شاملُهْ
لمن طَلَلٌ كالوحى عافٍ منازلُه
عَفَا الرسُّ منه ، فالرُّسَيْسُ فَعَاقله
فَقُفٌ ، فصاراتٌ ، فأكنافُ مَنْعِجٍ
فشرقىُّ سَلْمىَ ، حوضُهُ ، فأجاولُهْ
فَهَضْبٌ ، فرقدٌ ، فالطَّوِىُّ ، فتادقٌ
فوادى القنانِ ، حَزْنُهُ ، فمداخلُهْ (١١٠)

فزُهيرٌ فى هذه الأبيات قد استخدم حرف (الواو) فى عطف « رواحله » على « أفراس الصبا » ، وفى عطف « إلاّسواد الرأس » على « إلاّخليقتى » ؛ أما أسماء الأرضين فى الأبيات - وهى أكثر من أن يعُاد ذكرها - فقد اختصت ( الفاء ) بعطف بعضها على بعض ؛ و ( الفاء ) هنا مفيدة مطلق الجمع لا محالة ؛ وما ينبغى لمن يَسمع قول زهير أن يتوهم أنه قصد إلى بيان الترتيب والتعقيب فى عُفُوّ هذه الأماكن من طلل سلمى ؛ إذ هو أمر لا يستطيع زُهير سبيلا إلى معرفته ؛ وأنّى له أن يُنْبئ نبأ ما لا يعرفُ ؟

ومما تقدّم يتبين لنا أنّ امرأ القيس ، والحارث بن حلِّزة ، ولبيد بن أبى ربيعة ، والنابغة الذّبيانىّ ، وزهيرَ بن أبى سُلْمىَ - قد اختص كل منهم ( الفـاء ) دون ( الواو ) - بعطف المكان على المكان ليُشرك بين المعطوف والمعطوف عليه فى ملابسة الحدث من غير

ترتيب ، ولا تعقيب .

وإذا كان ذلك كذلك صحّ لنا أن نجهر بقول لا نعلمُ أحداً سَبَقَنا إليه : ذلك أنّ فاء العطف مختصة أصلا دون أختها ( الواو ) - بعطف المكان على المكان إذا أراد المتكلم أنْ يَضُمّ الآخرَ إلى الأول ، ويجمعَهما فى ملابسة الحدث جمعا مطلقا ، لا ترتيب فيه ولا تعقيب .

ولو أنّ اختصاصَ ( الفاء ) بعطف المكان على المكان لتجمع بينهما فى مُلابسةِ الحدثِ جمعا مطلقا - تبيّن للنُّحاةِ قبلا ما توقّفوا على تعاقب عصورهم - فى قول امرئ القيس : «بين الدخول فحومل» ؛ وما استعانوا برواية الأصمعىّ : « بين الدخول وحومل » - وقد قام الدليل على فسادها .

هذا ؛ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ،

صبحى عبد المنعم سعيد

## التعليـــــق

(١) أبو بشر - عَمرو بن عثمان بن قنبر - الملقب سيبويه ، كتاب سيبويه ، حـ ٤ ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ = بولاق ، حـ ٢ ، ص ٣٠٤ .

(٢) نفسه ، حـ ١ هارون ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٤٨ = بولاق ، جـ ١ من ٢١٨ .

(٣) نفسه ، حـ ٣ ، هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ص ٤٢ = بولاق ، جـ ١ ، ص ٤٢٥ .

(٤) نفسه ، حـ ١ هارون ، ص ٤٢٩ = بولاق ، حـ ١ ، ٢١٣ .

(٥) انظر التعليق رقم (١) .

(٦) فسّر السيرا في عبادة سيبويه « وإنما يقرو أحدَهما بعد الآخر » بقوله : «يريد : إنما يقرو المطر أحدهما بعد الآخر ، ومعنى يقرو : يتتبع»

انظر الحسن بن عبد الله السيرا في ٣٦٨ هـ ، شرح كتاب سيبويه ، دار المخطوطات ، صنعاء حـ ١٠ ، ورقة ٤٠ / و ، مصورة خاصة منقولة عن مصورة معهد المخطوطات العربية ، الكويت .

(٧) أبو عُمر ، صالح بن إسحاق الجرميّ . « أخذ أبو عُمر عن الأخفش وغيره ، ولقى يونس بن حبيب ، ولم يلق سيبويه »

انظر القفطي ، جمال الدين - على بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، حـ ٢ ، دار الكتب ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م ، ص ٨٠ - ٨٣ .

(٨) ابن عصفور الإشبيليّ - أبو الحسن على بن مؤمن ٦٦٩ هـ ، شرح جمل الزجاجيّ ، تحقيق صاحب أبو جناح ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، بغداد ، ١٩٨٠ م ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ .

(٩) الحرف ( لا ) ساقط من المطبوع المحقق ، ووجوده ضرورة تقتضيها سلامة المادة العلمية المبثوثة في النص .

(١٠) شرح جمل الزجاجيِ لابن عصفور ، حـ ١ ، ص ٢٣٠ . وانظر أيضا : أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاريّ ٧٦١ هـ ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاديب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجاريّة ، مطبعة المدنيّ ، القاهرة ، بدون ، جـ ١ ، ص ١٦١ وما بعدها.

(١١) العبارة بعض بيت امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللّوى بينَ الدخول وحومل

وهو مطلع معلّقته . انظر : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباريّ ٣٢٨ هـ ، شرح القصائد السبع

الطوال الجاهليّات ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ ، ص ١٥ .

(١٢) الهرويّ - على بن محمد ، كتاب الأذهيّة فى علم الحروف ، تحقيق عبد المعين الملوحى ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، ص ٢٥٤ .

(١٣) انظر التعليق رقم (٧) .

(١٤) إنباه الرواة على أنباه النحاة ، جـ ٢ ، ص ٣٦ - ٤٤ .

(١٥) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٥ - ٢٠ .

(١٦) نفسه ، ص ١٦ - ١٧ .

(١٧) الطبرىّ - أبو جعفر محمد بن جرير ٣١٠ هـ ، جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، تحقيق محمود شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

وانظر أيضا : ابن خالويه - الحسين بن محمد ٣٧٠ هـ ، إعراب ثلاثين سورة ، تحقيق كرنكو ، دار الكتب - القاهرة ، ١٩٤١ ، ص ٤٦ .

(١٨) النحاس - أبو جعفر أحمد بن محمد ٣٣٨ هـ ، شرح القصائد التسع المشهورات، تحقيق أحمد خطاب ، مديرية الثقافة العامة - العراق، بغداد،١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م ، القسم الأول ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(١٩) انظر التعليق رقم (١) .

(٢٠) زاد أبو بكر الأنبارىّ على ما تقدم قوله : « وقال هشام بن معاوية : المعنى بسقط اللوى ما بين الدخول إلى حومل ، فأسقط . قال أبو بكر : وهذا خطأ فى قول الفراء ؛ لأنّ ( ما ) حدّ بين الشيئين فلا يجوز سقوطها . قال الفراء : من قال : ( شربنا ما ذبالة فالثعلبية ) على معنى ما بين زُبالة إلى الثعلبية - لم يُسقط ( ما ) ؛ لأنها الحدُّ بين الموضعين . وأنشد الفرآء لبعض بنى سليم : " يا أحسن الناسِ ما قرنا إلى قدم ولا حبالَ مُحبٍ واصل تصلُ أراد ما بين قرن إلى قدم ؛ ولا يجوز إسقاط ( ما ) لأنها حدٌّ بينهما » .

(٢١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٢٢) ابن منظور - جمال الدين بن المكرّم الأنصارىّ ٧١١ هـ ، لسان العرب ، مادة ( بين ) .

(٢٣) انظر التعليق رقم (١) .

(٢٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٩ .

(٢٥) انظر رقم (٢٠) .

(٢٦) الاستراباذىّ - رضىّ الدين محمد بن الحسن ٦٨٦ هـ شرح الكافية لابن الحاجب ، ، دار

الكتب العلمية - بيروت ، بدون ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٢٧) أبو محمد - عبد الله بن هشام الأنصاريّ ٧٦١ هـ ، أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، جـ ٣ ، دار إحياء التراث العربىّ ، بيروت ، ١٩٦٦ م ، ص ٤٠ - ٤٢ .

(٢٨) ابن هشام الأنصارىّ ، مغنى اللبيب ، جـ ١ ، ص ١٦١ - ١٦٢

(٢٩) الأشمونىّ - أبو الحسن علىّ نور الدين بن محمد بن عيسى ٩٢٩ هـ ، شرح الأشمونىّ على ألفيّة ابن مالك المسمَّى منهج السالك إلى ألفيّة ابن مالك ، جـ ٣ ، دار جـ ٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ ، ص ٩٣ .

(٣٠) الرواية فى هذا القول : « وما هاج ... فرقان » ، والتصويب من ديوان امرئ القيس » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٤٥ .

(٣١) حاشية تحقيق أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك ، جـ ٣ ، ص ٤١ .

(٣٢) انظر الصفحات ٧ - ١٠ من هذا البحث .

(٣٣) انظر الصفحتين ٥ - ٦ من هذا البحث .

(٣٤) انظر ص ٧ من هذا البحث .

(٣٥) انظر ص ٦ من هذا البحث .

(٣٦) انظر ص ٩ من هذا البحث .

(٣٧) ابن قاسم - الحسن المرادى ٧٤٩ هـ ، الجنى الدانى فى حروف المعانى ، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد فاضل ، دار الآفاق ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٧ .

(٣٨) انظر ص ٦ من هذا البحث .

(٣٩) انظر الصفحتين ٥ ، ٦ من هذا البحث .

(٤٠) المبرّد - أبو العباس محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ ، الكتاب الكامل ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، جـ ١ ، نهضة مصر ، بدون ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٤١) إنباه الرواة على أنباه النحاة ، جـ ٣ ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٤٢) السيرا فى - أبو سعيد الحسن بن عبد الله ٣٦٨ هـ ،كتاب أخبار النحويين البصريين ، تحقيق فريتس كرنكو ، بيروت ، ١٩٣٦م،ص٩٣.

(٤٣) ديوان امرئ القيس ، ص ٧ - ٨ .

(٤٤) ديوان امرئ القيس ، ص ٨ ؛ وص ١ حيث ذكر المحقق أنّ هذا الشعر رواية الأصمعىّ من نسخة الأعلم .

(٤٥) ديوان امرئ القيس ، ص ٨ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص٢٠ وشرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات،صنعة ابن النحاس ٣٣٨ هـ ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م ، ص ٤ ، وغير ذلك كثير .

(٤٦) المبرد - أبو العباس محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، جـ ١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٩٩ ه ، هـ ص ١١ حسب الأصل المخطوط .

(٤٧) نفسه .

(٤٨) انظر التعليق ص ٤٥ ؛ خصوصا ديوان امرئ القيس ، ص ٣٦٧ حيث يقول محمد أبو الفضل محقق الرواية : فى غير الأعلم والبَطَلْيَوْسى : « فحومل » بالفاء » .

(٤٩) ديوان امرئ القيس ، ص ٣٤٥ .

(٥٠) البيت مطلع قصيدة من ذيادات نسخة السكّرىّ . انظر ديوان امرئ القيس ص ٣٣٧ ؛ ثم انظر ص ١٧ من مقدمة محقق الديوان .

(٥١) انظر ترجمته التى كتبها أحمد شاكر وعبد السلام هارون فى حاشية المفضلية ٢٢ من ديوان المفضليات ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٩ م ، ص ١١٩ .

(٥٢) أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْبْ ٢١٦ هـ الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ ، ص ١٣٢ .

(٥٣) نفسه .

(٥٤) نفسه .

(٥٥) السكّرىّ - أبو سعيد الحسن بن الحسين ، كتاب شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار فراج ، مراجعة محمود شاكر ، دار العروبة ، القاهرة جـ ١ ، ١١٢ . وانظر أيضا مقدمة السكرىّ لشعر أبى ذؤيب ، ص ٣ من المرجع نفسه .

(٥٦) الكتاب الكامل ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٥٧) أبو محمد الأنبارىّ - القاسم محمد بن بشار ، شرح ديوان المفضليات ، تحقيق كادلوس يعقوب لايل ، بيروت ، ١٩٢٠ ، ص ٢٤٥ .

(٥٨) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ٤٣٧ - ٤٣٩ وشرح القصائد المشهورات ، جـ ٢ ، ص ٥٣ - ٥٥ ، وقد روى أبو جعفر « بين العقيق فشخصين » بالفاء ؛ لكنه قال فى الشرح : « ورواية الأصمعى بالواو » .

(٥٩) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٦٦ وشرح القصائد المشهورات ، جـ ٢ ، ص ٦٧

(٦٠) الأصمعيات ، ص ٣٢ .

(٦١) ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق . د سيد حنفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٦٢) نفسه ، ص ١٤٩ .

(٦٣) نفسه ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٦٤) نفسه ، ص ٢٧٩ ؛ والبيت الأول هناك « لمن الديار » والوزن يطلب ما أثبتناه .

(٦٥) نفسه ، ص ٣٢٢ ؛ والشطر الثانى من البيت الأول صورته فى المتن : « بين أعلا اليرموك فالخَمّان » وقد أثبتنا رواية الحاشية المنقولة عن الأغانى ومعجم البلدان ثقة بها ؛ كذلك سكتنا عن إثبات رواية المتن : « تلك دار العزيز بعد أنيس » وأثبتنا بدلا منها رواية فى الحاشية منقولة عن ابن عساكر .

(٦٦) انظر التعليق رقم (١٨) .

(٦٧) الأذهيّة ، ص ٢٥٤ .

(٦٨) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٩ .

(٦٩) شرح القصائد التسع المشهورات ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٧٠) انظر ما تشير إليه التعليقات ١ - ٤ .

(٧١) المرجع قبل السابق .

(٧٢) انظر ص ٦ وما بعدها من هذا البحث .

(٧٣) الهروىّ ، كتاب الأذهيّة ، ص ٢٥٤ .

(٧٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٣٧ - ٤٣٩ .

(٧٥) شرح القصائد المشهورات ، جـ ٢ ، ٥٤ - ٥٥ .

(٧٦) انظر شرح الأنبارى لهذه الأبيات ، والتعليق عليه فيما يلى بعد .

(٧٧) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٣٧ - ٤٣٩ .

(٧٨) نفسه ، ص ١٥ - ٢٠ .

(٧٩) شرح القصائد المشهورات ، جـ ٢ ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٨٠) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٦٦ .

(٨١) نفسه .

(٨٢) نفسه ، ص ٢٠ .

(٨٣) فى شرح القصائد المشهورات ، جـ ٢ ، ص ٦٧ يقول أبو جعفر النحاس فى شرح قول الحارث :
إن نبشتم ما بين ملحة فالصاقب فيه الأموات والأحياء ( « ملحة والصاقب » موضعان ؛ أى إن ذكرتم الأموات الذين قتلوا بين هذين الموضعين ... » فالنحاس يبدو من خلال هذه العبارة أنه فسر الفاء بالواو ؛ لكنه بدأ الشرح بقوله : « ملحة والصاقب » وهذه العبارة قد تفيد أن الرواية التى شرحها النحاس هى بالواو لا بالفاء ؛ ومن أجل ذلك آثرنا السكوت عن ذكر تفسير النحاس ومناقشته .

(٨٤) المرزوقى - أبو على أحمد بن محمد الحسن ٤٢١ هـ ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، القسم الثانى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ٧٩٧ .

(٨٥) المرجع السابق ، ص ٧٩٧ - ٧٩٨ .

(٨٦) نفسه .

(٨٧) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٥ - ٢٠ وشرح القصائد التسع المشهورات ، القسم الأول ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٨٨) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٣٧ - ٤٣٩ .

(٨٩) انظر ما أشار إليه التعليق رقم (١) وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٥ - ٢٠ وشرح القصائد السبع المشهورات ، القسم الأول ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، وشرح ديوان الحماسة ، القسم الثانى ، ص ٧٩٧ - ٧٩٨ .

(٩٠) انظر ما كتب قبلا فى هذا البحث تحت عنوان « تكرار الشاعر قوله : بين كذا فكذا من الأمكنة » .

(٩١) انظر ما كتب قبلا تحت عنوان « رد رواية بين الدخول وحومل » .

(٩٢) نفسه .

(٩٣) انظر الصفحات ٥ - ١٠ من هذا البحث .

(٩٤) انظر ص ١٧ - ١٨ من هذا البحث .

(٩٥) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٥ - ٢٠ .

(٩٦) انظر ص ٤ من هذا البحث وما بعدها .

(٩٧) ديوان امرئ القيس ، ص ١٥ .

(٩٨) نفسه .

(٩٩) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٣٣ - ٤٣٦ وشرح القصائد المشهورات ، جـ ٢ ص ٥٢ - ٥٣ .

(١٠٠) يبدو لى أنّ الوجهَ - إعرابُ « أدنى ديارها » مبتدأ و « الخلصاء » بدلا منه ؛ وقول الحارث : « لا أرى من عهدت فيها » خبرا للمبتدأ ؛ والفاء فى قوله « فأدنى ديارها » عاطفة لجملة « أدنى ديارها الخلصاء فحياة ... فالأبلاء - لا أرى من عهدت فيها » - على جملة : « آذنتنا ببينها أسماء ؛ وهذا الرأى مستفاد من شرح الأنبارىّ والنحاس للبيت الأخير ؛ إذ قال الأنبارىّ : « يقول لا أرى من عهدت من أحبابى فى هذه المنازل فأنا اليوم أبكى شوقا إليهم » وإذ قال النحاس : « قوله : " فيها " : يعنى فى هذه المواضع ، وقوله : " فأبكى اليوم " ... خبر أنه يبكى كما خبّر أنه لا يرى من عهدها فيها " والسببيّة واضحة فى هذه الفاء ؛ لتعلّق ما بعدها بما قبلها ، إذ تسبّب عن تبيُّن أسماء انعدام رؤية الحارث مَن عهد من أحبابه فى هذه الديار . هذا ، وقد سكتنا عما قاله الشارحان فى تفسير « فأدنى ديارها الخلصاء » لاختلافه قليلا عما قدمناه ونراه الوجه . فانظره . انظر ما أشير إليه من المراجع فى التعليق السابق ، وانظر أيضا محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ، الجزء الثانى ، مطبعة السعادة ، بدون ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ (١٠١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٦٤ - ٤٦٨ .

(١٠٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(١٠٣) نفسه ، ص ٥١٧ - ٥٢٤ .

(١٠٤) نفسه ، ص ٥٣٢ - ٥٣٥ .

(١٠٥) ديوان النابغة الذبيانى ، « القسم الأول - رواية الأصمعى من نسخة الأعلم » ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٠ .

(١٠٦) نفسه .

(١٠٧) انظر شرح جمل الزجاجى لابن عصفور الإشبيلىّ ، جـ ١ ، ص ٣٠ حيث قال : « واستدل الجرمى على أنها لا ترتّب فى الأماكن بقول النابغة : « عفا ذو حسىً من فَرْتَنى فالفوارع ... »

(١٠٨) شرح ديوان زهير بن أبى سُلْمَى ، صنعة الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى - ثعلب ، طبعة معمودة عن طبعة دار الكتب ، ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م ، الدار القوميّة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م ، ص ٤٢ - ٤٥ . ويلاحظ أنّ محققى الديوان يرون احتمال أنّ كلمة « أوراك » قد تكون محرفة عن « أورال » أو « أوران » .

(١٠٩) المرجع السابق ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(١١٠) نفسه ، ص ١٢٤ - ١٢٧ . هذا والشواهد على اختصاص ( الفاء ) بعطف الأماكن لإفادة مطلق الجمع - شائعة مستفيضة فى شعر زهير ؛ ومن شاء نظرها فى شرح الديوان . والله أعلم .

| الرقم | المراجـــــــع |
|---|---|
| ١ | الأصمعيات ، الأصمعىّ – أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب ٢١٦ هـ ، تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م . |
| ٢ | إعراب ثلاثين سورة ، الحسين بن خالوية ٣٧٠ هـ ، تحقيق ڤريتس كرنكو ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤١ م . |
| ٣ | إنباه الرواة على أنباه النحاة ، القفطىّ – جمال الدين على بن يوسف ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م . |
| ٤ | أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك ، أبو محمد – عبد الله بن هشام الأنصارى ٧٦١ هـ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربىّ بيروت ، ١٩٦٦ م . |
| ٥ | جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، الطبرىّ – أبو جعفر محمد بن جرير ٣١٠ هـ ، تحقيق محمود شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية . |
| ٦ | الجنىَ الدانى في حروف المعانى ، ابن قاسم – الحسن المرادىّ ٧٤٩ هـ ، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد فاضل ، دار الأوقاف ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م . |
| ٧ | حاشية تحقيق أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٦٦ م . |
| ٨ | حاشية تحقيق ديوان المفضّليات ، أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٩ م . |
| ٩ | دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، عضيمة – محمد عبد الخالق ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، بدون . |
| ١٠ | ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤ م . |
| ١١ | ديوان حسلن بن ثابت ، تحقيق سيد حنفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م . |
| ١٢ | ديوان النابغة الذُّبيانىّ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ م . |
| ١٣ | شرح الأشمونىّ على ألفية ابن مالك المسمّى منهج السالك إلى ألفيـة ابن مـالك ، الأشمونى – أبو الحسن علىّ نور الدين بن محمد بن عيسى ٩٢٩ هـ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م . |

| الرقم | المراجـــــــع |
|---|---|
| ١٤ | شرح جُمل الزَّجاجيّ ، ابن عصفور الإشبيليّ - أبو الحسن على بن مؤمن ٦٦٩ هـ ، تحقيق " صاحب أبو جناح " ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، بغداد ، ١٩٨٠ م |
| ١٥ | شرح ديوان الحماسة ، المرزوقيّ - أبو عليّ أحمد بن الحسن ٤٢١ هـ ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة . |
| ١٦ | شرح ديوان زهير بن أبى سُلمى ، صنعة الإمام أحمد بن يحيى - ثعلب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م = ١٩٤٤ م . |
| ١٧ | شرح ديوان المفضليات . أبو محمد الأنباريّ - القاسم محمد بن بشار ، تحقيق كارلوس يعقوب لايل ، بيروت ، ١٩٢٠ م . |
| ١٨ | شرح القصائد التسع المشهورات ، النحاس - أبو جعفر أحمد بن محمد ٣٣٨ هـ ، تحقيق أحمد خطاب ، مديرية الثقافة العامة بغداد ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م<br>وقد استعنت بطبعة أخرى لهذا الكتاب عنوانها :<br>شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات ، بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م . |
| ١٩ | شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، الأنباريّ - أبو بكر محمد بن القاسم ٣٢٨ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ . |
| ٢٠ | شرح الكافية لابن الحاجب ، الاستراباذيّ - رضيّ الدين محمد بن الحسن ٦٨٦ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون . |
| ٢١ | شرح كتاب سيبويه ، السيرافى ، الحسن بن عبد الله ٣٦٨ هـ ، دار المخطوطات ، صنعاء ، مصورة خاصة منقولة عن مصورة معهد المخطوطات العربية - الكويت . |
| ٢٢ | كتاب أخبار النحويين البصريين ، السيرافى - أبو سعيد الحسن بن عبد الله ٣٦٨ هـ ، تحقيق فريتس كرنكو ، بيروت ، ١٩٣٦ م . |
| ٢٣ | كتاب الأزهية فى علم الحروف ، الهرويّ - على بن محمد ، تحقيق عبد المعين الملوحى ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م . |
| ٢٤ | كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٦ م . |
| ٢٥ | كتاب شرح أشعار الهذليين ، السُكريّ - أبو سعيد الحسن ، تحقيق عبد الستار فراج ، مراجعة محمود شاكر ، دار العروبة ، القاهرة . |
| ٢٦ | الكتاب الكامل ، أبو العباس محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نهضة |

| الرقم | المراجـــــــع |
| --- | --- |
| | مصر ، القاهرة ، بدون . |
| ٢٧ | لسان العرب ، ابن منظور – جمال الدين محمد بن مكرّم بن على ٧١١ هـ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ م . |
| ٢٨ | مغنى اللبيب عن كتب الأعاديب ، ابن هشام – جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصارىّ المصرىّ ٧٦١ هـ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، بدون . |
| ٢٩ | المقتضب ، المبرّد – أبو العباس محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ . |

# خصائص العربية فى
# نظر ابن درستويه

للدكتور محمد بدوى المختون

## تقديم :

كان ابن درستويه عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان الفارسى اللغوى النحوى المكنى بأبى محمد والمتوفى سنة ٣٤٧ هـ - ممن ذهب إلى تهذيب اللغة عن طريق آرائه فى خصائصها ومذهبه فى نشأتها .

ولا بد لى من تعرّف على اللغة وتطورها وتهذيبها فى مدخل يجلّى ذلك .

## ( ١ ) مدخل البحث

يشمل هذا المدخل ثلاث نقاط :

أ - على رأسها : اللغة العربية وعصورها: اللغة العربية قديمة فى التاريخ ، أول من تعلمها إسماعيل من جرهم الذين نزل فيهم وصاهرهم ، فلامس العرب وبلغتهم نطق وصار منهم ، وذهب إلى ذلك ابن عباس وأراد بها عربية قريش التى نزل بها القرآن .

وتكاد الروايات تجمع على ذلك ، كما تجمع على الفصل بين العربية التى نزل بها القرآن وبين عربية حمير وقحطان ؛ كما جاء فى أدب الكتاب للصولى : « ... أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل عليه السلام فإنما يعنى اللسان الفصيح الذى نزل به القرآن . وعربية حمير وبقايا جرهم غير هذه ليست بفصيحة [(١)] » كما روى : لبست عربيتنا بعربيتهم ؛ من دخل ظفار حَمَّر . أى ليتكلم بالحميرية .

وقد اختلف فى أصلها وواضعها على أقوال أوجزها فيما يلى :

١ - أن الواضع هو الله سبحانه وتعالى أخذا من الآية « وعلّم آدمَ الأسماء كلها » البقرة آية ٣١ وهو قول ابن عباس وارتضاه ابن فارس فى ( الصاحبى ) فى باب القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح .

ومذهب أبى على الفارسى الذى يعتبر معاصرا لابن درستويه ، وذلك رأى ابن درستويه أيضا ، والأشعرى وأتباعه وابن فورك أبى بكر محمد بن الحسن المتكلم الأصولى الأديب النحوى واعظ أصبهان والمتوفى سنة ٤٠٦ هـ . أما ابن جنى تلميذ أبى على الفارسى فقد استعرض المذاهب فى ذلك وناقشها وعلّق على الرأى القائل بأنها حكاية الأصوات المسموعات من حنين الريح ، ودوىّ الرعد ، وخرير الماء .... الخ بقوله : « واعلم فيما بعد أنى على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعى والخوالج قوية التجاذب لى ، مختلفة جهات التغوّل على فكرى ، وذلك أننى إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما يملك علىّ جانب الفكر ... فقوى فى نفسى اعتقاد كونها توفيقا من الله سبحانه وأنها وحى .. وإن خطر لى خاطر فيما بعد يعلق الكف بإحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها قلنا به

---

(١) أدب الكتاب ص ٣١ طبع السلفية .

وبالله التوفيق » [1] .

٢ - أن الواضع البشر ، وإليه ذهب أبو هاشم ومن تابعه من المعتزلة ، فهى اصطلاح إذن .

٣ - أن ابتداءها وقع بالتعليم من الله سبحانه ، وباقيها بالاصطلاح .

٤ - أن ابتداءها وقع بالاصطلاح وباقيها بالإلهام ، وهو رأى ابن إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه الشافعى المتكلم الأصولى المكنى بأبى إسحاق والمتوفى سنة ٤١٨ هـ وهو عكس الرأى الثالث ، إلا أن الثالث أقرب تمشيا مع العقل وسنة الطبيعة من هذا الذى قبله .

٥ - أن الألفاظ دلّت بذواتها وطبيعتها على المعانى وهو مذهب عباد بن سليمان الصيمرى .

وممن قال قديما بالتوقيف أفلاطون ، فى حين قال سقراط بالعلاقة الطبيعية بين اللفظ والمعنى . ولهذا نجد ابن جنى فى الخصائص يقول فى باب « إمساس الألفاظ أشباه المعانى » : « وهذا موضع شريف نبّه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول .

قال الخليل : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة فقالوا صرّ ، وفى صوت البازى تقطيعا فقالوا صرصر . وقال سيبويه فى المصادر التى جاءت على الفعلان إنها تأتى للاضطراب والحركة نحو الغليان .. فقابلوا بتوالى حركات الأمثال توالى حركات الأفعال قال ابن جنى : وقد وجدت أشياء كثيرة من هذا النمط ، من ذلك المصادر الرباعية المضعفة تأتى للتكرير والزعزعة كالقلقلة .. وكذلك جعلوا تكرار العين نحو فرّح وبشّر ، فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى ، وخصّوا بذلك العين لأنها أقوى من الفاء واللام ... ومن ذلك قولهم : الخضْم لأكل الرطب ، والقَضْم لأكل اليابس ، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس ... » . أما الجمهور فجوزوا كل واحد من هذه الأقوال السابقة من غير جزم بأحدها » . [1]

ولكل من هذه الآراء أدلته ، وردود عليها وأمور مترتبة على ذلك ، كوجود اللغة دفعة واحدة ، أو مجزأة ، وتطورها أو عدم تطورها ، وجواز الاشتقاق منها أو منعه إلى أشياء كثيرة من نحو هذا ، وإنى أميل إلى أن فى

(١) انظر الخصائص ٢ / ١٥٢ فما بعدها . والمزهر طبعة صبيح ١ / ٣١ ، ٣٢ والبلغة ص ١١ - ١٥

اللغة عنصرا من الإلهام هو ما يعبر عنه بالحسّ اللغوى ، يظهر حين النطق ببعض الكلمات نطقا صحيحا من غير الوقوف من قبلُ على حقيقتها ، وكذلك فى قياس الطفل بعض عمليات التصغير ، والصفات وغيرها .

وقد عرضت هذه الآراء موجزة لما يترتب على ذلك من قيم عملية ، إذ الذين يقولون بالتوقيف يمنعون القلب فى اللغة مطلقا ، فى حين يجوز فيها على القول بالتوفيق والاصطلاح ، وكذلك رتّب ابن درستويه القول بإبطال القلب والزيادة والترادف والأضداد فى اللغة ، على أنها إلهام وتوقيف . وكذلك الذين ينفون الصلة الطبيعية بين اللفظ والمعنى يقولون بوقوع الأضداد فى اللغة وهكذا . والحق أن الكلام فى نشأة اللغة ضرب من الحدس ونوع من الاستطراد .

والعربية تعدّ أقرب اللغات السامية إلى الأصل الذى تشعبت عنه ، ذلك لانعزال أهلها فى جزيرتهم وحرص العربى على لغته وحفاظه على نقائها واعتزازه بها ، إلا أنها بالرغم من ذلك لم تقف جامدة أمام مرّ العصور ، فقد طرأ عليها ما غيّر معالمها ووسع دائرتها من ناحية ، وجعلها ثابتة من ناحية أخرى .

وهذا ما جعل المؤرخين لها يقسمونها إلى عصور جاهلية وإسلامية وفروعهما فقسمها جورجى زيدان إلى ثمانية أدوار منها ثلاثة ترجع إلى الزمن والخمسة الباقية إلى الألفاظ ذاتها . وأرى أن هذه التقسيمات عديمة الجدوى ؛ لتداخل عصور اللغة وإن تبعت فى تطورها الظروف التاريخية والاجتماعية والحضارية ، ذلك لأن التطور اللغوى قد تبدو جذوره فى عصر ما ونتائجه فى عصر لاحق ، كما أن الكسب اللغوى يكون ضئيلا عادة وخاصة فى العربية ، إذ تقابله خسائر من ناحية أخرى [(١)]

ورغم اعتراضى على تقسيمها إلى عصور فقد ارتضيت تقسيمها إلى الجاهلية والإسلامية حيث كان الإسلام ثورة حقيقية فى كل شئ ، ولبروز أثرها واتساع الزمن فيها مما سمح بالتطور ، على أن الزمن أرفع من المكان فى مرتبة التجديد ، فالخلاف بين جيلين فى مكان واحد أوضح منه بين جيل واحد فى مكانيين مختلفين .

والجاهلية والإسلام دوران من أدوارها عند جورجى زيدان . وكانت هناك مظاهر للغة فى

(١) اللغة كائن حى . طبع الهلال ص ٩ ، ٣٣ ، ٣٤ .

هذه العصور منها : دخول الأعجمى فيها ، والتغيير فى بعض الألفاظ ، وسعتها بعوامل النمو من قبل القلب والنحت والاشتقاق والقياس والإبدال وما إليها ، وسأتكلم عن هذه الآثار أوجلّها على الرغم من وجود الظاهرة الواحدة فى أكثر من عصر ، وسأنص على العصر ما أمكن ذلك ، مع تعداد العوامل التى دعت إلى هذه الآثار على وجه التقريب ، من عوامل خارجية وسياسية واجتماعية ، وأخرى ترجع إلى اللغة ذاتها ووسيلة توارثها . وأخيرا إلى عوامل بلاغية .

## ( ٢ ) تطور العربية

هذا عن أصلها وأقسامها ، أما عن تطورها – والتطور سلاح ذو حدين – فأبدأ بأثر العوامل السياسية والاجتماعية والخارجية فأجد من ذلك :

أ – احتكاك اللغات وأثره : إذ اللغة ما هى إلاّ إنعكاس للضمير البشرى ، وهى ظاهرة اجتماعية ككل ظواهر الاجتماع ، كائن حى ينمو ويتكاثر ويتولد ، ولهذا تطورت لغتنا فى حدّى التطور بالنقص والكمال النسبيين ، فكان تطورها مظهرا لتطور الجماعة ، فلم يكن العرب بمعزل محكم عن الأمم الأخرى ، فقد تاجر تجار مكة مع الآراميين فى دمشق ، ومع الفرس فى الحيرة والمدائن ، ومع سبأ وحمير فى اليمن ، وكانت الآرامية من أهم لغات النصرانية التى اعتنقها بعض القبائل العربية ، وكانت منها اللغات الحبشية أيضا[١] .. الخ فقد وجد أن نقش النمارة فى الحرة شرق جبل الدروز يتأثر خطه بالخط النبطى و معلوم أن قريشا أهل تجارة كما حكى عنهم القرآن ، كانوا يسافرون شمالا إلى الشام والعراق ومصر ، وجنوبا إلى بلاد اليمن وشرقا إلى بلاد فارس وما وراءها وغربا إلى بلاد الحبشة قال تعالى « لإيلافِ قُريش إيلافِهم رِحْلَة الشتاءِ والصَّيْفِ . فليَعبُدُوا رَبَّ هذا البيتِ . الذى أطْعمَهم مِن جُوعٍ وآمنهَم مِن خَوْف »[٢] .

وكانت الكعبة قبلة الهنود والفرس والأنباط واليمنيين والأحباش والمصريين ، عدا من نزحوا إليها من جالية اليهود والنصارى ، فاقتبس العرب منهم وعرّبوا وخاصة فى القرنيين الأول والثانى قبل الإسلام بنزول الحبشة والفرس فى اليمن والحجاز على أثر استبداد ذى نواس ملك اليمن الذى كان يهوديا[٣] ،

(١) اللغة كائن حى . طبع الهلال ص ٩ ، ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) اللغة كائن ص ٣٠ – ٣٢ .

مما قصه القرآن فى سورة « البروج » فامتزجت لغة العرب بلغات هؤلاء واستعارت وأعارت ، واقتبست من لغة الفرس أكثر من سواها حتى قيل بفارسية كثير من الألفاظ وإن كانت فى الحقيقة غير فارسية . وفى فجر الإسلام وقُبَيْله دخلت مصطلحات فى أغراض متعددة كالديوان والرزق والمرزبان والفرسخ .

ومن الألفاظ الدينية : الدين والجُناح والمجوس والنيروز ، ومن ألفاظ ما يستورد من فارس : الصولجان والمسك والديباج والاستبرق والإبريسم . ومن أقدم ما دخلها من اليونانية : إبليس والقرطاس . أما الألفاظ اللاتينية فدخلت اليونانية ثم أخذتها الآرامية ومنها إلى العربية كالصراط والميل والقصْر والقنطار والدينار . ومن طريق الحبشية : الإنجيل ، والقلم ، ومن الفارسية الدرهم ، وبعض ما نظن أنه حبشى جاء عن طريق العربية الجنوبية كخوخة ومشكاة وسكة . وبعض الألفاظ الآرامية دخلت عن طريق الحبشة كقدوس وتابوت وجهنم ، كما دخلها ألفاظ أكّادية كالدّين بمعنى القضاء والحكم ، والسبت ، وسطر بمعنى كتب ، والتلميذ والجص ومن السوهرية الهيكل ، والآسى : الطبيب ، والكرسى [1] وغير ما سبق كثير مما ظهر فى شعر الأعشى كقوله :

وعَلالٍ وظلال بارد
وفَلِيج المسك والشاهسفرنْ [2]

وهو نوع من أنواع الرياحين وهو الملكى وفارسيته شاهسفرمْ . وقد نزل القرآن – فى غالبه – بلغة قريش حيث تضافرت عوامل دينية وسياسية واجتماعية على سيادتها وتوحيد اللغة ممثلة فيها ، كما جرى فى أسواق العرب مما يحتاج إلى لغة موحدة فكانت لغة قريش إذ كانوا أهل سدانة البيت والمشرفين على شئون الحجيج من سقاية ورفادة وما إليهما ، ولما لهم من سطوة وقوة ، ولتخيرّهم من اللغات واللهجات أحسنها حتى قيل «ارتفعت قريش فى الفصاحة عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضّجع قيس ، وعجرفية ضَبّة ، وتلتلة بَهْراء » . [3]

فالعنعنة قلب الهمزة عينا يقولون فى أنّ عنّ كما فى شعر ذى الرمة ، والكشكشة

---

(١) المصدر السابق ٣٤ - ٣٨ وهامش ٣٥ ، ٣٧
(٢) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٢١٧
(٣) المجالس تحقيق هارون ص ..١ القسم الأول . ذخائر العرب والمزهر ١ / ٢١١

ونسبت إلى قبيلة أسد: إبدال الكاف شينا نحو عليش فى عليك وجاءت فى شعر المجنون :

فعيناك عيناها وساقك ساقها

سوى أن عظم الساق منش دقيق

أو هى إلحاق الكاف بالشين نحو عليكش فى عليك ، والكسكسة نسبت إلى ربيعة وهى وصل كاف بالسين عليكس . والتلتلة كسر حروف المضارعة كتعلمون ، والتضجع الإمالة والخفض . والعجرفية التقعرّ فى الكلام وهى لغات مذمومة ومنها التكلع والغمغمة والطمطمانية واللخلخانية والفراتية .

وفى القرآن القليل من اللهجات الأخرى واللغات نحو الرفث بمعنى الجماع لمذحج ، وأفيضوا بمعنى انفردوا لخزاعة ، والمسجور : الممتلئ لعامر بن صعصعة ، والبغى : الحسد لتميم. وقسورة : الأسد لأزد شنوءة ... الخ كما جاء فيه ما وافق اللهجات الأخرى كموافقته النبطية فى « هَيْتَ لكَ » بمعنى هلمّ ، والفارسية فى الإستبرق بمعنى الديباج الغليظ والرومية فى الرقيم : الكلب أو اللوح ، أو الدواة . والسريانية فى : سَرِيًا : أى جَدْولا ، والحبشية فى مشكاة بمعنى الكوة إلى غير ذلك من لغات ثقيف والعمالقة وسدوس وسعد العشيرة وهذيل وغيرها [1] .

وقد رتبت القبائل حسب نصيبها من الألفاظ القرآنية ترتيبا تنازليا فكانت :قريش، هذيل ، كنانة ، حمير ، جرهم ، تميم وقيس عيلان ، أهل عمان وأزد شنوءة وخنعم وطيئ ومذمج ومدين وغسان . بنو حنيفة وحضرموت وأشعر ، أنمار وخزاعة وبنو عامر ولخم وكندة ، سبأ وأهل اليمامة ومزينة وثقيف : وأخيرا العمالقة وسدوس وسعد العشيرة . وهذا الإحصاء يؤيد أفصحية القبائل التى ذكرها الفارابى فى نصه عن جمع اللغة وهو نص مشهور ، قال فى أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف : « كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعًا ، وأبينها إبانة عما فى النفس . والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم أتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض

(١) انظر اللغات فى القرآن رواية إسماعيل بن عمرو ، ورسالة فيما ورد فى القرآن من لغات القبائل لأبى القاسم بن سلام على هامش الجلالين طبع الحلبى .

كنانة وبعض الطائيين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لامن لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ... [1] .

ب - الإسلام : حدّث عنه ولاحرج ، فهو الحدث الأعظم الذى غير مجرى الحياة العربية فى عقائدها وعاداتها وسياستها ، شمل هذا التغيير فيما شمل اللغة فوسعها بما جد من مصطلحات شرعية كالفاسق والمنافق والصلاة والزكاة والحج وغيرها مما صار حقيقة شرعية له مفهوم خاص فى الإسلام فليس المفلس الذى عليه كذا وكذا أو الذى لا يملك كذا ، ولكنه قيس بمعيار الإسلام فهو الذى ليس له حسنات الخ . كما أمات الإسلام ألفاظا جاهلية كالمرباع والنشيطة والفضول بموت معانيها ، وقد جاءت فى الشعر الجاهلى :

لك المرباع فينا والصفايا

وحكمك والنشيطة والفضول

أشياء يصطفيها الرئيس لنفسه دون القوم ، وقد أبقى الرسول بعض الصفايا ، وكذلك « أبيت اللعن » لأنها تحية الجاهلية أى أبيت أن تأتى ما تلعن عليه على سبيل الدعاء ، عم صباحا أو مساء وأبدلهم منها بالسلام . كما فرق الرسول فى حديث له بين تحية الموتى وتحية الأحياء . فكان التغيير إذن فى المفردات والأساليب على السواء ، بل حرم الشعر الدينى عند العرب وروايته فلم يبق منه إلا ما اتفق وروح الإسلام ، كما فى شعر أمية بن أبى الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الإيادى ، ومن على شاكلتهم من المتحنفين ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قصيدة الأفوه الأزدى التى مطلعها :

إن تَرَى رأسى فيه نَزَع

وشَواتى خلَة فيها دُوار

لما فيها من ذكر إسماعيل عليه السلام .

واستدعت العلوم العربية المستحدثة ، والإسلامية بطبيعتها مصطلحات كالسجود والركوع والإيلاء والظهار والتعزير والإباق الخ ومصطلحات لغوية مما فى النحو والعروض والإعراب كالرفع والنصب والخفض ، والبلاغة

---

(١) المزهر تحقيق أبى الفضل ٢١١/١ ، ٢١٢

من مجاز وحقيقة وغير ذلك مما اقتضته الدواوين ورسوم الملك كالكتابة والحجابة والإدارة والحسبة والجباية والخراج والتوقيع وهذا قُلّ من كُثْر .

ولم يقف أثر الإسلام عند الحد من ألفاظها فى ناحية ، والتوسع في ناحية أخرى ، فقد دأب الرسول صلى الله عليه وسلم على تغيير الألفاظ المستقبحة إلى ألفاظ أضدادها ، ومعلوم بداهة أن التغيير استغرق زمنا حتى رسخ فى الأذهان واعتادته الألسنة بل ربما بقى الأصل وبديله، القديم والحديث جنبا إلى جنب، فسميت يثرب المدينة لأنها من التثريب واللوم ( تاج العروس : ثرب وطيبة ) وجاء وفد فقال لهم النبى من أنتم فقالوا: بنو غيان، فقال : بل أنتم بنو رشدان . وقال سعيد بن المسيب أراد النبى أن يغير اسم جدى ويسميه (سهلا) فأبى وقال لا أغير اسما سمّانى به أبى فما زالت فينا تلك الحزونة بعد (القاموس: ابن حزن) . وراشد بن عبدربه السلمى كان اسمه (غاوى بن عبدالعزى) فسماه النبى راشد بن عبدربه . وقبيلة « بنو الزنية » وفدوا على النبى . . فقال لهم بل أنتم بنو الرشدة ، وسمى زيد الخيل بزيد الخير، وكرهت التسمية ببعض الألفاظ قال الكميت :

فأما الأزد أزد أبى سعيد

فأكره أن أسمّيها المُزونا

كما غير العرب بعض الألفاظ من أجل التطير ، فحولوا ( الدفينة ) إلى ( الدُّثَينة ) قال النابغة الذبيانى :

وعلى الرميثة من سكين حاضر

وعلى الدثينة من بنى سيّار

يروى وعلى الدمينة ، والدُّثينة بزينة الدفينة وهى منزل لبنى سليم[1] .

جـ - جمع اللغة وسعة اللهجات : ظلت الأمة العربية متعصبة فى أيامها الأولى وخاصة عند الأمويين إلى أن جاءت دولة العباسيين فقامت على أكتاف الفرس فى بدءها والأتراك فى آخرها ، وقام الصراع بينهم خلالها ، فتوغلت الحضارة الفارسية بمستحدثاتها وتطورت اللغة ، وجاء جامعو هذه اللغة فوجدوا أنفسهم أمام لغة موحدة هى لغة قريش ولهجات أقوام يحيطون بها فجمعوا كل ما سمعوه ولم يفرقوا بين لهجة ولهجة ، ولا بين قبيلة وقبيلة إلا من حيث احتفاظها

(١) أنظر شرح شواهد المغنى ١٠٨ وتاج العروس : زنى ، مزن فالمزون قرية بعمان يسكنها اليهود والملاحون ، وتاج العروس : ذنن ومعجم ما استعجم ٩٢٥/٣ ، ٥٤٣/٢ ومعجم البلدان ٢٦/٤ ، ٢٧ .

بنقاء اللغة وعدم مخالطة الأجانب أو لصفاء لغتها وتخير ألفاظها كما فى لغة قريش وقد مضى نص الفارابى فى ذلك من قبلُ . وقد شغفوا بتقديس اللغة وادّعاء اتساعها حتى قال الشافعى : كلام العرب لا يحيط به إلا نبى . ذلك القول الذى استحسنه ابن فارس فى الصاحبى[1] . بل ذهبوا يتفاخرون بذلك قال ابن فارس فى باب أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها : « . . . وإن أردت أن سائر اللغات يبين إبانة العربية فهذا غلط ، لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد وأين لسائر اللغات من السعة ماللغة العرب »[2] ثم نقل كلام بعض العلماء عن الاستعارة والتمثيل فى القرآن وأنه لا يمكن نقله إلى لغة أخرى لهذا! . وما نقله ابن فارس هو فى الحقيقة لابن قتيبة فقد تناوله فى مشكلة . ثم ضرب ابن فارس الأمثلة المختلفة لما اختصت به لغة العرب من قلبهم الحروف عن جهاتها ، وتركهم الجمع بين الساكنين والإدغام والترادف الذى ألف العسكرى بسبب منه كتابه «الفروق اللغوية» وبعض التعبيرات الخاصة بهم ، مما عده العرب ميزات وخصائص للعربية ، وعدّه الطاعنون عليهم من عيوب اللغة مما انتهزه الشعوبيون أيما انتهاز فعابوا على اللغة هذا الترادف والقلب والتضاد وما إلى ذلك ، وقد جاء مثل ذلك الفخر بسعة العربية وفضلها عن أبى حيان فى مقابساته : المقابسة ٨٨ وبمعيار العلم الحديث لا تفضل لغة لغة إلا بمقدار وفائها بحاجة أصحابها ، وهذا ما حدا ابن درستويه إلى رأيه فى هذه الخصائص . فمما يدل على تمسكهم بغنى العربية ذلك السيل الجارف من الترادف الذى أهمل كثير من أسبابه الأساسية ، ونظر فيه إلى الألفاظ بحالتها الراهنة دون ما نظر إلى التطور اللغوى وما بين الألفاظ من فروق قد نسيت ، مما جعل اللغة تسير من ظاهرة التخصيص والدقة إلى ظاهرة التعميم فى المفهوم والمضمون . وسار العلماء فى هذا المضمار تكثرًا وحذارا من أن يقال أهملوا شيئا مما أثبته السابقون فانظر مقالة ابن الأنبارى وأبى حاتم السجستانى والصاغانى[3] كما رأى ابن السيد

(١) ص ١٨ .
(٢) ص ١٢ فما بعدها .
(٣) رسائل الصاغانى مخطوط رقم ٣٣٦ لغة تيمور ص ٢٢١ ، ٢٤٥ وأضداد الأنبارى ص ١١ .

فى الاقتضاب شرح أدب الكاتب ، رغبة فى التزيد أن القول بإبطال الأضداد كلام لايصح أن يتشاغل به ، وهى نزعة جمود حرمتنا من آراء تراثية قديمة لو نقلها على عهدة قائلها لأفدنا منها الكثير، وقد كرر هذه النزعة عند مناقشته لابن جنى فى القضم والخضم قال : « فإذا كان الأمر على هذا السبيل كان التشاغل بما تشاغل به ابن جنى عناء لا فائدة فيه » ( الاقتضاب ص ١٥٨ ، ١٦٢ )

فنزعته إذن - رغم سعة علمه وفضله - التكثر من الأضداد والجمود على القديم ومحاربة الجديد والاعتراض دون إقامة الدليل إلا جوابه التقليدى السلبى «لايصح التشاغل به» فالمحافظون وقفوا فى سبيل التجديد وقد صرح ابن درستويه بالاقتداء بالسابقين وإن كان عن غير اقتناع فقد قال : « وقد ألحق بعض ذلك قوم من النحويين بكتبهم فى الهجاء وإن لم يكن مما يلحق بها ، فرأينا ألا نخلى كتابنا هذا من طائفة مما ذكروا وما تركوا مما يجرى ذلك المجرى »[(١)] .

دعا العلماء إلى ذلك حب التفاخر وأرادوا إهمال الدارسين لكتب من قبلهم لتسود كتبهم ، وإلى جوار ذلك كانت نزعة القول بضياع كثير من اللغة قال ابن فارس فى باب القول على أن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها وأن الذى جاءنا عن العرب قليل من كثير ، وأن كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله :

« ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أن الذى انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل »[(٢)] وعقب على ذلك بالاستحسان وضرب الأمثلة .

وهاتان النزعتان ، نزعة التكثر والجمع للغة ، ونزعة الذهاب إلى ضياع أكثرها جعلتا العلماء يتلمسون ما ذهب من اللغة وكان لهم من هذا خير ملجأ يلجئون إليه فى تعليلهم ما يقولون كما فعلوا فى تناولهم لفظ الجدف والجدث[(٣)] . بل أوّل بعضهم اللغة نفسها وألفاظها لتتمشى مع فهمهم المجانب للصواب قال ابن قتيبة عند تفسير قوله تعالى « وذا النون إذ ذهب مغاضبًا » الأنبياء آية ٨٧ :

« قال أبو محمد : يستوحش كثير من الناس أن يلحقو بالأنبياء ذنوبًا ويحمله التنزيه لهم عليهم السلام على مخالفة كتاب الله

(١) كتاب الكتاب له ص ٧٦ - الطبعة الثانية
(٢) الصاحبى طبع السلفية ص ٣٤ .
(٣) تاج العروس : جدف

واستكراه التأويل ، وعلى أن يلتمسوا للألفاظ المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التى لا تخيل عليهم ، أو على من علم منهم أنها ليست لتلك الألفاظ بشكل ولا لتلك المعانى بلفق »[1] .

د - أثر المذاهب والأفكار : كما كان لاختلاف الأفكاروالمذاهب الإسلامية أثرها كذلك فى اللغة ، فالأندلسيون يسمون النرجس البهار واسمه فى اللغة : العَبهْر . والزمخشرى مثل المعتزلة يرى أن جعل بمعى خلق ، ففى الأساس له : جعل الله الظلمات والنور : خلقهما ، وأرادها بهذا المعنى فى خطبة كشافه [2] كما جعلوها أيضا بمعنى بيّن لا بمعنى فعل ، قال الشاعر :

جعَلنالهم نهْجَ الطريق فأصبحوا

على ثَبَت مِن أمرهم حَيْث يَمَّموا [3]

وجعل الزمخشرى « لن » للنفى مع التأكيد والتأييد ، توصلا إلى نفى رؤية الله تعالى وفى تاج العروس : لن : « ... ولا تفيد توكيد النفى ولا تأييده خلافا للزمخشرى فيها فى قوله تعالى « لَنْ ترانى » وهما دعوى بلا دليل ، وفيه دسيسة اعتزالية ، حملته على نفى الرؤية على التأييد ، ولوكانت للتأييد لم يقيد منفيها باليوم فى قوله تعالى « فلنْ أكلّم اليومَ إنْسيًا » مريم آية ٢٦ ولكان ذكر الأبد فى قوله تعالى « ولَنْ يَتَمنُّوه أبداً » البقرة آية ٩٥ تكرارا والأصل عدمه » .

هـ - الحياة والموت فى اللغة : سبق شىء من ذلك فى الكلام عن أثر الإسلام واللغة ظاهرة اجتماعية يعتريها ما يعترى الأحياء من صحة أو اعتلال وموت ، فقد هجرت على مر الأيام ألفاظ ولغات ورفضت أصول لبعض الكلمات ، وأباحوا للشاعر عند الضرورة مراجعة هذه الأصول المرفوضة . هذا وغيره زاد العربية وآدابها تعقيدا ، فقد كان بعض النحاة يرى أن الكلمة تروى على ماهى عليه وأن ذلك أيسر من الرجوع إلى الأصل ، فقول الشاعر :

أرى عينى ما لم ترأياه - يقول فيه الزجاج إنه رُدّ إلى أصله ويرى المازنى أن يروى بغير همز تخفيفا :ما لم يرياه - لأن ارتكاب الزحاف عنده أيسر من الرجوع إلى الأصل . فاستعمال الأصل المرفوض عندهم داخل فى باب الضرورة

(١) القرطين للكنانى ٢/٢١ ، ٢٢ طبعة أولى للخانجى

(٢) حياة الحيوان للدميرى ١/١٥٨ تقلا عن تاريخ ابن خلكان وغيره .

(٣) ظهر الاسلام ٤٢ .

كقول الشاعر : وصاليات ككما يؤثفين [١] – وكذلك قول له رؤبة : بلالُ خير الناسِ وابن الأخير – وعليا . وجه ابن جنى قراءة « الأشرّ » بتشديد الراء « سيعلمون غدا من الكذاب الأشر » وقال إنه الأصل المرفوض [٢] . واماتت العرب ماضى يدع ويذر ولم تستعمل المصدر من الأفعال : نذرِ بالشئ وعسى وليس استغناء عنها بأن والفعل [٣] كما أميت الثلاثى من اكلأز [٤] وقللت من استعمال حبّ وأكثرت من أحب ، ثم أبقت « محبوب » دلالة على حبّ الثلاثى .

كل هذا عقّد قواعد اللغة ، خاصة عندما قعدت القواعد بعيدة عن أصلها اللغوى ، ودارت الفصاحة عندهم على كثرة الاستعمال ، فكانت القواعد للموجود دون المفقود مع أن المفقود قد يكون هو الأفصح ، كما رأى ابن درستويه ذلك أخذا من مدلول لفظ «الفصاحة» فالعرب عنده قد تستغنى بفصيح عن فصيح آخر ، بل إنها أى الفصاحة عنده ما أفصح عن المعنى واستقام لفظه على القياس وهو مذهب قد انفرد به ، كما أن هناك عوامل بلاغية أثرت فى اللغة منها :

المجاز ، وأعنى هنا معناه العام ، فثمت نصوص تشير إلى أن العرب لم يفرقوا بين الحقيقة والمجاز ولم يقسموا لغتهم إلى حقيقة ومجاز الا فى عصر متأخر قال ابن تيمية : فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنما اشتهرت فى المائة الرابعة ، وظهرت أوائله فى المائة الثالثة ، وما علمته موجوداً فى المائة الثانية ، إلا أن يكون فى أواخرها [٥] . ومن أجل هذا حدث خلط بين الحقيقة والمجاز حيال القرآن نفسه وأحاديث الرسول فحينما نزل قوله تعالى « وكُلوا واشْربَوا حتّى يَتبيَّن لكم الخَيْطُ الأبيضُ من الخَيْط الأسْود من الفَجـرْ . » روى عن عدى بن حاتم قال : عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتى فنظرت إليهما فلم يتبين لى الأبيض من الأسود فأخبرت النبى عليه السلام بذلك فقال : إنك لعريض القفا ، أى سليم القلب ؛ لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته – إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل [٦] ومن أجل هذا ونظائره نجد أبا عبيدة على حق فى

---

(١) شرح شراهد المعنى ١٧٢ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠ (٢) المحتسب المخطوط ٣٠٨ (٣) المصدر السابق ١٧٧

(٤) تاج العروس : كلمة (٥) فى القول ص ٦٩ نقلا عن كتاب الأيمان لابن تيمية ، وانظر المجمع العلمى المجلد ٣١ ج ١ /١٢٣ ، ١٢٣

(٦) تفسير السفى ١/ ٧٥ البقرة آية ١٨٧

وضعه كتاب « مجاز القرآن » والرضى فى المجازات النبوية ؛ فقد ضحك الصحابة حينما جاءت الرسول امرأة مسنة فقالت إنى يتيمة ، فرد عليهم الرسول ضحكهم وقال كل النساء يتامى ، أى ضعيفات ، ذلك لأن الحقيقة كانت تتبادر إلى الذهن دون المجاز ومن ثم احتاج المجاز إلى القرينة . وفى خبر الحجاج مع ليلى الأخيلية أنه حينما أنشدته قصيدة لها وبلغت أحد أبياتها قال له الحجاج : قاتلها الله ، ما أصاب صفتى شاعر منذ دخلت العراق غيرها ، ثم قال يا غلام : اذهب بها إلى فلان فقل له : اقطع لسانها قال فذهب فقال له : يقول لك الأمير : اقطع لسانها فأمر بإحضار الحجام فالتفتت إليه وقالت له : ثكلتك أمك أما سمعت ما قال : وإنما أمرك أن تقطع لسانى بالصلة والبرّ . فبعث إليه يستبينه فاستشاط الحجاج غضبا وهم بقطع لسانه (١) . وحسبك أن هذا حدث فى العصر الأموى الذى كان شديد التعصب للعرب والعربية ، مع أن العرب ورد عنهم من المجاز الكثير ، وتناقله عنهم الرواة ، وظهر واضحا فى الشعر والأدب فقد أنشد العسكرى فى كتاب الأوائل :

يَسْقُون آبالَهم بالنار

والنارُ قد تَشفِى من الأوُار

وقالوا نارُها نجارُها . (٢) كما نشأت أساليب اتسع فيها ، فتنوسى أصلها وكانت لمناسبات خاصة ، من ذلك « رفع عقيرته بالغناء » وأصل ذلك أن رجلا قد عقرت رجله فكان يضعها على الأخرى راحة لها ويغنّى ، فقيل هذا التعبير فى الغناء،ومثل ذلك ما كان يرتبط بالعادات العربية القديمة ، فقد كانوا يقولون للمعرس : بان ، وقد بنى بأهله . (٣) وحسبك أن تتبع الألفاظ : الراوية ، الوغى ، القحبة ، النجو ، الغائط ، الظعينة ، المجد ... الخ (٤) لتدرك تطور اللغة وأن كل كلمة تحمل معها تاريخها ، مما ينبىء عن احتياجنا إلى المعجم الكبير . ونحن أمام هذه الألفاظ والتعابير بين أمرين : العلم بأصلها أو الجهل به ، فمما نعلم مبدأ استعماله الكناية فأول من سبق إليها فى الشعر الجعدى بقوله :

أكنى بغير لمسمها وقد علم اللهُ خفيّات كُلِ مُكْتتم (٥)

وقد تقدم عمر بن الخطاب ألاّ

(١) الجليس والانيس مخطوط المجلس الحادى عشر وشرح شواهد المغنى / ٢٠١
(٢) المصدر السابق ١٠٨
(٣) درة الغواص ٤٥ او المنتخب من كنايات البلغاء للجرجانى ١٦
(٤) تاج العروس : روى والصناعتين ٦
(٥) شرح شواهد المغى ٢١٠

يشبّب رجل بامرأة إلا جلده فكنى حميد بن ثور عن المرأة بالسَّرْحة فى شعره فقال :

أبىَ اللهُ الاَّ أنّ سَرحة مالك
على كل أفنان العضاه تَروقُ
وهل أنا إنْ علّلت نفسى بسَرْحة
مِن السَّرحْ مأخوذ علىَّ طريقُ [1]

و «مات حتف أنفه» وهم كأسنان المشط[2] من قول الرسول وآوّليّاته .

و « أسقط فى يده » تعبير إسلامى .

والحطيئة أو من قال «أعط القوس باريها» [3] وخالد بن برمك أول من كنى عن السؤال بالزوار، حتى قال فى ذلك يزيد بن خالد الكوفى المعروف بابن حَبيبات الشعر [4] وإن كان الصولى ذكر هذا الخبر وأسند القول للمساور بن النعمان ، لا خالد بن برمك ، وذكر شعر زياد الأعجم فى ذلك [5] . وهذا الخبر وإن حمل تضاربا فى إسناده يلقى الضوء على مصدر هذه التسمية . وهكذا بشئ من الصبر نعرف تاريخ الكلمات ونقف على السر فيما عُدّ شاذا ونلمس بُعد نظر ابن درستويه فى التطور اللغوى ، وأن اللغة كانت بحاجة إلى التهذيب وما زالت وحقًا فَعَلَ .

النادرة والمثل :

ولا ننسى أثر النادرة والمثل فى اللغة فالصيفَ ضيعتِ اللبن يقال للمذكر والمؤنث بصيغة واحدة ، قال الحريرى فى درته : ويقولون للندّ المتخذ من ثلاثة أنواع من الطيب مثلث والصواب فيه مثلوث ... وأصل هذا الكلام مأخوذ من قولك ثلثت القوم فأنا ثالث وهم مثلوثون . قال الشيخ الإمام رحمه الله : وقرأت فى بعض النوادر أن إبراهيم بن المهدى وصف لنديم له طيب ندّ اتخذه وأتاه بقطعة منه فألقاها فى مجمرة ووضعها تحته فخرجت منه ريح فى أثناء تجمره فقال : ما أجد هذه المثلثة طيبة فقال : أى فديتك قد كانت طيبة حين كانت مثلثة فلما ربّعَها خبثت . قال الشيخ الإمام رحمه الله : وإنما قلت مثلثة لأن النادرة تحكى على الأصل ، ولا يغير ما فيها من اللحن ، ولا من سخافة اللفظ ، ولهذا قال بعضهم : إن ملحة النادرة فى لحنها وحرارتها فى حلاوة مقطعها » [6] . وذلك لأن العرب كانت تعتز بالنادرة وتجعل لها حرمة فلا تتطرق إليها يد الإصلاح ولا يعاب صاحبها

(١) المصدر السابق ١٤٣ ، ١٤٤
(٢) السابق ١٨١ والكنايات ١١٩
(٣) شرح شواهد المغنى ١٦٣ نقلا عن شرح الكامل للبطليوسى
(٤) الكنايات للثعالبى ٤٢ ، ٤٣
(٥) الكنايات للثعالبى ٤٢ ، ٤٣
(٦) درة الغواص ٨٣

بهذا الخطأ . وكذلك لا تغير الأمثال ، ولهم فى ذلك تعليل لطيف،قيل للقومسى : لم تقبل النادرة ولا ترد؟ فقال : كأن المعنى فى هذا القول أن النادرة ليست مملولة لأنها غير معهودة ولا مرددة ، فهى لا تستحق الردّ ، ألا ترى أنها تعهد إذا قدرت ، ولها حرمتان تقدمنها : حرمة الغريبة وذمام الزائرة البعيدة ، فهى لذلك ليست كأخرى قد عهدت وملّت وقلّيت »[1] . فهذا القول يدل على أنهم يجعلونها ضيفا وزائرة وغريبة بينهم لها حرمة لا تمسّ وقد أوضح ابن درستويه أن للأمثال هذه القداسة [2]. وقد عقد السيوطى فى مزهره فصلا للأمثال ذكر فيه أقوالا للصولى وغيره فى هذا الشأن . قال المرزوقى فى شرحه للفصيح : « المثل جملة مقتضبة من أصلها ، أو مرسلة بذاتها ، فتتسم بالقبول ، وتشتهر بالتداول ، فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها ، من غير تغيير يلحقها فى لفظها ، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعانى ، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التى خرجت عليها ، واستجيز من الحذف فى ضرورات الشعر ما لا يستجاز فى سائر الكلام » وقال أيضا : « من شرط المثل ألا يغير عما يقع فى الأصل عليه » [3].

وعلى هذا الأساس قيل : « أجناؤها أبناؤها » أى الذين جنوا على هذه الدار بالهدم هم الذين كانوا بنوها ، ولهذا ظن أبو عبيد أن المثل هو : جُناتها بُناتها لا أبناؤها ، لأن فاعلا لا يجمع على أفعال إلا أن يكون هذا من النوادر لأنه يجئ فى الأمثال ما لا يجئ فى غيرها. وقالوا : أعط القوس باريها ، بتسكين الياء وإن أصلها الفتح والتحريك[4].

وقالوا « هالك فى الهوالك » وعسى الغوير أبؤساء ، فى المجالس المذكورة للعلماء كثير من مثل هذا لجأ إليه المتناظرون [5] »

**الازدواج :**

ولا ننسى أثر الازدواج والاتباع فى اللغة فَحيْصَ بَيْصَ ، الكلمة الثانية واوية جاءت بالياء للاتباع ، هذا الازدواج الذى قد يغير مبنى الكلمة وصيغتها إلى مبنى كلمة أخرى قد تضادها فى المعنى ، فقد ضموا الدال من حدث حين قرنوها بقدم لأجل المجاورة والمحافظة

(١) المقابسات . مقابسة ٦٩

(٢) انظر رسالتى للدكتوراه « ابن درستويه اللغوى »

(٣) ، (٤) المزهر صبيح ١ /٣٨٨ ، ٢٨٩

(٥) تاج العروس : فرس ، والمجالس المذكورة لوحة ٣٠ ومجالس أبى مسلم مخطوط ٥٩ بدار الكتب المصرية رقم ٩٠٥٨ أدب .

على الموازنة ، وقد نطقت العرب بعدة ألفاظ غيرت مبانيها لأجل الازدواج وأعادتها إلى أصولها عند الانفراد فقالوا الغدايا والعشايا ، وهنأني ومَرَأني ، وفعلت به ما ساءه وناءه ، وهو رجْس نجْس وهو أهيس أليس . وقد نقل عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ألفاظ راعى فيها حكم الموازنة فقال للنساء المتبرِّزات في العيد : «أرجعن مأزورات غير مأجورات» وقال في عوذته للحسن والحسين رضى الله عنهما : «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة [1] ».. الخ وقياسها ملمة ، وقياس الأولى موزورات من الوزر وهو الذنب . هذا وابن درستويه يسمى الازدواج بالاتباع أحيانا ، وابن فارس يفعل ذلك ففي مقدمة كتابه « الاتباع والمزاوجة » يفرق بين ما يسمى ازدواجا وبين ما يسمى إتباعا أو سجعا ، وجمع بين الازدواج والاتباع[2] . كما أن هناك عوامل ترجع إلى طبيعة اللغة ذاتها ورموزها ووسيلة توارثها وتناقلها منها :

أ - طبيعة الحروف :

لقد تناولت الألسنة اللغة عن طريق الإرث والرواية الشفهية جيلا بعد جيل ، لأن الكتابة لم تكن فاشية فيهم ، وإن وجد في الجاهلية بعض الكاتبين ، فها هو ذا الرسول يفتدى بعض أسرى المشركين في أول غزوة غزاها بأن يعلم كل أسير يكتب عشرة من المسلمين الكتابة والقراءة ، خاصة وقد حث القرآن عليها في أول ما نزل من القرآن « اقرأ بأسْم ربِّكَ الذى خَلَق » ، نعم كان هناك كتاب للوحى كعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان وأُبَى بن كعب وزيد بن ثابت ، وخالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، والحصين بن نمير ، وزيد بن أرقم بن عبد يغوث ، والعلاء بن عقبة ، وعبد الله بن الأرقم ، وحذيفة بن اليمان [3] . وقد ساعدت الأمية الرواة على الافتعال ووجدوا مجالا رحبا رغبة في التفاخر ، واستغل العلماء اختلاف الرواة أشنع استغلال ، فعقّدوا بذلك قواعد العربية وعلومها ، فكثير من شواهد النحو تسقطها الرواية ، ويظهر ذلك بصفة خاصة عند المبرد الأديب النحوى في تعقبه لشواهد سيبويه في الكتاب .

هذه الكتابة العربية مدعاة لاختلاط

(١) درة الغواص ٤٥ - ٤٧ .
(٢) الإتباع والمزاوجة مخطوط رقم ٥٥ لغة مش دار الكتب الورقات ٥٠ - ٥٢ .
(٣) العقد الفريد وعلى هامشه زهر الآداب ٢ / ٢٠٤ .

الحروف لتشابهها فى الطبيعة كالباء مع التاء، والثاء والياء والسين مع الشين والصاد مع الضاد،والطاء مع الظاء والعين مع الغين وهكذا ، وانعدمت فيها الحركات أول الأمر ، مما كان مدعاة للتصحيف والتحريف ، ولما اخترع الشكل كان نقطا ، فكان اختلاط السين بالشين ذا أثر كبير فى العربية لذا ألف صاحب القاموس كتابه « تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين » تتبع فيه أوهام المجمل فى نحو ألف موضع . ووجدت كتب للفروق بين الضاد والظاء وهكذا . فاختلاط لفظى سمل وشمل كان من نتيجته أن قيل : سمل بين القوم أصلح بينهم ، وسمل بينهم أفسد ، فعدّ من حروف الأضداد ، وفى رأيى أن الأول شمل أى جمع ما تفرق لأن فى الصلح جمعا ، فقد روى بيت قيس بن الخطيم :

أنىّ سَرَيْت وكنت غير سروب

وتقرّبُ الأحلامُ غير قريب

بالباء على رواية ابن دريد ، وبالياء سريت على رواية غيره . وفرق بين معنى السارب الذاهب على وجهه فى الأرض ، والسارى : السائر بالليل . وبيت كعب بن زهير :

لكنها خُلّة قد سِيط من دَمها

فجْعٌ ووَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبْديل

جوزوا قراءته بالشين المعجمة : شيط ، كما روى بيت المتلمس بالوجهين :

أحارثُ إنالو تُشاط دماؤُنا

تزايَلْنَ حتىّ لا يَمسّ دمٌ دَما

وكذلك بيت عمرو بن أذينة :

لقد علمتُ وما الإشْراف من خُلقُى

أنَّ الذى هو رِزْقى سَوْفَ يأتينى

بالسين والشين ، وقول الشاعر :

أعلّمه الرماية كلَّ يوم

فلما استَدَّ ساعدُه رَمانى

روى بالمعجمة بمعنى الاشتداد ، والرواية الصحيحة بالمهملة، استد من السداد الذى هو الصواب . وسمّت العاطس وشمته من هذا الباب، فمن أهملها دعاله بالبقاء على سمته ، ومن أعجمها دعا له بأن يسلب عنه شامته أى لا يصيبه شئ فيشمت به عدو . وكذلك الشطرنج بالمهملة لأنه يجعل أسطرا وبالمعجمة لأن اللاعبين يقتسمون القطع شطرين والشطر النصف [1] ، وإن كان هذا يدخل تحت تلعب العرب بالمعرّب من الأسماء كإبراهيم وإبراهام

(١) شرح بانت سعاد ٣٢ ، ٣٣ .

وإبرهم ... الخ ، وروى بيت الفرزدق هكذا :

وإنّ الذى يسْعىَ لِيُفْسِدَ زَوْجتى
كساعٍ إلى أسْدِ الشَّرى يَسْتَبيلها

فتعب أهل الأدب والنقد فى تفسير البيت على هذه الرواية ، والصواب روايته يشتبيلها بالشين ، ويؤيد هذا ما جاء فى كتاب الحيوان فقد ورد فيه « يشتُبيلها »[1] بدل يستبيلها ، وفسره بأن معناه يأخذ أشبالها أى أولادها ، وغير ذلك كثير مما تضمنته بطون الكتب كالتصحيف والتحريف للعسكرى، وكتصحيف المحدِّثين وغيرهما .

وأما عن غير السين والشين فكتصحيف بيت ذى الرمة :

...... فيها الضفادعُ والحِيتانِ تُصْطَخب

- مما جعل أبا على الأصبهانى يقول للأصمعى : أىّ صوت للحيتان ياأبا سعيد ، إنما هو تصطحب بالحاء المهملة ، أى تتجاور[2] » ، وأنشد بلال بن أبى بردة وذو الرمة حاضر - لحاتم طيئ :

لَحى اللهُ صُعْلوكا مُناهُ وهمُّه
من العيْش أنْ يَلقَى لَبوُسا وَمَطْعما
يرى الخمس تَعْذيبا وإنْ يَلْقَ شَبعة
يَبِتْ قلبُه من شِدة الغمّ مُبْهَما

فأنكر عليه ذو الرمة وقال : إنما هو الخمص من خماصة البطن ، ورد عليه بلال بقوله : كذا أنشدنى رواة طيئ[3] .

وأنشد ابن دأب :

وهُمْ مَنْ وَلَدوُا أشْبَوا     بِسرّ الحَسَبِ المحْضِ

فقال أسنوا يعنى ارتفعوا . فبلغ ذلك أبا عمرو فقال : أخطأت استه الحفرة ، إنما هو أشبوا أى كفوا ، أما سَمع قول الآخر :

وذو الرُّمْحيْنُ أشْباكَ     من القُوةِ والحَزْم[4]

وقد ضرب السيوطى فى مزهره أمثلة كثيرة لما أخذ على العين والصحاح من التصحيف والتحريف[5] .

والتصحيف يكون فى نقط الحروف المتشابهة ، والتحريف أعم ، أوهما مترادفان ، أو أحدهما خاص بالشكل والثانى بالحروف . أقوال .

وفى رأيى أنه ساعد على ذلك ما كان من العرب من حملهم - أحيانا - على الألفاظ لصحة المعانى ، مع ما عرف عنهم من العناية بالألفاظ كذلك - فقد حدث أن أبا العباس المبرد فى مجلس سعيد بن مسلم الباهلى حيث أنشد الأصمعى بيت الحارث بن حلزة :

(١) حياة الحيوان للدميرى ١ / ١١ .
(٢) شرح بانت سعاد ٦٩ .
(٣) التصحيف والتحريف للعسكرى ٢١ .
(٤) المصدر السابق ٢٤ ، ٢٥ والذى أنشده ابن دأب هو لذى الإصبع .
(٥) المزهر . صبيح ٢ / ٢٣٧ ، ٢٤١ وما بعدهما .

عَنّنَا باطلِا وظُلما كما تُعـ
ـتزعن حَجْرة الرَّبيضِ الظباءُ

فقلت له إنما هو تعتر من العتيرة ، والعتر : الذبح ، فقال الأصمعى تعز أى تضرب وتطعن بالغزه وهى الحربة وجعل يصيح ويشغب، فقلت له تكلم كلام النمل وأصب ، والله لو نفخت فى شبّور يهودى وصحت إلى التنادى ما نفعك شئ ولا كان إلا تعتر ولا رويته أنت بعد اليوم إلا تعتشر فقال الأصمعى والله لا رويته بعد هذا اليوم إلا تعنز [1] .

وقد فسر التبريزى معنى العتر فى شرحه للمعلقات عند حديثه عن هذا البيت [2] .

وقال أبو حاتم السجستانى : قرأ الأصمعى على أبى عمرو بن العلاء شعر الحطيئة فقرأ قوله :

وغَرَرْتنى وزَعَمتْ أنّكَ لابنٌ بالصيف تامِر

أى كثير اللبن والتمر فقرأها : لا تنى بالضيف تامُر بتخفيف الهزة يريد لا تتوانى عن ضيفك تأمر بتعجيل القرى إليه،فقال أبو عمرو : أنت والله فى تصحيفك هذا أشعر من الحطيئة [3]

وحتى بعد تعلم العرب الكتابة كانوا يكرهون النقط، على أن الحركات نفسها كانت نقطا فى بادئ الأمر فكان كثير من الالتباس والخلط . وساعد عليه كذلك قرب مخارج بعض الحروف من بعض ، حتى ألفت الكتب فى ذلك :

كالتصحيف والتحريف لأبى أحمد – وكناه بروكلمان أبا على ٢ / ٢٥٠ – الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى المتوفى سنة ٣٨٢ هـ كما جاء فى الرسالة العذراء لابن المدبر : إياك والنقط والشكل فى كتابك ، إلا أن تمر بالحرف المعضل أى الذى تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجه فلأن يشكل علىّ الحرف أحب إلىّ من يعاب بالنقط والإعجام .

وقال المأمون لكتابه : إياكم والشونيز فى كتبكم ، بمعنى النقط والإعجام ، ولذلك قال ابن هانئ :

لم تَرْضَ بالإعْجامِ حيَن كتبْتَه
حتى شَكلت عَليه بالإعْراب [4]

والأبيات بتمامها فى أدب الكتاب للصولى[5] . فكانوا يعتبرون نقط الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه . وحتى القرآن نفسه تطرق الوهم إلى خطأ الكتاب فيه – ولى

(١) المزهر ٢ / ٢٢٥ ، ٢٣٦ .
(٢) شرح المعلقات ٢٦٠ وإنباه الرواة ١ / ٢٢٣ .
(٣) المزهر ٢ / ٢٢٣ .
(٤) الرسالة العذراء ٣٥ فقرة ١٥ .
(٥) أدب الكتاب ٦١.

تحفظ على ذلك - ففى المحتسب لابن جنى : .... ومن ذلك قول ابن عباس أخطأ الكاتب ، إنما هو تستأذنوا يعنى قوله تستأنسوا ، وكذلك يروى عن عبد الله عن أبى : حتى تسلموا أو تستأذنوا وكذلك قرأ ابن عباس[1] » . وفيه أيضا : « ومعنى يؤتون ما أتوا يعطون الشئ فيشفقون ألا يقبل منهم . وحكى عن إسماعيل بن خلف قال : دخلت مع عبيد الله بن عمير الليثى على عائشة ( رضى الله عنها ) فرحبت به فقال لها : جئتك لأسألك عن آية فى القرآن . قالت أى آية هى ؟ فقال : « الذين يأتون ما أتوا أو يُؤتون ما أتوا » فقالت أيتهما أحب إليك ؟ فقلت لأن تكون يأتون ما أتوا أحب إلى من الدنيا جميعا فقالت سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) يقول « يأتون ما أتوا » ولكن الهجاء حُرِّف [2].

والمصحف على كتابة عثمان خلا من النقط والشكل ليحتمل وجوه القراءات المأثورة المختلفة .

وقد أرجع جورجى زيدان التصحيف والتحريف إلى قراءة الخطوط وأنه لم يحدث إلا بعد تدوين اللغة [3] . والحق أنه لا يرجع إلى الخط وحده بل قد يرجع بعضه إلى قرب مخارج الحروف ، وبعضه الآخر إلى الاحتمال فى المعنى كما فى استد واشتد وسمت وشمت وأمثالهما ، ماله توجيه صحيح ، أو إلى صعوبة النطق بالحرف وخاصة عند غير العرب إلى غير ذلك من أسبابه . ومعلوم باتساع رقعة الإسلام وجد التعريب والدخيل وفشا اللحن ، وإن كان موجودا من قبل كما سمع الهول يقول عند ما لحن أحد الصحابة « أرشدوا أخاكم فقد ضل » والعرب كانت تجاهده وتكرهه حتى من النساء ، وخاصة الحجاج جاهده من نفسه جهادا وفى ذلك قصص فشاعت تربية ولاة العهد فى البوادئ وقصة إقواء النابغة وإصلاح شعره بالمدينة مشهورة .

وقال أبو بكر « لأن أقرأ فأسقط أحب إلى من أن أقرأ فألحن » وقال النبى « أنا من قريش ونشأت فى بنى سعد فأنىَّ لى اللحن » . واشتهرت بعض القبائل بالفصاحة وكتب كاتب لأبو موسى الأشعرى إلى عمر : « من أبو موسى » فكتب إليه عمر : سلام عليك أما

(١) المحتسب مخطوط ٢٢٣ من سررة البقرة آية ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ٢١٨ .

(٣) اللغة كائن حى ٥٦ - ٥٨ وهامشهما

(١) مراتب النحويين ٥ ، ٦ ، وأضداد الأنبارى ٢١٣ ، ٢١٤ والبيان والتبيين ١ / ٨٢ ، ١٢٧ و مجلة الزهراء م ٣٢ ص ٤٥٦ .

بعد : فاضرب كاتبك سوطا واحدا وأخر عطاءه سنة . وأول لحن سمع بالبادية هذه عصاتى وقصص اللحن كثيرة [1] .

الفروق :

كان من دأب العرب الفرق بين المعانى بالشكل بالحركات كالفاعل والمفعول فضحكة بالتحريك للفاعل مبالغة ، وضُحْكة بالسكون للمفعول مبالغة أيضا وسُبَّة وسُبَبَة ، وحمِل بالكسر للمنفصل وحَمل بالفتح للمتصل ، وفرقت بالحركات بين اللازم والمتعدى فى نحو كَسَا وكَسِىَ ونحوها فلعبت الحركات دورها فى اللغة فقدم يجئ متعديا وهو الكثير كما يجئ لازما قدم بين يديه أى تقدم

قال تعالى « ولا تُقدّموا بين يَدَىْ الله ورسوله » الحجرات آية ١ وعلى هذا يجوز فتح الدال من لفظ ( مقدمة ) باعتبار المفعولية لأن الذاكر لها قدمها على غيرها ، وكسرها باعتبار الفاعلية لأنها تقدمت بين يدى المذكور بعدها [2] .

وفرقوا بين المشترك بالمصادر فبغى الشئ إذا طلبه بغية ، وبغى إذا ظلم بغيا بالفتح ، وبغى الضالة بغاية بالضم عن الأصمعى [3] .

وقَنع يقنعَ قناعة وقَنَع يقنَع قنوعا بمعنيين متضادين ، وكذلك مصدر وجد الضالة ووجد من الحزن أو من الوجدان ... الخ [4]. كما فرقوا بالجمع لاختلاف المعنى فالشجَن بمعنى الحزن جمعه أشجان ، وبمعنى الحاجة جمعه شجون ، وأنشد الجوهرى :

ذكرتُك حين استأمَن الوحش والتقتْ
رفاقٌ من الآفاقِ شَتّى شجُونُها

أراد حاجاتها ، وروى لحونها أى لغاتها . وأنشد :

أنرىَ الزمان كما عَهِدْت بوَصْلكم
يومَاً يَجودُ لِتَنقضِى أشْجانى

وقولهم الحديث ذو شجون ، أى ذو فنون وأغراض [5].

الحذف والاختصار :

قد حذفت العرب من الكلمة حتى أجحفت بها أحيانا ، فياسين يحتمل أن يراد بها إنسان أو ياسيد إلا أنه اكتفى من جميع الاسم بالسين قال الشاعر :

فياليتينى من بَعدْ ما طاف أهْلها
هَلكتُ ولم أسْمَعْ بها صَوْتَ ياسين

(١) مراتب النحويين ٥ ، ٦ ، وأضداد الأنبارى ٢١٣ ، ٢١٤ والبيان والتبيين ١ / ٨٢ ، ١٢٧ و مجلة الزهراء ٣٢ ص ٤٥٦ .
(٢) المعتبر للزركشى مخطوط دار الكتب رقم ٤٥١ حديث تيمور ص ٤٠٣ .
(٣) تاج العروس : بغى .
(٤) شرح الفصيح لابن درستويه نسختى الخاصة ١ / ١٤١ .
(٥) تاج العروس شجن .

قيل معناه صوت إنسان . وقد حذف الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) في قوله « كفى بالسيف شاء» أى شاهدا ، ويؤكد ذلك ما ذهب إليه ابن عباس فى : حم وعسق ونحو ذلك من أنها حروف من جملة أسماء الله تعالى وهى رحيم وعليم وسميع وقدير ونحو ذلك ، وشبيه به قول الشاعر :

قلْنا لهـا قـفى قـالتْ قَاف - أي وقـفت ، فاكتفى بالحرف عن الكلمة [1]. وقولهم قلنا ألاتا : فقالوا ألافا ... الخ .

## الاشتقاق :

اشتقت العرب من الفعل ومن الأسماء والجوامد ، فالنيروز بمعنى اليوم الجديد قد اشتقوا منه الفعل كقول على كرّم الله وجهه حينما قدم إليه شئ من الحلوى فى يوم النيروز : نيرزوتا أكل يوم،وفى المهرجان: مهرجونا كل يوم ، فهذا من المعرّب . وقالوا تحجّر الطين : صار حجرا ،ورآه ضرب رئته وعصاه ضربه بالعصا وسافه بالسيف وساطه بالسوط وأماه السكين سقاه الماء وجلس القوم يجلسون جلسا أتوا الجلس، والمنجد الذى أتى نجدا،قال مروان بن الحكم ونسب لغيره :

قل للفرزدق والسَّفاهةُ كاسْمِها

إن كُنتَ تاركَ ما أمرْتُكَ فاجْلسِ

ورأيتهم يَعدُون جالسين أى منجدين ، وجلس السحاب أتى نجْدا . وقال ساعدة بن جؤية .

ثم انتهىَ بصرى وأصبح جالسا

منه لنجد طائفُ متَغرِّبُ

وفى الحديث أنه أقطع بلال بن الحارث معادن القبليا غوريّها وجليسيّها [2]. قال ابن الأثير : وفى كتاب الأمكنة : معادن القلَبة . وهكذا ذكر ابن درستويه الاشتقاق من الأب والأم والأخ ... وكل ماسبق كان سببا فى الاشتراك والترادف والأضداد وما إليها ، مما كان لابن درستويه به غاية .

## تطور الدلالة :

إن دراسة التطور الدلالى بدأها حديثاً بريل أواخر القرن التاسع عشر ، واقتصر فى هذه الدراسات على الجانب الذاتى للألفاظ وأغفلت العوامل الاجتماعية والخارجية ، وبدأ يدخل هذا الميدان متخصصون عديدون كعلماء النفس والطبيعة والمشتغلون بالصحافة [3]. وقدْ تناول شيئا من ذلك جورجى زيدان، فأرجع الشتاء فى

(١) تاج العروس : السين .

(٢) المصدر السابق : نزر ، جلس .

(٣) دلالة الألفاظ ص ٣ - ٦ .

الأصل السامى فى الدلالة إلى « الشرب أو الرىّ أو الصبّ » فهى كذلك فى العبرانية والسريانية إلى اليوم . وكتب فى أصل دلالته على الحفر فى الحجر أو الخشب ، والملح من «ملح أو ملأ» أى نبع الماء . ومرء أصل دلالتها فى اللغات السامية القوة ، ومنها إلى الرياسة ثم إلى الإنسان . ولا زالت فى السريانية تدل على الربّ فقط . والبعل بمعنى الزوج أصل دلالته السيد أو الرب وهكذا أرجع ألفاظ أخرى كالتاريخ وغيره . كما أرجع ألفاظ الترادف وألفاظ الأضداد والمشترك إلى تفرع ألفاظ اللغة ومعانيها بالنمو والتجدد وتكاثر الدخيل [1]. كما تناولها الدكتور على عبد الواحد وافى فذكر العوامل المؤثرة فى تطور الدلالة وأرجعها إلى مبلغ وضوح دلالة الكلمة فى الذهن ، أو أنها ترجع إلى عوامل تتعلق بأصوات الكلمة ، أو إلى عوامل تتعلق بالقواعد ، فقال إن تذكير كلمة « ولد » مثلا فى العربية بمعنى ولد صغير معناها يرتبط فى الذهن بالمذكر ، فأصبحت لا تطلق فى العامية إلا على الولد من الذكور[2]. وعرض لها المرحوم الدكتور أنيس بشكل أوسع ، فتحدث عن ظاهرة التطور وأنها شائعة فى كل اللغات ، ثم عن الحقيقة والمجاز ، ذاكرا من عوامل التطور : الاستعمال وسوء الفهم ، وبلى الألفاظ ، والحاجة ودوافعها ، ثم تحدث عن أعراض التطور الدلالى من تخصيص الدلالة أو تعميمها أو انحطاطها أو رقيها ، أو تغير مجال استعمالها لأسباب ذكرها [3] وحسبك أن تعرف أن أصل كلمة « المجد » هى فى الأصل علف الدابة ، فأنظر كيف صارت من المحسوس إلى المعنوى. ولا شك فى قيمة هذين المرجعين « اللغة والمجتمع » و « دلالة الألفاظ » لأنهما بذلك فتحا فتحا جديدا فى الدراسات العربية ، إلا أن ذلك لا يمنع من إيراد بعض الملحوظات عليهما ، ذلك أن أغلب الاستشهاد فيهما من غير العربية الفصحى سواء كان ذلك عاميا أو أجنبيا ، وهذه الظاهرة أخف فى دلالة الألفاظ منها فى « اللغة والمجتمع » وبخاصة فى ناحية الصوتيات ، فإليها فى الغالب يرجعان التطور، ومن المعروف أن التطور فى العامية أسرع وأشمل وأظهر منه من الفصحى لأسباب معلومة .

(١) اللغة كائن حى ص ٤٩ وما بعدها ، ص ٦٠ .
(٢) اللغة والمجتمع ٨٨ - ٩٠ .
(٣) انظر دلالة الألفاظ للدكتور أنيس ١١٨ - ٦٠ .

وسأتناول فى البحوث التالية هذا التطور بشىء من التفصيل داخل مجال اللغة الفصحى عند الكلام عن آراء ابن درستويه اللغوية .

ومن أبرز مظاهرها العموم والخصوص، فكثيرا ما انتقل اللفظ من الكل إلى الجزء وعكسه أو من الصفة إلى الموصوف ؛ فاللحم فى العربية معناه فى اللغات السامية : الطعام عامة ثم خصته العرب فى دلالته على أهم أصناف الأطعمة عندهم وهو اللحم ، وصار يدل على الخبز فى السريانية .

والأصل فى طبخ الدلالة على الذبح ، واللفظان متشابهان فتحول معناها فى العربية إلى معالجة اللحم للطعام ، واستعملوا للذبح كلمة تقرب منها . ووجدت أن « أحلبت » بالمهملة معناه أعانت ، قال المرزوقى : وأصله الإعانة فى الحلب خاصة ، ثم استمر فى الإعانات عامة ، قال : وقد يكون الشىء مختصا فى الأصل ثم يصير فى العرف عاما ، كما يكون عاما فى الأصل ثم يصير مختصا [1] وكلمة الدابة فى أصلها لكل ما يدب على الأرض قال تعالى « وما مِن دَابَّة إلاَّ على اللهِ رِزْقُهَا » الآية ، ثم خصها العرف بذوات الأربع وهكذا فخصّت بنوع مما لايعقل ، وهكذا تبادل الخاص والعام التأثير بعضهما فى بعض . ومن ثم درّسه الأصوليون .

### ٣ - تهذيب اللغة

كان هذا المدخل لازما لدراسة آراء ابن درستويه ومواقفه من خصائص العربية ، وما دامت اللغة متطورة خاضعة للمجتمع وما يجرى فيه بحكم أنها ظاهرة من ظواهره ، فهى بحاجة إلى التهذيب والإصلاح ، واليونانيون تناولوا لغتهم بالإصلاح على يد «سقراط» حينما أفقدها السوفسطائيون معانيها بسفسطتهم . كما وضع للإنجليزية حديثا حدود وقواعد وأسس أساسية ، وأظهر من ذلك كله ما حدث فى فرنسا فى صدر القرن السابع عشر إذ عنوا بتوضيح معانى الكلمة وبتجديد مدلولاتها، وبتفريق ما اقترب معناه حتى كاد يغمّ عليهم أمره ، وبتخصيص الجمل بتعابير مستقلة بعد أن كاد بعضها يكون مشتركا ، تستعمل الجملة الواحدة فى معان مختلفة من غير تفريق بينها ، وحصروا كثيرا من المترادفات فى معان مختلفة ، بحيث أصبح لكل لفظ منها معنى خاص [2] ذلك ما

---

(١) شرح شواهد المغنى ٧٣

(٢) مجلة المجمع العلمى م ٨ ص ٦٠٢ من السنة الثامنة .

قالة «لانصون» مدير دار المعلمين العليا فى كتابه « تاريخ الأدب الفرنسى » الطبعة الثامنة عشرة .

هذا ما حدث فى اللغات الأخرى ، فماذا حدث فى اللغة العربية ؟ يسعفنا المرحوم أمين الخولى بالحديث عن التطور فيها وأنه الجذر العميق للمنهج العلمى اللغوى ، وأنه يقتضى عملا جادا، وعرض لقضايا تطورية وكان حديثه عاما أشبه بما يسمى اليوم بالتخطيط، ونفى أن تكون معاهدنا الجامعية منها وغير الجامعية قد اتجه إلى شىء من أمر هذا التطور اللغوى ، ورأى أن علم الوضع لاجدوى للاشتغال به اليوم . ونعى على الذين نقلوا من الغرب أن العربية مرت بأربع مراحل مما يسمى « تهذيب اللغة أو تنقيحها » هى : -

١ - ما عمله يعرب بن قحطان

٢ - ما عمله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لما أصهرا إلى جرهم .

٣ - ما عملته قريش بمكانها من الجزيرة فى الحرم وانتخابها الأمثل من لغات العرب التى تفد عليها ،وبهذه اللغة المهذبة نزل القرآن .

٤ - ما عمله اللغويون فى جمع اللغة من تهذيب قصرها على ما أثر عمن أختاروا الجمع عنهم من خُلّص العرب ومن لا يجاورون الآمم الآعجمية [(١)] .

ولا أرى - بدورى - وجها لأنكاره ذلك إلا فى المرحلتين الأوليين ، أما الثالثة والرابعة فأقرّ ذلك لما سبق أن قلته من تضافر عوامل دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية على سيادة لهجة قريش التى نزل بها القرآن فى معظمه ، وقد سبق قول الفارابى فى أفصحية بعض القبائل ، وفى ارتفاع لغة قريش - عن اللغات المذمومة ، وفى تخيرها الأعذب والأسهل . بل أضيف إلى المرحلتين الأخيرتين مرحلة ثالثة هى ماسماها « يوهان » « مبدأ تنقية اللغة » ذلك المذهب الذى أسهم فيه ابن درستويه بنصيب الأسد حينما هاله أمر اللغة وما آلت إليه ، كما سبق أن أوضحت ، واستغلال الشعوبين لذلك ، وكذلك الخلط فى ما سمى « خصائص العربية » وما دخلها حينئذ على يد الفرس وعوام الشعب ، فهب ينافخ عنها آخذا بيدها ، مهذبا ، كما تشذب الشجرة لتورق وتثمر، فأزال عنها ما هو كالميت منها ، ورد كل شىء إلى أصله ، وأثبت تطورها ، ومحا عنها الوصمة التى رمتها بها الشعوبية،

(١) محاضرات عن مشكلاح تياتنا اللغوية لأمين الخولى طبعة ١٩٥٨ ص ٤١ ، ٤٢ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ .

فألف رسالته إلى نجيح الطولونى فى تفضيل العربية ، وبكتابه كتاب الكتاب فى الحفاظ على اللغة وصيانتها مما أسهم به فى مجال نقد النثر . وصنف فى إبطال الأضداد ، وإبطال الترادف فى كتابه فعل وأفعل ، ليحدد بذلك المعانى وليرجع كل لفظ إلى لغة معينة أو إلى أصله ، وألف فى إبطال الزيادة فى الكلام وغير ذلك ، وإن فقدت هذه الكتب فقد جاء منها أمثلة فى شرحه للفصيح ونقل فيه عنها لأنه كما يبدو كان آخر مؤلفاته ، ومن قبله فعَل ثعْلب فحدد ما تخطىء فيه العامة وما لا تخطىء فيه . مما صار مقياسا للصواب اللغوى فى عصره وما بعد عصره إلى غير ذلك من كتبه .

فلابن درستوريه فضل السبق فى التهذيب اللغوى عامة ، فقد قام منذ عشرة قرون تقريبا بما طالعتنا به فرنسا إبراز لغتها فى القرن السابع عشر الميلادى ، أى بعد عمل ابن درستويه بما يقرب من ثمانية قرون .

وهأنذا الآن أقوم بدراسة الخصائص اللغوية على ضوء آرائه فيها مبينا وجه الحسن والقبح فيما ترك لنا من مذاهب لغوية ونحوية فقد أعمل فكره ونظره حيث كان من النظارين كما وصف بذلك ، مع اعتبار ميزتين هامتين فى آرائه هما :

١ - تهذيب اللغة الذى لحظه الأزهرى حينما سمىّ معجمه التهذيب .

٢ - تطورها واعتبارها كائنا حيا يعتريه ما يعترى الأحياء من ضعف وقوة وحياة وموت وفقر وغنى ، كما اعتبر فيشر فى معجمه الكبير .

وإن امتد الأجل ذكرت آراءه النحوية الخاصة وما انفرد به دون النحاة ، وعرضت لجملة آرائه من خلال شرحه لفصيح ثعلب .

والله الموفق ..

( للبحث بقية )

**محمد بدوى المختون**

# من التراث اللغوى الدرعمى

# ( تسمية المسميات الحديثة بين التعريب والتوليد )

للدكتور محمد حسن عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

هذا بحث فى ( تسمية المسميات الحديثة بين التعريب والتوليد ) يصور موقف رواد التحديث فى اللغة العربية - على اختلاف أنظارهم - فى مطلع القرن العشرين ، ، وقد تمثلت أهم عناصره فى مناظرة بين فارسين من أساتذة دار العلوم ، هما الشيخ محمد الخضرى ، والشيخ أحمد الإسكندرى ، وقد جرت وقائعها فى ساحة نادى دار العلوم عام ١٩٠٨ ، وأدارها قائد محنك هو الشيخ حفنى ناصف رئيس النادى .

حقاً ، لقد دفعنى إلى كتابته ولاء لهذا المعهد العتيد الذى أتشرف بالانتساب إليه طالباً ومعلماً فى مناسبة الاحتفال بعيده المئوى ، بيد أن هذه العاطفة النبيلة التى استبدت بى قبل أن أكتبه ما لبثت أن نحيتها عنه ، ومن ثم لم يكن لها علىّ من سبيل ، لقد أردت أن يكون البحث علمياً فأعرض مجموعة المقولات والإجراءات التى تنسب إلى فرسان المناظرة وإلى اللجنة العلمية التى أنيط إليها تطبيق ما انتهت إليه من قرارات - عرضاً وصفياً أميناً ، وأن أزنها بميزان النقد الموضوعى الدقيق .

ومن الطريف أن مجموع المقولات والاحتجاجات التى جرت بين المتناظرين ما زال الجدل حولها قائماً حتى اليوم ، ومن ثم تبدو أهمية هذا البحث لأنه يضع هذه المقولات والاحتجاجات بل والإجراءات التى أعقبتها أمام الباحث المعاصر بعد اثنين وثمانين عاما ليرى فيها رأيه وليتمكن من اختبارها ومن ثم يستخلص المبادىء الحقيقية المؤثرة فى نمو العربية ووفائها بمطالب العصر ، وينحىّ العوامل التى لا دور لها فى هذا السبيل .

والبحث - على نحو أو آخر - فى تاريخ الفكر اللغوى العربى فى العصر الحديث ، ولقد تبينت عن قناعة - وهذا ما يكشف عنه الفصل الأول من البحث - أن ما قيل فى المناظرة ، وما أعقبها من أفكار كان امتداداً وإضافة لجهود علمية سبقت ، وكان أيضاً بداية لتطور لاحق كان من أظهر ثماره إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة وما انتهى إليه هذا المجمع من قرارات فى موضوع التعريب والتوسيع أو التوليد ، بيد أن حديثنا عن حركة التحديث وإطارها الفكرى كان بقدر ، لأن البحث معنى فحسب بالحوار الذى دار حول قضية التعريب فى أثناء تلك الفترة وقُبَيلها وبُعَيدها فحسب .

وقد انتهى الحوار إلى قرار لو أعيد النظر فيه فى يومنا هذا لأُثبِت كما كان دون تغيير ،

فليس ثمة تعارض بين التعريب والتوسيع ما دمنا متفقين على إيثار التوسيع ابتداء ، واللجوء إلى التعريب عند الحاجة ، وليس ثمة تعارض ( أو جدلية ) بين المجددين والمحافظين - فى هذه القضية - ما دمنا متفقين على أن تواكب العربية حركة التحديث فى المجتمع العربى ، وتوفى بمتطلبات العلوم والفنون والصنائع .

أما الخلاف فى الإطار وفى مدى التحديث فخلاف نافع يوضح الطريق ويصحح الرؤية ، وما ينبغى بحال أن يوقف المسير .

بيد أن إجراءات أو تطبيقات القرار كانت - فى الحقيقة - جوهر القضية أو قل كانت موطن العلة - وما زالت ، لقد كانت نتائج اللجنة العلمية فى اقتراح مرادف للعامى والدخيل متواضعة إن لم تكن هزيلة ، وقد كان لذلك أسباب ألمحنا إلى بعضها فى الفصل الثالث من هذا البحث ، بيد أن أعضاءها - وهذا من حقهم علينا - معذورون فقد اقتحموا مجالاً لا يقتصر العمل فيه وما ينبغى على اللغويين ، ولم يكن بمقدورهم - وهم متطوعون بدفعهم إلى عملهم حب العربية والتعصب لها ، ومواردهم المالية من اشتراكاتهم متواضعة - أن يقوموا بعمل علمى منظم تقوم به هيئات ومؤسسات .

إن حركة التحديث فى العربية لا يقوم بها اللغويون فحسب ولا يقوم بها العلماء أو الصحافيون فحسب ، إنها حركة تقوم بها أمة تحترم هويتها وتتمسك بعروبتها ، وتعتز بتراثها ، وتتطلع إلى مستقبل يكون لها فيه دور حقيقى فى الحضارة المعاصرة ، واللغة - شئنا أم لم نشأ - هى انعكاس لهذه الحركة نجاحاً أو إخفاقاً .

ودور اللغويين فى حركة التحديث ليس هامشياً ، ولا ينبغى أن يكون كذلك ، فإن حركة تعريب العلوم مرهونة إلى حد بعيد - بما يقترحونه من إجراءات وما يبذولونه من عمل جاد فى تطويع العربية لتواكب هذه الحركة العلمية المتنامية من غير حدود ، وبما يبدونه من جرأة محمودة فى تحطيم الحواجز اللغوية التى تعوق تلك الحركة .

هذا درس من الماضى استخلصناه من تلك المناظرة الشهيرة ، فهل ننتفع به حقاً ؟ وهل نقوم بدورنا ؟ هذا هو التحدى .

**وبالله التوفيق .**

كيف كان موقف العرب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ومطلع النصف الأول من القرن العشرين من الحضارة الغربية الوافدة التى أصبحت آنذاك تحيط بهم من كل مكان وتتغلغل فى كل شئونهم وتشكل - أرادوا أم لم يريدوا - مظاهر حياتهم .

هل يأخذونها كما وفدت إليهم ويستبدلوا بثقافة الآباء والأجداد تلك الثقافة الجديدة التى لم تكن من صنعهم أو لم يسهموا فيها بدور ؟ لقد اعتقد ناس أن هذا هو الطريق الصحيح . أم يمتنعوا عليها ويعكفوا على ثقافتهم البعيدة الجذور والتى هى - بالقياس إلى تلك الحضارة الوافدة متخلفة فى أكثر جوانبها ؟ لقد اعتقد ناس آخرون أن هذا هو الطريق الصحيح ، أم يختطون لأنفسهم طريقاً جديدة تحتفظ لهم بثقافتهم الخاصة النابعة من هويتهم والتى هى موضع فخارهم وعزتهم ، وتمكنهم من الانتفاع بثمرات هذه الحضارة الوافدة فى علومها وفنونها ومستحدثاتها فى الصناعة والزراعة والتجارة وإعداد الجيوش ... الخ . لقد اعتقد ناس أيضا أن هذا هو الطريق الصحيح . ولقد أكدت حركة التاريخ أن هذا الموقف - كان على نحو أوآخر- هو الاختيار الصحيح الذى يلائم تلك الحركة . لقد أريد لدار العلوم ولغيرها من المؤسسات العلمية التى أنشئت آنذاك أن تعبر عن هذا الموقف وتمضى بالأمة فى هذه الطريق ، وكانت مناهج الدراسة بها إبان نشأتها تصور هذا الموقف وتعمل من أجل تلك الغاية .

واللغة تعكس فى ألفاظها خاصة ثقافة الأمة التى تتكلمها وموقفها من أنماط هذه الثقافة ومفرداتها ، ومن ثم لم يكن غريباً أن تنعكس هذه المواقف فى اللغة العربية فى هذا العصر . وأن يكون موقف العلماء والأدباء والصحافيين من قضية التعريب كموقفهم من الحضارة الغربية ، فمنهم من دعا إلى التعريب من غير تثريب ، ومنهم من عاداه من غير موجب ، ومنهم من فتح له طريقاً ووضع لسعيه فيها قيوداً .

كانت المناظرة بين الشيخ محمد الخضرى ( وهو من أنصار التعريب ) والشيخ أحمد الإسكندرى ( وهو من أعدائه ) - على نحو من الأنحاء - شكلاً من أشكال الصراع بين موقفين فكريين مختلفين من الحضارة الغربية الوافدة بعامة ، ومن آثارها اللغوية بخاصة ، ولكن الإنصاف يقتضينا أن نقول إنها لم تكن صراعاً بين طرفين متناقضين أحدهما يمثل الغاية فى التحديث والآخر يمثل الغاية فى المحافظة بل كانت بين طرفين يمثل كل منهما الاعتدال فى التحديث أو المحافظة .

إن مسافة الخلف بين الموقعين لم تكن واسعة بحيث لا يتلاقى طرفاها عند حد من الحدود ،

ولهذا نجح الشيخ حفنى ناصف رئيس نادى دار العلوم فى أن يخرج من هذه المناظرة بقرار جامع حكيم ظلت له مشروعيته ومصداقيته حتى يومنا هذا ، وحق له أن يزهو بهذا العمل ، ويقول فى نهاية خطبته : هذا هو الخلاف الطويل العريض ، ضيق البحث حلقاته رويداً رويداً حتى تضاءل ، وانتهى إلى تقدير النظر إلى الكلمة المُجْتَلَبة واستقبالها إما بالترحيب أو بالتقطيب[1] .

وقد ساعد على تضييق مسافة الخلف بين الموقفين أن الشيخين كانا يمتاحان من معين ثقافى واحد ، فقد تلقيا علومهما - بعد أن حفظا القرآن واستظهرا علوم العربية والدين - فى دار العلوم ذلك المعهد العلمى الحديث ، الذى يختلف فى هدفه وفى مناهجه عن الأزهر الشريف ذلك المعهد العلمى العتيد الذى كان يدرس العلوم القديمة بطريقة تقليدية .

أنشئت دار العلوم لتخرج جيلاً من المدرسين الأكفاء يجمع بين علوم القدماء وعلوم المحدثين ويتوفر لديهم كذلك حظ من العلوم التربوية يعينهم على أداء مهمتهم .

كانت دار العلوم تدرس لطلابها آنذاك الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعى والحساب والهندسة والجبر والعلوم التربوية بالإضافة إلى العلوم العربية والإسلامية . ولم يكن غريباً آنذاك أن يجلس طلابها بعمائمهم بين طلاب مدرسة الطب « ليشاهدوا كيفية التحضيرات الكيميائية والأجهزة العضوية الحقيقية أو المثالية ، ويمرنوا على التطبيقات العلمية على يد معلمى هذه المدرسة »[2] .

هذه ترجمة قصيرة لفارسى المناظرة ولقائدها المحنك .

## الشيخ محمد الخضرى :

ولد عام ١٨٧٢ لعالم من علماء الأزهر هو الشيخ عفيفى الباجورى ، حفظ القرآن الكريم فى الكُتّاب ، ثم غادره إلى الأزهر ، فأقام فيه سبع سنوات تلقى فى أثنائها علومه من النحو والفقه والتفسير والحديث والبلاغة . . . ثم التحق بدار العلوم ١٨٩١ ، وأنهى دراسته بها عام ١٨٩٥ ، ثم زاول التعليم بمدارس مصر والسودان ، وفى عام ١٩٠٧ عين أستاذاً بمدرسة القضاء الشرعى ، وظل بها حتى عام ١٩٢٠ ، ثم عين مفتشاً بوزارة المعارف ، واستمر بها إلى أن توفاه الله فى عام ١٩٢٧ م .

وهو عالم جليل ومؤلف مدقق ، كتب فى السيرة والتاريخ ، وفى التشريع الإسلامى وهو أيضاً خطيب مصقع كانت الجمعيات تتسابق إلى دعوته ليخطب فيها [3] .

## الشيخ أحمد الإسكندرى :

ولد بالإسكندرية عام ١٨٧٥ ، وحفظ بها

القــرآن ، ثم التــحق بالأزهر ، وتلقى على مشايخه علومـه من النحو والفقـه ... الخ ثم انتقل إلى دار العلوم فتخرج منها عام ١٨٩٨ ، وتلقى بها العلوم الحديثة من الطبيعة والكيمياء ... الخ بالإضافة إلى علوم العربيـة والدين الإسلامى ، عمل فترة بالمدارس الأميرية ، وفى عام ١٩٠٧ عين مدرساً بدار العلوم ، ثم انتقل منها إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٣٤ أستاذاً للأدب العربى ، وقد شارك الشيخ فى مؤتمر المستشرقين عام ١٩١١ ببحث عن ( اللهجات العامية ) .

وهو من الرعيل الأول المؤسس لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وكان له فيه نشاط ملحوظ .. وقد أعطى الجانب الأكبر من اهتمامه للغة العربية والدفاع عنها . وكان من أشد خريجى الدار تعصباً لها ودفاعاً عنها حتى إنه اتهم بالمانوية كلٌ من يتهاون بشأنها ، وكان - كما قال عنه الأمير مصطفى الشهابى - عدواً أزرق للتعريب .. وكان يسعى - رحمة الله - إلى وضع خطة لتطهير لغة التدريس والتأليف من أدران العجمة فى التعليمين الابتدائى والثانوى ، وقدم فى سبيل ذلك نموذجاً مصغراً لمصطلحات الكيمياء باللغة العربية ... بيد أن محاولته لم يقدر لها النجاح ، « إذ من الصعب أن يعمل بها » كما يقول الشهابى [٤] .

## الشيخ حفنى ناصف :

ولد عام ١٨٥٥ ، وقد قضى فى دار العلوم الفترة من فبراير ١٨٧٩ إلى ديسمبر ١٨٨٢ وفى أثنائها كانت الثورة العرابية ، فانتظم فى سلك المتطوعين فيها ، ثم اشتغل فترة بالتعليم ، ثم عين عام ١٨٨٥ سكرتيرا لشفيق منصور بالنيابة العمومية ، فاستعان به فى تحرير كتبه ، وقد ندب لحضور مؤتمر المستشرقين فى( فينا ) مع الشيخ حمزة فتح الله ، وفيه قدم بحثه ( مميزات لغات العرب ) وفى عام ١٨٨٧ نقل إلى مدرسة الحقوق ودرس بها مدة خمس سنوات ، ثم عمل لمدة عشرين عاماً فى القضاء الأهلى .... وكان فى أثناء تلك الفترة يعمل مع غيره من رواد النهضة فى إنشاء ( الجامعة المصرية ) فكان رئيس مجلس إدارتها الأول . وبعد إنشائها عمل بها أستاذاً بكلية الآداب ، ثم أصبح مفتشاً للغة العربية بوزارة المعارف ، وظل بها حتى عام ١٩١٥ ، وقد توفاه الله عام ١٩١٩ وكان رحمه الله مشاركاً فى النشاط العلمى والأدبى فى المؤسسات والهيئات المعنية بهما فى هذه الفترة ، فكان عضواً فى مجمع البكرى ، ووكيلاً لجمعية الاعتدال ورئيساً لنادى دار العلوم ، وكان آنذاك يكتب فى الصحف والمجلات [٥] .

## حركة التحديث بين التعريب والتوسيع ( التوليد )

### أ - فى الترجمة :

ظهرت الحاجة إلى إيجاد ألفاظ عربية للمسميات الحديثة حين استقرت الحملة الفرنسية على مصر ، ورغب قوادها فى الاتصال بالمصريين ، فاستعانوا ببعض المغاربة والسوريين وبعض علمائهم لينقلوا إليهم أوامرهم ومنشوراتهم ، وكان ذلك بداية ما عرف بالترجمة الرسمية ، ولكن تأليف المجمع العلمى كان بداية ما يسمى بالترجمة العلمية ، فقد قام هؤلاء العلماء بترجمة بعض رسائلهم العلمية إلى العربية ، وكان هذا بداية لظهور مشكلة التعريب فى المجال التطبيقى فى مصر الحديثة[٦] .

ولكن حركة الترجمة التى بدأت فى عهد محمد على واستمرت فى عهد إسماعيل جعلت الحاجة إلى إيجاد هذه الألفاظ أمَسّ بانتشار الكتب المعربة وبظهور مشكلات أمام المُعَرِّبين . ولكن المشكلة ظلت فى هذه الأثناء قائمة فحسب فى المجال التطبيقى فلم يكن الحديث عنها إلا ملاحظات فى مقدمات الكتب المترجمة عن العقبات التى يواجهها المُعرِّبون وعن اجتهادهم فى حلها .

وكان منهج رفاعة وتلامذته فيما أوكِل إليهم تعريبُه أن يوجدوا ألفاظا ومصطلحات تقابل الألفاظ والمصطلحات الأوربية ... وكانوا إذا عجزوا عن العثور على لفظ عربى يؤدى المعنى المطلوب أو يقابل اللفظ الأوربى نقلوا اللفظ أو المصطلح الجديد كما هو ورسموه بحروف عربية .. وشفعوا هذا كله بتفسير المصطلح الجديد أو تعريفه[٧] .

### ب - فى البحث والتنظير :

وكان أحمد فارس الشدياق أول من تحدث عن هذه المشكلة وألم بجوانبها حين نشر فى الجوائب عام ١٨٧٠ تقريباً مقالته ( فى محاسن اللغة ) .

كان الشدياق يرى أن مفردات العربية غير تامة بالنظر إلى ما استحدثه الإفرنج من الفنون والصنائع ويقرر بوضوح أنه لا عيب فى أن تعرب بعض أسمائها ، ولكن العيب كله أن نستعير هذه الأسماء مع قدرتنا على صوغها من لغتنا ، وفى ذلك يقول : فما الحاجة إلى أن نقول ( فبريقة ) أو ( كارخانة ) ، ولا نقول ( معمل ) أو ( مصنع ) ، أو نقول( بيمارستان ) ولا نقول ( مَأْمَر ) ؟

ثم يوجه أنظار الكتاب إلى كيفية الاستفادة من خصائص العربية فى التعبير عن هذه

المستحدثات ، كاستعمال اسم المكان والآلة والنحت ، وكانت دعوته إلى الاستفادة من النحت فى صوغ الألفاظ أول دعوة إلى هذه الطريقة فيما أظن ، وقد كانت قائمة على أساس المقابلة بين العربية واللغات الأفرنجية ، يقول - بعد أن لخص أقوال اللغويين القدماء فيه - « وكيفما كان فإن النحت طريقة حسنة تكثر بها مواد اللغة ، وتتسع أساليبها ، ولها نظير فى اللغة اليونانية وسائر اللغات الأفرنجية ، وهى التى كثَّرت مواد لغتهم » .

وكانت دعوته إلى توليد الألفاظ العربية واضحة ، بل كان يلومنا على تقصيرنا فى ذلك فكيف نرث لغة العرب ، ونشاهد أمور الحياة المستحدثة ، ولا نتنبه إلى وضع أسماء لها على النسق الذى ألفته العرب وهو الاختصار والإيجاز يقول : « أفيظن أحد أن لفظة ( المشير ) و ( المدير ) و ( مجلس الشورى ) لا ينبغى أن تعد من الألفاظ العربية لأنها لم تكن معروفة للدولة العباسية ؟ »

وينهى الشدياق مقالته الطريفة برجاء إلى كتاب ( روضة المدارس ) ولا سيما العالم الشهير عزلتو رفاعة بك أن يريحونا من الألفاظ العجمية أراحهم الله ، وأغناهم من التعريب الذى هو أشدُّ عذاب على من عاناه [٨] .

وفى هذا المجال نذكر بالفضل اللغوى الثبت والمجدد الأصيل إبراهيم اليازجى ونذكر مقالته الرائدة التى نشرها عام ١٨٩٧ فى مجلته ( البيان ) بعنوان ( اللغة والعصر ) فهى رؤية نافذة شاملة واعدة إلى اللغة العربية ودورها فى تحديث المجتمع العربى ومواكبتها لتطوره .

فى مستهل مقالته يتحدث عما يشعر به الكتاب والمعربون بما صارت إليه اللغة العربية من التقصير بخدمة أصحابها ، والعقم بحاجات أهلها وبما يجدونه من مشقة عند التعبير عن مذاهب الحضارة ومستحدثاتها . بل إنه وجه الأنظار إلى عجزها فى مواجهة المخترعات العلمية والصناعية والمكتشفات الطبيعية والكيماوية والفنون العقلية واليدوية ، وما لكل ذلك من الأوضاع والحدود والمصطلحات .

ثم بين أن المعجم العربى القديم لا يفى بحاجة الأمة العربية فى حياتها العصرية لأنه لا يصور أحوالها ولا يمثل حياتها ، ثم يضعنا أمام أسباب هذا القصور بقوله : إن ما أدرك الأمة من ذلك وارد من قبل الأمة وتخلفها فى حلبة الحضارة والمدنية ، إذ اللغة بأهلها .

ثم يتحدث عن شىء من تاريخ العربية ،

ويعطى أمثلة لامتيازها ووفائها بالمراد منها فى عصور نهضة الأمة وتقدمها ، ثم يقدم أمثلة أخرى من تقصيرها حين ضعف العرب وذهبت حضارتهم[٩] .

ثم يتحدث عن الوضع اللغوى ، وكيف يكون ، وما ينبغى أن يتوفر فى الواضع من شروط ثم يعرض لبعض ما اقترحه مجمع البكرى من ألفاظ وينقد بعضها ، وينهى نقده لها بأن المجمع المذكور لم يؤد الغرض من إنشائه ، ومع ذلك فهو يتطلع إلى الأمة المصرية فى أن تقوم بدور كبير فى إحياء العربية مبيناً أن اللغة هى الجامع العظيم بين الشعوب العربية[١٠] .

ونظرته إلى اللغة ودورها فى المجتمع تبنى على مبدأ لغوى لاخلاف عليه وهو أن اللغة ملك لأصحابها وعبارة عنهم . ثم إنه بعد ذلك يفصل القول فى طرق الوضع وهى عنده ثلاثة : الارتجال و الاشتقاق والمجاز[١١] بيد أنه لا يرتضى الطريق الأول فقد استوفى العرب مادة لغتهم ولم يبق سبيل إلى ابتداع مادة جديدة . أما الاشتقاق فهو أفضل طريق لتكثير مادة اللغة ووفائها بأغراضها ، وقد تكلم فى كثير من الصيغ ، وناقش مدلولاتها الصرفية ، وكيف يمكن الاستفادة منها فى صوغ مصطلحات العلوم وألفاظ الحضارة[١٢] .

أما المجاز فقد أفرد له بحثاً مستقلاً نشره فى مجلته ( الضياء ) عام ١٩٠٢ - ١٩٠٣ .

وفى عام ١٩٠٠ كتب اليازجى مقالاً ضافياً فى ( الضياء ) عن ( التعريب ) أوضح فيه المشكلة التى تواجه العرب حين يريدون التعبير عما يتوالى عليهم من المخترعات والمكتشفات ، ونبه إلى خطورة الاكتفاء باستعمال الألفاظ الدخيلة ، وأوجب علينا أن نسن طريقة يمكن بها وضع ألفاظ لهذه المستحدثات أو سبك ألفاظها فى قالب عربى لا تتشوه به هذه اللغة(١٣) ثم يرسل القول فى بعض المباحث التأصيلية فيعرف التعريب ، ويذكر خلاف النحاة فيه ، ويبين الطريقة التى نعرف بها عُجْمَةَ الاسم ، ثم يذكر أن التعريب يختص بأسماء الأجناس ، لأن نقل الأعلام من لغاتها إلى لغتنا ليس تعريباً ، ثم يستخلص مما قاله القدماء طريقتهم فى التعبير عن الكلمة المعربة بأصواتها[١٤] .

ويذكر أيضا كيف كانت العرب تغير فى صيغة ما تُعَرِّب بالإبدال أو الحذف أو غيرهما ، ثم يميل إلى بعض المشكلات الخاصة بتعريب بعض الأسماء المستخدمة حديثاً مثل كنتراتو وقنصلاتو ... الخ[١٥] .

ثم يجمع أطراف القول فى الموضوع الرئيسى وهو تعريب أسماء الأجناس من الجواهر والمصنوعات ، ويتحدث فى دور العرف فى سيرورة الكلمات ، وفى التعريف بمعنى الترجمة مرجحاً أن هذا النوع لا يتعين فيه أن يعرب اللفظ الموضوع له بمرادفه ، بل يكفى فيه أن يعبر عنه بما يدل عليه ويُصْطَلح ، ثم يذكر الطريق إلى ذلك بالاشتقاق أو المجاز[١٦] وينهى بحثه بجدول من ثلاث صفحات يثبت فيه أشهر الألفاظ التى عربها كتاب العصر ، وما عربه هو(١٧) .

والمقال دراسة مستوعبة لأقوال القدماء من مصادرها الموثقة ، ونظرة نافذة إلى طبيعة اللغة ودورها فى المجتمع ، ورؤية جديدة لمشكلة العربية فى العصر الحديث وللطريق الذى ينبغى أن تسلكه لتواكب الحياة العصرية .

* * * *

دفع إنشاء مجمع البكرى ونشر قرارته فى الألفاظ التى ترادف العامى والدخيل فى الصحف اليومية والمجلات عدداً من الأدباء والكتاب أن يناقشوا المجمع فيما اقترحه ، بل أثار كثيراً من القراء إلى أن يكتبوا إلى أصحاب هذه الصحف بآرائهم أو برغبتهم فى أن يستوفى محرروها هذه المباحث .

وكان جورجى زيدان فارس هذا الموضوع فقد كتب فى مجلته ( الهلال ) ١٨٩٣ مقالين طويلين عن ( المجمع اللغوى ) نقد فيهما ما انتهى إليه مجمع البكرى من قرارات ، وفصل القول فى بعض الأصول المعتبرة عند الاصطلاح مثل مطابقة الأصل عند الاختيار من قديم اللغة ، وبهذا الأصل رد بعض الألفاظ المقترحة واستبدل بها غيرها مما اقترحه ، وأبان عن موقفه من إحياء هذا القديم ، وكان من رأيه أنه من العبث محاولة إماتة العامى الجديد وإحياء الداثر القديم ، لأن فى ذلك مخالفة لنواميس الطبيعة ، وأولى من ذلك - عنده - أن نفعل كما فعل الأقدمون حين استحدثوا ألفاظا لما جَدّ عندهم من مسميات أو حين أقروا على استعمال بعض الألفاظ المستحدثة(١٨) .

ثم أوضح اعتداده بمبدأ الاستعمال ، فالكلمة المستعملة الشائعة أولى من غيرها بالإقرار ، أما الكلمات الغريبة مثل ( مِرَب ) للكلوب فلاتخلو من تكلف لعدم شيوعها .

وفى نهاية المقال الثانى وضع أمام المجمع اللغوى صورة للمادة اللغوية التى ينبغى أن يبحث فيها ، وهى قسمان : أعجمية دخيلة

وعامية مستحدثة ، ثم يتكلم عن القسم الأول وما يدخل تحته من الاصطلاحات الصناعية والعلمية والإدارية ، ويقدم أمثلة للدخيل فى كل مجال منها ، ويدعوا إلى استبداله بألفاظ عربية توفى بمعناه[٢٠] .

ثم يتكلم فى القسم الثانى ويدخل تحته ما يستعمله العامة من ألفاظ وما يجرى على ألسنتهم من أمثال .

وقد أغراه البحث بإشباع القول فى الموضوع فكتب مقالاً مطولاً بعنوان : ( تاريخ اللغة العربية والألفاظ المولدة والدخيلة فيها ) وكانت هذه المقالات أصل الكتاب الذى نشر بعنوان ( اللغة العربية كائن حى )[٢١] .

وفى أثناء المناظرة كتب أحد القراء إلى زيدان يطلب إليه أن يبين الفرق بين الترجمة والتعريب وأيهما أفضل للغة العربية .

بدأ زيدان مقالته ببيان الفرق بينهما بقوله : الترجمة هى تفسير معانى لألفاظ من لسان بألفاظ من لسان آخر ، والتعريب هو نقل لفظ أعجمى من صيغته الأعجمية إلى صيغة عربية ، ثم عرض لجهود علماء العربية فى التعريب والترجمة ، وأوضح اتجاهاتهم فى الترجمة حرفية أو معنوية ، ثم بين موقف نَقَلَه العلم فى العصر الحديث من تفضيل الترجمة المعنوية ، والمشكلات الناتجة عن تفضيلهم إياها من وجوب إيجاد مصطلحات عربية فى العلوم الطبية والطبيعية والاجتماعية والسياسية[٢٢] .

وزيدان يفضل الترجمة على التعريب صيانة للغة من العجمة ، ولكن قيام حركة فعالة للترجمة يتطلب إيجاد ألفاظ عربية سهلة ترادف الألفاظ الأجنبية فإن لم نجد لفظاً واحداً وقعنا فى محظور وهو لا يرتاح إلى ترجمة اللفظ الإفرنجى الواحد بلفظين أو أكثر ، ويرى أن تعريبه أفضل من ترجمته[٢٣] .

وقد رد الشيخ الإسكندرى على هذه الشبهة من كلام زيدان ، كما سنتبين فيما بعد .

وزيدان لا يرى فى التعريب عاراً أو حطة ، بل هو أمر طبيعى يغذو اللغة وينميها ، ثم يستشهد بشواهد من تاريخ العربية على تمثلها للألفاظ الأعجمية واستعمالها فى أبلغ نصوصها من القرآن والسنة بل إنه يرى أن الحركة العلمية الرائدة فى عصر بنى العباس كان روادها يعربون بلا حرج أو خوف[٢٤] .

ثم يتابع نظراته التاريخية فيتحدث عن الأعجمى فى عصور الانحطاط ثم فى العصر الحديث ، وهنا يقف مفصلاً الحديث عن الألفاظ

الدخيلة فى العصر الحديث مستشهداً بعشرات من الأمثلة ويقول معلقاً عليها : « فهذه وأمثالها من الألفاظ الأعجمية دخلت اللغة العربية عملاً بناموس الارتقاء والنمو كما يصيب سائر لغات العالم »(٢٥) .

وهو لا يقول بتفضيل التعريب على إطلاقه « لا نقول بمنع الترجمة على الإطلاق ولكننا نقول بحل قيود التقليد وإزالة الخوف السائد على بعض العقول من الدخيل بكل معانيه ... فإذا عرضت لنا لفظة ووجدنا ترجمتها سهلة على الفهم والنطق ترجمناها إلى لساننا وإلا فتعريبها أولى »(٢٦) .

وينهى مقالته بالرد على من قال إن التساهل فى إدخال الألفاظ الأعجمية يئول إلى كثرة المترادفات . يقول : لا نرى بأساً من زيادتها فإنها تدل على الارتقاء وذلك طبيعى فى اللغة ، والمترادفات تكثر فى الجهة التى تمس حاجة الناس إليها حسب العصور ... على أن المترادفات لا تخلو من فروق بين معانيها تزيد اللغة اقتداراً على تأدية المعانى الدقيقة وأظلالها الضعيفة »(٢٧) .

### جـ : فى صناعة المعاجم الحديثة :

كان لطبع المعاجم القديمة وانتشارها بين أيدى العلماء وتتناولهم إياها بالنقد والموازنة ودعوتهم إلى تأليف معجم حديث أثر حميد فى إيقاظ همم اللغويين والأدباء فنهض فريق منهم إلى تأليف معجم حديث راعوا فيه أن يكون سهلاً فى مراجعته موجزاً فى عبارته واسعاً فى مفرداته ، وكانت هذه المعاجم فى أول أمرها معتمدة على المعاجم القديمة ، فجعل مادتها منها ، كان هذا شأن ( محيط المحيط ) لبطرس البستانى الذى أخرجته المطابع عام ١٨٦٩ ، وقد التزم فيه عبارة القاموس المحيط مع شىء من التصرف والتهذيب إلا أنه رتبه على حروف الهجاء بحسب أوائل الكلمات ، و( أقرب الموارد ) لسعيد الشرتونى الذى أخرجته المطابع عام ١٨٩٠ وقد استخلص مادته من أمهات المعاجم ، وإن كانت عبارة القاموس فيه أغلب ، مع دقة فى التهذيب وسلامة فى الترتيب بحسب أوائل الكلمات(٢٨) .

كان هذان المعجمان الراندان أمام الباحثين فى مصر فى تلك الفترة ، ولا شك فى أنهم كانوا يرجعون إليهما ، ولكنى أعتقد أن الدراعمة لم يستفيدوا منهما فى أعمال لجنتهم العلمية التى عنيت بالبحث فى مرادف فصيح للعامى والدخيل ، ولم يكن هذا من همّ البستانى أو

الشرتونى . ولكن أكاد أجزم بأن أعضاء هذه اللجنة قد رجعوا إلى معجم رشيد عطية ( الدليل إلى مرادف العاميسوالدخيل ) فقد ظهرت فى مجموعات الكلمات التى نشروها فى مجلة النادى ، بعضُ الكلمات التى اقترحها ، واجتهد فى تفسيرها قبل أن تبدأ اللجنة عملها بعشر سنوات .

يقول رشيد عطية فيما أحدثه شبان عصره من مسخ وتشويه فى مُحَيّا اللغة العربية : على أن بعض شبان العصر ، وكثيراً ماهم ، إذا شاءوا أن يجيلوا يراعا فى ميدان الطرس يشوهون محيا اللغة بما يقحمونه من الألفاظ الأعجمية ، ويزجونه من المفردات العامية ، فينتج من ذلك سقم فى العبارة وضعف فى التركب حتى إنه يخيل للقارىء أن العربية ليست كفؤاً للتعبير عن أفكار ذلك الكاتب المتفرنج من أنها أغزر اللغات مادة وأمتنها أصولاً ، وأوسعها أطرافاً وأدقها تعبيراً ... ومن ثم كان لابد للغتنا من معجم يجمع تلك الألفاظ الدخيلة مع ما يرادفها من الألفاظ العربية الفصيحة ، لكيلا يعود للكاتب العربى عذر ، ولا يبقى على أرباب اللغة وذر " .

ثم يتحدث عن منهجه فى تأليف هذا المعجم قائلاً : ألفت هذا المعجم ... وضمنته الألفاظ الدخيلة الأكثر شيوعاً بين الكتبة مع ما يرادفها من العربى الفصيح ، وجمعت فيه أيضاً معظم الألفاظ العامية ، ورددت ما كان مأخوذاً عن أصل إلى أصله ، وما كان مبتكراً من العامة وضعت له ما يرادفه من الفصيح ... كما أننى أبدلت بعض الكلمات المولدة والمحدثة بكلمات فصيحة نطقت بها العرب مستنداً فى كل ذلك على معجمات اللغة من قديمة وحديثة ومورداً أقوال أشهر الأئمة[٢٩] .

وقد ظهرت فى وقت معاصر لمعجم رشيد عطية - رسالة ألفها حسن توفيق العدل ، وهو من شيوخ الدار النابهين أسماها ( أصول الكلمات العامية ) يقول عنها : كنت - أيام عهد إلىّ بتدريس اللهجة العربية المصرية بالمدرسة الشرقية ببرلين - أحد الكلمات التى نلهج بها إما عربية محضة ، ولكن اعترى الكثيرَ منها القلبُ والإبدالُ والتصحيف والتحريف ، أو غير عربية وهى التى تناولها العربى من أفواه القبط منذ فتح البلاد على يد العرب ... وقد انعقدت عزيمته على إرجاع هذه الألفاظ إلى أصولها سواء العربى منها والدخيل » .

وقد بدأ عمله فى تحقيق هذه الغاية بهذه الرسالة بحيث كانت جامعة لأصول مائة كلمة مرتبة على حروف المعجم . وكانت نيته معقودة على إتباعها بوسائل أخرى » حتى يجتمع له منها معجم كبير يقوم اللسان ويقيم البيان(٣٠) بيد أنه - وبكل أسف - لم ينشر غيرها .

## المناظرة :

تألف نادى دار العلوم عام ١٩٠٧ من خريجى الدار المشتغلين بالعلم والتعليم ، وقد استقر رأى المنتسبين إليه على أن يبدءوا بتطهير اللغة العربية من أدران العجمة الفاشية فيها ، وأن يبحثوا عن كلمات تستعمل بدل الكلمات الأجنبية التى هاجمت العربية من كل ناحية . بيد أنه قد خرج من بينهم من لا يرى مانعاً من الإبقاء على الأسماء الأعجمية واستعمالها فى فصيح الكلام . ومن ثم أصبح أعضاء النادى فريقين :

فريقاً يدعو إلى التخلص من المعرّبات ، وإلى التوسع فى استعمال الأسماء العربية لتحل محلها ، وفريقاً يدعو إلى التعريب ، ولا يرى مانعاً من استعماله . وكان على أعضاء النادى قبل أن يشرعوا فى العمل - أن يفصلوا فى هذه المنازعات التى قد تعترض العاملين وتعوق سيرهم ، وقد فعلوا فوضعوا هذا الخلاف موضع البحث ، ومن ثم كان هذا اللقاء بين الشيخ محمد الخضرى والشيخ أحمد الإسكندرى .

وكان اللقاء - كما يقول حفنى ناصف رئيس النادى - : كأنه حومة جلاد لا جدال ، وميدان قتال لا مقال(٣١) .

وقد حضر هذا اللقاء ، واشترك فى التعليق عليه ، جماعة من أهل الفضل والعلم منهم : أحمد فتحى زغلول وكيل الحقانية ، وأحمد زكى سكرتير مجلس النظار ، وحبيب غزالة من المشتغلين بالعلوم بوزارة الصحة ، وغيرهم من أعلام الدار ، وسنشير إلى كلماتهم فيما بعد(٣٢) .

وقد جمع حفنى ناصف هذه المقالات فى كتاب إلا شذرات ارتجلها بعض المتحدثين ونشرها عام ١٩٠٨ بعنوان ( مجموعة الخطب التى ألقيت فى حفلة نادى دار العلوم فى موضوع تسمية المسميات الحديثة ) .

وعلى أساس ما انتهت إليه هذه المناظرة من أصول وقواعد تألفت لجنة علمية كانت تعرض مقترحاتها على جمهور العلماء فى صحيفة النادى . ولما اجتمع منها جملة صالحة جمعتها فى عدد واحد ورتبتها ألفبائياً ، ونشرتها فى

العدد الثانى من السنة الثالثة عام ١٩١١ م .

## ( خطبة الشيخ لخضرى )

## نهضة العربية فى العصر الحديث

بدأ الشيخ محمد الخضرى المدرس بمدرسة القضاء الشرعى خطبته أولاً ، فتحدث عن نهضة اللغة العربية فى العصر الحديث حين بدأت نهضة العرب فى عهد محمد على ، لقد قام رفاعة وتلامذته بالدور الأول فى هذه المرحلة فقد كتبوا وترجموا كثيراً أبقته الأيام دليلاً على إخلاصهم ثم على مقدرتهم واستعدادهم ، ولم يتركوا فناً من الفنون المحدثة إلا كتبوا فيه ترجمة أو من عند أنفسهم ، وقد قام الشيخ محمد عبده وتلامذته وبعض النابهين السوريين بالدور الثانى حيث عهد إليه إصلاح الوقائع المصرية والإشراف على ما يكتبه أرباب الدواوين فى محاوراتهم ، فكان ذلك مُنَبِّهاً لهم أن يعتنوا بما يكتبون وتعلم ما يجهلون . ثم جاء الدور الثالث فى عهد وزير المعارف آنذاك سعد زغلول .

## أهداف النهضة

وتلك النهضة فى أدوارها الثلاثة كانت تسعى إلى أن تكون العربية لغة تعليم وتَعَلُّم وكتابة وتكلم . بيد أن هذا المطلوب – كما يقول الشيخ الخضرى « عزيز المنال وعر المسلك لابد للوصول إليه من عزيمة صادقة يقودها العقل الصحيح لتهيئة الطريق حتى لا تلتوى علينا المقاصد»[٣٣] .

## عقبات فى طريق النهضة

وفى الطريق عقبات كثيرة لابد أن نقدرها قدرها حتى يمكن تذليلها ، من هذه العقبات « تسمية المسميات الحديثة » وفى هذه العقبة يقول :

« بيننا مُحْدَثات كثيرة تصل بلادنا على أيدى المخترعين ... نقف أمامها مبهوتين لا ندرى كيف نعبر عنها ولا يتفق الناس على شيء يتبعونه ، وهذا نقص عظيم يجب أن نتلافاه وأن نتفق على ما نستعمله » .

وقد صاغ الشيخ المشكلة فى سؤال . ماهى الطريقة المثلى للدلالة على المحدثات ؟ أتعريبُ ألفاظها التى يضعها لها محدثوها وصقلها حتى تكون موافقة للهجات العرب أو التوسع فى بعض الألفاظ العربية ووضعه بإزاها ؟[٣٤] .

## عودة إلى الماضى

والمشكلة ليست جديدة على العرب فقد سبق أن واجهوا هذا الموقف إبَّانَنهضتهم الشاملة فى القرون الأولى للإسلام ، ومن المفيد أن نرجع

لننظر كيف كان العرب المتقدمون يفعلون إذا عرض عليهم شيء محدث من طريق غيرهم .

## طرق الوضع

اللغة العربية - فيما وراء أسماء الأجناس - عندها من الثروة فى الأسماء الدالة على المعانى ما لاتحتاج معه إلى استعارة من غيرها ، أما أسماء الزجناس فإنها بالضرورة تتجدد بحدوث مسمياتها ، والعرب - فى مجموعهم - كانوا أهل بادية ، وحاجاتُ المُتَبَدِّى قليلة ترتبط ببيئته الصحراوية ، وحين اتصلوا بالأمم المجاورة وعرفوا بلادها وامتزجوا بثقافاتها احتاجوا إلى الإبانة عما جد فى حياتهم ، وكانت الطرق التى أمامهم ثلاثة :

لأول : الوضع الجديد ، بيد أنهم لم يُعَوِّلوا عليه كثيرا ، وليس بيننا اليوم من يقول به ، وسبب هذا أن أكثر أصول العربية قد وضع فقلما تُرَكِّب أصلاً ثلاثياً إلا وجدته ، إلا قليلاً مما استثقلته العرب .

الثانى : التوسع فى الاستعمال ، وهو المراد بالتجوز بأن يكون اللفظ قد وضع بإزاء مسمى ولمناسبة بين المسمى القديم والجديد ، فيستعمل ذلك اللفظ فى المعنى الجديد مثل كلمة ( تامور ) فإنها فى أصل اللغة القلب لأنها وعاء الدم ، ثم توسعوا فيها فجعلوها لكل وعاء .

الثالث : التعريب : وهو أن يؤخذ من المخترع للشيء المسمى اسمه بعد أن يصقلوه حتى يكون خفيفاً عليها مناسباً للهجتها (٣٥) .

## كيف كان العرب يعربون ؟

وقد اتبعت العرب قبل الإسلام هذه الطريق المعقولة فكانت تتناول الألفاظ الدالة على الأجناس من واضعيها وتلحقها بلغتها ، أخذوا ( الدينار ) و ( الدرهم ) وألحقوهما بأبنيتهم واشتقوا منهما . فقالوا : فرس مُدَنَّر ورجل مُدَرْهَم ... وأخذوا من الصناعات ( الاستبرق ) و ( الإبريق ) و ( الطَّسْت ) ... الخ . وأخذوا من النباتات النرجِس والبَنَفْسَج ... الخ إلى غير ذلك مما أحصاه نقلة اللغة .

وكانت قاعدتهم فى التعريب على جهتين :

الأولى : أن يُلحقوا الكلمة بأبنيتهم ، ومتى صارت الكلمة كذلك عُدَّت من اللغة ، وحكم عليها بما حكم على بقية الكلام فيشتقون منها ، وكان لهم فى ذلك منهج مستقيم ، فالبدل عندهم مطرد فى كل حرف ليس من حروفهم يبدل منه من الحروف الأعجمية .

الثانية : أن يبقوا الكلمة على وزنها عند الأمة ذات الشأن فى وضعها ، كما فعلوا فى

( الابْرَيْسَم ) و ( الإهْلِيلِج ) وفى كثير من الأعلام[٣٦] .

ثم جاء القرآن الكريم وهو البالغ من الفصاحة مبلغ الإعجاز ، وقد وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه لسان عربى مبين ، فاستعمل كثيراً من الألفاظ التى عربتها العرب ، وهذا إقرار من الله سبحانه وتعالى على طريقة التعريب .

أما بعد الإسلام فإن العرب حينما جدوا فى العلوم وأرادوا أن تكون اللغة العربية لغة علم كما هى لغة قوم ولغة دين ترجموا إليها كتب العلم التى وصلت إليهم من أمم الروم والفرس واتبعوا تلك الطريقة نفسها فكانوا يأخذون أسماء الأجناس كما هى ويستعملونها فى كتبهم ، وينطقون بها كأنها من لغتهم ، ووجد من ذلك شىء كثير خصوصاً فى الطب والحكمة والهندسة[٣٧] .

هذا ما فعله العرب قبل الإسلام وبعده فأى الطرق يتخذ ؟

## لماذ لا نتخذ طريق التجوز ؟

يلزم من اتباع رأى التجوز مضار أهمها أن اللغة وضعت لتدل على ما فى النفس حتى يفهم السامع تمام ما يريد ، واشتراك الألفاظ فى المعانى مما يخل بأصل المقصود ، والتجوز لابد فيه من إقامة القرائن على إرادة ما استعمل اللفظ فيه (٣٨) .

## التعريب حق للعرب المحدثين كما كان للقدماء

والشيخ الخضرى يقول بالتعريب ويجعله حقاً لنا كما كان للعرب قديماً ، ومن ثم يعترض على الذين يقصرونه على العرب قديماً ، ويقول :

« يقولون إن الحق فى التعريب إنما لأمة سلفت وبادت ، وأن ما كان يباح للأعراب فى بواديهم على قلة حاجتهم لا يباح مثله لنا فى باقى القرون المتأخرة على كثرة الحاجً » ثم يفسر موقفهم هذا بقوله : وهذا كله بنوه على قاعدة لا أساس لها ، وهى تشبيه اللغة بالدين فى التمام فكما أن الله سبحانه أتم دينه ، فكذلك العرب قد أتمت وضع لغتها ولم يبق من بعدهم من يحق له أن يضيف إليها كلمة جديدة »[٣٩] .

ثم بين وجه الفرق بين الأمرين قائلاً : لكن الفرق بين الأمرين ظاهر ، فإن الدين وضع إلاهى شرعه من له حق التشريع والإلزام ... وأتم وضعه على قواعد راسخة وأسس ثابتة ، فلم يبق لأحد مجال أن يزيد أو ينقص منها ، أما اللغة فالقصد منها الإبانة والإفصاح وهى من

وضع الأفراد تتجدد بتجدد الحاجات[٣٩] .

ومتى ثبت أن اللغة تتجدد بتجدد الحاجة ، فالمحتاج من المتمسكين بها متى علم أصولها ولهجتها له حق التعريب بالضرورة كما كان هذا الحق لسلفه[٤٠] .

## المفاضلة بين التوسع والتعريب :

وليس الطريقان ، طريق التوسع وطريق التعريب متقبلين ، ولسنا فى موقف يلزمنا أن نتخذ طريقاً منهما ، ونعرض عن الآخر ، بل مدار الأمر فى الاختيار بين أيسر الطريقين وأكثرهما فائدة ، وفى ذلك يقول :

« ومتى اتفقنا على نيل هذا الحق ( يعنى حق التعبير للحاجة ) لم يبق إلا التخيير بين سهل وأسهل ومفيد وتام الإفادة ، ولا مراء فى أن اللفظ الذى وضعه واضعه للدلالة على شيء اخترعه أسهل فى الدلالة وأتم فى الفائدة لأنه وضع بإزائه تماماً بخلاف الكلمة التى نتصيدها من موات اللغة فإنها إما أن تكون موضوعة لشيء هو أعم فنخصصها ويلزمنا إيجاد القرينة للدلالة على ما نريد فنحتاج إلى لفظ وقرينة ، وإما أن تكون مستعملة فى شيء فيه مجرد مشابهة كما بين ( الأتومبيل ) و ( السيارة ) فنحتاج لاستعمال لفظ واحد للدلالة على معنيين أو معان كثيرة ، فالسيارة استعملت للدلالة على معنى القافلة أو الركب ، فإذا قلت جاءت ( سيارة ) هل يفهمنى المخاطب بمجرد لفظى ؟ أظن لا . بل لابد مع ذلك من كلمة أخرى مبيّنة للمراد[٤١] .

## وجه المشقة فى اتخاذ طريق التوسع

إنه كالوضع الجديد سواء بسواء ، بل كالتعريب مادام الأمر مواضعة واستبداداً « إن الكلمة التى نريد اصطيادها قد وضعها واضعها بالضرورة لتدل على معنى خاص ، فإذا نحن أخذناها واستعملناها فى شيء جديد لم نكن قد جرينا على لغة العرب ، لأننا خالفنا أوضاعهم ومقاصدهم .

فهم وضعوا ( بَشَكَى ) و ( جَمَزَى ) مثلاً للناقة السريعة ، فإذا جعلنا كلمة منهما بإزاء ( الترام ) نكون بلاشك وضعنا وضعاً جديداً لم يسبقنا إليه سابق . واجتلاب مثل هذه الألفاظ بالنسبة لمحفوظ اللغة كوضع ألفاظ جديدة مؤلفة من أحرف اللغة ، فسيان فى الاعتراض على رأيهم أن نقول للترام ( بشكى ) وأن نقول له ( ترام ) لأن كلا استبداد بوضع اسم لمسمى لم يكن له وجود قبل الآن(٤٢) .

وإذا صح ذلك فلم يميل الشيخ إلى التعريب ؟

يقول : وجه الضرر فى الأول ظاهر ، كما يتضح وجه المنفعة فى الثانى ، فإننا فى الأول نجرى على خطة لا أساس لها مع وصف الخروج عن أوضاع المتقدمين ، وفى الثانى نجرى على خطة اتبعها سلفنا مع الوضاحة التامة فى الاسم والمسمى[٤٣] .

## الحكم هو الاستعمال :

وقد تنبه الشيخ الخضرى إلى أن المستعملين هم الحكم فيما يعرض عليهم من محدث اللفظ عربياً أم معرباً . يقول : نرى رجال الجرائد ، وهم الذين يرجع إليهم معظم الأمر فى الإحياء والإماتة للألفاظ قد عرض عليهم فى بعض الأوقات كثير من الألفاظ فهجروه ، واستمروا على استعمال ما وضعه الواضعون فى جرائدهم ، فلا يزالون يستعملون ( تلفون ) مع أنه ترجم لهم بكلمة ( مِسَرَّة ) ولم أرها فى جريدة من الجرائد يوماً واحداً ... وهذا اعتراف منهم أو على الأقل شعور بأن طريقة الترجمة والتوسع ضررها أكثر من نفعها وأن طريق التعريب أوضح مسلكاً[٤٤] .

## مقترحات :

وينهى الشيخ خطبته بمقترحاته التى تتلخص فى النقاط الآتية :

١ - تكوين مجمع لغوى يعهد إليه التعريب ، إذا أن استبداد الأفراد بالوضع أو التعريب مدعاة للاختلاف وهو أضر شىء باللغة .

٢ - أن ينحصر اختصاصه بأسماء الأجناس والأعلام وطريقة عمله أنه إذا جاءه مسمى حديث لم يسبق أن وضع له لفظ ، ورأى فى اللغة لفظا دالاً عليه بنفسه أطلقه عليه ، وإلا عرب الكلمة الأعجمية وصيرها موافقة لأوزان العرب سهلة على ألسنتهم ، و عمل على نشرها بوساطة الجرائد ودور العلم .

٣ - أن يكون للمجمع سجل تقيد فيه هذه الكلمات بإزاء مسمياتها موضحة بالرسوم ويكتب أمامها تاريخ وضعها[٤٥] .

## خطبة الشيخ الإسكندرى

## اللغة العربية فى العصر الحديث :

يبدأ الشيخ أحمد الإسكندرى خطبته بالحديث عن حالة اللغة العربية فى ماضيها وحاضرها ، ويحدد حالها فى يومه بقوله : : وهى اليوم تغالب عصراً من عصور بؤسها وشقائها هو أشد العصور بأساً وأصعبها مراساً ، ليس عصر غلبة أمة بل عصر غلبة الغرب على الشرق ، عصر إجلاب الغرب على الشرق بخيله ورَجْله وعدده وأساطيله ولغاته المختلفة وعلومه وفنونه

وصنائعه وكتبه وجرائده[٤٦] .

وأمر اللغات حين تدهمها مثل هذه الانقلابات العظيمة أحد حالين :

- أن تتسامح فى قبول كل ما يطرأ عليهامن لغة غيرها ، فتندمج إحداهما فى الأخرى كما كان الحال بإدماج اللغة القبطية فى العربية .

- أن تتحرز عنها وتتصرف فى استعمال ألفاظها بطرق التجوز والاشتقاق واستعمال الغريب ، وبذلك يحفظ كيانها ويعظم رصيدها من المفردات .

والعلماء فريقان فى هذا الأمر ، يقول قوم بسلوك الطريق الأولى طريق التعريب ويسمى منهم الشيخ الخضرى ويقول قوم بسلوك الطريق الثانية ، ويذكر من بينهم اسمه .

## ليس للمولدين والمحثين حق فى التعريب :

ولا ينكر الشيخ أحمد الإسكندرى أن اللغات يأخذ بعضها عن بعض ، وأن العرب قد أخذت من لغات غيرها وأن فى القرآن والحديث ألفاظًا أعجمية الأصل ، وأن جميع ذلك يسمى تعريباً ، ولكن ما ينكره ويحمل على القائلين به أن يكون للمولدين والمحدثين حق فيه يقول :

« ولكن من هم الذين يأخذون ويضعون ويعربون ويتصرفون فى اللغة العربية ؟ لا شك أنهم أهل ذلك اللسان ، وهم العرب أنفسهم، فلا حق لغيرهم فى التصرف والتعريب والاشتقاق من ألفاظ غيرهم ، ولم يقل أحد من أئمة اللغة ونقلتها الثقات بجواز إدخال الأعاجم والمولدين شيئاً من لغتهم فى العربية الفصحى وعدها منها »[٤٧] .

ثم ينقل رأى بعض الأئمة من اللغويين فيمن لهم حق التعريب ، وهى فى جملتها تنتهى إلى ما أقره الجوهرى بأن تعريب الاسم الأعجمى هو أن تتفوه به العرب على منهاجها .

ثم يبين من هم العرب بقوله : إن العرب الذين يعتد بعربيتهم وينقل عنهم قولهم وكتابتهم بقوا إلى أواسط القرن الثالث من الهجرة(٤٨) ويجعل من الكلام العربى المعتد به كلام الشافعى ، وكلام الأصمعى ومعاصريه وفحول الكتاب كابن سهل والجاحظ . ثم يقول : وبانقضاء عصر هؤلاء انقضى عصر العربية الفطرية وفشت العجمة فى جميع الأمصار ، واستحالت اللغة إلى صنعة من الصناعات . . . ومن هنا لا يصح لمن خلف من هؤلاء أن يضعوا فى اللغة شيئاً جديداً ، أو يجعلوا لفظاً أعجمياً مُعَرّباً : إذ ليسوا من أهل اللسان وإنما هم حُكاة

ونقلة ... وما يقع فى كلام أهل الصناعة بعد هذه العصور البائدة ... فليس من المعرب فى شىء وما هو إلا أعجمى محض لا يصح استعماله فى كلام العرب[٤٨] .

والعرب اليوم من الأدباء والعلماء واللغويين – على ما قال الشيخ – ليس لهم أن يدخلوا كلاماً أعجمياً فى اللغة العربية ويزعموا تعريبه ؛ إذ ليس أحد من هؤلاء عربياً بالفطرة حتى يملك حق التعريب .

وبسبيل تقرير مسألته يجىء بقياس عجيب فكما لا يجوز للفرنسى أن يزيد فى اللغة اللاتينية ، لا يجوز للعربى انقراض الأعراب بأحد عشر قرناً أن يدخل فى لسانهم ما ليس منه[٤٩] فشتان ما بين العربية الفصحى التى ما تزال حية مستعملة واللاتينية التى تعد الآن ميتة مهجورة .

## مخاطر التعريب :

ثم ينبه إلى عظم القول باستعمال الألفاظ الأعجمية ويبين خطرها ويرى أن ما نحتاج إلى ترجمته من العلوم والفنون والصنائع لا يقل عن أربعين ، ولا أقل من أن يكون لكل منها خمسمائة اصطلاح ، وذلك خطب هائل يأتى بنيان اللغة من قواعده ، ويبين أنه – إن تم شىء من ذلك – لا قدر الله – لتكونن اللغة المالطية أقرب إلى العربية من لغتنا .

ثم يقدم لنا بعض الأمثلة لما يمكن أن تكون عليه العربية لو جرى الأمر على ما يريد أنصار التعريب . ومن ذلك : تَلْفَنْنَا بنك انجلوا جبسيان ليمتد بأن أحد البناكير تلغرفه بعمل برتستو علينا[٥٠] .

## احتجاجات وردود :

ثم يعرض لبعض لاحتجاجات التى يذكرها أنصار التعريب فى مجادلاتهم ويرد عليها :

### أ – ترجمة المصطلح بكلمتين أو أكثر

بعض الباحثين آثر التعريب ، لأنه أولى وأيسر فى بعض الأحوال ، فبعض المصطلحات يسهل ترجمتها بما يسهل لفظه وحفظه ، والبعض الآخر لا يترجم إلا ببضعة ألفاظ يثقل استعمالها مع مونها بالأصل الأفرنجى لفظة واحدة ، وفى ذلك يقول جورجى زيدان : فإذا ترجمنا لفظ ( فوتوجراف Photograph ) بقولنا ( تصوير الشمس ) أو ( التصوير الشمسى ) فبماذا نترجم ( تليفوتوغراف ) ؟ telephotograph ومعناها ( التصوير الشمسى عن بعد ) وإذا أردنا تصريفها فى الاستعمال قلنا : ( آلة التصوير الشمسى عن

بعد ) وهذا ( مصور التصوير الشمسى عن بعد ) ... ولا يخفى ما فى هذا من الثقل على اللسان والفهم ، والتعريب يكفينا مؤونة هذه الأثقال [٥١] .

ولا يعنى إيثار جورجى زيدان التعريب فى هذه الحالة وأشباهها أن هذه المصطلحات لا يمكن ترجمتها ، ولكنه يرى فحسب أن « ترجمتها شاقة لا تخلو من التعقيد فضلاً عن مخالفتها ناموس الاقتصاد العام ، لأن المعنى الذى يؤدى بكلمة لا يجوز تأديته بكلمتين أو أكثر » [٥١] .

وفى الرد على ما أثاره هؤلاء الباحثون يقول الشيخ الإسكندرى : إن الترجمة الحرفية ليست هى الطريقة الوحيدة لنقل اللفظ الأعجمى إلى العربية ، فإن وراءها طريقة التسمية من جديد وهذه إما أن يلاحظ فيها كل المعنى الأصلى أو بعضه أو يلاحظ شىء منه ، ألا ترى أن العرب عندما أرادوا أن يسموا علم ( التسموغرافيا ) باسم عربى سموه ( الهيئة ) مع أنهم لو أرادوا رجمته لقالوا ( رسم السماء ) ، وأن علماء الطبقات الأرضية سموا نوعاً من الصخور لم يهتدوا إلى معرفة عناصره الأصلية باسم ( الخجل ) إذ لا مناسبة بين هذا الاسم والمعنى الطبيعى ، وما المانع من تسمية ( السينمافون ) ( Cinemaphone ) بالطيف أو ( الطيف الناطق ) مثلا " [٥٢] .

## ب - عجز العربية عن التعبير عن معانى الزوائد

وبعض الكتاب يصف العربية بالجمود ؛ لأنها عاجزة عن مقابلة الزوائد أو اللواحق التى تستعملها اللغات الأجنبية للتعبير عن بعض المعانى التى تضاف إلى معانى الكلمات الأصلية ، وقد استخلص العلماء كثيرٌ من هذه الزوائد من اللغات الميتة كاليونانية واللاتينية ليتخلصوا من مشكلة الاشتراك .

والحق أن هؤلاء الكتاب - بعيداً عن لغة الاتهام وعن النوايا حَسنة أو غيرها - قد أثاروا مشكلة حقيقية تعترض أعمالهم فى الترجمة العلمية الدقيقة المقتصدة .

وقد وقع الشيخ فى مأزق ؛ لأن المشكلة لا يجدى فيها ما يمكن أن يقال فى مثل هذا الموقف الخطابى . إنها فى حاجة إلى دراسة جامعة متأنية مقارنة لا يقوم بها أفراد العلماء اللغويين بل تقوم بها الهيئات العلمية والمجامع .

ولهذا نقول إن رد الشيخ على هذا الاحتجاج كان خطابياً ، ولم يكن يملك آنذاك إلا أن يفعل ، ومع ذلك فإنه رحمه لله قد فتح أمامنا الطريق ووجهنا إليه .

إنه يرى أن عددا لا يمكن حصره من ألفاظ اللغة العربية كل منها لو أريد التعبير عنه بالتفصيل لما كفت الجمل بله الألفاظ ، وأن فى العربية صيغاً ووسائل تعبر عن تلك الزوائد ، بل إن فى غريب العربية من مستساغ الألفاظ ما يقوم مقام اليونانية واللاتينية[٥٣] .

## جـ - شيوع ستعمال العامى والدخيل

ويشير بعض الكتاب مشكلة أخرى هى أن الأسماء الجديدة معربة أو عامية ذاعت بين الناس عامتهم وخاصتهم ، ومن شبه المستحيل إرجاعهم عنها إلى ألفاظ عربية فصيحة .

ويرد الشيخ هذه الحجة بأن للعامة لغتهم ، ونحن نتكلم فى لغة الكتابة والقراءة الخاصة - على حد قوله - فلا أسهل من الأخذ بهم فى طريق الفصيح ، وإنا لنرى الكاتب فى عصرنا يأنف من كتابة ( بسكليت ) ويكتب بدلها ( دراجة ) ![٥٤] .

## الطريقة المقترحة فى ترجمة المصطلحات :

وبعد أن دفع الإسكندرى الشبهات التى أثارها أنصار التعريب ، وقد عرضنا أهمها آنفاً بدأ يشرح طريقته فى ترجمة المصطلحات الحديثة بقوله : إن هذه الكلمات لا تخلو من أن تكون أعلاماً أو أسماء أجناس ، فأما الأعلام فلا مانع من نقلها أعجمية بعد صقلها بالنطق العربى ، وأما أسماء الأجناس فإما أن تكون معرفة قديمة عند العرب ولها فى لغتها أسماء تطلق عليها أو على ما يشبهها ، وهذه يبحث عنها فى اللغة ويعاد استعمالها فى معانيها مثل كلمة قنال ( خليج أو قناة ) وأما أن تكون مجهولة لهم ، وهذه لنا فى نقلها ثلاث طرق :

١ - طريقة ترجمة اللفظ بمرادفه كترجمة ( سينما توجراف cinematograph) ، بالصور المتحركة .

٢ - طريقة الاشتقاق من الفعل الذى يُعَبِّر به عن عمل الكلمة أو وصفها ، إن كانت من ذوات العمل والصفة ، وهذه تسمية جديدة لا ترجمة مثل تسمية ( البسكليت ) بالدراجة .

٣ - طريقة التجوز حيث يراعى نوع من أنواع العلاقة كالمشابهة والسببية والمسببية ... الخ بين المعنى الجديدللكلمة والمعنى القديم . ثم يقول : إن هذه الطرق الثلاث كلها قياسية فى الاستعمال لا ينكرها أرباب العربية . وعلى هذه الطرق جرت العرب عند وضعها اصطلاحات العلوم الشرعية والأدبية والعلمية[٥٥] .

## عود إلى بدء :

وبعد أسبوعين من الخطبة التى ألقاها الشيخ الإسكندرى ألقى خطبة أخرى فى التعقيب على خطبة مناظرة الشيخ الخضرى واستكمال ما فاته من الرد على شبه مخالفيه ومن شرح طريقته فى ترجمة المصطلحات العلمية ، وأسماء المخترعات الحديثة .

وقد بدأ خطبته بالاستدلال على طريقته تلك بأنها الطريقة التى سلكها أسلافنا حين أرادوا أن يدونوا علومهم ويترجموا كتب غيرهم من الأمم ، فقد كانوا يضعون لاصطلاحات العلوم أسماء منقولة من العربية المحضة بنوع من التساهل والتجوز فى المعنيين القديم والجديد ، فوضعوا مصطلحات النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والعروض والحديث والتفسير والفقه ... الخ كما وضعوا مصطلحات العلوم التى ترجموها مثل المنطق والحكمة الإلهية والطبيعية والحساب والهندسة والفلك ... الخ وغير ذلك من العلوم على حد قوله « كلها عربية لها معان اصطلاحية » ويشير إلى المؤلفات العربية الزاخرة بهذه الاصطلاحات كالمخصص وفقه اللغة والعين والجمهرة والمفردات ... الخ(٥٦) .

بل إنه يشير إلى أن العرب لم يبتدعوا ذلك من عند أنفسهم ، بل اهتدوا بهدى القرآن الكريم فأكثر ألفاظ القرآن الدينية لم تكن تعرفها قبل الإسلام بهذه المعانى ، فقد جاء الإسلام وما تعرف العرب من معنى الصلاة إلا الدعاء ومن معنى التيمم إلا القصد ... الخ وقد يجوز – إن صح أن تدخل مثل هذه المباحث فى باب الحظر والإباحة – أن نقول : إن هذا إقرار من الله تعالى على صحة التوسع فى استعمال الألفاظ(٥٧) .

وفى موضع آخر من حديثه يجزم بأن العرب حين وضعت العلوم وترجمت الكتب واقتبست الصنائع لم ترجع فى ذلك كله إلا إلى التوسع فى استعمال ألفاظ اللغة(٥٨) .

وقد عاد الشيخ الإسكندرى للرد على شبهة جورجى زيدان من أنه لا غنى لنا عن ترجمة أسماء بعض الآلات بكلمتين أو أكثر مع أنها كلمة واحدة ، فرأى أنه لا بأس من استعمال الكلمتين إذا كانتا من صفة وموصوف أو من مضاف ومضاف إليه ، لأنهما كالشىء الواحد مثل ( القباب الطائر ) و ( المحراث البخارى ) و ( سكة الحديد ) أما ما زاد عن ثلاث فإننا لا نلتجىء إليه ، بل نسمى الكلمة التى لا تترجم

تسمية جديدة كما نسمى ( السينمافون ) ومعناها : الصور المتحركة الناطقة بالخيال الناطق .

واعترض عليه بأن ذلك يستدعى عملاً كثيراً وأزماناً طويلة ، فقال : إننى لا أريد أن أنقض هيكلاً وأبنيه فى ثلاثة أيام ، وكل عمل عظيم يستلزم صعوبة[٥٩] .

وقد حذر الشيخ من التعريب لأنه يصبغ اللغة بصبغة إفرنجية لا يتميز معها العربى من الدخيل مما يؤثر على فهمنا للقرآن الكريم وللسنة النبوية ، بل إنه سيؤدى إلى مسخ جنسيتنا العربية المميزة لنا ، والتى تصلنا بأعظم أمة فاتحة ذات دين وشريعة ومدنية عظيمة[٥٩] .

وقد رد على الشيخ الخضرى بعض ما جاء فى خطبته لا سيما ما يتصل بالاشتراك مما يخل بأصل المقصود من اللغة ، ومما يتطلب مراعاة القرينة ، وفى ذلك يقول :

لا توجد لغة فى الأرض إلا والمشترك فيها قسم مهم من أقسام اللفظ ، وبعدُ ، فأى لفظ بل جملة من الكلام تفهم بغير قرينة ؟ والقرائن فى الحقيقة لا تتناهى . ثم يضرب مثلاً لذلك بقوله : لم نر طبيباً اشتبه عليه مرض الاستسقاء بصلاة الاستسقاء[٦٠] .

## تعقيبات :

عقب على المناظرة جماعة من كبار العلماء والأدباء ، وقد أضافت تعقيباتهم إلى ما قيل فى المناظرة معلومات جديدة ونقدات مفيدة ، ونتوقف هنا عند بعض المعقبين ، وما أضافوه من جديد .

## حبيب غزالة :

تحدث حبيب زالة عن الطرق التى جرى عليها الإفرنج فى وضع أسماء محدثات العلوم والمكتشفات والمبتكرات فقال إنهما طريقان :

١ - تسمية الشىء باسم مكتشفه نحو أشعة ( رنتجن ) أو بأحد الأسماء القديمة الواردة فى أساطير الأولين نحو ( ساترون ) و ( أورانوس ) من أسماء السيارات وكانت قبلاً من أسماء المعبودات عند القدماء ، أو تسمية الشىء باسم المكان الذى وجد فيه مثل : ماء ( كارلسباد ) ... الخ .

٢ - اقتباسهم من اللغة اليونانية واللاتينية ألفاظاً ، وصوغ كلمات منها بطريق النحت تدل على المعنى المراد كما صاغوا من ( فوتو photo) ومعناها ( النور ) فى اليونانية ( فوتوغراف photograph )

و ( فوتوفون photophone ) و( فوتومتر photo - meter ) و .. الخ وصاغوا من ( phone) ومعناها ( الصوت ) ( فونوغراف phonograph) و ( فونومتر phono-meter) و ( ميكروفون microphone) .

ولما كانت ألفاظ اللغات الإفرنجية المعاصرة ترجع إلى أصول يونانية أو لاتينية لا تعد مثل تلك المصطلحات غريبة عليهم ، لأنها من مادة لغتهم أو قريبة منها على نحو من الأنحاء ، أما العربية فليس هذا شأنها ، لأن ما يدخل عليها من هذه الأصول غريب فيها ولا ينطبق بناؤه على أبنية كلام العرب ، إذ لا قرابة بين العربية واللغات الآرية التى منها اليونانية واللاتينية[٦١] .

ثم يتطرق من ذلك إلى الطريقة المثلى التى يجب اتباعها فى اللغة العربية ، وهى عنده أربع طرق .

**الطريقة الأولى** : البحث فى العربية عما يرادف الاسم الأعجمى ، ويشير إلى أن كثيراً من أسماء النبات والحيوان والمعادن التى أدخلها المترجمون بلفظها الأعجمى قد يكون لها مرادف عندنا فيما كتب العرب كالبَشَام والعَرار والعضم والأسل .. الخ ومن ثم فهو ينبه العلماء إلى أن يعنوا بما وضعه العرب من الكتب فى هذا العلم مثل تذكرة داود ومفردات ابن البيطار وقانون ابن سينا وغيرها .

**الطريقة الثانية** : الاشتقاق : وهو صوغ اللفظ من لفظ موضوع لاشتراكهما فى المعنى ، والمجاز : وهو نقل اللفظ المرتجل أو المشتق إلى غير معناه الأصلى لعلاقة بين المعنيين كتسمية المكرسكوب (micro-sope) بالمجهر والتلسكوب ( telescope) بالمِرْقَب .

**الطريقة الثالثة** : النحت بأن تؤخذ الكلمة من كلمتين أو أكثر ، وهو كثير عند الإفرنج قليل عندنا ، لأن اللغة العربية اشتقاقية لا تركيبية ، وقد اختار بعض النقلة أن يلحقوا الكلمة الأعجمية بكلمة عربية أو يمزجوها بها فقالوا : فوق أوكسيد ، وأول أوكسيد ، وتحت كربون .... الخ .

**الطريقة الرابعة** : التعريب أى استعمال اللفظ الأعجمى بعد صقله والنطق به على منهاج العرب .

ويرى حبيب غزالة أن الأصوب قبل التهافت على تعريب الأسم الأعجمى أن ندقق البحث فى مواد اللغة ونشتق منها لفظاً يفيد المعنى المراد ، فإن استعمال اللفظ العربى سواء بطريق

التوسع أو المجاز أولى من استعمال المعرب ، وإذا تعذر ذلك بعد إعمال الفكر وتدقيق النظر ومراجعة كتب اللغة لم يكن ثمة بد بحكم الضرورة من استعمال المعرب ولا عار فى ذلك ولا ضرر[٦٢] .

وتنحصر الأسماء التى يتعسر الإتيان بما يرادفها فى الكليات الآتية :

١ - أسماء المكتشفات الحديثة مثل العناصر والمعادن التى لم تكن معروفة من قبل كالأوزون والفلور والأرجون .

٢ - أسماء المخترعات والمبتكرات العلمية والصناعية كالآلات والأدوات ونحوها وأسماء بعض العلوم الجديدة .

٣ - أسماء النباتات والحيوانات التى لم تكن معروفة عند العرب .

٤ - الأسماء التى لو ترجمناها لاحتجنا فى ترجمتها إلى أكثر من كلمتين مثل استجمات (stigma) فى علم النبات ومعناها الجزء العلوى من أعضاء التأنيث ، ويصاغ منها مونو ستجمات (monostigma) وتراستجمات (tristigma) أى أحادية أو رباعية الجزء العلوى من أعضاء التأنيث .

وتذلل تلك العقبات بالبحث والتنقيب فى مواد اللغة وكتب العلوم بإحدى الطرق التى تقدمت فإن استعصى الأمر كان لابد من قبولها وتعريبها[٦٣] .

ثم ينبه إلى أمور هامة هى : الأول ضبط الأعلام العربية فإن بعض المترجمين ينقلونها كما وردت فى كتب الإفرنج محرفة مشوهة مثل قولهم ( توليد ) وهى ( طليطلة ) و ( ليسبون ) وهى ( لشبونة ) ... الخ .

والثانى : ضبط الأعلام الإفرنجية عند نقلها إلى العربية والاتفاق على طريقة واحدة فى كتابتها مثل ( لوندرة ) و ( لندن ) و ( النمسا ) و ( استريا ) ... الخ .

والثالث : أن مذاهب العرب فى وضع المصطلحات قد اختلفت من قطر إلى قطر ففى مصر يعبرون عن الكسور الاعتيادية بقولهم البسيط والمقام وفى سورية يقولون الصورة والمخرج وأمثال ذلك كثير ، ومن ثم كانت دعوته إلى مجمع عربى يمثل كل أقطار العرب حتى يعمل على توحيد اللغة العلمية وحتى يكون كلامه حجة عندهم جميعاً ، كما دعا إلى أن يكون من بين أعضائه بعض الاختصاصيين فى العلوم والفنون كالطب والرياضيات والآثار القديمة المتبحرين فى اللغات القديمة والحديثة[٦٤] .

## أحمد زكى

أما أحمد زكى شيخ العروبة وسكرتير مجلس النظار فتجىء خطبته - كما يقول - بعد أن استوعب المتناظران ومن توالى بعدهما على المنبر كل ما يمكن أن يقال من الجهة النظرية التصورية ، ولذا يناشد الحاضرين أن ينتقلوا من طور القول إلى دور العمل ، ويشير إلى ما يقاسيه أمثاله من النقلة من لغات الأعاجم إلى لغة الأعارب من مصاعب لا سيما ما يواجهون به من اعتراض وانتقاد ، ويشبه حاله وأمثاله مع أهل اللغة بالعليل الذى يجتمع حوله الأطباء ، وهو يجود بالنفس ، وهم يتشاورون ويتجاورون ويتبارون ويتناظرون ، وهم على كل حال يتقاضون الأجر ، ولو ذهب العليل شهيد التعليل إلى القبر [٦٥] .

ويشير إشارة موجزة إلى أن العرب فى عهد بنى العباس قد أقبلوا على النقل والترجمة والتعريب ، ولم يقعدهم عن الإفادة والاستفادة كون اللفظ مولداً أو دخيلاً فصيحاً أو غير فصيح ، وكذلك فعل رفاعة وأبناؤه فى عهد محمد على ، وكان نقل هؤلاء وهؤلاء فى أول عهده سقيماً ، ولكن جاء مِن بعدهم مَنْ هذب ونقح وأعادها فى نشأة جديدة ، ثم جاء بعدهم جيل اشتغل بنفس الموضوع فأجاد وأتقن واستنبط فى العلم نفسه وأضاف إليه أساليب كثيرة مبتكرة ارتقت بها المعارف والأمة إلى أسمى ما يمكن الوصول إليه [٦٦] .

وما أحوجنا الآن أن نسرع بالدواء وأن نقترح من الألفاظ ما يؤدى إلى التعبير عن ضروب العلم والمعارف بعيداً عن مآزق الفصاحة والبلاغة ، ومن هنا كانت دعوته إلى إنشاء مجمع لغوى يتعاون فيه أهل اللغة وأرباب العلوم والفنون والصنائع ، ويحدد وظائف هذا المجمع فى الأمور الآتية :

أولاً : البحث فى فنون اللغة وبطون المعاجم على الألفاظ والتراكيب المحتاج إليها فى الوفاء بمتطلبات العلوم والفنون والصنائع .

ثانياً : أن يبادر المجمع بوضع الأسماء للدلالة على مايجد من أشياء لأدنى ملابسة أو أوسع تجوز ، وأن نستعين بالجرائد وبغيرها لنشرها وتعميم استعمالها ، حتى إذا جاء المسمى وجد الاسم حاضراً .

ثالثاً : أن يعرب العرب بأسلوب لا ينبو على الذوق العربى ما دامت الأبواب الأخرى مغلقة ، وما يقرره يقبله الناس ويعملون به بغير مناظرة أو نكير ، فليس اللفظ إلا سلماً للمعانى

والأفكار .

رابعاً : أن يسجل المجمع هذه الألفاظ ويشرحها ، ويذكر كيفية أخذها ويكتب أمامها ما يعتبرها مقابلة له من ألفاظ اللغات الأخرى ليهتدي إليها المترجم وليتفاهمها القارىء والسامع .

والخلاصة أن شيخ العروبة يقول : بسياسة الباب المفتوح بشرط أن يكون عليه حراس حافظون كرام كاتبون ، فما قبلوه قبلناه وما ردوه رددناه (٦٧) .

## حفنى ناصف

بدأ حفنى ناصف رئيس النادى خطبته مقرراً أن القضية التى جرى حولها المناظرة مسألة نقلية يرجع فيها إلى كتب اللغة والأدب ، وليس لأحد أن يقول فيها برأى من عنده ، كما أنه لا يجوز لأحد أن ينصب الفاعل ويقدم خبر إن على اسمها احتجاجاً بأن المعنى لا يتغير ، وليس لأحد أن يقول ما الفرق بيننا وبين العرب الأولى حتى جاز لهم الوضع والتعريب والشذوذ عن القياس وامتنع ذلك علينا ؟

فالمسألة منصوصة فى الأسفار فمن شاء أن يخرق الإجماع ولا يقصر شيئاً على السماع ويستريح من عناء الدروس فليصنع ما شاء فليس لنا عليه من سبيل (٦٨) .

ثم يأخذ فى تفسير النصوص لمن أراد أن يتبع الجماعة ، فيتحدث عن تاريخ العربية مذ كانت لسان عاد وثمود ، وما عرض لها فى أثناء ذلك من تنقيحات أو مراحل التغيير التاريخية ، ويقف طويلاً عند التنقيح الرابع متحدثاً عن جهود علماء العربية من البصرة والكوفة فى جمع الألفاظ العربية ووضع قواعدها ، وما اتخذوه من مناهج وما انتهوا إليه من قواعد (٦٩) .

ومما يعنينا فى هذا الدور حديثه عن التعريب والوضع ، وهو يزعم أن علماء العربية قد عرفوا المعرب بأنه الاسم الأعجمى الذى فاهت به العرب الموثوق فى عربيتهم ، فإذا فاه به غير العربى سمى مولداً ، وقد تبعهم فى ذلك كل من كتب فى اللغة كأصحاب الصحاح والقاموس والمحكم والعباب ، وأجمع العلماء على ألا يستشهد فى اللغة والصرف والنحو إلا بكلام العرب ، ولا يجوز الاستشهاد بكلام المولدين إلا فى علوم البلاغة .

ويزعم أيضاً أنهم أجازوا استعمال الكلم فى غير ما وضعت له متى وجدت مناسبة بين المعنى الأصلى والمعنى المراد ، وقامت قرينة تمنع إرادة

المعنى الأصلى ، وحصروا تلك المناسبات بالأستقراء وسموها علاقات ثم يذكر هذه العلاقات من المشابهة والسببية والمسببية والكلية والجزئية ... آخر ما ذكر منها ثم يقول « ومتى اشتهر اللفظ فى معناه المجازى صار حقيقة عرفية له حكم الحقيقة الوضعية »(٧٠) .

وقد صارت العربية بهذا التنقيح الأخير لغة العرب عامة لا لغة قبيلة بعينها ، فأى لفظ نطقت به فأنت مصيب ، وأى استعمال جريت عليه فلست بمخطىء ما دمت لم تخرج عن المنقول ، وأية علاقة صادفتك من العلاقات السالفة توصلك إلى تسمية ما لم تسمه العرب(٧١) .

وعلى هذا استقرت اللغة العربية وتم إحكامها وحصرت مفرداتها الأصلية وقوانينها ، وأبيح استعمال مفرداتها فى غير ما وضعت له عند الاحتياج بشرط العلاقة والقرينة ، وانتهت أدوار التنقيح فيها فلم يبق إلا استظهارها والعمل بها(٧١) .

ثم أخذ الشيخ يرد على بعض الحجج التى ساقها المنتصرون للتعريب . ومن ذلك أنه قال فى الرد على من قال بأن العرب أخذوا ألفاظاً من الأعاجم واستعملوها ، وورد شىء منها فى القرآن والحديث - بأن ما أخذه العرب قليل جداً بالقياس إلى ما نبذوه ، ونادر بالإضافة إلى مادة لغتهم الأصلية ، والقليل النادر لا يقاس عليه ، ثم يحذر من سياسة الباب المفتوح قائلاً : « إذا فتحنا اليوم باب القياس فى مادة اللغة نفتحه غداً بالأولى فى هيئتها أى فى الصرف والنحو فنقيس على ما ورد شاذاً عن العرب ... فننصب خبر المبتدأ ، وخبر إن ، ونشتق من الجوامد كلها .... ونستخرج من كل فعل ثلاثى مزيدات ، ونستعمل الزيادة لكل المعانى ... وبالجملة تحدث فيها الأحداث الهائلة فتتبلبل فيها الألسنة وتفقد بعد قليل من الزمن »(٧٢) .

ثم يعرض لما ذكره بعض المتحدثين من أن تسمية المحدثات بلفظ عربى - مهما كانت علاقته - يوقع فى الاشتراك ويزيد فى الآلام قائلاً : « إن الاشتراك اللفظى واقع لا محالة فى جميع اللغات ، لأن ألفاظ كل لغة محصورة ، والمعانى غير محصورة ، فلو وزعت الألفاظ على المعانى وجب المصير إلى الاشتراك حتماً ، وأنه لا ضرر من استعماله مع القرينة ففى الهندسة مثلاً تستعمل الزاوية والعمود والسطح والهرم والكرة والضلع ولا يخطر فى البال شىء

من معانيها القديمة »[٧٣] .

ثم يستخلص من أمثلته فى العلوم والشئون المختلفة بأن لا يمكن أن يخلو كلام مهما كان من المشترك والمجاز .

ثم يرد على القائلين بأن التعريب أسهل من انتقاء اللفظ العربى بأن هذه الصعوبة تزول بعد الاهتداء إلى الكلمة العربية والاصطلاح عليها والإلحاح فى استعمالها لفظاً وكتابة ، على أن هذه الصعوبة إنما تكون على الأشخاص المكلفين باستخراج الكلم بخلاف الذين يتعلمونها جديداً فإنهم يجدونها بدون عناء ثم يذكر بأن الكلام الأعجمى لا يظل حاضراً على ألسنة الناس مستعملاً فى كتابتهم أبد الدهر ، فقد يستبدل به غيره وقد يهجر ، يقول : وإنى أذكركم أننا كنا نستعمل كلمات ( قومسيون ) و( قومبنيه ) و ( جرنال ) و ( غازيته ) و ( أفوكاتو ) و ( كوليرا) و ( وابور ) و ( قنصل ) ولما بتدأ الصحافيون يغيرنها بلجنة ، وصحيفة ، ومحام ، ووباء ، وقطار ، ومعتمد كنا نتقززها فلما ألحوا فى استعمالها زال التقزز شيئاً فشيئاً حتى عفنا الكلمات الأولى[٧٤] .

ثم يستطرد فى حديث عن تولد العامية من الفصحى ويعدها أثراً من آثار الفساد الذى تطرق إليها فى مادتها وهيئتها ثم يتكلم عن العامية وكيف ينشأ الطفل عليها فيتقنها إتقاناً ، وعن الفصحى وكيف يتعلمها الطفل تعلماً ولا يتقنها ثم يعرض لما تخسره الأمة كل سنة من أعمار أفرادها حين يجمعون بين اللسانين ويحكى قصة الخلاف بين القائلين بالاقتصار على تعلم إحداهما ، فقد نادى فريق منهم بالاقتصار على العامية ومنهم المهندس الشهير ( ولكوكس ) ، وقال الفريق الآخر بالاقتصار عل الفصحى ومنهم العالم والمربى الشهير ( أرتين ) باشا . ثم يأخذ فى الرد على احتجاج الفريق الأول وينهى احتجاجاته بالأخذ بالمذهب الأرتينى .

ثم يقترح بعض المقترحات التى تدعم هذا المذهب ويرى أنها ستؤدى إلى أن « تنقرض العامية فى أقل من عشرين عاماً وتخلفها اللغة الصحيحة ويرجع اللسان العربى إلى عصر مجده وأيام سعده » !

ثم يستشهد على ما ذكر بتجربته حيث ألزم تلاميذه من مدرسة الحقوق بالحديث بالعربية الفصحى وأسفرت فيما يزعم عن نجاح باهر ، ولولا احتجاج فريق من المعلمين عليها بتعذر تطبيقها قبل حفظ اللغة وإتمام القواعد لكانت

العامية الآن - كما يقول - فى خبر كاد إن لم تكن فى خبر كان »[٧٥] .

## فصل الخطاب

وقرب نهاية الخطبة يحاول حفنى ناصف أن يفصل بين الفريقين ويحصر النزاع فى دائرة يسهل بعده التوصل إلى قرار ، ومن ثم فقد سرد مواطن الاتفاق ونحاها جانباً ووقف عند مواطن الخلاف مفسراً أوجهها مرجحاً بينها .

فلا خلاف بين الفريقين فى عدم الحاجة إلى تعريب الحروف أو الأفعال إلا ما وقع فى كلام أحد الباحثين من جواز أن يشتق من الأسماء الأعجمية أفعال كأن يؤخذ من ( ترام ) : ( أترم ) ، وهو لا يوافق على هذا الرأى ، وهو يوافق الباحث على القاعدة التى بنى عليها مذهبه فى التعريب وهى ألا يصار إلى التعريب إلا إذا ألجأت الحاجة إليه ، ولا حاجة إلى ( أترم ) كما لاحاجة إلى أن نقول أبْغَل من البغل ، إذ يمكن أن يقال ركب الترام كما يقال ركب البغل[٧٦] .

ولا حاجة أيضاً إلى تعريب المشتقات فهى فى العربية كافية .

أما الأسماء فوجه الحاجة إلى بعضها على النحو الآتى : يقسم الجامد إلى اسم معنى واسم ذات .

وأسماء المعانى كثيرة جداً فلا يُحتاج إلى تعريب شىء منها ، أما أسماء الذوات فمنها ما وضع لمعين بلا واسطة وهو العَلَم ، وإلى ما وضع لمعين بواسطة ملازمة ، وهو الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول ، وإلى ما وضع لغير معين وهو اسم الجنس .

أما العلم وهو ما يشمل أسماء الأناسى والبلاد والجبال والأمم ... الخ والأمر متفق على أنها لا تخص لغة معينة وأنها تبقى على ما وضعه لها واضعها إلا لضرورة . والضمائر وأسماء الإشارات والأسماء الموصولة كافية فلا حاجة إلى الزيادة فيها[٧٦] .

ويقسم اسم الجنس إلى ما استعملت له العرب لفظاً سواء وضعته من عندها أو عربته من لغة غيرها ، وإلى ما لم تستعمل له لفظاً .

والأول يقبل ولا ينظر إلى أصل اللفظ قبل التعريب لأن التعريب جعله فى حكم العربى ، فليس موضوع نزاع كالدرهم والدينار - والاستبراق والمشكاة ... الخ .

ويقسم ما لم تستعمل له العرب لفظاً إلى قسمين :

الأول : ما اصطلح المولدون على إطلاق لفظ

عـربى عليـه ، سـواء كـان هذا الاصطلاح برد الكلمة الأعجمية إلى أصلها العربى الذى تحرفت عنه كرد ( مجازان ) إلى (مخزن) و ( كازينو ) إلى ( خزينة ) ، أو بـالعثـور على لفظ سبق إطلاقه ثم هُجِر واستعمل بدله لفظ أعجمى مثل ( كُنَّاشة ) فى ( النوتة ) وملهى فى ( التياترو ) .

أو بالعثور على كلمة أطلقت على البسيط من الجنس قبل أن يطرأ عليه تحسين وتنويع كخوان فى ( الطرابيزة ) ومعطف فى ( البالطو ) .

أو بإتيان لفظ أطلق على ما يشبه الشىء فى نفس الغرض كمِسَرَّة فى ( التليفون ) والوشاح فى ( الإيشرب ) أو يشبهه فى الشكل ، وإن لم يشبهه فى الغرض كعقرب الساعة والقطار فى الوابور ، أو بترجمة اللفظ الأعجمى بمرادفه العربى كالصور المتحركة فى ( السينماتوجراف ) والمتحرك من نفسه فى ( الأوتومبيل ) .

أو بالإتيان بكلمة تدل على الغرض المطلوب من الشىء كالنسَّافَة فى ( التربيدو ) والمعمل فى ( الفابريكة ) .

أو بالإتيان بكلمة تدل على صفة فى الشىء وإن لم تكن هى المقصودة منه كالباخرة والبارجة .

أو بنسبة الشىء إلى بلد أو إقليم لمناسبة تُجَوِّز ذلك كالمارتينى والموزى لصنفين من البندقيات .

أو بذكر لفظ يكون بين مسماه الأصلى ومسماه الجديد علاقة غير ما ذكر ولا خلاف بين الباحثين فى قبول ما أصطلح عليه من ذلك .

والقسم الثانى : مالم يصطلحوا على إطلاق لفظ عليه للآن ، ولا خلاف بين الباحثين فى أنه يجب البحث والتنقيب فى كتب اللغة عن لفظ عربى يمكن إطلاقه عليه بأى مناسبة من المناسبات الجائزة فى اللغة العربية ويصطلح على دلالته كما اصطلح من قبلنا على لفظ نسافة وغواصة .

فإذا انقضى دور البحث ولم يُعْثَر على كلمة عربية يمكن الاصطلاح عليها ، وهو ما لا يكون إلا نادراً ، نُصْقَل الكلمة وتستعمل .

هذا هو الخلاف بين الفريقين كما عرضه حفنى ناصف ، وقد ضاقت حلقاته - كما يقول - رويداً رويداً حتى تضاءل .

وبعد الفراغ من تلك الخطبة صدر القرار الآتى بإجماع الآراء :

« يُبْحَث فى اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأى طريق من الطرق الجائزة

لغة . فإذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد ، يُسْتعار اللفظ الأعجمى بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية ، ويستعمل فى اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوى الذى سيؤلف لهذا الغرض »(٧٦) .

## أصداء وآثار :

احتفلت الصحافة بهذا اللقاء احتفالاً ، فنشرت الخطب التى ألقيت ، ونوهت بالقرار الذى انتهى إليه أعضاء النادى(٧٧) .

وقد ذكرنا من قبل أن بعض الباحثين كتب فى الموضوع قبيل المناظرة وفى أثنائها وجرى على لسان بعض الخطباء بعض أقوالهم ، بل إن الشيخ الإسكندرى قد عنى بهذه الأقوال ورد - فى خطبته الثانية - عليها .

وقد أجمع الباحثون الذين أرخوا لإنشاء المجامع اللغوية العربية ، على أن نادى دار العلوم كان خطوة مؤثرة إلى هذا الهدف الجليل الذى لم يتحقق إلا عام ١٩٣٤ وأن الخطب التى ألقيت فيه قد وضعت أمام الباحثين مجموع المعارف والمشكلات التى تتصل بموضوع التعريب والتوسع ، وقد حددت - وبكل وضوح - الطريق الصحيحة التى ينبغى عليهم أن يسلكوها ، لكى تكون الفصيحة لغة للحياة وللعلم . بل إن باحثاً مدققاً هو المجمعى الكبير محمد خلف الله أحمد - حين عرض لتلك الجهود قال : إنها تؤيد ما قصدنا إبرازه من أن خط التطور الذى سارت فيه الجهود فى القرن الحاضر امتداد طبيعى للمبادىء والاتجاهات التى تهدى بها علماء المراحل السابقة من نهضتنا الحديثة ، وأن معالم المستقبل الذى ننشده للغتنا القومية قد تحددت ، وأن أسس البناء قد وضعت ، وعلينا إعلاؤه وإتمامه (٧٨) .

وقد كان من آثار تلك المناظرة الحميدة أن كتب بعض الأدباء والعلماء فى موضوعها ، فقد كتب الفريق أمين المعلوف بحثاً ضافياً فى ( تعريب الأسماء الأعجمية ) كان غايته منه أن يذكر بعض الأصول التى يجب مراعاتها فى نقل الأسماء اليونانية واللاتينية(٧٩) .

أما يعقوب صروف فقد كتب مقالتين فى أعقاب المناظرة فى ( المقتطف ) ، الأولى بعنوان ( أسلوبنا فى التعريب ) والثانية بعنوان ( أساليب العرب فى التعريب ) . ففى المقال الأول يتحدث عن تجربته فى الترجمة والتعريب وقد استخلص منها القواعد الآتية :

١ - الكلمات الأعجمية التى نعرف لها كلمات عربية ترادفها نترجمها بمرادفها .

٢ - الكلمات التى لا نعرف لها مرادفاً عربياً نجتهد فى البحث عنه فإن أعيانا البحث استعملنا الأعجمى أو العامى الذى يشير إليه .

٣ - الأعلام الأعجمية تكتب حسب استعمالها الشائع فإن لم يكن نَطَقْنا بها كما ينطقها أهلها .

٤ - فى تعريب النكرات الجديدة التى لامرادف لها نجرى على ما شاع بين الكتاب وإلا نولد كلمات جديدة مناسبة .

وخلاصة المقال أننا نبذل جهدنا فى اجتناب الكلمات والأساليب التى ليست عربية فنفتش عن مرادفاتها أو نترجمها بما يؤدى معناها إلا إذا وجدنا أنها قد شاعت وصارت مفهومة أو أنها ستشيع حتماً وتتغلب على غيرها أو أنها أعلام لا تترجم .

أما المقال الثانى فهو مقال تاريخى لجهود علماء العربية فى التعريب والترجمة ولأساليبهم فيهما ، وينهى ( صروف ) حديثه بمقالة فَصْلٍ فيمن يُعَرِّب يقول : فالحاجة إلى التعريب وأساليب التعريب لا يعرفها ولا يقوم بها إلا أصحابُ كل فن فى فنهم ... وإن لم نفعل فكأننا نُحَوِّل قاضيا تطبيب الأبدان وطبيباً تصوير الألوان(٨٠) وهى مقالة طيبة فكل صاحب مهنة أولى بفهم مصطلحاتها وإن كان هذا لا يعنى الاستغناء عن مشورة علماء اللغة فلابد من الاستعانة بهم .

لم يكتف خريجو الدار بما أعلنوه على الناس من أهداف ناديهم أو بما أسفر عنه اجتماعهم من قرارت ، فقد هدوا ببصيرة نافذة ورغبة صادقة إلى أن مرحلة العمل أو التطبيق أبعد أثراً فى الوصول إلى هدفهم من خدمة لغتهم وترقيتها ، لقد وجب عليهم بعد أن استقروا إلى قرارات واضحة أن يعالجوا المشكلة فيما يقول الناس ويكتبون ، وأن يقترحوا عليهم ما يرونه مناسباً من العربى الفصيح بديلاً عن العامى والدخيل .

ولما كان هدفنا من هذا البحث تعريفياً نقدياً وجدت من المفيد أن نعرف بدور نادى دار العلوم ولجنته العلمية فى هذه المرحلة وتأثيره فى تطور العربية وترقية البحث فيها ، وأن نزن بحوثهم وقراراتهم فى موضوع ( تسمية المسميات الحديثة ) بميزان دقيق يعين على تقييم دورهم تقييماً موضوعياً صحيحاً .

## أ - نادى دار العلوم

أنشأ خريجو دار العلوم سنة ١٩٠٧ وعلى

رأسهم المرحوم حفنى ناصف بك ( نادى دار العلوم ) وقد عد المؤرخون إنشاء النادى حدثاً تاريخياً ذا شأن فى تاريخ الثقافة العربية ، وهم مجمعون على تسميته ( المجمع اللغوى الثانى ) بعد ( مجمع البكرى ) الذى سبقه وهو المجمع الأول سنة ١٨٩٢ .

ومن أهم أهدافه التى تتصل بموضوعنا والتى أعلنها عند إنشائه :

- وضع أسماء عربية للمسميات الحديثة التى ليس لها أسماء عربية معروفة .
- البحث فى ألفاظ العامة ورد ماله أصل عربى منها إلى أصله والتنبيه على الدخيل منها .
- الاصطلاح على طريقة لكتابة الألفاظ الأعجمية بلغة عربية(٨١) .

## ب - صحيفة نادى دار العلوم

صدر العدد الأول من ( صحيفة نادى دار العلوم ) فى ١٥ من ربيع الأول ١٣٢٧ الموافق ٦ من أبريل ١٩٠٩ وكان الهدف من إنشائها أن تكون صلة بين أعضائه ، وكانت تتضمن ما يلقى فى النادى من خطب ومحاضرات ، وكان يدرج فيها ما يهم من أخبار النادى وما تقر اللجنة العلمية نشره من مباحث أعضائه .

## جـ - اللجنة العلمية

تشكلت اللجنة العلمية فى يناير ١٩١٠ ، وقد بدأت العمل فى تسمية المسميات الحديثة بعد سنتين من نشر مجموعة الخطب التى تناولت هذا الموضوع ، وقد أعلنت الصحيفة فى العدد الأول من العام الثانى لها أنها تزيد فى أبوابها باباً خاصاً بترقية اللغة العربية ينشر فيه ما تقرره اللجنة العلمية من الكلمات العربية للمسميات الحديثة(٨٢) .

وقد ذكّرت الصحيفة قراءها بما قام به النادى من وضع هذه المسألة موضع بحثه ، وما انتهى إليه من منهج فى التعريب . ثم أعلنتهم بخطتها فى جمع الأسماء الأعجمية والعامية وفى درسها وفى اقتراح بديل عنها ، وهى تتلخص فى الخطوات الآتية :

١ - ينتخب النادى عشر كلمات من الأسماء الأعجمية أو العامية .

٢ - يكتب كل عضو من أعضائه ما يراه مناسبا لها من الكلمات العربية .

٣ - تبحث اللجنة ما كتبه الأعضاء وتختار أقربها مناسبة للكلمة الأعجمية أو العامية .

٤ - ينشر قرار اللجنة فى الصحيفة ، فإن لم ترد إليها ملاحظات بعد شهر من نشره عد ذلك

رأيا عاما لجميع الأعضاء ، وأصبح عليهم بعد ذلك أن يصقلوها بألسنتهم وأقلامهم حتى تكون لعامة من يشتغلون باللغة العربية .

ولما اجتمع لدى اللجنة جملة صالحة من تلك الكلمات بدأت بنشرها فى العدد الأول من عامها الثانى . ثم توالى نشرها فى الأعداد الآتية : العدد الثانى ص ٦٤ ، والخامس ص ١٧١ ، ١٧٢ ، والسادس ص ١٨١ - ١٩٠ ، والتاسع ص ٢٣٧ - ٢٤١ والحادى عشر ص ٢٩٦ ، وفى العدد الثانى من عامها الثالث الصادر فى يولية ١٩١١ جمعت الصحيفة أعدادها السابقة فى عدد واحد ، ورتبته ألفائيا من ص ٣٥ - ٥٦ ، وكان هذا هو آخر العهد بهذا الموضوع ، وعلى هذه النشرة نعتمد .

## دعوة النادى إلى إنشاء المجمع

لم تكن دعوة النادى إلى إنشاء المجمع اللغوى جديدة على الأوساط الأدبية فى مصر ، فقد سبق إليها أدباء وعلماء ، دعا إليه الشدياق فى ( الجوائب ) عام ١٨٧٠ ، وكتب عنه عبدالله النديم فى ( التنكيت والتبكيت ) عام ١٨٨١ ، ودعا إليه كذلك عبدالله فكرى عام ١٨٨٨ ، وحين انعقد مجمع البكرى عام ١٨٩٢ ، وصدرت عنه بعض الاقتراحات الخاصة بالمسميات الحديثة توالت التعليقات عليها ، وكانت فرصة لنقد المجمع نفسه وبلورة فكرته ، كتب فى ذلك جورجى زيدان فى ( الهلال ) عام ١٨٩٣ وإبراهيم اليازجى فى ( البيان ) ١٨٩٧ .

ومع ذلك فإنه يذكر للنادى وللذين اشتركوا فى مساجلته الشهيرة أو عقبوا عليها أن الدعوة كانت مصحوبة بتحديد أهدافه ومجال عمله وباقتراح خطة واضحة لتحقيقها مما أسهم ولا شك فى الإعداد للمجمع الذى أنشىء بالفعل عام ١٩٣٤ ، لاسيما إذا وضعنا فى الاعتبار أن عددا من أعضاء النادى قد شاركوا فى ذلك ، بل أصبحوا من أعضائه كالشيخ الإسكندرى والأستاذ العوامرى .

تألف المجمع الأول المعروف بمجمع البكرى عام ١٨٩٢ وكان يجتمع فى دار السيد البكرى بالخرنفش وكان من أعضائه الشيخ الشنقيطى الكبير والشيخ محمد عبده والشيخ حمزة فتح الله ، وحفنى ناصف ، ومحمد المويلحى وغيرهم من أدبا العصر . وكان الهدف من إنشائه أن يؤدى للعربية ما تؤديه الأكاديمية الفرنسية للغة الفرنسية ، وتولى رئاسته السيد البكرى وعقد سبع جلسات كان آخرها جلسة يوم ١٧ فبراير

١٨٩٣[٨٣] .

وما يعنينا من أعماله ما عرضه السيد لبكرى فى الجلسة الرابعة فقد عرض كلمات عربية ترجمة لعشر كلمات أجنبية هى : مَرْحَى لكلمة ( برافو ) وبَرْحَى لكلمة ( فى : Fi ) ومدْرَه لكلمة ( أفوكاتو ) ومِسَرَّة لكلمة ( تليفون ) وعِمْ صباحاً لكلمة ( بونجور ) وعِمْ مساء لكلمة ( بون سوار ) والبهو لكلمة ( صالون ) والقُفّاز لكلمة ( جوانتى ) والنمرة لكلمة ( نومرو ) والوِشاح لكلمة ( كردون ) .

وفى الجلسة الآخيرة للمجمع عرض المويلحى عشر كلمات أخرى هى : الطُّنُف لكلمة ( بلكون ) والحرَاقة لكلمة ( توربيد ) والجديلة لكلمة ( مودة ) ، وبطاقة الزيارة لكلمة ( كارت فيزيت ) والمِرَب لكلمة ( كلوب ) ، والحذاقة لشهادة الدراسة كالبكالوريا ، والعاطف والمِعْطف لكلمة ( بالطو ) أو ( باردسو ) ، وحَصَبَ الطريقَ بالحَصْباء لجملة : وضع المكدام فى الطريق ، والشرطى والجِلْواز والتُّؤْرُور لرجل البوليس ، والمِشْجب للشماعة[٨٤] .

وتتبين من المقابلة بين عمل مجمع البكرى وعمل النادى فى مجال تسمية المسميات الحديثة ما يأتى :

١ - لم يكد يمر عام حتى انقضى عمر مجمع البكرى ، وقد ترك لنا عشرين كلمة فحسب وكان عمر مجمع دار العلوم أطول فقد استمر بضع سنوات حتى فرقت السياسة بين أعضائه أما مجلته فقد توقفت أعدادها فى يونية ١٩١١ بعد ثلاث سنوات من إنشائها(٨٥) .

٢ - لا شك أن مجمع دار العلوم كانت محاولة أكثر تقدما ونجاحا من مجمع البكرى ، وقد قام عملها فى تسمية المسميات الحديثة على أساس مجموعة من القرارات اسقرت الدراعمة عليها بعد المناظرة المشهورة التى تحدثنا عنها آنفا .

ولكنها أيضا تدور فى المجال نفسه اقتراح ألفاظ عربية فصيحة ترادف العامى والدخيل ، وكان الدافع واحد فى الحالين : تنقية العربية وتطهيرها من تلك الأوشاب ، بإحياء ألفاظ عربية من غريب العربية أو مهجورها .

والنتيجة تكاد تكون واحدة ، عاشت الألفاظ التى تؤدى المعنى فى شكل لغوى مستساغ كالمعطف والقفاز والبطاقة ، وماتت الألفاظ الغريبة التى لا ينكشف معناها لأول بادرة وتتطلب من قارئها أن يرجع إلى المعاجم ليعرف معناها مثل الجِلْواز أو التُّؤْرور للشرطى والمِرَب للكلوب والمِسَرَّة للتليفون مهما قيل عن مطابقة

معنى الكلمة المقترحة للمفهوم الجديد .

لا نبالغ إن قلنا إن قرار النادى فى التعريب لقى ترحيبا بين الباحثين وواضعى المعاجم وأجمع ما قيل عنه فى حينه قول جورجى زيدان : والقرار المذكور هو الأقرب إلى الصواب ويوافق ما وصلنا إليه بعد البحث بمقالة ( الترجمة والتعريب )[٨٦] .

ولما أنشىء مجمع اللغة بالقاهرة ١٩٣٤ كانت صيغة قراره فى التعريب التى احتج لها الشيخ الإسكندرى أحد فرسان المساجلة هى الصيغة التى انتهى إليها النادى تقريبا .

أما الألفاظ التى اقترحتها اللجنة العلمية ونشرتها صحيفة النادى فقد تناقلتها المجلات الثقافية ، وتلقفها الباحثون وواضعو المعاجم . نذكر من هؤلاء محمد دياب وهو من خريجى دار العلوم البارزين المشتغلين بالتعليم . فقد ضمن معجمه ( معجم الألفاظ الحديثة ) الذى ظهر عام ١٩١٩ تسعين كلمة من بين المائة والثلاثين التى جاءت بالقائمة .

وكان للشيخ محمد على الدسوقى وهو من خريجى الدار أيضا ومن المشتغلين بالتعليم والتأليف رأى فيما ثار من جدل فى موضع التعريب وما وضعه الأدباء من ألفاظ ، وقد ضمن معجمه ( تهذيب الألفاظ العامية ) الذى أخرجه فى طبعته الأولى عام ١٩١٣ وطبعته الثانية عام ١٩٢٠ - مجموعة من هذه الألفاظ .

أما المعجمى الكبير الشيخ أحمد رضا فقد صدر معجمه ( متن اللغة ) بقوائم مفصلة الكلمات الطارئة على اللغة ذكر من بينها كل الكلمات التى اقترحها نادى دار العلوم[٨٧] .

ورد بالقائمة مائة وثلاثون كلمة من العامى والدخيل ، بينت اللجنة عند كل كلمة منها الكلمة المختارة لتحل محلها وأسباب اختيارها ، وتنتهى القائمة بقائمة أخرى صغيرة تتضمن الكلمات العامية الخاصة بالمحراث وأجزائه ، وما يقترح لمرادفتها من ألفاظ عربية فصيحة .

## أولا : الكلمات العامية وما يرادفها من الفصيح

ورد بالقائمة حوالى أربعين كلمة عامية بالإضافة إلى الكلمات الخاصة بالمحراث وأجزائه ولنا عليها الملاحظات الآتية :

١ - لم تذكر اللجنة العلمية التى نشرت القائمة المقصود من العامى ، ولم يكن أمامنا إلا أن نستخرجها باستعمال ضابط منسب ، لقد استبعدنا أولا الكلمات الدخيلة التى دخلت إلى

العربية حديثا فيبقى لدينا من ثم الكلمات الدخيلة التى استعملتها العامة قديما والكلمات العربية التى حرفتها ، أو الكلمات المحدثة ، وهذه يجمعها مصطلح العامى كما كان شائعا فى ذلك الوقت .

٢ - اقترحت اللجنة ألفاظا فصيحة من عندها لتحل محل الكلمات المحدثة ، وهذه بعض أمثلتها :

| الكلمة المحدثة | الكلمة المختارة | الكلمة المحدثة | الكلمة المختارة |
|---|---|---|---|
| مضرب الكرة | طَبْطابة | ناموسية | كِلّة |
| مِصْفاة | فِدام | طهارة | ختان |
| ( إبريق الشاى ) | | مَعِيّة | حاشية |
| نَفير | بوق | | |
| طَرْحَة | خمار | | |

ولست أجد سببا يدعو إلى رفض هذه الكلمات واقتراح بديل عنها ، وهى كلمات عربية لا عيب فيها إلا أن المعاجم لم تذكرها ، أو لم تذكر لها هذه المعانى .

وقد كان موقف اللجنة محيرا حين عرضت بعض هذه الكلمات ولم تجد بديلا عنها فتركتها على حالها مثل مقشة ، وكماشة ، وصندوق القمامة .

فلماذا قبلت هذه الكلمات ورفضت الأخرى ؟

٣ - لم تبين اللجنة الهدف من اقتراحها كلمات جديدة بديلاعن الكلمات العامية ، أتقصد إلى تفصيح لغة العامة ، أم تقصد إلى تخليص لغة الخاصة من الإدباء والعلماء من هذه الكلمات ؟ فإن كان الأول فعملهم هذا لا فائدة منه ، لأن العامية لغة حية اكتسبتها العامة من أفواه أمهاتهم ، وسايرت حياتهم يوما بيوم ، وهى مع ذلك تقضى حاجتهم وتفى بمطالبهم فكيف يطلب إلى الفلاحين مثلا أن يسمو أبا فصادة بالقَتَّاح وأن يسموا الشادوف مِنْزَقَة ؟؟ دعك من هذا وقل لى بربك أيصح أن نطلب إلى أهلينا فى الريف أن يستعملوا لما تتركب منه آلة الحرث أسماء لا يعرفونها ويقولون ( المِقْوم ) بدلاً من ( الرمح ) و ( العيان ) بدلاً من ( سلاح المحراث ) و ( الدِّجْر ) بدلا من ( البسخة ) و ( المَيْس ) بدلاً من القصبة الخ .

وأنا أشك فى جدوى ما اقترحته اللجنة من كلمات إذا كان مقصودها تخليص لغة الخاصة من تلك الكلمات العامية ، لأن كثيرا من هذه الكلمات عربى فصيح إلا أنه لم تذكره المعاجم أو لم تذكره بمعناه المحدث ، وقليلاً منه عربى محرف لابأس من تصحيحه ... وقليلاً منه

اقترحت له أسماء غريبة نافرة فقد اقترحت مثلاً ( إتْب ) و ( مِئْتَبة ) بديلاً عن ( حَرْمَلَة ) ... الخ .

## الكلمات الدخيلة وما يرادفها من الفصيح

ورد بالقائمة تسعون كلمة دخيلة مما وفد إلى العربية الحديثة ونبدى عليها الملاحظات الآتية :

١ - أقرت اللجنة بعض الكلمات البديلة التى شاعت على ألسنة الكتاب وأقلامهم مثل ( سيارة ) للأوتوموبيل و ( مستشفى ) للإسبتالية و ( المدرج ) للانفيتاترو و ( البرق ) للتلغراف و ( الحاكى ) للفونوجراف و ( البطاقة ) للكارت فيزيت .

٢ - ثمة كلمات أخرى اختارتها اللجنة سبق إليها الكتاب ، ولعل بعضها من توافق الخواطر ، ولكن بعضها كان معروفا منسوبا إلى مقترحيه مثل ( رَثْيَة ) للروماتيزم و ( اشتراك ) للأبونيه و ( الحاكى ) للفونوجراف و ( الطِّلاء ) للبوية و ( المقصف ) للبوفيه ، فقد سبق أن اقترحها إبراهيم اليازجى ونشرها فى ( البيان ) أو فى ( الضياء ) . وبعضها مما سجله رشيد عطية فى معجمه مما ابتدعه أو مما نقله عن الكتاب مثل ( سروال ) للبنطلون و ( الدَّوَّارَة ) للبرجل و ( الإطار ) للبرواز و ( الأُحْجِية ) للفزورة و ( المِسْحَج ) للفارة ، و( سداد ) للفلينة .

٣ - أما الكلمات الأخرى وتقرب من خمسين كلمة فقد وفقت اللجنة فى اختيار ما يرادفها من العربى الفصيح ووجدت طريقها إلى الألسنة والأقلام مثل عَادى ( نسبة إلى عَاد ) للأنتيكة ( طوار ) لترتوار و ( ممرض ) لتمرجى و ( هدف ) لجول و ( مِلَفّ ) لدوسيه و ( فرسان ) لسوارى و ( منار ) لفنار و ( لجنة ) لقومسيون ، وبعضها لم يرزق حظا من قبول مثل ( غُمْنَة ) لبدرة و ( تُرْب ) لبريتون و ( عَيْبَة ) لشنطة ، لغرابة الكلمة المقترحة ، أو لأن الكلمة الدخيلة قد تمكنت من ألسنة الناس وانتشرت بينهم بحيث لا يمكن انتزاعها من الاستعمال .

٤ - اتبعت اللجنة ما سبق أن اتفق عليه أعضاؤها من الالتزام بقرار النادى فى التعريب . ومن ثم فقد فضلت المعرب قديما على المعرب حديثا ، ومن ثم لم يكن غريبا أن تقترح اللجنة ( خانقاه ) لـ ( تكية ) وتقول فى أسباب اختيارها لورودها كثيرا فى كتب الصوفية ، وأن تقترح ( طازج ) بدلا من ( طازة ) وتقول

فى أسباب اختيارها : كان من عادة العرب فى التعريب أن يلحقوا بالكلمات المنتهية بمثل هذه الهاء جيما كما قالوا : ( فالوذج ) و ( نموذج )[٩٠] .

وأن تقترح ( أنجر ) بدلاً من ( هلب السفينة ) ، وتقول فى سبب اختيارها ( الأنجر ) مرساة السفينة وهى خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة إذا رست معرب ( لنكر ) .

إن طريقة الجمع التى أعلنتها اللجنة العلمية مسئولة عن النتائج المتواضعة التى انتهت إليها ، فقد كان جمعها فرديا انتقائيا لا يحكمه منهج أو ضابط ، ولا يتم فى إطار شكلى أو دلالى محدد ، ومن ثم اقتصر على كلمات مشهورة أكثرها تداولته أقلام الباحثين من قبل ، لقد اختاروا ما يمكن إيجاد مرادف له فحسب كما لم نتبين من عملهم منهجا منظما فى معالجة الألفاظ كمجموعات أو توائم ، بل كان التعامل معها كمفردات لارابط بينها ، ومن ثم لم نجد قاعدة محددة إلا فى حالة واحدة حين تعاملت اللجنة مع بعض الألفاظ التى تتصل بالمطابع حيث اتخذت قاعدة عامة ، وهى أن تستعمل كلمة مركبة من لفظ مطبعة مضافة إلى أكبر مميز لتلك المطبعة ، فيقال مثلاً : مطبعة الأزرار لـ ( تيب ريتر ) ومطبعة النَّضْح لـ ( ميموجراف )[٩١] .

وقد كان تشكيل اللجنة من لغويين تقليديين مؤثراً فى عملها وفى نظرتها إلى المشكلات المطروحة ، فلم تكن قضية المصطلحات العلمية بأبعادها المختلفة واضحة فى أذهانهم ، ومن ثم لم يقدروا الصعوبات التى يعانى منها المعرِّبون والعلماء تقديراً مناسباً ، ولم يسهموا بعمل جدى فى تذليل تلك الصعوبات ، بما يؤدى فى النهاية إلى أن تكون العربية لغة للعلوم .

لقد كان همهم الأكبر المحافظة على اللغة وإحياء تراثها ، ومن ثم كان التعارض واضحاً بينهم وبين المشتغلين بالعلوم أو ترجمتها .

بل إن أعضاء اللجنة حين اقترحوا ألفاظاً مرادفة للعامى و الدخيل وحين كتبوا فى أسباب اختيارهم لم يتجاوزوا القاموس المحيط بحال من الأحوال ، ومن ثم غلب عليهم اقتراح الألفاظ القاموسية ، ولم يلجئوا إلا نادراً إلى الاشتقاق والمجاز .

لقد كان ينبغى عليم أن يستشيروا كتب اللغة الأخرى بل كان عليهم الرجوع إلى كتب الأدب والطب والمفردات والنبات .

ولما كان اعتمادهم على القاموس أساسياً لم يكن يعنيهم إلا مطابقة اللفظ المختار للمعنى المذكور فى القاموس أو مقاربته له ، دون اعتبار لغرابته على المستعملين أو لثقله على اللسان والأذن ، ومن ثم اقترحت تلك الألفاظ التى لم تتجاوز مجلتهم بحال : غَطَمُّش ، وغُمْنَه ، وإتب ومِئْتَبَة .

ويبدو من بعض الأمثلة أن مقترحيها مشوا فى طريق عكسى ، قرأوا القاموس أولا ثم وقفوا عند بعض الألفاظ ، وظنوا مقاربتها لبعض الألفاظ العامية أو الدخيلة .

هذا هو الحال - فيما أظن - مع كلمة ( قيض ) التى اختيرت بديلاً عن العبارة ( قشرة البيضة الخارجية ) و ( غِرقِىء ) للقشرة الداخلة ، ( فِنْقِىء ) لبياض البيض و ( مُح ) لصفاره[٩٢] .

محمد حسن عبد العزيز
الخبير بالمجمع

( ٧١ ) مجموعة الخطب ص ٨٣ .

( ٧٢ ) مجموعة الخطب ص ٨٤ .

( ٧٣ ) مجموعة الخطب ص ٨٥ .

( ٧٤ ) مجموعة الخطب ص ٨٦ .

( ٧٥ ) مجموعة الخطب ص ٩٠ .

( ٧٦ ) مجموعة الخطب ص ٩١ - ٩٥ .

( ٧٧ ) المقتطف مجلد ٣٣ ( ١٩٠٨ ) ص ٢٦٧ ، ونشرت خطبة حفنى ناصف فى ص ٤٠٨ - ٤٢٠ ، وانظر أيضا ص ٥٢٣ ، والمنار مجلد ١١ ( ١٩٠٨ ) ص ٣٧٩ ، ونشرت خطبة حفنى ناصف فى مجلد ١١ من ص ١٢١ إلى ص ١٤١ ، وانظر مجلد ١٣ ص ٤٥٧ و ٤٥٩ ، والهلال مجلد ١٦ ( ١٩٠٨ ) ص ٢٣٣ - ٢٣٩ .

( ٧٨ ) أحمد ( محمد خلف الله ) مستقبل العربية الفصحى ، ص ٢٦٦ .

( ٧٩ ) المعلوف ( أمين ) تعريب الأسماء الأعجمية .

( ٨٠ ) صروف ( يعقوب ) المقتطف مجلد ٧٣ ، جـ ٧ ، يونية ١٩٠٨ م ومجلد ٧٣ جـ ٨ ، يولية ١٩٠٨ م .

( ٨١ ) صحيفة نادى دار العلوم : السنة الأولى ، العدد الأول والعاشر . وانظر فى إنشاء النادى الصحيفة وجهودهما : حبيب ( توفيق ) محاولات إنشاء مجمع لغوى . المقتطف مجلد ٧٢ يناير ١٩٢٨ ص ٦٠ والخطيب ( محب الدين ) حاجتنا إلى مجمع يوثق به . المقتطف مجلد ٨٢ مارس ١٩٣٣ ص ٢٩٤ ، وعبادة ( عبد الفتاح ) المجمع اللغوى . الهلال ١٩٢٩ ص ٣٠٣ - ٣٠٩ فهمى ( منصور ) تاريخ المجامع . مجلة المجمع ١ / ١٧٠

الحمزاوى ( د . محمد رشاد ) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ٣٨ ، ٣٩ .

( ٨٢ ) صحيفة نادى دار العلوم ، السنة الثانية العدد السابع ص ١٩٢ .

( ٨٣ ) حبيب ( توفيق ) محاولات لإنشاء مجمع لغوى ص ٥٩ والخطيب ( محب الدين ) حاجتنا إلى مجع يوثق به ص ٢٩٣ .

( ٨٤ ) السابق .

( ٨٥ ) عبد الجواد ( محمد ) تقويم دار العلوم ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

( ٨٦ ) الهلال مجلد ١٦ عام ١٩٠٨ ص ٢٨٣

( ٨٧ ) رضا ( أحمد ) متن اللغة ١٢٢/١ - ١٢٦ .

( ٨٨ ) الضياء جـ ١٥ ص ٧١٠ - ٧١٢ .

( ٨٩ ) عطية ( رشيد ) الدليل إلى مرادف العامى والدخيل . بيروت ١٨٩٨ .

( ٩٠ ) صحيفة نادى دار العلوم ، العدد الثانى السنة الثالثة ص ٤٦ .

( ٩١ ) السابق ص ٤١ .

( ٩٢ ) السابق ص ٤٦ ، ٤٨ .

## مراجع البحث


**توفيق ( حبيب )**

محاولات لإنشاء مجمع لغوى ، المقتطف ، مجلد ٧٢ يناير ١٩٢٨ م .

**الحمزاوى ( محمد رشاد )**

أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٨ م .

**الخطيب ( عدنان )**

المعجم العربى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٦ م .

**الخطيب ( محب الدين )**

حاجتنا إلى مجمع يوثق به ، المقتطف ، مجلد ٨٢ ، مارس ١٩٣٣ م .

**أحمد ( محمد خلف الله )**

مستقبل الفصحى ، البحوث والمحاضرات ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دورة ٣٤ عام ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ م .

**الدسوقى ( محمد على )**

تهذيب الألفاظ العامية ، ط ٢ ، مطبعة الواعظ ١٩٢٠ م .

**دياب ( محمد )**

معجم الألفاظ الحديثة ، مطبعة السعادة ، ١٩١٩ م .

**رضا ( أحمد )**

متن اللغة العربية ، بيوت ١٩٥٨ م .

**زيدان ( جورجى )**

المجمع اللغوى ، الهلال ، السنة الأولى ، جـ ٨ ، ٨ مارس ١٨٩٣ م .

تاريخ اللغة العربية والألفاظ المولدة ، الهلال ، السنة الأولى ، جـ ٨ ، ٩ ، ١٨٩٣ م .

الترجمة والتعريب ، السنة السادسة عشرة جـ ٤ ، ١٩٠٨ م .

**الشدياق ( أحمد فارس )**

كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ، مطبعة الجوائب ، الآستانة ، ١٢٨٨ هـ .

**الشهابى ( مصطفى )**

المصطلحات العلمية ، ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٧ م .

**الشيال ( جمال الدين )**

تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٠ م تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد محمد على ، دار الفكر العربى بمصر ، ١٩٥١ م .

**صروف ( يعقوب )**

- أسلوبنا فى التعريب ، المقتطف مجلد ٧٣ ، جـ ٧ ، يونيه ١٩٠٨ م .

- أساليب العرب فى التعريب ، المقتطف مجلد ٧٣ ، جـ ٨ ، يوليه ١٩٠٨ م .

**عبادة ( عبد الفتاح )**

المجمع اللغوى ، الهلال ١٩٢٩ .

**عبد الجواد ( محمد )**

تقويم دار العلوم ، دار المعارف ( بدون تاريخ ) .

**العدل ( حسن توفيق )**

أصول الكلمات العامية ، مطبعة الترقى ، ١٣١٧ هـ

**عطية ( رشيد )**

الدليل إلى مرادف العامى والدخيل ، بيروت ، ١٨٩٨ م .

**منصور ( فهمى )**

تاريخ المجامع ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جـ ١ .

**المعلوف ( أمين )**

تعريب الأسماء الأعجمية ، المقتطف يونية ويولية ١٩١١ م .

**ناصف ( حفنى )**

مجموعة الخطب التى ألقيت فى نادى دار العلوم ، مطبعة الواعظ ١٩٠٨ م .

**اليازجى ( إبراهيم )**

اللغة والعصر ، مجلة البيان ، السنة الأولى ، يونيه ١٨٩٧ م .

- التعريب ، مجلة الضياء ، السنة الثانية ، أبريل ١٩٠٠ م .

- المجاز ، مجلة الضياء السنة الخامسة ١٩٠٢ م .

شارك فى مراجعة تجارب هذا الجزء من المجله

**السيده / سميرة صادق شعلان**

رئيس قسم التحرير والشئون الثقافية

رقم الايداع ٢٠٢

مطابع الدار الهندسية

ضیا

# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء الثامن والعشرون

رمضان ١٣٩١هـ

نوفمبر ١٩٧١م

مجمع اللغـة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع مراد بالجيزة

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

# مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين فى السنة)

## الجزء الثامن والعشرون

رمضان ١٣٩١هـ = نوفمبر ١٩٧١م

المشرف على المجلة :

د. إبراهيم أنيس

أمين التحرير :

إبراهيم الترزى

# الفهرس

## تصدير :



## بحوث ومقالات :





## من التراث اللغوى :



## شخصيات مجمعية :

## أعضاء راحلون :



## من أنباء المجمع :

بسم الله الرحمن الرحيم

# تصدير

# دور "الكومبيوتر" في البحث اللغوى

للدكتور إبراهيم أنيس

سمحت لنفسى هنا — أى فى عرين الأسماء — باستعمال هذا اللفظ الأجنبي « الكومبيوتر » إلى أن يضع له مجمعنا الموقر لفظا عربيا ! !

و « الكومبيوتر » هو فى حقيقة أمره جهاز علمى له ذاكرة خارقة فوق مقدور البشر ، وقدرة هائلة على سرعة الحساب ، وعلى ضخامة الكمّ الذى يقوم بحسابه . فمما يعطيه « الكومبيوتر » من نتائج فى زمن قصير قد يتطلب من مجموعة من الدارسين عمرا كاملا ربما يقدَّر بعشرات السنين .

وإذا كان هذا هو أوضح ما يتميز به « الكومبيوتر » فهل يكفى أن يطلق عليه اسم الحاسب الآلى ، مع علمنا بالكمّ البالغ الضخامة وبسرعة البرق فى حسابه وتذكره؟! وهل يغنى عنا شيئا أن نضيف إلى هذا الاسم كلمة « الإلكترونى » لمجرد تمويه الاسم على القارئ ؟ !

وقد جرى ذكر « الكومبيوتر » فى ندوة تضمّ صفوة من أهل العلم واللغة أعضاء مجمع اللغة العربية ، وتناول الحديث ما يمكن أن يطلق عليه باللغة العربية فى ضوء ما نسمع عن إمكانياته ومجالات تطبيقه ، واقترح له اسم « الحسّابة الآلى » على أساس أن التاء هنا لزيادة المبالغة ، أى مثل علاّمة وفهّامة ! ! ولكننا آثرنا فى تلك الندوة أن ننتظر رأى مجلس المجمع ومؤتمره بهذا الصدد .

على أن فكرة استخدام « الكومبيوتر » فى البحوث اللغوية قد ظلّت تداعب خيالى منذ سمعت عن مجالات تطبيقه ، ولكنى لم أجرؤ على مصارحة أحد بذلك إلى أن حدثنى فى هذا الشأن الأستاذ الكبير الدكتور « محمد كامل حسين » متسائلا : لماذا لا نستخدم « الكومبيوتر » فى بحوث لغتنا العربية ؟ وكأنى بعد هذا القول قد صحوت من غفوة وقد غمرنى قدر كبير من الحماس ، لاسيا بعد أن تذكرت ما عانيت من جهد وإرهاق ومعى عدد من تلاميذى طلبة كلية دار العلوم فى الاستقراء والإحصاء بالطرق التقليدية ، حين قمت بالبحث منذ سنين فى محاولة للاهتداء إلى نسبة شيوع الأوزان فى الشعر العربى ، وكذلك فى إحصاء أبواب الفعل الثلاثى ، وجموع التكسير ، وغير ذلك مما نشر فى كتبى أو فى مجلة مجمع اللغة العربية ، ومّما لو قد أتيح لنا حينئذ أن نطبّق فيه ما يسمى الآن « بروجرام الكومبيوتر » لوفرنا جهدا كبيرا وزمنا طويلا ، ولجئنا بنتائج أدق وأشمل .

ومع تعدّد المجالات التى استخدم فيها « الكومبيوتر » فى بلادنا حتى الآن يبدو أنها فى الأعم الأغلب تستهدف إما تحقيق معدّلات أكبر فى كفاءة الإنتاج بالشركات والبنوك والمؤسسات التجارية والصناعية ، أو تيسير الأمور الإدارية بوفرة البيانات ودقتها فى الوزارات والهيئات ، التى مهمتها الأساسية الخدمات العامة لجمهور المواطنين .

ولا نكاد مع الأسف نرى عندنا توسعا كافيا فى تطبيق « الكومبيوتر » للحصول على النتائج الأكاديمية البحتة ، التى لا تتطلع إلاّ إلى تطور فى نظرية علمية ، أو تقدم فى البحث المبحث ذاته ، بصرف النظر عن النفع المادى العاجل ! !

ومن هذا القليل فى مجالات تطبيق « الكومبيوتر » ، أو ربما يكون أبرزها استخدامه فى البحث اللغوى .

وقد آن الأوان لنا نحن أبناء العربية أن نحاول الإسهام فى ذلك المجال . ولا أشك لحظة فى أن ما سنحققه عن هذا الطريق سيغيّر من آرائنا بصدد كثير من الظواهر فى لغتنا العربية .

وكان القدماء من علماء العربية يشيرون أحيانا فى ثنايا كتبهم إلى ما سموه بكثرة الاستعمال ، ويعلّلون به ظواهر لغوية معيّنة ، ولكنهم لم يبيّنوا لنا فى وضوح حدود ما سموه بكثرة الاستعمال ، بل كثيراً ما اختلفوا فى نسبته .

وربما يكون تفكير هؤلاء القدماء بصدد « كثرة الاستعمال » هو الذى تجاوز بعدهم فى ذلك البحث الذى قام به أحد أساتذة جامعة « هارفارد » ، ووقفنا عليه فى الثلاثينات أى قبل أن يظهر « الكومبيوتر » فى عالم المستحدثات (1) .

وخطرت لى وأنا أفكر فى دور « الكومبيوتر » فى البحث اللغوى تلك الملاحظات السريعة التى ترددت فى كتب بعض علماء العربية من القدماء حين يشيرون إلى ما يمكن أن يعدّ علامات لتمييز الكلمة العربية من الكلمة الأعجمية مثل قولهم :

( ١ ) لا تجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية الأصل ، ولذلك تُعَدُّ كلمة « المنجنيق » من الألفاظ الأعجمية .

( ٢ ) لا تقع الطاء مع الجيم فى كلمة عربية ، ولذلك عدّت كلمة « الطاجن » أعجمية .

( ٣ ) لا تجتمع الصاد والجيم فى الكلمات العربية الأصل ، فمثل « صولجان » وكذلك « الجصّ » مما اقترضه العرب .

( ٤ ) لاتقع النون وبعدها راء فى اللفظ العربى ، فمثل « نرجس » كلمة أعجمية .

1) Ziph. G, K. selected studies of the Principle of relative frequency in language Harvard 1932,

(٥) لا تكون الزاى بعد دال فى كلمة عربية ، فمثل « مهندز » كلمة أعجمية تغيرت حتى صارت الآن على الصورة المألوفة « مهندس » ..

(٦) لا تجتمع الزاى أو الذال مع السين فى كلمة عربية ، فكلمة « ساذج » معربة عن الفارسية .

ثم تساءلت بعد أن تذكرت كل ذلك وقلت : هل من سبيل إلى الوقوف على ملامح جديدة فى نسيج الكلمة العربية ؟ ! وانتهزت فرصة زيارتى للكويت بوصفى أستاذا زائرا للجامعة هناك ، وتحدثت مع القائمين بالعمل على جهاز « الكومبيوتر » وعلى رأسهم الدكتور على حلمى موسى الأستاذ بقسم الفيزياء ، وطال الحديث والتفكير ، وتكفل الدكتور حلمى بوضع مشروع أو « بروجرام كومبيوتر » كما يسمونه ، لنهتدى عن طريقه إلى تلك الملامح على أساس إحصاءات فى الحروف الأصلية لموادّ لغتنا العربية . وأنجز أستاذ الفيزياء الجزء الأول من هذا المشروع الرائع ، وتمّ طبعه فى الكويت على نفقة الجامعة هناك ، كما تمّ توزيعه على جميع أعضاء المجامع اللغوية فى البلاد العربية ، وعلى أقسام اللغات وأقسام الرياضة والإحصاء فى كلياتنا الجامعية .

وبقى علينا نحن اللغويين أن نفيد منه ، وأن نستنبط على أساسه ما قد يعن لنا من آراء جادة أصيلة فى بحوث لغتنا العربية .

ويكفى أن أشير هنا إلى أنى بعد أن تصفحت تلك الإحصاءات بدت لى وجهة نظر جديدة بصدد كثير من ظواهر اللغة العربية ، وأرجو أن أستكمل بحثها ونشرها فى المستقبل القريب إن شاء الله .

وبالله التوفيق .

نوفمبر سنة ١٩٧١ م

**ابراهيم انيس**
المشرف على المجلة

# بحوث ومقالات

# المعجم الكبير

## للدكتور إبراهيم مدكور

قد لا يكون ثمة لغة توافر لها من المعجمات مثل ماتوافر من قديم للغة العربية ، ففي القرن الثاني للهجرة افتتح الخليل بن أحمد عصر المعجمات الكبرى ، ووضع «كتاب العين» المشهور ؛ وتنافس الباحثون من بعده في وضع معجمات متلاحقة في أحجام مختلفة ، وفي تبويب متنوع . ولا يكاد يخلو قرن من ظهور معجم عربي ، وربما ظهر في القرن الواحد عدة معاجم . وقد وصل إلينا معظم المعجمات القديمة ، وبين أيدينا اليوم قدر منها لا بأس به ، ومنه ما ترجم إلى بعض اللغات الأوربية .

٢ ـ وللمعجمات القديمة قيمة تاريخية لا تنكر ، فهي غزيرة المادة ، وثيقة الرواية ، وفيها معين لا ينضب في شرح الألفاظ الغريبة والعبارات الغامضة . ولكنها لا تخلو من عيوب مشتركة ، كالحشو والتكرار ، ونقص التعريفات أو غموضها ، وخلط المعلومات وبخاصة ما اتصل منها بالتاريخ والجغرافيا ، أو الكيمياء والطبيعة . وتبويبها معقد ، وفي الرجوع إليها عناءٌ لا يقوى عليه عامة الدارسين . ولا يتمشى الأساس الذي تقوم عليه مع سنة التطور ، فهي تضيق دائرة اللغة ، ولا تقبل إلا ما أُخذ به في الجاهلية وصدر الإسلام ، وتقف بالاحتجاج عند القرن الثاني للهجرة . وقد لوحظ هذا عليها منذ زمن ، وأُريد تداركه حديثا بوضع معجمات عربية جديدة تتمشى مع المنهج السليم .

٣ ـ ولا شك في أن فن التأليف المعجمي نما وتطور على مر الزمن ، وبلغ القمة في

---

كلمة ألقيت في مؤتمر المستشرقين الثامن والعشرين الذي عقد في كانبرا باستراليا في المدة من ٦ إلى ١٣ من شهر يناير ١٩٧١

القرن التاسع عشر الذى ظهرت فيه معجمات هامة فى لغات شتى ، مثل : « لا روس » فى الفرنسية ، و «أكسفورد» فى الإنجليزية ، و « أدلونج » فى الألمانية ومعجم أكاديمية بطرسبورج فى الروسية. وهى تحرص جميعا على الدقة والوضوح ، وتعنى بترتيب المواد ، وتحديد مدلول الألفاظ ، وتجارى تقدم العلم والفن . ونحا بعض المعجمات العربية الحديثة نحوها ، « كالمنجد » الذى ظهر فى أوائل هذا القرن ، وجاء محاكاة صادقة لمعجم « لاروس الصغير » .

٤ ــ ويوم أن أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، أريد به أن يضطلع ، بين أعبائه المختلفة ، بوضع معجم تاريخى للغة العربية . وشاءت الصدف أن يكون بين أعضائه المؤسسين لغوى أوربى كبير ، هو المستشرق الألمانى فيشر الذى عنى بالمعجمات العربية منذ أخريات القرن الماضى ، ورغب فى أن يخرج معجما عربيا تاريخيا على غرار « معجم أكسفورد ولم يتردد المجمع فى أن يوفر له أسباب البحث ، وأن يتعاقد معه على نشر معجمه الذى كان يأمل أن يخرجه فى سبع سنوات ، ولكن حالت الحرب العالمية الثانية دونه وما يريد . وعبثا حاول المجمع أن يلم شعث ما تفرق من أصوله ، ولم يقف من جهود ٤٠ سنة إلا على جزازات غير مستوفاة

* * *

٥ ــ ويوم أن يئس المجمع من إخراج معجم فيشر التاريخى ، أخذ نفسه بوضع ما سماه « المعجم الكبير » ، وأخرج منه عام ١٩٥٦ نموذجا فى نحو ٥٠٠ صفحة عده تجربة دعا المتخصصين إلى قراءتها وتسجيل ملاحظاتهم عليها . ثم استمر فى عمله ، واستطاع فى منتصف العام الماضى أن يخرج الجزء الأول من معجمه الكبير الذى أقدمه اليوم . وهو مقصور على حرف الهمزة ، ويقع فى نحو ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير . وقد جاء كما ترون ثمرة جهود طويلة متصلة ، ووليدة خبرة واسعة . أعد ماته محررون دربوا فى كنف المجمع وتحت إشرافه ، وراجعها خبراء متخصصون

فى علوم اللغة ، وفى اللغات السامية والفارسية والتركية . ثم عرضت على لجنة المعجم الكبير من بين أعضاء المجمع ، وهم من كبار رجال الأدب واللغة والعلم والفلسفة ، ولم يتردد هؤلاء فى أن يرجعوا إلى زملائهم المجمعيين الآخرين فى نواحى تخصصهم المختلفة .

٦ ـ ونستطيع أن نقرر أن هذا المعجم لون جديد فى عالم المعجمات العربية ، فيه تأصيل وتحقيق ، فذُكِرَ فى صدر المادة النظائر السامية إن وجدت ، وفى هذا ما يربط العربية بأخواتها السامية ، وما يفتح بابا لدراسة مقارنة . وأُشير بعد هذه النظائر إلى معانى المادة الكلية ، متدرجة من الحسى إلى المعنوى ، ومن الحقيقى إلى المجازى .

وفيه جمع واستيعاب ، ورجوع إلى المصادر الأُولى ، وتعويل ما أمكن على النصوص الثابتة ؛ فلم يقتصر فيه على الأخذ من المعجمات القديمة ، ومنها المطبوع والمخطوط ، بل أُضيف إليها كتب الأدب والعلم والتاريخ . وللغة نطاق واسع وميادين كثيرة يجب تتبعها والأخذ عنها . واستشهد فيه ما أمكن على المواد توضيحا للمعنى ، وتأييدا للاستعمال . ورتبت الشواهد ترتيبا طبيعيا ، فبُدِئ بالقرآن ، وتلاه الحديث ، ثم جاء بعدهما النص المنثور ، ومنه المثل ، ثم ختم بالشعر ، واستشهد بالقديم والحديث على السواء ، واللغة كل متصل الأجزاء ، يرتبط حاضره بماضيه ، ومن التصور أن نقف بها عند حدود زمنية معينة .

وعنى فيه عناية خاصة بالوضوح والدقة ، فرتب ترتيبا دقيقا ، وبوب تبويبا سهلا . بُدِئَ فيه بالفعل الثلاثى ، مع ضبط عين مضارعه وذكر مصدره ، ثم تلاه الثلاثى المزيد بحرف أو أكثر ، وجاء بعدهما الرباعى بأنواعه . ولم تذكر المشتقات لأنها قياسية ، وختم بالأسماء مشتقة كانت أو جامدة ، وذكرت معها جموع التكسير وحدها فى الغالب . والتزم فى كل هذا الترتيب الحرفى ، ولكن فى حدود المادة اللغوية ، تمشيا مع طبيعة العربية وأنها لغة اشتقاقية . وصيغت التعريفات فى عبارة مختصرة وأُسلوب سهل ، ووضحت النصوص المأثورة والشواهد المعقدة .

ولم يكن بد لمعجم القرن العشرين أن يتابع العلم فى سيره وتطوره ، وأن يسجل لغته الخاصة ، وهى جزءٌ من اللغة العامة فأورد من القديم اصطلاحات الفقهاء والمحدِّثين والمناطقة والعروضيين . واكتفى من المصطلحات الحديثة بما شاع استعماله فى الأوساط العلمية والحياة العامة ، أو كان وثيق الصلة بالاستعمال الأدبى واللغوى ، ووقف فى ذلك كله عندما أقره مجمع اللغة العربية ، وعرض المعجم أيضا لأعلام الأشخاص ، فعرَّف بها فى اختصار وأنزلها منزلتها فى تاريخ الفكر الإنسانى . ولأسماء بعض الأماكن ذكر متصل فى الأدب العربى ، ولا مناص من الإشارة إليها ، وإن عز تحديد مواقعها أحيانا . وأضيف إليها أسماءُ القارات والدول والمدن الشهيرة ، وما كانت له قيمة تاريخية ، أو نسب إليه علماءُ مشهورون .

* * *

ففى هذا المعجم جوانب ثلاثة أساسية : جانب منهجى هدفه الأول دقة الترتيب ووضوح التبويب ، وجانب لغوى عنى فيه بأن تصور اللغة تصويرا كاملا ، فيجد فيه طلاب القديم حاجتهم ، ويقف عشاق الحديث على ضالتهم . وفيه أخيرا جانب موسوعى يقدم ألوانا من العلوم والمعارف تحت أسماء المصطلحات والأعلام ، وروعى فى هذا الجانب الجمع بين القديم والحديث ما أمكن ، فذكرت معطيات العلم العربى ، وأضيف إليها ما جاء به العلم الحديث . وفى هذا كله عمق ودقة ، وأصالة وتجديد ، ويسر وتيسير .

**ابراهيم مدكور**
الأمين العام للمجمع

# أكثر من واحد..

للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

هل من الخطأ فى اللغة أن يقال : كذا اسم لأكثر من واحد ؟
وهل يتعين أن يقال : كذا اسم لغير واحد ؟

ويقول بعض العلماء : إنه يجرى على ألسنة كثير من الباحثين وأقلامهم - عندما يعرض لهم فى بعض المقامات علم من الأعلام ، قد سمى به عدة أشخاص أو عدة أشياء - أن يقولوا : إنه « اسم لأكثر من واحد » وهذا تعبير خطأ لا تسمح به قواعد اللغة العربية .

وذلك أن صيغة « أفعل التفضيل » تقتضى زيادة المفضل على المفضل عليه فى المعنى المشترك بينهما ، كما يقال : « زيد أعلم من عمرو ، وبكر أكرم من خالد » .

فالمثال الأول يفيد أن زيدا وعمرا كلاهما عالم ، وأن ما عند زيد من العلم أعظم مما عند عمرو .

والمثال الثانى يفيد أن كلا من بكر وخالد كريم ، وأن بكرا أوسع كرما من خالد .

قالوا : وهذا المعنى الذى يقتضيه « أفعل التفضيل » لا يثبت فى العبارة التى هى موضوع البحث : « كذا اسم لأكثر من واحد » فإنه ليس فى الواحد كثرة يشترك بها مع ما فوقه من الأعداد .

فلا يصح حينئذ أن يصاغ فيه « أفعل التفضيل » من معنى الكثرة ، إنما الذى

يمكن أن يكون صحيحا هو أن يقال : « كذا اسم لغير واحد » أى لاثنين أو ثلاثة أو ما فوق ذلك .

هذا ما يقوله أولئك العلماء ، وهو قول يدل على أنهم لم يعطوا مسألة « أفعل التفضيل » حقها من الدراسة المستوعبة ، ولم يتتبعوا الاستعمالات المختلفة التى وردت بها صيغة « أفعل » فى اللغة العربية ، بل وقفوا عندما اشتهر من أحكام هذه الصيغة .

إن دلالة الصيغة على المفاضلة بين أمرين بزيادة أحدهما على الآخر فى المعنى المشترك بينهما ليست الحكم الوحيد لأفعل التفضيل ، وإنما ذلك إذا لم يقصد به شئ آخر غير تلك المفاضلة ، فإذا قصد به معنى آخر غير المفاضلة – وذلك كثير فيما ورد فى اللغة – فإن غاية ما يستفاد من الصيغة إنما هو ثبوت المعنى للطرف الذى يطلق عليه اسم المفضل ، ولا تفيد اشتراك الطرف الآخر فى هذا المعنى :

( ا ) فإذا قيل : « زيد أقصر من عمرو » كان ذلك محتملا أمرين .

« الأول » المفاضلة بين زيد وعمرو فى القصر على أساس اشتراكهما فى أصل هذا المعنى مع زيادة زيد فيه على عمرو .

« الثانى » ألا يكون المقصود المفاضلة بينهما على هذا الوجه ، وإنما يكون المقصود إفادة ثبوت القصر لزيد ، على حين أن عمرا يكون طويل القامة ، وأن طول قامته بين لا شبهة فيه ، ولكن لما كان الكلام فى معرض خاص هو بيان قامة كل منهما جئ بالعبارة فى صورة المفاضلة ، أى أن المراد بها إفادة أن قامة زيد قصيرة ، على حين أن قامة عمرو طويلة بينة الطول ، وأنها لا تشاركها فى القصر .

(ب) وإذا قيل : « كل إنسان أحق بماله » فليس المعنى فيه على أن صاحب المال يشاركه غيره فى ثبوت حق له على هذا المال ، وأن حق صاحب المال أكبر وأعظم من حق غيره عليه .

ليس المعنى على ذلك ، فإنه ليس لأحد غير صاحب المال حق فيه أو عليه ، وإنما الحق كله لصاحبه .

(ج) ثم إنه لا ينكر في اللغة ولا في المنطق أن ينسب شيء إلى شيء آخر بالكبر أو الصغر أو المساواة ، فيقال : هذا أكبر من ذاك أو أصغر منه أو مساو له ، بل إن كل شيء يمكن أن ينسب إلى غيره على هذا الوجه ، وهو حينئذ لا بد أن يكون واحدا من هذه الثلاثة ، فهي لا تجتمع فيه جميعها ، ولا اثنان منها ، كما لا يمكن أن يخلو منها كلها .

والواحد مع ما فوقه من الأعداد لا يخرج عن هذا القانون ، فهو لا بد أن يثبت له أحد هذه الأمور الثلاثة ، وينفى عنه الاثنان الآخران ، فلا يمكن أن يقال : إنه مساو لما فوقه أو أكبر منه ، بل يتعين أن يقال : إنه أقل مما فوقه وأصغر منه ، وإذا صح أن يقال : إن الواحد أقل من الاثنين وأصغر منهما فإنه يصح بالضرورة أن يقال : إن الاثنين أعظم من الواحد وأكبر منه وأكثر ، وذلك لا يوجب أن يكون هذا الواحد عظيما أو كبيرا أو فيه كثرة ، فإن وجوب مشاركة المفضل عليه للمفضل في أصل المعنى الذى تجرى فيه المفاضلة بينهما إنما يكون في « أفعل » الذى جاء على الوجه الذى اشتهر به كما قدمنا ؛ فأما إذا كان على غير هذا الوجه فإنه لا يوجب تلك المشاركة .

* * *

(د) هذا واستعمال « أفعل التفضيل » على هذا الوجه الذى ليس فيه مشاركة بين اثنين في أصل معنى الصيغة لا ينبغى أن يقال إنه شاذ أو ضعيف ، فإنا نجده قد ورد في آيات كثيرة من الكتاب العزيز كما يتبين مما يلى :

١ ــ قال الله تعالى : « أفمن يَهْدِى إلى الحق أحق أن يُتَّبَع أم منْ لا يَهِدِّى إلا أنْ يُهْدَى » . ( ٣٥ يونس ) .

٢ ـ وقال تعالى : « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » ( ٢٢ الملك ) .

ففى الآية الأولى إشارة إلى القول الذى يتعين أن يكون جوابا فى هذا المقام إذا كان مما يطلب فيه جواب ، وذلك القول المتعين هو أن الأحق بأن يتبع إنما هو ذلك الذى يهدى غيره إلى الحق ، وليس هو الذى لا يهتدى إلا إذا هداه غيره .

لكن ذلك لا ينبغى أن يفهم على أساس « أفعل التفضيل » الذى يقتضى المشاركة بين أمرين فى معنى مع زيادة أحدهما على الآخر فيه ، فإن من لا يهتدى إلا إذا هداه غيره ليس له جدارة أن يكون أو حقية أن يكون متبوعا يهتدى به غيره ، فليس هناك معنى مشترك بين الطرفين يزيد فيه أحدهما على الآخر .

فصيغة « أفعل » فى قوله سبحانه « أحق أن يتبع » ليس المراد بها إلا أن من يهدى غيره إلى الحق هو الجدير وحده أن يُتبع وأن يَقتدِىَ به غيره .

وكذلك الحال فى آية الملك « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » .

فإن القول المتعين بإزاء هذه المقابلة ـ وهو ما ترشد إليه الآية الكريمة ـ هو أنه لا شك أن الذى يمشى سويا على صراط مستقيم هو الأهدى والأرشد ، وليس هو من يمشى مكبا على وجهه ، متخبطا فى سيره ، لا يدرى أين هو ولا أين يذهب . لكن هذه الصيغة : « أهدى » لا يصح أن يفهم منها فى الآية أن كلا من السائر على الصراط المستقيم والمتخبط الهائم على وجهه قد ثبتت له الهداية ، وأن حظ الأول منها أعظم من حظ الثانى ، فإن هذا الثانى ليس له حظ من الهداية أصلا .

(هـ) ومما وردت فيه صيغة « أفعل » لغير المفاضلة التى تقتضى اشتراك اثنين فى معنى مع زيادة أحدهما فيه على الآخر قوله تعالى :

٣ - « أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة » . ( ٤٠ فصلت )

٤ - وقوله سبحانه : « قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون » ( ١٥ الفرقان )

واسم الإشارة فى قوله سبحانه : « أذلك خير » راجع إلى السعير والعذاب به كما دل على ذلك قوله تعالى : « بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا » .

٥ - ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم » : ( ٦٢ الصافات )

واسم الإشارة فى هذه الآية راجع إلى أنواع النعيم التى فصلتها الآيات قبل ذلك لعباد الله المخلصين ، والتى أشير إليها فى قوله سبحانه : « إن هذا لهو الفوز العظيم ، لمثل هذا فليعمل العاملون » .

٦ - وكذلك قوله عز وجل : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم » . ( ١٠٩ التوبة ) .

ففى هذه الآيات وردت كلمة « خير » ، وهى « أفعل تفضيل » لكنها لا تفيد المفاضلة بين الأمرين المتقابلين على أساس اشتراكهما فى أصل الخيرية مع زيادة أحدهما فيها ، فإنه لا خير مطلقا فى جانب من يلقى فى النار ، أو من يكون جزاؤه عذاب السعير ، أو من يكون طعامه من شجرة الزقوم التى تنبت فى أصل الجحيم ، أو من أسس بنيانه على حافة جرف هار انهار به فى نار جهنم .

لا خير فى شىء من ذلك ، وإنما الخير كل الخير فى الطرف الآخر

المقابل ، وهو من يأتى آمنا يوم القيامة ، ومن يكون جزاؤه جنة الخلد التى وعد الله المتقين ، والتى فيها نزله ومستقره الكريم ، وكذلك من أسس بنيانه على تقوى الله ورضوانه .

(و) ومما يتضح فيه المعنى الذى قررناه — وهو أن صيغة « أفعل » قد ترد غير مراد بها المفاضلة بين أمرين بحيث يكونان مشتركين فى أصل المعنى مع زيادة أحدهما فيه — قوله تعالى :

٧ — « الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا » . (٣٤ الفرقان) فإنه لا يمكن أن تكون صيغة « أفعل التفضيل » هنا فى كلمتى « شر وأضل » لإفادة المفاضلة التى تقتضى الاشتراك فى أصل معناهما مع زيادة أحد الطرفين فى هذا المعنى على الآخر ، فإن هذين الطرفين أحدهما الكفرة الفجار المنكرون للبعث وهم أصحاب النار ، أما الطرف الآخر فهو الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنون الأخيار . ولا شك أن « ضلال السبيل وشر المكان » أمران مقصوران على فريق الكافرين الذين هم أصحاب الجحيم .

(ز) ومن هذا القبيل الذى يتضح فيه المراد قوله تعالى :

٨ — « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا » . (٢٤ الفرقان) فإنه ليس المعنى على أن أصحاب الجنة لهم فى الآخرة مستقر ومقيل خير وأفضل من مستقر أصحاب النار ومقيلهم مع إثبات أصل الخيرية والحسن لمستقر هؤلاء ومقيلهم .

ليس المعنى على ذلك ، فإنه ليس فى مستقر أهل النار أو مقيلهم شىء من الخير أو الحسن ، وإنما ذلك مقصور على مستقر أهل الجنة ومقيل أهل الجنة .

هذا – وإنى أرى هنا أن أنهى القول فى هذه المسألة التى قام عليها هكذا أكثر من دليل ، ( ولا أحب أن أقول : التى قام عليها غير دليل ) كما كان يريد المخالفون .

أرى أن أختم هذا القول بآية بينة من الكتاب العزيز ، وهى الآية الثانية عشرة من سورة النساء ، التى يقول الله تعالى فيها : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » . فإن قوله سبحانه : « فإن كانوا أكثر من ذلك » معناه الذى لا يصح خلافه هو : فإن كانوا أكثر من أخ واحد أو أكثر من أخت واحدة . ولا يجرؤ أحد أن يقول إن معناه : فإن كانوا أكثر من الاثنين : الأخ والأخت معا ، وذلك أن كلمة « أو » فى الآية هى للدلالة على أحد الشيئين ، وليست للدلالة على الاثنين جميعا .

هذا نص قرآنى فيه الدلالة الكافية الشافية ، التى تقطع الشك وتسد باب الجدل ، والله ولىّ التوفيق .

**عبد الرحمن تاج**

عضو المجمع

# بكاء الشباب

للأستاذ على الجندى

كان عمر بن أبي ربيعة — إذا رأى شابًا — شدّ شعره ، وصاح :

واشباباه ! واشباباه !

ويقول الأصمعيّ : أفضل أنماط الشعر : المراثى ، والبكاء على الشباب ، ولقد بكت العرب الشباب ، وما وفته حقّه !

ومن الشعراء الذين بكوا الشباب بكاء حارا ! وتوجّعوا للمشيب توجّعا عميقا ؛ الطائى الأكبر « أبو تمام »

وكان « أبو تمام » مخلصا فى بكائه وتوجّعه ؛ لأن المشيب نزل به مبكّرا قبل الأوان ! ويكفى أن نعرف أنه مات فى نحو الأربعين من عمره ، ومعنى ذلك أنه شابَ فى شرخ الشباب ؛ إذ لابدّ أن المشيب سبق وفاته بمدة طويلة .

فمن ذلك قوله :

شاب رأسى وما رأيت مشيب الرأس
إلّا من فضل شيب الفؤاد

وكذاك القلوب فى كل بُؤْس
ونعيم طلائعُ الأجساد

زارنى شخصُه بطلعة ضَيْم
عَمَرت مجلسى من العُوّاد

نال رأسى من ثُغْرة الهم داءٌ
لم ينله من ثُغْرة الميلاد

ومعنى البيت الأخير : أنه لم يشب شيبا طبيعيا ، بل وجد الشيبُ من الهم فرجة نفذ منها إلى رأسه ! لأن من شأن الهمِّ أن يُشيب صاحبه ؛ كما قال المتنبى :

والهم يخترم الجسيمَ نحافةً
ويُشيب ناصيةَ الصبىِّ ويُهْرِم

وفى معنى وفود الشيب المبكر ؛ يقول أبو نواس :

وإذا عَدَدْتُ سِنِىَّ كَمْ هىَ لم أجِدْ
للشيب عُذْرا فى النُّزول برأسى

ويقول البهاء زهير :

وليس مشيبا ما ترون بعـــارضى
فلا تمنعونى أن أهيم وأطربـــا

فما هو إلا نـــور ثغر لثمته
تعلّق فى أطراف شعرى فألهبا

وأعجبنى التجنيس بينى وبينـــه
فلما تبدى أشنبا[1] رحت أشيبا

وأراد أبو تمام « بثغرة الميلاد » : الوقت المناسب الذى يهجم عليه الشيب فيه ، لأنه يجد السبيلَ ممهّدا حينئذ إلى الحلول برأسه ، شأنه فى ذلك شأن كل إنسان تعلو به السن .

وزبدة قوله : أنه يعلن فى شكوى مرة : أن هذا الضيف غير المحتشم ، تسلّل إليه من ناحية الهموم والأحزان ، لا من ناحية انصرام الشباب ، وتقادم العمر ، ومن أجل ذلك حُقّ له أن يتوجع ويتفجع !

وقد أخذ عليه القاضى الجرجانى قوله : « شيب الفؤاد » فذكر : أنه مما استقبح من استعاراته ، ثم قال : وزعموا أنه لما أنشَد ذلك بحضرة أحمد بن أبى دُوَاد قال من حضر : وكيف يَشيب الفؤاد ؟

فقال أبوتمام مرتجلا :

وكذاك القلـــــوبُ فى كلِّ بؤْس
ونعيم طلائـــــعُ الأجساد

ونحن لا نقر هذا النقد ، ولا نقيم له وزنا ، لأن القلب يصحّ أن يوصف بالشباب والشيخوخة تَجوُّزا ، على معنى التفتح للحياة ، والاستمتاع بمباهجها ومسراتهـــا ، وعلى معنى اليأس منها والتجهُّم لها ، والصدّ عن نعمائها وزَهرتها ، وكلُّنا يحسّ ذلك إحساسا واضحا ، ويلمسه فى تجاربه مع الناس ، فهذا فتى حزين النفس ، حرِج الصـــدر ، كاسف البال ، لا يشعر بلذة العيش فى رَيّق العمر ، ونَضْرة الصِّبا ؛ لأن قلبه قد هرم وشاخ ، وهذا شيخ بلغ أرذل العمر ؛ وهو ضاحك الوجه والثغر ، متوهّج النفس ؛ كثير التفاؤل ، آخذًا من متع الحياة بحظ موفور ؛ لأنه يحمل قلبا غضا فتيّا ، واسع الآمال ، ذاخرا بالعواطف الجياشة ، لا يبالى

(١) الشنب : ماء ورقة وبرد وعذوبة فى الأسنان وبريق .

هذه الغضون التى رسمتها السنون على الجبين ! وبخاصّة إذا كان شاعرا ؛ لأن الشعراء لا يعترفون بشهادة الميلاد ! ولا يجاوزون سِنَّ العشرين أبدا .

وقد أخذ المتنبى قول أبى تمام ، فنقل شيب الفؤاد إلى الكبد ؛ فقال :

إلا يَشِبْ فلقــد شابت له كبِــدٌ
شيبا إذا خَضبَتْه سـلْوةٌ نَصَلا[(١)]

وأخذه ابن زيدون فقال :

فشبت وما للشيّب وَخْطٌ بمفـ..رقى
ولكن لشيب الهمّ فى كبدى وَخْط

فاعترفا بأن الكبد تشيب ، وأرادا بالكبد : القلب ؛ لأن من عادة العرب أن تستعير لفظ الكبد للقلب ، حتى لتنسب إليها الخفوق ، كقول عُرْوة بن حِزام :

كأنَّ قطاةً عُلقّت بجناحهــا
على كبدى من شــدّة الخفقان[(٢)]

ونخرج من هذا : على أن القلوب منها مايهرَم والجسم فى الرّيعان ، ومنها مايظل أخضر ناضرا عامرا بالأحاسيس المشبوبة ، والأمانى الباسمة الناعمة ، وصاحبه هامةُ اليوم أو الغد[(٣)] !

وفى هذا المعنى يقول المتنبى — وقد ذكر النفس بدل القلب — :

وفى الجسم نفس لا تَشيب بشيبه
ولو أنَّ مافى الوجه منه حِــراب

يُغيِّر منّى الدهرُ ماشـاء غيرَها
وأبلغ أقصى العمــر وهْى كَعاب

وقال كاتب هذه السطور — فى معنى شباب القلب مع شيخوخة الجسم — من قصيدة يصف بها شيخا متصابيا :

ويحَ الشّيوخ من القــلو
ب الحائماتِ على الغديرْ

سَكنوا ومـا برِحتْ خـوا
فقَ بين أحنـاء الصّدورْ

لم ينضُب الزيتُ المُضىء
بها ، ولا خمَد السّعير

(١) نصل الخضاب ؛ : ذهب : يريد أنه لا يكاد يسلو ؛ حتى يعود إلى حبه

(٢) يرى بعضهم : أن الشاعر يريد الكبد حقيقة للمبالغة ، لأن الكبد لا تخفق ؛ فنسبة الخفوق إليها ، أبلغ من نسبته إلى القلب .

(٣) هامة اليوم أو غد : أى يموت اليوم أو غدا .

مَنهومة بالحسن هـــا
زئــة بأحكام الدُّهور

خرقاء تَمْضِى لاتبـــا
لى بالعَـذُول ولا العَذير

وضعيفة الحَبّات تحتَ
شَغافهــا أَسَدٌ هصور

يبْلَى الشّبابُ وتستجِدّ
صبابةٌ بِدُمَى الخُـدور

سلب الكبيرَ وقارَه
وقرارَه عبثُ «الصغير»[1]

فليس أبوتمام إذًا مخطئا فى قوله ، ولا متجاوزا مايسلِّم به الأَلِبّاء ، ولكن هذا الشاعر قد سبق عصره فى كثير من أخيلته ومعانيه ، فلم يفهمه بعض النقاد ، ورموه بأنه خالف عمود الشعر المعروف .

وقد أخذ عليه الآمدى أيضا قوله : «عمرتْ مجلسى من العواد» — وكان يتعصب عليه — فقال : لاحقيقة لهذا ولا معنى ؛ لأنا ما رأينا ولا سمعنا : أن أحدا جاءه عُوّاد يعودونه من الشيب ! ولا أن أحدا أمرضه الشيبُ ، ولا عزاه المعزون عن الشباب !

وهذا خَلْف من القول !

وقد كفانا الشريف المرتضى ، مئونة الرد على هذا النقد المغرض ، فقال : وهذا من الآمدى قلّة بصَر فى نقد الشعر ، وضعف بصيرة بدقيق معانيه ، التى يغوص عليها حُذّاق الشعراء ، ولم يُرِد أبوتمام العيادة الحقيقية التى يغشى فيهـا العواد مجالس المرضى ، وذوى الأوجاع ، وإنما هذه استعارة وتشبيه ، وإشارة إلى الغرض خفية ، فكأنه أراد أن شخص الشيب — لما زارنى — كثر المتوجّعون لى ، والمتأسفون على شبابى والمتفجعون من مفارقته ، فكأنهم فى مجلس عُوّاد لى ، لأن من شأن العائد ، أن يتوجّع ويتفجّع ! فكنى بقوله المذكور ، عن كثرة من تفجّع وتوجّع لمشيبه ، وهذا من أبى تمام كلام فى نهاية الحسن والبلاغة ، وما المَعيب إلاّ من عابه ، وطعن عليه .

(١) الصغير : كناية عن القلب الصبى .

ونزيد على ماقاله المرتضى : أنالشعراء صرّحوا : بأن تبكير الشيب وذهابه برسوم الشباب الناضر ، من الخطوب الجسام ؛ كمصيبة الموت سواء بسواء .

وقد جرت العادة أن يعزّى الناس بعضهم بعضا فى ذلك !

وفى هذا يقول داود بن جهوة :

سأبكى بدمع أو دم أشتفى بـــه
فهل لى عذرٌ إن بكيْت على نفسى
سلام على الدنيا ولذةِ عيشهـــا
سلامَ غُدُوٌ أو رَوا حٍ إلى رمــس
وأنكرت شمسَ الشّيب فى ليل لِمّتى
لعمرى لَلَيْلى كان أحسنَ من شمسى
كأن الصِّبا والشيبُ يطمِسُ نـــورَه
عَروسُ أُناس مات فى ليلة العرْس

فهذا شاعر يبكى على نفسه قبل أن يموت ؛ لأنه اعتبر الشيب موتا !

ثم هو يشبِّه صباه الذى طمس نوره الشيبُ ، بالعروس ؛ تخترمه المنون فى ليلة زفافه ! فأين تجب التعزية ، إن لم تجب فى هذا الموطن ؟ !

ونجد شاعرا آخر ، هو محمود الورّاق يُعجَب من حمق الناس ، وغفلتهم فى تعزية من يفقد بعض حُطام الدنيا وعَرَضها ، ولا يعزّونه إذا بزّه المشيب حُلّة الشباب ! فيقول :

أليس عجيبا بأنّ الفـــــــتى
يُصاب ببعض الذى فى يديْـــه
فمن بين باكٍ له مُوجَـــــــــع
وبين مُعَزٍّ مُغِذٍّ[1] إليه
ويسلُبه الشيبُ شَرْخَ الشبا
ب فليس يُعزّيه خَلْق عليه

وقد جعل ابن الرومى فقد الشباب ؛ نهاية البلاء ، وغاية المصائب ! فقال :

أرى المرءَ مذ يلْقَى الترابَ بوجهه
إلى أن يُوَارَى فيه رهنَ المَعَاطب
وإن لم يُصَبْ إلّا بشرْخ شبابــــهِ
لكان قد استوفَى جميعَ المصائب

وإذا كان العزاءُ واجبا فى مصيبة واحدة ، فكيف به فى جميع المصائب ؟ !

---

(١) أغذ السير ، وفى السير : أسرع .

ولعل من الغريب أن نرى المتنبى يبكى على الشباب ، وهو يرفُل فى وشيه ،ويمرح فى عِنانه ، فيقول :

ولقد بكيْت على الشّباب ولِمّتى
مسْودةٌ ولماء وجهى رونَــــقُ
حذرًا عليه قبل يوم فراقِـــــهِ
حتى لكِدْت بماء جفنى أشرَق

والعبرة فيما تقدم : أنه يجب أن نتلقّى كلام النقّاد بالاحتراس فى تناولهم الشعر ، وألاّ نلقى إليهم القِياد المطلق بلا تأمل وتمحيص ، وخاصّة حين يتعلق النقد بشاعر عالم مثقف فيلسوف كأبى تمام، عدل عن نهج عصره فى تعاطى الشعر.

ولا ريبة أن الآمدى والقاضى الجرجانى من نقّاد الأدب الحُذّاق وقد عرفا بالذوق السليم ،وثُقوب الفطنة ، فسَقَطُهما قليل ، وغير خطير ، ولكن الاحتراس يكون أوجب ، حين يكون الناقد من علماء النحو أو اللغة ، فقد عرف هؤلاء من قديم بالتحامل على الشعراء ؛ بحكم تزمّتهم ،ووقوفهم عند حدود الألفاظ ، وقصورهم عن متابعة الشعراء فى أخيلتهم المجنّحة الموشية .

**على الجنــدى**
عضو المجمع

# لغتنا في عصر الانحطاط

للأستاذ أنيس المقدسي

ماذا

يراد بعصر الانحطاط ،
وكيف كانت لغتنا فيه ؟

سؤال نحاول أن نجيب عليه بما يلى :

بين مؤرخى الأدب العربي من يذهبون إلى أن انقضاء العصر العباسى فى بغداد كان انقضاء لعصر الازدهار فى اللغة العربية وآدابها . والواقع أن الأمر لم يكن كذلك ؛ فإن العربية برغم ماأصاب أهلها من ضعف وتأخر فى الحياة السياسية ظلت قرونا بعد سقوط الخلافة العباسية ساطعة الأنوار فى شتى الأقطار . فقد نبغ فى تلك الأثناء من أهل الأدب والعلم فيها عدد كبير – خصوصا فى مصر والشام والأندلس حيث كثرت المدارس والمعاهد واتسع مجال التعليم للطلاب . ومن يراجع أسماء الأعلام الذين عرفوا فى اللغة والأدب والتاريخ وسائر العلوم مابين القرنين السابع والعاشر للهجرة (أى مابعد سقوط العباسيين حتى قيام الأتراك العثمانيين ) قد يأخذه العجب من صمود اللغة أمام الزعازع السياسية التى قضت على سلطان العرب وأقامت مكانهم أعاجم من مغول وفرس وأتراك وسواهم – وإليك بعض هؤلاء الأعلام مع سنى وفاتهم بحسب التاريخ الميلادى [1] .

فى اللغة – ابن مالك صاحب الألفية ( ١٢٧٧ ) ، ابن منظور صاحب لسان العرب ( ١٣١٢ ) ، ابن هشام صاحب المغنى ( ١٣٥٩ ) ، الفيروز اباذى صاحب القاموس المحيط ( ١٤١٤ )

فى الأدب والشعر – التلعفرى ( ١٢٧٦ ) ، البوصيرى ( ١٢٩٥ ) ، صفى الدين الحلى ( ١٣٤٩ ) ابن مكانس ( ١٣٩١ ) ، ابن نباتة ( ١٣٩٦ ) ، الوطواط ( ١٣١٨ ) ، ابن

( ١ ) آثرنا هنا التاريخ الميلادى تسهيلا لكثيرين من القراء فى العصر الحاضر

فهد (١٣٢٤)، ابن حجة الحموى (١٤٣٣)، الأبشيهى (حوالى ١٤٠٠)، لسان الدين بن الخطيب (١٣٧٤).

في التاريخ والجغرافيا – ابن العديم (١٢٦١)، ابن سعيد المغربى (١٢٧٤)، ابن خلّكان (١٢٨٢)، القزوينى (١٢٨٣)، ابن العبرى (١٢٨٦)، ابن الطقطق (١٣١٠) أبو الفداء (١٣٣٤)، ابن شاكر الكتبى (١٣٦٢)، صلاح الدين الصفدى (١٣٦٢)، ابن خلدون (١٤٠٥) القلقشندى (١٤١٨) المقريزى (١٤٤١)، ابن حجر العسقلانى (١٤٤٨)، أبو المحاسن تغرى بردى (١٤٦٩).

ومن أصحاب الموسوعات – النويرى (١٣٣١)، الطوسى (١٣٧٣)، العمرى (١٣٤٧)، جلال الدين السيوطى (١٥٠٥).

هذا فضلا عن أعلام عُرفوا فى سائر مجالات العلم كالطب والفلك والرياضيات والطبيعيات وسواها.

فالعربية فى العصور التى تلت العصر العباسى لم تفقد حيويتها ولم تعدم رجالها بل ظلت إلى أمد طويل الأداة المثلى للأدب والعلم والتأليف. والحقيقة أن ما نسميه أو ما اصطلحنا أن نصفه بالانحطاط اللغوى لم يبرز ويشِعْ فى اللغة إلا فى ظل الحكم العثمانى؛ أى ما بين القرن السادس عشر للميلاد وأواخر القرن التاسع عشر– وخصوصا فى القرن الثامن عشر إلى منتصف التاسع عشر – ذلك بأن حكّام العهود السابقة للعهد العثمانى، وإن كانوا من الأعاجم، فإنهم لم يحاولوا تجريد العربية من امتيازاتها كلغة العلم والأدب والثقافة فى زمانهم، بل هم أنفسهم تعرّبوا؛ إذ جعلوا مراكز حكمهم فى قلب البلاد العربية واعتمدوا لغة البلاد فى معاملاتهم الرسمية وغير الرسمية. أما الأتراك العثمانيون فقد حكموا العرب من عاصمة بعيدة عن مناطقهم هى القسطنطينية على البوسفور التى عرفت إبّان حكمهم بالآستانة وتعرف اليوم باستنبول. فلم يتعربّوا بل ظلّوا متمسكين بلغتهم التركية على أنها لغة الدولة. ولم تكن العربية عندهم أكثر من لغة الدين يدرسونها للتفقه فى العلوم الإسلامية والاستعانة بها على إدارة مصالحهم فى المناطق العربية من سلطنتهم الواسعة. ولا ينكر أن بعضهم أتقنها، على أن الوسائل

فى عهدهم لم تتوفر للنهوض بها ؛ إذ لم يكن فى المناطق العربية التى يحكمونها إلا القليل بل النادر من المدارس ومعاهد العلم . فعمَّ الجهل تلك المناطق وخمدت فيها شعلة الأدب والعلم ، وهكذا أخذت اللغة تنحط تدريجيا . وظلت على هذه الحال حتى ظهرت حركة الانبعاث العلمية فى أواسط القرن الماضى .

بيد أن الإنصاف يقتضينا أن نقرر أن العهد العثمانى برغم تدهور اللغة والحياة الأدبية فيه ، لم يخلُ طوال قرونه الأربعة من أدباء وعلماء ظلت العربية حيّة على أقلامهم . يكفى أن نذكر من أسمائهم مايلى :

فى اللغة والأدب – شهاب الدين الخفاجى (١٦٥٨) صاحب شفاء الغليل ، وشارح درّة الغواص للحريرى – ويوسف البديعى (١٦٦٢) كاتب سيرتى أبى تمام والمتنبى – وعبد القادر البغدادى (١٦٨٢) صاحب خزانة الأدب – والمرتضى الزبيدى (١٧٩٠) صاحب تاج العروس – وأبوالعرفان الصبّان (١٧٩١) صاحب الحاشية على شرح الأشمونى .

وفى التاريخ والرحلات – طاش كبرى زاده (١٥٦٠) صاحب مفتاح السعادة – والحسن البورينى (١٦١٥) صاحب تراجم الأعيان – ونجم الدين العربى (١٦٥٠) صاحب الكواكب السائرة – وأبو العباس المقّرى (١٦٣٠) صاحب نفح الطيب – وحاجى خليفة (١٦٥٧) صاحب كشف الظنون – وابن العماد (١٦٧٨) صاحب شذرات الذهب – وعبد الغنى النابلسى (١٧٣٠) الأديب الرحالة – والمرادى (١٧٩١) صاحب سلك الدرر .

فضلا عن عدد غير قليل من الشعراء والمعنيّين بالعلوم الإسلامية أو الدخيلة . بيد أن هؤلاء الأعلام لا يعكسون لنا عكسا حقيقيا الحالة العلمية التى شملت الأقطار العربية إبان الحكم العثمانى وخصوصًا فى القرنين الأخيرين السابقين للنهضة الحديثة ، وإنما كانوا فيه أشبه بجزر قليلة متفرقة فى بحر محيط واسع .

ولا بد لنا ونحن نتكلم على الانحطاط اللغوى فى ذلك العهد من أن نفرِّق بين (لغة التأليف) و (لغة الترسل) . فالأولى ويقصد بها اللغة التى كانت تستعمل فى تصنيف الكتب لجمع أو عرض المعلومات والأخبار والبحث

فى مختلف الشئون ، ككتب التاريخ والأدب والعلم والقصص وما إليها . فهذه كانت منذ أقدم العهود يعتمد فيها على العموم الأسلوب السهل المرسل الخالى من التصنع الفنى . وظلت كذلك حتى دخلت العهد العثمانى ، إلا أنها أخذت فى هذا العهد تفقد ما كان لها سابقًا من جودة النسج ومتانة التركيب ، ومازالت حتى وصلت فى أواخره إلى دركة الركاكة والرثاثة . وها نحن للتمثيل ننقل هنا بعض نصوص من كتب تاريخية أو جغرافية وضعت فى عهود سابقة للعهد العثمانى ثم نقابلها بأمثالها من مؤلفات العهد المذكور .

من كتاب ( أحسن التقاسيم ) لأبى عبدالله المقدسى المتوفى سنة ٣٧٥ ﻫ ( ٩٨٨ م ) قوله يصف دمشق :

« ودمشق هى مصر الشام ودارة الملك أيام بنى أمية ، وثَم قصورهم وآثارهم . بنيانها خشب وطين ، وأكثر أسواقها مغطاة . وهى بلد قد خرقته الأنهار وأحدقت به الأشجار ، وكثرت به الثمار مع رخص الأسعار — لاترى أحسن من حماماتها ولا أعجب من فوّاراتها ، ولا أحزم من أهلها. وهى طيبة جدا غير أن فى هوائها يبوسة » .

إلى قوله يصف جامعها : « قد رفعت قواعده بالحجارة الموجهة كبارا مؤلفة ، وجعل عليها شُرف بهيّة ، وجعلت أساطينها أعمدة سوداء ملساء على ثلاثة صفوف واسعة جدا ؛ وفى الوسط إزاء المحراب قبة كبيرة ، وأدير على الصحن أروقة متعالية بفراخ فوقها ؛ ثم بُلّط جميعه بالرخام الأبيض ، وحيطانه إلى قامتين بالرخام المجزّع ثم إلى السقف بالفسيفساء الملونة . . . . ومن أعجب شىء فيه تأليف الرخام المجزّع كلٌّ شامة إلى أختها . ولو أن رجلا من أهل الحكمة اختلف إليه سنة لأفاد كل يوم صيغة وعقدة أخرى . »

ومن كتاب ( المسالك والممالك ) للاصطخرى وهو أيضا من أهل القرن الرابع الهجرى ، وصفُه لتجار فارس إذ يقول :

« وأما تجارهم فالغالب عليهم محبة المال والحرص . فأما أهل سيراف ( ميناء على الخليج ) والسواحل فإنهم يسيرون فى البحر حتى ربما غاب أحدهم عامّة عمره فى البحر . ولقد بلغنى أن رجلا من أهل سيراف ألف البحر حتى ذُكر أنه لم يخرج

من السفينة نحوا من أربعين سنة . وكان إذا قابل البر أخرج صاحبه لقضاء حوائجه فى كل مدينة - يتحول من سفينة إلى أخرى إذا انكسرت أو تشعّثت فاحتيج إلى إصلاحها . وقد أعطوا من ذلك حظا جزيلا حتى إن أحدهم يبلغ ملكه أربعة آلاف ألف دينار ، فتراه فى لباسه لا يتميز من أجيره » .

وهذا نص من كتاب (مروج الذهب) للمسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ. قال فى وصف له لأرض سبأ فى اليمن : « ذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيطانا ، وأفسحها مروجا ، على بنيان حسن مقيم وشجر مصفوف ، ومساكب للماء متكاثفة وأنهار متفرقة . وكان أكثر من مسيرة شهر للراكب المجد على هذه الحال . فكان أهلها فى أطيب عيش وأرفهه ، فى نهاية الخصب وطيب الهواء وصفاء الفضاء ، وتدفق المياه ، وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ، وكانت بلادهم فى الأرض مثلا . فمكثوا على ذلك ماشاء الله من الأعصار ، لا يعاندهم ملك إلا قصموه ، ولا يوافيهم جبّار إلا كسروه ، فذلّت لهم البلاد وأذعن لطاعتهم العباد » .

ومن كتاب (نزهة المشتاق) للشريف الإدريسى المتوفى سنة (٥٤٨هـ) ننقل هذا النص من وصفه لمدينة المرية بالأندلس - قال : « وكانت المرية قبل الآن تحوى من صنوف آلات النحاس والحديد إلى سائر الصناعات مالا يُحدّ ولا يكيّف. وكان بها من فواكه واديها الشيء الكثير الرخيص. . . وكانت المرية إليها تقصد مراكب البحر من الإسكندرية والشام كله . ولم يكن بالأندلس أيسر من أهلها مالا ، ولا أتجر منهم فى الصناعات وأصناف التجارات تصريفا وادخارا . والمدينة فى ذاتها كبيرة كثيرة التجارات ، والمسافرون إليها كثيرون » ، إلى قوله : « وموضع المرية من كل جهة استدارت به صخور مكدسة وأحجار صلدة مضرّسة لا تراب بها ، كأنها غربلت أرضها من التراب » .

وإذا تدرجنا فى التاريخ إلى القرن السابع الهجرى يطالعنا كتاب (الكامل) لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ فنقرأ فيه مثلا وصفه لزلزال فى بلاد الشام إذ يقول : «فى هذه السنة (أى ٥٦٥ هـ) كانت زلازل عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلها ، وعمّت أكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها . وأشدُّها كان بالشام ، فخرَّبت كثيراً من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وشيزر وحلب وغيرها . فتهدمت أسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها ، وهلك منهم مايخرج عن الحد » — إلى قوله ذاكرا ماكان لحاكمها الأمير نور الدين من الاهتمام بتفقدها : « وكان شديد الحذر على سائر البلاد من الفرنج . ثم أتى حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ماليس بغيرها من البلاد ، فإنها كانت قد أتت عليها.... فأقام بظاهرها وباشر عمارتها بنفسه . فلم يزل كذلك حتى أحكم أسوار البلاد وجوامعها . »

ونصٌّ آخر ننقله من أواخر هذا القرن . وهو من وصفٍ فى (رحلة ابن جُبير) لإحدى الأميرات الحاجات حين وصولها إلى المسجد النبوى فى المدينة . قال :

«وصلت راكبة فى قبّتها وحولها قباب كرائمها وخَدَمها ، والقرّاءُ أمامها ، والفتيان الصقالب بأيديهم مقامع الحديد يطوفون حولها ويدفعون الناس أمامها إلى أن وصلت إلى باب المسجد المكرّم . فنزلت تحت ملحفة مبسوطة عليها ومشت إلى أن سلَّمت على النبى (ص) ، والخَوَل أمامها ، والخدّام يرجّعون أصواتهم بالدعاء إشادةً بذكرها . ثم وصلت إلى الروضة الصغيرة التى بين القبر الكريم والمنبر ، فصلَّت فيها تحت الملحفة ، والناس يتزاحمون عليها والمقامع تدفعهم عنها » .

هذه نماذج من لغة التأليف فى كتب التاريخ والجغرافيا وما إليها خلال العهدين العباسى والمغولى ، وهى على العموم من الأسلوب المرسل السهل المحافظ على أصالة التركيب وصحة اللغة مع تفاوت فى درجات الجودة ، فى سبك الكلام وبلاغة الإنشاء ، بالنسبة لاختلاف درجات المؤلفين.

والذى يبدو ، أو يمكن استنتاجه ، أن لغة التأليف لم يطرأ عليها تغير يذكر قبل العهد العثمانى (أى قبل القرن السادس عشر للميلاد) . ففى أوائله يطالعنا ابن إياس بتاريخه (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) وهو كتاب ذو أهمية وفائدة عظيمة من الوجهة التاريخية ، ولكنه من الوجهة اللغوية ركيك العبارة ، شأن بعض المؤلفات الأخرى فى ذلك القرن ، برغم أنه قرنٌ أنشأ عددا غير قليل من أعلام المؤلفين واللغويين :

وإليك مثالا من أسلوب ابن إياس — قال : « وفى صفر رسم السلطان بنفى زين الدين الاستادار إلى القدس ويقيم به . فلما خرج إلى سبيل ابن قايماز بعث السلطان إليه من فتشه فلم يوجد معه غير ثلاثمائة دينار وبعض فضة . وكان قد وشى به عند السلطان بأن معه مال . ثم رسم بإعادته إلى القاهرة وطلع إلى القلعة فأدخلوه البحرة ، وأحضر إليه السلطان فى يومه بالمعاصير ، وعصره فلم يقرّ بشىء من المال ، فأجاب بأن يبيع أوقافه ويرضى السلطان . فتكلم ناظر الخاص يوسف بأمره وأحضر بين يدى السلطان . وقيل إن السلطان لم يعصره فى هذه المرة إلى ضربه بالدهيشة . . . . فلما حضر بين يديه تكلم له تمراز الدوادار الثانى ، فأخلع عليه السلطان وأعاده للاستادارية » . وفى نص آخر يقول : « وفى جمادى الأولى رسم السلطان للعسكر بأن فى يوم الجامكية يصعدوا إلى القلعة بالشاش والقماش لقبض الجامكية (مايترتب لهم من مال). وأراد أن يمشى على النظام القديم . فدارت الطواشية على المماليك السلطانية وأعلموهم بذلك ،فما وافق العسكر على ذلك وبطّل تلك الإشاعة عن قريب » . وأكثر لغته على هذا النسق .

ولعلنا لا نبعد عن الصواب إذا استدللنا على ذلك من مؤلفات أديب من أبرز أدباء ذلك القرن هو عبد الغنى النابلسى. ففى كتابه (الرحلة القدسية) نلمس تكلّفا مع هلهلة فى العبارة لم نعهدها فى كتب السابقين من كتاب العصرين العباسى والمغولى ،كما يظهر لك من النص التالى ، إذ يصف خروجه من بيت المقدس . قال :

«عزمنا على الخروج من هاتيك البلاد والتوجه إلى الأهل والاولاد ، فحضر

لوداعنا جملة من أصحابنا، فسرنا على بركة الله تعالى . وخرجنا من باب العمود، وخرج معنا إلى مقام الشيخ جرّاح سادة من أهل الكرم والجود ، وفات معنا صاعدا هاتيك العقبة الكدود ، بعض الأصحاب إلى أن وصلنا إلى خان البيره ، فنزلنا هناك على مياه كثيرة ، ورياض نضيرة . ثم سرنا إلى قرية سنجل، وبتنا وكانت ليلة عطره ، لكنها من اللصوص خطرة . حتى انتفض الصباح عن صبغة الليل ، وشمّر الدجى لمسيره الذيل » .

ومنها يصف زيارته لقبر النبي موسى بعد توديعه من كان يشيّعه من الرفاق فيقول :

« فسرنا بعد طلوع الشمس بساعتين، حين انتهاء وداعنا وحصول أول البين . ولم نزل فى الطريق ، حتى وصلنا إلى حمى ذلك الفريق ، بعد قطعنا كل فج عميق . وكان دخل وقت الظهر وفات ، وكادت أن تدرك المشاة الوفاة ، من شدة الذعر ، وكثرة الوعر . فأشرفنا من ذلك الشاهق العالى ، ووجدنا ذلك النور المتلالى . وأقبلنا على ذلك الكثيب الأحمر ، وقد بنى حوله بالجص والحجر الأغبر . ولم نزل نازلين ، وفى السير مسرعين ، إلى أن وصلنا ذلك الحرم الأمين . فدخلنا من الباب ، مع الجماعة والأصحاب . وبدأنا بصلاة الظهر مع الجماعة ، وبادرنا بأداء الفرض والطاعة ، ثم قمنا إلى جهة المزار العظيم ، والقبر الذى أشرقت عليه أنوار الكليم »

فالمتأمل فى إنشاء هذا المؤلف الذى كان من أكبر أدباء القرنين السابع عشر والثامن عشر لا يسعه إلا أن يرى فرقا بين لغته ولغة المؤلفين ذوى الأصالة السابقين . على أن النابلسى فى تأليف كتبه لم ينحرف كثيرا عن الأصول ولم ينحدر إلى الدركة التى انحدر إليها غيره من مؤلفى العهد العثمانى ، وبخاصة بعض مؤرخى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، كما سنرى بعد .

ومن هذا القبيل رحلة مصطفى البكرى الصديقى المتوفى فى أواسط القرن الثامن عشر دوّنها ولا تزال مخطوطة فى خزانة الكتب الخالدية بالقدس بعنوان (الحلة الذهبية فى الرحلة الحلبية ) . وقد لخصها المرحوم أحمد سامح الخالدى فى مجلة الرسالة (مصر) مج ١٦ – ٩٧٦

وهذا مثال منها فى وصف مدينة حمص . قال : « ولم يعشم لنا نصيب ، بدخول مدينة حمص العجيب ، تكوينا ومزدرعا وأمواها ، لأن الخراب حتى فى ظهوره تباهى . وكان أكثر خرابها من قبيلة (الموالى) ، الذين من والاهم لم يوال المُوالى . على أن فيها من المزارات والسادات الكثير ، ويغلب على أهلها البلاهة والتغفل مع الجدّ والتشمير . ولقد دخلتُ جامعها الكبير ، فرأيته آية فى التعمير ، فصليت فيه الظهر والعصر بنفر غير كبير » .

وما بين هذا القرن ( الثامن عشر ) ومنتصف القرن التاسع عشر تزداد لغة التآليف تدهورا وانحطاطا . ويظهر لنا ذلك فى مؤلفات الأمير حيدر الشهابى والشيخ عبدالرحمن الجبرتى . حتى إن الشيخ رفاعة الطهطاوى المتوفى ١٨٧٣ والذى يعدّ من كبار رواد نهضتنا كان مع سعة معارفه يسفّ أحيانا فيخلط فى كتابته الكلام الصحيح الجيد بالعبارات الساذجة العامية ، على أنه كان أفضل إنشاء وأمتن عبارة من الجبرتى وحيدر الشهابى وطبقتهما من المؤلفين — وهاك نماذج من لغة التأليف فى عصرهما .

فالجبرتى المتوفى ١٨٢٥ وهو من علماء عصره . قال فيه زيدان : « أصله من جبرت وهى الزيلع فى الحبشة . وكان والده من كبار العلماء الفلكيين . أما ابنه المؤرخ عبدالرحمن فقد درس فى الأزهر وتمكن من علوم عصره ». ولما جاء الفرنساويون مصر تعين كاتبا فى الديوان . وانقطع بعدئذ إلى التأليف وقد بلغ السبعين من العمر . وعاصر أهم الحوادث التى جرت فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر . وأهم مؤلفاته (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ) . وعنه ننقل النص التالى للتمثيل على أسلوبه ؛ بل على أسلوب عصره العام — قال فى ج ١ ص ٢٥٨ من طبعة مصر ١٣٢٢هـ :

«ولما حضر حمزة باشا — سنة تسع وسبعين ومائة وألف — المذكور واليا على مصر ، وطلع إلى القلعة ، فعرضوا له أمر صالح بيك ، وأنه قاطع الطريق ومانع الغلال والميرى ، وأخذوا فرمانا بالتجريد

(١) درجع كتابة آدا ؛ اللغة العربية ج ٤ ص ٢٨٣

عليه . وتقلد حسين بك كشكش حاكم جرجا أمر التجريدة ، وشرعوا فى التشهيل والخروج . فسافر حسين بيك وصحبته محمد بيك أبو الذهب وحسن بيك الازباوى ، فالتطموا مع صالح بيك لطمة صغيرة ، ثم توجه (أى صالح بيك ) وعدّى إلى شرق أولاد يحى . وكان حسن بيك شبكة مملوك حسين بيك قد نفاه على بيك أمير الحج إلى قبلى (أى إلى الجنوب ) . فلما توجه حسين بيك بالتجريدة ، وعدّى صالح بيك شرق أولاد يحيى انفصل عنه (عن صالح ) وحضر إلى سيده حسين بيك وانضم إليه كما كان » . ثم يقول :

«ورجع محمد بيك أبو الذهب وحسن بيك إلى مصر . وتخلف حسين بيك يريد الذهاب إلى منصـــــبه بجرجا وأقام فى المنية . فأرسل إليه على بيك (أمير الحج المذكور) فرمانا بنفيـــه إلى جهة عينها له ، فلم يمتثل لذلك ، وركب فى مماليكه وأتبـــاعه وأمرائه وحضر إلى مصر ليلا فوجد الباب الموصل لجهة قناطر السباع مغلوقا فلم يفتحوه . فكسره وذهب إلى بيته . وبقى الأمر بينهم على المسالمة أياما » الخ الخ . .

وكتاب الجبرتى معظمه على هذا النسق الركيك الإنشاء والذى يكثر فيه الكلام العامى والتراكيب العامية ، مع أن المؤلف من أهل العلم ومن تلامذة الأزهر وكتابه من المراجع التاريخية التى يعتمد عليها فى الاطلاع على أحوال مصر السياسية فى ذلك العهد .

أما الامير حيدر الشهابى فمن لبنان أو قل من بلاد الشام توفى ١٨٣٥م وتاريخه معروف ولغته أضعف من لغة الجبرتى وأدنى إلى العامية . وهذا نموذج منه :

«ثم بعد ذلك حضر الجزار من الشام لعكا وترك متسلما بالشام محمد آغا أمينه ، الرجل الظالم ، حتى إنكان الجزار نسى أحدا من أهل الشام وما ظلمه ، يفكر فيه متسلمه . ثم بعد وصوله إلى عكا بعشرة أيام خرج باكرا إلى باب السرايا قبل طلوع الشمس وأمر بتكسير أبواب المدينة ، وجعل يرسل غلمانه يقبضوا على من يأمرهم

(١) ص ١١٢ من النسخة التى صدرت فى بيروت سنة ١٩٥٥ للاب شبلى والأب خليفة .

عنهم من العمال والكتّاب ، وأهالى عكا ، ويحضرهم إليه . وبعد قليل استاقوا لبين يديه أكثر من مائتين نفر ، فأرسلهم جميعا إلى السجن ، ثم قبض على النواب أيضا وحبسهم . وكان كلما رأى إنسانا يدعوه إليه وينظر فى وجهه ويكشف رأسه وينظر به ، فالذى يقول إن به نيشان يرسله إلى الحبس ، والذى ما يجد به نيشان يطلقه . وبعده أحضر الفعالة وعمل بهم كذا ، وقبض على جملة منهم ومن النجارين وأرباب الصنايع الأُخر حتى أمتلات الحبوس من الناس .

وفى ثانى الأيام دعى عسكر المغاربة وأمرهم أن يخرجوا جميع المحبوسين إلى خارج البلد ويقتلوهم ، ففعلوا ما أمرهم به حتى صار يوم مهول لا يسمع فيه غير أصوات عويل وبكاء وندب من الأمهات والعيال والأولاد والبنات والإخوة الذين ترملوا وتيتموا ، ثم من المقتولين ، ولا يرى فيه غير جثث القتلى كالغنم مطروحين خارج البلد صايرين طعاما لوحوش الأرض . ثم عند المساء أمر المنادى فى شوارع المدينة فى عكا : أن كل من يخرج يدفن ميته على الصمت ، وأن الامرأة التى تبدى عويلا تقتل فضلا عن الرجال.

ثم بعد ذلك أرسل جنودا وقبضوا على أهل البر من الفلاحين والمشايخ وأصحاب المقاطعات ، وهؤلاء قتل البعض منهم ، والبعض كان يقطع آذانهم وأنفهم ويطلقهم » .

فمما ورد فى هذين الكتابين وفى سواهما من كتب هذا العهد لكتّاب كانوا يعدّون من كبار المؤرخين والأدباء نستطيع أن نرى إلى أية دركة وصلت لغة التأليف قبيل الحركة التى قام بها روّاد النهضة الأدبية الحديثة .

هذا من حيث الأسلوب العام فى تأليف الكتب من تاريخية وسواها مما يراد بها سرد المعلومات لا الأناقة الفنية . فإذا تحولنا إلى الترسّل الفنى – أى كتابة الرسائل والخطب الأدبية – وجدنا الأمر نفسه ، بل ما هو أشد وأدهى . ولكى نستجلى الفرق بين الترسل الفنى فى عصر الانحطاط وما سبقه من العصور الكتابية ، نستعرض الآن بلمحة خاطفة الأطوار التى مر فيها عبر تاريخنا الأدبى . وهى على العموم كما يلى :

الطور الأول — ويشمل صدر الإسلام إلى أواخر العهد الأموى . وينتظم مانقله لنا الرواة من رسائل وخطب . وهى على العموم تتّسم بطابع خاص من الجزالة والإيجاز المُحكم الخالى من التصنع . فيجرى الكلام فيها جريانا طبيعيا دون حشو أو تكلّف أو تطويل .

الطور الثانى — ويشمل القرن العباسى حتى القرن الرابع الهجرى . وفيه يتحول الترسل عن الإيجاز إلى التوسع والتبسط. فتطول الرسائل ، ويأخذ الكتّاب بإنشاء الفصول فى الأغراض . وأظهر مزاياه الإنشائية توازن العبارات وحسن النسج لديباجة الكلام ، ويمثله عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ والتوحيدى وطبقتهم .

الطور الثالث — يبتدىء من القرن الرابع الهجرى ويمتد إلى القرن العاشر فيشمل معظم العصر العباسى ثم العصر المغولى حتى صدر العصر العثمانى ، وهو طور التأنق البديعى ويسوده التفنن فى استعمال السجع وتكلف المحسنات اللفظية والمعنوية . ومن مشاهيره (وهم كثر ) ابن العميد والصابى والقاضى الفاضل وابن الأثير والعماد الأصبهانى وابن زيدون ولسان الدين بن الخطيب وأمثالهم ، فضلا عن أصحاب المقامات، ومن جرى مجراهم

الطور الرابع — ويمتد من نهاية الطور الثالث حتى ابتداء النهضة الحديثة فى القرن السابق لقرننا الحالى : وهو الموسوم بطور الانحطاط . وللانحطاط الترسلى فيه مظهران : مظهر الزخرفة البديعية المستهجنة ومظهر الإسفاف المبتذل . وهاك أمثلة على كل من هذين المظهرين :

فمن تكلّف الزخرفة المستهجنة ، ديباجةُ مكتوبٍ إلى أحد الأكابر ننقلها من كتاب بعنوان (مجموع إرشادات فى لطائف المكاتبات وتحائف المراسلات )[1] :

«إن أرضا تشرفت بمواطئ تلك الأقدام ، وتمسكت بأذيال ذلك الهمام ، لجديرة أن تقبّل بسواد الأحداق ، دون بياض الأوراق وتلثم بالأفواه والمحاجر ،دون ثغور السطور والمحابر ، غبّ إهداء لطايف تحيات نشرها فائح طيّب الشميم ، وشرايف دعوات ذكرها صالح مقرونة الإجابة من رب رحيم ، إلى جناب الولى الكريم ،

(١) مخطوطة فى مكتبة عيسى اسكندر المعلوف،وكان قد تكرم رحمه الله وسمح لنا بالاطلاع عليها والاستفادة منها .

من اتخذ إفاضة المعروف وإغاثة الملهوف مذهبا ، واختص بعموم النفع فى الأرض مشرقا ومغربا ، المشار إليه بالمعالى ، ولا زال كرمه مختم آمال الراغبين ، ومحط رحال الطالبين ، معروض العبد الذليل ، لحضرة المولى الجليل ، هو أنه . . . الخ الخ .

وعلى غرار هذه المجموعة (من القرن الثامن عشر الميلادى) مجموعة «رسائل سعيدية» نشرتها دار الطباعة المغربية فى تطوان[1] . ومنها هذه القطعة من رسالة لأبى فارس القشتالى وزير السلطان المغربى أبى العباس أحمد المنصور بعث بها إلى قائد الأساطيل البحرية . قال فيها بعد مقدمة طويلة كثيرة الزخرفة : «هذا ودرر ودّكم كانت تقدمها إلينا على البعد أمواج البحار وَعرف ولائكم ما زالت تهديه للقلوب على شحط الدار نسمات الأسحار ، وعقائد إخلاصكم بلسان الاشتهار هنا وهناك فى القديم تتلى ، وعقائل مصافاتكم على منصات الوفاء تجلى» ، وهكذا إلى آخر الرسالة .

وهذه قطعة أخرى من إحدى رسائل ذلك العهد تمثل ما وصل إليه من زخرفة مستهجنة أساوبُ الترسل المتصنع فى ذلك العهد[2] . (وهى مرسلة من أحدهم إلى رجل كبير) :

«يقبّل الأرض المقبّلة بشفاه المقل لا بشفاه الثغور ، الضاربة سرادق المجد فوق هام النسرين وهالات البدور ، المتخذة الجوزاء نطاقا ، والثريا شنفا وأقراطا والنجوم قلائد وأعلاقا» . . . إلى قوله : «ووصف أشواق زنادها له بين القلوب رى وورى ، وعضبها الماضى الشبّا له فى أديم القلب شقّ وفرى ، وشكوى فراق تمنته الأعداء فجاء على وفق الاقتراح ، وعدم المحب معه صبرا من حيث راح . قد حل عرى التجلد والاقتدار ، ودار بكؤوس منونه فأزهق الأرواح من وقت دار . . . إن المملوك منذ استولى عليه بعد مولانا وفراقه وذاق صاب هجره وبعده المرير مذاقه ، ما خيطت جفونه على سنة مع وجود إبر أهدابه ، ولا ألف جنبه المضطجع منذ فارقه ظبى الكناس وانحصر مع ليث الفراق فى غابه . . قد نبذ الإخوان والأخدان ظهريّا ، وهز إليه نخلة ودادهم فتساقطت عليه حشفا وكان يجد بقرب مولانا رطبا جنيّا» . وهى

(١) تحقيق الأستاذ عبد الله كنون .

(٢) راجعها وراجع أمثالها فى كتابنا (تطور الأساليب النثرية) ص ٣٤٥ - ٣٥٨

رسالة طويلة وكلها على هذا النسق المزخرف الذى أولع به مترسلو عهد الانحطاط تقليدا لمن اشتهر فى العصور السابقة بالمقدرة على صنع الكلام ،وتحليته بأنواع السجع والبديع فأساءوا إلى اللغة من حيث أرادوا الإحسان.

فإذا قابلت بين هذا الأسلوب الغث الممل الذى كان يسود الترسل الأدبى إبّان القرنين السابقين للنهضة ، وما كان عليه الترسل أيام عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ وأمثالهم منذ أواخر العصر الأموى حتى أواسط وأواخر العصر العباسى تبين لك إلى أية دركة بلغ الانحطاط فى إنشاء المترسلين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وبعض القرن التاسع عشر من العهد العثمانى .

وأحط من الترسل الأدبى فى هذا العهد الترسل الديوانى ؛ فالمراسلات الديوانية جمعت إلى غثاثة الزخرفة البديعية الإسفاف والابتذال العامى حتى على أقلام الخاصة من المراسلين . ومن أراد الاطلاع على ذلك بتفصيل فليراجع المؤلفات التالية حيث يجد المئات من الشواهد :

تاريخ الأمير حيدر الشهابى .

الأصول التاريخية لأسعد رستم وقد جمع فيه المؤلف عددا كبيرا من مراسلات الحكام.

كتاب الأنيس المفيد نشر دى ساسى .

محررات سياسية لفيليب وفريد الخازن

مخطوطة مجموع إرشادات فى لطايف المكاتبات وتحائف المراسلات (فى مكتبة عيسى المعلوف)

تطور الأساليب النثرية لأنيس المقدسى .

وسواها .

فلما حدث الانبعاث الأدبى على أيدى رواد النهضة الحديثة أخذت اللغة تخلع عنها أطمار عهد الانحطاط ،ثم خطت إلى الأمام فتخلصت تدريجيا من التكلف البديعى الغث والإسفاف المبتذل . ولم تكد تبزغ شمس القرن العشرين حتى كانت قد جرت شوطا واسعا فى هذا السبيل .

وها نحن اليوم فى إبّان هذا القرن وقد استطاعت اللغة أن تعيد مجدها الغابر فى اختيار الألفاظ الحية الناصعة والتراكيب الحرة البليغة ، لا فرق فى ذلك بين الترسل الفنى ولغة التآليف العلمية على أنواعها . وقد كان لتقدم الصحافة شأن فى هذا التجدد كما كان لرقى المعاهد العلمية وتقدم الحياة الحضارية فى مختلف الأقطار العربية .

**انيس المقدسى**
عضو المجمع من لبنان

# في تاريخ الطب عند العرب

للدكتور عبد الحليم منتصر [1]

من الحق أن نقول إن المصريين القدماء ، كانوا مركز الإشعاع الحضاري للعالم كله ، هم واضعو أسس كثير من العلوم ، ومنها الطب والكيمياء . ويعتبر « امحوتب » أول طبيب ورد ذكره في التاريخ ، كان وزيرا للملك زوسر من ملوك الأسرة الثالثة منذ نحو خمسة آلاف سنة ، وقد اشتهر امحوتب بمهارته في الطب والفلك والحكمة والفلسفة ، حتى خلد عصر مليكه «زوسر» بتشييده هرم سقارة ، وحتى رفعه المصريون إلى مصاف الآلهة ورسموه إلها للطب . ويروى «هيرودتس» أن الطب يمارس في مصر على طريقة الاختصاص ، فالطبيب يعالج مرضا واحدا ، لا جملة أمراض ، والبلاد تعج بالأطباء ، فبعضهم لأمراض العيون ، وبعضهم لأمراض الرأس ، وبعضهم للأسنان . . . وهكذا . ويذكر أن قيروش ملك الفرس أرسل مرة إلى مصر في طلب مختص بالعيون ليستخدمه في بلاطه .

وتحتوى بردية « ايبرس » ويرجع تاريخها إلى ١٥٥٠ ق . م . على كثير من الوصفات الطبية ، مع ذكر مركبات مفرداتها ، وفيها ذكر لأسماء بعض الأمراض مثل الرمد الحبيبي ، وأمراض المفاصل والديدان وغيرها . كما ورد فيها ذكر للمرض المعروف الآن باسم البلهارسيا

(١) اعتمدنا في هذه الدراسة على مصدرين رئيسيين هما : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ومقدمة في تاريخ الطب العربي للدكتور التيجاني الماحي ، بالاضافة إلى مصادر أخرى وردت في المتن .

أما بردية « ادوين سميث » ويرجع تاريخها إلى ١٦٠٠ ق . م . ، فأغلب محتوياتها جراحية ، وفيها وصف شامل للجروح ، وطرق علاجها والكسور البسيطة والمركبة واستعمال الجبائر والختان وغيرها من جراحات بسيطة ، وفيها يبتدئ الطبيب وصف الأعراض والعلامات ثم ينتقل إلى تشخيص الإصابة ، ويختتم بالعلاج . وكذلك تحوى برديات « كاهون » وشستر بيتى « وبرلين » ولندن » وبردية أمراض النساء ،وصف كثير من الأمراض وطرق العلاج ، وتحديد تركيب وكمية الجرعة من الدواء ، وطريقة تناوله ، وكان القدماء يعتمدون كذلك على الرقى والعزائم والطلاسم السحرية . كما دلت دراسة هذه الوثائق كذلك على أن المصريين القدماء عرفوا استعمال المقيئات والأشربة والحقن الشرجية والغرغرات والمراهم ويستنشقون الأدوية والأبخرة وعرفوا كذلك الأقمعة واللبخ واللزقات والأدوية المدرة للبول والمعرقة ، ومارسوا الفصد ، واستعملوا الأفيون والأدوية المسكنة والمفرحة ، وخواص الشوكران (سم سقراط ) وأملاح النحاس وزيت الخروع والصبر والكزبرة والنعناع والمر والمصطكى والزعفران وحب الزلم والبيروح وغيرها . كما عرفوا الرمد الحبيبى والألتهابات الرمدية الأخرى والشعرة والظفرة والمياه الزرقاء وكان لهم اعتقاد فى الحسد ويتخذون لها الطلاسم والتمائم . وعرفوا استعمال الجبائر واستخدموا الحجامة . وكان المصريون القدماء أول من عرف الخمائر واستعملوها فى صناعة الخبز . وذكر هيرودتس أن قدماء المصريين كانوا يتعاطون الأدوية المسهلة مرة فى الشهر ، ويتناولونها ثلاثة أيام متتالية وبالجملة فقد وضع المصريون القدماء أساس الطب ؛ واقتبسه منهم اليونان والأشوريون والبابليون وغيرهم .

أما فى بلاد اليونان ، فيعتبر «ابقراط» المعلم الإنسانى الأول لمهنة الطب ولد عام ٤٦٠ ق . م . من أسرة تنتمى لطائفة اسقلبياد . وهو أول من رتب الطب وبوبه ، وبناه على أسس علمية صحيحة ، وقد رفع من آداب المهنة ووضع تقاليدها الحسنة ، وهو أول من بنى الطب على أساس التجربة العلمية الصحيحة وطهره من الخرافات والأساطير ، وقد خلف

ابقراط سبعة وثمانين كتابا ورسالة فى شئون الطب ، وقد نقل العرب عددا من كتبه ، منها «الفصول» و «عهد ابقراط» و «الكسور» و «تقدمة المعارف» والأمراض الحادة والاخلاط والأمراض الوافدة والماء والهواء وطبيعة الإنسان . وكان يقول لا تشرب الدواء إلا وأنت تحتاج اليه . وأن الجسد يعالج على خمسة اضرب ، ما فى الرأس بالغرغرة وما فى المعدة بالقيء ، وما فى البدن باسهال البطن ،وما فى الجسد بالعرق وما فى العمق وداخل العروق بارسال الدم .

وفى جامعة الإسكندرية القديمة نبغ عدد من أساتذتها فى علوم الطب وخاصة التشريح ، لأنهم وجدوا فى كنف البطالمة ما يمنع العدوان الذى يناله من يقدم على تشريح الموتى فى تلك العصور ، واستطاع علماء التشريح فى الأسكندرية أن يسبقوا غيرهم فى وصف صمامات القلب والأثنى عشر وبعض أجزاء الدماغ الهامة . كما عرفوا الأعصاب بنوعيها الحسى والمحرك ، وميزوا بينها وبين الأوتار العضلية ، ومن أشهر أطبائهم اوريباسوس وهيروفليس واراسيترساتوس ، ولكن أشهرهم على الإطلاق كان جالينوس ، الذى يحتل المكان الثانى بعد ابقراط ، وكان أحب الأطباء إلى العرب ، وقد ترجموا من كتابه بالإضافة إلى الستة عشر كتابا المشهورة ، نحو ثمانية وخمسين كتابا ، وأشهر تراجمه حنين بن اسحق ،وعيسى بن يحيى ،أما ديسقوريدوس فهو أبو الصيدلة ، وكتب ديسقوريدس موسوعة نباتية ، نقلت إلى العربية تحت اسم كتاب الحشائش ، ومنهم بولس الأيجنطى (٦٢٥ ـ ٦٩٠ م) وأعماله الجراحية مشهورة ،وقد وصف عملية ثقب الجمجمة واستخراج حصاة المثانة بالشق ، كما قام باستئصال اللوزتين ،وبزل الاستسقاء ،وبتر الثدى ــ يقول عنه القفطى كان مقامه بالأسكندرية وكان خبيرا بعلل النساء كثير المعاناة لهن ،والقوابل يلقينه ويسألنه عن أمور النساء ، ولذلك سمى بالقوابلى ، ومن تصنيفه كتاب الكناش فى الطب وكتاب علل النساء .

أما الطب الفارسى فقد بدا فى عصر جمشيد ، فهو الذى أظهر علوم الصناعة الطبية وتعرف خواص الأدوية فشاعت هذه الصناعة بين الناس فى ذلك الزمان . وفى عهد أسرة الكيانيين استقدم دارا

عددا من الأطباء المصريين لبلاطه الخاص وكان عظيم الثقة بهم فنشروا وصفاتهم بين الفرس وفى عهد الأسرة الساسانية جمعت نصوص الزندافستا . وكان الطب عند الفرس خليطا من التقويم والرقى وبعض المبادئ الطبيعية العلمية .

وقد نقل العرب أسس طبهم من الشعوب القديمة التى تجاورهم ، وخاصة الكلدان والفرس والهنود ، وأضافوا إلى ذلك من تجاربهم وكان لديهم فى العصر الجاهلى طريقتان للعلاج ، تعتمد الأولى على الكهانة والعرافة . وتعتمد الثانية على العقاقير من نباتية ومعدنية ، وكذلك الكى والحجامة والفصد ومن أشهر أطبائهم فى الجاهلية «ابن حِزيم» حتى كانوا يقولون «أطب من ابن حزيم» ، ثم الحارث بن كلدة الثقفى . ومن أقواله ، من سره البقاء ولابقاء ، فليبادر بالغداء وليخفف الرداء وليقل غشيان النساء ، وللحارث من الكتب كتاب «المحاورة فى الطب» ومنهم النضر ابن الحارث بن كلدة .

ومنهم ابن أبى رمثة التميمى ، وكان طبيبا عالما بصناعة الجراحة . وكان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وبظهور الإسلام ، نشأ ضرب جديد من الطب ، يسمى بالطب النبوى ، يشتمل على مجموعة من الأحاديث الخاصة بالمرضى ، تحتوى على وصفات لعلاج بعض الأمراض.

وقد ألف كتابين من الجزء السابع من البخارى يتألف الأول من اثنين وعشرين بابا تشتمل على ثمانية وثلاثين حديثا عن عيادة المرضى والدعاء لهم ، ويحوى الثانى ثمانية وخمسين بابا تشتمل على واحد وتسعين حديثا ، جاء فيها ذكر بعض العلل كالصداع والشقية والرمد والجذام والحمى واستطلاق البطن وذات الجنب (التهاب الرئة ) والطاعون ولسعة الحية والعقرب . وفيها إشارات للمداولة بالعسل شرابا وبالكى والاحتجام من الشقيقة ، ووصف ألبان الإبل ، وإشارة إلى الأثمد وماء الكماة للرمد واستعمال الحية السوداء ، خمس أو سبع منها تسحق ثم تقطر فى أنف المريض مع قطرات الزيت ، والعود الهندى سعوطا لذات الرئة ، واراقة الجسم بالماء البارد للحمى . وقوله عليه السلام إذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها .

ومن الذين قاموا بدراسة موضوع الطب النبوى « الذهبى » وفيه يقول « أن قواعد الأطباء أن أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن ، فكلما كانت أخلاق النفس أحسن كان مزاج البدن أعدل » والحموى ، فى كتابه الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية وابن قيم الجوزيه فى كتابه الطب النبوى ؛ ويقول ابن خلدون فى ذلك إنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات .

فقد كان يقول أنتم أعلم بأمور دنياكم ، فلا ينبغى أن يحمل شىء من الطب الذى وقع فى الأحاديث المنقولة على أنه مشروع ، فليس هناك ما يدل عليه اللهم إلا إذا استعمل على وجهة التبرك . ويقول صاعد الأندلسى «كانت العرب فى صدر الإسلام لا تعنى بشىء من العلم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها حاشا صناعة الطب ، فأنها كانت موجودة عند أفراد من العرب غير منكرة عند جماهيرهم لحاجة الناس اليها ولما كان عندهم من الأثر من النبى (صلعم) حيث يقول : يا عباد الله تداووا فأن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحدا وهو الهرم .

وفى العصر الأموى اشتهر من الأطباء «ابن اثال » وكان طبيبا لمعاوية بن أبى سفيان ، وكان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها . وأبو الحكم وحفيده عيسى ومنهم ابن ماسرجويه الطبيب البصرى فى زمن عمر بن عبد العزيز ، وله كتاب قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها ، وكتاب قوى العقاقير ومنافعها وسضارها ، ثم عبد الملك بن ابحر الكنانى ، وكان طبيبا عالما ماهرا ، وكان عمر بن عبد العزيز يستطبه ويعتمد عليه فى صناعة الطب .

ومنهم يتاذون الطبيب وقد اختص بخدمة الحجاج بن يوسف ، وقال ابن قتيبه إن الحجاج قال له مرة صف صفة آخذ بها نفسى ولا أعدوها قال يتاذون «لا تتزوج من النساء إلا شابة ولا تأكل من اللحم إلا فتيا ، ولا تأكله حتى ينعم طبخه ، ولا تشربن دواء إلا من علة ، ولا تأكل عليه شيئا ، ولا تحبس الغائط والبول ، وإذ أكلت فى النهار فنم ، وإذا أكلت فى الليل فتمشى ولو مائة خطوة » .

وقد اشتهر فى أواخر عهد الأمويين «زينب » طبيبة بنى أود : يقول عنها

ابن أبي أصيبعة «كانت عارفة بالأعمال الطبية » خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات مشهورة بين العرب بذلك .

ويروى ابن النديم أن خالد بن يزيد ابن معاوية بن أبى سفيان كان شغوفا بالكيمياء ، استخدم عددا من العلماء ترجموا له الكثير من الكتب اليونانية والنجوم . وكانت الكيمياء قديما منصبة على العثرر على أكسير الحياة وحجر الفلاسفة . وبالرغم من ذلك يقول برثوليه « لقد بلغ جابر بن حيان فى الكيمياء ما بلغه أرسطو فى المنطق .

وكان الوليد بن عبد الملك أول من أنشأ المارسيتانات فى الإسلام ، فقد أنشأ مارستانا بدمشق عام ٨٨ ه ، جعل فيه الأطباء ، وذكر الطبرى أن الخليفة المذكور أمر بحبس المجذومين وأجرى لهم الأرزاق ، وهذا أول محجرشيد فى الإسلام

وكان بختيشوع ممن اشتهروا فى الطب فى عهد العباسيين ، وله كنّاش التذكرة ثم ابنه جبريل وقدر ما جمعه جبريل فى شتى خدمته فى عهد الرشيد والمأمون بمقدار ٢ر٥ مليون جنيه استرلينى ، أكثرها من مال البرامكة ، وخلف جبريل ابنه بختيشوع بن جبريل وكان طبيبا حاذقا : وكان ابنه سعيد آخر أفراد هذه الأسرة الطبية العظيمة التى انفردت بخدمة بلاط العباسيين مدى قرون ثلاثة ، وأفرادها موضع تقدير الخلفاء ومحل ثقتهم .

وقد مرت الترجمة فى العصر العباسى بثلاثة أدوار ، الأول من خلافة أبى جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد أى من عام ١٣٦ - ١٩٣ ه . وقد نبغ فى هذا العهد عدد من التراجمة ، نذكر منهم من عنى بنقل كتب الطب خاصة من أمثال يحيى بن البطريق ، وجورجيوس بن بختيشوع وعبد الله بن المقفع ويوحنا ابن ماسويه وغيرهم ، ويبتدئ الدور الثانى من ولاية المأمون ١٩٨ - ٣٠٠ ه واشتهر من التراجمة قسطا بن لوقا البعلبكى ، وحنين بن اسحق ، وابنه اسحق بن حنين وعيسى بن يحيى ، وثابت بن قرة الحرانى ، وقد بذل المأمون جهده فى استخدام التراجمة ، وكان ينفق فى ذلك بسخاء ، وكان يحرض الناس على قراءة الكتب ويرغبهم فى تعليمها ، واقتدى به

الكثيرون من أهل دولته فى بغداد فتقاطر إليها المترجمون من أنحاء جزيرة العراق والشام وفارس وفيهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة يترجمون من اليونانية والفارسية والسريانية والسنسكريتية والنبطية واللاتينية وغيرها ، وكثر فى بغداد الوراقون وباعة الكتب وتعددت مجالس الأدب والمناظرة ، وأصبح هم الناس البحث والمطالعة ، وظلت تلك النهضة مستمرة بعد المأمون إلى عدة من خلفائه. أما تراجمة الدور الثالث الذى يبتدئ من ٣٠٠ هـ وينتهى فى منتصف القرن الرابع الهجرى ، فكانوا أكثر اشتغالا بنقل المنطق والطبيعة ، منهم متى بن يونس ، وسنان بن ثابت بن قره ، ويعد حنين بن اسحق العبادى (١٩٤ هـ – ٢٦٤ هـ) شيخ تراجمة العصر العباسى ، بلغ اهتمامه بترجمة الآثار اليونانية مبلغا عظيما ، فكان يجوب الأقطار فى طلبها والحصول عليها ، مثال ذلك كتاب البرهان لجالينوس الذى كان نادر الوجود فى القرن الثالث الهجرى ، والذى قال عنه حنين إننى بحثت عنه بحثا دقيقا ، وجبت فى طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى الاسكندرية ولم أظفر إلا بما يقرب من نصفه فى دمشق ، وقد ترجم حنين إلى العربية سبعة من كتب أبقراط ، وترجم إلى السريانية من كتب جالينوس «خمسة وتسعين ، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين ، كما راجع وأصلح ما ترجمه تلاميذه ، ستة إلى السريانية ، وسبعين إلى العربية ، كما ارجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التى كانت ترجمت إلى السريانية ، ونقل أيضا ثلاثة من كتب أوريبا سوس خلاف ما نقله من كتب الفلسفة وغيرها لأفلاطون وأرسطو ، وبلغت تآليفه الخاصة نحو ثلاثين كتابا ، ومن أشهر تآليفه كتاب العشر مقالات فى العين ، ويعتبر هذا الكتاب أقدم ما ألف فى أمراض العين بطريقة علمية منظمة ، وقد نشره وحققه ما يرهوف ، ومن أخلد أعماله ترجمة كتاب التشريح لجالينوس .

أما ابنه اسحق ، فقد كان أوحد عصره فى علم الطب ، وكان يلحق بأبيه فى النقل وفى معرفته باللغات وفصاحته فيها ، ولاسحق بن حنين جملة تآليف فى الطب والمنطق بلغت خمسة عشر ، خلاف ما ترجمه من كتب القدماء .

ومنهم أبو يعقوب يوحنا بن ماسويه ، خدم الرشيد والأمين والمأمون وعاش إلى عصر المتوكل ، وولاه الرشيد بيت الحكمة وقلده ترجمة الكتب اليونانية التى حصل عليها فى حروبه بأنقره وعمورية ، بلغت تصانيفه عند القفطى واحدا وعشرين كتابا . ومن ضمن مؤلفاته كتاب فى الجذام ، وهو أول من كتب فيه .

ومنهم ثابت بن قرة الحرانى (٢٢١ - ٢٨٨ هـ ) وابناه ابراهيم وسنان ، وحفيداه ثابت وابراهيم ، وكانوا نقلة جيدين ، وبلغت مؤلفات ثابت ثلاثة وعشرين ، منها خمسة فى الطب وباقيها فى الحساب والهندسة والفلك ، غير ما نقل للأوائل من كتب المنطق والرياضيات والطب ، كان يجيد اللغة اليونانية ، كما يجيد السريانية والعبرية وترجم فى المنطق والرياضيات والطب والتنجيم ، ونبغ ابنه سنان بن ثابت فى صناعة الطب . ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكى . كان طبيبا حاذقا عالما باللغات اليونانية والسريانية والعبرية ، نقل كتبا كثيرة من اليونانية إلى العبرية - أحصى ما نقل وفسر وشرح - فبلغت خمسة وثلاثين كتابا .

وفى أواخر عصر الترجمة - بعد منتصف القرن الرابع الهجرى - ظهرت بشائر عهد جديد هو عهد التأليف ، واشتهر من هؤلاء المؤلفين فى الطب أربعة وهم :

على بن سهل الطبرى : صاحب كتاب فردوس الحكمة وحفظ الصحة ، ومنافع الأطعمة والأشربة .

محمد بن زكريا الرازى : صاحب كتاب الحاوى ، والمنصورى فى التشريح ، ومحنة الطبيب ومنافع الأغذية ، وقد اجمع المستشرقون المشتغلون بتاريخ الطب على أن الرازى أعظم طبيب أنجبته النهضة الإسلامية . وقد تتلمذ على الطبرى ، وله رسالة فى الجدرى والحصبة قال عنها المستشرق « نيوبرجر » أنها حلية فى جيد الطب العربى . ويعد الرازى أول من ابتكر خيوط الجراحة المسماة بالقصاب وأول من عمل مراهم الزئبق وأول من أنشأ مقالات خاصة فى أمراض الأطفال وله كلمات مأثورة فى العلاج - منها ، مهما قدرت أن تعالج بالأغذية ، فلا تعالج بالأدوية ومهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب « ومنها » إذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما أقل لبث العلة » ومنها ينبغى للطبيب أن يوهم

المريض بالصحة ويرجيه بها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس ، ومنها ينبغي للطبيب ألا يدع مساءلة المريض عن كل ما تتولد منه علته .

على بن العباس المجوسى : يقول عنه القفطى «طبيب فاضل كامل ، فارسى الأصل ، صنف كتابا أسماه الملكى » وهو المعروف بكامل الصناعة ـ اشتمل على علم الطب ، مال الناس إليه فى وقته ، ولزموا درسه ، إلى أن ظهر كتاب القانون لابن سينا ، فمالوا اليه وتركوا الملكى بعض الترك ، والملكى فى العمل أبلغ والقانون فى العلم أثبت .

ولد المجوسى بالأهواز ببلاد فارس ، ولم يذكر أنه ألف غير كتاب الملكى المعروف بكامل الصناعة ، وهو مقسم إلى ٢٠ مقالة تحتوى على أبواب عديدة ، والمقالتان الأولى والثانية قاصرتان على فصول فى التشريح كانت المرجع الرئيسى لعلم التشريح فى سالرنو ، بايطاليا وفى غيرها فى المدة بين عام ١٠٧٠ ـ ١١٧٠ م وقد حوت مقدمة « الملكى » نقد الأساطين فى الطب اليونانى والغربى مثل أبقراط وجالينوس اوريباسوس وبولس الايجنطى والرازى فقال أن أبقراط يميل إلى الايجاز والغموض وأن جالينوس يميل إلى التوسع والتطويل ، إلى قلة عناية ، واوريباسوس وبولس الايجنطى بالتشريح ـ وقال عن كتاب الحاوى للرازى أن ضخامته وتكاليفه تجعل الحصول عليه مطلبا وعرا ، ونعت المنصورى فى التشريح للرازى بشدة الاختصار ويقول ابن المجوسى فى كتابه الملكى « ومما ينبغى لطالب هذه الصناعة أن يكون ملازما للبيمارستانات ومواضع المرضى ، كثير المداولة لأمورهم وأحوالهم مع الأستاذين الحذاق من الأطباء ، كثير النقد لأحوالهم والأعراض الظاهرة فيهم ، متذكرا لما كان قد قرأه من تلك الأحوال ، وما يدل عليه من الخير والشر . ويتألف كامل الصناعة من جزأين يشتمل الأول على عشر مقالات ، الأولى عن الأمزجة والطبائع والأخلاط والثانية والثالثة فى التشريح ، والرابعة فى الهواء والرياضة والحمام والأغذية ، والست الباقية فى أسباب الأمراض وأعراضها وعلاماتها . ويتألف الجزء الثانى من عشر مقالات ، قاصرة على المداواة وطرق العلاج . وتختص الأخيرة بالصيدلة وتقع فى ثلاثين بابا ويتميز بلغته وسلاسته ودقته .

ابن سيناء يقول :

لما عظمت فليس مصر واسعى

لما غلا ثمنى عدمت المشـــترى

يعتبر كتابه القانون فى الطب أشهر كتبه على الاطلاق وهو موسوعة علمية ضافية ، وهو خلاصة الفكر اليونانى والعربى ،ويمثل القمة التى وصلت إليها الحضارة العربية فى فنون الطب تجربة ونقلا ، تبلغ عدد كلماته قرابة المليون كلمة ، واشتهر القانون فى أوروبا شهرة عظيمة فى القرون الوسطى ، وبلغ من المكانة مابلغته كتابات جالينوس وأبقراط وكان الكتاب المدرسى فى الطب فى جامعتى مونبليه ولوفان فى أواسط القرن السابع عشر ،وقد طبعت ترجمته إلى اللاتينية ست عشرة مرة فى الثلاثين سنة التى كانت غاية القرن الخامس عشر ، وأعيد طبعه عشرين مرة فى القرن السادس عشر ، وهذا لايمثل إلاالطبعات الكاملة منه. أما الطبعات التى تقتصر على جزء أو أجزاء منه فلا حصر لها وقد طبع القانون بالعربية مرتين الأولى بروما سنة ١٥٩٣ والثانية بمصر (بولاق سنة ١٢٩٤ هـ ) وابن سينا أول من كشف ووصف عضلات العين الداخلية وأول من حاول التفرقة بين اليرقان الناشى من انحلال الكريات الدموية وبين الذى ينشأ من انسداد القنوات الصفراوية ، وسبق غيره إلى معرفة بعض الأمراض التى تنتقل بوساطة مياه الشرب، وأنه عزاها إلى حيوانات دقيقة لا ترى بالعين يتعاطاها الإنسان فى الماء دون أن يحس بها . كما وصف بدقة الحالات الإكلينيكية الخاصة بأمراض الجلد والأجهزة البولية والتناسلية والعصبية .

وأهم مميزات الطب العربى فى ذلك العصر .

تأثره بنظرية الاخلاط الأربعة

Four Humours Theory واتخاذها أساسا للباثولوجيا العربية، وتقول هذه النظرية أن ظواهر الكون تتكون من عناصر أربعة، الماء والهواء والتراب والنار، ولها صفات أربع ـ الحرارة والجفاف والرطوبة والبرودة ـ ويقابل هذه العناصر والصفات أخلاط أربعة فى الإنسان، الدم والصفراء والبلغم وإفراز الطحال (سوداء ) والأخلاط حسب تعريفهم هى أجسام سيالة ، يستحيل لها الغذاء ، فالدم لهخواص الهواء (حار رطب) والصفراء لها خواص النار (حارة جافة )

والبلغم له صفات الماء (بارد رطب) والطحال خاصية التراب (بارد جاف) . وتذهب النظرية إلى أن الإنسان لا يكون فى حالة الصحة إلا بتعادل هذه الأخلاط تعادلا تاما يكسر كل منها سورة الآخر بلا غلبة ، وإلى أن المرض ينشأ من وفرة إحداها وتغلبه على بقية الأخلاط أو من ضعفه وتغلب بقية الأخلاط عليه ، فمن توفر لديهم البلغم وغلب بقية الأخلاط الأخرى سموهم أصحاب المزاج البلغمى . والمزاج السوداوى ينشأ من زيادة إفراز الطحال ومثل ذلك المزاج الدموى والصفراوى . وقسمت العلل إلى بلغمية وسوداوية وصفراوية .

ويعتبر كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبى القاسم الزهراوى أول كتاب جراحى عند العرب .

كذلك تميز الطب العربى بإدخال الكثير من الأدوية المفردة والمركبة وعمل الاقربازينات وقد ساعد العرب معرفتهم للنبات ومهارتهم فى الكيمياء ، فأصبحت كتبهم تعج بالمركبات والمستحضرات المعدنية والنباتية والحيوانية ، التى أدخلوها لعلاج بعض الأمراض ، وأدخلوا فى الصيدلة ، الكثير من مواد النبات ، السنامكى والجوز المقئ ، والراوند وخيار شنبر وغيرها وبرعوا فى استعمال الأشربة وتحضير المراهم والأدهنة واللعوق وكان أول أقربازين ألف فى العصر العباسى ألفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ وكان المعول عليه ، إلى حين ظهور أقربازين امين الدولة ابن التلميذ المتوفى سنة ٥٦٠ هـ ومن أطباء العرب المشهورين الكندى ، وله واحد وعشرون كتابا فى الطب .

<u>وأمين الدولة بن التلميذ</u> – يقول عنه ابن خلكان سلطان الحكماء ، مقصد العالم فى علم الطب أبقراط عصره وجالينوس زمانه ، له تصانيف منها كتاب الأقربازين المشهور ، وسنان بن ثابت بن قرة وله تصانيف جيدة فى الفلسفة وعلم الهيئة والفلك والهندسة ، واشتهاره بهذه العلوم يضارع اشتهاره بالطب . وكان الخليفة المقتدر أول من فرض على الأطباء تأدية امتحان للحصول على أجازة تخولهم ممارسة المهنة ، وأناط بسنان بن ثابت أن يقوم بامتحانهم وتثبيت من يصلح منهم ، ومنع من لا يصلح . وأحصى عدد الأطباء ببغداد لأمين الدولة فبلغوا قرابة ثمانمائة وستين ، وفى أيام المستنجد فوضت رئاسة الطب

ببغداد لأمين الدولة بن التلميذ ونيط به القيام بامتحان المتطببين .

ومنهم يوحنا بن سرافيون - يقول عنه القفطى أنه كان طبيبا فى صدر الدولة العباسية ، وأبو الحسن أحمد بن محمد الطبرى - من أهل طبرستان عاش فى القرن الرابع الهجرى كان فاضلا عالما بصناعة الطب ، وكان طبيبا للأمير ركن الدولة ، وله الكتاب المعروف بالمعالجات الابقراطى ، يقول ابن أبى أصيبعة إنه من أجل الكتب وأنفعها . فقد استقصى فيه الأمراض ومداواتها على أتم ما يكون .

وعيسى بن على الكحال - قرأ على حنين بن اسحق ، وكان مشهور ابالحذق فى أمراض العين ومداواتها ، وكتابه المعروف بتذكرة الكحالين ، كان يمارس طب العيون فى بغداد ويعتبره المستشرقون أكبر طبيب للعيون أنجبته العصور الوسطى وقد ترجم كتابه إلى اللاتينية ومات فى[٣٦] أواسط القرن الثانى عشر الميلادى.وتتألف تذكرة الكحالين من ثلاث مقالات ، الأولى فى حد العين وتشريحها وطبقاتها ورطوباتها وأعصابها وعضلاتها ومن أين نبات كل طبقة ومن أين يأتى غذاؤها ، والثانية فى عاد أمراضها الظاهرة للحس ، وأسبابها وعلاماتها وعلاجاتها ، والثانية فى أمراضها الخفية عن الحس وعلاماتها وعلاجاتها ونسخ أدويتها . وقد أشار المؤلف إلى أنه اعتمد على ماقرأه فى كتب جالينوس وحنين بن اسحق وغيرهم من الكحالين المشهورين مع يسير مما شاهده من مشايخ زمانه فى صناعة الكحل

أبو الحسن أحمد بن محمد الطبرى : من أهل طبرستان ، عاش فى القرن الرابع الهجرى كان فاضلا عالما بصناعة الطب ، وكان طبيبا للأمير ركن الدولة وله الكتاب المعروف بالمعالجات الابقراطية ، استقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها على أتم ما يكون كما يقول ابن أبى أصيبعة ، وصف فى مقدمته نوعين من الأطباء الطبيب الذى ليس بفيلسوف ، وهو الذى يقتصر علمه وهمته على علاج الداء فحسب ، مع قلة المعرفة والبعد عن الفلسفة ، والطبيب الفيلسوف ، هو من يسمو بعلمه وإدراكه إلى طلب الغاية ، ولم يقتصر من كل صناعة على أقل ما يمكن . ويقع المخطوط فى ٨٨١ صفحة ومقسم إلى عشر مقالات الأولى فى الفصول التى لا يستغنى الطبيب الذى ليس بفيلسوف عن

معرفتها لئلا يكون غفلا إذا سئل عن شيء منها ويقول أنه ذكرها على وجه الإخبار بها والتعريف لا على جهة التعليم لأن التعريف لا يحتاج إلى إقامة البرهان عليه ، والتعليم يحتاج إلى ذلك .

ابن جزلة : أبو على يحيى بن عيسى ابن جزلة ، ولد ببغداد سنة ١٠٧٤م ،يقول أنه كان يطب أهل محله وسائر معارفه بغير أجرة ولا جعالة ، احتسابا ومروءة ، ويحمل إليهم الأدوية بغير عوض وله ، كتاب «تقويم الأبدان » وكتاب البيان فيما يستعمله الإنسان ، وله رسالة فى مدح الطب ذكر ابن خلكان أنه أوقف كتبه قبل وفاته ، وكان يدرك عظيم فائدة الموسيقى فى شفاء الأمراض وفى ذلك يقول «والموسيقى من الأدوات النافعة فى حفظ الصحة وردها وتختلف بحسب اختلاف طباع الأمم ، وقديما وصفت هذه الصناعة لحث النفوس إلى السنن الصحية ، استعملها الأطباء فى شفاء الأبدان المريضة ، فموقع الألحان من النفوس السقيمة موقع الأدوية من الأبدان المريضة ، وأفعاله فى النفوس ظاهرة من مشى الجمال عند الحداء ، وشرب الخيل عند الصفير ، ومرح الأطفال لسماع الغناء ، وهو يحدث أريحية ولذة ، ويعين على طول الصلاة والدراسة ، والأطباء يستعملونه فى تخفيف الآلام على مثال ما يستعمله الحمالون لتخفيف الأثقال .

ابن أبى أصيبعة : هو موفق الدين أحمد بن أبى القاسم بن أبى أصيبعة ، ولد فى دمشق سنة ١٢٠٣م ودرس الطب هناك ، ثم نزح إلى مصر واستزاد منه وتتلمذ لابن البيطار المالقى ، واشتغل فى بيمارستانات القاهرة ، وألف كتابه المشهور «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، يضم تراجم الأطباء من عهد اليونان إلى عصره ويعتبر مصدرا من المصادر الهامة فى تاريخ الطب العربى .

ابن النفيس : على بن أبى الحزم القرشى ، كان إماما فى علم الطب الإيضاحى ، صنف كتاب الشامل فى الطب تدل فهرسته على أنه يكون فى ثلاثمائة جزء ، أنجز منها ثمانين سفرا وهو الآن وقف بالبيمارستان المنصورى فى القاهرة وله أيضا شرح القانون لابن سينا فى عدة أسفار ، وكتاب موجز القانون ، وكتاب شرح تقدمه المعارف ، وكتاب تشريح

القانون ، وفيه وصف للرئة وسبق غيره إلى كشف الدورة الدموية الرئوية .

موفق الدين عبد اللطيف البغدادى – ولد فى بغداد سنة ١١٦٢ م – ٥٥٧ ه درس الطب والفلسفة واشتغل بتدريسها حينا من الزمان بدمشق وحلب ، ثم رحل إلى مصر حيث التقى بموسى بن ميمون وتمكن فى مصر من دراسة العظام دراسة دقيقة واستطاع أن يكشف أخطاء جالينوس التى وردت فى وصفه للهيكل البشرى . فمن ذلك عظم الفك الأسفل فالكل أجمعوا على أنه عظمتان بمفصل وثق عند الحنك ،وقولنا الكل إنما نعنى هاهنا جالينوس وحده ، الذى شاهدناه من حال هذا العضو أنه عظم واحد وليس فيه مفصل أصلا ، واعتبرناه ما شاء الله من المرات فى أشخاص كثيرة تزيد على ألفى جمجمة ، فلم نجده إلا عظما واحدا .

التميمى : محمد بن أحمد بن سعيد ، نشأ فى بيت المقدس درس الطب ، وكان له غرام فى تركيب الأدوية ، له عدة معاجين . له كتاب يقع فى عدة مجلدات سماه مادة البقاء ، بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء .

أبو يعقوب اسحق بن سليمان الإسرائيلى : ولد أبو يعقوب بمصر عام ٨٥٠ ه ، يقول عنه ابن أبى أصيبعة «كان يكحل فى أوليته ثم سكن القيروان ولازم اسحق ابن عمران طويلا إلى أن نيف على مائة سنة » وذكر ابن جلجل أنه كان عالما بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف الألحان والهندسة وطبائع الأعداد والهيئة وعلم النجوم ، وله مؤلفات جليلة .

نجيب بن عمر السمرقندى : هو نجيب الدين أبو حامد محمد بن على بن عمر السمرقندى ، أرخ له ابن أبى أصيبعة ،قال إنه صاحب كتاب الأسباب والعلامات ،وكتاب الأقرباذين ،مات مقتولا فى سمرقند عندما دخلها التتار (جنكيز خان سنة ٦١٧ ه ) قال السمرقندى فى مقدمة لكتاب الأسباب أنه جمعه لنفسه مع القانون لابن سينا ومن المعالجات البقراطية للطبرى ، وكامل الصناعة لعلى ابن العباس المجوسى ، وقد اشتهر كتاب الأسباب من أجل شرح نفيس بن عوض

ابن حكيم الكرمانى له (٨٢٠ هـ) شرحا يقول عنه حاجى خليفة «حقق فيه فأجاد وأوضح المطالب فوق ما يراد» والباب الخاص بالمانخوليا من هذا الشرح أجود ما جادت به القرائح، ولعله بحق أعظم ما كتب عن هذا الداء إلى ما بعد بداية هذا القرن.

ولنجيب السمرقندى كتابان فى الأقربازين، وكتاب أغذية المرضى.

## الطب فى بلاد الأندلس والمغرب العربى؟

بلغت الحضارة الأندلسية ذروتها بين منتصف القرن الثامن ومنتصف القرن الحادى عشر الميلادى، واشتهر فى ذلك العهد عدد من أطبائهم فى الصناعة والتأليف وخاصة فى المدة من ابتداء القرن العاشر ونهاية القرن الثالث عشر الميلادى. وأضاف، المؤلفون الأندلسيون إلى مااقتبسوه من الحركة العلمية فى بلاد المشرق خلاصة تجاربهم، وتحمل بعض مؤلفاتهم أثر الاستقلال والطابع الشخصى.

ويقول صاعد الأندلسى فى كتابه طبقات الأمم، إن أطباء الأندلس فى عهده . إنما عرض أكثرهم من علم الطب قراءة الكناشين المؤلفة فى فروعه فقط دون الكتب المؤلفة فى أصوله مثل كتب أبقراط وجالينوس ليستعجلوا بذلك ثمرة الصناعة، ويستفيدوا به خدمة الملوك فى أقرب مدة، إلا أفرادا منهم رغبوا عن هذا الغرض وطلبوا الصناعة وقرأوا كتبها على مراتبها: ومن أشهر أطباء الأندلس وبلاد المغرب.

اسحق بن عمران – نشأ فى بغداد ورحل إلى أفريقيا فى أيام ابن الأغلب التميمى بالقيروان، يقول ابن أبى أصيبعة «وبه ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة»، له كتاب فى الماليخوليا لم يسبق إلى مثله.

ابن الجزار: أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن أبى خالد، كان أبوه طبيبا وعمه كذلك، عاصر اسحق بن سليمان وصحبه وأخذ عنه وعاش نيفا وثمانين سنة ومات سنة ١٠٠٤ م. . وجد له خمسة وعشرون قنطارا من كتب طبية وغيرها، له تآليف عديدة فى الطب، ذكر القفطى أنه رأى له كتابا كبيرا فى الطب يقع فى عشرين مجلدا يسمى الفصول والبلاغات. ويقول ابن جلجل أنه لم تحفظ عليه بالقيروان زلة قط، كان

يترك لغلامه صرف الأدوية والأشربة للمرضى نزاهة بنفسه أن يأخذ من أحد شيئا .

ابن جلجل – هو سليمان بن حسان الطبيب الأندلسى المعروف بابن جلجل ولد بقرطبة سنة ٣٣٢ هـ عنى بعلم الطب فغلب عليه وعرف به وبلغ منه الغاية ، طلبه وهو ابن أربع عشرة وافتن فيه وهو ابن أربعة وعشرين وكان طبيبا فاضلا خبيرا بالمعالجات جيد التصرف فى صناعة الطب ، وله بصيرة واعتناء يقوى الأدوية المفردة .

وكتابه المعروف بطبقات الأطباء ، والحكماء من المصادر الهامة فى موضوعه ، نقل عنه القفطى وابن أبى أصيبعة ولابن جلجل أيضا كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة ، وكتاب مافات ديسقوريدوس من أسماء النبات .

ابن وافد – هو ابن المطرف عبد الرحمن اللخمى بن وافد ، ولد بطليطلة سنة ٣٨٧ هـ يقول عنه صاعد فى طبقاته « أحد أشراف أهل الأندلس ، عنى عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وتفهمها ومطالعة كتب أرسطو وغيره من الفلاسفة ، وتمهر فى علوم الأدوية المفردة حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد فى عصره ، ألف فيها كتابا جليلا لا نظير له ، وله فى الطب منزع لطيف ومذهب نبيل ، وذلك أنه لا يرى التداوى بالأدوية ما أمكن التداوى بالأغذية أو ما كان قريبا منها ، فان دعت الضرورة إلى الأدوية فلا يرى التداوى بمركبها ما وصل إلى التداوى بمفردها ، فاذا اضطر إلى تركيب لم يكثر التركيب ، وله نوادر محفوظة وغرائب مشهورة فى الابراء من العلل الصعبة ، والأمراض المخوفة بأيسر العلاج وأقربه ، وله خمسة كتب أخرى فى الطب ذكرها ابن أبى أصيبعة .

الشريف الإدريسى – هو عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن إدريس الحسنى ولد بقرطبة سنة ٤٩٣ هـ – وحل بصقلية فى كنف مليكها روجر الثانى ، وألف كتابا فى الجغرافيا سماه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، وصنع له كرة أرضية من الفضة واشتهر الإدريسى بكتابه المسمى الجامع لصفات أشتات النبات » يقول ابن أبى أصيبعة كان فاضلا عالما بقوى الأدوية المفردة ، ومنافعها ومنابتها وأعيانها ، وله كتاب الأدوية المفردة ، أشار فيه إلى كتب النبات

التى استعان بها مثل كتاب الحشائش لديسقوريدوس ، والمفردات لاصطفن وجالينوس ، وكتاب الأدوية المفردة لحنين ابن اسحق ، وغيرها .

أبو القاسم الزهراوى – ولد بقرطبة سنة ٩٣٦ م اشتهر بممارسة الجراحة ، وكتابه المسمى التصريف لمن عجز عن التأليف موسوعة فى الطب والجراحة – يمتاز بكثرة رسومه ووفرة أشكاله للآلات التى كان يستعملها وأكثرها من استنباطاته ، واستمر كتاب التصريف العمدة فى الأمور الجراحية مدى خمسة قرون ، ترجم مرات عديدة .

ابن زهر – أبو مروان عبد الملك بن زهر ، ولد بأشبيلية ودرس الطب عن أبيه ، يقول ابن أبى أصيبعة كان جيد الاستقصاء فى الأدوية المفردة والمركبة حسن المعالجة .

وقد شاع ذكره فى الأندلس وفى غيرها من البلاد ، واشتغل الأطباء بمصنفاته ، ولم يكن فى زمانه من يماثله فى مزاولة أعمال صناعة الطب ، واشتهر كتابه التيسير فى المداواة والتدبير » وقد ضمنه وصف علة الجرب ولم يكن قد سبقه إلى وصفها غير الإسكندر الطرولى ، كما أنشأ فصولا فى وصف التهاب التامور المصلى ، والتهاب الأذن الوسطى ، وشلل البلعوم ، كما جاء فيه وصف لعملية استخراج الحصى من الكلية ، وفتح القصبة الهوائية ، وقد أصيب ابن زهر بخراج الحيزوم

وترك وصفا شائعا للأعراض التى كان يشكو منها وقد ترجم التيسير وطبع مرارا .

ولقد أثر ابن زهر أثرا بليغا فى الطب الأوروبى ، وظل هذا التأثير بليغا إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادى .

وينتمى ابن مروان إلى أسرة عظيمة ، كُنى أفرادها جميعا « بابن زهر » ونبغ منهم عدد ليس بقليل فى المدة من القرن الحادى عشر والثالث عشر ، منهم .

( ا ) محمد بن مروان بن زهر توفى سنة ٤٢٢ هـ ( ١٠٣٠ م ) .

(ب) أبو مروان عبد الملك محمد بن مروان .

(ج) أبو العلا زهر بن أبى مروان توفى سنة ٥٢٥ هـ – ١١٣١

(د) أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء توفى سنة ٥٥٧ هـ – ١١٦١ م .

(هـ) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن أبي العلاء (الحفيد) ٥٠٤ – ٥٩٦ هـ (١١١٠ – ١١٩٦ م) .

(و) أبو محمد عبد الله ابن الحفيد ولد سنة ٥٧٧ هـ – ١١٨١ م .

ابن رشد – أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد أحد فلاسفة الإسلام المشهورين ولد بقرطبة ودرس الفلسفة والطب وألم بفلسفة أرسطو ، ألف في الطب كتابه المشهور باسم «الكليات» وكان بينه وبين أبي مروان بن زهر مودة وكان يقصد من أبي زهر أن يؤلف كتابا في الأمور الجزئية لتكون جملة كتابيهما مثل كتاب كامل الصناعة . ومن مأثور كلام ابن رشد قوله من استقل بعلم التشريح ازداد إيمانا بالله ، وقد خلف ضمن مصنفاته في الفلسفة مصنفات عديدة في الطب .

ابن البيطار – كان رئيس العشابين في مصر ، كان أوحد زمانه في معرفة النباتات وكتابه الجامع في الأدوية المفردة أشهر من أن يذكر ، وهو يحتوي على وصف ١٤٠٠ نوع من العقاقير منها ٣٠٠ لم يسبقه إلى وصفها أحد وترجم كتابه إلى اللغة اللاتينية وكان عليه المعول حين عصر النهضة الأوروبية ويعد ابن البيطار بحق خليفة ديسقوريدوس في علم الصيدلة وله كتاب المغني بالأدوية ، وكتابه الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام ، وكتاب الأفعال العجيبة والخواص الغريبة ، وشرح كتاب ديسقوريدوس .

ابن خاتمة – هو أحمد بن علي بن محمد أبو جعفر بن خاتمة ، يقول المقري «كان أستاذا أديبا بارعا كاتبا بليغا حاملا ، طبيبا ماجدا فاضلا عدلا ، توفى ٧٧١ هـ وقد كتب في الوباء وأثبت حصول العدوى وتعتبر رسالته في الوباء خير ما كتب في موضوعها إلى فجر القرن السادس عشر .

ابن ميمون – هو أبو عمران موسى بن القرطبي ولد في قرطبة سنة ١١٣٥م ، نزح إلى مصر وواصل الدرس والتحصيل بهمة لا تعرف الملل ، واحترف الطب ودخل خدمة صلاح الدين وعينه الملك الأفضل طبيبا له – وتوفى سنة ١٠٢٤ م وألف ابن ميمون عشرة تصانيف أهمها فصول القرطبي وتسمى أيضا فصول موسى بن ميمون ومنها ،

المقالة الفاصلة وسماها « السموم والتحرز من الأدوية القتالة » وقد أبرز فيها ابن ميمون الكثير من تجاربه الخاصة وله رسالة فى الربو وأخرى فى البواسير ، ومن أهم رسائله الرسالة الأفضلية وتبحث فى الحالات النفسية المختلفة كالغضب والحزن والسرور وأثرها فى الصحة وعلاجها برياضة النفس وتقويتها ، وتدل هذه الرسالة على أن موسى ابن ميمون كان عالما نفسانيا محنكا وأنه أدرك عظم الفائدة من تسخير قوى النفس فى علاج أمراض البدن ، وقد اشتهر بذلك حتى مدحه الشاعر بقوله :

أرى طب جالينوس للجسم وحده —
وطب أبى عمران للعقل والجسم .

وقد ذكر أن بعضا من أطباء الغرب قد عرفوا مبادئ التحليل النفسى واستخدموها .

أبو عبد الله الحناط الكفيف — من أهل قرطبة وقد اشتهر بالطب وقد توفى سنة ٤٣٧ هـ ، وقد اشتهر من النازحين إلى مصر من الأطباء موسى بن ميمون وابن البيطار التميمى كما اشتهر من أطباء مصر رشيد الدين أبو خليفة وابن رضوان والشيخ السديد

وقد ترجم كثير من كتب الطب العربية إلى اللاتينية واقترن اسم جامعة ساليرنو بأسماء بعض التراجم المشهورين الذين نقلوا علوم العرب إلى اللغة اللاتينية وأهم هؤلاء التراجمة « قسطنطين الأفريقى » ترجم كتاب كامل الصناعة لعلى بن عباس المجوسى ، ونقل أيضا لأبى يعقوب اسحق بن سليمان وابن الجزار ، وتبع قسطنطين تلميذه يوحنا اقليطس — وخرج ابن تمالم الذى أتم نقل الحاوى للرازى إلى اللغة اللاتينية .

وتعتبر الحروب الصليبية التى شبت نارها عام ١٠٩٧ م وامتدت حتى ١٢٧٣ م من العوامل المهمة فى نقل العلوم العربية وخاصة الطب إلى بلاد الغرب ، فقد حمل كثير من المرضى والأطباء وغيرهم من الراجعين إلى أوطانهم الكثير من الوصفات العربية إلى بلادهم ، وكانت سالرينو أهم الثغور التى يرجع عن طريقها المحاربون العائدون إلى أوطانهم .

والخلاصة أن العرب أضافوا الكثير إلى علوم الطب والصيدلة والطب العام وأمراض العيون والبيمارستانات .

**عبد الحليم منتصر**
عضو المجمع

# تحقيق لسان العرب

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

٥٩٧ (حمض) ٤١٠ س ١٣ قول الأغلب :

* لا يحسن التحميض إلا سردا *

وفى تفسيره : «فإنه يريد التفخيد» ، صوابه «التفخيذ» بالذال . وبذلك صححت فى بيروت ١٤٠

## الجزء التاسع

٥٩٨ - (خفض) ٤ - ٢٥

وبيروت ١٤٥ والمخطوطة ، قول الشاعر :

لو وصل الغيث لأندى امرئٍ
كانت له قُبةُ سَحْقٍ بجادْ

لكن فى المخطوطة : «امرأً» بالنصب ، وصوابه : «لأبنين امرأً» ، كما فى اللسان (بنى ١٠٣) والحيوان ٥ : ٤٦١ والمخصص ٥ : ١٢٢ والخصائص ١ : ٣٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٠٦ .

كما أن صواب عجزه :

* كانت له قبةٌ سَحْقَ بجادْ *

كما فى المراجع المتقدمة . وانظر تفسير البيت فى اللسان (بنى) .

٥٩٩ - (عرض) ٢٦ س ٢٣ وبيروت ١٦٥ والمخطوطة أيضا : «قال أبو ذؤيب يصف برذونا» ، وهو تحريف عجيب ، صوابه «يصف برْقا» ، وهو ما يقطع به الشعر من قول أبي ذؤيب :

أمِنكَ برق أبيت الليل أرقبه
كأنه فى عِراض الشام مصباحُ

٦٠٠ - (عرض) ٢٨ س ١٨ وبيروت ١٦٧ والمخطوطة : «تعرَّض ، أى أقمه فى السوق» .

---

(١) متابعة لما نشر فى الجزء ٢٦ من المجلة .

والعبارة مبتورة ، فالذى فى التهذيب ١ : ٤٦٨ : « تعرَّض به ، أى أقومه فى السوق » .

٦٠١ - (عضض) ٥١ س ٢٠ - ٢١ وبيروت ١٨٨ والمخطوطة أيضا : « وإذا كان القوم لابنين لهم فلا عليهم أن يروا عَضاضا » ، والنص بهذه الصورة محرف ، صوابه : « لابِنين فلا عليهم ألا يَروا عَضاضا » ، كما فى التهذيب ١ : ٤١ لابنين ، بكسر الباء ، أى أصحاب لبن ، أى لو كان عندهم لبن لاستغنوا عن الطعام . والعضاض ، بالفتح : ما يُعض عليه من طعام .

٦٠٢ - (عضض) ٥٣ س ١٢ وبيروت ١٩٠ والمخطوطة كذلك : « واللُّصَف والكلبة والعِتْر والتُّغْر » ، وجاءت « التغر » بالتاء المثناة المضمومة ، وصوابها « الثَّغْر » بالثاء المثلثة المفتوحة ، كما فى التهذيب ١ : ٧٥ . وانظر اللسان (ثغر ١٧٣) .

ومنه قول كثير :

وفاضت دموع العين حتى كأنما
بُرادُ القذى من يابس الثَّغْر يُكحلُ

٦٠٣ - (عوض) ٥٥ س ١٥ وبيروت ١٩٢ والمخطوطة : « وأعضته وعوّضته ، إذا أعطيته بدل ما ذهب منه ، وقد تكرر فى الحديث ، والمستقبل التعويض » ، صوابه : « والمستعمل التعويض » كما فى مقاييس اللغة (عوض) . يعنى أن « عوَّضه » أكثر استعمالا من « أعاضه » .

٦٠٤ - (عوض) ٥٦ س ١٧ وبيروت ١٩٣ قولُ رشيد :

حلفتُ بما ثرات حول عوض
وأنصابٍ تُركن لدى السَّعيرِ

إنما هو « السُّعير » بهيئة التصغير ، كما سبق فى التنبيه رقم ٣٨١ ، وكما ورد مضبوطا هنا فى النسخة المخطوطة .

٦٠٥ - (فرض) ٧١ س ١٢ وبيروت ٢٠٦ والمخطوطة : « ليس فيها إلا نوًى معلَّق بالتفاريق » صوابه « بالثفاريق » بالثاء المثلثة . والثفاريق : جمع ثُفروق ، وهى أقماع البُسر والتمر .

٦٠٦ - (فضض) ٧٢ س ١٧ وبيروت ٢٠٧ والمخطوطة أيضا : « وفى حديث خالد ابن الوليد أنه كتب إلى مروان بن فارس » . وقد حار مصححو طبعة بولاق وقالوا : « كذا هو بالنسخ التى بأيدينا » ، والصواب إن شاء الله « إلى مرازبة فارس » كما فى اللسان

(خدم ٥٨) . والمرازبة : جمع مرزبان ، وهو الرئيس من العجم .

٦٠٧ - (قبض) ٨١س٨ وبيروت ٢١٥ قول الفقعسى :

* فى هجمة يَغْدِر منها القابض *

وليس للغدر هنا معنى ، إنما هى «يُغْدِر» من الإغدار ، يقال : أغدره ، أى تركه . وكذا أنشده وفسّره ابن الأنبارى فى شرح السبع الطوال ٥٧١ . وجاءت رواية فى اللسان (عوض) :

* فى هجمة يُسْئر منها القابض *

يُسْئِر ، أى يُبقِى ، من السور ، وهو بقيّة الماء فى الإناء .

٦٠٨ - (حطط) ١٤٤س١٤وبيروت ٢٧٥ والمخطوطة : جاء فى تفسير قول الشماخ :

وإن ضربت على العِلاَّت حطت
إليك حِطاط هادية شنونِ

«العِلاَّت : الأعداء» ، صوابها «الأعذار» . والعِلة : العذر ؛ ومنه قوله :

* ما علتى وأنا جلدٌ نابلُ *

أى ما عذرى فى ترك الجهاد ومعى أهبة القتال .

٦٠٩ - (حطط) ١٤٥ س٨ وبيروت ٢٧٥ والمخطوطة أيضا :

كأَن مِحطًّا فى يدىْ حارثية
صَناع علَتْ منى به الجلدَ من عل

بدون ضبط لكلمة «عل» ، ووجه ضبطها «من علُ» بالضم ، كما فى جمهرة أشعار العرب ١٠٩ وهو من قصيدة مرفوعة الروىّ ، أوّلها :

تـأَبّد من أَطلالِ عمرة مأْسِلُ
وقد أقفرتْ منها شِراءٌ فيذبلُ

٦١٠ - (خبط) ١٥٢س٢٣وبيروت ٣٨٣ : «قال علقمة بن عَبْدة» بإسكان باء «عبْدة» وأهمل ضبط الباء فى المخطوطة ووجه ضبطها : «عَبَدة» بفتح الباء . وفى الخزانة ١ : ٥٦٥ فى ترجمة علقمة هذا ، وهو علقمة الفحل : «وعبدة بفتح العين والباء . وأما عبْدة بن الطيب فهو بسكون الباء ، كذا فى الصحاح . والعبدة ، محركة ، بمعنى القوّة ، والسّمن ، وصلاءة الطيب ، والأنفه» .

٦١١ - (خبط) ١٥٣س١٩وبيروت ٢٨٣ والمخطوطة أيضا : «قال دبّاق الدّبيرى»

صوابه «أَبَّاق» . وفى اللسان (أبق) : «وأَبَّاق : رجل من رجّازهم ، ويكنى أبا قريبة» . وفى تاج العروس : «وأَبَّاق كشدّاد : شاعر دُبيرى مشهور ، كنينه أبو قريبة» .

٦١٢ – (خلط) ١٦٤س١٧ وبيروت ٢٩٤ : «قال بسّامة بن الغدير» وفى المخطوطة «بسَامة» وكلاهما خطأ ، إنما هو – «بشَامة» ، وهو من شعراء المفضليات .

والبشامة : واحدة البشام ، وهو شجر ذو ساق وأفنان وورق صغار أكبر من ورق الصعتر ، ولا ثمر له . والغدير لقب أبيه واسمه عمرو . وانظر المؤتلف والمختلف للآمدى ٦٦ وما سبق فى التحقيق رقم ٥٦٧

٦١٣ – (خمط) ١٦٨س٦ وبيروت ٢٩٧ : «فإذا كان فيه طعم الحلاوة فهو فَوّهة» ، وفوّهة السكة والطريق والوادى والنهر : فمه ، وهى غير مرادة بلا ريب . وفى المخطوطة : «فُوهة» والحرف الأول غير منقوط فيها . وصوابه : «قوهة» بالقاف المضمومة وسكون الواو ، كما فى اللسان (قوه) والصحاح (خمط) .

٦١٤ – (رهط) ١٧٧س٣ وبيروت ٣٠٥ وكذلك المخطوطة : قول رؤبة :

* هو الذليل نفراً فى أرهطه *

صوابه «الذليل» بالذال المعجمة ، نظر فيه إلى قول الله فى كتابه : «أنا أكثر منك مالا وأعزُّ نَفرا» .

وانظر ملحقات ديوانه ٨١ والخزانة ١ : ٢٢٤ وشرح شواهد الشافية ١٥٢

٦١٥ – (سجلط) ١٨٤س٨وبيروت ٣١٢ قول الشاعر :

أحبُّ الكرائن والضومرانْ
وشرب العتيقة بالسنجلاطْ

وفى المخطوطة : «والضومزان» بالزاى وبدون ضبط للنون ، والوجه «والضومرانَ» بالراء وبفتح النون ، ولا داعى لارتكاب علة الحذف فى هذه العروض ، وإن كان فتح النون فيه زحاف القبض ، كما أن «السنجلاط» صواب ضبطها كسر الطاء ، كما فى المخطوطة . وانظر ما سبق فى التحقيق رقم ٤٠٤ فى مادة (ضمر)

٦١٦ – (شبط) ١٩٩ س٢٢ وبيروت ٣٢٧ قول الشاعر :

من شبابيط لُجَّةٍ وسط بحر
حَدَثَت من شحومها عجرات

وجاءت فى المخطوطة : «حَدَثت» بإهمال نقط الحرف الذى قبل التاء ، وليس لإحداهما وجه ، إنما هى «حُدُب» كما فى الحيوان ٣ : ٤٦٨ جمع حَدْباء ، وأصلها حُدْب بإسكان الدال ويجوز فى الشعر ضم عين فُعْل كما هنا ، وكما فى قول أبى سعيد المخزومى .

طوَى الجديدان ما قد كنت أنشره
وأنكرتْنى ذوات الأعينِ النُّجُلِ

٦١٧ – (شرط) ٢٠٤ س ٢١ وبيروت ٣٣١ قول خالد بن قيس :

* ليتك إذْ رَهِبتَ آلَ مَوءله *

صوابه «رُهِنتَ» كما فى المخطوطة واللسان (فعل ، وأل) ومجالس ثعلب ٤٥٠ يخاطب بذلك مالك بن بُجرة ، وكان قد رهنَ عند بنى موءلة بن مالك ، فى دية على قومه .

٦١٨ – (فلط) ٢٤٧ س ١٦ وبيروت ٣٧٢ قول الراجز :

* شربتُ منه بين كُرهٍ ونَعط *

صوابه «ثعطْ» كما فى المخطوطة واللسان (ثَعَط) . والثعط ، بفتح الثاء المثلثة والعين المهملة : إنتان الماء .

٦١٩ – (قبط) ٢٤٨ س ١٨ وبيروت ٢٧٣ والمخطوطة أيضا قول الكميت :

لِيَســاح كأنْ بالأتحميَّةِ مُسْبَغٌ
إزاراً وفى قُبطية متجلببُ

صوابه «مُسْبِغٌ» كما فى التهذيب ، يقال : أسبغ إزاره ، أى أطاله وأوسعه

٦٢٠ – (قطط) ٢٥٦ س ٧ ، ٩ وبيروت ٣٨٠ وكذلك المخطوطة وتاج العروس قول رؤبة :

* تقليلُ ماقارعن من سُمِّ الطُّرَقْ *

صوابه «تفليل» بالفاء ، كما فى ديوان رؤبة ١٠٦ وكما يقتضيه تفسير تاج العروس من قوله : « وتفليل فاعل سوّى ، أى سوّى مساحيهن تكسيرُ ماقارعت من سم الطُّرَق . والطُّرَق : جمع طُرقة ، وهى حجارة بعضها فوق بعض » . والتفليل : التكسير . وقبل الشطر :

* سوّى مساحِيهنّ تقطيطَ الحُقَقْ *

٦٢١ - (قوط) ٢٦٢ س ١٤ وبيروت ٣٨٦ والمخطوطة، قول الراجز:

* إذا استمى ادبيّها الغَطامطا *

وردت كلمة «ادبيها» بدون همز فى جميع النسخ، وهو الأمر الذى أوقع مصحح الطبعة الأولى فى ريبة، وكتب «قوله ادبيها كذا بالأصل. وحرّره». وضبطت بضم الهمزة «أُدبيّها» فى نوادر أبى زيد ١٧٣. وقال أبو زيد: «يقال استمى خيرَها واستميت خيرَها، أى اخترت خيرها». والوجه عندى: «أُزبيَّها». والأُزبى: الصوت. ويؤيده ما فى النوادر أن أبا حاتم رواه «أُربيَّها» بالراء. أما الغطامط فكذا ورد ضبطه بالفتح، والذى فى اللسان والقاموس والتاج أنه بالضم صوت غليان ماء البحر.

٦٢٢ - (وسط) ٣٠٨ س ١ وبيروت ٤٢٩ والتاج، قول القتال الكلابى:

من وسط جمع بنى قريظ بعد ما
هتفت ربيعــــة يا بنى خوار

صوابه «يا بنى جوّاب» كما فى ديوانه ص ٣٦ والخصائص ٢: ٣٦٩ وأمالى ابن الشجرى ٢: ٢٥٨ كما أن «قريظ» صوابها «قريط» بالطاء المهملة كما فى المراجع المتقدمة وفى جمهرة ابن حزم ٢٨٢ أن قُرطاً وقُريطاً وقُريطة بطون من بنى كلاب يقال لهم القُرَطاء. وفى اللسان والمقتضب لياقوت أنهم: قُرط وقَرِيط - كأمير - وقُريط كزبير، ويقال لهم القُروط. وانظر ما أثبتُّ فى تعليقى على الجمهرة. وجوّاب هذا اسمه مالك بن عوف بن عبد الله بن جعفر ابن كلاب. وهو الذى نفى بنى جعفر ابن كلاب وطردهم حتى لحقوا باليمن ببنى الحارث بن كعب، فحالفوهم مدة ثم رجعوا إلى جوّاب وقومهم فاصطلحوا. انظر جمهرة ابن حزم ٢٨٤. ومن أخوات البيت هذا البيت المشهور:

ولقد لحنت لكم لكيما تفهمــــوا
ووحيْتُ وحياً ليس بالمــرتاب

٦٢٤ - (عظظ) ٣٢٦ س ٢٢ وبيروت ٤٤٧ قول العجاج:

* وعظعظ الجبــان والزِّئِنّى *

صوابه «والزِّئنىُّ» كما فى ديوان العجاج ٧١ والمقاييس ٤: ٥٣ والزئنىّ

هو الكلب الصينى القصير القوائم .
وانظر له الحيوان ١ : ١٥٧ ، ٢/٣١١ : ١٧٩/٦ : ٣٧٢

٦٢٥ – (غنظ) ٣٢٩ س ٢١ – ٢٣ وبيروت ٤٥٠ والمخطوطة ، قول جرير :

ولقد لقيتَ فوارسًا من قومِنــــا
غنظوك غنظَ جرادة العيـــارِ

والصواب نسبة الشعر إلى ابن أدهم النعامى الكلبى ، كما فى التاج (جرد) . والشعر ليس فى ديوان جرير . وورد فى المقاييس (غنظ) وفى اللسان (عير) بدون نسبة .

٦٢٦ – (قرظ) ٣٣٥ س ١٣ وبيروت ٤٥٥ وكذا المخطوطة : « أن خزيمة ابن نهد كان عشور ابنته فاطمة » . صوابه «حزيمة» بالحاء المهملة المفتوحة كما فى تهذيب اللغة ٩ : ٦٧ ومختلف القبائل لابن حبيب ص ٢٠ وجمهرة أنساب العرب ٤٤٦ والمقتضب لياقوت الورقة ١٠٧ نسخة دار الكتب المصرية .

٦٢٧ – (بضع) ٣٦٢ س ٩١ وبيروت ٨ : ١٥ : «البِضْع ما لم يبلغ العِقْد ولا نصفَه» . صوابه « العَقْد » بفتح العين كما فى المخطوطة، والمعجم الوسيط (عقد) . والعقد بالفتح هو العشرة والعشرون والثلاثون إلى التسعين . وأما العِقد ، بالكسر ، فهو آحاد العَقْد من الواحد إلى التسعة . وانظر حواشى نصر على القاموس فى مادة (بضع) والألف المختارة من صحيح البخارى الحديث ٨٩٦ ، ٩٢٥

٦٢٨ – (بضع) ٣٦٣ س ٤ وبيروت ١٦ والمخطوطة قول ساعدة الهذلى :

سادٍ تجرَّم فى البضيع ثمـــانيا
يَلْوِى بعَيقات البحار ويُجنَبُ

صوابه « يُلْوِى » من ألوى ، كما فى اللسان (اوى) عند إنشاد البيت . وانظر التحقيق رقم ٢٤٩

٦٢٩ – (بلع) ٣٦٧ س ١ وبيروت ٢٠ والمخطوطة : «وبلعاء أيضا فرس لأَبى ثعلبة» ، صوابه «لأُبَىّ بن ثعلبة» ، كما فى المخصص ٦ : ١٩٧ . وانظر الخيل لابن الأعرابى ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢

٦٣٠ – (جبع) ٣٩٠ س ٦ قول ابن مقبل :

وطِفلة غَيْر جُبّـــاعٍ ولا نَصف
من دلّ أمثالهـــا باد ومكتومُ

صوابه «وطفلة» بفتح الطاء، وهى المرأة الناعمة، كما فى ديوانه ٢٦٨ وتهذيب اللغة ١ : ٣٨٨. ووردت بالضبط الصحيح أيضا فى بيروت ٤٠ أما المخطوطة فلم تضبط فيها الطاء.

٦٣١ ـ (جدع) ٣٩٢ س ٥ وبيروت ٤٢ والمخطوطة قول ابن مقبل :

* وغيث مريع لم يجدَّع نباتُه *

عجزه، كما فى ديوان ابن مقبل ٨ واللسان (هلل) :

* ولَتْه أهاليل السِّماكين مُعْشِب *

٦٣٢ ـ (جدع) ٣٩٢ س ٢٢ وبيروت ٤٣ : «على سوء ولائه وعلى الإذالة منك له»، صوابه «على سوء ولاية» كما فى التهذيب ١ : ٣٤٧

٦٣٣ ـ (جزع) ٣٩٨ س ١٨، ١٩ وبيروت ٤٨ : «قال المعرىّ»، و «كما رواه المعرى»، صوابه «المِنْعرىّ»، كما فى المخطوطة والتهذيب ١ : ٣٤٤

٦٣٤ ـ (جزع) ٣٩٩ س ١٠ وبيروت ٤٩ والمخطوطة : «الجزعة والكُثبة والغُرفة» وردت «الغرفة» بالفاء، وصوابها «الغُرقة» بالقاف، كما فى التهذيب (جزع) واللسان (غرق)، وفيه : «والغرقة، بالضم : القليل من اللبن».

٦٣٥ ـ (جمع) ٤٠٦ س ٢٤ وبيروت ٥٥ قول ذى الرمة :

ورأس كجمّاع الثريا ومشـــفر
كسِبْت اليمانىِّ قِدُّه لم يُجرَّدِ

وضبط «اليمانىّ» بالتشديد فيه إخلال بالوزن، صوابه «اليمانى» ولا تشديد فى الياء. و «لم يجرد» بالجيم، أى لم يجرد من الشعر، فيكون ذلك ألين له. وروى أيضا «لم يحرد» بالحاء المهملة، وكلاهما صحيح على أن تكسر قاف «قدُّه» فى الرواية الثانية، فيكون معناه : مِثاله لم يعوَّج. نص على ذلك فى اللسان (قدد ٣٤٣) وإن كان قد ورد فيه تحريف هناك لم أنبه عليه فيما مضى، إذ جاء قبله «كَسَبْتُ اليمانى قدَّه» بجعل كسبتُ فعلاً، وقدَّه منصوبا بعد الفعل، وصوابها «كسِبْتِ اليمانى» بكاف التشبيه التى يليها كلمة «سِبت» مكسورة السين بمعنى النعل.

٦٣٩ ـ (جمع ) ٤٠٧ س ٤ وبيروت ٥٦ والمخطوطة : «قال قيس بن الأسلت » ، وإنما هو أبو قيس بن الأسلت وهو شاعر معروف من شعراء المفضليات . وأبو قيس هو كنية الشاعر ، واسمه صيفى بن الأسلت ، وهو ممن اختلف فى إسلامه ، فقيل إنه أسلم ،وقيل إنه وعد بالإسلام ثم سبق إليه الموت فلم يسلم . وترجمته وأخباره فى الإصابة ٧ : ١٥٨ ، ٥ : ٢٥٧ ، ٤ : ٢٥٢ والأغانى ١٥ : ١٥٤ وابن الأثير ١ : ٢٨٤ . والبيت الذى رواه ابن منظور هو فى المفضليات ص٢٨٥

٦٣٧ ـ (جمع ) ٤١٠ س ١٠ وبيروت ٥٨ والمخطوطة : «قال اللحيانى : كان أبو زياد وأبو الجراح » بإثبات بياض بين هذين العلمين . والواقع أن الكلام ليس فيه انقطاع » كما فى المحكم لابن سيده ١ : ٢١٣

٦٣٨ ـ (خدع ) ٤١٦ وبيروت ٦٤ والمخطوطة أيضا ، قوله : «وغُول خَيدع منه ، وطريق خيدع » ، والخطأ فى ضبط الكلمة الأولى من هذا النص يخفى على كثير ، وليس المراد الغول ذاك الحيوان الخرافى ، وإنما هو «غَول » بفتح الغين كما فى التهذيب ، والغَول ، بالفتح : بعد الأرض والمفازة ، سميت بذلك لأنها تغول السابلة ، أى تقذف بهم وتسقطهم وتبعدهم . وانظر اللسان (غول ٢٢ ) .

٦٣٩ ـ (خذع ) ٤١٩ س ٢٣ وبيروت ٦٧ والمخطوطة : «يقال للشواء المخذَّع والمغلَّس » ، وردت الكلمة الأخيرة بالغين المعجمة ، وصوابها « المعلَّس » بالعين المهملة كما فى التهذيب ١ : ١٦ ونقله عنه صاحب التاج فى (علس) . وجاء فى اللسان (علس ) : «والعليس : الشواء المنضج » . وأما مادة (غلس ) فبعيدة كل البعد عن هذا الاشتقاق .

٦٤٠ ـ (خرع ) ٤٢١ س ٢٢ وبيروت ٦٩ : «الجنون والطَّوَفان والثَّوَل » . وضبطت « الطوفان » بفتح الطاء والواو فى النسختين ، ولكنها وردت مهملة الضبط فى المخطوطة ، وجاءت فى التهذيب بضم الطاء ، وهوالأقرب إلى الصواب ، إذ أن من معانيه البلاء والموت ، ومن معانيه أيضا ظلام الليل ، كما فى قول العجاج :

* وعمَّ طُوفان البلاء الأَثْأَبا * ..

وللطُّوَفان ، بالتحريك أيضا وجهٌ ، إذ هو بمعنى الطَّواف والاستدارة بالشئ .

٦٤١ – (خشع) ٤٢٤ س ١٠ وبيروت ٧١ . جاء فى التعليق على حديث : «كانت الكعبة خُشعةً على الماء فدحيت الأرض من تحتها» . «ويروى خَشَفة بالخاء والفاء» ، والصواب «حشَفة بالحاء والفاء» أى بالحاء المهملة ، كما فى المخطوطة والتهذيب ١ :١٥١ . ويؤكده ماجاء فى اللسان (حشف) : «والحَشَفة : صخرة رخوة فى سهل من الأرض» ، وجاء فى الحديث أن موضع بيت الله كانت حشفة ، فدحا الله الأرض عنها .

٦٤٢ – (خشع) ٤٢٤ س ١٣ وبيروت ٧١–٧٢ : «والعرب تقول للجثَمة اللاطئة بالأرض» . وردت «الجثمة» بالجيم وفتح الثاء ، وجاء بعد ذلك أيضا : «وهى الجثَمة» بالجيم كذلك وفتح الثاء ، ووردت الكلمتان فى المخطوطة بالجيم وإسكان الثاء فيهما . وصوابهما «الحثمة» بالحاء المهملة كما فى التهذيب ١ : ١٥١ واللسان (حثم) . وثاؤها تقال بالإسكان كما تقال أيضا بالفتح .

٦٤٣ – (خضع) ٤٢٥ وبيروت ٧٢ والمخطوطة ، قول الكميت :

إذ هن لا الخُضُع الحدي
ـث ولا تكشَّفت المَفَاصِـلْ

وردت كلمة «المفاصل» بالصاد المهملة وورد بهامش الأصل فى نسخة «الثياب» وصوابه «المفاضل» بالضاد المعجمة ، كما فى تهذيب اللغة ١ : ١٥٥

وفى اللسان : «والمِفْضَل والمِفْضلة ، بكسر الميم : الثوب الذى تتفضل به المرأة» ، أى تلبسه وحده .

٦٤٤ – (خضرع) ٤٢٨ س ١٦ وبيروت ٧٥ وكذلك المخطوطة ، قول الراجز :

خُضارعٌ رُدَّ إلى أخلاقه
لمّا نَهَتْه النفْسُ عن أخلاقه

صوابه «عن إنفاقه» إى إنفاقه للمال كما هى الرواية فى جمهرة ابن دريد ٣ : ٣٩٤ والمخصص ٣ : ١٤ .
والخضارع : البخيل يتسمَّح .

٦٤٥ – (درع) ٤٣٥ س ١٣ والمخطوطة : «قال أبو الأخرر» براءين مهملتين . وفى بيروت ٨١ والتاج : «أبوالأخزر»

راء بعدها زاى . وهذه طينٌ على بلّة ، صوابها « أبوالأخزر » ، كما فى الصحاح واللسان (قمجر) . وأبوالأخزر الحمانى راجز معروف ، ترجم له صاحب المؤتلف ٥٢ وقال : «أحدُبنى عبدالعزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبدالعزى هو حمان ، راجز محسن مشهور » . وذكر فى اللسان (قمر ٤٢٨) «أبو الأخزر الحُمّانى » فأصاب فى الاسم وأخطأ فى النسبة ، إذ هو « الحِمّانى » بكسر الحاء لاضمها . وأضاف اللسان أن اسمه «قتيبة » . والأخزر : الذى أقبلت حدقتاه إلى أنفه .

٦٤٦ – (دعع) ٤٣٩ س ١٧ وبيروت ٨٥ : حديث : «اللهمّ دُعَّها إلى النار دعًّا » . وفى المخطوطة : «دَعِّها » ، وتقرأ هذه فى الكتابة القديمة «دَعَّها » ، إذ كانوا لايضعون الكسرة تحت الشدة فوق الحرف ، إنما يجعلون الكسرة حيثما كانت فى أسفل الحرف . ومهما يكن فإن صوابها «دُعَّهما » بضمير الاثنين . والحديث بتمامه فى مسند أحمد ٤ : ٤٢١ من حديث أبى بَرزة قال : «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فسمع رجلين يتغنيان وأحدُهما يجيب الآخر وهو يقول :

لايزال حوارىٌّ تلوح عظامه
زوى الحرب عنه أن يجنّ فيقبرا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : انظروا من هما ؟ قال : فقالوا : فلان وفلان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم اركسهما ركسا ودُعَّهما إلى النار دعًّا » .

وفى البيت المذكور مايسميه العروضيون « الخزم » .

٦٤٧ – (ذرع) ٤٤٨ س ١٩ وبيروت ٩٣ قول ابن قيس العدوى :

إن المذرَّع لا تُغنَى خئولته
كالبغل يعجز عن شوط المحاضير

وفى كتاب البغال للجاحظ أنه عرهم ابن قيس الأسدى . أما «تُغنَى » فقد جانبها الصواب ، إنما هى «تغنى » كما فى كتاب البغال . ووردت الكلمة مهملة فى المخطوطة . والمذرَّع هو الذى أبوه عربىٌّ وأمُّه أَمَة . فمن ذلك كانت خئولته لاتغنى عنه شيئا .

وورد بعده فى الصفحة نفسها :
« والمدرعة : الضبع لتخطيط ذراعيها ». ومن الواضح أنه تحريف مطبعي صوابه « المذرعة » بالذال المعجمة .

٦٤٨ – (ربع) ٤٥٦ س ١٣ وبيروت ١٠٠ قول لبيد :

رابط الجأش على فرجهم
أعطفُ الجونَ بمربوعٍ مِتَلّ

والقصيدة مقيدة بالسكون فى رويِّها ، فالصواب «مِتَلّ» كما فى المخطوطة وديوان لبيد ١٨٦ والمعانى الكبير لابن قتيبة ١١٠١ . ووردت الكلمة مهملة ضبط اللام فى مطبوعة اللسان (تلل) . والمربوع : الرمح الوسط لاقصير ولاطويل والمتلُّ : الذى يُتلُّ به أى يصرع .والبيت من قصيدة أولها

إنّ تقوى ربنا خيرُ نفَلْ
وبإذن الله ريثى وعَجَلْ

٦٤٩ – (ربع) ٤٦٤ س ٢٥ وبيروت ١٠٨ والمخطوطة : «وفى التهذيب : ما فى بنى فلانٍ أحدٌ تُغنِى رباعتُه » ، صوابه «يُغْنِى رباعتَه » بالياء فى يغنى ، والنصب فى رباعته ، أى ليس فيهم من يحسن القيام بأُمور الرياسة غيره . ومنه قول الأخطل فى ديوانه ١٤٥ يمدح مصقلة بن هبيرة :

مافى معدّ فتىً يُغنى رباعتَه
إذا يهمُّ بأمرٍ صالحٍ فعَلا

والرباعة هنا الرياسة ، أى لايقيم أمر الرباعة غيره . ووقع هذا البيت أيضا فى اللسان محرفا برواية : «تُغنى رباعتُه» فيكون هجواً لمعدٍّ كلِّها.والمراد أن ليس فى معد كفء للرياسة وضبط حالها وأُمورها غيره .

٦٥٠ – (ردع) ٤٨١ س ١٨ وبيروت ١٢٣ قول مجنون بنى عامر :

صفراء من بقر الجواء كأنّما
تركَ الحياةَ بها رُداعُ سقيم

وفى المخطوطة « الحياه بها رُداعَ » . بإهمال كلمة «الحياه» وضبط «رداعَ» بالنصب وصواب الكلمة الأُولى «الحياءُ» بالهمزة فى آخره مع الرفع ، كما أن صواب الأخيرة «رداع» بالنصب كما فى المخطوطة والحماسة بشرح المرزوقى . وقال المرزوقى : «وصفها بالتهادرّيّة اللون ، وأنّ فيها تشابه من

بقر الجواء ، وأنها حيِيَّة قليلة الحركات لنَعمتها ، قليلة الكلام لفرط حيائها ، فكانَّ بها نُكْسَ سَقَم ، لما ألفته من الكسل » . انظر الحاشية رقم ٥٥٣ .

٦٥١ – (رقع) ٤٩٢ س ٢ وبيروت ١٣٢ والمخطوطة ، قول الشاعر :

وما تركَ الهاجونَ لى فى أديمكم
مَصَحًّا ولكنّى أرى مترقَّعا

و «مَصَحًّا» بفتح الميم والصاد لاوجه له ، إنما هو «مُصِحًّا» ، يقال أَصَحَّ : صار صحيحا ، فهو مُصِحّ . وانظر الحيوان ٣ : ١٣٨ .

٦٥٢ – (رقع) ٤٩٢ س ١٤ وبيروت ١٣٣ وكذلك المخطوطة : «ويقال للذى يزيد فى الحديث ، وهو تنبيق وترقيع وتوصيل » ، والوجه : «تبنيق» بتقديم الباء على النون ، كما فى تهذيب اللغة (رقع) . والتبنيق مأخوذ من بنيقة القميص ، وهى رقعة تكون فى موضع الجيب منه بحيث يدخل اللابس الرأس .

٦٥٣ – (ريع) ٤٩٩ س ٢١ وبيروت ١٣٩ والمخطوطة ، قول ذى الرمة :

طراقُ الخوافى واقعاً فوق رِيعة
لدى ليله فى ريشه يترقرقُ

كذا وردت كلمة «لدى» ، وصوابه «ندى لَيله» بالنون ، أى مايسقط فى الليل من الندى والبلل ، ينعت بازياً . ويقال : طائر طِراق الريش ، إذا ركب بعضه بعضا . وهذا الصواب مطابق لما فى اللسان (طرق ٨٩) وديوان ذى الرمة ٤٠٠ والمخصص ٨ : ١٣١ – ١٠ : ٨٣ .

## الجزء العاشر

٦٥٤ (زبع) ٢ س ٥ قول متمم يرثى أخاه :

وإن تَلقَه فى الشُّرب لاتلقَ فاحشا
على الكأس ذا قازورة متزبعا

إنما هى «الشَّرب» بفتح الشين ، وهو جماعة الشاربين . و «قازورة» وردت فى بيروت ١٤٠ : «قازوزة» بزاءين ، وكلاهما خطأ ، والصواب «قاذورة» كما فى المخطوطة واللسان (قذر) والمفضليات ٢٦٦ والاشتقاق ٢٧٨ ، ٣٧٦ . والقاذورة : الذى يتبرم بالناس ويتقذر منهم ، لسوء خلقه .

٦٥٥ – (سبع) ١٣ س ٥ وبيروت ١٥٠ قول الراجز :

ياليت أنّى وسُبيعًا فى الغَنَمْ
والجَرْحُ منّى فوق حَرّارٍ أحَمّْ

وفى المخطوطة : « والحرح منى فوق حرّار أحَم » بهذه الصورة المهملة ، وإنما هو « والخُرجُ نّى فوق كرّازٍ أجَمٌ » كما فى الصحاح وإصلاح المنطق لابن السكيت ٤٥١ والمخصص ٦ : ١٥ واللسان ( كرز ) . والخُرج هو جُوالق الراعى الذى يضع فيه زاده ومتاعه . والكرّاز ، كشدّاد : الكبش الذى يضع عليه الراعى كُرزه ، أى خُرجه . وأما الحرار فليس له وجه . والأجمّ : الذى ليس له قرون . وفى اللسان : « وكبْشٌ أجمٌ لا قرنَىْ له » .

٦٥٦ – (سرع ) ١٥ س ١٤ وبيروت ١٥٢ قول الراعى :

فلو أنّ حَقّ اليوم منكم إقامة
وإن كان صَرْح قد مضى فتسرّعا

والصرح لايمضى ولا يتسرع ، وإنما هو «سَرْحٌ » بالسين كما فى كتاب سيبويه ١ : ٤٣٩ والإنصاف ١٨٠ . والسرح : المال الراعى .

٦٥٧ – (سفع ) ٢١ س ٥ وبيروت ١٥٧ قول الشاعر :

كأنّهـــا أسفع ذوحـــدّة
يَمسُده البقلُ . وليلٌ سَدى

وضعت فى المخطوطة حاء تحت «حده » تأكيدًا لإهمال الحاء ، وهو وهو خطأ صوابه «جُدّة » بالجيم المضمومة ، كما فى البيان للجاحظ ٢ : ٢٨٨ واللسان (سدا ٩٧ ) . والأسفع : الثور الوحشى الذى فى خديه سواد يضرب إلى الحمرة قليلا . والجُدّة ، بالضم : الخُطة فى ظهره تخالف لونه . والشاعر هذا هو المثقب العبدى ، كما فى البيان . والشعر فى صفة ناقة شبّهها بالثور .

٦٥٨ – (سلع ) ٢٤ س ٣ وبيروت ١٦٠ والمخطوطة ، قول الشاعر :

بسلع صفاً لم يبد للشمس بدوةً
إذا مارآه راكب . . . . أرعِدا

بترك بياض بين راكب ونهاية البيت . والبيت فى الحيوان ٤ : ٢٠٨ منسوب إلى عنترة بن شداد . وتمام عجزه كما فى الحيوان :

* إذا مارآه راكبُ اليمّ أُرعدا *

واليم هو البحر .

٦٥٩ – (سلع ) ٢٥ س ٢ وبيروت ١٦١ : «قال الوَرَك الطائى » ، وفى تاج العروس : «قال وداك » ، صواب هذا

كله « الوَرَل » باللام كما فى المخطوطة واللسان (بقر) والحيوان ٤ : ٤٦٨ .

٦٦٠ – (سمع) ٢٧ س٧ وبيروت ١٦٣ والمخطوطة ، قول الشاعر :

سماعَ الله والعلماء أنّى
أعوذ بخير خالك يا ابن عمرو

وصواب الرواية : «بحقو خالك» ، كما فى سيبويه ١ : ١٧٠ باتفاق نسخه . وكذا وردت على الصواب فى اللسان (حقا ٢٠٦) مسبوقة بقوله : «والعرب تقول : عُذتُ بحقوه ، إذا عاذبه ليمنعه» .

٦٦١ – (سمع) ٢٩ س ٥ وبيروت ٦٥ والمخطوطة ، قول الشاعر :

ومُسمِعتــان وزمّــارة
وظلٌّ مديدٌ وحصنٌ أنيق

والبيت لأحد السجناء كما فى البيان ٣ : ٦٣ . وصوابه «وحصنٌ أمقّ» ، كما فى البيان ومجالس ثعلب ٥٤١ واللسان (زمر ٤١٦ ومقق ٢٣٣) . والرواية فى جميعها : «ولى مُسمِعان» . والمسمع : القيد . وقال ثعلب : «المسمعتان القيدان ، كأنهما يغنيانه . وأنّث لأن أكثر ذلك للمرأة» . والزّمارة : الغلّ يوضع فى العنق . والأمقّ : الواسع . ويعيّن هذا التصحيح أن البيت الذى بعده :

وكم عائدٍ لى وكم زائــر
لو ابصرنى زائرا قد شهق

٦٦٢ – (شبع) ٣٦ س ٥–٦ وبيروت ١٧١ والمخطوطة : «وقول بشر بن المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة» . وهذا خلط ، وإنما هو «بشر بن المغيرة ، فى المهلب بن أبى صفرة» . وانظر تهذيب اللغة ١ : ٤٤٧ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٦٥ .

٦٦٣ – (شجع) ١٧٣ س ٢٠ وبيروت ١٧٣ والمخطوطة ، قول الشاعر :

* على شجعات لاشحاب ولاعُصْلِ *

والشجعات هنا : قوائم الإبل الطوال . وكذا ورد محرفا فى تاج العروس ، وصوابه : «لاشخاخات» كما فى التهذيب (شجع) ، وكما توقّعه وحدَسه مصحح طبعة بولاق . والشخاخات : جمع شخت وشخيت ، وهو الدقيق من كل شىء .

٦٦٤ – (شرع) ٤١ س ٢ – ٣ وبيروت ١٧٥ : «لاتحتاج مع ظهور مائها إلى نزع بالعلق من البئر ولاحثى

فى الحوض » . وإنما الحثى للتراب ونحوه، وصوابه « ولا جَبْى فى الحوض » كما فى التهذيب (شرع) . وجبى الماء فى الحوض : جمعه . ووردت الكلمة فى المخطوطة مهملة النقط إهمالا تامّا .

٦٦٥ـ (شرع) ٤١ س ١٧ وبيروت ١٧٦ والمخطوطة : «فمعنى أقوى وأقفر واحد على الخلوة» وتمام العبارة كما فى التهذيب : «واحديدلّ على الخلوة» فسقطت من الأصل كلمة «يدل» .

٦٦٦ـ (شرع) ٤٢ س ١٠ والمخطوطة : قول الخليل يذم رجلا :

فَكَفُّ عن الخير مقبوضة
كما خطّ عن مائة سبعه

وجاءت فى بيروت ١٧٦ : «كما حُطَّ» بالحاء المهملة على الصواب ، كما فى التهذيب ودلائل الإعجاز ١٧٨ . ورواية أدب الكتاب للصولى ٢٤١ :

* كما نقصت مائة سبعه *

**عبد السلام محمد هارون**
عضو المجمع

# الفلسفة و الفن

للدكتور محمد عزيز الحبابي

ربما تساءل أحدكم : لم الفن؟ فنعقب بسؤال آخر : ولم لا الفن ؟

ليس للفلسفة موضوع محدد ، كل الموضوعات تدخل في نطاقها . فكما أنه : « لا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب » ، طبقا للحديث النبوي ، يحق لنا أن نؤكد أنه لا يشبع فكر الفيلسوف حتى التراب . تشتغل الفلسفة بكل المواضيع التي تهم الإنسان ، وتتطلع دائما إلى أخرى ، فهي ، كما يقول القرآن الكريم عن جهنم : ( يوم نقول لجهنم : هل امتلأت وتقول : هل من مزيد ؟ ) (١) فعدم قناعة الفلسفة بأي موضوع ، وفضولها في كل الميادين هو تعريفها ، إن كانت تقبل أن تعطى تعريفا مّا ، ولو مؤقتا وتقريبيا . يقول المفكر الألماني المعاصر ( كارل ياسبيرس Karl Jaspers ) : « الأسئلة أهم من الأجوبة ، لأن كل جواب سيصبح سؤالا جديدا » . فـ(ياسبيرس) لم يعط تعريفا للفلسفة ، ولكنه أبرز جانبا هاما يقرب من التعرف عليها .

## صدق التجربة

إننا مضطرون إلى أن ندخل على قولة (ياسبيرس) تعديلا : الفلسفة ، كما يظهر لنا ، لا تهتم بأسبقية الأسئلة على الأجوبة ، ولا تجعل من الجواب سؤالا . فالذي يهم الفلسفة ، بالدرجة الأولى ، هو أن يحيا السائل سؤاله ، والمجيب جوابه ، هو أن تشترك الأجوبة مع الأسئلة ، في نفس التوتر وفي نفس الحيرة ، لأن الجواب ينبع من العين التي يتفجر عنها السؤال ، العين الواحدة التي هي صدق التجربة .

(١) سورة ق: الآية ٣٠

الفن الحق هو أيضا تجربة تكتسب صدق حيويتها من التوتر النفساني أو الفكري ، المنبعث من تساؤل وجواب عن رؤى الفنان ووجدانه ومصيره . نجد الفنان ، في نهاية المطاف ،وقد تجلت تجربته في إبداعه . فعلى مستوى التجربة الصادقة ، يتصل الفن بالفلسفة ، إذ تجربة الفنان إنما هي تعبير خاص عن مضمون ما يعبر عنه الفيلسوف ، وإن اختلفت التعابير . فالمضمونات موحدة في الأهداف والخاصيات .

* * *

عرّف اليونان ورثتهم الفلسفة بأنها « محبة الحكمة » ، وهو تعريف لم يعد صحيحا ، لأنه يتعدى الفلسفة ليشمل مجموع اهتمامات الإنسان ، من أنواع العلم والفن والسياسة والاقتصاد . فالحكمة إذا رجعنا إلى الجذر اللغوي العربي ، وجدنا أن معناها مطابق لمعاني الفلسفة المعاصرة . الحكمة = الكلام الموافق للحق ، صواب الأمر وسداده .

ويفسر عبد الله بن عباس « حكمة » ، في القرآن الكريم ، بتعلم الحلال والحرام (وهو معنى أخلاقي عام ، وإسلامي خاص) . وقيل : الحكمة هي الكلام المعقول المصون عن الحشو [1] . إذن ، الحكمة — كل ما يمنع من الجهل ، والظلم ، والخطأ. ومنه أيضا إتقان الشيء والتمكن منه [2] . فالحكيم ، في تونس مثلا ، هو الطبيب ، لأن من الحكمة منع المرض وإتقان « فنون » العلاج [3] .

على هذا ، يجوز لنا أن نؤكد أن معنى الفلسفة هو أنها لا تنطوي تحت معنى واحد .

* * *

(١) انظر : على الجرجاني ، التعريفات (٢) انظر : أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة

(٣) الطب : (أ) علاج الجسد والنفس (عن تاج العروس)

(ب) السحر ؛ والرفق (نفس المصدر) .

(ج) المهارة والحذق (أبو حيان التوحيدي) . كل حاذق بعلمه يسميه العرب « طبيبا » . من ذلك قولهم : « اصنعه صنعة من طب لمن حب » ، و « اعمل في هذا عمل من طب لمن حب » . وجاء في بيت ينسب لعلقمة : « فإن تسألوني في النساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب »

كل فن إن هو إلا تداخل صميمي بين الطبيعة والإنسان : اندماج فى الطبيعة وأنسنتها فى تركيب متناسق ، ولكنه تركيب يحافظ على الخاصيات الذاتية للفنان وللطبيعة . والاندماج مهما بلغ فى العمق ، يُبقى نقط الانسجام قائمة تفصل ، بخطوطها السحرية ، بين عالم الذات وعالم الموضوع ، بين المشاهدة والمشاهِد (بكسر الهاء) ، والمشاهَد (بفتح الهاء) . ويمكننا أن نضيف بأنه ، حتى فى ميدان الذات ، لا بد من التفرقة بين المفاهيم ، مثلا : بين الحب والمحب والمحبوب . فى ذلك البون يوجد المجال الشاسع للعمل الفلسفى ، وللإبداع الفنى .

إنها مفارقة ! ولكن المفارقة ، فى نفس الوقت ، عبث وغنى . فالفنان ، منذ كان وهو ، كالفيلسوف ، حليف للسر والغموض والمفارقات ، فلو كشف له الغطاءُ لنزف معين الايحاءات الخلاقة . فالروعة ، كل روعة ، فى تعاون الوجدان والتخيل مع الحدس والعقل ، على مصارعة الغامض المجهول ، لإرغام الطبيعة على إزاحة شىء مّا من اللثام الغليظ الملقى على كيانها .

إن التخيل يتحدى الفنان ، كما يتحدى العالِم الذى يفرض الفروض قبل أن يقوم بالتجارب فى الطبيعة ليسيطر عليها . فالشاعر ، والنحات ، . . . يخصبان إمكانيات العالم ، والعلم يفتح آفاق الكون أمام الفن . فالأمم التى تتكلح مخيلتها يجف معين الفنون عندها ، فتجهل العلوم والفلسفة . الكون ، بما فيه الإنسان أكثر ثراءً من المادة ، ومن الذات ، ومن الفن ، ومن الفلسفة ، ومن العلم ، لأنه طبيعة فيها ذات مع ذوات ، تحس ، وتتفلسف وتعلم . إن الإنسان لا يولد فى الطبيعة ، كبقية الحيوانات ، بل يولد فى الثقافة : يفتح عينيه على طبيعة تخضع إلى مكتسبات تاريخية ، إلى اختراعات واكتشافات وتقنيات ، وتقنينات . فبوصفنا ذوات شاعرة تحيا بالتخيل والعقل والحدس والفضول ، ننزع من الطبيعة أسرارها ، ونؤنسن كل شىء حولنا : تلك وظيفتنا .

* * *

كل الأحداث التى ينسج منها تاريخ البشر إن هى إلا مراحل فى تطور وتمتين

علاقات الإنسان بالطبيعة . لقد كان دائما — وما زال — الإنسان والطبيعة كعاشقين يتراوغان ، رغم ترابط مصيرهما ، كلاهما يظهر قليلا من صميمته للآخر ، ويتستر عنه لينمى الإغراء . هذا ما يجعل الإنسان مغامرًا حتى جنون الفن ، وفضول العلم ، وجدلية الفلسفة .

وبقدر ما يتقدم التاريخ بالإنسان يزداد غذاؤه من التخيلات ، والمفاهيم ، والرؤى والأحلام ، والإشارات والرموز . عندما أخرج (فرويد) كتابه «تفسير الأحلام» ، الذى فتح آفاقا شاسعة للسيكولوجيا المرضية وللأنثربولوجيا هُوجِمَ بعنف من طرف علماء معاصرين ، مثل (ليمان) ، من جامعة (برلين) ، الذى كتب عنه :

«لقد انتصرت عند (فرويد) الأفكار الخيالية للفنان على الباحث العلمى» .

إنه انتقاد يجلى (من غير قصد) واقعا أصبحنا اليوم نعيه وعيا ثابتا : الكشوفات العلمية لا تستغنى عن الحدس والخيال الفنى . فالنظرة الساذجة إلى العالم هى المدخل إلى كل معرفة ، ثم تتعقد الأمور بتدخل المنطق والتجربة ، من أجل البرهنة والتقنين .

الذاتية :

عالم الفن عالم غريب ، فيه تلتقى الذات بالطبيعة .

ولكن : ما الذات ؟

لن نستطيع أن نتعرف عليها إذا نحن لم نحدد ، أولاً ، ما نعنى بـ «طبيعة» . والطبيعة ، هى بدورها ، ترفض كل تحديد لها لا يبدأ بتعريف الذات . هنا ، أيضا ، يلتقى العلم بالفن وبالفلسفة ليقفوا جميعا حيارى .

يصرح العلم :

سأكتفى بتسجيل العجز وفرض الفروض لأبنى عليها أجهزة تركيبية من الملاحظات والتجارب ، ثم أسير كما لو كانت الحقيقة كمشة فى يدى .

ويقول الفن :

أنغمر فى حقيقة الغموض وأمزجها بغموض الحقيقة ، وأسقى الناس من هذا التركيب ، فى آنية من الرموز ....

أما الفلسفة فتكتفى بالتصريح بأنها :

مباريات دائمة بين فِرَقٍ من نقط الاستفهام . دورها أن تتساءل باضطراد عن فعاليات العالم ، وفعاليات الفنان ، وعن ماهية العلم والفن .

الإنسان كائن خلق من صراع الذات والطبيعة ، صراع المواجهة والتلاحم .

يندهش البدائى أمام مظاهر وظاهرات الطبيعة ، كما اندهش قدماء فلاسفة اليونان الذين ادعوا أن كل الأشياء مليئة بالالهة . الفنان يسكن الأشياء ويحيا معها ، يحياها ، لذا قيل عن الشاعر إنه مسحور ، إنه مجنون ، وضعفوا شخصيته كما فعل العرب إذ نسبوا لكل شاعر شيطانا يوحى إليه . يقول أبو النجم :

إنى ، وكل شاعـــر من البشر

شيطانه أنثى ، وشيطانى ذكــر

والشيطان ملك عاص ، كما فى الفكر السامى ، أو من أُسَر الآلهة ، كما عند اليونان والرومان .

* * *

يفرض العالم على الطبيعة أن تدخل معه فى حواره .

والفنان يجعل الفراغ يتحدث ، يحمله أكثر من معنى : ننظر إلى اوحة زيتية ، فنتواصل مع ألوانها وخطوطها . ولكن ما فيها من فضاء فارغ من السطور والأصباغ ، هو أيضا ، يشارك فى التعبير الفنى . فلو أن الفنان ملأ كل اللوحة خطوطا وألوانا ما كان فن ، نعنى ما حصل تواصل بين الذات والطبيعة . فالذى يهرق محبرة المداد على ورقة لا يعطينا فنا.

الشعر تقاطيع : الشطر الأول من البيت والشطر الثانى يجمعهما فراغ ما بين الشطرين ، فيكونان وحدة ، ويعود الشاعر إلى السطر ، فيكون بين البيت وما سبقه فضاء ، ويسكت الشاعر بين الأبيات ، مجزئا الزمان إلى وحدات .

والغناء تقاطيع ، المد والحمل ، ممـا يجعل الكلمات العادية موسيقية ، مضيئة لكل واحدة شخصيتها ، تسفر عن عذوبة أو عن حرارة . فالموسيقى والشاعر يكشفان عما فى الكلمة من حياة ، ومن حنان أو جبروت ، ويشحنانها ، أحيانا ، بمعان جديدة .

* * *

نظرتان : غربية وشرقية :

يعطي الفن الغربي ، منذ الإغريق حتى يومنا هذا ، أكبر عنايته لما فى الصورة الشخصية البشرية من لطف وتعبير ، ولما للجسد الإنساني من نعومة ومرونة ، سواء فى النحت أو فى الفن التشكيلي . أما الفنان الصيني والفنان الياباني فيهتمان ، أكثر ، بالمناظر الطبيعية ، بجمال الطيور والأزهار .

جانبان مختلفان من جوانب التزام الفن لحل ألغاز الكون : الغربي أدهشته ذاتية الكائن البشري ، والفنانون الشرقيون بهرتهم شيئية وحيوية الكائنات الطبيعية . فالجمع بين النوعين من الفن يبرز الإطار العام للمصير الإنساني : البحث عن المبدأ الحي ، المبدأ الروحي السارى فى العالم والذى هو مصدر الجمال والقبح ، الخير والشر .

من هنا تبدأ كل ميطافيزيقا .

* * *

يحاول الفنان أن يجعل الأشياء تعكس ما يحمل الإنسان فى ذاته من أسرار ، وأن يستغل مواهبه فى إجلاء إبهامات الطبيعة ، على شكل مّا ، فنشاهد أنفسنا فى الأشياء وبفضل الأشياء :

إنها تذكرة ، وأكثر من تذكرة ، إنه إيحاء ، وأغنى من أى إيحاء ذلك الكشف الكلى الذى يغشانا عند المشاهدة المباشرة للقبلة وقد نحتها فنان ، فى قطعة من مرمر . إن الفنان لا يعبر عن القبلة بجعل فم فوق فم ، فالتصاق شفتين بشفتين يعطي صورة ظاهرة عن عملية التقبيل ، لا التعبير الصادق عن أسرار القبلة ، عما تكنه القبلة فى أغوارها من أبعاد ميطافيزيقية . فكثيرا ما نرى فماً فوق فم ، ولكنها عملية لا تتعرى من سطحيتها . تنكشف القبلة عن أبعاد الوجدان اللامتناهية وعن الوجود عندما نشاهدها مجسدة فى الرخام وقد أعاد لها منقش الفنان حقيتها العليا : رعشة عنيفة يذوب فيها جَسَدَان بحثا عن أغوار وجود أعمق . إنه اكتشاف « الروح » وقد تمسكت من مجموع إمكانيات الجسد . إنه لغز الحلول ، حلول شخصين فى حلم الأبدية ، بعد أن أصبح الرخام شاهدا على قدرة مقص الفنان الذى يكسب الجمادات تعبيرا

فصيحا ، ويدوخ القوى الطبيعية لمشيئة الإنسان . يود المرمر لو يقول : إنى حى ، إنى عاشق ، ولكنه يكتفى بالتصريح : أنا ترجمان ، من بين تراجمة الإنسان .

* * *

## البعد الأنطولوجى للفن

أبرز علم الأوثنولوجيا المكانة التى يتبوؤها الفكر الأسطورى لدى «البدائيين» مع مقارنة مميزاته الكبرى بخاصيات الفكر العقلانى . فوصلت الأوثنولوجيا إلى هذه النتيجة : على رأس مميزات الفكر البدائى والفكر العقلانى معا ، حدث خاص ، هو أن فى أكثرية العمليات الذهنية ، يمتزج صميميا ، التخيل بالرغبات ، ومن هنا يكتسب قوته على الخير وعلى الشر . فالفنون التشكيلية أصيلة فى طبيعتنا ، لأن كل صورة تنبعث عن التخيل وعن رغبة ، فى آن واحد . يجوز لنا أن نستنتج من هذا أن الغرائز البشرية تجد أفصح تعابير عنها فى الأجهزة الفيزيولوجية والبيولوجية للجسد ، أما الوجدانيات فهى فى توتر دائم باحثة عن وسائل تعبيرية ، وإلى الآن لم تجد إلا الفنون . فكما ادعى ( أفلاطون ) أن فى روحنا فنانا يرسم صورة الموضوعات التى يقدمها الإحساس . أشياؤنا تشهد علينا ومن ثمة كانت الفنون أوثق وأغنى مرجع لتاريخ الإنسانية تاريخها النفسانى والموضوعى ، لأن المؤرخين للوقائع لا يعطوننا لوينات لحياة الفكرية والعاطفية ، بل يكتفون بتسجيل الأحداث الظاهرة ذات القالب الكبير ، الوقائع كمعطيات خام . فلولا الفنان ما كان تارخ حق ، لا بالنسبة للأمم ولا بالنسبة للأفراد .

* * *

## أدوار النقد

قد اقتضت الأوضاع أن يتكون رهط من الاختصاصيين يقربون الشقة بين الفنان والمؤرخ ، وبين الإنتاج الفنى والجمهور ، هم النقاد .

ليس دور الناقد أن يؤرخ للأدب وللفن ، بل أن يقيم الإنتاج ، أن يعين على اكتشافه وإبراز ما قد يتستر عن إدراك المستهلك العادى .

إنسانيته فى تحدٍّ مستمر : فبتعاون الفلسفة والفن ، يقوى الإنسان قدرته على التحدى الذى تفرضه عليه الحياة ، واليوم أكثر من ذى قبل .

إن الثقافة الفنية والفلسفية سلاحان فى معركة المصير من أجل السيطرة على تاريخ لبيئة الإنسانية .

* * *

يسير نمو الذهنية على إيقاع النمو العام . فإنسان اليوم مطالب بالتكيف مع إلحاحات عصرنا الجبار ، دون أن يتخلى عن أفضل مُكْتَسَبَاتِ الماضى . فالذى يرفض تحقيق هذه العملية تسحقه الأزمات ويصبح غير متشبث بالتاريخ .

الإنسانية ، الآن ، فى فترة المواجهة الكبرى مع واقع جديد ، عنيف ، مستعجل لا ينتظر . فوعى هذه الحقيقة ، يرغمنا على ألا نطيل الوقوف أمام حائط المبكى الذى شيده ( كافكا ) و ( كامو ) وغيرهما على العبث والغصة النفسانية .

لا يكفى أن نشخص الكائن البشرى ، علينا أن نتفهمه وأن نؤمن بحضورنا فى العالم ، نتغير بتغيره ، فتنضج إنسانيتنا ، بقدر ما تنضج الإمكانيات المادية والتقنية .

* * *

هناك اتجاه إنسانى ( Humanisme )[1] جديد يحاول أن يعطى للإنسان ثقة قوية بإمكانياته الذاتية : الإنسان يحقق مصيره كاملا ، دون أية معونة خارجية ، إذ يجد فى ذاته الجذور الميتافيزيقية للوجود ، بها يصارع ميتافيزيقا المطلق .

على هذا المشى ، يسير الوجوديون الملحدون ، مع مطالبة الفلسفة والفن بأن يبحثا عن جذور الوجود فى تعاون صميمى .

يلاحظ ( هايد يجر Heidogger ) أن المفكرين الأُوربيين ارتكبوا غلطا فادحا عندما اعتبروا « الكينونة » موضوعا كبقية الموضوعات ، وافترضوا أن حقيقة التفكير الفلسفى تقوم على مطابقته للموضوع . فالوجود الحقيقى ليس هو الظاهرات ، بل

( ١ ) يطلق الأستاذ علا ل الفاسى لفظة « إنسية » على Humanisme ، وهذا توليد موفق . واللفظة قديمة ، وردت عند المعرى فى ( رسالة الغفران ، ص ٢٠٥ ، القاهرة ، دار المعارف ) وتأتى نعتا لما هو من خاصيات الإنسان ، فبعد أن سأل ابن القارح عن لغات الجن ، يجيب الجن ( أبو هدرنش ) : « إنا أهل ذكاء وفطن ، ولا بد لأحدنا أن يكون عارفا بجميع الألسن الإنسية »

« الشيء – في – ذاته » ، كما عند – ( كانط ) . ولكن ، لنفهم الشيء – في – ذاته ، أو الكينونة ، يجب أن ننطلق من كينونتنا نحن : إني أدرك أن الكينونة وجود في كينونتي أنا .

بناء على هذه النظرية الوجودية ، بوسعنا أن نؤكد أنه يجب على البحث العلمي ، هو أيضا ، أن يبدأ من كينونتي ، من وجداني كالفنون سواء بسواء ، ما دام مصدر كل الفعاليات هو الموجود الذاتي . لذا اهتم ( هايديجر ) بالفنون ، خصوصا بالشعر ، فخصص كتابا لقصائد ( هولديرين Holderlin ) كما ركز ( ميرلوبونتي Merleau-Ponty ) آراءه الفلسفية ، في غير ما دراسة ، على أمثلة من الفنون التشكيلية ومن السينمائية . أما ( سارتر ) فقد وسع نطاق الاتصال ؛ فهو ، في مغامرة البحث عن جذور الوجود ، يتفلسف ، ويكتب القصة والمسرحية ، ويؤلف عن الشاعر ( بودلير ) وعن القصصي ( جان جوني Jean Gonot ) ، ويحرر المقالات عن الفنون التشكيلية وعن النقد الأدبي ، كما يستغل الفن السينمائي . وهكذا أعطى ( سارتر ) مثالا على قرابة الفلسفة بالفنون الأدبية ، مما يلقي أضواء على أنماط التعبير في الأنطولوجيا المعاصرة .

* * *

## المطلق والوجود :

إن النزعة التي رأينا خطها الكبير عند ( سارتر ) و ( هايديجر ) ، تستهدف تركيز الوجود الإنساني والكينونة الكونية في الإنسان ، وكأنها تستبدل ميطافيزيقا المطلق بميطافيزيقا وجودية .

فهل في استبدال المطلق ( الله ) بمطلق آخر ( الإنسان ) ربح للإنسانية ؟

إن الانتقال من الكائن البشري المفرد إلى مجموع النوع الإنساني ، أو فحسب إلى مجرد هيئة محدودة ، قد يؤدي بنا إلى مفاهيم مجردة غامضة كثيرا ما انتقدها الإلحاد على الدين ، طبعا ، يرجع فضل كبير إلى الوجودية والأنطولوجيا المعاصرة ؛ وإلى الفنون الحديثة ، في إجلاء صميمية الإنسان كفرد ، وبلورة قيمها وخصائصها

لكن ، هل من نظرية أو منهج لمعاناة المحافظة على الكينونة الفردية ، في صفائها ع اعتبارها ينبوع كل وجود ؟

كيف يحصل التواصل بين كينونة فرد وكينونات الآخرين ؟

الصميمية تمارس فى ارتباط « أنا » بـ « نحن » ، لأن العزلة تفقر الوجدان وتصب الضباب على الوجود .

هناك وجه اعتراض مشابه من طرف أنصار التصوف على نظرية المعتزلة المنكرين لروية الله :

إذا امتنعت الرؤية الإلهية فى الآخرة ، فما فائدة الجنة ؟

أليس النظر إلى وجه الحبيب أكبر نعيم وأجلى ضياء من كل جنة ؟ فالجحيم والحرمان هما الحجز عن الرؤية :

« وإذا اكتفى غيرى بطيف خياله
فأنا الذى ، بوصاله ، لا أكتفى »

وكأن (لامرتين Lamartine ) يردد صدى هذا البيت إذ يقول :

« يكفى أن تفقد كائنا واحدا لتصبح دنياك قفراء » .

نعم ، (سارتر) على حق عندما أكد أن « الجحيم هم الآخرون » . ولكن ،هذه قولة ناقصة إذا لم يضف إليها : والجنة ، كذلك ، هم الآخرون .

المشكلة هى أن يتأنسن العالم والمستقبل ، وهذا لن يتم بالأفراد ، بل بالناس ، نعنى بكائنات بشرية تشخصت كينونتها بفضل تداخل الذوات ، أى بالتواصل مع الآخرين .

* * *

## التواصل :

هنا نقطة التلاقى بين الفن والفلسفة :

كيف يحصل تواصل « أنا » بآخرين ؟

مشكلة قديمة ، ولكنها أصبحت اليوم هى المشكلة الأساسية : تضعها المسرحيات مثلها فى ذلك مثل الشعر المعاصر ، والموسيقى الجديدة ، والنحت . . . الكل يجرى وراء أسرار قلق العصر وما يغلف تواصلنا من إبهام وغموض ؛ الكل يعمل على بلورة غمراتنا النفسانية ، كأن العالم حامل ، والجميع يسهم فى تهيىء الجو للمولود المنتظر ، مع رجاء ، وخوف ، وقلق ، وتمرد أحيانا . فكما يقول (جان كوكطو Jean Cocteau)

« الشعر يشبه كارثات القطار : لا تفسر ، وإنما نحس بها » .

أصبح الفن صراعا وتحديا ، لأننا نعيش توترا عالميا ، ومن هنا جاءت قضية الالتزام ، وبات تداخل الفنون مع الفلسفة والعلوم أمرا لازما : الجميع يعيش نفس الوضع الدرامي ؛ فغناء ورقص الخنافيس إن هما ، كذلك ، إلا تعبير عن التمرد ضد الدراما .

* * *

يعيش الفلاسفة نفس الوضع ، بنفس المشاعر . لذا يطلبون النجدة من العلوم الطبيعية ، والاقتصاد ، والتاريخ ، ومن الفنون ، ويتجلى هذا واضحا فى الحظوة التى تعطيها الفلسفة اليوم للسانيات (la linguistique) ، ولمنهجية العلوم ، وللأنثروبولوجيا ، ولتاريخ الفنون . لتتضح لها معالم المشكلية (la problématique) المعاصرة .

لقد انتهى عصتر ثنائية الروح والجسد ودخل الجسد فى الفلسفة كمواطن معترف به ، تتساوى حاجياته مع الحاجيات المعنوية . فالحب (فى معنى العملية الجنسية) تدرسه الفلسفة بنفس الاعتبار الذى تدرس به أى موضوع آخر ، فلا تفضل عليه الحب العذرى ، أو الأفلاطونى ، ولا الحب الصوفى .

ربما وجد المفكرون ، فى الحب الجنسى مفتاحا لمعرفة التواصل . هكذا تأسست «السيكسيولوجيا » sexiologie بعد أن أخذت معطياتها الأولى من الفنون ومن الفلسفة . إنها علم خاص ، يتخذ من الفعلة الجنسية ، والرغبات ، والانفعالات النفسانية والجسدية والمجتمعية ،موضوعات أساساً للتعرف على الإنسان . هكذا ، اكتشفت دينامية الجسد اللامتناهية ، وبدأت تخرج من ظلامها الحالك لتضىء لنا مفهوم الإنسان .

* * *

## الفن يضيف إلى الطبيعة ، لا ينسخها :

تعلمنا أيضا ، بفضل الأبحاث الفلسفية المعاصرة وإيحاءات الفن الجديد ، أن زمنية الوجدان تخالف زمان الطبيعة ، وأن للأشياء حيزا ، أما الإنسان فأوسع من الفضاء .

هذا واضح فى الفن التشكيلى التجريدى فما تعبر عنه اللوحة ينفتح على أكثر ما يمكن من التأويلات ، لأن ما عند الفنان

أكبر مما تسمح به الألوان ، والظلال ، وأبعاد اللوحة . قيل لـ (جورج براك J. Braque) أمام لوحة تصور طبيعة ميتة:

«إن هذه الإضاءة غير موجودة فى الطبيعة»

فأجاب :

«إذن ، أنا لست من الطبيعة» .

وسئل أيضا :

«وهذا النور ، هو الآخر ، من أين أتى ؟» .

فصرخ الفنان

«إنها لوحة جديدة لا تعرفونها» .

لقد تغافل السائل عن أن البعد الأساسى فى كل عمل فنى ، هو ما يضاف إلى الطبيعة هو العنصر الإنسانى الذى ينفخه الفنان من أنفاسه وعرقه ورعشاته .

فعندما نقف ، فى الهند ، أمام عجل منحوت ، لا نشاهد شكلا من أشكال البقر الطبيعية ، ولكننا نشعر بحضور عجل صدر عن إحساس ، شوهد فى رؤيا داخلية ، إنه شبه طبعة ثانية مزيدة ومنقحة . فلولا ذاك العطاء المزيد ، لما كان فن أو تعبير ، ولما كان تفاعل بين الطبيعة الخام ووجدان - الإنسان .

إن حزنا غريبا يغمرنا عندما نقرأ هذا التصريح للكاتبة ( كاترين مانفيلد K. Manfield ) :

«أنظر إلى الجبال ، وليست سوى جبال الأشياء التى أرى» .

فالفنانة العظيمة لم تتفاعل مع الطبيعة ، لم ترأكثر مما يمكن أن تسجله آلة فوتوغرافية ، لم تؤنسن المنظر بعطاء ، فكأن وجدانها انكمش على ذاته تحت عبء مشاغله الحزينة ، فى تلك الفترات التى كانت تعانى فيها فقر الذات والعزلة . فليست كل فترات حياتنا لحظات إبداع فنى . ثم إن الخلق الفنى ليس أبدا مجرد نقل أومحاكاة للواقع ، فكما يقول بيكاسو :

«إنى لا أصور ، فى لوحاتى ، ما أراه بعينى ، بل ما أدركه بفكرى» .

* * *

## الفن شعور ، وفكرة ، وصناعة :

يقول (ماركس) :

«إن ما يفرق بين أقل مهندس معمارى وبين نحلة أكثر تجربة ، هو أن المهندس

يبني الخلايا في رأسه ، قبل أن يبنيها من الشمع . فنتيجة عمل المهندس توجد ذهنيا ، في تخيل العامل ، قبل تحققها فعليا » . (رأس المال) .

فعندما يأخذ الناقد أو المشاهد في التساؤل عن معنى أثر فني وعلاقته بالطبيعة ،يتناسى أن الفن تعبير عن ذات وطبيعة ، وأن للوحة الزيتية «شخصية» ، وأن فهمها لا يكون بالتحليل المنطقي (أو المنطقي فحسب) ولكن من المنظر الأنطولوجي . ذلك ما نتحسسه في هذين البيتين لأبي القاسم الشابي :

«أنت ، ياشعر ، قصة عن حياتي ،
أنت ، ياشعر ، صورة من وجودي
أنت ، ياشعر ، إن فرحت ،أغاريدي
وإن غنت الكآبة ، عودي »

* * *

نظن أنه لو سئل (سارتر) لماذا يكتب القصة والتمثيلية . . . ، ولا يكتفي بالتأليف الفلسفي ، لأجاب لأنه فيلسوف والفيلسوف إنسان يبحث عن تعابير تفي بما يريد أن يوصله للجمهور ، وجمهور اليوم لم يعد ينحصر في فئة النخبة ، بل إنه الأمة ، أو الأمم ، على صعيد التاريخ الإنساني[1] .

التاريخ مغامرات وجدانية وفكرية تجسد رؤى الفيلسوف والفنان ، عن الكون والإنسان ، بالكلمة ، والصخرة ، والصوت واللون .

فمن التأملات ، ومن الروح الفني ، ينشأ الروح العلمي ، ويتأسس الفكر الجماعي ،الذي هو وحدة الاتجاه والأهداف. فكما أن التصوف يفتح المجال أمام وحدة الوجود ، فإن الفلسفة والفن يتفتحان على «وحدة الشهود بالحياة ، وعلى حلبة التواجد في الطبيعة ومع الطبيعة . تتمخض ألطف مشاعر الإنسانية في وجدان الفنانين ،لتشع

---

(١) فقرات من كلمة القيتها في (٧-٦-١٩٦٦) بالرباط ، بمناسبة مهرجان الشعر الذي نظمه اتحاد كتاب المغرب العربي ، ونشرت في مجلة آفاق (العدد الخاص بهذه المناسبة) .

من حدسياتهم وكأنها ابتسامة عذراء انفجرت من شمس تعانق طراوة الصباح » [1]

* * *

## خاتمة :

ولنختم الآن بتساؤل :

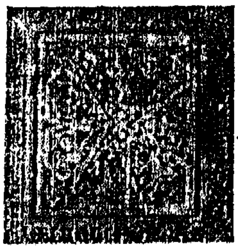
هل للآداب والفنون مستقبل فى البيئات التى غزتها الصناعة الكبرى ؟

مستقبل الآداب والفنون مستقبل نمو مستمر . ألا نشاهد أنه ، فى كل سنة ، يتزايد عدد زوار المتاحف ، وقراء القصص والشعر ، ويتكاثر الإنتاج الأدبى والفنى ؟ ففى هذا ما يبشر بكل خير .

الفلسفة ، والأدب ، والفن ، لغات ، واللغة وعى واقعى للأفراد وللأمم . فمن خلال اللغة تعى الأمة نفسها بأنها واعية . الفلسفة ، والآداب ، والفنون ، إن هى إلا أبجدية التساؤل ، نتعلمها طول العمر ، إذ لا مكان ، فى خريطة التقدم المعاصر ، لأية أمة دون فن ودون آداب .

إن عظمة الفن وثراء الأدب فى البنيات العميقة ، تلك التى ترتكز على رؤى ، إنسانية وكونية ، أى على مفاهيم فلسفية عن الإنسان ، وعن الوجود ، وعن ممارسة الحرية الواعية الهادفة . فأروع التماثيل واللوحات ، وأعذب الأنغام ، وأعمق الشعر ، هو ما يدعو إلى التأمل فى الكون والمصير ، والتعاطف مع الذوات الأخرى .

**محمد عزيز الحبابى**
عضو المجمع المراسل من المغرب



(١) يكفى أن تفتح قاموسا فلسفيا ( ألمانيا أو إنجليزيا أو فرنسيا ) لنرى كم أعطى المفكرون ، على اختلاف العصور ، من تعاريف لـ « فلسفة » ؛ إذ من الصعب أن يحدد الإنسان ، تحديداً نهائيا ، ميادين المنظومة التى ترمى إلى التأمل فى صراعات الإنسان لمصيره ومجابهاته للطبيعة ، وفى تواجده بذاته مع ذاته ومع الآخرين

# سجع القرآن فريد

للدكتور أحمد الحوفى

[ ١ ]

تبيّن من البحث السابق أن فى القرآن الكريم سجعا وأنه لا غضاضة فى أنْ نَصِفَ بعض سوره وبعض آياته بأنها مسجوعة .

ويبدو أن الذين أنكروا السجع فى القرآن الكريم كالباقلانى وأبى الحسن الأشعرى وابن خلدون لم يرتضوا كلمة السجع ، فآثروا عليها كلمة فاصلة أو فواصل ، ليثبتوا أن الإعجاز فى الأسلوب القرآنى الذى جاء على نسق مغاير لما عهده العرب واقتدروا عليه .

وكأنهم لم ينتبهوا إلى أن السجع القرآنى فريد ، يمتاز بأنه يحقق الملاءمة بين المعنى والأسلوب أروع تحقيق ، ويخضع كلا منهما للآخر فى إعجاز بيّن لاينكر .

وذلك أن سجعاته متعانقة مع ماقبلها ؛ مستقرة فى مواضعها ، كفيلة بروعة المعنى ، وجمال الصورة ، واتزان النطق ، وتجانس الجرس ، وحلاوة الوقع .

ولهذا ترشد الآيات إلى فواصلها ، ويتوقعها من له عِرْق فى الأدب وذوق ، قال زيد بن ثابت : أملى علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نُطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة عَلَقة ، فخلقنا العلقة مُضْغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر [١] » فعند ذلك قال معاذ بن جبل : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فضحك رسول الله ، فقال له معاذ : مم ضحكت يارسول الله ؟ فقال : بها خُتِمَتْ [٢] .

( ١ ) سورة المؤمنون ١٢ — ١٤

( ٢ ) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢ / ١٧٠

[ ٢ ]

والحق أن سجعات القرآن الكريم تمتاز بخصائص كثيرة أعجزت البلغاء أن يحاكوها ، فمن هذه الخصائص :

١ ـ أنها نازلة فى مواضعها ، ملائمة لمواقعها ، بريئة من التكلف ، تتبع فيها الألفاظ المعانى ، وتنهض خير نهوض بما تتطلبه هذه المعانى ، فلا نقص ولا زيادة ولا تكرار لضرورة السجع .

اقرأ قوله تعالى : « قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا . ومكروا مكرا كُبَّارا[١] » ، تجد أن كبارا بمعنى ( كبير ) ، ولكنها جاءت هنا للدلالة على هذا المعنى ، ولتحقيق السجع ، على حين أن كلمة (كبير) وردت فى آية أخرى محققة للمعنى وللسجع معا فى قوله تعالى : « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا[٢] » .

وكذلك جاءت كلمة كَفَّار صيغة مبالغة من الكفر فى آية ، وجاءت كلمة كفور صيغة مبالغة أخرى من الكفر فى آية ثانية ، قال تعالى : « وسخرلكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ماسألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الإنسان لظلوم كفار »[٣] ، وقال سبحانه : «ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى ، إنه لفرح فخور »[٤] .

وجاءت كلمة عِسر فى موضع وكلمة عسير فى موضع آخر ، وهما بمعنى واحد ، قال تعالى : « فتول عنهم يوم يدعو الداعى إلى شىء نكُر . خشَّعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين إلى الداعى يقول الكافرون هذا يوم عسر »[٥] .

وقال سبحانه : « فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير[٦] » . ووردت كلمة كذب فى الآية الكريمة :

( ١ ) سورة نوح ٢١ — ٢٢
( ٢ ) سورة الإسراء ٣٠ — ٣١
( ٣ ) سورة إبراهيم ٣٣ — ٣٤
( ٤ ) سورة هود ٩ — ١٠
( ٥ ) سورة القمر ٦ — ٨
( ٦ ) سورة المدثر ٩ — ١٠

« وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا . وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا »[1] ، وكلمة كِذَّابا وهى بمعنى كذب فى الآية الكريمة « إنهم كانوا لايرجون حسابا . وكذبوا بآياتنا كذابا . وكل شيء أحصيناه كتابا »[2]

ولكن قد تقع فاصلتان مختلفتان فى نهايتى آيتين متفقتين لفظا ومعنى ، كقوله تعالى : « وإن تَعُدُّوا نعمة الله لاتحصوها ، إن الإنسان لظلوم كفار »[3]

وقوله سبحانه : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الله لغفور رحيم »[4] فلماذا اختلفت الفاصلتان ولفظ ماقبلهما ومعناه واحد ؟

قال الزمخشرى فى تفسير الآية الثانية : إن الله لغفور رحيم ، حيث يتجاوز عن تقصيركم فى أداء شكر النعمة ، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها[5] .

وقال ابن المنير الإسكندرى : كأنه يقول إذا عاينت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها ، فحصل عند أخذها وصفان : كونك ظلوما ، وكونك كفارا ، يعنى لعدم وفائك بشكرها ، ولى عند إعطائها وصفان : وهما أنى غفور رحيم أقابل ظلمك بغفرانى ، وكفرك برحمتى ، فلاأقابل تقصيرك إلابالتوقير ، ولا أجازى جفاءك إلا بالوفاء[6] .

ونقل السيوطى رأيا آخر لم يذكر قائله هو أن الآية التى ختمت بأن الإنسان ظلوم كفار كانت فى سياق وصف الإنسان المنعم عليه ، أما الآية التى ختمت بأن الله تعالى غفور رحيم كانت فى مساق صفات الله تعالى وتعداد نعمه وإثبات ألوهيته[7] . والذى يقرأ السورتين من أولهما إلى هاتين الآيتين يتحقق من ذلك .

وهذا الذى قالوه صحيح كله .

وقد يوهم النظر العجلان أن الفاصلة غير ملائمة فى نحو قوله تعالى : « تُسَبِّح

(١) سورة الجن ٥ — ٦
(٢) سورة النبأ ٢٧ — ٢٩
(٣) سورة إبراهيم ٣٤
(٤) سورة النحل ١٨
(٥) الكشاف ٢ / ٣٢٥
(٦) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢ / ١٧٣
(٧) الإتقان ٢ / ١٧٣

له السماوات السبع والأرض ومَنْ فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لاتفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليما غفورا »[1] .

وذلك لأن ختام الآية الدالة على أن كل شئ يسبح بحمده بجملة أخرى تؤكد حلمه تعالى ومغفرته ، هذا الختام يحتاج إلى تدبر ، لأن المخلوقات كلها تطيع الله ، وتخضع للنواميس التى أودعها فيها ، وتسبح بحمده ، وإن كنتم لاتدركون تسبيحها ، وأما أنتم فإنكم تعصون الله ، ولكنه يحلم عليكم ، ويغفرلكم ، فجاء ختام الآية بالحلم والمغفرة مناسبا لمعصية المخاطبين المقدرة فى الآية .

وكذلك فى قوله سبحانه وتعالى : « فقلنا ياآدم إن هذا عدولك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتَشْقَى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تَعْرَى . وأنك لا تظمأُ فيها ولا تَضْحَى »[2] .

فإن النظرة العجلى تستحسن أن يذكر الظمَأُ مع الجوع ، وأن يذكر الضّحْو مع العرى ، ولكن التدبر يقضى بالنسق الذى انتظمت به الآية الكريمة ، لأن فيها لونا بلاغيا يسمى قطع النظير عن النظير ، إذ فصلت الظمأ عن الجوع ، وقطعت الضحو عن الكسوة ، مع مابين كل منهما من تناسب ، ليتحقق تعداد النعم وتصنيفها ، ولو أن كل نعمة قرنت بما يماثلها لتوهم المخاطب كل نعمتين نعمة واحدة .

يضاف إلى هذا تناسب الفواصل ، لأن الظمأ لو قرن بالجوع فقيل إن لك ألا تجوع فيها ولا تظمأ لا نتثر سلك رءوس الآيات ، وأحسن به منتظما[3] .

على أن الآية الكريمة راعت حاجة الإنسان إلى الشبع واللباس ، وأنه لا يستطيع الاستغناء عنهما ، فجمعتهما ، وراعت المناسبة بين رى العطش والاستظلال ، وأنهما تابعان للباس والشبع ، فقرنتهما[4] .

وثمة تعليل آخر هو أن الجوع والعرى يدلان على الشدة والحاجة ، لأن الجوع

---

(١) سورة الإسراء ٤٤

(٢) سورة طه ١١٧ - ١١٩

(٣) الانتصاف على هامش الكشاف ٢ / ٤٤٩

(٤) خزانة الأدب للحموى ٩٧

فقدان الطعام ، وخلو المعدة منه ، والعرى فقدان الكساء وخلاء الجسد منه ، كذلك يتلازم الظمأ والضحو ، لأن الظمأ حرارة فى الجوف والضحو حرارة فى الجو وعلى الجسد .

لهذا لايكاد السامع المتذوق أو القارئ المتدبر يسمع آية أو يقرؤها وهى مختومة بغير مانزلت حتى ينكر ماسمع أو ماقرأ ، كالأعرابى الذى سمع قارئا يتلو قوله تعالى : « فإن زللتم من بعد ماجاءتكم البينات ، فاعلموا أن الله عزيز حكيم »[1] هكذا : فاعلموا أن الله غفور رحيم ، فقال الأعرابى : هذا لايكون[2] ، لأنه أدرك ببديهته أن ختام الآية بالمغفرة والرحمة لايلائم الزلل المتعمد بعد الوعد والوعيد وبعد بيان الخير والحض عليه ، وبيان الشر والتحذير منه ، وإلا كان اقتران الغفران بالزلل إغراء به وتهوينا من شأن العقاب .

ويشبه هذا أن أعرابيا سمع قارئا يتلو قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا ، نكالا من الله ، والله عزيز حكيم »[3] ، هكذا : والله غفور رحيم ، فقال : ماينبغى أن يكون الكلام هكذا ، فقيل له إن القارئ غلط ، والصواب « عزيز حكيم » فقال : نعم ، هكذا تكون فاصلة هذا الكلام ، فانه تعالى لما عزَّ حكم[4] .

٢ ـ وتمتاز سجعات القرآن الكريم بأن لكل من القرينتين أو الفقرتين المسجوعتين معنى يغاير معنى الأخرى ، على حين أن أسجاع الكتاب البلغاء كثيرا ماتقوم على تأدية الفقرتين لمعنى واحد ، وهذا نوع من التطويل لا أثر له فى كتاب الله .

اقرأ قوله تعالى : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جَلَّاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء ومابناها ، والأرض وماطحاها ، ونفس وماسواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح مَنْ زكاها ، وقد خاب مَنْ دسَّاها »[5] .

واقرأ أية سورة تجد هذه القاعدة مطردة لاتتخلف .

---

(١) سورة البقرة ٢٠٩
(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ٣٣٩ والإتقان للسيوطى ٢ / ١٧٠
(٣) سورة المائدة ٣٨
(٤) خزانة الأدب للحموى ٩٧
(٥) سورة الشمس ١ ـ ١٠

٣ ــ وللفواصل القرآنية ميزة التنوع .

فقد تجئ متحدة الحرف الأخير كقوله تعالى : « ذرنى ومَنْ خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان لآياتنا عنيدا ، سأُرهقه صَعُودا »[1] .

وقد تجئ من حروف متقاربة المخارج ، نحو قوله تعالى : « لا يسأم الإنسان مِنْ دعاءِ الخير ، وإن مسّه الشر فيئوس قنوط . ولئن أذقناه رحمة منا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّته ليقولن هذا لى ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رُجِعْت إلى ربى إن لى عنده للحُسْنَى ، فَلَنُنبئَنَّ الذين كفروا بما عملوا ، ولنذيقنهم من عذاب غليظ ، وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ،وإذا مسّه الشر فذو دعاءٍ عريض »[2]

فإن الطاء والظاء والضاد متقاربة المخارج .

وكثيرا ما تجئ مسبوقة وممدودة بحرف من حروف اللين ، فتستريح النفْس عنده ، ويجد النفسُ الوقفة الملائمة ، وتحس الأُذن لذاذة الوقع ، مع روعة المعنى وبراعة الصورة وتميز التعبير .

فمن المسبوقة والممدودة بالألف قوله تعالى : «إن للمتقين مفازا . حدائق وأعنابا . وكواعب أترابا . وكأْسا دهاقا. لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا .جزاءً من ربك عطاءً حسابا . رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا . يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا . ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا . إنا أنذرناكم عذابا قريبا ، يوم ينظر المرءُ ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا »[3] .

ومن المسبوقة بالياء والممدودة بالألف قوله تعالى : «يا أيها المزَّمل قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هى أشد وَطْأً وأقوم قيلا . إن لك فى النهار سَبْحا طويلا .

(١) سورة المدثر ١١ – ١٧

(٢) سورة فصلت ٤٩ – ٥١

(٣) سورة النبأ ٣١ – ٤٠

واذكر اسم ربك وتَبَتَّلْ إليه تبتيلا . رب المشرق والمغرب لا إلٓه إلا هو فاتخذه وكيلا . واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا »[1] .

ومن المسبوقة بالواو والممدودة بالألف قوله سبحانه : «واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يُخْلَقون . ولايملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا . وقال الذين كفروا إنْ هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءُوا ظلما وزورا »[2] وقوله تعالى: «يوم يرون الملائكة لابشرىيومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا .وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا »[3] وقوله تعالى «قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السماوات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه ، بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا . إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا . ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا . وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونُنَّ أهدى من إحدى الأُمم فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفورا[4] » وكثيرا ما تتنوع الفاصلة فتجيء من هذا كله .

على أنها تأْتى فى كثير من السور منتهية بالنون أو بالميم ، فيتحقق بالمد وبالنون أو الميم ترنيم وإيقاع منغم يضفى على الأُسلوب جمالاً فوق جماله ، كقوله تعالى «أفنجعل المسلمين كالمجرمين . مالكم كيف تحكمون. أم لكم كتاب فيه تدرسون . إن لكم فيه لما تَخَيَّرون ؟ أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون ؟ سلهم أيُّهم بذلك زعيم ؟ أم لهم شركاءُ فليأْتوا بشركائهم إن كانوا صادقين . يوم يُكْشَف عن ساق ويُدْعَوْن إلى السجود فلا يستطيعون. خاشعةً أبصارهم تَرْهَقُهم ذلة ، وقد كانوا يُدْعَوْن إلى السجود وهم سالمون . فَذَرْنى ومَنْ يكذِّب بهذا الحديث ، سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأُمْلِى لهم إن كيدى متين »[5] .

---

(١) سورة المزمل ١ — ١٠
(٢) سورة الفرقان ٣ — ٤
(٣) سورة الفرقان ٢٢ — ٢٣
(٤) سورة فاطر ٤٠ — ٤٢
(٥) سورة القلم ٣٥ — ٤٥

وإنه ليعجبنى قول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى : « وما هذه الفواصل التى تنتهى بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التى تنتهى بها جمل الموسيقى ، وهى متفقة مع آياتها فى قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذى يساق عليه بما ليس وراءه فى العجب مذهب.

ونراها أكثر ما تنتهى بالنون والميم ، وهما الحرفان الطبيعيان فى الموسيقى نفسها ، أو بالمد وهو كذلك طبيعى فى القرار .

فان لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها ، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه به وأليق بموضعه .

على أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا فى الجمل القصار ، ولا يكون إلا بحرف قوى يستتبع القلقلة أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقى .

وهذه هى طريقة الاستهواء الصوتى فى اللغة ، وأثرها طبيعى فى كل نفس ، فهى تشبه فى القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذى يخاطب به كل نفس تفهمه وكل نفس لا تفهمه ، ثم لا يجد من النفوس على أى حال إلا الإقرار والاستجابة ، ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضربا من الكلام البليغ الذى يُطْمع فيه أو فى أكثره ، ولما وُجد فيه أثر يتعدى أهل هذه اللغة العربية إلى أهل اللغات الأخرى ، ولكنه انفرد بهذا الوجه المعجز ، فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أُبدل بغيره أو أُقحم معه حرف آخر لكان ذلك خللا بينا أو ضعفا ظاهرا فى نسق الوزن وجرس النغمة ، وفى حس السمع وذوق اللسان ، وفى انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض ، ولرأيت لذلك هجنة فى السمع ، كالذى تنكره من كل مَرْئىّ لم تقع أجزاؤه على ترتيبها ، ولم تتفق على طبقاتها ، وخرج بعضها طولا وبعضها عرضا ، وذهب ما بقى منها إلى جهات متناكرة » .

[للبحث تكملة]

**احمد الحوفى**

---

(١) إعجاز القرآن للرافعى ٢٨٦

# نقدمة لتعريب المصطلحات الفنية للاتصالات السلكية واللاسلكية

للمهندس صلاح عامر

يعتبر الانتهاء من تعريب المصطلحات الفنية للاتصالات السلكية واللاسلكية (Telecommunication) خطوة كبيرة نحو تحقيق التعريب العلمى ، ونحو إثبات جدارة اللغة العربية وقدرتها ، بل وتفوقها فى التعبير العلمى السليم . فإن مصطلحات الاتصالات تضم أغلب مصطلحات علوم الإلكترونيات الحديثة وكذلك مصطلحات هندسة وطبيعة الكهرباء ، ولقد تم هذا العمل التاريخى بناء على تعاون عربى شامل ، فقد توفرت على المرحلة الأولى لتعريب هذه المصطلحات لجنة منبثقة من البلاد العربية فى إطار اتحاد الاتصالات السلكية واللاسلكية للبلاد العربية وترجع هذه النشأة إلى أهمية توحيد المصطلح العربى فى دنيا الاتصالات البرقية أو التلغرافية (Telegraphy) أو فى دنيا الاتصالات الهاتفية (Telephony) إذ أن شبكة هذه الاتصالات تمتد بين العواصم العربية وتقتضى حركة الاتصالات تبادل البرقيات العربية على شبكات التلغراف ، وكذلك تبادل اصطلاحات العمل على دوائر الهاتف مما أوجد ضرورة ملحة تقتضى الاتفاق على هذه المصطلحات العربية التى تعتبر أحيانا وكأنها شفرة خاصة يؤدى تبادلها إلى القيام بعمليات فنية تحقق سرعة التوصيل (Connection) ونجاح الاتصالات فى حد ذاتها . ولهذا كان على الاتحاد أن يعمل على إيجاد عبارات عربية متفق عليها لتقابل أحيانا جملا إنجليزية أو فرنسية مما يدرج استخدامه فى التخاطب العادى ولكن قد تختلف الجملة أو العبارة العربية المقابلة ما لم يتفق عليها ، وكذلك تضمن ذلك الجهد التصدى لتعريب مصطلحات فنية أجنبية قد تأخر التعريب العربى الموحد لها مما أدى إلى وجود أكثر من مصطلح عربى يستخدم فى مختلف البلاد العربية أو حتى

فى البلد العربى الواحد مما يعوق النشر العلمى ويشوش النقل العلمى والتعليم .

ولقد استن هذا الاتحاد العربى هذه السنة الحميدة والتى أحسب أن أغلب المنظمات العربية ستحذو حذوها وهى أن تبعث بمقترحات التعريب للمصطلحات الأجنبية التى تتوفر هذه المنظمات العربية على دراستها فى تجمع عربى إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، حيث تتعرض لمراجعة اللجان الفنية بالمجمع ، فهى تعرض أولا على مجمع القاهرة ، ثم ثانيا على اتحاد المجامع العربية ، وبذلك تنتهى هذه الجهود إلى اتفاق منبثق من الدوائر الفنية ثم ينتهى إلى أعلى مستوى لغوى عربى. وحتى يحظى ذلك التعريب الموحد بعد ذلك بما يقتضيه ميلاد هذه المصطلحات الجديدة من نشرها بوسائط نشر المصطلحات الجديدة المختلفة وفى القواميس الفنية الجديدة .

وسأحاول فى هذه المقدمة تحليل هذا الجهد الذى بذل فى تعريب مصطلحات الاتصالات أو مصطلحات البرق والهاتف والراديو ، ومما يسترعى الانتباه أنه حتى هذه العناوين الأساسية لم يكن هنالك اتفاق بشأنها فكلمة البرق كانت تستخدم فى بلاد عربية مثل سوريا بدلا من التلغراف فى مصر . ولقد أقر الاصطلاحان ( برق أو تلغراف ) أما اصطلاح ( الهاتف ) فقد ألغى اصطلاح التليفون الذى درج على التداول فى مصر وبعض البلاد العربية ،وكلمة هاتف عربية الأصل تؤدى المعنى الفنى والهندسى تأدية كاملة ولهذا فإن كلمة خط هاتفى : (Telephone line) تحل الآن محل خط تليفونى وكذلك ( مركز هاتفى ) بدلا مما اصطلحنا على أن نقول عنه سنترال تليفون فكلتا الكلمتين أجنبيتان عن اللغة العربية تماما ولا داعى لإدخالهما فى اللغة فى حركة نموها الدائمة ما دامت توجد ألفاظ عربية سهلة دارجة أيضا — وكذلك فقد أقر إدخال كلمة راديو بصفة نهائية إذ أن كلمة لاسلكى لا تغنى عن اصطلاح « راديو » الذى يعبر مثلا عن الإذاعة الصوتية أحيانا وستبقى كلمة لاسلكى تستخدم فى مجالها الصحيح كما هو فى تعريب كلمة (Telecommunications) فقد أقر الاصطلاح العربى اتصالات سلكية ولاسلكية لها . ونعود إلى ما تم من إفساح مكان لكلمة راديو فى اللغة العربية فقد أصبح لها الحق فى أن تكون صفة فنقول راديوى كما فى (Radio Transmission) فنقول إرسال راديوى .

ولقد كانت هنالك مصطلحات أجنبية درج الفنيون العرب على استعمالها فى التخاطب وفى الكتابة أمكن إيجاد مصطلحات عربية مناسبة لها مثل Jack وهو ثقب للتوصيل الكهربى بين خطين تليفونيين مثلا ، فقد أقر له مصطلح عربى جميل وهو « مقبس » وكذلك كلمات Impedance وهى دلالة طبيعية ورياضية لخاصة من خصائص الدوائر الكهربائية فقد أقر المجمع كلمة

« مُعَاوَقة » لها ولقد كان يستخدم قبل ذلك اصطلاحات عربية كثيرة منها « ممانعة » مما كان يحول دون تفهم موحد على النطاق العربى وقد أقر استخدام «المفاعلة» لتعريب مصطلح The Reactance وفى مجال خصائص الدوائر الكهربائية فقد اعتمد استخدام « توهن » بدلا من الاصطلاح الأجنبى (Attenuation) وقد كانت تستخدم فيما مضى كلمة « اضمحلال » ولكن توهن أكثر دقة فى التعبير .

وتحتوى المصطلحات الراديوية على تعبيرات كانت تستخدم فى مجالات أخرى فى اللغة العربية واعتمادها فى قاموس مصطلحات الراديو يدخلها فى دنيا العلوم لأول مرة ومنها :

| | |
|---|---|
| يوائم | Match |
| طور | Phase |
| تشكيل | Modulation |
| يضخم | Amplify |
| هوائى | Aerial |
| مسامحة | Admittance |
| مرحل | Relay. |
| موالفة | Tuning |
| نشيش | Frying |
| باعث | Exciter |
| خصائص | Characteristic |
| انهيار | Breakdown |
| همهمة | Hum |

ومما هو جدير بالتنويه أن تعريب مصطلحات الاتصالات السلكية واللاسلكية منطو على نشر فنى عربى تم إعداده بدقة بالغة ، وهو أنه فى نفس الوقت الذى يعرب فيه المصطلح الفنى يتم اعتماد تعريف علمى هندسى دقيق للمصطلح مما يعتبر فى حد ذاته رصدا علميا دقيقا لمعانى هذه المصطلحات واكسابا للكلمة العربية معناها الجديد بدقة مما يجعل هذا التعبير صالحا تماما لنشره فى القواميس الفنية الجديدة . وفيما يلى أمثلة لهذا الإنتاج العلمى الضخم الذى يقدمه مجمع القاهرة لأبناء اللغة العربية .

لاسلكى ( راديو) Radio Radio

مصطلح عام يطلق على استعمال الموجات المغناطيسية الكهربائية للاتصال بدون أسلاك.

اتصال سلكى ولاسلكى

Telecommunication

Télécommunication

تراسل أو بث أو استقبال بالوسائل الكهربائية المغنطيسية سواء كانت سلكية أو لاسلكية أو ضوئية ويشمل هذا التراسل العلامات أو الإشارات المرئية أو المسموعة وكذلك المكتوبات «المطبوعات» ، الصور والأصوات وما إلى ذلك .

التلغرافية ( إبراقية )

Telegraphy Télégraphie

نظام للاتصالات السلكية واللاسلكية يتم به إرسال المواد المكتوبة أو المطبوعة أو المصورة باستعمال إشارات مصطلح عليها .

مسامحة

Admittance Admittance

مقلوب المعاوقة أى ( $\frac{1}{\text{المعاوقــــة}}$ ) .

الهوائى

Aerial, Antenna Antenne, Aérien

موصل أو مجموعة موصلات تستعمل مع أجهزة اللاسلكى فى إرسال الموجات اللاسلكية واستقبالها .

مضخم التحكم الأوتوماتيكى فى الكَسْب

Amplifier, Automatic Gain Control (AGC) Amplicateur, Regulateur Automatique de Niveau

جهاز يستخدم لزيادة التحكم فى التضخم الإجمالى فى نظام ما بتأثير الإشارة الداخلية إليه بحيث يبقى منسوب الإشارة الخارجة ثابتا .

تشوه الاتساع Amplitude distortion Distorsion d'amplitude

تغير كسب المضخم بتغير اتساع الإشارة الداخلة ( مع ثبات التردد ) .

توهن ( فى الحركة الموجبة )

Attenuation, Affaiblissement

تناقص الطاقة الكهربائية نتيجة للامتصاص الذى يحدث عند انتقال الموجات فى الأسلاك والأوساط المختلفة .

طقطقة

Click Clic, Claquement

ضوضاء دائرة ، تحدث مثلا عن تفريغ فجائى للمكثفات أو من جراء قطع الدائرة .

مكثف

Condenser, Condensateur,

أداة لتخزين الشحنات الكهربائية مكونة من موصلات على هيئة ألواح أو رقائق تفصلها عن بعضها عوازل كهربائية .

To Couple Coupler يقرن

يضع دائرتين أو أكثر فى حالة تقارن .

تسميع ( صوت غير مرغوب )

Crosstalk Diaphonie

انتقال غير مرغوب للطاقة من دائرة تراسل إلى دائرة أخرى .

تشكيل

Modulation Modulation

عملية يتم بواسطتها تعديل خصائص معينة لموجة ما طبقا لخاصية موجة أخرى أو إشارة .

مرحل ( كهربائى مغنطيس )

Relay (Electro mag.) Relais (électro magnétique)

مرحل يشغل بمرور تيارات فى لفيفة واحدة أو أكثر من لفائف مغنطيس كهربى .

Tuning الموالفـــة

إن خطة التعريب للمصطلحات الهندسية التى يضطلع بها مجمع اللغة العربية تسير على التوازى مع احتياجات النشر العلمى باللغة العربية والتى أصبحت تمس الحاجة إليها لنشر التعليم المهنى والهندسى اكتسابا للتقدم التكنولوجى المطلوب . ولقد ساعدت هذه الحركة فى إغناء الكلمات العربية بالمعانى العلمية الجديدة حتى أصبحت اللغة العربية لغة أساسية فى منظمات دولية فنية مثل منظمة البريد العالمية واليونسكو ، ولقد أصبحت أيضا لغة النشر العلمى سواء بالكتب التى تتناول الموضوعات العلمية الجديدة أو فى الدوريات والمجلات الهندسية العربية .

والله الموفق وهو المستعان فى إبراز فضائل وخصائص لغة القرآن الكريم .

**صلاح عامر**

# تحقيق القول فى "هاأنا" و "هاأنذا"

للأستاذ محمد شوقى أمين

أو : جواز الإخبار بغير اسم الإشارة عن الضمير المسبوق بأداة التنبيه

يتوارد على أقلام الكاتبين من المعاصرين مثل قولهم :

ها أنا قائل ما أعتقد
وها هما يفعلان ما يشاءان
وها نحن نرى ذلك الرأى .

وقد نصب لهم نقاد اللغة من معاصريهم ينعون عليهم هذا التعبير ، ويريدونهم على أن يقولوا :

هأنذا
وها هما ذان
وها هم أولاء

إلى غير ذلك من بقية الأمثلة الثمانية عشر ، باعتبار أنواع الضمائر مع التذكير والتأنيث ، ومع الإفراد والتثنية والجمع .

والنقاد فى هذا يذهبون إلى أن هاء التنبيه تدخل على الضمير ، بشرط أن يكون مخبرا عنه باسم الإشارة .

وما جرت به أقلام الكتاب المعاصرين فى هذا التعبير جرى مثله من قديم !

وما انتبه إليه النقاد المعاصرون فيه سبقهم إليه النقاد الأقدمون !

* * *

ونحن إذا استظهرنا ما قاله النحاة واللغويون فى هذا ، ألفينا جمهرتهم ينصون على أن الإخبار عن الضمير فى مثل ذلك التعبير بغير اسم الاشارة لايكاد يقال ، أو أنه شاذ .

ولكننا إذا تقصينا ما استعمله الفصحاء فى عصور العربية من مبتدئها إلى يوم الناس هذا ، صادفتنا أمثلة تجرى على الوجه الذى يتوجه عليه النقد ، وهى كثرة كاثرة فى الشعر والنثر ، ومن بينها ما ينسب إلى العصر الجاهلى وما تلاه .

ومن طريف هذه الأمثلة ما استعمله ناقد لغوى هو الحريرى ، ومؤلف معجمى ، هو الفيروزابادى ، وعالم نحوى ، هو ابن هشام . وثلاثتهم من الناعين عليه ، أو القائلين بشذوذه !

وإليك — أولا — طرفا من أقوال النحاة واللغويين .

و ثانيا — أربعين من الشواهد مناصفة بين الشعر والنثر .

و ثالثا — مايهدى إليه البحث والنظر من الحكم بإجازة التعبير المنقود .

* * *

فأما « أولا » فقد جاء فى مبحث حروف التنبيه من « شرح المفصل » :

« المبهم من الأسماء ما افتقر إلى غيره فى البيان عن معناه ، فتقول : ها أنا ذا ، فهى داخلة عند سيبويه على المضمر الذى هو أنا لشبهه بالمبهم ، وعند الخليل أنه داخل على المبهم تقديرا . والتقدير هذا أنا ، فأوقعوا أنا بين التنبيه والمبهم ، وكذلك ها هوذا ، فسيبويه يرى أن دخولها على المضمر كدخولها على المبهم ، والخليل يعتقد دخولها على المبهم ، وإنما قدموا التنبيه ، والتقدير هذا هو ، ونحوه : ها أنت ذا ، وها هى ذه . . . »

وجاء فى مبحث « ها » من مغنى اللبيب :

« تكون للتنبيه ، فتدخل على ضمير الرفع المخبر عنه باسم الإشارة ، نحو ها أنتم أولاء ، وقيل إنما كانت داخلة على الإشارة فقدمت ، فرد بنحو : ها أنتم هؤلاء ، فأجيب بأنها أعيدت توكيدا . . . »

وجاء فى مبحث اسم الإشارة من شرح « الأشمونى » :

« يفصل بين ها التنبيه وبين اسم الإشارة بضمير المشار إليه ، نحو : ها أنا ذا . . . وبغيره قليلا » .

وفى تعليق الصبان « على هذا يقول : « أفهم كلام الشارح منع إدخال ها التنبيه على الضمير المنفصل الذى ليس خبره اسم الإشارة ، وبه صرح الدماميني نقلا عن ابن هشام ، فإنه قال فى حاشيته على المغنى : وقع للمصنف إدخال ها التنبيه على ضمير الرفع المنفصل ، مع أن خبره ليس اسم إشارة كقوله فى ديباجة الكتاب : «وها أنا بائح بما أسررته ». وقد صرح المصنف فى حاشيته على التسهيل بشذوذ ذلك ، مشيرا إلى أن قول صاحب التسهيل : وأكثر استعمال ها مع ضمير رفع منفصل أو اسم إشارة ، معترض بأن ظاهره أن الإخبار عن الضمير المذكور باسم الإشارة غير شرط ، وليس كذلك ، فإن تخلفه إنما يقع شاذا » .

وجاء فى » لسان العرب »فى مبحث« ذا » :

« قال الفراء : العرب إذا جاءت إلى اسم مكنى قد وصف بهذا فرقوا بين ها وذا ، وجعلوا المكنى بينهما ، وذلك فى جهة التقريب لا فى غيرها . يقولون : أين أنت ؟ فيقول القائل: هأنذا ، فلا يكادون يقولون: ها أنا ، وكذلك التنبيه فى الجمع . . . »

وجاء فى مبحث « ها» من«لسان العرب» :

« وقالوا : ها أنت تفعل كذا ، وهأنت مقصور . . . » .

وجاء فى « درة الغواص » للحريرى :

« ويقولون : هوذا يفعل ، وهو خطأ فاحش : والصواب : ها هوذا يفعل ، وكأن الأصل : هو هذا يفعل ، ففصل حرف التنبيه من الإشارة ، وصدر به الكلام ، وأقحم الضمير ، ويسمى هذا تقريبا » .

وجاء فى « كشف الطرة » للألوسى :

« إذا اجتمع اسم الإشارة وغيره يجعل اسم الإشارة مبتدأ ، وغيره خبره ، لأن العرب اعتنت بمكان التنبيه والإشارة ، فقدمته ، ولا يجوز أن يجعل خبرا إلا مع المضمر ، فإن الأفصح فيه أن يقدم فيقال : ها أنا ذا . . » .

وعرض الأستاذ عبد الحميد حسن فى بحث المرونة فى اللغة المقدم إلى مؤتمر «مجمع اللغة العربية » فى دورته التاسعة والعشرين لقول الكتاب : ها نحن من غير اسم إشارة وأن اللغويين يمنعون ذلك ، وقال :

« إننا اوراعينا أن استعمال كلمة « ها » التى للتنبيه جائز فى مواطن أخرى لأجزنا هذا التعبير » .

* * *

وأما « ثانيا » ، فنجتزئ بأربعين من النصوص الشعرية والنثرية .

وهذه عشرون من شواهد الشعر :

١ ـ قال « أبو كبير الهذلى » وهو شاعر جاهلى أدرك الإسلام « كما فى ديوان الهذليين ومعجم ياقوت ـ ( الجزء السادس عشر ـ الصفحة ١٤١ ) :

ولوعا ، فشطت غربة دار زينب
فها أنا أبكى والفؤاد قريح

٢ ـ قالت « قتيلة » على عهد النبوّة ( كما فى رواية كتاب العمدة « لابن رشيق ، ص ٣١ ) :

أ محمد ها أنت نجل نجيبة
من قومها والفحل فحل معرق

٣ ـ وفى رسالة الغفران ص ٢٦ من الطبعة الأولى يسوق « المعرى» شاهدا على تصيير الهمزة ألفا خالصة ، هو قول الشاعر :

يقولون مهلا ليس للشيخ عيل
فها أنا قد أعيلت وان رقوب

٤ ـ ومن شعر العباس بن الأحنف :

وها أنا من بعدكم لم أزل
فى دولة الأحزان والوجد

٥ ـ ولإبراهيم الصولى قوله ( كما ورد فى معجم ياقوت ، جزئه الأول ) :

وكنت أعدك للنائبات
فها أنا أطلب منك الأمانا

٦ ـ وللحسن بن وهب قوله ( كما فى كتاب « الطرائف الأدبية » للراجكوتى ) :

ها نحن وفيناك أربعة
والأربعون لديك منتظرة

٧ ــ وللبحترى قوله ؟ :

ها هو الشيب لائما فأفيقى

٨ ــ وللمتنبى قوله :

فها أنا قد ضربت وما أحاكا

وقوله :

فها أنا فى السماح له عذول

وقوله :

فها أنا فى محفل من قرود

٩ ــ ولأبى فراس الحمدانى قوله :

وها أنا قد حلى الزمان مفارقى

وتوجنى بالشيب تاجا مرصعا

١٠ ــ وللمعرى قوله :

فإن قعدت عنه الحوادث حقبة

فهما هى فيما لا يشاء قيام

وله :

كأنى حيث ينشا الدجن تحتى

فها أنا لا أظل ولا أجاد

١١ ــ ولأبى بكرا الخوارزمى قوله :

بآمل مولدى وبنو جرير

فأخوالى ويحكى المرء خاله

فها أنا رافضى عن تراث

وغيرى رافضى عن كلالة

١٢ ــ وللحريرى قوله فى المقامات :

وها أنا الآن على ما يرى

منى ومن حرفتى المكدية

١٣ ــ وفى ذيل الأمالى يروى :

فهما أنا للعشاق يا عز قائد

وبى تضرب الأمثال فى الشرق والغرب

١٤ ــ ولعبد الله بن عبد الرحمن الدينورى :

( كما فى الجزء الرابع من اليتيمة ، ص ١٢٨ ) :

مضى الإخوان وانقرضوا

فهما أنا للردى غرض

١٥ ــ ولأبى بكر محمد بن عبد الله القرطبى :

أبا قاسم والهوى جنة

وهما أنا من مسها لم أفق

١٦ ــ وللرقيق القيروانى ( كما فى معجم ياقوت جزئه الأول ، ص ٢١٧ ) :

فهما أنا تائب منها

فزرنى تبصر العجبا

١٧ ــ ولابن نباته المصرى :

فها أنا فى الدنيا قتيل مصبر

١٨ ــ وللتعاويذى كما فى الجزء الثانى من شرح ديوان ابن الرومى (٢٢ من التعليقات) :

وها أنا لاقلبى يراع لفائت

فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرح

١٩ ــ وللبارودى :

فإن أكن عشت فردا بين آصرتى

فها أنا اليوم فرد بين أندادى

٢٠ ــ واولى الدين يكن :

وكانت صبوة ونزعت عنها
فها أنا لا أدين ولا أدان

* * *

وتلك عشرون من شواهد النثر :

١ ــ ينسب إلى خالد بن الوليد قوله ( كما فى ص ١٦٥ من الجزء الأول من عيون الأخبار )

« ثم ها أنا أموت على فراشى »

٢ ــ ينسب إلى المستورد بن علفة الخارجى قوله ( كما فى ص ١٤٨ من الجزء الثانى من كامل المبرد ) :

« وها أنتم تعلمون ما حدث »

٣ ــ وفى رسالة من سفيان بن أبي العالية إلى الحجاج ، ( كما فى ص ٢٢٥ من الجزء السابع من تاريخ الطبرى ) :

« فها أنا بهـــا . . . »

٤ ــ وفى « كليلة ودمنة » لابن المقفع (كما فى ص ٢١٤ من طبعة مطبعة المعارف) :

« وها أنا قائم بين يديك »

٥ ــ وفى كتاب أخبار القضاة لوكيع ، ( صفحة ٣٤٢ من الجزء الثانى ) :

« ها هو الآن أقر . . . »

٦ ــ وفى الكامل للمبرد ، ( صفحة ٧١ من الجزء الأول من طبعة مصر ) :

« قال : ها هي عندى . . . »

٧ ــ وفى مروج الذهب للمسعودى ، (الجزء الثانى ، صفحة ٢٦٦) :

« وها أنا يا أمير المؤمنين »

وفى صفحة ٣٣٧ ، على لسان المنصور :

« وها أنت ترجع : . : »

٨ ــ وفى حديث من عهد المنصور ( كما فى صفحة ١١٣ من كتاب «الوزراء والكتاب» للجهشيارى ) :

« وهاهو اليوم يقبل رأس كاتبى »

٩ ــ ومن رسالة أبي حيان التوحيدى . فى مثالب الوزيرين ( كما فى معجم ياقوت الجزء الثانى ص ٢٩٧ من الطبعة الأولى ) :

« فها أنا أصدق عن نفسى ، وأقول ماعندى»

١٠ ــ وفى كلام للهمذانى ( كما فى زهر الآداب ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٠٧ ) :

« فها هــى : . : »

١١ ــ وفى تاريخ بغداد ، ( الجزء ١٣ ، صفحة ٢٤٨ ) :

« فقال : ها أنت حرة لوجه الله »

١٢ ــ وفى القاموس المحيط للفيروزابادى ( الجزء الرابع ، صفحة ٢٥٢ ) :

« تقول : « وها هو عرض عين ، أى قريب »

١٣ — وفى « ذيل طبقات الحنابلة» :

صفحة ١٣٤ : « وها هو قائم »

صفحة ١٣٦ : « ها هو ورائى »

صفحة ٢٣٣ : « وها أنا قد جاوزت التسعين »

١٤ — وفى مقدمة الحريرى لكتابه « درة الغواص » :

« وها أنا قد أودعته من النخب كل لباب ، ومن النكت ما لا يوجد منتظما فى كتاب » .

وفى مقامات الحريرى، جاء فى المقامة الحلوانية :

« وها أنا . . . »

وفى مقامة الألغاز النحوية :

« فها أنا . . . »

وفى صفحة ٤٣٩ : « ها نحن قد تساعينا».

وفى صفحة ٤٨١ : « هاهو من المبصرين»

وقد اطلعت على نسخة من المقامات خاصة بالمرحوم الشيخ حسين والى ، فألقيت على ورقة غلافية فيها أرقام صفحات ورد فيها مثل هذا التعبير .

وفى رسالة انتقاد « ابن الخشاب »للمقامات قال : « إن الحريرى استعمل هذه الكلمة ، وقد نهى عنها فى درة الغواص ، فلعله عرف خطأها بعد وضع المقامات ، أو شبيه بحاله هذا ما تم فى كتب العلماء باللغة من النهى عن استعمال ما ، ثم يستعملونه فى خطب كتبهم، لغلبة العادة، هذا ابن قتيبة الخ » .

١٥ — وفى مقدمة القاموس المحيط للفيروزابادى ، قال : « ها أنا : : . » فانتقدها الشارح ، لأن صاحب القاموس اشترط أن يقال : هأنذا ، فى مبحث ها . وقد عاود الكلام فى ذلك صاحب كتاب « الجاسوس على القاموس » فى الصفحة ١٢٢ ونص ما فى القاموس فى فصل الهاء من الحروف اللينة ، وهو :

« ها : تدخل على ضمير الرفع المخبر عنه باسم الإشارة ، نحو : ها أنتم أولاء » .

١٦ — وفى مقدمة « معاهد التنصيص » للعباسى :

« وها هو فى ظل عزه ، رخى البال ، متميز الحال » .

١٧ — وللنويرى ، فى نهاية الأرب ، ( الجزء الخامس ، الصفحة ١٨٨ ) :

« وها نحن نذكرها . . . . »

١٨ — وللحجاج البلوى ، فى معجم ألف باء ( الجزء الأول ، الصفحة ١٠٤ ) :

« وها أنا أصنع بعمرو ما صنعت بزيد »

١٩ — وللشهاب الخفاجى فى شرح الدرة الصفحة الرابعة : « وها هو لديه مبتسم » وفى صفحة ٦٨ : « وها أنا أبين لك ... »

٢٠ ـ وللسيد محمود الألوسى فى «كشف الطرة» ، الصفحة السادسة : «وها أنا ، أقول . .»

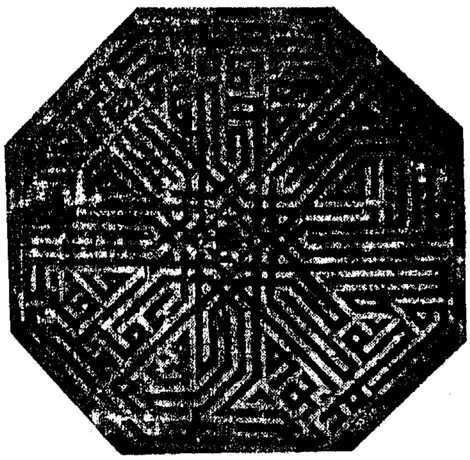
* * *

وأما «ثالثا» فيتبين مما تقدم أن الإخبار عن الضمير المسبوق بأداة التنبيه بغير اسم الإشارة تعرض له النحاة واللغويون فقها ودراية ، فمن النحاة من قال بأن العرب لايكادون يقولون : ها أنا ، وذلك قول «الفراء» ، ومنهم من قال بأن الأكثر استعمال أداة التنبيه مع الضمير أو اسم الإشارة وتلك مقولة صاحب التسهيل ، ومنهم من قال بشذوذ : ها أنا ، وذلك هو «ابن هشام» . ومن اللغويين من أثبت أنهم قالوا : ها أنت تفعل كذا ، كما نقله صاحب «اللسان» .

ولكن إجازة هذا الاستعمال تستند ـ سماعا ورواية ـ إلى ما التقطناه من الأبيات الشعرية والفقرات النثرية ، وهى نصوص تشهد بأن الإخبار عن الضمير المسبوق بأداة التنبيه بغير اسم الإشارة جرى فى العصور الأوالى والعصور التوالى على ألسنة الفصحاء من فقهاء اللغة ، وأعيان الشعراء ، وخاصة الأدباء ، على السواء .

ورعيا لهذا لاسبيل على كاتب أن يكتب : ها أنا ، وها أنت ، وها هو ، وما يناظر ذلك من سائر أمثلة الضمائر :

**محمد شوقى أمين**



# كان + الماضي بدون -قد- .. هـــذه هي مثـار البحث

للدكتور حسن عـون

ميادين الدرس اللغوى :

لكى يكون الدرس اللغوى مفيدا فى أية لغة ينبغى أن يتناول ثلاثة ميادين مختلفة ، ولكنها تلتقى فى النهاية جميعا لخدمة هدف واحد : هو تعلم اللغة ، والإلمام بها أو بجانب كبير منها ، واستخدامها كأداة طيعة لشرح الأفكار والآراء والعواطف بالطرق السليمة المألوفة فى اللغة ،دون نبو ولا نشاز حتى فيما يجد على اللغة أو على المجتمع اللغوى من أمور وأفكار وصور لم يكن للغة عهد بها من قبل .

يتناول الدرس اللغوى هـذه الميادين الثلاثة بترتيب خاص لكيلا تضطرب النتائج المرجوة منه ، ولكيلا يكون حظ الدارس منها كحظ من يدخل حلبة السباق من غير خطة مدروسة ولا طريق مرسوم فتضيع عليه ثمرة مجهوده ولا يجنى من وراء ذلك سوى الحيرة والبلبلة والإخفاق .

الميدان الأول : هودرس الأساليب التعبيرية أى الطرق المألوفة فى الأداء اللغوى ؛ فإذا كان المتكلم مخبرا لجأ إلى الأساليب الإخبارية ، وإذا كان مستفهما لجأ إلى الأساليب الاستفهامية ؛ وإذا كان راجيا أو متمنيا أو آمرا لجأ إلى أساليب الرجاء أو التمنى أو الطلب ؛ إذ لكل واحد من هؤلاء الأساليب طرقه الخاصة ومقاييسه المرسومة التى تؤدى الفكرة بدقة كما يريدها المتكلم أو الكاتب ، وكماينتظرها السامع أو القارئ وكما ألفتها اللغة نفسها .

والملاحظ هنا أن مهمة الدارس مهمة تقليدية بحتة ؛ فهو لا يتصرف بتغيير

أو تعديل ولا بابتكار أو إبداع ؛ ولكنه يرصد ويختزن ويحاكى ما يراه ويقرأه من أساليب تعبيرية مختلفة باختلاف المعانى والأغراض .

الميدان الثانى : هو درس نظم هذه الطرق أو الأساليب ، كما تمثلها وأصبح فى مقدوره محاكاتها ، بما فى ذلك أدوات الربط بين أجزاء الجملة والصلات الشكلية والمعنوية بين تلك الأجزاء . تكفل بهذا الدرس ما هو معروف لدينا بعلم النحو ، من حيث تمييز كل جزء من أجزاء التركيب اللغوى بشكل خاص يخضع لنوع الوظيفة التى يؤديها هذا الجزء أو ذاك من الجملة . ولسنا فى حل هنا من الخوض فى تفصيل محتويات الدرس النحوى وما أداه من خدمات للدرس اللغوى ، أو ما تطرق إليه من تعثر وانحراف جعلاه يتجنب الصواب أحيانا ويضيف إلى القواعد النحوية ماليس منها أحيانا أخرى .

الميدان الثالث : هو درس الأساليب البيانية ، الذى ربما اعتبره بعض الدارسين نوعا من الترف اللغوى ؛ لكننا لا نفهم ذلك ولا نتصوره ؛ فدور الكلمة أو التركيب اللغوى لا ينبغى أن يقتصر على مهمة شرح الفكرة وإيصالها إلى السامع ؛ وإنما ينبغى أن يتناول بجانب ذلك تأثير هذه الكلمة أو ذلك التركيب على نفس السامع وحسه وعقله بحيث تستطيع الفكرة المشروحة أن تجد من السامع سندا مؤمنا بها وداعيا لها ومدافعا عنها ؛ ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق الصور البيانية والقوالب البلاغية والكلمات الموحية والسبك الجيد والاستهلال البارع والجودة فى الاختيار والمفاضلة فى مجال الأناقة والنبل بين المفردات والتعابير وطرق الأداء ؛ ولولا ذلك لغدت اللغة مجرد وسيلة لمجرد التفاهم بين الأفراد ؛ وهى غاية لا تستحق ما يبذل من جهد ومعاناة فى الدرس اللغوى .

لقد تكفل بهذا الدرس ما هو معروف لدينا بعلوم البلاغة : المعانى والبيان والبديع خدمت هذه العلوم كثيرا فى اللغات التى قدر لها أن تكون لغات ثقافة وحضارة كاليونانية واللاتينية ؛ ولم تقصر العربية فى هذا المجال ، بل سايرت زميلتيها فى الفطرة إلى أهمية الأساليب البيانية فى العمل على تأسيس علوم البلاغة وتطويرها ، بل ربما تكون العربية متفوقة عليهما فى ذلك سعيا وراء إظهار ما فى القرآن من إعجاز

بلاغى ؛ ومما يذكر لها أنها قطعت فى هذا المجال شوطا لا يجارى . وهنا نقول أيضا إننا لسنا فى حل من الخوض فى تفصيل محتويات درس الأساليب البيانية والحديث عن المكانة العظيمة التى بلغها بين الدراسات اللغوية الأخرى .

أهم هذه الميادين هو الميدان الأول — الأساليب التعبيرية أو القوالب اللغوية التى تكاد تكون مفصلة على قدر المعانى . ويعتبر هذا الميدان بمثابة الدرجة الأولى من سلم تعليم اللغة ؛ كما يعتبر الميدان الثانى بمثابة الدرجة الثانية ، والثالث بمثابة الدرجة الثالثة ؛ وليس من المعقول أن يقفز الدارس إلى الدرجة الثانية مهملا الدرجة الأولى دون أن يتعرض فى سيره إلى بعض المزالق والمخاطر .

لقد كان هذا هو منهج القدماء — أصحاب اللغات الحضارية — فى تعليم اللغة :يبدأون بالأساليب التعبيرية ، ثم بقواعد النظم ، ثم بالأساليب البيانية لا يختلفون إلا فى التفاصيل .

كان الإغريق يتخيرون للدرس اللغوى فى مرحلته الأولى بعض النصوص من شعر هوميروس فى الإلياذة والأوديسة أو من خطب ديموستين أو من مسرحيات هذا أو ذاك من كبار المؤلفين فى المسرح ، أمثال سوفوكل ، أوربيد ، أريستوفان .

وكان اللاتينيون يتخيرون بعض النصوص من شعر فيرجيل فى الإينياده أو من دفاعات وخطب سيسيرون أو من الخطب السياسية لكبار الساسة أمثال قيصر وأنطونيو وبومبى وأوكتاف . وكان الجميع من إغريق ولا تينيين يؤمنون بسلامة الصعود على درج هذا السلم التعليمى بذلك النظام : الأساليب التعبيرية أو القوالب اللغوية المعبرة بدقة عن الأفكار والمعانى ؛ ثم النظام المتبع فى هذه الأساليب أو القوالب مع الاهتمام بوظائف الكلمات وأدوات الربط ، ثم الأساليب البيانية التى تأخذ فى اعتبارها الأمور المتصلة بالحس والوجدان والمشاعر فتهزها وتثيرها وتسخرها لما يراد منها ؛ وقد يصل التأثير إلى درجة الافتتان فيقف السامع أمام التعبير البيانى مشدوها ، قد ذابت شخصيته فى بوتقة هذا البيان الساحر فلا يملك إلا أن يذعن ويستسلم وينقاد إلى حيث يراد منه وينفذ طواعية ما يطلب إليه .

على هذا النمط من السلم التعليمى سار أئمة اللغة لدى العرب ؛ وأول كتاب فى اللغة والنحو عندهم يصور هذا المنهج التعليمى فى اللغة ؛ وهو كتاب سيبويه ، الذى يسلك مسلك الإغريق واللاتينيين ولا يختلف عنهم إلا فى بعض الظواهر الضرورية بالنسبة للبيئة والمجتمع .

غير أننا – لسوء الحظ – لم نعن بهذا الكتاب العناية اللازمة ، ولم نقف أمام نصوصه ومنهجه الوقفة المتأنية ، ولم نوجه إليه النظرة الشاملة ، ولم نتعمقه ونفحصه ونحلله التحليل الواعى العميق . درسه القدماء من وجهة نظرهم ووفقا لمقتضيات ظروفهم الاجتماعية والثقافية ؛ ودرسه المحدثون فى ضوء ما قيل عنه وعن محتوياته . وهذا – فيما نعتقد – تقصير لا مبرر له ؛ ومن أجل ذلك جاءت الأحكام عن هذا الكتاب سطحية باهتة فجة .

تعرض سيبويه للدرجة الأولى والثانية من سلم التعليم اللغوى بشكل واضح ومفصل ؛ وأشار بطرق مختلفة ، من حيث الوضوح والغموض ، إلى الدرجة الثالثة . فهو حين يعرض لظاهرة لغوية أو لقاعدة نحوية يقدم لها بمجموعة كبيرة من النصوص اللغوية ، بعضها مأخوذ من كلام العرب شعرا ونثرا ، وبعضها مأخوذ من الآيات القرآنية ، وبعضها مصطنع أو تقليد للقوالب اللغوية المألوفة المأثورة ؛ والقارئ الواعى لهذه النصوص يحس أن سيبويه يريد أن يلقى فى روعة أن فكرة كذا يعبر عنها بكذا .

ثم من خلال هذه النصوص يلحظ سيبويه ما يوجد بين أجزائها من صلات وروابط ووظائف تدل عليها الأنظمة التركيبية والأدوات اللغوية والأشكال الإعرابية ؛ وهذا يمهد إلى استنتاج الظاهرة اللغوية وصياغة القاعدة النحوية .

سار الدرس اللغوى – أثناء حياته الطويلة بين الدارسين العرب ولأسباب لا مجال لتفصيلها هنا – فى متاهات مترامية ؛ فلم يسر على هدى من سيبويه ؛ وأصبح النحو وظواهره مجموعة من القواعد التجريدية ، وانفصل عن النص اللغوى كما تنفصل الروح عن الجسد ؛ وبذلك آل أمر الدرس اللغوى إلى حالة أهملنا فيها إلى درجة كبيرة العناية بالأساليب التعبيرية أو القوالب اللغوية، وأصبحنا نتخبط فى

مأن التعبيرات العربية : أيها صحيح ؟ وأيها غير صحيح ؟ أيها ورد عن العرب ؟ وأيها لم يرد عنهم ؟

وهنا بيت القصيد بالنسبة لهذا البحث : كان + الماضى ؛ ألابد من – قد – أمام الماضى أم يسوغ التعبير بدون – قد – ؟

لقد ثار فى هذه الأيام جدل طويل حول هذا التركيب اللغوى ؛ واستقر رأى عدد غير قليل من اللغويين على أن التركيب – كان قد فعل – هو الصحيح ، وأن – كان فعل – لم يرد عن العرب .

هذا الموقف شد انتباهنا بقوة إلى ملاحظة التراكيب اللغوية المتصلة به فأخذنا نعنى به ونتمثله دائما فى قراءاتنا المتنوعة ؛ وحرصنا على أن نسجل ما نراه منه فى الكتب والمراجع المختلفة لكى يكون الحكم على هذا التركيب واضحا لا غموض فيه .

لا نريد أن نتعجل النتيجة قبل عرض النصوص : ونكتفى الآن بالقول فقط إنها جاءت مدهشة وعلى غير ما كان ينتظر أولئك الذين يزعمون أن التركيب – كان + الماضى بدون «قد» – غير وارد فى اللغة .

<u>موقف القرآن</u> من هذا التركيب – كان + الماضى بدون « قد » – الذى لايتصور المعارضون وجوده فى اللغة : ورد هذا التركيب فى الآيات القرآنية بصور مختلفة ؛ فمرة يجئ الفعل – كان – متلوًّا بالماضى دون أن يكون بينهما فاصل مثل :

وإن كان كبر عليك إعراضهم (الأنعام ٣٥) .

وإن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله (يونس ٧١) .

تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر (القمر ١٤) .

ومرة يجىء نفس التركيب مع وجود فاصل بين الفعلين بالضمير أو بغيره مثل :

وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به (الأعراف ٨٧) .

إن كان قميصه قُدَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين (يوسف ٢٦) .

وإن كان قميصه قُدَّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين (يوسف ٢٧) .

فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها (يونس ٩٨) .

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار (الأحزاب ١٥) .

ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته (المائدة ١١٦) .

قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين (الأعراف ١٠٦) .

. . . ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وماأنزلنا على عبدنا (الأنفال ٤١) .

وقال موسى : ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا (يونس ٨٤) .

إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة (الممتحنة ١) .

ومرة يجئ فعل الكينونة بصيغة المضارع لفظا والماضى معنى، ثم يجئ الماضى للفعل الآخر بدون ــ قد ــ سواء أكان فعل الكينونة متصلا بضمير بارز أم غير متصل مثل :

يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل (الأنعام ١٥٨) .

من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم (النساء ٢٣) .

أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (إبراهيم ٤٤) .

موقف اللغويين من نفس التركيب :

يقول سيبويه فى كتابه : وإذا قلت : كان رجل ذاهبا فليس فى هذا شيء تُعْلِمُه كان جهله (جـ ١ ص ٢٦)

وفى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى يوجد هذا النص : وكان أصابه سهم بعين التمر فاستشهد (ص ٢٥٧)

وفى كتاب طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى توجد هذه النصوص :

ص ١٠٢ : وروى عن أبى عثمان الخزاعى أنه كان قال لأبى حاتم . . .

ص ١٠٤ : حدثنا أبو زيد عن شعبة : قال : كان سماك بن حرب يقول ... وكان أبو حاتم رأى أنه واجد عليه . . .

ص ١٠٥ : فإنه حين احتمُل إلى «سُرَّ من رأى» ، وكان احتُمِلَ لقضاء البصرة .

ص ١١٠ : . . . وأخرجت (الحديث للمبرد ) فلم أصل إلى الموضع الذى كنتُ أُنزلتُه . . .

ص ١٢٢ : حدثنى بعض أصحابنا أن الزجّاج النحوى قال : لازمت خدمة عبيد الله بن سليمان الوزير ملازمة قطعتنى عن أبى العباس المبرد وعن . . . وعن إجرائى عليه ما كان تعوده منى . . . .

ص ١٣٥ : وكان (أبو جعفر الرُّؤاسىّ) أستاذ أهل الكوفة فى النحو ، وكان أخذ عن عيسى بن عمر . . .

ص ١٣٦ : وكان أبو مسلم جلس إلى معاذ بن مسلم الهراء النحوى .

ص ١٣٩ : . . . وكان حمزة أخذ أكثر من ثلاثين آية . . .

ص ١٥٠ : وكان أحمد بن يحيى سمعه ( معانى القرآن للفراء ) من سلمة ابن عاصم عن الفراء

ص ١٦٠ : . . . وكان محمد ابن عيسى وصفه له . . .

ص ١٦٧ : . . . وكان خَلَّف أحدا وعشرين ألف درهم وألفى دينار ..

ص ١٧١ : كان ( ابن كيسان ) كوفيا يحفظ القولَين ويعرف المذهبين وكان أخذ عن ثعلب والمبرد

ص ١٧٩ : . . . وكان خلف ( الأحمر ) شاعرا ، وكان وضع على عبد العيس شعرا مصنوعا .

ص ٢٥٠ : . . . فلما دخلت المشروحات نظر طلبة العربية والنحو فيها ، وفيما كانوا رووا عنه منها . وفى نفس ص ٢٥٠ : . . وكان لقى جماعة من العلماء بالعربية والمعروفين بالرواية .

ص ٢٦٠ : كان ( على بن الحضرمى ) نحويا شاعرا أديبا ، وكان ربما علم .

ص ٢٦٤ : . . . وكان اتُّهِمَ (الطَّلّاء المنجم بعمل الدنانير والدراهم . . . )

ويقول ابن جنى فى مقدمة كتابه - الخصائص - : على أنَّ أبا الحسن ( الأخفش ) قد كان صنف فى شئ من المقاييس كتيبا . . .

وفى الخصائص أيضا ج ١ . ص ٢٤ : وقد كان أبو العباس احتج بشئ من من شعر حبيب بن أوس الطائى . . .

ويقول الجاحظ فى كتابه ـ الحيوان ـ ج ٤ . ص ٥٦ : كنتُ بعجتُ بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة .

ويقول كذلك فى نفس الكتاب ج ٥ . ص ٢ : وقد كان حرُّ النار هيَّجَ تلك الحرارة .

وفى شرح المعلقات السبع للزوزنى توجد هذه النصوص :

ص ١١ : يا فاطمة دعى بعض دلالك وإن كنت وطَّنتِ نفسك على فراقى فأجملى . . . .

١٦ : فلما كان كذا وكذا تنعمت وتمتعت بها . . .

ص ٤٢ : وكان طرفة هجا قبل ذلك عمرو بن هند . . .

ص ٤٣ : . . . فقال طرفة لئن كان اجترأ عليك ما كان بالذى يجترئ على . .

ص ٤٣ كذلك : . . ويسقونه الخمر حتى قتل وقد كان قال فى ذالك قصيدته . . .

موقف الشعر من هذا التركيب :

هناك بيت من الشعر مشهور فى كتب النحو لا يكاد يخفى على من له فضل اطلاع على المؤلفات النحوية ، ويذكر شاهدا على تقدم معمول خبر كان :

قنافد هداجون حول بيوتهم
بما كان إياهم عطية عودا

ويروى أبو زيد فى كتابه النوادر ـ ص ٣٦ ـ :

وقد كان مات الأقرعان كلاهما .

ويذكر البحترى فى قصيدة مدح بها المتوكل :

يا بانى المجد الذى
قد كان قوض فانهدم

فى ضوء هذه النصوص المتقدمة من القرآن ومن النثر ومن الشعر يمكن أن نستنتج :

أولا ـ أن التركيب ـ كان فعل ـ سائغ فى اللغة وموجود بكثرة فى نصوصها على ألسنة أئمة بارزين فى الميدان اللغوى ومتقدمين فى العصور التاريخية ؛ وقد ورد هذا التركيب فى صور مختلفة ـ كما أشرنا إلى ذلك منذ قليل ـ ولكنها جميعا تندرج تحت مبدإ واحد ؛ هو جواز التعبير بالماضى بعد ـ كان ـ دون أن يسبق هذا الماضى بالحرف ـ قد ـ .

ثانيا ـ أن التركيب ـ كان قد فعل ـ لم نجده مرة واحدة فيما اطلعنا عليه ـ وهو كثير ـ بأية صورة من الصور المختلفة كما عرضناها فى التركيب السابق .

أما القرآن فنستطيع أن نؤكد أنه لم يستعمل هذا التركيب أبدا ؛ وذلك بعد الإحصائية الدقيقة التى قمنا بها فى آياته وراجعناها أكثر من مرة ؛ صحيح ورد الماضى مقرونا بـ ـ قد ـ مرة واحدة فى القرآن بعد فعل الكينونة ؛ غير أن فعل الكينونة فى هذه المرة جاء بصيغة المضارع لا بصيغة الماضى ؛ وذلك فى الآية : وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم (الأعراف ١٨٥ )

ولقد كان هذا فى الواقع موضوع دهشة من جانبنا وفتح أمامنا آفاقاً واسعة للتفكير فى الأساليب اللغوية التى حرص القرآن على استعمالها ، والأساليب اللغوية الأخرى التى تحاشاها فى استعمالاته .

وأما النصوص اللغوية الأخرى ـ شعرا ونثرا ـ فلا نستطيع أن نؤكد عدم احتوائها جميعا على هذا التركيب ـ كان قد فعل ـ رغم عدم رؤيته مرة واحدة فيما اطلعنا عليه منها ؛ وذلك لأننا لم نحاول عمل إحصائية كاملة على نمط ما صنعناه فى آيات القرآن الكريم ؛ فذلك يحتاج إلى وقت طويل ، ومجهود كبير من كثيرين ومع ذلك فالقيام بمثل هذا يكاد يكون واحدا من المستحيلات .

وهذا يفتح الباب أمام سؤالين :

أحدهما : كيف غاب هذا الوضع عن أولئك الذين يزعمون أنه لا يمكن أن يجيء الماضى بدون ـ قد ـ بعد الفعل ـ كان ـ ؟ .

والثانى : كيف يتحاشى القرآن هذا التركيب اللغوى مع ما يبدو عليه من أنه مستساغ مقبول من الناحية العقلية والذوقية ومن ناحية المنطق اللغوى ؟

يمكن أن يجاب عن السؤال الأول بأن أولئك الذين يلزمون اقتران الماضى بـ ـ قد ـ بعد ـ كان ـ متأثرون بصيغة أو بتركيب لغوى شاع فيما بيننا وكثر تداوله فى اللغة الحديثة ؛ ولكنه نُقل إلينا من النصوص الأجنبية التى كثرت ترجمتها إلى اللغة العربية ؛ ولعل مصدر النقل الأول هو اللغة الفرنسية ؛ وصيغته فى

الفرنسية هي ـ passé antérieur ـ ؛ وهي إحدى صيغ الماضي التي تشرح حدوث أمر ما قبل حدوث أمر آخر في الماضي أيضا دون أن يكون بين الأمرين مهلة في الزمن مثل : غادرت المنزل أمس بعد أن كنت قد أكلت .

ويبدو أننا في ترجمتنا لهذه الصيغة الزمنية الفرنسية بذلك التركيب اللغوي العربي ـ كان قد فعل ـ لم نراع الدقة التامة من حيث وجود حدثين مرتبطين في الماضي، أحدهما وقع بعد الثاني مباشرة دون أن يكون بينهما فاصل زمني كبير ؛ ولكننا اصطلحنا على أن ننقل هذه الصيغة الفرنسية بهذا التركيب اللغوي العربي ، لنفرق بينه وبين تركيب لغوي آخر هو ـ كان فعل ـ الذي اصطلحنا على أن ننقل به إلى العربية صيغة زمنية فرنسية أخرى هي plus-que parfait ، ورغم ذلك فقد كثر استعمال هذه الصيغة ـ كان قد فعل ـ واستسغناها لدرجة كبيرة وأصبحنا نرى فيها نموذجا من الصيغ العربية المألوفة دون أن نعنى بأصلها ولا بتاريخ استعمالها ، ودون أن نهتم بمراجعة الأساليب التعبيرية القديمة في لغتنا حتى نستطيع التمييز بين ما كان مستعملا قديما وما استحدثنا استعماله في العصر الحديث نتيجة الاحتكاك اللغوي والاختلاط الثقافي .

هذه الظروف ـ في نظرنا ـ هي التي أملت على هذا الفريق من اللغويين المعاصرين أن يفرضوا تلازما بين ـ قد ـ والفعل الماضي بعد ـ كان ـ ظنا منهم ، لشيوعه وكثرة دورانه ، أنه هو الاستعمال الصحيح المستساغ ، وأن غيره محكوم عليه بالفساد . إننا نوافقهم في الشق الأول لأن من حق اللغة ، بل من واجبها ـ لضمان حيويتها وتطورها واستمرارها ـ أن تتبنى صيغا جديدة وتراكيب جديدة ما دام ذلك يخضع للمنطق اللغوي والقوانين العامة فيها ؛ ولكننا نخالفهم بالنسبة للشق الثاني ؛ إذ الحكم بالمنع أو عدم الصحة يحتاج إلى درس أعمق وتحليل أدق وليس من السهل إصداره .

وأما السؤال الثاني فليس من الميسور أن يجاب عنه الآن ؛ إذ أنه يتصل بفلسفة اللغة ومنطقها في خلق صيغ زمنية تؤدي ما يطلب منها .

وذلك موضوع لبحث آخر .

**حسن عون**

# أسس وقواعد الكتابة السهلة الممتعة

## دراسة لغوية نفسية إحصائية

للدكتور فؤاد البهي السيد

مقدمة :

يختلف مستوى الكتابة تبعا لاختلاف مستوى الكاتب والقارىء ، والموضوع . فالكتابة العلمية تعتمد فى قوتها على الايجاز ، والتحديد ، والدقة البالغة ، وذلك لأن الموضوعات العلمية هى فى جوهرها تسجيل للظاهرة وتفسير لها . فكاتبها وقارئها يلتقيان فكريا فى مجال معين تحدده مصطلحات متفق عليها وأساليب خاصة فى التفكير . وهكذا نرى أن الصلة بين الكاتب والقارىء فى هذه الحالة صلة وثيقة . فالكاتب عالم ، والقارىء أيضا — فى الأغلب والأعم — أحد المشتغلين بالعلم .

لكن الكتابة السهلة التى تخاطب آلاف الناس ، الكتابة التى تقرأها الجماهير تعتمد على قدرة الكاتب فى تبسيطه للمادة المكتوبة وهو يعرضها فى أسلوب شيق ممتع : هذه البساطة هى التى تجذب أنظار الناس لكاتب معين ، يقرأون له ، ويتحدثون عنه ، ولن تقوم الصلة الوثيقة بين الكاتب وقرائه إلا عندما يدرك الكاتب المستوى القرائى الذى يكتب له ، وإلا عندما يصل ببساطة لغته وبراعة أسلوبه ، إلى عقول القراء .

وقد اهتم العلماء منذ سنين مضت وما زالوا يهتمون ببحث العوامل التى تؤثر فى مستوى سهولة الكتابة أو صعوبتها فى اللغات المختلفة وانتهت بهم نتائج تلك الأبحاث إلى تحديد أهم العوامل المشتركة فى : الكلمة ، والجملة ، والفقرة ، والفكرة ، والأسلوب والموضوع ، والصور ، والرسوم التوضيحية وطريقة الطباعة .

هذا وسنلخص فيما يلى المظاهر الرئيسية لكل عامل من تلك العوامل .

## أولا — الكلمات

تتأثر سهولة المواد القرائية تأثرا مباشرا بمدى سهولة الكلمات التى تشتمل عليها .

وتقاس سهولة الكلمة بموازين مختلفة نلخصها فيما يلى :

١ — مدى شيوع الكلمة فى المواد القرائية إذا تكررت كلمة ( رجل ) ٥٠٠ مرة فى إحدى المواد القرائية ، وتكررت كلمة ( زميل ) ١٠٠ مرة ، عدت كلمة رجل أسهل من كلمة زميل .

هذا وقد اهتم الباحثون بهذا التكرار لأهميته فى تحديد مستوى سهولة الكلمات : وأدى هذا الاهتمام إلى ظهور قوائم الكلمات الشائعة التى ترصد وتسجل عدد مرات تكرار الكلمات فى المواد القرائية ، ومن أهم هذه القوائم فى اللغة العربية قائمة «بريل» التى ظهرت سنة ١٩٤٠ ، وقائمة « لطفى » سنة ١٩٤٨ ، وقائمة « عاقل » سنة ١٩٥٣ ، وقائمة « خاطر » سنة ١٩٥٨ ، وقائمة البهى التى ظهرت بالمغرب العربى سنة ١٩٦١ ، والكلمات الأساسية لابهى التى ظهرت بالمغرب العربى ١٩٦٢

وتصلح قوائم الكلمات الشائعة والأساسية لحساب النسبة المئوية للكلمات الصعبة فى أى مادة قرائية ، وذلك عن طريق عد الكلمات غير الشائعة ، أى غير الموجودة بالقائمة وقسمة الناتج على المجموع الكلى لكلمات القطعة ثم ضرب الناتج فى ١٠٠ وبذلك نحدد مستوى سهولة أو صعوبة أى مادة قرائية أى أن .

$$\text{النسبة المئوية للكلمات الصعبة} = \frac{\text{الكلمات غير الشائعة}}{\text{مجموع الكلمات}} \times ١٠٠$$

ونستطيع ترتيب كلمات المواد القرائية بالنسبة لسهولتها أو صعوبتها بحيث يساير هذا الترتيب المستويات القرائية .

وهكذا تحدد الكلمات الشائعة السهولة ، وتحدد الكلمات غير الشائعة الصعوبة وتحدد النسبة القائمة بين الكلمات الشائعة وغير الشائعة المستويات المتدرجة للسهولة والصعوبة

٢ — الكلمات القصيرة أسهل من الكلمات الطويلة : تدل أغلب الأبحاث العلمية على أن صعوبة الكلمة تزداد تبعا لزيادة عدد حروفها وبذلك تصبح الكلمة القصيرة أسهل من الكلمة الطويلة . ويمكن أن نستنتج من ذلك أن كلمة دار أسهل من كلمة منزل لأن الكلمة الأولى مكونة من ثلاثة حروف . والكلمة الثانية من أربعة حروف .

هذا ويزداد شيوع الكلمة تبعا لنقصان حروفها لأن الكلمة الطويلة ثقيلة فى النطق والهجاء والاستعمال . ولذا شاعت الكلمات القصيرة وازدادت سهولتها تبعا لزيادة شيوعها . وكثيرا ما تعتمد اللهجة الدارجة على

هذه القاعدة فى ألفاظها . وهى غالبا ماتنقص حروف الكلمات العربية الطويلة لتنطقها قصيرة فى أسلوبها الدارج العامى . ويلجأ الطفل أيضا إلى هذه الوسيلة فى بدء تعلمه اللغوى . فيعبر عن الجملة بكلمة . ويعبر عن الكلمة ببعض حروفها .

٣ ـــ نوع الكلمة يحدد مستوى سهولتها : أكثر الكلمات تكرارا هى الأسماء تليها الأفعال كما تدل على ذلك قوائم الكلمات الشائعة والأساسية . والأسماء أقرب إلى الواقع من الأفعال لأنها تدل على وجود ذاتى أو معنوى . والأفعال أحداث فى زمن ، والزمن أكثر تجريداً من معنوية الأسماء .

٤ ـــ الضمائر الشخصية تحدد مستوى سهولة الكلمة : الحديث عن النفس حديث ممتع جذاب ولذا تؤثر الضمائر الشخصية فى مدى قابلية الكلمة للقراءة والفهم المباشر . وعندما تحدث إنسانا عن نفسه فأنه يهتم بحديثك أكثر من اهتمامه بحديثك عن شخص آخر أو موضوع غير شخصى . ولذا تكثر الضمائر الشخصية فى حوار الناس مثل أنت وأنا وغير ذلك مما يشير مباشرة إلى الفرد . ومن الظواهر العلمية المعروفة كثرة تكرار كلمة أنا فى أحاديث الأطفال وخاصة فى بدء تعليمهم اللغوى .

ولعل هذا هو أحد الأسباب التى تجعل الناس يميلون إلى قراءة القصص والروايات لأنها تعبر بطريق مباشر أو غير مباشر عن شخصياتهم وعواطفهم وآمالهم وآلامهم . والقصة الناجحة هى التى تمس أعماق النفس فتثير الانفعال والإعجاب .

٥ ـــ الكلمات الغريبة فى رسمها أو معناها : يتأثر مستوى سهولة المواد القرائية بنسبة الكلمات الشاذة الغريبة التى تحتوى عليها تلك المواد : وذلك لأن هذه الكلمات تعوق الفهم وتحول بين الفرد وبين التعرف الصحيح على الكلمة لغرابة رسمها أو لغموض معناها أو لهما معا .

ولذا يجب تجنب استخدام الأوزان غير الشائعة لبعض الأفعال مثل يئس وبطن . وتجنب الألفاظ النابية مثل استوثق واستنهل . والمصطلحات الدقيقة مثل المصادق . والكلمات التى يحتمل تأويلها بأكثر من معنى مثل عين بمعنى جهاز الإبصار أو بئر الماء أو بمعنى جاسوس . والكلمات التى يحتمل نطقها فى أكثر من صورة مثل حسب بمعنى عد وحسب بمعنى ظن . ويجب أيضا تجنب استخدام الأسماء المقصورة مثل صرعى لاختلاف نطقها عن رسمها .

٦ ـــ معنى الكلمة يحدد مستوى سهولتها : أسماء الذات أسهل من أسماء المعنى فمثلا كلمة قلم أسهل فى إدراكها من كلمة فكر . وهكذا يحدد مفهوم الكلمة مدى شيوعها ومستوى سهولتها .

٧ ـــ عدد الكلمات المختلفة ومستوى القراءة : يعتمد الفرد إلى حد كبير على محصوله اللفظى فى قراءته وفهمه . ولذا يجب

أن تبدأ المستويات الأولى للقراءة الميسرة بعدد محدود من الكلمات المختلفة مثل ٢٠٠ كلمة مختلفة فى المستوى الأول لتلك القراءة، ثم يتطور هذا العدد إلى ٣٠٠ كلمة مختلفة فى المستوى الثانى وإلى ٤٠٠ كلمة مختلفة فى المستوى الثالث وهكذا يتطور العدد تبعا لتطور المستوى :

وهكذا يساير عدد الكلمات المختلفة نمو المحصول اللفظى للقارىء ويناسب مستوياته القرائية المتدرجة .

٨ ــ مدى تكرار الكلمة يؤثر على مستوى تعلمها : عدد الكلمات المختلفة التى يعلمها الفرد تكون فى جوهرها محصوله اللفظى كما سبق أن بينا ذلك . ولذا يجب على الكاتب أن ينمى هذا المحصول بأن يضيف اليه كلمات أخرى جديدة تبعا لزيادة مستوى القارىء . وتعتمد هذه العملية على إعادة كتابة الكلمات الجديدة عددا من المرات حتى تثبت فى ذهن القارىء . وتدل الأبحاث العلمية على أن أقل عدد مناسب لهذا التكرار هو خمس مرات .

هذا ويجب أن تتقارب مرات ظهور الكلمات الجديدة فى أول كتابتها ثم تتباعد مرات تكرارها بعد ذلك . وذلك لأن النسيان يكون كثيرا فى أوائل عملية التعلم ثم تخف حدته ويضعف أثره بعد ذلك . لذا كان علينا أن نقارب بين عدد مرات ظهور الكلمة الجديدة فى أوائل كتابتها حتى نتغلب على أثر هذا النسيان .

## ثانيا ــ الجمل

الجمل المناسبة تؤثر على بساطة الأسلوب وسرعة فهم الفكرة . ولذا يجب أن تخضع الجملة فى فكرتها وصورتها وبنائها إلى قواعد الكتابة الواضحة حتى تؤدى هدفها فى تيسير القراءة وسلاسة التعبير . وتقاس سهولة الجملة بموازين مختلفة نلخصها فيما يلى :

١ ــ البساطة الفكرية للجملة : الجملة الكاملة تؤدى معنى . ويختلف مستوى صعوبة الجملة أو سهولتها تبعا لعدد الأفكار التى تشتمل عليها . ولذا يجب أن تحتوى الجملة على جزء محدود من الفكرة التى تقوم عليها الفقرة . فعلاقة الفقرة بالجملة هى علاقة الفكرة بأجزائها . ولذا يجب ألا تختلط هذه الأجزاء بل تتابع فى انتظام ونسق واضح بحيث تؤدى فكرة أية جملة إلى فكرة الجملة التى تليها .

وهكذا تتحقق البساطة الفكرية للجملة . وتصبح قراءتها سهلة ويصبح فهمها ميسورا .

٢ ــ طول الجملة يؤثر فى سهولتها : الجملة القصيرة جدا تؤدى إلى الإيجاز ، والإيجاز يعوق فهم المعنى . والجملة الطويلة جدا تؤدى إلى الأطناب ، والأطناب الكثير يؤدى إلى الكلل وتشتت الانتباه نتيجة للاستهتار بالمادة المقروءة . وقد يؤدى أحيانا إلى اختلاط الجملة بالفقرة . ولذا يجب أن يكون طول الجملة مناسبا لمستوى القارىء .

والتحديد المقترح لطول الجملة هو ألا يقل عدد كلماتها عن ٥ ولا يزيد على ١٥ وذلك نتيجة لتحليل الموضوعات القرائية .

هذا ويجب أن يخضع هذا التحديد بعد ذلك للتجربة للكشف عن طول الجملة المناسب لكل مستوى من المستويات التصاعدية للقراءة.

٣ — نوع الجملة يؤثر فى سهولتها : إذا جاز لنا أن نفترض أن الجمل الاسمية أبسط وأسهل من الجمل الفعلية لأنها تبدأ بالاسم الذى هو فى الأغلب والأعم أسهل من الفعل . لذا يجب أن نعتمد على الجمل الإسمية فى إنتاج مواد القراءة السهلة الميسورة . هذا ويمكن أن يخضع هذا الفرض للتجربة للتحقق من صلاحيته وللكشف عن العلاقة القائمة بين نسب الجمل الاسمية والفعلية والمستوى القرائى .

٤ — التقديم والتأخير يزيد فى صعوبة الجملة : يتقدم المبتدأ على الخبر فى الصورة الأصلية للجملة الإسمية . وعندما يتقدم الخبر على المبتدأ كما فى حالة الجار والمجرور مثل : « فى البيت رجل » يزداد تعقيد الجملة لأنها تخرج بذلك عن الصورة المألوفة لها . لذا يجب أن نراعى الصورة المألوفة للجملة الاسمية وخاصة بالنسبة للمستويات الأولى القرائية .

٥ — تباعد مكونات الجملة يزيد فى صعوبتها : يجب أن نتجنب التباعد الكبير بين الفعل والفاعل . أو بين المبتدأ والخبر . أو بين إسم إن وخبرها ، أو إسم كان وخبرها. أو بين الشرط وجوابه حتى لا يتعقد المعنى . فالجملة السهلة تستقيم مكوناتها فى وضوح وتقارب . وهذا التقارب القائم شرط أساسى لتيسير القراءة .

وبالمثل فإن إبعاد الضمير عن الاسم الذى يعود اليه يعقد المعنى . وكثرة الجمل الاعتراضية تحول دون الفهم المباشر السريع للجمل المختلفة .

لذا يجب أن نقارب ما بين المكونات المختلفة للجملة حتى يستقيم التركيب اللغوى . وحتى تتيسر عملية القراءة السريعة .

٦ — حذف أحد مكونات الجملة يزيد فى صعوبتها : تحتوى الجملة فى صورتها الأصلية على مكوناتها دون حذف أو تقدير . وبذلك يظهر المبتدأ والخبر فى الجملة الاسمية ويظهر الفعل والفاعل فى الجملة الفعلية وعندما يختفى أحد هذه المكونات فان المعنى يصبح غامضا لأنه يحتاج إلى جهد عقلى معين لإدراكه .

لذا يجب علينا أن نتجنب الحذف والتقدير فى بنائنا اللغوى للجملة .

٧ — المبنى للمعلوم أسهل من المبنى للمجهول : بناء الجملة للمعلوم يوضح الفعل والفاعل . ولذا فهو أيسر فهما وأقرب منالا من البناء للمجهول الذى يغير صورة الفعل ويحذف الفاعل . وهكذا نرى ضرورة الاعتماد على المبنى للمعلوم فى التكوين اللغوى للجملة وخاصة فى عملية إنتاج المواد القرائية السهلة .

٨ ـ الانتقال السريع فى زمان الفعل يعقد المعنى : الانتقال السريع من الماضى إلى الحاضر أو من الماضى إلى المستقبل أو فى الزمن عامة مهما كانت صورته قد يكون جميلا فى البناء اللغوى الناضج لأنه يتطلب تركيز الانتباه ويضفى على الصورة اللغوية جمال الحركة والمرونة . لذا يجب أن نراعى الوحدة الزمنية للجملة فلا نضمنها أكثر من صورة زمنية واحدة للفعل ويجب أيضا أن نراعى ـ إلى حد ما ـ هذا التناسق الزمنى فى الجمل المتعاقبة حتى لا نفاجئ القارئ بالصورة الزمنية المختلفة : الماضية والحاضرة والمستقبلة بل نسير معه وفق سرعته الفعلية ومستواه القرائى .

## ثالثا ـ الفقرات

دلت نتائج تحليل المحتوى الذى أجراه البهى على موضوعات جريدة « منار المغرب» على أن الفقرة هى أهم المكونات تأثيرا فى البناء اللغوى والفكرى للموضوع . وذلك لأن الفقرة تصنف الموضوع إلى أقسامه وأجزائه الرئيسية . وتشتمل على الجملة والكلمة والفكرة . ولذا كان الاهتمام بالفقرات والضبط العلمى لها عملية رئيسية فى تيسير القراءة وتوضيح المعنى .

هذا وتقاس سهولة الفقرات بموازين مختلفة نلخصها فيما يلى :

١ ـ التكوين الفكرى للفقرة : التقسيم الفكرى للموضوع يقتضى بناء لغويا يوضحه ويؤكد أقسامه . فاذا انقسم الموضوع مثلا إلى خمس أفكار رئيسية فيجب أن ينقسم التنظيم اللغوى إلى خمس فقرات أيضا بحيث تعبر كل فقرة عن فكرة رئيسية واحدة . ولا تتعداها إلى غيرها .

ولذا يجب أن نراعى التطابق التام بين أفكار الموضوع وفقراته حتى نحقق الانتقال العقلى المناسب من فكرة إلى أخرى دون غموض أو إبهام. وبذلك يسهل على القارئ إدراك الأفكار الرئيسية للموضوع بسهولة وسرعة .

٢ ـ ترتيب فقرات الموضوع : عندما تطابق فقرات الموضوع أفكاره فان ترتيب الأفكار يتطلب خضوع الفقرات لنفس ذلك الترتيب . ولذا يجب أن تمهد الفقرة الأولى للموضوع وتشوق القارىء إلى قراءته وتبين بناءه العام . ثم تحلل الفقرات الوسطى عناصر الموضوع . وتلخص الفقرة الأخيرة جميع أفكاره وبذلك تسهل عملية القراءة على الفرد ويتضح معنى المادة المقروءة نتيجة لانتظام أفكارها وفقراتها .

٣ ـ ترتيب جمل الفقرة : يجب أن يخضع ترتيب جمل الفقرة لنفس التنظيم الذى خضع له ترتيب الفقرات . حتى يستقيم التنسيق الجزئى والكلى للموضوع . وبذلك تمهد الجملة الأولى للفكرة التى تعرضها تلك الفقرة، وتدل الجمل الوسطى على تحليل أجزاء الفكرة وتوضح الجملة الأخيرة ملخصها العام .

وهكذا يتضح التنسيق ويستقيم التنظيم وتسهل عملية القراءة .

## رابعا – الأفكار

يعتمد الجوهر الرئيسى للموضوع على أفكاره . ولذا يجب أن نراعى السهولة والدقة والتنظيم فى عرض أفكار الموضوع .

هذا وتقاس صلاحية الأفكار بموازين مختلفة نلخصها فيما يلى :

١ – بساطة الفكرة : الأفكار المعقدة لا تصلح للقراءة السهلة . ولذا يجب أن نراعى البساطة القصوى فى إنتاج المواد القرائية وخاصة فى مستوياتها الأولى . ويجب أيضا ألا تركز الفكرة فى عدد قليل من الكلمات وألا تختلط أجزاؤها وفروعها وأقسامها بحيث يصعب على الفرد معرفة معالمها الرئيسية .

وقد دلت نتائج الأبحاث على أنه كلما كثر عدد كلمات الفكرة وضح معناها . وتتلخص نتائج إحدى هذه التجارب فى التعبير عن بعض الأفكار بـ ٣٠٠ كلمة ثم زيادة عدد كلمات تلك الأفكار إلى ٦٠٠ كلمة ثم زيادتها بعد ذلك إلى ١٢٠٠ كلمة . وقد دلت النتائج على زيادة وضوح الأفكار ووصلت إلى نهايتها العظمى عندما زاد عدد الكلمات من ٣٠٠ إلى ٦٠٠ كلمة .

واستمرت زيادة الوضوح الفكرى من ٦٠٠ إلى ١٢٠٠ . لكن الفرق فى الوضوح الفكرى بين ٣٠٠ كلمة و ٦٠٠ كلمة كان أكثر من الفرق فى الوضوح الفكرى بين ٦٠٠ كلمة و ١٢٠٠ كلمة . وهكذا نستطيع أن نقرر هذه الحقائق التالية :

(أ) يزداد الوضوح تبعا لزيادة عدد الكلمات .

(ب) يتأثر عدد الكلمات اللازمة لتوضيح أفكار معينة بعدد الأفكار ونوعها . ولذا يجب أن تخضع هذه الظاهرة للتجربة للكشف عن العدد المناسب من الكلمات لكل نوع معين من الأفكار . وإلى أن تجرى مثل هذه التجارب يجب أن نتجنب تركيز الفكرة فى عدد قليل من الألفاظ .

(ج) ويمكن أن نقيس مدى التركيز اللفظى للفكرة وذلك بأن نسجل عدد الكلمات التى تدل على عدد معين من الأفكار ؛ ثم نقسم عدد الكلمات على عدد الأفكار لنستنتج من ذلك عدد كلمات كل فكرة . ولنعلم من ذلك الحمل اللفظى للفكرة . وبذلك نستطيع أن نتدرج بالقارئ من البساطة إلى التركيز تبعا لتدرج مستوياته القرائية .

وهكذا يصل بنا التحليل إلى ضرورة ملاحظة عدد كلمات كل فكرة نكتبها . وأن نراعى البساطة الفكرية فيما نكتب . وألا نبخل على القارئ بالكلمات الكثيرة التى تزيد فى وضوح الفكرة وسهولة القراءة .

٢ ــ صحة الأفكار ودقة المعلومات : عندما يشك القارئ فى صحة الأفكار أو دقة المعلومات التى يقرأها فانه ينفر من القراءة لاستهانته بما يقرأ . ولذا يجب علينا أن نتأكد من صحة الأفكار ودقة المعلومات .

والطريقة العلمية المتبعة فى جمع الأفكار والمعلومات هى الرجوع بها إلى مصادرها الرئيسية . ولذا فمن الأفضل أن نرجع إلى الطبيب فى كتابتنا عن الأمراض : وهكذا بالنسبة للموضوعات الأخرى . ويجب أن تكون الأفكار والمعلومات التى تتضمنها كتابتنا ذات قيمة مباشرة للقارئ لندفعه إلى قراءتها .

٣ ــ ملخص الأفكار : عندما ينتهى الفرد من الموضوع الذى يقرأه فانه يحتاج إلى تلخيص واضح لتلك الأفكار حتى يدرك تماما الحصيلة الفكرية التى استفادها وانتهى اليها من قراءته .

## خامسا ــ الأسلوب

يتأثر مستوى الفهم تأثرا كبيرا بأسلوب الكاتب . فقد يعالج كاتب ما فكرة معينة بأسلوب شيق سهل . فيفهمه القارئ . وقد يعالج كاتب آخر نفس الفكرة بأسلوب ممل معقد فلايفهمه القارئ العادى . ولذا كان للأسلوب أهميته القصوى فى تحديد المستوى القرائى المناسب .

هذا وتقاس صلاحية الأسلوب بموازين مختلفة نلخص أهمها فيما يلى :

١ ــ بساطة الأسلوب : عندما يعالج الأسلوب الكتابى الأشياء المألوفة فى حياة الناس فانه يصبح شيقا ممتعا لأنه عندئذ يستعين بالمعلوم ليوضح المجهول :

ويمكن تحقيق هذه الفكرة بالاكثار من التشبيهات والأمثلة الواقعية والاستعانة بالأسماء المعروفة للأمكنة والأفراد والحيوانات .

٢ ــ أسلوب الخطاب : الأسلوب المباشر الايجابى هو الذى يخاطب القارئ نفسه ، ولا يخاطب العالم كله . وهو بذلك يقيم صلة وثيقة بين المؤلف والقارئ . لأن المؤلف يخاطبه ويناجيه ، ويحاوره فى صراحة وبساطة ووضوح :

وعندما يضع الكاتب نفسه فى مكان القارئ ويحاول أن يتخيل أثر كتابته على القارئ فانه يستطيع أن يعدل ويغير من أساوب خطابه حتى يتناسب مع مفاهيم القراء . وعندئذ يدرك تماما مدى نجاح أسلوبه فى عرض الفكرة القائمة عرضا شخصيا ايجابيا مباشرا :

٣ ــ نوع الأسلوب : يختلف نوع الأسلوب تبعا لاختلاف طبيعة المادة المكتوبة وتبعا لتباين مستوى القارئ . ويمكن أن نلخص الأنواع الرئيسية للأساليب الكتابية فى الحوار والقصص والوصف . والحوار أسهل هذه الأنواع وأقربها إلى لغة التخاطب والحديث والكلام العادى . والقصص مزيج من الحوار غير المباشر والترتيب الزمنى

للأحداث مع وصف الأمكنة والأشخاص والحالات الاجتماعية والطبيعية التى تمسر بشخصيات القصة . والوصف الصريح يتجرد إلى حد كبير من النواحى الشخصية وهو لذلك أكثر الأساليب بعدا عن المستويات الأولى للسهولة :

لذا ، فمن الأفضل أن نعتمد على حد كبير على أسلوب الحوار والأسلوب القصصى فى انتاج المواد القرائية السهلة . وأن نتخفف إلى حد كبير من استعمال الأساليب الوصفى وخاصة فى المستويات الأولى لهذه القراءة .

## سادسا — الموضوع

يجب أن يخضع اختيار الموضوع الصالح للتجربة التى تحدد نوعه ومحتوياته وطوله وتوقيته . ويقاس نجاح هذا الاختيار بمدى اقبال الناس على قراءة الموضوع أو بمدى عزوفهم عنه ورفضهم اياه :

هذا وتقاس صلاحية الموضوع بموازين مختلفة نلخص أهمها فيما يلى :

١ — اختيار الموضوع : تعتمد عملية اختيار الموضوعات على استفتاء القراء أنفسهم فيما يصلح وما لا يصلح من الموضوعات .

وهكذا نرى أن عملية اختيار الموضوع بهذه الطريقة تشبع لدى القارئ ميوله ، وتساير اتجاهاته ، وتشوقه للقراءة ، وأن هذا الاختيار يخضع للتجريب خضوعا علميا يحقق هدفه ويسير به إلى غايته :

وأيا كان الرأى فى المفاضله بين الموضوعات المختلفة فهناك أمور يجب أن يراعيها الكاتب بادئ ذى بدء حتى يصبح موضوعه صالحا ومناسبا للقراءة السهلة .

ومن أهم هذه النواحى ضرورة مراعاة ميل القارئ . وفى وسع الكاتب أن يختار الموضوعات التى يراها شيقة ممتعة بالنسبة للقراء مثل الفكاهة والقصة ، والموضوعات المهنية التى من شأنها أن تزيد من الدخل المالى للقارئ . أو الهوايات التى يمارسها الأفراد ويودون أن يعلموا أشياء أخرى عنها مثل وسائلها الحديثة ، وتاريخها ومميزاتها وكل ما يتصل بها .

هذا ويستطيع الكاتب أن يحكم — إلى حدما — على صلاحية الموضوع بالمعايير التالية :

(أ) هل هذا هو الموضوع الذى يريد الناس معرفته ؟

(ب) هل يصلح هذا الموضوع لكل الأفراد أم لطائفة معينة من الأفراد؟

(ج) وإذا كان الموضوع يصلح لطائفة معينة ، فهل هو يابى حاجات تلك الطائفة ؟

(د) ما هو أثر هذا الموضوع على تغيير اتجاهات وأفكار وسلوك الناس ؟

(هـ) ما هو مدى معرفة الناس لهذا الموضوع قبل قراءته ؟

(و) ما هو أكثر العناوين تشويقا لهذا الموضوع ؟

وهكذا تقرر مثل هذه الأسس الصلاحية الأولية التمهيدية للموضوع وتساعد الكاتب على اختيار الموضوع ريثما تقرر نتائج التجارب مدى دقة هذا الاختيار .

٢ ــ محتويات الموضوع : يجب أن تكون محتويات الموضوع قريبة الصلة بحياة الناس ومشكلاتهم اليومية حتى يجد فيها القارئ صدى لآماله ورغباته وأفكاره . ؛ وكلما اقتربت هذه المحتويات من الوان الحياة الشعبية فى مظهرها البدوى والحضرى زاد تبعا لذلك ميل الناس لها .

٣ ــ حيوية الموضوع : الموضوعات الحيوية هى التى تمتلىء بالحركة والحوادث والمفاجأة ، لأنها بهذا الوضع تثير انتباه الناس ، وتحفز نشاطهم العقلى لمتابعة عملية القراءة . أما الموضوعات الهادئة البطيئة فهى مملة لاتساعد على عملية الاستمرار فى القراءة . وقديما قال العرب الحركة ولود والسكون عاقر .

ولذا يجب أن نوفر للقارئ هذا الجو الممتع لندفعه إلى القراءة .

٤ ــ طول الموضوع : يتأثر مستوى الفهم بطول الموضوع . فالموضوعات الواضحة القصيرة ذات الأفكار القليلة المحدودة تساعد على تركيز الانتباه وتساير المستويات الأولى للقراءة . وكلما زاد المستوى القرائى للفرد زاد تبعا لذلك المدى القرائى الذى يمكن أن يستوعبه دون مشقة أو تعب .

ولذا يجب أن تكون موضوعات المستويات القرائية الأولى قصيرة قليلة فى أفكارها . ثم يزاد طولها وتزداد أفكارها تبعا لزيادة المستوى القرائى .

٥ ــ التوقيت : الموضوعات الحيوية هى التى يطالعها الناس فى أبانها وحينها أى هى التى تساير تطور الأحداث الجارية .

وتعتمد عملية اختيار الموضوعات المناسبة على معرفة تامة بميول القراء واتجاهاتهم القرائية . وعلى معرفة أصيلة بأهم الأحداث العالمية والقومية .

ولذا يجب أن نراعى التوقيت الصحيح فى كل ما نخرج من مواد قرائية حتى تجد هذه المطبوعات الاستجابة الصحيحة الضرورية لها .

## سابعا ــ الصور والرسوم التوضيحية

تعتمد الكتب السهلة اعتمادا كبيرا على الرسوم التوضيحية لتقرب المعنى للأذهان ، ولتشوق الفرد إلى عملية القراءة ولتثير انتباهه ولتحفز ميله ، ولتدفعه إلى ممارسة مهارة القراءة وارتياد الآفاق المجهولة التى تغريه على الاطلاع المتصل المستمر .

هذا وتقاس صلاحية الصور والرسوم التوضيحية بمقاييس مختلفة نلخص أهمها فيما يلى :

١ ــ المساحة النسبية للصور : تختلف المساحة تبعا لاختلاف مستوى القراءة ونوع

الموضوع . فالمستويات الأولى تحتاج إلى مشوقات كثيرة لمتابعة عملية القراءة — كما تحتاج أيضا إلى توضيح كبير لتيسير الفهم وتبسيط المادة المقروءة .

هذا ويمكن اخضاع المساحة النسبية للصور للتجربة والكشف عن العدد المناسب من الصور لكل كتاب وفى كل مستوى . وبما أن التحقيق التجريبى لهذه الفكرة يحتاج إلى جهد ومال ووقت طويل . إذن نستطيع أن نكتفى مبدئيا بالاكثار من الصور فى المستويات الأولى للقراءة . وأن يقل عدد ومساحة هذه الصور كلما زاد المستوى . فاذا اصطلحنا مثلا على أن يكون عدد صفحات أى كتاب من الكتب المبسطة ١٦ صفحة فنستطيع أن نحدد ٨ صفحات للصور فى المستوى الأول و ٤ صفحات للصور فى المستوى الثانى و ٢ فى المستوى الثالث . وبذلك تتطور نسبة وجود الصور فى المستويات المتتالية . ويمكن أن نعدل هذه النسبة بعد ذلك فى اطار الملاحظات العلمية والتجربة المضبوطة التى تهدف إلى قياس العلاقة القائمة بين نسبة الصور ونسبة الوضوح .

٢ — بساطة الصور ووضوحها : الصور البسيطة الواضحة أقرب إلى مستوى القارئ العادى من الصور المعقدة الغامضة . وتتطلب هذه البساطة تأكيد المظاهر الرئيسية للصورة وتجنب التفصيلات الكثيرة الدقيقة التى تشتت انتباه القارئ وتحول بينه وبين الادراك الواضح لفكرة الصورة .

ولذا يجب أن تخضع الصور والرسوم التوضيحية للتجربة كلما أمكن، وذلك بأن نعرض على الفرد مجموعة من الصور التى تمثل فكرة ما ليختار منها أوضحها تعبيرا عن تلك الفكرة .

هذا ويمكن أن نبدأ عملية التوضيح باختيار الصور البسيطة القوية الواضحة ثم نخضعها بعد ذلك للتجريب كلما أمكن ذلك .

٣ — الألوان : الألوان من أهم عناصر التشويق للصور والترغيب فيها . وهى تساعد على امعان النظر فى المرئيات والاستمتاع الفنى بها . والألوان المتباينة الصارخة تفاجئ الانسان وتجذب انتباهه ولذا فهى قد تصلح للمستويات القرائية الأولى . والألوان المتناسقة الهادئة تريح النفس وتشيع فى الفرد المتعة الفنية العميقة .

لذا يجب أن ندرس الذوق الفنى الخاص بالألوان وتوزيعها وعددها ومساحتها وتباينها وتناسقها عند القراء حتى تخضع عملية انتاج المواد المبسطة فى صورها ورسومها التوضيحية لخواص ومميزات الذوق الفنى .

هذا وكثرة الألوان المتباينة تبهر عين القارئ . لكن هذه الكثرة تتطلب نفقات كثيرة فى الطباعة ولذا فمن الأفضل دراسة الامكانيات المالية للطباعة فى اطار الحاجيات القرائية للفرد .

ويستحسن أن تحتوى كتب المستوى الأول للقراءة المبسطة على ثلاثة الوان وأن تحتوى كتب المرحلة الثانية على لونين ، وكتب المرحلة الثالثة على لون واحد .

ومن الأفضل أيضا أن يكون الغلاف دائما غنيا بالوانه وصوره بحيث يغرى الفرد على تناول الكتاب وقراءته .

## ثامنا — العوامل الطباعية

للعوامل الطباعية الخاصة بالحروف والأسطر والصفحات والورق والحبر علاقة كبيرة بالعادات والمستويات القرائية ، وبتحديد تكلفة الكتب المبسطة . ولهذه النواحى كلها أهميتها القصوى فى تيسير عملية القراءة لأنها تساير نمو القارئ فى تطوره نحو المستويات الصحيحة للقراءة .

هذا وتقاس صلاحية العوامل الطباعية بمقاييس مختلفة نلخص أهمها فيما يلى :

١ — العادات القرائية وحجم الحروف : تتحرك العين من اليمين إلى اليسار أثناء قراءة اللغة العربية وعندما ينتهى السطر تنتقل العين فى حركتها من اليسار إلى اليمين لتبدأ حركتها فى قراءة السطر التالى وتدل نتائج الأبحاث العلمية فى القراءة على أن العين تتحرك فى قفزات . فهى تنظر إلى الجزء الأول من السطر لتقرأ فى هذه الوقفة من الكلمات عددا قد يبلغ كلمتين أو ثلاث أو أربع حسب مستوى اجادة مهارة القراءة وحسب حجم الحروف المكتوبة ومدى تقاربها أو بعدها والمساحات البيضاء المحيطة بها . ثم تتحرك العين فى قفزة أخرى لتقرأ عددا آخر من الكلمات وهكذا تستمر عملية القراءة فى قفزات متصلة وانتقال فى حركة العين من أقصى اليسار إلى أول اليمين لكل سطر يقرأ ؟

هذه العادة تنمو مع نمو المستوى القرائى للفرد . ويزداد عدد كلمات الوقفة البصرية الواحدة تبعا لزيادة ذلك المستوى . ولذا فعندما يصبح حجم الكلمات صغيرا فان الفرد يقرأ فى الوقفة البصرية الواحدة عددا كبيرا من الكلمات . وعندما يصبح حجم الحروف كبيرا فان الفرد يقرأ فى الوقفة البصرية الواحدة عددا قليلا من الكلمات .

ولذا يجب أن يساير حجم الحروف الطباعية مستويات القراءة . ويستحسن أن يكون حجم حروف المستوى الأول ٤٨ وأن يكون حجم حروف المستوى الثانى ٣٦ ، ٣٤ ، وأن يكون حجم حروف المستوى الثالث ٢٤ ، ١٨

ويجب أيضا أن نخضع هذه العملية للتجربة كلما أتيحت الفرصة لنحدد تماما تلك الأحجام .

٢ — الأسطر : بما أن عدد الأسطر فى الصفحة المكتوبة يتأثر بحجم الحروف ، وبما أن حجم الحروف يساير مستوى القراءة ، إذن فعدد أسطر الصفحة فى المستويات القرائية الأولى يجب أن يصبح قليلا نسبيا لأن حجم

حروف هذا المستوى يصبح كبيراً . ثم يقل بعد ذلك حجم الحروف ويزداد تبعا لذلك عدد السطور .

ولذا يجب أن نتدرج بعدد سطور كل صفحة من القلة إلى أن نساير بذلك خصائص المستويات القرائية التصاعدية .

هذا وعندما يتحدد حجم الحروف ، وعدد السطور ، تتحدد أيضا المساحات السوداء والبيضاء فى كل صفحة ، ولكل مستوى من مستويات القراءة .

٣ ــ الصفحات : تتأثر العادات القرائية ــ وخاصة فى المستويات الأولى بعدد صفحات المواد القرائية وبمساحة كل منها . فالمجلدات الضخمة توحى إلى الفرد بالصعوبة وتجعل القارئ الجديد يخشى الاقتراب منها . والصفحات القليلة توحى إليه بسهولة المادة المقروءة . ولذا يجب أن يكون عدد صفحات الكتب المبسطة مناسبا لمستوى القراء . ومن الأفضل أن تبدأ هذه الكتب بعدد من الصفحات يساوى ١٦ صفحة لأن هذا العدد يمثل الوحدات الأولى التى يتألف منها الكتاب الكبير ومن الأفضل أيضا أن يكون طول الصفحة ٢٤ سم وعرضها ١٧ سم لأن هذه المساحة من أكثر المساحات شيوعا فى الكتب العادية . وبذلك ندرب القارئ على وحدات الكتاب العادى ومساحته . ونساير بذلك تكوين العادات القرائية المناسبة لتلك الكتب .

٤ ــ الورق : الورق المصقول اللامع يعكس الضوء ويرهق العين أثناء القراءة ولذا فمن الأفضل أن يكون الورق من النوع الذى لايعكس الضوء أى غير تام الصقل .

٥ ــ الحبر : الحروف الغليظة السوداء تبدو قوية . ولذا فمن الأفضل أن يكون سواد الحروف متباينا مع بياض الورقة حتى يجذب الانتباه ويلفت النظر بهذا التباين الشديد . ويمكن أن نستخدم الألوان المتباينة فى عملية الطباعة لنحقق ذلك الهدف وعلينا أن نتخفف بعد ذلك من هذه الطريقة فى المستويات النهائية لمهارة القراءة لنعد الفرد لمطالعة الكتب العادية .

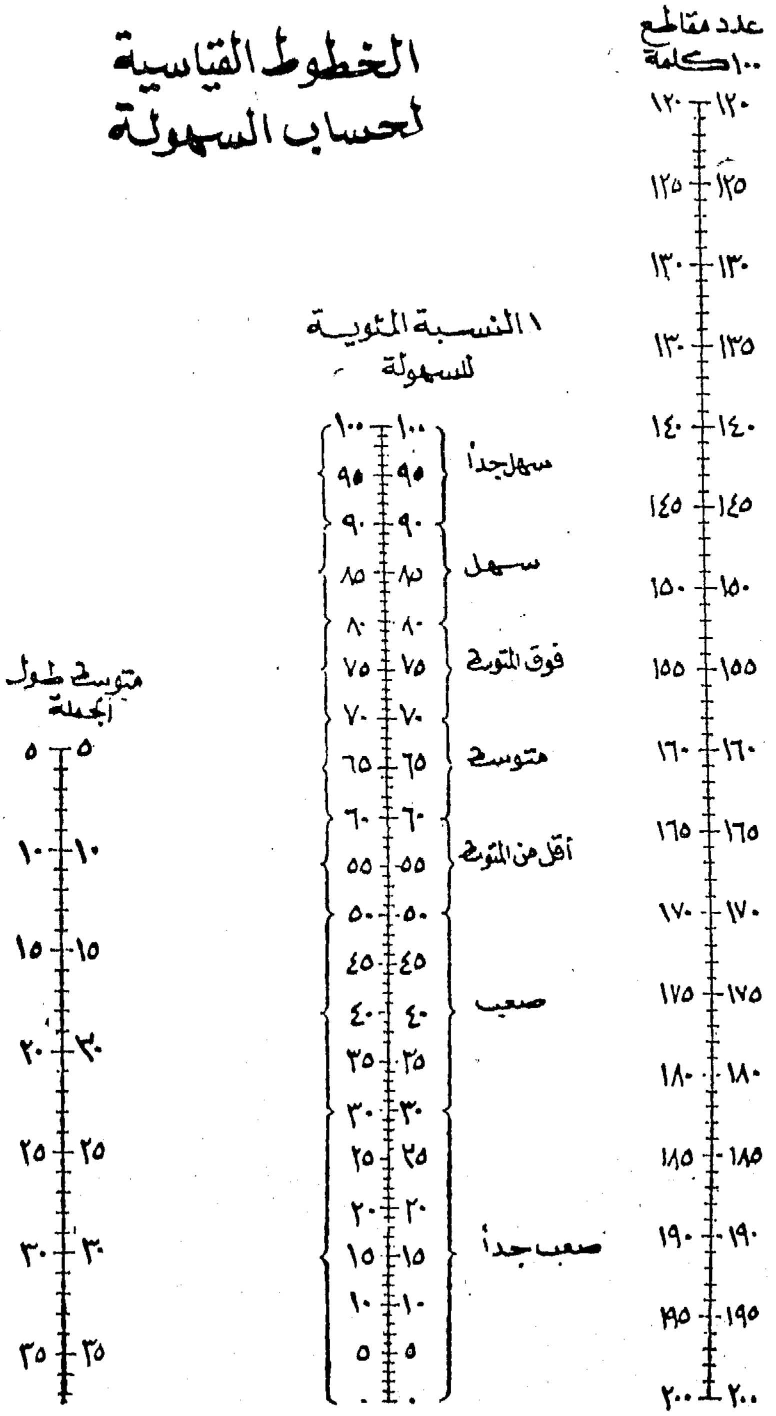
## تاسعا ــ الخطوط القياسية للسهولة

أمكن اخضاع بعض عوامل السهولة للتحليل الرياضى . وبذلك تحدد العلاقة بين النسبة المئوية للسهولة وبين عامليها الرئيسيين : عدد مقاطع الكلمة ومتوسط طول الجملة . وتحولت هذه العلاقة إلى خطوط قياسية شأنها فى ذلك شأن الخطوط التى نستخدمها فى المسطرة الحاسبة .

والشكل ( ١ ) يبين نتائج إحدى هذه المحاولات حيث يدل العمود الأيمن على الخط القياسى للمقاطع ، ويدل العمود الأيسر على الخط القياسى لطول الجملة ، ويدل العمود الأوسط على أثر العامل الأول والعامل الثانى على النسبة المئوية للسهولة .

فمثلا إذا تصورنا أننا حسبنا عدد مقاطع ١٠٠ كلمة فوجدناه مساويا لـ ١٥٠ كلمة وحسبنا متوسط طول الجملة ووجدناه ١٠

فان الخط المائل الذى يصل نقطة ١٥٠ فى عمود المقاطع بنقطة ١٠ فى عمود طول الجملة يقطع خط النسبة المئوية للسهولة عند ٧٠ وبذلك نستطيع أن نحكم على مستوى السهولة بأنه فى الحد الأعلى للمتوسط والحد الأدنى لفوق المتوسط .



## عاشرا — الخطوط القياسية للميل

أمكن أيضا اخضاع الميل القرائى للتحليل الرياضى ، وبذلك تحددت العلاقة بين عامليه الرئيسيين : الكلمات الشخصية ، والجمل الشخصية :

وتحولت هذه العلاقة إلى خطوط قياسية كما يبين ذلك شكل ( ٢ ) .

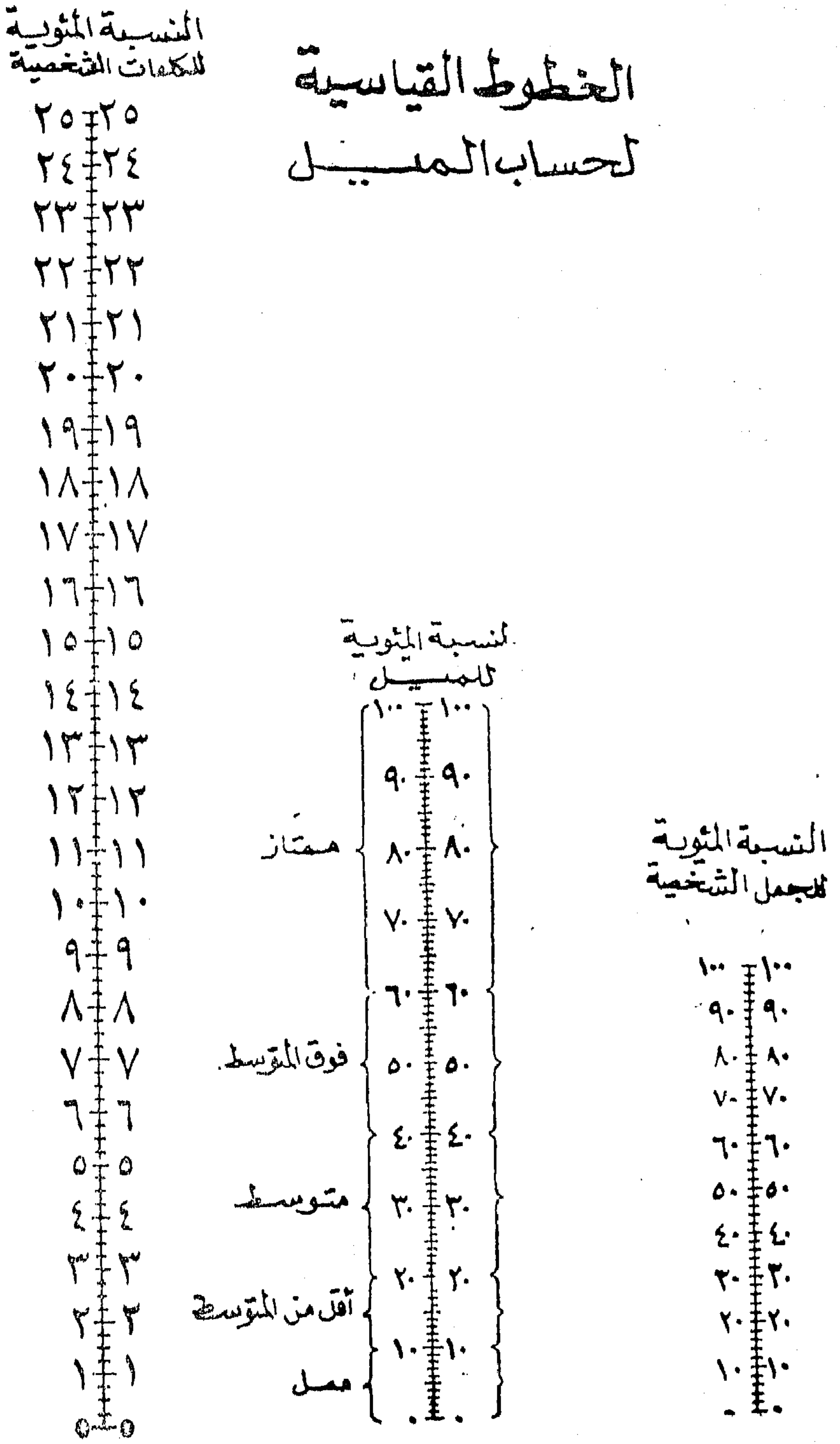
وتحسب النسبة المئوية للميل بنفس الطريقة التى حسبت بها النسبة المئوية للسهولة .

والقاعدة المتبعة فى عد الكلمات الشخصية هى عد أسماء الناس ، والضمائر ، والمهن والوظائف ، على أنها كلمات شخصية .

والقاعدة المتبعة فى عد الجمل الشخصية هى عد جمل الحوار ، والعبارات الموجهة للقارئ ، والأسئلة التى يطرحها الكاتب على القارىء، على أنها جمل شخصية :

**فؤاد البهى السيد**

# الخطوط القياسية لحساب الميل



# المـــراجع


١ ـ الدكتور محمود رشدى خاطر : قائمة المفردات الشائعة فى اللغة العربية سرس الليان ١٩٥٨

٢ ـ الدكتور فؤاد البهى السيد : القائمة المغربية للكلمات الشائعة المغرب العربى ١٩٦١

٣ ـ : الكلمات الأساسية المغرب العربى ١٩٦٢

٤ ـ : اللغة الأساسية مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٧١

٥ ـ : تحليل المحتوى ـ دراسة احصائية نفسية للصحافة العربية المتخصصة ـ القاهرة ١٩٦٥

٦ ـ : استفتاء الميول القرائية الصحية ـ المغرب العربى ١٩٦١

٧ ـ : استفتاء الميول القرائية الفلاحية المغرب العربى ١٩٦١

8—Flesch, R. The Art of Plain Talk : Harber and Brothers, 1946

9—Flesch, R., and Lass, A.H. The Way to Write ; New york : Harper and Brothers, 1947

10—Flesch, R. The art of Readable Writing. New York : Harper and Brothers, 1949.

11—Gray, W.S., and Leary, B.E. What Makes a book Readable. Chicago : University of Chicago Press, 1935.

12—Large, I. "Predicting Readability." Teachers College Record, 1944, V. 45, PP. 404-419.

# نقد النقد

للأستاذ محمود غنيم

إذا كان الشعر ليس خالصا كله ، بل فيه كثير من الزائف الذى يحتاج إلى نقد وتمحيص فإن النقد كذلك ليس خالصا كله ، بل فيه كثير يحتاج إلى نقد وتمحيص. ولعل مانحتاج إليه من نقد النقد أكثر مما تحتاج إليه من نقد الشعر. ذلك لأن كثيراً من النقادغُروا قديما وحديثا بتعقب الشعراء بحق أو بغير حق لأهواء فى صدورهم ، أو أوهام فى عقولهم ، وما أقل النقد الذى يسلم من هذين : الهوى والوهم . ولا يفوتنا أن النقد كان قديما وحديثاً مطية ذلولا لطلاب المجد ، ولا سيما إذا كان المنقود من ذوى نباهة الشأن ، الذين يشارإليهم بالبنان ، وأذكر أننى سمعت أول ماسمعت باسمى المازنى والعقاد عندما عرضا لشوقى بالانتقاد .

ولقد عرضت فى مقال سابق ، نشر بمجلة المجمع لبعض أهواء النقاد وأوهامهم ، غير أن هذا المقال لم يتناول إلا قضايا عامة تدور فى هذا الفلك ، وأريد الآن أن أضع بعض النقاط على الحروف بذكر أمثلة تلقى أضواء كاشفة على ما أشرت إليه ، ومَعاذ الله قبل البدء بإيراد هذه الأمثلة أن أزعم أن النقد كله غير سليم من دواعى الصدور ، أو خطأ القرائح ؛ فثمة — ولاشك — ماينفذ منه إلى الصميم ، فيكون جديراً بتقدير المنقودين أنفسهم ، بلْه عامةَ الأدباء والمتأدبين ، كما أن هناك ما سببه اختلاف زوايا وجهات النظر بين النقاد والشعراء . ولعل ما أعرضه فى هذا المقال كلّه أو جله من هذا الطراز الذى لم تتحقق له سلامة الأهداف ، ولم يهجنه الهوى والانحراف.

(١) بين الشاعرين الكبيرين على الجندى وحافظ إبراهيم :

لانظن أن المرحوم حافظ إبراهيم كان — لوكان حيا — يقف مكتوف اليدين مطبق الشفتين أمام تجريح شاعرنا الكبير على الجندى له فى كتاب « الشعراء وإنشاد الشعر » وخاصة ماورد فى هذا الكتاب من نقد لاذع لبيت حافظ

الذى تضمنته مرثيته للمرحوم سعد زغلول.

ونص البيت :

حملوه على المدافع لما
أعجز الهامَ حملُه والرقابا

قال سيادته صفحة ١٤ – من الكتاب مانصه بتصرف :

«بيت زائف» .

«وقد جاء فى هذه القصيدة بيت مُبك مضحك . . . والبيت هو : « حملوه على المدافع . . الخ » «وهذا البيت غاية فى الهجنة ، ونهاية فى السخف ، وهو ذَم صريح للزعيم المرثى ، فهو » لا يصور أعمال « سعد » و مآثره ، ولا نواحيه الوطنية الخالدة ، ولا مواهبه المعنوية المرموقة وإنما يمثله جسدًا ضخما طُوالا هائلا كجسد « عُوج بن عُوق » كما تتحدث عنه الأساطير » .

وفى صفحة ١٧ من الكتاب يقول فى الموضوع نفسه مانصه :

«حافظ والعقاد وغنيم »

« ونعود إلى بيت حافظ المتقدم ، فنقول : نحسبه نظر فيه إلى قول القائل :

« وليس صرير النعش ما تسمعونه
ولكنه أعناق قوم تَقَصَّفُ »

«وليس فتيق المسك ما تجدونه
ولكنه ذاك الثناءُ المخلَّفُ »

ثم يوازن بين بيت حافظ وقول العقاد فى هذا المعنى فى رثاء سعد نفسه :

خرج المدفع يطوى مدفعا
الأساطيل اتَّقته والحصونْ

ساكنا بين يديهم بعدما
زلزل الشرق على المغتصبينْ

ثم يوازن أيضاً بين هذا البيت وقول محمود غنيم فى رثاء المرحوم محمد محمود :

سار بين الدموع والزفرات
خيرُ نعش يُقل خير رُفاتِ

مدفع خامد على مدفع سا
ر من الوجد وارىَ الجمراتِ

ويخرج من الموازنة بأن كلا الشاعرين العقاد وغنيم لم ينزلق إلى ما انزلق إليه حافظ ، ولايسعنا إلا شكر شاعرنا الكبير على حسن ظنه بنا ، ولكننا نقول له : إننا نحب الحق ، ونحب قيصر ، بيد أن الحق أحب إلينا من قيصر .

فهل كان حافظ حقًّا يعنى المعنى الذى ذهب إليه الناقد فى تخريجه ؟ إن صح هذا فليس حافظ جديراً بالنقد والتجريح فقط ، بل إن هذا البيت وحده كفيل بمحو اسمه من سجل عامة الشعراء ، بلْه كبارَهم المعدودين .

أترانا حين نقول لشاعرنا الكبير : «إنه كبير القلب ، أو واسع الصدر» نقصد كبر كتلة القلب ، وما يشغله من حيز ، ونقصد سعة الصدر المادية التى تشبر بالشبر ، وتذرع بالذراع ؟ الجواب : «كلا ثم كلا» وإنما نقصد بكبير القلب ما يفيض به من عواطف وأحاسيس نبيله ، وما ينطوى عليه من حسن النيات وكرم الصفات كما نقصد بسعة الصدر السعة المعنوية التى تندرج تحتها الأريحية ، والصبر عند البأساء ، والحلم على سفه السفهاء ، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق وإذا قال المتنبى فى رثاء محمد بن إسحاق التنوخى :

ماكنت آمل قبل نعشك أن أرى
رضوى على أيدى الجبال تسيرُ

فهل يقصد ضخامة الجثة التى يحتويها النعش ، وما تتمتع به من ثقل تنوءُ به أعناق الرجال ، فيشبه هذه وتلك بما يمتاز به الجبل من ضخامة وثقل ؟ الجواب : «كلا وألف كلا» وإنما قصد تشبيه المرثى بالجبل فى رزانته ووقاره ومناعته ، ثم جسّم هذه الصفات المعنوية تجسيما ماديا ، ومن هنا تسنى له أن يعجب من حمل نعش المرثى على أيدى الرجال ، .

ثم نعود إلى بيت حافظ ، فنقول : ليس من الإنصاف أن يقرأ هذا البيت منفصلا عما قبله ؛ فهو أتبع له من الظلال للأجرام ، والبيتان هما :

خرجت أُمة تشيع نعشا
قد حوى أُمة وبحراً عُبابا

حملوه على المدافع لما
أعجز الهام حمله والرقابا

فنحن نرى أن حافظا فى البيت الأول شبه المرثى بالأمة على حد قوله تعالى : «إن إبراهيم كان أُمة قانتا لله» وعلى حد قول أبى نواس :

قولا لهارون إمام الهدى
عند اجتماع المجلس الحاشد

أنت على مابك من قدرة
فلست مثل الفضل بالواجد

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

كما شبهه فى البيت نفسه بالبحر على حد قول الشاعر فى ابن الحسين :

عجبت لحراقة ابن الحسيـ
ن – لاغرقت – كيف لاتغرقُ ؟

وبحران من تحتها واحد
ومن فوقها واحد مطبقُ ؟

ومن البداهة بمكان أن كلا التشبيهين لايعنى وصف المشبه بالكثافة ، وغزارة الشحم واللحم ، وضخامة المفاصل والعظام ، وإنما يرمى إلى ما يتمتع به من عزائم ومكارم ومناقب ومواهب . ولم يكن عجيبا بعد ذلك أن تعجزا لرقاب والهام عن حمل نعش يُقلّ أمة وبحرا بالمعنى المتقدم ، فإنه لما كان الكلام جاريا مجرى الاستعـــارة التصريحية فى البيت الأول أتبعها بالترشيح فى البيت الثانى ونعنى به إعطاء المشبّه ماللمشبه به من صفات – وهو هنا الكثافة و لثقل – والترشيح من محسنات الاستعارة ، كما يعلم شاعرنا الكبير صاحب الكتاب القيم فى « التشبيه » – وما أكثر مؤلفاته القيمة – وليس الترشيح مقصورا على الليث ذى البلد الذى لم تقلم المفاره . على أن الجديد فى هذا المعنى هو مسألة الالتجاء إلى المدافع عند عجز الرجال عن حمل هذه الأثقال ، ويمكن أن يعد هذا من قبيل حسن التعليل ، أما وصف المرثى بالعظم والضخامة ، وإنزال صفاته المعنوية منازل المواد الحسية فقديم مألوف كما سبقت الإشارة إليه فى بيت المتنبى ، ويمكن أن يعد منه قول الشاعر فى رثاء معن :

فياقبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا؟

بلى قد وسعت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

كما يمكن أن يعد منه قول أبى الحَسن الأنبارى فى رثاء أبى طاهر بن بقية :

ولما ضاق بطن الأرض عن أن
يضم علاك من بعد الوفاة

أصاروا الجو قبرك واستعاضوا
عن الأكفان توب السافيات

فالمعالى صفات معنوية لا تشغل حيزا من الفراغ ، فضلا عن أن يضيق بها بطن الأرض ، ولكن لما جعلها من الوفرة والكثرة بحيث تشبه التلال أو الجبال ونحوهما خلع عليها صفات المشبه به ، فضاق بها بطن الغبراء ، ولم يتسع لها إلا فسيح الفضاء

٢ ـ بين الشاعرين الكبيرين : شوقى وعلى الجارم :

وكنا فى مجلس يضم نخبة من الأدباء على رأسه المرحوم الجارم بك ، وجعلنا نتنقل فى رياض الأدب من فنن إلى فنن ، حتى عرض بعضنا لمطلع قصيدة شوقى فى الأزهر :

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا

وحينئذ انبرى المرحوم الجارم بك قائلا : ألا تستقبحون هذه الصورة ؟ قلنا : أية صورة ؟ قال : صورة الدنيا فى شكل إنسان أو حيوان فاغر فاه ، وشوقى بين فكيها ، قدمه على الفك الأسفل ، ورأسه تحت أنياب الفك الأعلى ، وهو فى الوقت نفسه يصيح بتحية الأزهر الشريف . قلت له : كأنك تفترض أن شوقى يجرد من نفسه شخصا يخاطبه ، قال : ومن يخاطب إذن ؟ قلت : إن الشاعر حر فى اختيار من يفترض خطابه ، فهو تارة يخاطب ذاته ، كما فى قول الشاعر :

أتصحو أم فؤادك غير صاح
عشية هم صحبك بالرواح ؟

وتارة يخاطب اثنين ، كما فى قول الشاعر مثلا :

ألا لا تلومانى كفى اللومَ مابيا
فما لكما فى اللوم خير ولاليا

وتارة يخاطب امرأة ــ زوجة كانت أو غير زوجة ــ كما فى قول الشاعر .

ذرينى للغنى أسعى فإنى
وجدت الناس شرهم الفقيرُ

وتارة يخاطب نفسه ، كما فى قول الشاعر :

أقول لها وقد طارت شَعاعا
من الأبطال : ويحك لن تُراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذى لك لن تطاعى

وتارة يخاطب عينه ، كما فى قول الشاعر :

كفكفى الدمع عند هول المصابِ
أو ففيضى دما على الأحبابِ

أما شوقى فهو هنا لا يخاطب نفسه ، حتى تتمثل تلك الصورة المستهجنة ، وإنما يخاطب شعره طالبا إليه أن يخرج من فم الدنيا ، حتى يسمع أبناؤها جميعا تحيته للأزهر . وأشهد أن الجارم بك تلقى هذا التخريج بالقبول الحسن ، وكان رحمه الله ممن ينصاعون للحق إذا اتضحت معالمه .

٣ – بين الشاعرين الكبيرين عباس العقاد وعلى الجارم :

وكنا فى ندوة المرحوم العقاد ذات يوم ، وإذا بجرس المسرة يدق ، وكان المتكلم إحدى المغنيات تطلب إليه أن ينتقى لها من بعض دواوينه قطعة تلحنها وتؤديها ، وأشهد أنه جعل يتصفح ويقلب ، حتى تفصد جبينه عرقا ، ثم أرجأ البحث إلى وقت آخر ، فقلت له : أليس فى هذا المحصول الضخم من شعرك قصيدة تحاكى قصيدة الجارم :

مالى فتنت بلحظك الفتاك
وسلوت كل مليحة إلاك ؟

فقال ساخراً : وهل يعجبك هذا المطلع ؟ قلت : ولم لا ؟ قال : ماوجه التعجب هنا ؟ إن اللحظ إذا كان فتانا فقط لم يكن ثمة وجه للتعجب من الافتنان به ، فالشىء من معدنه لا يستغرب ، فما بالك إذا لم يكن هذا اللحظ فتانا فقط ، بل كان فتاكا ؟ إن الافتتان به حينئذ يكون أقرب ، وبالتالى يكون التعجب منه أوغل فى البعد . وكاد العقاد ببلاغته وتدفقه فى عرض قضاياه المنطقية يلبس بيت الجارم التهمة ، ولكننى بعد أن استعدت إدراكى مالبثت أن قلت له : إن للتعجب هنا وجها ، بل وجها ويدين ولسانا وشفتين ، قال : كيف ؟ قلت : مقتضى كون اللحظ فتاكا أن يبتعد الإنسان عنه خوفا على حياته ، لا أن يحوم حوله كما تحوم الفراشة على النيران ، فإذا افتتن الإنسان باللحظ الفتاك كان افتتانه مدعاة للعجب كل العجب ، أترى الإنسان يفتتن بناب الأفعى ، أو بمخالب السبع ، أو بجراثيم التيفوس والتيفود ؟

على أن المرحوم العقاد لم يكن ممن يسلمون بسهولة ، فظل يتكلم ، ويتكلم ، ولكن دفاعى عن بيت الجارم ظل قائما لم يجد ماينال منه !

٤ – بين الشاعرين الكبيرين شوقى والعقاد :

وأذكر أننا كنا أيضا فى ندوة المرحوم العقاد ، وكنت إذ ذاك طالبا ، وكان تمثال نهضة مصر فى ذلك الوقت حديث العامة والخاصة ، وطلعت علينا جريدة الأهرام بلامية شوقى فى ذلك التمثال ، تلك اللامية التى يقول فيها متحدثا عن المثال مختار :

تعالوا نرى كيف سوى الصفاةَ

فتاة تلملم أذيالَها

ثم يستطرد فى قصيدته إلى ذكر محمد على وكيفية استيلائه على مصر ، فيقول :

وليس اللآلئ ملكَ البحارِ

ولكنها مِلكُ من نالها

فلما بلغ العقاد ذلك البيت وجدته ينتفض كمن لدغته عقرب ، ويضرب كفا بكف ، وهو يصيح قائلا : لقد سجل شوقى بهذا البيت الاحتلال البريطانى على مصر .

والحق أن النقد فى الصميم ، فلم يسعنا إلا التسليم ، ولم ينبس أحدنا ببنت شفة .

٥ – بين العقاد وشاعر ناشىء :

وكان المرحوم العقاد دائم الزراية بما يطلق عليه أصحابه اسم «الشعر الحر» وأذكر أن أحد الدعاة لهذا النوع من الكلام – ولا أقول الشعر – تناول الأستاذ العقاد على صفحات الجرائد بأبيات هجاء ، ورد فيها هذا المصراع :

«تعيش فى عصرنا ضيفا ونشتمنا ؟ »

فلما قرأه المرحوم العقاد قال : أيّنا الضيف ، وأينا صاحب الدار ؟ إننى جئت إلى الدنيا قبله بعشرات السنين ، فمن منا الأصيل ، ومن الطارىء الدخيل ؟ وليس من شك فى أن هذه وجهة نظر لايسع المنصف إلا التسليم بها ، وإن كان صاحبنا ينظر من وجهة أخرى : إنه يعتبر أن المستقبل له ، وأن العقاد وأمثاله ممن بلغوا سن الهرم والشيخوخة هامة اليوم أو غد ؛ فهم أشبه بالضيوف الذين لايطول مكثهم ، بل هم على وشك الرحيل ، وإن كان فى هذا التخريج مافيه من إساءة أدب ، ويذكرنى هذا بقصة ذلك الشاب الغرير الذى رأى شيخا محنى القامة ، فقال له متندرا : بكم اشتريت هذه القوس ؟ ، فأجابه الشيخ : إن عشت يابنى أخذت مثلها بلاثمن .

٦ – بينى وبين عمدة أديب :

وعلى ذكر أستاذنا المرحوم العقاد أذكر أننى رثيته بقصيدة عينية نشرت بمجلة الرسالة ، وكان مطلعها :

جزع الشرق وأجرى أدمعَهْ

سائلوه أىُّ خطب روَّعهْ

لاتلوموه على فرط الأسى
فيلسوف الشرق خلّى موضعهْ
كفِّنوا العقاد فى أسفاره
وادفنوا المرقم والطرس معهْ

واسترسلت فى بناء القصيدة ، حتى وصلت إلى خصوم العقاد من الأقزام الذين كانوا ينالون منه ليرتقوا على حسابه ، فقلت :

نخلة دبّت عليها نحلةٌ
وخضَمٌّ فيه نقّت ضِفدعَةْ

فأرسل إلىّ عمدة أديب تعود أن يحاورنى فى مسائل الأدب وقضاياه قائلا : إن الضفادع لاتعيش ، ولاتنق فى الماء المالح . وهو اعتراض – كما ترى – له وجاهته ، جدير بالرد . والحق أنى لم أكن أعرف هذه الظاهرة . على أننى بعد التأمل وجدت هذا الاعتراض لاينال من بناء التشبيه ، ولا يغض من قيمة البيت ، وكان ردى عليه يتبلور فى نقطتين .

( أ ) النقطة الأولى أن المشبه به لا يشترط فيه أن يكون ممكن الحدوث ، فنحن نشبه بالغول وبالعنقاء ، والأول حيوان تخيلته العرب ، والثانى طائر لا وجود له أيضا . بل قد ينطوى التشبيه على مايستحيل تصوره ، كقول أبى الحسن التهامى :

ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نارْ

كذلك قد يكون المشبه به صورة لا وجود لها إلا فى الخيال كقول الشاعر :

وكان محمرّ الشقيـ
ـق إذا تصوّب أو تصعدْ
أعلام ياقوت نُشـر
ن على رماح من زبرجدْ

ولعل تصور الضفادع تنق على ساحل البحر المالح أقرب من تحقق صورة رماح زبرجدية ترف عليها أعلام ياقوتية .

(ب ) النقطة الثانية أن معاجم اللغة تفسر الخضم بالبحر الواسع ، وتفسر البحر بالماء الكثير ملحا كان أو عذبا ، ويبدو أن تخصيص البحر بالماء الملح ، وتخصيص النهر بالماء العذب اصطلاح جغرافى لا أكثر ، وما لنا نذهب بعيدا ، وقد ورد فى التنزيل الحكيم مانصه « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أُجاج » ؟ قد يقول قائل : إن البحرين هنا

من باب التغليب ، كما فى قولهم : العُمرَين لأبى بكر وعمر ، والمشرقين للمشرق والمغرب ، ولكن ما الداعى إلى هذا التخريج ما دامت اللغة لاتفرضه ، ولا تأبى المعنى الأصلى؟

(٧) بينى وبين أستاذ جامعى :

ونعنى به الدكتور أحمد كمال زكى الكاتب المعروف ، وهو مولع بنقد الشعر ، كثير التجنى على الشعراء ، وأكثرمظاهر هذا التجنى إنما ينجم عن تطبيق المقاييس العلمية على الصور الشعرية . وعلى سبيل المثال أذكر ملخص نقده للبيتين الآتيين من قصيدة لى فى جمال الربيع .

قالوا الربيع فقلت العدل شيمته
لا فى النهار ولا فى الليل طغيانُ
تعادل الليل فيه والنهار معا
كأنما هو للأيام ميـــــــزانُ

يقول سيادته : إن الفكرة فى البيتين غير صحيحة لسبب علمى هو أن الربيع لا يعتدل فيه الليل والنهار إلا فى أول يوم من أيامه ، وسبب ذلك ميل الأرض على مستوى فلكها بمقدار ٢٣٫٥ درجة تقريبا ، وهذا الميل يجعل أشعة الشمس عمودية على خط الاستواء . . إلى آخر ما ذكره مما هو إلى المحاضرات العلمية أقرب منه إلى نقد الأبيات الشعرية .

ولم يسعنى إلا التسليم بالحقيقة العلمية التى ذكرها ، ثم أردفت هذا التسليم بأننا حين نتكلم عن الربيع نعنى مقدمه ، فهو الذى يشيع البهجة ، ويهز المشاعر ، وفى مقدمة هذا الفصل يتعادل الليل والنهار ثم يكونان أقرب إلى التعادل ، وهذا يكفى لتحقيق سلامة البيتين من الوجهة الشعرية . وينبغى أن يدخل فى الحسبان أن نظرة الشاعر إلى الربيع غير نظرة العالم الفلكى إليه ، بل ينبغى أن يفرق الناقد بين نظرة العالم – بصفة عامة – إلى الشىء ونظرة الشاعر إليه ، فإذا شاء مزيدا من التفصيل فى هذه المسألة الهامة قلنا له ما يلى :

(أ) إن الشعر يتغنى مثلا بجمال الربيع ، ولكن العالم الفلكى قد يجرده من كل جمال ، ويعتبره أقسى فصول العام بالنسبة للأصقاع الواقعة فى منطقة خط الاستواء ، حيث تتعامد الشمس على تلك البقاع عند حلول الربيع ، فتصليها حرا يذيب دماغ الضب ، فهل من أجل ذلك ينبغى علينا أن نستهجن كل ما قيل من الشعر العربى والشعر الغربى فى التغنى بجمال الربيع ؟

(ب) إن الشعر يتغنى بجمال الزهر فى الربيع نفسه ، ولكن علم التاريخ الطبيعى يحذرك من الزهر كما يحذرك من الأفاعى والصلال ؛ فهو فى أثناء الليل يمتص الأكسوجين من الهواء ، وينفث ثانى أوكسيد الكربون الذى يفسده ، ومن هنا كان النوم فى الحدائق مظنة الاختناق ، وإلى ذلك يشير شوقى فى قصيدة نهج البردة بقوله محدثا نفسه عن الدنيا :

لا تحفلى بجناها أو جنايتها
الموت بالزهر مثل الموت بالفحم

(ج) إن الشعر يتغنى بقبلة من خد الحبيب ، أو رشفة من فِيه ، ولكن الطب يحذرك من الأولى لأنها تنقل العدوى ، ويحذرك من الثانية لأن رضاب الحبيب تفرزه غدد خاصة ، لا ليمتص رحيقه ، بل ليسهل عملية ازدراد الطعام ، ويحيل ما فيه من نشويات إلى مواد سكرية . ثم هو لا يفرق بين رضاب الكاعب الحسناء ، ولعاب الحيزبون الشوهاء ، على حين يجد الشاعر الأول سلافا ، والثانى سمازعافا .

(د) يتغنى الشعر مثلا بجمال الماس وأشعة القمر على حين أن العلم لا يرى فى الأول أكثر من حجر يتكوّن فى باطن الأرض بنفس الطريقة التى يتكون بها الفحم ، ولا يرى فى الثانى – ولا سيما بعد الوصول إليه – أكثر من جسم معتم يتكون من صحارى شوهاء جرداء لا تنبض بالحياة .

(هـ) يتسع الشعر مثلا لقول الشاعر :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قومٌ لقيل اقعدوا يا آل عبّـــــاس

على حين يقول لك العالم الفلكى : إن بيننا وبين الشمس ٩٣ مليون ميل ، فكيف يتسنى الصعود ؟ ولو تسنى الصعود فكيف يتسنى القعود ؟ إن الشمس كتلة غازية ملتهبة ، يتحول الصاعد إليها قبل أن يصلها إلى كتلة من الفحم ؛ فالشعر يرى هذا البيت من قبيل الإغراق فى المديح ، والعلم يرى فيه إلقاء الممدوح بين أحضان الجحيم

وفى هذا القدر كفاية ، فلنجتزىء به والله أعلم بالصواب ، وهو ولى التوفيق

**محمود غنيم**

# معاجمنا اللغوية بين الإحياء والتجديد

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

ومازلت أذكر بالتقدير والثناء تلك اليد الكريمة التى كانت تقدِّمها إلينا الوزارة المشرفة على التعليم ونحن فى المراحل الأُولى من دراساتنا حين كانت توزع علينا فى مدارسنا المعجم الصغير «مختار الصحاح» ثم من بعده «المصباح المنير»، ثم «القاموس المحيط» لنتعرف منذ نعومة أظفارنا على أصول هذه اللغة التى نتلقى بها دراساتنا فى كل فروع المعرفة، ونمارس البحث فى هذه المعاجم على ما نريد. على حين أذكر الآن بالأسى والرثاء عدول تلك الوزارة منذ سنوات عن تقديم مثل هذه المعاجم، فلا يعرف أبناؤنا شيئاً عنها، ولاتقع أبصارهم عليها؛ حتى إذا قُدِّر لواحدٍ منهم أن يطلع على معجم منها وقف حائرًا مشدوهاً لايستطيع أن يبحث فيها عن شئ، وكأنه أمام ألغاز معقَّدة.

ذلك كان عهدًا عرف لِلُّغة الفصحى التى ننتسب إليها قدرها، ولم يضنّ بمال أو جهد فى سبيل نشر المعاجم التى وضعها علماءُ اللغة، وتوزيعها على طالبى العلم على أوسع مدى.

وكانت لاتخلو مكتبة من مكتبات الدور الحكومية من نسخة من أكبر المعاجم الموضوعة فى العربية وهو «لسان العرب» بأجزائه العشرين. ومازلت أذكر أنى حين التحقت بوظيفة فى وزارة الزراعة وجدت فى مكتبة تلك الوزارة نسخة من «لسان العرب»، ونسخة من «المخصص»، ثم وجدت

هذين الكتابين فى مكتبتى مجلس الشيوخ ومجلس النواب عندما انتقلت إلى البرلمان. بل حدثنى صديق أديبٌ كبير شغل منصباً فى مصلحة البريد فقال إنه عجب حين وجد فى تلك المصلحة نسخة من لسان العرب .

ثم مضى الزمن ، وانصرفت مدارسنا ومعاهدنا عن توزيع المعاجم اللغوية على تلامذتها وطلابها فانقطع طبع هذه المعاجم الصغيرة وندر وجودها ، وارتفع ثمن لسان العرب ارتفاعاً فاحشاً تعذّر معه على الكثرة الساحقة من الأدباء أن يقتنوه . وكما انصرفت المدارس والمعاهد عن تزويد أبنائها بهذه المعاجم فقد انصرفت أيضاً دور الحكومة عن تزويد مكتباتها بواحد منها .

وإنى لأذكر أنى زرت منذ أعوام مكتبة إحدى المدارس فلم أجد بها إلا نسخة واحدة من « المنجد » محفوظة فى حرز مكين لم تمسسها منذ أقتنيت يدٌ بخيرٍ أو شر ، لا من دارسٍ ، ولا من مدرّس !

* * *

على أن هذا التنكُّر لمعاجمنا اللغوية ، صغيرها وكبيرها ، لم يثنِ عزم القائمين بالذَّوْد عن لغتنا الخالدة – لغة كِتابنا الخالد – عن المضىّ فى هذا السبيل على الرغم من كل مشقة . فنهض فريق بتحقيق بعضها وإحيائه ، ونهض فريق آخر بتجديده وإنشائه . وجمع بين هذين العملين الجليلين : مجمع اللغة العربية فى القاهرة .

فقد حرص هذا المجمع منذ إنشائه على وضع معجمين : وسيط وكبير إلى جانب عمله فى وضع مصطلحات حديثة فى كل باب من أبواب المعرفة . وأخرج منذ سنوات « المعجم الوسيط » ليسدَّ به ثلمة كبيرة لأن المعاجم الحديثة التى سبقته لم تستطع أن تتخلص من قيود الماضى ، فهو كما يقول الأُستاذ الدكتور إبراهيم مدكور : « أوضحُ ، وأدقُّ ، وأضبط ، وأحكمُ منهجاً ، وأحدث طريقةً ؛ وهو فوق هذا مجدِّد ومُعاصِر ، يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام ، ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التى أُقيمت خطأً بين عصور اللغة المختَلفة ، ويثبت

أن فى العربية وحدةً تضمُّ أطرافها ، وحيويةً تستوعب كلَّ ما اتصل بها وتصوغه فى قالَبها ؛ فيه ألفاظ حديثة ، ومصطلحات علمية لم يرضَ المجمع الفرنسىّ أن يدخلها فى معجمه إلاّ بعد مضىّ مائة سنة تقريباً من نشره ، وفى الطبعة الرابعة ؟ » . ويقول إنه « رسم منهجاً جديداً فى فنّ المعاجم العربى » .

ثم أخرج المجمع منذ عام الجزء الأول من « المعجم الكبير » الذى وقع فى ٧٠٠ صفحة وكُسر على حرف الهمزة . وهو بحق كما ذكر السيد الدكتور الأمين العام للمجمع : « لونٌ جديد فى عالم المعجمات العربية ، فيه تأصيل وتحقيق ، وجمع واستيعاب ، ورجوع إلى المصادر الأُولى ، وتعويل ما أمكن على النصوص الثابتة » .

* * *

ثم وَلّى المجمع وجههُ شطر التُّراث العربى فى هذا الباب ، فكوّن لجنة لنشر معجم الصغانى « التكملة والذيل والصِّلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية » الذى استدرك فيه مافات الجوهرىَّ فى « الصِّحاح » وخرج إلى الوجود من هذا المعجم جزءان لتلحق بهما أجزاوه الأَربعة الباقية فى تحقيق دقيق وإخراج أنيق .

وقد علمنا أن فى نية المجمع نشر معجم « الصحاح » للجوهرىّ على النهج الذى أخرج به تكملته . وهو عمل جليل ، ويدٌ كريمة يُسْديها أساتذتنا الأَجلاَّءُ أعضاءُ المجمع الموقر تشكرها لهم الأَجيـــال المتعاقبة .

* * *

وأمام هذا التفكير العلمى الجليل ، نرجو مُلحِّين ــ مادام لم تقف ظهور طبعات سابقة لبعض المعاجم حائلاً بين نهوض المجمع بإعادة نشرها ــ أن يُولِى هذا المجمع معجمَ « تهذيب اللغة » للأزهرىّ عناية ورعاية ، فيعيد نشره من جديد ، وأن يقصر أمر تحقيقه على عدد قليل من العلماء الذين تمرّسوا بالتحقيق والتدقيق فى التراث العربى ، وعُرفوا بالتقليب والتنقيب فى معاجم اللغة ، وقضوا زهرة شبابهم وما زالوا على الرغم من أكاليل الشيب التى تتوّج رؤوسهم مكِبِّين على أمهات الكتب فى اللغة والأَدب ، فتعهد إليهم بتحقيق « التهذيب » من جديد ، فهو أحد مصادر « لسان العرب » .

وأن يوكل إلى هذا العدد القليل من العلماء الذين سيقومون بالتحقيق أمر المشاركة فى مراجعة مايتمّ تحقيقه ليكون بين الأجزاء جميعها ترابط وألفة ، فتضبط الأعلام التى تتكرر ضبطاً واحداً ، فلقد وجدنا فى أحد الأجزاء اسم « ابن شُمَيْل » مضبوطاً «ابن شِميل » ولا نعلم أن فى هذا الاسم قَوْلَيْن على حد هذا التعبير ، ولِتُنسب الشواهد إلى أصحابها فلانجدها كما هى فى الطبعة الحالية منسوبة فى جزء ، وغير منسوبة فى آخر ، أو مرويّة على وجه فى موضع ، وعلى رواية أخرى فى موضع .

ثم يضم المجمع إلى جانب هؤلاء العلماء طائفة أخرى تقوم بتخريج مانُقل عن الأزهرى فى المعاجم أو كتب اللغة والأدب والتفسير والحديث لتكون إلى جانب مخطوطات هذا المعجم سنداً يرجع إليه فى مقابلة النص .

وليس هذا الرجاء طعناً فى كل ماخرج من أجزاء هذا المعجم ، ولكن الحقيقة التى يلمسها كل من يطّلع عليه هى أن تحقيق بعض الأجزاء لم يرتفع إلى مستوى بعض أجزائه الأخرى التى حققت بدقّة . وقد ظهر لنا خلال الرجوع إليه فى بعض ما نقوم بتحقيقه من دواوين الشعر الجاهلى أن فى الطبعة التى بين أيدينا نقصاً تكرر فى كثير من المواضع ، بل تبيّن لنا سقوط مَوَادّ بأكملها ، وتحريفٌ فى بعض العبارات ، وزاد الطينَ بلّةً سوءُ الطباعة وعدم الدقة فى التصحيح .

ونحن نعلم أن ابن منظور كان شديد التوقّى فيما ينقل عن المصادر التى بين يديه فهو حين ينقل عن الجوهرى فى الصحاح ينقل كلام الجوهرى بنصّه ، وكذلك يفعل حين ينقل عن الأزهرىّ فى التهذيب ، وأ ينقل عن ابن الأثير فى النهاية ، ويصنع هذا الصنيع فى كل ما يعتمد عليه من المصادر ؛ ناسباً كل نَصٍّ إلى صاحبه فى أمانة . والدليل على أمانته وصدقه ودقته أنه فى مادة «شقف» قال : « أهمله التهذيب » ، وهذا صحيح .

ومن الأمثلة التى نذكرها على سبيل المثال لا الحصر لتكون حجّة تؤيّد رجاءنا :

● وجدنا ونحن نحقق «ديوان المَتلمس الضُّبَعِى» ابن منظور وهو يروى فى اللسان (٤ : ١٠٤ «جمد») بيت المتلمس :

جَمَادِ لَهَا جمادِ ! ولا تَقُولَنْ
لَهَا أبداً إذا ذُكِرَتْ : حَمَادِ

يقول : «وفى نسخة من التهذيب :
حَمَادِ لها حَمَادِ : ولا تَقُولِى
طَوَالَ الدَّهْرِ ماذُكِرَتْ : جَمَادِ

وفسَّر فقال : أَحمدْها ولا تذمَّها» .

فهذا النصُّ لم يرد فى طبعة التهذيب فى مادة «جمد» أو فى مادة «حمد».

● وخلال تحقيقنا لديوان الحارث بن حِلِّزة حيث يقول فى إحدى قصائده :

وثَنَى لهُ تَحْتَ الغُبَارِ يَجُرُّه
جَرَّ المُفَاشِغ هَمَّ بالإِرْآمِ

وجدنا ابن منظور يروى فى اللسان (١٠ – ٣٣١ «فشغ») نصَّيْن عن الأزهرى :

الأول : «وروى ابن بَرِّى عن الأزهرى أن الفُشَاغ يثقِّل ويخفف» .

الثانى : «المفاشغة : أن يُجَرَّ وَلَدُ الناقة من تحتها فيُنحَرَ وتُعْطَفَ على ولد آخر يُجَرُّ إليها فيُلْقَى تحتها فَتَرْأَمُه . يقال : فاشغَ بينهما . وقد فُوشِغَ بها .
وقال ابن حِلِّزة :

بَطَلٌ يُجَرِّرُهُ ولا يَرْثِى لهُ
جَرَّ المُفَاشِغ هَمَّ بالإِرْآمِ

وقد نقل الفيروزابادىّ فى القاموس المحيط نصَّ عبارة الأزهرى ، ونقلها الزبيدىُّ مع بيت الحارث فى التاج برواية «بَطَلاً» على النصب نقلاً عن الأزهرى . فرجعنا إلى التهذيب فلم نجد فيه مادة «فشغ» ، فأردنا أن نقطع الشكَّ باليقين فانتقلنا إلى مادة «شغف» لعلَّنا نجد هذه المادة فلم نجدها أيضاً ، على حين وجدنا ابن منظور قد نقل فى اللسان (١١ : ٨٠ «شغف») نَصَّيْن كذلك من التهذيب ، ولكنهما ضاعا منه بضياع المادة من النسخة المطبوعة

الأول : «الشِّغاف : مَوْلِجُ البلغم . ويقال بل هو غشاءُ القلب» .

الثانى : «وروى الأزهرىُّ عن الحَسَن فى قوله «قَدْ شَغَفَهاحُبًّا» (الآية ٣٠ يوسف) قال : الشَّغَف أن يكوى بطنَها حُبُّه» .

هذه أمثلة من سقوط موادّ بأكملها .

أمّا الأمثلة على النقص فهى :

● قال ابن منظور فى اللسان (٥ : ١٠٦ «بحر» ) فى السطور ٦ – ٩ : «وحكى الأزهرى عن ابن عَرفة : البَحِيرة : الناقة إذا نتجت خمسة أبطُن ، والخامس ذَكَرٌ نحروه فأكله الرجال والنساءُ ، وإن كان الخامس أنثى بَحَروا أُذُنَها أى شقُّوها فكانت حراماً على النساء لَحْمُها ولَبَنُها وركوبها ، فإذا ماتت حلّت للنساء» .

وقد سقط ذلك من الجزء الخامس صفحة ٣٨ من التهذيب .

● وذكر ابن منظور فى اللسان (١٠ : ١٣٢ «بصر» ) عند الكلام على الآية الكريمة «بَلِ الإنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ» (١٥ : القيامة ) : «قال الأزهرى : يقول بل الإنسان يوم القيامة على نفسه جوارحه بصيرة بما جنى عليها وهو قوله «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ» (٢٤ النور ) . قال : ومعنى قوله «بَصِيرةٌ» عليه بما جنى عليها «وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ» أى ولو أدْلَى بكل حُجَّة . وقيل : ولو ألقَى معاذيره : سُتوره والمِعْذار : السِّتر» .

وهــذه العبارة ساقطة من آخر النهر الثانى فى الصفحة ١٧٤ من التهذيب .

وقد جاء بعد الآية فى التهذيب كلام الفرّاء ، وكان ابن منظور قد نقل أيضاً كلام الفرّاء وذلك بعد العبارة التى أخلَّت بها طبعة التهذيب ، وهذه العبارة رواها أيضاً عن الأزهرىّ أبوعبيد الهَروِىّ أحمد ابن محمد فى كتاب «الغريبيْن » ( ١ : ١٧٣ ) .

وأما أمثلة التحريف فعديدة لانستطيع حصرها . ولكن ظهر لنا كما قلنا ونحن نحقق ديوان الحارث بن حِلِّزة أن ابن منظور نقل فى اللسان ( ٧ : ٢٠٤ «حلز» ) كلاماً للجوهرى فى الصحاح ، وكلاماً للأزهرى فى التهــذيب فوجدناه ينقل كلامهما ، ولكنه فى عبارة التهذيب حين عقّب الأزهرى على قولٍ لقُطْرُب وأنه ليس من الثِّقات ، وهو « وله فى اشتقاق الأسماء حروف منكرة» جاءت هذه الكلمة فى التهذيب المطبوع « حروف مفردة» ونصُّ اللسان هو الأصحُّ .

ونرجو أن توضع له فهارس متعددة وافية حين يعاد طبعه .

* * *

وإنا لنأمل أن تهيئ الأيام للمعجم العربى الضخم «لسان العرب» نشرة محققة مصححة منسوبة الشواهد، مختومة بفهارس تكشف عما فى هذا المعجم من معارف وتيسر للباحثين الطريق إليها، وتكشف لنا عن شعراء زخر بهم هذا الكتاب لم يرد لهم ذكر فى غيره.

وكان المرحوم العلامة أحمد تيمور قد عُنى بتصحيح بعض أخطاء وقع بصره عليها فى هذا المعجم، ثم عُنى أخيراً الأستاذ عبدالسلام محمد هارون بتعقب أجزائه واحداً بعد آخر فنشر سلسلة من التصويبات لعلها تجمع فى كتاب ليكون فى متناول المنتفعين بهذا المعجم، وليكون عونًا للمحققين إذا هيأت الظروف لهذا المعجم أن يأخذ حظه من النشر العلمى الجدير به.

ونُحِبُّ أن نشير هنا إلى أن طبعة حديثة من اللسان ظهرت أخيرًا فى بيروت فى ثلاثة أجزاء قام بإعدادها وتصنيفها الأستاذان يوسف خيّاط ونديم مرعشلى؛ أعادا فيها ترتيب مواده على أوائل الحروف لا على أواخرها، وألحقا به معجماً ضم كل ماأقرّته المجامع اللغوية فى القاهرة ودمشق وبغداد من مصطلحات.

وقد قال عنه العالم الجليل الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق أن المصنِّفَيْن لهذا المعجم «بلغ توخيهما الكمال فى إخراجه للناس حدًّا يثير الإعجاب الشديد بَجَلدهما، والتقدير الخالص لتضحيتهما، ويدل على مابلغه فنُّ إخراج المعاجم من إتقان وجمال».

* * *

وقد نشط أخيرا معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية فدفع بالأجزاء الباقيـــة من معجم «المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة» لابن سِيده إلى المطبعة بعد أن توقف نشره منذ سنوات عند الجزء الثالث، فخرج للناس الجزء الرابع، وأوشك أن يطلع عليهم الجزء الخامس، لتلحق بهما بقية أجزائه.

* * *

وكانت حكومة دولة الكويت قد نهضت فى السنوات الأخيرة بعبء كبير فى نشر معجم الزبيدى «تاج العروس» وعهدت إلى طائفة من الأساتذة المحققين القيام بتحقيق أجزائه، ونشرت على

الناس ثمانية أجزاء منه ، ونأمل أن تتقدم خطوات النشر ليكون هذا المعجم بين أيدى الناس فى وقت قريب . وهو جهد تشكر عليه هذه الدولة العربية الناهضة ، وعمل من أعمال وزارة الإعلام هناك يسجّل لها بالشكر والتقدير .

* * *

وثمّة معجم آخر كان المجمع العلمى فى العراق قد عاون على إخراجه فصدر منه الجزءُ الأول ؛ ذلك هو كتاب « العين » للخليل بن أحمد بتحقيق الدكتور عبد الله درويش . وما زلنا نترقب ظهور بقية الأجزاء .

* * *

وفى القاهرة أعيد نشر معجم « مقاييس اللغة » لابن فارس الذى حققه الأستاذ عبد السلام هارون فى طبعة جديدة بعد أن نفدت طبعته الأولى .

ولعلّ الأستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد يكمل نشر معجم ابن فارس « المجمل » الذى نشر منه جزءًا منذ سنوات .

* * *

بقى معجمان جديران بإعادة نشرهما بتحقيق وافٍ : هما « الجمهرة فى اللغة » لابن دريد ، و « المعيار » للشيرازى . ولعل مجامعنا اللغوية الموقرة تتقاسم العمل على إظهارهما مع غيرهما من المعاجم التى لم يقدّر لها حتى الآن أن تخدم خدمة علمية صحيحة .

* * *

ولنا رجاءٌ أخير يتصل بالمعجم الكبير الذى يخرجه مجمع القاهرة الموقر هو أن يضمّ الألفاظ التى وردت فى الشعر العربى ولم ترد فى المعاجم القديمة . وإنى لأذكر على سبيل المثال بعض ألفاظ عرضت لى فى شعر المتلمس عند تحقيق ديوانه مثل : « جيش طُوّس » ، « مَلْزَق » بمعنى ملجأ ، « ترامقه » بمعنى تغلقه .

وفى شعر المثقب العبدىّ : « قُشارىّ » جمع قِشر ، « المُعين » بمعنى الأجير ، « لُطَم » .

وكان الأستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون قد أشارا فى

« المفضليات » وفى « الأصمعيات » إلى طائفة من الألفاظ التى لم ترد فى المعاجم .

ونرجو أيضاً أن يضمّ « المعجم الكبير » المصطلحات الخاصة بعلوم البحار – كما أشرت فى مقالى الذى نشر فى الجزء الرابع والعشرين من مجلة المجمع حيث ذكرت طائفة مما جاء فى تآليف ابن ماجد . كذلك ماورد فى مفاتيح العلوم للخوارزمىّ .

ومع تقديرنا للجهد الذى بُذل فى إخراج « المعجم الكبير » فإن لنا رأياً فى بعض مانشر فيه من خارطات كخريطة أمريكا التى شغلت الصفحة ٤٧٥ ، وخريطة انجلترا التى شغلت أيضاً الصفحة ٥٣٤ وغيرهما من خارطات لامحلّ لها فى هذا المعجم ؛ ومن الممكن أن تصغّر رسومها ما أمكن لأننا لا نتصور أن أحداً سيرجع إليها فى المعجم اللغوى وبين يديه العديد من المصورات الجغرافية قديمها وحديثها .

والذى أراه حَرِيًّا بأن يشغل بعض صفحات هذا المعجم هو خرائط يحدَّد فيها بقدر الإمكان مواضع البلدان التى ذكرها جغرافيّو العرب فى مؤلفاتهم ، والتى تردد ذكرها فى الشعر وفى كتب التاريخ والفتوح .

* * *

كما نرجو – وقد أخذ المجمع الآن فى إعادة طبع « المعجم الوسيط » بعد أن نفدت طبعته الأُولى – أن يكون قد أُخِذَ بالآراء التى أبديت من طائفة من مقدِّرى هذا العمل الجليل ، كما تكون الطبعة الجديدة قد روعى فيها النظرات الصائبة والتعقيبات الموفقة التى نشرها فى سلسلة من المقالات فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الأُستاذ الدكتور عدنان الخطيب .

* * *

أمّا المعاجم المتخصصة مثل المعاجم الزراعية والنباتية والطبية والفلكية والحيوانية التى نهض بها أفراد من علمائنا الأَجلاَّء ، فإنّا لنرجو إحياء هذه المعاجم ، والتوسع فى هذه الأَبواب .

**حسن كامل الصيرفى**

# النشاط المعجمى العربى : أصيل أم دخيل؟

للدكتور محمد سالم الجرح

١ ـ جامعاتنا والوعى المعجمى .

٢ ـ دوافع التأليف المعجمى عند العرب .

٣ ـ ماهو المعجم ؟

٤ ـ النشاط المعجمى عند الأمم القديمة :

(أ) عند المصريين والساميين .

(ب) عند الصينيين .

(ج) عند الهنود واليونانيين .

٥ ـ مدى تأثر العرب بغيرهم فى نشاطهم المعجمى .

(١)

كثيراً مايعلن المجمع اللغوى عن حاجته إلى محررين يعملون به ممن تخصصوا فى اللغة العربية بجامعة الأزهر ، أو بكلية دار العلوم ، أو بأقسام اللغة العربية المتعددة ، فيتقدم للعمل به جمع غفير ، لا تلبث إدارة المجمع حين تختبرهم أن تكتشف جهلهم الفاضح بكيفية استعمال أمهات المعاجم العربية فى الكشف عن ألفاظ لغتهم القومية ، التى قضوا للتخصص فى دراستها كل حياتهم الجامعية ، ثم يزيد هذا الجهل بشاعة عدم إلمام هؤلاء الخريجين بتاريخ المعجم العربى نفسه ، وهو مجال هام من مجالات التراث الفكرى والعلمى ، تعتز اللغة العربية بحصيلتها الضخمة فيه ، وثروتها الوفيرة منه .

والحق أن الذى يقارن الدارس المتخصص للغة العربية من أبناء الوطن العربى فى هذا الصدد ، بأشباه المتعلمين

وأنصافهم من أبناء اللغات الأوربية يعود بالكثير من الحسرة والألم ، لأن الناشئ من أبناء أى لغة أوربية ذات أدب وحضارة كاللغة الانجليزية مثلا ، يكون ذا وعى معجمى قوى ، لا يسمح له أن يكتفى فى فهمه للجديدعليه من ألفاظ لغته بالاستنتاج المتسرع الذى قد يوحى به السياق – ولكنه معرض للخطأ – أو بالمعنى المشوش الذى قد تؤدى إليه مقارنة الكلمة بأشباهها فى النطق أو الكتابة ، بل إنه لا يثق فى حسه اللغوى فى ضبط الكيفية التى تنطق بها هذه الكلمة الجديدة عليه . ولهذا كله يرجع إلى المعجم فيحصل منه على الوصف الدقيق لكيفية نطق الكلمة ، والتحديد الواضح لمعناها أو معانيها ، والبيان الوافى لاستعمالاتها ، ولدراسات كثيرة أخرى ذات طبيعة لغوية وأدبية وتاريخية واجتماعية تتصل بهذا اللفظ الجديد عليه . وهكذا تنمو الثروة اللفظية عند الناشئين منأبناء هذه اللغات نموًا سليما ، خاليا من اللحن أو التحريف فى اللفظ ، بريئا من اللبس والغموض أو الاهتزاز والتشوش فى المعنى ، مما يساعد اللغة على القيام بدورها لأمتها خير قيام .

فاذا قارنا هذا الوضع بما يحدث للمتخصصين من أبناء العرب فى اللغة العربية وآدابها – بلهَ غيرَهم من ذوى التخصصات الأخرى ، أو صغار الناشئة أو عامة الناس – فإن الحسرة تتعمق فى نفوسنا ، لأن هؤلاء يتمون تعليمهم الجامعى دون أن يتعودوا استعمال معجم ، أو يألفوا الرجوع إلى قاموس ، مع أن دواعى ذلك بالنسبة للغة العربية ، أشد منها وأقوى بالنسبة للغة كاللغة الانجليزية ؛ ويرجع ذلك إلى أسباب عدة ، منها :

(أ) أن التفاوت بين لغتىْ التخاطب والأدب أوسع فى العربية منه فى الانجليزية .

(ب) أن لأدبِ اللغة العربية من القداسة التى يضفيها القرآن الكريم ما لا يوجد نظيره فى الانجليزية .

(ج) أن حرص الناطقين بالعربية على وحدتهم الثقافية وتجاذبهم الفكرى يفوق – أو ينبغى أن يفوق – حرص الناطقين بالانجليزية على ذلك .

وعلى الرغم من ذلك كله فإنه يبدو أن شبابنا المثقف يعانى كسلا ذهنيا عجيبا ، بحيث يرضى بالفهم الناقص للنص الأدبى الذى يحتوى مفردات لغوية جديدة عليه ، أو يقنع بما يوحيه السياق من معنى مهتز أو مخطئ لهذه الألفاظ أو- وهذه هى الطامة الكبرى - يردد الألفاظ ترديدًا ببغاويا دون الإحساس بالحاجة إلى فهم ماتعنيه هذه الألفاظ ، بل لعلهم لا يحسنون ترديد هذه الألفاظ فيخطئون حتى فى مجرد نطقها وهم لايشعرون أنهم مخطئون .

وسبب ذلك فى رأيى ، هو أن وعينا المعجمى - إن كان عند شبابنا المثقف وعى معجمى على الإطلاق - أدنى بكثير من المستوى الذى ينبغى أن يكون عليه الوعى المعجمى لأبناء أمة كالأمة العربية ، تتمتع لغتها بتاريخ أدبى طويل ، وتدخر كنوزا ثقافية ثمينة ، وتتطلع إلى مستقبل مستنير كريم . وإذا كان هذا الانحطاط فى الوعى المعجمى يشين غير المتخصصين من أبناء الأمة العربية ، فإنَّ عاره على المتخصصين فى اللغة العربية أنفسهم يكون أشد وأنكى .

لهذا كله تتحتم علينا العناية بالجانب المعجمى من تراثنا اللغوى ، وفاءً لهذا التراث المجيد من ناحية ، وتنمية للوعى المعجمى عند أبناء العربية ومتعلميها من الناحية الأخرى ، فليس هناك شك فى أنه كلما استحكم ربط الاستعمال اللغوى بالمعجم ، كانت اللغة أقل تعرضا للتفتت اللهجى ، والتحريف اللفظى والتفاوت أو الغموض المعنوى ، وبذلك تظل اللغة أكثر ارتباطا بتراثها الأدبى ، وأقدر على التمسك بوحدتها ، ووحدة الناطقين بها ، وعلى الحرص على المستوى المشترك بين مستعمليها . إن ربط اللغة بنشاط معجمى موفق ، وتعميم الوعى المعجمى عند الناطقين بها ، لا يحرم اللغة فى أى مستوى من مستوياتها من التطور الطبيعى ، الهادئ ، المرغوب ، وإنما يعصمها من الفساد السريع ، والتحلل الطفرى ، الذى لو تم لجعل من المتعذر على الأجيال اللاحقة الاستفادة من النتاج الأدبى والفكرى للأجيال السابقة ، بل إنه ربما جعل من المتعذر على مستعملى اللغة فى بقعة جغرافية أن يفهموا فهما

كاملا سليما ما ينتجه أبناء أمتهم فى جيلهم نفسه لكن فى بقعة جغرافية أخرى .

وهذا كله يحتم علينا نحن أبناء لغة الضاد إذا كنا حريصين على أن نستعمل فى وطننا الفسيح مستوى لغويا مشتركا (A standard lignuistic génre) أن ندرك الدور الخطير الذى يلعبه المعجم اللغوى ، والوعى المعجمى فى تحقيق ذلك المستوى المنشود .

وأول خطوة فى هذا الإدراك ، أن نتدارس تاريخ المعجم العربى ، وأن نضع النشاط المعجمى العربى فى مكانه الصحيح من تاريخ فن المعجمة العالمى .

(٢)

لم يكد الإسلام ينتشر ، ويدخل فيه أفواج من أمم غير عربية ، حتى اشتدت الحاجة إلى دراسة منظمة للغة العربية لكى يستطيع المسلمون جميعا قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة ، وفهم نصوصه فهما سليما ( فقد كان المسلمون – ولا يزالون – يعتبرون أىّ لحن فى قراءة القرآن إثما عظيما ) ، ولكى يتيسر على غير العرب من المسلمين أن يتعلموا اللغة العربية ، ويندمجوا تمام الاندماج فى الأمة الإسلامية . وقد ظهر من علماء المسلمين من كرسوا جهودهم للوفاء بهذه الحاجة فقاموا بملاحظة الظواهر اللغوية فى اللغة العربية على مختلف مستوياتها ملاحظة علمية ، كما قاموا بجمع موادها ، وتدوينها فى مؤلفات حفظ الزمان لنا منها الكنوز الثمينة ، على الرغم من الكثير الذى أباده منها وأضاعه .

ويقرر العلامة العربىّ المغربىّ عبد الرحمن ابن خلدون فى مقدمته[١] ، أن اللغة العربية التى أنزل بها القرآن تعرضت لنوعين من الفساد السريع نتيجة لدخول غير العرب فى الإسلام ، ومحاولتهم استعمال اللغة العربية .

١ – فساد فى اللفظ ، يتمثل فى الخطإ فى النطق ، وقد عولج هذا الفساد بظهور علم النحو .

(١) انظر مقدمة ابن خلدون كما ترجمها روزنتال إلى الإنجليزية ج ٣ ص ٣٢٨ ، وأيضا ص ٤٤٦ – ومابعدها .

٢ ـ فساد فى معنى اللفظ ، يتمثل فى استعمال اللفظ فى غير مجاله المعنوى ، وقد عولج هذا الفساد بظهور المعاجم .

وهكذا ظهر الفرعان التوأمان للبحث اللغوى فى تاريخ اللغة العربية . والذى يعنينا الآن هو التأريخ لفن تأليف المعاجم ( أو فن الْمَعْجَمَة ) العربية الذى قدر له أن ينمو سريعا حتى يصبح عملاقا ، قلما تستطيع أن تباهى بمثله لغة إنسانية أخرى .

ولحسن الحظ أن التاريخ قد حفظ لنا كثيرا من ملامح المعاناة التى صاحبت مولد هذا العملاق ، وهيأت له ، وأتاحت له أن ينمو ويتطوّر حتى يبلغ الذروة فى قاموس جامع شامل أقرب إلى موسوعة لغوية منه إلى معجم ألفاظ ، ذلك هو « لسان العرب » لابن منظور . ولكن ظهور مثل هذا المعجم الموسوع الشامل ، الدقيق الترتيب ، الجامع لصنوف البحث اللغوى المتعلقة بكل لفظ قد جعل للغة العربية ، مكانة فريدة بين سائر اللغات فى ميدان النشاط المعجمى . فلقد ظلت اللغة العربية منفردة بمثل هذا المعجم الضخم بين لغات الإنسان جميعا فى القديم والحديث ، حتى القرن التاسع عشر الميلادى حين بدأ يظهر على رفوف المكتبات فى أوربا معاجم لبعض اللغات الأُوربية كالإنجليزية والألمانية تضارع المعجم العربى الأسبق « لسان العرب » فى الإحاطة والاتساع .

وهذا التفرد الذى ظلت تتمتع به العربية دون سائر لغات الإنسان فى ميدان النشاط المعجمى فترة طويلة ، قد أوحى إلى كثير من الناس :

( ا ) بأن هذا النشاط المعجمى الجبار تجربة عربية بحتة ، هيأت الظروف التاريخية المحلية لميلادها واتخذت بعد الميلاد خطها الطبيعى فى التطور والنمو ، دون أى مؤثر خارجى ، أو تقليد لأى إنتاج أجنبى [1] .

(ب) وبأن النشاط المعجمى الذى صاحب النهضة الحديثة فى أوربا متأثر بما سبقه فى اللغة العربية فى هذا الميدان . فقد كتب المستشرق الإنجليزى جون هاى وود مقالا

---

( ١ ) انظر مثلا « المعجم العربى نشأته وتطوره » للدكتور حسين نصار ج ١ ص ٢٠١ .

فى مجلة جامعة دار هام (فى ديسمبر ١٩٥٧) قرر فيه تأثر النشاط المعجمى الأوربى بسابقه العربى.

ونحن لا يعنينا أن نتتبع مدى تأثر النشاط المعجمى الحديث فى أوربا بالتأليف المعجمى عند العرب، ففضل العرب على النهضة الأدبية الحديثة كلها واضح، مقرر يعترف به العلماء فى أوربا نفسها، وإذا لم يثبت للمعجم العربى تأثير مباشر على المعجم الأوربى ـ وهذه نقطة لا تزال تحتاج بحثا موضوعيا منصفا ـ فإن التأثير غير المباشر لا يمكن أن ينكر!

ولكننا نرى من الإنصاف للبحث العلمى والحقيقة التاريخية أن نتساءل: هل سُبق العرب إلى ميدان التأليف المعجمى على الإطلاق؟ أى هل كانت هناك شعوب وأمم أخرى قبل الأمة العربية جمعت ألفاظ لغتها فى معجم أو معاجم، وإن لم تبلغ من الضخامة والإحاطة ما بلغه معجم عربى كلسان العرب؟ وإذا كان الجواب على هذا السؤال «نعم»، فإن هذا يقودنا إلى سؤال آخر هل تأثر العرب قليلا أو كثيرا بما سبق إليه غيرهم من الأمم فى ميدان التأليف المعجمى؟

(٣)

وللإجابة الواضحة عن السؤال الأول نجدنا مساقين إلى محاولة تعريف كلمة «معجم». والحق أننا هنا نواجه مشكلة غير يسيرة، فكلمة معجم (ونظائرها فى اللغات الأُوربية كالكلمة الإنجليزية Dictionary التى ترتد إلى أصل لاتينى، والكلمة الإنجليزية Lexicon التى ترتد إلى أصل يونانى) مهما صرفنا النظر عن اشتقاقها، وظروف استعمالها فى اللغة العربية، إما أن تعتبر مصطلحا خاصا، وعندئذ فتحديد معناها هنا متروك للاصطلاح ويمكن أن يُوسّع معناها الاصطلاحى أو يُضيّق طبقا لرغبة المصطلحين، وإما أن يُعتمد فى تحديد معناها على الاستعمال اللغوى العام، حيث لا يضيّق المعنى رغباتٌ خاصة أو اعتبارات اصلاحية.

أما إذا اتجهنا إلى التعريف الاصطلاحى فإننا طبعا ـ نستطيع أن نصطلح على

(١) عاد هذا المؤلف فقرر فى كتابه الذى نشره عام ١٩٦٠ عن المعاجم العربية أنه بالغ فى تصويره لهذا التأثر. انظر ص ١ من كتابه هذا.

تعريف المعجم تعريفا لا يكاد يصدق إلا على ماظهر فى العربية من نشاط معجمى، ثم نقول إن المعجم بهذا التحديد لم يعرف عند غير العرب ، ومِن ثَم فالعرب هم مخترعوه ورواده الأول ، ولكن هذا يكون عنتا لا يفيد منه البحث العلمى قليلا أوكثيرا . ولهذا فإن الأولى بنا أن نحاول تعريف «المعجم» تعريفا عاما ، يصدق على كل محاولة فى ميدان البحث اللغوى تهدف إلى ربط اللفظ المنطوق بالمجال المعنوى الذى يستعمل هذا اللفظ للتعبير عنه- وهذا يتفق مع الاشتقاق اللغوى للفظ «معجم» فى اللغة العربية ، فهو من «أعجم الشئ» إذا أزال غموضه ، وأوضح مدلوله .

المعجم- إذاودون كثير عنت أوحذلقة - كل قائمة تجمع كلمات من لغة ما ، على نسق منطقى ما ، وتهدف إلى ربط كل كلمة منها بمعناها، وإيضاح علاقتها بمدلولها .

وهذا فهم عام لكلمة معجم يغطى كثيرا من ألوان النشاط المعجمى، ويصدق عليها ، فالرسائل الصغيرة التى تجمع الألفاظ الغريبة أو النادرة فى موضوع ما ، أو فى نص ما ، لتشرحها وتوضح معناها، تعتبر نشاطا معجميا ، وقوائم الألفاظ التى نعملها للمتأدب ، والناشئ ، والأجنبى ، ليستعملها فى أداء معنى بعينه تعتبر نشاطا معجميا ، والأب أو المدرس حين يفسر لابنه أو تلميذه ما يستعصى عليه فهمه من الكلمات فى أى موقف يقوم من حيث لايدرى بنشاط معجمى .

وقد يكون من الطريف أن نتتبع خطوات اشتقاق هذا اللفظ «معجم» حتى نتبين كيف تطور حتى أصبح يؤدى هذا المعنى ، والحق أن خطواتنا فى هذا الصدد ليست يقينية على الإطلاق ، فلسنا نعرف يقينا كيف ولا متى تم استعمال هذه الكلمة فى هذا المعنى -ولا يزال ذلك يحتاج بحثا دقيقا مستقصيا - ولكننا نستطيع من التفسير السريع لبعض مشتقات مادة «ع ج م» أن نستنبط الخطوات التى مر بها هذا اللفظ حتى أصبح يؤدى ذلك المعنى .

فمن المعانى الأساسية لهذه المادة «الغموض والخفاء ، والانبهام ، والعجز عن الإفصاح أو الإبانة» ، ومن مفرداتها فى المعنى الأخير «الأعجم والعجماء» للحيوان الذى

لا ينطق، وبه شبه غير العربيّ - لأنه يُصدر أصواتا غير مفهومة كجعجعة الحيوان ، فسمى أعجميا . وقد تعلم العرب الأميون الكتابة من إخوانهم من أبناء الشعوب السامية ، حيث اقتبسوا حروف الهجاء ، أو الأبجدية ، ولكنهم وجدوا أن عددا من هذه الحروف يلتبس رسمه ، فابتدعوا تمييزه بطريقة النقْط ، ولذا فإن الخط العربيّ يستعمل من النُّقَط عددا لا يستعمله أى خط سامى آخر ، وقد سمى العرب عملية نقط الحروف لإزالة لبسها وإبهامها « إعجاما » من قولهم « أعجمت الشيْ » إذا أزلت عجمته أى غموضه وخفاءه . وسميت حروف الخط العربى بعد ذلك « حروف المعجم » أى حروف الخط الذى أعجم ونقط فزال منه اللبس والغموض. فقولنا : « حروف المعجم » يجب أن يفهم على تقدير مضاف ، والأصل « حروف الخط المعجم » الذى يطلق على الخط العربى دون سائر الخطوط السامية الأخرى .

ولا شك أن ذلك الاستعمال مستحدث فى العربية ، جاء لاحقا فى الزمن لدخول النقْط » على حروف هجائها[1] . ثم سمى ترتيب أى مادة لغوية ترتيبا يراعى حروف الهجاء « معجما » نظرا لخضوعه لترتيب حروف المعجم ، ويقال إن أول كتاب أطلق عليه اسم المعجم، هو « معجم الصحابة » لأحمد بن على بن المثنى التميمى ( ٢١٠ - ٣٠٧ هـ ) كما ألف بعده أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوى المحدِّث ( ٣١٤ - ٣١٥ ) كتابين فى أسماء الصحابة سماهما « المعجم الكبير » و « المعجم الصغير » وعن مثل هؤلاء أخذ اللغويون لفظ « معجم »[2] ليطلقوه على ما يؤلفون من كتب تشرح ألفاظ اللغة وتحدد مجالها المعنوى .

وقد يعنى هذا التطور الاشتقاقى ربط المعجم اللغوى بالترتيب الهجائى ، فما سمى « المعجم » معجما إلا لترتيبه على حروف المعجم ( أى على الهجائية العربية )

---

( ١ ) لعل مما يستحق الذكر هنا أن الخليل يقول فى مقدمة كتابه « العين » : « إننى جمعته على حروف ، الف باء ، تاء . . . ولو كان مصطلح « حروف المعجم » شائعا فى الاستعمال لكان أخصر وأدق من تعبير الخليل . وهذا نفسه يرجح عدم ظهور استعمال « حروف المعجم » على عهد الخليل . ويجعلنا بالتالى نشك فى القصة التى رويت عن عبدالملك بن مروان ( ٢٦ - ٨٦ هـ ) أنه سأل جلساءه يوما « أيكم يأتينى بحروف المعجم فى جسده ؟ » انظر جورجى زيدان ج ٣ ص ١١٩

( ٢ ) أنظر أحمد عبد الغفور العطار « الصحاح ومدارس المعجمات » ١٢ ص ٥٣ .

ولكن هذا أمر عرضى بحت ، فالصفة المميزة للمعجم اللغوى هى ربطه الألفاظ بمعانيها ، وإيضاحُ علاقتها بمدلولاتها ، كائنا ما كان الترتيب الذى تخضع له هذه الألفاظ داخل المعجم !

( ٤ )

فإذا عدنا بهذا الفهم الراسع العام لكلمة « معجم » نحاول الإجابة عن تساؤلنا عما إذا كان هناك شعوب سبقت العرب فى ميدان النشاط المعجمى فإننا سنجد الإجابة عن ذلك بالإيجاب .

إن النشاط المعجمى بهذا المعنى الواسع يكاد يكون تلقائيا يمارسه بأى لغة أى أب يشرح لابنه الكلمات الجديدة عليه ، أو أى مدرس يفسر لتلاميذه نصا صعبا أو أى مواطن يرشد أجنبيا إلى معانى ما يطرق أذنه أثناء سياحته من ألفاظ غريبة . ولكننا لا نعنى النشاط المعجمى التلقائى ، وإنما نعنى النشاط المعجمى المنظم . فهل سُبق تأليفُ المعاجم العربية بأى نشاط معجمى منظم عند غيرهم من الأمم ؟ والجواب هنا بالإيجاب أيضا .

فلا شك أن الظروف التاريخيــة التى اجتمعت للأمة العربية وانتهت إلى دفعها إلى تأليف معاجم للغتها قد وقعت ، وتكررت عند أمم أخرى أقدم من العرب . فالبحث اللغوى عموما ، والتأليف المعجمى بصفة خاصة ، يقدر له النشوء والازدهار تحت ظروف تاريخية خاصة ، أفقية أو رأسية ، يمكن أن تتوفر لأى أمة ؛ ويحدث ذلك بصفة خاصة :

( ا ) إذا قدر للهجةٍ أو لغة ما أن تسود على لهجات أو لغات أخرى ، بحيث يصبح من المحتم أو المرغوب فيه على الأقل أن يجيد أبناء اللهجات أو اللغات الأخرى تلك اللهجة أو اللغة السائدة ، التى ليست أصلا لهجتهم أو لغتهم . فحرصا على اللهجة أو اللغة السائدة وتيسيرا لمهمة الراغبين فى إجادتها ينشط البحث اللغوى فى وصف ظواهرها ، كما ينشط فى جمع ثروتها اللفظية ، وتحديدها بالمجالات المعنوية التى تستعمل للتعبير عنها (وهذا هو المستوى الأفقى للظروف التاريخية المواتية ) .

(ب) إذا قدر للغةٍ ما أن تحظى فى فترة من فترات تاريخها بإنتاج أدبي ممتاز ، يحتل مركز القداسة والإجلال عند أبناء هذه اللغة ، ويصبح بالنسبة إليهم تراثا عزيزا ينبغى الاستمساك به ، والرجوع الدائم إليه ، ومقاومة تيار التطور اللغوى ما أمكن حتى لا يصبح هذا التراث العزيز نتاجا غريبا على الأجيال اللاحقة من أبناء الناطقين بهذه اللغة ، يسيئون فهمه وتذوقه ، أولا يستطيعون ذلك على الإطلاق. فحينذاك ينشط البحث اللغوى ، والتأليف المعجمى ، ليقيّد اللغة ما أمكن عند تلك المرحلة من التطور التى ظهر خلالها هذا التراث الأدبي المقدس ليتيسر فهمه على الأجيال اللاحقة من الناطقين باللغة (وهذا هو المستوى الرأسى للظروف التاريخية المواتية) .

وقد توفر هذان معا للغة العربية بظهور الإسلام ، ونزول القرآن ، وجمع الحديث النبوى ، ودخول الأعراب من غير قريش فى الإسلام ، ودخول غير العرب من أمم الأعاجم فيه أيضا ، وتقديسهم جميعا للقرآن والحديث ، مما جعل اللغة العربية الفصحى لغة سائدة ينبغى على من لا يجيدها من أبناء العرب أن يجيدها وعلى من لا يعرفها من المسلمين أن يتعلمها ، وهكذا توفرت الظروف التاريخية المواتية على المستوى الأفقى لينشط البحث اللغوى والتأليف المعجمى .

ولقد ربطت قداسة القرآن الكريم اللغة العربية عند تلك المرحلة من مراحل تطورها ، التى نزل القرآن بها ، وهكذا صار للغة العربية تراث مقدس ، وحَرِص العرب والمسلمون على أن يدوم للقرآن يسر تلاوته ، ووضوح معناه عند الأجيال اللاحقة من أبنائهم ، مهما بَعُدَ بهم الزمان ، وتتابعت الأجيال ، فنشط البحث اللغوى والتأليف المعجمى لأن الظروف التاريخية على المستوى الرأسى كانت مواتية أيضا .

وكما توفر الأمران للغة العربية ، فقد توفرا ، أو توفر أحدهما ، للغات أخرى قبل توفرهما للغة العربية إذ أن الحضارة التى أنتجتها الأمة العربية فى ظلال الإسلام كانت الحضارة الوسيطة تاريخيا ، لأنها تقع بين الحضارات القديمة ، والنهضة الحديثة ، وجغرافياً لأنّها تقع فى الوسط

تماما بين حضارتَىْ الشرق والغرب . فما توفر للأمة العربية من ظروف تاريخية يمكن أن يكون قد توفر لمن سبقها من الأمم فى نفس المنطقة ، ولمن سبقها أو عاصرها فى مناطق أخرى ، ومن ثم فلاعجب أن نجد فى عدد من اللغات الأخرى قبل العربية ومعها نشاطا معجميا مقصودا ، منظما ، وإن لم يبلغ ذلك النشاط نفسَ الدرجة من الخصوبة والإنتاج التى بلغها فى العربية [1]

( ا ) فلقد كشف لنا النشاط الحفرى الجبار الذى تم خلال القرن الماضى عن حضارات أسلافنا الأقدمين فى هذه المنطقة من الدنيا التى كانت مهد الحضارة ، وموطن الثقافات ، ومهبط الوحى ، ومربع الأنبياء ، فعرفنا أن أجدادنا المصريين فى وادى النيل ، وأن أجدادنا الساميين فى وادى دجلة والفرات كانت لهم حضارة ، وثقافة وأدب ، واقتضى ذلك أن يعرفوا البحث اللغوى ، وأن يكون لهم نشاط معجمى ، فالذى يحاول أن يتعلم الهيروغليفية — وهى اللغة المقدسة عند المصريين القدماء — لا بد أن تُقدَّم له ألفاظُها مرتبة ترتيبا منطقيا على نسق ما ، وتُشرَح شرحا ييسر على الناشىء فهم معناها ، وكذلك كان الحال بالنسبة للأكادية ، وربما زاد من النشاط اللغوى والتأليف المعجمى عند الأكاديين ، أنهم — وهم ساميون — قاموا على أنقاض حضارة غير سامية ، هى الحضارة السومرية ، وأنهم اتخذوا للغتهم السامية الأكادية نفس الخط المسمارى الذى كان يستعمله أسلافهم السومريون ، فكتبوا به لغتهم غيرَ السامية ، وكان هذا الخط « صـوريا » ( يرمز بالصـورة الواضحة لمدلولها كاملا ) ، ولم يكن مقطعيا كما صارت الأكادية ، ومن ثم فقد وجد الأكاديون أنفسهم مضطرين إلى جمع الرموز السومرية فى قوائم ، وإردافها

( ١ ) أنظر كتاب المستشرق الانجليزى جون هاى وود عن « فن المعجمة العربيـــة : تاريخه ومكانته فى التاريخ العام لفن المعجمة » اكسفورد ١٩٦٠ الفصل الأول .

بما يوضح قيمتها الصوتية ومدلولاتها بالأكادية ، وقد عُثر فعلا فى مكتبة الملك الأشورى (والأشورية فرع من مجموعة اللهجات السامية الأكادية ) أشوربانيبال (٦٨٨–٦٢٥ ق م ) على عدد من الألواح يضم بعضها قوائم بالأسماء ، وبعضها الآخر قوائم بالأفعال التى تدل على المهن والحرف ، كما وجدت فى بعض الألواح قوائمُ بتحديد القرابات العائلية ، . . . وهكذا ، أى أنهم كانوا يرتبون «المفردات» اللغوية حسب الموضوعات التى ترتبط بها . وإذا عرفنا أن مكتبة الملك أشوربانيبال كانت تحوى كثيرا من صنوف الإنتاج اللغوى والأدبى والقانونى والدينى ، الذى أُلِّف قبله بمئات السنين ، عرفنا أن شعبا ساميا قديما (أو قل شعبا عربيا نازحا — فليس الأكاديون إلا شقا من العرب غادر وطنه فى الجزيرة العربية إلى وادى النهرين فى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد ) قد عرف النشاط المعجمى المنظم قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام بما قد يزيد على ألف عام[1] .

ولكن الحضارات القديمة فى وادى النيل ، أو النهرين ، كانت قد ماتت قبل أن تظهر الحضارة العربية الإسلامية بقرون ، ومن ثم فليس هناك أى احتمال أن يكون للنشاط المعجمى فى هذه الحضارات تأثير مباشر على النشاط المعجمى عند العرب .

(ب) وهناك شعب آخر قديم كان له نشاط معجمى ، ولكنه لم يكن بعيدا عن العرب تاريخيا فحسب ، وإنما كان بعيدا عنهم جغرافيا أيضا ، فليس ثمة أى احتمال لوجود أى علاقة للنشاط المعجمى عنده بالنشاط المعجمى عند العرب ولكننا نشير إليه هنا استكمالا للفائدة العلمية واستيفاء للمقارنة ، وذلك هو الشعب الصينى .

(١) أنظر مقدمة كتاب فون سودن عن النحو الأكادى .

إن الصينيين أنفسهم يزعمون بأن حضارتهم كانت قائمة منذ الأزل ، ولكننا على أى حال لا نعثر على معاجم للغتهم تسبق المائة الثانية قبل الميلاد ، حيث نجد معجم اره يا (Erh Ya) الذى يعتبر مجموعة من الألفاظ مقسمة حسب الموضوعات إلى ثلاثة عشر بابا — أحدها للعلاقات العائلية ، والثانى للأدوات والآلات ، والثالث للطيور ، وهكذا . وخلال القرن الأول للميلاد نجد معجما صينيا أكمل وأوفى هو معجم شوون ( Shou Wen ) الذى يضم من المفردات ١٠٫٦٠٠ لفظا ، ومع ذلك فهو غير مستوعب ، ولايزال موجودا فى المكتبات الصينية إلى الآن . ويقرر مؤلفوه أن هدفهم هو « شرح مفردات النصوص المقدسة » ، مما يقرب بين — الظروف التاريخية لظهوره ، وظروف ظهور النشاط المعجمى عند العرب ! ومما يذكر أن الكتابة الصينية كانت — ولا تزال — صورية ، فكلّ مفرد فى اللغة الصينية له جوانب ثلاثة : رمز مرسوم ، قيمة صوتية منطوقة ، معنى مدرك . ولأن كتابتنا صوتية فإننا لا ندرك خلافا كبيرا بين الرسم والنطق ، أما فى الصينية — وكل الخطوط الصورية — فإن الرمز المكتوب الذى هو صورة أصلا ، قد يعطى العديد من القيم الصوتية المختلفة . ويدور ترتيب المعجم الصينى المذكور على الجانب الأول وهو طبيعة الصورة ، أو الرمز المكتوب ، فيقسم المفردات التى يشرحها إلى ما يقرب من ستمائة باب ، يجمع كل باب طائفة متشابهة من الصور المرسومة التى تأخذ كل منها من الشرح مايوضح كيف تنطق ، وماذا تعنى . وأول معجم صينى يرتب المفردات طبقا لنطقها لا لرسمها هو معجم هـوفاين ( Hu Fa Yen ) الذى ألف فيما بين عامى ٥٨١ — ٦٠١ ميلادية . ويبدو أن الصين كانوا قد تأثروا فيه بالدراسة الصوتية فى اللغة السنسكرتية — وهى اللغة المقدسة عند الهنود

القدماء – وأن الاهتمام بالجانب الصوتى كان قد انتقل من الهند إلى الصين مع الرهبان البوذيين . وسوف نرى أن هناك قدرا من الاحتمال أن العرب قد استنشقوا بعض نسائم البحث اللغوى القادمة من الهند ، فإذا صح ذلك يكون كل من الصينيين والعرب – على الرغم من انقطاع العلاقة المباشرة بينهما فى هذا الأمر – قد أفاد من مصدر واحد ، ذلك هو البحث اللغوى فى السنسكريتية (١) ولا شك أن هناك شبها بين أمتى الصين والعرب فى اهتمام كل منها بلغتها ، وبالتراث الدينى الذى كتب بها ، وفى المنهج العلمى الذى اتبعته كل منهما منذ عهد بعيد فى دراسة لغتها ، وفى المعاجم العديدة التى ألفتها كل منهما ، لتجمع ألفاظ لغتها وتشرحها . ولكن اختلاف طبيعة النظام الكتابى فى اللغتين اختلافا كاملا ، جعل طبيعة المشاكل التى تعترض التأليف المعجمى فيهما ، والحلول التى تقدم لها مختلفة تماما .

(ج) وقبيل مولد المسيح كان الفرعان التوأمان للبحث اللغوى (التقعيدُ والمعجمةُ) قد نضجا ، واحتلا مكانا بارزا ، فى كل من – السنسكريتية واليونانية . وهذا يعنينا عند التأريخ للتأليف المعجمى عند العرب ، لأننا نعلم علم اليقين أن العرب قد تأثروا بكلتا الحضارتين فى مجالات أخرى من مجالات حضارتهم ، فقد تأثر العرب باليونان فى الفلسفة والعلوم ، وبالهنود فى القصص والحكايات والموسيقى والرياضيات ، ولذلك فان تأثر العرب بهما أو باحداهما فى ميدان البحث اللغوى يجب أن يكون موضع التحرى والتساؤل . ولنرجئ هذا التساؤل الآن لنلقى نظرة عابرة على البحث اللغوى والنشاط والمعجمى فى اللغتين .

(١) أنظر مقالة (Dictionary) فى كل من دائرتى المعارف البريطانية واليهودية ، وراجع أيضا كتاب جون هاى ود عن فن المنجمة العربية ص ٦ ، وكتاب عبد الغفور العطار ص ٥٦ .

أما فى السنسكريتية فقد نشط التقعيد فيها قبل المَعجمة ، فقد ألف كتاب بابينى ( Panini ) فى قواعد السنسكريتية حوالى عام ٣٠٠ ق م وقد عرّف الهنود قبل أرسطو مثلا أنواع الكلمة ، وإمكان اشتقاق كلمات كثيرة من « جذر » فعلى واحد . . الخ ، واندفع الهنود القدماء إلى عمل المعاجم لشرح ألفاظ نصوصهم الدينية والمحافظة على إمكان تلاوتها ، وفهمها ، كما حاولوا أن يجمعوا « غريب » اللغة ليعينوا شعراءهم على استعمال ما يريدون منه ، بل إنهم كى ييسروا حفظ هذا « الغريب » ضمنوه مؤلفات منظومة ! ومن المؤسف أن كثيرا من نتاج النشاط المعجمى القديم فى السنسكريتية قد ضاع . وأقدم معجم سنسكريتى موجود هو الأماراكوصا ( The Amarakoça ) التى ترجع إلى القرن الخامس الميلادى ،وهو معجم مترادفات ، وله ملحق بالمشترك اللفظى وآخر بالمفردات غير المتصرفة . والحق أن معظم النشاط المعجمى عند الهنود كان يرتكز على الترتيب المعنوى ، فيرتب الألفاظ طبقا لمعانيها ، وهو اتجاه يغاير الاتجاه الرئيسى فى النشاط المعجمى عند العرب .والحق كذلك أن المعاجم السنسكريتية الضخمة لم تظهر وتنتشر إلا بعد القرن الثانى عشر الميلادى ، حين كان التراث المعجمى للعربية قد اكتمل له إنتاج رائع جبار . ولم تنته المعاجم السنسكريتية حتى الآن إلى نمط مثالى فى ترتيب مادتها اللغوية ، كذلك النمط المثالى فى الترتيب الهجائى الذى انتهت إليه المعاجم العربية منذ عصر الزمخشرى[1] .

وأما فى اليونانية فقد بدأ البحث اللغوى كذلك بالتقعيد ، ثم ثنى بالمَعجمة فمنذ القرن الثانى قبل الميلاد عرف نحاة اليونانية كثيرا من فنون البحث اللغوى وقسموا الكلمة مثلا إلى ثمانية أنواع ، وهو نفس العدد الذى تقسم إليه الكلمة فى النحو الإنجليزى المعاصر ، ولكن الفلسفة طغت على البحث اللغوى عند اليونانيين ، وانتقل الصراع بين مذهبى الفلاسفة من قياسيين ،

---

( ١ ) يعتبر الترتيب الأبجدى لمادة المعجم الذى طبقه الزمخشرى فى كتابه « أساس البلاغة » أكمل ترتيب أبجدى عرفه تاريخ المعاجم حتى عصر الزمخشرى فى العربية وغيرها ، أنظر بحثنا الذى نشر بالانجليزية عن : « دور الزمخشرى فى تطور المعجم العربى » فى مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – مجلد ٢٤ جزء أول .

يحتِّمون فرض القياس على الشواذ ، واستقرائيين يقرّون كل مثال مهما كان شاذا – إلى علماء البحث اللغوى ، ولعل هذا مما انعكس على البحث اللغوى عند العرب أيضا ، حيث نجد مدرسة البصرة أميل إلى احترام القياس ، ومدرسة الكوفة تصر على احترام الشواذ .

وأقدم معجم يونانى جاءتنا أخباره هو معجم أبو قراط ( Hippoctares Lexikon ) الذى ألفه جلاوكوس Glaucux عام ١٨٠ ق م .

وفى عهد الإمبراطور أغسطس ، الذى ولد فيه السيد المسيح ، وضع فاليريوس ( Valerius ) معجما ترجمة عنوانه هى : « فى معانى الألفاظ » شبيها بمعاجمنا العصرية تماما . ولكن العصر الذهبى للتأليف المعجمى عند اليونان كان فى القرون الأولى بعد ميلاد المسيح ، وبخاصة فى ثغرنا المجيد الاسكندرية . . ولا يعنينا كثيرا سرد الأسماء الغريبة للمعاجم ومؤلفيها عند اليونان ، خاصة وأنها كثيرة متعددة ، وحسبنا أن نؤكد أن اليونانية حظيت بنشاط معجمى شمل فروع التأليف المعجمى كلها أو كاد ، فقد عرفوا الترتيب المعنوى للثروة اللفظية مثلا فى معجم يوليوس – بولوكس ( Yulius Pollux ) الذى ظهر فى القرن الرابع الميلادى ويشبه إلى حد بعيد مخصص ابن سيده – كما خلّفت مدرسة الاسكندرية فى القرن الرابع والخامس عدداً من المؤلفات المعجمية المختلفة منها : « ما اتفق لفظه . واختلف معناه » لأمونيوس Ammonius ومعجم « اللهجات والسمات المحلية » لهزيشيوس Hesychius ومعجم « الاشتقاق » لأوريون الطيبى ( المنسوب إلى طيبة فى مصر ) .

ومن الواضح أنه لم يكن لليونان تأثير مباشر على العرب فى ميدان التأليف المعجمى ، وإلا لاهتدى العرب منذ البداية إلى الترتيب الهجائى الحديث الذى استعمله اليونانيون منذ عصر ميلاد المسيح عليه السلام ، دون أن يمروا بمراحل طويلة مختلفة من التجارب المضنية .

( ٥ )

وإذا كنا قد ألمحنا حتى الآن إلى الاتجاهات الرئيسية فى التأليف المعجمى

عند عدد من الأمم المتحضرة التى سبقت العرب إلى الظهور على مسرح التاريخ ، فإنه قد حان لنا أن نتساءل : هل كان لهذا النشاط أو بعضه فضل على النشاط المعجمى عنـد العرب ؟ ولعل القارئ قد أحسّ أننا ، عن طريق الاستئصال ، قد استبعدنا تأثر العرب المباشر فى ميدان التأليف المعجمى بالمصريين القدماء ، أو الأكاديين أو الصينيين ، أو اليونانيين ، ولم يبق أمامنا إلا التساؤل عن احتمال تأثر العرب بالنشاط اللغوى والتأليف المعجمى فى اللغة السنسكرينية . وهنا يجد المرء المنصف نفسه فى حيرة يدعو إليها اصطدام الشواهد والقرائن .

فمن الواضح أن ظروفا تاريخية مواتية (أفقية ورأسية[1]) قد اقتضت ظهور هذا اللون من النشاط المعجمىّ فى العربية ، ومن الواضح كذلك أن التجربة المعجمية قد مرت على التربة العربية بكل مراحل نموها وتطورها ، ولم تُنقل جاهزة ناضجة من أى بيئة أخرى ، فقد بدأت المحاولاتُ الأولى فى النشاط المعجمى بشرح غريب القرآن ، ثم شرح غريب الحديث النبوى ، ثم بدأت الشروح المختلفة للتراث الشعرى أيضا تظهر إلى حيّز الوجود. وجمهرة التعريفات التى تضمنتها المعاجم اللغوية فيما بعد مستمدة من هذه الشروح الأولية لغريب القرآن والحديث والشعر ، ثم بدئ التأليف الفعلى للمعاجم برسائل صغيرة تجمع النادر والغريب ، أو تضم الألفاظ التى تتداعى فى موضوع واحد ، كل هذا قبل أن يتم التفكير فى تأليف معجم شامل مستوعب . وحين اتجه التفكيرُ إلى تأليف مثل هذا المعجم ، فقد مرت مشاكل جمع مادته اللغوية ، وترتيبها ، وطريقة تعريفها بالكثير من التجارب قبل أن تبلغ ذلك المستوى من الكمال الذى بلغته والذى لا يقنعنا ولا يرضينا ، لأننا كنا نرجو لها أن تفوقه ، وما زلنا نتوقع أن تفوقه فى جهودها المقبلة فى التأليف المعجمى.

كل هذا يؤكد أن التجربة المعجمية فى اللغة العربية إنما هى عربية أصيلة من

---

(١) أنظر الفقرة الرابعة من هذا البحث .

بدايتها إلى نهايتها ، وأنها انعكاس صادق للظروف والملابسات والإمكانيات العربية البحتة .

وكل ما يعكر صفو هذا الاستنتاج هو ما ينوه إليه المستشرقون[1] من أننا نحسن بشيء من الطفرة في ظهور معجم العين للخليل ، بفكرته المعقدة ، ومنهجه العلمي الدقيق وترتيبه الصوتي ، وهدفه الطموح إلى الاستيعاب والشمول . فلا يمكن أن يكون ذلك نموا طبيعيا لرسائل الغريب والنادر ، أو المفردات الدالة على الزرع والمطر . وهذه الطفرة في ظهور العين ، بالإضافة إلى ظروف حياة الرائد الخليل نفسه – وأنه عاش في خراسان قريبا من الهند ، وتأثر بالثقافة الهندية في نواحي أخرى من جهوده العقلية[2] – كل هذا يوحي بالشك في احتمال تأثر الخليل بالسنسكريتية .

ويتحمس مؤرخو المعاجم العربية من المعاصرين كالدكتور عبد الله درويش ، والدكتور حسين نصار قبله[3] ، لدحض هذه الشبهة ، ويؤكدون أن الخليل قد « اخترع » هذا النظام بعقليته الفذة ، دون أي تأثر أجنبي .

والحق أننا لو استبدلنا كلمة « اخترع » بكلمة « اقتبس » ما نال ذلك من فضل الخليل ولا من مجد العرب شيئا ، فإن الإنسان العبقري الفذ – في نظرنا – هو الذي يتمثل ما حوله من ثقافات ، ويفيد بها ، ويتفاعل معها ويَخْرُجُ منها بنمط جديد يغايرها ، ويضاف إليها ، ويزيد عليها دون أن يقلدها تقليدا أعمى . ولم يقل أحد إن العبقرية هي أن يغلق المرء الفذ على نفسه جدرانا أربعة محكمة ، يعيش فيها ، لا يدري ما أنتجت الإنسانية قبله ، ولا كيف يفكر معاصروه

( ١ ) من أمثال جون هاي وود : أنظر كتابه عن فن المعجمة العربية ص ٨ .

( ٢ ) أنظر : الدكتور عبد الله درويش « المعاجم العربية » .

( ٣ ) اقرأ هذه الفقرة من كتاب الدكتور حسين نصار ج ١ ص ٢٠١ : « ولكننا نرى أن الهنود إذا كانوا قد توصلوا إلى نظام المخارج بفضل ترتيلهم للفيدا المقدسة كما يقولون ، فليس ما يمنع أن العرب قد وصلوا إليه بفضل ترتيلهم القرآن الكريم » .

ثم يأتى بعد ذلك من تلافيف مخه وحدها عما لم يأت بمثله أحد .

فالنظرة الواقعية المنصفة إلى مشكلة تأثر الخليل – رائد المعجم العربى – بالسنسكريتية تحتم علينا أن نشير إلى احتمال قيام هذا التأثر ، دون أن نرتفع بهذا الاحتمال إلى درجة الثبوت والتأكد ، أو نهبط به إلى مستوى الرفض والاستبعاد . وحتى لو صدق الشك فى تأثر الخليل بالهندية ، وثبت هذا الاحتمال ، فان ذلك لا يُخرج التجربة العربية – التى عانت فنَّ المعجمة من البداية إلى النهاية معاناة كاملة ، وأثبتت فيه عبقريتها وثراءها ، وفضلها على غيرها من الشعوب – عن مكانة الأصالة ، أو يحرمها من فضل السبق ، أو ينتقص منها مزية الامتياز ! !

**محمد سالم الجرح**

# في الجانب الإحصائي اللغوى

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

مقـــدمة :

قدمت في مقال سابق ( لكتب اللغات ) بمدخل تاريخى للعصر وللمؤلفين ، ثم درست هناك هذه المصادر الأولى ( للغات ) فى ضوء المنهج الوصفى ، مقدما نماذج من نصوصها ، وشواهد من رواياتها وأسانيدها .

وفى هذا المقال أعرض دراسة جديدة حول هذه الآثار فى ضوء المنهج الإحصائى معتمدا على نشر لوحات إحصائية (لأول مرة) فى مؤلفات من عزيت لهم كتب لغات مفقودة ، وهذه المؤلفات الموجودة قد تأثرت إلى حدّ كبير بكتب ( اللغات المفقودة ) بعد أن نضح على هذه المؤلفات صور وملامح من كتب ( اللغات ) فهى تمثلها وتصورها ، بل تعطينا إلى حدّ ما ( عيّنة ) صادقة مما كانت تشتمل عليه هذه الكتب المفقودة من لهجات القبائل العربية كيفًا وكمًّا . وهذه اللوحات الإحصائية لبعض الآثار التى وصلتنا من مؤلفات يونس بن حبيب البصرى ١٨٢ هـ ، والفراء ٢٠٧ هـ ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى ٢١٠ هـ ، وأبى زيد الأنصارى ٢١٥ هـ ، والأصمعى ٢١٦ هـ ، وابن دريد ٣٢١ هـ ، وجميع هؤلاء الأعلام ألفوا فى ( كتب اللغات المفقودة ) .

ثم ثنيت بتقديم لوحات إحصائية أخرى فى المصادر المختلفة التى يمكن أن تكون قد تأثرت بكتب ( اللغات المفقودة ) . ثم ثلثت بلوحات إحصائية أيضا عن مدى رواية العلماء – الذين لهم كتب لغات مفقودة – للهجات القبائل العربية فى كتابى ( المخصص لابن سيده ، وهمع الهوامع لجلال الدين السيوطى ) وذلك لننتقل من المعلوم إلى المجهول الذى نسعى فى كشفه وإزاحة الستار عنه . وقدمت تعقيبا ونقدا على هذه اللوحات الإحصائية . ثم تحدثت عن تفرّد من ألف فى ( كتب اللغات ) بعزو بعض الصيغ اللهجية ، ثم موقف المصادر الثانوية من الروايات الأُولى المسندة إلى من ألف فى ( كتب اللغات ) ، والأحكام التى صدرت على اللهجات مادحة وقادحة ، ثم أخيرا عرضت لروايات مسندة إلى من ألف فى ( كتب اللغات ) المفقودة ظهر منها مدى التناقض والاضطراب .

## أولا :

الجانب الاحصائى للهجات القبائل فى تأليف من عزيت لهم كتب لغات مفقودة .

( ا ) كتاب « النوادر » لأبي عبد الرحمن يونس بن حبيب البصرى ١٨٢ هـ .

والكتاب مفقود ، وقد سجل السيوطى فى مزهره[1] اقتباسات منه :

| | | |
|---|---|---|
| لهجة | : الحجاز | تميم |
| عدد ورودها | : ٢٧ مرة | ٢٧ مرة |

وأغلب هذه المقابلات بين اللهجتين التميمية والحجازية تدور حول :

( ا ) المستوى الصوتى .  (ب ) المستوى الصرفى .

ولم يتعرض يونس للمستوى الدلالى ، كما لم يستشهد على صيغ اللهجات بشواهد شعرية ، ولم يتناول الظواهر اللهجية فى القبائل العربية الأُخرى فى غير تميم والحجاز، ولعل هذا الاختصار كان من عمل السيوطى نفسه لا من يونس بن حبيب .

---

( ١ ) ٢ – ٢٧٥ فما بعدها .

(ب) « ما تفرد به أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب البصرى » .

وهو النوع الثانى من كتاب ( الشوارد فى اللغات[1] ) » .

| لهجة | تميم | هذيل | العالية | نجد | بنى يربوع | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| عدد ورودها | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |

(ج) كتاب المذكر والمؤنث ، لأبى زكريا الفراء ٢٧٠ هـ . ( المطبعة العلمية بحلب ١٣٤٥ هـ ) .

| لهجة | الحجاز | أسد | نجد | عُكْل | قيس | اليمن | دُبَيْر | تميم | عامر | باهلة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| عدد ورودها | ٧ | ٦ | ٤ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |

(د) كتاب الأيام والليالى والشهور للفراء[2] ط الأميرية .

| لهجة | أسد | كلب | ربيعة |
|---|---|---|---|
| عدد ورودها | ١ | ١ | ١ |

(هـ) كتاب مجاز القرآن صنعة أبى عبيدة معمر بن المثنى التيمى[3] ٢١٠ هـ .

وميدان الإحصائية فيه من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الزمر .

| لهجة | نجد | تميم | الحجاز | العالية | كنانة | بعض المكيين | لغة أكلونى البراغيث |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| عدد ورودها | ٢ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |

(١) بغية الوعاة : ٢٢٧ والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤١٨ لغة ، ومعنون باسم (ما تفرد به بعض أئمة اللغة ) وهو نفسه كتاب ( الشوارد فى اللغات ) للحسن الصغانى ٦٥٠ هـ . وأنظر أعلام العرب ٧٥ — الفصل الأول . تأليف د. حسين نصار .

(٢) كرر الفراء النقل عن العرب فى هذا الكتاب أكثر من عشرين مرة حيث يقول ( ومن العرب ) كما استعمل الفراء فى هذا الكتاب ألفاظا عدة فاتت المعاجم وكتب العربية : ص ١٠ ، ص ٢٩ ، ص٥٦ ، ص ٦٣ وأنظر : أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ص ٤٩٧ د. أحمد مكى الأنصارى.

(٣) حققه د. محمد فؤاد سزكين . ط أولى . الخانجى بالقاهرة .

(و) النوادر فى اللغة ، لأبى زيد الأنصارى ٢١٥ هـ. ( ط. بيروت، ١٨٩٤ م ) .

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| لهجة : | طيئ | تميم | كلاب | قيس | عقيل | ضبّة | عكل | بلْحارث بن كعب |
| عدد ورودها : | ٥ | ٤ | ٣ | ٣ | ٢ | ٢ | ٢ | ١ |
| | أسد | اليهود | حمير | بكر بن وائل | قُشير | العالية | نُمير | مضر |
| | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |
| | بنى كعب بن عبد الله بن أبى بكر | كُليب | بلْعنبر | قريش . | | | | |
| | ١ | ١ | ١ | ١ | | | | |

(ز) كتاب المطر لأبى زيد الأنصارى :

| | | |
|---|---|---|
| لهجة : | كلاب | قيس |
| عدد ورودها : | ٢ | ١ |

(ح) كتاب الهمز لأبى زيد الأنصارى[1] ( ط. بيروت ) .

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| لهجة : | تميم | قيس | الحجاز | الْقُشَيْريين | بنى الْحرْمَاز |
| عدد ورودها : | ٣ | ٣ | ١ | ١ | ١ |

(ط) كتاب الإبل للأصمعى ٢١٦ هـ .

| | | | |
|---|---|---|---|
| لهجة : | الحجاز | تميم | قيس |
| عدد ورودها : | ١ | ١ | ١ |

(ى) كتاب خلق الإنسان للأصمعى :

| | |
|---|---|
| لهجة : | « لغة » العجّاج |
| عدد ورودها : | ١ |

---

(١) رواية الشيخ أبى الفضل عمر بن عبيد الله بن البقال .

(ك) كتاب النخل للأصمعى : ضمن كتاب البلغة فى شذور اللغة. المطبعة الكاثوليكية ط. بيروت[1] ١٩٠٨ م.

| لهجة : | الحجاز | نجد | المدينة | بالحارث بن كعب | اليمامة |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| عدد ورودها : | ٤ | ٤ | ٢ | ٢ | ١ |

(ل) كتاب الكرم* للأصمعى (ضمن كتاب البلغة فى شذور اللغة).

| لهجة : | الطائف | غير الطائفيين | آخرين من الطائفيين |
| --- | --- | --- | --- |
| عدد ورودها : | ٢ | ١ | ١ |

(م) كتاب الوحوش للأصمعى (نشره الدكتور Rudolf Geyer[2])

| لهجة : | هذيل | اليمن | الحجاز | العالية |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| عدد ورودها : | ٢ | ٢ | ١ | ١ |

(ن) كتاب** الأضداد للأصمعى (نشره الدكتور أوغست هفنر[3])

| لهجة : | الحجاز | هذيل | طيء | العراق | نجد | نمير | تميم | قيس | عقيل |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| عدد ورودها : | ٣ | ٢ | ٢ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |
| | هلال | | حمير | | | | | | |
| | ١ | | ١ | | | | | | |

---

(١) نشرها د. أوغست هفنر والأب لويس اليسوعى. (٢) فينا ١٨٨٨ م.

(٣) مع كتاب الأضداد لابن السكيت والسجستانى والصغانى. ط بيروت ١٩١٢ م.

* حدث شك حول نسبة هذا الكتاب للأصمعى ، ومن المحتمل أن يكون لأبى عبيد معاصر الأصمعى ، أو لأبى حاتم السجستانى تلميذ الأصمعى (مقدمة كتاب النخل والكرم ص ٦٣).

** رابنى فى أول الأمر ظل من الشك حول نسبة هذا الكتاب للأصمعى والسبب فى ذلك : أن كتاب الأضداد لابن السكيت قد عزا فيه لعشر قبائل ، وكتاب الأضداد للأصمعى هذا عزا فيه إلى إحدى عشرة قبيلة فالاتفاق واضح ، كما أن التشابه فى مادة الكتابين ملحوظ ، ولفتنى إلى هذا الشك أيضا د. رمضان عبد التواب حيث يرى أن الأصمعى فى كتابه يروى عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، وبينهما من العداء والمعاصرة مالا يسمح بالرواية ، كما أنه روى فيه عن (الأثرم) ت ٢٣٢ هـ وهو من تلاميذ الأصمعى فكتاب الأضداد للأصمعى ليس له. وإنما هو رواية أخرى لأضداد ابن السكيت.

(د) شرح المفصل لابن يعيش ت ٦٤٣ هـ

لهجة : تميم الحجاز طيء أسد هذيل قريش قيس سليم بلحارث بن كعب

عدد ورودها : ٣١ ٢٤ ٧ ٣ ٣ ٢ ٢ ٢ ٢

تهامة حنْظلة بلعنبر الأَنصار عقيل اليمن فزارة

١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

بنى سعد قضاعة أَزد السّراة بطون من ربيعة

١ ١ ١ ١

ومن المعاجم :

(هـ) لسان[1] العرب لابن منظور ت (٧١١ هـ)

لهجة : تميم الحجاز هذيل أسد طيء قيس نجد حمير كلاب

عدد ورودها : ١١٨ ١١٠ ٨٣ ٥٣ ٤٧ ٤١ ٢٤ ٢٢ ١٩

سليم عقيل سعد العالية قضاعة المدينة ربيعة

١٧ ١٦ ١٣ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠

قريش بلحارث بن كعب عامر مكة كلب الأَزْد هوازن

٩ ٩ ٩ ٨ ٨ ٦ ٥

عكل ضبّة بكر بن وائل فزارة عبد القيس حنْظلة

٥ ٥ ٥ ٥ ٤ ٣

باهلة أَزد شنوءة الأَنصار بلعنبر كنانة العراق

٣ ٣ ٣ ٣ ٣ ٢

فقعس الغور خيبر الشحر تهامة أشجع

٢ ٢ ٢ ٢ ٢ ٢

---

(١) فاقت لهجة اليمن فى اللسان إحصائيا غيرها من اللهجات المرصودة ، ولم أهتم باحصائها بدقة ؛ لأن ابن منظور خلط بين اللهجة اليمنية والحميرية ، وذلك لا يتفق والبحث العلمى الحديث .

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| عليا مضر | سفلى مضر | عوف بن سعد | بهراء | اليمامة | خثعم |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |
| نمير | خزاعة | سعد بن بكر | بنى عبيد | جَديلة | تغلب |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |
| وَهْبيل | غَنْم | الطائف | الرِّباب | بثينة | جهينة |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |
| تيم بن ثعلبة | أزد السّراة | غنى | عجلان | بنى عدىّ | تيم الرباب |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |
| بنى سلامة | ثقيف | مجاشع | معدّ | همدان | |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | |

ومن كتب اللغة العامة :

( و ) المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ت ٩١١ ﻫ .

| | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| لهجة | تميم | الحجاز | طيء | هذيل | اليمن | قيس | نجد | حمير | أزد شنوءة |
| عدد ورودها : | ٥٨ | ٤٩ | ٦ | ٤ | ٤ | ٣ | ٢ | ٢ | ٢ |
| | قريش | أسد | عامر | سُليم | البحرين | قضاعة | نزار | عبدالقيس | |
| | ٢ | ٢ | ٢ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | |
| | كلاب | العالية | هوازن | ضبه | الأنصار | مكة | عقيل | | |
| | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | | |

ومن كتب اللغة الخاصة :

(ز ) الإبدال لأبى الطيب[1] اللغوى ت ٣٥١ ﻫ .

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| لهجة : | تميم | طيء | أسد | الحجاز | بنى دبير | كلاب | قريش | هذيل |
| عدد ورودها : | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | ١ | ١ | ١ |
| | العالية | أزد شنوءة | | | | | | |
| | ١ | ١ | | | | | | |

(١) ط دمشق ١٩٦٠ – الجزء الأول تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخى ، وكذلك الجزء الثانى : دمشق ١٩٦١

(ح) كتاب (ليس فى كلام العرب) للحسين بن أحمد بن خالويه ت ٣٧٠ هـ ، ويشمل هذا الإحصاء القسم الأول من الكتاب المطبوع بتحقيق الشنقيطى ، كما يشمل القسم الخامس من الكتاب وهو قرابة ١٨٠ ورقة من القطع المتوسط والمصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ٢٢٢ ميكروفلم عن نسخة فريدة مخطوطة بالأستانة بمكتبة شهيد على رقم (٢١٤٣) .

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| لهجة : | تميم | أسد | عقيل | اليمن | عبد القيس | بلحارث بن كعب | | |
| عدد ورودها : | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ١ | | |
| | مكة | شامية | أهل البحرين | | | | | |
| | ١ | ١ | ١ | | | | | |

ومن كتب شروح الأشعار :

(ط) [1] شرح ديوان الحماسة لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى ٤٢١ هـ .

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| لهجة : | طيئ | تمم | الحجاز | هذيل | اليمن | قيس . |
| عدد ورودها : | ٥ | ٤ | ٢ | ٢ | ١ | ١ |

ومن كتب اللغة : مفردات لغوية خاصة تدور فى فلك واحد وهى كتب التضاد الجنسى [2]

(ى) ما يذكر ويؤنث من الإنسان ومن اللباس لأبى موسى [3] الحامض ت ٢٥٢ هـ

لهجة :

عددها : لم يعز فيه المؤلف إلى قبيلة ما .

---

(١) ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٢) يعنى : المذكر والمؤنث

(٣) حققه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب .

(ك) كتاب التذكير والتأنيث لأبي حاتم السجستاني[1] ت ٢٥٥ هـ .

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| لهجة : | تميم | الحجاز | قيس | أسد | نجد |
| عددها : | ٢ | ٢ | ١ | ١ | ١ |

(ل) كتاب المذكر والمؤنث[2] لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥ هـ

لهجة : لم يعز فيه المبرد إلى قبيلة ما .

(م) كتاب المذكر[3] والمؤنث لابن جنى ت ٢٩٢ هـ

| | | | |
|---|---|---|---|
| لهجة : | أسد | نجد | الحجاز |
| عددها | ١ | ١ | ١ |

(ن) المذكر والمؤنث[4] لأبي الحسين سعيد بن إبراهيم التُّسْتَرى (أواسط القرن الرابع الهجرى) .

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| لهجة : | الحجاز | أهل نجد | بعض بنى أسد | غير الحجاز | أسد | بعض عكل |
| عددها : | ٥ | ٣ | ٢ | ٢ | ٢ | ١ |
| | غير نجد | بعض قيس | | | | |
| | ١ | ١ | | | | |

(١) مخطوط بالتيمورية رقم ٢٦٤ لغة .

(٢) مخطوط بالتيمورية رقم ٤٠١ لغة ، وهو برواية أبي على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار عن أبي بكر محمد بن السرى السراج عن المبرد .

(٣) مخطوط بالتيمورية رقم ٣٨٨ لغة .

(٤) مخطوط بدار الكتب ٣٤٣ لغة ويقع الكتاب فى ذيل كتاب مجهول المؤلف والاسم جميعا وهو مرتب على نسق حروف المعجم ، والنسخة بها سقط بقية حرف (ص) إلى بقية حرف (ع) .

(س) مختصر فى المؤنث[1] والمذكر لأبى الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ ﻫ

لهجة : تميم .

عددها : ١

(ع) البلغة فى الفرق[2] بين المذكر والمؤنث لأبى البركات بن الأنبارى (٥١٣ ﻫ ـ ٥٧٧ ﻫ)

لهجة : لم يعز فيه المؤلف إلى قبيلة ما .

(ف) قصيدة ابن الحاجب[3] ت ٦٤٦ ﻫ فى الأسماء المذكرة والمؤنثة .

لهجة : لم يعز فيه المؤلف إلى قبيلة ما .

(ص) عقد الجوهرة فى الأسماء المؤنثة والمذكرة ، نظم الإمام عبد الرحمن بن الحسن[4]

| | | | |
|---|---|---|---|
| لهجة : | أسد | الحجاز | نجد |
| عددها : | ١ | ١ | ١ |

(ق) فتح الرحمن[5] بشرح ما يذكر ويؤنث من أعضاء الإنسان، لأحمد بن أحمد ابن محمد السجاعى ت (١١٩٧ ﻫ) .

| | | |
|---|---|---|
| لهجة : | طيء | تميم . |
| عددها : | ١ | ١ |

---

(١) مخطوط بالتيمورية ٢٦٥ لغة .

(٢) حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب .

(٣) مخطوط بالتيمورية فى مجموعة لغوية ٣٢٧ لغة .

(٤) مخطوط بالتيمورية رقم ٣٢٧ لغة فى مجموعة .

(٥) مخطوط رقم ٢٦٩ لغة تيمور ، والكتاب شرح منظومته فى الأعضاء التى يجوز التذكير والتأنيث وكتبها محمد فتى إبراهيم لثلاث خلت من شعبان ١٣٠٥ ﻫ .

(ر ) رسالة فى المؤنثات السماعية[1] لنور الدين الجزائرى .

لهجة : لم يعز فيها المؤلف إلى قبيلة ما .

(ش) نبذة فى المؤنثات السماعية (لم يعرف مؤلفها[2]) .

لهجة : لم يعز فيها المؤلف إلى قبيلة ما .

(ت) الإمتاع[3] بما يتوقف تأنيثه على السماع للأستاذ الأكبر محمد الخضر حسين[4] .

| لهجة : | تميم | أسد | الحجاز |
|---|---|---|---|
| عددها | ٢ | ٢ | ٣ |

ثالثاً

لوحة إحصائية عن مدى رواية العلماء — الذين لهم كتب لغات مفقودة — للهجات القبائل العربية فى كتابى (المخصص : لابن سيده ، والهمع للسيوطى) :

( ا ) إحصائية ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) فى المخصص

| | | |
|---|---|---|
| ابن دريد | (بصرى لغوى) | ٣٩ مرة |
| أبو زيد الأنصارى | (بصرى نحوى) | ١٣ مرة |
| يونس بن حبيب | (بصرى نحوى) | ٦ مرات |
| الأصمعى | (بصرى لغوى) | ٤ مرات |
| أبو عبيدة معمر بن المثنى | (بصرى لغوى) | ٣ مرات |
| الفراء | (كوفى نحوى) | ٣ مرات |

(١) ط بيروت ١٩٠٨ م .

(٢) مخطوط بالتيمورية ٣٢٧ لغة ضمن مجموعة .

(٣) ط مكتبة دار الفتح بدمشق .

(٤) ولد الأستاذ الأكبر فى (١٢٩٤ هـ — ١٨٧٧ م) (وتوفى سنة ١٩٥٨ م وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٥٢ وكان عضوا فى مجمع اللغة العربية) .

(ب) إحصائية السيوطى ت ٩١١ هـ فى الهمع :

| | | | |
|---|---|---|---|
| الفراء | (كوفى نحوى) | ٦ | مرات[١]. |
| أبو زيد الأنصارى | (بصرى نحوى) | ٢ | مرتان[٢]. |
| أبو عبيدة معمر بن المثنى | (بصرى لغوى) | ١ | واحدة[٣]. |

## تعقيب ونقد

أولا : يلاحظ على منهج سيبويه فى إيراده لهجات القبائل من خلال كتابه :

أنه تارة يحكى اللهجات عن العرب بواسطة أبى الخطاب[٤]، ويونس[٥] والخليل[٦]، وكثيرا مايقول (وجميع ماوصفنا من هذه اللغات سمعناه من الخليل ويونس عن العرب[٧]) وتارة أخرى يسمعها بنفسه[٨] ويحكيها ، أو يوجه السؤال عنها إلى العرب فيقول : (سألنا العُلْويِّين والتميميين . . .[٩]) كما كان يصدر أحكاما منهجية عن اللهجة كقوله (استوت اللغتان فسارت على أقيس الوجهين[١٠]) أو يصف لهجة الحجاز بقوله (وهى عربية جائزة[١١]) أو بقوله (وهى اللغة العربية القديمة الجيدة[١٢]) أو بقوله «والحجازية هى اللغة الأولى القدمى[١٣]) .

---

(١) الهمع ١ - ٤١ ، ٢ - ٣٤ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٣٣ ، ١ - ١٣٤
(٢) الهمع ١ - ١١٢ ، ٢ - ٣٣ .
(٣) الهمع ٢ - ٣
(٤) الكتاب ٢ - ٢٨٧ ، ٤٠٨
(٥) الكتاب ١ - ٢٤٨ ، ٣١٧ ، ٢ - ١٦٠
(٦) الكتاب ١ - ٣١٧ ، ٢ - ١٦٠ ، ٢٨٧
(٧) الكتاب ١ - ٣١٨
(٨) شرح المفصل لابن يعيش ٩ - ٧٢ ، ٧٧ ، ١١٨ ، ١٠ - ١٤١
(٩) الكتاب ٢ - ٤٠٧
(١٠) الكتاب ١ - ٢٩ ، ٣٦٢
(١١) ٢ - ٤١٦
(١٢) ٢ - ٤٢٤
(١٣) ٢ - ٤١

وقد يستعمل أسلوب المعلم فى عرض اللهجة مثل «إعلم أن بنى تميم يقولون فى موضع الرفع : ذهب أمس بما فيه[(١)] . . . » وقوله (واعلم أن الهمزة التى يحقق أمثالها أهل التحقيق من بنى تميم وأهل الحجاز ،وتجعل فى لغة أهل التخفيف بين بين تبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحا ، والياء إذا ما كان ما قبلها مكسورا ، والواو إذا كان ما قبلها مضموما وليس ذا بقياس[(٢)] » وقوله «واعلم أن قوما من ربيعة. . .[(٣)] » وأحيانا أخرى يؤكد الخبر كقوله فى إجراء القول مجرى الظن مطلقا عند بنى سليم «وسألت أبا الخطاب عنه غير مرة[(٤)] » أو يحدد معالم اللهجة اتساعا وانكماشا كقوله «وزعم لى بعض العرب أن ياهذا زيدٌ كثير فى كلام طىء[(٥)] » وكقوله «فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد[(٦)] . . . » أو «سمعنا بعض بنى تميم من بنى عدىّ . . .[(٧)] » .

وأحيانا تضطرب عنده الحدود بين الضرورة واللهجة فيجنح إلى القول بالضرورة ، فقد رأى فى تسكين الياء فى المنصوب الناقص ضرورة ، على حين أجاز ذلك أبو حاتم السجستانى فى الاختيار ، وقال إنه لغة فصيحة ، وخرج عليه قوله تعالى (من أوسط ما تطعمون أهاليكم ) بسكون الياء[(٨)] ، كما حكم المبرد بجواز ذلك فى سعة الكلام[(٩)] .

أما منهج سيبويه فى سند اللهجة : فكان لا يلتزم طريقا واحدا كقوله «وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون : نبىءٌ وبريئةٌ وذلك قليل ردىء[(١٠)] » أو يقول «سمعنا ناسا من العرب كثيرا يقولون[(١١)] . . . » أو «وقد سمعنا من العرب من يشمه الرفع[(١٢)] . . . » أو «سمعنا ذلك من تميم وأسد[(١٣)] » أو «وسمعنا عربيا وثوقا بعربيته يقول . . .[(١٤)] » أو يروى اللهجة عمن سمعها من العرب كقوله «حدثنا

---

(١) ٢ – ٤٣
(٢) ٢ – ١٦٩
(٣) ٢ – ٢٩٤
(٤) ١ – ٦٣
(٥) ١ – ٣٠٨
(٦) ٢ – ٢٩٥ ، ٢٩٩
(٧) ٢ – ٢٨٧
(٨) الهمع ١ – ٥٣
(٩) شرح ابن عقيل ١ – ٧٣ حاشية
(١٠) الكتاب ٢ – ١٧٠
(١١) الكتاب ١ – ١٦٦
(١٢) المصدر السابق ١ – ٤٥٠
(١٣) السابق ٢ – ٢٨٥
(١٤) السابق ١ – ٤١٥

يونس أن بعض العرب . . . »[1] أو «حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لغة لفزارة وناس من قيس »[2] وأحيانا يأتى بالسماع عاما فلا يحدد قبيلا من العرب كقوله «وسمعناهم يقولون : هو يضربهأ »[3]. وإنما استعمل سيبويه سلاسل الإسناد ليحيط اللهجة بالتثبت والضبط ، وذلك أقرب إلى منهج المحدِّثين .

وسقنا هذا الحديث عن كتاب سيبويه ، لأنه كثيرا ما يروى اللهجات عن أستاذه يونس البصرى كما سبق ، ويونس صاحب «كتاب اللغات» المفقود ، وما فى كتاب سيبويه من إشارات لهجية عن يونس تعطى صورة مّا عن مؤلفه المفقود فى اللغات — عن طريق غير مباشر — والذى نحاول أن نتلمس شبحه من المصادر التى تكون ربما نقلت عنه .

ثانيا : بمقارنة كتب المذكر والمؤنث السابقة بكتاب الفراء فى المذكر والمؤنث — نرى أن كتاب الفراء يفوقهم جميعا فى العزو إلى لهجات القبائل ، وذلك يرجع فيما أظن إلى أن الفراء — وقد ألف كتابا — لا يزال مفقودا — فى اللغات — استفاد منه ، ونقل عنه فيما يختص بلهجات القبائل ، بل ربما استفاد منه غيره أيضا ممن ألف فى هذا الفن كأبى الحسين سعيد بن إبراهيم التسترى فى كتابه المذكر والمؤنث حيث كان أكثر ما ينقله من لهجات معزوة إلى القبائل العربية فى ظاهرة التذكير والتأنيث — كان مردها إلى الفراء[4] .

ثالثا : كشفت لنا اللوحات الإحصائية عن تفاوت العلماء فى العزو إلى القبائل قلة وكثرة مع اتحادهم فى نوع التأليف . قارن اللوحتين الإحصائيتين لكتابى الاشتقاق للأصمعى وابن دريد ..

رابعا : كما أبرزتْ لوحة إحصائية عن كتاب «ليس فى كلام العرب» لابن خالويه ؛ لأنه نقل فيه نصوصا من كتاب اللغات لأبى زيد من ذلك قوله «ليس فى كلام العرب نِسْوةٌ بمعنى النسيان إلا فى كتاب اللغات : نَسيت الشىءَ أنساه نِسْيانا ونِسْيا

---

(١) السابق ١ — ٣١٧ (٢) السابق ٢ — ٢٨٧ (٣) السابق ٢ — ٢٨٥

(٤) ص ٢ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ من المخطوطة ٣٠٤٣ لغة بدار الكتب .

ونَسَاوةً ونِسْوة . قال : وكتبت امرأة إلى زوجها : فوالله ما أدري أصرمْت أم مللت أم نسيت ؟ فكتب لها :

فلستُ بصرّام ولا ذى ملالة ولا نِسْوة للعهد يا أمّ جعفر[1]

وأرجح أن ابن خالويه كان يعبّ من كتاب اللغات لأبي زيد مباشرة ، أو أنه نقل عنه بواسطة أبي بكر بن دريد ، يؤكد ذلك أنه ورد في كتب الطبقات أن ابن خالويه أخذ عن ابن دريد[2] وابن دريد نقل في جمهرته من كتاب اللغات لأبي زيد[3] . وكان ابن خالويه كما جاء عن ابن الأنبارى[4] يميل إلى تسجيل اللغات المختلفة .

خامسا : كما أشارت اللوحات الإحصائية إلى ارتفاع تسجيل اللهجات فى الجانب الشرقى عنه فى الجانب الغربي فى الجزيرة العربية ؛ ولعل السرّ فى ذلك يرجع إلى أن الجانب الشرقى كان على صلة دائمة بالآراميين والفرس والأسواق الأدبية الشرقية فتأثر بها ، وسجل حياته اللغوية ، ونشاطه الشعرى ، حتى إذا أشرق فجر الإسلام وضحاه رحل إليهم الرواة واللغويون فسجلوا ما سمعوه منهم ، بعكس الجانب الغربي حيث ضنّ البيزنطيون بتشجيع عرب الغرب على تسجيل تراثه وأدبه ؛ إذ كانت سياستهم مادية نفعية[5] .

سادسا : أن المفردات اللغوية الخاصة التى تدور فى فلك واحد ككتب التضاد الجنسى تصور منهجا للتفكير اللغوى ، وذلك من خلال الأحكام التى كان يصدرها الرواة كقول أبي الحسين سعيد التسترى فى كتابه المذكر والمؤنث فى تعليقه على بعض الصيغ المذكرة والمؤنثة « وهو شاذ غير مختار ولا معمول عليه البتة[6] » وقوله « وأهل نجد يقولون زوجة

---

(١) فى كتاب « ليس فى كلام العرب » ١١٠ دار مصر . أو مللت — وصححته كما فى الجمهرة ٣ — ٤٨٥ « أم مللت » ولمقارنة النص أنظر : الجمهرة ٣ — ٤٨٥ وليس فى كلام العرب ١٠٩ — ١١٠ واللسان : نسا ٢٠ — ١٩٣

(٢) نزهة الألباء ٣١١ نهضة مصر

(٣) الجمهرة ٣ — ٤٧٢ ، ٤٨٤

(٤) نزهة الألباء ٣١٢

(٥) الأمثال فى النثر العربي القديم : د . عبد المجيد عابدين

(٦) ص ٩

للأنثى وهو أكثر من زوج ، وزوج أفصح من زوجة[1] » كما أنه يحدد أبعاد اللهجة كمًّا وكيفًا مثل « وبعض أسد . . . . وبعض عكل . . . . وبعض قيس » ، كما نرى هذه المفردات تصور ضيق الأصمعي فى تقبل اللهجات ومثاله ماجاء فى البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث لأبي البركات الأنبارى «وأنكر الأصمعي فيها التذكير[2] »أى القفا. وقول الأصمعي عن العنق « لا أعرف فيه التأنيث[3] » . كما تتكرر عبارة « ولم يعرفه الأصمعي[4] » فى كتب التذكير والتأنيث كثيراً .

سابعا : فى إحصاء المزهر للسيوطى – يلاحظ أنه نقل ٢٧ لهجة لكل من الحجاز وتميم وذلك عن يونس بن حبيب فى كتابه النوادر ، كما نقل ١٦ لهجة لكل من الحجاز وتميم أيضا عن اليزيدى فى كتابه النوادر ، ومعنى هذا أن كتب « النوادر » وكتب « اللغات » كانت تدور فى فلك واحد تقريبا ، يؤكد ذلك أن كتب النوادر تكثر فيها لهجات القبائل ، وذلك يقوى التقارب بينهما شكلا وموضوعا .

ثامنا : إن المصنفات السابقة عزت لهجات القبائل إلى بيئات جغرافية شاسعة : كاليمن والحجاز واليمامة ونجد والعالية ، وأحيانا كانت تنكمش الرقعة الجغرافية حتى تبرز معالمها : كالعزو إلى عالية تميم[5] ، وسفلى قيس[6] ، أوعليا مضر[7] وسفلاها ، أو لغة أهل الغور[8] ، أو لغة أهل الجوف[9] . كما تعزوها حينا إلى مجموعات قبلية وأحلاف مثل : الرِّباب – فقد كونوا حلفا اشتمل على خمس قبائل وهى : ضبة وثور وعكل وتيم

---

(١) ص ٧ (٢) ص ٧٢ (٣) ص ٧٢

(٤) انظر فتح الرحمن بشرح ما يذكر ويؤنث من أعضاء الإنسان : لأحمد السجاعى مخطوط رقم ٢٦٩ لغة تيمور ، والمذكر والمؤنث للتسترى : ص ٢ ، ١١ مخطوط بدار الكتب ٣٤٣ لغة ، وكتاب التذكير والتأنيث للسجستانى ص ٢ ، ١٨ مخطوط بالتيمورية ٢٦٤ لغة

(٥) هو بنو عمرو بن تميم ، وهم بنو الهجيم والعنبر ومازن : اللسان ١٩ – ٣٢٦

(٦) هم بطونها المتفرعة منها والتى تسكن نجدا مجاورة لتميم كعقيل وغنى .

(٧) عليا مضر – هى القبائل التى تقارب المدينة وماحولها ودنا منها ، وسفلاها : هى القبائل التى تقاربه نجدا .

(٨) الفائق للزمخشرى ٣ – ١٩٨ فا بعدها . (٩) الجمهرة ٣ – ٣٠٢

وعدىّ — وسموا جميعا باسم الرباب[١] ؛ لأنهم أدخلوا أيديهم فى ربّ وتحالفوا عليه[٢] ، ومثل الرباب — هوازن[٣] التى يرجح أنها كانت فى الأصل حلفا ضم جملة قبائل ، ومثلهما فى ذلك خثعم * — وقد ذهب (ليفى ديلا فيدا) فى المعلمة الإسلامية إلى أن خثعما ليست قبيلة فى الأصل ، وإنما هى حلف تألف من قبائل متعددة تجمعها مصالح مشتركة[٤] ؛ كما كان العزو يشمل حينا آخر أكبر وحدة سياسية فى اصطلاح النسابين كالعزو إلى إلى مضر وعدنان ، أو يشمل أصغر وحدة سياسية كالعزو إلى لهجات البطون والفروع والأحياء : كلهجات بنى الهُجَيْم[٥] ، وزبيد[٦] . وحيدان ، وكلب[٧] وهما بطنان من قضاعة ، ونبهان وهى بطن من طىء ، وكعب بن ربيعة وهى بطن من عامر بن صعصعة . كما وجدتُ بعض مصادر الإحصاء تعزو لهجات القبائل إلى الحواضر : كلهجة مكة والمدينة والطائف وخيبر والعراق . كما يلاحظ أن عدد اللهجات تكثر كثرة غامرة — إذا عزيت إلى القبائل المشهورة : كتميم والحجاز على حين تخبو وتضعف إذا عزيت إلى القبائل المغمورة . على أن الرقعة الجغرافية والمناخ الفكرى كثيرا ما يحددان اللهجات كمّا وكيفا ، ومن ذلك أن بعض أجزاء الجزيرة العربية كان مستودعا لنشر لهجات من نوع خاص ، ويظهر ذلك فى كثرة ما جاء عن أهل المدينة والطائف من مفردات لهجية وافرة اختصت بها النخل والكرم ؛ لاشتهار هذين المكانين بهذين النوعين ، ومن هنا يمكن أن نعلِّل وجود صورة النخلة على عملتهم النقدية[٨] ، كما سجل القرآن الكريم ذلك فى قوله

---

(١) نهاية الأرب للقلقشندى ١٣٣ ومعجم كحالة ٢ — ٤١٥ وفى نسب عدنان وقحطان ص ٦ أنها أربع قبائل .

(٢) اللسان ١/٣٨٨

(٣) تاريخ العرب : ٤ — ٣٢١ جواد على * وهى بطن من أراش من القحطانية : نهاية الأرب ٢٤٣ .

(٤) تاريخ العرب ٤ — ٢٦٣ جواد على .

(٥) بطن من تميم من العدنانية . نهاية الأرب القلقشندى ٧٨ .

(٦) بطن من سعد العشيرة من القحطانية . نهاية الأرب ٢٦٨

(٧) وكانت ديارها تتاخم ديار جذام من الشمال ، وتنتسب إلى كلب بن وبرة ، وكانت تنزل ديار الشام عند ظهور الإسلام .

(٨) تاريخ العرب ٨ — ١٦٥ د. جواد على

«ما قطعتم من لينة : الحشر آية ٥ » وهى النخلة بلغة الأوس[١] ، كما لوحظ أيضا أن هذه المفردات القبلية لما هاجرت من أماكنها الأصلية – أصابها فى تطوافها وهجراتها انحراف صوتى ودلالى ؛ لأنها انتقلت إلى بيئة جديدة[٢] .

كما يلاحظ على اللوحة الإحصائية لديوان الحماسة شرح المرزوقى أن لهجات طيىء قد زادت عن غيرها من اللهجات ، بل فاقت لهجة تميم والحجاز ، وهما يتصدران ذروة الإحصاء بين القبائل ، وعللت تفوق طيىء عليهما فى هذه اللوحة بأن أباتمام قد اختار أكثر شعراء الحماسة من قبيلة طيىء . وما قيل عن أبى تمام يمكن أن يقال عن ابن دريد فى كتابه (الاشتقاق) حيث برزت فى المقدمة – لهجة اليمن ، وذلك فى اللوحة الإحصائية السابقة ، وتعليل ذلك يسير ؛ إذ أن ابن دريد يمنى ، فهو متأثر بالعاطفة القبلية .

## رابعا

تفرّد بعض مَن ألف فى « كتب اللغات » بعزو بعض الصيغ .

تفرّد المؤلفون فى كتب (لغات القبائل) المفقودة – بعزو سجلته لهم المصادر الثانوية ولم نسمعه من غيرهم .

(١) فالفراء ٢٠٧ هـ يذكر أن «الهُون[٣] فى لغة قريش : الهوان ، وبعض تميم يجعل الهُون مصدرا للشيء الهيِّن . . . . إلى أن قال : سمعت الهوان فى مثل هذا المعنى من بنى إنسان[٤] . قال (الفراء) قال (العربى) لبعير له : ما به بأس غير هوانه[٥] . كمايتفرد الفراء بحكاية لهجة (القنانىّ) . جاء فى إصلاح المنطق[٦] «ويقال : مخٌّ رير ورار ، وهو الرقيق يدق عند الهزال كالماء . وزعم الفراء قال : لغة القنانى[٧] رَيْر بفتح الراء وأنشد : «والسّاق منّى باردات الرَّيْر »

(١) كتاب اللغات فى القرآن ٤٨ .
(٢) أنظر كتاب النخل للأصمعى ٦٥ – ٧١ وكتاب الكرم له أيضا ٧٥ – ٧٦ وانظر اللسان ١٩ – ٩٨ .
(٣) معانى القرآن للفراء ٢ – ١٠٦ فما بعدها
(٤) هى اسم قبيلة عربية : أنظر نهاية الأرب للقلقشندى ٨٨ .
(٥) يعنى : أنه هين خفيف الثمن . (٦) ص ٨٩
(٧) ينسب إلى قنان بطن من بلحارث بن كعب : اللسان ١٧ – ٢٢٩ .

وفى لهجة القنانى هذه كما رواها الفراء تحولت الحركة البسيطة i أو a إلى أخرى مركبة ai وهى التى تسمى بـ Diphthong . وأرجح أن لهجة القنانى أعرق فى القدم من غيرها .

(ب) وأبو عبيدة معمر بن المثنى ت ٢١٠ هـ يتفرد بعزو ورد فى تركيب غريب ، فقد جاء فى الخزانة[١] عن عمر بن الخطاب «كذب عليكم الحج ، كذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد ، ثلاثة أسفار كذبن عليكم» كما ورد شاهد شعرى لهذا التركيب فى قول الشاعر :

وذبيانية أوصت بنيها بأن كذب القراطف والقروف[٢]

وقد وردت الروايات برفع الإسم تارة ، وبنصبه أخرى أى : الحج والحج ، وفى المسائل القصريات «كذب عليكم الحج ـ أنه كلامان كأنه قال : كذب يعني رجلا ذم إليه الحج ، ثم هيّج المخاطب على الحج ، فقال : عليك الحج[٣] » وفى حجة الفارسى[٤] ، ومخصص ابن سيدة[٥] : أن مضر تنصب به ، وأن اليمن ترفع به . لكن وردت رواية فى كتاب النوادر لأبى مسحل الأعرابى[٦] عن أبى عبيدة معمر بن المثنى فى حديث عمر السابق «كذب عليكم الحج . . . أنه سمعها من العرب يرفعون بها[٧] فى معنى الإغراء ، قال أبو عبيدة : ماخلا

---

(١) خزانة الأدب ٣ – ٩ فما بعدها

(٢) الخزانة ٢ – ٢٨٩ والقراطف جمع قرطف وهو القطيفة . والقروف : وعاء من الجلد يدبغ بالقرفة ويجعل فيه الخلع ويطبخ بتوابل .

(٣) الفائق فى غريب الحديث ٢ – ٤٠٢ للزمخشرى .

(٤) ١ – ٢١٠ مخطوط بدار الكتب

(٥) ٣ – ٨٦

(٦) ١ – ١١٤ فابعدها ط دمشق تحقيق د : عزة حسن .

(٧) أى يقرءون الاسم الواقع بعد كذب مرفوعا على أنه فاعل كذب .

أعرابيا من غنيّ[1] – وكان فصيحا – فإنه نصب[2] ؛ وذلك أنه دخل منزلى فرأى شويهة مضرورة فقال : ما بال هذه على ما أرى ؟ فقلتُ : إنا لنعلفها . قال : كذب عليك البزْرَ والنَّوى . فأتيت به يونس بن حبيب فكتبها عنه .

ويستنتج من النص السابق أن أبا عبيدة – وقد ألف كتابا فى اللغات ؛ ولا يزال مفقودا – أتى بجديد حيث أضاف (غنيًّا) إلى قائمة القبائل الناطقة بالنصب ، ثم وثق هذه اللهجة بأن ساقها فى جوّها وبيئتها ، فهى ملاحظة مباشرة ، كما أنه أتى بالراوى إلى يونس بن حبيب – وهو ممن ألف فى كتب اللغات أيضا ولا يزال كتابه مفقودا – ليلاحظ هذا الأعرابى فى لهجته ويسمع منه ؛ ولهذا تلقف يونس اللهجة وسجلها إيمانا بأن اللهجات المخالفة يجب أن تعيش وتبقى ، ويظهر أن أصحاب كتب اللغات المفقودة – كانوا يسجلون موادهم عن القبائل تسجيلا موثقا مباشرا كما رأيت .

(ج) كما تفرد أبو زيد فى نوادره[3] بصيغة عزاها لغة لبنى كعب بن عبد الله بن أبى بكر حيث يقولون على التحويل «رفَيْتُ الثوب أرفيه رفياً» ، والعرب تقول «رفأْت الثوب أرفَؤُهُ رفْأً» .

(د) وتفرد ابن دريد بذكر لغة زهران[4] ، ولغة الثُّمْرِى[5] .

ويظهر أن غيرهم من العلماء الذين لم يؤلفوا فى لغات القبائل – كانوا يتفردون أحيانا بعزو بعض الصيغ القبلية كالخليل : حيث ذكر لهجة الخفاجيين[6] ، والليث : فقد تفرد بذكر لهجة أهل بثينة[7] .

---

(١) قبيلة من قيس عيلان وديارها بنجد بجوار طيء وعند حى ضرية .

(٢) أى نصب الاسم الواقع بعد كذب على الإغراء . (٣) ١٩٣

(٤) وهم بطن من شنوءة : الاشتقاق ٢٩٧ وستنقله .

(٥) الاشتقاق ٢٩٩ وهم بطن من زهران بن كعب .

(٦) العين ١١٦ ط بغداد (٧) اللسان ١٨ – ٣١٨

ويمكن أن نثير هنا سؤالا مؤداه هل كانت (كتب اللغات) تعالج وضع اللهجة في مستويات اجتماعية خاصة ؟ لا نستطيع الإجابة الآن لفقد (كتب اللغات) إلا أنني أستطيع أن أذكر أن المصادر الثانوية ورد بها عزو لطبقة اجتماعية خاصة ، ففي اللسان ج٨ ص ٢٥٩ قال أبو عدنان : سمعت التميميات يقلن : الهَوْش والبَوْش كثرة الناس والدواب . ولا أستطيع الجزم إن كان اللسان نقل لهجة نساء تميم عن كتب اللغات أو عن غيرها لاسيما أن الذي رواها أبو عدنان ، وليس هو ممن ألف في (كتب اللغات) .

## خامسا

## موقف المصادر الثانوية من بعض الروايات اللهجية المسندة إلى مَن ألف في كتب اللغات :

كثيرا ما تنقل لنا بعض المصادر الثانوية لهجات مصدرها بعض العلماء الذين ألفوا في (كتب اللغات) ، إلا أن هذه اللهجات نقلت مبتورة أو ناقصة ، ويظن الباحث أن هذا النقص كان من المصدر الاصلي ، وبالبحث وجدتُ أن هذا التشويه والمسخ كان غالبا من المصادر الثانوية التي نقلت عن المصادر الأولى ، ولنأخذ أمثلة يسيرة توضح هذا الجانب :

(أ) فقد نقل اللسان[1] حكاية عن الفراء (وله كتاب لغات مفقود) مفادها : أن قوما من العرب يخفضون (بلعل) . فالفراء في هذه الرواية لم يحدد أي هذه القبائل التي تخفض بلعلّ ، وكأن إهمال العزو من الفراء نفسه ، ولكن الهمع[2] ينقل أن الجر بها لغة عقيلية – حكاها الفراء وأبو زيد والأخفش . فالفراء وأبو زيد – وكلاهما ألف في لغات القبائل – لم يهملا العزو كما تشير إليه رواية اللسان السابقة .

(ب) وحكى ابن يعيش[3] عن الفراء أن بعض العرب يفتح لام الأمر ، فالرواية لم تحدد مَن بعض العرب ؟ وتوهم أن الفراء كان مقصّرا في هذا ، ولكن السيوطي يبدد هذا الوهم حيث حكى عن الفراء أن فتح لام الأمر لغة سليم[4] إن لم تقع بعد الواو أو الفاء أو ثم .

(١) ١٦ – ٢٤ (٢) ٢ – ٣٢ (٣) ٩ – ٢٤ (٤) الهمع : ٢ – ٥٥

(جـ) كما نقل ابن دريد عن أبي زيد – وله مؤلف فى اللغات مفقود – «هداوى وهدايا[١]» مهملة العزو كماترى ، لكن رواية اللسان عن أبي زيد هى «الهدية جمعها هدايا ، وهداوى – وهى لغة أهل المدينة ، وعن أبي زيد : الهداوى لغة عليا معدّ ، وسفلاها : الهدايا[٢]. وأرجح أن ابن دريد هو الذى اختصر العزو السابق وحذف منه النسبة إلى القبائل ؛ بدليل أن اللسان قد ساق العزو كاملا عن أبي زيد ، مشيرا إلى عزوه للقبائل .

## سادسا

### أحكام صدرت على لهجات القبائل مادحة حينا ، وقادحة أخرى .

من العجيب عندما نتصفح أحد المعاجم الكبرى للغتنا العربية ، نصطدم بأوصاف وأحكام مختلفة للهجات قبلية ونعرض الآن نموذجا من هذه الأوصاف وتلك الأحكام .

١ – صفات للهجات غير منسوبة ولا تأثير لها : كقولهم : هى لغة[٣] ، أو لغة معروفة[٤]. مشهورة ، أو فى بعض اللغات[٥] ، أو لغة قوم[٦] ،أو لغة بعضهم[٧] ، أو لغة قليلة[٨] .

٢ – أحكام تتضمن خلع صفات لها تأثير على لهجات غير منسوبة : كقولهم – لغة رديئة[٩] أو رديّة ،أو ضعيفة ورديئة[١٠] أو شنعاء[١١] أو لغة علياء[١٢] أو اللغة العالية[١٣]

---

(١) الجمهرة ٣ – ٤٧٢ (٢) اللسان ٢٠ – ٢٣٣

(٣) حماسة المرزوقى ٣ – ١٣٥٩ ، ١٤٣٨ ، المخصص ٤ – ١٣٣

(٤) المخصص ١٧ – ١٩ (٥) الجمهرة ٣ – ١٩

(٦) نوادر اللغة لأبى زيد ٤٠ ، الكامل للمبرد ١ – ١٨٦ ط التجارية

(٧) أمالى الشجرى ٢ – ٣٤ والمخصص ١٤ – ١٤ (٨) سيبويه ٢ – ٢٩٦

(٩) أمالى الشجرى ٢ – ٣٤ ، ١ – ٣٨١

(١٠) اللسان ٢٠ – ١٣٩ (١١) اللسان ٣ – ١٤٩ ، ٤٠ – ٢٢٧

(١٢) أمالى الشجرى ٢ – ٧٩ (١٣) المصباح ٥٧١

أو خبيثة [١٣] أو شرّ اللغات [١٤] أو لغة سوء [١٥] أو لغة لا خير فيها [١٦] أو لا يعبأ بها ، أو لغة الخطيئة من أحياء العرب [١٧].

٣ ـ أحكام منهجية تتضمن مدحا للهجات قبلية منسوبة :

(ا) كقولهم عن لهجة الحجاز : والإدغام أحسن ، والبيان عربي حجازي [١٨] أو عربي حسن [١٩] ، أو (وهي الحجازية الجيدة) [٢٠] أو (اللغة الحجازية هي اللغة الأولى القدمى [٢١]) كما نسمع مدحا وإطراء للهجة الحجاز ولكن من نوع آخر مثل «العرب الذين ترضى عربيتهم» أو : الموثوق بعربيتهم ، أو فصحاء العرب [٢٢] » .

(ب) كما نسمع مدحا لمعسكر آخر يمثل الكتلة التميمية ، ومن ذلك : ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه ورد عليه الوفود ، فأقرأ الأخماس [٢٣] كل خمس على لغته فكان أعرب القوم تميم . ويقول أبو عمرو بن العلاء ـ «أفصح الناس عليا تميم . . . وفي رواية سفلى تميم [٢٤] .

(ج) بعض القبائل الأخرى : كقبيلة (جَرْم) قال الأصمعي : وجرم فصحاء العرب [٢٥] ، وقال الخليل : أفصح العرب : نصر قُعين ، أو قعين نصر [٢٦] .

---

(١٣) الشافية ٢ ـ ٢٤٧
(١٤) الخزانة ١ ـ ٢٣٥
(١٥) المزهر ١ ـ ٢٢٥
(١٦) المرجع السابق
(١٧) اللسان ٥ ـ ٤٧
(١٨) الكتاب ٢ ـ ٤٠٧
(١٩) المرجع السابق ٢ ـ ٤١٢
(٢٠) السابق ٢ ـ ٤٢٩
(٢١) اللسان ٥ ـ ٢٧٦
(٢٢) العربية يوهان فك ١٥
(٢٣) الفاضل للمبرد ١١٣ ، والمراد بالأخماس : أخماس البصرة وهي : العالية . بكر بن وائل . تميم . عبد القيس . الأزد .
(٢٤) المزهر : ٢ ـ ٤٨٣ والصاحبي ٢٨ وعليا تميم هو : بنو عمرو بن تميم ـ وهم بنو الهجيم والعنبر ومازن .
(٢٥) الفائق للزمخشري ٢ ـ ٤٥٩ ، وجرم : بطن من طيء من القحطانية ٢٠٩ نهاية الأرب للقلقشندي
(٢٦) كتاب العين ٨٨ فصلة مطبوعة في بغداد ، ١٩٣ تحقيق الدكتور عبد الله عبد الفتاح درويش ، وهم بنو نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان من أسد . نهاية الأرب للقلقشندي ٤٣٠

ويرى المقدسى[1] أن أفصح لغات العرب هذيل ، كما يصف ابن منظور فى اللسان[2] الخزاعيين بأنهم من (من أعرب الناس) ، وأن ثقيفا أفصح العرب . كما روى : أفصح العرب أبرهم[3]

وهذه الأحكام التى صدرت على لهجات القبائل أقف منها موقف الشك ؛ لأن الدافع لها إما : دينى أو سياسى أو قبلى ، فمثلا ( جَرْم ) والحكم عليها بأنها أفصح أو من فصحاء العرب ، جاءت فى حوار لمعاوية يوما عندما سأل عن أفصح الناس ؟ فقام رجل من السِّماط[4] فقال : قوم تباعدوا عن فراتية العراق ، وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر . . . .. فقال له معاوية : من أولئك ؟ فقال : قومى يا أمير المؤمنين : فقال له معاوية : من أنت ؟ قال : أنا رجل من ( جَرْم )[5] . ومما يدعو إلى العجب أن رواية أخرى جاءت فى خزانة البغدادى[6] والدرّة[7] وفيها بعد بيان ما سبق : مَنْ أولئك ؟ ( أى : أفصح الناس ) فقال : قومك يا أمير المؤمنين .

والمسألة لاتعدو فى نظرى لتخريج هاتين الروايتين المتضاربتين أن معاوية إن منح برّه ، فأطعم الطعام ، وأنفق الأموال فأفصح القبائل : قبيلة أمير المؤمنين . وإن بخل الأمير ، فمنع برّه ، أو ضعفت سطوته ( فجرم ) أفصح العرب . هذا عن جرم ! ! أما أن ( ثقيفا ) هى الأخرى أفصح العرب ، فلا بأس من أن تكون كذلك ، ولكن يجب أن يكون ذلك فى عهد الحجاج الثقفى وحده ، صاحب السيف المبلل بالدم القانى ، الذى أذلّ به الأمة العربية ، وحطم عزتها به وكرامتها ، فإذا بها تقر له ولقبيلته ( ثقيف ) بكل ما يهوى ويتمنى ، ومن السهل أن ننقد كثيرا من الروايات فى ضوء السياسة حينا ، والدين والعصبية حينا آخر .

---

(١) أحسن التقاسيم ١ - ٩٧ ط ٢ نشره Degoeje (٢.) ١٢ - ١٠٤

(٣) معناه أبعدهم فى البر والبدو دارا (مقدمة معجم فيشر ص ١٣) .

(٤) وزان كتاب وهو الجانب أو الصف من الناس . (٥) الكامل ١ - ٣٧١ والمفصل للزمخشرى ٣٣٣

(٦) ٤ - ٥٩٥ فما بعدها ط بولاق . (٧) ١١٤ ط أولى

على أن الكمال اللغوى فى الفصاحة فى ضوء ما طالعتنا به الرواية السابقة ــ أمر يسيطر عليه الذوق الشخصي وتنقصه البراهين العلمية الأصيلة ، إذ لم تحدد هذه الروايات نوع الفصاحة أو الأصوات أو التراكيب النحوية أوالنظام الصرفى أو الدلالى ، ثم إننا لا نعلم شيئا ذا بال عن مستوى بعض هذه القبائل فى مجتمعها مثل : جرم أو نصر قعين ، وقعين نصر ؛ لأن اللغة فى مراحل حياتها لا تنفصل عن النفس البشرية والمجتمع والتاريخ ، فإذا أضفت إلى ذلك أن ما جمعتُه من اللوحات الإحصائية لجميع لهجات القبائل ، لا ترى فى ( جرم ) ولا فى ( نصر قعين ) ما يراه الخليل من أنهم يمثلون الفصاحة فضلا عن أنهم « أفصح العرب » .

٤ ــ أحكام منهجية تتضمن قدحا للهجات قبلية منسوبة :

عرضنا فيما تقدم أحكاما منهجية تتضمن قوافل المادحين للهجات بعض القبائل وعقبت على ذلك بما أراه ، وسنعرض الآن مواكب القادحين كذلك ، معقبا فى ذلك كله بما أراه أيضا . فقد عثرت على أحكام من نوع آخر غير ما سبق تتمثل فى مصادرة اللهجة ومقاومتها أو معارضتها من ذلك مثلا :

( ا ) موقف الأخفش ٢٢١ هـ حين عقب على قراءة قرآنية صورت لهجة عربية وهى لهجة بنى يربوع بقوله « ما سمعت هذا من أحد من العرب[١] ولا من النحويين » وأنكرها كذلك أبو حاتم ت ٢٥٥ هـ[٢] ؛ وأما موقف أبي العباس المبرد ت ٢٨٥ هـ منها فكان صارما عنيفا صارخا ، يصور غضبه هذا وثورته ما جاء فى تفسير القرطبى[٣] على لسان المبرد من قوله « لو صليت خلف إمام يقرأ ( بمصْرِخِيِّ )[٤] بالكسر لأخذت نعلى ومضيت » فانظر كيف يحتج الرجل على سماعه لهجة عربية تواكبها قراءة قرآنية ــ بخروجه عن جماعة المسلمين وإمامتهم ! ، وقد نعتها الزجاج ت ٣١١ هـ بأنها « عند جميع النحويين رديئة »

---

( ١ ) البحر المحيط ٥ ــ ٤١٩ ، وأنظر الخزانة ٢ ــ ٢٥٨

( ٢ ) الدر اللقيط ٥ ــ ٤١٩ ( ٣ ) ٥ ــ ٣ ( ٤ ) سورة إبراهيم من الآية ٢٢

مرذولة [1] » ! ! أما الزمخشرى ت ٥٣٨ هـ فاكتفى بأن رماها بالضعف [2]
أما المعرى ت ٤٤٩ هـ فيرى ( إجماع أصحاب العربية على كراهة هذه القراءة [3] ) كما يرى أن أبا عمرو ما أجاز هذه القراءة إلا متهزئا [4] .

وإذا كان جميع ما تقدم من العلماء – القادحين من البصريين ، فإنا لا نعجب لموقفهم وإنكارهم لهجة عربية صحّت سماعا ، كما أنها صحت قياسا ؛ إذ الياء كسرت اتباعا للكسرة التى بعدها فى ( بمصرخىِّ إنى ) واللسان فيها يعمل من موضع واحد ، ووجه واحد ، ففيها الانسجام وتقريب الأصوات بعضها من بعض ، وتلك شريعة العربية وسنة فيها متبعة ، وإنما العجيب أن ينكرها شيخ من علماء الكوفة ، ويرمى قارئيها بالوهم [5] ذلكم هو أبو زكريا الفراء .

(ب ) وفى شرح التصريح [6] فى مبحث ما لا ينصرف « وأما ما نقل عن بنى أسد أنهم يقولون : « سكرانة » ويصرفون « سكران » فقال الزّبيدى : « ذكر يعقوب أن ذلك ضعيف ردىء » . ثم قال : وقال أبو حاتم : لبنى أسد مناكير لا يؤخذ بها » وكتب الشيخ « يس » على قوله : وقال أبو حاتم : « لبنى أسد مناكير . . . » قال : وجه كونها مناكير أنها مخالفة للغات الفصيحة » [7] .

( ج ) فإذا أسرعت بنا عجلة التاريخ وجدنا الهمدانى ت ٣٣٤ هـ يصف بعض اللهجات – عند حديثه عن العلاقات اللغوية فى جنوبى الجزيرة العربية –

---

( ١ ) إبراز المعانى ٣٦٩ لأبى شامة . ( ٢ ) خزانة الأدب للبغدادى ٢ / ٢٥٩
( ٣ ) التصريح ٢ / ٦٠ ( ٤ ) الغفران للمعرى ٢٣٩ فما بعدها .
( ٥ ) قرأ بها الأعمش ويحيى بن وثاب ، كما قرأ بها حمزة أحد القراء السبعة .
( ٦ ) ٢ / ٢١٣ وانظر النص فى كتاب لحن العوام للزبيدى ص ١٦٢ تحقيق د . رمضان عبد التواب وفيه ( ولبنى أسد لغات يرغب عنها ) .
( ٧ ) حاشية « يس » على التصريح ٢ / ٢١٣

كلهجة عدن – بأنها « مولدة رديئة » وفى بعضهم « نَوَك وحماقة »[1] وبعضهم « غتم »[2] كما يصف بعض لهجاتهم بأن فيها « قحة متعقدة »[3] كما أنكر الأزهرى ( ٢٨٢ – ٣٧٠ هـ ) لهجة هذلية معتمدا فى ذلك على الطعن فى نصر بن سيار[4] ، ووسمه بأنه ليس بحجة لأنه رواها[5] ، وهنا يعتمد الأزهرى فى غمز اللهجة على الطعن فى سندها .

ويصف المقدسى ٣٧٥ هـ لسان الأحقاف بأنه « وحش »[6] أو أن لسان هراة – لا يصلح إلا للكنيف[7] . ويصف اللهجة بأن فيها « انغلاقا »[8] أو لسانهم فيه حلاوة أو عجلة[9] ، أو فى كلامهم طنين[10] ، وأخيرا يسم عربية العراق بأنها «حسنة فاسدة »[11] ويرى الدكتور إبراهيم أنيس : أن المقدسى لم يكن فيما يبدو أكثر من رحالة أو عابر سبيل يصف ما يقع له وصفا سريعا دون دراسة قائمة على أسس علمية فلم يكن متخصصا فى دراسة اللهجات[12] .

ويصف ابن جنى ( ٣٩٢ هـ ) لهجة عربية بأنها لغة مرذولة[13] . كما نرى

---

(١) صفة جزيرة العرب : ١٣٤ للهمدانى تحقيق بليهد النجدى .

(٢) السابق ١٣٥

(٣) السابق ١٣٥

(٤) اللسان ١ – ٤٠٠

(٥) السماع والقياس ٤٣ تيمور

(٦) أحسن التقاسيم ٩٧ .

(٧) السابق ٢ – ٣٣٥ والكنيف فى الأصل : الساتر ، وقيل للمرحاض كنيف ؛ لأنه يستر قاضى الحاجة .

(٨) السابق

(٩) السابق ٣٦٨

(١٠) السابق ٢ – ٤١٨

(١١) السابق ١٢٨

(١٢) مستقبل اللغة العربية المشتركة ٣٥ فما بعدها للدكتور إبراهيم أنيس

(١٣) المحتسب ١ – ١١٠ مخطوط بالتيمورية .

أحمد بن فارس ت ( ٣٩٥ هـ ) وهو كوفى[١] أو ممن خلط المذهبين[٢] ـ قد ظهرت معارضته للهجات القبائل فى صور منها :

( أ ) الشك فى كثير منها[٣]

(ب ) رميه ابن دريد بالتدليس عندما يعزو لليمن[٤]

( ج ) غمزه لبعض اللهجات[٥] ، وسخريته منها[٦] .

وكذلك الحريرى ( ٥١٦ هـ ) يسم أسلوبا يمثل لهجة عربية بقوله « وهو مالا يعبأ ولا يقاس عليه[٧] » كما حكم على صيغة ( أرياح ) بالخطأ ، وصوابها عنده « هبت الأرواح » . مع أنها لغة لبنى أسد[٨] . وعلى سننه نسمع أبا شامة ( ٦٦٥ هـ ) يعقب على إحدى اللهجات بقوله « ولاتعجبنى تلك اللغة ؛ لأنها ليست لغة أهل الحجاز[٩] » كما يصف بعض العلماء لهجة يمنية بقوله « وهذه لغة لا ينبغى أن يلتفت إليها ، فإن اللغة اليمانية فيها أشياء منكرة خارجة عن المقاييس[١٠] » .

ويمكن أن نلمح أوصافا عدة ، وأحكاما كثيرة على لغات : أهل مكة والمدينة والبصرة والكوفة وغيرها[١١] .

ولعل سبب هذه الأحكام القاسية التى رأينا طرفا يسيرا منها أنها صدرت عن دوائر النحاة : كالأخفش والفراء والمبرد والزجاج والمعرى والزمخشرى وأحزابهم ، أو من لغويين متزمتين كأبى حاتم والحريرى والأزهرى وابن فارس ، وهؤلاء جميعا أصحاب

---

( ١ ) إنباه الرواة ١ – ٩٤ والبغية ١ – ٣٥٢

( ٢ ) الفهرست ١٢٥

( ٣ ) المقاييس ٢ – ٢٨٥

( ٤ ) المقاييس ٤ – ٣٠٧

( ٥ ) المقاييس ٤ – ٢٩

( ٦ ) المقاييس ٤ – ٣٧٨ .

( ٧ ) الدرة : ٣٥

( ٨ ) شرح الدرة ٦٦ وحكاها اللحيانى

( ٩ ) إبراز المعانى لأبى شامة ٤٨٨

(١٠) ماتلحن فيه العامة للكسائى : ٣٥ هامش

(١١) البيان والتبيين للجاحظ : ١ – ١٨ فما بعدها ، ص ٤٦ .

بمعايير موضوعة ، ومقاييس مصنوعة ، ونظم ضاغطة آسرة [1] ، فحاولوا إخضاع اللهجات لها مع اختلاف مشاربها ومنازعها ، ولما فلتت هذه اللهجات من أحكامهم وموازينهم وتقنينهم رموها بما سبق من : رداءة وسوء ، وقبحة وشناعة ، وخبث وشرّ ! وخطيئة وحماقة ، وفساد وانغلاق .

والمفروض أن أصحاب كل لهجة عربية كانوا يراعون مستوى صوابيا اجتماعيا عندما يتكلمون وعلى أساس هذا المستوى يكون الحكم بالصحة والخطأ ، والمجتمع وحده – لا النحاة ولا اللغويون – هو الذى يصدر مثل هذه الأحكام ، أو يخلع هذه الصفات ، وهذا المستوى الصوابي كما يراه الدكتور تمام [2] : فكرة لا تتصل باللغة فحسب ، وإنما تتناول كل ناحية من نواحى النشاط الاجتماعى ، وتوجد فى كل شئون الثقافة بالمعنى الأعم ، أى بالمعنى الأنتروبولوجى الذى يشمل العادات والتقاليد واللغة والدين وغيرها .

## سابعا

## مدى التناقض فى الروايات المسندة إلى من ألف فى « كتب اللغات » :

ورد فى المصادر العربية روايات كثيرة حملت بذورا للهجات القبائل ، رواها أو سمعها من العرب العلماء الذين ألفوا ( كتب اللغات ) التى تحدثنا عنها ، وقد اشتملت هذه الروايات على اضطراب وتناقض فى عزو لهجات القبائل العربية ، وهذه نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر لاحظت أن يكون الراوى لها أو أحد رواتها من الذين ألفوا فى ( كتب اللغات ) المفقودة :

( أ ) عن ابن دريد ( وقد ألف كتابا فى اللغات ) : الرُّمخة : والجمع الرُّمخ

---

( ١ ) انظر مثلا من دوائر النحاة قول ابن مالك فى ( اشتغال العامل عن المعمول ) . . . . . . . . . . . ( فما أبيح افعل ودع مالم يبح ) . وتستطيع أن تسمع فى هذا الشطر دكتاتورية النحاة الصارمة ، وكأنهم قادة حرب فى ميدان حرب يأمرون وينهون .

( ٢ ) اللغة بين المعيارية والوصفية ٥٧ ، ٦٧ دكتور تمام حسان ١٩٥٨ م .

وقالوا : الرِمَخ وهو البلح لغة يمانية [1] ، وفى نسخة أُخرى من الجمهرة قال : بأنّها لغة طائية [2] .

كما ورد فى الجمهرة عن ابن دريد مادة ( جَبَى ) : الجَبَى : ما حول البئر لغة يمانية ، وفى نسخة أُخرى من الجمهرة لغة تميمية [3] .

وفى الجمهرة عن ابن دريد مادة ( حفَو ) والحوْف : فى لغة مهرة بن حيدان : الثوب ، وفى نسخة أُخرى من الجمهرة فى : لغة هذيل [4] .

كماروى عن ابن دريد أيضا فى مادة ( السرح ) وأهل الحجاز يسمون الأسد : سرحانا ، وفى نسخة أُخرى من الجمهرة : وأهل اليمن [5] .

(ب ) استشهد اللغويون بقول أبى ذؤيب الهذلى :

على أَطْـــــرِقا بالياتُ الخيــا م إلا الثمامُ وإلا العصى [6]

ويروى ( علا أطرُقا ) من العلو – فعلا ماضيا . وأطرقا – بضم الراء – جمع طريق فى لغة هذيل ، فمن أنث الطريق جمعه على أطرُق مثل : عناق وأعنق ، ومن ذكّر جمعه على أطرقاء : كصديق وأصدقاء فيكون قد قصره ضرورة [7] . وأرجح أن ( أطرقا ) ليس جمع طريق على لغة هذيل ؛ لأننى وجدت هذليا آخر استعمل ( أطرقة [8] ) و ( أطرق [9] ) فهى اسم مكان أو موضع بالحجاز بدليل تغييرصيغته ، وكثيرا ما تخضع أسماء المكان والبلدان لمثل هذا التحريف . والذى دفعنى إلى الحديث عن دلك أن الأصمعى وهو ممن ألف فى اللغات – لم يسر فى ركاب من جعله جمع طريق على لغة هذيل بل ذهب فى هذا : أن ثلاثة نفر

---

(١) الجمهرة ٢ / ٢١٤
(٢) المرجع السابق .
(٣) الجمهرة ٣ / ٢٠٠
(٤) السابق ٢ / ١٧٩
(٥) السابق ٢ / ١٣٢
(٦) ديوان الهزليين ١ / ٦٥
(٧) معجم البلدان ١ / ٢٨٦ ط السعادة
(٨) معجم ما استعجم ١ / ١٦٧ فما بعدها تحقيق السقا
(٩) رواية أخرى لشاهد أبى ذؤيب : معجم البلدان ١ / ٢٨٦

كانوا بهذا المكان فسمعوا أصواتا فقال أحدهم لصاحبيه (أطرقا) فسمّى بذلك. ومما يؤكد ذلك ما جاء فى معجم البلدان[1] من قول عبد الله بن أمية المخزومى :

إنى زعيم أن تسيروا وتهربوا    وأن تتركوا الزهران تعوى ثعالبه
وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا    وأن تسلكوا أىّ الأراك أطايبه

فالظهران والأراك : اسما مكان ، واقتران (أطرقا) بهما يؤكد أنها اسم مكان أيضا .

كما ورد فى اللسان شاهد منسوب إلى قيس بن العيزار الهذلى :

بما هى مقناة أنيق نباتُها    مِربٌ فتهواها المخاض النوازع[2]

فمقناة ــ بالقاف معناها موافقة لكل من نزلها من قومه ، مقاناة البياض بصفرة : أى يوافق بياضها صفرتها . لكن ورد عن الأصمعى : أن (مفناة) بالفاء لغة هذيل[3] فما ورد عن الأصمعى مفناة ــ بالفاء وهى لهجة هذيل يعارضه ما عزى إلى قيس بن عيزارة ــ وهو من هذيل ، وجاء بها بالقاف فى ديوان قبيلته[4] ، ولهذا أرجح أن التصحيف لعب دوره فى هذه الكلمة ، فجاءت على هذين الشكلين ، وما أكثرما يفعل التصحيف ! والدليل على أن الكلمة مصحفة ــ أننا لم نجد إلا شاهدا (لمقناة) بالقاف دون الفاء .

وإذا كان الأصمعى قد خانه التوفيق فى هذ المرة ، فقد واتاه ووا كبه عندما ساق السيوطى أمثلة لتعاقب الفاء مع القاف فى قولهم : العقار ــ بالقاف : إصلاح النخل وتلقيحها ، كما أوردها (العفار) بالفاء ــ بهذا المعنى[5] وأرى أنه تصحيف من السيوطى بدليل ما جاء فى كتاب (النخل) للأصمعى من قول أهل المدينة « كنا فى العفار ــ بالفاء : أى إصلاح النخل وتأبيره[6] كما أن السيوطى قد خانه التوفيق حين ساق

---

(١) ١ / ٢٨٦    (٢) اللسان ٢٠ / ٢٦ وفى ديوان الهذليين : ٣ / ٧٩ قيس بن عيزارة .
(٣) اللسان ٢٠ / ٢٦    (٤) ديوان الهذليين ٣ / ٧٩    (٥) المزهر ١ / ٥٥٥
(٦) كتاب النخل للأصمعى ٦٩ ضمن مجموعة باسم (البلغة فى شذور اللغة) ط الكاثوليكية .

هذا على سبيل الإبدال والتعاقب بين الحرفين . ولا أرى ذلك ؛ إلا إذا كانت هناك علاقة مخرجية أو وصفية بين البدل والمبدل منه تسمح بانتقال أحد الصوتين إلى الآخر ، ولا علاقة بين القاف والفاء .

(ج) ورد فى ديوان الهذليين [1] قول أبى دويب :

تدلّى عليها بين سِبٍّ وخيْطة ... بجرداء مثل الوكف يكبو غرابُها

يشير إلى أن الخيطة : الوتد بلغة هذيل ، والسبّ بلغة هذيل : الحبل .

لكن ذكر أبو عبيدة (وهو ممن ألف كتابا فى اللغات) ما يخالف هذا فى بيت الهذلى ، وفسّر الخيطة بالحبل ، والسبّ بالوتد [2] .

(د) روى أبو عبيد فى الغريب المصنف [3] أنه سمع من أبى زيد الأنصارى (وهو ممن ألف كتابا فى اللغات) قوله : السّدْفة فى لغة تميم : الظلمة ، والسّدفة فى لغة قيس : الضوء . وقد وردت روايتان مماثلتان لما تقدم عن أبى زيد ، أولاهما فى كتاب الأضداد للأصمعى [4] وثانيتهما فى اللسان [5] . لكن العجيب أن ترد رواية رابعة فى مخصص بن سيده [6] تفيد عكس ما تقدم حيث أن : السّدفة فى لغة تميم : الضوء ، وعند قيس : الظلمة [7]

(هـ) ورد فى لسان العرب [8] : الوذيلة — هى المرآة : طائية . قال أبو عمرو الشيبانى ، وهو ممن ألف (فى كتب اللغات) قال الهذلى : الوذيلة : المرآة

---

(١) ١ / ٧٩

(٢) الجمهرة ١ / ٣٢

(٣) أنظر المزهر ١ / ٣٩٠ ، ٤٠١

(٤) ص ٣٥

(٥) ١١ / ٤٧ فما بعدها

(٦) ٩ / ٤١

(٧) لعل اختصاص كل قبيلة بمعنى جاء متأخرا ، والمعنى العام : أن السدفة كانت تعبر عن حالة بين الظلمة والنور ، ثم تحدد معناها عند القبائل فأدى إلى التضاد (فى اللهجات العربية ٢١٢ ط ٣ دكتور أنيس) . وذلك معنى ماجاء فى المخصص ٩ / ٤١ : وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة جميعا كوقت مابين صلاة الفجر إلى الإسفار .

(٨) ١٤ / ٢٤٩

فى لغتنا ، ثم ساق ابن منظور شاهدا على ذلك من قول أبى كبير الهذلى :

وبياض وجه لم تَحُلْ أسرارُه         مثل الوذيلة أو كَشَنْف الأنْضُرِ [(١)]

كما فسّر الزمخشرى (الوذائل) فى شعر الطِّرِمّاح بأنها جمع وذيلة وهى المرآة بلغة هذيل [(٢)] .

فالوذيلة — كما ترى مرة : هى المرآة فى لغة طِيء ، ومرة أخرى هى المرآة فى لغة هذيل ! ! والعجيب أنها فسّرت فى شعر الطرمّاح على أنها لغة هذيل ، والطرمّاح من طيء ! !

(و) ولنستمع إلى جحفلة من الروايات المختلفة المتناقضة فى مادة واحدة حيث شارك فى روايتها ابن دريد وغيره .

١ — يقول الخليل فى العين بتحقيق الكرملى : تقول هذيل : عَنَج على شَنَج . «بفتح النون فيهما» أى رجل على جمل [(٣)] ، وفى تحقيق الدكتور عبد الله درويش * «عنْج على شنْج» . بسكون النون فيهما .

٢ — الشنج والغنج : الشيخ الكبير . فأما العنج — بالعين غير المعجمة : البعير لغة هذلية . يقال : رأيت شيخا على عنج أى شيخا مسنًّا على بعير [(٤)] .

٣ — تقول هذيل : شنج على عنج . أى : شيخ على بعير ثقيل [(٥)] .

٤ — الشّنج : الشيخ فى بعض اللغات . ومن أمثالهم : شنج على عنج : أى شيخ على بعير ثقيل ، والعنج : الشيخ فى بعض اللغات [(٦)] .

(١) وفى ديوان الهذليين ٢/١٠٢ «كسيف» .      (٢) اللسان (وذل) .

(٣) كتاب العين ١٣٦ ط بغداد تحقيق الكرملى .

* كتاب العين للخليل : ١ / ٢٦٦ تحقيق الدكتور عبد الله عبد الفتاح درويش . «ويقال بالغين» .

(٤) إبدال أبى الطيب ٢ / ٢٢٦ فا بعدها ط دمشق .

(٥) الجمهرة ٢ / ٩٧      (٦) المخصص ١ / ٤٤

٥ ـ هذيل تقول : غنج على شنج . الغنج : الشيخ . والشنج : الجمل[١] .

٦ ـ الشنج : الشيخ هذلية . يقولون : شنج على غنج .أى شيخ على جمل[٢]

٧ ـ الغنج : الشيخ . وهذيل تقول : غنج على شنج . يريدون بالغنج : الشيخ ، وبالشيخ : الجمل[٣] .

٨ ـ الغنج ـ محركة : الشيخ هذلية لغة فى المهملة ، والشنج محركة ـ الجمل[٤] .

٩ ـ هذيل تقول : غنج على شنج . الغنج : الرجل ، وقيل : الغنج ـ الشيخ فى لغة هذيل ، والشنج : الجمل الثقيل[٥] .

١٠ ـ هذيل تقول : غنج على شنج . أى : رجل على جمل . فالغنج هو الرجل ، والشنج هو الجمل[٦] .

١١ ـ شيخ على غنج : أى شيخ هرم على جمل ثقيل ،والعنج بلغة هذيل :الرجل ، وقيل ، هو بالغين معجمة . قال الأزهرى : ولم أسمعه بالعين[٧] من أحد يُرجع إلى علمه ، ولا أدرى ما صحته[٨] ؟

فانظر إلى التشويش والخلط ، والتصحيف والتحريف ، حيث جعلوا ( العنج ) بالغين مرة ،وبالعين أخرى ثم هما بفتح النون ( عنج ،شنج ) فى رواية وبسكونهما فى *أخرى ،كما اختلفوا فى دلالته ( عنج ) فجعلوه مرة

---

( ١ ) المحكم : الغين المعجمة والجيم والنون . نقلا من إبدال أبى الطيب ٢ ـ ٢٢٧ محقق .

( ٢ ) المحكم حرف الشين والجيم والنون نقلا من إبدال أبى الطيب ٢ ـ ٢٢٧

( ٣ ) جامع القزاز : أنظر إبدال أبى الطيب ٢ ـ ٢٢٧

( ٤ ) القاموس : ( الغنج ، والشنج )

( ٥ ) لسان العرب ٣ ـ ١٦٢

( ٦ ) لسان العرب ٣ ـ ١٣٤

( ٧ ) صحتها ( بالغين ) المعجمة كما فى التاج ( عنج ) .

( ٨ ) اللسان ٣ ـ ١٥٤ .

* قارن كتاب العين للخليل ١٣٦ تحقيق الكرملى ، بالكتاب نفسه ١ ـ ٢٦٦ تحقيق الدكتور عبد الله عبدالفتاح درويش .

(الشيخ ) ومرة (الرجل ) ، ثم نرى : الغنج أو العنج مكان الشيخ ، أو بمعنى الجمل والبعير ، ثم أخيرا نرى (الشنج ) بمعنى الشيخ ، أو الشنج بمعنى الجمل — كل هذا عند قبيلة واحدة فى مكان واحد ، وزمان واحد ! !

وقد طلبتُ استشارة واحد من هذيل وهو ساعدة بن جؤيّة فأجابنى من شعره المسجل فى ديوان قبيلته (١) .

فناشُوا بأرسان الجياد وقرّبوا عَناجيجَهم مجنوبةً بالرواحل

(فالعناجيج ) كما ترى : بالعين المهملة لا المعجمة ، ومعناها : الإبل الطويلة الأعناق ، وبهذا وحده ينكشف النقاب عن وجه الصواب . وربما يرجع هذا الخلط إلى أن المادة اللهجية للقبيلة — حين عبرت التاريخ الطويل على أيدى الرواة — لم يكن السبيل إلى نقلها التلقى والمشافهة ، بل كان السبيل وحده هو التخمين والاجتهاد وتفاوت الذوق بين الرواة فى فهم المادة اللهجية ؛ ولهذا أصيبت بالمسخ والخلط ، كما أصيبت الدلالة بما هو أقسى ، حتى أن ديوان القبيلة — وهو الأثر الباقى من دواوين القبائل — لم يسلم من هذا العبث.

يوضح هذا المعنى الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه (٢) حيث يرى : «أن شراح ديوان هذيل حين كان يعييهم تفسير كلمة من الكلمات أو تبرير صيغتها كانوا يعمدون إلى القول بأنها لهجة هذيل ، فليس ما ورد بالديوان مما يسمى بلغة هذيل إلا نوعا من مماحكات المفسرين والشراح » بل إن أكثر هؤلاء الرواة كانوا لا صلة لهم بهذيل ؛ ولهذا لم يستشيروا الهذليين فى معنى أشعارهم وألفاظهم ، ومن هنا يجب أن نتقبل نقل هؤلاء الرواة بحذر شديد ، وحيطة بالغة ، وروية وأناة .

(ز ) روايات متضاربة فى مادة واحدة شارك فى روايتها عن العرب : الفراء ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد ، والأصمعى . وجميعهم ألفوا كتبا فى (اللغات ) .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ — ٢١٩ وانظر شرح أشعار الهذليين ٣ — ١٠٢٥ ، ١١٨٣ .

(٢) فى اللهجات العربية ٤٤ ط ٣ وانظر نماذج نقدية أخرى فى لغة الديوان ص ٤٤ — ٤٥

١ – رواية أبي زيد الأنصاري ورد في نوادر اللغة لأبي زيد[1] « ويقال : فاضت نفسه : لغة ضبّة ، قال دكَيْن « فُقِئتْ عين وفاضت نفسٌ[2] » .

وفي الجمهرة[3] عن أبي حاتم قال : « سمعت أبا زيد يقول : بنو ضبة وحدهم يقولون : فاظت نفسه » وفي اللسان[4] عن أبي حاتم : سمعت أبا زيد يقول : « بنو ضبة وحدهم يقولون : فاضت نفسه » وكذلك حكى المازني عن أبي زيد . وفي كامل المبرد[5] عن أبي زيد قال : « كل العرب يقولون : فاضت نفسه إلا بني ضبة ، فإنهم يقولون : فاظت نفسه » .

٢ – رواية أبي عبيدة . قال المبرد : أخبرني التوزي عن أبي عبيدة قال : كل العرب تقول : فاضت نفسه بالضاد – إلا بني ضبة[6] فإنهم يقولون : فاظت نفسه بالظاء[7] » . وفي اللسان[8] عن أبي عبيدة قال : فاظت نفسه بالظاء لغة قيس ، وبالضاد لغة تميم .

٣ – رواية الفراء . ورد في اللسان[9] عن الفراء : أهل الحجاز وطيء يقولون : فاظت نفسه ، وقضاعة وتميم وقيس يقولون :فاضت نفسه » . وفي مكان آخر من اللسان[10] عند الفراء أيضا أنه عزا صيغة الضاد إلى تميم وكلب .

٤ – رواية الأصمعي . روى عنه أبو القاسم الزجاجي أنه : كان لا يجمع بين الظاء والنفس[11] – أي أن الأصمعي لا يجيز : فاظت نفسه – بل يقول : فاضت نفسه . على حين أجاز ذلك أبو زيد « فاضت نفسه وفاظت نفسه[12] » كما وردت الشواهد على ذلك من لغة العرب مما يقف في وجه الاصمعي[13] . ويظهر أن الاصمعي وقع في حيرة من أمر

---

(١) ٢٤٠ (٢) الصواب : ففقئت : أنظر إصلاح المنطق ٢٨٦ .
(٣) ٣ – ١٢٣ (٤) ٩ – ٧٧ (٥) ١ – ١٥٧
(٦) وهي من طابخة من العدنانية – أخت تميم : نهاية الأرب للقلقشندي ٣١٨ ، قبائل العرب ٢ – ٦٦١ كحالة .
(٧) المزهر ١ – ٥٦٢ (٨) ٩ – ٧٧
(٩) ٩ – ٣٣٤ (١٠) ٩ – ٣٣٣
(١١) اللسان ٩ – ٣٣٤ (١٢) الجمهرة ٣ –١٢٣
(١٣) شرح ابن عقيل ١ – ٢٨٣ واللسان ٩– ٣٣٤

هذين الحرفين حين قال : تتبعت لغات العرب كلها فلم أجد فيها أشكل من الفرق بين الضاد والظاء[1] . والصاحب بن عباد ت ٣٨٥ ﻫ يرى أن هذين الحرفين «قد اعتاص معرفتهما على عامة الكتاب ، لتقارب أجناسهما فى المسامع ، واشكال أصل تأسيس كل واحد منهما ، والتباس حقيقة كتابتهما »[2] والقاضى محمد بن نشوان الحميرى ت ٦١٠ ﻫ يرى أن الذى لا يستطيع أن يفرق بين هذين الحرفين : يهوى فى هُوى المهالك ويكتب الضاد بصورة الظاء والظاء بصورة الضاد ، ويكون إصلاحه كالإفساد ، وعلى هذا أكثر كتاب هذا الزمن[3] » .

والذى يهمنى أن أقرر أن هذه الروايات السابقة ، وجميعها لعلماء ألفوا فى (كتب اللغات) - تتناكر ولا تتلاقى حتى عند الراوى الواحد ، وهى فى النهاية تؤكد صلتها بـ(كتب اللغات) بل هى لحمتها وسداها . وماعبر عنه الأصمعى : بأنه لم يجد أشكل من الفرق بين الضاد والظاء ، يؤكده ماروى من أن رجلا قال لعمر «ياأمير المؤمنين : أيظحّى بضبى ؟ قال وما عليك وقلت : أيضحى بظبى ؟ قال إنها لغة . قال : انقطع العتاب ولا يضحى بشىء من الوحش[4] ، وفى رواية أخرى أنه كسر لام لغة ، فكان عجبهم من كسره لام لغة أشد من عجبهم من قلب الضاد ظاء ، والظاء ضادا[5] . ولهذا حذر ابن الجزرى فى النشر[6] من الخلط بينهما لاسيما فى القرآن ، لأنه قد يؤدى إلى حرج دينى ولبس فى المعنى يقول : «فليحذر من قلبه «أى صوت الضاد إلى الظاء لاسيما فيما يشتبه بلفظه نحو : ضل من تدعون إلا إياه » يشتبه بقوله «ظل» أى : بقى من تدعون ، وشتان بين المعنيين .

ويظهر أن الضاد التى وصفت فى كتب القدماء قد مرت بأطوار تاريخية حتى وصلت إلى ما هى عليه فى لهجاتنا الحديثة ، وكانت فى تطورها تنطق أحيانا : كالظاء وأحيانا : كالزاى وأخرى : كالصاد - ولهذا كانت الضاد العربية تقابل صادا فى اللغات الأكدية

(١) البيان والتبيين ٢ - ٢١٥
(٢) الفرق بين الضاد والظاء : ص ٣ للصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عباد . بغداد ١٣٨٠ ﻫ ١٩٦١ م .
(٣) مختصر فى الفرق بين الضاد والظاء : ص ٤ للقاضى محمد بن نشوان . بغداد ١٣٨٠ ﻫ - ١٩٦١ م .
(٤) المزهر ١ - ٥٦٣ (٥) السابق ١ - ٥٦٣
(٦) ١ - ٢١٩ فما بعدها

والعبرية ، كما تقابل ظاءا أو صادا فى اللغة الأوجريتية ، كما كانت تكتب صادا فى الكتابات النبطية وتنطق ضادا ، وهذا مهد للخلط الذى ذاع وانتشر فى العصور المتأخرة فى العراق والأردن وليبيا والمغرب وغيرها ، كما وجد هذا الخلط بينهما فى بقاع بعيدة كصقلية[1] والأندلس[2] .

وفى النهاية : لقد اغتالت يد الضياع ثروة لغوية عزيزة ، حين فقدت الكتب التى ألفت فى (اللغات) إذ كانت تصور جانبا لغويا شعبيا بعد أن انقطع دورانه على الألسنة فشمّرت لجمعها بأسانيدها على طريقة المحدِّثين من خلال المصادر العربية على اختلاف نحلها ، وتعقبتها جردا وبحثا فرصدت الروايات والسماعات والنقول الخارجية المبثوثة فى كتب علوم القرآن واللغة والشعر والنحو والأمثال والغريب والنوادر والمفردات التى سبقت المعاجم ، والتى كان مصدرها هؤلاء الأعلام الذين ألفوا (كتب اللغات) .

ولقد لمحت فى هذا العمل بذورا هامة للعربية فى تاريخها الطويل على المستويات الصوتية والتركيبية والمعجمية والدلالية - بعد أن ضنّ التاريخ فى فجره وضحاه بتسجيله فلم يفتح قلبه ليسطر لهجات هذه القبائل ؛ لأنه رأى فى بعثها قطع روابط شعوب الأمة العربية ، وتأكيدا لظهور العصبيات ، ولو كان قد سجلها التاريخ - حفاظا على مجد أمة ، وتاريخ شعب ، ومستودع حضارة - لأمكننا قبل الآن أن نكتب مولفا فى تاريخ لهجات القبائل العربية وأدوارها الاجتماعية ، وأن نسدّ رقعة فى هذا العمل قد اتسعت اليوم على الراقع .

---

(١) يؤيد هذا مايقوله ابن مكى الصقلى ت ٥٠١ هـ « فأما العامة وأكثر الخاصة فلا يفرقون بينهما فى كتاب ولا قرآن » تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ص ٩١ تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر .

(٢) يؤكد هذا أن أبا بكر الزبيدى الأندلسى ت ٣٧١ هـ - ورد له خطاب من الوزير أبى الحسن المصحفى جاءت فيه كلمة (فاضت نفسه) بالضاد فجاوبه الزبيدى بمنظوم بين له فيه الخطأ دون تصريح :

قل للوزير السنّى محتده ... لى ذمة منك أنت حافظها

.................................................

لا قدمنّ حاجتى مطرّحة ... فإن نفسى قد فاظ فائظها

معجم الأدباء ١٨ - ١٨٢ —

كما قدمت فى هذا العمل لغة إحصائية[1] شاملة ( لأول مرة ) ــ ولغة الإحصاء ــ هى المنهج العملى الذى يعتمد عليه فى إظهار الحقائق وتقويمها ، وحسبى أن مثل هذا العمل بعث إلى الحياة تراثاً عزيزا قد اختفى ، ونورا وهّاجاً قد خبا ، وأثارة من علم الأولين كانت مطويةً فنُشرتْ ، ومخبوءة فى ضمير النسيان فكُشفتْ .

**احمد علم الدين الجندى**

---

= ففطن المصحح إلى خطئه ، وطلب الإيضاح بالشاهد فى قوله :

فقد أتتنى فديتَ شاغلةً النفس أن قلت فاظ فائظها — فأجابه الزبيدى شعرا — محتجا لمايقول :

أتانى كتاب من كريم مكرّم — فنفّس عن نفسٍ تكاد تفيظ

وباحث عن ( فاظت ) وقبلى قالها — رجال لديهم فى العلوم حظوظ

روى ذالك عن كيسانَ سهلٌ وأنشدوا — مقال أبى الغيّاظ وهو مغيظ

إلى أن قال :

فلا حفظ الرحمن روحك حيّة — ولا هى فى الأرواح حين تفيظ

معجم الأدباء ١٨ — ١٨٣ وانظر : مقدمة كتاب لحن العوام ص٢٠ للزبيدى ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ( دار العروبة ) وانظر : بحثا مبتكراً للدكتور إبراهيم أنيس ...... ( معنى القول المأثور « لغة الضاد » ) دورة ٣٣ للمجمع اللغوى بالقاهرة وانظر كذلك بحثا قيما للدكتور خليل نامى بمجلة كلية الآداب ج ٢١ العدد الأول مايو ١٩٥٩

( ١ ) انظر اللوحات الإحصائية السابقة فى هذا المقال ، وكذلك فى مقالين سابقين لنا بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عدد ٢٥ ، ٢٦

# المثل .. بين الفصحى والعامية

للأستاذ محمد قنديل البقلى

**المثل** فيما نعرف هو خلاصة تجربة من التجارب يعبر به الإنسان عن تلك التجربة وما أفاد منها وما قر فى نفسه من حكم عليها .

والتجارب تعرض للناس كافة يستوى فى ذلك عالمهم وجاهلهم ، ونتيجة لتلك المشاركة الواسعة فى التجارب تختلف الأحكام أو تختلف الكلمات المعبرة عن تلك التجارب ، فالحكم على التجربة لاشك متأثر تأثرا خاصا بالحاكم عليها ، فما تثيره التجربة فى نفس إنسان يختلف شيئا عما تثيره فى نفس إنسان آخر ، ثم إن صاحب التجربة الذى هو بصدد الحكم عليها يختلف قدرة وأداء وشعورا وإحساسا .

وما من شك فى أن أحكاما كثيرة صدرت عن أناس كثيرين كانت لهم تجارب كثيرة ، ولكن هذه الأحكام منها ما يبلغ أن يؤثر ، ومنها مالا يبلغ أن يؤثر ، فكان ثمة أحكام مأثورة لها قوتها فى الدلالة ولها قوتها فى الشمول ، ولها عمقها ، ولها أثرها فى النفوس . وهذه الأحكام التى توفرت لها هذه الصفات وغيرها أقبل الناس عليها حفظا ، وأقبلوا عليها تمثلا بها ، وهى التى أصبحنا نسميها الأمثال ، وجمعناها وشرحنا ملابساتها ليعيش عليها الناس يتمثلونها فيما يعن لهم من تجارب مشابهة .

أماتلك الأحكام التى لم ترزق قوة تعبير ولاسعة شمول ولا عمق تفكير فأهملت ، ولم تجد من يعنى بها حفظا ، ولا من يعنى بها تدوينا .

فالإنسان ما يفرغ حياته يجرب ، وما يفرغ حياته كلها يحكم على تجاربه ، ولكن هذه الأحكام ما يبلغ أن يروى ، كما قدمنا ، ومنها ما لا يبلغ أن يروى ، وهذا القسم الذى حظى بأن يروى هو ما نأثره عن السلف نحتذيه ونمعن النظر فيه . أما ذلك القسم الآخر فهو على الرغم من وجوده زمنا ما إلا أنه سرعان ما فنى وذهب ، ولم يعد من مرويات الناس .

وها أنت ترى أن المثل فى مقدور صاحب التجربة ما دام يملك قدرة التعبير ، ومادام يملك نفسا متأثرة بالتجربة تأثرا يخرجها من الصمت إلى الكلام . وحين كانت اللغة العربية تسود الناس سيادة كاملة أو شبه كاملة ، أعنى فى عصرها الأول ، كانت الأمثال كلها تكاد تنبع من معين واحد هو الفصحى ، أما حين أخذت اللغة الفصحى تتقلص سيادتها شيئا ونشأت إلى جانب اللغة الفصحى لهجات عامية ، أخذ معين الأمثال يختلف شيئا ، فكان ثمة أمثال تؤدى فصيحة ، وأمثال تؤدى عامية . والعامية ، كما نعرف ، تختلف فى بيئة عنها فى بيئة أخرى . من أجل ذلك ، كان ذلك الاختلاف فى لفظ ذلك المثل الواحد الذى يرد فى العامية .

ونحن بين تراث من الأمثال الفصيحة يكاد يرتد إلى عصور بذاتها لا يعدوها إلى تلك العصور التى انتهى عندها المثل الفصيح ، ولم نعد نظفر بأمثلة أخرى لغير تلك العصور ، وما نظن أن العلة فى ذلك أن تجارب الناس انتهت عند تلك العصور أو أن الناس فقدوا الحكم على مايعن لهم من تجارب ، أوأنهم فقدوا القدرة على التعبير عما يحسون ، وأرجح الظن فى تعليل ذلك أن وسائل الرواية التى تهيأت للأقدمين لم تعد مهيأة لمن جاء بعدهم . وقد كان من الممكن أن تقوم الكتابة مكان الرواية ، ولكن الذى نظنه أن الناس لم تعد لهم العناية بالمثل قولا وحفظا كما كانت تلك العناية للأقدمين .

والغريب أن هذا الركن الذى فقدناه فى الفصحى لم نفقده فى العامية . ونحن لم نفقد العناية بالمثل وحده فى الفصحى ، بل فقدنا العناية بالخطبة أيضا ، وغيرها من أساليب القول النثرية كالأوامر والتوقيعات ، وما إلى ذلك مما جرى هذا المجرى ، فلم تعد لنا عناية بتدوين هذا أو روايته إلا فى القليل ، مع أن الأزمان المختلفة لم تحرم مثل هذا ، وما نشك أن ثمة أفرادا جاءوا على توالى الأزمان ، وكانت لهم فى تلك الميادين من القول جولات .

وهكذا نرى أنفسنا فى ميدان الأمثلة التى جاءت فى الفصحى بين يدى جملة خاصة بقرون سلفت ووقفت عندها . أما عن الأمثال التى جاءت فى العامية فما نظنها وقفت عند عصر بعينه ، بل سايرت الأزمان المختلفة ، ونكاد نخالها على لسان كل عصر ، بل منها ما يكاد يولد إلى اليوم .

والعلة فى تجدد المثل العامى وبقائه حيا دون المثل الفصيح هى فيما نظن أن المثل العامى لاسيما فى تلك العصور التى انزوت فيها الفصحى وأصبحت فيها اللغة الرسمية له وجوده على ألسنة الكثرة ، فهو أدبهم الذى لا أدب لهم غيره ، فما هم برواة شعر ولا برواة نثر ، ولكنهم على الأمثال يحيون أولا ، إذ فيها نوادرهم وطرائفهم ، وهذه النوادر والطرائف بعيد أن تجمد ، وبعيد على أذهان العامة أن تخمد هى الأخرى . من أجل ذلك كان المثل حيا متجددا على ألسنة العامة ، على حين انقطع على ألسنة الخاصة أو قُل لم يجد من ينقله من لسان الخواص ، على حين وجد من ينقله من لسان العوام .

والمتتبع للأمثلة العربية فى العصور المختلفة للغة العربية يجد أن ثمة ظواهر ثلاث :

١ ـ ظاهرة تشير إلى سيادة المثل الفصيح سيادة كاملة وذلك إبان كانت الفصحى هى اللغة التى لا تزاحمها لهجات عامية .

٢ ـ ظاهرة شاركت العامية فيها الفصحى ، وذلك خلال تلك العصور التى لم تكن للفصحى السيادة الكاملة .

٣ ـ ظاهرة اختفى فيها المثل الفصيح وانتعش فيها المثل العامى ، وذلك فى العصور التى تخلفت فيها اللغة الفصحى .

أما عن الظاهرة الاولى وهى تلك التى ساد فيها المثل العربى أيام سيادة الفصحى فحسبنا تلك الجهود التى بدأت فيما نظن مع منتصف القرن الثانى الهجرى تقريبا ، وكان أول من وضع فيها كتابا هو الضبى المفضل بن محمد بن يعلى المتوفى سنة ١٦٨هـ ، ثم تلاه فيما نعلم يونس النحوى المتوفى سنة ١٨٢هـ ، ثم تتالت الجهود من بعد يونس تباعا فرأينا مثل ذلك الجهد لأبى عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠هـ ، ثم لأبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ،ثم لابن الأعرابى محمد بن زياد المتوفى سنة ٢٣١ هـ ،ثم لابن حبيب أبى محمد جعفر بن محمد المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، ثم لثعلب أبى العباس أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٢٩١ هـ ، ثم لابن الأنبارى أبى بكر محمد بن القاسم المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، ثم للخالع الحسين بن محمد المتوفى سنة ٣٨٠هـ ،ثم للعسكرى أبى هلال الحسن بن عبد الله المتوفى سنة ٣٩٥هـ .

وكان ثمة نفر غير هؤلاء كانت لهم أيضا جهود فى الأمثال منهم الأصمعى وأبى زيد وأبى عمرو وأبى فيد وحمزه بن حسن إلى كثير غيرهم بلغت مؤلفاتهم الخمسين ، وظلت هذه الجهود الكثيرة مفرقة تترقب من يتصدى لها جمعا وتبويبا إلى أن أتيح لها الميدانى أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى المتوفى سنة ٥١٨هـ ، فجمع فيها كتابا تربى أمثاله على ستة آلاف ، وكان ذلك فيما يقول الميدانى فى مقدمته بتكليف من ضياء الدولة صفى الملوك أبى على محمد بن أرسلان .

وهذا الجمع الواسع الذى كان منهج الميدانى حمله على ألا يفرق بين الغث والثمين ولكنه على كل حال جاء كتابا مجزئا فى بابه ، لم يفت الميدانى فيه الرجوع إلى جميع المؤلفات التى سبقته وقد عقب على الأمثال بشروح كثيرة وقصص طويل نقله عمن سبقوه فى ذلك الميدان من الذين ألفوا فى الأمثال أو من الذين كانت لهم تواليف فى القصص والأمثال من أمثال عبهد بن شريه وعطاء بن مصعب والشرقى بن القطامى .

وقد أفادنا الميدانى فى كتابه فائدة فهو قد يكون المؤرخ الأول لظهور المثل المولد ، فقد أعقب كل باب من أبواب الأمثال الصحيحة بباب يجمع أمثال المولدين . والميدانى كما نعلم من تاريخ وفاته كان يعاصر تلك الحقبة الزمنية التى كانت اللغة قد تخلفت فيها شيئا وظهرت اللغة المولدة ، وبالتالى المثل المولد .

ومن بعد الميدانى جاء الزمخشرى أبوالقاسم محمود بن عمر المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ، فألف كتابه المستقصى فى الأمثال ، ولم يكن قد وقع له كتاب مجمع الأمثال للميدانى قبل شروعه فى مؤلفه هذا ، ويقال إنه بعد أن أطال النظر فى كتاب الأمثال ندم على تأليفه كتابه المستقصى لأنه جاء دون جهد سابقه.

* * *

هذا عن الظاهرة الأولى ظاهرة شيوع المثل الفصيح لشيوع العربية الفصحى ، وقد رأينا أن الأمثال كانت عربية فصيحة حين كانت اللغة العربية لم يعتورها وهن ، ثم لم يكن بد من أن تكون تلك الأمثال فصيحة إذ هى كانت تحكى جاهلية الناطق فيها عربى قح ، ثم تحكى حقبة إسلامية لم تتخلف فيها العربية ، فكان من المستبعد أو من المستحيل أن تكون ثمة أمثال بغير العربية .

ولقد ترجم العرب لاشك عن الفارسية وعن غيرها من اليونانية ، وهم لاشك أيضا أنهم قد ترجموا بعض الحكم التى هى تجرى مجرى الأمثال من الآداب الفارسية ومن الآداب اليونانية ، وعصر الترجمة ، هذا كما نعلم ، يكاد يكون ساير عصور ازدهار اللغة وقوتها من أجل ذلك كان التعبير المترجم لتلك الحكم المنقولة عن الفارسية واليونانية هو الآخر عربيا فصيحا ، وكان من مجموع ما دون من أمثال العرب جاهلية وإسلاما ، ومن ذلك الذى ترجم عن الفارسية واليونانية ما يمثل تلك الظاهرة الأولى ، وهى ظاهرة شيوع المثل الفصيح لشيوع العربية الفصحى وتمكنها على الألسنة .

* * *

أما عن الظاهرة الثانية وهى تلك الظاهرة التى يساير فيها المثل العربى مثل عامى ، فتلك ظاهرة تحليلها يسهر ، وقد يكون الأمر فى ذلك مرده إلى أمور منها :

( ا ) تناول المثل العربى بشىء من التعبير العامى يختلف باختلاف المتحدث ، وهذا المتحدث يختلف أيضا باختلاف البيئات ، وهذا النوع من التحريف الذى

دخل على المثل العربى ونتج عنه تلك الأمثلة التى تبدو عربية فى مبناها وفى الكثير من مظاهرها كتب لأمثاله البقاء إلى جانب تلك الأمثال العربية المناظرة ، فاذا ما روى المثل العربى فى بيئة من البيئات العربية ، روى إلى جانبه ذلك المثل الذى دخله شئ من التحوير . والشئ الملاحظ أن هذا التحوير لم يتكرر ، واكتفت تلك البيئات الشعبية بالتحوير الأول وعدته من موروثها الذى لا تبديل فيه تماما ، كما عد المثل العربى المناظر له ، وأصبح لذلك المثل العامى المحوّر قدسية ذلك المثل العربى الأصلى . وكما يرُد المخطئ فى هذا كذلك يُرد فى ذاك ، وعلى الرغم من أنه ليس ثمة كثرة كثيرة من تلك الأمثال العربية المحوّرة ، وأعنى الأمثال ذات المظهر العامى والدلالة العربية ، فما نشك فى أن تلك الأمثال العربية كلها يسرت وسهلت وتناولها العامة بألسنتهم فحرفوا فيها وبدلوا ، اللهم إلا ما كان منها سهلا ، فلم يجد العامة فيه مدخلا يدخلون منه إليه تبديل أو تحوير .

ومن أمثلة تلك الطائفة :

١ - يقول المثل العربى : إن للحيطان آذانا .

ويقول المثل العامى المصرى : الحيطان لها ودان[١] .

ويقول المثل العامى الموصلى : الحائط لو آذان .

٢ - يقول المثل العربى : أحب أهل الكلب إليه خانقه .

ويقول المثل العامى المصرى : القط ما يحب إلا خناقه[٢] ويقول المثل العامى الجزائرى : الكلب ما يحب إلا خانقه .

---

(١) كتابنا : وحدة الأمثال العامية فى البلاد العربية ص ١٤٨ - الأنجلو ١٩٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٧١

٣ - يقول المثل العربي : الشعير يؤكل ويذم .

ويقول المثل العامى : حيش الشعير يتاكل وينزم[1] والمثل فى نجد : الشعير المأكول المذموم .

٤ - يقول المثل العربي : الشبعان يفت للجوعان فتا بطيئا .

ويقول المثل العامى المصرى : الشبعان يفِتْ للجيعان فت بَطِئ[2] ويقول أهل الموصل : الشبعان ما يعرف يدرد الجوعان .

(ب) ثم إن بعض الأمثال تجئ فى العامية بمثابة الشرح للمثل العربي ، فاذا هذا المثل العامى هو هو فى العربية غير أنه فى العامية يكاد يكون شرحا لنظيره فى العربية ومن أمثلة تلك الطائفة :

١ - يقول المثل العربي : إذا ضربت فأوجع فان الملامة واحدة .

ويقول المثل العامى فى مصر : إن طعمت اشبع وإن ضربت اوجع[3] .

وهذا المثل فى الجزائر : إذا ضربت أوجع وإذا أطعمت شبع .

وفى الموصل : إذا أطعمت أشبع وإذا ضربت أوجع .

٢ - يقول المثل العربي : شبر فى ألية خير من ذراع فى رية .

ويقول المثل العامى المصرى : قيراط فى اللِّية ولا فَدَّان فى الكروش[4] .

والمثل العامى فى نجد : شبر من ذنب الخروف ولا بوْع من ذنب البقره .

٣ - يقول المثل العربي : شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه .

ويقول المثل العامى المصرى : الشهر اللى ما هو لك ما تعد ايّامه[5] .

ويقول المثل العامى الشامى :الشهر اللى مابيجيلك منه ماهيه ماتعد أيامه .

---

(١) كتابنا : وحدة الأمثال العامية فى البلاد العربية ص ٥٥

(٢) المصدر السابق ص ٣٣٦

(٣) المصدر السابق ص ٥٩

(٤) المصدر السابق ص ٢٤١

(٥) المصدر السابق ص ٢٢٩ .

ويقول المثل العامى السودانى : شهراً مالك فيه نفقه ما تعد أيامه .

ويقول المثل العامى فى الجزائر والمغرب : الشهر إلى ما يدخلك كراه ما تحسبه شى .

٤ - يقول المثل العربى : صاحت عصافير بطنه .

ويقول المثل العامى : عصافير بطنه زقزقت .

٥ - يقول المثل العربى : إن الحديد بالحديد يفلح .

ويقول المثل العامى : زى الحديد يقطع بعضه [١] .

٦ - يقول المثل العربى : إبنك إبن بوحك .

ويقول المثل العامى : إبنك إللى من صلبك .

(ج) ونحن لا ننسى أن الفكر الذى يملكه الرجل الفصيح قد لا يبعد كثيرا عن الفكر الذى يملكه الرجل العامى ، وأن ذلك الحدث الذى أملى ذلك المثل العربى على عربى فصيح من الممكن أن يوجد مثله فيملى مثلا على لسان رجل عامى ، وإذا حقيقة المثلين واحدة وإذا أداؤهما يكاد يكون واحدا لا يختلفان إلا فى أن أولهما يؤدى بعبارة عربية فصيحة ، وثانيهما مؤدى بعبارة عامية شعبية ، وهذا أمر تقع أشباهه لنا فى حياتنا عامة فقد يجتمع اثنان على منظر واحد ويكون تأثرهما واحدا ، كما يكون تعبيرهما عن ذلك التأثر واحدا أيضا فى مبناه لا يختلف إلا فى الأداء ، فما من شك أن من الأمثال العامية التى سايرت الأمثال العربية طائفة لم تنشأ عن تحريف و تبديل ، وإنما نشأت عن اتحاد فى الحديث والتفكير والتأثر .

---

(١) كتابنا : وحدة الأمثال العامية فى البلاد العربية ص ٢٦٧

ومن أمثلة هذا :

١ - يقول المثل العربي : إذا ذكرت الذئب فأعد له العصا .

ويقول المثل العامي المصري : أذكر الديب وهيِّ له القضيب[١] .

ويقول المثل العامي الموصلي : تذكر الكلب فحضر العصا .

ويقول المثل العامي في نجد : إلى أطريت الكلب فولم العصا .

٢ - يقول المثل العربي : أبرد من عضرس (عضرس : الماء الجامد) .

ويقول المثل العامي المصري : أبرد من ميّة طوبة[٢] .

ويقول المثل العامي في العراق : أبرد من هوا عنتر .

ويقول المثل العامي الجزائري : أبرد من الثلج .

ويقول المثل العامي المغربي : أبرد من سيكوك في الليالي (وسيكوك هو طعام الكسكسي حينما يضاف إليه المخيض الحامض من اللبن وهو من أطعمة فصل الصيف لبرودته ولا يؤكل في الشتاء) .

٣ - يقول المثل العربي : تغذ بالجدي قبل أن يتعشى بك .

ويقول المثل العامي المصري : اتغدّى بالديب قبل ما يتعشى بك[٣] .

ويقول المثل العامي الموصلي : تغدّى بينو قبل ما يتعشى بيك .

٤ - يقول المثل العربي : الدينار القصير يسوى دراهم كثيرة .

ويقول المثل العامي المصري : القرش الابيض ينفع في اليوم الاسود[٤] .

ويقول المثل العامي في الموصل : اغفع القرش الابيض لليوم الاسود .

ويقول المثل العامي الشامي : القرش الابيض لليوم الاسود .

---

(١) كتابنا : وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ص ١٠٣

(٢) المصدر السابق ص ١٠٣

(٣) المصدر السابق ص ١٠٠

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٠

ويقول المثل العامى فى بغداد : قرش الابيض ينفع بيوم الأسود وأيضا المثل : احفظ الفلس يحفظك الدينار .

٥ – يقول المثل العربى : السلف تلف .

ويقول المثل العامى المصرى : السلف تلف والرد خسارة[1] .

ويقول المثل العامى فى نجد وفى جزيرة العرب : السلف تلف .

ويقول المثل العامى فى الجزائر وفى المغرب : السلف يربى العداوة .

٦ – يقول المثل العربى : بيتى أستر لعوراتى .

ويقول المثل العامى المصرى : ياداری یا ستر عاری[2] .

ويقول المثل العامى فى الموصل : بيتى يستر عيبى .

هذه طائفة من أمثال تلك الظاهرة الثانية وهى كما ترى تنحصر تحت أسباب ثلاثة ، هى كما قلنا :

( ا ) إما تحريف المثل العربى على ألوان من التحريف يختلف باختلاف المتحدث وباختلاف البيئة .

(ب) وإما مجىء المثل العامى شرحا للمثل العربى وهذا أيضا يختلف باختلاف الشارح وباختلاف البيئة .

(ج) وإما أمثلة مبتدعة فى العامية كما ابتدعت فى العربية أملتها الظروف والأحداث متفقة فى الحالين . والملاحظ أن الكثير من الأمثلة التى اتفقت عربية وعامية كثرتها من الضربين الأولين ، أعنى من الضرب الذى جاء محرفا ومن الضرب الذى جاء شارحا وقلتها من الضرب الذى جاء ابتداعا . وليس معنى هذا أن العوام لم يقولوا ابتداعا كما قال الفصحاء بل إن مرجع تلك القلة فيما يبدو

---

( ١ ) كتابنا : وحدة الأمثال العامية فى البلاد العربية ص ٢٢٦ ( ٢ ) المصدر السابق ص ١٩٤

إلى أن القلة فى الأمثلة العامية المبتدعة لم تقف للأمثلة العربية التى من بابتها وكانت الغلبة للمثل العربى ، من أجل ذلك لم يعش منها إلا القليل على حين عاشت من الأمثلة المحرفة والشارحة كثرة كثيرة لأنها هى فى الواقع ترديد للمثل العربى على صورة غير عربية .

* * *

أما عن الظاهرة الثالثة وهى تلك الأمثال العامية التى وردت على غير غرار لها فى العربية ، أعنى تلك الأمثال التى جاءت مباعدة للأمثال العربية ، وهذا التباعد :

١ — إما تباعد فى اللفظ مع اتفاق فى المعنى .

٢ — وإما تباعد لفظا ومعنى .

وهذه الظاهرة بشقيها تكاد تتصل بالضرب الثالث من الظاهرة الثانية ، أعنى ذلك الضرب الذى جاء نتيجة اتفاق الفكرة ، غير أن الأمر هناك مقصور على تلك الأمثال العامية التى جاءت موائمة للأمثال العربية فى مساقها ، والفرق بين الأمرين هنا وهناك أنها هناك سايرت المثل العربى أو قاربت أن تسايره حتى أنك لتكاد تحس أن المثل العامى صورة من المثل العربى تكاد تحمل على التحريف أو الشرح ، أعنى الضربين الأول والثانى من تلك الظاهرة الثانية لولا أن ثمة ملامح من الفكر المستقل تشير إلى أن المثل العامى وإن بدا قريبا من المثل العربى إلا أنه يحمل طابع الإبداع فى الفكرة . والأمر هنا فى تلك الظاهرة الثالثة وإن كان متصلا بما سبق لسبب ما غير أنه قوى الانفصال ، فالمثل العامى هنا بضربيه فى هذه الظاهرة مستقل تماما يشعرنا بأنه جاء إبداعا لا اتباعا ، وهذا ما يؤكد ما قلنا من قبل أن الفكر الموحى بالمثل ليس مقصورا على الرجل الفصيح وحده بل يشاركه الرجل العامى ، وأنه ما دامت هناك عامية فثمة أمثال عامية ، منها تلك التى جاءت تحريفا أو شرحا للأمثلة العربية ، ومنها التى جاءت إبداعا ، وقد قلنا إن هذه التى جاءت إبداعا فى العامية لاسيما حين تنتعش العربية وتنقشع العامية ، فالمثل العامى لا يقف للمثل العربى

إلا فى ظروف محددة وبيئات بعينها ، تكون العربية قد أصيبت هنا وهناك بالوهن ، وهذا ما كان من تلك الأمثال العامية التى ضربنا بها المثل عند الحديث عن الضرب الثالث من الظاهرة الثانية .

ولكن تلك الأمثال العامية التى تجىء ابتداعا أيضا ولا تساير المثل العربى ولا تكون صورة منه لفظا ، أو تلك التى تغاير المثل العربى معنى ولفظا وهما هذان الشقان من تلك الظاهرة ، فهذه الأمثال العامية لا شك قويت على أن تصمد ، تختلف درجة صمودها بانتعاش العربية وهمودها ، ولكنها لا شك باقية بقاء ثابتا غير بقاء أمثلة الضرب الثالث من الظاهرة الثانية ، إذ هى فيها إبداع وفيها فكرة مستقلة إلى جانب ذلك الإبداع ،ولكنها على ذلك تختلف ، فما كان منها متفقا مع المثل العربى فى معناه دون لفظه كان موضع موازنة ، فإن كان أداؤه أيسر وأسلس وألصق بالنفوس كان أقوى على مغالبة ومقارعة المثل العربى يؤخذ بهذا حينا ويؤخذ بذلك حينا وقد يؤخذ بهما معا .

أما تلك الأمثال العامية التى جاءت ولا وجود لها فى العربية لفظا ولا معنى فهى لا شك أخلد وأبقى من أمثلة الضرب الأول من هذه الظاهرة .

وما من شك أن انكماش العربية فى عصورها وانحصارها فى بيئات محدودة ضيقة كان له أثران :

الأثر الأول : فقداننا ذلك الرجل الناطق بالفصحى يعطينا المثل ويعطينا الحكمة ، فلم نعد نظفر بنظراء هؤلاء السلف الذين تركوا لنا تلك الأمثلة العربية الفصيحة ، يستملونها من الأحداث والوقائع .

الأثر الثانى : نهوض رجال من الشعب لغتهم العامية مقام هؤلاء الرجال الذين فقدناهم يستلهمون الأحداث والوقائع يعطوننا أمثلة تعوضنا عن تلك الأمثلة العربية وتكاد تكون فى قوتها فكرة وإيجازا ورمزا وإشارة ودلالة على حوادث مفصلة تنطوى تحت أجنحتها .

وأمثلة هذه الظاهرة بشقيها من القوة بمكان لأنها ليست اتباعا بل هى إبداعا تحوى الفكرة الأصيلة وتحوى الاستقراء العميق وتدل على مكانة مبدعيها .

وإليك أمثلة من الشق الأول ، أعنى من تلك التى اتفقت معنى ولم تتفق لفظا وستحس معى فيها جوانب القوة والعمق اللذين ضمنا لهما البقاء على الرغم من أنه ليس ثمة تدوين يحفظ لها بقاءها وهى على الرغم من فقدانها ذلك التدوين فهى تعيش على الألسنة يتناقلها جيل بعد جيل ، ولكنها لاشك بعد أن يكتب للفصحى أن تسود سيكتب لها ما كتب للأمثلة العربية من تحول على ألسنة العوام ، وما نستبعد أن تصبح تلك الأمثلة العامية أمثلة فصحى بعد أن تتناولها ألسنة الفصحاء بالصقل والإعراب .

وما سيحدث لهذا الضرب الأول سيحدث للضرب الثانى أيضا من تلك الظاهرة ، أعنى تلك الأمثلة العامية التى لا وجود لها فى العربية لفظا ومعنى . وها هى ذى أمثلة ذلك الشق الأول :

| المثل العامى | المثل العربى |
|---|---|
| ـ الغَنى غَنُّوا له والفقير إيه يعْملوا لُه | ـ إن الحبيب إلى الاخوان ذو المال |
| ـ ابْعد عن الشَّرْ وغَنِّى له | ـ اذا ترابك الشر فاقعد به |
| ـ القَوَالبْ نَامتْ والانْصَاصْ قَامتْ | ـ إن البغاث بأرضنا يستنسر |
| ـ قالوا يا حَمَا ما كُنْتيش كنّه قالت كنت ونْسيتْ | ـ إن الحماة أولعت بالكنة |
| ـ إذا وقع القدر عمى البصر | ـ إذا جاء الحين حارت العين |
| ـ مَحَدِّش يقْطع مناخيرُه من وشُّه | ـ أنفك منك وإن كان أذن |
| ـ أنا واخُويَا على ابن عَمِّى وانا وابن عمىِّ على الغَريبْ | ـ آ كل لحمى ولا أدعه لآ كل |

| المثل العامى | المثل العربى |
|---|---|
| ـ قَابْلُوهم بالصُّوتْ لَيغْلبُوكُم | ـ إبدأهم بالصراخ يفروا |
| ـ لا جْلْ الورد ينْسقى العُلِّيق | ـ بعلة الزرع يسقى القرع |
| ـ مال الكُنْزى للنُّزهى | ـ بشر مال الشحيح بحادث أو وارث |
| ـ ضَرَبْ وبكى وسَبَّق واشْتكى | ـ تلدغ العقرب وتصيىء |
| ـ اللى فى الدِّسْت تطَلَّعُه المَغْرَفَه | ـ تخرج المقدحة ما فى قعر البرمة |
| ـ إن كان لك صاحب لا تْعَامْلُه ولاَ تْنَاسْبُه | ـ تعاشروا كالإخوان وتعاملوا كالأجانب |
| ـ خُدْ من دَقْن القرْدْ شَعْره | ـ دمعة من عوراء غنيمة |
| ـ أبو جُعْران فى بيتُه سُلطان | ـ الذيخ فى خلوته مثل الأسد |
| ـ اللى أوِّلُه شَرط آخرُه نُورْ | ـ الشرط أملك عليك أم لك |
| ـ صَامْ صامْ وفِطِرْ على بَصَله | ـ صام حولا ثم شرب بولا |
| ـ لِسَانَكْ حُصَانَك إن صُنْتُه صَانَكْ | ـ عثرة القدم أسلم من عثرة اللسان |
| ـ الإيدْ البَطَّالة نِجِسة | ـ غبار العمل خير من زعفران العطلة |

وبعد أمثلة هذا الشق الأول نسوق إليك جملة من أمثلة الشق الثانى التىانفردت بها العامية لفظا ومعنى ، ولم نجد لها مع طول الاستقصاء نظائر فى العربية فيما نعلم :

أمثلة عامية :

ـ ابن اسم الله أَخَدُه الله وابن الكُبَّه طلع القُبَّة

ـ اجا للعميان ولد قَلَعُوا عِينُه من التَّحْسيس

ـ اصْرف ما فى الجيبْ يأْتيك ما فى الغِيبْ

- الطَّحَّان ياخُدْ حِفَان بحْفَان وربنا ياخد حصان بحصان
- تِجْرى يا ابن آدم جَرْىْ الوُحُوش وغير رزْقَك ما تْحُوش
- يُرزُق الهاجَع والنَّاجَع واللى نَايِمْ على سْنَاخ وِدْنُه
- ابن آدم يِتْربَط من لِسانه والبِهيمْ مِن وِدَانُه
- اقطَعْ ودن الكلب ودَلِّيها واللى فيه خَصْلَه ما يْخَلِّيها
- اللى يِعْمِل ضَهْرُه قَنْطَرهْ يِسْتَحمِل الدُّوسْ
- حيلة العاجز دموعه
- زىْ الإبره تِكْسِى الناس وهى عِرْيانِه
- زَىْ القُرادْ ما يرْكَبْ إلا الجِتّه الضَّعيفِه
- الضُّحْكْ ع الشَّفَاتِيرْ والقلب يِسْبُغْ مناديل
- العاقل من غَمزِه والجاهِل من رَفْصَه
- عيِّبِتْ القِدْره ع المغرفه قالت لها ياسُوده ومحرَّقَه
- الفَشْر والنَّشر والعَشَا خُبيِّزه
- فى الوِش مرَايه وفى القفا سِلاَّيه
- كُبُرْ البصل وادوّر ونِسى حَالُه الأول
- كَتَّر من الفَضَايِحْ اللا انا رَايِحْ
- كُلْ رَاس مِطَاطِيَّه تَحْتِها أَلْف بَلِيَّه
- الكلب ما يْعُضِّش فى وِدْن أَخُوه
- كَلُوا الهِدِيّه وكَسَرُوا الزِّبْدِيِّه
- لُولاكْ يالسانى ما انْسَكِّيتْ يا قَفَايه
- لو بَصْ الجمل لِصَنَمه لَقَطْمُه

- ما تِقِرْ بخيرى الا لما تشُوفْ غيرى
- واحد شَايِلْ دَقْنُه والتَّانى تَعْبان ليه
- جُرْحْ السِّلاحْ يِبْرا وجُرْح اللسان ما يِبْرا

هذه كلمة موجزة عن الصلة بين الأمثلة العربية والأمثلة العامية ، وما نعلم أن المثل العامى انطلقت الألسنة بالتعبير به إلا حين فقدت التعبير عنه بالفصحى ، وكما وجد المثل العامى على أنقاض المثل العربى فسوف يعود الأمر إلى المثل العربى ليعيش على أنقاض المثل العامى ، وهذا رهن بانتعاش الفصحى وسيادتها ، فما أحرص كل متكلم بالفصحى على أن يجرى لسانه بالفصيح ، وعهدنا بالناس حين تفصح ألسنتهم أن يتجنبوا أن ترد على ألسنتهم أمثلة عامية ،وذلك أملنا فى أن تتطور تلك الأمثلة العامية إلى أخرى فصيحة وأن نجد بيننا من الفصحاء من يصلوا إبداع الأمثال فلا ينقطع هذا الخلق حتى يستمر حبل الأمثال موصولا ولا تنفرد العامية دون العربية .

**محمد قنديل البقلى**

# من التراث اللغوى

# اللهجة العامية المصرية في القرن الحادى عشر الهجرى

للدكتور رمضان عبد التواب

الشيخ يوسف المغربى هو أبو المحاسن يوسف جمال الدين بن زكريا بن حرب المغربى المصرى الأزهرى[1] ، تنحدر أسرته من أصل مغربى ، وقد ولد هو بالقاهرة فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى ، وتوفى بها فى سنة ١٠١٩ هـ .

وكتابه : « دفع الإصر عن كلام أهل مصر » وثيقة لغوية مهمة ، سجل فيه صاحبه كثيراً من ظواهر العامية المصرية فى القرن الحادى عشر الهجرى . وقد وصل إلينا فى نسخة مكتوبة بخط المؤلف ، انتهى منها فى منتصف جمادى الأولى سنة ١٠١٥ هـ ، أى قبل وفاته بأربع سنوات ، ثم انتقلت بعد ذلك بمدة إلى أبى عبدالله محمد شمس الدين بن أحمد بن أبى السرور البكرى الصديقى ، المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ ، والذى اختصرها فى كتابه الذى سماه : « القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب[2] » . ثم انتقلت المخطوطة بعد ذلك إلى يوسف الملّوى ، الشهير بابن الوكيل ، الذى نسخ مختصر ابن أبى السرور السابق[3] ، وانتقلت بعد ذلك إلى الشيخ محمد عياد

---

(١) انظر ترجمته فى ريحانة الألبا للخفاجى ٢ / ٣٢ وخلاصة الأثر للمحبى ٤ / ٥٠١ وهدية العارفين ٢ / ٥٦٦ وبروكلمان GAL II 285 ; S II 394

(٢) حققه السيد إبراهيم سالم ، وطبعته المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، فى سلسلة « تراثنا » بالقاهرة ١٩٦٢ وانظر كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوى ص ٣٠٤

(٣) انظر مقدمة المقتضب ص ٢ — ٧

الطنطاوى المعلم الأول للغة العربية فى روسيا ، وبعد وفاته فى ١٢٧٨ هـ ، دخلت المخطوطة فى حوزة الكلية الشرقية بجامعة بطرسبرج - ليننجراد ، ولا تزال هناك وتحمل رقم Ms, O, 778

وقد ظهر الكتاب مصوراً عن هذه النسخة فى عام ١٩٦٨ بموسكو فى سلسلة آثار الآداب الشرقية ، وذلك بعناية الدكتور عبد السلام أحمد عواد ، الذى قدم له ببحث عن المؤلف بالعربية والروسية ، وذيله بفهارس كثيرة متنوعة نافعة .

ومخطوطة الكتاب ليست كاملة ، بل تنقص إحدى عشرة كراسة ، ويبدأ النقص من أول الكراسة الثالثة ، أى فى باب الباء فصل القاف (مادة : قطرب ) ، حتى نهاية الكراسة الثالثة عشرة ، أى إلى باب الفاء فصل الراء ( مادة : ردف ) ، وإذا كان عدد أوراق الكراسة عشر ورقات ، فالناقص ١١٠ ورقات تقريبا . وقد حدث هذا النقص بعد اختصار ابن أبى السرور للمخطوطة ، وبعد نسخ ابن الوكيل لهذا المختصر ؛ لأن نسختى المختصر كاملتان .

وهذه المخطوطة هى مسوّدة المؤلف ، ففيها تغييرات وإضافات وتنقيحات بخطه ، مثلما وقع فى صفحة (١٣ب/١٠) عند قوله : « ويقولون : لبن رايب ، ولم أر فى اللغة ما يناسبه ، لافى رأب المهموز ، ولافى راب بالألف اللينة » ، فقد ضرب المؤلف على عبارة : «ولم أر فى اللغة . . . بالألف اللينة» وكتب على الهامش : «وهو صحيح . قال المجدى : راب اللبن روبا خثر ، ولبن را يب ، أو هو مايمخض ويخرج زبده . وروبه وأرابه » . كما قال فى آخره (١٣٣ أ/٢١ ) : « وكتبه مؤلفه الفقير يوسف المغربى عفى عنه والمسلمين آمين » .

وقد بدأ المؤلف بالعمل فيه فى منتصف شوال سنة ١٠١٤ هـ وانتهى منه فى ليلة النصف من جمادى الأولى سنة ١٠١٥ هـ ، فقد ورد فى آخره قوله (١٣٣ أ/٢ ) : «فإن هذا الكتاب حصل فى مدة يسيرة ، يسر الله عسيره ، فإن مافيه من المنظوم نظم حال الكتابة مع جريان القلم ، وكأنه نقل من نسخة ثَمَّ . وكانت البداية فيه فى نصف شوال عام أربعة

عشر وألف ، والختام ليلة النصف من جمادى الأولى عام خمسة عشر وألف ، مع الاشتغال بسواه من أمور المعاش والمعاد ، والقيام بأمور العيال والأولاد »

وقد سمى المغربى كتابه فى البداية : « الفضل العام وقاموس العوام » فقال فى مقدمته (٢ أ / ٧) : « فقصد الفقير يوسف المغربى أدخله الله فى شفاعة النبى العربى أن يرتب هذا الكتاب على أبهج ترتيب ، ويهذب مايقع من عوام أهل مصر بأن يرجعه للصواب ، وهذا هو التعريب . مغترفا من القاموس والعباب ، مبينا لما حكم بخطئه أنه صواب . وسميته : الفضل العام وقاموس العوام » .

ثم تردد بعد هذا فى تسميته بتسميات أخرى ، إلى أن استقر على تسمية : « دفع الإصر عن كلام أهل مصر » ، وانظر فى ذلك مقدمة الناشر ص ١١ - ١٢ .

وقد عين المغربى فى النص السابق مراجعه ، فحصرها فى القاموس والعباب ، وإن كان اعتماده على القاموس أكثر من اعتماده على العباب ، وقد تأثر به فى ترتيب مادة كتابه ونبه على ذلك فى قوله (٣ أ / ١٨) : « وهو على حروف الهجاء كالقاموس مع تسامح فى الأصل والزائد » .

ومع ذلك فإنه لم يسلم من التصحيف والتحريف فى نص القاموس ، مثال ذلك قوله (٥٩ ب / ٨) : « يقولون : فلان زَعْلُوك ، يعنون أنه فقير . وكثيرا مايقع هذا من المغاربة ، يقولون على الفقراء الحجاج منهم زعاليك والذى فى القاموس : زُعْلُوك كمصفور : السمين من الإبل ، والقصير اللئيم ، جمعه زعالك وزعاليك » .

والذى فى القاموس : « الزُّعْكُوك » بكافين فى باب الكاف فصل الزاى (٣ / ٣٠٥) ولم يرد فيه : « زعلوك » بتاتا . ويظهر أن النسخة التى كانت بيده من القاموس كانت قد أهملت وضع شرطة الكاف الأولى ، على عادة كثير من المخطوطات القديمة ، فاشتبهت لذلك باللام ، مع أن وضع الكلمة فى باب الكاف كان من الممكن أن يجنبه الوقوع فى هذا التحريف .

وقد أشار المغربى إلى هذه الكلمة مرة أخرى فى صفحة (٦١ أ / ١) فقال : «الصُّعلوك كعصفور : الفقير ، وتصعلك : افتقر . وهذا الذى تقول (العامة) فيه زعلوك . وقد تبدل الزاى صادا ، فلا يكون لحنا . ولكن لم ينص عليه فى القاموس» . فهو هنا يصر مرة أخرى على ورود كلمة «زعلوك» فى القاموس بغير هذا المعنى ، وإن كان قد فطن هنا إلى العلاقة بينها وبين كلمة : «صعلوك» ؛ فقد رققت الصاد ، وجهرت لتأثرها بالعين المجهورة ، فصارت زايا ، غير أنه عكس الكلام فقال : «وقد تبدل الزاى صادا ، فلا يكون لحنا» .

ويحكى المغربى فى كتابه كثيرا عن نفسه ، ويروى لنا بعض ما أصابه فى مراحل حياته المختلفة ، فهو يقول مثلا (٥١ أ / ١١) : «قلت : قد مرضت بهذا المرض ، أى الفواق ، حتى التبس على بعض من عادنى بالفواق عند النزع ، فظن أنى أفوق بنفسى ، أى أجود بها ، وهى على الخروج ، فذهب من وقته لقاضى البلد ، يسأله فى وظيفة لى . وقال : قد مات يوسف المغربى الآن ، وبذل فيها دنيا ، وكتبت الحجة ، فكان الشفاء فى ذلك اليوم ، ففى عقبه عادنى الأخ الأكرم سيدى محمد أبو الصواب ، ويسر الأمر ووصف لى المصطكى والعود الماوردى ، فاستعملته فبرأت ، ثم اتفق أننى سرت فى جنازة بنت من سعى علىّ ، ومشيت بالعسر ؛ لأنه لم تتكمل صحتى ، فقال لى بعض الأصحاب : عجبت منك ! هو يشيع موتك ، ويأخذ وظيفتك ، وأنت تمشى فى جنازة بنته . . . القصة ، فتعجبت وقلت : أنا لا أتشوش منه ؛ لأنى بعد الفقد لا أبالى بمن تكون فى يده ، بل كونها مع بعض الأصحاب أولى من الأجنبى ، ولم أعاتبه ، وقطعت حجته ، وذهبت رشوته» .

كما يروى قصة أخرى طريفة فى سبب تعلمه النحو وصيرورته من العلماء فيقول (٧٠ أ / ٢) : «قال الفقير مصنف الكتاب : إن من التحدث بالنعمة ما سأقوله ، وهو أننى كنت أصنع حمائل السيف فى حال الصغر . . . وذلك بعد موت الوالد ، ودفن فى البقيع

الشريف ، وجئت لمصر رأيت أخوالى يصنعونها وعلمونى ففتح الله على فيها . . . ومع شغلى أتلو القرآن العظيم وأقرأ فى سبع بجامع طولون من المغرب إلى العشاء فكنت فى أثناء القراءة أتأمل اختلاف الحركات فى الكلمات ، ولم تكون هذه الكلمة مرفوعة ، والأخرى منصوبة ، إلى غير ذلك . فسألت عن ذلك إمام الجامع ، وهو مولانا الشيخ شعيب جزاه الله عنى ، فقال لى : إذا اشتغلت بالنحو نصف سنة ، علمت ذلك خصوصا إن حفظت شيئا من متن ألفية ابن مالك ، وأعطانى إياها فكتبت منها لوحا ، وصرت أقرأ فيه ليلا ، فمنعنى أحد أخوالى عن ذلك ، وقال : ما فى أقاربنا علماء تطلع عالم لمن؟ وصار ينهرنى ويقيمنى من القراءة ليلا ؛ لئلا أنعس نهارًا ، فلا أشتغل كثيرًا ، فإنه يغلب عليه حب الدنيا ، فلا زلت[1] أقرأ خفية بعد نومه حتى حفظت الألفية تماما . فقدر الله أنهم جمعوا من الحمائل ما يساوى ألوفا من الدنانير . . . فعزموا على السفر للسودان لأجل بيعها ... واتفق أن ساعدنى جمع من الناس على أنهم يتركوننى بمصر أشتغل بالعلم ، وكان خالى يوسف رحمه الله يحب لى ذلك فقام على أخيه إبراهيم فاحتج بكونى صغير السن ، وكيف نتركه وحده إلى أن سمحوا لى بالجلوس فى دكان لهم ملآنة بالقماش من سائر الأنواع ، وأن أبيع فيها وأصرف الفائدة على زوجاتهم وعيالهم إلى أن يحضروا ، فوافقت على ذلك ظاهرًا ، ثم بعد مدة يسيرة بعت السلعة وأخليت الدكان ، وأبنت الزوجات عنهم ؛ لأنهم وكلونى فى ذلك إن طالت غيبتهم ، واشتريت كتبا وجئت الأزهر والحمد لله . . . ».

ومع أن الكتاب مؤلف فى الدفاع عن لغة أهل مصر ، فقد كثرت فيه الاستطرادات لأدنى مناسبة ، كقول المغربى مثلا (٩٥أ / ١٤) : « ويقولون : فلان يبرجم : إذا كثر كلامه . ويستعملونه فى صوت الحمام ، يقولون الحمام

(١) هذا التعبير من التعبيرات الشائعة حتى اليوم ، وهو لحن ؛ لأن « لا » حرف نفى مختص بالفعل المضارع ، ولا يدخل على الماضى إلا إذا كان هناك عطف على منفى مثل : « ما كلمنى ولا كلمته » أو تكررت مع الماضى المتكرر ، مثل قوله تعالى : « فلا صدق ولا صلى » . فاذا دخلت على الماضى فيما عدا ذلك ، كان الكلام دعاء لا إخبارا ، مثل قول ذى الرمة :

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

يبرجم . والذى فى اللغة : البرجمة : غلظ الكلام . والبراجم : مفاصل الأصابع . والبراجم : قوم ، فى المثل : إن الشقى وافد البراجم ، لأن عمرو ابن هند أحرق تسعة وتسعين رجلا من بنى دارم ، وحلف ليحرقن منهم مائة ، فمر رجل فاشتم رائحة فظن شواء اتخذه الملك ، فعدا إليه ليرزأ منه ، فقيل له : ممن أنت ؟ فقال : من البراجم ، فكمل به مائة » .

كما يظهر فى الكتاب اهتمام مؤلفه بذكر فوائد الأعشاب والنباتات والثمار فمثلا (٩٦أ/ ٩ ) الثوم إذا كان مسخنا «مخرج للنفخ والدود ، جيد للنسيان والربو والسعال المزمن ، والطحال والخاصرة والقولنج ، وعرق النسا والورك والنقرس ، ولسع الهوام والحيات والعقارب والكَلْب الكَلِب ، والعطش البلغمى ، وتقطير البول » ، وهو إذا شوى مفيد « لوجع الأسنان المتآكلة ، حافظ صحة المبرودين والمشايخ ، ردىء للبواسير والزحير والحبالى والمرضعات والصداع » .

بل قد يذكر المغربى ثمرة من الثمار ليتحدث عن فوائدها الطبية فحسب ، كقوله (١١٤ب/١) : «ويقولون : الرمان وهو معروف ، الواحدة بهاء . فائدة : جلده ملين للطبيعة والسعال ، وحامضه بالعكس ، ومُرّه نافع من التهاب المعدة ووجع الفؤاد . وللرمان ستة طعوم كما التفاح ، وهو محمود لرقته وسرعة انحلاله ولطافته » .

ويبدو من نصوص الكتاب أن صاحبه يعرف التركية وينظم فيها شعرا (انظر مثلا ص : ٦ أ / ٨ ؛ ٦ أ / ١٥ ) ، كما يعرف الفارسية كذلك ، إذ يقول مثلا (فى صفحة ٢٣ أ /١٠ ) : «ومما ترجمته فيه من أبيات كلستان الشيخ سعدى » ، كما قال بعد أن ذكر اشتقاق كلمة بالفارسية (١٠أ/ ١٤ ) : «وإنما ذكرت مثل هذا هنا حتى يعلم أن هذا الكتاب اسم على مسمى ، وأنه الفضل العام ، لايخص العربى ، إلاأننى لاأكثر من ذلك لئلا يصعب على من لا يعرف الفارسى ، وكثيرماهم » .

وفى الكتاب مادة نافعة لاستنباط كثير من الأحكام عن لغة أهل مصر فى القرن الحادى عشر الهجرى ،

وعوامل تطورها من العربية الفصحى في ضوء القوانين اللغوية التي أرسى قواعدها المحدثون من علماء اللغات .

وقد اجتهد المغربي في تعليل تطور الكلمات التي أتى بها في كتابه ، فأصاب المحز في بعضها ، وخانه التوفيق في الكثير منها ؛ لأنه كان في كثير من الأحيان يجهل أصل الكلمة ، ويخدعه ما آلت إليه حالها في شكلها الأخير ، فيربط بينها وبين مادة أخرى لاصلة لها بها .

ومن ذلك قوله ( ١١٤ ب / ٢٠ ) : يقولون : فلان استنّاني حتى زهق ، أو استنّيته كذلك . وتأويله بعيد جدا قال ( يقصد صاحب القاموس كعادته ، والكلام فيه ٤ / ٢٣٣ ) : الأَسْتَن والأَسْتَان أصول الشجر البالية ، واحدتها أَسْتَنة . وأَسْتَن : دخل في السنة ، قلب : أسنت ، فيمكن أن يحمل قولهم : فلان استناني على ذلك ، مبالغة أي كأنه انتظر سنة . ولا يخفى ما فيه من البعد » .

فهو في هذا المثال يربط بين كلمة : « استنّى » في العامية المصرية ، « وأَستن » مقلوب « أسنت » التي أوردها صاحب القاموس . ولو بحث قليلا لعلم أن أصل الكلمة هو : « استأنى » بمعنى انتظر[1] ، فسقطت الهمزة ، وأغلق المقطع بتشديد النون ، أو بعبارة أخرى استغنى عن المد بالتضعيف ، وتلك ظاهرة تعرفها اللغة العربية في تطورها ؛ كقولهم في : «بالُوعة » « بلُّوعة » ، وهي الكلمة التي تطورت عندنا الآن إلى « بَلّاعة » تبعاً لقانون المماثلة الصوتية بين الحركات[2] .

ويحار المغربي حين يكشف عن كلمة من الكلمات العامية في القاموس ، فيجدها في شكلها الأخير تماثل كلمة أخرى ، لاصلة بينهما في المعنى ؛ كقوله : ( ٣٠ أ / ٤ ) « ويقولون على معلم الأولاد : فقي ، ولم تعلم ؛ لأن الفَقْى لغة وادٍ باليمامة ، ونخل لبني العنبر » . وأصل هذه الكلمة ، كما هو معروف : « فقيه » ، سقطت منها الهاء ، وهي من الأصوات الخفية التي تسقط كثيرا من أواخر الكلمات في العامية ، مثل هاء الغائب في قولنا : « كتابه » و « قلمه » ، ثم حركت الفاء

( ١ ) انظر لسان العرب ( أنى ) ١٨ / ٥١

( ٢ ) انظر لهذه الظاهرة أمثلة أخرى في كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوى ١٢٣ ، ٣١٦

بالكسر تبعاً لقانون المماثلة الصوتية بين الحركات . .

ولكنه كان فى بعض الأحيان يتوقف ، إذا لم يكن على علم بأصل الكلمة ، كقوله ( ١٤ أ / ٨ ) : « ويقولون للبرسيم : ربّة . ولم أعرف فيه شيئاً الآن » ! والذى لم يعرفه المغزلى يوجد فى لسان العرب لابن منظور ، وهو لم يرجع إليه . قال فى اللسان ( ربب ) ١ / ٣٩٢ : « والرِّبّة بالكسر نبتة صيفية . وقيل هو كل ما اخضر فى القيظ من جميع ضروب النبات . وقيل : هو ضروب من الشجر أو النبت فلم يحدّ. والجمع الربب » . ومثل ذلك أيضاً قوله ( ٣٥ ب / ١٤ ) : « ويقولون : هف طلع النهـــار ، يريدون سرعة الشىء وكنت أفهم أن هُفّ حكاية صوت من يطفئ السراج . ولم أنظر فيها شيئاً نانظرها » .

وأحيانا يقطع المؤلف بأن الكلمة لاأصل لها ، كقوله ( ١٣٢ أ / ٢ ) : « يقولون : ورّيت فلانا كذا ، يريدون : أطلعته عليه ، أى أريته له . وليس له أصل » . ويبدو أن أصل هذا الفعل هو : « رأّى » بتضعيف الهمزة ، وعندما سقطت الهمزة أصبح الفعل : « رَوّى » وهو مايستعمله العراقيون حتى اليوم ، فيقولون : « رَوِّيتُه إياه » بمعنى أريته إياه . أما لهجة مصر فقد حدث فيها قلب مكانى بين الراء والواو ، فصار الفعل : « وَرّى » .

وهناك أمثلة أخرى كثيرة للقلب المكانى منتشرة فى ثنايا الكتاب ؛ كقوله ( ٢٣ ب / ١٢ ) : « ويقولون : زِحْلِفة ، على الدابة المسماة : سلحفاة » فقد جهرت السين فى هذا المثال بسبب مجاورتها للام المجهورة ، ثم حدث القلب المكانى بين اللام والحاء ، وقصرت حركة الفاء بسبب انتقال النبر .

وكقوله ( ٢٥ ب / ٧ ) : « ويقولون سقّف على يديه أو بيديه ولم أنظره » ، فأصل هذا الفعل « صَفّق » فحدث قلب مكانى بين الفاء والقاف ، ورققت الصاد فصارت سينا . وأغلب الظن أن القاف كانت قد قلبت هى الأخرى همزة ، كما يحدث الآن فى معظم بلاد مصر ،

غير أن الكتابة التقليدية المحافظة كانت تستر مظهر هذا التطور [1].

ومثل ذلك القلب المكانى الذى نعرفه فى كلمة : «ملْعَقة» وتطورها إلى «مَعْلَقة» هذا القلب المكانى كان معروفا كذلك فى أيام المغربى ؛ يقول (٤٩ب/١٢) : «ويقولون : مَعْلَقة لآلة يؤكل بها ويشرب . ولم أرها فى القاموس ، والذى فيه : رجل ذو مَعْلَقة ، كمرحلة ، يتعلق بكل ما أصابه ، انتهى . ويمكن بالقياس أن تكون الآلة : معْلَقة بالكسر ، تعلق الطعام والشراب . أو يقال : إنها ملعقة ، بتقديم اللام من اللعق » .. وما سبق أن قلناه فى قاف «صفق» يمكن أن يقال هنا فى قاف «ملعقة» . وانظر كذلك عنده (٥٤ب/٣) .

وكما أن القلب فى هذه الكلمات قديم منذ أيام المغربى ، أو ربما قبل ذلك ، فإن ضياع أصوات مابين الأسنان من العامية المصرية قديم هو الآخر ، نجد له أمثلة كثيرة عند المغربى ؛ فمن أمثلة ضياع «الذال» وتحولها إلى «دال» قوله (٩٢ب/١) : «يقولون فى السبب : فلان ندل ، بالإهمال ، وإنما هو نذل بالمعجمة» وقوله (١٠٨ب/٤) : «ويقولون : فلان يهدرم الكلام . وله أصل ؛ قال : الهذرمة سرعة الكلام والقراءة ، إلا أنه بالمعجمة» ، وقوله (١٢٥ أ/١١) : «يقولون : فلان جلس حِدَا فلان ، أى قريبا منه . وهى تصحيف عن حذائه ، بالذال المعجمة » .

ومن أمثلة ضَياع « الثاء » وانقلابها «تاء» قوله (٦٣أ/١٩) : «يقولون على الشجر : أتْل ، بالمثناة ، وإنما هو أثْل بالمثلثة ، واحده أثْلة» ، وقوله (٦٧ أ/ ١٨) : «ويقولون : أكلنا الشىء ورمينا تِفْله . والصواب : الثُّفل بالمثلثة وبالضم» ، وقوله (٩٦ أ/٧) : «ويقولون : تُوم بالمثناة وإنما هو ثُوم بالمثلثة»

ومن أمثلة ضياع «الظاء» وتحولها إلى «ضاد» قوله (٧١ ب / ١) ويقولون : حَنْضَل ، على الحنظل ، بالظاء المشالة ، وليس له وجه ؛ فإن الحنضل الغدير الصغير» !

[1] انظر هنا كذلك : لحن العامة والتطور اللغوى ص ٦٥ (هامش ١) وصفحة ٣٠٦ .

ولم تكن العامة فى عصر المغربى ، تهمز كثيراً من الكلمات التى تهمزها الفصحى ، تماماكما ننطق اليوم : «رفا الثوب» بدلا من «رفأ الثوب» (٩أ/١) ، ومثل ذلك أيضاً قوله (٩٨أ/١٦) : «يقولون : يزوم عليه إذا هم به أن يغلبه . وفى القاموس : زأم كمنع : أكل أكلا شديداً ، وزأمه ذعره . . . وهذا قد يناسب قولهم : فلان زام علىّ ، أى ذعرنى» . ومثل هذا الفعل كان مضارعه : «يزأم» بفتح العين كيمنع ، غير أنه لما ضاع منه الهمز من عينه ، تصرف تصرف الأجوف؛ مثل : قال يقول ومات ويموت ، ورام يروم .

ويضرب قانون المماثلة بسهم وافر فى تطور معظم الأمثلة التى ذكرها المغربى ؛ كقوله (٢٤أ / ٢٠) : «ويقولون : عمل له الفرح بزَفّة وليست الزَفّة بهذا اللفظ فى اللغة . . . وأنسب من هذا أن الزُفّة بالضم تطلق على الزُمرة . والزُفّة دائما فى زمرة ، إلا أنهم حرفوها من الضم إلى الفتح . وفيه مافيه» ، فتحول ضمة الزاى هنا إلى فتحة سببها المماثلة الصوتية مع فتحة الفاء .

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله (٦٢أ/١٠) : «ويقولون : كحك العيد وإنما هو الكعك . خبز معروف ، فارسى معرب» ، فقد همست العين هنا فتحولت حاء ، بسبب المماثلة الصوتية بينها وبين الكاف المهموسة .

أما كلمة : «صُرْم» التى يطلقها المصريون على الدُّبر ، فلم يعرف المغربى أنها متطورة عن كلمة «سُرْم» الواردة فى القاموس المحيط (٤/١٢٨) فى قوله : «السُّرم بالضم مخرج الثفل وهو طرف المعى المستقيم» . فقال المغربى (١٠٢ب / ٣) : «ويقولون على الاست : صُرم ، ولم يعلم . قال : صَرَمه يصرِمه صَرْماً ويضم : قطعه قطعا. وصرم الرجل : قطع كلامه . والاسم الصُّرم بالضم» فقد خلط المغربى هنا بين كلمة «صُرْم» المتطورة عن «سُرْم» وكلمة «صُرْم» بمعنى قطع . والسبب فى انقلاب السين صادا هو المماثلة

الصوتية بين السين والراء ؛ لأن الراء في العربية ذات قيمة تفخيمية ، وهي تميل إلى تفخيم الأصوات المجاورة لها ، كقولنا : « طور » في « ثور » و « صور » في « سور » و « أخرص » في « أخرس » و « رقص » في « رفس » و « ضرب » في « درب » وغير ذلك .

أما إذا حدثت هذه المماثلة في الزمن القديم أي في عصور الاحتجاج اللغوي ، فإن المغربي يعترف بها ، شأنه في ذلك شأن سائر اللغويين ؛ كقوله (٤١ ب / ٨) : « ويقولون — ولكن يقع من البعض : فلان يزدق ، أي يصدق . وهو يصدق ؛ قال في القاموس : الزدق بالكسر لغة في الصدق ، وأنا أزدق منه » ، فقد جهرت الصاد هنا بسبب مجاورتها للدال المجهورة ، فتحولت زايا مفخمة ، وكتبت بالزاي المعروفة ؛ لعدم وجود رمز للزاي المفخمة في الكتابة العربية .

والاعتراف بالتطور القديم في الألفاظ ، وعدّه من الفصيح ، له أمثلة أخرى في الكتاب كقوله (٤٣ ب / ١٣) : « ويقولون لمن ولدله مولود : أيّ يوم سُبوعه . وكان القياس : أسبوعه ، ولكن قال (القاموس ٣ / ٣٦) : « والأسبوع من الأيام والسُّبوع وبضمهما » ، وقوله (١٢٩ أ / ٩) : « يقولون : علوان الكتاب ، باللام ، وهو صحيح كالعنوان بالنون » ، فمما لاشك فيه أن الأصل هنا هو كلمة « عنوان » ، وأن الثانية متطورة عنها بسبب تأثير قانون المخالفة الصوتية بين النونين في هذه الكلمة ، غير أن ذلك قدوقع من العرب في عصور الاحتجاج ، ولذلك روى لنا على أنه جائز وصحيح ؛ إذ مقياس الصواب والخطأ هنا ، هو السماع وعدمه عند هؤلاء اللغويين الذين رووا لنا هذه الألفاظ .

أما السبب في تطور كلمة : « نصف » في العامية إلى « نُصّ » في قوله (٣٤ أ / ١٠) « ويقولون : نُصّ فضة ، وإنما هو نصف . قال (القاموس ٣ / ٢٠٠) : النصف مثلثة : أحد شقي الشيء » — فهو أن الفاء من الأصوات المهموسة التي تخفى بعض الشيء عند النطق ؛ فيبدو كأن الصوت السابق عليها مضعف .

وأما إطلاقهم «أتانة» على أنثى الحمار، بدلا من «أتان» (١٠٩ أ/٨) فهو متفق مع الاتجاه العام إلى إلحاق تاء التأنيث بمعظم المؤنثات السماعية إن أريد الاحتفاظ بالتأنيث فيها؛ مثل قولنا: «خمرة» فى «خمر» و«كبدة» فى «كبد» و«عقربة» فى «عقرب» و«سكينة» فى «سكين» وما إلى ذلك.

ويبدو من بعض أمثلة الكتاب شىء من التطور فى لغتنا الحالية، لغة التخاطب فى مصر، عنها فى عصر المغربى. ومن أمثلة ذلك انقلاب القاف غينا فى قولنا: زغزغ» بدلا من «زقزق» التى كانت لاتزال مستعملة فى عصر المؤلف؛ إذ يقول (٤٢ ب/١٦): «ويقولون: زقرقه ليضحك. قال فى المختصر: الزقزقة ترقيص الطفل. وفى القاموس: الزقزقة الضحك الضعيف والخفة وصوت طار عند الصبح، وترقيص الصبى، كالزقزاق بالكسر، ولكن خلاف المشاهد فإن الزقزقة الآن: العبث باليد وتحريكها فى خاصرة الصبى ليضحكه. وهذا خلاف الترقيص، فانظر فيه».

فالتطور الحادث فى هذا اللفظ فى عصر المؤلف، كان فى معناه لا فى صوته، ولكن الذى حدث عندنا الآن بالإضافة إلى ذلك هو تحول القاف إلى غين. وانقلاب القاف غينا أمر يعرفه السودانيون، وبعض قرى جنوبى العراق. وعندنا من هذه الظاهرة فى عاميتنا المصرية مثال آخر هو قولنا: «مش غادر» بمعنى: لاأقدر.

وقد عرف المغربى أصل كلمة: «فين» (١٢٠ أ/٦) وأنها كانت فى الأصل: «فى أين» فسقطت الهمزة، وهذا مايوافقه عليه العلماء المحدثون[1]. غير أنه ضل فى البحث عن أصل كلمة: «إيمتا» فى قوله (٣ب/٩): «ويقولون إذا وعد أحد بشىء مثلا، فيقول له: إيمتا يكون. وليس لها وجه إلا أن تكون (إى) زائدة، ومتى للسؤال عن الوقت، أو أن (إى) وحدها حرف جواب، فكأنه يقول إذا قيل له: نعم

(١) انظر: أصول الكلمات العامية، لحسن توفيق العدل ص ٦٠

ما أشرتم به متى ؟ » . والحقيقة أن هذه الكلمة ليست مركبة من (إى) و (متى) كما يبدو فى الظاهر ، بل الذى حدث هو أن «متى» سكنت ميمها للسرعة فى النطق ، فجئ بهمزة الوصل ، لئلا يبتدأ بساكن ، وعندما انتقل النبر إلى هذه الهمزة طالت حركتها بعض الشيء ، فلذلك كتبها المغربى بالياء : «إيمتا» .

وعلى الرغم من عدم معرفة المغربى باللغة العبرية ، فإنه استطاع أن يصحح التعبير العبرى الشائع عند من يشتغلون بالسحر من العامة ، وهو :
אֶהְיֶה אֲשֶׁר אֶהְיֶה = أكون الذى أكون (يعنى أنا من أنا) ، إذ يقوله العامة : «أهيا شراهيا» وقد جعله المغربى : «إهيا أشر إهيا» وهو قريب من النطق العبرى الصحيح وهو : «إِهْيِهْ أَشِرْ إِهْيِه» ، وإن كان المغربى قد ظن أن هذا التعبير يونانى وهما منه ؛ فقال (١٢١ب/١٣) : «يقولون : أهيا شراهيا . قال : وهو خطأ ، وإنما هو : إهيا بكسر الهمزة — أشر إهيا ، بفتح الهمزة والشين . أى الأزلى الذى لم يزل ، يونانية » .

وهناك فى الكتاب أمثلة كثيرة لتطور الصيغ فى العامية المصرية ؛ فمن أمثلة تطور صيغة (فُعْلُول) ، بضم الفاء ، إلى (فَعْلُول) ، بفتحها ، قوله (٩٦أ/٣) . «يقولون . صاحب بَلعوم ، أى كثير الأكل ، فيفتحون الباء ، وإنما هو بالضم مجرى الطعام فى الحلق » ، وقوله (٩٦ب/١٥) : «ويقولون : الخرطوم بالفتح ، وإنما هو الخُرْطُوم بالضم ، كزنبور : الأنف أو مقدمه » ، وقوله (١١٦ب/٨) : «ويقولون : أعطاه العَرْبُون ، بفتح العين مع أنه بضمها » .

ومن أمثلة تطور (فِعليل) ، بكسر الفاء ، إلى (فَعْليل) بفتح الفاء قوله (٦٥ب/١) : «ويقولون : البَرطِيل شيخ كبير ، فيفتحون الباء ، وإنما هو البِرطيل بالكسر » ، وقوله (٤٢ب/١٠) : «يقولون : فلان زَنْدِيق ، فيفتحون الزاى ، وإنما هو بكسرها » ، وقوله (٩٠ب/١) : «يقولون : قَنْديل بفتح القاف ، وإنما هو بكسرها» .

ومن أمثلة تطور صيغة (مِفْعَلة) بكسر الميم ، إلى (مَفْعَلة) بفتح الميم قوله

(١١٣ ب/ ٥) : « ويقولون لما يوضع فيه القناديل : مَدْخَنة ، بفتح الميم ، وإنما هى مُدْخنة ، كمكنسة » .

ومن أمثلة تطور (فعُول) بفتح الفاء وضم العين ، إلى (فُعُول) بضمهما قوله (٢٥ أ / ٢٠) : «ويقولون لما يسف : سُفُوف ، بضم السين ، وهو سَفُوف كصبور » ، وقوله (٥٤ب / ١) : «ويقولون : لُعُوق ، بضم اللام ، وإنما هو بفتحها . قال فى القاموس : لعوق كصبور : مايُلعق » .

أما تطور دلالة الألفاظ فى عامية مصر فى عصر المغربى ، فلها أمثلة كثيرة كذلك فى الكتاب ، فمن أمثلة تخصيص الدلالة استعمالهم كلمة : «الطرب» فى معنى الفرح ، كما نستخدمها فى أيامنا هذه ، وهى تدل فى الأصل على حركة الفرح والحزن ، يقول (١٦ أ /١٨) : «ويقولون : حصل لفلان الطرب ، يخصونه بحركة الفرح ، وهو يطلق على حركة الفرح والحزن من الأضداد . ورجل مطراب وطروب . وقد ظهر الآن أن قولهم : لو اتفق حماران لأطربا ، أى حركا حركة حزن ، لا حركة فرح ؛ إذ صوت الحمار بمفرده يحرك حركة الحزن ، ويستفاد منه ، فكيف مع الازدواج » .

ومن أمثلة انتقال الدلالة بسبب إحدى علاقات المجاز المرسل ، استعمالهم «تشنيف الآذان» بمعنى إسماعها ماحسن من الأصوات ، وهو فى الأصل يعنى إلباسها الشنف وهو القرط . يقول المغربى (٢٦ب / ١٥) : «ويقولون عند السماع : شنفتم المسامع ، فلومشى معهم أحد فى تشنيف المسامع لما شنفوا المسامع . ومعنى ذلك أن الشنف بالكسر وسكون النون . . . هو القرط للأذن ؛ وشنف الجارية فتشنفت : جعل لها شنفا ، مثل قرطها القرط فتقرطت . فكأن المسمع بحسن سماعه ألقى فى المسامع شنوفا وجواهر ، فصح قولهم : شنفتم المسامع » .

أما «تقطيع فروة» الإنسان ، فمعناه في عصر المغربي : ذكره بالمحاسن ، يقول (١٢٩ ب / ١٣ ) : «يقولون : كنا نقطع فروتك ، أى كنا نذكرك بالمحاسن ، ولكن لا يخفى مافيه من الإبهام ، فإن الفروة للخروف ، والفروة جلد الرأس » . وقد تطور هذا المعنى فى عاميتنا الحالية ، فأصبحنا لانفهم من هذا التعبير إلا ذكر مساوىء الانسان لامحاسنه .

هذا هو تحليل بعض الظواهر اللغوية التى يفيض بها هذا الكتاب الممتاز ، وهو وثيقة لغوية نادرة فى دراسة اللهجات العربية . وكم كنا نتمنى لوجاد علينا التراث العربى بالكثير من أمثال هذه الوثيقة فى عصور العربية المختلفة ، وبقاعها المتفرقة ، لتلقى بعض الضوء على مراحل التطور اللغوى لكثير من الظواهر اللغوية فى العربية .

**رمضان عبد التواب**

# شخصيات مجمعية

اقام المجمع حفل استقبال لعضوه الجديد من تونس الأستاذ الشاذلى القليبى ، الذى خلف المغفور له الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب . وقد اقيم الحفل فى الساعة الخامسة من مساء الثلاثاء ٢٧ من ذى الحجة سنة ١٣٩٠ هـ الموافق ٢٣ من فبراير سنة ١٩٧١ م . وفيما يلى ما القى فى الحفل من كلمات :

## كلمة الأستاذ زكى المهندس فى استقبال الأستاذ :

## الشاذلى القليبى

حضرات الزملاء :

سيداتى ، سادتى :

إنه ليسر المؤتمر أعظم السرور أن يستقبل الليلة زميلا كبيرا وعالما جليلا ، هو السيد الأستاذ الشاذلى القليبى الذى اختير عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة من تونس الشقيق ، خلفا للعالم الكبير المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب . والمؤتمر إذ يهنىء الزميل الجديد بما نال من ثقة وتقدير ، ليسعده كل السعادة أن يرى كفاية عربية جديدة تضاف إلى كفاياته ، ونشاطا علميا جديدا يلتقى بنشاطه .

كذلك كان تونس الشقيق وسيظل دائما يزودنا بذوى الثقافات العالية ، والكفايات الممتازة ليشاركونا فى تأدية أهم رسالة تتصل بقوميتنا ونهضتنا ، وهى خدمة اللغة العربية .

ولعل من محاسن المصادفات أن يكون استقبال الزميل بعد عودته من الحج ، وأن يجىء إلينا بعد حج مبرور ، وسعى مشكور ، وذنب مغفور ، إن شاء الله :

وما من شك فى أن وفاة العالم الكبير المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب ، قد تركت بيننا فراغا علميا واسعا ، ولكننا على يقين بأن الزميل الجديد سيكون خير خلف لخير سلف ، وأنه سيملأ هذا الفراغ بما عرف عنه من كفاية ونشاط . ولعلنا فى هذه المناسبة نذكر قول شاعرنا القديم :

إذا سيد منا خلا قام سيد

قؤول لما قال الكرام فعول

فأهلا بالزميل الجديد ، ومرحبا به فى مجمع الخالدين .

## كلمة الأستاذ عبد الله كنون :

سيدى الرئيس :

سادتى :

تتكافأ البلاد العربية مجدا وشرفا ، وتتعاطف إحساسا وشعورا ، وهى فى النهضة كأفراس الرهان تستبق إلى ما يعلى شأن العروبة ويرفع من قدرها إلى ما كانت عليه فى الماضى وأكثر .

ونحن العرب وإن كنا من أصل واحد ونبعة مشتركة ، وتؤلف بيننا هذه الضاد التى تصوغ فكرنا وتطلق ألسنتنا بما يزيد وحدتنا تماسكا ، وعروتنا توثقا ، إلا أننا بحكم تباعد الديار واختلاف المناخ قد يتميز مغرب منا من مشرق ، بل موطن من موطن ، بما لا يعدو ما تتميز به بلدة من أخرى فى القطر الواحد ، من بعض السمات والعلامات ، ولكن ذلك ليس بمؤثر فى العمق شيئا ، بل هو أحرى أن يكون مظهرا من مظاهر التكامل وانعكاسا لجميع السجايا والأوصاف ، ولو شئت لقلت اللغيات واللهجات التى عرفت بها بعض القبائل والبطون من أجدادنا العرب القدماء .

فما نشاهده من عادات وأعراف تختلف من بلد عربى لآخر ، لعله أن يكون مما أثر عن هؤلاء القوم أو أولئك من العرب الذين نزلوا بهذا البلد أو ذاك ، ومثل ذلك يقال فيما نسمعه من لفظ ونبر يختص بشعب عربى دون آخر ، ولو تفرغنا لدراسة ذلك ورده إلى مصادره الأولى لوقفنا على الكثير المعجب من أصول شعوبنا العربية وخصائصها .

أولئك مثل الطيب كلٌّ له شذى
ومجموعه أذكى أريجا إذا شُمّـا

لهذا كان تمثيل البلاد العربية فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فكرة صائبة وأمرا ضروريا من أجل استكمال الوجود العربى ، واستيعاب العناصر المكونة للطاقة اللغوية فى كل بلاد العرب ، ومن أجل التعريف بجهود المجمع فى سبيل النهوض باللغة العربية وإحلالها المحل اللائق بها بين اللغات الحية ، فإن هذه الجهود أو أكثرها يبقى مجهولا لدى أبناء العربية فى وطنهم الكبير الممتد من الخليج إلى المحيط ، ومن يستطيع أن يعرف بها غير رسل هذه البلاد الذين يشاركون بما أوتوا من علم

ومعرفة إلى جانب إخوانهم فى عاصمة الفكر العربى ، القاهرة المعزية الناصرية ، فى بناء ذلك الصرح العتيد ، ويلمسون من كثب ما يقوم به المجمع والمجمعيون من عمل عظيم فى هذا السبيل ، فيرجعون إلى قومهم يتحدثون بما رأوا وما سمعوا ، وينشرونه فى الأوساط العلمية التى تستفيد منه الفائدة الجلة ، وبذلك تحصل النتيجة المرغوبة ولا يبقى أحد يتساءل: أين المجمع وماذا عمل؟

ومن يقل للمسك : أين الشذى ؟
كذبه فى الحال من شما

هذا إلى الإجماع من ممثلى البلاد العربية على مقررات المجمع وأوضاعه ، ذلك الإجماع الذى يقطع الشغب ويرد الدعوى بتعدد المصطلحات العربية واختلافها ، وهى دعوى طالما رددها بعض الكتاب وركز فيها المتنطعون هجومهم على المجمع وعلى اللغة العربية ذاتها ، فمن المسلم به أنه بعدما ينعقد مؤتمر المجمع السنوى ، ويحضره النخبة المعنية بالمباحث اللغوية ، وتتفق كلمتها على ما يوضع بين أيديها من مصطلحات وقرارات تصبح هذه المصطلحات والقرارات هى المعمول بها والمعوّل عليها بالإجماع ، ويصير ما عداها لاغيا وغير مقبول .

وإننا إذ نتوصل من أمانة المجمع لما نتوصل به من أعمال المجلس لإبداء النظر فيها ، وإذ نجتمع هنا كل سنة فى المؤتمر ، إنما يحدونا هذا التوافق ، والعمل ضمن خطة موحدة لإرساء قواعد لغتنا ، وتصفية مواردها العذبة من الشوائب والأكدار ، فيأتى كل واحد منا بخير ما عنده ، ولا نثبت أننا وطن واحد تسكنه أمة واحدة وحسب ، ولكننا فوق ذلك ، نعمل ما عمله أجدادنا فى أسواق عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وفى موسم الحج خاصة ، فنختار من الألفاظ أعذبها ، ومن الأساليب أعجبها ، ونخرج بحصيلة من الكلم ، تؤدى ما نحن فى حاجة إليه من أغراض ومقاصد من غير أن تبعد بنا عن بيان يعرب وقحطان ، وبلاغة السنة والقرآن .

واليوم هذه أرض الكنانة ، وهى حرم آمن للعلم تجىء اليه ثمرات العقول من كل الآفاق ، تمضى على سنتها المحمودة فتستقبل فى حظيرة مجمعها الموقر عضوا جديدا من بلد عربى ، عريق ، هو القطر التونسى الشقيق ، خلفا لزميل كريم ، ومجمعى عظيم ، خلا كرسيه باستئثار رحمة الله به .

وإذا ذكرنا تونس فإننا نذكر القيروان وحضارتها وعلومها وآدابها فى وقت كانت فيه ثالثة عواصم العالم العربى والإسلامى بعد بغداد وقرطبة ، ونذكر دولة الأغالبة وعظمتها ، وفتوحاتها التى جعلت من غرب البحر الأبيض المتوسط بحيرة عربية خالصة ، ناهيكم بفتح جزيرة صقلية وما نشأ فيها للعرب من مدنية وسلطان نوّه بهما شاعر الإسلام محمد إقبال حين قال ، وقد مر بهذه الجزيرة : « سلام عليك أيتها الأرض التى

التي تحتضنين حضارة الإسلام » . وحسبنا أن نذكر ابن رشيق وابن شرف من أبنساء هذه الأرض الطيبة ، لنقدر ما ساهمت به في الدراسات اللغوية والأدبية التي نعنى بهسا في هذا المجمع ، فابن رشيق هو صاحب كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده الذي يعد من أوائل الكتب المنهجية في هذا الفن ، وابن شرف هو الشاعر الذي عبر عن الزيف السياسي المتمثل في حكومات دول الطوائف في الأندلس ، بمسا صار مضرب الأمثال على لسان كل عربي ، حين قال :

مما يزهدني في أرض أندلس
أسماء معتضد فيهسا ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهرّ يحكي انتفاخا صورة الأسد

فإذا انتقلنا من ميدان الأدب واللغة والشعر إلى ميدان العلم والفلسفة والاجتماع وذكرنا ابن خلدون من نوابغ تونس وعباقرتها ، فإننا نذكر ما يملأ النفس عظمة وفخرا ، ويطاول الزمان خلودا وذكرا . إنه المفكر العربي الأصيل السبّاق إلى وضع علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، والذي أحصى علوم عصره وقام بدراسة مقارنة بين حضارة الإسلام وغيرها من الحضارات ، وتنبأ بسقوط دولة العرب في الأندلس ، وحلّل النفسية العربية وعناصر تكوين المجتمع العربي ، ووصف داءه ودواءه ، وبقي إلى آخر أيام حياته يعيش مع أحداث عصره ، ويندمج في مختلف أوساط أمته ، مسجلا تجاربه وملاحظاته التي بهر بها الدارسين والعلماء من الغربيين قبل الشرقيين ، وبذلك صح أن يعتبر أحد الأفذاذ من رجال الفكر العلمي الإنساني في العالم أجمع .

أما إذا أردنا أن نستعرض ما أعطته تونس في مجال الفكر والدراسات الإسلامية ، فإن ذلك شيء يطول ، ولكن يكفي أن نبدأ بمسا أنجزه سحنون من عمل ضخم في هذا الصدد ، وهو تأليفه للكتاب الذائع الصيت الذي يعد قمة كتب الفقه في المذهب المالكي ، والمرجع الأول لمشترعي المالكية في العالم الإسلامي ، أعني كتاب المدونة الكبرى . وأن نختم بمختصر ابن عرفة في المسادة نفسها وهو الكتاب الذي استوعب بأوجز عبارة ، مسائل المدونة وما قام حولها من الدراسات ، وتميز بتعاريفه الدقيقة وحدوده المنطقية التي حيرت العلماء ، ووضعت عليها كذلك الشروح والتعاليق . إن ذكر هذين العلمين الشهيرين سحنون وابن عرفة من رجال تونس النابغين في العلوم الإسلامية هو من باب الاكتفاء بالعنوان عن قراءة الكتاب ، وإلا فإن من أنجبتهم الديار التونسية في هذا الباب ، قبل وبعد ، هو مما تخطئه الحصر ، وأكثرهم إن لم أقل كلهم من ذوي الوزن الثقيل .

هذا في الماضي . وفي الحاضر : هل أذكر جهاد تونس وتضحياتها الجسيمة في سبيل الاستقلال وانتزاع حريتها من يد المستعمر الغاصب ؟ وهل أذكر كتابها ، وصحافييها

اللامعين الذين ناصروا القضية العربية والإسلامية وجهاد الشعوب الشقيقة فى المغرب والمشرق ، ولم يقصروا اهتمامهم قط على قضية بلادهم رغم ما كانوا يتعرضون له من امتحان واضطهاد ؟ وهل أذكر علماءها الكبار الذين أدركنا بعضهم أحياء مثل الشيخ سالم أبو حاجب الذى ألحق الأحفاد بالأجداد، والشيخ المكى ابن عزوز الذى عرفه المغرب والمشرق بسعة العلم والاطلاع إذ عاش ردحا من عمره فى الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية ؟ وهل أذكر أمير شعرائها الصديق النبيل الشاذلى خزندار ، ونابغتها الفذ أبا القاسم الشابى ؟ وهل أذكر الشيخ الخضر حسين الذى ولى مشيخة الأزهر وكان مثال العالم المتخلق الكريم ، وفقيدينا العزيزين حسن حسنى عبد الوهاب والفاضل ابن عاشور ؟

إنها سلسلة طويلة كثيرة الحلقات ، والوقت لا يسمح بتتبع أفرادها وذكر أسمائهم ، وكيف بالكلام عليهم والتعريف بهم ؟.

والمراد أن أقول إن هذه هى تونس التى ثلج مجمع اللغة العربية اليوم بممثلها الجديد من بابه الواسع ، فماذا عن هذا الزميل الفاضل ؟

إن الأستاذ القليبى يحمل اسم الشاذلى ، وتلك لمحة أخرى من لمحات الحياة الروحية لشعب تونس الكريم ، لا سيما إذا عرفنا أن هذا يشيع بين التونسيين كثيرا : وقصة ذلك أن الشاذلية كان لها انتشار كبير فى تونس ومريدون صادقون متمسكون بحبلها متفانون فى حبها حتى إنهم يسموه أبناءهم بوصفها الذى يفيد الانتماء اليها منذ الولادة ، أملا فى سلوك طريقها الواعية والنشوء على تربيتها الحسنة :

والشاذلية كما لا يخفى هى مذهب من مذاهب التصوف ، أنشأه الشيخ أبو الحسن الشاذلى الغمارى المغربى ، تلميذ الشيخ عبد السلام بن مشيش صاحب الصلاة المشيشية المعروفة ، وبناه على طريقة الجنيد إمام الصوفية من أهل السنة ، وطهره من بدع المتصوفة المدعين وضلالاتهم التى تجافى أصول الدين، وجعل أساسه محبة الله ورسوله والتمسك بالشريعة النبوية الغراء ، طبقا للحديث الشريف القائل : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » .

وقد كان الشاذلى مرّ بتونس عند رحلته إلى المشرق فأخذ الناس عنه وانتشر مذهبه هناك ، وكان من تأثيره فى المجتمع التونسى ما رأينا من الإخلاص له والتعلق به إلى حد تسمية الآباء أبناءهم فى القرن العشرين بما يرجى من الاتصاف به .

ولئلا يكون كلامى هذا من باب الشعر والخيال أذكر بعض الوقائع التاريخية التى تصوّر لنا المجتمع التونسى كما وصفناه ، وهى مما ذكره أحد علمائها الأثبات الثقات وليس مما رواه الإخباريون أو القصّاص ، وذلك ما جاء فى شرح العلامة الأبىّ على صحيح مسلم ، وهو تلميذ ابن عرفة سالف الذكر ، فقد قال : « كان قضاء تونس فى أيام الدولة الموحّدية لا يولاه إلا قضاة من مراكش ، فاتفق مرة أن قدم إليها قاض فجلس مجلس الحكم فبقى أياما لا يأتيه أحد ، فظن أن القوم لم يرضوا به ، ثم قدم إليه خصمان من أهل سوق الجبة فقال أحدهما : أصلحك الله إن هذا شريكى وقد باع جُبّة من أعرابى وأنا لا أستحل مال الأعراب . فعلم القاضى حينئذ أن عدم اتيان الخصوم إليه إنما هو لتناصفهم ومراعاتهم جانب الله » . ويعنى بالأعراب عرب الصعيد الذين اكتسحوا الشمال الإفريقى وكانوا ثائرين على السلطة الشرعية ، فأموالهم لم تكن تخلو من شبهة .

وهذه واقعة أخرى مما رواه الأبىّ أيضا قال : « وسقط دينار من أحد المارة بطريق العطارين فبقى ملقى مدة لا يرفعه أحد ، ثم بعد ذلك لم يوجد فقال الناس : اليوم دخل بلدنا غريب » .

تلك هى بعض الملامح من صوفية المجتمع التونسى الذى حقق ما حلم به الفلاسفة قديما من المدينة الفاضلة ، وذلك هو بعض مايوحى اسم الشاذلى لكل تونسى فانهل حين يسمى ابنه به ، كما فعل والد زميلنا الكريم .

وقد ولد الأستاذ الشاذلى القليبى فى عاصمة تونس بتاريخ ٦ من سبتمبر سنة ١٩٢٥ م ، وزاول تعليمه الابتدائى والثانوى بالمدرسة الصادقية ، وبعد التخرج منها التحق بجامعة السربون فى باريس حيث واصل دراسته العالية وحصل على شهادة الإجازة فى الآداب العربية سنة ١٩٤٨ م ، ثم على شهادة الإجازة فى الفلسفة سنة ١٩٤٩ م ، ثم على شهادة التبريز فى الآداب واللغة العربية سنة ١٩٥٠م ورجع إلى وطنه تونس واشتغل بالتعليم فى السلك الثانوى ، وبإلقاء بعض الدروس فى معهد الدراسات العليا الذى كان حينئذ يعد فرعا لجامعة باريس فى تونس ، وفى سنة ١٩٥٧ م التحق نهائيا بالتعليم العالى فكان من الأساتذة المؤسسين لمدرسة المعلمين العليا ، وفى سنة ١٩٥٩ م دعى للاضطلاع بالإدارة العامة للإذاعة والتلفزة ، وفى سنة ١٩٦١ م عيّن وزيرا للشئون الثقافية والأخبار ، وبقى فى هذا المنصب إلى منتصف سنة ١٩٧٠ م وهوالآن نائب بمجلس الأمة ، ورئيس لبلدية مدينة قرطاج ، ورئيس للمركز الثقافى الدولى ( بالحمامات ) .

إنها وظائف هامة شغلها ويشغلها الأستاذ القليبى منذ انتهاء تحصيله ، ومسئوليات كبيرة تحملها بجد وإخلاص ، اهتماما بنشر العلم وتثقيف العقول تارة ، وقياما بواجبه الوطنى فى تسيير أجهزة الدولة تارة أخرى ، فهو رجل علم وعمل وتفكير وتدبير ، برهن

على علمه بدروسه التى استفاد منها العديد من التلامذة والطلاب ، وأسندت إليه الدولة مهام جسيمة فأظهر من الكفاءة والمقدرة فى الاضطلاع بها ما جعلها تنقله من مهم إلى مهم ، ثقة به واعتمادا عليه، وهكذا نجح فى الميدانين الثقافى والإدارى وكان من خاصة من قيل فيهم :

إذا أيقظتك حروب العـــدا
فنبّـــه لهـــا عمـــرا ثم نم

وللأستاذ الشاذلى القليبى مجالات أخرى من النشاط الاجتماعى والثقافى علاوة على ما كان يتقلده من وظائف ومسئوليات، فقد انتسب منذ عودته من فرنسا سنة ١٩٥٠ م إلى الحركة العمالية التى أصبح فيها بعد من قادتها المرموقين ، كما شارك فى تحرير جريدة الصباح اليومية منذ بروزها إلى الوجود وأشرف على إدارة جريدة صورة العمل التى يصدرها الاتحاد العام التونسى للشغل ابتداء من سنة ١٩٥٤ م إلى سنة ١٩٥٦ م وكثيرا ما حرر المقالات الافتتاحية لجريدة لكسيون الفرنسية التى تصدر اليوم باسم جون أفريكا .

وكان من أكبر المشاركين فى تحرير مجلة الندوة من أول ظهورها سنة ١٩٥٣ م وتولى الإشراف على إدارتها وتحريرها سنتى ١٩٥٤ ١٩٥٥ م . . . وهذا النشاط الحافل فى العمل الصحفى باللسانين العربى والفرنسى لا بد أن يكون له حصيلة أدبية ذات نزعة إنسانية ولاسيما ما اختص منه بالنضال العمالى، وهو نضال قديم فى تونس أفرد بالتأليف ، فلو جمع ما كتبه الأستاذ فيه لتهيأ لنا أن نطلع على أفكاره فى هذا الموضوع الذى يمت إلى الحركات الليبرالية فى العالم بسبب وثيق .

وللأستاذ القليبى مشروعات تآليف أدبية لم تدع له اهتماماته الكثيرة المتنوعة من الوقت ما يمكنه من تحقيقها وإخراجها إلى حيز الوجود . . وقد نشر له بحث فى مشكلة فلسطين بعنوان « العرب أمام قضية فلسطين» وله كتاب قيد الطبع يحمل اسم « آفاق ومسالك » .

ويعتبر زميلنا الجديد رائدا للثقافةالتونسية الحديثة ، فهو أول من خطط لها وأوضح معالمها ، وأول تونسى أشرف على جهاز حكومى يضم جميع اختصاصاتها فى وزارةالشئون الثقافية التى بقى فيها تسع سنوات ، متوالية يرسى قواعدها فى مختلف المجالات ، وإليه يرجع الفضل فى إحياء التراث الفكرى والفنى والتاريخى بتونس .

وقد عرف له فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية هذه المزيه فقلده الوشاح الأكبر من وسامى الاستقلال والجمهورية ، كما عرفت مزاياه كثير من الدول الشقيقة والصديقة وفى طليعتها الجمهورية العربية المتحدة التى قلدته أيضا الوشاح الأكبر من وسام الجمهورية المصرى:

وأخيرا اختاره مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م عضوا عاملا ممثلا لتونس خلفا للعلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب .

أيها السادة :

هذا هو الزميل الجديد الذى شرفني المجمع بأن أكون نائبا عنه فى استقباله وأن أقدمه إليكم بحكم أننا معا ننتمى إلى المغرب العربى . وقد رأيتم أنه شخصية لامعة وأنه جدير بهذا الشرف الذى أولاه إياه مجمع الخالدين . فهو يجر من ورائه تاريخا حافلا بالمجد والعظمة وماضيا زاهرا بالعلم والحضارة لبلد يأتى فى الطليعة من بلاد وطننا العربى الكبير هو تونس الخضراء . وهو يمثل الجيل الصاعد من أبناء الجمهورية التونسية الذى ناضل فى غير ما ميدان من أجل بناء الاستقلال والمحافظة على الذاتية العربية لبلده ، بما أعلى للثقافة من شأن ، وما أحيا من تراث الفكر العربى الذى أخنى عليه الإهمال والنسيان .

والمجمع إذ يفتح أبوابه فى وجوه العاملين المجدين الذين تتدفق فى عروقهم وقلوبهم دماء الشباب الحارة ، إنما يريد من ذلك أن يعزز جهود الشيوخ الراسخين ويزاوج الحكمة والمقدرة . ولذلك فإن زميلنا الجديد ، وإن كان يخلف علما من أعلام الفكر ، وطودا من أطواد المعرفة ، وعضوا قديما من أعضاء المجمع ساير الركب وشارك فى أعماله من لدن إنشائه وتكوينه ، فإنى مستبشر به ومتوسم فيه أنه سيكون خير خلف لخير سلف ، لأنى لا أرى قصر الفضائل على المتقدمين وحتمية تفوق السابقين على اللاحقين خصوصا فى مجال العلم والأدب ، ولله دره العلامة ابن مالك النحوى الطائى الجيانى الدمشقى الذى قال فى طالعة كتابه التسهيل : « وإذا كانت العلوم منحا إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستغرب أن يدخر منها للمتأخرين ما عسر نيله على كثير من المتقدمين » . والأمر على كل حال يتعلق بالجد والاجتهاد والمثابرة والمصابرة ، كما قال ابن البناء السرقسطى فى المباحث الأصلية :

ولم تزل كل نفوس الأحيـــا
عـــلامة دراكة للأشيـــا
وإنمـــا تحجبهـــا الأبـــدان
والأنفس الـــنزع والشيطان
فـــكل من أذاقهم جهـــاده
أظهر للعاجز خرق العـــادة

والأستاذ القليبى قد عرفنا من جهاده الدائب وكفاحه المستمر ما يجعلنا نؤمن بأنه سيملأ الفراغ الذى تركه سلفه المرحوم فى العمل المجمعى ، وأنه سيكون منه للمجمع خلف تقر به الأعين .

وإنى أقدم له أصدق التهانى لعضوية المجمع وأتمنى له النجاح التام فى مهمته الجديدة وذلك باسمى وباسمكم جميعا ، وأهدى إلى تونس المنجبة تحيات المجمعيين وعواطفهم السامية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

## كلمة الأستاذ الشاذلى القليبى :

سيادة الرئيس

حضرات السادة الأعضاء المحترمين

أيها السادة والسيدات :

فى هذه اللحظة التى أقف فيها أمامكم تخالجنى جملة من المشاعر ليس من الهين أن أميز بعضها من بعض ، فأحللها بما أبتغى من دقة ووضوح . ولعلها ، إذا أنا رمت إجلاءها وتمحيصها ، تفقد هذا الطعم السخى الذى تختص به ، والذى هو من اعتمالها فى وحدة متماسكة متضافرة .

فلقد استمعت بمزيد التأثر للكلمة اللطيفة التى تولى إلقاءها باسم المجمع الأخ العزيز الأستاذ عبد الله كنون ، وإن كنت متحرجا مما اشتملت عليه فى حقى مما ليس من حقى .

فاسمحوا لى بأن أتوجه إليه بجزيل الشكر وأخلص شواهد العرفان مشفوعة بالمودة والتقدير.

ولاشك أن أهم ما يفعم نفسى ، وأنا أحضر هذه الجلسة التى تتفضلون فيها باستقبالى ، إنما هو شعور الاعتزاز بالانتساب إلى هذا المجمع الجليل الذى سجل له التاريخ من الخدمات فى الذود عن العربية وإبراز طاقتها ما جعله بحق أولى المؤسسات الثقافية فى العالم العربى .

وإنى ، إزاء هذا الاعتزاز ، لا أجد بدا من الاعتراف بأنى أوجس فى نفسى نوعا من الإشفاق من مشاركتكم تحمل هذه المسؤولية الثقيلة التى تضطلعون بها عن جدارة وسعة علم .

على أنى قد يشد أزرى ، فى هذا الموقف أمامكم ، أنى من الذين ، إن تعذر عليهم أن ينقطعوا للبحث والدرس طوال حياتهم ، فعساهم لم يعدموا فرصة النضال فى سبيل إحياء الثقافة العربية وتدعيم مكانتها بين الأجيال الصاعدة .

وهل لمجمعكم هذا من غاية أنبل من الحفاظ على الذاتية العربية ، بإحياء مقوماتها وتوثيق أواصرها وتدعيم أركانها ؟

لذلك أجدنى — سيادة الرئيس ، حضرات السادة الزملاء — معتزا ، عظيم الاعتزاز ، بهذه الدعوة الكريمة التى تفضلتم بها والتى تخولنى شرف الانضمام إلى مجمعكم .

ذلك أنى أشعر صادق الشعور بتجاوب عميق بين ما كنت فيه من عمل وفكر فى حقل الدولة ، وما رسمه المجمع لنفسه من أهداف تتلخص فى كلمات ثلاث : الحفاظ والتطوير والشمول ، أى جمع كلمة كل من يعنون

بمصير اللغة العربية وثقافتها ، من المشرق ومن المغرب على السواء ، لتحقيق الحفاظ والتطوير :

وإنه لمن مفاخر المجمع أنه لم يقصر عمله على البلاد المصرية بل تخطى حدود الأوطان السياسية وأراد لرسالته إشعاعاً غير مقطوع ولا ممنوع : فاحتضن من مختلف الأقطار العربية : أعلاماً أجلاء ساهموا فى تدعيمه وآزروه فى النهوض بأعباء المهمة الملقاة على كاهله .

ومن بين هؤلاء رجال من المغرب العربى الكبير . ومن تونس على الأخص ، شخصيات من أفذاذ علمائنا قاموا بدور هام فى تركيز المجمع النهج لمساعيه الموفقة . منهم من كان قد استوطن مصر كالشيخ محمد الخضر حسين ، ومنهم من اختير لعضوية المجمع رغم بعد الشقة كالشيخ الإمام الطاهر ابن عاشور حفظه الله وأمد فى أنفاسه والمرحومين الأستاذين حسن حسنى عبد الوهاب والشيخ محمد الفاضل ابن عاشور .

ولئن كانت التقاليد المجمعية تقتضى المبادرة بالحديث عن السلف الذى دعيت إلى خلافته بالمجمع ، فإنى أستأذنكم ، قبل التفرغ لذلك ، فى كلمة أرى لزاما على أن أترحم بها على روح شيخنا الأستاذ الفاضل ابن عاشور الذى وافاه الأجل وهو فى عنفوان قوته الفكرية ، يكافح من أجل إعلاء شأن اللغة العربية وإشعاع الثقافة الإسلامية .

ولقد كان يحتل منزلة خاصة فى تونس وفى بلاد المغرب الكبير ، إذ كان يمثل الوفاء المثير للقيم الروحية فى أجلى مظاهرها ، والذود عن مقومات تراثنا الثقافى والحضارى مع التفتح الخصيب لتيارات الفكر الحديث وشواغل العصر ، يحدوه فى ذلك يقين المؤمن بأنه ليس بين هذه وتلك تناقض فى الجوهر ولا فى الغايات .

وكان — من جملة سلوكه ومواقفه — يتضوع معنى أساسى : هو طلب الموافقات والسعى إلى التأليف ، والحرص على الملاءمة بين أنماط وشواغل وقيم ، يعتقد فى قرارة نفسه أن الجمع بينها ضرورى لحياة الإنسان .

ولقد خبرتم تبحره فى العلوم العربية والإسلامية وهو ، مع التوغل فى جميعها ، لم يكن يتقيد بلون من ألوانها . فقد كان مع الإحاطة بالعلوم الشرعية مولعا بالدراسات اللغوية والأدبية ، مشغوفا بالأبحاث التاريخية ، ذا مشاركة مرموقة فى جميعها ، دون اقتصار على القديم منها ولا إغفال لأى مشرب من مشاربها . فتهيأت له بذلك ثقافة موسوعية فى غير عسف ، طريفة حية فى غير تكلف .

إلى جانب هذه الثقافة التقليدية المتنوعة ، كان الشيخ الفاضل دائم السعى إلى الاطلاع على الثقافات الأجنبية ، والتفتح لمقتضيات الروح العلمى الجديد والتجاوب مع مشاغل الشباب .

فلا عناصر ثقافته الأصلية بقيت لديه منفصلة بعضها عن بعض ، ولا فكره النير بقى بمعزل عن تيارات العصر ، بل انصهرت هذه وتلك حتى تألف منها ثقافة فذة حية متحركة دوما بحكم التحاور والتفاعل بين التقليد والاجتهاد . فكان لذلك يعتبر بحق نموذجا لفئة المفكرينْ الذين يقومون فى تونس بحركة التوفيق بين الحفاظ والتجديد .

وإلى هذه الفئة ينتسب سلفنا نابه الذكر المؤرخ التونسى المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب .

وقد كان من الأعضاء المؤسسين لهذا المجمع ، من أولئك الذين قال عنهم حضرة الأمين العام الدكتور إبراهيم مذكور إنهم « الرعيل الأول الذى أسهم فى بناء مجمع اللغة العربية وتشييد صرحه » ، وإنه كان أحد خمسة من أعلام العالم العربى وشيوخه فى الأدب واللغة ... صدر بتعيينهم مرسوم ملكى فى السادس من أكتوبر لعام ١٩٣٣ ، بقوا أعضاء بالمجمع إلى أن لقوا ربهم ، يمدون المجمع بفيض من واسع علمهم ، ويغذونه بغذاء صالح من دقيق بحثهم »

هذا ما تفضل به السيد الأمين العام فى أربعينية الفقيد المنعقدة بتونس يوم ١٥ جانفى ١٩٦٩ ، وقد استهل به كلمته القيمة التى ألقاها نيابة عن المجمع وتعزية لتونس باسم هذا القطر الشقيق .

ولقد كان لهذه التحية وقعها البالغ فى أوساط المثقفين التونسيين ، إذ بين تونس ومصر أواصر أخوة وتعاطف وتقدير متأصلة فى النفوس والتاريخ . وقد كان الفقيد يعتبر مصر وطنه الثانى ، يحبه ويعتز به . ولقد سأله الملك فؤاد عن رأيه فى مصر فقال له : « سئل أبو العباس المقّرى ، مصنف كتاب نفح الطيب ، عما شاهده بمصر حين زارها ، فأجاب : « من لم يزر مصر لا يعرف عز الإسلام » . وأنا أقول بقوله ولا أحيد عنه .

ذلك أن حسن حسنى عبد الوهاب شب واكتهل فى عصر كانت فيه معظم البلاد العربية تحت السيطرة الأجنبية ، وكانت مصر إذ ذاك فى طليعة الحركة التحريرية ، قد خطت فى ميادين السياسة والثقافة خطى جعلتها محل اعتزاز العرب كافة .

فقد ولد سنة ١٨٨٤ ، أى بعد انتصاب الحماية الفرنسية على تونس بنحو ثلاثة أعوام . فنشأ فى بلد مبتور السيادة ، خاضع لدولة أجنبية تتولى إدارة شئونه ، وتسعى بكل وسائل القهر والإغراء إلى إدماجه فى القومية الفرنسية لسانا وثقافة وحضارة .

وكان والده متخرجا من الزيتونة ، ولكنه تعلم الفرنسية حتى أجادها ، وكان موظفا فى الدولة ، ومولعا بالتاريخ .

وكان من الطبيعى أن يحرص الوالد على تلقين ابنه الثقافتين العربية والفرنسية معا . فوجهه إلى المدرسة الصادقية التى كانت أسست فى عهد الإصلاح قبيل انتصاب الحماية الفرنسية .

وقد كان لهذا المعهد دور خطير جدا فى تكوين الجيل التونسى الجديد الذى اضطلع ، مع ثلة من خريجى الزيتونة ، بقيادة الحركة الوطنية والفكرية فى تونس ، فى صدر هذا القرن .

ذلك أن برامج التعليم فى المعهد الصادقى كانت ترمى إلى هدفين أساسيين : فكانت تعنى بتعليم اللغة والأدب مع تلقين الاعتزاز بالحضارة العربية الإسلامية ،وذلك على يد نخبة من أكابر شيوخ الزيتونة خاصة ، ولكن فى نفس الوقت كانت هذه البرامج تقتضى تعليم اللسان الفرنسى وجملة من العلوم والفنون الحديثة ، وهى بذلك تمكن الطلاب من ثقافة عصرية متفتحة الآفاق .

فكان المعهد الصادقى إذن يجمع بين محاسن التعليم الزيتونى من حيث هو تعليم قومى أصيل ، وبين مزايا التعليم الفرنسى من حيث هو تعليم عصرى متفتح . وكان ذلك يساعد متخرجى الصادقية على الانخراط بالجامعات الفرنسية .

ولقد تابع حسن حسنى عبد الوهاب دراساته العليا بباريس بمدرسة العلوم السياسية كما كان يحضر دروسا ومحاضرات فى علوم شتى . ولكن ظروفا عائلية عاقته عن المواصلة فعاد إلى تونس ،وانخرط فى سلك الوظيفة العمومية ،ولم يزل بها يتقلب فى مختلف المناصب السامية حتى أقعده المرض قبيل وفاته ببضع سنوات .

ولئن كانت حياة الفقيد حافلة بأنواع النشاط الخاصة بمجالات الإدارة والدولة ، فقد كانت أيضا مليئة بالأعمال العلمية الجليلة وذلك منذ ريعان شبابه . فقد كلف بدروس فى التاريخ العام سنوات طويلة بمعهدين من أشهر المعاهد التونسية الحرة . وحضر أغلب مؤتمرات المستشرقين ابتداء من سنة ١٩٠٥ ، وكانت له بها مشاركة مرموقة ، وأسندت إليه رئاسة الوفد التونسى إلى مؤتمر الموسيقى الشرقية الذى انعقد بالقاهرة سنة ١٩٣٢ ، وخلال هذه الرحلة تمكنت علاقات مودة وتقدير بينه وبين عدد من شخصيات العصر ، فى مقدمتها الملك فؤاد ، وكان يقول عنه : « وفى نظرى أن الملك فؤاد كان بلا نزاع من أجلّ ملوك المسلمين ومن أقواهم حبا لجمع كلمة العروبة ورغبة صادقة فى الدفاع عن الحضارة الإسلامية . . . » .

وفى شىء من الاعتزاز ، يضيف قائلا : « هو الذى عينى عضوا دائما فى مجمع اللغة العربية لأول تأسيسه آخر سنة ١٩٣٢ » .

وقد كان المرحوم عضوا فى مجامع علمية كثيرة ، نخص بالذكر منها المجمع العلمى

ربى بدمشق منذ تأسيسه ، والمجمع العلمى العراقى ،والمجمع الفرنسى للنقائش والفنون الجميلة ، والمعهد التاريخى الأسبانى .

وللفقيد إنتاج كثير متنوع ، متجه أغلبه إلى تاريخ تونس ومظاهر الحضارة العربية الإسلامية بها ،وكان ذلك موقفا تجاه تيارات الفرنسة التى كادت تكتسح الذاتية العربية فى بلاد المغرب ،وتطمس معالمها عن الأجيال التى نشأت بعد الاحتلال الفرنسى .

أما الأغراض العامة التى تناولتها مختلف أبحاثه التاريخية ، سواء منها الكتب والمقالات والفصول — وهذه تمثل أغلب إنتاجه — فليس أبلغ فى تحديدها مما كتبه هو نفسه فى وصف تأليفه الجامع الذى أسماه « كتاب العمر » ، ولم تسمح له الأقدار بإتمامه قبل وفاته ، إذ يقول عنه :

« والكتاب الذى أشير إليه يتضمن كل ما يمت بصلة إلى تاريخ العلم والاجتماع والأدب والفن فى البلاد التونسية منذ استقرت بها طلائع النور العربى إلى هذا الزمان القريب[1] » .

ويبين المؤلف مقاصده التى يرمى إليها من وراء هذه الأبحاث ، فيقول :

« وأرجو أن تلقى من النابتة الجديدة إقبالا يزيد به التونسيون المحدثون ارتباطا بماضيهم الخالد ، ويتلمسون فيه عونا على مستقبلهم الزاهر . فإننى لأومن أصدق الإيمان بأن جذورنا المتأصلة فى تاريخ أجدادنا وثيقة الصلة بوعينا القومى الحديث[2] . . . . »

وبقدر ما كان المؤرخ التونسى مغرما بالتاريخ العربى باعتباره مرآة لأمجادنا الماضية ودعامة أساسية من دعائم الذاتية القومية ، كان يحرص على الاقتباس من الطرائق العلمية الحديثة لدرس هذا التاريخ وإجلاء غوامضه ، وقد مكنته ثقافته الفرنسية من الاطلاع عليها فى تآليف المؤرخين الغربيين ، وخاصة فى أبحاث المستشرقين الذين عنوا بدراسة الحضارة العربية وتاريخ الشعوب الإسلامية .

ومن الجدير بالتذكير أن المؤرخ عبدالوهاب كتب الكثير من بحوثه بالفرنسية ، وذلك إما لتقديمها إلى مؤتمرات عالمية ، وإما للإسهام بها فى نشريات ومجلات أجنبية ، نخص بالذكر منها دائرة المعارف الإسلامية التى أمضى العديد من فصولها .

ومن الحق أن نقول أيضا إنه كان فى طليعة المؤرخين العرب المحدثين الذين أخضعوا البحث التاريخى لمعطيات الآثار ، لاستنباط ما ليس مذكورا فى الكتب أو لمكافحة المعلومات المنقولة فيها ، بما تشهد به النقائش والنقود ومختلف الأعراض التى تكشف عنها الحفريات .

---

(١) ورقات ، ١ ، ص ٧

(٢) ورقات ، ١ ، ص ١٠ ، ١١

فمن هذه الوجهة ، يمكن القول فى غير مبالغة إن عبد الوهاب خطا بالدراسات التاريخية فى تونس أشواطا وجعلها تتصف بالدقة والأمانة، وتهتم بالنفاذ إلى المقومات الحضارية .

كما كان له فضل لا ينكر فى توجيه ما يسميه بـ « النابتة الجديدة » إلى الاهتمام بالآثار والغيرة عليها باعتبارها أحد المصادر الهامة لتاريخ البلاد .

وكان له تأثير غير قليل فى أوساط الباحثين الشبان ، سواء منهم الجامعيون أو غيرهم . فقد كان كثير الاتصال بهم يجتمع بهم فى بيته ويساعدهم فى أبحاثهم، ويطلعهم على ما جمعه من نفائس التحف والمخطوطات .

والحق يقال لقد كانت للفقيد شخصية جذابة ملكت له قلوب أصدقائه ومريديه بما اجتمع فيها من شمائل شرقية عذبة، ونواح مغرية لطيفة، جعلت مجالسه عنوان الإمتاع والمؤانسة ومنتدى رجال الظرف والعلم .

وقد لا يكون من المبالغة فى شىء أن نقول إن تأثيره بالاتصال المباشر وبالسمر وبالإشعاع الشخصى لم يقل أهمية عن تأثيره بواسطة كتبه وبحوثه المنشورة .

على أن حسن حسنى عبد الوهاب ، وإن غلب عليه الولوع بمادة التاريخ ، لم يكن ذلك ليثنيه عن الاهتمام بما سواه من العلوم والفنون . فكان واسع الاطلاع على الأدب واللغة . تشهد بذلك فصول له وتحقيقات لنصوص قديمة تولى نشرها والتعريف بها ، كما تشهد على ذلك مساهمته فى مداولات المجمع ، سواء منها العادية أو المتعلقة بمشاكل حيوية تهم حياة اللغة ورسالتها الحضارية ومكانتها بين سائر اللغات الحية فى القرن العشرين .

ولا جرم أن كان اهتمامه باللغة من الوجهة التاريخية ، ينظر إلى اللغة نظرة المؤرخ الذى يعتبرها ظاهرة تاريخية واجتماعية واجب درسها من بين جملة المظاهر الحضارية التى يعنى ببحثها وإجلاء العوامل المؤثرة فيها .

وقد وقف فى هذا الصدد مواقف معروفة مدرجة فى سجلات المجمع ، وكان صادرا فيها عن نظرة متحركة هى أقرب إلى ما تعودناه عند سلفه ، تونسى النشأة والثقافة ، عبد الرحمن بن خلدون ، الذى كان له شأن أيضا فى هذه البلاد ؛ فكانت نظرته إلى اللغة نظرة المؤرخ المفكر الذى لا يرضى بالوقوف عند الأحداث الماضية يصفها ويعللها ، بل هو يسعى إلى ربطها بالحاضر، لإجلاء معالم الحاضر واستكشاف ملامح المستقبل . ذلك أن عبد الوهاب ، وإن كانت نفسه تطفح بالاعتزاز بأمجاد العروبة والإسلام — ولربما من أجل هذا الاعتزاز — لم يكن يطمئن إلى ما آلت إليه العربية من ركود أضعف قدرتها على الأداء، وحط نفوذها الحضارى .

وهو فى الحقيقة مشكل المشاكل ، لزام علينا أن نمعن النظر فيه لأنه متصل بمنزلة الثقافة العربية بين الثقافات الغازية التى تتنازع السيطرة على العالم .

فنحن ننتمى إلى لغة فذة بما تختص به من أساليب فى الأداء والإبلاغ ، وكذلك فيما انفردت به من استقرار رغم التطور والنمو اللذين لازماها منذ البدء ، غير أن صورة عنها ضيقة شاعت فى بعض الأوساط من أبنائها — ومن غير أبنائها — تقول بأنها لغة خطابة وترتيل . ولا شك أن الذين يأخذون بهذا الرأى يقصدون أن العربية من طبيعتها عدم التقيد بالضبط والجموح عن مسالك التوضيح.

وصحيح أن أولى خصائص العربية أنها لغة خطابة وترتيل ، بها نزل الكتاب المبين الذى من أسمائه « القرآن » و « الذكر » ، إشارة بذلك إلى أنه أولا وبالذات « خطاب » موجه إلى الناس يرتل ترتيلا . ولعل هذه الظاهرة الخاصة بالعربية هى التى جعلت الشعر العربى فى مختلف عصوره وأطواره تغلب عليه أريحية الخطابة وإيقاعات الترتيل .

ولكن ، إن كانت العربية لغة خطابية مثلى فإنه من الحيف حصر طاقاتها فى ذلك . وهى — على كل — لم تقصر عن القيام بالدور الجديد الذى دعيت إليه لما أصبحت لغة أمة فاتحة ، عليها أن تبنى حضارة من أهم الحضارات الإنسانية . فإذا هى سرعان ما تطورت إلى لغة كتابة وتأليف ، ولغة إدارة وفقه وتشريع ، ولغة فلسفة وعلوم وصناعات . فاتسع مجالها ، وظهرت لها وجوه وطاقات جديدة ، تنقاد لأغراض ابن المقفع والجاحظ ، وتفى بحاجة الفارابى وابن رشد وابن خلدون ، دون أن يمس ذلك التطور جوهرها أو يمزق لحمتها .

ذلك أن اللغة على شاكلة البشر الذين يتكلمونها ، فيخضعونها لأغراضهم المختلفة وحاجاتهم المتجددة .

وإنما غلب الجمود عليها فى عصور الانحطاط لما تقلصت الانتفاضات الفكرية وضعفت جذور الفكر عن مواصلة العمل الحضارى ، الذى قوامه اجتهاد متواصل وكشف عن مغلقات الكون ، وسبر دائم لخفايا الإنسان. فلم تعد المجتمعات العربية قادرة على ترويض لغتها ؛ إذ لم تعد قائمة بالدور الخلاق الذى كانت اضطلعت به فى ميادين الفكر والعلم .

وإنما بسبب توقف هذا العمل الحضارى الخلاق حدث التقطع فى سيل اللغة ، فتجمدت الفصحى لغة أهل الفكر والعلم فى حين انطلقت لغة الكلام فى مسالكها الخاصة بحكم الضرورة . ولم يزل الفتق يتسع بينهما حتى أصبح هذا البون الذى نشهده اليوم ، وفى ذلك يكمن أخطر مشكل تجابهه العربية فى نهضتها الحديثة .

فنحن لا يهمنا من اللغة هذه الثنائية بين الفصحى والدارجة بقدر ما يهمنا جمود الفصحى وانفصال الدارجات عنها .

وقد تعرضت شعوب كثيرة لمثل هذا المشكل، ولكنها استطاعت أن تتغلب عليه بفضل ما احتفظت به الفصحى عندهم من دور إيجابي في مجالات الفكر والفنون الصناعية ، وبفضل ما تهيأ لهذه الشعوب منذ أمد طويل من نشر واسع للتعليم باللغة التي اعتبرتها وهي الفصحى .

وليس أبلغ حجة على ذلك من التطور الذي نشهده اليوم، نتيجة انتشار التعليم ووسائل الإعلام والتثقيف في أغلب البلاد العربية .

فالتعليم يؤثر في الفصحى من جهة، وذلك بأن يدخل عليها مفاهيم وصيغا فكرية جديدة ، إذ يستعملها في تبليغ معان وعلوم لم تكن تدرس بها ، وهو ، من جهة أخرى ، يقرب البون بين الفصحى والدارجات لدى فئة المتعلمين ، نظراً إلى ما يقع بين هذه وتلك من تفاعل .

أما الوسائل السمعية البصرية المتجهة إلى الجماهير ، كالإذاعة والتلفزيون والسينما ، فإنها تقوم اليوم بنشر لغة فصحى مبسطة — سميت أحيانا باللغة الثالثة — قد أخذت تشيع بين الناس ويتضافر مفعولها مع تأثير التعليم .

لذلك نعتقد أن قضية اللغة العربية ، وما تعانيه من صعوبات في الأداء والتبليغ في ميادين الفكر والعلوم ، إنما هي قضية حضارية ، لا قضية لغوية . والأمر فيها راجع إلى موقف الشعوب العربية ، وراجع أولاً وبالذات إلى موقف النخبة المستنيرة وصحة عزيمتها على كسب الرهان الحضاري الذي تواجهه .

فكثيرا ما يتساءل المثقفون : هل العربية في مقدورها أن تصبح من جديد لغة العلوم والفنون الصناعية ؟ ويبدو أن السؤال ينبغي أن يكون : هل المجتمعات العربية قادرة على إعطاء اللغة العربية هذه المكانة ؟ وذلك مرتبط بقدرتها ، أي قدرة هذه المجتمعات ، على أن تنبت فئة من رجال الفكر والعلم يساهمون في عملية الإنشاء والابتكار ، عوض الاقتصار على الاستهلاك السلبي بالنقل والتقليد .

فالقضية تعود إذن في آخر الأمر إلى قدرة المجتمعات العربية على الخروج من طور التخلف واللحاق بركب الحضارة الجديدة والمشاركة الإيجابية في تشييد هذه الحضارة .

وبذلك نلمس مدى التضامن المكين بين النهضة الثقافية والنهضة الحضارية التي تهم المجتمع كافة ، وهو من الأسباب الرئيسية التي من أجلها لم يكتب لما سمي بـ « النهضة » عندنا أن ينمو، ويؤتي أكله، ويشع على جميع قطاعات المجتمع ، إذ تصدت النهضة للهياكل السطحية، ولم تعمد إلى تغيير الأوضاع الباطنة العميقة الجذور .

وليس معنى ذلك أننا غير مطالبين بأي عمل في المجال الثقافي ، ريثما تخرج مجتمعاتنا من التخلف . فإن ذلك يكون تنصلا من المسؤولية وإخلادا إلى التواكل . وبقدر

ما نرفض القول بعجز جوهرى كامن فى أحشاء اللغة العربية ، نأبى ترقب أى حل سحرى من وراء عملية الخروج من التخلف .

فالخروج من التخلف والنمو والتطور طريق شاقة طويلة ، ونضال شامل ، علينا فيه واجبات أكيدة ، عاجلة وآجلة نحو لغتنا وثقافتنا ومجتمعاتنا . ذلك أن النهضة عملية متضامنة الأوصال شاملة لكل القطاعات. وبناء ثقافة مّا إنما هو وجه من وجوه هذا النضال ، وضرب من الرهان ، ومغامرة تقتضى فحولة العزيمة إلى حد التعنت دون استكانة ولا رضى بالدون .

وأولى واجباتنا تجديد الروح والأساليب فى تثقيف النشء وذلك بأن تتجه العناية إلى تلقين لغة حية مرنة صالحة لأداء معان مضبوطة. ولابد لذلك من الإقلاع عن حشو الأدمغة بألفاظ وصيغ لاتدعو الحاجة إلى حفظها وكثيرا ما سبق حفظها تصور مدلولاتها ، وقليلا ما يعنى بضبط معانيها والتمييز بينها وبين مترادفاتها . على هذا النحو نتمكن من إعداد آلة طيعة تمتاز بما تمتاز به اللغات العصرية من سهولة التركيب ودقة التعبير ووضوح التبليغ . ذلك أن تعليم اللغة عند الأمم المتقدمة إنما هو ترويض للفكر على مسالك الوضوح والدقة والضبط .

ولاشك أن لمجمع اللغة العربية دورا هاما فى الحفاظ على اللغة ، فى أوسع معانى الحفاظ وأنبلها وأبعثها على الاعتزاز ، إذا نحن اعتبرنا الحفاظ لايقف عند مجرد الإبقاء ، بل يتعداه إلى ضمان الوسائل الكفيلة بأن تستعيد العربية مكانتها الحضارية .

وإنه لمن حقه المساهمة — وقد تصدى لذلك منذ تأسيسه — فى جعل العربية فى مستوى مقتضيات العصر فى كافة الميادين الحيوية .

ولئن كان من الطبيعى ، بالنسبة إلى المصطلحات الحديثة ، أن يجرب طرقا مختلفة لنقلها إلى العربية ، فقد وفق إلى السبيل المثلى حين أعرض عن ترجمة المفردات الغربية بصورة مبدئية دون مراعاة تأكد الحاجة إليها ، ووجه عنايته إلى ما يتوقف عليه التعليم أو تستوجبه البحوث العلمية والفنون الصناعية . ذلك أنه لافائدة ترجى من ، اصطلاحات لاتدعو الضرورة إلى استعمالها فورا ، فتبقى نسيًا منسيًّا ، ولا تكون لها أى « جدوى » علميه ولا اجتماعية .

وفى صورة مراعاة الحاجة الماسة ، فإن النظر فيما قد يكون شاع استعماله على ألسنة أهل الذكر خير من استنباط مفردات يعسر فرضها فى واقع الاستعمال . لذلك يحسن تشريك أهل الذكر من كل البلاد العربية حتى لاتستقر فى بعض البلاد ألفاظ تكون مجهولة فى غيرها .

أما فى خصوص سائر الأغراض العامة ، فمن حق المجتمع أن يشرف بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، على إعداد معجم يكون

أداة تثقيف عام ، لا تؤخذ الألفاظ فيه مفردات ميتة ، بل تضبط فيه مختلف وجوه استعمالها ، مبوبة ، ومعززة بشواهد مقتبسة من أهم المراجع القديمة والحديثة .

وبذلك يتسنى مراقبة تطور اللغة ،وضبط مقاصدها الجديدة وإصلاح ما تسرب إلى تراكيبها من فساد أو عجمة ، لا فى الصحافة فقط ، بل أحيانا على ألسنة خاصة المثقفين وفى كتاباتهم ، وأحيانا كثيرة أيضا فى النصوص الرسمية التى هى من وثائق الدولة .

وكثيرا ما يعزى شيوع الخطأ واللحن إلى أن العربية معقدة من حيث قواعدها غامضة من حيث كتابتها . وصحيح أن لغتنا صعبة المراس فى نحوها وصرفها ، كما أن هجاءها لايدل دلالة واضحة على نطق ألفاظها وما ينتاب الكلم من أحوال داخل الجملة .

ولاشك أنه من المفيد ، لاسيما فى مراحل التعليم الأولى ، تلافى هذه الأنقاص حتى يسهل على المتعلمين حذفها ،واجتناب الرطانات التى تعلق باللسان ،ويصعب بعد إزالتها .

وقد اشتكى الأجانب من هذه العقبات التى تعترض سبيل من يريد تعلم العربية . وقد قيل عن الكتابة العربية إن قراءتها متوقفة على فهم المعنى ، بينما الشأن فى اللغات الأوربية أن تكون القراءة وسيلة إلى فهم المعنى ،وقال بعضهم أن العربية لغة نحاة فقهاء .

ولئن كانت هذه الملاحظات على جانب من الصحة ، رغم مافيها من مبالغة مقصودة، فإنه يمكن الرد عليها بأن كتابة اليابانية مثلا على جانب غير قليل من العسر والتعقيد ، ولم يمنع ذلك أبناءها من تحقيق ماهم عليه اليوم من جمع غريب بين متناقضين : المحافظة الشديدة على التراث والتقاليد ، والتقدم المذهل فى العلوم والفنون الصناعية والاقتصاد حتى إن بلدهم ليعتبر فى طليعة البلاد المتقدمة.

ولست أقصد من ذلك أنه لاحاجة بنا إلى تيسير اللغة ، بل قصدى أنه لاينبغى أن نحمّل اللغة تبعة ما نشكوه اليوم من وهن وتخلف فى الميدان الثقافى والحضارى .

ومثل هذه القضايا لاتحل باجتهادات فردية ، وليس لأى قطر أن يشترع فيها بمفرده ، وبمعزل عن بقية الأقطار ، وإلا انفصمت تلك اللحمة التى هى من أنفس مكاسب الثقافة العربية .

وإنه من حظ العربية أن كان لها هذا المجال الفسيح الذى يتمثل فى مجموعة كبيرة من الشعوب ،ولم يتهيأ مثله إلا لقلة من اللغات الحية .

على أنه ينبغى أن نصارح أنفسنا بأن كسب ثقافتنا اليوم من هذا المجال الفسيح لم يكن على قدر أهمية المجموعة البشرية المنتسبة إليها .

وأول سبب فى ذلك تفاوت هذه الشعوب فى النمو والطاقات الفكرية . فكان الحمل على كاهل عدد قليل . ومن الطبيعى أن يكون دور بعض الأقطار فى تغذية الثقافة أوسع مدى وأقوى فاعلية بحكم درجة نموها وأوضاعها التاريخية والاجتماعية .

ومن الطبيعى أن يكون دور مصر فى طليعة هذه الجهود الرامية إلى التقدم بالفكر العربى أشواطا نحو الوضوح والموضوعية والنفاذ إلى قضايا الإنسان الجوهرية، والسيطرة على ما به المعاش فى يوم الناس هذا .

غير أنه ، إلى جانب هذا السبب الأول المتمثل فى تفاوت الثقافات ، يقوم سبب ثان وهو سوء تنظيم العلاقات الثقافية بين مختلف البلاد العربية .

وحبذا لو وضع المجمع فى جدول أعماله النظر فى مشروع يهدف إلى إقامة « سوق ثقافية مشتركة » ،فيتقدم به إلى الحكومات المعينة لتتولى هى دراسة شروطه ومقتضياته ونتائجه فى المجالين الثقافى والاقتصادى .

فليس من شك أن لجميع الاقطار مغانم عاجلة ومصالح آجلة فى قيام علاقات تضبط بوضوح نظام المبادلات الثقافية بينها، على قاعدة تضافر الجهود بحسب الاشتراك فى المنافع .

وإذا ما تسنى لهذه السوق المشتركة أن تؤسس على مبدأ مساهمة كل قطر مساهمة فعلية ،وقابلة للنمو والتطور، فى كافة ميادين الفكر والفن والعلم ، وبالنسبة إلى كل عمليات الإنتاج والنقل والنشر ، فإن الثقافة العربية بذلك تستطيع أن تحقق قفزة عظيمة نحو اللحاق بمستوى الثقافات الناهضة .

سيادة الرئيس :

حضرات السادة والسيدات .

إن مجمع اللغة العربية قام بأعمال جليلة ولا تزال العربية تنتظر منه جليل الخدمات وعظيم الجهود فى الذود عنها وتفجير طاقاتها . ويكفيه عزاءً أنه دوما محط الآمال وكعبة القصّاد بفضل ما اجتمع فى رحابه من كفاءات ممتازة ومتنوعة .

والله ولى التوفيق، وإليه نتجه بالحمد أولاً وآخرا .

**فى الساعة الخامسة من مساء الخميس ٢٢ من ذى الحجة سنة ١٣٩٠ هـ الموافق ١٨ من فبراير سنة ١٩٧١ م أقام المجمع حفل تأبين لفقيده المغفور له الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور عضو المجمع من تونس ، الذى استأثرت به رحمة الله فى ١٩٧٠/٤/١٩ . وفيما يلى ما ألقى فى هذا الحفل :**

# كلمة الأستاذ زكى المهندس فى تأبين المرحوم الأستاذ الشيخ :

**محمد الفاضل ابن عاشور**

حضرات الزملاء .

سيداتى سادتى :

يعز علينا أن نجتمع الليلة لتأبين زميل كريم وعالم جليل هو المغفور له الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور عضو المجمع من تونس الشقيقة .

لقد كانت وفاته مفاجأة أليمة لنا جميعا ، فقد كان رحمة الله بيننا فى المؤتمر الماضى متمتعا بأكمل صحة مملوءا حيوية ونشاطا ، شأنه فى كل مؤتمر فكانت وفاته صدمة شديدة الوقع على نفوسنا . فما من دورة من دورات المؤتمر إلا وجاء إلينا الفقيد حاملا ثروة علمية ضخمة أعدها من دراسته الواسعة وعلمه الغزير وثقافته العربية والغربية الممتازة .

على أننا إذ نبكى الفقيد الليلة لانبكى فيه عضوا مجمعيا نشيطا منتجا فحسب ، وإنما نبكى فيه رجلا عربيا أصيلا ، وعالما من أعلام القضاء ، ورائدا من رواد الفكر الإسلامى . ولعل من أعجب تصاريف القدر أن الفقيد طيب الله ثراه وقف هنا — وفى هذه القاعة نفسها — منذ زمن قريب يؤبن زميله وصديقه العالم الجليل المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب ، يبكى فيه علمه وخلقه. وما كان أحد يدرى أنه هو نفسه سيصبح مرثيا بعد أن كان راثيا ، ومبكيا عليه بعد أن كان باكيا . ولكن ما حيلتنا فى قضاء الله الذى لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه . تلك هى طبيعة الحياة ، ما يكاد يرى فيها الإنسان مخبرا حتى يرى خبرا من الأخبار . رحم الله الفقيد وأجزل مثوبته ،وأسكنه فسيح جناته .

## • • كلمة الدكتور ابراهيم مدكور :

سيدى الرئيس ، سادتى

نودع اليوم شيخا جليلا ، وزميلا كريما اختطف منا على عجل ، وحرمنا من علمه وفضله ، ونحن أحوج مانكون إليه .

والموت نقاد على كفه
جواهر يختار منها الجياد

نودع الفاضل ابن عاشور ، وقد كان فاضلا حقا ، سماه كذلك جده لأبيه ، وكأنما كان يكتنه الحجب . فجاء ابن ابنه فاضلا فى زيه وسمته ، يملأ العين جلالا ووقارا ، والقلب تقديرا واحتراما ، وفاضلافى قوله وعمله ، حديثه جد لا هزل فيه ، ومسلكه قدوة حسنة ، أدب جم ، وتواضع بالغ ، وعطف ورأفة ، وبذل للنفس والمال فى سبيل الخير والناس .

ونودع عالما كبيرا ، وإماما من أئمة الأدب واللغة والفقه والتشريع ، ورائدا من رواد الإصلاح والتجديد . وكم نعمنا نحن هنا بأدبه الرقيق ، وبحثه العميق ، ودرسه الواسع . لايعنى إلا بدقائق الأمور ، ولايعرض إلا للمعضلات ، كان حجة فى تراثنا الإسلامى جميعه ، وبخاصة ماخفى منه من أخبار المغرب وبلاد الأندلس ، ومحيطا بثمار الثقافة الغربية وما انتهت إليه من علم وفلسفة ؛ فاستكمل وسائل الدعوة إلى الإصلاح والتجديد ، واضطلع بها فى إيمان ويقين ، وجد وإخلاص ، حريصا على أن يربط الحاضر بالماضى ، وأن يلائم بين الجديد والقديم .

ومجال القول فيه ذو سعة ، وفى سيرته عبرة ، وفى علمه نفع كبير . وحسبنا الآن أن نؤرخ له فى اختصار ، وأن نعرض لشىء من جوانب نشاطه وثقافته الواسعة .

* * *

ولد الفقيد الكريم فى الثانى من شوال عام ١٣٢٧ هـ ، الموافق ١٠ من أكتوبر عام ١٩٠٩ م ونشأ فى بيت علم وفضل ، وتتلمذ لوالده ، وهو إمام فى علوم الدين واللغة ، قبل أن يتتلمذ لمعلم آخر . تتلمذ له فى صباه ، فبدأ تحت إشرافه فى حفظ القرآن ولما يجاوز الثالثة وفى تعلم القراءة فى بعض كتب المطالعة المصرية ، وحفظ بعض المتون كالأجرومية والألفية وهو فى السادسة . ووجه فى العاشرة إلى تعلم اللغة الفرنسية على أيدى معلمين خصوصيين فى منزله . وكأنما أريد به أن تقصر طفولته على بيته وأسرته ، فلم يدخل المكتب الابتدائى ، ولم يعرف من الأطفال إلا أبناء الأقارب . وفى الثالثة عشرة من عمره بدأ يدرس القراءات والنحو والفقه والتوحيد . وفى العام التالى التحق بجامع الزيتونة ، وبقى

به إلى أن تخرج فيه ، ومنذ ذلك لم تنقطع صلته به ، تولى التدريس به فى سن مبكرة ، وبقى يتدرج طبقة بعد طبقة إلى أن أصبح أستاذا وقد جاوز الأربعين بقليل ، ثم عميدا للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين عام ١٩٦١ ، ولكنه لم يبعد قط عن والده وأستاذه الأول ، عاش إلى جانبه طول حياته ، واستمع إلى دروسه فى الأدب والتفسير والحديث بجامع الزيتونة مدة خمس سنين ، ودرج طول حياته على أن يقرأ بين يديه كل ليلة من ليالى رمضان بعد صلاة التراويح قدرا من كتب الحديث والرجال واللغة، كالبخارى ومسلم، والإصابة، والنهاية ، ولسان العرب . وقد نعمت بلقاء الأب والابن ، وأشهد أنى لم أر مثله ابنا هو سر أبيه وصورة كاملة له .

وإلى جانب هذه البيئة الخاصة تفتحت أمامه آفاق شتى ، واتصل بالحركات الثقافية فى العالم الإسلامى عامة ، وفى شمال إفريقية خاصة ، ولم يفته أن ينهل من حياض الثقافة الغربية . رحل إلى فرنسا لأول مرة وهو فى سن السابعة عشرة ، وكان لهذه الرحلة أثر كبير فى نفسه ، ثم توالت رحلاته إلى أوربا وبعض بلاد الشرق الأدنى . واشترك فى عدد غير قليل من الندوات والمؤتمرات ، ودعى للتدريس فى كثير من المعاهد والجامعات وأسهم فى عدة هيئات ، كالرابطة الإسلامية بمكة ، والجامعة الإسلامية بالمدينة ، وجمعية الجامعات الإسلامية بفاس . واختير عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٦١ ، وعضوا بمجمع البحوث الإسلامية فى العام التالى .

وللقاهرة فى نفسه منزلة خاصة ، يحن إليها عن بعد ، ويطيب له المقام فيها عن قرب . يتتبع نشاطها الثقافى ، ويجد فى لقاءاتها الفكرية متاعا لايعادله متاع . ولا أزال أذكره ، وهو واقف بيننا فى العام الماضى يقول : «حياك الله يا أرض الكنانة ، وبارك لك فى هذا الجارى من صعيدك إلى شطك ، يتدفق خيرا ، ويترقرق ريا ، ويتألق نورا ، ويترفع طهرا وصفاء . وهل يجد أليف عهدك – يامصر – خيرا من نيلك السعيد ، يحييك به ، وهو الذى تحيين به أنت كل وافد عليك ، كما كان آل جفنة ، فيما شهد حسان ، يسقون قاصديهم : بردى يصفق بالرحيق السلسل . فهذه تحيتك – يامصر – تعود إليك ، لانجد أحسن منها حتى نحييك بها » .

اضطلع الفاضل بالإفتاء والقضاء ، إلى جانب عمله فى الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ، وكان التدريس أحب إلى نفسه . حاضر فى القرية كما حاضر فى المدينة وخطب فى العامة كما خطب فى الخاصة ، وكان محببا إلى طلبته ومستمعيه ، يحرصون على حضور درسه ، ويسارعون إلى استماع خطبه ومحاضراته . وجل مانشر من مؤلفاته ، إنما هو مجموعة دروس ومحاضرات ألقاها ، أو بحوث أعدها لندوة أو مؤتمر . فدعى عام ١٩٥٥ إلى معهد الدراسات العربية العليا

بالقاهرة ، وألقى سلسلة من المحاضرات أخرجت فى كتاب كبير تحت عنوان : « الحركة الأدبية والفكرية بتونس » ونشر له مجمع البحوث الإسلامية أخيرا بحثا قيما : « فى التفسير ورجاله » . وله فى مجلة مجمعكم ومجموعات محاضراته بحوث لها وزنها وقيمتها ولو تخفف من بعض أعبائه ومُدّ فى أجله لغذى المكتبة العربية بغذاء أوفر . وله دراسات بالفرنسية قدمها فى بعض المؤتمرات الدولية . ويغلب على الظن أن له مخلفات لم تنشر بعد ، ونعتقد أن أصدقاءه وتلاميذه لن يترددوا فى إخراجها إلى النور ، كى يفيد منها القراء والباحثون .

* * *

هذه فى إيجاز هى حياة الفقيد التى كانت ملأى بالنشاط والعمل ، غنية على قصرها بالدرس والبحث . ونود أن نقف عند ثلاثة فقط من جوانبها :

(١) الفاضل ابن عاشور مؤرخ الفكر الإسلامى :

فى وسعنا أن نقرر أن تاريخ الدراسات الإسلامية على اختلافها لم ينل بعد حظه ، ولم يكتب كتابة دقيقة مستوعبة ؛ فلم يكشف عن أصولها ، ولم تتضح مراحل نموها وتطورها ولم تعرف آثارها فى الحركات الفكرية الأخرى ، ولم تبين أسباب جمودها وتخلفها . ولاتزال فى ذلك كله عالة بوجه خاص على ابن خلدون فى « مقدمته » ، وقنعنا فى الغالب بالصورة الأخيرة التى وصلت إلينا .

وقد أحس بهذا النقص فقيدنا ، كما أحس به معاصرون آخرون ، ومكنته ثقافته الواسعة من تدارك شئ منه . ومن أوضح ماحاوله فى هذا الباب مؤلفه الذى أشرنا إليه من قبل « فى التفسير ورجاله » والذى ظهر بعد موته بقليل ، ويقع فى نحو ١٨٠ صفحة من القطع الصغير .

ويعالج هذا المؤلف تاريخ علم التفسير منذ نشأته إلى اليوم ، من ابن عباس إلى محمد عبده و « تفسير المنار » ، ويوضح مناهج التفسير المختلفة من أخذ بالمأثور ، أو بالنظر والمعقول ، أو من جمع بينهما ، ويربط التفسير بموضوع إعجاز القرآن الذى كان له شأن فى نمو هذا العلم وتنوع أبحاثه وطرائقه ، وفسر هذا الإعجاز على صور شتى ، فقيل بالإعجاز الغيبى ، والإعجاز العلمى . والإعجاز البلاغى ، ويعرف المؤلف بكبار المفسرين وأهم كتبهم فى المراحل المتلاحقة ، ويقف طويلا عند بعض الأعلام ، كالطبرى والزمخشرى والرازى والبيضاوى بين القدامى ، وكالألوسى ومحمد عبده بين المحدثين . وله فى كل هذا ملاحظات دقيقة ومقارنات شائقة .

ويمكن أن يضاف إلى هذا بحثان آخران لايخلوان — على قصرهما — من جدة وطرافة ، وهما : أولا : « الاجتهاد ، ماضيه وحاضره » وقد ألقى فى المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية ، ويستعرض فيه باختصار الأدوار

التى مر بها الاجتهاد والتشريع الإسلامى منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا . فيشير إلى كبار المجتهدين من الصحابة والتابعين ، وإلى نشأة المذاهب الفقهية الكبرى ويعرض لاختلاف المجتهدين ، باختلاف طبائعهم وميولهم ، ومدى تفهمهم للنصوص من كتاب أو سنة ، وتباين العادات والتقاليد من بلد إلى آخر . وقد عرف من قديم تسامح ابن عباس وتشدد عبد الله بن عمر ، واختلاف تشريع المدينة عن تشريع العراق والشام ومصر . ويلاحظ فقيدنا بحق أن المشرعين من الصحابة والتابعين ورجال القرنين الثانى والثالث للهجرة كانوا أكثر منا طلاقة وحرية فى قياس الأشباه والنظائر واستنباط الأحكام الشرعية . ويوم أن استكملت المدارس الفقهية بحوثها ، واستقرت أصولها وفروعها ؛ قنع أتباع كل مدرسة بالأخذ عنها ، وضاق منذ القرن الرابع مجال الاجتهاد والاستنباط فى التشريع ، وذهب إمام الحرمين فى القرن الخامس إلى أن ليس ثمة موضوع لم يعرض له الفقهاءالسابقون . وتنوسى الاجتهاد أو كاد ينسى ، واستمسك العامة والخاصة بالتقليد ، الأمر الذى لم يرق ابن تيمية ولا تلميذه ابن قيم الجوزية فى القرن الثامن ، ورفضا معا تقليد المذاهب الأربعة ، ودعوا إلى الرجوع إلى ماكان عليه السلف . وظهرت فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر بوادر دعوة إلى شئ من التحرر على أيدى الدهلوى فى الهند والشوكانى فى اليمن ، وعززها الأستاذ الإمام فى القرن الرابع عشر ، وترتبت عليها اتجاهات عملية تختار من المذاهب السابقة أنسبها للظروف الحاضرة . ولاشك فى أن العالم الإسلامى كان عرضة منذ القرن الماضى لاعتبارات وأوضاع جديدة لم يعرفها السلف ، ولابد من مواجهتها بتشريع واجتهاد طليق على نحوماصنع الأوائل ولم يكن الاجتهاد فى التشريع منذ بدأ من عمل العامة والدهماء ، وإنما اضطلع به الخاصة ، بل خاصة الخاصة ، وحبذا لو تكوّن — كما يرى الأستاذ الكبير الطاهر ابن عاشور والد الفقيد — مجلس إسلامى يضم كبار فقهاء المسلمين فى العالم أجمع لمواجهة التطورات الحديثة ، وما أشبه هذا المجلس بمجمع البحوث الإسلامية فى مصر .

وأما البحث الثانى فيدور حول « السند التونسى فى متن اللغة » ، وقد نشر فى الجزء التاسع عشر من مجلة المجمع — وفيه عرض شامل للدراسات اللغوية وشيوخها فى الأندلس وشمال إفريقية من القرن الرابع إلى آخر القرن الثامن الهجرى ، ثم انتقل السند إلى مصر ، وتلقاه ابن حجر والسيوطى والمرتضى الزبيدى . ويشهد هذا البحث مرة أخرى على مدى تمكن الفقيد من تاريخ الثقافة العربية فى نواحيها المختلفة ، وعلى مدى معرفته لكبار الرجال ، إن فى الفقه ، أو فى الأدب أو فى اللغة .

(٢) الفاضل ابن عاشور المجمعى :

لاترجع صلة فقيدنا بمجمع اللغة العربية إلى عام ١٩٦١ فحسب ، يوم أن اختير لعضويته العاملة ، بل تصعد إلى أبعد من ذلك —

فقد كان يتتبع نشاطه منذ إنشائه ، وكان يعتز باشتراك عضوين عاملين فيه كانا من أحب الناس إليه ، وهما الخضر حسين ، وحسن حسنى عبد الوهاب ، واشتراك والده أطال الله بقاءه ، فى بحوثه وأعماله بالمراسلة . وكان يعتز أيضا بشيوخ المجمع الآخرين من عرب ومصريين ، ويقدر ما انتهوا إليه من اقتراحات وقرارات ترمى إلى تطويع اللغة لحاجات العصر ومقتضيات العلم والحضارة الحديثة . كان يؤمن بهذه الرسالة إيمانا جازما قبل أن يدخل المجمع ، ويوم أن دخله لم يتردد فى أن يسهم فيها بكل ماوسعه من علم وخبرة . ولقد قضى معنا عشر سنوات كاملة كلها خصب وإنتاج ، ولم يتخلف عن مؤتمر من مؤتمراتنا إلا لضرورة قاهرة . وأخذ الكلمة فى افتتاح مؤتمر الدورة الثلاثين والدورة السادسة والثلاثين ، وأبن فقيد تونس الكبير الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب فى الدورة الخامسة والثلاثين . وغذى المجلة ببحث قيم سبق أن أشرنا إليه ، وقدم للمؤتمر بحثين هامين فى الدورة الثلاثين والدورة الرابعة والثلاثين ، أولهما : « تحرير أفعل التفضيل من ربقة قياس نحوى فاسد » ، والثانى : « المصطلح الفقهى فى المذهب المالكى » . ولن نقف عند ملاحظاته الدقيقة وتعليقاته النافعة على بحوث وموضاعات عرضت فى المؤتمرات الماضية ، ويكفينا أن ننوه بهاتين الدراستين .

فأما الدراسة الأولى فوليدة تجربة لرجل عاش مع القواعد النحوية والصرفية زمنا غير قصير ، ولمس مافيها من أقيسة جاوزت الحد ، واستنتاجات لم تبن على تحر تام للاستعمال القديم ، لاسيما لدى البصريين المحدثين . ورأى أن فيها « مجالا للنظر ، وأن من الخير أن نقللها ، وأن نتحرر من وثاقها ما أمكن توسيعا للغة ، وتيسيرا على طلابها » . ومن أوضح الأمثلة على ذلك أفعل التفضيل وهو من التصاريف التى تتجلى فيها عبقرية العربية ، ويشيع استعماله اليوم لتقدير النسب وضبط القيم ، وتفضيل صفة أو أمر على آخر . ولكن النحاة ضيقوا أوزانه ، وأثقلوه بشروط كثيرة تعقد استعماله . وفى بحث جاد عميق حاول الفاضل ابن عاشور أن يفك هذه القيود ، وأن يبين مافى هذه الشروط من تزيد وتعسف . وقد استقبل المجمعيون بحثه بحماس وتقدير بالغين ، وقضت لجنة الأصول بالمجمع فى نظره زمنا طويلا ، وعقبت عليه بدراسات أخرى متعددة . وانتهت إلى الأخذ بكثير مما قال به من تيسير أمر هذه الصيغة ، وتمكين الناس من استعمالها فى طلاقة . وعنده أن باب الاجتهاد مفتوح فى النحو كما هو مفتوح فى التشريع ، وعلينا أن نيسر قواعده ، للدراسين والباحثين ، لأن اللغة ملك أبناء العروبة جميعا ، ونحن نريد بهم أن ينطقوها ويكتبوها فى يسر . وقد كان الفقيد ينوى أن يتقدم إلى المجمع بوسائل لتعلم النحو بطريقة تضمن تطهير العربية من اللحن ، ولاشك فى أن هذا أملنا جميعا وغايتنا ، المنشودة .

وأما الدراسة الثانية فبيان لنشأة المصطلح الفقهى فى الإسلام ، وأنه ضرب من الوضع أدى إلى تكوين مجموعات من الحقائق العرفية التى تتميز من الحقائق اللغوية — وتعرض الفقيد لتاريخ المصطلح الفقهى فى المذهب المالكى ، مبينا أنه نشأ فى القرن الثانى على أيدى مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، ووريث الحركة الفقهية النشيطة بالمدينة فى عهد الصحابة والتابعين : وقد عرف بمتانة السليقة وقوة الارتجال . وفى « الموطأ » قدر لا بأس به من هذه المصطلحات توارثه تلاميذ مالك من بعده ، وغذوه وصقلوه . ثم أخذ المذهب المالكى ينتشر فى أقطار مختلفة ، مما أدى إلى اتساع لغة التعبير الفقهى وتنوعها وفى القرن الثالث وضع سحنون « المدونة » التى تشتمل على أربعين ألف مسألة ، وتعد الموسوعة الأولى فى الفقه المالكى ، فزادت المصطلح وضوحا وضبطا ودقة . وجاء أبو زيد القيروانى ، فوضع فى القرن الرابع عدة كتب ساعدت على الضبط والتحديد ، ولخص « المدونة » ، ففتح باب الملخصات التى شاعت فى القرون التالية . ومن أهمها ما صنعه فقهاء مصر المالكيون كابن الحاجب والقرافى فى القرن السابع ، وخليل فى القرن الثامن : ولم يقنع هؤلاء الفقهاء بوضع المصطلحات ، بل عرفوها وجهدوا ماوسعهم فى ضبط هذه التعريفات ، وانضم إلى هذا كتب القضاء والأحكام ، والتوثيق والفتوى ، التى طبقت المصطلحات النظرية تطبيقا عمليا .

وتوافر بهذا ثروة لغوية فقهية أفاد منها أساتذة الحقوق وعلماء القانون فى العصر الحاضر ؛ وعليها عولوا فيما ترجموا وألفوا . ويذهب الفاضل إلى أن للفقه المالكى خاصة شأنا فيما ترجم من كتب القانون من الفرنسية وإليها بشمال إفريقية فى المائة سنة الأخيرة .

ولا نزاع فى أن الفقه كان أسبق الدراسات الإسلامية إلى تكوين لغته الخاصة ، وعنها أخذت دراسات إسلامية أخرى نشأت معه أو ظهرت بعده ، وقد لوحظ أن فى النحو والمنطق مثلا ألفاظا يمكن ردها إلى المصطلح الفقهى . وحبذا لو عولج على هذا النحو المصطلح الفقهى فى المذاهب الأخرى ، وجمع فى قوائم ثابتة ، وتتبع تطوره فى المراحل المتعاقبة . ففى ذلك ما يعين على ربط المصطلحات الفقهية بعضها ببعض ، وما يمكن من إحياء ما ينبغى إحياؤه منها .

(٣) الفاضل ابن عاشور أحد رواد الإصلاح والتجديد :

وختاما لا بد لنا أن نقول كلمة عن الفاضل ابن عاشور المصلح ، ودعوة الإصلاح فى تونس قديمة العهد ؛ تصعد إلى أخريات القرن الماضى ، وتحذو حذو حركات النهوض فى العالم الإسلامى ، وفى مصر خاصة ، تتصل بجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وجمعية العروة الوثقى ، وكان لهذه الجمعية فرع فى تونس ، يتلقى صحيفتها ويروج دعوتها وعلى رأسه الشيخ محمد السنوسى الذى طوف

بالبلاد الإسلامية ، واتصل بكبار مفكريها ، وعد عنوانا لعصره فى الدعوة إلى النهوض والتجديد ، وكان على علاقة مستمرة بالأستاذ الإمام . ويوم أن عطلت جريدة العروة الوثقى سافر محمد عبده إلى تونس عام ١٨٨٤ وأقام نحو أربعين يوما لقى فيها أعضاء العروة الوثقى من التونسيين ، وتبادل الحديث معهم فى شئون الإصلاح الدينى والاجتماعى ، وكان لزيارته أثر كبير ، وما إن سافر إلى بيروت حتى أخذت سلطات الاحتلال تنكل بأنصاره ، وبخاصة السنوسى .

وقد تهدأ دعوات الإصلاح أحيانا لكى تتفادى العاطفة ، ثم لا تلبث أن تستأنف نشاطها . وفى عام ١٨٩٦ أنشئت الجمعية الخلدونية على هدى من تعاليم الأستاذ الإمام : لنشر العلوم العصرية باللغة العربية من جغرافيا وتاريخ واقتصاد ، وعلوم طبيعية ورياضية . وأقبل عليها طلاب الزيتونة ، ورغبوا فى أن يمتد هذا التعليم إلى معهدهم ، واستجاب المسئولون لذلك . وأخذت حركة الإصلاح تقوى وتشتد ، متأسية بما كان يجرى فى مصر على أيدى محمد عبده وما كان ينشر فى « مجلة المنار » . وغذاها فى أول هذا القرن شاب من طلبة الزيتونة والخلدونية ، غريب الشكل والنزعة والمنطق والقلم ، هو عبد العزيز الثعالبى . عاش فى مصر زمنا ، ثم عاد إلى تونس يردد أفكار جمال الدين ومحمد عبده ، ويدعو إلى فهم الدين والوجود . وفى هذا كله ما دفع محمد عبده إلى أن يزور تونس مرة أخرى فى عام ١٩٠٣ ، قبل وفاته بعامين ، واهتزت لزيارته أندية العلم والأدب ، والتف حوله رجال الإصلاح ، ومن بينهم شاب فى الرابعة والعشرين هو الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور والد الفقيد ، أطال الله بقاءه ، وكان من أبرز مدرسى الزيتونة ، شبابا وذكاء ، وعلما وأدبا ، وعده الأستاذ الإمام سفير دعوته فى الزيتونة .

فى هذا الجو نشأ الفاضل ابن عاشور ، وربى فى بيت من بيوت شيوخ الإسلام ودعاة الإصلاح ، وكان طبيعيا أن يسير فى ركب أبيه . وفى سن العشرين أخذ يتصل بحركات الإصلاح ، فانغمس فى العمل بالجمعية الخيرية ، وارتبط بالجمعية الخلدونية ، وبدأ يحاضر فيها إلى جانب الشيوخ الكبار . واتصل أيضا بجمعية قدماء الصادقية ، وهى دعامة جديدة من دعائم الإصلاح فى تونس ، ربى أعضاؤها على أساس من الثقافة الفرنسية ، ولكنهم ما لبثوا أن مزجوها بالثقافة العربية ، وتلاقوا مع الخلدونيين فى الدعوة إلى الإصلاح . ولقد كان الفاضل مؤمنا بالحضارة الإسلامية الإيمان كله ، يراها حضارة تعتد بالإنسان كل الاعتداد ، وتقوم على دعامة روحية دون أن تهمل شأن المادة . وكان ملما إلماما دقيقا بأسرارها ، ومتفتحا لما فى الحضارة الغربية من جوانب نافعة . وكان همه أن يلائم بين هذين الطرفين وأن يبين أن تعاليم الإسلام لا تتعارض فى شىء مع النهوض الجاد والتقدم السليم . نفذ إلى روح الإسلام ، وأدرك فى وضوح

رسالته الخالدة ، وأخذ ينشرها بلغة العصر ، فقرب المسافة بين القديم والجديد ، وربط الماضى بالحاضر . وحبب إلى الشباب الذين رأوا فى درسه ما تطمئن إليه قلوبهم ، وما تدعو اليه حاجة النهوض والتقدم .

أخذ بما ارتآه الأستاذ الإمام من أن النهوض الحق هو ما قام على دعائم ثقافية سليمة ، فعدل مناهج الدراسة بكلية الشريعة وأصول الدين . وما إن تولى رياسة الجمعية الخلدونية عام ١٩٤٥ ، حتى أنشأ بها معهد البحوث الإسلامية ، ونظم مؤتمر الثقافة الإسلامية عام ١٩٤٩ ، وكان مضرب المثل فى درسه وبحثه ، فى حديثه وكتابته ، لاتكاد تعرض مشكلة من مشاكل الحضارة إلا واجهها مواجهة تامة ، وقدم لها الحلول السليمة ، وجهد ما وسعه فى أن يوفق بين تعاليم الدين ومقتضيات الفكر الحديث . وكان يرى أن الثقافة الإسلامية إن فهمت على وجهها لم يبق محل للاختلاف عليها ، وهى خير وسيلة لجمع كلمة المسلمين وضم شملهم . وقد أنفق جهدا غير قليل فى الدعوة إلى الإخاء والوحدة . وحدة المغرب الكبير ، ووحدة العالم العربى ، بل وحدة المسلمين عامة .

* * *

سيداتى ، سادتى

هذا هو الفاضل ابن عاشور الإنسان الذى أسر القلوب بإنسانيته ، والمسلم الصادق الذى وقف حياته على خدمة الدين ونصرته ، والفقيه الضليع فى فقهه ، واللغوى الحجة فى لغته . فقدناه ، ففقدنا مرشدا حكيما ، عرف كيف يحبب الناس فى دعوته . فقدناه ، ففقدنا طرازا من دعاة النهوض والتجديد الذين ليس من اليسير أن نجد من يخلفهم أو يحل محلهم . بكته تونس ، وبكته معها مصر أحر البكاء ، وبكاه كل من عرفه من أبناء العروبة والإسلام . تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته ، وألهمنا وآله الصبر والسلوان .

## • • قصيدة للأستاذ عزيز أباظة :

ردَع الردى . وهو القوىُّ الرادعُ
للراحلين ، مآثر وصنائعُ

حَتْمٌ على ثَبَجَ الحياة يزيلها
وتزيلها هى ، وهى ذكرٌ ذائعُ

مامات من خلفاؤه حسناته
تزكو عوارفها ، وفضلٌ شائعُ

لهفى على الإنسان . عمرٌ ضيقٌ
ومدار طاقته الجليلُ الواسعُ

مُسْتخلَف هو فى الزمان لِربِّه
وبقاؤه فيه السرابُ الخادعُ

تُرجَى بدائه عَقْله فإذا ذكا
إشراقها ، دهَم الحِمامُ الفاجعُ

سبعونه إن عاشها وهى المدى
تمضى كما ينجابُ برقٌ لامعُ

لو أُنصِف الإنسان أُرْجِئَ يومُه
فترفٌ عنه روائعُ وبدائعُ

لكنها سُنَن الوجود ؛ جمادُه
باق ، وللحى الحِمام مُسارعُ

* * *

المجمعىُّ الثَّبت أدركه الردَى
فى حين يُرجى منه نفعٌ جامعُ

حامَى عن الفصحى ، وذادَ بمنطق
كالصبح لايَقْوى عليه مُقارعُ

وإذا احتبَى ذو الرأى بالإيمان لم
يُرْهبه مخشىٌّ البوادر دارعُ

يا فاضل الفضلاء يابن عشيرة
زان الحِجَى فيها القنوتُ الخاشعُ

آباؤك المرضىُّ عن آلائهـــم
للسالكين وسائلٌ وذرائعُ

للعلم بين صدورهم حَرم وفى
أفنائهم للصالحات مطالـــعُ

خلَّفت مَجْمعك الحزين وأنت فى
أعلامه العلَم الأشَمُّ الفـــارعُ

فى كل معضلة تهيج به ومبـ
ـهمة تناشبه فقولك قاطعُ

تُدلى به مستوثقاً متواضعا
لله ذاك العالمُ المتواضعُ

وإذا خطبتَ فمِصْقَعٌ مترسِّلٌ
لَهجتْ به فى المِدْرهين مصاقعُ

واذا احتشدتَ مُحاضرا أو شارحا
انهلَّ عنك العارضُ المتدافعُ

وإذا سكتَّ فربّ صمتٍ فاصل
فيه الخطاب . وللسكوت مواضعُ

وجمعت بين العلم والآداب فى
نَسَق ، وجَمْعهما العسير الشاسعُ

عِلْم ، وما العلماءُ إلا مِشْعل
للخير هاد ، للضلالة قاشِعُ

أَدَب ، وما الأُدباءُ إلا عَيْلَمٌ
فيه لألوان الجمال مَشارِعُ

لَهْفى على« الزيتونة العظمى» التى
ثكلتك حين مكانُها بك تالعُ

كالروض جانبه الولىُّ الهامعُ
والأُمِّ فارقها الحفىُّ النافعُ

إن زُلْتَ عنها فالأُلى زاملت من
أقطابها عُمُدٌ لها ومراجعُ

الأزهر المعمور توأمها . وعن
صحنيهما انفجر الضياءُ الساطعُ

حِصنان للإسلام ، ذاك بنوره
غازٍ ، وهذا مانع ومدافعُ

بكياك بالدمع الغزير وربما
سالت بحبات القلوب مدامعُ

* * * *

يافاضل الفضلاءِ قد بارحتنا
وبقلبك الريّان همٌّ قابعُ

مما أصاب العرب فى أقدارهم
هامٌ « منكّسة » وخدٌّ ضارعُ

ليست مصارعنا نكال عدونا
سَقَطاتنا حُفَر لنا ومصارع

قُل للعروبة مغربًا ومشارقا
ما ناهضٌ يقظٌ كمن هو هاجعُ

نهج التغلب ليس رَهْوا ؛ إنه
للسالكيه زلازلٌ وزعازعٌ

ما بالوعيد ولا النشيد ولا الشعا
رات الزوائف يُستردُّ الضائعُ

كلا ولا يجدى ابتهالٌ ظاهر
يزجيه دمعاً ساجدٌ أو راكعُ
ندعو لأدنَى الحقِّ يأْسُو جرحنا
دولاً ، وفينا الحق أعسر ظالع
ونهيب بالدنيا لتدعمَ حقنا
وحقوق أكثرنا الغداةَ ضوائع
والحق وهو الحق ليس بقائم
مالم يسانده الجهادُ القامعُ
ما وَحْدة بين الصفوف مفيدة
حين الدخائل للخلاف نوازعُ
والكَرْه إن ندخله فى عَدد وفى
عُدَد ولم نُخْلص ، فجهدٌ خائعُ
أقسمت إن صفت النفوس وسالمت
ذلَّ المواثبُ واستكان الطامعُ
قد آن أن نئد «الأنا» فإذا امَّحت
كشف الظلام لنا النهارُ الماتعُ

* * *

يافاضل الفضلاء إن كرائم السـ
ـقم استبد بها العداةُ الجائعُ
فسدت موازين الشباب فلم نعد
ندرى ، أيافعةٌ مشت أم يافعُ
وانتابت الأدبَ المقدَّس محنة
فإذا خمائله الوسام دوامعُ
ومسممين بكل ضغن واغر
طُويت عليه سَرائر وأضالعُ
ومَذاهب ، رجْسُ الوجود وشَرُّه
متراكبٌ فى روحها متدافعُ
ثاروا على المأْثور مما أبدعت
حِقَبٌ لعُلْوىِّ البيان جوامعُ
قالوا : نجدِّد ، قلت : فى عبث وما
العبث المهوَّس نافع أو شافعُ
فالقصة انتُزعت بَدَائهُ عقلها
منها ، فسِيقت وهى هَذْر خالعُ
والشِّعر رُوِّعَ أيكُه وكأنما
زحمت بلابله عليه ضفادعُ
والرسم أرعن ، كل خطوة ريشة
هاذٍ يُمجمج وَهْمَه ويتابعُ
وهوًى بموسيقى الجمال وسحرها
صخَبٌ إذا ينقضُّ قلتَ : قعاقعُ
الخطب فيك تموج فى أسدافه
لغة ألحَّ خصومُها وتشايعوا

زحفوا على أَقداسها وتراثها
ولهم من الإحن العِمَاق دوافعُ

قالوا : لقد عجَز الفصيح فبات لا
يقوى على استيعاب ماهو واقعُ

كذَبوا على عِلم بأَن كذبوا فما
أُمُّ اللغى إلا الخضم الواســعُ

وسعت حضارةَ كل عصر فاحتوى
آفاقَ فكرته الفصيحُ الناصعُ

ولقد نظرتَ إلى جديدهم الذى
صُكَّت به فى المشرقين مسامعُ

فإذا بأَكثره المهيض جناحــه
إما المسِفُّ أو الهُذاءُ الصـادعُ

ولعل سائغه هو المنشقُّ فى
قصد ، ومن بعض الأَصالة نابعُ

لن تُرزأَ الفصحى ، فحافظها على
شفة الدنا الذِّكْرُ الحكيم الجامعُ

* * * *

يا تونس الخضراء عشت منيفةً
للسؤدد المكسوب فيك مَراتعُ

ولكل باذخ عزة موسومة
بالعتق فيك مَشارفٌ ومطَالــعُ

وعلى ثراك الطهر كم خلب الرُّبى
شادٍ ، وكم هز الخمائلَ ساجعُ

ياتونس الخضراء أَمسك إن يذق
عنتا ، فحاضرك الكريم الرائعُ

يهنيك أَنك أُمُّ شعب ناهض
حـــــر يسدده رئيسٌ بارعُ

قل «للحبيب أَبى رقيبة» :دمت قوّ
امَ البلاد لك المقــام الفارعُ

فاسلم وأَتمم مابنيت موفَّقاً
والله داعمُ ما بنيت ورافعُ

* * * *

يافاضل الفضلا إلى أَن نلتقى
يهفو إليك وفاؤنا ويطالــعُ

هذا مُصابك إنْ أَلمَّ بتونس
فأَمضَّ ، فهو على العروبة واقعُ

ليس المعزّى والدٌ لك كابرٌ
إن المعزى فيك عصر جازعُ

فاذهب فإن العلم والأَدب الذى
أَصَّلْتَ ؛ يُتْمُهما بفقدك لاذعُ

واذهب كما مال الهداة فإن همو
ذهبوا ؛ فنورهم المقيم الساطعُ

## ● ● كلمة الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

معالى الرئيس الجليل

سعادة الأمين العام المبجل

حضرات السادة العلماء الكرام أعضاء المجمع الموقر

سيداتى سادتى

فى هذه المناسبة الشاجية الجليلة التى يتناول فيها القول علمان من أعلام المجمع وعميدان من عمداء الفكر واللغة ، ما كان يحسن بى وأنا السكيت أن أقتحم هذا الميدان فأشارك بالكلام أو أساجل الفرسان . هذا إلى أن الأشجان الثائرة والأحزان المتجددة فى النفس تعوق مثلى عن القول فى هذا الموقف ، غير أن اقتراح العالمين الجليلين ، والأستاذين الكريمين : الدكتور إبراهيم مدكور ، والشيخ محمد بهجة الأثرى ، اللذين اعتبرانى من أسرة الفقيد لما يعلمان من صلتى بالمغفور له شيخى وأستاذى سيدى محمد الفاضل ابن عاشور قدس الله ثراه – حملنى على استجابة الطلبة فى الإسهام بكلمة فى هذا الحفل الخاشع . واعتقادى أنها لا تفى بحق الراحل الكريم وإنما هى دمعة محزون أرجو أن يكتبنى الله بها من الأوفياء المخلصين ، وأطمع أن يجعلها منى عرفانا للجميل الذى أسبغه على الفقيد وطوقنى به من ثلاثين عاما خلت من جوان ( يونيو ) ١٩٤١ إلى أن تقبله الله راضيا مرضيا .

فقد أنعم الله على بصحبته وخالص محبته ولزمته ثلاثة عقود من عمره المبارك كنت فيها أترقى فى اتصالى به وتعاونى معه من منزلة إلى أخرى ، حتى كتب لى فى إجازته إياى فى العلوم الشرعية واللغوية قائلا : « فلم نزل فى تقارب واتصال وتعاون على جلائل الأعمال حتى أصبحت مودته عندى علقاً كامل النفاسة ، وبنوته لى مصداق بيت الحماسة :

نحن بنى نهشل لا ندعى لأب

عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

فلقد كان لى شيخا ومربيا وأبا ، وأفادنى الاتصال به والملازمة له علما ورأيا وجميل أخلاق وصفات ، وواسع معرفة وباهر محاضرات ، أدعو الله أن يفرغ عليه من شآبيب الرحمة ويجزيه عنى وعن أمثالى الجزاء الأوفى ويوفر لنا مما ابتلانا به فيه أجرا .

حضرات الأساتذة

أيها السادة

انتسب الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور الحسنى الأشعرى المالكى التونسى المغربى الأندلسى إلى مجمعكم هذا الموقر من سنة ١٩٦١ فتسنى لكل من عرفه أو خالطه خلال ما بين

حفل استقباله وتكريمه بالأمس ، وحفل توديعه وتأبينه اليوم ، أن يلمس فى فقيدنا الراحل قيما وصفات ويتبين منه مواقف وكمالات ، كان اجتماعها فيه عنوانا دالا عليه وتحديدا كاملا لشخصيته .

ولو أننا عمدنا فى استعراض سريع إلى الإيماء إلى جوانب هذه الشخصية لألفيناها تنطق حضارة وأدبا ،وتفيض معرفة وعلما وتسمو تقى ودينا .

أول ما يطالعك من الشيخ الفاضل أخلاقه الفاضلة . كان رحمه الله حسن الأخلاق ، موطأ الأكناف كريم المعاشرة ، جم أدب النفس مع رقة حاشية ،وجميل ذوق ،وفرط ذكاء وحسن تقدير للأمور .

اقتبس ذلك من بيئته النبيلة الراقية ، بيت العلم والشرف والمجد والوزارة ، ومن والده المعظم شيخنا محمد الطاهر ابن عاشور أطال الله عمره وبارك فى حياته العامرة بجلائل الأعمال وكريم الخلال ، ثم من تلك الأوساط الكريمة الفاضلة التى كان لها اتصال بأسرته ، ومن العلماء والأشراف أصحاب المجادة والرئاسة الذين كانوا يترددون على والده يفدون عليه من كل صوب وبلد،وتشدهم به أواصر القربى أو تربطهم به علاقات الإخاء والمودة . فكان بحكم هذه البيئة ناشئا فى وسط راق رائق ، توفرت له به أسباب المعرفة الغزيرة والخلق الرضى مع أذواق حضرية ممتازة . وهو إلى ما عكف عليه فى البيت فى سنى الطفولة من حفظ للقرآن الكريم وتلق للعقيدة الصافية ،وتأدب بالسنة النبوية الشريفة ، واستظهار لأهم المتون فى علوم الوسائل والمقاصد ، قد شدا اللغة الفرنسية وآدابها وتعلق بالتاريخ الإنسانى الحضرى والفكرى ، ووجد من مطالعاته قبل دخوله إلى الجامع الأعظم «جامع الزيتونة » — عمره الله — أول مدرسة خارج البيت انتسب إليها ، ما نمى مداركه وصقل مواهبه ،وهيأه تهيئة كاملة للأخذ بأسباب المعرفة الدقيقة والعلم المتين .

وقد كان اتصاله بوالده وأستاذه خارج حلقات الدروس مستمراً دائماً طول حياته سفراً وحضراً إلى أن لقى ربه . وكانت له من ارتباطه وامتزاجه به منزلة مزدوجة من البنوة والصحبة ،شاهدنا آثارها المباركة الزكية فيما كان عليه الفقيد من كمال التخرج فى الناحيتين العلمية والسلوكية ؛وفيما كان يتحلى به رضى الله عنه من أخلاق النبوة .

ويظاهر هذا الجانب الخلقى فى شخصية الراحل الكريم جانب آخر عظيم عرفه الخاصة والعامة فيه ؛هو غزارة علمه واتساع ثقافته وصحة مداركه وسداد رأيه .

ومرد هذا أولا — كما ألمعنا إلى ذلك عند الحديث عن ظروف نشأته — إلى حسن تكوينه ، غير أن الأدب البيتى والتكوين فى المدرسة الأولى المنزلية لايغنيان عن استفراغ الوسع فى طلب العلم والتبحر فيه . لذلك رأينا

الشاب محمدا الفاضل ابن عاشور يدخل الجامع الأعظم ويجلس إلى حلقاته يأخذ عن أعلام البحث والدرس وأساطين الفقه واللغة أمثال والده، والعالمين الجليلين المرحومين شيخ الإسلام محمد بن يوسف والمحقق النابغة الشيخ محمد النخلي، ثم إمام الأدب ورجل الفكر الضليع المتميز المرحوم الشيخ محمد مناشو ، فهناك توفر الطالب الشاب على دراسة علوم المنقول والمعقول ، منكبا على المصادر والتصانيف الهامة فى العلوم الشرعية ، يذاكر فى علوم القرآن ، والتفسير والحديث والفقه والأصول والكلام ومقاصد الشريعة والتصوف ، ويقرأ ويدرس بغاية الإمعان والتعمق كتب اللغة وعلوم العربية وأسرارها ، متنقلا من ذلك إلى مطالعات شتى فى دواوين الأدب وشروحه ، يحفظ ما يطيب له منها ويختار ، من خطب وأشعار ، ويتولى مع بعض زملائه من أعلام النهضة الأدبية أمثال الشيخ المرحوم الراوية محمد العربى الكبادى دراسة أمهات كتب الأدب ، من مشرقية كالكامل لأبى العباس المبرد ، ومغربية كنفح الطيب لأبى العباس المقرى .

وقد كان رحمه الله إلى جانب هذا التخرج المكين فى العلوم الإسلامية الشرعية واللغوية والأدبية — استظهارا لأصولها وقوانينها ، وحذقا لموضوعاتها وفنونها ؛ وغوصا على كتبها ومعاقدها ، وفهما لقضاياها ومشاكلها — يحضر دروس التعريب والنقل بالمدرسة العليا للآداب العربية ، ويغشى مجالس العلماء وندوات الفكر ، ويشهد المحاضرات التاريخية والأدبية ونحوها بالجمعية الخلدونية وجمعية قدماء الصادقية . ولا يسمع بكتاب قيم جديد ينشر باللغتين العربية أو الفرنسية إلا أسرع إلى اقتنائه وألم بما فيه شكلا ومضمونا . وتولد له من كل ذلك شغف بالمعرفة جعله ينقب عن المخطوطات النفيسة النادرة متأسيا فى هذا بأ ... ه وقدوته وشيخه : والده . فأحاط بالتراث الإسلامى إحاطة كاملة ، وألم بقضايا العلم ، مكتملا لعناصره ، جامعا لمقوماته ، وعاش وسطه الفكرى والثقافى منتبها إلى كل ما يجرى به من التيارات ، مشاركا فيما يحدث به من هزات وتطورات .

فلا بدع بعد ذلك إذا تميز على معاصريه من بنى جلدته ذكاء وعلما وإدراكا ورأيا . فقد اجتمع له ما تفرق فى غيره ، وكان لنا منه وبه العالم الفرد الذى جمع بين أصالة التكوين وغزارة العلم وسعة المعرفة بالمصادر والكتب ، وبين الدقة فى النظر والإتقان للأساليب العلمية والأخذ بالطرق المنهجية فى الدراسة والبحث .

عرفنا ذلك وعرفه كل من تخرج عليه أو اتصل به فى دروسه وتقريراته ، وإنى ما أزال أذكر الدرس الأول الذى حضرته له سنة ١٩٤٢ وهو يشرح لنا صدر الرسالة الجدية لابن زيدون ، فإن نبرات صوته من ذلك اليوم ماتزال ترن تملأ مسمعى : وتوالت الدروس والتقريرات من شيخنا العلامة البحر ، كما اصطلح الناس بتونس على تلقيبه ، فى اللغة وآدابها ، والقرآن وتفسيره ، والعقائد وأحكامها والفرق

واختلافاتها، وشتى الفنون الأخرى، كالمقاصد الشرعية وتاريخ التشريع وتاريخ الأديان ونحوها، ولم أكن أومن أن واحدا من الناس يستطيع أن يدرس كل فن من فنون العلم الشرعية واللغوية، فيجمع بين مختلف الاختصاصات، ويكون في كل نوع إماما حتى حضرت دروسه وشهدت مجالسه. فهو اللغوي الأديب العالم الفقيه الأصولي المتكلم المؤرخ النضار المتقطع النظير غير منازع.

وقد سمت به همته رحمه الله رحمة واسعة إلى أن يضيف إلى نشاطه العلمي التدريسي هذا عملا آخر عظيم النفع كبير الجدوى فكان بعد انتخابه رئيسا للجمعية الخلدونية سنة ١٩٤٥ مؤسسا لحلقات من التعليم الثانوي العصري أراد بها استكمال مناهج التدريس لطلبة الجامع الأعظم. وهكذا لأول مرة بتونس درست بتوجيهه وإشرافه كل الفنون الطبيعية والرياضية باللغة العربية. وانتدب لها أساتذة كثيرين من ذوي الاختصاص في هذه المواد، كانوا وهم من أبناء لغة الضاد لا يؤمنون بحكم تخرجهم بالمعاهد الأوروبية أن لغتهم الأصلية العربية تستطيع أن تضطلع بهذه المهمة أو تقوم بهذه الرسالة. وبفضل حرصه وعنايته مضوا في السبيل التي خطها لهم، ونجحوا في القيام بوظيفتهم، وتوجوا دروسهم بامتحانات أجروها على تلامذتهم في نهاية دراساتهم، كان بها حصول الكثيرين من هؤلاء على شهادة الباكالوريا العربية التي وقعت معادلتها بالتوجيهية، وأذن لأصحابها بفضل سعي شيخنا الحثيث بالالتحاق بكليات الآداب والعلوم في المشرق العربي والبلاد الغربية أين تخرجوا نهائيا بمصر وسوريا وإنجلترا، في التاريخ والجغرافيا والآداب واللغات الأجنبية والعلمين الرياضي والطبيعي.

وبعد أن ركز التعليم الثانوي العربي العصري بهذا المشروع، ولقي ما لقي من عنت الإدارة ومدير التعليم العمومي الفرنسي، أسس اللجنة القومية للتعليم في تونس وتولى رئاستها.

وأضاف إلى هذا العمل الثقافي البناء تأسيس معهدين عاليين بالجمعية الخلدونية: هما معهد الحقوق العربي ومعهد البحوث الإسلامية. وقد كانت محاضرات شيخنا الجليل رحمه الله في معهد البحوث الإسلامية محور نشاطه وحركة الدفع وسند التوجيه به.

كانت له طوال أربع سنوات محاضرتان في كل أسبوع، إحداهما مساء الاثنين وثانيتها مساء الأربعاء، وكان فيها كعادته المحلى والأسوة. تشهد هذه المحاضرات الجموع الغفيرة وتكتظ بها قاعة المكتبة بالجمعية الخلدونية والمسالك المؤدية إليها. وكانت محاضراته ارتجالا لا تزيد ولا تنقص الواحدة منها عن الساعتين إلقاء.

ومن على منبر معهد البحوث الإسلامية بالجمعية الخلدونية حلل الراحل الكريم آراءه السياسية وأفكاره الإصلاحية وتوجه بدعوته الإسلامية. فصور للحضور ومن وراءهم من الناس حقيقة الجامعة الإسلامية متناولا على التوالى والترتيب حسب المخطط الذى رسمه لنفسه والمنهج الذى أعده لمحاضراته خلال تلك الفترة القصيرة الثرية الوحدات الأربعة عمد تلك الجامعة: وهى الوحدة العربية والوحدة الإيرانية والوحدة الطورانية والوحدة الهندية، وهكذا تعرض إليها واحدة واحده بالدرس والتحليل لعناصرها الكثيرة والمقومات المختلفة المتنوعة بها. وهو مع ذلك لا يفتأ يتتبع أحداثها ويساير تطوراتها ويقدم البيانات عن الحركات القومية والتحريرية بها، مبشراً بالصباح الجديد والعهد السعيد.

هذا وقد رتب للمعهدين العالين شهادات تتوج الدراسة بها.

وعقد سنة ١٩٤٧ مؤتمراً للبحوث الإسلامية بتونس دعا له الدارسين والباحثين من مختلف البلاد العربية والإسلامية

وقد عرف العلامة الفقيد الراحل فى مؤتمرات علمية كثيرة أخرى، من بينها مؤتمرات المستشرقين ومؤتمرات مجمعكم الموقر هذا، وكان يأنس فيها ويصاحب بها شيخه وصديق والده العلامة المغفور له الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب، أو الباشا كما كان يريد أن يسميه. وكان هذا الإمام والمؤرخ النابغ مع ما يكن للشيخ الفاضل رحمه الله من مودة معجباً به مقدراً لعلمه وأدبه لما كان يلمس فيه من معرفة غزيرة ورأى صائب، وما يطالعه عليه فقيدنا من بحوث ودراسات يعدها للمشاركة فى تلك اللقاءات العلمية العالية.

هذا وقد قام الراحل الكريم بمحاضرات إسلامية وعلمية كثيرة بجامعات متعددة وعرفته الأوساط العلمية بالقاهرة والكويت والسعودية والمغرب وليبيا وتركيا وباكستان من البلاد العربية والإسلامية، كما عرفته الأوساط العلمية الأوروبية بإنجلترا وبلجيكا وفرنسا وألمانيا وسويسرا وإيطاليا وأسبانيا.

وإنى متى ماذكرت هذا النشاط الجم وتلك المحاضرات والمعارف القيمة يؤلمنى جدا ويؤسف أهل الفكر ألا تكون كلها مجموعة مدونة. وليس لنا من كل ذلك غير كتاب الحركة الفكرية والأدبية بتونس وكتاب التفسير ورجاله ومحاضرات فى التشريع الإسلامى والمحاضرات التى نشرها له المجمع أو غيره من الهيئات العلمية وكتاب تراجم الأعلام. أما المخطوطات التى أعرفها له أو حدثنى عنها والدراسات الكثيرة التى كان يعدها فإنى أذكر منها رسالة ترجم لها بكشف الذعرات فى وصف الشعرات، تحدث فيها عن ملاذ إفريقية وقدوتها الصحابى الجليل أبى زمعة البلوى رضى الله عنه،

وتفسيره القرآن بالمأثور ، وجمعه وترتيبه الديوان بشار بن برد ، مع شرح موجز لما أشكل من تراكيبه وأغلق من معانيه ، وتحقيقه لمعجز أحمد لأبى العلاء المعرى ، ورسائل أدبية وقصائد ومقطعات من الشعر .

ولو يتاح لأحد أن يتفرغ لجمع آثار شيخنا ودراستها وتحليلها والتعريف بها لكان للناشئة من ذلك خير توجيه وأفضل تكوين .

فقد عرفنا فى الراحل العزيز الشيخ سيدى محمد الفاضل ابن عاشور الرائد الكريم ، الجليس الحبيب ، والشيخ الموجه ، والمربى النصوح ، والمدرس المحقق ، والخطيب المصقع ، والمحاضر المبدع ، والناقد البصير ، والكاتب المفن ، والشاعر الفحل .

ولا عجب بعد ذلك أن رزق الشيخ الفاضل فى بلده وخارج بلده المحبة والتعلق من كل من اتصل به أو لقيه ، والإكبار والتقدير من كل من عرفه أو خبره .

غير أن هذين الجانبين السلوكى والعملى فى شخصية فقيدنا لا يمكن أن نتصور مداهما ولا أن ندرك على التحقيق طبيعتهما إذا نحن أغفلنا الجانب الثالث المؤثر فيهما والصاهر لهما وهو الجانب الدينى .

فالدين عند فاضلنا عقيدة وسلوك علانية وسرا .

هو عقيدة تعمر قلبه إيمانا ، وتملأ نفسه اطمئنانا ، وتشرح صدره إيقانا ، ومن تكن تلك حقيقته يرزق الصمود والثبات والقوة والجرأة والخشية الكاملة لله والتعلق الدائم بالأصول الإسلامية والمبادئ الشريفة الشرعية التى حببها لنا الرحمن ، ودعانا لها القرآن وحثنا عليها إمام المرسلين وقائد الغر المحجلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وقد كانت هذه العقيدة راسخة فيه ممتزجة بذهنه وقلبه لكثرة ماكان يتعهد به نفسه من تلاوة القرآن الكريم فى أوقات توجهاته ، ومن رواية الحديث الشريف باطراد وخاصة فى ليالى رمضان من كل عام بين يدى والده شيخنا الجليل .

والدين سلوك عنده ، بما حمل عليه نفسه من طاعة الله ومراقبته فى أمره كله ، وما كان ينزع إليه من ألوان المعروف والإحسان ابتغاء مرضاة ربه ، والتأسى برسوله ، فيما يأتى ويذر ويستقبل ويستدبر من شؤون وأحوال وشواغل وأعمال .

كانت روحه الكريمة الطيبة الطاهرة تزخر إيمانا وتفيض إحسانا . فإذا هو الداعى إلى الله المجاهد فى سبيله المجادل لأعدائه المثبت لدينه الذائد عن حماه . وإذا هو فى كل عمل يقدم عليه تربويا كان كالعناية بالأطفال والشبان والخاصة والعامة ، أو اجتماعيا كالحركات العمالية وتوحيدها وتنظيمها وتكتيل جهودها ، أو سياسيا كان كالدعوة إلى الوحدة وبناء الجامعة الإسلامية والعمل على توثيق الروابط والسعى فى ابتغاء العزة التى كتبها الله للمؤمنين ، أو فكريا كتركيز الأصول الثابتة العقائدية والدعوة إلى الايمان بالمثل الإسلامية والقيم

الدينية ، لايراقب فى ذلك كله إلا الله ولايهتدى فى عمله جميعه إلا بهديه وسنة رسوله :

وهو فى خلواته كثير الخشوع إلى ربه يدعوه تضرعا وخيفة ، ويتقرب إليه بألوان القربات والطاعات وقد شاهدت من هذه المشاهد أحواله فى طوافه وفى توجهاته فى الأسحار ،وماكان يقولهمن دعوات وأذكار ، وماكان يبدو عليه من عظيم الخشية وكبير التقدير لرسول الرحمة وشفيع الأمة صلى الله عليه وسلم . عرفت ذلك منه حين شرفنى رحمه الله بأن أتلو بين يديه ثلاثيات البخارى أمام المواجهة الشريفة،وأروى كتاب الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه فى الروضة النبوية زادها الله سناء عام حججت معه سنة ١٣٨٥ﻫ . وقدكتب لى فى الأصلين الذين تلوت منهما الشهادة بصحة وتمام الرواية،كتب الله له فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة إنه سميع مجيب .

تلك هى الجوانب المتكاملة من شخصية العلامة فقيد العروبة والإسلام شيخى مقام والدى المقدس المبرور سيدى محمد الفاضل ابن عاشور . ولا أريد أن أطيل فى هذا القول ولا أقدر أن أفصل شيئا من نواحيها وجهاتها،لأنى ،وإن رضيت بأن أقحم نفسى فى هذا المجال،فإنما كان ذلك لأذكر لهذا المجمع الموقر فضله وأشكره باسم الأسرة الزيتونية أبناء الرحم العلمية التى شرفت بالانتساب إلى الراحل الكريم ، وأدعو الله مخلصا أن يرزقنا صبراً،ويدخر لنا فى الآخرة أجراً ، ويعلى مقام شيخنا الفقيد العزيز فى عليين ،ويجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

## • كلمة الأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور والد الفقيد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تحية مباركة طيبة ، أوجهها إلى السادة الأساتذة العلماء الجلّة رجال المجمع اللغوى ، وإلى السيد الأمين العام الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور ، الذى ألبيّ طَلِبتَه - بكتابه رقم ١٠٥ - أن يكون لأسرة زميلهم الفقيد العزيز ابنى - الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور - كلمة فى حفل تأبينه ، الذى يُقام فى هذا اليوم ، جَرْيا على ماجرت عليه تقاليدُ المجمع من تأبين أعضائه الأشقّاء فى مؤتمره كل عام ، ونِعْمَت السُّنَّة للوفاء بالعهد .

وأما بعد ، فلا أيمنَ ، ولا أبلغ فيما يحق أن أفتتح به خطابى ، التَدلُوَّ فى هذا المقام من الكلمة النبوية الجليلة «تدمَعُ العَيْنُ ويَحْزَن القلبُ ، ولانقول إلاما يرُضِى الرَّبَّ » .

فإذا كانت تلك النفسُ المحمديَّة الزَّكيَّة تعبّر عن تمكُّن الحزن منها وتجدُّده لفقدان فلْذة الكَبد ، فماذا يُظَنّ أن يُقْدر به تأثُّر نفسِى الضّعيفة من الأسى ( فإنّا لله وإنا إليه راجعون ) .

غيرَ أنى أجد سُلوًّا بما رَوّح على النفس ، من خالص تعزيات أُسرة هذا المجمع الجليل ، والتعبير عن صديم مشاركتهم لأسرة الفقيد فى مصابنا الجَلَل ، وخاصة ما ألقاه ممثل المجمع ، الشاعر العبقرى ، الأستاذ عزيز أباظة فى حفل الأربعين الذى أُقيم بتونس ، من شعر يَلوحُ منه بَرْق صداقة لَمّاعة ، ووَدْق عهود محفوظة غير مضاعة .

واليوم أعاد إزجاءَ سحائبه ، ماهب عليها من لواقح هذا الحفل الجليل ،

مما دل على أنه ود لا ينضب ماؤه . ولايرنق بمرور الزمان صفاؤه . وددت لوكنت حاضرا بينكم بجثماني ليتظاهر المقال مع شواهد الحال ، بيد أني أرسلت كتابي هذامعبِّرا عني ، فما الكتاب إلا أثر القلم الذي أمسكته اليد ، إمساك الماتح بالعُرْوة ، ليفرغ سَجْلًا مما في الضمير من جزيل الشكر ، والاعتراف بالجميل للسادة أسرة المجمع ، وإني لأجد حال شكري لهم ، مصداق ماودَّه أبوالعلاء ، أن يكون به لقاؤه لأبي حامد الإسفرائيني بقوله :

يممتُه وبودي أنني قلم
أسعى إليه ورأسي تحتَ الساعي

شكرًا أرجو أن يفي بحق ما أبدوه جماعاتٍ ووحدانا ، من مشاطرتي وسائر أسرة الفقيد العزيز في الأسف والأسى ، من مقاويل ومستمعين مشاطرةً منبعثة عن صدق الأخوة ، ورعي صفاء الخُلة ، لفقيد كان ذكرهم بالجميل هِجِّيرا لسانه ، والتحفز للقائهم أهم شانه .

وللأستاذ الجليل رئيس المجمع الموقر ، من ذلك الحظِّ الأوفر ، ولكل من الأستاذين نائب الرئيس والأمين العام مايوازنه .

وأبتهل إلى الله تعالى ، أن يجازي الفقيد العزيز أحسن الجزاء ، على مابذله من طاعة الله ورسوله ، في تأييد الشريعة الإسلامية ، والذب عن اللغة العربية : « ومن يُطعِ الله والرسول ، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً » .

وأعيد إليهم تحية الختام ، وذكرى السلام ، مني ومن أسرة الفقيد العزيز .

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ١١ من المحرم سنة ١٣٩١ هـ الموافق ٨ من مارس سنة ١٩٧١ م أقام المجمع حفل تأبين لفقيده المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف ، الذى استأثرت به رحمة الله فى ١٩٧١/١/١١ . وفيما يلى ما ألقى فى هذا الحفل :

## كلمة الدكتــور عبد الحليم منتصر فى تأبين المرحوم الأستاذ :

## مصطفى نظيف

فما منك معتاض ولا عنك سلوة
نظيرك مفقود وحزنى مؤبد

أيها السادة :

أشفقت على نفسى ، حين رأيتم أن أقوم بتأبين فقيدنا العظيم مصطفى نظيف ، فأين أنا من الاحاطة بهذه الشخصية العظيمة الفذة ، التى يعز نظيرها فيمن أعرف من الرجال ، وأشفقت عليكم أن تستشعروا قصورى عن تجلية شخصيته ، لأنى أعلم إجماعكم على حبه وتقديره ، وهيهات أن أرسم صورة ترضيكم أو ترضون عنى من أجلها .

وإنى لأعترف بادئ ذى بدء بعجزى عن ترجمة أحاسيسى لفقده ، فقد فاق تقديره لدى كل حدود ، وليس غريبا أن يكون حزنى عليه مؤبدا كما يقول الشاعر ، حتى لقد رددت قول الأخطل الصغير :

سألتنيه رثاء خذه من كبـــدى
لا يؤخذ الشئ إلا من مصـادره

ثم عدت أردد قول شوقى :

قد كنت أوثر أن تقول رثائـــى
يامنصف الموتى من الأحيــــاء

عرفت أستاذى وصديقى مصطفى نظيف منذ نيف وعشرين عاما ، حين دعانى لإلقاء محاضرة عن الرواد الأوائل من العرب فى علم النبات ، وإذا به يقبل على بعد المحاضرة مهنئا هاشا باشا وفى عينيه رضا وفرح ، كأنى بها بسمة المعلم الفرح بتلميذه ، أو الوالد بابنه ، إنها بسمة الحب الأبوى الصادق الذى لايغيض أبدا .

ومنذئذ اتصلت بيننا آصرة قوية من الصداقة الصادقة الصدوق ، زادتها الأيام وثاقة ، وأضافت اليها روابط العمل فى الجامعة والمجمع وفى الاتحاد العلمى والجمعيات العلمية والمؤتمرات العلمية وغيرها من أوجه النشاط العلمى ، الذى كان رحمات الله عليه ،

يمنحه من ذات نفسه وجهده الكثير ، لقد أضافت هذه الروابط فى أواصر الود والتقدير فتكررت اللقاءات ، والمقابلات ، والاحاديث والاتصالات ، بل والمكاتبات حين يشط المزار أو يعز اللقاء ، حتى لقد شاع وعرف، أنى قد اتخذت منه شيخى ومعلمى وأستاذى ، وتفاخرت بين لداتى بهذه المشيخة وتلك الأستاذية ، ولم يضق هو بها — وحين تحدثت إلى أستاذنا الدكتور كامل حسين فى أنى قد اتخذته هو الآخر شيخا لى ، قال بل هو شيخ لى ولك .

ولست أدرى من أى جوانب هذه الشخصية النادرة المثال أبدأ الحديث ، وكلها جوانب مشرقة مضيئة وضاءة، يكاد سنا ضوئها أن يأخذ بمجامع القلوب بله الابصار ، فثمة متانة فى الخلق إلى أبعد الحدود ، واعتداد بالكرامة فى أبلغ صوره ، إلى درجة من الامانة قل أن عرف لها نظير ، إلى دقة فى العمل ، وسعة فى العلم ، ورحابة فى الصدر ، لقد اجتمعت فى مصطفى نظيف صفات العالم بكل ما فى الكلمة من معنى ، إنه العيوف عن الصغائر ، والترفع عن الدنايا ، والزهد فى المال والجاه والسلطان ، والدقة فى البحث ، والعمق فى التفكير والاستعلاء بالعلم ، مع الإحاطة والشمول فى المعارف العلمية ، كل ذلك فى عظمة العلماء، وتواضع العظماء .

أذكر حين عقد المؤتمر العلمى العربى الأول فى الاسكندرية سنة ١٩٥٣ وانتخب بالإجماع رئيسا له ، وحضر السيد رئيس الجمهورية فى موكبه المهيب ، وإذا بمصطفى نظيف يستقبله عند مدخل المدرج ، ويفتح خطابه الجامع قائلا . . لقد مضى الزمن الذى كان يسعى فيه العلماء إلى الحكام ، وجاء الزمن الذى يسعى فيه الحكام إلى العلماء .

وحين جاءه وهو مدير للجامعة خطاب ، ممن لا يحق لهم أن يوجهوا الخطاب إلى مديرى الجامعات ، أصر على أن يحضر الكاتب بنفسه ليعتذر ويسحب الخطاب ، وكان له ماأراد ، وما أظن مثل هذا التصرف الحازم قد وقع بعد ذلك أبدا .

وعندما تعرض مجلس الجامعات إلى بعض الأقسام أو الكليات فى جامعة عين شمس دون أخذ رأى الجامعة ، إذا به يجمع أوراقه ، ويقول إذا اتخذتم فى ذلك قرارا فلن أكون مسئولا عن جامعة عين شمس ، وقلت له إنى متضامن معك ، ولكنه آثر أن يذهب إلى الوزير وحده ، وعندما توجه إليه أخذ بوجهة نظره وأقره عليها .

وحين قرأ فى صحيفة صباحية وهو على مائدة أفطاره حديثا لم يرقه ، رأى فيه مساسا به وبالجامعة ، كتب استقالته وتوجه من فوره إلى الوزير ، وطلب مطلبا معينا وجد فيه الترضية ، فلما لم يجب إليه ، قدم استقالته وعاد من فوره إلى منزله .

وحين توجهت إليه مع مجلس الكلية بعد استقالته ليقبل أن يكون أستاذا غير متفرغ بالكلية ، لم يتردد فى اجابتنا إلى مطلبنا ، وكان

آخر عهده بالتدريس الجامعي فألقى مقررا فى تاريخ العلم ، وآخر فى البصريات ، لقد ذهبت وظيفة المدير ، ولكن بقيت فى مصطفى نظيف الأستاذية التى لاتزول ، وما أظن الذين تتلمذوا عليه فى كلية العلوم بجامعة عين شمس . . سينسون هذه الشخصية أبدا . . وكان الحرج البالغ أنه يرد المكافأة عن أشهر الصيف ، وما أشك فى أن له فى ذلك قرينا أبدا .

قلت له يوما لقد كفرت بالقيم ، وهى التى عشنا بها وعملنا لها طيلة حياتنا ، فغضب رحمات الله عليه غضبا شديدا وقال إن مثلك لايكفر بالقيم أبدا ولاينبغى له ، وإنما يكون الكفر بالذين لم يبقوا عليها ويعملوا بها ويؤمنوا بها . . وتطرق الحديث إلى تحكم الأقزام بحكم مواقعهم ، فقال إن الأقزام لن يستطيعوا البقاء فى تلك المواقع أبدا وسيتركونها حتما يوما ما ، طوعا أو كرها ، وأما القيم فستبقى أبد الآبدين .

وانعقد مجلس الجامعة يوما برياسته فى هيئة محكمة تأديبية عليا ، لمحاكمة عضوين من أعضاء هيئة التدريس ، أما أحدهما فقد اتهم بتبديد أشياء فى إحدى تجاربه وبحوثه وكان يمكنه الاحتفاظ بها والإبقاء عليها ، وأما الآخر فقد اتهم بالتطاول على أستاذه — وقد حوكم الأول من قبل هيئات مختلفة وقد أدانته جميعا، ثم جيء به إلى هذه الهيئة التأديبية العليا لترى رأيها فيه ، ولم يكن المتهم ممن يحسنون الكلام والدفاع ، وإنما يبرطم به برطمة ، فنهره الرئيس قائلا ، إننا نحن الذين نحاكمك ولست أنت الذى تحاكمنا ، فهمست فى أذنه أن يترفق بالمتهم حتى تثبت الأدانة وسألت المتهم أن يشرح لنا الهدف من التجربة ، وأن يتأنى فى حديثه ، ويسلسل الوقائع ، فإذا بالأرقام والنتائج الإيجابية فى صفه ، فقلت إياكم والحجر على حرية البحث العلمى ، إن للباحث أن يجرب كيف شاء ما دام يتبع الأساليب العلمية الصحيحة ، وإنه لم يثبت على المتهم أنه أخذ لنفسه شيئا أوأضاع على الدولة حقوقها ، ومن واجبه أن يكرر التجربة ، وأن يتثبت ولا يتعجل ، ونحن هيئة من المشتغلين بالعلم نحاكم زميلا فإذا أدناه ، فسيكف كل باحث فى معمله عن البحث ، وكان أن اقتنع الجميع ببراءة ساحته ،وكان الرئيس أول المهنئين له. أما الآخر فكان جزاؤه شديدا وعقابه صارما .

وانعقد مجلس النقابة يوما برئاسته ، وانبرى أحد الزملاء الشبان يفند ما انعقد عليه الإجماع تقريبا ، ويوجه الرأى وجهة أخرى ، ولما رآنى قد أسرفت فى لومه أوقفنى عند حد بقوله ، وأين حرية الرأى إذن تلك التى تدعو لها وتؤمن بها .

وكذلك كان عالمنا الكبير ، أبدا نصيرا لحرية الرأى ، ذابًّا عن حياضه ذيّادًا عن حوزته ، مؤمنا بالقيم الإنسانية العليا ، من عدل وإنصاف وأمانة وخير ، لا يرضى عنها بديلا ، ولا يستطيع عنها حولا .

أما عن دقته وأمانته فى العمل فقد بلغ فى ذلك حدا قل أن عرف له نظير ، فلا أذكر على طول الزمان الذى عرفته وعملت معه فيه سواء فى الجامعة أو النقابة أو الاتحاد العلمى أو المجمع اللغوى ولجانه ، أن تأخر يوما عن موعده ، أو حضر اجتماعا أو جلسة أو لجنة لم يكن قد درس الموضوعات المعروضة دراسة وافية مستفيضة ، أو أعد المادة المطلوبة أعدادا سليما ، أو أباح اجتماعا لم يحضره العدد القانونى ، فاذا لم يحضر العدد القانونى ، فلا اجتماع ، وإذا تأخر بعض الأعضاء عن ربع الساعة مثلا فلا اجتماع ، ولا خروج عن المناقشة فى الموضوع المطروح ولا جلسة تطول أكثر من الموعد المقرر لها ، كأنما كل شىء عنده بمقدار ، كل ذلك فى جد صارم محبب ، لا مراء فى أنه قدوة صالحة للعمل الدقيق المنتج ، وكم كان يستبين — لا أقول الفرق بل البون الشاسع — بين جلسات يتولى أمرها ، وغيرها يتولاها سواه ، ففى الأولى ما ذكرت من جد ودقة ودراسة ، أما فى الثانية فالجلسات تستمر أياما ، وهذه المسألة أو تلك تؤجل لاستيفاء بياناتها ، وهذه تتشعب المناقشة فيها إلى غير اتجاه وغير هدى .

ومع هذه الجدية الصارمة المحببة التى أثرت عنه وعرف بها ، فقد كان يشفق على تلاميذه ومريديه أن يحتذوا به ، فقد ظل يذكر لى حتى قبيل وفاته بأيام بعض عبارات قلتها فى مناسبات خاصة كقولى فى تقرير على عن تصرف أحد المسئولين ، أنه تصرف أقل ما يقال عنه أنه قد جانبه التوفيق ، وعن قولى لآخر وقد عرض على أن يعتذر لى المسئول من موظفيه — بل — تعتذر أنت — فكان يقول وفى وجهه بسمة رضا وتحبيذ وتشجيع ، وفى صوته رنة اشفاق ، لا عليك أو رفقا ، وكم كان يسوؤه أن تتبدى عدم الجدية فى العمل أو الإهمال أو التسويف أو إضاعة الوقت فيما لا طائل فيه .

ولا مراء فى أنه كان فى ذلك كله أمة وحده ، لا أكاد أضع معه فى نفس المستوى أحدا — وكنا نتبين بعد نظره ، ولو بعد مدة ، حين يعلق على بعض القرارات بأنه غير مرتاح لها ، وإذا الأيام تثبت أنه كان على حق ، ولكن القرار سليم من حيث الشكل ومن حيث موافقة الأغلبية ، فهو يخضع له ، ثم يعلق هذا التعليق الخاص بأنه غير مرتاح له .

وقد كان عالمنا حفيا بنشر الثقافة العلمية ، داعيا إلى تأصيل العلم فى البيئة العربية ، وكان لا يفتأ يردد هذه المعانى فى محاضراته العامة وفى المؤتمرات العلمية ، استأذنته مرة فى إقامة موسم ثقافى لكلية العلوم فى مكان عام بعيدا عن أبهاء الجامعة ، بل فى مكان وسيط ، فرحب بالفكرة فى الحال ، وعرض أن يلقى محاضرة الافتتاح ، وكان والحق يقال كدأبه أبدا محاضرا ممتازا ، موضوعا وبحثا وعرضا ولغة وإلقاء وأسلوبا ، وكم أتمنى لو تجمع هذه المحاضرات العامة التى لم تشملها كتبه فى مطبوع خاص لتنشر على الناس فى كتاب

ففيها من الأفكار والآراء والدراسات مايستحق التسجيل والتخليد ، ولعلنا لا ننسى محاضراته الرائعة فى التاريخ للجامعات المصرية ، ولا دراسته الفذة التى أعدها بمناسبة العيد المئوى للمجمع العلمى المصرى ، فقد أبى ألا أن يستعرض تاريخ مصر فى يوميات الجبرتى ، فأرسلت فى طلبها ليعكف عليها فى دراسة أمينة وافية لتاريخ المجمع العلمى ، ومع ذلك فلم يتح لهذه الدراسة أن ترى النور لأسباب لا محل لذكرها ، ويتجلى صبره العجيب فى البحث والدرس حين أراد أن يؤرخ للجامعات ، فلا بد أن يرجع إلى سجلات الوقائع المصرية ويقرأها بنفسه ، يستقرئ القرارات الوزارية ومحاضر الجلسات الخاصة بهذا الموضوع ، حتى تكون الدراسة مدعومة بالأسانيد التى لا تقبل الشك ولا يقاربها مين ولا زيف .

سألته الرأى يوما فى طلبى للعمل بالخارج ، وذكرت له رأى من أشار بالقبول ، لأن عملى هناك نفع عام وعملى هنا نفع خاص ، والعام يجب الخاص ، فقال متسائلا : وأليس عملك هنا من النفع العلمى العام ، وكأنما كان يريد أن يقول إنك لا تصبر على ضيم ، وأن النفع العام هنا أحق وأولى وأكرم . وكذلك كان بعيد النظر ، كأنه المعنى بقول الشاعر :

يرى فلتات الرأى والرأى مقبل
كأن له فى اليوم عينا على غـــد

أما غيرته على اللغة العربية واستعمالها لغة للعلم ، فكانت فائقة الحد ، وقد ذكر لى يوما أنه لا حظ هذه المفارقة العجيبة ، حين كان أستاذا بمدرسة المعلمين العليا فى العشرينيات ، وكان هو وصديقه المرحوم الأستاذ عبد الحميد أحمد يدرسان الكيمياء والطبيعة باللغة الإنجليزية ، على حين أن زملاءهما من الأساتذة الأجانب يدرسون الرياضيات باللغة العربية وقد أستقر رأيهما على التدريس باللغة العربية ، فلما كان الغد كان يحاضر فى علم الطبيعة باللغة العربية ، ومنذئذ اتخذها لغة التدريس سواء فى المعلمين العليا أو كلية الهندسة أو كلية العلوم بعد ذلك . وكان من رأيه أن المصطلحات ليست عقبة أبدا ، وأننا إذا انتظرنا حتى نفرغ من ترجمة المصطلحات ، ثم توحيد ترجمتها فى البلاد فسيطول انتظارنا جدا ، وأذكر له نظيرين فى هذا الرأى هما المرحوم الدكتور مشرفة والمرحوم الدكتور ولى فقد أجريت استفتاء حول هذا الموضوع منذ سبعة وثلاثين عاما ، فكان الرأى أن نبدأ فى الحال — وقد أتاح له ذلك فرصة تأليف مراجع أساسية فى علم الطبيعة باللغة العربية كان يذيلها بالترجمة العربية للمصطلحات الأجنبية .

وقد اشتهر عالمنا الأستاذ مصطفى نظيف بدراسته لأعمال العالم العربى الأشهر « ابن الهيثم » . ولا شك أن هناك تقابلا وتلاؤما بين الشخصيتين ، فهو يقول عن ابن الهيثم وكأنما يصف نفسه : إن ابن الهيثم فى منحى

تفكيره وفى طريقة بحثه ، رجل تتوافر فيه الصفات التى تتوافر فى رجالات العلم فى العصر الحديث ، فهو عالم بمعنى « سيانتست» بكل ما يؤديه هذا اللفظ من معانى ، وهو فى ميدان علم الطبيعة أن لم يكن من طراز المحدثين فى الجيل الحاضر فإنه من غير شك من طراز علماء الطبيعة فى القرن التاسع عشر ، وبحوثه المبتكرة فى علم الضوء تجعله فى مقدمة الأعلام الأفذاذ فى تاريخ هذا العلم ، ولكن له غير ما أضافه على صفحات هذا العلم من الصفحات المجيدة ، أثرا عاما عميقا ، جعل علم الضوء ، يتخذ صبغة جديدة وينشأ نشأة أخرى غير نشأته الأولى ، وهذا التأثير الذى أحدثه ابن الهيثم فى علم الضوء يتغلغل إلى الأساس ذاته الذى يقوم عليه هذا العلم جدير بالتقدير — ويقول: إن أثر ابن الهيثم فى علم الضوء نظيره فى تاريخ العلم أثر نيوتن فى علم الميكانيكا ، ولا يضيره أن يقال إن بعض بحوث ابن الهيثم قد سبقه إليها أوقليدس فى أحد شطرى قانون الانعكاس ، وبطليموس فى دراسة الانعطاف ، وآخرون فى بيان كيفية الإحراق فى المرايا المحرقة — ولكن كما كانت أصول علم الميكانيكا مبعثرة قبل نيوتن ، فأدرك حقائقها وأضاف إليها وربط بينها حتى صارت على يديه وحدة شاملة هى التى قام عليها علم الميكانيكا . وكذلك علم الضوء ، أو كما كان يسمى علم المناظر ، وأنه حتى الفكرة الأولية البسيطة من أن للضوء وجودا فى ذاته ، لم تكن من الأمور المسلم بها ، وأن أوقليدس وبطليموس وغيرهما ممن سبقوا ابن الهيثم كانوا متفقين فى أن الإبصار هو بخروج شعاع من البصر إلى المبصر ، فالذى ينعكس بحيث تكون زاوية السقوط فيه مساوية زاوية الانعكاس هو هذا الشعاع ، والذى ينعطف فى الماء مثلا إلى العمود هو هذا الشعاع ، فهو الذى يخرج من البصر ويقع على السطح العاكس فينعكس أو على سطح الماء فينعطف ، فإذا وقع بعد انعكاسه أو انعطافه على مبصر ، أدرك البصر هذا المبصر بالانعكاس أو الانعطاف .

لقد أعاد ابن الهيثم بحث هذا كله ، واتجه وجهة جديدة لم يولها أحد من المتقدمين ، وأصلح الأخطاء وأتم النقص وأضاف الجديد ، لقد أبطل علم المناظر القديم وأنشأ علم الضوء بالمعنى الحديث ، وإذا كانت دائرة المعارف البريطانية تقول إنه بعد بطليموس لم يظهر من يجاريه فى علم الضوء إلّا ابن الهيثم ، فمن الحق أن نقول إن مصطفى نظيف هو مجلى علم الضوء فى البلاد العربية بعد ابن الهيثم .

ويقول إنه ما كاد يهم بهذه الدراسة عن بحوث ابن الهيثم وكشوفه البصرية حتى ملأ نفسه اعتقاده بأن من بحوث ابن الهيثم فى موضوعات علم الضوء ما لا يصح أن يعد مجرد زيادة اتسعت بها دائرة المعلومات ، بل حقيق بها أن تعد أحداثا قلبت أوضاع هذا العلم وعدلت مجراه ، ولا يكفى فيها نشر ما لم يطبع من مخطوطات بل هى جديرة

بعمل أبعد غورا وأشد جهدا من التقدمة لها بمقدمة والتعليق عليها فى الهوامش ، هى جديرة أن تدرس وتمحص مع شىء غير قليل من التلطف فى تفهم معانيها ومقاصدها ، فبعد الأمد بيننا وبين صاحبها يجعلنا اليوم لا نألف بسهولة بعض اصطلاحاته وعباراته ، بل ولا ماهية ما كان يسود القول فى عصره من الآراء والمذاهب العلمية ، ثم يقول إن بحوث ابن الهيثم فى موضوعات الضوء ، ما ورد فيها فى المناظر وما ورد فى المقالات الأخرى ، تبين أنها حقا جديرة بأن تدرس فى جملتها كوحدة ، دراسة يصحبها التحليل والموازنة ، فهى جميعا نتاج عقل واحد ، فقد توافرت فيه مميزات أولى التفكير العلمى الصحيح ، وهى من خير الأمثلة التى تدل على نضج الفكر وعمق النظر .

ويضع الأستاذ نظيف مثالا ينبغى أن يحتذى فى هذه الدراسات ، حين يقول إنه لا يكفى فيها تحرى الأمانة والصدق فى مجرد عرضها على ما جاءت عليه فى الواقع ، وإنما يجب تحرى العدل والإنصاف اللذين يقضيان بالحرص على تعرف ظروفها ومعرفة ملابساتها ، ثم معايرتها بالمعيار الذى يلائمها ، حتى نتبين قيمتها الصحيحة وتحل فى المكان الذى هى أهل له فى تاريخ نشوء العلم وتطور الفكر .

ويضيف أنه يرى أن من المعلومات التى يتضمنها الكتاب ما كاد يطويه الدهر فى ثنايا النسيان ومنها تفصيل مالا يزال العلم به مجملا أو مقتضبا وأنه ليأمل أن يكون لهذه الدراسة بعض الأثر فى تعديل الأوضاع التاريخية لبعض البحوث والكشوف العلمية الخاصة بعلم الضوء ، كما يأمل أن يكون من آثارها بعث ابن الهيثم بعثا جديدا فى الكتب التى تؤلف لطلبة مدارسنا فى هذا العلم ، وأن يستبدل أسمه بأسماء أمثال روجر باكون ومورلكيوس ودافنشى ودلابورتا وكيلر وغيرهم فى مواضع كثيرة ، ألفنا فيها رؤية هذه الأسماء ، كما يأمل إصلاح كثير من الاصطلاحات والعبارات التى نستعملها الآن فى علم الضوء ، فيستبدل بها خيرا منها مما ورد فى أقوال ابن الهيثم ويمتاز دقة ورصانة .

لقد وجد عالمنا فى ابن الهيثم صورة من ذات نفسه فشغف به ، وأقبل عليه ، وبذل فى دراسة أعماله جهدا رائعا ، ووضع مثالا يحتذى فى دراسة تاريخ العلم ، وأقبل المستشرقون والمهتمون على دراسة كتاب عالمنا عن ابن الهيثم الذى يقع فى جزأين تبلغ صفحاتهما نحو الألف عدا . وتتجلى فيها الأمانة العلمية والدقة الفائقة والصبر بغير حدود على القراءة والمقارنة والتحليل حتى يصل إلى الحقيقة ناصعة لا زيف فيها ، وجلى لنا وللعالم ابن الهيثم أبدع تجلية وأروعها ، ووضعه فى مكانه الصحيح بالنسبة لتاريخ العلم عامة وللبحوث والكشوف البصرية بصفة خاصة .

لقد خلص أستاذنا مصطفى نظيف من هذه الدراسة الممتعة بالنسبة لابن الهيثم ، إلى

مثل ما خلص اليه أستاذنا المرحوم الدكتور مشرفة من دراسة لأعمال الخوارزمى حين قال: « صحيح أنه كانت هناك معلومات مشتتة متناثرة فى الحساب قبل الخوارزمى ، وكان حل بعض المعادلات الجبرية معروفا قبل الخوارزمى ، ولكنا لم نعثر على كتاب واحد يشبه كتب الخوارزمى وكان لا بد أن تنتقل هذه المعلومات المتناثرة المشتتة إلى عبقرى كالخوارزمى ، لكى ينسقها ويعلمها للناس أجمعين » . وها هو ذا مصطفى نظيف يدرس ويقارن ويحلل أعمال بطليموس وأوقليدس وغيرهما ممن سبقوا ابن الهيثم ، وينتهى إلى القول بأن ابن الهيثم قد وضع أسس علم الضوء بالمعنى الحديث ، وأنه أبطل علم المناظر الذى كان معروفا أيام هؤلاء وأولئك ووضع أسسا ونظريات وآراء جديدة لم يسبق اليها .

وقد بدأ عالمنا بدراسة كتاب « فيتلو » فى البصريات الذى نشر فى القرن الثالث عشر الذى قال إنه وضعه على أساس كتاب بطليموس القلوذى وآخر لعالم عربى عرف باسم الهازن . ونشر « رزنر » سنة ١٥٧٢ ترجمة لاتينية للكتاب العربى بعنوان «الذخيرة فى الأوبطيقى للهازن » فتبين أن جل ما ورد فى كتاب « فيتلو » قد نقل من الكتاب العربى ، وقد قال دلابورتا بعد ذلك «لقد أخطأ فيتلو» فيما نقله عن الهازن وكان كالقرد المقلد . ولبث هذا الكتاب المنقول عن العربية مرجع أهل أوربا فى علم الضوء خلال القرون الوسطى . يقول مصطفى نظيف وقد تبين لى على التحقيق أن جل البحوث والكشوف الضوئية التى تنسب إلى علماء أوروبا حتى عصر النهضة قد وردت فيه ، وأن كثيرين من علماء أوروبا المشهورين فى تلك العصور لم يسموا إلى مستوى الآراء والفكر الأساسية التى ذكرها ابن الهيثم ، وأنه كان للكتاب أثر عميق فى توجيه دراسة علم الضوء إلى الوجهة الصحيحة ، ويقول إن مستواه العلمى بوجه عام قد سما سموا رفيعا فوق مستوى كثير من الكتب العلمية التى ألفها الغربيون فى تلك العصور ، بما فيها مؤلفات كبلر فى الضوء . وكذلك أثبت أن كتاب الذخيرة اللاتينى إنما هو ترجمة كتاب المناظر لابن الهيثم .

يقول وكأنما يصف نفسه ، وعظمة ابن الهيثم العلمية ، لم تشبها قط شائبة من الغرور أو يمسها ضعف من الخلق ، بل زادها متانة الخلق وجمال التواضع جلالا وبهاء . كان فاضل النفس ، وافر التزهد ، محبا للخير وفوق حبه عمل الخير لذاته ، وفوق زهده عن المال وترف العيش متواضعا ، مقدرًا السابقين من العلماء حق التقدير ، يذكرهم بالفضل والإحسان ، وينصفهم حقوقهم كاملة ، وهو إن ابتكر فكرة جديدة أو تناول بحثا لم يسبقه اليه أحد ، قنع بالإشارة إلى ذلك بمثل قوله ولا نعرف أحدا من المتقدمين ولا المتأخرين بين هذا المعنى ولا وجدناه فى شىء من الكتب ، ويروى عن القفطى : « سمعت أن ابن الهيثم كان ينسخ فى

مدة سنة ، ثلاثة كتب ضمن أشغاله ، وهى أوقليدس والمتوسطات والمجسطى ، فيستكملها فى مدة السنة ، فإذا شرع فى نسخها جاءه من يعطيه فيها خمسين ومائة دينار مصرى ، وصار ذلك كالرسم الذى لا يحتاج فيه إلى مواكسة ولا معاودة فيجعلها مؤونة لسنته ».

وهو يدافع عن الحاكم بأمر الله أبلغ دفاع بمناسبة قصته مع ابن الهيثم ، فقد صوره لنا المؤرخون بأنه كان شاذا غامضا ، فيقول كان به ميل إلى الحكمة والفلسفة وكانت له رغبة فى تشجيع العلم والعلماء ، أوى كثيرا من أطباء عصره ، وأسس فى القاهرة دار الحكمة وأنشأ فى المقطم مرصدا جعل فيه ابن يونس المصرى ، وأنه عندما بلغه قول ابن الهيثم : « لو كنت بمصر لعملت بنيلها عملا يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغنى أنه ينحدر من موضع عال وهو فى طرف الإقليم المصرى » . فاشتاق الحاكم إلى رؤيته ، ولعله أراد أن يستفيد به فيما قال فى أمر النيل ، ولعله أراد أيضا أن يأويه إليه ويشمله بعطفه لكى يستأثر بفخر استظلاله برعايته وانتسابه إليه ، فأرسل إليه مرغبا إياه فى الحضور إلى مصر ، وخرج الحاكم نفسه لاستقباله خارج مدينة القاهرة ، وأكرم وفادته ، وأمر باكرام مثواه ، وأنه لما رحل على رأس بعثة هندسية بأدق المعانى الحديثة لهذه العبارة ، تتبع مجرى النيل من القاهرة إلى جنوبى أسوان يدرسه ويعاينه ، وأنه لما لم يجد الأمر متفقا وفكرته الهندسية التى خطرت له ، عاد إلى القاهرة وهو فى أشد حالات الخجل واعتذر للحاكم » .

ولا مراء فى أن مصطفى نظيف قد أضاف إلى معارفنا بتصحيحه لتاريخنا العلمى ، حين قال بسبق ابن الهيثم لباكون فى ابتداع الطريقة العلمية والأخذ بأسبابها ، فيقول إن هذه الطريقة التى تعد من مبتكرات العصر الحديث هى الطريقة التى لا نتردد فى أن نقول إن ابن الهيثم اتبعها فى بحوثه وكشوفه الضوئية وهذه ناحية من نواحى ابن الهيثم لم يتناول بيانها على ما نعلم أحد ، وهى جديرة بالإشارة والتقدير فابن الهيثم أخذ فى بحوثه بالاستقراء . وأخذ بالقياس ، وعنى بالتمثيل ، وأخذ بهذه العناصر على المنوال المتبع فى البحوث الحديثة وهو فى ذلك لم يسبق فرانسس باكون فحسب بل سما عليه سموا ، وكان أوسع أفقا وأعمق منه تفكيرا .

لقد عرض عالمنا لنظريات الإبصار فى الفلسفة اليونانية من فيثاغورس إلى أمبدقليس ومن أفلاطون إلى أرسطو وأبيقور ثم العصر الاسكندرى من أوقليدس وبطليموس إلى هيرون وثاون ؛ كما عرض آراء الإسلاميين المتقدمين عن ابن الهيثم من أمثال الكندى وقسطا ابن لوقا والرازى ، ويقول ليس من المعروف الآن أن أحدا من الإسلاميين المتقدمين على ابن الهيثم قد أضاف إلى علم الضوء شيئا جديدا ذا قيمة ولم يكن معروفا من قبل ، فهم لاشك قد أصلحوا الكتب التى نقلت عن اليونانية وشرحوا

غوامضها وصححوا أغلاط براهينها الهندسية ، ولكن ظل علم الضوء عند المستوى الذى وصل إليه وبقى كذلك حتى تناول ابن الهيثم دراسته ثم عرض آراء ابن الهيثم فى الضوء وقارنه بالآراء السائدة فى عصره ، شرح آراءه فى الأضواء الذاتية والعرضية والمنعكسة والفجر والشفق ونقده لرأى أصحاب الشعاع وألوان الأجسام الكثيفة والأجسام المضيئة بذواتها والتقازيح ، وأن انتقال الضوء لا يكون إلا فى زمان معارضا السرعة الآنية للضوء التى قال بها ابن سينا ، وتجاربه لإثبات سرعة الضوء والناحية الميكانيكية من نظرية ابن الهيثم فى الانعكاس والانعطاف والهالة وقوس قزح والكسوف وما إلى ذلك ، كل ذلك عرضه فقيدنا العظيم فى أسلوب أخاذ ، فى عمق ورصانة وأصالة ؛ فى وضوح وجلاء ، فى دقة وأمانة .

ولا يستطيع أن يقدر الجهد الذى بذله عالمنا العظيم فى قراءة هذه المخطوطات وتلك المراجع إلا من كابد هذا العمل نفسه ، وما أظنه ببالغ بعض ما بلغ فقيدنا عن دراسة لأعمال ابن الهيثم ، فهو يعرض آراء أصحاب التعاليم والفلاسفة الطبيعيين والأبيقوريين والأفلاطونيين والفلاسفة الإسلاميين ويناقشها مناقشة موضوعية ، ثم يثبت فى وضوح أن نظرية ابن الهيثم فى الضوء ، جديدة ، مخالفة لآراء هؤلاء جميعا ، ويقول : إن أعظم آثار ابن الهيثم فى الضوء أنه أبطل نظرية قديمة كانت شائعة توارثها الأجيال من عصر اليونان إلى عصره فى كيفية حدوث الإبصار وهى تتلخص فى أن الإبصار يكون بشعاع أو بحزمة من الأشعة على حسب التعبير الحديث ، تخرج من البصر إلى المبصر وخلاصة رأيه أن هذا الشعاع الذى يخرج من البصر إما أن يكون عاديا أو على حسب تعبيره جسما أولا ، فإن كان جسما ، فنحن إذا نظرنا إلى السماء ورأينا الكواكب ، فقد خرج من البصر جسم ملأ ما بين السماء والأرض ولم ينقص من البصر شىء ، وهذا كما يقول : « محال فى غاية الاستحالة وفى غاية الشناعة » وإن لم يكن جسما فهو لا يحس هو نفسه بالمبصر « لأن الإحساس ليس هو إلا للأجسام ذات الحياة ، والإبصار بالبصر لا به . فهو إنما يؤدى شيئا من المبصر إلى البصر ، وليس هذا الذى يقال إنه يخرج من البصر شيئا محسوسا وإنما هو مظنون » . وعارض أصحاب الشعاع ومن قال بنظرية الورود ، وكان رأيهم غامضا لا يغنى شيئا فى بيان كيفية ورود صورة المبصر إلى البصر ، فكان ابن الهيثم أول من ذهب فى أن للضوء حقيقة ووجودا ذاتيا ، وكان رأيه كفيلا بسد أكبر ثغرة فى النظرية وإزالة أخطر دواعى الخلل فيها .

لقد وجد عالمنا فى ابن الهيثم صورة مطابقة لنفسه كما ذكرنا ، فعكف على دراسة أعماله فى صبر ومصابرة ، أعجب بعيوفه عن الصغائر وزهده فى الترف والمال والسلطان وانكبابه المنقطع النظير على العمل ، فراح يترجم له وينقب عن مخطوطاته وكشوفه ، يجلوها على الناس ، ويعرفنا بهذا التراث

العلمى العربى المجيد ، وأنه ليروى قصة ابن الهيثم مع الأمير الذى دفع له أجر تعليمه فردها قائلا خذ أموالك بأسرها ، فأنت أحوج اليها منى عند عودتك إلى ملكك ومسقط رأسك ، واعلم أنه لا أجرة ولا رشوة ولا هدية فى نشر العلم وإقامة الخير . كما يروى فى اعتزاز قوله، يكفينى قوت يوم فما زاد على ذلك إن أمسكته كنت خازنك ، وأن أنفقته كنت قهر ما نلك ، فاذا اشتغلت بهذين فمن يشتغل بعلمى وأمرى، كما يروى قول سارتون عن ابن الهيثم : إنه أكبر عالم طبيعى مسلم فى جميع العصور والأزمان .

وفى الحق أن جهود عالمنا فى التعريف بالتراث العلمى العربى ، بإنشاء الجمعية المصرية لتاريخ العلم ورياسته لها طيلة حياته وإشرافه على إصدار ستة أعداد من مجلة هذه الجمعية ، وإنشائه للمحاضرات التذكارية لابن الهيثم التى ألقيت أثناء عمله فى كلية الهندسة ، وتضمنها عدد خاص من مجلة الجمعية المصرية لتاريخ العلوم والمقالات العديدة التى نشرها فى رسالة العلم فى موضوعات تتصل بتاريخ العلم عند العرب ، والمحاضرات التى ألقاها فى العيد الألفى لابن سينا والعيد الألفى لابن الهيثم وفى المؤتمرات العلمية، وأنه لخليق بنا اعترافا بفضل عالمنا ، أن ننشىء كرسيا بأسمه لتاريخ العلم فى كل جامعاتنا، وهو الكرسى الذى سعى لإنشائه منذ مدة طويلة؛ وذلك تخليدا لذكراه فقد كان يأمل رحمات الله عليه أن يعرف شبابنا أمجادنا العلمية ، وأن أمتنا ذات أصالة فى العلوم الطبيعية اعترف بها المنصفون من مؤرخى العلم من الغربيين ، على حين يجهلها شبابنا ، ويظنون أنها مستوردة من الخارج ، ومن أسف أن تعثر إنشاء هذا الكرسى ، بحجة أى الأقسام يتبع ، ثم تبودلت المذكرات والتوصيات بإنشائه بين الجامعات وجامعة الدول العربية ، ثم اكتفى بتدريس مقدمة فى تاريخ العلم فى بعض الكليات لبضع سنين ثم ألغيت إلغاء باعتبارها إحدى المواد القومية التى تقرر إلغاؤها . أليس من الواجب وفاء لراحلنا العمل على إنشاء قسم لتاريخ العلم أسوة بكثير من الجامعات الأوربية خاصة وأنها لا تعطى العناية الكافية للعصر العربى الاسلامى ، وان اعترفت بفضله على العلوم الطبيعية. إنى أقدم هذا الاقتراح إلى المسئولين وهو إنشاء كرسى مصطفى نظيف لتاريخ العلم فى إحدى الجامعات المصرية ولتكن جامعة عين شمس التى عمل وكيلا ومديرا لها وأستاذا بكلية العلوم بها أو فى جامعة القاهرة التى عمل أستاذا بها نحو عشرين عاما .

ويعتبر تأريخه لعلم الطبيعة أو الفيزيقا كما كان يحب أن يسميه أخيرا فى كتابه الذى نشره سنة سبع وعشرين، ويقع فى نحو أربعمائة وخمسين صفحة يعتبر مثالا يحتذى ، فهو يقول: إن الإحاطة بكيفية نشوء العلم ومعرفة الأدوار المختلفة التى مرت بها نظرياته ، والوقوف على مواضع الضعف

فى النظرية الواحدة ، وكيف أدى البحث فى إصلاحها إلى الخروج بها من حال إلى حال ، كل ذلك أدعى إلى حسن تصور الآراء والنظريات المختلفة وإلى معرفة قيمتها النسبية وتقديرها تقديرا صحيحا ، كما أن تتبع كيفية نمو العلم وتدرجه ومعرفة ما قام به العلماء من الأعمال التى أحدثت هذا النمو والتدرج ، يوضح بجلاء أن العلم كالكائن الحى ، قابل للنمو والرقى ، ويبعث فى نفس القارئ حب الاقتداء بمشهورى العلماء الذين لهم الفخار فى رفع منار العلم .

ويقول إن من أكبر ما يشوق المبتدئين فى دراسة العلم أن تذكر لهم الحقائق العلمية منسوبة إلى كاشفيها ، ويمزج بذكرها ما يجعل شخصيات هؤلاء الكاشفين مألوفة لديهم ، وأن العناية إلى حد ما بالخطوات المتتابعة التى أدت إلى الكشف عن هذه الحقائق يساعدهم فى فهمها ، ويذكى فيهم حب البحث فى الموضوعات العلمية ، ويحملهم على الاهتمام بمزاولتها ودراستها .

ويضيف أن الغرض الذى يقصده من الكتاب الإحاطة بأوليات تاريخ علم الطبيعة وسد الحاجة إلى كتاب يقف منه الدارسون على الكشوف الحديثة وما أدت اليه من الآراء والنظريات ، ويقول إن الكتب العربية التى تبحث فى تاريخ علم الطبيعة معدومة بتاتا ، وهى باللغات الأوربية نادرة جدا ، ولا يكاد يجد القارئ كتابا تناول البحث فى تاريخ علم الطبيعة منذ أول نشأته فى العصور القديمة وتدرج بها إلى أحدث الآراء والنظريات فى هذا العصر .

وأنه لتتبع نشأة العلم فى المدنيات القديمة والفلسفة اليونانية وعلاقتها بالعلم ونشوء فكرة العناصر وبقاء المادة فى الفلسفة اليونانية ثم التعاليم الرياضية والفلكية فى فلسفة فيثاغورس وعند أرسطو ونظريته فى حركة الأجسام ، ثم ينتقل إلى الحركة العلمية القديرة وتأسيس علم الهندسة عند أوقليدس وأرشميدس وبحوثه ، ويعرض للمخترعات العلمية فى العصر الاسكندرى ، ثم ينتقل إلى النهضة العلمية فى دولة الإسلام وعن تقدم علم الفلك عند العلماء العرب وفلاسفتهم فى علم الطبيعة ثم فى الميكانيكا ، ويعرض لكتاب ميزان الحكمة والبحوث الميكانيكية التى وردت فيه ثم منجزاتهم فى علم الصوت ومبلغ تقدم علوم الحرارة والمغناطيسية والضوء عند العرب .

ويمضى عالمنا الفذ فى تتبع نمو علم الطبيعة فى عصر النهضة الأوربية ، بادئا بأعمال كوبرنيق وكيلر وجاليليو ، ثم هيجنز ونيوتن وكافندش وغيرهم ودورهم فى تكون علوم الميكانيكا والأيدروستاتيكا ثم تورشيلى وباسكال وبويل ثم هولمهولتز ورالى وجاى لوساك ومكسويل وفراداى وآثارهم فى علوم الحرارة والصوت والضوء وهكذا إلى أن يصل إلى أحدث البحوث فى نظرية الكم

والنظرية النسبية لأينشتين وطومسون ورذرفورد والنظرية الإلكترونية — كل ذلك فى أسلوب سهل جذاب ، إنه الوضوح بعينه، هو السهل الممتنع .

أما كتابه البصريات الهندسية والطبيعية الذى نشره سنة ثلاثين ، ويقع فى أكثر من سبعمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير ، فإنه هو الآخر فريد فى بابه، متألق فى أسلوبه ودقته ، وأنه ليتدرج كذلك من مبادئه الأولية إلى المستوى المعتاد لدراسة هذا العلم فى الجامعات ، ويقول إنه يبدأ بهذه الدراسة المستفيضة لعلم الضوء دون فروع علم الطبيعة الأخرى ، لأنه الفرع الذى نما وازدهر فى عصر التمدين الإسلامى ، وكان من أعظم مؤسسيه شأنا ورفعة وأثرا، الحسن بن الهيثم، الذى كانت مؤلفاته ومباحثه المرجع المعتمد عند أهل أوروبا حتى القرن السادس عشر ، ويقول إنه لمن المعرة ألا يجد الباحث كتابا عربيا يرتفع فوق مستوى المبادئ الأولية التى يدرسها طلبة المدارس الثانوية فى علم كانت اللغة العربية لغته حتى عصر النهضة فى أوروبا.

وقد عالج فى هذا الكتاب موضوعات الانعكاس والانكسار ، وما يرتبط بها من المسائل الخاصة بالعدسات وتركيبها وما إليها بالبراهين الهندسية، على اعتبار أن شعاع الضوء فى الوسط المتجانس الأجزاء المتشابه الخواص فى جميع الاتجاهات ، خط مستقيم ، وأنه ينقاد عند الانعكاس والانكسار إلى القوانين الأربعة المعروفة ، ويتكون من هذا الشطر الأول من الكتاب المقصود بالبصريات الهندسية ، وأما شطر البصريات الطبيعية فهو الذى يدور البحث فيه حول موضوع ماهية الضوء وما يتفرع منه أو يرتبط به من الموضوعات ، ثم عرض للحركة الاهتزازية والحركة الموجية والنظرية الموجية ثم يصف العين وآلات الإبصار المألوفة والتشتت والألوان وتعيين الأبعاد البؤرية للمرايا الكرية والزيغ الكرى والزيغ اللونى وقوس قزح وسرعة الضوء ، والمبادىء الأساسية فى النظرية الموجية ثم التداخل والحيود ، والاستقطاب والتحليل الطيفى وقوانين الإشعاع . . . . كل ذلك وغير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره والإفاضة فيه ، فى لغة سهلة جذابة ، وفى أسلوب عربى سليم ، مع العناية بترجمة وتعريب المصطلحات العلمية .

وكم حدثنى رحمات الله عليه فى أمله فى أن يعيد طبع هذه الكتب ، ليضيف إليها ما استحدث فى العلم من آراء ونظريات وتجارب ، وأنا أعلم أن لديه ما كتبه بخطه فى هذه الموضوعات التى كان يود أن يضيفها ، وكم تمنيت عليه أن يملى على مايشاء من هذه الموضوعات ومن غيرها فى تاريخ العلم ، حتى تنشر ويعمم نفعها للقارئين والدارسين .

ولا مراء فى أن الأستاذ مصطفى نظيف شيخ علماء الطبيعة فى مصر بل وفى العالم العربى ، وأنه لرائد من رواد النهضة العلمية العربية فى العصر الحديث ، وقد اختير عضواً بمجمع

اللغة العربية سنة ست وأربعين ، ومنح جائزة الدولة فى الطبيعة سنة سبع وأربعين ، وجائزة الدولة التقديرية سنة ثمان وخمسين ، ووسام الجمهورية سنة خمس وخمسين ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى سنة تسع وخمسين .

وقد ولد عالمنا بمدينة الاسكندرية فى الثانى عشر من يناير سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وألف . وأوفد فى بعثة إلى إنجلترا بعد حصوله على الشهادة الثانوية وكان من الخمسة الأوائل فالتحق بجامعة برستول حيث تخصص فى الطبيعة مادة أساسية والرياضيات مواد ثانوية ، ولما عاد من بعثته سنة أربع عشرة عين بالتعليم الثانوى ثم نقل فى سنة ١٩٢٠ مدرساً لعلم الطبيعة بمدرسة المعلمين العليا حتى سنة ١٩٣٠ ، ثم عمل مفتشاً بوزارة المعارف وناظرا لمدرسة الفنون والصنائع ، ثم اختير أستاذاً مساعداً للطبيعة بمدرسة الهندسة التى صارت بعد ذلك كلية الهندسة بجامعة القاهرة

وفى سنة ١٩٣٤ رشح ليشغل وظيفة الأستاذية بدلا من الأستاذ الأجنبى ، ولكن حال نقله ناظراً لمدرسة أسيوط الثانوية دون تعيينه فى ذلك الوقت ، ثم أعيد الى وظيفته بمدرسة الهندسة ، ولما ضمت المدرسة إلى الجامعة متحولة الى كلية الهندسة ، عين أستاذاً للطبيعة ورئيساً للقسم ، إلى أن اختير وكيلا بجامعة عين شمس سنة خمسين ، وعين مديراً للجامعة سنة أربع وخمسين وظل يشغل المنصب إلى أن طلب إعفاءه فى أكتوبر سنة ست وخمسين ، فعين عضواً بمجلس الجامعة وأستاذاً غير متفرغ للطبيعة بكلية العلوم ، ثم استقال من عمله فى يونيه سنة ثمان وخمسين .

وقد كان عالمنا قطب الرحى فى كثير من الجمعيات والهيئات العلمية ، فهو إلى جانب عضويته بمجمع اللغة العربية ، ومجلس جامعة عين شمس ، عضو مراسل بالمجمع العلمى العراقى ، وعضو بالمجمع العلمى المصرى ، ورئيس سابق له ، وعضو بالأكاديمية المصرية للعلوم ورئيس سابق لها ورئيس الجمعية المصرية لتاريخ العلوم ، ورئيس الاتحاد العلمى المصرى ، ورئيس الاتحاد العلمى العربى ، والشعبة القومية للاتحاد الدولى لعلوم الطبيعة ، وكان عضواً بالمجلس الأعلى للعلوم طيلة مدة قيام هذا المجلس ، وعضواً بلجنة الطاقة الذرية وأول نقيب للمهن العلمية ، وأول من حصل على الجائزة التقديرية فى العلوم .

وكذلك كان الأستاذ نظيف منذ أول عهده من الداعين لتأصيل العلم فى البيئة العربية وإلى تدريس العلوم فى الجامعات باللغة العربية ، وبذل ما استطاع من جهد فى سبيل ذلك سواء كان بوضع الاصطلاحات أو بالتأليف أو بالقيام بتدريس المقررات المتقدمة فى علم الطبيعة باللغة العربية ، كما عنى بالتعريف بأهمية العلم وعلاقته بالمجتمع والتعريف بأهمية تاريخ للعلم وبمآثر العرب

فى العلوم وذلك فى محاضرات ودراسات ألقيت ونشرت فى مناسبات مختلفة ، وقد بلغ نشاطه الإنتاجى الذروة فيما بين منتصف العشرينيات ، حتى منتصف الأربعينيات بإنتاجه ما قدمنا من كتب فى علم الطبيعة وفى البصريات وفى دراسته للحسن بن الهيثم ، ثم فى بحوث ومحاضرات ودراسات ألقيت فى محاضرات عامة أو نشرت مقالات فى مجلات علمية ، ثم شغل بالمؤتمرات العلمية والاتحاد العلمى والأكاديمية واللجان العلمية والجمعيات المختلفة .

وقد أسهم الأستاذ نظيف فى أعمال لجان مجمع اللغة العربية ، ولكنه ركز جهوده بصفة خاصة فى لجنة العلوم الرياضيةوالهندسية والطبيعة وعلم النفس ، وشارك فى وضع مصطلحات الرياضة والطبيعة التى أقرت فى مؤتمرات المجمع منذ اختياره عضوا فيه كما شارك فى مراجعة معجم المصطلحات العلمية والفنية التى أصدرته القوات المسلحة منذسنين .

ومن دراساته التى عرضت على مؤتمرات المجمع ، بحث عن نقل العلوم إلى اللغة العربية وثان عن العلم التعليمى فى الاصطلاح القديم وآخر عن العلم ودلالة اللفظ فى اصطلاح الفلاسفة الإسلاميين وأقسام العلم عندهم .

أيها السادة

قلت فى صدر هذا الحديث إنى أشفقت على نفسى من القصور عن الوفاء بحق فقيدنا العظيم ، وها أنذا أعتذر إليكم عن هذا القصور ، آملا أن تغفروا لى ذلك ، أسأل الله العلى القدير أن يتغمد فقيدنا العظيم بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن ينزله منازل الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا ، والسلام .

## • • قصيدة الأستاذ عزيز أباظة :

أنبتت مصر العماليقَ الفحولا
فهووا عن أُفقها إلا قليلا

أَفدح الأَرزاء ما مسَّ الأُولى
إن تولَّوا ، لم تجد عنهم بديلا

ومصاب العلم فى أعلامه
يجعل القول وإن صح عليلا

جزع الشعر على العلم فــــلا
فاعلا يلقى ولا يلقى فعولا

عرف الناس لعمرى مصطفى
راهبًا فى معهد العلم بَتولا

غارقًا فى بحثه ملتمسًـــــا
لأَحاجى الكون بالدرس حلولا

واهبًا للعلم نفسًا حـــــرة
تبذل الجهد وتأْبى أن تقولا

واجدًا فى بحثـه لذتـــــه
خلق الناس طباعا وميولا

صامتا يسمع فى مجمعـــــه
فإذا قال فتصويبًا جليلا

يرسل القول وجيزًا محكما
إن فى إيجازه سبحًا طويلا

لم يكن من معشر إن عملوا
قرعوا الأجراس أو دقُّوا الطبولا

واسع الصدر إذا حاجيتـــه
وحَيِيًّا حين تُطريه خجولا

وجد الهيثم ذهنا صافيــــا
كشف الأستار عنه والسدولا

ليت شعرى كم لنا من هيثم
بين عينيه وبين النور حيلا

أيها الباحث عن تاريخنا
إن فى تاريخنا مجدا أثيلا

أنت ما قلبت فيه واجـــد
حكمة توثر أو فنا أصيلا

إن فى قرطبة علما عفـــــا
ومنارات له أمست طلولا

إن فى بغداد إشراقا خبـــــا
فاسألنْ دجلة عنه والمغولا

أمة أُمِّيَّـــة كم نشـــطت
تبعث العلم فروعا وأُصولا

سائلِ الصحراءَ كم قاعٍ غدا
للحضارات مقرًّا ومقيــــلا

أسرج الجو أُناس أخذوا
عن أُناس أسرجوا فيها الخيولا

كان للعرب . فهل جدَّ لهم
أثر فى كل فن لن يزولا

ما لنا هُنَّا وكنا قمـــــــا
فارعات . حسبنا الله وكيلا

هذه الدنيا وقد مالت بنـــا
فى سُراها دفعتنا أن نميــلا

كل عام تنتحينا نُـــــوَبٌ
فى زميل راحل يقفو زميــلا

ليت شعرى مَنْ مِنَ الصحب إذا
أطبق الحين وأزمعتُ الرحيلا

قـــــائم بينكمو يذكرنى
حامل فى يومه عبئا ثقيــلا

لن يرى إلا حياة جَدِبـــت
ليس فضلا ما احتوت لكن فضولا

إن تكن طالت فما أبأسها
أن تضم العُقْم موصولا طويلا

كملايين الورى ؛ قد طالعت
أول السبل ولم تسطع وصولا

آه لو عاد بيَ العمر إلى
باكرٍ منه ، لغيرتُ الدليلا

وقصدت الطوْد لم أُبدل به
هُضُباً طفت عليها وتلولا

وصبرت الطبع عن أهوائه
وحبست السمع عن قال وقيلا

ومضيْتُ النفس من ضغن وإن
سامني الناس من السُّوءِ شكولا

وتكرّمتُ فلم أدلِف إلى
دَرَجٍ خُضت إليهن الوحولا

وتحنّفت فكان الطهـر لى
والهدى زادا ونقلا وشمولا

وترفعت فلم أجعل لما
أبتغيه غير ذى العرش مسولا

أمنيات كم تمناها الأُولى
أخطأوا فانفرطوا عنها فلولا

أيها الإنسان لم تؤت من الـ
ـعلم فى أطرافه إلا قليلا

هبك طالعت السها فى أوْجها
وتطوّلتَ صعودا ونزولا

هل تسوم العمر يجرى القَهْقَرى ؟
هل ترد الموت بالحيِّ نزيلا !

هل تُنَقِّى النفس مما ضَمِنتْ
هل تزيل الحقد عنها والغليلا !

هل تقيم العدل فى الدنيا فلا
يلبث الباطل فيها أن يزولا !

هل تقى الضَّعْفى من الأَقوى إذا
ضرب الخسف عليهم والكُبولا

أيها الإنسان مازلت وإن
جبت أقطار السماوات ضئيلا

فاعتصم بالله واخشع ؛ إنه
إن يشأْ يَسَّر هذا المستحيلا

وخَفِ الله وسَلْهُ واقتربْ
وتَطَهَّرْ يعطك الله جزيلا

صحب الدنيا أُناس لم يكن
أمرهم إلا قدوما ورحيلا

لم يعش يوما وإن عمّر من
لم يزده عيشه إلا خمولا

إنما الدنيا كتاب جامع
خالد . من زاد فى المتن فصولا ؟!

لا لعمرى ما توارى عـــــالم إن يُتْمًا فقدُ أُمٍّ أو أَبٍ
طبَّق الأَرض اسمه عرضًا وطولا أَو إذا سجَّيت خِلاًّ وزميلا
من يكن بالعلم غذَّى معهدًا رَبِّ هذا عبدك اعتزَّتْ به
فنظيف وحده علَّم جيـــلا أُمم طبَّقها علما أُصيـــلا
يا نظيف العرض والنفس لقد وهفا يصقل فيها جهـــده
حمد الشرق لك الجهد الجليلا وهو ريان قبيلا فقبيـــلا
إن من أجلاك عنا بغتـــة فاسكب الفضل عليه غَدَقـــا
قادر أن يَهَبَ الصبر الجميلا إنك الرحمنُ ، واقبله قبولا

## • • كلمة أسرة الفقيد للأستاذ كمال نظيف :

سيدى الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين
رئيس المجمع
السيد الأستاذ الوزير بدر الدين أبو غازى
السادة العلماء أعضاء المجمع
حضرات السيدات والسادة
السلام عليكم ورحمة الله .

لقد استمعت اليوم إلى كلمتين . . . كان لهما أثر كبير فى نفسى .. كلمة الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر وكلمة الأستاذ الشاعر عزيز أباظة ، كان حزنى بالغا وألما فرأيت أنكما مثلى أول من أحس فداحة المصاب ، وكان اشتياقى إليه وإلى ذكراه شديدا فكنتما خير من يذكرنى به .

أيها السادة :

إن مشاركتكم الصادقة لى هونت على وخففت من حزنى لفراقه رحمه الله . وكان عزائى أنه ترك لى ولأمثالى من الأعمال والمبادئ ما ينير لنا الطريق وما نسير على هداه ، وأدعو الله أن يوفقنى فى أن أحذو حذوه فى أفعاله وفى جده وفى حسن بصيرته.

لقد كان رحمه الله يجل اللغة ويحترمها حتى فى مكاتباته وخطاباته العادية ، كما كان يجل النهضة العربية القديمة ويغار عليها فى العلم والأدب . كان دائم الاتصال بكم أهل العلم والأدب من مصر و الأقطار الشقيقة . وأذكر على سبيل المثال الفقيد المرحوم الدكتور قدرى طوقان الذى لبّى نداء ربه

بعده بوقت قصير . فكأنه كان على موعد معه فى السماء .

إن تأبينكم اليوم لوالدى لعمل جليل ، وبرهان بين واضح على صدق مشاعركم الطيبة ، إنه تكريم لذكراه ولأسرته ولأصدقائه ولرفاقه الأخيار . لذلك أرجو أن تسمحوا لى بالتقدم إلى حضراتكم جميعا وإلى كل من تفضل بمشاركتى الحزن والأسى لفراقه ، بخالص شكرى وتقديرى .

وإنى أجد نفسى مهما أوتيت من قدر وبلاغة عاجزا عن أن أوفيكم قدركم من تقدير وشكر . جزاكم الله خيرا ، ورحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## • كلمة ختام الجلسة للدكتور طه حسين :

أما الآن وقد استمعنا لما ألقى من أحاديث تزيد حزننا وأسانا على فقيدنا العظيم ، فإنى أؤكد لكم أنه مهما قيل عنه فلن يؤدّى حقه كما ينبغى أن يؤدّى ، وأؤكد لكم أنى كنت – وما زلت – من أشد الناس إجلالا له ، وفخراً به ، وحبا كأعمق ما يكون الحب .

وإنى أشكر الخطباء أجزل الشكر ، وأرجو لأسرة الفقيد العظيم ولنا العزاء ، والصبر الجميل .

اقام المجمع فى الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٨ من ربيع الاول سنة ١٣٩١ هـ الموافق ٣ من مايو سنة ١٩٧١ م حفل تأبين لفقيده المغفور له الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى ، الذى استأثرت به رحمة الله فى ١٩٧١/٣/٨ . وفيما يلى ما ألقى فى الحفل من كلمات :

## كلمة الأستاذ زكى المهندس فى تأبين المرحوم الأستاذ :

**عبد الفتاح الصعيدى**

يعز على المجمع أن يجتمع اليوم لتأبين الزميل الكريم المغفور له الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى . ولقد كانت وفاته الفجائية فاجعة هزت أعصابنا جميعا ، وملأت قلوبنا حزنا وأسى ، وقد زاد فى ألمنا أن الفقيد كان فى طريقه إلينا لحضور حفل تأبين المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف .

لقد خرج من بيته سليما معافى وهو لايدرى أن المنية كانت له بالمرصاد . وقد كان الفقيد ضحية من ضحايا الحياة الحضارية التى نحياها اليوم . فللحياة الحضارية ضحايا ، ولن يكون فقيدنا أول ضحية لها ، ولن يكون آخر ضحاياها .

إن حوادث الطريق هى إحدى ظواهر هذه الحياة الحضارية ، ولهذه الحياة ظواهر أخرى فاجعة .

إن الأزمات القلبية والذبحة الصدرية والضغط العالى والواطى وحوادث الطريق كلها ظواهر لتلك الحياة التى نحياها اليوم .

رحم الله الفقيد ، وأسكنه فسيح جناته .

## • • كلمة الأستاذ عبد الحميد حسن :

نجتمع اليوم لنلقى نظرة مقرونة بالأسى على ما وعته الذاكرة ، وما انضمت عليه الجوانح ، من جليل الشمائل وحميد المآثر للزميل الكريم والصديق الحميم الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى عضو مجمع اللغة العربية ، الذى اختطفته حوادث الزمن وشرور الطريق وهو أقوى ما يكون صحة ، وأعظم ما يكون أملا فى متابعة جهوده اللغوية ، وأكثر اهتماما بالمشاركة فى الأعمال التى رسم مجمع اللغة العربية خطتها لتطوير اللغة العربية والنهوض بها إلى المستوى اللائق بماضيها المجيد .

ولقد كنا نأنس إليه فى لقاءاتنا فى المجمع ، ونرى فى قلبه الرحيم عطفا عميقا ومودة صافية ، ونلمح فى سجاياه التواضع وحب الخير ونحمد له بالتقدير دأبه المتواصل على البحث والتنقيب فى شتى نواحى اللغة العربية ، ودلالات مفرداتها ، وما ينطوى عليه كل ذلك من سعتها ووفائها بمطالب التقدم العلمى والفنى . لقد اختطفته يد الموت وما كان فى مقدور أحد أن يرد عنه عاديات الدهر ، أو أن يدفع ما كتب له فى الأزل ، فهذا قضاء الله ولا راد لقضائه وليس لنا إزاء ما قدره الله إلا الرضا والتسليم.

جرت عادة الدنيا بكل الذى نرى
وليس لها صرف لما تتعود
فصبرا وتسليما لكل ملمة
إذا لم يكن يوما عن الخطب مبعد

نعم هذه هى طبيعة الحياة وسنة الله فى خلقه ، وهو الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه يرجع الأمر كله ، « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » .

حقا ، خلق الله الموت ليكون للناس واعظا ورادعا وحافزا ، وخلق الحياة وحدد لكل إنسان عمرا محتوما وأجلا معلوما ، وأخفى موعده لكى يتسع الأمل ، وينفسح مجال العمل ، والعمل الصالح هو رصيد الحياة ، وضريبة الصحة ، والعنصر الأساسى لبقاء المجتمع الإنسانى ، والعامل الأول فى عمران الكون ، وقد جعل الله العمل وثيقة ينال بها الإنسان النعيم المقيم والحياة الطيبة الخالدة . « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات

يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم » ( يونس ٩ ) .

ولقد كان الفقيد الكريم من خير العاملين المخلصين فى جميع مازاوله من أعمال فى التعلم والتعليم وما تقلد من مناصب .

ولد رحمه الله بسمنود فى محافظة الغربية فى ٢٠ من ديسمبر سنة ١٨٩٢ ، ودخل كتاب الأربعين ، وتعلم ما كان يدرس فى هذه الكتاتيب وهو حفظ القرآن الكريم ومبادئ الدين وشئ من الحساب وقواعد الكتابة والخط . وجوّد القرآن بمسجد « العدوى » على إمام القراءات بالجهة وهو الشيخ عزب جانى ، ثم طلب العلم بمسجد « سيدى سلامة » على الشيخ مصطفى البكرى .

ثم غادر سمنود إلى المنصورة فالتحق بمدرسة المعلمين وقضى بها سنتين ، ثم دخل بعد ذلك « دار العلوم » وتخرج سنة ١٩٢٠ .

وبذلك يكون الراحل الكريم قد أتم مرحلة الإعداد العلمى والثقافى ، وهى مرحلة لها أبعادها وعمقها فى مجال اللغة العربية والدين .

وتجزأ بعد ذلك مرحلة العمل والاستثمار وجنى الثمار . ويبدؤها المرحوم مدرسا بمدرسة بنى سويف الابتدائية . وهنا يلتقى بزميل كريم وصديق وفىّ رضىّ الأخلاق دمث الطباع فى تواضع وإخلاص ، وهو الأستاذ حسين يوسف موسى ، وقد ألّف الجد والنشاط والإخلاص بين قلبى الزميلين

وأسفر ذلك عن ائتلاف علمى وتجاوب عملى فى البحث اللغوى ؛ فأخرجا كتابا قيّما وهو كتاب « الإفصاح » فى اللغة ، طبعت طبعته الأولى سنة ١٩٢٩ م ، وكان عدد صفحاته ٧٣٦ صفحة ، ثم طبعت طبعته الثانية التى تمت سنة ١٩٦٧ فى حجم كبير يقع فى جزأين بلغت صفحاتهما ١٣٩٤ صفحة . وهو كتاب عظيم الفائدة فى البحوث اللغوية على غرار المعاجم المعنوية ، مثل المخصص لابن سيده وفقه اللغة للثعالبى ، وغيرهما من كتب اللغة التى تجمع المفردات طبقا لما تنتمى إليه من فصائل المعانى ، مثل الأطعمة والأشربة والملابس والمساكن والرياح والسحب والأشجار والثمار وغير ذلك .

ويعد مرجعا ذا شأن فى وضع المصطلحات العلمية والفنية ، ودليلا موجها ومفيدا لمن يجولون فى ميادين اللغة وبطون المعاجم للبحث عن كلمات عربية تقابل المصطلحات الأجنبية ؛ لعلهم يظفرون بما يحقق ما ينشدون من الألفاظ الملائمة ، التى يمكن أن نشق طريقها فى المجال العملى فى يسر وسهولة .

وإلى جانب هذا المعجم اشترك الزميلان فى تأليف ثلاثة أجزاء فى متن اللغة والمحفوظات للمدارس الثانوية .

بعد ذلك استمر الراحل الكريم مدرسا فى مدارس متعددة وهى الناصرية ، فالمعلمين بالمنصورة فالمعلمين بعابدين فمدرسة فؤاد الأول الثانوية .

وفى إحدى مدارس المعلمين الأولية كانت جولته العلمية التى سعدت فيها بلقاه ، وكانت هذه المدارس فى القمة من نظام التعليم القومى المرتكز أولا وبالذات على اللغة العربية والدين ، إلى جانب المواد الثقافية التى يتزود بها المواطن الصالح ، وكذلك المواد التربوية اللازمة لإعداد من يقومون بتعليم الشعب فى أجياله المتعاقبة .

وقد حرص القائمون على إدارة التعليم الأولى إذ ذاك على أن ينشئوا أكبر عدد من هذه المدارس ، لكى تفى بتخريج العدد الكافى من المعلمين ، حتى يمكن تنفيذ التعليم الإجبارى بعد إعداد العدة له ، فأنشأوا خمسا وعشرين مدرسة وكانت منبثة فى أنحاء القطر المصرى من أسوان إلى شواطئ البحر المتوسط ، وقصدوا بتوزيعها على هذا النحو أن يحققوا فكرة التعليم المحلى ، حتى ينشأ الناشئ فى بيئته متعلما ، ثم يعود معلما فيها .

وكانت مناهج هذه المدارس فى اللغة العربية والدين حافلة بالعدد الكبير من الدروس فى مختلف موضوعات هاتين المادتين ، حتى يكون خريجو هذه المدارس أوسع أفقا فى اللغة والدين ، وبذلك يستطيعون أن يضعوا الأساس القوى المتين للقومية الصحيحة .

وفى إحدى مدارس المعلمين الأولية التقيت بالراحل الكريم مدرسا بمدرسة عابدين للمعلمين ، وكانت فى حى السيدة زينب بالقاهرة أمام المدرسة السنية الثانوية للبنات ، وقد تغيرت معالمها وحلت محلها مبان أخرى .

فى هذه المدرسة وفى غيرها من مدارس المعلمين لقيت زملاء أعزاء من بينهم الراحل الكريم ، زملاء لهم علم وفضل وتطلع إلى البحث والدرس والتجديد ، وكان لهم أثر عظيم فى النهضة التعليمية فى اللغة العربية والدين ، تلك النهضة التى نأمل أن تعود سيرتها الأولى فتعود للجيل الحاضر والأجيال القادمة أصالتهما ، وقوتها الخلقية والاجتماعية ، ثم مقدرتهما العلمية .

وقد لمست فى فقيدنا الكريم فى هذه المدرسة حبا للعمل ، ونشاطا جما ، وإخلاصا ، ومثابرة ، وقياما بالواجب على أكمل الوجوه ، وهذه هى الصفات الكريمة التى كانت شعارا له فى جميع ما تولاه من أعمال .

وفى سنة ١٩٣٦ م نقل إلى المجمع اللغوى رئيسا للتحرير . وفى سنة ١٩٤٣ م رقى إلى وظيفة المراقب الإدارى بالمجمع ، خلفا للمرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى ، وظل فى هذه الوظيفة حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٥٢ م . ثم اختير عضوا بالمجمع سنة ١٩٦١ ، وظل عاملا فى جد ونشاط وإخلاص ، إلى أن وافاه القدر المحتوم .

وكان نشاطه في مجمع اللغة العربية واسع النطاق ، فقد كان عضوا فى كثير من لجانه وهى :

١ — لجنة الكيمياء والصيدلة .

٢ — لجنة علوم الأحياء والزراعة .

٣ — لجنة الجيولوجيا .

٤ — لجنة المعجم الكبير .

٥ — لجنة المصطلحات الطبية .

وفى الكتاب الذى ألفه الدكتور مهدى علام لمجمع اللغة العربية وعنوانه « المجمعيون » جاء عن الراحل الكريم مايلى :

« وأسند إليه من قبل وزارة الصحة مراجعة دستور الأدوية من الناحية اللغوية ، وهو أول دستور رسمى يظهر باللغة العربية ، وقدنشر فى مجلة المجمع بحثا بعنوان «مصطلحات العلوم فى اللغة العربية ودور المجمع فيها » ( ج ١٣ ص ٢٠٩ ) .

وفى هذا البحث تعرض لوضع المصطلحات العلمية فى عهد الترجمة فى عصر الدولة العباسية وما مرت به هذه المصطلحات فى دور النقل والترجمة العاجلة ، ثم فى دور التمحيص والتأنى بعد دراسة العلوم الجديدة ، وامتلاك زمامها وفهمها فهما عميقا مستوعبا .

ثم عرض للأدوار الأربعة التى تمر بها المصطلحات فى مجمع اللغة العربية وهى : لجان المجمع ، وجلساته ، ومؤتمره ، ثم رأى جماهير العلماء والمثقفين فى هذه المصطلحات بعد أن تطبع وتذاع ويطلع عليها الجميع ، وأشار إلى استعداد المجمع لإعادة النظر فى أى مصطلح كان إذا ظهر له وجه الصواب ، ورأى ضرورة التغيير .

وجاء أيضا فى كتاب « المجمعيون » فى معرض اقتراحات الفقيد الكريم مايلى :

« وله اقتراحات فى تيسير وضع المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الأجنبية ، قدم بعضها لمجمع اللغة العربية والمكتب الدائم للتعريب بمدينة الرباط بالمغرب ، وترمى هذه المقترحات إلى استخراج مصطلحات العلوم من الكتب العربية القديمة ، وتوزيع كلمات المعجمات العربية على حسب معانيها لتكون مصطلحات كل علم بين يدى اللجنة الخاصة بوضع مصطلحاته ، فلا ترجع اللجان إلا إلى ما بين يديها من هذه الألفاظ العربية ، وفى هذا اقتصاد للوقت والجهد ، فوق ما فيه من ربط الحديث بالقديم ، مما ييسر على العلماء المحدثين الاطلاع والاستفادة من علوم الأقدمين » .

هذه بعض جهود الفقيد الكريم فى اللغة وفى نواحى المصطلحات العلمية والفنية ، وهى جهود تتسم بالنشاط الجم ، وتاج هذا النشاط هو كتاب « الإفصاح » ، فإن تأليفه وتمحيص ما احتواه من ألفاظ ، وتنسيقها وجمع متفرقها فى أنواع مؤتلفة ، كل هذا ينطوى على محصول لغوى غزير ، وإلمام له وزنه فى المجال اللغوى .

ولم يكن نشاط الفقيد مقصورا على هذا المجال اللغوى فحسب ، بل كان له رحمه الله إلى جانب ذلك اهتمام بالأدب وميل إلى الشعر تجود به قريحته فى بعض المناسبات ، ممايدل على استعداده للانطلاق فى هذا الميدان ، ولعل اهتمامه باللغة وبالتنقيب فى المعاجم قد استولى على اتجاهاته الفكرية ؛ فلم يدع له فسحة من الوقت لجولات فى مجال الشعر ، ولكن الموهبة كانت ثابتة الجذور فى أعماق عاطفته وخياله ، وكانت جذوتها تشتعل حينما تتهيأ المواقف التى تستحث قريحته وتحفز شاعريته .

ومن نماذج شعره قصيدته التى ألقاها فى الدورة الثانية والثلاثين لمؤتمر المجمع الذى عقد فى بغداد سنة ١٩٦٥ م . وأبياتها ٨٢ بيتا ، ومطلعها .

داعٍ دعا لاحتفال بابنة الضاد
نادى فأسمعنا من عُدوة الوادى

صوت ندىّ ببغداد دعا فسعى
قوم من العرب ماينئوهم النادى

وبعد ذلك يفيض فى وصف الطائرة وأجزائها فى أكثر من عشرين بيتا ، ثم يخاطب السفينة لينتقل إلى الحديث عن العراق فيقول :

دعِى السماء وعُوجى اليوم ناجية
نحو العراق ففيها خير مرتادِ

وفى السماء رجوم الشهب قد رصدت
وفى العراق نجوم الرائح الغادى

منازل العرب فى كل البلاد شوى
أنى رحلنا نزلنا بين أنداد

ثم يعاوده الحنين إلى الاعتزاز باللغة العربية فيقول :

ليلى بنى العرب فى أوطانهم لغة
بحبها وهواها قد شدا الشادى

وكلهم قيسُها والحب يجمعهم
موثقا ضم منقادا لمنقاد

هى اللسان لدنياهم ودينهم
لحاضر مترف فيهم وللبادى

بها تنزلت الآيات واتضحت
مناهج الدين والدنيا لعبّاد

هى الرباط الوثيق العقد قد جمعت
أشتاتهم ثم ردوا صولة العادى

ثم يعود إلى تمجيد الماضى العربى والحث على استعادة أمجاده فيقول :

ياقوم عودوا لماضيكم فإن به
ركازكم فانفضوه نفض نقّاد

فيه لكم غُنْية عن كل مجتلب
يفنى القديم ويعيى همة الشادى

أحيوا الذى اعترف العلم الجديد به
وصرفوه كما شئتم بإعداد

هيا ابذلوا الجهد والأموال طائلة
فى خطة المجد تحقيقا لإسعاد

ثم يقول فى آخر القصيدة مشيرا إلى المقترحات التى كان قدمها كتابة :

قدمتُ مقترحا من قبل متضحـا
نثرا وإنى أثنيه بإنشـــاد

لا يرجع الوقت إن ضيعتموه سدى
والجد والجِد فى الدنيا بميعــاد

* * *

هذه سطور من الصفحة الناصعة لحياة الراحل الكريم الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى وهى صفحة حافلة بالخلق الرضىّ والإخلاص الوافى ، والجد المثابر والنشاط المتوقد ، والبحث الدائب فى اللغة وألفاظها ومدلولاتها ومختلف نواحيها .

وقد ظل الراحل الكريم مدافعا عن المصطلحات العربية السليمة وعن الألفاظ التى تحل محل الدخيل وتثبت دعائم الأصيل .

وإنا لنذكر له جهوده فى هذه النواحى بالثناء والتقدير .

ونتجه إلى الله سبحانه أن يجزيه الجزاء الأوفى ، وأن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته ، وأن يلهم أسرته الكريمة وأصدقاءه ومحبيه الصبر الجميل .

## كلمة أسرة الفقيد للدكتور فتحى عبد الفتاح الصعيدى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين

السيد نائب رئيس المجمع — السادة الأعضاء — حضرات السادة .

قضى الله — ولا راد لقضائه — بأن نبتلى بانتقال والدنا إلى الرفيق الأعلى ، فتلك سنته فى خلقه ، وكم كان الامتحان قاسيا ، إذ لم يكن بين مقامه بيننا ، وبين لقاء ربه ، بهذه الصورة الأليمة ، ما يتيح له أن يسمعنا كلمته الأخيرة ، التى كنا فى حاجة إليها .

ولكن ، كان فى مواساة مجمع اللغة الموقر لنا ، ومشاركة سيادة الرئيس والسادة الأعضاء إيانا ، خير عزاء لنا فى مصابنا . ولسنا ندرى ، بأى لسان نشكر هذه اليد الكريمة ، التى أسداها لنا المجمع ، فأثلجت صدورنا ، وضمدت جراحنا .

وإنى لأحس كأن روح والدنا تحوم حولنا الآن ، وترى هذه القلوب العامرة بالحب والتقدير ، فترتاح فى مثواها ، وتدعو لكم بطول العمر وسعادة الحياة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

# من أنباء المجمع

**تجديد انتخاب رئيس المجمع :**

قرر مجلس المجمع بالاجماع ــ بجلسته المنعقدة فى ١٩٧١/١١/١٥ ــ تجديد انتخاب الدكتور طه حسين رئيسا للمجمع لمدة أربع سنوات أخرى ، تبدأ من ١٩٧١/١٢/٦

**انتخاب عضو جديد من تونس :**

قرر مؤتمر المجمع بالاجماع ــ بجلسته الختامية المنعقدة فى ١٩٧١/٣/١ ــ اختيار الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة عضوا عاملا بالمجمع من تونس ، فى المكان الذى خلا بوفاة المغفور له الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور .

**اعضاء راحلون :**

استأثرت رحمة الله سبحانه بعدد من أعضاء المجمع ، هم السادة :

- الدكتور قدرى حافظ طوقان ، عضو المجمع من الأردن ( توفى فى ١٩٧١/٢/٢٦ ) .
- الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى ( توفى فى ١٩٧١/٣/٨ ) .
- الدكتور عبد الرزاق السنهورى ( توفى فى ١٩٧١/٦/١٩ ) .
- السير هاملتون الكسندر جب ، عضو المجمع من انجلترا ( توفى فى ٢٤ /١٩٧١/١٠ ) .

**خبراء جدد للمجمع :**

وافق مجلس المجمع على اختيار خبراء لبعض اللجان ، وهم السادة:

- الدكتور عبد الحميد الغزالى ( للجنة الاقتصاد ) .
- الأستاذ محمد شوقى أمين الخبير بلجنتى الأصول والمعجم الوسيط ( للجنة الألفاظ والأساليب ) .

- الدكتور أحمد مدحت اسلام ( للجنة الكيمياء ) .
- الدكتور محمد بسيوني خفاجى ( للجنة الجيولوجيا ) .
- الدكتور شارل كونز الخبير بلجنة اللهجات ( للجنة الحضارات القديمة والوسطى ) .
- الدكتور محمد داود التنير ( للجنة الطب ) .

## صلات المجمع العلمية :

●● عقدت الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة ( اليونسكو العربية ) مؤتمرا لبحث « الأصالة والتجديد فى الثقافة العربية المعاصرة » فى ١٩٧١/١٠/٤ . وقد مثل المجمع فى هذا المؤتمر الدكتور محمد مهدى علام والأستاذ محمد خلف الله أحمد ، عضوا المجمع .

●● بعثت ادارة المواصلات بجامعة الدول العربية الى المجمع مجموعة من مصطلحات الطرق والنقل البرى . وقد قرر المجلس ــ بجلسته المنعقدة فى ١٩٧١/١٠/٤ ــ احالة هذه المصطلحات الى لجنة الهندسة ؛ لابداء الرأى فيها .

●● ورد المجمع كتاب من الأستاذ أحمد أصلان ــ من المملكة الأردنية الهاشمية ــ يتضمن بعض المقترحات الخاصة برسم الحروف العربية المستعملة فى الآلات الكاتبة . وقد رأى المجلس ــ بجلسته المنعقدة فى ١٩٧١/١٠/٢٥ ــ احالة الموضوع الى لجنة تيسير الكتابة العربية لدراسته ، وابداء الرأى فيه .

●● ورد المجمع كتاب من الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال يطلب فيه من المجمع أن ينظر فى مؤلفه ( معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصل العربى ) ، وقرر المجلس ــ بجلسته المنعقدة فى ١٩٧١/١١/٢٢ ــ احالة هذا المعجم الى لجنة الألفاظ والأساليب ، لتبدى رأيها فيه .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

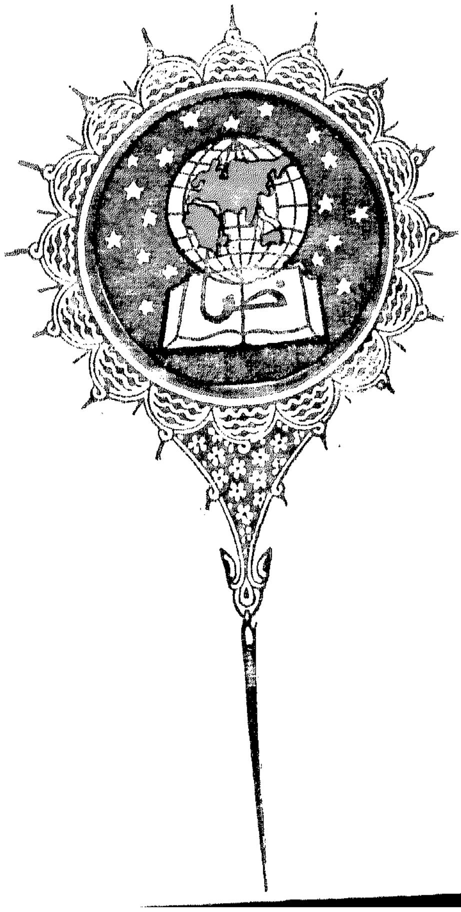
رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٢/٢٠٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٧٢٥-١٩٧١-٢٠٠٢



# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء الثاني والثلاثون
شوال ١٣٩٣ هـ
نوفمبر ١٩٧٣ م

مجمع اللغة العربية بالقـاهرة
٢٦ شارع مراد ـ الجيزة

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين فى السنة )

## الجزء الثانى والثلاثون

شــــوال ١٣٩٣هـ

نوفــمبر ١٩٧٣م

المشرف على المجـلة:

د.إبـراهيـم أنـيس

رئـيس التحـريـر:

إبـراهيـم التـرزى

# الفهرس



# أَلِكْنى إليها بالسلام وأَلِكْنى إليها السلام

للدكتور إبراهيم أنيس

هذا تعبير قديم ورد فى شواهد شعرية لاتقبل الشك، وتوقف القدماء من اللغويين إزاءه طويلا يحاولون تأصيله وتفسير معناه .

فنراهم من حيث تأصيل المادة اللغوية فريقين ؛ منهم من يذهب إلى أن التعبير « أَلِكْنى » مستمدّ من الجذر «ألك » ، وآخرون يؤكدون أنه من « لأك » ، وكلا الفعلين الثلاثيين بمعنى أرسل رسالة أوتحمل رسالة .

ويبدو أن ابن بَرّى كان يرى أن التعبير « ألكنى » من المادة « ألك » ، إذ ينسب إليه صاحب اللسان هذا النص :

« ويقال ألك بين القوم إذا ترسّل ألْكاً وأُلوكاً ،والاسم منه الأُلوك وهى الرسالة ، وكذلك الأَلوكة والمأْلُكة ، والمأْلُك ، فإن نقلته بالهمزة قلت : أَلكتُه إليه رسالة والأَصل أَأْلكتُه ، فأُخرت الهمزة بعد اللام ، وخففت بنقل حركتها على ماقبلها وحذفها ، فإن أَمرت من هذا الفعل المنقول بالهمزة قلت : ألكنى » .

هو إذن يذهب إلى أن الثلاثى «ألك » دخلت عليه الهمزة فأَصبح «أأْلك » وأَن فعل الأَمر من هذا الأَخير جاء فى الشواهد المروية على صورة ألكنى ، دون أن يبيّن لنا بوضوح كيف صار إلى ذلك .

أمّا ماينسبه صاحب اللسان إلى ابن الأنبارى فأوضح وأدق فى بيان مذهب الفريقين من العلماء ، قال :

« والأصل فى ألكنى ألئِكْنى فحولت كسرة الهمزة إلى اللام وأسقطت الهمزة ....... قال : ومن بنى على الألوك قال : أصل ألكنى أألكنى ، فحذفت الهمزة الثانية تخفيفا » ! !

ويبدو أن الفيروزابادى كان ينتصر للرأى القائل : إن ألكنى أصلها ألئكنى ، إذْ لايشير إلى التعبير « ألكنى » إلاّ فى مادة لأك فيقول :

« وألكنى إلى فلان أبلغه عنى ، أصله ألئكنى حذفت الهمزة وأُلقيت حركتها على ماقبلها » .

وقد تبيّن لنا فى بحث سابق[1] بما لايدع مجالا للشك أن المادة الأصلية للدلالة تحمل الرسائل أو إرسالها هى « لأك » ، وأن « ألك » فرع لها مقلوب .

ولانتصور من أجل ذلك أن تعبيرًا قديما مثل « ألكنى » يكون مشتقا إلا من الأصل الأصيل « لأك » ، ونؤثر أن تكون ألكنى أصلها « ألئِكْنى » لاغير .

بقى أن ننظر فى تفسيرهم لمعنى هذا التعبير ، فنرى أنهم اتجهوا فى ذلك إلى رأى عجيب ، وحاولوا جاهدين ــ ومع قدر غير قليل من التكلف والتعسف ــ تطبيقه على الشواهد الشعرية التى ورد فيهاهذا التعبير ، ثم خرجوا لنا بتفسير يقولون فيه مرة إن المعنى معكوس ، فقد كان مقتضى التعبير أن يكون معناه أرسلنى إليها برسالة ، ولكن معناه الحقيقى هو : « كن رسولى إليها بهذه الرسالة » ، أى أن المخاطب مُرْسَل والمتكلم مُرْسِل ! ! ولما اصطدموا بالشاهد :

ألكنى ياعتيق إليك قولاً ستهديه الرواة إليك عنّى

قالوا : وقد يكون المُرْسَل هو المُرسَل إليه ! !

فينسب صاحب اللسان إلى ابن برّى مانصه :

---

(١) انظر فى الجزء الثلاثين من المجلة بحثا تحت عنوان ( ملك ، ملاك ، ملائك ، ملائكة ) .

« أَلكْنى إليها برسالة » ، وكان مقتضى هذا اللفظ أن يكون معناه أرسلنى إليها برسالة إلا أنه جاء على القلب ، إذ المعنى : كن رسولى إليها بهذه الرسالة ، فهذا على حد قولهم : « ولا تهيبُنِّى الموماة أركبها » أى ولا أتهيَّبُها ، وكذلك ألكْنى لفظه يقضى بأن المخاطب مرسِل والمتكلم مرسَل ، وهو فى المعنى بعكس ذلك ، وهو أن المخاطب مرسَل والمتكلم مرسِل » .

ثم يقول بعد ذلك :

« وقد يكون المرسَل هو المرسَل إليه ، وذلك كقولك : أَلكْنى إليك السلام ، أى : كن رسولى إلى نفسك بالسلام » ! !

وجاء فى اللسان أيضاً :

« وقال ابن الأنبارى : أَلكْنى إليه ، أى كن رسولى إليه ، وقال أبو عبيد فى قوله : « أَلكْنى ياعُيَيْنُ إليك عنى » أى أبلغ عنى الرسالة إليك » ! !

وفى رأيى بعد الذى تقدم أن الأمر أهون من أن نتصور فيه عكس المعنى ، أو أن نتصور مايزعمونه من أن المخاطب فى الظاهر مرسِل والمتكلم مرسَل ، وفى الباطن على العكس ؛ وأهون كذلك من أن نتصور فيه أن المرسَل قد يكون المرسَل إليه ، كما يقول هؤلاء العلماء ! !

والتأصيل الواضح الذى ينطبق على كل الشواهد المروية ، دون تعسف أن يقال إن الثلاثى «لأَك» ومعناه أرسل قد زيدت عليه الهمزة فأصبح «أَلأَكَ» بمعنى جعله يرسل . وذلك مثل الثلاثى «دخل» حين تلحقه الهمزة فيصبح « أدخل » ، لايتصور سوى أن يقال فى : « أدخله الدار » ، جعله يدخل الدار ، ويكون الأمر منه « أَدْخِلْنى الدار » أى اجعلْنى أدخل الدار . وعليه فالثلاثى «لأَك» بمعنى أرسل حين يصبح « أَلأَكَ » يكون معناه ؛ جعله يرسل .

ولم ينحدر إلينا من استعمالات هذا الفعل المزيد بالهمزة سوى فعل الأمر فى التعبير « أَلِكْنى » ، فلم يرد له فى الشواهد المروية ماض ولامضارع . وتؤكد لنا هذه الظاهرة أن

التعبير قديم متوغل فى القدم . فلم يبق من آثاره إلا الأمر فى صورة ألكنى التى يكون معناها اجْعلْنى أرسلْ .

ولاشك إذن فى أن ألكنى أصلها « ألْئِكْنى » ، فلما نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، وقلبت الهمزة إلى حرف مدّ مناسب لحركة ما قبلها ، كان مقتضى ذلك أن يصبح أليكْنى ، فحذفت ياءُ المدّ ، ولم يكن من الممكن بقاؤها لأن الحرف الذى بعدها ساكن ، ومن ثمّ صار « ألكنى » وهو التعبير المرويّ .

والفعل ألكنى قد يتعدى بنفسه أى اجعلْنى أرسل إليها السلامَ ، وقد يتعدى بالباء على أساس تضمنه معنى « بعث » أى اجعلنى أبعث إليها بالسلام . ولاغرابة لذلك أن يرد التعبير «ألكنى » فى شواهده مرة ألكنى إليها السلام ، وأخرى ألكنى إليها بالسلام .

والمخاطب فى التعبير «ألكنى » ، فى معظم الشواهد ، غير محدّد ، هو كل من يُتصور أن يخاطب فى مثل هذه الأحوال ، فالخطاب لمجهول لنا ، قد يكون قرين الشاعر أو شيطانه . ولاشك أن قولنا : « اجْعلْنى أرسلْ » يساوى تمام المساواة « دعْنى أرسلْ » . ولاضير إذن أن نؤْثر فى شرح الشواهد المروية استعمال « دعْنى أرسلْ » لتوضيح معنى « ألِكْنى » ، فنجد أن المعنى واضح كل الوضوح ، ولايتطلب فى أى منها شيئا من التكلف أو التعسف . فابن أبى ربيعة حين يقول :

ألكنى إليها بالسلام فإنه ينكّر إلمامى بها ويشهّرُ

هو على طريقة شعراء العرب فى خطابهم مَنْ نجهل ، يريد أن يقول : دعنى أبعث إليها بالسلام وإنى قانع بذلك لأن اتصالى بها فوق هذا قد يفسّر بأمر منكر وقد يشهّر به بين العرب .

وكذلك قول الشاعر :

ألكنى إليها بخير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبرْ

معناه دعنى أبعث إليها بخير رسول لأعلم القوم بحقيقة الأمر .

وعمرو بن شأس حين يقول :

ألكنى إلى قومى السلامَ رسالةً بآية ماكانوا ضعافا ولا عُزْلا

يريد أن يقول : دعنى أرسل إلى قومى السلام فى شكل رسالة، إذْ لم يكونوا ضعافا ولا عزْلا .

ويروى بيت عمرو بن شأس برواية أُخرى :

ألِكِنِي إلى قومى السلام ورحمة الـ إلَه فما كانوا ضِعافًا ولا عُزلا

أى دعنى أُرسل إلى قومى السلام ورحمةً من عند الله ، فهم شجعان وفرسان .

وقد يكون المخاطب محدداً ، نُصّ عليه فى صلب الشاهد . كما فى الشواهد الآتية .

فليس يتطلب تفسيرنا لقول الشاعر :

ألكنى ياعتيق إليك قَوْلاً ستهديه الرواة إليك عنى

شيئاً من اللف والدوران ، فالمعنى واضح كل الوضوح ، فيقول الشاعر : دعنى ياعتيقُ أرسل إليك قولاً كريما سيصبح أنفس هدية تصلك من قِبَلى ، أو تروى لك عنى .

وكذلك الشأن مع مايذكره صاحب اللسان ( أَلِكْنى ياعُيَيْنُ إليك قولاً ) .

ولكثرة وُرُودِ هذا التعبير مصحوبا بالمعمول فى صورة السلام أو سلاما أو قولا ونحو ذلك ، أصبح من الممكن أن يجيء وحده ، وأن يكون المعمول حينئذ مفهوما ضمنا مثل قول النابغة :

أقول وإن شطت بى الدار عنكم إذا ما لقينا من معدٍّ مسافراً

ألكنى إلى النعمان حيث لقيته فأهدى له اللهُ الغيوثَ البواكرا

ومعناه : أقول وأنا بعيد عن الديار لكل مسافر من قبيلة معدّ : دعنى أُرسل معك تحية إلى النعمان ، متّعه الله بالخير العميم .

والمخاطب فى الشاهدين معروف غير مجهول ، هو فى الشاهد الأول « عتيق » ؛ وفى الشاهد الثانى كل مسافر يلقاه من معدّ .

لم يبق بعد كل ماتقدم إلا ماينسبه صاحب اللسان إلى زيد بن حارثة من أنه قال :

ألكنى إلى قومى وإن كنت نائيا فإنى قطين البيت عند المشاعر

وللبيت رواية أُخرى هى : أحنّ إلى قومى . . . . . . . .

وقصة زيد بن حارثة كما جاءت فيما روى عن الصحابة[1] تتلخص فى أنه كان حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهر مواليه ، اختطف فى الجاهلية صغيراً ، وأُتى به إلى سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ،ووهبته خديجة وهو فى الثامنة من عمره للنبى صلى الله عليه وسلم حين تزوجها ، فأعتقه ، وتبناه ، وزوّجه بنت عمته ، واستمر الناس يسمونه زيد بن محمد ، حتى نزلت آية « ادعوهم لآبائهم » وهو من أقدم الصحابة إسلاما ، استشهد فى غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة .

أما المناسبة التى قال فيها هذا الشعر فهى أن ناساً من كلب كانوا يحجون فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال لهم : أبلغوا عنى أهلى هذه الأبيات فإنى أعلم أنهم جزعوا علىّ ، قال :

أحنّ إلى قومى وإن كنت نائيًا ... فإنى قعيد البيت عند المشاعرِ
فكفّوا عن الوجد الذى قدشجاكم ... ولا تعملوا فى الأرض نصّ الأباعرِ
فإنى بحمد الله فى خير معشر ... كرام معدٍّ كابرًا بعد كابرِ

فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه. وجاء أبوه وعمّه ، واستدلا على موضعه ، وكان بينهما وبين النبى الكريم حوار ممتع انتهى بأن اختار زيد البقاء فى صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانصرف أبوه وعمه وقد طابت نفوسهما ، واطمأنا عليه .

وعلى فرض صحة رواية اللسان ( ألكنى إلى قومى ........ ) يكون المعنى دعنى أرسل إلى قومى سلامى وشوقى ،فإنى وإن شطت بى المزار ، وبعدتُ عن الديار ،فقد أصبحت فى حمى البيت الحرام ،وفى كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله الكرام ، فكفّوا عن الوجد والشجو من أجلى ، فإنى فى أسعد حال .

نخلص مما تقدم إلى أن التعبير : « ألكنى إليها بالسلام ، وألكنى إليها السلام » لايحتمل إلا معنى واحداً واضحاً كل الوضوح هو :

دعنى أبعث إليها بالسلام ، ودعنى أرسل إليها السلام .

وبالله التوفيق .
نوفمبر ١٩٧٣

المشرف على المجلة
**ابراهيم انيس**

(١) أسد الغابة ج ٢ ص ٢٢٤ ، الأعلام ج ٣ ص ٩٦ ، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٤٢ .

# بحوث ومقالات

# المصطلح النحوىّ

## للدكتور إبراهيم مدكور

**النحو** بين علوم اللغة من أولها ظهورا ، وحديث أبى الأسود الدؤلى (٦٧هـ) خير شاهد على ذلك ، وإن كنا لانسلّم بأنه وضع شيئا فى علم النحو . وكل ماحدث أنه شعر باللحن فى قراءة القرآن ، فاقترح أسلوبا لشكله ، واللحن مدعاة للبحث عن قواعد الإعراب . ولاغرابة فى أن تكون البصرة أول مدينة إسلامية قامت فيها مدرسة نحوية ، فقد اختلطت فيها الأجناس والثقافات ، وفشا اللحن . وحاول اللغويون أن يجدوا سبيلا لدرئه أو تخفيفه ، وكانت إلى جانبهم نماذج من أجروميات أخرى بين سريانية ويونانية : ومن الثابت أن النحو السريانى ، وهو متأثر بالنحو اليونانى ، قد وضع بنصيبين ، وهى على اتصال بالبصرة ، فى القرن السادس الميلادى قبل الإسلام بقليل ؛ وكان من بين المشتغلين به يعقوب الرهاوى ( ٦٨ هـ ) الذى عرفه العالم العربى .

وفى البصرة قام الرعيل الأول من النحاة ، وكانوا لغويين وأدباء قبل أن يكونوا نحاة ، وعلى رأسهم ابن أبى اسحق الحضرمى (١١٧هـ) الذى وضع كتابا فى « الهمز » ، وكان قيّاسا يحاول أن يجمع الأشباه والنظائر فى ضوابط محدّدة . وتتلمذ له عيسى بن عمر الثقفى ( ١٤٩هـ) الذى ألّف كتابى « الجامع » و « الإكمال » ، وتوسع فى القياس كما صنع أستاذه . ثم جاء الخليل بن أحمد ( ١٧٥ هـ ) شيخ البصريين وواضع أول معجم لغوى كبير فى العربية ، ومؤسس علم العروض . وقد أحل الشكل بالحركات محل الشكل بالنقط ، وضيق دائرة القياس على عكس ما صنع عيسى بن عمر ، ولم يقس إلا على الأشيع والأعم . وليس ببعيد أن يكون قد وقع بصره على شئ من قواعد الأجرومية فى اللغة السنسكريتية ، ولم تعرف له كتب نحوية ، ويظهر أنه استودع سره فى هذا لدى تلميذه سيبويه ( ١٨٠هـ ) أكبر نحاة البصرة . وقد خلّف لنا التلميذ الذائع الصيت « الكتاب » ، وهو أكبر أثر باق من نحو البصريين الأول ، وعليه اعتمد أنصاره فيما بعد ، فبسطوا فيه مابسطوا ، وشرحوا ماشرحوا ، ونقدوا ، واستدركوا . وهو مؤلف جامع ، يمزج بين النحو واللغة والأدب ، ويشتمل على العناصر الأساسية لعلم النحو العربى . أخذ فيه سيبويه عن الخليل خاصة ، وعن بعض

اللغويين والنحاة السابقين كأبي عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) ويونس بن حبيب (١٨٢هـ) ولكن نخطئ إن زعمنا أنه قعّد قواعد النحو على الصورة التي ظهرت بها فيما بعد. وقد قام على أمرها شيوخ البصريين كالمبرد في القرن الثالث، وأبي علي الفارسي وابن جني في القرن الرابع، وهما في القياس باع طويل، والزمخشري في القرن السادس، وابن يعيش في القرن السابع.

وقد أخذ الكوفيون عن البصريين، ومدرستهم متأخرة عنهم بنحو مائة سنة، وهي إلى السماع أميل، وهذه هي النقطة الجوهرية التي تفصل بين المدرستين. ولمدرسة الكوفة أعلام لا يقلّون شأنا عن أعلام البصرة، وعلى رأسهم الكسائي (١٨٩ هـ) مؤسس المدرسة، ومنافس سيبويه، وتلميذه الفراء (٢٠٧ هـ) الذي توسع في التفريعات والجزئيات. وتلاه ثعلب (٢٩١ هـ)، وهو من أنجب تلاميذ المدرسة الكوفية. ويظهر أن السياسة عززت جانب الكوفيين بعض الشيء، لأنه كان من كبارهم مربو الخلفاء والأمراء، فكان الكسائي معلم الأمين والمأمون، والفراء معلم أولاد المأمون، وابن السكيت (٢٤٥ هـ) معلم أولاد المتوكل. ومع هذا لم يمتد نشاطهم في المشرق أكثر من قرنين، وقدّر للمذهب البصري الغلبة عليهم:

وأدّى التقاء البصريين مع الكوفيين في بغداد وحوارهم معهم إلى قيام مدرسة نحوية ثالثة هي مدرسة البغداديين، ومن أشهر رجالها ابن قتيبة (٢٧٦ هـ)، وأبو حنيفة الدينوري (٢٩٢ هـ). وقد أخذوا بطرف من المذهب البصري وآخر من المذهب الكوفي، ولكنهم لم يتركوا نظرية واضحة المعالم؛ وما وصلنا عنهم قليل، وينصب على مسائل فرعية، ومدرستهم دون نزاع أقل شأناً من المدرستين السابقتين.

والأندلس وبلاد المغرب يد في تاريخ الدراسات النحوية، قامت فيها مدرسة رابعة على رأسها ابن مَضَاء القرطبي (٥٩٠هـ) الذي حمل على نظرية العامل البصرية حملة عنيفة، وآثر السماع على القياس في اللغة، وأهل شمال أفريقيا والأندلس أميل إلى الأثر والسماع في الفقه والنحو على السواء. ومن رجال هذه المدرسة ابن معطي (٦٣٥ هـ) الذي استن سنة كتابة النحو شعراً في قصيد طويل. وجاراه ابن مالك (٦٧١ هـ) في صنيعه وبزّه فيه. والمدرسة الأندلسية مدرسة موفقة كمدرسة بغداد، وإن تكن أعمق بحثاً، وأميل إلى المذهب الكوفي الذي وجد طريقه إلى الأندلس قبل المذهب البصري فعززته وردت إليه مافقده في الشرق. واستطاع ابن مالك أن يكوّن نحواً يلائم بين الطرفين، ويأخذ في الاعتبار بعض الآراء الكوفية، وإن اعتمد أساسا على المذهب البصري، وهذا النحو هو الذي قدّر له أن يسود في القرون الأخيرة. وعرف ابن هشام المصري (٧٦٠ هـ) كيف

يعرضه عرضا دقيقا منسقا فى كتبه المختلفة وخاصة فى كتابه « مغنى اللبيب » .

تلك هى المدارس التى عنيت بعلم النحو، وصاحبته فى نشأته ونموه . وقد اصطلحت على لغة موحدة تداولتها فيما بينها ، استمدت مصطلحاتها من علوم سابقة ، أو أنشأتها إنشاء . ومن أمثلة هذه المصطلحات الحرف والحركة ، الاسم والفعل والجملة ، المقصور والممدود ، المنصرف وغير المنصرف ، الإعراب والبناء . ولم تتكون هذه المصطلحات لأول وهله ، بل عدلت وهذبت ، نمت وتطورت . ثم استقرت منذ القرن الثالث للهجرة ، وأصبحت مألوفة للنحاة على اختلافهم ، ولا يزال درس النحو يعتمد عليها إلى اليوم . واستوعبت الدراسات النحوية معظم نشاط المثقفين فى القرون الستة الأخيرة . وكثيرا مايلاقى شبابنا اليوم عنتا فى تعلمها والوقوف على تفاصيلها ، وقد دعى إلى تيسير النحو على الناشئين منذ أخريات القرن الماضى ، ولاتزال هذه الدعوة قائمة . وخطونا فيها خطوات لابأس بها . وجدير بنا أن نتابعها أسوة بنحو الإنجليزية بين اللغات الحية :

ولا شك فى أن النحو العربى فى مادته ومصطلحه ثروة طائلة قد يقوى عليها الباحثون والمتخصصون ، ولكنها دون نزاع عبء ثقيل على جماهير الناشئين . ولذلك دعى إلى تيسير تعليمه منذ أخريات القرن الماضى ، وخطا فى سبيل ذلك خطوات بعض المشتغلين به والقائمين على تعليمه ، ويكفى أن نشير من بينهم إلى حفنى ناصف صاحب « قواعد اللغة العربية » ، وهو أول كتاب معاصر قصد به تيسير هذه القواعد وعرضها فى صورة مركزة مختصرة . وسار على نهجه على الجارم فى « النحو الواضح » ، الذى عول فيه كثيراً على المثال والعبارة لاستخلاص القاعدة . وفى أول العقد الرابع من هذا القرن اضطلع الدكتور بهى الدين بركات بأعباء وزارة المعارف ، ولمس خطر هذه المشكلة فى بلد ينادى بنشر الفصحى وتعميم التعليم ، وقصد إلى مواجهتها ، وكون لذلك لجنة من رجال اللغة العربية فى الوزارة وكبار أساتذة كلية الآداب بالجامعة . وانتهت هذه اللجنة إلى مشروع مكتمل عرض على مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٥ ، وقد درسه طويلا ، ثم انتهى إلى إقراره بتعديل يسير ، وطالب خاصة بأن توضع على أساسه كتب نحوية جديدة ، ولم ير بأساً من أن يتولى وضعها ، وإلا فإنه يطلب أن يراجعها قبل نشرها ، وقبل وضعها فى أيدى التلاميذ .

وأريد فى عام ١٩٦١ تنفيذ هذا المشروع فوضعت فيه على عجل كتب مدرسية لاعلم للمجمع بها ، ولم يلبث التنفيذ أن توقف لشكوى بعض المدرسين فى الغالب ، وبخاصة مدرسو اللغة العربية فى سوريا ،

وعبثاً حاولت الوزارة تدارك الأمر دون جدوى . ولاتزال المشكلة قائمة ، وزادُ أبنائنا من العربية قليل ، وإقبالهم عليها ضعيف : وما أجدرنا أن نواجه هذا الموقف مواجهة صادقة ، أسوة بما اتبع فى تعليم الأجرومية فى بعض اللغات الحية ، وبخاصة الإنجليزية ولا يشك أحد أن المقصود هو تعلم اللغة ذاتها ، وسبيل ذلك القراءة السليمةالسهلة الملائمة ، والمتدرجة مع أعمار التلاميذ ، أما الإعراب والقاعدة فلايلجأ إليها عادة إلا عند الغموض وتعذر الفهم .

**ابراهيم مدكور**

الأمين العام للمجمع

# الشيخ خالد الأزهرى

للدكتور الشيخ محمد الفحام

٨٣٨ — ٩٠٥ هـ / ١٤٣٤ — ١٤٩٩ م

دعانى للبحث عن تاريخ هذا العالم الجليل والمؤلف العظيم ماعرفته فى مؤلفاته من الدقة والسهولة ، وما لاحظته من لزوم لقب « الشيخ » ووصف « الأزهرى » له .

وكم من شيوخ تعلموا فى الأزهر ودرسوا فيه وتركوا آثارا قيمة من التآليف النافعة الباقية بقاء الدهر ولم تلازمهم هذه النسبة « الأزهرى » بل يكثر ذكرهم على اللسان وفى الكتب المؤلفة من غير أن يتصدرهم لقب « الشيخ » .

وها نحن أولاء نذكر كثيراً منهم بأسمائهم المجردة فنقول : ابن هشام وجلال الدين السيوطى وجلال الدين المحلى والجوجرى والدمنهورى والسخاوى والجبرتى والمقريزى وابن عقيل والأشمونى والشمنى والدمامينى وغيرهم .

وكلهم تغذى بلبان الأزهر وتربى تحت سقفه وأسهم فى نشر علومه وترك آثارا أحيت اسمه وخلدت ذكره . ومع هذا لم يأخذ واحد منهم لقب « الأزهرى » ولا لقب « الشيخ » .

ولقد بحثت عن المراجع التى يظن وجوده بها وحديثها عنه فعثرت على اثنى عشر مرجعا منها وكلها مطبوعة . وهى :

١ — الأعلام للزركلى — الجزء الثانى بالصحيفة ٣٣٨ .

٢ — الخطط التوفيقية — لعلى باشا مبارك الجزء العاشر بالصحيفة ٥٣ .

٣ — الضوء اللامع ، فى أعيان القرن التاسع للسخاوى ، الجزء الثالث بالصحيفتين ١٧١ ، ١٧٢ .

٤ — الكواكب السائرة ، بأعيان المائة العاشرة — لنجم الدين الغزى . الجزء الأول بالصحيفة ١٨٨ .

٥ — إيضاح المكنون ، للبغدادى ، الجزء الأول بالصحيفتين ١١٨ — ٢٩٣ وبالجزء الثانى بالصحيفتين ٢٢٩ ، ٥٤٣ .

٦ ـ بدائع الزهور فى وقائع الدهور . لابن إياس ، الجزء الثانى بالصحيفتين ٣٦١ ، ٣٦٢ .

٧ ـ دائرة المعارف الإسلامية «الطبعة الفرنسية » مقالة بقلم «بروكلمان » بعنوان « الأزهرى » الجزء الأول صحيفة ٥٥٠ والجزء الثانى بالصحيفة ٢٧ والجزء الثانى من الملحق لبروكلمان بالصحيفة ٢٢ .

٨ ـ روضات الجنات ، فى أحوال العلماء والسادات ، للخوانسارى ، الطبعة الثانية بمدينة « طهران » بالصحيفة ٢٧٠ .

٩ ـ شذرات الذهب ، فى أخبار من ذهب ، للعماد الحنبلى ، الجزء الثامن بالصحيفة ٢٦ .

١٠ ـ كشف الظنون ، فى أسماء الكتب والفنون ، لحاجى خليفة بالصحائف ١٢٤ ، ١٥٤ ، ٤٨٣ ، ٩٥٢ ، ١٣٣٢ ، ١٧٩٦ ، ١٧٩٧ ، ١٧٩٨ ، ١٨٠٠ .

١١ ـ معجم المؤلفين ـ تراجم مصنفى الكتب العربية لعمر رضاكحالة ـ الجزء الرابع بالصحيفة ٩٦ .

١٢ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف إليان سركيس ـ الجزء الأول بالصحيفتين ٨١١ ، ٨١٢ .

وقد أفدت من مطالعة هذه المراجع كلها المعلومات الآتية : ـ

الشيخ خالد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن أحمد الجرجى (الجرجوى ، الجرجاوى) الأزهرى الشافعى النحوى الوقاد ـ وكنيته ـ ككل من سمى خالدا ـ أبو الوليد ـ أما لقبه فزين الدين . وانفرد الميرزا محمد باقر الموسوى الخوانسارى الأصبهانى فى كتابه ـ روضات الجنات ـ يذكر لقبه : « أبى الفضل » بدلا من «أبى الوليد » . وذكر أن «الأزهرى » منسوب إلى الإمام أبى منصور الأزهرى اللغوى المشهور صاحب كتاب التهذيب .

ومن هذا نعلم أنه ليس منسوبا إلى الأزهر كما اشتهر عند الناس والله أعلم .

ويظهر أن لقب الأزهرى كان مشهورا فى عصر الشيخ خالد ، عرف به كثير من العلماء ، فقد ورد على لسان الشيخ خالد عند بدئه شرح الأجرومية هذه العبارة : «حملنى عليه الشيخ عباس الأزهرى » وذكر عند شرحه على الجزرية أنه تلقاها عن شيخه «عبد الدائم الأزهرى » .

أما لقب الوقاد فقد ذكر المؤرخون في بيانه أنه كان يشتغل بإيقاد مصابيح الأزهر وأن فتيلة سقطت منه على كراسة بعض الطلبة فشتمه وعيّره بالجهل فترك الوقادة وأكب على طلب العلم وبرع فيه، وخاصة علم العربية . وقد كان اشتغاله بالعلم على كبر. قيل كان عمره ستاوثلاثين سنة . وقد ولد بمدينة جرجا سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة تقريباً . وتحول وهو طفل مع أبويه إلى القاهرة فحفظ القرآن ودرس العمدة ومختصر أبي شجاع ، وعاش بالقاهرة كل حياته وجاء في روضات الجنات عند ترجمة الشيخ خالد هذه العبارة « وكان قد سكن الشام » . ولم نجدها في غيره .

## شيوخه :

قرأ العربية على يعيش المغربي ، نزيل سطح الأزهر وداود المالكي والسنهوري ولازم الأقصرائي في العضد وحاشيته ، والتقي الحصني في المعاني والبيان والمنطق والأصول والصرف. وأخذ قليلا عن الشمني وعن العباد والمناوي وقرأ على الجوجري وإبراهيم العجلوني والزين الأبناسي ،وأخذ الفرائض والحساب عن السيد على تلميذ ابن المجدي واليسير عن الشهاب السجيني والزين المارداني ، وسمع يسيرا عن السخاوي.

وقد شهد له وقرظ بعض كتبه محيي الدين أبوعبد الله الكافيجي المتوفى سنة ٨٧٩هـ شيخه وشيخ جلال الدين السيوطي .

قال السخاوي : وبرع في العربية وشارك في غيرها وأقرأ الطلبة ولازم تغر بيردي القادري فقرره في المسجد الذي بناه للداودار بخان الخليلي ، وكان ينزل بخانقاه « سعيد السعداء » .

ومن تلاميذه القسطلاني صاحب كتاب « إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري » المتوفى بالقاهرة سنة ٩٢٣ هـ .

## مؤلفاته :

أما مؤلفاته فقد عرفت بالسهولة وانتفع بها كثير من الناس ولا تزال قيمتها في الأوساط العلمية وخاصة الأزهرية لما عرف عن مؤلفها من الإخلاص وأكثرها لايخرج عن دائرة النحو واللغة ومنها واحد في الأصول .

وقد وصل إلى علمنا منها ستة عشر مؤلفاً :

١ – المقدمة الأزهرية – وأولها « الكلام فى اصطلاح النحويين عبارة عما اشتمل إلخ » . وقد ظلت مدة طويلة تدرس فى الأزهر بعد الأجرومية .

٢ – شرح المقدمة الأزهرية . وأوله « الحمد لله على جميع الأحوال » وقد طبع هذا الشرح فى بولاق سنة ١٢٥٢ هـ .

وقد ألف الشيخ حسن العطار أحد شيوخ الأزهر السابقين المتوفى بالقاهرة حاشية على هذا الشرح طبعت ببولاق سنة ١٢٨٤ هـ وبالقاهرة ١٣١٧ هـ .

وألف الشيخ محمد مجاهد أبو النجا حاشية أخرى طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٢هـ.

وألف الشيخ أبوبكر الشنوانى المتوفى سنة ١٠١٩ هـ حاشية على الشرح المذكور أولها الحمد لله على كل حال .

وألف الشيخ زين الدين منصور سبط الطبلاوى شرحا للأزهرية ممزوجا سماه « العقود الجوهرية فى حل ألفاظ الأزهرية » أوله « الحمد لمن جمع الكمال فى خلاصة خلقه » فرغ من تأليفه ٩٩٩ هـ .

وألف الشيخ محمد الإمبابى أحد شيوخ الأزهر السابقين تقريراً على كل من حاشيتى العطار وأبى النجا – وهو مطبوع عدة طبعات .

٣ – إعراب الأجرومية وأوله « الحمدلله على ما أنعم » .

٤ – شرح الأجرومية وأوله الحمد لله رافع درجات المنتصبين الخ ثم قال : هذا شرح ينتفع به المبتدى ولايحتاج إليه المنتهى حملنى عليه الشيخ عباس الأزهرى الخ .

وقد طبع لأول مرة فى أمستردام بهولانده سنة ١٧٥٦م ثم طبع فى بولاق ١٢٥٩هـ وألف عليه حاشية محمد مجاهد أبوالنجا طبعت فى بولاق ١٢٨٤ هـ وفى تونس سنة ١٢٩٠هـ ثم طبع فى القاهرة ١٣٠٥هـ ، ١٣٠٦هـ ، ١٣١٩ هـ ومع هذه الطبعة الأخيرة تقرير للشيخ محمد إمبابى أحد شيوخ الأزهر السابقين .

٥ – موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب – وهو شرح ممزوج لكتاب الإعراب عن

قواعد الإعراب الذى ألفه أبو محمد عبدالله ابن يوسف الشهير بابن هشام مؤلف كتابى المغنى والتوضيح والمتوفى بالقاهرة سنة ٧٦١هـ . والمتن معروف باسم « الإعراب عن قواعد الأعراب » وهو مشتمل على أربعة أبواب : الأول « الجمل وأحكامها » الثانى « فى الجار والمجرور » الثالث «فى عشرين كلمة » والرابع «فى الإشارة إلى عبارة محررة ». وأول الشرح « الحمدلله الملهم لحمده » وهو على صغره مفيد ينبغى لطالب العربية أن يطلع عليه ويدرسه وقد فرغ من تأليفه سنة ٨٩٨هـ وقد طبع فى استامبول سنة ١٢٨٥هـ وفى القاهرة ١٢٩٥هـ .

وقد سبق الشيخ خالدا فى شرح هذا الكتاب شيخه الكافياجى المتوفى ٨٧٩ هـ . وقد وصف الشيخ جلال الدين السيوطى تلميذ الكافياجى شرحه هذا بأنه أجل مؤلفاته وأنفعها .

٦ - تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب وهو كتاب أعرب فيه ألفية ابن مالك إعرابًا تفصيلياً وأوله « الحمد لله الذى رفع قدر من أعرب بالشهادتين » وجاء فى آخره أنه فرغ من تأليفه فى يوم الإثنين ٢٧ من شهر رمضان سنة ٨٨٦ هـ .

وقد عرف الشيخ خالد - لتأليفه هذا الكتاب باسم « المعرب » كما عرف ابن هشام باسم الموضح لتأليفه كتاب التوضيح أو أوضح المسالك .

وقد طبع هذا الكتاب بتونس سنة ١٢٩٠هـ وسنة ١٢٩٢هـ وطبع ببولاق سنة ١٢٩٤هـ وفى غيرها ١٢٨٩هـ و١٣٠٥هـ،١٣٠٨هـ ١٣١٠هـ وطبع كثيراً بعد ذلك .

وقد سبق الشيخ شهاب الدين أحمد ابن الحسين الرملى الشافعى المتوفى ٨٤٤هـ الشيخ خالدا الأزهرى فى تأليف كتاب أعرب فيه الألفية .

٧ - التصريح بمضمون التوضيح - وهو شرح على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، وهو المعروف بالتوضيح لابن هشام الأنصارى . ومن أجل هذا الشرح عرف الشيخ خالد باسم « المصرِّح » .

وعلى هذا الشرح حاشية للشيخ يس بن زين الدين العليمى الحمصى المتوفى سنة ١٠٦١هـ وأول الشرح « الحمد لله الملهم لتحميده » وقد فرغ من تأليفه يوم عرفة سنة ٨٩٦هـ وقد طبع ببولاق سنة ١٢٩٤هـ وبمطبعة محمد

مصطفى سنة ١٣٠٥ هـ وبالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٦ وله طبعات أخرى متعددة .

٨ - « الحواشى الأزهرية فى حل ألفاظ المقدمة الأزهرية » .

والمقدمة الجزرية هى المعروفة باسم المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه .

وهى فى علم التجويد ، ألفها الشيخ محمد بن محمد الجزرى الشافعى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ وأولها :

يقول راجى عفو رب سامع
محمد بن الجزرى الشافعى

والشرح ممزوج بالمتن ، وأوله « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » وذكر فيه أنه تلقاها عن شيخه « عبد الدائم الأزهرى » وأنه أتم تأليفها سنة ٨٦٧هـ والحواشى الأزهرية مطبوعة على حجر بالقاهرة بمطبعة حسن الطوخى وبالمطبعة الشرفية ١٣٠٤هـ .

٩ - الألغاز النحوية أو ألغاز الشيخ خالد . وهو كتاب صغير يشتمل على اثنتين وثلاثين صحيفة من القطع الصغير طبع بمطبعة حجرية بالقاهرة ١٢٨١هـ .

وقد جاء فى الأعلام للزركلى عند ترجمة الشيخ خالد وفى دائرة المعارف الإسلامية «الطبعة الفرنسية» عند ترجمة «الأزهرى» أن هذا الكتاب مخطوط. فلعلهما لم يطلعا عليه مطبوعاً . فقد اطلعت عليه وعندى منه نسخة مطبوعة سنة ١٢٨١هـ .

وقد جاء فى مقدمته « وبعد فإنى نظرت فى علم العربية ، ووقفت على دقائقه وحقائقه وراجعت كل كتب أهل العربية وتصانيفهم فوجدتها مشتملة على أبيات من الشعر مصعبة المبانى متقمصة المعانى . وقد ألغز قائلها إعرابها ودفن فى غامض الصنعة صوابها ، وهى فى الظاهر فاسدة قبيحة وفى الباطن جيدة صحيحة . وقد كان العلماء المتقدمون كالأصمعى وغيره يتساءلون عنها ويتماحنون بها ، أردت أن أجمع منها ما تيسر لأوضح مشكله وأبين مجمله مشيراً إلى موضع النكتة منه غير مستقل بإيراد النظائر والأمثال فيفضى إلى الضجر والملال .

وقد بدأ هذه الألغاز بتوجيه الحديث الشريف : « إن من أَمَنِّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبو بكر » وختمها بالبيت :

إنَّ هند المليحة الحسناء
وَأْىَ من أَضمرتْ لخِلٍّ وفاء

وتقدير البيت الإعرابي والمعنوى :

عِدِى يا هندُ المليحة الحسناءَ وَعْداً

مثل وعد من أضمرت وفاءً لخِلِّ

فإنَّ مؤلفة من « إ » أمر من وَأَى بمعنى وَعَدَ والنُّون المشددة للتوكيد وهو خطاب لمؤنثة حذفت ياؤُها لالتقاء الساكنين .

و «هند» منادى و «المليحة» صفة مرفوعة تبعاً للفظ و «الحسناءَ» صفة منصوبة تبعاً للمحل أو صفة لمفعول به محذوف تقديره المرأة .

وإنى لأنصح بالاطلاع على هذه الألفاظ لطرافتها وكثرة فائدتها .

١٠ – الزبدة فى شرح قصيدة البردة ، والمراد بها قصيدة البردة التى ألفها البوصيرى .

وأولها : أما بعد حمد الله مستحق التحميد فقد سألتنى أيها الأُخ النجيح – أن أضع شرحاً لطيفاً على بردة المديح ، مشتملا على بيان لقائها أهم توضيح فأجبتك لما سألته .

وقد فرغ من تأليفه فى رجب سنة ٩٠٣ هـ والظاهر أنه آخر مؤلفاته – رضى الله عنه – .

١١ – شرح الكافية لابن الحاجب ، مخطوط دامادزاده باستامبول برقم ٥٨ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

١٢ – شرح العوامل المائة للجرجانى مخطوط بدار الكتب المصرية فى ٨٨ ورقة برقم ١٧٩ نحو .

١٣ – تقييد فى الحمد والشكر مخطوط بمكتبة الرباط برقم ٥٤٤ .

١٤ – بلوغ الأمل فى فن الزجل مخطوط بالمكتبة الحميدية باستامبول برقم ١٢٧٣ .

١٥ – الثمار اليانعة فى الأُصول مخطوط بالمكتبة الآصفية بالهند فهرست الجزء الأول ص ٩٢ .

١٦ – تفسير آية « فلا أُقسم بمواقع النجوم » مخطوط بالمكتبة الآصفية بالهند فهرس الجزء الأول ص ٥٣٢ .

توفى الشيخ خالد – رحمه الله تعالى – بعد تأديته فريضة الحج وعودته إلى « بركة الحاج » قريبا من شبين القناطر فى يوم ١٩ من المحرم سنة ٩٠٥ هـ الموافق ٢٦ من أُغسطس ١٤٩٩ م ونقل إلى تربة الدوادار « يشبك » حيث دفن بها – رحمه الله تعالى – .

**محمد الفحام**

عضو المجمع

# الحركة العلمية في عصر المأمون

للدكتور عبد الحليم منتصر

يكاد أن يتفق المورخون على أن عصر المأمون، إنما هو أزهى عصور الحضارة العلمية فى العصر الإسلامى، ومنهم من يقول إن الحضارة الإنسانية مدينة للمأمون، الذى قاد الحركة العلمية أبرع قيادة، ويقول المستشرق « هوجز » إن عصر المأمون أزهى فترة فى تاريخ النهضة بالعالم الإسلامى، إذ كان الخليفة نفسه، عالماً من أساطين العلماء، واختار أصحابه ورجال الدولة، من الصفوة الأفذاذ فى الشرق والغرب، هذا إلى جانب الأساتذة والمشيرين والمترجمين والمفكرين الذين علىّ بهم بلاطه، وزين ملكه. ويقول سيد أمير على « إن بلاط المأمون كان يموج بجمهرة عظيمة، من رجال العلم والأدب والشعراء والأطباء والفلاسفة، الذين استدعاهم المأمون من جهات متعددة من العالم المتمدين، وشملهم جميعاً بعنايته مهما اختلفت مشاربهم وجنسياتهم.

وقد استفادت هذه المجالس وتلك الاجتماعات العلمية من التطور العلمى والترجمة اللذين كانا طابع ذلك العصر، ووجدت هذه العلوم طريقها إلى مجالس المأمون فازدهرت ونمت نموا عظيما.

وكذلك كانت تعقد مجالس العلم والحلقات العلمية فى قصور الخلفاء والأمراء ومنازل العلماء، ودور الكتب والمكتبات وكذلك فى المساجد، فكانت هذه وتلك تؤدى ماتؤديه الجامعات ومعاهد العلم فى الوقت الحاضر، فقد ثبت أن درست بالمساجد، علوم اللغة والمنطق والطب والميقات، ويروى أن البغدادى كان يلقى درسه فى الطب فى الأزهر ظهر كل يوم.

ثم انتقلت مجالس العلم وصالونات الأدب والاجتماعات العلمية من قصور الخلفاء والمساجد إلى المدارس فقد زاد الإقبال على هذه الحلقات، وتعددت الحلقات فى المسجد الواحد فى الوقت الواحد، مما أحدث من الضجة والضوضاء، ماغدا معوقاً، واتضحت صعوبة استعمال المساجد للتدريس والصلاة. ثم إن المعارف ازدادت تنوعاً، وازدادت أسباب الجدل فى دروسها، مما لم يكن يتفق ومهابة المساجد وجلالها.

وقد عنى كثير من الكتاب والمؤلفين بدراسة النهضة الأدبية والاجتماعية والسياسية فى عصر المأمون، ويهمنا فى هذا الحديث أن نلقى بعض الضوء على الحركة العلمية

والترجمة فى عصر المأمون ، باعتبارها الأساس الذى قامت عليه النهضة العلمية فى العصر الإسلامى ، الذى كانت بمثابة الزاد الذى اغتذت منه أوربا فى عصر نهضتها وحتى قال « سارتون » مؤرخ العلم فى العصر الحديث : « كان لابد من ظهور الخوارزمى والصوفى وابن الهيثم والرازى وجابر وابن سينا والبيرونى ، حتى يتسنى ظهور جاليليو وكبلروكوبرنيق ونيوتن ودالتن ومن إليهم » ويقول أيضاً : « لولا أعمال العلماء العرب ، لاضطر علماء النهضة الأوروبية ، أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون » .

ونعلق على ذلك فنقول : « إنه لولم تصيبنا محنة المغول والتتار والترك والاستعمار ، لكانت هذه النهضة التى تفاخر بها أوروبا تكون من نصيب الأمة العربية ، وتتقدم عليها فى التاريخ بضعة قرون ، وتكون لغتها هى العربية » . فقد كانت العربية لغة العلم ، فكل من أراد أن يترك علما تقرؤه الناس لجأ إلى اللغة العربية ، فكتب وألف بها .

وتقول الدكتورة « سيجريد هونكه » فى كتابها فضل العرب على أوروبا ، أو شمس الله على الغرب : « إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية ، وإن الدين الذى فى عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جدا ، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد .

إن العرب ظلوا ثمانية قرون يشعون على العالم ، علما وفنا وأدبا وحضارة ، كما أخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات إلى النور ، ونشروا لواء المدنية ، أنى ذهبوا فى أقاصى البلاد ودانيها ، سواء فى آسيا أو أفريقيا أو أوروبا ثم تنكر أوروبا على العرب هذا الفضل .

وقد مرت الترجمة فى العصر العباسى بثلاثة أدوار : الأول من خلافة أبى جعفر المنصور ، إلى وفاة هارون الرشيد ، أى من عام ١٣٦ إلى ١٩٣ هـ . وقد نبغ فى هذا العهد عدد من التراجمة ، نذكر منهم « يحيى بن البطريق » « وجورجيوس بن بختيشوع » ، وعبد الله بن المقفع » « ويوحنا بن ماسويه » وغيرهم . وقد ولد المأمون فى السنة التى استخلف فيها هارون الرشيد سنة ١٧٠ هـ ولذلك سماه المأمون تيمنا وقد ولى المأمون الخلافة سنة ١٩٨هـ ، وبها يؤرخ العصر الثانى من عصور الترجمة الذى استمر حتى سنة ٣٠٠هـ واشتهر من التراجمة قسطا بن لوقا البعلبكى وحنين بن إسحق ، وابنه إسحق بن حنين وعيسى بن يحيى ، وثابت بن قرة الحرانى .

وقد بذل المأمون جهده فى استخدام التراجمة ، وكان ينفق فى ذلك بسخاء ، حتى ليقال إنه كان يدفع وزن مايترجم ذهبا وكان يحرض الناس على قراءة الكتب ، ويرغبهم على تعليمها ، واقتدى به الكثيرون من أهل دولته فى بغداد ، فتقاطر إليها المترجمون من أنحاء العراق والشام وفارس ، وفيهم النساطرة واليعاقبة ، والصابئة ، والمجوس والروم والبراهمة . يترجمون من اليونانية

والفارسية والسريانية والسنسكريتية والقبطية واللاتينية وغيرها . وكثر فى بغداد الوراقون وباعة الكتب ، وتعددت مجالس العلم والمناظرة، وأصبح هم الناس البحث والمطالعة وظلت تلك النهضة مستمرة بعد المأمون إلى عدد من خلفائه .

أما تراجمة الدور الثالث ويبتدئ من سنة ٣٠٠ هـ ، وينتهى فى منتصف القرن الرابع الهجرى ، فكانوا أكثر اشتغالا بالمنطق والطبيعة ، منهم متى بن يونس ، وسنان ابن ثابت بن قرة ، ويعد حنين بن إسحق شيخ تراجمة العصر العباسى ، بلغ اهتمامه بترجمة الآثار اليونانية مبلغا عظيما ، فكان يجوب الأقطار فى طلبها والحصول عليها مثال ذلك كتاب البرهان لجالينوس الذى كان نادر الوجود فى القرن الثالث الهجرى ، وقال عنه حنين إنى بحثت عنه بحثاً دقيقاً وجبت فى طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى الإسكندرية، ولم أظفر إلا بما يقرب من نصفه فى دمشق .

وقد ترجم حنين إلى العربية سبعة من كتب أبقراط ، وترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين ، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين كما راجع وأصلح ماترجمه تلاميذه. كذلك ترجم ستة كتب إلى السريانية ، وسبعين كتابا إلى العربية كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التى كانت ترجمت إلى السريانية ، ونقل أيضاً ثلاثة من كتب أوريباسوس ، وذلك بخلاف مانقله من كتب الفلسفة وغيرها لأفلاطون وأرسطو. وبلغت تآليفه الخاصة نحو ثلاثين كتاباً .

ومن أشهر تآليفه كتاب العشر مقالات فى العين ، ويعتبر هذا الكتاب أقدم ماألف فى أمراض العيون بطريقة علمية منظمة . وقد نشره وحققه مايرهوف » ومن أخلد أعماله ترجمة كتاب التشريح لجالينوس .

أما ابنه إسحق ، فقد كان أوحد عصره فى علم الطب ، وكان يلحق بأبيه فى النقل والترجمة وفى معرفته باللغات وفصاحته فيها وله تصانيف كثيرة فى الطب والمنطق بلغت خمسة عشر كتابا .

ومنهم ثابت بن قرة، وابناه إبراهيم وسنان ، وحفيداه ثابت وإبراهيم ، وكانوا من خيرة المترجمين ، وبلغت مؤلفات ثابت ثلاثة وعشرين كتابا ، منها خمسة فى الطب وباقيها فى الحساب والهندسة والفلك ، غير مانقل للأوائل من كتب المنطق ، والرياضيات والطب ، وكان يجيد اللغة اليونانية والسريانية والعبرية ، وترجم فى الرياضيات والمنطق والطب والتنجيم . ونبغ ابنه سنان بن ثابت فى الطب .

ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكى ، كان طبيباً حاذقا ، عالما باللغات اليونانية والسريانية والعبرية نقل كتبا كثيرة من اليونانية إلى العربية، وأحصى ابن النديم ماله من كتب ، سوى ما نقل وشرح ، فبلغت خمسة وثلاثين كتاباً .

وفى عهد المأمون نبغ الخوارزمى ، الذى ولاه المأمون منصباً فى بيت الحكمة ، برز فى الرياضيات والفلك ، وهو أول من ألف فى الجبر ، بل أول من استعمل كلمة جبر للعلم المعروف بهذا الاسم ، ولكتابه فى الجبر قيمة علمية تاريخية ، ومنه عرف الغربيون علم الجبر . والخوارزمى أول من وضع كتاباً فى الحساب ، هو الأول من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة . بقى زمنا طويلا مرجعا للعلماء ، وبقى عدة قرون معروفاً باسم الغوريتمى نسبة للخوارزمى . وكذلك ألف الخوارزمى فى الفلك ، وله بحوث مبتكرة فيه ، وله زيج يعرف بزيج الخوارزمى ويعتبر الخوارزمى من المجددين لجغرافية بطليموس .

وكذلك ظهر موسى بن شاكر فى عصر المأمون ، وسطع هو وبنوه الثلاثة محمد وأحمد وحسن فى سماء العلم ، نبغوا فى الرياضيات وخاصة الهندسة والفلك ، كانوا محل رعاية المأمون فقد انقطعوا للعلم .

كتبوا فى الآلات والحيل ( الميكانيكا ) واستعملوا القانون المعروف بقانون هيرون لتقدير مساحة المثلث ، إذا علم طول كل ضلع من أضلاعه ، ويعزى إليهم القول بالجاذبية العمومية بين الأجرام السماوية . يربط كواكب السماء بعضها ببعض ، ويجعل الأجسام تقع على الأرض . وقد كلفهم المأمون بقياس محيط الأرض . وقد قدروه بنحو أربعة وعشرين ألف ميل . وقد اختاروا مكانين منبسطين ، أحدهما فى صحراء سنجار ، حيث نصبوا الآلات وقاسوا الارتفاعات والميل والأفق ، وعلموا أن كل درجة من درجات الفلك يقابلها $\frac{٢}{٣}$٦٦ ميلا ، وتوافق الحساب مع ماعملوه فى أرض الكوفة ، وهو عمل علمى قيم .

وقد أحضر المأمون أيضاً « حنين بن إسحق » ، وكان فتى السن ، وأمره بنقل مايقدر عليه من كتب الحكماء اليونانين إلى اللغة العربية ، وإصلاح ماينقله غيره : ومما يحكى عنه أن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ماينقله من الكتب مثلا بمثل . وقال أبوسليمان المنطقى ، إن بنى شاكر ، كانوا يرزقون جماعة من النقلة ، منهم حنين بن إسحق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة كانو يرزقونهم فى الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة .

ويقول « صاعد الأندلسى » : إنه لما أفضت الخلافة . إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، تمم مابدأ به جده المنصور ، فأقبل على طلب العلم فى مواضعه ، وداخل ملاك الروم ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب ، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس ، واستجاد لها مهرة التراجمة ، وكلفهم أحكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن ، ثم حض الناس على قراءتها ، ورغبهم فى تعليمها ، وكان

يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ، ويلتذ بمذاكرتهم ، علما منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده ، وأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة ، وزهدوا فيما يرغب فيه الصين والترك ، ومن نزع منزعهم من التنافس فى دقة الصناعة العلمية ، والتباهى بأخلاق النفس والتفاخر بالتقوى ، إذ علموا أن البهائم تشركهم فيها ، وتفضلهم فى كثير منها ، فلهذا السبب ، كان أهل العلم مصابيح الدجى ، وسادة البشر ، وأوحشت الدنيا لفقدهم[1] .

ذلك هو عبد الله المأمون ، الذى قاد أكبر نهضة علمية فى العصر الإسلامى ، كان له الفضل أعظم الفضل فى حركة النقل والترجمة والتأليف العلمى ، فى المعارف بعامة ، والمعارف العلمية بخاصة . ولذا جاز لنا أن نقول بحق ، إن الحضارة الإنسانية مدينة لعبد الله المأمون ، الخليفة العباسى ، الذى رعى العلم والعلماء ، وسخا فى الإنفاق على العلم والحركة العلمية ، وجمع فى بغداد صفوة من العلماء والمترجمين ، وأنشأ دور الكتب والمراصد وتاهت بغداد على سائر العواصم بالخليفة العالم « عبد الله المأمون » .

**عبد الحليم منتصر**

عضو المجمع

---

١ — عصر المأمون . فريد رفاعي

# ما معنى يوم التغابن ؟

للدكتور أحمد الحوفى

ذكر القرآن الكريم أسماء كثيرة ليوم القيامة ، منها يوم التغابن فى قوله سبحانه وتعالى : « يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ، ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ[1] » .

فما معنى التغابن .

لابد لمعرفة هذا المعنى من أن أعرض ما قاله بعض المفسرين لأنه يمثل رأيهم جميعا ، وأعقب على ما قالوه ، ثم أعتمد على اللغة لعلنى أهتدى إلى صواب .

( ١ )

ذكر الطبرى أن اليوم سمى يوم التغابن ، لأن أهل الجنة يغبنون فيه أهل النار ، وعزز رأيه هذا بروايتين عن مجاهد وعن قتادة[2] .

لكنه لم يوضح سبب هذا الغبن أو طريقته ، ولسنا نستطيع أن نتصور أن الناس يغبن بعضهم بعضا فى هول القيامة ورهبة الحساب .

ثم إن غَبْنَ أهل الجنة لأصحاب النار لايُسَمَّى تغابنا ، لأن الغبن من طرف واحد ، والتغابن إذا فسرناه بما فسره الطبرى وهو الظلم لابد أن يكون تفاعلا من طرفين .

وذهب الزمخشرى إلى أن التغابن مستعار من تغابن القوم فى التجارة ، وهو أن يغبن بعضهم بعضا ، لأن السعداء نزلوا منازل الأشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ، ولأن الأشقياء نزلوا منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء ، وقال إن فى هذا تهكما بالأشقياء ، لأن نزولهم ليس بغبن ، وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم ، ولكن التغابن فى ذلك اليوم هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا وإن جلَّت وعظمت[3] .

---

( ١ ) سورة التغابن آية : ٩ ( ٢ ) تفسير الطبرى ٢٨ / ٧٩ ( ١ ) تفسير الزمخشرى ٤ / ١٠٥

وهذا تقسيم عجيب من الزمخشري ، لأنه من غير المعقول أن يغبن السعداء الأشقياء على وَهْم لاحقيقة له، وهو أنهم نزلوا فى منازل الأشقياء التى كان الأشقياء يستحقونها لو كانوا سعداء ، وأن الأشقياء نزلوا فى منازل السعداء التى كانوا يستحقونها لو كانوا أشقياء .

على أن هذا لايتفق وقوله تعالى فى وصف أهل الجنة : « وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم من غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ[1] » فكيف يغبن أهل السعادة أصحاب الشقاء ؟

وقد عقب النيسابوري على رأى الزمخشري بقوله : فى تسمية القسم الأخير تغابنا نظر ، إلا أن يفرض أن نزول الشقى فى ذلك المنزل يزيد عذابه ، وزيادة العذاب سبب تضييق المكان عليه .

ثم قال : ويجوز أن يفسر التغابن بأنه أخذ المظلوم حسنات الظالم ، وحمل الظالم خطايا المظلوم ، وإن صح مجىء التغابن بمعنى الغبن فذلك واضح فى حق كل مقصر صرف شيئا من استعداده الفطرى فى غير ما أعطى لأجله[2] .

وهذا رأى مردود ، لأن أخذ المظلوم حسنات الظالم ، وتحمل الظالم خطايا المظلوم يتنافى والعدل الإلهى المطلق الذى نطقت به آيات كثيرة ، مثل قوله سبحانه وتعالى : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ[3] » ، وقوله تعالى : « مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى[4] » وقوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ[5] » وقوله سبحانه : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا[6] »

أما ابن كثير فقد ذكر رواية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أن يوم القيامة سمى يوم التغابن لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار ، وذكر رواية عن مقاتل بن حيان أنه لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء الجنة ويذهب الآخرون إلى النار[7]

---

(١) سورة الحجر ٤٧
(٢) تفسير النيسابورى على هامش الطبرى ٢٨ / ٧٩
(٣) سورة المدثر ٣٨
(٤) سورة الإسراء ١٥
(٥) سورة النساء ٤٠
(٦) سورة الأنبياء ٤٧
(٧) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٧٥

وقد سبق تفنيد هذا الرأى وإبطال دعوى الغبن ، لأن أهل الجنة استحقوها بإيمانهم وعملهم ، ولأن أصحاب النار استحقوها بكفرهم ، فلا غبن ولا عدوان .

وهناك رأى آخر قاله أبو حاتم أحمد ابن حمدان الرازى وهو أن اليوم سمى يوم التغابن لأن المغبون هو الذى انكشفت سرائره فى ذلك اليوم ، فيظهر ما اكتسبه فى الدنيا من عبادة غير الله بعد أن قدّر أن اهتدى وأنه ينجو ، فيكون أمره كما قال الله عز وجل : « وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (١) » فهذا هو المغبون ، مثل المغبون فى الدنيا الذى يشترى سلعة أو يبيعها فيقدر أنه ربح ، فإذا انكشف أمره ظهر أنه خسر ، فيقال له مغبون (٢) . ولكن هذا تعليل غير مقبول ، لأن الذى عبد غير الله تعالى يستحق العقاب ، فلا يسمى مغبونا ولأن التغابن تفاعل ، وشتان ما بين الغبن والتغابن .

وأما مجمع اللغة العربية فإنه فسر التغابن بأنه تفاعل كما سبق فى قول الزمخشرى وابن كثير ، لأن السعداء فى الدنيا نزلوا فى ذلك اليوم منازل الأشقياء ، ولأن الأشقياء فى الدنيا نزلوا فى منازل السعداء ، إذ تبدو الأشياء لهم بخلاف مقاديرهم فى الدنيا (٣) .

وإذا كنت قد رددت على هذا الرأى فإننى أزيد على ما تقدم أنه كان الجدير بتسمية اليوم فى هذه الحالة أن يسمى يوم الإنصاف أو يوم التبادل أو ما شا كل هذا ، وأضيف ردا آخر أنه ليس من الحتم أن يصير سعداء الدنيا إلى شقاء ، وأن يصير أشقياء الدنيا إلى سعادة ، وليس من الصواب أن نعلل لتسمية اليوم بتقديرهم أو بظنهم وهم فى دنياهم .

ثم ذهب الأستاذ عبد الكريم الخطيب إلى أن اليوم سمى يوم التغابن لأن الناس يرون فيه أنهم غبنوا أنفسهم فى الدنيا ، فلم يأخذوا حقهم كاملا فيها ، ولم يستوفوا المطلوب منهم للحياة الأخرى ، فكل إنسان يبدو له فى يوم القيامة أنه مغبون فى دنياه سواء أكان محسنا أم مسيئا ، أما المحسن فلأنه لم يزدد إحسانا ليزداد ثوابا ، وأما المسىء فلأنه

(١) سورة الفرقان ٢٣

(٢) كتاب الزينة لأبى حاتم الرازى ٢ /٢٢٧

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة غبن .

يرى أنه ظلم نفسه إذ أطلق العنان لشهواته[1] .

والرد على هذا أن اليوم يوم حزن وندم وحسرة وتأنيب شديد للنفس ، وليس يوم غبن أو تغابن بمعنى الظلم أو الشعور بظلم .

( ٢ )

لنرجع إلى اللغة عسى أن نهتدى إلى المعنى المراد من الكلمة فى الآية الكريمة .

جاء فى اللغة : غَبَن الرجل الرجل فى البيع يَغْبِنه - من باب ضرب - أى خدعه وظلمه ، والتغابن أن يغبن القوم بعضهم بعضا .

وغَبِن الرجل رأيه وغَبِن فى رأيه غَبْنا وغَبَنا - مثل فهم يفهم فهما وفرح يفرح فرحا - أى نسيه وأغفله وجهله وضيعه وغلط فيه .

وغَبَن فلانٌ فلانا يَغْبِنه غَبْنا - من من باب ضرب - أى مرَّ به وهو ماثل فلم يره ولم يفطن له[2] ، وفى هذا المعنى مثل ما فى السابق من غفلة ونسيان واشتغال .

( ٣ )

وأغلب ظنى أن المفسرين أخذوا معنى التغابن من الغبن بمعنى الظلم ، والعجيب أن ابن منظور مؤلف لسان العرب ذهب مذهبهم ولم ينتبه إلى بقية ما ذكره فى المادة نفسها .

ثم تكلفوا له تفاعلا بين اثنين كل منهما يغبن الآخر ، أو تفاعلا بين الانسان ونفسه ، فهو فى نظرهم مثل التنازع والتشارك والتقاتل والتنادى .

لكننى أرجح أن التغابن تفاعل بين اثنين بمعنى آخر ، لأنه من الغبن على وزن الضرب ، وقد نصت اللغة على أن معناه الإغفال والذهول ، حيث إن الذهول الشديد والإغفال الصارف والاشتغال الطاغى يعم الناس جميعا ، فينحصر كل منهم فى نفسه ، ويذهل عن سواه ، وينصرف عن أحب أحبائه ، فهو إذن ذاهل ومذهول عنه ، ومن هنا يتحقق التفاعل أى تبادل الذهول والاشتغال والغفلة .

وليس من المستطاع أن نتصور ذهولا أشد مما صوره سبحانه وتعالى فى قوله : «يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ

(١) التفسير القرآنى للقرآن ٢٨ / ٩٨

(٢) لسان العرب مادة غبن .

السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ، وَمَا هُم بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ »[1] .

وفى قوله تعالى « يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ »[2] .

أو أن التغابن من الغَبْن أو الغَبَن – على وزن ضرب وسبب – بمعنى النسيان والجهل والغفلة والانصراف ، لأن الناس يوم القيامة يصابون بأهوال تفزعهم وتذهلهم وتشغلهم وتنسيهم ، فيصير كل منهم فى ذهول شديد ونسيان تام ، ولكن الصيغة جاءت على وزن تفاعل للمبالغة لا للدلالة على مشاركة ، ولها نظائر كثيرة فى اللغة منها تبارك الله تعالى أى تقدس ، وتعالى الله أى علا علوا كبيرا ، وتقادم العهد أى قدم جدا ، وتطاول الزمن أى طال كثيرا ، وتفاقم الأمر أى اشتد اشتدادا ، وتناثر الحب أى انتثر انتثارا ، وتكاثر الناس أى كثروا كثرة ، وتوافدوا أى قدموا وفودا ، وتحامى الرجل كذا أى احتمى منه احتماء ، وتصاغرت نفس فلان أى صارت صغيرة ذليلة ، وتعاطى الشىء أى تناوله مرات ، وتماثل العليل للشفاء أى قاربه .

وليس فى صيغة من هذه الصيغ تفاعل أو مفاعلة بين اثنين أو طرفين .

وسواءٌ ذهبنا إلى أن التغابن تفاعل من الغبن بمعنى الذهول الطاغى والاشتغال الفادح ، أو أنه مبالغة من الغبن بهذا المعنى ، فإن هذا أو ذاك أولى بالقبول من القول بأن التغابن من الغبن بمعنى الظلم أو الخداع ، وأسلم مما يجره هذا القول من تكلف وافتراض ، وأقرب إلى المعنى اللغوى الذى نصت عليه المعاجم ، وأجدر بهول يوم القيامة كما صوره القرآن الكريم .

**أحمد الحوفى**
عضو المجمع

(١) سورة الحج ١ – ٢ .

(٢) سورة عبس ٣٤ – ٣٧ .

# أبو عمرو الشيباني

للدكتور مراد كامل

هو أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني. يذكر في المعاجم بكنيته « أبو عمرو » ولما كان معاصره أبو عمرو بن العلاء يذكر بنفس الكنية في كتب اللغة ، حدث اللبس أحيانا : وفرق أبو عبيد بينهما فذكر الشيباني بكنيته فقط وذكر أبا عمرو بن العلاء باسمه كاملا تفاديا للبس وسار على هذا النهج في كتابه « غريب المصنف » وقد رجعنا إلى ترجمته في كتاب المعارف لابن قتيبة ، والزبيدى في طبقات النحويين واللغويين ، ونور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني ، وكتاب الفهرست لابن النديم ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الإنبارى ، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموى ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ، وطبقات النحاة واللغويين للقاضى شهبة :

وقد أوردت هذه المصادر على حسب ترتيبها الزمنى :

إن ما وصلنا عن حياة الشيباني قليل : ولد في شهر رمضان بالكوفة ، وعاش أكثر حياته في الكوفة ثم انتقل إلى بغداد حين أصبحت بغداد مركزا يستهوى العلماء إليه .

كان الشيباني من علماء اللغة المرموقين في عصره تتلمذ عليه كثير من العلماء نذكر منهم ابن السكيت وأبي عبيد والطوسى واللحياني والامام أحمد بن حنبل .

لم تنوه لنا المصادر بسنة مولده ، واختلفت في سنة وفاته : ذكر القفطى في الانباه أنه توفى سنة ٢٠٦ هـ وفي موضع آخر ٢١٦هـ وجاء في تاريخ بغداد أن سنة وفاته ٢١٠ هـ وحدد المرزباني في المقتبس سنة وفاته ٢١٣ هـ وهي السنة التي ذكرها صاحب الفهرست وابن خلكان .

أما إذا أردنا أن نحقق عام وفاته رجعنا إلى بعض الملابسات في حياته لنتبين السنة : يشير ياقوت في الإرشاد إلى نزاع قام بين الشيباني وبين اسماعيل بن حماد من المعتزلة المتوفى سنة ٢١٢ هـ وذلك حول رأى المعتزلة في خلق القرآن . وفي رواية أخرى لهذا الحادث ورد في لسان الميزان لابن حجر

على لسان الشيبانى يذكر أن هذا الجدل تم بعد أن عين ابن حماد قاضيا لبغداد بفترة قصيرة . ويحدد الطبرى هذا الحدث بسنة ٢٠٨ هـ ، ويخيل إلى أن هذا الجدل وقع على الأرجح عام ٢٠٨ هـ لأنه كما يذكر الطبرى — كان فى عصر المأمون الذى دخل بغداد سنة ٢٠٤ هـ وأخذ تفضيله لرأى المعتزلة يتطور حتى وصل قمته فى المرسوم الذى أصدره سنة ٢١٢ هـ . ولهذا نستبعد أن تكون سنة وفاته ٢٠٦ هـ .

فاذا قدرنا أن الشيبانى عاش بعد جدله مع ابن حماد بعض الوقت وكما ذكر ابن حجر أن هذا حدث بعد أن عين ابن حماد قاضيا لبغداد بفترة قصيرة، وأخذنا فى الاعتبار أيضا ما ورد فى تاريخ بغداد بأن وفاته وقعت فى نفس السنة التى توفى فيها أبو العتاهية وهى سنة ٢١٣ هـ رجحنا أن ما ذكر عن أن وفاته كانت سنة ٢١٣ هـ هو أرجح تاريخ .

وجاء فى تاريخ بغداد أن الشيبانى عاش ٩٠ سنة ، وفى تهذيب اللغة للأزهرى أنه عاش ١٠٠ سنة ، وفى الانباه للقفطى أنه عاش ١٠٢ سنة ، وفى الفهرست لابن النديم أنه بلغ ١١٠ سنة ، وفى نور القبس المختصر من المقتبس للمرزبانى أنه عمر ١١٨ سنة ، وفى نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى أنه عاش ١١٩ سنة . أى أن الشيبانى على اختلاف الآراء يكون قد عاش بين ٩٠ سنة و١١٩سنة وعلى هذا يكون عام مولده نحو سنة ١٢٠ هـ .

تلقى الشيبانى علمه على يد أساتذة مشهورين ذكر منهم الذهبى فى ميزان الاعتدال : ركن الشامى المتوفى سنة ١٦٠ هجرية ، وذكر منهم الأزهرى فى تهذيب اللغة : المفضل الضبى .

وجه الشيبانى همه فى جمع الأشعار والألفاظ .

أخذ الشيبانى عن علماء اللغة ومنهم من له تآليف فى اللغة ، أخذ عن أبى زياد الكلابى وهو يذكر : أنشدنى الكلابى أو أنشدنى أبو زياد لجدة أبيه ومصادره فى اللغة — فيما عدا الكلابى — من العسير إثباتها لأن أكثر المصادر اللغوية التى يحتمل أنه أخذ منها أو استعان بها تعد فى حكم المفقودة .

أما مصادره فى الشعر فأكثرها معروف :

١ — دواوين الشعر وقد عددها ابن النديم فى الفهرست ، هذا وقد تعرض لها أمجد الطرابلسى فى رسالته بالفرنسية عن نقد الشعر عند العرب .

٢ — أشعار القبائل أى أنه كان يجمع ديوانا لشعر كل قبيلة على حدة، وتوصل إلى جمع أكثر من ثمانين ديوان . ذكر ذلك ابن النديم فى الفهرست والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد وابن الأنبارى فى نزهة الألباء ونص ذلك « فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفا وجعله

فى مسجد الكوفة حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا بخطه » وقد ترجم المستشرق سلهايم هذه الفقرة فى كتابه عن الأمثال العربية أن مجموعة هذه الدواوين علقت فى مسجد الكوفة ، والمفهوم قطعاً أن هذا الخبر يشير إلى أن الشيبانى كان كلما انتهى من جمع ديوان نسخ نسخة من المصحف وعلقه فى مسجد الكوفة . ويخيل إلىّ أن العالم فى القرون الأولى للاسلام كان عليه أن يعنى بالقرآن وما يتصل به من دراسات ، وأنه إذا اهتم بغير ذلك من الدراسات أن يكفر عن ذلك بنسخ صورة من القرآن عن كل كتاب يؤلفه ويضع نسخة القرآن فى المسجد .

والحقيقة أنه لم يصل إلينا أى ديوان من هذه الدواوين إلى الآن . وفى القرن السابع عشر الميلادى وقع لعبد القادر البغدادى ديوان أشعار تغلب وديوان أشعار بنى محارب وقد ذكر ذلك فى خزانة الأدب . وإذا رجعنا إلى ديوان الهذليين للسكرى ، وهو الديوان الفريد الذى وصل إلينا من دواوين القبائل ، قدرنا أن دواوين القبائل كانت على هذا المنوال . ويذهب أمجد الطرابلسى فى رسالته عن نقد الشعر عند العرب أن ديوان الهذليين للشيبانى أفاد منه السكرى .

وحين ألف الآمدى كتابه المؤتلف والمختلف كان تحت يده عدد من دواوين القبائل ، وربما كان من بينها بعض الدواوين التى جمعها الشيبانى ، وذكر أن ثمانية من هذه الدواوين التى وقعت له كانت بخط الشيبانى ، ومع ذلك لم نظفر بالشواهد التى أوردها الآمدى من هذه الدواوين فى كتاب الجيم للشيبانى .

يقول الدكتور طه حسين فى كتابه « فى الأدب الجاهلى صفحة ١٩١ طبعة ١٩٢٧م « وهناك راوية كوفى لم يكن أقل حظا من صاحبيه هذين ( يقصد : حمادا وخلف ) فى الكذب والنحل ، كان يجمع شعر القبائل » حتى إذا جمع شعر قبيلة كتب مصحفا بخطه ووضعه فى مسجد الكوفة ، ويقول خصومه : إنه كان ثقة اولا إسرافه فى شرب الخمر . وهو أبو عمرو الشيبانى ، ويقولون إنه جمع شعر سبعين قبيلة . وأكبر الظن أنه كان يؤجر نفسه للقبائل ، يجمع لكل واحدة منها شعرا يضيفه إلى شعرائها . وليس هذا غريبا فى تاريخ الأدب . . . إلا إذا فسدت مروءة الرواة كما أفسدت مروءة حماد وخلف وأبى عمرو الشيبانى ، وإذا أحاطت بهم ظروف مختلفة تحملهم على الكذب والنحل ككسب المال والتقرب إلى الأشراف والأمراء والظهور على الخصوم والمنافسين ونكاية العرب نقول : إذا فسدت مروءة هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف كان من الحق علينا ألا نقبل مطمئنين ما ينقلون إلينا من شعر القدماء » .

وأنه لمن العسير أن نبدى رأيا فى الدواوين التى جمعها الشيبانى لأننا لم نعثر على

ديوان واحد منها إلى الآن ، وإنه ليس من اليسير أن نجمع هذه الدواوين من بطون الكتب لأن المؤلفين الذين أتوا بعده استعانوا بنصوص مختلفة ولم يقتصروا على الأخذ عن الشيبانى .

وقد ننجح فى بعض الحالات أن نستقصى ما جمعه الشيبانى فهو يستشهد من معلقة زهير بن أبى سلمى بتسعين شاهدا فى كتاب الجيم ، ونحن نعلم أن معلقة زهير وصلت إلينا فى نصين : نص للأصمعى فى شرح الشعراء الستة للشنتمارى ، ونص متأخر لثعلب أو للسكرى وهذا النص اعتمد بدوره على نصوص مختلفة ومنها نص الأصمعى ونص الشيبانى :

وتتفق رواية الأصمعى مع الشيبانى فى ٤١ شاهدا من قصيدة زهير فيما عدا خمس أبيات يقول الأصمعى إنها مولدة ، ويقول ثعلب فى هذا « ورواه أبو عمرو والمفضل وزعم الأصمعى أنها مولدة » وتتفق رواية كتاب الجيم مع شرح ثعلب وللأصمعى فيها قراءة مختلفة . وفى بعض الحالات تتفق قراءة ثعلب مع ما جاء فى كتاب الجيم وثعلب يرجع بها إلى الشيبانى ، وأحيانا نجد أن الشاهد فى كتاب الجيم يختلف عن شرح ثعلب على الرغم من أن ثعلب ينسبها إلى الشيبانى وهو على ما يظهر يتفق مع الأصمعى مثلا فى كتاب : « الجيم » أواسر يمزعن مزع الظباء « وعند الأصمعى « عوابس يمرعن مرع الظباء واختلاف القراءة راجع إلى الرسم أى من أخطاء النساخ ، وعند ثعلب «جوانح يخلجن خلج الدلاء» . ونلاحظ أن أكثر شواهد معلقة زهير عند الشيبانى لم ترد عند الأصمعى ولكنها وردت فى شرح ثعلب وهى ٣٧ شاهدا . ويتبقى من التسعين شاهدا للشيبانى اثنا عشر بيتا لم نجدها عند الأصمعى أو عند ثعلب ونخلص من هذا أن ديوان زهير الذى استشهد به الشيبانى فى كتاب الجيم كان أكمل مما كان تحت يد الأصمعى .

وعلى الرغم من الاتفاق فى الرواية ، فى كثير من المواضع ، بين الشيبانى وبين ثعلب أو السكرى ، فإن الأصل ، الذى أخذ عنه كل منهما لم يكن واحداً ، وتعليلنا لهذا الاختلاف بين ما أورده الشيبانى فى كتاب الجيم وبين ما ذكره ثعلب عن الشيبانى ، أن ثعلب حين أخذ عن الشيبانى لم يأت بالقراءات المختلفةو لكنه — على الأرجح — اكتفى باحداها .

والذى جرى فى حالة زهير نراه قد حدث حين ذكر الشيبانى غيره من الشعراء أى أن مصدره كان أوفى من المصادر التى وقعت لنا .

فالشيبانى قدم لنا فى الواقع مادة غزيرة من الشعر العربى القديم .

أما عن صحة الشعر الذى انفرد الشيبانى به ، وبخاصة عن شعراء الجاهلية والمخضرمين

فعلينا أن نحتاط قبل أن نصدر حكمنا إذا كان الشعر صحيحا أو منحولا .

وقد يدلنا على مقدار ما يقع للشيبانى من شعر واختياره الصحيح من المنحول ، ما جاء فى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت :

« وحدث يونس بن حبيب قال : دخلت على أبى عمرو الشيبانى وبين يديه قمطر فيه أمناء من الكتب يسير ، فقلت له : أيها الشيخ ، هذا علمك؟ فتبسم إلىّ وقال : إنه من صدق كثير » وروى هذا الخبر الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد : « هذا جميع علمك — . . . إنه من صدق كثير » وأورد القفطى هذه العبارة فى إنباه الرواة على أنباه النحاة : « هذا جميع عملك . . إنه من صدق كثير » أما ابن الأنبارى فى نزهة الألباء فى طبقات الأدباء فذكر هذا هذا الخبر بشكل مخالف : « هذا جميع علمك ... هذا من صندوق كبير » ولاندرى من أين استقى ابن الأنبارى هذا النص . وأقدم نص لهذا الخبر ما جاء فى تاريخ بغداد .

ومهما يكن من أمر فإن هذا الخبر يراد به أن الشيبانى كان ناقدا للشعر ، ولا ندرى بماذا نعلل أن الشيبانى استشهد بأبيات لزهير شك فى نسبتها الأصمعى .

## مؤلفـاته :

كتاب النوادر وقد ذكره الخارزنجى فى تكملة العين والأزهرى فى التهذيب . وصحح أخطاءه أبو القاسم على بن حمزة البصرى فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة وتحدث ابن النديم عن كتاب النوادر مرتين فى الفهرست .

وكتاب خلق الانسان وقد ذكره الفهرست لابن النديم .

وكتاب النحلة جاء ذكره أيضا فى الفهرست .

وكتاب الإبل ذكره المرزبانى فى نور القبس المختصر من المقتبس .

وكتاب غريب الحديث ذكره ابن النديم فى الفهرست ، ويعزى كتاب بهذا العنوان لابنه عمرو بن أبى عمرو الشيبانى .

كتاب شرح الفصيح ذكره له الفهرست وهو غير كتاب فصيح ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ويذهب المستشرق فلوجل فى كتابه عن المدارس النحوية أن كتاب الفصيح يعزى إلى أبى عمر الزاهد المسمى غلام ثعلب ، ومن هنا جاء اللبس .

وقد ضاعت مؤلفاته بعد موته بفترة قصيرة ووقع لابن النديم كتاب النوادر كما وقع لعبد القادر البغدادى ديوانان من الدواوين التى جمعها الشيبانى ، وجاء ذلك عند ذكر مصادره فى كتاب خزانة الأدب .

ولم يصل إلينا من مؤلفاته إلا كتاب الجيم والذى يشار إليه فى بعض المصادر بكتاب الحروف .

**مراد كامل**
عضو المجمع

# تحقيق لسان العرب

## فى الجزء الحادى عشر من طبعة بولاق

للأستاذ عبد السلام هارون

( ٤ )

٧٣٠ – ( رجف ) ١١ س ٢٤ وبيروت ( ٩ :١١٢ ) والمخطوطة ، قول الراجز :

* ظلَّ على رأسه رجيف *

والشطر بهذا الوضع مختل الوزن، وصواب إنشاده :

* ظلَّ لأعلى رأسه رجيفُ *

كما فى مجالس ثعلب ٤٥٣ وهو ثانى أشطار أربعة أنشدها ثعلب .

٧٣١ – ( رعف ) ٢٢ س ٢ وبيروت ١٢٣ والمخطوطة : « قال عمرو بن لجأ » والشاعر إنما هو « عُمَر » . وهو عمر بن لجأ بن حدير ، شاعر راجز فصيح إسلامى ، وقعت المهاجاة بينه وبين جرير . الأغانى ١٩ : ٢٢ والنقائض ٤٨٧ – ٤٩١ وابن سلام ١٥٠ والمرزبانى ٤٧٨ والموشح ١٢٧ – ١٢٩ والشعراء . وانظر تاج العروس ( لجأ ) .

٧٣٢ – ( ريف ) ٢٨ س ١٢ وبيروت ١٢٩ قول الراجز :

* جوّاب بيداء بها غُرُوفُ *

وليس للغُروف هنا وجه ، ولا هى مما يصحُّ فى العربية . وصوابها « عَزُوف » كما فى المخطوطة والحماسة برواية التبريزى . كما أن رواية المرزوقى فى الحماسة ١٥٣٥ : « عروف » بالعين والراء المهملتين ، وفسّره بأنه البليغ المعرفة بالبيداء ، أو هو الصّبور . وقال المرزوقى : « ويروى : جوّاب بيدٍ أيّةٍ عَروف » .

٧٣٣ – ( زحف ) ٣٠ س ٤ وبيروت ١٣٠ والمخطوطة ، قول بشر بن أبى خازم :

قال ابن أُم إياسٍ ارحَلْ ناقتى
عمروٌ فتبلغَ حاجتى أو تُزحِفُ

ولم تضبط « عمرو » فى المخطوطة . وصواب أوله : « فإلى ابن أُمّ أناسَ » وبمنع « أناسَ » من الصرف للضرورة ، كما فى ديوان بشر ١٥٥ والخزانة ١ : ١٤٩ هارون ، والقصائد السبع الطوال ٥٠٠ . قال البغدادى : « وأم أناس بنت ذهل بن شيبان . وعمرو هو عمرو بن حُجر

(١) متابعة لما نشر فى الأجزاء السابقة من المجلة .

الكندى » كما أن صواب الضبط «عمرٍو» بالجر . وأما « ارحَلْ » فقد وردت فى المخطوطة « ازحل » بالزاى ، وصوابُهما « أرحَلُ » بالراء وبرفع المضارع كما فى المراجع المتقدمة .

٧٣٤ـ ( زحلف ) ٣١ س ١٥ وبيروت ١٣١ والمخطوطة أيضاً : « وقال مزاحف العقيلى » . وليس فى شعرائهم من يدعى « مزاحفاً » ، وإنما هو « مزاحم » . وهو مزاحم بن عمرو ، شاعر بدوى إسلامى صاحب قصيد ورجز ، كان فى زمن جرير والفرزدق . وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . انظر الأغانى ١٧ : ١٥٠ والخزانة ٣ : ٤٥ بولاق .

٧٣٥ـ ( زلف ) ٤٠ س ٩ « قال له إنى حججت من رأس هِرًّا وخارَك » وفى المخطوطة : « رأس هرٌّ أو حارك » بالحاء المهملة . وصوابهما « من رأس هرٌّ أو خَارَك » كما فى طبعة بيروت ١٤٠ . وفى اللسان : « خارَك موضع من ساحل فارس يرابَط فيه » . وانظر معجم البلدان .

٧٣٦ـ ( سخف ) ٤٦ س ١٦ وبيروت ١٤٦ والمخطوطة أيضاً قول الشاعر :

ولقد رأيتك بالقوادم مرة
وعلىَّ من سدف العشى لياحُ

والصواب « رياح » بالراء كما فى اللسان ( روح ٢٩١ ) وشرح القصائد السبع الطوال ١٥٠ وفى اللسان أن «رياح» بكسر الراء وقال : « فسَّره ثعلب فقال إن معناه وقت » . وفى اللسان ( روح ) : « بالقوادم نظرة » . والقوادم : اسم موضع فى بلاد غطفان ، وفيه يقول زهير :

عفا من آل فاطمة الجواء
فيمن فالقوادم فالحساء

٧٣٧ـ ( سلف ) ٦٢ س ٧ ـ ٩ وبيروت ١٦١ والمخطوطة : « والسُّلْفَة بالضم : الطعام الذى تتعلَّل به قبل الغذاء . . . وهى اللُّهنة يتعجلها الرجل قبل الغِذاء » ، صوابهما « الغَدَاء » بفتح العين وبالدال المهملة ، وهو الطعام بعينه ، أو هو طعام الغدوة أوّلَ النهار ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس » .

٧٣٨ـ ( شرف ) ٧٥ س ٦ وبيروت ١٧٣ والمخطوطة أيضاً قول بشر :

وطائر أشرف ذو حزرة
وطائر ليس له وكرُ

والصواب « ذو جُرْدة » كما في الحيوان ٦ : ٢٨٧ ، ٣٢١ وقد جاء في اللسان في تفسيره : « قال عمرو : الأشرف من الطير الخفاش ، لأن لآذانها حجماً ظاهراً . وهو منجرد من الزف والريش » .

وهذا النص مقتبس من الحيوان ٦ : ٣٢١ حيث ورد هذا التفسير مع خلاف يسير . وعمرو هذا ، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وبشر هو بشر ابن المعتمر المتكلم .

٧٣٩ـ ( شسف ) ٧٧ س ١٨ وبيروت ١٧٦ والمخطوطة كذلك ، قول ابن مقبل

إذا اضطغنت سلاحى عند مَغرِضها
ومِرفقٍ كرئاس السيف إذ شسفا

وصواب روايته « ثم اضطغنت سلاحى » كما في اللسان ( رأس ) عند نقله لتصحيح ابن برى . وقبل هذا البيت في الديوان ١٨٦ :

ولَيلة قد جعلت الصبحَ موعدَها
بصُدرة العَنْس حتى تعرف السَّدَفا

٧٤٠ـ ( شسف ) ٨٢ س ٩ وبيروت ١٨٠ قول الشاعر :

تغترق الطرف وهى لاهية
كأنَّما شَفٌّ وجهها نُزْفُ

والصواب « نُزُف » كما في المخطوطة . وديوان قيس بن الخطيم ١٠٤ والنزف ، أصله بضمة واحدة على النون ، وحرك بضمة أخرى على الزاى للوزن . وفسره ابن منظور بأنه الضَّعف الحادث عن النزيف ، أو هو الجرح الذى ينزف عنه دم الإنسان . وهو اسم من النزف بالفتح . وأول القصيدة :

رد الخليط الجمال فانصرفوا
ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

٧٤١ـ ( صيف ) ١٠٥ س ٩ وبيروت ٢٠٢ والمخطوطة أيضاً قول أبى زَبيد :

كُلَّ يوم ترميه منها برشقٍ
فمصيفٌ أوصافَ غيرَ بعيدِ

والرشق بالفتح : الرمى ، وبالكسر : الوجه من الرمى . و « مُصيف » خطأ ،

والصواب « فمصيب » من الإصابة ، أى يصيب الهدف ، وهذا الصواب قد ورد فى اللسان ( رشق ) وديوان أبى زبيد ص ٤٢ .

٧٤٢ـ ( ضعف ) ١٠٧ س ٢ - ٣ وبيروت ٢٠٤ والمخطوطة : « ابن الأعرابى : رجل مضعوف ومبهوت ، إذا كان فى عقله ضعف » . و « المبهوت » لا وجه له هنا ، فإنما هو المأخوذ بغتةً ، أو الذى يُواجَه بالكذب ، أو الذى يكذب عليه . وصوابه « مهبوت » بتقديم الهاء ، وهو الذى فى عقله هبتة ، أى ضعف . ويقال مهبوت وهبيت أيضاً . قال طرفة :

فالهبيت لا فؤاد لـه
والتثبيت قلبـه قيمه

٧٤٣ـ ( ضيف ) ١١٣ س ٥ وبيروت ٢١٠ والمخطوطة ، عند قول البعيث :

لقًى حملته أمه وهى ضيفة
فجاءت بيتن للضيافة أرشما

قال : « وحرَّفه أبو عبيدة فعزاه إلى جرير » . صوابه « أبو عبيد » ، كما فى اللسان ( رشم ) . وانظر المخصص ٣ : ٦٦ ١٧ : ٣٠ .

٧٤٤ـ ( طرف ) ١١٨ س ٩ وبيروت ٢١٥ قول الحطيئة :

وما كنت مثل الهالكى وعرسه
بغَى الودَّ من مطروفة الود طامح

والذى فى المخطوطة وديوان الحطيئة ٦٣ : « مثل الكاهلى » ، فكان من الواجب أن يبقى النص كما هو وينبه على صوابه . والهالكى : الحدَّاد ، وقيل الصيقل . وكان الهالك بن عمرو بن أسد ابن خزيمة حدادا ، فنسب إليه الحدادون ، كما قيل لبنى أسد القيون . قال لبيد :

جنوح الهالكى على يديه
مكباً يجتلى نقب النصالِ

وقال آخر :

ولاتك مثل الهالكىِّ وعرسِه
سَقَته على لَوح سمامَ الذرارح

٧٤٥ـ ( طفف ) ١٢٤ س ١ وبيروت ٢٢١ قول علقمة الفحل :

يظلُّ فى الحنظل الخطبانِ ينقفه
وما استطفَّ من التنوم مَخْذوم

وهذا صواب ، لكن الذى فى المخطوطة « محدوم » بالدال المهملة ، فكان ينبغى

أن ينبه عليه . ورواية « محذوم »تطابق رواية ديوان علقمة ١٣٠ والمحذوم من الحذم وهو القطع . وفى المفضليات ٣٩٩ : « مخذوم » بالخاء والذال المعجمتين ، والروايتان بمعنىً واحد ، يقطع ما استطف من التنوم ليأكله .

٧٤٦ـ ( طفف ) ١٢٧ س ٥ وبيروت ٢٢٣ والمخطوطة أيضاً قول الكميت :

أوينَ إلى ملاطفة خضـــودٍ
مآكلهن طفطاف الربولِ

صوابه « لمأكلهنّ » كما فى الصحاح . والبيت لم يرد فى ديوان الكميت تحقيق داود سلوم .

٧٤٧ـ ( طفف ) ١٢٧ س ٨ وبيروت ٢٢٣ والمخطوطة أيضاً : « وأنشد :

* تحدم طفطافاً من الربول *

مع إهمال النقط فى « تحدم » ، والوجه « تخذم » بالذال المعجمة قبلها خاء معجمة أو حاء مهملة ؛ ومعناه تقطع . وانظر التنبيه ٧٤٥ .

٧٤٨ـ ( ظلف ) ١٣٤ وبيروت ٢٣٢ والمخطوطة كذلك . الملحوظ أن هذه المادة وردت فى اللسان سابقة لمادة ( ظفف ) وهو خلاف الترتيب المعهود ، فهو سهو من ابن منظور أعجل عن تنسيقه ، فكان من الواجب أن ينبه الناشر عليه .

٧٤٩ـ ( عجف ) ١٣٨ س ٥ وبيروت ٢٣٤ والمخطوطة أيضاً : « قال مرداس بن أذنة » مع إهمال النون والتاء فى المخطوطة ، وإنما هو « مرداس بن أدية » كما فى الصحاح . و « أدية » بهيئة التصغير هى أمه أوجدته . وأبوه حدير ، أو عمرو بن حدير . وكنيته مرداس أبو بلال . وهو من الخوارج على معاوية ، خرج سنة ٥٨ وانظر الاشتقاق ٦٧ ، ٢١٩ وجمهرة ابن حزم ٢٢٣ ونوادر المخطوطات ٢ : ١٧٠

٧٥٠ـ ( عقف ) ١٦٠ س ٥ وبيروت ٢٥٤ والمخطوطة : « والعقافة خشبة فى رأسها حُجنة يمدّ بها الشىء » ، صوابه «يحتجن بها الشىء » كما فى التهذيب ١ : ٢٦٧ . وأصل الحجنة حجنة المغزل ، أى صنارته المعوجة فى رأسه .

٧٥١ ـ ( عكف ) ١٦١س ١٥وبيروت ٢٥٥ قول أبى ذؤيب :

فهن عكوف كنوح الكريـ
ـم قد شف أكبادهن الهوَى

صوابه « الهَوِيُّ » بتشديد الياء مع الضم كما فى التهذيب ، وكما سبق فى التصحيح رقم ١٥٩ والبيت من قصيدة مرفوعة الروى مع التشديد ، وأولها :

عرفت الديار كرقم الدوا
ة يرقمها الكاتب الحميرىُّ

والهوىّ فى البيت بمعنى المهوىّ ، أى المحبوب . وهو على حذف مضاف كما يقولون ، أى فقد المهوىّ .

٧٥٢ـ (غرف) ١٧١ س ٢٥ و١٧٢س٢ وبيروت ٢٦٥ والمخطوطة أيضا : «وقال عمرو بن لجأ» ، صوابه « عُمر بن لجأ » كما سبق فى التصحيح رقم ٧٣١ .

٧٥٣ـ (غرف) ١٧٢ س ١ وبيروت ٢٦٥ والمخطوطة أيضاً قول عمر بن لجأ :

* تهمزه الكف على انطوائها *

وإنما هى « تهمزها » كما فى المقاييس (عزل) ؛ إذ أن الراجز يعنى مزادة من مزاد الماء .

٧٥٤ـ (غيف) ١٧٩ س ٢٥ وبيروت ٢٧٣ : « وأنشد القطامى » . وهو من التحريفات الخاطئة ، ومتى كان القطامى منشداً ؟ والصواب « للقطامى » كما فى المخطوطة ، كما أن البيت وهو :

وحسبتَنا نزع الكتيبة غدوة
فيغيِّفون ونرجع السَّرعانا

للقطامى فى ديوانه ١٨ . وانظر المقاييس (غيف) ومجالس ثعلب ٥٢٥ .

٧٥٥ـ (قرف) ١٨٧ س ٥ وبيروت ٢٨٠ والمخطوطة : وقال النابغة :

وقارفت وهى لم تجرب وباع لها
من الفصافص بالنمى سفسيرُ

ومن عجب أن يسكت ابن منظور على هذه النسبة الخاطئة ، وإنما البيت لأوس ابن حجر فى ديوانه ٤١ واللسان (سفسر ٣٧ ونمى ٧٣) .

٧٥٦ـ (قرقف) ١٩٠ س ٨ وبيروت ٢٨١ : «القَرقَف : طير صغار كأنها الصِّعاء » . صواب ضبطه « القُرقُف » بضم القافين كما فى التهذيب والقاموس ونص القاموس على ضبطه « كهدهد » . وأما القرقف بفتحتين فهى الخمر .

٧٥٧ـ (قعف) ١٩٥ س ٢ وبيروت ٢٨٧ والمخطوطة ، قول الراجز :

* يقفعن باعاً كفراش الغضرم *

صوابه « قاعا » بالقاف ، كما فى التهذيب ١ : ٢٦٧ . وقد ورد على هذا الصواب فى اللسان (غضرم) .

٧٥٨ـ (قعف) ١٩٥ س ٨ وبيروت ٢٨٧ والمخطوطة كذلك ، قول الراجز :

اقتَعَفَ الجَلمة منها واقْتَثَثْ

فإنما تقدحها لمن يرثْ

وواضح أن الكلام أمر لا إخبار ، والصواب :

* واقتعِثِ الجلمةَ منها واقْتَثِثْ *

كما ورد فى التهذيب .

٧٥٩ـ (قلف) ٢٠٠ س ٤ وبيروت ٢٩١ والمخطوطة : « القِلّف والقِنّف واحد ، وهو الغرِيَن واليَفَن إذا يبس » ، صوابه « والتِّقْن » كما فى التهذيب . وليس لليفَن هنا وجه ، فإن اليفَن الشيخ الكبير الفانى . وإنما المراد التِّقْن ، وهو الطين الرقيق يخالطه حمأة .

٧٦٠ـ ( كشف ) ٢١٠ س ٢٠ وبيروت ٣٠٠ قول الشاعر :

فماذم حاديهم ولافال رأيهم

ولاكشفوا إن أفزع السرب صائح

ولاوجه للحادى هنا ، وإنما المراد مدح القوم أنفسِهم بالجود والحكمة والثبات فى القتال . والوجه « فما ذُمّ حاذيهم » كما هو واضح فى المخطوطة . والحاذى : المعطى ، حذاه حَذْواً : أعطاه . وفى شرح القصائد السبع لابن الأنبارى ٤١٨ : «فما ذم جاديهم » بالجيم ، وهى رواية صحيحة أيضاً . والجادى : السائل والمعطى كذلك ، فهو من الأضداد . قال شاعر :

جدوت أُناسا موسِرين فما جَدَوْا

ألَا اللهَ فاجدوه إذاكنت جاديا

وعجز هذا البيت فى شرح القصائد السبع هو : «ولا كشفوا إن أفزع الحى خائف » .

٧٦١ـ (نزف) ٢٣٩ س ١٠ وبيروت ٢٣٦ قول قيس بن الخطيم :

تغترق الطرف وهى لاهية

كأنما شف وجهها نُزْفُ

والبيت من قصيدة له مطوية الضرب كلها ، فالصواب «نُزُف » بضم الزاى أيضاً كما فى المخطوطة وديوان قيس . وقد سبق الكلام عليه فى التصحيح ٧٤٠

٧٦٢– ( نوف ) ٢٥٧ س ١١ وبيروت ٣٤٢ والمخطوطة أيضا :

ولدت ترابيه رأسها
على كل رابية نَيِّف

لكن فى المخطوطة « رأسَها » بالنصب. والصواب « وردتْ برابيةٍ رأسُها » كما فى المقاييس ( نيف ) ، أى بلغتُها وأشرفت عليها . وقد عنَى أن رأس تلك الرابية يطول رءوس غيرها من الروابى . وقارب مصحح بولاق الصواب فقال : « لعله ولدت برابية ، واحدة الروابى » .

٧٦٣– ( وصف ) ٢٧٢ س ١٧ وبيروت ٣٥٦ : «واتصف الشئ ، أى صار متواصفاً ». والوجه « متواصَفاً » على صيغة اسم المفعول ، أى صار موصوفًا يصفه بعض الناس لبعض. وقد وردت الصاد مهملة الضبط فى المخطوطة .

٧٦٤– ( وطف ) ٢٧٤ س ١ وبيروت ٣٥٨ والمخطوطة : « وسحابٌ أوطف : فى وجهه كالحِمْل الثقيل » ، والوجه « كالخَمْل الثقيل » . والخمل ، بفتح الخاء المعجمة وسكون الميم : هُدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

والسحب توصف بأنها ذات هيدب ، وهو ما يتدلى منها مثل الهدب ، كقول عمرو ابن الأهتم فى المفضليات ١٢٦ :

تـألق فى عين من المزن وارق
له هيدبٌ دانى السحاب دفوقٌ

وقول أوس بن حجر ( ديوانه ١٥ ) :

دانٍ مسفٌّ فويق الأرض هيدبه
يكاد يلمسه من قام بالراحِ

٧٦٥– ( وقف ) ٢٧٨ س ١٤ وبيروت ٣٦١ والمخطوطة : « أبو عبيدٍ : الموقفان من الفرس : فقرتا خاصرتيه » . صوابه «أبو عبيدة » كما فى التهذيب ، والنص ثابت فى كتاب الخيل لأبى عبيدة ص٨٨– ٨٩ .

٧٦٦– ( وقف ) ٢٧٨ س ١٤ وبيروت ٣٦٢ والمخطوطة : « ثم يغْلى على الغراء بصدأ أطراف النبل فيجئ أسود لازقا » والصواب « يُعَلَّى » كما فى التهذيب . يعلَّى عليه ، أى يوضع عليه . يقال علاَّه على الشئ وعالاه عليه ، أى جعله فوقه . ومنه ما أنشده الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٥٣ :

وتَبنِى له جيلانُ من نَحتها الصفا
قصوراً تُعالىَ بالصفيح وتُكلَسُ

٧٦٧ـ ( وقف ) ٢٧٩س٢ وبيروت ٣٦٢ : « وأنشد :

* شيبا موقفا * »

وفى المخطوطة : « سيبا موقفا » بالسين المهملة المضمومة ومع إهمال نقط ما بعد الياء ، والصواب « شَبَبًا » كما فى التهذيب على أن الذى فى ديوان العجاج ٤٩٧ بتحقيق عزة حسن :

كأن تحتى ناشطا مجأفا

مذرَّعا بوشيه موقفا

٧٦٨ ـ ( وقف ) ٢٧٩ س٣ وبيروت ٣٦٢ والمخطوطة ، قول الشاعر :

لها أُمٌّ موقَّفةٌ رَكوبٌ

بحيثُ الرَّقوُ مرتعُها البَرِيرُ

صوابه « وَكوب » بالواو كما فى التهذيب وكما فى اللسان (وكب ، رقا ) والكلام فى وصف ظبية وخشفها .والمراد بالوَكوب التى تمشى فى دَرَجان ، أو التى تواكب ولدها وتلازمه . أمّا الركوب بالراء فلا وجه لها هنا . والظباء لايركبها الناس .

٧٦٩ـ ( أبق ) ٢٨٣ س ١٦ وبيروت ( ج ١٠ : ٣ ) والمخطوطة عند قول الشاعر :

ألاَ قالت بَهانِ ولم تأبَّق

كبِرتَ ولا يليقُ بك النعيم

« قال ابن برى : البيت لعامر بن كعب ابن عمرو ». وصوابه كما فى نوادر أبى زيد ١٨ : « عامان بن كعب » أو « غامان ابن كعب » . وانظر ابن يعيش ٤ : ٦٢ .

٧٧٠ـ ( أبق ) ٢٨٣ س ٢٤ قول زهير :

القائد الخيل منكوبا دوائرها

قد أحكمت حكمات القد والأَبقا

والوجه « دوابرها » بالباء كما فى المخطوطة وطبعة بيروت ص ٤ وديوان زهير ٤٩ . ودابرة الحافر : مؤخره . و « دوائرها » صحيحة فى ذاتها مع مخالفتها لرواية المخطوطة والديوان ، لكنها خطأ فى أداء الأَصل . ودائرة الحافر : ما أحاط به من الثنن ، وهى جمع ثُنَّة بمعنى مؤَخر الرسغ . وقد وردت رواية « دوائرها » فى اللسان ( حكم ) .

٧٧١ـ ( أفق ) ٢٨٥ س ٢٠ وبيروت ٥ قول أبى وجزة :

ألا طرقت سعدى فكيف تأفقت

بنا وهى ميسانُ الليالى كسولُها

وردت كلمة « ميسان » فى المخطوطة مجردة من الضبط ، ووجه ضبطها « مِيسان » بكسر الميم وهى مِفعال من

الوسَن ، وهو النعاس . ومنه قول الطرماح :

كل مكسالٍ رقود الضحى

وعثة ميسان ليل التِّمامْ

٧٧٢ـ ( أفق )٢٨٦ س ١١ وبيروت ٦ : « وأنشد لعمرو بن قنعاص » . وفى المخطوطة : « بن قنعاش » بالشين وكلاهما خطأ ، والصواب « عمرو بن قِعاس » كما فى الاشتقاق ٤١٣ ومعجم المرزبانى ٢٣٦ . وفى الاشتقاق : « ومنهم — أى من مراد — عمرو بن قعاس بن عبد يغوث الشاعر . وقعاس من التقاعس » وفى اللسان ( قعس ) : « وعمرو بن قعاس من شعرائهم » . وفى مستدركات تاج العروس : « وككتاب : عمرو بن قِعاس بن عبد يغوث المرادى ، شاعر » .

٧٧٣ـ ( أفق ) ٢٨٧ س ١١ وبيروت ٧ والمخطوطة أيضاً : « والأَفَقَة : المرقة من مرق الإهاب » ، صوابه « من مَرْق » كما فى التهذيب . والمرقة بتسكين الراء : الصوفة أولَ ما تنتف ، وقيل هو ما يبقى فى الجلد من اللحم إذا سلخ .

٧٧٤ـ ( أيق ) ٢٩٣ س ١٥ وبيروت ١٢ والمخطوطة قول الطرماح :

وقام المها يعقلن كل مكبَّل

كما رُضَّ أيقاً مذهب اللونِ صافنِ

صوابه « رُصَّ » بالصاد المهملة كما فى التهذيب وديوان الطرماح ١٦٤ واللسان ( صفن ) ، كما أن وجه الرواية فى « يَعقلن » هو « يُقَفِّلْنَ » كما فى الديوان والمقاييس واللسان ( صفن ) . وفى اللسان عند إنشاد البيت : « المها : البقر ؛ يعنى النساء . والمكبَّل ، أراد الهودج . يُقفِلْن : يَسدُدن . كما رُصَّ : كما قيِّد وأُلزِق » .

٧٧٥ـ ( بستق ) ٣٠٢ س ١٢ وبيروت ٢٠ قول الأعرابى :

ولم يُسْتَبّ ساكنها عِشاءً

بكشخانٍ ولا بالقرطبانِ

صوابه « يَستبّ » بالبناء للمعلوم ، كما فى المخطوطة . واستبّ القوم : سبَّ بعضهم بعضاً . ولم أجد نصًّا عليه فى اللسان والقاموس . لكن فى المعجم الوسيط « واستبُّوا : سبَّ بعضهم بعضاً » . وورد فى قول مهلهل فى الحيوان ٣ : ١٢٨

أودى الخيار من المعاشر كلهم

واستبَّ بعدك يا كليب المجلس

٧٧٦ـ ( بعق ) ٣٠٤ س ١٤ وبيروت ٢٢ والمخطوطة قول رؤبة :

وجُود مروان إذا تدفقا
جُودٌ كجُود الغيث إذ تَبعَّقا

الوجه « جَودٌ كجود » . والجَود ، بالفتح : الواسع الغزير . والجود من المطر : الذى لا مطر فوقه البتة . كما أن الذى فى المخطوطة « وجود هَرُون » لكن الذى فى الديوان ١١٤ : « وجود مروان » كما فى المطبوعتين .

٧٧٧ـ ( بلق ) ٣٠٧ س ١٥ وبيروت ٢٥ قول امرئ القيس :

فليأْت وسط قبابه بَلَقِى
وليأْت وسطَ قبيلــه رَجْلى

و « رجْلى » هى رواية الديوان ٢٠٤ وفسِّر الرجْل فيه بأَنه الرجال . لكن الذى فى المخطوطة « رحْلى » بالحاء المهملة .

٧٧٨ـ ( جبنثق ) ٣١٧ س ١٥ وبيروت ٢٤ والمخطوطة . كذا وردت المادة فى النسخ جميعها بتقديم الباء على على النون فى رسم المادة ، وفى قوله : « الجبنقة امرأة السوء » . وفى الشاهد « بنى جبنثقة » نقلا عن التهذيب . والذى فى التهذيب تقديم النون على الباء . وكذلك هى فى القاموس . وقد أَهمل الجوهرى هذه المادة .

٧٧٩ـ (جوق ) ٣٢٠ س ٢ وبيروت ٣٧ والمخطوطة : « ويقال عدو أجوق الفلك ، أى مائل الشق » صوابه « مائل الشدق » كما فى التهذيب والعباب . وفى تاج العروس : « عدو أَجوق الفلك ، أى مائل الشق . وفى العباب : الشدق » .

٧٨٠ـ (حقق ) ٣٣٩ س ٢٦ وبيروت ٥٤ : « وفى حديث الزكاة ذكر الحِقّ والحِقّة . والجمع من ذلك كله حُقُق وحقائق . ومنه قول المسيّب بن علس :

قد نالنى منه على عدم
مثل الفسيل صغارها الحُقُقُ

وفى المخطوطة : « حُقَق » صوابهما « حِقَق » . والحِقَق بكسر ففتح ، كما فى كتاب سيبويه ٢ : ١٨٤ وهو القياس الصرفى . وفى القاموس أن جمع الحِقّة « حِقَق كعِنَب » . أما الحقائق فليست جمع حقَّة ، بل هى جمع للجمع الذى هو الحِقاق . قال الجوهرى فى الحقاق : « وربما تجمع على حقائق مثل إفال

وأفائل » . وفى تاج العروس : « جمع الحقق حُقُق بضمتين ككتاب وكتب » . وقد عنى الشاعر بمثل الفسيل ما أعطاه الممدوح من إبل طوال . والفسيل : صغار النخل .

٧٨١ – (حقق) ٣٤١ س ٢٢وبيروت ٥٧ : « فارتبعن فسمنت ولم يسمنا فقد حقّت واحدة ، ثم ضَبَعَت ولم يضبعا فقد حقّت عليهما حِقّة أخرى ، ثم لقحت ولم يلقحا . فهذه ثلاث حِقات » . وفى المخطوطة : « صعب » هكذا بإهمال النقط والضبط وصواب ضبطها «ثم ضَبِعَتْ » . يقال ضَبِعت الناقة بالكسر تضبَع ضَبَعا بالتحريك ، وذلك إذا اشتهت الفحل .

٧٨٢ – (حقق) ٣٤٢ س ٤ وبيروت ٥٧ والمخطوطة أيضاً قول أبى كبير الهذلى :

هَلّا وقد شرع الأسنةَ نحوها
مابين محتقٌ بها ومشرِّم

والبيت فى صفة حمير الوحش . وقبله :

فاهتجن من فزع وطار جحاشها
من بين قارمها ومالم يقرم

وصواب أوله «وَهَلاً » كما فى ديوان الهذليين ٢ : ١١٥ وشرح السكرى ١٠٩٣ . و « مشرِّم » صفة للطعن ، ويروى : «مشرَّم » صفة للمطعون .

٧٨٣ – (حنق) ٣٥٦ س ٢٣ وبيروت ٧٠ والمخطوطة قول ذى الرمة :

محانيق تَضْحَى وهى عوجٌ كأنّها
نحوز . . . مستأْجرات نوائح

وكتب مصحح بولاق : «قوله نحوز ، كذا بالأصل على هذه الصورة مع بياض بعده » . وصواب العجز وتمامه كما فى ديوان ذى الرمة :

* بجَوْز الفلا مستأْجرات نوائح *

٧٨٤ – (خفق) ٣٦٩ س١٩ والمخطوطة : «قول عنتر يصف فرسًا له » صوابه «عنترة » كما صحح بذلك فى طبعة بيروت . ومن عجب أنها ترد فى المخطوطة «عنتر » بدون تاء . ولاريب أنه سهو كتابى .

٧٨٥ – ( دردق ) ٣٨٤ – ٣٨٥وبيروت ٩٦ : «يقال ملّسنى الرجل بلسانه وملّقنى ودرّقنى ، أى ليّنَنِى وأصلح منى ، يدرِّقنى ويملِّسنى ويملِّقنى » . صوابها

« مَلَسنى ومَلَقنى ودَرَقنى » و « يدرُقنى ويمُلسنى ويملُقنى » كما فى التهذيب ، وكما يفهم من المخطوطة ، إذ لا أثر فيها للتشديد . وورد فيها « دَرَقنى » بفتح الدال والراء الخفيفة ، كما ورد فيها يمْلسنى » بضم الميم بالسكون .

٧٨٦– (دردق) ٣٨٥س ٤ وبيروت ٩٦ والمخطوطة قول الأعشى :

وتعادَى عنه النهارَ تواريـ
ـهِ عِراض الرمال والدرداقِ

والصواب «والدرداقُ» بالضم كما فى ديوان الأعشى ١٤٣ . والبيت من قصيدة مرفوعة الروى أولها مبتور . والبيت الثانى فيها :

يوم قَفَّتْ حمولهم فتولوا
قطَّعوا معهد الخليط فشاقوا

٧٨٧– (دفق) ٣٨٩ : ١ وبيروت ١٠٠ : « وفى النوادر : هلال أدفق ، أى مستو أبيض ليس بمتنكِّب على أحد طرفيه » . وفى المخطوطة : « بمنتكث » بالثاء المثلثة ، وصوابهما « بمنتكت » بالتاء المثناة ، كما فى التهذيب وقال الجوهرى : « يقال طعنه فنكته ، أى ألقاه على رأسه فانتكت هو » .

٧٨٨– (دفق) ٣٩٥ س ٦ وبيروت ١٠٦ : « أبو عمرو : مريض دافق ، إذا كان مدنفا محرَّضا » . وفى المخطوطة : «محرصا» بالمهملة وبدون ضبط . ولا وجه للتحريض هنا ، وصوابهما « مُحْرَضًا » كما فى التهذيب . والمحرض : الذى أحرضه المرضُ فأفسد بدنَه وأشفى على الهلاك .

٧٨٩– (دهق) ٣٩٦ س ٢١ وبيروت ١٠٧ قول حجر بن خالد :

ونحلب ضرسَ السيف فينا إذا شتا
سديفَ السنام تشتريه أصابعه

والكلمتان الأوليان من البيت مهملتا الضبط فى المخطوطة مع إهمال نقط النون . والصواب «ويحلُب ضرسُ الضيف» كما فى الصحاح ، فإن الضرس لايحلبه الناس ، وإنما يستقطر هو الدسم من الشحم على المجاز . والاشتراء فى البيت بمعنى الاختيار . وفى الصحاح «تستريه» من قولهم : استرأى الشئ : استدعى رؤيته .

٧٩٠– (ذوق) ٤٠٢ س ٧ وبيروت ١١٢ : « وذاق الرجل عسيلة المرأة ، إذا أولج فيها إذاقة » . وفى المخطوطة :

« اداقة » ، والصواب « أُدافه » كما فى التهذيب . والأُداف : الذكر . قال :

* أولجُ فى كعثبها الأُدافا *

والأُذاف ، بالذال المعجمة : لغة فى الدال المهملة ، ولكن ما فى المخطوطة يؤيد هذا التصحيح .

٧٩١ – ( رمق ) ٤١٨ س ٥ وبيروت ١٢٦ : « وتخاط عيناها ويشد فى ساقها ، خيط طويل » . والوجه « سبَاقَيها » كما فى التهذيب والمخطوطة ، وإن كان فى المخطوطة مهمل نقط الباء والياء . والسِّباقان : قيدان فى رجل الجارح من الطير ، من سير أو غيره . ويقال سبَّقت الطائر ، إذا جعلت السباقين فى رجليه .

٧٩٢ – (رمق ) ٤١٨ س ٩ وبيروت ١٣٢ والمخطوطة أيضاً :

ولم يدبُغونا على تِحلِيءٍ
فيرمقُ أمرٌ ولم يَغْمَلوا

والصواب «ولم يُغملِوا » كما فى التهذيب . وفى اللسان «غمل ) : « أغمل فلانٌ إهابه ، إذا تركه حتى يفسُد » . وأنشد للكميت :

كحالئة عن كوعها وهى تبتغى
صلاح أديم ضيَّعَتْه وتُغْمِلُ

وقد ورد بيت الكميت محرفا فى اللسان (٠ لا ) فليصحح كما هنا .

٧٩٣ – (روق ) ٤٢٤ س ١٢ وبيروت ٣٢ والمخطوطة كذلك قول الطرماح :

عيناك غربا شنَّةٍ أسبلت
أرواقُها من كَبِّن أخصامها

وكذا ورد فى ديوان الطرماح ١٦٢ وفسَّره بقوله «الكَبِين الموضع الأسفل» . ووجهه «كَبْن» كما فى التهذيب . والكبن : شفة الدلو ، أو ماثَنى من الجلد عند شفة الدلو . وأخصام المزادة : زواياها .

٧٩٤ – (ريق ) ٤٢٨ س١٥ وبيروت ١٣٥ والمخطوطة وتاج العروس : «وقال هى لغة يمانية ثم فشت فى مصر » . وقد ضبطت فى المخطوطة بسكون الصاد المهملة ، والصواب «فى مضر » ، وهى التى تقابل اليمانية لاريب . ولا دخل لمصر – حرسها الله – فى لهجات العربية .

«فى الجزء الثانى عشر من طبعة بولاق»

٧٩٥ – (زلق ) ٩ س ٢٢ وبيروت ١٤٤ والمخطوطة قول رؤْبة :

* أو حادر الليتين مطوى الحنق *

وقد وردت الكلمة الأخيرة من الشطر

مهملة النقط فى جميع النسخ . والصواب « الحَنَقْ » كما فى المقاييس وديوان رؤبة ١٠٤ واللسان (جدر) . وكلمة «حادر» مصحفة أيضا ، ووجهها «جادَر» بالجيم كما فى المراجع السابقة واللسان (جدر) ، يقال جدِرت عنقه جَدَراً ، إذا انتبرت .

٧٩٦– (سملق) ٣٠ س١٨ وبيروت ١٦٤ والمخطوطة ، قول رؤبة :

مَرَّت كجلد الصَّرصران الأَمْهَقِ

صوابه «مَرْتٍ» كما فى التهذيب وديوان رؤبة ١٨٠ . والمرت : القفر التى لانبات فيها . وقبله :

إذا أنفأت أجوافه عن سملقِ *

٧٩٧– (سوق) ٣٣ س ٣ وبيروت ١٦٧ قول الشاعر :

وهل أنا إلا مثل سيقة العدا

إن استقدمت نجر وإنجبأت عَقْر

والصواب «نحر» بالحاء المهملة كما فى المخطوطة والتهذيب ومافى اللسان (جبأ).

٧٩٨– (سوق) ٣٤ س ١٨ وبيروت ١٦٨ والمخطوطة أيضاً قول الحماسى :

كشفت لهم عن ساقها

وبدا من الشر الصُّراحْ

بإسكان حرف الروى ، وهو ضبط لايستقيم ، لأن المقطوعة مضمومة الروى، وأولها :

يابؤس للحرب التى

وضعت أراهط فاستراحوا

فكيف يتصور أن يكون الروى بالسكون فى هذا البيت ؟ !

٧٩٩– (سوق) ٣٥ س ١٧ وبيروت ١٦٨ قول العجاج :

* هذّك سَوَّاق الحصاد المختضَرْ*

صواب ضبطه «سُوَّاق» بضم السين فى الشطر وفى التفسير بعده كما فى التهذيب والقاموس : وديوان العجاج ٧١ بيروت . وجاء بعده فى التفسير أيضاً «الحضاد : بقلة . صوابه «الحصاد» . وليس لحضد مادة فى العربية إلا فى قولهم « الحُضُد » لغة فى «الحُضُض» كما فى تاج العروس .

٨٠٠– (شبرق) ٣٨ س ١٤ وبيروت ١٧٢ : «والشبرقة من الجَنَبة» . وفى المخطوطة : «الحنبه» بالحاء المهملة مع إهمال الضبط ، وصوابهما «الجَنْبة» بالجيم وسكون النون ، كما فى التهذيب . والجنْبة : مايتربل من النبات فى الصيف .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع

# تجارب أدبية صامتة

للأستاذ إبراهيم اللبان

## أذكر

انني حينما بدأت أتذوق الأدب ، مررت بمشاعر نفسية مختلفة ، لم أستطع لها إذ ذاك تعليلا . بل الواقع أني لم أفكر حينذاك في تعليل ، وما هممت به ولا حاولته .

من أوائل ذلك أني أحسست وأنا أتصفح لأول مرة ديوان الحماسة بشعور غريب ، ولكنه قوى وعميق ، عندما قرأت ثلاثة أبيات لمتمم ابن نويرة يرثى بها أخاه مالكا ، وهى قوله :

لقد لامني عند القبور على البكا
رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال : أتبكى كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له : إن الشجا يبعث الشجا
فدعني فهـــذا كـله قبر مالك

فالحق أني ماكدت أستتم قراءة هذه القطعة القصيرة حتى شعرت بالحزن ينساب فى نفسى فياضا متدفقا من هذه الأبيات المفعمة بالأسى ، والشجن المنبعث عن قلب جريح وكبد مصدوعة حرّى .

ولقد كان لقوله : « فدعنى فهذا كله قبر مالك » وقع خاص فى قرارة نفسى ، فقد أحسست من ثناياه بأن الحزن قد طغا على الرجل ، فغير معالم الكون أمامه ، حتى لأصبحت القبور كلها قبرا واحدا هو قبر أخيه مالك ، فكلها يرد إليه عازب الحزن وينكأ قرح فؤاده .

كانت هذه تجربة جديدة فريدة ، ولكنى لم ألبث حينما أمعنت فى قراءة شعر المراثى أن شعرت بنفس الأثر ، ولكن بدرجة أقل وأضعف ، فكله شعر حزين باك ، يفيض بالأسى العميق ، والحزن المتقد ، فيغمر نفس القارئ ، ويحرك منه أعمق المشاعر .

وهنا تذكرت كيف كنت أشعر عند قراءة شعر الوصف إذ كان لا يؤثر فى نفسى أقل تأثير ، بل الواقع أنه كثيرا ماكان يثير الملل والسآمة فى نفسى ، وأطبق الكتاب وأضعه جانبا .

كان هناك فارق ولكنى إذ ذاك لم أتبينه ، ولم أعرف طبيعته ولا حاولت معرفتها .

زالت عنى إذن نظرتى الأولى إلى الشعر التى كانت تسوى بين فنونه ، ولا ترى الفروق العميقة القائمة بينها .

هذا كل ماحدث .

أما الذكرى الثانية التى لاتمحوها الأيام فهى أنى تتبعت مرة قصة قديمة أظن أن اسمها كان قصة«غريب وعجيب» وهى قصة قديمة كانت تمتاز بقوة التصوير ، وكان خيالى إذ ذاك فى عنفوان قوته ؛ فكنت فى أثناء قراءتها أرى أشخاصها يمرون أمامى تباعا يتحدثون ويتحركون ثم يختفون .

أما البيئة التى كانت تجرى فيها حوادثها ، فقد حلت محل الحقيقة المحيطة بى ، فأحسست كأنى قد انتقلت إليها ، وأصبحت أعيش فيها . أتردد بين دورها وقصورها ، وأسرح البصر فى أشجارها وأنهارها ، وقد استهوتنى هذه التجربة الساحرة حتى مالت الشمس إلى الغروب . فلم أكف عن القراءة ، بل مضيت فيها حتى تكاثف الظلام ، وأخذت معالم الكلمات تفقد وضوحها ، وتصعب قراءتها ، ثم غمرها الليل بظلمته فاختفت تماما .

وحدث مثل هذا أو أكثر منه حينما وقعت فى يدى بعد ذلك قصة منقولة عن الفرنسية فى سلسلة مسامرات الشعب المعروفة ، وأخذت أقرؤها بنهم شديد فقد نقلتنى هذه القراءة من عالم الواقع إلى عالم الخيال مرة أخرى ، ولكنها نقلتنى هذه المرة إلى أوربا بجمالها وروعة مناظرها ، ووضعتنى بين فريق من أهلها أشاركهم أفراحهم ، وأقاسمهم آلامهم ومتاعابهم .

وقع هذا فى مطلع حياتى الأدبية ، فكانت جدته وقوته تنتشلنى من عالم الواقع الجامد الممل إلى آفاق جديدة سعيدة . كنت فى الواقع أرتاد عالم الأدب لأول مرة ، وأتنقل فى شعابه ، وأطوف فى مدنه وقراه ، وبين جباله وأنهاره وأتقلب بين سكانه وقطانه . فيفتننى هذا أى فتنة ، ويسحرنى أى سحر . كانت حياة جديدة وعوالم مجهولة ، قد تفتحت أبوابها فجأة أمامى فكنت كالسائح ، الذى يهبط أرضا لايعرفها ولا عهد له بها ، فيجول فيها مأخوذا بجدتها وجمالها .

ومنذ ذلك الحين اندفعت فى قراءة القصص ، ولكن الحق أن المعارض التى أقامها الكتاب ومؤلفو القصص لم تكن إذ ذاك تعنى فى نظرى الا سلاسل متصلة الحلقات من وقائع فردية ليس لها أية صبغة نظرية . فكان الذى يعجبنى منها هو الأخيلة البارعة التى يحوكها المهرة من كبار المؤلفين والقصاص ، وما تثيره حوادثها فى النفس من انفعالات متتابعة مختلفة الأنواع . أما الأفكار والمبادئ التى يرمى إليها هؤلاء الأدباء فقد كانت فى أفق فكرى لم أصل إليه بعد .

كانت هذه التجارب أغنى بكثير من تجربة شعر الرثاء وأشد منها إثارة .

ولكنى – كما قلت فيما سلف – لم أكن قد وقفت بعد على طبيعة القصة أو طبيعة الشعر أو حقيقة الأدب ، وإن كان هذا لم يحل دون تذوق محدود للشعر والأدب أعقب ولعا شديدا بالقصة بوجه خاص .

وفى هذه الحقبة من حياتى وقعت فى يدى قصص عربية مختلفة أذكر « منها ألف ليلة وليلة » ، وقصة سيف بن ذى يزن .

وهكذا وجدتنى قد بدأت رحلتى الأدبية وأخذت أمارس التذوق الأدبى دون أن أعرف طبيعته ، أو أتبين حقيقته . وكان بطبيعة الحال تذوقا محدودا فى سعته ومداه .

ولما بدأ النقد الأدبى يظهر فى مصر جعلت أتتبع ما يجىء به النقاد ، وكان أكثره وأظهره إذ ذاك يدور حول نقد الأساليب نقداً لغويًّا فلم يستملنى هذا النوع من النقد ، وعرفت قصوره وعجزه عن الوفاء بحاجتى ، ولكنى مع ذلك تابعت مايكتبه النقاد اللغويون لأنه أيضا كان تجربة جديدة فى أفق جديد لم أكن عرفته من قبل ، فكان له لذة الجدة والطرافة ، وإن لم يكشف لى عن أغوار التجربة الأدبية التى كنت أتطلع إليها ، وأتشوق إلى معرفتها ، تشوقا صامتا ولكنه عميق شديد مصمم .

لم يتطور إذ ذاك معنى الأدب فى ذهنى تطورا يذكر ، ولم أر فى القصة أو المسرحية بوجه خاص ، إلا سلسلة متتابعة من الحوادث الجزئية تروع بجدتها وطرافتها ، وتقدم متاعا روحيا يستطيع الإنسان أن يشغل به وقت فراغه ، ويمضى به بعض الوقت فى لذة ساحرة ، قد يكون سبب سحرها وفتنتها هذه النقلة التى تخرجنا بها من دائرة المألوف المملول إلى الجديد الطريف من الناس ، والمناظر ، والحوادث .

وأخيرا حدث التطور الكبير الذى كنت أترقبه فأضفى على الفن معناه ورفع من قدره ، وأعلى من مكانته ، وزاد حبى له وولعى به .

كنت أقرأ الكتاب الذى كتبه الأستاذ نتلشيب يعرض فيه جمهورية أفلاطون عرضا مشوبا بالنقد والتحليل ، ولما وصل إلى ضرورة مبدأ الصدق للأثر الأدبى ، اضطر إلى الإفصاح الكامل عما يعنيه ، ففرق فى الأثر الأدبى بين عنصرين : العنصر الأول هو الحادثة الجزئية التى تقدمها القصة أو المسرحية ، والعنصر الثانى هو المبدأ العام الذى تمثله هذه أو تلك . أما العنصر الأول فليس من الضرورى أن يكون صادقا . فلا يضر الأدب ، أو يضع من قيمة الأديب أن تكون القصة مصنوعة من بدايتها إلى نهايتها ، والأمر بخلاف ذلك بالنسبة للعنصر الثانى الذى تعبر القصة عنه بحوادثها ، وأشخاصها ، فلا مكان للتساهل فيه ، فيجب أن يكون المبدأ العام الذى تتضمنه صحيحا صادقا .

وهنا تنبهت لأول مرة فى حياتى الأدبية إلى أن القصة ، وإن كانت تبدو شيئا جزئيا حدث لأشخاص معينين فى ظروف خاصة ،

فإنها فى الواقع ترمى إلى ما هو أبعد من هذا ، وأجل وأسمى وأعلى مكانة وقدرا ، فهمتها الحقيقية هى أن تصور للقارئ فكرة عامة ، أو تبرز له فى مجرى الحوادث التى تعرضها ناموسا إنسانيا ، أوحقيقة اجتماعية أوكونية ، و لازلت إلى هذه الساعة أذكر الأثر النفسى العميق الذى تركته هذه النظرية فى نفسى حينما اطلعت عليها لأول مرة .

كان هذا فى الواقع كشفا أدبيا كبيرا أثر فى فهمى للفن تأثيرا عميقا فكان أول ماتنبهت إليه أن الأشخاص والحوادث ليست صميم الفن أوالهدف الأعلى للفنان، بل الواقع أن الانفعال نفسه ليس أيضا إلا أمراً ثانويا . ثم مضيت أفكر ،واستقر رأيى على أن الفنان الذى لايلوح بفنه إلى فكرة عامة لايمكن أن يدخل فى عداد كبار الفنانين . وأن قارئ القصة أوالمسرحية ، الذى يقف عند أشخاصها وحوادثها ،ولا يلمح المغزى العام لها، لانصيب له من رسالتها ، بل الواقع أنه لم يتذوقها حق تذوقها .

وهنا عرفت أنى كنت مخدوعا فى حياتى الأدبية السابقة ، فإنى فى الواقع لم ألمح المعنى العام للآثار الأدبية التى قرأتها ، وإنما لهوت بمناظرها وأشخاصها وحوادثها لهوا خاليا من الفهم . فالأدب تفسير للحياة ، وإبانة عما تنطوى عليه وقائعها من مبادئ وأفكار ، ونواميس عامة . ومهمته الكبرى أن يمنح القارئ المتذوق عينا يرى بها حقائق الأشياء ومعانى الحياة ، فتبدو له تقلبات الحياة و تصاريف الأيام ، وقد اكتست معانيها ، ونمت عن حقائقها . الأدب فى الواقع ازدياد فى العلم والفهم ومعرفة جديدة بالناس و بالحياة الإنسانية عامة .

وربما كان أطرف ماقمت به إذ ذاك أنى عزمت على أن أختبر صحة هذا المبدأ فيما قرأته من قبل من قصص كثير متنوع . وأذكر أنه كان من بينه قصة البؤساء لفكتور هيجو ، وقصة مجدولين ، ورواية الأب لأحد كبار كتاب فرنسا السابقين ، وقصة فى سبيل التاج ومسرحية يوليوس قيصر . وقد أسفر اختبارى لكل هذه الآثار الأدبية عن نتيجة إيجابية أثبتت لى بما لايدع للشك مجالا أن الأدب الرفيع لايعبأ بالأشخاص والحوادث الجزئية إلا بمقدار أثرها فى المهمة الأدبية العليا . وهى تصوير المبادئ العامة . فليس للحوادث الجزئية من قيمة أدبية سوى أنها تعطى هذه المبادئ العامة لحما وعظما ، تعطيها جسما تحل فيه ، فتخرج بذلك من غموض التجريد إلى نور الواقع المعروف المأنوس .

ولا أحب أن أعرض كيف امتحنت هذا المبدأ فى كل هذه الآثار التى أشرت إليها من قبل بصورة دقيقة مفصلة ، ولكنى سأكتفى ببعضها .

فمثلا حينما فكرت فى مجدولين بدا لى أن هدف المؤلف هو أن يقدم صورة واضحة لطبيعة الفتاة المرحة ، التى تؤثر جو المرح

واللهو الصاخب – مع ما يرافقه من استغلال وعدم إخلاص – على الحب العميق الصامت، كما تكشف عن طبيعة الرجل المخلص حينما يعامل بغدر وعدم إخلاص .

أما مسرحية يوليوس قيصر فهى فى الواقع عرض لمجرى التاريخ من بعض نواحيه ، فهى ترينا أن القائد المنتصر فى كل مكان يطمح إلى السلطة العليا تحت تأثير الإعجاب والملق ، وأن الأحرار يشعرون إذ ذاك بالخوف على حريتهم ، فيكيدون له حتى لا يفجعهم فيها .

أما قصة الأب فتعرض علينا – فى صورة واقعية واضحة – الأثر المحزن الذى يترتب على حياة موقوفة على فكرة الأبوة وحدها . فهذا تاجر مثر جمع ثروة طائلة وليس له إلا ابنة واحدة يحبها بكل قلبه ، وبخاصة بعد وفاة أمها ، ومن ثم وقف كل حياته على إسعادها ، فأفسدها بالتدليل ، ودمر نفسه وثروته ، وأتعس ابنته .

وإجمال القول أن التجربة التى قمت بها قد أسفرت عن نجاح تام وأقنعتنى بأن للأديب رسالة تحملها قصصه أو مسرحياته ، وهى فى العادة فكرة عامة أو مبدأ عام تتضمنه الوقائع والحوادث ، ويشع من خلالها .

والأديب الحق هو الذى يتخذ من الأدب وسيلة لشرح معانى الحياة والكشف عن نواميس الاجتماع . وهذا هو الذى رفع كثيرا من الكتاب فى الماضى والحاضر إلى منزلة معلمى البشرية وهداتها : ومقياس نجاح الأديب هو ألا يتخذ من عرض الحوادث الفردية غاية لفنه بل يتخير من طوفان الحياة الإنسانية المتدفق ما ينطوى على مغزى عام ثم يعكف على إبراز هذا المبدأ العام حتى يصبح جليًّا واضحاً للعيان، فيعطى المتذوق بذلك عينا يرى بها ونظرا ثاقباً، وقلباً واعياً وعلماً جديداً بالناس والحياة .

وهكذا استطعت فى تجارب أدبية متعاقبة أن أدرك أن الأدب يتركب من عناصر ثلاثة هامة، وتتجلى هذه العناصر فى القصة فى أوضح صورها :

وربما كان أظهر عناصر القصة هو الحوادث الجزئية والأماكن والأشخاص وما يثيره ذلك من خيال قوى رائع يفوق الواقع فى بعض الأحيان ، وهذا هو العنصر الذى يستميل إليه الأطفال وغير المثقفين ، وبه يقنعون . وهو عنصر يخلق عالماً آخر كثيرا ما يهرب إليه بعض الناس إذا آلمهم الواقع بشدائده وآلامه وحرمانه، فيجدون فيه بعض الراحة والرضا :

ولكن هذا العنصر يقوم بدور هام آخر فهو أداة إثارة الانفعال بكل ضروبه :

وعنصر الانفعال فى الواقع ضرورى لتكوين الأدب وتذوقه . فالقصة الباردة أو القصيدة الفاترة لا تلقى من أحد حبًّا ، ولكن إثارة الوجدان القوى العنيف يقابل فى بعض الأحايين بالرضا والارتياح :

أما العنصر الجليل الذي ينقل الشعر إلى حدود تتاخم حدود العلم فهو ظهور الأفكار العامة أو النواميس الاجتماعية والإنسانية من ثنايا القصص والأدب عامة ، فإن هذا يرفع الأديب إلى مقام الهداية والإرشاد العام ، وتعليم البشرية وتثقيفها .

وهكذا ما زلت أتنقل من تجربة إلى أخرى فأستكشف من واحدة عنصرا من عناصر الأدب في صورة غامضة غير محددة ؛ ثم أعثر في تجربة أخرى على عنصر ثان فثالث ، وقد كانت كلها تجارب تمهيدية غامضة ، بل الحق أنها كانت مجرد إحساسات مبهمة لم تصل إلى درجة مرضية من الدقة والوضوح ، إلا حينما تسنى لى أن أقرأ بعض كتب النقد في اللغة الإنجليزية وبخاصة كتاب ( بعض أصول النقد الأدبي ) الذي كان له في نفسى وقع عميق حملني على نقل خلاصته إلى اللغة العربية .

وقد أعانتني هذه التجارب التي مررت بها في أثناء استكشافي لمعنى الأدب على فهم مواقفي المختلفة إزاء كثير من ضروب الأدب . فقد كنت أتوق إلى معرفة سبب إيثاري لشعر النسيب والرثاء ونفوري من شعر الوصف والمدح ، وكنت أتطلع إلى معرفة سبب استغراقي في قراءة كتاب ألف ليلة وليلة أو قصة الطفلة المفقودة ، وإلى فهم كثير من الحالات النفسية التي كانت تتوارد على نفسى في أثناء قراءة كتب الأدب ، فأصبح ذلك كله بعد هذه الاستكشافات واضحاً مفهوماً . فقد عرفت أن الذي استمالني إلى النسيب والرثاء وبغّض إلىّ الوصف والمديح وفرة عنصر الوجدان في الفنين الأولين والجفاف العاطفي الذي يعانيه من يقرأ الوصف أو المدح .

وتبينت أن الخيال القوى هو سبب ولعى بكتاب ألف ليلة وليلة ، وأن هذا الكتاب وإن لم يكن له رسالة فكرية واضحة فله من سحر الخيال وجماله وبهائه ولألائه ، ما جعله فتنة أدبية عالمية في الشرق والغرب .

أما الناحية الفكرية من الأدب ، فقد جاءتني متأخرة جدا ، ولكنها كانت سراجاً منيرا كشف لى عن أخص خصائص الأدب وأعلى مميزاته ، فتمكنت أن أرى في ضوئها أن مهمة الأدب الحقة ليست لهو الخيال ولا حركة الوجدان وثورة الانفعال ، وإنما هي نقد الحياة والكشف عن المعاني التي تكمن في الحوادث والوقائع حتى العادية منها ، وأحسست إذ ذاك بأن الأديب يتولى عملا كريما ويتبوأ إلى جانب زميله العالم مقعد التعليم والتثقيف والإرشاد والتوجيه .

ولم أجد شعر الفكرة الذى يلقى الضوء الساطع على معالم الكون الكبرى ، و طبيعة الحياة الإنسانية ، وصلات الأفراد والجماعات ، وحقيقة العقائد وضروب المذاهب إلا فى لزوميات أبى العلاء المعرى ، فهمت بها حبًّا منذ ذلك الحين إلى الآن .

صحيح أن لزهير بن أبى سلمى وللمتنبى وغيرهما أبيات تنطوى على مبادئ عامة مستمدة من التجارب الإنسانية ، و مصورة لنواميس الحياة تصويرا صادقاً ، إلا أنها أبيات قليلة ، ولا تمس من جوانب الوجود والحياة والأعماق البعيدة الغور التى يصل إليها شعر أبى العلاء .

هذه لمحة قصيرة من بعض تجاربى الأدبية العامة الصامتة ، أوردها كما هى ، على بعد العهد بها ، ولعلها تمثل أيضاً تجارب الكثيرين غيرى .

**ابراهيم عبد المجيد اللبان**

عضو المجمع

# تخريج نصوص أرسطالية
## فى كتاب الحيوان للجاحظ
للدكتور طه الحاجرى

الجزء الرابع

(٢)

٤٦ – قال الجاحظ : « وقال صاحب المنطق : أن الضباع تأكل النمل أكلا ذريعا . وذلك أن الضباع تأتى قرية النمل ، فى وقت اجتماع النمل ، فتلحس ذلك النمل بلسانها بشهوة شديدة وارادة قوية[١] »

ولم أجد هذا فى كل ما وقفت عليه من كلام أرسطو عن الضبع . وإنما ذكر النمل على أنه طعام للدب فى الفصل الثامن من الكتاب السابع من تاريخ الحيوان[٢] . ويلاحظ أن حديثه عن الدب فى ذلك يقع فى عقب حديثه عن الضبع :

٤٧ – قال الجاحظ : « وباب آخر مما ذكر صاحب المنطق ، فزعم أن من [الخنازير ماله ظلف واحد[٣] » .

وهذا الذى يشير إليه الجاحظ يقع فى الفصل الثانى من الكتاب الثانى ، من تاريخ الحيوان ، فى سياق كلامه عن أقدام الحيوان ، ماهو مشقوق منها وماهو غير مشقوق ، إذ يقول :

« والخنزير له الهيئتان ، إذ يوجد فى إلّيريا Illyrie وفى بيونيا Péonie خنازير ذات ظلف واحد[٤] » .

وقد جاء ذلك فى الترجمة العربية القديمة مجهولة الصاحب ، الموجودة قطع منها فى المتحف البريطانى باسم « معرفة طبائع الحيوان البرى والبحرى » بهذه الصورة :

« فأما جنس الخنازير فمختلف ، لأنه فى البلدة التى تسمى فى اليونانية اللوريا ، والتى تسمى بأونيا ، وفى بلدان أخرى ، خنازير ليس لها فى كل رجل إلا ظلف واحد[٥] » .

---

(*) انظر الجزء التاسع والعشرين من المجلة .

(١) ج ٤ ، ص ٣٤ .

(٢) v. III, p. 41.

(٣) ج ٤ ، ص ٥٢ .

(٤) v. I, p. 115.

(٥) ورقة ٢٠ – ٢١ .

٤٨ — قال الجاحظ ، بعد النقل السابق عن صاحب المنطق : « قال : والانسان يلقي أسنانه وكذلك الحافر والخف . قال : والخنزير لايلقي أسنانه البتة[١] » .

وقد جاء هذا أكثر تفصيلا ، فى الفصل الثالث من الكتاب الثانى من تاريخ الحيوان ، على هذه الصورة : « والإنسان يفقد أسنانه كما تفقدها أيضا حيوانات أخرى ، كالحصان والبغل والحمار ، والإنسان يفقد أسنانه الأمامية ، ولكن ليس هناك حيوان يفقد أضراسه ، والخنزير لايفقد أى سنّ من أسنانه[٢] » :

٤٩ — قال الجاحظ — بعد أن استطرد ، على طريقته ، إلى ذكر بعض المعارف العربية والأدبية المتصلة بسقوط الأسنان ، وبموضعها فى بعض الحيوان — : « قال : وليس يجمد مرق لحم الحيوان السمين ، مثل الخنزير والفرس . وأما ماكان كثير الثرب ، فرقته تجمد ، مثل مرق لحم المعزى[٣] » .

ويقابل هذا النص فى تاريخ الحيوان ، لأرسطو ، ماجاء فى الفصل الثالث عشر من الكتاب الثالث ، حيث جعل الكلام عن دهن الحيوان وشحمه ، من قوله :

« والمرق الذى يتخذ من الحيوان السمين لايجمد ، مثل الفرس والخنزير ، وعلى العكس من ذلك المرق المتخذ من لحم الحيوان ذى الشحم ، فانه يجمد ، مثل مرق الضأن والمعزى[٤] » :

ومقارنة النصين تثبت من الاتفاق بينهما مالايدع شكا فى أن مرجع الضمير فى كلمة « قال » عند الجاحظ هو صاحب المنطق :

٥٠ — قال الجاحظ ، فى عقب النص السابق : « قال : والخنزير الذكر يقاتل فى زمن الهيج ، فلا يدع خنزيرا إلا قتله ، ويدنو من الشجرة ويدلّك جلده ثم يذهب إلى الطين والحمأة فيتلطخ به ، فاذا تساقط عاد فيه :

قال : وذكورة الخنازير تطرد الذكورة عن الإناث ، وربما قتل أحدهما صاحبه ، وربما هلكا جميعا ، وكذلك الثيران والكباش والتيوس فى أقاطيعها ، وهى قبل ذلك الزمان متسالمة . والجمل فى تلك الحالة لايدع جملا ولا انسانا يدنو من هجمته : والجمل خاصة يكره قرب الفرس ويقاتله أبدا . ومثل هذا يعرض للذئبة والذئب : والأسد ليس ذلك من صفاتها ، لأن بعضها لايأوى إلى بعض ، بل ينفرد كل واحد بلبوءته : وإذا كان للذئبة الأنثى جراء ساءت أخلاقها وصعبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوء خلقها فى ذلك الزمان :

(١) ج ٤ ، ص ٥٢ .
(٣) ج ٤ ، ص ٥٣ .

(٢) v. I, p. 129.
(٤) v. I, p. 288.

والفيّالون يحمونها النزو ، لأنها إذا نزت جهلت جهلا شديدا ، واعتراها هيج لا يقام له . وإذا كان ذلك الزمان أجادوا عقله ، وأرسلوه فى الفيلة الوحشية . فأما الخنزير والكلب فإنهما لا يجهلان على الناس لمكان الألفة .

قال : وزعم بعض الناس أن إناث الخيل تمتلىء ريحا فى زمان هيجها ، فلا يباعدون الذكورة عنها ، وإذا اعتراها ذلك ركضت ركضا شديدا ، ثم لا تأخذ غربا ولا شرقا ، بل تأخذ فى الشمال والجنوب ، ويعرض مثل هذا العرض لإناث الخنازير ؛ فاذا كان زمن هياج الخنازير ، تطأطىء رءوسها ، وتحرك أذنابها تحريكا متتابعا ، وتتغير أصواتها إذا طلبت السفاد ؛ وإذا طلبت الخنزيرة السفاد بالت بولا متتابعا[1] » .

ويقع نظير هذا القول عند أرسطو فى الفصل السابع عشر من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان ، بعد مقدمة قصيرة أشار فيها إلى ماذكره قبل عن سفاد الحيوانات البيوضة ، لينتقل إلى الكلام عن سفاد الحيوانات الولودة ، وبعد أن نبه إلى ملاحظة عامة ، وهى أن السفاد يثير عند الحيوان جميعه رغبة عارمة ، ولذة كبرى ، فى الاستسلام له ؛ وأن الأنثى فى حملها الأول لاتكاد تطاق ، وكذلك الذكر فى أوان السفاد ، وأن الخيل مثلا يعض حينئذ بعضها بعضا ، وتصرع فرسانها ، قال :

« والخنازير الوحشية تصير فى ذلك الوقت غاية فى العنف ، بالرغم من أن السفاد ينهكها كثيرا ، فينصرف بعضها إلى قتال بعض قتالا فظيعا ، وقد تدرعت له مقدما ، وهيأت جلدها ليكون أقسى ما يمكن وأغلظ ؛ إذ تحتك بالأشجار وتتمرغ فى الوحل مرارا كثيرة ، ثم تدع الوحل يجف عليها ، ثم تقتتل بكثير من الحدة حين تخرج من بيوتها ، حتى ليحدث كثيرا أن يموت المتقاتلان معا . وليست الثيران والكباش والتيوس أقل من هذا ثورانا ، وقد كانت تحيا أول الأمر متسالمة فى مرعى واحد ؛ فاذا كان وقت السفاد افترقت وأخذت فى قتال عنيف . بل إن الجمل نفسه يصبح فى ذلك الوقت صعب القياد ، ولا يعود يطيق اقتراب انسان ولا جمل آخر . وأما الفرس فمعروف أن الجمل فى خصام دائم معه .

وتخضع الوحوش لهذه التأثيرات . فالدببة والذئاب والأسود تنفر ، فى ذلك الوقت ، من كل من يقترب منها . أكثر مما تفعل فى أى وقت آخر . وإذا كان قتالها بعضها بعضا أقل من غيرها ، فذلك لأنها ليست من الحيوانات التى تعيش قطعانا . وإناث الدببة تسوء أخلاقها إذا كان لها صغار ، وكذلك إناث الكلاب ليست أقل منها فى ذلك

(١) ج ٤ ، ص ٥٤ — ٥٥

من أجل جرائها ؛ والفيلة أيضا تصبح شديدة النفرة فى إبان السفاد . والفيالون فى الهند يعلمون ذلك جيدا ، حتى إنهم ، فيما يقال ، لايتركونها تنزو على الإناث ، لأنها إذ تصبح فى ذلك الوقت مهتاجة تقوض أكواخهم الرديئة البناء ، وتسبب لهم كثيرا من الخسائر. ويقال إن من الممكن تهدئتها بتقديم طعام موفور لها ، كما يجعل إلى جانبها فيلة أخرى تذللها وتخضعها ، وقد علمت كيف تضربها لترويضها . والحيوانات التى تستطيع أن تتسافد فى أكثر الأحيان ، دون ارتباط بفصل معين ، وعلى سبيل المثال الحيوانات التى تعيش مع الإنسان ، كالخنازير والكلاب ، أقل خضوعا لهذه الانفعالات ، كما هو واضح ، بسبب غلبة تدانيها . . . . . ويقال إن إناث الخيل تهيجها الريح فى تلك الفترة ، وهذا هو الذى يجعلهم فى جزيرة كريت لا يمنعونها من أن ينزى عليها فإذا نزى أخذت فى الابتعاد عن سائر الخيل . ويقال إذ ذاك إن لديها داء هياج الخنازير ، من أجل أنه يصيب إناث الخنازير البرية . وهى لاتجرى ( فى ابتعادها ) نحو الشرق ولا نحو الغرب ، وإنما تجرى دائما نحو الشمال والجنوب . . . وفى أوقات السفاد تحنو الأفراس بعضها على بعض أكثر مما تفعل عادة ، وتحرك أذنابها فى كل لحظة ، ويتغير صوتها تغيراً شديداً عن صوتها فى غير ذلك الوقت . وكذلك يسيل من أعضائها التناسلية سائل يشبه منى الذكور ، ولكنه أخف منه كثيراً . . . وتبول الأفراس بولا كثيراً متتابعا عند ما تكون مهتاجة quand elles sont en chaleur [1].

والنصان ، فيما نرى ، يتفقان فى معظم المعانى والعبارات ، وإن كانا يختلفان ، بطبيعة الحال ، فى بعض المواضع . والأمر فى ذلك يرجع – كما قلنا غير مرة – إلى الحالات التى تعرض لها النص هنا وهناك . وقد يرجع إلى مافى النص اليونانى من غموض تختلف فى تبيينه وتأويله الأفهام ، كما نرى فى هذه العبارة من النص الجاحظى : « وزعم بعض الناس أن إناث الخيل تمتلئ ريحا فى زمان هيجها » . فالمعنى غامض . وحين عبر المترجم الفرنسى عن ذلك باهتياج الريح لها قال فى تعليقه : إن الكلمة اليونانية غير واضحة تماما ، وأنه غير واثق من المعنى الذى اختاره لها ، كما ذكر أن أوبرت وفيمر Aubert et-Wimmer قد جعلا ترجمة هذه العبارة هكذا : « ويقال إن إناث الخيل تكون فى ذلك الوقت منتفخة Aufgelaht, gonflées .

وهذه الترجمة ، كما هو ظاهر ، أقرب إلى الترجمة العربية . إلى غير ذلك من المواضع التى أشار سانتيلير إلى غموضها .

(١) v. II, p. 339-344.

٥١ — قال الجاحظ ، فى عقب النص السابق : « قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر ، وأكثر ما تحمله عشرون خنوصاً . وإذا وضعت أجراء كثيرة لم تقو على رضاعها وتربيتها . قال : وإناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح ، وترخى أذنابها ، فاذا فعلت ذلك تكتفى بنزوة واحدة . ويعلف الذكر الشعير فى أوان النزو . ويصلح للأنثى »[١] .

ونظير هذا النص فى تاريخ الحيوان لأرسطو يقع فى الفصل الثامن عشر من الكتاب السادس ، قال :

« والخنزيرة تحمل أربعة أشهر ، وأقصى ما تحمله عشرون صغيرا . إلا أنها حين تضع عدداً كبيرا لا تستطيع تربيته جميعاً . . . وهى تحمل من نزوة واحدة ، ومع ذلك فانه ينبغى أن ينزى عليها أكثر من مرة ، لأنها تلقى بعد النزو ما يسمى أحياناً « كابرى Caprie » . . . وحين تكون الخنزيرة مهتاجة en chaleur يجب ألا يقدم إليها الذكر حالا ، بل يجب الانتظار حتى ترخى آذانها ، فا لم تفعل فانها تكون ما تزال مهتاجة ، فاذا سفدها الذكر وهى فى شدة هيجها ، كفت نزوة واحدة ، كما قلنا . وفى أوان نزو الذكر يحسن أن يعطى الشعير ، ولكن حين تضع الأنثى يجب أن تعطى الشعير المغلى »[٢] .

وإذا كانت الترجمة العربية ، كما أوردها الجاحظ ، قد أغفلت بعض التفصيلات التى جاءت فى الترجمة الفرنسية ، فان النصين يتفقان بعد ذلك إلى حد غير قليل :

على أن مقارنة النصين يمكن أن تظفرنا ببعض النتائج فى تحرير النص العربى ، وفى تحقيق النص اليونانى فى بعض نشراته وترجماته .

فلعلنا بهذه المقارنة نستطيع أن نقترح تصحيح النص العربى فى قوله : « وإذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح » فان كلمة « تنزع » نابية لا تكاد تحقق معنى . وأكبر الظن عندنا أنها محرفة عن « لم ينز عليها » ، كما يقتضيه المعنى فى الأصل المترجم إلى الفرنسية . وهو تحريف قريب المأتى .

ومن ناحية أخرى يستطيع النص العربى أن يفصل فى بعض الخلافات التى ثارت حول النص اليونانى ، فى بعض أصوله . وذلك فى قوله : « وإناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة » ، فقد ذكر سانتيلير فى هوامش ترجمته أن القراءة الشائعة تذهب إلى عكس ذلك ، فهى تجعل هذه الجملة فى صيغة النفى ، وقد جاءت كذلك فى بعض المخطوطات ، وقبل هذه الصيغة بعض الناشرين ، فيكون

(١) ج ٤ ، ص ٥٥ .

(٢) v. 11, p. 250-251

المعنى على ذلك : « وإناث الخنازير لا تحمل من نزوة واحدة » . وهنا نرى النص العربى الجاحظى يرجح قراءة سانتيلير على القراءة الأخرى الشائعة ، ويؤيد رأيه فى أن هذا النفى إنما كان من إقحام بعض من قصد ، بزعمه ، إلى تصحيح النص .

كما تثير هذه المقارنة مسألة أخرى يقف فيها النص العربى موقف الفيصل . فقد اعتبر أوبرت وفيمر العبارات التى تبدأ بقول أرسطو « وحين تكون الخنزيرة مهتاجة : . . . » إلى آخر الفصل موضوعة على الأصل ، غير صحيحة النسبة إليه ، كما يذكر ذلك سانتيلير فى حواشيه ، قائلا إنهما يريانها زيادات أقحمتها على النص الأصلى يد غريبة . أما سانتيلير فانه لا يرى ما يزعمانه من التغيير فى النص واضحاً الوضوح الذى يحمله على الذهاب مذهبهما .

ووجود هذه العبارات فى الترجمة العربية التى صدر الجاحظ عنها ، بعضها فى هذا النص وسائرها فى النص التالى ، دليل على وجودها فى مخطوطة أخرى غير المخطوطات المعتمد عليها فى تلك الترجمات الأوربية ، وهى لا ترجع إلى ما قبل القرن العاشر للميلاد .

٥٢ — قال الجاحظ : « قال : ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك ، وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاماً »[١] .

وإذا كان هذا النص يقع ، فى حيوان الجاحظ ، مفصولا عما قبله بفقرة عن مدد حمل بعض الحيوان ، فنظيره فى تاريخ الحيوان لأرسطو متصل بنظير ما قبله ، وبه يتم الفصل الثامن عشر من الكتاب السادس . قال :

« ويؤكد بعض الأشخاص أن الخنزيرة إذا فقدت إحدى عينيها فإنها عادة تموت موتاً عاجلا ، ولكن إناث الخنازير تصل ، بصفة عامة ، إلى خمسة عشر عاماً تقريباً ، وبعضها يصل إلى نحو العشرين »[٢] .

٥٣ — وهذا النص الذى نورده فى هذه الفقرة يجئ فى حيوان الجاحظ متصلا بالنص السابق ، كأنه تتمة له ، وليس كذلك عند مقارنته بنظيره فى تاريخ الحيوان لأرسطو ، كما جاء النص السابق منفصلا عما قبله ، وهو متصل به واستمرار له . وربما كان مسبوقاً بكلمة « قال » فسقطت :

قال الجاحظ : « والخنزير ينزو إذا تم له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر . وفى بعض البلدان ينزو إذا تم له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر ، ولكن أولاد هما لا تجئ كما يريدون . وأجود النزو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين »[٣] :

(١) ج ٤ ، ص ٥٦ .

(٢) v. 11 , p. 351-52.

(٣) ج ٤ ، ص ٥٦ .

ويرجع هذا عند أرسطو إلى الفصل الثانى عشر من الكتاب الخامس ، من تاريخ الحيوان . قال :

« ويمكن أن يتسافد الخنزير ، الذكر والأنثى منه ، لثمانية أشهر ، فتلد الأنثى لسنة ، لأنه بذلك تنتهى مدة الحمل . والواقع أن الذكر يستطيع أن ينزو لثمانية أشهر ، ولكن صغاره تكون ضعافاً جدا إذا هو نزا قبل أن يبلغ تمام عامه الأول . وفوق هذا فان وقت السفاد ليس واحدا — كما قلنا — فى كل مكان ففى بعض البلاد يستطيع الذكر والأنثى أن يتسافدا لأربعة أشهر ، وإذن فهما يستطيعان أن ينتجا ويربيا صغارهما لستة أشهر . وفى أماكن أخرى تبدأ الخنازير النزو فى الشهر العاشر ، وتكون أقوى ما تكون إلى السنة الثالثة »[1] .

وإذا كان النصان يختلفان هنا فى غير موضع ، فلا ينبغى أن يغيب عنا ما فى نص سانتيلير من اضطراب وتناقض لم يملك إلا أن يشير إليه فى حواشيه . فبينما يفهم من صدر النص أن مدة حمل الخنزيرة أربعة أشهر ، إذ تسفد لثمانية وتلد لسنة ، نراه بعد ذلك يجعل مدة حملها شهرين ، حين يذكر أنها قد تسفد لأربعة أشهر وتلد لستة أشهر . فلا بد أن تكون عبارة أرسطو قد تعرضت لشىء من التشويه والتحريف ، حتى جاءت على هذه الصورة المضطربة المتناقضة .

٥٤ — قال الجاحظ : « وقال صاحب المنطق : لا يكون خنزير ولا أيّل بحريا . وذكر أن خنازير بعض البلدان يكون لها ظلف واحد ؛ ولا يكون بأرض نهاوند حمار ، لشدة برد الموضع ، ولأن الحمار صرد »[2] .

فأما الفقرة الأولى من هذا النص فلم أوفق إليها فى تاريخ الحيوان لأرسطو . ومظنتها الفصل الثانى من الكتاب الثامن منه ، وهو الفصل الذى جعله لتقسيم الحيوان إلى برى tezzestre وبحرى aquatique .

وأما الفقرة الثانية فقد تقدم ذكرها ، وذكرنا موضعها فى أرسطو ، فى النص رقم ٤٧ .

وأما الفقرة الثالثة فتجىء الإشارة إلى موضوعها فى الفصل السابع والعشرين من الكتاب الثامن من تاريخ الحيوان ، وهو الفصل الذى يتحدث فيه عن أثر الجو فى تكوين الحيوان ، ويمضى فى هذا الحديث حتى يذكر أنه من أجل ذلك كانت الحمير فى إيليريا وتراقيا وإيبريا صغيرة الجثة ، « وحتى لم يعد هناك حمير فى سكيثيا وفى بلاد الكلت ، لأن هذا الحيوان لا يحتمل البرد »[3] .

(١) v. 11 , p. 166.

(٢) ج ٤ ، ص ١٠٦ .

(٣) v. III, P. 117.

ومن البين أن كلمة « نهاوند » فى النص
ربى ، وهى اسم مدينة من مدن الجبال ،
صعت موضع هذه الأسماء الغريبة بالقياس
، القارىء العربى . ولا أدرى إن كان ذلك
ءاً من التصرف فى الترجمة ، مما يلجأ إليه
ض المترجمين أحياناً ، أم هو من صنع
ض النساخ .

٥٥ ـ قال الجاحظ ، عقب النص السابق : «قال : فى أرض كذا وكذا لا يكون بها ء من الخلد ، وإن نقله إنسان إليها لم يحفر ، يتخذ بها بيتاً . وفى الجزيرة التى تسمى قلية لا يكون منها صنف من النمل الذى سمى أقرشان »(١) .

ويقع نظير هذا النص فى الفصل الذى جع إليه الفقرة الأخيرة السابقة ، قبلها ضع فقرات . ونراه هنالك على هذا النحو :

« فى بيوتيا Béotie يوجد كثير من لخلد taupes فى ضواحى أركومين Archoméne ، بينما هو لا يوجد فى ديا Lébadie ، وهى جد قريبة . وإذا ل إليها لم يحفر فى أرضها . . . وفى قلية لا يرى النمل الفرسان fourmies-cavalière »(٢) .

والنصان متقاربان إلى حد غير قليل . الكناية عن أسماء البلاد التى ذكرها أرسطو بكذا وكذا ربما كانت من عمل المترجم أو صنيع الجاحظ . أما كلمة « أقرشان » ( أو أفرشان بالفاء فى نسخة أخرى ) على أنها اسم للنمل الذى يسميه أرسطو النمل الفرسان ، فالمتبادر أنها محرفة عن كلمة « الفرسان » ، كما تقتضيه التسمية اليونانية .

٥٦ ـ قال الجاحظ : « قال : ويعرض لفراخ الحيات مثل الذى يعرض لفراخ الخطاطيف . فان نازعاً لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة »(٣) .

ويقع نظير هذا النص فى الفصل الثانى عشر من الكتاب الثانى من تاريخ الحيوان . وذلك إذ يقول :

« ويؤكد بعض الأشخاص أن الحيات تقدم نفس الظاهرة التى لفراخ الخطاطيف . ذلك أن عيون الحيات إذا نزعت تعود ثانية »(٤) .

والاتفاق بين النصين لا يدع مجالا للشك فى أن فاعل الفعل « قال » عند الجاحظ هو صاحب المنطق ، وإن أسقطه الناسخ أوسها عن ذكره الجاحظ .

وبين أيدينا ما جاء فى هذا الموضع فى الترجمة العربية القديمة التى أشرنا إليها من قبل . وهى لا تختلف عنهما إلا فى بعض التفصيلات الصغيرة . وها هى ذى :

« وقد زعم بعض الناس أنه يعرض للحيات مثل العرض الذى يعرض لفراخ الخطاف :

(١) ج ٤ ، ص ١٠٦ .
(٢) v.III, p. 115.
(٣) ج ٤ ، ص ١٤٣ .
(٤) v. I, p. 190.

وأنه إن نخس أحد عينيها بإبرة أو شيء آخر حاد أعماها نبتت ( ؟ ) أيضاً ( . . . ؟ ) . وتعود أعينها إلى الصحة ، كما كانت أولا »[1] .

٥٧ – قال الجاحظ : « وزعم أن السلحفاة والرق والضفدع مما لا بد له من التنفس ، ولا بد لها من مفارقة الماء ؛ وأنها تبيض وتكتسب الطعم وهي خارجة من الماء ، وذلك للنسب الذي بينها وبين الضب ، وإن كان هذا برياً وهذا بحرياً »[2] .

وترجع هذه العبارة المحكية بالمعنى العام ، لا بالنص ، فيما نحسب ، إلى الفصل الثاني من الكتاب الثامن من تاريخ الحيوان ، حيث يتحدث أرسطو عن تقسيم الحيوان إلى مائي وأرضي ، وذلك إذ يقول إن من بين الحيوانات التي تمشي على الأرض وتتنفس الهواء ، يوجد كثير يأخذ غذاءه من الماء . ثم يقول :

« مثال ذلك السلاحف المسماة سلاحف البحر والتماسيح وأفراس البحر والفقم les phoques ، ومن الحيوانات الأصغر من ذلك سلاحف الأرض والضفادع . كل هذه الحيوانات تختنق إذا ظلت زمناً دون أن تتنفس ، وهي تضع صغارها وتربيها على الأرض اليابسة »[3] .

فاذا صح ذلك كان صاحب الزعم هنا ، فيما يقول الجاحظ ، هو صاحب المنطق .

٥٨ – قال الجاحظ : وقد زعم صاحب المنطق أن الحية وسام أبرص من العظاء ، والتمساح ، تسكن في أعشتها الأربعة أشهر الشديدة البرد ، لا تطعم شيئا ، وأن سائر الحيات تسكن بطن الأرض ، فأما الأفاعي فانها تسكن في صدوع الصخر »[4] .

ونظير هذا النص عند أرسطو يقع في أول الفصل السابع عشر من الكتاب الثامن ، من تاريخ الحيوان ، إذ يتحدث عن اعتزال الحيوان وتشتيته ، فيقول :

« ومن الحيوانات ذوات الدم ما ينزوي ويعتزل ، كذوات الجلد القشيري ، مثل الحية وسام أبرص والعظاءة والتمساح النهري ، فتعتزل أثناء أشهر الشتاء الأربعة الأشد برداً ، ولا تطعم طول هذه المدة شيئا . وسائر الحيات تأوي إلى باطن الأرض ، وأما الأفاعي فانها تختبيء تحت الأحجار »[5] .

والنصان متطابقان – كما نرى – تطابقا يكاد يكون تاما ، إلا في وصف الحيوانات بذوات الدم ، مما لم يجيء في النص العربي . ومع ذلك فقد علق سانتيلير عليه بقوله ، حواشيه : « العبارة غامضة جداً . ولا تعين تعييناً كافياً الحيوانات المذكورة هنا » .

(١) الورقة ٣١ .
(٢) ج ٤ ، ص ١٤٤ .
(٣) v. III, p. q.
(٤) ج ٤ ، ص ١٤٥ .
(٥) v. III, p. 73-74.

وفى المقارنة بين النصين يبدو أن من الممكن اقتراح وضع كلمة : « والعظاءة » بدلا من : « من العظاء » كما هو فى النص المنشور لحيوان الجاحظ ، على أن « من » ليست إلا تصحيفاً للواو . وهو تصحيف قريب . وقد وقع فى موضع آخر من هذا النص ، كما هو ظاهر فى القراءة المثبتة فى الهامش .

٥٩ — قال الجاحظ : « وقد زعم صاحب المنطق أنه قد ظهرت حية لها رأسان »[١] .

ولم أعثر بعد على هذا القول عند أرسطو :

٦٠ — قال الجاحظ : « ومنها ( أى من الحيات ) ذوات قرون [ وأرسطو ينكر ذلك[٢] ] .

والجزء الأخير من هذا النص افترضه الأستاذ الناشر فى موضع البياض من إحدى المخطوطات ، عن الدميرى . وهو افتراض — فيما أرى — مقبول .

وبقى أن نعرف أين جاء إنكار أرسطو أن يكون من الحيات ذوات القرون .

أغلب الظن أن ذلك يرجع إلى ما ذكره عن حيات مصر ، مما عرض له هيرودوت فى كتابه ، فى الفصل الرابع والسبعين من الكتاب الثانى . فقد قال أرسطو فى الفصل الثانى من الكتاب الثانى من تاريخ الحيوان — وهو الفصل الذى جعله للحديث عن بعض صفات الحيوانات ذوات الأربع — :

« وكل الحيوانات ذوات القرون من ذوات الأربع ، إلا بعض حيوانات يقال إن لها قروناً ، على سبيل المجاز أو طريقة الكلام ، كحيات نواحى طيبة التى يذكرها المصريون »[٣] :

أو ما جاء فى الترجمة العربية القديمة « فى طبائع الحيوان البرى والبحرى » :

« وجميع الحيوان الذى له قرون ذو أربعة أرجل ، ما خلا الحيوان الذى يقال إن له قروناً بنوع الاستحالة من الحيات التى تكون فى ناحية البلدة التى تسمى باليونانية ( ساس ) كما يزعم أهل مصر . وإنما تلك التى تطر ( تظهر ؟ ) قروناً نتوء جاس فى رءوسها شبيه بالقرون »[٤] :

فهذه العبارة التى يذكر بها أرسطو تلك الدعوى تتضمن إنكارا لها .

٦١ — « قال الجاحظ : « وقال صاحب المنطق : الأيائل تصاد بالصفير والغناء . وهى لا تنام ما دامت تسمع ذلك من حاذق الصوت . فيشغلونها بذلك ، ويأتون من خلفها ، فان رأوها مسترخية الآذان وثبوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سبيل »[٥] .

---

( ١ ) ج ٤ ، ص ١٥٦ . ( ٢ ) ج ٤ ، ص ١٥٨ .
( ٣ ) v. , p. 118. ( ٤ ) ورقة ٢١ . ولعل اسم المدينة المذكورة فى النص : تيباس ؟
( ٥ ) ج ٤ ، ص ١٩٣ .

ونظير هذا النص فى تاريخ الحيوان لأرسطو يقع فى آخر الفصل السادس من الكتاب السابع ، إذ يقول :

« وتصاد الأيائل بالنفخ فى المزمار وبالغناء فيجتمع لذلك صائدان ، أما أحدهما فيقف أمام الحيوان ، يغنى أو يزمر بالمزمار ، دون أن يستتر ، وأما الآخر فيقف وراء الأيّل يمسكه حين يشير إليه زميله أن قد حانت اللحظة . وما دام الأيّل ناصباً أذنيه فهو يصغى كل الإصغاء ، ولا يكون من الممكن مباغتته ، أما حين يرخيهما فهو لم يعد يسمع شيئاً ، فيثبان عليه »(١) .

والنصان يتوافقان — كما نرى — إلى حد غير قليل ، إلا ما كان من بعض التفصيلات فى نص سانتيلير ، دون أن تكون فى نص الجاحظ ، وإلا ما قد يكون من طبيعة الترجمة والنقل .

٦٢ — قال الجاحظ : « وزعم صاحب المنطق أن الرعد الشديد إذا وافق سباحة السمك فى أعلى الماء رمت ببيضها قبل انتهاء الأجل : وربما تم الأجل فتسمع الرعدالشديد فيتعطل عليها أياماً بعد الوقت »(٢) .

ولم يتح لى أن أجد هذا القول فى حيوان أرسطو . والذى عرض له أرسطو من هذا القبيل هو تأثير الرعد فى الغنم ، فتسقط صغارها حين تسمع الرعد وهى حامل : وذلك فى الفصل الرابع من الكتاب التاسع ، من تاريخ الحيوان (٣) .

٦٣ — قال الجاحظ — بعد أن حكى حديثاً من أحاديث كعب الأحبار ، ذكر فيه ما عوقبت به الأرض حين شربت دم ابن آدم وأنها لم تشرب بعد دم ابن آدم دم أحد من ولده ولا من غير ولده ، وما استطرد إليه من ذكر بعض الآثار التى ذكر فيها بغض الأرض للدم — :

« وزعم صاحب المنطق أن الأرض لا تشرب الدم ، إلا يسيراً من دماء الإبل خاصة »(٤) .

وقد أوردنا هذا النص قبل ، مع نص مثله جاء فى الجزء الثالث من حيوان الجاحظ ، وذكرنا ما يشيران إليه فى كتابى أرسطو : تاريخ الحيوان ، وأعضاء الحيوان ؛ وعلقنا عليه ، واستخلصنا من المقارنة ما أتيح لنا ، وأن كلمة « الإبل » فى هذا النص مصحفة عن كلمة « الأيّل » مفرد الأيائل (٥) .

٦٤ — قال الجاحظ : « وزعم صاحب المنطق أن الوزغة والحيات تأكل اللحم والعشب . وزعم أن الحيات أظهر كلباً من

(١) v. III , p. 154.

(٢) ج ٤ ، ص ١٩٣ .

(٣) V. III, P. 147.

(٤) ج ٤ ، ص ٢٠١ .

(٥) النص رقم ٢٣ (مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد الثامن ، ديسمبر سنة ١٩٥٤ ص ٨١ — ٨٢).

جميع الحيوان ، مع قلة شرب الماء ؛ وأن الأسد ، مع نهمه ، قليل شرب الماء . قال : ولا تضبط الحيات أنفسها إذا شمت ريح السذاب ، وربما اصطيدت به . وإذا أصابوها كذلك وجدوها وقد سكرت. قال: والحيات تبتلع البيض والفراخ والعشب . وزعم أن الحيات تسلخ جلودها فى أول الربيع ، عند خروجها من أعشتها ، وفى أول الخريف . وزعم أن السلخ يبتدئ من ناحية عيونها أولا . قال : ولذلك يظن بعض من يعاينها أنها عمياء . وهى تسلخ من جلودها فى يوم وليلة من الرأس إلى الذنب ، ويصير داخل الجلد هو الخارج ، كما يسلخ الجنين من المشيمة . وكذلك جميع الحيوان المحزز الجسد ، وكل طائر لجناحه غلاف مثل الجعل والدبر . وكذلك السرطان يسلخ أيضاً ، فيضعف عند ذلك عن المشى . وتسلخ جلودها مرارا »[١].

وهذا النص يتألف — كما نرى — من أشياء كثيرة مختلفة .

فأما الكلام عن الوزغ والحيات فيقع فى صدر الفصل السادس من الكتاب الثامن ، من تاريخ الحيوان ، إذ يقول :

« والحيوانات ذوات الجلد الحرشفى ، مثل الوزغ ، وذوات الأربع الأخرى من هذا النوع ، والثعابين ، تأكل كل شىء ؛ فهى تتغذى باللحم وتأكل أيضاً العشب. وليس هناك أكثر شرها من الثعبان . وكل هذه الحيوانات قليلة الشرب »[٢] .

وأما قوله إن الأسد ، مع نهمه ، قليل شرب الماء ، فيقع فى الفصل الذى يلى هذا الفصل ، إذ يقول :

« والأسد من أكلة اللحم . . . وهو يأكل بشره . . . وهو قليل شرب الماء »[٣] .

وأما العبارة التى تشير إلى أثر السذاب فى الحيات ، فقد نجد ما يناظرها فى تاريخ الحيوان ، إذا نحن وضعنا كلمة « الشراب » أو « الخمر » موضع كلمة « السذاب » . وذلك فى الفصل نفسه الذى تحدث فيه عن الوزغ والثعابين ، وهو الفصل السادس من الكتاب الثامن ، إذ يقول :

« والثعابين تحب الخمر حباً شديدا ، حتى إنه حين يراد صيد الحيات توضع بين الأشراك آنية أو أصداف فيها خمر . وبذلك تصاب الحيات حين تكون ثملة »[٤] .

وكذلك يقع فى هذا الفصل ما يناظر قوله إن الحيات تبتلع البيض والفراخ والعشب . وذلك على هذه الصورة :

(١) ج ٤ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤

(٢) v. III , p. 37.

(٣) v. III ,p. 42.

(٤) v. III , p. 38.

« والثعبان يأكل صغار الطير ، وصغار البهائم ، ويبتلع البيض »[1] .

وأما باقى النص الذى يجرى الحديث فيه عن سلخ الحيات جلدها ، فيقع فى الفصل التاسع عشر ، من الكتاب الثامن ، من تاريخ الحيوان ، إذ يقول أرسطو — بعد أن تكلم عن كمون الحيوان ، ثم انتقل إلى الكلام عن تجرده — :

« والحيات تتجرد أيضاً من جلدها القديم فى الربيع والخريف . . . وهى حين تسلخ جلدها ، تبدأ هذا السلخ من ناحية عيونها . ومن لم يعرف ذلك ظن أنها صائرة إلى العمى . ويمتد السلخ من الأعين إلى الرأس التى تظهر بيضاء قبل سائر الجسد . وفى يوم وليلة ينفصل الجلد القديم كله من الرأس إلى الذنب . ويحدث السلخ من الباطن إلى الظاهر . وانسلاخ الثعبان هو كخروج الأجنة من المشيمة . وبمثل ذلك أيضاً يكون تغيير الحشرات لجلودها . وكذلك عند النحل وما يسمى كرى كرى les cri cri ...

وحين يتجرد السرطان فان صدفته تصير رخوة جدا ، ويلاقى فى المشى عنتاً شديدا . وهذا الحيوان لا يتجرد مرة واحدة ، بل مرات عديدة فى السنة »[2] .

نحن من هذا النص من نصوص حيوان الجاحظ إزاء اقتباسات مختلفة جمعها أبو عثمان فى جملة واحدة لما لها من علاقة اعتبرها فيها ، وما بينها من مناسبة لاحظها . وأكبر الظن أنه لم يتحرّ نقلها بلفظها ، ولا مراعاة الدقة فى إيرادها . ولعل ذلك مما يمكن أن يعد سببا من أسباب ما نرى من خلاف بينها وبين الأصل الذى بين أيدينا .

أما الكلام عن أثر «السذاب» فى الحيات فأكبر الظن عندنا أن كلمة « السذاب» محرفة عن « الشراب » بمعنى الخمر ، وهو تصحيف قريب . وبذلك يلتقى النصان هنا . وأحسب أن هذا التصحيف لم يجىء اعتباطا . وإنما هو متأثر بما جاء فى موضع آخر ، عن أرسطو ، من أثر السذاب la rue فى الحيات إذ يقول الجاحظ — وسنرى ذلك بعد إن شاء الله — : « وقيل لى — وقرأت فى كتاب الحيوان — أن ريح السذاب يشتد على الحيات[3] » فذلك فيما نرجح ، هو الأصل فى ذلك التصحيف :

ومن الخلاف الذى نرجح أيضا أنه يرجع إلى تحريف فى النص العربى ، كلمة « العشب » فى قوله : « والحيات تبتلع البيض والفراخ والعشب » ، فظاهر أن العشب ليس مما يبتلع . وموضع العشب فى النص الآخر هو

---

(١) v.III, p.38.

(٢) v. III, p. 84-85.

(٣) ج ٥ ، ص ٣٦٥ .

صغار البهائم أو ما إلى ذلك : وإذا كنت لا أملك الآن رد هذه الكلمة إلى الأصل الذى حرفت عنه على سبيل القطع أو الترجيح فإنى أذكر كلمة « النَّقَد » بفتحتين ، على أنها مما يحتمل افتراضه فى مثل هذا الموضع .

٦٥ ــ قال الجاحظ : « قال : وعض السباع ذوات الأربع ، ولدغ الهوام ، يختلف بقدر اختلاف البلدان ، كالذى يبلغنا عن أفاعى الرمل ، وعن جرارات قرى الأهواز ، وعقارب نصيبين ، وثعابين مصر ، وهنديات الخرابات[1] » :

وقد عرض أرسطو لهذا المعنى بما يجعلنا نرجح أن فاعل « قال » فى هذا النص هو « صاحب المنطق » ، وإن كانت الأمثلة والشواهد التى يذكرها مختلفة ، وربما كان المنسوب إلى أرسطو هو صدر العبارة المتضمن للقضية عامة ، أما الشواهد فهى من عند الجاحظ تقريرا لهذه القضية :

وذكر أرسطو لهذا المعنى يقع فى الفصل الثامن والعشرين من الكتاب الثامن ، من تاريخ الحيوان . قال :

«واختلاف الأقطار ينشأ عنه اختلاف كبير فى أنواع عضة الحيوانات ، فالعقارب فى إقليم فاروس ، وفى بعض الأقاليم الأخرى ، ليست بذات خطر ، ولكنها فى جهات أخرى ، وخاصة «كارى» عديدة وكبيرة ، بقدر ما هى مثيرة للفزع ... الخ »[2] .

ومما يؤيد افتراضنا أن الجاحظ يرجع بهذا القول إلى أرسطو هذا النص الذى نذكره بعد ، والذى يقع عقب نصنا هذا ، كما يقع فى الفصل نفسه لدى أرسطو .

٦٦ ــ قال الجاحظ : « وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التى تسمى باليونانية « طبقون » حية صغيرة شديدة اللدغ ، إلا أن تعالج بحجر يخرج من بعض قبور قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد بعضها ، كانت أردأ ما تكون سما ، مثل العقارب والأفاعى »[3] .

ويقع هذا النص عند أرسطو ــ كما قلنا ــ فى الفصل نفسه الذى جاء فيه النص السابق . قال : « وكثيرا ما يخفى نبات السلفيوم silphium ثعبانا صغيرا ، يعالج سم عضته ــ فيما يقال ــ بحجر يؤخذ من قبر ملك من الملوك القدماء ، ينقع فى الخمر ، ثم يبادر بشربها ... وجميع الحيوانات السامة تكون

(١) ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

(٢) v. III , p. 122.

(٣) ج ٤ ، ص ٢٢٧ .

فها نحن من هذا النص إزاء فقرات مختلفة تتحدث جميعها عن بعض مظاهر الغريزة عند الحيوان، وهدايتها له فى سلوكه. وتقع نظائرها فى الفصل السابع من الكتاب التاسع ، من تاريخ الحيوان لأرسطو ، على ترتيبها هنا تقريبا . وإن جاءت هنا فى صورة مقتطفات من هذا الفصل ، وذلك إذ يقول :

« حين تهرب الدببة أمام الصائد تدفع صغارها أمامها ، كما تحملها وقد أخذتها فى فمها . فإذا كانت على وشك أن تؤخذ تسلقت الأشجار ... وإذا اتفق أن ابتلعت الفهدة السم الذى يقال له : (الموت للفهود) فإنها تلتمس عذرة إنسان فتبرئها ، فهى دواء لها ، وعلى العكس بالنسبة للأسود فهى قاتلة لها . والصيادون يعرفون ذلك جيدا حتى إنهم ليعلقون على شجرة شيئا من العذرة فى وعاء ، بحيث تبقى غير بعيد منها ، فإنها لا تلبث أن تموت من الجهد الذى تبذله فى قفزها نحو الوعاء مؤملة بلوغه . كما يؤكدون أيضا أنها إذ تعلم أن رائحتها تجتذب بعض الحيوانات الأخرى ، فإنها تختبىء لصيدها ، حتى إذا اقتربت منها انقضت عليها ، ومن بينها الأيائل ... والتمساح حين يفتح فكه تسرع إليه الطير المسماة تروكيل trochiles طائرة ، لتنظف له أسنانه ، وهى تجد فى ذلك طعاما لها . أما التمساح الذى أراحه هذا الصنيع ، فإنه يعرفه لها ، فلا ينالها بأذى ، فاذا أراد التروكيل أن يخرج حرك التمساح عنقه بطريقة تجنبه أذى العض . والسلحفاة إذا ابتلعت أفعى أكلت صعترا . وقد قرر ذلك على هذه الصورة : لقد كان أحد الناس رأى سلحفاة تفعل ذلك عدة مرات . كلما ابتلعت الصعتر عادت إلى حية أخرى ، فاقتلع الصعتر فماتت السلحفاة للتو ، إذ حرمت من هذا الدواء .

أما ابن عرس فإنه إذا أراد أن يقاتل ثعبانا بدأ بأكل السذاب الذى يكره الثعبان رائحته ... والكلاب إذا كان فى أجوافها دود تأكل سنبل القمح ... ويظهر ابن عرس ذكاء فى طريقة قتله للطير ، فإنه يخنقها كما يخنق الذئب الغنم . ويقاتل ابن عرس خاصة الثعابين الصائدة للفيران ، لأنه يغتذى أيضا بالفيران . وكثيرا ما أمكن ملاحظة أن القنافذ تحس تغيرات الرياح ، إذا كانت تهب من الشمال أو الجنوب ، فمنها ما يغير فتحات الثقوب التى يصنعها لنفسه فى الأرض ، ومنها مما يعيش فى دورنا ، ما ينتقل من حائط إلى آخر . ويحكى أن شخصا من بيزنطة كان قد لاحظ هذه الغريزة عند القنفذ ، فاشتهر بأنه صائب التنبؤ بالجو [1] » .

وإذا كان النظر فى هذين النصين ، كل على حدة ، يثير التساؤل عما يلابس كلا منهما ، فى بعض أجزائه من غموض

---

(١) v. III, p. 155-159.

واضطراب ، فإن المقارنة بينهما تثير كثيرا من المسائل الناشئة عن أوجه من الخلاف بينهما ، وعما يمكن أن يرجع إليه هذا الخلاف .

من هذا الخلاف ما هو يسير المأتى هيِّن الأمر قريب التأويل ، كجعل النص العربى الحديث عن الدب فى صيغة المفرد المؤنث ( الدبة ) ، وجعل النص الآخر الحديث عنه فى صغية الجمع ( الدببة ) ، فالصيغتان متقاربتان فى الصورة الخطية تقاربا لا نبعد معه أن تكون كلمة « الدبة » تصحيفا لكلمة « الدببة » . وإن كان من الممكن أن يكون المترجم هو الذى آثر هذه الصيغة.

ومن ذلك تسمية الترجمة العربية بيزنطة وهو الاسم القديم ، باسم القسطنطينية ، وهو الاسم الذى أطلق عليها بعد استيلاء الملك قسطنطين عليها فى القرن الرابع ، والذى لا يكاد المسلمون الأوائل يعرفونها إلا به . فأكبر الظن أن ذلك كان من تصرف المترجم .

وهناك مواطن أخرى من الخلاف ليس من اليسير تفسيرها واتخاذ موقف منها إلا أن تجتمع لنا أدوات هذا التفسير ، وهى ليست متاحة لنا الآن .

٦٩ ــ قال الجاحظ : « قال صاحب المنطق : الطير على ضربين : أوابد وقواطع . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره ، وإن لم يكن ذا سلاح ، فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم . ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يعدوها ، ومنه المشترك الطباع ، كالعصفور والدجاج والغراب ، فإنها تأكل النوعين جميعا ، وكطير الماء ، يأكل السمك ويلقط الحب ، ومنه ما يأكل شيئا خاصا ، مثل جنس النحل المعسِّل الذى غذاؤه شيء واحد ، وجنس العنكبوت ، فإن طعم النحل المعسل العسل ، والعنكبوت يعيش من صيد الذباب .

ومن الحيوان ما له مسكن ومأوى كالخلد والفأر والنمل والنحل والضب ، ومنه ما لا يتخذ شيئا يرجع إليه كالحيات ، لأن ذكورة الحيات سيارة ، وإناثها إنما تقيم فى المكان إلى تمام خروج الفراخ من البيض ، واستغناء الفراخ بأنفسها ، ومنها ما يكون يأوى إلى شقوق الصخور والحيطان والمداخل الضيقة ، مثل سام أبرص .

قال : والحيات تألفها كما تألف العقارب الخنافس ، والعظايا تألف المزابل والخرابات والوزغ قريبة من الناس [1] » .

ونرجو أن نوفق بعد إلى ما يناظر هذا النص فى حيوان أرسطو .

(١) ج ٤ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

٧٠ – قال الجاحظ – فى سياق كلامه عن النعامة – وأنها ، مع عظم عظامها وشدة عدوها ، لامخ فيها : « وقال صاحب المنطق : ليس المخ إلا فى المجوفة ، مثل عظم الأسد ، وفى بعض عظامه مخ يسير . وكذلك المخ قليل فى عظام الخنازير ، وليس فى بعضها شىء منه البتة [١] » .

ونظير هذا النص فى تاريخ الحيوان لأرسطو يقع فى الفصل الخامس عشر من الكتاب الثالث ، وذلك إذ يقول :

« وليس فى كل العظام مخ ، فهو لايوجد إلا فى العظام المجوفة ، وحتى هذه لا يوجد فيها دائما . فعظام الأسد قد لا يوجد فيها مطلقا . ولا يوجد فيها إلا قدر يسير جدا . كما زعموا أحيانا ، وكما قيل من قبل ، إن الأسود ليس بها مخ مطلقا . وكذلك عظام الخنازير ، المخ فيها قليل جدا ، وقد رئى منها ما ليس فيها شىء منه [٢] » .

والنصان هنا متطابقان إلى حد بعيد ، ولا يكاد يخالف بينهما إلا طبيعة الأسلوب فى كل منهما ، وجنوح أحدهما إلى الإيجاز والقصد ، وجنوح الآخر إلى الإطناب والتشقيق .

**محمد طه الحاجرى**

---

(١) ج ٤ ، ص ٣٢٧ .

(٢) v. I, p. 800.

# الطريقة التكاملية لتعليم اللغة العربية

للدكتور فؤاد البهى السيد

**( ا ) مقدمة**

الطريقة التكاملية طريقة جديدة فى تعليم اللغة العربية تعتمد فكرتها الرئيسية على الخصائص النفسية لعملية التعلم وللمتعلم نفسه، وترقى بالتعلم إلى مستوى التجويد، وتراعى الخصائص المميزة للغة العربية كلغة سامية تختلف فى تكوينها عن اللغات الأوربية. ولهذا تختلف الطريقة التكاملية عن الطرق الأخرى التى استخدمت من قبل فى تعليم اللغة العربية، والتى نشأت فى أصلها من الطرق المتبعة فى تعليم اللغات الأوربية ولم تراع لذلك الخصائص الفارقة للغة العربية.

وقد سميت هذه الطريقة التكاملية لأنها تعلم اللغة العربية كوحدة تتكامل أجزاؤها منذ الخطوة الأولى لتعليمها وتنمو فى مدارجها المتتابعة ككل له وحدته لا كأجزاء منفصلة كما تفعل الطرق الأخرى.

وسنبين فيما يلى الخصائص الرئيسية للطريقة التكاملية وأهم مزاياها، ومراحلها السبع الرئيسية، والطرق الخاصة المناسبة لتعليم كل مرحلة من تلك المراحل، والبرنامج التجريبى المناسب لضبطها وتقويمها قبل تعميمها.

**(ب) خصائص الطريقة التكاملية وأهم مزاياها**

أهم خصائص الطريقة التكاملية لتعليم اللغة العربية أنها تحافظ خلال جميع مراحل تعليمها على تكامل فروع اللغة العربية فى وحدة عضوية تنمو ككل فى تناسق وتناسب صحيح بحيث لايسبق نمو أحد الفروع الفروع الأخرى فيشوه بذلك النمو العضوى للظاهرة اللغوية، شأنها فى ذلك شأن نمو أى كائن حى. فمثلا إذا زاد نمو الأذرع فى إنسان ما عن المعدل الطبيعى للنمو النسبى والكلى أصبح ذلك الانسان كائنا «مشوها»، وكذلك الحال بالنسبة للنمو اللغوى عند الطفل. ولذلك لاتقسم الطريقة التكاملية اللغة العربية إلى فروع مختلفة ولا تعلم كل فرع من هذه الفروع بمعزل تماما عن الفروع المختلفة كما تفعل الطرق الأخرى.

وقد نجحت أغلب رياض الأطفال فى انجلترا وأمريكا ودول غرب وشمال أوروبا فى تعليم أطفال سن الخامسة وما قبل الخامسة، القراءة والكتابة والتعبير حيث يتعلم الطفل

اللغة كظاهرة لها وحدتها فلا تنفصل فروعها ولا يسبق فرع منها الفروع الأخرى فى عملية التعلم اللغوى .

وكما تصلح هذه الطريقة لتعليم أطفال فصول الرياض وتلاميذ المدارس الابتدائية فإنها تصلح أيضا لتعليم الكبار ومحو الأمية ولا تحتاج من المعلم إلى تدريب طويل لأنها سهلة وبسيطة وتجعل كل معلم يعمل مع كل فرد وفق سرعته ، وتحوّل الفصل إلى خلية دائبة النشاط وتيسر لكل تلميذ أن يتقدم بالنسبة لمستوى قدراته .

وخلال مراحل هذه الطريقة يؤلف التلميذ كتابه الأول الذى يتعلم به القراءة والكتابة والتعبير والقواعد ، ولا نؤلف له كتابا « أو كتبا » فى هذه الفروع التى نصطنعها لتجزئة اللغة إلى علوم مختلفة إن صلحت فى المستويات العليا لدراستها فإنها لاتصلح فى المراحل الأولى لتعليمها .

وبهذه الطريقة يشترك التلميذ اشتراكا ايجابيا مع معلمه فى عملية التعلم ويتذوق نتيجة ما يصل إليه فى تحصيله وتتطور عملية تعلم اللغة من التلقين إلى التفاعل الإيجابى المثمر .

ويتحقق بذلك المفهوم الجديد لأهم دوافع الفرد للتعلم والعمل والإنتاج ، وهو حاجة الفرد إلى الشعور بنجاحه فى تعلمه وعمله وإنتاجه .

وتصبح طريقة تعليم اللغة العربية سهلة بسيطة على التلميذ وعلى المعلم . وهى بالرغم من سهولتها ترتكز فى بنائها العامى على أهم المفاهيم النفسية والتربوية والاجتماعية مثل : مراعاة الفروق الفردية فى تعليم التلاميذ ، والاشتراك الإيجابى للمتعلم مع المعلم فى عملية التعلم وبدء تدريب الفرد على التعلم الذاتى وكيف يستطيع أن يعلم نفسه ، وتثير فى الفرد أهم دوافع التعلم وهو تعزيز العمل الناجح وتدعيمه ، وذلك باستخدام نفس الإحساس بنجاح التحصيل كحافز لاستمرار التعلم حتى يحقق هدفه الذى يصبو إلى تحقيقه .

وذلك هو سر قوتها ، وسر نجاح أى مشروع أو نظرية أو فكرة : البساطة وصحة ودقة المفاهيم العلمية التى يعتمد عليها البناء الفكرى لتلك الطريقة .

## (ج) مراحل الطريقة التكاملية

تشتمل الطريقة التكاملية لتعليم اللغة العربية على سبع مراحل : الأولى هى مرحلة الاستعداد لاكتساب مهارة الكتابة ، والثانية هى مرحلة أسماء الذات والجمل الاسمية ، والثالثة هى مرحلة الأفعال والجمل الفعلية ، والرابعة هى مرحلة حروف الجر والجمل الاسمية والفعلية والخامسة هى مرحلة التفكير اللغوى والتدريب على التعبير والسادسة هى مرحلة القواعد النحوية والحركات الإعرابية ، والسابعة والأخيرة هى مرحلة الحروف الهجائية وأشكالها المختلفة .

وسنبين فيما يلى المظاهر الرئيسية لكل مرحلة من تلك المراحل .

١ ـ المرحلة الأولى : الاستعداد لاكتساب مهارة الكتابة .

تمهد الطريقة التكاملية فى مرحلتها الأولى لاكتساب مهارة الكتابة وذلك عن طريق تعليم الطفل كيف يمسك القلم بطريقة صحيحة تيسر له رسم المنحنيات والخطوط ـ المستقيمة التى سيستخدمها بعد ذلك فى ممارسة عملية الكتابة ، وفى رسم الأشكال التوضيحية التى تبين معانى الكلمات المختلفة التى سيتعلمها بعد ذلك .

٢ ـ المرحلة الثانية : أسماء الذات والجمل الاسمية :

تبدأ المرحلة الثانية بتعليم الطفل قراءة وكتابة أسماء الذات ثم تتدرج به بسرعة إلى التعبير . وتبدأ تعليمه التعبير بالجمل الاسمية لأنها أسهل من الجمل الفعلية إذ لاتتطلب من الطفل إلا أن يكتب كلمتين ويختار الكلمة الأولى ثم يختار الكلمة الثانية ليستقيم المعنى فى جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر .

وقد دلت الأبحاث المتعددة على أن أسماء الذات أسهل من أسماء المعنى وأسهل أيضا من الأفعال وحروف الجر لأنها تدل على أشياء موجودة بالفعل فى بيئة الطفل يألفها ويراها ويعرفها ويلمسها ويشعر بها .

وبذلك تصل المرحلة الثانية بقدرة الطفل على التعبير إلى الجمل الأسمية وتتابع بعد ذلك مراحل الطريقة التكاملية كما تتابع مراحل نمو الانسان من طفولة إلى بلوغ ومراهقة ورشد إلى آخر تلك المراحل حيث تتميز كل مرحلة بأنها تصل بالفرد إلى مستوى معين من مستويات النضج فى إطار النمو الكلى للانسان ككائن له وحدته العضوية المتكاملة . وهذا هو شأن الطريقة التكاملية فى مراحلها ، حيث تصل بقدرة الطفل على التعبير فى مرحلتها الثالثة إلى الجمل الفعلية .

٣ ـ المرحلة الثالثة : الأفعال والجمل الفعلية :

تتدرج الطريقةالتكاملية بالطفل فى مرحلتها الثالثة لتعلمه الأفعال لأنها أصعب من الأسماء وذلك لاعتمادها على الزمن ، والزمن مفهوم معنوى أصعب فى إدراكه من أسماء الذات . وعندما يتعلم الطفل مجموعة من الأفعال : قراءة وكتابة يتدرب بعد ذلك على تكوين الجمل الفعلية ويعتمد فى انشاء جمله وعباراته على الأسماء التى تعلمها فى المرحلة الأولى وبذلك تنمو مهارته اللغوية بطريقة تكاملية فى مراحل علمية تعتمد على خصائص نمو العمليات العقلية لدى الطفل وعلى خصائص اللغة العربية نفسها باعتبار أنها من أندر اللغات التى تتميز بجمل تؤدى معناها كاملا دون الحاجة إلى فعل يستقيم به المعنى كما هو الحال فى اللغة الانجليزيةوالفرنسيةوبقية اللغات الأجنبية الأخرى ، وهى مع ذلك لاتهمل الجمل الفعلية حيث تحتل موقعها المناسب إلى جوار الجمل الاسمية .

٤ – المرحلة الرابعة : حروف الجر والجمل الاسمية والفعلية .

تتطور الطريقة التكاملية بالطفل إلى المرحلة الرابعة حيث يتعلم حروف الجر : كتابة وقراءة ، ويستطيع أيضا أن يوضح معنى حروف الجر التى تعلمها بالرسم كما سنبين ذلك فى الشرح التفصيلى لكل مرحلة من هذه المراحل وعلى الطفل أن يستعمل حروف الجر التى يتعلمها فى تكوين جمل وعبارات جديدة تعتمد على استخدام حروف الجر مع بعض الأسماء التى تعلمها من قبل لينشئ من ذلك عبارة لها معنى ويصبح أيضا قادرا على انشاء عبارات جديدة تتكون من أسماء وأفعال وحروف جر وبذلك يستقيم تعبيره فى أبعاده اللغوية المختلفة .

وعلى المعلم أن يطلب من الطفل أن يوضح معنى كل كلمة يكتبها ويقرأها ، اسما كانت أم فعلا أم حرف جر برسم يصاحب هذه الكلمة فى نفس الصفحة التى يكتبها فيها : وبذلك تقترن دائما الأركان السيمانتية للكلمة فى وحدة عضوية متكاملة وبدونها لاتصبح الكلمة كلمة لغوية صحيحة ، وذلك لأن الكلمة فى حقيقتها اللغوية رمز لمعنى يسجل كتابة فى شكل معين ، وينطق بأصوات محددة . والشكل التالى يوضح المثلث السيمانتى لأركان الكلمة .




٥ – المرحلة الخامسة : التفكير اللغوى والتدريب على التعبير :

تتطور الطريقة التكاملية بالطفل فى مرحلتها الخامسة إلى تدريبه على التفكير ، وعلى تجويد عملية التعلم التى انتهت به إلى التعبير .

وعلى المعلم أن يطلب من الطفل أن يختار بعض كلمات من تلك الكلمات التى تعلمها من قبل فى المراحل الثلاث السابقة ثم يرتبها حتى يصبح لها معنى آخر غير المعنى السابق ، وهكذا يستمر الطفل فى هذه العملية حتى يتدرب على إدراك العلاقات القائمة بين الكلمات : وإدراك العلاقات عملية عقلية قوامها الاستدلال : ولذلك سميت هذه المرحلة مرحلة التفكير اللغوى :

وتمثل هذه المرحلة أيضا هضبة فى منحنى التعلم اللغوى الصاعد ، يراجع فيها الطفل ما تعلمه فى المراحل السابقة ، ويجيد فيها مهارة الإنشاء اللغوى والتعبير .

وعلينا أن نتجاوز عن أخطاء الطفل فى مراحل نموه الأولى لينطلق حرا يعبر عما يريد أن يعبر عنه ثم نصحح له أخطاءه بالتدريج ، وهذا التصحيح يجب أن يقترن بالتشجيع لا بالنقد حتى تتم عملية التعزيز أو التدعيم الضرورية لنجاح عملية التعلم كما تؤكد ذلك كل النظريات الحديثة فى التعليم .

٦ – المرحلة السادسة : القواعد النحوية والحركات الاعرابية .

ببدء عملية التصحيح وضبط التعبير تبدأ المرحلة السادسة من مراحل الطريقة التكاملية : وتهدف هذه المرحلة إلى تعليم الطفل أبسط أنواع القواعد النحوية التى تساعده على ضبط تعبيره . وعلى المعلم أن يطلب من الطفل أن يستمر فى تغيير مواقع الكلمات ليغير بذلك معنى العبارة وعليه أن يعلمه النطق الصحيح فيعلمه بذلك الحركات الصحيحة لأواخر الكلمات التى يكتبها ، فمثلا : يتعلم الطفل أن يكتب الكسرة تحت آخر كل كلمة يأتى موقعها بعد حروف الجر ، وأن يكتب الضمة فوق آخر الكلمة الأولى والثانية فى الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر ، وأن يكتب الفتحة فوق آخر كل اسم يأتى موقعه بعد الفاعل :

وهذا القدر من القواعد النحوية يعد كافيا للطفل فى هذه المرحلة ، ويتعلم بذلك كيف يضبط تعبيره ، ويتعلم أيضا معنى الكسرة والضمة والفتحة وطريقة رسم هذه الحركات وموقعها فى آخر الكلمة .

٧ – المرحلة السابعة : الحروف الهجائية وأشكالها المختلفة .

تعتمد المرحلة السابعة والأخيرة فى الطريقة التكاملية على مدى نمو القدرة الاستقرائية لدى الطفل . وعلى المعلم أن يحالل للطفل الكلمات المختلفة التى يستخدمها فى تعبيراته المتعددة إلى مكوناتها الأساسية ، وبذلك يبدأ الطفل تعلم الحروف الهجائية بأشكالها المختلفة ، فيدرس التشابه والاختلاف القائم بين مواقع كل حرف من الحروف الهجائية فى أول الكلمة وفى وسطها وآخرها ومنفصلا ومتصلا ، ويدرك أيضا القدر المشترك بين جميع هذه المواقع ، ذلك القدر الذى لايتغير بتغير موقع الحرف من الكلمة ، فمثلا حرف الميم يصبح شكله متصلا فى أول الكلمة هكذا ( مـ ) وفى وسط الكلمة هكذا ( ـمـ ) وفى آخر الكلمة هكذا ( ـم ) . ويصبح شكله منفصلا هكذا ( م ) . وبذلك يصبح القدر المشترك الذى يتميز به حرف الميم بين جميع هذه الأشكال هو هذا الشكل ( مـ ) وهكذا بالنسبة لبقية الحروف الهجائية الأخرى :

وتعد هذه المرحلة أصعب مراحل التعلم اللغوى لسببين رئيسين : الأول ، أن الحرف المستقل عن الكلمة لا معنى له ، اللهم إلا أنه رمز مكتوب لصوت مسموع ، وإلا فما معنى حرف الميم إذا انتزع الحرف من الكلمة التى تحتويه ؟ والأصل فى اللغة هو المعنى كما سبق أن بينا ذلك فى تحليل الأركان السيمانتية للكلمة .

والسبب الثانى تغير شكل الحرف تبعا لتغير موقعه من الكلمة ، وهذه الظاهرة هى إحدى خصائص الكتابة العربية المتصلة وذلك بخلاف اللغات الأجنبية حيث تطورت

فيها عملية الطباعة من الحروف المتصلة إلى الحروف المنفصلة . وعلينا أن نعلم الطفل حروف اللغة العربية بأشكالها المتغيرة حتى يأتى اليوم الذى تتطور فيه عملية الطباعة فتتخلص من الحروف المتصلة وتصبح حروف كلماتها المكتوبة منفصلة كما تطورت عملية الطباعة فى اللغات الأجنبية الأخرى .

من أجل هذا أرجئت عملية تعلم الحروف الهجائية إلى آخر مراحل الطريقة التكاملية فى تعليم اللغة العربية .

**( د ) الطرق الخاصة لتعليم كل مرحلة من مراحل الطريقة التكاملية .**

سنبين فيما يلى الطرق الخاصة المناسبة لتعليم كل مرحلة من مراحل الطريقة التكاملية .

١ ـ المرحلة الأولى : الاستعداد لاكتساب مهارة الكتابة .

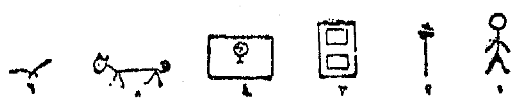
تعتمد مهارة الكتابة على تناسق حركات عضلات الأصابع التى تمسك بالقلم أثناء الكتابة وعلى تآزر هذه الحركات مع عملية الإبصار التى تلاحظ مدى نجاح هذا التناسق وتنقل نتائجه إلى العقل ليستطيع أن يصحح أخطاء التناسق الحركى حتى تستقيم مهارة الكتابة .

وبذلك تصبح الكتابة بهذا المعنى مهارة عقلية بصرية حركية .

واكتساب المهارة يتطلب ممارسة . وتبدأ عملية الممارسة بتدريب الطفل على الطريقة الصحيحة لمسك القلم بين الإبهام والأصبعين المجاورين له . ثم يتطور هذا التدريب إلى استخدام القلم فى رسم خطوط منحنية متعددة مختلفة . والخطوط المنحنية أسهل فى رسمها من الخطوط المستقيمة لأنها لاتتطلب فى أدائها مستوى دقيقا من التآزر العقلى البصرى الحركى ، وذلك بخلاف الخطوط المستقيمة التى تحتاج إلى درجة كبيرة من ضبط حركات الأصابع والتحكم فيها حتى يصبح الخط المرسوم خطا مستقيما . ومن أجل هذا سبقت عملية رسم الخطوط المنحنية عملية رسم الخطوط المستقيمة .

وعندما يجيد الطفل رسم الخطوط المنحنية يتطور به التدريب إلى رسم الخطوط المستقيمة الأفقية والرأسية والمائلة .

وعلى المعلم أن يدرب الطفل بعد ذلك على رسم أشكال مختلفة ، تعتمد على المنحنيات والخطوط المستقيمة ، ولهذه الأشكال أهميتها القصوى فى توضيح معنى كل كلمة من الكلمات الجديدة التى سيتعلمها الطفل فى نهاية كل مرحلة ، وعليه أن يرسم أشكالا مثل الأشكال التالية :



حيث يوضح الشكل الأول رسم رجل ، والثانى شجرة ، والثالث باب ، والرابع صورة ، والخامس كلب ، والسادس طائر

وهكذا بالنسبة للأشياء المختلفة التى يمكن توضيح معناها بالرسم .

وعندما ينتهى التدريب إلى هذا الحد يصبح الطفل مهيئا لتعلم أسماء الذات كتابة وقراءة وتوضيح معناها بالرسم ، ويصبح مهيئا أيضا لتعلم الجمل الأسمية كتابة وقراءة، وتعبيرا كما سنبين ذلك فى المرحلة التالية .

٢ — المرحلة الثانية : أسماء الذات والجمل الاسمية :

يلاحظ الطفل فى بيته أو فى الطريق أو حتى فى الفصل المدرسى أشياء مختلفة تثير اهتمامه وتجذب انتباهه مثل الصورة المعلقة على الحائط فى بيته أو فى الفصل ، والراديو ، والقطة ، والباب ، والشجرة ، وغير ذلك من الأشياء المختلفة . وهو بلاشك يعرف أسماء هذه الأشياء من خبرته اللغوية السابقة التى تكون محصوله اللفظى الذى يستخدمه فى كلامه وحواره مع والديه وإخوته وأقرانه ويستطيع الطفل أن ينطق مثل هذه الأسماء نطقا صحيحا لأنها مألوفة لديه وظاهرة متكررة فى حياته اليومية .

وعلى المعلم أن يحصى هذا المحصول اللفظى لأطفال فصله الدراسى بأن يسأل كل طفل عن الأسماء التى يعرفها ، وعليه أن يوضح معنى هذا السؤال بأمثلة من الأشياء الموجودة فى الفصل فيشير إلى الباب وهو يقول « باب» . وهكذا حتى يفهم كل طفل معنى السؤال ثم يبدأ المعلم بسؤال الطفل الأول ، فيقول له كل الأسماء التى يعرفها وعلى المعلم أن يسجل هذه الأسماء فى كراسة خاصة فيكتب فيها الرقم المسلسل لأسماء الأطفال ثم يكتب اسم كل طفل ويكتب بعد ذلك كل الأسماء التى يعرفها الطفل أمام اسمه . وعندما ينتهى المعلم من هذه العملية يحسب تكرار كل كلمة من الكلمات التى سجلها ، ثم عليه بعد ذلك أن يرتب هذه الكلمات فى قائمة بطريقة تنازلية بحيث يبدأ بأكثرها تكرارا وينتهى إلى أقلها تكرارا وبذلك يكون قد حصل على معجم لأسماء الذات يناسب تلاميذ فصله .

وعلى المعلم أن يبدأ بأكثر هذه الكلمات تكرارا فيكتبها على السبورة ثم يقرأها ، ويطلب من كل طفل أن يقلده فى الكتابة فيكتبها فى الصفحة الأولى من صفحات كراسته . والكتابة فى حقيقتها ليست عملية صعبة معقدة وإنما هى مجرد عملية تقليد ورسم ، والأطفال يحبون هذا النوع من النشاط ويمارسونه بشغف كلما عثروا على ورقة وبعض الأقلام الملونة . وعندما ينتهى الأطفال من كتابة الكلمة وعندما ينتهى المعلم من مراجعتها كما كتبها كل طفل فى كراسته ، فعليه أن يطلب منهم أن يقلدوه فى قراءتها ، ثم يقرأ الكلمة ويقرأونها هم من بعده . والقراءة هنا أسهل من الكتابة لأن الكلمة التى يكتبها الطفل هى أصلا محصوله اللفظى الذى جمعه خلال خبرته السابقة .

واقتران القراءة بالكتابة وتكرار هذا الاقتران يؤدى إلى تعلم الكلمة تعلما لغويا صحيحا .

وعلى المعلم أن يعيد كتابة الكلمة مرة أخرى وقراءتها ثم يطلب من الأطفال كتابتها مرة ثانية فى كراساتهم وقراءتها ، وتستمر هذه العملية حتى يصل عدد مرات كتابة وقراءة الكلمة إلى العدد المناسب لحفظها كتابة وقراءة . وتدل نتائج أهم الأبحاث العلمية فى هذا الميدان على أن العدد المناسب لتكرار كتابة الكلمة وقراءتها حتى يتعلمها الطفل هو فى الأغلب والأعم خمس مرات . وبالرغم من هذا التحديد فعلى المعلم أن يكتشف العدد المناسب لتكرار كتابة وقراءة الكلمة حتى يتعلم كل طفل الكلمة تعلما جيدا صحيحا .

وعندما ينتهى المعلم من تعليم تلاميذه طريقة كتابة وقراءة الكلمة فعليه أن يرسم على السبورة أسفل الكلمات التى كتبها شكلا يوضح معنى الكلمة ، ويجب أن يكون هذا أبسط ما يمكن وخير الأشكال التوضيحية ماكان مجرد خطوط . فمثلا يمكن رسم القطة بالطريقة التالية ، ثم يطلب من كل طفل أن يرسم مثل هذا الشكل فى كراسته أسفل



شكل يوضح طريقة رسم معنى الكلمة

الكلمات التى كتبها . وعلى المعلم أن يراجع رسم كل طفل كما راجع كتابة كل كلمة .

وبهذه الطريقة نقتصد ثلثى الوقت والجهد الذى يبذل فى تعليم الكلمات ، لأن الكلمة فى أساسها تعتمد على أركان ثلاثة : المعنى ، والصوت ، والرسم . وبما أن الطفل يعلم معنى الكلمة التى يقولها ، ويعرف كيف ينطقها ، إذن فلا يبقى أمامه ليتعلمها الا أن يكتبها . واقتران المعنى وهو أصلا معروف للطفل ، بالنطق وهو أيضا معروف للطفل ، بالكتابة وهى المهارة الجديدة التى يتعلمها عن طريق التقليد يؤدى بالطفل إلى تعلم الكلمة معنى وقراءة وكتابة فى ثلث الوقت الذى يتعلم فيه الكلمات التى لايعرف معناها ولا نطقها ولا كتابتها .

وعندما يرى المعلم أنه قد تجمع لدى الأطفال محصولا لفظيا كافيا من هذه الكلمات فعليه أن يعلمهم التعبير ، ويبدأ باختيار كلمة من الكلمات التى تعلموها من قبل ثم يختار كلمة أخرى من تلك الكلمات بحيث لو كتبت بعد الكلمة الأولى لأنشأت بذلك تعبيرا له معنى فى جملة اسمية صحيحة مثل « باب البيت » ومثل « صورة قطة » وهكذا .

ويطلب المعلم من الأطفال أن يكتبوا هذه التعبيرات فى صفحة جديدة ، ثم يطلب منهم بعد ذلك أن يقلدوه فى انشاء تعبيرات جديدة ثنائية الكلمات ولها معنى . وعلى كل طفل بعد ذلك أن يختار كلمة من الكلمات التى تعلمها من قبل ثم يختار كلمة أخرى بحيث لو كتبت الكلمة الثانية بعد الكلمة الأولى لأنشأت بذلك تعبيرا له معنى ، وعلى

المعلم أن يراجع التعبير الذى يكتبه كل طفل ليصحح أخطاءه . وتستمر هذه العملية حتى يكتسب الطفل مهارة انشاء العبارات الثنائية فى جمل اسمية لها معنى .

وبذلك تصل المرحلة الأولى بالطفل إلى تعلم الأسماء والجمل الاسمية قراءة وكتابة وتعبيرا . ويصبح تعلم اللغة العربية عملية متكاملة تكاملا عضويا صحيحا وتنمو المهارة والمعرفة اللغوية فى عقل الطفل كوحدة لا تنفصل فى نهايتها الكتابة عن القراءة ولا عن التعبير .

٣ — المرحلة الثالثة : الأفعال والجمل الفعلية .

اشترطنا فى اختيار الأسماء التى تصلح لبدء تعليم القراءة والكتابة والتعبير أن تكون من المحصول اللفظى للأطفال وأن تكون أسماء ذات لا أسماء معنى ، وأن تكون من النوع الذى يسهل رسم معناه فى شكل بسيط يفهمه الطفل .

وعلينا الآن أن نحدد أسس اختيار الأفعال التى تيسر للطفل عملية التعلم اللغوى .

ويشترط فى الأفعال التى نختارها أن تكون من المحصول اللفظى للطفل ، وعلى المعلم أن يوضح للطفل معنى الفعل عن طريق الحركة فيقف ثم يقول « وقف المعلم » ويجلس ثم يقول « جلس المعلم » وهكذا حتى يفهم الطفل معنى الفعل ، وعلى المعلم بعد ذلك أن يسجل الأفعال التى يعرفها أطفال الفصل الدراسى بنفس الطريقة التى سجل بها الأسماء ليكتشف بذلك محصول الأطفال من الأفعال .

وعلى المعلم أن يبدأ بأكثر هذه الأفعال تكرارا فى القائمة التى يعدها بعد تحليله للأفعال التى يعرفها الأطفال .

لكن الفعل له أكثر من صورة فهو قد يكون فعلا ماضيا أو مضارعا أو مستقبلا . وأبسط هذه الأفعال كتابة هو الفعل الماضى لأن حرفه الهجائى الأول لايختلف تبعا لاختلاف الضمائر . والحرف الأول فى الفعل المضارع هو أحد حروف كلمة « أنيت » التى تضاف فى أول الفعل الماضى فتجعله مضارعا . وبذلك تصبح صيغة الفعل المضارع هى فى حقيقتها صيغة الفعل الماضى الذى يسبقه أحد حروف المضارعة . وكذلك الحال بالنسبة لصيغة المستقبل فهى فى حقيقتها صيغة الفعل الماضى الذى يسبقه حروف المستقبل وهى السين وسوف .

وبذلك تصبح أبسط صور الفعل هى صورة الفعل الماضى . وهكذا يؤدى بنا هذا التحليل إلى اختيار الفعل الماضى لأنه أبسط من المضارع والمستقبل .

والمشكلة الثالثة التى تواجهنا فى تعليم الأفعال أنها إما أفعال ظاهرة مثل وقف ، ومشى ، وجلس وإما أفعال باطنة مثل فكر ، وتأمل ، وجاع ، وعطش . والأفعال الظاهرة أكثر وضوحا من الأفعال الباطنة لأنها تدل على أمور مرئية . شأنها فى ذلك شأن أسماء الذات . وبذلك فعلينا أن نختار الأفعال الظاهرة لأنها أكثر وضوحا من الأفعال الباطنة .

وللأفعال الظاهرة ميزة أخرى وهى سهولة توضيحها بالرسم كما تدل على ذلك الأشكال التالية :



شكل يبين طريقة توضيح معنى الأفعال

وهكذا بالنسبة للأفعال الظاهرة الأخرى .

ويؤدى بنا التحليل السابق إلى توضيح المعالم الرئيسية للطريقة التى يتبعها المعلم فى تعليم الأفعال ، فعليه أولا أن يسجل محصول الأطفال من الأفعال ، وأن يقتصر فى تسجيله لتلك الأفعال على صيغة الماضى ، وأن يختار من الأفعال الماضية الأفعال الظاهرة التى تقبل التوضيح بالرسم ثم يمضى فى تعليم الأطفال تلك الأفعال بنفس الطريقة التى علمهم بها أسماء الذات وعندما يتعلم الطفل تلك الأفعال قراءة وكتابة ، ويدرك معناها ويوضحه بالرسم فعلى المعلم أن يتطور بالطفل إلى تعلم الجمل الفعلية الثنائية التى تعتمد على الفعل اللازم مثل « نام الرجل » « مشى الولد » . «وقف المعلم » وهكذا حتى يجيد الأطفال هذا النوع من التعبير الذى هو فى جوهره مجرد فعل يتلوه اسم .

وعلى المعلم بعد ذلك أن يدرب الأطفال على الجمل الفعلية الثلاثية التى تعتمد على الفعل المتعدى لمفعول واحد مثل : ضرب الولد الكلب . أكل الرجل البلح . رفع الطفل يده .

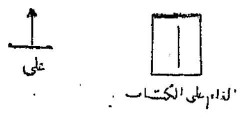
وهكذا يتعلم الطفل فى هذه المرحلة الأفعال ، والجمل الفعلية الثنائية والثلاثية ، ويراجع ما تعلمه من الأسماء لأنه يستخدم الاسم بعد الفعل لينشئ من ذلك تعبيراته وجمله المختلفة .

٤ – المرحلة الرابعة : حروف الجر والجمل الاسمية والفعلية .

حروف الجر كلمات سهلة فى كتابتها وقراءتها لأن عدد حروفها لايكاد يتجاوز ثلاثة حروف هجائية لكنها صعبة فى إدراكها لأنها تدل على العلاقات المعنوية التى ترتبط بها الأسماء .

من أجل هذا أرجئت حروف الجر إلى المرحلة الرابعة .

وعلى المعلم أن يوضح للأطفال الوظيفة التى تؤديها حروف الجر وذلك عندما تقيم علاقة بين اسم واسم آخر مثل « القلم على الكتاب » وهنا يتضح معنى حرف الجر ( على ) بمعنى ( فوق ) ويمكن للمعلم أن يضع قلما فوق كتاب ما ليشرح معنى حرف الجر ( على ) ثم يطلب من الأطفال أن يذكروا أمثلة أخرى لاستخدام حرف الجر ( على ) ويكتبها على السبورة ويطلب إلى كل طفل أن يكتب كل جملة من تلك الجمل فى كراسته وأن يقرأها وراءه وأن يعيد كتابتها على الأقل خمس مرات حتى تستقيم طريقة كتابتها وقراءتها ، ويتضح معناها . وعلى المعلم أن يرسم لكل جملة من تلك الجمل رسما يوضح معنى حرف الجر المستخدم . والشكل التالى يوضح معنى حرف الجر ( على ) :



وهكذا بالنسبة لحروف الجر الأخرى :
والأشكال التالية تدل على الرسم التوضيحي لأهم حروف الجر المعروفة .



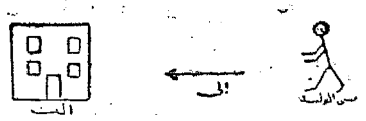
شكل يبين معنى أهم حروف الجر ، المعروفة :

ولا تتطلب عملية تعليم حروف الجر تسجيلا لحصول الأطفال من حروف الجر ، لأن هذه الحروف محدودة قليلة فى عددها . ومشكلتها ليست فى معرفتها بل فى طريقة استخدامها فى التعبيرات اللغوية المختلفة .

وتعد أهم عملية فى تعلم حروف الجر هى عملية التعبير . لذلك يجب أن يتدرب الطفل على استخدام حروف الجر فى جمل اسمية ثلاثية مثل « الكلب فى البيت » وجمل فعلية رباعية مثل « مشى الولد إلى البيت » .

ويمكن توضيح هذه الجمل الثلاثية والرباعية بالرسوم المختلفة كما سبق أن وضحنا معنى « القلم على الكتاب » بالرسم .

فمثلا يمكن توضيح العبارة الرباعية السابقة « مشى الولد إلى البيت » بالرسم التالى :



شكل يبين معنى العبارة « مشى الولد الى البيت »

وهكذا بالنسبة للتعبيرات الأخرى التى يتعلمها الطفل من المعلم ، والتى يؤلفها هو بعد ذلك .

ويجب أن يصبح الطفل قادراً فى نهاية هذه المرحلة على صياغة الجمل الاسمية الثلاثية ، والفعلية الرباعية ، ليتدرب بذلك على الاستخدامات المختلفة لحروف الجر :

وتعد هذه المرحلة من بعض نواحيها ، مراجعة للمراحل السابقة وخاصة مرحلتى الجمل الاسمية والفعلية ، وبذلك تنمو المناهج اللغوية بطريقة تكاملية تراكمية .

٥ ــ المرحلة الخامسة : التفكير اللغوى والتدريب على التعبير .

عملية ترتيب الكلمات لإنشاء عبارة ما ، وعملية إعادة ترتيب نفس كلمات العبارة السابقة للحصول على معنى آخر ، عمليات فكرية تعتمد على إدراك العلاقات التى تنشأ من ترتيب الكلمات بشكل معين ليصبح لهذا الترتيب معنى لأن علاقاته الفكرية صحيحة ، أو يفقد معناه لأن علاقاته غير صحيحة :

وعلى المعلم أن يبدأ هذه المرحلة بأن يكتب على السبورة عبارة لا معنى لها ، ويستقيم معناها عندما يعاد ترتيب كلماتها . ومن أمثلة ذلك العبارة التالية :

« مشى البيت الولد إلى »

ويصبح لهذه العبارة معنى عندما يعاد ترتيب كلماتها فى الصورة التالية :

« مشى الولد إلى البيت »

وعندما يتأكد المعلم من أن الأطفال قد فهموا هذه الفكرة الجديدة فعليه بعد ذلك أن يدربهم على هذا النوع من التفكير اللغوى فيكتب على السبورة عبارة لا معنى لها ثم يطلب منهم أن يكتبوها فى كراساتهم ، ويطلب منهم بعد ذلك أن يعيدوا كتابتها بعد تغيير مواقع كلماتها حتى يستقيم معناها :

ويتطور هذا التدريب بعد ذلك إلى كتابة عبارة لها معنى ، على أن تكون من النوع الذى يتغير معناه عندما نغير مواقع كلماتها ، ومن أمثلة ذلك العبارة التالية :

« مشى الكلب خلف الولد »

ويتغير معنى هذه العبارة عندما نعيد كتابتها بعد تغيير مواقع كلماتها فى الصورة التالية :

« مشى الولد خلف الكلب »

وقد تبدو أهمية هذا التدريب عندما نعلم أن بعض اختبارات الذكاء اللفظية تعتمد على هذا النوع من الأسئلة فى قياس ذكاء الأفراد :

ويمكن زيادة صعوبة هذه التدريبات بزيادة عدد كلمات التعبير ، وبذلك يتطور التدريب من الجمل الثلاثية الكلمات إلى الرباعية فالخماسية فالسداسية إلى غير ذلك من العبارات الطويلة المختلفة حتى يجيد الطفل هذه المهارة .

٦ — المرحلة السادسة : القواعد النحوية والحركات الإعرابية .

يتدرب الطفل فى هذه المرحلة على استخدام الحركات الإعرابية : الكسرة ، والضمة ، والفتحة ، فى أبسط صورها المعروفة ، ولذلك لا يتعلم إلا حالة واحدة من حالات هذه الحركات الإعرابية . فيتعلم ما تحدثه حروف الجر فى الأسماء التالية لها ، وأن الكسرة هى العلاقة التى تحدد بها طريقة النطق ، ويتعلم أن الضمة هى العلامة التى تميز الفاعل أو الاسم الذى يقوم بالفعل ، وأن الفتحة تميز المفعول به أو الاسم الذى يقع عليه فعل الفاعل . وتلك هى أسهل المداخل لفهم وتعلم القواعد النحوية .

وعلى المعلم أن يبدأ بتدريب الأطفال على إدراك الأثر الذى تحدثه حروف الجر فى الأسماء التالية لها ويتطور هذا التدريب فى خطوتين : الأولى تتلخص فى استخدام حرف جر واحد مثل ( إلى ) فى جمل مختلفة

متعددة على أن تكون هذه الجمل تعبيرات ناقصة ليشترك الطفل بطريقة إيجابية فى تكملتها والأمثلة التالية توضح هذه الفكرة : —

. . . . . . . إلى البيت .

. . . . . . . إلى المدرسة .

. . . . . . . إلى الفصل .

. . . . . . . إلى الكتاب .

وعلى الطفل أن يكتب الكلمات الناقصة فى أول كل جملة من الجمل السابقة حتى يصبح لها معنى مثل : —

مشى الرجل إلى البيت .

ذهب التلميذ إلى المدرسة .

جرى الولد إلى الفصل .

نظر المعلم إلى الكتاب .

وعندما يجيد الأطفال هذه العبارة ، فعلى المعلم بعد ذلك أن يدربهم على حروف الجر الأخرى وأن يستخدم نفس الطريقة السابقة فى تكملة الجمل الناقصة .

والأمثلة التالية توضح هذه الفكرة : —

. . . . . . . إلى البيت .

. . . . . . . من المدرسة .

. . . . . . . فى الفصل .

. . . . . . . على الكتاب .

وبهذه الطريقة يفهم الطفل معنى الكسرة التى تدل على أثر حرف الجر فى الاسم التالى له ، ويتدرب أيضاً على التفكير اللغوى عندما يكتب الكلمات التى يكتمل بها معنى الجمل الناقصة .

وينتقل المعلم بعد ذلك إلى توضيح معنى الفاعل والمفعول به معا والجملة التالية توضح الفرق بين الفاعل والمفعول به : —

أكل الولد البرتقالة

وعلى الأطفال أن يفكروا فى تعبيرات أخرى مثل التعبير السابق حتى يكون الفرق واضحا بين الفاعل المرفوع بالضمة والمفعول به المنصوب بالفتحة . وعلى المعلم أن يكتب هذه التعبيرات التى يصوغها الأطفال على السبورة ويطلب إلى كل طفل أن يكتب كل تعبير فى كراسته وأن يكتب الضمة فوق آخر الكلمة التى تدل على الفاعل ، وأن يكتب الفتحة فوق آخر الكلمة التى تدل على المفعول به .

وعندما يجيد الأطفال فهم الفرق بين الفاعل والمفعول به ، والفرق بين الضمة والفتحة ، فعلى المعلم أن يدربهم بعد ذلك على تغيير مواقع الكلمات بحيث تتغير وظيفة الكلمة من فاعل إلى مفعول به تبعاً لتغير موقعها وحركتها الإعرابية والمثالين التاليين يوضحان هذه الفكرة : —

سبق الكلب القط .

سبق القط الكلب .

فالفاعل فى المثال الأول هو الكلب وهو مرفوع بالضمة التى تبين أنه الفاعل ،

والمفعول به هو القط وهو منصوب بالفتحة التى تبين أنه المفعول به . وعندما غيرنا موقع الفاعل والمفعول به وتغيرت الحركات الإعرابية تبعاً لذلك ، أصبح القط فى المثال الثانى هوالفاعل وأصبح مرفوعا بالضمة التى تبين أنه الفاعل ، وأصبح الكلب هوالمفعول به وهو منصوب بالفتحة التى تبين أنه المفعول به .

٧ ـ المرحلة السابعة : الحروف الهجائية وأشكالها المختلفة .

تبدأ الخطوة الأولى فى تعليم الحروف الهجائية بأن يختار المعلم ٢٨ كلمة من الكلمات التى تعلمها الأطفال فى المراحل السابقة بحيث تحتوى كل كلمة من هذه الكلمات على حرف من الحروف الهجائية الـ ٢٨ الذى يكتب منفصلا غير متصل بالحروف الأخرى مثل : واحد لحرف الألف ، ونا ب لحرف الباء ، ونبات لحرف التاء . وهكذا بالنسبة للحروف الهجائية الأخرى . ثم يكتب هذه الكلمات تحت بعضها فى صفحة مستقلة فى جدول يحتوى العمود الأول منه على هذه الكلمات التى تبدأ بحرف الألف وتنتهى بحرف الياء ثم يحتوى العمود الثانى على الحرف الهجائى المقابل لكل كلمة وفقاً للنظام التالى :

| الكلمة | الحرف المنفصل | اسم الحرف |
|---|---|---|
| واحد | ا | ألف |
| باب | ب | باء |
| نبات | ت | تاء |
| — | — | — |

ثم يطالب المعلم من كل طفل أن ينقل هذا الجدول فى كراسته ثم يدربهم على اسم الحرف وطريقة نطقه باعتبار أن لكل حرف اسما يرمز إليه ويدل عليه كما يدل على ذلك العمود الثالث فى الجدول السابق .

وتلى الخطوة الأولى الخطوة الثانية وفيها يتعلم الطفل تغير شكل الحرف المتصل تبعاً لتغيير موقعه من الكلمة فى الأول وفى الوسط وفى آخر الكلمة وعلى المعلم أن يختار من المحصول اللفظى الذى تعلمه الطفل فى المراحل السابقة الكلمات التى تحتوى على حرف ما من الحروف الهجائية متصلا بغيره من الحروف فى أول الكلمة ووسطها وآخرها ، وأن ينشئ لذلك جدولا خاصا مثل الجدول التالى بحيث يحتوى هذا الجدول على جميع حروف الهجاء من الألف إلى الياء ، ويجب أن يشترك الأطفال اشتراكاً إيجابياً مع المعلم فى ملء خانات هذا الجدول .

| الحرف المنفصل | فى أول الكلمة | شكله | فى وسط الكلمة | شكله | فى آخر الكلمة | شكل الحرف |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ب | باب | بـ | نبات | ـبـ | طب | ب |
| — | — | — | — | — | — | — |

وتلى الخطوة الثانية الخطوة الثالثة وفيها تصل عملية تعلم الحروف الهجائية إلى مستوى التعميم فيستنتج الطفل مع معلمه الجزء المشترك الذى يبقى بالرغم من تغير مواقع الحرف المتصل فى أول الكلمة ووسطها وآخرها ، فمثلا الجزء المشترك بين الأشكال المختلفة لحرف الباء هو ( ﺑ ) والجزء المشترك لحرف التاء هو ( ﺗ ) وهكذا بالنسبة للحروف الأخرى .

وتلى الخطوة الثالثة الخطوة الرابعة والأخيرة وفيها يتعلم الطفل ترتيب الحروف الهجائية لأهمية هذا الترتيب مستقبلا فى الكشف عن الكلمات الصعبة فى المعاجم اللغوية .

وبانتهاء الخطوة الرابعة تنتهى المرحلة السابعة ، مرحلة تعلم الحروف الهجائية ، وأشكالها وترتيبها .

**(هـ) الدراسة التجريبية للطريقة التكاملية :**

كل طريقة جديدة تتطلب دراسة تجريبية دقيقة قبل تعميمها . ويعتمد نجاح هذا التعميم على دقة النتائج التى تكشف عنها الدراسة التجريبية .

ويجب أن يشتمل التصميم التجريبى لدراسة الطريقة التكاملية على الأبحاث التالية :

١ ـ تحديد المدى الزمنى المناسب لكل مرحلة من مراحل الطريقة التكاملية بالنسبة للذكور والإناث من التلاميذ الصغار ، والدارسين الكبار فى فصول مكافحة الأمية وتعليم الكبار .

٢ ـ تحديد العمر الزمنى المناسب لكل مرحلة بالنسبة للذكور والإناث من التلاميذ الصغار .

٣ ـ الكشف عن النسبة المئوية لمستوى صعوبة كل مرحلة وبالنسبة للذكور والإناث من التلاميذ الصغار والدارسين الكبار فى فصول مكافحة الأمية وتعليم الكبار ، تمهيداً لتثبيت ترتيب المراحل كما حددها المشروع الراهن ولإعادة ترتيبها فى ضوء ماتسفر عنه نتائج مستويات الصعوبة .

٤ ـ دراسة مقارنة للطريقة التكاملية والطرق المتبعة حاليا فى تعليم اللغة العربية على أن تعتمد هذه الدراسة على المجموعات الضابطة والمجموعات التجريبية بالنسبة للذكور والإناث من التلاميذ الصغار والدارسين الكبار فى فصول مكافحة الأمية وتعليم الكبار .

**فؤاد البهى السيد**

رأى جديد من قديم..

# المؤنث كالمذكر فى ألقاب المناصب والأعمال

للأستاذ محمد شوقى أمين

١ – فى عصرنا الحديث ، تاح للمرأة أن تلى من المناصب وتمارس من الأعمال مالم يكن للنساء حظ منه إلا فى الندرة ، إذ كان فى الأغلب الأعم موقوفا على الرجال ، وأصبح من أثر ذلك أن ظهرت الحاجة اليوم إلى وصف المرأة : بلقب المنصب الذى تليه ، أو اسم العمل الذى تمارسه ، وذلك كالأستاذ والعضو ، وكالوزير والرئيس والطبيب ، وكالمدير والمحامى والنائب .

ولما كان نهج العربية مطابقة الصفة لموصوفها ، جرى القول بضرورة إلحاق علامة التأنيث بالكلمات الوصفية ، إذا أطلقت على النساء :

وقد تساءل بعض ذوات المناصب والأعمال كما تساءل غيرهن من الرجال : لماذا يتغير اسم المنصب أو العمل إذا أسند إلى المرأة ؟ ولماذا لاتتحقق المساواة بين المرأة والرجل فى الوصف والتلقيب ، كما تحققت المساواة أو كادت فى ولاية المناصب ومراس الأعمال ؟

ألا يجوز فى العربية أن يقال : هذه رئيس مجلس الإدارة ، ومدير العمل فلانة ، ونحو ذلك على اختلاف الأسماء والألقاب ؟

والذين يثيرون هذا التساؤل من النساء والرجال ، يقولون إن اللغات الأجنبية فيها من الكلمات مالا تتغير فيه صيغة المذكر حين إجرائها على المؤنث ، إذا كانت الصفة مما يكثر فى الرجال : ويقررون أن الإنجليزية مثلا لاتكاد تفرق بين مذكر ومؤنث فى الكلمات التى تصف المناصب والأعمال ، وأن الفرنسية فيها الكثير من الكلمات على هذا الغرار ، كالبروفيسور ، والدكتور ، والمؤلف ، والعاشق .

٢ – فإذا رجعنا إلى اللغة نستخبرها فى ذلك ، بان لنا أن الأمر فيه بيان :

أولا :

الغالب فى الأسماء الجامدة ألا نلحقها علامة التأنيث ، إن وصف بها المؤنث ، ويذكر

اللغويون من الأمثلة اسم « الإمام » ، فهو يطلق على الذكر والأنثى ، على أنه ربما أنث بالهاء ، فقيل : امرأة إمامة ، ويرى بعضهم أن الصواب حذفها ، لأن الإمام اسم لا صفة .

وإذا أعملنا فى اسم « الأستاذ » القاعدة الغالبة فى الأسماء الجامدة ، قلنا : إن الشأن فيه ألا تلحقه علامة التأنيث ، لأنه اسم جامد ولم يسمع التأنيث فى تعريبه .

على أنه يسعنا القول بإجازة تأنيث الأسماء الجامدة ، تأسيسا على أنها وضعت موضع الصفات ، وقد صرح « ابن جنى » بأن تأنيث الأسماء متى أجريت مجرى الصفات جائز ، ومن قوله : « إن العرب إذا نقلت شيئا من موضعه إلى موضع آخر مكنته فى الثانى » .

وضرب لذلك أمثلة ، ثم قال : « إن هذه الأشياء كلها أسماء فى أصولها ، ولما نقلتها العرب إلى أن وصفت بها ، مكنتها ، حتى أنثتها تأنيث الصفة ، وأجرتها على ماقبلها جريان الصفات على موصوفها » .

كذلك يقال فى اسم « العضو » إنه اسم جامد استعمل استعمال الصفة ، فالغالب فى قاعدة مثله ألا تلحقه تاء التأنيث ، إذ لم يرد السماع به . ولكن هذا يسهل دفعه بما يراه « ابن جنى » من طرد إجازة التأنيث فى المصادر المستعملة أوصافا وفى الأسماء الجامدة فى أصولها ، إذا وصف بها . ومما يؤيد ذلك النظر أن اسم العضو له رديف هو « الشلو » وقد سمع فيه « شلوة » ، وليس من التكلف أن يعامل المرادف معاملة رديفه ، حملا للنظير على النظير .

هذا فيما يخص الكلمة إذا كانت اسما جامدا ، ويخلص لنا منه أن كلمة «الأستاذ» وكلمة «العضو» لاتلحقهما علامة التأنيث حين يوصف بهما مؤنث ، وذلك هو الأقيس والأفصح ، ولا مانع من دخولها عليهما بتخريج مقبول ، هو استعمالها استعمال الصفة ، فتعاملان بهذا الاعتبار .

وبهذا يتسنى لمن بلغت درجة الأستاذية ، أو نالت شرف العضوية من النساء ، أن يقال فيها إنها أستاذ أو عضو ، دون دخول علامة التأنيث .

ثانيا :

الكلمات الأخرى ، كالرئيس والوزير والمدير والطبيب والمحامى والنائب ، إنما هى أوصاف لمناصب وأعمال ، متعارفة فى الرجال . فهل تعرف العربية نوع هذه الكلمات التى توصف بها مناصب وأعمال تندر أو تقل فى النساء ، وتجيز ألا تلحقها علامة التأنيث إذا أطلقت على المؤنث ؟

والجواب أن فى العربية أمثلة من هذا الباب ، كالإمام والأمير والعامل والوصى والوكيل والشاهد والمؤذن والطبيب والحسيب ، وكلها صفات ، ما عدا « الإمام » .

فأما كلمة « الإمام » فقد رأينا أن الأصل فيها إطلاقها على المذكر والمؤنث ، وربما جاز تأنيثها ، على الرغم من اسميتها ، بشفاعة الوصف بها .

وأما كلمات الأمير والعامل والوصي والوكيل والشاهد والمؤذن والطبيب والحسيب وهي من الصفات ، فقد كفانا القول في الستة الأولى منها « ابن السكيت » في كتاب « المقصور والممدود » ، إذ يقول فيما نقله صاحب « المصباح » عنه في مادة «أمم» :

« تقول العرب : عاملنا امرأة ، وأميرنا امرأة ، وفلانة وصي فلان ، وفلانة وكيل فلان ، وإنما ذكر لأنه إنما يكون في الرجال أكثر مما يكون في النساء ، فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على الأكثر في موضعه ، وأنت قائل : مؤذن بني فلان امرأة ، وفلانة شاهد بكذا ، لأن هذا يكثر في الرجال ، ويقل في النساء ، وقال تعالى : « إنها لإحدى الكبر ، نذيرا للبشر ، فذكر « نذيرا » وهو « لإحدى» . وليس بخطأ أن تقول : وصية ووكيلة بالتأنيث ، لأنها صفة للمرأة إذا كان لها فيه حظ ، وعلى هذا فلا يمتنع أن يقال : امرأة إمامة ، لأن في الإمام معنى الصفة » .

وقد نقل « الخفاجي » في « شفاء الغليل » طرفا مبتسرا من نص « ابن السكيت » في كلمة « وصي » ، وعلق عليه بقوله : « ليس في كلامه ما يدل على أنه سماع أو قياس » .

ولما تناول الشيخ « محمد على النجار » بحث كلمة « أستاذ » في كتابه « لغويات » ذكر في بحثه مايدل على أنه اطلع على ذلك القدر المبتسر الذي أشار إليه « الخفاجي » ولم يقره على تعليقه ، فرد عليه بقوله : « إذا عرفنا أن « ابن السكيت » من الذين يتوسعون في القياس على شاهد واحد ، ترجح عند الناظر أنه يقول بالقياس ،وقد ورد أكثر من شاهد. لاسيما وله مُدْرَك معقول » .

بقيت الكلمتان : الحسيب ، والطبيب ، فقد أورد لهما « النجار » في بحثه المشار إليه شاهدين ، فشاهد الحسيب قوله تعالى : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

فإن « حسيبا » يجرى على النفس ، وذكر لأن الحساب مما يتولاه الرجال .

وشاهد الطبيب قول الشاعر :

أمخترمي ريب المنون ولم أزر
طبيب بني أود على النأى زينبا

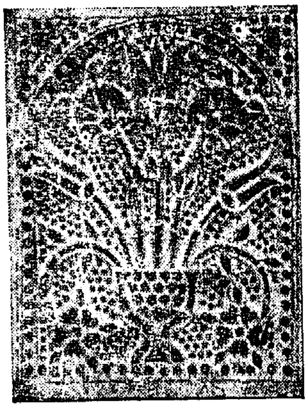
٣ — ويخلص لنا من ذلك كله أنه لاتثريب على من يشاء إبقاء أوصاف المناصب والأعمال التي تغلب على الرجال وتقل في

النساء على حالها من التذكير ، دون إلحاق علامة التأنيث بها حين يطلق الوصف على المرأة ، ولنا فى ذلك أنس بمأثور اللغة ، وتخريج من خرجه من جهابذتها الذين أحاطوا بها خبرا .

وعلى هذا يسوغ لـ « مجمع اللغة العربية » أن يعرب فى شأن الكلمات التى توصف بها المناصب والأعمال المتعارفة فى الرجال الغالبة عليهم — عن إجازة إطلاق هذه الكلمات على النساء إذا تولين موصوفاتها ، دون إلزام بإلحاق علامة التأنيث بها ، سواء أكانت تلك الكلمات أسماء فى أصولها أم كانت صفات .

وإنه رأى جديد، من قديم ، كما ترى!

**محمد شوقى أمين**



# المصطلح الجيولوجي

للدكتور محمد يوسف حسن

جيولوجيا

جيولوجيا ؛ كلمة من مقطعين إغريقيين : الأول « -Ge » أى الأرض ؛ والثانى « Logos » أى الكلام أو المنطق . وقد نشأت الكلمة أصلا عند الإغريق فأطلقوها على كل مبحث يختص بالأرض ، ثم اشتهر استعمالها عند الرومان ، غير أن معناها تخصص عندهم فاقتصر على حرفة تحديد مساحات الأراضى والحيازات ووسائل إثبات ملكيتها . وكان المتخصصون فى هذا المجال عندهم يدرسون القانون أساسا ، وشيئاً من علم المساحة يمكنهم من ممارسة أعمالهم بدقة وكفاءة . وقد أدى هذا الاتجاه إلى تحريف المدلول الأصلى للكلمة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت كلمة « جيولوجيا » عندهم مرادفة لمهنة « المحاماة » ، وكان الجيولوجى عندهم هو المحامى المتخصص بالذات فى النزاعات على ملكية الأراضى . وظل هذا المفهوم لكلمتى : جيولوجيا وجيولوجى شائعاً فى أوروبا خلال العصور الوسطى وجانب من عصر النهضة .

أما المفهوم الحديث لكلمة جيولوجيا بمعنى العلم الطبيعى المختص بدراسة الأرض : جرما سماوياً من حيث أصلها ونشأتها وتطورها ، وبيئة بشرية من حيث تركيبها الطبيعى والكيميائى ، وبنيانها ، والحوادث التى مرت بها وتاريخ الحياة عليها ، وتوزيع ثرواتها وكنوزها من المعادن والوقود الطبيعى ؛ فقد نشأ فى خلال القرن الثامن عشر فقط فى أوروبا . واطرد تناول هذا المفهوم حتى اليوم ليرسم حدودا واضحة لعلم مستقل بذاته ، قائم بأركانه .

وقد دخل لفظ «جيولوجيا» اللغة العربية مع دخول النهضة العلمية وإنشاء الجامعات فى مصر وغيرها من البلاد العربية . وحاول المشتغلون من العرب بهذا العلم والمترجمون لكتبه الأوروبية فى صدر هذا القرن وأواخر القرن الماضى وضع كلمة عربية أصيلة مرادفة لكلمة « جيولوجيا » بمدلولها العصرى الذى سبقت الإشارة إليه ؛ فمنهم من قال : « علم الأرض » ، ومنهم من قال « علم طبقات الأرض » ؛ والتزم بعضهم باللفظ الأوروبى معرباً ؛ وأشهر هؤلاء المغفور له الدكتور حسن صادق ( ١٨٩١ — ١٩٤٩م) أول مدير مصرى للمساحة الجيولوجية المصرية وصاحب أول كتاب علمى عصرى باللغة العربية فى هذا المجال ، وهو كتاب « الجيولوجيا » الذى صدرت الطبعة الأولى منه فى عام ١٩٢٩م— القاهرة .

ومع اهتمام مجمع اللغة العربية بالمصطلحات العلمية فى هذا القرن اختلفت الآراء ، وثار الجدل حول تعريب الكلمة أو ترجمتها . وكان من أقطاب هذا الجدل المغفور لها الأستاذان أحمد لطفى السيد وعباس محمود العقاد وبعض خبراء الجيولوجيا فى المجمع . وانتهى الجدل فى الخمسينيات الأخيرة بأن أقر مجلس المجمع تعريب الكلمة « جيولوجيا » وفضله على ترجمتها ، وذلك لاتساع المعنى الذى يفهم من « علم الأرض » حتى إنه ليشمل معظم العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ، ولضيق المعنى الذى يفهم من « علم طبقات الأرض » حتى أنه ليقتصر على جزء فرعى من علم الجيولوجيا يختص بدراسة تتابعات الصخور الرسوبية وحسب . وبذلك أخذت كلمة « جيو لوجيا» أخيرا فى مجال اللغة العربية اعترافاً رسمياً ودخلت فى زمرة المعرب منها .

وبصرف النظر عن هذا الجدل وعن اختلاف المعنى العصرى عن المعنى القديم لكلمة « جيولوجيا » ، فان ذلك المجال من العلم الطبيعى الذى تحدده الكلمة بمعناها العصرى قد مارسه القدماء منذ أقدم عصور الحضارات . فقد عرفه المصريون القدماء ثمرة من ثمرات تجوابهم الصحراء والجبال تنقيباً عن معادن الذهب والمنجنيز والنحاس والأحجار الكريمة كالفيروز والزمرد والزبرجد ، وبحثاً عن محاجر صخور البناء والزينة . وقد كانوا عمالقة التاريخ غير منازعين فى البناء والنحت والزخرفة والفن ، ناهيك عما خلفوه من آثار عديمة النظائر من الأهرام والمقابر والمسلات والتماثيل والمعابد شيدت أوقدت من أفخر الأحجار كالجرانيت والسماقى والديوريت والرخام والبسطى وحجر الجير وحجر الرمل ، ناهيك كذلك عما تركوه مما نعرفه ومما لا نعرفه بعد من القناطير المقنطرة من الذهب من حجرات وتوابيت وأثاث وأدوات وحلى وعملة وغير ذلك ، وعما ابتدعوه من أكحال ومساحيق للزينة وطلاءات مستخرجة مما تزخر به الصحراء من خامات طبيعية . ولا بد أنه كانت لهم فى هذه الفنون أوراق ومؤلفات ووثائق بخل التاريخ باظهارنا على أكثرها ، ولكن أقل ما يقال فيما سمح التاريخ بكشفه لنا وخلد به ذكر هؤلاء القدماء فى مجال علم الجيولوجيا تلك الخارطة القديمة والأولى من نوعها فى التاريخ والمأثورة من عهد الأسرة الحادية والعشرين إبان ملك رمسيس السادس ، والتى تبين توزيع الصخور المختلفة بالألوان فى منطقة الفواخير بجنوب الصحراء الشرقية ، كما تبين تخطيط واتجاهات الطرق المؤدية إليها

والمنبثة فيها وأماكن معادن الذهب والأحجار النفيسة بها . وهى بذلك تعد أول خارطة جيولوجية صممت ورسمت فى التاريخ . وتسمى البردية المدونة عليها هذه الخارطة باسم « بردية تورين(*) » وأصلها محفوظ فى متحف تورين بايطاليا .

وكان للاغريق أيضاً باع طويل فى مجالات علم الجيولوجيا ، لكن إنتاجهم فيها كان يختلف فى طبيعته عن إنتاج المصريين القدماء الذى كان يتسم بالنظرة العملية والاقتصادية الهادفة إلى استغلال كنوز الثروة الأرضية . أما الإنتاج الإغريقى فكان ذا طبيعة نظرية وفلسفية أو ما نسميها الآن طبيعة أكاديمية . ولسنا فى حاجة إلى التعريف بما جادت به قريحة أرسطو المعلم الأول للانسانية فى إثبات كروية الأرض ، وفى تعليل حدوث الزلازل وثوران البراكين والتدليل على طبيعة باطن الأرض . ويحدثنا التاريخ عن أن كثيرا من فلاسفة الإغريق كانوا يقضون شطرا من حياتهم على ضفاف النيل فى مصر ليأخذوا العلم من مناهله الأصيلة هناك . وكان هيرودوت ( ٤٨٤ — ٤٢٥ ق. م ) المؤرخ والرحالة الإغريقى الأشهر من بين هؤلاء . وقد أفاد من مشاهداته فى رحلاته بشمال أفريقية وتنقيبه فى آثار الأقدمين فى مصر خبرات جيولوجية واسعة مكنته من وضع أشهر نظرية أساسية فى علم الجيولوجيا ما زالت تؤلف قوام الفكر الاستراتجرافى فى هذا العلم حتى اليوم ، وهى نظرية « الأصل البحرى لجبال الصخور الرسوبية « أو ما يعبر عنها أيضاً بنظرية » « إغارة البحار على اليابسة وتراجعها عنها » .

وأما العرب فكانوا — ولا مراء — أعظم من أرسى الأسس الحقيقية لهذا العلم من الأقدمين وأغزرهم فيه إنتاجاً فى كلتا الناحيتين الأكاديمية والعملية التطبيقية وإن لم يطلقوا على هذا المجال من العلوم لفظا مستقلا خاصاً به . وعلى هذه الأسس — كما هو معروف بالنسبة للعلوم الأخرى كالطب والرياضة والفيزيقا والكيمياء — قامت النظريات والنهضة العلمية الأوروبية الحديثة فى هذا العلم مع بداية القرن الثامن عشر .

وقد اتسمت النهضة العلمية العربية فى القرون الوسطى بأنها كانت ذات جانبين : جانب نقل عن علوم القدماء وترجمة لكتبهم ، وجانب يمتاز بالبحث المبتكر والملاحظة المستقلة الأصيلة والإضافات الجديدة . أما الجانب الأول فأعلامه من أمثال يوحنا ابن ماسويه ولوقا بن إسرافيون وغيرهما . وقد نقلوا فيما نقلوا إلى العربية مما ألفه الإغريق خاصة كتب أرسطو فى المعادن والأحجار وغيرها من الكتب عن الأرض والطبيعة . وأما الجانب الثانى فأعلامه فى مجال الجيولوجيا

* " منجم الذهب فى بردية تورين " بقلم ج. و. موراى : مجلة المجمع العلمى المصرى ، ج ٢٦ ، سنة ١٩٤٢ ، ص ( ٨١ — ٨٦ ) وخارطة .

علوم المعادن والأحجار والخامات والجبال والطبقات والحفريات والعوامل الطبيعية والمياه الأرضية . . الخ ) فأكثر من أن يتسع المجال هنا لحصرهم . ومن مشاهير أعيانهم : الكندي والجاحظ وابن سينا والبيروني والتيفاشي والقزويني والكتبي الشهير بالوطواط وابن الأكفاني وعلماء من جماعة إخوان الصفا وغيرهم . . . ونرجو أن يتاح الوقت وإمكانات النشر لتناول ما أضافه أشهر مشاهيرهم في مقالات قادمة بإذن الله .

وقد كانت اللغة العربية دائما طوع أقلام هؤلاء العلماء في مجال الجيولوجيا كما كانت في مجال غيرها من العلوم الطبيعية : غير أنها في مجال الجيولوجيا كانت أكثر خصبا ومواتاة . فالجيولوجيا علم الأرض بما فيها من جبال ، وصخور ومعادن وأحجار كريمة وعيون وآبار وزلازل وبراكين وغير ذلك ، وما البيئة العربية الأصيلة في الجزيرة وبعد ذلك في أرجاء الامبراطورية العربية الواسعة بعد ظهور الإسلام إلا مزيج من معظم هذه المعالم والظواهر والجواهر التي ابتكر لها العرب الأقدمون الأسماء والمرادفات والأوصاف التي تكاد تعجز الحصر والتي تعج بها معاجم اللغة الكبرى .

وقد أسرفت اللغات الأوروبية في عصر النهضة في الاستعارة من الأصول اليونانية واللاتينية لوضع مصطلحات الجيولوجيا ، بل كانت تستعير الكلمات من اللغات الشرقية ومن العربية بالذات لتسد العجز في مفرداتها المناسبة للتأليف في هذا المجال كما سنورد في بعض الأمثلة بعد قليل : أما في إبان النهضة الحديثة لتعريب العلم في مصر والعالم العربي ، فان اللغة العربية اعتمدت في مجال علم الجيولوجيا اعتمادا يكاد يكون تاما على ذخيرتها من الألفاظ الأصيلة أو المعربة الموغلة في القدم في تاريخها، اللهم الا في النذر اليسير جدا من المصطلحات ذات الأصل الأغريقي أو اللاتيني الذي لم يكن الابقاء عليه الا من أجل حفظ الروابط مع ما كتب من علم متقدم باللغات الأوروبية :

وفي خلال ربع القرن الأخير لم يستعص على علماء الجيولوجيا المعاصرين المؤمنين بحركة تعريب العلوم العثور على الدرر الكامنة في بحر اللغة العربية الزاخر مما يناسب جل ما يريدون نقله إليها من مصطلحات : وقد بلغ ما نقله أعضاء مجمع اللغة العربية وخبراء الجيولوجيا به من المصطلحات الجيولوجية في خلال هذه المدة ما ينيف على الخمسة آلاف نشر منها المجمع في عام ١٩٦٤ نحوا من ألف وخمسمائة مصطلح في معجم جيولوجي خاص : والمجمع الآن بصدد اعداد معجم جيولوجي وافر يضم أكثر من خمسة آلاف مصطلح معرف تعريفا علميا كاملا . وقد اكتشف القائمون بهذا العمل أن قدرا غير قليل من هذه المصطلحات المراد نقلها إلى العربية « بضاعة عربية » أصلا آن الأوان لردها إلى أصحابها .

ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتى :
طلق = Talc ، عقيق = Agate ، عرق = Erg ، فرفيرى = Porphyry ، لابة = Lava ، جرول = Gravel ، خلقدونى = Chalcedony ، يشب = Jasper ، سيف = Seif ، رق = Reg ، مرمر = Marble الخ . . .

وما زال فى أحشاء بحر العربية ثروة زاخرة من درر المفردات المتنوعة فى الأبواب المختلفة من الجيولوجيا يمكن الاستعانة بها فى النقل والتأليف ، وسنعرض ان شاء الله لذلك تفصيلا فى مقالة قادمة ، وفيما يلى بعض أمثلة فقط من باب التوضيح لا الدرس والاحاطة :

— فى باب المادة الأولية للصخور : القطر — اللابة — الحرة .

— فى باب مادة الغلاف الصخرى للأرض : المعدن — الجوهر — البلور — الحجر — الصخر — الأديم — التربة .

— فى باب الكسارة والحطام الصخرى : الرمل — الحصى — الجرول — الحصباء الركام — الطمى — الغرين — الطين — الرذغ — الصلصال — الحمأ — الابليز .

— فى باب طبيعة الأرض : الكديد — الراهصة — المرمريس — الحزن — السهل — السهب — العرق .

— فى باب أحجام الكسارة الصخرية : الحبة — الحصوة — الفهر — الجلمود .

— فى باب المرتفع والمنخفض من الأرض : الجبل — التل — التلعة — القمة — القلة — السفح — الخانق — الأخدود — الوادى — الجرف — السهل . .

— فى باب الرمال والريح : التذرية — السفى — النيم — الدرج .

— فى باب المياه الأرضية والجارية : العين — البئر — الجدول — النهر — الرافد — السيل — النز . .

— فى باب الهيئات الحقلية للصخور : الجدة — العرق — الوتد — الراسخ .

— فى باب الحركات الأرضية ومعالمها : الميد — الرج — الدسر — الطى — الصدع — الخسف .

— فى باب هيئات التجمعات الرملية : الكثيب — القوز — العقنقل .

— فى باب أسماء المعادن والصخور : المرو — البلور — العقيق — الرخام — المرمر — الجزع — الصوان — الظران — الطلق — الزبرجد — الزمرد — الياقوت — الهيصم البلق .

**محمد يوسف حسن**

## في القرآن والعربية :

# دراسة في صيغتي "فعل وأفعل"

للدكتور أحمد علم الدين الجندي

لم تتفق القبائل العربية على استعمال وزن « أفعل » بالهمزة ، فقد جاء في اللسان : أراقه وهراقه – على البدل عن اللحياني ، وعزاها إلى اليمن ، ثم فشت في مضر[1] . « ويفهم من رواية اللحياني أن صيغة (هفعل) كانت أصلا في اللغات العربية الجنوبية ، ولكنها ظهرت في مناطق جغرافية أخرى حيث ظهرت في اللحيانية القديمة[2] ، ثم في الكنعانية القديمة والمؤابية ، وبعض اللهجات الآرامية[3] .

كما ورد في العربية الفصحى أيضا وزن ( هفعل ) بدل ( أفعل ) فقد جاء عن الكسائي « أرحت دابتي ، وهرحتها[4] » ، كما حكى عنهم ( هرقت[5] ) والأصل : أرقت . وفي شعر امرئ القيس :

« وإن شفائي عبرة مُهَرَاقة[6] » .

كما ظهر قلب الهمزة هاء في طيء في « إن » الشرطية حيث يقولون : هن فعلت[7] . كما كانت طيء تقول أيضا « هزيد فعل ذلك » في : أزيد[8] . « وهذا التعاقب بين الهمزة والهاء يعلل لنا التعاقب بين وزني (أفعل وهفعل) لأن الهمزة والهاء حلقيتان . وهذا يؤكد أن العربية كغيرها من الساميات استخدمت الهمزة والهاء في هذا الوزن ، ثم فضلت العربية الهمزة بعد ذلك معرضة عن الهاء لأسباب تتفق وطبيعتها اللغوية[9] ، وكما

---

( ١ ) اللسان : ١١-٤٢٨

( ٢ ) لغات النقوش العربية : ١٢ دكتور مراد كامل .

( ٣ ) انظر : وزن أفعل : دكتور خليل يحيى نامى .

( ٤ ) إبدال أبي الطيب : ٢-٥٧٠

( ٥ ) ليس في كلام العرب : ٧٢ ، المفصل : ٣٦٩ ، الأمالي : ٢-٦٨ للقالي .

( ٦ ) شرح المعلقات السبع : ٨

( ٧ ) شرح الشافية : ٣-٢٢٣ ، اللسان : ١٦-١٧٨

( ٨ ) اللسان : ٢٠-٣٧٣

( ٩ ) وزن أفعل : دكتور خليل نامى .

فعلت العربية ، فعلت اللحيانية حيث أخذت صيغة ( أفعل ) بالهمزة تظهر فيها بعد أن أعرضت عن وزن ( هفعل[1] ) .

والآن نتوجه إلى بحث اختيار القبائل العربية لأحدهذين الوزنين (فعل وأفعل) :

١ — أورد صاحب المصباح أن « جزى » يجزى جزاء — من غير همز — لغة الحجاز كما نسب « أجزأ » بمعناه أيضا— إلى تميم[2] . وفى اللسان أن النبى (ص) قال لأبى بردة حين ضحى بالجذعة « تَجزى عنك، ولا تَجزى عن أحد بعدك» وهو كما قال الأصمعى « مأخوذ من قولك « قد جزى عنى هذا الأمرُ يجزى عنى[3] » وهذا يقوى أن الحجاز تقوله— مجردا ، لأن النبى (ص) من تلك البيئة ، ونقل ابن منظور أنهم يقولون « جزت عنك شاة وأجزت — بمعنى[4] » .

٢ — كما ورد أن ( سحت ) مجردا لغة الحجاز ، وأسحت — لغة تميم ، وأورد أبو حيان شاهدا للهجة تميم من قول الفرزدق[5] وإذا التفتنا إلى كتاب الله وجدنا أن حمزة ، والكسائى وحفصا والأعمش يقرؤن — « فيسحتكم بعذاب » بضم الياء وكسر الحاء من أسحت — رباعيا ، على حين قرأ باقى السبعة . . . . بفتحها من ( سحت ) ثلاثيا[6] . والقراء السابقون يمثلون البيئة الكوفية تلك التى تأثرت بقبائل شرق الجزيرة كتميم. وقد وجه ابن خالويه فى مخطوطة الحجة القراءتين — ولم يعزهما[7] .

٣ — ورد فى المزهر نقلا عن يونس فى نوادره : أن الحجاز يقولون: لاته[8] عن وجهه — يَلِيته ، وتميم: ألاته — يُليته[9] ، وقد وردت اللغتان فى قوله تعالى : (لايلتكم من أعمالكم شيئا[10]) ، وقرأ على اللهجتين الحجازية والتميمية كثير من القراء[11] .

٤ — كما نقل ابن منظور : مضّنى الجرح وأمضنى : آلمنى وأوجعنى ، كما نقل أبو عبيدة الصيغتين عن العرب : مضنى وأمضنى . وقال : « أمضنى كلام تميم[12] » وورد لها شاهد وهو قول سنان بن محرش :

( من الحلوء صادق الإمضاض[13] )

---

( ١ ) لغات النقوش العربية : ١٢ دكتور مراد كامل .
( ٢ ) المصباح : ١-١٥٧ ( ٣ ) اللسان : ١٨-١٥٩
( ٤ ) المرجع السابق . ( ٥ ) البحر : ٦-٢٤٤
( ٦ ) الإتحاف : ٣٠٤ ، البحر : ٦-٢٤٥
( ٧ ) الحجة لابن خالويه : ورقة ٩٦ مخطوطة بدار الكتب .
( ٨ ) لاته : نقصه . ( ٩ ) المزهر : ٢-٢٧٦ (١٠) سورة الحجرات آية : ١٤
(١١) الإتحاف : ٣٩٨ (١٢) اللسان : ٩-١٠١ (١٣) المرجع السابق .

٥ ـ كما عزا أبوحيان صيغة ( مرج ) بمعنى خلط إلى لهجة الحجاز ( وأمرج ) عزاها إلى[١] نجد ، وذلك بمناسبة تفسيره لقوله تعالى « وهو الذى مرج البحرين[٢] » .

٦ ـ وعزا أبوحيان : فتن ـ إلى الحجاز بينما لغة تميم : أفتن[٣] . كما قرأ عيسى بن عمر « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى[٤] » بضم التاء الأولى من أفتن وعزاها أبوحاتم إلى تميم[٥]. وقد جاء فى اللسان أن أعشى همدان جاء باللغتين فى قوله :

لئن فتنتنى لَهِىَ بالأمس أفتنت
سعيدا فأمسى قد قلا كلَّ مسلم

وعلى الرغم من أن الأدلة شاهدة على صحة أفتن ـ المزيدة ، والمنسوبة إلى تميم بشهادة قول رؤبة :

( يُعرضن إعراضاً لدين المفتن ) وقوله :

( وإنى وبعض المفتنين . . . . )[٦] .

الا أن الأصمعى قد أنكرها ، وقال عن بيت الشاهد فى شعر الأعشى « إنه مخنث » وأبو زيد قد أجازها[٧] .

ولعل السبب فى إنكار الأصمعى لها أنه كان يتشدد فى اللغة وأنه كان يفرق بين الصحيح والأصح ، ويذهب فى معظم أمره مذهب الأفصح فى كلام العرب ـ أما أبوزيد فقد كان يقبل جميع ماجاء عن العرب ، ويذهب فيه مذهب الصحة والصواب . وهما نظرتان مختلفتان . ومهما كان فإن الأصمعى بتضييقه فى اللغة قد أنكر قراءة مروية وهى التى قرأ بها عيسى بن عمر فى الآية السابقة . ويظهر أن هذا كان من طبع الأصمعى ، ومما يؤيد ذلك أنه كان ينكر ما يأتى به الكميت ، حدث أبوحاتم قال « قلت للأصمعى أتجيز إنك لتُبرق لى وتُرعد؟ فقال : لا، إنما هو تَبرق وتَرعدُ، فقلت له : فقد قال الكميت :

أبرق وأرعد يا يزيـ
ـد فما وعيدك لى بضائر

فقال : هذا جرمقانى(*) من أهل الموصل ، ولا آخذ بلغته ، فسألت عنها أبا زيد الأنصارى فأجازها[٨] » وهذا إن دل فإنما يدل على مذهب الأصمعى فى ولعه بأجود اللغات وزده ليس كذلك ، وما رده الأصمعى

---

( ١ ) البحر : ٦-٤٧٨
( ٢ ) سورة الفرقان : آية : ٥٣
( ٣ ) البحر : ٣-٣٣٩ ، النهر الماد : ٣-٣٣٨
( ٤ ) سورة التوبة آية : ٤٩
( ٥ ) البحر : ٥-٥١
( ٦ ) اللسان : ١٧-١٩٤
( ٧ ) الخصائص : ٣-٣١٥ ، اللسان ١٧-١٩٤
( ٨ ) الخصائص : ٣-٢٩٣.
( * ) الجرامقة : طائفة من الكلدانيين ، وهم السريانيون .

صحيح فى اللغة ، بدليل أنهم احتكموا إلى أعرابى فى ذلك حين سأله أبو زيد « كيف تقول إنك لتبرق لى وترعد ؟ فقال له الأعرابى : أفى الحخيف تعنى ؟ أى التهدد . فقال : نعم ، فقال الأعرابى : إنك لتبرق لى وتُرعد[1].

٧ – كما عزا يونس فى نوادره إلى الحجاز قولهم « هو الذى ينقُد الدراهم » وتميم تقول فى مثل ذلك : وهو الذى ينتقد[2] » أى يستعملونها مزيدة ، والحجاز تستعملها مجردة . كما نسب إلى الحجازيين « تخذت ووخذت » ، وتميم تقول فى مثل هذا « اتخذ[3] » .

٨ – كما عزا أبوحيان صيغة ( أجنب ) إلى تميم ، وهى مزيدة ، وغيرهم من الحجازيين يستعمل ( جنب[4] ) .

وإذا رجعنا إلى كتاب الله وجدنا أن الجحدرى وأبا الهجهاج يقرآن ( وأجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ) بهمزة القطع على لهجة تميم كما جاء فى المحتسب[5] . ولكن أباحيان عزاها إلى الجحدرى وعيسى الثقفى[6].

٩ – كما جاءت عدة روايات وكلها تعزو المزيد إلى تميم كقولهم « أوقعت بهم » بالألف وغيرهم يقول « وقعت[7] » مجردا ، كما عزا ابن القوطية إلى تميم قولهم « أوقفت الدار والدابة[8] » على حين غيرهم يقول « وقفت » مجردا ، ولكن الأصمعى أنكر « أوقفت » بالألف ، وقال : الكلام « وقفت » بغير ألف[9]. وعلى أى حال فعجبنا يشتد للأصمعى لأنه أنكر لهجة كلهجة تميم — تلك التى قال عنها ابن حزم « بأنها قاعدة من أكبر قواعد العرب[10] » ، وربما نلتمس العذر للأصمعى فى رفضه تلك الصيغة ، بأنها لم تبلغه — كما عزى صاحب الكامل إلى تميم صيغة مزيدة وهى « أهبطته[11] » وغيرهم يقول « هبطته » .

١٠ – كما ذكر ابن منظور « ما فتئت وما فتأتُ أذكره — وماأفتأت » وعقب على هذا بأن الصيغة الأخيرة « تميمية[12] » أى أن تميما كانت تستعملها مزيدة ، كما عزاها السيوطى إلى تميم أيضا[13] .

فمن الشواهد السابقة نلمح أثرا واضحا وهو أن تميما تميل إلى استعمال صيغ الأفعال المزيدة . ولم تكن تميم وحدها فى هذا الميل بل شاركتها قبائل أخرى . :

١ – كقيس حيث روى اللحيانى أنهم يقولون « أخلى فلان على اللبن[14] واللحم »

( ١ ) الأخطاء اللغوية الشائعة : ١-٨ الشيخ محمد النجار ، الخصائص : ٣-٢٩٤
( ٢ ) المزهر : ٢-٢٧٦ — ( ٣ ) المرجع السابق .
( ٤ ) البحر المحيط : ٥-٤٢٩ — ( ٥ ) المحتسب : ٢-٢١ مخطوط .
( ٦ ) البحر : ٥-٤٢٩ — ( ٧ ) المصباح : ٢-١٠٣٧
( ٨ ) الأفعال : ١٥٧ ابن القوطية . — ( ٩ ) المصباح : ٢-١٠٣٨
(١٠) جمهرة أنساب العرب : ١٩٦ — (١١) الكامل للمبرد : ١-٢٢٠
(١٢) اللسان : ١-١١٤ — (١٣) الهمع : ١-١١٢ — (١٤) اللسان : ١٨-٢٦١

كما عزا صاحب البحر لقيس صيغة (أفتن)[1] في تفسيره قوله تعالى « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا[2] » كما عزى لقيس أيضا أنهم يقولون « أهديت العروس[3] » وغيرهم هديت العروس » . والعجب من الكسائي حيث ذكر في رسالته أن « أهديت العروس » لحن[4].

٢ — « ونجد » سارت على نهج تميم تقريبا ، فقد سمع أبوحاتم من أبي زيد أن أهل نجد يقولون : أكننت الجارية والدرة ، وقال أبوحاتم : يقول أكثر العرب كننت الدرة والجارية وكل شيء[5] » كما روى صاحب البحر أن نجدا تقول أجنب — وغيرهم جنب[6] ، وذكر صاحب الإتحاف أنهم يقولون : أسحت وغيرهم سحت »[7] وورد في البحر مايؤيد هذا .[8]

٣ — كما سارت تقريبا لهجة أسد على هذا أيضا يؤيده ما رواه الفراء لبعض بني دبير :

حتى إذا أعصفت ريح مزعزعة ،
فيها قطار ورعد صوتها[9] زجل

ودبير هذه بطن من أسد ، بل يصرح ابن منظور بأن لهجة أسد ( أعصفت ) وغيرهم ( عصفت )[10] .

٤ — كما روى « حدّت المرأة على زوجها . . . وأحدت[11] » . وقد حكى الكسائي عن عقيل « أحدّت » وقال الفراء : كان الأولون من النحويين يؤثرون « أحدت فهي محدٌّ » قال : والآخرى أكثر في كلام العرب[12].

ولكن ما الصلة بين هذه القبائل وبين تميم حتى تتفق في الظاهرة معها ؟ أرى أن القبائل التي اتفقت مع تميم في الظاهرة تتفق أيضا معها في البيئة الاجتماعية ، فتميم بيئتها بدوية ، وقيس وأسد وعقيل . ومنطقة نجد يغلب عليها طابع البداوة كذلك .

ولهذا رأينا المناطق المتحضرة[13] تجنح غالبا إلى الصيغة المجردة — فالحجاز قد آثرتها كما تشهد بذلك النصوص السابقة ، كما سارت سيرها بعض المناطق المجاورة لها كلهجة العالية : فقد جاء في المصباح أنهم

(١) البحر : ٣-٣٢٩
(٢) سورة النساء آية : ١٠١
(٣) المصباح : ٩٨٤
(٤) ما تلحن فيه العوام : ٥٤ حاشية
(٥) المخصص : ١٤-٢٤٨
(٦) البحر : ٥-٤٢٩
(٧) الاتحاف : ٣٠٤
(٨) البحر : ٦-٢٤٤
(٩) معاني القرآن : ١-٤٦٠ دار الكتب
(١٠) اللسان : ١١-١٥٣
(١١) المصباح : ١-١٩٤
(١٢) ما تلحن فيه العامة : للكسائي : ٤٧ هامش
(١٣) انظر الفرق بين أثر البداوة والحضارة في اللغة : في اللهجات العربية . دكتور إبراهيم أنيس . في أماكن متفرقة .

يقولون « ملح الماء ملوحة[١] »، كما نجد أن قريشا وهى حضرية قد آثرت الصيغة المجردة ، يدل لذلك ماجاء فى اللسان من قول الجوهرى : حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم ،وقد قرئ بهما[٢] » كما عزيت الصيغة المجردة أيضا فى كل من الخزانة[٣] ، والبحر المحيط [٤] ،والمصباح[٥] إلى قريش.ولكن هل يمكن أن يكون ذلك قانونا تسير عليه اللهجات العربية ؟ أرى أننى لا أستطيع أن أبلغ به حد الحتم ، لأننى عثرت على شواهد تفيد العكس ، ولكنها مع ذلك شواهد قليلة منها :

١ — ماعزاه اللحيانى فى اللسان[٦] من أن تميما تقول « خلا فلان على اللبن وعلى اللحم — إذا لم يأكل منه شيئا ولا خلطه به ، وغيرهم يقول « أخلى » .

٢ — نسب ابن القطاع « جبرت » إلى تميم مجردة ، وعامة العرب يقولون : « أجبرته[٧] » مزيدة ، وقال الأزهرى ، « جبرته وأجبرته لغتان جيدتان » ، كما ذكر ابن دريد الصيغتين المزيدة والمجردة . ولم يعزهما[٨] ،وذكر الأزهرى فى اللسان أن « جبرته على الأمر » لغة معروفة [٩] .

٣ — أن تميما كانت تستعمل الفعل « هلك » فيقولون « هلكته » ، وغيرهم يقول أهلكته » بالهمزة [١٠] .

كما وجدت صيغا أخرى تعزو الأفعال المزيدة إلى الحجاز — ومنها :

١ — عزا الفراء إلى الحجاز ( أوفى ) ، كما نسب إلى نجد ( وفى ) بغير ألف[١١] وقال ابن قتيبة : وفيت بالعهد ، وأوفيت به . وساق الزجاج قول الشاعر مستشهدا على اللهجتين :

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته
كما وفى بقلاص النجم حاديها[١٢]

وقال ابن جنى عن هاتين الصغتين ( أوفى ) و ( وفى ) لغتان قويتان[١٣] .

---

(١) المصباح : ٨٩٣
(٢) اللسان : ١٦-٢٦٦
(٣) الخزانة : ١-٥٧٩
(٤) البحر : ٦-٣٤٢
(٥) المصباح : ١-٢٠٨
(٦) اللسان : ١٨-٢٦١
(٧) المصباح : ١-١٤١
(٨) المرجع السابق .
(٩) اللسان : ٥-١٨٥
(١٠) المخصص س ٦ ص : ١٢٧
(١١) البحر المحيط : ١-١٧٢
(١٢) الخصائص : ٣-٣١٦ ؛ البحر المحيط : ١-١٧٢
(١٣) الخصائص : ٣-٣١٦

٢ — كما عزا اللسان « أسرى » بالألف إلى الحجاز[١] . وسرى — لغة غيرهم ، كما جاءت رواية أخرى مماثلة فى المصباح[٢] ، وإذا التفتنا إلى كتاب الله نجد أنه قرئ باللهجتين فى قوله تعالى « أسرى بعبده»[٣] وقوله « والليل إذا يسر » ، فهو من سرى — ولو كان من : أسرى — لكان : يُسرى.

وعلى كل فالقوانين التى تخضع لها اللهجات واللغات ، ليست لها صفة الحتم كقوانين الطبيعة والرياضة ، بل نكتفى بالحكم على الكثرة الغالبة ، ولا يضيرنا بعض الظواهر التى تبدو شاذة أو غريبة حول القاعدة .

والآن أريد أن أناقش الرواة فى فهمهم لصيغتى ( فعل وأفعل ) مثل : سرى وأسرى وسقى ، وأسقى ، وفتن وأفتن — فهم على أن معنى الصيغتين واحد ، المجردة والمزيدة ، ويستدل لذلك بما جاء فى اللسان من قولهم سريت ، وأسريت بمعنى — إذا سرت ليلا[٤]

ومثل هذا جاء فى الصحاح أيضا[٥] ، وكما جاء أن « وفى الكيل وأوفيته[٦] » بمعنى . والحق أن كلام اللغويين فيه تسامح ظاهر ، فصيغة ( فعل ) — لابد وأن تختلف معناها عن صيغة ( أفعل ) ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى فلا بد أن صيغة « أفعل » تدل على معنى زائد عن صيغة ( فعل ) فاذا قلت : أقاله أو أسقاه كان أبلغ فى الدلالة من« قاله وسقاه » أو أن نقول : إن كل صيغة منهما تعيش فى بيئة خاصة كما سبق ، فصيغة (فتن) تعيش فى بيئة الحجاز ، وصيغة أفتن — تعيش فى بيئة تميم[٧] . ولا يعقل أن الرجل فى البيئة الواحدة كان له من الاختيار والحرية بحيث ينطق الصيغة مرة مجردة ، وأخرى مزيدة ، كما لايعقل أن بعض الأفراد فى البيئة الواحدة يؤثرون صيغة فعل ، وبعضهم يؤثر صيغة أفعل ، فإما أن نفرق بين الصيغتين فنقول مثلا فى صيغة « وقف » بأن « ما يمسك باليد يقال فيه « أوقفته » بالألف ، وما لا يمسك باليد يقال فيه : وقفته — بغير ألف[٨] » أو أن يقال « جبرت » لجبر العظم بعد كسره ، وأن يكون (أجبر) مقصودا به الإكراه[٩] ، وهذا معنى قول الخليل « من قال : عقب : لايقول : «أعقب[١٠]» ، ومما لاشك فيه أن صيغة « أفعل » تدل على معان عدة : كالتعدية ، والتعريض ، والسلب والإزالة والتمكين[١١] ، تختلف فيها عن (فعل).

---

( ١ ) اللسان : ١٩-١٠٣

( ٢ ) المصباح : ١-٤٢٠

( ٣ ) سورة الإسراء آية : ١

( ٤ ) اللسان : ١٩-١٠٣

( ٥ ) خزانة الأدب : ١-١-٥٥١

( ٦ ) البحر المحيط : ١-١٧٢

( ٧ ) البحر : ٣-٣٣٩ ، النهر الماد : ٣-٣٣٨

( ٨ ) المصباح : ٢-١٠٣٨

( ٩ ) اللسان : ٥-١٨٥

(١٠) العين : ٩٥ ط بغداد

(١١) شذا العرف : ٢١

ويظهر أن ابن درستويه قد لحظ هذا فهو يقول فى شرح الفصيح « لايكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يجئ ذلك فى لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان ، والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين ، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما فى نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ماجرت به عاداتها وتعارفها ، ولم يعرف السامعون العلة فيه ، والفروق ، فظنوا أنها بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل ، فإن كانوا قد صدقوا فى رواية ذلك عن العرب ، فقد أخطأوا عليهم فى تأويلهم مالا يجوز فى الحكمة ، وليس يجئ شئ من ذلك الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا — أو أن يكون على معنيين مختلفين [١] » .

تصوير القرآن الكريم للظاهرة :

ولقد لحت موقف القرآن الكريم من هذه الظاهرة فيما يأتى :

١ — قراءة الجحدرى وعيسى الثقفى « وأجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام [٢] » من « أجنب » وهى لهجة نجد [٣] ، وقرأها الآخرون من ( جنب [٤] ) .

٢ — وقرأ عيسى بن عمر « ولا تُفتنى [٥] » بضم التاء الأولى من أفتن — وهى لهجة تميم [٦] ، وقرأ الآخرون : تفتنى — بفتح التاء الأولى من فتن .

٣ — وقوله تعالى « لايحزنهم الفزع الأكبر [٧] » قرأ أبوجعفر بضم الياء من أحزن وهى فى تميم ، وبعضهم من حزن [٨] ، كما أورد ابن خالويه فى الحجة عدة [٩] قراءات قرآنية جاء الفعل فيها مرة من فعل ، وأخرى من أفعل .

---

(١) المزهر : ٣٨٤-٣٨٥

(٢) سورة إبراهيم آية : ٣٥

(٣) البحر : ٥-٤٢٩ — ٤٣١ ، مختصر شواذ القرآن : ٦٨ ابن خالويه .

(٤) المحتسب : ٢-٢١ مخطوط

(٥) سورة التوبة : آية : ٤٩

(٦) البحر : ٥-٥١

(٧) سورة الأنبياء آية : ١٠٣

(٨) البحر : ٦-٣٤٢

(٩) الحجة لابن خالويه : ورقة : ٢٨ ، ٨٥ ، ٢٧ مخطوط بدار الكتب .

وكذلك عثرت على عدة قراءات قرآنية فى كتاب شواذ القرآن جاءت كل قراءة على أحد هذين الوزنين (1). وقد نسمع بعض الأحكام التى تصدر على أحد الوزنين السابقين كقول ابن منظور : اللغة العالية حزنه يحزنه ، وأكثر القراء قرءوا بها (2)، كما أن الأصمعى كان لايحب أن يبدى رأيا فى فعل وأفعل ، لاسيما إذا كانت الكلمة قد وردت فى القرآن ، فلم يتكلم فى عصفت وأعصفت ، لأن فى القرآن « ريح عاصفة » ولا فى سحته وأسحته لأن فى القرآن : « فيسحتكم (3) ». وربما ذلك يرجع إلى خوفه من الخوض فى القرآن تورعا ، أو لأن هاتين الصيغتين تدور حول الأفعال التى ترتبط بالجبر والقدر كما تقدم فى الأمثلة السابقة من مثل قولهم : جبر وأجبر — وهو لايريد أن يزج بنفسه فى هذا المهيع الخطير ، أو ربما أنه كان لايجيز إلا أفصح اللغات ويلغى ماسواها ، ويبدو هذا فيما رواه ابن دريد قال : « سألت أبا حاتم عن باع وأباع ، فقال : سألت الأصمعى عن هذا فقال : لايقال : أباع ، فقلت : قول الشاعر الأجدع بن مالك الهمدانى :

ورضيت آلاء الكميت فمن يبع
فرسا فليس جوادنا بمباع

قال الأصمعى : لعلها لغة لهم يعنى أهل اليمن — ثم عقب ابن دريد على إنكار الأصمعى لها بقوله : وقد سمعت جماعة من جرم فصحاء يقولون : أبعت الشئ — فعلمت أنها لغة لهم (4).

ونستنبط من هذا العرض أن القرآن الكريم قد راود بين هاتين الصيغتين فى قراءاته ، وكأنه بذلك يوثق هذه اللهجات العربية بالقراءة المروية أولا ، ثم ليجد كل قبيل من العرب سحنته اللغوية فى هذا الكتاب ، فيكون القرآن قد قصد بذلك إلى هدف آخر سياسى بجانب الهدف اللغوى — وهو جمع العرب فى طريق واحد إلى هدف واحد .

**احمد علم الدين الجندى**

(1) شواذ القرآن : ١١٤ ، ٢٦ ، ٦٨ ، ٢٢ ، ٢٦ لابن خالويه .
(2) اللسان : ١٦-٢٦٧
(3) المزهر : ٢-٣٢٦
(4) الجمهرة : ٣-٤٣٦

# الأحجية فى الشعر العربى

## للأستاذ محمد قنديل البقلى

ثمة تلازم لاشك بين الفصحى والعامية لاتخلو من ذلك لغة ، وهذا التلازم له مظاهر تختلف مراتبه فقد يشتد مابين العامية والفصحى من قرب وقد يبتعد ؛ ومرد ذلك لاشك إلى تمكن الفصحى من الألسنة وعدم تمكنها ، نعنى شيوعها وانحصارها فمتى شاعت الفصحى على الألسنة وأصبح المتكلمون بها كثرة غالبة ، رأينا هذا التقارب يشتد حتى لتكاد العامية تنهج نهج الفصحى ، ويكاد الاختلاف بين الاثنتين ينحصر فى فوارق ضئيلة . أما إذا ماضعفت الفصحى وأصبحت لغة القلة وكان للعامية شيوع رأينا تباعدا كثيراً بين الفصحى والعامية ، وكدنا نرى العامية لغة أخرى لاتمت إلا بصلات قليلة للفصحى ودخلتها ألفاظ من هنا ومن هناك ، يرجع بعضها إلى لهجات لشعوب يكون لها دور فى حياة تلك الأمم حين تضعف الفصحى فيها وتأخذ عن غيرها الكثير من ألفاظ وتراكيب .

ولكن الذى لاشك فيه أن الفصحى مهما غلبت على أمرها لاتغلب إلا فى العرض لافى الجوهر ، نعنى أن كيان الفصحى أى هيكلها الذى هو قوامها يظل باقيا ، وأن التغيير يمس غير ذلك الكيان وذلك الهيكل ، وإن قدر لغة من اللغات الفصحى أن تمس فى ذلك الكيان وذلك الهيكل ، كان ذلك إيذانا بزوالها واختفت هى لتظهر لغة الغالب ، وهى لغة أخرى بمبناها ومعناها .

ولقد منيت اللغة العربية مع عصور الازدهار بعصور انهيار وكانت فى هذه العصور وتلك تعيش إلى جانبها لغة عامية ضعفت مع عصور الازدهار فكان التقارب بينها وبين اللغة العربية شديداً وضعفت الفصحى فى عصور الانهيار فبعُد مابينها وبين العامية من تقارب وبدت العامية وكأنها لغة أخرى تعيش إلى جانب اللغة الفصحى ، ولكننا رأينا أن مع عصور الانهيار التى بدت العامية فيها شبه لغة مستقلة ، كما قلنا ، لم نجد تلك العامية استطاعت أن تنال من كيان الفصحى وهيكلها ، ثم رأيناها على الرغم من هذا الاستقلال فى التعبير تعيش على تلك المناهج القولية التى اختصت بها الفصحى مع اختلاف

فى الأداء ، فاذا كان للفصحى شعر له موازينه وله طريقته ، كان للعامية مايشبه ذلك الشعر وهو الزجل وكان له هو الآخر موازينه وطرائقه ، وكما كان للفصحى أمثالها المدونة المرتبطة بأحداث تعبر عنها فى إيجاز فجاءت وكأنها الحكم ، كذلك رأينا للعامية هى الأخرى أمثالها التى جاءت تترجم عن أحداث قد تتفق وأحداث الفصحى ، وقد تختلف ، ولكنها جاءت آخر الأمر وكأنها الحكم ، وكما رأينا فى الفصحى مكانا للغز والأحجية شعرا ونثراً ، كذلك رأينا العامية تحتذى حذو الفصحى فتشغل هى الأخرى بالألغاز والأحاجى ، وكما اختلفت المسميات مع ذلك التشابه الذى سميناه من قبل فسمى الشعر العامى زجلا واتخذت فنون الزجل أسماء تقابل تلك الأسماء التى وضعت لبحور الشعر الفصيح ، فبدلا من أن نسمع فى العامية ذكراً للطويل والرجز والبسيط سمعنا فى العامية ذكراً للمواليا والدوبيت والكان كان وغير ذلك .

والأمر هنا فى الألغاز والأحاجى يكاد يخضع هو الآخر لمثل ذلك فأصبح اسم اللغز والأحجية يتسمى فى العامية بأسماء جديدة ، فسمى الفزورة أو الحزورة ويكاد يكون الاسمان فى العامية يرتدان إلى أصل عربى ، فالفزر فى اللغة هو الشق والفزورة ليست غير إمعان فى الكشف عما تتضمنه فكأنها شق عن الشئ وتكاد تكون لفظة الحزورة أقرب من الفزورة إلى العربية فهى مأخوذة من الحزر وهو الظن والتخمين .

وهكذا نرى هذا التلازم بين العامية والفصحى ممتدا على طول السنين يحكى فن فنا ويضارع قول قولا ، ولكن ثمة اختلاف مبعثه عجز القائل فى العامية عن أن يبلغ مبلغ القائل فى الفصحى أو نزول القائل فى العامية إلى مستوى الشعب الذى لايلقن الفصحى ولا يفهمها . وسواء أكان هذا أو ذاك فالذى لاشك فيه أنه كان ثمة عامية لازمت العربية منذ نشأتها ، كما قلنا ، على اختلاف فى ذلك التلازم بعدا أو قربا يؤثر البعد فى مجانبة العامية للكثير من نهج العربية لفظا وأسلوبا ، كما يؤثر القرب فى ظهور العامية أوفى ماتكون إلى الفصحى ، ويكاد يكون المقول هنا أو المقول هناك شكلا وأسلوبا إلا فى خروج على الاعراب حينا ، وعلى الاشتقاق حينا آخر ، واستخدام ألفاظ دخيلة حينا ثالثا .

وقد قلنا إن هذا التلازم كان له مظهره فى محاكاة العامية بأزجالها للشعر العربى وبأمثالها كذلك ، ثم فى ألغازها وأحاجيها ، وهذا ما سنعرض له فى مقالنا هذا :

إن الناظر فى كتب الأدب الموسوعية ، أعنى تلك التى جمعت طرائف من هنا وهناك ، أمثال العقدالفريدلابن عبدربه ، ونهاية الأرب للنويرى وعيون الأخبار لابن قتيبة ، ثم تلك الكتب التى انفردت فى هذا الباب خاصة ، أعنى باب الألغاز والأحاجى والمعميات من ذلك كتاب الألغاز للشريف عزالدين حمزة بن أحمد الدمشقى المتوفى عام ٨٧٤ﻫ ، والألغاز لجمال الدين عبد الرحيم بن حسن الاسنوى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٢ ﻫ ، وكذا كتاب الألغاز لتاج الدين عبد الوهاب ابن السبكى المتوفى سنة ٧٧١ ﻫ ، ثم كتاب الذخائر الأشرفية فى الألغاز الحنفية للقاضى عبد البر بن الشحنة الحلبى ، وثمة كتب أخرى جاءت فى الألغاز أيضاً ولكنها خاصة بعلوم بعينها مثل كتاب الألغاز لشمس الدين محمد ابن محمد بن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ ﻫ ، وهى قصيدة همزية فى القراءة .

هذا عن الألغاز والأحاجى فى الفصحى وقد جمعت هذه الكتب العامة والخاصة وغيرها من الألغاز والأحاجى ماهو شعر وما هو نثر ، وكما قلنا ، أنه ليس ثمة باب أو نهج فى الفصحى إلا وحاكت مثله العامية تقرب إن كانت الشقة بين اللغتين غير بعيدة ، وتبعد إن كانت تلك الشقة على درجة من البعد .

والإلغاز فى مضمون معناه تحمل الألفاظ والعبارات دلالات خفية تنغلق وتنبسط على قدر قوة الملغز فى تحميل كلماته وعباراته دلالات خفية تدق وتجل ، من ذلك قول الشاعر فى القلم :

وما غلام راكع ساجد
أخو نحول دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها
منقطع فى خدمة البارى

ثم قول شاعر آخر فى الميزان :

وقاضى قضاة يفصل الحق ساكتا
وبالحق يقضى فلا يبوح فينطق
قضى بلسان لا يميل وإن يمل
على أحد الخصمين فهو مصدق

وقبل أن نعرض لما يحكى اللغز والأحجية فى اللغة العامية نحب أن نسوق أمثلة من ذلك فى الفصحى شعراً ونثراً لنعرف مدى القرب والبعد بين العامية والفصحى فى هذا الميدان .

وإذ كان اللغز فى الفصحى حين يخرج فى قالب شعرى يكاد يتسم بسمات خاصة تباعد به فى نسجه عنه إذا جاء نثرا ، وكما يحدث ذلك فى الفصحى يحدث نظيره فى العامية ، فانا نلاحظ أن الفزورة أو الحزورة إذاانتظمها قالب من قوالب النظم العامى تجئ هى الأخرى فيها شئ من المعاناة والتلوين والتشكيل لانجده نظائر فى الفزورة أوالحزورة إذاصبت فى قالب من قوالب النثر ، من أجل هذا

كان لابد من فصل وكان لابد من سوق الموضوع مقسما على بابين :

١ - باب يختص بما جاء فى ذلك على قالب شعرى أو قالب من النظم عامى .

٢ - وباب يختص بما جاء فى هذه اللغة وتلك مصبوبا فى قالب نثرى :

## اللغز والأحجية فى الشعر العربى الفصيح :

الملاحظ فى هذا الباب نعنى ماجاء من لغز أو أحجية على لسان شاعر أن نجد هذا القالب الشعرى فيه إعمال فكرة وإعمال بديهة، وفيه أيضاً ألوان مختلفة من ألوان الاحتيال على الدخول إلى الغرض المنشود ، وهذا نهج من العسر بمكان لايلين لأى شاعر ولايسهل على كل قائل : ولقد وجدنا على ألسنة شعراء لهم شأنهم ولهم خطرهم أبياتا فى هذا الغرض ، ولكن إذا قسناهم إلى ماقيل لهم فى أغراض أخرى نجدها قليلةقلة ملحوظة ، وهذا كما قلنا ، لتلك المعاناة الخاصة التى يتحملها الداخل إلى هذا الغرض، كما قد تكون هذه القلة من الألغاز التى وردت على ألسنة هؤلاء الفحول أصحاب القصائد الطويلة الكثيرة لها سبب آخر ينضاف إلى السبب الأول ، وهو الجهد الخاص والفطرة الخاصة والموهبة التى تتصف بالحيلة والخوض فى المعميات والدخول فيما يغمض .

وهذا السبب الآخر قد يكون فى نظرة هؤلاء الفحول إلى اللغز والأحجية على أنه عمل دون مايعملون ويبدعون فما من شك أنهم كانوا ينظرون إليه على أنه من الفكاهة والدعابة ، وعلى قدر ميل هؤلاء الشعراء الفحول إلى الدعابة والفكاهة كان يصدر عنهم من أبيات فيها اللغز وفيها الأحجية فنظفر لأبى العلاء المعرى مثلا وهو الشاعر الفحل الفيلسوف الزاهد الجاد فى كل مايصدر أبياتا فى الإلغاز، وما نشك فى أن الدافع لأبى العلاء إلى نحو هذا كان عن سبب آخر ينضاف إلى السببين اللذين ذكرناهما ،فنحن نعرف أن أبا العلاء كان يميل إلى التعمية وإلى الإغراب وإلى سوق الألفاظ المحملة بأكثر من معنى ، وهذا السبب كان لاشك ، كما قلنا ، مما ساند السببين الأولين ومما دفع أبى العلاء إلى خوض هذا المضمار ، وعلى قدر مرتبة الجد من نفس أبى العلاء كانت مرتبة اللغز والأحجية ، إذ فرق بين أن يلغز شاعر وهو أميل مايكون إلى الهزل والعبث وبين أن يلغز شاعر وهو أميل إلى الجد والتزمت ، فتحس مع إلغاز الأول مرحاً وطربا ومزحا فيما يسوق ، على حين فى إلغاز الثانى جداً وصرامة وكداً فيما يسوق ، تحس ذلك فى قول أبى العلاء حين يلغز عن الملح فيقول :

وبيضاء من سر الملاح ملكتها
فلما قضت إربى حبوت بها صحبى

فباتوا بها مستمتعين ولم تـــزل
تحثهم بعد الطعام على الشرب

فأنت ترى معى أن البيت إلغازه فى استخدام ألفاظه لغة فهو لايحتاج منك إلى إعمال فكرة ترتاح آخر الأمر لبلوغ الغاية معها ، ولكنه يحتاج منك إلى بحث عن معانى تلك الألفاظ اللغوية وماتحتمل ، فأبى العلاء يريد هنا بكلمة سر : الخالصة ، ويريد بكلمة الملاح : كلمة ملح . وأنت بعد تعرف هذين المعنيين قد وقعت على اللغز فى يسر دون إعمال فكر ودون كدّ ذهنى ، كما قلت لك ، ثم أنت لن تحس بعد الكشف عن اللغز إلى تلك الراحة النفسية التى يحسها الماضون فى الكشف عن سر الإلغاز فى أبيات لشعراء فطرتهم المرح وديدنهم المزح ، ويقول أبو العلاء أيضا ملغزاً فى ركابى السرج :

خليلان نيطا فى جوانب مجلس
جداراه قدام له ووراء
متى يضع الرّجليْن ماش عليهما
يزل عنه فى وشك حفاوحفاء

فهو يعنى بالمجلس : السرج ويعنى بجداراه : قربوسه ورادفته ، ويعنى بكلمة الحفا مقصورة : وجع الرجل ، ويعنى بكلمة الحفاء ممدودة : مشى الرجل حافيا بغير نعل .

وهذا يؤكد ماسقناه قبل عن البيتين السابقين لأبى العلاء من أن الإلغاز يتشكل بطبيعة الملغز وميله واتجاهه ، فمن كانت طبيعته كطبيعة أبى العلاء تتصف بالتزمت والجد كان إلغازه من ذلك وكذا يضفى على الإلغاز مايملكه الملغز من ملكات أدبية أو نحوية أولغوية ، كما كانت الحال مع أبى العلاء .

ومثل هذا الشعر الملغز الذى يصدر على ألسنة شعراء ملغزين من هذه البابة أعنى بابة أبى العلاء يكون إلغازهم جافا لاإثارة فيه ولامتعة على العكس من الشعراء الملغزين الذين لم يكونوا من الفحول وإنما كانوا من الشعراء اللاهين العابثين ، ونكاد نرى شاعراً يلحق بأبى العلاء فى هذا المضمار وهو ابن الرومى ، ولكنه إذ كان ليس له عمق أبى العلاء بدا شعره الذى ألغز فيه أقرب إلى النفس وأخف على الروح ، يقول ابن الرومى فى فتيلة السراج :

ما حيـــة فى رأسها درة
تسبح فى بحر قليـــل المدى
إن غيبت كان العمى حاضراً
وإن بدت لاح طريق الهدى

فهذان البيتان لا شك يبدوان أقرب ما يكون إلى الفن الإلغازى ، نعنى الفن الفكه الذى يحتاج إلى إعمال فكرة من أبيات أبى العلاء ،ويجىء بعد ابن الرومى شاعر آخر يخطو إلى الفن الإلغازى خطوة أوسع وهو السرى الرفاء حيث يقول فى شبكة الصياد :

وكثيرة الأحداق إلا أنها
عمياء مالم تنغمس فى مــــــاء

وإذا هي انغمست أفادت ربها
ما لا ينال بأعين البصـــراء

وهكذا نرى أن الإلغاز فى الفصحى الذى جاء على ألسنة النحاة والفقهاء والمحدثين واللغويين وأضرابهم كان إلغازا خاصا أعنى أنه كان لفئات هؤلاء المختصين من نحاة ولغويين وفقهاء ومحدثين يستخدمون فيه علمهم الخاص الذى لا يقوى على فهمه عامة الشعب ، من أجل ذلك جاء إلغازا جامدا ليست فيه روح التسلية والتسرية التى خلق الإلغاز من أجلها فيما نرى ، لذا لم تكن هذه المرحلة من الإلغاز من المراحل التى سايرت فيها العامية الفصحى ، وحين خرج الإلغاز من يد هؤلاء المختصين إلى أيدى غيرهم من الشعراء أو الناثرين المتيسرين الذين يفهمون الإلغاز بروحه العامة التى فيها التسلية وإعمال الفكر وكدّ الخاطر والذى فيه فسحة للذهن يأخذ ويعطى ، حين وصل الإلغاز إلى أيدى هؤلاء وقالوا فيه جاءت تلك المرحلة الثانية التى شاركت فيها العامية الفصحى ، وكان كل ما جاء على ألسنة هؤلاء الشعراء من إلغاز جاء مثله أو قريب منه على ألسنة شعراء العامية وناثريهم .

ونحن يعنينا هنا فى هذا القسم وهو القسم الخاص باللغز فى الفصحى شعرا أن نسوق ما نستطيع أن نسوقه لشعراء مختلفين فى ألغاز مختلفة لنحصل من هذا على وسيلة للمقارنة بين الشعر الفصيح الملغز والنظم العامى الملغز ، أعنى بين اللغز فى الشعر الفصيح وبين الفزورة أو الحزورة فى النظم العامى ، وهاك ما حضرنى من ذلك وما استطعت جمعه لشعراء الفصحى القائلين فى أغراض عامة تتفق وأغراض القائلين فى العامية .

فى القلم :

أصم عن المنادى لا يجيب
به وتشتعـــل الخطوب
ضئيل الجسم «أعلم» ليس تخفى
عليه غيوب ما تخفى القلـــوب
تراه راجـــلا لا روح فيه
ويحييـــه وينطقـــه الركوب
يبين لســـانه ماكن ســـودا
معارفه ويخرســـه المشيب
يقسّم فى الورى بؤسى ونُعمى
ويحكم والقضــــاء لـــه مجيب
عجبت لسطوة فيـــه وضعف
وكل أمـــوره عجب عجيب

وفيه أيضا :

بصير بمايوحى إليه ومـــاله
لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره
إليه إذا ما حـــركتـــه الأصابع

وفيه أيضا :

فلا هو يمشى لا ولا هو مقعد
وما أن له رأس ولا كف لامس

ولا هو حى ولا هو ميّت
ولكنه شخص يُرى فى المجالس

يزيد على سم الأفاعى لعـــابه
يدب دبيبا فى الدجى والحنادس

يفرق أوصالا بصمت يجيبه
وتغرى به الأوداج تحت القلانس

إذا ما رأته العين تحقّر شأنه
وهيهات يبدو النّفس عند الكرادس

وفيه أيضا :

ضئيـــل الرواء كبير الغناء
من البحر فى المنصب الأخضر

عليه كهيئة مرّ الشجـــــــا
ع فى دعص محنيــــــة أعفر

إذا رأسه صح لم ينبــــــعث
وحار السبيل ولم يُبـــــصر

وإن مدية صدعت رأســـه
جرى جرْى لا هائب مقصر

يقضى لبـــــانته مقبـــــلا
ويحسمها هيئـــــــة المزبر

جرىء بكف فتى كفــــــه
تسوق الثراء إلى المقتــــــــر

وفى الميزان :

أخـــــوان هـــذا إن يحـــز
مالا فهـــــــذا معــــــدم

متـــــلاصقـــــــان وربمـــا
جلب التفرق درهــــــــــــم

ماذاك من بخـــــــــل
ولكن الجميـــــع مُبتّرسم

وفيه أيضا :

وقاض قد قضى فى الأرض عدلا
له كف وليس لــــــه بنان

رأيت الناس قد قبلوا قضـــاه
ولا نطق لديه ولا بيـــــان

وفيه أيضا :

ما واحد مختلف الأســــماء
يعدل فى الأرض وفى السماء

يحــــــكم بالقســـط بلا رياء
أعمى يرى الرشاد كل رائى

أخرس لا من علة وداء
يغنى عن التصريح بالإيمـــاء

يجيب إن ناداه ذو امتراء
بالرفع والخفض عن النــــداء

يفصح إن علق فى الهــــواء

وفى البيضة :

ألا قل لأهل الرأى والعلم والأدب
وكل بصير بالأمور أخى أرب

ألا خبرونى أى شىء رأيتم
من الطير فى أرض الأعاجم والعرب

قديم حديث وهو باد وحاضر
يصاد بلا صيد وإن جُدّ فى الطلب

ويؤكل أحيانا طبيخا وتـــارة
قليّا ومشويا إذا دُسّ فى اللهب
وليس له لحم وليس لــه دم
وليس لــه عظم وليس له عصب
وليس له رجل وليس له يـد
وليس له رأس وليس له ذنب
ولا هو حى لا ولا هو ميت
ألا خبرونى إن هذا هـو العجب

وفيها أيضا :

ومولودة لا روح فيها وأنهـا
لتقبـل نفخ الروح بعد ولادها
وتسمو على الأقران فى حومة الوغى
ولكن سموّا لم يكن بمـرادها

وفى الخاتم :

وأبيض أما جسمه فمدوّر
نقى وأما رأســه فمُعار
ولم يكتسب الا لتسكن وسطه
مؤنثة لم تكس قط خمار
لها أخوات أربع هن مثلهـا
ولكنها الصغرى وهن كبـار

وفيه أيضا :

ومستدير تروق العين بهجته
كأنه فلك نجم الدجا فيـه
حروفه أربع قد ركبت فاذا
ما قلت أول حرف تمّ باقيه

وفى اسم سعيد :

يبسم عن أول اسمه حبىّ
ثم بثانى حروفـه يسـبى
ثم بحرفين لو بـدا بهمـا
أسدى يدا ، صورةُ اسمها تُبنى
أربعة نصفها كجملتهـا
فى العـدّ لم تنتقص ولم تُربى
هذا وفيه اسمُ يوم اتّفقت
مفاخرُ العُجْم فيـه والعُرْبِ
فأعمل الفـكر فى تأمـله
واركب به كل مركب صعبِ

فشبه السين بالثغر ، وثانيه العين وهى تسبى القلوب ، والحرفان يد وهى أربعة فىالعدد وستة فى الصورة ، وإذا أخذت السين والعين فهى أربعة ، وهى جملة العدد وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة واللباس .

وفى عودى الغناء والبخور :

وما شيئان اسمهما سـواء
وأصلهما معا عنـد التساب
إذا حضراك بتّ قرير عـين
بلا طعم يلذّ ولا شـراب
وما أن يوجدان النفـع إلا
بضرب أو بضرب من عـذاب

وفى الحرب :

ما ذات شوك لها جناح
يختطف النـاس عن قريب

وهى عقيم ترى بنيهـــا
من بين مُرْد وبين شيـب
يأكل بعض البنين بعضـا
طلوع شمس إلى غـروب
تصحيفهـا الداء غير شك
قد يُحسم الداء بالطبيـب
والداء معكوسـه مكان
يصلح للطـائر النجيب
يعرفهـا من يكون طبّـا
بالشعر والنحـو والغريب

وفى الأرنب :

لهوت بذات رأس ذى التيـات
كرفع الإصبعين على الثلاث
إذا السبابة ارتفعت مع الخنـ
صر اجتمع الثلاث بلا انتكاث
لهوت بهـا تطير بلا جناح
وتنسب فى الذكور وفى الإناث

وفى الفقاعة :

شغفت بداية لى أشتهيهـا
وما فيهـا عن الوصل امتناع
بباردة المجس وما اقشعرت
معصبـة وليس بهـا صداع
تمنـع أو تحـل ذوأبتاهـا
ويحسر عن مفارقهـا القناع

وفى المدية :

مأسورة أبـدع فى
تركيبهـا أصحابهـا
تركتهـا الأيـدى وفى
هـاماتهـا أذنابهـا

ومن أحجية فى فص برخشانى :

أحاجيك أناجيـك
بمـا يهجن فى صدرى
بمـاء يجمد من خمـر
وما يجمد من حمـر
وما يورد معنـاه
إذا قلت على أمرى
ونجم كاد ذو الحـا
جة فى الليل به يسـرى
وحرف من حروف النصـ
ـب لولا خفـة الظهر
أجب إن شئت بالنظم
وإن شئت فبـالنثر

فهذا القسم الذى ينتظم شعرا من الفصحى فى الإلغاز ، كما نراه ، حسب ما عرضنا شطرين : شطر جاء فى أغراض خاصة وعلى ألسنة مختصين ، أعنى كما قلت من قبل ، تلك الأغراض التى تمثل الجانب الخاص من اللغة الذى لا يقوى عليه إلا المتخصص من نحوى أو فقيه أو محدث ، وقد اقتصرت من أمثلة هذا الجانب على القليل ، إذ هو جانب لا تساير فيه العامية الفصحى ، بل إن

العامية، كما ذكرت، لا تساير ولا تحاكى من ألوان القول إلا ما يشارك فيه العامة بعقولهم وأحاسيسهم ووجدانهم ، نرى ذلك فى كل مظاهر المحاكاة بين الفصحى والعامية ، ففى الأزجال مثلا التى جاءت تحاكى الشعر العربى وتسايره نراها لا تطرق الجوانب الممعنة فى التخصص والتى ترقى إلى مستوى المتخصصين بل هذه الأزجال لا تشارك الشعر إلا فى تلك المعانى التى يقوى عليها العامة وتتفتح لها أذهانهم ، فاذا ما بلغ الأمر مبلغ التخصص والارتقاء عن ذلك المستوى انفصلت العامية عن العربية ، إذ لو قدر للعامية أن تلتزم بتلك الخصوصيات لاندمجت فى الفصحى وكانت جزءا منها ولم تستقل عنها ، فاستقلال العامية عن الفصحى مبعثه ذلك التحلل من القيود الخاصة فلا هى تلتزم الإعراب . والإعراب قيد خاص يسمو ويرقى عن مستوى الحرية الشعبية فى التعبير ولا هى تلتزم الصرف : فالصرف قيد خاص يسمو ويرقى عن مستوى الحرية الشعبية فى الأداء ، فالعلة فى ظهور العامية هو ظهور التراخى الذى يرزقه من لم يرزق حظا من العلم ومن لم يؤت نصيبا من السعى وراء الأسمى والأرقى ، تلك كانت نشأة العامية ، وكانت هذه النشأة بين الدهماء لأنهم أعجز الناس عن أن يفطنوا ويدركوا فإذا ماساند هذا فشو الأمية ووقوع الأمم فى ظل حاكمين أجانب وجدت العامية مرتعها الخصب ففشت وانتشرت ، وإذ كانت اللغة العربية من القوة بمكان فلم تقو العامية فى مراحل عنفوانها أن تأتى عليها ، إذ أن القرآن الكريم فيما نعلم كان هو الحصن المنيع لبقاء العربية ، وإذا ظلت العربية باقية بخصوصياتها والتزاماتها ، ولم تقو العامية على البطش بها هادنتها وأخذت تسايرها يحكى غرض غرضا ؛ وهذه المحاكاة لا تكون إلا فيما كان يشارك فيه العامة بأفهامهم وعقولهم ومداركهم ، أما ما عز على العامة إدراكا وفهما وعقلا فلم تساير فيه العامية العربية ، وقد ضربنا مثلا لذلك بين الشعر والأزجال ، وقلنا إن الأزجال حين سايرت الشعر العربى لم تسايره فى خصوصياته بل سايرته فى عمومياته ، وكذلك الحال فيما نحن بصدده من فن الإلغاز والأحجية ، وإذ قلنا إن مسايرة العامية لا تكون فيما هو خصوصى بل فيما هو عمومى ، كذلك قسمنا شعر الإلغاز قسمين جعلنا القسم الأول منه ذلك الشعر الخصوصى ، وجعلنا القسم الثانى منه ذلك الشعر العمومى ، وإذا كانت مسايرة العامية للفصحى هنا فى هذه الناحية لا تمس الشعر

الخصوصى الملغز وإنما تمس الشعر العمومى الملغز ، لذلك كان ما عرضناه من أمثلة من الشعر الخصوصى قليلا إذ ليس له نفع فيما نعرض . ولقد أكثر ناشيئا من الشعر العمومى الملغز لأنه هو مناط المقارنة بينه وبين النظم العامى الذى جاء يحمل الفزورة أو الحزورة وقد رأيت أن هذا القسم الثانى من الشعر الملغز الذى سايرته العامية كله دون استثناء يسيرا على إدراك العامة وفهمهم وتكاد تكون عبارته وإن بدت عربية سليمة إلا أنها هى الأخرى ميسورة، ثم تكاد النكتة فيه مما تحذقه نفوس العامة ، ولقد كان من الممكن أن نسوق جملة أكبر ولكننا اجتزأنا بهذا .

ورأينا خبر تمهيد لعرض النظم العامى الذى يحمل الفزورة أو الحزورة ، والذى سيتضمنه القسم الثانى من هذا البحث .

**محمد قنديل البقلى**

# تعريف ونقد




## كتب

آخر العهد بصدور الجزءين الأول والثانى من هذا الكتاب الثمين هو يناير سنة ١٩٥٦ ، حيث اشتمل الجزء الثانى على طائفة من أعلام الفكر والأدب العربى الراحلين منذ سنة ١٨٠٠ إلى سنة ١٩٥٥ م .

والحق أن الجزء الثانى ، على الرغم من ضخامة حجمه واشتماله على ٢٠٦ ترجمة ، قد اضطر مؤلفه إلى إغفال مائة ترجمة كان قد أعدها للنشر فى ذلك الجزء الذى صدر من سبعة عشر عاما . ولكنه لم يزل منذ ذلك التاريخ يجمع المادة لكتاب — أو لجزء جديد — يدون فيه ما فاته ممن أسقط تراجمهم فى الجزء الثانى ، ويضيف إليهم كل ما استجد من الأعلام الراحلين منذ أول القرن التاسع عشر إلى سنة ١٩٧٢ . وبهذا الصنيع الشامل أصبح الكتاب يغطى بتراجمه للوفيات من رجال الفكر والأدب والفنون حقبة من التاريخ تمتد من سنة ١٨٠٠ م إلى أخريات سنة ١٩٧٢

ولقد بذل المؤلف الفاضل — كعهده دائما — جهدا غير قليل فى متابعة ما استحدث من وفيات الرجال حتى الوقت الذى كان كتابه تجمع حروفه فى المطبعة ، حتى لا يكون متخلفا ولا مفوتا ولا مقصرا ، واستطاع بهذه المتابعة الواعية المتفتحة على أقطار العالم العربى فى المشرق والمغرب ، وفى المهجرين الشمالى والجنوبى من العالم الجديد ، أن يزودنا فى هذه الموسوعة الجليلة بوفيات حديثة جدا لأمثال المغفور لهم محمد فريد أبى حديد ، وفخرى أبى السعود ، وأحمد زكى أبى شادى ، وجورج أبيض ، وأحمد فؤاد الأهوانى ، وأحمد الأسكندرى ، ومحمد الأسمر ، وصلاح الأسير ، وعلى أحمد باكثير ، والبدوى الملثم يعقوب العودات ، ومحمد أحمد جاد المولى ، وعلى الجارم ، وحسين والى ، وخالد الجرنوسى ، ومصطفى جواد ، ومحمد أمين حسونة ، وساطع الحصرى ، ودرينى خشبة ، وعادل زعيتر ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد الزين ، وسلامة موسى ، وسليم حسن ، وعبد الرزاق السنهورى ، وجمال الدين الشيال ، وطاهر الطناحى ، وعبد الحميد العبادى ، ومحمد فؤاد عبد الباقى ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ،

ومحمد سعيد العريان ، ومحمد هاشم عطية ، وعباس محمود العقاد ، وعلى العنانى ، ومحمد صادق عنبر ، ومحمد شفيق غربال ، ومحمود غنيم ، وإسماعيل القبانى ، وكامل كيلانى ، وزكى المحاسنى ، ومحمود مصطفى ، وعلى مصطفى مشرفة ، وعبد القادر المغربى ، ومنصور فهمى ، وإبراهيم ناجى ، وعبد اللطيف النشار ، ومحمد الهراوى وغيرهم ممن انتقلوا إلى رحاب الله ، وتركوا فى تراث العرب الفكرى المعاصر والحديث آثارا طيبة .

وعلى الرغم من هذه المتابعة الواعية لرصد وفيات أعلام علمائنا وأدبائنا ومفكرينا العرب فى العصر الحديث ، فقد فاتت المؤلف بضع عشرات من أمثال الشيخ محمد المهدى زيكو ، والشيخ عبد الخالق عمر ، وأحمد العوامرى ، والشاعر عثمان زناتى ، والشيخ أحمد زناتى ، والشيخ حسن منصور ، والشيخ عبد الوهاب خلاف ، وخليل ثابت ، ومحمد أحمد الغمراوى ، وعبد الحليم النجار ، ومحمد على النجار ، ومحمد سعيد الخلصى الشاعر التونسى ، والشيخ محمود حسن زناتى ناشر كتاب « الفصول والغايات » للمعرى ، وعلام سلامة صاحب « معراج البيان » ، والأثرى حسن عبد الوهاب ، والأثرى يوسف أحمد حجة الخط العربى والفنون الإسلامية ، ومصطفى السقا وغيرهم ممن نرجو أن يهيئ الله المؤلف الفاضل ليضمهم إلى مجموعة الأدباء الأحياء التى يعتزم إصدارها تتمة لهذه الموسوعة الحافلة ، حتى تكون أدنى إلى الاستيعاب والوفاء بأسماء الأعلام على قدر الإمكان .

والحق أنه فى مثل هذا النوع من كتب التراجم والوفيات والطبقات تتلاحق الأحداث وتستحدث الأمور بما قد لا يمكن معه المتابعة مهما حرص عليها المؤلف . ففى ترجمته للشيخ الخطيب اللغوى الشاعر «إبراهيم المنذر » عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، والمتوفى سنة ١٩٥٠ ، يذكر فى ص ١٢٩١ أن له ( ديوان شعر فى جزءين بعنوان : ديوان المنذر سيصدر الأول منهما قريبا على ما بلغنا من أخباره ) . ولم تلبث الأيام أن أظهرت لنا الجزء الأول والكتاب فى المطبعة ... فلم يستطع المؤلف أن يذكر لنا شيئا عنه أو عن تاريخ طبعه كما عودنا أن يفعل مع من يترجم لهم عادة .

وبهذه المناسبة نجيز للنفس أن نعرج قليلا على شعر الشيخ إبراهيم المنذر ، الذى كان فلتة من فلتات الدهر ، والذى تجلت فيه العبقرية العربية بأجلى مظاهرها . فقد كان الرجل كلفا بأمجاد أمته ، ولغته الشريفة ، مغرما بالخلق العربى الرفيع . وما أصدقه وهو يقول منوها باللغة الفصحى :

لعينيك ياأخت الكواكب فى السما
فدى كل من صلى ، و صام ، وسلما

لعينيك أبناء العروبة أينما
أقاموا ، وما كانوا على الضيم نوماً

لعينيك شرق العرب طرا ، ولم يكن
قديما مسيحيا ، ولا كان مسلما

لك الله يا أم اللغات ، فأننى
أحبك حبا يملأ القلب والفما

وأهوى لسان العرب ؛ والفتية الألى
أحبوا لسان العرب حبا متيما

ولقد قال الشيخ المنذر الشعر الرصين المشرق الديباجة فى كل غرض كريم ، حتى فى الطبيعة وهو يلجأ إليها ليجد فيها الأنس والراحة ، ولنسمعه وهو يقول فى صفة الربيع :

هو ذا الماء فى الجداول يحكى
لمعان الندى ، وصفو الدموع

والنسيم العليل عند انبثاق الفجر
يُحيي النفوس بعد الهجوع

وهزار الرياض يشدو فيشفى
بأغانيه لوعــة المفجــوع

والفراشات فيه زرقا وبيضا
كصفوف من أنجم وشمــوع

يتمصصن الأزهار مبتلّة من
شفــة النهر أو فم الينبــوع

كل هذا يريك قدرة بارى الخلق
فاخشع لله كل الخشـــوع ...

لم يحاول الأستاذ داغر أن يقصر كتابه الضخم على عدد معين من دعائم النهضة العربية ورجالها البارزين ، ورأى بعين المنصف المقدر أن يدخل مع هذا الفريق الرائد كل من أسهم بجهد مشكور فى بناء هذه النهضة العربية الحديثة . ولهذا لم يجعل كتابه وقفا على القمم الشوامخ ، أو قاصرا على الأعلام البارزين ، بل جعله يتسع لكل من له فى النهضة أثر ولو قليل ، وأن شئت فقل أنه أراد أن يجعل كتابه صورة صادقة للعصر الحديث كله ، بما فيه من قمم وسفوح ، وبما فيه من مصلّين ومجلين ، وآتين فى آخر الحلبة ، وما فى ذلك بأس ولا فيه من غض لقيمة الرواد العباقرة ، أو نقص لأقدارهم ، فأن تسجيل الآثار لا يجوز أن يطغى فيه متقدم على متأخر ، أو يجور فيه أول على أخير . وما أصدق مؤلفنا وهو يقول فى هذا الصدد بنص عبارته : ( بين هؤلاء الأدباء والمفكرين ، بالفعل ، من هم من دعائم النهضة الحديثة ، ومن روادها البارزين ، بينما انحصرت شهرة فريق منهم فى حيز ضيق ، أو نطاق محلى ، بالرغم من الإجادة التى بلغوها ، والإبداع الذى تميزوا به ، وبينهم فريق رفعه إلى هذا المصاف أوهام الناس المبنية على دعايات مغرضة ، لم نتمكن من الكشف عنها لبعدها عنا فى الزمان والمكان ، أو لضآلة

المراجع التي اعتمدناها . فعلى النقد الموضوعي أن يعيد تقييمهم على أسس علمية جديدة ) صفحة ف من المقدمة .

وبمناسبة الحديث عن المراجع التي اعتمد المؤلف عليها في التعريف بهذا العدد الضخم من المترجم لهم ، فأنه — في الحق — لم يدع مرجعا أو مصدرا يسعفه في قطر عربي أو مهجري إلا رجع إليه ، واعتمد عليه ، وأن كان قد فاتته من ذلك حفنة من الكتب المحلية الموزعة في أقطار العالم العربي ، والتي لم يستطع أن يصل إليها بجهده ، كما فاتته حفنة من المجلات العربية التي كانت ستزوده بأكثر مما حصل عليه من مادة . وإلا فأين مجلة « مجمع اللغة العربية بمصر » التي لم يذكرها في كتب مراجعه ، والتي يبدو أنه لم يطلع عليها ، ولم يسمع بها !! وأين مجلة « الفكر المعاصر » المصرية ، ومجلة « الكتاب العربي » المصرية التي أغفلها ، مع ذكره لمجلة « العرب » التي يصدرها ويرأس تحريرها الأستاذ البحاثة الجليل حمد الجاسر ، ومجلة « العربي » التي تصدر عن وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ، ويرأس تحريرها الأستاذ العالم الدكتور أحمد زكي ؟ وهاتان لا تقلان عن هاتين ...

ويضم الجزء الثالث من هذه الموسوعة الضخمة بقسميه : الأول والثاني ، نحوا من ٥٤٠ ترجمة ، منها المائة ترجمة التي أسقطها — أو اضطر إلى أسقاطها — من الجزء الثاني من هذا الكتاب الذي صدر سنة ١٩٥٦ ، وقد أضاف إليها اليوم نحوا من ٣٥٠ ترجمة ، وهو عدد مبارك ضخم كان في استطاعة المؤلف أن يضم إليه أو يزيد عليه ، لولا أنه لم يشأ أن يجعل الكتاب ميدانا واسعا يدخله كل داخل بغير حساب ، فضيق في الجمع ولم يوسع بغير حساب .

ويمثل هذا الكتاب معرضا للفكر العربي المعاصر والحديث من الخليج إلى المحيط ، وما وراء اللجج الخضر للمحيط ، حتى يصل إلى العالم الجديد . وهكذا تجد فيه الأردني ، والتونسي ، والجزائري ، والسعودي ، والسوري ، والسوداني ، والعراقي ، والعماني ، والفلسطيني ، والكويتي ، واللبناني ، والليبي ، والمصري ، والمغربي ، والمهجري . ولقد تسلل إلى أبواب هذا المعرض الرحيب بعض أخواننا الأعاجم ممن كان لهم نشاط في حركات الفكر الإسلامي العربي ، كالشيخ شبلي النعمان المتوفى سنة ١٩١٤ ، والذي كان راصدا لجرجي زيدان ، والأسكندري ، والأب لويس شيخو اليسوعي ، ينقد آثارهم ، ويعقب على إنتاجهم ، وهو من كبار علماء المسلمين في الهند . وكالشيخ محمد حسن الشيرازي من علماء إيران ، والمتوفى سنة ١٨٩٤ م ، وهو الذي استعان به السيد جمال الدين الأفغاني في بعض قضاياه الإصلاحية . ولعل الذي شفع للشيخ الشيرازي بهذا التسلل أنه لجأ إلى العراق فأقام فيه معلما ومصلحا ، وظل بقية حياته بسامراء إلى أن توفي فيها ، فحمل نعشه إلى النجف ليدفن في ثراه ...

وليس هذا الاستثناء هو الوحيد في هذه الموسوعة . فأن زمان هذا المعرض الفكري

للنهضة العربية الحديثة قد حدده المؤلف تصريحا من بداية القرن التاسع عشر ، أى من سنة ١٨٠٠ م ، ولكنه أباح لنفسه أن يُدخل فيه واحدا - وواحدا لا غير - من رجال القرن الثامن عشر ، وهو المطران جرمانوس فرحات الذى توفى سنة ١٧٣٥ وبالطبع لم يكن له محل فى الترجمة له ، والتعريف به فى هذا الكتاب الذى حدد المؤلف معالم زمانه ، ولكنه يقول عنه فى المقدمة : ( فهو - وإن توفى سنة ١٧٣٥ م من مؤسسى النهضة الأدبية ، وزارعى بذورها ، ومن كبار روادها . ولذا لم يكن بد من ذكره ، وخصه بترجمة إضافية بين هذه التراجم التى عقدناها لهذا الرهط الكريم من كبار الأدباء والمفكرين العرب ، وإن ند عن الحقيقة التاريخية ). وهل نستطيع - بعد هذا الاعتراف الواضح ، والتعليل له - أن نلوم المؤلف الفاضل على هذا الاستثناء الذى أبدى له من جميل العذر ما جعله مقبولا غير مردود ؟ :

***

وإذا كان المؤلف الفاضل قد أعلن فى غير موضع منهجه فى التعريف بالمترجم لهم ، فأن ضخامة الكتاب كانت تجنح به إلى العدول والتعديل ... أما الخطة العامة للمنهج فباقية فيما يتصل بالعنصر الأول منها ، وهو : هُويَّة المترجم له ، أى : من هو ؟ والعنصر الثانى ، وهو ذكر مؤلفاته وتناولها بالوصف البيليوجرافى الكامل - وإن كان ذلك لم يتم على مدار الكتاب كله - والعنصر الثالث ، وهو خاص بذكر المصادر والمراجع عن المترجم لهم ، سواء أكانت هذه المصادر كتبا خاصة بالشخصية المترجم لها ، أم كتبا عامة تناولتها بالبحث فى فصل من فصولها أو فى موضع منها ، أم مقالات فى المجلات العربية :

ولنأخذ على سبيل التمثيل للنقص فى الوصف البيليوجرافى الكامل للمترجم لهم ، مثالا واحدا فى ترجمة الشيخ حسين والى عضو مجمع اللغة العربية بمصر ، فقد ذكر من مؤلفاته : ( الموجز فى علم أدب البحث والمناظرة) هكذا بدون وصف ببليوجرافى ، وكذلك فعل فى كتبه : ( كتاب الاشتقاق ) و ( القصيدة النومية ) و( تاريخ آداب اللغة العربية ) فأين ذكر الناشر ، ومكان النشر وتاريخه ، وعدد الصفحات ، وتعدد الطبعات للأثر الواحد وغير ذلك مما أسرف به المؤلف الوعد فى المقدمة ، وزعم أنه جرى فى الكتاب عليه ؟ ولم ينصف المؤلف من مؤلفات المرحوم الشيخ حسين والى إلا كتاب (التوحيد - مصر ، ١٩٠٩ ، فى علم الكلام ) وكتاب ( الإملاء الكبير - مصر ١٩٠٥ - نقده فى المقتطف ، ٣٠ ( ١٩٠٥ ) : ٤٠٨ ، ٥٥٩ ) ، وكتاب ( تمرين الإملاء - فى الخلق والأدب واللغة والإنشاء - مصر ، ١٣٢٩ ) ، وهو إنصاف - كما ترى - لا يرتفع إلى المستوى الذى وعدنا به المؤلف فى صدر الكتاب .

أما المؤلفات المخطوطة التى تركها الشخص المترجم له ولم يُقدَّر لها الطبع بعد وفاته ، فقد جهد الأستاذ داغر جهده ليدونها ، وأغلب الظن أنه حرص على أن لا يفوته

منها شيء ... ولكنها عمل شاق مضن . وإني لأعجب من مؤلفينا الأوائل كيف استطاعوا أن ينهضوا بذلك العبء مع بعد الشقة بين قطر عربي وقطر آخر، ومع طول الطريق ، وقلة وسائل الاتصال، فلا مسرّة ولا برقيات ، ولا سيارات ، ولا قطارات ولا مواخر ، ولا طيارات . كما في زماننا هذا ... ألا يرحم الله رجالنا من أمثال ابن خلكان في الوفيات، والباخرزي في الدمية ، والعماد في الخريدة ، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ، وحاجي خليفة في كشف الظنون .

لقد استطاع الأستاذ داغر أن يزودنا في ترجمته للشاعر العراقي مفتي الموصل السيد « محمد حبيب العبيدي » بثبت لمؤلفاته المطبوعة، رجع فيه في الأغلب الأعم إلى ( معجم المؤلفين العراقيين ) لكوركيس عواد ، ولروفائيل بطي ، ولغالب الناهي ، ولمير بصري ، ولكن فاته ثبت آخر من مخطوطات هذا الشاعر العالم الكبير أفدناه من بحث للأستاذ « عبد الرزاق الهلالي » بمجلة الأديب البيروتية، وقد رجع فيه إلى ما أفاده به الأستاذ « حازم المفتي » الذي كان مصدراً من مصادر الترجمة الجليلة التي كتبها الأستاذ الهلالي عن الشاعر المفتي محمد حبيب العبيدي في مجلة «الأديب». ولعل من المناسب أن نذكر هنا أسماء هذه المخطوطات وهي : ١ ـ شفاء الغليل في رحلة وادي النيل .

٢ ـ على مسرح الدهر ما رأيت ؟ وهي ملحمة تاريخية تعتبر من أروع ما نظم ، وتبلغ زهاء ألف بيت ، ومطلعها :

خاني بالله من رجم الظنون
ومن الحمقى ومما يعرفون

٣ ـ المجادلات السياسية وأسباب الفشل الأساسية .

٤ ـ إيقاظ الوسنان في حياة الأنسان .

٥ ـ حكم الشعب بين الديمقراطية والدكتاتورية .

٦ ـ مقالات وخطب سياسية ودينية واجتماعية .

٧ ـ الجرائم الثلاثة .

٨ ـ رسائل العبيدي « جزءان » .

أما المصادر والمراجع عن الشخصية المترجم لها ، فقد جهد المؤلف في تدوينها ، ولكنه ـ مع تشعب الشخصيات ، وتعدد الدراسات ، وقلة الوسائل، وبُعد التناول لم يستطع أن يوفيها حقها من الذكر ، فقد تفضل المؤلف ـ جزاه الله خيراً ـ فذكر مقالاتي ودراساتي في المجلات العربية عن الأدباء الذين ترجم لهم ، وكتبتُ أنا عنهم ، ولكنه أغفل بعض دراساتي في المجلات عن بعض هؤلاء الراحلين . وكذلك أغفل مقالات كثيرة لباحثين كثيرين . . . وما كنت أرجو من وراء هذه الملحوظة أن أشق عليه

بمزيد من التتبع ، لولا أنني أعلم مكانه في البيليوغرافي والتوثيق العلمي ، وأعلم أنه يقدر من ذلك على ما لايقدر عليه غيره في بلد عربي آخر ، فهو فرد في هذا الموضوع .

أما طريقة كتابة الأعلام في هذا الكتاب فلم يجر المؤلف فيها على منهج واحد ، ولا على سنن واضح . ولو أنه سار على خطة واحدة لقبلناها ورضينا بها ، ولكن الاضطراب في الطريقة يبلبل الذهن ، ويضل الباحث ضلالا كبيراً . فقد جرى على الطريقة الأجنبية المتبعة في لبنان اليوم ، وهي إيراد اسم الأسرة أو الجد قبل اسم المترجم له . فالأستاذ محمد مسعود يأتي تحت : مسعود ، محمد ؛ والدكتور محمد مندور يأتي تحت مندور ؛ والشيخ عبد الوهاب النجار يقع تحت : النجار ، عبد الوهاب ؛ والصحافي السياسي أحمد وفيق يأتي تحت : وفيق أحمد ؛ والصحافي أحمد حافظ عوض يأتي تحت اسم : عوض ، أحمد حافظ . ومن هنا تقع الأعلام في غير مواطنها الأبجدية الواجبة المألوفة . فأحمد وفيق يقع في حرف الواو ، وأحمد حافظ عوض يقع في حرف العين ، وعبد الوهاب النجار يقع في حرف النون لا العين وهكذا . .

ولو أنه سار في هذا النهج على طريق واحد ماكان لنا اعتراض عليه مادمنا عرفنا منهجه ، وعلمنا خطته . ولكنه يضع اسم على مبارك باشا على طريقتنا – أي في حرف العين بتقديم « على » على « مبارك » ، ويضع اسم الدكتور على الناصر على طريقتنا ، ويضع اسم عمر اليافي على طريقتنا ، ويضع اسم على الغاياتي على طريقتنا ، ويضع اسم محب الدين الخطيب على طريقتنا ، وكذلك فعل في أسماء محمد الأسمر ، ومحمد عوض إبراهيم ، ومحمد عوض محمد ، ومحمد البشير الإبراهيمي ، ومصطفى نجيب ، ومعاوية محمد نور ، ومنصور فهمي . وبهذا الوضع الذي يجري على الوضع السائد في البلاد العربية كلها يخالف طريقته التي جرى عليها في الأكثر الأغلب من كتابه . وبذا اختلف المنهج وطريقة كتابة الأعلام في كتاب واحد .

ولعل هذا الخلط في طريقة كتابة الأعلام هو الذي قاده إلى الخلط مثلا في كتابة اسم الأديب المصري الرائد : حسين أحمد المرصفي ، فقد كتبه – على طريقته – هكذا : المرصفي أحمد حسين ، مما يوهم أن اسمه هو : أحمد ، واسم أبيه : حسين ، مع أن العكس هو الصحيح ! !

وقد يخلط الأستاذ الفاضل بين اسم أحمد ومحمد ، ففي ص ١٥٥ يجعل اسم ( أحمد خيري سعيد ) ( محمد خيري سعيد ) ، ثم يعود في ذيل ص ١١٥٥ فيعيده صحيحا على خلاف ماورد في العنوان . كما يخلط بين اسم محمد ومحمود ، ففي ص ١١١١ يحيل اسم القاص المصري محمود طاهر لاشين إلى : محمد طاهر لاشين ، وكذلك يعيده خطأ في ص ١١٥٥ .

وفى بعض الأحيان يدخل ( ال ) التعريف على بعض الأسماء بلا مبرر ودون أن يكون ذلك واردا عليها فى أصل تسميتها ، كما فعل فى اسم المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش حيث يجعله : عبد العزيز الجاويش ، وإن كان أورده صحيحاً فى الجزء الثانى الصادر سنة ١٩٥٦ .

أما تحريفات الطبع فى الأعلام فقد وقع منها حفنة قليلة على مدار الكتاب كله ، فحسين فوزى يحرف إلى حنين ، ومحمد مسعود يحرف إلى محمد سعود ، وهكذا...

وما أكثر مايتصرف الأستاذ داغر فى الاسم الواحد إلى جملة صور ، بدلا من الثبات على شكل واحد وصورة واحدة لايتعداها ، فاسم الأستاذ عبد الله يوركى حلاق ، يرد تارة عبد الله حلاق ، وتارة عبد الله يوركى ، وثالثة يوركى حلاق . . . واسم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى يرد تارة عبد المنعم خفاجى ، وثانية عبد المنعم خفاجة ، وثالثة محمد عبد المنعم خفاجى ، ورابعة يورده هكذا : محمد عبد المنعم خفاجة ، كما فى ص ١٠٠٩[1] !! .

ولعل هذا الخطأ المطبعى الوارد فى بعض الأعلام تغفر له حفنات أخرى من الأخطاء المطبعية الواردة فى الكتاب كله ، كما فى ص ٩٩٢، حيث ورد اسم فهد العسكرى ، وصوابه : العسكر بدون ياء : وكما فى ص ١٣٩٨ حيث ورد : المصحف المقسم — لفريد وجدى ، وصوابه : المفسر ؛ وكما فى ص ١٤٠١ حيث ورد تاريخ ١٩٣٦ ، وصوابه ١٨٣٦ ؛ وكما فى ص ١٠١٢ حيث ورد فى المراجع : معجم المؤلفين ، مجلد ٩ ص ٢٧٧ ، وصحته : ٢٨٧ ؛ وكما ورد فى ص ١١١٢ اسم كتاب ( سخرية الناس) وصوابه : سخرية الناى ؛ وكما ورد فى ص ١٣٤٠ اسم ( أبى حيات الأندلسى ) وصوابه : أبى حيان ؛ وكما ورد فى ص ١٣٧٩ اسم بلدة ( السنبلاوى ) ، وصوابها : السنبلاوين ؛ وكما ورد فى ص ١٤٩٠ اسم محمد الخفيف ، وصوابه : محمود الخفيف ؛ وكما ورد فى ص١٤٩٦ اسم رواية ( سجين زلدا ) باللام ، وصوابها : زندا بالنون ... !

بقيت بعد هذا عدة من المآخذ والملاحظات نجد من تصحيح الوضع أن نشير إليها ، أو نصحح مافيها من وهم ، لاحبا منا فى التشهير وتكثير الأخطاء ، فأنا — والحمدلله — أبعد ما نكون عن ذلك ، ولكن حرصا على إحقاق الحق ، وتصحيح الوهم ، وإشاعة الصواب . وهانحن أولاء موردوها على ترتيب الصفحات :

* فى صفحة ٧٥٦ — ورد اسم المؤرخ المصرى عبدالحميد العبادى هكذا : عبدالحليم ، وهو خطأ ، وكذلك ورد فى ص ١٦٠١ .
* فى صفحة ٨٧١ ، السطر الأخير ، ورد

(١) وقد جاء محرفا فى موضع آخر هكذا : محمد عبد الغنى خفاجى !

كتاب ( مصر الأسلامية وتاريخ الخطط ) منسوبا إلى الأستاذ زكي محمد مجاهد صاحب كتاب ( الأعلام الشرقية ) ؛ وليس هو له ، وإنما مؤلفه الأستاذ محمد عبد الله عنان ، كما جاء في ص ٨٧٢ .

* صفحة ٩٠٦ — السطر الخامس عشر ، وردت العبارة الآتية : ( وأتيح للغاياتي أن يشهد ثورة ٢٢ يونيو في بلاده . . . ) وهي خطأ صوابه : ثورة ٢٣ يوليو .

* صفحة ٩٢٠ — السطر الأخير ذكر من مراجع ومصادر الشيخ كامل الغزي : مجلة المجمع . بدون تخصيص لأي المجامع العربية .

* صفحة ٩٣٣ — السطر الأخير ، ذكر المؤلف أن الدكتور بشر فارس ( سافر إلى باريس حيث نال الدكتوراه ، وعاد إلى الجامعة المصرية أستاذاً ) وهذا وهم لم يفطن له المؤلف ، فالذي نعلمه أن الدكتور بشر فارس لم يعين في الجامعة المصرية ، ولم يكن أستاذاً فيها ، وإنما كان عضواً وكاتم سر للمجمع العلمي المصري .

* صفحة ٩٦٨ — السطر الثالث عشر — جاء أن المرحوم محمد فريد أبوحديد كتب في « السياسة الأسبوعية » ، وفي « الرسالة » ، والاقتصار على هاتين المجلتين لايصور الحقيقة كاملة ، فقد كان رحمه الله يكتب في مجلة « الثقافة » بوصفه عضواً في لجنة التأليف والترجمة والنشر . كما فات المؤلف أن يذكر أن الأستاذ أباحديد كان عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

* صفحة ٩٨٨ — السطر السادس عشر — جاء أن كتاب « محمود حمدي الفلكي » الذي ألفه أحمد سعيد الدمرداش صدر في ( سلسلة أعلام الأسلام ) ، والصواب أنه صدر في ( سلسلة أعلام العرب ) التي تصدرها الآن « الهيئة المصرية العامة للكتاب » .

* صفحة ١٠١٠ — السطر الثالث — ذكر أن شمس الدين قاوقجي ، العالم الفقيه الخطيب سند بلاد الشام في عصره توفي سنة ١٩٠٥ م ، وهو خطأ ، والصواب أنه توفي سنة ١٨٨٨م كما في « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة ، جزء ٨ ص ٢١٢ ، وجزء ٩ ص ٢٨٧ . واسم هذا العالم المحدث محمد بن خليل بن إبراهيم الحسني الطرابلسي ، ولقبه شمس الدين ، وكنيته أبوالمحاسن .

* صفحة ١٠٥٤ — السطران التاسع والعاشر ، جاء أن كتاب « قرية ظالمة » وكتاب « متنوعات » هما للأديب الدكتور محمد كامل حسين أستاذ الأدب المصري بجامعة القاهرة ، والمتخصص في الدراسات الفاطمية وعقائد الأسماعيلية . وهما ليسا له على الأطلاق ، بل هما من تأليف الأستاذ الطبيب الجراح الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية بمصر — مد الله في عمره ،

وقد جاءت الشبهة فى نسبة الكتابين من ناحية تشابه الاسمين تشابها تاما :

* صفحة ١١٤٣ – السطر السابع ، جاء فى التعريف بالمرحوم الأستاذ محمود مصطفى أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية أنه تخرج فى دار العلوم سنة ١٩١٢ ، وهذا صواب ، وإن كان يتعارض مع ماذكر فى رأس الترجمة له بأنه ولد سنة ١٨٩٩ ، وليس هذا بمعقول ، لأنه يعنى أنه تخرج فى دار العلوم وسنه ثلاثة عشر عاما .فالوهم هنا فى تاريخ الميلاد . .

* صفحة ١١٥٩ – السطر الرابع –ذكر كتاب ( من حديث الشرق والغرب)للمرحوم الدكتور محمد عوض محمد ، ولم يشر إلى النقد الذى نشره محمد عبد الغنى حسن لهذا الكتاب فى مجلة المقتطف سنة ١٩٣٧ . وقد كان المؤلف الفاضل الأستاذ يوسف أسعد داغر حريصاً على أن يشير نقد مؤلفات المترجم لهم فى كتابه ، ولكنه لم يلتزم بهذا المنهج دائما ، لما فيه من توسع ينتهى إلى التضييق ، فإن الإحاطة بذلك مطلب لايسهل تحقيقه .

* صفحة ١١٧٤ – السطر الثالث – جاء فى التعريف بالدكتور يوسف مراد ، أنه اختصاصى بالفلسفة وعلم النفس . وهذا حكم ينقصه الدقة ، فالدكتور يوسف مراد كان من المختصين بدراسات علم النفس ، تشهد بذلك كتبه ومنها : ( شفاء النفس ) و( سيكولوجية الجنس ) و( مبادئ علم النفس ) و( دراسات فى التكامل النفسى ) . ولم يعلم عنه تخصص فى الفلسفة .

* صفحة ١٢٨٣ – السطر الأخير ، ورد البيت الآتى من شعر السيدة الشاعرة سلمى الملائكة ، أم الشاعرة نازك الملائكة هكذا :

ورجحان فى عقلها لايضاهى
وسمو فى قولها والفعال

وهو مكسور ويستقيم وزنه بوضع كلمة رجوح ، بدلا من رجحان ، فيصير هكذا :

ورجوح فى عقلها لا يضاهى
وسمو فى قولها والفعال

* صفحة ١٢٩٧ – السطر الثانى . ورد اسم كتاب للدكتور منصور فهمى هكذا : (خطرات النفس ) ، وصوابه : (خطرات نفس ) ، وهو من مطبوعات دار المعارف سنة ١٩٣٠ ، وكان من حظى أن أستقبله – فى مطلع شبابى – بأبيات شعرية نشرتها صحيفة الأهرام فى ذلك الحين .

* صفحة ١٣٧٤ – السطر السادس . جاء فى التعريف بالشاعر المصرى محمد الهراوى صاحب « سمير الأطفال » ، ورائد الشعر السهل الخاص بأدب الطفولة ، أنه عين مديراً لدار الكتب المصرية . والذى نعلمه علم اليقين أن المرحوم الهراوى لم يكن فى يوم من أيام حياته مديراً لدار الكتب المصرية ،

وإنما كان مديراً لإحدى الإدارات فيها ، وشتان بين الوضعين . ولقد جاءت تواريخ ميلاد الهراوى ووفاته فى رأس ترجمته مضطربة بالتاريخين الهجرى والميلادى ، مما يقتضى التصحيح والانتباه من القارئ الكريم .

* صفحة ١٣٩٨ – السطر الثالث عشر .

جاء اسم « المصحف المفسر » للمرحوم محمد فريد وجدى هكذا : ( المصحف المقسم ) ، ولامجال هنا ولا محل للتقسيم . وأنما هو التفسير . على أن المصحف المفسر لمحمد فريد وجدى بين أيدينا وهو معروف ومشهور ، ولعل ذلك من أوهام الطبع وتحريفاته .

* صفحة ١٤٩٦ – السطر الخامس ، جاء فى الترجمة لعادل الغضبان أن من مؤلفاته ( مجلة الكتاب الشهرية ) . وهذا تساهل فى التعبير تنتفى معه الدقة الواجبة . فإن المجلة أو الصحيفة التى يصدرها المرء ليست من مؤلفاته ، ولكنها من أعماله وثمار جهوده .

هذا على أن مجلة الكتاب هذه لم تكن من أعمال عادل الغضبان ، ولكنها من منشآت دار المعارف التى عهدت إلى الشاعر المترجم له برياسة تحريرها .

وبعد ! فإنا نرجو من الأستاذ الوثائقى الفاضل يوسف أسعد داغر أن لايضيق بهذه الملاحظات التى لاتنقص مقدار ذرة من جهده العظيم الذى أسدى به إلى المكتبة العربية كتابا نعده مرجعاً لاغنى عنه للتعريف بحركة الأدب والفكر والفن فى العالم العربى الحديث . ونسأل الله أن يمد فى عمره ، لينجز ماوعد به من إكمال هذه المجموعة بنشر سلسلة تتناول التعريف بالأدباء والمؤلفين الأحياء البارزين فى العالم العربى اليوم . فليس من السهل أن نجد باحثا منقبا دءوبا منظما مثل الأستاذ داغر ، ليجزئ فى هذا المقام الذى تندر فيه الأقلام . . . ويقل فيه الزحام .

**محمد عبد الغنى حسن**

# شخصيات مجمعية

في الساعة الخامسة من مساء الخميس ١٢ من المحرم سنة ١٣٩٣ هـ ( الموافق ١٥ من فبراير سنة ١٩٧٣ م ) اقام المجمع حفل استقبال الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع الجديد من الأردن . وفيما يلى ما القى في الحفل :

## كلمة الافتتاح للدكتور عبد الرزاق محيى الدين فى استقبال :

## الدكتور ناصر الدين الأسد

● الدكتور عبد الرزاق محيي الدين :

باسم الله نفتتح الجلسة التى نستقبل فيها الأستاذ الجليل الدكتور ناصر الدين الأسد ، وكان من أعز أمانىّ أن أشهد هذا اليوم ، ولعل جميع العارفين بفضل الرجل كانوا يتطلعون فى شوق إلى هذا اليوم . والدكتور ناصر وإن كان أردنىّ مكان الولادة إلا أنه عربى منسوب إلى الأمة العربية على اتساعها أوطانا لا نسبة دم فحسب ، بل ونسبة ثقافة وأدب ، وله فى البلاد العربيـــة جهاد وطنى وأساتذة وطلاب ، ومعارف وقراء ، وله قبل كل شيء هذه النخبة الصالحة من المصريين : أساتذة وطلابا .

باسم المجمع — مجمع اللغة العربية — أتقدم بتحية الزميل الكريم ، وأتشرف بتقديمه فى هذه المناسبة ، والكلمة الآن للزميل الدكتور محمد مهدى علام .

## كلمة الدكتور محمد مهدى علام . . .

سيدى الرئيس ، سيداتى ، سادتى :

هذا يوم مشهود من أيام مجمعنا الموقر ، يوم يسعد فيه باستقبال عضو جديد يضم إلى كفاياته اللغوية والأدبية كفاية ممتازة ، ذات تاريخ وثيق فى ميادين اللغة والأدب والثقافة ، وكل ما يتصل بالفكر العربى الرفيع .

وإذا كان الممتازون من رجال العلم والفكر يتطلعون إلى شرف العضوية فى المجامع العلمية ، فإن هذه المجامع تتطلع كذلك إلى هؤلاء الأعلام لتملأ بهم ما يخلو فيها من الكراسى ، ليحل عالم جليل محل عالم جليل ، ولتظل الشعلة وهاجة تضئ السبيل أمام الأمة التى تنشئ هذه المجامع العلمية .

ومجمعنا هذا حريص على اختيار الأعلام الثقات الذين تتمثل فيهم أهدافه فى خدمة اللغة العربية وأدبها على أعلى مستوى . وفى سبيل ذلك يختار من صفوة أعلام البلاد العربية من يمثلون بلادهم ليكونوا مع زملائهم المصريين سدنة لهذه الكعبة العربية ، وحماة لهذا المعقل الحصين .

واليوم يشرفنى المجمع أن أنوب عنه فى عمل يسعدنى أن أقوم به لصديق كريم : أن أستقبل باسمه الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد .

ومهما يكن العضو الجديد الذى نستقبله معروفا لنا ولغيرنا ، فقد قضت التقاليد المجمعية أن يذكر مستقبِلُه شيئا عن حياته العلمية . ولولا ذلك لكان الدكتور ناصر الدين الأسد فى غنى عن أن أقول عنه أكثر من قولى : مرحبا بك أيها الزميل الجديد فى حرم المجمع عضوا نعتز بزمالته .

ولكننى متابعةً لهذه التقاليد، أقدم زميلنا الجديد بأنه من مواليد العقبة فى الأردن فى الرابع عشر من شهر ديسمبر ( كانون الأول ) سنة ١٩٢٢ .

وقد درس فى الكلية العربية بالقدس ، وحصل منها على الشهادة الثانوية الإنجليزية (المتريكيوليشن) سنة ١٩٤١ ، وبعد سنتين حصل على دبلوم التربية والتعليم من نفس الكلية. ثم التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصل منها على الليسانس الممتازة سنة ١٩٤٧ وتابع دراساته العليا فيها ، فحصل على الماجستير سنة ١٩٥١ بتقدير جيد جدا . وكانت رسالته لها عن « القيان والغناء فى العصر الجاهلى » .

ومع ما بذل من جهد، وأنفق من وقت ، وحقق من نتائج ، فى هذا الميدان ، فقد أحس — كما يقول — أنه يسير فى طريق لايكاد يستبين فيه مواطئ قدميه، وأن عليه أن يعود أدراجه ، ليبدأ بداية جديدة ، لا يخطو فيها إلا بعد تثبت وتيقن ؟

يقول : « وعدت، وبدأت الطريق من أوله ، وقضيت أربع سنوات أخرى ، خرجت منها بهذا البحث لدرجة الدكتوراه ، وأنا مقتنع بأن هذا الموضوع الذى أبحثه هو الخطوة الأولى الصحيحة التى تسبق كل خطوة غيرها ، فى سبيل دراسة الشعر الجاهلى » .

وبذلك حصل ذلك الدارس الجاد على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز فى سنة ١٩٥٥ ، على بحثه عن « مصادر الشعر الجاهلى ، وقيمتها التاريخية » :

وإذا حدثت امرأ نفسه بأن هذا الدارس كان يسير فى أرض معبدة ، وأنه كان يبحث موضوعا مطروقا ، فليقرأ هذا السفر العظيم الذى يربو على سبعمائة صفحة من القطع الكبير ، ليرى أن الأناة العلمية ، وإسباغ الدقة على مكاره التنقيب ، يتمثلان فى عمل من أهم أعمال الدكتور ناصر الدين الأسد ،

إن لم يكن حقا أهمها ، ذلك هو بحثه فى مصادر الشعر الجاهلى .

فمع وفرة ما كتب فى هذا الميدان ، بأقلام الباحثين العرب والمستشرقين ، ومع انتشار عشر المعارك التى خاضها فيه العلماء والمؤرخون ، لم يتردد « الأسد » أن يقتحم العرين ، ليثبت أنه صاحبه حقا .

ولكننى لا أنصف الدكتور ناصر الدين الأسد إذا وقفت فى تقديره عند هذين العملين العظيمين . مهما بلغا فى دقة البحث وعمقه، فإن له سلسلة من المؤلفات والبحوث المنشورة ، يقف القارىء أمامها فى دهشة وإعجاب ، لتنوعها فى إطار وحدتها .

ويتضح هذا التنوع فى إطار الوحدة من عبارة وردت فى بحث قدمه باسم « التراث والمجتمع الجديد » إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس فى بغداد سنة ١٩٦٥ .

فقد عرض فى هذا البحث الاتجاهين المتضادين فى العكوف على التراث وفى إهماله ، ثم أعلن رأيه فى اتجاه ثالث ارتضاه ، قائلا :

« وقامت مع هاتين الطائفتين ، واستمرت معهما تواكبهما ، طائفة ثالثة ، هى أقرب الثلاث إلى الفهم السليم ، وإلى طبيعة الحياة الصحيحة ، جمعت بين الحسنيين ، ورأت أن الحياة لا يمكن أن تجمد وتقف حيث كانت ، ولكنها فى الوقت نفسه لا يمكن أن تنطلق متحللة من كل نظام يربطها بخصائصها ومقوماتها التى تتمثل فى تراثها ؛ فأنزلت هذه الطائفة قديمها فى منزله الصحيح ، وعكفت عليه تدرسه وتحييه وتجدده ، وتستخرج كوامنه ، وتجلو روائعه ، ثم مضت فى حياتها على هدى من هذا التراث ، تستقبل الجديد ، وتحيا فيه حياة سليمة ، وتشارك فيه مشاركة أصيلة » .

وكذلك فعل ناصر الدين الأسد : ففى الوقت الذى يحقق فيه تحقيقا علميا دقيقا « ديوان قيس ابن الخطيم » ، و « ديوان شعر الحادرة » — يكتب عن « الاتجاهات الأدبية الحديثة فى فلسطين والأردن » وعن « الشعر الحديث فى فلسطين والأردن » ، وعن « خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة فى فلسطين » ، وعن « محمد روحى الخالدى رائد البحث التاريخى الحديث فى فلسطين » .

وفى الوقت الذى قد نترقب فيه أن تفكيره العلمى قد استغرقه بحثاه الرائعان اللذان عبر بهما خمسة عشر قرنا إلى مجاهل الشعر الجاهلى ، نراه يكتب عن « قصص الكيلانى للأطفال » ، وعن « فلسفة الاستعمار » ، وعن « الثورة العربية الكبرى والأدب » ، ويشترك فى الترجمة عن الإنجليزية للكتاب العظيم الذى كتبه جورج أنطونيوس عن « يقظة العرب » ، ويراجع الترجمة العربية لكتاب « ليبيا الحديثة » .

وأعود فأكرر أن هذه الإشارات الخاطفة لا تنصف مؤلفها . فهذا الكتاب الذى ترجمه مع زميل فاضل ، كانت له ترجمة

سابقة لأستاذ فاضل آخر . وكان طبيعيا وقد قرأت الأصل الإنجليزى ، والترجمة الأولى، وهذه الترجمة الجديدة ، أن تستوقفنى بعض الفقرات ، أختار منها هذه الفقرة التى تتصل بمشكلة اللغة العربية وصراعها مع اللغة الأجنبية فى سورية ، مرة مع التركية ، ومرة أخرى مع الفرنسية . يقول ( ص ٤٩٧ ) :

« ومن أكبر أسباب ذلك الاستياء (الاستياء من الانتداب الفرنسى ) تهديدهم لسيادة اللغة العربية . لقد كان من حسنات الثورة تصفية النزاع حول اللغة بين الأتراك والعرب. وحقق الدافع الثقافى الكامن وراء الثورة وجوده ، بعد النصر ، بتمليك اللغة العربية زمام الأمور ، أعنى بجعلها الواسطة الوحيدة للتعبير فى الحياة القومية، وفى تحوير نظام التعليم تحويرا كاملا . (وعلينا أن نعلم أن العامل الثقافى كان أعمق الدوافع وأكثرها طاقة فى الثورة ) — وكان رضى الشعب على أتمه عندما أصبحت اللغة العربية لغة المدارس والمحاكم بخاصة، غير أن الانتداب الفرنسى — وهو ذو أغراض سياسية خاصة فى شئون اللغة والتعليم — أعاد مشكلة النزاع القديم جذعة، فأصبحت مسألة اللغة فى المدارس والمحاكم محط نزاع جديد مثلما كانت الحال فى أيام الحكم التركى » .

والدكتور ناصر الدين الأسد رائد فى البحث ، كما اتضح لنا ، ولذلك اتجه فى كثير من نشاطه العلمى إلى البحث عن الرواد . فمن ذلك بحثه فى « الاتجاهات الأدبية الحديثة فى فلسطين والأردن » . وهو بحث رائد فى ميدان غير ذى معالم ، فوضع له الخطوط التى لا بد منها لتحديد الدراسة ، ومهد طريقا علميا لبحث الحركة الأدبية فى هذين القطرين العربيين . وقد استرعى إعجابى وأنا أقرأ هذا البحث أن مؤلفه بناه على الاطلاع على نحو ثلاثمائة كتاب أو صحيفة، وعرّف فيه بنحو مائة وأربعين كاتبا وشاعراً .

وبعد ثلاث سنوات عاد الدكتور ناصر الدين الأسد لموضوعه ليفصل بعض ما أجمل فى كتابه السابق ، فكتب عن الشعر الحديث فى هذين القطرين ، وكان جهده هنا جهد الرائد كذلك فى تتبع هذا الشعر فى الصحف والمجلات ، والمجموعات الخاصة ، وأفواه الأصدقاء .

ومن دراساته الرائدة عن الرواد، كذلك، كتاباه عن « خليل بيدس : رائد القصة العربية الحديثة فى فلسطين » وعن ، « محمد روحى الخالدى : رائد البحث التاريخى الحديث فى فلسطين» . ويتمثل فى هذين الكتابين منهجه فى التنقيب عن الرواد وآثارهم فى القطر العربى السليب الذى خشى صديقنا ناصر الدين أن يندثر تاريخه الأدبى والثقافى فى غمرة المحنة التى أصابته ، فما ترك حجرا إلا قلبه للوصول إلى ما سجله ، فكان فى ذلك الرائد المؤرخ للرواد .

سيدى الرئيس ،

إن هذا الأستاذ العالم قد قام بما قام به من التأليف فى الوقت الذى كان يتولى فيه

كثيراً من المناصب العلمية والثقافية . فهو أستاذ جامعي مارس المحاضرة في عدد من الجامعات العربية ، كما شغل مناصب قيادية في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . وهو الآن المدير المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وحسبي أن أذكر أنه مؤسس الجامعة الأردنية ، وكان عميدا لكلية الآداب بها ، كما كان رئيسا للجامعة نفسها .

إن الدكتور ناصر الدين الأسد يدخل مجمعنا الموقر تتقدمه إلى جانب ماذكرت من أعماله ، بحوث علمية ممتازة نشرتها له مجلة المجمع .

فباسم المجمع أتشرف بتقديم هذا العالم الثابت الجذور في أصول التراث ، الباسق الأغصان في الأدب الحديث ، الجامع بين عراقة القديم ، وروعة الحديث .

سيدى الرئيس ،

لقد سبق أن دعى الدكتور ناصر الدين الأسد فلبى دعوة الجامعة العربية . واليوم يدعى فيلبى دعوة العربية الجامعة .

## كلمة الدكتور ناصر الدين الأسد ...

سيدى الأستاذ الرئيس

الأساتذة العلماء أعضاء المجمع

سيداتى وسادتى :

هذا موقف هابه كل من وقفه قبلى ، وقد رجعت إلى كلمات أكثرهم فى هذه المناسبة ، فمنهم من صرّح ووضّح ، ومنهم من لمّح ولوّح ، غير أنهم جميعا فى الشعور بالهيبة من هذا الموقف سواء .

وبعضهم أساتذة لى أجلاء ، جلست ومازلت أجلس منهم مجلس التلميذ ، وبعضهم علماء اعلام ضربوا بأوفر سهم فى ميادين المعرفة الإنسانية وبلغوا فيها شأوا بعيدا ، وبعضهم ملكوا ناصية البلاغة والفصاحة فى الكتابة والخطابة ، ودانت لبيانهم الأقلام والمنابر ، غير أنهم جميعا — مع ذلك — فى الشعور بالهيبة من هذا الموقف سواء .

ولكن ، مالى أكنى بغيرى ؟ هل أرانى ألتمس بذلك العذر لنفسى حين أجد كل كلام أعده لهذا الموقف أقل من أن يبلغ مشارفه ، وأدنى من أن يرتفع إلى ذراه ؟ أجل ، إن الأمر لكذلك وما علىّ فيه إن شاء الله من بأس .

فمجمعكم أيها العلماء الأجلاء ، أشمخ صرح تعلو إليه الأعناق ، وأمنع معقل تتطاول إليه الهمم وأعلى منارة ترنو إلى ضوئها الأبصار ، فلا عجب أن يتنافس فى الانضواء تحت لوائه المتنافسون ويتسابق المتسابقون ، ثم لا يجوز بعد ذلك حماه ، ولا يدخل ساحته إلا صفوة الصفوة وخيّرة الخيرة ممن توسمتم فيهم القدرة على أن يكونوا حماة هذه اللغة وحراس تراثها ، وسدنة ثقافتها ، وما إن يؤذن لأحد منهم بالدخول ، وتفتح له الأبواب ، ويخطو خطوته الأولى ، حتى تتملك الرهبة نفسه ، وتملأ الهيبة قلبه ، ويحس بالخشوع وهو يسير فى رحاب الخالدين . ثم لا يخف عنه بعض هذا إلا حين تأخذون بيده ، وتتعهدونه بالرعاية ، ويألف المكان والصحاب . وأعوذ بالله ، أيها العلماء الأجلاء من أن أبالغ فى القول وأشتط فى الوصف ، وأجلكم وأجل مجمعكم عن أن أقول فيكم وفيه ما لا يوافق الحق . ولولا خشيتى من الظن أن ينالنى من الثناء نصيب ، بعد أن كرمتمونى وأذنتم لى فى دخول حماكم ، لقلت ما كان ينبغى أن يقال فى حقكم من أوصاف التعظيم والإكبار . ولوجب علىّ لمجمعكم ما قال أبو الطيب :

فساق إلىّ العُرْفَ غير مُكَدَّرٍ
وسُقْتُ إليه الشُّكْرَ غير مُجَمْجَمِ

غير أني لا أجد لمثل هذا الظن بي مكاناً في النفوس، فإذا كان من الصحيح أن بعض الذين يستحقون شرف العضوية بمجمعكم لم ينالوها لعلة ليست فيهم، فإن من الصحيح أيضا أنه ليس كل من اخترتموه، مستحقا الاستحقاق كله لشرف العضوية حين الاختيار. وليس في الحالتين ما يقدح في المجمع ولا في الأشخاص، ولا ما يخالف سنة الحياة وطبائع الأشياء، فالنفر الأول إنما حال بينهم وبين المجمع أن عدد الأعضاء محدود وأن المستحقين كثر فلابد من أن يؤذن لفريق وأن ينتظر آخرون. وأما النفر الثاني، فإنما أدخلهم تشجيع العلماء لتلامذتهم، ورعايتهم إياهم، وحدبهم عليهم ورغبتهم في أن يتمرسوا بعملهم على أيديهم وفي ظلهم، عسى أن يكون منهم في مقبل الأيام من يواصل الرسالة ويستمر في حمل الأمانة. وما أحسبني إلا أحد هؤلاء التلاميذ الذين نالوا شرف التشجيع والرعاية والتعهد، وعليّ أن أطيل الاستماع والتعلم، وأن أفرغ أقصى الجهد في التلقي والاستفادة، وأن أسير على هدى هؤلاء العلماء الأعلام، ولا أملك إلا أن أعدكم بذلك وأعاهدكم عليه، وليس على الله ببعيد أن يحقق الأمل ويجعلني جديرا ببعض هذه الثقة الغالية.

من أجل هذا، أساتذتي العلماء، أكبرت الأستاذ الجليل الدكتور مهدي علام حين ندب نفسه ليستقبل أحد هؤلاء التلاميذ، ولم يخالجني شك قط في أنه قادر بحدّبه أن يغطي ضعفي، ومستطيع برعايته وجميل ثقته أن يرتفع بتقصيري، فأظهرني بهذا المظهر الذي صوره لكم كريم خلقه، وجاء حديثه كعادته أبدا:

إذا ما صافح الأسماع يوما
تبسّمت الضمائرُ والقلوبُ

فله أصدق الشكر وأخلصه كفاء ما أقال من عثرتي، وجبر من كسري، وزيّن من أمري.

ومن أجل هذا أيضا أشفقت على نفسي الإشفاق كله أن أخلف في مجمعكم عضوا كان لاسمه من الدوي في أقطار وطننا العربي وفي بعض الهيئات العلمية الأجنبية، ما يجعله أكبر من كلمة يقولها فيه مثلي. وهل في بلادنا العربية: بين مثقفيها وعلمائها وأدبائها، من لم يسمع باسم قدري حافظ طوقان، ومن لم يقرأ له بعض نتاجه العلمي؟ غير أن الموقف يقتضي الخلف أن يذكر السلف، ولو كان رحمه الله حيا يسمع ما أقول لتغمده بما عرف عنه من سماحة وسعة صدر، وتجاوز عن تقصير الناس، واغتفار لعجزهم وضعفهم.

أجمع من كتبوا عن آل طوقان بنابلس في فلسطين – رد الله غربتها وطهّرها من دنس احتلالها – أنهم من عشيرة الطوقان السورية، وأنهم فرع من عشائر كانت تسمى الموالي. وربما كانت موالاتهم للدولة العثمانية سببا لتسميتهم بهذا الاسم. وكانوا ينزلون سهل الغاب، في سورية. وقد قيل في أصول الموالي أقوال مختلفة لتشعب فروعهم وكثرة المنتسبين

إليهم وكان من أهم فروعهم عشيرتان : الطوقان وآل أبي ريشة .

وكان الطوقان من شيوخ الموالى ، ويرجح بعض الباحثين أنهم يرجعون فى أصولهم إلى طيىء من عرب اليمن، وقيل فى سبب تسميتهم أقوال مختلفة ، منها : أنهم كانوا يضعون فى أعناقهم طوقين تمييزا لهم من بقية الموالى ، ومنها : أن الطوقين كانا رتبة من الدولة العثمانية تدل على منزلة معينة .

والمعروف أن آل طوقان جاءوا بعد ذلك من الجولان — فرج الله كربها وكشف غمتها — ونزلوا نابلس فى نحو سنة ١٠٦٦ للهجرة . وبدأ نجمهم يتألق حين عين صالح (باشا) طوقان متصرفا على القدس ، ثم توالى حكام نابلس من آل طوقان حتى نهاية الحكم العثمانى ، وكانوا يسمون بالبيكات لأنهم أبناء صالح (باشا) وحفدته بعد ذلك .

ومن أشهر رجالهم مصطفى (باشا) حفيد صالح (باشا) ، وكان شيخا على عشائر بنى صعب ، ثم عين واليا على مصر ثم واليا على الحجاز ، وظل فيها إلى أن مات سنة ١١٩٧ للهجرة . وشارك بعض القادة العسكريين من آل طوقان مشاركة فعالة فى قتال ظاهر العمر الذى اتفق مع على بك الكبير وحليفته روسيا على إعلان العصيان والثورة على الدولة العثمانية ، فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى ثم شاركوا كذلك فى قتال نابليون وهزيمته فى بلاد الشام .

وكما كان من آل طوقان الحكام والقواد كان منهم التجار والساسة والوزراء والعلماء والأدباء والشعراء ، ومن منا لم يسمع بشاعر فلسطين غير منازع المرحوم إبراهيم طوقان وبأخته الشاعرة فدوى طوقان ، وهما ابنا عم قدرى لحا .

فى ظلال هذه الدوحة ولدفقيدنا فى مدينة نابلس فى نحو سنة ١٩١٠ للميلاد ، وتلقى فيها دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم تلقى دراسته العالية فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، ونال منها شهادة البكالوريوس فى الرياضيات سنة ١٩٢٩ . وأصبح بعد تخرجه مدرسا فى كلية النجاح الوطنية بنابلس ، ثم تولى إدارتها سنة ١٩٥٠ فعمل على تطويرها وأنشأ فيها معهدا للمعلمين . ومع كثرة أعبائه وتعدد أعماله بعد ذلك ، ظل متمسكا بإدارته لكلية النجاح حتى انتقل إلى جوار ربه فى بيروت فى ٢٦ من فبراير سنة ١٩٧١ .

انتخب نائبا عن مدينة نابلس فى المجلس النيابى الأردنى سنة ١٩٥٠ ، وتسلم منصب وزير الخارجية الأردنية سنة ١٩٦٤ فعمل على تحسين العلاقات بين الأردن ومصر والاعتراف باليمن الجمهورى .

ذاع ذكره فى مجال البحث العلمى وخاصة فى تاريخ العلوم عند العرب ، وزادت تآليفه على عشرين كتابا ، وكتب كثيرا من المقالات فى العلم والسياسة والأدب والأخلاق نشرتها

له المجلات فى مختلف أقطار الوطن العربى ، وأذاع عشرات الأحاديث من إذاعات البلاد العربية وبعض الإذاعات الأوربية ، وألقى كثيرا من المحاضرات العلمية والتوجيهية فى عدد من البلاد العربية والإسلامية وانتخب عضوا فى نحو عشرة مجامع ومجالس وجمعيات علمية عربية وأجنبية ، وشارك فى عدد كبير من المؤتمرات العلمية والثقافية . ومنحته جامعة البنجاب شهادة الدكتوراه الفخرية فى القوانين تقديرا لجهوده المتواصلة فى الفكر الإنسانى والتراث الحضارى والعلمى .

أيها العلماء الأجلاء

سيداتى وسادتى :

هذه نظرة عابرة على حياة عريضة عميقة لرجل نذر نفسه للدراسة والبحث ، وعاش لهما ، واستغنى بهما عن الزوجة والبنين ، وعرفه أبناء أمته مما كان ينشر فى الصحف والمجلات وخاصة المقتطف والرسالة والثقافة ، ثم من مؤلفاته وبحوثه التى أصبحت ركنا أساسيا فى ثقافة الجيل .

وإذا كان مثل هذا المقام لا يحتمل الإطالة ، ولا يتيح الفرصة للإحاطة بشخصية فقيدنا وتحليل نتاجه العلمى ، فإن من الإنصاف أن نقف وقفة فيها بعض التأمل لخصائص ثلاث ، أحسب أنها المحاور الأساسية التى كان يدور عليها جهده ونشاطه فى مجال البحث والدراسة .

فأولاها — عنايته المتصلة بالتعريف بتراث العرب العلمى فى شتى ميادينه ، وخاصة فى الرياضيات والفلك ، ودعوته الدائبة إلى وصل حاضرنا فى العلم بماضينا الزاهر فيه ، لإقامة هذا الحاضر على أسس متينة من شخصية الأمة ومقوماتها ، مع تنبيهه الدائم إلى عدم الاقتصار على ذلك وضرورة الأخذ بالعلم الحديث وتتبع تطوره والاستفادة من أساليبه ومناهجه ونتائجه .

كان هدفه من عنايته ببعث تراثنا العلمى ودعوته إلى إحيائه ومعرفته هدفا واضحا محددا نص عليه بعبارات كثيرة فى مناسبات شتى ، منها قوله :

« لقد أدرك الغرب وبعض أمم الشرق أن بعث الثقافة من أهم العوامل التى ترتكز عليها النهضات والحركات ، وأن الأمة التى تبغى مجدا عليها أن تخلق فى الأفراد روح الإيمان بقدرتهم على الابتداع ، وأن تنشئ فيهم الشعور بالعزة القومية ، وذلك بالاهتمام بماضيها ، وربطه بحاضرها ، وتعريف الناشئة بجهود أسلافهم ومآثرهم فى ميادين العلوم ، وما كان لها من أثر فى تقدم الحضارة » .

ومنها قوله أيضا :

« إن الأمة العربية من الأمم التى خلفت آثارا جليلة فى ميادين المعرفة عادت على الحضارة بالتقدم والارتقاء . وقد لا يكون هناك أمة لها ما للأمة العربية من تراث خالد وأثر بليغ فى سير العلوم ، فلولا نتاج القريحة العربية لتأخر سير المدنية بضعة قرون . ومما يؤسف له حقا أننا أهملنا تراثنا ولم نلتفت إليه ، وأنه بإهمالنا هذا وعدم التفاتنا إلى مآثر أسلافنا أصبح لدى الكثيرين منا اعتقاد

بعدم قابليتنا ، وأنه لم يكن لأجدادنا أى جهد فكرى عالمى ، وأنه لم ينشأ بين العرب من استطاع أن يبلغ فى ميدان العلم مبلغ علماء أوربا وعباقرتها . ومن أغرب ما نشاهده اليوم أن نجد كثيرين ينكرون على العرب مآثرهم فى مختلف العلوم و الفنون ، وقد يزيد استغراب القارىء الكريم إذا علم أن هذا الإنكار سائد ومسيطر على المثقفين وأصحاب الشهادات والألقاب العلمية . وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، حد الإنكار ، بل يتعداه إلى الاستخفاف بكل ما هو شرقى عامة وعربى خاصة ، وإلى التنقص من جهد السلف وفضلهم على المدنية ، فى حين أننا نجد فى الغرب من قام يدافع عن الحقيقة لأنها حقيقة ، ومن قام يظهر الحق لأنه حق ، وقد دفعهم الإخلاص للحقيقة أن ينصفوا الحضارة العربية بعض الإنصاف ، فاعترف غير واحد بما للمدنية العربية من فضل على مدنية أوربا التى ينعمون بها . وقد ثبت لهم أنه كلما تقدم العلماء فى البحث عن نتاج قرائح العرب تجلى لهم فضل العرب على العلم والعمران بصورة أوضح ، وظهر لهم أن العرب سبقوا الغرب فى وضع النظريات الرياضية والفلكية والفلسفية ... إننا أولى من غيرنا بمعرفة عباقرتنا ونوابغنا . إنه لواجب مقدس علينا أن نهتم بتراثنا وبما أورثه أسلافنا إلى الأجيال » .

ومنها قوله أيضا :

« إن الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ليس فيها شذوذ أو خروج على منطق التاريخ ، فلم يكن بد من قيامها حين قامت . وقد قام أصحابها العرب بدورهم الكبير فى تقدم الفكر وتطوره بأقصى الحماسة والفهم ، وهم لم يكونوا مجرد ناقلين كما قال بعض المؤرخين ، بل إن فى نقلهم روحا وحياة ، وكذلك لم يكن ميكانيكيا ، فهو أبعد ما يكون عن الجمود .

وقد خطوا فى العلوم خطوات فاصلات كان لها أبعد الأثر فى تقدمها ؛ فبعد أن اطلع العرب على ما أنتجته قرائح القدماء فى سائر ميادين المعرفة نقحوه وشرحوه وأضافوا إليه إضافات هامة أساسية تدل على الفهم الصحيح وقوة الابتكار » .

بمثل هذه العبارات الواضحة حدد عالمنا هدفه وأبرز قيمة موضوعه . ومن أجل هذا كان من أوائل ما نشر من مقالات مقالة عنوانها « حول التراث العربى » وأخرى عنوانها « حاجتنا إلى ما يحيى الخصائص العربية » وثالثة عنوانها « حول محاضرات ابن الهيثم التذكارية » ورابعة عنوانها « الملاحة عند العرب » وخامسة عن « ابن ماجد : أسد البحر الهائج » ، وغيرها كثير .

ومن أجل هذا أيضا كان من أوائل ما صدر له من بحوث مطولة بحثه الذى أعده سنة ١٩٣٦ ، وعنوانه « الأثر العلمى للحضارة الإسلامية وأعظم علمائها » نشر فى كتاب « نواح مجيدة من الثقافة العربية » ، وهو هدية المقتطف السنوية ، وفيه بحوث لثلاثة علماء آخرين .

ثم صدر فى سنة ١٩٤١ كتابه الذائع الصيت « تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك» طبع ثلاث طبعات كانت الثالثة سنة ١٩٦٣ . وأصبح هذا الكتاب عمدة المثقفين والدارسين فى موضوعه ، وأثنى عليه كثير من العلماء العرب كالمرحوم الدكتور على مشرفة والأجانب كالدكتور سارتون، وقرظته المجلات العلمية والأدبية .

وتوالت بعد ذلك كتبه وبحوثه فى هذا الباب : فصدر له فى سنة ١٩٤٦ « الأسلوب العلمى عند العرب » ، وفى سنة ١٩٥٤ « الخالدون العرب»، وفى سنة ١٩٥٦ «العلوم عند العرب »، وفى سنة ١٩٥٨ « ابن حمزة والتمهيد إلى اللوغارتمات»، وفى سنة ١٩٦٠ « مقام العقل عند العرب » وفى سنة ١٩٦١ « أثر العرب فى تقدم علم الفلك » ، وفى السنة نفسها « العلوم عند العرب والمسلمين » ، وفى سنة ١٩٦٢ « الروح العلمية عند العرب والمسلمين » ، وفى سنة ١٩٦٦ « حيوية العقل العربى فى نقد الفكر اليونانى » ، وفى السنة نفسها « أبو الرّيحان البيرُونى » .

ونشرت هذه الكتب والبحوث فى القدس وعمان والقاهرة وبيروت، وبعضها طبع عدة مرات .

أما ثانية خصائصه : فتتمثل فى السعى إلى تبسيط المعرفة العلمية وتقريبها إلى عقول الناشئة وجمهرة المتعلمين والمثقفين ، وكان هذا دأبه فى كثير مما كان ينشر من مقالات فى المجلات والصحف السيارة التى كان يقرأها جمهور متفاوت الثقافة ، مختلف المشارب ، متعدد التخصص .

ومما ذكره فى هذا المجال فى مقالة نشرها فى المقتطف سنة ١٩٣٤ عنوانها « غرائب الأعداد وعجائب المعادلات » قوله :

« ومن البديهى أننى فى هذا المقال لا أستطيع أن آتى على جميع غرائب الأعداد وعجائب المعادلات ، فغرائب الأعداد لا تدخل تحت حصر عدا كون بعضها يحتاج إلى استعمال مّا قد يدخل السأم والملل إلى النفوس .

وأما عجائب المعادلات فسنأتى على ذكرها تنويها ، إذ تحتاج إلى استعمال الصعب من القوانين الرياضية والمعادلات العويصة ، وهذا ماسنحاول تجنبه فى مقالنا هذا ، ولكننا سنأتى على بعض أمثلة بسيطة من غرائب الأعداد وعجائب المعادلات من التى لا تحتاج إلا إلى إلمام بسيط بقواعد الحساب ومبادىء الجبر » .

ومما قاله فى هذا أيضا :

« لايستطيع أحد من الذين يُعْنَوْن بالعلوم الطبيعية والفلكية تبسيط بحوثها إلا إذا كان مالكا لناصيتها ، ضليعا فى اللغة، واقفا على أسرارها . فليس من السهل تقديم الموضوعات العويصة فى قالب خال من التعقيد والغموض، كما أنه ليس من السهل أيضا وضع النظريات والقوانين الكونية وما يتصل بها من ظواهر وحركات فى أسلوب يستسيغه أصحاب الثقافة

العامة وجمهور المتعلمين . . . ولهذا فقليلون هم الذين يوفقون فى عرض بحوث العلم الدقيقة والعويصة ، كالفلك والرياضيات والطبيعيات ، فى لغة سلسة سهلة المأخذ ، بعيدة عن الغموض والإبهام » .

وفى هذا الباب صدرت له ثلاثة كتب فى سلسلة « اقرأ » بدار المعارف بمصر . الأول سنة ١٩٤٣ وعنوانه « الكون العجيب » ، والثانى سنة ١٩٤٩ وعنوانه « العيون فى العلم » والثالث سنة ١٩٥٥ وعنوانه « البقاء والفناء » فى الطاقة الذرية . ونالت هذه الكتب رواجا لدى القراء فطبعت مرات كثيرة .

وأما ثالثة خصائصه فقد كانت حرصه على إشاعة المعرفة العلمية وجعلها جزءا من ثقافة المرء العامة ومن تكوينه العقلى والخلقى وأسلوبه فى التفكير .

فكان يؤكد فى كل مناسبة ربط العلم بالعمل فى جميع ميادين الحياة ، ويكشف عن الصلة الوثيقة بين العلم والخلق ، وأن المرء كلما زادت معرفته العلمية زاد معرفة بكثرة مايجهل ، وذلك يكسبه تواضعا وسموخلق ، وأن العلم يقود لا محالة إلى الإيمان . وكان يحرص على أن ينفى عن العرب والمسلمين التشبث بالخرافات ، ويبرز جوانب عقليتهم العلمية التى تعلل الظواهر الكونية ، وتردها إلى قواعد وقوانين فى نظام علوى وناموس إلهى تتجلى فيهما قدرة الله وحكمته فى أفعاله وأعماله .

وربما كان أشهر ما صدر له فى هذا الباب كتابه « بين العلم والأدب » سنة ١٩٤٦ ، وقد جمع فيه بعض مقالاته التى نشرها فى المجلات والصحف وبعض محاضراته العامة ، وفيها بسط لآرائه فى ضرورة التزود بالمعرفة العلمية لتكتمل للمرء ثقافته .

وبعد :

فما أحسبنى — مع هذا التطواف كله — قد وفيت فقيدنا بعض حقه ، وقد بقيت فى النفس أشياء كنت أتمنى أن أتحدث عنها ، وخاصة مايتصل منها بمواقفه وكتاباته القومية التوجيهية ، وقد صدر له كتابان : الأول سنة ١٩٥٠ وعنوانه : «بعد النَّكْبَة» والثانى سنة ١٩٥٣ وعنوانه : « وعى المستقبل » ، وهما كتابان لا يغنى عرض مجملهما عن قراءتهما .

أيها العلماء الأجلاء .

سيداتى وسادتى :

كنت من الذين سعدوا بمعرفة عالمنا الراحل حقبة زادت على العشرين عاما ، والتقيت به مرارا فى نابلس فى منزله وفى كلية النجاح الوطنية ، ثم كنت ألتقى به كل أسبوع حين شرفت سنة ١٩٦٢ بتأسيس الجامعة الأردنية فى عمان ثم توليت رئاستها ست سنوات ، وكان رحمه الله عضوا فى مجلس أمنائها ، وكان حديثنا لا يكاد ينقطع عن المصطلحات العلمية ، واستعمال العربية لغة للتدريس فى الكليات العلمية ولغة للبحث العلمى . وكانت صلتى بموضوع المصطلحات بدأت منذ سنة ١٩٥٥ حين عقد المؤتمر العلمى العربى الثانى فى القاهرة بدعوة من الإدارة

الثقافية بجامعة الدول العربية ، وكنت حينئذ عضوا فى وفدها إلى المؤتمر ، وبدأت من هذا المؤتمر عناية الإدارة الثقافية بتوحيد المصطلحات العلمية فى مراحل التعليم العام حتى نهاية الدراسة الثانوية : فى الرياضيات . والطبيعة ، والكيمياء والنبات ، والحيوان والجيولوجيا . فأعدت نماذج من الكراسات اشتملت كل صفحة من صفحاتها على عدة أعمدة ، تضمن العمود الأول مصطلحات علم من هذه العلوم باللغة الإنجليزية ، وعلى رأس كل عمود من الأعمدة الباقية اسم إحدى الدول العربية لتضع فى العمود المخصص لها اللفظة العربية التى تستعملها فى كتبها المدرسية مقابل المصطلح الأجنبى . وبذلت الإدارة الثقافية جهودا متصلة لجمع إجابات الدول العربية وتنسيقها ، واستغرق ذلك سنوات إلى أن ضم المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرّباط إلى جامعة الدول العربية ، وقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأصبح المكتب من أجهزتها ، فأحيل الموضوع عليه ، فسعى إلى استكماله من إجابات الدول العربية ومن جهود خبرائه فى استخراج النقص من الكتب المدرسية نفسها بعد أن جمع المكتب هذه الكتب من البلاد العربية ، وأثبت المصطلحات باللغتين الإنجليزية والفرنسية . وسيعرضها على المؤتمر الثانى للتعريب الذى سيجتمع فى الجزائر فى الشهر الأخير من هذا العام . هذه قصة واحدة من قصص كثيرة عن محاولات تنسيق المصطلحات وتوحيدها ، استهلكت هذا الجهد الكبير واستغرقت هذا الوقت الطويل . أما وضع المصطلحات : تعريبا أو ترجمة أو إحياء لكلمة قديمة ، فله قصص كثيرة عند العلماء والاتحادات العلمية والمجامع ، وحسبنا أن نقتصر على مجمعنا هذا وحده ونذكر الزمن الطويل الذى قضاه ، والجهد المضنى الذى بذله فى تقديم ثروة من المصطلحات فى مختلف فروع العلم والمعرفة وجوانب الحياة ، مما أسماه « المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة » بلغت عشرات الألوف من المصطلحات والألفاظ ، مع الشروح المعرِّفة بمعانيها ، المقرِّبة لدلالاتها ، نشرها فى مجلدات كبيرة تضم كل مجلدة مجموعة من هذه المصطلحات العملية والفنية حشدت لها جهود خبراء المجمع ولجانه ، وعقد لها مجلسه ومؤتمره جلسات طوالا استغرقت سنوات متواصلة .

واستأذن أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم مدكور الأمين العام للمجمع فى أن أستشهد ببعض ما كتب فى مقدماته لهذه المجموعات ، قال :

« ولغة العلم وليدة المصنع والمعمل ، وثمرة من ثمار قاعة الدرس والبحث . وقد تختلف من باحث إلى باحث ، ومن بلد إلى آخر . ويحرص المجمع الحرص كله على أن يلاقى بين هذه الأطراف ويوحد الكلمة ، ويجمع الباحثين والدارسين على لغة علمية عربية سواء . ولا يزعم مطلقا أنه بلغ فى ذلك الغاية ، فخبراؤه قد يتعددون فى الموضوع

الواحد ويختلفون ، وأعضاؤه قد يُغلِّبون استعمال قطر عربي على آخر . ولبعض المصطلحات التي أقرها لفظان مختلفان أو أكثر، ولا يزال الأمر يتطلب مزيدا من الصقل والتقويم. ويقيننا أن متابعة نشر مجموعة المصطلحات العلمية والفنية كل عام من أنجع الوسائل لتدارك بعض هذا النقص » .

وقال في مقدمة مجموعة أخرى :

« والمجمع يؤمن إيمانا جازما بأن قيمة المصطلح فى نشره واستعماله ، وينادى دائما بتوحيد المصطلحات العلمية بين العامة والخاصة فى العالم العربي بأسره ، ويأمل فى أن يعين نشر مجموعة منها كل عام على ذلك » .

ويقول فى مقدمة ثالثة :

« وليست اللغات مما يفرض فرضا . . . وإنما هى استعمال سَرَى واستقر ، وعُرِف هُذِّب ونُقِّح على مرِّ الزمن ، وحياة المصطلح العلمى فى تداوله ، وتوحيده فى أن يتفق عليه المشتغلون به » .

وكما استأذنته فى الاستشهاد بكلامه والاقتباس منه ، أستأذنه فى أن أفهم كلامه — وإن جاء ظاهره فى صيغة خبرية تقريرية — إنه فى حقيقته إنشائى دعائى ، أكاد أسمع من خلال ألفاظه صيحته المدوّية مهيبا بعلمائنا وجامعاتنا ومعاهدنا أن ينشروا هذه المصطلحات فيما بينهم وفيما بين تلامذتهم ،وأن يستعملوها فى بحوثهم العلمية وكتبهم ، وقبل ذلك ومعه وبعده، فى تدريسهم باللغة العربية؛ ذلك أن اللغات كما قال : « استعمال سَرَى واستقر ، وعرف هذب ونقح على مر الزمن . وحياة المصطلح العلمى فى تداوله ، وتوحيده فى أن يتفق عليه المشتغلون به » . فأين هم أساتذتنا فى جامعاتنا ومعاهدنا الذين يستعملون هذه المصطلحات لتسرى وتستقر ، ويتداولونها لتحيا ، ويشتغلون بها لتتوحد ؟ إن المجمع قد أدى الأمانة ونهض بالرسالة ، وهو فى طريقه إلى استكمالها ، وبقى أن يقوم من يعمل المجمع من أجلهم بواجبهم .

وعلى ما للمصطلح من قيمة وخطر ، وعلى جلال عمل المجمع وجهده فيه ، فإن هذا ينقلنا إلى القضية الكلية ، إلى القضية الأم إلى قضية اللغة العربية من حيث هى . ماذا فعلنا بأنفسنا وبلغتنا ؟ بدأنا بأن جعلنا لغتنا مادّة ، مجرد مادّة دراسية ،لها دقائق معدودات فى جدول الساعات الأسبوعى فى المدرسة ، وعزلناها عن بقية المواد ، وأصبح التلميذ لا يسمع لغته إلاّ فى هذه الدقائق ، كما يسمع اللغة الأجنبية المقررة ، أما فى بقية المواد فتغيب عن أذنيه ونفسه هذه اللغة ، بل قد يسمع من بعض مدرسى هذه المواد الاستهانة باللغة العربية والحكم عليها بالعجز عن الوفاء بمعانى تلك المواد . ومع تراخى الزمن وانهزام النفوس ، أصبحت هذه اللغة ، فى أثناء الدقائق المخصصة لها ، تُدَرَّس بالعامية ؛ يستعملها مدرس اللغة العربية فى درسه وشرحه وحديثه فى حجرة الدراسة ، وما أشبه ذلك ؛

مما كان يحدث فى أواخر العهد التركى فى بعض بلادنا العربية من تدريس اللغة العربية باللغة التركية . واستطال الأمر وتفاقم حتى أصبحت العامية هى لغة التدريس والمحاضرة فى أقسام اللغة العربية نفسها فى الحرم الجامعى ولم تعد آ ان ناشئتنا تسمع أنغام الفصحى ، حيل بينهم وبينها ، فى المدرسة وفى الجامعة وفى المسرح والسينما والإذاعتين المسموعة والمرئية . كما حيل دون أن تكون هذه اللغة لغة العلم النظرى والتطبيقى ولغة البحث العلمى .

فإذا كانت اللغة هى أداة التفكير كما أنها أداة التعبير ، فإن من الطبيعى أن يكون تفكير المرء فى مستوى لغته ، أفيكون استعمالنا العامية وغلبتها علينا السبب فيما يتصف به أكثر تفكيرنا الآن من عامية وسطحية وتخلف ؟ إننا لا نعرف أمة فعلت بنفسها وبلغتها ما فعلنا. إننا أمة لا تتكلم لغتها ، وكل أمة سوانا تتكلم لغتها ، على تفاوت بين أبنائها فى قدرتهم على البيان بها بحكم تفاوت حظهم من التعليم والثقافة. فالإنجليزى يتكلم الإنجليزية ، والفرنسى يتكلم الفرنسية ، والألمانى يتكلم الألمانية ، وكل فرد فى كل أمة يُنَشَّأ من الطفولة المبكرة على سماع لغته والتحدث بها فى كل مادة من مواد الدراسة فى مراحل تعلمه جميعها ، وفى المسرح والسينما والإذاعة وغيرها . ومع ذلك فنحن نزعم — ونحن على حق — أننا أمة واحدة ؛ وأن أهم مقوم من مقومات الأمة الواحدة هو اللغة ، ثم نحطم هذا المقوم تحطيما بأيدينا .

معذرة ، أيها العلماء الأجلاء ، فإنى لم أقل سوى بعض مما تعرفون ، ومن أين لمثلى أن يأتى بجديد عليكم ! ، ولكنها نَفْثة مصدور لم يُطق كتمانها بعد أن طال وجعه منها ، فلم يجد من يبثه شكواه أجل منكم وأعون على البلوى . ولن نيأس ، فعملكم الدائب ، وذَوْدكم عن لغتنا ومنافحتكم دون حماها ، كل ذلك كفيل إن شاء الله ببلوغ الغاية .

أساتذتى العلماء ، أعضاء مجمع الخالدين :

سأظل ما حييت أذكر لكم صنيعكم ، وأشكر لكم فضلكم ، حتى إنى :

لقد خِفْتُ أنْ لا تقنع النفس بعدها
بشىء من الدنيا وإن كان مقنعا

ورحم الله أبا العلاء ، فكأنه كان ينظر إلى ما فى نفسى لكم بعين بصيرته حين قال :

فإنَّ مُنَاىَ أنْ يُثْرِى حَصَاكُمْ
وتَقْصُر عن زُهائِكم الرِّمالُ
وأنْ تُعْطَوا خُلُوداً فى سعُودٍ
كما خَلَدَتْ على الأرضِ الجبالُ

وأضرع إلى الله العلى القدير أن يكتب الشفاء لشيخنا الجليل رئيس مجمعنا الأستاذ الدكتور طه حسين ، وأن يسبغ عليه ثياب الصحة ، ويرزقه طول العمر ؛ ليواصل رعايته للعلماء والأدباء ، وأهل الفكر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته «

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٣ هـ ( الموافق ٧ من مايو سنة ١٩٧٣ م ) اقام المجمع حفل استقبال اعضائه الجدد : الدكتور أحمد الحوفي ، والدكتور حامد عبد الفتاح جوهر ، والدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش . وفيما يلي ما القي في الحفل :

## كلمة الافتتاح للأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع :

بسم الله الرحمن الرحيم

زملائى :

سيداتى :

سادتى :

لقد كان السيد رئيس المجمع الدكتور طه حسين يودّ أن يشاركنا فى هذا الحفل ، ولكن حالته الصحيـــة قد اضطرته إلى الاعتكاف والاعتذار .

فباسم المجمع بل باسمكم جميعا أبعث بتحياتكم مع أمانينا له بالشفاء العاجل ، وإنه ليسر المجمع أن يجتمع اليوم لاستقبال ثلاثة من أعضائه الجدد وهم :

الدكتور أحمد محمد الحوفى .

الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر .

الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش .

وهناك زميل جديد رابع عزيز علينا جميعا هو الأستاذ الجليل مصطفى مرعى ، قد رأى لأسباب طارئة أن يؤجل استقباله إلى الدورة القادمة والمجمع ، إذ يسعده أن يهنىء زملاءنا الجدد بما نالوه من ثقة وتقدير ، ليسعده كذلك أن يرى كفايات عظيمة تضاف اليوم إلى كفايته ، وأن يرى نشاطا علميا جديدا سيلتقى بنشاطه . وإننا لعلى ثقة أن زملاءنا الجـدد سيسهمون بعلمهم وكفايتهم فى تحقيق رسالة المجمع وإنهم لفاعلون إن شاء الله .

مرحبا بكم أيهـا الفرسان الثلاثة فى المجمع الخالد .

أما الآن . . أيها السادة فسيتولى الزملاء : الدكتور إبراهيم أنيس ، والدكتور عبد الحليم منتصر ، والأستاذ إبراهيم اللبان استقبال زملائنا الجدد . سيلقى كل منهم كلمته بعد العضو الذى يستقبله .

وليتفضل الدكتور إبراهيم أنيس .

## كلمة الدكتــور ابراهيم أنيـــس فى ا ستقبال :

# الدكتور أحمد الحوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس ، السادة الزملاء أعضاء المجمع ،
سيداتى ، وسادتى :

كان من حظى ، بل مما أسعدنى حقا أن أشترك أ فى ترشيح صديقى الدكتور أحمد الحوفى لعضوية المجمع . ولبثت أواظب على الاشتراك فى هذا الترشيح ، وأنا سعيد بذلك ، إلى أن أتم مجلسنا الموقر اختياره ؛ لصبر العضو الجديد وجلده !! ذلك لأن للمجمع تقليدا لا يكاد يحيد عنه إلا فى حالات نادرة لها ظروفها ، هو أن يدع القاصد إلى محرابه واقفا ببابه ينتظر فترة قد تطول سنوات ، حتى يبرهن لنا أنه يتحلى بصبر أيوب ، وإذا بالأبواب الموصدة تفتح ، وإذا بالمرشح يصبح عضواً بين الخالدين !!

وحينما تخلف صديقى الدكتور الحوفى لا عن جدارة واستحقاق سعيت إليه على استحياء لأقص عليه ما كان . وأشهد أنى لم أصادف منه إلا ابتسامة السماحة والرضا ، التى كانت تعيد إلى الثقة بحتمية القدر ، والإيمان بأن كل أمر مرهون بلحظة محددة .

واليوم أيها السادة أشعر بالسعادة غامرة لفوز صديقى الدكتور الحوفى ، وأنى انتدبت لاستقباله والترحيب به .

وفى حديثى عن الدكتور الحوفى أود لضيق المقام أن أمر مرورا سريعا بتلك الناحية من حياته التى أشبهها بالسجل المدنى أو البطاقة الشخصية فأقول :

ولد فى قرية بالقرب من دمنهور سنة ١٩١٠ وبدأ تعلمه فى القرية وفى دمنهور ، ثم انتقل إلى القاهرة ليلتحق بتجهيزية دار العلوم ويستكمل فيها المرحلة الثانوية من تعلمه ، ثم التحق بدار العلوم العليا كما كانت تسمى آنذاك ، وتخرج فيها سنة ١٩٣٦ وكان أول دفعته . ولعله كان يتطلع إلى بعثة فى الخارج ، ولكن الظروف حينئذ لم تهيأ لذلك . فقنع صاحبنا بالتدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية بنين

وبنات ، وكان يعلم بإخلاص إلى أن كان فى المدرسة السعيدية حين ضمت دار العلوم إلى جامعة القاهرة ، ورأى مجلس الكلية أن يختار بعض النابهين من المتخرجين فى الدار ليكونوا معيدين أو مدرسين مساعدين ، وجاء الحوفى إلى دار العلوم الجامعية مدرسا مساعدا سنة ١٩٤٨ ، وهنا كانت فرصته ، أو كأنما وجد نفسه ، فحصل على الماجستير سنة ١٩٥٠ بتقدير ممتاز ، والدكتوراه سنة ١٩٥٢ ، بتقدير ممتاز . ثم تدرج فى وظائف هيئة التدريس إلى أن أصبح رئيسا لقسم الدراسات الأدبية ، ولما بلغ الستين عين أستاذا متفرغا :

وعكف الدكتور الحوفى خلال حياته الجامعية على التأليف ، فأنتج كتبا كثيرة فى الأدب العربى قديمه وحديثه :

فاستوحى من الأدب الجاهلى أربعة كتب هى الغزل فى العصر الجاهلى ، والمرأة فى الشعر الجاهلى ، وأغانى الطبيعة فى الشعر الجاهلى ، والحياة العربية من الشعر الجاهلى . وألف كذلك كتابا عن أدب السياسة فى العصر الأموى :

كما ألف كتبا خمسة عن بعض القدماء من أئمة العلم والأدب كالجاحظ ، والطبرى ، وأبى حيان التوحيدى ، والزمخشرى ، وابن الأثير ، وكتبا أربعة عن الإسلام هى : من أخلاق النبى ، وسماحة الإسلام ، وتحت راية الإسلام ، ومع القرآن الكريم .

وأخيرا ألف كتبا ثلاثة عن أمير الشعراء شوقى هى : وطنية شوقى ، والإسلام فى شعر شوقى والنسيب فى شعر شوقى . . . إلى غير ذلك من مؤلفات أخرى ، وكلها مطبوعة منشورة متداولة فى صورة كتب أحصيت فى المذكرة التى قدمت لنا فبلغت خمسة وعشرين كتابا ، قرأتها كلها والحمد لله !! فقد كان يقررها على حين يهديها إلى ، وكنا نستأنس بها فى ندوات علمية أو خلوات علمية حرصنا فى السنين الأخيرة على أن نعقدها معا بانتظام ، يعلمنى فيها ما لم أكن أعلم ويتعلم منى ما لم يكن يعلم ، فلا تكاد تنتهى الندوة أو الخلوة حتى نكون قد اهتدينا إلى رأى سديد ، أو فكرة جديدة فى مسألة علمية .

هذا إلى بحوثه ومقالاته الكثيرة التى نشرت فى المجلات العلمية والأدبية بالعالم العربى ، وإلى إشرافه على عدد موفور من الرسائل العلمية الجامعية .

والدكتور الحوفى أوجه أخرى من النشاط ، لا مانع فى الإعلان عن بعضها ، ولكنه يصر على إخفاء البعض الآخر . فأما الذى لا يرى مانعا من الإعلان عنه فمثل اشتراكه فى مؤتمرين إسلاميين بمكة وطرابلس ، وفى ثلاثة مؤتمرات أدبية اثنين منها ببغداد ، وواحد فى غزة ومثل أنه رئيس لجنة التعريف بالإسلام ، وعضو لجنة الخبراء بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وأما الذى يحرص على إخفائه لأنه لم يقم به إلا ابتغاء وجه الله ، فمنه أنه يرأس جمعية صغيرة للتربية الدينية والروحية بين أهالى الحى الذى يسكن فيه .

ويكفى أن تعلم أن من الآثار المجيدة لهذه الجمعية أنها بنت مسجدا جميلا فى ذلك الحى.

إلى هنا أيها السادة وأنتهى مما يشبه السجل المدنى أو البطاقة الشخصية للدكتور الحوفى ، لأقفز إلى ما أوثره من حديث آخر عنه أستوحيه من دراستى للغة فى شتى نواحيها ، وأتخذ لهذا الحديث عناوين ثلاثة :

(١) باب تأصيل الكلمات والدكتور الحوفى .

(٢) باب دلالة الألفاظ والدكتور الحوفى .

(٣) باب الأصوات اللغوية والدكتور الحوفى .

أما باب تأصيل الكلمات والدكتور الحوفى فمع أنى استطعت فى بعض بحوثى تأصيل كثير من الكلمات العويصة ، لعل أشهرها فى ذلك البحث الذى ألقيته فى أحد مؤتمرات المجمع تحت عنوان ( تأصيل كلمة السماء ) ، ومع هذا أعترف أمامكم أنى عجزت عن تأصيل كلمة « الحوفى » !!

وقد سألته فى ذلك فقال إن « الحوفى » أصلها « الحوْفى » نسبه إلى الحوْف ، وهو كما تقول المعاجم القديمة حرف الوادى وجانبه!

ثم ذهب صديقى وجاءنى بنصوص تاريخية قديمة تقرر أن قوما من قبيلة قيس نزلوا بالحوف الشرقى من مصر ، أى فى صحراء الشرقية ، وكان ذلك فى عهد هشام بن عبد الملك ، ثم وفدت إليهم بعد ذلك جموع من إخوانهم على دفعات ، ومازالوا يتكاثرون حتى صاروا خطرا على ولاة مصر ، فقد ثاروا على الولاة عدة مرات كان آخرها أيام المأمون ، فجاء إلى مصر بنفسه وأدبهم وقضى على ثوراتهم . ويرى المؤرخون أنهم جاءوا من نجد ، ويحب الدكتور الحوفى أن يتصور هذا ، بدليل أنه حين أعير لجامعة الرياض كان يحن حنينا عجيبا إلى صحراء نجد ، ويخرج للتجوال فيها !! ويذكر أنه فى إحدى المرات سأل الرائد النجدى عن نبت اشتهر بيننا جميعا منذ صبانا فى بيت من الشعر مشهور هو :

تمتع من شميم عرار نجـــــد
فما بعـــد العشية من عرار

فقال للرائد النجدى ، وقد بلغ به الحنين مبلغه إلى أجداده القدامى : ناشدتك الله ياأخى فى العروبة إلاّ دللتنى على العرار الذى اشتهرت به صحراء نجد !!

فنظر إليه الرائد النجدى دهشا متحيرا وقال : العرار ؟ إيش هذا ؟ لاأعرفه وماسمعت به من قبل !!

وهكذا نرى أن صديقى ينتسب إلى عرب الحوف الذين ورد ذكرهم فى تلك النصوص التاريخية ، وانتشروا بعد ذلك فى الدلتا والبحيرة مسقط رأسه !!

ولكنى أخالفه فى هذا التأصيل ، وأضن به ، بل أسمو به عن أن ينتسب إلى هؤلاء

القوم المشاغبين المشاكسين الذين يقول فيهم القرآن الكريم : « الأعراب أشدّ كفرا ونفاقا » !

وفوق ذلك هناك أمر يزعجني في هذا التأصيل المزعوم هو أن تطور « الحوْفى » كما يرى صاحبنا إلى « الحُوفى» تطور عرفناه فعلا في بعض الكلمات العربية مثل « نوْم » التى أصبحت فى ألسنتنا« نُوم»، وعرفناه أيضا فى لغات قديمة كاليونانية واللاتينية ، ولكنا عرفنا بعد طورا ثالثا للصوت المركب ( أوْ ) ، وتمّ ذلك الطور الثالث فى اليونانية ، واللاتينية فى أوائل العصر المسيحى . فأطوار الصوت المركب ( أوْ ) هى أن يصبح أولا أ ( ءو ) ثم يصبح (آ) . وأخوف ما أخافه أن (الحوْفى) الذى تطور إلى ( الحُوفى ) يتجه إلى الطور الثالث وهو (آ) فتكون الكارثة !!

لذلك أنصح صديقى العلامة البحاثة أن يلتمس لنفسه تأصيلا آخر يكون أليق به ، وإلا تطورا لاسم إلى مالا تحمد عقباه ! !

وأما من حيث باب دلالة الألفاظ والدكتور الحوفى ، فهناك حقيقة يعرفها المشتغلون بعلم الدلالة هى أن كثيرا من الكلمات ذات الدلالة المجردة يفهمها معظم الناس فهما تقريبيا ، ويتعاملون بها فيما بينهم تعاملا تقريبيا . ويكفى أن نتذكر ماقرأناه فى الصحف منذ أيام من أن هيئة الأمم المتحدة ظلت جيلا من الزمن ودون جدوى تحاول أن تعرف كلمة العدوان تعريفا جامعا مانعا ، كما يقول المناطقة !!

ولما ألفت منذ مايقرب من عشرين عاما كتابا فى دلالة الألفاظ كان علىّ أن أتصل بأمثال الدكتور الحوفى ، وأن أوثق صلتى بهم حتى أستطيع تحديد المعنى تحديدا دقيقا لبعض الكلمات ذات الدلالة المجردة من مثل : ( السماحة ، الكياسة ، العفة ، النزاهة ، الإخلاص ، الوفاء ) فأوشكت دلالتها بعد ذلك أن تصبح فى ذهنى دلالة حسّية ، لأنها تمثلت أمامى فى صورة حية بين السجايا التى يتحلىّ بها أمثال الدكتور الحوفى ! !

وأخيرا باب الأصوات اللغوية والدكتور الحوفى ، فنحن أيها السادة فى دراستنا الحديثة ، لأصوات اللغة نقسمها من حيث صلتها بطريق التنفس إلى أنواع ثلاثة . ولست أدرى لماذا أحب دائما أن أربط بينها وبين أنواع ثلاثة من الناس :

فهناك أصوات لغوية عند النطق بها نسمع شيئا من الدوى أو الانفجار ، لأن الطريق معها تعترضه سدود واختناقات ، وهذه الأصوات تصوّر لى نوعا من الناس هم أصحاب الجلبة والضوضاء الذين يتصايحون دون هدف فينطبق عليهم المثل المشهور : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا ، وليس فى صاحبنا شئ من ذلك ، فليطمئن المجمع !!

وهناك أصوات أخرى مجهدة مرهقة ، وعند النطق بها ينفذ الهواء من ممرات ضيقة جدا ، فنسمع لها صفيرا أو فحيحا كفحيح الأفاعى .. وهى تصور لى نوعا من الناس

هم المعقدون ، الجدلون ، الخصمون، الذين يبذلون جهد المستميت في الإعلان عن أنفسهم ، وليس فى صاحبنا شيء من ذلك ، فليطمئن المجمع !!

أما النوع الثالث من الأصوات وهو الذى أراه أشبه بصديقنا الدكتور الحوفى ، فهو تلك الأصوات اللغوية التى حين النطق بها لا يصادف طريق التنفس أى حوائل أو موانع ، فينساب النفس معها انسيابا هادئا مريحا ، وهى مع ذلك أوضح فى السمع وأبين هى الأصوات الموسيقية التى يتغنى بها ، أو التى هى أقبل للتغنى بها ، وذلك لجمال وقعها فى الأسماع ، وحسن جرسها فى الآذان . وجهاز النطق معها أشبه بجدول من الماء الصافى النقى البرّاق الذى يتحدر دون أن يكون لجريانه هدير أو خرير !!

وكذلك صديقنا الدكتور الحوفى يمضى فى حياته فى هدوء وسكون وسلام، وهو فى نفس الوقت واضح ، جلىّ ، لا التواء عنده ولا مواربة . يجيد الصمت كما يجيد الكلام ، فيحسن الاستماع إلى الناس ، ويستمتع الناس بحلو حديثه ، ثم لا يغريه ذلك أبداً بالصمت عن كلمة الحق ولا إلى أن يبتلى بشهوة الكلام !!

ومن الغريب أن هذه الأصوات الموسيقية هى أكثر الأصوات شيوعا فى لغتنا العربية، كما برهنت على ذلك إحصاءات الحاسب الإلكترونى ، وربما كان شيوعها فى لغتنا أكثر من أى لغة أخرى ، ولكن مع الأسف الشديد ، من يشبهها من الناس بين أبناء العربية فى هذه الأيام قليل أو نادر !!

أما بعد : فإذا سئلت أن أعبّر عن أحب تعريف بالدكتور الحوفى إلى نفسى قلت : هو التقى النقى ، الطاهر ، ثم أصبح علما من الأعلام الخالدين فى مجمعنا الموقر ، فأهلا به ومرحباً !!

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

## كلمة الدكتور أحمد الحوفى :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس

السادة الأعضاء

حضرات السادة والسيدات

منذ أذن لى أن أقوم هذا المقام تخالجت فى نفسى ألوان من الشكران، وتسابقت إلى البوح بها والإلسان عنها، وأنا أشعر بالمعجزة عن إيفاء كل منها مايرضيه من بيان . و ليس فى الجهر بهذا العجز تزيد أوتخيل، بل إنه الصدق المحض المبرأ من شوائب التحايل والادعاء، فكثيراً ماتكون العواطف أسمى من الشعر، وأقوى من النثر، وأعصى على التبيان .

وقد كنت أحسب أننى حينما أمسك بالقلم لأعد كلمة لهذا المقام يسهل على ما أبتغى من طواعية التعبير، ومواتاة التصوير، وإرضاء الضمير، فإذا بى حينما جد الجد ألفى قلمى مرضوضاً، وأحس لسانى معقوداً، وأجد بيانى ضنيناً .

وأنى لى أن أستطيع شكران الله سبحانه وتعالى على جليل نعمائه، وعظيم آلائه، إذ قيض لى أن أكون من سدنة اللغة العربية الفصحى التى اصطفاها لينزل بها قرآنه الكريم، واختار سيد بلغائها عليه الصلاة والسلام خاتماً لرسله، ثم شاء لى سبحانه وتعالى بعد حقبة فى سدانة هذا المحراب أن يكافئنى أعظم مكافأة، فيسر لى أن أكون عضواً بمجمعكم الموقر العظيم .

وكيف لى أن أوفى أخى الكريم وصديقى الحميم الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس حقه من شكرى لما طوق به عنقى من ثنائه، ولما أضفاه على شخصى الضعيف من فضله، ولما نوه به من ثمرات حبه؟ وإنه لأجدر منى بما وصف، وأحق بما أشاد، وأغلب ظنى أن علماء المجمع قد صافى بعضهم بعضاً، فاستنوا فيما بينهم سنة الإيثار، فيقدم كل منهم أخاه على نفسه، ويخلع مزاياه على غيره، ويكسو رصفاءه حللا من سماحته ودماثته ونبل مشاعره، تحقيقاً لقول أمير الشعر شوقى :

وما أدبى لما أسدوه أهـــل
ولكن من أحب الشىء حابى

وكقوله :

رب سامى البيان نوه شأنى
أنا أسمو إلى نباهة شانه

ومن أين لى أن أقتنص البيان اللائق بشكر السادة أعضاء المجمع لانتخابى عضواً فى مجمع الخالدين، لأنال شرفاً طالما هفت إليه قلوب واشرأبت آمال ، ولأكون معهم كالفنن المأمول الثمر فى دوحة فينانة هانية الجنى، مرموقة القطوف منذ زمان بعيد ؟

والحق أنه شرف عظيم لى أن أنضم إلى المجمع الأمثل الذى يكتنز صفوة من عُلَّام اللغة وخُلَّصانها، وأصفياء العلوم ووُحْدانها، لينمُّوا اللغة ويطوِّروها ويطوِّعوها للتعبير عن كل علم وفن وشأن من شئون الحياة ، وليصونوها من الجمود والتخلف ، وليرتفعوا بها عن مضايق العامية وفقرها ، وعن مزالق الفهاهة وضيرها ، فإنه من اليسير على من يشدُّون الناس إلى أسفل ليؤثِروا العامية فى خطبهم وفى شعرهم ونثرهم أن يدفعوهم إلى أعلى ليصطنعوا الفصحى لساناً مبيناً ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ولعل خير فكاهة تصور حال هؤلاء وأولئك هى قول الجاحظ : رأيت امرأة طويلة القامة وكنت على طعام ، فأردت أن أمازحها ، فقلت لها : انزلى كلى معنا ، فقالت : بل اصعد أنت حتى ترى الدنيا . فليصعد أنصار العامية إلى سماء الفصحى ليروا الثراء والجمال والبلاغة والافتنان .

عاشت الفصحى بياناً للعرب وعزة ، ودامت أوثق آصرة للأخوة والوحدة، وعاش المجمع اللغوى حدبا عليها، دءوبا على رعايتها، محققاً ما يأمله العرب لها من نماء وثراء وحيوية وازدهار .

* * *

أيها السادة الأجلاء والسيدات الفضليات

من سنن المجمع الحميدة أن يعرف العضو الخالف بالعضو السالف الذى خلفه على كرسيه :

وقد كان سلفى هو المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف .

١ ــ أما موجز حياته فإنه ولد بالإسكندرية فى ١٢ من يناير سنة ١٨٩٣ ، وبعد أن حصل على الثانوية العامة أوفد فى بعثة إلى إنجلترة ، فدرس فى جامعة برستول ، وتخصص فى الطبيعة والرياضيات ونال الدرجة سنة ١٩٢٠ ، وعاد من البعثة فعين مدرساً للطبيعة بمدرسة المعلمين العليا حتى سنة ١٩٣٠ ، وكان يدرس هذا العلم فى الوقت نفسه لطلاب مدرسة الطب ومدرسة طب الأسنان، ثم عمل مفتشاً بوزارة المعارف وناظراً لمدرسة الفنون والصنائع ، ثم اختير سنة ١٩٣٢ أستاذاً مساعداً لعلم الطبيعة بمدرسة الهندسة ، ثم أستاذاً بها حينما ضمت إلى جامعة القاهرة سنة ١٩٣٥ وتولى رياسة القسم ، إلى أن عين سنة ١٩٥٠ وكيلا لجامعة عين شمس .

ولما بلغ سن التقاعد سنة ١٩٥٣ استبقته الدولة وعينته مديراً لجامعة عين شمس سنة

١٩٥٤ وبقى فى هذا المنصب إلى سنة ١٩٥٦ إذ طلب إعفاءه من العمل .

وكان رحمه الله يساهم فى مجامع وجماعات شتى ، فهو عضو بالمجمع اللغوى منذ سنة ١٩٤٦ وعضو مراسل بالمجمع العلمى العراقى ، وعضو بالمجمع العلمى المصرى ورئيس سابق له ، وعضو بالأكاديمية المصرية للعلوم ورئيس سابق لها ، وعضو بالمجلس الأعلى للعلوم ، وعضو بلجنة الطاقة الذرية ، ورئيس الجمعية المصرية لتاريخ العلوم ، ورئيس الاتحاد العلمى العربى ، والشعبة القومية للاتحاد الدولى لعلوم الطبيعة . وأول نقيب للمهن العلمية .

وقد نال تقدير الدولة مرات ، فحصل على جائزة الدولة فى الطبيعة سنة ١٩٤٧ ، وعلى وسام الجمهورية من الطبقة الثانية سنة ١٩٥٥ ونال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم سنة ١٩٥٨ وهو أول من حصل عليها ، واستحق وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى سنة ١٩٥٩ .

٢ — وأما أخلاقه فقد كان رحمه الله مثالا رائعاً فى المواءمة بين الشغف بالعلم والكلف بمكارم الأخلاق .

كان كما رآه تلاميذه وخلطاؤه أبى النفس ، نقى القلب ، متأبياً على الصغائر ، متعالياً على متاع الحياة الزائل ، دمث الطبع ، حلو العشرة ، أنيس المجلس ، جم التواضع . وكان كما اعتاده خلصانه زاخر العلم ، عميق الفكر ، دقيق المعرفة ، مفخرة للعلم وللعلماء ، أعاد إلى الأذهان مواقف السلف العظيم الذين كانوا يعتزون بعلمهم فى كل مقام ، فقد عقد المؤتمر العلمى العربى الأول سنة ١٩٥٣ بالإسكندرية ، وانتخبه الأعضاء بالإجماع رئيسا ، فلما أقبل السيد رئيس الجمهورية ليشهد جلسة الافتتاح ، ابتدأ الأستاذ مصطفى نظيف خطبته فى المؤتمر بقوله : « لقد مضى الزمن الذى يسعى فيه العلماء إلى الحكام ، وجاء الزمن الذى يسعى فيه الحكام إلى العلماء » .

وكان رحمه الله مضرب المثل فى نهوضه بأعماله ، وفى حرصه على مواعيد عمله ، وفى كلفه بالإنتاج ، فلم يتخلف عن جلسة ، ولم يحضر جلسة إلا وهو دارس ماسيعرض فيها دراسة أمينة بصيرة ، فإذا المشكلات التى غُمّت وأعضلت تسفر وتستبين ، ويحصحص الحق ويبتهج الأعضاء . وكان غيوراً على الفصحى ، ومن أول الدعاة إلى تدريس العلوم بها فى الجامعات ، وقد ابتدأ هو بالتنفيذ العملى ، فدرّس علم الطبيعة باللغة العربية فى مدرسة المعلمين العليا منذ العقد الثالث من هذا القرن ، ودرس بها فى كليتى الهندسة والعلوم ، وساهم فى هذا المجال بمؤلفاته ومحاضراته ومشاركته فى لجنة العلوم الرياضية والهندسية والطبيعة وعلم النفس بالمجمع اللغوى ، وكان علمه بالعربية يسعفه بالمصطلحات التى يراها كفيلة بتأدية المعانى .

٣ — وأما إنتاجه فإنه إنتاج عالم جهبذ ، يعرض الموضوع فى كتاب أو بحث أو محاضرة عرضاً شائقا فى لغة فصيحة ، وأسلوب بارع ، ودقة فى الفكرة ، وأمانة على العلم ، لايتسهل

ولا يتهرب سواء أكان الموضوع فى مجال تخصصه أم فى غيره .

وحسبنا أن نذكر ثلاثة من كتبه :

**(١) الحسن بن الهيثم**

**بحوثه وكشوفه البصرية**

نشرته جامعة القاهرة فى سنة ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ فى مجلدين تقارب صفحاتها ألف صفحة .

درس فى هذا الكتاب ابن الهيثم دراسة مستوعبة كشف فيها عن عبقريته وعن بحوثه المبتكرة فى علم الضوء ، وبين آثارها فى نهضة علم الضوء الحديث ، ونوه بفضله فى إبطال ماسجله أو قليدس وبطليموس وغيرهما من أن الإبصار يتحقق بخروج شعاع من العين إلى الشىء المرئى ، وأثبت أن للضوء حقيقة ذاتية إذ يدخل الضوء إلى الشبكية ومنها إلى المخ فيحدث انطباع الأشكال .

ووضح أن ابن الهيثم هو صاحب الرأى الصحيح فى الأضواء الذاتيـة والعرضية والمنعكسة وفى الفجر والشفق والكسوف وقوس قزح ... إلخ ، وأنه السابق إلى الطريقة العلمية التى يزعم بعض الدارسين أنها من ابتكار علماء الغرب ، إذ كان يعتمد على الاستقراء ، وعلى القياس ، وعلى التمثيل ، وبهذا سبق « فرنسيس بيكون » وتفوق عليه :

وكان الأستاذ مصطفى نظيف يحض على إحياء مابقى من تراث ابن الهيثم وأضرابه من العلماء العرب ، ويلح فى أن نبصر به أبناءنا الدارسين وننوه به ، ولا يقتصر تنويهنا على بطليموس وأوقليدس وروجربيكون ودافنشى وكبلر وغيرهم .

ويقتضينى الإنصاف أن أجهر بأن الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر قد أعلن مرات — وهو عالم كبير لرأيه قيمته — أنه إذا كان ابن الهيثم قد تهدّى إلى حقائق عظيمة فى علم الضوء فإن الأستاذ مصطفى نظيف هو الذى جلّى هذا العلم فى العالم العربى بعد ابن الهيثم .

**(٢) علم الطبيعة**

**نشأته ورقيه وتقدمه الحديث**

طبع سنة ١٩٢٧ فى نحو أربع مئة وخمسين صفحة .

ألمّ فى هذا الكتاب بالمسائل الأولى فى تاريخ علم الطبيعة منذ نشأته فى العصور القديمة إلى أحدث نظريات العلماء المعاصرين .

وأولى عناية خاصة النهضة العلمية العربية الإسلامية وعلم الفلك عند العرب ، وآراء فلاسفتهم فى الطبيعة والميكانيكا وعلم الصوت والحرارة والمغناطيسية والضوء .

### (٣) البصريات الهندسية والطبيعية

نشره سنة ١٩٣٠ فى نحو ثمان مئة صفحة .

هذا الكتاب أول كتاب باللغةالعربية نهض بدراسة علم الضوء إلى مستوى الدراسات الجامعية عالج حقائق علمية متصلة بالضوء مثل الانعكاس والانكسار والعدسات والحركة الاهتزازية والحركة الموجية ووصف العين والتشتت والألوان والتحليل الطيفى : إلخ :

أما بعد

فقدكان الأستاذمصطفى نظيف مفخرة للعلماء ولأعضاء المجمع اللغوى تفكيراً وإنتاجاً وسلوكاً وسدانة للعربية الفصحى ، فُحقّ للشاعر الكبيرالأستاذ عزيزأباظة أن يقول فى رثائه :

وجد الهيثم ذهناً صافيـــا
كشف الأستارعنه والسُّدولا

أيها الباحث عن تاريخنـــا
إن فى تاريخنا مجدا أثيـلا

من يكن بالعلم غذى معهدا
فنظيف وحده علّم جيـلا

يانظيف العرض والنفس لقد
حمد الشرق لك الجهد الجليلا

والسلام عليكم ورحمة الله :

## ●●● كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر فى استقبال :

# الدكتور حامد جوهر

عشق البحر وعرائسه فتبتل إليه أربعين عاماً ، سكن إلى شواطئه ، يطالع أمواجه إذا أصبح ، ويتطلع إليها إذا أمسى ، يركب أمواهه سائحاً جائلا ، ويغوص فى لجته باحثاً منقباً ؛ ذلكم هو زميلنا الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر الذى نستقبله اليوم عضواً عاملا بمجمع اللغة العربية ؛ لنفيد من علمه وخبرته الطويلة بالبحار وعلومها .

ولد الدكتور جوهر سنة سبع وتسعمائة وألف ، والتحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية الابتدائية ، وحفظ جانباً من القرآن الكريم ، ثم تتلمذ على الأستاذ عبدالله عفيفى بالثانوية الملكية فتأثر به فى حب اللغة العربية ، وبخاصة الشعر ، الذى حفظ منه الكثير ، بل حاوله فى صدر شبابه . إنه من الجيل الذى تتلمذ على أعلام الشعر واللغة والأدب فى العصر الحديث : شوقى ، وحافظ ، ومطران ، والمنفلوطى ، والعقاد ، والزيات ، وطه حسين ، وأحمدأمين ، إنه الجيل الذى كان يحرص على قراءة إنتاجهم الفكرى والشعرى والأدبى مااستطاع إلى ذلك سبيلا .

التحق أول الأمر بكلية الطب ، ومع نجاحه بتفوق فى السنة الإعدادية ، فإنه آثر أن يتحول إلى كلية العلوم ، وكانت جديدة على مصر بل على الشرق العربى كله . فقد كنا نعرف مدارس الطب والهندسة والمعلمين وما إليها ، وكنا نعرف الطبيب ، والمهندس ، ومدرس الكيمياء ، أو الطبيعة ، أما الكيميائى أو الطبيعى أو الجيولوجى أو النباتى ، فلم يكن لنا به عهد ، بل لم يكن لمصر به عهد ، حتى قال أحد المسئولين لأحد أفراد الدفعة الأولى ، ومن بينهم زميلنا الكريم — وقد سأل عن الشهادة التى حصل عليها — عندما قيل له « بكالوريوس علوم » : ولم لا تقول « بكالوريا علمى » أحسن ؟

وكذلك تخرج صاحبنا فى كلية العلوم وعمل معيداً بها لتفوقه ، واختاره أستاذه ليبحث فى فسيولوجيا الحيوان فحصل على درجة الماجستير فى هذا الفرع من العلم بعد عامين من تخرجه .

ولكنه ما كاد يرى البحر الأحمر فى محطة الأحياء البحرية بالغردقة ، حتى شغفه حبًّا ، ولاعتبارات علمية ووطنية آثر المقام على شطآنه ليعمل مساعداً للرئيس الأجنبى ، فقد لاحظ أن العينات البحرية الثمينة من كائناته ورخوياته ومرجانياته يبعث بها إلى المتاحف العلمية الأجنبية ، فآثر أن يمضى زهرة شبابه ليكون حارساً أميناً على ثرواتنا العلمية من البحر ، وكأنما فتنته عرائسه فاتخذ من البحث العلمى فى كائناته وأسماكه ذريعة وتعلة ، ليبقى بجوارها متبتلا فى محرابها ، خبيراً عالمًا من خبراء البحر المرموقين .

إنه صاحب الرأى القائل بأننا يجب أن نعيش عصر البحار قبل أن نحاول عصر الفضاء . وإن أعالى البحار حق مشاع للجميع ، فمالنا نتطلع إلى الفضاء الواسع العريض قبل أن نرتاد البحار ونغوص فى أعماقها ، ونستخرج مافيها من كنوز ونستنفد مابها من ثروات . إن ثلاثة أخماس سطح الكرة الأرضية ، إنما هى بحار ومحيطات ، بها من الكنوز المعدنية والغذائية والبروتينية مايكفى مئات الملايين من البشر غذاء وكساء وصناعة .

إن نفقات البحوث البحرية محدودة وعائدها مضمون ، أما نفقات بحوث الفضاء فباهظة ، وعائدها غير مضمون . إن أهم مشكلات العصر هى الانفجار السكانى مع ازدياد الطلب على الموارد الأولية المحدودة ، فمالنا نقصر هذا التقصير الشديد فى استغلال البحار الواسعة العريضة .

وكذلك تابع البحث العلمى المنظم فى كائنات البحر الأحمر ، حتى حصل على درجة الدكتوراه فى العلوم فى هذا الفرع من المعرفة ، ولعله أول من حصل عليها فى مصر . ومع ذلك فلم تفتنه الدرجات العلمية التى حصل عليها ، ولا البحوث العالمية التى نشرت باسمه فى أرقى المجلات العلمية والتى نوهت بها المحافل العلمية الدولية . لم يفتنه ذلك كله عن البحر وعرائسه ، ولم يدفعه إلى التطلع إلى المناصب التى تشرف بها ، ولا إلى سكنى المدينة بدلا من الغردقة ، حيث زرقة السماء والماء وحيث الجو الدافىء شتاء والمعتدل صيفاً ، وحيث الكائنات البحرية من رخويات ومرجانيات يسعى إليها فى زورقه الناضورى ، ذى القاع البلورى ، يزورها كل صباح ، ولايعود إلى معامله ومختبراته ، إلا بعد أن يسجل مشاهداته وملاحظاته ، وبعد أن يأخذ عيناته يجرى عليها تجاربه بعد فحصها بعدساته ومجاهره .

وكذلك أمضى الدكتور جوهر زهرة شبابه ، بل وسنى كهولته باحثاً دارساً للبحر ، حتى غدا خبيراً عالميًّا مرموقاً من خبرائه ، فخرج على الناس بعشرات البحوث المنشورة فى أرقى المجلات العلمية والعالمية .

يبقى الأستاذ فى صومعته ، وإن طلابه ومريديه ليحجون إليه ، يتتلمذون عليه ردحاً طويلا أو قصيراً ، إلا أنهم لايلبثون أن يدفعهم الحنين إلى المدينة ، مغانيها ومرابعها فيتركوا الغردقة بعد عامين أو ثلاثة ، ويقطعوها فترات كيلا يبتعدوا طويلا عن حياة المدينة . أما صاحبنا فإنه قائم

بالبحر لايبرح ولا يريم ، وبتتابع الأعوام ؛ يتأستذ طلابه فيعودون سراعاً إلى مناصبهم ومعاملهم وكلياتهم فى هذه الجامعة أو تلك وفى هذا المعهد أو ذاك، ويبقى صاحبنا فى مهجره الذى ارتضاه لنفسه طائعاً مختاراً ، فقد كرس حياته لدراسة علوم البحار ، وليكوّن مدرسة من الباحثين ، يوجه طلابها ، كلًّا لدراسة فرع من فروع البحث المتشعبة، وإنما هدفه من ذلك خلق جيل يستطيع الاضطلاع بشتى نواحى البحث فى البحار المصرية ، ويستطيع بفهمه الأكاديمى حل المشاكل المختلفة الخاصة باستغلال الثروة المائية لهذه البحار استغلالاً حسناً .

على أنه وجه جانباً من اهتماماته بأحياء المياه العذبة، وبخاصة القواقع ناقلة الأمراض الطفيلية للإنسان والحيوان وكذلك أسماك النيل ذات القيمة الاقتصادية . وتمتاز بحوثه ودراسته بأنها متكاملة ، لاينتقل من بحث لآخر ، إلا بعدأن يحيط بجوانبه المختلفة .

ولعلى لا أغالى إذا قلت إنه أول مصرى فى العصر الحديث يشتغل بعلوم البحار على البحر الأحمر ، كرس حياته لها منذ أكثر من أربعين عاماً ، حين تسلم محطة الأحياء البحرية بالغردقة جنيناً أووليدا ، فنهض بها حتى يفعت على يديه ، وغدت معهداً له مكانته الدولية يفد إليه للدراسة العلماء والطلاب من كل رجا من أرجاء العالم :

إنه ابن ماجد العصر الحديث ، فإذا كان ابن ماجد قد قاد رحلة فاسكودى جاما فى أعالى البحار منذ قرون فإن الدكتور جوهر يقود البحث العلمى البحرى فى الوطن العربى فى القرن العشرين .

لقد كان الربان الماهر لسفينة البحث العلمى فى البحار المصرية ، فشارك ، وأشرف على تنسيق بحوث الثروة المائية فى مصر منذ أكثر من ربع قرن من الزمان ، فليس ثمة معهد ينشأ ، أوبحث بحرى، أوبعثة توفد ، إلا وهو صاحب الرأى الأول فى الإنشاء أو الإجراء أو الإيفاد وكذلك تتلمذ على يديه عشرات ممن حصلوا بإشرافه على درجات الماجستير والدكتوراه .

لقد أنشأ متحفاً بحرياً رائعاً، به مجموعات تحتوى على الغالبية العظمى من حيوان البحر الأحمر ونباته ، بحيث تعد مرجعاً لدراسة هذا البحر ، كما أنشأ مكتبة تضم أغلب المراجع الأساسية لدراسة البحر الأحمر ، تجمع معظمها عن طريق التبادل مع المعاهد العلمية البحرية العالمية. كما أنشأ معهدالأحياء المائية بعتاقة بالسويس ، وأقام به متحفاً آخر لأحياء البحر الأحمر ، نسقها تنسيقاً تصنيفيًّا وبيئيا على أحدث النظم والأصول العلمية . وأنشأ كثيراً من المماهات أو معامل البحث المائية التى تزود بماء البحر الجارى ، وهى فى الوقت نفسه مترْبى مائى خاضع للبحث والتجريب ، وبخاصة ما يسمى بالتجارب الضابطة . وكم شهدنا القروش والحيتان وعرائس البحر فى مماهات الدكتور جوهر

بالغردقة ، تسبح وتغتذى وتتكاثر وهى تظن أنهـا بمنأى من أعين الرقباء والدارسين وخاصة عينى زميلنا «جاحظ» العصر، الذى أعاد تجارب زميله التى أجراها منذ نحو من ألف عام على الطير والحيوان والحيات فراقب سلوكها ، وسقى بعضها خمراً ليرى أثرها عليها ، فكذلك فعل زميلنا ، ولكن بأسلوب العصر وأجهزته وأدواته ، وعلى الحيوانات المائية خاصة ، وإنما تجمعهما الدقة العلمية والأناة والصبر والمثابرة — وإذاقلنا : إن أبا عثمان كان أستاذاً فى علم الحيوان التجريبى وفى سلوك الحيوان ، وفى علم الشكل ، فإن زميلنا الكريم أستاذ بمقاييس العصر العالمية ، وبكل ماتحمله الكلمة من معنى فى علوم البحار بعامة ، ورخوياته ومرجانياته وأسماكه بخاصة.

ولقد نشر الدكتور جوهر بحوث محطة الأحياء البحرية ، وأشرف على طبعها ، وتبادلهامع مايزيد على ثلاثمائة معهد فى الخارج ، وظل يشرف على نشرها بانتظام مايزيد على ربع قرن من الزمان .

ولقد كسب الدكتور جوهر ببحوثه ودراساته شهرة عالمية ، فشارك فى عشرات المؤتمرات الدولية فى علم الحيوان ، وعلوم البحار والمصائد والبيولوجيا الإشعاعية فى الأحياء البحرية ، وأسهم فيهاجميعاً ببحوثه المبتكرة الأصيلة ، كما زار عدداً كبيراً جداً من الجامعات والمعاهد الخاصة بعلوم البحار والمصايد ومحطات الأحياء البحرية ومتاحف التاريخ الطبيعى والمباهات فى مختلف أنحاء العالم . وإنه ليقوم ببعض هذه الزيارات على نفقته الخاصة ، ولا يبخل عليها بوقت أومال لأنها من أجل العلم ، ومن أجل الوطن ورفعة شأنه وسمعته العلمية .

ولعل من مظاهر تقديره العلمى فى الخارج أو فى الوطن العربى ، أن دعته جامعة كمبردج لمتابعة بحوثه التى بدأها فى الخارج ، ولعلها كانت أول دعوة من نوعها بالنسبة لمصر والمصريين ، كما انتخبته أكاديمية العلوم فى واشنطن للعمل عضواً رسميًّا فى المؤتمر الدولى لمعاهد الأحياء البحرية سنة خمس وخمسين ، علما بأن مجموع الأعضاء اثنا عشر فقط ، وكذلك اختارته هذه الأكاديمية عام ثلاثة وستين للاجتماع الذى عقد بمدينة كوموبإيطاليا لدراسة تنشيط معاهد الأحياء البحرية ، وخاصة بمنطقة البحر المتوسط .

واختارته هيئة الأمم المتحدة سنة سبع وخمسين مستشاراً للسكرتير العام فى علوم البحار ضمن هيئة من عشرة مستشارين ، ثمانية منهم خبراء فى القانون الدولى ، وواحد فى شئون المصايد البحرية ، وذلك لتنظيم المؤتمر الدولى لقانون البحار ، وكذلك اختارته الوكالة الدولية للطاقة الذرية سنة تسع وخمسين فى المؤتمر الدولى للتخلص من مخلفات المواد المشعة . وكان رئيساً للجنة التخلص من مخلفات المواد المشعة فى البحر ، وكانت هذه اللجنة واحدة من اثنتين رئيسيتين تكون منها المؤتمر .

وقد أبرمت معه الوكالة الدولية للطاقة الذرية عقوداً لإجراء بحوث للكشف عن التلوث الذرى بماء البحر باستعمال الأحياء البحرية ، أشرف فيها على مجموعة من هيئة البحث بالمؤسسة المصرية للطاقة الذرية . وانتخبه المجمع الهندى للأحياء البحرية عضواً مراسلا عليا بأن عدد الأعضاء المراسلين لايزيد على عشرة لأن العضوية فخرية . كما اختارته منظمة الأغذية والزراعة بهيئة الأمم المتحدة عضوا بلجنتها الاستشارية. وأوفد متحف التاريخ الطبيعى بنيويورك الدكتورة يوجينى كلارك للعمل تحت إشرافه على الأسماك السامة لمدة عام ، وأتبع ذلك بإرسال سبعة من البحارة لنفس الغرض .

كما اختارته المؤسسة المصرية العامة للثروة المائية عضواً فى مفاوضات الحكومة السوفيتية للتعاون فى مجال الصيد فى سنة ثلاث وستين . ثم عضواً فى اللجنة الثنائية العربية السوفيتية المشتركة لتنفيذ الاتفاقية العربية السوفيتية فى مجال الصيد . واختاره المجلس الأعلى للبحث العلمى بالعراق لدراسة موضوع إنشاء محطة للأحياء المائية والبت فى تقارير سبق أن وضعها خبراء فى هذا الموضوع .

وزميلنا هو رئيس جمعية علم الحيوان بجمهورية مصر العربية منذ إنشائها سنة ثمان وخمسين ، ورئيس للجمعية المصرية لعلوم البحار ، وزميل بالأكاديمية المصرية للعلوم ، وعضو مجلس إدارة الاتحاد العلمى المصرى ، وأمين صندوقه ، ونائب رئيس المجمع المصرى للثقافة العلمية ، وزميل أكاديمية علم الحيوان الدولية بالهند، وزميل الأكاديمية الدولية لعلماء المصايد بروما، وعضو مراسل فى المجمع الهندى للأحياء البحرية ، وعضو المجلس الأعلى للمصايد منذ إنشائه ، وبلجان تنسيق بحوث الثروة المائية، وعضو مجلس كلية العلوم بجامعة القاهرة، وعضو اللجنة الدائمة لفحص الإنتاج العلمى للمتقدمين لوظائف الأستاذية بالجامعات فى علوم الحيوان والحشرات وعلوم البحار . وقد نال جائزة الدولة سنة ١٩٥٣ .

أيها السادة الزملاء

يطول بنا الحديث إذا أنا حاولت استقصاء أعمال زميلنا الكريم ، وقد آثرت أن ألوذ باتفاقنا على الاختصار، عجزاً منى عن ملاحقة هذا الربان العالمى الماهر ، أحد علماء العالم المعدودين فى علوم البحار ، أقدمه فخوراً به أن يكون أحد أعضاء مجمعنا الموقر ، فعضويته كسب للمجمع الذى يضمه ، وزمالته شرف للهيئة التى إليها يُنسب، والسلام .

## • • كلمة الدكتور حامد جوهر

سيدى الأستاذ الكبير الرئيس :

سادتى أعضاء المجمع الموقرين :

سيداتى وسادتى :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد ؛ ففى هذا المقام وأمام هذا الجمع الموقر من الجهابذة العظام ، أرباب البلاغة والإبداع ، وقادة الفكر والعلم والبيان ، ليس أحكم من القصد فى القول ، وبخاصة وقد وسع كرمكم ورحابة صدركم أربعة من الأعضاء الجدد دفعة واحدة ، وكان عليكم أن تستمعوا فى هذا الاجتماع إلى ست كلمات[1] .

ولما لم أكن فارس هذا المضمار فلا ينبغى لى إلا أن أفسح الميدان لزملائى الذين حباهم الله طلاقة فى اللسان ، وطلاوة فى الحديث ، وكلهم كذلكم والحمد لله .

ولكن الأمر الذى لامفر منه ، وهو من أحب الأشياء إلى القلب ، أن أبدأ بإزجاء الشكر لكم جميعا ، إذ تفضلتم فحبوتمونى بهذا الشرف الذى لم أكن لأتوق إليه ، أو تشرئب إليه نفسى ، أو يصبو إليه مثلى . ولكن سماحتكم كانت فوق ماتصورت وتصور لداتى .

ولا مرية فى أن أهم ما يفعم النفس من مشاعر فى مثل هذا الموقف إنما هو الشعور بالاعتزاز بالانتساب إلى مجمعكم الموقر الذى يسجل له الزمن كل يوم من الخدمات فى سبيل إعلاء لغة القرآن ، وإبراز طاقاتها الخلاقة والذود عنها من مفتريات أعدائها الكثيرين ، ما يجعل الانتساب إليه شرفا لايدانيه شرف ، وأمنية يحلم بها أعلام العلماء وأرباء الأدباء :

وإننى إذ أعتز بهذا الشرف الذى أوليتمونيه ليشاركنى فى ذلكم زملائى من المشتغلين بالعلوم الطبيعية ، إذ لامراء أن فى ذلكم لتقديرا للدور الخطير الذى تلعبه العلوم الطبيعية فى عصرنا الحاضر . ليس هذا فحسب ، ولكنه أيضا تقدير لما ظلت بلادنا العربية فى أمس الحاجة إليه ؛ من نشر الوعى العلمى والحياة بالعلم بين شعوبها . وتعريب التعليم العلمى فى جميع مراحله . تلكم الأمور التى يزداد الإحساس بها والحاجة إليها يوما بعد يوم ، والتى تتطلب منا جهودا مضاعفة للحاق بالتقدم الخيالى الذى تحرزه العلوم فى كل لحظة فى سائر بقاع العالم : ولنكون أقوى عدة وأكمل عتادا لما يجابهنا وسيجابهنا من معضلات .

---

( ١ ) كان من المقرر أن يستقبل الأستاذ مصطفى مرعى فى هذا الحفل ، مع زملائه الجدد ، ولكنه اعتذر لسفره إلى الخارج ، فتأجل استقباله للدورة الأربعين .

سادتى :

إنى ، وإن عجب بعض الناس ، لأجد ميادين مشتركة بين عمل مجمعكم الموقر وعمل المشتغلين بالعلوم الطبيعية والتجريبية . ولأضرب مثلا لهذا : ميدان « الكلمة » . إن أهم ما يميز العلوم الطبيعية أو على الأصح أهم مقوماتها هو الدقة ، بل إن المعرفة فى المجالات الطبيعية لاتصبح علما إلا إذا خضعت للوصف المدقق والتعبير السليم والقياس المحكم . وهل بدون الكلمة السليمة الصحيحة المختارة يمكن أن نسجل معرفة ما ، أو أن ننقلها من شخص لآخر أو من جيل لما بعده من أجيال ؟

لذلك فالمشتغلون بالعلوم الطبيعية حريصون الحرص كله على وزن اللفظ بأحكم الموازين وتعريف الأشياء والأفعال بأوضح التعاريف ، فلا يطلق اللفظ إلا على معنى واحد أو شىء واحد ، فلا تلتبس المعانى الواحد فى الآخر ، ولا تندغم المفاهيم أو تتداخل . وهذا أيضا هو سبيلكم فى عملكم الذى يسعدنا أن نسير معكم فيه على هديكم .

وتلكم العلوم الطبيعية الجامدة ، التى تقوم فى كثير من الأحيان على القياس والتركيب والاستنتاج والتعقيب والتعقيد ، بحيث تكاد تنطمس فيها معالم الجمال ، من أشد المشتغلين بها حاجة إلى شىء من الجمال يرفهون به عن النفس المكدودة ! وإنهم لواجدوه فى البحث عن اللفظ السليم يطابق المعنى المنشود ، فإذا وفقوا إليه طربوا له طربهم للقطعة الموسيقية أو الصورة الجميلة .

سادتى :

ليس بى ولا بكم من حاجة للقول : إنى لست متفقها فى اللغة ولا ما لكا لناصيتها ، ولكنى أراكم وقد بلغتم الأوج فى اللغة والقمة من بيانها وبديعها ، وغصتم فى أعماق تاريخها وألممتم بكل أبعادها ، أضفتم علوما متعددة منوعة . ومنذ سنوات كثيرة أدركتم بثاقب فكركم وبعد نظركم دور العلوم الطبيعية والتجريبية فى الحياة العصرية ، فأضفتم تخصصات جديدة وها أنتم الآن تضيفون فضلا جديدا وتخصصات أخرى مما نرجو أن يكون فيه إثراء للغتنا العتيدة الجميلة ، وإثبات لقدرتها على مجاراة التقدم السريع . فإذا كانت اللغة هى الروح فمختلف العلوم والفنون أجسادها ، وإذا كان لابقاء للجسد بلا روح ، فلا كيان لروح بلا جسد .

سادتى أعضاء المجمع الموقرين :

لقد شئتم أن أشغل الكرسى الذى كان يشغله المرحوم الأستاذ الجليل عبد الفتاح الصعيدى ، وتقتضى تقاليد المجمع المبادرة بالحديث عن السلف الذى دعيت إلى خلافته وفى ذلكم ظلم للراحل الكريم عظيم ، فلقد

كنت أوثر أن يحمل عبء هذا عنى من هو أبلغ منى لسانا وأقوى بيانا ، ليفى ذلكم الرجل الجليل حقه . ولكنه كان سمحا متواضعا فى حياته ، ولا أعتقد إلا أن السماحة والتواضع ما برحا روحه فى مماته .

وإنى لأستأذنكم أيها السادة أن أقف هنيهة أترحم فيها على روح شيخنا الفاضل ، وأبكى فيها زمالته المؤنسة ، وأخلاقه القويمة ، وعلمه الغزير ، وفضله الوفير ، وأتجه إلى الله تعالى أن يسكنه فسيح جناته ويجزيه الجزاء الأوفى .

لم تطل معرفتى بالزميل الكريم بقدر ما كنت أتمنى ، فلم تزد على نيف وعشر سنوات . وقد اختطفته يد المنون وهو أكمل مايكون صحة ، وأوفر مايرجى نشاطا ، وأحرص ما يكون على أداء واجبه كاملا .

لقد كان رحمه الله وفيا للمجمع أعظم ما عرف الوفاء ، وكان مخلصا له أكمل ماينبغى الإخلاص ، وكان المجمع ملء قلبه وبصره وسمعه ، لايقتسم قلبه مع المجمع مقتسم . كان كذلكم حتى آخر لحظة فى حياته . لفظ أنفاسه الأخيرة وهو فى طريقه إلى المجمع ليؤدى واجبا نحو زميل مثله عظيم سبقه إلى لقاء ربه . فكانت صدمته صدمة قاسية أصابت كل عارفيه ، وعارفى علمه وفضله ووفائه وإخلاصه .

كنا فى لجنة علوم الأحياء والزراعة نغوص فى بحر لغة القرآن ؛ سعيا إلى إخراج لآلئه ودره وجواهره وكنوزه الوفيرة ، فكانت تتلاقفنا لجج معجماتها ، وتتجاذبنا تياراته ، وكانت عملية شاقة مضنية . فكان لابد لنا من ربان ماهر خبير بسبل هذا الخضم العظيم ، ومسالكه ، فكان من المآثر الغر لمجمعنا الموقر أن أهدانا فى لجنتنا زمالة هذا العالم المبرز الذى وهب نفسه خالصة للمجمع ورسالته ، وكان له اهتمام خاص أصيل بتعريب المصطلحات العلمية والفنية . يدافع عن المصطلحات العربية السليمة ، وعن الألفاظ التى تحل محل الدخيل منها ، دائب البحث والتنقيب عن مفردات اللغة فى شتى النواحى ، ودلالاتها ، مؤمنا بسعة اللغة ووفائها بمطالب التقدم العلمى والفنى .

وجد فيه أعضاء لجنتنا العالم المتواضع جليل الشمائل ، صافى الود ، رضى الخلق ، متوقد النشاط ، دائب العمل ، محبا للبحث ، فما لبثوا أن أنسوا إليه واتخذوا منه صديقا حميا وزميلا كريما مكرما ، لم نجد أسعد ولا أحب إلى النفس من زمالته وصحبته .

لست أريد أن أستغرق وقتكم فى سرد تاريخ حياته ، وقد وفى ذلكم زميله الجليل الأستاذ عبد الحميد حسن حين رثاه إلى المجمع . وكل ما أحب أن أخص بالذكر هنا أنه كان عضوا فى أربع لجان علمية بالمجمع ، كما راجع دستور الأدوية من الناحية اللغوية بتكليف من وزارة الصحة ، وهو أول دستور رسمى يظهر باللغة العربية ، كما نشر بحثا عن « مصطلحات العلوم فى اللغة العربية ودور المجمع فيها » .

سادتى :

إذا ذكر المرحوم الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى ، فلا شك فى أن أول مايطرق أذهاننا ذلكم العمل الفذ والأثر المفيد الخالد الذى أنجزه سنة ١٩٢٩ هو وزميل كريم له ، ألا وهو معجم « الإفصاح فى فقه اللغة » فقد جمعا فيه مفردات اللغة طبقا لما تنتمى إليه من فصائل المعانى ، كالرياح والسحب الأشجار والثمار والملبس والمسكن وغير ذلكم . وفى سنة ١٩٦٤ نشرا طبعة ثانية منه موسعة ، وصلت إلى ضعفى الأولى . ولقد كان هذا المعجم العظيم خير رفيق ومعين لنا فى البحث عن كلمات عربية تقابل المصطلحات الأجنبية .

والله أدعو أن يتعهد الفقيد الكريم بفيض رحمته ، وأن يجزيه بما عمل خير الجزاء .

والآن أرجو أن تأذنوا لى بكلمة واحدة أتوجه بها إلى الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر لأسأله : كيف جاز له أن يقول فى كل ما قال ؟ وهو منى الأخ والزميل وصديق العمر ؟

إننى فى الواقع لا إخال إلا أن منتصر ( اسما ووصفا بأمر الله مستديما ) لا إخال إلا أنه يتقمص شخصية أخرى ليشحذ قريحته ويرسل بيانه ليمتدح إخوانه .

إننى لم أوت من البلاغة بعض ما أوتى ، ولن أتمكن من الرد عليه بمثل ما قال . وإنما يحق لى أن أقول : إننى أعتز كل الاعتزاز بما أنتم خير من يعرفون فيه ويقدرون له ، إلى جانب امتيازه العلمى ، من رسوخ قدمه وعلو كعبه فى شئون اللغة ، فلا قبل لى بأن أتبارى معه فى هذا المضمار . وكل ما يمكننى أن أفعله هو أن أزجى إليه الشكر خالصا عطرا .

وأخيرا أكرر لكم جميعا شكرى وعرفانى بعظيم جميلكم ، وأدعو الله تعالى أن يجعلنى أهلا لثقتكم الغالية ، وأن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خير أمتنا ولغة القرآن الكريم ، وأن يهدينا سواء السبيل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## كلمة الأستاذ ابراهيم اللبان فى استقبال :

### الدكتور إبراهيم الدمرداش

بسم الله الرحمن الرحيم

ولد السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش بالقاهرة فى ٧ من أكتوبر سنة ١٩٠٦ وتابع دراسته الابتدائية والثانوية فالعالية بنجاح وامتياز ، حتى حصل على دبلوم مدرسة الهندسة الملكية فى سنة ١٩٢٥ وكان أول الناجحين ، ثم سافر إلى سويسرا ، وهناك حصل من جامعة زيوريخ فى سنة ١٩٢٨ على دبلوم الهندسة المدنية ، ثم مضى قدما فى دراسته حتى نال منها فى سنة ١٩٣٠ درجة الدكتوراه فى العلوم الهندسية . وفى ذلك الحين كان التعيين فى تلك الجامعة مقصورا على السويسريين ولكن الأستاذ Karner الذى كان قد لمح فيه مخايل التفوق العقلى والعلمى استطاع أن يتخطى هذا الوضع الجامعى العام ويعينه مساعداً له .

هذا بإيجاز هو تاريخ دراسته العلمية ، ولكنه جمع فى دراسته بين العلم والعمل ، ففى السنوات من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٣ نال تدريبا عمليا واسعا فى أربعة مصانع كبرى هى :

١ ــ مصنع M.A.N بجوستافسبرج
M.A.N. Gustavsburg

٢ ــ مصنع G.H.H. بأوبرهاوزن
G.H.H. Oberhausen

٣ ــ مصنع كروب براينهاوزن
Krupp., Rheinhausen

٤ ــ مصنع دورمان لونج بلندن
Dorman Long & Co., London

ثم درب بعد ذلك فى سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٣٩ فى شركتين كبيرتين هما :

١ ــ شركة Buss والسكك الحديدية السويسرية .

٢ ــ وشركة De Havilland لصناعة الطائرات بانجلترا .

ولما عاد إلى مصر استقبل حياته العملية بعزيمة قوية وثابة ، وقام لأمته وبلاده بعدد

من الخدمات الجليلة فى داخل كلية الهندسة وخارجها وفى خارج الجمهورية أيضا . ونبدأ من ذلك بحياته فى الكلية :

فى سنة ١٩٣٥ عين مدرسا بمدرسة الهندسة ثم توالت بعد ذلك خطوات الترقية المعروفة فرقى فى سنة ١٩٣٩ أستاذا مساعدا، ثم عين فى سنة ١٩٤٤ أستاذا فى كلية الهندسة بجامعة القاهرة حيث شغل على التوالى ثلاثة كراسى مختلفة الاختصاص هى :

١ - كرسى حساب الإنشاءات ؛

٢ - وكرسى الكبارى والإنشاءات المعدنية .

٣ - ثم كرسى تصميم هياكل الطائرات ، وهنا عين رئيسا لقسم هندسة الطيران .

وقد أتيح للكلية أن توضع تحت إدارته أكثر من مرة :

١ - فقد انتخب عميدا لها فى سنة ١٩٥٢ ؛

٢ - وتحت نظام التعيين عين عميدا لها فى سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٦٢ .

هذه صورة موجزة لحياته داخل الكلية، ولكن نشاطه امتد إلى خارج الكلية كما قلنا من قبل :

١ - فقد انتخب عضوا فى اللجنة الدائمة للجمعية الدولية للكبارى والإنشاءات فى سنة ١٩٥٢

٢ - واختاره زملاؤه المهندسون نقيبا لهم فى سنة ١٩٥٥ .

أما أعماله خارج الجمهورية فتشمل :

١ - عدة محاضرات ألقاها فى سنة ١٩٥٩ فى أكاديمية العلوم ببودابست بالمجر وجامعة فينا بالنمسا .

٢ - والاشتراك المثمر فى عدة مؤتمرات دولية أهمها المؤتمر الدولى للكبارى والمنشآت بزيورخ سنة ١٩٢٨ ثم بباريس وبرلين ولييج وكمبردج واستكهلم فى ١٩٣٢ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٢ ، ١٩٦٠ على التوالى .

كما دعى إلى المؤتمر الدولى لأساتذة الجامعات بفينا سنة ١٩٥٤ وميونخ سنة ١٩٥٦ :

وقد نال جائزة الدولة التقديرية للعلوم سنة ١٩٦٨ .

وفى مجال الخدمات القومية أحب أن أنوه ببعض نشاطه فهو :

١ - عضو مجلس إدارة معهد أبحاث البناء ؛

٢ - وعضو مجلس إدارة المؤسسة العامة للطيران .

٣ - وعضو اللجنة العليا لأبحاث الفضاء الخارجى .

٤ - وعضو المجلس الأعلى للجامعات ؛

٥ - وعضو مجلس إدارة جامعة الأزهر ؛

٦ - وعضو ومقرر لجان فحص جوائز الدولة التشجيعية .

كما اشترك فى عضوية لجان تطوير التعليم الجامعى وكانت آراؤه ومقترحاته فى دستور

الجامعات ونظمها ولوائحها مرجعا فى كثير من التعديلات والإصلاحات .

والتتمة الطبيعية لما سبق هى الإشارة إلى مكانته العلمية العالية وسأتحدث عنها فى إيجاز :

للأستاذ الدكتور الدمرداش مدرسة خاصة فى بحوث الإجهادات الناشئة عن العزوم فى الشبكات الإطارية وفى الأعتاب الإطارية ، كما عالجت بحوثه المنشورة فى الداخل والخارج حساب العقود المشدودة ، والأعتاب المقواة ، والإطارات المقفلة ، والإجهادات فى أركان الإطارات والهياكل الإنشائية وحساب الكبارى المتحركة والانبعاج وغير ذلك من البحوث العلمية :

وقد تخطت شهرته العلمية حدود بلاده فورد اسمه فى بعض المراجع العلمية العالمية كالمرجع الذى أصدره الدكتور شليخر Prof. Dr. Schleicher مع نخبة من كبار الأساتذة فى يوليو سنة ١٩٥٥ كما نوه به الدكتور شتوسى Prof. Dr. F. Stüssi رئيس الجمعية الدولية للكبارى والمنشئات فى كتابه عن الإنشاءات المعدنية الذى صدر فى زيورخ : وذكره كذلك ريجنالد رينولدز : Reginald Reynolds فى كتابه Beware of Africans الذى طبع فى لندن فى سنة ١٩٥٥ :

وهو يجيد اللغة الألمانية إجادة تامة وبها كتب أكثر بحوثه كما يجيد الإنجليزية والفرنسية :

ومع هذا قائمة تحتوى على واحد وثلاثين من بحوثه العلمية الضخمة التى أصدرها باللغات الأوربية المختلفة :

وتبقى بعد ذلك كله شخصية الدكتور الدمرداش وسأمس بعض جوانبها التى تكشفت لى فى أثناء عملى معه كعميدين فى جامعة القاهرة لعدة سنين .

كان أول ما لفت نظرى أن الدكتور الذى نشأ هذه النشأة لم يخضع لإغراء ظواهر المدنية الحديثة بل ظل محتفظا فى قرارة نفسه بالروح الدينية العالية ، فكان فى جميع ظروفه محافظا على الشعائر الإسلامية محافظة صادرة عن إيمان عميق راسخ ، وكان بوجه خاص مواظبا على أداء الصلاة فى أوقاتها مهما كانت الظروف المحيطة به ، ولم يرعنى بالإضافة إلى هذا إلا سعة اطلاعه على الدين وعمق إدراكه لأصوله والكثير من فروعه :

أما الأمر الذى أثار دهشتى فهو مكانته الأدبية فإنه مع تذوقه للأدب العربى ودقة إحساسه بالجمال الأدبى حتى فى أخفى صوره ، قد جمع إلى ذلك موهبة خاصة نادرة فيمن كان فى مثل ظروفه فالدكتور الدمرداش شاعر ، وأحب أن أنوه هنا بمستواه الشعرى :

فإذا كان أسلوبه فى صحته ورقته وسموه يثير الدهشة ، فإن معالجته للموضوع الذى ينظم فيه الشعر تكشف للناظر عن براعة فنية قليلة النظير ، فهو حينما ينحدر إلى أعماق النفس البشرية يرى أدق حركاتها العاطفية

وأخفاها بوضوح تام ، ثم يكسوها من بيانه حلة سندسية تنم عن أدق معالمها وأعمق تطوراتها :

وقليل منا من يعلم أنه أودع الأوراق مجموعة صالحة من هذا الشعر الفريد ، أرجو أن يتاح له نشرها فى المستقبل القريب إن شاء الله :

أما إذا ذكر الوفاء ورعاية الحقوق فإنه يقدم فى كل ذلك أمثلة رائعة تركت فى نفوس إخوانه وزملائه آثاراً عميقة باقية ، وقد كان أروع ما رأيته منه أنه فى العهد الجديد كان يحرص أشد الحرص على أن يتقدم لمجلس الجامعة فى كل انعقاد تقريبا بثبت طويل من أسماء الخريجين الممتازين يطلب تعيينهم معيدين فى الكلية . وقد حملتنى دهشتى من كثرة العدد وأنه يفوق لامحالة حاجة الكلية على أن سألته : ماذا تقصد بهذا ؟ فكان جوابه : إننا مقبلون على عصر إنشاء فى جميع ميادين الحياة الصناعية والهندسية وسنحتاج لامحالة إلى عدد كبير من المهندسين ، للقيام بهذه الأعباء الكثيرة المتنوعة ، فمن الخير أن نسبق الحوادث ، ونعد العدد الكافى من المهندسين الأكفاء الضروريين ، للقيام بهذه النهضة العمرانية الواسعة :

هكذا كانت غيرته على المصلحة العامة فى مجال المهمة الموكولة إليه ، ومساهمته المخلصة المثابرة فى تقديم أوسع الخدمات الفنية لأمته وبلاده ، فى ساعة نهضتها ووقت حاجتها :

# البحوث العلمية المنشورة
## للأستاذ الدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش

1. "Beitrag zur Berechnung der Biegespannungen in Dreieck-Fachwerken mit und ohne Hilfssystem," Gebr. Leemann AG, Zürich, 1931.

2. "The Problem of Load Distribution on Floors," Year's Book of the Civil Engineering Society, Royal School of Engineering, Giza, 1935.

3. "Das Stahlgerüst für den Umbau der Mohammed Ali Moschee auf der Citadelle zu Kairo", Mitteilungen der Internationalen vereinigung für Brûchenbau und Hochbau, 1936.

4. "The Bending Stresses in the Members of a Truss due to the Rigid Connections at the Joints", Gebr. Leemann AG, Zürich, 1937.

5. "The Effect of a non-uniform change in the Temperature of a Truss", Year's Book of the Civil Engineering Society, Royal School of Engineering, Giza, 1937.

6. "First All-Welded Steel Structure in Egypt," the Welder, London, 1937.

7. "Welded Steel Shed used for the Egyptian State Railways at Nuzha", Alexandria, The Welder, London, 1938.

8. « الإجهادات الناشئة فى شكالات الريح نتيجة للتغير فى أضلاع الكمرات الرئيسية » المؤتمر الهندسى العربى بالقاهرة عام ١٩٤٥ .

9. "The Stresses due to a non-uniform Change in the Temperature of a Truss", Volume IX, Publications of the International Association of Bridges and Structural Engineering, 1949.

10. "Statics of the Vierendeel Girder" Volume XII, Publications of the International Association of Bridges and Structural Engineering, 1952.

11. "The problem of Web Buckling in a Plate Girder Section", Engineering Magazine, Cairo, 1952.

12. "The Vierendeel Girder with Equal Chord Stiffness", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1953-54.

13. "The Design of Bow-String Girders and Tied Arches", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1954-55.

14. "Determination of Bending Stresses in Triangular Framed Structuresby Elastic Weights and Couples", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1956-57.

15. "The Continuous Vierendeel Girder", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1956-57.

16. "Der Durchlaufende Rahmenträger", Volume XIX, Publications of the International Association of Bridges and Structural Engineering, 1959.

17. Re-"Buckling of Struts of Variable Bending Rigidity", Discussion of Paper 58-A-39, Journal of Applied Mechanics, The American Society of Mechanical Engineers, 1959.

18. "Der Rahmenträger", Vortrag im Ausseninstitut der Techn. Hochschule in Wien, am 14. X. 1959.

19. "A Kerettartók (Vierendeel-Tartok)", Lecture delivered in the Hungarian Academy of Science, Budapest, 1960.

20. "Solution of the Vierendeel Girder by Joint Relaxation and Member Slopes," Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University 1959-60.

21. "Zur Berechnung des Rahmenträgers," Der Bauingenieur, Heft 4, 1961.

22. "Re-Buckling Tests on Plate Girders", Theme VI. Sixth Congress, International Association of Bridges and Structural Engineering, Stockholm, 1960.

23. "The Method of Joint Relaxation and its Application to Vierendeel Girders", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1960-61.

24. "Vereinfachte Berechnung des Balkens mit Stabbogen", Mitteilungen der technischen Kommision, Schweizer Stahlbauverband, Heft 42, 1962.

25. "The Method of Alternating Relaxation", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1961-62 .

26. "Fixed-End Struts of Variable Section", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1965-66.

27. "Deformations of the Vierendeel Girder " Journal of the Egyptian Society of Engineers, Vol. VIII, No. 1, 1969.

28. "Stresses in Vierendeel Girders " Journal of the Egyptian Society of Engineers, Vol. VIII, No. 3, 1969.

29. "The Bow-String Vierendeel Girder", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1966-67.

30. "Analysis of Orthogonal Grid-Works", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1967-68.

31. "Elastic and Limit States Design", ASCE-IABSE International Conference on Planning and Design of Tall Buildings, Lehigh University, Bethlehem, Pennsylvania, U.S.A., 1972.

## • • كلمة الدكتور ابراهيم الدمرداش

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الأجلاء

أحمد الله على آلائه وأصلى على أنبيائه ، ثم أذكر من ذكرنى بالخير ، وأشكر له أن زكّانى لدى الغير ، كما أذكر وأشكر لمن تبع نصحه وتوصيته وأولانى صوته وثقته ، حتى وقفت ببابكم طالباً ومريداً ، ودلفت إلى محرابكم عضواً جديداً . يسّركم الله تعالى لليسرى ، وآتاكم من فضله الحسنى ، وحفظ العربية ذكراً ، والعروبة فخراً ، والعرب ذخراً ودهراً . آمين

أيها السادة الأجلاء

لو كانت لى الخبرة ، لما تردّيت فى الحيرة ، ولأشرت بالبنان إلى إبراهيم اللبّان ، ليكون لى رائداً فى مجمعكم ، ودليلا فى حلبتكم ، فهو مثال الرجل الكامل ، والعالم الفاضل ، ولقد حقق الله تعالى رجائى ، واستجاب لدعائى . وهاهو بالأمس يزكّينى ، ويقوم اليوم بتقديمى . جزاه الله تعالى عنى كل خير ، ورضى عنه وأرضاه . آمين .

أيها السادة العلماء

الرسم لغة المهندس ، فهو يؤثر الأشكال على الأقوال ، ويرصد وحى الخيال بالمنظور والظلال ، ثم يعطى فكره للناس ، هندسة فى قرطاس . وأنىّ له أن يصف آلة أو مبنى ، دون مسقط أفقىّ ، ومنظر جانبىّ ، بل قطاع ثمّ قطاع ، فى شتى الأوضاع .

والرسم فى الحقيقة تعبير مباشر ، صامت فى ذاته ، ناطق بصفاته ، يدل على نفسه بنفسه ، فلا يحتاج إلى ترجمان ، وإن أردت تفسيره بالبيان ، اختلف اللسان ، باختلاف الزمان والمكان . فللشىء الواحد فى كل بلد اسم ، وفى كل لغة رسم . فإذا سمعت الناس يتحدثون عنه اختلط الحابل بالنابل ، كأنك فى برج بابل .

من ثمّ تتضح فائدة الرسم كمختصر مفيد ، لماله من ميزة الإيضاح والتوحيد . والقول مع بلاغته ، والكلام على فصاحته ، لاغنى لهما عن الصور والأشكال ، فى أغلب الأحوال . لذلك تجد المعجمات تستعين بالمبنى فى تفسير المعنى ، وتأتى بالرسم لتعيين المسمىّ .

والفكرة والوحى والخيال ، هى مصدر الرسم والكتابة والكلام . إلا أن طريقها إلى الرسم أقصر ، وإلى الكلام أطول ، وإلى الكتابة أطول وأطول . ذلك أن اللفظ ترجمة للمشاهدة ، حسّية كانت أو معنوية ، والكتابة

ترجمة لهذه الترجمة . ومن ثم تتضح صعوبة النقل من لغة إلى لغة .

فإنك تصيد الفكرة بإدراكك ، وتسعى جاهداً فى التعبير عنها بحركات لسانك ، ثم تقيّدها بتسطير بنانك ، وكلاهما عرف عند بنى قومك . والدليل على ذلك ، أن كلامك لا يفقهه غيرهم ، وكتابتك لايفهمها من ليس منهم . فهى مجموعة من الأصوات والرموز ، لاتدل دلالة مباشرة على المقصود منها . فإذا جاء غيرك وقرأها ، وبطريقته فهمها ، ثم حاول نقلها إلى لغة أخرى لفظاً وخطا ، وليس اللفظ كاللفظ ، ولا الخط كالخط ، فهل تعتقد أن من قرأها بعد ذلك ، يدرك ماأردت ، ناهيك عمّا أدركت ؟ هذه هى الترجمة ، وتلك خطواتها ، ومايكتنفها من عقبات .

وأود فى معرض الحديث عن اللفظ والخط ، أن أشير إلى تلك المحاولات العقيمة ، التى تدعو إلى كتابة الفصحى بالأحرف اللاتينية ، كما فعل غيرنا بلغتهم الشرقية ، والفارق بين الحالتين كبير . فالعربية لغة أصيلة ، ذات تاريخ قديم ، وتراث جم ، من نثر وشعر وسحر بيان . فهل يحق لبنيها ، أن يتنكروا لماضيها ، ويجعلوا من الحرة العربية ، جارية أعجمية ؟ كلا ! وهل تعدل الحروف اللاتينية حلاوة الخط العربى ؟ ياقوم ! ما أجمل النسخ وأحلى الثلث ، وهل نعد الرقعة من اختزال ؟

ثم من يقول بأن الحروف الأعجمية تحكى النطق العربى الصحيح ؟ وتفصح كحفص ، فتحسن تلاوة القرآن الكريم ؟ إنى على يقين من أن هذا الاتجاه السقيم ، سيبعدنا جيلا بعد جيل ، عن لغتنا العربية ، والذكر الحكيم .

ومن هذا القبيل ، قول بعضهم : إن العربية الفصحى صعبة المراس ، ومن ثم فإنهم يؤثرون النزول بها إلى مستوى اللهجات الدارجة ، التى تختلف زماناً ومكاناً ، والتى من شأنها ، أن تباعد بين الشقيقين العربيين ، فوق أنها لاتكتب ، ولاتكفى لدقة التعبير . والأحرى بنا أن نصوّب هاتيك شيئاً فشيئاً ، حتى ترتفع إلى الفصحى ، فنجمع بذلك الشمل على سواء .

ومن المشاهد أن أكثر الدول تقدماً ، هى التى تكتب كما تتكلم ، ولا تختلف لهجاتها إلا قليلا . ومن شأن مجمعكم الموقر أن يعمل على تيسير العسير ، والنهوض بالدارجة رويداً إلى الفصحى وتقارب اللهجات ، توثيقا للصلات . وعلى الله قصد السبيل .

إننا لاننادى بلزوم ما لايلزم ، ولكننا نقول بوجوب الاهتمام بتعليم الفصحى ، والعمل على استخدامها . فوحدة اللسان ، هى السبيل إلى وحدة القلب . وإذا جمع القرآن الكريم بين أفئدتنا ، فلتجمع الفصحى بين ألسنتنا ، والمرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، أى إيمانه وفصاحته .

وعندما نودى بالتعريب ، رأيت كثيراً من الناس يشرحون بالعامية ، ويبقون على المصطلحات الأعجمية ، حتى أسقط فى يد السامعين ، واقتصروا على السمع دون التدوين . والتعريب الصحيح هو أن تنطق بالفصحى شرحاً ومتناً ، وأن تكتب بها كذلك . وهنا تبرز للعيان ، حاجتنا إلى التوحيد . وتلك مهمة المجمع التى هو بالغها بإذن الله تعالى .

أيها السادة العلماء :

يركن المهندس إلى الأعداد والأرقام ، لتحديد الأبعاد والأحجام . والأرقام عشرة ، وهى أقل من حروف الهجاء ، ولكن تباديلها وتوافيقها لا تحصر ، وتتعدى جموع الحروف والكلمات . إذ أن الأخيرة ترتبط بالمعنى فلا تتعداه ، أما الأولى فهى طليقة ، تصغر إلى النهاية ، وتكبر إلى مالا نهاية .

ومن عجب أن الصفر ، وهو لا شىء ، إذا كان من أهل الشمال ، أدركه الإهمال ، أما إن كان من أصحاب اليمين ، فهو حسنة تضاعف إلى عشرة أمثال . ومن تواضع العرب ، أنهم ينعتون الأرقام العربية ، بقولهم إنها هندية . وقد أجمع العالم كله على أنها عربية ، خلافا للرومانية . ولولا تلك الطريقة العربية المثلى ، لما قامت للعلوم نهضة . فالطريقة الرومانية لكتابة الأعداد سقيمة عقيمة ، تحد ولا تنطلق ، ولا تصلح لعمليات الحساب البسيطة ، ناهيك بالرياضة الحديثة .

ومن المأثور عن العرب ، أنهم أول من استخدم الجبر ، وكانوا يسمّون المجهول الذى يراد تعيينه « الشىء » ، ويرمزون إليه بحرف « الشين » . فلما فتحوا الأندلس ، ونقلوا علومهم إليها ، لم يجد الإسبان فى هجائهم ، مايقرب نطقا من « الشين العربية » ، إلا الحرف اللاتينى « X » . ومن ثم انتقل هذا العرف إلى كافة الغرب ، ومازال إلى اليوم ، رمز الشىء المجهول فى علم الجبر .

أيها الأدباء العلماء :

إن الأدب حرفة الأدباء ، ولكنه متعة غيرهم من العلماء ، وهو أكبر من أن يكون صنعة فحسب ، فهو متعة رُوحية ، وغاية ثقافية . وإن فى اختيار مجمعكم الموقر ، غيرَ اللغويين لعضويته ، معنى ساميا رفيعا . فهو يدل على إيمانكم الحق ، بألاّ غنى للأدب عن العلم ، كما أنه لاغنى للعلم عن الأدب ، وأن الثقافة الكاملة تجمع بين الأخوين .

أيها السادة الأجلاء :

ولد عبد الرزاق السنهورى ، مع من ولد ، بالإسكندرية عام ١٨٩٥ م ، وتوفى مع من مات بالقاهرة عام ١٩٧١م . ولكنه لم يعش كما عاشوا ، ولم يمت كما ماتوا . فمن منهم بلغ مابلغه ، فى علمه وفقهه ، حتى أصبح علما من أعلام القانون ، وحجة يرجع إليه وإلى مؤلفاته ؟ ثم من منهم وصل إلى ما وصل إليه ، من مناصب الدولة الرفيعة ، وسكن فى قلوب تلامذته ، وعارفى فضله ؟

إن مثله لم يمت ، فهو قائم بيننا بكتبه ، وأحكامه وحججه ، وخالد بذكره العاطر على الألسنة ، وسيرته الحافلة بجليل الأعمال : ومازال أستاذا لمن يقرأ له ، ومرجعا يستشهد به .

أجل . لقد كان عبد الرزاق السنهورى طالبا نابها ، ينم حاضره عن مستقبله . وبعد أن حصل على إجازة الحقوق بمصر ، سافر فى بعثة إلى فرنسا ، حيث حصل على الدكتوراه فى العلوم القانونية ، ثم على الدكتوراه فى العلوم الاقتصادية والسياسية ، فملك بهما الناصيتين .

وبعد عودته من بعثته ، التحق بهيئة التدريس بكلية الحقوق ، وتدرج فى السلم الجامعى إلى أن أصبح عميدا لها عام ١٩٣٦ : ثم تقلد منصب القضاء بالمحاكم المختلطة ، حتى عين مستشارا مساعدا بقضايا الحكومة ، فوكيلا لوزارة المعارف ، ثم العدل ، فوزيرا للمعارف عام ١٩٤٥ ، ثم وزيرا للدولة ، فوزيراً للمعارف مرة أخرى من ١٩٤٦ إلى ١٩٤٩ . وعين بعدها رئيسا لمجلس الدولة ، وظل هكذا حتى ١٩٥٤ . وقد اختير عضواً بالمجمع عام ١٩٤٦ .

وكانت له اليد الطولى فى وضع كثير من قوانين مصر ، والدول العربية الشقيقة . وله من المؤلفات القانونية مايجل عن الحصر ، من مراجع العصر . هذا وقد رأس وفد مصر فى كثير من المؤتمرات العالمية ، وهيئة الأمم . كما كان رئيسا للجنة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية .

ذلك عبد الرزاق السنهورى الذى فقده المجمع بالأمس ، وهو يفتقر إليه اليوم ، والذى أردتم أن أتبوأ مكانه بينكم ، فحق لى أن أذكره وأشكر لكم ، فقد برّنى بعد موته ، وأضاف لنفسه حسنة فى آخرته . فسلام عليه فى الأخرين .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين :

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٢١ من صفر سنة ١٣٩٣ هـ ( الموافق ٢٦ من مارس سنة ١٩٧٣ م ) أقام المجمع حفل تأبين للمغفور له الأستاذ الشيخ محمد محيى عبد الحميد عضو المجمع ، وفيما يلى ما ألقى :

## كلمة الأستاذ عبد السلام هارون فى تأبين المغفور له :

**الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد**

سيادة الرئيس :

زملائى الأجلاء :

سيداتى وسادتى :

فى غربة عن الدار والوطن تلقيت نعيه فبدا علىّ الجزع وكأنى لم أسمع بهالك من قبل ، ونسيت فى غمرة المفاجأة وهول الصدمة سنة الحياة منذ خلق الله الدنيا .

وقلت لعبد الله إذ حن باكيا :

تعز وماء العين منهمر يجرى

تعز فإن كان البكا رد هالكا

على أحد فاجهد بكاك على عمرو

وتلقيت فيما بعد كتاب المجمع يدعونى إلى أن تكون لى كلمة فى تأبين الفقيد ، وأشهد لكأنى قد تلقيت فيما تلقيت نعيا جديداً للفقيد نكأ الجرح ، وأثار كامن الحزن ودفين الأسى .

ويشهد الله ماترددت فى قبول الدعوة ، حرصا منى على الوفاء لرجل صاحبته أطول ماتكون المصاحبة ، وعرفته أبين ماتكون المعرفة وجمعت بينى وبينه رابطة من روابط المصاهرة منذ زمان بعيد ، كان بها لى اعتزاز ؛ لأنها صلة برجل فاضل وإمام عالم نبيل :

كان مولد الفقيد بين نهاية القرن التاسع عشر ومشارف القرن العشرين فى قرية كفر الحمام من إقليم الشرقية ، ونشأه والده الأزهرى تنشئة دينية ، فحفظ القرآن الكريم أول ماحفظ ودرس الدراسة الأولية فى قريته الصغيرة ، ثم التحق بمعهد دمياط الدينى يطلب العلم حين كان والده قاضيا بفارسكور ودمياط ، ثم انتقل إلى معهد القاهرة بانتقال والده إليها ، لتقلد منصب المفتى لوزارة الأوقاف . وحصل على شهادة العالمية النظامية مع أول فرقة نظامية فى سنة ١٩٢٥ فانتظمت به مع زملائه هذه الباقة الأولى من النظام الجديد للأزهر ، وكان هو الزهرة الأولى فى تلك الباقة السعيدة .

وهنا يكمن السر فى أن فقيدنا العالم الجليل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد كان من طراز هيئت له الأسباب ليبرز فى تكامل متناسق ، وكان — غفر الله له — ينوه بذلك ويفخر ، ويعتز به اعتزازاً .

كما كان لنشأته فى بيئة علمية ، تغمرها الثقافة الإسلامية ، ذلك الأثر فى إمامته العلمية التى ظلت ردحا طويلا من الزمان تؤتى ثمارها فى أرجاء الجامع الأزهر ، وتخط السطور تلو السطور فى تاريخ نهضته الحديثة .

فنحن نرى الفقيد إثر تخرجه يتلقفه معهد القاهرة مدرسا به ، فإذا ما أنشئت كليات الجامع الأزهر فى سنة ١٩٣١ نجده على رأس المختارين للتدريس فى كلية اللغة العربية ، وهو امتياز لم يحصل عليه بعض أساتذته وشيوخه .

فإذا أطلت سنة ١٩٣٥ وهى السنة التى أنشىء فيها قسم الدراسات العليا بالجامعة الأزهرية كان من الصفوة المختارة للأستاذية فيه واستطاع فى خمس سنوات قضاها فيه أن ينشىء جيلا من أساتذة اللغة العربية يعتز بهم الجامع الأزهر ، ويذكرون له ذلك الأثر البارع فى الإرشاد والتوجيه .

وعندما فكرت حكومة السودان فى إنشاء دراسة فى الحقوق فى كلية غوردون ، وذلك فى سنة ١٩٤٠ اختارت الفقيد بعد تمنع منه وإباء ، ليشترك فى وضع مناهج العلوم الشرعية فقام بوضعها على أساس وطيد ، وشارك فى تدريس هذه المناهج زهاء أربع سنوات ، وألف فى ذلك كتبا لا تزال إلى يومنا هذا مرجع طلاب كلية الحقوق .

وفى تلك الفترة التى قضاها سفيراً علميا ناجحا موفقا فى السودان سعى إليه عارفو فضله ، وأكب على حضور مجالسه كثير من تلاميذه الذين وثبوا فيما بعد إلى أعلى المناصب ، وظلوا محتفظين له بالتبجيل والإعزاز والصلة الوثيقة والعرفان بالفضل إلى يوم لقائه ربه . فقد كان من خصائص فقيدنا أن يحسن استمالة الفضلاء إلى مجلسه ، وكان يحسن احترام الناس فيحسن الناس احترامه ، ويجيد توثيق الصلة والمودة بينه وبين من يعرفه حين يلمس فيه الفضل ، أو يلمح منه بارقة نبوغ ، فإذا الصلة قرابة ، وإذا المودة وشيجة من وشائج النسب . . ولقد حفظ هناك كرامة بلده ، وهيبة منصبه ، وكان له نفوذ العلماء المبجلين الذين تسمو بهم أقدارهم فوق كل أقدار .

وفى سنة ١٩٤٣ عاد من وفادته العلمية فى القطر الشقيق إلى كلية اللغة العربية حيث عين وكيلا لها ، وكان له أثر واضح فى تطويرها ، وإعلاء شأنها ، حتى إذا كانت سنة ١٩٤٦ عين مفتشا بالمعاهد الدينية ، وظل فى هذا العمل إلى سنة ١٩٤٨ إذ عين أستاذا بكلية أصول الدين ، فمكث بها زهاء أربع سنوات حتى اختير مديرا لتفتيش العلوم الدينية والعربية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية ، وبعد انقضاء سنتين على هذا عين فى سنة ١٩٥٤ عميدا لكلية اللغة العربية ، وظل شاغلا

لهذا المنصب العلمى خمس سنوات، كانت أزهى عهود هذه الكلية وأضوأها . . . فالمعروف عن الفقيد أنه كان نصيرا للتجديد فى حدوده المعقولة ، كما كان من أعداء الجمود الذى لايقوم على ساق . كان حركة ونشاطا ، وكان انطلاقا وتوثبا .

وعاد بعد هذه السنوات إلى الأستاذية بكلية أصول الدين خمس سنوات، رجع بعدها مرة أخرى عميداً لكلية اللغة العربية من سنة ١٩٦٤ إلى ١٩٦٥ حين بلغ سن التقاعد . وفى أواخر سنة ١٩٦٤ اختير عضواً بمجمعنا هذا، وكان حفل استقباله فى الثانى والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٦٥. ولتنوع خبراته وتعدد نشاطه كانت له مشاركة فى عدة لجان : لجنة المعجم الكبير ، ولجنة الأصول ، ولجنة إحياء التراث القديم ، ولجنة الأدب ، فكان بادى النشاط والدءوب غير مبال باعتلال صحته أو حقوق بدنه ، حفيًّا بعمله سخيًّا بوقته إلى اليوم الأخير من حياته الحافلة .

وإخوانه فى هذا المجمع يعرفون فيه ما كان له من سماحة شيمة ونبل خلق ، ونفس طيبة تتجافى عن العنف إلا فى الحق ، وتستمسك بالاتزان والوقار الذى لاتشوبه شائبة من شوائب التكلف أو التصنع . وإذا ماعنت قضية مشكلة تدبرها فى تواضع العالم ، وتكلم فكان قوله الفصل فى كثير من مشكلات اللغة والعلم .

لقد طبع الفقيد منذ نشأته على التحقيق والتبحر فى العلم ، وحسن الفهم لما يعالجه من أمور : ومما لايعرفه من لم يمت إليه بسبب وثيق أنه قام فى مقتبل شبابه أزمان طلبه العلم بالأزهر بعمل أدبى جليل ، هو شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى ؛ وهو شرح مسهب مستفيض ، مشحون بغرر الفوائد وتفسير الإشارات الأدبية والتاريخية بما ينمّ عن مقدرة بارعة ، ورعة متدرة فى تلك السن التى قلما أن ينضج فيها علم عالم ، وهى سن الحادية والعشرين .

وقد صدّر هذا الشرح بإهداء إلى والده المغفور له الشيخ عبد الحميد إبراهيم مفتى الأوقاف العمومية إذ ذاك ، وقال فى هذا الإهداء :

« سيدى الوالد :

إلى نفسك الطاهرة وحكمتك العالية ، وأدبك الجم وفضلك الغزير ، أقدم كتابى هذا . . لقد ربيتنى على الفضيلة ، وحببت إلى العمل ، وزهدتنى فى الدعة والونى ، وعند الله فى ذاك جزاؤك، فليس بيدى شىء منه ، ولا فى استطاعتى أن أناله ولو رقيت أسباب السماء . ولكنى أتقدم إليك بكتابى هذا برهانا على أنك غرست فأثمرت وبذرت فأنميت ، ودليلا على أن غراسك سيزداد نموا بمر الأيام ، إلى أن يؤتى أكله مرتين بإذن الله » .

صورة من صور الوفاء ، ونموذج من نماذج بر الأبناء بآبائهم ، واحتفائهم بالتنويه بفضلهم عليهم فى حسن تكوينهم وتقويمهم .

وقد حقق الشيخ مأمول والده فيه ، كما حقق أمل نفسه بنمو غراسه ، نموا يعدنادراً فريداً فيما ألف الناس من إنتاج العلماء المثابرين ، فبين يدى زهاء ثمانين عنوانا لكتب يربو عدد صفحاتها على عشرات الألوف . أقولها غير مبالغ ولا متزيد : وهذا خلاف ماغاب عنى حصره ، ومالم أستطع تقصيه وتتبعه . . ومما يخرج عن نطاق هذا الحصر ماصنعه من العناية بنشر شرح ابن يعيش على المفصل فى عشرة أجزاء لم يرقم عليها اسمه ، ولم يدخلها فى حساب ما قام على نشره من أمهات الأصول . لقد كان الولوع والشغف بإحياء التراث العربى يسرى فى عروقه كما تسرى دماء الفداء فى شرايين أجناد الكفاح ، وفى ذلك يقول طيب الله ثراه :

« وكان الذى دفعنى إلى أن أختار هذا الطريق : أن عملى الأصيل فى الجامع ثم جامعة الأزهر كان أعظم عناية بعبارة هذه المؤلفات ، وأننى أردت أن أضع بين نابتة البلاد العربية هذه المؤلفات فى صورة دقيقة الإخراج ، ومعها شروح قريبة المنال ، ليقبلوا على هذا التراث الذى كان يبعدهم عنه سوء الإخراج واستغلاق عبارة الشروح » .

ويكفيه فخرا فى النحو ويكفى النحو فخرا به أنه عالج معظم كتبه المتداولة ، لتيسير دراستها وتذليل القراءة والبحث فيها ، بدءا من الآجرومية وانتهاء بشرح الأشمونى للألفية ، وشرح ابن يعيش للمفصل : ولايزال كثير منا نحن أعضاء هذا المجمع الموقر ، يرجع إلى كتاباته وتعليقاته ، وإلى هذا المدد الزاخر من المكتبة النحوية التى نقلها من ظلام القدم إلى نور الجدة والشباب :

لم يكن الفقيد العزيز نحويا فحسب ، بل كان مشاركا فى مختلف العلوم الإسلامية الدينية منها وغير الدينية ، ففى مجال الفقه الإسلامى نجده يؤلف فى الأحوال الشخصية ، وكتابه فيها يعد مرجعا من المراجع الجليلة ؛ ويؤلف فى أحكام المواريث كتابا يعد مرجعا ممتازا ويؤلف ( سبيل الفلاح فى شرح نور الإيضاح ) ، وينشر اللباب للميدانى فى شرح الكتاب : كتاب القدورى . بل نجده يؤلف فى غير مذهبه الفقهى ( الدروس الفقهية على مذهب السادة الشافعية ) و ( الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع ) .

وفى أصول الفقه يحقق الموافقات فى أصول الأحكام للشاطبى ، ومنهاج الوصول فى معرفة علم الأصول ، والمسودة فى أصول الفقه ، التى تتابع على تأليفها ثلاثة من أئمة آل تيمية . وفى الفتاوى : الحاوى للفتاوى للسيوطى .

وفى الحديث يحقق سنن أبى داود ، والترغيب والترهيب للمنذرى . وفى مصطلح الحديث يشرح ألفية السيوطى . وفى التوحيد يشرح جوهرة التوحيد للشيخ اللقانى ،

ويكتب تعليقا علميا على رسالة التوحيد للإمام محمد عبده . وفى علم الكلام يحقق مقالات الإسلاميين للأشعرى ، والفرق بين الفرق للبغدادى . وألف مختصرا فى أدب البحث والمناظرة يعد بحق أجمع وأيسر ما كتب فى هذا العلم .

وفى علوم البلاغة يبعث معاهد التنصيص للعباسى ، وكذلك المثل السائر لابن الأثير ، ويؤلف تهذيبا لشرح السعد .

وفى اللغة : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وجواهر الألفاظ لقدامة ، وهو أكبر موسوعة فى معاجم الأساليب . وفى مراجع الأدب القديم : يتيمة الدهر للثعالبى ، وزهر الآداب للحصرى ، ومجمع الأمثال للميدانى ، والعمدة لابن رشيق .

وفى دواوين الشعر : شرح ديوان عمر ابن أبى ربيعة ، وشرح ديوان الشريف الرضىّ ، وشرح حماسة أبى تمام للتبريزى . ويعلق على شرح المعلقات للزوزنى ، وشرح القصائد العشر للتبريزى .

وفى التاريخ الإسلامى: سيرة ابن هشام، ونفح الطيب للمقرى فى عشرة أجزاء، ومروج الذهب للمسعودى فى أربعة أجزاء ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى .

وفى الجغرافيا العربية ينشر : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودى، وغير ذلك . فالأمر كما قلت يخرج عن حد الإحصاء الكامل ، هو صورة حياة مجاهدة مصابرة مرابطة، مشغوفة بالعلم أينما وجد ، وبالمعرفة حيث يلمع نورها أو يسطع ضوؤها . وفى هذا شاهد صدق على التكامل العلمى الذى قل أن يتاح لعالم واحد .

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

ولقد رأيته رحمه الله مع هذا كله يواظب على قراءة كثير من الكتب الحديثة قصارها وطوالها فلا يكاد يفوته جزء من أجزاء سلسلة اقرأ وأخواتها، من منشورات دار المعارف ، أو منشورات دار الهلال ونحوها .

جلد صارم وشغف عارم واستنارة دائمة واستفادة دائبة ، فليس لى فى هذا المقام إلا أن أردد ماقاله فيه من قبل زميل لنا كريم اختاره الله إلى جواره هو العلامة المغفور له الشيخ محمد على النجار :

« لقد قيل فى الطبرى : إنه كان كالقارئ الذى لا يعرف إلا القرآن ، وكالمحدث الذى لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذى لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوى الذى لا يعرف إلا النحو وكالحاسب الذى لا يعرف إلا الحساب . . وكذلك يقال فى الشيخ محيى الدين : إنه كالنحوى الذى لا يعرف إلا النحو ؛ وكالفقيه الذى لا يعرف إلا الفقه ؛ وكالمحدث الذى لا يعرف إلا الحديث، وكالمتكلم الذى لا يعرف إلا الكلام » .

وقد نال — رحمه الله — الحظوة فى معظم ماألفه أو قام على نشره من أمهات الكتب ، فقد كان يفهم مايقول حق الفهم فيؤديه إلى أناس أحسن مايكون الأداء . . ورزقه الله من حسن البيان ومعرفة التبيين ماجعل الدارسين يهرعون إلى الاستقاء من معينه ، والارتشاف من منهله .

كان الفقيد حركة دائبة عرفها الناس ولم يستطيعوا إغفالها فى الهيئات العلمية والدينية والأدبية. فنجده رئيسا للجنة الفتوى، ونلقاه رئيسا للجنة إحياء أمهات كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ثم نجده متوجا بتاج العضوية لهذا المجمع الموقر ، الذى منحه من صحته وجهده وإخلاصه ماجعل فقده خسارة فادحة ورزءا جليلا .

إنى — وأنا من أقرب الناس إليه ، ومن أعرف الناس بقدره — لا أستطيع الآن أستعلن عجزى عن تأبينه وعن تبيان فضله ومآثره ، إلا أن أصنع فى ذلك كتابا أظل أنمقه دهرا . ولكنى أرانى قد ألقيت شيئا من الضوء على حياته الحافلة المباركة المفعمة بالتوفيق ، الهادفة إلى خدمة وإسعاد بنى وطنه المصرى ووطنه العربى ووطنه الإسلامى ووطنه الإنسانى .

إن مجمع اللغة العربية ، إذ يودع عضوا جليلا من أعضائه المخلصين ، ليستمطر شآبيب رحمة الله على جدثه الطاهر ، ويدعو له بمغفرة الغفور ورضوانه ، وأن يجعله الله فى زمرة الشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

---

# • • كلمة الدكتور ابراهيم محمد نجا

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذ الجيل الدكتور طه حسين رئيس مجمع اللغة العربية وعميد الأدب العربي .

أساتذتنا الأجلاء، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد ، فإنه ليشرفني أن أنوب عن كلية اللغة العربية للوفاء ببعض الحق الذى يجب على أبناء المرحوم المغفور له أستاذنا الفاضل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

وإن خير ماأبدأ به قول أبي فراس الحمداني :

سيذكرنى قومى إذا جد جدهم
وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

أبي وأستاذي :

يقتضي الوفاء أن أمجد ذكرك وأن أخلد أثرك، فالذكر للإنسان عمر ثان، ولقد أوليت تلك الكلية الفتية رعايتك وحبوتها عطفك وعنايتك ، ولذلك كان الخطب جسيما والمصاب أليما، ولولا إيمان اعتصم به أبناؤها ويقين راسخ اعتصم به علماؤها لما احتملوا هول الفاجعة ، ولا اقتدروا على مواجهة المصاب .

أيتها النفس أجملي جزعـــا
إن الذى تحذرين قد وقعا
إن الذى جمـــع المروءة (م)
والنجدة والحزم والندى جمعا
الألمعي الذى يظن بك الظن (م)
كأن قد رأى وقد سمعا

حقاً إن العروبة فجعت فى ابن من أعز بنيها، فقدت قلباً نابضاً التاعت لفقده القلوب وارتاعت لفقده النفوس، ولولا إيمان بالله لكان الموقف شاقاً على جميع بنيها .

أبي وأستاذي :

إن اللوعة التى خلفها فقدك والمصيبة التى تركها فراقك جعلت المآقى تذرف الدمع المدرار ، والقلوب يعتصرها الألم كأنه سيف بتار ، ولكننا وقد عشنا فى رحاب الأزهر رحاب الدين لاينبغى أن نتساق وراء تلك العواطف الحزينة التى تلهب النفوس، ولكننا نرسل بعض الأنات الخافتة الحزينة التى تضم بعض الذكر لأستاذ كرس حياته لخدمة تلك الكلية ، وإنى وقد سمعت من أستاذنا الجليل الأستاذ عبد السلام هارون كثيراً من جهوده وجهاده أحب أن أضم إليها أمورا تخفى على الكثير تتعلق بكرامته، فإنه عاش أبيَّ النفس عزيزا لايمكن أن يمكّن من نفسه أى إنسان مهما كانت منزلته ؛ دعاه إلى ذلك حفاظه على كرامته ، حفاظه على رجولته ، حفاظه على خلقه . وإن فى اختياره أستاذاً لكلية اللغة العربية ولمّا يبلغ الثلاثين بعد كان ذلك مؤذناً بأن ذلك الرجل الألمعي جدير بأن يكون

موطن التقدير والإعجاب . وما كاد عام ١٩٣٥ يبدأ ، وكانت الأمور السياسية فى مصر مضطربة ، وكان الأزهر آنذاك معرضاً لبعض الاضطرابات الخطيرة ، قام الأزهر بثورة قوية ناصرنا فيها أستاذنا الجليل وعالمنا الفذ الدكتور طه حسين ، فكتب مقالات قوية بعنوان « صبريات » ؛ لأنه كان يراد إقصاء الجمهرة الغفيرة من أبناء الأزهر وصدهم عن التعليم .

قامت الثورة وكانت ثورة قوية ، ثورة هادفة تهدف إلى تخليص الأزهر من براثن الرجعية ، وإلى النهوض به نهضة قوية ، وكان عماد تلك النهضة أساتذة أجلاء على رأسهم المغفور له الأستاذ الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

إنه آنذاك عرضت عليه العروض لكى يمتنع عن مناصرة تلك الثورة ، ولكى يبتعد عن الوقوف بجانب أبنائه ، ولكنه لم تلن له قناة ولم يخضع لتهديد ولم يأبه لوعيد ، وذلك خلق قوى فى تلك الفترة العصيبة التى يدركها الجميع .

ظل أستاذنا على هذا الوضع إلى أن صدر قرار بنقله مدرساً إلى معهد الإسكندرية انتقاماً لموقفه المشرف ، فلم يزده ذلك إلا إصراراً على مناصرة الحق ، وإلا إصراراً على السير فى ركاب الحرية ، وإلا إصراراً على الوقوف فى وجه أولئك الطغاة الذين لا هم لهم إلا أن يكبتوا الأنفاس ، ويخمدوا الأرواح الطاهرة البريئة . وقد أراد الله للأزهر أن ينتصر ، وأراد الله أن تعود الدراسة بعد تعطيلها وأن يعود أستاذنا إلى كليته ، موفور الكرامة مرفوع الهامة ، مظلا لأبنائه بظله الوارف القوى لا يأخذه زهو العلم ، ولكنه كان الأب الحنون العطوف على أبنائه ، بيته بيت الأبناء ، مكتبته مكتبة الأبناء . فكنا نفد إليه نستطلع رأيه ونستفيد من خبرته ونستفيد من تجاربه ، فلم يضن على إنسان يوماً ما بأى ناحية من تلك النواحى المتعلقة بدراسته . وعندما أنشئت الدراسة العليا كان الرائد الأول لنا والموجه لنفعنا ، ولم نقف جامدين فى تلك الدراسة بل إنه وجهنا وجهة لغوية سديدة . كان يأتى إلينا بالموضوعات التى تحتاج إلى معالجة قوية ، كدراسة النحو البغدادى الذى لم يكتب فيه أحد ، ويريد منا أن نخرج تلك الأبحاث لتكون نبراساً لتلك الكلية ، يستفيد منها الأبناء ويستفيد منها الجميع ، ولكنه كما قلت — حفاظاً على كرامته — عندما عين وكيلا لكلية اللغة العربية ، وكانت الكلية آنذاك فى حرب ضروس ومعاناة قوية من الداخل والخارج ، إلا أنه ما كاد يتولى أمرها ويسوس شأنها حتى رأيناه يقود السفينة بحكمة

الربان الماهر الحكيم ، فينهى المآزق القوية ويقضى على الفتن التى كادت تقضى على تلك الكلية. وإن أستاذنا الجليل الدكتور عبد الرزاق السنهورى ، وكان وقتذاك وزيراً للمعارف ، رأى بثاقب فكره أن ذلك الرجل جدير بأن يتولى عمادة الكلية ؛ لتفتح ذهنه وتوقد فكره وإمكانه التفاهم مع كل الناس ، ولكنه لم يتمكن من إقناع المسئولين لما عرف عن فقيدنا الراحل من جرأة فى الحق لا ترضى بعض الناس آنذاك ؛ فانتقل إلى التفتيش ونقل من التفتيش إلى أصول الدين ظنا منهم أن ذلك الرجل الذى كرس حياته فى علوم العربية لا يمكن أن يجلى فى أى ميدان آخر ، ولكنه بحمد الله — وهو الحصيف الرأى القوى البيان المتين الحجة — أمكنه أن يكون رائداً فى علوم الدين كما كان رائداً فى علوم اللغة ، وأن يكون قويًّا بين أساتذته مما جعل الجميع يشيدون بفضله ويعترفون بنبله ، ويرجعونه إلى عمادة تلك الكلية التى أرسى فيها قواعد العدل ، والتى هيأ فيها للجميع حياة مستقرة ، والتى أمكنه بفضل تفتح ذهنه أن يوجد فيها الأقسام المختلفة ، لتتمكن تلك الكلية من متابعة الدرس ومن السير فى الدراسة اللغوية والأدبية ، فأنشأ فيها قسما لأصول اللغة كان هو النواة الأولى فيها والمرجع الأوفى فيها .

إن أستاذنا الجليل ووالدنا الراحل كرس حياته معتزًّا بكرامته معتزًّا بفضله معتزا بعلمه ، لم يتمكن أحد من أن ينال منه إطلاقاً ؛ عرضت عليه المناصب وقيل له إنه يطلب منك أن تقابل بعض المسئولين ، فأبت عليه عزة نفسه أن تخضع لتلك الرغبة قائلا أمامنا جميعاً والله يشهد على ما أقول إننى صادق فيه : « إن المنصب إن كانت الدولة تعترف أننى فى حاجة إليه فلتسنده إلىَّ ، وإن لم تكن معترفة بى فلا حاجة بى إلى مقابلة أى مسئول مطلقاً » .

لم يقلها رحمه الله غرورا أو تأبيا ، بل حفاظاً على كرامة العلماء ، وعلى كرامة الرجال الذين أثبتوا فى شتى العهود السابقة أن رجال الأزهر يجب أن يثبتوا للملأ أن الأخلاق الفاضلة وأن الرجولة الحقة هى التى يجب أن تسيطر عليهم ، وألا تغريهم المناصب ، وألا يبعدهم زهو الحياة وبريق المال إلى الانحراف عن الجادة القوية ، التى سار عليها أستاذنا ، والتى دربنا عليها تدريباً قويًّا .

إن أستاذنا الراحل لم يقف عند اللغة وعند الدين ، بل كانت جهوده رغم اعتلال صحته رئيساً للجنة الفتوى فى الجامع الأزهر ، وفتاواه قوية ظاهرة ، وحججه واضحة باهرة ، ورياسته للجنة السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وعضويته لمجمع البحوث الإسلامية — كل تلك الجهود يظن من لا يعرف تلك الشخصية أنه رجل بعيد عن المجتمع ، ولكنك إذا جلست إليه وتحدثت معه رأيت منه اللغوى الناضج ، رأيت منه الفقهى البارع ، رأيت منه المحدث اللبق ، رأيت منه السياسى المتفتح ، رأيت منه

الاجتماعى الذى يستحق كل تقدير . فإن بكيناه اليوم ، فإنما نبكى رجلا فاضلا وعالما فذا ، وأستاذا جليلا يندر أن يجود الزمان بمثله ، إن الزمان بمثله لبخيل .

أستاذى وأبى :

إننى فى هذا المقام أذكر لك بعض مالك علينا من حقوق ، وأرجو الله أن يوفق أبناءك الذين شملتهم بعطفك والذين أوليتهم رعايتك أن يسيروا على نهجك ، وأن ينهضوا بتلك الكلية القوية التى نأمل أن تكون راعية للغة القرآن حارسة لها ، والله المسئول أن ينزلك منازل الأبرار والصديقين ، طيب الله ثراك ، وجعل الجنة مثواك ، وجزى الله المجمع ورجاله والمقدرين لفضلك خير الجزاء ، والسلام عليكم ورحمة الله .

## .. كلمة الأسرة للأستاذ أحمد نبيل محيى الدين

سيادة الرئيس

حضرات السادة الأفاضل أعضاء مجمع الخالدين :

يطيب لى إذ أقف فى هذا الحشد الحافل برجالات العلم وشيوخ الأدب وصفوة الصفوة من قادة هذه الأمة أن أنقل إليكم عرفانى وشكرى وعرفان أسرة محي الدين لما أبديتموه من كريم المشاعر وما أجزلتموه من وفاء وإخلاص نحو راحل كريم جمعه بكم حبه للعربية ، والتقى وإياكم على مائدتها فأعطى ماشاء الله له أن يعطى ، وكان يحفظ لكم دائما أن منحتموه ثقتكم واخترتموه ليسهم معكم فى إحياء العربية وبعث أمجادها . . . . وعسى الله أن يكون قد وفقكم إلى حسن الاختيار . . ولست بسبيل الإطناب فى امتداح أفضالكم فإن من تنزه صنيعه عن العلائق أزهد الناس فى المدح . . ولئن كان رفقاء والدى وإخوانه وتلاميذه قد كرموه وأظهروا من آيات الوفاء وصوره ما كان تواضعه الجم وحساسيته الشديدة تمنعانه من إظهاره فهى فرصة أبى كرمكم الوفير إلا أن يجعلكم تمنحونها وهى أن أعبر عن بعض فضله علىّ . . فوالدى رحمه الله رغم وفرة أصدقائه وكثرة عارفيه فى شتى البقاع كان له صديق حميم عرفه منذ نعومة أظفاره ولازمه حتى صعد إلى بارئه ، ذلك هو الكتاب ؛ فقد ألف الكتاب وألفه الكتاب حتى لم يترك دنياه إلا وقد غارت بصماته فوق أكثر من خمسة وسبعين كتاباً هى ما ألفه وأخرجه ، وأينما كان له مكان مختار فهو وسط جدران من كتب متراصة وأسفار ، كتب بقدر ما أضافت إلى علمه الكثير فقد أثرت منه الكثير ، وحملت بين طياتها نبضات رنانة من روحه وومضات وضاءة من كيانه . . . وخطرات لماحة من وجدانه وإن كان مدحى إياه يلام فى حياته ، فلتغفروا لى أن أثنى عليه ثباته فى الحق وصرامته فى وجه الباطل ، واعتزازه بما أشرب من مبادىء الإسلام وتعاليمه وروحه ؛ اعتزازا يغبطه أولو النزاهة ويرفضه المتسلطون .

حضرات السادة الأفاضل أعضاء مجمع الخالدين :

إن الكلمات ولا شك تعجز عن الوفاء بما أحمل إليكم من تقدير وعرفان عسى الله أن يحسن جزاءكم ويمدكم بمزيد من توفيقه وعونه ، لتعضدوا لغة قرآنه ، وأن يمنحكم طول البقاء لتبقوا أبداً مناراً لنا وللأجيال القادمة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

# من أنباء المجمع

**تحية المجمع لقواتنا المسلحة**
**فى حرب رمضان المجيدة :**

حيا أعضاء المجمع فى جلستهم المنعقدة فى ١٢ من رمضان سنة ١٣٩٣هـ الموافق ٨ من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٣م قواتنا المسلحة المصرية والسورية ، فى حربها التحريرية التى بدات تخوضها فى العاشر من رمضان المبارك ( ٦ من أكتوبر ) ، معيدة للأمة العربية ثقتها بنفسها ، مستردة لها تقدير العالم واحترامه .

وقد قرر أعضاء المجمع التبرع بمكافأة شهر للمجهود الحربى .

**قرار جمهورى :**
**باعتماد عضوية أعضاء جدد :**

صدر قرار جمهورى باعتماد عضوية : الدكتور أحمد الحوفى ، والدكتور حامد جوهر ، والدكتور ابراهيم الدمرداش ، والأستاذ مصطفى مرعى .

وفيما يلى نص القرار :

**قرار رئيس جمهورية مصر العربية**
رقم ٤٩٧ لسنة ١٩٧٣

**رئيس الجمهورية**

بعد الاطلاع على الدستور ؛

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ بانشاء مجمع اللغة العربية ؛

**قـرر :**

**( المـادة الأولى )**

اعتماد عضوية السادة الموضحة أسماؤهم فيما بعد بمجمع اللغة العربية وهم :

١ ـ الأستاذ الدكتور أحمد محمد الحوفى .
٢ ـ الأستاذ الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر .
٣ ـ الأستاذ الدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش .
٤ ـ الأستاذ مصطفى مصطفى مرعى .

وعلى وزير الثقافة تنفيذ هذا القرار .

صدر برياسة الجمهورية فى ٨ ربيع أول سنة ١٣٩٣ ( ١١ ابريل سنة ١٩٧٣ ) .

**« أنور السادات »**

## رئيس المجمع الراحل :

استأثرت رحمة الله تعالى برئيس المجمع ، وعميد الأدب العربى ، الدكتور طه حسين ، فى ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٧٣

## اعضاء راحلون :

كما استأثرت رحمة الله تعالى ببعض اعضاء المجمع وهم المغفور لهم :

الأستاذ على الجندى (فى ١٩٧٣/٦/٤) .

الأستاذ عزيز أباظة (فى ١٩٧٣/٧/١٠) .

الأستاذ محمود تيمور (فى ١٩٧٣/٨/٢٥) .

الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور (عضو المجمع المراسل من تونس) .

الأستاذ بلاشير (عضو المجمع المراسل من فرنسا) .

## خبيران جديدان :

وافق مجلس المجمع على اختيار خبيرين جديدين هما :

** الدكتور محمد فتحى الشنقيطى رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب (فرع المنيا) خبيرا بلجنة العلوم الفلسفية والاجتماعية.

* الدكتور جمال زكريا قاسم الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة عين شمس خبيرا بلجنة التاريخ الحديث والمعاصر .

## صلات المجمع الثقافية :

** ورد المجمع كتاب من الأستاذ جودت نور الدين مرفق به بحث فى تطوير الكتابة العربية ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٣/٤/٢ احالته على لجنة تيسير الكتابة العربية .

** بعث الاتحاد الدولى للأكاديميات رسالة الى المجمع يدعوه فيها الى الاشتراك فى عضويته . وهذا الاتحاد يضم أكثر أكاديميات أوربا ، وأكاديميات الولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا ، والمكسيك ، واليابان ، وأستراليا . وقد أرفق الاتحاد برسالته الى المجمع قانونه الأساسى ، ومحضر جمعيته العمومية التى انعقدت فى بلجيكا ، فى يونيه الماضى ، وقررت فيه توجيه الدعوة الى المجمع للاشتراك فى الاتحاد . وقد وافق المجلس فى جلسته المنعقدة فى ١٩٧٣/٤/٩ على تلبية هذه الدعوة .

** ورد المجمع كتاب من اتحاد الجامعات العربية ، مرفق به قوائم بالمصطلحات الاحصائية الواردة من جامعتى دمشق واللاذقية ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٣/٥/١٤ احالة هذه المصطلحات الى لجنة الرياضة ، لنظرها ، وابداء الرأى فيها .

** قام الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام للمجمع بتمثيله في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين ، الذى عقد بباريس ، فى المدة من ٧/١٦ الى ١٩٧٣/٧/٢٢

** كما قام الدكتور عبد الحليم منتصر ، والدكتور محمد أحمد سليمان ، والدكتور حامد عبد الفتاح جوهر ، بتمثيل المجمع فى المؤتمر العلمى العربى السابع ، الذى عقد بالقاهرة ، فى المدة من ٩/٢٢ الى ١٩٧٣/٩/٢٦

** بعث الى المجمع الأستاذ «حسان داود» من العراق بمقترحات تتعلق بمصطلحات العلوم ، فأقر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٣/١٠/١ احالتها على اللجان المختصة ، لدراستها وابداء الرأى فيها .

** تواصل الشركة العربية الأمريكية للنفط ( ارامكو ) ارسال قوائم بالمصطلحات البترولية ( بالانجليزية والعربية ) الى المجمع . وقد أرسلت قائمة جديدة بهذه المصطلحات ، فأحالها المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٣/١٠/١ على لجنة الكيمياء .

** ورد المجمع كتاب من الاتحاد العلمى العربى ، مرفق به مجموعة من المصطلحات التى قدمت لمؤتمر الاتحاد ، الذى عقد فى شهر سبتمبر الماضى ، وهى تبلغ ٣٤٠٠ مصطلح ، فى الهيدروليكا ، والهندسة الكهربائية ، والمساحة . وطلب الاتحاد العلمى العربى من المجمع أن تتولى لجانه المختصة نظرها ، ووضع التعريفات المناسبة لها ، ثم عرضها على مجلس المجمع لاقرارها . وقد اقر مجلس المجمع بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٣/١٠/٨ احالته على اللجان المختصة .

** فى الجلسة الافتتاحية للدورة الأربعين ( الاثنين ٥ من رمضان المبارك سنة ١٣٩٣ هـ الموافق أول أكتوبر سنة ١٩٧٣ ) تليت مذكرة بعث بها الى المجمع السيد وزير الثقافة ، بشأن اللغة العربية ، ومكانتها قوميا وعالميا ، وقد كانت هذه المذكرة نتيجة لاجتماع مجلس شئون الثقافة والتعليم باتحاد الجمهوريات العربية ، الذى بحث فيه وسائل تعزيز اللغة العربية ، ونشرها فى البيت والمدرسة والجامعة والمصنع ودواوين الحكومة والهيئات ، والتزامها فى جوازات السفر والمحافل الدولية ، وغير ذلك .

وقد بعث السيد وزير الثقافة بهذه المذكرة الى المجمع لدراستها دراسة وافية ، وابداء الرأى فيما ورد فيها من مقترحات ، لرفعه الى مجلس شئون الثقافة والتعليم باتحاد الجمهوريات العربية .

وهذا هو نص المذكرة :

لا خلاف على أن لغة الضاد هى العروة الوثقى لهذه الأمة لا انفصام لها الا اذا أغلقنا واجبنا ازاء الحفاظ عليها والعمل على تثبيت أقدامها وترسيخ قواعدها والتصدى لمن يدبرون لها ولهذه الأمة ويتربصون بها .

ولغة الضاد هى الفصحى التى نزل بها القرآن على الناس هدى وصراطا مستقيما . وهى لغة يمكن أن تكون من السهولة واليسر بحيث تصبح اداة طيعة قادرة على التعبير والتوصيل .

أما أن نستسلم تحت اى اعتبار من الاعتبارات لألوان الاستعمار اللغوى أو الاستعمار الثقافى عن طريق الكلمة فهذا ما يجب أن نرفضه ونأباه .

من أجل ذلك كان واجبنا أن نعيد النظر فى شأن هذه اللغة الفصحى وتيسيرها وفى شأن تثبيت دعائمها وتحقيق سيادتها حتى نحقق للأمة العربية وجودها ووحدتها وعزتها .

فأما على الصعيد القومى فالواجب أن نعمل على انتشار الفصحى السهلة بكل الوسائل وأن نهذب العامية واللهجات المحلية ونردها الى منابعها من الفصحى كلما أمكن ذلك . فهناك الكثير من الكلمات الفصحى قد أصابها التحريف أو التعديل أو الالتواء فأصبحت عامية ومن الواجب أن نردها الى أصلها العربى الصحيح وأن نيسر الفصحى غاية التيسير حتى تصبح لغة التخاطب .

ولابد من وضع مخطط تلتزم به الأقطار العربية وفى مقدمتها دولة الاتحاد لنشر الفصحى السهلة الميسرة وتعميم استخدامها على أن يتناول هذا المخطط :

**اولا ـ مرحلة الطفولة :**

وهى أهم المراحل التى يقوم عليها بناء الانسان ومن الواجب أن نوجه اليها عناية خاصة سواء فى البيت أو فى المدرسة ولابد من الحرص على أن يكون المسموع للطفل والمنقول اليه والقول له بهذه اللغة الفصحى السهلة الميسرة .

**ثانيا ـ المرحلة التعليمية :**

ولا بد فى هذه المرحلة اعتبارا من مرحلة الالزام من التشدد فى امرين أحدهما تعليم اللغة الفصحى مع مراعاة التشكيل فى كل ما يقدم للتلميذ وثانيهما التزام المعلم لاستخدام اللغة الفصحى السهلة الميسرة ، ليس فى تعليم اللغة العربية فحسب وانما فى تعليم المواد الدراسية المختلفة كالحساب والعلوم .

**ثالثا ـ الثقافة والأفلام :**

بكل وسائلهما فلابد أن تستخدم السينما اللغة العربية الفصحى دون تعقيد أو ابهام وهذا أمر يستطيع الكتاب أن ينهضوا به ويتوفروا عليه وقد فعله الكثيرون منهم فى كتاباتهم وفى قصصهم ولابد للمسرح كذلك أن يقدم عطائه باللغة الفصحى السهلة الميسرة ولابد أن تجد طريقها الى آذان الناس والى صدورهم بهذه اللغة .

**رابعا ـ الصحافة والاعلام :**

عليهما واجب مقدس أن يلتزما العربية السليمة فى الكتابة والأحاديث والندوات والمحاضرات والخطب ولابد من أن تكون القيادات على كافة المستويات، قدوة فى هذا الشأن وأن نتدرج فى هذا الشأن حتى تبلغ ما نريد بعد أن يألفه الناس .

**خامسا ـ القرآن وتحفيظه وتلاوته :**

وتقرير ذلك فى كافة المراحل التعليمية بصورة ميسرة ومحببة

ولا يجافى السماحة الدينية أن يحفظه المسلم وأن يحفظه المسيحى والعربى لأن القرآن هو المرجع الأول لهذه اللغة وهو حافظها وهذا الجانب من جوانب الموضوع من أهم ما يجب دراسته والعناية به .

ولا بد من أن نعمل على تنفيذ هذا المخطط بكل وسائل الاقناع ثم وسائل التشريع .

فاما على الصعيد العالمى فان واجبنا نحو اللغة العربية أو بمعنى آخر نحو قوميتنا وعروبتنا يقتضينا أن نتبع الخطوات التالية :

أولا : أن تكون مكاتباتنا مع الدول الأجنبية باللغة العربية ولا عيب فى هذا ولا غرابة فان الدول الأجنبية لا تكتب الا بلغتها الأصلية .

ثانيا : أن تكون المحادثات والمفاوضات والمشاورات على الصعيد الرسمى باللغة العربية من جانبنا تماما كما يحدث من جانب الدول الأجنبية التى تستخدم لغتها وتستخدم فى نفس الوقت المترجمين الى اللغات المقابلة .

ثالثا : أن تكون العقود والاتفاقيات محررة من جانبنا مع الجهات الأجنبية باللغة العربية ولابد من أن يكون فى جانبها صور بلغات هذه الجهات .

رابعا : أن تكون كلماتنا وخطبنا فى اللقاءات مع أى دولة من الدول الأجنبية باللغة العربية .

خامسا : أن نصر على استخدام اللغة العربية فى المحافل الدولية وفى المؤتمرات والمنظمات العالمية وفى جوازات السفر وأن تستخدم كافة الأساليب والوسائل الأدبية والمادية لتقرير ذلك واحترامه .

سادسا : أن تكون هدايانا من الكلمة المطبوعة أى الكتاب ومن الكلمة المسموعة أى الاسطوانة والتسجيل باللغة العربية فى كل المناسبات .

وبعد، فهذه عجالة يمكن أن تتسع حتى تشمل كل ما يدور بيننا وبين الغير من الدول الأجنبية من معاملات نصر على استخدام اللغة العربية فيها ابتداء من جوازات السفر الى خطابات الود .

وللسادة أعضاء مجلس التعليم والثقافة أن يتفضلوا بالرأى والفكر لتثبيت مكانة اللغة العربية على الصعيدين القومى والعالمى .

**يوسف السباعى**
وزير الثقافة

وقد بعث الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام للمجمع برد على مذكرة السيد وزير الثقافة ـ باسم المجمع ـ وهذا نصها :

## مجمع اللغة العربية

### مكانة اللغة العربية قوميا وعالميا

يعيش المجمع منذ نشأته مع هذه القصة ، ويبذل ما يستطيع من جهد فى سبيلها ـ وهو يؤمن :

١ ـ بأن فى لغة الحياة العامة ألفاظا كثيرة من أصل عربى سليم ، ان دخل عليها شىء من التحريف ، وقد بذل منذ ربع قرن أو يزيد جهودا فى سبيل جمعها ، ورد اليها اعتبارها ، وأفاد من قدر كبير منها فى تغذية لغة العلم والحضارة ـ وهو يرى أنها ادخل فى الالف والعادة وأيسر فى الاستعمال من لفظ أجنبى معرب ، ويكفى أن تصحح وأن يعترف بها .

٢ ـ بأن الصحافة والاذاعة وسيلتان ناجعتان فى نشر العربية السهلة المستقيمة وتيسير أمرها للناس وترغيبهم فيها ، على النطاق القومى والعالمى ، وكون من بعض أعضائه لجانا لمتابعة ما قد تقع فيه من لحن أو خطأ ، وكم ساءه أن تكون لغة الاذاعة فى بلد عربى أحيانا أدنى منها فى بعض الاذاعات الأجنبية ـ ولم يفته أن يوجه النظر الى انصراف بعض الصحف العربية قصدا عن الفصحى ، وكأنما تحاول التحرر منها والخروج عليها ـ واتجه بالشكوى من ذلك الى المسئولين فى مصر وخارجها ، وحذر منه غير مرة فى قرارات مؤتمره السنوى ويرى أن هذا الجانب بالذات يستأهل عناية خاصة ورعاية مستمرة . وليس شىء أدل على الاعتداد بلغة من أن تحترمها وتصونها الصحافة السيارة والاذاعة الناطقة .

٣ ـ بأن المسرح والسينما بابان من أبواب لغة الحياة العامة وهما دون نزاع فى تطور ملحوظ ، وفعلهما فى الجماهير ليس أقل من فعل الصحافة والاذاعة ويمكن أن يؤديا بلغة عربية سهلة واضحة ، وحتى يتمكن المعنيون بهما من لغتهم ففى وسعهم أن يكتبوا ويتكلموا فى سلاسة واستقامة بحيث يفهمهم ويتابعهم العامة والخاصة ، وربما أبيح لهم استعمال بعض اللهجات الفرعية للتفكه والترفيه على أن المسرح والسينما من أنجح الوسائل لتقريب اللهجات العربية بعضها من بعض وتوحيدها ما أمكن .

ويعتقد المجمع أن لدينا من المنظمات الفنية كالنقابات والهيئات والاتحادات ما ييسر الاتصال والتفاهم والتعاون فى العالم العربى جميعه .

٤ ـ وقبل هذا كله فان العربية حية ومتطورة وكفيلة بأن تسد حاجة العصر علما وحضارة ، وحياة اللغة بحياة أهلها دائما ، وفى العالم العربى اليوم وعى صادق يحرص على أن تسترد العربية مجدها وتستعيد مكانها بين اللغات العالمية الكبرى وقد بذل المجمع ولا يزال ـ فى سبيل تيسيرها وتطويرها جهودا متلاحقة :

(أ) فهو ييسر متنها ومفرداتها ما استطاع منحيا الحوشى والغريب ، ومحييا ما حرفته العامية وعدلته ، ومقرا لما يمكن أن يشتق أو يوضع من لفظ جديد ما دام

لا يتعارض مع أصول اللغة ، وآخذا بالتعريب كلما دعت الحاجة اليه ، ونعتقد انه بذل فى سبيل ذلك جهودا لهـا وزنها ، فأخرج معجمه الوسيط الذى استن فى التأليف المعجمى سنه لا يجرؤ عليها سواه ، واعتبر بحق المصطلح العلمى الشـائع جزءا من اللغة ، ولابد أن تشتمل عليه معاجمها . وما أن نفـدت طبعة هذا المعجم الأولى حتى اخرج طبعته الثانية بعد تنقيح ، بل واضافات جديدة . وبغية ان ينتشر هـذا المعجم فى العالم العربى جميعه . ويحس بأن الحاجة ماسة الى معجم مدرسى أصغر حجما لدينا مما أخذ به المعجم الوسيط من منهج جديد .

وتيسيرا لمتن اللغـة وملائمة لمتطلبات العلم والحضارة يخرج المجمع معجمات علمية متخصصة ، ويتوسع فى ذلك الآن بعض الشيء ، افادة من الثروة التى تجمعت لديه من المصطلحات العلمية ، وهو بهذا يسد حاجة قد لا يجاريه فيها هيئة علمية أو لغوية أخرى فى العالم العربى ويأمل أن ينشر انتاجه وأن يعرف بين الناس جميعـا ، تمهيدا لتعزيز المصطلح العلمى العربى وتوحيده .

(ب) وقد بذل جهودا ملحوظة فى تيسير النحو وتقريبه الى أذهان الناشئين دون أن يمس أصلا من أصول اللغة أو قاعدة فى القواعد المقررة .

حاول ذلك بناء على أمر تكليف من وزارة المعارف ــ وزارة التربية والتعليم اليوم ــ وقد طبقت مقترحاته زمنا فى مصر وسوريا ، ثم أوقف العمل بها ، ولا يزال المجمع يرى أن هـذا الأمر جدير بالعناية من الناحية المدرسية والتعليمية .

(جـ) شغل المجمع أيضا بموضوع تيسير الكتابة العربية ، ووقف عليه جائزة خاصـة وانتهى الى ضـغط صندوق الطباعة ضغطا ملحوظا ، ودعا الى شغل الكتاب المدرسى ما أمكن فى المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية . ولعل خط الرقعة أسهل فى الكتابة العادية السريعة على أن نعنى من الناحية الفنية بالخطوط العربية الأخرى كالثلث والنسخ والكوفى والفارسى ، وأن تقوم على أمرها فنون متخصصة .

ولم تفت مشكلة الاملاء المجمع ، واقترح فيها حلولا قد لا تكون مكتملة ولكن لم يؤخذ بهـا جميعا ، والأمر من الناحية المدرسية والتعليمية جدير بالأعمال والتنفيذ .

٥ ــ يقر المجمع المقترحات التى أشارت اليها مذكرة السيد وزير الثقافة والخاصة بمرحلة الطفولة والمرحلة التعليمية . ويرى أن مكافحة الأمية وسيلة من وسائل التقريب بين العامية والفصحى ، وتعتقد أن اللبنة الأولى فى ثروة الطفل اللغوية انما تتكون فى الأسرة والمنزل ، وبقدر استنارة الأب والأم يستنير أبناؤهما ، وأشار المجمع نموها وتدرجها ولكل سن ما يلائمه وينبغى أن نعد فى كل مدرسة نموها وتدرجها ولكل سن ما يلائمه وينبغى أن نعد فى كل مدرسة مكتبة ينهل منها عاما بعد عام ، وتعار له كتبها مجانا ، فهذا يقوم لغتـه وينميها ــ والكتب المدرسية العـامة فى حاجة الى أن تعنى بالعربية وأساليبها .

٦ ـ وفى الصعيد العالمى يلاحظ المجمع أن العربية المعاصرة لفتت الأنظار اليها ، فترجم عنها الى لغات مختلفة ، وأصبحت لغة معتمدة فى الهيئات الدولية وفى اليونسكو بوجه خاص ، وكلما عنى بها أهلها ، وازداد ايمانهم بقوتها وحيويتها ، وأنتجوا فيها انتاجا أصيلا ، فرضت نفسها على العالم بأسره .

**ابراهيم مدكور**

الأمين العام للمجمع

**انشاء مجمع للغة العربية فى الأردن :**

زار المجمع الدكتور عبد العزيز الخياط عميد كلية الشريعة بجامعة الأردن ، والدكتور أحمد سليم سعيدان أستاذ الرياضيات بهذه الجامعة ، وهما عضوان بلجنة التعريب والنشر والترجمة بالأردن ، وذلك للاطلاع على نظم المجمع ، وقوانينه ، وسير العمل فيه ، للاهتداء بها فى انشاء مجمع للغة العربية فى الأردن .

وقد حضر الزائران الكريمان جلسة المجمع الثانية والثلاثين (فى ١٩٧٣/٤/٩) حيث رحب بهما الأعضاء ، ورئيس الجلسة الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع .

فرد الدكتور عبد العزيز الخياط بالكلمة التالية :

اسمحوا لى أساتذتى الأجلاء بكلمة قصيرة وأنا بين أيديكم تلميذ من تلامذتكم وابن من أبنائكم ، يسرنى أن أقدم جزيل شكرى وتقديرى اليكم جميعا ، وبخاصة بعد سماع كلمة الترحيب الكريمة من أستاذنا الكبير زكى المهندس ، حيث ذكرنى وزميلى الدكتور أحمد سليم سعيدان بما لا نستحقه ، وأعتقد أن الله قد أنعم علينا بحضور هذه الجلسة ، لنستمع فيها اليكم ونستفيد من علمكم وثقافتكم ، ولا أحب أن أطيل عليكم ، اذ الأردن بسبيل انشاء مجمع للغة العربية يكون ذراعا من أذرع مجمعكم وفرعا من الشجرة الباسقة هنا ويؤدى رسالة جليلة لخدمة اللغة العربية ، ونحن بسبيل دراسة انشاء هذا المجمع نود أن نعرف عن كثب سير المجمع اللغوى هنا وانتاجه وكيفية أداء رسالته ، وتأدية خدماته للغة القرآن الكريم ، وأسأل الله العون فى أن نسير خطوات مسددة فى خدمة القرآن واللغة العربية .

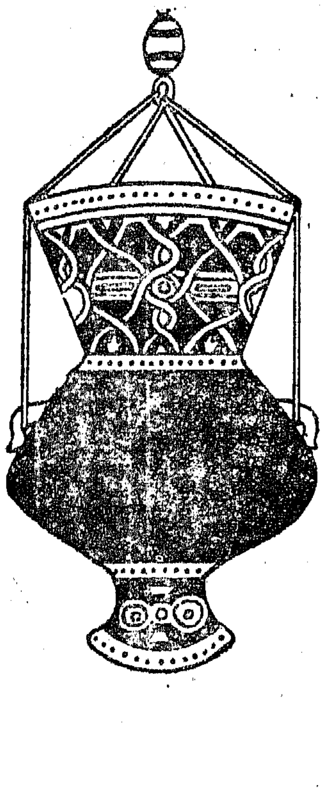
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

## مســابقة المجمع

أعلنت نتيجة مسابقة المجمع لعام ١٩٧٢/١٩٧٣ ، وموضوعها : « اللغة فى أدب القصة والمسرحية » . وفاز بالجائزة الثانية السيد المهندس حسين حلمى خليل ، وبالجائزة الثالثة السـيد المهندس زكريا هاشم زكريا .

كما أعلنت المسابقة الجديدة لعام ١٩٧٣/١٩٧٤ ، وموضوعها : « تاريخ الجمعيات والندوات الثقافية والأدبية فى قطر عربى ، فى عصر النهضة الحديثة » . وآخر موعد للتقدم اليها هو ١٩٧٤/٣/٣١ .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

علي سلطان علي

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٤/٢٠٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٢٠٠٢-١٩٧٤م٥٦٥

# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء السادس والثلاثون
ذو القعدة ١٣٩٥ هـ
نوفمبر ١٩٧٥ م

مجمع اللغـة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع مراد بالجيزة

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

# مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

## الجزء السادس والثلاثون

ذو القعدة ١٣٩٥هـ - نوفمبر ١٩٧٥م

المشرف على المجلة :

د. إبراهيم أنيس

رئيس التحرير :

إبراهيم الترزي

# الفهرس

## تصدير :



## بحوث ومقالات :

## تعريف ونقد :

## شخصيات مجمعية :

**عضو راحل :**

بسم الله الرحمن الرحيم

# تصدير

# عبرى

## للدكتور ابراهيم أنيس

עִבְרִי עִבְרִים

**ينقسم** أصحاب الدراسة التقليدية بصدد تأصيل الاسم « عبرى » إلى فريقين : فريق يختصر طريق البحث ويذهب إلى أن هذا الاسم ترجع نسبته إلى أحد أحفاد نوح المسمى عابر بن شالح أرفكشاد سام[1] ؟؟

ويرون أن تلقيب « أبرام » بلقب «العبرى» فى النص[2] : فأتى من نجا وأخبر أبرام العبرى

וַיָּבֹא הַפָּלִיט וַיַּגֵּד לְאַבְרָם הָעִבְרִי

معناه فى رأيهم ، من هو من نسل «عابر» هذا !!

غير أنا نلحظ أن « أبرام » قد لقب بهذا اللقب مرة واحدة ، بعدها يصمت سفر التكوين عن ذكر ذلك اللقب نحو خمسة وعشرين إصحاحا ، إلى أن يلقب به يوسف حين وفد إلى مصر وكان بينه وبين امرأة

---

(١) سفر التكوين الإصحاح العاشر .

(٢) سفر التكوين الإصحاح ١٤

العزيز ماكان إذ قالت[1]: انظروا جاء إلينا برجل «عبرى» ليداعبنا !!

أى أننا نجد الاسم «عبرى» هنا وقد استعمل – دون أدنى شك – لقباً لمن ينتمى إلى شعب معين. ثم يتوالى بعد ذلك استعمال هذا اللقب بهذه الدلالة. حتى ينتهى سفر التكوين، ثم فى سفرى الخروج وصموئيل الأول. فمثلا جاء على لسان يوسف لرئيس السقاة بعد أن فسر له الرؤيا (لأنى قد سُرِقْتُ من أرض العبريين). ومثل الإشارة إلى قوم يوسف مع شعب مصر (لأن المصريين لايقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبريين).

وهكذا نرى أن اللقب «عبرى» قد تكرر وروده فى قصة يوسف وفى البيئة المصرية. أما قبل ذلك فلم يرد فى التوراة سوى مرة واحدة مع «أبرام» وكان فيها غامض الدلالة. أو على الأقل دلالته غير مؤكدة.

والذلك لانطمئن لرأى هذا الفريق من الدارسين، ونتساءل دهشين: ولماذا اختص «أبرام» وحده بهذا اللقب بين من كانوا من نسل «عابر» برغم أن الفترة الزمنية بين «عابر» و«أبرام» على حسب نصوص التوراة نحو ٥٠٠ سنة ؟! هذا إلى أن اللقب «عبرى» لم يستعمل بعد «أبرام» إلا مع يوسف وحين كان فى مصر، وبين «أبرام» ويوسف ما يقرب من أربعة قرون. أى أنه خلال زمن يقرب من ٢٠٠٠ سنة لانجد بين أبناء «عابر» وأحفاده من يلقب بالاسم «عبرى» غير «أبرام» ومرة واحدة!!

وكذلك نتساءل: ولم كانت النسبة إلى «عابر» بالذات، ولم تكن لمن هو أشهر منه مثل «سام»؟! أى على نحو ما اشتهر فى العصور الحديثة من نسبة الأجناس السامية واللغات السامية؟

وأما الفريق الثانى من أصحاب الدراسة التقليدية فيبدأون البحث بالاسم الذى لقب به أبرام فى النص (فأتى من نجا وأخبر «أبرام» العبرى)، ويرون أن اللقب هنا مع «أبرام» مشتق من الفعل المشهور فى اللغات السامية «عَبَرَ» بمعنى جاوز، انتقل من مكان إلى آخر، أومن شاطئ إلى شاطىء، كما يرون أن «أبرام» سمى كذلك لأنه ترك بلاده الأصلية بين النهرين (أور)، وعبر الفرات نازحا إلى بلاد كنعان.

هم إذن يعدون اللقب «عبرى» مع «أبرام» وصفا أو نعتا خلعه عليه أهل كنعان حين نزح إليهم. ومن هذا النعت اشتق بعد ذلك اسم الشعب كما شهدنا فى قصة يوسف بمصر.

ونحن نلاحظ على هذا الرأى أننا لانعرف فى لغة القوم وصفا على هذه الصيغة «عبرى עִבְרִי» إلا فى حالة النسب. وأما الوصف العادى المألوف من الفعل «عبر» فهو على صيغة اسم الفاعل أى עֹבֵר. بمعنى العابر، النازح، المتنقل، المهاجر

(١) سفر التكوين الأصحاح ٣٩

... إلخ . ولابد إذن أن نفترض أن اللقب הָעִבְרִי المستعمل مع «أبرام» قد أصابه تحريف ، وأنه فى الأصل على صورة اسم الفاعل עֹבֵר

ويؤيد ذلك أمران : أولهما أن الترجمة السبعينية تشير إلى لقب «أبرام» على أنه وصف عادى معناه العابر أو النازح ولذلك ترجم فيها بالكلمة اليونانية To Peraté .

فى حين أن الكلمة « عبرى » مع يوسف وفى كل النصوص الأخرى من التوراة عوملت فى الترجمة السبعينية على أنها « علم » لشعب معين ، ولذلك بقيت صورتها كما هى فى لغتها الأصلية مع تغيير طفيف اقتضته أصوات اللغة اليونانية ، فصارت Hebraeos ، Hebraeon مما يدل على أن الأسم «عبرى» مع «أبرام» غيره مع يوسف وما بعده من نصوص .

والأمر الثانى أنه مضت قرون أربعة بين «ابرام» ويوسف خلالها لم يلقب «أبرام» بهذا اللقب سوى مرة واحدة ، ولم يلقب به أحد من كل أبناء «أبرام» وأحفاده وهم كثيرون ، إلى أن كان الشأن مع يوسف وفى مصر بالذات ، فلقبته به مصرية هى امرأة العزيز ، وظهر من الاسم مع يوسف وبوضوح ، أنه اسم شعب معين كان معروفا معرفة تامة فى البيئة المصرية .

وربما كان التحريف فى لقب « أبرام » من הָעִבְרִי إلى הָעוֹבֵר متعمدا وقصد به أن ينسب «أبرام» إلى الشعب العبرى وحده ، إذ نشعر أن أصحاب هذا الرأى كانوا حريصين كل الحرص على تأييد رأيهم بكل الوسائل المفتعلة ليستأثروا بالميثاق الذى قطعه الرب مع «أبرام» فى النص (فى ذلك اليوم قطع الرب مع «أبرام» ميثاقاً قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات [١]) ؟

ولكنهم تناسوا أن باقى النص كما ورد فى توراتهم يحدد نسل «أبرام» فى عشرة شعوب ويذكر أسماء تلك الشعوب . كما تناسوا عن عمد أن الرب حين غير اسم « أبرام » إلى إبراهيم قال (وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد «أبرام» بل يكون اسمك إبراهيم لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم ) .

نحن إذن بعد ما تقدم لا نطمئن إلى الآراء التى ينادى بها أصحاب الدراسة التقليدية فى تأصيل الاسم «عبرى» ، ونحاول هنا أن نلتمس فرضا جديدا فى تأصيل الاسم «عبرى» الذى استعمل مع يوسف فى مصر كاسم لشعب معين كان معروفا للمصريين تمام المعرفة .

(١) سفر التكوين الإصحاح ١٥

وهنا تبرق لنا فكرة الربط بين الاسم «عبرى» الذى استعمل مع يوسف وشاع بعد ذلك فى النصوص الأخرى ، وبين اسم آخر جاء فى ألواح تل العمارنة وفسرت رموزه على أنه «خبرى[1]» ، وهو الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء على أقوام من البدو الساميين الذين كانوا يعيشون على الحدود المتاخمة لمصر، وقد ورد الاسم «خبرى» فى ألواح تل العمارنة المنسوبة إلى القرن الرابع عشر ق.م. فى مناسبتين : أولاهما حين استغاث أمراء سوريا وفلسطين إلى فرعون مصر الذى كانوا يدفعون له الجزية لينقذهم من الشعب البدوى المسمى «خبرى» ، لأنه يشن الغارات على مدينتهم . والمناسبة الثانية هى وصية أمنحتب الثالث لإبنه يحذره فيها من أولئك البدو المجاورين الذين يسمون (خبرى) فقد احتلوا المناطق الصحراوية المتاخمة وأصبحوا قوة لايستهان بها . وتقول هذه الوصية مانصه : (لقد سقطت الأراضى فى أيدى شعب «خبرى» ) .

من أجل ذلك نفترض أن الاسم «عبرى» الذى لقب به يوسف فى مصر ؛ والذى اشتهر على ألسنة المصريين كاسم لشعب بدوى مجاور هو نفس الاسم (خبرى) الذى جاء فى ألواح تل العمارنة ، والذى تفيد النقوش أن المصريين القدماء أطلقوه على شعب بدوى على حدود مصر .

ولاشك أن الاسم (خبرى) مستمد من اللغة المصرية القديمة ، وإن كنا لاندرى حتى الآن دلالته الأصيلة فى تلك اللغة .

وإذا قارنا بين الاسمين (عبرى ، خبرى) وجدنا أن الحروف الصحيحة فيهما تتشابه تشابها كبيرا ، ففى كل منهما ثلاثة حروف صحاح ، أحدها حرف حلق (العين فى الاسم الأول والخاء فى الثانى ) ، ثم الباء والراء فى كل من الاسمين . ونحن نعلم أن الإبدال بين العين والخاء ممكن فى الدراسات السامية المقارنة ، بل لقد رويت له أمثلة فى لهجات اللغة العربية مثل : العُنظب ، الخنظب = الذكر من الجراد . الدّعْم ، الدخم = الدفع ؛ رجل أصلع ، أصلخ . المَعْن ، المخن من الرجال = الطويل .

أى أن الاسم (خبرى) الذى أطلقه المصريون القدماء على الشعب البدوى المتاخم هو ما صار فى لغة يوسف وقومه على صورة (عبرى) عن طريق الإبدال بين الخاء والعين ، وعليه فلا

(1) A.A. Trever :
History of Ancient Civilization Vol. 1. P. 66. 83

صلة بين اللقب (عبرى) الذى أطلق على الشعب الذى ينتمى إليه يوسف ومن بعده موسى ، وبين الفعل السامى (عبر) بمعنى جاوز ، انتقل . . الخ .

وكان المصريون القدماء يطلقون على بعض الشعوب الصغيرة المجاورة أسماء مستمدة من اللغة المصرية مثل تسميتهم للفينيقيين بكلمة (تيوخبى) التى تعنى بالمصرية صانعى السفن . غير أنا لا ندرى لماذا سموا الشعب البدوى المتاخم بالاسم (خبرى) ، ولم نستطع حتى الآن الاهتداء إلى دلالته الأصيلة فى اللغة المصرية القديمة .

ولعل مما يستأنس به فى صحة هذا الغرض تحجر الاسم (عبرى) وعدم اشتقاق اسم اللغة منه إلا فى العصور المسيحية ، وعلى صورة غير مألوفة فى أسماء اللغات كما جاءت فى العهد القديم من أمثال :

אֲרָמִית

יְהוּדִית

## الاسم عبرى فى التراث الإسلامى :

لم يرد فى القرآن الكريم أى ذكر للاسم (عبرى) ، بل ولا فى الحديث الشريف فيما نعرف . سوى ما جاء فى صحيح البخارى فى إحدى روايتين بمناسبة ورقة بن نوفل ( فانطلقت خديجة حتى أتت به ( النبى ) ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأً تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ، وفى رواية بالعربية ).

ونحن نرجح رواية «فيكتب من الإنجيل بالعربية» . إذ على فرض صحة الرواية الأخرى نتساءل ، مع دهشة واستغراب : ولمن كان ينقل من الإنجيل باللغة العبرانية؟! ولأى هدف كان يترجم نصوص الإنجيل من لغته الأصلية وهى السريانية إلى اللغة العبرانية ؟!

لذلك نرى أن الأقرب إلى المعقول المقبول هو أن ورقة بن نوفل وهو العربى القرشى كان يترجم نصوص الإنجيل إلى العربية لغة آبائه وأجداده ليهتدى بهذه النصوص قومه وعشيرته .

والاسم (عبرى) على كل حال لم يعرف فى التراث الإسلامى بصورة مؤكدة إلا فى حدود القرن العاشر الميلادى ، فقد اشتهر حينئذ كاسم للغة القوم أكثر منه اسما للشعب .

ويبدو أن ذلك قد بدأ يتسرب إلى التراث الإسلامى بعد تلك النهضة الأدبية التى حاولها اليهود فى الأندلس ، فقد ظهر لهم آنذاك ، وفى ظل سماحة الإسلام ، إنتاج أدبى غزير بلغتهم التى أطلقوا عليها اسم « اللسان العبرى » ، ثم شاع هذا الاسم بين المؤلفين من المسلمين ، ولا سيما فى المعاجم العربية . فيقول صاحب معجم لسان العرب: « والعبرى بالكسر والعبرانى لغة اليهود» . ويقول الفيروزبادى: «العبرى والعبرانى لغة اليهود » . ويرى اللغويون العرب أن الألف والنون زيدت فى النسبة عبرانى على غير قياس .

وبالله التوفيق

المشرف على المجلة
**ابراهيم أنيس**

# بحوث ومقالات

# الثقافة العربية اليوم وغدا

## — ٢ —

## العلوم الإنسانية

للدكتور ابراهيم مدكور

**أشرنا** في الكلمة السابقة إلى نشأة الثقافة العربية وتطورها ، وبينا أن نهضتنا الثقافية المعاصرة تصعد إلى القرن التاسع عشر ، ظهرت بوادرها في مصر أولا ، ثم امتدت شيئا فشيئا إلى بلاد عربية أخرى . ويعتبر القرن العشرون البدء الحقيقي لهذه النهضة ؛ لأنه قرن التحرر والاستقلال ، قرن الازدهار والرخاء . وأريد بها أن تكون ثقافة عربية أولا تعبر عن العالم العربي في آماله وآلامه ، ولم يكن غريبا أن تعنى باللغة القومية ، وأن تعتد بتراثها القديم . ولكنها لم تقف عند هذا ، بل تفتحت أعينها لعلوم العصر وفنونه ، وأخذت منها ما أخذت .

* * *

١ — بدأت النهضة الثقافية العربية الحالية بالعلوم الإنسانية ، شأنها شأن النهضة الأوربية الحديثة ، فاتجهت أولا نحو التراث العربي القديم تحيي معالمه ، وتستلهم منه .

والتراث العربي خصب فسيح ، وهو دون نزاع أغنى مخلفات الحضارات القديمة والمتوسطة ، لأنه صنيع عدة شعوب ووليد ثلاثة عشر قرنا . وجه إليه الدين أصلا ، فكان الاشتغال به عبادة ، وتعهده تقربا . تعددت ألوانه ، وتنوعت أبوابه ، فيه شرعيات ولغويات ، فيه تاريخ وقصص ، فيه فن وأدب ، فيه علم وفلسفة . ولإعطاء فكرة عن سعته وتنوع مواده ، يكفي أن نشير إلى مرجعين اثنين عنيا بحصره . وقد ظهر أولهما في القرن العاشر الميلادي ، وهو «الفهرست» لابن النديم ، الذي شاء أن يحصي ما ألف أو ترجم إلى العربية لعهده ، وأسفر إحصاؤه عن عشرات العلوم والفنون ، ومئات المؤلفات ، ومئات المؤلفين . وظهر الثاني في القرن السابع عشر ، وهو : «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون» ، ويشتمل على نحو ٣٠٠ فن ، وعدة آلاف مؤلف ، ونحو ١٥٠٠٠ كتاب . ورأت الجامعة العربية قياما

بواجبها الثقافى : أن تجمع هذه المخطوطات ، وأن تيسر أمرها للدارسين والباحثين ، فأنشأت عام ١٩٤٧ معهدا للمخطوطات استطاع حتى الآن أن يوفد عشرات البعثات إلى العالم العربى والعالم الإسلامى ، بل إلى بعض العواصم الأوربية بحثا عن المخطوطات وحصل على صور لما يزيد عن ٣٠ ألف منها ويعد هذا المعهد مركزا كبيرا من مراكز الثقافة العربية اليوم .

وقد تنبه المستشرقون إلى هذه الثروة الفكرية الهامة ، وقاموا بإحياء قدر منها فى القرن الماضى . ثم اضطلع العرب أنفسهم بذلك ، وبدءوا فى القرن نفسه يحققون وينشرون . واشتد نشاطهم فى القرن الحالى : فحاولوا أن يحملوا العبء عمن سبقهم من المستشرقين وعنوا بذلك عناية خاصة . وأصبح إحياء التراث بابا فسيحا من أبواب الثقافة العربية المعاصرة ، وتكاد تسهم فيه البلاد العربية جميعها ، وتخصص فيه بعض الناشرين ، وله نسبة ملحوظة بين ما يظهر من كتب عربية كل عام . وقد ينشر مؤلف واحد مرتين فى آن واحد ببلدين عربيين ، وحبذا لو نظم ذلك ونسق ، ورتبت فيه أولويات ، ووزع بين الناشرين فى العالم العربى ، على نحو ما يتم من تنسيق بين إنجلترا والولايات المتحدة فى نشر كبار المؤلفات الإنجليزية . والمهم على كل حال أن يقوم بالتحقيق والنشر من هو أهل له ، وأن يفرغ كل ناشر لما تخصص فيه .

٢ — وإلى جانب النشر والتحقيق تجىء الدراسات اللغوية والأدبية ، وهى بدورها من باكورات النهضات الثقافية ، يبدأ بها لأنها من وسائل النهوض والتقدم . وسبق لى أن أشرت إلى محاولات الاستعمار فى فرض لغاته ، آملا أن تحل محل العربية ؛ ولم تتردد بعض القوى الوطنية فى معارضة ذلك . هذا إلى أن مستحدثات العلم والحضارة جلبت مسميات وأسماء غير عربية ، فإما أن تقبل المسميات بأسمائها ، وإما أن توضع لها أسماء جديدة ، والعربية نفسها كسائر اللغات ظاهرة اجتماعية تخضع لسنة النشوء والارتقاء . وقد دفع ذلك كله ، أسوة بما حدث فى فرنسا فى القرن السابع عشر ، إلى التفكير فى إنشاء مجامع لغوية تحافظ على سلامة اللغة ، وتجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ، ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر . وسبقت مصر إلى ذلك ، فأنشأت عام ١٨٩٢ مجمعا أهليا ، ومضت تطور الفكرة زمنا إلى أن استقر الرأى عام ١٩٣٢ على إنشاء مجمع حكومى مثلت فيه البلاد العربية ونفر من كبار المستعربين ، وهو القائم إلى اليوم . وقد نجح هذا المجمع فى إثبات أن اللغة ملك لأهلها ، وأن فى وسعهم أن ينموها ويغذوها . واستطاع أن يبسط قواعدها ، وأن ييسر أقيستها ، وعنى

خاصة بلغة العلم وألفاظ الحضارة ، واستحدث مناهج جديدة فى التأليف المعجمى. وأخذ بالفكرة بعض البلاد العربية ، فأنشىء مجمع دمشق عام ١٩١٩ ، ومجمع بغداد عام ١٩٤٧، وتتهيأ بلاد عربية أخرى لإنشاء مجامع جديدة، وكان لابد من قيام اتحاد يربط هذه المجامع وينسق عملها، وقد أنشىء فعلا منذ ثلاث سنوات .

٣ – وأما الإنتاج الأدبى فما أكثره وما أغزره فيه أخذ ومحاكاة ، وفيه إبداع وابتكار. يحاكى أروع ما عرف فى الماضى، ويبتكر صورا جديدة من الحاضر . وكان للتنافس بين القديم والجديد شأن فى ظهور أدب يتسم بسمات العصر ومميزاته. فتوارد على الشعر العربى مدارس وشعراء يحاكون الشعر العباسى فى أزهى عصوره ، أو ينحون منحى الرومانسية الغربية التى تعنى بوحدة الموضوع ، وتدعو إلى أن يعود الأديب إلى نفسه، ويصور ما يدور بخلده . ولم يقف الأمر عند موضوع الشعر وأخيلته، بل امتد إلى وزنه وقافيته ، وظهر الشعر الحر الذى يبدو وكأنه محاكاة واضحة لمؤثرات أجنبية . وكم اشتدت الخصومة بين أنصار الشعر القديم وأنصار الشعر الجديد ، ولم يخل ذلك من تفاعل بينهما ، فتوسع أنصار القديم فى أوزانهم وقوافيهم ، وحاول أنصار الجديد أن يكسوا شعرهم بقدر من الوزن والموسيقى . وفى النثر ألوان جديدة وطريفة : من مقال ، وقصة ومسرحية ، وسيرة ذاتية. وما المقال إلا تطور للمقامة القديمة ، وقد ساعدت الصحافة والحزبية السياسية على هذا التطور ، ونمته الدراسات الجامعية . فكان للمقال شأن فى الدعوات الإصلاحية، والحركات السياسية، والنقد الأدبى ، والتحليل العلمى . وهناك مقالات سمت إلى مستوى الأدب الرفيع ، وصارت نموذجا يحتذى بين القراء والكتاب. والقصة من أغزر أبواب الأدب العربى المعاصر. اعتمدت على الملاحظة الدقيقة والتحليلات العميقة . رسمت البيئة العربية رسما معبرا ، وكشفت عن زوايا خفية لدى الفرد والمجتمع. وما المسرحية إلا قصة تعتمد على الحوار، وضعت شعرا ونثرا ، وعبرت عن الماضى الدفين ، أو عن الواقع الصريح ، تنحو منحى النقد والسخرية ، أو تحمل راية الإصلاح والتجديد . وفى الأدب العربى المعاصر قصص ومسرحيات لا تقل عن نظائرها فى الآداب العالمية ، وترجم قدر منها إلى عدة لغات. والسيرة معروفة فى الأدب العربى من قديم، وقد نحت اليوم منحى جديدا ، وأجملها السيرة الذاتية التى تكشف عن أعماق النفس وتسجل اعترافات أخاذة ، وتوضح بعض معالم التاريخ. ونعتقد أن فى كل هذا ما يبين كيف تطور الأدب العربى المعاصر : بدأ بالتقليد، ثم انتقل إلى تفاعل بين القديم والجديد، وانتهى أخيرا إلى مرحلة اكتملت فيها شخصيته واستقامت معالمه، واتضح استقلاله .

٤ ـ والفن والأدب مرتبطان ومتعاونان . وقد عرف العالم العربى الفن من قديم . وربما اجتمعت فى بلد واحد فنون متلاحقة ، فعرفت مصر الفن الفرعونى والرومانى ، وعرفت الفن القبطى والإسلامى . ولمصر الحديثة سبق فى الإنتاج الفنى ، فظهرت فيها الفنون التشكيلية فى عهد إسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) ، وأنتج بعض الفنانين الفرنسيين لوحات رائعة تمثل الحياة الشعبية فى مصر إبان القرن التاسع عشر . وتلاها فى القرن العشرين إنتاج لايقل عنها روعة ، وقد اضطلع به المصريون أنفسهم . وإلى جانب التصوير عنى بالنحت كذلك ، واستعادت مصر شيئا من فنها الفرعونى القديم . وللفنانين المصريين معارضهم التى أقاموها داخل البلاد وخارجها ، وأحرزوا قصب السبق فى بعض المعارض الدولية ، وفى العواصم الكبرى ، وبخاصة القاهرة والإسكندرية ، متاحف ومراسم متعددة ، وبدىء فى إنشاء المعاهد الفنية منذ عهد مبكر : ففتحت «مدرسة الفنون الجميلة» فى القاهرة أبوابها عام ١٩٠٨ ، وتلتها معاهد أخرى ، ولم تتخلف المرأة فى ممارسة الفنون الجميلة ، وفى عام ١٩٤٠ أنشىء أول معهد عال لمعلمات الفنون الجميلة . وفكر أيضا فى إنشاء جمعيات فنية ، وأولاها «جمعية محبى الفنون الجميلة» التى تأسست عام ١٩٢٢ ، ولا تزال تؤدى رسالتها إلى اليوم . وفى البلاد العربية الأخرى خطوات فى سبيل الفن التشكيلى ، بعضها بادىء ووصل بعضها الأخر إلى درجة لابأس بها . وفى التاريخ ، ومناظر الطبيعة الحية ، والأحداث السياسية الكبرى غذاء مستمر لفنانى العرب شرقا وغرباً .

٥ ـ ومن الفنون العربية : الموسيقى والغناء ، ولهما تاريخ طويل يرجع إلى العصر الجاهلى ، يسير بسير الحضارة . وقد ازدهرت الموسيقى العربية فى العصر العباسى ازدهارا كبيرا ، فأخذت عن الفرس واليونان ما أخذت ، وأبدعت تحت تأثير الحضارة والمدنية ما أبدعت ، وكان لها رجالها البارزون من موسيقيين ومغنين . ولم يقنع العرب والمسلمون فى الموسيقى بالتطبيق والعمل ، بل أضافوا إليه البحث والنظر ؛ فكتبوا فى عالم الموسيقى وألفوا ، كانت لهم فيه آراء ونظريات . ثم عدا الزمان على هذه النهضة الموسيقية ، وتوقفت أو كادت مع توقف مظاهر الحضارة العربية فى عصور الظلمة والانحطاط . ويوم أن استيقظ العرب استيقظت معهم فنونهم ، فأخذوا يحيون موسيقاهم بألحانها وأنغامها ، بمقاماتها وضروبها ، بموشحاتها وقصائدها . وقد رغب محمد على فى أن يربى جنوده تربية موسيقية ،

فعنى بالموسيقى العسكرية ، معولا على المعزوفات التركية ، واستحدث فنا موسيقيا شبه تركى . بيد أن هذه المعزوفات التركية ، هى التى وجهت الأنظار من جديد نحو الموسيقى العربية ، وحظيت مصر بمجموعة من كبار الفنانين الذين حاولوا إحياء هذه الموسيقى العربية وتطويرها ، أمثال عبده الحامولى (١٩٠١) ، ومحمد عثمان (١٩٠٠) . وأسهم المسرح الغنائى بمصر فى النهضة الموسيقية المعاصرة ، وعلى رأسه سلامة حجازى (١٩١٧) . وجاءت السينما والإذاعة : المسموعة والمرئية ، ففتحت أمام الموسيقى ميادين جديدة ، وعاونت على تربية الشعب تربية موسيقية ، وأفسحت السبيل للمؤلفين والملحنين والمغنين . ودفعت أم كلثوم (١٩٧٥) الغناء العربى دفعة قوية كان لها صداها فى الشرق والغرب . ومنذ أوائل هذا القرن أخذت البلاد العربية عامة تتعهد فنها الموسيقى ، ويحاول شمال أفريقيا جاهدا أن يحيى الموسيقى الأندلسية ، وفى المشرق العربى نغمات وأصوات عربية أصيلة . وعقدت للموسيقى مؤتمرات ، وأنشئت معاهد متخصصة ، وأرسلت بعثات إلى أوربا لاستكمال الدراسة الموسيقية . وبذلت جهود فى مزج الفن العربى بالفن الأوربى ، فعرفت السمفونية ، وفرق الاستعراض . ولايزال للموسيقى العربية طلابها وعشاقها .

٦ ـ والعمارة من الفنون التى تأثرت بالنهضة الحديثة ، وكان طبيعيا أن يتجه محمد على فى مصر نحو تركيا أو نحو أوربا ليأخذ عنها مظاهر الحضارة والعمران . فاستقدم المهندسين والفنيين الأوربيين لإنشاء القناطر ودور الصناعة وأحواض السفن ، وعنى خلفاؤه بتخطيط المدن وتشييد القصور على مقربة من مجرى ماء ، على نحو ما حدث فى البسفور وباريس . وانصب العمران فى القرن التاسع عشر على القاهرة والإسكندرية بوجه خاص ، وكان حظ القاهرة أعظم . فأنشئ فيها مسجد محمد على الشهير بالقلعة ، وقصر عابدين ، وخططت شوارع جديدة ، وبنيت دار الأوبرا التى عمرت نحو قرن والتهمها الحريق أخيرا ، وأسس « كوبرى » قصر النيل . وفى الإسكندرية خطط بعض الشوارع والميادين وأنشئت قصور أهمها رأس التين والمنتزة . ولم يلتزم فى ذلك كله طراز خاص ، فجمع بين الكلاسيكى والقوطى ، بين الفرعونى والإسلامى ، فى شيء من التلفيق والتوفيق . وفى القرن العشرين امتد العمران إلى عواصم أخرى شمالا وجنوبا ، واتسعت آفاقه . وأنشئت مدرسة المهندسخانة لتخريج مهندسين مصريين ، وأوفد عدد منهم إلى أوربا وأمريكا ، وحل المهندس المصرى محل المهندس الأجنبى . وازداد اختلاط الطرز بعضها ببعض ، لاسيما وقد

ضعفت فى أوربا نفسها روح الاستمساك بالطراز الكلاسيكى . وأصبحت الخطوط المستقيمة الرمز السائد ، وغزت ناطحات السحاب القاهرة والإسكندرية ، كما غزت فى أوربا عواصم أخرى كانت أميل إلى المحافظة . وسارت العمارة فى الأقطار العربية سيرها فى مصر ، وإن تأخر تطورها بعض الوقت ، فحاكت فى أوائل هذا القرن الطراز السائد فى تركيا ثم أخذت تتأثر بالطرز الأوربية والأمريكية وبدأت تظهر فيه أخيرا ناطحات السحاب ، وعولت فى كثير من إنشاءاتها ، وبخاصة فى المشرق ، على المهندسين المصريين ، ولم يبق للفن الإسلامى مجال يذكر ، اللهم إلا فى بناء بعض المساجد والمعاهد والأضرحة ، أو فى ترميم بعض الآثار القديمة ، ويرجع ذلك فى الغالب إلى زيادة تكاليفه ، وصعوبة صيانته وتعهده.

(يتبع) .

**ابراهيم مدكور**
رئيس المجمع

# بسم الله الرحمن الرحيم

# السجع وتناسب الفواصل وما يكون من ذلك فى القرآن الكريم

للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

**يتنوع** الكلام من حيث نظمه إلى ثلاثة أنواع : شعر ، وسجع ، وكلام مرسل .

وإن شئت قلت : هو — من حيث النظم — نوعان أصليان ، يندرج تحت أحدهما قسمان فرعيان : النوع الأول الشعر ، والنوع الثانى النثر ويندرج تحت النثر فرعان : هما السجع والكلام المرسل .

ويمتاز الشعر عن النثر بفرعيه بأوزانه الخاصة ، وبحوره وتفاعيله المعروفة .

أما السجع فإنه ينفصل عن قسيمه « النثر غير المسجوع » بالتقفية ، وهى أن تكون الفقرة من الكلام منتهية بمقطع تنتهى به فقرة بأخرى أو عدة فقرات .

والكلام المسجوع أى المقفى لا يدخل بهذه التقفية فى نطاق الشعر ، لأنه تعوزه مقومات الشعر . وهى تلك الأوزان — أو البحور المعروفة — التى جعلت لها عناوين خاصة .

فالكلام المسجوع مقفى بما يشبه قافية الشعر ، لكنه ينقصه وزنه . أما الكلام المرسل غير المسجوع فهو خال من الوزن والقافية جميعاً .

هذا وإن القرآن كلام عربى لا يخرج عن نطاق تلك الأنواع ، ولا يصح أن يقال إنه يمكن أن يجانبها جميعها .

وإذاً فأى شىء من تلك الأنواع يمكن أن يقال إنه أسلوب القرآن الكريم أو يكون قد وقع فى أسلوبه ؟

وجواب ذلك هو أن القرآن ليس بشعر ، ولا ينبغى أن يوصف شىء منه بأنه من الشعر ، وهذه حقيقة لا شك فيها ولا شبهة .

لكن هل يمكن أن يحكم بأنه خال أيضاً من التقفية ، وأنه ليس فيه شيء من النثر المسجوع ؟ وإذا كان الأمر كذلك فماذا يقال فى آيات كثيرة جداً من سور كثيرة أيضاً من القصار وغير القصار قد ختمت بفواصل متناسبة لا تختلف فى شيء عن تقفية السجع ؟

إنه إذا كان من الحقائق التى لا شك فيها ولا شبهة أن القرآن ليس شعراً وليس فيه ما قصد وصله بشيء من موازين الشعر فإن من الحقائق التى لا شك فيها ولا شبهة أيضاً أن كثيراً من السور القرآنية قد بنيت آياته كلها أو أغلبها على تناسب الفواصل . وإذاً فالقرآن فى أسلوبه العام — فيما عدا تلك السور والآيات ذات الفواصل المتناسبة — هو من الكلام المرسل .

هذا ، والفواصل فى القرآن قد تكون من نوع واحد من أنواع مختلفة :

١ـ فسورة الضحى : قوله تعالى : (والضُّحَى واللَّيل إذا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لك مِنَ الأولى ) قد بُنيت فى أغلب آياتها على فاصلة الألف . وهى من قصار السور .

٢ـ وكذلك سورة «طه» — وهى من السور المتوسطة بين الطوال والقصار — قد جاءت آياتها أغلبها على فاصلة الألف : ( طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ؛ إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العُلَى ؛ الرحمن على العرش استَوَى ؛ له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) .

ومن السورة نفسها قوله تعالى : ( إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى . قال فمن ربكما ياموسى . قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) .

وقد تخرج مجموعة من الآيات عن الفاصلة الغالبة إلى فاصلة أخرى ، كما جاء فى هذه السورة أيضاً فى قوله تعالى :

( قال ربِّ اشرح لى صدرى ؛ ويسر لى أمرى ؛ واحلُل عقدة من لسانى ؛ يفقهوا قولى ؛ واجعل لى وزيراً من أهلى ؛ هارون أخى ، اشدُد به أزرى ، وأشركه فى أمرى ) .

وعقب هذه الآيات نجد مجموعة ثالثة من ثلاث آيات ختمت بفاصلة غير ماختمت به المجموعتان الأوليان ، وذلك قولة تعالى : ( كى نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً ) . ثم تعود السورة إلى الفاصلة الغالبة فاصلة الألف .

٣ـ وكذلك سورة النَّجم ، أغلب آياتها على فاصلة الألف : ( والنجم إذا هوى . ماضلَّ صاحبكم وماغوى . وماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القُوى . ذو مِرَّة فاستوى

وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلَّى . فكان قاب قوسين أو أدنى) .

وهكذا إلى قرب ختام السورة فتخرج الآيات إلى فاصلة فى مجموعة من آيتين؛ وذلك فى قوله تعالى : (أزِفَت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة) ؛ ثم إلى فاصلة ثالثة فى مجموعة ثالثة فى قوله تعالى : (أفمِن هذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولا تبكون ؛ وأنتم سامدون)

٤ — وكذلك الحال فى سورة مريم والفرقان ، والصافات ، والملك ، والقلم ، والحاقة ، والتكوير ، والانشقاق وكثير غيرها .

٥ — بل إن فى القرآن سوراً قد بنيت آياتها جميعها من أولها إلى آخرها على نوع واحد من الفواصل لم تخرج عنه إلى غيره ؛

(ا) وذلك مثل سور « الشمس » : (والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاَّها . والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها . والأرض وماطحاها) وهكذا إلى آخر السورة .

(ب) ومثل سورة « الليل » : (والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلَّى . وماخلق الذكر والأنثى . إنَّ سعيكم لشتَّى) .

(ج) وكما فى سورة القمر التى هى أكبر من هاتين السورتين :

(اقتربت الساعة وانشقَّ القمر . وإن يروا آية يُعرِضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكلُّ أمر مستقر) . وهكذا قد بنيت السورة كلها على الراء .

* * *

إنه لاشك أن ذلك الذى قدمنا له تلك الأمثلة ليس من نوع الشعر المعهود ؛ ثم لاشك أيضاً أنه ليس من قسم النثر المرسل الذى لم يُبْنَ على تقفية وتناسب فواصل ؛ فلم يبق إلا القسم الآخر الذى هو النثر المسجوع .

فإذا لم تكن تلك الآيات والسور من طبيعة السجع فمن أى طبيعة تكون ؟

هنا يقول بعض الباحثين — مستنداً إلى ما هو مقرر من انحصار الكلام فى تلك الأنواع الثلاثة — يقول ولايرى فى ذلك شيئا من الحرج — إن ذلك الذى ذكر من الآيات والسور المعتمدة على تناسب الفواصل ، هو السجع بعينه فى معناه وحقيقته .

لكن فريقاً آخر من الباحثين لايجيز أن يقال إن القرآن فيه سجع . ولماذا ؟

هل يرون أن حقيقة السجع وماهيته تأبى أن تنطبق على الفواصل المتناسبة فى فى مثل ماقدمناه من السور والآيات ؟

وماهى هذه الحقيقة التى لاتنطبق على تلك الفواصل ؟

إن هؤلاء المانعين الذين لايقولون بالسجع فى القرآن لم يبينوا بياناً شافياً أصل ذلك المنع . ولم يعينوا النقطة التى ينفصل

عندها السجع عن تناسب الفواصل القرآنية حتى يتضح السبيل ويزول الإبهام ويستقيم الأمر فى إطلاق الألفاظ على معانيها الخاصة .

إننا إذا راجعنا الكلام المسجوع الذى كان ينشئه الخطباء والكتاب فى الجاهلية أو فى صدر الإسلام أو فيما بعد ذلك . وبحثنا فيه من حيث فقراته : مقاديرها وفواصلها ، وتقارب هذه الفواصل أو تباعدها واتحادها فى الكلام الواحد أو اختلافها فإننا نستطيع أن نستلخص الأمور الآتية :

١ — إنه لم يكن حتما أن تقوم الخطبة كلها أو الرسالة جميعها على فاصلة واحدة ، بل كان يخرج الخطيب أو الكاتب بعد عدة فقرات يبنيها على فاصلة معينة — إلى فاصلة أخرى — يبنى عليها مجموعة أخرى من الفقرات ؛ ثم قد يخرج أيضا من الفاصلة الثانية إلى ثالثة ورابعة ، وهكذا على حسب مايسمح به المقام .

٢ — لايلزم فى المجموعة الثانية أو مابعدها أن تكون عدة فقراتها مساوية لفقرات المجموعة الأولى ، فإنها قد تزيد عليها ، وقد تنقص عنها .

٣ — إن فواصل كل مجموعة من الفقرات تكون — فى أغلب الأمر — متقاربة ، إذا كانوا يميلون إلى أن تكون الفقرات قصيرة ؛ ولكن ذلك ليس معناه أن تضبط كلمات كل فقرة أو حروفها بعدد معين تتساوى فيه تلك الفقرات ؛ بل يكفى ألا يكون بينها فى ذلك تفاوت بيّن .

٤ — إن بعض من كانوا يعنون من أولئك الخطباء والكتاب بأمر السجع ويلتزمونه فى بعض خطبهم وكتبهم كثيراً ماكانوا ينظرون إلى السجع فى المقام الأول ، أما المعنى فقد كان نظرهم إليه فى المنزلة الثانية .

وقد يضطرهم الشغف بالسجع والتزامه إلى تكلفات يصير بها معنى بعض الفقرات غامضاً مبهماً أو قليل الجدوى .

وهذا فى أغلب الأمر هو شأن الكلام الذى تكون العناية فيه بالمعنى وراء العناية باللفظ على حين أن الكلام الجيد هو الذى يكون فيه اللفظ تابعاً للمعنى .

٥ — إن السجع قد يطلق إطلاقاً خاصًّا بدلالة المقام ومعونة القرائن على ما يكون من الكهان الذين يرجمون فيه بالغيب ويحدثون به عن المستقبل ، يدّعون به معرفة أسرار الأقدار ، ويتخذون فى ذلك وسائل من الخداع والتمويه بمـا يودعون أسجاعهم من الإبهام والغموض ، واستخدام الألفاظ التى تحتمل أكثر من معنى .

* * *

هذه الأمور الخمسة التى قدمناها منها الثلاثة الأولى لا يتبين منها فارق ذو شأن يمكن أن يفصل بين السجع وفواصل آيات القرآن الكريم ؛ فإن من الآيات القرآنية ذات الفواصل المتناسبة ماتكون فواصله — كما علمنا —

متقاربة بسبب قصر تلك الآيات ، وذلك كما قلنا فى السجع .

ومنها ما تكون مجموعة منها على فاصلة، ثم تخرج مجموعة بعدها إلى فاصلة أخرى . وقد تخرج مجموعة ثالثة إلى فاصلة ثالثة كما هو الحال فى الكلام المسجوع .

أما الأمران الأخيران فهما اللذان يصح الفصل بهما بين السجع وفواصل آيات القرآن؛ فإن هذه الفواصل مبرأة مما هو سبب ذم السجع على ما أشير إليه فى هذين الأمرين.

لكن قد يقال : إن المحذورات التى من أجلها كان ذم السجع ليست ذاتية له ولا ناشئة من طبيعته ، وإنما هى أمور عارضة يمكن أن ينفصل عنها ويتجرد منها فلا يكون مذموماً .

فتكلف السجع — وهو الذى أشير إليه فى الأمر الرابع من الأمور الخمسة — عيب مذموم ؛ والعناية فيه بأمر اللفظ أكثر من الاهتمام بالمعنى حتى تجىء بعض العبارات غامضة مبهمة أو قليلة الجدوى عيب آخر أشد من الأول وأقبح منه .

وكذلك ما أشير إليه فى الأمر الخامس من التكهن بالسجع والرّجم فيه بالغيب وهو عيب من أشد العيب وأولاه بالذم . لكن ذلك كله ليس بمستحيل أن يجرد منه الكلام ، فإنه — كما قلنا — من الصفات العارضة وليس من الذاتيات الملازمة ؛

فالسجع المتكلف وسجع الكهانة ليس شىء منهما مذموماً من حيث إنه سجع وتنسيق فواصل ، وإنما هو مذموم من حيث إنه تكلف أو إسراف فى التكلف ، أو من حيث إنه تكهن بالتحدث عن المستقبل والرجم فيه بالغيب ، فهو كذب ودجل وغش وخداع . وذلك شىء ليس من لوازم تنسيق الكلام ومراعاة التناسب بين فواصله، وإذا كان الأمر كذلك فما الذى يمنع أن يقال إن القرآن فيه سجع ؟

قد يقال هذا ، وهو كلام له فى ذاته وجهة نظر قوية .

ويمكن الجواب عنه بأن ما قدمناه من البيان قد يتضح به سبيل القول ويتجلى وجه الحكم فيما ينبغى أن يقال فى شأن السجع من جهة وقوعه أو عدم وقوعه فى القرآن الكريم .

وذلك أنه قد خلص من ذلك البيان فيما أشير إليه فى الأمرين : « الرابع والخامس » أن ذم ذلك السجع والنعى على ما فيه من عيب ليس لأنه مطلق سجع ، وإنما هو لأنه سجع متكلف أو سجع كهانة .

فإذا كان الشأن الغالب فيما أثر من سجع بعض الخطباء والكتاب الشغوفين به والمفرطين فيه أنه مفتعل متكلف ، قد عُنوا فيه بأمر اللفظ أكثر مما عنوا بأمر المعنى حتى جاءت بعض العبارات فيه صوراً بغير قلب ، وقشوراً بغير لب

فإنه يكون حينئذ معيبا مذموما فإذا نظر إلى هذه الحالة أمكن أن يقال إنه ينبغى ألا يطلق اسم السجع على ما يكون فى القرآن الكريم من الفواصل المتناسبة تجنبا للفظ الذى ينبئ عن العيب والذم .

وكذلك ينبغى أن يتجنب إطلاق لفظ السجع على تلك الفواصل القرآنية من أجل أن الكلمة كثيراً ما تطلق على سجع الكهانة الذى لايخلو من الخداع والتمويه والكذب .

هذا هو الذى نراه مانعاً من إطلاق لفظ السجع على فواصل القرآن الكريم ، وليس المانع هو ماتدل عليه كلمة السجع من أنه قول متناسب الفواصل ، فإن تناسب الفواصل فى القرآن حقيقة واقعة ، وردت وتكررت فى مواطن كثيرة من سوره وآياته .

## رأى الباقلانى فى المسألة

القاضى أبو بكر الباقلانى ينكر ورود السجع فى القرآن الكريم ، وينعى على من يقول إن القرآن فيه سجع . يشتد فى الإنكار حتى يصل به ذلك إلى درجة أنه لا يرى فى تناسب الفواصل الذى استفاض أمره فى السور والآيات القرآنية — أنه مقصود أن يكون تناسب فواصل ؛ فهو يقول إن المقصود بذلك إنما هو إظهار وجه من وجوه الإعجاز القرآنى من حيث مجيء القصة الواحدة فى أساليب مختلفة، يقدم فى بعضها من مفردات الجملة ما يؤخر فى بعض آخر ، مع المحافظة على المعنى وعلى قوة النظم وروعة الأسلوب ، وذلك دليل الاقتدار وآية البراعة والبلاغة .

هكذا يقول الباقلانى فى «إعجاز القرآن» وهكذا ينقله السيوطى مبسوطا فى كتاب «الإتقان» ؛ وبهذا يرد على أنصار القول بالسجع فى القرآن الكريم ، إذ قالوا : إن الدليـــل على وقوع السجع فى القرآن ما جاءت به الآيات فى الحديث عن موسى وهارون فإنه قد مضى الاتفاق على أن موسى أفضل من أخيه هارون ، فإذا اقترنا فى الذكر كان الأصل أن يقدم موسى لكن من أجل مراعاة السجع فى بعض الآيات قدم عليه هارون ؛ وذلك فى قوله تعالى : ( فألقى السحرة سُجّداً قالوا آمنا برب هارون وموسى ) (٧٠ طه) فإن الفواصل فى هذه الصورة مبنية على الألف.

ثم لما كانت الفواصل فى آيات أخرى قد بنيت على الواو والنون أو الياء والنون قدم فيها اسم موسى على هارون . كما فى قوله تعالى : ( قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون ، قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون ) ( ٤٧ — ٤٩ الشعراء ) :

هذا ما قاله أنصار السجع فى القرآن ، وهو كلام قوى ووجيه .

ونحن نضيف إليه ما يزيده قوة ووجاهة، أنه ورد فى القرآن عشرات المرات ذكر الأرض مقرونة بالسماء مفردة ومجموعة، وفى هذه المرات جميعها نجد أن السماء أو السموات مقدمة على الأرض إلا فى مواضع قليلة جداً قد قدم فيها ذكر الأرض ويتجلى فى موضعين وذلك من أجل تناسب الفواصل .

فمن ذلك فى قوله تعالى : (تنزيلا ممّن خلق الأرض والسموات العلى ؛ الرحمن على العرش استوى ) ( ٤ ، ٥ سورة طه) . فإن فواصل السورة على الألف؛ ومراعاة للتناسب بين هذه الفواصل قدمت الأرض على السموات التى وصفت بوصف «العلى» المختوم بالألف .

ولذلك لما انتهى هذا الاقتضاء وجاء الجمع مـــرة أخـــرى بـين الأرض والسماء فى الآية التالية للآيات السابقة مباشرة عاد الاقتران إلى أصله فقدمت السموات على الأرض : ( له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ) .

ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه : (ربنا إنك تعلم ما نُخفى وما نُعلِن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء ، الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء ) .
( ٣٨ ، ٣٩ إبراهيم ) .

فقد قدمت الأرض على السماء فى هذه الآية لأنه أريد تناسب الفاصلة فيها مع الفواصل الأخرى المبنية على الهمزة بعد مدّة الألف .

ويجيب الباقلانى على هذا بقوله : «وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون فى موضع وتأخيره عنه فى موضع آخر لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام فليس بصحيح ، لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه ، وهى أن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحداً من الأمر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة ، وتتبين فيه البلاغة ؛ ولهذا أعيد كثير من القصص فى مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ، تنبيهاً بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومتكرراً » . ثم قال : « فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها إظهار الإعجاز على الطريقتين جميعاً دون السجع الذى توهموه » .

هذا هو ما أجاب به الباقلانى على ذلك الدليل القوى الذى استدل به أنصار السجع فى القرآن.

وغريب جداً من الباقلانى أن ينفى أن يكون مقصوداً ذلك السجع أو تناسب الفواصل فى الآيات التى قُدم فيها اسم موسى على هارون مرة وأخر عنه مرة أخرى وأن يجعل ذلك التقديم والتأخير لمحض

إظهار الإعجاز بتغيير النظم والأسلوب في الحديث عن القصة الواحدة مع المحافظة على المعنى ...

ولماذا تكون إرادة ذلك المعنى الذي يرجع إلى إظهار البلاغة مانعة من أن يكون في تلك الآيات أيضاً سجع أو تناسب فواصل مقصود ؟

إنه لاشك في براعة القرآن وقوته في تنويع الحديث بأساليب مختلفة عن الغرض الواحد والمعنى الواحد.

ولكن لاشك أيضاً في أن الآية التي قدم فيها اسم هارون على موسى قد قصد فيها القرآن أن تكون على فاصلة الألف تحقيقاً للتناسب بينها وبين بقية الآيات ، وأنه في الآية الأخرى التي قدم فيها موسى على هارون قد قصد هذا التقديم مراعاة للتناسب مع الآيات التي بنيت على فاصلة الواو والنون. مع كون ذلك هو الأصل أيضاً.

هذا شيء لاينبغي إنكاره . وإذا كان الأمر كذلك فليس هناك ما يمنع القول بأن تلك الآيات فيها سجع أو فيها تناسب فواصل ؛ مع إفادة ذلك المعنى الذي هو إظهار البلاغة ؛ وذلك على خلاف ما ذهب إليه الباقلاني من إفراد هذا المعنى وجعله هو المقصود وحده بالتقديم والتأخير في تلك الآيات .

لا ، بل نحن نستطيع أن نقول : إن ذلك التقديم والتأخير قد قصد به السجع وتناسب الفواصل وحده . أما إظهار البلاغة والبراعة بتنويع الحديث عن المعنى الواحد فهو فيما وراء ذلك ؛ فإن هذا التنويع كان يمكن أن يكون بالتقديم والتأخير في اسمى هارون وموسى على غير الوجه الذي وردت به الآيات ؛ وذلك بأن يقدم هارون على موسى في آية «الشعراء» حيث فواصل الآيات مختومة بالواو والنون ، ويقدم موسى على هارون في آية «طه» حيث الفواصل مختومة بالألف.

فالتنويع الذي يقول «الباقلاني» إنه مظهر البلاغة كان يتحقق بهذا الوجه من التقديم والتأخير ، ولكن كان يفوت به حسن المقاطع وجمال الأسلوب . فالتقديم والتأخير الذي وردت عليه الآيات القرآنية هو الذي يحقق ذلك الحسن ، ويمكن للأسلوب جماله وروعته .

وإذاً يكون السجع وحده أو تناسب الفواصل وحده — على اختلاف التعبير — هو المقصود بذلك التقديم والتأخير في آيات هارون وموسى ، وكذا في آيات الأرض والسماء .

ولذلك نجده موقفاً غريباً ذلك الذي يقفه القاضي الباقلاني في مسألة السجع أو تناسب الفواصل في القرآن الكريم .

فبماذا يفسر موقفه هذا الذى ينكر به إنكاراً شديداً أن يكون فى القرآن سجع أو تناسب فواصل؟

نظن - وليس كل الظن من الإثم - أن سبب ذلك هو الارتباط المذهبى، وشدة التعلق والاستمساك بما يحكى فى المسألة أنه مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى :

نعم فقد نقل عن الشيخ - ورواه الباقلانى كتابه «إعجاز القرآن» أنه يقول بنفى السجع فى القرآن الكريم، وأنه صرح بذلك فى عدة مواضع من كتبه. ومن هنا أريد لهذه المسألة أن تحتل مكاناً بين المسائل التى اشتد فيها الخلاف بين الأشاعرة وغيرهم من مسائل العقائد وفلسفة الإلهيات :

والمطالع لكلمات هؤلاء الأشاعرة التى ينفون بها وقوع السجع فى القرآن الكريم إذا غفل قليلاً عن أن هذا السجع هو موضوع الحديث فإنه لايرى إلا أنه فى جو مسألة أخرى غير مسألة السجع : هى مسألة «خلق القرآن» وما جرى فيها من الخلاف القديم، الذى كان شؤماً على فريق من الناس وفتنة لآخرين.

وليس فى هذا الذى نقوله شىء من المبالغة؛ فهذا بعض مايقولونه فى تلك الكلمات: «هل يجوز استعمال السجع فى القرآن ؟ خلاف، والجمهور على المنع، لأن أصله من سجع الطير فتشرف القرآن عن أن يستعار لشىء منه لفظ أصله مهمل؛ ولأجل تشريفه من مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك، ولأن القرآن من صفاته تعالى فلايجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها» : هذه كلماتهم بنصها - ليست فى حاجة إلى شرح أو تعليق، غير أننا نقول : إنها لم تبعد بالانتصار أو الغلبة حتى فى أصل موطنها، وهو موضوع «خلق القرآن» :

ثم إننا لاندرى لماذا تكون مسألة السجع فى القرآن محل خلاف بين العلماء ؟

شىء من إحكام النظر إلى الأمور ذاتها وتفهمها على حقيقتها - مع الإنصاف فى القول والاعتدال فيه، كفيل بأن يكشف كل شبهة، ويزيح كل لبس، ولا يسمح فى مثل هذه المسألة أن يقع فيها أدنى خلاف.

إن السجع إذا كان مقصوداً لذاته، وكان تكلفاً عسراً، يأتى فيه النظر إلى المعنى وراء الاهتمام باللفظ، فإنه يكون سجعاً مذموماً مكروهاً؛ ومحال أن يقع مثله فى كلام الله العليم الحكيم؛ وحينئذ لايسع أحداً أن يجز القول به فى الكتاب العزيز :

أما إذا كان سهلاً ليناً مطاوعاً - يقصد إليه مع تمام المعنى وإتقانه وإحكام روابطه واستكمال مقتضيات البلاغة فيه فإنه يكون سجعاً رائعاً وحسناً جميلا، لاينبغى لأحد أن يجادل فى حسنه وروعته؛ وهذا هو سجع القرآن .

فسجع القرآن وتناسب فواصله مبرأ من التكلف والعسر ، ومبرأ من أن يكون مقصوداً لذاته بحيث يكون الاهتمام به أعظم من الاهتمام بالمعنى ؛ ولذلك لايسار إليه فى القرآن من طريق إرادة معنى بعيد الاحتمال ، أو معنى يكون غيره أقرب منه وأولى بالمقام؛ ومحال أن تستخدم فى سبيله ألفاظ جوفاء أو ألفاظ ملتوية لاتستقيم فى دلالتها على المعنى المراد .

وإذا كان الأمر كذلك فمن الذى ينكر أن يكون مثل هذا السجع مما يقع فى الكتاب العزيز ؟

هذا — والقرآن الكريم قد تحدث عن المغيبات ويخبر بالمكنونات التى لاسبيل أن يصل إلى علمها أحد من الناس ، ويكون هذا فى آيات وفقرات مسجوعة وغير مسجوعة ، ثم إنه فى حديثه وجميع إخباراته لايقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق . وهذا أمر يجب اعتقاده والإذعان له والتسليم به ، ولايكون مؤمناً من يشك فيه أو فى شئ منه .

أما سجع الكهانة فهو السجع المذموم لما يقوم عليه من الغش والكذب والخداع ، وهو رجم بالغيب الذى اختص الله به ولايطلع عليه أحداً إلا من ارتضى من رسله .

وهذا هو السجع الذى ذمّه الرسول صلى الله عليه وسلم وعاب على من تشبّه بأهله ، وقال لمن سجع له : «أسجعاً كسجع الكهان» ؟! أو «أسجاعة كسجاعة الجاهلية» ؟! . أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك على من عارض حكم الإسلام فى وجوب الدّية على عاقلة امرأة اعتدت على أخرى كانت حاملا فألقت جنيناً ميتاً ، إذ قال ذاك الساجع : كيف نَدِى من لاشرب ولاأكل، ولاصاح فاستهل ، أليس دمه قد يطل ؟

فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يذمّ السجع بإطلاق ، وإنما ذم منه مايكون على طريقة الكهان وأهل الجاهلية ، فإنه صلى الله عليه وسلم قد أتى فى بعض أقواله بالسجع القوىّ المستملح إذ قال : « أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام » .

أفبعد هذا يصح أن يكون فى مسألة وقوع السجع فى القرآن خلاف بين أشاعرة وغير أشاعرة ؟!

إنه إذا كان الذين ينسب إليهم إنكار السجع فى القرآن قصارى ما عندهم أنهم يتحرجون من إطلاق لفظ السجع على ما يكون فى القرآن من تناسب فواصل ، من أجل أن الكلمة تستعمل أحياناً كثيرة أو قليلة فى السجع المستكره المتكلف، أو سجع الكهنة الكذابين المخادعين، فقد هاب الخطب ولان الصعب، وأصبحت مسألة السجع فى القرآن لا يعدو الخلاف فيها أن يكون خلافاً لفظياً أى قائما على اختيار لفظ بدل لفظ آخر . وكفى الله المؤمنين القتال .

# تناسب الفواصل في القرآن الكريم وبيان أنواعه

تناسب الفواصل في القرآن الكريم يأتي على وجوه كثيرة ، أهمها مايلي :

١ — يكون بإحدى هيئتين للجملة الواحدة ، أي بالتقديم والتأخير في بعض كلماتها من غير أن يزاد عليها شيء ، أو ينقص منها شيء ؛ فيتحقق التناسب المطلوب بإحدى الصورتين وترجح بذلك على الصور الأخرى ، وذلك كما في قوله تعالى :

( قال فمن ربكما ياموسى ) (٤٩طه)

فإنه يمكن — لأداء أصل المعنى — أن يقال : « قال ياموسى فمن ربكما » ، كما قيل في آية أخرى : ( قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ) ( ١٩ القصص ) .

لكنه اختير النظم الذي جاءت عليه الآية — مع تساوي النظمين في أداء أصل المعنى — لأنه هو الذي يكون به تناسب الفواصل المطلوب في ذلك المقام ، ومن ذلك قوله تعالى : ( ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها ) ( ٧ ، ٨ الشمس ) فإن قوله سبحانه : ( فألهمها فجورها وتقواها ) يمكن أن تؤدي معناه بأن يقال : «فألهمها تقواها وفجورها» . ؛ لكن قد رجح النظم الذي جاءت عليه الآية لأنه هو الذي يتحقق به المقصود من التناسب. وفي ذلك يقول الجلال : « وأخّر التقوى رعاية لرؤوس الآي » ، ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى : ( واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا » (٥١ مريم ) وقوله عزّ وجلّ ( واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ) (٥٤ مريم ) وذلك أن الرسالة أخص من النبوة ، والمعهود في الكلام المرسل الذي يجمع فيه بين عام وخاص أن يقدم الأول على الثاني . لكنه قد قدم في هاتين الآيتين الخاص على العام مراعاة لتناسب الفواصل مع اتحاد المعنى ؛ فإن السورة بنيت على فاصلة الياء المشددة التي بعدها ألف : سويّا مليّا حفيّا عليّا نجيّا ، وهكذا .

٢ — ويكون بالاختصار في الجملة بحذف جزء معلوم حق العلم من المقام ، كما في قوله تعالى :

( قال : ربنا الذي أعطى كل شي خلقه ثم هدى ) ( ٥٠ طه ) ، فإنه إذا كان الأصل عدم الحذف وأن يقال : « قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هداه » فإن المعنى لايختلف بما جاءت عليه الآية ، ثم يرجح نظمها بأنه هو الذي يتحقق به التناسب المطلوب .

ومثل ذلك قوله تعالى : ( والضحى ، والليـــل إذا سجى ، ما ودّعك ربك وما قلى ) وقوله سبحانه : ( ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى ) ، فإن الأصل قبل الحذف هكذا : « ماودعك ربك وما قلاك ،

« ألم يجدك يتيما فآواك ، ووجدك ضالا فهداك ، ووجدك عائلا فأغناك » .

لكنه حذف المفعول تحقيقاً لتناسب الفواصل المطلوب مع تساوى الطريقتين : « الذكر والحذف » فى الدلالة على المعنى الأصلى المقصود .

٣ — ويكون التناسب بإيثار إحدى صيغتين للفظ مع تساوى الصيغتين فى الدلالة على المعنى المراد ، كما فى قوله تعالى ( مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عَسِر ) (٨ القمر ) .

فإنه كان يمكن أن يقال «هذا يوم عسير» بدل « عسر » ، وهو بمعناه من غير فرق ؛ وقد جاء كذلك فى آيات أخرى مثل قوله تعالى : (فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير ) . ( ٩ ، ١٠ المدثر ) إذ كان يتحقق التناسب هناك بين الفواصل بالصيغة الثانية : « عسير » وقوله سبحانه : ( وكان يوما على الكافرين عسيرا ) . (٢٦ الفرقان) ، لأن ذلك يتطلبه التناسب المقصود فى هذه السورة أيضاً .

ومن ذلك قوله تعالى : (وتبتّل إليه تبتيلا) ( ٨ المزمل ) ، فان « تبتيلا » وضعت موضع تبتلا وقد أوثرت عليها ؛ لأن بها يتحقق تناسب الفواصل .

وفى هذا يقول الإمام الزمخشرى فى الكشاف : « وتبتل إليه » وانقطع إليه . ثم قال : فإن قلت : « كيف قيل « تبتيلا » مكان « تبتلا » ؟ قلت : لأن معنى « تبتّلْ » : بتّلْ نفسك، فجىء به على معناه مراعاة للفواصل » .

هذا وقد قال بعض العلماء : إن من ذلك قوله تعالى : ( كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدُجِر) (٩ القمر ) . قالوا إنه قد غيّر فيه الصوغ لتحقيق التناسب بين الفواصل ، فإن المعنى — على ماقال أولئك العلماء — أن قوم نوح كذبوه وقالوا إنه مجنون وازدجروه أى أهانوه وشتموه وتوعدوه ، ولكن قيل فى الآية : « وازدُجِر» بالبناء للمفعول لأنه هو الذى يكون به التناسب مع دلالة المقام على الفاعل المطوى .

هكذا قالوا ، ولكن هذا ليس هو المعنى الذى ينبغى أن تحمل عليه الآية : فإن الراجح أن الازدجار ليس من فعل قوم نوح الذين كذبوه وكفروا به ، وإنما هو مما تفعله الجن بالمجنون ، فإن قوم نوح رموه بالجنون الشديد، وقالوا فى ذلك : إنه مجنون وازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بعقله وطارت بلبه .

ولاشك أن هذا المعنى أرجح فى ذاته مما قاله أولئك العلماء : فإن تخبط المجنون واضطراب نفسه ، واختلال عقله هو مما عُهد أن يسند إلى الشيطان ويضاف إلى فعله ، كما قال تعالى : ( الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ ) ( ٢٧٥ البقرة )

وفوق أنه المعنى الراجح من حيث ذاته هو الذى تستقيم عليه بوضوح صيغة المعنى للمفعول « ازدجر » ثم يتحقق بها معه تناسب الفواصل من غير حاجة إلى أن يقال : إن الصيغة قد حوّلت من المعلوم إلى المجهول لتحقيق ذلك التناسب ؛ فإن الصيغة قد وقعت موقعها واشتهرت فى الدلالة على معناه مبنية للمجهول ، وإنه لمعهود أن يقال : « رجل ممسوس ، ورجل مصروع ومخبول » على معنى أنه مسّته الشياطين وصرعته وخبلته ، فإذا قيل : « مجنون وازدجر » كان معناه ازدجرته الشياطين ، ولا يحتاج فى ذلك إلى التصريح بالفاعل ، لأنه متعين معلوم .

وبهذا يعلم أن القرآن لا ينظر إلى تحسين اللفظ قبلما ينظر إلى إتقان المعنى .

ولا يصح أن يفهم أنه قد يسير إلى تحقيق تناسب الفواصل من طريق معنى بعيد أو معنى غيره أقرب منه .

كذلك لا يصح أن يفهم أن القرآن قد يعدل — فى سبيل تحقيق التناسب بين الفواصل — عن اللفظ الصريح المعهود فى الدلالة على معناه إلى لفظ غير صريح أو غير معهود كذلك، فإن ذلك يكون تغليباً لرعاية الألفاظ على رعاية المعانى على حين أن رعاية المعانى هى التى يجب — كما قلنا — أن يكون لها فى أسلوب القرآن الكريم المقام الأول .

قد يقال : إن هذا التقرير يعترضه ما جاءت عليه بعض الآيات القرآنية من مثل قوله تعالى : ( وحملناه على ذات ألواح ودسر ) ( ١٣ القمر ) فإن المراد به — من غير شك — الإخبار بأن الله تعالى قد امتن على نوح عليه السلام فحمله على « سفينة » نجّاه بها من الغرق ، وأنقذه من ذلك الطوفان .

ولاشك أيضاً أن لفظ « سفينة » وهو اللفظ الصريح والمعهود القريب فى الدلالة على المعنى المراد ، وهو اللفظ الموضوع لهذا المعنى فى اللغة . وقد استعمله القرآن فى هذا المعنى فى قصة نوح ذاتها فى قوله : ( فأنجيناه وأصحاب السفينـــة ) ( ١٥ العنكبوت ) ؛ وكذلك لفظ « الفُلك » لفظ صريح وموضوع فى اللغة لهـــذا المعنى ومعهود استعماله فيه . وقد جاء فى القرآن فى عدة مواضع فى قصة نوح أيضاً مستعملا فى ذلك المعنى قال تعالى

( واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون ) . ( ٣٧ هود )

« ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه . ) ( ٣٨ هود ) .

( فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ) . ( ٢٧ المؤمنون ) .

( فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين ) ( ٢٨ المؤمنون ) .

ثم إن كلا اللفظين : «سفينة وفلك» كلمة واحدة، هي بالضرورة أخصر وأوضح دلالة من الوصف بعبارة مركبة من ألفاظ ثلاثة : « ذات ألواح ودسر» .

فالعدول عن اللفظ الواحد المعهود والمعين للمعنى بوضع اللغة إلى الوصف ذى الألفاظ الثلاثة قد يظن أن فيه تغليبا . للاعتبارات اللفظية على الاعتبارات المعنوية ، وأنه قصد بذلك مجرد تحقيق التناسب بين الفواصل .

« والجواب» أنه لا يصح أن يظن فى القرآن الكريم أنه قد يُغلّب الناحية اللفظية على الناحية المعنوية وأنه اختار التعبير عن المعنى المراد بوصف ذى ألفاظ ثلاثة بدلا من اللفظ الواحد الصريح ، وأنه فعل ذلك لتحقيق التناسب اللفظى بين الفواصل — لا يصح أن يظن ذلك ؛ فإن اختياره التعبير بالوصف، ذى الألفاظ الثلاثة قد أريد به الإشارة إلى ناحية معنوية جديرة أن يلتفت إليها وأن تقدر قدرها فى الحديث من امتنان الله تعالى على نوح عليه السلام ، وتفضله عليه بهدايته إلى صناعة الفلك ؛ فصنعه تحت عين الله وعنايته ، وكان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لنجاته ونجاة من آمن به من قومه ، من ذلك الطوفان العظيم ، الذى عمّ وطمّ ، وقضى على جميع القوم .

فقوله سبحانه : ( وحملناه على ذات ألواح ودُسُر ) . ليس اختياره ليحقق به تناسب الفواصل، وإنما هو لذلك الأمر المعنوى ذى الشأن الكبير : وذلك هو بيان أن نجاة رسول الله نوح عليه السلام ومن معه من طغيان الطوفان كانت بقوة الله وقدرته وعظيم عنايته ؛ إذ حمله على « ذات ألواح ودسر » ، ألواح خشبية » مربوطة «بدسر» أى بخيوط من ليف أو نحوه أو موصول بعضها ببعض بمسامير ، وسواء أكان هذا أم ذاك فتلك الألواح الخشبية المربوطة بخيوط أو المسمرة بمسامير كانت لذلك فى غاية الضعف وما كانت فى ذاتها لتقوى على قطع الأمواج الهائجة، والتغلب على أهوالها وشدائدها العاتية القاسية ، لكن عناية الله هى التى خلقت من ذلك الضعف قوة، وجعلت تلك الأداة الهينة الضعيفة تنفذ فى تلك الأمواج وتتغلب على تلك الأهوال ، وتصل بنوح عليه السلام والمؤمنين إلى شاطىء الأمان .

وهذا المعنى لا يظهره التعبير بلفظ « فلك » أو « سفينة » وإنما يجليه تمام التجلية ما جاءت به الآية : ( وحملناه على ذات ألواح ودسر ) .

وقد أشار الفخر الرازى إلى ذلك فقال فى قوله سبحانه : ( وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا ) ما نصه : «أى حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه إشارة

إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة بدسر، وكان انفكاكها في غاية السهولة، ولم يقع ، فهو بفضل الله » اهـ .

ومن هذا يتبين أن التعبير في هذه الآية عن السفينة والفلك بالوصف ذي الألفاظ الثلاثة قد اقتضاه النظر إلى هذا المعنى ، وليس لمجرد مراعاة التناسب بين الفواصل . ثم يأتي التناسب بين الفواصل مراداً حتماً، ومقصوداً قطعا ، ولكن في المرتبة الثانية بعد مراعاة مايقتضيه المعنى كما بينا .

## آية ثانية

آية ثانية قد يعترض بها على ماقررناه من أن القرآن لا ينظر إلى اللفظ قبل أن ينظر إلى المعنى ، و أنه لايستعمل لفظاً بعيد الدلالة على المعنى المقصود ويرجحه على اللفظ قريب الدلالة على ذلك المعنى من أجل الوصول إلى تحقيق التناسب بين الفواصل .

هذه الآية هي قوله تعالى : ( فمن شاء ذكره ) (١٢عبس )

وذلك أن الزمخشري في الكشاف قد جعل الضمير المنصوب في هذه الآية راجعاً إلى « تذكرة » في قوله سبحانه في الآية السابقة : (كلا إنها تذكرة ) ثم أراد أن يسوغ عود الضمير المذكر إلى ذلك المرجع المؤنث فقال : «وذكّر الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ» ومعنى هذا أن القرآن قد عدل عن الضمير المؤنث الذي مرجعه مؤنث إلى الضمير المذكر بذلك الضرب من التأويل؛ ليتحقق تناسب الفواصل في هذه الآيات :

( فمن شاء ذكره، في صحف مكرّمة، مرفوعة مطهّرة، بأيدي سفَرة ، كرام بررة ، قُتل الإنسان ماأكفره ، من أيِّ شيء خلقه ) . وهكذا إلى عدة آيات أخرى متناسبة الفواصل مع هذه الآيات .

وعلى هذا يكون القرآن قد رجّح النظر إلى اللفظ على النظر إلى المعنى ، فإنه لوكان قد راعى المعنى ولم يرجح مراعاة اللفظ عليه لقال : « كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكرها في صحف مكرمة » ، وإذاً يفوت تناسب الفواصل المطلوب .

« والجواب» :أن هذا الاعتراض لايتم إلا بالبناء على رأى « الزمخشري » الذي يجعل الضمير في الآية : ( فمن شاء ذكره ) راجعاً إلى تذكرة في الآية السابقة وهو رأى ليس بمتعين أن يؤخذ به ، بل هناك ماهو أجود منه ، وهو ماأشار إليه الجلال المحلي إذ يقول في تفسير الآية ( فمن شاء ذكره ) : « إن المعنى حفظ ذلك فاتعظ به» ، فهو يجعل الضمير عائداً على مذكر هو «ذلك» المذكور .

وأصرح من هذا أن يقال : إن الضمير عائد على القرآن ؛ وهو إن لم يجر له ذكر

فى هـــذا المقام فهو معهود معلوم على كل حال .

ويؤيد هذا ماجاءت به الآيات التالية فى قوله تعالى : ( فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة) فإن المعهود المعروف أن هذه أوصاف للقرآن الكريم .

النتيجة أنه لايكون فى الآية وضع ضمير المذكر موضع ضمير المؤنث ليقال : إن ذلك قد اختير لأنه يحقق تناسب الفواصل.

## آية ثالثة

وآية ثالثة، قوله تعالى : (قالوا سواء علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين ) . ( ١٣٦ الشعراء ) .

تحكى هذه الآية مقالة قوم عاد التى واجهوا بها رسولهم هوداً عليه السلام ، لما أمرهم بتقوى الله ودعاهم إلى الإيمان بالله وحده ونبذ الشركاء ، ووعظهم وحذرهم من سوء عاقبة العناد والكفر ، وقال لهم : ( فاتقوا الله وأطيعون ، واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) . فقالوا له : ( سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى لاتظن أن يكون لما تقول تأثير على نفوسنا ، ولاتطمع أن نترك مانحن عليه إلى ذلك الذى تدعونا إليه .

« وهنا يقال » : إن الأصل فى المقابلة أن تكون هكذا : « قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تعظ ، فإن عبارة » أم لم تعظ » هى العبارة القريبة المختصرة الدالة بوضوح على نفس المعنى الذى أريد بالمقابل الوارد فى الآية الكريمة وهو : ( أم لم تكن من الواعظين ) ، مع مافيه من الطول ومخالفة الأصل فى التعبير . فعدول الآية عن المقابل الأصلى القريب المختصر إلى ما جاءت به لايظهر له وجه إلا أن يكون هو مراعاة التناسب بين الفواصل .

« والجواب» : أن المقابل الذى وردت به الآية قد تحقق به تناسب الفواصل من غير شك ، ولكن هذا التناسب لم يقصد إليه من طريق مخالفة الظاهر والعدول عن اللفظ الأصلى القريب المختصر إلى خلافه ، مع اتحاد معنى اللفظين كما يظن خطأ ؛ فإن المعنى ليس واحدا فيهما .

ذلك أن قوم هود عليه السلام أرادوا أن يقطعوا كل أمل له فى قبولهم دعوته فقالوا : إنه يستوى عندهم أن يعظهم وأن يكون من غير الواعظين ، أى وأن يكون غير أهل للوعظ أصلا ، وهذا أبلغ فى الإقناط والإيئاس من ذلك المقابل المختصر ، وأن يقال : وعظت أم لم تعظ .

وقد نبه الزمخشرى فى الكشاف إلى هذا المعنى إذ يقول :

« فإن قلت لو قيل : أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد .

قلت : ليس المعنى بواحد . وبينهما فرق ، لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشرته ، فهو أبلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك : أم لم تعظ » . ( تفسير الكشاف ج ٢ ص ١٢٨ ، ١٢٩ ) .

* * *

٤ ــ وما قلناه فى تلك الآية من سورة الشعراء يقال فى نظائر لها من مثل قوله تعالى : ( قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ) ( ٢٧ النمل )

فإنه إذا كان مقتضى الظاهر فى المقابلة أن يقال : « سننظر أصدقت أم لم تصدق » أو « أصدقت أم كذبت » فقد عدل عنه إلى ماوردت به الآية ، وهو يدل على معنى أقوى من ذلك وأبلغ ، فإن المراد بيان أن الهدهد لايجرؤ على الكذب على سليمان عليه السلام ، فيما يخبره به عن ملكة سبأ ، إلا إذا كان الكذب ديدناً له متأصلا فيه ، وهذا المعنى هو الذى يفيده الصوغ الذى جاءت به الآية الكريمة : ( قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ) ثم هو الذى يتحقق به فى المرتبة الثانية تناسب الفواصل .

وفى هذا يقول الزمخشرى : « وأراد بقوله : ( أصدقت أم كنت من الكاذبين ) أصدقت أم كذبت إلا إن « كنت من الكاذبين » فهو أبلغ ، لأنه إذا كان معروفاً بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذباً لامحالة . وإذا كان كاذباً اتُّهم بالكذب فيما أخبر به ، فلم يوثق به » . اهـ : ( تفسير الكشاف جـ ٢ ص ١٤٣ ) .

٥ ــ ومن النظائر التى خولف فيها مقتضى الظاهر لمراعاة أمر معنوى أقوى منه ، ولم تكن المخالفة فيه لمجرد السجع ومراعاة الفواصل كما يتوهم ، قوله تعالى : ( إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ) . ( ٤ الشعراء ) ذلك أنه لو قيل : إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلوا لها خاضعين . لما كان هناك محل لسؤال ولا جواب ؛ لكن الآية قد وسطت الأعناق فى الحديث وأسندت إليها الخضوع لأن الخضوع له آثار تظهر فى الأعناق كالتطامن والانحناء ، كما تظهر فيها أيضاً آثار القوة والنشاط . ومن ذلك ما قيل : « وسالت بأعناق المطىّ الأباطح » . وهنا يقال : إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يقل : فظلت أعناقهم لها خاضعة ، مع أن هذا هو الأصل والظاهر ؟ أليس العدول عنه إلى صيغة « خاضعين » يكون من أجل السجع ومراعاة الفواصل ؟ وحينئذ يحق لمدع أن يقول : إن القرآن قد يعمد إلى السجع ولو من طريق بعيد أو طريق غيره أقرب منه .

« والجواب » : أن إيثار صيغة خاضعين ــ وهى جمع السلامة للعقلاء ــ ليس لتحقيق

السجع ، وإعاحكمته أن الأعناق لما وصفت بالخضوع الذى هو خاص بالعقلاء صح أن يجرى عليها من أجل ذلك أحكام العقلاء فجمعت جموعهم ؛ وذلك كما فى قوله تعالى : (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ) .

أما مراعاة السجع وتناسب الفواصل فقد أتت فى المرتبة الثانية ، وليست هى التى من أجلها كان العدول عن « خاضعة » إلى « خاضعين » ؟

## نقد وتحليل

قد نقل الجلال السيوطى فى كتابه « الإتقان » عن الشيخ شمس الدين ابن الصائغ الحنفى أنه جمع فى كتابه : «إحكام الرأى فى أحكام الآى » نحو أربعين وجهاً لتناسب الفواصل فى القرآن الكريم وقد أوردها السيوطى فى كتابه مع أمثلتها : ورأينا فى هذه الوجوه أن كثيراً منها لا يرجع السبب الأصلى فى مجيئه على النحو الذى جاء عليه — إلى إرادة تحقيق التناسب بين الفواصل ، وإنما سبب ذلك هو النظر إلى المعنى وتحقيق ما يقتضيه من مراعاة الاعتبارات البلاغية المختلفة ثم يجىء تناسب الفواصل فى المرتبة الثانية .

١ — ومن أمثلة ذلك ماقاله فى الوجه الأول ، وهو تقديم المعمول على العامل ، نحو قوله تعالى : ( أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ) ، وقوله سبحانه : ( وإياك نستعين ) فإنه جعل تقديم المعمول فى ذلك على العامل من أجل تحقيق التناسب بين الفواصل .

ولكننا نرى أن تقديم المعمول فى الآية الأولى لا ينظر إليه من أول الأمر على أنه من أجل تناسب الفواصل ، وإنما ذلك لأمر معنوى هو الاهتمام بشأن المتقدم وبيان أن محط الإنكار هو توجيه العبادة إلى الملائكة ، أما تناسب الفواصل فانه يأتى فى المرتبة الثانية .

وأما قوله سبحانه : ( وإياك نستعين ) فإن المقرر المعروف فيه أن تقديم المعمول فيه على العامل إنما هو لإفادة قصر الاستعانة على الله سبحانه وتعالى ؛ فهو لتحقيق أمر معنوى قبل أن يكون لتناسب الفواصل الذى هو تحسين لفظى .

٢ — ومن الأمثلة قوله فى « الخامس » من تلك الوجوه ، وهو تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة ، فى قوله تعالى » : (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا ) فإن ذلك مبنى على أن « منشوراً » صفة ثانية للكتاب وأن الأصل فى الصفة المفردة أن تتقدم على الصفة الجملة ، لكنها فى الآية قد أخرت عنها من أجل تناسب الفواصل .

ولكنا نقول : إن أحسن الوجهين فى الإعراب وأجودهما من حيث المعنى هو أن « منشوراً » حال من الضمير المنصوب فى « يلقاه » ؛ وذلك أنه لو كان

صفة ثانية للكتاب كما قيل ، وهى صفة مفردة شأنها أن تقدم على الصفة الجملة لأمكن أن يقال فى غير التلاوة : « ونخرج له يوم القيامة كتاباً منشوراً يلقاه » ولاشك أن مجيء وصف : « يلقاه » هكذا فى آخر الكلام يورث النظم هبوطاً ويضعف معناه ، وذلك مالا يليق أن يفهم فى القرآن الكريم . لكن النظم الذى جاءت به الآية الكريمة يفيد أن الإنسان حينما يعطى فى الآخرة كتاب أعماله يعطاه ، منشوراً أو يجده منشوراً غير مطوى ، فتواجهه منه أعماله المسطرة فيه فيعرفها من غير عناء ولاتعب .

فالملحوظ فى هذا أولا هو إحكام المعنى وإتقانه ومجيئه على ماتقتضيه الاعتبارات البلاغية ، ثم يأتى الاعتبار اللفظى الذى يرجع إلى تناسب الفواصل .

٣ — ومن ذلك قوله فى الوجه «العشرين» وهو الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، فى قوله تعالى : ( فلايخرجنكما من الجنة فتشقى ) . ومعنى هذا أنه يريد أن يقول : إن الأصل هو «فتشقيا » ولكن قيل : «فتشقى» لتناسب الفواصل .

ولكن أجود الرأى فى هذا هو ماقاله أعلام المفسرين : أن الإفراد فى قوله سبحانه : « فتشقى» إنما هو للدلالة على أن آدم هو الأصل فيما يجرى عليه من الشقاء بسبب خروجه من الجنة ، ثم يثبت ذلك لغيره بطريق التبعية . وإن من الشقاء أيضاً مايرجع إلى تحمل المتاعب فى تحصيل ضرورات المعيشة ، والرجال هم الأصل فى ذلك لأن هذه هى أهم وظائفهم فى الحياة .

فهذا هو سر إفراد الضمير فى الآية ، ثم يجيء الاعتبار اللفظى الذى يرجع إلى تحسين الصورة أو تفخيمها بمراعاة تناسب الفواصل .

٤ — ومنها قوله فى الوجه « التاسع والثلاثين» وهو العدول عن صيغة المضى إلى صيغة الاستقبال فى نحو قوله تعالى : ( فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ) قال : والأصل «قتلتم» .

ومن العجيب أن يحصر المؤلف نظره فى الزاوية الضيقة ، ولايتجه ببصيرته إلى الأفق الواسع الذى تتجلى فيه روائع الأسلوب القرآنى و فخامته وأسرار بلاغته .

إن التعبير بالمضارع فى ختام هذه الآية له سره وحكمته التى ترجع إلى الإخبار بالأمر على ماكانت عليه حقيقته الواقعية ، أو تقرير ماأريدبه على حسب ماتقتضيه أصول البلاغة القرآنية .

أما الأول فالملحوظ فيه أن اليهود قد وقع منهم فى الماضى قتل أنبيائهم ثم إن طبيعة الشر الغالبة عليهم قدورثها من بعدهم أبناؤهم ، فكان المعاصرون منهم لرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يكيدون له ويدبرون للفتك به ، وأصدق شاهد

على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام، — وهو في مرض موته — : « مازالت أُكلة خيبر تعادُّني فهذا أوان قطعت أبهرى » وفى رواية : « تعاودنى » :

فاليهود قتلوا الأنبياء والرسل فى الماضى، واليهود كانوا يعملون على قتل محمد صلى الله عليه وسلم فيما بعد ذلك، والعبارة التى تستقيم للدلالة على الأمرين : « الماضى ومايراد فى المستقبل» هى صيغة الاستقبال .

وأما الأمر الثانى — وهو مايرجع إلى المعنى البلاغى الذى هو فى أعلى مستويات البلاغة — فهو أن التعبير بالمضارع قد أريد به استحضار الصورة الفظيعة التى كانت من اليهود حال ارتكابهم جرائم قتلهم أنبياءهم وتصوير هذه الحالة البشعة فى النفوس لتدرك مدى تلك الجرائم اليهودية الشنيعة .

وهذا الاستحضار لاينال بالتعبير بالماضى، وإنما سبيله المضارع .

ومن ذلك قوله تعالى : ( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ) ؛ فقد أريد بهذا استحضار الحالة البديعة الجميلة : حالة اخضرار الأرض بالنبات على فور نزول المطر من السماء، وتصوير هذه الحالة فى النفوس أحسن تصوير .

أما بعد، فإننا قصدنا بإيراد هذه الأمور الأربعة مجرد التمثيل، ولم نرد الحصر والاستقصاء، فإن كثيراً غير هذه الأربعة لايسلم فيه مايريده مؤلف كتاب « إحكام الرأى فى أحكام الآى » . والله أعلم

**عبد الرحمن تاج**

عضو المجمع الراحل

---

( ١ ) الأكلة بضم الهمزة، وهى اللقمة، وفتح الهمزة فى الحديث خطأ، لان الأكلة بالفتح المرة من الأكل والرسول صلى الله عليه وسلم لم يأكل من تلك الشاة المسمومة أكلة كاملة وإنما أخذ منها لقمة واحدة . وتعادنى بتشديد الدال المضمومة بمعنى تراجعنى ويعاودنى ألم سمها فى أوقات معلومة .

# وأخيرًا .. وليس آخرًا

## للأستاذ على النجدى

**تُقال** هذه العبارة كثيرا فى لغة العصر ، يريد بها قائلها أنه بلغ من كلامه أربا ، وأنه موشك أن يسكت عنده ، ويجتزىء به ، وإن كان لايزال للكلام بقية ، وفى المجال سعة له. ولانعرف لهذه العبارة أولا فى قديم ، ولانجدلها ذكرا فى أثر. وأكبر الظن أنها وليدة هذا العصر ، فيه استحدثت وعلى عينه ترعرعت . وليس يسع الباحث حين يريد أن ينظر فيها ليعرف : أهى صحيحة أم بها شىء من دخل ، إلا أن يسأل بادى الرأى : ماالمراد بكلمتى الأخير والآخر هنا ؟ وماذا عسى أن يكون بينهما من فرق ؟ أولا يفضى الجمع بينهما فى العبارة إلى شىء من خلف أو تناكر؟

وتقتضينا الإجابة عن هذه الأسئلة أن ننظر فى معنى كل من : الأول ، والأخير والآخر . أما الأول فلأنه كثيرا ما يذكر مقابلا للأخير تارة ، وللآخر أخرى . فالبحث فى معناه يساعد على تعيين معنى كل من قرينيه . وأما الأخير والآخر فلأنهما مادة العبارة وقوام بنيتها .

ولايعنينا هنا أن نتحدث عن الأصل الذى اشتق منه الأول ، ولا أن نورد خلاف العلماء فيه ، لأنه لايغير من معنى الكلمة ، ولايؤثر فى أوجه استعمالها ، فاتكن من الوأل ، وهى الالتجاء كما يقول بعضهم ، أو من الأول وهو السبق أو الرجوع كما يقول بعض آخر ، أو من الوول ، وهو مادة مهملة كما يقول بعض ثالث ، لأنهم — مع هذا الخلاف — يرجعون بها آخر الأمر إلى الابتداء والسبق .

وإنما الذى يعنينا هو معناها وأوجه استعمالها فى الكلام . فأمامعناها فنقيض الآخر كما تقول المعاجم ، وأما أوجه استعمالها فثلاثة : أحدها أن تكون وصفا بمعنى أسبق ، فتؤدى معنى اسم التفضيل ، وتعامل معاملته ، وتتصرف فى الأساليب تصرفه ، فذكرت بلفظ الإفراد والتذكير لإضافتها إلى نكرة كما فى قوله تعالى : (ولا تكونوا أول

كافر به)[1]، وذكرت مطابقة للموصوف لاقترانها بأل فى قوله قوله تعالى : (إن هى إلا موتتنا الأولى )[2] ، وقوله عز اسمه : ( ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون )[3]

والوجه الآخر أن تكون وصفا أيضا، ولكن مع الدلالة على معنى الزمان ، فيكون حكمها هنا كحكمها فيما سبق ، إلا أنها إذا أضيفت جاز حذف المضاف إليه ، فتبنى حينئذ على الضم كقبل وبعد كما فى بيت معن بن أوس :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل
على أينا تعدو المنية أول ؟

فالمعنى : ماأدرى على أينا تعدو المنية فى أسبق الزمنين : أزمن موت الشاعر أم زمن موت صاحبه ؟

والوجه الثالث أن تخلو من معنى الوصف ، وتخلص لمعنى الاسم ، فتعامل كسائر الأسماء « نحو قولهم : مارأيت له أولا ولا آخرا ، أى قديما ولاحديثا ويعنينا هنا الوجهان : الأول والثالث ، لصلتهما بالقضية .

أما الأخير والآخر فهذه ، خلاصة ما جاء عنهما فى الأساس ، والمصباح واللسان والتاج :

الأخير مثال كريم ، والآخر على فاعل : خلاف الأول . والناس يرذلون عن آخر ، فآخر . قال الليث : الآخر والآخرة : نقيض المتقدم والمتقدمة ولقيته أخيراً ، وجاء أخرا ، بضمتين . وأخيرا ، أى آخر كل شىء ، والأخير ، وزان فرح بمعنى المطرود المبعد يقال : أبعد الله تعالى الأخر . أى من غاب وبعد حكما قال ابن شميل :

الآخر : المؤخر المطروح . وقال شمر : أراهم أرادوا الأخير ، فأندروا الياء . يتبين من هذه النصوص أن كلا من الأخير والآخر يستعمل تارة بمعنى المتناهى الذى لاشىء بعده ، وتارة بمعنى المؤخر المطروح يدل لذلك مقابلتهما بالأول ، وقولهم : إنهما خلافه . إذن فحيثما يجتمع أحدهما بالأول فإنه يدل على نقيض معناه ، وقد سبق أن الأول يجىء أحيانا بمعنى الأسبق على سبيل التفضيل ، وأحيانا بمعنى السابق بلا تفضيل فى معناه .

وقد جاء بمعنى الأسبق ، أى الذى ليس قبله شىء ، وجاء الآخر معه بمعنى المتناهى أى الذى ليس بعده شىء فى قوله تعالى : (هو الأول والآخر) ، وفى قول النابغة الشيبانى :

هو الباطن الرب اللطيف مكانه
وأول شىء ربنا ثم الآخر

---

( ١ ) سورة البقرة : ٤١
( ٢ ) سورة الدخان : ٢٥
( ٣ ) سورة الإسراء : ٥٩

وجاء بمعنى السابق ، أى المتقدم، وجاء معه الآخر بمعنى المتأخر أى خلاف المتقدم فى قول الإمام على رضى الله عنه: « الحمد لله الذى لم يسبق له حال فيكون أولا قبل أن يكون آخرا » وفى قولهم كما جاء فى اللسان — ما رأيت له أولا ، ولا آخرا ، أى قديما ولا حديثا .

وجاء الأخير بمعنى المتناهى الذى لا شىء بعده أيضاً فى قول المعاجم : وجاء أخيرا ، أى آخر كل شىء وجاء بمعنى المتأخر مقابلا للأول بمعنى السابق فى قول البحترى :

قهر الدهر أولا وأخيرا
بحجا منه أول وأخير

وقول أبى العلاء المعرى :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

ولا يجوز فى عبارة : وأخيرا وليس آخرا ، أن يكون اللفظان معا بمعنى المتناهى ولا بمعنى المتأخر لأن أولهما مثبت ، والآخر منفى ؛ فإن اتحدا معنى كان أول العبارة مناقضا لآخرها. ويقضى المقام الذى تستعمل العبارة فيه أن يكون أخيرا فيها بمعنى متأخر ، وأن يكون الآخر بمعنى المتناهى.

وإذا يكون المعنى فى نحو قولنا: وأخيرا وليس آخرا ، أرى كذا — هو : وأرى رأيا أخيرا ، أى متأخرا فى الذكر ، وليس هو بآخر كلامى ولا ختامه ، ويكون أخيرا مفعولا مطلقا صفة لمصدر أرى ، وناصبه الفعل أرى ، أو ما يخلفه التعبير .

وإذا تكون هذه العبارة سليمة ، تؤدى معناها المراد أداء صحيحا ، لاشائبة فيه ولا دخل .

**على النجدى ناصف**

عضو المجمع

# الحركة الانقلابية الأخيرة
# في نظام الشعر العربي

للأستاذ أنيس المقدسي

توطئة

مرّ الشعر العربي عبر أدوار تاريخية شتى ، وفي بيئات جغرافية واجتماعية مختلفة . إلا أنه على العموم ظل محافظا على نمط واحد من التعبير اللغوي هو نظام القصيدة ذات الأبيات الفردية المقفاة الجارية على رويّ واحد. وقد كان من خصائص هذا النظام أن تستهل القصيدة بمقدمة (غزلية في الغالب ) يقف فيها الشاعر على ربوع أحبّته باكيا خلوها منهم ، شاكيا ما يقاسيه من الوجد بهم وألم البعاد عنهم ، وقد يقترن ذلك بوصف ماشاهده أو عاناه في طريقه إليهم ، ثم يخلص إلى غرض في نفسه من مدح أو هجاء أو رثاء أو فخر أو حماسة ، وما إلى ذلك من أغراض الشعر القديمة المعروفة. وسواء أكانت هذه المقدمة غزلية أو غير غزلية فإنها كانت بوجه عام تعتبر من لوازم القصيدة . ويندر عند القدماء أن تجد قصيدة بتراء لا مقدمة لها تمهّد لغرضها الرئيسي بالوصف الغزلي أو الوقوف على الطلول. وقد حاول بعضهم كأبي نواس في صدر الخلافة العباسية أن يُحوّل الشعر في زمانه عن هذه الطريقة المتبعة ، داعيا الشعر إلى الكف عن الوقوف على الطلول والتعلق بوصف البادية وأحوال سكانها ، فكان له كثير من مثل قوله :

دع الأطلال تسفيها الجَنوب ... وتبكي عهد جدّتها الخطوب

وخل لراكب الوجناء أرضاً
تحث بها النجيبة والنجيب
ولا تأخذ عن الأعراب لهوا
ولاعيا فعيشهمُ جديب

ولكن أبا نواس لم يُفلح فى محاولته. ولا نحسبه كما قد يذهب إليه بعضهم أنه كان يرمى إلى إحداث - حركة تجديدية فى نظام الشعر ، وإنما هى نفثة منه كان يكثر ترديدها فى خمرياته . مقابلا فيها بين شظف البيئة البدوية وشقاء سكانها ، وطيب البيئة الحضرية كما عرفها فى بغداد بين مجالسها وملاهيها. فلا غرابة أن نسمعه يندد بشعراء الطلول والظعائن فيقول :

لاجَفّ دمع الذى يبكى على حَجَرٍ
ولاصفا قلب من يصبو إلى وَتِد
كم بين ناعت خمر فى دساكرها
وبين باكٍ على نُؤى ومُنتضدِ

لا لم يقصد بهذه النفثات النُواسية ، إحداث حركة لتطوير النظام الشعرى .

على أن ذلك لا يعنى أن هذا النظام جمد على ماكان عليه منذ أيام الجاهلية فلم يطرأ عليه تغير يذكر ، ذلك بأن ناموس التطور العام لايقف عمله عند حد زمنى وإن تباطأً أو خفى إلى حين. فإننا لانكاد نصل إلى العصر العباسى مثلا حتى نرى لتطور الشعر آثارا ظاهرة – منها مايرجع إلى الشكل أو البناء الخارجى ، ومنها مايرجع إلى المضمون أو البناء المعنوى .

فمن حيث الشكل الخارجى ما يُلاحظ من محاولة بعضهم إضافة أبحر جديدة إلى الأبحر الستة عشر المعروفة ، كتلك التى سمّوها المتئد ، والمنسرد ، والمضطرد والممتدّ ، والمتوفر ، والمستطيل وسواها . ولكنها لم تلبث أن أُهملت ودخلت فى خبر كان . ومن التطور الشكلى ما ظهر من النظم التوشيحى فى الأندلس أولا ثم فى سائر الأمصار العربية وقد عايش التوشيح القصيدة التقليدية وصحبها

(١) الوجناء من صفات الناقة وكذلك النجيبة .

طوال الأجيال ؛ على أن القصيدة ظلت حتى الآن أشيع منه عند أكثر الشعراء .

أما تطور المضمون الشعرى فيتناول معانى الشعر وأغراضه ، وعرضها فى صور فنية ممتعة للنفس . والتصوير الفنى هو عنصر طبيعى فى الشعر أيا كان وفى أى عصر ظهر. وما كنا لنشير إليه كظاهرة من ظواهر التجديد فى أدبنا خلال العصر العباسى لولا أنه اتخذ فى ذلك العصر شكل مذهب فنى قائم بنفسه ، حتى عرف بعلم البديع فى نوعيه اللفظى والمعنوى . ولا ينكر ما كان له من أثر على أيدى ذوى المواهب الشعرية العالية فى تحسين الديباجة الشعرية . وإنما جنى عليه سواهم من الذين جعلوه غاية مطلوبة لنفسها فأفسدوه حتى تدنى بتصنعهم وتكلفهم إياه ؛ فتحول إلى زخارف فارغة وألاعيب كلامية لا طائل تحتها .

لا جرم كان العصر العباسى عصرا ذهبياً للشعر العربى ، فقد امتد نحو خمسة قرون نبغ خلالها أعلام الشعر الذين نفاخر بتراثهم ، ولا نزال نهتز طرباً لروعة أقوالهم نرددها ونهتم بدراستها ، برغم أن الكثير منها كان ينظم ، لأغراض لا صلة لها بحياتنا ، وفى أجواء حضارية مختلفة عن أجوائنا . إلا أنه عصر فيه بلغت لغتنا العربية أوج مجدها بما قدمته للفكر البشرى من نجوم سطعت فى تاريخه . وإذا كانت الشعوب العربية خلاله وما بعده قد هبطت من مكانتها السياسية وفقدت سيادتها القومية فإن لغتها فيه ظلت لغة العلم والحضارة ، بل تجاوزته إلى عهود تالية .

ومعلوم أن ما طرأ على العرب من خطوب وتقلبات سياسية ، بعد ازدهار حضارتهم خلال العصر المذكور ، قد كان له تأثير بالغ فى حياتهم الأدبية ، فالمد الشعرى الذى تعاظم على أيدى نوابغ شعرائهم حتى أواخره أخذ يتراجع بعده .

ومازال فى تراجع مستمر حتى دخل الشعر العربى فى دور طويل من الانحطاط ؛ ففقد حيويته وخبا نوره ، ولم يُتح له الخروج من ظلماته إلا بعد أن بزغت على العالم العربى منذ منتصف القرن

الماضى أشعّة حضارة جديدة . وهكذا أخذ يتدرج فى سبيل التجدد والتطور حتى بلغ ما بلغه فى وقتنا الحاضر .وقد تم ذلك تدريجا ، وعبر مراحل يتعذر فصل الواحدة عن الأخرى منها بحدود زمنية واضحة ، إذ هى من حيث الزمن متداخلة الجوانب بل متعاصرة أحيانا . على أن لكل منها خصائص تميزها . وبحسب هذه الخصائص نثبتها هنا كما يلى :

الأولى : مرحلة اليقظة الأدبية وأبطالها نخبة من الروّاد فى القرن التاسع عشر ممن نشطوا إلى تحرير لغة الأدب من شوائب الانحطاط ، وتهيئتها لتكون أوفى بالتعبير عن واقع الحياة الجديدة ، وأصلح لحمل رسلتها الأدبية والفكرية .

الثانية : مرحلة العودة إلى الأصالة الشعرية فى عصورها القديمة الزاهية ، وقد نمت على أيدى أعلام من الجيل الأول فى قرننا الحالى أمثال أحمد شوقى وطبقته فى مصر وبعض الأقطار الأخرى ، ممن وطدوا هذه الأصالة ومسحوا عليها بمسحة من جدة الحضارة الحديثة.

الثالثة : مرحلة التوجّه نحو الأدب الغربى وماكان يسوده من نزعات شعرية كالرومانسية والواقعية ثم الرمزية ، مما أحدث فى الشعر العربى تطوراً بيناً وأنشأ طبقة من الشعراء الذين رفعوا الفن الشعرى الحديث إلى درجة عالية من التجديد اللفظى والمعنوى .

الرابعة : مرحلة التنكّر للشعر التقليدى ومُثُله ، والدعوة إلى انقلاب جذرى فى نظامه المتوارث ، وهى المرحلة التى جعلناها موضوع بحثنا الخاص فى هذا المقال . وسنتناول فيه الشعر الحُر الجديد من نواح ثلاث وهى : شكله الخارجى — تصويره الفنى — أبعاده المعنوية . وللتميز بينه وبين الشعر المحافظ على الأصول القديمة فى بحثنا سنكتفى بإطلاق اسم الشعر الحر الجديد عليه ، كما سنطلق على النوع الاخر اسم « الشعر الأصيل » أو الأصولى .ويلاحظ من استعراض هذه المراحل والنظر فيها أن الشعر العربى قد أخذ يسير منذ يقظته الحديثة فى سبيل التجدّد ، ومازال ، حتى استطاع أن يتحرر من قيود كلاسيكيته القديمة — قيود الأناقة

الصناعية –من محسنات بديعية يتكلفها وأغراض تقليدية يتمسك بها . وإذا هو – ولم يكد ينطوى القرن الماضى – قد دخل فى طور جديد من حياته هو طور الرومانسية ( الرومانتيكية ) التى تسرّبت إليه مع ما تسرب من آثار الحضارة الغربية حاملةً إليه الحرية الشخصية فى النظم ، والاندفاع فى سبيل الابتداع فجرى بملء عواطفه ينشد أناشيد الحب والجمال وما يصحبها من آلام وآمال ، تارة منطويا على نفسه هائماً بين مفاتن الطبيعة ، وطورا ناظرا فى حياة الإنسان وما يتطلع إليه من مُثُل عليا تنير لها طريق السعادة على الأرض .

وظلت الرومانسية بما تمتاز به من حرية ضيّقة فى أساليب النظم وسهولة التعبير ،وابتداعيّة فى الأغراض والمواضيع ، المذهب الشعرى العام فى عصرنا الحاضر حتى حدثت فى هذه الحقبة الأخيرة انتفاضة أخرى كانت حرباً على الرومانسية تتّهمها بالميوعة اللفظية السطحية المعنوية والتهافت العاطفى . تلك هى الحركة الرمزية التى تعدّ من أركان الشعر الحر الجديد ، وهو المحور الذى يدور عليه كلامنا فى الفصول التالية .

## بوادر الانقلاب :

وقبل الخوض فى خصائص هذا الشعر الحر الجديد الذى يبرز الآن كمنافس شديد للشعر الرومانسى فى قرننا العشرين ، نرى من المفيد أن نرجع قليلا إلى الوراء لنرى ما ظهر من بوادره قبل منتصف هذا القرن . نذكر من ذلك على سبيل المثال بعض محاولات قام بها نخبة من الحريصين على التجديد فى الشعر عن طريق تحريره من أحكام العروض وإرساله نفثات عاطفية ، طليقة من كل قيد تقتضيه الأوزان التقليدية وقواعد النظم . ومن روّاد هذا النظم الحرّ أمين الريحانى ، فله فى الجزء الثانى من ريحانياته أكثر من عشرين قطعة تجرى هذا المجرى كقوله من نشيد الثورة حيث تشتد حرارة العاطفة ويكثر ترديد القوافى :

هى الثورة وجهها العبوس الرهيب
ألوية كالشقيق تموج تُنير البعيد
تثير القريب
وطبول تردد صدى نشيد عجيب

وأبواقٌ تنادى كل سميع مجيب
وشررُ عيون القوم يرمى باللهيب
ونار تسأل : هل من مزيد ؟
وسيف يجيب وهول يشيب
ويــــل يومئذ للظالمــــين

ويل لهم من كل مريد مهين
طلّاب للحـــق مديــــن

ويــــل للمستعزين والمستأمنين
هى ساعة للظالميــــن

وعلى هذا النسق العاطفى قوله فى مرثاة يصف فيها موت ملك العراق فيصل الأول ، وهذا القسم الأول منها :

حلّق النسر فى الفضاء بعيدا
رجع النسر فى الفضاء شهيدا
شهيداً يكفنه السحـــــابْ
شهيدا تشيعه النجـــــومْ
شهيدا نعته شمس الضحـــى
شهيدا حملته أكفُّ السمـــا
فكان عليّاً وكان حميـــــدا

وأكثر ماجاء له من هذا القبيل نفثات خطابيّة عاطفية يكثر فيها ترديد القوافى والألفاظ ، بطريقة درامية مثيرة ، وقد تبعه فى هذا الطريق كثيرون ومنهم من كان أكثر منه اقترابا إلى النظم الشعرى كقول حبيب اسطفان فى قطعة خماسية الأدوار يصف فيها ماورد فى الأسطورة الفينيقية من مصرع الإله أدونيس على بعض جبال لبنان ونوح حبيبته ( الزهرة ) عليه ؛ وهى طويلة نشرت منها هنا هذه الأدوار الثلاثة فى وصفه ماأصاب ( الزهرة ) من لوعة وشقاء عندما شاهدت حبيبها ( أودنيس ) مضرجًا بدمائه بعد أن صرعه وحش ضار هصور هناك .

أواه على أودنيس كيف يجر على الصخور يصبغها دمه الجارى من أعضائه الناعمات . هاهو فى الوادى يفترسه الحيوان الهصور أواه ، أودنيس قد مات وأسرعت اليها الإلاهات فدهاها الصياح إلاهات الأشجار والأنهار والربى والوديان لاطمات الخدود رافعات العويل والنواح. باكيات بأشجى الألحان [illegible] والتففن حولها ينحن معها على الحبيب يا أدونيس كيف مدت إلى الإله يد الحمام ؟! ياأدونيس ، كيف ذبل غصنك الرطيب ويبس زهره البسّام ؟!

فترى فى أدوار هذه القصيدة نظما ذا ترتيب شعرى وانسجام إيقاعى فى الأسطر والقوافى ، ولكن مع عدم تقيد بتفاعيل مضبوطة ، كما فى الشعر الأصيل .

ومن طلاب التجديد من انبعثت خواطره وعواطفه الشعرية فى شكل نثرى ، كما ترى فى كثير من أقوال جبران فجاءت موزونة الأفكار فى قوالب نثرية ذات رنة موسيقة تلذ الأسماع وتطرب النفوس ، وسنرى كيف أمست هذه النماذج فى الشعر الحر الجديد بعد أن اشتدت الدعوة إلى التجديد . فهذه البوادر على كثرة ما ظهر منها خلال النصف الأول من قرننا الحالى لم تشع فى الأوساط الأدبية ، ولم نستطع منافسة الشعر العروضى الأصيل ، فغمرها الزمن ولم يبق منها فى النفوس إلا رغبات فى بعض النفوس ظلت كامنة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حين عادت إلى البروز على يد جيل جديد فى شكل ثورة عارمة تحت اسم الشعر الحر . فلنتقدم الآن إلى درس هذا الشعر الجديد من نواحيه الثلاث .

(١) شكله الخارجى .

(٢) تصويره الفنى .

(٣) بعده المعنوى .

## الشعر الحر فى شكله الخارجى :

ليس غرضنا الآن أن نقوم بتحقيق لضبط تاريخه ومعرفة كيف نشأ ، ومن كان رائده الأول . فلنترك ذلك للحريصين على هذه الناحية من دراسته . يكفينا هنا أن نقرر أن الأحداث المستجدة فى الحياة لا تكون فى الغالب إلا نتيجة عمل تطورى مستمر وإن كان لا يبدو دائما للعيان . وقد ذكرنا سابقا أن عددا غير قليل من أدباء عصرنا فى النصف الأول من القرن العشرين قد حاولوا أن يجددوا الشعر العربى بتحريره من قيوده العروضية التقليدية . لكن منظوماتهم لم يتح لها أن تبلغ شأنا يذكر عند الجمهور الأدبى فى مختلف الأقطار ، فظلت الطريقة العروضية بأوزانها الستة عشر المعروفة هى الطريقة السائدة فى نظم الشعر . وظلت حركة التجديد المذكورة ضئيلة قليلة الأنصار حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك الحين عادت إلى البروز والاتساع على أيدى فئة من النشء الأدبى المتأثر بما تركته هذه الحرب من انقلابات فى حياة الشعوب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية . وما ولدته فى نفوسهم من روح التمرد والثورة من آو ضاع أو مُثُل تقليدية . وأخذت الدعوة إلى الحرية والتجدد تشتد

فى الأوساط الأدبية . فلا غرابة أن يقبل الجيل الجديد عليها ،وينتشر النظم الجديد انتشار النار فى الهشيم ، بين الطبقات الناشئة فى كل إقليم ، تدعمه دعاة من ذوى النزعات اليسارية أومن المتأثرين ببعض كبار الشعراء فى الغرب الناقمين على تردى المبادئ الروحية والإنسانية فى الحضارة العصرية المادية . ويظهر هذا الشعر فى شكلين: الأول يلتزم ا يقاع الشعرى ويسمى عند الكثيرين شعر التفعيلة ، والثانى يجانب أى التزام عروضى وهو المعروف بالنثر الشعرى أو الشعر المنثور كما سنرى .

## الشكل الأول — شعر التفعيلة :

وقد أطلق عليه هذا الاسم لاعتماد الشاعر فى نظمه على تفعيلة واحدة يختارها من أحد الأبحر العروضية الستة عشر ، ويفتن فى استعمالها بانياً عليها منظومته . خذ مثلا ( بحر الكامل ) وهو مكون أصلا من ست تفعيلات للبيت الواحد ، ثلاث منها فى الصدر وثلاث فى العجز . وقد يأتى مجزأ فيكون مؤلفاً من أربع تفعيلات ، نصفها فى الصدر ونصفها فى العجز . وهذه تفعيلاته وهو تام :

متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن
متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن

كقول المتنبي فى مطلع قصيدته المعروفة :

الرأى قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهى المحل الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس حرة
بلغت من العلياء كل مكان

ويلاحظ أن كل أبياتها تتتابع على هذا النسق وزناً وقافية ، كما يلاحظ جواز تعديل صيغة متفاعلن عند الحاجة لتصبح مستفعلن . وهو أمر شائع فى هذا البحر سواء أكان فى الشعر الأصيل أو فى الشعر الحر الجديد . على أن الشعر الحر لا يتقيد تقيد الشعر الأصيل بانسجام كلى فى ترتيب مقاطعه وأسطره ، تتابع فيه على غير نظام وانسجام ؛ من حيث الطول وعدد التفعيلات والقوافى ، فالسطر الواحد قد لا يكون أحيانا أطول من التفعيلة المختارة ، وقد تتكرر فيه هذه التفعيلة فيطول ،وهكذا تتفاوت أجزاؤها بين قصير وطويل

أو مقفّى أو غير مقفّى ، وإنما تترابط بإيقاع يلذّ للسمع لتحررها من رتابة الأبيات في الشعر العروضى . وإليك بعض نماذج من الشعر الحر نعرضها كما وردت في مظانها مصحوبة بتفعيلاتها لإيضاح الفرق بين بنائها وبناء الشعر الأصيل .

ولنبدأها بقطعة من البحر الكامل أيضا لشاكر السياب موضوعها ( غريب على الخليج ) ننقلها كما هي من ديوانه ( أنشودة المطر ) وفيها يخاطب — وهو بعيد عن وطنه — فتاة من أهله يسميها « زهراء » مذكرًا إياها بما عرفاه من عيشة في منزلهما القديم . قال :

« زهراء أنتِ أتذكرين ؟

مستفعلن — متفاعلن .

تنّورنا الوهّاج تزحمه أكفُّ المصطلين

مستفعلن — مستفعلن — متفاعلن — مستفعلن .

وحديث عمتي الخفيض عن الملوك الغابرين

متفاعلن — متفاعلن — متفاعلن — مستفعلن

ووراء باب كالقضا

متفاعلن — مستفعلن .

قد أوصدته على النسا .

مستفعلن — متفاعلن .

أيدٍ تطاع بما تشاء لأنها أيدى رجال

مستفعلن — متفاعلن — متفاعلن — مستفعلن .

كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال

مستفعلن — متفاعلن — متفاعلن — متفاعلن

أفتذكرين أتذكرين ؟

متفاعلن — متفاعلن .

وعلى هذا النمط والبحر أيضا قطعة لعلى أحمد سعيد تحت اسمه المستعار ( أدونيس ) موضوعها ( حديث جائع ) في ديوانه ( قصائد أولى ) .

ويلاحظ في بعض تفعيلاتها ( ترفيل ) يعنون به في العروض زيادة مقطع في آخر التفعيلة الأصلية فتأتي مثلا في الكامل على صيغة متفاعلاتن أو مستفعلاتن بدلا من متفاعلن أو مستفعلن ويستوى في ذلك الشعر الأصيل والشعر الحر . والواقع أن التفعيلة المختارة من أي بحر تستعمل مع جوازاته في كلا النوعين على السواء .

مالى أسير ولا أسيرُ

مستفعلن — متفاعلاتن .

ويشار لى هذا فقيرُ .

متفاعلن — مستفعلاتن .

جَمَد الزمان على يدى !

متفاعلن — متفاعلن .

جمدت يدى .

متفاعلن .

وتهدّلت عينى وقرّحها السؤّال

متفاعلن — مستفعلن — متفاعلان

وإذا تشرّبنى عذابى

متفاعلن—متفاعلاتن

وانهدَّ فى صدرى شبابى

مستفعلن — مستفعلاتن

جمّعتُ حالى وانطويت

مستفعلن — مستفعلاتن

وعلى تهدُّمى ارتميتُ

متفاعلن . متفاعلاتن

فإذا قابلت بين هاتين القطعتين وهما تعتمدان على تفعيلة واحدة من بحر (الكامل) تستطيع أن ترى كيف تختلفان فى ترتيب أسطرهما وفى عدد المرات التى تتكرر فيها تلك التفعيلة فى السطر أو المقطع الواحد منهما . فكل من الناظمين له حريته فى الإخراج كما يحلو لذوقه الخاص ، بيد أنه على تباين طريقتهما فى ذلك يتفقان كل الاتفاق فى التزام التفعيلة التى اعتمداها من البحر المذكور وعلى إيقاعها الذى يجعل من المنظومة وحدة موسيقية قد تبرر زعم أصحاب هذا النوع من نظم الكلام أنه داخل فى نطاق الشعر الموزون ،بل فى صحيحه وإن كان لايتقيد بأحكام العروض المعروفة فى الشعر الأصيل .

والذى يبدو من منظومات الشعر الحر أن التفعيلة المعتمدة فى بنائه ترجع فى الغالب إلى عدد محدود من الأبحر ، كالكامل والرمل والهزج والخفيف والوافر وغيرها وقد يعتمد الشاعر فى قصيدته تفعيلتين إحداهما من بحر والأخرى من بحر آخر . وسنرى ذلك بعد . وإليك هذه القطعة معقودة على تفعيلة من بحر (الرمل) لعبد الوهاب البيّاتى من منظومة موضوعها (القنديل الأخضر) كما وردت فى ديوانه (أباريق مهشمة) . وهذا البحر يتألف من ست تفعلات

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

كقول ابن الفارض فى يائيته المشهورة

سائق الأظعان يطوى البيد طىّ

منعماً عرِّجْ على كثبان طىّ

وكثيرة ما تتحول ( فاعلاتُ ) إلى فَعِلات فى هذا البحر كقوله :

وضع الآسى بصدرى كفّه

قال : مالى حيلة فى ذا الهوى

وهو شائع فى كلا الشعر الأصيل والشعر الحر على السواء . قال البياتى :

تحت جنح الليل والصمت وأعماق الكئيبة

فاعلاتن . فاعلاتن . فعلاتن . فاعلاتن

وعبير الروض والليمون والماضى وحزنى

فعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

لم تعد توقظ أحلام الصبا المخذول فيّا

فاعلاتن . فعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

كان ضوء كان فى قبر بعيداً كان عنّى

فاعلاتن فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

القضاءُ القَدر المظلم يستنزفه شيئا فشيئا

فاعلاتن . فعلاتن . فعلاتن . فعلاتن فاعلاتن

غير أنى كنت أقوى

فاعلاتن . فاعلاتن

كنت من نفسى أقوى

فاعلاتن . فعلاتن

كنت أهوى

فاعلاتن

لو تلاقينا على ذاك الضياء

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

كفرا شيْن على الأوراد غابا فى عناق

فعلاتن . فعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

واحترقنا أنا والماضى وعيناها على ذاك الضياء

فاعلاتن . فعلاتن . فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وهكذا يجرى إلى آخر هذه المنظومة الطويلة مع التفنّن فى تكرير تفعيلاتها واختلاف عددها فى السطر الواحد ،

وقد تأتى التفعيلة الواحدة مجزأة : قسم منها فى سطر وقسم : آخر موصول به فى سطر تالٍ . وكما تجرى القصيدة من الشعر العروضى الأصيل فى سلسلة من أبيات مستقلة تتابع على وتيرة واحدة وزناً وقافية ، أو من أدوار متلاحقة متماثلة التركيب . كذلك تجرى القطعة فى الشعر الحر الجديد فى شكل سلسلة من أسطر ومقاطع أو من أدوار متلاحقة . ولكنها كما سبق القول لاتتقيد بما تتقيد به القصيدة الأصيلة ( أو كما يسمونها أحيانا العمودية ) من أحكام عروضية لازمة ، سواء من حيث عدد التفعيلات أو لزوم القوافى وتماثلها ؛ مثال ذلك هذه القطعة لأدونيس فى ديوانه (قصائد أولى) وموضوعها (المشرّدون) .

ثم قطعة للبياتي : الأولى من بحر الكامل والثانية من الرمل .

المشردون – لأدونيس ، وهى مؤلفة من عدد من الأدوار .

فى أول العام الجديد

مستفعلن – مستفعلاتن

قالت لنا مستفعلن

آهاتنا قالت لنا

مستفعلن . مستفعلن .

شدوا الرحال إلى بعيد

مستفعلن . متفاعلاتن .

أوفاسكنوا خيم الجليد

مستفعلن . متفاعلاتن

فدياركم ليست لنا

متفاعلن . مستفعلين

نحن الذين على الدخيل تمردوا

مستفعلن . متفا لن . متفاعلن

فتهدموا وتشردوا

متفاعلن . متفاعلن

أكل الفراغ نداءنا

متفاعلن . متفاعلن

ومشى الأماد وراءنا

متفاعلن . متفاعلن

أيامنا جمدت على أشلائنا

مستفعلن . متفاعلن . مستفعلن

وتقلصت كدمائنا

متفاعلن . متفاعلن

صارت تعيش على الثوان

مستفعلن . متفاعلاتن

صارت تدور بلا زمان

مستفعلن . متفاعلاتن

متشتتون مضيعون على الدروب

متفاعلن . متفاعلن – متفاعلاتن

صفر المواعد والقلوب

مستفعلن . متفاعلاتن

والجوع كل ندائنا

مستفعلن . متفاعلن

والريح بعض غطائنا

مستفعلن . متفاعلن

حتى الصباح يفر من آفاقنا

مستفعلن . متفاعلن . مستفعلن

ويغيض فى أحداقنا

متفاعلن . مستفعلن .

واذا ترنح فى تململنا الكفاح

متفاعلن مستفعلاتن . متفاعلاتن

وتساءلت منا الجراح

متفاعلن . مستفعلاتن

ضحكتْ حروف نداءتنا ـ ضحك الصباح

متفاعلن . متفاعلن . متفاعلاتن

أقلوبنا رفقا بنا متفاعلن . مستفعلن

ماهمَّ . ظلّى فى المسير

مستفعلن . مستفعلاتن

فى الجوع فى اليأْس المرير

مستفعلن . مستفعلاتن

وتعذبى متفاعلن

وتقحّمى عنف السعير

متفاعلن . مستفعلاتن

وهنا على هذا التراب تترَّبى

متفاعلن . مستفعلن . متفاعلن

فغداً يقال متفاعلن

من أرضنا طلع النضال

مستفعلن . متفاعلن

ونما على أشلائنا ووفائنا

متفاعلن . مستفعلن . متفاعلن

وعلى تلفُّتها البعيد

متفاعلن . متفاعلاتن

لغد جديد

متفاعلاتن

الموت فى المنفى (للبيّاتى) من ديوانه النار والكلمات ص ٦٠ وهى تجرى على بحر الرمل .

بدم القلب بطاقاتْ الرماد

فعلاتن . فعلاتن فاعلات

كَتَبَتْ

فعلا

أين كنوز السندباد

فعلاتن . فاعلات

منك يا زاد المعاذ

فاعلاتن فاعلات

آه لو أحرقتُ أشعارى

وأحرقت الليالى بالمداد

فاعلاتن . فاعلاتن

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

لكتبتُ فيها مرة أخرى

بطاقات الرماد

فعلات وفاعلاتن

فاعلاتن فاعلات

بدم القلب وأطعمت القوافى للجراد »

فعلاتن . فعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

صَبَغت ليلى الجراح

فعلاتن . فاعلات

وطني ناءٍ وكفي يبست فوق السلاح

فعلاتن. فاعلاتن. فعلاتن. فاعلات

أين من يسكت في الأفق النباح

فاعلاتن. فعلاتن. فاعلات

أين من يبصق في وجه المخانيث

ومن يزرع في الأُفق أقاح

فاعلاتن. فعلاتن. . فاعلاتن فعلاتن

فعلاتن . فعلات

أين من يشعل في صدري قناديل الصباح

فاعلاتن . فعلاتن. فعلاتن. فاعلاتن فاعلات

وطني ناءٍ. فياليت بطاقاتي جناح

فعلاتن. فاعلاتن. فعلاتن. فاعلات

لتطير الليلة الليلة في أفق الجراح

فعلاتن. فاعلاتن. فاعلات. فاعلات

القناديل بصدري ،

فاعلاتن. فعلاتن

افتحوا الأبواب للنور افتحوها

فاعلات . فاعلات . فاعلات

أصدقائي الفقراء . أصدقائي الشعراء

فاعلات . فعلات. فاعلات فعلات

احمليني يارياح . عبر آلام الليالي

فاعلاتن. فاعلات . فاعلاتن . فاعلاتن

احمليني يارياح

فاعلاتن – فاعلات .

وقد يتفنن الشاعر الحر فيستعمل مع التفعيلة الواحدة في قصيدة تفعيلة ثانية أو أكثر من بحر آخر كما ترى في منظومة للشاعر بدر شاكر السياب موضوعها ( رؤيا في عالم ١٩٥٦ ) يجري في قسم منها على بحر الرمل ثم يتحول إلى آخر . وإليك القطعة التالية منها : ننقلها عن ديوانه ص ١١٦ .

خطّت الرؤيا على عيني صقراً من لهيب

فاعلاتن. فاعلاتن. فاعلاتن. فاعلات

إنها تنقضُّ تجتثُّ السّواد

فاعلات. فاعلاتن. فاعلات .

تقطع الأغصان تمتصُّ القذى من كلِّ

جفنٍ فالمغيب

فاعلاتن. فاعلاتن. فاعلاتن

فاعلاتن . فاعلات .

عاد منها توأماً للصبح – أنهار المداد

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

ليس تطفي غلة الرؤيا . صحاري من نجيب

فاعلاتن. فاعلاتن. فاعلاتن. فاعلات

من جحور تلفظ الأشلاء . هل جاء المعاد ؟

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

أهوَ بعثٌ ، أهو موتٌ ، أهي نار أم رماد

فاعلاتن . فاعلاتن. فاعلاتن . فاعلات !؟

ويوالى الجرى على هذا البحر ثم يتحول عنه إلى بحر آخر إذ يقول :

فى غيبة الرؤيا
مستفعلن فعلن
يوم بلاميعاد
مستفعلن فعلان
جنكيز هل يحيا ؟ جنكيز فى بغداد
مستفعلن فعلن . مستفعلن . فعلات
عين بلا أجفان تمتد من زوحى
مستفعلن فعلان مستفعلن فعلن
شدق بلا أسنان ينداح فى الريح
مستفعلن فعلان مستفعلن فعلن
يعوى : أنا الإنسان
مستفعلن فعلان

## الشعر الحر فى شكله النثرى :

مما عرضناه سابقا يتضح أن الشعر الحر المبنى على التفعيلة الواحدة لم يقطع صلته قطعا باتا بنظام الأوزان العروضية . فهو شعر إيقاعى كالشعر الأصيل إلا أنه مختلف النمط . أما فى شكله النثرى فهو يجرى حرا من كل قيد يربطه بوزن خاص أو بشكل إيقاعى معين ؛ فلا غرابة أن الكثيرين من أهل النقد الأدبى يترددون ، أو يأبون ، أن يطلقوا اسم الشعر عليه . لكن أربابه كما يبدو يصرون على هذه التسمية ، فتراهم يخرجونه فى ديباجة أشبه بديباجة الشعر . وينشرونه فى دواوين خاصة كدواوين الشعراء .

والحقيقة أنه نثر مشبع بروح الشعر . وقد شاع وأصبح له جمهور غفير من الأنصار وبخاصة بين ناشئة الأدب من جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية ، جيل الثورة على الأوضاع القديمة المتأثر بالنزعات اليسارية إلى الرافض ماورثه من الماضى ، المتعطش إلى الاستقلال الذاتى فى تصرفاته الفردية والاجتماعية . وهذه النزعة إلى الثورة قد أثرت فى حياته الفكرية والفنية . فإذا بشعره يخرج اليوم محررا من تقاليده اللفظية والمعنوية التى لازمته مدى الأجيال السابقة . يقوده فى هذا السبيل رهط من دعاة التجديد الفنى والشعرى ؛ من رمزيين وسورياليين وسواهم ممن أخذوا بهذه المذاهب الجديدة فى الغرب ، ورأوا فيها الطريق السوى لتجديد حقيقى فى الأدب العربى شعرا ونثرا .

وإليك بعض نماذج من الشعر النثرى الذى أخذ يتدفق من أقلام أربابه . قطعة ليوسف الخال وهو من كبار الدعاة إلى الشعر الجديد ، نشرت فى ملحق جريدة النهار بتاريخ ١٠ من شباط ١٩٧٤ :

خذوا كل شيء
خذوا العصافير عند الصباح
وصمت المآتيح خمرة كاس
وبقية نار وحيدة
ولا تتركها لى قصور العناكب
أحلامها معلّقة بخيوط السماء
خذوها ، خذوا كل شيء
نقيق الضفادع . رفيف الخفافيش
عند المساء
وآثار أقدامهن – الرُّتيلات
عند مسندى .
ودعونى . دعونى
بعيداً عن الأسواق
لأن الجداول عند الرجوع
تحت هذه السهول
وصوت السكينة تحنانها
هناك على الشطوط .
وحين أموت خذوا جسدى
ولا تدفنوه
لئلا يقوم مع الفجر
ويكشف سر الإله

ولزميله فى الدعوة إلى الشعر الجديد أنسى الحاج قطعة موضوعها ( السقوط )

هى ذات شقّين كمايلى – عن ملحق النهار ١٢ من كانون الثانى ١٩٧٤ .

١ – ( أنا من سقط ) :

من حافةِ عينيك
حملونى إلى السهول
سقطتُ من حافة عينيك
أخذونى إلى النوم
وسقطت من حافّة عينيك
رفعونى كتسبيح الطير
أمسكونى وأغمضوا عينىّ
وأبعدونى
فرحت أبدأُ من حافّة عينيك
أسقط إلى اللقاء

٢ – ( من ؟ ) :

إذا انتحرتُ
والدائنون سيظنُّون بسببهم
المُثُلُ العليا ستقول بسببها
وكل صديق خاصمته سيظن
ندماً . تسألنى عنه بدهشتها الطاهرة
آهِ من جعله يفعل ذلك ؟

ومن ديوانه ( خبأنا الصواريخ فى الهياكل) لثريا ملحس رقم ٣٧ نختار هذه المنظومة فى ذكرى الوالدين وهذا بعضها — ( ذكرى الأم )

## ذكرى الأم :

أمّى ...
فانسرى عنى شىء بعض الشىء »
لففتُ أمى بذراعى
ضغطتُ على نحرى
لفظت اسمها : أمى . أمى
ضجر منى الفراغ
والتوى على جسدى
يأكل قلبى . كل قلبى
هرولت من قسوة الفراغ »

## ( ذكر الوالد ) :

أبى :
فانسرى عنّى شىء . بعض الشىء
رحت أمرّغ رأسى على رأس أبى
أبحث عن ذراعيه
زلّت قدمى من حافة التلال
تدحرجت من فوق الجبل إلى تحت
إلى صدى النداء
عدت أتسلق الجبل
هرولت من قسوة الوادى

وقطعة أخرى لها من ديوانها : (محاجر فى الكهف ) من قصيدة ص ٣١٦ (وأكثر هذا الديوان نفثات وطنية حارة ) منها هذه القطعة .

غُربتى تزداد كل يوم شبرًا فشبرا
عيناى تنزلقان من وجهى فِتْراً ففِتْرا
وعمارات تتلوى مغروسة كأشواك الغضا
دروب بلادى قواقع فارغة
تتمطّى والآفاق فيها تنتحر
الذئاب روّادها
ولعبة الأسود الكاسرة
تفضفض عظامها
تكوّم الجماجم القناطير
تتكسر النفوس سجّدا
للفراغات الصغيرة

والقصيدة طويلة ، ولكنها على هذا النسق من مرارة نفس تقاسى ألم الغربة عن وطنها فلسطين المحتلّة .

ومن هذا الطراز الوطنى القطعة التالية من ديوان (زهرة اسمها الحب ) لجهاد قلعجى يخاطب فيها تاريخ العرب الفاتحين ، مقابلا بحسرة

حارّة بين ماضيهم وحاضرهم نادبًا
مجدهم المفقود (ص ٥٤)
أيها التاريخ!
كم أسافر في أرجائك فارسا
وأنهل من خمورك شاعرا
وأعزف معك البطولة شهيدا
ثم لا أجد حولي
سوى صراع بلا فروسية
وقافٍ بلا شاعرية
واستشهادٍ بلا بطولة
ياعمرو.. ياخالد.. ياطارق.. ياصلاح الدين
أهذه بلادكم! وهؤلاء قومكم!

ومن نماذج هذا الشعر الجديد هذه القطعة من ديوان لميّ صايغ وهي من النوع الرمزي، الذي يلف الغموض مافيه من عواطف الشاعرة الحارة، ننقلها عن جريدة النهار (١٥ من تموز ١٩٧٤). وفيها تقول:

لست حَجرا
تمطرني الحوانيت الملحومة الأبواب
بالأوكسجين.
دمًا لاذعا كالمأساة
أتلمّس طريقي بين الحرائق
وتعبر الأحزان جبيني
في الحارات المشتاقة
حيث تُصادَر زنابق الجبل البيضاء
حيث تُصادر زهور الحناء
حيث يُصادر الفلّ وعروق البرتقال
يبقى قبرك مجرّدا إلا من زهرة

ولعل ماأوردناه من أمثلة الشعر الجديد في وجهتيه الإيقاعية (أي القائمة على التفعيلة الواحدة)، والنثرية المطلقة (المرسلة دون إيقاع خاص) كافٍ لإيضاح طريقة إخراجه، وهي طريقة دراميتيكية رمزية تغلب فيها غرائب الصور المجازية، والألفاظ المبهمة الدلالات والإشارات البعيدة المدى.

والواقع أن منها الشعر الجيد الممتاز الذي ترى وراء غموضه الظاهري إبداعا في التصوير وتساميا في الفكر. كما أن منها مالاترى وراء غموضه غير تكلّف في محاولة التصوير وفراغًا من جمال المعاني. والآن بعد النظر في شكله الخارجي فلنتقدم إلى النظر فيه نظرة داخلية مع مقابلته في ذلك بالشعر العروضي الأصيل.

## الشعر الحر والتصوير الفني :

لامراء أن التصوير في الشعر هو من أهم عناصر الجمال فيه : يستوي في ذلك القديم والحديث المنظوم بلغة فصيحة أو بلغة عامية. فالشعر بطبيعته مصور يجسّم ما يستلهمه من الحياة والطبيعة بشكل أشد تأثيرا في النفوس وأكثر إمتناعا لها . خذ مثلا قول امرئ القيس في معلقته المعروفة ،إذ يصف ليلة أطبقت عليه بالهموم وقاسى فيها ماقاساه من عناء السهاد فقال :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله
علىّ بأنواع الهموم ليبتلي
فيالك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شدّت بيذبل

ففي تصويره هذا الليل بحراً تتابعت أمواجه بأنواع الهموم عليه ، وقد طال حتى كأن نجومه شدّت بأمراس إلى صخور جبل (يذبل ) يشعرنا بما لانشعر به لو قال . ليل طويل أسهدتني فيه الهموم المتراكمة عليّ .

ومن هذا القبيل وصف المتنبي لسوء حالة يوم كان مقيماً في مصر على مضض عند أميرها كافور ، وقد أصابته حُمّى زادته شقاءً على شقاءٍ ، فقال من قصيدة يصف الحمّى وكانت تراجعه ليلة بعد ليلة :

وزائرتي كأنّ بها حياءً
فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا
فعافتها وباتت في عظامي
يقول لي الطبيب : أكلت شيئا
وداؤك في شرابك والطعام
وما في طبّه أني جواد
أضرَّ بجسمه طول الجمام
تعود أن يغبّر في السرايا
ويدخل من قتام في قتام
فأمسك لا يطال له فيرعى
ولاهو في العليق ولا اللجام

فتأمل هذا التصوير الرائع لسوء حاله . وهل كانت النفوس تهتز له لو أن الشاعر اكتفى بأن يقول : أصابتني حمّى في مصر وأنا مكره على الإقامة فيها كالأسير لدى أميرها كافور .

هذان مثالان من ألوف الأمثلة في أدبنا العربي على ما لحسن التصوير في الشعر من روعة وتأثير ،ولاسيما إذا كان الشاعر

ذا موهبة فنية عالية. ولقد امتاز بهذه الموهبة كثير من شعراء العربية قدماء ومحدثين. فأخرجوا للناس بدائع تصويرهم روائع خالدة. ومعظم اعتمادهم فيها على جودة في التعبير البياني، من تشبيه واستعارة وتمثيل وكناية ومجاز مرسل وما إليها.

ونرى الشعر الحر الجديد يعتمد أكثره على الرموز والإشارات إلى أبعاد من المعاني والحقائق الإنسانية والاجتماعية . . . . . وإليك للإيضاح بعض أمثلته.

يقول بدر شاكر السيّاب في قصيدته (قافلة الضياع) واصفا حال الفلسطينيين الذين أكرهوا ظلما وعدوانا على هجر أوطانهم واللجوء إلى أوطان أخرى. نثبت منها القسم الافتتاحي فقط:

أرأيت قافلة الضياع[1]، أما رأيت النازحين!

الحاملين على الكواهل من مجاعات السنين

آثار كل الخاطئين[2]

النازفين بلا دماء

السائرين إلى وراء»

كي يدفنوا هابيل وهو على الصليب ركام طين[3]

قابيل! أين أخوك؟ أين أخوك؟ جمّعت السماء

آمادها لتصيح — كُوِّرت النجوم إلى نداء

قابيل أين أخوك؟

يرقد في خيام اللاجئين[3]

والقصيدة طويلة وكلها على هذا النسق من التصوير الرمزي وبعد الإشارات. وهي كما ترى مشبعة بروح النغمة الثائرة لما أصيب به بنو العروبة في فلسطين على يد غزاتهم المعتدين. إذ استولوا على بلادهم بمساعدة بعض الدول القوية، فاحتلوها وطردوا سكانها.

---

(١) يرمز بقافلة الضياع إلى هؤلاء المشردين الذين أضاعوا حقوقهم وأوطانهم.

(٢) أي الحاملين على ظهورهم آثام الذين ارتكبوا خطيئة إبعادهم وسببوا لهم كل هذه المحن.

(٣) و(٤) قابيل وهابيل هما ابنا آدم ويرمز بهما إلى الأخوة في الإنسانية أو الوطنية. وكأن السما ونجومها تسأل الأخ الأكبر قاتل أخيه: أين أخوك؟ فإذا بها تسمع الجواب في خيام اللاجئين.

وقد لايقتصر هذا النوع من التصوير الشعرى على ذكر الأوطان السليبة ، وصبّ جام النقمة على سالبيها ومن ساعدهم على السلب . بل تتناول أحيانا الاعتزاز بماضيها وتاريخها المجيد والمباهاة ببطولات أبطالها السالفين . كهذه القطعة لأدونيس من مجموعة نشائده المنشورة تحت عنوان (قالت الأرض) حيث يعدّد مآثر سكانها الأقدمين كالفينيقيين مثلا ، فيهتف هتاف القوىّ المعتز بقومه — (ص ٩) :

من هنا . من بلادنا نحن أقلعنا

شراعاً وموجةً وإلى

ومشينا حرفاً على صفحة القلب

وحرفا على شفاه الليالى

إن نشأ تترك الحصا زهرًا حلوا

ونحفر على النجوم خطانا

نحن شئنا الدنيا جمالاً وحقًا

وخلقنا للعالم الإنسانا

إنه زهو شائع فى الشعر الجديد الطموح والثائر على الأوضاع ، على أنه لايخلو من الحسرة على وطن كان عندهم فيما مضى منشأ البطولات والأبطال ، فيبكون ولكن لابعين البائس اليائس بل بعين الراجى المتطلع إلى عهد أعز وأكرم ، عين تحلم بولادة ثانية لهذا الوطن الذى أذلّ بنيه توالى الكوارث والخنوع للطغاة ، وذهب بجيوشهم طول التردّى فى وهدة الهوان حتى غدوا فيه راقدين كالأموات . وفى هذا الجو المشبع بروح الحياة الجديدة تتجلى لنا فى كثير من أقوالهم أسطورة البعل الفينيقى (تمّوز) كيف مات قتيلا فى جبال لبنان ثم كيف قام لابسا ثوب الحياة ، بل كيف يموت كلّ سنة فى الشتاء ثم يقوم فى الربيع مجدّدًا خصب الأرض ، ومن بدائع الرموز إلى ذلك ما تجلّى لخليل حاوى من رؤيا قيامه ثانية لوطنه الشرق ، على يد الأجيال الآتية ، بعدما أن مرّ فى طور عقم لا خصب فيه ولا إنتاج . وبخفقة رائعة من قلب الشاعر سجّل لنا قلمه هذه الكلمة ، مخاطبا الجيل القديم ، موتى الروح والطموح فقال : (ديوان ١٢٣)

لن تموت الأرض إن متم

لها بعلٌ إلهىٌّ قديم

طالما حنّت إليه عبر ليل العقم

أنثى وإلٰهة

أي تربة الأرض العطشى إلى

الخصب

فضّها البعل وروّاها

فغصّت بالرجال الآلهة »

فامتلأت الأرض من أبطال كالآلهة

( وبنفحة من الأمل يتساءل بلسان

الوطنيّ الواله ) :

أترى يولد من حبّي لأطفالي وحبّي

للحياة

فارس يمتشق البرق على الغول

( يشير إلى أسطورة مار جرجس

وقتله التنين )

« على التّنّين ! ماذا هل تعود

المعجزات ! »

أي ( هل يعود الزمان فيخرج من

الشرق صانعو المعجزات الذين خرجوا

منه في قديم الزمان )

« بَدَويّ ضرب القيصر بالفرس [1]

وطفل ناصريّ وحفاة [2]

روّضوا الوحش بروما ، سحبوا

الأنياب من فكّ الطغاه

ربّ ماذا ، ربّ ماذا !

هل تعود المعجزات !

والذى يوازن بين الطريقة الشعرية الأصولية والطريقة الجديدة الحرة لايكاد يجد فرقا بينهما ؛ من حيث اعتمادهما على التصوير الفني . فالشعراء في كلتا الطريقتين كثيراً ما يستعينون به في وصف وقائع الحياة وحقائقها لتبرز في شكل أشد تأثيرا في النفس وأكثر إمتاعا لها . على أنهم يختلفون في أساليبهم التصويرية ومقاييسهم الجمالية فالأصوليون قديما وحديثا يرون بلاغة الشعر أو حقيقة جماله قائمة على حسن البيان العالى ؛ ويعيبون الوعورة في الألفاظ وتكلف غير المألوف ، أو البعيد في الصور المجازية . ولوجاءت من الشعراء المعروفين بفصاحتهم وعلوّ مكانتهم . أوعلى هذا الأساس أخذوا قديما على أبي نواس

( ١ ) إشارة إلى النبي العربي وفتوح أتباعه .

( ٢ ) إشارة إلى المسيح و إلى رسله الذين برغم ضعفهم فتحوا العالم الروماني حاملين رسالته .

تصويره المال بشخص يمشى على رجليه إذ قال يمدح أحدهم بالجود :

جادحتى حصد الفاقة واجتثّ السؤالا
ياأباإسحق لوأنصفتَ منك المالقالا :
مالرجْلِ المال أمست
تشتكى منك الكلالا

فانظر إلى هذه المجازات الغريبة فى البيتين الأول والثالث : حصْد الفاقة واجتثاث السؤال ، وكلال رجْل المال من كثرة إرساله إلى العافين والمحتاجين . ومثل ذلك فى التصوير الغريب ماأخذوه على أبى تمام من قوله واصفًا قائدًا بالشجاعة والإقدام إذ هاجم فى يوم شتوىٍّ شديد الزمهرير والعواصف ، فلم تصدُّه أهواله عن الهجوم بل خاضها حتى بلغ مبتغاه من النصر . وقدصور الشاعر ذلك الشتاء بجملٍ هائج صعب المراس على من يودّ ركوبه ، لكن الممدوح ضربه ضربة غادرته ذليلا طوع القياد . فقال فيه من قصيدة معروفه :

فضربتَ الشتاءَ فى أخدعَيْه
ضربة غادرتْه قَوداً ركوبا

ومما قد يُؤْخذ على أبى تمام من غرائب المجاز وصفه لبعض أهل المكارم بأنهم لا يبالون بما يصيبهم من أذى فى صحة أجسادهم ، إذا سلمت أحسابهم من ذلك ، فقال :

لا يأْسفون إذاهُمُ سَمنتْ لهم
أحسابهم أن تهزل الأعمارُ

فاستعمل السمانة للأحساب والهزال للأعمار وهما لا يستعملان عادةً إلا فى وصف الأجسام ؛ فمقاييس البلاغة الوصفية التصويرية فى نظر الأصوليين من الشعراء تكون فى أن الصورة المجازية غير بعيدة عن المألوف فى العقل . وليس تكالف الغريب عن الفهم بجائز مستساغ إلا إذا كان فى استعماله ما يزيد الكلام قوة ، والصورة المعنوية رونقاً وجمالاً . وإلاّ فهو مستهجن عند البلغاء .

ولما ظهرت الحركة الرومانسية فى أدبنا الحديث تدعو إلى حرية التعبير الشخصى ، والإقلاع عن التقاليد الكلاسكية وقيودها اللفظية والمعنوية ، لم تجانب مقاييس البلاغة فى استعمال التصوير المجازى بل وطّدتها وتوسّعت فى طريقتها القائمة على السهولة والوضوح ؛ فاستساغها الذوق العام . وهكذا أصبحت الرومانسية هى الطريقة الوحيدة المثلى لنظم الشعر . على أن كثيرين من أتباعها

لم يُحسنوا الجرى عليها؛ فأسرفوا فى استعمالهم السهل الواضح من التعابير حتى كاد النظم يفقد زخمة الشعر؛ فاتّهمت الرومانسية بالميوعة والابتذال والتدنّى، لولا أن نشأت فى هذا القرن طبقة من أرباب المواهب الشعرية العالمية الذين تداركوها، فإذا هى على أيديهم ذات قوة لفظية ورونق معنوى. والواقع أنها بفعلهم أصبحت رومانسية جديدة تمتاز بمتانة فى الديباجة على عذوبتها. وبعد فى المرامى على إشراقها، وعمق فى المعانى على سهولة الوصول إليها.

## البعد المعنوى فى الشعر :

الواقع أنه من المتعذر أن ننصل فى الشعر بين حسن التصوير وبُعد المعنى فهما العنصران الأساسيان للإبداع الفنى فيه. والشاعر الشاعر هو الذى وهب المقدرة على الجمع بينهما فى نظمه، فكان لكلامه روعته الخلابة. وإذا كان شاعر قديم كأبى تمام مثلاً يصف فى شخصه الرجل الطموح الذى لايرى من سبيل غير المغامرة واقتحام الشدائد لنيل الرغائب، فيخاطب من كانت تحاول صدّه عن سفر شاقٍّ ينويه فى هذا السبيل فيقول لها :

ذرينى على أخلاقى الصُّمّ للتى
هى الوَفر أو سِربٌ ترنّ نوادبه
فإن الحسام الهندوانىَّ إنما
خشونته مالم تفلّل مضاربه

فلا عجب أن يهزّ نفوسنا اليوم كما هزّها مدى الأجيال السابقة، بتصويره الغريب لحسام يختلف عن سائر السيوف فى أن مضاء حده يقوم على تثلم هذا الحدّ من كثرة استعماله فى الضرب والنزال لا على سلامته وهو مغمد دون استعمال. إن طالب الرغائب من الرجال هو الذى ينالها بخوض الشدائد إليها، واحتمال الأذى فى سبيلها، لا يتوخى السلامة وهو لابث فى منزله، قاعد عن مجابهة الأهوال.

ومن هذا الطراز العالى تصوير أبى العلاء المعرى مرارة نفسه لرؤيته فى

الناس غرور المقصرين وتبجحهم فى التطاول على المتفوقين فيقول :

إذا عيَّر الطائىَّ بالبخل مادر
وعيَّر قسّاً بالفهاهة باقل[1]
وقال السُّهَى للشمس :أنت ضئيلة
وقال الدجى :يابدر لونك حائل[2]
وطاولت الارضُ السماءَ سفاهةً
وفاخرت الشهبُ الحصا والجنادل
فياموت زُرْ ، إن الحياة ذميمة
ويانفس جِدّى إن دهركِ هازل

فالشاعر إذ يتأمل أهل زمانه ، وما يتملّك الكثيرين بينهم من غرور يدفعهم إلى التطاول على ذوى المآثر والفضل ،يحس فى نفسه بمرارةٍ تزهّده فى الحياة ، فيعبّر عنها بهذه الأبيات تعبيرا صادقا لايسعنا معه إلا أن نشاطره إياها ، ونحن مع ذلك نشعر فى تعبيره الفنى بحلاوة تلك المرارة .

وللبعد المعنوى فى الشعر وجهان : وجه ذاتى خاص، ووجه موضوعى عام . ويُراد بالأول ماينعكس عن نفس الشاعر أومايمر بخاطره من ومضات ذهنية ترينا مالا نراه عادة من معانى الحياة وحقائقها ، أو من روائع الصور الجمالية فيها

خذ المتنبى مثلا وهو من هو بين الشعراء فى تاريخيا الأدبى ،وتأمل ما وعرف به من نظرات بعيدة فى الحياة ، تجد أنه لم يصطنعها اصطناعا لذاتها ؛ بل جاءته عرضا فى سياق بعض قصائده المخصصةَ للمدح أو الرثاء أو غيرها من الأغراض الخاصة ، كقوله فى قصيدة يمدح الأمير سيف الدولة مهنئاً إياه بالعيد وظفره على ملك الروم :

إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمرَّدا
ووضعُ الندى فى موضع السيف بالعلى
مضرٌّ كوضع السيف فى موضع الندى

أو قوله فى سياق قصيدة يصف فيها شجاعة بدر بن عمار يوم هجم عليه أسد هصور فصرع الأسد :

أنفُ الكريم من الدنية تارك
فى عيشة العدد الكثير قليلا

(١) الطائى وهو حاتم طيىء المشهور بكرمه فى التاريخ . مادر هو رجل عرف بالبخل . قس خطيب جاهلى اشتهر بفصاحة الكلام وحسن البيان وباقل رجل عرف بالحمق والفتى فى الكلام .

(٢) السهى نجم ذو نور ضئيل .

والعار مضّاض وليس بخائف

من حتفه من خاف ممّا قبلا

قال ذلك مشيراً إ ذلك الأسد، إذ أعطاه صورة البطل الأبىِّ الذى يخشى عار الهزيمة أكثر من خشية الموت فزاد تمجيد ممدوحه وتعظيمه لصموده العجيب، وفتكه بهذا الأسد الرهيب.

مثل هذه المعانى البعيدة التى تومض للشاعر فى سياق وغرضٍ مّا لاتتأتّى إلا لذوى النظر الثاقب وفى مناسبات خاصة.. وليست هى من قبيل السلاسل الحِكْمية، والأمثال التى تتتابع تتابع الحلقات فى السلاسل، أوحبّات الخرز أو الدُّرّ فى العقود، فهذه تُصنع صنعا وترتّب ترتيباً فى سموط خاصة؛ ليستفيد منها مطالعها حكمة أو معرفة وخبرة كأُرجوزة أبى العتاهية المعروفة بذات الأمثال، أو لاميّة ابن الوردى الموجهة إلى الجيل الناشىء فى زمانه ومطلعها:

« اعتزل ذكر الأغانى والغزل »

أو ماشاكلهما من شعر حِكْمى وتثقيفى ممتاز. أما تلك الومضات الذهنية التى أشرنا إليها آنفا، والتى تتجسم للشاعر بالفِكَر البعيدة خلال نظمه، فهى شىءٌ آخر.

وليس من المحتَّم أن تكون هذه الومضات تجسيما لنظرات فلسفية، أو لحقائق، خلقية أو لقيم مثالية. فقد تأتى أحيانا إبداعاً تصويرياً لبعض المشاهد أو الحالات الحياتية العادية؛ كقول أحمد شوقى مثلاً فى أبيات من قصيدته « زحلة » أو « جارة الوادى »، كما يلقبها حيث يرسم لنا مشهداً خيالياً لمتحابين طال الفراق بينهما، ثم حظيا بلقاء سعيد: فيضع الشاعر على لسان المحب الولهان وهو يحدث الخبيبة، واصفا لها شدة ولهه، فيقول:

وتعطَّلت لغة الكلام فخاطبت

عينىَّ فى لغة الهوى عيناكِ

ومحَوتُ كلَّ لُبانةٍ من خاطرى

ونسيتُ كلَّ تعاتبٍ وتَشَاكى

لا الأمس من عمرِ الزمان ولاغدٌ

جُمِع الزمان فكان يوم رضاكِ

هذا الجمع للزمان فى يوم واحد وهو يوم رضاها يُعد إبداعا فى التصوير أو بعداً فى الخيال. وإن يكن الغزل هنا غير واقعى، فالقصيدة نظمت فى وصف مدينةفى لبنان لا فى حسناء من الغوانى

الحسان . على أن للشاعر طريقته الخاصة ، وإنما نحن نُعنى بالبعد فى تصويره الفنى .

ومن هذا الطراز الفنى العالى مايلى للأخطل الصغير شاعر لبنان من قصيدة ألقاها فى الحفلة التأبينية التى أقيمت فى بغداد لفيصل الأول ملك العراق وكان فيصل خلال الحرب الأولى القائد الأكبر للثورة العربية . قال يصف فيها حزن وطنه الشامل وولاءه للعروبة :

قد حملنا الشآم من طَرفيه
فوق بحر من الأسى متلاطمْ

وسفحنا فى دجلة قلب لبنان
وأجفانُه الهوامى الهوائم

عربيٌّ النِّجار شدَّ عراه
باللوائين: عبد شمسٍ وهاشم

فإذا أنعمت النظر فى هذه الصورة التى يرسمها الشاعر لحال وطنه وما كان يسوده من حزن عميم ، وكيف حمل الشاعر والوفد المرافق له هذا الوطن « من طرفيه » ؛ أى على اختلاف طوائفه وأقاليمه ، وكيف سفحوا فى دجلة لب لبنان مع دموع سكانه ، ثم التفتٌ إلى تعريضه بمن يشك أو يجهل ولاء لبنان للعروبة التى يحمل لواءها الفقيد العظيم ، سليل أمجاد قريش من « عبد شمس وهاشم » — إذا تأملت كل ذلك رأيت خلال هذه العبارات صورة عمّا فيها من أسى ، مشرقةً بنور بيِّن من المعانى الجليلة . مثل هذه الأبعاد المعنوية الفردية يطالعك فى مالا يحصى فى الشعر العربى قديمه وحديثه . وقد تألقت فى رومانسية قرننا الحاضر على أيدى نخبة من نوابغ الشعر ، بين الحربين العالمتين ولا تزال تتألق على أيديهم حتى الآن .

ومن الإنصاف أن نقرر هنا أن الشعر الحر الجديد لم يقصِّر فى هذا المضمار ، على أن بينه وبين الشعر الأصيل اختلافا فى طريقة العرض للأبعاد المعنوية ، ورسم الصور الملائمة لها .. فلنقف هنيهة لنلقى نظرة على بعض أوجه هذا الاختلاف بينهما .

## البعد المعنوى بين الشعر الأصيل والشعر الحر الجديد :

مرّ بنا سابقاً أن للبعد المعنوى فى الشعر وجهين : أحدهما ذاتى خاص ،

والثانى موضوعى عام ، وأن الأول يتكوّن من ومضات ذهنية تعرض للشاعر خلال قطعة شعرية ينظمها الغرض من الأغراض . هكذا كان فى عهود الكلاسيكية القديمة . وعلى هذا المنوال جرى فى الكلاسيكية الحديثة ، ثم ماخلفها من نزعات شعرية أُخرى وبخاصة النزعة الرومانسية التى أصبحت – ولاتزال – طريقة النظم الغالبة فى عصرنا الحاضر .

والذى يلاحظ أن هذه الومضات الذهنية راجعة فى الأكثر إلى إبداعات مجازية فى تصوير مايتجلى للشاعر من معانى الحياة أو حقائقها . وهى عند التحقيق داخلة فى ما يسميّه البيانيون « البديع المعنوى » : من تشبيه وتمثيل واستعارة ومجاز مرسل وسواها .

وإذا قابلنا الشعر الرومانسىّ الأصيل بالشعر الحر الجديد من حيث تصويرهما المجازىّ للمعانى وجدنا أن الأخير ، أى الحر ، يُعْنَى باستعمال ( التجسيم للمعانى ) عناية خاصة بل هو يسرف فيه إسرافاً ظاهرا ؛ ويقصد ( بالتجسيم ) إعطاء المعنويات والجمادات خصائص العقلاء أو الأحياء ، وقد كان القدماء يستهجنون بل يعيبون الإسراف فيه كما قدمنا فى غير هذا المكان ، على أن أرباب الشعر الحرّ عموما يُقبلون عليه إقبالًا شديدا ، ويأْتون منه بما يستغربه الكثيرون من أهل الذوق الأدبى الأصيل ، وإن يكن منه كما فى سواه الحسن المستجاد . وهاك بعض نماذج منه

من ديوان الحاوى . ص ٢٧ « أتجترُّ العمر مشلولاً مدمًّى » .

ص ١١١ « تولد الفكرة فى السوق بغيًّا » .

ص ١٩٥ « والثوانى مَرِضت . ماتت على قلبى » .

ص ٢٢٣ « نعجنُ الوهمَ ونطْلى الجمجمة »

ص ٢٣٩ « تَرَف اللؤم نُحلىِّ طعمه بالنِّفاق » .

ومن ديوان الماغوط ص ٦٣ « البواخر التى أُحبُّها تبصق دماً وحضارات » .

ومن ديوان البيّاتى ص ٣٠ « ضوء النهار يمتصّ أعوامى ويبصقها » ( أباريق مهشمة ) .

ومن ديوان البيّاتي ص ٢٨ « والسرُّ على شفاهها انتجر » .

من ديوان الفيتوري في قصيدته : « أحزان المدينة السوداء » يصف حالة بلاده إفريقيا وشقاء أهلها ، يقول :

« وتجري كآباتها في عروق الحياة
وتصبغ لون الحياة
وتصبغ وجه الإلٰه
وتضحك أحزانها في الشفاه »

من ديوان حجازي ٢٢٥ « رسالة إلى مدينة مجهولة » :

« حملتُ كأس عُمري الصغير فارغاً
لمن يصبّ فيه قطرتَي سرور »

ومن شعر أدونيس في قصيدة ( المشردون ) :

« يأْكل الفراغُ نداءنا
أيامُنا جُمعت على أشلائنا »

أما الوجه الثاني من البعد المعنوي فيتجاوز مايمرّ في خاطر الشاعر عرضاً من ومضات ذهنية نيِّرة تظهر له في سياق بعض قصائده . فإن هذا الوجه في الواقع هو المحور الذي يدور عليه نظمه ، والغرض الذي يرمي إليه وهو ينبعث في نفسه عن تأثره بأوضاع إنسانية عامة ، منها ما هو واقعي مُشاهد ، كحالة وطنه مثلاً ومايقاسيه من سوء الأحكام وعناء الحياة ، ومنها ماهو مثالي كتقديسه لقيم الحياة العليا والتغني بها والدعوة لها ، كالحق والعدالة والحرية والمساواة والسلام وإيثار المصلحة العامة على الخاصة ، وما إلى ذلك من قيم مثالية هي في اختيار البشرية الأُسس الثابتة لتقدم الإنسان وصلاح حاله على الأَرض .

ولقد يمرّ الشاعر في حالات وجدانية تدفعه إلى التأمل الفلسفي في الوجود والحياة والمصير ، فيقف حائراً ، وفي وقفته هذه لا يرى لديه ما يخفف ثقل حياته أو يهديه في حيرته غير الارتفاع على أجنحة الخيال إلى عالم من الرؤى يطيب له فيها المقام .

والذي يلاحظ أن الشعر العربي قديما لم يحفل على العموم بمفارقة ما يتعلق بحياة بيئته المعيشية العادية . فهو قلما يعكس لنا غير تلك الوَمَضات الحِكْمية التي ذكرنا آنفا أنها تتألق في بعض ما كان ينظم في أغراض شتى ، حتى المعري وهو كبير حكماء الشعر العربي الإنساني لا نرى في لزومياته غير حملات مكررة ، يشنها على ذوي الفساد من حكام وشيوخ

دين . وإلا فأين تلك الأبعاد المعنوية التى تبتكر المواضع المتخصصة للنظر فى الحياة وقضاياها والإنسان ومشاكله ، أو فى العوامل الفعّالة إما لرفع الحضارة البشرية ودفعها إلى الأمام لأجل الخير العام ، وإما للوقوف فى سبيلها وتعميم الخراب فيها بيد الشر الهدّام ؟

تلك أبعاد نرى الشعر الحديث اليوم أكثر احتفالا بها ، ولاسيما بعدماعظم فيه شأن الحركة الرومانسية واتسع مداها ، وكذلك ماتبعها من شعر حر يجرى فى نظمه على غير طريقتها . وإليك للمقابلة بعض نماذج من كليهما .

خذ من الشعر الرومانسى مثلاً وقفة لخليل مطران أمام الأهرام بمصر ، وقفها لمجرد وصف تلك الصروح الجبّارة والتغنّى بأمجاد بُناتها من طغاة الفراعنة بل للتأمل فيما هو أبعد من ذلك ، فهى تتراءى له عِبرة من عِبَر التاريخ ، بل عظة اجتماعية يلقيها الزمان على الطغاة المستبدين من الحكام الذين يسخرون الأفراد لمآربهم الذاتية : لايهمهم ما يقاسيه الناس من عناء وشقاء ولاما ، يذوقونه من عذاب وحرمان أوموت ، ليشيدوا لهم صروحَ أمجادٍ يتوهمون فيها خلوداً لحياتهم وبقاء لعظمتهم وجبروتهم ، فتأمل كل ذلك فقال من قصيدة مخاطبا الذين شادوا الأهرام بتسخير المستضعفين ، لتكون مدافن لهم يخلدون فيها ، وهاهم الآن جثث بالية مدفونة مع طغيانهم واستبدادهم :

يا أيها الموتى ألمْ يسمعكمُ
صوت المنادى صادقا مردِّدا
قوموا انظروا الشعوب فيما حولكم
تدوس هاماتِ الملوك همَّدا
قوموا انظروا أجسادكم معروضة
فى مشهد لمن يروم المشهدا
وكان يغنيكمْ جميل الذكر لو
خفضتم اللحدَ وشدتم للهدى

ولهذا الشاعر أكثر من وقفة كهذى يصف فيها استبداد المستبدين وكيف ساءت عاقبتهم ، ونشير هنا بنوع خاص إلى قصيدته الكبرى ( نيرون ) والتى يصف فيها حياة هذا الطاغية الرومانى ويختمها بقوله :

كلُّ قومٍ خالقو نيرونهم
قيصرٌ قيل له أم قيل كسرى

ومن هذا القبيل وقفة لشاعر رومانسي آخر، وقفها على نهر لندن عقب الحرب العالمية الأولى وماكان من زهو الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانيا إذ خرجوا منها منتصرين على الألمان وشركائهم . وعلى هذا النهر حرّكت الشاعر ذكرى تلك الحرب الهائلة وعواقبها الوخيمة على كلا الغالب والمغلوب (وكانت بريطانيا يومئذ قدبلغت غاية عظمتها الإمبراطورية) فتأمل في الممالك العظمى التي سادت على الأمم منذ القِدَم، وما آل إليه أمرها بعد العزّ والطغيان فجعل وقفته وهو في عاصمة بريطانيا تذكيراً لذوي السلطان الآن، وتحذيراً لهم من أحكام الزمان وهي مؤلفة من عدة أدوار، وهذه بعض أدوارها :

عَلَمُ بريطانيا أيّ علمْ
رفعتْه في الورى أجنادها
شيّدوا أمجادَها بين الأمم
هل ترى تبقى لها أمجادها ؟
ذلك الأسطول خفّاق البنودْ
ذلك الجاه وهاتيك الجنودْ
أم لكلٍّ أجلٌ ثم يعودْ
ذلّةً عزّ بنيها والعلى
وعلى الأمجاد يستولي البلى

وبعد أن يستعرض في بضعة أدوار عدداً من الدول العظمى التي ازدهرت في التاريخ وسادت ثم تقهقرت فاندثرت أو تضاءلت وأصبحت صغيرة لا شأن لها .

يقول مخاطبا القوة المادّية حربيّةً أو مالية :

حَكَموا في الناس حيناً ومضى
حُكمهم تهزأ منه الحقَبُ
حسبوا أن لن يزولوا وقضى
دهرُهم في عكس ما قد حسبوا
أيها القوة سيري باحترامْ
وانظري في مدفن الدهر الرِّمام
بالياتٍ فسيأتيكِ الحِمام
وتصيرين كتلك الرِّممِ
بين أحداث البلى والعَدم
ها هنا السيف سيعلوه الترابْ
ها هنا المدفع يصدا في الظلامْ
ها هنا الرمحُ سيبلى والحرابْ
ويذلّ الفخرُ في جوف الرِّغامْ
ليس للقوة سلطان الوجودْ
ليس للسيف العلى أو للجنود
إنما الحقُّ سيعلو ويسود

أيها القوة هلّا تعقلين
ها هى الحكمة تدعو العالمين

وقد يستلهم الشاعر أبعاده المعنوية العامة من بيئته السياسية أو الاجتماعية ، كما ترى فى قصيدة للشاعر التونسى أبى القاسم الشابى موضوعها ( إرادة الحياة ) وفيها ينعكس لنا شعور الشبيبة التونسية التوّاقة إلى أن ترى بلادُها حرة مستقلة من الاستعمار الأجنبى . وهذه بعض أبياتها . ومنها نستدل على روحها العامة ( ديوانه ١٩٦٥ ) :

إذا الشعبُ يومًا أراد الحياةَ
فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى
ولابد للقيد أن ينكسر

وهى طويلة ، وقد ختمها بما يلى :

ورَنَّ نشيد الحياة المقدّس
فى هيكلٍ حالمٍ قد سَحَر
وأعلن فى الكون أن الطموح
حبيبُ الحياةِ وروحُ الظفر
إذا طَمِحتْ للحياة النفوس
فلابد أن يستجيب القدَر

وفى ديوانه تتضح روحه بالدعوة إلى الحرية والتنديد بالطغاة، كقوله من أبيات مخاطبا طغاة العالم :

ألا أيُّها الظالمُ المستبدّ
حبيبُ الفناء عدوُّ الحياة
سخرتَ بأنات شعبٍ ضعيفٍ
وكفُّك مخضوبةٌ من دماه
وعشتَ تدنِّس سِحر الوجود
وتبذر شوك الأسى فى رُباه

وقد ينعكس الفكر الشعرى البعيد عن أمنية إنسانية أو فكرة فلسفية يرغب فى الحصول عليها أو إدراك كنهها كما ترى فى تلك الوقفات الفكرية الحائرة التى يقفها بعض شعرائنا الرومانسيين ،كما فعل مثلا إيليا أبو ماضى فى عدد من قصائده المعروفة ، أكتفى منها للتمثيل الآن بتلك التى جعل موضوعها ( العنقاء ) . والعنقاء طائر خرافى وهو عند العرب أحد المستحيلات الثلاثة ويرمز بها إلى السعادة التى يقضى الإنسان حياته مفتشا عنها ساعيا للاهتداء إلى مكانها ، ولكنه لايهتدى إليه إلاوشمس حياته

قد أشرت على الغروب، يقول فى مطالعها :

أنا لست بالحسناء أوّلَ مولعٍ
هى مطمعُ الدنيا كما هى مطمعى

ثم يجرى فى حديثه عنها فيصف سعيه طوال حياته للحصول عليها؛ يسأل كل إنسان ويفتش كل مكان، حتى إذا بلغ آخر العمر وقف يصف لنا فى ختامها نتيجة طوافه، وقد استولى عليه القنوط فقال :

حتى إذا نشر القنوط ضبابه
فوقى فغيّبنى وغيّبَ موضعى
وتقطّعت أمراس آمالى بها
وهى التى من قبل لم تتقطّع
عصر الأسى روحى فسالتْ أدمعاً
فلمحتها ولمستها فى أدمعى
وعلمتُ حين العلم لا يُجدى الفتى
أن التى ضيّعتُها كانت معى

وإذا كان الشعر العروضى الحديث لا يعتمد عادة على الرموز والأساطير الغامضة فى ابتكار المواضع لأبعاده المعنوية كما يعتمد الشعر الحر الحديد فإنه لايخلو منها، كما نرى فى ديوان الشاعر الرومانسى الكبير إلياس أبوشبكة حيث يعرض لنا قصة شمشون الجبار الواردة فى سفر القضاة من التوراة وما كان من أمره مع الفلسطينيين أعداء قومه، وكان شمشون قاضيا ( أى زعيما أو رئيسا ) لقومه، وقد نذره أبواه لله منذ ولادته، فوهَبه ربُّه قوة جسدية فائقة على أن لا يعلو مقصٌّ شعرَه . وظل كذلك حتى انحرف عن سبيل الله وعكف على شهوته الجسدية، ثم فُتِن ببنت هوى من الفلسطينيين اسمها دليلة التى أغوته بطلب من قومها لتعرف سرّ قوته الجبارة فأنامته وقصّت شعره لما أيقنت من فقدانه القوة التى كان يتغلب بها على أعدائه، وسلمته إلى قومها فقبضوا عليه وقلعوا عينيه وقيدوه بالسلاسل وزجّوه فى السجن .

وفى ذات يوم استاقوه إلى بيت صنم لهم ؛ ليتفرج عليه الشعب ويضحكوا من حركاته . وهناك هاجت فيه روح النقمة على نفسه وعلى آسريه، فتحايل حتى قبض بكلتا يديه على العمودين القائم عليهما سقف البيت وضغطهما ضغطة زعزعته، فسقط على جميع من

كان فيه . وهكذا قضى شمشون وأصبح أسطورة فى التاريخ وعبرة للاعتبار . هذه الاسطورة المأساة اتخذها أبو شبكة موضوعاً لمعنى شعرى بعيد ، وختمها بالأبيات التالية التى وضعها على لسان ذلك الجبّار إذ قال :

فاسقطى يادعائم الكذبِ الجاني
وكونى أُسطورة للدهور
مَحَق الله فىّ شر ظلامى
فلتضئ فى الحياة حِكمة نورى
إذ تكن جزّت الخيانة شَعرِى
فى ضلالى فقوتى فى شعورى

ولنتحول الآن إلى الشعر الحر :

أما وقد عرضنا بعض نماذج تمثل البعد المعنوى فى شعرنا الأصيل ، الجارى على الطريقة الرومانسية الحديثة ، فلنتحوّل مقابل ذلك إلى عرض نماذج من الشعر الحرّ الرافض لهذه الطريقة ، وقد رأينا للاختصار أن نختارهنا لثلاثة فقط ممّن يمثل شعرهم هذه الحركة الانقلابية .

ولعله من المفيد أن نقف هنا لنلتفت ولو لحظة إلى ما سبقت الإشارة إليه من خصائص يعرف بها كل من هذين الشعرين ( الأصيل والحر ) اللذين يتجاريان اليوم فى حلبة الشعر المعاصر كأنهما فرسا رهان .

فالأول من حيث الشكل : أُصولى محافظ على نظام الأبحر الشعرية المعروفة مع اعتماده على الحرية التامة فى استعمال هذه الأبحر على طرق شتى ؛ من عمودية أو توشيحية أو مُجَزَّأة إلى مقاطع وتراكيب وأشكال جديدة لم تعرف من قبل ، وما يتبع هذه التراكيب والأشكال من تفنن فى استعمال القوافى المتماثلة أو المتنوعة ، وكذلك اعتماده على أُصول البلاغة اللفظية من إشراق بالألفاظ وسلاسة فى العبارة ، ومتانة فى الديباجة .

ومن حيث المضمون تحرره من النزعة الكلاسيكية القديمة التى كان الشعر فيها مُخَصّصًا لخدمة أفراد من العظماء والحكام أو يكرّس لأهواء شخصية ومآرب ذاتية من مدح وذم وفخر وغزل واستجداء وحماس وحكمة ، وما إليه من أغراض الشعر التقليدية القديمة ، وانطلاق فى أجواء الحياة العامة وما ينشأ فيها من قضايا اجتماعية وحاجات اقتصادية ومشاكل

سياسية ومطالب إنسانية، وبكلمة واحدة كل ما يتطلبه تطور المجتمع البشرى وتقدم الإنسان ماديا وروحيا .

أما الشعر الحر الجديد فأهم خصائصه ما يلى :

١ – أنه رافض لنظام الأبحر العروضية وما يتعلق بها من قيود وأحكام .

٢ – أن شكله الخارجى عبارة عن مقاطع قائمة؛ إما على أساس التفعيلة الواحدة وعلى قواف ليست ضرورة على نسق واحد فى العدد والترتيب، وإما على طريقة الإرسال النثرى المطلق من كل قيد من قيود الشعر، كما أوضحنا ذلك فيما سبق .

٣ – أنه يعتمد على الأسلوب الرمزى فى ألفاظه ودلالاته سواء فى ذلك القريب منه (أى الواضح الدلالة للأفهام) أو البعيد المتحجب وراء حجب كثيفة من الغموض .

٤ – أنه كثيراً مايرتكز على الأساطير ويشير إليها فى سياق عرضه لموضوع من المواضيع، أو تجربة من التجارب .

وهناك خصائص أخرى ستبرز لنا فيما اخترناه من نماذجه التالية .

## مختارات من الأبعاد العامة فى الشعر الحر :

من باب الوجدانيات . أى التجارب النفسية الخاصة :

قطعة من ديوان خليل حاوى فى قصيدة (حبّ وجلجلة) وكان يومئذ طالب علم فى جامعة بريطانية، يعانى وحشة البعد عن وطنه لبنان وقد ألمّ به مرض أقضّ مضجعه، حتى كان يشعر بلياليه وهو ساهد كأنها جلاميد ثقال تضغط على صدره . وفى تلك الحال تراءت لنفسه صورة وطنه وأهله وأحبائه، وكأنهم ينادونه أن يعود إليهم، فيتجلد رغم شقاء حاله ويصيح :

« آه ربى . .

صوتُهم يصرخ فى قبرى : تعال

كيف لا أنفض عن صدرى الجلاميد

الثقال – الجلاميد الثقال .!؟

كيف لا أصرع أوجاعى وموتى

كيف لا أصرع فى ذل وصمت ؟!

رُدّنى ربى إلى أرضى

أعدنى للحياة »

ولكنه برغم ما كان يشعر به من شقاءٍ وألم فى غربته يتابع سيره رغم محنته رجاء العودة إليهم ظافراً :

« وليكن ما كان ما عانيت منها

محنة الصلب وأعياد الطغاة

غير أنى سوف ألقى كل من أحببتُ

من لولاهم ما كان لى حياة

بعثٌ . وحنين . . وتمنٍّ »

وفى رجائه يتحدى محنته وما يقاسيه فى منفاه من مرض واغتراب ، فيخاطبهم مفاخراً بهم وبوطنه :

« أنتم أنتنَّ يا نسل إلٰه

دمه يُنبت نيسان التلال

أنتم أنتنَّ فى عمرى

مصابيحٌ . مروج . وكفاه

وأنا فى حبكم . فى حُبكنَّ

وفِدى الزنبق فى تلك الجباه

أتحدَّى محنة الصلب

أُعانى الموتَ فى حُبِّ الحياة »

إنه الشباب الطامح إلى العلى الذى يتحدى فى سبيله العذاب والشقاء ، فلا يخضع لضعف فيه أو لميل يغريه ، أن يحول دون بلوغه أمانيه ، الطموح للعلى ، هدفها هو المعنى البعيد؛ فى قطعة صوَّر لنا فيها الشاعر حاله وهو بعيد فى دار غربته.

وهذه قطعة أُخرى من ديوان الحاوى موضوعها ( المحبوس فى أوربا ) استوحاها من قصة وردت فى الإنجيل عن مجوس جاءُوا المشرق يوم ولد المسيح مهتدين بنجم إلى المغارة التى ولد فيها حيث خروا للطفل ساجدين . وهى فى الواقع مقابلة شعرية بين أُولئك المجوس القدماء وما اختبروه فى جو تلك المغارة وبين مجوس من أهل هذا العصر أقبلوا من المشرق أيضا إلى حيث ولدت حضارة العلم الحديث فى الغرب ، وما اختبروه فى جو هذه الحضارة . فى ليلة الميلاد الأُولى سجد المجوس خاشعين أمام طفل إلهى تمثَّلت لهم فيه السماءُ على الأَرض : السلام والمحبة والسموّ الإنسانى . أما المجوس العصريون فماذا وجدوا وإلى أين قادهم نجمهم وما وجدوا فى ليلة الميلاد أحيوها فى الغرب ؟ يحدّثنا الشاعر وهو أحدهم بطريقته الرمزية فيقول :

« ساقنا النجم المغامر

عَبْرَ باريس بلَوْنا صومعات الفكر

عفنا الفكر فى عيد المباخر
وبروما غطّتْ النجم محتَهْ
شهوة الكهّان فى جمر المباخر
ثم ضيّعْناه فى لندن . ضعنا
فى ضباب الفحم فى لغز التجارة
(فإذا هم فى ليلة ميلادية لا نجم فيها لا طفل سماوىّ مولودٌ بُشْرَى للبشرية) .
ليلة الميلاد . نصفَ الليل . ضيق
شارع يفرغ . ضحكات حزينة
وانحدرنا فى الدهاليز اللعينة
لمغارات المدينة
أعينٌ ترتدُّ من باب لباب
أعينٌ نسألها أين المغارة »

فإذا أمامنا باب مضاءٌ بضوء أحمر وعليه حفرت هذه العبارة :أنتم هنا وهذى هي الجنة ، فادخلوها آمنين .
جنة الأرض هنا لا حيّةٌ تُغوى
ولاديان يرمى بالحجارة
ههنا الورد بلا شوك
وهنا العُرىُ طهارة
اخلعوا هذى الوجوه المستعارة

(ودخلناها مثل من يدخل فى ليل المقابر فسحرنا مرأى أجسام تتلوى ، وأدوار تتراقص وألحان تأخذ بمجامع القلوب ، وركعنا فى جنة الأرض خُشّعا لسحر العالم البادى ) .
وعبدناه إلٰهاً يتجلى فى المغارة
يا إله المتعبين !
يا إله الضائعين !
يتخفّى فى المغارة
فى كهوف العالم السفلى
فى أرض الحضارة

فى هذه الحضارة الرمزية المثيرة نرى الفرق بين ميلاد الطفل الإلٰهى كما رآه المجوس القدماء ، وميلاد الترف المادى فى كهوف الحضارة الحديثة . وهكذا ينتقل بنا الشاعر بالرموز من تصوير الواقع إلى ما وراءه من أبعاد معنوية .

ولخليل حاوى من مثل هذه الروائع الرمزية ذات الأهداف البعيدة لمرامى الفكر ما تتلألأ المعانى البعيدة وراء غموضه ولكنك تحتاج إلى صبر ومعاناة لتراها

ولتشعر بلذة الكشف عن أسرارها . على أننا إذا التفتنا إلى الشعر الحرّ في أجوائه الواقعية من سياسية أو اجتماعية أو وطنية وجدناه على العموم أوضح رموزاً وأقل توغّلا في ظلمات الغموض المعنوى . ومن أمثلة ذلك ما يلى :

قصيدة (الجندى المجهول) لصلاح أحمد إبراهيم فى ديوانه غابة الأبنوس ص ٦٣ ، حيث نراه واقفا موقف المتهكم من وعود الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية . فقد كان الحلفاء يغرون شباب السودان بالتطوع للمجهود الحربى ضد الألمان واعدين هؤلاء الشباب بنعمة الحرّية والاستقلال لوطنهم متى تم النصر لهم . وقد تم النصر للحلفاء ، ولكن الشباب السودانى لم يحظ من ذلك إلا بإقامة نصب رخامى للجندى المجهول ، مما حفز الشاعر أن يقول فى قصيدة تهكمية :

«وقضى الحلفاء على القوات النازية

وعلى الوعد فى الشدة مدوه فى كل مكان

لم يبق لنا منه سوى الكلام المعسول

ورخام منتصب مصقول» .

وما أشبه هذا القول بقول الأخطل الصغير فى مرثاته الفيصل الأول منوّهاً بوعود الحلفاء للعرب، ثم حنثهم بتلك الوعود إذ يقول بطريقته الرومانسية فى وعودهم الفارغة :

أملٌ كالسماء فى بسمة الفجر

وفى موكب الرياض الفواغم

فرّمْنْ مدّت الأكفّ إليه

كفرار النعيم من كف حالم

حدثونا عن الحقوق فلما

كبر النصر أحوجتنا التراجم

نفحتنا بها الحروب سلاما

ورمانا بها السلام أداهم[1]

وفى هذه الأجواء الواقعية فيه نجد للشعر الحر نشائد تكرست للمجاهدين فى سبيل الحرية أو المثل الإنسانية محتملين عذاب الاضطهاد أو مضحين فى هذا السبيل بالأرواح والأجساد ، كقصيدة لبدر شاكر السياب فى بطولة جميلة بوجيرد إذ يقول منها :

«يا نفخةً من عالم الآلهة

هبّت على أقدامنا التائهة

(١) الأداهم : القيود .

لاتمسحيها من شواظ الدماء

انّا سنمضى فى طريق الفناء

حتى تُروّى من سيول الدماء

أعراق كل الناس – كل البحور

حتى تمس الله – حتى تثور » .

ومن هذا القبيل قصيدة لعبد المعطى حجازى ، موضوعها «بغداد والموت ص ١٨٠ » حيث نلمس شعوره العميق بالأسى لحال هذه المدينة العربية عقب مصرع وطنٍ حرٍّ فيها بيد الطغيان ، إنه يبكى لحال تلك المدينة ، فيقول ناقما سكوتها عما حدث :

« بغدادُ دربٌ صامت وتبة على ضريح

ذُبابة فى الصيف لا يهزها تيار ريح

نهرٌ مضت عليه أعوام طوال لم يفض

وأغنيات محزنة »

ويستمر على هذا المنوال واصفا شقاءها حتى يتحول الأسى فى نفسه إلى نفحة ، إذ يتخيل ذلك الوطن الشهيد حيّاً يخاطب من قبره مواطنيه صائحا : « متى الثأْر » ؟ ، وقد وضع على لسانه هذه العبارات :

« من قاع حفرتى سمعت قصتى تطوى البلاد

كالطائر الليلى يبكى ويبذر السهاد

بغداد إطفالك القتيل ساهر تحت الرماد »

منتظران تكتبى بالفأْس تاريخ المعاد » .

وهنا تومض للشاعر فكرة عن الحياة والموت فيعكسها لنا فى معنى بعيد إذ يقول :

« الموت ليس أن تُوارى فى الثرى

ولا الحياة أن تسير فوقه

« الزرع يبدأُ الحياة فى الثرى »

ويبدأ الموت إذا ماشقَّه

فامنح هواك للذى يحيا

واعط للتراب ماستباحوا خنقه

فلن تموت يا مسيح إنّما

على الصليب ينتهى من دقَّه » .

وفى رمزه إلى الصليب والمسيح قد استوحى معناه البعيد ، وهو أن الحق لن يموت وإنما يموت الذين يدقون مساميره فى أيدى الشهداء من أهل الحق .

ومن واقع السجن يستوحى مثل هذه الأَبعاد المعنوية إذ يقول فى قصيدته السجن ( ٢٥٦ )

« لى ليلة فيه

وكل جيلنا الشهيد

عاش لياليه

فالسجن بابٌ ليس عنه محيد» .

السجن عنده باب لا عار من أن يدخله المجاهدون الأحرار . ولكن هناك سجوناً ليست ذات أسوار وأبواب مثقلة بالحديد هي سجون معنوية أشد وأقسى ، يقول :

« والسجن ليس دائما سورا وبابا من حديد

فقد يكون واسعا بلا حدود

كالليل كالتيه ، نظل نعدو فى فيافيه

حتى يصيبنا الهمود » .

هو جفن نطويه على الضيم فى صمت وتخفيه ، أو ساق لا تقوى على غير القعود فى عالم لايعطينا ما ترومه قلوبنا الطامحة ، وهو أرض لا أهل لنا فيها ولا صديق .

## كلمة ختامية

الآن بعد هذه الجولة القصيرة فى أرجاء الشعر الحر الجديد ، وما يدعو إليه من انقلاب فى نظام شعرنا العربى ، نرى لزاما علينا أن نقف متسائلين : هل من مبرر لهذا الانقلاب ؟ وهل حقاً أن النظام الشعرى الأصيل أضيق من أن يحسن التعبير عن أبعاد الحياة الحديثة ، بمتطلباتها المادية المعنوية ؟ سؤال يتحدانا جميعاً لعل فى كلمتنا الختامية هذه بعض الجواب عنه .

إذا تخلينا عن عصبيتنا للشعر العربى الأصيل ، وما طالما اهتزّت له نفوسنا كما اهتزت له نفوس الأجيال قبلنا من روائع فكرية ، وعواطف ذات أوزان شجية ، فإنه لايسع الباحث منا إلا أن يهتم بما يحدث فيه اليوم من انقلاب جذرى ، فى طريقة إخراجه وفى الأسباب التى دعت إليه وآلت إلى انتشاره ؛ فإن شعرا مثله غريبا عن المقاييس العربية فى ألفاظه وأوزانه بعيدا عن الأفهام العادية برموزه وألغازه ، يجتذب فى النصف الثانى من قرننا الحالى جمهرة من نشئنا الأدبى ، يقبلون عليه ويرون فيه مايطربهم ، بل يروى ظمأً نفوسهم لحرىٌّ بأن ينظر إليه بعين الاعتبار وأن يُعطى حقه من الدرس والاهتمام . ولستُ أنا من دعاة هذا الشعر أو الضاربين بسهم فيه ، وقد نشأتُ فى جو غير جوه ، وشاركتُ أول اطلاعى عليه المتنكرين له ، لكن ذلك لم يَحُلْ

دون رغبتى فى مواصلة الاطلاع لأتفهمه ولا تعرف الدوافع التى حملت أربابه على التحول عن الأصالة الشعرية التى عرفناها فى الأدب القديم ، كما عرفناها فى الأدب الحديث الذى وطدها فى القرن العشرين ، فى رومانسية جديدة متحررة من قيود الكلاسيكية التقليدية متفتحة على عالم الواقع والحياة الإنسانية العامة ،وذلك بعد أن مرّت فى طور من الانطوائية الذاتية تعيش لنفسها فى عالم الخيال منشدة عواطف الحب ،والجمال فى نفثات من الأسى ، لما حرمها الزمان من رغائب وآمال ، هذه الرومانسية الجديدة التى تجمع بين المُثل العليا وواقع الحياة هى التى تبنّاها أعلام القرن العشرين ، فأخرجوها من منعزلاتها الذاتية ، وأنزلوها من أبراجها العاجية وجعلوها تطوف المدن والأقطار : وتعنى بحياة الأفراد والجماعات ، وتدافع عن حقوق الإنسان وتحمل على الظلم والعدوان ناشرة لواء الحرية والنور ، فى مجتمع يسعى إلى حياة أسعد ومستقبل أزهى وأفضل .

ولعل الشعر الحرّ الجديد هو أيضا يسعى إلى هذه الغاية كما يظهرلنا من مطالعته . بقى أن نتساءل : أى الطريقين هى الأصلح للوصول إلى هذه الغاية ؟ وأيهما ستعيش وتبقى مع الزمان ؟ إن الجواب عن هذا السؤال شخصى ، أتركه لمن يهتم به من أصحاب المواهب الشعرية ، وإنما الحكم الأخير فى كل حال للزمان .

**أنيس المقدسي**
عضو المجمع من لبنان



(٦)

# الشعر الحر

# ومكانه من الشعر العربي

## للدكتور عبد الرزاق محيي الدين

ساد فى الآونة الأخيرة بين المتأدبين وبخاصة الناشئة منهم نظم الشعر على أسلوب جديد يختلف عن الأسلوب العربي الذى درج عليه الشعر، من التزام للوزن والقافية، ومن تقيد بأسلوب البيان العربي فى جملته فما كان الخروج على الوزن والقافية فى هذا الشعر الظاهر الوحدة فيه ليمكن أن تتجاوز ونغض الطرف عنها ولكن التجاوز تناول البيان العربي بجملته على وجه لا يصح السكوت عليه .

وسأبدأ بمقدمة موجزة أحدد فيها صور البيان العربي المختلفة؛ لنشخص المجال الذى يشغله هذا الشعر بين صور البيان ولنشهد فيما إذا كان ما يسمى بالشعر الحر شعرا عربيا أو نثرا عربيا، أوهو شيء ليس من الشعر ولا من النثر العربيين .

بوجه عام قسم العرب كلامهم إلى شعر ونثر، وقسموا النثر إلى علمى وأدبي، وفرقوا بين ما يكون نثرا علميا أو نثرا أدبيا؛ بأن النثر العلمى تسوده الدلالات الحقيقية الأولى . وتقل وتندر فيه الدلالات المجازية، ولا يتكلف فيه قدر محدد فى أبعاد الجملة وأطوالها، ولا جرس معين فى نهاياتها. وفى النثر الأدبي ألفوا من حيث الشكل أن يكون نثرا مرسلا أو مفصلا مزدوجا لا يلتزم نهاية بعينها، وإن التزم قدرا متشابها أو مقاربا، ونثرا مسجوعا وهو ما يلتزم أبعادا متقاربة فى الجمل والتزاما محددا فى النهايات، إلى الاكثار من إيراد المعانى المجازية كثرة يخرج به عن أن يكون نثرا علميا يلتزم الحقائق الأولى فى التعبير، لكنهم وقد استجازوا الخروج إلى المجازات فى البيان الأدبي اشترطوا شروطا للخروج بالمفردات عن معانيها الأولى . بحيث يكون القصد واضحا، والخروج باللفظ عن معناه مقبولا . وذلك ما تكفل به علم البيان .

أما الشعر فقد اختصوه بظاهرتين: إحداهما تتعلق بمضامينه والأخرى بشكله وهيئته ففى المضامين ألفوا أن يخرجوا بالألفاظ عن معانيها الحقيقية خروجا بالغا، بحيث تطغى المجازات على الحقائق طغيانا واضحا أحيانا

وإن تكن الحقائق هي المرادة على أي حال.
وهنا مواطن الفنية في الشعر والصعوبة في التأتي له؛ ذلك أن تقول شيئاً وتريد شيئاً آخر. وأن يفهم منك السامع الشيء الذي لا تقوله وأن يستحسن منك التصرف الذي أوقعته بالألفاظ وبالمعاني من تجاوز. ولعله لهذا ألمع القائل حين قال: إنما الشاعر البحتري وأبو تمام والمتنبي حكيمان. ومن هذا الملحظ عُدَّ أبو العلاء شاعراً في ديوانه سقط الزند. وحكيماً في ديوانه اللزوميات، لأنه استعمل الحقائق التي في غالب اللزوميات، وبدت وكأنها سرد لحقائق حكمية يصلح لها النثر أكثر مما يصلح الشعر.

ولهذا لم تكن الحكمة في الشعر بذاتها وفي الأمثال المنثورة (وإن تكن قيمة) مجال الإعجاب والإكبار. وإنما مجال الإعجاب فيها بقدرتها على التجاوز إلى معاني أخرى مجازية بالنسبة لها.

فالحكمة في شعر زهير بن أبي سلمى، لا ينظر إليها بإعجاب حين تلحظ من جانب الحقائق التي وردت فيها، وإنما من حيث مجالات استعمالها في مواطن شبيهة بها مجازاً؛ أي حين تردها مورد الاستعارة التمثيلية فقوله مثلا.

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يتق الشتم يشتم

أو قوله:

ومن لا يصانع في أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

حين تقف بها عند حدود ما دلت عليه الألفاظ من حقائق (وإن تكن قيمة) لم يكن لما أوردته كبير أثر في نفوسنا، إنما نستشعر الطابع الشعري في الطاقة التي تحملها الأبيات بتجاوز الحقائق الأولى منها إلى الحقائق الثانوية.

كذلك الحال في قول أبي الطيب المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف في موضع الندى

ليس الذي بهرنا منه الحقائق التي دلت عليها جملة من معاني: ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر، أو كوضع السيف في موضع الندى. إنما الذي بهرنا ومكن له في أن يفعل في نفوسنا الطاقة التي تحملها هذا البيت من معان. فتنقلنا إلى مجالات أخرى ليس فيها السيف والندى والعلى، هو مثلا: وضع الأناة في غير موضعها، واللجوء الى العنف واللين بأولى منه، والصفح في مقام يكون العقاب والقصاص أجدر، إلى غير ذلك من مجالات.

وتمسكا بهذه الخاصية التي تعتبر الميزة الأولى للنثر الأدبي وللشعر خاصة وأعنى بها استعمال الألفاظ في غير معانيها الحقيقية، وتلافياً لما يمكن أن يقع فيه الشعراء من تجاوز على القيم والطاقات التي تتحملها المفردة في الاستعمال، التزم العرب قوانين تنظم عملية التصرف في اللفظ، ولم يتركوا الأمر بحيث يباح للأديب أو الشاعر أن يطلق

ولو أن المتنبي وقف عند تشبيه الحمى بفتاة زائرة لكان مغرباً فى تشبيهه ولأنكرنا عليه وجه الشبه بينهما ، ولوجدناه متجاوزاً فى استعمال كلمة « وزائرة» للحمى . ولكنه وهو المدرك لخصائص التعبير الشعرى ، وما يمكن أن يؤخذ به فى هذا التشبيه غير المألوف . استطرد يوالى عرض الخصائص المشتركة بين الفتاة الزائرة ، والحمى المعاودة ؛ ليقرب لنا سرّ ما أقدم عليه ، ويلقى الأضواء على مراده من هذه الزائرة «الحمى» ؛ فيميزها بخصائصها التى تنفرد بها حتى لا نضل المقصود منها ، ومع كل هذا أنهى أبياته بقوله :

يقول لى الطبيب إلخ . . . .

وطبيعة الشعر مطالبة بشىء من هذا حتى فى الحالات التى تكون العلاقة فيها بين الشيئين مألوفة معروفة من السامعين ، وحتى فى الحالات التى يمكن أن يورد فيها التشبيه مجملا كما يذكر البلاغيون ، فما لم يتلمس الشاعر وجوداً لعلائق تدق بعض الشىء فإن ما يقوله سيظل أمراً معتاداً لا إبداع ولا جدة فيه .

لننظر إلى شاعر العصر « أحمد شوقى» وهو يأخذ تشبيهاً مألوفاً كثير التردد فى الشعر والنثر وجلىّ العلائق فى أذهان السامعين ، كيف يتناوله فى عرض لخصائص كل من المشبه والمشبه به فى استزادات لم يبلغها غيره .

يقول فى قصيدته فى «بكفيا» :

وأغنّ أكحل من مها بكفيّة
علقت محاجره دمى وعلقتُه

دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل
فوقفت دون طريقه فزحمتُه

فازورّ غضبانا وأعرض نافرا
حال من الغيد الحسان عرفته

قد جاء من سحر العيون فصادنى
وأتيت من سحر البيان فصدته

فصرفت تلعابى إلى أترابه
وزعمتهن لبانتى فأغرته

فمشى إلىّ وليس أول جؤذر
وقعت عليه حبائلى فقنصته

لما ظفرت به على حرم الهوى
لابن البتول وللصلاة وهبته

فهو منذ بدأ الاستعارة فى مطلع البيت (وأغنّ أكحل من مها ) استشعر بأن عليه واجبا فى أن يفصح عما يعنيه من هذا الأغن الأكحل ، فأضافه إلى «بكفيه» ليزيل ما يحتمل أن يصرف إليه لفظة « أغن أكحل من مها » فبادر يحدد قصده منه أنه من مها بكفية ، وليست « بكفية » من مواطن الآرام ، وزاد بأن قال : علقت محاجره دمى وعلقته ، وأضاف أنه دخل الكنيسة فارتقبت حتى إذا خرج وقف دون طريقه وهى من صفات الإنسان ، ثم عاد إلى شيم المهى والظباء حين يعترضها معترض فتوسع بشرحها فقال :

فازور غضباناً وأعرض نافراً ، ثم دفع أن يكون ذلك ظبيا فقال : حال من الغيد الحسان عرفته ، قد جاء من سحر العيون فصادنى ، ثم رجع إلى المشبه به فقال : فصدته . ورجع إلى المشبه الفتاة فقال : فصرفت تلعابى إلى أترابه وزعمتهنّ لبانتى

فأغرته، ثم رجع إلى المشبه به فقال: فمشى إلىّ وليس أول جوذر وقعت عليه حبائلى فقنصته، ثم أنهى تردده وبيّن أن يكون المقصود ظبيا أو غانية؛ فقال:

لما ظفرت به على حرم الهوى
لابن البتول وللصلاة وهبته

وهكذا يتأتى للشعر ويقصد له، من أجل تقريبه من ذهن سامعه وإلقاء الأضواء على طريقة تعبيره. أما أن يضع لفظاً مكان لفظ ولا مناسبة مألوفة بينهما، أو تكون له مناسبة فى ذهن الشاعر ولا عهد للسامع بها، فذلك أمر غير مقبول شعرا كان أم نثرا، مادام لا يتوفر على أسباب الوضوح والظهور؛ لأن الفهم أساس فى أى بيان. يقول «ابن سنان» فى كتابه «سر الفصاحة»: إن الكلام غير مقصود فى نفسه وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعانى التى فى نفوسهم فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعانى ولا موضحة لها فقد رفض الغرض من أصل الكلام، وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفا للقطع ويجعل حده كايلا، ويعمل وعاء لما يريد ان يحرز فيقصد إلى أن يجعل له خروقا تذهب بما يوعى فيه، فإن هذا مما لا يفعله عاقل، ثم لا يخلو أن يكون المعبر عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى أو لا يريد إفهامه، فإن كان يريد إفهامه فيجب أن يجتهد فى بلوغ الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه. وإن لم يرد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ فى غرضه.

هذا ما يقال فى الكلام من حيث هو كله نثراً علمياً أو نثراً أدبياً، أو شعراً موزوناً مقفى. وما يخرج على ذلك يخرج على البيان العربى جمله وتفصيلا.

ولكن للشعر أسلوباً من أساليب الأداء العربى لوحظت فيه:

اعتبارات سنّت له طريقه سوى ما قدمناه من شروط الظهور والوضوح للبيان العربى بجملته؛ اعتبارات خاصة فى الأغراض؛ فليس كل غرض يصلح له الشعر، اعتبارات خاصة فى المعانى، فليس كل معنً صالح للأداء به، واعتبارات معينة فى هيئة تأليفة فليس إيراده على أية هيئة مدخلا له فى باب الشعر، إنه لا بد أن يتوفر على جملة ما يشترط فى الشعر الجيد ويدخل فى العمود الشعرى الذى هو المثل الأعلى والمقتدى به فى الشعر العربى؛ وان لم يتوفر على جملة خصائص الشعر واكتفى بالوزن والقافية كان من الشعر وليس من عموده؛ فليس كل موزون مقفى داخل فى العمود حين لا يتوفر على أسباب الأصالة والصدق ومهيئات الصناعة الشعرية؛ فإن خرج على الوزن والقافية عن أن يكون شعرا عموديا أو غير عمودى، وانتقل إلى باب النثر، إن كان كان به صلاح فى أن يدخل فى باب النثر فإن لم يك صالحا لذلك خرج عن أن يكون

من البيان العربي شعره ونثره. ولن يكون الخروج على بيان أية أمة تطويراً في أسلوبها ، لأن تغيير أسلوبها ـ البياني يعني موت اللغة موتاً نهائيا وإحلال لغة أخرى محلها، وذلك ما هو مقرر لدى المعنيين بالدراسات اللغوية .

يبقى لنا أن نتساءل عن المبررات والأسباب التي حدت بجماعة الشعر الحرّ لأن يخرجوا على الوزن والقافية في هذا الذي يسمونه شعراً حرًّا : لعل في مقدمة المبررات من حيث الشكل أن الوزن و القافية قيدان مكبلان لا يستطيع معهما الشاعر أن يؤدي غرضه بحرية في اختيار المفردات ولا في اختيار هيئة التأليف ، وأن التأتي للمفردة الصالحة في لفظها، والملائمة في معناها، مع الحفاظ على الوزن والقافية يستدعي معاناة وجهدا يتجاوزان الطاقة على وجه يستوجب أحيانا قبول مالا يوائم وطرح ما يوائم ، في إدراك لطبيعة هذه الصناعة . وهذا حق ومبرر سليم إذ أن الصناعة الشعرية صناعة دقيقة مجهدة تستدعي التأتي لها طاقة لغوية عالية على تطويع العبارة ، بتقليبها على وجوه شتى حتى يهتدي إلى الوضع المتوازن السليم ، والقافية غير المتكلفة وغير النابية ، وهو شيء يتحقق لشخص دون آخر ، ولطاقة شعرية دون أخرى ولكن هذا الفن لن تحقق فنيته إلا بالصورة التي ينعونها عليه .

وقد عرف العرب ذلك وأدركوه وقد كان بإمكانهم أن يتخلَّوْا عنه ، لكنهم لم يفعلوا ذلك إدراكا لما للوزن وللقافية من بليغ أثر في الصنعة الشعرية .

ولقد تحدث الشعراء عما يلقون في سبيله وليس المطلوب من كل الناس أن يكونوا شعراء ولا من كل الأغراض أن تؤدى بالشعر وفي النثر الأدبي مندوحة ومجال واسع . وقد قيل منذ القديم :

الشعر صعب وطويل سُلَّمُهْ
إذا ارتقى له الذي لا يعلمهْ
زلّت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يُعربه فيُعجمه

ولكن هذه المعاناة المبذولة في سبيل الوزن والقافية لم تذهب سدى ولم تضع هدرا ، بل حققت للشعر من المزايا مالم يتحقق بالنثر من ضبط الفكرة ، وتقييدها ، ووضعها في إطار يحفظها ، ويبقى على شخصيتها، فيستقل البيت عن جملة القصيدة حين يراد انتزاعه منها، وينتفع به بمفرده قدر ما ينتفع به موصولا بجملة الأبيات .

وتلك مزية لن تتأتى والبيت الشعري لا يضبطه وزن ، أو تختمه قافية ، لهذا لا ينتفع بالشعر الحر — إن كان به قدرة النفع — إلا حين تقرأ القصيدة كلها ، فليس بجزء منه قابلية الاستقلال ، كما في الشعر الموزون المقفى :

في الشعر الموزون المقفى ينتفع بالقصيدة أبياتا مجزأة ، بل ربما انتفع بشطر من بيت

يكون شطره الثانى مجال انتفاع لفكرة أخرى ، لنأخذ قول المتنبى :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والأقدام قتال
وإنما يبلغ الإنسان طاقته
ما كل ماشية بالرحل شملال
ذكر الفتى عمره الثانى وطاقته
مافاته وفضول العيش إشغال

إنه بفعل القافية والوزن ، وضبط أبعاد العبارة تهيأ لنا أن ننتفع بكل بيت مستقلا وبكل مجزوء منه مستقلا . وبالأبيات موصولا بعضها ببعض .

وهناك واقع له بالغ الأثر فى عقد صلة بين الشاعر وسامعه، حين تكون قصيدته موزونة مقفاة . وتربية الصلة بين القارئ والسامع تعين أيما عون على التلقى وحسن التقبل ، وهى بالتالى تصعد من عملية التأثر بالشعر بحكم التجاوب الذى هيأه الوزن والقافية ، فنحن حين نسمع البيت الأول من القصيدة نتهيأ لمشاركة نفسية ،وتجاوب تعبيرى، نفتح به للقائل آفاقنا النفسية ، فنأخذ منه ونعطيه خلال إلقائه وسماعه،ونتبادل وإياه المعانى والعبارات والصور ، وليس شىء من هذا بمتأت والكلام لا يرتبط بوزن ولا يختم بقافية ، إذ لا ندرى حين يبتدئ الشاعر إلى ماينتهى ، وكيف ينتهى حتى تتهيأ أنفسنا للتلقى .

هذا ما يقول مبرر الشعر الحر من حيث الشكل .

أما مبررهم لا من حيث المضمون فإن مما يحتج به قالة الشعر الحر : أن العصر بمفاهيمه وعلائقه اختلفت اختلافاً كلياً عن العصور التى سبقته ، وأن دنيا جديدة من العلائق قامت بين المدركات ، ولذلك لا يصح أن تبقى العلاقات بين الأشياء على النحو الذى كانت عليه بل لا يمكن أن تبقى على ما كانت عليه ، فلا بد من تجديد فى العلائق ، وإبداع فى الصور ، وتجاوز للمفاهيم التى لم تعد ملائمة لحياتنا المعاصرة .

مثلاً لا يصح أن تبقى العلاقة بين نظافة القدور والبخل فى الكناية ، ولا بين الرجل والأسد فى الشجاعة ، ولا بين الليل والبحر ، على حد ما قال امرؤ القيس : وليل كموج البحر ، إلى آخر ما ألفناه من صور المجاز والاستعارة .

وتلك دعوى لها ما يبررها بل لها ما يلزم بها ، فليس فى الإمكان الإبقاء على العلائق بين الأشياء فى الشعر ، حين تزول تلك العلائق فى المجتمع ، ومن مدركات أبنائه ، بل ليس من الصدق الفنى أن نبقى على صور ليست لها فى نفوسنا ولا فى المجتمع الذى من حولنا أثارة من وجود ،ولكنا لا نطالبهم بالإبقاء على الصور القديمة التى زالت من الوجود أو على العلائق القديمة التى انتفت بين ، الأشياء ، بل نطالبهم بالاحتفاء بالعلائق الجديدة ورصدها ، ولكن على ألا يختلقوا علائق ليس لها وجود بين الأشياء فى حياة مجتمعاتهم ، ولا فى مدركاتهم هم أنفسهم

بل يأتونها تقليدا ، ومتابعة لبيئات غريبة عنهم، ولمجتمعات لعلها بادت وبقيت لها أثارة من وثنية، وقصص أسطورى خرافى لا يقره علم ، ولا يسمو به خيال ، وقد تخطتها البشرية منذ سادها عقل ، وسما خيال .

لقد مرت العربية خلال عمرها الطويل بأدوار تجددت فيها الأفكار ، وكان لها فى كل دور فكر يختلف عن غيره ، وتفاوتت الأخيلة فكان لها فى كل دور خيال يختلف عن خيال سواه ، ولكن الأديب العربى يستطيع أن يقرأ شعر تلك العصور جميعا فلا يضيق بها فهمه ، ولا يتبلد معها حسه ولا يستشعر أنه يدخل بيئة غريبة عليه ضيقة به ، لا يدرى من أين يسلك إليها ومن أين يخرج، ولكن الأديب العربى حين يقرأ الشعر الحر فى غالب نوعيته يختلف عن حاله حين يقرأ مختلف ما هو على الشعر العربى من صور التجديد والتطوير .

وسأتلو نمطين من الشعر الحر مما يعتبر من أحسن صوره؛ لنستجلى ما بلغه الشعر على يد دعاته من إضاعة لأصول البيان العربى وطبيعة شعره .

وسأختارهما مما عدّه بعض مؤرخى الأدب وشيوخه تجديدا فى الشعر وثورة فى تطوره .

يقول البياتى من قصيدة عنوانها «الموت فى المنفى » :

فماذا تنتظر من وراء هذا العنوان :

« بدم القلب بطاقات الرماد
كتبت
أين كنوز السندباد
يازاد المعاد
آه لو أحرقت أشعارى
وأحرقت الليالى بالمداد
لكتبت

مرة أخرى — بطاقات الرماد — بدم القلب وأطعمتُ القوافى للجراد . ! »

ولست بحاجه إلى التعليق على ذاك .

وقريب منه مانسب إلى «حبيب إسطقان» فى قطعة خماسية الأدوار يصف ما ورد فى الأسطورة الفينيقية من مصرع الإله «أودونيس» على بعض جبال «لبنان» ونوح حبيبته الزهرة عليه عندما شاهدت حبيبها أودونس مضرجا بدمائه بعد أن صرعه وحش ضار هصور هناك :

«أواه على أودونيس كيف يُجَرّ على الصخور
يصبغها دمُه الجارى من أعضائه الناعمات

هاهو فى الوادى يفترسه الحيوان الهصور
أواه .. أودنيس قد مات .

وأسرعت لها الإلهات قد هالها الصياح
إلهات الأشجار والأنهار والربى والوديان
لا طمات الخدود ، رافعات العويل والنياح
باكيات بأشجى الألحان .

والتفغن حولها ينحن معها على الحبيب
يا أودونيس كيف مدت إلى الإله يد الحمام؟ ! _

يا أودنيس كيف ذبل غصنك الرطيب
ويبس زهره البسام ؟ !

أهذه هي الأخيلة التي جدّت على العربية ؟ !

أهذه هي المعاني التي ضاق بها الشعر ذو القوافي والأوزان ؟ ! أي ذوق يسمو بهذا أم أي عقل به يستعين .

ويحسن أن نورد أخيراً من قصيدة لشاعر يُعد من كبار الشعر الجديد :

خذوا كل شيء
خذو العصافير عند الصباح
وصمت المفاتيح – خمرة كأس
وخمرة نار وحيدة
ولا تتركوا لي قصور العناكب
أحلامها معلقة بخيوط السماء
خذوها . خذوا كل شيء
نقيق الضفادع – رفيف الخفافيش
عند المساء .
وآثار أقدامهن الرتيلات
عند مسندي
ودعوني . دعوني
بعيداً عن الأسواق
لأن الجداول عند الرجوع
تحت هذه السهول
وصوت السكينة تحنانها
هناك على الشطوط
وحين أموت خذوا جسدي
ولا تدفنـــــوه
لأنه يقوم مع الفجر
ويكشف سر الإله

إن ما يسمى بالشعر الحر خطر على أذواق الناشئة . يقطع صلتهم بماضي بيانهم العربي ، ويحول بينهم وبين الانتفاع به ميراثا حضاريا .

لقد بدا الخطر واضحا على أذواق الناشئة ؛ فليس للناشئة المعاصرة التذوق الذي كان للناشئة قبلها . وهم لا يقبلون على القصيد العربي نظير ما هم يقبلون على الشعر الحر ، على أنني واثق بان الغلبة الغالبة منهم لا يفهمون منه قصدا ، ولا ينتفعون به مادة ثقافة ، وتلك مصيبة حرية بالتخلص منها ، والتوجه بهم إلى ما يمكن أن يفهم ويعلم .

وكلمة أخيرة أوجهها إلى مؤرخي الأدب العربي وأساتذة الجامعات ؛ بأنهم مطالبون بتمحيص هذه الظاهرة حتى لا يخدعوا ببهرجها ، وحتى يكتشفوا ما بها من زيف ، فإن تسجيلها ورصدها بالثناء والحمد يعين على تفشيها ، ويكشف عن عجز مؤرخي الأدب العربي عن فهم واقع البيان العربي .

إن الشعر الحر فيما رأينا ليس من النثر العلمي لأنه لا يعنى علماء ولا يلتزم المداليل الأولى في التعبير ، وهو يحفل بالمجازات بشكل واسع ، ولا هو من النثر الأدبي لأنه لا يلتزم ضوابط العبارة العربية في الأداء للمجازات وللاستعارات ، ولا من الشعر العربي ؛ لأنه لا يلتزم ذلك ؛ ولا آداب الوزن والقافية .

**عبد الرزاق محيي الدين**
عضو المجمع من العراق

# بواعث زهد أبي العلاء

— ١ —

للدكتور احمد الحوفى

هو الشاعر الفيلسوف أحمد بن عبد الله المعرى نسبة إلى بلده المعرة ، وهى قرية صغيرة فى شمال سورية ، بين حلب وحمص .

ولد سنة ٣٦٣ وتوفى سنة ٤٤٩ هـ ، فأدرك القرنين الرابع والخامس وهما أغنى عصور العلم والأدب واللغة ، وأحفلها بالثقافة المنوعة . تتلمذ فى المعرة لأبيه ، وأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى حلب يطلب العلم ، وكانت تَشْرَق بالعلماء والأدباء والفلاسفة منذ اجتذبهم إليها أميرها سيف الدولة الحمدانى ، ثم سافر إلى أنطاكية وانتفع بنفائس كتبها ، ثم ارتحل إلى طرابلس ، ومر باللاذقية فنزل فى دير فيها ، وتأثر براهب متفلسف هنالك وأخذ عنه بعض الآراء ، وبعد ذلك شخص إلى بغداد عش العلوم والآداب ، ووعى ما شاء من مكتباتها ، وشارك فى نواديها الأدبية والعلمية ، وأعجب به علماؤها ، وأعجب بهم ، وقضى هنالك سنتين لم تمح السنون من نفسه ذكرياتهما ، كان لهما أثر فى نضج عقله وسعة ثقافته ، ثم عاد إلى المعرة ، ولزم منزله ، وانقطع للتفكير والتأليف إلى أن مات .

## بواعث زهده

### ١ — العمى :

فجع أبو العلا فى بصره طفلا ، فشب فى عالم حالك الظلمة ، لا يميز مليحه من دميمه ، ولا قبيحه من وسيمه ، يتحسس فى وجهه ندوب الجدرى ،

ويحس قصوره عن الناس : فهم مبصرون وهو كفيف ، يسمعهم يتحدثون عن الأرض والسماء ، ويسمع افتنان الأدباء في وصف الطبيعة والجمال ، فتأخذه من ذلك حسرة أي حسرة .

وليس في الحياة آلم من فقد البصر . على من كان حساسا وشاعرا يجسم خياله بلواه ، ويمضه التفكير في نصيبه التعس من الحياة .

٢ — موت والده :

ثم حرمه الموت عطف أبيه في الرابعة عشرة ، وفقد الأب نكبة على من هم في سن أبي العلاء ، ونكبة مضاعفة على ذي العاهة ، فقد كان أحوج إلى أبيه ليعتمد عليه ، ويستند إليه ، ويعتز به ، ويتناسى في بحبوحة عطفه آلام عماه ، ويستنير بتوجيهه العلمي والأدبي ، فقد عرفنا أن أباه كان أستاذه الأول ، لهذا حزن عليه حزنا شديدا ، فقال يرثيه :

فليت فمي إن شام سني تَبَسُّمي
فم الطعنة النجلاء تَدْمَى بلاسِنِ[1]

٣ — موت والدته :

وبعد سنوات من موت أبيه فجع في أمه ، فعظمت مصيبته . وفقد ينبوع العطف الذي طالما نعم به ووثق بصفائه وخلوصه له . فهزته هذه المصيبة وهدته ، وزادته شعورا بضعفه ونقمة على الحياة والأحياء . قال في رثائها :

إن ينقطع منك الرجاء فإنه
سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

وقال في رسالة إلى خاله ينعاها له :

« فلله الحمد ممزوجًا به الدمع ، مُشْتَكًا له من الوجد السمع » فأصحب حمده الله بدمعه ، وصور الحزن قد أثقل الحمد على سمعه .

٤ — فقره :

كان أبو العلا فقيرا ، يغل عليه وقف لأهله ثلاثين دينارا في كل سنة ، يعطي خادمه نصفها ، ويستبقي لنفسه النصف الباقي ، لكنه كان يستطيع أن يثرى لو أنه سلك سبل الكسب والثروة ، وبخاصة أنه من أسرة علم وفضل ورياسة ووجاهة

(١) شام : رأى .

فى المعرة ، ولها نسب عريق فى القضاء ، ومنها من ولى المعرة ، غير أنه كان حَيِيًّا أَبيا عظيم النفس ، لا يتكسب بالمدح ، ولا يقبل العطاء ، وكان إلى ذلك محسنا سخيا ، فإن الشاعر الفارسى ناصر خسرو زار المعرة قبل موت المعرى بعشر سنوات تقريبا ، وقال عنه إنه رجل عظيم الجاه فى بلده ، وذو ثروة ينفق منها على الفقراء ، ولكنه يعيش متقشفا زاهدا .

وفى شعره وفى نثره أدلة على أنه كان يهدى إلى بعض الأدباء ، كقوله وهو فى الخمسين من عمره يعتذر لفقيه عن صغر هدية :

فياليتنى أهديت خمسين حَجَّةً
مضت لى فيها صحتى وشبابى

وقالت له : فاترك ثلاثين أَسْوداً
متى ما تَكَشَّفْ تُلْفَ غيرلُباب

لعل الذى أنقذت يكفيك ليلة
لإسباغ طُهْرٍ حان أو لشراب

**٥ — بيئته :**

هذا إلى فساد الحياة فى عصره ، وهو ذكى يدرس ويستقصى ، حساس يسمع ويدرك ، درس طبائع الناس فأحسن درسها ، وبلا نفوسهم فأجاد بلاءها ، فلم ينتج له الدرس المتشائم إلا شرا .

فالدويلات الإسلامية ، والمسلمون والروم يتبادلون النصر والهزيمة ، والحكام يظلمون الرعية ويغتصبون أموال الناس ، والساسة خداعون جهال يستعبدون الرعايا ، ويستلبون قوتهم ، نجد هذا فى قوله :

مُلَّ المقامُ فكم أعاشر أُمة
أمرتْ بغير صلاحها أُمراؤها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
فَعَدَوْا مصالحها وهم أجراؤها

وفى قوله :

يسوسون الأمور بغير عقل
فينفُذُ أمرهم ويقال ساسه

فأُفٍّ من الحياة وأُفٍّ منى
ومن زمن رياسته خساسه

وفى قوله :

إن العراق وإن الشام مذْ زمن
صفران مابهما للملك سلطان

ساس الأَنامَ شياطينٌ مُسَلَّطةٌ
فى كل مصر من الوالين شيطان

من ليس يَحْفِلُ خِمْصَ الناس كلهم

إن بات يشرب خمرا وهو مبطان (١)

والقضاة يحكمون بالجور ، وكان الأحرى بهم أن يحكموا بالقسطاس ، ويدفعوا البلاء عن المستضعفين ، يقول :

وأى امرئٍ فى الناس أُلْفِىَ قاضيا

فلم يُمضِ أحكاما كحكم سَدُوم (٢)

وأخلاق جميع الناس منحلة ، يفعلون القبيح والمنكر ، ويصطنعون الخداع والغش والمكر والقسوة ، ولهذا ذمهم بقوله :

وجوهكم كُلْفٌ وأفواهكم عِداً

وأكبادكم سودٌ وأعينكم زُرْقٌ

وإذا كان قد ذم الناس فإنه حمل على الأدباء وحملهم وزر هذا الفساد ، لأنهم فى رأيه الدعاة إليه ، قال :

وما أدّب الأقوامَ فى كل بلدة

إلى المين إلا معشرٌ أدباء (٣)

وقال :

أمما شعرت بأنها لا تقتنى

خيرا وأن شرارها شعراؤها

أثْرَتْ أحاديث الكرام بزعمها

فأجاد حَبْسَ أكفها إثراؤها

وقال :

بنى الاداب غرتكم قديما

زخارف مثل : زمة الذباب

وما شعراؤكم إلا ذئاب

تَلَصَّصُ فى المدائح والسباب

٦ — ثقافته

وهو إلى ذلك كله قرأ من كتب الفلسفة ما وافق هواه ، فاشتد بغضه للدنيا ، وسوء ظنه بالناس ، حتى إنه لما تحدث بحفاوة أهل بغداد بتوديعه وحزنهم لفراقه وتقديمهم المال إليه شك فيما فعلوا أكان رياء أم وفاء .

ونعلم من تاريخه أنه درس الفلسفة اليونانية فى أنطاكية واللاذقية ، ثم ألم

(١) الخمص : المراد الجوع . مبطان : المراد شبعان ممتلىء .

(٢) حكم سدوم : اشارة الى جرائم قوم لوط وتمظالمهم وكانوا يقيمون فى قرى منها سدوم .

(٣) المين : الكذب .

بها فى بغداد ، ودرس الفلسفة الهندية أيضا فى بغداد ، إذ كانت بغداد بعد فتح السند تتروى من هذه الفلسفة التى يحملها إليها المترددون من هنا وهناك للتجارة أو للسياحة ، ويفجر ينابيعها أولئك الذين ترجموا عن الهندية منذ عهد الخليفة أبى جعفر المنصور ، والطابع العام للفلسفة الهندية الزهادة ، وازدراء الحياة ، وتعذيب الجسد لتنقية الروح ، والشفقة على الحيوان ، وتقديسه فى بعض الأحيان .

كما أنه وقف على الثقافة الفارسية التى ثقفها العرب منذ خالطوا أهل فارس ، وترجموا عنهم ، وقد ألم أبو العلاء بما ترجم منها فى السياسة والأدب والأخلاق والقصص ، فلما شخص إلى بغداد خالط بعض الفرس وتأثر بهم ، فليس عجيبا أن نجد فى شعره ألفاظا فارسية مثل قوله :

إذا قيل لك الله مولاك فقل ( آرا )

أى نعم .

على أنه بعد هذا كله عالم فاحص دارس ، اطلع على الأديان كلها ، فدرس الإسلام والنصرانية واليهودية ، وعرض لبعض قضاياها فى لزومياته .

## ٧ — ميله :

لكننا نجد فى الحياة عميا فقراء مشوهين ، وهم مع هذا كله مبتهجون بحياتهم ، ينالون من لذاتها ، وينهلون من متعها ، فلماذا لم يحاول أبو العلاء أن ينال وينعم ؟

ولماذا سخط على الحياة هذا السخط ؟

الحق إن ذلك يرجع إلى مزاجه الخاص الذى يألف الحزن ويأنس به ويركن إليه ، وتسنح له فرص الابتهاج فيفر منها فرارا ، ويرى العالم كله رزايا وأشرارا .

فقد كان بشار أعمى ولكنه جنح إلى المجانة والخلاعة ، واستمتع بالحياة ما شاء أن يستمتع .

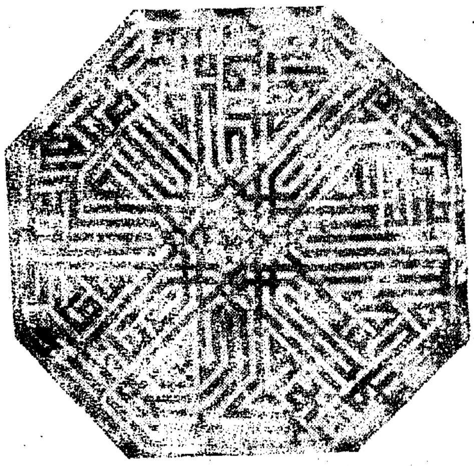
وكان شوبنهور فيلسوف التشاؤم فى العصر الحديث بصيرا صحيح الجسد ، ثريا ثراء واسعا ، لكنه كان ينظر إلى الحياة نظرة سوداء كأ العـ ء ، فالعالم فى نظره شر كله ، أينما توجهت ألفيت

عراكا ومنافسة . وليس الإنسان إلا ذئبا للإنسان ، والإنسان تعس إذا تزوج . وتعس إن لم يتزوج ، وخير للعالم أن ينقطع النسل ، وتنتهى الحياة . والحياة فى نظره جحيم يفوق جحيم دانتى .

ولقد تشابه الرجلان المعرى وشو بنهور فى العزوبة ، وسوء الرأى فى الناس ، والبرم بالحياة والأحياء ، والتجنى على المرأة ، واتفق الرجلان فى أن التشاؤم نابع من نفسيهما ، وإن كانا متأثرين بعوامل أخرى خارجة على قدرتهما تتشابه قليلا أو كثيرا ، فقد انتحر والد شو بنهور واعوجّ سلوك أمه ، ولم يجد ما يزجى به فراغه غير النظر والفكر والتأليف ، فلم يتزوج ولم يلد ، ولم يزاول عملا يلهيه عن مآسيه ، فضجر بالحياة ، وسئم الناس .

على أن فساد الحياة الاجتماعية يؤرث نار السخط فى نفوس الساخطين ، فلما خاب الأمل المنوط بالثورة الفرنسية بعد أن زلزلت الأرض بحروب نابليون أطبقت سحب التشاؤم على أوروبا ، فكان موسيه فى فرنسا ، وبيرون فى انجلترا ، وشو بنهور وهينى فى المانيا . ولما فسدت الحياة الاجتماعية والسياسية فى عهد أبى العلاء رجّع فى جوها الخانق نغماته الحزينة .

**أحمد الحوفى**
عضو المجمع



# تحقيق لسان العرب

## — ٦ —

## للأستاذ عبد السلام هارون

٨٥١ – ( ورق ) ١٥٢ : ٥٢ وبيروت ٣٧٢ قول الراجز :

* كُوم الذُّرى وادقة سُرَّاتُها *

وفى المخطوطة : « سرَاتها » بفتح الراء مخففة وإهمال ضبط التاء . والوجه « سُرَّاتِها » بكسر التاء . وهو من رجز مكسور الرويّ لعمر بن لجأ فى الأصمعيات ٣٥ – ٤٣ والخزانة ٣ : ٤٧٨ . وقبله وهو فى صفة الإبل :

* أنعتُها إنّىَ من نُعّاتها *

ونصب « سراتها » على التشبيه بالمفعول به . وانظر معجم شواهد العربية ٢ : ٤٥٢ .

٨٥٢ – (ورق) ٢٥١ : ٢٥ وبيروت ٣٧٢ قول امرئ القيس :

دخلت على بيضاء جَمّ عظامُها
تعفّى بذيل المِرطِ إذ جئت مَودِقِى

ووردت « جم » فى المخطوطة مهملة ضبط الجيم ، وصواب ضبطها : « جُمّ » بضم الجيم ، كما فى ديوان امرئ القيس ١٧١ . أى ليس لعظامها نتوءٌ . والجُمّ : جمع أجم ، وهو العظْم يكثر عليه اللحم فلا يظهر .

٨٥٣ – ( ورق ) ٢٢٥ : ٢٥ وبيروت ٣٨٦ والمخطوطة :

ألم تر أن الحربَ تُعوِج أهلها
مراراً وأحياناً تُفيد وتُورقُ

صوابه « تُعْرِج » كما فى اللسان (عرج) ، ومجالس ثعلب ٤٤٤ قال ثعلب : « تُعرج : تعطيهم عَرْجا من الإبل » ، يعنى الغنائم . والعرج ، بالفتح والكسر أيضا : ما بين السبعين إلى الثمانين من الإبل ، أو ما بين الثمانين إلى التسعين .

٨٥٤ - ( ورق ) ٢٥٧ : ١٠ وبيروت ٣٧٦ والمخطوطة : «فإذا زادت فهى السحه» مهملة نقط مابعد الحاء ، والوجه فيها « السَّحتنة » كما فى اللسان ( سحتن ) وتهذيب اللغة ٥ : ٣٢٣ . والسَّحتنة : الأُبنةُ الغليظة فى الغصن .

٨٥٥ - ( ورق ) ٢٥٧ : ١٩ وبيروت ٣٧٨ والمخطوطة ، قول عمرو فى ناقته ، وكان قدم المدينة :

طال الثواءُ عليه بالمدينة لا
ترعى وبيع له البيضاءُ والورَقُ

أما عمرو قائل هذا الشعر فهو « عمرو ابن الأهتم » كما فى التهذيب ٩ : ٢٨٩ وصواب الإنشاد : « عليها بالمدينة » . و « وبيع لها » بعود الضمير فيهما إلى الناقة وبيع هنا بمعنى اشتُرِىَ ، والبيضاءُ : الحَلىّ ، وهو ما ابيضَّ من يبيس السبَط والنصِىّ . والورق ، يعنى به هنا الخَبَط

٨٥٦ - ( ورق ) ٢٥٧ : ٢٤ وبيروت ٣٧٨ قول الطائى :

وهزَّت رأسَها عجباً وقالت
أنا العُبرِى أإيانا تريدُ

ووردت « العبرى » فى المخطوطة مهملة الضبط ، والوجه فيها ، العَبْرَى » بوزن الثَّكلَى ، كما فى التهذيب ٩ : ٢٩٠ وهو وصفٌ من عَبِر ، إذا حزِنَ ، أو إذا ذرف الدمع .

٨٥٧ - (وفق ) ٢٦٢ : ١٨ وبيروت ٣٨٣ : الوَفْق : كل شىء يكون متفقاً على تَيْفاقٍ واحد » وقد أهمل ضبط « تيفاق » فى المخطوطة . وصواب ضبطه بكسر التاء ، كما فى التهذيب واللسان نفسه ( وفق ٢٦٣ ) .

٨٥٨ - ( وفق ) ٢٦٣ : ٨ - ٩ وبيروت ٣٨٣ : « هو بيت فى السماء تِيفاق الكعبة ، أى حذاؤها ومقابلها » . ولم تضبط قاف « تيفاق » فى المخطوطة ، ووجه ضبطها النصب على الظرفية ، كما أن الصواب « حذاءها » بالنصب . وقد رسمت فى المخطوطة « حذاها » بطرح الهمزة المنصوبة كما هو مألوف فى الرسم القديم .

٨٥٩ - ( ولق ) ٢٦٤ : ٤ وبيروت ٣٨٤ والمخطوطة ، قول الشاعر :

تصبَّيْننا حتى ترقَّ قلوبنا
أوالق مخلاف الغداة كذوبها

والوجه «يصببِّيننا» كما فى التهذيب ٩ : ٣١٠. والوجه أيضا : «حتى ترفّ قلوبُنا» كما فى التهذيب. ونحوه فى قول الحسين بن مطير فى الحماسة ١٢٣٠ بشرح المرزوقى :

يمتّيننا حتى ترفَّ قلوبنا
رفيف الخزامى بات طلٌّ يجودُها

أما «الغداة» فصوابها «العِدات» : جمع عِدَة، وهى الوعد.

٨٦٠- (ولق) ٢٦٤ : ١١ وبيروت ٢٨٤ والمخطوطة : «قال الشماخ يهجو جليدا الكلابى» صوابه «القلاخ» كما فى اللسان (زلق)، وهو القلاخ بن حزن المنقرى. ولم يرد هذا الرجز فى ديوان الشماخ

٨٦١- (ألك ٢) ٢٧٣ : ٢٠ وبيروت ٣٩٣ والمخطوطة، قول الشاعر :

ألكنى ياعتيقُ إليك قولاً
ستُهديه الرواةُ إليك عنّى

والشاعر هذا هو النابغة الذُّبيانىّ. والبيت فى ديوانه ١٩٧ من قصيدة يخاطب بها عُيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر الفزارى، حين أراد أن يعاون بنى عبس ويُخرج بنى أسد من ذبيان. وصواب الرواية إذًا : «ألكنى ياعيَيْنَ»، مرخم عُيينة كما فى الديوان. وقد ورد النص صحيحاً فى ص ٢٧٤ من اللسان. ألكنى : بلغ رسالتى. وعُيينة هذا ممن صاحب وفد تميم فى وفادتهم على رسول الله. السيرة ٩٣٤ جوتنجن.

٨٦٢- (بتك) ٢٧٥ : ٢٠ وبيروت ٣٩٥ والمخطوطة : «وفى التنزيل العزيز : «وَلَيبتِّكُنَّ آذان الأنعام». وقد رسمت الواو واضحة فى المخطوطة، معززة بالفتحة فوقها، وهو تحريف. والتلاوة : «فليبتِّكُنَّ» بالفاء. وهى الآية ١١٩ من سورة النساء.

٨٦٣- (ترك) ٢٨٦ : ٢٢ وبيروت ٤٠٥ وديوان الأعشى ٦٥ قول الأعشى :

وبهماء قفر تخرج العين وسطها
وتلقىَ بها بَيضَ النعام ترائكا

وخروج العين هنا عجب عاجب. إنما هى «تَحْرَج»، أى تحار. وفى رواية المقاييس (ترك) : «تألَه» بمعنى تحار أيضا. وهو أحد الأقوال فى اشتقاق لفظ الجلالة، لأن العقول تأ

فى عظمته ، أى تتحيَّر . ومنه قول ذى الرمّة :

تزداد للعين إبهاجاً إذا سفَرت

وتَحرَج العينُ فيها حين تنتقب

وفى مخطوطة اللسان : « أتحرح » ، بالحاءين المهملتين ، صوابهما ما أثبت .

٨٦٤ـ (حتك) ٢٩١ : ١٧ وبيروت ٤١٠ والمخطوطة أيضا : « وتروى هذه الأبيات لزميل بن أبين » ، وإنما هو « زُميل بن أُبير » كما فى شرح الحماسة للتبريزى والمؤتلف ١٢٩ والإصابة ٢٩٧٣ والخزانة ١ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤ . وزميل وأُبير كلاهما بهيئة التصغير ، ويسمى أيضا : زميل بن أُم دينار . وهو ممن نسب إلى أُمه من الشعراء ، كما فى نوادر المخطوطات ١ : ٩٢ .

٨٦٥ـ (حكك) ٢٩٥ : ١١ وبيروت ٤١٣ والمخطوطة : « وقيل معناه أنا دون الأنصار بذل حكاك لمن عاداهم ونواهم » والصواب « وناواهم » . كما فى تهذيب اللغة ٣ : ٣٨٦ . ناوأْت الرجل مناوأة ونواء : فاخرتُه وعاديته . وفى الحديث : « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على من ناوأهم » ، أى ناهضهم وعاداهم .

٨٦٦ـ (حلك) ٢٩٧ : ١٣ وبيروت ٤١٥ والمخطوطة أيضا :

ياذا النجاد الحلكهْ

والزوجة المشتركه

ليست لمن ليست لكه

وجعله شاهدا على أن « الحُلَكة » دويْبّة تغوص فى الرمل . وصواب الرواية فى الشطر الأول :

* ياذا البجاد الحلكه *

كما فى جمهرة ابن دريد ٢ : ١٨٥ وتاج العروس (حلك) . قال الزبيدى : « وتقول للأسود الشديد السواد : إنه لحالكة ، كهُمَزة ، والصواب ماذكرنا » . يعنى الشديدة السواد .

والبجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب . وصواب الرواية فى الشطر الأخير :

* لستَ لمن ليست لكه *

كما فى الجمهرة ، وورد فى التاج محرفا كما فى اللسان : « ليست لمن ليست » . وذكر ابن دريد أن هذا من كلام لقمان بن عاد ، فى كلام طويل .

٨٦٧ ـ ( درنك ) ٣٦٠ : ٢٠ وبيروت ٤٢٣ : « له خَمَل قصير كخَمَل المناديل » وكلمة « خمل » وردت مجردة من ضبط الميم فى المخطوطة ، ووجه ضبطها « خَمْل » بسكون الميم كما فى القاموس وغيره . وفى المصباح المنير : « الخمل مثل فَلْس : الهُدب . والخمْل : القطيفة » .

٨٦٨ ـ ( دعك ) ٣٠٧ : ٢٣ وبيروت ٤٢٤ والمخطوطة أيضا قول الشاعر :

وطاوعتمانى داعكًا ذا مَعاكة
لعمرى لقد أودَى وما خِلتُه يُودِى

وصواب الرواية « وطاوعتما بى » كما فى مجالس ثعلب ١٧ مع الاستضاءة بأمالى المرتضى ٢ : ٦٠ . كما أن الصواب كذلك « لقد أزرى وما مثله يُزْرِى » .

والبيت من أبيات رائية لعبيدالله بن عبد الله بن عتبة المسعودى ، فى مجالس ثعلب وأمالى المرتضى والحيوان ١ : ١٤ ـ ١٥ والمحبر لابن حبيب ٢٩٧ ، ومنها البيتان المشهوران :

فَمسًّا ترابَ الأرض منها خلقتما
وفيه المعاد والمصير إلى الحشر
ولا تأنفا أن ترجعا فتسلِّما
فما حُشِىَ الإنسان شرًّا من الكبر

يخاطب معاتبًا رجلين مرًّا به وهو أعمى فلم يسلِّما عليه .

٨٦٩ ـ ( دكك ) ٣٠٨ : ٥ ـ ٩ وبيروت ٤٢٤ والمخطوطة : « والدكك : القيران المنهالة » ، وإنما هى « القيزان » بالزاى المعجمة ، كما فى التهذيب ٩ : ٤٣٦ . والقيزان : جمع قوز ، بالفتح ، وهو المستدير من الرمل، والكثيب المشرف .

٨٧٠ ـ ( دكك ) ٣٠٨ : ١٦ وبيروت ٤٢٥ : « إنا وجدنا بالعراق خيلا عراضًا دُكًّا ، فما يرى أمير المؤمنين من أسهامها » ، والصواب « فى إسهامها » : أى اقتسامها كما فى المخطوطة ، وإن كانت « إسهامها » مجردة من الضبط فيها .

٨٧١ ـ ( دكك ) ٣٠٨ : ٢٠ والمخطوطة « واختلفوا فى الدكان فقال بعضهم : هو فُعلان من الدَّكِّ ، وقال بعضهم : هو فُعَّال من الدَّك » . وليس كذلك ، بل صواب الأخيرة « فُعَّال من الدكن » كما فى التهذيب ٩ : ٤٣٨ . وبذلك صححت فى طبعة بيروت ٤٢٥ .

٨٧٢ ـ ( دكك ) ٣٠٩ : ١٨ وبيروت ٤٢٦ والمخطوطة أيضا قول الراجز :

يادار سلمى بدكاديك البرق
سَقياً فقد هيَّجتِ شوق المشتَأَقْ

والراجز هو رؤبة ، كما فى شرح شواهد الشافية للبغدادى ١٧٤ . كما أن الشطرين فى الخصائص لابن جنى ٣ : ١٤٥ والمقرب لابن عصفور ١٠٧ والصحاح (شوق ، دكك) واللسان ( شوق ) بدون نسبة .

أما « المشتأق » التى وردت محرفة فى هذا الموضع وحده فصوابها « المشتئق » كما فى جميع المراجع المتقدمة . قال البغدادى : « أصله المشتوق ، فقلب الألف همزة وحركها بالكسر لأن الألف بدل من واوٍ مكسورة » ، يعنى أن أصلها مشتوِق.

٨٧٣– ( ركك ) ٣١٧ : ٤ وبيروت ٤٣٢ والمخطوطة قول الشاعر :

توضّحن فى قرن الغزالة بعدما
ترشّفنَ ذَرّات الذِّهاب الركائك

ولم ينسب البيت فى اللسان ولا فى التهذيب ٩ : ٤٤٤ . وهو لذى الرمّة فى ديوانه ٤١٩ ،

كما أن صواب النص : « دِرّات الذِّهاب» بالدال المهملة المكسورة ، كما فى الديوان والتهذيب . والدِّرّات : جمع دِرّة بالكسر ، وهى سيلان المطر ، كما أن الدرة سيلان اللبن وكثرته . والذهاب : جمع ذِهبة بالكسر ، وهى المطرة الضعيفة .

٨٧٤– ( ركك ) ٣١٧ : ٦ وبيروت ٤٣٣ : « قيل لأعرابى : مامَطَرة أرضك؟ فقال : مركّكة » . أما المَطرة على وضعها هذا فصوابها « المطْرة » بسكون الطاء . وفى اللسان : « المطرة : الواحدة » يعنى أنها اسم مرة . لكنّ صواب النص المطابق للمخطوطة : « مامَطَرُ أرضك » . وكذلك ورد النص فى تهذيب اللغة ٩ : ٤٤٥ وهو مرجع ابن منظور فى هذا الاقتباس .

٨٧٥– ( سكك ) ٣٢٧ : ١–٢ وبيروت ٤٤٢ : « يقال سكَّ بسلحه وسَجَّ وهَكَّ ، إذا حذقَ به » . وفى المخطوطة « إذا حذف » بالدال المهملة . والوجه «حذق» بالخاء والذال المعجمتين والقاف ، كما فى التهذيب ٩ :٤٣٢ وإن كانت فى بعض مخطوطات التهذيب : «حذف» ، إذ هو المألوف فى التعبير عن سلح الطائر . وفى التهذيب ٧ : ٢٠ «عن الأصمعى : ذرق الطائر وخذق ومزق وزرق » .

٨٧٦– (شكك) ٣٣٨ : ١٢ وبيروت ٤٥٢ والمخطوطة : « والشكائك من

الهوادج : ماشبكَ من عيدانها التى بقيت بها بعضها فى بعض » ، ولا وجه لقوله « بقيت بها » ، والصواب « التى تُقَبَّبُ بها » ، كما فى التهذيب ٩ : ٤٢٦ مع التجاوز عن خطأ الطبع . وفى اللسان : ( قبب ١٥٢ ) : « وبيت مقبب : جعل فوقه قبة . والهوادج تقبَّب » .

٨٧٧ – ( ضبرك ) ٣٤٥ : ١٩ وبيروت ٤٥٩ قول الفرزدق :

وردوا أُراق بجحفل من تغلبٍ
لجب العشيِّ ضُبارك الأركان

وفى المخطوطة : « وردوا اراق » ، وفى الهامش أمامها « إراق » ، مع وضع الحرف « ط » فوقها . وصوابهما جميعا : « إراب » كما فى الديوان ٨٨٢. وفى معجم البلدان : « إراب بالكسر وآخره باء موحدة ، من مياه البادية ، ويوم إراب من أيامهم ، غزا فيه هذيل بن هبيرة الأكبر التغلبى ، بنى رياح بن يربوع ، والحى خلوف ، فسبى نساءهم ، وساق نَعَمهم » .

وقبل هذا البيت فى الديوان :

وكأنَّ رايات الهذيل إذا بدت
فوق الخميس كواسرُ العِقبان

فهذا الهذيل هو هُذيل بن هبيرة التغلبى قائد يوم إراب . والفرزدق فى هذه القصيدة يعترف للأخطل التغلبى الشاعر بمكرمته فى تفضيله إياه على جرير ، ويمدح رهطه بنى تغلب ، ويهجو جريرا . ويقول الأخطل فى الانتصار للفرزدق وهجاء جرير ( ديوانه ٥٠ ) :

فانعق بضأنك يا جرير فإنما
منَّتك نفسُك فى الخلاء ضلالا

منَّتك نفسُك أن تُسامِىَ دارما
أو أن توازىَ حاجبا وعِقالا

٨٧٨ – ( عفك ) ٣٥٥ : ٢ وبيروت ٤٦٩ والمخطوطة : « وامرأةٌ عفتاء ، وعفكاء ونفتاء ، إذا كانت خرقاء . والعفَك والعَفَت يكون العُسْرَ والخُرْق » ، لكن فى المخطوطة « العُسْرُ » بالرفع . وفى النص تحريفان . أما « نفتاءُ » فلاوجه لها ، والصواب « لفتاءُ » باللام كما فى التهذيب ١ : ٣٢٢ . وفى اللسان ( لفت ) : « والألفت والألفك فى كلام تميم : الأعسر ، سمى بذلك لأنه يعمل بجانبه الأميل ، وفى كلام قيس : الأحمق ، مثل الأعفت . والأنثى لفتاء » .

وأما التحريف الآخر في ضبط «العَشر» وصوابها «العَسَرَ» كما رأيت، بفتح السين وبالنصب.

٨٧٩ـ (عكك) ٣٥٧ : وبيروت ٤٦٩ والمخطوطة، قول دَلَم، أبي زُعَيب العبشمي :

* لما رأيت رجلا دعكايه *

ووجه الرواية : «لما رأتني». على أن الرواية في اللسان (درح، دعك) : «إمّا تريني».

٨٨٠ـ (عكك) ٣٥٧ :١٣ وبيروت ٤٧٠ قول الراجز :

*أَزَرْتُه تجدُه عَكّ وَكّا *

وفي المخطوطة : «أرزته»، والصواب «إزْرتُه» لتقابل «مِشْيتَه» في الشّطر الذي بعده، وهذا الصواب في الصحاح. وفي التهذيب ١ : ٦٥ : «إن زرته»، وليست بشيء. وبعد الشطر :

* مِشْيتُه في الدار هاكَ زَكّا *

يقال : ائتزرَ فلانٌ إزرةَ عَكَّ وَكَّ، وإزرةَ عَكَّى، وهو أن يُسبِل طرفَيْ إزاره ويضم سائره. فالنص يتناول تصوير الإزْرَةَ والمشية، ولا يتعلق بالزيارة.

٨٨١ ـ (فرك) ٣٦٢ : ٧ وبيروت ٤٧٤ والمخطوطة أيضا قول رؤبة :

* فعَفّ عن أسرارها بعد الغَسَقْ *

والغَسَق : ظلمة الليل، ولا وجه لها هنا إنما هو «العَسَق» بالعين المهملة كما في ديوان رؤبة ١٠٤ واللسان والمقاييس (عسق) والأسرار من السِّرّ، وهو النكاح. ويقال عَسِقت الناقة بالفحل عَسَقًا : أَربَّتْ به ولزمته. وقد سبق الكلام عليه في التنبيه رقم ٣٧٧.

٨٨٢ـ (لكك) ٣٧٣ : ٧ وبيروت ٤٨٤ والمخطوطة، قول الشاعر :

إلى عُجايات له ملكوكةٍ

في دُخُس دُرم الكعوب بيان

بإهمال نقط الكلمة الأخيرة، وإنما هي «أَتْنان» كما في التهذيب ٩ : ٤٥٢. والأَتْنان : جمع تِنٍّ بالكسر، وهو المثيل والشبيه.

٨٨٣ـ (لوك) ٣٧٤ : ٦ قول عبد بني الحسحاس :

أَلِكْنى إليها عمرَكَ اللهِ يافتى

بآية ماجاءت إلينا تهاديا

والصواب «عَمْرَكَ اللهَ» بنصب لفظ الجلالة ، كما فى المخطوطة . وجاءت على هذا الصواب فى طبعة بيروت ٤٨٥. وفى اللسان (عمر ٢٨٠) : «الكسائى : عمرك الله لا أفعل ذلك ، نصب على معنى عمَرتك الله ، أى سألت الله أن يعمِّرك ، كأنه قال : عمَّرت الله إياك . قال : ويقال إنه يمين بغير واو. وقد يكون عمرَ اللهِ . وهو قبيح » .

٨٨٤ - (ملك) ٣٨٥ : ١١ وبيروت ٤٩٥ والمخطوطة كذلك ، قول أوس بن حجر :

فملَّك بالليط التى تحت قشرها
كغرقئ ببيضٍ كنَّه القيضُ من عَلُ

وصواب الرواية : «الذى تحت قشرها» كما فى الديوان ٩٧ واللسان ( ليط ) والمعانى الكبير لابن قتيبة ١٠٦١ . والليط : جمع لِيطة ، وهى قشرة القصبة والقوس والقناة وكلِّ شىءٍ له متانة . وملَّكَ ، أى ترك من القشر شيئا يتمالك به .

٨٨٥ - (نزك) ٣٨٨ : ١٢ وبيروت ٤٩٨ والمخطوطة : « أنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لامرأة وقد لامها ابنها فى زوجها :

وددت لو أنه ضبٌّ وأنِّى
ضُبَيبةُ كُدية وَحَداً خلاءَ

والبيت فى الحيوان ٦ : ٧٥ منسوب إلى حُبَّى المدنيَّة ، قالته لابنها حين عذلها لأنَّها تزوّجت ابن أُمِّ كلاب ، وهو فتًى حدث ، وكانت هى قد زادت على النَّصَف .

وانظر سبب تمنِّى هذه المرأة لأن تكون ضبةً زوجاً لضبٍّ ، فى كتاب الحيوان . و «وَحَداً خَلاءَا» خطأٌ فى النص والرسم . والصواب «وَجَدا خلاءً» أى أصابا خلوةً. وفى الحيوان : «كضبة كادية وجدت خلاءً » .

٨٨٦ - (ورك) ٤٠٤ : ١٨ وبيروت ٥١٢ قول الهذلى :

بها مَحِصٌ غيرُ جافى القوى
إذا مُطِى حَنَّ بَورْكٍ حُدَال

وفى المخطوطة : «جُدَال» بضمِّ الجيم مع إهمال ضبط اللام ، وهذه محرَّفة ، إنما هى بالحاء المهملة كما فى المطبوعتين ، لكن وجه الخطأ فى ضبط اللام بالسكون وإنما هى «حُدالِ» بكسر اللام ، من قصيدة لأمية بن أبى عائذ الهذلى فى

ديوان الهذليين ٢ : ١٧٢ وشرح السكرى ٤٩٤ مطلعها :

ألا يالقومِ لَطيف الخيالِ
أرَّقَ من نازحٍ ذى دلالِ

وحُدال : فيها حَدل ، أى طمأنينة إلى أحد جانبيها ، تنحدر سيَّتُها قليلا .

٨٨٧ – (وشك) ٤٠٦ : ٦ – ٧ وبيروت ٥١٤ والمخطوطة : «قال عبد الله بن عَثْمة يرثى بسطام بن قيس :

حقيبة سرجه بدنٌ ودِرعٌ
وتحمله مُواشكةٌ دؤوك

فأول خطأ تسمية الشاعر ؛ فهو عبد الله بن عَنَمة ، لا عَثْمة . وأصل العنمة واحدة العَنَم ، وهو ضرب من النبات . وعبد الله هذا شاعر معروف من شعراء المفضليات والأصمعيات ، له المفضَّليَّة ١١٤ والأصمعية ٨ . ومطلع قصيدته فى الأصمعيات ص ٢٦ :

لأمِّ الأَرض ويلٌ ما أَجَنَّتْ
غداة أضرَّ بالحسن السبيلُ

والخطأ الثانى «دؤوك» بالكاف : صوابها «دءول» باللام : من الدألان : وهو ضربٌ من العَدْو .

**عبد السلام محمد هارون**
عضو المجمع

في معاني الأفعال :

# المزيد بالهمز كالمجرد في الأفعال الثلاثية المتعدية

للأستاذ محمد شوقي أمين

١ — المشهور من أحكام التصريف العامة أن هناك معنى لكل حرف من حروف الزيادة في بناء الأفعال ، وأنه إذا زيد حرف أو حرفان أو أكثر كان لكل زيادة من هذه الزيادات معناها الملحوظ ، وذلك تفرقة بين المجرد والمزيد .

ذلك ما يسوقه علماء العربية في عامة ما يقولونه وما يعتمدونه أساسا راسخا في دلالة المباني على المعاني ، ولكنهم يجدون في مسموع اللغة من الأفعال المزيدة ما هو في معنى الأفعال المجردة ، دون تفريق .

وإزاء هذا الذي يجدونه لا يملكون إلا أن يشيروا إليه ، فتراهم يقولون إن هذه الصيغة المجردة أو المزيدة بحرف أو أكثر تجيء بمعنى صيغة أخرى من صيغ المزيدات ، ثم يجتزئون بذكر مثال أو أمثلة معدودات ، وربما نصوا على أن ذلك قليل أو نادر .

٢ — والذين يتتبعون أقوال النحاة والصرفيين في أبنية الأفعال المزيدة بمختلف حروف الزيادة يستطيعون أن يستخلصوا ظاهرة صرفية واضحة ، هي أن أكثر هذه الأبنية المزيدة قد تأتي كالمجرد بلا مغايرة له في معناه ، فما من مؤلف في تصريف الأفعال — قديم أو محدث — إلا نبه إلى ذلك صريحا في غير مواربة ولا لبس . ومن أبرز ذلك في تأليفه «الفارابي» في «ديوان الأدب» فهو يرشد في بيان معاني الأبنية إلى تلاقي المجرد والمزيد على معنى مشترك فيأتي المجرد بمعنى المزيد سواء .

وهاك من ذلك القبيل نماذج مقتبسة من جملة من التصانيف الأصول ، تتناثر في تضاعيف الصحائف والأبواب ، نقدمها فيما يلي على سبيل التمثيل لا الحصر .

أولا — بناء «فعَل» المجرد تشاركه في معناه الصيغ الآتية :

(ا) أفعل ، مثل : بهجت فلانا وأبهجته .

(ب) فعّل المضعّف ، مثل : ماز الأمر وميّزه .

(ج) فاعل ، مثل جاز البلد وجاوزه .

(د) افتعل ، مثل قنى الشيء واقتناه .

(هـ) انفعل ، مثل : عدل عنه وانعدل .

(و) استفعل مثل : يئس منه واستيأس .

ثانيا — بناء «أفعل» يشركه فى معناه بناءان هما :

(ا) فعّل المضعّف ، مثل : أسمى الشيء وسماه .

(ب) فاعل ، مثل : عافاه الله وأعفاه .

ثالثا بناء «تفعل» يأتى بمعناه البناءان الآتيان :

(ا) تفاعل ، مثل : تجوز فى الأمر وتجاوز .

(ب) استفعل ، مثل : تكبّر فلان واستكبر .

رابعا — بناء «فعّل» المضعف ، له بمعناه بناءان كذلك : —

(ا) فاعل ، مثل ضعّف الشيء وضاعفه .

(ب) تفعّل المضعف ، مثل : ولّى فلان وتولّى .

فإذا رجعنا إلى كتب فقه اللغة وما هو منها بسبيل ، ألفينا ثمة أبوابا تعقد لبيان ما يتحد فيه المعنى مع اختلاف البناء ، وفى هذه الأبواب تسرد الأمثلة من فصيح العربية بقدر يغزر أو يندر فى هذا الكتاب أو ذاك .

٣ - وهنا يتبادر إلى الخاطر هذا السؤال :

فيم الزيادة إذن إن لم تكن لمزيد معنى ، أفادته زيادة المبنى ؟

ولم يغب هذا السؤال عن بال النحوى الألمعى «الرضى» فقال فى التعقيب على ما أوردته «شافية ابن الحاجب» من مجئ أفعله بمعنى فعله ، نحو : قلته البيع وأقلته : « وكل زيادة لمعنى وإن لم يكن إلا التأكيد»

والحق أن اصطياد «الرضى» فائدة «التأكيد» لتسويغ الزيادة ، إنما هو محاولة مفترضة لجعل قاعدة أن الزيادة لابد أن تكون لمعنى قاعدة مطردة لاتتخلف .

ويقف فى وجه هذه المحاولة أن اللغة حين تذكر الأفعال المزيدة بمعنى الأفعال المجردة ، لاتضيف فى الأكثر منها جديداً يفرق بين المجرد والمزيد ، وإن يكن الفارق هو محض التوكيد.

وقد اختلف علماء التصريف فى تسمية الهمزة الزائدة فى أفعله بمعنى فعله وتعليلها ، وإن لم يختلفوا فى ورودها . وقد ذكر « المالقى » فى كتابه « رصف المبانى » ص ٥٠ أن هذه الهمزة تسمى همزة النقل ، وقال : «إنها لاتفيد شيئا سوى النقل ، سواء كان الفعل متعديا أو غير متعد ، وليس لها معنى إلا مجرد النقل خاصة »

٤ — على أن اللغويين الذين يعنون بتسجيل ماتناقله الرواة من تنسيب الكلام العربى إلى اللهجات العربية المتعددة ، يرجعون أنساب بعض هذه الأفعال المزيدة إلى قبيلة أو قبائل مسماة أو غير مسماة ، ويقولون إنها تناظر صيغها المجردة بمعناها فى لهجة أو لهجات أخرى لقبيلة أو قبائل غير تلك .

وفى هذا التنظير القائم على التنسيب اللهجوى[1] مايضعف من جدية المحاولة التى عبر عنها «الرضى» بأنها التوكيد نيجيز بها دخول الحرف الزائد على الفعل المجرد بمعناه، مادام اللغويون يطبقون على أن الزيادة لغير مزيد معنى مأنوسة فى غير لهجة من لهجات العرب.

ومع ذلك فان هذا التنسيب اللغوى الذى رصده بعض اللغويين بالنص على فروق اللهجات غير مطرد فى قبيلة بعينها: أو موقوف على لهجة برأسها، فربما نسبوا إلى إحدى القبائل مزيداً بمعنى المجرد فى قبيلة أخرى، ونسبوا إلى جانب هذا مجرداً فى القبيلة الأولى بمعنى المزيد فى القبيلة الأخرى:

٤ — وفى هذا المقام نريد أن نخص بالبحث بنية «فعل وأفعل»، وأول ما ننوه به أن هاتين البنيتين لقيت كلتاهما فضل عناية من النحاة وأصحاب اللغة، إذ لاحظوا كثرة ورودهما بمعنى واحد؛ فنبهوا إلى ذلك بمثل قولهم: «ويجىء أفعلته بمعنى فعلته». وفى مؤلفات فقهاء اللغة، أبواب أو فصول معينة ينص فيها على مجىء البنيتين باتفاق المعنى وأذكر من هذه المؤلفات «أدب الكاتب» لابن قتيبة، و«سر العربية» للثعالبى و«المخصص» لابن سيده، و«المزهر» للسيوطى. و«الأفعال» للسرقسطى. وهو أغزرها مادة وأرضحها تفصيلا.

وإن صيغة أفعل بمعنى فعل، من أظهر مايظهر فيه تنازع رواة اللغة وأثباتها حول تعاقب المجرد والمزيد، تارة يقولون هذه اللفظة المزيدة موافقة لأختها المجردة، كما فى ملكت العجين وأملكته وطورا يقولون هذه لغة دون نسبة كما فى أردفه بمعنى ردفه. وحينا يعزون اللغة إلى ذويها كما فى أرجفته فى لغة هذيل بمعنى رجفته وأعصفت الريح فى لغة بنى أسد بمعنى عصفت: ويذكرون أن بنى عامر يقولون: ذهبه فهو ذهيب ونيته نهو منيوت وبرزه فهو مبروز؛ وبينهم من يذكر تفرقه خفيفة بين أفعل وفعل، فى أقبسه وقبسه، فيقول: أقبست الرجل علما وقبسته نارا، ويتصدى له الكسائى» فيقول: أقبسته ناراً وعلما سواء، ويجوز طرح الألف منهما. وربما أنكر بعضهم مجىء أفعل بمعنى فعل فى بعض ألفاظ، كما فى إنكار «الأصمعى» لأبرق وأرعد بمعنى برق ورعد، فردوا عليه محتجين بشعر «الكميت». وفى اللغويين من لاحظ أن العرب تقول: أحزننى هذا الشئ، فإذا صاروا إلى المستقبل قالوا: يحزننى بفتح الياء، ويحمل هذا على أنه كان فى الأصل أحزنه يحزنه، وحزنه يحزنه بمعنى واحد، كما قالوا: سلكه وأسلكه، وسحته، وأسحته بمعنى واحد، فأخذوا من هذه الصدر ومن هذه الغابر وأماتوا الآخرين. وما استظهره ذلك اللغوى يؤيده إثبات «الجوهرى» لأحزنه

---

(١) نسبة الى علم اللهجات، اى نسبة الى الجمع، باعتبار أن (اللهجات) قد اكتسبت العلمية بأنها اسم لصنف من العلوم. فيقال: لهجوى، كما يقال فى النسب إلى هندات وصعبات: هندوى وصعبوى.

وحدته بمعنى واحد ، وإن لم يقل إن أحد الفعلين فى ماضيه أومضارعه مسلوب الحياة.

وفى الدراسة التى نشرها الأستاذ الدكتور « أحمد علم الدين الجندى » فى الجزء الثانى والثلاثين من مجلة « مجمع اللغة العربية » لصيغتى « فعل وأفعل »— جملة من النصوص الوثقى حول جملة من الأفعال ، يؤخذ منها أن اللهجات العربية تتعاور الصيغتين ، بيد أن لهجة « تميم » يغلب استعمالها لصيغة«أفعله» بمعنى « فعله » ، وأن غيرها من لهجات الحجاز ونجد وهذيل وقيس وعقيل وجرم يرد فى استعمالاتها ذلك أيضا ، على حين أن لهجة «تميم» تستعمل كذلك صيغة «فعله» بمعنى «أفعله» فتقول فى أهلكه هلكه ، وفى أجبره على الأمر جبره ، وفى أخلى على اللبن واللحم خلا ، يضاف إلى ذلك أن هناك أفعالا هى: سحت وفتن ولات وجنب وسرى وحزن ، وردت (هى وغيرها )[1] فى قراءات القرآن ، مداولة بين فعل وأفعل بمعنى واحد ، لا خلاف فى ذلك بين لغوى ومفسر .

٦ — ويجمل بنا أن نقف مع «ابن درستويه» وقفة قصيرة ، فقد جاهر بمخاصمته لاتفاق أفعل وفعل فى المعنى ، وأظهرنا على أنه ألف كتاباً فى افتراق معنى فعل وأفعل ، وله فى كتابه «شرح الفصيح» مقولة ينادى بها ويصر عليها ، وهى قائمة على أساس أنه لا يؤمن فى فلسفته اللغوية بالمشترك لفظا أو المشترك معنى ، فهو ينكر تعدد المعانى مع وحدة اللفظ ، كما ينكر اختلاف أبنية اللفظ مع وحدة المعنى: وفيما أفاض فيه يتجلى أنه يتأول ما يرد من أفعل وفعل بأنه إما لتباين اللهجات ، وإما لعلة وفروق ، وإما لتشبيه فعل بفعل ، وإما لحذف واختصار .

وإذا كان لهذا الوجه من النظر مدرك يمكن قبوله ، والاطمئنان إليه ، فى تعليل بعض الأفعال المسموعة عن العرب ، فإن ذلك لايقدم ولايؤخر فى واقع اللغة المروى الحاصل فى اليد من الألفاظ التى يرد فيها أفعله بمعنى فعله سماعا عن العرب الخلص ، وشتان ما بين النظر والعمل ، وما بين المنطق والواقع ، وما ينبغى لنا أن نرسم للغة شريعة من قواعد وضوابط منبثقة من فكر وتدبر ، وتأصيل وتفصيل ، ثم نحكم بها على المأثور من فصيح الكلام . لنعدل به عن وجهه ، ونصرفه إلى غير مدلوله ، فإنما تخضع القواعد والضوابط للوارد المسموع ، فتجرى عليه . وتلتزم به ، كما نقله رواة اللغة وحفظتها ؛ بدلالاتها التى تعبر عن حرية العربى الفصيح فى الوضع ، وتصرفه فى الصوغ ، بلاسلطان عليه ، ولا نكير .

ولو أننا عمدنا إلى اللغة ، فنفينا منها مالا يطابق القواعد والضوابط التى ننتزعها من أفكار مجردة ، وتصورات عقلية ، لأكرهنا اللغة إكراها على غير ماهى جارية عليه بالفطرة والدربة ، والمرونة والطلاقة .

---

(١) قرئ (يمده) فى سورة لقمان مجرداً ومزيداً ، كما فى «النسفى» .

أفيجوز لنا أن نؤلف معجمنا العربي على أساس رفض المشترك لفظا والمشترك معنى ، على نحو ما ينادي به «ابن درستويه» ؟ إذن لجاز لنا أن نحذف من مواد اللغة وتفريعات مدلولاتها ما يعيا به الإحصاء ، وإذن لأفقدنا متن اللغة ما نفهم به النص العربي المأثور ، من منظوم ومنثور .

ومقطع الحق في هذا ما عبر عنه «ابن فارس في فقه اللغة كما في « المزهر » ص٣٦٩ بقوله : «إن العرب تسمي الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد ، وتسمي الشيء الواحد بالأسماء المختلفة» وأزيد : أن الأفعال في هذا كالأسماء .

٧ — ولقد أورد أعلام النحو والصرف ما جاء فيه فعلته وأفعلته باتفاق المعنى أمثلة لا تتجاوز أصابع اليد ، للتمثيل ؛ وسرد له فقهاء اللغة في مختلف كتبهم عشرات الأمثلة للتعريف . وكنت فيما سلف من الأقضية أعنى بجمع ما يقع لي من هذا القبيل فيما أطالع من المراجع اللغوية المعتمدة كالجمهرة والصحاح والتهذيب واللسان والتاج وغيرها من الأصول ، ومن حصيلة ذلك كله توافر لي عدد جم من الأفعال يبلغ نحو ستين فوق المائتين ؛ ثلاثة أرباعه أفعال ثلاثية مجردة متعدية بنفسها ، لها ما يناظرها في معناها ، مما دخلت عليه الهمزة مزيدة دون معنى مزيد ، والربع الباقي أفعال ثلاثية مجردة أيضا تعدت بحرف الجر ولها نظائر بمعناها مع الهمز . وعمدتي في بيان المعنى المشترك ما نص عليه معجم أو تواردت في النص عليه معجمات . مفاد ذلك كله عند جمهرة اللغة ومدونيها أن هذه الأفعال مزيدها كمجردها ، دون تفرقة في معنى ، أو زيادة في دلالة ، ودون توقف في جواز استعمال المزيد كالمجرد ، سواء بسواء .

٨ — وغني عن القول أن مأثور اللغة كله حجة للاستعمال إن صح ، ومدرجة للقياس إن كثر ، والمقصود بالصحة النقل عن العرب الذين تنوقل عنهم الكلام ، والمراد بالكثرة ما يطمأن به إلى سنة العربية في البناء والصوغ . وليس بقادح في ذلك أن يكون المسموع عن العرب متعدد المصادر من مختلف اللهجات المروية عن قبائل اعتمد علماء اللغة عزوبتها في جمع مواد اللغة . وحسبنا فيما نحن بصدده من صيغة أفعله بمعنى فعله أنها واردة في لهجات شتى ، وأنها لا صقة لصوقا ظاهرا بلهجة «تميم» التي قال فيها «ابن حزم» في «جمهرة أنساب العرب» : «إنها قاعدة من أكبر قواعد العرب» .

وطوعا لما أسلفنا ، يسعنا القول بأن من سنن العربية استعمال أفعلت الشيء بمعنى فعلته ، وللقائل بانقياس ذلك الاحتجاج بهذا العدد الوافر الزاخر مما تحتويه خزائن اللغة ، ومنه تلك المحصلة التي أوفت على المائتين عداً ، ونحن موردوها من بعد مرتبة بحسب حروف الهجاء ، مفصلة بحسب التعدي بالنفس أو بالحرف .

٩ — ورب سائل قائل :

ما الحاجة إلى هذا الذي تجهد فيه جهدا ، وتحتج له جداً ؟

والجواب عن ذلك أن القول بقياسية أفعله بمعنى فعله، فيه غناء من عدة نواح :

الأولى : تحقيق السنة العربية فى مجىء أفعله بمعنى فعله ، وإضافة ذلك إلى قواعد التصريف المقررة ، فما هو بالشاذ ، ولا بالنادر ، ولا بالقليل :

الثانية : تطويع هذه الصيغة الفعلية لحاجة الاستعمال ، برفع الحجر الذى تفرضه فيها المقررات التعليمية العامة وإجازة القياس عليها ، لاستخدامها حين يراد التخصص فى مصطلح ،أو التصرف فى تعبير ،إلى غير ذلك من وجوه التنويع أو التيسير .

الثالثة : أن الأفعال المزيدة بصورتها المهموزة متعدية إلى مفعولاتها ، أسرع فى إفادة التعدية من الأفعال المجردة متعدية بنفسها أو بحرف الجر ، وكذلك الشأن فى مصادر المجرد ومصادر المزيد .

الرابعة : أن الأفعال الثلاثية المجردة يصعب الحكم فيها على حركة عين الماضى والمضارع ، بخلاف المزيدة ، فإن الضبط فيها لا يحتاج إلى توقيف فى مُضِىّ أو استقبال ، إذ هو موحَّد مقيس .

الخامسة : أن مصادر الأفعال الثلاثية المجردة أغلبها لاقياس فيه ، على عكس المزيدة ، فمصادرها مما ينقاس . وما لا يحتاج إلى سماع أولى وأيسر مما يحتاج إلى السماع .

السادسة : أن مصادر الأفعال الثلاثية المجردة قد توافق الأسماء المأخوذة منها فى صيغتها ، فيشتبه التعبير ويلتبس ، ومثاله «العذر» فهو اسم بمعنى حجة الاعتذار ووجهه ، وبهذا المعنى اشتهر حتى اختص به:

والعذر كذلك مصدر لمعنى الحدث وهو رفع اللوم . تقول : عذره عذرا أى قبل اعتذاره : فالعذر إذن هو قبول العذر . ولا يكاد هذا المعنى يسفر باستعمال لفظ العذر ، كما يسفر إذا جىء بالبناء المزيد ، فيقال : أعذره إعذاراً أى قبل عذره ، وذلك مثبت فى مسموع اللغة .

السابعة : أن اسم المرة من مصدر الثلاثى المجرد لا يستبقى فى الغالب صورة المصدر ، بل يقصره على صورة موجزة ربما كان فيها تنكر لصورته الأصيلة : فاسم المرة من الفراغ فرغة ، ومن الإتيان أتية ، ولا كذلك المزيد ، فإن اسم المرة لا يتحيف صورة مصدره ، بل يستبقيه على أصله ، بزيادة تاء فى آخره . وفى الإبقاء على الأصل إيضاح ، وفى تغيير الصيغة إغماض ، والجنوح إلى الوضوح غرض منشود .

الثامنة : أن من الشائع فى اللغة المعاصرة قول الكتاب هذا عمل مشين أو مريع أو مربك ( بضم الميمات ) وذلك العمل يضبره ، بضم الياء ، وقد أضبر الرجل بضم الهمزة ، وإشهار البيع ، وهذه الاستعمالات إنما تجاز على أن أفعالها المزيدة فى معنى أفعالها المجردة .

١٠ — والآن نسوق الأمثلة الفصاح من الأفعال الثلاثية المجردة التى وردت متعدية بنفسها أو بالحرف ، كما وردت مزيدة بالهمز ، مع اتفاق المعنى . وهى قسمان :

القسم الأول : المجرد والمزيد بالهمزة ، مما يتعدى بنفسه .

القسم الآخر : المجرد والمزيد بالهمزة ، مما يتعدى بالحرف :

## أولا — من المتعدى بنفسه

ألف المكان وآلفه
أمر ماله وآمره
أجر الغلام وآجره
أدبه وآدبه
أدمه وآدمه
أثمه وآثمه
أويته وآويته
بر الله حجه وأبره
بشرت الرجل وأبشرته
بدأ الخلق وأبدأه
بت البيع وأبته
بدع الشئ وأبدعه
بلق الباب فتحه وأبلقه
بهج فلانا وأبهجه
باع الشئ وأباعه
برزه وأبرزه
برم الحبل وأبرمه
بهره الأمر وأبهره
تبله الحب وأتبله
ثقفه وأثقفه
جنبه وأجنبه
جبره وأجبره
جفأه وأجفأه
جهده وأجهده
جمعوه وأجمعوه
جاحه وأجاحه
جلوته وأجليته

جننته وأجننته
جهرته وأجهرته
جملت الشحم وأجملته
حزنه وأحزنه
حقه وأحقه
حكيت العقدة شددتها وأحكيتها
حبه وأحبه
حرقه وأحرقه
حشمه وأحشمه
حرقه وأحرقه
حرمه وأحرمه
حكمته وأحكمته
حشته وأحوشته
حترت الحبل وأحترته
حدره وأحدره
حمده وأحمده
حتأ الثوب وأحتأه
جاذ الأمور وأجوذها
خمر الشيء وأخمره
خبا الخبا وأخباه
خسرته وأخسرته
خصبه وأخصبه
دلع لسانه وأدلعه
دمجه وأدمجه
ذروت الحب وأذريته
ذهبه وأذهبه

ردح البيت وأزدحه
رجعه وأرجعه
رملت الحصير وأرملته
روى الزرع وأرواه
رحض الثوب وأرحضه
ردفته وأردفته
رعى الماشية وأرعاها
رهن الشئ وأرهنه
رقن الشعر وأرقنه
رتج الباب وأرتجه
رسنته وأرسنته
ركسته وأركسته
رابه الشئ وأرابه
زجاه وأزجاه
زلت الشى وأزلته
زلق رأسه وأزلقه
زننت خيرا وأزننت
زففتها وأزففتها
زكنته وأزكنته
زعق القبابي وأزعقه
سنفت الناقة وأسنفتها
سعده الله وأسعده
سفقت الباب وأسفقته
سففت النسيج وأسففته
سحته الله وأسحته
سار الدابة وأسارها
سعرني شرا وأسعرني

سعر النار وأسعرها
سلكه وأسلكه
سقاه وأسقاه
سقته وأسقته
شجنه الأمر وأشجنه
شجاه الأمر وأشجاه
شرج العيبة وأشرجها
شرع الشئ وأشرعه
شركه فى الأمر وأشركه
شظ الوعاء وأشظه
شعل النار وأشعلها
شغلته وأشغلته
شكل الكتاب وأشكله
شنق الناقة وأشنقها
شنق القربة وأشنقها
شار العسل وأشاره
شاقه وأشاقه
صددته وأصددته
صر أذنه وأصرها
صفحت الرجل رددته
وأصفحته
صعقته وأصعقته
صليته فى النار وأصليته
صرت إلى رأسه وأصرته
ضره وأضره
طلح البعير هزله وأطلحه
طلق يده بالخير وأطلقها
ظلفت أثرى وأظلفته
طل دم القتيل وأطله
طمر الشئ وأطمره
طاعه وأطاعه
عددت وأعددت

عذر الرجل وأعذره
عار عينه وأعارها وأعورها
عدمته وأعدمته
عرش الكرم وأعرشه
عسرت الرجل وأعسرته
عفصت القارورة وأعفصتها
عقبه وأعقبه
عقم الله رحمها وأعقمه
عل إبله وأعلها
عمر داره وأعمرها
علفه وأعلفه
عننت اللجام وأعننته
عاقه وأعاقه
عصد العصيدة وأعصدها
عضبه وأعضبه
عنكت الباب وأعنكته
عاضه وأعاضه
عذقت الكبش وأعذقته
عفوت الشعر وأعفيته
غمد السيف وأغمده
غمض عينه وأغمضها
فتنه الأمر وأفتنه
غواه وأغواه
فرزت الشئ وأفرزته
فرشته فراشى وأفرشته
قذ السهم وأقذه
قبسته وأقبسته
قدعته وأقدعته
قرى الضيف وأقراه
قطبت الشراب وأقطبته
قطرت الماء وأقطرته
قلته البيع وأقلته

قمسته فى الماء وأقمسته
قمعته وأقمعته
كفأت الإناء وأكفأته
كننت الدرة وأكننتها
لحدت القبر وألحدته
لحقته وألحقته
لحيت القوم وألحيتهم
لغز اليربوع أجحاره
وألغزها
لحته وألحته
لاته حقه وألاته
لاق الدواة وألاقها
محضه الود وأمحضه
مد الدواة وأمدها
مدر الحوض وأمدره
مرأنى الطعام وأمرأنى
مرج البحرين وأمرجهما
مضه الحزن وأمضه
مطرتنا السماء وأمطرتنا
ملح القدر وأملحها
ملك العجين وأملكه
مهر المرأة وأمهرها
مار أهله وأمارهم
نجزت الحاجة وأنجزتها
نجوت الجلد عن اللحم وأنجيته
نزفت البئر وأنزفتها
نشر الشئ وأنشره
نشل الشئ وأنشله
نصف الشئ وأنصفه
نضر وجهه وأنضره
نظر غريمه وأنظره
نعشه الله وأنعشه

نقد الدراهم وأنقدها
نقص الشيء وأنقصه
نقع الشيء وأنقعه
نكر القوم وأنكرهم
نهكهم عقوبة وأنهكهم
نويت النوى وأنويته
هجأه (سكّنه) وأهجأه
هدره وأهدره
هديت العروس وأهديتها
هلكت الشيء وأهلكته
هلت التراب وأهلته
هرقته الماء وأهرقته
هزل الناقة وأهزلها
وجرت الدواء وأوجرته
وخفت الخطمى وأوخفته
وعيت العلم وأوعيته
وقفه وأوقفه
وكأ القربة وأوكأها
وهنه الله وأوهنه
يقن الأمر وأيقنه

## ثانيا — من المتعدى بالحروف

برق لي وأبرق
بل من مرضه وأبل
ثويت عنده وأثويت
جزت عنه وأجزت
جد في الأمر وأجد
جلبوا عليه وأجلبوا
جلا عن الموضع وأجلى
جهش في البكاء وأجهش
جال في ظهر دابته وأجال
حدت على زوجها وأحدت
حدق به وأحدق
حل من إحرامه وأحل
حاك فيه القول وأحاك
حال في متن فرسه وأحال
خطل في كلامه وأخطل
خفق بجناحيه وأخفق
خلد بالمكان وأخلد
خلد إلى الأرض وأخلد
خلف الله عليه وأخلف
خلا على اللبن واللحم وأخلى
دبر عنه وأدبر
ذعن له وأذعن
ربعت عليه الحمى وأربعت
رعد له وأرعد
رفل في مشيه وأرفل
ركح إليه لجأ وأركح
رمى على الخمسين وأرمى
زحف في المشي وأزحف
زرى عليه وأزرى
سقط في يده وأسقط
سرى بعبده وأسرى
سمح له بحاجة وأسمح
سند في الجبل وأسند
سؤت به ظنا وأسأت
صغوت إلى الرجل وأصغيت
طف لك الشيء وأطف
طلع على القوم وأطلع
طاف به وأطاف
عصفت به وأعصفت
عاذ بالله وأعاذ
غبت عنه الحمى وأغبت
غمي عليه وأغمي
غريت بالشيء وأغريت
فسح له وأفسح
قبل على الرجل وأقبل
قرأ عليه السلام وأقرأه السلام
قصر عنه وأقصر
لحد في الدين وألحد
لحق به وألحق
لغط به وألغط
لمع بيده وألمع
لهج به وألهج
لاذ به وألاذ
لوى برأسه وألوى
مطت عنه وأمطت
مسك بالشيء وأمسك
نصع بالحق وأنصع
هوى إليه وأهوى
نعم الله بك عينا وأنعم
وحى إليه وأوحى
وعز إليه وأوعز
وضع في ماله وأوضع
وفى بالعهد وأوفى
وقعت بالقوم القتال وأوقعت
وكس في ماله وأوكس
ومأ إليه وأومأ
يسر له في الأمر وأيسر

**محمد شوقي أمين**
عضو المجمع

# التراث الجيولوجي عند العرب

للدكتور محمد يوسف حسن

**يحفل** تراث العرب الجيولوجي بالكثير من المصطلحات والدراسات التي تدل أبلغ دلالة على ازدهار علم الجيولوجيا عند العرب، الذي يُعَدُّ من أهم دعائم ازدهار هذا العلم – أيضاً – عند علماء أوروبا في عصر النهضة، وحتى مشارف العصر الحديث.

ويرجع اهتمام العرب بالجيولوجيا إلى ماطُبِعُوا عليه من حب التجوال، والرحلة إلى الآفاق، والتعرف على معالم بيئتهم، وما فيها من جبال ووهاد ووديان، ومياه جارية أو غائرة، وعيون سائلة أو متفجرة.. وما تزخر به هذه البيئة من هضاب وصخور ورمال، وما في باطن أرضهم من معادن، وما في أعماق خليجهم من لآلئ، وغير ذلك مما في جزيرة العرب.

وجاء القرآن الكريم وفيه عشرات الآيات التي تحثُّ بل تأمر بالنظر والتأمل فيما أبدع الله تعالى من أرض وسماء..

**ومن هذه الايات قوله تعالى:**

«قل: انظروا ماذا في السموات والأرض» (يونس – ١٠١)

«قل: سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق (العنكبوت – ٢٠)

«وأنزلنا الحديد فيه بأْسٌ شديد ومنافع للناس» (الحديد – ٢٥)

«وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً، وسُبُلاً لعلكم تهتدون». (النحل ١٥)

«أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رُفعت، وإلى الجبال كيف نُصبت، وإلى الأرض كيف سُطحت فذكِّر إنما أنت مذكِّر» (الغاشية – ١٧–٢٠)

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جُدَد بيض وحُمْر مختلف ألوانها ، وغرابيب سُود » . ( فاطر ـ ٢٧ )

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رَتْقاً ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيّ » . ( الأنبياء ـ ٢٠ )

« لَخَلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لايعلمون ( غافر ـ ٥٧ ) .

وهكذا ، حين أطَلَّ فجر الإسلام على أرض جزيرة العرب ، وأخذت أضواؤه تُشرق في أرجاء الأرض ، وارتحل العرب إلى مختلف البلدان ، كان من أبرز سمات الحضارة العربية الإسلامية هذا الاهتمام العلمى بمعالم الأرض وظواهرها ، واستكناه أسرارها ، والكشف عن كنوزها ويتجلَّى ذلك فيما تزخر به المعاجم العربية من ثروة هائلة من المصطلحات والألفاظ الجيولوجية ، التي مازالت حيَّةً حتى الآن ، يستخدمها العلماء في عصرنا الحديث ، كما يتجلَّى في ذلك الحماس العلميّ ـ لدى علماء العرب ـ في البحث عن حقيقة تكوين الأرض ، ودراسة ظواهرها ، حتى خَلَّفُوا لنا تراثاً جيولوجيا ينطق بأجلى بيان على أن اللغة العربية لغة علمٍ وحضارة منذ عشرات القرون . ومن كتب هذا التراث « رسائل إخوان الصفا ، و « كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » للقزويني ، وغيرهما .

وقد بدأ نمو الخلفية الجيولوجية عند علماء العرب المهتمين بالعلوم الطبيعية من حصيلة ماترجمه أساطين عصر الترجمة منذ القرن الأول للهجرة وبخاصة ماترجمه بعد ذلك أعلام مدرسة بني موسى بن شاكر ، ومدرسة يعقوب بن اسحاق الكندى وغيرهم ممن أجادوا لغات اليونان والرومان والسريان ، وللكندى نفسه رسائل أصيلة في موضوعات جيولوجية مثل رسائل « المد والجزر » و « العوامل الباطنة المؤثرة في الأرض » و « علة حدوث الرياح في باطن الأرض والمحدثة كثيرا من الزلازل والخسوف » و « الجواهر والأشباه » وغيرها .

## الرواد والمتخصصون في علوم الأرض في عصر النهضة العلمية العربية الإسلامية :

لقد كان علماء العصور الإسلامية ، شأن كل قدامى العلماء ، حتى نهاية عصر النهضة

الأوروبية ، علماء موسوعيين يعملون فى مجالات متعددة من العلم .غير أنه يمكن تقسيم من اشتغل من علماء العرب بعلوم الأرض بعد انتهاء عصر الترجمة والنقل إلى مجموعتين :

(ا) مجموعة المرحلة الأولى (٣٠٠ – ٥٠٠ هـ تقريبا = ٩٠٠–١١٠٠ م تقريبا) : ويمكن تسمية علمائها بالرواد الموسوعيين فى علم الأرض .

(ب) مجموعة المرحلة الثانية (٥٠٠ – ٨٠٠ هـ تقريبا = ١١٠٠ – ١٤٠٠ م تقريبا) : ويمكن تسمية علمائها بالرواد المتخصصين فى علم الأرض .

* * *

ومن علماء المرحلة الأولى نذكر هؤلاء الأعلام :

## ١ – أبو بكر محمد بن زكريا الرازى

(المتوفى عام ٢١٤ = ٩٢٦ م تقريبا) :

وهو بجانب شهرته الأولى كطبيب ، كان أول من طبق علم الكيمياء فى الطب ، فوضع أول تصنيف للمواد مؤسسا على الطريقة العلمية المستندة إلى وصف الخواص الطبيعية والكيميائية . وقد أورد ذلك فى كتابه «سر الأسرار» ، وهو كتاب فى الكيمياء والعقاقير أساسا ، ولكن الرازى أفاض فيه فى وصف المعادن والأحجار – كطائفة بذاتها – فتناولها بالدراسة من حيث اللون ، والثقل النوعى ، ومعرفة الجيد والردىء ،وموطن الوجود . وكان الرازى من رواد التقدير الدقيق للكثافة ، وابتكر لها جهازا خاصا أسماه «الميزان الطبيعى . وله أيضا كتاب فى الفلك اسمه «هيئة الأرض» تعرض فيه لموضوعات كوزموغرافية مثل براهين كروية الأرض ، وتقدير أحجام الشمس والأرض والقمر.

## ٢ – على بن الحسين بن على المسعودى

(المتوفى عام ٢٤٦ هـ = ٩٥٦ م تقريبا )

وشهرته الأولى فى الجغرافيا ، وأشهر كتبه «مروج الذهب ومعادن الجوهر . وبه ريادات فى الجيولوجيا الطبيعية كوصف هيئة الأرض ، ومعالمها ، وأغلفتها ، والمد والجزر ، ودورة الماء فى الطبيعة وأوصاف الأنهار ، وأسباب ملوحة ماء البحر ،وتغير مواضع البر والبحر على طول الزمان ، وعلامات وجود الماء فى باطن الأرض ، ووصف البراكين وماتقذفه من أبخرة ودخان أحجار ، وله أيضا كتاب اسمه « **التنبيه والإشراف** »

ناقش فى خلاله نظرية التطور العضوى .

ويعد المسعودى أول من تناول ذلك الموضوع بعد أنكسماندر الإغريقى بشيء من العمق والتفصيل إلى الحد الأدنى دفع بعض علماء الغرب المعاصرين للداروين أن يكتبوا فى « الموازنة بين الداروينية فى القرنين : التاسع والتاسع عشر »

٣ — جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا (القرن الرابع الهجرى = العاشر الميلادى) :

وتعد هذه الجماعة أول جمعية علمية فلسفية فى التاريخ بمعنى يقارب المعنى الحديث لتلك الجمعيات ، وقد اختصت رسالتان من رسائلهم التى نيفت على الخمسين بالعلوم الجيولوجية ، وهاتان هما الرسالة الثامنة عشرة فى « الآثار العلوية »والرسالة التاسعة عشرة فى «بيان تكون المعادن » . و قد أثبت التحقيق والتعليق العلمى لبعض المعاصرين من الجيولوجيين العرب على هاتين الرسالتين أنهما تحتويان على أقدم نصوص فى التاريخ لموضوعات جيولوجية عالجها من ألّف الرسالتين بأُسلوب علمى يثير الدهشة من حيث تقاربه الشديد مع الأُسلوب العصرى . وهذه الموضوعات هى :وصف الدورة التحولية فى الصخور – تطور المستنقعات وبحار الرفوف القارية – عمليات التأْثير الجوى والتحات والنقل والترسيب . وتشتمل الرسالة الأُولى أيضا على تقسيم للغلاف الجوى للأَرض إلى ثلاثة أغلفة تناظر ما يعرف الآن بالتروبوسفير والاستراتوسفير – والأَيونو سفير ،مع وصف علمى مفصل لكل غلاف على حدة ، وتفسر الرسالة الثانية نشأَة الجبال مما يتراكم على قعور البحار من رواسب تأْتى إليها من البر ، وما يؤدى إليه ذلك من تغير مواضع البر والبحر بمرور الأَزمان . ويضم الشرح أول بادرة فى التاريخ لفكرة التقعرات الترسيبية العظمى ( الجيوسنكلينات ) التى هى مناشىء الجبال ، ولفكرة توازن القشرة الأَرضية . وبالرسالة أول محاولة لتصنيف الصخور طائفتين تناظران ما يعرف اليوم بالصخور النارية والصخور الرسوبية ، وبها أيضا أول محاولة لشرح أصل المياه الجوفية وحمولتها الذائبة وترسب المعادن منها ، وبها كذلك وصف للبيئات الجيولوجية لتكوين المعادن يعد أول بادرة لنشوء علم التنقيب عن المعادن .

وقد صنف المؤلفان المعادن ووصفاها على أساس صفاتها الفيزيائية من شكل ولون وطعم ورائحة وثقل ودرجة صلادة وقوة تماسك وغير ذلك ،وكذلك ورد بالرسالة أول بادرة لوصف الاختبارات الكيميائية للمعادن تعد أولى محاولات علم تجهيز المعادن .

٤ — أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى

( المتوفى عام ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠م تقريبا ) :

له عشرات الكتب الهامة فى معظم العلوم ، ومن أهمها كتابه فى علم المعادن واسمه « الجماهر فى معرفة الجواهر » تناول فيه بالدراسة المفصلة نحو ثلاثين معدنا أو حجرا أو خاما أو فلزا ، على أساس الخواص الفائقة من لون وشكل وصلادة وحكاكة ومكسر ووزن نوعى وشكل بلورى وشفافية وقدرة على كسر الضوء . وتعد تجاربه وأجهزته وحساباته لتعيين الوزن النوعى مثاراً للعجب ، وقد توصل منها إلى تقدير الأوزان النوعية لعدد من المعادن لا يتجاوز الفرق بينها وبين القيم الحديثة أجزاء قليلة من المائة أو العشرة على أكثر تقدير .

٥ — أبو على بن الحسين بن عبد الله ابن سينا

(المتوفى عام ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧م تقريبا ) :

أكبر شهرته فى الطب . وله كتاب فى التاريخ الطبيعى اسمه « الشفاء » تناول فيه مسائل أصل الجبال والصخور والمعادن بريادة ووجهة نظر تقارب وجهة النظر الحديثة ؛ فتحت الطريق أمام جيولوجى عصر النهضة الأوروبية لتفهم هذه الموضوعات ، فاستعانوا بأفكاره ، بل استعاروا منها بحرية . وقد أشاد بريادته وتعمقه فى فى هذه المجالات أساطين مؤرخى علم الجيولوجيا فى الغرب ،أمثال لايل وجايكى وآدمز ، ويعد بن سينا أول من وضع الأسس الأولى فى علم الطبقات والرسوبيات والحركات الأرضية ،وفهم الزمن الجيولوجى . كما أنه أول من ألمع إلى حركات القارات وميكانيكية تحجر بقايا الأحياء ، ومغزى الحفريات

٦ — عمر العالم

( القرن الرابع الهجرى ) العاشر الميلادى تقريبا ) :

وهو شخصية تلتبس مع عمر الخيام المشهور ، ولم يتوصل المؤرخون إلى حسم هذا اللبس بعد . ومن أمتع الآثار الجيولوجية فى العصور الوسطى رسالة تنسب إليه بعنوان « تراجع البحار » ، وقد أثبت فيها من خلال ملاحظاته الحقلية ومقارنته خرائط عصره لمنطقة بحر قزوين بخرائط الفرس والهنود للمنطقة نفسها قبل ألفى سنة من زمانه ، أن البحر كان يغمر المنطقة فى سالف الأزمان . وقد علق رائد الجيولوجيا الحديثة « تشارلس لايل » على الرسالة بأن « بالاس فى أواخر القرن الثامن عشر قد توصل من نفس المشاهدات إلى نفس الاستنتاج » . وتعتبر هذه الرسالة أول بادرة وردت فى علم الجغرافية القديمة ( الباليوجغرافيا ) والتدليل على حركات البحار بطريقة مبتكرة لم يسبق عمر العالم إليها أحد .

* * *

ومن علماء المرحلة الثانية — والمعروف منهم حتى الآن قلة على أى حال — نذكر :

١ — شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشى

( المتوفى عام ٦٥١هـ = ١٣٥٢م ) :

وأهم آثاره العلمية كتاب « أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار » ، وهو رسالة فى علم المعادن والخامات كثرت ترجمتها إلى اللغات الأوروبية ، وكثر التعليق العلمى عليها من الأوروبيين والعرب المحدثين المهتمين بعلم الجيولوجيا ، مما أثبت المنهاج العلمى الأصيل للتيفاشى فى دراسة المعادن والخامات ، وبيّن التجديدات التى أحدثها فى أسلوب من سبقوه فى هذا المجال مما يرشحه لأن يكون أول من طوّر دراسة علم المعادن نحو الأسلوب الذى اهتدى به رواد هذا العلم فى نهاية القرون الوسطى وبداية عصر النهضة ، وأسسوا به قواعده الحديثة ، وقد أثبتت هذه الدراسات أن التيفاشى أول من تنبه وتكلم عن ظواهر التشقق ، والمحصورات ، والتوأمية ، واختبار الشعلة . وأنه أول من حاول وضع نظريات فى أصل تكون الخامات . وقد أوضحت الدراسات كذلك براعة التيفاشى فى الوصف الدقيق ، وموهبته فى ابتكار المصطلحات الفنية فى وصف

الشكل البلّورى والتشقق ، والصلادة ، وإنكسار الضوء وتشتته ؛ وكذلك موهبته التصنيفية التى أشاد بها « موليه » الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، وتظهر فى وصفه للمعادن على أساس خواصها الفيزيائية والكيميائية ، وفصل كل مجموعة متشابهة فى ذلك على حدة . هذا فى الوقت الذى كان علماء المعادن فى أوروبا يصنفونها بحسب حروف الهجاء ، ولم يتركوا ذلك التصنيف الساذج إلا قرب زمن أجريكولا الملقب بأبى علم المعادن فى القرن السادس عشر.

### ٢ — عماد الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن محمود القزوينى

( المتوفى عام ٦٨٢هـ = ١٣٨٢م ) :

كان جغرافيا ورحالة وعالما بالتاريخ الطبيعى. وأشهر مولفاته «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » وبه باب عن الجغرافيا الطبيعية والجيومورفولوجيا ، وآخر عن الأحجار والمعادن . وقد ساق فى هذا الكتاب محاورات ممتعة بأسلوب مشوق ، وتنطوى على أفكار جيولوجية بخصوص حركات البحار ، وتبادل البر والبحر أماكنهما على مر الزمان .

### ٣ — أبو القاسم عبد الله بن على بن أبى طاهر الكاشانى

( القرن الثامن الهجرى = الرابع عشر الميلادى ) :

كان متخصصا فى دراسة المعادن والأحجار وخصوصا خامات صناعة الخزف والمعادن التى تستخرج منها طلاءاته .

### ٤ — أبو عبد الله شمس الدين محمد بن ساعد السنجارى المعروف بابن الأكفانى

( المتوفى عام ٧٤٩هـ = ١٤٤٨م ) :

كان طبيبا متضلعا فى طب العيون واشتهر بهوايته العميقة للأحجار الكريمة إلى الحد الذى دفعه إلى تأليف كتاب متخصص فى علم المعادن باسم « نخب الذخائر فى أحوال الجواهر » يمتاز بدقة الوصف وتمام المراجع .

## أثر التراث الجيولوجى العربى فى نشأة الجيولوجيا الحديثة فى أوربا :

إن ما سبق هو ملخص لما أمكن التوصل إليه من إضافات العرب إلى علم الجيولوجيا فى عصور النهضة العلمية الإسلامية . وهو إذا لم يكن شيئًا مذكورًا بالنسبة لما استحدثوه فى الطب ، والكيمياء ، والفيزياء ، والفلك ، والرياضة ، وما كان له من أثر معروف فى تطور تلك

العلوم فى أوروبا إبان عصر النهضة . فإن ذلك يرجع إلى أن الجيولوجيا لم تتوطد أركانها بين العلوم الحديثة إلا عند مطلع القرن التاسع عشر ، فلم يتسع الوقت ولم تتوفر الأسباب بعد لمؤرخى هذا العلم فى أوروبا أو الشرق للكشف عن جوانب أخرى لما أضافه العرب فيها ، وأثره فى تطور هذا العلم فى أوربا فى عصر النهضة ، ولكن سبيلنا إلى تقويم راهن لهذا التأثير يأتى من ناحيتين : الأولى : من الأدلة المباشرة على استفادة علماء أوربا فى أواخر القرون الوسطى من الفكر الجيولوجى الإسلامى ، وهى – على قلتها – واضحة فى كتب ألبرت الكبير ، ورستورو داريزو فى القرن الثالث عشر الميلادى . ويقول الأول بنفسه فى كتبه إنه استقى كثيرا من معلوماته ونظرياته الجيولوجية من أعمال ابن سينا . وأما الثانى فقد كان كتابه « طبيعة العالم » محل دراسة مؤرخى علم الجيولوجيا الغربيين فى أوائل هذا القرن وأواسطه . وقد ثبت منها أنه قد استفاد الكثير من الترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية .

وتأتى الناحية الثانية من الأدلة غير المباشرة التى تتركز فيما سقناه من كشف عن الكثير من التراث الجيولوجى الإسلامى ، وتحليل علمى لما جاء فيه ، يظهر سبق المؤلفين العرب والمسلمين عامة إلى أفكار جيولوجية كثيرة وأساليب علمية فنية نجد صداها واضحا فى كتابات الجيولوجيين الأوروبيين فى أواخر القرون الوسطى وحتى نهاية القرن السادس عشر الميلادى . ولئن كان هؤلاء قد توصلوا إلى هذه الأفكار باستقلال فكرى تام عن المؤلفين العرب ، أو كان أصحاب الأسماء المشهورة من بناة الجيولوجيا الحديثة أمثال ستيلا وأجريكولا وهاتون قد اطلعوا على التراث الجيولوجى الإسلامى عند إخوان الصفا وابن سينا والتيفاشى والقزوينى وغيرهم ، فإن هذا لا ينقص من قدر العلم الإسلامى ولا من قدرهم ، بل يزيد منهما معا . وإذا كانت علوم الطب والكيمياء ، والفلك والرياضة وغيرها فى العصور الإسلامية الزاهرة قد ثبت تأثيرها بشكل قاطع فى تطور العلم الغربى الحديث حتى فجر عصر النهضة بل أواسطه ، وكانت المسالك الحقيقة للفكر الجيولوجى الإسلامى إلى أوربا إبان عصر النهضة لم تتضح معالمها بعد – فإن ما سقناه من الأدلة غير المباشرة على ذلك نرجو أن يثير همم البحاث لتعرف تلك المسالك وتحقيقها .

**محمد يوسف حسن**
**عضو المجمع**

# الوجود العربي في اللغة التركية

## للأستاذ أحمد توفيق المدني

لأمتنا العربية الماجدة ، رصيد ضخم من اللغة والأدب ، هو وديعة الآباء والأجداد ، عند إخوتنا من الشعوب المجاورة لأقطار العربية ، أو القريبة منها ، كتركيا ، إيران ، وباكستان . وأرى ، ترون معي ولا ريب ، إن البحث عن هذا الرصيد الثمين ، إنما هو من أقدس الواجبات المفروضة على الأديب العربي ، حتى يظهر لأجيالنا الحديثة مدى إشعاع العربية في البلاد المجاورة لنا ، ومدى ما أسهمت به لغتنا الحية الخالدة في نمو وعمق وشمول اللغات التي تكتنف بلادنا العربية .

إن البحث في هذا الميدان لشيق ومثمر لمى . وإن الإنسان العربي المعاصر ليندهش عندما يبحث البحث الجدي العميق في لغات الترك والفرس والباكستانيين ، فتتجلى أمام عينيه الحقيقة الناصعة عن مدى إسهام اللغة العربية في تكوين هذه اللغات من جهة وعن مدى تغلغل الأدب العربي ، نثراً وشعراً ، بموازينه ، وقوافيه ، وسجعه بديعه ، في آداب تلك اللغات من جهة أخرى .

فإن كانت روابط الإسلام الحنيف تجمع بين شعوبنا برباط إلهي مقدس لا انفصام له أبداً ، فإن روابط اللغة العربية توحد كذلك صفنا ، وتجانس بين طرائف تفكيرنا ومناهج عملنا . ولو أن جمعاً من علماء وأدباء العرب ولجوا ميدان هذا البحث المثمر الطريف ، وتغلغلوا في شعابه ، لفتحوا بذلك أبواب تعاون جديد بيننا وبين إخوتنا في الدين ، ولازدادت العربية بذلك ذيوعاً وانتشاراً .

لقد اشتغلت بهذا العمل ردحاً من الزمن ، بحسب الجهد والطاقة ، وسماح أوقات العمل . واهتبلت فرصة وجودي سفيراً للجمهورية الجزائرية في قطري تركيا وإيران أولا ، ثم في بلاد الجمهورية الباكستانية أخيراً ، وفحصت فحصاً مدققاً مختلف اللغى التي يتخاطب بها القوم في هذه القطع الغالية من البلاد الإسلامية ، فخرجت من ذلك البحث بنتيجة رائعة مذهلة : إن حوالي الربع من هذه اللغات مكون من كلمات عربية صحيحة فصيحة ، تستعمل بألفاظها ومعانيها في كلام الخاصة والعامة

سواء كان مكتوبا أو منطوقا . وتشمل هذه الكلمات العربية الغفيرة كل ميادين التفكير والتعبير ، بحيث إنها لوانحسرت عن تلك اللغة ، لأصبحت اللغة شلاّء غير صالحة للتعبير ، ولاقدرة لها على ربط صلة التفاهم بين الناس .

وإنه ليسعدني ويشرفني أن أقدم هذا البحث المبتكر عن : الوجود العربي في اللغة التركية . وسأقفي على أثره ، إن يسّر الله وسمح الأجل ، ببحث آخر عن : الوجود العربي في اللغة الباكستانية ، الأوردية ثم عن الوجود العربي في اللغة الإيرانية » راجياً أن يكون هذا البحث ذا فائدة لإمتنا وللغتنا ، جديرة بالتسجيل والتنويه .

فلقد وضعت في مضابط بحثي ثمانية آلاف كلمة تركية جردت من بينها نحو الألفين من الكلمات العربية ، أي مايعادل الربع من مجموعها . ثم اعتكفت على تلك الكلمات المجردة فرتبتها ترتيبامعجميا محكماً ، وكانت نتيجة ذلك ، هذا القاموس الوجيز الذي أضعه الآن بين يدي الدارسين .

ولي على هامش ذلك ملاحظات :

أولها : أن إخواننا الأتراك في غالبيتهم لايعلمون ان هذه الكلمات عربية ، بل يعتبرونها — إلا ماقل — من صميم لغة الترك ، وأسوق لكم على ذلك مثلا طريفا :

عندما تعين موعد اجتماعي برئيس جمهورية تركيا ، لتقديم أوراق اعتمادي ، جاءني رئيس تشريفات الدولة ، يلقنني طريقة التقديم ، وهي عندهم بسيطة جداً ولكنه قال لي في لهجة حازمة : هنالك أمر لا يمكن إطلاقا نسيانه أو التهاون فيه ، وهو أنك يجب أن تقدم تحية لفرقة الحرس الجمهوري الذي تجده واقفا لاستقبالك ، وذلك بأن تقول له بصوت مرتفع ، كلمتين باللغة التركية الصميمة ، وهو يحييك عنهما جماعياً فيجب أن تحفظ الكلمتين ولا تنساهما . وعلى كل فأنا سأكون إلى جانبك ، ألقنك إذا نسيت . قلت جاداً : سأحفظهما إن شاء الله ، وسأمرن لساني عليهما ، نهات الكلمتين . قال لي هما : مرحباً عسكر فكتمت بكل صعوبة ضحكة كانت تترجرج في صدري ، وقلت : إن كانت اللغة التركية كلها على هذا المنوال ، فسأكون أفصح من يتكلمها .

وثانيها : إذا أنصت الإنسان إلى الأتراك وهم يتكلمون ، فإنه لايكاد يشعر بوجود هذه الكلمات العديدة من اللغة العربية في لسانهم ، ذلك لأنهم يفخمون بعض الحروف ويرققون بعضها بما يخرج الكلمة العربية عن مبناها الطبيعي ، ثم أنهم من جهة أخرى ، لاينطقون عدداً من الحروف العربية مثل : الثاء — والحاء — والخاء — والضاد — والظاء — والعين — والقاف — والواو : يستعملون مكانهما حرف

السين ، أو حرف الألف ، أو حرف الزاى أوحرف V الإفرنجى ذلك زيادةعن أنهم يستعملون فى لسانهم أحرفا لاوجودلها فى العربية مثل أحرف p —و U — و V —

لهذا ، فالباحث عن الكلمات العربية يجدها فى الكتابة التركيةواضحةجلية،على الرغم من استعمال الأتراك لمايدعونه منذ ثورتهم الثقافية أيام أتاتورك ، بالأحرف التركية وماهى فى الحقيقة إلاحروف لاتينية أدخل عليها تغيير غير منطقى : فحرف نطق جيا مدغومابدال «دج» ، وإذا كانت لهذا الحرف شارة سفلى ، فهو ينطق : تش وحرف G ينطق غينا. وحرف ينطق : وحرف ينطق شينا ، وحرف u ينطق ou .

لهذا ، ترون أنى رتبت هذا المعجم على ثلاثة أودية ، أضع الكلمة العربية أولا ، ثم أرسمها كما تكتب بالحروف التركية الجديدة .

وأضع أخيراً فى الوادى الثالث معناها الخاص ، إن كان معناها الاصطلاحى ويخالف أويحدد المعنى العربى . وذلك قليل جداً .

وثالثها : أن الأتراك أنشأوا فى أول عهدهم بالثورة لجان تطهير ، غايتها إبعاد الكلمات الأجنبية عن لغتهم ، والاستعاضة عنها بكلمات من صميم الطورانية.ولقد اشتغلت تلك اللجان بحماس فى أول أمرها واستبعدت عدداً كبيراً من الكلمات الأجنبية ومنها كلمات عربية ، فما أذكره لكم بعد هذا من كلمات ، يعتبر اليوم من صميم لغة الأتراك .

ورابعها —أننى لم أدخل فى بحثى أسماء الأعلام ، وهى عندهم عربية بنسبة ٩٠ من المائة كما لم أدخل كل المشتقات.وهى عديدة جداً .

وأخيراً ، ملاحظة تاريخية ، عن تغلغل الكلمات العربية ضمن اللغة التركية. لقد كان الأتراك قوماً من البدائيين بوجه عام عندما جاءهم الإسلام الحنيف على يد الرواد الأولين ، وجاءهم القرآن هدى ونوراً فأخذوا الكتابة عن العرب ، وأخذوا العلم عن العرب ، وأخذوا مبادئ الحضارة عن العرب .

ثم كان الاختلاط الوثيق الأول بين العرب والترك ، عندما ما استعمل العباسيون الجند التركى ، وأفسحوا له المجال فى دولتهم ، فاغترف الترك يومئذ من العربية وعلومها وآدابها الشيء الكثير ثم كان بعد ذلك ورود فيالق المماليك تترى على أقطار مصر والشام . وأخذت التركية تتوسع شيئاً فشيئاً بواسطة المدد العربى الواسع ، إلى أن كان القرن السادس عشر ، ودخل العرب كافة ضمن السلطنة العثمانية ، فزاد الالتحام والترابط بين الأمتين التركية والعربية .

فاللغة العربية وهي لغة الدين والعلم والأدب والحضارة لم تأخذ خلال هذا الالتحام شيئا من اللغة التركية ، اللهم إلا بعض الكلمات الإدارية ، على حين أخذ الأتراك من حيث يعلمون ومن حيث لايعلمون فيضامن لغة العرب ، سد عجز لغتهم البدائية الصغيرة .

هذه ملاحظات أقدمها بين يدى عملى ، ولاأدعى الكمال ، ولاأقول إننى بلغت الغاية . انما أحصائى هذا ، يمكن أن يعتبر أساساً لعمل جماعى ، تقوم به قلة من رجال العلم والأدب ، تجوس خلال مصطلحات العلوم والفنون المختلفة ، وتستخرج منها المدد العربى الكبير الذى يتخللها. إنما اعتقد أن النتيجة ستبقى نهائيا على حالها : إن ربع اللغة التركية مكون اليوم من كلمات عربية فصيحة .

# حرف الألف

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| إبعاد | Ibat | |
| أبدى | Ebedi | |
| ابراء | Ibra | اهداء ـ تقديم |
| ابوين | Ebeveyn | |
| اتحاف | Ithaf | |
| اتفاق | Ittifak | |
| آثار عتيقة | Asariatika | |
| اثبات | Ispat | |
| أثر | Eser | |
| اثناء | Esna | |
| اجتماعى | Igtimai | |
| اجداد | Ecdad | |
| اجراء | Icra | |
| اجنبى | Ecnebi | |
| احالة | Ihale | مزايدة عمومية |
| احباب | Ahbab | |
| احتكار | Ihtikar | |
| احتمال | Ihtimal | |
| احتراس | Ihtiras | طمع ـ رغبة |
| احتراز | Ihtiraz | |
| احتواء | Ihtiva | |
| احتياج | Ihtiaç | |
| احتياط | Ihtiat | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| احمق | Ahmak | |
| احوال | Ahval | |
| إخبار | Ihbar | |
| اختلاف | Ihtilaf | |
| اختلال | Ihtilal | |
| اختلاس | Ihtilas | |
| اختراع | Ihtira | |
| اختصاص | Ihtisas | |
| اختيار | Ihtiar | |
| اخطار | Ihtar | ملاحظة ـ تأكيد |
| اخراجات | Ihracat | صادرات |
| آخرة | Âhiret | |
| اخشاب | Ahsap | |
| أخلاق | Ahlâk | |
| أخلاقى | Ahlaki | |
| أخطبوط | Ahtapot | |
| أداء | Eda | |
| أداة | Edat | |
| أدب | Adab | |
| أدب معاشرة | Adabimuasarat | حسن السلوك |
| أدبى | Edebi | |
| أدبيات | Edebiat | |
| أديب | Edib | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
| --- | --- | --- |
| إدمان | Idman | تمرين جسدى |
| ادراك | Idrak | |
| ادرار | Idrar | البول |
| ادخال | Ital | |
| ادخالات | Ithalat | واردات |
| ادم | Adam | الرجل |
| ادارة | Idare | |
| اذان | Ezan | |
| اذن | Izin | |
| أذية | Eziyet | |
| ارباب | Erbap | |
| أرض | Arz | |
| اراضى | Arazi | |
| ارتكاب | Irtikâp | |
| ارتفاع | Irtifa | |
| ارزاق | Erzak | |
| ازدحام | Izdiham | |
| ازجملة | Ezcumle | |
| أزلى | Ezeli | |
| أزمة | Ezme | |
| أساس | Esas | |
| أساسا | Esasen | |
| أسباب موجبة | Esbabimu-cibe | |
| أسف | Esef | |
| أسر | Esaret | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
| --- | --- | --- |
| أسير | Esir | |
| إسعاف | Isaf | |
| أسمر | Esmer | |
| اسكان | Iskan | |
| اسم | Isim | |
| إسهال | Isal | |
| استثناء | Istisna | |
| استشارة | Istişare | |
| استراحة | Istirahat | |
| استبداد | Istibdat | |
| استدعاء | Istida | |
| استفادة | Istifade | |
| استخدام | Istihdam | |
| إستحكام | Istihkam | |
| استعفاء | Istifa | |
| استحصال | Istihsal | |
| استقامة | Istikamet | |
| استقبال | Istikbal | |
| استقلال | Istiklal | |
| استقرار | Istikrar | |
| استقراض | Istikraz | |
| استعمال | Istimal | |
| استهلاك | Istihlak | |
| استرحام | Istirham | |
| استيلاء | Istila | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| استيضاح | Istizah | |
| استهداف | Istihdaf | |
| استملاك | Istimlak | نزع الملكية |
| إسراف | Israf | |
| إسلام | Islam | |
| إسناد | Isnad | |
| استهزاء | Istihza | |
| استخبارات | Istihbarat | |
| إشارة | Işaret | |
| اشتراك | Iştirak | |
| اشغال | Işgal | |
| أشياء | Eşya | |
| إصابة | Isabet | |
| أصالة | Asalet | |
| أصناف | Esnaf | عامل يدوي ـ تاجر |
| أصغر | Esgari | |
| أصلا | Asla | |
| اصول | Usul | |
| أصيل | Asil | |
| أصلي | Asli | |
| أطراف | Etraf | |
| اطفائية | Etfaiyet | |
| اعتبار | Itibar | |
| اعتدال | Itidal | |
| اعتزاز | | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| اعتراف | Itiraf | |
| اعتناء | Itina | |
| اعتياد | Itiyat | |
| إعدام | Idam | |
| أعضاء | Aza | |
| أعظمى | Azami | اقصى ـ اقصى سرعة |
| اكتساب | Iktisap | |
| اعلان | Ilân | |
| إعمار | Imar | |
| إغفال | Igfal | تحيل ـ اعتبره مغفلا |
| إفادة | Ifade | |
| افتخار | Iftihar | |
| افتراء | Iftira | |
| آفة | Afet | |
| افراز | Ifraz | |
| إفساد | Ifsat | |
| إفشاء | Ifşa | |
| إفطار | Iftar | |
| إفراط | Ifrat | |
| أفق | Ufuk | |
| أفكار | Efkar | |
| إفلاس | Iflas | |
| أفيون | Afion | |
| إقامة | Ikamet | |
| إقتباس | Iktibas | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
| --- | --- | --- |
| إقتدار | Iktidar | |
| إقتراض | Iktiraz | |
| إقراض | Ikraz | |
| إقتصاد | Iktisat | |
| إقتصادى | Iktisadi | |
| أقرباء | Akraba | |
| إقناع | Ikna | |
| أكثر | Ekser | |
| أكثرية | Ekseriya | |
| إكرام | Ikram | |
| إكمال | Ikmal | |
| التصاق | Iltisak | |
| إلتفاف | Iltifaf | |
| إلتحاق | Iltihak | |
| التماس | Iltimas | |
| التهاب | Iltihab | |
| البت | Elbet | |
| البسة | Elbise | |
| الحمد لله | Elhamdoü lillah | |
| الحاصل | Elhasil | |
| إلحاق | Ilhak | |
| إلغاء | IlGa | |
| ألم | Elem | |
| أليم | Elim | |
| الماس | Elmas | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
| --- | --- | --- |
| آلة | Alet | |
| إله | Ilah | |
| الله | Allah | |
| الاهى | Ilahi | |
| الأهيات | Ilahiyat | |
| إلهام | Ilham | |
| إلياف | Elyaf | |
| امتحان | Imtihan | |
| امتياز | Imtiaz | |
| أمان | Aman | |
| إمارة | Emare | |
| أمتعة | Emtea | |
| أمانة | Emanet | |
| أمام | Imam | |
| أما | Ama | |
| إمثال | Emsal | |
| إمداد | Imda | |
| إمحاء | Imha | |
| إملاء | Imla | |
| إمضاء | Imza | |
| إملاك | Emlak | |
| أمنية | Emniet | |
| أمير | Emir | |
| آمين | Amin | |
| انتحار | Intihar | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| إنتظار | Intizar | |
| إنتقال | Intikal | |
| إنتقام | Intikam | |
| إنتظام | Intizam | |
| إنحصار | Inhisar | اختصاص |
| إنصاف | Insaf | |
| إنضباط | Inzibat | طاعة — انقياد |
| انطباع | Intiba | |
| انطباق | Intibak | |
| إنفاذ | Infaz | انجاز |
| إنفلاق | Infilak | |
| انقاض | Enkaz | |
| انقباض | Inkibaz | |
| انقلاب | Inkilap | |
| انكشاف | Inkişaf | |
| إنشاء | Inşa | |
| إن شاء الله | Inşallah | |
| انسان | Insan | |
| إنكار | Inkar | |
| انكشاف | Inkisaf | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| أنفس | Enfes | |
| [ اهانة ] | Ihanet | |
| أهالى | Ahali | |
| اهتداء | Ihtida | اعتناق الإسلام |
| اهمال | Ihmal | |
| أهل | Ehil | |
| أهلية | Ehliet | |
| [ أهلى ] | Ehli | |
| أولا | Evvela | |
| أولاد | Evlat | |
| أوصاف | Evsafe | |
| أولوية | Evleviyet | |
| آية | Ayet | |
| ايجار | Icar | |
| ايضاح | Izah | |
| ايفاء | Ifa | |
| ايقاظ | Ikaz | |
| ايمان | Iman | |
| أيوه | Evet | |

# حرف الباء

| الكلمة | رسمها | معناها |
| --- | --- | --- |
| بابا | Baba | |
| بارود | Barut | |
| باكرة | Bâkir | |
| باطل | Batil | |
| بالخاصة | Bilhassa | |
| بثور | Basur | |
| بحث | Bahis | |
| بحر | Bahr | الأوزان الشعرية |
| بحرية | Bahriye | |
| بحران | Buhran | |
| بخار | Buhar | |
| بخت | Baht | |
| بداوة | Bedava | مجاناً دون مقابل |
| بالدعاء | Beddua | لعنة |
| بدل | Bedel | |
| بدن | Beden | |
| براءة | Beraet | |
| برّاق | Barrak | |
| بركة | Bereket | |
| برتقال | Portakal | |
| برج | Burc | |
| بستان | Bostan | |
| بسطه | Beste | أغنية |

| الكلمة | رسمها | معناها |
| --- | --- | --- |
| بشرف | Peşrev | |
| بشرى | Beşeri | |
| بشرية | Beşeriyet | |
| بصيرة | Basiret | |
| [بطانية] | Battaniye | |
| بعض | Bazi | |
| بغبغان | Papagan | |
| بقال | Bakkal | |
| بقلة | Bakla | |
| بلاء | Belâ | |
| بلاغه | Balagat | |
| بلبل | Bülbül | |
| بلدية | Belediye | |
| بناءً عليه | Binaye-naleya | |
| بنية | Bunye | |
| بهار | Bahar | الربيع |
| بهارات | Baharat | |
| بهجة | Bahçe | الحديقة |
| بوغاز | Bogaz | |
| بيان | Bayan | |
| بياض | Bayaz | |
| بيرق | Bayrak | |
| [بيضى] | Beyzi | |

## حرف التاء

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| تابوت | Tabut | |
| تاج | Taç | |
| تأثر | Teessur | |
| تأثير | Tesir | |
| تادية | Tedye | |
| تاريخ | Tarih | |
| تأجيل | Tecil | |
| تأسف | Teessüf | |
| تأسيس | Tessis | |
| تالى | Tali | ثانوى |
| تأليف | Telif | |
| تام | Tam | |
| تامين | Temin | |
| تأييد | Teyit | |
| تأخير | Tehir | |
| تبرع | Teberru | |
| تبريك | Tebrik | |
| تبليغ | Tebliğ | |
| تبرئة | Tebriye | |
| تثبيت | Tesbit | |
| تجارة | Ticaret | |
| تجارى | Ticari | |
| تجانس | Tecanus | |
| تجاوز | Tecaüz | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| تجربة | Tecrube | |
| تجريد | Tecrit | |
| تجهيز | Teçhiz | |
| تجهيزات | Teçhizat | |
| تحديد | Tahdit | |
| تحريف | Tahrif | |
| تحريك | Tahrik | |
| تحصيل | Tahsil | |
| تحصيلات | Tahsilat | |
| تحف | Tuhaf | عجيب--بديع |
| تُحفية | Tuhafiye | محل بيع الملابس الداخلية |
| تحقيق | Tahkik | |
| تحقيقات | Tahkika | |
| تحقير | Tahkir | |
| تحكّم | Tahakkum | |
| تحكيم | Tahkim | |
| تحمل | Tahammül | |
| تحليل | Tahlil | |
| تحميل | Tahmil | |
| تحميل تخلية | Tahmilta-hlyie | |
| تحويل | Tahvil | |
| تحويلات | Tahvilat | |
| تخت | Taht | |
| تخصيصات | Tahsisat | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| تخصيص | Tahsis | |
| تخليصية | Tahlisiye | [ إنقاذ ] |
| تخلية | Tahliye | |
| تخمر | Tahammür | |
| تخمين | Tahmin | |
| تخميني | Tahmini | |
| تدارك | Tedarik | |
| تداول | Tedavül | |
| تداوي | Tedavi | |
| تدبير | Tedbir | |
| تدريجا | Tedricen | |
| تدقيق | Tedkik | |
| تذكرة | Tezkere | |
| تراكم | Teraküm | |
| تربة | Turbe | |
| تربية | Terbiye | |
| ترتيب | Tertip | |
| ترجمان | Tercüman | |
| ترجيح | Tercih | |
| ترخيص | Terhis | |
| تردد | Tereddut | |
| ترصد | Tarassut | |
| ترضية | Tarziye | |
| ترفيع | Terfi | |
| ترفيه | Terfih | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| ترك | Terk | |
| تركيب | Terkip | |
| تزوير | Tezvir | دسيسة |
| تساند | Tesanut | |
| تسبيح | Tespih | |
| تسجيل | Tescil | |
| تسكين | Teskin | |
| تسليم | Teslim | |
| تسلي | Teselli | |
| تسليم | Tesellum | |
| تسوية | Tesviye | |
| تشبث | Teşebbus | |
| تشبيه | Teşbih | |
| تشخيص | Teşhis | |
| تشريح | Teşrih | |
| تشكر | Teşekkur | |
| تشكيل | Teşkil | |
| تشريع | Teşri | |
| تشريعي | Teşrii | |
| تشريفات | Teşrifat | |
| تشهير | Teşhir | |
| تشويق | Teşvik | |
| تشييع | Teşyi | |
| تصادف | Tesadüf | |
| تصرف | Tasarruf | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| تصريح | Tasrih | |
| تصنيف | Tasnif | |
| تصويب | Tasvip | |
| تصوير | Tasvir | |
| تضمين | Tazmin | |
| تضييق | Tazyik | |
| تطبيق | Tatbik | |
| تظاهر | Tezahur | |
| تظاهرات | Tezahürat | |
| تعبير | Tabir | |
| تعجيل | Tacil | |
| تعديل | Tadil | |
| تعرض | Taarod | |
| تعريف | Tarif | |
| تعزية | Tazie | |
| تعطيل | Tatil | |
| تعظيم | Tazim | |
| تعليمات | Talimat | |
| تعمد | Taamüt | |
| تعميم | Tamim | |
| تعهد | Taahhud | |
| تعيين | Tayin | |
| تفتيش | Teftiş | |
| تفرقة | Tefrika | |
| تفريق | Tefrik | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| تفرعات | Teferruat | |
| تفسير | Tefsir | |
| تفصيلات | Tafsilat | |
| تقاص | Takas | |
| تقبل | Tekabul | |
| تقدم | Takaddüm | |
| تقدير | Takdir | |
| تقديس | Takdis | |
| تقسيط | Taksit | |
| تقسيم | Taksim | |
| تحقير | Tahkir | |
| تقوت | Tekaut | المعاش |
| تقوية | Takviye | |
| تقويم | Takvim | |
| تقييد | Takyit | |
| تكامل | Tekamul | |
| تكثير | Teksir | |
| تكذيب | Tekzip | |
| تكرار | Tekrar | |
| تكليف | Teklif | |
| تكميل | Tekmil | |
| تلافي | Telafi | |
| تلفظ | Telaffuz | |
| تلقي | Telakki | |
| تمارض | Temaruz | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| تماس | Temas | |
| تمام | Tamam | |
| تماماً | Tamaman | |
| تمامية | Tamamiyet | |
| تمايل | Temayül | |
| تمتع | Temattü | |
| تمثال | Timsal | |
| تمثيل | Tamsil | |
| تمركز | Temerkuz | |
| تمساح | Timsah | |
| تمنى | Temenni | |
| تمييز | Temyiz | |
| تنبيه | Tenbih | |
| تنزه | Tenazzüh | |
| تنزيل | Tenzil | |
| تنزيلات | Tenzilat | |
| تنسيقات | Tensikat | |
| تنصيب | Tensip | مصادقة |
| تنقيد | Tenkid | |
| تناسل | Tenasül | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| تناسب | Tenasüp | |
| تنافس | Tenafus | |
| تنظيم | Tanzim | |
| تنوير | Tenvir | |
| تهريب | Tahrip | |
| تهلكة | Tehlike | |
| تهمة | Töhmet | |
| تواضع | Tevazu | |
| توبة | Töbet | |
| توجه | Teveccüh | |
| توجيه | Tevcih | |
| توديع | Tevdi | |
| توراة | Tevrat | |
| توزيع | Tevzi | |
| توسل | Tevessül | |
| توسيع | Tevsi | |
| توصية | Tavsiye | |
| توفيق | Tevfik | |
| توكل | Tevekkul | |

## حرف الثاء

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| ثابت | Sabit | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| ثروة | Servet | |

# حرف الجيم

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| جائز | Caiz | |
| جادّة | Cadde | |
| جاذبة | Cazibe | |
| جاسوس | Casus | |
| جانى | Cani | |
| جام | Cam | |
| جامع | Cami | |
| جاهل | Cahil | |
| جَبر | Cebir | |
| جبراً | Cebran | |
| جثّة | Ceset | |
| جدول | Cetvel | |
| جدى | Ceddi | |
| جُذام | Cüzam | |
| جرأة | Cüret | |
| جراحات | Cerahat | |
| جرّاح | Cerrahi | |
| جُرم | Cürum | |
| جريان | Cerean | |
| جزاء | Ceza | عقاب |
| جزئي | Cüzi | |
| جسارة | Cesaret | |
| جسم | Cisim | |
| جسور | Cesur | |
| جفاء | Cefa | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| جَلْب | Celp | |
| جلد | Cilt | |
| جلوة | Cilve | |
| جَماعة | Cemaat | |
| جُمعه | Cuma | |
| جملة | Cümla | |
| جمعية | Cemiet | |
| جمهورية | Cümhuriyet | |
| جنازة | Cenazet | |
| جناس | Cinas | |
| جناية | Cinayet | |
| جنّة | Cennet | |
| جنة | Cinnet | |
| جنس | Cins | |
| جنوب | Cenup | |
| جهاز | Cihaz | |
| جهة | Cihet | |
| جهالة | Cehalet | |
| جهنم | Cehennem | |
| جواب | Cevap | |
| جوار | Civar | |
| جوز | Ceviz | |
| جَوهر | Cevhar | |
| جَيب | Cep | |

# حرف الحاء

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| حادث | Hadis | |
| حاشية | Haşiye | |
| حاصلة | Hasila | |
| حاصلات | Hasilat | |
| حاضر | Hazir | |
| حافظ | Hafiz | |
| حافظة | Hafiza | |
| حاكم | Hâkim | |
| حاكمية | Hakimiyet | |
| حكيم | Hakim | |
| حال | Hal | |
| حالا | Halâ | |
| حامض | Hamiz | |
| حاملة | Hamile | سيدة حامل |
| حامى | Hami | |
| حبّ | Hap | |
| حبس | Hapis | |
| حبوبات | Hububat | |
| حتى | Hatta | |
| حج | Hac | |
| حجرة | Hücra | |
| حجز | Haciz | |
| حجم | Hacim | |
| حاد | | |
| حدّة | Hiddet | |
| حدود | Hudut | |
| حُرّ | Hur | |
| حرام | Haram | |
| حرارة | Hararet | |
| حرب | Harp | |
| حرص | Hirs | |
| حرف | Harf | |
| حركات | Harekat | |
| حركة | Hareket | |
| حُرمة | Hurmet | |
| حريص | Haris | |
| حريف | Herif | شعبي—رجل ما |
| حرية | Hurriyet | |
| حزن | Huzun | |
| حزين | Hazin | |
| حس | His | |
| حساب | Hesap | |
| حسّاس | Hassas | |
| حسد | Haset | |
| حسرة | Hasret | |
| حصاد | Hasa t | |
| حصار | Hasar | حصن |
| حصّة | Hisse | |

## تابع حرف الحاء

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| حضور | Huzur | |
| حظ | Haz | |
| حقارة | Hakaret | |
| حق | Hak | |
| حقانية | Hakiyet | |
| حقوق | Hukuk | |
| حقوقى | Hukuki | |
| حقيقة | Hukikat | |
| حقيقةً | Hakikaten | |
| حقيقى | Hakikei | |
| حكاية | Hikaye | |
| حكم | Hakam | |
| حُكم | Hüküm | |
| حُكمى | Hukmi | |
| حكيم | Hakim | |
| حكومة | Hukumet | |
| حل | Hal | |
| حلقه | Halka | |
| حلاج | Hallaç | |
| حلال | Helal | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| حلوة | Helva | |
| حمّال | Hammal | |
| حمالية | Hamaliye | |
| حماية | Himaye | |
| حمل | Haml | |
| حمام | Hammam | |
| حمول | Hamul | |
| حوض | Havuz | |
| حميّة | Hamiyet | |
| حوادث | Havadis | |
| حوّل | Havale | |
| حياة | Hayat | حيوى |
| حياتى | Hayati | |
| حيثية | Haysiyet | |
| حيوان | Hayavan | |
| حيوانى | Hayvan | |
| حيران | Hayran | مندهش ـ متعجب |
| حيران | Hayran | |
| حيرة | Hayret | |
| حيلة | Hile | |

# حرف الخـاء

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| خائن | Hain | |
| خادم | Hadim | |
| خادمة | Hademe | |
| خارج | Haric | |
| خان | Han | |
| خاص | Has | |
| خاصة | Hassa | |
| خاطر | Hatir | |
| خاطرة | Hatira | |
| خاطرات | Hatirat | |
| خالة | Hala | |
| خالص | Halis | |
| خالق | Halik | |
| خاص | Has | |
| خام | Ham | |
| خبر | Haber | |
| خرابة | Harabe | |
| خُراب | Harap | |
| خرافة | Hurafe | |
| خرج | Harc | |
| خزين | Hazine | |
| خرطوم | Hortum | |
| خسارة | Hasar | |
| خسيس | Hasis | بخيل |
| خشين | Haçin | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| خارجى | Harici | |
| خارجية | Haricie | |
| خارطة | Harita | |
| خارقة | Harika | خارق للعادة |
| خصم | Hasim | |
| خصوصية | Hususiyet | |
| خصوصى | Hususi | |
| خطأ | Hata | |
| خطاب | Hitap | |
| خطابة | Hitabet | |
| خُطبة | Hutbe | |
| خطاط | Hattat | |
| خطيب | Hatip | |
| خفيف | Hafif | |
| خلاء | Hela | المرحاض |
| خلاصة | Hulassa | |
| خلط | Halita | أخذ المعادن |
| خلْف | Halef | |
| خاق | Halk | الأمة ــ الشعب |
| خنجر | Hançer | |
| خندق | Hendek | |
| خيال | Hayal | |
| خيالى | Hayali | |
| خيانة | Hiyanet | |
| خيار | Hiyar | |
| خير | Hayir | |

## حرف الدال

| الكلمة | رسمها | معناها | الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| دائرة | Daire | | دفن | Defin | كنز |
| دائمی | Daimi | | دقة | Dikkat | |
| دائما | Daima | | دقيقة | Dakika | |
| داخل | Dahil | | دليل | Dalil | |
| داخلی | Dahili | | دمار | Damar | غضب — عرق |
| داخلية | Dahiliye | | دملة | Damla | |
| داهية | Dahi | عبقری | دنيا | Dunya | |
| درجة | Dereçe | | دهاء | Deha | عبقرية |
| درس | Ders | | دهشة | Dehşet | رعب — فزع |
| درهم | Dirhem | | دواء | Deva | |
| دستور | Düstür | | دوام | Devam | |
| دعاء | Dua | | دورة | Devre | |
| دعم | Deyim | | دورية | Devriye | |
| دعوة | Davet | | دولاب | Dolap | |
| دعوتية | Davatiye | بطاقة الدعوة | دولة | Devlet | |
| دعوى | Dava | | ديانة | Dianet | |
| دفتر | Defter | | دينی | Dini | |
| دفعة | Defa | | ديوان | Divan | |
| دفن | Defin | | | | |

## حرف الذال

| الكلمة | رسمها | معناها | الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| ذات | Zat | | ذكي | Zeki | |
| ذاتی | Zati | | ذهن | Zihin | |
| ذروة | Zirve | | ذهنية | Zihniyet | |
| ذرية | Zurriyet | | ذهول | Zühul | |
| ذكاء | Zeka | | ذيل | Zeyil | |
| ذكر | Zikir | | ذوق | Zevk | |

# حرف الراء

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| رابطة | Rabita | |
| رأسالمال | Rasülmal | |
| رأى | Rey | |
| رائج | Raic | |
| راحة | Rahat | |
| راصد | Rasit | |
| راضى | Razi | |
| راهب | Rahip | |
| راهبة | Rahibe | |
| رئيس | Reis | |
| رَب | Rap | |
| ربّى | Rabbi | |
| رتبة | Rutbe | |
| رجاء | Rica | |
| رَحم | Rahim | |
| رحمة | Rahmet | |
| رخصة | Ruhsat | |
| رد | Ret | |
| رذالة | Razalet | فضيحة |
| رسالة | Risale | |
| رسام | Ressam | |
| رسم | Resim | |
| رسمى | Resmi | |
| رسمى البسة | Resmielbise | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| رشوة | Rusvet | |
| رشيد | Recid | |
| رَصد | Rasat | |
| رِضى | Riza | |
| رطوبة | Rutubet | |
| رعاية | Riayet | |
| رغبة | Ragbet | |
| رُغما | Rogmen | |
| رف | Raf | |
| رفاه | Rafah | |
| رفقة | Rafakat | |
| رقابة | Rekabet | مزاحمة |
| رقّاص | Rakkas | |
| رقاصة | Rakkase | |
| رمضان | Ramazan | |
| رَهن | Rahin | |
| روح | Ruh | |
| روحانى | Ruhani | |
| روحى | Ruhi | |
| رؤيا | Rua | |
| رياء | Riya | |
| رياضى | Riyazi | |
| رياضية | Riazia | |

## حرف الزين

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| زجاجية | Zucacia | |
| زراعة | Ziraa | |
| زراعى | Zirai | |
| زفت | Zift | |
| زقوم | Zukkim | سم |
| زمان | Zaman | |
| زمرة | Zumre | |
| زمرد | Zumurt | |
| زناء | Zina | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| زنجى | Zinci | |
| زوال | Zeval | |
| زوالى ساعة | Zevali Saat | |
| زور | Zor | صعب — عسير |
| زيادة | Ziade | |
| زيارة | Ziaret | |
| زيت | Zeytin | |
| زيتونى | Zeytouni | |
| زيتون | Zeytoun | |
| زينة | Ziyenet | |

## حرف السين

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| سابق | Sabik | |
| سابقة | Sabika | |
| ساعة | Saat | |
| ساحة | Saha | |
| ساحل | Sâhil | |
| سافل | Safil | |
| ساقط | Sakit | |
| ساكن | Sakin | |
| سالم | Salim | |
| سبب | Sebed | |
| سببية | S:bebiet | |
| سجادة | Seccade | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| سجل | Sicil | |
| سجية | Secia | |
| سحر | Sihir | |
| سر | Sir | |
| سراب | Serad | |
| سرّاج | Serac | |
| سطر | Satir | |
| سطح | Sath | |
| سطحى | Sathi | |
| سعادة | Saadet | |
| سفالة | Sefalet | بؤس — شقاء |
| سفاهة | Sefahat | دعارة — سوء السيرة |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| سفارة | Sefaret | |
| سفر | Sefer | |
| سفرة | Sofra | |
| سفسطاء | Safsata | |
| سفير | Sefir | |
| سفيه | Sfeih | |
| سقوط | Sukut | |
| سكوت | Sukut | |
| سكون | Sükünet | |
| سلاح | Silah | |
| سلالة | Sulale | |
| سلسلة | Silsile | |
| سلطان | Sultan | |
| سلطنة | Saltana | |
| سماء | Sem | |
| سلام | Selam | |
| سمت | Semt | |
| سمسار | Simsar | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| سلامة | Selamet | |
| سماوى | Semavi | |
| سَنة | Sene | |
| سُنّة | Sünnet | |
| سُنبل | Sumbul | |
| سَند | Senet | |
| سؤال | Sual | |
| سوء استعمال | Suiistimal | |
| سَوْداء | Sevda | حب ـــ غرام |
| سور | Sur | |
| سوق | Sevn | |
| سياحة | Seyahat | |
| سيّاح | Seyah | |
| سياسة | Siyaset | |
| سياسى | Siassi | |
| سيّار | Seyar | |
| سَير | Seyir | |
| سيرة | Sira | |

## حرف الشين

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| شان | Şan | |
| شاعر | Şair | |
| شامل | Şamil | |
| شاهد | Şahit | |
| شاهقه | Şahika | |
| شائعة | Şayia | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| شبكة | Şebeke | |
| شبهة | Şuphe | |
| شجرة | Şeceir | شجرة الأصول |
| شدة | Şiddet | |
| شراب | Şarap | خمر |
| شرح | Şerh | |

| الكلمة | رسمها | معناها | الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| شرط | Şart | | شكاية | Şikahyet | |
| شرف | Şeref | | شكر | Şeker | |
| شرق | Şark | | شكل | Şekil | |
| شركة | Şirket | | شلاّل | Şellal | |
| شرير | Şerir | | شمال | Şimal | |
| شريط | Şerit | | شمسية | Şemsiya | |
| شخص | Şahis | | شمعدان | Şamdan | |
| شخصية | Şahsiet | | شمول | Şümul | |
| شخصى | Şahsi | | شهادة | Şahadet | |
| شعر | Şiir | | شهوانى | Şehvani | |
| شعشعة | Şasaa | | شهوة | Şehvet | |
| شفاء | Şifa | | شهيد | Şehit | |
| شفاعة | Şefaat | | شوق | Şevk | |
| شفّاف | Şeffaf | | شورى | Şura | |
| شفقة | Şefkat | | شيء | Şey | |
| شفق | Şafak | | شيطان | Şeytan | |
| شفاها | Şifahen | | | | |
| شفاهي | Şifahi | | | | |

## حرف الصاد

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| صابون | Sabun | | صحة | Sihhat | |
| صاحب | Sahip | | صحّى | Sihhi | |
| صافى | Safi | | صحية | Sihhiye | |
| صباح | Sabah | | صحن | Sahan | |
| صبر | Sabir | | صحيح | Sâhi | |
| صحبة | Sohbet | محادثة | صحيفة | Sahife | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| صداقة | Sadakat | |
| صدقة | Sadaka | |
| صراحة | Saraha | |
| صرّاف | Sarraf | |
| صرف | Sirf | |
| صرفية | Sarfiet | |
| صريح | Sarih | |
| صفاء | Safa | |
| صُفّة | Sofa | |
| صفحة | Safha | طوْر |
| صلاحية | Salahiet | |
| صلح | Sulh | |
| صمغ | Zamk | |
| صميم | Samimi | |
| صميمية | Samimiet | |
| صناعة | Sanat | |
| صناعى | Sinai | |
| صنف | Sinf | |
| صنعة | Sanaat | |
| صواب | Sevap | |
| صيْفيّة | Sayfie | |

## حرف الضاد

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| ضابط | Zabit | |
| ضابطة | Zabita | |
| ضائع | Zai | |
| ضدية | Ziddiet | |
| ضرب | Darb | |
| ضرب مثل | Darbi mesel | |
| ضرورة | Zaruret | |
| ضرورى | Zaruri | |
| ضعيفه | Zafiat | ضعف |
| ضعيف | Zaif | |
| ضمنا | Zimnen | |
| ضمير | Zamir | |
| ضياع | Zia | |
| ضيافة | Ziafet | |

## حرف الطاء

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| طابع | Tabi | |
| طابية | Tabia | |
| طاقة | Takat | |
| طالع | Tâli | سعد ـ حظ |
| طالب | Talip | راغب |
| طالب | Talebe | |
| طائفة | Tayfa | |
| طب | Tip | |
| طبابة | Tababet | |
| طباشير | Tebeşir | |

| الكلمة | رسمها | معناها | الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| طبع | Tabi | | طرز | Tarz | |
| طبق | Tabac | | طرْح | Tarh | |
| طبيْق | Tipki | | طرف | Taraf | |
| طبقة | Tabaka | | طريقة | Tarikat | |
| طبقْي | Tepki | | طلسم | Tilsim | |
| طبق | Tipki | | طمع | Tamah | |
| طبيب | Tabib | | طوفان | Tufan | |
| طبيعة | Tabiat | | طيارة | Tayyare | |
| طبيعي | Tabii | | | | |

## حرف الظاء

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| ظالم | Zalim | | ظفر | Zafer | |
| ظاهرى | Zahiri | | ظلم | Zulum | |
| ظرافة | Zafe | | ظُلمْة | Zulma | |
| ظرف | Zarf | | ظن | Zan | |
| ظريف | Zarif | | | | |

## حرف العين

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| عائدات | Aidat | | عارضة | Âriza | صعوبة ـ حادث |
| عائلة | Aile | | عافية | Afiyet | |
| عاجز | Aciz | | عاقبة | Akibet | |
| عاجل | Âcil | | عاقل | Akil | |
| عادة | Âdet | | عاقلى | Akili | |
| عادى | Âdi | | عاَلم | Âlem | |
| عادل | Adil | | عاِلم | Âlim | |
| عارى | Ari | | عامة | Amme | |
| عاصى | Asi | | عامل | Amele | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| عامل | Âmil | موزع بريد—معاون |
| عبادة | Ibadet | |
| عبرة | Ibret | |
| عبث | Abes | |
| عجائب | Acayip | |
| عجلة | Acele | |
| عجمى | Acemi | |
| عجوز | Acuze | |
| عدالة | Adalet | |
| عدس | Adese | |
| عدلى | Adli | |
| عدلية | Adliye | |
| عذاب | Azap | |
| عربة | Araba | |
| عربى | Arabi | |
| عرض | Arz | |
| عرضحال | Arzuhal | |
| عرفه | Arafa | |
| عزر | Azar | |
| عزل | Azil | |
| عزم | Azim | |
| عزيز | Aziz | |
| عسكر | Asker | |
| عسكرى | Askeri | |
| عشق | Aşk | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| عشقنة | Aşkina | الفناء فى الله |
| عصب | Asap | |
| عصبى | Asabi | |
| عصبية | Asabiy eti | |
| عصر | Asir | |
| عصرى | Asri | |
| عطش | Ateş | حرارة التهاب |
| عطف بيانى | Atifbeani | |
| عضو | Uzi | |
| عضوى | Uzvi | |
| عضوية | Uzviet | |
| عفة | Iffet | |
| عقار | Akar | |
| عقد | Akit | |
| عقرب | Akrep | |
| عقلى | Akli | |
| عقم | Akim | |
| عقيدة | Akide | |
| عكسا | Aksin | |
| عكس | Akis | |
| عكسى | Aksi | |
| علاء | Âlâ | حسن جدا |
| علاقة | Alaka | |
| علامن سما | Alaimin sema | قوس قزح |
| علامة | Alama | |

| الكلمه | رسمها | معناها | الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| علجى | Alci | الحص | عنصر | Unsur | |
| علنى | Aleni | | عنوان | Unvan | |
| عليه | Aleyh | ضده | عوام | Avam | |
| عملى | Ameli | | عودة | Avdet | |
| عمليات | Amaliyat | | عيار | Ayar | |
| عمودى | Amudi | | عيّاش | Ayyaş | سكير |
| عمومى | Umumi | | عيب | Ayip | |
| عمومية | Umumiyeh | | عينا | Aynen | |
| عنبر | Ambar | | عينه | Aina | نظارة ـ مرآة |
| عنعنة | Anane | | عينى | Ayni | |

## حرف الغين

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| غازى | Gazi | | غرض | Garaz | |
| غائب | Gayip | | غريب | Garip | |
| غاية | Gayet | | غزال | Gusel | جميل ـ حسن |
| غبطة | Gipta | | غصب | Gasp | |
| غذاء | Gida | | غنيمة | Ganimet | |
| غذائى | Gidayi | | غيرة | Gayret | |

## حرف الفاء

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| فاتح | Fatih | | فاصلة | Fasila | |
| فاجع | Feci | | فاعل | Fail | ممثل ـ مؤلف |
| فاجعة | Facia | | فأل | Fal | |
| فاحش | Fahiş | | فانى | Fani | |
| فاحشة | Fahişe | امرأة بغي | فائدة | Faida | |
| فار | Far | | فتح | Feth | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| فتق | Fitik | |
| فتنة | Fitne | |
| فتيل | Fitil | |
| فجأة | Fuceten | |
| فحوش | Fuhuş | دعارة |
| فخرى | Fahri | |
| فداء | Fida | |
| فرار | Firar | |
| فراسة | Feraset | |
| فراغ | Feragat | |
| فرغات | Feragat | العدول عن أمر - تنازل |
| فرح | Ferahi | |
| فرد | Fert | |
| فردى | Ferdi | |
| فرصة | Firsa | |
| فرض | Farz | واجب - افتراض |
| فرضي | Farazi | |
| فرضية | Faraziye | |
| فرعى | Feri | |
| فرق | Fark | |
| فرقة | Firka | |
| فرية | Feriat | |
| فساد | Fesat | رشوة تآمر |
| فضاء | Feza | |
| فضلة | Fazla | |
| فى الحقيقة | Fil Hakika | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| فضيلة | Fazilet | |
| فضولى | Fuzuli | |
| فطرى | Fitri | |
| فعّال | Faal | |
| فعالية | Faaliyet | |
| فِعل | Fiil | |
| فعلا | Fiilen | |
| مغلى | Fiili | |
| فيل | Fil | |
| فقراء | Fukara | فقير |
| فقط | Fakat | |
| فقير | Fakir | من أتباع الصوفية |
| فكر | Fikir | |
| فكرة | Fikra | |
| فلان فيلان | Falanfilan | واحد من عامة الناس |
| فلج | Felec | |
| فلك | Felek | |
| فلسفة | Felsefe | |
| فلسفى | Felsefi | |
| فناء | Fena | قبيح - مريض |
| فنار | Fener | |
| فن | Fen | |
| فنّى | Fenni | |
| فوق العادة | Fevkalâde | |
| فئة | Fiat | |
| فيلسوف | Eeylesof | |

# حرف القاف

| الكلمة | رسمها | معناها |
| --- | --- | --- |
| قابل | Kabil | |
| قالب | Kalip | |
| قابلية | Kabiliye | |
| قاتل | Kaatil | |
| قاطع | Kati | صارم ـ عنيف |
| قاطع | Kati | نهائي |
| قاعدة | Kaida | |
| قافية | Kafiye | |
| قافلة | Kafilet | |
| قانع | Kani | |
| قاقون | Kanon | |
| قانون | Kanun | آله موسيقية |
| قباحه | Kabahat | |
| قُبّة | Kubbe | |
| قبر | Kabir | |
| قبض | Kabiz | إمساك |
| قبلة | Kibla | |
| قبلما | Kaplama | الشيىء |
| قبول | Kabul | |
| قبيلة | Kabile | |
| قتل | Katil | |
| قدح | Kadeh. | |
| قطر | Kutur | |
| قطعة | Kita | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
| --- | --- | --- |
| قدر | Kadar | على قدرما |
| قدر | Kader | حادث |
| قدرة | Kudret | |
| قدم | Kıdam | |
| قرار | Karar | |
| قرآن | Kur'an | |
| قربان | Kurban | |
| قرنفل | Karanfil | |
| قرعة | Kur'a | |
| قرمزى | Kirimizi | |
| قسط | Kesit | |
| قسم | Kesim | |
| قسمه | Kismet | حظ ـ نصيب |
| قسمة | Kesme | من الاقتسام |
| قصّاب | Kasap | |
| قصبة | Kasaba | |
| قصد | Kait | |
| قصدا | Kasten | |
| قضاء | Kaza | |
| قطران | Katran | |
| قطار | Kitar | |
| قطب | Kutup | |
| قنطار | Kintar | |
| قهر | Kahir | |

| الكلمة | رسمها | معناها | الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| قفا | Kafa | | قهوة | Kahve | |
| قُفة | Kufe | | قوة | Kuvvet | |
| قفص | Kafes | | قوس | Kavis | |
| قلب | Kalp | | قياس | Kias | |
| قلبُ | Kalp | قلب الحقائق | قيافة | Kiyafet | |
| قلعة | Kale | | قيامة | Kiamet | |
| قلم | Kalam | | قيطان | Kaytan | |
| قمار | Kumar | | قيى | Kay | |
| قماش | Kumaş | | قيد | Kayit | |
| قناعة | Kanaat | | قيمة | Kiyimet | |
| قنديل | Kindil | | | | |

## حرف الكاف

| الكلمة | رسمها | معناها | الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| كابوس | Kabus | | كتابة | Kitabe | |
| كاس | Kâs | | كتان | Keten | |
| كاشف | Kaşif | | كثافة | Kesafet | |
| كاغط | Kagit | | كثيف | Kesif | |
| كافى | Kafi | | كذا | Keza | |
| كاهن | Kahin | | كراء | Kira | |
| كبار | Kibar | أعيان القوم | كرسى | Kürsü | |
| كبيرْ | Kipir | | كسر | Keir | من الكسور العشرية |
| كبريت | Kibrit | | كشف | Keşif | |
| كتاب | Kitap | | كفّارة | Keffaret | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| كفالة | Kefalet | |
| كفاية | Kifayet | |
| كفر | Kufur | |
| كفن | Kefen | |
| كفيل | Kefil | |
| كفتة | Kofte | |
| كلفة | Kulfet | |
| كلمة | Kelime | |
| كمان | Keman | |
| كمية | Kemiet | النشوة الخفيفة |
| كنية | Kunne | |
| كهانة | Kehainet | |
| كيف | Keyif | |
| كيفية | Keyfiet | |
| كيمياء | Kimya | |

## حرف اللام

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| لائحة | Layiha | |
| لازم | Lazim | |
| لاحقة | Lahika | |
| لائق | Layik | |
| لِحام | Lehim | |
| لذة | Lezzet | |
| لزوم | Luzum | |
| لطفا | Lutfen | |
| لطيف | Latif | |
| لطيفة | Latife | فكاهة ـ نكتة |
| لعنة | Lânet | |
| لُغة | Lugat | قاموس |
| لقب | Lakap | |
| لقمة | Lokma | |
| لكن | Lakin | |
| لهجة | Lahce | |
| لوحة | Levha | |
| لياقة | Liakat | |
| ليف | Lif | |
| ليمون | Limon | |

## حرف الميم

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| ما بعد | Mabait | |
| مأتم | Matem | |
| ماجرى | Macera | حادث |
| مأذون | Mezun | |
| ماشاءالله | Maşallah | |
| ماعدا | Maada | |
| مال | Mal | |
| مال صاحبي | Mal sahibi | صاحب المال |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| مالك | Malik | |
| مالية | Maliye | |
| مالى | Mali | |
| مأمور | Memur | |
| مانع | Mani | |
| ماهية | Mahiet | |
| ماهر | Mahir | |
| مائى | Mayi | |
| مبادلة | Mübadele | |
| مبارك | Mübarek | |
| مباشر | Mübşaer | |
| مبالغة | Mübalaga | |
| مبايعة | Mübayaa | صفقة بيع |
| مبتذل | Müptezel | |
| مبتلى | Muptela | |
| مبذول | Mebzul | كثير |
| مبعوث | Mabus | نائب فى المجلس |
| مبلغ | Mablaĝ | |
| مبهم | Muphem | |
| متاركة | Mutereke | هدنة |
| متانة | Metanet | |
| متأثر | Müteessir | |
| متاع | Meta | |
| متجانس | Mütecanis | |
| متجاوز | Mütecaviz | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| متحرك | Mute Harrik | |
| متخصص | M tehassis | |
| متردد | Mütereddit | |
| مترجم | Mütercim | |
| متروك | Metrük | |
| متشبث | Müteşebbis | |
| متعقب | Müteakip | |
| متعصب | Mütaassip | |
| متعلق | Müteallik | |
| متعهد | Müteahhit | |
| متفكر | Mütefekkir | |
| متفق | Müttefik | |
| متقابل | Mütekabil | |
| متقاعد | Mutekait | |
| متمادى | Mutemadi | |
| متمدين | Mutema diyen | |
| متناسب | Mutenasip | |
| متين | Metin | |
| مثال | Misal | |
| مثبت | Müsepet | |
| مثلا | Mesalâ | |
| مجادلة | Mucadele | حرب — معركة |
| مجاز | Mecaz | |
| مجال | Mecal | |
| مجانا | Meccanen | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| مجبر | Mucbir | |
| مجبور | Mecbur | |
| مجبورية | Mecburitt | |
| مجرى | Mecra | |
| مُجلِّد | Mücellit | |
| مجلس | Meclis | |
| مجموعة | Mecmua | |
| مجهز | Mucehhez | |
| مجهول | Meşhul | |
| مجيد | Mucit | مخترع |
| محارب | Muharip | |
| محاربة | Muharebe | |
| محاسب | Muhasebe | |
| محاسبة | Muhasebat | |
| محاصرة | Muhassara | |
| محاورة | Muhavere | |
| محافظة | Muhafaza | |
| محافظ | Muhafiz | |
| محاكمه | Muhakeme | |
| محبة | Muhabbet | |
| محبوس | Mahpus | |
| محتاج | Muhtaç | |
| محترم | Muhtarem | |
| محتشم | Muhtaşem | |
| محتكر | Muhtekir | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| محتمل | Muhtamel | |
| مُحتَوى | Muhteva | |
| محتوى | Muhtevi | |
| محدود | Mahdut | |
| محجوب | Mahcup | متواضع |
| محجوبية | Mahcubiet | التواضع |
| محجوز | Mahcuz | |
| محرر | Muharrir | |
| محرك | Muharrik | |
| محروقات | Mahrukat | |
| محرم | Mahrem | |
| محروم | Mahrüm | |
| محزون | Mahzun | |
| محسوس | Mahsus | |
| محصول | Mahsul | |
| محظور | Mahzur | |
| محفظة | Mahfaza | |
| محفوظ | Mahfuz | |
| محقق | Muhakkak | |
| محكم | Muhkam | |
| محكمة | Mahkeme | |
| محكوم | Mahküm | |
| محلول | Mahlul | |
| محل | Mahal | |
| محلة | Mahalle | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| مَحلّي | Mahalli | |
| مَحو | Mahv | |
| مَحور | Mihver | |
| محيط | Muhit | |
| مخابِرْ | Muhabir | |
| مخابِرة | Muhabere | |
| مخاطب | Muhatap | |
| مخاطرة | Muhatara | |
| مخالف | Muhalif | |
| مخالفة | Muhalefet | |
| مخبر | Muhbir | |
| مختار | Muhtar | حر — مستقل |
| مختار | Muhtar | عمدة قرية |
| مختصر | Muhtasar | |
| مختلف | Muhtalif | |
| مخترع | Muhteri | |
| مخزن | Mağaza | |
| مخلوق | Mahluk | |
| مخيلة | Muhayyle | |
| مداخلة | Müdahale | |
| مُدَافع | Müdafi | |
| مدافعة | Müdafaa | |
| مدير | Müdür | |
| مدة | Müddet | |
| مُدّعي | Müddei | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| مدعي عمومي | Muddeium umu | |
| مَد | Met | |
| مدخل | Methal | |
| مَدني | Medeni | |
| مدنية | Medeniyet | |
| مدهش | Muthiş | مرعب — مفزع |
| مدّوجزْر | Medducezir | |
| مديح | Medih | |
| مذاكرة | Müzakere | |
| مذبحة | Mezbaha | |
| مذكور | Mezkür | |
| مذهب | Mezhep | |
| مُرائي | Mürai | |
| مراجعة | Muracaat | |
| مراسم | Merasim | |
| مرام | Meram | |
| مراقب | Murakip | |
| مراقبة | Murakabe | |
| مَربّية | Murabbia | |
| مرتب | Murattip | |
| مرتبة | Mertebe | |
| مرتجع | Murteci | رجعي |
| مرجان | Mercan | |
| مرجع | Merci | |
| مرحبا | Merhaba | |

| معناها | رسمها | الكلمة |
|---|---|---|
| | Merhale | مرحلة |
| | Merhamer | مرحمة |
| | Merhum | مرحوم |
| مندوب ـ مفوض | Murahhas | مرخص |
| | Mer'i | مرعى |
| | Mer'a | مرعى |
| | Mureffeh | مرفه |
| | Murekkeb | مركب |
| | Merkez | مركز |
| | Merkezi | مركزى |
| | Mermer | مرمر |
| قنبلة ـ قذيفة | Mermi | مرمى |
| | Muruvvet | مروءة |
| | Mizac | مزاج |
| | Mizah | مزاح |
| | Merat | مزاد |
| | Mezar | مزار |
| | Muzayede | مزايدة |
| | Mezrak | مزراق |
| | Muzmin | مزمن |
| | Müzevir | مزور |
| | Meziet | مزية |
| | Müsabaka | مسابقة |
| | Mesaha | مساحة |
| | Müsait | مساعد |

| معناها | رسمها | الكلمة |
|---|---|---|
| | Musaade | مساعدة |
| | Mesafe | مسافة |
| ضيف ـ زائر | Misafir | مسافر |
| | Mes'ele | مسألة |
| | Müsamaha | مسامحة |
| | Müsavat | مساوات |
| | Musavi | مساوى |
| | Mustabit | مستبد |
| | Müstesna | مستثنى |
| | Müstahsil | مستحصل |
| حصين | Müstahkem | مستحكم |
| | Müstahdem | مستخدم |
| | Müstarih | مستريح |
| | Müştasar | مستشار |
| | Müsteşrik | مستشرق |
| | Müstacel | مستعجل |
| | Müstaceliye[t] | مستعجلية |
| | Müstamel | مستعمل |
| | Müstakbel | مستقبل |
| | Mustakil | مستقل |
| | Müstakim | مستقيم |
| مستعمرة | Müstemlik | مستملك |
| | Müstanit | مستند |
| | Müstahcen | مستهجن |
| | Müstahlik | مستهلك |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| مسجد | Mescit | |
| مسرف | Müsrif | |
| مسعود | Mesut | سعيد ـ محظوظ |
| مسك | Misk | |
| مسكرات | Muskirat | |
| مسكن | Mesken | |
| مُسَكِّن | Musekkin | |
| مسكون | Meskun | |
| مسجل | Müseccel | |
| مسلم | Müslüman | |
| مسلك | Meslek | |
| مسهل | Müshil | |
| مسؤول | Mesul | |
| مسؤولية | Mesuliyet | |
| مسودة | Musvedde | |
| مشاهد | Müşahit | |
| مشاهدة | Muşahede | |
| مشاور | Müşavir | |
| مشاورة | Müşavara | |
| مشربة | Maşrapa | |
| مشترك | Muşterek | |
| مشترى | Müşteri | |
| مشخّص | Muşahas | |
| مُشَرَّف | Muşerref | |
| مشروع | Meşru | |
| مشعلة | Meşale | |
| مشغول | Meşâul | |
| مشكل | Müşkül | |
| مشهود | Meşhut | |
| مشهور | Meşhur | |
| مشؤوم | Meş'um | |
| مصادرة | Musadere | |
| مصادمة | Musademe | |
| مصالحة | Musalaha | |
| مصدر | Mastar | |
| مصراع | Mesra | |
| مصرف | Masraf | |
| مصون | Masun | |
| مصيبة | Musibet | |
| مضاف | Muzaf | |
| مضبطة | Mazbata | |
| مضر | Muzir | |
| مطابق | Mutabik | |
| مطابقة | Mutabakat | |
| مطالعة | Mutalaa | |
| مطبعة | Matbaa | |
| مطبوع | Matbu | |
| مطبوعات | Matbuat | |
| مطرح | Matrah | قاعدة الضرائب |
| مطرود | Matrut | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| مطلق | Mutlak | |
| مطلقا | Mutlaka | |
| مطلوب | Matlup | |
| مظنون | Maznon | |
| مظفر | Muzaffer | |
| مع التاسف | Maatteessuf | |
| معادل | Muadil | |
| معاذ الله | Maazalla | |
| معارف | Maarif | |
| معاش | Maaş | |
| معاشرة | Muaşeret | |
| مُعاصر | Muassir. | |
| معافية | Muafiete | |
| معاملة | Muamele | |
| معاهدة | Muahede | |
| معاون | Muavin | |
| معاين | Muayen | |
| معبد | Mabet | |
| معبود | Mabut | |
| معتاد | Mutat | |
| معتبر | Muteber | |
| معتمد | Mutemet | |
| معتدل | Mutedil | |
| معجزة | Mucize | |
| معدن | Maden | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| معدنى | Madeni | |
| معذرة | Mazeret | |
| معذور | Mazur | |
| معراج | Miraç | |
| معرفة | Marifet | |
| معصوم | Mazum | |
| معطوف | Matuf | |
| معظم | Muazzam | |
| معفى | Muaf | |
| معقول | Makul | |
| مع الاسف | Maalesef | |
| معلول | Malül | |
| معلّم | Muallim | |
| معلوم | Malum | |
| معلومات | Malumat | |
| مع مافيه | Maamafih | |
| معمار | Mimar | |
| معمول | Mamul | مصنوع |
| مُعَمّى | Muamma | |
| معنى | Mâna | |
| معنوى | Mâneui | |
| معنويات | Maneuiat | |
| معية | Mayet | |
| معيشة | Maişet | |
| مغارة | Magara | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| مغاير | Muĝair | |
| مغدور | Maĝdur | |
| مغرور | Maĝrur | |
| مغفرة | Maĝfiret | |
| مغلق | Muĝlak | امر صعب الفهم |
| مغلوب | Maĝlup | |
| مغلوبية | Maĝlubiyet | |
| مغبّر | Muĝber | |
| مفتش | Mufettiş | |
| مفرد | Müfred | |
| مفرط | Müfrit | |
| مفروش | Mefruş | |
| مفروشات | Mefruşat | |
| مفرزة | Müfreze | |
| مفصل | Mufassal | |
| مفلس | Müflis | |
| مفلوج | Mefluç | |
| مقابل | Mukabil | |
| مقالة | Makale | |
| مقام | Makam | |
| مقاولة | Mukavele | |
| مقاومة | Mukavemet | |
| مقايسة | Makayes | |
| مقبوض | Makbuz | وصل مقابل دفع |
| مقتدر | Muktadir | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| مقتول | Maktul | |
| مقدار | Mikdar | |
| مقدرات | Mukadderat | |
| مقدس | Mukaddes | |
| مقدسات | Mukaddesat | |
| مقص | Makas | |
| مقصد | Maksat | |
| مقطع | Makta | |
| مقوّى | Mukavva | |
| مقياس | Mikyas | |
| مكافأة | Mükafat | |
| مكان | Mekân | |
| مكتب | Mektep | مدرسة ابتدائية |
| مكتوب | Mektup | رسالة |
| مكرر | Mükarrer | |
| مكروه | Mekruh | |
| مكلف | Mükallaf | |
| مكلفية | Mükallafiye | |
| مكمّل | Mukemmel | |
| مكيفات | Mükeyyifat | |
| ملاحظة | Mülahaza | |
| ملاقات | Mülakat | |
| ملة | Millet | |
| ملتجى | Mülteci | |
| ملحق | Mülhak | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| ملزمة | Malzeme | أدوات العمل |
| ملغى | Mulga | |
| ملفوف | Mülfuf | مع هذا |
| مُلك | Mülk | |
| ملك | Melek | |
| ملكة | Meleke | |
| ملكى | Mülki | |
| ملكية | Mülkiet | |
| ملهم | Melhem | مرهم |
| ملى | Milli | |
| ملية | Milliet | |
| ممتاز | Mumtaz | |
| ممثل | Mumassil | |
| ممكن | Mumkin | |
| ممنوع | Memnu | |
| ممنون | Memnun | |
| ممنونية | Memnuniet | |
| مميز | Mumeyiz | |
| منارة | Minare | |
| مناسب | Münasip | |
| مناسبة | Münasebet | |
| مناظرة | Münazara | |
| مناقشة | Münakaşa | |
| مناقلات | Münakalat | |
| مناقلة | Münakale | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| مناوبة | Münavebe | |
| منبع | Memba | |
| منبت | Mümbit | |
| منبه | Münebbih | |
| منتظم | Müntazam | |
| منتظما | Müntazaman | |
| منحصر | Münhasir | |
| منحصراً | Münhasiran | |
| منحل | Münhal | |
| مندرجات | Mundericat | |
| منسوب | Mensup | |
| منسوجات | Mensucat | |
| منشأ | Menşe | |
| منطق | Mantik | |
| منطقة | Mentika | |
| منطقى | Mantiki | |
| منظرة | Manzara | |
| منظوم | Manzum | |
| منظومة | Manzume | |
| منفرد | Münferit | |
| منفعة | Menfaat | |
| مَنْفَى | Menfa | |
| مَنْفِى | Menfi | |
| منقبة | Menkibe | |
| منَكِّت | Münakkit | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| منة | Minnet | |
| منور | Munevver | |
| مهارة | Maharet | |
| مهتدى | Muhtedi | معتنق الإسلام |
| مهر | Muhur | ختم - طابع |
| مهماز | Mahmuz | |
| مهم | Mühim | |
| مهمات | Mühimmat | |
| مهندس | Mühendis | |
| مؤاخذة | Muaheze | |
| موازنة | Muvazene | |
| موازى | Muazi | |
| مواصلات | Muvasalat | |
| موافق | Muvafik | |
| موافقة | Muvafakat | |
| مؤبد | Muebbet | |
| مؤثر | Muessir | |
| موثوق | Mesuk | |
| موجود | Mevcut | |
| موجودية | Mevcudiet | |
| مؤخر | Muahhar | |
| مودوعات | Mevduat | |
| موز | Muz | |
| موزع | Muvezzi | |
| مؤسسة | Müessese | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| مؤسف | Muessif | |
| مَوْسم | Mevsim | |
| مؤمن | Mumin | |
| موضع | Mevzi | |
| موضوع | Mevzu | |
| موظف | Muazzaf | |
| موفق | Muaffak | |
| موفقية | Muaffakiyet | |
| مؤقت | Muvakkat | |
| مؤقتاً | Muvakk-atan | |
| موقع | Mevki | |
| موقوف | Mevkuf | |
| مؤلف | Muellif | |
| مولد | Mevlit | |
| موهوم | Mevhum | |
| موميا | Mumya | |
| مؤيد | Mueyyit | |
| ميدان | Meydan | |
| ميراث | Miras | |
| مَيْل | Meyil | |
| ميئوس | Meyus | |

# حرف النون

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| ناحية | Nahie | |
| نادر | Nadir | |
| نادراً | Nadiran | |
| نار | Nar | قنبلة يدوية |
| ناشر | Naşir | |
| ناشز | Naşiz | |
| ناقص | Nakis | |
| ناقص | Nakes | بخيل |
| نافلة | Nafile | غير نافع ــ عقيم |
| ناقل | Nakil | |
| ناموس | Namus | |
| نای | Ney | |
| نبات | Nebat | |
| نباتات | Nebatat | |
| نباتى | Nebati | |
| نبض | Nabiz | |
| نتيجة | Netice | |
| نثر | Nesir | |
| نزاهة | Nezahet | |
| نزلة | Nezle | |
| نزيف | Nezif | |
| نسبتاً | Nisbeten | |
| نسبة | Nispet | |
| نسبى | Nisbi | |
| نسخة | Nusha | |
| نسل | Nesil | |
| نشأة | Neşet | |
| نشر | Neşir | |
| نشريات | Neşriat | |
| نشوة | Neşe | |
| نصيحة | Nasihat | |
| نظارة | Nezaret | |
| نظامى | Nizami | |
| نظام | Nizam | |
| نظر | Nazar | |
| نظراً | Nazaran | |
| نظرى | Nazari | |
| نظريات | Nazrariat | |
| نظافة | Nezafet | |
| نعمة | Nimet | |
| نعنع | Nane | |
| نغمة | Nagme | |
| نفاق | Nifak | |
| نفاسة | Nefaset | |
| نفر | Nefer | |
| نفرة | Nefret | |
| نفس | Nefes | |
| نفقة | Nafaka | |

| الكلمة | رسمها | معناها | الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| نفوذ | Nüfuz | | نقليات | Nakliyat | |
| نفوس | Nufus | السكان | نقلية | Nakliye | |
| نفيس | Nefis | | نكاح | Nikah | |
| نقاهة | Nekahet | | نكتة | Nukte | |
| نقد | Nakit | | نمو | Nema | |
| نقداً | Nakden | | نهائى | Nihai | |
| نقدى | Nakdi | | نهاية | Nihayet | |
| نقرات | Nakarat | | نهر | Nehir | |
| نقصان | Noksan | | نوبة | Nöbet | من الموسيقى |
| نقطة | Nokta | | نوعى | Nevi | |
| نقطة نظر | Noktatn - azar | | نية | Niet | |
| نقل | Nakil | | | | |

## حرف الهاء

| الكلمة | رسمها | معناها | الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| هاون | Havan | | هلال | Hilal | |
| هواء | Hava | | هوس | Heves | ميل — اتجاه |
| هوائى | Havai | | هيجان | Heyecan | |
| هجاء | Hece | | هوية | Huviet | |
| هبة | Hibe | | هيبة | Heybe | |
| هجرة | Hicret | | هيكل | Heykel | تمثال |
| هجرى | Hicri | | | | |
| هجوم | Hücum | | | | |
| هدف | Hedef | | | | |
| هدية | Hediye | | | | |
| هزيمة | Hezimet | | | | |
| هضم | Hazim | | | | |

# حرف الواو

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| واجب | Vecip | |
| وادى | Vadi | |
| وارث | Varis | |
| واردات | Varidat | |
| واسطة | Vasita | |
| واسع | Vasi | |
| واصل | Vasil | |
| واضح | Vasih | |
| واقف | Vakif | منتبة ــ عارف |
| واقعة | Vaka | |
| والى | Vali | |
| وباء | Vaba | |
| وثيقة | Vesika | |
| وجدان | Vicdan | |
| وجدانى | Vicdani | |
| وجود | Vucut | |
| وجيز | Veciz | |
| وحشة | Vahşet | وحشية ــ قسوة |
| وحشى | Vahşi | |
| وحشيا | Vahşiain | |
| وحى | Vahiy | |
| وخامة | Vehamet | |
| وخيم | Vahim | |
| وداع | Veda | |

| الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|
| وراثة | Veraset | |
| ورطة | Varta | |
| ورم | Verem | دمل ــ سل |
| وزن | Vezin | |
| وزنة | Vezne | ميزان |
| وزير | Vezir | |
| وسائط | Vesait | |
| وسواس | Vesves | |
| وسيلة | Vesile | |
| وصف | Vasif | |
| وصية | Vasiyet | |
| وطن | Vatan | |
| وظيفة | Vazife | |
| وعد | Vait | |
| وعظ | Vaiz | |
| وفاء | Vefa | |
| وفاة | Vefat | |
| وقار | Vakar | |
| وقت | Vakit | |
| وقف | Vakif | |
| وقفية | Vakfiye | |
| وقوع | Vuku | |
| وقوعات | Vukuat | |
| وكالة | Vekalet | |

| الكلمة | رسمها | معناها | الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| وكيل | Vekil | | ولي | Veli | |
| وكيل خرج | Vekil Harc | | والحاصل | Velhasil | |
| ولاية | Vilayet | | وهم | Vehim | |

## حرف الياء

| الكلمة | رسمها | معناها | الكلمة | رسمها | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| يأس | Yeis | | يمين | Yemin | |
| ياقوت | Yakut | | يهود | Yahut | |
| يتيم | Yetim | | يهودى | Yahudi | |
| يعنى | Yani | | | | |

**احمد توفيق المدنى**
عضو المجمع من الجزائر

# مصطلحات علم الحركة
# لدى علماء العرب

## للدكتور جلال شوقى

**تمهيد**

الكتابات الفلسفية العربية بدراسات متوسعة ومتعمقة فى مجال حركة الأجسام ، حيث يعرض علماء العرب وفلاسفتهم لدراسة عناصر الحركة وأنواعها وأقساطها وقوتها ، كما أنهم كتبوا بتفصيل عظيم عن مدافعات الحركة ، أى عن السمات الكامنة فى الأجسام التى تدفعها للحفاظ على حالتها من سكون أو حركة منتظمة وعلى استقامة ؛ ولقد وقف العرب على هذا المبدإ الهام قبل أن يصيغه اسحق نيوتن فيما عُرف بالقانون الأول للحركة ، وذلك بعدَّة مئات من السنين .

إن للعرب ولا شك منجزات قيمة فى مجال حركة الأجسام ، ولقد وردت فى كتاباتهم مجموعة من الألفاظ الخاصة ، نذكر منها على سبيل المثال ألفاظ المبدأ والميل والاعتماد والمُدافعة والمُعاوقة والممانعة والمقاومة ، وان من هذه الالفاظ ما جاء استعماله فى أكثر من معنى واحد ؛ الأمر الذى يجعل من غير المتيسر الإلمام بفضل العرب فى الفلسفة الطبيعية دون الوقوف على ما قصد العرب بهذه الالفاظ من معان دقيقة .

هذا ويعرض بحثنا الحالى لأهم الألفاظ التى وردت فى الكتابات العربية خاصة بحركة الأجسام ، وقد حرصنا كل الحرص على أن نسوق النصوص العربية المتضمنة لكل لفظ منها لنبين المعنى المقصود عند كل موضع ، ولنؤكد صحة مدلول اللفظ فيها ، بما لا يدع مجالا لشك أو لبس أو غموض .

ولقد وجدنا من الملائم أن ننظم الألفاظ التي تناولناها بالدراسة في هذا البحث في مجموعات ثلاث هي :

١ ـ الألفاظ الخاصة بعناصر الحركة وأنواعها وأقساطها وقوتها .

٢ ـ الألفاظ التي تعبر عن مُدافعات الجسم من « ميل » أو « اعتماد » .

٣ ـ الألفاظ الخاصة بمُعاوقات الحركة من مقاومة وممانعة للوسط المنفوذ فيه .

إن حقيقة سبق العرب إلى معانى ومبادئ وقوانين أساسية كثيرة فى علم الحركة لتحدوبنا إلى بيان المصطلحات الأجنبية المرادفة ، تلك المصطلحات التى تعبر فى عصرنا الحالى عن تلك التى قصدها العرب فى كتاباتهم فى الفلسفة الطبيعية ، وقد اقتصرنا فى هذا الشأن على تقديم المصطلحات الإنجليزية المعاصرة .

## عناصر الحركة وأنواعها وأقساطها وقوتها الحركة والسكون :

يُعرف الشيخ الرئيس ابن سينا[١] فى رسالته الرابعة «فى الحدود»[٢] كلا من الحركة والسكون حيث يقول :

«الحركة[٣] كمال أول لما بالقوة من جهة ما هو بالقوة ؛ وإن شئت قلت : خروج من القوة[٤] إلى الفعل[٥] لافى آن واحد» .

ويقول فى السكون :

«السكون[٦] هو عدم الحركة فيما من شأنه أن يتحرك بأن يكون هو فى حالة واحدة من الكم[٧] والكيف[٨] والأين والوضع زمانا ما ، فيوجد عليه فى آنين». ويقول ابن سينا أيضا فى رسالته الأولى «الطبيعيات من عيون الحكمة»[٩] : الحركة كمال أول لما بالقوة من حيث هو بالقوة

---

(١) عاش فى الفترة : ٣٧٠ ــ ٤٢٨ هـ( ٩٨٠ ــ ١٠٣٧م) .

(٢) «تسع رسايل فى الحكمة »لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩١، ٩٥ .

(٣) Motion (٤) Force (٥) Action

(٦) Rest (٧) Quantity (٨) Quality

(٩) «تسع رسايل فى الحكمة »لابن سينا ،طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

وهو كون الشيء على حال لم تكن قبله ولا بعده ، وتسمى تلك الحال أينا أو كيفا أو كمًّا أووضعا كالشيء يكون على وضع فى مكانه لم يكن قبله ولابعده فيه ، ولا يفارق كليته مكانه . . . . »

ويمضى ابن سينا فى موضع آخر من رسالته [1] يقول :

« كل حركة فلها مُحرِّك ، لأن الجسم إما أن يتحرك لأنه جسم أولا لأنَّه جسم ، فإن تحرك لأنه جسم وجب أن يكون كل جسم متحركا ، فإذًا حركته تجب عن سبب آخر ،إما قوة فيه ،واما خارج عنه » .

## الأمور المتعلقة بالحركة :

لعلَّ أوجز ماقيل فى أمور الحركة قول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه «الشفاء » [2] :

«المتحرِّكُ [3] ، والمحرِّكُ [4] ،ومافيه ، ومامنه وما إليه ، والزمان »فهذه فى رأى ابن سينا – هى الأمور الستة المتعلقة بالحركه ، فبالمتحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذى به الحركة ، وبالمحرك القوة المسببة للحركة ، وبقوله ما فيه يقصد المكان والوضع ، وما منه وما إليه مواضع الابتداء والانتهاء ، أى طرفى مسافه الانتقال [5] وتتضمن اتجاه الحركة ، أما الزمان فالقصد منه الفترة الزمنية التى تتم فيها الحركه بقطع مسافة الانتقال ، وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة

ويقول ابن سينا أيضا فى رسالته الأولى : « الطبيعيات من عيون الحكمة » [6] : « كلُّ تغيُّر دفعةً فإنَّه لايسمىَّ حركةً .

كلُّ حركة تصدر عن محرِّك فى متحرِّك فهى بالقياس إلى ما فيه تحرُّكٌ ، وبالقياس إلى ماعنه تحريك .

---

(١) نفس المصدر السابق : صفحة ١٧ .

(٢) «طبيعيات الشفاء» : المقالة الثانية – الفصل الأول .

(٣) Moving Body

(٤) Driver — (Motor)

(٥) Displacement

(٦) «تسع رسايل فى الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

كلُّ مُحرِّك فإمَّا ان يكون قوةً فى جسم ، «وإمَّا أن يكون شيئا خارجاً ويحرك بحركته فى نفسه . . . . . »

يقرر ابن سينا فى هذا النص ارتباط الحركة بالزمان واستحالة حدوث حركة فى غير فترة زمنية محددة مهما كانت هذه الفترة قصيرة ، وفى هذا المعنى يقول الحسن بن الهيثم [1] فى المقالة الثانية من كتابه « المناظر » [2] فى معرض حديثه عن انتقال الضوء :

«إذا كان الثقب مستتراً ثم رفع الساتر ، فوصول الضوء من الثقب إلى الجسم المقابل ليس يكون إلاَّ فى زمان ، وإن كان خفيّاً عن الحِسِّ» .

ويزيد ابن الهيثم الأمر وضوحا فى فى فقرة تالية فيقول :

« .... فالضوء إنَّما يصل إلى الجسم المُقابل للثقب بحركة ، والحركة ليست تكون إلاّ فى زمان ، وإن كان الهواءُ يقبل الضوء دفعة واحدة ، فإنَّ حصول الضوء فى الهواء بعد أن لم يكن فيه ضوء ، ليس يكون أيضاً إلّا فى زمان ، وإنْ خفِيَ عن الحسِّ . »

فالحسن بن الهيثم يؤكد هنا أن الحركة لابد وأن تحدث فى زمان ، أى أن كل حركة فلا بد وأن يكون لها سرعة ، هى ما نعرفها اليوم بمعدَّل تغيُّر المسافة المقطوعة بالنسبة للزمن ، وأن الضوء يسرى بحركة ، وبالتالى فإن للضوء سرعة ، وإن كانت هذه السرعة من العِظَم بحيث يحسبها المرء غير متناهية .

ويُعرِّف ابن سينا فى رسالته الرابعة « فى الحدود » [3] كلًّا من الزمان والآن بقوله :

« الزَّمانُ هو مقدار الحركة من جهة المتقدِّم والمتأخر . »

« الآن [4] هو طرف موهوم يشترك فيه الماضى والمستقبل من الزمان، وقد يقال آن لزمان صغير المقدار عند الوهم متصل بالآن الحقيقى من جنسه . »

---

(١) عاش فى الفترة : ٣٥٤ – ٤٣٠ هـ ( ٩٦٦/٦٥–١٠٣٩م ) .

(٢) مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول – رقم ٣٢١٣ .

(٣) «تسع رسايل فى الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ٩٢ .

(٤) Instant

ويؤكد بَهْمَنْيَار بن المَرْزُبَان[١] فى كتابه « التحصيل »[٢] ضرورة وقوع الحركة فى زمان، فيقول :

« .... وكلُّ سرعة[٣] فى زمان ، لأن كلَّ سرعة هى فى قَطْعِ مسافة ، أو ما يجرى مجرى المسافة ، وكل ذلك فى زمان .

فلو كانت حركةٌ لا نهاية لها فى السرعة[٤] لكان زمان لا نهاية له فى القصر[٥] ، فكانت الحركة لا فى زمان .

وبالجملة فاعتبار السرعة إنَّما هى فى الأُمور التى لها وجود فى زمان » .

## أنواع الحركة :

وقف العرب على الصور المختلفة لحركة الأجسام ، فقسَّموها إلى حركات مكانية ووضعية ، وإلى حركات طبيعية وقسرية ،وإلى حركات مستقيمة ومستديرة أى حسب مسار الجسم المتحرك ؛ كذلك أشار العرب إلى الحركة العرضية والحركة التموجية ، ونسوق فيما يلى مقتطفات من أقوال الفلاسفة والعلماء العرب فى أنواع الحركة .

## (أ) الحركة المكانية والحركة الوضعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته الأُولى : « الطبيعيات من عيون الحكمة »[٦] :

« الحركة التى من أين إلى أين تُسمَّى نَقْلة[٧] .

الحركة التى من وضع[٨] إلى وضع تُسمَّى وضعيَّة[٩] ».

ويقول ابن سينا أيضا فى كتابه « الإشارات والتنبيهات »[١٠] :

---

(١) توفى سنة ٤٥٨هـ (١٠٦٦م) .

(٢) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب – رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الاول ، الفصل الرابع ، الورقة ٢٥٣ .

(٣) Speed

(٤) Motion of Infinite Speed

(٥) Infinitesimal Time Interval ، أى فترة زمنية متناهية القصر.

(٦) «تسع رسايل فى الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

(٧) Displacement (٨) Position (٩) Positional

(١٠) النمط السادس – الفصل السادس عشر .

« فكلُّ حركة فى مسافة تنتهى إلى حدّما ، تنتهى إلى سكون فيه ، فتكون غير الحركة التى بها يستحفظ الزمان المتصل .

فالحركة الوضعيّة هى التى بها يُستحفظ الزمان المتصل ، وهى الدوريّة [1] » .

ويعرض أبو البركات هبة الله بن مَلْكا البغدادى [2] فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » [3] للحركتين المكانيّة والوضعيّة فيقول :

« .... وأعمُّ أعراض الجسم الطبيعى وأخصُّها به من حيث هو جسم هى الحركة ، وهذا موضع الكلام فيها .

والحركة تقال على وجوه ، فمنها الحركة المكانية ، وهى التى بها ينتقل المتحرك من مكان إلى مكان ؛

ومنها الحركة الوضعيّة ، وهى التى تتبدّل بها أوضاع المتحرِّك ، وتنتقل أجزاء فى أجزا مكانه ، ولا يُخرجه عن جملة مكانه ، كالدولاب والرحا . . . . » .

## (ب) الحركة الطبيعية والحركة القسرية :

بالحركة الطبيعية عبَّر العرب عن حركة الجسم إلى موضعه الطبيعى بعد أن يكون قد أُجْبر على الخروج منه ، وذلك عند زوال القاسر عن الجسم .

وبالحركة القسرية أو الحركة غير الطبيعية قصد العرب الحركة التى تنشأ عن تعريض الجسم لمحرك من خارجه ؛ وفيها يمكن للمحرك أن يكون مُلازما للجسم المتحرك أثناء تحركه القسرى ، أو يكون المحرك مُفارقا للجسم المتحرك بعد أن يكون قد بعث الحركة فيه .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته الأولى : « الطبيعيّات من عيون الحكمة [4] » :

« وكلُّ جسم متحرِّك فحركته إما من سبب من خارج [5] ، وتُسمى حركة قسرية [6] ، وإما من سبب فى نفس الجسم ، إذ الجسم لا يتحرك

(١) Periodic, Cyclic      (٢) توفى عام ٥٤٧هـ (١١٥١م) .
(٣) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول – رقم ٣٢٢٢ ، المجلد الثانى ، الفصل التاسع ، الورقة ٢٦ .
(٤) «تسع رسايل فى الحكمة» لابن سينا ، طبعه القاهرة : صفحة ٤ .
(٥) External Influence      (٦) Forc d Motion

لذاته ، وذلك السبب إن كان محرّكا على جهة واحدة على سبيل التسخير فيُسمىّ طبيعةً ، وإن كان مُحرّكا حركات شتى بإرادة أو غير إرادة ، أو مُحرّكا حركة واحدة بإرادة فيُسمىّ نفساً » .

ويقول هبة الله بن مَلْكا البغدادى فى كتابه « المعتبر فى الحكمة [1] » :

« فإنَّ الحركةَ إمَّا طبيعيّةً [2] وإما قَسْريَّة ، والقسرية يتقدمها الطبيعية ، لأن المقسور إنما هو مقسور من طبعه إلى طبْع قاسره ، فإذا لم يكن حَركةٌ بالطبع لم يكن حَركةٌ بالقسر .

والطبيعية إنَّما تكون عن مُباين بالطبع إلى مناسب بالطبع ، أو إلى مناسب أنسب من مناسب » .

ويقول أيضا فى موضع آخر [3] :

« والقَسْرُ فمن شىء خارج عن المتحرِّك حركةً على مُقتضى طِباع المحرِّك أو رَوِيتِه ، لاعلى مُقتضى طِباع المتحرك ورويّته . »

ويضرب بهمنيار بن المرزبان — فى كتابه الثانى من كتب « التحصيل » [4] — مثلا ملموسا للحركة القسرية فيقول :

« والحركة الطبيعيَّة هى مايصدر عن الجسم إذا خُلى وطبعه ، والقسريَّةُ هى أن يُحرِّك الجسمُ إلى خِلاف مايقتضية طبْعُه ، كمن يُحرِّك حجرا إلى فوق. »

## (ج) الحركةُ المستقيمة والمستديرة :

فرَّق العرب بين حركة الجسم على استقامة وحركته على استدارة ، وفى هذا المعنى يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته الأولى : « الطبيعيَّات من عيون الحكمة » [5] :

« وكلُّ جسم فيه مبدأٌ [6] حركة : إما مستقيمةً [7] وإمَّا مستديرة [8] ،

---

(١) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢ ، المجلد الثانى ، الفصل الرابع عشر ، الورقتان ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) natural or free

(٣) نفس المصدر السابق ، الجزء الثانى ، الفصل السابع ، الورقة ١٣٥ .

(٤) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب — رقم ١١٢٢ : الكتاب الثانى ، المقالة الثانية ، الفصل السادس ، الورقة ١٧١ .

(٥) «تسع رسايل فى الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ١٩ ، ٢٠ .

(٦) Cause (٧) Rectilinear Motion (٨) Circular Motion

يستحيل أن يكون فى جسم واحد بسيط مبدأ الحركتين مستقيمة ومستديرة ، أو يكون ماهو للذات مبدأ حركة مستقيمة هو بعينه فى حالة أخرى مبدأ حركة مستديرة ، لا كما يكون فى حالة أخرى مبدأ سكون لأنَّ السكونَ غايةُ الحركة المستقيمة .

إذ قد علمت أن الحركة المستقيمة هربٌ وطلبٌ : هرب عن مكان ( غير ) طبيعى ، وطلب لمكان طبيعى ، وعلمت أن الجهات محدودة ، وعلمت أن الأمكنة الطبيعية للأجسام البسيطة محدودة ، فإذا انتهت حركته بحصوله فى مكانه الطبيعىّ ، استحال أن يتحرك عنه فيكونُ مكانا غير طبيعىّ مهروبا عنه وغير ملايم ، فيسكن ، فيكون سكونه غاية حركته .

وأما الحركة المستديرة فليست من حيث هى حركة مستديرة غاية للحركة المستقيمة ، ولا نفس عدم لها ، بل أمر زائد يحتاج إلى مبدإ آخر .

وكل حركة مستقيمة فإما إلى المركز [1] والوسط ، وإما عن المركز . والمستديرة حول المركز . »

ويقول بهمنيار بن المرزبان فى كتابه « التحصيل » [2] :

فالحركة إذَنْ تختلف نوعيَّاتها باختلاف مايُقوِّمها ، وهو مافيه ومامنه وما إليْه ، مثل أن تكون إحدى الحركتين من مبدأ إلى منتهى على الاستقامة ، والأُخرى منه إليه على الاستدارة . . . . .

قد علِمْت أنَّ الخط المستقيم والمستدير هما مخالفان بالنوع ، فيجب أن تكون الحركة المستديرةُ مخالفة للحركة المستقيمة بالنوع . . . . »

ويقرر ابن المرزبان أن الحركة المستديرة لاتكون – فى رأيه – حركة طبيعيَّة حيث انها ليست حركة تقتضيها الطبيعة . فيقول فى كتابه « التحصيل » [3] :

ولو كانت الحركة المستديرة طبيعيَّة ، لكان يصحّ على ذلك الجسم أن يسْكن ، ومتى فُرِضَ سكونُ ذلك

---

( ١ ) Center

( ٢ ) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب – رقم ١١٢٢ : الكتاب الثانى ، المقالة الثانية ، الفصل الرابع عشر ، الورقة ١٩٠ .

( ٣ ) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب – رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الثانى ، الفصل الثالث ، الورقة ٢٧٠ .

الجسم ، وجَبَ رفعُ الزمانِ والحركة والحدوثِ ، لكنَّ رفعَ الزمان يتم بإثبات قبل وبعد وهما من الزمان ، فيكون رفعُه بإثباته ، فبيِّن أن تلك الحركة لايصح عليها أن تؤدى إلى السكون ، وكل حركة لاتؤدى إلى السكون فليست بطبيعية ، فتلك الحركة ليست بطبيعية .

وأيضا فإن الجسم المستدير يتحرك من وضع إلى ذلك الوضع بعينه ، ومن نقطة إليها بعينها ، ولايصح أن يكون مقتضى الطبيعة طلب شيء والهرب منه بعينه ، بل هذا للاختيار فقط ، لأن الطبيعة أمر واحد ومقتضاها أيضا واحد ، فتلك الحركة إذن ليست بطبيعيَّة . . . . »

## (د) الحركة التموجية :

يقول صاحب « التحصيل » فى معرض حديث عن السمع [1] :

« والصوت أمر يحدث من تموج [2] الجسم السيال [3] الرطب كالهواء والماء منضغطاً [4] بين جسمين متصاكين [5] متقاومين [6] .

وأما الصدى [7] فإنه يحدث من تموج يوجبه هذا التموُّج ، فإن هذا التموج إذا قاومه شيء من الأشياء كجبل أو جدار حتى دفعه ، لزم أن ينضغط أيضا بين هذا التموج المتوجه إلى قرع الحايط أو الجبل وبين مايقرعه هؤلاء آخر يرده ذلك ويصرفه إلى خلف بانضغاطه ويكون شكله شكل الأول وعلى هيئته ، ويشبه أن يكون الصدى هو تموج الهواء الأول المنعطف [8] الثانى ، لا الهواء المتموج الثانى ، ولذلك يكون على صفته وهيئته . . . »

فى هذا النص يصف بهمنيار بن المرزبان الحركة التموجية الصوتية وانعكاس هذه التموجات عند اصطدامها بعائق كجدار مثلا ، لترتد عنه مكونة التموجات الصوتية المنعكسة ، وهى التى

---

(١) نفس المصدر السابق : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الرابع ، الفصل الخامس ، الورقة ٣٠٧ .

(٢) Waviness (٣) Flowing

(٤) Pressed, Compressed (٥) Colliding

(٦) Opposed (٧) Echo (٨) reflected

نعرفها بالصدى ، وبذلك يكون العرب قد وقفوا على الحركة التموجية . ويدل على ذلك وصف صاحب «التحصيل» لهذا النوع من الحركات حيث يقول فى نفس الورقة :

« . . .والتموُّج يحدث لتداول السبب الفاعل له من الماءِ والهواءِ بصدم[1] بعد صدم مع سكون قبل سكون . . . »

وفى هذا القول تقرير للصفة الدورية للحركة التموجية .

## أقساط الحركة :

استخدم الحسن بن الهيثم تعبير « القِسْط »[2] فى الفصل الثالث من المقالة الرابعة فى كتابه « المناظر »[3] ، وذلك فى معرض تحليله لسرعة حركة الجسم المُصَادم إلى « قِسْطَين » متعامدين فى المستوى الذى يضمُّ خط الحركة والخط العمودى على سطح المصادمة ( الملاقاة ) .

ففى تحليله لسرعة الجسم المصادم ، عادل ابن الهيثم بين سرعة الجسم وبين قسطين لها : قِسْط ( أى مركِّبة ) موازى لسطح الملاقاة ، وقسط عمودى على سطح الملاقاة ، وبتعبيرنا المُعاصر فإن سرعة الجسم المصادم هى مُحصِّلة مُركِّبتين متعامدتين على بعضهما البعض ، إحداهما فى مستوى الملاقاة ، والأُخرى عمودية عليها ، ومن الواضح أن المُحصِّلة ومُركّبتيها تقع جميعها فى مستو متعامد على سطح المصادمة .

ويرى ابن الهيثم أن القسط الموازى لسطح الملاقاة يبقى على حاله دون أن يطرأ عليه أى تغيير إثر المصادمة ، أمَّا القسط العمودى على سطح الملاقاة فإنَّه يتأثر بحسب درجة ممانعة سطح الملاقاة عن الانفعال بالتصادم ، وكلما كانت هذه الممانعة أعظم كلما كان التغيُّر فى القسط العمودى أقل ، وكانت مسافة ارتداد الجسم المُصادِم أطول .

## قوة الحركة = اعتماد المتحرك :

وقف الحسن بن الهيثم على معنى كمىّ فى الجسم المتحرك يتوقف على سرعته

( ١ ) Collision

( ٢ ) اى المركبة : Component

( ٣ ) مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول – رقم ٣٢١٥ ، الورقتان ٧٤ ، ٧٦ .

( مُعبّرا عنها بمسافة السقوط ) ، وعلى ثقله ( ويتناسب مع كتلته ) ، وهو المعنى الذى نطلق عليه اليوم تسمية ( كمية الحركة ) وتساوى حاصل ضرب كتلة الجسم في سرعته ، وبالتالى فهى كمية موجّهة ، وقد عبّر عنهاابن الهيثم بتعبيرين هما « قوة الحركة » و « اعتماد المتحرِّك » .

يقول الحسن بن الهيثم فى الفصل الثالث من المقالة الرابعة فى كتابه « المناظر »[1] :

« والمتحرِّك إذا لقى فى حركته مانعًا يُمانعه ، وكانت القوة المحرِّكة له باقيةً فيه عند لقائه الممانع ، فإنّه يرجع من ( حيث ) كان فى الجهة التى منها تحرّك ، وتكون قوة حركته[2] فى الرجوع بحسب قوة الحركة التى كان تحرَّك بها فى الأول ، وبحسب قوة الممانعة »[3] .

ويمضى ابن الهيثم فى الورقة التالية يقول : « . . . لأَن الحركة المُكتسبة إنَّما تكون بحسب مقدار المسافة ( و ) بحسب مقدار الثقل . »

فى هذا النصِّ الأَخير تحديد لقصْد ابن الهيثم لمعنى « قوة الحركة » واعتمادها على مقدار مسافة سقوط الجسم ، وهى متناسبة مع سرعة السقوط ، كذا على ثقل الجسم ، ويتناسب مع كتلته ، وهو سَبْق واضح لابن الهيثم .

## ٢ — ألفاظ مدافعات الجسم

أَفْرد العرب جانبا كبيرا من اهتمامهم لخاصية مُدافَعة الجسم عن حالة السكون التى يكون عليها فلا يخرج عنها إلا بقَسْر قاسر ، أَو حالة الحركة المستقيمة المنتظمة التى يُحافظ عليها مالم تجبره قوى خارجية على الحَيْدة عنها ، وتُشكِّل هذه الخاصية ما تعارفنا على تسميته بالقانون الأَول للحركة ، وقد استعمل العرب فى

---

( ١ ) نفس المصدر السابق ، الورقة ٧٠ .

( ٢ ) يعبر عنها علماء الغرب بكلمة : Momentum ، وهى كمية موجهة وتساوى حاصل ضرب كتلة الجسم فى المسافة المقطوعة .

( ٣ ) Opposition

هذا الجانب من دراساتهم فى العلم الطبيعى عدّة ألفاظ خاصة ، منها « المبدأ » و « الميل » و « الاعتماد » و « قوة الميل » .

هذا ونخص بالذكر لفظ « الميل » الذى ورد فى معان متباينة ، تعرّضنا لها هنا بما هى أهل له من الإيضاح والتفصيل . ولقد كان لزامًا علينا أن نسوق نصوصا عديدة كى ندلل على القصد من هذا اللفظ فى كل موضع ، ونبين التعبير المعاصر الذى يرادفه ، ولقد يكون من غير المتيسر تقويم الكتابات العربية فى العلم الطبيعىّ دون الإلمام الواسع بالألفاظ التى استعملها العرب فى كتاباتهم ، والوقوف على المعانى الدقيقة التى أنيط بها تأديتها ، ومن هنا كان إهتمامنا وسعينا المتواصل إلى أكبر قدر من النصوص العربية ، ودراستها دراسة علمية متعمقة .

## لفظ المبدأ :

بكلمة «مبدأ» قصد العرب عموما السبب والعلة ، كذلك فقد أشاروا بها إلى موضع بدء الحركة . كما أنه قد ورد فى كتاباتهم تعبير «مبدأ ميل» ، وفيما يلى توضيح معانى لفظ «مبدأ» .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته الرابعة «فى الحدود »(١) :

« الطبيعة مبدأ أول بالذات بحركة ما هو فيه بالذات وسكونه بالذات » .

ويُعرِّف الإمام محمد أبو حامد الغزالى(٢) لفظ « المبدأ » ، فيقول فى كتابه « معيار العلم »(٣) :

« والمبدأ اسم لما يكون قد استتم وجوده فى نفسه ، إما عن ذاته ، وإما عن غيره ، ثم يحصل منه وجود شىء آخر يتقوم به ، ويُسمى هذا علّةً بالإضافة إلى ما هو مبدأ له . »

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه «الإشارات و التنبيهات »(٤) :

« إنك لتعلم أنّ الجسمَ إذا خُلّى وطباعه ولم يعرض له من خارج تأثير

---

(١) « تسع رسايل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ٨٦ .
(٢) عاش فى الفترة : ٤٥١ – ٥٠٥ هـ ( ١٠٥٩ – ١١١١ م ) .
(٣) كتاب اقسام الوجود واحكامه ، الفن الثانى ، طبعة دار المعارف بالقاهرة : صفحة ٣٢٠ .
(٤) النمط الثانى – الفصل السادس .

غريب لم يكن له بدٌ من موضع مُعيَّن وشكل معين . فإذن في طباعه مبدأ استيجاب ذلك » .

بهذا النص يقصد ابن سينا أن الجسم يبقى – بطبْعه – ساكنا في موضع معين ، متخذًا شكلا مُحدَّدًا ، ومُحافظا على هذه الحال بسبب طبعه ، مالم يطرأ عليه مُؤثِّر من خارج الجسم يتسبب في خروجه عن هذا الموضع أوعن هذا الشكل أوعن كليهما ، أي أن الجسم يُدافع بطبْعه عن استمرار حالة سكونه الطبيعي وهذا مبدأ وخاصية في الجسم .

## لفظ الميل :

يرد لفظ «الميل» كثيرا في نصوص الفلسفة الطبيعيَّة ، وقد استعمله العرب في معان أربع هي :

١ – الميل بمعناه الحرفي أي بمعنى الرغبة والاتجاه .

٢ – الميل بمعنى القوة ، سواءٌ كانت هذه القوة قوة طبيعية تعمل على إعادة الجسم إلى موضعه الطبيعي ، وهي القوة التي نعرفها اليوم بقوة التثاقل تحت تأْثير الجاذبية الأَرضية ، فيقال «ميل طبيعي» ، أوكانت هذه القوة قوة قسريّة تَعْرِض للجسم من خارجٍ فتُطلقُ عليها تسمية «ميل قسرى» .

٣ – الميل بمعنى مُدافعة الجسم عن حاله التي هو عليها ، سواءٌ كانت حالة سكون أوحالة حركة منتظمة وعلى استقامة ، وخاصيَّة المُدافعة هذه هي مانُعبِّر عنها في كتاباتنا المعاصرة «بالقصور الذاتي» أو «العطالة» ، ومُدافعة الجسم هذه – والتي كتب عنها بوضوح الشيخ الرئيس ابن سينا – هي مانعرفه اليوم بالقانون الأول للحركة .

٤ – الميل في معنى كمية الحركة ، وكمية الحركة في مفهومنا الحالي هي حاصل ضرب الكتلة في السرعة ، وبالتالي فهي كمية مُوجَّهة قابلة للتحليل والتركيب .

ونقدم فيما يلي أمثلة من كتابات العرب التي يرد فيها لفظ «الميل» .

## ١ — « الميل » بمعناه الحرفى :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه « الإشارات والتنبيهات »[(١)] :

« فإذا كان الجسم الطبيعىّ فى حَيزه الطبيعى لم يكن له — وهو فيه — ميْلٌ ، لأنه — لامحالة إنّما يميل[(٢)] بطبعه إليه لاعنه » .

ويشرح الإمام فخر الدين الرازى[(٣)] هذه العبارة بقوله[(٤)] :

« وأمّاً قولُه وإذا كان الجسم فى حيِّزه الطبيعىّ ، لم يكن له — وهو فيه — مَيْلٌ ، لأنه إنّما يميلُ بطبعه إليه لاعنه ، فاعلم أنَّ هذه الدلالةَ تدلُّ على أنَّ الجسم حال كونه فى حيِّزه الطبيعىِّ ، لايكون له ميْل[(٥)] عنه . فإذا قلنا ولا يكون له أيضا ميْلٌ إليه لاستحالة طلب الحاصل فحينئذ تتم الدلالة على أنه لاميل فيه فى تلك الحالة » .

## ٢ — « الميل » بمعنى القوة :

### ( أ ) الميل الطبيعى :

بالميل الطبيعى عبر العرب عن القوة التى تعيد الجسم الى مكانه الطبيعى اذا ماكان متواجدا خارجه ، وتعرف بالقوة الطبيعية لانها تعمل فى الاتجاه الطبيعى نحو مركز الارض حتى يستعيد الجسم موضعه الطبيعى ، فالميل الطبيعى هو السعى إلى الموضع الطبيعى تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه « الإشارات والتنبيهات »[(٦)] :

« الجسم إذا وجد على حال غير واجبة من طباعه ، فحصوله عليها من الأمور الإمكانية ولهلل جاعلة ، ويقبل التبديل فيها من طباعه إلالمانع ، وإذا كانت هذه الحال فى الموضع والوضع أمكن الانتقال عنهما بحسب اعتبار الطبع ، فكان فيه ميل » .

ويقول أيضا فى كتابه « الشفاء »[(٧)] :

« إنَّ الأجسام الموجودة ذوات الميل كالثقيلة و الخفيفة :

أما الثقيلة فمما يميل إلى أسفل ، وأما الخفيفة فمما يميل إلى فوق ، فإنها كلما

(١) النمط الثانى — الفصل السابع .

(٢) incline, tend

(٣) عاش فى الفترة : ٥٤٤ — ٦٠٦هـ ( ١١٥٠—١٢٠٩م ) .

(٤) الكتاب الموسوم بشرحى الاشارات لنصير الدين الطوسى و للامام فخر الدين الرازى : النمط الثانى—الفصل السابع .

(٥) Inclination, Tendency.

(٦) النمط الثانى — الفصل الحادى عشر . (٧) المقالة الرابعة — الفصل الرابع عشر .

ازدادت ميلا (١) كان قبولها للتحريك القسرى ابطأ ، فان نقل الحجر العظيم الشديد الثقل أو جرّه ليس كنقل الحجر الصغير القليل الثِّقل أو جرّه . »

فلفظ « الميل » هنا يعبر عن قوة الجاذبية الأرضية الداعية الساعية إلى استعادة الموضع والوضع الطبيعيين للجسم ، ومن الأمور المعروفة ان الجسم كلما زاد وزنه – أى زادت قوة تثاقله ، أو بعبارة أخرى زاد ميله الطبيعى – كلما زادت قوة احتكاكه بالسطح الذى عليه يرتكز ، وبالتالى تزداد مقاومته للتحريك القسرى ، أى أن القوة اللازمة للتغلب على قوة الاحتكاك تزيد بزيادة وزن الجسم ، وهو المعنى الوارد فى النص الثانى من كلام ابن سينا ، وقد ضرب له مثلا تحريك الحجر شديد الثقل وقليله .

ويؤكد ابن سينا هذا المعنى فى كتابه « الاشارات والتنبيهات » (٢) بقوله :

« وكُلَّما كان الميل الطبيعى أقوى ، كان أمْنَع لجسمه عن قبول الميل القسرى ، وكانت الحركة بالميل القسرى أفْتَر وأبطأ . »

ويقول بهمنيار بن المرزبان فى كتابه « التحصيل » (٣) :

« ويجب أن يكون فى الجسم فى حال ما يتحرَّكُ معنى زايد على الطبيعة ، وذلك لأنَّ الجسمَ فى مكانه الطبيعىّ ذو طبيعة ، ولكن لايكون ذا حركة ، وهذا المعنى الزايدُ يسمىً ميْلاً ، وهو الذى يشاهد فى حال مايتحرَّكُ الجسم إلى مكانه الطبيعى ن الدَّفْع القوىِّ لمُقاوِمِه . »

فمن الواضح من كلام ابن المرزبان أن المقصود بالميل هنا هو القوة الطبيعية التى تسعى لإعادة الجسم إلى مكانه الطبيعى .

ويقول بهمنيار بن المرزبان فى وضع آخر من كتابه (٤) :

« .... كلُّ حركة فهى تصدُرُ عن ميْل كما عرفته ، وهذا المَيْل فى نفسه معنى

(١) يقصد بالميل هنا قوة الجاذبية الأرضية : Gravitational Force

(٢) النمط الثانى – الفصل السابع .

(٣) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب – رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الأول ، الفصل الثانى ، الورقة ٢٤٧ .

(٤) نفس المصدر السابق ، الفصل السابع ، الورقتان ٢٦٠ ، ٢٦١ .

من المعانى ، به تُوُصِّل إلى حُدُودِ الحركات ، ومحالٌ أن يكون الواصِلُ إلى حدٍ ما واصلاً بلا عِلةٍ موجودةٍ مُوصلة ، محالٌ أيضاً أن تكون هذه العِلةُ غيرَ التى أزالت عن المُستَقَرِّ الأول ، وهذه العِلةُ يكونُ لها قياسٌ إلى ما يُزيله يُسمى ميْلَا ، ومن حيث هو موصل لا يُسمى ميْلًا .

المَيْلُ مالم يُقْسَر ولم يُقْمَع أو لم يُفْسُدْ ؛ فإن الحركة التى تجب عنه تكون موجودة » .

ويشير الإمام فخر الدين الرازى فى شرحه لكتاب ابن سينا « الإشارات والتنبيهات » [1] إلى ازدياد المَيْل الطبيعى – أى القوة الطبيعية – مع عِظَم الجسم فيقول :

« الأَجسامُ كلما كانت أعظم ، كان مَيْلُها إلى أحيازها الطبيعية أقوى ، وكلما كان كذلك ، كان قبولها للميل القسرىِّ أضعف ، لِما بيَّنا أنَّ المَيْل الطبيعىَّ عائق عن القسرىْ .

والشىءُ كُلَّما كان العائق عنه أقوى كان وجودُه أضعَفَ. »

## (ب) الميل القسرى :

استخدم العرب تعبير «الميل القسرى» للدلالة على القوة التى تُسلط على الجسم من خارجه ، والتى قد تُساعد أو تُعاكس « مَيْلَه الطبيعىّ » ، والمَيلُ القسرى عندما يتغلب على القوى الأُخرى يدفع الجسم إلى التحرُّك حركة قسرية .

يقول ابن مَلْكَا البغدادى فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » [2] :

« . . . كلُّ حركة بالحقيقة فهى تصدر عن مَيلٍ يحققه اندفاعُ الشىء القائم أمام المتحركِ أو احتياجه إلى قوة تُمانعه بها .

وهذا الميل فى نفسه معنى من الأُمور به تُوُصِّل إلى حدود الحركات ، وذلك بإبعادٍ من شىء يلزمهُ مدافعة لما فى وجه الحركة ، وتقريب من شىء . . . . »

---

(١) النمط الثانى – الفصل العشرون .

(٢) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول – رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثانى ، الفصل الرابع والعشرون ، الورقة ٨٩ .

ويعرض ابن مَلْكَا لاجتماع المَيْلين الطبيعىّ والقسرى مُمَثِّلاً بالحجر المقذوف إلى فوق ، حيث يكون الحجر تحت تأْثير قوة الجاذبية الأَرضية المتجهة إلى أسفل ويُشار إليها هنا بالميل الطبيعى ، كما يكون الحجر أيضا تحت تأْثير قوة القذف القاسرة إلى فوق وهى القوة التى أشير إليها بالميل القسرى ، وفى هذا المعنى يقول صاحب « المعتبر فى الحكمة » (1) :

« فكذلك الحجرُ المقذوف ، فيه مَيْلٌ مُقَاوِمٌ(2) للمْيلِ القاذفِ ، ألا لأَنَّه مقهورٌ بقوة القاذف ، ولأَن القوة القاسرة عرضيَّةٌ فيه ، فَهى تضعف لمقاومة هذه القوة والميْل الطبيعىّ ولمقاومة المخروق (3) .

ولذلك كلَّما كان المخروقُ أكثفَ(4) وأعْسَر خَرْقاً ، كان بُطْلاَن ذلك المْيل القسرى أسرع ، كما يكون ذلك فى الماء بالقياس إلى الهواء . . .

فيكون المْيلُ القاسِرُ فى أوله على غاية القهر للمْيل الطبيعىّ ، ولا يزال يُضعِف ويُبطِئ الحركة ضعفاً بعد ضعفٍ ، وبطءٍ بعد بطءٍ ، حتى يعجزَ عن مقاومة الميل الطبيعى ، فيغلب الميل الطبيعى ، فيحرك إلى جهته ، ويقوى عليه مستمرا حتى يُبطِلَه ، فيسرع بذلك حركته لبطلان المُقاوم . »

لاشك أن هذا النص واضح كل الوضوح فى الدلالة على استعمال كلمة « الميل » فى معنى القوة سواءٌ كانت هذه القوة ناشئة عن جذب الأَرض للجسم فتسمى « ميلا طبيعيا » ، أو كانت هذه القوة قوة قاهرة مُسلطة على الجسم من الخارج فتسمى « ميْلاً قسريّاً » ، وقد أوضح صاحب المعتبر كيفية تغلُّب القوة القاهرةْ – فى حالة الحجر المقذوف إلى فوق – على القوة الطبيعية (قوة الجاذبية الأَرضية) فى بادئ الأَمر ، ثم تناقص تأْثير القوة القسرية لمقاومة القوة الطبيعية ولمقاومة

---

(1) نفس المصدر السابق : الورقتان ٩٤ ، ٩٥ .

(2) Resisting Force

(3) يقصد الوسط المنفوذ فيه : penetrated medium

(4) more dense

الوسط المخروق لها ، وبيَّن كيفية تغلُّب المْيلِ الطبيعىٌّ فى نهاية الأمر ليستعيد الحجر موضعه الطبيعى على سطح الأرض.

### ٣ – « الميل » و « الاعتماد » فى معنى المدافعة :

استعمل العرب لفظى « الميل » و « الاعتماد » كذا « مبدأ ميل » للتعبير عن خاصيَّةٍ طبيعية فى كل الأجسام ، هى خاصية رغبة الجسم وتمسُّكه ببقائه على حاله التى هو عليها من سكون أو حالة حركة منتظمة وعلى استقامة ، وهذا هو ما اصطُلح على تسميته اليوم بالقانون الأول للحركة ، ولا جدال فى أنَّ الشيخ الرئيس ابن سينا له فضل السبق اليه .

فللجسم مقاومة ذاتية يُدافع بها عن استمراره فى حال السكون فى موضعه الطبيعى ، أو عن استمراره فى حال الحركة المستقيمة المنتظمة السرعة ، وفيما يلى بعضٌ من كتابات العرب فى خاصية المُدافعة هذه .

### ( أ ) المدافعة عن حال السكون :

يقول ابن سينا فى طبيعيَّات كتابه « الشفاء » [١] :

« إنَّ كلَّ جسم ليس فيه مبدأُ مْيلٍ ما ، فإنَّ نقلَه عما هو عليه من أين أو وضع يقع لا فى زمان ، وذلك محال ، بل يجب أن يكون كلُّ جسم يقبل تحريكا وإمالةً طارئةً ، ففيه مبدأُ مْيلٍ طبيعىٍّ فى نفس ما يقبله كان أيناً أو وضعاً . »

ويمضى ابن سينا فى نفس المقالة شارحا خاصيَّة المُدافعة هذه فيقول :

« وليست المُعاوقة [٢] للجسم بما هو جسم ، بل بمعنى فيه يطلب البقاء على حاله من المكانِ أو الوضع ، وهذا هو المبدأُ الذى نحن فى بيانه . »

### (ب) المدافعة عن حال الحركة :

يُعرِّف الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته الرابعة : « فى الحدود » [٣]

---

( ١ ) المقالة الرابعة .

( ٢ ) Hindrance

( ٣ ) « تسع رسايل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩٥ .

الميل والاعتماد فى معنى المُدافعة عن حال الحركة فيقول :

« الاعتمادُ والمَيلُ هو كيفية يكون بها الجسم مُدافعاً لما يُمانِعه عن الحركة إلى جهة ما . »

ويكاد الامام الغزالى أن يكون قد أورد هذا التعريف بلفظه فى كتابه « معيار العلم »[(١)] .

ويقول ابن سينا فى كتابه « الإشارات والتنبيهات »[(٢)] :

« الجسمُ له فى حال تحرُّكه ميلٌ يتحرَّك به ، ويحِسُّ به المُمانِعُ ،ولن يتمكَّنَ من المنع إلاَّ فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طِبَاعه ، وقد يحدث فيه من تأثير غيره ، فيبطل المنبعث من طباعِهِ إلى أن يزولَ فيعود انبعاثُه . »

ويُلقى الشيخ الرئيس مزيداً من الضوء على طبيعة مُدافعة الجسم عن استمراره على حاله ، فيقول فى معرض حديثه عن الاراء المطروحة فى سبب حركة الجسم المقذوف (المتحرِّك) بعد أن يفارقه القاذف (أى المسبِّبُ للحركة) بعد استعراضه لجملة الآراء[(٣)] :

« ولكنَّا إذا حقَّقنا القول ، وجدنا أصحَّ المذاهب مذهبَ من يرى أنَّ المتحرِّك يستفيدُ مَيْلاً من المُحرِّك .

والمَيلُ[(٤)] هو مايُحَسُّ بالحِسِّ إذا ما حُووِل أن يُسكَّنَ الطبيعىُّ بالقسر ، أو القسرىُّ بالقسر . »

ولقد استعمل العرب لفظ « الاعتماد » مُرادِفاً للفظ « المَيل » ، من ذلك قول نصير الدين الطوسى فى معرض شرحه للفصل الأول من النمط الأول فى طبيعيّات كتاب « الإشارات والتنبيهات » لابن سينا :

« والاعتماد عندهم هو مايسميه الحكيم ميلا . »

وهذا يتضح أيضا من تعريف ابن سينا والإمام الغزالى الذى أشرنا إليه قبل بضع سطور .

---

( ١ ) « كتاب الحدود » : الفن الثانى ، القسم الثالث ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، الصفحات ٢٩٦ حتى ٣٠٤ ( بيان الألفاظ المستعملة فى الطبيعيات ) .

( ٢ ) النمط الثانى – الفصل السابع .

( ٣ ) طبيعيات كتاب « الشفاء » : المقالة الرابعة – الفصل الرابع عشر .

( ٤ ) يعبر عنها علماء الغرب بكلمة ( Inertia )

من هذه النصوص يتبين لنا وقوف العرب على خاصيّة أو صفة ذاتية فى الجسم بها يُدافع عن استمراره فى حال السكون أو حال الحركة ، وقد أطلقوا عليها تسمية « الميل » أو « الاعتماد » ، وهذه الخاصيةُ نُطلق عليها اليوم تسمية « القصور الذاتى » أو « العطالة »[1] ، وهى السِّمَة الواردة فى القانون الأول للحركة الذى يقول بأن الجسم يبقى فى حالة سكون أو فى حالة حركة منتظمة فى خط مستقيم مالم يُجبره قوى خارجة عنه على تغيير هذه الحالة . وهذا القانون هو حصيلة الخبرة والمشاهدة لسلوك الأجسام الساكنة والمتحركة .

## ٤ — « الميل » و « قوة الميل » بمعنى كمية الحركة

استعمل الفيلسوف العربى ابن مَلْكا البغدادى لفظ « الميل » و « قوة الميل » فى معنى كمية الحركة ، من ذلك قوله فى كتابه « المعتبر فى الحكمة »[2] :

« فالميلُ الطبيعىُّ مبدأٌ له غير مفارق ولايزال يُوجبه حتى يبلغَ به الحيِّز الطبيعىَّ . وكُلَّما حَرَّكت القوةُ فى المسافة الغريبة عن الطبع ، أحدثت ميلا بعد ميْل ، فتتزايد بذلك قوة الميل[3] مهما استمرت الحركة . »

يتبين من هذا النص أن ابن مَلْكا يقول إن الأجسام التى تتحرك حركة طبيعية ، كتلك التى تسقط سقوطا حرّا تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية ( أى تحت تأثير الميل الطبيعىّ ) ، فإنَّ سرعتها تزيد بزيادة مسافة السقوط ، وبالتالى فإن كمية حركتها ( حاصل ضرب الكتلة فى السرعة ) تزيد كلَّما أمعن الجسم فى السقوط ؛ وقد عبَّر صاحب « المعتبر » عن كمية الحركة فى هذا النصِّ بالميل بعد الميل ، كذا بقوة الحركة .

ويزيد ابنُ ملْكا الأمر وضوحا فيمضى قائلا :

« .... فإن قيل إنَّ اشتداد الميل الطبيعى فى آخره ليس لانسلاخ

(١) Inertia

(٢) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثانى ، الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان ٩٥ ، ٩٦ .

(٣) يقصد بها هنا « كمية الحركة » : Momentum

القاسر ، بل لأمر يخصه فى نفسه ، ويُستدل على ذلك بالحجر المرمىّ من من عال من غير أن يكون عايداً عن صعود بحركة قسرية ، ولا فيه مُيلٌ قسريٌّ ، فإنك ترى أنّ مبدأ الغاية كلّما كان أبْعد كان آخرُ حركته أسرَع ، وقوةُ ميْلِهِ (١) أشدّ ، وبذلك يشجُّ ويسحقُ ، ولا يكون ذلك له إذا أُلقىَ عن مسافة أقصر ، بلَ يبيّن التفاوتُ فى ذلك بقدرِ طولِ المسافةِ التى يسلكها . . . . »

يسوُق ابن مَلْكاَ هنا مَثلا الحجر المقذوفَ من علو ، فيقول إنَّ « قوة المَيْل » (أى كمية الحركة ) للحجر تزيد كُلَّما كان موضع رمى الحجر أبعد عن سطح الأرض وكلما كانت قوة قذف الحجر أكبر ، وبازدياد « قوة الميل » للحجر المرمىّ يشتد تأثيره حيث يشجُّ ويسحق ، ومفهوم ابن مَلْكا فى هذا الخصوص سليم تماما ، حيث ان سرعة الجسم الساقِط سقوطا حرا تزيد بزيادة مسافة السقُوط ، وتزيد معها كمية كتله ( أى قوة ميْله حسب تعبير ابن مَلْكاَ ) ، فيشتدّ معها مبلغ تأْثيره إن هو اصطدم بجسم .

وفى استعمال كلمة « الميل » بمعنى كمية الحركة يقول نصير الدين الطوسى فى شرحه لكتاب ابن سينا « الإشارات والتنبيهات » (٢) :

« أقول : المَيْلُ الطبيعىُّ يزداد بازدياد الجسم إلى مكانهِ الطبيعى قُرباً » .

أى أن « كمية الحركة » الناشئة عن حركة الجسم الطبيعية تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية ( وقد عبَّر عنها الطوسى بالمَيْلِ الطبيعىّ فى هذا النص ) تزداد كُلَّما قُرب الجسم من مكانه الطبيعىّ على سطح الأرض إذ أنه كلما قرب الجسم منه كلما زادت مسافة سقوطه ، وهذه مصحوبة كما بيّنا — بزيادة فى سرعته ، وبالتالى فى كمية حركته أو « ميله الطبيعى » حسب تعبير الطوسى ، وهذا صحيح كلّ الصّحة .

(١) يقصد بها هنا « كمية الحركة » .

(٢) النمط الثانى — الفصل التاسع عشر .

## ٣ — ألفاظ معاوقات الحركة

وقف العرب على مقاومة الوسط المنفوذ فيه لحركة الجسم ، وقد فطنوا إلى أن هذه المقاومة تتأثر بنوع الوسط وشكل الجسم المتحرِّك ، وأن مقاومة الوسط المخروق يمكن لها أن تُعاوق الحركة إلى حدّ إبطالها ، من ذلك قول الشيخ الرئيس ابن سينا في طبيعيات كتابه «الشفاء»[١] :

« .... فإنَّك ستعلم أنَّ مُقاومَة[٢] المنفوذ فيه هو المُبطِلُ للقوة المحرِّكة ».

ويقول هبة الله بن مَلْكا البغدادى فى كتابه « المعتبر فى الحِكمة »[٣] :

«...والقوة بنفسها لاتبطل ولاتفنى ، وإنَّما يُبطِلها فى الملاء مصادمة مايلاقيها فى مسافتها من مُعَاوق بعد معاوق فيُضعفها حتى تفنى ، وليس ذلك فى الخلاء ..»

ويصف الإمام الرازى فى كتابه « المباحث المشرقية » اختلاف مقاومة الوسط من حيث الرقة والغلظة وتأثير ذلك على حركة الجسم ، فيقول[٤] :

« إنَّ الجسمَ إذا تحرَّك فى مسافة فكلَّما كان الجسُم الذى فى المسافة أرقّ كانت الحركة فيه أسرع ، وكُلَّما كان أغلظ كانت الحركة فيه أبطأ ، لأنَّ الرقيقَ شديد الانفعال[٥] عن الدافع الخارقِ[٦] ، والغليظَ شديدُ المقاومة . »

وقد عرف العرب أيضا أن المقاومة التى يتعرض لها الجسم المتحرك — فضلا عن تأثُّرها بنوعيَّة الوسط المنفوذ فيه — تختلف كذلك باختلاف الشكل الهندسى للجسم النافذ فى الوسط ، من ذلك قول ابن مَلْكا فى كتابه « المعتبر فى الحكمة »[٧] :

« وأيضا لو تحرَّكت الأَجسام فى الخلاءِ لتساوت حركةُ الثقيل والخفيف والكبير والصغير ، والمخروط المتحرِّك على رأسه الحاد ، والمخروط المتحرك

---

(١) المقالة الرابعة ، الفصل الرابع عشر . (٢) Resistance
(٣) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثانى ، الفصل الخامس عشر ، الورقة ٦٠ .
(٤) الكتاب الثانى — الفن الأول — الفصل التاسع عشر ، طبعة الهند : الصفحتان ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
(٥) Deformation (٦) Penetrating
(٧) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثانى ، الفصل الرابع عشر ، الورقة ٤٩ .

على قاعدته الواسعة ، فى السرعة والبطء ، لأنها إنما تختلف فى الملأ بهذه الأشياء بسهولة خرقها لما تخرقه من المقاوم المخروق كالماء والهواء وغيره .

فإن المخروط المتحرك على رأسه يخرق أسهل من المتحرك على قاعدته ... »

من هذه النصوص يتضح لنا أن العرب قد استعملوا ألفاظ «المقاومة « والمعاوقة» فى معنى ( ممانعة الوسط ) — الذى تتحرك خلاله الاجسام —لنفوذ أواختراق هذه الاجسام له ، وأن هذه الممانعة تختلف باختلاف طبيعة الوسط كثافة وغلظة أورقة وتخلخلا ، وأنها تقل كذلك كلما اتخذ الجسم المتحرك شكلا انسيابيا كالمخروط المتحرك على رأسه على حد تعبير صاحب «المعتبر» .

## خلاصة

فى هذا البحث تعرضنا بالدراسة لمفهوم العرب لحركة الأجسام وللألفاظ التى استعملها فلاسفة العرب وعلماؤهم فيه ، حيث أوردنا نصوصا عديدة لبيان الأوجه التى استعملت فيها هذه الالفاظ ومفاهيم العرب لها .

ويخلص البحث إلى أن العرب قد عنوا باختيار ألفاظهم العلمية ، فمن هذه الالفاظ مايزال صالحا تماما للكتابة العلمية المعاصرة كلفظ « المدافعة » فى معنى «العطالة » أو « القصور الذاتى » ، كذا ألفاظ المعاوقة والممانعة والمقاومة فى مجال معوقات الحركة ، ومن هذه الالفاظ أيضا ما استعمله العرب للدلالة على معان عدة مثل لفظ « الميل » الذى استخدمه العرب فى معان أربعة متباينة ، ومن ثمّ فإنه لاغنى للباحث فى تراثنا فى العلم الطبيعىّ من أن يقف تماما على معانى الألفاظ التى وردت فى كتابات العرب ، كما أنه يجدر بنا كذلك أن نتمسك ببعض الألفاظ التى استعملها العرب الأوائل والتى تقدم تعبيرات أكثر دقة وأشد طلاوة من كلمات مُرادفة لها فى كتاباتنا العلمية المعاصرة .

**جلال شوقى**

## مصادر البحث

### (أ) المخطوطات :


١ـ كتاب «المناظر» للحسن بن الهيثم : المقالتان الرابعة والخامسة .

مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول رقم ٣٢١٥ ، ٣٢٢ ورقة .

٢ ـ كتاب « تحصيل بهمنيار » لبهمنيار بن المرزبان .

مخطوط المكتبة الاحمدية بحلب رقم ١١٢٢ ، ٣٤٠ورقة .

٣ ـ كتاب « المعتبر فى الحكمة » لأبي البركات هبة الله بن مَلْكا البغدادي .

مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٣٢٢٢ ، ٢٢٥ ورقة .


### (ب) الأبحاث والكتب المطبوعة :


١ ـ « آراء الفلاسفة الإسلاميين فى الحركة ومساهمتهم فى التمهيد إلى بعض معانى علم الديناميكا الحديث »

للأستاذ مصطفى نظيف .

المحاضرة الرابعة من محاضرات ابن الهيثم التذكارية : كلية الهندسة جامعة فؤاد الأول : سنة ١٩٤٣م ، ٣٣ صفحة .

٢ ـ كتاب « الإشارات والتنبيهات » للشيخ الرئيس ابن سينا مع شرح نصير الدين الطوسى .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا . دار المعارف بمصر ـ القسم الثانى ـ الطبعة الثانية ، ٤٦٨ صفحة .

٣ ـ « الكتاب الموسوم بشرحى الإشارات » .

للخواجة نصير الدين الطوسى ، وللإمام فخر الدين الرازى .

المطبعة الخيرية بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ، عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧م) الجزء الأول : ٢٤٣ صفحة ، الجزء الثانى : ١٤٦ صفحة .

٤ ـ كتاب « الشفاء ـ الطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا .

تحقيق الدكتور محمود قاسم . مراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم مدكور .

دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩م).

٥ - « تسع رسايل فى الحكمة والطبيعيّات » .

للشيخ الرئيس ابن سينا .

مطبعة هندية بالموسكى بمصر ، عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨م ) ، ١٨٠ صفحة.

٦ - «معيار العلم » للإمام محمد أبى حامد الغزالى .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ، عام ١٩٦٩ ، ٤٠٠ صفحة.

٧ - «علم الحركة فى الفلسفة العربية : مفاهيمه وألفاظه » .

للدكتور جلال شوقى .

مجلة اللسان العربى ، جامعة الدول العربية ، الرباط - المجلد العاشر ، يناير ١٩٧٣م ، الجزء الأول ، الصفحات ١٨٣- ١٩٤ .

٨ - « أصول الميكانيكا فى الفكر العربى » للدكتور جلال شوقى .

أسبوع العلم الثالث عشر بجامعة حلب سنة ١٩٧٢ م ، منشورات المجلس الأعلى للعلوم بدمشق ، سنة ١٩٧٤ م ، الكتاب الرابع : دراسات وبحوث العلوم الهندسية ، الصفحات ١٩٣- ٢٦٢.

٩ - «تراث العرب فى الميكانيكا» للدكتور جلال شوقى .

عالم الكتب بالقاهرة ، سنة ١٩٧٣م ، ١١١ صفحة .

١٠ - « دراسات العرب فى سلوك الأجسام المتحركة » للدكتور جلال شوقى .

مجلة « عاديات حلب » - جامعة حلب : معهد التراث العلمى العربى ، الكتاب الأول عام ١٩٧٥م ، الصفحات ٣٠ - ٥١ .

# التطور اللغوى وقانون السهولة والتيسير

## للدكتور رمضان عبد التواب

**تميل** اللغة فى تطورها نحو السهولة والتيسير ، فتحاول التخلص من الاصوات العسيرة ، وتستبدل بها أصواتا أخرى ، لاتتطلب مجهودا عضليا كبيرا ، كما أنها تحاول أن تتفادى تلك التفريعات المعقدة ، والأنظمة المختلفة للظاهرة الواحدة.

«وليس معنى هذا أن قانون السهولة والتيسير ، ينطبق على كل الحالات ، وإنما يمكن تطبيقه على كثير من التطورات الصوتية فى اللغة . فإذا وجد الباحث أن التطور الصوتى كان عكسيا ، أى من السهل إلى الصعب — كما وجد فعلا فى بعض الحالات — فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة تبرر هذا التطور ، وهو لاشك سيجدها فى ظروف خاصة باللغة التى قد يحدث فيها هذا النوع من التطور . فليس ينقض هذا القانون ، أن نجد أحيانا أصواتا سهلة ، تطورت إلى أصعب منها فى بعض الحالات [1] ».

ومما ينطبق عليه هذا القانون : «ظاهرة الهمز » فى اللغة العربية ، ومحاولة بعض القبائل العربية القديمة التخلص منها ، وعلى الأخص قبائل الحجاز ، كما تخلصت منها معظم اللهجات العربية الحديثة . وصوت الهمز صوت عسير النطق ؛ لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية ، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة ؛ وهذه عملية تحتاج إلى جهد عضلى كبير .

(١) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ١٦٩ وانظر الشبه التى أثارها الدكتور تمام حسان ، على نظرية السهولة والتيسير ، فى كتابه : اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٤٥ — ٤٧

وسقوط الهمز فى غير أول الكلمة ، هو الشائع فى اللهجات العربية الحديثة ، وكان هو المميز للهجة قريش فى الجاهلية ، غير أن هذا التسهيل امتد إلى الهمزة فى أول الكلمة كذلك فى كثير من الكلمات فى العاميات الحديثة ؛ مثل : « باط » فى « آباط » و « دان » فى « آذان » و « سنان » فى « أسنان » و « سبوع » فى « أسبوع » ، كما يقال مثلا : « إيه اللى صابك » و « فلان راح فى غيبوبة وفاق منها » ، بدلا من : « أصابك » و « أفاق » . وقد روى الجواليقى (المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ) أن الناس فى عصره كانوا يسقطون همزة « أبو » ؛ فقال : « وهو أبو رياح ، لهذا الذى يلعب به الصبيان ، وتديره الريح ، ولا تقل : بُرِّياح ، وكذلك يقولون للقرد : بُوزنّة ، وإنما هو : أَبو زنّة ، وهى كنيته[١] » . ولا تزال هذه الظاهرة شائعة فى تونس والجزائر مثلا ، فى قولهم : « بومدين » و « بوتفليقة » و « جميلة بوحريد » ، وكان لنا زميل تونسى بجامعة ميونخ اسمه : « عثمان بوغانمى » ، كما تشيع هذه الظاهرة فى بعض الأسماء فى الجزيرة

( ١ ) التكملة فيما يلحن فيه العامة للجواليقى ١٣١

العربية ؛ مثل : « باحسين » و « باكلاّ » و « بابطين » وغير ذلك .

وقد يؤدى سقوط الهمز من آخر الأفعال ، إلى التباسها بالأفعال المعتلة الآخر ، فتعامل معاملتها عند إسنادها إلى الضمائر ؛ فبعد أن ضاع الهمز من الأفعال : ملأ الإناء ، وسلأ السمن ، وأخطأ فى قراءته ، وخبّأ نقوده ،مثلا ، أصبح يقال عند إسنادها إلى الضمائر : مليت ، وأخطيت ، وأبطيت ، وخبّيت تماما كما يقال : « رميت » و « سعيت » و « بنيت » وغير ذلك .

وقد روى ابن الأنبارى شيئا من هذا فى العربية القديمة ؛ فقال[٢] : « ويقال : أردأت الرجل وأرادته وأرديته ؛ فمن قال : أرادته ، ليّن الهمزة . ومن قال : أرديته ، انتقل عن الهمزة ، وشبه أرديت بأرضيت . ومثل هذا قول العرب : قرأت بتحقيق الهمز ، وقرات بتليين الهمزة ، وقريت بترك الهمز ، والانتقال عنه إلى التشبيه بقضيت ورميت . وكذلك يقال : اقرأ رقعى بالتحقيق واقرا

( ٢ ) الأضداد لابن الأنبارى ٢٠٨

رقعىّ بالتليين ، وأقل رقعىّ بالترك وهو أقل الثلاثة » .

كما يؤدى سقوط الهمز أحيانا إلى نوع من الاشتقاق الجديد ؛ فإن سقوط الهمز من الفعل : « يواسى » مضارع : « آ ى » و « يؤدّى » مضارع « أدّى » ؛ وتحولهما إلى : « يواسى » و « يودّى » مثلا ، هو المسئول عن اشتقاق الماضى الجديد : « واسى » و « ودّى » ، وغير ذلك مما هو شائع فى اللهجات الحديثة .

* * *

وانكماش « الأصوات المركبة » المسماة بالاتينية : Diphthong ، ظاهرة من ظواهر السهولة والتيسير فى اللغة ؛ فتحول الصوت المركب aw إلى ضمة طويلة ممالة ، فى مثل نطقنا لكلمة : « يُوم » و « نُوم » و « صُوم » بدلا من : « يَوْم » و « نَوْم » و « صَوْم » . وكذلك تحول الصوت المركب ay إلى كسرة طويلة ممالة ، فى مثل نطقنا لكلمة : « بيت » و « لِيل » وعِين » بدلا من : « بَيت » و « لَيل » و « عَين » – كل ذلك سببه إيثار اللغة الانتقال من العسير إلى اليسير من الأصوات .

وقد حدث هذا التطور فى الأصوات المركبة ، فى عصور العربية الأولى ، على على ألسنة العامة ، وهذا هو ما يفهم من كلام ابن السكيت ( المتوفى سنة ٢٤٤ هـ ) فى كتابه : إصلاح المنطق : « وتقول : الكَوْسج ، ولا تقل : الكُوسج ، وهو الجَوْرب ، ولا تقل : الجُورب »[1] . وقد تابع المؤلفون فى لحن العامة من بعده ، التنبيه على هذا التطور ، مثل ما فى كلمتى : « الغَيْرة » و « قَيْح »[2] عند الزبيدى ( المتوفى سنة ٣٧٩هـ ) وكلمة : « سَوْسَن »[3] عند الحريرى ( المتوفى سنة ٥١٦هـ ) و « لَوْح » و « جَيْب »[4] عند ابن هشام اللخمى ( المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ) و « فوق » « جوف »[5] عند ابن الإمام ( المتوفى بعد سنة ٨٢٧هـ ) و « العَيْش »[6] عند ابن كمال باشا ( المتوفى سنة ٩٤٠ هـ ) .

( ١ ) إصلاح المنطق ١٦٢

( ٢ ) لحن العوام للزبيدى ١٤٤ ؛ ١٨٥

( ٣ ) درة الغواص للحريرى ٧٨

( ٤ ) المدخل إلى تقويم اللسان ٦٢ ؛ ٦٦

( ٥ ) الجمانة فى إزالة الرطانة ٥

( ٦ ) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ٢٠

وقد تتطور هذه الحركة المثالة الناتجة من الصوت المركب، فتصير فتحة طويلة؛ فمثلا كلمة: «فأين» تطورت بعد سقوط الهمز منها إلى «فين» بدلا من: «فَيْن»؛ وفي بعض اللهجات: «وين» المتطورة عن: «وَيْن» بعد سقوط الهمز من: «وأين». غير أننا نسمع بعض أهالي صعيد مصر، ينطقون الكلمة الأولى بالفتح الخالص، فيقولون: «فان» بدلا من: «فين» الشائعة فيما عدا ذلك في مصر، أي أن التطور في هذا الصوت المركب كان على النحو التالي: $\bar{a} < \bar{e} < ay$

ونلاحظ مثل هذا التطور في العربية القديمة، في قول بعض العرب: «إن الرجز لعاب، أي: لعيب. والرجز: ارتعاد مؤخر البعير[1]»، وقولهم: «ماكنت أزعم في خصمي من العاب، يريد: العيب ... ويقال: بَوْع وباع، وصَوع وصاع[2]»، كما جاء في قولهم: «تبت إليك فتقبل تابتي، وصمت إليك فتقبل صامتي، أي: توبتي وصومتي، ذكره الواحدي في تفسير قوله تعالى: إن هذان لساحران. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي لغة بلحرث، وهي قبيلة من اليمن[3]».

وهي تلك القبيلة التي روى لنا نعتها، أنها كانت تلزم المثنى الألف في جميع أحواله؛ فقد قال أبو زيد الأنصاري، في تفسير قول الراجز:

طارت علاهن فشل علاها:

«وعلاها، أراد: عليها. ولغة بلحرث بن كعب، قلب الياء الساكنة، إذا انفتح ماقبلها ألفا؛ يقولون: أخذت الدرهمان، واشتريت ثوبان، والسلام علاكم. وهذه الأبيات على لغتهم[4]».

كما يروى عن أهل الحجاز، أنهم يقولون في: «يَوْجل[5]» «ياجَل»، كما روى لنا في اللغة: «ياءس» و«يابَس» في: «ييأس» و«ييبس[6]»؛ ومثل ذلك: «القال» بدلا من: «القول» في عبارة: «القيل والقال[7]»

(١) النوادر لأبي زيد ٣
(٢) النوادر لأبي زيد ٥
(٣) شرح مراح الأرواح ١٢٠
(٤) النوادر لأبي زيد ٨٥ وانظر الصاحبي لابن فارس ٤٩
(٥) المقتضب ١/٩٠ والمنصف ١/٢٠٢
(٦) المقتضب ١/٩٢ والمنصف ١/٢٠٣
(٧) لسان العرب (قول) ١٤/٩١

وكل هذه الأمثلة نتيجة لانكماش الصوت المركب ، وتحول الحركة الممالة الناتجة عن هذا الانكماش إلى فتحة خالصة ، فيما نعتقد .

* * *

وكذلك اندثار الأصوات الأسنانية فى اللهجات العربية الحديثة يعد مظهراً آخر من مظاهر السهولة والتيسير فى اللغة . والأصوات الأسنانية فى العربية هى الذال والثاء والظاء ، وهى التى تتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الأسنان عند النطق بها. ولا شك أن ذلك جهد عضلى ، تخلصت منه لغة الكلام بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان ؛ أما الذال فقد حل محلها الدال فى مثل : « دهب » بدلا من « ذهبٌ » ، أو الزاى فى مثل « زكْر » بدلا من : « ذِكْر » و «زُل » بدلا من : « ذُل » . وأما الثاء فقد حل محلها التاء فى مثل كلمة : «تُوب » بدلا من : « ثَوْب » ، أو السين فى مثل : « سابت » بدلا من : « ثابت » . وأما الظاء فقد حل محلها الضاد مثل : « ضِل » بدلا من : « ظلّ » أو الزاى المفخمة مثل : « زَهَر » بدلا من : « ظهر » ، وغير ذلك .

وقد روى لنا عن العرب القدماء بدايات لهذا النوع من التطور ؛ فقد ذكر أبو الطيب اللغوى أنهم قالوا : « الحسالة » فى : « الحثالة » و « القنفد » فى : « القنفذ » و « البزور » فى : « البذور »[1] وغير ذلك .

وقد استمر هذا التطور فى اللهجات العامية العربية ، فى أصقاعها المختلفة ؛ فقد روى لنا ابن مكى الصقلى ( المتوفى سنة ٥٠١ هـ ) قولهم : «التار » فى « الثأر » و «جدر الشجرة » فى : « جذر الشجرة »[2] كما روى ابن هشام اللخمى ( المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ) قولهم : « جدام » فى : « جذام » و «دخيرة » فى : « ذخيرة »[3] وكذلك روى لنا الشيخ يوسف المغربى ( المتوفى سنة ١٠١٩هـ ) قولهم : « قلان

---

( ١ ) الإبدال لأبى الطيب اللغوى ١ / ١٧٤ ؛ ١ / ٢٣٥٧ ؛ ٦
( ٢ ) تثقيف اللسان ١٠٥ ؛ ٥
( ٣ ) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٦

نذل » بدلا من : « نذل » و « ثُوم » بدلا من « ثُوم » و « حنضل » بدلا من : « حنظل »[1] ومثل ذلك ما رواه ابن أبي السرور البكرى (المتوفى سنة ١٠٨٧هـ) من قولهم : « بَدَر الحَبّ » بدلا من : « بذر » « وبردعة » بدلا من : « برذعة »[2]، وغير ذلك .

* * *

ومن مظاهر قانون السهولة والتيسير كذلك : القضاء على التفريعات الكثيرة ، والأنواع المختلفة للظاهرة الواحدة فى داخل اللغة . وقد حدث ذلك فى اللهجات العربية الحديثة بالنسبة لعلامات التأنيث فى العربية ، فنحن نعرف أن العربية الفصحى تملك ثلاث علامات للتأنيث هى : التاء ، والألف المقصورة ، والألف الممدودة ، كما نلاحظ أن العلامتين الثانية والثالثة ، قد ضاعتا فى اللهجات العربية الحديثة وحلت محلها العلامة الأولى ، وهى التاء

فنحن نقول فى : حمراء ، و بيضاء ، وصحراء ، وعمياء ، وميناء ، وعرجاء : حمرة ، وبيضة ، وصحرة ، وعمية ، ومينة ، وعرجة ، كما نقول فى : حبلى وسلمى ، وخبّازى ، وعدوى ، وفتوى حبلة ، وسلمة ، وخبّيزة ،[3] وعدوة ، وفتوة .

والسر فى زوال هاتين العلامتين ، وحلول العلامة الأولى محلهما ، وهى التاء هو ميل اللغة إلى أن تسير فى طريق السهولة والتيسير ، فبدلا من أن يكون فى اللغة الواحدة ثلاث علامات للتأنيث تصبح فيها علامة واحدة لكل أنواع المؤنث .

ونحن نلحظ هذا الميل إلى السهولة والتيسير فى هذه الظاهرة ، فى لغة الطفل الذى نجده يميل إلى تأنيث المؤنث بالتاء وحدها ؛ لأنها هى العلامة الكثيرة الشيوع فى لغة الكبار من حوله فنراه يقول مثلا : «قلم أحمر وكراسة أحمرة » ، وهو بهذا يعمل عن غير قصد

(١) دفع الإصر عن كلام أهل مصر ٧١ ؛ ٩٢ ؛ ٩٦

(٢) القول المقتضب ٤٩ ؛ ٩٢

(٣) انظر كتابنا : التذكير والتأنيث فى اللغة ٥

على اطراد القاعدة ، وكل لغة من اللغات تحاول فى تطورها أن تسلك هذا الطريق وأن تجعل قواعدها بسيطة مطردة ، وذلك بالقضاء على التفريعات الكثيرة ، والظواهر الشاذة فيها ؛ وبذلك يصبح صحيحا فى الاستعمال ، ما كان يعدّ خطأ ، من قبل أن يشيع استعماله .

وهذا السلوك قديم فى العامية العربية فقد روى الحريرى (المتوفى سنة ٥١٦ هـ) أن الناس فى عصره يلحنون ، فيقولون «الأوّلة» بدلا من : «الأُولى»[١]. وقد عثرت على نصين ، يظهر فيهما هذا اللون من التطور فى كلمة : «الأُولى» ؛ ففى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : «وقد رجعنا عن الراوية الأوّلة»[٢] ، وفى كتاب الواضح المبين فى ذكر من استشهد من المحبين للحافظ مغلطاى : « ثم جعلت الصورة الأوّلة فى صدر المجلس»[٣] .

والقلب المكانى[٤] ، وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلى على الذوق اللغوى — هو ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك . ويرى فندريس أن «الانتقال المكانى يصدر عن نفس الأصل الذى صدر عنه التشابه ؛ إذ إن مرد الأمر فى كليهما إلى الخطأ ونقص الالتفات ولكن النتيجة مختلفة كل الاختلاف فبدلا من تكرار الحركة النطقية مرتين يقتصر على تغيير مكان حركتين ، وأخيرا يبدو الانتقال المكانى ، كما لو أن جزأين فى كلمة واحدة قد تبادلا أحد العناصر ؛ فبدلا من : فسْترا festra (نافذة) يقال فى البرتغالية : فرستا festra »[٥] .

ولهذه الظاهرة أمثلة لا تحصى كثرة فى العربية الفصحى ؛ فقد خصص السيوطى فى كتابه المزهر فى اللغة (١/٤٧٦ـ ٤٨١) النوع الثالث والثلاثين ، لمعرفة القلب وذكر فيه حوالى مائة كلمة من هذا النوع ؛ مثل : جَذَب وجَبَذ ، وسحاب مكفهر ومكرهف ، واضمحلّ وامضحلّ

---

(١) درة الغواص للحريرى ٧٧ (٢) تاريخ بغداد ٥/١٨ (٣) الواضح المبين ١٩٧ .
(٤) تتجه الدراسات الحديثة فى تفسير هذه الظاهرة الآن إلى إحصاء نسبة شيوع الأصوات فى اللغة وذلك باستخدام جهاز الكومبيوتر !
(٥) اللغة لفندريس ٩٤

ولزج ولجز ، والأوباش والأوشاب وغير ذلك ، كما ذكر شيئاً مما يخص بعض القبائل العربية من هذه المقلوبات كقول بنى تميم مثلا «رعملى» بدلا من : «لعمرى» .

بل إننا لو قارنا العربية ، باللغات السامية الأخرى ، لعثرنا على أمثلة ، حصل فيها هذا القلب المكانى فى العربية على حين احتفظت اللغات السامية بالأصل ، فمثلا كلمة : «ركبة» هى فى العبرية : béreḵ (בֶּרֶךְ)

وفى الآرامية burkā (ܒܘܪܟܐ)

وفى الحبشية berk (ብርክ)

وفى الأكادية : burku فأصل الكلمة على هذا : «بُركة» ثم قلبت إلى : «رُكبة»[1] ؛ بدليل بقاء الأصل فى الفعل : «بَرَكَ» كذلك . ويقول فى ذلك الأب أنستاس الكرملى : «وقالوا : الركبة ، وكان الحق أن يقال : البُركة ؛ لأنهم اشتقوا منها : برك ، ولم يقولوا : رَكَبَ»[2] .

وكذلك كلمة : «مع» فى العربية ، فهى مقلوبة ، وأصلها تقديم العين على الميم ؛ لأنها فى العبرية[3] : ʿim (עִם)

وفى الآرامية : ʿam (ܥܡ)

أما كلمة : «ثغر» فى العربية بمعنى : «فتحة أو ثقب» فإنها تقابل فى اللغة العبرية šāʿar (שַׁעַר) وكان المفروض أن يكون مقابلها فى الآرامية : taʿrā لأن الملاحظ فى أصوات اللغات السامية ، أن الثاء العربية ، تقابل شيناً فى العبرية ، وتاء فى الآرامية ، كما أن الغين فى العبرية تقابل العين فى اللغتين العبرية والآرامية . ولكن الآرامية حدث فيها قلب مكانى فى هذه الكلمة ، فصارت tarʿā (ܬܪܥܐ)

واستعيرت تلك الكلمة المقلوبة من الآرامية فى العربية ، وهى كلمة : «تُرعة» ، وهى شق أو فتحة فى الأرض كما نعرف .

---

(١) انظر : التطور النحوى لبرجشتراسر ٢٢

(٢) نشوء اللغة ونموها واكتهالها ١٠٦

(٣) انظر : التطور النحوى لبرجشتراسر ٢٢

وقد روى لنا المؤلفون فى لحن العامة بعض كلمات القلب المكانى ؛ مثل : «حطب زَجْل » فى : «جزل » و «لطس الكتاب » أى محاه فى : « طلس »[1] و « أرعنى سمعك » فى : « أعرنى »[2] و «رنجس » فى : « نرجس » و «نورق » «رونق » و «دأب » فى : « أدب » و «دناية » فى : «ديانة » و «توفيض » فى «تفويض »[4] و « إحجاف » فى : «إجحاف » و «مأيوس» فى : «ميئوس »[5]

ومن أمثلة القلب المكانى فى اللهجات العامية المعاصرة قولنا : «معْلأة » فى : « ملْعقة» مع تطورات أخرى فيها ، و«اتلوى » فى : «التوى » و «أنارب » فى : «أرانب » و «جنزبيل» فى : « زنجبيل » و «فحر » فى : « حفر » و «جواز » فى : «زواج » و «جوز » فى : «زوج » و «مرسح » فى : « مسرح » و « أهبل » فى : «أبله » و «فعص » فى : «فصع الرطبة » و «فلانبعل » فى : «عَبْل » بمعنى ضخم الجثة ، و «سأّف» فى : « صفق » مع تطورات أخرى ، و «لخبط » فى : «خلبط » الناتجة بحسب قانون المخالفة من : « خلّط » ، و «بحلق » المتطورة عن : «محلق » فى : «حملق » ، و «خفس به الأرض » فى : « خسف» و «ورّى » فى : «روّى » الموجودة[3] فى نطق العراقيين ، والمتطورة عن : «رأّى » ، و «عماويد» فى : «عواميد » ، وقد سمعت شخصية كبيرة تتحدث عن «القماويس » وهو يقصد : «القواميس » ، وكل الأطفال الصغار يخطئون فى كلمة : «جزمة » فينطقونها : «نجمزة » ، وقد سمعت طفلا يقول : «فشارة » فى : « فراشة» وطفلة تطلق على «المسمار » كلمة : «ممسار » وغير ذلك .

ومن الملاحظ أن بعض الكلمات المقلوبة ، بعد أن تشيع على الألسنة ،

---

(١) التكملة فيما تلحن فيه العامة للجواليقى ١٣٣ ، ١٤١
(٢) تقويم اللسان لابن الجوزى ٩
(٣) الجمانة فى إزالة الرطانة لابن الإمام ٢٧
(٤) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه لابن كمال باشا ٣٣ ، ١٣ ، ٢١
(٥) نفائس عرائس الكلام لخسروزاده ١٧

تأخذ مجراها الطبيعى فى اللغة باستعمال باقى المشتقات منها . ولما لم يدرك اللغويون العرب ذلك حكموا بأصالة بعض المقلوبات ، فيقول أبو جعفر النحاس فى شرح المعلقات[1] : «القلب الصحيح عند البصريين ، مثل : شاكى السلاح وشائك ، وجرف هار وهائر . وأما ما يسميه الكوفيون القلب نحو : جبذ وجذب ، فليس هذا بقلب عند البصريين ، وإنما هما لغتان » .

ويقول السخاوى فى شرح المفصل[2] : «إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدرا ؛ لئلا يلتبس بالأصل ، بل يقتصر على مصدر الأصل ؛ ليكون شاهدا للأصالة ، نحو : يئس يأسا ، وأيس مقلوب منه ولا مصدر ، فإذا وجد المصدران حكم النحاة بأن كل واحد من الفعلين أصل وليس بمقلوب عن الآخر ، نحو : جبذ وجذب . وأهل اللغة يقولون : إن ذلك كله مقلوب » .

ويقول الحريرى[3] : «قال شيخنا أبو القاسم الفضل بن محمد النحوى رحمه الله : فأما قولهم : جذب وجبذ ، فليست هاتان اللفظتان عند المحققين من النحويين من قبيل المقلوب ، كما ذكر أهل اللغة ، بل هما لغتان ، وكل واحدة منهما أصل فى نفسها ، ولهذا اشتق لكل منهما مصدر من لفظه ؛ فقيل فى مصدر جَبَذَ : جَبْذٌ ، كما قيل فى مصدر جَذَبَ : جَذْبٌ » والله أعلم .

---

(١) شرح القصائد التسع ٤٣٠ وانظر : المزهر للسيوطى ١ / ٤٨١

(٢) عن المزهر للسيوطى ٤٨١/١

(٣) درة الغواص فى أوهام الخواص ١١٦

في القرآن والعربية : ( ٤ )

# الصراع بين القراء والنحاة

للدكتور احمد علم الدين الجندي

(ح) في الكمية ( الحذف والزيادة ) :

أولا : المعروف أن الوقف من مواطن التغيير ، ففيه يكون الحذف أو الإبدال أو التضعيف ، أما الوصل فمما تجرى فيه الأشياء على أصولها ، ولكننا رأينا نمطا آخر من الحذف – وهو حذف الحركة أو اختلاسها في حالة الوصل – فإذا قلت « لقيتهو أمس » أثبت الواو في الوصل ، وأما إذا وقفت عليها قلت « لقيته » بالسكون – فالوقف كما ترى قد ترتب عليه الحذف ، وأما الوصل فيعطى الكلمة حقها كاملا ؛ ولذا كان الوصل عندهم أشرف من الوقف بل *أقوم وأعدل كما يقول ابن جنى[1] ؛ وذلك لأن الفائدة لا تكون إلا حيث الجمل ومدارج القول هذا هو المعروف في الفصحى – ولكن عثرت على عدد من النصوص فيها يظهر الحذف في أثناء الوصل أيضا كحاله في الوقف على غير المعتاد وأدلة هذا :–

١ – ماجاء في الجمهرة ليعلى الأحول :

فبتُّ لدى البيت الحرام أُخيلهُ
ومطوايَ مشتاقان (لَهْ) أرقان[2]

٢ – وروى صاحب اللسان عن قطرب قول الشاعر :

وأشرب الماءَ مابى نحوهو عطشٌ
إلا لأن (عُيُونَهْ) سال واديها[3]

* انظر مجلة المجمع ج ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

( ١ ) الخصائص ؛ ٣٣١/٢

( ٢ ) الجمهرة ١١٨/٣ مطواى : صاحباى . وضمير – أخيله و – له فالله إلى البرق .

( ٣ ) اللسان : ٣٦٧/٢٠

٣ ـ كما أنشد أبو حزام العكلي :

لي والدٌ شيخ (تَهُضُّهُ) غيبتي
وأظنّ أنّ نفاد (عمرهْ) عاجل[١]

٤ ـ وأنشد أبو عبيدة في كتاب المجاز :

وقالْ ربيئُهم لما أتانا
(بكفّهْ) فومةٌ أو فومتان[٢]

وروى ابن جنى فى خصائصه :

إنّ لنا لَكَنّة
مِبَقّةً مِفَنّة

إلى أن قال :

كالذئب وسْطَ القُنّة
إلا (تَرَهْ) تظنّه[٣]

والمتبع أن هذا الضمير فى الوصل يجب أن تتمكن فيه واوه أو ياؤه كما فى (نحوهو) فى البيت الثانى، وكان المتبع فى البيت الثالث والرابع أن يكون (تهضّهو) (بكفهى) لأجل الوصل، كما أن البيت الأول يجب أن يكون الضمير فيه (مشتاقان لهو أرقان) بدل (لَهْ) ولكن كثرة من النحاة ـ ذهبوا إلى أن هذا الحذف[٤] ـ ضرورة، بل ذهب أبو إسحاق الزجاج أنه غلط بيّن[٥].

وينقل صاحب الخزانة عن ابن السراج أن هذا من قبيل الضرورة عندهم، ويعلل لهذا بأنه جاء فى الشعر حذف الواو والياء الزائدة فى الوصل مع الحركة، كما هى فى الوقف[٦] سواء، وقول ابن السراج «بأنه جاء فى الشعر» دليل على أنه ضرورة، وثانيا على أنه لم يأت فى النثر. ويبدو أن سيبويه هو الآخر كان يقول فى مثله بالضرورة بدليل قول أبى حيان «ولم يحكها سيبويه[٧]»

---

(١) المرجع السابق
(٢) الجمهرة : ٣ / ١٦٠ ، مجاز أبي عبيدة : ١/ ٤١ والفوم : الزرع أو الحنطة والسنبل .
(٣) الخصائص : ١/١٢٨ دار الكتب : الكلكة سامرأة الإبن والاخ . مبقة ـ كثيرة الكلام ، مفنة قادرة على فنون الكلام .
(٤) ضرائر الألوسى : ٨٣
(٥) البحر : ٢ / ٤٩٩
(٦) الخزانة : ٢ / ٤٠١ - ٤٠٢
(٧) البحر المحيط : ٨ / ٥٠٢

وكأن سيبويه ينكرها أن تكون لهجة .

ثانيا : ومن قبيل الاستغناء بالكسرة القصيرة عن الكسرة الطويلة ، والاستغناء بالضمة القصيرة عن الضمة الطويلة ما يكون فى ضمير الغائب والغائبة المتصل . قال مالك الهمدانى :

فإن يك غثًّا أو سمينا فإننى
سأجعل عَيْنَيْه لنفْسِهِ مقنعا[1]

وقول الشماخ :

له زجل كأنَّهُ صوتُ حادٍ
إذا طلب الوسيقةَ أوزميرُ[2]

وقول حنظلة بن فاتك :

وَأَيْقَنَ أَنَّ الخَيْلَ إنْ تلْتَبِسْ بِهِ
يكُن لِفَسيل النَّخْلِ بَعْدهُ آبرُ[3]

وقول ذى الخِرَق الطُّهَوى فى وصف الذئب

ألم تعجب لذئب بات يعْوى
لِيُؤْذِنَ صاحِبًا لَهُ باللّحاق[4]

ويرى النحاة أن هذا كله بابه الضرورة ، وفى ارتشاف الضرب لأبى حيان أن هذا لغة عقيل وكلاب وأسد السراة[5] .

إلا أننى أرى أن هؤلاء جميعا قد جانبوا الصواب – أو جانبهم ، وذلك لأننى اتجهت إلى القرآن الكريم كعادتى فى كل مشكلة ، فوجدت أن عدة آيات كريمة قرئت على نمط الأبيات السابقة أى بتسكين الهاء المضمرة – فى حالة الوصل ، وهى :

١– قوله تعالى « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها[6] » فقد قرأ قالون والحلوانى عن هشام

(١) الكتاب : ١/ ١٠ يصف الشاعر ضيفا قدم إليه ما عنده من القرى ليختار منه أفضله لعله يقنع بذلك .

(٢) الخصائص : ١ – ١٢٧ ، ٢–١٧ والبيت فى وصف حمار وحشى

(٣) الكتاب ١ – ١١ ، ١٢ يصف شجاعا . علم انه إن ثبت وقتل ، بقى من يخلفه . آبر النخل : مصلحه .

(٤) مجالس ثعلب : ١٨٤

(٥) ١٢٣١

(٦) سورة آل عمران : آية : ١٤٥

باختلاس الحركة فى ( نؤته ) - كما قرأ آخرون بالسكون ( نؤتهْ )[1] .

٢ - وجاء فى اللسان أن اللحيانى أسند إلى الكسائى قوله : سمعت أعراب عقيل وكلاب أنهم - يجزمون الهاء فى الرفع ويرفعون بغير تمام ، ويجزمون فى الخفض ويخفضون بغير تمام فيقولون « إن الإنسان لربِّهْ لكنود » بالجزم « ولربهِ لكنود » بغير تمام[2] .

٣ - وفى قوله تعالى « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى[3] » فقد نقل ابن خالويه عن إبان بن تغلب ( نحشرهْ ) بسكون الهاء[4] . وجاءت رواية مماثلة فى البديع[5]

٤ - وفى قوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »[6] وقرأ هشام وأبو بكر بسكون الهاء فيها ( يره ) ثم قال أبو حيان والإسكان فى الوصل لغة حكاها الأخفش ، كما حكاها الكسائى أيضا عن بنى كلاب وبنى عقيل[7] .

٥ - قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة والأعمش قوله تعالى : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدِّه إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدِّه إليك[8] » بسكون الهاء وصلا فى يؤدهْ . كما روى الكسائى أن لغة عقيل وكلاب - أنهم يختلسون الحركة فى هذه الهاء وأنهم يسكنون أيضا[9] .

٦ - كما قرأ بالحذف والإسكان فى قوله تعالى « يرضه[10] لكم » وقوله تعالى « أرجه[11] وأخاه » فقد قرأ عاصم بإسكان الهاء فى ( أرجهْ ) وقوله تعالى « طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله[12] » وقوله

---

( ١ ) البحر المحيط : ٣ - ٧١

( ٢ ) اللسان : ٢٠ - ٣٦٧

( ٣ ) سورة طه : آية : ١٢٤

( ٤ ) البحر : ٦ / ٢٨٧

( ٥ ) مختصر شواذ القرآن _ ٩٠ ابن خالويه

( ٦ ) سورة الزلزلة آية : ٨،٧

( ٧ ) البحر ٨/٦٠٢

( ٨ ) آل عمران آية : ٧٥

( ٩ ) إتحاف فضلاء البشر : ٣٦

(١٠) سورة الزمر ٧

(١١) سورة الأعراف : ١١١ ، وسورة الشعراء : ٣٦ وانظر الإتحاف ٣٦

(١٢) سورة يوسف اية : ٣٧

تعالى « إن لم يره أحد[1] » فقد قرأ بالإسكان هشام كما ورد عن ابن عباس أنه قرأ ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا بسكون الهاء ؛ من (ابنه)[2]، وعقب على تلك القراءة ابن عطية وأبو الفضل الرازى بأنها : على لغة لأزد السراة[3]، وقال ابن جنى فى المحتسب « وأما ابنهْ يجزم الهاء فعلى اللغة التى ذكرناها لأزد الشراة[4] .

وقد أتيت بتلك الإحصائية لهذه الظاهرة ، حتى تكون حاجزا منيعا فى وجه عبث النحاة وحملهم هذه الظاهرة على الضرورة ، بل بعض هؤلاء النحاة قد تجرأ فخطأ هذه القراءات القرآنية السابقة كأبى إسحاق الزجاج حيث يقول « والإسكان الذى روى عن هؤلاء ( يقصد القراء ) غلط بيّن ؛ لأن الهاء لاينبغى أن تجزم ، وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن فى الوصل[5] ، ومثله السيرافى فى شرح سيبويه[6] كما حكى عن أبى العباس المبرد أنه قال : ماعرفت وماعلمت – أن أبا عمرو لحن فى صميم العربية إلا فى حرفين ... والآخر « يؤدهْ إليك » ثم قال ولا يجوز إسكان الهاء إلا فى ضرورة عند بعض النحويين ومنهم من لايجيزه البتة[7] » .

وواضح وهن مايقوله الزجاج وأعوانه من النحويين ؛ لأن مايعلل به للطعن فى ، هذه القراءات عليه مسحة المنطق واللهجات والقراءات لايصح أن نخضعها للمنطق ؛ لأنها مأثورة منقولة ولاتخضع لهوى النحاة وقوانينهم العقلية ، كما أننا لسنا مكلفين بأن نعتبر بأقوال النحاة وقوانينهم المنطقية ، ثم إن هذه القراءات منقوله عن إمام البصريين أبى عمرو بن العلاء – العربى الصريح ، والقارئ الذى لا يتهم ، ومنقولة أيضا عن الكسائى – شيخ المدرسة الكوفية – وحسب هذان الرجلان تثبتا وعلما ، فى علوم القرآن واللغة ، ثم إن حقل العربية ليس مقصورا على النحاة وحدهم – يعبثون

(١) سورة البلد : ٧ (٢) سورة هود : ٤٢ (٣) البحر : ٥/ ٢٢٦
(٤) المحتسب فى شواذ القراءات : ١ / ٤٠٢ مخطوطة بالتيمورية .
(٥) البحر : ٢/٤٩٩
(٦) شرح السيرافى على سيبويه ١ ٢٦٤ مخطوط بمكتبة أحمد تيمور .
(٧) نزهة الألباء : ٢٩٢ تحقيق محمد أبو الفضل .

ويقننون فيه حسب هواهم وميولهم :
فإذا ثبت – وقد ثبت – أن من القراء جماعة من النحويين– فلا يكون إجماع النحويين حجة مع مخالفة القراء لهم ، ثم إن ما ينقله النحويون آحاد ؟ ونقل القراء فى تلك القراءة متواتر ، فالقراء أعدل ، فإذا أضيف إلى ذلك : أن تلك القراءة – التى وافقت لهجة عقيل وكلاب سبعية – كان موقف النحاة أوهى من بيت العنكبوت لأن القراء نقلوها عن صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم فهم لا يقرءون إلا بأثر ، وهم متبعون لا مبتدعون . ويبدو من تاريخ الزجاج أنه كان دائب الطعن والخصومة ، يقول عنه أبو حيان « وأبو إسحاق الزجاج يقال عنه ، إنه لم يكن إماما فى اللغة ، ولذلك أنكر على ثعلب فى كتابه الفصيح مواضع زعم أن العرب لا تقولها – ورد الناس على أبى إسحاق فى إنكاره ونقلوها من لغة العرب [1] » وهنا أمر لابد من ملاحظته ، يقوى مذهب القراء القائلين بأنها لهجة ويدحض جانب النحويين بأن هذه الظاهرة– ضرورة – وهو أن البيت الأول من الشواهد التى سقتها آنفا هو ليعلى الأحول – وإذا توجهنا إلى كتب الأنساب نسألها عن قبيلة هذا الرجل أخبرتنا أنه من شكر : وهى بطن من الأزد ، من القحطانية [2] ، ومعروف مما سبق أن القراء عزوا هذه الظاهرة إلى أزد السّراة ، فكأن هذا البيت الذى نطق به يعلى الأحول يجب أن يكون إسكان الضمير فى ( له ) لغة لقبيلته – لا صنعة ولا ضرورة ، كما يقول السيرافى [3] فى شرحه على كتاب سيبويه ، وبذلك نجد شاهدا من أحد رجال القبيلة الأزدية– على ظاهرة لهجية أزدية ، أكدها القراء ، بل قرأ بها منهم أئمة ثقات فى قراءة سبعية لا مجال لإنكارها أو النيْل منها ، ثم إن هذه الظاهرة قد وردت فى النثر ، وذلك أن الكسائى سمع أعراب كلاب وعقيل يقولون : لهْ [4] مال : بسكون الهاء .

(١) البحر المحيط : ٢/٥٠٠
(٣) شرح السيرافى : ١/٢٦٤ مخطوط
(٢) معجم قبائل العرب : ٢/٦٠٣
(٤) البحر : ٣/٧١ واللسان : ٢٠/٣٦٧

وأرى أنه لا ضرورة فى النثر كما لا ضرورة فى القرآن الكريم ، وقد احتج ابن خالويه للقراءة القرآنية التى جاءت على لهجة القبائل بقوله « فمن قرأ « أرجه وأخاه » بالسكون فحجته — أنه توهم أن الهاء آخر الكلمة فأسكنها دلالة على الأمر — أو تخفيفا لما طالت الكلمة بالهاء[1] »

(للبحث بقية)

أحمد علم الدين الجندى

---

(١) الحجة لابن خالويه . ورقة : ٥٠ مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٥٢٣ ب .

# تعريف ونقد

# البرصان والعرجان والعميان والحولان

تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق: الأستاذ محمد مرسي الخولي

تعريف ونقد: الأستاذ محمد عبد الغني حسن

**يقول** محقق هذا الكتاب في التقديم له: (هذا الكتاب كتاب نادر. مما جادت به قريحة شيخ العربية وأديبها الأكبر أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .... نادر في وجوده ونادر في مادته. أما في وجوده فقد كان مفقودا تماما. ولم يعثر على نسخة منه إلا منذ زمن قريب. ويبدو أنه كان نادرا كذلك في العهود القريبة من عهد المؤلف. ذلك لأننا لا نرى له ذكرا فيما عدا كتب الجاحظ نفسه - إلا في عدد قليل جدا من المراجع ...)

وعجيب جدا أن تختلف حظوظ المؤلفات التي ألفها الجاحظ ما بين إقبال وإدبار. وسعد ونحس، ورواج وكساد. فإن من كتب الأديب الجاحظ ما انعقدت له شهرة ودار دوران النجوم، وسار مسيرة الشمس في كل زمان ومكان، مثل البخلاء والحيوان والبيان والتبيين، ومنها ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن إلا الآذان الواعية، والعيون المتفتحة، مثل كتاب (البرصان والعرجان والعميان والحولان ...) فما السر في هذا الكساد الذي لم ينكب به كتاب من كتب الجاحظ؟

أهو نفاسة الكتاب وقيمته الكبيرة التي جعلت الناس يضنون به في خزائن كتبهم الخطية، فلا يسمحون له بأن يعار أو يخرج من بطون الديار؟ أهو عنوانه الذي يوهم أنه من كتب الطب المنفرة من مثل هذه الآفات والعلل المزعجة التي قل أن يلتفت إليها إلا أهل الاختصاص، والقلة من الخواص؟

أهو ندرة ما انتسخ منه، فلم تتوزع

نسخ خطية منه على محبي الكتب إلا على أضيق نطاق ، وأصغر مجال ؟

وأيا ما كان الأمر فقد استطاع قدرسعيد أن يحفظ هذا الكتاب من الضياع ، وأن يبقى عليه لكى يجئ محقق مصرى بعد أكثر من أحد عشر قرنا فينشره على الناس ، ويلقى عليه من الأضواء مايعوضه عن ظلمات الحجب التى كان غارقا فيها خلال تلك القرون .

والنسخة المفردة الوحيدة فى العالم كله شرقيه وغربيه التى بقيت من هذا الكتاب هى نسخة عثر عليها فى المغرب منذ أربعين عاما لاتزيد . وإذا كان لابد من عزو الفضل إلى أصحابه ، والجهد المخلص إلى أربابه ، فإن الدكتور صلاح الدين المنجد المحقق الباحث المعروف هو صاحب الفضل فى تصوير هذه المخطوطة وجلبها إلى خزانة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .

ولن نتحدث هنا عن هذا الكتاب والظروف التى مرت به فإنما ندع ذلك للمقدمة المفيدة الطريفة التى كتبها المحقق الأستاذ محمد مرسى الخولى وصدر بها الكتاب فى طبعته الأولى التى نشرتها دار الاعتصام للطبع والنشر ببيروت والقاهرة من عهد غير بعيد .

والكتاب طريف فى موضوعه : فهو لايتحدث عن أصحاب العاهات حديث شماتة أو مجرد أخبار ، ولكنه يجعل من هؤلاء المؤوفين مثلا عالية فى الذهاب فى آفاق الحياة إلى أبعد نطاق . فلم تقعد بهم عاهاتهم عن إدراك غاية مما يسعى إليه القادرون الأشداء الأصحاء . ولم تقف الآفات والعلل — على عظم خطرها ، أو بشاعة منظرها — حجر عثرة فى طريقهم ، ولم تقعد بهم عن أن يصلوا إلى مراتب الزعامة والقيادة وسيادة الرجال . فهو كتاب يحيى الهمم لايميتها ، ويشحذ العزائم لايثبطها .

ويمتعك الجاحظ فى خلال الحديث عن الآفات والعاهات البشرية — كالبرص والعرج والعمى ، والحول — بالأمثلة الحية المستمدة من واقع التاريخ العربى الإسلامى للرجال ؛ فهو يضع يديك على رجال بأعيانهم أصيبوا ببعض العاهات ولكنهم لم يذلوا لها ، ولم يخضعوا لسلطانها ، بل حاولوا التعويض عن النقص الجسدى ، بفضائل جسدية أونفسية أخرى . يكون فيها عزاء عما أصيبوا به . أو تكبوا فيه ... ثم لايلبث أن يقص عليك من أخبار هؤلاء الأفذاذ ماتجد فيه أدبا خالصا ، وفضلا ذائعا . ثم لايلبث أيضا أن يستطرد فى الحديث من علة إلى علة ، ومن آفة إلى آفة ، ولايقف

عند الآفات في الإنسان ، بل يتجاوزها إلى العالم في الحيوان والنبات ، على عادته في التتبع ومواصلة البحث .

والحق أن المحقق قد بذل في تحقيق هذا الكتاب ماوسعه من الجهد . وإن كان محتوى الكتاب أكبر من جهده ، وأوسع من طاقته ، وأضخم من إمكانياته المتاحة... ففي الكتاب مثلا شعر كثير يكاد ينفرد الجاحظ بروايته فلا يجده الباحث في كتاب آخر يستعين به على تحقيقه وتقويم نصه. ومن هنا جاءت العقبة ، وخاصة أن المخطوطة المحققة وحيدة في العالم كله ، لاثاني لها ، ولامؤنس لها . ما أشق تحقيق النسخة الخطية المفردة ، لأن مقابلة النصوص تعين على توضيح النص المراد . كما أن الجاحظ كثيرا مايستشهد بشعر مجهول لايعرف أين مظنة وجوده ، ولا من هو قائله... فيختلط الأمر على المحقق مهما كان مبلغ علمه ، وقدر إحاطته. ومن هنا كان تحقيق هذا المخطوط النادر للجاحظ عملا تعيا به الفحول ، ويعجز عنه المتمرسون بتحقيق التراث. وقد التمس محققنا العذر لنفسه فيما قد يقع فيه من أوهام يكشف عنها قارئ واع أو باحث فطن ، فقال في المقدمة ، وكأنه يمهد لنفسه عذرا : ( أما التحقيق فقد بذلت فيه من الجهد ما الله وحده عالم به والمهتمون كذلك بالمخطوطات وتحقيقها يدركون مافى تحقيق المخطوطات ذات الأصل الواحد من الغرر والمزالق التي تزل بها قدم الحريص الواعي المتمكن . وقد يهون الأمر إذا كان الكتاب ذا موضوع عام يجد له محققه من المراجع الكثير الذي يعوضه عن النسخة الواحدة . فما بالك والنسخة ذات خط مغربي ، كثيرة التحريف والسقط ؟ ثم إن موضوع الكتاب موضوع فريد لاتجد له كثيرا من المراجع التي تأخذ بيدك فتهديك الطريق ) :

على أن الأعذار التي قدمها المحقق ومهد لنفسه بها بين يدي رسالته الجليلة في المقدمة ، لاتسقط عنه المسؤولية التي اضطلع بها منذ تولى العمل في تحقيق الكتاب. فلو أنه ضاعف من جهده بعض الشيء لتفادى كثيرا من الأوهام التي وقعت في التحقيق ، ولسد الخلل الذي يشوه هذا المؤلف الثمين للجاحظ ، ولأغنى القارئ والباحث عن كثير من المزالق التي وقع فيها . ولكنه على كل حال مشكور على مابذل من جهد ، فإنه لم يجنح إلى تواكل ، أو يفتر عن سعي ، ولكن الكتاب حقا على تفرد نسخته ، ورداءة خطه المغربي ، وندرة موضوعه ، وعدم دوران الشعر الذي فيه على المراجع المتداولة ،

والمصادر المألوفة المعروفة يجعل من تحقيقه عملا صعبا بالغ الصعوبة، ثم زادت هذه الصعوبة بأخطاء الطبع الكثيرة التي ضخم منها وجسم فيها أوهام الضبط بالشكل الكثيرة حتى بات مايستحق السكون مضموما ، وما يستوجب الفتح مكسورا ، بصورة تستفز السخط وتستثير الغضب ، فقد كان عن ذلك مندوحة وخاصة أن حروف المطبعة جيدة، وورق الكتاب جيد . فلم يكن هناك محل - مع همة المحقق وعزمته - لوقوع هذه الأخطاء التي شوهت من قدر هذا الكتاب الثمين الذي يرى نور المطابع لأول مرة .

ولن يتسع المجال هنا لتقصى ماورد فى التحقيق والضبط من أوهام ، ولكننا سنكتفى ببعض النماذج استدلالا بالقليل على الكثير ، راجين أن يتاح للمحقق الفاضل: الدكتور محمد مرسى الخولى من العافية والاطمئنان مايعينه على مراجعة التحقيق مرة أخرى حتى يظهر كتاب الجاحظ فى طبعة جديدة موفية على الكمال ، متناسبة مع خطر الكتاب وقيمته وجلال موضوعه . وإلى القارئ الكريم بعض هذه النماذج :

— صفحة ح من المقدمة : (أن هؤلاء قالوا فى صنعتهم أدب كثير ، فمنهم الصابر ومنهم الجازع ، كما قالوا فى تغلبهم على ضعفهم أدب أكثر) . والصواب : أدبا كثيرا ، وأدبا أكثر .

— صفحة ك من المقدمة : (والمهتمين بالمخطوطات وتحقيقها يدركون ...) والصواب : والمهتمون .

— صفحة ٦ من الكتاب : (وليس سوء الظن فى الجملة بالمذموم ، ولا بحسن الظن بالمحمود ...) والصواب : ولا حسن الظن .

— صفحة ٨ : (وكذلك حكم عن غسّل الموتى ( والصواب : من غسل الموتى .

— صفحة ١٠ : (وهما لايستقذران ولا يتقزز منهما ولا يتعديان ولا يظن ذلك بهما ، ولا ينقصان من تدبير ... ) والصواب : ولا يُعديان . بضم حرف المضارعة لأن الفعل رباعى . ولاينقصان : بفتح حرف المضارعة ، لأن الفعل : نقص : ثلاثى لا رباعى .

— صفحة ١٨ ، ورد البيت الاتى هكذا من الشعر المنسوب لأبى طالب :

وأنا ابن بجدتها فى صبابتها
وسليل كل مسود مفضال

والشطر الأول مضطرب مكسور الوزن

ـ صفحة ٢٧ ، ورد البيت الآتى هكذا :

فحبسناهم حتى أضاء لنا

من الصبح مشهود الشواكل أبلق

والشطر الأول من البيت مضطرب مكسور الوزن

ـ صفحة ٢٧ : ( وسموا أيضا قصر السموءل بن عادياء : الأبلق ( بوضع شدة وضمة على الميم من الفعل : سموا ، والصواب أن توضع شدة وفتحة ، لأن الفعل : سمىّ معتل بالألف ، فيفتح ماقبل الواو . وقد تكرر هذا الوهم الغليظ فى صفحات تالية منها ص ٢٨ ، ٦٨ ، ٧٢ .

ـ صفحة ٣١ : ورد البيت الآتى للشاعر النابغة الذبيانى هكذا :

بوجه الأرض لايعفو لها أثر

يمسى ويصبح فيها البلق ضلالا

والشطر الأول مضطرب مختل الوزن

ولم أهتد لصوابه على هذه الصورة ، إلا أن روايته فى ديوان النابغة هكذا :

ما إن يبل ولم يوجد به أثر إلخ ...

ـ صفحة ٣٩ : ( وليس يعترى السودانُ من كى البلاء كالذى يعترى الشقرانُ ) بضم كلمتى : السودان ، والشقران ، والصواب فتحهما لأنهما منصوبان على المفعولية لامرفوعان على الفاعلية ...

ـ صفحة ٤٠ : جاء البيت الآتى مضبوطا بالشكل هكذا :

فيا منكمو أبناءُ بكرين وائل

لغارتنا : إلاذلول موقّع

بضم الهمزة الأخيرة من كلمة أبناء ، والصواب فتحها لأنها منادى محذوف منه حرف النداء

ـ صفحة ٤٧ جاء البيت الآتى من شعر معاوية بن سنان الكلبى :

فقام فتى وشوشى الذرا

ع لم يلبث ولم يتهمم

والشطر الثانى مكسور ، لأن صوابه : لم يتلبث .

ـ صفحة ٤٨ : ( وإنما صارت ألوانُ سكانِ إقليمَ بابلَ ) بفتح الميم من كلمة : أقليم ، والصواب كسرها ، فلا مقتضى هنا للجر بالفتح نيابة عن الكسر ، لأنه ليس من مواضعه .

ـ صفحة ٥٩ ، ورد البيت الآتى من شعر أوس بن حجر :

نفات من فات من عامر

ركضا ، وقد أعجل أن يلجما

والشطر الأول مكسور لأنه ناقص ، وصوابه : ففات من قد فات من عامر

— صفحة ٦٣ ، ورد البيت الآتي من شعر عجلان بن سحبان مضبوطا بالشكل هكذا :

ولا كأخي ذُهَل إذا قام قائلا
ولا الأسلع الجمال حين يجيب

وقد ضبطت : ذُهَل بفتح الهاء على وزن : مضر . وهو وهم ، والصواب : ذُهْل بتسكين الهاء كما هو اسم القبيلة المعروف . وقد تكرر هذا الوهم في ص ٦٥

— صفحة ٧٥ ورد البيت الآتي من شعر السيد الحميري :

فيانفس حتى متى تَلْيَطّين
على الخائن الأول المرتشي

والشطر الأول مكسور ، لأن الفعل ليس تليطين كما ضبطه المحقق ، ولكنه : تلتطين ، وماضيه : التطى ، أي التصق

— صفحة ٨١ : ( وزعموا أن بني نمير برصا ) ، وصوابه : بُرْص لأنه لاداعي لنصبه مع وجود الحرف : أن .

— صفحة ٩١ : ورد البيت الآتي من شعر جرير هكذا :

إذا ظل يحسب كل شخص فارسا
ويرى نعامة ظله فيحول

والصواب : إذ ، كما في ديوان جرير ص ٤٧٥ . والبيت ينكسر وزنه مع إذا

— صفحة ١٠٦ : (حتى صاروا إذا سلُوا السمن طيبوه بها ( بضم اللام من الفعل : سلوا ، والصواب فتحها ، لأن الفعل : سلى معتل بالألف ، فيفتح ما قبل الواو ، شأنه في هذا شأن الفعل : سمىّ الذى ذكرناه من قبل .

— صفحة ١١٣ ، ورد البيت الآتي من شعر النابغة الذبياني هكذا :

هذا غلام حَسَن وجه
مستقبل الخير ، سريع التمام

والصواب : وجهه ، بهاءين : الهاء الأولى من بنية الكلمة ، والثانية هاء الضمير

— صفحة ١٢٢ ، ورد البيت الآتي من شعر ابن صعصعة هكذا :

وقد فتن الناس في دينهم
وخلاّ ابن عفان حزنا طويلا

وقد رسم الفعل : خلىّ بمعنى ترك : بالألف ، والصواب : وخلى

— صفحة ١٣٨ ، جاء البيت الآتي :

يا أعرج الرجل ، صغير الحرم
وناقص الصور ، خبيث الاسم

وقد فسر المحقق في هامش الكتاب لفظة الصور ، بأنها (جمع صورة . وهي الشكل ) وليس هذا بصحيح . والصحيح أن الصور لفظ مفرد ، لا جمع ، بمعنى صفحة العنق .

— صفحة ١٤٠ ، ورد اسم عمرو بن العاص بغير واو في لفظة عمرو . وهو من أخطاء الطبع .

— صفحة ١٤٦ . ورد الرجز التالي هكذا :

يمشي أليها سيمات نهد
مشي العذارى بينهن ود

ولا معنى للسيمات هنا ، بالأضافة إلى أن الوزن مختل بها . والصواب :

يمشي إليها ذو سمات نهد

— صفحة ١٥١ جاء الرجز التالي لأبي نواس في رثاء خلف الأحمر :

كنا متى ماذشأ منه نغترف
رواية لا تجتنى عن الصحف

والشطر الأول مضطرب الوزن . وصوابه كما في ديوان أبي نواس :

فكلما نشاء منه نغترف ...

— صفحة ١٥٨ . ورد البيت الآتي هكذا :

أعيني فابكي شبيبا وأعولي
إذا أجدب الماشي وقل اللواقح

والشطر الأول مكسور . وواضح أنه ينقصه بعض الحروف لتكتمل التفاعيل

— صفحة ١٨٩ . ورد الرجز الآتي هكذا :

ياسعد كيف أنت إذا أصحابي
عاتبتهم فتركوا عتابي

والشطر الأول مختل الوزن ، وصوابه : (إذ) بدلا من (إذا)

وبعد : فلا أود أن أطيل في ذكر نماذج مما وقع في كتاب (البرصان والعرجان) من أوهام التحقيق ، فذلك باب إذا انفتح لا يسد . وأرجو أن يوفق الله محققه — وهو من نعلم مضاء عزم . وجلد صبر — إلى إعادة تحقيقه على وجه يقارب ما تركه عليه الجاحظ ، حتى ينتفع به على وجه تتم به الفائدة ، وتتحقق المصلحة . والله الموفق

**محمود عبد الغني حسن**

# شخصيات مجمعية

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٥ هـ (الموافق ٢١ من مايو سنة ١٩٧٥ م ) أقام المجمع حفل تأبين للمغفور له صاحب الفضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج عضو المجمع .

وفيما يلى ما ألقى فى الحفل :

# الدكتور عبد الرحمن تاج

## كلمة الافتتاح

### للدكتور ابراهيم مدكور ــ رئيس المجمع فى تأبين المغفور له

نجتمع اليوم لنودع شيخاً جليلا : وإماماً كبيراً : شيخاً فى علمه ودرسه ، وإماماً فى صائب رأيه ، وسديد حكمه . لقد كان من بقايا السلف الصالح الذين امتلأ قلبهم بالإيمان الصادق ، واتسع صدرهم لكل جديد نافع . عرفناه بيننا منذ عدة سنين ، فأعطى مجمعنا هذا ما استطاع أن يعطى فى سخاء كبير ، وعناية تامة ، لم يقعد به عن جلساته إلا مرض قاهر ، أو ضعف ظاهر ، هذا إلى أنه غذاه بأبحاث ستبقى على الدهر تراثا عربياً إسلامياً ممتازاً لا يجاريه فيه كثيرون . أخذنا عنه كثيراً ، وكنا نود أن نأخذ أكثر ، ولكن هذه سنة الله فى خلقه . تغمده الله برحمته ، وجزاه عن أمته ولغته خير الجزاء .

وسيتولى أستاذنا الفاضل الشيخ على الخفيف أن يقول كلمة المجمع فيه ، وبعد ذلك ستكون الكلمة لأسرة الفقيد رحمه الله .

والكلمة الآن للأستاذ الشيخ على محمد الخفيف :

## كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف :

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الرئيس ، زملائى ، سادتى :

إن للحياة فى هذه الدار أنماطا متعددة وصورا مختلفة . فمن الناس من يحيا فيها بسلامة جسمه وقوة عضلاته ، ومنهم من يحيا فيها بسمو منصبه ووفرة ثرائه ، ومنهم من يحيا فيها بعلمه وعمله وابتكاره ، ولكل من هؤلاء وغيرهم أجله الذى إذا جاءه انقطع حبل حياته وانتهى منها وجوده ، إلا من كان له فى الناس ذكر بما ترك فيهم من علم يتدارسونه ، وأبحاث يهتدون بها . وأنماط من المعرفة تستنير بها بصائرهم ، وتزدهر بها معارفهم ، وتزول بها شكوكهم ، وتنكشف لهم بها حقائق مشكلاتهم . وعندئذ تمتد حياتهم ببقائها فيهم ، وهى باقية مابقى فى الدنيا حياة ، وما بقى لأهلها عقول وطموح ، ومابقى للنفوس مطامع ورغبات ، ومالما قاموا به من عمل حسنات ، ومالما أحدثوه من كشف فى العلوم وتوجيهات .

ولقد كان فقيدنا الدكتور الأستاذ الإمام الشيخ عبد الرحمن تاج — رضى الله عنه — من أولئك الذين حيوا بعلمهم ، وسموا بأخلاقهم ، وعلوا بأعمالهم ، فكتبوا لأنفسهم الخلود بما تركوا من علم يتدارس ، ومعرفة تتوارث ، وأفكار تهدى ، فكان فيه الأسوة الحسنة لمن أراد لنفسه سموا ولمنزلته علوا ، ولذكره بقاء ، ولحياته خلودا :

كان رضى الله عنه واسع الاطلاع ، كامل الثقافة وافر المعرفة ، خلف وراءه من الطلاب والأتباع من هيألهم وسائل نجاحهم ، وقرب إليهم موارد فلاحهم ، وآمالهم . وأتاح لهم من فرص وتحصيل العلوم وهضمها ماينمى مداركهم ويزيد فى معارفهم .

لقد فقدنا بفقده — رضى الله عنه — الشيخ الجليل ، والإمام العظيم ، والعالم الكبير ، والنابغة فى الفقه والتفسير ، والضليع فى العربية وعلومها ، فكان الخطب فيه جللا ، والخسارة فادحة ، لا للأزهر وحده ، ولا لمجمع اللغة فحسب ، بل الأمة الإسلامية جمعاء ، إذ كان رضى الله عنه أمة وحده ، عالماً متبحرا ، باحثاً مدققاً ، أستاذاً متمكنا ، مؤمناً برسالته ، مخلصاً لدعوته ، خلف لنا ثروة علمية قيمة ، فيما ترك من كتب ورسائل ، وفيما نشر من مسائل ، وفيما زود به مجمع اللغة العربية من

أبحاث تضمنت أفكاراً مشرقة هادية ، وآراء سديدة قيمة . تنم عن علم زاخر ، ونظر دقيق ، وبحث فاحص ، ووزن سليم مع سلامة فى الأسلوب ، وروعة فى التعبير وإيجاز فى القول ، واستيعاب فى البحث . تمثل كل أولئكم فيما عرض له فى بحوثه التى قدمها إلى المجمع فى بيان الكتاب الحكيم وأسلوبه واختيار كلماته ، مع سلامة فى الحكم واستقامة فى النظر ، وتدقيق فى اختيار أحسن الآراء ، وأقربها إلى فهم كتاب الله وأوضحها دلالة على بيان المعنى وإيضاح الغرض ، ولذا فانه قد ترك بوفاته رضى الله عنه فراغا لايملأ ، وأسى لاينسى .

كان رضى الله عنه سمحا فى أخلاقه متميزا فى أدبه ، متفوقا فى علمه ، لم ينل من نفسه زهو المنصب ، والمشيخة الأزهر من جاه ، وماتظفر به من مكانه فى النفوس ، وسلطان فى القلوب ، وماعزت به من هيبة روحية ومكانة دينية ، ولم يكن ذلك ليشغله عن أن يكون باحثاً مدققاً ناقدا مفكراً ، لا يرضى إلا بالحقائق واضحة جلية مؤيدة بحججها ، لا بمن نسبت إليه من قائل ، ولا بمن تعزى إليه من باحث .

ولد رضى الله عنه بمدينة اسيوط سنة ١٨٩٦ ، وفيها نشأ وحفظ القرآن الكريم ، وغلى قرائها جرده ، وتلقى بعض الروايات فى قراءاته ، كما حفظ بعض المتون ، وتلقى بعض مبادىء العلوم الدينية والعربية على من سبقه من طلابها ، وقد أهله ذلك الانتظام فى سلك طلبة المعاهد الدينية ؛ فالتحق بالسنة الثانية من معهد الإسكندرية . وقد كانت نظم المعاهد الدينية ومناهجها فى ذلك العهد محلا للنظر فى إصلاحها وتجديدها وتطويرها بما يقربها من نظم التعليم الحديث ، وتخلصها مما كان يعوقها عن الوصول إلى غايتها : من إضاعة الوقت فى تفهم الأساليب التى شابتها العجمة التركية أو العجمة البربرية والتراكيب الركيكة المبهمة ، والتى خفيت دلالتها بسبب عجمة اصحابها وجهالتهم بقواعد العربية ، وما أرادوه لها من الاختصار والحصر والإيجاز والحذف مع إغفال القواعد النحوية . وكانت أول خطوة خطاها الإصلاح إنشاء معهد الإسكندرية وإرصاد الأموال الكفيلة بقيامه وحاجته ، واختيار الأساتذة والمدرسين الأكفاء من مدرسى الأزهر وعلمائه ، وإعداد وسائل الشرح والبيان مما ليس للمعاهد الدينية عناية به من قبل ، ووضع النظم الكفيلة بتطوير الدراسة وتقسيم زمنها واستقامة سيرها وتحديد مراحلها وطرق إفادة الطلاب منها ، وتحديد مواعيد انتهائهم من دراستها . وقد كان لذلك أثره فى نفوس النشء فولوا وجههم قبل هذا المعهد ، وحجوا إليه ، واستبقوا العرفان والحكمة بالانضمام إليه ، والانتظام فى طلابه فكان ممن ارتحل إليه فقيدنا العظيم سنة ١٩١٠ التحق بالسنة الثانية من سنيه ؛ لما حصل عليه من دراسة سابقة فى أسيوط ، وظل يتابع الدراسة فيه حتى نال شهادة

العالمية سنة ١٩٢٣ ، وكان أول الفائزين بها فى هذا العام . وقد كان من آثار تلك الحركة الإصلاحية فى المعاهد الدينية ،وما قصد منها من استقرار النظام فيها ، إلغاء مدرسة القضاء الشرعى ، بقصد الحفاظ على الأزهر ومكانته التقليدية ، وعدم المساس بمآل طلابه ، وإنشاء قسم للتخصص فى القضاء الشرعي ومايقوم عليه من العلوم والنظم القضائية ، ليحل محل مدرسة القضاء الشرعى ، فالتحق به فقيدنا بعد حصوله على العالمية ، وحصل منه على شهادة التخصص فى القضاء سنة ١٩٢٦ وفى هذه السنة عين مدرسا بمعهد أسيوط الدينى ، وظل به إلى أن نقل منه مدرسا بمعهد القاهرة الدينى سنة ١٩٣١ ، ثم نقل بعد عامين مدرسا بقسم التخصص للقضاء من كلية الشريعة بالأزهر سنة ١٩٣٣ . وذلك بعد قيام النظام الذى قضى بجعل الدراسة العالية بالأزهر ثلاث كليات تختلف الدراسة فيها باختلاف الغاية من إنشائها : كلية الشريعة ، وكلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية . ثم عين مع ذلك سنة ١٩٣٥ عضوا بلجنة الفتوى ممثلا للمذهب الحنفى مع قيامه بعمله فى كلية الشريعة ، ثم اختير عضوا فى بعثة الأزهر إلى جامعة السربون بفرنسا سنة ١٩٣٦ ، فسافر إليها وطالت مدة إقامته بفرنسا إلى سنة ١٩٤٤ بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، ومن جامعة السربون حصل على الدكتوراه فى الفلسفة وتاريخ الأديان ، وبذلك جمع الفقيد رضى الله عنه بين الثقافتين : الثقافة الإسلامية الشرقية ، والثقافة الغربية. لقد قضى فقيدنا رضى الله عنه هذه المرحلة من حياته المباركة طالبا مجداً شديد الحرص على دروسه ، كثير التفكير فيما كان يلقى عليه ويعيه فيها ، دائم القراءة فيما ينمى من معارفه ، ويوسع من مداركه ، ثم أستاذا باحثا واسع الأطلاع ، مجددا فيما وعاه من معرفة ، وما عرض له من رأى ، ومانشره من بحوث ، وماقام به من دروس ، وذلك بعد رجوعه من باريس ، وقيامه بالتدريس فى قسم تخصص القضاء من كلية الشريعة ، والعمل فى لجنة الفتوى عضوا بها وسكرتيرا فنيا لها ، ثم مفتشا للعلوم الدينية والعلوم العربية ، فقائما بإدارة كلية الشريعة ، ثم بإدارة معهد الزقازيق حين خلوهما ممن يديرهما ، ثم عين شيخا للقسم العام بالأزهر ، قائما على بعث البعوث الدينية للأقطار الإسلامية ، فكان له الأثر الحميد بوضع الأسس القيمة المحققة للغاية منها . ثم اختير بعد ذلك أستاذا للشريعة فى كلية الحقوق بجامعة عين شمس ، فعضوا فى لجنة وضع الدستور حتى إذا كانت سنة ١٩٥٤ عين شيخا للأزهر ، ثم وزيراً فى مجلس اتحاد الدول العربية سنة ١٩٥٨ ، وظل به إلى أن ألغى سنة ١٩٦١ . وفى سنة ١٩٦٣ انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية ، ثم اختير بعد ذلك عضوا بمجمع البحوث الإسلامية.

لقد تخرج على يديه — رضى الله عنه — عدد كثير من العلماء ، مصريين وغرباء ، عادوا

إلى بلادهم فكان لهم فيها بما كسبوه من معرفة وثقافة ودقة نظر أعلى المناصب الرئاسية وأسمى المراتب الدينية، وذلك فيما أخذوه عن أستاذهم العظيم من علم، وماهداهم إليه من كشف، وسلامة فى التقدير، وماأكسبهم إياه من خلق وسلوك، كما كان لتلاميذه المصريين فيه الأسوة الحسنة فى الجد والنشاط والإخلاص فى العمل، والصدق فى القول، والسداد فى الرأى، ولذا سيظل رضى الله عنه حياً ماحييت آثاره، ومادامت مآثره، ومابقى لما قام به من إصلاح ذكر.

لقد كان رضى الله عنه من العلماء الأفذاذ الذين استطاعوا أن يفيدوا من التربية الأزهرية ومنهجها التربوى الاستقلالى؛ الماثل فى الاعتماد على النفس فى تحصيل العلم ووزن الأفكار ونقد الآراء، وفى السلوك القائم على الصدق فى القول والبعد عن الرياء والمناخر، مع التمسك بالدين، فكان من خير من نشأهم الأزهر فى الجيل الماضى خلقا وعلماً وعملا وأدبا، وواحداً من أو لئك الصفوة الممتازة الذين حفظوا للأزهر ماضيه الكريم وقداسته الدينية، ومكانته العلمية، وجددوا مآثره على ألفوا للناس من كتب قيمة، وماتركوا فيهم من بحوث عميقة ممتازة، كان للفقيد منها عدد وافر؛ نذكر منه فى الفقه كتابه فى السياسة الشرعية الذى اختير به عضواً فى جماعة كبار العلماء بالأزهر، وكتابه فى الأحوال الشخصية الذى وضعه لطلبة كلية الحقوق فى جامعة عين شمس، ورسائل عديده بعضها فى الفقه المقارن، وضعه لقسم تخصص القضاء بكلية الشريعة بالأزهر، وبعضها فى تاريخ التشريع، وبعضها فى مناسك الحج وحكمها، وبعضها فى الإسراء والمعراج، وبعضها فى حكم التأمين على الحياة، والتأمين ضد الحوادث، وبعضها فى استثمار المال فى المصارف.

هذا، وله آثاره القيمة التى زود بها مكتبة مجمع اللغة العربية، فوسع بها بحوثه ونمى مكتبته، فكان له من ذلك:

١ — تحقيق القول فيما نسب إلى القرآن الكريم من زيادة بعض الكلمات ونقص بعضها، فكان له فى ذلك بحث عام فى حروف الزيادة ووقوعها فى القرآن، وبحوث أخرى خاصة منها بحثه فى زيادة الباء فى القرآن، وبحثه فى زيادة لا النافية فى بعض الآيات، وإسقاطها فى آيات أخرى، وبحثه فيما تجب مرعاته فى بيان معنى الألفاظ المشتركة الواردة فى الكتاب العزيز واختيار أنسب معانيها لمقام ذكرها، وبحثه فى رد مظاهر الجرأة التى بدت من بعض المفسرين فى تفسير بعض آياته، وبحثه فيما يخرج منه اللؤلؤ والمرجان وماقيل فيه من أنهما لايخرجان إلا من البحار ولايخرجان من الأنهار، وذلك فى تفسير قوله تعالى: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان».

٢ — وله، رحمه الله، عدا ذلك رسائل فى بعض القواعد النحوية، والمسائل اللغوية كرسالته فى حكم «غير» إذا أضيفت أو أدخلت عليها الألف واللام، ورسالته فى حكم «إن النافية» و«إن الزائدة» والتفرقة بينهما فى الاستعمال، ورسالته فى أفعل التفضيل

واستعماله ، ورسالته فى « إذ وإذا » ورأى أبي عبيدة فيهما ، ورسالته فيما شاع من استعمال بعض الكاتبين لأفعل التفضيل حين يقولون : أكثر من واحد وما ماثله . وغير ذلك من الرسائل المخطوط منها والمطبوع ، وكلها تنبيء عن سعة الاطلاع فى الفقه والتفسير وعلوم العربية ، ويتجلى فيها نشاطه ودقة بحثه ، وسلامة رأيه ، وحسن تقديره وابتكاره ، مع متانة التعبير ونقاء الأسلوب ، وسمو البيان وجمال العرض ، فرضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مقره ومثواه ، وأفاض عليه رحمته ورضاه ، وأنزله منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

## •• كلمة الأسرة للاستاذ حسن عبدالرحمن تاج :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

حضرات السادة :

لقد كان المرحوم الوالد مثالا للعالم التقى منذ صغره وحتى لقى ربه . رعاه جده وراعاه بحبه ووهبه للقرآن . بدأ حياته بذكر خالقه فذكره الله وفتح عليه ، ولذكر الله أكبر قرأ القرآن الكريم فحفظه وأجاد قراءته وهو فى العاشرة ، فنال شفاعته له عند ربه . أتقن عمله بجده فى تحصيل العلم فأحبه الله وهداه صراطه المستقيم .

هبط الإسكندرية وداوم على الاشتغال بالعلم النافع ؛ فكان يقرأ الدرس قبل تلقيه ، ويجاوب فيه شيوخه ، وكان فى آخر كل أسبوع يلقى الدرس نيابة عن شيخه الذى يكون حاضرا ، فأحبه أساتذته وشهدوا بنبوغه وتفوقه . فكان ينجح فى كل سنة بتفوق من السنة الأولى حتى السنة النهائية . منحه أساتذته شهادة العالمية عن استحقاق ، فصار عالما فضله عند الله تعالى على العابد كفضل نبينا عليه الصلاة والسلام على أدنى أصحابه .

لم يزل للعلم طالبا وبتحصيله ممسكا ، حتى استقصاه درجات رفيعة عالية ، ولم ينس مع ذلك واجباته الأخرى ، فنال شهادة التخصص فى القضاء الشرعى ، وحج بيت الله الحرام ، ثم سافر إلى فرنسا ومعه أكباد ثلاثة وأمهم ، حيث حصل على درجة الدكتوراه ثم عاد بفضل ربه .

أما وقد اكتسب العلم وادخره فلاغرو كان بيت قلبه مقذف نور العلم فيه لايعرف الصفات المذمومة ، أدب فأطاعه أبناؤه وانصتحوا لأمره ، علم فقدره طلابه وانتفعوا بعلمه .

راقب ربه وأخلص له نيته فحسن عمله وأصاب في رأيه. كان من كبار العلماء وشيخا للمسلمين خارج وطنه أو في عمله أو في عقر داره .

كان كثير المطالعة في كتب تفسير القرآن كان يكشف عن تفسير آية ومعه عقله ، وقد حرره من قيود التقليد ، فإذا لم يقنعه قول المفسر تابع الآية مع مفسرين آخرين ؛ فإن لم يجد قولا معقولا أو وجد اجتهادا معقدا غير مستساغ ، استدعى ورقه وملأ بالمداد قلمه وراح يجمع على دائم التفكير عقله .

لم يكن ليفتعل الكتابة ، ولكن كان خواضا في بحثه ، يعرض أقوال المفسرين وأدلتهم ، ويناقشها ثم يعرض على القارىء تساؤلات يتوقع أن يطرحها القارىء أو يدور حولها محور أدلته على رأيه المختار ، أو تكون أجوبتها مؤيدة لرأيه المختار . وبانتهاء القارىء من قراءة البحث يطمئن إلى اجتهاده .

كان يقرأ القرآن فتستوقفه الآية فيعيد القراءة مرات ، فيفطن إلى أن هناك قصوراً في فهمه السابق في الآية ، فيبدأ البحث ويواصله طول النهار . وكانت الآية تراوده حتى تؤرقه فيواصل التفكير فيها ليلا إلى أن يستجيب الله دعاءه ، ويوفقه إلى فهم مقبول فيها .

ومع هذا ، وبالرغم من ضعف صحته ، فقد كتب أبحاثا كثيرة في فترة قصيرة ، وكان موفقا فيها ، فلقد قال تعالى : «إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

أدعو الله تعالى أن يغفر له ويرحمه ويسكنه جنات الفردوس ، وأن ينفعنا بعلمه ويلهمنا دائم الدعاء له ، ويوفقنا إلى كل ما هو فيه الخير .

والآن يطيب لي ولكل إخوتي ولأفراد أسرة المرحوم الشيخ عبد الرحمن تاج ، ولأصدقائه ، أن نتقدم بخالص الشكر للسادة رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية : لقد قدرتموه إذ سألتموه يعمل معكم في صالح مجلسكم ، وقدرتموه إذ إخلاصه أحببتم ، وفي حبه أخلصتم . والآن قد رتموه إذ محاسن له ذكرتم ، بررتم فيها وصدقتم ، فلكم منا أسمى آيات الشكر والامتنان . وفقنا الله وإياكم إلى كل علم نافع وعمل شافع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## •• كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع :

أيها السادة .

لعلكم شهدتم لقاءات قبل ذلك في استقبال تارة ، ووداع تارة أخرى ، ونحن في حياتنا بين الاستقبال والتوديع ، وتلك سنة الحياة . ولكن أحب قبل أن أختتم هذه الجلسة أن أشير أن فقيدنا — وإن غاب عنا — فله آثار تعتبر استئنافاً لحياته ، وسوف تقرأون له غداً ، كما كنتم تقرأون له بالأمس في مجلة المجمع ومطبوعاته .

تغمده الله برحمته ، وشكراً لكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

# من أنباء المجمع

**فقيد المجمع :**

استأثرت رحمة الله تعالى بعضوين جليلين من أعضائه هما :

- الأستاذ محمد رفعت ( الذى توفى فى ١٩٧٥/٨/٦ ) .
- الدكتور أحمد زكى ( الذى توفى فى ١٩٧٥/١٠/١٣ ) .

وسيقيم المجمع حفلى تأبين للفقيدين الجليلين ، وسوف تنشر كلمات التأبين فى الجزء القادم من المجلة .

**خبراء جدد :**

وافق مجلس المجمع على اختيار خبراء جدد لبعض لجان المجمع ، وهم السادة :

- الدكتور حسين مجيب المصرى .
- الدكتور محمود حجازى أستاذ الدراسات اللغوية المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة ( للجنة المعجم الكبير ) .
- الدكتور عبد العزيز سليمان نوار أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة عين شمس ( للجنة التاريخ الحديث والمعاصر ) .
- الدكتور يونان لبيب أستاذ التاريخ الحديث المساعد بكلية البنات بجامعة عين شمس ( للجنة التاريخ الحديث والمعاصر ) .
- الأستاذ الشيخ عبد المقصود شلتوت المستشار بمحكمة استئناف مصر ( للجنة القانون ) .

**صلات المجمع الثقافية :**

●● ورد الى المجمع كتاب من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لاختيار من يمثله فى الحلقة الدراسية التى يقيمها معهد المخطوطات العربية ، وموضوعها « حماية المخطوطات العربية وتيسير الانتفاع بها » ، وقد تقرر عقد هذه الحلقة ببغداد ، فى المدة من ٨ الى ١٩٧٥/١١/١٧ ، فاختار مجلس المجمع الأستاذ عبد السلام هارون عضو المجمع ، لتمثيله فى هذه الحلقة الدراسية .

●● بعث « اتحاد المعلمين العرب » بكتاب الى المجمع يدعوه فيه لاختيار ممثل له فى المؤتمر الذى يعقده الاتحاد بالخرطوم ( فى المدة من ٦ الى ١٩٧٦/١/٨ ) لبحث « تطوير مواد علوم اللغة العربية وآدابها » .

وقد اختار مجلس المجمع الأستاذ محمد شوقى أمين عضو المجمع لتمثيله فى هذا المؤتمر .

**مسابقة المجمع الأدبية :**

أعلنت نتيجة مسابقة المجمع الأدبية لعام ١٩٧٥/٧٤ ، وموضوعها: « قصة أو مسرحية نثرية أو شعرية عن بطولات حرب اكتوبر ١٩٧٣ ».

وفاز بالجائزة الأولى الأستاذ مبارك ربيع عن قصته : « رفقة السلاح والقمر » .

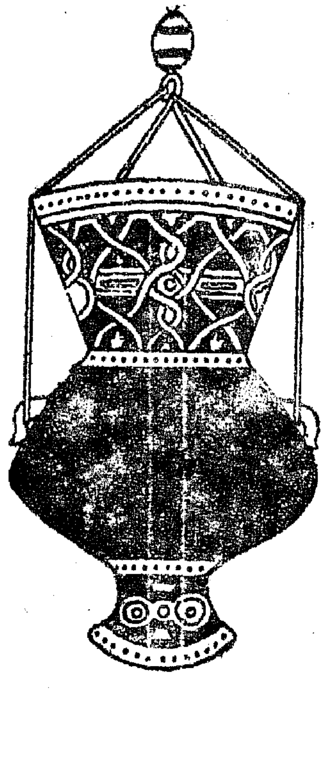
وفاز الجائزة الثالثة كل من :

الأستاذ عباس بيومى عجلان عن مسرحيته « البداية » .

والأستاذ جمعة محمد جمعة عن قصته « قلب الأم »

وأعلنت المسابقة الجديدة لعام ١٩٧٦/٧٥ وموضوعها :

« المنفلوطى وأثره فى الأدب العربى الحديث فكرة وأسلوبا » .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة
محمود حمدى السعيد

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٧/٢٠٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٠٧٧-١٩٧٧-٢٠٠٠

ضں

# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء الثامن والثلاثون
ذو القعدة ١٣٩٦ هـ
نوفمبر ١٩٧٦ م

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع مراد ــ الجيزة

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين فى السنة )

## الجزء الثامن والثلاثون

ذو القعدة ١٣٩٦ هـ - نوفمبر ١٩٧٦ م

المشرف على المجلة :

د . إبراهيم أنيس

رئيس التحرير :

إبراهيم الترزى

# الفهرس

## بحوث ومقالات :

## تعريف ونقد :

# بحوث ومقالات

# إحياء التراث

## للدكتور ابراهيم مدكور

### ( ١ )

تتوالى الحضارات الإنسانية وتتعاقب ، يأخذ بعضها عن بعض ، ويرث لاحقها سابقها ، وللحضارات الكبرى آثار ومخلفات شتى : والحضارة الإسلامية من أعمق الحضارات القديمة أثراً ، وأوسعها ثقافة . انتشرت ثقافتها شرقاً وغرباً ، وامتدت إلى العالم القديم في قاراته الثلاثة ، وأسهم فيها عدة شعوب ، وتتابع إنتاجها نحو ثلاثة عشر قرناً ، وكتبت بلغات مختلفة ، بين عربية وعبرية وسريانية ، أو فارسية وتركية وكردية : تعددت ألوان هذه الثقافة وتنوعت أبوابها ، فيها منقول أو معقول ، أدب ولغة ، علم وفن ، سياسة وعمران . وتحت كل شعبة من هذه أقسام متعددة ، وفي كل قسم بحوث ودراسات مختصرة ومطولة : متون وأصول ، شروح وحواش . وقد وضعت في عصور متتابعة ، وعلى أيدي باحثين متلاحقين ، ونمت على مرّ الزمن نمواً كبيراً .

بيد أنها لم تسلم من عدوان هذا الزمن نفسه فقضت الحرائق والحروب ، والعسف والظلم على قسط كبير من أصولها ، ومن أوضح مظاهر هذا العدوان غزو التتار في القرن السابع الهجري الذي أباد الحرث والنسل ، وقضى علينا بأن نحرم من مؤلفات لا يعرف منها إلا الاسم ، أو بعض ما نقل عنها من مؤلفات أخرى معاصرة أو لاحقة . ومع هذا لا يزال ماوصل منها إلينا عظيما ، تعمر به المكتبات العامة في الشرق والغرب . ومن حسن الحظ أن الولاة والأمراء والباحثين والعلماء كانوا يتنافسون في جمع الكتب واقتناء نفائسها . وكان ينسخ من المؤلف الواحد عشرات المخطوطات لسد حاجة الطالبين ، وقد يعاد النسخ في عصور متلاحقة ، فتتوفر للنص الواحد عدة نسخ ، بل عدة روايات .

وللوضع السياسي والخلاف المذهبي شأن في تخير الكتب واقتنائها ، فكان الفاطميون والبويهيون مثلا حراصاً على جمع كتب الشيعة ، حرص السلاجقة على جمع كتب أهل السنة . وأضحى لكل نوع من الكتب مكان يبحث عنه فيها ، ففقه المالكية مدين في مدارسته وحفظ أصوله لشمال أفريقيا ، في حين يرجع إلى الشام ومصر في البحث عن كتب الشافعية ، ويعد اليمن اليوم أكبر مصدر لما بقي من مؤلفات المعتزلة ، وبخاصة المتأخرون منهم . . ولما كان النفوذ السياسي في الإسلام قد آل في القرون الأخيرة إلى

الدولة العثمانية ، فإن مكتبات استامبول تعد الذخيرة الكبرى للتراث الإسلامى ، وفيها مؤلفات قد لا توجد فى مكان آخر ، وفى حصرها حصراً دقيقاً ما يمكن من استكمال حلقات مفقودة . وقد بذلت فى ذلك جهود ملحوظة فى الثلث الأول من هذا القرن ، وما أحوجنا إلى استكمالها . وحبذا لو أنشئ فى استامبول معهد للدراسات العربية يعد طائفة من الباحثين لجميع هذه المخطوطات وحصرها ، ويقينى أن الحكومة التركية سترحب بذلك .

ولسنا فى حاجة أن نشير إلى ما للتراث العربى من شأن فى تاريخ الثقافة الإنسانية ، فهو عنوان حضارة سادت العالم عدة قرون ، وهمزة وصل بين القديم والحديث . أخذ عن الحضارات القديمة ، وأثر فى الحضارات الحديثة . أحيا معالم التراث اليونانى ، واحتفظ بأجزاء منه ضاعت أصولها الأولى ووجه نظر الغرب إليه ، فبدأ يأخذ عنه ويتبع خطاه . ونشأ من ذلك تراث القرون الوسطى اللاتينى . وللتراث العربى شأن أيضاً فى الحضارة الغربية الحديثة ، أثر فى علمها وفلسفتها فى فنها وصناعتها . وهو اليوم للعرب والمسلمين جميعاً مجد الماضى ، ونبراس الحاضر ، وهدى المستقبل .

* * *

وقد عنى المسلمون من قديم بحفظ تراثهم المكتوب ، فاقتنوا فى نسخه ، وأجادوا فى تغليفه ، وأودعوه أماكن أمينة . وأنشئت منذ عهد مبكر مكتبات لجمعه وحفظه ، وأعدت فى المساجد خزائن خاصة به . وتعددت مخطوطاته — ويكاد يصل ما بقى منها إلى بضعة ملايين ، موزعة بين الشرق والغرب فى العالم القديم والجديد . وقد تسابق الغربيون منذ القرون الوسطى إلى جمع المخطوطات العربية ، وتنافسوا فى شرائها ، ولم يضنوا عليها بمال . واشتد تنافسهم فى التاريخ الحديث وجدوا فى اقتنائها منذ القرن الثامن عشر ، ولها أقسام خاصة مسجلة ومفهرسة فى المكتبات الأوربية الكبرى ، وبخاصة المتحف البريطانى ، ومكتبة باريس الأهلية ، والأسكوريال ، والأمبروزيانا ، ولمكتبات بعض الجامعات الأمريكية نصيب منها . وعلى دعائمها قامت حركة الاستشراق منذ أوائل القرن الماضى .

ولا يزال فى العالم الإسلامى والعربى ثروة كبيرة منها ، وما أجدرنا أن نرعاها ونتعهدها وقد أشرنا من قبل إلى الثروة الهائلة التى تحتفظ بها مكتبات استامبول . ودعونا إلى متابعة كشفها وفهرستها والتعريف بها . وفى إيران قدر ما أحوجنا أن نقف عليه ، وأن نفيد منه . وسبق لحيدر آباد الدكن أن عرفت ببعض مخطوطاتها .

والتبادل الثقافى ضرورى ونافع ، فى المطبوع والمخطوط على السواء ، وعن

طريق الفيلم والتصوير يمكن تبادل المخطوطات على اختلافها. وفي العالم العربي ثروات يعتز بها، وهي موزعة بين المكتبات العامة والخاصة، وندعو مخلصين أصحاب المكتبات الخاصة أن يكشفوا عن كنوزهم، وأن يمكنوا الباحثين والدارسين منها. ويكفي على سبيل المثال أن أشير إلى «كتاب المغني» للقاضي عبد الجبار الذي أخرجنا بعض أجزائه، واحتفظت مكتبات اليمن الخاصة بالأجزاء الباقية.

ومخطوطات العالم العربي موزعة بين عواصمه ومدنه، وربما كانت القاهرة والرباط من أعظمها حظاً. وفي مكتبات مصر العامة والخاصة مخطوطات تكاد تصل إلى مئات الألوف وقد لا تكون ثمة مجموعة تعادلها في بلد عربي آخر. إلا أن منها ما فهرس وعرف به، ومنها ما لم يفهرس بعد، وأغلبه تنقصه الأحراز الملائمة والأماكن الصالحة.

* * *

وأول خطوة في سبيل إحياء التراث العربي المكتوب أن يحصر، وأن تجمع مخطوطاته وتفهرس ويعرف بها، تمهيداً لنشرها، وهذا ما سنعرض له فيما يلي.

**ابراهيم مدكور**

رئيس المجمع

# من الدراسات القرآنية

## للأستاذ على النجدى ناصف

القرآن الكريم وبطيقم الأخذ بمقتضى الظاهر فى كثير من آياته ، فهو حينا يضع المفرد مكان الجمع ، وحينا آخر يخالف بين الضمير ومرجعه ، وهكذا .

ومعاذ الله أن يكون شىء من ذلك — إلا لأمر يراد : من حكمة بالغة وسر مكنون . والمرء إذ يتدبر هذه الآيات ، ويجيل فى أعطافها الفكر ، فيفتح الله عليه ، ويكشف له عن وجه الرأى فيها ، ويذهب عنه الحيرة — يشعر ببرد اليقين ، ويذوق حلاوة الإيمان ، ويزيد اقتناعا بأن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد ، وأنه الكلام يعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله وكان بعضهم لبعض ظهيرا .

وسأقتصر فى هذه الكلمة على مثال واحد مما حل فيه المفرد محل الجمع ، وآخر مما لا يطابق فيه الضمير مرجعه ، ثم أحاول أن أكشف السر الذى هديت إليه فى كل من المثالين :

فأما المفرد الذى حل محل الجمع فهو لفظ « العبد » ، ونحن إذ نتتبعه بالإحصاء جمعاً ومفردًا فى القرآن الكريم — نجده مذكورًا بلفظ الجمع مرتين ومائة مرة : كان لفظه مطابقاً لمعناه فيها كلها . ونجده مذكورًا بلفظ الإفراد — والمراد به الجمع — مرة واحدة ، وذلك إذ يقول الله تعالى : ( إنْ كلُّ مَن فى السموات والأرضِ إلّا آتِى الرحمنِ عبْدا ، لقد أحصاهم وعدَّهم عَدًّا ، وكلُّهم آتيهِ يومَ القيامة فَرْدًا [1] ) .

وذكر « العبد » بلفظ الجمع إذن — لا يسترعى انتباها ، ولا يثير سؤالا ، لأنه من قبيل وضع اللفظ موضعه ، والمطابقة بينه وبين معناه ، لكن الذى يسترعى الانتباه حقا ، ويثير السؤال إلحاحا —

---

( ١ ) سورة مريم : ٩٣-٩٥

هو من التعبير بلفظ « العباد » مكان « العباد » ، أو « العبيد » فى الآيات المذكورة ، مع أن المقام - بحسب مقتضى الظاهر - لأحد الجمعين ، لا لمفرده .

فنحن - إذ ننظر فى الايات - نراها - كما لايخفى - تتظاهر على تصوير حال الناس يوم يعرضون على ربهم ، أى على تصوير حال البشر كافة ، منذ خلقهم الله إلى يوم يبعثون . هم إذن الكثرة التى لا أكثر منها ، والعدد الذى لايحصيه إلا الله تعالى . فإذا هم لم يذكروا هنا بلفظ الجمع فمن يذكر ؟ ومتى يذكرون به إذا هم ذكروا ؟

خواطر تحوك لأول وهلة فى نفس القارىء إذ يقرأ الآيات ، أو السامع حين يسمعها تتلى عليه ، ثم يبدو له أن ينظر فى معناها ويكتنه سرها . وهو - حينئذ لايملك أن يقر عليها ، ولا أن يضرب صفحاً عنها ، فتظل تراوده ، ويظل فى حيرة من أمرها حتى يبلغ منها أرباً ، أو يسلو عنها يأساً .

على أنه إذ يروّى فيها ، ويلقى باله إلى الحال التى تومئ إليها ، والمقام الذى تتحدث عنه - لم يمتنع عليه أن يتبين بتوفيق الله أن المقام فيها للحساب والجزاء ، لا للعد والإحصاء وأن الأمر قد شبه عليه ، فوهم أن حياة الاخرة كحياة الدنيا وأن حال الناس هناك كحالهم هنا حين يعرضون على ربهم ؛ فإذا هم أجناس وأمم ، وطوائف وفرق ، تتخالف على العهد بها ، أصولا وأنساباً ، وتتفاضل درجات ومنازل وتتميز مواهب وسمات ، حتى ما تكاد تجمعهم جامعة ، أو تؤلف بينهم آصرة إلا أنهم لآدم وحواء .

والحقيقة أن الأمر مختلف جداً ، فالآخرة غير الأولى ، وحال الناس فى هذه غير حالهم فى تلك . ويومئ لفظ «العبد» فى الآيات إيماء خفيا إلى مشهد مهيب من مشاهد الآخرة ، مشهد لا كالمشاهد ، ولا الناس فيه كالناس . الملك يومئذ لله الواحد القهار ، وكل من فى السموات والأرض خاضع مقهور ، والناس بين يدى ربهم أشباه متساوون ، كأنهم فرد واحد ، تتكرر ذاته ، وتتوحد صفاته . ذهبت من بينهم الفوارق فلا علية ولا سوقة ؛ ورفعت من دونهم الحجب فالتقى الأحمر والأسود ، ومحيت الحقب فالتقى الماضى والحاضر ، ورد الأول على الآخر .

تقطعت الأسباب فانفض الأنصار والأعوان، تناكر الخلصان فلا يسأل حميم حميما، قطعت الأرحام فلا يجزى والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً. انحلت عرا الأنساب فكل يعزى لآدم وحده، ولايعزى لأبيه منه ولا لأحد من جدوده الأقربين أو الابعدين.

خرست الألسنة، وخشعت الأبصار، ووجلت القلوب، وذهبت النفوس ضياعاً بين القلق والاطمئنان، وبين اليأس والرجاء، لاتدرى ما الله صانع بها، ولا المصير الذى هى صائرة إليه، فتشابهت الملامح والسمات، وتوافقت المشاعر والخلجات: المنظر واحد، والمخبر واحد، حتى ليتمثل الجمع فى سمت الواحد، ويتراءى الغائب فى شخص الحاضر، ويغنى القريب عن البعيد.

وما كان لذلك كله أو لشىء منه أن يكون لولا وضع «العبد» هنا بلفظه المفرد، مكان «العباد» أو «العبيد»، لكى يؤدى المعنى الذى ذكرنا أداء إشارة وتلميح، لاحديث بسط وتفصيل.

وأما المثال الذى لم يطابق فيه الضمير مرجعه — فقوله تعالى: (ثُمَّ إنكم أيُّها الضالون المكذِّبون لآكلون من شَجَر من زَقُّومٍ فمَالئون منها البُطونَ، فشَارِبُون عليه من الحَميم) (١).

طعام الزقوم — كما تدل الآيات عليه — نوع من العقاب الذى أعده الله للعصاة من عباده. ويختلف العلماء فى تفسير الزقوم، فمن قائل: إنه اسم يطلقه أهل اليمن على كل ما يتقيأ به، وهو على هذا — لايخص نوعاً من الشجر، بل يعم كل ما تقلس له النفس، ويهيج به الجوف فيقذف ما عسى أن يكون فيه. ويكون عقاب العصاة بالأكل منه حينئذ أنهم يحملون عليه، وإنهم ليعلمون ماهو صانع بهم من التهوع وإثارة الجوف.

ومن قائل: إنها شجر باليمن لا ورق لها، وفروعها أشبه شىء برءوس الحيات، فيكون عقاب العصاة بها أنهم يحملون على الأكل منها مع بشاعة منظرها، وتقزز النفس منها، وسوء ما تخيله لهم حين يطعمونها، حتى ليحسبون أنهم لا يأكلون من شجر بل من رءوس حيات.

ويفسر أبو جهل الزقوم ساخراً مستهزئاً حين ذكر له، فيقول: «إن هذه كلمة

(١) سورة الصافات: ٥١ — ٥٤

لم تكن من لغة قريش ، وإن رجلا أخبره أن أهل يثرب يقولون : تزقمت ، إذ أكلت التمر بالزبد[1] » ، فالزقوم في تفسيره مأخوذ من هذا الأصل ، وطعامه إذن نعمة رضا لا نقمة غضب وسخط .

ويذكر القرآن الكريم شجرة الزقوم في قوله تعالى : ( أَذَلِكَ خَيرٌ نُزُلًا أم شجرةُ الزقُّوم ، إنا جعلناها فتنةً للظالمين ، إنها شجرةٌ تَخرجُ في أصلِ الجحيمِ ، طَلْعُها كأنه رءوس الشياطين[2] ) ووصفها — باللعن ولم يسمها في قوله ، سبحانه ( وإذْ قُلنا لك إنَّ ربَّك أحاط بالناس وما جَعلْنا الرؤيا التي أريناك إلا فتْنة للناس والشجرةَ الملعونةَ في القرآنِ ونُخوِّفهم فما يَزيدُهم إلا طُغْياناً كبيرًا[3] ) .

ونخلص من وصف القرآن لها بأنها شجرة لا كشجر الدنيا ، فهي تنبت في قرار الجحيم ، وتنمو على السعير ، خبيثة المطعم ، بشعة المنظر ، تعافها النفس ، وتنفر منها العين . تضرم العطش في جوف آكلها ، فلا يجد غير الحميم ، فيشرب منه ضارياً به ، مشتفاً له .

هذه كلمة عن الزقوم ، بدالى أن أقدمها بين يدى الحديث عن تصريف الضمير في الآيات التي ذكرتها في مستهل الكلام .

ونحن إذ نرجع إلى هذه الآيات نرى أن شجر الزقوم فيها قد عاد عليه ضميران أولهما هو المتصل « بمن » قوله : ( فمالئون منها البطون ) ؛ والآخر هو المتصل « بعلى » في قوله : ( فشاربون عليه ) . والأول كما لا يخفى — لمؤنث ، فهو مطابق للشجر بحسب معناه ، والآخر لمذكر ، فهو مطابق للشجر بحسب لفظه . ولا يمكن أن يكون تصريف الضمير على هذه الصورة إلا لناشئة من البلاغة ولطائف الإشارة .

ويقول أبو حيان في ذلك : ( فمالئون منها ) ، الضمير في « منها » عائد على « شجر » ، إذ هو اسم جنس يؤنث ويذكر . ( فشاربون عليه ) ، قال الزمخشري : ذُكِّر على لفظ الشجر ، كما أُنث على المعنى في « منها » . . وقال ابن عطية : الضمير في « عليه » عائد على المأكول أو الأكل[4] .

(١) الروض الأنف : ١ : ٢٨ (٢) سورة الصافات : ٥١-٥٤ (٣) سورة الإسراء : ٦٠
(٤) البحر المحيط : ٨ : ١٠ .

ولا خلاف أن اسم الجنس يجوز تذكير ضميره مراعاة لتذكير لفظه، ويجوز تأنيثه مراعاة لدلالته على متعدد.

أما قول ابن عطية: «إن الضمير في «عليه» عائد على المأكول، أو على الأكل – فليس بذاك؛ لأنه يجعل لكل من الضميرين مرجعا، فضمير «منها» للشجر، وهو الوجه، لأنهما متجاوران، والمعنى عليه. وضمير «عليه» للمأكول أو الأكل الذى تشير إليه كلمة «لآكلون». وهى مذكورة قبل «الشجر»، وإذا يكون على ضمير «عليه» أن يتخطى كلمة «شجر». وضميرها لكى يعود إلى المرجع الأول. ولا يخفى ما فى هذا من مباعدة وتفريق لغير حكمة ولا فائدة.

بقى أن القول بتأنيث الضمير الأول مراعاة لمعنى الشجر، وتذكير الآخر – مراعاة للفظه لايغنى من التساؤل عن سر هذا التخالف أولا، وعن وجه تقديم المقدم وتأخير المؤخر من الضميرين دون العكس بعد ذلك.

ويبدو – والله أعلم – أن هذا التخالف فى صورته السابقة – إنما يراد به حكاية حال الآثمين حين يأكلون من شجر الزقوم وحين يقرفى بطونهم ما يأكلون منه، فهم حين الأكل لا يأكلون من شجرة واحدة، بل من عدة من شجره، كأن لكل شجرة مذاقاً متميزًا، فبعض الشجر أخبث من بعض، وفى تعدد ما يأكلون منه إذن مزيد من العذاب وتنوع فيه. والضمير الذى يطابق ذلك ويمثل معناه هو ضمير الجمع لا ضمير المفرد.

وهم إذ تمتلئ بطونهم مما يأكلون، وإذ تستقر فيها أصنافه المتعددة – لا تظل على حالها من التميز والتنوع، بل يمتزج بعضها ببعض حتى تصير فى رأى العين شيئاً واحداً، على نحو مايصير إليه الطعام فى الحياة الدنيا، حين يكون مؤلفاً من أصناف متنوعة، بعد أن تعمل المعدة عملها فيه. والضمير الذى يصلح لذلك ويمثل معناه هو ضمير المفرد لاضمير الجمع. والله تعالى أعلم.

**على النجدى ناصف**

عضو المجمع

# الجناس وأنواعه

## في منظومة ابن طاهر الهواري قاضي فاس

### للأستاذ عبد الله كنون

**الجناس** ضرب من البديع ، والبديع لم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال ، ووضوح دلالته على المراد ، اللذين يبحث عنهما في علمي المعاني والبيان ، والثلاثة يعبر عنها بعلوم البلاغة . وكان ابن المعتز هو أول من جمع البديع ، وألف فيه كتاباً ، إلا أنه لم يتوسع فيه توسُّع من أتى بعده ، وإنما ذكر بعض ضروبه ، ومنها الجناس ويسمى أيضاً التجنيس ؛ لتجانس كلماته إن تشابها في الحروف كُلاًّ أو بعضاً ، ومن ثم يعلم أنه من المحسنات اللفظية لا المعنوية وهذا ما حمل بعضهم على الاستهانة به حتى قال في كنز البلاغة : « لم أر من ذكر فائدته » لكنه عاد فقال : « وخطر لي أنها الميل إلى الاصغاء إليه فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها ، ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوف إليه » نقله السبكي في شرح التلخيص .

والاستهانة به والقول بعدم جدواه مما لا يصح قبوله ، كيف وهو واقع في الكتاب العزيز والحديث الشريف ؟ قال تعالى : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » وقال « فأقم وجهك للدين القيم » وقال : « قال إني لعملكم من القالين » وقال : « والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق » ، وقال النبي ( صلى الله عليه وسلم ) : « غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله ، وعصية عصت الله ورسوله » وقال : « نعوذ بالله من الأئمة والعيمة والغيمة والكزم والقزم » . وهو في كلام العرب كثير ، كما قال في العمدة

ونحن نعلم أن البلاغة تتعلق باللفظ كما تتعلق بالمعنى، والديباجة الجميلة يستحسنها كل أحد، ولصناعة البديع فيها دَخلٌ كبير. نعم ينبغي عدم التكلف في ذلك وعدم الإكثار منه؛ فهو كالملح في الطعام قليله صالح، وكثيره لاخير فيه. ولعل هذا أمثل ما يقال في الجناس وسائر المحسنات البديعية. وقد أحسن الهوارى صاحب المنظومة التي نحن بصددها حين شبهه بالخال يكون في الخد الجميل فيزيده جمالاً، لكن الخيلان إذا كثرت في الوجه كانت شيناً وعيباً.

**المنظومة**

هذه المنظومة هي رجزية من ٤٤ بيتاً، منها ٩ أبيات للخطبة وبيتان للختم، فما يبقى للكلام على الجناس وأنواعه هو ٣٣ بيتاً، وقد سماها صاحبها بتحفة الجلاس، وصدرها بسابقة تعرض فيها لذمِّ ابن حِجَّة الحمويّ الجناس وغضِّ ابن رشيق القيرواني منه، ورجح عليهما مذهب الصفَديّ في استحسانه واستبداعه، ثم عقب برأيه هو الذي أشرنا إليه آنفا، والمتلخص في أنه على حسنه لاينبغي الإكثار منه.

**ذم ابن حجة للجناس**

للأديب أبي بكر على بن حِجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ هـ قصيدة بديعية عارض بها بديعية عز الدين الموصلي. والبديعيات قصائد عُنِيَ بنظمها المتأخرون، يضمنونها أنواع البديع على سبيل التورية والرمز؛ ويجعلون موضوعها الغزل والمديح وما إليها. ولعل أول من ابتكر هذا اللون من النظم هو الصَّفِيّ الحِلّيّ.

والمهم أن ابن حجة شرح بديعيته بشرح سماه «خزانة الأَدب وغاية الأَرب» وشحنه بالكثير الطيب من اللطائف الأَدبية والمختارات الشعرية، وهو مطبوع في مجلد ضخم يحتوى على ٥٧٠ ص. ولما تكلم على الجناس في شرحه هذا قال ما يلي:

«أما الجناس فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب، وكذلك كثرة اشتقاق الألفاظ. فإن كُلاً منها يؤدى إلى العقادة والتقييد عن إطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة». وبعد أن أتى بأمثلة مستكرهة ومُستثقلة منه، عاد فقال: «والجناس من صور الألفاظ».

ومن وافق على ذلك علامة عصره الشهاب محمود (الخفاجى) قال

: «إنما يحسن الجناس إذا قَلّ وأتى فى الكلام عفوًا من غير كد ولا استكراه، ولا بعد، ولا ميل إلى جانب الركة » .

وهذا هو ما يراه صاحب المنظومة، فهو وابن حجة إذن متوافقان فى الرأى .

### كلام ابن رشيق

عقد ابن رشيق فى عمدته باباً للجناس وهو يسميه التجنيس ، أطال الكلام فيه على أنواعه ، وذكر ما ورد منه فى القرآن والحديث والشعر المطبوع منوها به ، منبها على وجه حسنه ، ثم مثل ببعض ما أتى على سبيل الصنعة المجردة ، فقال : « وهذا أسهل معنى لمن داوله ، وأقرب شيء ممن تناوله ، من أبواب الفراغ وقلة الفائدة ، وهو مما لا يشك فى تكلفه ، وقد أكثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون فى نثرهم ونظمهم حتى بردوا ، بل تدركوا » .

وهو كلام لا غبار عليه ، ولا يستحق ما قاله صاحب المنظومة فى الغض منه .

### مذهب الصفدى

أما الصلاح الصفدى فإنه كان معجباً بالجناس مكثرًا منه ، وألف فيه كتاباً سماه «جنان الجناس» ضمنه الكثير من نظمه فيه ، وهو فى الغالب من المتكلف المتهافت ، وقد انتقده عصريه جمال الدين بن نباتة لما وقف عليه بكلمة استعمل فيها جناس التصحيف فقال : «بل هو جناس الخناس » ، والغريب أن صاحب المنظومة مع استحسانه لمذهب الصفدى ، وترجيحه له ، لم يأخذ به ، وإنما مال فى الأخير لرأى ابن رشيق وابن حجة اللذين انتقدهما .

### أنواع الجناس فى المنظومة

جملة ما ذكره الهوارى فى منظومته من أنواع الجناس خمسة ، تصل باعتبار أقسامها إلى ستة عشر نوعاً :

الأول : التام ؛ وتحته ستة أقسام ، فإن كان من نوع كاسمين سمى متماثلا نحو : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة ، وإن كان من نوعين كاسم وفعل سمى مستوفى ، كقول الشاعر .

مامات من كرم الزمان فإنه
يحيى لدى يحيى بن عبد الله

ومنه المركب فإن اتفق فى اللفظ سمى المتشابه ، كقوله :

إذا ملكٌ لم يكن ذاهِبَهْ
فَدَعْهُ فدولَتُهُ ذاهِبَهْ

والاسمى بالمفروق كقوله :

كلكم قد أخذ الجا
م ولا جام لنا
ما الذى ضرّ مُديرَ الجا
م لو جاملنا

وهذا إذا اختلف اللفظان فى الرسم فقط وكانا مستقلين ، أما إذا تركب أحدهما من كلمة وبعض أخرى ، فسمى بالمرفو وقد مثل له الناظم .

والثانى المُحرَّف ؛ وهو ما تختلف هيئة حروفه نحوجُبّة البُرْد جُنّة البَرْد وتشديد الحرف هنا ملغى كما فى قولهم : الجاهل إما مُفْرِط أو مُفَرِّط .

الثالث الناقص ؛ وهو ما نقص منه حرف سواء كان فى الأول مثل : «والتفّت الساقُ بالساق إلى ربك يومئذ المساق» ، أوفى الوسط نحو : جَدّى جَهْدى ،أوفى الآخر كقوله :

* يَمُدُّون من أيْدٍ عواصٍ عواصم *

وهذا له اسم خاص وهو المُطَرَّف ، فإن كان النقص بأكثر من حرف سمى مُذيَّلا كقوله :

إن البكاء هو الشفاء
من الجَوَى بين الجوانح

الرابع المضارع ؛ وهو ما اختلف حرف من حروفه مع تقارب المخرج سواء كان ذالك أولاً أووسطاً أو آخراً ، نحو ليل دامس وطريق طامس ،وقوله تعالى : «وهم ينهون عنه وينأون عنه» ، وقوله عليه السلام : «الخيل معقود فى نواصيها الخير» وقد مثل الناظم لمُختلِف الحرف الأول ومنه اللاحق ، وهو ماكان الاختلاف فى حروفه غيرَمتقارب المخرج ، نحو «ويل لكل هُمَزة لُمَزة» ونحو: «إنه على ذلك لشهيد، وإنه لحب الخير لشديد» ، ونحو «وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به» . وقدمثَّل الناظم لمُختلف الوسط ،ومنه جناس القلب وهو ما اختلف ترتيب حروفه ،فإذا كان الاختلاف كلياً مثل فَتْح وحَتْف سمى قَلْب كُلّ ، وإذا كان فى بعض الحروف فقط نحو :اللهم استُر عَوْراتنا وآمِن رَوْعاتنا سُمّى قَلْبَ بعض . وإذا وقع أحدهما فى أول البيت والآخر فى تمامه سمى مقْلُوباً مُجنَّحاً كقوله :

ساق يُريني قلبُه قسوةً
وكل ساقٍ قلبُه قاسِ

وإذا اقترن المتجانسان سُمى مُزْدَوِجا ومُكرَّرا ومُردَّدا ، وقد مثله الناظم بقول

الله تعالى : «وجئتك من سبإ بنبإ يقين».

الخامس جناس الخط ، كما سماه الناظم، ويسمى الجناس المطلق؛ وهو ما توافق فيه اللفظان خطًّا من غير توافق في الحروف نحو قوله عز وجل : «قال إنّي لعملكم من القَالِين» وما توافقا اشتقاقاً وإن لم يتوافقا لفظاً كقوله سبحانه : «فأَقِمْ وجهَك للدين القَيِّم» ،ويسمى جناس الاشتقاق كما أن الأَول يسمى جناس شِبْه الاشتقاق ، والناظم ضمَّن هذا النوع في لاحقة جعلها ختام المنظومة ؛ وذلك لعدم دخوله تحت تعريف الجناس ، وكذلك فعل صاحب التلخيص ؛ إذ جعله من الملحق بالجناس .

## صاحب المنظومة

هو أبو عبد الله محمد بن طاهر الهوَّارى الفاسى ، أحد الأعلام فى الفقه والعربية والأدب ، أخذ عن جِلَّة علماء عصره ،وأخذ عنه السلطان سليمان العلوى فمَن دُونه ،وولى قضاء فاس فحُمِدت سيرتُه وألف عدة تآليف أكثرها نظم ،منها أُرجوزة فيما انفرد بن ابنْ عاصم عن المختصر الخليلى من المسائل الفقهية ، وأُرجوزةٌ فى علم الكلام ، وأُرجوزةٌ فى علم المنطق وأُرجورة الجناس التى بين أَيدينا ، وكتب حاشية على شرح الشيخ سعيد قَدُّورة على السُّلمَّ سماها «اليواقيت المنثُورة» ،وله شعر جيد ، وتوفى سنة ١٢٢٠ هـ

ومن شعره هذا الموشَّح الذى ارتكب فيه من الجناس ماجاء على خلاف مذهبه فى عدم الإكثار منه ، ولكنه مع ذلك أحسن فيه وأَجاد وأَبان عن براعته التامة فى هذه الصناعة :

شــادنٌ بالغَــرامْ
يستفـز الغــريمْ
وصلُــه لا يُــرامْ
والهوى لا يريم
أَغْيــدٌ لا يُقِيــلْ
مُهجتى بالمُقَــلْ
وبطَــرْف كحيــلْ
حــلَّ فيــه الكَحــلْ
وبِخَــدٍّ أَسِيــلْ
فوق غُصْنِ الأَسَلْ
بُخْـلُه بالسَّـلامْ
أَضنَى قلبى السَّليمْ
ليْتَــه بالكَــلامْ
أَحيَا صبًّا كَليمْ

وحَشْـــةُ الهـــاشمِى
صيَّـــرتْنى هَشِيمْ
مــن غَـــدا لائمِى
فى هــــواهُ لَئِيمْ
أيُّهـــا الفـــاطمى
صِـلْ مُحِبًّـا فَطِيمْ
لحظُه كالحسام
لفُـــؤاد حَسِيمْ
مُظهِـــرٌ بابْتسـام
دُرَّ ثغْـــر بَسِيمْ

## نص المنظومة

أجـلُّ ما اعتَنى به الإنسان
وخيـــرُ مـــا فاه به اللِّسانْ
بَـدْءُ الكلام بالثَّنا والحمدِ
فالحمـــدُ لله العـــلِّى الفـــرْدِ
ثم على من شَرَّفَ البيانَ بِهْ
وتَمَّم النُّعمى لنـــا بِسببِهْ
محمـــد نبيِّنـــا المختـــارِ
وآلِـــه وصحبِـــه الأخيـــارِ
أزكى صـــلاةِ الله والسلامِ
مـــا حَسُنَ الجناسُ فى الكلام
وبعدُ فالقصد بهذا الرجـزِ
نظمُ الجناس بكلام مُوجزِ
مُنمَّـــق مُـــرونَـــق عجيبِ
يـــرُوقُ لِّ حـــاذق أريب
سميتُـــه بتحفة الجُلَّاسِ
فى جمع ما جاء من الجناسِ
والله جـــلَّ وعـــلا سبحانهْ
أرجـــوهُ فى التوفيق والإعانهْ

### سابقة

مـــا إنْ بدَتْ فى قوْلة ابنِ حِجَّهْ
فى ذمِّ أنواع الجنـــاس حُجَّـــهْ
ولا أتَى أبـــو علىِّ بنْ رشيـــقْ
فى الغضِّ من ذا النوع بالفهم الرشيقْ
ومذهبُ الشيخ الشهير الصَّفَدِى
وقـــد مضَى عليه غيرُ واحـــدِ
أنَّ الجنـــاسَ خيرُ مـــا يُرتكَبُ
وهو بديع الحسن لا يُجتَنَبُ
والـــرأىُ فيـــه أنَّهُ مُستحسنُ
لكنما الإقـــلالُ منه أحسَنُ
بل قيل كالخَال فما قلَّ يَزِينْ
وكثرةُ الخيلان فى الخـــد تَشِينْ

### ذكر الجناس التام واقسامه

إن حصل الطِّباقُ فى اللفظيْن
فى عـــدد الحروف دون مَيْنِ
واتفقت فى النـــوع والترتيب
واتحـــدت فى هيئة التركيب

فذاك يُنسب إلى التمام
ويتنوعُ إلى أقسام

فإن يكُ اللفظانِ من نوع فذا
بالمُماثل يُسمّى حبذا

وإن يكونا اختلفا فى النوعِ
فذاك مُستوفى بديعُ الوضعِ

وإن يكن بعضهما تركيبا
من كلمتين فادعُه المركّبا

فحيثما يتفقان رسْمَا
فالمُتشابهَ لديهم يُسْمَى

ولتدْعُهُ المفروقَ مهما اختلفا
فى الرسم ، والمرفُوّ إمّا ائتلفا

من كلمةٍ وبعضِ أخرى كالمُصاب
وطعمٍ أصابٍ فى كلام من أصاب

**ذكر المحرف**

وحيثما فى هيئة الحروفِ
تخالفا فانسُبْه للتحريف

وحُكمُ ما شُدّدَ من ذى الأحرُفِ
كحكم ما خُفّفَ منها فاعرِفِ

**ذكر الناقص وفروعه**

وإن يكُ العددُ فى إحداهُمَا
أنقصَ حرفاً ، ناقصٌ له سُمَى

فى أولٍ أو وسطٍ أو فى التمامْ
وبِالمُطرَّف ادعُ ذابلا كلامْ

وبالمُذيَّلِ ادعُ ما زاد كما
بين الجَوارِى والجَوَى فلتعلَمَا

**ذكر المضارع واللاحق**

وحيث الاختلافُ فى نوع فما
فى غير واحد يكون منهما

فإن يكُونَا مُتقارِبَيْنِ
فهوَ المُضارِعُ بغير مَيْنِ

لا فرق بين طرفٍ ووسطِ
كجِيءُ بذا المختبط المغتبطِ

وإن تباعدا فذاك اللاحقُ
كمثل ما فى لاسق ولاحق

وحيث الاختلاف فى الترتيبِ
فهو جناس القلب فى التركيب

كالفتح والحتف وذا يُلقّبُ
بقَلْب كُلٍّ حيثما يستوعبُ

وقَلْب بعْضٍ إن ببعض الأحرُف
كمثل روْعاتٍ وعوْراتٍ يفى

وإن أتتْ فى البيت أُولى الكلمتيْنْ
صدرًا وأُخرى عَجُزًا بغير مَيْنْ

وفيهما تجنيسُ قلْب فادعُهُ
مُجنّحاً ولا يعزُّ وضعُهُ

وعند الاقتران يُدعى حيث جَاء
مردّدا مكررا مزدوجا

كسبا بنبإ يقين
ثمّ جناس القلب بالتّبيين

**لاحقة**

وعندهم تجنيسُ خطٍّ وهو ما
توافق اللفظان فيه فاعْلَمَا

وحيثما اشتقاقٌ أو شِبْه يحقّ
بينهما فَبالجِناس يلتحقْ

تَمَّ الذى رُمْتُ من الجناسِ
والحمد للإلٰهِ ربِّ الناسِ

ثُم على أفضل رُسْلِ اللهِ
أزكى صلاته بلا تَناهِ

**عبد الله كنون**
عضو المجمع من المغرب

# سجل شعرى تاريخى فريد

## للدكتور شوقى ضيف

كل من يدرس تراثنا الشعرى يعرف أنه يصور حياة أسلافنا من جميع أطرافها السياسية والاجتماعية والعقلية فقد مثّلوا فيه جوانب حياتهم ، ولم يقصروه على وصف مشاعرهم الوجدانية الخالصة ، بل وسّعوا من قديم جنباته ليصور بيئتهم ومجتمعهم وحروبهم أو أيامهم . وعرف ذلك علماؤنا فى العصر العباسى ، فحينما حاول الجاحظ مثلا أن يتحدث عن الحيوان ملأ كتابه عنه بأشعار الجاهليين فى الحيوان وطبائع أنواعه سواء منهـا ما كان سبعاً أو بهيمة ، وبالمثل علماء اللغة حين تحدثوا عن النجوم والرياح والأمطار والفلوات ومراعيها وأشجارها ونباتاتها وأزهارها ساقوا فى ذلك أشعاراً كثيرة ، كما ساقوا أشعارًا كثيرة تصور عاداتهم وتقاليدهم وديانتهم .

وقد مضى الشعر العربى على هذا النحو طوال عصوره يصور تاريخ العرب السياسى والحربى وحياتهم الاجتماعية والفكرية ، وتنبه لذلك مؤرخونا قديماً ، إذ نرى الطبرى وغيره يتوقفون فى تاريخهم مرارًا لينشروا بعض الأشعار التى نُظمت فى الأحداث السياسية والحربية ، وكأنما هداهم حسهم التاريخى من قديم إلى أن الشعر وثيقة تاريخية ينبغى أن تضاف إلى وثائق الأخبار المروية . ولا أرتاب فى أنهم تنبهوا إلى أنه وثيقة أكثر نبضـاً بالحيوية والحياة من الروايات الشفوية ، لأن هذه الروايات تعتمد على السمع ، بينما يعتمد الشعر غالباً على البصر والمشاهدة ، إذ يشاهد الشاعر الأحداث التاريخية ويصورها ، وليس من رأى كمن سمع . وليس ذلك فحسب ، فإن الرواية للحدث التاريخى قد يدخل عليها الكذب والتعصب والهوى ، وقد يدخل عليها أيضاً شىء من النسيان لبعض دقائق الحدث .

ومن المؤكد أن الشعر أحياناً يكمل التاريخ ، فقد ينسى المؤرخون معركة

كبرى ويذكرها بعض الشعراء كمعركة الأسطول العربي مع الأسطول البيزنطي في عهد الخليفة المتوكل ،فإن الأسطول الأخير دُمّر كأن لم يكن شيئاً مذكورًا. وسكتت عن ذكر ذلك كتب التاريخ العربية ،ولولا أن البحتري صور المعركة وبطولة العرب فيها ما عرفنا عنها شيئاً . وكلنا نعرف أنه لو لم يقيّض المتنبي لتصوير بطولة سيف الدولة أمير قلعة حلب الذي ظل ينازل جيوش الدولة البيزنطية نحو ثلاثين عاماً وينزل بها هزائم متعاقبة ما تجسدت هذه البطولة في نفوس الشباب العربي من جيل إلى جيل بالصورة الرائعة التي رسمها المتنبي للبطل العربي ، وإذن لكانت سردًا تاريخيا لايحوي شيئا من هذا اللهب الحماسي الشعري الذي أودعه المتنبي سيفياته . ومن يقرأ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : دولة نور الدين ودولة صلاح الدين ، لأبي شامة المقدسي يلاحظ أنه قسم وصفه لمعاركهما الحربية ضد الصليبيين قسمين : قسماً لنفسه يسرد فيه أحداث المعركة ، وقسماً للشعراء يصفون فيه المعركة وأحداثها وصفاً شعريا ، يصور بسالة قائدها وجنوده تصويرًا يُشْعل الشجاعة والمضاء والعزيمة المصممة في نفوس العرب كي يسحقوا الصليبيين سحقاً لايُبْقي ولا يذر .

وعلى هذا النحو كان الشعر العربي دائما سجلا تاريخيا قيما لأحداث القرون الماضية ، وليس هذا كل ما أريد أن أقوله ، بل أريد أن أقول أيضا إنه حين نفتقد التاريخ الدقيق لدولة من دولنا في العصور الغابرة ينبغي أن نلجأ إلى دواوين الشعراء الذين عاصروها ، لعلنا نجد فيها ما افتقدناه أو بعض ما افتقدناه . ولعل من الطريف أن نعرف أن دولة العيونيين التي حكمت إقليم الأحساء والقطيف وهجر والبحرين نحو مائة وسبعين عاماً لم تسجل تسجيلا واضحا أحداثها وشئونها التاريخية لاعند ابن الأثير ولاعند غيره من المؤرخين القدماء ، ولولا أن شاعرًا سجل كثيرًا من هذه الشئون والأحداث في أشعاره لضاع منا تاريخ هذه الدولة إلا قليلا . وهو شاعر من الأسرة الحاكمة أسرة العيونيين خلّف ديواناً كبيرًا من الشعر هو علي بن المقرب العيوني الذي عاش نحو ستين عاماً من سنة ٥٧٢ إلى سنة ٦٣١ ولم يسجل ما عاصره من أحداث دولته التاريخية فحسب ، بل سجل أيضاً

أحداثها منذ نشأت إلى عصره فى تضاعيف مديحه لأمرائها وفخره بآبائه وأسلافه ، وبذلك كان الديوان سجلًا شعرياً تاريخياً طريفاً . وقد طبع فى مكة و الهند ودمشق وآخر طبعاته فى القاهرة بتحقيق وشرح عبد الفتاح الحلو .

ويحدثنا ابن المقرب طويلا عن قضاء مؤسس الدولة العيونية عبد الله بن على العبدلى على القرامطة نهائياً ، بينما تقول كتب التاريخ إن دولتهم فى الأحساء والبحرين كانت قد تلاشت قبل ظهوره بأكثر من ستين عاماً على يد الأصفر بن أبى الحسن الثعلبى سنة ٣٩٨ للهجرة ، ورُدَّت إلى خلافة بغداد. ويشير ابن المقرب إلى اضطرابات وقلاقل حدثت فى هذه الديار لمنتصف القرن الخامس الهجرى ، وأن ابن عياش استطاع الاستيلاء عليها ، ومن يده أخذها عبد الله بن على العبدلى جميعاً ، ولم يُبْقِ مع أحد من أعوانه شيئاً ، وفى ذلك يقول :

فصار ملك ابن عَيَّاشٍ وملك أبى الـ
بَهْلول مَعْ مُلكنا عِقْدًا لنا نُظما

وأبو البهلول كان ضامناً لخراج جزيرة البحرين . ويبدو من شعر ابن المقرب أن ابن عياش كان قرمطيا ، إذ يذكر أن عبد الله بن على العبدلى قضى عليه وعليهم قضاءً مبرماً ، يقول :

سلِ القرامطَ من شَظَّى جَماجمهم
فَلْقاً وغادرهم بعد العُلا خَدَمَا
من بعد أن جَلَّ بالبحرين شأنُهمُ
وأرجفوا الشام بالغارات والحَرَما

وهو يشير إلى الطامَّة الكبرى طامة إغارة أبى طاهر القرمطى فى سنة ٣١٧ للهجرة على الحجاج فى مكة يوم التَّروية وهم يلبُّون وهو يقتلهم قتلًا ذريعاً ، وقصة اقتلاعه الحجر الأسود مشهورة . كما يشير إلى غاراتهم على الشام فى سنة ٣٦٠ وما بعدها ، ومضى فى القصيدة يذكر غاراتهم على العراق وتحريق مؤسس دولتهم أبى سعيد الجنابى لكثير من قبيلة عبد القيس ، ويشير إلى فساد عقيدتهم قائلًا :

وأبطلوا الصَّلَوات الخمسَ وانْتَهكوا
شَهْرَ الصيام ونَصُّوا منهمُ صَنَما
وما بَنَوْا مسجدًا لله نعرفُـهُ
بل كلُّ ما أدركوه قائماً هَدِما

وابن المقرب ينصُّ على تعطيل القرامطة لفروض الدين ، ويفصِّل القول فى حروب

عبد الله بن على مع ابن عياش وكيف أنه فرَّ منه إلى أُوال ( البحرين الآن) وتبعه بعض قواده هناك وقضوا عليه ، يقول :

فانْصَاعَ نحـو أُوالٍ يبتغى عِصَما
إذ لم يجد فى نواحى الخطِّ مُعْتَصَما
فأقحم البحر منا خلفـه مَلِكٌ
ما زال مذ كان للأهوال مُقْتَحِما

والخط : القطيف ونواحيها . وكان القرامطة قد استنجدوا ببنى عامر بن ربيعة ، فجاءوهم من كل فَجٍّ ، واحتشد معهم كثير من البوادى ، ولقيهم عبد الله ابن على فمزَّقهم شر ممزّق ، وفى ذلك يقول ابن المقرب :

فاستنجدتْ عامرًا من بأسِها فأتتْ
مُغِذَّةً لاترى فى سيرها يَتَما

واليتم: البطء. ويذكر أن فرسانهم كانوا ألفاً كاملة ، وأنهم نكَّلوا بهم تنكيلا شديدًا :

دُسْناهمُ دَوْسَةً مـرِّيَّـةً جمعتْ
أشلاهم وضِبـاعَ الجوِّ والرَّخَما

مرية : قوية .فهم حطموهم حطما ، جعل أشلاءهم تتكاثر وتتناثر ، وتحط عليها ضباع الأرض ونسور الجو . وتدين الأحساء والقطيف وأوال لعبد الله بن على العيونى وتصبح خالصة له ولأبنائه من ورائه . ويتولَّى بعده زمام الحكم فى البلاد ابنه الفضل ويشيد ابن المقرب بشجاعته ، ويذكر أنه هو الذى اقتحم الخليج إلى البحرين وراء ابن عياش وأجهز عليه ، ويتحدث عن أيامه وأنها كانت أيام أمن ورخاء ، وفيه يقول :

منا الذى حـاز من ثاجٍ إلى قَطَرٍ
وصيَّر الرملَ من مال العدوِّ حِمَى

وثاج : قرية فى شمالى البحرين ، وقطر فى جنوبيها ، والرمل :مرعى فى الطريق إلى عُمان ، حماه فكان لايرعى فيه أحد ، على نحو ما صنع قديماً كُلَيْب . ويذكر من رخاء البلاد فى أيامه أن قوماً من التجار حاولوا العبور إلى البحرين فانكسرت بهم السفينة ، وسلموا. ولكن أموالهم غرقت ، فعوَّض كلا منهم بمقدار ما فقد من ماله ، وكان بينهم جوهرى ، فقد عقودًا من اللؤلؤ قيمتها مائة ألف ، فأعطاه المال واشترى به ثانية عقودًا مماثلة . ثم نزل هذا الجوهرى العراق ، وعرض جواهره على سلطان هناك فبخسه ثمنها . فقال له : خذها بلا ثمن ، فإن هذه الجواهر جميعها من مال ملك البحرين ، وقصَّ عليه القصة .

فأمر السلطان فى الحال بجام من شراب . فشربه قائماً – كما يقول الخبر – إجلالا لملك البحرين الفضل بن عبد الله . واشتراه من التاجر ، كما قال ، دون أى انتقاص للثمن الذى ذكره ، وفى ذلك يقول ابن المقرب مفاخرًا :

منا الذى قام سلطانُ العراق لَهُ
جلالةً والمَـدى والبُعْدُ بينهمـا

واطّرد الأمن والرخاء فى عهد ابنه محمد أبى سنان، وقد ظل أميرًا على القطيف وأوال ، أو البحرين ، ثمانية عشر عاماً ، وكان بحرًا فياضاً مثل أبيه الفضل ، ويروى أن عامله على البحرين جاء إليه بمال ولآلىء وجواهر كثيرة ، وتصادف أن كان فى مجلسه شاعر عراقى يعرف بالثعلبى ، دبَّج فيه مدائح كثيرة ، فقال للعامل : ادفع المال إليه ، وكان فيه جوهرة بألف دينار ، فبُهت العامل ، ومات على الأثر ، وإلى ذلك يشير ابن المقرب بقوله :

منا الذى مِن نَداه مـات عاملُهُ
غَمًّا وأصبح فى الأموات مُخْتَرَما

وخلفه ابنه أبو فراس غرير ، ويُرْوَى أن الثعلبى شاعر أبيه امتدحه يوماً بقصيدة فطلب إلى صاحب خزائنه أن يعطيه جميع مفاتيحها ويتنحى بعيدًا عنها ليأخذ منها ما يريد ، فقال الثعلبى : فى بعض ذلك غنى وسَعة ، ويكفينى ألف دينار ، فأمر له بأربعة آلاف ، وفى ذلك يقول ابن المقرَّب :

منا الذى جادَ إيثارًا بما ملكتْ
كفَّاه لا يَـدَّ يجزيها ولا رَحِمَـا

وهذه العطايا للشعراء إنما وقفنا عندها لندل على الرخاء الذى نعمت به تلك الديار فى عهد هؤلاء الأمراء ، وأيضاً لندل على أنه كانت هناك نهضة أدبية رَعَوْها خير رعاية ، على نحو ما نرى الآن فى عطاياهم وجوائزهم الغامرة للشعراء . وهذه الأخبار التى نسوقها مع الأبيات السالفة إنما استقيناها من الديوان نفسه ، فمع كل قصيدة وأبياتها شروح لإشاراتها التاريخية. وكأن ديوان ابن المقرَّب يحمل تاريخ العيونيين شعرًا وشرحاً أو نثرًا . ويذكر أنه كان يلى الأحساء فى زمن غرير عمه على بن عبد الله وأنه أتت على أهل الأحساء سنة شديدة ، فأمر بخزائن الغلال والتمر أن تفتح ويأخذ منها أهلُ كلِّ بيت ما يسدُّ حاجتهم ، وأمر برفع الضرائب عنهم ،

وما زال ينفق عليهم حتى صلحت ثمارهم وأخصبت معايشهم ، يقول ابن المقرب :

منا الذى قَضَّ أمـوالَ الخزائن فى
غَوْث الرعيَّـة لا قَرْضاً ولا سَلَما

وبيع السَّلَم المؤجل معروف ، فهو قد أعطاهم ما أعطاهم دون أى مقابل .

وعاصر هذا الأمير فى القطيف أبو الحسن ابن عبد الله بن على ، وإليه لجأت جماعة من فرسان عبد القيس ، عدادهم سبعون فارساً ، فأكرمهم وأمر لكل منهم بدور وأمتعة وخدم ، وسجل لهم فى البساتين والأراضى إقطاعات يتوارثونها خلفاً عن سلف ، يقول ابن المقرب :

منا الذى جعل الأقطاع من كرمٍ
إرْثـاً تـوزِّعـه الوُرَّاث مقتسَما

وأهم من ذلك أنه حضر هذا الأمير ذات يوم أربعون شاعرًا ، فأعطاهم أربعين فرساً مُسْرَجاً ملجما

ولعل فى هذا العدد الوفير من الشعراء مايدل بوضوح على النهضة الأدبية زمن العيونيين ، وإلى هذا العطاء وأولئك الشعراء يشير ابن المقرب بقوله عن أبى الحسن :

وجاد فى بعض يومٍ وهْوَ مُرْتَفِقٌ
بـأربعين جوادًا تَعْـلُكُ اللُّجُمـا

وخلفه ابنه الحسن على القطيف ، ووفد عليه عمه على بن عبد الله ـ المار ذكره ـ أمير الأحساء فتلقاه خارج القصر ماشياً وأقطعه قرية الظهران على ساحل البحر ، وهى ـ كما يقول شارح الديوان ـ ذات نخيل وأشجار وثمار وزروع . وحرّم أن توقد بها نار ـ للضيافة غير ناره ، يقول ابن المقرب :

منا الـذى لم يَدَعْ نارًا بساحتِهِ
تُذْكَى سوى ناره للضيفِ إن قدِما

ولابد لقارىء ديوان ابن المقرب أن يلاحظ أنه يتحدث تارة عن أميـر القطيف وتارة عن أمير الأحساء ، وكانت للأول الإمارة الكبرى فى تلك الدولة ، وغالباً تكون معه أيضاً إمارة أوال ـ أو البحرين الحالية . ومن أهم أمراء الأحساء فى عهد الحسن بن أبى الحسن ابن عبد الله أخوه شكر ويذكر ابن المقرب أن شخصاً ثار عليه يسمى النائلى وأنه جمع له جموعاً غفيرة من البدو ، وحاصر الأحساء ثلاثين يوماً ، اقتحم فى نهايتها أبوابها ، وكاد يكتب له النصر ، غير أن شكرا تلقاهم مع أهله وجنده وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً عند بستان يسمى بالخائس وكان من

قتلاهم المسبيع أحد شجعانهم ، يقول ابن المقرب :

منا الذى عامَ حَرْبِ النائلىِّ جَـلا
يوم السُّبيْع ويومَ الخائسِ الغُمَما

وكان شكر فارساً مغواراً ، وفى عهده وعهد أخيه الحسن – ويلقب بالزئر – سار صاحب جزيرة كيش بمراكب كثيرة لغزو أوال ،ونزل فيها بمكان يسمى سُترة ، وفاجأهم فيه شكر ، واحتدم القتال بين الفئتين ، ودارت على صاحب جزيرة كيش وجنده الدوائر ، فقتل منهم ألفان وثمانمائة ، ولم يسلم منهم إلا عدد يسير ، وفى ذلك يقول ابن المقرب :

ويومَ سُتْرةَ منا كان صاحبُـه
لاقتْ به سامةٌ والحاسكُ النَّدَما
ألفين غادر منهم مَعْ ثمانِ مِئى
صَرْعَى فكم مُرْضَعٍ من بعده يَتَما

ويتم : أصبح يتيما . ويتوفى شكر سنة ٥٦٢ ونظل نحو عشرين عاماً لايلقانا أمير نابه للعيونيين يتحدث عنه ابن المقرب مفاخراً كعادته فى أشعاره ، حتى إذا كانت سنة ٥٨٤ تولى على الإمارة جميعَها أهم أمراء هذه الأسرة العيونية : محمد بن أبى الحسين أحمد بن عبد الله ابن على وكان قد بدأ بولايته على الأحساء وترك القطيف للحسن بن شكر بن الحسن ابن عبد الله فلم يفكر أولًا فى ضمها إليه ، وحدث أن حلّ على القطيف فى القيظ ونزل منها على صَفْوَى ، فخشى الحسن أن يكون غرضه الاستيلاء على بلده ، فأثار عليه آل شبانة وآل الجحّاف وعساكر القطيف وفرسانها ، ونازله ، ودارت الدوائر عليه وعلى من معه ، وفى ذلك يقول ابن المقرب :

لما أتتْ أهلُ القَطيف بجَحْفَلٍ
متـوقّـدٍ كتـوقـد النيـرانِ
ورمى الأميرُ جموعهم فتَمَزَّقتْ
كالشّاء إذ جَفَلَتْ من السِّرْحانِ
فـرّتْ فـوارسُهم لما قد عاينتْ
هَرَباً ولم تَعْطف على النسوانِ
وحـوَى ظَعائنهم وأحـرز مالهم
غَصْبـاً وأنـزلهم بشرِّ مكانِ

وبذلك مدّ الأمير محمد بن أبى الحسين لواء إمارته إلى القطيف وجميع بلاد تلك الدولة ، بل لقد أخذ يمده على القبائل فى نجد ، واتسع فى مَدّه غرباً وشمالًا ، مما جعل

الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ.) يعهد إليه بخفارة الحاج من بغداد إلى مكة ذهاباً وإياباً، وفرض له فى كل سنة ألفاً ومائتى ثوب من عمل مصر أكثرها من الإبريسم كما فرض له من البصرة كل سنة ألفاً وخمسمائة حِمْل حنطة وشعير وأرز وتمر مدة حياته، وإلى ذلك يشير ابن المقرب إذ يقول :

منا الذى كلَّ عامٍ بالعراق له
رَسْمٌ سنىٌّ إلى أن ضُمِّن الرُّجَما

والرجم :حجارة القبر. يريد إلى وفاته .

ويشيد به فى أشعاره إشادات كثيرة ، جعلته يقول له : نشدتك الله الذى لا إله إلا هو أن لا تتحامى مايحويه ملكى من أمر ونهى وفرس ومال وخادم ولا تشاورنى فى شىء مما أملك ، فأمرُك فيه كأمرى ، وله يقول :

رِماحُ الأعادى عن حِماك قصارُ
وفى حَـدِّها عما تروم عِثـارُ
وكل امرئ ليستْ له منك ذمةٌ
يُضـامُ على رغمٍ لـه ويُضـارُ
وما عزَّ من أمسى سواك مَعاذُه
ولو عَصَمتْه يَعْرُبٌ ونزارُ
فَعِشْ فى عظيم الملك ما لاحَ كوكبٌ
وأظلم ليـلٌ أو أضـاء نهـارُ

وقد استطاع أن يمد رياسته على قبائل نجد الشرقية وأن يحمى الحجاج ، كما أراد الناصر ، فى ذهابهم وإيابهم إلى الحج ، فأصبحت الطرق آمنة ، ولم يعد بين القبائل من يقطع الطريق على الحجاج وينهب أموالهم أو يسفك دماءهم ويسبى نساءهم . وجاءته أخبار فى سنة ٥٩٨ بأن بنى مالك الطائيين يتجمعون حول لينة — ماء بطريق مكة يرده الحجاج — كى يقطعوا عليهم الطريق فجمع لهم فرسان قومه ، وفاجأهم ، يقتل فيهم ويسفك دماءهم . وكانوا جمرة من جمار العرب ذوى بأس ونجدة ، فأوقع بهم وقعة مُبيرة ، أهلك فيها كثيرا من الرجال وأخذ الأموال وسبى الحريم والذرارى ،وفى ذلك يقول ابن المقرب :

وفى لِينـةٍ أرْدى شغـاميمَ طَيِّئ
جِهـارًا ولونُ الجـوِّ بالنَّقْع حائلُ
عشيَّةَ لايَلْـوى عِنـانَ جـواده
حِمًى والعَـذارى دَأْبُهنَّ التعاول

الشغاميم : الطوال ، ويريد الشجعان وكأنما أرادت طيء أن تثأر لهـذه الواقعة من أمير القطيف والأحساء ، فجمع رؤساء بنى ربيعة بن حارثة من طيء وهم

سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود ابن بريك جموعاً غفيرة من قبيلتهم، وانضم إليهم دهمش بن سند وقبائل شتى من زبيد وعرب الشام، وائتمروا فيما بينهم أن يقطعوا الطريق على حجاج بغداد ونَقْض ذمة الأمير محمد بن أبي الحسنين وإثبات أنه لايستطيع أن يفى بما حمّله الخليفة الناصر من تأمين طرق الحجاج. وعلم الخليفة بما اعتزموا عليه، فأنبأه الخبر، فجمع عرب إمارته وانضم إليه عرب العراق العقيليون من بنى المنتفق وبنى خفاجة ومن خالطهم من قبائل قيس وربيعة، وسار حتى لقى جموع طيىء ومن معهم بظاهر الكوفة، واقتتلوا قتالًا عنيفاً، ودارت الدوائر على طيىء وحشودها، وتقهقروا حتى بلغوا رِحالهم. وأرسل رؤساء طيىء إلى الأمير محمد يناشدونه العفو عنهم، فرقّ لهم وعطف عليهم وأجارهم وأجار أهلهم وأموالهم، ولم يُجِرْ دَهْمَشًا، فدخل مشهد الإمام على بن أبى طالب وتحرّم به مستجيرًا بقبره. فأقام الأمير محمد عليه الحراس خوفاً من هربه، وأرسل إلى الخليفة الناصر يذكر له أمره ويسأله رأيه فيه، فأرسل إليه جنودًا ساقوه فى الأغلال إلى بغداد. واستتابه الناصر، فتاب، وخلع عليه وخَلَّى سبيله. ويردد ابن المقرب ذكر هذه الواقعة فى مدائحه للأمير محمد من مثل قوله:

ولما أتتْ أهلُ الشآم يقودُها
إليه الرَّدَى قَوْدَ الجَنيب لراكبِ

سعيدٌ ومسعودٌ ورَهْطُ حديثةٍ
يُسِيرون جُرْدَ الخَيْل بين النجائب

أتاهم يجوبُ البِيدَ بالخيل والقَنا
فتًى عبدلىٌّ فى الوغَى غيرُ هائب

فلم يُنْجهم إلا الفرارُ وجيرةٌ
أتتْ منه ما فيها معابٌ لعائب

ومالَ أميرُ المؤمنين بوِدِّه
إليه وسَمّاهُ زعيمَ الأعاربِ

حمَى البرَّ من حدِّ العراق فحازَهُ
إلى الشام واستولى على كلِّ ناعب

ودانت عرب نجد جميعاً بالولاء للأمير محمد من دياره إلى مكة والمدينة، ومن العراق إلى الشام، ولم يعد هناك من يقطع الطريق على الحجاج ولا من

يعبث بالأمن ، وسارت القوافل من عُمان إلى حلب ومن بغداد إلى مكة دون حاجة إلى خفارة . وهو حدث مهم ومأثرة عظيمة . ولولا ابن المقرب وديوانه ماعرفنا أعمال هذا الأمير وماكفله للجزيرة العربية فى أيامه من أمن ما بعده أمن ، وهو أمن شمل الحجاج إلى بيت الله الحرام ، فلم يعودوا يُنْهَبون ولا يسلبون أموالهم وأزوادهم ، ولم تعد السيوف والرماح تنوشهم وتُهْدر دماءهم . ومن العجب العجاب أن هذا الأمير العظيم يأتمر به بعض أهله فى سنة ٦٠٣ للهجرة ، إذقُدّر له أن يُغْوى ابنُ عمه غرير بن الحسن ابن شكر راشدَ بن عميرة على اغتياله نظير أخذه لجميع أمواله وذخائره ، أما الإمارة فتكون لغرير . وتمت المؤامرة وقُتل الأمير غيلةً ، وبكته إمارته طويلا ، وأنَّ ابن المقرب وأعول بمثل قوله :

ليبْكِ العُلا والمجدُ والبأسُ والنَّدى
لقد ضَلَّ واديها وجفَّتْ مَسَايِلُـهْ
وتنـدبُه البيضُ الصوارمُ والقَنا
لمـا أنهلتْهـا كفـه وأنامِلُـهْ
لعمـرى لئن كان الأميـرُ محمَّدٌ
قَضَى وأُصيبتْ يـوم نَحْسٍ مقاتلُهْ
لقـد مُنِيتْ منه الأعـادى بثائرٍ
همامٍ أبىَ أن يَحْمل الضَّيْمَ كاهِلُه

وصلَّ . أجدب . ولا نرى لابن مقرب مديحاً فى غرير ، بل على العكس نرى له فيه لمزًا كثيرًا ، وهو لمَزٌ شمل به أيضاً خليفته على الأحساء أبا ماجد محمد بن على بن عبد الله ، مما جعله يجتاح أمواله من طريف وتالد وصامت وناطق ، ولم يبق له صفراء ولا بيضاء ، ولا راعى فيه حق النسب والولاء ، وزجَّ به فى غياهب السجن وضيَّق عليه فى الأصفاد ، وجعل على الأبواب لحفظه الحراس والأرصاد . ونظن ظناً أن ذلك كله لم ينزل به لندبه الأمير محمداً ولمز قاتليه ومن خلفوه ، بل أيضاً لأنه فكر فى أن يستخلص الأمر لنفسه ، إذ يقول فى بعض قصائده :

إلى م بنى الأعمام نُغْضى على القَذَى
ودَمْعُ المـآقى قـد تداعتْ حَوافِلُهْ
وهل يحمل العزمَ الثقيلَ أخو العُلا
ويضعف عن حَمْل الظُّلامة كاهلُهْ

وما بعد سَلْب المال والعزِّ فاعلموا
مُقامٌ وزادُ المرءِ لابُدَّ آكِلُهْ

ومضى يستثير قومه وأهله للثورة على الحاكمين ثورة تأتى عليهم . وأقام فى السجن مدة ، ظل فيها يدبِّج القصائد فى مديح محمد بن على بن عبد الله حتى عفا عنه وردَّ إليه حريته ، فولَّى وجهه نحو العراق ونزل البصرة ، ومدح واليها باتكين بن عبد الله الرومى ، وانعقدت بينهما صلة منذ هذا التاريخ : سنة ٦٠٥ للهجرة . واتجه نحو بغداد ، فمدح الخليفة الناصر ، ونال بعض جوائزه ، وتعرَّف على أدباء بغداد وعلمائها وفى مقدمتهم أبو البقاء العكبرى العالم النحوى المشهور. ورأى أن يعود إلى موطنه الأحساء محملا بتجارة من أعمدة الحديد ، غير أنه فوجىء فى مدينة واسط بابن الدبيثى ضامن المكوس يطالبه بضريبة تبلغ نصف ثمن بضاعته ، مما جعله يُصْليه نارًا حامية من هجائه المقذع . وحين قدم البصرة طالبه ضامن المكوس فيها شرف الدين المعروف بالكاتب ببعض الضرائب ، فاستجار منه بممدوحه باتكين أمير البصرة بمثل قوله :

يا شمس دين الله كم لك من يد
يُثْنِى بها بادٍ ويشهد حاضرُ
ولدىَّ أعمدةٌ قليلٌ قَدْرُها
جدًّا وللديوان وال قادرُ
ولقد جرى فيها بواسطَ وقعةٌ
ما كان لى فيها هنالك ناصرُ
فادْفَعْ بجاهك أو بمالك مُنْعماً
عنى ، فمالُك للعُفاة ذخائر

ويعود إلى موطنه الأحساء فى سنة ٦٠٥ مؤملا زوال البغضاء بينه وبين محمد ابن على أميرها . ونجده يستعطفه ببائية طويلة يذكر فيها مناقب قبيلته وعشيرته وأهله العيونيين ، ويطيل فى مديحه طامعاً أن يرد عليه أمواله وبساتينه ، متوسلا إليه بقرابته وأواصرها الوثقى بمثل قوله :

أبا ماجدٍ أنظرْ إلى ذى قرابةٍ
بعينِ رِضاً يُغْضِى لها الخائنُ الخِبُّ

ولما أنشده القصيدة أقبل عليه واعدًا له وعدًا جميلا ، غير أنه لم يبادر إلى تحقيق وعده ، فمدحه ابن

المقرب بكافية يستنجزه فيها وعده ، مكررًا ذكر القرابة وما بينهما من رحم واشجة ، ومغالياً فى مديحه غلوا شديدًا بمثل قوله :

تَـرَى العَرَبَ العَرْبا يحجُّون بَيْتَهُ
كأنهمُ جـاءُوا لـذَبْح النسائكِ
رِجـالا ورُكْباناً فمن طالبٍ غِنًى
ومن تائبٍ عن زَلَّـةٍ متـداركِ

وعاد إلى وعده . ولم يحظ منه الشاعر بغير الوعد والمماطلة فيه ، وفى هذه الأثناء استطاع الفضل بن الأمير محمد ابن أبى الحسين بمساعدة الخليفة الناصر ومـا أمده به من الجند والسلاح أن يستولى على القطيف وأن يفتك بغرير وقتلة أبيه ، فرحل إليه ابن المقرب وأخذ يدبِّج فيه مدائح كثيرة مثنياً فيها على أبيه ومترحماً ، غير أنه لم يحظ منه بطائل ، إلا قليلا ومقدارًا حقيرًا ، مما جعله يتلوَّمه بقوله :

فلا تتَّكلْ يا فَضْلُ فى الفَضْل والنَّدَى
على سالفٍ أَسْداه جَـدٌّ ووالِـدُ
فلاَ حمدَ إلا بالذى يفعـل الفتَى
ولو كثُرَتْ فى أَوَّلِيـهِ المحامـدُ

وعبثاً يذكره بما أصابه من مصادرة أملاكه وأمواله وسجنه فى سبيل ميله إليه وندبه لأبيه واستثارة الناس ضد قاتليه . ولم يكن الفضل فى همة أبيه وعزمه وشجاعته ، وزادت القطيعة بينه وبين ابن المقرب وغيره من أبناء عمومته حين وقَّع صلحاً بينه وبين أمير جزيرة كيش تنازل له فيها عن بعض جزر البحرين وبعض مقاسيمها ، وفرض على نفسه إتاوة له سنوية : خمسمائة دينار ، مما جعل الناس فى القطيف والأحساء يسخطون عليه سخطاً شديدًا . ويثور عليه ابن أخيه على بن ماجد بن محمد بن أبى الحسين ، ويفرح به الشاعر كما فرح به أهل إمارته الأحساء وغير الأحساء ، إذ نشر العدل فى ربوع البلاد ورفع عن الناس الجور والمظالم ، وله يقول :

أَضحتْ بكَ الأَحساءُ ساكنةً وقد
رَجَفتْ بمن فيهـا وكادت تُقْلَبُ
ومنَعْتَها من بعد ماكانتْ سُدًى
فى كلِّ ناحيـةٍ يُغـار ويُنْهَبُ
وملأتَهـا عَـدْلًا وكانت عُمِّمَتْ
جَـوْرًا تغورُ به الديار وتُخْـرَبُ

فعلى بن ماجد قد أشاع فى الأحساء الأمن والعدل اللذين لاتصلح حياة الرعية

بدونهما ، وعمّ الرخاء ، غير أن ذلك لم يدم طويلا ، إذ ثار عليه مقدم بن غرير ابن الحسين بمساعدة ابن أبى جروان أحد رؤساء قبيلة بنى عبد القيس .

وضعفت أداة الحكم حينئذ ضعفاً شديدًا ، وعاث فيها المفسدون ، وأصبح لأهل البادية السلطان الأكبر وخرجت الأموال إلى أيديهم ، واجترأ الناس ، وصار كلٌّ له هوى يميل إليه ، ويود لو يكون الملك وزمامه فى يديه ، وزُجّ فى السجون كثير من العيونيين وغيرهم وصودر ما فى خزائنهم من أموال . ونرى ابن المقرب يصور كيف فسد الحكم حينئذ فسادا من الصعب درؤه أو إصلاحه فى قصيدة له نونية طويلة يوجه فيها الحديث إلى قبيلة عبد القيس جميعها لعلها تتدارك الصدع المتفاقم ، قائلًا :

أرِجالَ عبدِ القَيْسِ كم أدعوكمُ
فى كل حينٍ – للعُلا – وأوانِ
القومُ تأكلكم ويأْكل بعضُكمْ
بَعْضاً كأنكمُ من الحِيتانِ
مَنْ عزَّ منكم كان أكبرُ همِّهِ
شَقَّ العَصَا وتذكُّرَ الأضغانِ
لم يغضب البدوىُّ إلا قلتمُ
سُدُّوه ، كى يرضى ، بمال فلانِ
والله ما نحسَ البلادَ سِواكمُ
لا بالعِدى انتحسَتْ ولا السلطانِ

ويدعو عبد القيس إلى الالتفاف ثانية حول أميرها القديم ، ويتجه إلى ابن أبى جروان باللوم العنيف أن يكون أداة من أدوات الخراب فى الإمارة العبدلية . ثم يأخذ فى استعطافه ، حتى يكف عن ظلم الناس ، إذ كان مقدم بن غرير لعبة فى يده . وتظلم الدنيا فى عين ابن المقرب ، فيخرج من البلاد إلى العراق ، ويمتدح والى البصرة باتكين بن عبد الله الرومى والخليفة الناصر فى سنتى ٦١٣ و ٦١٤ للهجرة ، ويعود إلى موطنه ، فيجد صولجان الحكم بيد أبى القاسم محمد بن مسعود ابن محمد بن على ، فيمتدحه بقصيدتين : دالية وميمية ، ويشيد فيهما بكرمه وشجاعته ، ويتنصل فى ثانيتهما من وشايات خصومه وما يزوّرونه عليه من القول . ويمضى فى استعطافه وأنه تحمل ما تحمل من اجتياح ماله وسجنه فى سبيل أسرته الحبيبة إليه ، ويتوسل إليه أن يبقى على ذمامه وأن يرعاه بعنايته ، ويمتدح ابنه مسعودًا أيضاً بقصيدتين لامية وميمية ،

ويبدئ ويعيد فى وصفه بالكرم والشجاعة والفروسية والتنكيل بالأعداء. ويتولى إمارة البلاد أخوه الفضل على بن مسعود، فيمتدحه بقصيدة لامية، يشيد فيها بحكمه وحسن تدبيره وسياسته، وعدالته ونشره لأحكام الشريعة وأخذه على أيدى المفسدين والفاسقين، يقول:

رفعتَ عمادَ المجد من بعد ماوَهَى
ورَثَّ وأضحى رُكْنُه وهْو مائلُ
وقمتَ بأحكام الشريعة فاستوتْ
لديك ذوو الأجبال: طَيٌّ ووائلُ
وأوهيتَ كيدَ الفاسقين فأصبحوا
وناصرُهم من جُمْلة الناسِ خاذل

وفى القصيدة ما يدل على أن الأسرة: أسرة مسعود لم تكن تسبغ عليه مودتها وعطاءها، إذ يشير إلى أن المكان إذا نبا به اغترب وأن من عادته الاغتراب والهجرة عن الوطن، إذا وقع به أذى أو أحس ضيما، يقول:

ولى عن مكان الذل مَنْأًى ومَرْحَلٌ
وذا الناسُ فى الدنيا غريبٌ وآهِلُ

ونراه فى العراق سنة ٦١٧ وعادة ينزل أول ما ينزل فيها بباتكين أمير البصرة ويولىّ وجهه نحو بغداد فيمتدح خليفتها الناصر، غير أنه فى هذه المرة يوغل فى رحلته شمالا، فينزل فى الموصل وسِنْجار وديار بكر، ويمتدح مرارًا بدر الدين لؤلؤًا مدبِّر الموصل والقائم على شئونها منذ سنة ٦٠٧ للكها القاهر بن نور الدين أرسلا نشاه. ويمد رحلاته إلى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبى صاحب حَرَّان وديار الجزيرة. ويعود إلى دياره وموطنه فيجد أميرها الفضل قد أفسد أداة الحكم فيها إفسادًا لا يمكن إصلاحه، إذ قرَّب منه جماعة من غير أهل بيته اتخذهم حاشية له، فاتفقوا مع رؤساء قبيلة بنى عُقَيل أن يعصفوا بالبلاد عصفاً، حتى إذا استشارهم الفضل أشاروا عليه أن يحكِّمهم فى أملاك أقربائه يأخذون منها ماشاءوا. وحاصروا الأحساء وأفسدوا ثمارها وزروعها، ونزل الفضل على مشورة حاشيته، فملك البدو من بنى عقيل البساتين ظلما، وصار الرجل من أهل الأحساء يضطر إلى بيع البستان الذى تبلغ قيمته مائتى دينار بدينار واحد أو دينارين أو بثوب أو بجَزور وما أشبه

ذلك. ويأسى ابن المقرب لما أصاب الأسرة والدولة ويرى فيه نذيرًا بانتهاء أيامها، ويصور أساه وحزنه فى نونية ، يقول فيها وقد أمضّه الأسى وأوجعه الحزن الشديد :

ياليت شعرىَ أىُّ الذّنْبِ كان لنا
حتى به اجْتِيحَ دانينا وقاصينـا
أَضْحَتْ بَساتينُنا نَفْدِى بأَحْسَنها
شِقْصاً لأدنى خسيسٍ من مواليـنـا
بجُلَّةِ التَّمْرِ والشاة الرَّعوم غَدَتْ
أملاكُنا واحتمتْ أملاكُ عَادِينـا
إنّـا إلى اللهِ لا أرحامُنا نَفَعتْ
ولا طِعـانُ حُمـاةِ القوم يَحْمِينـا

والشقص : الشيء اليسير . وجلة التمر : وعاؤه . والشاه الرعوم : الهزيلة . وهو يبكى اجتياح أموال عشيرته من العيونيين ، ويقول إن البستان يباع — خوفاً وقهرًا — بوعاء من التمر أو بشاة هزيلة . ويسترجع محزونا لدولته وأسرته ، ويرى نهايتها قد دنت . وفعلا لايمضى نحو عشر سنوات ، حتى تغرب شمس تلك الدولة إلى غير مآب ، وتخلفها دولة من العقيليين ، هى دولة بنى عصفور .

وواضح أن ابن المقرب دوّن لنا فى شعره وديوانه تاريخ أسرته على مر السنين حين حكمت القطيف والأحساء والبحرين الحالية ، ولم يترك حادثة مهمة دون تدوين . وفى هذا مايدل بوضوح على قيمة هذا اللون من شعر المديح والفخر ، ففى تضاعيفه قدم لنا ابن المقرب وثائق تاريخية دقيقة عن دولة العيونيين لم تقدمها لنا كتب التاريخ ، ولولا ديوانه لضاع تاريخ هذه الدولة فيما ضاع من تاريخ دولنا وإماراتنا الصغرى فى العصور السابقة .

ولا نفيد من ديوان ابن المقرب وثائق تاريخية عن الدولة العيونية فحسب ، فقد تعرض للقرامطة وعقيدتهم الفاسدة ، على نحو ما مرّ بنا ، ومما ذكره عنهم أنهم كانوا ابتدعوا فى البحرين بدعة سموها الماشوش ، إذ كان يجتمع الرجال والنساء فى الليلة العاشرة من شهر المحرم ويشعلون الشموع ويرقصون ويختلطون ، حتى إذا تعبوا من الرقص أطفأوا الشموع ، وظلوا فى اختلاطهم . فحين تولى إمارة القطيف والأحساء والبحرين عبد الله بن على رأس الأسرة أبطل هذه العادة ، وشدد فيها

النكير وإلى ذلك يشير ابن المقرب إذ يقول :

منا الذى أبطل الماشُوش فانقطعتْ
آثارُهُ وانمَحى فى الناس وانطَسَما

انطسم هنا : انطمس . ومما يسجله الديوان من وثائق تاريخية ارتفاع المكوس على انتقال البضائع من بلد إلى بلد كما مر بنا فى شكوى الشاعر من ابن الدبيثى ضامن المكوس فى واسط . وأنه طالبه بنصف ثمنها مكسا أو ضريبة جمركية ، وله يقول :

نِصْفُ البضاعة حين تَظْفَرُها
مَكْسٌ ، لقد بالغتَ فى النُّكْرِ

ومدائحه فى باتكين بن عبد الله الرومى والى البصرة وثائق مهمة فى بيان أعمال الولاة لعصر الخليفة الناصر ، وربما كانت تلك أعمالهم دائماً ، فهو لا يقف عند مديحه بالكرم والشجاعة والتقوى والعدالة التى لا تستقيم حياة الرعية بدونها ، بل يتعرَّض لأعماله ، ويصفها وصفاً تفصيلياً فى ثلاث قصائد : داليتين ولامية ، من ذلك قوله :

بَنَى بالبصرة الفَيْحاءِ سُورًا
يضاهى السدَّ سَبْكاً وانعقادًا

وزيَّنها بأسواقٍ أرانا
بها كلَّ البلاد لها سَوادا

وكم من مَشْهَدٍ ورباط زُهْدٍ
ومدرسةٍ بَنَى وهُدًى أفادا

وجامعُها المعظَّم إذ تَداعى
وقال القائلون عَفَا وبادا

أقام له إلى الأهواز عِيرًا
صِلادًا تحمل الصُّمَّ الصِّلادا

فهو قد بنى حول البصرة سورًا يحميها من غارات الأعداء . ويقول الشاعر فى قصيدة أُخرى إنه بنى حوله خندقاً ليحول بين البلد وما قد يدخلها من الأسود ليلا . ويذكر أنه عُنى بأن يقيم بها أسواقاً كبيرة للتجار وأن تعمر بالبضائع ، ويقول الشاعر فى قصيدة أُخرى إن سوقها الكبيرة تفوق سوق الثلاثاء ببغداد يريد سوق البزازين فيها . ويذكر أنه عُنى بمشاهد وأربطة الزهاد أو المتصوفة . والرباط كما هو معروف مركز إعداد الجيش لحرب الأعداء ، ومن قديم تسمَّى زوايا المتصوفة أربطة ، لأنهم كانوا يستعدون فيها ومن ينضم إليهم للجهاد فى سبيل الله ، وكان العصر عصر الحروب الصليبية وكان صلاح الدين يبنى هذه

الأربطة فى القاهرة وفى جميع بلاد دولته، ليتجمع فيها المتصوفة والمجاهدون فى سبيل الله. ويبدو أن الخليفة الناصر كان يصنع صنيعه فى بلاد العراق، ولذلك عُنى واليه على البصرة باتكين بإعداد الأربطة فى مدينته، ولم يعن بأربطة المتصوفة ومشاهدهم فحسب، كما يقول ابن المقرب، بل عُنى أيضاً ببناء المدارس، ويقول الشاعر فى لاميته:

أحْيَى بها للشّافعىِّ ومالك
وأبى حنيفةَ أحرفاً وفُصولا

فكان فقه المذاهب الثلاثة: مذهب أبى حنيفة ومالك والشافعى يُدْرُس فيها، يدرسه العلماء المتخصصون. وليس ذلك فحسب، فقد كان يدرس فيها الحديث وتفسير الذكر الحكيم كما يقول الشاعر فى داليته الثانية:

وحَشَا تلكمُ المدارسَ بالكُتْ
بِ الشّرافِ الصحيحةِ الإسنادِ

وواضح أنه يشير إلى أنه كان فى المدارس مكتبات جليلة تضم الكتب والمخطوطات الصحيحة الوثيقة. ويذكر ابن المقرب أن باتكين بنى جامعها الكبير حين تداعى فى عصره. ويقول فى اللامية إنه اتفق أن امتد إليه حريق أتى عليه، فأعاد عمارته، وجلب إليه من الأهواز وغير الأهواز مواد البناء من الأخشاب والرخام، ويقول:

كم من رُواقٍ زاد فيه وحُصْرُهُ
زادتْ إلى تَـرفيلـهِ تَـرْفيـلا

فقد زاد فى أروقته حين بناه، وتأنق فيما جلب إليه من الحصر. ويذكر أنه بنى للوفود دار ضيافة، وليس ذلك فحسب كل ما نهض به باتكين فى البصرة، فقد شيد فيها مارستانا للمرضى وذوى العاهات، يقول الشاعر فى الدالية الثانية. وهو يعدِّد أعماله:

أم لأن شيَّد المرَسْتانَ للزَّ
مْنَى وحفظِ العقـول والأجسادِ

ويقول أيضاً فى نفس القصيدة إنه أمّن السبل وفتك باللصوص، وإنه يقيم الحدود كما تفرضها الشريعة الإسلامية، وليس من شك فى أن هذه صورة مثالية لولاة الخليفة الناصر فى العصر وما كانوا ينهضون به فى ولاياتهم

لا من نشر الأمن والعدل فحسب ، بل أيضاً من إقامة حدود الشريعة وتطبيقها ، وتشييد المارستانات والجوامع والعناية بفرشها وحصرها ، وتشييد مدارس الفقه والحديث والتفسير ، والعناية بمكتباتها وتزويدها بالكتب النفيسة ، وتشييد الربط والمشاهد ، وعمارة الأسواق والعناية بأسوار البلدان . وكل هذه الأعمال التى ساقها ابن المقرب لباتكين والى البصرة لانجد لها أثراً ولا مايشبه الأثر فى كتب التاريخ ، ولذلك لانبالغ إذا قلنا إن ديوان ابن المقرب يعد سجلا شعرياً تاريخياً فريداً ، وهو سجل لايخص فقط دولة العيونيين فى القطيف والأحساء والبحرين بل يتسع ليشمل دولة الخليفة الناصر وعماله على البلدان فى العراق . ولعل فى كل ماقدمنا مايدل بوضوح على أن شعر المديح عند أسلافنا فى صميمه شعر تاريخى يسند التاريخ حينا كما قلنا فى صدر هذا الحديث : وحينا يضيف إليه وثائق وحقائق جديدة ، بل قد يضيف تاريخ دولة بأكمله ، لم يدون منه المؤرخون إلا شذوراً قليلة .

**شوقى ضيف**
عضو المجمع

# شعراؤنا القدامى والجن

للدكتور احمد الحوفي

عضو المجمع

**عاش** العرب فى صحراء رحيبة جديبة مليئة بالتلال والنجاد وبالقيعان والأغوار والوهاد ، يقل سكانها ، ويقل الجائلون فيها ، ويسدل الليل ستاره فيغمر الظلام والسكون والوحشة كل شيء ، فتتسلط الأوهام ، وتتجسم المخاوف والأحلام ، فيدعى كثير من العرب أنهم رأوا الجن ، وخالطوها ، وصادقوها وخاصموها ، ونسلوا منها .

وكل حديثهم فى هذا خرافة .

ولقد علل الجاحظ لذيوع الشعر المتصل بالجن تعليلا حسناً بقوله : « ومما زادهم فى هذا الباب وأغراهم به ومدّ لهم فيه ، أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابياً مثلهم ، وإلا غبياً لم يأخذ نفسه قط بتمييز مايوجب التكذيب والتصديق والشك . . . . . وإما أن يلقوا راوية شعر أو صاحب خبر ، فالراوية عندهم كلما كان الأعرابى أكذب فى شعره كان أظرف عندهم ، وصارت روايته أغلب ، ومضاحيك حديثه أكثر ، فلذلك صار بعضهم يدعى رؤية الغول أو قتلها أو مرافقتها أو تزويجها [(1)] » .

لكن تعليل الجاحظ صالح لبيان السبب فى انتشار هذه الأكاذيب ورواجها ، أما السبب فى نشأتها فهو ما أسلفته .

### ١ - تصورهم للجن

خصوا بعض أصناف الجن بالتحدث عنها كالغيلان والسعالى ، وأطلقوا كلمة الغول على كل شيء من الجن عرض للمسافرين ، ويتلون فى أشكال الصور والثياب ، سواء أكان ذكرًا أم أنثى ، والأكثر أنه أنثى .

---

( ١ ) الحيوان للجاحظ ٧٩/٦

وأطلقوا كلمة السِّعلاة على واحدة من نساء الجن تتغول لتفتن المسافرين ، وقالوا إن هذا منها على سبيل العبث ، أو لعلها تفزع إنساناً فيتغير عقله [1] .

وزعموا أن خلق الغول كالإنسان ، ولكن رجليها رجلا حمار .

وادعوا أنها تتغول لهم فى الخلوات ، وتظهر لخواصهم فى صور شتى ، فيخاطبونها وربما ضَيَّفوها ، وكانت تتراءى لهم فيتبعونها فتتبعهم ، ولهذا كانوا إذا ما رأوها صاحوا بها :

يا رجـلَ عَنْـزٍ نهِّقى نهيقـاً
لن تنـزلى السبيل والطـريقا

لأنهم زعموا أحياناً أن رجليها رجلا عنز .

وتكلموا كثيرًا على الأُنثى من الغيلان قال أبو المطراب :

وخـالفنى الوحـوش ع الوفـاء
وتحت عهـودهن وبالبعـادِ
و ـولا قَفْـرة ذكـرٌ وأُنثى
كأن عليهما قِطع البِجادِ [2]

وزعم تأبط شرًا أو زعموا له أنه رأى الغول وضربها ضربة قضت عليها ، وجاء فى تصويره لها أنها صغيرة الرأس ، مشقوقة اللسان ، يشبه لسانها لسان الكلب مشوهة الساق ، تلبس ثوباً من جلود بالية :

إذا عينان فى رأس دقيـق
كرأس الهـر مشقوق اللسان
وساق مُخْـدَجٌ ولسان كلب
وثـوب من عَبـاءٍ أو شِنان [3]

ونسبوا مثل هذا التصوير إلى شاعر آخر هو أبو الغول الطهوى [4] .

والعجيب أنهم تأثروا بهذا التصوير ، فاستمد بعضهم منه صورًا شتى ، فمثلا شبه الخطفى جد جرير ــ النوق السائرة بالليل ترفع أعناقها تهز رءوسها بالجن التى تمد

---

( ١ ) الحيوان ٦/٤٨
( ٢ ) مروج الذهب ١/٢٥٢
( ٣ ) صبح الأعشى ١/٤٠٥ والأغانى ٢/٧٣٩ و بلوغ الأرب ٢/٣٧٩ و معجم البلدان ٤/٢٣١
( ٤ ) المؤتلف والمختلف للآمدى ١٦٣

أعناقها، وقالوا إنه سمى الخَطَفَى لقوله هذا :

يرفعن بالليل إذا ما أسدفا
أعناق جِنَّانٍ وهامًا رُجَّفا
وعَنَقًا باقَ الرَّسيم خَيْطَفَا[1]

وشبه بعض الشعراء خيلهم السريعة الضامرة بالسَّعالى كقول عمرو بن الأيهم التغلبي :

وقراهن شُزَّبا كالسَّعالى
يتطلعن من ثغور نِقابِ

## ٢ – تشكلها

رووا كثيرا من الأقاصيص عن تشكل الجن لهم بصور شتى ، منها أن عبيد ابن الأبرص سافر فى ركب من بنى أسد ، فبيناهم يسيرون إذا هم بثعبان ضخم ينقلب على الرمضاء فاغرا فاه من العطش ، وكانت مع عبيد فضلة من ماء ، فنزل فسقى الثعبان حتى روى واستنعش ، فانساب فى الرمل وتوارى .

فلما كان الليل ونام القوم نَدَّتْ رواحلهم ، فقام كل واحد يطلب راحلته ، فتفرقوا ، وبينا عبيد وحده وقد أيقن بالهلكة إذا هو بهاتف يهتف به :

يا أيها السارى المضَلُّ مَذْهبُهْ
دونك هذا البَكْرَ منا فاركبُهْ
وبكرك الشارد أيضاً فاجنُبُهْ
حتى إذا الليل تجنَّى غيهبُهْ
فحط عنه رحله وسيِّبُهْ

فقال له عبيد : يا هذا المتكلم نشدتك الله إلا أخبرتنى من أنت ؟ فقال :

أنا الشجاع الذى ألفيته رَمِضاً
فى قفرة بين أحجار وأعقاد
فجدت بالماء لما ضَنَّ حامله
وزدت فيه ولم تبخل بإيجاد
الخير يبْقَى وإن طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيتَ من زاد

فركب عبيد البكر ، وجنب بكره ، فبلغ أهله مع الصبح ، فنزل عن مركبه وحل رحله وخلاه ، فغاب عن عينه ، ثم جاء إخوانه الذين سلموا بعد ثلاث ليال[2]

---

(١) البيان والتبين ٢٨٣/١ والحيوان ٥٣/٦ العنق : السير الشديدة . الرسيم : أشد منه . خيطف سريع .

(٢) الأغانى ٨٩/١٩ أعقاد : جمع عقد وهو كثيب الرمل .

ولا شك أن هذا الخبر وأمثاله بيِّنُ الافتعال والوضع ، والغرض منه الترغيب فى عمل الخير ، وقد نقله أبو الفرج من كتاب لابن الكلبى عن أبيه ، وعلق عليه بقوله : وهو خبر مصنوع يتبين التوليد فيه .

كذلك زعموا أن الجن تتشكل أحياناً فى صور حيات ، كما ترى فى القصة التى ذكرها الدميرى ، إذ روى أن فتى قتل حية ، ثم اضطربت عليه فقتلته لأنها جنية[1] .

وإذا كان من الطبيعى ألا يصدق أحد هذه المزاعم كما نفى أبو الفرج الأصفهانى قصة عبيد والثعبان فإن ابن هشام علق على قول كعب بن زهير الذى شبه فيه تقلب المرأة بتلون الغول[2] .

فما تدوم على حال تكون بها
كما تَلَوَّنُ فى أثوابها الغـولُ

فقال : إن للعرب أمورا تزعمها لاحقيقة لها ، منها أن الغول تتراءى لهم فى الفلوات ، وتتلون ، وتضلهم عن الطريق ، وإلى ذلك ذهب أبو عبيدة ، فقد سأله رجل عن قوله تعالى : « طلعها كأنه رءوس الشياطين » كيف ذلك ؟ وإنما يقع الوعد والوعيد بما عرف مثله ، وهذا لم يعرف ، فأجابه بقوله : إن الله تعالى كلم العرب على قدر عقولهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفىُّ مضـاجعى
ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ، ولكن لما كانت تهولهم أوعدوا بها[3]

فالغول أو الجنى المتشكل وهمٌ أو تخيل ، ولذلك سموا الغول الخيتعور ، وهو كل شئ لايدوم على حال واحد ، ويضمحل ، كالسراب والهباء ، قال الشاعر :

كل أنثى وإن بـدا لك منهـا
آية الحب حبهـا خَيْتَعُـورُ

أما المسعودى فقد علل لهذا الوهم تعليلا حسناً مقبولًا فى قوله : « وقد تنازع الناس فى الهواتف والجان .. وإن ماتذكره

(١) حياة الحيوان للدميرى ١ / ٣١٩
(٢) جمهرة أشعار العرب للقرشى ٣٠٨
(٣) شرح بانت سعاد لابن هشام

العرب وتنبيء به من ذلك إنما يعرض لها من التوحد فى القفار، والتفرد فى الأودية، والسلوك فى المهامه الموحشة، لأن الإنسان إذا سار فى هذه الأماكن رُوِّع ووجل وجبن، وإذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة، والأوهام المؤذية السوداوية الفاسدة، فصورت له الأصوات، ومثلت له الأشخاص، وأوهمته المحال، كما يعرض لذوى الوساوس . . . . . لأن المتفرد المتوحد يستشعر المخاوف، ويتوهم المتالف، ويتوقع الحتف، فيتوهم مايحكيه من هتف الهواتف به، واعتراض الجان له[1].

### ٣ ـ مساكنها واستعاذتهم بها

اعتقد بعضهم أنها تخالطهم فى كل مكان، فاستعاذوا بها واحتموا، وقد أخبر القرآن الكريم بذلك فقال تعالى: «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن، فزادوهم رَهَقاً».

وقد أفاض الشعراء فى هذا، قال شاعر:

هيا صاحب الشَّجْراء هل أنت مانعى
فإنى ضيف نـازل بفنـائـكا

وإنك للجنان فى الأرض سيدى
ومثلك آوى فى الظلام الصعالكا

وزعموا أن أحدهم إذا مرض وطالت علته أن الجن مسته عقوبة له على قتله حية أو يربوعاً أو قنفذا أو أرنباً أو غزالاً، لأنها من مراكب الجن وأحبابها[2]، فقدموا الدية للجن جوالقات ملاء بالحنطة والشعير والتمر على جمال من طين، ووضعوها بجانب جحر إلى جهة الغرب وقت الغروب، فإذا أصبحوا ووجدوا الجمال على حالها قالوا إن الدية لم تقبل، فزادوا عليها، وإن رأوها تساقط وتبدد ما عليها من حب قالوا إنها قبلت، واستبشروا بشفاء المريض، وفرحوا وضربوا بالدف، قال بعضهم:

قالوا وقد طـال عنائى والسَّقَمْ
احمل إلى الجن جمالات وَضَمْ

قد فعلتُ والسقـام لم يَـرِم
فبـالـذى يملك برئى أعتصم

(١) مروج الذهب للمسعودى ١ / ٢٥٤
(٢) بلوغ الأرب ٢ / ٢٩٩

أما مساكنها فهى الفلوات ، وقد أكثروا من زعهم أنهم سمعوا عزيفها هنالك ، ولعل الذى خيل إليهم هذا رجع الأصوات وصدى الرياح المتناوحة ، والرعود القاصفة ، والوحوش المصوتة فى بيداء كلها وهاد ونجاد.

وبقى هذا التخيل إلى مابعد العصر الجاهلى ، فجران العود النميرى يقول فى قصيدة غزلية قصصية :

حملن جران . العودحتى وضعنه
بعلياء فى أرجائها الجن تعزف[1]

قال الأصمعى : « إنما العزف من الريح على الرمل ، فتسمع لها صوتاً ، والجن . لاتعزف ، ولكن الأعراب قالوه بجهلهم[2] »

## ٤ ـ صحبة وزواج

راجت أقاصيص زواج الإنس بالجن ، وربما كان رواج هذا الزواج عائداً إلى رواج السحر والخفاء ، ورواج ما كان يتحدث به السمار والرواة من غرائب تشوق السامعين .

وقد أفرد ابن النديم فى كتابه الفهرست ثبتا بأسماء عشاق الإنس للجن ، وعشاق الجن للإنس ، وعلق عليها بقوله : وكانت الأسمار والخرافات مرغوباً فيها ، مشتهاة فى أيام خلفاء بنى العباس ، لاسيا فى أيام الخليفة المقتدر ، فصنف الوراقون وكذبوا وكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلان وآخر يعرف بابن القطار[3] .

أكثروا من ذكر صحبتهم للجن ومعاشرتهم ومخالطتهم لها ، افتخاراً بشجاعتهم وقدرتهم على مايعجز الناس عنه ، قال عبيد ابن أيوب العنبرى إنه رأى نار الغول التى كانت توقدها للغريب المتقفر ليأنس بها ويهتدى إليها :

فللّـهِ درُّ الغـول أى رفيقـة
لصاحب قفر فى المهامه يُـذْعَـرُ
أرنَّتْ بلحن بعد لحن وأوقَدتْ
حوالَّ نيراناً تلـوح وتُزْهر[4]

(١) و (٢) ديوان جران العود النميرى ١٩/١٢
(٣) الفهرست ٤٢٨
(٤) الحيوان ٤٢/٥ و ٥٠/٦ وفى مروج الذهب ٢٥٣/١ أن القائل أبو المطراب .

وزعموا أن ابن الحارث الضّبى أوقد ناره بالصحراء، فطرقته الجن، فدعاهم إلى الطعام فأبوا:

أتوا نارى فقلت منون قالوا
سراة الجن، قلت عموا ظلاما
فقلت إلى الطعام فقال منهم
زعيم نحسد الإنس الطعاما

وأحسن ما قيل فى معنى الحسد أنهم لايأكلون ما يأكل الناس وإن كانوا يشتهونه[1].

ووزعموا أن عمرو بن يربوع تزوج الغول، وأولدها بنين، ولهذا سموا بنى السّعلاة[2].

وزعموا أن عبيد بن أيوب العنبرى حدث عن نفسه أنه تزوج الغول، وقال:

علام ترى ليلى تعذّب بالمنى
أخا قفرات كان بالذئب يأنس
وصار خليل الغول بعد عرارة
صفيّاوربته القفار البسابس[3]

والأمثلة على هذا كثيرة.

**٥ ـ قتلهم الغول**

ادعوا أن الغول إذا ضربت ضربة واحدة ماتت، فإن أعاد الضارب ضربة أخرى قبل أن تموت فإنها لاتموت. قال تأبط شرا إنه لقى الغول فراودها عن نفسها فأبت فقتلها

فطالبتها بُضْعها فالتوت
فكان من الرأى أن تقتلا[4]

وقال شاعر:

فثنّيت والمقدار يحرس أهله
فليت يمينى قبل ذلك شُلّتِ

وينسبون أبياتاً فى هذا إلى أبى البلاد الطهوى وتأبط شرا[5].

**٦ ـ الجن فى الأدب اليونانى**

لم يشذ العرب بتخيلهم الجن وتصورهم أشكالها وادعاهم مخالطتها، فإن الأدب اليونانى حافل بهذا التخيل والأساطير الإغريقية ملأى بأخبار وأحداث عن

(١) الحيوان للجاحظ ١٥٣/٤ و ٦٠/٦
(٢) شرح أدب الكاتب لابن السيد
(٣) الحيوان ٥١/٦ العرارة: النساء يلدن الذكور. البسابس: القفار الخالية
(٤) الأغانى ١٨ /٢٠٩
(٥) الحيوان ٧٢/٦ و لأغانى ٢٠٩/١٨ و معجم البلدان ٢٣١/٤ والمؤتلف والمختلف ١٦٣

الآلهة وأنصاف الآلهة وعرائس البحار وبنات الماء .

وفى زعمهم أن من مميزات سكان الأولمب المقدرة على التشكل بهيئة إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد ، فليس عجيباً أن مَثَّل هومير بعض أساطير الإغريق فى صور شعرية شائقة ، وليس عجيباً أن عمرت أساطيرهم بأقاصيص الغرام بين الآلهة والبشر فى ثنايا الإلياذة والأوديسة ، وفى شعر هسيود وروايات سوفو كليس ، ويوريبيدس

وما قصة غرام أفروديت بأودونيس إلا صورة من قصة الجنية العاشقة فى تصوير شعرى رائع .

**احمد الحوفى**
عضو المجمع

# الملاحم
## بين اللغة والأدب والتاريخ
### للأستاذ محمد شوقي أمين

١ ـ شاعت كلمة « الملاحم » فى العصر الحديث ، اسماً لتلك القصائد المطولة التى تصور أحداثاً من التاريخ ، تتجلى فيها بطولة الحرب والقتال ، عليها مسحة من الخيال تثقل أو تخف ، وبين تضاعيفها تساق الأساطير بقدر يسير أو قدر كبير .

وقد تناول كثير من الباحثين والنقاد موضوع « الملاحم » فى الأدب العربى ، والجمهرة من هؤلاء انتهوا إلى أن هذا الأدب قد خلا من « الملحمة » ، وثمة فريق يجادلون فى ذلك الرأى . على أن الذين اتفقوا على خلو الأدب العربى من الشعر الملحمى ، اختلفوا فى بيان العلل والأسباب ألواناً من الخلاف .

ومدار البحث هذه الأسئلة الثلاثة :

(أ) علام تدل كلمة « الملاحم » فى أصولها اللغوية ، وفى استعمالها على مدى العصور ؟

(ب) من أين جاءت كلمة « الملاحم » التى أصبحت الآن اسماً لتلك القصائد المطولة القصصية المعروفة فى آداب بعض الأمم ؟

(ح) أمحدثة هى فى إطلاقها على ذلك النوع من الشعر القصصى الأسطورى ؟

* * *

٢ ـ أما فى اللغة ، فالملاحم جمع ملحمة على وزن مدرسة ومحكمة ، والملحمة : الوقعة العظيمة من وقائع الحروب ، إذ يتلاحم فيها الجيشان المقتتلان .

يقول « بشار بن برد » :

فى كل يوم لنا عيد وملحمة
حتى سرأنا بأسياف وأغماد

وكانت تستعمل « الملحمة » فى معنى الفتنة التى تفضى إلى الحرب ، ومن ذلك ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمران بيت المقدس : خراب يثرب ، وخراب يثرب : خروج الملحمة ، وخروج الملحمة : فتح القسطنطينية » .

وقد وُصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه « نبى الملحمة » وقيل فى تفسير هذا الوصف : إنه نبى القتال ، لمجاهدة الكفار والمشركين ، ولكن بعض المفسرين عدلوا بكلمة « الملحمة » فى وصف الرسول إلى معنى

آخر ، وهو التأليف والإصلاح ، فقالوا : نبي الملحمة ، أى نبي الإصلاح . فالكلمة هنا مأخوذة من : لحم الأمر ، بمعنى أحكمه ، وألف بين أجزائه ، فإذا هو متماسك متين.

وكما استعملت كلمة « الملحمة » فى معنى الوقعة العظيمة ، استعملت فى معنى المجادلة والمناقضة . وفى الجزء الأول من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » يقص « أبو حيان التوحيدى »على أحد الوزراء حديث المناقشة التى جرت بينه وبين « ابن عبيد » فى تفضيل الحساب على الإنشاء ، فيقول له الوزير : هذه ملحمة منكرة !

وفى « جمهرة أشعار العرب » للقرشى سبع قصائد تسمى : « الملحمات » وهذه بضم الميم ، مفردها ملحمة بضم الميم ، وهى غير الملحمة المفتوحة ميمها المجموعة على ملاحم وإن كانت تلك القصائد سميت « الملحمات » لأنها محكمة النظم ، ملحمة النسج ، كما سميت الملحمة المفتوحة الميم بمعنى الفتنة والقتال ، لما يكون فى ذلك من تلاحم الجيوش . فالاشتقاق فى كلتا الكلمتين من منبع واحد ، والمعنى فى كلتيهما قريب من قريب .

* * *

٣ ــ هذا معنى الملحمة فى اللغة ، وفى مناحى استعمالها اللغوى ، والأدبى ، فهل استعملت بفتح الميم اسماً لنوع من الشعر ؟

لقد أسفر التتبع والاستقصاء ــ جهد المستطاع ــ عن أن أقدم نص يدل على استعمال كلمة « الملاحم » لنوع من الشعر ، هو نص « الجاحظ » فى كتابه « البيان والتبيين » ، وهو يكشف لنا عن أول شعر ملحمى فيما نظن :

قال « الجاحظ » :

« فلما جن أبو يس كان يهذى بأنه سيصير ملكاً ، وقد ألهم ما يحدث فى الدنيا من الملاحم ، وكان أبو نواس والرقاشى يقولان شعراً على لسانه على مذاهب أشعار ابن أبى عقب الليثى »

وفى « الأغانى » روى « أبو الفرج عن غيره هذا القول :

« ثلاثة لم يكونوا قط ، ولا عرفوا : ابن أبى انعقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرية ، ومجنون بنى عامر . . . »

وصاحب « كشف الظنون » يقول عن « ابن أبى العقب » أن هذا الرجل كان معلم الحسن والحسين ؛ وملحمته منظومة لامية أولها :

رأيت من الأمور عجيب حال
لأسباب يسطرها مقالى

ما هذه « الملاحم » التى يكتب « الجاحظ » أنها كانت على مذاهب « ابن أبى العقب » ؟

لقد عبر « أبو الفرج » فى الأغانى عن هذا الرجل بقوله : صاحب قصيدة الملاحم .

وإذن فالملاحم شعر . . . فما نوعه ؟

تفسير هذا النوع من الشعر يبين من التعليق على نص « الأغانى » فى تعريف كلمة الملاحم

بأنها أصبحت اسما لعلم خاص تعرف به أوقات الفتن والوقائع بدلائل النجوم . وقد جاء هذا التعريف فى كتاب « أبجد العلوم » لصديق حسن خان .

فالشاعر « ابن أبى العقب » كان ينظم شعراً يضمنه وصف الأحداث والوقائع ، متوقعاً أن تكون فى قريب من الزمن أو بعيد ، معولا فى ذلك على استدلالات فلكية .

وهذا يتوضح فى غير شك من القصيدة التى ساقها « الجاحظ » معزوّة إلى أبى نواس » يتكلف فيها هذا المذهب الشعرى ، على جهة السخرية ، لكى يدعيها « أبو يس » الموسوس لنفسه ، ويذيعها فى الناس ، حتى يقولوا عنه إنه يستشف ما يكون فى الغد المجهول .

ويبدو أن الفقهاء كانوا يستنكرون هذه الملاحم ، لأنها رجم بالغيب ، والله لا يظهر على غيبه أحداً . وينسب إلى الإمام « أحمد ابن حنبل » — كما فى تاريخ الطبرى — أنه قال :

« ثلاثة لا أصل لها : التفسير ، والملاحم ، والمغازى » .

أضف إلى ذلك أن « السيوطى » يقول فى « حسن المحاضرة » :

« يزيد بن حبيب — مفتى مصر — أول من أظهر العلم بها من حلال وحرام ، وكانوا قبل ذلك يتحدثون فى الفتن والملاحم » .

* * *

٤ — لم يفت « البستانى » فى مقدمة « الإلياذة » أن يدرس كلمة « الملاحم » ، بيد أنه علم شيئاً وغابت عنه أشياء ، وسبحان من تفرد بالكمال .

ودونك قول « البستانى » :

لم يتصل بنا أن العرب وضعوا اسماً لمنظومات الشعر القصصى ، من نظائر الإلياذة ، إلا أن يكون ذلك ما استحدثه أهل المغرب ، وسماه بعضهم : الملاحم ، وهو ما يتضمن من المنظوم أحوال أمة أو قوم ، وفصلت فيه وقائع الحروب والتاريخ » .

وقف « البستانى » ببحثه وتحديده عند « أهل المغرب » ، على حين أن هذا النوع من الشعر يرجع كما أسلفنا إلى عهد بعيد عهيد ، إلى عصر « الجاحظ » كما جاء فى كتابه « البيان والتبيين » ، بل إلى « ابن أبى عقب » الذى علم الحسن والحسين فى القرن الأول الهجرى ، كما جاء فى كشف الظنون » ، وإن كان صاحب الأغانى » ينفى وجود الرجل على الإطلاق .

وفى كتاب « ابن أبى أصيبعة » أن الرئيس « ابن سينا » تنسب إليه قصيدة فيما يحدث من الأمور والأحوال عند قران المشترى وزحل فى برج الجدى ببيت زحل ، وهو أنحس البروج . وجملة ما قيل فى هذه القصيدة

من أحوال التتر وقتلهم الخلق وخرابهم للقلاع . وقد رأيناه فى زماننا . وأول هذه القصيدة :

احذر بنىّ من القران العاشر
وانفر بنفسك قبل نقر الناقر

ويضيف « ابن أبى أصيبعة » أن أحد التجار أنشده قصيدة فى هذا المعنى أولها :

إذا شرق المريخ من أرض بابل
واقترن النحسان فالحذر الحذر

ولا بد أن تجرى أمور عجيبة
ولا بد أن تأتى بلادكم التتر

وكان هذا الشعر الذى ينسب إلى « ابن سينا » يدرج فى نوع الملاحم ، ويطلق عليه هذا الاسم ، كما نرى ذلك فى مقدمة « ابن خلدون » إذ عقد فيها فصلا عنوانه : «فصل فى ابتداء الدول والأمم ، وفيه الكلام على الملاحم ، والكشف عن مسمى الجفر » .

يقول « ابن خلدون » :

«ثم كتب الناس فى حدثان الدولة منظوماً ومنثوراً ، ورجزاً ، ما شاء الله أن يكتبوه ، وبأيدى الناس متفرقات منه ، وتسمى الملاحم ، وبعضها فى حدثان الدولة على العموم ، وبعضها فى دولة على الخصوص ، ووقفت بالمشرق على ملحمة منسوبة لابن العربى الحاتمى ، وسمعت أيضاً أن هناك ملاحم أخرى منسوبة لابن سينا وابن عقب . »

٥ ــ ولم تكن « الملاحم » مقصورة على القصيد ، فقد نثرت بعد أن كانت منظومة ، وهذا يستفاد من قول صاحب « كشف الظنون » عن ابن أبى عقب : أن « ملحمته منظومة » .

فما الملاحم المنثورة ؟

فى ذيل كتاب « تذكرة داود الأنطاكى » حديث عن الملحمة ، تناول فيه الأشراط والعلامات التى تهيىء لوقوع الأحداث ، وتدل عليها ، فالغالب أن كلمة « الملاحم » تطلق على كل حديث يتناول التكهن بالمستقبل ، ويبنى عليه تصوير الوقائع والأحداث التى تكون . وقد نقلنا من قبل كلمة الإمام « ابن حنبل » وكلمة « السيوطى » ، وفيهما استعملت كلمة « الملاحم » دون تعيين لمدلولها من شعر أو نثر . :

٦ ــ من مجموع هذه النصوص التى أجملنا اقتباسها ، والإشارة إليها ، بل من أمثالها فى شتى المراجع والأصول ، بإجمال أو تفصيل ، ولم نشأ أن نمضى فى نقلها ، إرادة الاختصار والاقتصار ــ تتجلى لنا الحقائق الآتية :

أولا ــ أن كلمة الملاحم أطلقت على نوع من الشعر ، يصف ما يجرى على الدول والأمم من أحداث وشجون ووقائع ، مما ينضاف إلى المستقبل ، من طريق الاستدلال عليه بأحكام النجوم ، كما فى نصوص « الجاحظ » ، وصاحب « الأغانى » و « ابن خلدون » .

ثانياً ــ أن هناك قصائد مطولة وغير مطولة ، على هذا النحو ، سميت « الملاحم » ، وأثبتت كتب الأدب والتاريخ وجودها ،

ونقلت طرفاً منها ، كقصائد من اختلف فى تسميته : أهو « ابن عقب » أو « ابن أبى عقب » ولم ينفرد هو بها . فقد نظم على هذا الغرار « ابن سينا » و « ابن العربى » .

ثالثاً – أن تاريخ إطلاق كلمة « الملاحم » على هذا النوع من الشعر ، يرتد إلى القرن الهجرى الأول ، وأنه مسجل فيما دونه المؤلفون فى القرن الهجرى الثانى . كما ألمحنا إلى ذلك فيما عرضناه من النصوص ، فإن كان هذا الإطلاق فى القرن الأول على جهة الظن والاحتمال ، للشك فى حقيقته ، فهو فى القرن الثانى على جهة اليقين والثبوت ، لوروده فى كتاب « البيان والتبيين » .

رابعاً – أن الإطلاق العصرى لكلمة « الملاحم » على معنى القصائد المطولة التى تتناول التاريخ الأسطورى للأمم والدول ، كإلياذة هوميروس ، لا يختلف عن الإطلاق العربى القديم ، إلا فى شىء واحد : هو أن الملاحم العربية القديمة كانت تقص ما عسى أن يكون من أحداث الأمم والدول فى المستقبل المغيب . وأما الملاحم فى آداب الأمم الأخرى فتتناول قصص تاريخها الماضى وما يشيع فيه من أساطير .

**بعض المراجع :**


البيان والتبيين ج ٢ – ٣٦ – ٢٣١

الأغانى ج ٢ – ٩

ديوان بشار ج ٢ – ٣٠٣

تاريخ الطبرى ج ٢ – ٦٠٧

الإمتاع والمؤانسة ج ١ – ٩٧

الإتقان للسيوطى ج ٢ – ٢٢٠

حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ – ١٣١

عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ج ٢ – ١٦

مقدمة الإلياذة – البستانى

ذيل تذكرة داود



**محمد شوقى أمين**

عضو المجمع

# تحقيق لسان العرب

## — ٨ —

للأستاذ عبدالسلام هارون

**فى الجزء الرابع عشر**

٩٢٨ ـ ( غضل ) ٩ س ١٣ وبيروت ٤٩٧ قول الشاعر :

كأَنَّ زمامَها أَيمٌ شجاعٌ

ترادَّ فى غصونٍ مُغْضَئِلَّة

والصواب « ترأَّدَ » كما فى المخطوطة ، وكما هو فى اللسان ( رأد ) والمقاييس ( أيم ) . ترأّدت الحية : اهتزّت فى انسيابها .

٩٢٩ ـ ( غلل ) ١٤ س ١٧ وبيروت ٥٠١ والمخطوطة أيضاً قول ذى الرمة يصف الثور والكناس :

يحفِّرهُ عن كلِّ ساقٍ دقيقةٍ

وعن كلِّ عِرقٍ فى الثرى متغلغِلِ

وإنما يحفر الثورُ هنا لينبش عن سيقان النبت المدفونة فى الأرض ، لايؤثر دقيقةً على جليلة ، وكذلك يبحث عن العروق التى تغلغلت فى باطن الأَرض . والوجه فيه : « عن كل ساقٍ دفينةٍ » ، كما هو فى ديوان ذى الرمّة ٥٠٥ .

٩٣٠ ـ ( غول ) ٢٢ س ٤ : « والغَوْل بُعد المَغازة ، لأَنَّه يغتال من يمرُّ به » . وفى المخطوطة : « بعد المفاره » ، وصوابهما « المفازة » بالفاء والزاى ، كما فى الصحاح . وعلى ذلك الصواب وردت فى طبعة بيروت ٥٠٨ .

٩٣١ ـ ( غيل ) ٢٥ س ٢٢ وبيروت ٥١٢ قول الشاعر :

* حجارةُ غيلٍ وارشات بطُحلُبِ *

وهو عجز بيت لامرئ القيس فى ديوانه ٤٧ . وصدره :

* ويخطو على صُمٍّ صِلاب كأَنَّها *

والصواب : « وارسات » بالسين المهملة ، كما فى الديوان واللسان (ورس) .

وجاء فى المخطوطة : « وارسات » بالسين المهملة ، ووُضع فوق السين سكون ، وهو علامة من العلامات القديمة لإهمال الحرف كما أشرت إلى ذلك فى كتابى « تحقيق النصوص » فظنّها القارئون نقطاً يعبر عن الشين ، وليس كذلك . والوارسات : المصفرّات . شبّه حوافر الفرس فى صلابتها وملاستها بحجارة ماءٍ قد علاها الطُّحلب فاصفرّت واملاسّت وصلبت .

٩٣٢ ـ ( فتل ) ٢٩ س ١١ وبيروت ٥١٥ والمخطوطة ، قول لبيد :

* حـرَجٌ من مِـرْفقيهـا كالفَتَـلْ *

وصوابها : « فى مِرْفقيها » كما فى الديوان ١٧٥ والمقاييس ( بطن ) . وصدره :

* قـد تجـاوزتُ وتحتى جَسرة *

وفى المقاييس : « قد تبطَّنتُ » .

٩٣٣ ـ ( فسكل ) ٣٤ س ١٣ وبيروت ٥٢٠ : « ثم السكيت ، وهو الفِسْكل والفاشور » .

وفى المخطوطة : « الفاشور » بدون نقط للفاء ، وصوابها « القاشور » بالقاف كما فى الصحاح . وفى اللسان ( قشر ) : « والقاشور : الذى يأتى فى الحلبة آخر الخيل ، وهو الفسكل » .

٩٣٤ ـ ( فضل ) ٤١ س ٨ وبيروت ٥٢٦ والمخطوطة أيضاً : وقال ابن عثمة :

للك المـرباعُ منهـا والصفايا
وحكمك والنّشيطةُ والفُضول

وموضع الخطإ فى اسم الشاعر ، فالصواب أنّه « ابن عَنَمة » ، وهو أحد شعراء المفضليات والأصمعيات . واسمه عبد الله ابن عَنَمة بن حُرثان بن ثعلبة بن ذؤيب ابن السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبَّة . وهو شاعر إسلامىٌّ مخضرم ، شهد القادسيَّة . والبيت الذى أنشده ابن منظور هو السادس من الأصمعية الثامنة التى يرثى بها بسطام بن قيس . انظر الأصمعيات ٣٧ . وقد سبقت الإشارة إليه فى التحقيق رقم ٤٠٢ .

٩٣٥ ـ ( فلل ) ٤٧ س ١٩ وبيروت ٥٣٢ والمخطوطة أيضاً : « واستفلَّ الشىء : أخذ منه أدنى جزءٍ لعُسْره » . وليس للعُسر هنا وجه ، وإنما هى « كعُشْرِه » كما فى القاموس .

٩٣٦ـ ( قلل ) ٤٨ س ١٣ وبيروت ٥٣٢ والمخطوطة كذلك ، قول ابن مقبل :

فمرّت على أضراب هِـرٍّ عشيّةً
لها توأبانيّـانِ لم يتفلفـلا

و « أضراب » صوابها « أظراب » بالظاء المشالة ، كما فى الديوان ٢١٢ والمقاييس ١ : ٣٦٥ والصحاح ( تأب ) واللسان ( تأب ) . والأظراب : جمع ظَرِب ككتف وهو الجبل الصغير . و « هِرّ » بالكسر : اسم موضع . وقد سبق الكلام على البيت فى التحقيق ٥٩٩ .

٩٣٧ ـ ( قبل ) ٥٢ س ١٩ وبيـروت ٣٥٦ والمخطوطة : « وقال الخليل : قبل وبعد رفعا بلا تنوين لأنهما غائيان » ، والوجه « غايتان » كما فى التهذيب ٩ : ١٦٢ وهو المعروف فى اصطلاح النحويين . وفى كتاب سيبويه ٢ : ٤٤ : « فأما ما كان غاية نحو قبل وبعد وحيث فإنهم يحركونه بالضمة .

وسميت الظروف المقطوعة عن الإضافة غايات لأن أصل استعمالها أن تستعمل مع ما أُضيفت إليه ، فلما اقتطع عنهن ما أُضِفن إليه وسُكت عليهن صِرن حدودًا وغايات » .

٩٣٨ـ ( قبل ) ٦٣ س ١١ وبيـروت ٥٤٦ قول ابن مقبل :

يُرخى العِـذارَ وإن طالت قبـائلُـه
عن حُزّةٍ مثل سِنف المَرْخة الصَّفِرِ

والخطأ فى « حُزّة » فإن صوابها « حَشْرة » كما فى الديوان ٩٧ والمعانى الكبير ١١٣ . والحشرة بالفتح صفة للأُذن ، وهى الرقيقة المنتصبة . ومنه قول النمر ابن تولب :

لهـا أذنٌ حَشْرةٌ مَشْرةٌ
كإعليطِ مَرخٍ إذا ماصَفِرْ

كما يقال أيضاً أذنٌ حَشْرٌ . قـال ذو الرمة :

لهـا أُذنٌ حَشْرٌ وذِفرى لطيفةٌ
وخدٌّ كمرآة الغريبةِ أسجحُ

وجاءت فى المخطوطة : « حَـرَة » بهذا الضبط وبدون أسنان .

٩٣٩ـ ( قتل ) ٦٨ س ١٥ وبيروت ٥٥١ : « أبو عمرو : المجرِّب والمجرِّس والمقتَّل كله الذى جرَّب الأمور وعرفَها » .

وفى المخطوطة : « المحرّب » بالحاء المهملة موضع « المجرب » ، وكلاهما محرف ، والصواب « المجرّذ » براء مشددة مفتوحة بعدها ذال معجمة ، كما فى التهذيب ٩ : ٥٥ واللسان نفسه فى مادة ( جرذ ) وفيه : « أبو عمرو : هو المجرّذ والمجرّس » . وفيه أيضاً : « ابن الأعرابى : جرّذه الدهر ودلّكه وديّثه ونجّذه وحنّكه » . وفى اللسان ـ ( جرس ) : « ورجل مجرّس ومجرِّس : مجرِّب للأمور » .

٩٤٠ ـ ( قرمل ) ٧٣ س ٩ وبيروت ٥٥٥ : « القرملة : شجرة ضعيفة لا ذُرى لها ولا سُتْرة » . وجاءت « ذرَى » فى المخطوطة مضبوطة بفتحة فوق الراء فقط وصواب ضبطها « ذَرَى » بفتح الذال لا ضمها . والذّرى : ماكنّك من الريح الباردة من حائط أو شجر . ويقال فلانٌ فى ذَرى فلان ، أى فى ظلّه .

٩٤١ ـ ( قسطل ) ٧٥ س ٤ وبيروت ٥٥٧ قول الشاعر :

كأنَّ عليهـا القسطلانىَّ مُخْمَـلا
إذا ما التقت شُقّـاتُه بالمنـاكب

وفى المخطوطة : « شفاته » بالفاء والتاء والذى فى التهذيب ٩ : ٣٩١ : « إذا ما اتّقت شَفَّانَه بالمناكب » . والشَّفَّان : الريح الباردة مع المطر .

٩٤٢ ـ ( قول ) ٩٢ س ١ وبيروت ٥٧٣ قول رؤبة :

فاليـوم قـد نَهنَهنِى تَنَهنُهِى
وأَوّل حـلمٍ ليس بالمسفَّـه

ومع ما يستتبعه ضبط « أَوّل » من انكسار الوزن ، فيه خطأُ الرواية ، صوابها « وأَوْل » كما ضبطت بذلك فى المخطوطة ، وهو الثابت فى ديوان رؤبة ١٦٦ . والأَول هنا : الرجوع . يعنى أنَّ حلمه عاد إليه فى مكْبرِه واحتناكه بالسِّنّ . فهذا هذا .

٩٤٣ ـ (قول) ٩٢ س ٥ وبيروت ٥٧٣ والمخطوطة : « وسمعت الكسائى يقول : فى قراءة عبد الله : ذلك عيسى بن مريم قالَ الحقِّ الذى فيه يمتَرون . فهذا من هذا . كأَنه قال : قال قولَ الحقِّ » . وصواب رواية هذه القراءة : «قالُ الحقِّ» أى قولُ الحقّ ، كما فى التهذيب ٩ : ٣٠٤ وتفسير أَبى حيان ٦ : ١٨٩ حيث قال : « وقرأ ابن مسعود والأَعمش : قالُ بأَلف ، ورفع اللام » . وزاد ابن خالويه فى شواذ القراءات ٨٤ قراءة « قالُ الله » لابن

مسعود أيضاً ، وفيه : « قالُ الحقِّ ، وقالُ الله ، بضم اللام ، ابن مسعود » . وأقول : فلا عبرة إذن بما ورد في كتاب المصاحف للسجستاني ص ٦٤ من ضبط « قالَ » بالفتح ضبط قلم لا عبارة ، أو بالأحرى ضبط مطبعة تخطئ وتصيب .

وكلمة « قال » الثانية في عبارة ابن منظور مقحمة تكرارًا . وصواب العبارة : « كأنه قال : قولُ الحق » .

٩٤٤ ـ ( قول ) ٩٣ س ١ وبيروت ٥٧٣ والمخطوطة ، قول الراجز :

وابتدأت غضبى وأُمّ الرِّحال
وقُولَ لا أهلَ له ولا مالْ

والشاهد فيه « قُول » على لغة بني أسد في بنائه للمجهول بمعنى « قِيل » . وصواب « أُمّ الرِّحال » « أُمُّ الرَّحّال » ، كما في تهذيب اللغة ٩ : ٣٠٥ . والرحّال علم من أعلامهم ، به سمي عدد من الصحابة والتابعين . ومن شعرائهم : الرحّال بن عَزْرة .

على أن الرواية في تهذيب اللغة ، وكذا في المنصف ١ : ٢٥٠ والمحتسب ١ : ٢٤٥ « وابتذلت غضبى » .

٩٤٥ ـ ( قيل ) ٩٨ س ٨ وبيروت ٥٧٩ والمخطوطة أيضاً قول الراجز :

يُسقين رَفهاً بالنهار والليلْ
من الصَّبوح والغبوق والقَيلْ

والرِّفْه في ورد الإبل إنما هو بكسر الراء . وفي اللسان : « الرفه بالكسر : أقصر الورد وأسرعُه ، وهو أن تشرب الإبل الماء كلّ يوم » .

٩٤٦ ـ ( كفل ) ١٠٧ س ٢٥ وبيروت ٥٨٨ : « وفي حديث أبي رافع : ذلك كِفْل الشيطان ، يعني معقده » . والصواب « مقعده » بتقديم القاف ، كما في المخطوطة .

٩٤٧ ـ ( كلل ) ١١٣ س ٦ وبيروت ٥٩٥ والمخطوطة : « ابن الجراح : إذا لم يكن ابن العم لحًّا وكان رجلًا من العشيرة قالوا : هو ابن عمِّي الكلالة » إلى آخر النص . والصواب « أبو الجراح » ، كما في التهذيب ٩ : ٤٤٨ . وفيه : « أبو عبيد عن أبي الجراح » . وأبو الجراح هذا أحد الأعراب الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة . ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٠ والقفطي في إنباه الرواة ٤ : ١١٤ والمرزباني في معجم الشعراء ٥١١ . وقد سمّوه جميعاً أبا الجراح العقيلي .

٩٤٨ ـ ( كلل ) ١١٥ س ٢١ وبيروت ٥٩٥ والمخطوطة كذلك فى تفسير قول النابغة الجعدى :

بكرت تلوم وأمس ما كلَّلتُها
ولقد ضَللتُ بذاكَ أىَّ ضَلالِ

« ما صلة كلَّلتُها أدعصتها »ولا وجه له ، والصواب : «ما : صلةٌ . كلَّلتُها أى عصيتها » . كما فى التهذيب ٩ : ٤٤٩ . وقوله «ماصلة » أى زائدة .

٩٤٩ ـ ( كلل ) ١١٥ س ٢٢ وبيروت ٥٩٥ وكذا المخطوطة ، قول الشاعر :

* وفرحه بحصَى المَعْزاء مكلولُ *

الصواب : « وفرجُه » بالجيم كما فى التهذيب ٩ : ٤٤٩ والمفضليات ١٤٠ . والبيت لعبدة بن الطبيب فى المفضليات . وهو فى صفة ثور . وصدره :

* له جَنابان من نَقْعٍ يثورُه *

والفَرْج : ما بين قوائم الدابة . يقال جرت الدابة ملء فروجها ، وهو ما بين القوائم . ومنه قول امرىء القيس :

لها ذنبٌ مثل ذيل العروس
تسدُّ به فَرجَها من دُبُرْ

٩٥٠ ـ ( كلل ) ١١٥ س ٢٢ وبيروت ٥٩٥ : « والكُلَّة : الصَّوقعة ، وهى صوفة حمراء فى رأس الهودج . وصواب الضبط « الكِلَّة » بالكسر ، كما فى التهذيب والقاموس ، إذ صرَّح فى القاموس بضبطه بالكسر . ووردت هذه الكلمة فى المخطوطة مجردة من النقط والضبط ، ووجهها ما أشرتُ إليه . وأما الكُلَّة بالضم فهى تأْنيث الكُلّ ، وهى كذلك بمعنى التأْخير . والكَلَّة ، بالفتح : الشَّفرة الكالَّة .

٩٥١ ـ ( كلل ) ١١٧ س ٨ وبيروت ٥٩٦ والمخطوطة والتهذيب ٩ : ٤٥١ : وأنشد قول العجاج :

* حتى يُحلُّون الرُّبا الكلاكلا *

ونسبة هذا الشطر إلى العجاج غير صحيحة . وليس للعجاج فى ديوانه أرجوزة على هذا الروىّ ، وإنما الأرجوزة لرؤبة فى ديوانه ، وهى طويلة جدًا بلغت أشطارها ٢٩٧ شطرًا مائتين وسبعة وتسعين شطرًا . وشطرنا هذا هو الشطر ٣٩ فى ص١٢٢ والرواية فيه :

* حَوْما يُحِلُّون الرُّبى كلاكلا *

٥٩٢ – ( كيل ) ١٢٦ س ٨ وبيروت ٦٠٥ قالت امرأةٌ من طيئ :

فيَقْتل خيرًا بامرئٍ لم يكن له
نِـواءً ولكن لاتكايُلَ بالـدم

أما هذه المرأة فهى بنت بَهدل بن قِرفة الطائى ، كما فى الحماسة ١ : ٢١٢ بشرح التبريزى وحواشى المرزوقى ٢١١ .

و « خيرًا » لا وجه لها هنا ، وصوابها « جبرًا » كما فى المرزوقى والتبريزى . قال المرزوقى : « جبر هو القاتل لولىّ هذه المرأة » .

وأما « نِواءً » فهى خطأٌ فى اللفظ وفى الضبط ، وصوابها « بواءً » بالباء المفتوحة فى أولها وبالنصب ، كما اتفق على ذلك ضبط المرزوقى والتبريزى . والمراد : لم يكن القتيل بواءً لجبر ، أو لم يكن جبر بواءً لهذا المرءِ القتيل ، أى يكون دمه وفاءً بدمه ويرتضى قتله بدلا منه . والبَواءُ : السَّواء . وفلانٌ بواءُ فلانٍ ، أى كفؤُه إن قُتِل به . وهذا كان دينَ الجاهليّة . فلما جاء الإسلام سقطت المكايلة فى الدماء ، فلا يقتل بدل الواحد إلّا واحد، شريفاً كان أو وضيعاً . ورواية الرفع فى « بواء » إن صحّت كان معناها أنَّ هذا القتيل الشريف ، وهو بهدل بن قرفة ، لم يكن له نظير ولا له كفىءٌ فيُقتَلَ به .

٩٥٣ – ( مسل ) ١٤٦ س ٢ وبيروت ٦٢٣ والمخطوطة كذلك، قول أبى حية النميرى :

إذا ما تَغَشَّاه على الرَّحْل يَنْثَنى
مُسالَيْـه عنه من وراءٍ ومُقْـدِمِ

وهو إنما يصف راكباً أدام السُّرى حتى غلبه النومُ فطفق ينثنى فى عطفيه وناحيتيه من مؤخر الرحل ومقدمه . وصوابه « إذا ما نعشناه » ، أى رفعناه وحاولنا إيقاظه . سيبويه ١ : ٢٠٥ والصحاح واللسان (سيل) والأزمنة للمرزوقى ١ : ٣٠٧ .

ومُساليه منصوب على الظرفية .

٩٥٤ – ( ملل ) ١٥٣ س ١٠ وبيروت ٦٣٠ والمخطوطة أيضاً قول شبيب بن البرصاء :

وهمّ تـأخـذ النُّجـواء منـه
يُعَـدُّ بصـالبٍ أو بالمُلَال

والنُّجَواءُ : الرعدة ، ومثلها « النُّحَواءُ » بالحاء المهملة . والمُلال بالضم : التقلُّب

من المرض أو الغمّ . و « يُعَدّ » محرفة عن « يُعَلّ » باللام كما فى اللسان ( نجا ، نحا ) . ويُعَلُّ من العَلل ، وهو الشرب الثانى . والصالب : الحمّى الحارّة ، وهى الصُّداع أيضاً . وأنشد فى اللسان (صلب) :

* يــروعك حُمّى من مُـلال وصالبٍ *

فالمراد أن الهمّ تزداد وطأته بالصالب والمُلال . وأشار فى اللسان ( نجا ١٨٠ ) إلى رواية « يُعَكّ » بالكاف . ورواية المقاييس ٤ : ١١ : « تَعُكّ » ، وأتى به شاهدًا على قولهم : عكّته الحمّى ، أى كسرته .

٩٥٥ – ( ميل ) ١٦١ س ١٨ وبيروت ٦٣٨ قول الجوهرى : « الميلاء من الرّمل : العُقْدة الضخمة ، والشجرة الكثيرة الفروع » ووردت « العقدة » فى المخطوطة مهملة الضبط . وضبطت فى مطبوعة الصحاح « العُقْدة » بالضم أيضاً . ولا يقال فى الرمل عُقْدة وعُقَد ، وإنما هى « العَقِدة » بفتح فكسر ، أو « العَقَدة » بالتحريك ، كما هو المجمَع عليه فى المعاجم المتداولة ، وفى مقدمتها الصحاح نفسه ، وفيه : « والعَقِد أيضاً بكسر القاف : ما تعقّد من الرمل ، أى تراكم ، الواحدة عقِدة . وكان أبوعمرو يقول : العَقَد والعَقَدة بالفتح » أى فتح القاف . وفى اللسان : « والعَقِد : المتراكم من الرمل ، واحدته عَقِدة ، والجمع أعقاد . والعَقَد : لغة فى العَقِد » . وفى القاموس : « وككتف ، وجبل : ما تعقّد من الرمل وتراكم ، واحدُهما بهاء » .

٩٥٦ – ( نأل ) ١٦٢ س ١٩ وبيروت ٦٣٩ ، قول ساعدة بن جؤيّة :

لهـا خُفَّـانِ قـد ثُلبا ورأسٌ
كرأس العُودِ شهربةٌ نَـؤُولُ

كما وردت كلمة « العُود » فى المخطوطة مضبوطة بضمة فوق العين وسكون فوق الواو . وصوابها « العَوْد » بفتح العين ، كما فى ديوان الهذليين ١ : ٢١٦ وشرح السكرى ١١٤٧ ، والبيت فى صفة ضبُع ، شبّه رأسها فى ضخامته برأس العَود ، وهو الجمل المسنّ ، وأين العُود من العَود؟! فلا وجه للعُود هنا . وروى « شهربَة » و « شهبرة » أيضاً ، وكلاهما بمعنى — الكبيرة المسنّة .

٩٥٧ــ ( نخل ) ١٧٦ س ٨ وبيروت ٦٥٣ قول الشاعر :

قَدَّرٌ احلَّكَ ذا النُّخيلِ وقد أرى
وأَبىَّ مـــالكِ ذو النُّخيـــل بـــدارِ

وجاء فى المخطوطة : « وأنىَّ » بالنون وتشديد الياء المفتوحة ، والصواب مافى طبعتى بولاق وبيروت . و « أَبىَّ » هى أَبُوى ، قلبت الواو ياء وأُدغمت فيها عملا بقاعدة اجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون . والبيت من شواهد الخزانة ٢ : ٢٧٢ بولاق ، وقد ورد فيها وفى شرح ابن يعيش ٣ : ٥٦ ومجالس ثعلب ٥٤٤ ، وخطأٌ آخر هو فى الطبعتين فقط ، وهو ضبط « مالكِ » بكسر الكاف ، وإنما هى « مالَكَ » ، أى ليس لك ذو النخيل بمنزل تقيم فيه .

٩٥٨ــ ( نيل ) ٢١٠ س ٨ وبيروت ٦٨٦ قول لبيد :

* ما جـــاوز النيل يوماً أهل إبليلا *

وفى المخطوطة : « ما حاور » بالحاء والراء المهملتين ، ولا معنى للمجاوزة أو المحاورة هنا . وصوابهما « جاور » بالجيم والراء ، كما فى التهذيب ١٥ : ٣٧٣ والخزانة ٢ : ٧٩ وشرح القصائد السبع الطوال ٥٠٩ .

ونسبة البيت إلى لبيد ثابتة فى شرح القصائد وفى التهذيب أيضاً . لكنه نسب فى الخزانة إلى النعمان بن المنذر يجيب لبيدًا . وكذلك نسب إلى النعمان فى الأغانى ١٤ : ٩٢ والفاخر للمفضل بن سلمة ٠٧٣ ولم يرد البيت ولا أخواته فى ديوان لبيد أو ملحقاته . فنسبته إلى لبيد مقولٌ فيها .

ونصُّ البيت فى الفاخر :

فقد رُميتَ بـــداءٍ لست غاسلَه
ما جاور النيل يوماً أهله النيـــلا

وفى الخزانة :

فقد رميت بشىءٍ لست غاسله
ما جاور السيل أهل الشام والنيلا

وفى شرح القصائد السبع لابن الأنبارى

فقد ذكرتَ به والركب حاملُه
ماجاور الغَيلُ أهلَ الشام والنِّيلا

وفى الأغانى :

فقد ذكرت بشىءٍ لست ناسيه
ماجاورت مصرُ أهلَ الشامِ والنِّيلا

٩٥٩ـ ( هدل ) ٢١٥ س ١٥ وبيروت ٦٩١ والمخطوطة قول ذى الرمّة :

إذا ناقتى عند المحصب شاقهـا
... رواحُ اليمانى وَالهديلُ المرجَّعُ

وصواب روايته كما فى ديوان ذى الرمة ٣٤٥ وأدب الكاتب ١٦٢والاقتضاب ٣٥٣ : « أرى ناقتى » .

٩٦٠ـ ( هضل ) ٢٢٣ س ١ وبيروت ٦٨٩ والمخطوطة أيضاً والصحاح ، قول الكميت ، (وهوفى مدح خالد بن عبدالله القسرى ) :

فى حومة الفيلق الجأواء إذ ركبت
قَيسٌ وهَيضَلُها الخشخاشُ إذْ نزلوا

وصواب الرواية : « إذ نزلتْ قَسْرٌ » كما فى ديوان الكميت ٢ : ٢٢ والمعانى الكبير لابن قتيبة ٩٦٤ والتهذيب ٦ : ٥٤٧ /٩ : ١٥٨. وجاء فى اللسان ( فلق ) : « قسرًا » ، وهو تحريف ماذكرت . وقَسْرٌ هم قبيلة خالد بن عبد الله القسرى ، وهم قَسْر بن عَبقَر بن أنمار . جمهرة ابن حزم ٣٨٧ ، ٤٧٤. وانظر ماسبق فى التحقيق رقم ٥٦٠ .

**عبد السلام محمد هارون**

عضو المجمع

# طرف من الأدب واللغة

## للدكتور أحمد عمار

### (٢)

أشد الأعمال ثلاثة : إنصاف الناس من نفسك ، ومواساة الأخ من مالك ، وشكر الله تعالى على كل حال . (حديث شريف)

* * *

محمد : حُمِّدَ مرة بعد مرة ، كما نقول : مكرم ومعظم .

ومحمود : حُمِدَ مرة واحدة .

وقد سمت العرب محمداً نحو خمسة عشر رجلا .. وكذلك سمت أحمد بضع مرات .

* * *

قال هشام بن عبدالملك لسالم بن عبدالله — وكانا فى الكعبة — سلنى حاجتك . فقال : أكره أن أسأل فى بيت الله غير الله .

لن ترجع الأنفس عن غيِّها
ما لم يكن منها لها زاجر

( أبو نواس )

قال أبو العتاهية : وددت أنه لى بنصف شعرى .

* * *

نقل رجل إلى عمر بن عبدالعزيز كلاماً ، فقال له عمر : إن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية :

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » . وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية :

« هماز مشاء بنميم » .

فقال الرجل : أتوب إلى الله يا أمير المؤمنين .

* * *

الربانى الموصوف بعلم الرب .

والربى المنسوب إلى الرب .

الشعرانى الكثير الشعر .

والشعرى منسوب إلى الشعر .

اللحيانى الطويل اللحية .

واللحيي نسبه إلى اللحية .

الرقبانى الغليظ الرقبة .

والرقبي نسبة إلى الرقبة .

* * *

صب الرشيد الماء على يدى أبى معاوية الضرير بعد أن أكل طعاماً عنده ، ثم قال له : أتدرى من يصب الماء على يدك ؟

قال : لا : قال : أنا . فقال : أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم إجلالا للعلم .

* * *

وجلس الرشيد مجلسه فقال : أى الناس أكرم خادماً ؟ قالوا : أمير المؤمنين . قال : بل الكسائى ، يخدمه الأمين والمأمون : ( وكان الرشيد قد عهد إليه بتأديبهما — فقام الكسائى ليلبس نعليه ، فابتدراهما فوضعاهما بين يديه )

* * *

عائشة أم المؤمنين : ترثى أباها

نضر الله وجهك يا أبت . وشكر لك صالح سعيك، فلقد كنت للدنيا مذلا بإرادتك عنها ، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها . ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعد بحسن الصبر فيك ، حسن العوض منك .

* * *

إن المرء ناظر باحدى عيون ثلاث : عين مودة تريه القبيح حسناً ، وعين شنآن تريه الحسن قبيحاً ، وعين عدل تريه حسنه حسناً وقبيحه قبيحاً .

( ابن المقفع )

* * *

الزلزال : بالكسر المصدر والزلزال بالفتح الاسم .

والوسواس : بالكسر المصدر والوسواس بالفتح الاسم .

( اللسان )

* * *

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

( المتنبى )

* * *

القصيدة الحرباوية : ( لأبى عَمْرو عثمان ابن عيسى البلطى النحوى )

سميت كذلك لأنها تتلون كالحرباء : وحرف رويها يكون مضموماً ثم مفتوحاً ثم ساكناً .

( فمن الكامل : إذا حرك الروى فهو من الضرب السادس منه ، وإذا سكن فهو من الضرب السابع )

إنى امرؤ لا يطّبيـ
ـنى الشادن الحسن القوام
فارقت شِرَّة عيشتى
إذ فارقتنى والغرام
لا أستلذ : بقينة
تشدو لدىَّ ولا غلام
ذو الحزن ليس يسره
طيب الأغانى والمدام
أمسى بدمع سافح
فى الخد منسكب سجام
ألقى صروف الدهر مُصْـ
ـطبراً وما حدى كسهام
مارستهن ومارستـ
ـنى فى تصرفها الجسام

وهى ثلاثة وثلاثون بيتاً ، أتى بما لم يسبق إليه ، وتحدى بها النحاة :

* * *

القرآن والشعر :

أ ـ آية كاملة : كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . ( العلق ١٥ )

قولوا لهـذا ينتهِ عن ذمه أصحابيه

كـلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصيه

ب ـ جزء من آية أو بتحوير بسيط

١ ـ إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير . ( فاطر ١٨ )

ومن تزكى فانمـا يتزكى لنفسـه

٢ ـ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا . ( الإنسان ١٤ )

ويقول أبونواس :

وفتية فى مجلس وجوههم
ريحانهم قد عدموا الثقيلا
دانيـة عليهمـو ظلالهـا
وذللت قطوفهـا تذليـلا

٣ ـ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات.. ( سبأ ١٣ )

وجفان كالجـوابى وقـدور راسيات

٤ ـ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ( التوبة ١٤ )

ويخزهمـو وينصركم عليهـم
ويشف صدور قوم مؤمنينا

* * *

من أمثال العرب فى الجناح :

١ ـ ركب فلان جناحى نعامة : جدّ فى الأمر واحتفل .

٢ ـ فلان فى جناحى طائر : قلق وهش.

٣ ـ ركب فلان جناحى طائر : فارق وطنه .

٤ ـ نحن على جناح سفر : نريد السفر.

٥ ـ فلان فى جناح فلان : فى ذراه وكنفه. ( اللسان ).

* * *

يقول المبرد :

عجيب أمر الإنسان ، إن سنح له الرجاء أذله الطمع ، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأس قتله الأسف ، وإن أفاد مالا أطغاه الغنى ، وإن نالته فاقة فضحه الجزع . فكل تقصير به مضر ، وكل إفراط له مفسد .

* * *

قال رجل للرشيد : إنى أريد أن أعظك وأُغْلِظَ لك القول . فقال له الرشيد : ليس ذلك لك .

لقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر منى ، فأمره أن يقول له قولا ليناً . يشير إلى قوله تعالى لموسى وهارون : «اذهبا إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى » .

* * *

يقول الإمام مالك :

من ترك قول : « لا أدرى » أصيبت مقاتله

* * *

قال ابن عباس :

أرجى آية فى كتاب الله تعالى : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » .

**أحمد عمار**
نائب رئيس المجمع

# تطويع التكنولوجيا لاسترداد جمال الكتابة العربية

## للأستاذ المهندس صلاح عامر

**سياسة تقليص عدد حروف الكتابة العربية :**

لقد درج الكثيرون من أهل العربية على اتباع سياسة تقليص عدد الحروف العربية — فى سبيل تطويع الكتابة العربية لإمكانيات آلات الطباعة ، وخاصة الآلات الكاتبة السلكية واللاسلكية وفى الآلات الحاسبة ، وفى كل ما يستدعى الكتابة الآلية غير اليدوية :

وسارت سياسة التقليص فى خطتها مع أعلى المحافل الرسمية بل لقد تبناها مجمع اللغة العربية ، دهراً طويلا فأنشأ لجنة تيسير الكتابة العربية. ولقد انتهت دراسات هذه اللجنة بحمد الله عند حد من التقليص للحروف العربية لا يزال يرعى حرمة الكتابة العربية ونرجو ألا يتفاقم الأمر ويترامى إلى المدى الذى وصلت إليه سياسة التقليص فى جهات رسمية أخرى مثل ما هو جار فى إطار معهد لبحوث التعريب فى الرباط :

وساكتفى بثلاثة أمثلة تبين آثار خطة التقليص على جمال الكتابة العربية مبرزاً ذلك بين أنماط ثلاثة أولها الكتابة المتبعة فى طباعة الأحاديث النبوية ثم أردفها بمثالين لمحاولات التقليص بين مصر والرباط :

---

### الحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ،
فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ،
وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ

( ١ ) طباعة المابية ترعى الى حد ما جمال الخط العربى .

* ورأت اللجنة أن تستفيد من حروف المطبعة الأميرية
في فنها الخطي الذي يعتبر مثلا عاليا للكتابة العربية – فرأت
أن تتخذ منها الحروف التي لم يدخل عليها تعديل ، وأن تجود
الحروف المعدلة بحيث تساير في جودتها وحجمها ما لم يعدل ،
وبحيث تبدو الحروف في جملتها على نسق واحد .

على أن هذه المزاوجة بين الحروف المستبقاة والحروف المعدلة
ربما حالت دون التناسق المنشود على الوجه الأكمل . ولعل
التنفيذ العملي للطريقة على نطاق واسع يقتضي كتابة الحروف
كلها بقلم واحد ، وذلك ما رئي تأجيل البت فيه .

٢ ـ نموذج لما قررته أخيرا لجنة تيسير الكتابة العربية، ولقد بدأ استخدامه وهو كما قلت لايزال الحد الأدنى من أصول الكتابة العربية.

ASV-CODAR/TT N2/77

ASV·CODAR

# Text typeset in naskhi 2 typeface

without vowels

تشد الرحال وقت الحج فيقضي الحجاج* بجوار المسجد زمنا
يؤدون به الصلاة فإذا قدر لك أن تذهب إلى هذا المسجد
لراعك أن يجمع الألوف المؤلفة مجمع العبادة حيث يقفون
جميعا خاشعين أمام الله

أقبل العرب على فتح الشام واثقين من النصر

الماس نفيس

٣ ـ نموذج لمرحلة تقليص الحروف العربية في الرباط ، وتوجد ثلاث مراحل اخرى ادنى واوغل في التقليص

## آلة الطباعة أو الكتابة وأثرها على الخط العربى :

حقيقة لقد عانت كتابة الخط العربى الصحيح من قصور آلات الطباعة ، خصوصاً الآلات الكاتبة البرقية ، أو آلات تسجيل البيانات أو إدخالها فى العقول الإلكترونية ، فلقد قصرت دون أداء هذه الكتابة صحيحة فى أبسط الصور مثل الخط الرقعة أو النسخ . فلقد بدأ التصميم الأساسى لهذه الآلات مما يوفى احتياجات الحروف الإفرنجية ، واحتياجات الحروف الإفرنجية لا تستدعى نوعية من الحروف الصغيرة والأخرى الكبيرة . أما بالنسبة للحروف العربية فالأمر أكثر من ذلك بكثير ، فإن الحرف الواحد قد يحتاج إلى أربعة أشكال فيتغير شكل الحرف بحسب موقعه فى الكلمة ، سواء أكان فى البداية أو فى الوسط أو فى آخر الكلمة وكذلك فإن الحرف قد يأخذ شكلا رابعاً عندما يكون منفرداً . ولهذا فقد كان استخدام آلات الكاتبة البرقية الإفرنجية والمعدلة إلى العربية مؤدياً إلى اقتضاب فى كتابة الخط العربى وذلك مثل استخدام شكل الحرف الوسط مستعار من أحد أشكاله الأخرى وغيرها من التسويات التى قضت على جمال الخط العربى . فإن من يتابع كتابة الخط العربى ، وتقدمها يلمس كيف أنها قد وصلت إلى مستوى جعلها أساس فنون الزخرفة العربية كما تعددت أشكال الخط العربى ولكل منها روعته وجماله .

وكان كتاب هذا الخط من كبار الفنانين المرموقين ولقد قضى استخدام آلات الكتابة الإفرنجية لكتابة الخط العربى إلى زوال هذا الجمال ، بل لقد حرف هذا الأسلوب المستعار للكتابة العربية الكثير من قواعد اللغة العربية ، فإن من أبرز قواعد اللغة العربية التشكيل وهذا التشكيل للحروف عماد النطق العربى الصحيح وله دلالات فى المعنى تتغير عند فقدانه .

ولقد بذلت محاولات كثيرة لإخضاع اللغة العربية للقصور التكنولوجى فى تصميم هذه الآلات ، حتى لقد وصل الأمر إلى أن نادى البعض باستخدام الحروف العربية المنفصلة فى الكتابة ، بل لقد لجأت تركيا إلى استخدام الحروف الإفرنجية لكتابة الكلمات العربية ويالهول هذا المسخ . إنه لولا المصحف الشريف وما حباه الله به سبحانه وتعالى من الحفظ لذهبت الكتابة العربية إلى وادى النسيان ، بل إنه لولا زخارف المساجد التاريخية وما يزين جدرانها من كتابة الآيات القرآنية بالخط العربى الجميل انقدنا ذلك المستوى الرفيع الذى نفخر به للخط العربى . إن كتابة المصحف الشريف هى الحصن الذى حفظ الكتابة العربية أبد الآبدين . فلقد وفق الله أهل السلف من علماء المسلمين بما عرف عنهم من دقة وتحرى للحق أن يكون طبع المصحف الشريف مصوراً من أصول مكتوبة باليد وفق الخط العربى الأصيل ، وهكذا أدى المصحف دوراً يعتمد على أنه كتاب كل مسلم دورا

مباركاً فى أن ألف المسلمون وتعودوا رغم عوامل الزحف التكنولوجى المعادى لشكل الخط العربى الأصيل .

لا أريد أن أتجاوز حدود هذه المحسوسات إلى ما يقوله منصفون كبار من أن شكل الحروف العربية له أداء من ناحية الشكل لايقتصر على النطق الصوتى أو تكوين الكلمات المركبة بل إن له أسراراً يعرفونها ودليلهم على ذلك أوائل سور القرآن المعروفة بحروف النور .

لا أريد أن أزيد فى هذه المقدمة التى تؤدى إلى نتيجة هى الهدف من هذا البحث وهو أنه لابد أن نغير من اعتبارنا لأهمية الكتابة العربية ، ولابد من أن نرد للخط العربى الصحيح اعتباره كأداة للنطق العربى مبرزاً للمعانى السليمة للغة العربية وهذا يعنى :

أن نطوع التكنولوجيا لهذا الاعتبار ، وهذا يعنى أن تكون آلات الكتابة وعلى الأخص البرقية أو اللازمة للعقول الالكترونية ذات سعة لا تقل عن كتابة أشكال مختلفة لعدد حروف اللغة العربية الثمانية والعشرين بكافة أشكالها وكذلك بإضافة علامات التشكيل إلى إمكانيات هذه الآلات لو وضعها على الحروف كلما لزم ذلك ويعنى هذا أن تكون سعة المبرقة مثلا نحو ١١٠ حرفاً بالإضافة إلى علامات التشكيل :

**الاتجــاهات المختلفة الحالية للكتابة الآليـــه باللغه العربية :**

الأول — كما قلنا سابقاً ينحصر فى إعداد آلة كاتبة سواء فى جانب أزرار الطباعة أو فى ناحية الحروف بما يعادل كافة الأشكال المختلفة للحرف الواحد وعندئذ يكون عدد المفاتيح والحروف حوالى ١١٠ بالإضافة إلى علامات التشكيل ، ولو تأملنا سرعة الكتابة الآلية الجديدة والتى تعتمد على تمييز الطباع للشكل الواحد للحرف الواحد والذى يناسب موقعه فى الكلمة لوجدنا أن هذه السرعة ستكون بطيئة جداً مقارنة بالسرعة على الآلة الإفرنجية والتى لا تتجاوز أزرار الكتابة فيها الخمسين .

الثانى — الاتجاه الثانى كما أسلفنا هو ذلك العدوان الذى وقع على كتابة الخط العربى بتقليص عدد الحروف مما يتيح كتابة عربية غير مألوفة وغير مقبولة أو هو استخدام الحروف المتقطعة وأسوأ من ذلك استخدام الحروف اللاتينية لكتابة العربية الأمر الذى حدث فى تركيا والذى مازالت مختلف الجهود تبذل للتخلص من أضراره .

أما الاتجاه الأمثل فهو الذى يجب أن يحقق احتياجات كتابة الخط العربى بقواعده السليمة كما يجب أن يحقق احتياجات السرعة اللازمة للـــكتابة الآلية أو بمـــا يتيح كتابة آليه بسرعة تعادل السرعة المتحققة للكتابة الإفرنجية . ومثل هذا لا يتأتى كما سبق أن أوضحنا بزيادة الأزرار المقابلة لكامل أشكال الحروف العربية إلى ١١٠ غير علامات

التشكيل : أى أن احتياجات الكتابة الآلية السريعة تتيسر باختزال عدد الأزرار إلى ما يعادل نفس عدد الأزرار المستخدمة فى آلة الكتابة الإفرنجية على الأكثر أى ما يعادل نحو الخمسين :

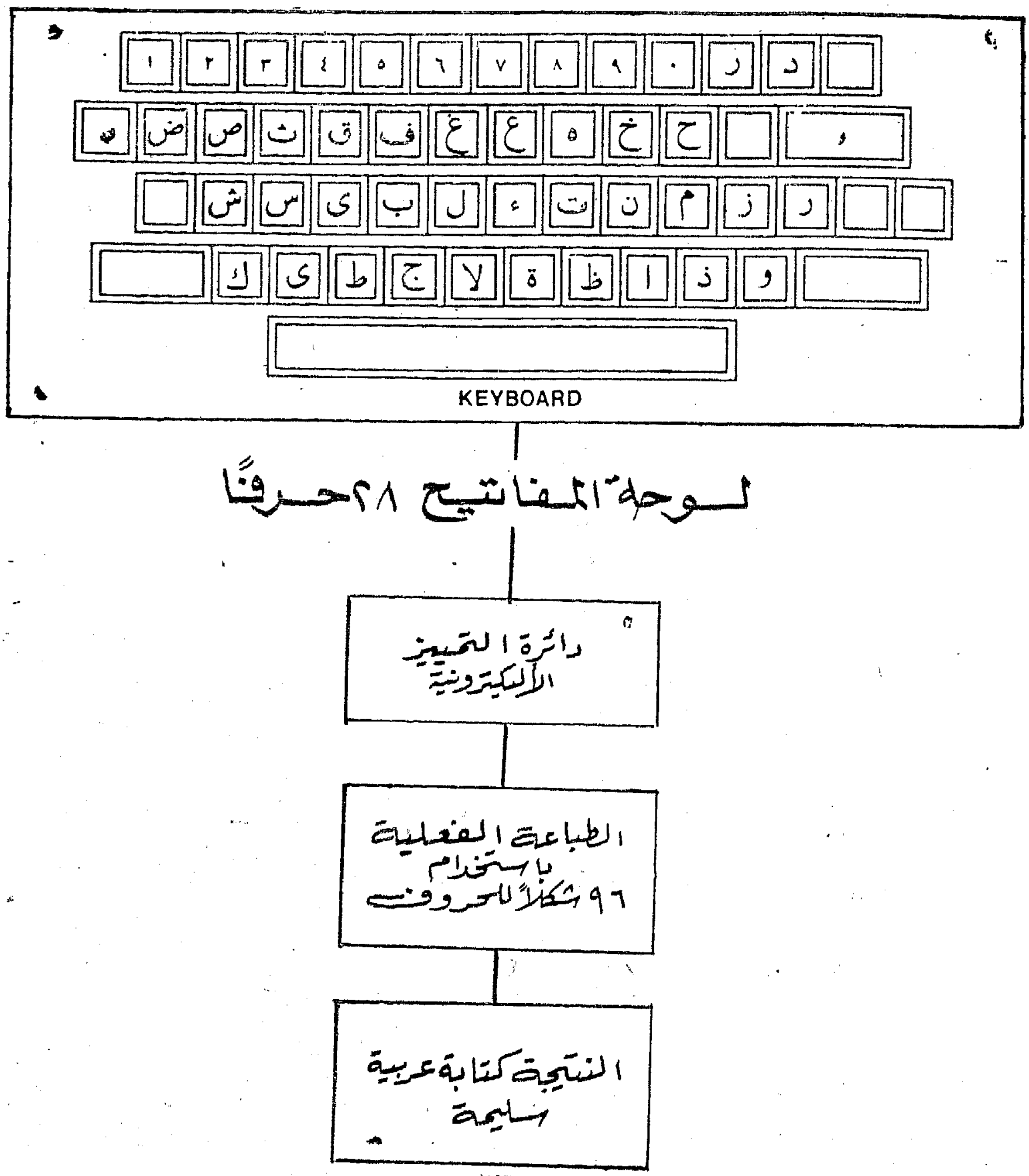
وإذا كان لابد من الجمع بين الشرطين ، وهو الكتابة الخطية المتعددة الأشكال أى أربعة أشكال تقريباً للحرف الواحد مع استمرار تحقيق ذلك باستخدام زر واحد للكتابة . وتحقيق ذلك هو ما سنحاول الكلام عنه فيما يلى :

**استخدام ذاكرة الكترونية للتمييز الدال على موقع الحرف :**

لقد قام بحث لتحقيق ذلك المنال فى جامعة مونتريال بكندا ، وسار البحث شوطاً بعيداً إلى الحد الذى أمكن فيه إنتاج نموذج لآلة كاتبة عربية ، أو فارسية ، يقتصر عدد أزرار كتابة كافة أشكال الحروف العربية فيه على العدد الأصلى الأساسى للحروف وهو ٢٨ حرفاً رغم أنها تطبع الكلمات العربية بالخط العربى الصحيح ، فبدلا من أن يكون الاتصال ميكانيكياً بين الأزرار وخزانة الحروف بواسطة روافع تدق شكلا واحداً للحرف فإن الاختراع يعتمد على ذاكرة الكترونية تتصل بالأزرار كهربائياً وماتقوم به هذه الذاكرة يتعادل تماماً مع الطريقة التى يميز بها عقل الإنسان عندما يكتب بيده كلمة عربية فإنه يدرك بتصوره قبل الكتابة موقع كل حرف فى الكلمة التى يكتبها ، ويكتبه بالشكل المناسب . وبالمثل فإن الذاكرة الالكترونية لا تعطى تعلياتها لخزانة الحروف الطابعة لكتابة أى حرف فى الكلمة إلا بعد تبين مدرك لموقعه؛أى هل هو فى الأول أو فى الوسط أو النهاية أو هو منفصل ؛ وهذا لا يحتاج إلا إلى تاخير طبع الحرف إلى ما بعد الضغط على زر الحرف الذى يليه ، فتدرك الذاكرة الالكترونية شكل الحرف المطلوب طبعه وتعطى تعلياتها إلى خزانة الطباعة بما يؤدى إلى تحقيق ذلك :

ولنعط مثالا واضحاً لكتابة كلمة «محمد»

| الأزرار التى يضغط عليها | عمل الذاكرة المميزة | خزانة الطباعة |
|---|---|---|
| الميم الأساسية | تحفظ علامة الميم | لا تطبع |
| الحاء الأساسية | تحفظ الحاء ، وتعطى تعليمات للذاكره مميزة شكل الميم الأولى | تطبع ميما أول حرف متصل |
| الميم الأساسية | تحفظ الميم ، وتعطى تعليمات مقررة حاء فى الوسط | تطبع حاء بخط شكل الوسط |
| الدال الأساسية | تحفظ الدال وتعطى تعليمات مقررة لميم وسط | تطبع ميما متصلة فى الوسط |
| فترة انتظار | بعد فترة زمنية مدتها حرف تقرر دالا نهائية | تطبع دالا فى نهاية الكلمة |




شكل توضيحي لآلة الكتابة العربية السليمة

يبين الشكل المرفق وهو المقدم من مجموعة صناعية أمريكية قامت بدراسة تطبيق التصميم المخترع بواسطة أساتذة جامعة مونتريال ومن الشكل يتبين :

١ ـ أن لوحة أزرار الحروف بسيطة لا تحتوى إلا على الشكل الأساسى للحرف العربى المنفصل وكذلك الأرقام ؛ وهذا الاختصار له دور أساسى فى أن تكون سرعة الكتابة عالية ومعادلة على الأقل لسرعة الآلة الكاتبة الإفرنجية .

٢ ـ إن تحريك الخزانة الخاصة بالحروف العربية يتم باتصال كهربائى من أزرار لوحة ضغط الحروف ويبدأ بدوائر . إحداهما دائرة « إجراء كهربائى » للحرف عليها « ذاكرة » ثم تتفرع منها دوائر كهربائية ميكانيكية خاصة بتنفيذ التعليمات المتعلقة بطباعة الحرف أو الرقم المطلوب بالشكل المناسب :

٣ ـ من نتائج هذا النظام أن يستخدم فى لوحة الأزرار عدد ٣٣ زراراً ويبقى من عدد ٥٢ زراراً فى اللوحة الإفرنجية عدد وافر من الأزرار لاستخدامها فى عملية كتابة التشكيل على الحروف العربية إذا أريد ذلك.

**بعض آثار الانفتاح التكنلوجى على الكتابة العربية :**

لا أقصد فيما أقول عن الطريقة المثلى للكتابة الآلية للخط العربى الصحيح أن أنسب لنفسى أى فضل فيما تم من بحوث بل لست إلا ناقلا للقدر الذى درسته من هذه البحوث فى لقاءات تمت فى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مع بعض أصحاب هــذه البحوث . والحقيقة أن المنهج الذى اتبعوه فى تطوير الآلة الكاتبة والمبرقة العربية ، هو نفسه ما يدور بخلد الكاتب للخط العربى بيده ؛ فإنه لا يعطى الحرف العربى شكله المناسب إلا بعد أن يميز موقعه فى الكلمة ، وهو ما تقوم به وحدة التمييز الالكترونى فى الآلة الكاتبة المبتكرة . ونتائج هذا الابتكار أن أصبح الكاتب لا يلمس إلا الحروف الأساسية للغة العربية وهو ما يعنى فى حالة إرسال رسالة بالمبرقة أن يكتفى بشفرة مختصرة هى الشفرة اللازمة لثمانية وعشرين حرفاً فقط ، أما كتابة الشكل المناسب للحرف فيتم عند نهاية الاستقبال بواسطة وحـدة التمييز الالـكترونى والتى تعطى تعليمات صحيحة عن شكل الحرف إلى خزانة حروف الطباعة حيث يطبع هذا الحرف بالدق على صفحة ورق الكتابة .

وإن نتائج اختصار الشفرة ، والتى هى عبارة عن سلسلة العلاقات الكهربائية المكونة من نقط وشرط ، أن زالت كافة العوائق التى حالت دون استخدام اللغة العربية كأساس فى مختلف الأجهزة التكنولوجية الحديثة ؛ فلقد أصبح تخزين العقول الالكترونية بالمعلومات المعينة ـ سواء أكانت بيانات أو عمليات حسابية ـ ممكنا باللغة العربية ، بل يقرر علماء الحاسبات

الالكترونية أن اللغـــة العربية بطبيعتها يجرى فيها تركيب الجمل والتعبير عن المعانى والاشتقاق من مادة فعل واحد على طريقة التصريف المعروفة مما يخضع اللغة العربية للترجمة الحسابية أكثر من غيرها . وتستطيع بذلك أن تحقق ما يحتاجه استخدام اللغة العربية فى الحسابات الالكترونية من تخزينها أو استخراجها إما على شاشات الكتابة الفوسفورية أو بالتسجيل على الأشرطة الخاصة بها أو غيرها من وسائل التخزين . ووسيلة الإدخال بسيطة مختصرة، وطريقة لإخراج بالشكل المكتوب أو المرسوم على الشاشة قد أصبح على أحسن وجه .

كذلك قد توصل أولئك الباحثون فى جامعة مونتريال إلى اختراع وحدات جديدتعطى مزايا جديدة للآلات الكاتبة مثل استرجاع ما تمت كتابته بقصد التصحيح . وذلك باستخدام ذاكرة الكترونية مبسطة فى وحدات التميز ، كذلك توصلوا إلى استخدام ذاكرة أكثر دقة تمكن من استيفاء قواعد اللغة العربية فى الجملة الواحدة وتلك عن طريق التمثيل الحسابى للغة العربية ،أو بمعنى آخر قد اخترعوا ما يقوم بدور المصحح فى الجرائد والمجلات .

**الخلاصة :**

أنه لم تعد هنالك مشكلة يمكن أن تفرض على المتكلمين والكاتبين للغه العربية ، بأن يقبلوا أى نوع من الكتابة المشوهة بسبب القصور التكنولوجى ،أو أن يرضوا بالخطأ اللغوى لعدم وضع علامات التشكيل على الكلمات .

كذلك لم يعد هناك سبب يفرض على هيئات الاتصالات السلكية واللاسلكية بأن تضع اللغة العربية فى زوايا النسيان ؛ لعدم صلاحيتها لتعدد أشكال حروفها إلى أن تكون واسطة الاتصال البرقى والتلكس بكافة أنواع أشكال الخط العربى والقراءة الصحيحة .

والله الموفق .

**صلاح عامر**

# كتاب "السحر والشعر"

## للدكتور مصطفى الشكعة

إن محمد بن عبد الله ابن محمد بن محمد بن سعيد السلماني المشهور بلسان الدين الخطيب يعتبر هدية الثقافة العربية والإسلامية إلى الأندلس، كما يعتبر هدية الأندلس إلى الثقافة الإسلامية والأدب العربي بشكل عام.

وسيرة لسان الدين مسطورة على صفحات كتب الأدب والتاريخ. فقد كان رجل سياسة وحكم، ورجل علم وفكر وأدب يمارس الحكم بالنهار، ويتعاطى القراءة والتأليف بالليل، ولكثرة ما أنتج من علم وأدب لقب بذى العمرين فإن نتاج فكره وممارسته لحياته السياسية يصعب أن يتسع لهما عمر واحد، وكانت آفة الأرق التى أصيب بها لسان الدين هى التى وهبته العمر الثانى الذى منحه فرصة القراءة والتأليف.

ومؤلفات لسان الدين من الكثرة والنفاسة بمكان، فقد ألف ما يناهز ستين كتاباً فى مختلف العلوم والفنون من أدب وتاريخ وتراجم ورحلات وبلدان وسياسة وطب وفقه وتصوف وعلم كلام واختيارات أدبية، كما كان كاتباً شاعراً وشاحاً.

ولسنا الآن فى مجال سرد كتب لسان الدين وتقويمها؛ فإن ذلك مما يضيق عنه مجالنا[١]، وإنما نحن نريد دراسة كتابه «السحر والشعر» الذى هو ضرب من ضروب الاختيارات الأدبية.

على أن «السحر والشعر» ليس الكتاب الوحيد الذى صنفه لسان الدين فى الاختيارات الشعرية، فإن له كتاباً آخر، ولكن فى الموشحات المختارة أسماه «جيش التوشيح»، وهو مطبوع فى تونس والحصول عليه سهل ميسور. ولقد ترجم جيش

---

(١) يراجع الفصل الذى كتبناه عن لسان الدين ومؤلفاته فى كتابنا «مناهج التأليف عند العلماء العرب». طبع دار العلم للملايين.

التوشيح لستة عشر وشاحاً أندلسياً وأورد لهم مائة وخمسا وستين موشحة، وأشهر هؤلاء الوشاحين هم ابن بقّ التطيلي الضرير، ابن الأبيض، أبو بكر الداني المعروف بابن اللبانة.

إن كتاب جيش التوشيح إذن واحد من كتب الاختيارات الشعرية، ولكنه موغل في التخصص، لأن مؤلفه قصر مادته على الموشحات دون غيرها من فنون الشعر.

فإذا ما عدنا إلى الحديث عن كتاب «السحر والشعر» وجدناه مقصوراً على مقطوعات من فن القصيد دون فن التوشيح، ووجدناه أيضاً يضم أسماء بعض ن ذكرنا من الوشاحين الذين ضمهم «جيش التوشيح»، ولكن من خلال قطوعات شعرية أوردها لهم المؤلف، وليس من خلال الموشحات.

**كتب الاختيارات الشعرية:**

يرجع هذا الفن من التصنيف الأدبي إلى القرن الثاني الهجري فإن المفضل الضّبّي المتوفى سنة ١٧٥ هـ هو أول من طرق هذا اللون من التأليف، بتصنيفه مختاراته التي عرفت باسم «المفضليات»، ثم تلاه عبد الملك بن قريب الأصمعي (١١٢ – ٢١٦ هـ) بمجموعة اختياراته التي عرفت باسم «الأصمعيات» والتي تشترك مع مجموعة المفضليات في كثير من النصوص، ثم تلت هاتين المحاولتين محاولة ثالثة قام بها أبو زيد محمد بن أبي طالب القرشي أسماها «جمهرة أشعار العرب»، وفيها عمد إلى جمع أشهر القصائد العربية تحت عناوين براقة مثل المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي والمشوبات والملحمات. وهذا النمط من التصنيف يمثل تطوراً ملحوظاً في هذا الفن من الاختيارات الشعرية.

فلما جمع أبو تمام «حماسته» كانت بمثابة فتح جديد ونقلة واسعة في تصنيف الاختيارات بحيث سار من جاءوا بعده على نهجه، وأطلقوا على اختياراتهم نفس العنوان الذي أطلقه أبو تمام على اختياراته والتسمية هنا من باب تسمية الكل باسم الجزء، فليست كل اختيارات أبي تمام مما يقع تحت باب الحماسة، وإنما موضوعات حماسته على النحو التالي: الحماسة، المراثي، الأدب، النسيب، الهجاء، الأضياف، المديح، السير والنعاس، الصفات، الملح، مذمة النساء.

وبعد أبي تمام ظهرت حماسات كثيرة رسمت على منواله على الأكثر، واختلفت عنه في الاقل، وإن عمد بعضها إلى مزيد من التفصيل ووفرة من النصوص، وأشهر هذه «الحماسات» حماسة البحترى وحماسة الخالديين وتعرف أيضاً بالأشباه والنظائر، والحماسة الشجرية والحماسة المغربية ليوسف البياسى الأندلسى المتوفى ٦٥٢ هـ، والحماسة البصرية لصدر الدين أبي الفرج بن الحسين البصرى المتوفى ٦٤٧ هـ.

فالحماسات أو الاختيارات الشعرية كما رأينا كلها مشرقية باستثناء الحماسة المغربية، وحماسة أخرى لم تصل إلينا حتى الآن: هى حماسة الأعلم الشنتمرى، وهنا يكمن السر العظيم فى أهمية مختارات لسان الدين «السحر والشعر» لأنهما صدرت فى فترة زمنية مناسبة، وتعتبر حلقة نفيسة تكمل السلسلة المتتابعة لظهور كتب الحماسات والاختيارات.

**نسخ الكتاب :**

هناك عديد من النسخ الخطية متناثرة فى المكتبات شرقاً وغرباً وأكثرها مما يصعب قراءته، على أن أفضل النسخ التى يمكن الاعتماد عليها بحيث من يمكن خلالها تحقيق الكتاب وإخراجه هى النسخ الآتية :

١ ـ نسخة الأسكوريال المقيدة تحت رقم ٤٥٦

٢ ـ نسخة المكتبة الملكية فى الرباط المقيدة تحت رقم ١٢٩٥

٣ ـ نسخة المكتبة الوطنية فى تونس المقيدة تحت رقم ٢٢٩٨

ولقد اعتمدنا فى هذه الدراسة على نسخة مصورة من نسخة الأسكوريال أطلعنا عليها تلميذنا قدور إبراهيم عمار ابن محمد الذى بذل مجهوداً مشكوراً فى تحقيق الكتاب ونال به درجة الماجستير من جامعة عين شمس، والنسخة مكتوبة بخط مغربى جمع بين الوضوح والجودة.

**تعليل عنوان الكتاب :**

إن لسان الدين أطلق على كتابه عنوان «السحر والشعر»، وقد عمد إلى ذلك عمداً حين علل مذهبه هذا فى مقدمة كتابه، والحق أن الأمر أيسر من أن يشغل لسان الدين، فيجعل من عنوان كتابه ما يوحى إلى القارىء العابر أن فيه مادة يمكن أن

تكون سحرًا ، ومادة أُخرى أسماها شعرًا ، والأمر في حقيقة مفهوم لسان الدين أن السحر هو ذلك الشعر المجوَّد المحلِّق الذى يهزّ النفس وينفذ إلى أعماقها ، ويستولى على مجامع الإعجاب ويخلب الجوانح والأعطاف ، وما كان دون هذا المستوى فهو الشعر ، فالمسألة فى حقيقتها وجوهرها تكمن فى المدى الرفيع الذى استطاع الشاعر أن يصيبه من خلال فن القول بكارة فكرة ورقة صياغة وقدرة إبداع وعمق إثارة ، براعة تناول ، فإن أصاب الشاعر هذه الأغراض مجتمعة فجماع قوله سحر ، وإن قصَّر عن واحدة منها فحصيلة قوله شعر . ولا بأس علينا من أن نستعرض قول لسان الدين فى هذا السبيل :

« ولما كان السحر قوة ظهرت فى النفوس أفعالها ، واختلفت بحسب الوارد أحوالها ، فترى فى صورتها الحقيقية خيالها وتبدى فى هيئة الواجب محالَّها ، وكان الشعر يملك مقادتها ، ويغلب عادتها ، وينقل هيئتها ، ويسهل بعد الاستصعاب خبيئتها ويُحمل فى قده ، على الشيء وضده ، حتى إذا حضر ما يناسبه ، وتقضى إليه مذاهبه ، وقرنت به الألحان على اختلاف حالاتها ، وما تقتضيه قوى استحالتها ، عظم الأثر ، وظهرت العِبر ، فشجّع وأقدم ، وسهَّر ونوَّم ، وحبَّب السخاء إلى النفس ونهى ، وأضحك حتى ألهى ، وأحزن وأبكى وكثير من ذلك يُحكى ، وهذه قوى سحرية ، ومعان بالإضافة إلى السحر حرية ، فمن الواجب أن يسمى الصنف من الشعر الذى يخلب النفوس ويستفزها ، ويثنى الأعطاف ويهزها ، باسم السحر الذى ظهرت عليه آثار طباعه ، وتبين أنه نوع من أنواعه ، ولهذا المعنى فى قوله — صلى الله عليه وسلم — « إن من البيان لسحرًا » تتوجه إشارة حرف التبعيض ، وإليه ينظر يفطن لهذا المعنى ، من يُعنى فى سر الكلام بما يُعنى فقال :

فى منطق القـول تزيينٌ لباطِلِهِ
والحقُّ قـد يعتريه سوءُ تعبيرِ
تقـولُ هذا مجاجُ النحلِ تمدحه
وإن ذَمَمْتَ قلْ : قَيْءُ الزنابيرِ
مـدحٌ وذمٌّ وعينُ الشيء واحـدةٌ
إن البيانَ يُرِى الظلماءَ كالنورِ

بالطرف الغضيض ، وما قصر عن هذه الغاية القاصية ،والمزية المتصعبة على المدارك المتعاصية سمى شعراً تختلف أحواله عند الاعتبار ، وتتميز شبهه من النضار . وينقسم إلى أقسام : منها ما يلحظ عندما يلفظ ، لا يرى ولا يحفظ ، ومنها ما يعبث به ويسخر فلا يقتنى ولا يدخر ، ومنها ما يستخف ويستثقل ، فلا يروى ولا ينقل ، ومنها ما اشتمل على لفظ فصيح ، ووصف صحيح ، وقافية وثيقة ، وإشارة من العبارة أنيقة ،واشتمل على الحكم والأمثال ،ومعظم الشعر على هذا المثال ، ولكل قسم بيت مذكور ، وشاهد مشهور ، فإذا قلت سحر فعلى هذه المقاصد المنوية ، وإذا قلت شعر فالتخصيص والمزية » .

إن واقع الحال يشهد بأن لسان الدين قدم لنا طرفة أدبية بهذه المقدمة فى أسلوب عذب موقع ،وألفاظ حلوة منتقاه ، وديباجة وضاءة مشرقة ، وأما الفكرة التى حاول أن يجعل منها قضية أدبية بوضع حدود واضحة بين السحر والشعر ، فما زالت غائمة غائبة ، ولعل السحر الذى ذهب إليه هو مجرد الشعر المعجب المجود ، وحتى هذا اللون من الشعر تختلف فيه مقاييس الناس ومعايير النقاد .

هذا وإن لسان الدين قد كفى قارئه – بل كفى نفسه – مؤونة الانشغال بالبحث عن الحدود التى تفصل بين ما هو سحر وما هو شعر حين قدم لباب الفخر بقوله : « ونمط هذا الباب يتنازع الكثير منه أسلوبا السحر والشعر » ثم يستطرد قائلا « فليكن الخيار فى نسبته إلى الناظر فيه بحول الله » .

على أن لسان الدين يقدم بعض مختاراته بوصفها نمطاً من أنماط السحر وينص على ذلك نصاً صريحاً .

مثال ذلك ما أورده لأبى الفرج بن الجوزى ، وقد ليم على اكتحاله يوم عاشوراء فى قوله :

ولائم لى على اكتحالى
يوم أراقوا دم الحسين
فقلت : كفوا ، أحق شىء
فيه يلبس السواد عينى

ويورد فى مقام الغزل بيتى جرير المشهورين :

إنّ العيونَ التى فى طَرْفِهَا حَوَرٌ
قَتَلْنَنَا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانَا
يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حتى لاحراكَ به
وهُنَّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ إنْسانَا

ويتمثل لسان الدين في مقام أنماط السحر، بنماذج لاتحصى من شعر الغزل، ولا ينسى نفسه أيضاً فيتمثل ببعض شعره .

وفي باب الوصف يتمثل بنماذج عديدة مختارة لشعراء من مختلف الأمصار الإسلامية فمن ذلك ما نسبه إلى ابن قلاقس الإسكندري :

بَلَــدٌ أَعَــارَتْهُ الْحمَامَةُ طَوْقَهَــا
وكَسَاهُ رِيشَ جنَــاحِهِ الطَّاوُوسُ
فكأنَّمــا الأنهــارُ فيــه سُلَافَــةٌ
وكأنَّ ساحاتِ الديار كُــؤُوسُ

ويعتبر لسان الدين جميع مختاراته التي قدمها في باب الوصف من نمط السحر.

وفي باب الملح يتمثل ابن الخطيب بمختارات كثيرة طريفة من ذلك الذي يعتبره من نمط السحر كقول الشاعر :

ذكَرْتُ له ضَيْفــاً فظَنَّ بأَنَّــني
ذكرْتُ له ضَيْفاً فقام إلى السَّيْفِ
فقُلْتُ له خَيْــرًا فظَــنَّ بأنَّــني
ذَكَرْتُ لهُ خُبْزًا فماتَ من الْخَوْفِ

وهكذا يختار لسان الدين نماذجه في كتابه « السحر والشعر »، ويصنفها شعرًا أو سحرًا حسب تقويمه الخاص لها، ذلك التقويم الذى قد يتفق معه فيه بعض النقاد، ويختلف معه فيه آخرون .

ومهما كان الأمر فإن مختارات لسان الدين تعتبر من عيون الشعر العربي وهى دليل واضح على ذوقه الرفيع واطلاعه الواسع .

**لسان الدين يجمع الكتاب :**

إن لسان الدين شأنه في ذلك شأن كل عالم بفنه ، يكتب مقدمة كتابه يوضح فيها منهجه ويذكر المناهل التى منها اقتبس مادة الكتاب وهى هنا عراقية حجازية مصرية يمانية خراسانية إفريقية أندلسية ، ويسجل أنه انتقاها بعناية مستأنية وذوق رفيع فيقول فى ذلك :

« فإني لما قَيَّضَ اللهُ مني للآداب مجلِّي سماتها ، وناشرَ رممها بعد مماتها ، وَصاقِل صفحاتها ، وقدْ مَحا محاسِنَها الصَّدَا ، على بُعْدِ المدى بعد مماتها ، وموضح طريقتها المثلى وقد أضحت طرائق مددا ، والغاشي إلى ضوء نارها لعلِّي أجد على النار هدى ، بذلتُ فيها كلَّ مَنّ ، ولم أقتصر من فنونها المغربية على فنّ ، فجعلت عقائلها تتزاحم عليَّ تزاحم

الحور على ساكن جنان الحبور، فقيدت في شواردها بالكتاب مالم تقلّه ذوات الأقتاب، وأتيتُ بيوتها من الأبواب، فكان ما قيدته من الغُرَر، واقتنيْتُهُ من نفائس الدُّرَر التي لو تجسدت للعيان لكانت ياقوتاً، أو اسْتُطْعِمَتْ لكانت للقلوب قوتاً، ولو ورد في الخبر المنقول، الأمر بحفظ القرائح والعقول، لكانت كتاباً موقوتاً. فمن كل عراقية المنتمى مترددة بين الرصافة ومحراب الدمى[1]، ماء الرافدين على أعطافها يسيل، وسر من رأى ما انجلى عنه خدها الأسيل، وشامية تقلبت بين الجابية والبلاط[2] أي متقلب، وبقية مما ترك آل حمدان في حلب، وحجازية ورى لها في الفصاحة الزند، أو تضوع في آفاقها الشيح والرند، ويمانية تعلمت وشي برودها، وخراسانية غار سيحان ببرودها، ومصرية ضُرِبَ على محاسنها الفسطاط، وهاجرت بسببها الانباط، وسكنت مدينة الإسكندرية حيث الرباط، وإفريقية تفرق النفوسُ لتوقع فراقها، وتغار الشموس عند إشراقها، وغربية حطّتْ لها العُصْم، وطلعت آياتها في المغرب فَبُهِتَ الخصم، وأندلسية لها المزية والشفوف، وأولياؤها الكماة وشهودها الصفوف. . . . وأودعت منها المهارق[3] كنوزَ نُضَار، لايُحْصى عليها بغير القريحة من نار، وصيرتُ المغرب الأقصى مشرق أنوار، لأُحضرَ في المحاضرة عقودَها، وأدفعَ عند الاقتضاء نقودَها، وأنشر في كتائبِ البيانِ ومواكبِ أرباب اللسانِ بُنُودَها، وعاقني عن إبدائها وإماطة ردائها مهمٌّ من النظرِ صرفْتُ إليه ركابي، وشاغلٌ إلى غير تلك الطبيعة حرابي».

على أن السبب الأصيل في ظهور هذا الكتاب إلى الوجود بعد أن أخذ من مؤلفه فترة زمنية طويلة في الجمع والانتقاء هو أن ولده عبد الله قد نما عوده، وبلغ مبلغ الشباب، وأراد لسان الدين أن يثقفه ويؤدبه، فسارع إلى إخراج الكتاب، لكي يكون وسيلته إلى هذا الغرض، تماماً كما كان «المفضليات» وسيلة تأديب «المهدى» وتهذيبه.

إن لسان الدين يصوغ هذا المعنى في هذا السياق الأدبي المتميز:

« ولما طلع الآن الولد عبد الله – يسّر الله نجابتَه، وعجّلَ تلبيَتَه لداعي الرشدِ

(١) محراب الدمى باحة في أحد قصور صنعاء.

(٢) الجابية والبلاط قريتان من اعمال دمشق ونابلس.

(٣) المهارق: الصحائف.

وإجابته - اغتنمت له فرصة العمر عند إمكانها ، واهتبلت غرة الدنيا المتقلبة بمكانها ، وأعددت له العتاد الذى يجده ، واستدعيت له المدد الذى ينجده ، واستخرت له من شيوخ وقته من أغضى عنه حِمَامُهُ ، واتصلت به أيامُه ، وله قصائد فى الوصايا والمبادىء يستقبل مع التوفيق درْسهَا ، ويجنى مع السعادة غَرْسها ، وظهرلى أن أُيسر له الآن مجموع هذه الأناشيد ليُحاضَر بها ويتمثل ، ويتأسس البيان بذكرها لديه ويتأثّل ، فى رقاع تزهو بالقلائد ، وتجعل تمائم على نحور الولائد ، على ترتيب معلوم ، ورصف مرسوم ، كالمدح وما يناسبه ، والنسيب وما يناسبه ، والوصف وإن تشعبت مذاهبه ، والملح ومنها محاسن الشىء ومعانيه والحكم والزهد وما اشتمل عليه واجبه ، مما تمامه نُسْك ، وختامه مِسْك ، ليكون أجمعَ للفكر ، وأسهلَ للذكر » .

إن المقدمة - كما رأينا - مكتوبة بأسلوب مشرق ، ونهج موقع ، وقد أوضح لسان الدين أنه تأنق فى اختيار مادة كتابه الشعرية ، وأخذ من كل غرض بسبب فاختار روائع المديح والنسيب والوصف والملح والحكم والزهد ..

وهى أبواب أجاد الشعراء معالجتها على مر الزمان مهما اختلف المكان وتباينت الأوطان .

ولا شك فى أن هذه الاختيارات قد أخذت من المؤلف زمناً طويلًا ربما كان الجزء الأكبر من عمره ، كلما قرأ نصاً شعرياً أعجبه سجله واحتفظ به فى بابه حتى إذا تجمع له من النصوص الجيدة ما يصلح لأن يشكل كتاباً سارع إلى النهوض بهذا العبء وكان الدافع الأكبر إلى ذلك هو أن ولده عبد الله قد بلغ مبلغ اليفاع ، وصار فى حاجة إلى التثقيف والتأديب ، فكان أن وضع لسان الدين مختاراته تلك فى صورتها التى بين يدينا ، وجعل منها واحداً من المصادر التى تنهض سبباً لتثقيف عبد الله وتعليمه ، وهو فى هذا السبيل يختلف مع أبى تمام فى « حماسته » ذلك أن أبا تمام جمع مادة « الحماسة » فى زمن قصير حين حبسه الثلج عن السفر واضطر إلى الإقامة فى همذان ضيفاً على صديقه أبى الوفاء بن سلمة حتى يذوب الثلج ، وتتيسر أسباب السفر ، وليس الأمر كذلك فيما يتعلق بلسان الدين الذى جمع مادة كتابه متأنقاً مستأنياً خلال عديد من السنين .

منهج الكتاب :

يقع كتاب « السحر والشعر » فى جزءين يضمهما مجلد واحد كبير أو فى جزء أصيل وملحق ، تسبقهما مقدمة أنيقة الأسلوب تتناول مبحث السحر والشعر حسبما أسلفنا القول .

ومجموع المقطوعات التى يضمها الأصل والملحق ألف وسبع وخمسون مقطوعة ، يضم الأصل سبعمائة وخمساً وأربعين منها ويضم الملحق ثلاثمائه واثنى عشرة .

أما أبواب الكتاب فهى المدح ثم الفخر ثم الرثاء ثم النسيب ثم الوصف ثم الملح ثم الحكم والجد .

وأكثر الأبواب عدد مقطوعات هو النسيب ويضم مائتين وأربعاً وأربعين مقطوعة ، يليه باب الوصف ويضم مائتين وسبعاً وعشرين ، يليه باب الملح ويضم مائة مقطوعة وثلاث . أما بقية الأبواب فيضم كل منها عددا من المقطوعات يقل كثيرًا عن المائة .

هذا فيا يتعلق بالأصل أو الجزء الأول ، وأما الجزء التالى أو الملحق فأكبر أبوابه هو أيضاً باب النسيب الذى يضم مائة وأربعين مقطوعة ، وأما بقية الأبواب فعدد المقطوعات فى كل واحد منها دون الخمسين ، وأصغرها حجماً باب الحكم والجد الذى يضم عشرين مقطوعة .

أما المقطوعات نفسها فلا تزيد على أربعة أبيات وفى حالات قليلة تصل إلى خمسة ، ماعدا حالتى استثناء فى مقطوعة خمرية لأبى نواس مطلعها :

ودارِ ندامى عطَّلُوها وأدْلَجُوا
بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ

فقد بلغت ثمانية أبيات ، ومقطوعة أخرى لابن اللبانة فى مدح المعتمد بن عباد بلغت أبياتها سبعة .

ولقد حرص لسان الدين — عن قصد منه — أن تكون مقطوعات كتابه مقسمة بين شعراء المشرق وشعراء الأندلس قسمة تكاد تكون مناصفة ، فإن كانت ثمة غلبة لفريق فهى للمشارقة ، ولكن بصورة لا تخل كثيرًا بالميزان الذى تمثله المؤلف . بل إن المؤلف حرص على تمثيل العصور الزمنية والاصقاع المكانية مع إهمال كامل للعصر الجاهلى الذى لم يختر منه غير نص واحد لزهير ، ثم اختيار عدد قليل من النصوص لشعراء أمويين محدودين هم جرير وقيس

بنى عامر وقيس بن ذريح ويزيد بن الطثرية ، وكلها فى النسيب ، ولعل لسان الدين قطن إلى أنه مما يخل بمنهج كتابه أن يخصص بابين طويلين — بل الحق أنهما أطول الأبواب فى كل جزء — ولا يذكر شيئاً لشعراء النسيب فى أزهى عصور النسيب بل لعله من العجب حقاً أن يخلو بابا النسيب من نصوص استاذى هذا الفن وهما عمر ابن أبى ربيعة وجميل بن معمر .

ولنا أن نتساءل والأمر كذلك : هل ترك لسان الدين — عن قصد — النصوص الجاهلية والإسلامية والأموية لأن مصنفى كتب الاختيارات الشعرية والحماسات الذين سبقوه قد اختاروا من نصوص هذه الحقب ما يفى بحاجات الدارسين ؟ ربما كانت الإجابة بالإيجاب ؛ فقد صنع ذلك كلٌّ من أبى تمام والبحترى فى حماستيهما ، وأن ذلك هو الذى وقر فى خاطر لسان الدين ، إذ أنه ليس مما يتفق وذوق عالمنا الكبير أن تكون نظرته لشعراء هذه العصور نظرة من يسىء الظن بهم وفيهم امرؤ القيس ولبيد والنابغة وحسان والحطيئة وكعب بن زهير والأخطل والقطامى والفرزدق وذو الرمة والراعى والسيد الحميرى وابن ميادة وعدىّ بن الرقاع وغيرهم من نجوم الشعر وأعلامه .

فاذا ما تبعنا أسماء الشعراء بعد ذلك وجدنا نصوصا لكل الشعراء المشهورين فى عصر الباكورة العباسية من أمثال بشار وأبى نواس ومسلم وأبى العتاهية وديك الجن وأبى الشِّيص ودعبل والعتابى والعكوك وأبى تمام وعلى بن الجهم وابن المعتز وابن الرومى ، ثم يمضى ابن الخطيب مع بقية شعراء العراق فى القرن الرابع الهجرى فيختار مقطوعات لمشاهيرهم من أمثال الشريف الرضى ومهيار الديلمى والسلامى وابن حجاج وابن سكرة الهاشمى وابن لنكك البصرى وابن نباته السعدى وقلة أخرى من شعراء العراق ، بل لعله يمضى مع الزمن ويختار من شعراء العراق العجمى من أمثال المأمونى والأبيوردى فى آخر القرن الخامس .

وإذا كان لسان الدين قد احتفل ببيئة بغداد ذلك الاحتفال الذى جعله يكثر من الاختيار لهذه الكوكبة من شعرائها الذين سلف ذكرهم ، فإنه قد احتفل بشعراء بيئة أخرى ممرعة خصيبة هى بيئة حلب فى ظل سيف الدولة الحمدانى ، فقدم عدداً كبيراً

من مقطوعات شعراء الأمير، مثل أبي فراس والصنوبرى والسرىّ الرفاء وكشاجم، والخالديين والوأواء الدمشقى والنامى وأبى الفرج الببغاء والخباز البلدى، وأخيـرًا المتنبى، وإن كنا لاحظنا أنه لم يورد لشاعر العربية الكبير إلا عددًا قليلا من المقطوعات لايتفق ومكانته الكبيرة التى احتلها عن جدارة فى مملكة سيف الدولة، وفى سماء الشعر العربى. وما دام لسان الدين بصدد الاختيار من البيئة الحلبية فقد وجد نفسه دون أن يدرى أمام عملاق معرة النعمان، فاختار له بعض مقطوعات من شعره.

ولما كان لسان الدين كاتباً شاعرًا يتذوق نبرة الشعر الصادر عن الفكر قبل الجوانح فقد أعجب بفرائد صدرت عن الملكات الخصبة لكتاب العربية الكبار الذين كانت لهم مشاركة فى الشعر فأورد كثيرًا من المقطوعات لبديع الزمان وأبى بكر الخوارزمى والوزير المهلبى والصاحب إسماعيل بن عباد وأبى إسحاق الصابى والأمير قابوس بن وشمكير والبستى وسهل بن المرزبان وأبى العباس الميكالى وهذان الأخيران من أعيان مدينة نيسابور، بل لعل كتاب يتيمـة الدهر للثعالبى كان أمام لسان الدين وهو يختار لبعض هؤلاء، ومن الطريف أنه اختار للثعالبى نفسه مقطوعة أو مقطوعتين، كما اختار مقطوعة للباخرزى صاحب الدمية التى تعتبر امتدادًا ليتيمة الدهر.

ولسان الدين عالم بالإضافة إلى كونه كاتباً شاعرًا فشده حنينه إلى العلماء، ونظر فى أشعار بعضهم فأعجبته فاختارها وضمنها دفتى كتابه، فأورد مقطوعات شعرية لكل من الزمخشرى وابن الجوزى وعبد الوهاب البغدادى والقاضى أبى الحسن الجرجانى ومجد الدين الأربيلى والخليل بن أحمد الفراهيدى وابن جبير الرحالة والقاضى عياض، بل من الطريف أنه أتى بنص جميل لعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق.

ولم ينس لسان الدين شعراء مصر؛ فأورد مختارات كثيرة لعدد غير قليل منهم مثل الأمير تميم بن المعز – الذى جمع بين الصفتين المغربية والمصرية – والبهـاء زهير وصناجة الدوح شاعر الحاكم بأمر الله وابن الحداد وابن الساعاتى وابن قلاقس وابن سيد الناس وابن النبيه وابن أبى الأصبغ وابن مكنسة وابن وكيع

التنيسى ، كما اختار نصوصاً لعمارة اليمنى الذى جمع بين الحياة فى مصر واليمن .

هذا ما كان من أمر النصوص المشرقية ، فإذا التفتنا إلى النصوص الأندلسية بخاصة والمغربية بعامة التى أوردها المؤلف فى كتابه « السحر والشعر » وجدنا لسان الدين لم يكد يترك شاعرًا أندلسياً نابهاً إلا وقد عطر صفحات كتابه بمقطوعة له أو أكثر من أمثال المعتمد بن عباد وابن دراج القسطلى وابن زيدون وابن اللبانة وابن عمار وابن خفاجة وابن الزقاق والأعمى التطيلى وابن شهيد وابن بقى والرصافى البلنسى وأمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت واليكىّ وابن زهر وابن سهل الإسرائيلى وابن حمداى وابن صارة الشنتريني وابن خاتمة وابن الأبّار وابن هانىء وابن المرحل ،وهؤلاء الثلاثة الأخيرون يجمعون بين الصفة المغربية والصفة الأندلسية وهناك أيضاً ابن زريق وصاعد البغدادى ، وهذان أيضاً يجمعان بين الصفة العراقية والصفة الأندلسية ؛لأنهما نازحان من بغداد .

ولم ينس لسان الدين أن يختار نصوصاً شعرية لبعض شيوخه إما إعجاباً بشعرهم أو وفاءً لهم ،وأغلب ظنى أن العاملين معاً كانا سبباً فى هذا الاختيار فأورد نصوصاً لكل من أبى البركات بن الحاج وأبى جعفر ابن صفوان وأبى زكريا بن هذيل وأبى القاسم بن أبى العافية وأبى بكر بن شبرين .

ومن شعراء إفريقية اختار لسان الدين مقطوعات لكل من ابن رشيق القيروانى وابن عبدون القيروانى وابن قاضى ميله وابن هانىء ومالك بن المرحل ،وهذان الشاعران الأخيران قد مر ذكرهما عند الإشارة إلى شعراء الأندلس .

ونظر لسان الدين إلى صقلية وشعرائها فلم ينس أن يذكر نماذج طيبة لكل من ابن حمديس والأمير ثقة الدولة .

وإذا كان ثقة الدولة هذا الذى مر ذكره هو واحد من الأمراء ، فإن ذلك لفت نظرنا إلى أن لسان الدين قد احتفل بالعديد من الخلفاء والملوك والأمراء الشعراء فأورد لعدد منهم مختارات عذبة مثل الرشيد وعبد الله بن المعتز وقابوس ابن وشمكير وسيف الدولة الحمدانى وأبى فراس الحمدانى وأحمد بن كيغلغ وتميم ابن المعز وأسامة بن منقذ والناصر محمد ابن قلاوون فى المشرق ، والحكم المستنصر والمعتمد بن عباد فى الأندلس .

وعلى الرغم من كثرة النساء الشاعرات المجيدات في كل من المشرق والأندلس فقد لاحظنا أن لسان الدين لم يتمثل لواحدة منهن باستثناء شاعرة أندلسية هي — الشاعرة الرقيقة حمدة — أو حمدونة — بنت زياد الوادي آشي إذ أورد لها أكثر من مقطوعة ، ولا يزال تعجبنا من إهمال لسان الدين لشعر النساء قائماً ؛ ففي الأندلس شاعرات أخريات مجيدات مثل ولادة بنت المستكفي وأم الكرام بنت صمادح ومهجة بنت التيان وحفصة الركونية وكذلك تعج كتب الأدب بالكثير من نصوص الشاعرات المشرقيات المجيدات .

ولقد بدا لنا أن لسان كان يفضل بعض الشعراء ، ويقدمهم إذا كانت كثرة النصوص التي يختارها لشاعر بعينه تعتبر مقياساً لهذا التفضيل ، فإذا صح هذا الاستنتاج يكون الشعراء المفضلون لدى لسان الدين مرتبين على النحو التالي : ابن المعتز ثم لسان الدين نفسه ، ثم ابن نباتة السعدي ، ثم البهاء زهير ، ثم مالك بن المرحل ثم الرصافي البلنسي .

ولمناسبة إيراد لسان الدين عدداً كبيراً من مقطوعات شعره تجدر بنا الإشارة إلى أن أصحاب كتب الاختيارات والحماسات لم تجر العادة بأن يوردوا نماذج من أشعارهم في اختياراتهم ؛ لأن المكان المناسب لذلك هو دواوينهم وليس المصنفات التي ضمنوها ، مختاراتهم .

هذا وإن بالكتاب عدداً كبيراً من المقطوعات الشعرية الجميلة يصعب حصرها لكثرتها لم ينسبها المصنف إلى قائليها مما يجعلها غير مكتملة القيمة ، فقيمة الشيء مرتبطة بنسبه ، وليس من شك في أن لسان الدين لو بذل مزيداً من الجهد ونسب هذه المقطوعات إلى قائليها لكان قد زاد من قيمة هذا النصوص وأعلى من قدر قائليها .

بقيت ملاحظة أخيرة لعلها لا تتصل بالمنهج بقدر ما تتصل بالمحتوى والذوق العام ؛ وهي تتعلق بالنصوص الشعرية ذات العبارات النابية والألفاظ البذيئة وذكر العورات ، وهو ما يسمى بالأدب المكشوف ، وقد كان لسان الدين وقوراً رفيع القدر غير متهافت في حياته ولا منحرف وإذا كان لنا من تبرير — إن صح التبرير — فإن تقليده لمن سبقوه من أصحاب الاختيارات ،وبخاصة أبي تمام قد يكون

الدافع لذلك ؛ فإن حماسة أبي تمام مليئة بنماذج من هذا الشعر البذىء المكشوف .

ومهما كان الأمر فإن كتاب « السحر والشعر » للسان الدين ابن الخطيب يمثل حلقة ذهبية فى سلسلة كتب الاختيارات الشعرية ، التى حفلت بنماذج فريدة من الشعر تدل على ذوق أدبي رفيع وإحساس شعرى مرهف ، اتسم بهما الأديب الألمعى العالم السياسى الفيلسوف الطبيب الشاعر الكاتب الوشاح الفقيه المؤرخ الجغرافى لسان الدين بن الخطيب .

**مصطفى الشكعة**

# في القرآن والعربية : (٦)*

# الصراع بين القراء والنحاة

للدكتور احمد علم الدين الجندي

رابعاً : أشرنا في المقال السابق إلى مواقف النحاة من القراءات المعزوة إلى قبائل معينة تحت ظاهرة ( الكمية : الانتقاص والضعف[1] ) وتم الآن الحديث عن تلك الظاهرة :

* * *

١ ـ عزا البغدادي حذف النون من الذين واللذون واللتان ـ إلى بني الحارث ابن كعب وبعض بني ربيعة ، واستشهد لها بقول الأخطل :

همـا اللتـا لو ولـدتْ تميمُ
لقيـل فخـرٌ لهم صميمُ[2]

وما قاله الفرزدق :

أبني كُليْبٍ إنّ عَمّيّ اللّـذا
قتلا الملـوكَ وفكّكا الأغـلالا[3]

كما حذفت النون من : اللذون ـ في قول أمية بن الأسكر الكناني :

قومي اللّذو بعكاظَ طيروا شررا
من روس قومك ضربا بالمصاقيل[4]

وقد حذفت النون من الذين ، واستشهد لها أبو العباس ثعلب بقول الحارث ابن وعلة :

فإن ظفر القـوم الذي أنت فيهم
فآبوا بفضلٍ من سناء ومن غُنْمِ[5]

واستشهد البغدادي بقول الشاعر :

وإنّ الـذي حانتْ بفَلْجٍ دماؤهُم
هُم القوم كلُّ القوْم يا أمّ خالد[6]

---

(١) ونقصد بها ضعف النطق بالصوت ونقصه

(٢) الخزانة ٥٠٣/٢ التصريح ١٣٢/١

(٣) التصريح ١٣٢/١ ، حاشية عبادة على الشذور ١٥٧/١ ، ليس في كلام العرب ٦٤

(٤) خزانة الأدب ٥٠٣/٢

(٥) مجالس ثعلب ٤٣٣/٢

(٦) الخزانة ٥٠٧/٢ ، كتاب سيبويه ٩٦/١

(*) انظر الجزء السابق من مجلة المجمع

والبصريون كعادتهم قالوا بأن هذا التقصير والحذف ضرورة، وهكذا كلما رأى البصريون شيئاً يخالف نظمهم وقواعدهم حكموا عليه بالضرورة، والضرورة مركب سهل عندهم، وعللوا هذا الحذف بأنه: تخفيف لاستطالة الموصول بالصلة [1].

أما الكوفيون، فالحذف عندهم: لغة – طالت الصلة أم لم تطل – حكاه عنهم ابن الشجرى فى أماليه [2].

والذى أراه أن هذه اللهجة عزيت إلى بنى الحارث بن كعب وبعض ربيعة، فإذا كان الذى تكلم بها من هذه القبائل، فهى لهجته، فالبيت الأول للأخطل – وهو من تغلب وتغلب من ربيعة، والبيت الثانى الذى عزى للفرزدق – غير صحيح وقائله الأخطل أيضاً [3] – لأن رواة الأخبار اتفقوا على أن عميه اللذين افتخر بهما هما من تغلب [4]، وتغلب قوم الأخطل لا الفرزدق، فالأخطل مثلا عندما يختصر هذه الصيغ، فإنما يتكلم على عادة لهجته – لأنه تغلبي من ربيعة، وربيعة فيها تلك الظاهرة، أما إذا تكلم بها أميّة بن الأسكر فتكون فى شعره ضرورة، لأن نسبه يؤول إلى مضر، وليس فيها تلك الظاهرة. وقد حمل على لهجة ربيعة وبلحارث قوله سبحانه «مَثَلُهم كمَثَل الذى اسْتَوْقَد نارًا، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم» فقد قيل إن المعنى: كمثل الذين استوقدوا نارًا – فلذلك قيل: ذهب الله بنورهم فحمل أول الكلام على لفظ الواحد وآخره على الجمع [5]. ومن العجيب أن بعض العلماء [6] يحمل قوله تعالى: «تماماً على الذى أحسن [7]» فيمن قرأ «أحسنوا» على الجمع بأن الأصل: الذين أحسنوا، فحذف نون الذين لطول الكلام بالموصول

---

(١) الخزانة ٢/٤٩٩

(٢) الخزانة ٢/٤٩٩

(٣) المفصل للزمخشرى ص ١٤٣

(٤) خزانة الأدب ٢/٤٩٩

(٥) أمالى الشجرى ٢/٢٠٧

(٦) محب الدين أبو البقاء العكبرى / انظر فى ترجمته. بغية الوعاه ٢٨١

(٧) الأنعام ١٥٤

والصلة ، ثم يعقب العكبرى على تلك القراءة السابقة بقوله « وقد جاء فى الشعر :

أبنى كليب إن عمى اللـذا
قتلا الملوك وفككا الأغلالا[1]

وهذا يشير من طرف خفى إلى مهاجمة تلك القراءة من جانب العكبرى، ومن سار فى ركابه وأضرابه حيث نظر لها بالشعر ، والشعر محط الضرورة . لاسيما قد سجلت كتب الضرورة هذا الشاهد الشعرى السابق فى تضاعيفها [2] ، على أن حذف النون من اللذين واللتين والذين عدها بعضهم ضرورة ، ورآها الآخرون لغة[3] .

* * *

٢ ـ كذلك مالت بعض القبائل البدوية إلى حذف النون إذا وليها ساكن ، وقد عزاها الأزهرى فى تصريحه إلى قبائل : زبيد وخثعم ، واستشهدوا للظاهرة :

( ا ) لقد ظفر الزوّار أقفية العدا
بما جاوز الآمال (مِلأَسْر) والقتل[4]

(ب) وبقول المغيرة بن حبناء :

إنى امرؤ حنظلىّ حين تنسبنى
لا « مِلْعتيك» ولا أخوالىَ العوق[5]

(ج) والحارث بن خالد المخزومى :

عاهد الله إنْ نجا « مِلْمُنايا »
لتعودَنَّ بعدها حُرْمِيّا[6]

(د) وقول كثير :

إذا وَصَلتْنا خلّة كى تزيلها
أبَيْنا وقلنا الحاجبيّة أوّلُ
لها مهَل لايستطاع دراكه
وسابقة « مِلْحُبّ » لاتتحوّلُ[7]

(هـ) وفى خصائص ابن جنىّ :

نحن رَكْبٌ « مِلْجنّ »فى زىّ ناس
فوق طير لها شخوص الجمال[8]

---

(١) إعراب القراءات الشواذ : ورقة ٧٣ ج ا للعكبرى رقم ١١٩٩ تفسير دار الكتب المصرية .
(٢) أنظر : ما يجوز للشاعر فى الضرورة ٦٤ للقزاز القيروانى . ط تونس .
(٣) الضرائر للألوسى ٦٨ ط السلفية بمصر .
(٤) التصريح ٢ / ٢٩ .
(٥) الشعر والشعراء ص ١٥١ تحقيق السقا .
(٦) الكامل للمبرد ٢١٨/٢ .
(٧) الشعر والشعراء : ٢٠٢ تحقيق السقا .
(٨) الخصائص ٣٠٢/١

( و ) وفى همع الهوامع :

كأنهما « مِلْآن » لم يتغيّرا
وقَد مرَّ للدارين من بعدنا عَصْرُ[1]

وإذا كانت هذه الظاهرة وهى حذف النون قد عزيت إلى خثعم وزبيد - فإنها زحفت حتى اتسعت رقعتها فشملت مناطق من تميم، وهذيل وخزاعة، كما نلحظ الظاهرة فى لهجاتنا المعاصرة، مما يؤكد أن فى النازلين الأولين فى مصر من العرب قوماً من خثعم وزبيد :

ويقرأ ابن محيصن : « يسألونك عَلَّنْفال[2] » بحذف النون عندما تلاها ساكن - وهى لهجة خثعم وزبيد كما تقدم .

يقول أبو إسحاق : يجوز حذف النون منْ [ مِنْ وعن ] عند الألف واللام لالتقاء الساكنين[3] ، ولكن ابن عصفور ومن تبعه يَسِمُ هذه اللهجة بالضرورة[4] وذلك على الرغم من أنها وردت فى القراءات القرآنية ، ولاضرورة فى القرآن ، وغاب ن ابن عصفور وأضرابه أن الظاهرة قديمة سامية ، ففى الصفوية : « فهلت سلم مشنا »[5] وأصلها مَن الشانى . أى : المبغض أو العدوّ فحذفت النون من حرف الجر وهو [ من ] ثم ركبت مع الكلمة بعدها . وكثيرًا ما يرى هذا التقصير والانتقاص

- إذا لقيت النون لام المعرفة حيث تتردد مثل هذه التعبيرات :

بلحرث ، بلعنبر ، بلهجيم[6] ، والأصل بنو ، فحذفت النون .

* * *

٣ - ذهب السيرافى فى شرحه لكتاب سيبويه أن ( استحيت ) فيه لغتان : إحداهما : استحييت ، والأخرى استحيت فأما استحييت بياءين فهى لغة أهل الحجاز ، وأما اللغة الأخرى وهى استحيت

---

(١) الهمع ٢٠٨/١
(٢) مختصر شواذ القرآن ٤٨ لابن خالويه .
(٣) الدرر اللوامع ٢٣١/٢
(٤) الهمع ٢٠٠/٢
(٥) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢٦٢/٧ جواد على .
(٦) الكامل للمبرد ٢١٨/٢

بياء واحدة فهي لغة بني تميم[1] واختلف العلماء فيما حدث فيها: فالخليل يذهب إلى أنه مبني على حيَ معلا إعلال هاب وباع فكأنه قيل حَايَ، فكما تقول في باع استبعت، تقول في حايَ استحيت، فاستحى – على هذا في الأصل: استحاى كاستباع، فحذفت حركة الياء فالتقى ساكنان فحذفت أولاهما، ثم قلبت الياء الساكنة ألفا لانفتاح ما قبلها، والمازني: يذهب إلى أن استحيت – أصله استحييت فاستثقلوا اجتماع ياءين، فألقوا الأولى منهما تخفيفاً وألقوا حركتها على الحاء، وألزموها الحذف تخفيفاً[2].

وإذا نظرنا إلى الصيغة في ظل القرآن الكريم وجدنا الجمهور يقرأ «إن الله لايَستحْيِي أن يضرب مثلاًمّا[3]» بياءين والماضي استحيا، وتلك لغة الحجاز وقرأ ابن كَثير في رواية شبل، وابن محيصن ويعقوب: يستحى – بياء واحدة وهي لغة تميم، وعليها قول الشاعر:

* ألا تستحى منـا ملوك وتتقى *[4]

والماضي: استحى. وعزا صاحب الخزانة قراءة حذف الياء إلى يعقوب وابن محيصن[5] كما نسبها ابن خالويه إلى ابن كثير وابن محيصن[6].

وينكر ابن منظور قراءة حذف اليـاء وانتقاصها، معتمداً على أن القرآن الكريم لم ينزل إلّا بلهجة الحجاز[7] كما أنكرها صاحب المصباح حيث يرى أن القرآن نزل بلغة الحجاز في تلك الصيغة[8]، وقد رأينا أن ابن كثير المكي، وابن محيصن المكي القرشي قرءا بما أنكره ابن منظور وغيره بكسر الحاء وياء واحدة ساكنة،

(١) شرح السيرافي على سيبوية ٦ / ٣٠٥ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٢٨ نحو تيمور، وانظر مختصر شواذ القرآن ص ٤ لابن خالوية، وشرح الشافية ٣ / ١١٩ فما بعدها، والبحر المحيط ١ / ١٢٠ فما بعدها، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠ / ١١٨

(٢) شرح المفصل ١٠ / ١١٨ والشافية ٣ / ١١٩

(٣) البقرة ٢٦

(٤) الهمع ٢ / ٢١٩، والبحر ١ / ١٢١، والنهر الماد ١ / ١١٨

(٥) الخزانة ٢ – ٢٨٠

(٦) مختصر شواذ القرآن ٤

(٧) اللسان ١٨ / ٢٣٨.

(٨) المصباح ١ / ٢٤٩

وهى لغة تميم وبكر بن وائل [1] ، ولاالتفات إلى إنكار المنكرين ، لأن القراءة أساسها التلقى والرواية ، والدليل على ذلك أن كلا من القارئين قد قرأ بما خالف لهجته .

* * *

٤ – بعض قبائل العرب كانت تحذف ألف ضمير الغائبة فى الوقف ، وقد أثر عنهم قولهم « والكرامة ذات أكرمكم الله بهْ [2] » وقول عامر بن جوين الطائى :

فلم أر مثلها خباسة واجدٍ [3]
ونَهْنَهْتُ نفسى بعدما كدتُ أفعلَهْ

وتوجيه هذا أنهم فى الوقف حذفوا ضمير المؤنثة الغائبة ، فأصل : بَهْ فى الشاهد الأول ( بها ) ، فحذفت الألف الأخيرة وسكنت الهاء بعد أن نقلت حركتها إلى الباء قبلها ، كذلك الأصل فى الشاهد الشعرى : أفعلها – أى الخصلة ، فحذفت الألف وألقيت فتحة الهاء على ما قبلها وقد عزيت الظاهرة لقبائل طىء [4]

وعزيت فى الإنصاف لقبيلة لَخْم [5] .

ورأى بعض النحاة أن هذا الحذف ضرورة ، وحجته أن من حذف الواو من نحو « كأنَّهُ صوت حادٍ » ومن نحو «لَهُ أرقان» لم يقل فى نحو « رأيتها » ، و « نظرت إليها » إلا بإثبات الألف ، وذلك لخفة الألف وثقل الواو ، وروى ابن جنى عن قطرب شاهداً لهذا الحذف :

أعلقتُ بالذئب حبلا ثم قلت له
ألحقْ بأهلكَ واسلمْ أيها الذيبُ
إمّا تقود به شاةً فتأكلها
أو أن تبيعَهَ فى بعض الأراكيب

يريد تبيعها – فحذف الألف وهذا شاذ . ونفر من العلماء يرى بأن هذا الحذف والانتقاص ضرورة [6] . والقائلون بالضرورة محجوجون بأن الظاهرة وردت فى النثر كما سبق ، مما لايمكن أن يكون ضرورة ، كما جاء عنهم « نحن جئناك

(١) القراءات الشاذة ص ٢٥ عبد الفتاح القاضى
(٢) الهمع ٢ / ٢٠٦ .
(٣) الجمهرة ١ / ٢٣٤
(٤) الجمهرة ١ / ٢٣٤ ، الأشمونى ٤ / ٢٠٥ فما بعدها ، والدرر اللوامع ٢ / ٢٣٢
(٥) الأنصاف ٢ / ٣٣١ ط حجازى
(٦) الضرائر ٨٠ للألوسى

بَهْ » أى بها [1] ،ومحجوجون كذلك بقراءة قرآنية قرأ بها علىّ وعُروة فى قوله تعالى : « ونادى نوح ابْنَهُ » قرءا « ابنَهَ » أى «ابنها» والمعنى : ابن امرأته [2] . ولاضرورة فى القرآن .

كما أرجح أن ما ورد فى نقش النمارة « تى نفس مر القيس بر عمرو وملك العرب كله ذو أسر التّج » أن كلمة « كله » جاءت على الوقف بالحذف السابق ، وربما كانت تنطق « كلها » كما سمعت هذه الظاهرة فى بعض اللهجات العربية — المعاصرة [3] .

وأميل إلى أن الظاهرة هذه لغة وليست ضرورة . لأن قبيلة طيىء كانت تنتقص من أطراف الكلمة ماتريد ، فقد جاء عنهم « كيف الإخوهْ والأخواهْ » و« وكيف البنون والبناهْ » [4] .

وعلماء النحو يقولون الأصل : البنات والأخوات ، أبدلت من التاء هاء فى الوقف. وقد جانبهم الصواب أو جانبوه ، ويرى أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس رحمه الله « أن هذه الظاهرة ليست فى الحقيقة قلب صوت إلى آخر ، بل هى حذف الآخر من الكلمة [5] ، والهاء للسكت » فما خيل للنحاة أنه هاء متطرفة مبدلة من التاء كابن يعيش والسيوطى والأشمونى وصاحب التصريح ليس بصحيح ، وإنما الصحيح أن التاء حذفت ، وهذا يتفق ومذهب طيىء فى الحيف على أواخر الصيغ ، ومعروف لدينا من ذلك : قُطْعَة طيىء ، ثم إن قبائل البدو عامة كانت تشيع فيهم تلك الظواهر يقول ابن جنى « إن عامة عقيل تقول فى الفرات : الفراة [6] » وما عقيل إلا قبيلة بدوية كطيىء ، يؤيد هذا قراءة الكسائى والبزى « هيهاهْ هيهاهْ » [7] ، وهى معزوة فى الأشمونى لطيىء [8] .

* * *

(١) وانظر أمثلة أخرى فى الإنصاف لا بن الأنبارى ٢ / ٣٣١ ط حجازى .
(٢) البحر ٥ / ٢٢٦ ، المحتسب ١ / ٣٢٢ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٣) من لهجات الجزيزة وآدابها بالسودان ٣٣٦ دكتور عبد الحميد طلب مخطوطة بجامعة القاهرة .
(٤) التصريح ٢ / ٣٤٣ ، شرح المفصل ١٠ / ٤٥
(٥) فى اللهجات العربية ١٢٤ ط ٢ د . أنيس (٦) المحتسب ١ / ١٤٣ تيمور ( خط ) .
(٧) المؤمنون ٣٦ ، وانظر التصريح ٢ — ٣٤٣ ، مختصر شواذ القرآن ٩٨ لا بن خالويه .
(٨) الأشمونى ٤ / ٢١٤

٥ ـ وأعرض الآن عدة قضايا يأخذ بعضها بحجز بعض :

الأولى : أن الفتحة تظهر لخفتها على الياء فى المنقوص ، وقد تحذف فى ضرورة الشعر كقول رؤبة يصف إبلا :

(أ) كأن ( أيديْهنّ ) بالقاع القَرِقْ
أيدى جوار يتعاطين الورِقْ (١)

وكان حقه أن يقول : كأن «أيْدِيَهُنّ» . ولكن لما وجد الياء لينة أرسلها على لينها ولم يفتحها وهو فى ذلك كقول زهير :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنّه
مطيع ( العوالى ) ركبت كل لهذم

وكان حقه أن يفتح الياء من (العوالى) لأنه مفعول به ، ولكنه أرسل الياء للينها. (٢)

وفى كتاب عبث الوليد (٣) :

(ب) إن (الغوانى) غداة البين نُطْن لنا
ما أمل الدنف المضنى بما خافا

فقد حذف الفتحة من ياء ( الغوانى ) وذلك جائز بلا اختلاف ، وهو عند سيبويه ضرورة ، وعند الفراء لغة .

(ج) وقول الشاعر يصف إبلا دميت أخفافها :

كأن ( أيديهنّ ) بالموماة
أيدى جوارٍ بتْن ناعمات (٤)

(د) وقول رؤبة :

سوى (مساحِيْهنّ) تقطيطَ الحُقَقْ
تَقْليلَ ما قارعن من سُمر الطُّرَقْ (٥)

(هـ) وقال بعض السعديين :

* يا دار هند عفتْ إلاّ ( أثافِيْهَا ) (٦) *

---

(١) ديوان رؤبة ١٧٩ ، شرح أبيات سيبوية للنحاس ص ١٥ تحقيق خطاب . حلب ١٩٧٤ ، شرح السيرافى على سيبوية ٤ / ٣٦٩ مخطوط بالتيموريه ٥٢٨ نحو ، المحتسب لابن جنى ١ / ١٢٥ ط المجلس الأعلى ، همع الهوامع ١ / ٥٣

(٢) شرح أبيات سيبويه للنحاس ص ١٥-١٦

(٣) ص ١٤٥ ط الترقى ١٩٣٦ .

(٤) المحتسب ١ / ١٣٥ ط لمجلس الأعلى .

(٥) ديوان رؤبة ١٠٦ ، المحتسب / ١ / ٣٥٩ مخطوط بالتيمورية ، شرح أبيات سيبوية للنحاس ٣١٨ والرواية من كُمّ ، شرح السيرافى على سيبوية ٤ / ٣٦٩ بالتيمورية .

(٦) شرح أبيات سيبوية للنحاس ٣١٩ ، شرح السيرافى ٢ / ١٨١ ، الكتاب ٢/٥٥ ، المحتسب ١ / ١٢٥ ط المجلس الأعلى ، مايجوز للشاعر فى الضرورة للقزاز ص ١٠٦ تحقيق المنجى الكعبى تونس ، وانظر شواهد أخرى فى الهمع ١ /٥٣ ، الدرر اللوامع ١ /٢٩ ، شرح المفصل لا بن يعيش ١٠ /١٠٣

وكان أبو العباس يذهب إلى أن إسكان هذه الياء فى موضع النصب من أحسن الضرورات ، وذلك لأن الألف ساكنة فى الأحوال كلها ، فكذلك جعلت هذه. ويقول النحاس : وهذا كله مسكّن فى موضع النصب استخفافاً فى الشعر ؛ لأن ( الياء والواو ) معتلان فيخففان بالسكون(1) .

ويلاحظ أن النحاة قرنوا بعض القراءات القرآنية بتلك الشواهد الشعرية السابقة ، والتى كانت محطا للضرورات ، وضعوا الشعر بموازاة القرآن ، ونشير إلى جوانب من ذلك : قراءة طلحة بن سليمان : ( أنْ يُحْيِيْ الموتَى )(2) ساكنة الياء . قال ابن جنى : معنى قول ابن مجاهد أنه قرأه على سكون الياء من : يُحيِيْ على لغة من قال :

* « يادار هنـد عفتْ إلا أثافِيْهَا » *

فأسكن الياء فى موضع النصب(3) .

فانظر معى إلى قول ابن جنى يصف القراءة السابقة بأنها جاءت محمولة على الشاهد الشعرى ، والشاهد محمول على الضرورة عند النحاة ، فكأنه يعارض القراءة من طرف خفىّ .

يؤكد هذا أن أبا العباس يقول : إسكان هذه الياء فى موضع النصب من أحسن الضرورات(4) .

فهذه معارضة صريحة للقراءة من أبى العباس ، وكيف تكون القراءة القرآنية ضرورة ، مع أن الظاهرة وردت فى النثر العربى حين قالوا : لا أكلمك حيرِى دهر. فأسكن الياء من حيرى – وهى فى موضع نصب – وهناك قراءات قرآنية تؤكد ما سبق منها :

* ثانِيْ عطفه(5) .
* ثانِيْ اثنين(6) .
* من أوسط ما تطعمون أهالِيْكم(7) . بإسكان الياء .
* نعْمَتِىْ التى أنعمت عليكم(8) .

(1) شرح أبيات سيبويه للنحاس ١٣٩ .
(2) القيامة ٥٠ .
(3) المحتسب ٢ / ٤١١ بالتيمورية .
(4) المحتسب ٢ / ٤١١ بالتيمورية .
(5) الحج : ٩
(6) التوبة ٤٠ .
(7) المبع ١ / ٥٣
(8) البقرة ٤٠ .

وجميع ماسبق من القراءات تقف سدًّا منيعاً في وجه النحاة ، فالقرآن موضع اختيار لا اضطرار .

الثانية : المضارع الذى آخره واو أوياء تقدر الضمة عليه لثقلها ،ولخفة الفتحة عليها ظهرت ، وخلاف ذلك ضرورة[1]

وفى نظر النحاة تعتبر الشواهد الآتية من الضرورات :

١ ــ قول الأخطل :

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها[2] .

٢ ــ وقول عامر بن الطفيل :

فما سوّدتنى عامر عن وراثة
أبى الله أن أسموْ بأُمّ ولا أب[3]

٣ ــ وقول حندج ابن حندج المرى :

ما أقدر اللهَ أن (يُدْنِىْ) على شَحَط
مَنْ داره الْحَزْنُ ممن دَارُهُ صُولُ[4] *

وحكم الشنقيطى على هذا الشاهد ،[5] وأضرابه بالضرورة .

٤ ــ وقول جرير :

هو الخليفة فارضوْا ما (رضِىْ) لكم
مـاضى العزيمة مافى حكمه جَنَفُ[6]

لكن النحاة حملوا قراءات قرآنيـة على هذا الشعر السابق ، والذى كان محلًّا للضرورات الشعرية ، وقد حاولتُ أن أجمع قدرًا صالحاً من ذلك :

* « أو يعفوْ الذى بيده[7] » . ساكنة الواو ، وهى قراءة الحسن .

* « أن يأْتِىْ يوم[8] » بإسكان الياء ، حكاه أبو زيد عن الكلابيين[9] .

* « وذروا ما بقِىْ من الرّبا[10] » بكسر القاف ، ساكنة الياء ، وهى قراءة أُبَىّ[11]

(١) الهمع ١ / ٥٣
(٢) ديوان الأخطل ٩١ والخصائص ٢ / ٣٤٢ ، والهمع ١ ــ ٥٣
(٣) الخصائص ٢ / ٣٤٢ والمحتسب ١ / ٢٥ ط المجلس الأعلى والأشمونى ١ / ١٠١
(٤) الأشمونى ١ / ١٠١ صول : اسم مدينة فى بلاد الخرز / الأمالى ط /١ / ١٣١ ط / الهيئة العامة للكتاب
(٥) المحتسب ١ /١٤١ ط المجلس الأعلى
(٦) الدرر اللوامع ٢ / ٢٢٤ .
(٧) مختصر شواذ القرآن ص ١٥ الهمع ١ / ٥٣ والمحتسب ١ / ١٣٧ مطبوع بالمجلس الأعلى .
(٨) البقرة ٢٥٤ .
(٩) مختصر شواذ القرآن لا بن خالدويه ١٦ .
(١٠) البقرة ٢٧٨ .
(١١) مختصر شواذ القرآن ١٧ .

وينسب أبو حيان فى البحر المحيط[1]، هذه القراءة إلى الحسن، ومن العجيب أن ابن جنى[2] يقول عن هذه القراءة «ومجازها مجاز بيت نهشل بن حرى:

فلما تبيَّنْ غبٌّ أمرى وأمره
وولَّت بإعجاز الأُمور صدورُ

فهو يحمل القراءة على الضرورة؛ لأن الشاهد به ضرورة.

* «فاستمسك بالذى أُوحِىْ إليك[3]» بإسكان الياء عن بعض أهل الشام[4]

الثالثة: وقد حذفت حركة البناء فى الضمير: هو، هى، وعُدّ هذا الحذف ضرورة، ورد فى ضرائر الألوسى[5]: إن حذف المتحرك من: هُوَ، هِيَ – محمول على الضرورة عند غير بنى أسد، وأنشد أبو الهيثم:

وكنَّا إذا ما كان يـومٌ كريهة
فقد علموا أنى وَهْوَ فتيانِ[6]

وقد أنكر الزجاج سكون الواو والياء فى: هو، وهى، محتجاً بأن كل مضمر حركته إذا انفرد: الفتح نحو: أنا – فكما لا يستقيم سكون هذه النون، كذلك لاتسكن هذه الواو، وردّ عليه أبو على بسكون النون فى: أنت – لأن التاء حرف خطاب[7].

والحق أنه يجوز حذف الحركة من الواو والياء للروايات الكثيرة فى:

(ا) الشعر كما سبق، ومن ذلك قول الشاعر:

وركضك لولا هوْ لقيتَ الذى لقـوْا
فأصبحتَ قد جاورتَ قوماً أعاديا[8]

(ب) النثر مثل قولهم: هِىْ قالتـه، وهُوْ قاله[9]. وهِىْ فعلتْ بإسكان الياء[10].

(جـ) كما أن هذه الظاهرة عزيت لغة لقبيلة قيس[11].

---

(١) ٢ / ٣٣٧. (٢) الخصائص ١ / ٧٤. (٣) الزخرف ٤٣.
(٤) مختصر شواذ القرآن ١٣٧. (٥) ص ١٧٨ (٦) أنظر اللسان ٢٠ / ٢٦٨
(٧) الدرر اللوامع ١ – ٣٧
(٨) الهمع ١ / ١٦ سطر ٦، وانظر الدرر ١ / ٣٧. (٩) اللسان ٢٠ / ٣٦٨.
(١٠) الجاسوس ٤٧، وانظر: ما يجوز للشاعر فى الضرورة ١١٧ للقزاز. ط تونس.
(١١) الدرر اللوامع ١ / ٣٧

كما حكيت لغة لأسد وقيس[1] .

فالظاهرة قد تكون لغة ، كما حكيت عن تلك القبائل فى الشعر والنثر ، وقد تكون ضرورة عند غير هذه القبائل ، وأما الإنكار كما ورد عن الزجاج وأضرابه من النحاة ، أو القول بالضرورة لاغير كما سبق — فلا معنى له ، لاسيما إذا عرفنا أن حذف الحركة فى المبنى ورد فى قراءات قرآنية نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى : « وذرُوا ما بَقِيْ من الرّبا[2] » بكسر القاف وسكون الياء ، وهى قراءة أُبيّ والحسن . فلو حملنا الظاهرة على الضرورة وحدها كما ورد عند كثير من النحاة ، كان علينا أن نحمل القراءة القرآنية السابقة على الضرورة ، والقرآن محط اختيار لا اضطرار

وقد يكون من المفيد أن ننظر من الجانب التاريخى لهذين الضميرين : هوَ ، هىَ ، فقد مرّا بأطوار منها : أن الأصل ( هوْ ) و ( هئْ ) hia ، hua إذ أنهما فى العبرية والآرمية القديمة הוא بألف فى الآخر ، وهى تشير إلى الهمزة[3] .

وقد حذفت الهمزة فى العربية وأبدلت واوًا فى المذكر وياء فى المؤنث فصارت هُوَ ، هِيَ فى العربية الفصحى ، و ( هُوْ ) (هِىْ) فى العبرية والسريانية ، فحذف الحركة كما ترى من هذا العرض فى تلك الضمائر كان فى أخوات العربية والسامية الأُخرى ، ولهذا لم أسرْ سيْر النحاة العرب حينما رأوا تحويل فتحة الواو والياء إلى سكون ، ضرورة ؛ لأن هذه العملية لها جذور فى الساميات : العبرية والسريانية وغيرهما ، وبقيت منها أمثلة يسيرة فى العربية : رميتْ بالضرورة من جانب — النحاة العرب ، ولكن القراءات القرآنية — وإن كانت شاذة — فقد حذفت الحركة وحل محلها السكون ، وبذلك تكون قد احتفظت بالجذور القديمة فى الساميات ؛ وقد جمعت قدرًا يؤكد ما أذهب إليه .

* « حتى يلج الجمْل » بسكون الميم ، وقد أنكر ذلك النحاة : منهم سيبويه والسيرافى وابن جنى وغيرهم .

(١) الجاسوس ٤٧ .

(٢) مختصر شواذ القرآن ١١٧ .

(٣) التطور النحوى ٥٢ برجشتراسر ، وانظر مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة مجلد ١٠ جزء ١ ص ٣٨ .

* « ويدعوننا رغْبا ورهْبا » بالإسكان .
* « ومن يقتل مؤمناً متعْمدًا » ساكنة التاء . وقد حكم النحاة على تلك القراءة بأنَّها غاية فى الشذوذ والوهن [1] .

* « وذروا ما بقىْ من الربا » بكسر القاف وسكون الياء وهى قراءة أُبَىّ .

والحق أن أبا على قد فطن لشيء من هذا فى جملة ساقها الشنقيطى ، يقول أبو على « والوجهان (ويقصد جواز الفتح والسكون فى الضميرين : هو ، هى ) — متكافئان فى العمل إلا أن الفتح هو المشهور نقلا [2] » .

فهذا اعتراف من واحد من النحاة ، ثم إننا نرى الفتح والسكون يتقاودان ويجريان مجرى واحدًا كما رأينا [3] ، بل كان ذلك فى العربية شرعة ومنهاجاً .

( للبحث بقية )

أحمد علم الدين الجندى

---

(١) أنظر مقالنا : دراسة فى حركية عين الكلمة الثلاثية فى العربية ؛ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة مجلد ٢٩

(٢) الدرر اللوامع ١ / ٣٧ .

(٣) أنظر أمثلة فى : المحتسب لابن جنى ١ / ٥٤ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتحقيق الأستاذ على النجدى والدكتور . عبد الفتاح شلبى — القاهرة .

# مادة فى القاموس سقط شرحها من تاج العروس

للأستاذ مصطفى حجازى

كثيرا ما يعرض للمحقق أثناء عمله فى كتابٍ ما ، أن يجد سقطاً فى سياق الكلام ، فيلجأ إلى النسخ المختلفة باحثاً عن هذا السقط ليعيده إلى موضعه ، حتى يصح السياق ، ويستقيم التعبير .

فإذا لم تكن ثمة نسخ غير تلك التى اعتمدها أصلا فى عمله – والتى بها ذلك السقط – ذهب يبحث عن مصادر المؤلف التى أخذ عنها فى هذا الموضع ، ويهون عليه الخطب إذا كان المؤلف قد أشار إلى مصدره الذى نقل عنه ، أما إذا لم يشر إليه فقد أحوج المحقق إلى الاجتهاد فى البحث عنه فى مظانه المختلفة ، حتى يجد النص كاملا فى واحد منها ، وربما أحتاج الأمر أيضا إلى مراجعة كتب من ألفوا فى هذا الفن من بعده ، فقد يكون من بينهم من نقل عن المؤلف فى ذلك الموضع .

فإذا لم تغن هذه المحاولات شيئا ، فحسبه أن ينبه إلى هذا السقط ، لعل من بين القراء من يهتدى إليه فيهدى إلى إصلاحه ، ليتدارك فى طبعه لاحقة ، وهذا شيء مألوف للعاملين فى ميدان تحقيق التراث ، وكثيراً ما ينبه مصححو الكتب القديمة فى حواشى طبعاتها على مثل هذا بعبارات مألوفة ، كقولهم : « كذا بالاصل وحرّر » أو « كذا فى النسخة التى بأيدينا ، ولعل هنا سقطا ، وحرر » .

وقد صادفنى من ذلك شيء غير قليل أثناء عملى فى تحقيق أجزاء من شرح

القاموس المحيط المسمى ( تاج العروس[1] للزبيدى ، ولم يكن هذا السقط فى غالب الأمر يزيد على الجملة أو الجملتين ، وقليلا ما بلغ السطر والسطرين ، وقد هدى الله إلى إصلاح ما صادفنى من ذلك فيما حققته من أجزائه ، وفيما راجعته من تحقيق غيرى ، ولعل مرد ذلك إلى أننى صحبت هذا الكتاب صحبة طويلة أكسبتنى معرفة بمصادره المختلفة التى نقل عنها ، وصرت أرد نقوله إلى مواضعها من هذه المصادر — حتى ولو لم يشر إليها —

وكنت — فى مطلع هذا العام — أعمل فى تحقيق الجزء الخامس والعشرين منه ( بتجزئة الطبعة الجديدة المحققة ) ويشتمل هذا الجزء على المواد من أول ( برق ) إلى أول ( صدق ) — فصادفت من هذا السقط ما هو خارج عن المألوف الذى يمكن إصلاحه بالتماسه فى مظانّه ، أو سد خلله بالقليل من العبارات أو الأسطر التى تسقط أحياناً من ثنايا ما ينقله المصنف ، فنلتمسها فى بعض مصادره ، ونعيدها إلى مكانها من الكلام ، فيستقيم النص ، ويطرد السياق .

أقول : لم يكن ما صادفته فى هذه المرة من ذلك النوع المألوف ، بل كان قدراً كبيراً يشمل شرح مادة كثيرة المعانى ، واسعة التصرف ، وجد رأسها ، وضاع سائرها ، وعلينا أن نبحث عن هذا الضائع لنعيده إلى مكانه من الرأس حتى تكتمل المادة ، وتستوى فى صورتها الصحيحة ، فتصبح مثل غيرها

(١) تاج العرس من جواهر القاموس ، صنفه محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى ، نزيل مصر (المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ ) وقد قضى فى تأليفه أربع عشرة سنة ، وفرغ منه فى ثانى شهر رجب سنة ١١٨٨ هـ وجمع فى ثناياه كثيراً من أمهات كتب اللغة والبلدان والتراجم ، فأغنى به عن الرجوع إليها . وجاء كما قالوا : « كل الصيد فى جوف الفرا» وقد طبع لأول مرة فى المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ — ١٣٠٧ هـ فى عشرة مجلدات كبار .

ومنذ أكثر من عشر سنوات كانت تلك الطبعة تعد نافدة حتى أصبح العثور على نسخة منها تكليفاً بما لا يكاد يطاق ، وعند ذلك نشطت إحدى دور النشر فى بيروت . — بحاسة التاجر الذى يعرف كيف يشيم بروق الربح — فأعادت نشر هذه الطبعة بطريقة التصوير ( الأوفست ) فكان صنيعها ذاك — كصنيعها فى غيره من الطبعات القديمة لكتب كثيرة — ميسرا للحصول على نسخ تلك الطبعة النافدة ، ومحققا لأرباح مؤكدة دون أية فائدة علمية .

وفى سنة ١٩٦٢ م . أقترح الأستاذ المحقق عبد الستار أحمد فراج — المراقب العام لمجمع اللغة العربية حينذاك — على وزارة الإعلام فى دولة الكويت أن تعنى بتحقيق هذا الكتاب القيم ونشره ، فاستجابت لذلك ، وعهدت اليه أن يختار المحققين ، وأن يرسم المنهج لتحقيقه ، فنهض بذلك مشاركا بتحقيق بعض الأجزاء ، ثم تفرغ للإشراف عليه تحقيقا ومراجعة ، حتى أتمه بعون الله ، ولا يزال يتابع ما تخرجه المطبعة من أجزائه التى صدر منها حتى الآن سبعة عشر جزءاً ، ويظهر سائرها تباعا — إن شاء الله —

من مواد الكتاب ، وهذه المادة هى مادة (رفق) فقد قدر لنا أن يختفى شرحها من الطبعة الأولى لتاج العروس ، واذا رجعت إلى هذه المادة فى تلك الطبعة وجدت الزبيدى - رحمه الله - يبدأ فى شرح المادة مميزاً عبارة القاموس بين قوسيها ، ومنضِّداً شرحه خارج تلك الأقواس - جرياً على عادته - ولكن سياقه ينقطع بعد سطر واحد من بداية الشرح ليورد من المادة ما اعتاد إيراده فى المستدرك مما فات صاحب القاموس .

وقد لفت ذلك نظر الذين أشرفوا على تصحيح تلك الطبعة ، فنبهوا إليه فى هامشه بقولهم : ( لم يوجد فى نسخة الشارح التى بأيدينا هنا زيادةعما شرحه ، وأضفنا بقية المتن « يعنى نص القاموس المحيط » بعد كلام الشارح، أولعل شرح باقى المادة سقط من الناسخ وليحرر ) أهـ

والمطالب بالتحرير هنا قبل غيره هو من يتصدّى لإخراج طبعة جديدة محققة لهذا الكتاب ،تسلم من عيوب الطبعة القديمة ، وتخلو من أخطائها الكثيرة ، فكان علينا أن نستجيب لهذا الأمر ، ونحرر الكلام فى هذا الموضع .

ورجعت إلى عمدة الزبيدى فى شرحه وهو لسان العرب - لابن منظور - والى أصوله المعروفة ( الصحاح للجوهرى ، وتهذيب اللغة للأزهرى ، والمحكم لابن سيده ، والنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ، وحواشى ابن برى ) وإلى مصادر الزبيدى الأخرى ،وأخصها التكملة،والذيل ، والصلة ،والعباب الزاخر- وهما للصاغانى - والأساس للزمخشرى ، وجمهرة اللغة لابن دريد ،فوجدت المادة مشروحة فى هذه الاصول شرحا وافيا ،ورأيت أيضا أن أرجع -فى بعض مفردات هذه المادة كما جاءت فى القاموس-إلى ما اعتادالزبيدى أن يرجع إليه فى أمثالها من الكتب الأخرى ،مثل : معجم البلدان لياقوت ، ومفردات القرآن للراغب الأصفهانى ،وبصائرذوى التمييزفى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ، وغيره من كتب الرجال،فوجدت هذه المفردات -وغيرها من فروع المادة- واردةفى مواضعها من هذه الكتب ، فرجحت أن يكون هذا القدر الناقص من شرحها قد سقط من الناسخ ، أو لعله فُقِد

من النسخة الأصل ، وأن شرح المادة لن يستقيم إلا بالرجوع إلى نسخة أخرى نلتمس فيها هذا السقط ، والأمانة العلمية تقتضينا أن نبحث عن تلك النسخة الأخرى ، وأن نرجع إليها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

## البحث عن مخطوطة لتاج العروس :

استوقفتني غير مرة – وأنا أعمل في تحقيق أجزاء من تاج العروس – عبارات نقلها الزبيدى عن بعض مصادره التى لم تتح لنا حتى الآن ، وكنت كلما عرض لى شيء من ذلك أتمنى أن أجد نسخة مخطوطة من تاج العروس أرجع اليها فى تحرير هذه العبارات ، ولذلك كنت شديد العناية بالبحث عن المخطوطات اللغوية فى فهارس المكتبات المختلفة ، ولا أذكر أننى صادفت فيما اطلعت عليه من هذه الفهارس – وهو غير قليل – نسخا لتاج العروس ، وكدت أذهب إلى القول بأن هذا الكتاب لا توجد له نسخة خطية غير تلك التى اعْتُمِدَ عليها فى طبعته الأولى ، واجتمعت لدى قرائن يقوى بها مثل هذا الظن ، منها :

١ – أن المطبعة العربية ظهرت فى مصر بعد وفاة الزبيدى بزمن قصير [١] فلم يحوج تراخى الزمن بين ظهور المطبعة وتصنيف الكتاب إلى تداوله مخطوطا حتى تكثر نسخه – كغيره من كتب قدامى المؤلفين – وحين ظهرت المطبعة قوى الأمل لدى المعنيين بهذا الكتاب فى قرب طبعه ، فانصرفت الهمم عن استنساخه ، هو وأمثاله من الكتب ذات الأجزاء الكثيرة .

٢ – أن فهارس المخطوطات فى مكتبات القاهرة لم تشر إلى وجود نسخ من التاج ، وإذا لم توجد نسخة أخرى فى القاهرة – حيث عاش مؤلفه حياته العلمية ، وصنّف كتابه

(١) كانت وفاة الزبيدى سنة ١٢٠٥ هـ ، وتاريخ طباعة أول كتاب صدر عن المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٢٣٨ هـ وكانت معظم المطابع حتى سنة ١٢٥٥ هـ حجرية ، وقد جرى الاتفاق سنة ١٢٦٢ هـ على طبع القاموس المحيط بتصحيح الشيخ التونسى ( محمد بن عمر : ت ١٢٧٤ هـ ) انظر تاريخ الطباعة للدكتور خليل صابات ص ١٤٦ وما بعدها ، ١٧٨ ( ط دار المعارف ١٩٦٦ م ) .

وفى تقديرنا أن المطبعة كانت عنايتها فى بداية عهدها موجهة إلى الكتب العلمية المترجمة ، والمصطلحات المعربة ، ونحو ذلك مما تحتاج إليه النهضة الناشئة حينذاك ، ولم يحظ التراث الادبى واللغوى بالاهتمام إلا فى مرحلة متأخرة شيئا ما .

فيها - فإن الظن يستبعد وجود مثل هذه النسخة فى بلد آخر غير القاهرة .

٣ـ أن الذين أشرفوا على طبعة التاج الأولى ( سنة ١٢٨٣هـ وما بعدها ) كانوا يعدون العثور على نسخة منه يومذاك من قبيل المستحيل ، فهذا محمد باشا عارف يقول - وهو يتحدث عن القاموس المحيط - « . . . ومع تعدد شروحه وحواشيه بالخط لم يطبع منها شيء إلى الآن [ سنة ١٢٨٣ هـ ] فنحمد الله إذ بتوفيقه جمعية المعارف سهّل هذا المقصود ، وظهر هذا الشرح [ يعنى تاج العروس] إلى الوجود ، فإن الحصول عليه كان من قبيل المستحيل ؛ لأن استكتابه - مع كثرة ما يقع فيه من غلطات النساخ - يحتاج إلى مبلغ وافر وزمن طويل . . . »

وقد بدا لى - بعد قراءة هذه العبارة - أن محاولة البحث اليوم عن مخطوطة لتاج العروس تعد عبثا ، فهؤلاء الذين أشرفوا على طبعته الأولى منذ أكثر من مائة سنة كانوا يعدون العثور على مثل تلك النسخة - حينذاك - من قبل المستحيل ، فما بالنا نبحث عنها اليوم ؟

ولكن هل تكفى كل هذه القرائن ليقطع المرء بأنه لا توجد نسخة أخرى من تاج العروس غير تلك التى كانت أصلا لطبعته الأولى ؟

إن الدقة العلمية تأبى علينا مثل ذلك على الرغم من كل هذه القرائن ، ونظل مطالبين بمواصلة البحث فى تتبع واستقصاء ، واقد أهمّنى ذلك ، فرحت أطلب المزيد من فهارس المخطوطات باحثا فيها ومنقباً .

## العثور على نسخة من « تاج العروس »

حين ندبت للعمل فى مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى - بجامعة

---

( ١ ) فى عجائب الآثار ( ٢/١٩٦ - ٢١٠ ) يذكر الجبرتى أن الزبيدى : « حين أتم شرحه على قاموس المحيط أولم وليمة حافلة بمنزلة فى عطفة الغسال جمع فيها طلاب العلم ، وأشياخ الوقت وذلك فى سنة ١١٨٨ هـ وأطلعهم عليه ، فاغتبطوا به ، وشهدوا بفضله ، وسعة اطلاعه ، ورسوخه فى علم اللغة ، وكتبوا عليه تقاريظهم نظما ونثرا » وأنظر أيضا : الخطط التوفيقية ٣/٩٣ و ٩٤ .

( ٢ ) محمد باشا عارف كان وكيلا لجمعية المعارف ، وهى التى عنيت بطبع تاج العروس طبعته الأولى . فى المطبعة الوهبية ١٢٨٥ - ١٢٨٧ هـ

( ٣ ) أنظر تاج العروس ( الجزء الاول ، القسم الثالث ص ١٨٣ ط الوهبية ) حاشية فى نهاية باب الثاء ، وهو آخر هذا القسم .

الملك عبد العزيز فى مكة المكرمة ـ كان من جملة عملى أن أختار من المخطوطات المحفوظة فى المكتبات المختلفة ، فى البلاد العربية وغيرها ، طائفة من الكتب القيمة التى ينبغى أن يقتنيها المركز لتكون بين المراجع التى يحتاج إليها الباحثون ، وطلاب الدراسات العليا ، ولينشر المركز من بين هذا المقتنى مايراه جديرا بالتحقيق والنشر من تراثنا المجيد ، فأتاح ذلك لى فرصة المعاودة البحث عن نسخة من « تاج العروس » فقد زادت صلتى بفهارس المخطوطات . واجتمع لدى منها مالم أطلع عليه من قبل ، وأصبح البحث فيها استقراء وتتبعا فاحصا ، وبقى العثور على تلك النسخة أمنيه تترجح بى بين اليأس والرجاء طيلة عملى فى اختيار المخطوطات :

ولاحت لى بارقة أمل حين وجدت قطعة من تاج العروس أشار إليها الاستاذ عبد الحفيظ منصور بين مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس[1] ، غير أنه وصفها وصفا موجزا ، فذكر أنها بخط مشرق ، وعدد أوراقها ٤٩٢ ورقة من القطع الكبير ( ٣٠ × ٢١ سم ) ومسطرتها ٣٩ سطرا ، ورقمها فى المكتبة الأحمدية هو ( ٣٩٣٥ لغة ) ولم يشر إلى ما اشتملت عليه هذه القطعة من المواد ؛لنعرف أى الاجزاء هى،ولم يذكر تاريخ نسخها ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إليها، والاطلاع عليها .

ثم كانت فرحتى الكبرى حين وجدت نسخة من «تاج العروس »أشار إليها الاستاذ عمر رضا كحالة[2] بين مخطوطات « مكتبه عارف حكمت » بالمدينة المنورة ، ووصفها بعبارة موجزة جاء فيها « أنها فى تسع مجلدات لأبى الفيض محمد بن محمد بن محمد الحسينى الزبيدى الملقب بمرتضى ١١٤٥ ـ ١٢٠٥هـ وتاريخ نسخها ١٢٦٧ ـ ١٢٧٣[3] وأنها محفوظه تحت رقم ( ٦٧ ـ ٧٥ لغة ) ومثل هذا الوصف لايجدى شيئاً أكثر من الدلالة على وجود نسخة من الكتاب ،ولابد لنا من الاطلاع عليها ، ومقابلة مادة ( ر ف ق) فيها بما جاء فى مطبوع التاج

---

( ١ ) فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس ـ قسم اللغة ـ ( ط دار الفتح ببيروت سنة ١٩٦٩ )

( ٢ ) المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة ص ٥٠ ( ط مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٣ )

( ٣ ) فى المنتخب من مخطوطات المدينة « ١٢٧٢ هـ » والتصحيح من نهاية المجلد التاسع فى مخطوط التاج

لمعرفة مقدار السقط ، وإثباته فى موضعه من المادة .

### وصف نسخة التاج المحفوظة بمكتبة عارف حكمت

زرت مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة المنورة ، واطلعت على النسخة فوجدتها فى تسعة مجلدات ضخمة ، وهى مكتوبة بخط فارسي جيد، اختلفت عليه أقلام النساخ ، وتتراوح مسطرتها بين ٢٧ ، ٢٥ سطرا ، ومتوسط الكلمات فى كل سطر ١٣ كلمة ، وورقها من من القطع الكبير (٢٣×٢٢ سم ) وصفحاتها غير مرقمة ،وقد أعتمد ناسخها فى ضبط تتابع أوراقها على التعقيبة وترتيب المواد ، وميزت فيها رؤوس المواد فكتبت بالحمرة ، وكذلك عبارة القاموس – فى بعض الاجزاء ، وفى بعضها الآخر اكتفى الناسخ بوضع خط بالمداد الأحمر فوقها – والضبط بالشكل فيها نادر جدا ، وتجد فى كثير من صفحاتها خاتما نقشه ( وقف حكمة الله بن عصمة الله الحسينى ) وفى نهايات الأجزاء خاتم كبير نقشه : ( مما وقفه الفقير إلى ربه الغنى أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسينى فى مكتبة الرسول الكريم ، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم بشرط ألاَّ يخرج من خزانتة ، والمؤمن محمول على أمانته سنة ١٢٦٦ ) والنسخة ناقصة من آخرها فقد انتهى المجلد التاسع بنهاية باب اللام ، وآخره مادة ( يليل ) ويبدو أن الناسخ قد وقف عند هذا الحد ، وتاريخ نسخه سنة ١١٧٣هـ – وربما كان الذى حال دون تكملته مرض الشيخ عارف حكمت ،ثم وفاته بعد ذلك فى سنة ١٢٧٥ هـ . ونجمل فيما يلى بيان أجزائها التسعة :

**الجزء الأول** : وعدد صفحاته ١٥٣٠ ويشمل أبواب : الهمزة والباء والتاء والثاء وينتهى بمادة ( يافث )

**الجزء الثانى** : ويقع فى ١٤١٤ صفحة ، واشتمل على أبواب : الجيم ، والحاء ، والخاء ، والدال ، والذال .

**الجزء الثالث** : وقد خلص لباب الراء وحده ، وجاء فى ١٤٨٠ صفحة ، وفيه أختلف القلم ، وميزت عبارة القاموس فكتبت بالمداد الأحمر

الجزء الرابع : وأشتمل على أبواب : الزاى ، والسين ، والشين ، وعدد صفحاته ١٠١٠ صفحة .

الجزء الخامس : وعدد صفحاته ١٠٥٢ صفحة ، وشمل أبواب : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء وآخره مادة ( يقظ ) وتاريخ نسخه جمادى الاولى سنة ١٢٦٨ هـ وناسخه « ذو الفقار فرغانى »

الجزء السادس : واشتمل على بابى : العين والغين ، وآخره مادة « يرغ » .

الجزء السابع : وفيه مواد بابى الفاء والقاف ، وينتهى بمادة « يناق » وعدد صفحاته ١٢٢٨ صفحة ، وتاريخ نسخه شهر رجب من سنة ١٢٦٩ هـ ، وناسخه الحاج محمد بارسا خواجه الحسينى الحنفى النقشبندى البخارى .

الجزء الثامن : واشتمل على باب الكاف وقسم من باب اللام من أوله إلى آخر فصل الضاد ، وعدد صفحاته ٦٦٠ صفحة .

الجزء التاسع : وشمل بقية اللام ، من أول فصل الطاء إلى آخر الباب ، وعدد صفحاته ٥١٦ صفحة .

وفى نهايته كتب ناسخه بالفارسية : « اتمام شد اين كتاب بفرمايش حضرت ولينعمتى أم - سلمه الله تعالى فى الدارين دردهم جمادى الاولى سنة هزار وصد هفت غوسه » بيد أحقر العباد ، ملا اسماعيل ، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه »

وترجمته : تم هذا الكتاب بأمر حضرة ولى نعمتى ( يعنى الشيخ عارف حكمت ) سلمه الله تعالى فى الدارين فى ١٠ جمادى الاولى سنة ١٢٧٣ هـ .

توثيق مادة ( رفق ) :

وطلبت مادة « رف ق » فى ترتيبها من الجزء السابع فى مخطوط التاج ، ورحت أقابلها بما فى المطبوع ، فوجدتها فى نسقها من فصل الراء فى باب القاف ، وقد بدأ المصنف شرحها من السطر الثانى عشر فى الصفحة التى بها رأس المادة - وقد ميزه الناسخ

( ١ ) تاج العروس ج ٦ ص ٣٥٨ ( ط الخيرية ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ )

فكتبه بالحمرة – ثم يتلو ذلك ثلاث صفحات كاملة ، فى كل صفحة خمسة وعشرون سطرا ، وتنتهى المادة فى منتصف الصفحة الرابعة ، فكانت عدة سطورها ( ١٠٢ ) اثنين ومائة سطر ، ليس فى مطبوع التاج منها غير خمسة أسطر .

ورحت أعرض المادة – كما وجدتها فى مخطوطة التاج – على مراجع الزبيدى التى اعتمدت الرجوع إليها فى توثيق نقوله فى الأجزاء الأخرى ، فبدا لى اسلوبه واضحا فى هذه المادة كما عهدته فى غيرها ، وتأكد لى أن شرح هذه المادة قد سقط من الطبعة الأولى ، ورجحت أن يكون هذا السقط مقدار ورقة كاملة فقدت من النسخة التى اتخذت أصلا لتلك الطبعة ، ولم يجد الذين أشرفوا عليها بدًّا من تكملة المادة بعبارة القاموس وحدها ، منبهين فى الحاشية إلى هذا السقط ، مطالبين بتحريره ، وقدّر لنا أن نقف عليه ، وأن نعيده إلى موضعه من المادة .

ونورد فيما يلى المادة بحالتيها – كما جاءت فى مطبوع التاج ، وكما وجدناها فى مخطوطة مكتبة عارف حكمت – :

**أولا : مادة ( ر ف ق ) فى مطبوع التاج (١) :**

( الرِّفْقُ ، بالكسرِ : ماٱسْتُعينَ به )

وقال العَضُد : الرِّفْقُ : حُسْنُ الأنْقِياد لما يُؤدِّى إلى الجَمِيل .

والرِّفاقُ ، كَكِتابٍ : مصدرُ رافَقَه فى السَّفَرِ ، وأيضًا بمعنَى النِّقاق ، وبه فُسِّر حديثُ طَهْفَةَ : « ما لم تُضْمِروا الرِّفاقَ »

ومَرْفَقٌ ، كمَقْعَدٍ : اسمُ رَجُل من بنى بَكْرِ بنِ وائِلٍ ، قَتَلَتْهُ بنو فَقْعَس ، قال المَرّارُ الفَقْعَسِىّ :

وغادَرَ مَرْفَقًا والخَيْلُ تَرْدِى
بَسْيل العِرْضِ مُسْتَلَبًا صَرِيعَا

وٱسْتَرْفَقَه : استَنْفَعَه .

وارْتَفَقَ به : انْتَفَع .

والرّافِقَةُ : قريةٌ بمصرمن أعمال الشَّرْقِيّة (٢)

---

(١) تاج العروس ج ٦ ص ٣٥٨ ( ط الخيرية ١٣٠٦ – ١٣٠٧ ﻫ )

(٢) فى هامش المطبوع : «لم يوجد فى نسخة الشارح التى بأيدينا هنا زيادة عما شرحه ، فأضفنا بقية المتن المطبوع بعد كلام الشارح أو لعل شرح باقى المادة سقط من الناسخ ، وليحرر) ا ﻫ .

( واللُّطْفُ[1] ، رَفِقَ به وعَلَيْه ، مُثَلَّثَةً ، رِفْقًا ومرفقاً ، كَمَجْلِس ، ومقْعَد ، ومِنْبَر ، والمرفَقُ كمِنْبَر ومَجْلس : مَوْصلُ الذِّراع في العَضُد . ومَرافِقُ الدَّارِ : مَصابُّ الماء ونحوها . وكمِكْنَسة : المِخَدَّة . والرُّفْقَةُ مُثَلَّثَة ، وكثُمامَة ، جماعةٌ تُرافِقُهُم ، ج : ككتاب ، وأَصْحاب ، وصُرَد . والرَّفِيقُ : المرافِقُ ، ج : رُفَقَاء ، فاذا تَفَرَّقُوا ذَهَب اسمُ الرُّفْقَة لا اسمُ الرَّفيق ، للواحد والجميع . والمَصْدرُ الرِّفاقَةُ ، كالسَّماحة .

والرُّفْقَة : اسمٌ للجَمْع ، ج : كعِنَب ، وصُرَد ، وحِبال ، والرَّفيقُ ضِدُّ الأَخْرَقِ . وَرَفَقَ فلانا : نفعه كأَرفقه ، وضَرَبَ مِرْفَقَه . والنَّاقَةَ : شَدَّ عَضُدَها إذا خِيفَ أَنْ تَنْزِعَ إلى وطَنِها ، وذلِكَ الحبْلُ رِفاقٌ ، ككِتاب ، وبَعِيرٌ مَرْفُوقٌ : يَشْتكي مِرْفَقَه ، وأَرْفَقُ بَيِّنُ الرَّفَقِ ، مُحَرَّكَةً : مُنْفتلُ المِرْفَقِ عن جَنْبِه ، ونَاقة رَفْقاءُ ورَفِقَةٌ كَفَرِحَة : مُنْسَدٌّ إحليلُ خِلْفِها ، وبها رَفَقٌ مُحَرَّكَةً ، أو الرَّفَق : فسادٌ في الإِحْلِيل من سُوءِ حَلْبِ الحالِبِ ، أَو تَرْكِ نَفْضِه إِيَّاه ، فَيَرْتَدُّ اللَّبنُ في الضَّرة ، فَيَعُود دَمًا أَوخَرطًا ، والمِرْفاقُ من الجمال : مايُصِيبُ مِرْفَقُه جَنْبهُ . ومن النُّوق : ماإذا صُرَّت أَوْجَعَها الصِّرارُ ، وإذا حُلِبت خَرَج منها دَمٌ .وماءٌ رَفَقٌ مُحَرَّكَةً : سَهْلٌ ، أَو قَصِيرُ الرِّشاء ، وحاجَةٌ رفَقُ البِغْيَةِ : سَهْلَةٌ . ورُفَيقٌ كزُبَيْر : ابنُ عُبَيْد ، وأَبو رُفَيْق : مُحَدِّثان ، والرَّافِقَةُ : د ، على الفُراتِ ، وتُعْرَف اليومَ بالرَّقَّة ، بناها المَنْصور ، و : ة بالبَحْرَيْنِ ، والرِّفق : واللُّطفُ وحسنُ الصَّنِيع ، وأَرْفَقه : رَفق به ، ونَفَعه ، وشاةٌ مُرَفَّقَةٌ ، — كمعظمة — : يَداها بَيْضاوان إلى مِرفَقَيْها ، وارْتَفَق : اتَّكأَ على مِرْفَق يَده ، أَو على المِخَدَّة ، وأَمْتَلأَ . والمُرْتَفِقُ : الواقِفُ الثابِتُ الدَّائم . وتَرفَّقَ به : رفق . ورافَقَه : صارَ رفِيقَه . وتَرافَقا[2] ) .

---

(١) ابتداء من قوله : « واللطف . . إلى آخر المادة هونص القاموس المحيط

(٢) آخر عبارة القاموس فى مادة رفق كما جاءت فى مطبوع التاج .

## ثانيا : مادة ( ر ف ق )
## في مخطوطة مكتبة عارف حكمت

( الرِّفْقُ ، بالكسرِ : ماانْتُجِينَ به ) وقال العَضُد : الرِّفْقُ : حُسن الانْقِيادِ لما يُؤَدِّى إلى الجَمِيل .

(و) [1] الرِّفْقُ : ( الُّلطْفُ ) وهوضِدٌّ العُنْفِ ، ومنهُ الحَدِيثُ : « ما كانَ الرِّفْقُ فى شَىءٍ إلّا زانَه » [2] وقد ( رَفَقَ به ، وعليه ) كلاهُما عن أَبِى زَيْد ، زادَ غيرُه ورفق له ( مُثَلَّثَةً ) اقتصر الجوهرِىّ على رَفَق ، كنَصَر ، وكعَلِم ، وكَرُم نَقَلَهُما الصاغانِىُّ ، وقال : هما لُغتان ، وفى الحَدِيث « من رفَق [3] بابْنِى رَفَقَ اللهُ به » وقال الَّليْثُ : الرِّفْق : لِينُ الجانِبِ ، ولَطافَةُ الفعل ، وصاحِبُه رَفِيقٌ ، وقد رَفَقَ يَرْفُق (رِفقًا)بالكسرِ ( ومَرْفِقا ، كمَجْلِس ، و ) مَرْفَقا ، مثل ( مَقْعَد ، و ) مِرْفَقًا ، مثل : ( مِنْبَرٍ ) الأَول والثانى والرابع عن أَبى زيدٍ ، والثالثُ عن غيرِه ، وقُرِىءَ قولُه تعالى : ﴿ويُهَيِّئْ لكمُ من أَمْرِكُمْ مِرْفَقا﴾ [4] بالوَجْهَين، أَى : ما تَرْتَفِقُون به ، قرأ بفتح الميم وكسر الفاء أَبوجَعْفرٍ ونافعٌ ، وابنُ عامر ، والأَعمَشُ [5] ، والبُرْجُمِىُّ عن أَبى بَكْرٍ عن عاصم ، والباقونَ بكسرِ الميم وفتح الفاء ، ولم يقرأ بفتح الميمِ والفاء أَحدٌ ، وفى التهذيب : كسرَ الحَسَنُ والأَعمشُ الميمَ من مِرْفَق ، ونَصَبَها أَهلُ المدينة ، وعاصمٌ ، فكأَنَّ الذين فَتَحوا الميم وكسروا الفاءَ ، أَرادوا أَن يُفَرِّقُوا بين مَرْفِق من الأَمر ، وبين المِرْفَق من الإنسان .

---

( ١ ) بداية ما سقط من مطبوع التاج

( ٢ ) النهاية لابن الاثير

( ٣ ) انظر ( مسند أحمد بن حنبل ٦/٦٢ ، ٩٣ ) وفيه أيضا ( ٦/٣٣٩ ) « ارفق بابنى » ، وفى سنن ابن ماجه /١٥٥٩ ( جنائز١ ٤٩٧ ) « أرفقوا به رفق الله به ، انه كان يحب الله ورسوله » وكلها شواهد .

( ٤ ) سورة الكهف الآية ١٦

( ٥ ) فى المخطوطة الاعشى والمثبت من اللسان والتهذيب ، والملقب بالأعشى من القراء الكبارأبويوسف الأعشى ، وهو : يعقوب بن محمد بن خليفة الكوفى ، عده الذهبى فى الطبقة الخامسة ، قرأ عليه الصيرفى والشمونى ( معرفة القراء الكبارللذهبى ١/١٣١ ( ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة ).
أما الأعمش فهوسليمان بن مهران ابو محمد الأسدى من كبار القراء من الطبقة الثالثة قرأ على يحيى بن وثاب ، وزيد بن وهب ، وزر ابن حبيش ، وعرض القرآن على أبى العالية الرياحى ومجاهد وعاصم بن بهدلة ( معرفة القراء الكبار للذهبى ١/٧٨ )

( والمِرْفَقُ كمِنْبَرٍ ، ومَجْلِس ) : مَوْصِلُ الذِّراعِ في العَضُد . كما في الصحاح . وقال ابنُ سِيده : . المِرْفَقُ ، من الإِنسان والدّابّةِ : أَعلَى الذِّراعِ ، وأَسفل العَضُد والجمعُ المَرافِق ، قال الله تعالى : ﴿وأَيْدِيَكُم إلى المَرافِقِ﴾[1]

قال الأَزهريُّ : وأَكثرُ العَرَبِ على كسرِ الميمِ للمِرْفَقِ من الأَمرِ ، ومِن مِرْفَقِ الإِنسانِ ، قال : والعربُ أَيضا تفتحُ الميم من مِرْفَق الإِنسان ، لُغتان في هذا وفي هذا ،

وقال يونُس : الذي أَختارُه المَرْفِقُ في الأَمرِ ، والمِرْفَقُ في اليَدِ .

( ومَرافِقُ الدّارِ : مصابُّ الماءِ ، ونحوُها ) وكان ابنُ سِيرين إذا دَخَل المِرْفَق كف كُمَّه عَلَى فَكِّه ، وفي التّهذيب : المِرْفَقُ من مَرافِقِ الدّارِ من المُغْتَسَلِ والكَنِيفِ ونحوه ، وفي حديثِ أَبي أَيُّوبَ رضِي الله عنه : « وَجدْنا مرافِقَهُم قد اسْتُقْبِلَ بها القِبْلة[2] » يُرِيدُ الكُنُفَ والحُشُوش ، ويروى « مَراحِيضَهُم » :

( والمِرْفَقَة ، كمِكْنَسَةٍ : ( المِخدّة ) والمُتَّكَأُ .

( والرِّفْقَة ، مُثَلَّثةً ) ( و ) الرُّفاقة ( كثُمامة : جماعةٌ تُرافِقُهم ) في سفرِك ( ج ) رِفاقٌ ، وأَرْفاقٌ ، ورُفَقٌ ( ككِتابٍ ، وأَصْحابٍ ، وصُرِدٍ ) قالَ الأَعْشَى - يصِفُ الجِمال - :

قاطِعات بطنَ العَتِيك كما تَمْ
ضِي رِفاقٌ أَمامَهُنَّ رفاقُ[3]

وقال تأَبَّطَ شَرًّا :

سَبّاق غاياتِ مَجْد في عشيرَتِه
مُرَجِّعُ الصَّوْت هدًّا بينَ أَرْفاقِ[4]

وقال رُؤْبةُ :

*حينَ احتَذاها رُفْقَةٌ من الرُّفَقْ *

---

(١) سورة المائدة الآية ٦

(٢) النهاية لابن الاثير .

(٣) ديوانه/١٢٥ (ط بيروت) وفيه ، « . . رقاق أمامهن رقاق » بالقاف مكان الفاء وفسر الرقاق بالنياق الضعيفة ، وفي معجم البلدان (العتيك) روايته

جازعات بطن العتيك كما تم      ضى رفاق تحثهن رفاق

(٤) البيت من قصيدة له في الفضليات ١/٢٩ وهي المفضلية الاولى ، وروايتها « هدا » بالدال المهملة وفسره بقوله : « أى رافعا صوته ، وهو مصدر وقع حالا . »

( والرَّفِيقُ : المُرافِقُ ) وقيل : هو الصاحِبُ فى السَّفَر خاصّةً ( ج : رُفَقاءُ ) ككَرِيمٍ وكُرَماءَ، وقِيلَ : إذا عَدا الرَّجُلان بلا عَمَل فهما رَفِيقان ، فإن عَمِلا على بَعِيرَيْهما فهما زَمِيلانِ ( فإذا تَفَرَّقُوا ذَهَب اسمُ الرُّفْقَة ) و ( لا ) يذهبُ ( اسم الرَّفيق ) وهو أيضاً ( للواحِد والجَمِيع ) مثل الصَّدِيق ، والخَلِيط ، ومنه قولُه تعالى : ﴿وحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً﴾[1] وفى الحَدِيث: « بل الرَّفِيق الأَعْلَىَ من الجَنَّة » [2] أى : جَماعة الأَنبياء .

والمصدَرُ الرَّفاقَةُ ، كالسَّماحة ) وقال الفَرّاءُ : سمعتُ رجلاً بعَرَفات يقول : « جَعَلَكُمُ اللهُ فى رِفاقِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم »

( أو ) الرِّفْقةُ بالكسر : جمعُ رَفيقٍ ، و ( الرُّفْقَةُ ) بالضمِّ : ( اسمٌ للجَمْع ) رِفَقٌ ، ورُفَقٌ ،ورِفاقٌ ( كعِنَبٍ ، وصُرَدٍ ، وجبال ) قالَهُ ابنُ سِيده ؛ وقال ابنُ بَرِّى: الرِّفاقُ : جمع رُفْقَة ، كعُلْبَةٍ وعِلابٍ ، قال ذُو الرُّمّةِ :

قِياماً يَنْظُرُون إلى بِلالٍ
رِفاقَ الحَجِّ أَبْصَرتِ الهِلالَا[3]

قالُوا فى تفسير الرِّفاق : جمع رُفْقَة ، ويُجْمَعُ رُفَقَ أيضاً ، ومن قالَ : رِفْقَةٌ قالَ : رِفَقٌ ورِفاقٌ ، وقَيْسٌ تقولُ : رِفْقَةٌ ، وتمِيمٌ تقولُ : رُفْقَةٌ .

ورِفاقٌ أيضاً: جمعُ رفِيقٍ، ككَرِيمٍ وكِرام.

والرِّفاقُ : مصدر رافَقْتُه ، وقالَ الليثُ: الرُّفْقَةُ يُسمَّوْن رفقةً ما داموا مُنْضَمِّين — فى مَجْلِسٍ واحدٍ . ومسِير واحِدٍ — فإذا تَفَرَّقُوا ذهب عنهم اسمُ الرُّفقةِ .

والرُّفْقَةُ : القومُ يَنْهَضُونَ فى سفرٍ ، ويسِيرون معًا ، وينزِلُونَ معًا ، ولا يفْتَرِقون ، وأَكثرُ ما يُسَمَّوْنَ رُفْقَةً إذا نهضُوا سُيّارًا .

( والرَّفِيقُ ) أَيضًا : ( ضِدُّ الأَخْرق ) وقد رفُقَ ، ككَرُمَ .

( ورفَق ) فلانٌ ( فُلانًا ) : إذا ( نَفَعَه) وكذلك : رَفق به ( كأَرْفَقَه ) ومنه الحديث « فى إرْفاقِ ضَعِيفِهِم ، وسَدِّ خَلَّتِهم » أى : إيصال الرِّفْقِ إليهم .

---

(١) سورة النساء الآية ٦٩

(٢) النهاية وهو فى صحيح البخارى ( ٦/١٢–١٦ ط الشعب ) عن عائشة من طرق مختلفة ، وفى جميعها لفظ ( الرفيق )

(٣) ديوان شعر ذى الرمة ٤٤٣ واللسان

(و) رفَقَهُ رَفْقًا: ( ضَربَ مِرْفَقَه ) كعضَدَه ، وَرأَسَه ، وصَدَرَه .

(و) رَفَقَ ( الناقَةَ ) يَرْفُقُها رَفْقًا : ( شَدَّ عضُدها ) بالحَبْلِ ، قال الأَصمعِيُّ : وذلك ( إذا خِيفَ أَن تَنْزِعَ) أَى تَشْتاقَ ( إلى وطَنِها ، وذلك الحَبْلُ رِفاقٌ، ككِتاب) والجمعُ رُفُقٌ بضمَّتينِ ، وهو حبلٌ يُشَدُّ من الوظِيفِ إلى العَضُد ، وقيل : يُشَدُّ فى عُنُق البعيرِ إلى رُسْغِه ، قال بِشْرُ بنُ أَبى خازِمٍ :

فــإِنِّى والشَّــكاةَ لآلِ لأْمٍ
كذاتِ الضِّغْنِ تَمْشِى فى الرِّفاقِ [١]

يقول : أَنا مُمْسِكٌ عن هِجائِهم ، كهذه الناقةِ التى حنَّت إلى وَطَنِها ،وشُدَّت وحُبست، فإن صارُوا إلى ما أُحِبُّ ، وإلَّا أَطْلَقْتُ لسانِى بهِجائِهم .

(و) قال ابنُ دُرَيْد ( بَعِيرٌ مرفوقٌ) : إذا كان يشتكى مِرْفقه .

(و) قال الليث : جَمَلٌ ( أَرْفَقُ بَيِّنُ الرَّفَقِ، محرَّكَةً) : أَى( مُنْفَتِلُ المِرْفَقِ عن جَنْبِه ) وقد رَفِقَ كفَرِح ، وهى رَفْقاءُ .

وقال الأَزهرِىُّ : الذى حفِظْتُه من العرب : جَمَلٌ أَدْفَقُ ، وناقَةٌ دَفْقاءُ : إذا انْفَتَق [٢] مِرْفقُه عن جَنْبه ، بالدّال ، وقد تقدّم ذِكْرُه .

( وناقةٌ رفْقاءُ ) عن الأَصْمعِىِّ ( وَرِفَقةٌ كفَرِحة ) عن زيدِ بنِ كُثْوةَ ، أَى : ( مُنْسَدٌّ إِحْلِيلُ خِلْفِها ) فتَحْلُبُ دَمًا ( وبها رَفَقٌ محركة ) قال الأَخير : وهو حرفٌ غريب. وقِيل : ناقةٌ رَفِقَةٌ : إذا ورِمَ ضَرْعُها ، وقِيل : هى التى توضعُ التَّوْدِيَةُ على إحْلِيلها فيَقْرَحُ ( أَو الرَّفَق : فسادٌ فى الإحليلِ من سُوءِ حَلْبِ الحالِب ، أَو تركِ نَفْضِه إيّاه فَيرْتَدُّ اللبنُ فى الضَّرَّة ، فيعودُ دَمًا وخَرَطًا ) .

( والمِرْفاقُ ، من الجمالِ ) كمِحْرابٍ : ( ما يُصِيبُ مِرْفَقُه جَنْبَه ) .

(و) المِرْفاقُ ( من النُّوقِ ) وفى العين : من الإبِل : ( ما إذا صُرَّتْ أَوْجَعَها الصِّرارُ ، وإذا حُلِبتْ خَرَج منها دمٌ ) . وهى الرَّفِقةُ أَيضا ، كما تقدَّم ، قاله اللَّيْثُ .

---

(١) ديوانه ١٦٣ واللسان ، ومادة ( ضغن) وفيه « فانك والشكاة من ال لأم » والصحاح والتهذيب (١١٣/٩) وعجزه فى المقاييس ( ٤١٨/٢ ) .

(٢) الذى فى التكملة والتهذيب ( ١١٣/٩ ) « انفتل مرفقة عن جنبه »

( وماءٌ رَفَقٌ مُحَرَّكَةً ) وكذا : مَرْتَعٌ رَفَقٌ ، أَى : ( سَهْلُ ) المطْلبِ ( أَو ) ماءٌ رَفَقٌ ، أَى : ( قَصِيرُ الرِّشاءِ ) ومرْتعٌ رَفَقٌ : ليس بكثير .

(و) يُقالُ : طَلَبْتُ ( حاجةً ) فوجَدْتُها ( رَفَقَ البِغْيَةِ ) بالتَحْريك : إِذا كانت ( سَهْلَةً ) .

( وُرِفَيْقٌ ، كزُبَيْرٍ : ابن عُبَيد ) عن وهْب بن مُنبِّه ، وعنه مِرْداسُ ابن سانته ( وأبو رافقة : مُحدثان )[1]

( والرّافِقةُ : د ) ) متصل البناءِ بالرَّقَّة ، وهى ( على ) ضفةِ ( الفُراتِ ) قال ابنُ الأَثير : تعرفُ اليوم بالرَّقّة ، كان محمّدُ بن خالِد بن جَبَلَة ينزلُها ، يقال : إِنَّ البخاريَّ حدَّثَ عنه فى الصَّحيح ، وقال اليَعْقوبىُّ : الرّافِقةُ : مدينةٌ جانبَ الرَّقَّة ( بناها المَنْصُور ) العباسىُّ أَبو جعفر ، وأَتمَّها المهدِىُّ ، ونزلَها الرشيدُ ، منها : مُعافَى بنُ مُدْرِك ، عن أَيُّوب بنِ سوار .

وقولُ شيخِنا : فالرافِقَةُ والرَّقَّةُ بلدٌ واحِدٌ لا بَلَدان ، كما يُتَوَهَّمُ منْ تعداد الاسمِ واخْتِلافِه ، فيه نَظَرٌ ظاهر ،

(و) الرّافِقةُ أَيضًا : ( ة ، بالبَحْرينِ ) .

(و) قال ابنُ دريدٍ : يقال : : أَوْلَى فلانٌ فلانًا رافِقةً ، وهو ( الرِّفْقُ واللُّطْفُ وحُسْنُ الصَّنِيع ) .

وحكَى أَبو زَيْدٍ :( أَرْفَقَه ) أَى إِ: ( رفَقَ به ) ويقُال أَيضًا : أَرْفَقَة ، أَى : ( نفَعَه ) وهوَ مجاز .

ويُقال : ( شاةٌ مُرفَّقَةٌ ، كمُعَظَّمة ) أَى : ( يداها بَيْضاوان إِلى مِرْفَقَيها ) نقله الصاغانىُّ .

( وارْتَفَق الرَّجلُ : اتَّكَأَ على مِرْفَقِ يدِه ) ومته الحَدِيثُ « هو الأَبْيضُ المُرْتَفِق[2] » وباتَ فلانٌ مرتَفِقاً ، أَى : مُتَّكِئًا على مِرْفَقِ يَده ، وأَنشدَ ابن برِّى لأَعْشَى باهِلَة :

فِبتُّ مُرْتَفِقًا والعينُ ساهِرةٌ
كأَنَّ نومِى علَىَّ اللَّيلَ محْجورُ[3]

---

(١) فى القاموس : « وأبو رفيق » والمثبت من المخطوطة

(٢) النهاية ، وتمامة : « أيكم ابن عبد المطلب ؟ قالوا : هوالأبيض المرتفق » .

(٣) اللسان

(أو) ارْتَفَق: إذا اتَّكأَ (على المِخَدَّةِ)، ومنه حَدِيثُ ابنِ ذِى يزَنَ:
* فاشْربْ هَنِيئًا عليكَ التَّاجِ مُرْتَفِقًا[1] *
(و) ارْتَفَق: إذا (أمْتَلأَ)
(و) منه (المُرْتَفِقُ) من القِيعان، وهو (الواقِفُ الثابتُ الدَّائِم) كَرَب أن يَمْتَلِئَ، أو امْتَلأَ، قاله شَمِرٌ عن ابنِ الأَعرابىّ، وبه فُسِّرَ بيتُ عَبِيدِ ابن الأَبْرَص:

فأَصْبَحَ الروضُ والقِيعانُ مُتْرَعَةً
مِن بينِ مُرْتَفِقٍ مِنها ومُنْصاح[2]

وفُسِّر المُنْصاح بالفائضِ الجارِى على الأَرض، ورواه أبو عُبَيْدٍ: «من بيْنِ مُرْتَتِقٍ... وقد تقدم فى «رت ق»
(وتَرفَّق به) بمعنى (رفَق) وارفق
(ورافَقَهُ) مُرافَقَةً، ورِفاقاً: (صار رَفِيقَه) فى السَّفَرِ والمسِيرةِ.
(وتَرافَقا) فى السَّفر: صارارُفَقاء.
ومما يُسْتَدركُ عليه:
يُقال: هذا الأَمْرُ رَفِيقٌ بك، ورافِقٌ بك، ورافِقٌ عليك، أَى: نافِعٌ، نَقَلة اللَّيْثُ وأَنشد:

فبعضَ هذا الوَجْإِ ياعَجرِدُ[3]
ماذا على قَومِك بالرَّافِقِ

وهو مجازٌ، وكذا قولهم: هذا أَرفقُ بك، أَى: أَنفَع.

---

(١) اللسان، والنهاية (رفق) وفى معجم البلدان (غمدان) ونسبه إلى أبى الصلت يمدح ذا يزن، وعجزه.
* فى رأس غمدان دارا منك محلالا *
وقبله:
أرسلت أسداً على بقع الكلاب فقد أضحى شريدهم فى الأرض فلالا
وبعده:
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
(٢) ديوانه ٧٧ وفيه «والقيعان مترعة ... ومنطاح، وهو فى التكملة وعجزه فى اللسان (رفق) والتهذيب (١١٣/٩) وينسب أيضا إلى أوس بن حجر وانظر ديوانه / ١٧ (ط بيروت).
(٣) وبهذه الرواية أنشده ابن منظور فى اللسان (صوح).
(٤) فى الجمهرة (٢٩٤/٢) عزاه لرجل من بنى قيس بن ثعلبة، فى خبر أورده، وقبله:
ياقوم من يعذر من عجرد القاتل المرء على الدانق
لما رأى ميزانه شائلا وجاه بين الجيد والعاتق
فخر من وجأته ميتا كأنما دهده من حالق
وجاه: مخفف وجأه، أى: ضربه.

وَرَفِقَ ، كنصر : انْتَظَر ، عن ابن ابن الأعرابي ، ويقالُ للمُتَطبِّبِ : مُتَرَفِّقٌ، ورفيقٌ .

وأرتَفق به : تَرَفَّق .

والمُرْتَفَقُ : المتَّكأُ ، ومنه قولُه تعالَى : ﴿وحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [1] . قاله ابنُ السكِّيتِ ، وقال الفرّاء : أَنَّثَ الفعل على معنى الجَنة .

والمِرْفَق، كِمْنبَر : المُتَّكأُ ، قاله اللّيْث.

وتَمَرْفَقَ : أَخَذَ مِرْفَقاً .

وناقَةٌ رَفِقَةٌ ، كَفرِحةٍ : مُذْعِنَةٌ .

وارْتَفَقوا : ترافَقُوا .

وقال أبو عدْنان : قولُه في الدّعاء : « اللّهُمَّ أَلْحِقْني بالرَّفِيق الأَعْلَى » [2] سَمِعْتُ أَبا القَهْدِ الباهِلِيَّ يقولُ : إنه تباركَ وتعالَى رَفِيقٌ وفِيقٌ ،فكأَنَّ معناهُ : أَلْحِقْني بالرَّفِيقِ ، أَى : باللهِ ، يقال : اللهُ رَفِيقٌ بعِبادِهِ ، من الرِّفْقِ والرَّأْفَة ، فهو فَعِيلٌ بمعنى فاعِل ؛ قالَ الأَزهريُّ: والعلماءُ على أن مَعْنَاه أَلْحِقْنِي بجماعةِ الأَنبياءِ ، وهو اسمٌ جاء على فَعِيل ، ومعناهُ الجماعة ، قالَ : ولا أَعْرِفُ الرَّفِيقَ في صِفاتِ اللهِ .

ورفيقَةُ الرَّجُلِ : امْرأَتُه ، هذه عن عن اللِّحيانِيِّ ، قال : وقال أَبو زِيادٍ ، في حديثه : سأَلَنِي رَفِيقَى ، أَراد زَوْجَتِي ، قال: ورَفِيق المرأَةِ: زوجُها .

وقالَ : في مالِه رَفَقٌ ، محركَةً ، أَى : قِلَّةٌ ، ورواه أَبو عُبَيْدٍ بقافين .

والرِّفاقُ ، ككِتاب: مصدرُ رافَقَه في السَّفَر ، وأَيضاً بمعنى النِّفاقِ ، وبه فُسِّر حديثُ طَهْفَةَ : « مالم تُضْمِرُوا الرِّفاقَ » [3]

ومَرْفَقٌ ، كمقْعَدٍ : اسْمُ رَجُل من بني بَكْرِ بن وائِل قَتَلَتْه بنو فَقْعَس ، قال المرّارُ الفَقْعَسِي :

وغادَرَ مَرْفَقًا والخَيْلُ تَرْدِى
بسَيْلِ العِرْضِ مُسْتَلَباً صَرِيعَا [4]

---

(1) سورة الكهف ، الآية ٣١

(٢) النهاية وفى صحيح البخارى (١٣/٦ ط الشعب ) عن عائشة رضى الله عنها من رواية عباد بن عبد الله بن الزبير ، ولفظه : « اللهم اغفرلى وارحمنى وألحقنى بالرفيق » .

(٣) النهاية .

(٤) اللسان ، والحكم (٢٣٤/٦)

واسترْفَقَه : اسْتَنفَعه .

وارتَفَق به : انْتَفَع

والرّافِقَةُ : قريةٌ بمصر من أعمال الشرقية . »

* * *

وبعد فهذه مادة (رفق) كما وجدتها فى مخطوطة « تاج العروس » للزبيدى ، المحفوظة فى مكتبة عارف حكمت ، وهكذا كانت عجلة المطبعة الأميرية تدور فى القاهرة لتطبع القاموس المحيط — لأول مرة — بتصحيح الشيخ التونسى (سنة ١٢٦٢هـ-١٨٤٥م) وفى الوقت الذى ظن بعض الناس « أن استكتاب نسخة من تاج العروس تكليف بما لايطاق؛ إذ هويحتاج إلى مبلغ وافر ، وزمن طويل» كان هنالك فى المدينة المنورة عالم جليل، لم يبخل بالمال الوافر ، ولم يستكثر الزمن فى استنساخ شرح القاموس المحيط المسمى« تاج العروس »ذلكم هوشيخ الإسلام أحمد عارف حكمة الله الحسينى (المتوفى ١٢٧٥هـ) الذى لم يطق صبرا على أن تخلو خزانة كتبه من هذا الكتاب القيم ، إذ أن ذلك لا يليق بأمثاله ، ولذلك أمر بكتابة نسخة منه فى الفترة من ١٢٦٧ — ١٢٧٣ هـ بقى لنا منها تسعة مجلدات ، جعلها وقفا على مكتبة الرسول الكريم ، وكان من توفيق الله أن هدانا إليها ،فأصبنا فيها هذا السقط ،وأعدنا إلى موضعه من شرح القاموس،فاستقام السياق ، واستوت المادة فى صورتها الصحيحة ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

**مصطفى حجازى**

المراقب العام للمعجمات وإحياء التراث بالمجمع

نهاية مادة (رفق) كما جاءت فى مخطوطة مكتبة عارف حكمت المجلد السابع .

(٣) هو محمد بن عمر التونسى (ت ١٢٧٥ هـ) من علماء اللغة فى القرن الثالث عشر.

(٤) المعنى هنا هو محمد باشا عارف وكيل جمعية المعارف التى عنيت بطبع التاج للمرة الاولى فى المطبعة الخيرية سنة ١٢٨٥ هـ انظر التاج الجزء الاول القسم الثالث صفحة ١٨٣) .

(٥) أشرنا إلى مراجع البحث والتحقيق فى حواشى الصفحات السابقة ؛فأغنى ذلك عن اعادتها مجتمعة فى آخره

# موقف الشعر من الأعلام

## للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف

**للشعر** موقف خاص من الأعلام لم يلتفت إليه النحاة بوصفه ظاهرة معينة ، ولكنهم تناولوا هذا الموقف فى مواضع مختلفة وبمصطلحات متعددة تسوغ لنا أن نعد معظمها من التغييرات الصرفية بوصفها تغييراً فى بنية الكلمة فى الشعر لإقامة وزنه وتسوية قوافيه : وقبل أن نتناول موقف الشعر من الأعلام نود أن نضع فى حسباننا هذه الملاحظات الآتية :

أولا : إن الأعلام ، دون سائر المعارف تتعرف بنفسها من غير حاجة إلى وسيلة من وسائل التعريف التى تحتاج إليها ألوان المعارف الأخرى ، فقد « خرجت الأعلام عن شياع الأجناس إلى خصوصها بأنفسها لا بحرف يفيد التعريف فيها[1] » ولذلك عرفوا العلم — والذى يعنينا فى هذا المجال هو العلم الشخصى — بأنه « اسم يعين مسماه تعيينا مطلقا[2] » . فالتعريف فى العلم آت من ارتباط الاسم بمسماه ارتباطا وثيقا فى الذهن ، بحيث يستحضر الذهن أحدهما عند وجود الآخر ، فهو — إذن — « الاسم الخاص الذى لا أخص منه[3] » ومناط التعريف فى العلم بقاؤه على هذا الارتباط الوثيق بمسماه وعدم شياعه فيه وفى غيره ؛ ولذلك لا يعامل معاملة بقية الأسماء من حيث الإضافة ودخول أداة التعريف ، إلا إذا « شورك فى اسمه ، أو اعتقد ذلك ، فيخرج عن أن يكون معرفة ، ويصير من أمة كل واحد له مثل اسمه ، ويجرى حينئذ مجرى الأسماء الشائعة نحو : رجل وفرس ، فحينئذ يجترأ على إضافته وإدخال الألف واللام عليه كما يفعل ذلك فى الأسماء الشائعة[4] »

ثانياً : أجاز النحاة ترخيم المنادى وشرطوا لذلك أن يكون مبنياً على الضم والمنادى المبنى على الضم هو العلم المفرد والنكرة المقصودة وهى كالعلم فى التعيين للإقبال[5] وشرط المبرد فى ترخيم المؤنث

---

( ١ ) الخصائص لابن جنى ٣ — ٨١ .

( ٢ ) أوضح المسالك لابن هشام ١ — ٦٦ .

( ٣ ) شرح المفصل لابن يعيش : ١ — ٢٧ .

( ٤ ) السابق ١ — ٤٤ .

( ٥ ) انظر الأشمونى ٣ — ١٣٨ .

بالهاء : العامية [1]» وعللوا ذلك بأن « العلم لكثرة ندائه يناسبه التخفيف بالترخيم[2] » ويقول سيبويه : « وليس الحذف لشيء من هذه الأسماء ألزم منه لحارث ومالك وعامر وذلك لأنهم استعملوها كثيراً في الشعر وأكثروا التسمية بها للرجال ... وهو في الشعر أكثر من أن أحصيه[3] .

وعلى ذلك فإن الأعلام : زينب وسعاد وجعفر وسعيد وأسماء ومروان ومنصور وشملال وقنديل تصير إلى : يازين ، وياسعا وياجعف ، وياسعي ، ويأسم ، ويامرو ، ويامنص ، وياشمل ، وياقند : ولغة « من لاينتظر » تعامل الاسم حينئذ على أنه اسم مستقل ، والذي جوز الحذف في هذه الأعلام أنها متعينة لأصحابها ، وكونها مناداة يطلب إليها الإقبال لايجعلها تلتبس بغيرها ويكفي مع هذا أن يذكر بعض الاسم فيدرك صاحبه ومن حوله أنه هو المقصود لذلك فيخفف وحده لما نودي من أجله ؛ ويلاحظ — هنا — أن كل ما استشهد به النحاة في باب الترخيم لم يكن إلا من الشعر ، غير قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود — رضي الله عنهما — ويحيى والأعمش[4] (ونادوا يامال[5]) التي يقول عنها ابن فارس « والله أعلم بصحة ذلك » [6] ولكن ابن جني يرى في هذه القراءة سراً جديداً — على حد تعبيره — ، يقول : « وذلك أنهم ، لعظم ماهم عليه ، ضعفت قواهم ، وذلت أنفسهم ، وصغر كلامهم فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورة عليه ، ووقوفاً دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله ، القادر على التصرف في منطقه[7]

وهناك عبارة نثرية يستشهدون بها في هذا الباب ، وهي « ياشا ادجني » [8] وهي عبارة غريبة ؛ لأن الحيوانات لاتخاطب إلا بالزجر أو طلب الإقبال ويكون ذلك بأصوات مخصوصة ، أما أن يطلب إلى الشاة ان تدجن — اى تقيم في المكان — فذلك مما تسمح به لغة الشعر ، لما فيها من كثرة المجاز والتصوير ، ولعل هذه العبارة مقتطعة من رجز لم يشأ النحاة أن يذكروه ؛ ولذلك جاء فيها الترخيم . وقد قصر النحاة ، كذلك — ماعدا الفراء وابن مالك — تصغير الترخيم على الأعلام وحدها [9] .

---

(١) السابق ٣ — ١٧٣ .
(٢) حاشية الصبان على الأشموني ٣ — ١٧٥ .
(٣) الكتاب لسيبويه ( بولاق ) ١ — ٣٣٥ .
(٤) انظر المحتسب لابن جني ٢ — ٢٥٧ والإنصاف لابن الأنباري : ٢٢١ .
(٥) سورة الزخرف الآية ٧٧ .
(٦) الصاحبي لابن فارس : ١٩٥ .
(٧) المحتسب لابن جني : ٢ — ٢٥٧ ..
(٨) الأشموني ٣ — ١٧٣ .
(٩) انظر تسهيل الفوائد لابن مالك : ٢٨٩ .

ثالثا : تنفرد الأعلام فى الاستعمال العام بمجيئها على غير المألوف من قياس النحاة « ومن ذلك قولهم فى العلم : حيوة ، وهذه صورة لولا العلمية لم يجز مثلها لاجتماع الواو والياء وسبق الأولى منهما بالسكون ، وعلة مجىء هذه الأعلام مخالفة للأجناس هو ما هى عليه من كثرة استعمالها ، وهم لما كثر استعماله أشد تغييراً » [1] لأن كثرة الاستعمال تزيد من ارتباط الاسم بالمسمى حتى إنه ليكفى مع هذا الارتباط الوثيق ذكر بعض أصوات الاسم ، يقول ابن جنى « الأسماء الأعلام قد تغير كثيرا عما عليه غيرها مما ليس علما نحو قولهم : رجاء بن حيوة وشهلل ومزيد ومكوزة ومعد يكرب وموهب وموظب ومورق »[2] ويبين السبب فى هذا فيقول « فإن قلت : ولم جاز فى الأعلام هذا التغيير كله ؟ قيل : لأنها كثيرة الاستعمال معروفة المواضع ، والشىء إذا كثر استعماله وعرف موضعه ؛ جاز فيه من التغيير مالا يجوز فى غيره »[3] وليس التغيير فى الاسم العلم مقصوراً على التغيير فى بنيته الصرفية فحسب ، بل إن ذلك ليتخطاها إلى الإعراب « ولما غيرت الأعلام فى ذواتها ؛ جاز أن تغير فى إعرابها ، فمن هنا جاز فى الحكاية « من زيدا » و « من زيدٍ » ولم يجز ذلك فى الرجل والغلام ونحوهما مما ليس بعلم هكذا قال أبو على وهو الصواب »[4]

رابعاً : ما نزال – إلى الآن – نحرف الاسم العلم عن صورته الأصلية ويكون ذلك فى مواقف مختلفة كالتخفف من ذكر الاسم كاملا أو التدليل أو التمليح أو غير ذلك من دواع ، ولا يتم ذلك إلا إذا كان العلم مرتبطا بصاحبه أوثق الارتباط وأقواه بحيث لا يؤدى ذلك إلى لبس أو غموض ، فضلا عن أن بعض اللهجات فى أقاليم مصر المختلفة تقتطع الحرف الأخير من الاسم ، أو تكنى الشخص باسم أبيه ، كأن يكون اسم الشخص « محمد إبراهيم » فيتحدث عنه من يعرفونه باسم « محمد أبو إبراهيم » . وكل ذلك يتم بين أبناء البيئة اللغوية فى وضوح تام دون نكير من أحد لأنه عرف سائغ .

ويمكن أن نجمل هذه الملاحظات التى التى قررها النحاة فى عبارة موجزة هى أنه يجوز أن تغير بنية العلم فى الاستعمال لعدم اللبس وإذا وضعنا هذا فى الحسبان ؛ أمكن على ضوئه تحديد موقف الشعر من العلم ؟

إن الاسم العلم حينما يرد فى الشعر لابد أن يكون معروفاً متعيناً لدى البيئة التى قيل

---

(١) الخصائص : ٣ – ٣٤ .

(٢) المنصف لابن جنى : ١ – ١٤٢ .

(٣) السابق : ١ – ١٤٣ .

(٤) السابق : ١ – ١٤٣ .

فيها هذا الشعر ، بحيث تكفى الإشارة إلى بعض حروفه أحياناً ، أو الصورة المغير إليها الاسم أحياناً أخرى ولاسيما إن كان الشعر الشعر « كثيراً ما تحرف فيه الكلم عن أبنيته ، وتحال فيه المثل عن أوضاع صيغها لأجله»[1] كما يقول أبو الفتح . ويقول التميمى القزاز « ومما يجوز له فى الاضطرار الإتيان باسم وهو يريد غيره ، ولكن فيما أتى بعض الدليل على ما يريد »[2]ويقول أيضا « ومما يجوز له تغيير الأسماء كما قال الأول :

* ونسج سليم كل قضاء ذائل *

يريد بقوله سليم : سليمان »[3] وهكذا يكون موقف الشعر من الأعلام . وتكون عبارة القزاز دقيقة لو فهمنا الاضطرار على أنه الاستعمال الشعرى الخاص لا الإلجاء والاحتياج ، ولا تهم — هنا — قواعد النحاة ، فما دام المعنى واضحاً مستقيما ؛ فإن العيب ليس عيب الشعراء ؛ فإنهم هم أنفسهم الذين يحتج بشعرهم ، ولكن العيب عيب تلك القواعد التى قصرت عن شمول كل الظواهر لضيقها ضيقا يكفل لها الاطراد :

لقد جاء الاستعمال الشعرى على هذا النهج ، وهو الاعتماد على معرفة العلم فى بيئته معرفة واضحة ، ولذلك كان الشعر يكتفى من العلم ببعض حروفه ، والتحريف فيه ، فجميل بن معمر يسمى « بثينه » ( بثنة ) فى قوله :

لا ، لا أبوح بحب بثنة إنها
أخذت على مواثقا وعهوداً[4]

وذو الرمة يسمى حبيبته مية ( مى ) فى قوله :

ديار مية إذ مى تساعفنا
ولا ترى مثلها عرب ولا عجم[5]

وفاطمة تصير إلى ( فاطا ) فى قول الشاعر :

فيا ليتنى من بعد ( فاطا ) وأهلها
هلكت ولم أسمع بها صوت إيسان[6]

ودريد بن الصمة يسمى أخاه عبد الله ( معبدا ( فى قوله يرثيه :

وإن تعقب الأيام والدهر تعلموا
بنى قارب أنا غضاب لمعبد[7]

---

( ١ ) الخصائص ٣ — ١٨٨ .
( ٢ ) مايجوز للشاعر فى الضرورة : ٢١٠ .
( ٣ ) السابق : ٢١٢ .
( ٤ ) الأشمونى ٣ — ٨٤ ، والهمع للسيوطى ٢ — ١٢٥ .
( ٥ ) شرح السيرا فى لكتاب سيبويه ١ — ٢١٩ ( مخطوط ) .
( ٦ ) المحتسب لابن جنى ٢ — ٢٠٣ .
( ٧ ) الأصمعيات : ١٠٧ وشرح السيرا فى ١ — ٢٣٦ .

ومن يسمى حازوقا يصير إلى ( حزاق ) فى قول أمه ترثيه :

أقلب طرفى فى الفوارس لاأرى
( حزاقا ) وعينى كالحجاة من القطر[١]

وثعلبة بن سيار يسمى ( ثعلبة بن سير ) فى قول المفضل النكرى :

وسائلة بثعلبة بن سير
وقد علقت بثعلبة العلوق[٢]

والبعيث يسمى عطية الخطفى أبا جرير ( عطاء ) فى قوله يهجو جريراً :

أبوك عطاء ألأم الناس كلهم
فقبح من فحل وقبحت من نجل[٣]

وعبد الأشهل يصير فى الشعر إلى ( عبد الأشل ) فى قول ابن الزبعرى :

حين ألقت بقباء بركها
واستحر القتل فى عبدالأشل[٤]

وعثمان بن عفان يسميه الشاعر ( عثمان أبو عفان ) فى قوله :

والشيخ عثمان أبو عفانا[٥]

وقد جعل السيرا فى تحريف الاسم على هذا النحو فى ( عثمان أبو عفان ) غلطا لايجوز فى الشعر ولا فى الكلام .

وإذا كان الاسم أعجميا فإن التحريف فيه أكثر مثل (إبراهيم) فإنه يجىء على هذا النحو فى قول الراجز :

أنى لك اللهم عان راغم
مهما تجشمنى فإنى جاشم
عذت بما عاذ به إبراهم[٦]

أو يجىء على هذا النحو :

نحن آل الله فى كعبه
لم يزل ذاك على عهد إبراهيم[٧]

« وذلك أن إبراهيم اسم أعجمى ، فإذا عربته العرب فإنها تخالف بين ألفاظه » كما يقول ابن خالوية [٨] .

والنماذج لأنواع التحريف فى صيغة العلم كثيرة فى الشعر كما يقول ابن جنى، وقد جعل بعض النحاة هذه الاستعمالات ضرورة فى الشعر[٩]، وبعضهم يسمى بعضها تحريفا كما فعل ابن جنى ، وبعضهم عد ذلك خطأ كما فعل ابن فارس . والواقع أن هذا كله ليس

---

( ١ ) الأصمعيات : ٢٠١ والخصائص ٣ – ١٨٨ .
( ٢ ) الخصائص ٢ – ٤٣٧ واللسان ١٢ – ١٣٨ ( علق ).
( ٣ ) الخصائص ٢ – ٤٣٧ واللسان ١٩ – ٣٠٢ ( عطى ) .
( ٤ ) الخصائص ١ – ٨١ ، ٣ – ٤٣٨ واللسان ١٣ – ٣٩٧ ( شهل ) .
( ٥ ) شرح السيرا فى ١ – ٢٣٦ .
( ٦ ) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه : ٤ والرجز فى اللسان مع خلاف فى التقديم والتأخير ١٤ – ٣١٤ ( برهم )
( ٧ ) إعراب ثلاثين سورة : ٤ .
( ٨ ) السابق نفسه .
( ٩ ) انظر مايجوز للشاعر فى الضرورة : ٢١٠ ، ٢١٢ .

شيئاً من ذلك ، ولكنه نهج الشعر مع الأعلام اعتمادا على ما هو متعارف عليه بين الناس فى نداء الأعلام أو التحدث عنها من جانب ، واعتمادا على توفز النفس وشحذ الاهتمام واستحضار كل دواعى الفهم عند تلقى الشعر من جانب آخر بحيث تصبح الإشارة والإيماءة مغنية عن البسط والإسهاب فضلا عما يدل عليه تغيير صورة الاسم من معان تختلف باختلاف الموقف .

ولعل عدم نظرة النحاة للشعر على أن له استعمالا خاصاً للأعلام هو الذى دفعهم للاختلاف حول ترخيمها فى غير النداء فجعله سيبويه ضرورة من ضرورات الشعر وعقد لذلك بابا خاصاً فى كتابة[1]، وأجاز فى الاسم المرخم فى غير النداء أن يجعل ما بقى منه اسماً مستقلا ، « وليس بين النحويين خلاف أنه جائز له فى غير النداء على أن يجعله اسماً مفرداً ويعرب به بما يستحقه من الإعراب »[2] ويجيز سيبويه أيضا وغيره من المتقدمين البصريين والكوفيين أن يبقى الاسم بعد الحذف على حاله « على لغة من ينتظر » ولكن المبرد كان ينكر هذا ولا يجيزه فى الشعر ويعلل الأبيات [3]، وحجته فى ذلك أنه « حذف فى غير النداء فأشبه حذف دم ويد فكما أن يداً ودماً وأمثالهم ( كذا ) يجرى آخرها بالإعراب فكذلك ينبغى أن يجرى آخر المرخم فى غير النداء ضرورة»[4] ،ويقول عن ذلك ابن عصفور : « وهذا الذى ذكره ليس بشيء[5]» والذى أراه أن رأى سيبويه أشبه بما يتطلبه الشعر ولذلك لا أوافق المبرد على معياريته .

وبناء على ذلك لا نستطيع أن نوافق الكوفيين وابن مالك [6] فى تعميمهم وفرضهم لغة الشعر على النثر ؛ إذ يجيزون ترخيم المضاف فى النداء بحيث يوقعون الترخيم فى آخر الاسم المضاف إليه فى الشعر والنثر على السواء مثل قول الشاعر :

أبا عرو لا تبعد فكل ابن حرة
سيدعوه داعى ميتة فيجيب

وقول الآخر :

إما ترينى اليوم أم حمز
قاربت بين عنزى وجمزى

---

(١) انظر : الكتاب ١ — ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
(٢) انظر الكتاب ١ — ٣٣٢ ، ٣٣٣ .
(٣) شرح السيرفى ١ — ٢١٧ .
(٤) شرح السيرافى ١ — ٢١٨ .
(٥) شرح الجمل لابن عصفور ورقة ٥٦ ا ( مخطوط )
(٦) السابق نفسه .
(٧) انظر الهمع للسيوطى ١ — ١٨١ .

ولايجيز البصريون ذلك فى غير الشعر ، على أنه ضرورة[1]، والذى نراه أن هذا استعمال شعرى خاص بالأعلام ، ولاداعى لفرضه على النثر لأنه لايرخم فى غير النداء إلا العلم وحده لأنه المسموع ولاشاهد فى غيره[2]، كماأنه لاداعى أيضا لأن نصفه بالضرورة لأن وصفه بالضرورة إنما هو بالقياس إلى عدم جوازه فى النثر ،والذى نؤمن بهوندعوإليه أن يفصل بين الشعر والنثر فى التقعيد النحوى لأن ذلك سيوفر الكثير من الحكم بالعلةوالندرة والشذوذ والضرورة وغير ذلك ، وسوف يصحح ذلك كثيرا من الأحكام ويخفف كثيرا من القواعد التى أثقلت كاهل النحو زمنا ليس بالقصير .

ومن الاستعمالات الشعرية الخاصة بالأعلام والتى أثارت خلافا بين النحاة حذف التنوين من العلم فى الموضع الذى ينبغى أن ينون فيه حسب قواعد النحاة ، ومن هنا أجاز الكوفيون منع العلم من الصرف لسبب واحد هو العلمية[3] وأجاز ذلك ثعلب فى الاختيار وتابعه أبو حيان[4] ويقول ابن يعيش : « فاذا اعتبرت النصوص الواردة فى هذا الباب كان أكثرها أعلاما معارف فامتنع الصرف » [5] ويرى أن النصوص الواردة فى هذاالباب ليس من السهل ردها[6] ؛ ولذلك كان من النحاة من أجازه فى فصيح الكلام [7]، وينقل السيوطى فى ذلك أربعة آراء رابعها أنه يجوز فى العلم خاصة [8]، والبصريون يأبون ذلك ويمنعونه ؛ ولذلك أولوا الأبيات الواردة فى ذلك أوغيروا روايتها وتغيير الرواية كثير فى التراث النحوى — ومن أمثلة ذلك قول الشاعر :

فما كان حصن ولاحابس
يفوقان مرداس فى مجمع [9]

وقول الآخر :

ومصعب حين جد الأ
مر أكثرها وأطيبها[10]

وقول الآخر :

لتجدنى بالأمير برا
وبالقناة مدعسامكرا
إذا غطيف السلمى فرا [11]

(١) انظر المسألة ٤٨ من الإنصاف ١ — ٢١٤ .
(٢) انظر الهمع ١ — ١٨١ .
(٣) انظر المفصل للزمخشرى : ١٧ .
(٤) انظر : الهمع ١ — ٣٧ .
(٥) شرح المفصل لابن يعيش : ١ — ٦٩ .
(٦) انظر السابق ١ — ٦٨ .
(٧) انظر شرح الصقار الفقيه لكتاب سيبويه ورقة ٢٦ ( مخطوط )
(٨) انظر الهمع ١ — ٣٧ .
(٩) شرح السيرافى ١ — ٢٠٤ وشرح المفصل ١ — ٦٨ .
(١٠) شرح السيرافى ١ — ٢٠٤ .
(١١) اللسان ٧ — ٣٨٧ ( دعس ) .

وقول حسان بن ثابت :

أو من بنى زهرة الأخيار قد علموا
أو من بنى خلف الخضر الجلاعيد[1]

وقول الآخر :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف[2]

وقول الآخر :

حميد الذى أمج داره
أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع[3]

ومن الاستعمال الشعرى للعلم أيضاً أن يفعل به عكس ماسبق أى ينونه فى الموضع الذى ينبغى ألاينون فيه حسبما تنص قواعد النحاة كقول الشاعر :

جارية من قيس بن ثعلبة
كأنها حلية سيف مذهبة[4]

وقول الآخر :

فان لم يكن مال يثاب فانه
سيأتى ثنائى زيداً بن مهلهل

وقول الآخر :

سلام الله يا مطـــــر عليها
وليس عليك يامطر السلام[5]

وقول الآخر :

ضربت صدرها إلى وقالت
يا عديا لقد وقتك الأواقى[6]

ومن الاستعمال الشعرى للأعلام تنوين الاسم العلم الذى حقه أن يمنع من الصرف ، وشواهده أكثر وأشهر من أن تذكر ، وإن كان هذا يدل على تطور فى اللغة إذا نظرنا إلى عدم صرف الاسم الممنوع من الصرف على أنه بقايا تاريخية لما كان يستخدم فى مرحلة سابقة[7] ثم أدت عوامل التخفيف فى العلم إلى نزع التنوين منه ، ثم نظر إليها الشعراء فيما بعد على أنه من تقاليد الشعر الخاصة فاستعملوه .

---

(١) شرح السير فى ١ — ٢٣٣ ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب .
وانظر الديوان : ٣٤٥ والبيت ملفق من بيتين هما فى ديوانه :
أو فى الذؤابة من تيم وإخوتها أو من بنى جمع الخضر الجلاعيد
أو كنت من زهرة الأبطال قد علموا أو من بنى خلف الزهر الأماجيد
وانظر الكامل للمبرد : ٢٩/١

(٢) مايجوز للشاعر فى الضرورة : ١٢٥ واللسان ٢ — ٣٥٢ ( سنت ) والرواية فيه « عمرو العلا . . . »

(٣) المقتضب للمبرد ٢ — ٣١٣ واللسان ٣ — ٣٠ (أمج)

(٤) الكتاب لسيبوية : ٢ — ١٤٨ وشرح المفصل ٢ — ٦ .

(٥) هذا البيت وما قبله من شرح السيرا فى ١ — ٢٠٣ .

(٦) الأشمونى ٣ — ١٤٥

(٧) هذا إذا أخذنا بقول النحاة ، وهو أن التنوين هو الأصل ، ومنع الصرف طارئ لعلة ، وإذا كان هذا القول صحيحاً كذلك نحويا وتاريخيا ، وإلا فان نولدكه يرى أن العربية — كما كان يتكلمها النبطيون قبل ميلاد المسيح وبعده بقليل — كانت تستخدم الأسماء بدون تنوين ، والأسماء الممنوعة من الصرف كانت بلا نهايات إعرابية على الإطلاق ، ومقتضى قوله أن هناك تطورا حدث فى العربية إذ استخدمت الأسماء المنصرفة التنوين وأعربت الأسماء الممنوعة من الصرف بلا تنوين . (انظر اللغات السامية ٧٣ وما بعدها)

كما أن من الاستعمال الشعرى للعلم كذلك أن يمد إذا كان مقصوراً مثل قول الشاعر :

قد علمت أخت بنى السعلاء[1]

أو يقصر إذا كان ممدوداً مثـــل قول الشاعر :

لابد من صنعا وإن طال السفر[2]

وقول جرير :

ونبئت جواباً وسكناً يسبنى
وعمرو بن عفرا لاسلام على عمرو[3]

أو يزيد فى حروفه كقول الشاعر وذكر ( ميسان ) فجعلها ( ميسنان ) :

ومــا دمية من دمى ميسنــان
معجبـــة نظـــراً واتصافاً[4]

وقول الأسدى :

وخافت من جبال السغدنفسى
وخافت من جبال خوارزم[5]

وقد قال أبو الفتح ابن جنى عن مثل هذا الاستعمال : « وهذا — لعمرى — تحريف بتعجرف عار من الصنعة »[6] :

لقد أردت — فحسب — أن ألفت النظر إلى جانب من جوانب الدرس النحوى شتته النحاة وشعثوا ما يجب أن يجتمع من أمره، وأرى لدراسة هذه الظاهرة دراسة وافية مجدية أن نحدد فترة زمنية معينة نجمع شعرها، ونستخرج الأعلام من هـــذا الشعر ، ثم نصنفها ونصف استخداماتها دون أن نقول إن هذا الاستعمال أو ذاك ضرورة أو خطأ أو غلط أو غير ذلك من أحكام ، بل ننظر إليه على أنه استعمال شعرى خاص مادام غير موجود فى النثر ؛ وبذلك نريح النحاة من الخلافات التى نشبت بينهم بسبب بعض هذه الاستعمالات ، ومن لجوء بعضهم إلى إنكار الرواية جملة لبعض الأبيات ، وكأن ذلك يعفى من تفسيرها ودراستها ، أو تخريجها وتأولها على غير ماوردت به مما أثقل كاهل النحو .

**محمد حماسه عبد اللطيف**

---

( ١ ) شرح الجمل لابن عصفور : ١٣٨ والسعلاة أخبث الغيلان وكذلك السعلا يمد ويقصر اللسان ١٣ — ٣٥٧ (سعل)

( ٢ ) السابق نفسه .

( ٣ ) الكتاب لسيبويه ١ — ٣٥٧ .

والبيت فى ديوانه صفحة ٤٢٥ وانظر اللسان ١٨/٨٢ وطبقات فحول الشعراء لابن الإسلام ٣٢٨

( ٤ ) الخصائص ١ — ٢٨٢ ، ٢ — ٤٤٧ م

( ٥ ) سر صناعة الإعراب لابن جنى ١ — ٢٠٦ .

( ٦ ) الخصائص ١ — ٢٨٢ .

# ملاحظات

# على تطور التأليف المعجمى عند العرب

للأستاذ رجيس بلاشير

ترجمة الأستاذ أحمد درويش

كان تطور التأليف المعجمى عند العرب موضوعاً لدراسات عميقة بدرجة أو بأخرى،(١) وبفضل هذه الدراسات لم تعد معرفة المصادر التى تشكل الهيكل الرئيسى فى هذا الفرع تطرح مشاكل تستعصى على الحل ، وتبقى الأهداف التى يراد إنجازها بعد ذلك فى هذا المجال ، سهلة الإحاطة والمعالجة .

لقد تمت بهمة بالغة ، إنجاز طبعات أمهات المعاجم التى لم تكن قد طبعت من قبل مثل « تهذيب الأزهرى » ، وفى الوقت نفسه تمت إعادة طبعات المعاجم الكثيرة الاستعمال ، والتى لم يعد يكفى المطبوع منها للاستجابة لحاجة القراء التى أصبحت ملحة ، ومع ذلك فليس من التزيد دون شك ، العودة إلى دراسة مرحلة المنابع المعجمية وخاصة تلك التى شكلت الهيكل الرئيسى للتأليف المعجمى ، بدءاً من القرن الثانى الهجرى ، حتى ظهور ذلك السفر الجليل « لسان العرب » ، وخلال تلك الحقبة الطويلة كان ما فعله التأليف المعجمى العربى يتجاوز فى قيمته مجرد القول بأنه نجح فى إكمال رسالته ، فلقد غير فى خلالها مرات

(١) مثل دراسة جولدزيهر : Batir zwy Geschichte des Sprachgelehrsamkeit bei der Arabern والتى ظهرت فى Sizungslerichteder Ak Wien Lxxii ( 872 ) 587 299 .

ودراسة Krenkow بعنوان : The beginnigs of Arabic lexicogrophy فى Suppl.J. R.A . S. (1929)

ودراسة Rosenthal بعنوان : The techniqic nnd anproache of Muslin Scheel - Arship . 2 .

ودراسة Kraemer بعنوان : Studien Zur Altavabischen Lexikogrophis والمنشورة فى مجلة Oyiens VI (1923) 20 - 238 .

وبين الدراسات غير المطبوعة . ننوه بصفة رئيسية بدراسة عبد الله درويش : المعاجم العربية . القاهرة ١٩٥٦*

* اطلع كاتب المقال على المؤلف مخطوطا ، وقد طبع دكتور عبد الله درويش بعد ذلك كتابه تحت نفس العنوان : المعاجم العربية . القاهرة سنة ١٩٥٦ م (المترجم)

عديدة ، أهدافه ومقاصده ، واتسمت بعض مراحله كذلك بالتقصير .

ونريد هنا إعادة النظر فى الأثر الذى أحدثته بعض آيات القرآن فى المرحلة الأولى بصفة عامة على الجهود التى كانت تهدف إلى الجمع المعجمى للغة العربية .

لقد تعرضت التقاليد العبرية قبل الإسلام بقرون لقضية أصل اللغة ، ويمكن أن نقرأ عن ذلك فى الإصحاح الثانى من سفر التكوين :

١٩ ــ وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية ، وكل طيور السماء ، فأحضرها إلى آدم ، ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها .

٢٠ ــ فدعا آدم بأسماء جميع البهائم ، وطيور السماء ، وجميع حيوانات البرية ، وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره .

وكما نرى هنا فإن اكتساب اللغة ، كان نتيجة لتجربة الإنسان ذاته ، والحدث الإلهى لم يتدخل إلا لكى يظهر إلى أى حد خلق آدم مميزاً بعبقرية تفضله على المخلوقات الأخرى أما فى القرآن فإن نشأة اللغة تبدو على العكس من ذلك ، وكأنها عطاء متفضل به على الإنسان ، ذلك المخلوق المميز ، كما جاء فى سورة الرحمن فى بداية نزول القرآن بمكة (حوالى ٦١٢ م) : « الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان» ( ١ ــ ٤ ) .

وفى آيات أخرى نزلت بالمدينة ، نجد سمة أخرى ، ذات مغزى كبير ، لذلك التصور الذى سيفرض نفسه على الجيل الأول من المسلمين، فيما يتصل باللغة كعطاء معجز * : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم . ( البقرة ٣١ ــ ٣٣ )

ومن المناسب أن نضيف إلى هذين النصين ثلاثاً وثلاثين آية وردت فى القرآن بهذا الصدد (*) .

---

(*) الآيات التى يشير لها بلاشير بعد ذلك بقليل ، أورد ثبتا بأرقامها فى فهارس ترجمته الفرنسية للقرآن تحت عنوان «المصدر الإلهى للوحى القرآنى » وهى الآيات التالية : ( إنه لقول رسول كريم ) التكوير : ١٩ ( تنزيل من رب العالمين ) الواقعة : ٨٠ ( إن هو إلا وحى يوحى) النجم : ٤٠ (فأوحى إلى عبده ما أوحى ) النجم : ١٠ ( تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى ) طه : ٤ ( وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ) طه : ١١٢ (وإنه لتنزيل رب العالمين ) الشعراء : ١٩٢ ( الذين جعلوا القرآن عضين) الحجر : ٩١ ( قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض وهو السميع العليم ) الأنبياء : ٤ ( وهذا ذكر مبارك أنزلنه أفأنتم له منكرون ) الأنبياء : ٥٠ (تنزيل من الرحمن الرحيم) فصلت : ٢ ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فصلت : ٤٢ (تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم ) الجاثية : ٢٠ ( تنزيل الكتب من الله العزيز العليم ) غافر : ٢ ( تلك آيت الكتب المبين ) القصص : ٢ ( كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) الشورى : ٣ (فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتب من قبلك . لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ) يونس : ٩٤ (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع مايوحى إلى من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ) الأعراف : ٢٠٣ (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ) الأحقاف : ٢ (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى مايفعل بى ولا بكم إن =

لقد وجدت إذن مسلمة دينية ، وجهت بصفة رئيسية ، « عملية الجمع اللغوية » لدى علماء المعاجم المسلمين فى العراق منذ بدايات بحوثهم ، حيث الاعتقاد بأن الكلام منحة من الله ، ولغة العرب هى أسمى اللغات ما دامت هى تلك التى فضلها الله على جميع اللغات واختارهالغة لرسالته الأخيرة للإنسانية.

ولقد لعبت التفاسير الإسلامية دوراً هاماً فى أن تنسج من هذه المسلمة نظرية كاملة حول قضية « أصل اللغة » ، ومن هنا كانت مهمة المعجميين محوطة تماماً بالاستجابة للون من التعاليم الدينية ، وكانت المشكلة قبل كل شيء هى اكتشاف كل المدلولات التى كان ينبغى أن تنطوى تحت لفظ « البيان » ( فى مثل قوله : علمه البيان ) وأهم من ذلك اكتشاف كل المدلولات المنطوية تحت اللفظ الأكثر غموضاً « الأسماء » ( فى مثل قوله : «وعلّمَ آدم الأسماء » ) ، وهو لفظ عام يطلق على «الدال» ولكنه هنا ينبغى أن يؤخذ على أنه مراد به « المسميات » .

ولقد عكست بوضوح روايات المشافهة ، التى كانت روافد التفسير ، « التصور العائم » لمعنى كلمة « الأسماء » لدى الأجيال التى تلت الجيل الأول من المسلمين ؛ ففى نهاية القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى ) حفظ لنا التفسير ، الذى لا تقدر نفاسته ، تفسير الطبرى ( متوفى ٩٢٣ م ) عبر سلاسل الإسناد المختلفة صدى لهذه التاويلات المترددة(١) :

---

= أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين ) الأحقاف : ٩ ( قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ) الأحقاف : ٣٠ ( وأوحى إلى هذا القرآن لأ نذركم به ومن بلغ ) الأنعام: ١٩ ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ) الأنعام : ٩٢ ( أفغير اللهأبتغى حكما وهو الذى أنزل إليكم الكتب مفصلا ،والذين أتينهم الكتب يعلمون أنه نزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ) الأنعام : ١١٤ ( المر تلك آيت الكتب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لايؤمنون )(١) الرعد : (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ) البقرة : ٩١ ( وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ) البقرة : ١٧٠ ( شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)البقرة : ١٨٥ (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) النساء : ٨٢ ( ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ) النساء : ١٧٤ ( سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات ) النور : ١(*)

(*) ثبت أرقام الآيات لدى بلاشير ورد فى الترجمة الفرنسية للقرآن . وقد لاحظنا أثناء كتابة الآيات المقابلة للأرقام أن هناك أرقاما واضح أنها كتبت خطأ مطبعيا بالتقديم أو التأخير الطفيف فأثبتنا ما يتمشى مع السياق العام ونورد هنا أرقام ما غيرناه كما أثبته بلاشير ( الواقعة : ٨٠ ) ، الشعراء : ٢٠١ ، الأحقاف : ٢٨ ، البقرة : ١٨١ ، آل عمران : ٣٩ . وقد أثبتنا فى قائمة الآيات ماراينا قريبا منها فليراجع . « المترجم » .

(١) يورد الطبرى فى تفسيره « جامع البيان فى تفسير القرآن » ( ا : ٤٨٢ — ٤٨٦ ) سلسلة من الأسانيد تنتهى إلى العباس ، وأحيانا إلى قتادة ، حيث نجد كلمة « أسماء » تحمل معنى الأسماء التى يتعارف بها الناس كإنسان ودابة وأرض وسهل . أو إسم كل شيء ( حتى الهنة والهنية ) ، وفى أسانيد أخرى فى نفس الكتاب ، يقدم تأويلات أخرى تفسر « الأسماء » ( فى قوله : وعلم آدم الأسماء ) . فإنها أسماء ذرية آدم وأسماء الملائكة ، وبين هاتين السلسلتين من التأويلات يفضل الطبرى التأويل الثانى ( ذريته والملائكة ) اللى يتمشى مع بقية النص فى رأى الطبرى . =

وفى نفس الوقت ، سوف تنمو حركة طبيعية ، برغم مخالفتها للمألوف السائد آنئذ ؛ لقد فهم النص القرآنى « وعلم آدم الأسماء كلها » فهماً حرفياً ، وكان من الطبيعى، بناء على هذا الفهم ، أن يحدد المجموع الضخم للكلمات التى وهبها الإنسان عندما منحت اللغة له ، ويبدو أن مدرسة نحويى البصرة ، كانت أول من شغل بتقديم إجابة على القضايا التى أثيرت فى هذا الصدد ، وهنا فرض منهج « العد والإحصاء » نفسه ووصل الأمر ببعضهم إلى إحصاء مجموع ما منحه الإنسان الأول من ملايين الكلمات التى كان يوضح بها حاجاته ، والتى امتاز بها على مجموع المخلوقات الأخرى[1].

إن التناقض بين منهج « العد والإحصاء » هذا وبين « الحقيقة اللغوية » بدا واضح البداهة لدرجة كان يمكن معها أن تدعو البعض إلى الدهشة من هذا الفهم غير المريح ، ويبدو أن مبدأ « التناقض الصوتى » كان قد فرض نفسه منذ فترة مبكرة على المنظرين أنفسهم ، وقادهم ذلك إلى التفريق بين « ما يمكن تفصيله » و « مالا يمكن تفصيله » ، أو إذا شئنا بين المعجم الحى والمعجم النظرى .

على هذا النحو ، انفتح مجال واسع لا نهائى « للإحصاء » اللغوى المعتمد على ذاته ، إذا صح هذا التعبير ، والمتحرر من القانون الدينى ( القائل بأن اللغةمنحة للإنسان ) :

وبالتوازى مع حركة الإحصاء الشاملة للغة تلك ، نرى تطوراً واسعاً فى « الرغبة فى البحث » لدى كل من فقهاء اللغة فى مدرستى البصرة والكوفة على السواء ؛ حيث نرى إشباع الفضول العلمى هو المحرك الأساسى للباحث. والتنقيب فى حياةعلماء اللغة المعروفين آنئذ ، يؤكد حدة ذلك الفضول ، والتى تبدو فى عناوين الكتب التى خلفتها هذه الشخصيات ؛ فكثيراً ما نجد « كتيبات » يحدد فيها العالم جهده ، دون كثير من الغرور والادعاء ، فى ملاحظة المفردات التى ثبتت نسبياً لديه ، والمتصلة بموضوع ما من موضوعات الحياة الصحراوية ، فى الحضارة البدوية ؛ أو فى حيوانات أو نباتات الأعراب وعبر هذا المنحنى ، كان يتجه العلماء بطريقة أو بأخرى إلى البحث عن « الغريب » الذى كان يكثر وروده فى القصائد ، التى كانت أصالتها موضع نزاع ، والتى كانت تجمع من أفواه رواة البادية . وتدين لهذا المنحنى

= ولقد أحسن « فخر الدين الرازى » فى تفسيره « مفاتيح الغيب » بعدم إقناع التأويلات الحرفية والنحوية للطبرى ، ولقد نجح فى أن يشعرنا بكل مافى كلام الطبرى من غموض ، بعد تمحيصة لهذه التأويلات غير المحددة ، وعند الرازى ، أن« الأسماء » فى قوله : وعلم آدم الأسماء كلها ، تعنى « صفات الأشياء ونعوتها وخواصها » ، ولقد أخذ الرازى هذا المعنى من الجذر الأصلى للكلمة وهو « وسم » التى تعطى تماما معنى « السمات » ( والخصائص ) وقد أكد البيضاوى بدوره كذلك ، على المعنى الأصلى العام لكلمة « أسماء » .

(١) السيوطى : المزهر ١ : ٧٤ مع إحالته إلى حمزة الأصفهانى .

أيضاً ، إعادة بناء جزء من المعجم الحضرى بطريقة غير منتظمة إلى حد ما .

إن دراسة بعض الأعمال ، التى وضعت تحت عنوان « فقه اللغة » فى ذلك الوقت تؤكد أصالة هذا المنهج الرائع ، الذى تبعه هؤلاء الباحثون ، وإذا كان مؤلفو بعض هذه الكتب لم يتعدوا أحياناً طبقة « المدونين » فلقد كان الأمر على العكس من ذلك فى حالات أخرى كثيرة ، خاصة فى كتب « النبات » حيث يرتفع البعض إلى مستوى الملاحظات الدقيقة المدونة بمصطلحات تجبر على الإعجاب لدقتها ، ويرد على الذهن هنا خاصة ، أعمال « أبى حنيفة الدينورى » .

وابتداء من القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى ) سوف يكتسى هدف البحث المعجمى شكلا جديداً ، بمعنى أنه سينفصل عن المسلمة الدينية ، التى كان مديناً لها بولادته ، وسوف تنتظم هذه الأبحاث تحت تأثيرات جديدة ، ويظهر هذا فى إنتاجين رئيسين هما : « الجمهرة » لابن دريد ( المتوفى عام ٩٣٣م ) و « تهذيب الأزهرى» ( المتوفى عام ٩٨٠ م ) ، ولحسن الحظ فان كلا من هذين المعجمين قد صدر بمقدمة وضح فيها المؤلف هدفه ، ومنهجه بطريقة تجعل من الممكن بالنسبة لنا ، أن نقوم ، من خلال النصوص ، تطور المفاهيم المعجمية بالقياس إلى تلك التى كانت سائدة فى المرحلة الأولى لدى الخليل :

وواضح أن مؤلفى هذين المعلمين ، يتجهان على السواء ، إلى أن يضعا أمام القارئ ، إحصاء كاملا للغة ، وإلى أن يعيدا تناول العناصر التقليدية ، وضبطها بدرجة أو بأخرى طامحين إلى التزويد بأداة لغوية للبحث تكون صورتها الوحيدة ، اللسان العربى الخالص :

وفى بداية القرن الرابع ، جاء العربى — الفارسى ، ابن فارس (المتوفى عام ١٠٠٤م) فغذى طموحاً مماثلا ، لكنه ، فيما يبدو ، لم يكن له نفس القدر من الصدى الذى كان لسلفيه ، ومن ناحية أخرى ، تميز كل ذلك الإنتاج ، بصعوبة الاستعمال ، لأن الجذور لم ترتب إطلاقاً وفق الترتيب الألفبائى » الذى يتطابق مع ما تقضى به ضرورة الاستعمال ، ومن ثم فقد تمخض القرن الرابع عن ثورة معجمية ثانية ، ومن المحتمل أن يكون قد حدث ذلك ، تحت ضغط الحاجة التطبيقية التى وجدت فى الحواضر الثقافية فى إيران والعراق. وبطل هذا التجديد ، مرة أخرى ، عربى فارسى هو «الجوهرى» (المتوفى نحو عام ١٠٠٥م) والشهرة التى لقيها صحاح الجوهرى ، ليست عفوية ، فعلى مدى عدة قرون ، ظل هذا الكتاب صامداً ، مما يوضح إلى أى حد لبى حاجات الناس فى هذا النهج الجديد .

فى هذا الاتجاه ، دخل «الغرب الإسلامى» بدوره ، باتجاهين قويين مختلفين ؛ فلقد استطاع المعجمى الضرير « ابن سيدة »

( المتوفى عام ١٠٦٦ م ) أن يبدو ، فى ذات الوقت ، مجلا ومتمماً لابن دريدوالجوهرى فى « المحيط » ، ومجدداً فى « المخصص » الذى يبدو لنا محاولة نجحت فى الوصول إلى ماتسميه معجم المتشابهات

Dictionnaire ânalogique

لكن عبر أية ظروف تجمد الشرق بعد ثلاثة قرون من ذلك أمام أنماط كان قد تجاوزها وحقق نكوصاً بالقياس إلى ما قدمه الصحاح ؟

تلك مشكلة يطرحها « القاموس » الشهير للفيرزابادى (المتوفى عام ١٤١٥ م ) ؛ فتعليل رواج هذا القاموس المجمل ، بسهولة استعماله فقط ، هو لا شك تعليل مغر ، ولكنه لا يشكل وحده تسويغاً كافياً ، والحق أن المهتمين بالدراسات الشرقية ، عانوا من عدم اهتدائهم إلى سر نجاح هذا القاموس ، وحتى « دوزى » نفسه ، لم يكن لديه دائماً تفسير لسر رواجه .

لقد كان ينبغى الانتظار حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وطبع « لسان العرب » لابن منظور الإفريقى ، لكى نرى من جديد ، ظهور قضايا التأليف المعجمى العربى فى قمتها عبر كتاب مدهش ومثير ، وهذا المعلم لا يبدو لنا فقط معجماً جامعاً ينبغى الرجوع إليه على الدوام ، إنه كذلك ، وربما قبل كل شىء ، الدليل فى مجال التأليف المعجمى ، كالشأن فى مجالات أخرى كثيرة ، على أن النزعة الإنسانية الإسلامية العربية ، كانت قد عرفت الارتفاع إلى مستوى الاحتياجات الكبرى للثقافة .

**ريجيس بلاشير**

# علم الأرض وفقه اللغة العربية

## للدكتور علي السكري

**تتميز** اللغة العربية عن سائر اللغات بما تحويه من ثروة لفظية ضخمة ومترادفات للكلمة الواحدة ، الأمر الذى يمكن هـذه اللغة من إبراز المعـانى بصورة واضحة كما يمكنها من دقة التعبير . وللأسف فنحن اليـوم لانستخدم من ألفاظ اللغة العربية إلا القليل ، فى حين قد تركنا أكثرها وراءظهورنا . فإذا أضفنا إلى ذلك استعمال الكثير من الألفاظ الدخيلة والغربية ظهرلنا مدى بعدنا عن اللغة العربية . ونتيجة لهذا البعد بدت اللغة العربية أمام البعض وكأنها قاصرة عن تلبية احتياجاتنا اللغوية وبالأخص فى المجالات العلمية.

ولحسن الحظ فإن الثروة اللفظية لهذه اللغة مازالت تزخر بها الكثير من المعجمات الضخمة بجانب العديد من كتب فقه اللغة. وفى كتب فقه اللغة نجد تأصيلا لمعانى الكلمات وتعريفا بها ثم تصنيفا لها حسب الموضوع . ومن بين هذه الكتب القيمة كتاب فقه اللغة للثعالبى وكتاب المخصص لابن سيده الأندلسى ثم كتاب الإفصاح من عمل حسين يوسف وعبد الفتاح الصعيدى .

وفى كتاب فقه اللغة للثعالبى ( المتوفى سنة ٤٢٩هـ - ١٠٣٨م) توجد ثلاثة أبواب فى علم الظواهر الجوية وعلم الأرض الطبيعى وعلم المعادن وبيانها كالآتى : الباب الخامس والعشرون فى الآثار العلوية ومايتلو الأمطار من ذكر المياه وأماكنها . الباب السادس والعشرون فى الأرضين والرمال والجبال والأماكن والمواضع وما يتصل بها. الباب السابع والعشرون فى الحجارة، بالإضافة إلى أبواب أخرى فى ذكر ضروب الحيوان وأوصافها ( الباب السابع عشر ) وفى النبت والزرع والنخل ( الباب الثامن والعشرون ) .

وتشمل هذه الأبواب عرض الكثير من المصطلحات العربية الأصل بحسب موضوع كل باب ثم التعريف بالمصطلح، بالإضافة إلى تصنيف الباب الواحد إلى عدة فصول يربطها وحدة الموضوع . وتتدرج بعض الفصول فى تعريف الظاهرة الواحدة من الأصغر للأكبر أو من القليل للكثير مع توضيح الفروق والاختلافات الدقيقة بين الدرجات المختلفة .

وهكذا فكأن هذه الأبواب اللغوية الأصل تمثل بدايات فريدة للعلوم المقابلة . فمثلا الباب الذى يعالج الآثار العلوية ومايتلو الأمطار من ذكر المياه وأماكنها كأنه يمثل الأصول اللغوية لعلم الظواهر الجوية الحديث ، والباب الذى يعالج الأرضين والرمال والجبال فكأنه يمثل الأصول اللغوية لعلم الأرض الطبيعى ، والباب الذى يعالج الحجارة فكأنه يمثل بدايات علم المعادن . وهنا فقط تتداخل اللغة فى العلم ، ويتداخل العلم فى اللغة . وساعد تصنيف المصطلحات فى أبواب موضوعية فى كتب فقه اللغة على إعطاء بعض العلوم معالم شخصية مستقلة له ، فالباب الذى يشمل الألفاظ الخاصة بالآثار العلوية ساعد فى نمو واستقلال علم الظواهر الجوية .

وإذا رجعنا إلى الباب الخامس والعشرين من كتاب فقه اللغة للثعالبى وهو يعالج الآثار العلوية ( أى علم الظواهر الجوية ) وجدناه يشمل الفصول الآتية : الفصل الأول الرياح — الفصل الثانى فيما يذكر منها بلفظ الجمع — الفصل الثالث فى تفصيل السحاب وأسمائها — الفصل الرابع فى ترتيب المطر الضعيف — الفصل الخامس فى ترتيب الأمطار — الفصل السادس فى ترتيب صوت الرعد على القياس والتقريب — الفصل السابع فى ترتيب البرق — الفصل الثامن فى فعل السحاب والمطر — الفصل التاسع فى أمطار الأزمنة — الفصل العاشر فى تفصيل أسماء المطر وأوصافه — الفصل الحادى عشر فى تقسيم خروج الماء وسيلانه من أماكنه — الفصل الثانى عشر فى تفصيل كمية الماء وكيفيتها — الفصل الثالث عشر فى تفصيل مجامع الماء ومستنقعاتها — الفصل الرابع عشر فى ترتيب الأنهار — الفصل الخامس عشر فى تفصيل أسماء الآبار وأوصافها — الفصل السادس عشر فى ذكر الأحوال عند حفر الآبار — الفصل السابع عشر فى الحياض — الفصل الثامن عشر فى ترتيب السيل تفصيله :

ونستعرض فيما بعد محتويات بعض الفصول المشار إليها . فالفصل الثانى وهو يتعلق فيما مايذكر من الرياح بلفظ الجمع يستطرد هكذا : الرياح الحواشك المختلفة والشديدة ، البوارح الشمال الحارة فى الصيف ، الأعاصير التى تهيج الغبار ، اللواقح التى تلقح الأشجار ، المعصرات التى تأتى بالأمطار ، المبشرات التى تأتى بالسحاب والغيث ، السوافى التى تسفى التراب . وانظر إلى محتويات الفصل الرابع عشر فى ترتيب الأنهار ، يقول الثعالبى عن الأئمة : أصغر الأنهار الفلج ، ثم الجدول أكبر منه قليلا ، ثم السرى ، ثم الجعفر ، ثم الربيع ، ثم الطبع ، ثم الخليج .

وفى السفر العاشر من كتاب المخصص لابن سيده الأندلسى ( المتوفى سنة ٤٥٨هـ / ١٠٨١م ) ذكر أسماء الوادى و نعوته وتضم ١٤ اسما مميزا تصف الأنواع المختلفة من الأودية بيانها كالآتى : الخندق – العرض – الوادى – الغال – السليل – واد هجيج – الرغيب أى الضخم – الزهيد – مسلنطح إذا لم يكن الوادى عميقا – لاخ خفيف إذا كان عميقا – واد خضار وهو كثير الشجر والحرج – الأفجيج وهو الوادى الضيق العميق – الكركور وهو واد بعيد القعر – الشاخبة نوع من الأودية ينبت نباتا حسنا .

وهكذا يتضح أن اللغة العربية ثرية فى ألفاظها ومصطلحاتها وبالأخص فى المجالات العلمية المختلفة . ويبين الكشاف المرفق بعض المصطلحات التى استعملها العرب فى وصف الحجارة ، وهى مأخوذة من كتاب فقه اللغة للثعالبى . ونحن ندعو لنشر هذه المصطلحات وغيرها فى فروع العلم المختلفة والتعريف بها حتى تنتشر ويعم استعمالها، كما أنها قد تساعد فى عملية ترجمة العلوم إلى العربية. وحبذا لو اتبعنا أسلوبا جديدا فى ترجمة المصطلحات العلمية ، فبدلا من أن نترجم المصطلح الأجنبى إلى العربية نبدأ بالمصطلحات العربية الأصل ونحاول إيجاد المقابل لها فى الأجنبية سواء أكانت الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية . هذا ويرى بعض الباحثين أن المصطلحات العربية التى تصف ظاهرة بعينها قد تكون أحيانا من التعدد والكثرة بحيث يصعب إيجاد مقابل لها فى اللغات الأجنبية الأخرى . وبهذا تتميز اللغة العربية عن بعض اللغات الأجنبية بوفرة ثروتها اللفظية بالإضافة إلى قدرتها التامة على التعبير .

**كشاف ببعض المصطلحات العربية فى الأحجار التى تتخذ أدوات ( مختارات مما ذكر ) :**

الصلاية : الحجر العريض يسحق عليه الطيب .

المسحنة : الحجر يدق به حجارة الذهب .

النشفة : الحجر الذى تدلك به الأقدام .

الربيعة : الحجر الذى يرفع لتجربة الشدة والقوة .

المسن : الحجر الذى يسن عليه الحديد أى يحدد .

الملطاس : الحجر الذى يدق به فى المهراس .

المرداس : الحجر الذى يرمى به فى البئر ليعلم أفيها ماء أم لا أو يعلم مقدار غورها .

المرجاس : الحجر الذى يرمى به فى البئر ليطيب ماءها ويفتح عيونها .

الظرر : الحجر المحدد الذى يقوم مقام السكين .

الجمرة : الحجر يستجمر به فى جمار المناسك .

البلطة : الحجر الذى تبلط به الدار أى تفرش ؛

الجمارة : الحجر يجعل حول الحوض لئلا يسيل ماؤه .

الآرام : حجارة تنصب أعلاما .

**فى تفصيل حجارة مختلفة الكيفية :**

البرمع : حجارة بيض تلمع فى الشمس ؛

اليلمع : مثل ما سبق ؛

الحمة : حجارة سود تراها لاصقة بالأرض متدانية ومتفرقة .

البراطيل: الحجارة الطوال واحدها برطيل ؛

البصرة : حجارة رخوة .

المرو : حجارة بيض فيها نار .

المهو : حجر أبيض يقال له بصاق القمر .

المهاة : حجر البلور .

المرمر : حجر الرخام .

الدملوك : الحجر المدملك .

الدملق : الحجر المستدير ؛

الراعوفة: حجر يتقدم من طىّ البئر .

الرضاض : حجارة تترضرض على وجه الأرض أى لاتثبت .

الصفاح : الحجارة العراض الملس .

الرضام : صخور عظام أمثال الجزر واحدها رضمة ؛

الرجام : دون الرضام فى المقدار ؛

الصلدح : الحجر العريض ؛

الصيخود : الصخرة الشديدة وكذلك الصفا والصفوان والصفواء .

الظرب : كل حجر ثابت الأصل حديد الطرف ؛

العقاب : صخرة ناشزة فى قاع البئر ؛

الكديد : الحجر تستره الأرض ويبرزه الحفر .

اللجيفة : صخرة على الغار كالباب .

اللخاف : فيها عرض ورقة ؛

اليهير : حجارة أمثال الأكف .

أتان الضحل : صخرة قد غمر الماء بعضها وظهر بعضها .

الصلعة: الصخرة الملساء البراقة .

الصيدان : حجر أبيض تتخذ منه البرام.

**فى ترتيب مقادير الحجارة على القياس والتقريب :**

حصاة : إذا كانت صغيرة .

نبلة : إذا كانت مثل الجوزة .

قنزعة: إذا كانت أعظم من الجوزة .

مقذاف ( ورجمة ومرادة ) : إذا كانت أعظم منها وصلحت للقذف .

يهير : إذا كانت ملء الكف .

فهر : أعظم منها .

جندل : أكبر منها .

جلمد : تليها فى الكبر .

صخرة : تليها فى الكبر ؛

قلعة : وهى التى تنقلع من عرض جبل ، وبها سميت القلعة التى هى الحصن .

**على السكرى**

# الرَّجَز بين قديم وحديث

## للدكتور يوسف نوفل

جعلت العرب بحر الرجز فى المكان السابع بين البحور المأثورة التى وصل إليها الخليل بن أحمد الفراهيدى ١٠٠ هـ — ١٧٤ هـ (٧١٨ — ٧٩١ م) وهى خمسة عشر بحراً هى : الطويل ، والمديد ، والبسيط ، والوافر ، والكامل ، والرجز ، والرمل ، والخفيف ، والمتقارب ، والهزج والسريع ، والمنسرح ، والمضارع ، والمقتضب ، والمجتث .

وزاد عليها الأخفش ( ت سنة ٢٢٥هـ ) ، وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، بحراً أسماه المتدارك ؛ لأنه تدارك به مافات الخليل فصار عددها ستة عشر بحراً .

وقد كان الخليل لغوياً وإماماً لنحاة البصرة فى القياس والتعليل النحوى ، ومن أشهر تلاميذه سيبويه والأصمعى والنضر بن شميل وكان إلى ذلك عارفاً بالموسيقى ، فاستنبط العروض وجعله فى خمس دوائر واستخرج منها بحوره المذكورة .

وقامت نظرته الفنية إلى الدوائر على أساس التشابه بين البحور فى مقاطعها ، وقد جعل كل دائرة تتضمن مجموعة من البحور ؛ مستنداً إلى مايقرره الرياضيون من أن الدائرة الهندسية تعتبر كل نقطة فيها صالحة لأن تكون بداية ونهاية معاً ، وهكذا الدائرة العروضية تصلح أى نقطة بها أن تكون بداية مقطع لبحر ما .

وقد حصرها فى خمس دوائر هى كما يلى :

١ — الدائرة المختلفة : وأصلها الطويل وتضم معه كلا من المديد ، والبسيط .

٢ — الدائرة المؤتلفة : وأصلها الوافر وتضم معه الكامل .

٣ — الدائرة المجتلبة : وأصلها الهزج وتضم معه الرجز ، والرمل .

٤ — الدائرة المشتبهة : وأصلها السريع وتضم معه كلا من المنسرح ، والخفيف ، والمضارع والمقتضب ، والمجتث .

٥ — والدائرة المتفقة : وأصلها المتقارب وتضم معها بحر المتدارك . وبذلك يصبح استدراك الأخفش لاقيمة له فنياً ، لأن الخليل قد وضع تلك الدائرة التى تضم ذلك البحر ، كما أن من الممكن أن تسمى كل دائرة باسم أول بحر بها .

وحين نريد استخراج بحر من آخر من الدائرة فإن ذلك يسمى فكاً ، ويستمر حتى نصل إلى آخر بحر فى الدائرة ، وقد علمنا أن كل بحر يتضمن عدة تفعيلات — وتسمى أيضاً الأجزاء أو الأركان ، أو الأمثلة ، أو الأوزان ، أو الأفاعيل ، أو التفاعيل ، وتجمع حروفها كلمتا « لمعت سيوفنا » فى عشرة حروف ، وتتكون التفعيلات من مقاطع هى الأوتاد جمع وتد ، وهو إما مجموع أى يتكون من حركتين فساكن ورمزهما هكذا : //٥ ، وإما مفروق أى يتكون من حركة فساكن فحركة ورمزهما هكذا : /٥/ كما تتكون المقاطع من الأسباب جمع سبب، وهو إما خفيف أى يتكون من حركة فسكون مثل : /٥ ، أو ثقيل أى يتكون من حركتين ورمزهما هكذا : //

**أمثلة :**

وتد مجموع مثل : أخى ، مضى ، رمى (//٥)

وتد مفروق مثل : منك ، قال ، جاء (/٥/)

سبب خفيف مثل : لم ، لن ، من (/٥)

سبب ثقيل مثل : لك ، بك (//)

وقد يجتمع السبب الثقيل والسبب الخفيف فيسمى فاصلة صغرى ، وقد يجتمع السبب الثقيل والوتد المجموع فيسمى فاصلة كبرى ، وقد جمعوا المقاطع فى قولهم : « لم أر على ظهر جبلٍ سمكةً ( بتنوين سمكة ) .

فإذا بدأنا البحر الأول من الدائرة وأردنا أن نقف على البحر الثانى تجاوزنا المقطع الأول وبدأنا بالمقطع الثانى لنحصل على آخر وهكذا حتى تنتهى مقاطع الدائرة .

وحيث اتفقنا على الرموز الدالة على كل من الحركة والسكون فإننا سنكتب المقاطع بتلك الرموز ونتعرف على إحدى الدوائر العروضية التى وضعها الخليل ، ونقف عند الدائرة التى تتضمن بحر ( الرجز ) وهى الدائرة المجتلبة .

والدائرة المجتلبة أصلها الهزج ، وتضم معه بحرى الرجز والرمل :

أما بحر الهزج — وهو أصل الدائرة — فتفعيلاته هى مفاعيلن ( ثلاث مرات ) فى كل شطر .

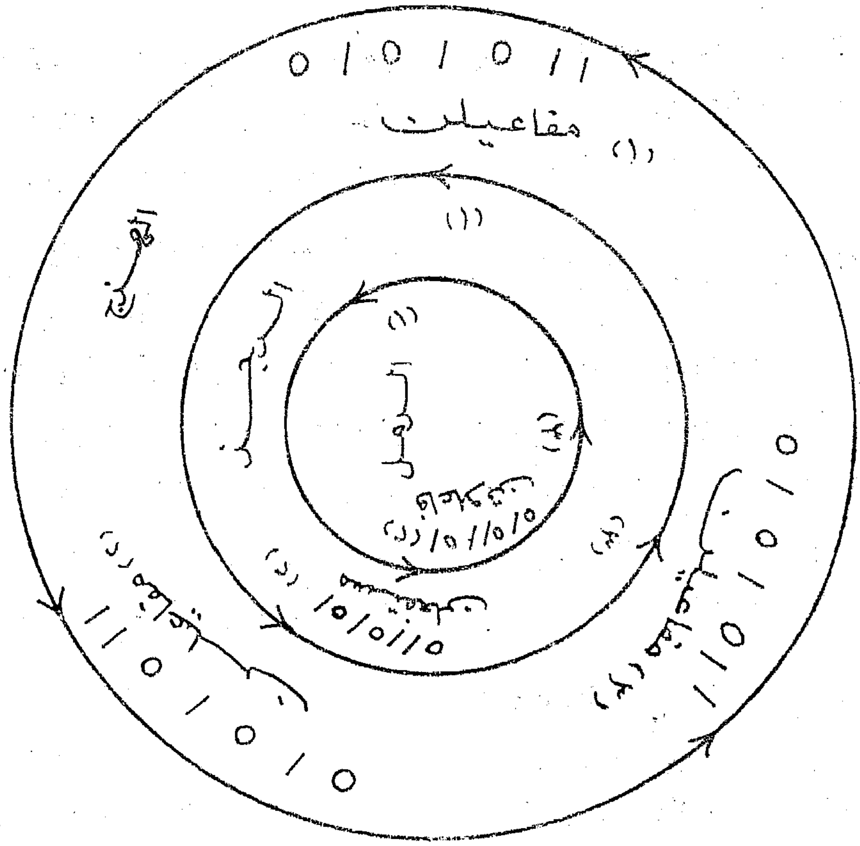
وتتكون الدائرة من المقاطع التالية .

وتد مجموع ( مفا //٥ ) ،

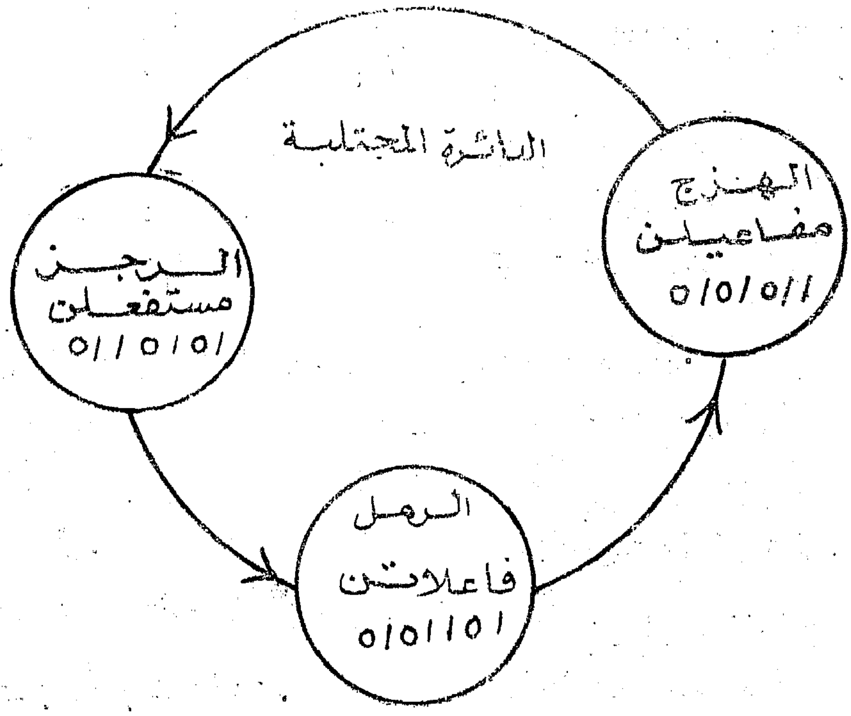
فسببين خفيفين ( عيـ /٥ لن /٥ )

أما بحر الرجز فتفعيلاته هى مستفعلن ( ثلاث مرات ) فى كل شطر .

أما بحر الرمل فتفعيلاته هى فاعلاتن ( ثلاث مرات ) فى كل شطر .




شرح تفصيلى لطريقة استخلاص بحور الدائرة المجتلبة



أصل الدائرة بحر الهزج ، وتفعيلاته المكررة هي ( مفاعيلن ) ، وتبدأ بأول مقطع وهو الوتد المجموع ( مفا / / ٥ ) .

وحين نريد استخلاص بحر الرجز نترك ذلك الوتد المجموع ونبدأ بما يليه ، وهو السبب الخفيف فالسبب الخفيف الذي يليه فالوتد المجموع الذي تركناه في أول الأمر ، لنحصل على تفعيلة (مستفعلن /٥ /٥ //٥/) :

وحين نريد استخلاص بحر الرمل نترك أول السببين الخفيفين ونبدأ بالثاني لنحصل على تفعيلة ( فاعلاتن /٥ //٥ /٥ ) التي تتكون من السبب الخفيف الثاني والوتد المجموع والسبب الخفيف الأول .

وهكذا تمضي الدائرة في استخلاص مستمر مادمنا نترك أول مقطع ونبدأ بما يليه من مقاطع .

الهزج //٥ /٥ /٥ //٥ /٥ /٥ //٥ /٥ /٥ ( مفاعيلن ) .

الرجز /٥ /٥ //٥ /٥ /٥ //٥ /٥ /٥ //٥ ( مستفعلن ) .

الرمل /٥ //٥ /٥ /٥ //٥ /٥ /٥ //٥ /٥ ( فاعلاتن ) .

وتوجد تفعيلة الرجز ( مستفعلن ) في الدوائر العروضية كلها ماعدا الدائرة المتفقة ، فهو في الدائرة المختلفة في تفعيلتين في بحر البسيط . بل وجدنا من يذهب إلى أن البسيط هو الرجز ويرى أن تفعيلة ( فاعلن ) ماهي إلا ( تفعلن ) من بحر الرجز أو ( تعلن )[1] ، وهو في الدائرة المؤتلفة في بحر الكامل إذا أضمرت تفعيلة ( متفاعلن ) وفي تلك الحالة نفرق بين التفعيلتين إذا وجدنا تفعيلة محركة الثاني فحينئذ يكون البحر هو الكامل .

كما توجد تفعيلة الرجز في الدائرة المشتبهة حيث توجد في كل من بحر السريع ، وبحر المنسرح ، وبحر المقتضب ، وبحر المجتث ، وبحر الخفيف . بل قد يحدث لبس لدى بعض المبتدئين بين بحر الرجز وبعض تلك البحور وخاصة بحر السريع ، ولعل هذا ما دعا باحثا إلى الذهاب إلى أن بحر السريع هو بحر الرجز ، ورأى ما رآه في بحرا لبسيط وهو أن ( فاعلن ) هي ( تفعلن ) أو(تفعلان) مأخوذة من تفعيلة ( مستفعلن )[2] .

ومن وجوه الاتفاق بين بحر الرجز وبعض تلك البحور اتفاق السريع والرجز في مجيئهما مشطورين دون غيرهما من البحور ، واتفاق الرجز مع المنسرح في مجيئهما منهوكين ، وهذا في ظني ما يؤكد الصلة الفنيــة بين تلك الدوائر المذكورة ، وما يرد على من لم يجعل الرجز من الشعر ، وقد سبقنا كثير من الباحثين إلى الذهاب إلى أن كثيراً من أوزان الشعر يمكن إرجاعها إلى بحر الرجز مثلما ذهب المستشرق ( هارتمان ) . بل قد

(١) أحمد كشك بمجلة الثقافة العربية في أغسطس ١٩٧٦ ص ٤٤ ومابعدها .

(٢) المصدر السابق ص ٤٥ وما بعدها .

ذهب ( إيفالد )[1] إلى ارجاع بحور الشعر جميعاً إلى الرجز ، وهذا ما يؤكد ما أشرنا إليه من اشتداد الصلة الفنية بين تفعيلة ( مستفعلن ) وبعض الدوائر العروضية أو معظمها .

وقد أدرك الشعراء المحدثون فى العصر الحديث ذلك الواقع الفنى فجاء معظم شعرهم من بحر الرجز[2] ، وكثر استعمال ترخيصات ذلك البحر لدى هؤلاء الشعراء وغيرهم ، وربما أسرف بعضهم فى توسعه فى استعمال هذه الترخيصات العروضية .

وقد وضح أن تفعيلة الرجز هى :

( مستفعلن ) وهى تتكون من سببين خفيفين هما :

/ه و /ه . ووتد مجموع هو : //ه .

ويمكن أن يطرأ عليها تغيير لتأخذ صورة من الصور التالية متفعلن : بحذف الثانى فتكون : //ه//ه .

ومستعلن : بحذف الرابع فتكون : /ه///ه

ومتعلن : بحذفهما ( أى الثانى والرابع ) فتكون : ////ه .

ونظراً لأن بحر الرجز تتكرر فيه التفعيلة ذاتها على نحو ماذكرنا فإنه يعد من البحور الصافية ومنها أيضاً :

المتقارب : فعولن فعولن فعولن فعولن فى كل شطر .

الهزج : مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن فى كل شطر :

الرمل : فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فى كل شطر :

الكامل : متفاعلن متفاعلن متفاعلن فى كل شطر :

الوافر : مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن وتصبح الأخيرة مفاعل أو مفعولن : فى كل شطر :

ومن هنا جاز لنا الا نقبل راى من اخرج بحر الرجز من الشعر ، أو أخرج مشطوره ومنهوكه ، كما جاز لنا ألا نقبل رأى من جعل الرجز دون الشعر[3] منزلة ، وما روى من ازدراء الجاهليين له ، ومتابعة الإسلاميين ومن جاءوا بعدهم للسابقين فى ذلك الازدراء يرجع إلى الموضوعات التى كان يختارها الراجز ، وقد كان يقتصر فى معظمها على أبيات معدودة ، وكان من عادة

---

(١) الدكتور حسين نصار – الشعر الشعبى العربى – المكتبة الثقافية ص ٢٥ وص ٤٠ .

(٢) انظر لتفصيل القول فى ذلك على نحو جديد ( الدكتور رجاء عيد – الشعر والنغم – دار الثقافة . ١٩٧٥ . ص ١٠٨ ، ومابعدها وص ١٢٨ ومابعدها وص ١٥٥ وما بعدها ) .
وقد دخلت ( مستفعلن ) فى أوزان الفنون المستحدثة ومنها السلسلة ، والمواليا والقوما والكان كان .
وكثر استعمال الرجز لدى نزار قبانى كما كثرت ترخيصات الرجز عنده .

(٣) لم يذكره أبو العلاء المعرى فى تصوير جنته فى رساله الغفران وأفرد لشعرائه جنة خاصة جعل بيوتها أحط وأقل درجات من قصور الشعراء .

الذوق العربي ألا يستسيغ فنيـــا إلا القصائد وخاصة ما يطول منها ، وكان الرجز قليل الأبيات ، ومن ناحية أخرى اعتبره الذوق شعراً شعبياً لتعدد أغراضه ، ومن هنا لم يحفل به الشعراء والرواة ولم يقفوا عنده طويلا ، حتى ليشبهه المحدثون فى عصرنا بالفنون الشعبية كالزجل والمواويل [1] ، بينما يشهد الواقع أن اللغويين احتفلوا بهذا اللون كثيراً ، وأن عامة الناس أعجبوا بالرجز والرجاز ، بل أعجب به النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى أن العجاج أنشد أبا هريرة أرجوزته التي يقول فيها :

« ساقاً بخنداة وكعبا أورما »

فقال أبو هريرة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه نحو هذا الشعر . وأحب العرب الرجز ورأوه فنا أصيلا ، وقال المنتجع بن نبهان لرجل من أشراف العرب : ما علّمتَ ولدك ؟ قال : الغرائض . قال : علّمهم الرجز فإنه يهرت أشداقهم أى ؛ يوسعها فتفيدهم فى الخطابة .

ومعنى هذا أن الرجز فن محبوب للعامة ، وللخاصة أيضاً ؛ ويؤكد ذلك ما يروى من أن الأصمعى كان يحفظ ست عشرة ألف أرجوزة ، وإن كان لذلك صلة بميله اللغوى وكذلك غيره من اللغويين .

وقد ذهب المستشرق جولد تسهير إلى أن الرجز نشأ عن السجع بعد أن أخضع للأذن ، ويلتقى هذا مع حقيقة تؤكد شعبية هـــذا الفن وبقاءه على صورته الشعرية التى نشأ عليها على حين تطورت الألوان الشعرية الأخرى وارتقت ، وقد أرجع بعض المستشرقين سبب تسمية الرجز عند العرب إلى أنهم شبهوه بصوت الرعد المتتابع إذ يهدر الراجز فى هجاء خصومه ، وكان الهجاء أبرز أغراضه فى الجاهلية ، وذهب بعض الباحثين إلى أن الكلمة مشتقة من الرجز الذى يعترى الناقة أو البعير ، وهو ارتعاد الأفخاذ والمؤخرة عند القيام ، وفى ذلك ما يصل بين الرجز والحداء ، ورغبة العربى فى تنشيط الناقة ودعوتها للحركة .

وقد سبق الرجز ألوان الشعر وكان الجاهلى يعمد إلى البيت أو البيتين أو الأبيات القلائل إذا خاصم أو شاتم أو نافر ، لكن المخضرمين أطالوها كالأغاب العجلى ، وكما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى كان العجاج أول من أطاله وقصّده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب ووصف الناقة وبكى على الشباب ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيد ؛ فكان فى الرجاز كامرئ القيس فى الشعراء [2] وفعل مثله رجاز العصر الأموى ومنهم ابنه رؤبة ؛ فعنوا به ،

(١) منهم الدكتور طه حسين — انظر : الدكتور حسين نصار : الشعر الشعبى العربى ص ٣٨ و ٣٩ .

(٢) العمدة لا بن رشيق جـ ١ ص ٥٦ .

ونوعوا أغراضه ، واشتدت المنافسة بينهم وبين غيرهم من الشعراء ، وأخذ جرير والفرزدق وغيرهما يقولون الرجز البدوى ، وتخصص البعض فى الرجز الذى يصور الطبيعة البدوية بين القوم المتحضرين؛ ويخدم اللغة وينوع الأغراض الشعرية، فيتناول المدح والهجاء ، ولم يعد الرجز فنا شعبياً فحسب ، ووجدنا ذا الرمة يتصل بالحضارة ويصوغ الصور البدوية فى شعر يعجب أهل الحضر المهتمين بالبادية ويخدم أصحاب اللغة . وظل الرجز فناً قائماً فى العصر العباسى ، وقد ساعد على ضياع كثير منه ارتجاله ، وكان هذا الارتجال سبباً فى تعدد أغراض الرجز ، ومنها الهجاء فى الجاهلية وصدر الإسلام ، والحداء وهو قديم ، ووصف مظاهر الطبيعة ، ووصف الحروب ... إلخ ما هنالك من موضوعات شعبية .

وكان الرجز مطواعاً لحركة التجديد على مر العصور، فكان منه المجزوء والمنهوك، وكانت كثرة ترخيصاته الفنية من زحافات وعلل ، وكان سريع الاستجابة إلى دواعى التجديد حين اتسعت الحضارة الإسلامية فى العصر الإسلامى ، وكثر الغناء وانتشرت الموسيقى ، فظهرت المجزوءات فى الشعر ، ووجدنا كثيراً من ذلك لدى أبى نواس ومسلم بن الوليد ، ثم ها نحن نجد الشعر الحديث فى عصرنا يقبل على هذا البحر فى كثير من تجاربه ، وكما اتخذه اللغويون فى القديم أداة طيعة لعرض لهجات القبائل ، واستعمال الضرورة اللغوية ، بل الشذوذ عن القاعدة اتخذه شعراء العصر الحديث بأوسع صور ترخيصاته ، فتوسعوا فى العلل والزحافات فيه . ومعجم الرجز أكثر مادة من معجم الشعر ، إذ وسع الرجاز على أنفسهم ، فأفسحوا للغرابة والغموض والشذوذ عن القاعدة النحوية على عكس الشعراء .

وقد حمل الرجز قديماً لغات قبائل الشعراء ، من ذلك قلب السين تاء فى قولهم :

ياقبح الله بنى العلات
عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفاء ولا أكيات

يريد : الناس ، وأكياس :

وقولهم بقلب الباء المشدودة جيما :

عمى عويف وأبو علج
المطعمان الشحم بالعشج

يريد : أبو على ، وبالعشى .

وأخذوا يخففون المشدد ، ويفكون المدغم ، ويدغمون المفكوك ، ويزيدون، ويحذفون، مما أرضى اللغويين والنحويين ، وجعل كثيراً من النقاد ومؤرخى الأدب لا يهتمون بالرجز .

وها نحن نجد العجاج ورؤبة قد أكثرا من قول الأراجيز التى صارت شواهد نحوية للغويين ، فإنهم ينسبون لرؤبة كثيراً من

الشواهد النحوية ومنها على سبيل المثال قوله في مدح عدى بن حاتم الطائى :

بأبه اقتدى عدى فى الكرم
ومن يشابه أبه فما ظلم

وقوله : إن أباها وأبا أباها
قد بلغا فى المجد غايتاها

وقوله : أعرف منها الجيد والعينانا
ومنخرين أشبها ظبيانا

وقوله : عددت قومى كعديد الطيس
إذ ذهب القوم الكرام ليس

وقوله : نحن اللذون صبَّحوا الصباحا
يوم النخيل غارة ملحاحا

وقوله : من يك ذابتٌّ فهذابتى
مقيِّظ مصيِّف مشتِّى

وقوله : أكثرت فى العذل ملحادائما
لا تكثِرن إنى عسيت صائما

وقوله : لتقعدن مقعد القصىّ
منى ذى القاذورة المقلىّ

وقوله : أو تحلفى بربك العلىّ
أنى أبو ذيّالك الصبىّ

كما ينسبون كثيراً من الأراجيز فى صدر الاستشهاد النحوى لغير العجاج ورؤبة من جماعة من تميم قومه فى لغة ينصبون فيها اسم إن وخبرها ، وكذلك أخواتها : ومنهم قول الراجز :

ياليت أيام الصبا رواجعا

وقول محمد بن ذؤيب العمانى الفقيمى يصف فرسا :

كأن أذنبه إذا تشوّفا
قادمة أو قلما محرّفا

وغير ذلك من الشواهد العديدة التى تحفل بها كتب النحو — واللغة (١)

وقد كتب جمال الدين محمد بن عبدالله ابن عبدالله بن مالك الأندلسى ألفيته فى النحو على بحر الرجز ومطلعها قوله :

قال محمد هو ابن مالك
أحمد ربى الله خير مالك
مصلياً على النبى المصطفى
وآله المستكملين الشرفا
وأستعين الله فى ألفية
مقاصد النحو بها محوية
تقرب الأقصى بلفظ موجز
وتبسط البذل بوعد منجز

وقد ساعد على ذلك ما يمتاز به بحر الرجز من كثرة الزحافات ، ولهذا استعمل فى الشعر التعليمى فى نظم العلوم والمتون كالألفية كما أشرنا ، وكانت فى النحو ، وكالرجبية فى الميراث ، والشاطبية فى القراءات ونظم كليلة ودمنة لأبان بن عبد الحميد اللاحقى ، وبعض تلك المؤلفات يلتزم التصريع

(١) انظر لما تقدم من أمثلة ابن عقيل ط ٨ سنة ١٩٥٤ صفحات ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٤ ، ، ٩٦ ، ١٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٧٧ ، ٣٠٦ وهامش ٢٩٧ ، وانظر لغيره صفحات ١٩ ، ١٠١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ٣١٣ وغيرها .

باتحاد رَوِيّ العروض و الضرب مثلما وجدنا فى الألفية ومثل قول الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أى مفسده

وبعضها يجىء موحد الروىّ والقافية .

ووجدنا فى العصر الحديث أمير الشعراء أحمد شوقى يكتب من الرجز شعراً على لسان الحيوان ومنه قصيدة الدجاج البلدى والديك الهندى وفيها يقول :

بينا ضعاف من دجاج الريف
تخطر فى بيت لها ظريف
إذ جاء هندىٌّ كبير العرف
فقام فى الباب مقام الضيف
يقول : حيا الله ذى الوجوها
ولا أراها أبداً مكروها
أتيتكم أنشر فيكم فضلى
يوماً وأقضى بينكم بالعدل

وقد استخدم الرجز قديما فى كثير من مواقف العمل وغيره ؛ لخفته وجمال إيقاعه

ومما قيل حول الماء :

نحن حفرنا بئرنا الحفيرا
بحرا يجيش ماؤه غزيرا

ومما قيل أثناء بناء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

لئن قعدنا والنبىُّ يعمل
لذاك منا العمل المضلل

وكان الرسول ينقل اللبن مع القوم ويقول من رجز ابن رواحة :

هذى الجمال لاجمال خيبر
هذا أبرّ — ربنا — وأطهر

وحين هدم خالد بن الوليد صنم العزى ارتجز وهو يهدمها :

ياعز كفرانك لاسبحانك
إنى رأيت الله قد أهانك

ومما قيل أثناء الحداء وصف الناقة بالهزال من الظمأ والسير حتى صارت كالقوس :

كأنها وقد براها الإخماس
ودلج الليل وهاد قياس
شرائج النبع براها القواس

وهذه محاورة شعرية ، حين نادى أبوسفيان متوعداً عقب غزوة أحد قائلا :

« اعْلُ هُبَلْ » .

فأمر الرسول أصحابه أن يجيبوه :

« الله أعلى وأجلّ » .

فيرد أبوسفيان :

ألا لنا العزى ولا عزى لكم .

فيأمر الرسول أن يقولو :

الله مولانا ولا مولى لكم .

وقد قذف أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرات كان يأكلها وذهب للقتال قائلا :

ركضاً إلى الله بغير زاد
إلا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

**يوسف نوفل**

# تعريف ونقد

# نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة
## للقاضي أبي علي المحسن التنوخي

تحقيق : الأستاذ عبود الشالجي
تعريف ونقد : الأستاذ محمد عبد الغني حسن

أذكر أن الأجزاء الثلاثة التي نشرت من ( نشوار المحاضرة ) بهمة المستشرق البريطاني المعروف د.س. مرجوليوث وجميل سعيه كانت من الأعمال الجليلة في عالم نشر التراث العربي حين صدر الجزء الأول سنة ١٩٢١ مطبوعا في مصر ، وصدر الجزء الثامن في سنة ١٩٣٠ مطبوعا في دمشق ، وصدر جزء ثالث في دمشق سنة ١٩٣٢ على أنه ثاني أجزاء الكتاب الذي ضاع أكثر أجزائه على توالي العصور .

وفرح الأدباء والعلماء والمؤرخون منذ صدور الجزء الأول من النشوار سنة ١٩٢١ ، لأنهم وجدوا في الكتاب مادة ثرية خصبة لعرض ملامح كثيرة من المجتمعات العربية الأسلامية في القرن الرابع الهجري . وهي ملامح رآها المؤلف التنوخي رأى العين ، او سمع بها من ثقات ممن أخذ منهم وروى عنهم .

ومع عروبة المؤلف أبي علي المحسن التنوخي وأصالته في النسب العربي الصميم ، فأنه لجأ إلى كلمة غريبة النسب واللفظ ليجعلها عنوانا لكتابه ، وهي لفظة ( نشوار ) التي اختارها لأن النشوار ما ظهر من كلام حسن ، فيقال : ( إن لفلان نشوارا حسنا . أي كلاما حسنا ) . وسواء أكانت كلمة ( النشوار ) بالشين المعجمة كما وجدت في الأصول ، أو بالسين المهملة كما يلفظها العامة وكما وجد بخط القاضي أبي جعفر أحمد بن أسحاق بن البهلول التنوخي وهو حجة في رواية اللغة ، فأنها لم يصقلها الاستعمال على مدى القرون بدءاً من القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه القاضي التنوخي ، وقد ظلت قرابة ألف عام وهي منعزلة عن اللسان إلا ما كان من التصاقها بكتاب القاضي التنوخي ، فهي لا تذكر إلا معه ، ولا ترد إلا متصلة به

وقد حرك ما في كتاب النشوار — من طرائف ونوادر لم ترد في نص آخر — همة أديب عربي معاصر هو الأستاذ العراقي عبود الشالجي المحامي ، على أن ينشر نشوار المحاضرة كاملا ، استنادا إلى ما يقع له من مخطوطات لهذا الكتاب : فنهض لهذا الغرض العظيم همته وعزمه ، وظل يتابع كل مخطوطة لهذا الكتاب

فى أماكن وجودها ، وأغرم بهذا العمل غراما شديدا ، وظل يبحث عن الأجزاء الضائعة من هذا الكتاب ليضمها إلى المطبوعة :

وهداه البحث والتقصى إلى مخطوطة الجزء الأول بباريس : وإلى مخطوطة تشتمل على الجزءين الأول والثانى فى مكتبة مراد ملا باستنبول : وقد أكدت له هذه المخطوطة الأخيرة أنها هى الجزء الثانى من النشوار : وأن ما نشر سنة ١٩٣٢ على أنه الجزء الثانى ليس إلا ثالث أجزاء الكتاب ::: أما بقية الأجزاء فقد ظلت ضائعة : فكيف يجمعها وينشرها وليس لديه أصولها الخطية ؟

هنا لجأ محققنا الفاضل إلى عمل جرىء فى عالم نشر التراث لم يسبقه إليه أحد كما يصرح هو بنفسه فى مقدمته للجزء الأول من الكتاب .. ولعله لم يكن محتاجا إلى هذا التصريح الذى يكشفه القارىء بأدنى نظر دون حاجة ألى اعتراف من المحقق ::: ولعله أراد بذلك أن ينتهز ها فرصة لبرد بها فى إيجاز على المعترضين على منهجه الجرىء هذا فى التحقيق ، فقال بنص عبارته : « ولعل بعض القصص التى نقلتها كانت من رواية أبى القاسم التنوخى ، ابن المؤلف : ولعل بعض القصص ، وإن كانت من رواية المؤلف ، إلا أنه ليس ثمة دليل قاطع على أنها مما اشتمل عليه كتاب النشوار . وردى على من اعترض على إيرادها عين ما كتبه المؤلف فى خاتمة مقدمة الجزء الأول من الكتاب ، حيث قال : « لو كان فى إيراد هذه القصص وتسجيلها خير من موضعها بياضا ، لكانت فائدة . . . »

والحق أن المحقق الفاضل التمس الخير من طريق غير مأمون المغبة ، ولا سليم العاقبة ؛ فإن جمع نصوص مفقودة من كتاب من مصادر مختلفة ، لايقوم فى ذاته منهجا سليما لنشر التراث ، أو لنشر كتاب من كتب التراث على الأقل. وهو منهج مع خطورته أو خطره اعترف المحقق بأنه موضع اعتراض من الغير الحريصين على نشر التراث سليما كما أراد له أصحابه : ولكن الذى ألجأه إلى ركوب هذا المركب الوعر ، والمزالق الخطر أنه رأى أن ذلك خير من أن تترك مواضع الكتاب بياضا ::: كما رأى ذلك المؤلف التنوخى من قبل . . . ولكن شتان بين الموقفين . فأن التنوخى حين كان يجمع الأخبار من أفواه من شاهدوها كان له مطلق الحرية والاختيار فى إيثار خبر على خبر ، أو تقديم نص على نص. فالنصوص كلها بين يديه ، وهى تستوى فى إيرادها جملة أو حذفها جملة أو إيراد بعض وحذف بعض . أما الأستاذ المحقق عبود الشالجى حين ركب هذا المركب لجمع أخبار توهمها للقاضى التنوخى ، أو رواها التنوخى ونقلت عنه فى مصادر أدبية وتاريخية أخرى ، فإنه قد يضيف إلى التنوخى مالم يرده أن يكون فى كتابه النشوار . ونحن نشاهد من واقع تجاربنا الخاصة أن المؤلف منا قد يؤثر مؤلفا من مؤلفاته بخبر أو نادرة لا يريدها أن تكون فى كتاب آخر له . فكيف يقضى الأستاذ عبود الشالجى — متحكما وذا سلطان — بأن ما ورد للقاضى التنوخى من روايات وأخبار نقلها عنه الرواة والمؤرخون هى مما اشتمل عليه كتاب النشوار

الذى ضاعت منه أجزاء لم يوقف لها على أثر . وهل معنى رواية نسبت إلى القاضى التنوخى فى كتاب مثل المنتظم لابن الجوزى ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ، ووفيات الأعيان لابن خلكان أنها مما اشتمل عليه كتاب النشوار ؟

على أن محققنا الفاضل لا يجد فى تلك القضية الخطيرة بأسا . بل يقول فى بساطة : (ثم حاولت - من بعد ذلك - أن أتتبع الفقرات الضائعة من النشوار ، فى ثنايا الكتب ، فأعيد جمعها . وكان ذلك بدء عمل مضن ، بذلت فيه وقتا وجهدا وصبرا . وراجعت مؤلفات ابن الجوزى : المنتظم ، والأذكياء ، وأخبار الحمقى والمغفلين ، وذم الهوى ، وتلبيس إبليس . كما راجعت تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، وتاريخ الوزراء للصابى ، ومؤلفى ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ومعجم البلدان ، ووفيات الأعيان ، وغيرها من الكتب ، فوجدت فيها ينبوعا ثرا من القصص التى تروى عن مؤلف النشوار ، غير أنها وردت بأسماء مختلفة . ووجدت أن قسما من تلك القصص قد أثبتت فى الأجزاء المنشورة من النشوار . فتأيد لى من ذلك أن القصص التى وردت مروية عن أصحاب تلك الأسماء ، أنما هى مروية عن صاحب النشوار ، وأنها قد اقتطعت من ذلك الكتاب ، فاستللتها من مواضعها ، وضممتها إلى بعضها ، واعتبرتها من الفقرات الضائعة من النشوار..)

هكذا وبكل بساطة استوى من كتاب نشوار المحاضرة - المفقود بعض أجزائه - بضعة أجزاء استلها المحقق من كتب أخرى متوهما أنها من النشوار - دون سند صحيح أو بينة قوية - وليس لها من سند ألا أنها وردت فى طائفة من المؤلفات منسوبة إلى التنوخى ، فجزم محققنا الفاضل بأنها من نشواره .

وهنا نسأل سؤالا آخر : كيف جاز لمحققنا الفاضل أن يجمع هذه الأخبار الشتى من مصادر متفرقة ، ثم يؤلف من كل طائفة منها جزءا يسميه الجزء الرابع ، أو الخامس ، أو السادس من النشوار ؟ فهى جمعه وتنسيقه وتقسيمه هو لا جمع المؤلف ولا تنسيقه ولا تقسيمه . ومن هنا هل نجرؤ على القول إن هذا المنشور كله هو نشوار المحاضرة كما أراده مؤلفه وجامعه الأصلى ؟ وما الظن لو أن الجزء الخامس من النشوار المخطوط قد كتب له الظهور بعد خفاء ، فهل نجده مثل الجزء الخامس الذى صنعه المحقق الفاضل ؟

الحق أن دافعا نبيلا ، وباعثا عظيما هو الذى حمل الأستاذ عبود الشالجى على أن يسلك هذا المسلك الوعر ، حتى يضم أشتات ما تبعثر من أجزاء النشوار المخطوطة الضائعة ، وحتى يسوى من ذلك الذى جمعه كتابا يسميه هو نشوار المحاضرة ، ولكننا نخشى أن تكون المقابلة بينه وبين الكتاب الأصلى مخيبة للآمال .

على أن الأستاذ المحقق لم يلجأ إلى هذا الجمع استهانة به ، وتهوينا من شأنه . فقد كان يعلم أنه مقبل على أمر عظيم ، وأن هذا الجمع المتتبع ، والتعقب الدقيق لمرويات القاضى

التنوخي ومأثوراته مما هو أشبه أن يكون من كتاب النشوار هو عمل شاق مضن اقتضاه كثيرا من الجهد ، والتنبه والتفطن ألى المظان ، كما اقتضاه أن يحمل مسئولية لا يقوى عليها كثير من أصحاب العزائم . فهو يعلم أن عمله هذا ومنهجه فى الجمع قد لا يرضى الملتزمين بأصول التحقيق ونشر التراث : ولكنه أقدم على ما توسمه صحيحا ليصون لنا كتابا ضائعا . وقد يكون - غفر الله له - قد بعد بكتاب النشوار عن أصله وعن نسقه ، ولكنا نراه راضيا عن عمله هذا ، لأنه لم يقصد به إفساد نص ولا بتره ولا التزيد عليه ، ولكنه أراد به رد الاعتبار والوجود ألى كتاب أغلبه ضائع مفقود :

وهب أن ما جمعه الأستاذ عبود الشالجى ليس النصوص الكاملة لكتاب نشوار المحاضرة ، فهل ننكر أن هذه المجلدات الثمانى الأنيقة الطبع ، الجميلة الأخراج تعد فى ذاتها ثروة أدبية تاريخية رواها القاضى التنوخى ، ولو لم تكن من متن كتابه نشوار المحاضرة ؟ وإذا جاز لبعض الملتزمين بأصول النشر ، وقواعد تحقيق التراث أن ينكروا أن نشوار المحاضرة فى هذه الأجزاء الثمانية هو نشوار التنوخى الأصلى ، فهل ينكرون أننا الآن مع كتاب رائع طريف حافل بأكثر ما روى عن القاضى التنوخى من أخبار ونوادر وأسمار ؟

فلنقبل هذه الحصيلة العظيمة الضخمة من أخبار القاضى التنوخى فى هذه الطبعة الرائعة التى أصدرها الأستاذ عبود الشالجى ، ولنغض النظر - ونحن مستمتعون بأطيب ما فيها من طرائف - عن أنها هى نشوار المحاضرة كاملا غير منقوص ، ولا مزيد : ؟

وهل تشغلنا هذه القضية فى منهج تحقيق التراث من أن نعترف بما بذله المحقق من جهد ، وما أسداه عن فضل حين قدم لنا مجموعة نادرة من أخبار القاضى التنوخى ومذاكراته ومحاضراته الشائقة سواء كانت مما اشتمل عليه كتاب النشوار أم لا ؟ إنه فى الحق أمتعنا بثمرة طيبة من ثمرات التنوخى لم يشأ أن يجعلها بياضا ، فدونها وجمع أشتاتها . ولك بعد هذا أن تسميها قصصا وأخبارا من نشوار المحاضرة للتنوخى ، أو قصصا وأخبارا من مرويات التنوخى

وقيمة هذه القصص والمرويات والأخبار الطريفة العجيبة أنها أدخل فى باب تصوير المجتمع العربى الأسلامى منها فى باب الأدب والأسمار ، فهى صور واقعية وقعت فى القرن الرابع الذى عاش فيه التنوخى ، وهى صور فيها كثير من ملامح بغداد وأهلها ، وأفراحها ومآتمها ، وعبادها وفساقها ، وقضاتها وشهودها . . . وقد خالط التنوخى كل لون من الناس ، وعاشر كل جنس ، ولقى العلماء والشعراء فى زمانه وروى عنهم .

وأنشد أشعارهم أو استنشدهم إياها . وكان ممن لقيه المتنبي وقال عنه فى مقدمة نشواره : ( وما أحسن ما أنشدنى أبو الطيب المتنبي لنفسه من قصيدة فى وصف صورتنا :

أتى الزمان بنوه فى شبيبته
فسرهم وأتيناه على الهرم )

ولم يكتف التنوخي بأن يسمع من فم أبي الطيب شعره يلقيه عليه الشاعر الفحل بنفسه ، بل إنه ازداد على المتنبي اجتراء فسأله عن نسبه وهو يمر ببغداد سنة ٣٥٣ هـ ، ولكن المتنبي الغامض اعتذر لسائله عن الأفصاح عن حقيقة نسبه . والتقى التنوخي بالشاعر الماجن ابن حجاج البغدادى ، وروى شيئا من شعره الذى أنشده فى مجلس الوزير أبي الفضل الشيرازى . وقد أعان التنوخي على الجاه فى عصره صلته بأعاظم الرجال فى وقته ، فهو قريب من عضد الدولة البويهى ، وهو معروف عند الخليفة العباسى الطائع ، ومن هنا أتيح له أن يخطب فى الحفل الذى أقيم عند زواج الخليفة الطائع بابنة الملك البويهى عضد الدولة

وقد أتاحت الملابسات المختلفة لصاحب النشوار أن يرى المجتمع العربي فى ظاهر أمره وخافيه ، وأن يدخل إلى القصور كما يتسلل إلى الأكواخ . ومن هنا نقع فى النشوار على غرائب الأحداث ، فهناك حكايات واقعية عن مروءة الوزير حامد بن العباس ومكارم أخلاقه ، وعن وقار الوزير على بن عيسى وتزمته ، وعن ابن رزق الله التاجر البغدادى الذى يوقف فى بلاد الروم أكسية لتدفئة أسارى المسلمين ، وعن الوزير عبيد الله بن سليمان الذى يبيح جزءا من مال الدولة لأحد صنائعه . : . وعن هندى يقتل فيلا عظيما بحيلته دون حاجة إلى سلاح ، وعن القصرى غلام الحلاج الذى كان يصبر على الجوع خمسة عشر يوما ، وعن المرأة البغدادية التى كانت تتظرف فتحرف القرآن . وعن النحوى الزجاج وكيف درس النحو على المبرد صاحب الكامل ، وعن ابن الخواصة الذى فتح داره لترتكب فيها الفاحشة علانية ، وعن ذلك الرجل الذى خبأ ماله فى برنية ، فعجل ذلك بسرقتها ، وعن كردك الديلمى الذى اغتال رجلا استأمنه طمعا فى ماله : : : وغير ذلك من الأحداث التى كانت تموج بها بغداد والعراق والبصرة وبقاع كثيرة من العالم العربي . ومن أجل هذا ازدحم كتاب النشوار فى طبعته الجديدة بمئات ومئات من المصطلحات التى فهرس لها المحقق فى معجم عمرانى عام ؛ وهو معجم يهدينا ألى آلاف من المصطلحات التى خلقتها طبيعة المجتمع العربى فى عصر التنوخي وما حوله بقليل ، ولن نأخذ هنا فى سرد بعض هذه المصطلحات ، ولكن القارىء للنشوار سيجد فيها حصيلة تصور له

المجتمع العربي على حقيقته . وتدلنا حقيقة هذه الصور على أن الأول لم يترك للآخر شيئا . . . وأننا اليوم نكرر ما دار بالأمس تأكيدا لمسيرة الأنسانية فى مسارها الطويل . فعندنا اليوم ما يسمى ( بالمزاد ) الذى تباع فيه السلع – وخاصة المستعملة - عن طريق المزايدة على أسعارها ، فصاحب السعر الأعلى يرسو عليه المزاد . وقد كان ذلك فى العصر العباسى ، وكان يسمى ( النداء ) لأن إعلان السعر كان يتم بطريق المناداة عليها . وقد كان من عادة النعمان بن عبدالله – وهو أحد كبار العمال فى الدولة العباسية – إذا كان فى انسلاخ كل شتاء ، أن يعمد إلى جميع ما استعمله من خز وصوف وفرش وكوانين وآلة الشتاء فيبيعه فى « النداء » أى فى المزاد لينخلص منه .

والحق أننا لا نملك أنفسنا إزاء ما فى النشوار من أخبار وحكايات ووقائع أن نعجب مما صنعه المؤلف ليجمع مادة هذا الكتاب الممتع الطريف . ومزية القاضى التنوخى أنه لم يجمع مادة كتابه من كتاب كما كان يصنع غيره من المؤلفين ، وأنما جمعه مما تناثر على أفواه الرجال ، وما دار بينهم فى المجالس ... فهو كتاب منقول عن الأفواه لا عن صفحات الكتب ، وزاد عليه التنوخى ما رآه هو بعينه فى خلال مخالطاته الكثيرة فى الحياة . ويبدو أن كتاب النشوار قضى عليه أن يستغرق حقبة طويلة من الزمان جمعا فى البداية ، وإعادة جمع فى نهاية المطاف بعصرنا هذا ... فقد قضى التنوخى فى تأليفه عشرين عاماً كما جاء فى معجم الأدباء . لياقوت ، وقضى المحقق عبود الشالجى أعواماً كثيرة فى جمع ما تصوره ضائعاً من أخبار النشوار ، وكذلك الكتاب العظيم يحتاج إلى وقت أطول ، وجهد أعظم .

وإذا كان القاضى التنوخى غير مسبوق فيما اتخذه لنفسه من منهج لتأليف كتاب نشوار المحاضرة ، وذلك عندما اشترط على نفسه أن لا يجمع كتابه من كتاب ، فإن صديقنا الروحى الأستاذ عبود الشالجى غير مسبوق حين استخلص ما ضاع من أجزاء النشوار وجمعها من كتب أخرى غير الكتاب الذى يحققه ، وكأنه بهذا أراد أن يوائم بين سبق التنوخى وسبقه حتى تتم المشاكلة فى العمل العظيم .

ولم يقدم الأستاذ عبود الشالجى طبعته لكتاب النشوار عارية من الجهد الذى يدل على ما بذله فى سبيل تحقيق النصوص التى جمعها من مختلف المظان، فكل صفحة من الكتاب فى أجزائه الثمانية المطبوعة على أجمل ما تكون الطباعة العربية تزدحم بالهوامش المزدحمة بالتعليق والتحقيق والمقابلة والترجمة للأعلام وغير ذلك مما تقتضيه أصول النشر العلمى. وهذه الفهارس المتنوعة فى كل جزء لموضوعات الكتاب وأسماء الأشخاص، والفهرس الجغرافى، والفهرس العمرانى وثبت المراجع والمصادر للتحقيق، تدل كلها على الروح العلمية التى يتسم بها محققنا الجليل :

**محمد عبد الغنى حسن**

# شخصيات مجمعية

فى الساعة الخامسة من مساء الاربعاء ١٨ من ذى القعدة سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٠ من نوفمبر سنة ١٩٧٦ م أقام المجمع بدار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع حفل تأبين المرحوم الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع الراحل ، وفيما يلى ما ألقى من كلمات فى هذا الحفل :

## كلمة الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

# فى تأبين المرحوم الأستاذ : زكى المهندس

### زكى المهندس بين المجمعيين

سيداتى ، سادتى :

يعز على حقاً أن أقف الليلة بينكم مؤبناً «زكى المهندس» ، فقد كنت معه بين عشرة من الخالدين ، دخلوا المجمع سوياً عام ٤٦ ، ثم رحلوا عنه الواحد تلو الآخر ، ولم يبق لى منهم سواه ، وها هو ذا قد جاء دوره ، فلم يتخلف ، وتركنى وحدى ، « وإنا لله وإنا إليه راجعون » :

وأبى هؤلاء العشرة إلا أن أكون المتحدث باسمهم فى حفل استقبالهم وإن كنت أصغرهم أو لأنى كنت أصغرهم ، فتحدثت فى الأمس البعيد باسم زكى المهندس يوم أن دخل المجمع وشاء القدر أن أتحدث عنه الليلة يوم أن رحل ، وما أعظم الفقد ، وما أقسى الحديث! ويزيده قسوة أن زكى المهندس كان أوثق الزملاء صلة بى ، وأطولهم صحبة لى ، وأقربهم إلى قلبى . قضيت معه

ثلاثين عاماً كاملة فى هذا المجمع ، نعمت فيها بزمالة كريمة ، كلها ود وإخلاص ، ورقة وعذوبة ، وسماحة ، وبشاشة لا مطمع فيها ولا مغنم ، ولا تنافس ولا تزاحم ، فلم نختلف يوما ما ، ولم تباعد بيننا الأحداث والتقلبات . وإن بدا شيء من التباين بين أبناء الأسرة الواحدة ، كان زكى المهندس همزة الوصل ، ونقطة الالتقاء ، ومبعث الرضى. اختلفنا مرة فيمن يكون نائب رئيس المجمع ، ويوم أن ذكرت اسمه زال الخلاف ، واتفق الجميع .

ويطول بى الحديث إن شئت أن أعرض لزكى المهندس المجمعى ، فقد كان مؤمناً الإيمان كله بأن العربية لغة علم وحضارة ، وأنها حية ومتطورة . وفى وسعها أن تسد حاجات العصر ومتطلباته ، وعلينا أن نيسرها فى مفرداتها وتراكيبها ، فى نطقها وكتابتها ، وأن نتوسع فى ألفاظها وأساليبها . وأشهد أنه من أنصار التيسير والتجديد ، لأنه كان يرى أن اللغة تعبر عن الحياة ، والحياة فى تطور مستمر . والعربية لغة طيعة مرنة ، قد اتسعت — وما زالت تتسع — لكل جديد ، وتصلح للتعبير عن كل مستحدث ، وحركة التطور مطردة ماضية متصلة ، تجرى إلى غاياتها فى سرعة وقوة .

وكان مؤمناً أيضاً برسالة المجمع ، حريصاً على أدائها ، فأعطاه فى سخاء ، ووقف عليه جل جهوده فى سنين طوال « مرحلة النضج والخبرة التامة » ، مرحلة الشيخوخة الحكيمة المتزنة ، أعطاه علماً وعملا ، توجيهاً ورأياً ، إشرافاً وإدارة . أسهم فى معظم لجانه ، وأولع بمجلسه ومؤتمره ، وندر أن تخلف عن جلسة من جلسات اللجان أو المجلس أو المؤتمر ، ولم تنقطع صلته قط باللجنة الإدارية التى ترعى نشاط المجمع وسير العمل فيه ؛ وأشرف عدة سنوات على مجلة المجمع ، فجدد نشاطها ، ونوع غذاءها ، وحرص على أن تصدر فى مواقيتها ، واختير نائباً لرئيس المجمع عام ٦٤ ، وجدد انتخابه بعد ذلك ثلاث مرات . ووقف إلى جانب المرحوم طه حسين رئيس المجمع فى سنى مرضه موقف الولاء والإخلاص . وألححت عليه بعد وفاته أن يقبل الترشيح لرياسة المجمع ، فاستعفى ، وأبى إلا أن يلقى العبء عن كاهله ، وأشهد أنه لم يضن علىّ برأى أو مشورة ، ولم يقصر فى عون أو مساندة .

* * *

هذا هو زكى المهندس الزميل والرئيس ، المشرف والإدارى ، أما زكى المهندس العالم والدارس ، فالحديث فيه طويل : وأكتفى بأن أشير إلى موقفه من ثلاث لجان من لجان المجمع كانت أثيرة لديه ، ارتبطت باسمه ، وحببت إليه ، وما أقساها من لجان ، وأعنى بها لجان : اللهجات ، وتيسير الكتابة ، والأصول .

ودراسة اللهجات ليست من الأمور الهينة، فهى علم حديث النشأة يرجع إلى النصف الأخير من القرن الماضى ، ويتطلب ضرباً من الانتجاع والرحلة ، ولا بد له أن يستعين ببعض الأجهزة والآلات ولم تعن به بعد الجامعات العربية العناية الكافية ، ومن حقنا أن نعـوِّل عليها أولا كى تمـد اللغويين والمجمعيين بمادة يمكن أن يستخلصوا منها ما يستخلصون . وفى العربية لهجات قديمة وحديثة جديرة بالدرس والبحث ، وقد بذر البذرة الأولى لدراستها فى مجمعنا بعض زملائنا الأول . عرب ومستعمرين ، ومنهم من كان يعد بين علماء اللهجات .

وأذكر أن الجارم حاول أن يدرس لهجة رشيد مسقط رأسه ، كما أخذ العقاد نفسه بدراسة لهجة أسوان ، ولفريد أبو حديد دراسة مفصلة فى اللهجة القاهرية . وحاول زكى المهندس أن يتابع هذا النشاط ، وأن يغذيه وينميه . فاتجه أولا إلى الجامعات ومعاهد الصوتيات ، لكى تعنى بدراسة اللهجات المعاصرة دراسة حقلية ، ولكنا لم نحظ منها حتى الآن برد يعول عليه . ولجأ ثانياً إلى كتب الأدب واللغة آملا أن يكشف فيها عن بعض اللهجات القديمة ، كعنعنة تميم وقضاعة . وكشكشة أسد وربيعة . وبقى حريصاً على أن يكون للهجات درس وبحث فى المجمع ... برغم ما صادفها من صعاب ، وما أحوجنا فى هذا المضمار إلى دراسات ميدانية وبحوث متخصصة تواجه لهجات العالم العربى فى مختلف أرجائه .

واستوقفت مشكلة الكتابة العربية المجمع فى انعقاده الأول ، وأخذ يعالجها علاجاً متصلا منذ سنة ١٩٣٨ ، ووقف عليها دورة كاملة عام ١٩٤٤ لمناقشة مشروع الحروف اللاتينية الذى تقدم به عبد العزيز فهمى . وأعلن المجمع بعد ذلك بقليل عن جائزة محترمة فى مسابقة لتقديم أحسن اقتراح لتيسير الكتابة العربية ، وما إن أعلن عن هذه المسابقة حتى استجاب لها كثيرون ، وأربت المقترحات التى قدمت للمجمع على المائتين . وقدر لى أن أشترك مع زكى المهندس فى فحص هذه المقترحات، ولم يكن من بينها مع الأسف ما يحقق التيسير المنشود ، واتصل عملى مع الفقيد الكريم فى لجنة تيسير الكتابة العربية بانتظام .

والمشكلة فى حقيقتها مزدوجة ، هى مشكلة قراءة وكتابة معاً ، وليس من اليسير أن يقدم لها حل يعالج الجانبين معاً . واتجهت اللجنة خاصة إلى معالجة مشكلة القراءة ، فأوصت بالتزام الشكل الكامل فى كتب المرحلة الابتدائية ، وبشكل أواخر الكلم فى كتب المرحلة الإعدادية ، وبشكل ما يتوقع خطأ التلميذ فيه فى كتب المرحلة الثانوية ، ورحبت وزارة التربية والتعليم بذلك. وفى هذا ما ينشئ التلميذ على القراءة الصحيحة والنطق السليم . ودرست اللجنة فى تفصيل صور الحروف والهمزات وعلامات الترقيم

فى صندوق الطباعة العربية ، ورأت الاكتفاء بصورة واحدة للحرف الواحد كيفما كان موضعه فى الكلمة ، وخفضت صور الهمزة وعلامات الترقيم : فهبطت بصندوق الطباعة العربية إلى ١٣٥ صورة ، واقترب كل القرب من صندوق الطباعة اللاتينية الذى تبلغ صوره ١١٥ .

ووضعت لذلك نموذجاً صادف نجاحاً ملحوظاً ، وأخذ به كثير من دور النشر وسبك الحروف . وكم كان زكى المهندس ، وهو أستاذ خط بقدر ما هو أستاذ أدب ولغة ، عوناً للجنة فيما انتهت إليه من صور وأشكال. ولا شك فى أنا نقرأ اليوم أكثر مما نكتب ، ولا تزال مشكلة الكتابة فى حاجة إلى معالجة وتيسير ، وليتنا نقنع بخط الرقعة كتابة ، ونعرف كيف نمكن أبنائنا من تجويده .

وأما لجنة الأصول فهى لجنة التجديد والتطوير ، لجنة التشريع اللغوى إن صح هذا التعبير ، وواجب المشرِّع أن يلحظ الظروف والملابسات ، وأن يسعى جاهداً إلى سد حاجات العصر ومقتضياته .

ولجنة الأصول من أهم لجان المجمع ، بدأت تعمل فى نشاط منذ دور الانعقاد الأول ، وأنتجت بعد بحث وتمحيص ، واطرد إنتاجها دون انقطاع . واستطعنا عام ثلاث وستين أن تخرج ثمار هذا الإنتاج طوال ثلاثين سنة ، من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين . أخرجناه فى مجلد بعنوان : « مجموعة القرارات العلمية » ، ويقع فى أربعة أبواب : أولها « فى أقيسة اللغة وأوضاعها العامة » ، وثانيها « فى الترجمة والتعريب وكتابة الاعلام » ، وثالثها « فى وضع المعجمات والمصطلحات » ، ورابعها « فى تيسير النحو والصرف والكتابة العربية » ، ويشتمل على ما يزيد عن ٢٠٠ قرار .

والتطوير فى شد ومد دائماً بين تيارين متعارضين : تيار التيسير والتجديد ، وتيار الجمود والمحافظة ، وربما طغى أحدهما على الآخر . وللمجمعيين حوارهم وجدلهم ، وقد تنزع مناقشاتهم أحياناً منزعاً نظرياً ، وتسمى عن قصد أكاديمية ، فننسى الملاءمة بين الماضى والحاضر وتعجز عن سد الحاجة ، وتبطئ بالنهوض المنشود . عاش زكى المهندس ١٥ سنة أو يزيد رئيساً للجنة الأصول فى هذا الجو وتحت ضغط هذا التقابل ، وقد واجهه فى حضور بديهة وسرعة خاطر ، فى مهادنة ومسالمة ، فى صبر وجلد نادرين . وكثيراً ما امتد بحث الموضوع الواحد فى هذه اللجنة شهراً أو شهرين ، تقدم فيها البحوث تلو البحوث ، وتثار وجهات النظر المختلفة ، فكان المخاض عسيراً والوصول

إلى قرارات غير يسير . ومع هذا استطاعت أن تخرج فى هذه المدة مجلدين متلاحقين « فى أصول اللغة » ظهر أولها عام ٦٩ ، وثانيهما عام ٧٥ ويشتملان على أعمال ١٤ دورة من دورات المجمع ، وفيهما ما يكشف عما بذل فى سبيلهما من جهد صادق وعمل دائب ، أشرف عليه زكى المهندس ورعاه . فيها عود على بدء، وتدارك لبعض ما فات ، أو تيسير وتجديد فى أقيسة اللغة وأوضاعها ، وفى بعض الأحكام النحوية والصرفية ، وفى بعض الألفاظ والأساليب العربية والمعربة .

رحم الله زكى المهندس بين العاملين الأبرار ، ورحمه الله بين الزملاء الأخيار ، ورحمه الله بين المخلصين الأولياء ، والسلام عليكم ورحمة الله .

**ابراهيم مدكور**
رئيس المجمع

## كلمة الدكتور محمد مهدى علام

فى أعرق أحياء القاهرة المعزية ، منذ تسع وثمانين سنة ، ولد فقيدنا العزيز زكى المهندس لأب من أوساط وجهاء ذلك الحى ، كان يزاول العمل الهندسى فى تلك المنطقة .

وحدث أن كان لذلك الوالد صلة معرفة — إن لم تكن صداقة — بوالدى . ولم أعرف عن هذه الصلة شيئاً حتى كنت على وشك التخرج من دار العلوم .

فقد حدث أننى كنت فى فترة التمرين على التدريس بمدرسة العقادين ، وكان يزورنى للتفتيش المرحوم الأستاذ زكى المهندس . فلاحظ ما كنت عليه من اكتئاب سببه أننى كنت أعد نفسى بعد بضعة أسابيع للقيام بعبء الأسرة بعد وفاة أكبر إخوتى وعائل أسرتى ، فى حين أن أملى وأمل أساتذة المدرسة كان مرتبطاً بسفرى فى البعثة . وبعد انتهاء العمل يومئذ فى المدرسة صحبنى أستاذى إلى بيتنا فى حارة الروم ، وقص علىّ صلة والده بوالدى ، وتعهد بأن يتفق مع أخ أكبر لى أن ينهض بعبء الأسرة ، حتى لا يحال بينى وبين بعثتى التى كانت أمراً شبه مقرر ، وفقاً لما كان عليه نظام البعثات يومئذ فى اختيار أوائل الخريجين عقب تخرجهم .

ولم يكن هذا أول موقف ود وصداقة وأبوة له ، بل سبق ذلك عدة مواقف ربطت بينى وبينه منذ ألقى علينا أول درس فى التربية وعلم النفس ؛ فقد استمال قلوبنا جميعاً ، نحن الطلاب يومئذ ، شاب وضىء المحيا ، أنيق الملبس ، نشيط الحركة ، تتابعه نظرات الطلاب وزملائه الأساتذة الذين كانوا يفوقونه سناً ، وكان من بينهم عدد من أساتذته الذين تلقى عليهم العلم قبل سفره إلى إنجلتره .

ومن أوثق المواقف التى ربطت بينى وبينه موقفه من حركة الطلبة إبان ثورة ١٩١٩ التى كان لطلبة دار العلوم دور رائد فيها . فقد قاد الحركة فى مصر لجنة المدارس العليا ، وكان لكل مدرسة مندوب يمثلها فى تلك اللجنة التى كانت على اتصال سرى بالسكرتير العام للجنة الوفد المركزية المرحوم عبد الرحمن بك فهمى ، فى بيته الذى ما زال قائماً فى شارع قصر العينى تحتله دار الأدباء .

وفى المرحلة الأولى التى كنا نعمل فيها علانية . بالقصائد النارية ، والخطب الحماسية ، كان المرحوم زكى المهندس يلازمنا فى المساجد والكنائس والمجتمعات ، ويصحبنا أحياناً الأب سرجيوس .

وإذا كنا — نحن طلاب ذلك العهد — قد مقتنا واحتقرنا أستاذاً كانت نصيحته لنا يوم حطمنا الأبواب فى ٩ من مارس ١٩١٩ وكانت الأبواب تغلق علينا حتى منتصف الرابعة مساء — كانت نصيحته لنا : « كن فى الفتنة ذنبا ولا تكن فيها رأساً » ، فإن تقدم زكى المهندس الأستاذ الشاب المتوثب ليدعم إرادتنا ، ويصحب خطواتنا ، قد عكس هذه النصيحة ، فكنا فى الثورة رأساً لا ذنباً .

وقد كنا نحتاج إلى تحرير بعض البيانات بالإنجليزية والفرنسية ، وكان لنا اثنان من أساتذتنا يقومان بذلك سرا دون أن يعلم بهما إلا القليل ممن يوثق بهم : وهما زكى المهندس للإنجليزية ، وإسماعيل بك رأفت للفرنسية .

وأستسمحكم فى الاسترسال فى ذكرى الفقيد فى موقف آخر له : ففى يوم من أيام مايو سنة ١٩٢١ كنت أؤدى الامتحان التحريرى ، ورأيت من شرفة القاعة التى كنت فيها ثلة من ضباط الشرطة يدخلون متجهين إلى حجرة رئيس الامتحان . ولم يكن لدى أقل شك فى تحديد شخصية من حضروا للقبض عليه . وأصابنى رعاف ، ضيقا بأن يحدث هذا فى أثناء الامتحان الذى لم يكن له دور ثان ، بل لم يكن يسمح لطالب راسب أن يعيد ، بل يفصل ، تبعا للائحـة الدنلوبية فى ذلك العهـد .

ورأيت من الشجاعة أن أضع قلمى لأذهب إلى حجرة رئيس الامتحان لأسلم نفسى ، ولكن يدا رقيقة كانت تضع منديلا تحت أنفى تتلقى فيه الدم ، وبصوت رقيق تقول لى : أنك لم تستدع بعد ، فاجلس وأتم إجابتك ، وسأستمهل الداعين حتى تفرغ من إجابتك .

كان هذا هو المرحوم زكى المهندس الذى شاء القدر أن يكون هو المراقب فى حجرتنا فى ذلك اليوم ، وليس مما أنا بصدده أن أسترسل فى سرد ما تم بعد ذلك فى حجرة المرحوم أسعد بك برادة رئيس الامتحان ، واتصاله برسل باشا حكمدار العاصمة ، ومصاحبة ضباط الشرطة لى لتفتيش منزلى .

ومما لا أزال أذكره — ويذكره بعض الأعضاء من جيلى — أنه فى أول الثورة ، عقب اعتقال سعد وصحبه ونفيهم إلى مالطة ، تألفت لجنة عليا لموظفى الحكومة ، وقررت هذه اللجنة أن يضرب جميع الموظفين احتجاجا على نفى سعد وصحبه . ولم يكن الإنجليز يتصورون أن موظفى الحكومة يضربون ، وهم — فى تقديرهم — أهل الطاعة ، والحرص على مرتباتهم التى ما كانت تكفيهم إلا بشق الأنفـس .

ولكن المستحيل تحقق ، وأضرب جميع الموظفين فى جميع أنحاء الدولة — إلا ثلاثة ، كان أحدهم ناظر دار العلوم . وكانت فضيحة لم نستطع أن نحتملها نحن طلبة هذا المعهد الذى كانت له قيادة وريادة فى تلك الثورة — فقررنا أن نلقن هذا الناظر درسا فى الوطنية ، بأن يتلقى ضربة تؤدبه وهو فى طريقه فى الصباح إلى المدرسة .

وكانت هناك دراسة للطريق التى يسلكها ، واختيار للنقطة التى يهاجم فيها حيث تكون خالية من المارة . وعهد إلى أحد الطلاب أن يصطنع السؤال عن الطريق من الشرطى الذى فى أول الطريق ، وإلى طالب آخر أن يقوم بنفس العمل مع الشرطى الذى فى الطرف الآخر للطريق حتى تتم عملية التأديب .

ولكن بقى أن نختار المنفذين للتأديب . وكانت كل هذه المناقشات والترتيبات تدور فى جلسات سرية يحضرها أستاذنا زكى المهندس . وقد وافق على كل خطوة إلا أن يقوم أحدنا بالتأديب . وتعهد أن يستأجر شخصين من « فتوات » الدرّاسة للقيام بهذا العمل ، مع تفهيمهما السبب الذى من أجله نريد أن نؤدب ذلك الرجل . وكانت الروح الوطنية مشتعلة فى صدور الناس على اختلاف طبقاتهم ، فلما علم هذان الشخصان بطبيعة الوضع ، رفضا أخذ الأجر الذى كان مقدما لهما ، كما رفضا أن يستوليا على الساعة الذهبية وسلسلتها التى كانت تتدلى من جيب ذلك المسكين ، قائلين : عيب ، نحن وطنيون مثلكم ، لا نُؤجَّر ولا نسرق .

وبعد أن تم التأديب تحت أعيننا ، إذ كنا نشاهد ذلك من نافذة فى بيت يطل على مكان الحادث ذهب الرجل حاسر الرأس إلى مكتبه ثم إلى بيته ، ثم استقال .

وإذا كان لى بعد أكثر من نصف قرن ، أن أعيد النظر فى ذلك الحدث فإننى أقرر إحقاقا للحق أن ذلك الرجل لم يكن خائنا ، بل كان أسيرا للنظام الفرنسى الذى كان سائدا فى القرن التاسع عشر ، وقد تربى عليه فى فرنسا وكان وأمينا على ما كان يسميه الضبط والربط . فكان يعد الإضراب خيانة لأمانة الوظيفة التى فى عنقه . فليغفر له الله سوء تقديره وليصفح الله عن كل تجاوز صدر ممن اشتركوا بالقول أو بالفعل فى ذلك العمل . ولكننا رفعنا رؤسنا أمام زملائنا الطلبة بعد فعلتنا هذه .

ولقد ظل زكى المهندس مثلا نحتذيه . وظلت صلته بى عند تخرجى وسفرى إلى إنجلتره . وقد وجدت له صورة بالقبعة وقد أرسلها إلى أهله ، وكتب تحتها بيتين من الشعر كان قد حاكى فيهما زميلا أقدم هو المرحوم على الجارم .

كان على الجارم قد كتب تحت صورته ، وقد خلع العمامة ولبس القبعة يقول :

لبست الآن قبعة بعيدا
عن الأوطان معتاد الشجون
فإن هى غيرت شكلى فإنى
( متى أضع العمامة تعرفونى )

وحذا حذوه زكى المهندس عندما سافر إلى إنجلتره فأرسل صورته وتحتها البيتان الآتيان :

فإن تلك غيرت منى الليالى
وحال البعد دونكم ودونى
فهــذا رسم صاحبكم ولكن
( متى أضع العمامة تعرفونى )

وقفيت على آثارهما فأرسلت صورتى وعليها :

رأيتم صورتى فجهلتمونــى
وكدتم ، لحظةً ، أن تنكرونى
أنا مهدى بن عــلام ولكن
( متى أضع العمامة تعرفونى)

لقد تحدث الدكتور الرئيس عن الفقيد فى المجمع ، وسمحت لنفسى أن اتحدث عنه حديث الذكريات ، فلأقل كلمة — مجرد كلمة —لاتكاد تفيه حقه فيما بقى لى من الزمن :

لقد تخرج الفقيد من دار العلوم سنة ١٩١٠ فى فوج من النابهين الذين عرفــت لهم اللغة والأدب والثقافة آثارهم . فقد كان عظيما بين عظماء ، نابها بين نابهين.

ولم يكن تفوقه على من تسهل منافستهم :

كان منهم إبراهيم مصطفى الأستاذ بآداب القاهرة، وآداب الإسكندرية ،ودار العلوم، وعميدها ،وعضو هذا المجمع .

وشرف الدين خطاب رفيقه فى البعثة وزميله فى التدريس بدار العلوم وفى التفتيش.

وعبد المجيد الشافعى العالم المؤلف والأستاذ فى دار العلوم .

والدكتور على العنانى الأستاذ بالجامعة المصرية فى عهديها الأهلى والحكومى ، وزميل الفقيد فى التدريس بدار العلوم وفى التفتيش .

ومحمود السيد عبد اللطيف صاحب أول سفارة علمية إلى سنغافورة ، فى وقت كان الانتقال فيه إلى طنطا يعد هجرة .

أوفد الفقيد إلى إنجلتره فدرس وتخرج من جامعة ردنج حاصلا على دبلوم فى التربية وعلم النفــس .

ولنا هنا وقفة للتاريخ قبل أن يأتى النسيان على ما بقى منها فى الأذهان .

لقد قامت دراسة التربية وعلم النفس فى مصر على أيدى رواد من خريجى دار العلوم. كانوا يوفدون فى بعثات معظمها فى إنجلتره . ولم يكن هناك منذ أول القرن الحالى من يحمل هذه الأمانة العلمية سواهم . وأستطيع أن أقسمهم إلى أفواج ثلاثة :

فكان الرعيل الأول ممثلا فى حسن توفيق العدل ( الذى درس فى ألمانيا ) ومحمد شريف سليم ( الذى درس فى فرنسا ) .

وجاء من بعدهم فوج تصدره على الجارم ومصطفى أمين وأحمد عبده خير الدين .

وظلت كتب هؤلاء تدرس حتى جاء فوج زكى المهندس وعبد الحميد حسن ومحمد على مصطفى (ولولا الحياء لذكرت معهم من ساهم معهم فى التدريس والتأليف) .

ومن الإنصاف أن أقرر أنه ظهر مع هذا الفوج الثالث اثنان من خريجى مدرسة المعلمين العليا كان لهما فضل كبير فى تطوير التربية وعلم النفس ، هما المرحوم إسماعيل القبانى والأستاذ أمين مرسى قنديل مد الله فى عمره . ولولا انصراف الزميل محمد خلف الله أحمد إلى الدراسات الأدبية (مع استظلالها بالدراسات النفسية) لكان الرائد الأول للفوج الجديد الذى انتقل إليه علم النفس على يد خريجى معهد التربية بعد إنشائه .

بقى أن أقول كلمة عن تلك الدبلومات التى كان يحصل عليها المصريون عامة وخريجو دار العلوم خاصة ، من جامعات إنجلتره .

لقد كانت الدراسة للحصول على هذه الدبلومات دراسة جادة عميقة ، تستهدف التثقيف العلمى لمهنة التدريس، وقد نهل منها هؤلاء الدارسون ، ونقلوا ما ثقفوا إلى أبناء وطنهم . ولكن السؤال الذى كان يراودهم دائما هو : لماذا لا يسمح لهم بالحصول على درجات عليا غير الدبلومات ؟

وهذا هو السبب : كانت سياسة دنلوب والإنجليز عامة هى أن لا يحصل المصريون على درجات جامعية أعلى مما كان يحصل عليه الموظفون البريطانيون فى مصر ، والذين كان لابـد أن يكونوا رؤساء لهؤلاء المصريين بعد عودتهم من بعثاتهم . لم يكن منطقهم يسمح أن يكون المرءوس حاصلا على مؤهل أعلى من مؤهل رئيسه .

وأعجب ما فى الأمر أنه بعد أن أزيح الكابوس البريطانى عن الحكومة ، ظلت هذه السياسة حقبة ، إما بحكم القصور الذاتى ، وإما لأن الرؤساء الذين حلوا محل الإنجليز ، كانوا من ذلك الفريق الذى لم يكن قد سمح له بالحصول على الدرجات الجامعية العالية ، فخشوا أن يأتى جيل بشهادات أعلى من شهاداتهم .

والحمد لله قد تغير الحال الآن .

درس فقيدنا بضع سنوات فى المدارس الثانوية قبل أن ينتقل إلى دار العلوم . وهـذه مأساة أخرى فى تاريخ التعليم فى مصر . فقد شاءت السياسة الإنجليزية أن هؤلاء الرواد الذين كانوا يختارون أوائل دفعهم فى التخرج ، بعد أن يتخصصوا فى علوم التربية ، يعودون إلى مصر ليدرسوا اللغة العربية سنوات تطول أو تقصر ، فى مدارس ثانوية أو ابتدائية ، أو مدارس التجارة والزراعة المتوسطة التى عين فيها على الجارم عقب عودته من إنجلتره . ثم ينقلون بعد هذه السنين لتدريس علوم التربية فى دار العلوم ومدرسة المعلمين العليا . وبعد ممارستهم لذلك عدة سنوات ينقلون لتفتيش اللغة العربية بالوزارة .

ولقد كنا نتندر : بأن الحكومة ترسل الخريج إلى إنجلترة لينسى اللغة العربية ويتعلم مواد التربية وعلم النفس ، ثم يعود ليدرس اللغة العربية كي ينسى مواد تخصصه فى إنجلترة ، فإذا تم ذلك نقل لتدريس ما نسى ، فى المدارس العليا ، فإذا تم نسيانه للغة العربية نقل مفتشا لهذه اللغة .

وأيا كانت روح الفكاهة التى حركتها هذه الدورة العجيبة التى تكررت منذ أواخر القرن الماضى حتى الثلث الأول من هذا القرن ، فإن الذى حدث هو أن هؤلاء الأساتذة الأجلاء ساهموا فى كل الميادين مساهمة مشكورة ، شهدت بها كتبهم وبحوثهم وتلاميذهم فى المجالين .

بعد أن خلف زكى المهندس أثره الملموس فى ميدان التربية وعلم النفس بدار العلوم ، نقل مفتشا بالوزارة ، وبقى عدة سنوات يوجه فئات المدرسين إلى أمثل الطرق التعليمية . ثم هفت نفسه مرة أخرى لمنصة الأستاذ فانتقل إلى معهده الذى نظمت فيه الدراسة على الأساس الجامعى ، فشغل كرسى التربية والفلسفة ، وظل يحتل هذا الكرسى حتى اختير وكيلا لكلية دار العلوم ثم عميدا لها سنة ١٩٤٥

وفى هذه الأثناء ضمت دار العلوم إلى جامعة القاهرة فأصبحت إحدى كلياتها . وقد ساهم الفقيد فى تحويل نظامها المدرسى إلى نظام جامعى ، وشغل كرسى النقد والبلاغة. (ألم أقل لكم إن هؤلاء الرواد تقلبوا فى تخصصات عمقت معرفتهم ، ووسعت آفاقهم)

وظل عميدا حتى تقاعد فى سنة ١٩٤٧ تقاعد ولكنه لم يقعد . وحين أنشأ المرحوم الإمام المراغى أقسام التخصص فى الأزهر ، فى شعب ، تدرس كل واحدة منها مجموعة متكاملة من المواد العلمية ، كان منها شعبة الأخلاق والتربية . وكان من حظى أن دعيت للتدريس فيها ، ثم تشرفت بأن ساهم بالتدريس فيها معى أستاذى زكى المهندس . وبقى يزاول هذا العمل العلمى العظيم سنين عدة ، تخرج منها على يديه عشرات من أفاضل شيوخ الأزهر الذين كانوا روادا للنهضة الأزهرية . وأنا أذكر أن عميدا لكلية أصول الدين قابلنى منذ بضع سنوات ، وكنت أعرف له فضله وعلمه ، فلما رآنى أبالغ فى حفاوتى به قال لى : إنك أستاذى أنت وزكى المهندس . فقلت له : أنا درستك ، ولست أستاذك ، إنما أستاذك وأستاذى هو زكى المهندس .

وفى هذه الرحلة الطويلة من سنة عودته من إنجلترة سنة ١٩١٤ إلى سنة تقاعده عام ١٩٤٧ كان رصيده عشرات الآلاف من الطلاب والمعلمين ، وعدة آلاف من صفحات التأليف والترجمة ، وعدة مئات من المحاضرات والندوات .

ومن أهم كتبه :

١ — أخلاق الفني ( بالاشتراك مع زميل له )

٢ — محاضرات في التربية

٣ — إلى المجد ( همسات في أذن الشباب )

٤ — رجل القرن العشرين

٥ — احلام اليقظة

٦ — المراهقـــة

٧ — رسالة المعلم

٨ — النحو المصور

ولهذا الكتاب الأخير ، بأجزائه الثلاثة ، دلالة خاصة على نزعة الفقيد للتجديد . فقد كان في تحريكه عدسة المصور ؛ ليشرح قواعد النحو أقوى حجة تفحم أولئك الذين طالما تقولوا على مدرسي اللغة بأنهم يعيشون في معركة زيد وعمرو .

والنظرة الفاحصة لهذه المؤلفات تدل على أنها تدور حول تربية الشباب ، فإن زكي المهندس لم يكن يمل الحديث عن توجيه الشباب ، حتى أن أحاديثه في الإذاعة — وهذا ضرب آخر من ضروب نشاطه — لم تنس العنصر البشري الذي كان يعد نفسه مسئولا عن ثقافته :

لقد علم داخل الفصول الدراسية ، وحاضر في مدرجات الجامعة ، وخطب من منصات الجمعيات ، وأذاع على متن الاثير ، وكتب آراءه في الكتب والصحف والمجلات . إن ستين عاما إلا بضعة أشهر تتمثل امامي الآن وأنا أحاول أن أحيي صورا عزيزة للأستاذية والصداقة ، والزمالة في دار العلوم مدة ، وفي التفتيش حقبة ، ثم في هذا المجمع الموقر إلى أن فرق الموت بيننا .

سينقضي وقت طويل — طويل جدا — قبل أن تجد مصر من أبنائها شخصية تجمع كل هذه السمات ، وتخلف كل هذه الآثار . أستودع أستاذا وصديقا وزميلا ملأ صوته قاعة المجمع علما وثقافة وعفة لفظ . وأقدم أخلص العزاء لأسرته العائلية ، ولأسرته العلمية ؛ فكلنا فيه يعزي ويعزى .

أرجو أن يعفينا القدر من مثل هذا الموقف الحزين فترة نلتقط فيها أنفاسنا من شبح الموت ، الذي يخيم علينا ، ويأبى إلا أن يفجعنا كل عام في عزيز من زملائنا .

أتذكر ياعمار (١) ما قلته لك منذ نحو عشرة أعوام :

تأزمت الأمور فلست تلقى
خطيبـــا مستعـــدا للرثـــاء
فهلا كف عزرائيل عنـــا
يـــد القـــدر المحرك للفنـــاء
أقيموا دونـــه ســـدا وأخفوا
مـــن « الأرشيـــف » تاريخ الولاد
أريحـــونا ولـــو عامـــا ليبقى
لنا صفـــو الحيـــاة بلا بكاء

أتمنى ألا أقف هذا الموقف مرة أخرى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــه .

المعادى ١٨ من ذى القعدة ١٣٩٦
١٠ من نوفمـــبر ١٩٧٦

**مهدى علام**
أمين المجمع

---

( ١ ) الدكتور أحمد عمار عضو المجمع .

## كلمة الشعر للدكتور ابراهيم أدهم الدمرداش

شُيِّعتَ بالآيـات والأنّـاتِ
ياتـارك الدنيـا إلى الجنـّاتِ

صرف الكلام بـكى عليك ونحوه
لمـا بغى صرف الزمـان العاتى

كأس تـدور على الشفاه بسمّها
ورحى تـدور فتحصد الهامـات

والمـوت حق لا محـالة إنمـا
تجرى العيون بصحبة الآهـات

إن الحيـاة قصيرهـا وطويلها
سيـّان عند مقوّض اللـذّات

والعمـر مهما طال ينقص دائمـا
والقلب يدنى المـوت بالـدقات

ليس الذى قـد فات عمرك إنمـا
ما لم يفـت منه إلى الميقات

والمهد مثل النعش يحمل ميتاً
ضمته أكفان مـع اللفـات

ياعالم الفصحى لبعـدك لوعـة
إن الفراق لأكـبر اللـوعات

أنت المعلم والأديب كلاهمـا
أستاذ جيل قد مضى والآت

رغم التطور ما فتئتَ محافظـا
مستمسكاً بالـزىِّ والعادات

ممـا يـدل على اقتناعـك أولا
وشجـاعة فى معـرض الطاقـات

صف لى الحمام وقد عهدتك صادقا
هل وقعه أقسى من العِلاّت ؟

أو أنه أدنى من الخـوف الذى
ينتاب من يسعى إلى الأفـلات !

هـل من يموت لفوره خير لـه
من أن يمـوت على مدى ساعات ؟

أو أن لحظـة موتـه أقسى لـه
ممـا مضى من قبـل من ويلات !

هـل موتـة المطعون أكبر وطأة
مـن موتـة المشنوق بالساحات ؟

أو مـوتـة المسـموم والملدوغ
بالحـيـّات والمخنـوق بالغازات !

هـل كلها موت كموت مريضنا
أو حتف من ماتوا من السكتات ؟

أو من يمـوت بطلقة من كفه
أدنى من المحروق بالشعلات !

حـــار الفلاسفة الأوائل كلهم
بـين الحيـاة وعالم الأمـوات
حتى أتانا الأنبيـاء وبلّغـوا
يـوم القيامـة لا محـالة آت
ياخالق الدنيـا وجودك ثابت
بالغيب والأرزاق والإنبـات
والروح من أمر الإلـه وعلمه
ما أوتى الإنسان من قـدرات

يـارب كفّر سيئات ذنوبنـا
واغفر لنا ماكان من زلات
لا فضل إلا بالتقى بين الورى
بالعدل والأعمال بالنيات
والسابقون الفائزون مقامهـم
دار الخلود وروضة الجنـات

**ابراهيم أدهم الدمرداش**
عضو المجمع

## كلمة الأسرة

### لشقيق الفقيد الأستاذ كامل المهندس

سيدى الجليل رئيس مجمع اللغة العربية الموقر

سادتى الأجلاء أعضاء المجمع

أقدم لكم بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن أفراد أسرتى أجزل الشكر على ما قمتم به من إحياء ذكرى شقيقى المرحوم الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع . لقد كان الفقيد أستاذاً وأخاً وأباً لى ، رعانى طفلا ، وهو لا يكبرنى بأكثر من عشر سنوات ، ورعانى طالبا بالأزهر الشريف ومدرسة دار العلوم ثم طالبا بجامعة لندن ، وأخيرا غمرنى بعطفه وأنا عضو هيئة التدريس بكلية دار العلوم . فأنا مدين للفقيد بكل ما نلته من خير فى جميع مراحل حياتى .

وليس بين أفراد أسرتى من لم يشمله بكامل عنايته حقبة طويلة ، حتى تخرج منهم الكثير من الأساتذة وقادة الجيش والأطباء والمهندسين وغيرهم ، وبينهم من يشغل الآن مناصب رفيعة .

هذا إلى ألوف الطلاب الذين تعهدهم بالتربية والتهذيب من أبناء وزارة المعارف ( وزارة التعليم الآن ) ، ومدرسة دار العلوم ( كلية دار العلوم الآن ) ، وكلية اللغة العربية من الجامعة الأزهرية ، ومنهم من أسهم بنصيب وافر فى النهضة العلمية الحديثة بمصر الحديثة بمصر والبلاد العربية الأخرى .

وفضلا عن الأحاديث الدينية والاجتماعية الممتعة التى كان يحرص العدد العديد من الجمهور على الاستماع اليها فى برامج الإذاعة كل صباح وحدث أن أرسلتنى وزارة المعارف ، ومعى صديقى المرحوم الدكتور فؤاد حسنين الأستاذ بآداب القاهرة ، إلى دير سانت كاترين بطور سيناء لفحص المخطوطات السامية وخاصة العربية هنـاك . وأسعدنا الحظ أن نذهب بصحبة ثلاثة من أئمـة القانون والأدب والتاريخ المرحوم الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى ( وكيل وزارة المعارف وقتئذ ) ، والمرحوم الأستاذ أحمد أمين والمرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادى .

ومازالت إلى الآن أذكر ما دار من حوار بين الأساتذة الثلاثة حول دار العلوم وقـد كانت تتنازعها الأهـواء فى ذلك الوقت ويتردد أمرها بين الإلغاء والإبقاء . فاجتمع رأيهم على وجوب انضمامها لجامعة القاهرة صيانة لها وإبقاء عليها .

وشاء القدر أن تنضم دار العلوم فيما بعـد لجامعة القاهرة على يـد فقيدنا طيب الذكر الأستاذ زكى المهندس ، وأن يكون هـو

آخر ناظر لها فى وزارة المعارف وأول عمدائها فى عهدها الجامعى ، وأن تظل دار العلوم تؤدى رسالتها كسالف عهدها فى خدمة الفصحى ونشرها ؛

وإن أنس لا أنس ما أسهم به الفقيد زهاء ثلاثين عاما فى المنجزات العظيمة لمجمعكم الموقر ، تلك الأعوام التى كانت — على ما ذكر لى مرارا — أسعد أيام حياته برغم ما تخللها من متاعب الشيخوخة ؛

فليس عجيباً إذن أن يقوم مجمعكم المبجل بإحياء ذكراه ، وقد قضى ما يقرب من ثلث حياته فى خدمته ، فإنكم أولو الوفاء والفضل كما أنكم أساطين العلم وأعلام الفن والأدب . ولقد كان لما أنجزتموه من المؤلفات الضخمة فى مصطلحات العلوم والفنون ، وما قمتم به من بحوث لغوية أصيلة قيمة وما نشر نحوه من معجمات أبلغ الأثر فى نمو لغتنا العربية والاحتفاظ بها سليمة مزدهرة .

وإنه ليطيب لى ويثلج صدرى أن ألمح بينكم إخوانا لى طالما نعمت برؤيتهم وسعدت بصحبتهم ، ثم فرقت بيننا ظروف الحياة كما تفرق بين الإخوة الأشقاء الأحياء ؛

وليس أدعى لهدوء نفسى وراحة بالى من أن أستمع — فيما استمعت إليه من دور خطبائكم وشعرائكم — إلى صديق الصبا والشباب الأديب الكبير الدكتور محمد مهدى علام حفظه الله ؛

ولقد كان بين أفراد أسرتى من هو أقدر منى على الوفاء بشكركم والرد على كلماتكم النبيلة الوفية ، لولا أن كبر سنى كان شفيعا لى فى أن أنال هذا الشرف العظيم ؛

سيدى الجليل رئيس المجمع الموقر

سادتى الأجلاء أعضاء المجمع

أطال الله بقاءكم ممتعين بأتم صحة ورافعين أعلام اللغة العربية — لغة القرآن والحديث — خفاقة فى كل مكان ، وتغمد المولى — جل شأنه — فقيدنا الحبيب بواسع رحمته .

والسلام عليكم ورحمة الله .

**كامل المهندس**

## كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتى ، سادتى :

فى ختام الجلسة أتقدم بخالص الشكر لكل الذين تفضلوا بالحضور إلى هذا المكان ومشاركة المجمع حفل تأبين فقيده الكبير شيخ المجمعيين الأستاذ زكى المهندس رحمه الله رحمة واسعة ، وأساله تعالى أن يوسع له فى جنته ورضوانه ؛

ورفعت الجلسة ، وشكرا لكم ؛

# زكى المهندس أمام الاشكالية العظمى

للدكتور محمد عزيز الحبابى

منذ أن بـــدأ الإنسان يعى أوضاعه ، حاصرته قضية الوجود والعدم ، فأصبحت الإشكالية الأولى فى كل الفلسفات هى أن نتأمل فى الوجود والموجود ، وفى العدم والمعدوم . بيد أننا لا نكاد نعثر على نسق فلسفى ينطلق من مفهوم الموت .

فـــا الموت ؟

بمجرد ما توصلت ببطاقة مجمع اللغة العربية بالقاهرة تنعى إلى أمتنا الفقيد الحبيب ، حتى فاجأنى ذلك السؤال ، لاحقنى . إنه لسؤال مزعج ، نطرحه ، بل يطرح نفسه علينا . ويشتد إلحاحه بقدر ما نكن من معزة أو تقدير للهالك ، وأستاذنا الجليل زكى المهندس عزيز للطفه الجم ، ولصدق صداقته ، وخفة روحه ولخلقه الرفيع ، وهو أيضا محاط بالتقدير ؛ لمكانته فى ميادين العلم والتعليم ، والإخلاص فى خدمة اللغة العربية .

* * *

ها هـــو السؤال يعاودنى : ما الموت ؟

إنه الحاضر الغائب . كان منذ البداية يمرح فى قارات العدم ، ولا نتصور له نهاية . إننا نحيا تجارب الوجود فى أى فعل يصدر عن وعينا . كما نعانى الوجود كل مرة يفنى فيها واحد ممن نتواجد معهم . إنها معاناة ذات لونين نحياها كتجارب أنطولوجية ونفسانية ، فى مظهرين ، وجدانى ومجتمعى . مع الموت ، كذلك ، نحن فى صراع دائم ، إلا ان الموت لا يجابهنا علانيـــة ، على قارعة الوجود . فغالبا ما يفضل المراوغة والبغتة . آثاره ملموسة ، وبلا وضوح ، عينية ، وفى أوج الغموض ، تحاصرنا فى كل مكان وكل آن ، ولكن الموت يبقى هو هو ، على مر الأزمان وتغير الأمكنة ، دون مكان أو زمان . إنه العبء الثقيل الذى لا وزن له ولا أبعاد . الموت لايموت . يزرع الفناء ولا يفنى . يقوم بعملياته الصغرى والكبرى وهـــو لا يلمس ولا يرى : إنه التناقض المطلق : العدم لموجود ، الوجود المنعدم . بوجوده تنعدم الموجودات . ينساب فى كل الكائنات ، وهـــو بلا كينونـــة .

* * *

قليل من يقدرون على مواجهة تحدى الموت السافر والمقنع . وما أخالنى مبالغا ان عددت من تلك القلة . فقيدنا . أتذكر ابتساماته الهازئة ، وعصاه يهش بها على الأشباح ، وقامته المنتظمة عموديا التى عودها على أن لا تركع أمام جبروت السنين . يفضل السير على الأقدام واثقا فى ركبتيه ، حامدا فى محبة الحياة . فلا يصارع الموت إلا من يتقبل تضحيات ، طوال الحياة . كانت النكتة من أسلحة فقيدنا ، فى الصراع الطويل ،

حقا . إن النكتة لا تقضى على الموت ، ولكنها تحد من بلاء الخوف المزمن الذى تزرعه المنية فى القلوب ، وتبهر به العقول الحائرة . كان زكي المهندس يحسن النكتة ، بها يتحدى الموت .

النكتة ضياء فى غياهب الليل البارد المخيف الذى لا يعرف نهاية ، ليل الحقيقة المرة وهى تزرع الحيرة المطلقة ، وتسترق منا نور الهدوء والاطمئنان .

* * *

غمرنى عزيزنا بلطفه عندأول مأدبة جمعتنى وإياه ، جلسنا إلى نفس المائدة ، فتعاطفنا ، وبقيت أعتز بصداقته . حببت إليه أن يحكى لمجالسيه عن أجيال عرفها ، فإذا به لاينقل عنها إلا الجانب الخفيف ، وبخفة دم تتناسق مع «آيس كريم » و « أم على» ، خصوصا بعد الجلسات الصباحيـــة بمجمع اللغة العربية بعروضها ومناقشاتها الدسمة :

امتاز المرحوم بقدرته على النكتة ، وعلى حسن صياغتها ، كما كان يحسن روايتها ، فى الأوقات الملائمـــة ، فتوفرت فيه شروط البلاغة والبيان . إن النكتة « البليغة » تسخر من العبث ومن العابثين . كل النفوس مكبوتة من جراء شبح الموت الماثل أبدا . فتأتى النكتة ، تقصف الضجر وتفجر "الكبت ، فنستعيد الأمل فننسى الكابوس المرعب ولو إلى حين . ولعمرى ، إذا كانت النكتة البارعة ، هـــذا شأنها ، ألا يطبق عليها « إن من البيـــان لسحرا » ؟ سحر النكتة سلاح ونعمة لدى الطبائع الأثيرية . وإن فقيدنا لمن تلك الطينة .

نكتة كانت تأتى فى صفاء البراءة ، مرحة ، متفائلة ، لا تخدش ولا تجرح .

* * *

ثم مرة أخرى : مــا الموت ؟

لقد حمنا حوله دون أن نخط له حدوداً . لو قدر للموت أن يتحدث عن نفسه لأكد أنه هو نفسه لا يعرف تحديداً ولا حدوداً . بل إنه ، فى حركاته الدائبة ، لا يجد أوقات فراغ ليتساءل عن هويته . إنه . . هو . . أى . . أى شىء ؟

كل إنسان يتأمل يموت وفى نفسه انزعاج من ذلك الا « أى » . الموت لا يفسر ، وإنما نخافه ونخيف به ، إنه الزوبعة فوق رأسنا ، أبد الآبدين . إنه حوار متصل بين المرء ونفسه ، ولكنه حوار الصم البكم ، محاورة بين المعنى واللا معنى ، المعقول واللامعقول. العقلانية تتدخل فى المعقولات والأفعال الإرادية ، فأنى لها أن تناقش الموت—العبث الذى يأتى بلا ميعاد ، على غرة ، ودون رغبة فيه ، ويغيب حيث ينتظر المترقبون ؟ العقل يتدخل فى شىء فى عندما تأتى أفعال منسجمة مع وعيى لها ، عندما أريدها محققة أو مرفوضة ، أما الموت فلا يخضع لإرادتى ؛ لن يستشيرنى عندما ستحل فعلته بى . فى

لحظات الموت ، يصبح الكوجيطو هو : لم أعد قادراً على التفكير ، إذن أنا موجود سلبياً ، جثة تعانى حينونة الانعدام . هناك لحظة ممتازة ، يتعانق فيها وجودى بعدمى ، كل المتناقضات تتجسد ، فى لحظة ممتازة تدخل فيها الإيجابيات والسلبيات حياداً حاداً. موتى ليس من عملى أنا ، ولكنه من شأنى ، يهمنى مباشرة .

لن أعود فأقول : « أنا » ، ولا أخاطب غيرى بـ « أنت » ، لا تواصل ولا نداء : أنتقل من « متكلم » إلى « متكلم عنه » ، ويصير كلامى صوتاً صامتاً أبداً . أين منى ذلك الجهاز الذى كان يرغب ويشتهى ، كان يعقلن حياته ، ويريد ، ويتخيل ؟ لقد دخل فى خبر كان ! وماذا كان ؟ كان جهازاً موجهاً لأن يؤول إلى ما هو الآن . عاد إلى أرض الميعاد إلى الأرض الأم : «منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم» (قرآن كريم) : كنت أملأ حيزاً من الفضاء وأمسيت بلا مكان ، ذهبت مع الموت ! الموت نديم لا يصحو وليس منا من يذوق سكرة الموت أكثر من مرة فى « حياته » . سكرة بلا خمر ، وكحول بلا عصير الموت .

أيها السادة

الحديث عن الموت لا يميته الموت ، ولا يبلور معناه . فلن يعزينا فى فقدان حبيبنا زكى المهندس إلا أن ندعو له بالرحمة ، وبخير الجزاء على ما أسداه للغة العربية من خدمات ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

**محمد عزيز الحبابى**

عضو المجمع المراسل من المغرب

# من أنباء المجمع

**وفاة نائب رئيس المجمع :**

استأثرت رحمة الله تعالى بروح المرحوم الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع فى ١٧ من شعبان سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٣ من اغسطس سنة ١٩٧٦ م . وفى هذا الجزء من المجلة كلمات حفل المجمع فى تأبينه .

**خبراء جدد :**

وافق مجلس المجمع على اختيار بعض الخبراء الجدد ، وهم السادة :

الدكتور أحمد جامع رئيس قسم الاقتصاد بكلية الحقوق بجامعة عين شمس ( للجنة الاقتصاد ) .

الدكتور فؤاد مرسى رئيس قسم الدراسات العليا بجامعة الاسكندرية ( للجنة الاقتصاد ) .

الدكتور سعيد عاشور الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ( للجنة التاريخ )

الدكتور محمد سلام مدكور رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ( للجنة القانون ) .

الدكتور فاروق القاضى الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة عين شمس ( للجنة التاريخ ) .

**صلات المجمع الثقافية :**

●● قام الأستاذ بدر الدين أبو غازى عضو المجمع بتمثيل المجمع فى اجتماع العمل الذى عقدته المنظمة العربية للعلوم الادارية بالاسكندرية فى المدة من ٢٢ الى ١٩٧٦/٥/٢٥ .

●● أرسل الدكتور محمد بدرى عبد الجليل ( المدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ) الى المجمع بحثا بعنوان « المشاكلة » ، وهو فصل من كتابه « المجاز وأثره فى الدرس اللغوى » وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٦/٤/١٩ احالته على لجنة الأصول لدراسته وابداء رأيها فيه ، ثم عرض تقريرها على المجلس .

ورد المجمع من « الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية » مواد معجم اقتصادى عربى ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى

●● ١٩٧٦/٥/٣ احالته على لجنة الاقتصاد لنظره وابداء رأيها فيه ،

●● مثل المجمع الأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع فى اجتماعات لجنة الآداب والعلوم التى شكلها المجلس الأعلى للجامعات الذى عقد فى ١٩٧٦/٨/٧ .

●● ورد المجمع كتاب وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية تطلب فيه البحث عن مسميات جديدة لمدارس التربية الخاصة بجمهورية مصر العربية ، وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٦/١٠/٤ احالته على لجنة الفاظ الحضارة الحديثة لنظره وعرض ما تصل اليه بشأن هذا الموضوع على المجلس .

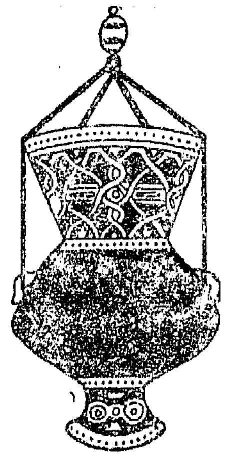
---

**مسابقة المجمع الأدبية :**

فى مناسبة الذكرى الخمسين لوفاة الزعيم سعد زغلول رأت لجنة الأدب بالمجمع عقد مسابقة لعام ١٩٧٧/٧٦ موضوعها :

« سعد زغلول خطيبا وكاتبا وأثره فى البيان العربى الحديث » .

وآخر موعد لقبول الأبحاث المقدمة للمسابقة هو ١٩٧٧/٣/٣١



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة
**محمد حمدى السعيد**

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٢/١٩٧٨

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٢٠٠٠-١٩٧٨س٤٠٩٢

# مجلة مجمع اللغة العربية

## بحوث مؤتمر الدورة الحادية والستين

الجزء الثمانون
« القسم الأول »
جمادى الآخرة - ١٤١٧ هـ
نوفمبر ١٩٩٦ م

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز اباظة
المعهد السويسرى سابقا ) بالزمالك

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

# مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين فى السنة)

## الجزء الثمانون
## « القسم الأول »

جمادى الآخرة رجب ١٤١٧ هـ

نوفمبر ١٩٩٦ م

# الفهـرس

الموضوع | الصفحة

# كلمة افتتاح المؤتمر

## للأستاذ الدكتور شوقى ضيف نائب رئيس المجمع

**السيد الأستاذ الدكتور وزير التعليم**

**الزملاء المجمعيون**

أستأذن حضراتكم فى بدء كلمتى أن أبعث باسمكم واسمى أخلص التحيات وأصدق التمنيات إلى الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مدكور رئيس المجمع ، متعه الله بالصحة التامة والعافية الكاملة .

وهذا اليوم نحتفل فيه بافتتاح مؤتمر المجمع فى دورته الحادية والستين ، وأشكر باسم المجمع السيد وزير التعليم الجليل لحضوره معنا هذا المؤتمر ، وأرحب باسم المجمع بالزملاء الوافدين من البلاد العربية الشقيقة ومن البلاد الإسلامية والغربية وأشكرهم لتلبيتهم دعوته لحضور المؤتمر والمشاركة فى بحوثه وقراراته ، وأهنىء المجمع وأعضاءه بالزملاء الجدد من أعضائه العاملين والمراسلين ، وهم ستة عشر عضواً من الأعلام فى مصر وشرقا وغربا ، وبهم وبأعضاء المؤتمر جميعا سيغمر أعماله كثير من النشاط والحيوية والفاعلية فى خدمة العربية لغة القرآن الكريم الخالدة بخلوده .

وتعلمون - حضراتكم - أن المجمع تعهد - منذ تأسيسه - على أن يجعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون والحياة العصرية ، واتخذ لتحقيق ذلك الوسائل الفعالة باختياره صفوة من أعلام العلم واللغة والأدب والقانون تألفت منها لجان علمية لوضع المصطلحات العلمية المقابلة لمصطلحات العلوم الغربية ، كما تألفت لجان لغوية وأدبية لتطويع اللغة وقواعدها وأبنيتها حتى تستوعب ما يريده أصحاب المصطلحات العلمية من صحة فى التعبير ودقة فى الأداء .

وظل وضع المصطلحات العلمية والفنية وألفاظ الحضارة فى العربية الشغل الشاغل للمجمع منذ نشأته حتى تصبح العربية لغة علمية مثل اللغات العالمية ، وحتى تصبح لغة للتدريس الجامعى مثلها ، وحتى تستتم وجهها العلمى بجانب وجهها الأدبى العربى ، وحتى تستكمل سيادتها فى وطنها وجامعاتها ، وجدّ المجمع فى وضع المئات بل الآلاف من تلك المصطلحات فى كل علم غربى ، وتكاثرت حتى

استحالت فى كل علم إلى معجم نفيس فى جزء أو جزءين أو أكثر ، وفى المجمع الآن ثلاثة عشر معجما علميا ، والتزم المجمع فى جميع معاجمه العلمية أن يضع مع كل مصطلح تعريفا دقيقا له حتى تستكمل الفائدة العلمية منه ، وإن هذه المعجمات الثلاثة عشر لتعد عتادا معجميا علمياً كبيرا من شأنه أن يجعل تعريب التعليم الجامعى الذى تتطلع إليه الأمة العربية أمراً ميسورا وإنا لنرجو من السيد وزير التعليم الأستاذ الجامعى الجليل المعروف بتعاطفه مع قضايا اللغة العربية أن يطلب إلى مجلس الجامعات الأعلى أن يدرس هذه القضية دراسة وافية ويضع لها خطة محكمة للبدء فى تنفيذها ، ولا يُعْرَفُ بين أمم العالم أمة مهما كانت صغيرة - يدرس أبناؤها العلوم بغير لغتها القومية إلا ما يحدث عندنا فى جامعات الأمة العربية ماعدا جامعات سوريا الشقيقة ، وقد آن للأمة أن تستتم دورها التاريخى الحديث فى وطنها وجامعاته فتتخلص من التبعية العلمية للغرب ، كما تخلصت من التبعية السياسية .

**أيها السادة :**

اتخذ المجمع لمؤتمر هذا العام موضوعين للبحث والمناقشة ، الموضوع الأول - هو الأعلام الجغرافية والموضوع الثانى - هو توحيد المصطلح العلمى بين الأقطار العربية ، وهو تتمة لموضوع المؤتمر فى العام الماضى ، وكان «تعريب العلوم» والمجمع - منذ تأسيسه - يتخذ هذا التوحيد شعارا له ، ولذلك يضم إليه دائما أفذاذا من أعلام البلدان العربية الشقيقة ، آملا أن يتيح بذلك لمصطلحاته فى العلوم والفنون ضربا من الإجماع العربى .

بارك الله مؤتمركم وأعمالكم فيه وسدد خطاكم .

وأنا - باسم المجمع - أشكر حضراتكم جميعا ، وأشكر ضيوفنا الكرام من الزملاء المجمعيين راجيا لهم طيب الإقامة بيننا فى بلدهم مصر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

**شوقى ضيف**

نائب رئيس المجمع

# كلمة الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاءالدين - وزير التعليم

## فى افتتاح الدورة الحادية والستين

## لمؤتمر مجمع اللغة العربية

**الأستاذ الدكتور شوقى ضيف**

**نائب رئيس المجمع**

**أعضاء المجمع الأفاضل**

**الحفــل الكــريم**

يومٌ أعزُّ ، يومَ لقائكُم ، سدنةَ لغةِ القرآنِ الكريم . ودوماً أسعدُ بلقياكم ، وأعتبرُ يومَ اللقاءِ بكم يوماً مشهوداً ، وفى العقلِ مذكوراً، وفى الفؤادِ أثيراً ، كيف لا ، وهو يومُ مؤتمرِ مَجْمَعِ الخالدين ، الساهرين على حفظ اللغة العربية ، لغةِ القرآنِ الكريمِ والحفاظِ عليها ، والعاملين بكل دأبٍ وإخلاصٍ على أن تَظلَّ العربيةُ حيةً مُبْدِعةً رائدة على مر الأيام ، فصيحُها رائقَ ، وجَرْسُهَا يَخْلِبُ الألبابَ ، وأسلوبُها يختالُ على أساليبِ اللغاتِ الحيةِ جميعاً رشاقة وجمالاً ، وذلك بما أودعهُ اللهُ عز وجل فيها من مكنونِ البلاغةِ ، وبما تسهرون عليه من الحفاظِ على أسرارِهَا .

**أعضاء المجمع الأفاضل حرّاس الفصحَى :**

لايقتصرُ جُهْدُكم - الذى نعتزُّ به أشدُّ ما يكون الاعتزازُ - على الحفاظِ على اللغةِ ، وإنما يمتدُّ ليقومَ بوظيفةٍ هامةٍ هى الحرص على أن تظلَّ العربيةُ لغةَ الحضارة ، وفى هذا الإطار يفخرُ أهلُ العربيةِ جميعاً بما يقدمُه مجمعُكم الخالد من ترجمةٍ للمصطلحاتِ الجديدةِ فى فروعِ المعرفةِ ، وألفاظِ الحضارةِ . وها هو برنامجُ دورتِكم الحاديةِ والستين يشتمل على دراسة العديد من مصطلحات الفيزيقا ، والهندسةِ ، والجيولوجيا ، والتربيةِ ، وعلم النفس ، والتاريخِ والآثار ، والقانون ، والطب ، والموسيقى ، والحاسباتِ ، والأحياءِ ، والزراعة والرياضياتِ ، والجغرافيا .

وأرى الجُهدَ لايقفُ عندَ مجردِ اختيارِ الكلمة العربيةِ المناسبةِ للمصطلحِ الأجنبىِّ وإنما يتركُ نحو توحيدِ المصطلحِ العلمىِّ العربىِّ المتخصصِ ليقضىَ على ما أصابَ الحياةَ العلميةَ فى وطننا العربىِّ من الاختلافِ فى المصطلحاتِ بين أهلِ التخصص الواحدِ مما جعلَ لغةَ الفهمِ والتفاهمِ بينهم تحتاجُ إلى الرجوعِ إلى المصطلحِ فى لغةٍ أجنبيةٍ ، ومن ثَمَّ تفقدُ الترجمةُ إلى العربيةِ وظيفتهَا ، وإنى لآمُل معكم من خلالِ البحثِ المقدم فى الجلسة الحادية عشرةَ من دورتِكم هذه أن نخرجَ من طورِ الهمِّ فى توحيدِ المصطلحِ العلمىِّ العربىِّ إلى طورِ الفعلِ الرشيد ، ولا أحسُبنى مبالغًا إنْ قلتُ مع قائلكم فى الجلسة الثالثة : نعم لقفزةٍ علميةٍ رائدةٍ مبدعةٍ ، نخرجُ بها من دائرةِ النقلِ عن الغيرِ إلى دائرةِ المشاركةِ فى صنعِ الحضارةِ العلميةِ المعاصرة فنعطى ألفاظًا حضاريةً ومصطلحاتٍ علمية - كما نأخذ - وعند ذلك يُمكن أن نحلَّ إشكاليةَ تعريبِ التعليم العالى فى جامعاتِ الوطنِ العربىِّ حيثُ سَتصبُح لغتُنا العربيةُ كما كانت يوماً ما لغةً تُشاركُ فى صُنْعِ الحضارةِ ، ولاتكتفى بدورِ المتلقى وعندها أيضا ستصبحُ لغتُنا الخالدةُ لغةً عالميةً ، وليست مجردَ لغةٍ إقليميةٍ .

**السيدات والسادة :**

أرى فى برنامج الجلسة الحادية عشرة من دورتكم الحالية بحثاً لأستاذٍ جامعى فاضلٍ، أسهم فى الحياة الجامعية أستاذاً ورئيسا للجامعة ، وشارك فى العمل الثقافى العربى توجيها وتعليماً ، يتناول فيه مسائلَ فى تعلم العربية .

وأود أن أنتهز هذه الفرصة لأضع بين أيديكم بعضاً من سياستنا التعليمية فى تعليم العربية فى إطار المشروع القومى لمصر حتى عام ألفين لتطوير التعليم وإصلاحه إصلاحاً شاملا ، والذى دعا إليه السيد رئيس جمهورية مصر العربية الرئيس محمد حسنى مبارك ، وذلك من خلال إيمانه بأهمية التعليم، واعتباره حجر الزاوية فى الأمن القومى ، وركيزةً من ركائز الاستثمار فى التنمية البشرية ، وطريقا نحو تحقيق النصر فى معركة الحضارة والتنمية والتقدم التى تخوضها جميع دول العالم اليوم ، ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين .

فى ظل هذا المشروع القومى لتطوير التعليم تم عقد مؤتمرين قوميين لتطوير التعليم الابتدائى والإعدادى تحت رئاسة السيدة الفاضلة قرينة السيد رئيس الجمهورية ، ولقد أوصى المؤتمران - من بين ما أوصيا - بالاهتمام بتعليم اللغة العربية .

لقد حدد المؤتمر القوميُ لتطوير التعليم الابتدائى الهدف الجوهرى له - باعتباره جزءاً من التعليم الأساسى الإلزامى ، وركيزة للتعليم قبل الجامعى ، وقاعدة المنظومة التعليمية ككل- على أنه توفيُر أساسيات الثقافة والهوية القومية بمكوناتها فى المستويات الشخصية والوطنية والعربية والإنسانية ، والتى تمكن التلميذ المواطن من أن ينمى قدراته بما فيها تنمية أساليب التفكير العلمى والتفكير المنطقى لديه ومقومات المواطنة والقيم الدينية والأخلاقية ، ومن أن يسهم فى تنمية وطنه قيماً وتمسكاً ، وفكراً وديمقراطية وإنتاجا ، واستثماراً للموارد العلمية والتكنولوجية المتاحة ، وتحقيقاً لهذا الهدف الجوهرى يسعى التعليم الابتدائى إلى تنمية طاقات الطفل وقدراته .. بما يمكنه من ترسيخ الإيمان والاعتزاز بدينه وقيمه السماوية والاجتماعية واحترام عقائد الآخرين ومقدساتهم وشعائرهم .

- اكتساب المهارات الأساسية فى القراءة والكتابة والرياضيات بصورة تؤدى إلى التواصل اليسير والفعال بمختلف وسائلة من خلال اللغة القومية بين مواطنى المجتمع أخذاً وعطاء ، وحواراً ، ورأياً ، وتفاعلا ، وانتماء ً، وتحكيمًا لمنطق العقل .

وتنفيذاً لهذا الهدف الجوهرى روعى فى تخطيطِ مناهجِ التعليمِ الابتدائى إعطاء الوزن النسبى الأكبر من المعرفة لتعليم القراءة والكتابة والخط العربى ، وزيدت فى الخطة الدراسة عددُ حصصِ تعليم العربيةِ ، وأعيد للخطِ العربى مكانه بعد أن أهمل تعليمه أكثر من عشرين عاما وأكمل المؤتمر القومى لتطوير التعليم الإعدادى المسيرة فأوصى من بين ما أوصى بما يلى :

- ترسيخُ القيم الدينية وفهم الدين فهما صحيحا واحترام عقائد الآخرين بعيداً عن التعصب والتطرف ، مع التأكيد على دور الثقافة الدينية فى دعم القيم الاجتماعية

ومبادىء السلوك وعادات العمل النافع .

- تنميةُ مهارات الاتصال والتواصل من خلال الاهتمام بترسيخ مهارات اللغة العربية باعتبارها أساسا لتدعيم الهوية القومية .

الاهتمامُ بتعليم اللغة العربية بصورة تؤدى إلى استخدام الفصحى فى التحدث ، والتعبير والتعامل فى مختلف المجالات والمواقف ، مع الأخذ فى الاعتبار أن اللغة أداةٌ للتفكير والتعبير الدقيق .

وإننا نعد هذه الأيام لعقد مؤتمرٍ قومى تحت رئاسة السيدة الفاضلة قرينة السيد رئيس الجمهورية لتطوير إعداد المعلم ، ونأمل أن نجد فى توصياتكم ودراساتكم ما يفيدنا فى تطوير معلم اللغة العربية بصورة خاصة .

**السيدات والسادة :**

أرجو ألا أكون قد أطلت عليكم ، ولكنه الحرص معكم على أن نعمل سويا على تيسير تعليم الفصحى ، وتطويرها بحيث تظل إلى أن تقوم الساعةُ لغةً حيةً تستوعب كل جديد ، وتعبر عن كل مستحدث ، وأن نسعى سويا لأن تصبح اللغة العربيةُ اليومَ من لغات الحضارة المعاصرة ، ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين .

وإنَّا بعون الله لقادرون على ذلك ، ولغتُنا الخالدةُ ثريةٌ مِطْوَاعَةٌ قادرةٌ على التعبير عن كل متطلباتِ بنى البشرِ بلفظٍ سهلٍ ودقيقٍ وجميلٍ

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

**حسين كامل بهاءالدين**

**وزير التعليم**

* * * *
* * *
* *

## كلمة الأستاذ إبراهيم الترزى الأمين العام للمجمع

**السيد الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين**

**وزير التعليم**

**أستاذى الجليل الدكتور شوقى ضيف نائب رئيس المجمع**

**أيها السادة :**

**سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد ...**

فكم يعزُّ علينا أن يغيب عن منبرنا المجمعىِّ شيخ المجمعيين وعميدهم فى وطننا العربى : أستاذُنا الجليل الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمعنا ، ورئيس اتحاد المجامع العربية ، هَيَّأ الله تعالى لشيخنا أسبابَ الشفاء ، وقَيَّضَ له سُبُلَ العافية ، ومدَّ فى عمره " لنظلَّ ناهلين من علمه وفضله ، مُتَفَيِّئين وارفَ خبرته المجمعية العريقة .

ولعلكم تأذنون لى فى الإبراق بالتحية إلى عميد المجمعيين باسم نائبه أستاذنا الجليل الدكتور شوقى ضيف ، ووزيرنا الجليل الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين ، وأعضاء المجمع الأجلاء ، وباسمكم جميعاً أيها السادة ، سائلين الله تعالى أن يعجل شفاءه ، ويسبغ عليه نعمة العافية .

**أيها السادة :**

تلبيةً لواجب مجمعىّ ،على الأمين العامّ أن يُؤدِّيَه كل عام ، فى جلسة افتتاح مؤتمر المجمع - أعرضُ عليكم النشاطَ المجمعىَّ بين مؤتمرَيْنا : السابقِ واللاحق ، وهو بيانٌ أشبهُ بالتقرير ، أرجو أن يَسَعَه صبرُكم الجميل .. وسأتْلو عليكم منه ذِكْرا .

**المؤتمر السابق :**

عقد المؤتمر ثلاث عشرة جلسة ، منها أربعُ علنية : أولاها جلسة الافتتاح ، والثلاثُ الأخرياتُ لثلاثِ محاضراتٍ عامة ؛ وهى : « العربيةُ لغةُ علم راسخة » للأستاذ الدكتور شوقى ضَيْف نائب رئيس المجمع ، و« بين الثقافة والفكر » للأستاذ الدكتور كمال بشر عضو المجمع ، و« الأُسُسُ النفسيةُ والفكريةُ لتعريب الطب » للأستاذ الدكتور محمد عماد الدين فضلى الخبير بالمجمع .

والجلساتُ التسعُ الباقياتُ مغلقة ، نظر المؤتمر فيها مصطلحاتٍ في الطب والكيمياء والصيدلة ، والفيزيقا ، والنِّفط ، والهندسة ، والرياضيات ، والجغرافيا ، والقانون ، والتربية الرياضية ، كما نظر المؤتمر قراراتٍ في الألفاظ والأساليب ، واللهجات ، ومواد من المعجم الكبير .

وقدِّمتْ من الزملاء الأعضاءِ بحوثٌ عديدةٌ في الموضوع الذى كان مقترحاً في المؤتمر السابق ، وهو « تعريب المصطلح العلميّ » وبحوثٌ أخرى في شئون اللغة والعلم والأدب .

وأصدر المؤتمر في ختام جلساته قراراتٍ وتوصياتٍ منها :

* إن التعريبَ لايعْنى بحالٍ من الأحوال التّهاوُنَ في مجال تعليم اللغات الأجنبيةِ ؛ فإتقانُ لغةٍ أجنبيةٍ واحدةٍ – على الأقل – بمُسْتَوى رفيع ضرورةٌ حضاريةٌ تُواكبُ مسيرةَ التعريب وتَدْعَمُها ؛ إذْ يَتَطَّلبُ التعريبُ أن يكونَ المهندسُ أو الطبيبُ أو العالم ضليعاً في لغة أجنبيةٍ عالمية ، يتواصلُ فيها مع العلماء ومُنْجَزاتهم في البلدان المتقدمة .

* تعريب التدريس في الكليات العلميةِ العربيةِ يستلزمُ إنشاء هيئةٍ كبرى للترجمة في مصر، تَضُمُّ صفوةً من العلماء ، تنهضُ بوضع خُطَّةٍ قوميَّة للترجمة ، تُحَدِّدُ الأَوْلويّاتِ في ترجمة العلوم والتكنولوچيا ، وتُلاحِقُ التطوراتِ العصريةَ فيهما ؛ خدمةً للتعريب ، وإسراعاً به نحو تحقيق الغايات العلمية ، وتُنَسِّقُ جهودَها في الترجمة مع مراكز الترجمة ، التى تُنْشَأ على نهجها في البلاد العربية .

* يؤكد المؤتمر – اعتزازاً بهُويَّتنا العربية – ما أَوْصَى به مراراً ، من حَظْر كتابة اللافتات على المحال التجارية ، والشركاتِ وغيرِها ، بأىِّ لغةٍ غيرِ العربية ، كما يُوصى بِحَظْرِ كتابةِ الأسماءِ الأجنبيةِ بحروف عربية ، ويدعو جميعَ الدولِ والحكوماتِ العربيةِ إلى إصدار تشريعات تَحْظُرُ استخدامَ هذا الأسلوب ، وتُجَرِّمُ مَنْ يستخدمُه .

**المجلس واللجان :**

عقد مجلس المجمع خمساً وثلاثين جلسة ، منها اثنتان علنيتان استقبل فيهما ستةً من الأعضاء الجُدد ، هم السادةُ الأساتذة :

* الدكتور أحمد مستجير : نابغةُ علومِ الزراعةِ والهندسةِ الوراثية والأديُب الشاعر .

* الدكتور محمد السيد غلاب : أحدُ الأوتادِ الرّواسِي فى علوم الجغرافيا ، ورُوّادها المعاصرين .

* الدكتور محمد الأمين بسيونى : العَلَمُ القَذُّ فى العلوم الچيولوچية .

* الدكتور أحمد على سالم الصباغ : أحُد أساطينِ العلومِ الهندسية وجَهابذتها الأعلام

* الدكتور على الحديدىّ : أستاذُ الأدب العربىِّ الحديث ، وأحدُ روّادِ أدب الطفولة .

* الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعىّ أستاذُ الفلسفة الإسلامية النّابهُ الجليل .

ولاَيَدخرُ المجمعُ وُسْعًا بين الحين والحين - فى اختيار الأعضاءِ المراسلين ، من صفوة العلماء الأعلام ، فى اللغة والأدب والعلم ، من العرب والمستعربين .

فاختار المجمع من سورية : الدكتور محمد إحسان النُّص ، والدكتور محمد هيثم الخياط والدكتور محمود أحمد السيُد .

واختار من السعودية : الفريق الأستاذ يحيى بن عبد الله المُعَلِّمىّ .

ومن الكويت : الدكتور عبد الله يوسف الغُنَيْم

ومن المغرب : الدكتور محمد محمد بنشريفة .

ومن موريتانيا : الدكتور محمد المختار ولد إبّاه

**كما اختار ثلاثة من أعلام المستعربين :**

فاختار من ألمانيا : الدكتور فُولفِدِيتريش فِيشَر .

ومن هولاندا : الدكتور فردريك ليمهاوس .

ومن المجر : الدكتور شانْدُور فُودُور

وقد نظر مجلس المجمع فى جلساته الباقياتِ مصطلحاتٍ فى الطب ، وعلومِ الأحياء والزراعة ، والفيزيقا ، والحاسباتِ ، والهندسةِ ، والرياضياتِ ، والچيولوچيا ، والقانونِ ، والجغرافيا ، والتاريخِ والآثار ، والشريعة ، والتربية وعلم النفس ، والموسيقى كما نظر قراراتِ لجان : الألفاظ والأساليب ، واللهجات ، وأصول اللغة ، وستُعرض كلُّها على المؤتمر ، مع موادَّ من المعجم الكبير .

**مطبوعات المجمع :**

أصدر المجمعُ مطبوعاته التالية :

- الجزء الخامسَ من كتاب «غريب الحديث»

- الأجزاءَ الخمسة من مجلة المجمع : من السبعين إلى الرابع والسبعين .

- المجموعتَيْن : الخامسةَ والثلاثين والسادسةَ والثلاثين من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية .

**صلات المجمع الثقافية :**

شارك المجمع فى ندوة « توحيد تعريب المصطلح الجيولوجى » التى عقدها اتحادُ المجامع فى رحاب مجمع تُونُسَ الشقيق ، وكان لى شرفُ تمثيل المجمع فى هذه الندوة مع الزميل الجليل الأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن . وقد عُقدت الندوة فى الثانى والعشرين من أكتوبر وامتدتْ إلى الرابع والعشرين منه .

وقد شارك فى هذه الندوة مع مجامع دمشق وتُونُسَ والقاهرةِ مجمعان جديدان هما مجمُع اللغة العربيةِ الفلسطينىّ ، ومجمعُ اللغة العربية الليبّى ، فتحيّة لهما ، ومرحباً بهما ، فى اتحاد المجامع العربية .

ولايفوتنى هنا التنويهُ بانضمام ثلاثة من أعضاء المجمع إلى مَجرَّتِنا المجمعية ، فازوا بجوائز الدولةِ التقديرية ، وهم الأساتذُة الزملاء : الدكتور محمود على مكى الفائز بها فى الآداب ، والدكتور كمال الدسوقى الفائزُ بها فى العلوم الاجتماعية ، والدكتور أبو شادى الروبى الفائزُ بها فى العلوم الطبية .

**أيها السادة :**

سُنَّةٌ مجمعيةٌ حميدة : ألاّ يقفَ مؤتمرُ المجمع نشاطَه على نظر ما أعَدَّتْه لجانُ المجمع ، وأقَرّه مجلسُه ، وهو كثيُر كثير ؛ فالمؤتمر - مع ذلك كله - يَعْمد إلى قضية من قضايا اللغة أو الأدب أو العلم ، يَرْصُدُها للبحث والدراسة ، وقد يُعاوِدُها عاماً بعد عام ، حين تظلُّ معالجتها فى حاجة إلى مزيد ، أو يجدُّ على ساحتها جديد ، فَيُبَوِئها منزلةً من الاهتمام العلمىِّ المتواصل ، الذى يأخذُها من كلِّ أقطارها ، ويَسْبُرها فى كل أغوارها ، وبخاصةٍ حين تبلغ القضية من الأهمية أن تصبح أملاً لأمتنا العربية ؛ كقضية توحيد المصطلح العلمى العربى وتعريبهِ ، التى نُتابع معالَجتها وقضية الفصحى والعامية ، التى يُعاود

أستاذُنا الدكتور شوقى ضَيفْ معالجتَها فى محاضرة عامة ، بجلسة علنية من جلسات المؤتمر ، بعد أن عالج فى مؤتمر سابق - « لغة المسرح بين الفصحى والعامية » .

والموضوع المقترح لمؤتمر هذا العام كان بمبادرةٍ حميدةٍ من زميلنا الجليل الأستاذ الدكتور عبد الهادى التازى عضوِ المجمع من المغرب الشقيق ، ورئيس المؤتمر الدولى السادس للأعلام الجغرافية بهيئة الأمم المتحدة ، فلَقيَتْ مبادرتُه استجابةَ ترحيبٍ واحتفاءٍ من أعضاء المؤتمر السابق ، فأصدروا قراراً فى جلسته الختامية بأن يكون الموضوعُ المقترحُ لمؤتمرنا هذا العام : « الأعلام الجغرافية العربية » وَرفَدَهُ مجلسُ المجمع بمواصلة البحث فى موضوع « توحيد المصطلح العلمىِّ العربىِّ وتعريبه » .

وما أظُنُّ موضوع « الأعلام الجغرافية العربية » سيبلغُ الغايةَ من بحثه واستقصائه فى هذا المؤتمر ؛ فهو موضوع يمتدُّ مع المكان والزمانِ إلى آمادٍ بعيدة ، قديمة وحديثة ، تَقْتضِى أن يمتّد بحثُه كذلك إلى آمادٍ بعيدةٍ ، من الدراسة الفاحصة المُستَقْصِيَة ، التى تكشف الأسبابَ والعلَلَ للأسماء الجغرافية ، وإنْ كان من الأسماء مالا يُعَلَّلُ كما يقولون !

وموضوعُ الأعلامِ الجغرافية لايَتَصَّدى له إلا أولو العزم من أفذاذ العلماء ؛ فهو موضوع يتطلَّب مثابرةً ومصابرة ، وعَلماً مُلماً بأُصول هذه الأعلام فى لغاتها الشرقية والغربية ، القديمة والحديثة ، وما تَطوَّر عن هذه اللغات القديمة من لغات حديثة ، وما اتَّصلَ بها من لهجات ، وما وَصَلَ إليه بشأنها « علمُ الصوتيات » ، الذى يُحَلِّلَ ويُعلِّلُ تَطوُّرَ بعض الأعلام الجغرافية ، وما قد يَعْتَرِيها من عوامل « التَّعْرِيَة اللغويةِ أو الصوتية » ، حين تَلُوكُها الألسُنُ على مدى الأعوام ، فياقوت يقول فى معجم البلدان :

« سامَـرّاءُ بلدٌ على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخا يقال لها : « سُرَّ مَنْ رأى » فخَفَّفَها الناسُ وقالوا : « سامَرّاء » ومن طريف ما ينقلُه بشأنها عن المقدسىِّ قوله : « لمّا عُمِّرت سامَرّاءُ وكَمُلَتْ .. سُمِّيَتْ «سرُور مَنْ رأى» ثم اختُصرت فقيل : «سُرَّ مَنَ رأى» فلما خُرِّبَتْ وتَشَوَّهَتْ خِلْقَتُها سُمِّيَتْ « ساءَ مَنْ رأى» ، ثم اختُصرتْ فقيل : «سامَرّاء» ، ولزميلنا الجليلِ الدكتور إبراهيم السامَرّائىّ الذى يُنْسَبُ إلى هذه المدينة تحقيقٌ لاسمها ، مع أعلام جغرافية عراقية أخرى .

ويتطلَّبُ البحثُ فى «الأعلام الجغرافية»- بعد العلم اللغوىّ - علماً واسعاً بالتاريخ : أحداثِه وأعلامه ؛ فكثيرٌ من الأسماء الجغرافية يَنْتَسِبُ إلى حَدَث تاريخىّ ، كاسم « جبل المكبِّر » القريب من القُدس الشريف ؛ فقد سُمِّىَ بهذا لأن الخليفة الراشد الفاروقَ عمر بنَ الخطاب - رضى الله عنه - وقف على هذا الجبل مستشرفاً بيت المقدس وهو يصيح مردِّداً «الله أكبر»، وتعالت معه تكبيرات المسلمين ؛ فسُمِّى الجبلُ « جبلَ المكبِّر » . ومدينة «الفُسطاط» - العاصمةُ الأولى لمصرَ العربية الإسلامية - قصة تسميتها بهذا الاسم معروفة

ومِثْلُ ذلك كثير فى أعلامنا الجغرافية على مدى عصور تاريخنا العربىّ ، حتى نصل إلى عصرنا الحديث ، حيث يُطالِعُنا اسمُ « مدينة العاشر من رمضان » ، الذى يحملُ ذكرى أعظم نصر عربىٍّ فى تاريخنا المعاصر :

وقد ترتبُط الأعلامُ الجغرافيةُ بأحداثٍ طريفة ؛ فقد كانت « القيروانُ» عاصمة تُونُسَ الشقيقة ، ولكنَّ مَلِكَها إبراهيمَ بنَ أحمدَ بنِ الأغلب اسْتَعْصَى عليه النومُ فيها ليالىَ وأياماً عديدة ، فغادرها ضائقا بها وبنفسه ، إلى حيث يَتَلَمَّسُ الراحة فى رحاب الصحراء ، ويَتَنَسَّمُ هواءَها الطَّلْق ، فاستقبلتْه الصحراءُ السمحاءُ بالرَّحْب والسَّعَة ، ففُوجِىءَ بالأرق والسُّهاد يَشْرُدان منه فى رحاب الصحراء الواسعة ، وبالنوم العَصِىِّ الحرُونِ يلينُ له وينقاد ، واستغرقَتْه لَذَّةُ الرُّقاد ، التى هَجَرَتْه طويلا ..

ثم استيقظ الملك الأغلبىُّ من رقاده الهنىء ، وقد استجمعَ قُواه ، واستردَّ عافيتَه واستعاد بهجتَه ، فَأمرَ بإنشاء مدينةٍ فى هذا الموضع سَمّاها «رَقّادَة» ، جعلها قاعدةَ مُلكِه وحُكْمِه ، وكان ذلك عامَ ثلاثة وستين ومئتين من الهجرة الشريفة ، وصارت « رقّادةُ » من أجمل المدن وأحفلِها بالعُمران فى عصره ، كما صارت « رقّادةُ » حاضرة بلاده الثقافية ؛ فقد أنشأ فيها « بيتَ الحكمة » ، الذى حفل بالعلماء والأدباء والطُّلاّب ، فصار مجمعاً وجامعة « وأقبل إليه طُلاّبُ العلم من أُوربا ، وبخاصة من إيطاليا وفرنسا ، وبهذا نَهَضَتْ من « رقّادَةَ » حضارةٌ علميةٌ وأدبيةٌ عَبَرت البحرَ المتوسطَ إلى أوربا ، بل إن أثَرَ « رَقّادَة » يمتدُّ إلى عصرنا الحاضر ، حيث تسَمَّى مجمعُ تُونُسَ الشقيقُ باسمِ « بيتِ الحكمةِ »، الذى أُنْشِىءَ فى رَقّادَة » ! .

وإذا كان هذا من قصص الواقع الحقّ ، فهناك من قَصَص الأساطير كثير ؛ فيقال - على سبيل المثال - فى سبب تسمية « عَرفَةَ » أو « عرفات » إنَّ آدمَ وحواءَ- عليهما السلام- تعارفا فى هذا المكان بعد نزولهما من الجَنّه كما نُسِجتْ أُسطورةٌ أخرى فى تسمية مدينة « جُدَّة » ، نَسَبَتْها إلى جَدّتنا حواء !

وبين جُدةَّ وعرفةَ اختلطت الحقيقةُ بالأسطورة حول أعلام جغرافية أخرى ، مثلِ « أجياد » و« قعَيْقعان » ، وهما بمكة المكرمة ؛ فقيل فى « أجياد » إنه سُمِّىَ بذلك لأن تُبَّعاً رَبَطَ فيه خيلَه حين قَدِمَ مكة ، وقيل : لأنه الموضعُ الذى كانت فيه الخيلُ التى سخَّرها الله لإسماعيل عليه السلام . وقيل فى « قُعَيْقعان وأجياد » : إن الحرب حين وقعتْ بين الحارث ابن مضاض والسَّمَيْدَع ، خرج الحارثُ من الموضع الأول فتقعْقعَ سلاحُه فَسُمِّىَ بـ « قُعَيْقعان » ، وخرج والسَّمَيْدَعُ بخيله من الموضع الآخر فسُمِّىَ بـ « أجياد » ، وقيل غيرُ ذلك مّما يَسْتَصْفِى حقائقَه العلمية عَلاَّمةُ الجزيرة شيخُنا « حمد الجاسر » عضو مجمعنا وكذلك زميلنا عبد الله بن خميس .. وغيرهما من جغرافىِّ الجزيرةِ العربيةِ ، فيجعلون زَبَدَه يَذْهَبُ جُفاءً ، ليمكثَ من علمهم ما ينفعُ الناس .

وكم من أعلام جغرافية أخرى فى سائر بقاع الأرض لها قصصُ وأساطير ! وقد تُسَمَّى بعضُ الأعلام الجغرافية باسم حقيقتها اللغوية ، كما سُمِّيَتْ « تُهامةُ » بهذا الاسم لانخفاضها حيث يشتدّ حَرُّها ويَركُدُ هواؤُها ، وسُمِّىَ « نَجْدُ » بهذا لارتفاعه ، وسُمِّىَ « الحجازُ حجازاً » لأنه يَحْجزُ بين « تهامة » و« نجد » . وينتسب كثيرُ من الأعلام الجغرافية إلى أعلام إنسانية ، لها ذِكْرُ مأثور ؛ كما سُمِّيَتْ مدينةُ « الخليل » باسم إبراهيم الخليلِ عليه الصلاة والسلام ، وسُمِّىَ الجبل الذى رسَا عنده أسطولُ طارق بنِ زياد باسم «جبل طارق» كما سُمِّيَتْ مدنٌ ومواضعُ أخرى باسم مُنْشئِيها أو مُكْتَشفِيهَا ، وهى كثيرةٌ شَهيرة .

وللناس - أحيانًا - وَلَعُ بالتَّندُّرِ فى تسمية بعض المواضع ، وبخاصة فى مصر التى طُبع أهلُها على الفكاهة ؛ فنرى فى القاهرة «شارع أمِّ الغلام » « وسِكَّةَ بير المِسَن » ، «ودرب المهابيل» و «دربَ أبى طَبَقَ» « ودربَ غريق الزيت » ، « وقنطرةَ الذى كفر » التى سمَّوا باسمها « شارع قنطرة الذى كفر » بل صيَّروا للكلاب قلعةً ، فقالوا : « قلعة الكلاب» ، وسمَّوْا شارعاً باسم « شارع كُوعِ القرد » ، ولم يَسْلَم الجنُّ من إنْسِ القاهرة ؛ فَسَمَّوْا شارعاً باسم : « شارع الجنّ » بل إن مَلَكَ الموتِ « عزرائيلَ » نَسَبُوا إلى اسمه موضعاً بالقاهرة فقالوا : « عطفة عزرائيل » !

ولاأظُنُّ العديدَ من البلاد العربية فى المشرق والمغرب ، سَلِمَتْ من تَنَدُّرِ أهلها ، فى تسمية بعض أعلامهم الجغرافية ، التى تُشير أسماؤُها إلى أحداث فى مجتمعاتهم العربية .

أما البحثُ فى تحريف الأعلام الجغرافية الذى يكشف عن ظواهرَ صوتية يُعْنَى بها علماءُ الصوتيات واللهجات - فإنه يكشف

كذلك عن دوافع سياسية وراء هذا التحريف أو التغيير ؛ كما أصاب بعضَ الأعلام الجغرافية الأندلسية ، حيث غُيِّرتْ « طُلَيْطلةُ » إلى « تُوليدُو » و« غَرْناطةُ » إلى «جرانادا» « جبلُ طارقٍ » إلى « جِيبر الْتار » !

وفى عصرنا الحاضر تطالعنا فى فلسطينَ الشقيقةِ « يهودا والسامِرةَ » بدلاً من الضفة الغربية» ، و «أورْشَليم» بدلاً من «القدس» الشريف ، ومدينةُ « حَبْرُون » بدلاً من مدينة «الخليل» أما قرية « دَيْر طَرِيف » فقد غُيِّرَ اسمُها إلى « كَفَار ترُوحان » الرئيس الأمريكيِّ الذى فى عهده أنشئت إسرائيل ، وكمْ غُيِّرتْ من أعلام جغرافية فى الجمهوريات الإسلامية السِّتّ ، التى ظَفِرتْ باستقلالها بعد انهيار الاتحاد السوفيتى !

**أيها السادة :**

إن ما يُثيرُ الأسى والعَجَبَ أن أعلامنا الجغرافيةَ العربية ، بعد أن اعتراها ما اعتراها من تغريب واغتراب ، أخذ بعضُنا يستوردُها بفرنَجَتِها وقُبَّعاتِها ، ثم يجعلُها - دون استحياء - أعلاماً على مواضع ومَحالٍّ عربية مثلَ « تُولِيدُو » و « جرانادا » بدلاً من «طُليطلةَ» ، و« غَرْناطَةَ » ، كما أشرتُ من قبل ، ومثلَ « الهَمْبرا » بدلا من « الحمراء » اسمِ قصرِ غَرْناطة « المشهور بالأندلس » .. وغيُر ذلك كثير !

بل إنَّ منّا مَنْ يستعمل « كازابلانكا » بدلاً من « الدار البيضاء » اسمِ العاصمةِ الاقتصاديةِ للمغرب الشقيق ! .

وكما أَوَدُّ - ياسيدى الوزير - ألاَّ تَنْسَى ما خاطبتكم به فى افتتاح مؤتمرنا السابق ، وأن تَدَعَ لنا من شَواغلك وقتاً تُنْجِزُ فيه ما حَمَّلكم إيّاه المجمعُ من أمانة إصدار التشريعِ الذى يَشْفِى القاهرة من هذا الوباء الذى اسْتَشْرَى داؤْه ، بهذه الأسماء الأجنبية التى تَبْدو كالبُثُور فى وجه القاهرة العربىِّ الجميل ، كما يرجو المجمعُ أن تكونوا قد استجبتم له بشأن درجات اللغةِ العربيةِ فى إعلاءِ شأنها بين سائر الدرجات للموادِّ الدراسية .

وشكراً لكم أيها السادة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**إبراهيم الترزى**

**الأمين العام للمجمع**

# كلمة الأعضاء العرب

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائى

عضو المجمع من العراق

أقول : : والله لولاحرصى على أن أحضر مؤتمر المجمع ولقاء إخوانى وأساتذتى العلماء والأعلام وإفادتى من علمهم ومما يقدّمون من زاد وما يبسطون فى متاع لعدلت عن المجىء إليه لأنى منذ أربع سنوات آتى إليه فأشهد فى مطار القاهرة العذاب ، فقد أبقونى فى المرّة الأولى قبل أربع سنوات خمس ساعات ثم سمح الرجال الشداد الغلاظ أن أخرج مع وجود أحد الإخوان من موظفى المجمع فى استقبالى ، وهكذا فى كلّ عام ، ومازال هذا دأبهم معى لأنى معدود من القرية الظالم أهلها ، ولايدرون من أمرى وبُعدى عن السياسة وأين منى هذه ولاطوق لى أن أضرب فى مضطرب لست فى أهله .

لقد وجدتنى مضطراً أن أعرض لشىء صرفنى عن كلمة بى حاجة إليها هى أن أتوجه بتحيتى باسم الأخوة العرب من أعضاء المجمع لمجمعنا العتيد الذى مافتئ أهله وحماته يحرسون حمى العربية وأنى لأجد فى هذه اللغة التى كرّمها الله فجعلها الصوت العلى فى لغة التنزيل العزيز ميثاقاً يجمع هذه الأمّة التى فرّقتها أنظمة الحكم ليس فى عصرنا هذا بل منذ عصور خلت حتى قال أحدهم فيها فى القرن السابع للهجرة :

عُرْبٌ رأيتُ أصحّ ميثاق لِهم

ألاّ يصحَّ لديهمُ ميثاقُ

دع عنك هذا وأمسكْ بلغتكَ واجعلها ميثاقاً تجتمع عليه الأمة فتجمع شتاتها فتكون خير دليل على حضارتها ، ومتى نعى هذا ونصل إلى شىء نرضاه ؟

وإذا كنا أدركنا هذا فلنا أن نولى لغتنا ما تستحق ندرس قديمها ونقف على ماكان قد صنعه الأوائل ونفيد مما أنجزوا ، ولا نحسب

أنهم مبرّءون عن الخطأ إذ كل ابن آدم خطّاء ، وحسبهم أنهم أخلصوا النية وسلكوا الجدد فأمنوا العثار . وإذا كان هذا فعلينا أن نمضى فى المسيرة ونستدرك ما لم يتأتَّ لهم أن يدركوه .

إن عصرنا هذا يفرض علينا أن نرمّ بناء لغتنا التى جهلنا من خصائصها الكثير ، وأن نعود إلى ما كان للأوائل من إنجاز فنكمل النقص ونربأ الصدع ونرمّ البناء . ألم نرَ أن العربية محتاجة إلى أن يكون فيها جديد يقدر بالآلاف فقد عرفنا فى تقارير الأمم المتحدة أن العلم الجديد يُضاف إليه فى كل عام أكثر من ستة آلاف مصطلح ؟

إذا كان هذا فعلينا أن ندرك أن عربيّة عصرنا هى العربية المعاصرة ، وهى بناء جديد ولا أقول إنها انقطعت عما ورثناه من عربية ، ولكننا شئنا أم أبينا قد عُوِّدنا على عربية جديدة فلا يكون موضع فيها لما عُدَّ خطأً فى مطلع هذا القرن . لقد درجنا على أساليب جديدة فتغيرت الدلالة وابتعدت الأبنية ، وصار ماكان مرفوضاً منذ ربع قرن مقبولاً . وإذا كنت أعتقد ويعتقد معى أهل الحفاظ أن لخطبة الجمعة أسلوباً خاصاً تجتمع فيه آية كريمة وحديث شريف وقول مرسل مأثور وكلمات تردّدت فى أدبنا القديم ، فكيف نصدق أن من خطباء الجمعيه فى هذه الأيام من يستعمل مايدرج به الصحفيون ، فقد سمعت من يقول فى خطبته : « إن الأكثرية الساحقة من المسلمين لايعرفون حدود الله » . أقول : من أين لهذا الخطيب هذه العجمة ؟ وسمعت آخر من دعاة المعاصرة والحداثة يقول : إن الرئيس فلاناً يذرف دموع التماسيح .

أقول : إذا كنا قد وصلنا إلى هذا الحدّ ، وغفلنا عما كنّا نردّد من أن لكل مقام مقالاً ، فهل لنا أن نعود فنوطّن أنفسنا فنؤمن أن عربية العصر جديدة ينبغى أن نقف عليها وندرسها ؟

على أنى أعود فأقول : علينا أن نجد الوسائل فى العلم فيكون منا فهم للأصول من تراثنا فى نهجٍ نسلكه دون أن نضطرب فيه لنصل إلى الجديد .

إن هذا المنهج قد سلكه الأوائل ألاترى أنهم قد وطنوا أنفسهم على قبول لغة المولّدين بعد أن غبر عهد كانوا يرون فيها جحوداً وتنكّباً عن الصراط .

وإنى لأحيى مؤتمر المجمع الذى دأب على الجدّ وأدرك هذا الذى ألمعت إليه .

## أذنبى ... أدبى ؟

أَذَنْبى أنْ سَـمـا أدَبى
وأنْ أشْـرَقْتُ فى كُـتُـبى ؟
وأنّ جَـريـرتى أنّى
جَـعَلْتُ العِلْمَ مُطَّلبى
وأنّى قـد سَـعَـيْتُ إلى
رهـانٍ سـعْيَ ذى أرَب
فـهـل أدركْتُ بعضَ الفـوز (م)
أو قـاربْتُ من قَـصَبٍ ؟
وقـد يلقـاكَ من أمرىَ ( م )
مـا يلقـاكَ من عَـجَبِ
إذا مـاجـاءكَ الخطبُ
بما ألقـاهُ مـن نَصَبٍ .
وأنـى قـد أَلِفْتُ سُـرَى
على جسـرٍ من التَّـعَبِ
يـكـادُ الـهَـمُّ يـألَـفُـنـى
وآلَـفُـه عـلى وصَبِ
كـأنّى قـد وَجَـدتُ به
أخـاً ألفـيـه فـي النُّوَبِ
فـلا يَأخُـذْكَ من أمـرىَ ( م )
مـا يدعـو إلى الرِّيَبِ
وأنّى قـد سلكتُ الصَّعْبَ ( م )
أرقـى كـلَّ مُـنْـقَـلَـبِ
يقـيناً أن أصـيبَ هُدًى
فـلا أشـقـى بمُضْطَربِ
فـإنْ تَرَنى قَـصَـدْتُ الهَمَّ ( م )
أرمى رَمْىَ مـحُـتَـرِبِ
فلى درْعٌ منْ الصَّـبـر
يَقـينى عَـوْلَةَ الحَـرَبِ
وهل فى الصَّـبـرِ عـافـيـةٌ
تُدارى ضَـيمْ مُـغْـتَـرِب ؟
أطـيـحَ بـه إلـى هَـجَـرٍ
كـئـيبٍ غـامـرٍ تَرِبِ
فـهَـمٌّ بأىِّ مُلتَـهِـبٍ
مـن الآهات مُـجْـتَـلَبِ
يكُفّ الطَّرْفَ أن يَسكُبَ ( م )
وَقْـداً غـيـرَ مُنسَكِب
غـدا مـن عـامـرٍ نَزِهٍ
كـريم الرَّوض مُـؤْتَشِبِ
إلى أين ... ؟ يُجيلُ الطَّرفَ (م)
يُـذكّـى هِـزَّةَ الـطّـربِ
بـه مِن شـاردٍ عَـجِلٍ
إلـى صـادٍ بـهِ نَـصِبِ
يُؤرِّقُـه انتظارُ الطَّيْف ( م )
مَـرْمّـيـاً إلى هَرَبِ

وقد تَصرَعُه الحيرة ( م )
ما وافَتْهُ من غَضَبِ
وماذا يبتغى المُوجَعُ ( م )
هل يَسْعَى إلى غَلَبِ ؟

* * *

حَمَلْتُ هوًى إلى الأردُنِّ ( م )
لم أحْرِمْه من أدَبى
وأخْلَصْتُ إليه الدرْسَ ( م )
مِمَّا نِلتُ فى طَلَبى
وباركْتُ له زادىَ ( م )
ما أوْعَبْتُ فى كُتُبى .

* * *

ومن ثَمَّ عرانى الهَمُّ ( م )
فى طيفٍ وفى سَبَبِ
حَدانى الوجدُ فى نَبَأٍ
إلى سَبَأٍ إلى سَرَبِ
ومِلْتُ إليه لا أدرى
أحمولٌ إلى عَطَبِ .
أمِ الأيامُ تسْلُبُنى
بقيَّةَ شَوط مُكتئِبِ ؟
وقلتُ لعلَّ فى « يَمَنٍ »
بعاداً غيرَ مُرتَقَبِ
أصيرُ إليه لا زُلْفَى
ولامَلْقاً لُمنتَجَبِ

وكنت وكانَ من قَدَرى
ضَنَّى يُومى إلى شَجَبِ
ورُحْتُ أُعُدُّ بُعضَ اليوم ( م )
ألْفيه من الحِقَبِ
وقد واجَهْتُ من حالَىَّ ( م )
فى رَغَبٍ وفى رَهَبِ
وما باليتُ من أمَرىَ ( م )
فى جِدٌّ وفى لعِبِ
كأنى قد لَمَسْتُ الصدق ( م )
يُطرى بُردَةَ الكَذِبِ
فَلَمْلَمْتُ إبائى وهو ( م )
من زادى ومن حَسَبى .

* * *

وإنّى مَعْ رصيدٍ لِىَ ( م )
من عِلْمٍ ومن نَسَبِ
لأُلْفى أنّ فى هذا
وذا من عَسْكرٍ لَجِبِ
وإنى ، وشُواظ الداء ( م )
يُورى خامدَ اللَّهَبِ
لأ صْعِدُ رَتْلَ أنفاسى
يَرِنُ علىَّ فى صَبَبِ

أزحْ ما رَثَّ من هَمٍّ
وخَذْ ما كان من كَثَبِ
فإنّ عجائبَ الدُّنيا
بَدَت فى عصرنا الخَربِ
فهل تَقسو فتظلِمَنى
إذا شمَّرتُ فى أدَبى ؟
أقِلْنى بعضَ هذا الظلمِ ( م )
وانسُبْنى إلى النُّجُبِ
إلى القوم الذين هُمُ
عَلَوا قَدْراً مِن العَرَب
غُذُوا بالطِّيبِ من كَرَمٍ
ومن أمٍّ لهم وأبِ

ولا تعجَبْ إذا ما كانَ ( م )
فيهم أشرَفُ الرُّتَبِ
ففيهمْ كلُّ مُنْتَخَبٍ
وفيهم كلُّ مُختَسِبِ
ولَسْتُ بُمحْرزٍ ماهامَ ( م )
فيه القومُ من نَشَبِ
سِوَى ولَهى ببنتِ الضادِ ( م )
قد أوعَبْتُها خُطَبى .
وعِرْقٍ زانَنى شَرَفاً
وُصِلتُ بهِ بخيرِ نَبى

**إبراهيم السامرائى**

عضو المجمع

من العراق

## ٥ - لغة الشعر ...!

## (تحية إلى مؤتمر المجمع)

قصيدة للأستاذ حسن عبد الله القرشى

سَطَعتْ منذُ بدتْ شمسُ زَمانٍ — لغـةٌ خارقـةٌ مُـعْـجِـزةٌ
وزَهَتْ وهَّاجَـةٌ بالصَّـولَجـانِ — جَـمَـعَت آلاؤُها شَتَّى المعَـانى
عَـذُبتْ فـجـراً ، وعِطْراً ، وندًى — لغـةُ الشِّعـرِ وكَمْ من حِكْمَـةٍ
وسَمتْ كالُّدرِ فى جِيدِ الحِسانِ — صاغَها الشِّعر لِبؤسَى أولَيانِ
فى نَسيجٍ عَبقَرىٍّ أزْهَرتْ — أنزلَ اللّه بها فُرقَانَهُ
مِثلُ ما أخْصَبَ زَهْرُ الأُقْحوانِ — يَتفَدَّى من سَناه الثَّقَلانِ
صانَها الخلاَّقُ ما أعظَمَهُ — هُوَ دُستُورٌ لِمَنْ قد حَكَمُوا
فحوتْ من فَضْله عَذبَ المجَانى — صَالحٌ للخَلْقِ فى كُلِ مَكانِ
وَجلتْ آياتِه بَاهِرَةً — لوتَمسَّكْنابه لانقَشَعتْ
وَهداهُ الفذُّ ، والسَّبْعَ المثانى — غُمَمٌ ، وانجابَ إعْصارُ الدُّخانِ
قد تولاَّهَا بها لُبُّ النُّهَى — وَمَشْينا قِمماً شَامِخَةً
مُثُلاً عُلْيا . وأقطابَ بَيانِ — فَوْقَ هَامِ الكوْن فى رفعةِ شَانِ !
باشتقاقٍ ، واصطِلاحٍ فَبدتْ — مَنَ عذيرى . والمَصَابيحُ خَبتْ
تتهادَى غَادةً فى المِهْرَجانِ — والأناشيدُ غَدتْ رَهْنَ هَوانٍ ؟
إنَّها الفُصْحى وأكْرِمْ بالَّذى — والمآسِى شُرَّعٌ لاتَنْتَهى
فَجَّرَ الفُصْحى على خَيرِ لسانِ — والمناراتُ أسِيراتُ ارتِهانِ

---

ألقيت هذه القصيدة فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر المجمع بتاريخ ٢٦ من شوال سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٢٧ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٥ م .

ورِفَاقُ الجُرحِ في غَفوتِهِمُ
سادرُوا الأحْلام. مَحصورُ والكيانِ !

* * *

يابني الإسلام يا هَدْى الوَرى
والمجدُّونَ لِتحقيقِ الأمَاني
والأُلى كَمْ رَفَعت أمّتُهُمْ
راية الفتحِ بأطرافِ السِّنانِ
بَهَرُوا الدُّنيا بإرغام العدى
لم يَلينوا لِوَغًى أو عُنْفُوانِ
قد مُنينا بسلام شَائِهٍ
الشريكان بِهِ مُنقَبِضانِ
هُو سَلْمٌ خَادِعٌ مُنكفِئٌ
سوفَ ينهارُ صَريعاً في الرِّهانِ
جاءَ كي تضلعَ فيه أمّةٌ
نَسِيتْ أمجادَها أخْطَرَانِ
وَمَشتْ حائرةً هائمةً
كحصانٍ شَبَّ من غيرِ عِنانِ
شَرِقت ، واستسلمْت حتّى غدَتْ
رَهْنَ خِذْلانٍ ، وذلٍ ، وامتهانِ
( الزغاريدُ ) به مُقْبِضَةٌ
والتحيّاتُ وليداتُ اضْطِغَانِ
أي سَلْمٍ ضَائِعٍ مُنْحَرِفٍ
أخرسٍ رُغْمَ صَفَاقانِ القِرانِ

فانتهاكُ ( القُدْسِ ) يُدمِي كَبدي
فَهْيَ و (الكعبةُ) دَوْمًا توأمانِ
وعَلى ( الجوُلانِ ) أطيافُ الوَغَى
فـ (يَهوذا) صِيغَ من حَرْبٍ عَوانِ
شِرعةُ الحقِ أمَانٌ خَالدٌ
لَيْس من غدْرٍ به أوْ شَنَآنِ
وُرؤى عُلويّةٌ من مَلأٍ
آثروا شِرعتَهم دُونَ امتنانِ
حَفِظوها ذِمّةً من ( أحْمدٍ )
ورَعَوها في تضاعيفِ الجَنَانِ
هي إرْثُ الغدِ للجيلِ الّذي
عَاشَ محفوفاً بنارِ الحدَثَانِ !

* * *

جئتُ أَستنخِي الأُلى في مَجْدِهِمْ
صَعْقةُ الشُّهْبِ وأشْذاءُ الجِنانِ
أمّةَ العُرْبِ وما شَطَ المدى
(خالدٌ) منهم أخو السَّيفِ اليمَاني
و(عليٌ) منهمُو فَذُّ الحِجى
مَن أضَاءتْ من سَناه النيِّرانِ
و(الرشيدُ) النجدُ مِصباح الدُّجى
وابنُه (المعْتصِمُ) الماضي الطِّعانِ
والبهاليلُ بتاريخٍ حَوَى
مُثُلَ العِزّةِ غابَ السِّنْديانِ

أنْ يُفيقوا من رُؤَى غشْيتِهم

ويُعيدوا عَهْد قربَى وتداني

ويَفيئُوا لالتمام ، وَهُدًى

فهم الأعْلَونَ في كُلِ امتِحانِ

إنَّ نَصْر اللهِ مَعقودٌ لنَا

إنْ نَصرناهُ .. بِظلِ المعمعانِ !

***

(مَجمع الفُصحَى) أتَينْا زُمَراً

نتروٌ اكَ شَذَى أثْلٍ وبَانِ

نَتراءك تُراثاً عَبِقاً

ونرَى الماضيَ موصلَ الأوانِ

حَفَل الماضى بأ فْذاذِ النّهَى

وسَمَا الحاضِرُ بالفِكْر المُصَانِ

ونحيِّي فيكَ حِصناً باذخاً

شُعلةُ المجدُبه ذُخْرائتِمانِ

كلَّ عام نَجتلى مُؤتَمراً

تَرتَدى فيهِ عُقوداً من جُمانِ

وتُبا هيِ بالألَى قد وَفَدوا

لِلقاءٍ حَفَّه الشُّوق المُدانى

لَهُمو من عِلْمِهم مَنزلَةٌ

فذَّةٌ ميد إشارات البنانِ

عِشْتَ للفُصحى مَلاذاً خالداً

رَمْز إعْجازٍ ، ونبراسَ افتنانِ !

**حسن عبد الله القرشي**

عضو المجمع المراسل من السعودية

# بحوث ومحاضرات

# أولاً : بحوث
# ألقيت فى المؤتمر

# الإدريسى
## صحاب « نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق » ★

للأستاذ الدكتور عبد السميع محمد أحمد

---

يصف المسلمون العرب « علم الهيئة » فيقولون إنه علم وصف الأرض : ساكنها ومتحركها ، بحارها وأنهارها وخلجانها ، رياحها العاصفة ونسميها . ولم يسمها المسلمون « جغرافيا » كما كان يسميها بطليموس(١) . وأول وجود علم الهيئة كان برسم صورة الأرض على أساس قياس خطوط الطول والعرض ، وأول من رسم الأرض على هذا الأساس محمد بن موسى المعروف بالخوارزمى فى زمان المأمون فإنه عين مواقع المدن والبحور بالدرجات مبنية على علم الفلك ، ثم ترك المسلمون العرب المقاييس بالدرجات وصاروا يرسمون الخرائط اعتماداً على زوايا يضعونها فى مقدمة رسمهم فاختلط بذلك موقع المدن كما حدث فى أوائل القرن الرابع الهجرى حين رسم الخرائط أبو زيد البلخى ثم رسمها بنفس الطريقة ابن حوقل والإصطخرى والمقدسى فى أواسطه .

على أن الأبعاد بين المواقع حددت بعد ذلك ، وأقدم من عينها جماعة منهم الإدريسى .

والإدريسى هو أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن إدريس الحمودى الحسنى ، على اختلاف المؤرخين .

وقد توفى الإدريسى فى عهد روجار الثانى ، وبناء على أمره ، على كتابة كتابه : نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق» ، على اختلاف فى عنوان كتابه .

---

(١ ) أول ماسميت « جغرافيا » فى العصر الحديث سنة ١٣١١ م . - دائرة المعارف الإسلامية .

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الثالثة من مؤتمر المجمع بتاريخ ٢٧ من شوال سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٢٨ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٥ م .

وقد نَشَر هذا الكتاب كاملا العالمُ الإيطالى جوزيبى توتس بدءا من سنة ١٩٥٥ حينما اتفق مع مطبعة الحكومة الإيطالية على نشر كتاب علمى ، وكوّن له لجنة من العلماء درست الكتاب باهتمام والتزام بقواعد العمل فى نشره إلى جانب لجنة باشرت العمل ، تحت رعاية المعهد الإيطالى لدراسة الشرقين الأوسط والأقصى .

وأخذت لجنة العمل تجوب الآفاق للبحث عند أصوله وبقايا المخطوطات بالمكتبة القومية بباريس وبمكتبات بودلين وصوفيا واسطنبول والقاهرة والموصل ولينتجراد وجمعت أصوله وقارنت بينها وضحت نتائج مقارناتها ورموز أصحاب هذه المقارنات فى هوامش الكتاب [١] .

وذكر الإدريسى ، وهو من نسل النبى (صلى الله عليه وسلم) ومن ثم يلقب بالشريف، فى مقدمة كتابه ويبلغ تسعة أجزاء من القطع الكبير : « إن أفضل ما عنى به الناظر واستعمل فيه الأفكار والخواطر ماسبق إليه الملك المعظم رجار المعتز بالله المقتدر بقدرته ملك صقلية وإيطالية وإنكبردة وفلورية ( معز ) إمام رومية الناصر للملة النصرانية إذ هو خير من ملك الروم بسطاً وقبضًا وصرف الأمور على إرادته إبرامًا ونقضاً ودان فى ملته بدين العدل واشتمل عليهم بكنف التطول والفضل .... وافتتح البلاد شرقاً وغربا وأذل رقاب الجبابرة من أهل ملته بُعداً وقربًا بما يحويه من جيوش متوافرة العُدد والعَدد وأساطيل متكاثفة متناصرة المدد صدق فيها الخُبر الخبر وتساوى فى معرفتها السمع والبصر ... ثم جمع إلى كرم الأخلاق طيب الأعراق مع شجاعة النفس وصفاء الذهن وغور العقل ... والمعرفةِ بتصاريف الأمور من نهاية الفهم الثاقب ومراقبة كالهم الصائب ... »

وفى هذا النص يذكر الإدريسى فضائل رجار الثانى ، ابن رجار الأول فاتح جزيزة صقلية «ومنتزعها من يدى العرب بعد أن بقيت معهم نحو ثلاثة قرون ، كما تقول هونكه فى كتابها » .

شمس الله تطل على الشرق ، الذى ترجمه إلى العربية الدكتور فؤاد حسنين . وقد ظلت المعالم العربية سائدة حتى بعد فتح الجزيزة ، ومن أبرزها هذا الكتاب

( ١ ) ترجمت هذه المعلومات من الإيطالية أ . د . سوزان بديع إسكندر أستاذ الأدب الإيطالى والترجمة بكلية الألسن ، ج . عين شمس .

العربى اللفظ البليغ الكلمة . وسنعود إليه إن شاء الله ، بعد قليل .

ومن مزايا النص أنه يزكر فى شوال سنة ٥٤٨ هـ . الموافق يناير من سنة ١١٥٣ م . اهتمامه بمآثر الملك رجار وتوحيده الشرق والغرب . ( على ماذكر الإدريسى » وأساطيله المحيطة ، وبلاده التى أحاط بها ، وأخلاقه : من العدل ، وطيب الأعراق ، وعطاياه الزواخر .

ويذكر معرفته بالعلوم والرياضيات ، فيقول الإدريسى :

وأما معرفته بالعلوم الرياضيات والعمليات فلا تدرك بعد ولاتحصى بحد ... فمن بعض معارفه السنية ونزعاته الشريفة العلوية أنه كما اتسعت أعمال مملكته وتزايدت همم أهل دولته وأطاعته البلاد الرومية . وأحبَّ أن يعرف كيفيات بلاده حقيقة ويقتلها يقينا وخبرة ، ويعلم حدودها ومسالكها برا وبحرا وفى أى إقليم هى وما يخصها من البحار والخلجان الكائنة بها مع معرفة غيرها من البلاد والأقطار فى الأقاليم السبعة ... بطلب ما فى الكتب المؤلفة فى هذا الفن من علم ذلك كله » ...

وفى النص السابق يجد القارئ معلومات رجار الرياضية ، وحبه لمعرفة حدود بلاده الخاضعة له ، وحدود غيره من الأقاليم السبعة ، والكتب والمراجع التى قرأها وراجعها الإدريسى . وأجاب الإدريسى عن ذلك كله .

إن السبب الحقيقى الذى دفع الإدريسى لكتابة ماكتب هو قراءته بعض المراجع التى لم يجد فيها طلبته ، فلم يجد الوصف الذى يصف به الأقاليم السبعة : نظام الحدود والمسالك لها ، وما يختص به كلُّ بلد من عوائد ، وتجارة ولغة ، وما يختص بمؤا كلاتهم وما يخص الخارج والداخل فيها .

وإن السبب كذلك أمر رجار له بأن يترجم كل ذلك فى كتاب ، شأن جميع الكتاب حين يضعون أسباب لكتبهم .

وكذلك فيما صنعه رجار من من كرة الفضة الخالصة تكون عنوانا لملكه ولما يصفه فيها ، من وزن أربعمائة رطل رومى ، كل رطل منها مائة واثنا عشر درهما ، وأن ينقل العمال فيها صور الأقاليم السبعة وأقطارها ، وسوقها وريفها ، وخلجانها وبحارها ، وعامرها وغامرها ، وما بين كل بلاد منها من طرق

ومسالك ، وأن يرسم كل شئ على « هيئته وصورته ، وأن يُؤلَّفَ له كتابٌ يجمع كل ذلك ؛ وسمى هذا الكتاب باسم يختاره هو ، «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » .

أما الكتب التى قرأها الإدريسى ولم يجد فيها طلبته فقد عددها بنفسه فى كتابه ، وهى :

كتاب «العجائب» للمسعوى (ت ٣٤٦ هـ .) ، وكتاب أبى نصر سعيد الجيهانى، وكتاب أبى القاسم عبيد الله بن خَرّداذبة ( ت أواسط القرن الثالث الهجرى » وكتاب أحمد بن عمر العذرى ، وكتاب أبى القاسم محمد الحوقلى البغدادى ( أواسط القرن الرابع الهجرى ) ، وكتاب خاناح بن خاقان الكيمائى ، وكتاب موسى بن قاسم القردى ، وكتاب أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبى (ت ٢٧٩ هـ . [١]) ، وكتاب إسحق بن الحسن المنجم ، وكتاب قدامة البصرى ، وكتاب بطلميوس الأقلودى وكتاب أرسيوس الأنطاكى .

والأقاليم السبعة التى عناها الإدريسى وغيره ممن ألف فى علم الهيئة أو فى الجغرافيا فتبدأ من بحر الظلمات ( المحيط الأطلسى ) وتنتهى ببحر الصين ، ومن الجنوب الربع المسكون من الأرض . وقد وصف الإدريسى فى كتابه شكل الأرض بعد ما قدم أن خط الاستواء يقسم الأرض قسمين وأن الجغرافيين يتبعون ماذكره بطلميوس الأقلودى وماكتبه غيره ممن ألف فى علم الهيئة ، وأن هذه الأقاليم السبعة كانت معروفة لدى المؤلفين المسلمين العرب ، وكانت معروفة لدى صاحب معجم البلدان وأشار إليها كثيرا .

وبعد المقدمة لكتابه يبدأ الإدريسى حديثه عن الإقليم الأول بقوله : « وها هنا نفضى إلى ذكر الجزء الأول من الإقليم الأول والحمد لله رب العالمين » .

ويقّسم الإدريسى الإقليم الواحد إلى أجزاء عشرة غير البدء والنهاية ؛ فعدد أجزاء الكتاب أو عدد صوره ، ( والتعبيران مأخوذان من كتابه ) ، اثنان وسبعون صورة .

**ويقول فى الصورة الأولى :** « وأول ما أبتدئ به من ذلك الكلام على صورة الأرض المسماة بالجغرافية كما سماها بطلميوس

( ١ ) السنوات المبينة ليست من صنع الإدريسى .

ووصفها به ومن الله نستمد المعونة والتوفيق والتسديد فى كل منهج وطريق فهو جلت قدرته بذلك جدير وعليه قدير » .

**ويقول فى الإقليم الأول :** « إن هذا الإقليم الأول مبدؤه من جهة المغرب من البحر الغربى المسمى ببحر الظلمات وهو البحر الذى لايعلم ماخلفه وفيه هناك جزيرتان تسميان بالخالدات ومن هذه الجزائر يبدأ بطلميوس بأخذ الطول والعرض ... » ( حـ ١ /١٧ ) .

ويصنف بعد ذلك المدن ومايوجد فيها ويسير إلى موقع النيل ، فيتحدث عن مجراه وعدد جزره التى يضمها فرعه إلى انقسامه ، ثم ضم فرعيه الرئيسيين بعد القسمة ، شرقه وغربه ، وكثرة مائه وقلته ، ويقول :

« إن الناظر إذا نظر إلى هذه الصفات المصورة (صـ ١٣ - ١٤ من نفس الجزء ) والبلاد المذكورة رأى منها وصفا صحيحا وشكلا صبيحا ... » ( حـ ١ صـ ١٧ ) .

فالصورة التى عناها الإدريسى هى نفس تصويره وما كتبه فى هذا الكتاب .

وفى الجزء الثالث من الإقليم الثالث ( حـ ٣ / صـ ٣١٧ إلى صـ ٣٤٦ ، وهو آخر الجزء ) : بعد أن يتحدث عن « أسوان » ويلحقها بإقليم النوبة ويصف الطريق من «برقة» إلى « الإسكندرية :

« يدخل النيل الغربى منها (الإسكندرية) تحت أقبية دورها كلها ....» وبعد أن يصفها وصفا كاملا ، يتحدث عن النيل ومدته وكوره وقراه ، مدينة مدينة ، حتى أسوان .

**وفى الإسكندرية :** يتحدث عن المنارة حديثا ممتعا ، وعن ارتفاعها ، وأن المراكب ترى النار فى وسطها من بعيد فتعرف مكانها وتهتدى . وفى القاهرة ، ويسميها الناس كما سماها الإدريسى « مصر » يعنى «الفسطاط» ، يصف « دار المقياس » وصفا ممتعا ، وكيف يصل ماء النيل إليها ، وعمود المقياس وماكتب عليه ، ويقول « أخبر الحوقلى فى كتابه أن لها سحرا ، «وبها مسجدان جامعان للجمعة والخطبة » ( حـ ٣ / ص ٣٢٤ س ٢) :

**وفى مدينة الفيوم :** يذكر سبب تسميتها « الفيوم » ( حـ ٣ / صـ ٣٢٨ / ٥ من أسفل ) . ويذكر الإدريسى « وادى اللاهون » ونهره وإجراء الماء فيه ، وإقطاع يوسف عليه

السلام هذه المدينة . ويصف كل مدينة فى النيل حتى «أسوان» فيذكر كيفية الوصول إليها ، وطول المسافة بين ما قبلها وما بعدها ، وفر روعاتها ودخلها وخرجها ، وأسواقها إن وجدت ومواعيد عقدها . وهكذا فى الأقاليم السبعة . وفى نهاية كل جزء يذكر الإدريسى : نجز هذا الجزء ، أوهذا الإقليم .

**وفى أول الجزء الثانى أو الإقليم :**

يذكر ما يشتمل عليه الجزء من المدن أو البلاد ، وما سوف يصنعه فيه .

**ويقول فى الجزء العاشر من : الإقليم السابع :**

« إنّ هذا الجزء العاشر من الإقليم السابع كله مظلم لا عمارة فيه ألبتة ولايعلم ما خلفه فهذا جميع ما اتصل إلينا من أوصاف الأرضين من معمور وغير معمور فتبارك الله رب العالمين وهو على كل شئ قدير والله تعالى حسبنا ونعم الوكيل .

وهنا انقضى الكتاب المعروف بنزهة المشتاق فى اختراق الآفاق والحمد لله رب العالمين ( حـ ٨ / ص ٩٦٣ / س٢ » .

وهذا الكتاب ، كما نرى من نصوصه المدونة هنا ، خالٍ من علامات الترقيم المعروفة، ( فاصلة ، وفاصلة منقوطة ، ونقطة ، وعلامات استفهام أو تعجب ) ،

ووليه جزء تاسع ينتهى بصفحة ١٠٩٠ وكله ما نشر فى هوامش أجزائه الثمانية .

وأسلوب الإدريسى فى كتابه ينتمى إلى عصر ابن العميد ، وهو مزدوج الفقرات ، مسجوع فى المواضع التى يجوز فيها الازدواج ، والسجع ، وتعبيراته رصينة ، والتكلف فى ذلك غير ملاحظ إذا نظر أنه فى عصر يجوز فيه ماصنعه الإدريسى .

وقد جاءنى هذا الكتاب جزءا جزءا وآخر ما جاءنى كان الجزء الثامن ، وتاريخ وصوله ٧/٥/١٩٨٠م .

**أما الجزء التاسع والأخير :**

فتاريخ انتهاء طبعه كان يونيو ١٩٨٤م. وبقى كتاب « المحبين لدراسة الترحال فى بقاع الأرض» وعسى أن يصلنى إن شاء الله كما وصل إلى «نزهة المشتاق» ، بعناية ورعاية الأستاذ الدكتور كليليا سارنيللى تشاركوا أستاذ وعميد معهد الدراسات الإفريقية والشرق أوسطية ، وهو معهد بين معاهد كثيرة جامعية فى نابلى بإيطاليا ، فشكرا كثير لعنايتها ورعايتها .

**عبد السميع محمد أحمد**

عميد الألسن الأسبق

عضو المجمع

# الأعلام الجغرافية - دراسة فى تكونها وفلسفتها*

للأستاذ الدكتور يحيى جبر

**مدخل :**

عاش الإنسان دهرا على الأرض دون أن تكون به حاجة إلى تسمية المواقع التى مر بها أو عاش فيها ، وما نراه اضطر إلى ذلك إلا بعد ان استقر فى أماكن بعينها ، واعتاد السير فى مسالك معلومة ، لأن تلك المواقع كانت قد أصبحت جزءا من معرفته ، ومعرفة قومه ، فأطلقوا عليها أسماء هى بمنزلة العلامات ، من شأنها أن تميز موقعا عن موقع ، وتستحضره فى مخيلة السامع ... وهكذا المعارف كلها .. تراكمات مكتسبة تولدها الحاجة على نحو ما نجده فى قول الجاحظ من أن « البيان ضرورى للاجتماع ، وهو الذى جعله الله تعالى سببا فيما بينهم ، ومعبرا عن حقائق حاجاتهم ، ومعرفا لمواضع سد الخلة ورفع الشبهة ومداواة الحيرة ... » ( الحيوان - طبعة البابى الحلبى ١٣٥٧ هـ - تحقيق عبد السلام هارون ١/٤٤ ، ٤٥ ) .

والحديث عن الأعلام الجغرافية لا يختلف عن الحديث عن أعلام الناس وغيرهم ، ذلك أن العلم - هو بمعنى العلامة ، وكلاهما يقومان دليلا على المعلوم - لا يكون إلا بالتحديد عن قصد ، وبنية مسبقة ، فما أكثر ما يمر به الإنسان من مواقع ، ويراه من نجوم ... ولكن قليلا منها اختص بعلاقة مميزة بالإنسان . ليجد نفسه مضطرا إلى تمييزه بعلامة (عَلَم) أو وسم (اسم) ، والاسم إن لم تكن معنيا بمدلوله ومسماه فإن معرفتك وجهلك به يستويان ، ككثير من الناس وهم جميعا يعرفون بأسمائهم ، تمر بهم لا يعنونك ، ولا تجد

---

★ ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة من مؤتمر المجمع بتاريخ غرة ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ . الموافق الأول من أبريل (نيسان ) ١٩٩٥ م

فى نفسك حاجة لمعرفة أسمائهم ، تماما على نحو ما يظهر فى قول الشاعر :

ونحن الثـــريا وجـــوزاؤها

ونحن الســماكــان والمرزم

وأنتم كــواكب مـخــسـولة

ترى فى الســمـاء ولا تعلم

إذ نراه جعل قومه كأعلام النجوم ، وجعل الآخرين كسائر النجوم التى نرى فى السماء دون أن يعرفها الناس بأسمائها ، لأنها ليست من نجوم الأخذ (المنازل) ولا هى من نجوم الهداية .

وأسـمـاء الأعـلام تواضع واصطلاح ، والأكثر فيها أن تكون مرتجلة أو أعجمية لا مساغ فيها للاشتقاق (ياقوت الحموى - معجم البلدان بيروت ١٩٥٥ ، ١ / ١٥) ومنها كثير نقل على جهة التخصيص وقصر الدلالة ، ولكن الواضع لم يفعل ذلك دون فلسفة توجه التسمية ، بل كان ينطلق من علاقة بين الاسم والمسمى على نحو ما سنوضحه فيما بعد (راجع بحثنا حول العلاقة بين الاصطلاح ومدلوله ودورها فى إشاعته وانتشاره ، مجلة التعريب ، العدد الثامن) وهى مما يختلف من أمة لأخرى ، ومن زمان لآخر ، وذلك لارتباطها بمستوى التمدن ومنهج التفكير . وفى هذا المعنى يقول جرجى زيدان (التمدن الإسلامى - القاهرة ١٩٥٨ ٢/٢٦٦) :

« إن لأسماء الأعلام تاريخا طويلا فى علم العُمران ، وهى تختلف صورة ومعنى باختلاف العصور ، وباختلاف الأمم ، فكل أمة تختلف التسمية فيها عما سواها ، وتختلف فى الأمة الواحدة باختلاف أدوار تمدنها » .

وتدخل دراسة الأسماء الجغرافية ، والأعلام منها بوجه خاص فى ما يعرف بعلم الـ Onomastic ، أى فلسفة الإنسان فى تسمية ما حوله ، وفى علم الـ Toponomy الذى يبحث فى الأعلام الجغرافية والمكانية (انظر يوسف توتى - المعجم الجغرافى - المقدمة) .

ونستعرض فيما يلى أبرز مذاهب العرب فى تسمية الأعلام الجغرافية ، انطلاقا من بضعة معاجم ، ومن معرفتنا الشخصية .

**أبرز مذاهب العرب فى تسمية الأعلام الجغرافية :**

## أولا - تسمية الموقع باسم أول من سكنه ، أو نسب إليه :

وهذا منهج قديم نجد له جذورا فى التوراة (انظر مقدمة كتابنا معجم البلدان الأردنية والفلسطينية - عمان ١٩٩١ ، ص ٣ ) وعليه

درج كثير من علماء العربية فى تخريج أسماء بعض المواقع ، يقول جرجى زيدان فى هذا الصدد ( المرجع السابق ٢/ ٤٠) : « وقد بالغ العرب فى الرجوع إلى الأجداد حتى رجعوا بأسماء المدن إلى أسماء بعض أجدادهم ، والغالب أن ينتهى النسب بأحد آباء التوراة ، فإذا سئل أحدهم مثلا عن الأندلس من بناها قال : بناها أندلس بن يافث بن نوح .. » انظر الماوردى - الأحكام السلطانية ١٩٤

ولو استعرضنا معجم البلدان لياقوت الحموى لوجدناه يعيد أسماء كثير من المواقع والبلدان إلى أسماءِ من بنوها أو نزلوها ابتداء . **ومن قبيل ذلك** :

- **ألهان** : مخلاف باليمين سمى بألهانَ بنِ مالك بن زيد من قحطان (١/ ٢٤٨) .

- **تبالة** : التى تقع فى الطرف الشرقى من عسير جنوب السعودية ، سميت بتبالة بنت مدين ابن إبراهيم فى ما ذهب إليه ابن الكلبى ، وبتبالة بن مكنف بن عمليق وَفقا لياقوت (٢/ ١٠) .

وقد فعل الهمدانى مثل ذلك ، فنجران (على الحدود السعودية اليمينية) مسماه بنجران ابن زيدان بن سبأ ابن عبد شمس (الأكليل فى أخبار اليمين وأنساب حمير . الكتاب العاشر - ط السلفية ، القاهرة ١٣٦٨ ١/ ١٤) .

- **والحبش** : درب بالبصرة ، سمى بحبش كان عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، أسكنهم هناك (ياقوت - المشترك ١٢٠) .

- **وثور** : جبل بمكة سمى بثور بن عبد مناة ، أول من سكنه (ابن بنين ، اتفاق المبانى وافتراق المعانى - تحقيقنا ، دار عمار - عمان ١٩٨٥ ص ٨٢ ) .

- **وقائم بن احمدينى** : بلدة بمنطقة جازان، سميت بالرجل على ما ترى (العقيلى ١٨٣) .

- **والقرافة** : اسم مقبرة بالفسطاط ، وهما قرافتان متصلتان : الصغرى ، وبها قبر الإمام الشافعى - والكبيرة .. وكانتا فى أول الأمر خطتين لقبيلة من اليمن هم بنو قرافة من المعافر بن يعفر ، ثم صارتا مقبرتين (المشترك ٣٤١) .

- **قلت** : طريف أن المصريين راحوا يستخدمون كلمة القرافة بمعنى المقبرة مطلقا ، فانتقلت بذلك من الخصوص إلى العموم .

- **حضرموت** : وقيل فى تسميتها غير قول ، منها إنها سميت بحضرموت بن يقطن بن عابر بن شالخ (ياقوت ٢٩٢/٣ وجواد على (المفصل ١٢٤/٢) .

- **أبو حامد** : علماً على جبل بصقلية كان يعرف باسم Erixe ، ويعرف الآن باسم San Joliano (أحمد زكى - قاموس الجغرافية القديمة . القاهرة ١٣١٧ ص ١٩) .

**ثانيا - تسمية العلم بصفته :**

وهذا من باب إقامة الصفة مقام الموصوف . وهو من أبرز الموجهات التى تقف وراء تخصيص بعض الأسماء أعلاما لمواقع بعينها ، وذلك أن الموقع يشتهر بين الناس بصفة لا يلبث حتى يعرف بها ، فتستقر فى الأذهان علماً عليه . **ومن أمثلة ذلك :**

- **المزمزَمة** : علما على بئر فى موريتانيا ، كان أحدهم قد صب فيها ماء من بئر زمزم (مقلد ١٦٧) فكأن الأصل : البئر المزمزة ، فشاعت الصفة حتى ساغ الاكتفاء بها عن المركب الوصفى .

- **الجماء** : علماً على ثلاث عيون بالمدينة المنورة (المشترك ١٠٦) والمعنى : التى تجم كلما نُزفت ، أى يجتمع فيها الماء من جديد .

- **السوانى** : جميع سانية ، وهى قرية فى الشُّقيق من تهامة عسير (العقيلى ١٢١ ) .

وأعرف بلدة قرب طرابلس الغرب تحل الاسم نفسه ، والأصل أن السانية هى الناقة التى يسنى بها الماء ثم توسع القوم فى دلالة الكلمة حتى أطلقت على الآبار التى يسنى ماؤها ، ثم ازدادوا فأطلقوها على المزارع التى تروى بها ، وأعقب ذلك إطلاق اللفظ على الأحياء والقرى التى تكتنف ما سبق ، حتى بالرغم من أن العُمران اكتسح المزارع وأحالها إلى مبان وعمارات .

- **المنشار** : اسم مكان كثير الرؤوس الجبلية بليبيا ، ولذا سمى به (الزاوى ٣٢٥) وهو كما ترى ، مسمى بصفته .

- **السوداء** : بلدة أعرفها فى الجنوب السعودى تقع على قمة سوداء فى جبال عسير تطل على رجال ألمع فى تهامة ، وهى إلى جانب ذلك كثيرة الشجر ، ومن الناس من يسمى سلسلة جبل السراة من الطائف جنوبا باسم ساق الغراب لدقتها وسوادها ، على التشبيه .

**ثالثا - قصر الدلالة :**

وهو أنْ يُطلق على الموقع اسم جنسه علماً عليه دون سواه ، وذلك كثير فى كلام العرب ، وهو من باب تخصيص العام ، مفرداً كان ذلك أم جمعا ، معرفة كان أم نكرة . ونستعرض فى ما يلى طائفة من الأمثلة توضح ما سلف .

- **البيداء :** علماً على أرض ملساء بين مكة والمدينة (ياقوت - البلدان ١/٥٢٣) والبيداء أصلا هى الصحراء .

- **الرهوة :** علماً على عدة أماكن ، منها رهوة التى تقع إلى الشمال من درب بنى شعبة من منطقة جازان السعودية (العقيلى ١١١) ، ورهوة تنومة من بلاد بنى شهر السعودية أقمت بها عامين ، والرهوة فى اللغة من الأضداد إذ تأتى بمعنى ما ارتفع من الأرض . وما انخفض (ابن بنين ٢١٦) .

- **الجبل :** علما على ثمانية مواضع استناداً إلى ما ذكره ياقوت فى المشترك (ص ٩٤) والجبل فى اللغة معروف .

- **الرملة :** علماً على خمسة مواقع استناداً إلى ما ذكره ياقوت فى المشترك (ص ٢١٠) والرملة فى اللغة معروفة ... ومن ذلك رملة فلسطين ، وهى أشهرها على الإطلاق .

وقد أحصينا أكثر من خمسة وسبعين علماً من جنس ما تقدم ، تنتشر مسمياتها فى أرجاءٍ مختلفة من الوطن العربى .

**رابعا - التسمية بالمصادر المائية :**

كان للماء أثر بالغ فى توجيه نمط الحياة العربية قديما ، ومن هنا لم يكن غريبا أن نجد كثيرا من الأماكن سميت بأحد مصادر المياه التى تكون فيها ، **ومن ذلك :**

- **الأحساء :** الإقليم السعودى المعروف وغيره ، مفرداً ، مثل : حسى وحاسى (مسعود مثلا) فى الجزائر و جمعا ، على نحو ما نجده فى قول زهير :

كأن سحيله فى كل فجر
على أحساء ب عؤودٍ دعاء

( المشترك ١٤) والحسى فى اللغة هو الماء تنشفه الأرض من الرمل ، فإذا صار إلى صلابة أمسكته ، فتحفر عنه الناس نحواً من متر وتستخرجه .

- **الأبيار :** مدينة فى الشرق الليبى . وهى مسماه بجمع «بئر» الماء .

- **الحمّة** : وبالتصغير " الحميمة علماً على أربعة عشر موضعاً (المشترك ١٤٦) ، والحمة هى العين تسيل بماء حار .

- **رأس العين** : علماً على مواقع كثيرة ، قديمة ( المشترك ١٩٧)

- **الثهى** : علماً على عدة مواقع ( المشترك ٤٢٦ ) والنهى والتنهية والتنهاة هى منتهى المسيل إلى الرياض ونحوها .

- **العين . العيون . العوينات** : أعلاماً على بلدان ومواقع فى الإمارات العربية والسودان وليبيا وعُمان وموريتانيا .

**خامسا : التسمية بنبات أو حيوان أو غير ذلك مما يكثر وجوده فى الموقع :**

وربما تم ذلك بالحيوان أو جزئه أو نسبة إليهما ، وبالنبات وموضعه ، وأمثلة ذلك كثيرة جداً ، ومنها :

- **الأفاعى** : علما على واد قرب القلزم (السويس) من أرض مصر (ياقوت ٢٦٦/١) .

- **الخنزيرة** : علماً على بلدة بجازان جنوب غرب السعودية ، قرب قرية الجعافرة (العقيلى ٩٨) .

- **الذئبة** : علماً على موضع ذكره ياقوت (المشترك ١٩٥) .

- **كراع الناقة** : علماً على واد فى موريتانية فيه شجر كثير (مقلد ١٥٤) وأراه سمى به لجامع الشبه فى طولهما .

- **الجوش** : وهو الصدر من الدابة ، ويطلق علماً على بلدة فى سفح جبل نفوسة (الغربي) بليبيا ، قال الزاوى (ص ١٠٨) كأنها مأخوذة من الجوش بمعنى الصدر لأنها واقعة فى سفح الجبل . وقد سمعت أهل تهامة رجال المع يسمون أسافل سفوح الجبل أصداراً وصُدُراً

- **القمرى** : علماً على بلدة بجازان (العقيلى ١٩١) .

- ومن ذلك فى فلسطين حمامة ، وفى موريتانية مدينة نواكشوط، إذ يرى بعضهم أن الأصل فى اسمها «نواق الشط» جمع ناقة ، والشط هو الشاطىء ، شاطىء الأطلسى .

- ومن التسمية بالنبات ، الأثلة ، واحدة الأثل ، وهو من شجر الحمض ، منابته الرمال ، وورقه دقيق كالإبر ، وقد استخدم

هذا الاسم علماً على عدة مواقع ذكرها ياقوت (البلدان ١/٩١ والعقيلى ١/٥١) ، وربما سموا بمصغره ، الأيثل . كقول قتيلة بنت النضر أو أختُه :

ياراكباً إن الأثيل مظنة

من صبح خامسة وأنت موفق .

- **والسنطة** : شجرة الشوك المعروف كالطلح والقرظ ، وقد أطلقت علماً على قرية بمصر (المشترك ٢٥٧) .

وغير ذلك كثيرة ، والعلل التى تكمن وراء إطلاق الأسماء أعلاماً على المواقع الجغرافية كثيرة جدا إلى درجة يتعذر حصرها وإحصاؤها، ولذلك نكتفى بما تقدم ، لننتقل إلى البحث فى الأعلام الجغرافية من حيث تركيبها .

**ابنية الاعلام الجغرافية :**

يمكن تصنيف الأعلام الجغرافية من حيث أبنيتها وتراكيبها إلى عدة أقسام ، وذلك باعتبارات مختلفة ، تماما كما هى الحال فى أعلام الناس (انظر ابن هشام قطر الندا وبل الصدا ص ١٣٣ وما بعدها) إذ أن ثمة ما يعرف بعلَمَ الشخص ، كزيد وعمرو ، ويناظرهما فى المواقع والبلدان مكة والقاهرة ، وذؤالة للذئب ، ويناظرها فى الأعلام الجغرافية تَحُوط وكَحْل علمين على السنة الجدبة ، ومَحْوة علما على ريح الشمال .

**والاعلام :** من باب آخر ، إما مفردة أو مركبة ، ومن الأول فى الناس زيد ، وفى البلدان ونحوها صنعاء ، أما الثانى ، فهو على أربعة أوجه هى :

**١ - مركب إضافى :**

مثل دارة جلجل ، وبيت المقدس ، ووادى الآجال جنوب ليبيا ، وسوق السبت فى السعودية والمغرب ، ودير دبوان فى فلسطين وكفر الشيخ فى مصر ، وخشم القرية فى السودان ، وهجرة زهير ، ووادى حلى وهما فى السعودية .

**٢ - مركب وصفى مثل :**

المدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، والواحات الداخلة والخارجة والربع الخالى ، والصحراء الكبرى والنعام الوارد ، والنسر الواقع من نجوم الأخذ ، التى هى منازل القمر .

**٣ - مركب إسنادى مثل :**

سر من رأى ، وحضرموت .

**٤ - مركب مزجى مثل**

**بعلبك** : وبنغازى ، وجدّايم (جود دائم) .. بليبيا .

ويمكن تقسيم الأعلام الجغرافية إلى مثل ما تقسم له أسماء الناس ، فمنها ما هو اسم ، ومنها ما هو لقب وكنية ، وكل ذلك على تشبيه المكان بالإنسان والحيوان ، إذا نجد من المواقع ما سمى بالمركب مبدوءًا بالأب والأم مثل : أبو المظ والمظة بلدة قرب بيشة فى السعودية ) ورمان البر ، ينور ولايعقد وأبو التبع نبع الماء ، أوجمع نبعة ، وهو الشجر الذى تصنع منه القسى وهما علمان على موضعين يقعان قريبا من بيش بتهامة عسير (العقيلى ٥٣) .

والمكان أبو كذا ، أى ذو كذا ، تماما كقولهم ذو الخَلَصَة ، علما على صنم كان بتبالة، وذات عرق ، وما بدىء بالأم ، بمعنى ذات أيضا ، كأم الأرانب علما على بلدة بليبيا ، وأم القرى علما على مكة المكرمة ، وأم عبيد علما على الأرض الخلاء ، وأم مرزم علما على ريح الشمال ، وأم أوعال علما على هضبة باليمامة ، (ياقوت البلدان ٢٤٩/١) وأم الطيور علما على منطقة بعينها فى موريتانية (مقلد١٥٨) وأم قيس علما على بلد فى الأردن ، وأم درمان فى السودان معروفة.

وينسجم مع ما تقدم تسميتهم المواقع والبلدان بابن كذا أو بنت وبنات كذا ، ومن ذلك « ابن غراب » علما على موقع قرب مسلاته بليبيا ، وبنات نعش علما على مجموعة نجمية تظهر فى نصف الكرة الشمالى. وابن مزنة علماً على القمر . كقول ابن أحمر :

كأن ابن مزنتها جانحًا

فسيط لدى الأفق من خنصر .

أما صرف الألقاب أعلاما على المواقع الجغرافية فكثير جداً ، ومن ذلك الفيحاء والشهباء علمين على دمشق وحلب على التوالى ، والمضنونة علما على بئر زمزم ، وغير ذلك . ونعتقد أن هذه الألقاب صفات فى الأصل ، وأنَّ ما كان مستخدما فى الأصل هو المركب الوصفى ، ولما شاع استخدامه طويلا ساغ الاجتزاء بالصفة عن المركب فكان .

**أعلام فى مبنى *الفعل* :**

من الملاحظ أن نسبة الأعلام الجغرافية التى جاءت على وزن الفعل أكبر من نسبة ذلك فى أعلام الناس . وقد اجتهدنا فى البحث عن علة توجه ذلك فلم نظفر بما يقنع ، **ومن أمثلة ذلك :**

- **تجيب :** علما على خطة بمصر ، سميت باسم قبيلة تجيب من كندة ، أول من سكنها (ياقوت ٢ / ١٦) .
- **تدمر (تتمر ، لعلاقة بالتمر فيما نرى)** سميت بتدمر بنت حسان بن أذينة بن السميدع (ياقوت ١٧/١) قلت : وتسمية البنت بهذا الاسم يشبه التسمية العبرية «تامارا» بمعنى الحلوة كالتمر .

- **تبشع** : بلد بالحجاز لفهم (ياقوت ٢/١٣)
قلت : واسم واد فى عسير .

- **تدوم**: موضع ذكره لبيد (ياقوت ٢/١٩) .

- **تروق**: اسم هضبة (ياقوت ٢/٢٨) .

- **تريم وشبام**: علمين على موضعين بحضرموت (ياقوت ٢/٢٨) .

- **تذكر**: اسم موضع (ياقوت ٢/٢٧) .

- **تصلت** : اسم موضع وماء لبنى إنسان من جشم . (ياقوت ٢/٣٢) .

- **تضارع** : تضرع ، تعكر ، تعمر ، تغوث ، تقوع ، تقيد ، تكتم وغيرها مواضع ذكرها (ياقوت ٢/ ٥٠ - ٦٨) .

ويمكن تخريج هذه الأسماء بكونها جملا فعلية وقعت صفات لمسميات بعينها ثم شاعت حتى استغنى بالجملة الفعلية (الفعل) عن الموصوف .

**التفسير الأسطورى لبعض الأعلام:**

يقف المطالع فى كتب البلدان كمعجم ياقوت الحموى على كثير من الأعلام الجغرافية التى خصت بأسمائها لعلاقة لا سبيل إلى الأخذ بها ، وتعود إلى حكايات خرافية ، لاسيما تلك التى تقوم الأدلة على تسميتها لعلاقات صحيحة مختلفة .

فمن المعروف أن مدينة نابلس الفلسطينية سميت بهذا الاسم نسبة إلى أسرة فلافيا نيا بولس ، وهى نظير مدينة نابولى الايطالية، ولكن الحموى يخرج تسميتها بطريقة مختلفة، محللا الاسم إلى مركب إضافى « ناب لس » مفسرا «لس» بأنها حية كانت تسكنها ،وهو نابها. (ياقوت/نابلس) .

كما نعتقد أن الحكاية التى ساقها ياقوت (أجأ/سلمى - ١/ ٩٤ ، ٩٧) فى تعليل تسمية جبلى طىء هى من قبيل ما تقدم ، فقد ذهب إلى «أجأ» وهو علم مرتجل لاسم رجل سمى به الجبل ، ويجوز أن يكون منقولا ، ومعناه الفرار كما حكاه ابن الأعرابى ، يقال : أجا الرجل : إذا فر ، وسلمى اسم امراة ، وكان من خبرها أن رجلا من العماليق يقال له أجأ بن عبد الحى عشق امراة من قومه يقال لها سلمى ، وكانت لها حاضنة ويقال لها العوجاء، وكانا يجتمعان فى منزلها حتى نذر بهما أخوة سلمى ، وهم الغميم والمضل وفدك وفائد والحدثان ، وزوجها ، فخافت سلمى فهربت هى وأجا والعوجاء وتبعهم زوجها وإخوتها ، فلحقوا سلمى على الجبل المسمى سلمى فقتلوها هناك فسموا المكان بها ، ولحقوا أجا

بالجبل المسمى بأجا ، فقتلوه فسمى به ، وأنفوا أن يرجعوا إلى قومهم ، فسار كل واحد إلى مكان ، فأقام به فسمى ذلك المكان باسمه .

وشبيه بذلك تسمية وثنى أساف ونائلة ، والنجوم قلاص النجم والحويجزين (الفرقدان) وقلاص النجم على التشبيه بقلاص الإبل ، وحضرموت ( جواد علي ١/١٢٤ ) .

ويبدو أن الجغرافيين العرب ، كانوا يرون أنفسهم ملزمين بتفسير الأسماء ، ولعلهم كانوا يرون فى تسمية الأعلام الجغرافية بمن سكنها أو ملكها مخرجا سهلا فأكثروا من ذلك ، وربما تكلفوا غيره . جاء فى تعليل تسمية تباله (ياقوت ٢/١٠) إنها «سميت بتبالة بن مكنف من بنى عمليق ، وزعم الكلبى أنها سميت بتبالة بنت مدين بن إبراهيم . ولو تكلف متكلف تخرج معانى كل الأشياء من اللغة العربية لساغ أن يقول : تبالة من التبل ، وهو الحقد ...» فتبالة ابن فى رأى ، وبنت فى رأى آخر ، وأن شئت فهى من التبل ؟؟

**مصادر الأعلام الجغرافية :**

**١ - الأصل العربى :**

تعرف معظم البلدان والمواقع بأسماء عربية خالصة ، سواء أكانت تسميتها وضعا وابتداء ، أم كانت نقلا من أسماء مواقع فى الجزيرة العربية . فقد أطلق المسلمون العرب على الأماكن التى دخلوها بعد الإسلام أسماءها ، ومنها ما أسموه باسم موقع أو بلد مما عرفوه فى جزيرة العرب ، ذلك أن من شأن الشعوب أن تكرر فى أسماء الأعلام سواء فى ذلك المواقع والبلدان وأعلام البشر ، وأكثر ما يكون ذلك تعلقا بالمسمى به . جاء فى (المشترك ١٥) «فاتفاق الأحَصّ وشبيب متجدد والأخص شبيب بحلب عجب ولا أبعد أن تكون قبائل ربيعة انتقلت من نجد والشام فسموا هذه بتلك على وجه التعلل والتشوق إلى أوطانهم وقد فعلوا ذلك فى نجران ، ودومة ، الجندل ، وغيرهما ، ولما انتقل بنو هشام إلى الأندلس سموا بلاده بأسماء بلاد الشام » وانظر أيضا ص ٤١٦ . والمطالع فى الأطلس العربى يقفُ على كثير من الأعلام الجغرافية المتفقة هنا وهناك .

**٢ - الأصول الأعجمية :**

ونعنى بذلك الأعلام الجغرافية التى تنتمى للغات غير العربية ، ومن هذه الأعلام ما يقع فى الجزيرة العربية ، ولكنه مسمى باسمه

لعلاقة بالفرس أو بالروم أو بغيرهم . فكلمة «بيشة» (علما على مدينة تقع فى الجنوب السعودى) تعود لأصل فارسى يعنى حائط النخل ! «وزنجبار» هى بر الزنج العربية ، ولكنها مركبة وفقا للقاعدة الفارسية فى تقديم المضاف إليه على المضاف ، ومن الأعلام رومانى كالإسكندرية (المشترك ١٦ موصفا) والإسكندروية ، وطرابلس ، فى لبنان وليبيا ، ونابلس وقيسارية فى فلسطين .

ومنها يونانى كقورينا ودرنة فى ليبيا ، وكوستى فى السودان ، وغير ذلك .

**٣ - الأصول المحلية - إن صح التعبير :**

ونعنى بها الأعلام التى تنتسب للغات السكان الأصليين قبل امتزاجهم بالمسلمين العرب ، كما هى الحال فى كثير من الأعلام الجغرافية فى المغرب العربى ، التى تعود للغات التماشق والفلانية والشلحية والقبائلية وغيرها من لغات البربر ، وقد مثل ذلك فى أسماء بعض البلدان والمواقع فى مصر ، لا سيما التى تبدأ بشبين وميت وشبرا ، وهذه المفردات ترتد بأصلها إلى القبطية والفرعونية . ونظير ذلك أعلام كثيرة تنتشر فى السودان كواو ورمبيك وجوبا ونيمولى وغيرها ، مما يعود إلى مجموعة اللغات النيلية التشادية .

كما يقف المطالع فى أطلس بلاد الشام والعراق على كثير من الأعلام الجغرافية التى تعود أصولها إلى اللهجات العربية العادية (اللغات السامية فى اصطلاح آخر) كأسماء بعض البلدان الفلسطينية مثل : عورتا ، عنبتا ، خربتا التى تحمل الطابع الآرمى السريانى ، وجديتا فى الأردن ولبنان من الفصيلة نفسها ، إضافة إلى بعض المواقع التى تحمل أسماء كردية فى العراق ، أو كنعانية أو عبرانية فى فلسطين وغير ذلك كثير .

* * *

وخلاصة لهذا البحث نستطيع أن نقول : إن الأعلام الجغرافية ، كغيرها من الأعلام ، إنما كانت إنطلاقا من فلسفة وجهت واضعيها وأغرتهم بها ، وهى أنواع شتى من حيث أصولها وأنواعها ، وقد تطورت عبر العصور ، وكثرت حتى صح لدى الإنسان أن يرمز لها بالحروف والأرقام ، وهى تلقى الضوء ساطعا على مذاهب الناس فى تسمية ما حولهم من المواقع والبلدان ، إضافة إلى ما يكشفه بعضها من أوجه التطور الدلالى والاستخدام المجازى للمفردات .

**يحيى جبر**

رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطينى

# المصادر


- مقلد ، محمد يوسف - موريتانيا الحديثة ، بيروت ١٩٦٠
- الزاوى ، الطاهر - معجم البلدان الليبية ، القاهرة ١٩٦٨
- الجاحظ - الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة البابى الحلبى القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .
- زيدان ، جرجى ، تاريخ التمدن الإسلامى القاهرة ١٩٥٨ ، منشورات دار الهلال .
- العقيلى ، المعجم الجغرافى للبلاد السعودية ، مقاطعة جازان . طبعة الرياض ١٩٦٩ج ١ .
- ياقوت - معجم البلدان ، طبعة بيروت ١٩٥٥
- المشترك وضعا والمفترق صقعا ، بعناية فردناندوستنفلد . جوتنجن ١٨٤٦

ابن بنين - سليمان ، اتفاق المبانى وافتراق المعانى - تحقيق د. يحيى جبر ط دار عمار، عمان 1985

- جبر ، يحيى ، معجم البلدان الأردنية والفلسطينية ، منظمة التحرير الفلسطينية دار اللوتس ، عمان ١٩٩١
- زكى ، أحمد ، قاموس الجغرافية القديمة . القاهرة ١٣١٧ هـ .
- الهمدانى ، محمد بن الحسين ، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير . الكتاب العاشر المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٦٨ هـ .

# مدخل
## لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية فى إسبانيا
### للأستاذ الدكتور محمود على مكى

**تمهيـــد :**

لسنا فى حاجة إلى تأكيد ما خلفته الحضارة الأندلسية على أرض شبه جزيرة إيبريا ( أى إسبانيا والبرتغال ) من آثار فى كل مظاهر الحياة ، ولعل خير ما يصور هذا التأثير هو اللغة ، فقد احتفظت اللغتان الإسبانية والبرتغالية بقدر كبير من المفردات العربية أصبح جزءا لايتجزأ من ذخيرة هاتين اللغتين ، وهى ظاهرة تميز لغتى هذين القطرين عن سائر اللغات الأوربية . وقد تشاركهما فى ذلك أيضا اللغة الإيطالية التى انتقل إليها عدد لا بأس به من الألفاظ العربية ، وذلك من خلال الوجود العربى الذى استمر قرونا فى جزيرة صقلية وفيما يتاخم هذه الجزيرة من أرض قلورية Calabria فى جنوبى إيطاليا ، على أن ظاهرة التأثير اللغوى العربى أوضح بكثير فى إسبانيا والبرتغال ، إذ إنه كان أطول زمنا وأوسع رقعة . كذلك علينا أن ننبه إلى أن كثيرا من الألفاظ العربية التى انتقلت إلى اللغات الأوربية إنما كان انتقالها عن طريق اللغة الإسبانية بوجه خاص .

وكما اهتم الباحثون بدراسة تأثير اللغة العربية فى الإسبانية والبرتغالية فقد كان موضوع الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية فى البلدين مما شغل الباحثين أيضا منذ زمن طويل . وطبيعى أن يكون الرعيل الأول من هؤلاء الباحثين من الإسبان منذ منتصف القرن الثامن عشر حينما بدأت مراجعة تاريخ إسبانيا والاهتمام بإعادة النظر فى عصوره الأندلسية بروح أكثر تجردا وأقل تعصبا مما كان عليه الأمر فى القرنين السابقين حينما حملت كراهية الإسلام المفكرين على محاولة طمس الماضى العربى وتجاهل تأثير الإسلام الحضارى .

وقد كان أول من عمل على كتابة التاريخ الإسلامى لشبه الجزيرة فى ظل هذا الاتجاه الجديد هو خوسيه أنتونيو كوندى José Antonio Conde (١٧٦٥ - ١٨٢٠) الذى كان أول مؤلف إسبانى يكتب تاريخا

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة من مؤتمر المجمع بتاريخ ٣ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٣ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م .

كاملا لما سماه « الاحتلال العربى لإسبانيا » ، وقد صدر هذا الكتاب بعد وفاته فى سنة ١٨٢٠/١٨٢١[١] .

وكان كوندى قد كتب قبل ذلك بسنوات (فى ١٧٨٧) مقدمة للمعجم الإسبانى اللاتينى العربى الذى وضعه الراهب فرانسسكو كانيس جعل عنوانها « أهمية معرفة اللغة العربية لدراسة تاريخ إسبانيا »[٢] . وفى هذه المقدمة التى بين فيها أنه لا غنى عن معرفة العربية لتبين أصول كثير من الألفاظ الإسبانية أشار أيضا إلى أن هذه المعرفة ضرورية لتبين أصول عدد كبير من الأعلام الجغرافية الإسبانية ، ثم طرح بعد ذلك مشروعا طموحا لكتابة « معجم جغرافى لإسبانيا » ، ووضع تخطيطا لمواد هذا المعجم واقترح أسماء من يمكنهم العمل فيه .

ويعد فرانسسكو كوديرا Francisco Codera (١٨٣٦ - ١٩١٧) مؤسس المدرسة الاستشراقية الإسبانية الحديثة ، وقد كان من أكثر الباحثين تجردا ونزاهة فى الحكم على الحقبة الإسلامية من تاريخ إسبانيا . وإليه يرجع الفضل فى نشر ما سُمّى بالمكتبة الأندلسية التى أصدر منها عشرة مجلدات ، وكان معظم هذه المجلدات معاجم لتراجم علماء الأندلس . وقد أمدته هذه الكتب بعدد كبير من الأعلام الجغرافية ، واستهوته مقابلة هذه الأسماء على أسماء المواضع الإسبانية الحالية ، فقام برصدها فى بطاقات أورثها تلاميذه من بعده ، فانتفعوا منها فى دراساتهم .

وأبرز هؤلاء التلاميذ ثلاثة ، أولهم إدواردو ساڤيدرا Eduardo Saavedra (١٨٢٩ - ١٨٩٨) الذى نشر دراسة قيمة بعنوان « جغرافية إسبانيا كما يصورها كتاب الأدريسى »[٣] . والثانى هو فرانسسكو سيمونيت (١٨٢٩ - ١٨٩٧) صاحب الدراسة الخاصة «بوصف مملكة غرناطة بحسب كتاب معيار الاختبار لابن الخطيب»[٤] وفيها عنى بمقابلة الأعلام الجغرافية فى كتاب الوزير المؤرخ المشهور لسان الدين بن الخطيب على أسماء المواضع الحالية فى آخر دول الإسلام فى الأندلس ، وهى التى تشمل غرناطة والمرية ومالقة . وأما المستشرق الثالث فهو أليمانى بولوفر الذى نشر دراسة وافية حول « جغرافية شبه جزيرة إيبريا طبقا لكتابات الجغرافيين العرب»[٥] .

وقد شارك بعض العلماء الأوربيين فى بحث موضوع الأعلام الجغرافية ذات الأصول

العربية . وكان من أولهم هامر بورجشتال فى بحث نشره فى سنة ١٨٥٤(٦) ، وقد سجل فيه أسماء ٨٣٣ موضعا ، غير أن معظم ما أورده من اشتقاقات هذه الأسماء من الأصول العربية كان خاطئا مما ذهب بقيمة هذا البحث المبكر فى الموضوع .

أما فيما يتعلق بالبرتغال فإن أهم ماتم من دراسات حول أعلامها ذات الأصول العربية هى التى قام بها المستشرق البرتغالى دافيد لوبس(٧) .

وقد توالت بعد ذلك أبحاث جزئية اشترك فى إصدارها باحثون إسبان وأوربيون حول أعلام بعينها لم تكن أصولها العربية معروفة ، فاستطاع هؤلاء إماطة اللثام عنها ، كما أحرزت الدراسات الخاصة بالموضوع تقدما كبيرا بفضل ماقام به عدد من اللغويين من أبحاث حول القواعد الصوتية والصرفية التى حكمت انتقال الألفاظ العربية إلى الإسبانية . وأهم هذه الأبحاث هى التى قام بها أرنالد شتايجر فى كتابه حول « صوتيات لغة أهل الأندلس وصقلية »(٨) ، ورامون مننث بيدال فى كتابه « أصول اللغة الإسبانية »(٩) ، ثم الدراسة الجامعة التى اضطلع بها عضو مجمعنا المراسل فيديريكو كورينتى ، وهى بعنوان « تخطيط نحوى لمجموعة اللهجات الأندلسية »(١٠) .

وأول دراسة جامعة للأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية هى التى قام بها العالم الإسبانى ميجيل أسين بلاثيوس بعنوان «دراسة للأعلام الجغرافية العربية فى إسبانيا »(١١) وقد جمع فى هذا الكتاب أسماء نحو ألف وخمسمائة موضع أرجعها لأصولها العربية وألحق بالكتاب قائمة بنحو أربعمائة وخمسين علما رجح أنها من أصول عربية وإن لم يستطع معرفة الأصول التى أخذت عنها . وهو جهد تتجلى فيه سمات كل عمل ريادى بما فيه من ميزات ووجوه نقص ، فقد كان موفقا فى تتبع أسماء هذا العدد الكبير من أسماء المواضع وفى الاهتداء إلى أصول اشتقاقها ، غير أن الكثير من المواضع الأخرى قد فاته ، فمن المؤكد أن قائمة الأسماء تزيد على ما جمع أضعافا مضاعفة ، وأن فى تحقيقه لأصولها ما يحتاج إلى تصحيح وإعادة نظر فى ضوء ما تكشفت عنه النصوص والدراسات الكثيرة التى نشرت خلال السنوات الأخيرة . وعلينا أن نذكر أن قائمة أسين بلاثيوس قد وضعت منذ أكثر من نصف قرن أحرزت خلاله الدراسات

الأندلسية تقدما هائلا سواء من ناحية الكم أو الكيف .

**ملاحظات عامة :**

١ - كان شبه جزيرة إيبريا منذ أقدم عصور التاريخ ملتقى لهجرات كثيرة متعاقبة قادمة إليها من الشرق أو من شمال إفريقيا أو من الشمال الأوربى . وقد كان الفينيقيون من أول الجماعات التى هاجرت من السواحل الشامية وامتدت مستوطناتها على طول الساحل الإفريقى الشمالى ، ثم فى جنوبى إسبانيا حيث أنشأوا عددا من المدن التى كانت من أزهر مدن العالم القديم . ومنها جادر Gadir ومالاكا Malaka . ويرجع تاريخهما إلى نحو القرن الحادى عشر قبل الميلاد . ومن المعروف أن الفينيقيين شعب سامى وأن لغتهم تنتمى إلى نفس المجموعة اللغوية التى تنتسب إليها العربية . فلفظ «جادر» مشتق من القدرة ، وقد حرفه الرومان إلى جادس Gades وحافظ العرب على صيغة اللفظ فأطلقوا على المدينة اسم قادس ، وهى بإسبانية اليوم Cádiz . أما مالاكا فاسمها مشتق من لفظ الملك وأطلق عليها العرب اسم مالقة ، وعرف الرومان هذا الاسم ولو أنهم أطلقوا عليها اسما آخر هو ترجمة للفظ الفينيقى فسموها Reggio أو Reyyo المشتق من لفظ Rex أى الملك ، وعرف العرب هذا الاسم أيضا فسموا به المنطقة التى كانت مالقة قصبتها ، وكانوا يعرفون معنى اللفظ ، فابن سعيد يقول فى وصف مالقة «ويكفيها من الإطناب مايتضمن شرح اسمها ، إذ معنى ريُّه عند النصارى ( يعنى الرومان ) سلطانة ، فهى سلطانة البلاد »(١٢) .

٢ - وخلال القرن السادس قبل الميلاد نشأت على سواحل شمال إفريقيا دولة قوية جديدة هى قرطاج Cartago والقرطاجيون ينحدرون من الفينيقيين وهم ورثة دولتهم ، وقد استطاعوا فى امتدادهم على سواحل البحر المتوسط أن يستولوا على أجزاء كبيرة من جنوبى إسبانيا وسواحلها الشرقية ، واختطوا مدينة سموها قرطاجة الجديدة ، وهذا هو اسمها الرومانى Cartago Nova ، ولم يبتعد العرب فى تسميتها كثيرا عن هذا الاسم الرومانى ، إذ أطلقوا عليها قرطاجنة وهو بالإسبانية اليوم Cartagena ، وما زالت هذه المدينة تعد من أهم القواعد البحرية الإسبانية .

٣ - وعلى أرض شبه الجزيرة أنشأ القرطاجيون حضارة زاهرة استمرت على مدى نحو ثلاثة قرون ونصف قرن . ثم بدأ النزاع بينهم وبين الرومان فدارت بين الجانبين حربان طويلتان الأولى كان ميدانها جزيرتا صقلية وسردانية ، وذلك فيما بين سنتى ٢٦٤ و ٢٤١ ق.م. ثم تجدد القتال فيما يعرف باسم الحرب البونية الثانية بين سنتى ٢١٨ و ٢٠٢ ق.م. وانتهت بهزيمة القرطاجيين واندثار دولتهم فى شبه الجزيرة . ومنذ هذا التاريخ بدأ غزو الرومان لإسبانيا ، ولكنهم قوبلوا بمقاومة شديدة من قبل أهل البلاد ، فلم يتمكنوا من بسط سيطرتهم على البلاد إلا بعد قرنين من الزمان . وابتداء من القرن الميلادى الأول تبدأ البلاد فى الاصطباغ بالصبغة الرومانية ، فيتخذ أهلها اللاتينية لغة لهم ، ويبدأ الرومان فى تقسيم البلاد إلى مقاطعات إدارية وفى تشييد عدد كبير من المدن الجديدة، وكان الرومان مغرمين بالعمران والعناية بتشييد المبانى البالغة الفخامة .

٤ - وفى أواخر القرن الرابع الميلادى بدأ انحلال الامبراطورية الرومانية ، فتعرض شبه جزيرة إيبريا لغزو القوط ، وهم شعب جرمانى بدوى شديد المراس ، واستطاع هؤلاء فى سنة ٤٠٩ للميلاد الاستيلاء على شبه الجزيرة . ولم يضف القوط شيئا إلى عمارة الرومان ، بل إن الاضمحلال أصاب كثيرا من المدن التى أنشأها الرومان حتى كاد كثير منها يتلاشى ويندثر . وأما الريف فقد كان أسوأ حالا ، وتحول المزارعون إلى مايشبه العبيد(١٣) .

٥ - وحينما فتح العرب شبه الجزيرة لم يروا حاجة إلى التوسع فى إنشاء مدن جديدة ، وإنما اكتفوا بتنمية المدن التى أنشأها الرومان والتوسع فى عمارتها ، واحتفظوا بأسمائها الرومانية القديمة محرفة بعض الشئ بما يتفق مع طبيعة لغتهم مع اختصارها قليلا فمثلا مدينة Hispalis أصبحت إشبيلية ، و Caesar Augusta ( أى مدينة القيصر أغسطس ) : سرقسطة ، و Augusta Emerita : ماردة . وTarraco : طركونة . وهناك مدن كانت فى طريقها إلى الضمور والاضمحلال مثل Iliberris التى سموها إلبيرة ، فرأى المستوطنون العرب أن ينتقلوا إلى موضع مجاور لها كان قلعة صغيرة ، فاتخذوها قاعدة وحاضرة للإقليم بعد أن تزايد

العمران فيها وإن كانوا قد احتفظوا باسمها اللاتينى أيضا ، وهى غرناطة Granada .

**مدن عربية جديدة :**

لابن خلدون فى « مقدمته » مقولة تلقفها أهل العصبية من المستشرقين المبغضين لحضارة العرب والإسلام ، وهى « أن المبانى التى كانت تختطها العرب يسرع إليها الخراب ... وذلك لقلة مراعاتهم لحسن الاختيار فى اختطاط المدن ... فى المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعى »(١٤) . والحقيقة أن ابن خلدون حينما تحدث عن العرب فى هذا النص وفى غيره من نصوص الكتاب فهو إنما يقصد الأعراب البدو . وإلا فإننا نجد العرب الذين دخلوا الأندلس قد اختطوا فى هذه البلاد مدنا تكذب تلك المقولة ، صحيح أن هذه المدن الجديدة كانت قليلة بالقياس إلى المدن القديمة التى كانت من منشآت الفينيقيين أو الرومان ، ولكنها كانت جيدة الاختطاط وراعى فيها مؤسسوها حسن اختيار المواقع ومايضمن لها العمران من طيب الهواء والمياه والمزارع . ونورد فيما يلى بعض هذه المدن المستحدثة فى عهد المسلمين والتى كانت عامرة مزدهرة أثناء حكمهم للبلاد ثم ظلت كذلك بعد استيلاء المسيحيين عليها ، مما يدل على أن العرب كانوا يحسنون اختيار المواقع لبناء المدن ، وسنرى كيف ظلت هذه المدن المستحدثة محتفظة بأسمائها التى أطلقها عليها العرب .

- جبل طارق Gibraltar ، وهو أول موقع نزل به فاتح الأندلس الأول طارق بن زياد ، وقد عرف المسلمون منذ البداية قيمة هذا الموقع الاستراتيجية ، فعملوا على العناية بتحصينه ، وتحول فى ظل الخليفة الموحدى الأول عبد المؤمن ابن على (سنة ٥٥٥/١١٦٠) إلى مدينة كبيرة كانت تدعى «جبل الفتح» ، وظل طوال دولة الإسلام أحد المعابر الرئيسية بين الأندلس والمغرب ، وتداوله المسلمون وأعداؤهم خلال القرن التاسع الهجرى حتى انتهى الأمر بسقوطه الأخير فى أيدى المسيحيين ، وكان سقوطه نذيرا بنهاية دولة الإسلام فى الأندلس ، وصور ذلك الشاعر البسطى فى بكائية مؤثرة يقول فيها :(١٥)

وقائلة : ما لى أراك مقطبا
كأنك للتقطيب هددت بالذبح
فقلت : دعينى الحزن فرض على الورى
أما قد حوى أعداؤنا «جبل الفتح»
حرام علينا البشر والسمح بعده
وفى القلب من آلامه أعظم الجرح

غير أن إسبانيا المسيحية لم تنعم كثيرا بالاستيلاء على هذا الموقع الذى كان يتحكم فى المدخل الغربى للبحر المتوسط ، فلم تمض قرابة قرنين حتى انتزعته منها بريطانيا العظمى فى سنة ١١١٥/١٧٠٤ ، وتحول فى ظل السيادة البريطانية إلى مستعمرة بالغة الخطر ، مازالت حتى الآن مثار نزاع بين إسبانيا وإنجلترا .

- الجزيرة الخضراء Algeciras ، وهى من أهم مرافئ جنوبى إسبانيا ، ويرجع بناؤها إلى بداية نزول المسلمين بها إبان الفتح ، وتعد من أهم المعابر بين المغرب والأندلس ، وتقع على مدخل مضيق جبل طارق مواجهة لمدينة سبتة المغربية . واختصر الإسبان اسمها إلى الجزء الأول من اسمها العربى . ومن الطريف أن هذه المدينة البحرية الجميلة تقع على مصب نهر صغير كان العرب يدعونه وادى العسل(١٦) وقد ترجم الإسبان اسمه العربى ترجمة حرفية ، فأطلقوا عليه Rio de la Miel .

- طريف Tarifa ، وهى ثالثة المعابر بين الأندلس والعدوة المغربية على مضيق جبل طارق ، فى أقصى جنوبى إسبانيا ، ومازالت حتى اليوم تحمل اسم أول قائد مسلم اضطلع بحملة الاستكشاف الأولى قبل طارق بن زياد ، وهو أبو زرعة طريف بن مَلّوك مولى موسى بن نصير ، وكان موسى قد وجهه على رأس سرية لاختبار الشاطئ الأندلسى ، وكان ذلك مقدمة للفتح الكبير .

- قلعة أيوب Calatayud ، وهى منسوبة إلى ثالث ولاة الأندلس أيوب بن حبيب اللخمى ابن أخت موسى بن نصير ، وتقع فى الثغر الأعلى إلى الجنوب الشرقى من سرقسطة .

- مدينة سالم Medinaceli ، عاصمة الثغر الأوسط فى عصر الخلافة ، وتدين بفضل إنشائها واسمها الذى لا يزال يطلق عليها إلى أحد قادة البربر سالم بن ورعمال وكان من موالى بنى مخزوم ، وهى الآن مدينة متوسطة تتبع محافظة سرية Soria . وكان بها قبر المنصور بن أبى عامر .

- وادى الحجارة Guadalajara من كبريات مدن الثغر الأعلى ، وكان يطلق عليها أيضا اسم « مدينة الفرج » نسبة إلى منشئها الفرج بن مسرة بن سالم حفيد ذلك القائد البربرى سالم بن ورعمال الذى أنشأ مدينة سالم .

وهى الآن عاصمة إحدى محافظات إقليم قشتالة ، وتقع على الطريق بين مدريد وسرقسطة .

وقد انتقل اسم المدينة إلى أمريكا فهو يطلق الآن على ثانى مدن المكسيك .

- مرسية Murcia ، وهى مدينة مستحدثة أمر بإنشائها الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢١٦ (٨٣٢) وتقع على نهر كان العرب يدعونه النهر الأبيض أو نهر شقورة Rio Segura وهو الاسم الذى يطلق عليه الآن ، ويروى منطقة مرسية ذات الخصوبة البالغة ، وكان الجغرافيون القدماء يشبهونه بنهر النيل ، ومن أجل هذا فقد نزل جند مصر هذه المنطقة منذ أول الفتح . وقد تزايد عمران المدينة خلال عصرها الإسلامى ، وإليها ينتسب عدد من كبار رجال الفكر نذكر منهم اللغوى الكبير ابن سيدة الضرير صاحب أول معجم دلالى هو «المخصص» ، وثلاثة من أعلام التصوف : هم محيى الدين ابن عربى نزيل دمشق وابن سبعين نزيل مكة ، وابو العباس نزيل الاسكندرية ووليها الكبير .

- بطليوس Badajoz ، وكان منشئها الثائر على إمارة بنى أمية بقرطبة عبد الرحمن ابن مروان المعروف بالجليقى ، وذلك بعد مسالمته للأمير محمد بن عبد الرحمن فى سنة ٢٦٢ (٨٧٦) وكانت فى أول أمرها تابعة لمدينة ماردة Mérida قاعدة غرب الأندلس ، ثم أخذت فى النمو والاتساع حتى أصبحت فى عصر ملوك الطوائف حاضرة لواحدة من أكبر الممالك ، وهى دولة بنى الأفطس . وهى الآن عاصمة لإحدى محافظتى الإقليم الذى يدعى Extremadura (أى الطرف الأقصى) وتقع فى أقصى غربى إسبانيا على حدودها مع البرتغال . أما الاسم الذى أطلق على المدينة فمن الواضح أنه غير عربى . وقد اختلف اللغويون على أصل اشتقاقه ، على أن اتخاذ اسم عجمى لمدينة بنيت فى العهد الإسلامى يبدو أمرا غريبا ، ولكن تفسيره يكمن فى ظاهرة الازدواج اللغوى الذى كان فاشيا فى الأندلس سواء فى ذلك المسلمون والنصارى . وسنرى على هذه الظاهرة أمثالا كثيرة .

- قلعة رباح Calatrava ، وهى بلدة صغيرة تقع الآن فى غربى محافظة لامانشا La Mancha وهو الذى كان يعرف فى أيام المسلمين باسم « الجوف » . وقد ذكر بعض العلماء ومنهم تسايبولد وأسين بلاثيوس أن بناء القلعة يرجع إلى على بن رباح ، وهو

أحد التابعين الذين دخلوا الأندلس فى بداية الفتح مع موسى بن نصير . غير أن ذلك لايبدو مؤكدا .

- البسيط Albacete ، وهى مدينة محدثة أنشئت فى عصر الموحدين فى أواخر القرن السادس الهجرى ، ويرجع اسمها إلى وقوعها فى سهل منبسط ، وهى الآن بعد أن اتسع عمرانها عاصمة لإحدى محافظات الإقليم المعروف باسم لامانشا ، متاخمة لمحافظتى مرسية وبلنسية .

- المرية Almeria ، وهى مدينة محدثة أمر ببنائها الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر لدين الله فى سنة ٣٤٤ (٩٥٤) وسرعان ما أصبحت قاعدة الأسطول الأندلسى فى البحر المتوسط ، ثم نمت نموا كبيرا فى العصور التالية ، وأصبحت من أشهر مراسى الأندلس وأعمرها ، إذ كانت مركزا تجاريا يربط البلاد بموانى الشمال الإفريقى والمشرق ، وكانت ثانية مدن الدولة فى عصر بنى الأحمر بعد العاصمة غرناطة ، وهى الآن عاصمة إحدى محافظات الجنوب الشرقى ، متاخمة لمحافظتى غرناطة ومرسية . أما اشتقاق الاسم فمختلف فيه ، فهناك من يقول إنها تصغير غير قياسى للفظ « المرآة » لصفاء ماء البحر لديها ، وهناك من يقول إن اللفظ صفة للمدينة ومعناه « الطيبة » وهو تفسير يذكرنا بالعبارة الشعبية التى يرددها أهل الاسكندرية تمدحا ببلدهم : « اسكندرية مَرِيّة » .

- المنكب Almuñecar ، مدينة ساحلية صغيرة تعد من مرافئ غرناطة ، ويبدو أنها قديمة البنيان أنشئت بعد فتح الأندلس بقليل إذ يرد ذكرها فى أقدم المصادر الأندلسية ، وقد ارتبط اسمها بحدث تاريخى له أهميته الكبرى ، فقد كانت أول موضع ينزله عبد الرحمن بن معاوية الداخل « صقر قريش» بعد فراره من الشرق ومغامرته التى انتهت بإقامته لدولة بنى أمية فى الأندلس ، وذلك فى سنة ١٣٨ (٧٥٦) . وبهذه المناسبة أذكر أن بلدية المدينة أقامت منذ سنوات تمثالا كبيرا فى أكبر ميادينها لعبد الرحمن الداخل وهو على صهوة جواده مذكرا بتلك اللحظة التاريخية . أما أصل اشتقاق الاسم فهو من الفعل « نكّب » أى مال وانحرف ، وفى ذلك تصوير لموقع المدينة ، فهى تقع على سفح منحدر بين الجبل والبحر . وكانت المنكب مشتهرة - ولا تزال -

بمزارع قصب السكر ، وهى صناعة أدخلها العرب لهذه المنطقة لملاءمتها لذلك المحصول .

- قصر آش ، وتكتب أيضا قصرش Cáceres ، وهى مدينة محدثة فى عصر متأخر ، إذ لا نجد لها ذكرا فى المصادر الأندلسية قبل عصر المرابطين فى أوائل القرن السادس الهجرى ، ولم تبق فى أيدى المسلمين إلا نحو قرن من الزمان ، إذ استولى عليها ملك ليون يعاونه جيش من قشتالة ومن فرسان قلعة رباح فى سنة ٦٢٤ (١٢٢٧) بعد حصار استمر خمس سنوات . واسم هذه المدينة يبدو مولدا (hibrido) مؤلفا من لفظ «قصر» العربى و « آش » العجمى ، فهو إذن ثمرة لما سبق أن ذكرناه حول ظاهرة الازدواج اللغوى فى الأندلس . ولفظ آش هو الذى نجده ملحقا بـ « وادى » فى اسم مدينة « وادى آش Guadix » التى كانت من كبريات المدن التابعة لغرناطة ، وأصله إيبيرى قديم (Acci) ، وهو يعنى الماء . وقد نمت تلك المدينة الحصينة بعد استيلاء المسيحيين عليها حتى أصبحت الآن عاصمة لإحدى محافظتى إقليم إكستريمادورا Extremadura فى غرب إسبانيا ( والأخرى هى محافظة بطليوس التى أسلفنا الحديث عنها ) .

- ونختم هذا الحديث عن المدن التى يرجع للمسلمين فضل استحداثها بتلك المدينة التى تتمثل فيها العبقرية الأندلسية ، وهى مجريط التى تحولت بمضى الزمن إلى عاصمة إسبانيا منذ سنة ١٥٦٢ حتى اليوم بعد أن تحرف اسمها إلى « مدريد » Madrid .

وإنشاء مدريد يرجع إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ( الذى حكم بين سنتى ٢٣٨ و ٢٧٣/ ٨٥٢-٨٨٦) . وكان هذا الأمير حريصا على تحصين ثغور الأندلس فيما بين الثغر الأعلى ( سرقسطة ) والثغر الأدنى ( طليطلة ) ، ومن هنا كان اهتمامه بعمارة المدينتين اللتين تحدثنا عنهما من قبل وهما : وادى الحجارة ومدينة سالم ، ثم رأى أن يعزز الخطوط الدفاعية الفاصلة بينه وبين مملكة ليون ، فعمل على إنشاء سلسلة من القلاع الحصينة على السفوح الجنوبية لجبال وادى الرمل Guadarrama التى تشق الهضبة الوسطى . ويذكر المؤرخون من هذه القلاع : طلمنكة Talamanca وولموش Olmos وقنالش Canales وقلعة خليفة Calatalifa . ونلاحظ أن جميع هذه الأسماء فيما عدا الأخير عجمية ، وهو ما يؤكد ظاهرة الازدواج اللغوى التى تحدثنا عنها من قبل .

وقد نمت مجريط فى ظل المسلمين فتحولت من قلعة منيعة إلى « مدينة شريفة » على حد قول ابن عبد المنعم الحميرى[١٧] ، وذلك بفضل النظام الذى وفق المسلمون إليه فى إمدادها بالماء اللازم للتوسع فى مرافقها ، وذلك بعد أن اكتشفوا أن المدينة تقوم على بحيرة من المياه الجوفية الصالحة للشرب . فكان أن عملوا على حفر عدد كبير من الآبار ثم التوصيل بينها بشبكة معقدة من القنوات تتجمع تحت الأرض فى عدد من الصهاريج ، ومنها تمتد أنابيب توصل المياه إلى أحياء المدينة ومنازلها . وبفضل هذا النظام الهندسى الذى نماه المسيحيون بعد ذلك اتسعت المدينة وازداد عمرانها حتى وقع الاختيار عليها لتكون عاصمة لإسبانيا فى عهد الملك فيليب الثانى سنة ١٥٦٢ . وقد أفاض فى شرح هذا النظام الباحث الإسبانى خايمى أوليفر أسين فى كتابه « تاريخ اسم مدريد »[١٨]. وفصلنا الحديث عنه فى كتابنا الذى أفردناه للمدينة : « مدريد العربية » ، القاهرة ١٩٦٧

أما اسم « مجريط » الذى أطلقه المسلمون على المدينة فقد كان مثار خلاف عريض بين المؤرخين واللغويين . وقد انتهى خايمى أوليفر أسين فى كتابه الذى أشرنا إليه إلى أن اللفظ يتألف من لفظ عربى هو « مجرى » ثم اللاحقة « يط » المأخوذة من اللاتينية etum والدالة على التكثير ، أى المكان الذى تكثر فيه المجارى ، والمقصود بالمجارى تلك القنوات الجوفية التى كانت تؤلف شبكة من الأنابيب هى التى كان اعتماد السكان عليها فى إمدادهم بما يلزمهم من مياه[١٩] . على أن اللغوى الكبير فيديريكو كورينتى عضو مجمعنا المراسل كان له رأى آخر يبدو أنه أكثر اتساقا مع المنهج اللغوى السليم ، وهو أن اللفظ العربى تطور من اللاتينية المتأخرة Matrice الذى يعنى « المستودع الأم » للمياه ، وهو ما يقابل بالعربية « مطريج » ، ثم حدث قلب موضعى بين حروف اللفظ – وهذه ظاهرة لغوية تتكرر فى كثير من الأسماء فأصبح « مجريط » وانتهى فى القرن الثالث عشر الميلادى إلى « مدريد »(٢٠) وبهذا يكون الاسم مأخوذا من لفظ لاتينى خالص ، وهو أمر لايستغرب إذا ذكرنا أن معظم القلاع التى أنشأها الأمير محمد مع مجريط كانت تحمل أسماء عجمية .

ومن العرض السابق يتبين أن عدد المدن الكبرى التى استحدثها العرب أثناء حكمهم شبه الجزيرة الإيبيرية والتى تحولت بعد ذلك إلى عواصم للمحافظات كان قليلا بالقياس إلى المدن القائمة عند الفتح العربى مما بُنى فى ظل الحضارات السابقة . هذا على حين نرى الأسماء العربية شائعة شيوعا كبيرا بين المدن الثانوية والقرى . وليس فى هذا مأخذ على الحضارة العربية الأندلسية ، بل لعله شاهد على الحس الحضارى الذى اتسم به العرب فى استيطانهم لما فتحوه من بلاد فى المشرق والمغرب ، فهم حيث رأوا مدنا قائمة لم يروا حاجة لتغيير بنيتها أو أسمائها ، وإنما أضافوا إلى عمرانها ماجعلهم أولى بها من منشئيها . ويكفى أن نشير إلى ماقاموا به فى مدن قديمة كانت من إنشاء الفينيقيين أو الرومان ، مثل مالقة وقرطبة وإشبيلية وطليطلة وسرقسطة ، فقد نموا عمران هذه المدن وحولوها إلى حواضر كبرى زاخرة بالنشاط من كل نوع . ولنتأمل تاريخ مدينة مثل قرطبة وهى من المدن التى أسسها الرومان فقد ظلت على عهدهم ثم فى أيام القوطيين مدينة متوسطة ، فلما اتخذها مسلمو الأندلس قاعدة لهم أخذ عمرانها فى النمو حتى أصبحت فى ظل الخلافة الأموية أكبر الحواضر فى الغرب كله سواء الإسلامى أو المسيحى ، وبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة ، وكان فيها من العمائر والقصور والمساجد والحمامات والمتنزهات والأسواق مالم يكن يضاهيها فيه إلا بغداد والقسطنطينية . وحينما استولى القشتاليون على قرطبة فى سنة ٦٣٣ (١٢٣٦) أخذ عمرانها فى التراجع حتى أصبحت من مدن الدرجة الثالثة وإن كانت قد استعادت بعض عظمتها القديمة خلال السنوات الأخيرة .

أما ظاهرة شيوع الأسماء العربية بين المدن الصغيرة والقرى والقلاع فإنها تدل على مدى عناية مسلمى الأندلس بتعمير الريف ومايتطلبه ذلك من استنباط المياه وشق القنوات وتحسين نظم الرى . وما أكثر ماسمعنا الفلاحين فى منطقة شرق الأندلس – وهى أخصب أراضى إسبانيا وأغناها – يشهدون بأن نظم الرى التى يستخدمونها هى التى ورثوها عن أسلافهم المسلمين ، ويدل على ذلك أن كثيرا من الألفاظ المتعلقة بالمياه والرى والفلاحة مما أصبح جزءاً من المعجم الإسبانى مأخوذ عن العربية ، كما يتمثل ذلك فى العدد الكبير من مؤلفات

الأندلسيين فى الفلاحة والنبات والتقاويم الزراعية مثل كتب ابن حجاج القرطبى وأبى عبيد البكرى والغافقى وابن البيطار وابن العوام الإشبيلى وابن الرومية .

ويرجع اهتمام الفاتحين العرب بالريف ونشاطهم فى تعميره إلى فترة مبكرة ترجع إلى أول عهدهم بالفتح إذ تخبرنا المصادر التاريخية أنه حينما قدم أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى واليا على الأندلس سنة ١٢٥ (٧٤٣) راعه تفاقم النزاع بين البلديين - وهم الجيل الأول من الفاتحين - والجند الشامى - وهم الجيل التالى لهم ، فاستقر رأيه على أن يخرج الشاميين من قرطبة ويسكنهم فى نواحى الأندلس المختلفة ، فاختارت كل طائفة من طوائف هؤلاء الجند منطقة تشبه المنطقة التى قدموا منها ، وهكذا استقر المصريون منهم - وكانوا أكثرهم عددا - فى ثلاث نواح من الريف هى تدمير ( مرسية ) وأكشونية ( فى جنوب البرتغال ) وباجة ( فى البرتغال الوسطى ) ، ونزل جند حمص فى إشبيلية ، وجند فلسطين فى شذونة ، وجند دمشق فى إلبيرة (غرناطة) وجند قنسرين فى جيان(٢١) . وبهذا تحول أولئك المحاربون بعد استقرارهم فى تلك المناطق الريفية إلى زراع مقتدرين يعملون على استصلاح الأراضى واستثمار الحقول وتنمية الموارد . والملاحظ أن العرب ومن كان معهم من الموالى كانوا يفضلون السهول والبسائط ، على حين استقر شركاؤهم فى الفتح من البربر فى المناطق الجبلية التى كانت تشبه البلاد التى قدموا منها فى شمال إفريقيا(٢٢) . ولم يكن من الغريب أن تتسمى القرى والقلاع التى نزل بها كلا الفريقين بأسماء الأسر العربية أو البربرية التى عملت على استيطانها .

**ضوابط لتعرف الأصول العربية :**

تعرضت أسماء الأعلام الجغرافية العربية على ألسنة الإسبان بعد استيلائهم على ماكان بأيدى المسلمين لكثير من التحريف حتى لم يعد من السهل الاهتداء إلى أصولها القديمة . وقد تطلب هذا من الباحثين جهودا مضنية ، ولاسيما حينما كان المعروف من النصوص الأندلسية قليلا ، على أن العقود الأخيرة شهدت نشاطا متزايدا فى تحقيق عدد كبير من تلك النصوص ، وأدى ذلك إلى زيادة معرفتنا بتلك الأصول . كذلك أعان على هذه المهمة ماقام به الباحثون الإسبان من نشر الوثائق

القديمة التى تم بمقتضاها توزيع ماastولى عليه المسيحيون من أرض الأندلس على الفاتحين ، فقد سجلت هذه الوثائق أسماء القرى التى وزعت بصفتها إقطاعات على النبلاء وقادة الجيوش المشتركين فى الفتوح . ومن هذه الوثائق المنشورة أخيرا والمدعوة « بالتوزيعات » (Repartimientos) ماهو خاص ببلنسية وإشبيلية ومالقة وجزيرة ميورقة . وبفضل هذه الوثائق استطاع الباحثون الإسبان ممن يعرفون العربية أو ممن استعانوا بالمتخصصين فى هذه اللغة أن يستكشفوا أصول عدد كبير من أسماء المواضع . ومن حصيلة هذه المعارف أخذ اللغويون فى وضع ضوابط لتبين الأصول العربية لتلك الأسماء . وكان من أسبق هؤلاء الباحثين أرنالد شتايجر فى كتابه الذى أشرنا إليه من قبل عن « صوتيات اللهجة الأندلسية »(٢٣) وماطرأ على الألفاظ العربية التى انتقلت إلى الإسبانية من تغيرات صوتية . على أن هناك أمرا ينبغى التنبه إليه ، وهو ما استطاع أسين بلاثيوس أن يدركه بحسه اللغوى ، وهو أنه لم تكن هناك لهجة أندلسية موحدة ، بل لهجات عديدة اختلفت باختلاف المناطق ، فلم تكن لغة الخطاب الدارجة التى يتحدث بها أهل غرناطة مثلا هى نفسها لغة أهل بلنسية أو سرقسطة أو غيرها من أقاليم الأندلس ، ومن هنا اختلفت الصور التى تم بها انتقال اللفظ العربى الواحد إلى هذه أو تلك من بقاع إسبانيا .

ونضرب على ذلك بعض الأمثلة :

- لفظ « القصر » وهو شائع فى الأعلام الجغرافية الأندلسية نراه قد انتقل بعدة صور تتمثل فى الأعلام الآتية : فهو فى منطقة الثغر الأعلى ( أرغون الحالية ) Alquézar ، وفى بلنسية Alcácer مع نبر حرف الـ a الأول ، وفى البرتغال Alcaçer {do sal} ( وكان العرب يسمون هذا الموضع قصر أبى دانش ، أو قصر الملح ) ، وفى سائر أنحاء الأندلس Alcázar .

- لفظ « المدوَّر » ، أصبح فى قرطبة Almodóvar ، وفى أرغون Almudévar

- لفظ « السهلة » ، نجده فى لقنت Alicante فى صورة Adsaila وفى تيروال Teruel : Azaila

- لفظ «الزاوية» : تحول إلى Adsubea أو Adsubia فى لقنت و Azoya فى مرسية و La Zubia فى غرناطة .

- لفظ « البحيرة » : نجده فى صورة Albuhera فى قصراش Cáceres

وفى المدينة الملكية Ciudad Real ، و Albufera فى بلنسية ومرسية وميورقة ولقنت ، و Albuera فى قصراش وبطليوس ، و Albogaira فى المرية .

- لفظ « الخندق » : أصبح Alfandeche فى بلنسية ، وAlhándiga فى مالقة ، و Alfántega فى وشقة و Alfándiga فى لك Lugo .

- لفظ « الضيعة » : نجده معرفا ومنكرا فى صور عديدة : Aldaya فى بلنسية ، و Aldea وهى أشيع الصور ، فهناك ٢٢٩ موضعا فى إسبانيا تحمل هذا الاسم مشفوعا بصفة مميزة ، أو فى صيغة التصغير ، وAdaya فى منورقة Menorca، و Daya فى لقنت ، و Deyá فى جزر البليار .

وللتباين فى صور الكلمة العربية الواحدة أمثلة كثيرة ، نكتفى منها بما ذكرنا . وجدير بالذكر أن لهذه الظاهرة قيمة كبيرة فى إلقاء الضوء على لهجات مختلف مناطق الأندلس ، وذلك لأن هذه الألفاظ العربية لم تنتقل إلى الإسبانية عبر لغة الكتابة الفصيحة ، وإنما من خلال لغة الخطاب الشفاهية ، ومن هنا فإنها تصور لنا الطريقة التى كان الأندلسيون ينطقون بها تلك الألفاظ فى بقاع البلاد المختلفة .

وتتفاوت الأعلام الجغرافية كما ينطق بها الإسبان اليوم فى مدى قربها أو بعدها عن أصولها العربية ، فهناك منها ما يسهل الاهتداء إلى أصولها إذا سلمت من التحريف أو أصابها منه قليل ، ولكن هناك ألفاظا أخرى تعاقبت عليها مراحل من التحريف حتى بعدت كثيرا عن أصولها ، وهنا يصبح الاهتداء إلى صورها الأولى أمرا من العسر بمكان . وحينئذ قد يعين على معرفة أصولها الرجوع إلى الوثائق الإسبانية التى قد تكون سجلت أسماء تلك المواضع فى زمن قريب العهد بوجودها الإسلامى ، هذا إذا أسعدنا الحظ بوجود تلك الوثائق . غير أن ذلك لايتوافر فى جميع الحالات .

ومن أمثلة المواضع التى لانجد صعوبة فى الاهتداء إلى أصولها العربية تلك التى تبدأ بألفاظ مثل القصر Alcázar ، والقلعة Alcalá ، أو Calat بصيغة التنكير ، أو مصغرة فى صورة القليعة Alcolea ، أو التى تحمل اسم علم مثل التى تبدأ بلفظ ابن Aben أو Ben أو اسم قبيلة أو أسرة

بنى Beni ، وسنرى نماذج لأمثال هذه المواضع .

وهناك أسماء تتألف من جزأين : جزء عربى وآخر عجمى ، وهو أمر راجع إلى ما ذكرناه من ظاهرة الازدواج اللغوى bilingüismo التى كانت شائعة فى الأندلس ، فبعض المواضع عجمية الأصول ، غير أنها تحمل فى بدايتها أداة التعريف العربية مثل البونت Alpuente ، فلفظ puente المعرف بأل يعنى القنطرة ، و Almonte ، وهو تعريف عربى للفظ monte الذى يعنى الجبل ، و Fuentealbeitar التى تتألف من Fuente أى عين والبيطار ، و Torrealhaquime ( Torre بمعنى برج + Alhaquime الحكيم ) و Tordomar ( Tor اختصار للفظ الذى يعنى برج + d اختصار لحرف الإضافة de + Omar أى عمر ) و Castiel fabit (Castiel بمعنى حصن + Fabit اسم حبيب محرفا ) و Villacadima (Villa بمعنى بلدة + Cadima قديمة) . وقد يضاف إلى الاسم العربى لاحقة التصغير الإسبانية مثل Alcazarejo ( القصر Alcazar + ejo - وهى إحدى لواحق التصغير ) ، و Alcantarilla ( القنطرة + illa Alcántara وهى لاحقة أخرى تفيد التصغير ) .

وليست نادرة أمثال هذه الحالات من التداخل اللغوى بين العربية واللاتينية أو اللاتينية الدارجة ( إسبانية اليوم ) . فقد كان الرومان يطلقون على سلسلة الجبال الشاهقة التى تطل على إقليم غرناطة اسم Mons Solarium أى الجبل المشمس ، ونقل المسلمون هذا الاسم مع تعريبه محتفظين بصورته اللاتينية ، فسموه « جبل شُلَيْر » ، وكان يضرب به المثل فى برودته ، ثم أطلقوا عليه اسما عربيا خالصا : « جبل الثلج » وترجمه الإسبان بعد ذلك ترجمة حرفية ، إذ دعوه Sierra Nevada ، ثم نقله الإسبان إلى القارة الأمريكية فتسمت به إحدى الولايات فى الولايات المتحدة وهى الواقعة على السفوح الشرقية لجبال روكى العالية . وكانت هناك قلعة تقع جنوبى مدينة ماردة كان الرومان يدعونها Castrum Colubri ، فترجم العرب هذا الاسم ترجمة حرفية إلى « قلعة الحنش » واحتفظ الإسبان بهذا الاسم العربى محرفا حتى اليوم فى صورة Alanje .

ولعل أكثر مايكشف عن الأصول العربية لأسماء المواضع دلالتها الواضحة على الأعلام العربية سواء أكانت مفردة أو منسوبة إلى الأب في صورة ابن (Aben أو Ben أو Vin) أو على سبيل الكنية : أبو فلان ( Abo ، أو Bo) . فمن الأسماء المفردة : طريف القائد الذي ترك اسمه على المدينة الواقعة في أقصى الجنوب Tarifa ، وسليمان الذي أصبح اسم قرية في محافظة « البسيط » تدعى اليوم Zulema ، وسالم وهو اسم إحدى قرى بلنسية : Salem ، ومن أسماء الإناث زيدة Zaida في محافظة سرقسطة ، وسكينة Zucayna في محافظة قشتليون Castellón . ومن أسماء الأعلام المضافة إلى لفظ Villa ( أي قرية أو ضيعة ) : Villanazar ( قرية نصر ) في محافظة سمورة Zamora ، Villacelama (... سلامة ) في محافظة ليون Leon ، Villambrús (... عمروس ) من أعمال برغش Burgos ، Villahamete (... أحمد ) و Villabráhima (... إبراهيم) ، وكلتاهما من أعمال بلدوليد Valladolid . والملاحظ أن هذه القرى الأخيرة توجد في مناطق لم تخضع أبدا لسلطان المسلمين ، ولهذا فوجود أمثال هذه الأسماء العربية يبدو غريبا لأول وهلة ، غير أن لهذه الظاهرة تفسيرا سوف نبينه في موضعه .

ونذكر فيما يلي عددا من أسماء المواضع التي تبدأ بـ «ابن» : في محافظة بلنسية : Abenromá (ابن رومان) ، Bengéber (ابن جابر) ، Benaguacil (ابن الوزير) ، Benasán : وفي محافظة لقنت Alicante (ابن حسن) ، Benamer (ابن عامر) ، Benalfaqui (ابن الفقيه) ؛ وفي المرية : Abenzuete (ابن سويد) ، Bentarique (ابن طارق) ، وفي البسيط : Abengibre (ابن جبر) ؛ وفي غرناطة Abenzaide (ابن سعيد) وقد كان بنوسعيد - الذين ينتمي إليهم ابن سعيد مؤلف كتاب «المغرب في حلى المغرب» - هم سادة البلدة التي كانت تدعى «قلعة بني سعيد» التابعة لغرناطة فلما استولى عليها المسيحيون احتفظت باسمها (Alcalá de Abenzaide) ثم أصبح اسمها الآن «القلعة الملكية» (Alcalá la Real) ، وفي مالقة : Bengalbón (ابن غلبون) ؛ وفي قادس Benamahoma

(ابن محمد) ؛ وفى وادى الحجارة : Benalaque (ابن الحكم) ؛ وفى سُرْية Benamira : Soria (ابن عميرة) وفى قصرش : Benafayán (ابن حيان) ، وفى لاردة Bingaña : Lérida (ابن غانية) ؛ وفى ميورقة : Bennasar (ابن نصر) ؛ وفى قشتليون Benasal : Castellón (ابن عسّال) ، وكذلك Vinaroz (ابن عروس) .

ومن الأسماء التى تحمل كُنًى عربية : Abofageg (أبو حجاج) فى محافظة نبرة Navarra ؛ و Albocabe (أبو كعب) فى سُرْية ، و Albolafia (أبو العافية) فى قرطبة ، و Albuixech (أبو إسحاق) فى بلنسية ؛ و Boadilla (أبو عبد الله) فى سلمنكة Salamanca ؛ و Bobadilla (أبو عبد الله) فى جيان .

وكثير من أسماء المواضع تحمل حتى الآن أسماء قبائل عربية أو بربرية أو أسر عمرت قرى مازالت تحمل أسماءها . ونذكر فيما يلى بعض هذه الأسماء :

من أسماء القبائل العربية : Alcaicia (القيسية) فى بلنسية ؛ Almoradi (المرادى) نسبة إلى بنى مراد وهى قبيلة يمنية معروفة ، فى لقنت ؛ و Alhendin (همدان) وهى إحدى كبريات القبائل اليمنية أيضا ، فى غرناطة ؛ و Ojén (خُشَيْن) ، إحدى بطون قضاعة ، فى مالقة ؛ Alfamin ، وكذلك Alaminos, Alamin (الفهميين ، نسبة إلى بنى فهم ، إحدى قبائل قيس عيلان بن مضر) ، فى طليطلة ووادى الحجارة .

ومن أسماء القبائل البربرية Albornoz فى قرطبة وإشبيلية ، وكذلك Albornos فى آبلة Avila ، وهو بُرْنس بن بر ، جد شعب كبير من شعوب البربر يدعى فى صيغة الجمع بالبرانس ، وإليه تنتمى مجموعة كبيرة من القبائل مثل كتامة وصنهاجة ومصمودة وأوربة وهوارة ؛ ومنها Azuaga فى بطليوس ، وهى قبيلة زواغة إحدى قبائل البرانس ؛ Cehegin فى مرسية ، وهو اختصار للفظ «الصنهاجيين»؛ Zaneta فى قشتليون ، و Ceneta فى مرسية ، واللفظان مأخوذان من «زناتة» ؛ Mequinenza فى سرقسطة ، وهى مكناسة إحدى قبائل زناتة ؛ Mestanza فى Ciudad Real أى المدينة الملكية ، وهى مسطاسة ، بطن من ازداجة إحدى قبائل البرانس ؛ أندارة Ondara فى لقنت ،

وهى إحدى قبائل هوارة ؛ Alcalá de los Gazules وهى قلعة بنى جزولة ، وهم أيضا من البرانس ، فى قادس ؛ وغمارة Gomara فى سرية ، وغمارة من قبائل الريف المغربى المعروفة وهى من البرانس ؛ Zacatena سكتان ، فى المدينة الملكية ، وسكتان إحدى بطون مصمودة ؛ Orba أوربة فى لقنت ودانية Denia ، وأوربة إحدى قبائل البرانس .

وأما المواضع التى تحمل أسماء أسر عربية فهى من الكثرة بحيث تستعصى على الاستقصاء ، ومعظمها يبدأ بلفظ «بنى» ، ونذكر بهذه المناسبة أننا أحصينا بصورة مبدئية عددا من هذه الأسماء فوجدناها فى إسبانيا أكثر مما نجده فى بعض البلاد العربية ، وتوجد معظم هذه الأسماء فى منطقة شرق الأندلس : المرية ومرسية ولقنت وبلنسية وقشتليون وطركونة وجزر البليار . ونذكر من هذه الأسماء :

فى المرية Benitagla بنى تغلب ؛ فى مرسية Beniaján بنى عجّان ، فى لقنت : Benicais بنى قيس ، Beniasim بنى عاصم ، Beniali بنى على ، Benigálip بنى غالب ، Benimaclet بنى مخلد ، Benijáfar بنى جعفر ، Benihomar بنى عمر ، Benihumeya بنى أمية ، Benifató بنى فتحون ، Benifarés بنى حارث ، Benisa بنى عيسى ، Beniomer بنى عمير ؛ وفى بلنسية Benicalaf, Benicalap بنى خلف ، Benicanena بنى كنانة ، Benifayró بنى خيرون ، Benifayó بنى حيون ، Beniganim بنى غانم ، Benimuslem بنى مسلم ، Benisanó بنى سحنون ، Benisoda بنى سودة ؛ Benibrahim بنى إبراهيم ، Benifaraig بنى فرج ، Beniflá بنى فلاح ، Benimámet بنى محمد ، Benimodó بنى مودود ، Beniopa بنى أبّا (واسم أبّا ليس عربيا وإنما هو حفيد لأمير قوطى كان من بين كبار الفقهاء المسلمين) ، Benioquer بنى عقيل ؛ وفى قشتليون Benicásim بنى قاسم ، Benigasló بنى غزلون ، Benifazá بنى حسن ؛ وفى طركونة Tarragona : Benifallet بنى خالد ؛ وفى جزيرة ميورقة Benifaldó بنى خلدون ، Beniali بنى على ، Benisalem

بنى سالم أو سلاَّم ، Beniamar بنى عمار أو بنى أحمر ؛ وفى جزيرة منورقة Benillant Menorca : بنى لمط ، وهى قبيلة بربرية وهم إخوة صنهاجة .

وهناك مجموعة من أسماء الأسر تنتهى بلاحقة جمع المذكر السالم (ين) ، رأينا بعضها فيما سبق مثل Alfamin أى الفهميين ، ومنها أيضا Zaidin (الزيديين) فى سرقسطة ، و Alfagarin (الحجَّارين) فى سرقسطة أيضا ، و Celemin (السليميين) فى قادس ، ولابد أن هؤلاء ينتمون إلى أسرة بنى السليم وكان منهم عديد من الوزراء ورجال الدولة فى قرطبة على عهد بنى أمية ، وإليهم تنسب «مدينة ابن السليم» على مقربة من قادس ، وهى التى تدعى الآن Grazalema ويلاحظ فى هذه الأسماء اختفاء ياء النسب تخفيفا للنطق ، وذلك أسوة بما حدث فى النسبة إلى بعض الأسماء فى المشرق ، مثل اليمانين والأشعرين .

**القلاع والحصون :**

لعلنا غير مبالغين إذا قلنا إننا لانكاد نجد قطرا فى أوربا حفل بالقلاع والحصون مثل قطرى شبه جزيرة إيبريا أى إسبانيا والبرتغال ، ومن اليسير تعليل هذه الظاهرة ، فقد كانت هذه الأرض مسرحا لصراع لم ينقطع بين المسلمين وجيرانهم من الإمارات والممالك المسيحية على مدى ثمانية قرون ، وقد اقتضى ذلك من الجانبين إقامة منظومات من القلاع على طول الحدود التى كانت دائما فى حركة لاتنقطع بحسب قوة كل طرف من أطراف الصراع أو ضعفه . وأعانت طبيعة البلاد وتضاريسها الجبلية الوعرة على إنشاء ذلك العدد الهائل من الحصون ، إذ كان ما يبنى منها فى موقع بالغ الارتفاع يتحول إلى قلعة منيعة يمكن أن تقاوم الحصار شهورا بل سنوات .

وقد برع مسلمو الأندلس فى بناء الحصون واختيار المواقع الملائمة لتشييدها على طول خطوطهم الدفاعية ، ولهذا فقد بقيت هذه المواقع حتى اليوم شاهدة بأسمائها على أصولها العربية . وتنوعت مفردات المعجم الدال عليها ما بين القلعة والحصن والقصبة والمدينة (بالتصغير) والبرج والسور والمحرس . بل إننا نجد لفظا كالقصر لايعنى مجرد المنزل الفخم الجدير بسكنى الأمراء وعلية القوم كما يتبادر إلى الذهن ، بل هو فى أغلب الأحوال أشبه

بقلعة حصينة ، فهو أقرب إلى العمارة الحربية منه إلى العمارة المدنية المعتادة .

ويعد لفظ «القلعة» أكثر الألفاظ شيوعا فى هذا الضرب من ضروب العمارة وقد دخل إلى اللغة الإسبانية فى صورة Alcalá ، وهو شائع شيوعا مفرطا فى معظم محافظات إسبانيا : فى إشبيلية وجيان وتيروال وسرقسطة وكونكة والبسيط وقادس وقشتليون ووشقة ومجريط . وفى هذه المدينة الأخيرة (مدريد) يطلق هذا الاسم على أحد شوارعها الرئيسية لأنه كان يمتد من القصر الملكى - وكان على عهد المسلمين هو قصر الحاكم العربى وأكثر مواقع المدينة حصانة - إلى آخر أطراف المدينة . بل إننا نجد هذه القلاع قد تحولت إلى مدن عامرة مازالت تحمل اسمها العربى . نذكر منها على سبيل المثال Alcalá de Henares على بعد ثلاثين كيلومترا من مدريد ، وكانت على عهد المسلمين تدعى «قلعة عبد السلام» . كذلك نجد مواضع تحمل مشتقات من لفظ «القلعة» مثل «القليعة» Alcolea - بالتصغير - فى عديد من المحافظات : فى قرطبة والمرية ووادى الحجارة ولقنت ولاردة .

وقد نجد اللفظ فى صيغة التثنية Alcalatén فى قشتليون .

ويستخدم لفظ «القصر» Alcázar مرادفاً للقلعة فى عدد كبير من المدن : فى قرطبة وإشبيلية وغرناطة وكونكة وشقوبية وأورنسى ، وجدير بالذكر أن المدينتين الأخيرتين لم تخضعا أبدا لحكم المسلمين ويستخدم اللفظ مصغرا فى صورة Alcocer فى لقنت ووادى الحجارة وبلنسية وبصيغة التثنية Alcazarén فى سلمنكة وبلد وليد ، وهما بلدان لم يخضعا لسلطان المسلمين . أما القصبة Alcazaba فنجده فى غرناطة ومالقة والمرية وبطليوس .

ويستخدم لفظ «قلعة» مضافا إلى اسم أو لفظ آخر ، كما رأينا فى اسمى قلعة أيوب Calatayud وقلعة رباح Calatrava ، وكذلك فى Calataraje قلعة الأعرج فى مالقة و Calaceite قلعة زيد فى تيروال ، و Calatorao قلعة التراب فى سرقسطة ، و Calatañazor قلعة النسور ، وهو الموقع الذى تزعم المدونات المسيحية أنه دارت فيه معركة هزم فيها المنصور بن أبى عامر ، ولو أن ذلك لم يثبت تاريخيا .

ويشيع لفظ «الحصن» ومشتقاته فى عدد آخر من المواضع نذكر منها Alisne,

Iznajar حصن آشر في قرطبة ، و Iznalloz حصن اللوز في غرناطة ، و Iznatoraf حصن التراب في جيان . ويظهر أن أهل إشبيلية كانوا ينطقون لفظ الحصن بفتح الحاء ، يدل على ذلك بلدان تابعان لإشبيلية ، يدعى أولهما Aznalcázar حصن القصر ، والآخر Aznalfarache حصن الفرج . ويرد الاسم مصغرا في صورة الحُصَيْن Aljocén في قادس وبطليوس ، و Alocén في وادي الحجارة ، والحصينة Alozaina في مالقة . وفي المدينة الملكية نلتقي بحصن ينسب كما يبدو إلى «هارون» Aznarón . ومن مشتقات هذا اللفظ المحْصَن Almazán الذي يطلق على بلدة تابعة لسُرْية .

ومن الألفاظ الأخرى التي تتضمن معنى المناعة «المحرس» Almaraz أي الموضع الذي يعهد للقائمين عليه بحراسة الثغر ، وهو يطلق على عدة مواقع في قصرش ، وبلد وليد ، وسمورة . والبلدان الأخيران لم يخضعا لسلطان المسلمين .

ومن الألفاظ المرادفة للقلعة المُدينَة Almudaina ، وهو تصغير غير قياسي للفظ المدينة ، وقد استخدم في لقنت وفي جزيرة ميورقة ، واستعمل في صيغته الدارجة بإمالة كسرة الدال Almudena مرادفا للفظ القصبة في مجريط .

وقد يكون الحصن منسوبا إلى بانيه كما نرى في لفظ الـ Aljaferia الجعفرية في سرقسطة ، وهو القصر الحصين المنسوب لأبي جعفر المقتدر بن هود أحد ملوك الطوائف من بني هود الجذاميين في القرن الخامس الهجري ، وهو لايزال محتفظا بكثير من معالم عمارته الرائعة . وأحيانا يكتفى بنسبة الحصن إلى الأسرة أو القبيلة التي ينتمي إليها بناته مثل حصن « Canena » في جيَّان ، وهو اسم قبيلة كنانة .

وقد يكون الاسم وصفا لهيئته مثل لفظ «المُدَوَّر» الذي أطلق على العديد من الحصون في مناطق مختلفة ، وإن اختلف هجاء اللفظ باختلاف لهجات المناطق ، فهو في قرطبة وكونكة والمدينة الملكية Almodóvar ، وفي وشقة Almudévar ، أو يكون في الاسم إيحاء بالتفاؤل مثل «المُظفَّر» ، وهو مانراه في الحصن المسمى Almudáfar في وشقة ، و Almudéfar في طركونة .

ويرتبط بمهام الدفاع بناء الأبراج ، وكانت تبنى فى مواقع متقدمة من الحدود ، ووظيفتها المراقبة وإنذار الخطوط الخلفية بأى بادرة لهجوم العدو . ولاتكاد تخلو منطقة فى إسبانيا من برج يحتفظ باسمه العربى أو مترجم إلى الإسبانية فى صيغة torre . ومن أجمل نماذج هذه الأبراج العربية التى مازالت محتفظة بعمارتها القديمة «برج الذهب» المطل على الوادى الكبير فى إشبيلية ، وقد أنشأه عامل المدينة إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن فى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) ، وهو يدعى الآن La Torre del Oro ترجمة عن اسمه العربى .

واحتفظت بعض المواضع باسم «برج» العربى ، منها Borge فى مالقة ، و Burch فى لاردة ، و Alborge فى سرقسطة ، وفى صيغة التصغير «البريجة» نجد Alboreya فى بلنسية و Alborayet فى ميورقة و Alborache فى بلنسية و Alborax فى البسيط . ونجد اللفظ فى صيغة الجمع مُعَرفاً : Alborox فى طليطلة . وقد يأتى لفظ البرج مضافا كما نرى فى Borjabad (برج عباد) فى سُرْية ، و Bujaraló (برج هارون) فى وادى الحجارة ، و Bujaraloz (برج العروس) فى سرقسطة ، و Bujalance (برج الحنش) فى قرطبة ، و Bujarrabal (برج الربض) فى وادى الحجارة ، و Bujasot (برج السد ، والسُّد بضم السين مثل السَّد بفتحها أى خزان المياه) . وكانت الأبراج التى تبنى خارج أسوار المدينة تسمى «البَرانية» Torres Albarranas ، وقد شاعت هذه التسمية خاصة فى غرب الأندلس ومن أمثلتها ما نجده فى قصرش وبطليوس .

وكانت الأبراج أو القلاع التى تبنى على الخطوط الدفاعية المتقدمة تدعى «الطلائع» Atalayas ، ولاتكاد تخلو محافظة فى إسبانيا من مواضع تحمل هذا الاسم . ويصور الطابع الحربى لهذه المنشآت أن بعضها سمى «العسكر» مثل البلدة التى لاتزال تحمل هذا الاسم Alasquer فى بلنسية ، وقد انتقلت إحدى مشتقات هذا الاسم إلى إسبانيا المسيحية ، إذ نجد فى محافظة ليون بلدة تدعى Almázcara (المعسكرة) . والطريف أن الجغرافى الإدريسى يذكر أن هذا الاسم نفسه يطلق على بلدة فى المغرب الأوسط بين تنس

وتلمسان ، وهى قائمة حتى الآن باسمها محرفا إلى «مسكرة» .

وكان لكثير من هذه المنشآت طابع خاص هو مزيج من الصبغتين العسكرية والدينية ، إذ كان يقيم فيها عدد من المتطوعين الزهاد أو المتصوفة برسم الجهاد ، وكانت تدعى الروابط (جمع رابطة) . وفى المصادر الأندلسية كثير من أخبار هذه الروابط وأخبار المجاهدين فيها وماكانوا يضطلعون به من حسن البلاء فى الدفاع عن الثغور الإسلامية ومعاونة الجيوش النظامية ، وكانت حياة هؤلاء مزيجا من التعبد وعمارة الأرض المحيطة بحصونهم والمساهمة الفعالة فى المعارك . وكانت مجريط (مدريد) من أهم تلك المراكز الدفاعية التى يتردد عليها المتطوعون المحتسبون من سائر أنحاء الأندلس بل ومن المغرب العربى أيضا ، وقد أشرنا فى كتابنا عن «مدريد العربية» إلى اثنين من فضلاء المغاربة وفدا عليها خلال القرن الرابع الهجرى برسم الرباط هما جساس الزاهد السجلماسى (من سجلماسة فى أقصى جنوب المغرب) وأبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسى الذى توفى بعد ذلك فى بلدة فاس سنة ٣٥٧ (٩٦٧) وما زال ضريحه فى «باب الجديد» بفاس من المزارات المشهورة[٢٤] .

وانتشرت تلك الروابط فى كل أنحاء إسبانيا وعرفت باسمها العربى فى صور متعددة : Rábida فى ولبة وسلمنكة ، Rávita فى غرناطة وجيان ومالقة ، Rápita فى لاردة وطركونة . وقد كان لفظ الرباط ومشتقاته والأعلام الجغرافية المرتبطة به موضوعا أفرده بالدراسة فى كتاب كامل المستشرق الإسبانى خايمى أوليفر أسين[٢٥] .

**الجبال والمرتفعات والكهوف :**

لم يترك المسلمون موضعا فيما عمروه من شبه الجزيرة إلا مهروه بتوقيعهم متمثلا فى اسم عربى لايزال علما عليه حتى اليوم . حتى المرتفعات والمواضع الجبلية الوعرة حمل كثير منها تلك الأسماء . ونذكر فيما يلى أمثلة عليها :

من الطبيعى أن تكثر هذه الأسماء فى المناطق الجنوبية والشرقية من شبه الجزيرة حيث كان للمسلمين وجود أطول أمدا ، ومع ذلك فلم تخل المناطق الواقعة فى أقصى الشمال من تلك الأسماء العربية ، بل نراها حتى فى مواضع لم يقدر فيها للمسلمين وجود فعلى. وقد رأينا

من قبل كيف أطلق المسلمون اسم «جبل الثلج» على سلسلة الجبال الممتدة إلى جنوبى غرناطة بينها وبين المرية ، وهو الاسم الذى ترجم إلى الإسبانية فى صورة Sierra Nevada . وأعلى قمة فى هذه السلسلة هو الذى يدعى «مولاى الحسن» (Mulacén) وهو اسم مركب مختصر من «مولاى أبى الحسن» ، وأبو الحسن هى كنية أحد سلاطين غرناطة من بنى الأحمر فى آخر عهدها الإسلامى ، وهو على بن سعد الملقب بالغالب بالله . ويبلغ ارتفاع هذا الجبل ٣٤٨١ متراً ، وهو أعلى قمة فى جبال شبه الجزيرة كلها .

وهناك العديد من الجبال يتألف كل منها من لفظ جبل منسوباً أو مضافاً إلى لفظ آخر ، منها جبل طارق Gibraltar ، وجبل العيون Gibraleón فى ولبة ، وجبل فاروق (Gibralfaro) فى مالقة وجبل الكحل (Jabalcol) الممتد بين غرناطة وبسطة (Baza) ، وجبل كنتُهْ Jabalquinto فى جيان (وهو اسم مُهَجَّن من لفظ جبل العربى ولفظ Quinto اللاتينى الأصل ويعنى الخامس) ، وجبل عمرو Jabalambre فى تيروال وجبليٌ بياء النسبة Jabali . وفى مالقة عدد من سلاسل الجبال تحمل إحداها اسم «الحامة Alhama » ، وأخرى اسم عبد العزيز Abdalajis ، وثالثة ممتدة بين مالقة وغرناطة تدعى Almijara ومن الواضح من بنية الاسم أنه عربى ولو أننا لم نهتد إلى أصله . وفى المرية جبل يدعى ميمون Maimón ، وآخر يدعى Almagro وهو مأخوذ من اللفظ العربى المغرة الذى يعنى الطين الأحمر ، إشارة إلى لونه . وإلى غربى إشبيلية سلسلة تمتد منها إلى ولبة تدعى الشرف Aljarafe ، ويصفها ابن عبد المنعم الحميرى بأنها على مسافة أربعين ميلا كلها فى ظل شجر الزيتون(٢٦) . وفى قادس عدة سلاسل منها جبال جزولة (قبيلة بربرية Los Gazules وطاحونة Tahona والمنارة Almenara ومدينة ابن السليم Grazalema . وفى مرسية جبل عربى Arabi وجبل طيبية Taibilla وسلسلة جبال Mazarrón ويلوح أنه اسم عربى وإن لم نتحقق من أصله . وبين البسيط وبلنسية جبل يدعى المنصف Almansa (وهو يعنى على حد قول ياقوت وسط الطريق وبه سمى أحد المواضع فى الجزيرة العربية(٢٧)) وباسم هذا

الجبل دعيت إحدى قرى البسيط . وفى جنوبى المدينة الملكية تمتد سلسلتا جبال المعدن Almadén (وسميت بذلك لما فيها من مناجم) والكدية Alcudia أى الربوة . وفى تيروال تقوم جبال «بنى رزين» وتقع على سفوحها المدينة التى تحمل نفس الاسم Albarracin وكانت عاصمة مملكة صغيرة من ممالك الطوائف تدعى سهلة بنى رزين وهى منسوبة إلى أسرة بربرية الأصل من قبيلة هوارة . وفى أقصى الشمال تنحدر عدة سلاسل من جبال البرتات (البيرينيه) منها جبال القاضى Sierra del Cadi مابين لاردة وجرندة . وفى محافظة قصراش تقوم سلسلة جبال وادى لب Guadalupe التى يتسنمها جبل شاهق الارتفاع (١٥٥٨ مترا) يدعى «رأس العربى Cabeza del Moro» . ولم يكن أصل هذه السلسلة معروفا حتى كشف لى نص قمت بنشره للمؤرخ القرطبى ابن حيان أن هذه الجبال منسوبة فى الحقيقة لأحد الثوار على إمارة بنى أمية فى سنة ٢٦٢ (٨٧٦) ويدعى على بن لب[٢٨] . ويقرب مدينة آبلة فى الهضبة الوسطى – وآبلة مدينة لم تخضع للمسلمين إلا على نحو عابر – جبل شاهق يدعى المنصور Almanzor . ولاشك فى أن السبب فى تسمية هذا الجبل باسم المنصور بن أبى عامر أكثر حكام المسلمين حملات على إسبانيا المسيحية هو ماعلق بأذهان المنطقة من ذكريات الغزوة الهائلة التى دمر فيها المنصور مدينة آبلة فى سنة ٣٨٤ (٩٩٤)[٢٩] .

ويكثر فى جغرافية إسبانيا استخدام لفظ الكدية Alcudia فى صيغته العربية وهو يعنى الأرض الغليظة المرتفعة ، فهناك أكثر من عشرة مواضع تحمل هذا الاسم وكثير منها يطلق على مدن واقعة على مرتفعات عالية .

وكثير من أسماء الجبال العربية هو فى الأصل وصف لهيئة هذه المعالم أو لونها أو سماتها المميزة ، مثل الخابية Alfabia وهى سلسلة جبال تقع شمالى مدينة بلمة عاصمة جزيرة ميورقة Palma de Mallorca وهى تخترق الجزيرة من الشمال الغربى إلى الجنوب الغربى . والخابية هى الجرة الضخمة ، فلعلهم شبهوا بها تلك الجبال . والفخار Alfacar اسم جبال وإقليم وقرية تقع إلى شرقى مدينة غرناطة ، ويرجع أصل التسمية إلى تميزها بنوع من الطفل تصنع منه الأوانى الفخارية . وقريبا من تيروال يقوم جبل يدعى الحمراء Alfambra وذلك لأنه من مادة طفلية حمراء .

ومدينة مجريط (مدريد) تقع على السفح الجنوبى لسلسلة الجبال المعروفة باسم وادى الرمل Sierra de Guadarrama ، وكان هذا الاسم يطلق أيضا على نهير متفرع من نهر تاجه ، وكان هناك من يخلط بينه وبين النهر الصغير الذى يخترق مجريط والذى يدعى الآن «نهر التفاح» Rio Manzanares ، وظل هذا الخلط حتى القرن السادس عشر ، ولكن الثابت أنه نهير آخر ينبع من سلسلة الجبال المذكورة . والتسمية قديمة إذ إننا نرى الاسم مذكورا بمناسبة بعض الأحداث الواقعة فى عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهرى آخر ولاة الأندلس فى عهد الخلافة الأموية فى المشرق ، فى نحو سنة ١٣٢ (٧٥٠).(٣٠) وقد كان الاسم فى لغة أهل الأندلس الدارجة بفتح الميم ، وهو مابقى فى النطق الإسبانى الحالى بعد حذف اللام الأخيرة .

وهناك عدد من الألفاظ التى تتعلق دلالتها بالجبال بقيت أعلاما على عدد من المواضع مثل الغار Algar وهو شائع فى أنحاء كثيرة : فى قادس ولقنت ووادى الحجارة وميورقة وبلنسية . ونجد اللفظ مؤنثا (Algara) فى أبيط Oviedo فى أقصى الشمال .

ويوجد اللفظ فى صيغة «الغورة» Algora فى وادى الحجارة ، وفى صيغة التصغير «الغُوَيْر» Alguaire فى لاردة .

واستخدم لفظ «العِقاب» بمعنى التلال أو المرتفعات ، وهو جمع عَقَبَة . ولكنه لم يدخل إلى اللغة الإسبانية إلا مترجما فى صورة Navas ، وأشهر المواضع حاملة هذا الاسم Las Navas de Tolosa الذى دارت فيه المعركة الهائلة «العقاب» سنة ٦٠٩ (١٢١٢) والذى انهزمت فيه جيوش الخليفة الموحدى محمد الناصر أمام ائتلاف مسيحى ، وأدت هذه الهزيمة إلى سقوط معظم الحواضر الأندلسية .

**الانهار والعيون والآبار :**

الذى يطالع المصادر العربية التى تصف الأندلس يتصور أن هذه البلاد كانت جنة الله فى أرضه ، إذ يكثر فى هذه الأوصاف الحديث عن السهول الخضراء والمزارع الخصيبة والحدائق الغناء ، ومايتردد فى أشعار الأندلسيين من التمدح بما تميزت به بلادهم من طبيعة ساحرة ، مثلما نجده فى قول ابن خفاجة الشُّقرى :

يا أهل أندلس لله دركم
ماء وظل وأشجار وأنهار

ما جنـــة الخلد إلا فى بـلادكم

وهـــــذه كنت لو خُيرت أختار

لا تتقوا بعدها أن تدخلوا سقراً

فليس تدخل بعد الجنة النار(٣١)

غير أن الحقيقة الجغرافية تسجل غير ذلك ، فشبه جزيرة إيبريا إذا قورنت بغيرها من البلاد الأوربية هى أكثر أقطار القارة جفافا وأقلها مياها وأحفلها بالصحارى القاحلة والأراضى المجدبة . ومع ذلك فإن أبيات ابن خفاجة وغيره من واصفى الأندلس لم تصدر عن فراغ ، بل كانت تصويرا صادقا معبرا عن حقيقة حضارية ، وهى أن هذه الطبيعة التى كانت مشاهدها تبهر الأبصار ، ومجاليها تفعم الأنوف بطيب نفحاتها إنما هى ثمرة لجهد بشرى كبير قام به الأندلسيون فى تعهد أرضها وحسن استخدام مواردها المائية بأقصى قدرة يمكن أن تتفتق عنها عبقرية الإنسان .

وقد وهب الله شبه الجزيرة خمسة أنهار كبيرة واحد منها يصب فى البحر المتوسط وهو نهر إبْره وأربعة فى المحيط الأطلسى هى دويرُه وتاجُه ووادى آنة والوادى الكبير . غير أن هذه الأنهار قليلة المياه بسبب قلة المطر وتبخر نسبة كبيرة منها خلال فصل الصيف الطويل . ولهذا فيعتمد جزء كبير من شبة الجزيرة على المطر فى الزراعة .

وكان المسلمون خلال القرون الأربعة الأولى من تاريخ الأندلس يملكون معظم أحواض الأنهار الخمسة ، ومابين أواخر القرن الخامس الهجرى وأوائل السادس فقدوا ماكانوا يملكونه من أحواض الأنهار الثلاثة الأولى : إبرة ودويره وتاجه وحتى منتصف القرن السابع فقدوا أيضا ماكان لهم فى حوضى النهرين الأخيرين . ويدلنا هذا على أن نصيب المسلمين من مياه الأنهار الكبرى كان قليلا ، غير أنهم عرفوا كيف يعتصرون من هذه المياه كل ماتحتوى عليه من طاقة ، كذلك ألجأتهم الحاجة إلى البحث عن موارد مائية فى باطن الأرض ، فكانت لديهم قدرة هائلة على استنباط المياه الجوفية والانتفاع منها إلى أقصى حد ، وهكذا استطاعوا أن يحولوا مالديهم من أرض قليلة العطاء بطبيعتها إلى حقول عامرة ورياض تتفجر بالخير ، وتموج بالزروع والغراسات والثمار .

ولعل أوضح دليل على ذلك أن كثيرا من الألفاظ المتعلقة بالمياه وبطرق استنباطها

واستخدامها من رى وشق قنوات وإنشاء سدود ومستودعات - كل ذلك مما أصبح من ذخيرة اللغة الإسبانية إنما هو من أصول عربية . وبقى عدد كبير من هذه الألفاظ يطلق على مواضع كثيرة فى البلاد .

وكما فعل العرب بالنسبة لأسماء المدن الكبيرة المنشأة من قبل ، فإنهم تركوا الأنهار الثلاثة الكبرى الأولى بأسمائها الإيبيرية أو الرومانية القديمة : الإبره والدويره والتاجه . أما النهران الباقيان فقد لحق اسميهما بعض التغيير ، فنهر آنه (الذى كان اسمه اللاتينى Ana Fluvium) احتفظ بالجزء الثانى من اسمه ولكن الجزء الأول استبدل به لفظ «وادى» ، والوادى فى اصطلاح الأندلسيين يطلق فى الغالب على النهر ، فأصبح وادى آنه ، وانتقل بهذه الصيغة المزدوجة إلى اللغة الإسبانية فى صورة Guadiana . وأما النهر الخامس الذى يجرى فى أقصى الجنوب فقد كان اسمه Baetis وعرفه العرب باسم بيطى ، ولكنهم اتخذوا بعد ذلك له اسما عربيا خالصا هو «الوادى الكبير» وورث الإسبان عنهم هذا الاسم إذ يدعى الآن Guadalquivir .

**«الوادى» فى جغرافية إسبانيا :**

رأينا لفظ الوادى ماثلا فى اسمى اثنين من كبار أنهار إسبانيا مما بقى من التراث الأندلسى . على أن هذا اللفظ قد دخل أيضا فى عدد هائل من المعالم الجغرافية الإسبانية كثير منها أنهار صغرى أو نهيرات وإن كان بعضها مدنا وقرى تقع على ضفاف تلك المجارى المائية . وقد اهتم بتتبع لفظ «الوادى» على الجغرافية الإسبانية العالم البحاثة إلياس تيريس فى دراسة قيمة(٣٢) . فأحصى من هذه الأسماء أربعمائة وأربعة وستين اسما نصفها يبدأ باسم «وادى» العربى . ولايتسع المجال هنا للحديث عن هذه الأسماء ودلالاتها ، وإنما يكفى أن نعرض بعضها مضافا إلى ألفاظ ذات دلالات مختلفة بعضها نسبة إلى اسم علم أو طائفة أو مهنة ، وبعضها صفات لما يتميز به الموضع من لون بعينه أو بما يكثر حوله من نبات أو حيوان . فمن هذه الأسماء :

- وادى سليط Guadacelete واسمه الحالى Guazalete وهو يقع على مقربة من طليطلة إلى جنوبها الغربى ، علما على نهير متفرع من نهر تاجه El Tajo وعلى ضفاف هذا النهير ، وقد كان مسرحا لأحداث حربية

مذكورة فى المصادر الأندلسية ، منها معركة وقعت فى منتصف القرن الثانى الهجرى بين العرب بقيادة الوالى عبد الملك بن قطن والبربر ، وفى عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن وبين أهل طليطلة الثائرين على سلطة الإمارة فى سنة ٢٤٠/٨٥٤ ويبدو أن لفظ سليط الذى ينسب إليه هذا الوادى اسم علم(٣٣) . وللعالم الشاعر الأندلسى المشهور عباس بن فرناس - صاحب محاولة الطيران المعروفة - قصيدة فى تهنئة الأمير محمد بانتصاره فى هذه المعركة وفيها يصف الموقع بأنه وادٍ يحف به جبلان عاليان :

بكى جبلا وادى سليطٍ فأعولا
على النفر العُبْدانِ والعصبة الغلف(٣٤)

- وادى لب Guadalupe ، وهو يطلق على عدة مواضع ، فى قصراش وبطليوس وطليطلة والمرية ، ولكن أشهر هذه المواضع هو الأول الذى تحمله بلدة على مقربة من لقرشان Logrosán فى محافظة قصراش Cáceres ، وفيه مشهد كبير يتعبد له كثير من أهل إسبانيا وينسب إلى من يسمونها «عذراء وادى لب» وقد انتقل التعبد لها إلى أمريكا ، فأصبح أهل المكسيك يعدونها راعية لبلادهم . وقد كان العلماء الذين درسوا هذا الاسم مثل البرتغالى دافيد لوبس والألمانى تسايبولد والإسبانى أسين بلاثيوس يعتقدون أن لفظ لب الذى أضيف إلى الوادى يعنى «الذئب الإسبانى» lobo (من اللاتينية lupus) ، وقد كان الأندلسيون المسلمون يعرفون هذا الحيوان باسمه الإسبانى «لبّ» وتسمى به كثير منهم ، غير أن نص «المقتبس» لابن حيان الذى قمنا بتحقيقه دلنا على أن هذا الموضع يدين باسمه لشخصية أحد الثوار ويدعى على بن لُبّ كان فى غرب الأندلس حليفاً لابن مروان الجليقى زعيم مولدى الغرب فى أيام الأمير محمد ومنشئ مدينة بطليوس ، وذلك خلال السنوات المنحصرة بين ٢٦١ و ٢٧٦ (٨٧٥ - ٨٩٠) .

- وادى سلمة Guatizalema ، اسم نهر صغير ينبع فى إقليم وشقة Huesca ويتجه جنوبا حتى يصب فى نهر Alcanadre (وهو نهر آخر يحمل اسما عربيا : القناطر ) من فروع نهر إبره ، وهو منسوب إلى أسرة كانت تحكم مدينة وشقة وهم بنو سلمة الذين ينتمون

إلى قبيلة تجيب العربية ، وكانوا قد نزلوا هذه المنطقة من أقصى شمال إسبانيا فى السنوات الأولى للفتح العربى[٣٦] .

- وادى الكلبيين Guadacabrillas ، وقد اختصر الاسم مؤخرا إلى Cabrilla ، وهو نهير يصب فى الوادى الكبير على مقربة من بلدة تحمل إيضا اسما عربيا هى المدوّر Almodóvar del Rio ، وبجوار هذا النهر دارت معركة ضارية انتصر فيها عبدالرحمن الداخل «صقر قريش» على الثوار عليه من اليمنية ، وإلى هذه القبائل القحطانية ينتمى الكلبيون الذين حمل ذلك الوادى اسمهم ، فبنو كلب بن وبرة هم أحد بطون قبيلة قضاعة . وإليهم تنتسب أسرة بنى أبى عبدة الذين منحوا دولة بنى أمية عددا من أكفأ الوزراء والقواد ، ومنهم كان بنو جهور أصحاب قرطبة فى عهد ملوك الطوائف[٣٧] .

- وادى البربر Guadalbarbo ، نهير ينبع شمالى قرطبة ثم يلتقى بنهر كزنة Rio Cuzna ، وهناك نهير آخر بنفس الاسم يصب فى الوادى الكبير بالقرب من قرية تدعى القليعة Alcolea ، ويبدو أنه هو الموضع الذى ذكره ابن حيان فى معرض حديثه فى أخبار سنة ٣١٧ (٩٣٠) من استجلاب الخليفة الأندلسى عبد الرحمن الناصر لفصائل من فرسان البربر وحماة رجالهم إلى حضرته ، وقد جلب هؤلاء معهم جرائد من عتاق الخيل قاموا باستنتاجها فى وادى البربر المذكور[٣٨] .

- وادى النساء Guadalmesi ، نهير ينبع من جبال الجزيرة الخضراء فى محافظة قادس ويخترق إقليم طريف ويصب فى مضيق جبل طارق . ولم تفدنا المصادر بسبب هذه التسمية إلا أنها تسجل مواضع بالاسم نفسه فى المشرق (خراسان) وفى الشمال الإفريقى (الجزائر)[٣٩] .

- وادى القّزازين Guadalcacin أو Guadalcazacin نهر يجرى فى إقليم أركش Arcos de la Frontera ، ويصب فى نهر وادى لكه Guadalete ، وهو يدعى أيضا باسم آخر من أصل عربى : مرج الزيت Majaceite ، ويبدو أن نسبته إلى القزازين ترجع إلى كثرة من كانوا يزاولون فى حوضه تربية دودة القز أى الحرير[٤٠] .

- وادى السباع Guadacebas ، نهير يجرى فى محافظة جيان ، ويصب فى الوادى

الكبير على مقربة من حصن التراب Izna-toraf . وقد جرى الأندلسيون على أن يطلقوا لفظ السباع على الذئاب(٤١) .

– وادى الرمك Guadarranque ، نهير يجرى فى محافظة قادس ومنبعه فى جبال شمانة Jimena ويصب فى خليج الجزيرة الخضراء ، ويسميه الحميرى «وادى البحر» ، أما اسمه الأول فهو منسوب إلى الرمك ، جمع رمكة (بفتح الميم) ومعناها الفرس ، غير أن الأندلسيين فى لغتهم الدارجة كانوا يسكنون الميم فى صيغة الجمع ، ويبدو أن هذا الموضع كان صالحا لاستنتاج الأفراس الفارهة(٤٢) .

– وادى الرمان Guadarromán ، نهير ينبع على مقربة من مدينة الزهراء التى بناها عبد الرحمن الناصر خارج قرطبة ، ويصب فى الوادى الكبير . ويذكر ابن حيان أنه كانت فى هذا الموضع «منية» (يعنى قصرا ريفيا تحفه الحدائق) بناها الفتى دُرِّى وأهداها للحكم المستنصر . ونحن نجد الاسم مختصرا فى صيغة Guarromán علماً على بلدة فى منطقة لاكارولينا فى محافظة جيان . وواضح أن فى الاسمين إشارة إلى شجر الرمان الذى عنى به الأندلسيون(٤٣) . وبهذه المناسبة يذكر أن عبد الرحمن الداخل حينما بنى منية الرصافة فى شمالى قرطبة جلب طرائف من الرصافة المنسوبة إلى جده هشام فى أرض الجزيرة بالمشرق ، ومن هذه الطرائف رمان فاخر لذيذ الطعم ، وكان من جلسائه رجل من أهل الأردن هو سفر بن عبيد الكلاعى ، فأخذ من هذا الرمان شيئا عالج غرسه وتنقيله فى موضع سكناه بقرية من قرى مالقه ، حتى أثمر وأينع وأغرب فى الجودة ، ثم انتشر هذا النوع ، واستوسع الناس فى غراسه ، ولزمته النسبة إلى مستنبطه فأصبح يدعى «الرمان السَّفَرى» ومازال حتى الآن يدعى فى الإسبانية بنفس اسمه العربى فى صيغة Zafari ، كما ينسب إلى سفر هذا نوع من التين المالقى الذى يضرب بجودته المثل(٤٤) .

– وادى المنصور Guadalmanzor أو المنصورة Almanzora ، نهر يجرى فى محافظة المرية وتقع على ضفته بلدتا برشانة Purchena وبيرة Vera على مقربة من مصبه فى البحر المتوسط . واسما المنصور والمنصورة شائعان فى جغرافية الأندلس علمين على عديد من المواضع ، وإطلاقه ضرب من التفاؤل بالنصر(٤٥) .

- الوادى الأبيض Guadalaviar نهر ينبع من جبال بنى رزين Sierra de Albarracin فى تيروال ويصب فى البحر المتوسط ، وعلى مصبه تقع مدينة بلنسية ، ولهذا النهر ثلاثة أسماء تطلق على أجزاء متعاقبة من مجراه ، الأول باسمه العربى الأصل ، والثانى باسم Rio Blanco وهو ليس إلا ترجمة للاسم العربى ، والثالث باسم توريا Turia فى الجزء الأخير الذى ينتهى بالمصب . وهناك من اللغويين من رأى أن أصل الاسم العربى ليس «الأبيض» وإنما هو «وادى الأبيار» على أن أبيار هى الجمع الذى استخدم فى لغة الأندلسيين الدارجة للفظ «بئر - بير» ، وذلك تعليلا لإنتهاء الاسم بحرف الراء التى يستبعدون أن يتحول إليها حرف الضاد . وهو أمر محتمل على كل حال(٤٦) .

- الوادى الأحمر Guadalimar نهر ينبع من إقليم الكرس Alcaraz وهى مدينة عربية الاسم فى محافظة البسيط ويمر فى محافظة جيان ويصب فى الوادى الكبير ، ويتردد ذكر هذا النهر فى المصادر الأندلسية بمناسبة بعض الأحداث التى وقعت على ضفافه ، ومن أهمها ثورة أبى الأسود بن يوسف بن عبد الرحمن الفهرى على عبد الرحمن الداخل والنصر الذى أحرزه جيش الأمير الأموى عليه فى «مخاضة الفتح» على مقربة من قسطلونة Cazlona على ضفاف الوادى المذكور ، وكان قائد جيش الأمير هو سليمان بن عبد الرحمن الداخل . وقد سجل الشاعر أبو المخشى الإلبيرى (وهو من سلالة الشاعر الجاهلى عدى بن زيد العبادى) ذلك النصر فى قصيدة يقول فيها(٤٧) :

وغدا سليمان السماح عليهم
كالليث لا يلوى على متعذر
وهو الذى ورث الندى أهل الندى
ومحا مغبة يوم وادى الأحمر

أما تسميته هذا الوادى بالأحمر فهى ترجع إلى ما يحمله من طمى ضارب إلى الحمرة(٤٨) .

* * *

وإذا كانت الأسماء العربية التى تحملها وديان إسبانيا وأنهارها على مارأينا من الكثرة فإننا نرى مثل ذلك فى المعجم المتعلق بالمياه من عيون وقنوات وسدود ومستودعات مياه وكل مايتعلق بالرى والفلاحة . وكثير من هذه الألفاظ انتقل من دلالته المعجمية إلى الدلالة على أسماء وأعلام جغرافية .

ومن أول هذه الألفاظ «العين» الذى تحمله مواضع كثيرة ، منها Ahin فى قشتليون ، وهى قرية تدين باسمها لعين ذات ماء غزير تروى به المنطقة كلها وتدير خمسة أرحاء لطحن القمح(٤٩) . وهناك قرية فى طليطلة تحمل هذا الاسم فى صيغة Ain على مقربة من ضفة نهر تاجه ، وقرية أخرى فى «البسيط» باسم Ayna(٥٠) وقد يأتى اسم العين مضافا كما نرى فى «عين الدمع» فى غرناطة ، ويقول عنه الشقندى فى رسالته فى فضل الأندلس إنه «من عجيب مواضعها ... وهو جبل فيه الرياضات والبساتين(٥١) ، وقد بقى اسمه حتى الآن فى صورة Ainadamar ، ومن الذكريات الحزينة المرتبطة به أنه هو الذى نفذ فيه حكم الإعدام على الشاعر الغرناطى المشهور فيديريكو غرسية لوركا . وقد يرد اسم العين لا بلفظها وإنما بصفة من صفاتها ، ففى مالقة قرية تدعى Cútar ، وفى غرناطة Alcútar وهو لفظ «الكوثر» تمدحا بعذوبة مائها . وقد يستخدم اللفظ فى صيغة الجمع ، كما نرى فى قرية بطليطلة تدعى «العيون» Aloyon ، وفى جبل من جبال ولبة يدعى «جبل العيون» Gibraleón .

ومن الألفاظ المتعلقة بالماء «الساقية» Acequia ، وهو يعنى القناة وبه تسمى قرية فى غرناطة و «القناة» Alcaná ، وبه تسمى قرية فى جزيرة ميورقة ، و Alcanar فى طركونة . وكذلك «البركة» Alberca ، وهو علم على العديد من المواضع : فى لقنت ومرسية وكونكة وآبلة وسلمنكة .

وكان الأندلسيون يستخدمون فى الرى «الناعورة» وهى التى تقابل مايعرف فى مصر بالساقية ، سميت بذلك لما تحدثه من صوت ، وقد دخل هذا اللفظ إلى الإسبانية فى صورة Anoria وبه تسمى قريتان فى المرية والبسيط ، وفى قرطبة Añora ، و Noria فى قرى عديدة بالمرية وغرناطة و Nora فى قصرش ولاردة وليون وأبيط ، و Ñora فى غرناطة ومرسية .

ومن هذه الألفاظ السانية ، ومعناه فى اللغة الدابة التى تحمل الماء ، ولكن الأندلسيين استخدموه بمعنى الناعورة، وقد أصبح علما جغرافيا على كثير من قرى إسبانيا فى صور متعددة :

Sinia, Senia, Azaña, Aceña

وبرع الأندلسيون فى استنباط المياه من الآبار ، ومن هنا بقى لفظا «البير» و «الجب» فى كثير من الأعلام الجغرافية . نذكر منها Biar (وهو جمع بير فى الأندلسية الدارجة) فى لقنت ، و Viar فى بطليوس وإشبيلية ، و Albires فى ليون (وهو اللفظ العربى ، أضيفت له لاحقة الجمع فى الإسبانية) . ومن فروع نهر تاجة فى المنطقة التى توجد فيها مجريط فرع يدعى Ajalbir وأصله العربى «فجّ البير» .

أما لفظ «الجب» فقد اتخذ فى الإسبانية أكثر من صيغة منها Alcibi, Alchup, Aljube, Algibe وقد أصبحت هذه الصيغ أعلاما جغرافية على أكثر من عشرة مواضع فى مختلف محافظات إسبانيا .

وبنى الأندلسيون عددا كبيرا من السدود التى كان الهدف منها تخزين المياه ، وكان لفظ «السدّ» ينطق لديهم بضم السين وبهذا الضبط انتقل إلى الإسبانية فى صيغة Azud ، وبه يدعى خزان يوجد الآن فى طركونة ، وكذلك فى صيغة Azut فى لقنت . وكانوا يطلقون على مستودعات الماء لفظ «الصهريج» وقد انتقل هذا اللفظ إلى الإسبانية فى صور متعددة ، من بينها Safareitg وبه تدعى قرية فى لاردة .

والأنبوب الذى يصرف به الماء الزائد على الحاجة كان يدعى «الميزاب» (وهو بالإسبانية Mizep) وهو علم على قرية مندثرة فى لقنت ، أو «البلاعة» (Albalá) وهو اسم قرية فى قصراش .

ومن أكثر منشآت المسلمين فى الأندلس القناطر . ومن هنا كثر استعمال لفظ القنطرة Alcántara علماً جغرافيا فى العديد من الأنحاء : فى قصراش وقادس وبلنسية ، وبصيغة التصغير العربية Alconétar ، وموضع يدعى «قنطرة محمود» فى قصراش ، وبصيغة التصغير الإسبانية Alcantarilla فى البسيط وكونكة ومالقة ومرسية وطليطلة ، وبصيغة الجمع : القناطر Alcanadre فى لوجرونيو .

والموضع المنخفض الذى يتخلف فيه الماء يدعى فى العربية «الغدير» ، وقد بقى هذا الاسم علما جغرافيا فى صيغة الجمع «الغُدُر» Algodor فى قرطبة وطليطلة وقصراش وبلفظ Algodre فى سمورة .

وتنتشر فى شبه الجزيرة عيون المياه المعدنية الساخنة ، وهى التى تدعى الحمّات (جمع حمّة

وحامّة) وقد عرف الأندلسيون كيف ينتفعون من هذه العيون فى الاستشفاء ، وانتقل لفظ «الحامة» Alhama إلى كثير من الأعلام الجغرافية ، فتسمت به مدن وقرى فى المرية وغرناطة ومرسية وسرقسطة وسرية والبسيط . وهناك عيون مائية فى مدينة بسطة Baza تدعى Alcribite وهو لفظ الكبريت العربى إشارة إلى المياه الكبريتية التى تنبعث من هذه العيون . وفى سرقسطة قرية تدعى Alfamén وهو تحريف للفظ «الحمّام» إشارة إلى عيونها الساخنة . وفى المرية قرية تدعى Alfaguara الفوّارة ، أى العين التى تفور بالماء .

ولفظ «الدِّيماس» يعنى الحمام والمكان المظلم وبه سمى سجن بناه الحجاج بن يوسف الثقفى . وقد أطلق هذا اللفظ فى الأندلس على صهاريج المياه التى تبنى على العيون الساخنة ، وقد أصبح هذا الاسم علما على عدد من المواضع فى صيغ مختلفة : Adamuz فى قرطبة ، و Ademuz فى بلنسية ، و Daimuz (منكرا) فى غرناطة ، و Daymús فى وشقة .

والألفاظ المتعلقة بالنشاط الزراعى وبأنواع الشجر والنبات قد اتخذت سبيلها أيضا إلى أن تصبح أعلاما جغرافية . ومن أكثرها شيوعا لفظ «المُنية» الذى يعنى البيت الريفى الذى تحيط به الحدائق . وهو لفظ أطلق على كثير من القرى والمدن فى مصر ، فقد أحصى ياقوت فى معجمه أحد عشر موضعا فى دلتا مصر وصعيدها بهذا الاسم ، من أشهرها منية ابن الخصيب ممدوح أبى نواس (وهى عاصمة المحافظة التى تدعى المنيا فى الصعيد) ومنية غمر التى تحرف اسمها إلى ميت غمر ، وكل القرى التى تبدأ فى مصر بلفظ ميت إنما تحرفت أسماؤها عن المنية . أما الأندلس فقد كانت ضواحى قرطبة على عهد بنى أمية تحفل بهذه المنى ، ومن أشهرها منية الرصافة التى أنشأها عبد الرحمن الداخل فى شمالى قرطبة ، وقد اندثرت بعد ذلك وإن كان اسمها باقيا حتى اليوم La Ruzafa ، ومنية الرصافة فى بلنسية التى أنشأها عبد الله بن عبد الرحمن الداخل المعروف بالبلنسى ، ومازال اسمها حتى اليوم علما على حى من أكبر أحياء المدينة ، وإليها ينسب شاعر مشهور من وصافى الطبيعة يدعى محمد بن غالب الرصافى . ولفظ «المنية» يطلق اليوم فى صورتيه ,Almunia Almuña على عدد من القرى والمدن

الصغيرة فى بلنسية وسرقسطة ووشقة ، وكذلك فى أبيط Oviedo وبونتفيدرا Pontevedra فى أقصى شمال إسبانيا .

ومن هذه الألفاظ «القرية» التى انتقلت إلى إسبانيا فى صور متعددة : Alcaria فى قادس ومالقة وجزيرة ميورقة ، و Alqueria فى عدد كبير من قرى الجنوب والشرق وجزر البليار ، و Alcarria فى وادى الحجارة . وقد أشرنا من قبل إلى لفظ «الضيعة» الذى قدر له كذلك انتشار عظيم .

ومنها لفظ الغيضة أى المكان ذو الشجر الملتف ، وهو بصورة Algaida اسم لقرى فى قادس وجزر البليار ، وفى صيغة الجميع Algayad اسم لسلسلة جبال فى لقنت . وكان الأندلسيون يطلقون على البستان اسم الجنة ، ومن هنا نجد فى بلنسية التى كانت مشهورة برياضها وحدائقها قرية باسم الجنّات Alginet ومن أشهر معالم غرناطة جنة العريف El Generalife بجوار قصر الحمراء .

واشتهرت الأندلس بكرومها ومن هنا أصبح لفظ الدالية ومعناه شجرة العنب علما على أكثر من موضع فى صورة Adalia فى سمورة وبلد وليد . والطرفاء هو منبت شجر العضاه ، وبه سميت قرية فى طليطلة Atarfa ، والشَّعْرَاء هى الأجمة والعشب الكثيف الملتف ، وقد أطلق هذا الاسم فى صورة Jara على نحو عشرة قرى فى جنوبى شبه الجزيرة ووسطها وشرقيها . وكانت الأندلس ومازالت مشهورة بزيتونها ، ومن هنا سميت بعض القرى فى طليطلة وقصراش باسم Aceituno مذكرا ومؤنثا ، وكذلك شجر الخروب الذى بقى اسمه منكرا فى صورة Garrobo علما على قرى فى مالقة والمرية وإشبيلية ومرسية وبطليوس ، ومعرفا فى صورة Algarrobo فى مالقة . ومن المعروف أن العرب أدخلوا إلى شبه الجزيرة زراعة القطن ، وانعكس ذلك على اسم قرية فى قادس تدعى Algodonales أى مزارع القطن . وكذلك القنب الذى بقى اسمه علما على قرية فى سرية تدعى Alconaba .

وهناك مواضع تحمل أسماء ثمار أو أزهار عربية الأصول منها قرى فى تيروال وجيان وطليطلة تدعى Allozar أى شجر اللوز ، وقرية فى المرية تدعى Ambercoque أى البرقوق . ويستوقف النظر هنا أن حرف

التعريف العربى قد استبدلت فيه اللام بالميم ، وهذه لغة يمنية معروفة ، ويتفق ذلك مع مايسجله ابن حزم من أن النازلين بوادى بجّانة Pechina الذى تقع فيه المرية كانوا من بنى أسلم بن زيد وهم بطن من قبيلة حمير اليمنية(٥٣) . ومن أسماء الأزهار «الريحان» الذى سميت به قرية فى غرناطة هى Arrayán ، و «الدّفلى» وبه سميت قرية فى ميورقة Defla .

ومما يتعلق بالنشاط الزراعى أيضا لفظ «المدرس» أى المكان الذى يُدْرَس فيه القمح ، وهو علم على قرية بطليطلة تدعى Almadraz ، وكذلك لفظ الخرّاصين ومعناه الذين يخرصون (أى يقدرون) المحصول الزراعى بالنظر المجرد وهو اسم علم على قرية فى بلنسية فى صورة Alfarrasí . وكذلك لفظ Almásera, Almázara وهو من العربية المعصرة ، أى مكان عصر الزيت أو العنب ، وبهذين الاسمين توجد قريتان إحداهما فى بلنسية والأخرى فى محافظة نبرة Navarra فى أقصى الشمال . ويوجد اسم «معصر» منسوبا إلى بعض الأعلام مثل Mazarambroz : معصر عمروس فى طليطلة .

ومن الألفاظ المتصلة بالمهن والحرف والمنتهية بعلامة جمع المذكر السالم Alfajarin فى سرقسطة ، وهى تعنى «الحجّارين» و Albaicín ، وهو من أهم أحياء غرناطة وكان حى الطبقة العاملة فى المدينة ، وهو بالعربية حى البيازين أى باعة البزاة المستخدمة فى الصيد ، وكذلك الحى الذى مازال يحمل اسمه العربى Zacatín أى حى السقّاطين وهم باعة سقط المتاع ، أى الأثاث القديم والثياب المستعملة وما إلى ذلك . وكانت صناعة الفخار والخزف مما اشتهرت به كثير من المدن الأندلسية ، ومنها مجريط وطلبيرة وبعض قرى غرناطة ، ولهذا فقد وجدنا لفظ الفخار علما على اسم قرية غرناطية تدعى Alfacar ، واختصر اللفظ إلى Alfara, Alfar, ، فأصبح علمًا على عدد من المواضع فى بلنسية وطركونة وبرشلونة وجرندة Gerona . ومما يتصل بهذا العمل لفظ Adobas, Adobes وهما صيغتان انتقلتا من لفظ الطوب العربى ، ويطلقان على قريتين فى وادى الحجارة وتيروال .

ومن الألفاظ المرتبطة بالصناعة لفظ «القُرْق» وهو لاتينى الأصل (quercus) ومعناه شجر الفلين ، وكان الأندلسيون يستخدمون هذه المادة فى صناعة الأحذية فكانوا يسمون الخفاف «الأقراق» (جمع قرق) والمشتغلين بصناعتها (القراقين) . وهذا الشجر كثير فى إسبانيا وبه سميت قرى عديدة بصيغ مختلفة منها Alcornoque Alburquerque, (أبو القرق) وكلتاهما فى بطليوس .

ونذكر فى النهاية ثلاثة أعلام جغرافية مرتبطة بألوان أخرى من النشاط الحيوى ، أولها Almadén (المعدن) وبه يسمى أكثر من موضع : فى المدينة الملكية وكان موضعها على عهد المسلمين يدعى بفحص البلوط Valle de los Pedroches (لكثرة هذا الشجر فيه) وإلى جنوبى هذه البلدة توجد سلسلة الجبال التى تحمل الاسم نفسه Sierra de Almadén وسميت البلدة والجبال بذلك لغناها بالمعادن ، ولهذا فقد كثرت فيها المناجم واشتغل أهلها بالصناعات المعدنية ، وهناك بلدة تقع إلى الشمال الغربى من إشبيلية تدعى Almadén de la Plata أى معدن الفضة كانت معروفة بمناجمها التى يستخرج منها هذا المعدن النفيس . وفى أقصى الغرب وعلى مصب نهر التاجة فى المحيط الأطلسى تقع مدينة الأشبونة Lisboa عاصمة البرتغال وعلى ضفة النهر المقابلة كان يوجد حصن Almada وهو صيغة أخرى للفظ المعدن ، ويقول ابن عبد المنعم الحميرى إنه سمى بذلك «لأنه عند هيجان البحر يقذف بالذهب التبر هناك فإذا كان الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذى به إلى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الأرض»(٥٤) .

والعلم الثانى La Malá وهو اسم قرية فى جنوبى غرناطة ، وأصله العربى الملاّحة ، سميت بذلك لما كان فيها من معدن الملح الذى كان أهلها يقومون باستخلاصه . وإلى هذه القرية ينتمى المؤرخ أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقى المعروف بالملاحى مؤلف « تاريخ علماء البيرة » ( والبيرة كانت حاضرة الإقليم قبل أن يتحول عمرانها إلى غرناطة )(٥٥) .

والعلم الثالث هو Almadraba وهو اسم يطلق على عدة قرى ساحلية فى المرية ولقنت وميورقة ، وأصله العربى «المضربة» ،

وهو مصطلح أندلسى يعنى نوعا من الشباك الخاصة التى تستخدم فى صيد حيتان التُّنّ (بالإسبانية atún)(٥٦) . ومازال صيد هذه الحيتان يجرى على نفس النهج الذى كان يصاد بها على عهد المسلمين .

**دلالة الاعلام الجغرافية**

**ذات الاصول العربية :**

رأينا فى الصفحات السابقة نماذج من أسماء أنواع من المعالم الجغرافية التى مازالت تحمل هويتها العربية ، وهى ليست إلا عددا ضئيلا عرضناه من بين مئات بل آلاف من تلك الأسماء ، وكان هدفنا من عرضها هو التمثيل لا الحصر . وقد رأينا كيف انتشرت هذه الأسماء على جغرافية إسبانيا كلها سواء على معالمها الطبيعية من جبال وسهول ووديان وأنهار وعيون وكهوف ، أو على ماأبدعته يد الإنسان الأندلسى من مدن وقرى وقلاع وبروج وقنوات وسدود . والواقع أن هذه الأسماء ليست مجرد ألفاظ لغوية انتقلت من لغة إلى لغة ، وإنما هى مرآة لما تم على أرض شبه الجزيرة عبر عدة قرون من منجزات حضارية ، فهى كما رأينا تصور مدى الجهد الذى بذله الإنسان الأندلسى على تلك الرقعة المقتطعة من القارة الأوربية فى سائر مجالات الحياة من زراعة وصناعة وحرف ونشاط بحرى عرف فيه كيف يستثمر موارد البلاد على خير صورة ممكنة ، وأورث الأندلسيون إسبان اليوم كل ماتفتقت عنه عبقريتهم من خبرات فكان ذلك منطلقا لهذا الشعب إلى استكشاف العالم الأمريكى الجديد الذى أصبح امتدادا حضاريا وثقافيا لشعبى شبه الجزيرة : إسبانيا والبرتغال .

لقد قدم الفاتحون العرب إلى شبه الجزيرة وهى أرض واسعة مترامية الأطراف ، ولكنها ذات موارد طبيعية فقيرة ، أكثرها جبال وأراض صحراوية قاحلة ، ولكن شعبها كان وريثا لحضارتين متقدمتين : الفينيقية والرومانية ، غير أن القوط ورثة الحضارة الأخيرة كانوا شعبا أقرب إلى البداوة والخشونة ، فلم يضيفوا شيئا إلى ماورثوه ، بل تخلفت البلاد فى ظلهم ، وقل عدد السكان بصورة ملحوظة ، وكانوا بطبيعتهم مترفعين على أهل البلاد ، فعاشوا فى عزلة عنه ، وقنعوا حتى بعد ما نالوا شيئا من الرقى والتحضر فى أواخر عهدهم بالحياة على التراث الرومانى فى المدن الكبرى معرضين عن استثمار المساحات

الواسعة من الريف أو عاجزين عن استثمارها بحكم مستواهم الحضارى المحدود . ثم قدم الفاتحون العرب مسلحين بقيم دينية وفكرية جديدة ، بعيدة عن العنصرية والتعبد بالتفوق العرقى الذى كان من سمات الحضارة الرومانية ثم القوطية من قبل . بل كانوا بفضل هدى الإسلام حملة رسالة تدعو إلى التسامح وحسن التعامل مع الشعوب التى وفدوا عليها ، فلم يكرهوا أحدا على اعتناق دينهم ولا على اصطناع لغتهم ، وكان سلوكهم مع أهل البلاد كسلوكهم مع كل الأمصار التى فتحوها من قبل قائما على المساواة وحسن الجوار ، ولهذا فإنهم سرعان ما امتزجوا بأهل البلاد وشاطروهم حياتهم ، وآتت هذه السياسة ثمرتها ، فإذا بأهل البلاد يقبلون على الإسلام طواعية ويتقبلون تلك الثقافة الجديدة التى أتى بها الفاتحون بكل ما احتوته من قيم . ومنذ اللحظات الأولى يتحول هؤلاء المحاربون الأشداء الذين قدموا تحت راية الإسلام إلى مزارعين وصناع وأهل حرف منساحين فى الريف والقرى مطبقين ما حملوه معهم من الشرق من خبرة فى تعمير هذه الأرض الجديدة التى أصبحت وطنهم الثانى . ونتج عن هذا الامتزاج السريع الذى تم بين الفاتحين من عرب وبربر وموالٍ بأهل البلاد تولد شعب جديد هو الذى نسميه الشعب الأندلسى حاملا كل مميزات تلك العناصر المختلفة التى انصهرت فى بوتقة شبه الجزيرة . وإذا بهذا الشعب يتكشف عن ذكاء متوقد وقدرة هائلة على العمل الجاد والحركة الدائبة فى سائر المجالات الحضارية ، وكأن الفتح العربى قد ولد فيه طاقة جديدة أقبل بها على الحياة فى ثقة وتفاؤل وعزيمة ماضية .

وكان هذا الشعب على وعى بأنه فى إسلامه وعروبته - والعروبة هنا مفهوم ثقافى أكثر مما هو مفهوم عرقى عنصرى - إنما هو امتداد للمشرق العربى ، ولذلك فقد أقبل أبناؤه منذ الجيل الأول على الرحلة إلى الشرق أولا لأداء فريضة الحج ثم للتزود من الثقافة العربية فى أصولها ومراكزها . والذى يطالع معاجم التراجم يروعه هذا العدد الهائل من الأندلسيين الذين كانوا يتجشمون مشاق الرحلة الطويلة مترددين على الحواضر الشرقية وما حفلت به من مجالس العلم ، وكانت هذه الرحلات مثيرة لروح المغامرة وحب الاستطلاع ، وهما أساس لكل نشاط فكرى مثمر للحضارة . ويعود

هؤلاء الراحلون إلى بلادهم لكى يودعوا أرضهم كل ما جمعوه من خبرات يُنَمُّونها جيلا بعد جيل . على أنهم لم يكونوا مجرد ناقلين أو مقلدين ، بل سرعان ماقدموا لنا نتاجا فكريا وحضاريا فيه كل سمات الأصالة وإن كان فى إطار الحضارة العربية الإسلامية .

ولهذا فإننا نتفق مع ما نادى به عدد من الباحثين المعاصرين الإسبان والأمريكيين مؤخرا من أمثال أميريكو كاسترو Américo Castro وخوان جوتيسولو Juan Goitisolo وفرانسسكو بيانوبيا Francisco Villanueva وجيمس مونرو James Monroe من أن إعراب إسبانيا عن هويتها وذاتيتها المستقلة لم يبدأ إلا بظهور «الأندلس» على مسرح التاريخ ، أى ابتداءً من الوجود العربى الإسلامى على أرض شبه الجزيرة .

والذى عرضناه فى الصفحات السابقة من الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية ليس إلا شاهدا على هذه الحقيقة . فقد قدم العرب إلى هذه البلاد ، فرأوا فيها مدنا قائمة ، فلم يهدموا شيئا منها ولم يغيروا من معالمها ولا أسمائها ، بل عملوا على تنميتها وزيادة عمرانها ، ولكن عملهم الأساسى كان الامتداد فى الريف وتعمير ما كان مهملا من أرضها واستثمار مواردها واعتصار كل ما يمكن أن يستخرجوه منها ، وهكذا حولوها إلى أرقى بلد فى القارة الأوربية ، وأصبحت حضارتهم هى النموذج الذى يحتذى ، ثم قدموا خبراتهم إلى مُسَاكنيهم - وأعدائهم فى الوقت نفسه - من أهل شبه الجزيرة ، بل لم يبخلوا بثمرات علومهم وفنونهم على من جاورهم من شعوب أوربا فانتفعوا منها فى إقامة صرح نهضتهم .

ويلفت النظر فى حديثنا عن الأعلام الجغرافية الأندلسية أنه إلى جوار ما رأيناه من مئات المدن والقرى التى استحدثها العرب واحتفظت حتى الآن بأسمائها العربية كانت هناك مدن وقرى أخرى ظلت محتفظة بأسمائها اللاتينية بل إن من منشآتهم ما حمل مثل هذه الأسماء ، كما أن هناك طائفة من الأعلام الجغرافية تتألف من مزيج من اللغتين ، وهى ظاهرة أشرنا إلى ما تمثله من كون المجتمع الأندلسى ثمرة لعملية التفاعل الكبرى التى تمت على أرض شبه الجزيرة بين العناصر العرقية المختلفة ، كما أنها دليل على التسامح الذى

اتسمت به سياسة المسلمين إبان سيادتهم وقوة دولتهم ، فهم لم يحظروا اللغة التى وجدوا أهل البلاد يتعاملون بها ، بل إنهم تعلموها وأدخلوا كثيرا من عناصرها فى لغة خطابهم ، وقد انعكست ظاهرة الازدواج اللغوى هذه حتى على لغة الأدب ، ونتج عنها فن الشعر الملحون أى الزجل الذى يرجع إلى أهل الأندلس فضل ابتكاره ، وكان من ممهدات الطريق إلى هذا الفن ظهور الخرجات العامية وهى خليط من العربية والعجمية أى اللاتينية الدارجة فى الموشحات الأندلسية .

على أن الثقافة الغالبة كانت هى العربية ، وهى التى اصطنعها أهل البلاد ، حتى الأقليتان اللتان ظلتا محتفظتين بديانتيهما فى داخل المجتمع الأندلسى أى النصارى واليهود ، ومن أجل هذا سمى هؤلاء بالمستعربين Mozárabes ، إذ رأوا أن اللغة العربية بغناها ومرونتها أصلح للتعبير عن ذواتهم . ومن جديد نرى فى أسماء الأعلام الجغرافية ما يمثل هذه الحقيقة ، فقد مرت بنا فى العرض السابق عشرات بل مئات من الأسماء العربية مطلقة على مواضع لم تطأها أقدام العرب أو كان وجودهم فيها عابرا محدودا لم يتجاوز سنوات قليلة . رأينا ذلك فى أسماء أعلام فى المحافظات الشمالية التى قامت فيها خلال الوجود العربى إمارات أو ممالك مسيحية معادية للأندلس الإسلامية مثل أشتوريش Asturias وجليقية Galicia وليون León وكنتبرية Cantabria وبلاد الباسك (البشكونس) Pais Vasco ونبرة Navarra وقطلونية Cataluña وقشتالة Castilla ، وكانت هذه الأسماء تبدو لأول وهلة لغزا محيرا للباحثين ، على أن تفسير ظاهرتها لم يعد الآن عسيرا بعد تقدم الأبحاث التاريخية واللغوية ، وهو أن معظمها كان مما أطلقه المستعربون الذين عاشوا فى الأندلس متشبعين بالثقافة العربية ثم هاجروا إلى الشمال ليعمروا تلك المناطق التى تخلى عنها المسلمون إما إعراضا عنها وإهمالا لشأنها أو على أثر ما وقع عليهم من هزائم اضطروا على أثرها للانسحاب منها . وعلى كل حال فهذا شاهد آخر على عمق التأثير الذى باشرته الحضارة العربية حتى فى الأقاليم الخارجة عن نطاق نفوذهم المباشر .

والذى نسجله فى النهاية هو أن السلطات الإسبانية بعد أن تم لها الاستيلاء على غرناطة آخر معاقل المسلمين فى الأندلس فى سنة ٨٩٧ (١٤٩٢) قد صبت على بقية الشعب المسلم أقسى ضروب التنكيل والاضطهاد ، وكان من أقسى ما وقع على هؤلاء الذين اصطلح على تسميتهم بالموريسكيين Moriscos حظر استخدام اللغة العربية وتعقب كتبهم بالإحراق والإبادة ، ومع ذلك فقد بقيت هذه الأسماء العربية أعلاما على المعالم الجغرافية ، وكأنها تسخر من كل مراسيم الحظر ، وتتحدى مصدريها ، ذلك لأنها بقيت شواهد خالدة على عطاء المسلمين الحضارى لأرض شبه الجزيرة ، حتى حينما آل بهم الأمر إلى أن يصبحوا أمة مغلوبة على أمرها محرومة من كل مقومات ثقافتها .

وآخر ما نختم به هذا الحديث شهادة لعلم من أعلام الأدب الإسبانى فى عصره الذهبى هو كالديرون دى لاباركا Calderón de la Barca (١٦٠٠ - ١٦٨١) ، وهو شاعر ومؤلف مسرحى آثر فى آخر حياته أن ينخرط فى سلك الرهبنة وكان قد عاصر فى مقتبل صباه محنة الشعب الموريسكى وقرارات طرد مئات الآلاف منه بين سنتى ١٦٠٩ و١٦١٤ ، وقد أتت شهادته هذه فى مسرحية شعرية له بعنوان «حب بعد الموت» Amar después de la muerte وفيها يصور الثورة التى قام بها الموريسكيون فى جبال البُشَرَّات Las Alpujarras بين سنتى ١٥٦٨ و١٥٧٠ بعد أن ضيقت السلطات عليهم الخناق حتى ألجأهم اليأس إلى الثورة . وقد أتت هذه الشهادة فى كلمة يتوجه بها أحد قادة هؤلاء الموريسكيين خوان مالك (فقد كانوا يستخدمون أسماء مزدوجة عربية وإسبانية) إلى خوان مندوثا Juan de Mendoza أحد رجالات السلطة :

« سيدى خوان مندوثا ، لتعلم أنه حينما كانت إسبانيا كلها / تحت حكم المسلمين / فقد كان المسيحيون فيها / مختلطين بالعرب تحت جناح التسامح / ولهذا فقد كانوا يدعون / ومازالوا بالمستعربين / وما كان أحدهم ليرى فى ذلك سبة ولا عارا / لأن المحنة التى يتعرض لها الرجال / ترفع من قدرهم وتعظم شأنهم / أكثر مما تسىء إليهم وتحط منهم / وإذا كان القدر قد أدار لنا ظهره / وحط على ظهورنا أثقال الذل والهزيمة / فإننا

من سلالة أولئك الفرسان المسلمين / الذين لم يكن رجالكم / أعظم منهم فروسية ولا أكثر شجاعة» .

ثم يضع كالديرون على لسان خوان دى مندوثا نفسه هذا الوصف لجبال البشرات وهو يريها لقائد الجيش الذى قدم لإخماد الثورة :

«استمع إلىّ ياسيدى / هذه الجبال التى تراها هناك / كأنها نسر رابض على ذروة صخرة / هى جبال البشرات / هى حصون الموريسكيين التى اعتصم بها المسلمون / والتى يريدون أى يعيدوا منها / حكم دولتهم البائدة فى إسبانيا / هى جبال وعرة لعلوها الشاهق / وخشونة مطالعها / ومناعة مواقعها / حتى إن إخضاعها يعد عملا مستحيلا / ... وما أكثر مايخترقها من وديان / وحقول خصبة / وحدائق جمة / تجعل طبيعتها آية فى الجمال / وفى كل مكان تنتشر فيها القرى / والمدن الصغيرة / التى تقوم على سفوح الجبال / وماأجمل منظرها عند غروب الشمس / إذ تبدو بين الخضرة التى تكسو السفوح / كأنها صخرات بيض / تحدرت من قمة الجبل / ثم توقفت فى منتصف الطريق / ... ولديهم قطعان كبيرة من الماشية / ترعى فى تلك السفوح / ولو أن هؤلاء القوم لايتغذون باللحم / بقدر ما يتغذون بالفواكه / الرطب منها والجاف / أو بالخضر والبقول / التى مهروا فى زراعتها / فالموريسكيون قوم لا يحسنون فقط / فلاحة الأرض واستخراج كنوزها / بل يعرفون كيف يفجرون من الصخور نفسها / كل نبات طيب / وقد اشتهروا منذ قديم بالفلاحة / والمهارة فى الغرس والزراعة / حتى إن ضربات فؤوسهم / تحمل الخصوبة إلى الصخور الجرداء !» .

كان هذا حال مسلمى الأندلس إبان ضعفهم وذلتهم ، فكيف كانوا على عهد قوتهم وعزتهم ؟ ... ألم يكن ابن حزم على حق حينما هتف :

فيا درة الصين سحقًا فقد
غنيت بياقوتة الأندلس

**محمود على مكى**

عضو المجمع

# الحـــواشـــى

(١) عنوان الكتاب Historia de la dominación de los Arabes en España .
وعن كوندى وحياته وأعماله انظر : James T. Monroe : Islam and the Arabs in Spanish Scholarship, Leiden, 1970, p. 50-60.

( ٢ ) Fr. Francisco Cañes : Diccionario español latino - arábigo, Madrid, 1787, pp. 7-35.

(٣) Eduardo Saavedra : La geografía de España del Idrisi
Boletin de la Sociedad Geográfica, Madrid, 1881-1885.

فى مجلة الجمعية الجغرافية الإسبانية

(4) Francisco Simonet : Descripción del reino de Granada, Madrid, 1860, Granada, 1872.

(5) José Alemany Bolufer : La Geografía de la Península Ibérica en los escritores árabes, Granada, 1921.

(6) Hammer - Purgstall : Über die arabische Geographie von Spanien.

وهو بحث منشـور فى Akademie der Wissenschaften, المجـــلد الرابـــع عشر ، سنة ١٨٥٤ ص ٣٦٣ - ٤٢٤ .

كذلك قام عالم ألمانى آخر هو ماير ليبكه بدراسة أخرى للموضوع فى بحثه المنشور فى المجلد التكريمى للعالم الإسبانى مننديث بيدال :

فى Ortsnamen der Meyer - Lübke : Zur Kenntnis der vorrömischen iberrischen Halbinsel Homenaje a Menéndez Pidal ، مدريد ١٩٢٥ ، المجلد الأول ص ٦٣ - ٨٤

(7) David Lopes : Toponymia Arabe de Portugal, Revue Hispanique, t. IX, Paris, 1902

(8) Arnald Steiger : Contribución a la Fonética del hispano - árabe y de los arabismos en el ibero - románico y el siciliano, Madrid, 1932.

(9) Ramón Menéndez Pidal : Orígenes del español, 3ªed., Madrid, 1950.

(10) Federico Corriente : A Grammatical Sketch of the Spanish Arabic Dialect Bundle, Madrid, 1977.

(11) Miguel Asín Palacios : Contribución a la toponimia árabe de España, 2ª ed., Madrid, 1944.

(١٢) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ١/٤٢٣ .

(١٣) حول عمران إسبانيا وأحوالها العامة فى ظل القوط . انظر فجر الأندلس للدكتور حسين مؤنس ص ٥٥٠ - ٥٥٣ .

(١٤) مقدمة ابن خلدون ، ط . المكتبة التجارية الكبرى ص ٣٥٩ .

(١٥) الدكتور محمد بن شريفة : البسطى آخر شعراء الأندلس ، بيروت ١٩٨٥ ص ١٦٩ .

(١٦) الروض المعطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٧٣ .

(١٧) الروض المعطار ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(18) Jaime Oliver Asín : Historia del nombre "Madrid" Madrid, 1951.

(١٩) تاريخ اسم مدريد ، وقد عرضنا نظريته فى كتابنا «مدريد العربية» ص ٦٥ - ٦٦ .

(20) Federico Corriente : El nombre de Madrid, en Madrid del siglo IX al XI, Madrid, 1990, p.p. 87-91.

فيديريكو كورنيتى : اسم مدريد ، فى كتاب «مدريد من القرن التاسع حتى القرن الحادى عشر».

(٢١) انظر فجر الأندلس ص ٢٢٠ - ٢٢٢ .

(٢٢) نفس المرجع ص ٣٨٨ .

(٢٣) انظر الحاشية رقم ٨ .

(٢٤) مدريد العربية ص ١٢٠ - ١٢٢ .

(25) Jaime Olíver Asin : Origen árabe de “rebato”, “arrobda” y sus homónimos, Madrid, 1928 .

(٢٦) الروض المعطار فى خبر الأقطار ، نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ ص ١٩ .

(٢٧) معجم البلدان ٥/٢١١ .

(٢٨) المقتبس من أنباء الأندلس لابن حيان ، تحقيق محمود على مكى ص ٣٨٠ - ٣٨١ والحاشية رقم ٦٠٩ ص ٦٥١-٦٥٢ .

(٢٩) عن هذه الغزوة ، انظر ليفى بروفنسال : تاريخ إسبانيا الإسلامية - E. Lévi Provençal : Histoire de l’Espagne musulmane, Paris, 1950, II, p. 244.

(٣٠) عن هذه الأحداث ، انظر الحلة السيراء لابن الأبار ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس٢/٣٤٥.

(٣١) نفح الطيب للمقرى ، تحقيق إحسان عباس ١/ ٦٨٠ ، وديوان ابن خفاجة ، تحقيق السيد مصطفى غازى ص ٣٦٤ .

(٣٢) إلياس تيريس : «مواد لدراسة أسماء الأعلام الجغرافية المرتبطة بالأنهار» .

Elias Terés Sádaba : Materiales para el estudio de la toponimia hispano-árabe : Nómina fluvial, Madrid, 1986.

(٣٣) انظر المقتبس لابن حيان ، تحقيق محمود مكى ص ٢٩٦ ، ودراسة إلياس تيريس ص ٢٨٧

(٣٤) المقتبس ص ٢٩٩

(٣٥) المقتبس ص ٣٨٠-٣٨١ من النص والحاشية رقم ٦٠٩ ص ٦٥١-٦٥٢ ، ودراسة إلياس تيريس ص ٤٠٥-٤٠٩

(٣٦) جغرافية العذرى ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ص ٥٦-٥٩ ، ودراسة إلياس تيريس ص ٤٦٤-٤٦٥

(٣٧) دراسة إلياس تيريس ص ٢٠٥-٢٠٦

(٣٨) المقتبس لابن حيان ، السفر الخامس ، مدريد ١٩٧٩ ص ٢٥٧ ، ودراسة إلياس تيريس ص ٣٢٣

(٣٩) دراسة إلياس تيريس ص ٤١١ - ٤١٣

(٤٠) دراسة إلياس تيريس ص ٣٢٩

(٤١) المرجع السابق ص ٢٨٤ - ٢٨٦

(٤٢) الروض المعطار للحميرى ص ١٥١ ، ودراسة إلياس تيريس ص ٤٢٤ - ٤٢٥

(٤٣) دراسة إلياس تيريس ص ٤٢٨ - ٤٢٩

(٤٤) حول سفر بن عبيد الكلاعى وجهده الفلاحى انظر نفح الطيب ١/٤٦٧ - ٤٦٨

(٤٥) دراسة إلياس تيريس ٣٧٩ - ٣٨٢

(٤٦) المرجع السابق ص ٣١٢ - ٣١٨

(٤٧) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٧٧ - ٢٣٤/٤

(٤٨) دراسة إلياس تيريس ص ٣٧٣ - ٣٧٦

(٤٩) الأعلام الجغرافية لأسين بلاثيوس ص ٤٤

(٥٠) نفس المصدر ص ٤٤ و ٧٨

(٥١) نفح الطيب للمقرى ١٧٦/١

(٥٢) معجم البلدان لياقوت ٢١٨/٥ - ٢١٩

(٥٣) جمهرة الأنساب ص ٤٣٦ . وكان هذا الإقليم أيضا من منازل قبيلة قضاعة وقد سمى «أرْش اليمن» لأن بنى أمية أنزلوا به بنى سراج القضاعيين ووكلوا إليهم حراسة مايليهم من البحر فكان ما ضمنوه من المراسى يدعى «أرش اليمن» أى عطيتهم ونحلتهم (الروض المعطار ص ٣٧) .

(٥٤) الروض المعطار ص ١٦

(٥٥) الإحاطة فى أخبار غرناطة ١٢٩/١

(٥٦) لفظ التن لاتينى الأصل وهو thunnus وهو مأخوذ من الإغريقية ، وبإسبانية اليوم atún ، غير أن اللفظ لم ينتقل إلى الإسبانية عن طريق اللاتينية وإنما عن طريق العربية بدليل أنه قد أضيفت إليه أداة التعريف العربية al ، ولم يحتفظ بلام هذه الأداة لأن التاء حرف شمسى . وهذا الحوت هو الذى يسمى فى العربية اليوم «التونة» ، وقد وصف لنا ابن عبد المنعم الحميرى الحوت المذكور فى معرض حديثه عن كورة شذونة Medina Sidonia (فى محافظة قادس الحالية) : «وبساحل شذونة يوجد حوت التن لا فى غيره من سواحل الأندلس ، فيظهر فى أول شهر مايُه ، لا يرى قبل هذا الشهر ، فإنه يخرج من البحر المحيط فيدخل إلى البحر المتوسط الذى يسمى البحر الرومى فيُصَيَّد مدة ظهوره أربعين يوما ثم يعود على مثل ذلك الوقت من العام الآخر» ( الروض المعطار ص ١٠١ ) .



المحيط الأطلسي
البحر المتوسط
فرنسا
البرتغال
جليقية
أشتوريس
ليون
كنتبرية
بلاد الباسك
نبرة
قشتالة
قطلونية
جزر البليار
ISLAS BALEARES
الاكورونيا La Coruña
لك Lugo
أبيط Oviedo
ليون León
بونتبدرا Pontevedra
أورنشي Orense
سانتاندير Santander
بلباو Bilbao
بيتوريا Vitoria
سان سبستيان San Sebastian
بنبلونة Pamplona
برغش Burgos
لوجرونيو Logroño
شرية Soria
وشقة Huesca
جرندة Gerona
لاردة Lerida
سرقسطة Zaragoza
برشلونة Barcelona
طركونة Tarragona
سمورة Zamora
بلد وليد Valladolid
شقوبية Segovia
وادي الحجارة Guadalajara
شلمنكة Salamanca
آبلة Avila
مجريط Madrid
تيرول Teruel
قشتليون Castellón
طليطلة Toledo
قصرش Cáceres
بطليوس Badajoz
المدينة الملكية Ciudad Real
البسيط Albacete
بلنسية Valencia
لقنت Alicante
مرسية Murcia
قرطبة Córdoba
جيان Jaén
ولبة Huelva
إشبيلية Sevilla
غرناطة Granada
المرية Almería
قادس Cádiz
مالقة Málaga
منورقة
ميورقة
بلمة PALMA
يابسة

# ١ - الدهناء ؟؟

للأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس

تتخلل جزيرة العرب رمال كثيرة منبتة هنا وهنالك ، أكثرها وأغزرها وأطولها امتداداً وأرحبها رقعة (بعد الربع الخالى) هى الدهناء ، تنطلق من عرض الربع الخالى من تحت الأفلاج شرقا ، وتذهب مشملة آخذة ما بين ( الصلب ) شرقاً و( العرمة ) غرباً ، وهكذا حتى تجتاز ( جبلى طىء ) ، ثم تأخذ شطر الغرب فالغرب الجنوبى لتقف قريباً من ( تيماء ) ، وحينما تذهب مغربة تتعاظم وتتكاثف وتسمق وتتداخل شقائقها ، وهذا ما يسمى بـ ( رمل عالج ) ..

و( الدهناء ) حيناً تتكاوس رمالها وتتداخل وتمحى شقائقها وتعفى طرفها فلا يسار فيها إلا بمعرفة الجهة ولا يقطعها إلا خريت ماهر .. وحيناً تنقاد حبالها وتتواكب شقائقها وتبرز أعلامها .. وهذا يرجع إلى طبيعة تكوينها ورمالها المتحركة فى بعض أجزائها والساكنة فى أجزاء أخرى ، لذا تجدهم يتخذون منها مسارات معلومة وطرقاً لاحبة تتحاشى عبور متكاوسها ومتداخلها ، أضف إلى ذلك أن الدهناء خالية من المناهل قفر من المياه ، فكانت فى حقبها الماضية مضيعة مهلكة ابتلعت الكثير وطوت فى جوفها القوافل والمجتازين .. ولما كانت هجر سابقاً هى الممون الرئيسى لنجد بادية وحاضرة بالمياه والكساء وأكثر مستلزمات الحياة بحكم أنها بلاد زراعية تنتج التمور والحبوب .. إلخ ، كما أنها بلاد صناعية تغزل الصوف والوبر والشعر وتصنّعه وتنتج الأدوات الزراعية وتصنع الأقتاب والرحال .. إلخ .. وهى أيضاً باب الجزيرة إلى الهند وشرق جنوبى آسيا بواسطة مرفئها المعروف ( العقير ) ، لذلك فإن لها طرقاً معروفة تعبر الدهناء من نجد ، فكل جهة من جهاتها الممتدة من الشمال إلى الجنوب لها طريق معروف .. فالعارض وما صاقبه جنوباً وما فوقه غرباً يسلك أهله طريق ( مزاليج ) الطريق الجنوبى يتزودون بالماء من منهل ( أبى جفان ) فى طرف ( العرمة ) الجنوبية ، ثم لاماء أمامهم دون الأحساء وفيه كثب وعهرة

---

ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة لمؤتمر المجمع بتاريخ ٣ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٣ من أبريل ( نيسان ) سنة ١٩٩٥ م

شاقة تجتازها الرواحل بصعوبة شديدة ، وهى التى عناها محسن الهزانى فى تائيته حينما وصف الركب الوهمى الذين حملوا رسالته لصديقه ( سعد بن عفالق ) فى الأحساء ، هذه الكثب هى ( مزعلات ) قال :

يسرحن الصبح من جرعا نعام

والعصير منكبات مزعلات

والعتيم القابلة من غير أين

يشربن بروسهن من ما الصراة

يقصد صراة الأحساء .. وسميت (مزعلات) لأنها تزعل مجتازها أى تغضبه وتحنقه بوعورة اجتيازها ..

ومزاليج أيضاً هى التى يقصدها عبيد بن رشيد فى قصيدته التى يقول منها :

أقفن بنا مثل القطامع مزاليق

وصارت توالى كل عشر ثمان

العارض المنقاد للخرج لطويق

يالعنبو سكان هاك المكان

عفا الله عنه إنها لا تستحق منه هذا !!

ومزاليج أيضاً هى التى يقصدها الرقاص بقوله :

هنى من درهمت به فرخة الحرة

معط مزاليج والا معط الجودى

وابعد عن الهاجرى وابعد عن المرة

لو كان ماجا من الأجواد منقود

و( مزاليج ) هى العلم البارز الذى سُمى به حقل النفط الغنى الذى كشف فى تلك المنطقة أخيراً ولما يستغل بعد ، ويؤسفنا أن الزحف على الفصحى بوساطة العناصر الأجنبية التى تعمل فى حقول النفط كشفا واستخراجا ويقلدهم أشباههم من مواطنينا الذين يعملون معهم ، يلحقون الألف واللام بهذا العلم ( مزاليج ) .. فيقولون : ( المزاليج ) كما يلحقونها بعلم (بقيق) ، فيقولون : (البقيق) ، وغير هذا وذاك من المسميات التى لعبت العجمة دورها فى تحريفها .. وقد نبهنا على هذا فى حينه عند كشف حقل ( مزاليج ) ولكن لا حياة لمن تنادى ...

ويلى مزاليج من الناحية الشمالية من هذه الطرق : طريق ( مخيط ) ( وزان مبرد ) يسلكه من يفوّز من منهلى (سعد) و(رملان) ، وسمى مخيطا باسم نقى هنالك فى أول الدهناء

غربيها سامق الطول مذروب الرأس كأنه مخيط وهذا الطريق يلى طريق (خريص) جنوبيه إذا سلكته ودخلت ( الدهناء ) فالتفت يمينك ترى ( مخيطا ) يسبرك أبرز علم هنالك ..

ويلى (مخيطا ) من الناحية الشمالية طريق ( الجودى ) ، وسمى بالجودى نسبة إلى منهل ( جودة ) الذى يمر به هذا الطريق بعد اجتياز ( الصلب ) ، وكان هذا المنهل قديماً يسمى ( يجودة ) فخذفت ياؤه أخيراً فصار ( جودة ) ، وبعد منقطع الرمل من هذا الطريق مما يلى ( الصمان ) كانت هناك شجرة طلح كبيرة تضاف إلى هذه الطريق فيقال : ( طلحة الجودى ) .. وإياها عنى ( الخلاوى ) فى وصفه لدحل أبى مروة حيث يقول :

عن طلحة الجودى تواقيم روحة

وعليها شمالى النسور يغيب

وعنها مهب الهيف رجم وفيضة

و( حرورى ) أن كان الدليل نجيب

ويليه من الشمال (المبيحيص) وهو يمر بخبرا (الخمة) بالصمان بعد أن يجتاز الدهناء ، ويليه طريق ( المنشرحة ) ( فام الرمم ) ، ( فالهبابية ) ( فالأجردى ) فطريق حاج البصرة ، ثم طريق حاج الكوفة ، فطريق (لينة) ، فطريق ( جبة ) ( الجوف ) .. وكل هذه فجاج وسبل تجتاز هذا الذراع الرملى العظيم الذى ينطلق من الربع الخالى ويذهب مشملاً فمغربًا فيكوِّن فى نهايته شمالاً ( رمل عالج ) أو صحراء النفود الكبرى كما يسميها المعاصرون ..

والدهناء تضيق فى بعض الأماكن فيبلغ عرضها ٢٢ كيلاً ، وتتسع فى أماكن أخرى فيبلغ عرضها ٩٩ كيلاً وربما أكثر .

وطرائق الدهناء هى حبال متواكبة بينها شقق (صرائم) خالية من الرمل تدعى ( خببا ) جمع (خبة بكسر الخاء والباء المشددة فتاء) .. قال عنها فى ( بلاد العرب ) : ( فأول حبل من الدهناء إلى الحفر ) يقال له ( خشاخش ) فتقع فى معبر وفيه يقول الراجز :

ليل طويل لك من معبر

ومن حماطين وحبل السرسر

والحماطان حبلان من حبال الدهناء ، وحبل السرسير أيضًا من حبالها ، وجرعاء العكن أيضًا حبل منها .. والصرائم التى بين الحبال لها أسماء .. قال : والدهناء لها سبعة أحبل ..

وإنما تجاز هذه الحبال عرضا ، ولكل حبل منها اسم ، وبين هذه الحبال سهوب من الأرض تدعى ( الصرائم ) ، بين كل حبلين صريمة ، وبين كل صريمتين حبل .. ومن صرائم الدهناء : (الجردة) ، و (الجريدة) ، و ( صريمة العكن ) ، و ( الصبيغاء ) وهى برقاء بمنقطع الهناء إذا جزت الصبيغاء وقعت فى أبرق يقال له ( القنفذ ) . ثم إذا جزت القنفذ استقبلت أول الصمان ) .. ا هـ .

ويبدو من قوله : حبل السرسور هو ما يسمى الآن بحبل السرو .. فالأسماء لهذه الحبال قديماً قد دخلها التحريف والتغيير .. فحبال الدهناء المعروفة الآن هى كما يلى : بدءً من غربيها (أبو الثمام) ، و (الحمرانى) ، و ( عمر ) ، و ( رويكب ) ، و ( السرو ) ، و (جهام) ، و (جهيّم) ، و (عريق الدحول) ..

**والدهناء:** تعتبر من أخصب مرابع العرب ومراتعهم حتى أنهم قالوا إذا أخصبت الدهناء استوعبت كافة العرب ، وإذا لم تخصب فإنهم فى فقر إلى زيادة إخصاب .. ( قال فى اللسان وهى الدهناء سبعة أحبل فى عرضها بين كل حبلين شقيقة وطولها من حزن ( ينسوعة ) إلى رمل ( يبرين ) وهى قليلة الماء كثيرة الكلأ ليس فى بلاد العرب مربع مثلها ، وإذا أخصبت ربّعت العرب جمعاء .. وفى حديث صفية ودُحَيْبَةَ : إنما هذه الدهناء مقيد الجمل هو الموضع المعروف ببلاد تميم ) ..

ونباتات الدهناء من الشجر هى الأرطى ، والغضا ، والعلندا ، والعوسج ، والعاذر والعشر ، والثمام ، والحمض .. ومن البقول والأعشاب : الثغام ، الخزامى ، والشقارى ، الصفارى ، الصليان ، الضمران ، العرفج ، العقلى ، القليقلان ، النصى ، الحماط ، الشرشر، الذغلوق ، الربل ، الأرقة ، الرقروق ، الغريراء ، المكنان ، القفعا ، الحمبصيص ، العضيد، الرخيم ، المكر ، الشتيل ، أم ثريب ، البسباس ، المسيكة ، القرنوى ، السبط .. وقد ينبت فى صرائمها - شققها - ما ينبت فى الروض ..

وحضنها الغربى مستقر لسيول الأودية التى تنحدر عليها ، فهنالك رياض من أشهر رياض نجد تمتد فى حضن الدهناء كروضة التنهات وخوابيها تصب فيها أودية ( الشوكى ) وروافده ، و( العتك ) وروافده ، و ( الطيرى ) وروافده .. وهناك ( روضة خريم ) وخوابيها

يصب فيها (وادى الثمامة) وروافده .. وهنالك مرابخ ( المزيرع ) ومدافعه يصب فيها ( وادى الطوقى ) وروافده الكثيرة ، أما مرابخ الدهناء جنوبى خريم فتصب فيها أودية جنوب (العرمة) ( المسعودى ) ، و ( ثيلان ) و ( الجافى ) ، وما خلف طريق خريص جنوباً من المغائض والمرابخ تصب فيها أودية ( العرمة ) الجنوبية (عشيران) ، و (الحلال) الجنوبى ، و (الحلال) الشمالى و ( أبو سدير ) ، وغيرها .. ورياض ( البجادية ) ، (والسهباء) ، و ( التوضحيّة ) أسفل الخرج تصب فيها أودية ( العارض ) كلها : وادى ( حنيفة ) وروافده ، وأودية ( عُليّة ) ، ( نساح ) ، و ( بلاجين ) ، و ( العين ) ، و ( تميرِ ) ، ( ماوان ) ، و ( أثيلان ) ، و (أبو سحرا) ، و (السوط) ، وأودية جنوبى الخرج ( برك ) ورواقده ، و ( العقيمى ) وروافده ، و ( الثليماء ) .. ومن الشمال أودية ( نخش العرمة ) الجنوبية ، و ( الترابى ) ، و ( الحنيّة ) .. كل هذه الأودية تستقر فى (البجادية ) و (التوضحية) فى حضن الدهناء من تحت الخرج .. وهنالك أودية ( البياض) من تحت (الأفلاج) ، وأودية ( الحرشة ) ، كلها تستقر فى مرابخ ومدافع فى حضن الدهناء الجنوبى تحت الأفلاج . ومن الشمال هنالك روضة ( حيرى العصل ) ينصب فيها (وادى العصل)

وهنالك أيضاً مغائض تصب فيها سيول (القرشع) قرشع طاسان ، وهكذا .. فلست ترى منظراً أبدع ولا أمتع من هذه الرياض إذا أخصبت وازدانت وازدهرت وتفتح نوارها وغنت أطيارها ، تطل عليها الدهناء بحمرتها الذهبية وتمتد غربها الأودية بطلوحها وغدرها ومحانيها

وتطرق هذا وذلك صبا نجد صباحا فيفوح عبيرها ويعبق شذاها .

فيما سائلى عن نجد أو عن رياضه

فديتك هذا بعض ما فى ربا نجد

**وفى الدهناء** أعلام بارزة وصوى مشهورة تغنى بها الشعراء وسرى ذكرها على ألسنة الرواة ، واستوعبها السفر والأدلاء وسط هذا البحر المتدافعة أواذيه من الرمال ، بها يعرفون الطرق ، ويصفون المنازل ، ويحددون الاتجاه وأمكنة الضوال ..

وقد سبق لنا شىء من ذلك عن (مزاليج) ، و ( مزعلات ) .. هنالك تل قريب من مزاليج يسمى ( حومل ) بارز معروف مما حدى

ببعض الباحثين أن يرى أن امرأ القيس فى معلقته يقصده :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول وحومل

يرى أن ( سقط اللوى ) هو منعرج الدهناء هنالك ، وأن الدخول هو ما يسمى ( الدّخيّلى ) شعب من شعاب ( النخش ) جنوبى ( العرمة ) يسيل على ( التوضحية ) ، وحومل هو هذا التل الذى ذكرنا .. و ( توضح ) المذكورة فى البيت الثانى هى روضة ( التوضحية ) هذه .. ومع وجاهة ما ذكر هنا إلا أن القرائن ومسار بناء القصيدة ومنازل آل امرىء القيس وبقية الأعلام التى ذكرها مقرونة بهذه الأعلام الآنفة الذكر ، وغير ذلك مما يحتاج إلى بسط فى الكلام ليس هذا موضعه .. كل ذلك لا يجعلنا نطمئن إلى هذا القول ، ولعل لنا عودة إلى إشباع هذا الموضوع فى بحث مستقبل ..

**ومن أعلام الدهناء** ( رجم الشويعر ) علم بارز على طريق ( مزاليج ) ، يعرفه السفر تمام المعرفة ، وفيه يقول ناصر الهزانى يصف ركباً من قصيدة يمدح بها أحمد السديرى أمير الأحساء آنذاك :

لهن من ديرة بنى زيد مسراح

وتلقى لهن رجم الشويعر مصابيح

ومن أعلامها أيضا ( دليل ) نقى من أنقية الدهناء البارزة مقابل لمنهل ( سعد ) بكسر السين وإسكان العين فدال ، ويضرب بهما المثل فى قرب أحدهما من الآخر فيقال : ( ياقرب سعد من دليل ) فالذى على المنهل يشاهد دليلاً ، والذى فوق ( دليل ) يشاهد من على المنهل ، ويقع ( دليل ) شمال شرق ( سعد ) مخرج السماك الأعزل - النسر - وطريق المنطقة الشرقية - طريق خريص - يأتى من بينهما ، وقد أخذ هذا المثل عبد الله بن محمد الصبّى المعروف ( ببيلش ) ، فقال من قصيدة حربية يمدح بها الملك عبد العزيز :

لو صلاح الناس فى غارب الجوزا بداه

ما يذل من المخاوف ومن ربه ذليل

هو عمود الدين ما شاف من فتق رفاه

كنه المهدى وياقرب سعد من دليل

ومن أعلامها ( خريم ) بضم الخاء وفتح الراء فياء ساكنة فميم ، من أطول أنقية الدهناء ، يُرى من أمكنة بعيدة وإليه تضاف الروضة المشهورة من رياض العرمة ، فيقال : (روضة خريم) ، وهو يقع شرقيها من الدهناء ...

**ومن الأعلام أيضا** ( الجلاليّة ) ( زبارة متلمخة ) كبيرة تقع شرقى بلد ( رماح ) بميل قليل إلى الجنوب ، وفيها جرت وقعة بين قبيلة الدواسر وقبيلة سبيع ، قال فيها شاعر سبيع :

ذيب ياللى عوى عند الجلالية

ابتجح بالعشا من قوم بسام

**ومن أعلامها** ( السّبيّة ) بالسين المفتوحة المشددة والباء المكسورة والياء المكسورة المشددة فتاء مربوطة .. (زبارة) من ( زبائر ) الدهناء شرقيها قريبة من ( حزوى ) ، وبها جرت وقعة للإمام تركى بن عبد الله على بنى خالد سنة ١٢٤٥ هـ لم تقم بعدها لبنى خالد قائمة ، ومنها احتل الإمام تركى ( الأحساء ) .. وهذا الاسم ( السبيّة ) قديم ذكرها غيلان ذو الرمة فى شعره قال :

وقد جعلوا السبيّة عن يمين

مقاد المهر وانتجعوا الرمالا

**ومن أعلامها** ( حزوى ) بضم الحاء وإسكان الزاى فواو مفتوحة فألف مقصورة ، ( زبارة ) أيضاً من ( زبائر ) الدهناء مشهورة فى أسفلها مما يلى ( معقلا ) علم بارز هنالك ، قال عنها الأزهرى : هى حبل من حبال الدهناء مررت به ..

وقال محمد بن أدريس بن أبى حفصة : ( حزوى ) من رمال الدهناء .. قال عنها بعض الأعراب :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة

بجمهور حزوى حيث ربتنى أهلى

وصوت شمال زعزعت بعد هجعة

آلأء وأسباطاً وأرطى من الحبل

أحب إلينا من صياح دجاجة

وديك وصوت الريح فى سعف النخل

وقال أعرابى آخر :

لئن طلن أيام بحزوى لقد أتت

على ليال بالعقيق قصار

وأنشد ابن أبى حفصة لذى الرمة :

خليلى عوجا من صدور الرواحل

بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة

إلى القلب أو يشفى نجى البلابل

وهنالك ( حزوى ) أخرى باليمامة بحذاء قرية بنى سدوس لآل معمر الآن ، أميرها الرجل

الفاضل محمد بن فيصل بن معمر ..

وهنالك ( حزوى ) ثالثة بعالية نجد ومن أعلامها ( الأعيجم ) تصغير أعجم حبل بارز يلتقى فيه السروان ( مثنى سرو ) ، وهما حبلان معروفان من حبال الدهناء .. وفى ( الاعيجم ) يقول الشاعر ( نصار السهلى ) فى محبوبته :

صاحبى مانوى طارى المحدار
راكد والأعيجم مدا هيله

صاحبى يحسبن شدتى مختار
مقفى بالحسايف أنا أخيله

و( نصار ) هذا هو الذى يقصده الشاعر المعروف ( دبيان عن عساف ) يقوله :

صاحبى شد مع ناقلين الكار
مع فريق عليّ ابعدوا داره

مع فريق الجمالين يانصار
من يجينى من العذب بأخباره

شبه وضحى زعوج على القهار
فى نهار المواريد دجاره

حايل ما بعد عاودت لحوار
من مغاتير الأجواد سنجاره

**ومن أعلامها** ( البزيخا ) بضم الباء وفتح الزاى وإسكان الياء فخاء مفتوحة فألف .. تصغير بزخاء ، والتسمية تفيد الضخامة والبروز .. وهذه ( زبارة ) من ( زبائر ) الدهناء الكبيرة المطلة على ( قرشع طاسان ) ومرتفع ( الدجانى ) و ( القاعية ) جنوبى ( نقى الجمل ) فى ( حومة النقيان ) ، وهى التى ذكرها الشاعر الشعبى السبيعى أبو ذيب يصف وقعة بين قومه وبين الظفير ويفتخر بقومه ، قال :

قطعاننا ماارددت بالكداد
تلقى لهن حول ( البزيخا ) معازيب

حنا ذيابة مقرعات التوادى
إلى ركبنا فوق عوج المصاليب

**ومن أعلامها** ( حومة النقيان ) ، أى مجتمع الانقاء ، وفى هذه المنطقة تنبث أنقية الدهناء هنا وهنالك حتى لكأنها خيام ذهبية مبثوثة ، وبعضها علم مسمى وله ذكر على ألسنة الرواة ، وبعضها نكرة لا يعرف له اسم .. فمن المعروفة ( نقى الجمل ) وهو من أبرزها وأشهرها ، ويقال إنه هو الذى أوصى ذو الرمة أن يدفن فيه فدفن ..

وفـي حـومـة النقيـان يقول محمد بن على بن صقية أمير حليفة سابقاً :

حموهـا من ( الـوفرا ) إلـى ( حومة النقيان )

إلى ( المستوى ) و( السر) و( طويق ) يرعونه

مداهيل تلعات المها شرد الغزلان

ثلاث غدن بالزين عن كل مزيونه

**ومن أبرزها وأشهرها** ( نقى المطوع ) ، وهو طالب علم من أهل ( أشيقر ) بالوشم علق حب فـتـاة أفـضى به إلى الوجـد والوله والغـرام فتزوجها وهى لم تكن من طبقته نسبا على ما درج عليه عرب ذلك الزمان من حماسة للنسب يفـضى إلى القـتـل ، فكشف أمـره وهددته العشيـرة بالقـتـل إذا لم يطلقـهـا فـأبى وحملوه معهم فى قافلة ذاهبة للامتيار من إحدى مدن ساحل الخليج العربى وقـصـدهم اغـتـيـاله إذا وصلوا الدهناء ، وقد عرف قصدهم ، وحينما ، وصلوا الدهناء وقد اصطادوا ظبيا أخذ من دمه فى فنجان ، وجعل يذيب لواعج حزنه وفيض صبابته فى شعر يكتبه بالدم فى ثوبه حتى إذا أفرغـهـا قـصيدة طويلة شاكيـة باكيـة أسلم روحه لبارئها فـدفن فى هذا النقى .. يرحمه الله ..

أما القصيدة فمنها :

الأقفى جزى الأقفى ولاخير فى فتى

يتبـع هـوى من لا يريد هواه

من باعنا بالهجر بعناه بالنيا

ومن جذ حبلى ما وصلت رشاه

أخذ هذا المعنى ( الشريف بركات ) ، فقال :

قـلتـه علـى بيـت قـديم سـمعـتـه

على مثل ما قال ( التميمى ) لصحابه

إذا الخـل وراك الصـدود فـورّه

صـدود ولـو كـانت جـزايل وهابيه

**يقصد بقول ( التميمى ) :** الأقفى جزى الأقفى فى البيتين المتقدمين (مطوّع) أشيقر .. **ومن أعلامها** ( حِرَابَة ) بكسر الحاء وفتح الراء والباء فتاء مربوطة .. نقى طويل مذروب فى نهاية الدهناء من شرق مما يلى ( الحتايف ) ، تراه من بعـد كـأنه رمح ، ويعنيـه الشـاعـر الشـعـبى المفـوه ( حنيف بن سعـيـدان ) فى قصيدته التى يمدح بها ( الدوشان ) ،قال منها :

كـزوا لهم من عقب الأمطار عساس

وتبـاشروا بالصـلب كثـر شـرابه

وقاد السلف واستجنبوا قب الأفراس

وحطوا ( جنيّح ) شدة من ( حرابه )

**ومن أعلامها** ( الدويدات ) جمع دويد ، وهى أنقية حمر متجاورة علامة فارقة فى المنطقة ، وهن فى موضعين من الدهناء فى ( السرو ) وفى ( جهام ) ، وبالمناسبة فقد حدثنى أحدهم قال : كنت مع ثلاثة من أبناء الملك عبد العزيز - رحمه الله - خرجوا من مخيمه فى خريم للقنص ، ولما جاءوا عند ( الدويدات ) تعطلت سيارتهم فبعثوا محدثى راجلا للمخيم من أجل إسعافهم ، وكانوا آنذاك صغاراً .. قال : فوصلت المخيم بعد لآى وتعب ونصب فوجدت الملك عبد العزيز على أحر من الجمر فاستدعانى وأخذ خبرى ، وقال هل هم فى ( دويدات السرو ) وإلا فى ( دويدات جهام ) ؟ قال : فبهت لأننى لا أعرف هذه من هذه فنهرنى فتلعثمت وقلت فيهن كلهن فضحك وانصرف عنى وأمر بإسعافهم فى الحال .. قلت رحمك الله يا عبد العزيز فقد قتلت أرض الجزيرة معرفة واستيعاباً تجوبها غازياً أو مسافراً أو متفقداً حتى عرفتك وعرفتها فلم يخف عليك منها شبر .. ومن أعلامها أيضاً ( نقى سبيت ) ، وهو من أبرز أنقية الدهناء وأشهرها ، ولا نعلم من هو سبيت هذا الذى أضيف إليه هذا النقى .

ويطول بنا الدرب لو ذهبنا نعدد أعلام الدهناء وما لها من مناسبات ، ولكن يكفى أن نسرد ما تيسر لنا منها سردا .. فمنها ( نقى التنهات ) ، ( البدرية ) ، و ( الكناسية ) ، و ( أوتاد ) ، و (الشاوية) ، و (جو صياح) ، و ( جو جهام ) ، و ( الطويسة ) ، و (سريهيدة) ، و(أم رقيبة) ، و( السنافية ) ، و ( كنهرى )، و ( الهدب ) ، و ( حرورى ) ، و ( عدامة دغيم ) ، و ( الحصانة ) ، و ( اليتيمة ) .. إلخ .

ويتخذ العرب الدهناء ملاذا عن الأعداء المغيرين ينطوون فى كثبانها ومتداخلاتها ، ويجدون فيها ملجأ لهم يحصنهم من أعدائهم .. أغار قوم على آخرين وكان المغار عليهم فى ( الصمان ) مما يلى ( الدهناء ) ، وقبل أن يفاجئوا المغاز عليهم وجد المغيرون شخصاً منهم فاعتقلوه لئلا ينذر قومه ، وبعثوا بعين منهم كأنه ضيف ليستجلى خبر القوم ويكشف عدتهم واستعدادهم قبل أن يغيروا عليهم . . ولما همّ هذا العين بالذهاب قال للمعتقل : إنى ذاهب إلى أهلك ضيفاً فماذا توصينى به لهم .. قال قل لهم إن الأرض مجرودة فليعروا جملى الأصهب ويركبوا ناقتى الحمراء حتى آتيهم .. وكان فى هذا الرمز لهم أكبر نذير .. فالجراد هو العدو المغير ، والجمل الأصهب هو الصمان ، والناقة الحمراء هى الدهناء .. فبادروا بركوب الدهناء وأخفق المغيرون مما كادوا أن ينالوه .. ولقد تغنى الشعراء بالدهناء وقالوا فيها كثيراً نقتطف من ذلك ما تسنى لنا :

قال أعشى همدان يصف لصوصاً :

يمـرون بالـدهـنا خـفافا عـيابهم
ويرجعن من ( دارين ) بجر الحقائب

على حـين ألهـى الناس جل أمورهم
فنـدلا زريـق المـال نـدل الثعـالب

وقال أعرابى حبس بحجر اليمامة :

هـل البـاب مفـروج فانـظر نظرة
بعين قلت حجرا فطال احتمـامها

ألا حـبذا الـدهنا وطيـب تـرابهـا
وأرض خـلاء يصدح الليل هامهـا

ونص المهارى العشيات والضحى
إلى بقـروحى العـيون كـلامــها

وقال كثير :

كـأن عـدو ليـا زهاء حمولها
غدت ترتمى الدهنابه والدهالك

وقال آخر :

جـازت القـور والمخارم أماً
ثـم مـالت لجـانب الدهنـاء

وقالت العيوف بنت مسعود أخىذى الرمة :

خليلى قوما فارفعا الطرف وانظـرا
لصـاحـب شـوق منـظرا مـتراخيـا

عسى أن نرى والله ما شاء فـاعـــل
بـاكثـبة الـدهنـا مـن الحى بـاديا

وإن حال عرض الرمل والبعد دونهـم
فقد يطلـب الإنسـان ما ليس رائيا

يـرى الـله أن القلب أضحى ضميره
لما قـابل الـروحـاء والعـرج قـاليا

وقال ذو الرمة :

حنت إلى نعم الدهناء فقلت لها
أمى ( هلالا ) على التوفيق والرشد

الواهب المائة الجرجور حانية
على الرباع إذا ماضن بالسبد

وقال أيضاً

غـــراء آنســة تبــدو بمعــقـلـة
إلـى ســويقـة حتـى تحـــفر الحـفرا

تشتو إلى عجمة ( الدهناء ) ومربعها
روض ينـاصـى أعـالى مـيثة العـفرا

وهكذا يكثـرون من ذكـرها ، ويحنون إلى أجارعها ووعاسها وشقائقها وصرائمها ..

وأخيـراً فـإن الدهناء ( بنيـة ) تمد وتقـصر على خلاف بين البصريين والكوفيين فى ذلك .. هذا هو حـديث ( الدهناء ) وقـد شـاهدتُ أعلامها وجبتُ سهولها وسهوبها ووقفت فيها وقفات المتأمل وما أبرىء نفسى ،

**عبد الله بن محمد بن خميس**
عضو المجمع المراسل
من السعودية

# الجغرافيا فى رسائل إخوان الصفا (*)

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

سنعرض فى هذه الورقة لطبيعة الجماعة المسماة بإخوان الصفا ، ولما تضمنته رسائلهم من معارف جغرافية ، ولما اتسم به إنتاجهم فى هذا المجال من سمات .

---

- ١ -

فأما الإخوان فهم جماعة فكرية ، غير معلنة التكوين أو الأهداف ، قامت بالبصرة حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى ، وكان لها فرع فى بغداد ، توفق بين العقل والنقل وتمزج الدين بالفلسفة ، أو هى تحاول وضع فلسفة ذات صيغة دينية ، فى إطار من المعارف المتنوعة التى زخرت بها البيئة الثقافية حينذاك.

ونظرا للطابع السرى الغامض الذى أضفوه على أنفسهم ومذهبهم فقد حار الباحثون فى تحديد هويتهم الفكرية وأهدافهم الحقيقية التى يمكن أن تستخلص من رسائلهم :

( أ ) فمن قائل إن هدفهم إنما هو تثقيف الأمة وتهذيبها بعد أن عجزت الشريعة فى نظرهم عن أداء المهمة .. وليست لهم أية غاية أخرى »(١) .

(ب) ومن قائل « إنهم جماعة تحلوا بالزهد فى الدنيا والمحبة والأمانة والصدق والوفاء » منكرا أن تكون لهم أهداف سياسية ترمى إلى قلب السلطة أو المساس بالدين(٢) .

(جـ) ومن قائل : إنهم كانوا « يريدون قلب النظام السياسى المسيطر على العالم الإسلامى يومئذ ، وهم يتوسلون إلى ذلك بقلب النظام العقلى المسيطر على حياة المسلمين »(٣) .

( د ) وربما آثر بعض الباحثين أن ينسب إليهم كل الأوصاف المحتملة فيقول: « إن إخوان الصفا علويون ، وباطنيون ، وإسماعيليون ، ومعتزلة ، وفيثاغوريون ، وأفلوطينيون ، ومجوس »(٤) .

---

(*) بحث ألقى فى المؤتمر السنوى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٩٥م .

( هـ ) وكان جولد تسيهر قد أشار إلى علاقتهم بالإسماعيلية ، واشتد فى الحكم على هؤلاء إذ قال : « بدأ الإسماعيلية بنظرية الفيض الأفلاطونية ، تلك التى بنت عليها جماعة إخوان الصفا البصرية فلسفتها الدينية . . واستنبطت الإسماعيلية من هذه الفلسفة أعمق نتائجها وأشدها تطرفا »(٥) وكان قد ذكر قبل ذلك بأسطر أن الإسماعيلية استخدمت النظريات الأفلاطونية « لكى تنفذ إلى صميم الديانة الإسلامية ، وتعمل على تعديل أحكامها وعقائدها ، وفكرة الإمامة عندهم لم تكن إلا قناعا ستروا وراءه برامجهم الهدامة ، ولم تكن إلا تكأة إسلامية المظهر اعتمدوا عليها كأداة للتقويض والتدمير » (٥) .

(هـ ) ويبدو أن هذه الإشارة - التى أكدها ديبور أيضا (٦) قد وجهت البحوث الغربية وجهة مثمرة ، حتى إن كراتشكوفسكى يقول بعد بضعة عقود : « وضح فى الأعوام العشرة الأخيرة ، بما لا يدع مجالا للشك ، أنها ( أى جماعة إخوان الصفا ) قريبة من دوائر الإسماعيلية وتنتصر لمذهبهم »(٧) .

وإذا كان علىّ أن أضيف شيئا - بحكم تخصصى - فإنى أؤكد أن إخوان الصفا ليسوا إلا مجموعة من دعاة الإسماعيلية «المكاسرين» الذين يمهدون البيئة العقلية لمبادئ المذهب ، وأن من يقرأ الرسائل وبخاصة «الرسالة الجامعة» سيجد أسس العقيدة الإسماعيلية وتفاصيلها فى غاية من الوضوح (٨) . على نحو لا يدع مجالا للشك كما قرر المستشرق كراتشكوفسكى .

وتلك حقيقة لا ينكرها الكتاب الإسماعيليون أنفسهم فى الوقت الحاضر(٩) .

وأيا ما كان الاتجاه الفكرى لإخوان الصفا فإن رسائلهم تعد موسوعة شاملة لمعارف عصرهم ، مصوغة فى أسلوب سهل ميسر ، يناسب عامة المثقفين حينذاك ، قدمت فيه المعارف الدينية الإسلامية فى صياغة باطنية تأويلية ، ممزوجة بالفلسفة اليونانية مع إيثار لاتجاهات الفيثاغورية والأفلاطونية المحدثة ، وهذا ما يؤكده جولد تسيهر قائلا : « قد أفلحت الحكمة اليونانية فى أن تستوطن الشرق وذلك عن طريق إخوان الصفا ،

على حين كادت فلسفة المدرسة الأرسطاليسية لا تثمر إلا فى جو صناعى هيأه لها الأمراء »[١٠].

وهذه الموسوعة ، التى يعتبرها أحد الباحثين [١١] « الموسوعة الفكرية الأولى فى تاريخ البشرية » ، تتكون من اثنتين وخمسين رسالة ، وتنقسم إلى أربعة أقسام : القسم الأول للعلوم الرياضية والمنطقية - كأنه تمهيد منهجى للفلسفة على الطريقة الفيثاغورية الأفلاطونية - فى أربع عشرة رسالة .

والثانى للفلسفة الطبيعية فى سبع عشرة رسالة . والثالث للميتافيزيقا وعلم النفس فى عشر رسائل . والأخير للتصوف والتنجيم والسحر فى إحدى عشرة رسالة .

وتتسم الرسائل بسمات عامة ، لا ينبغى أن تغيب عن ذهن القارئ لها حتى يقدرها تقديرا موضوعيا . من هذه السمات :

١ - أنها عمل موسوعى يلخص علوم العصر ومعارفه بضرب من التبسيط ، وليس كتابها من العلماء الأفذاذ كالرازى أو الجاحظ، ولا الفلاسفة المبدعين كالكندى أو الفارابى .

٢ - أن كتابها بحكم تأثرهم بالأفلاطونية المحدثة وميولهم المذهبية الإسماعيلية يؤمنون بتأثير الأجرام السماوية العلوية على الظواهر الطبيعية والأوضاع الإنسانية ، كما ألمح إلى ذلك ديبور .

٣ - أن الميول الإسماعيلية لكتابها لم تحل دون العرض الموضوعى فى كثير من الأحيان ، وبخاصة عندما لا يسمح الموضوع بتضمينات أو إيحاءات مذهبية ، وهناك مؤلفون معاصرون من الإسماعيلية يكتبون بموضوعية وروح علمية كأبى حاتم الرازى فى كتابيه «الزينة - وأعلام النبوة» كما نبه إلى ذلك أستاذنا الدكتور إبراهيم بيومى مدكور[١٢] .

٤ - أنها لم تبرأ - بحكم الطابع الغنوصي - لها من نزعة تلفيقية - كما ذكره ديبور أيضا بمحاولتها الجمع المتعسف بين عقائد الأديان المختلفة ومذاهب الفلسفة المتباينة على نحو لا يرضى دينا ولا فلسفة ، حتى اضطر بطرس البستانى فى مقدمته للرسائل أن يقرر بأن « كلامهم على يسوع أنه عن ميمنة عرش الرب قد قرب مثواه كما يقرب ابن الأب ، ينطبق على العقيدة المسيحية لا على العقيدة الإسلامية[١٢] » وأنه « مدعاة للشك فى إسلامهم »[١٣] .

٥ – أن كتابها مالوا إلى أسلوب رمزى للتخفيف من وقع انتقاداتهم لمذاهب أهل السنة وللمظالم السائدة فى عصرهم وقلدوا فى ذلك أسلوب كليلة ودمنة ، على نحو يشهد لهم بالبراعة ويدعو دارسى الأدب العربى إلى تناول هذه الناحية المبثوثة فى رسائلهم بالدراسة الجادة .

٦ – أن كتاب الرسائل وإن حاولوا إبداء موقف معتدل بين الفلسفة والدين ، بل اشترطوا تعليم الدين فيمن يشتغل بها : « .. فأما من قد تعلم علم الشريعة ، وعرف أحكام الدين ، وتحقق أمر الناموس ، فإن نظره فى علم الفلسفة لا يضره ، بل يزيده فى علم الدين تحققاً ، وفى أمر المعاد استبصارا »(١٤) إنهم وإن حاولوا ذلك ، قد كانوا فى كثير من الأحيان يعدلون إلى جانب الفلسفة والتأويلات المذهبية المتطرفة ، مما يجعل حكم أبى حيان عليهم فى هذا الشأن حكمًا غير جائز : «إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة . وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال .»(١٥)

ولعلنا الآن نستطيع أن نتناول الجانب الجغرافى من الرسائل بالتلخيص ، ثم بالتعليق والتقويم بإذن الله .

– ٢ –

أفرد إخوان الصفا للجغرافيا رسالة خاصة من رسائلهم هى «الرسالة الرابعة» من القسم الأول الخاص بالعلوم الرياضية والمنطقية ، متوسطة بين الرسالة المختصة بالفلك والرسالة المختصة بالموسيقى . وهذا فى حد ذاته قد يوحى بالطابع العام لفكرهم الجغرافى ، وأنه من جهة يربط بين الأرض والسماء ، والجغرافيا والفلك والعلم والدين كما يهتم بالأعداد وأسرارها والحروف وخصائصها ، أى أنهم معنيون بالجغرافيا الفلكية الرياضية(١٦) ، ويعتبرون ذلك – مع المنطق – تمهيداً للدراسة الفلسفية : وفى الطبيعة والميتافيزيقا . وناحية شكلية أخرى وهى إيثارهم تسمية العلم – لأول مرة فى التراث الجغرافى العربى(١٧) – باسمه القديم معربًا «جغرافيا» مع تفسيره بالعربية « يعنى صورة الأرض والأقاليم »(١٨) ، وكان من قبلهم يؤثر ترجمته بصورة الأرض أو تقويم البلدان أو غير ذلك ،

وهذه سمة غالبة على طريقتهم مع أكثر المصطلحات المنطقية وبعض المصطلحات الأخرى ، مما قد يوحى برغبتهم فى الإشارة إلى المصدر اليونانى لهذه المعارف ، وتلك ناحية قد نعود إليها فيما بعد .

على أن الرسالة الرابعة المكرسة للجغرافيا ليست هى وحدها المتعلقة بالبحث الجغرافى ، فإن رسائل أخرى فى هذا القسم الأول ، وفى الأقسام الثلاثة الأخرى تحتوى مباحث جغرافية لا يخطئها قارىء الرسائل وقد لا تقل قيمة عما تتضمنه رسالة الجغرافيا من الناحية العلمية .

وسنعرض بإيجاز مضمون ( الرسالة الرابعة ) ثم نشير فى سرعة إلى بعض المواضع فى الرسائل الأخرى فيما يلى :

( أ ) تبدأ الرسالة بالتنبيه إلى أن هدف البحث هو معرفة الوقائع بعللها صعودا إلى العلة الأولى ، مما يتسق مع منهج «الإخوان» فى ربط العلم بالدين . يلى ذلك بيان أن الأرض هى مركز العالم طبقا للمعارف السائدة زمن التأليف ، وتعليل البحث فى أحوال الأرض بأنها منشؤنا وإليها معادنا ، وأنها منطلقنا إلى عالم البقاء ، ثم إشارة إلى أهم محتويات الرسالة وهى الأقاليم السبعة ، لتعود إلى هدف البحث وأنه الاعتبار : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك ..! ﴾[١٩] .

بعد هذه المقدمة يتناول الفصل الأول ( صفة الأقاليم وما فى الربع المسكون من الأرض) فيحدد موقع الأرض ، والجهات الست ، وحجم الأرض وطول قطرها ، ومركزها حسب علم الهيئة لا فى التوهم العامى ، ويذكر توالى الأفلاك صعودا من مركز الأرض ، وحدبة الأرض أو تكورها[٢٠] .

تلى ذلك فقرة خاصة بذكر ( وقوف الأرض فى وسط الهواء ) وفيها تعليل لثباتها فى موقعها بالجذب : جذب القلب لها من جميع جهاتها بالسوية ، أو جذب المركز لجميع أجزائها حسب ثقله من جميع الجهات إلى الوسط أو بالدفع ، وتساوى قوة الدفع من جميع الجهات . وبعد هذا التفسير العلمى يأتى تفسير دينى هو أن الإرادة الإلهية خصت كل جسم حسب عنصره بموقع خاص ، وكل كوكب من الكواكب بموضوع مخصص ، وهو - كما تقول الرسالة .. «أشبه الأقاويل بالحق»[٢١] ربما لأنه يؤكد فكرة المراتب والاصطفاء الإلهى مما يزكى موقف القوم من الإمامة .

وفقرة أخرى فى الفصل نفسه عن (طبقة الأرض وقسمة أرباعها ) تُصورها فيه كرة نصفها غاطس فى الماء والنصف الآخر بارز ، وهو ينقسم قسمين أو ربعين بخط الاستواء :

الجنوبيُّ منهما غيرُ مسكون والشمالى هو الربع المسكون من الأرض ، وفيه بحار سبعة فى كلٍّ عدة جزر ، ويحدد مواقع هذه الأبحر ، بعد أن يقدم رسما بسيطا يوضح أقسام الأرض(٢٢) . يليه بيان للجبال فى هذه المنطقة المأهولة . ويختم الفصل ببيان صفة الأقاليم السبعة وأبعادها موضحة بالشكل الذى يسميه مثالا(٢٣) .

ويبدأ الفصل الثانى - كأكثر الفصول - بمناداة القارىء « بالأخ البار الرحيم » والدعاء له ، وهو أسلوب فى التودد إلى القارىء لا بأس به لولا بعض سرف فيه ، ثم تنبيهه إلى أن حدود الأقاليم السبعة ، التى وردت فى ختام الفصل السابق ، إنما هى حدود وهمية - وليست أقساما طبيعية - وضعها المستكشفون لحدود تلك البلاد ، ومسالكها - وهنا ترد أسماء بعض ملوك الأمم ولامشاحة فى أن للعوامل السياسية أثرا فى الاكتشافات وتقدم المعارف الجغرافية ، ثم يذكر لاقتصارهم على الربع المأهول أسباباً طبيعية قد لا تكون دقيقة ولكنها تلمح إلى أثر العوامل الجغرافية فى التوزيع السكانى على الكرة الأرضية ، منبها إلى أنها على اتساعها ليست إلا كالنقطة فى دائرة الأفلاك الواسعة ، وإن كانت - كما مر بنا آنفا - هى النقطة المركزية ؛ « وذلك أن فى الفلك ألفا وتسعة وعشرين كوكبا ، أصغر كوكب منها مثل الأرض ثمانى عشرة مرة ، وأكبرُها مائة وسبع مرات.. »(٢٤) ، وتلك أرقام وحجوم غير صحيحة الآن ، ولعلها غير دقيقة بمقياس ذلك الزمان ، ولكنها تدعو القارىء - كما ينصحه الإخوان - إلى التفكير فى عظمة الخالق القائل : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ صدق الله العظيم .

أما الفصل الثالث - وهو أطول الفصول ، بل يقرب من نصف حجم الرسالة فإنه يبدأ ، كما انتهى سابقه ، بموعظة للقارىء ألا تشغله مطالب العيش والشهوات والطموحات الدنيوية الزائفة عن « طلب العلم ومعرفة حقائق الأشياء . حتى إذا فنى العمر خرج من هذه الدار جاهلاً ، لم يعرف صورتها ، ولم يفكر فى الآيات التى فى آفاقها ، ولا اعتبر أحوال موجوداتها .. » (٢٥)، فيكون كواحد من السائحين دخلوا مدينة ملك حكيم عادل أقام لهم الموائد ، ودعاهم إلى لقائه تكريما وحفاوة وإلى السياحة فى المدينة طلبا للحكمة والمعرفة ، فشغلتهم الموائد عن الاعتبار

بما فى مدينة الملك من الآيات والغرائب ، التى كان من الممكن أن يصيروا برؤيتها «حكماء أخياراً فضلاء»(٢٦) فيصلون إلى حضرته ، ويستحقون كرامته ، لكنهم خرجوا من مدينته لم ينالوا منها إلا الطعام والشراب .. وهذا لعمرى سمو أى سمو بقيمة المعارف الجغرافية وأثرها التربوى والروحى ، ولكن لا ينبغى أن ننسى أن هذه الصفات «حكماء أخياراً فضلاء» هى مراتب فى الدعوة حسب السن والخبرة عند إخوان الصفا(٢٧) ، وإذن فهذه دعوة مذهبية ، بل تنظيمية ، مغلفة بالموعظة الروحية ، وقد يشى بذلك دعاؤهم للقارىء : «وفقك الله أيها الأخ البار الرحيم [ هذان هما وصفا من يصلح للدعوة ](٢٨) للسداد ، وهداك للرشاد ، وجميع إخواننا حيث كانوا فى البلاد ..»(٢٩) .

وبعد هذه المقدمة الدعوية يحدد الإخوان موضوع الفصل الثالث «نريد أن نذكر الأقاليم السبعة ونبين حدودها طولا وعرضا وما فى كل إقليم من المدن الكبار والجبال والأنهار الطوال»(٣٠) ، ثم يذكرون أن أساس تقسيم هذه النطاقات الهندسية شمالى خط الاستواء المسماة بالأقاليم السبعة إنما هو التفاوت فى طول وقت النهار مشيرين إلى أن ذلك مأخوذ من كتاب «المجسطى»(٣١) وهو تصريح بمصدرهم الأساسى وهو المدرسة اليونانية - الإسكندرية .

ثم يبينون أن ما سيوردونه بعد فى هذا الفصل من قوائم المدن والمواضع سيذكر فيه درجة العرض ، والمقصود بها بعد المكان عن خط الاستواء ، ودرجة الطول والمقصود بعده عن أقصى المغرب ، وأن المسافة من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق هى مائة وثمانون درجة كل درجة تسعة عشر فرسخا ، ثم يذكرون على هذا الأساس كيفية تحديد المواقع على وجه الإجمال .

ترد بعد ذلك أسماء المدن الكبار ، بدءا بما ليس منها فى الأقاليم السبعة لقربه من خط الاستواء مقرونة كل منها بدرجة طولها معبراً عنها بحساب الجمل : وهى «بشمير من الهند [كذا بالباء] ، جزيرة كوك من الهند ، مدينة الطيب من الهند ، وحضرموت من اليمن ، رعاه من الحبشة ، كوكو من الحبشة(٣٢) وربما كان تحديد مواقع هذه المواضع من خط الاستواء كما نعرفه الآن تعوزه الدقة ، غير أن ما يلفت النظر أن هذه الأعلام الجغرافية وأمثالها - مع الأخذ فى الاعتبار آثار التحريف والتصحيف فى المخطوطات والمطبوعات غير المحققة - جديرة بدراسة متخصصة .

ثم يتعرضون للإقليم الأول ، ناسبين إياه إلى زحل ، محددين طوله وعرضه بالأميال والفراسخ ، وتفاوت طول النهار فيه ، فيذكرون أن «فى هذا الإقليم من الجبال الطوال نحو عشرين .. وفيه من المدن المعروفة نحو من خمسين ، وابتداء هذا الإقليم من المشرق على شمال جزيرة الياقوت ، فيمر على بلاد الصين مما يلى الجنوب ، ثم على شمال بلد سرنديب ، ثم على وسط بلاد الهند ، ثم يمر على وسط بلاد السند ، ثم يقطع بحر فارس مما يلى الجنوب بلاد عمان [كذا] ، ثم يمر على وسط بلاد الشحر ، ثم يمر على وسط بلاد اليمن ، ثم يقطع بحر القلزم هناك ، ويمر على وسط بلاد الحبشة ، ويقطع نيل مصر هناك ، ثم يمر على بلاد النوبة ، ثم يمر على وسط بلاد البربر وبلاد البواى ، ثم يمر على جنوب بلاد مرطانة ، وينتهى إلى بحر المغرب - بحر الظلمات - وعامة أهل هذه البلاد سود»(٣٣) ثم يوردون بعد ذلك أسماء المدن الكبار فى هذا الإقليم مقرونة بدرجات الطول والعرض على النحو المشار إليه آنفا : « مدينة فى أقصى الصين ، مدينة فى جزيرة الصين ، أسقريار وهى من الصين ، ماسيوفا من الهند ، حارون من الهند ، سقلى من السند ، عُمان من بلاد العرب [ على العين نقطة فى طبعة صادر] ، الميد من السند ، مدينة أخرى على البحر مَيْلا عدن من اليمن ، دنقلة من بلاد نوبة ، كوضُ وواعلة منه [كذا] ، مملكة الحبشة ، حرمى الكبرى»(٣٤) وإنما أطلت النقل هنا ليكون نموذجا لما يوردونه عن الأقاليم الستة التالية من المواضع ، فهو مماثل لذلك حتى نهاية الفصل ، اللهم إلا فى اختلاف أسماء الأماكن ودرجاتها ، ولعل فيما أوردناه كفاية لأن يجذب نظر عالم متخصص فيجعل هذه النصوص من الرسائل موضع دراسة تفصيلية .

ويذكر الفصل التالى - وهو الرابع - اختلاف خواص الأقاليم السبعة ؛ من حيث السكان وأحوالهم ، والحيوان ، والمعادن ، والمناخ ، والتربة ، وموارد المياه ، على وجه الإجمال وينسبه إلى اختلاف طوالع البروج ودرجاتها على آفاق تلك البلاد ، مع الاعتراف بأن ذلك مما يطول شرحه(٣٥) وبعد الإشارة إلى العوامل الطبيعية السابقة المؤثرة فى تمدن الربع المسكون من الأرض الذى قيل إنه يحوى ١٧،٠٠٠ مدينة سوى القرى (٣٦)، يذكرون - جريا على معتقداتهم ، وما شاع فى عصرهم ثم أحكام القرانات وما يترتب

عليها من قوة السعود ، وأدوار الأفلاك الألوف - وهذه إسماعيلية - وما ينشأ عن ذلك كله من « اعتدال الزمان واستواء طبيعة الأركان ، ومجيء الأنبياء ، وتواتر الوحي [كذا] ، وكثرة العلماء ، وعدل الملوك .. »(٣٧) ثم يذكرون النحوس وما يترتب عليها من تغيرات طبيعية ونفسية وثقافية سيئة ، وهكذا يدور الزمان بالبشر قرنا بعد قرن ، ومن أمة إلى أمة ، ومن بلد إلى بلد .

ويتصل الخطاب في الفصل التالي - وهو الخامس ، ويليه فصل الختام - بين الإخوان وقارئهم حول تطور الدول وأن لكل دولة عمرا يبدأ بالنشأة ، ويبلغ النضوج ، ثم ينتهي إلى الانحطاط والنقصان ، لتنشأ دولة أخرى وتعلو ، وتتراجع الأخرى ، مما يذكرنا نحن بنظرية ابن خلدون فيما بعد ، وإن كانت طبيعة التفسير لهذه الظواهر التاريخية مختلفة ، أما أصحابنا هؤلاء فيفسرونه بأثر الكواكب واختلاف الظروف الطبيعية وما يترتب عليها في أوضاع البشر ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ .

ثم يأتي فصل الختام مبشرا القراء بقرب سقوط دولة الشر ، حيث بلغت أوجها ومالت إلى الشيخوخة والضعف ، مما يصلح وصفا لأوضاع الدولة العباسية حين ظهور الرسائل ، وبدء اختلالها وضعفها ولكن البديل وهو دولة الخير لن تقوم إلا إذا سبقتها دعوة جامعة «من قوم علماء حكماء ، وخيار فضلاء ، يجتمعون على رأي واحد ، .. ودين واحد ، ويعقدون بينهم عهدا وميثاقا .. ويكونون كرجل واحد في جميع أمورهم ، .. فهل لك أيها الأخ البار الحكيم بأن ترغب في صحبة إخوان لك نصحاء ، وأصدقاء لك أخيار فضلاء .. بأن تقصد مقصدهم ، وتتخلق بأخلاقهم ، وتنظر في علومهم ، لتعرف مناهجهم ، وتكون معهم ..»(٣٨) .

وهكذا تنتهي رسالة «الجغرافيا» بدعوة واضحة إلى تغيير سياسي بناء على ثورة ثقافية أو مذهبية ، هي شيعية إسماعيلية في حقيقتها ، لتغيير الأوضاع السائدة في العالم الإسلامي ، وفي وقت كانت دولتهم قد ظهرت في المغرب وأخذت طريقها إلى قلب العالم الإسلامي عن طريق مصر . مما يؤكد مقالة ديبور وغيره «إن الفلسفة قد انقلبت على يد إخوان الصفا إلى أحلام سياسة»(٣٩) .

(ب) إذا كان الغرض السابق لمحتوى الرسالة المتخصص كافيا لإلقاء الضوء على طبيعة المعارف

الجغرافية فى رسائل إخوان الصفا ، فربما جاز لنا أن نشير إشارات سريعة إلى مواطن أخرى من الرسائل ذات أهمية خاصة فى هذا الصدد ، ولئن كانت رسالة الجغرافيا تهتم بالجوانب الطبيعية فإن النماذج التالية تبين اهتمام القوم بالجوانب الأخرى من الفكر الجغرافى :

١ - فمن ذلك ما تحتويه رسالة «الأسطرونوميا فى علم النجوم» من اهتمام بتركيب الأفلاك ، وعلاقات الكواكب ، وحركة البروج .. وسائر مسائل علم الهيئة ، التى يستدل بها - فى علم الأحكام - على الكائنات قبل كونها تحت فلك القمر(٤٠)، ولا ينكر تأثيرها على الأحوال الجغرافية وآثارها فى الكائنات أثناء حدوثها كما مر بنا فى رسالة الجغرافيا . وكثير ما تضمه الرسالة الفلكية يدخل فيما يعرف بالتراث الجغرافى بالجغرافيا الفلكية ، وهذه ناحية كان الإخوان - بحكم اتجاههم المذهبى - معنيين بها إلى حد كبير ، كحركة الكواكب وآثار كل من زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد والقمر على أحوال الأرض ، وسائر الكائنات والفاسدات تحت فلك القمر(٤١).

٢ - ومن المواضع الهامة أيضا ما تتضمنه الرسالة الرابعة من المجلد الثانى الخاص بالقسم الطبيعى ، وهى تتناول الآثار العلوية أو الظواهر الجوية ، فتدرس آثار حركة الكواكب على الجو بوجه عام(٤٢) وتكون الأبخرة والسحب والبروق والرعود وقوس قزح(٤٣)، ثم يتناول ظواهر الأمطار ، والشهب، والمذنبات ، مما يدخل فى ميدان الجغرافيا الطبيعية(٤٤) ، مع تعرض فى أثناء ذلك لبعض الآيات القرآنية وتأويلها على نحو خاص مما يتعلق بالرجوم والشهب(٤٥) ، وهى لا تخلو من مغزى علمى ومذهبى .

٣ - وربما كانت الرسالة الخامسة من المجلد الثانى - الطبيعيات - الخاصة بتكوين المعادن ذات أهمية فيما نحن بصدده ، غير أن الرسالة الثامنة من نفس المجلد هى أكثر أهمية فهى تتناول مسائل تدخل فى الجغرافيا الحيوية من أحوال النبات والحيوان(٤٦) ، واختلاف حيوان كل جهة عن حيوان الأخرى بسبب البيئة وغيرها(٤٧) ، وتصنيف الحيوانات على أساس مرتبتها من التطور ونوع حركتها ومناطق وجودها(٤٨) ، وكذا الطيور وأحوالها المختلفة التى حظيت بعناية ملحوظة(٤٩) أيضا ، إلى آخر ما تتضمنه الرسالة من أدب جغرافى ذى أهمية موضوعية وتاريخية فى وقت معا .

- ٣ -

لعلنا بعد العرض السابق لمعالم ما تحويه « الرسائل » من أدب جغرافي ، نستطيع أن نستخلص سمات عامة لهذا الأدب ، وأن ندلي بكلمة تقويمية حوله ، مع التحفظ الواجب على قارئ غير متخصص مثلي لهذه الموسوعة المعرفية ، حتى ولو استهدى بآراء المتخصصين :

١ - لا ينكر أحد من الباحثين - في مدى علمي - الأهمية البالغة لإخوان الصفا كظاهرة ثقافية ، وللرسائل التي كتبوها كأثر علمي متميز ، وذلك على مستوى تاريخ الأفكار العلمية والفلسفية والتطور الثقافي العام ، وإن اختلفت كلمتهم في قيمة هذه الرسائل وما تحتويه من مادة علمية من حيث الدقة أو الطابع الإبداعي . وقد يمثل هذا الرأي المزدوج قول كراتشكوفسكي عن الرسائل وأصحابها كمؤرخ للفكر الجغرافي العربي : « .. فيما عدا القسم الخاص بالجغرافيا ، فإن المعطيات الجغرافية تتناثر في بقية الرسائل وهي لا تخلو من أهمية في بعض الأحيان رغما من أنها قليلا ما تتميز بالأصالة ... وفي الأعوام العشرة الأخيرة فقط ، عندما وضحت طبيعة علاقتهم بحركة الإسماعيلية أصبح في حيز الإمكان فهم أفكارهم ، داخل الإطار العام للقرن العاشر . أما بالنسبة للأدب الجغرافي - وذلك في مفهومه المستعمل في هذا الكتاب - فإن هذه الرسائل ترتبط به ارتباطا غير مباشر ، لكنها لا تخلو من أهمية في تحديد مدى الاهتمام بالجغرافيا ؛ لأنها تمثل أثرا ممتازا في نطاق التاريخ الثقافي لذلك العصر »(٥٠) .

٢ - أشرنا فيما سبق إلى موقف إخوان الصفا من الفلسفة ، والفلسفة اليونانية بوجه خاص والأفلاطونية المحدثة بوجه أخص ، ويبدو أن هذا الموقف ألقى بظلاله على بحوثهم الجغرافية ومصادرها ، وربما جاز لنا أن نعود مرة أخرى إلى كراتشكوفسكي : « أحاطت رسائلهم بجميع المعارف التي كانت سائدة في ذلك العصر .. مع جنوح إلى المذهب اليوناني ، واختيار المادة عندهم يتخذ طابعا انتقائيا ملحوظا ، فالأساس عندهم هو الثقافة اليونانية والعلم اليوناني ، ولكن يبصر لديهم بوضوح أيضا نفوذ الثنائية الغنوصية .. وفي صلتهم بالعلم اليوناني .. فإن أرسطو كان يأتي عندهم في المرتبة الثانية عند مقارنته بهرمس وسقراط وأفلاطون وفيثاغورس.. »(٥١) ،وقد مر بنا فيما نقلناه من نصوصهم إحالتهم قارىء الرسائل على بطليموس ، على أنه من المعروف أن لنظرية الفيض الأفلاطونية أثراً بالغا في العقائد الإسماعيلية سبق الإلماح إليه .

٣ - أيا كانت قيمة الرسائل من الناحيتين العلمية والفلسفية فقد مارست تأثيرا واضحا على معاصريهم وعلى العصور التالية ، وفى الفصل الهام الذى كتبه ديبور عن الفلسفة والعلم عند إخوان الصفا أثبت تأثيرهم حتى على خصومهم من أهل السنة [٥٢] ؛ وهذا ما يشاركه فيه باحثون آخرون[٥٣] . ويبدو أن شهرة الجماعة قد تجاوزت « بسرعة فائقة حدود موطنهم .. بل حدود الأدب العربى بمعناه الضيق . فمنذ نهاية القرن العاشر نشر تعاليمهم بالأندلس مسلمة المجريطى (إقليدس الأندلس) . وفى القرن الثالث عشر وقع تحت تأثيرهم الكاتب السريانى يعقوب بن ساويروس .. وفى القرن الرابع عشر نقلت رسائلهم إلى الفارسية فى دولة تيمور . كما أن أجزاء متفرقة منها وجدت طريقها إلى أوربا الوسيطة . ويرجع الفضل فى تعريف الدوائر العلمية المعاصرة بهم إلى (ديتريتشى) الذى أفرد لهم أكثر من عشرين بحثا فى ترجمة وتحليل معظم الرسائل ...[٥٤] وينوه بعض الباحثين بأثرهم على بعض البحوث الجغرافية عن المسلمين ، كالجغرافيا الحيوية والجغرافيا الطبيعية بالإضافة إلى الجغرافيا الإقليمية[٥٥] .

٤ - وأخيرا ، فإن جغرافيا إخوان الصفا لا تخلو من مسحة مذهبية ظاهرة ، سواء فى التفسيرات غيرّ العلمية لأثر الكواكب التى ربما ترجع إلى نظرية الفيض الأفلاطونية أو ما يشبهها من عقائد إسماعيلية [٥٦] ، أوفى الطابع الدعوى الذى يتخلل الرسائل وتوظف من أجله المعارف العلمية[٥٧] ، أو فى عنايتهم بما يدخل فى باب الجغرافيا الثقافية أو الدينية كالاختلافات الواقعة بين الأديان المختلفة ، وبين طوائف المسلمين «ومنها اختلاف فى ألفاظ التنزيل كالذى بين القراء ، ومنها اختلاف فى المعانى كالذى بين المفسرين ، ومنها اختلاف فى أسرار الدين وحقائق معانيه الخفية كالذى بين المقلدين [= أهل السنة ] والمستبصرين [=الإسماعيلية ] ، فيها اختلاف فى الأئمة الذين هم خلفاء الأنبياء كالذى بين الشيعة ، ومنها اختلاف فى أحكام الشريعة وسنن الدين كالذى بين الفقهاء..»[٥٨] وهو تقسيم جيد لهذه الأوضاع فى عصرهم بصرف النظر فى تطبيقه ، وقد نجد محاولة شبيهة بذلك بل أكثر تفصيلا عند المقدسى[٥٩] المعاصر لكتاب «الرسائل» ، وتلك ناحية هامة نحن فى أمس الحاجة إليها فى دراسة أحوالنا العقلية مع تحديثها حينا بعد حين .

لكننى إن كنت قد بلغت بعضا مما حددته من أهداف فى مطلع هذا البحث فإنى أعترف بأنى لم أحقق مطمحا شخصيا كان ضمن دوافعى إلى القيام به وهو معرفة «الجزر الاثناعشر» التى قسم الإسماعيلية العالم إليها فى تنظيماتهم لمؤسسة الدعوة التى فاقت تنظيم أقوى الدول المعاصرة لشئون دعايتها ، كما يقرر أحد أكبر الخبراء فى الموضوع ، وهو المرحوم الدكتور محمد كامل حسين ، الذى قال: «تحديد الجزائر لم يزل سراً لم يستطع الباحثون الوصول إليه»[٦٠] ، وذكر أن محاولة إيفانوف فى هذا الصدد لم تنته إلى شىء محدد[٦١]. وربما كان فى ذلك بعض العزاء لى شخصيا .

وآخر دعوانا - على كل حال - أن الحمد لله رب العالمين .

**حسن الشافعى**

عضو المجمع

# المراجع


١- محمد غلاب : إخوان الصفا ، القاهرة ١٩٦٨ م ، ص ٩

٢ - محمد محمود محمدين : التراث الجغرافى الإسلامى ، ط ثانية ، الرياض ١٤٠٤ هـ ، ٢٧٠ - ٢٧١ .

٣ - محمد غلاب (مرجع سابق) ص ١٢.

٤ - جبور عبد النور : إخوان الصفا ، دار المعارف بالقاهرة ، ط ٤ ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٦.

٥ - أجناس جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، دار الكاتب المصرى بالقاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٢١٣ .

٦ - ديبور ت . ج : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة د . محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٣٨ . ص ١١٣ .

٧ - كراتشكوفسكى أ . ى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ١٩٥٧ ، ٢٢٦/١

٨ - إخوان الصفا : الرسالة الجامعية ، ط بيروت ، ١٩٥٧ ، ٤١ - ٤٩ ، ٢٠١ - ٢٢٠ .

٩ - عارف تامر . حقيقة إخوان الصفا وخلان الوفا ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ط أولى ، ص ٦ وما بعدها .

١٠ - ديبور ت . ج : مرجع سابق .

١١ - هو الدكتور محمد غلاب : انظر كتاب ( إخوان الصفا ) ، ص ٤ .

١٢ - مذكور - إبراهيم بيومى : فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ، الحلبى بالقاهرة ، ١٩٤٧ ، ٩٥/١ ، وانظر أيضا : حسن الشافعى : كتاب المبين للآمدى ، وهبه بالقاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٣١ .

١٣ - رسائل إخوان الصفا ، دار صادر بيروت بدون تاريخ ، ١١/١ .

١٤ - السابق : ١٥٧/١ وقارن ٣٦/٤.

١٥ - السابق ٦/١ .

١٦ - انظر كراتشكوفسكى (مرجع سابق) ، ص ٢٢٧ .

١٧ - محمد محمود محمدين (مرجع سابق) ص ١٥ ، وقارن ص ١٣ .

١٨ - الرسائل ١/ ١٥٨

١٩ - السابق ١٥٨/١ - ١٥٩ .

٢٠ - السابق ١٦٣ .

٢١ - السابق ١٦٢ .

٢٢ - السابق ١٦٣ .

٢٣ - السابق ١٦٥ .

٢٤ - السابق ١٦٦ .

٢٥ - السابق ١٦٧ .

٢٦ - السابق ، وقارن ديبور (مرجع سابق ) ٩٧ - ٩٨ .

٢٧ - انظر محمد محمود محمدين (مرجع سابق ) ص ٢٧٠ .

٢٨ - السابق ٢٦٩ .

٢٩ - الرسائل ، ١٦٨/١ .

٣٠ - السابق .

٣١ - السابق ١٦٩ .

٣٢ - السابق ١٧٠ .

٣٣ - السابق ١٧٠ - ١٧١ .

٣٤ - السابق ١٧١ .

٣٥ - السابق ١٧١ - ١٧٢ .

٣٦ - السابق ١٨٠ .

٣٧ - السابق ١٨٢ .

٣٨ - ديبور (مرجع سابق) ص ٩٦ .

٣٩ - الرسائل ١١٤ .

٤٠ - السابق ١/ ١٢٠ - ١٥١ .

٤١ - انظر الرسائل ٢/ ٦٧ - ٧٢ .

٤٢ - السابق ٢/ ٧٣ - ٧٨ .

٤٣ - السابق ٧٩ - ٨٦ .

٤٤ - السابق ٨٢ - ٨٣ .

٤٥ - السابق ١٧٨ - ١٨٣ .

٤٦ - السابق ١٨٤ - ١٨٦ .

٤٧ - السابق ١٨٦ - ١٩٧ .

٤٨ - السابق ١٩٨ - ٢٠٣ .

٤٩ - كراتشكوفسكى (مرجع سابق ) ٢٢٨ - ٢٢٩ من القسم الأول .

٥٠ - السابق ٢٢٧/١ وقارن بالرسائل ١٥٧/١ ، ١٧١ .

٥١ - ديبور (مرجع سابق) ١١٢-١١٣.

٥٢ - كراتشكوفسكى ٢٢٨/١ ، محمدين ( مرجع سابق ) ٢٧١ - ٢٧٤ ، ضياء الدين علوى س . م : الجغرافيا العربية ، ترجمة يوسف الغنيم وطه جاد ، ط الكويت ، ١٩٨٠، ص ٢٠٤ .

٥٣ - كراتشكوفسكى ١/ ٢٢٨ .

٥٤ - محمدين (مرجع سابق ) ٢٧٢ - ٢٧٥ ، علوى : الجغرافيا العربية (مرجع سابق) ٢٠٤ .

٥٥ - محمدين (مرجع سابق) ٣٧٨ .

٥٦ - راجع ما سبق فى هذا البحث ، وانظر الرسائل ١/ ١٨٠ - ١٨٢ .

٥٧ - الرسائل ٣/٤٨٨ .

٥٨ - محمدين (مرجع سابق) ١٣٤ .

٥٩ - محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٥٩ م ، ص ١٢٣ .

٦٠ - السابق .

# الأعلام الجغرافية عند الطهطاوى

للأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى

**أولا : الإطار العام :**

١ - تعد كتب رفاعة الطهطاوى ( ١٨٠١ - ١٨٧٢ ) - رائد الفكر العربى الحديث - مصدرا مهما لتعرف قضايا اللغة العربية فى بداية النهضة الحديثة فى عدد كبير من المجالات . إن مؤلفاته ومترجماته وتعليقاته تقدم لنا مادة وفيرة لبحث الأعلام الجغرافية من الجوانب اللغوية والمعرفية المختلفة . ويركز هذا البحث على هذا الموضوع فى ضوء ثلاثة كتب للطهطاوى ، أقدمها «قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر» ( القاهرة ١٢٤٨ هـ - ١٨٣٢ م ) نصه المترجم من الفرنسية إلى العربية فى ١١٢ صفحة وألف له الطهطاوى سابقة مطولة فى مائة وخمس صفحات ، تضم معلومات عن البلدان والشعوب . وكان الطهطاوى على وعى بأنه فى مرحلة تحول لغوى مهمة صنع هذه الصفحات وحدد عمله فيها بإنه « شرح الكلمات الغريبة التى توجد فى كتاب قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر ، مرتبة على حروف المعجم مضبوطة حسب الإمكان ومفسرة على الوجه الأتم سواء كانت أسماء بلدان أو أشخاص أو أشياء .

ولما كانت هذه الألفاظ فى الأغلب أعجمية فلم ترتب إلى الآن فى كتب اللغة العربية ، وكان يتوقف فهم هذا الكتاب عليها عربناها بأسهل ما يمكن التلفظ به على وجه التقريب ، حتى إنه يمكن أن تصير على مدى (فى الأصل : مدا ) الأيام دخيلة فى لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية واليونانية » ( ص ٢ ) ، وهنا نجد وعى الطهطاوى بأهمية معرفة الألفاظ التى وصف أكثرها بأنه دخيل ومعرب وضرورتها لفهم الكتب الحديثة جعل من واجبه أن يحصرها ويشرحها .

كان الطهطاوى مدركا فى الوقت نفسه لطبيعة عمله اللغوى فى هذا المجال ، فهو يقوم لبنة فى صرح معجم العربية عبر القرون من خلال إضافات مهمة ، كتب الطهطاوى : ولو صنع المترجمون نظير ذلك فى كل كتاب ترجم لانتهى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجاء ونظمها فى قاموس مشتمل على سائر غريب الألفاظ المستحدثة التى ليس لها مرادف أو مقابل فى لغة العرب أو الترك ، فإن هذا يفيد التسهيل على الطلاب وبه تحصل

ألقى هذا البحث فى الجلسة العاشرة بتاريخ ٤ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٤ من أبريل ( نيسان ) سنة ١٩٩٥ م

الإعانة على فهم كل علم أو كتاب » ( ٢ ) . وهذه الفكرة ظلت أمام الطهطاوى فى عدد من كتبه ، فهو مدرك لكونه فى مرحلة جديدة فى تاريخ العربية ، وأن إكمال المعاجم العربية بالجديد يمكن أن يتم من خلال حصر الألفاظ المستحدثة تمهيدا لعمل معجم شامل لها أطلق عليه الطهطاوى اسم «قاموس» وهى الكلمة التى استقرت بعد ذلك إلى جانب كلمة معجم تسمية لهذا النوع اللغوى من الأعمال المرجعية.

٢ - يمثل البعد الجغرافى أهمية خاصة فى مقدمة كتاب «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز» ( القاهرة ١٨٣٤ ) للطهطاوى إلى جانب البعد التاريخى الحضارى والبعد المتصل بتاريخ العلم ، خصص الطهطاوى الباب الثالث من المقدمة « فى ذكر وضع البلاد الإفرنجية ونسبتها إلى غيرها من البلاد » ( طبعة حجازى ص ١٥٣ ) ، وهنا نجد صفحات تضم معلومات جغرافية عن القارات ، ويسميها الطهطاوى الأقسام ( ص ١٥٣ - ١٥٧ ) وفى سياق تفصيل المعلومات عن فرنسا نجد الطهطاوى يشرح بعبارته عددا من الأعلام الجغرافية شرحا مفصلا من الجوانب اللغوية إلى جانب تدوينة لمئات الأعلام الجغرافية حتى إن الكشاف المعجمى الذى أضيف فى أحدث الطبعات يضم أكثر من خمسمائة علم جغرافى وردت فى صفحات الكتاب .

٣ - ترتبط ريادة الطهطاوى فى الجغرافيا بترجمته لكتاب كبير ، هو «الجغرافية العمومية» تاليف ملطبرن ، وهو عمل كبير ذو أهمية فى دراسة الأعلام الجغرافية من الناحية اللغوية . ولما كان الكتاب قد تناول الكشوف والقارات والدول والنظم والأصول التاريخية وغير ذلك فقد وردت به آلاف الأعلام الجغرافية والأسماء المختلفة لأماكن كثيرة على مدى القرون . وهذه المادة لها أهميتها فى التاريخ اللغوى ، وعلى وجه الخصوص من ناحية المعرفة بالاسم العربى والمقابل الأوربى وكذلك من ناحية المعرفة بالاسم القديم والاسم الجديد مما يفيد - أيضا - فى جانب من علم اللغة ، وهو تاريخ المفردات العربية أو بعبارة أكثر تحديدا : التاريخ اللغوى للأعلام الجغرافية .

**ثانيا : *التأصيل التاريخى للأعلام الجغرافية* :**

١ - اهتم الطهطاوى بالتأصيل العربى لعدد من الأعلام الجغرافية التى لها ذكر فى التراث . نجد أمثلة لهذا كله فى أسماء الأماكن فى الأقطار العربية والبلاد المعروفة للعرب . يرد الطهطاوى الأعلام الجغرافية إلى

صيغها العربية فى التدوين بغض النظر عن صيغها الأوربية وليس ثمة مشكلة عنده فى رد الأسماء إلى صيغها العربية المألوفه : حلب ، حماة ، بغداد ، تونس، عكا ( تخليص ٢٠٠ ) ، صور ( تخليص ١٤٥ ) . أما المناطق التى كانت معروفة للعرب ، ومنها أرمينية ( تخليص ١٥٤ ) ، الهند (تخليص ١٥٥) ، قبرص ( تخليص ١٥٤ ) ، جاوة ( تخليص ١٥٩ ) ، فقد ذكرها الطهطاوى بأسمائها المألوفة فى التراث العربى .

### ٢ - التأصيل العربى لأسماء الأماكن فى الأندلس وصقلية :

شغل الطهطاوى بذكر الأعلام الجغرافية فى الأندلس وصقلية اعتمادا على الصيغتين العربية والأوربية . اسم صقلية ذكر بثلاث صيغ : صقالية ، صقلية ، صقيلية ، إلى جانب النص على أنها فى وقت الطهطاوى « شهيرة باسم «سيسيليا» بالمهملتين أو المعجمتين المكسورتين » ( قلائد ٥٨ ) ، أما مدينة غرناطة فقد ذكرت بصغتين ، هما الاسم العربى «غرناطة» بتحريك الغين ، وبصيغة أخرى تقوم على أساس قاعدة تجنب البداية بصامتين ، فى مقابل Granada نجد : إغرناطة ، ويذكر فى شرحه لمعنى الكلمة : « وهى معربة من لغة إسبانيا عن إغرناطة التى معناها رمانة » ( قلائد المفاخرة ) ، وثمة أعلام للأماكن لها صيغة عربية واحدة اعتمدها الطهطاوى إشبليةأو أشبيلية ( تخليص الإبريز ) .

### ٣ - التأصيل العربى لأسماء الأماكن فى أقاليم أسيا والمحيط الهندى :

تشكل الأسماء فى جنوب شرقى آسيا موضوعا عنى به الطهطاوى ، وعن جزيرة سومطرا كتب : « وفى الكتب العربية يقال لها سبرمة بضم السين المهملة وسكون الموحدة وفتح الراء والميم فتاء تأنيث ، وقال بعضهم إنها مسماة فى كتب العربية سمندر بفتح السين والميم وسكون النون وفتح الدال فراء ، والظاهر جزيرة سمندر هى ما يسمى عند الإفرنج مدا غشقار بجزائر إفريقية » (قلائد ٥٤ ) ، أما الجزر التى عرفها الرحالة والتجار العرب فحاول الطهطاوى رد أسمائها إلى صيغتها العربية عن اسم جزيرة سيلان كتب : « ثم إن بعض الإفرنج جعل هذه الجزيرة هى المشهورة فى كتب العربية باسم جزيرة سرنديب ..... ( قلائد ٥٥ ) .

٤ - تأصيل أسماء الأماكن فى القارة الأوربية :

أصل الطهطاوى عددا من الأعلام الأوربية من ذلك اسم باريس « ومعناها فى اللسان القديم الفرنساوى سكان الأطراف والحواشى » ( تخليص الإبريز ١٩٦ ) . وذكر الطهطاوى فى تأصيل كلمة «أولمبقية» أنها « نسبة إلى أولمبيا مدينة من مدن الموراكان اليونان يعلنون بقربها كل خمس سنوات لعبا مخصوصا » ( قلائد المفاخر ١٣ ) .

ثالثا : القضايا الصوتية :

١ - طريقة الضبط :

اعتمد الطهطاوى العرف القديم فى الضبط بتسمية الحروف وحركاتها أو سكونها ، وعند تعدد صيغ الاسم يكتفى بضبط الصيغة المختارة أبريزيلة بسكون الموحدة وكسر الراء بعدها مثناة تحتية فزاى مكسورة فتاء تأنيث ، ويقال أيضا أبرزيلة وأبرزيل بفتح الراء » ( قلائد ٢ ) .

٢ - الاعتماد على النطق الفرنسى :

أكثر اعتماد الطهطاوى بالنسبة للأعلام الجغرافية فى أوربا والعالم الجديد على الصيغة الفرنسية لها . كتب لندرة Londrès ، ولم يعتمد الصيغة الإنجليزية London واسم الإقليم الألمانى Schwaben نقل على أنه سوابيا بضم السين المهملة فواو بعدها ألف ، وقد يقال صوابيا أو صوابة بالصاد المهملة إقليم من أقاليم ألمانيا » وكل هذه الصيغ لا تبدأ بالشين الألمانية ، بل قامت على أساس الصيغة الفرنسية لعلم جغرافى ألمانى ، وكذلك اسم الشعب : ألمان وليس Deutsch وكذلك ريوجانيز ( تخليص ١٥٧ ) .

٣ - تجنب البداية بصوتين صامتين :

البنية المقطعية للعربية تجعلها تتجنب البداية بصامتين على عكس لغات أخرى ، منها الفرنسيةحيث يجوز بدء المقطع بصامتين ، كان الطهطاوى يحول هذا النمط إلى العربية باحدى طريقتين إضافة همزة وحركة قبل الصامت الأول أو إدخال حركة بين الصامت الأول والثانى :

- إبريزيل .... Brésil ... ( قلائد ٢ )
- إغرناطة .. Granada .. ( قلائد ٥ )
- فرانسا France (تخليص ١٦١ ، ١٧٦)
- برونسة ... Provence ( قلائد ٢٧ )

## رابعا : تدوين الأصوات الأجنبية بالحروف العربية :

### ١ - تدوين صوت Q / C / K

هذا الصوت نقله السريان إلى القاف تجنبا لمشكلة الصورتين الصوتيتين للكاف فى السريانية ، فكانت صورتها الصوتية بعد أية حركة قصيرة أو طويلة تجعلها خاء ، وكان الحل المنشود يجعل تدوين صوت K / بحرف القاف العربية ، وقد استمر هذا العرف وأفاد منه الطهطاوى إلى حد بعيد ، وذلك مثل : موسقو ( قلائد المفاخر ٢ ) ، قلقوطا ( قلائد المفاخر ٧١ ) أو قيانوسية ( تخليص الإبريز ٥١٤ ) قورسقة ( تخليص الإبريز ١٨٠ ) ، نويرق ( تخليص الإبريز ١٥٧ ) ، ولكن ثمة أمثلة لتدوين هذا الصوت بالكاف العربية : أمريكة ( قلائد المفاخر ٢ ) ، ( بلاد ) مكسيك ( تخليص الإبريز ١٥٧ ) . وهذا العرف الجديد بدأ محدودا عند الطهطاوى ثم استقر بعد ذلك .

### ٢ - تدوين صوت T :

هذا الصوت نقله السريان إلى حرف الطاء العربية تجنبا لمشكلة الصورتين لصوتين للتاء السريانية ، كانت صورتها الصوتية بعد الحركات تجعلها ثاء ، وتجنبا لذلك تم نقلها طاء ، وقد استمر هذا العرف عند الطهطاوى فى تدوين الأعلام الجغرافية : إيطاليا Italia ، طسكانة Toscana .

### ٣ - تدوين صوت G :

هذا الصوت نقله السريان إلى الغين تجنبا للخلط بين الجيم الاحتكاكية العربية الشمالية والجيم الشديدة العربية الجنوبية . ومن أمثلة استخدام هذا النظام عند الطهطاوى : البرتوغال (قلائد ٣٥) ، غرونلند (قلائد ٧) . ولكن هذا النقل لم يكن مطردا ، فقد استمر عنده تدوين ذلك الصوت بالكاف ( اختصارا للگاف الفارسية ) فى أمثلة أشهرها : إنكلترا وكذلك غينا ، كينا ( قلائد ٦٤ ) . أما الكلمات التى نجد فيها حرف الجيم فقد نطقها الطهطاوى جيما فرنسية احتكاكية مثل Germani (que® جرمانية ( قلائد ٦ ) .

### ٤ - تدوين صوت V :

هذا الصوت الشفوى المجهور لا يوجد فى العربية وقد أفاد الفرس والترك من حرف الواو العربية لتدوين هذا الصوت ، واستمر ذلك العرف عند الطهطاوى : بتاويا Batavia†(تخليص ١٥٧) ، بولوية Bolevia(تخليص ١٥٦) ، وكذلك البلوار Boulevards

### ٥ - تدوين صوت P :

كان الطهطاوى أول كاتب عربى حديث يحاول تقنين تدوين هذا الصوت الشفوى المهموس بالحروف العربية ، وجعل لذلك حرف الباء المثلثة ويسميها الباء الفارسية ، ولذلك نجد عنده ذلك التدوين فى ( أوربا ) وقد ضبط هذا الاسم « بضم الهمزة بعدها واو ساكنة فراء مضمومة ، فباء فارسية بعدها ألف » ( قلائد المفاخر ص ١٠ ) ، ونجد هذا التدوين فى الأعلام الجغرافية : البروسيا ( قلائد ١٠ ) ، يابونيا ( أى اليابان ، قلائد ١١ ) أولمبيا ( قلائد ١٣ ) ، وشبيه بهذا من خارج مجال الأعلام الجغرافية بابا رومة (قلائد المفاخر ١١) ، وقد اهتم الطهطاوى بطباعة هذا الحرف بالباء الفارسية أو الباء المثلثة ، وكأنها كانت قد أصبحت حرفا مستقلا فى صندوق الطباعة العربية .

### ٦ - تدوين الحركات القصار :

الحركات القصار فى الفرنسية لم يعبر عنها عندما نقلت بحروف عربية ، أصبحت الدلالة على الحركات القصيرة الأوربية مرتبطة بالفتحة أو الضمة أو الكسرة فى العربية : نرماندیا Normandie ( تخليص ١٧٧ ) ، مسينة ( تخليص ١٧٩ ، ١٨١ ) ، اسكريال Escorial ( ملطبرون ١ / ١٤٣ ) .

## خامسا : القضايا المعجمية :

### ١ - المصادر غير العربية للأعلام الجغرافية :

أفاد الطهطاوى من عدد كبير من الأعلام الجغرافية ذات الأصول الفارسية والتركية : قابولستان ( قلائد المفاخر ٦ ) ، وكذلك : وبلوجستان ، عجمستان ( قلائد المفاخر ١١ ) ومنه أيضا : إفرنجستان ( تخليص الإبريز ١٥٤ ، ١٦٦ ) ، وإلى جانب أسماء الأعلام المتداولة فى العربية والتركية والفارسية نجد الطهطاوى يستقى أسماء الأماكن الأخرى من لغات أوربية ، اعتمد الطهطاوى الصيغة الفرنسية لعدد كبير من أسماء الأعلام ، من ذلك اسم أكبر دولة فى العالم الجديد : إيتازونيا أو إيتازونى ( قلائد المفاخر ١٤ ) ، ويتضح من ضبطه للكلمة أنه يفضل الصيغة الأخيرة الأقرب إلى الصيغة الفرنسية Etats unis، وقدّم فى سياق الشرح أنها

« دولة مركبة من عدة أقاليم مجتمعة » وبعض أعلام الأماكن معتمد على الصيغة الإيطالية ، من ذلك الأسماء : إيطاليا Italia سردانيا Sardinia طسكانة Toscana ، نابولى Napoli .

**٢ - تعدد صيغ الاسم الواحد :**

التعدد فى صيغ الاسم الواحد ظاهرة تكرر فى عدد كبير من الأعلام الجغرافية « عن مدينة باريس كتب الطهطاوى : تسمى عند الفرنسيس بارى ... ثم إن العرب والترك ونحوهم يكتبون باريس أو بريس أو باريز ، وربما قالوا فارس ( تخليص الإبريز ص ١٩٥ ) وبعض أسماء الأماكن مكتوب على نحو متعدد الصيغة ، فى مادة : أسوج : « وربما سميت بلاد السويد أو بلاد سويج أو بلاد أسويجة ( قلائد المفاخر ٥ ) .

وإلى جانب هذا نجد وحدات معجمية تكونت على أساس الصيغة الأوربية ، وهى صيغ نسب ترجع إلى الصيغة الفرنسية ، ثم تلحق بها ياء النسب العربية ، وبذلك تنشأ صيغة تحمل نهايتى النسب الفرنسية والعربية ، ومن ذلك صيغة بارزيانى ( تخليص ١٩٥ ) المكونة من Paris + ien ثم ياء النسب العربية . ومثل هذا فى صيغة النسب بريطانيقية ( قلائد ٨ ) المكونة من Britannique ثم ياء النسب العربية ، وفى المثالين نجد النهاية الفرنسية ثم النهاية العربية . ومن ذلك أيضا : الأطلنطيقى Atlantique (تخليص ٥١٥) ، وهكذا اعتمدت هذه الكلمات على الصيغة الأوربية كاملة ثم أضيفت إليها ياء النسب العربية .

وبعد ، فإن من أهم ما يمكن عمله فى مجال التاريخ اللغوى للأعلام الجغرافية جمع كل أسماء الأماكن المذكورة فى كتابات رواد النهضة الحديثة ، مع كل الجوانب اللغوية الخاصة بالتدوين والتأصيل والدلالة وغير اللغوية الخاصة بالموقع والتاريخ والشعوب وغير ذلك مماورد فى كتاباتهم وترجماتهم وتعليقاتهم هذا كله فى سبيل إعداد معجم لغوى تاريخى للأعلام الجغرافية ، تتعدد مصادره بين المعاجم العربية العامة وكتب الجغرافيين وكتب الرحالة والمؤلفات والمترجمات الحديثة .

**محمود فهمى حجازى**

الخبير بالمجمع

# السودان

## مفهومه . حدوده . وأسماؤه . وعواصمه . ولغاته

للأستاذ الدكتور حسن الفاتح قريب الله

## أصالة السُّودان

السُّودان كغيره من كثير من بلاد العالم ذو تاريخ طويل إن لم نقلْ أطول من غيره وأقدم ، كما كان يتَبنَّى ذلك ديودوروس Diodorur [(١)] الذى وصف سكان السودان بأنّهم أولُ الخلق على ظهر الأرض [(٢)] .

وأهْل السودان هم أهل حضارةٍ عريقة كانت تجرى مجرى النيل [(٣)] ، عليها دلّت الآثار ، وبها اعترف المنْصفون من العلماء الكبار [(٤)] ، علمًا بأنّ بلادهم لم يُكوِّنْها النيل بما يحمل إليها من طمْى كما هو الشأن فى مصر التى نزح إليها سكّانها من الخارج طمعًا فى الاستقرار ، ورغبة فى الاستفادة من خصوبتها والاستثمار لأمكانيّاتها [(٥)] .

كان سكانُ السودان من الوعْى بحيث عبدوا الإله الواحد ، وامتلك حبه لقلوبهم [(٦)] وهم وإن أفْسد الغير عقيدة بعضهم فى توحيده فقد تميزوا بالولاء له ، وبزُّوا فى التفنّن فى وسائل مرضاته مما جعلهم على مر العصور هداة

---

ألقى هذا البحث فى الجلسة العاشرة من مؤتمر المجمع بتاريخ ٤ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٤ من أبريل ( نيسان ) سنة ١٩٩٥ م

١ – مؤرخ إغريقى عاش وكتب فى القرن الأول قبل الميلاد .

٢ – تاريخ السودان بلندورص ١٧/ ٤٠ ، ورابع الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان ص ز .

٣ – بلاد النوبة فى العصور الوسطى لمؤلفه بسبل . شني طبع ١٩٥٤ م

٤ – السودان بلاد الرقى والحضارة والدين للبروفسير حسن الشيخ الفاتح .

٥ – تاريخ السودان لمندور المهدى ص ٤٠

٦ – مرت الأديان فى كل العهود بمراحل :

أولها : دور العقيدة النقية التى نادى بها سيدنا آدم أبو البشر عليه السلام ، وهى دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

الدور الثانى : دور الرموز والطقوس ، وهو دورٌ وُضعت فيه الحقائق خلف الستور والحجب لكى تظل الاسم تحت تأثير السرية الكهنوتية ، وسيطرة الكهنة والمتاجرين بقضايا الدين .

الدور الثالث : هو دور الفترة أوْ طور امتوز الدينى وظهور الشرك ، فى ضروبه ودروبه الخفية المستترة والظاهرة الواضحة .

الدور الرابع : هو دور التجديد وهو الدور الذى يجدد أمه وفيه لكل أمة نذير سواء أكان نبيا فقط أو نبياً رسولاً .

الدور الخامس والأخير : هو دور الصّحوة وهو الدور الذى سَبق ختمْ الرسالات ولم يبق للأمم فيه خيرٌ إلا بالتأسى بالمجددين وسلوك نهج الصالحين ( راجع عن بعض ماذكرمن أطوار كتاب أثر العقيدة فى منهج الفن الاسلامى لمصطفى عبده ) طبع دار الأشواق ببيروت سنة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

لغيرهم [٧] ، وإن اختلف كنه تلك الهداية باختلاف التيّارات الفكرية ، والأديان ، والأهواء ، والثقافات التى وردت عليه .

وقد عرف السودانيون كذلك التجارة الدولية [٨] ، وعرفوا القوانين واستنوها ، وعملوا بها وحكموها فى مختلف شئونهم [٩] وعرفوا الصناعات المختلفة التى تدلُّ على التقدم المطّرد فى المستوى الحضَارى وارتفاع مستوى المعيشة مثل الأقمشة والمنسوجات وأدوات الزينة والزجاج وأطباق الذهب والفضّة والنحاس والأسلحة - وعرفوا أيضًا وحدة اللغة وتبنوا خلال فترة معينة الهيروغليفية منْها والإغريقية والقبطية والهندية ، وأشاعوها لدى غيرهم [١٠] ، وبنوا القصور وأشادوا الأهرامات التى بدأتْ بداية طبيعية فى كبوشيه ومروى وكريمة ، والكرو ثم تدرجت إلى أن تمثّلت فى الهرم الأكبر الذى يُعتَبر امتداداً لأرض النوبة ، وجزءاً من أجزاء الوطن خلال الحقبة السابقة للبعثة المحمدية [١١] .. وعرف السودانيون كذلك المعابد وشيّدوا لها المبانى فى مروى والكرو وصاونقا وصرصْ وبوهين ، وغيرها [١٢] ، وأنشأوا لأنفسهم حكومة قومية فى القرن الثامن قبل الميلاد [١٣] .

وكانت بعض القبائل التى تقطن السودان قد اختارت عمداً ضفاف الأنهار لها سكنًا ليُسْرالحياة الإنسانية بجواره ، علما بأنه لمّا كان الطقس بتلك الأماكن وغيرها حارا ، فقد اسودّتْ بشرتهم ، أو احترقت [١٤] فوصفهم كتاب العرب بالسودانيين [١٥] ،

٧ - التصوف فى السودان لحسن الفاتح نشر كلية الدراسات العليا بجامعة الخرطوم سنة ١٩٨٧ م .
٨ - الموانى السودانية ص ٦
٩ - تاريخ السودان ص ٤٠
١٠ - تاريخ السودان ص ٤٠/٥٠ ، والفهرست لابن النديم ص ٢٨ والموانىء ص ٥٨ .
١١ - أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس ص ٤٦/٤٧ ، خرائط رقم ٢٩/٣٠/٣١ ( صورة مرفقة ) .
١٢ - تاريخ السودان لشقير ص ١٦
١٣ - تأريخ السودان ص ٧ ، والمسالك والممالك ص ٥
١٤ - مقدمة ابن خلدون ، هذا ومع أن لونهم إلى السمرة الشديدة أقرب فقد عدّهم أهل التاريخ من الجنس الأبيض راجع الجواهر الحسان فى تأريخ الحبشان لأحمد الحفنى ص . (و) طبع بولاق . مصر سنة ١٣٢١ هـ
١٥ - السودان جمع أسود ( لسان العرب المجلد ص ٢٢٤طبع ١٩٥٥ م )

أو الأحباش [١٦] ، وأطلق اليونانيون عليهم لفظ الأثيوبيين [١٧] ، وسمّاهم العبرانيون بالكوشيين [١٨] .. وهى أوصاف أربعة ذات مفهوم واحد وهو السواد أو الوجه المحترق .

**مفهوم لفظ ( السودان ) عند العرب :**

لقد كان السودان حسب مفهومه الحالى - يضم فيما مضى أجناسا من البشر وأشتاتا من القبائل [١٩] وهو بحكم مجاورته للجزيرة العربية كان معروفاً لدى سكانها ومشهوراً بين أبنائها . وكان الاسم الذى يطلق عليه لا يندرج عن تسمية المحل باسم الحال وإلباس القطر ثوب السكان .

وللتدليل على ذلك ، أذكر ما جاء فى كتابات المؤلفين فى الفترة ما بين ( ٢٥٥ هـ/٨٦١ م - ٢٧٤ هـ/١٤٦٩ م ) .

**أ - الجاحظ :**

كتب الجاحظ المتوفى ( سنة ٣٢٥ هـ / ٨٦٨ م ) رسالة أسماها ( فخر السودان على البيضَان ) تحدَّث فيها عما للأولِ من فضَائل ومزايا وما للآخرين من رذائل وخطايا ونحن الآن لايهمُّنا مناصرة الجاحظ أو مناكفته بمقدار ما يهمنا هذا العنوان الذى أطلقه على رسالته ، وتلك المقارنة التى عقدها بين السودان والبيضان ..فعنوان الرسالة وما جاء فيها مما يفيده - لا يمكننا أن نفهم منه إلا أحد الأمور الآتية :

١ - إمَّا أنه أراد الاسمية من لفظى السودان والبيضان ، فيصحُّ الأول ويبطل الثانى ، إذ لا بلد تُسَمَّى بهذا الاسم .

٢ - وإمَّا أنه لم يرُد الاسمية من كليهما -

---

١٦ - حبش يحبش إذا اسود : قال فى اللسان الحبش جنس من السودان سموا بذلك لاسود ادهم وقيل هذه الجماعة أيّا كانوا لأنهم إذا تجمعوا اسودوا وقال أيضًا ناقة حبشية شديدة السواد . قال فى الطراز المنقوش . محاسن الحبوش لعلاء الدين محمد بن عبد الباقى المدنى المؤلف سنة ٩٩١ هـ . يرجع نسب جميع أجناس الحبوش إلى ( حبش ) بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام ولذا تلحق بهم ياء النسب عند الإضافة فيقال حبشى وحبشية نسبة إلى جدهم حبش المذكور .

١٧ - إثيوبيا لفظ يونانى معناه الوجه المحترق .

١٨ - نسبة إلى كوش التى تعنى فى العربية الأسود راجع الفصائل اللغوية للدكتور محمود فهمى حجازى ص ١٩ بحث مقدم من لجنة اللهجات والدراسات اللغوية إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية الدورة ٥٨ / وراجع مقالا للدكتور جعفر ميرغنى عن تذوق الجمال الأخضر نشر بجريدة السودان الحديث بتاريخ الثلاثاء ١٢ يوليو ١٩٩٤ م

١٩ - مقال للأستاذ العالم أحمد سليمان المحامى بعنوان القول الحق عن أصل سيدنا موسى عليه السلام .

وهو عبث لا يليق بكاتب عادى ، بَلْه من هم فى مثل مستواه العلمى والأدبى .

٣ - وإمَّا أنه أراد الاسمية من لفظ السودان دون البيضان فتفوت المقابلة وتذهب المقارنة ، وهو إنما كتب الرسالة من أجلها وساق الحديث لتدعيمها ، بدليل أنَّه ضمَّن الرسالة من الاستشهادات مايأتى :

( السودان أكثر من البيضان ، والصخر أكثر من الوحل ، والرمل أكثر من التراب والماء المالح، أكثر من العذاب ) . (٢٠)

فإن لم يكن يعنى المقارنة ويقصد المقابلة ، فما قصده ؟! وإلام ترمى كتابته ؟

٤ - وإما أنه أراد بها الوصْفية وهدفَ بهما إليها ، وهو ما نزْعم استنادا على سبق من نَص ، واعتمادا على ما يعقب ذلك من مثل قوله ( مناقب السودان أن لقمان الحكيم منهم ) (٢١) وقوله : ( وكذلك البيضان منكم لا يكادون ينشطون لطلب النسل من الزنجيات والزنجية أيْضًا من الزنج أسرع لقاحًا منها من الأبيض ) (٢٢) .... وقوله ( فإن كان اسم السود قد وقع علينا فنحن السودان الخُلَّصْ ، والعرب أشباه الخُلَّصْ ) وقوله : ( ومنَّا العرب لا من البيضَان تقرب ألوانهم من ألواننا ، والهند أسمر ألواننا من العرب وهم من السودان . ( ٢٤ )

**ب - ابن واضح :**

كتب ابن واضح ( المتوفى سنة ٢٨٤ هـ / ٧٩٧ م ) تحت عنوان ( ممالك الحبشة والسودان ) مايلى : ( وكان له حام بن نوح ، قصدوا عند تفرق ولد نوح من أرض بابل إلى المغرب فجاوزوا عبر الفرات إلى مسقط الشمس وافترق ولد كوش بن حام - وهم الحبشة والسودان لما عبروا نيل مصر فرقتين ) .

النص صريح إذن فى أن المقصود بلفظ السودان ليس البلد وإنما ساكنوها والمعمِّرون لها إذ أن الأرض ليست أحد أبناء كوش ، كما

٢٠ - الجاحظ : فخر السودان على البيضَان ص ٥٥
٢١ - فخر السودان على البيضان ص ٥٥
٢٢ - الجاحظ فخر السودان على البيضان ص ٧٤
٢٣ - نفسه ص ٧٢
٢٤ - نفسه ص ٧٦

أنهـا ليـست مما يعبـر النيـل ، ولا مما يفـتـرق فرقتين لجمودهما .

**ج - ابن الفقيه :**

كتب ابن الفقيه ( المتوفى سنـــة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م ) مايأتى : ( وأرض السودان مسيرة سبع سنين ) . (٢٦)

والســـودان فى هذا النصّ مـضـــاف إلـــى الأرض .. وإضافته للأرض تعنى مغايرته لها إذ لابد بين المضاف والمضاف إليه من تغـاير ، وإلا كانا شيئا واحدا .. وما دامت كتب اللغة، تفسِّر الأرض بغـيـر التـقـسـيم الذى تفـسـر به السودان فذلك يفيد تغـايرهمـا ، كـمـا يقـود بالتـالى إلى مـا ندّعيـه إذ لا مـعنى فـيـهـا للسودان غير أنه جمع أسود (٢٧) .

**د - الفارسى الكرخى :**

كـتب الفـارسى الكـرخى ( المتـوفى سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م ) مـايأتى : غـيـر أن بعض السـودان المقـاربين لهـذه الممـالك يرجعـون إلى ديانة ورياضة وحكم ) (٢٨) .

وبعض السـودان المشـار إليـهم فى هذا النص والموسومون بأنهم أصحاب ديانة ورياضة وحكم لايمكن أن يكونوا غير من نعنيهم نحن ، بدليل أنه قـال عنهم فـيـمـا بعـد : ( ومـا بين برارى الســـودان والبـحـــر المحـيـــط فـــى الجـنوب فقفـر خراب ) (٢٩) وقال : ( فإن بلد السودان الذى فى أقصى المغـرب على البحر المحيط ، بلد مكتفٍ ليس بينه وبين شىء من الممـــالك اتصـــال ويلغنى أنّ طول أرضـــهم نحـواً من سبعمائة فرسخ فى نحوها ، غير أنها من البحر إلى ظهر الوحات أطول من عرضها ) (٣٠) .

أتراه يعنى بالســـودان هذه الأرض التى رسمت حدودها اتفاقية سنة ١٨٩٩ م/١٣١٧هـ وهى أرض أبعـد مـا تكون عن المحـيط ، وعن تلك المسـاحة ؟ ..أم تراه يعنى بهـا أرضـا غيـر هذه ، وليس فى النص ما يعيّن ذلك بل إن فى النص مـاينفى إرادته شـيـئـا من ذلك ، فلقـد أضـاف كـاتبـه لفظ الســودان إلى بلد ، وإلى برارى والإضـافـة تعنى المغـايرة كـمـا قلنـا ،

---

٢٥ - ابن واضح : تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ١٥٥
٢٦ - ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٥٩
٢٧ - لسان العرب المجلد الثالث طبع بيروت سنة ١٩٥٥ م ص ٢٢٤
٢٨ - الفارسى : المسالك والممالك ص (٥)
٢٩ - المسالك والممالك ص ٧
٣٠ - المسالك والممالك ص ١٠ ، ١١

وإلا كان شيئا واحدا بمعنى بلد بلد ، وبرارى برارى ، أو بمعنى السودان السودان وهذا ما ليس مقصودا مما يؤدى إلى صحة الدعوى التى سُقْنا من أجلها الحديث .

**هـ - ابن خرداذبة :**

كتب ابن خرداذبة ( المتوفى سنة ٣٠٠ هـ/٩١٣ م ) ما يلى : ( ومن سكن على النيل فإنّما هم ولد حام ، سودان ، وبربر ، وأقباط مصر ، وأحزامه ) (٣١) فهو هنا قد جعل السودان ، كما جعل الأقباط أحد أولاد حام ، وأولاد حام ليسوا أرضًا .. فإنْ كنّا نُصرّ مع ذلك على أنه أراد الأرض لا الشعب فليكن أقباط مصر كذلك أرضاً ، وهذا ما لا يقبله أحد .

**و - الطبرى :**

كتب الطبرى ( المتوفى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ) ما يلى : ( وبالمغرب من السودان البجة والنوبة ، وأهل غانا الغافر ، وبينوب ، وود عيسى ، والقروية ، ويكسوم ، ومكاره وأكرم ، والحمس ) (٣٢) .

لقد حافظ الطبرى كما ترى - على عطف سكان المغرب بالواو ، ولم يستثن من ذلك غير غانة فإنه قال عنها : وأهْل غانة .. واسْتثناؤه لغانة دون غيرها دليل على مخالفة غانة لغيرها فى الإطلاق ، ومادامت غانه اسمًا لأرضٍ ، فالبجة والنوبة ، وغيرهم ليسوا كذلك وهؤلاء أصْناف السودان والمكوِّنون له ، وإذا ماعلمنا أن الصنف لا يخالف أصله أمكننا أن نجزم بأن السودان هنا ليس اسمًا للأرض وإنما هو اسم لسكان أفريقيا ، أو المغرب كما فى هذا النص .

**ز- المسعودى :**

كتب المسعودى ( المتوفى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م ) ما يأتى : ( ووراء علوة أمّة عظيمة من السودان ) (٣٣) .. وكتب أيضًا تحت عنوان ذكر أمم السودان ، وأنسابهم واختلاف أجْناسهم وأنواعهم ، وتباينهم فى ديارهم وأخْبار ملوكهم ، مايأتى : ( ولما تفرق ولد نوح فى الأرض ، صار ولد كوش بن نعمان نحو

---

٣١ - ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ٩٢
٣٢ - الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٥٢
٣٣ - المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٢ ص ٣٨٣

المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثم افترقوا ، فصارت منهم طائفة مقيمين بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والزنج ، وصار فريق نحو المغرب ، وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة ، والكانم ، ومركة وكوكو ، وغانة ، وغير ذلك من أنواع السودان والدمادم ) (٣٤) .. وقال : ( وكذلك علة تكّون السودان فى بعض البقاع من الأرض دون البعض ، وتفلفل شعورهم ، وغير ذلك من مشهور أوصافهم ) (٣٥) ... ففى النصوص السابقة تردد ذكر السودان غير ما مرة ، ففى الأول اعتبره نوعاً تتفرع منه الأمم وتتشعب من تحته الأنواع وهذا عين ماجاء فى النص الثانى وعنوانه .. وفى الأخير عده كذلك وبدأ يتكلم عن مراكز تجمعه وعلة تفلفل شعره ، وكل ذلك يعنى أنه إنما أراد الوصفية من اللفظ ولم يلتفت قط إلى ما يمكن أن يتحمله اللفظ فى مستقبل أيامه من اسمية للقطر .

وقد كرر المسعودى نفس المعنى فى كتاب آخر له فقال ( فيخرج من هذه البطيخة نيل مصر فيقطع السودان ) (٨٣) .. هذا وقد سبق أن ذكرنا مايجب أن يكون بين المتضايفين من تغاير فلا نعيد شيئا ذكرناه .

**ح - البشارى :**

كتب البشارى ( المتوفى سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م ) مايلى : ( وأما أرض السودان فإنّها تُتاخم هذه الأقاليم ومصر من الجنوب ) (٨٤) والبشارى كسابقه المسعودى لا يفهم من السودان إلا خلاف ما يفهمه من الأرض بدليل إضافته هذه إلى تلك .

**ط- ابن حوقل :**

كتب ابن حوقل ( المتوفى سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ) مايلى : ( غير أن بعض السودان المقارين هذه الممالك المعروفة يرجعون إلى ديانة وحكم (٨٥) وهو رأى سبق أن قاله الفارسى ، وناقشناه فيه ، فلا نرى سبباً لإعادة الحديث عنه (٨٦) ، غير أنّنا نُضيف أن متابعة ابن حوقل للفارسى فيه بالرغم من تأخره فى الزمن

٣٤ - نفسه ج ٤ ص ١-٢
٣٥ - نفسه ج ٤ ص ٨-٩
٨٣ - مروج الذهب ص ٥١
٨٤ - البشارى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص (٢٤١) .

بالنسبة إليه تؤكد لنا أن اللفظ كان مايزال يحتفظ بمفهومه اللغوى حتى عهد هذا المؤرخ المذكور .

**ى - ابن النديم :**

كتب ابن النديم ( المتوفى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م ) تحت عنوان الكلام على السودان مايلى : ( فأما أجناس السودان من النوبة والبجة ، والزغاوة ، والأشنان ، والبربر وأصناف الزنج ، سوى الشند فإنهم يكتبون بالهندية للمجاورة ) (٨٧) .

هذا وعودة ابن النديم للتفصيل بعد الإجمال تؤكد لنا بأنه إنما يقصد من السودان هذا الوصف الذى كان يطلق على الشعب لا الاسم الذى أطلق فيما بعد على الأرض .

**ك - ابن حزم :**

كتب ابن حزم ( المتوفى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م ) مايلى : ( ثم أسلمت البجة وبقيت النوبة والحبشة خاصة دون سائر السودان منهم نصارى وهم الأكثر ) (٨٨) .

فاستثناء ابن حزم لسائر السودان عمن ذكر ممن أسْلم ، يفيد أن مالم يُسلم من جنس هؤلاء وإلا لو كان أرضاً لما استقام المعنى إذ الأرض لا يتصور منها إسلام أو عدم إسلام حتى يصح لنا إدخالها أو إخراجها ممن أسلموا .

**ل - صاعد بن أحمد :**

كتب صاعد بن أحمد ( المتوفى سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م ) بعد أن عدد ثلاثًا من أمم العالم القديمة مايلى : والأمة الرابعة القبط ، وهم أهل مصر وأهل الجنوب وهم أصناف السودان من الحبشة ، والنوبة والزنج « وظنه » (٨٩) وغيرهم من أهل المغرب وهم البرابر ومن اتصل إلى بحر إقيانس الغربى المحيط (٩٠) وقال : ومنهم من كان ساكنًا قريبًا من خط معدّل النهار وخلفه إلى نهاية المعمور فى الجنوب ، فطول مقارنة الشمس لسمت رؤسهم أسْخن هواءهم وسخّن جلودهم

---

٨٥ - ابن حوقل : صورة الأرض القسم الأولى .
٨٦ - راجع ماتقدم .
٨٧ - ابن النديم : الفهرست ص ٢٨
٨٨ - ابن حزم : جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ص ٣٤٥
٨٩ - مابين القوسين زيادة تجدها فى ص ٩ من طبقات الأمم .
٩٠ - صاعد بن أحمد : طبقات الأمم ص٧

فصارت لذلك أمزجتهم حارة وأخلاطهم محرقة ، فاسودت ألوانهم وتفلفلت شعورهم ... مثل من كان من السودان ساكنًا بأقصى الحبشة والنوبة والزنج وغيرها (٩١) .

وبعد فها أنت ترى صاعداً الأندلسى قد فرّع أصناف السودان من عموم لفظ الأقباط ، وتفريعه له منْه دليل على مماثلته له فيه ، إذ لا يُفرّع الشيء إلا ممّا : يماثله ، .. فإذا أضفنا إلى ذلك أنّه عاد ففرّع الحبش والنوبة وغيرهم من أصناف السودان أمكننا أنْ نجهر بأن لفظ السودان هنا لفظ عام ، ووصفٌ شامل لكل سكان الجنوب المشار إليْهم فى النص .. يؤيد ذلك أنه فى النص الثانى بدأ فى تعليل هذه الصّفة التى تميزهم والقاسم المشترك الذى يجمعهم .، وهذا الصنيع منه يؤكد أنَّ مفهوم اللفظ عنده كان مايزال عند أصل وضعه ، وإلاّ فلماذا اختار توجيه الحديث هذه الوجهة المخصوصة .

م - ياقوت الحموى :

كتب ياقوت الحموى ( المتوفى سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م ) ما يلى : وخلفهم أمّة أخْرى من السودان تدعى تكنة (٩٢) .. ولفظ (من) المستعمل فى ( من السودان ) يفيد التبعيض، والأمّة لاتكون بعضًا من أرض ، وإنّما من بشرِ السوادُ وَصْفُهم .

ن- ابو الفداء :

كتب أبو الفداء ( المتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م ) تحت عنوان ذكر اسم أمم السودان ما يلى : فمن أعظم أممهم الحبش وبلادهم تقابل الحجاز ومن أسمائهم أيْضًا : النوبة ، والبجا ، والدمادم ، والزنج والتكرور (٩٣) .. دلالة العنوان على إثبات دعوانا واضحة ، ولكنِّى مع ذلك سأضيف : أن قوله ( وبلادهم ) التى أضاف فيها اللفظ إلى الضّمير العائد على السودان ، وذلك يدفع بدعوانا قويةً إلى سنة، ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م وهى سنة وفاة هذا المؤرخ المذكور .

---

٩١ - ابن النديم : الفهرست ص ٢٨ .

٩٢ - ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٨ ص ٣٢٣ .

## س- ابن الفرات :

كتب ابن الفرات ( المتوفى سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م ) ما يلى : ثم غزاها ( أى النوبة ) كافور الأخشيدى وكان أكثر جيشه السودان فقال الشاعر :

ولما غزا كافور دنقله غدا

بجيش كطول الأرض فى مثل عرضها

وقال أيضا :

غزا الأسودُ السودانَ فى رونْق الضّحى

ولما التقى الجيشان أظلمت الأرض

ثم غزاها الأمير ناصر الدولة بن حمدان ، وكبس السودان ، ونهب جيشه (٩٤) . فهذه الأغلبية التى كان السبب فيها السودان ، وذلك الجيش الذى قابل كافوراً مدافعًا عن أرضه ، وذلك السودان الذى تعرّض لغزو ناصر الدولة - لايُمكن أن يكون أرضًا ، وإنّما بشرٌ يُدافع عن حقّه فى الحياة الحرة ويُمد العونَ لكل مستنصرٍ به .

## ع- القلقشندى :

كتب القلقشندى ( المتوفى سنة ٨١٤ هـ / ١٤١١ م ) مايلى : والمقصود الآن الكلام على ماعدا ذلك وهو بلاد السودان (٩٥) .. وقال : وقاعدتهم سواكن وهى بليدة للسودان .. (٩٦)

وقال : وفى غربى دنقلة وشماليها مدنهم المذكورة فى الكتب .. وقال الإدريسى : وهى غربى النيل على ضفته وشُرْب أهلها منه .. وقال : وأوّلها سودان ، ولكنهم أحسن السودان وجوهًا وأجملهم شكلاً ... (٩٧) فمَنْ هؤلاء السودان الذين عناهم القلقشندى ؟ .. أليسوا هم أهل الأرض وسكان ( سواكن ) وأصحاب البلاد ؟! .. فإن لم يكونوا كذلك فكيف يصحُّ للقلقشندى وصفهم بجمال الوجْه وكيف يُستساغ منه إحلالهم لبعض أراضى إفريقيا ؟ !

## ف - المقريزى :

كتب المقريزى ( المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م ) نصوصاً تضمّنت ما يلى :

٩٤ - ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٤٥ .
٩٥ - القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٧٣ .
٩٦ - القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٧٤ .
٩٧ - السلوك لمعرفة دول الملوك جـ١ - القسم الثالث ص ٧٥٠ .

يايوم دنقلة ويوم عبيدها

من كل ناحية وكل مكان

من كل نوبيٌّ يقول لأخته

نوحى فقد سَكّوا قَفا السودان

ويضيف .. إنّا إذا ابتدأنا فى بلاد السودان من الغرب فأول ماتجد فيه من المدن التى للسودان العراة المهملين (٩٨) .

أكان السودان الذين سُك قفاهم أرضًا ؟ .. وإذا صحَّ فما معنى وصف المقريزى للأرض بالعرى والإهمال ، والأرض ليست مما تُوصف بذلك ، ثم كيف يُضيف أرضًا إلى أرض فى قوله بلاد السودان ؟ ..

الأمر على كل حال لا يستقيم إلا بجعل السودان وصفًا لهذا الشعب وهذا ما ندعيه نحن .

**ص - ابن الوردى :**

كتب ابن الوردى ( المتوفَّى سنة ٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م ) تحت عنوان أمم السودان ما يلى : ( وهم من ولد حام .. وعن جالينوس اختصاصهم بعشر خصال منها تفلفل الشعور ، وسواد اللون ، فمن أعظم أممهم الحبش .. ومن أممهم الزنج أشدهم سواداً (٩٩) .

فى هذا النّص - كما هو واضح - اعتبر ابن الوردى السودان من أولاد حام ، والأرض ليست مما يُنْسب إلى حام على أنّها من أبنائه ، ثم إنها لا تختص بعشر خصال ، من بيْنها تفلفل الشعر والسواد ، مما يدلّ على أنه إنما قصد بالسودان الشعب لاغيره .

يؤيّد ذلك أنه قال فى كتاب آخر عنهم : ومدينتهم العظمى دنقلة .. وأهْلُها أحسن السودان وجوهًا (١٠٠).. أترى يحق له وصف وجوههم بالجمال وهو لا يقصدهم وإنما يقصد أرضهم .

**ق - ابن تغرى :**

كتب ابن تغرى ( المتوفى سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م ) ما يلى : ثم أرسل عبد الله

---

٩٨ - المقريزى : الإلمام بأخبار مَنْ بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص ٢١ .

٩٩ - ابن الوردى : تأريخ ابن الوردى جـ ١ ص ٨٤ .

١٠٠ - ابن الوردى : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص ٤٦ .

جيشًا إلى السودان فغنموا وظفروا ، وعادوا (١٠١) .. وقال : فعند ذلك تيقنت السودان أن المدد لا ينقطع عنهم من وجهة الشمال فصمّموا على محاربتهم ، ودنوا إليهم فى أمم لاتحصى ، فلما نظر محمد إلى السودان التى أقبلت عليه ، انتزع جميع ما كان فى رقاب عساكره من الأجراس فعلّقها فى أعناق خيوله ..(١٠٢) وأضاف : ثم حمل بعساكره على السودان .. حتى خُيِّل للسودان أن السماء انطبقت على الأرض (١٠٣) .

لا أخالنى فى حاجة لأن أدلّل أنّ ابن تغرى بالرغم من تأخُّره فى الزمن على كل مَنْ سبقوه، ظلّ مفهوم اللفظ عنده ثابتًا غير متغير ، إذْ أنّ كتابته تدلّ على ذلك ، واستعمال اللفظ يكشف مدلوله عنده ، فهو قد اعتبر السودان أمة تُرْسَل الجيوش لمحاربتها ، وتملأ الزكائب من غنائمها ، وهو حينما تكلم عن تلك الأمة نفسها وصف إحْجامها عن قتال الدخلاء ثم تصميمها على محاربتهم ، وجمع المقاتلين للوقوف فى مواجهتهم ، ومعلوم أنه لا يحجم عن القتال أو يفكر فيه من ليس بعاقل .. أضف إلى ذلك أن زعيم خصومهم حين انتزع الأجراس من رقاب عساكره ، فعلقها على خيولهم بُهت السودان لهذا الاضطراب المفاجىء وتلك الزعزعة التى ألمت بصفوفهم ولا يُذعر من شىء ويخاف منه - إلا مَن كان يملك الشعور الذى يُملى عليه ذلك والأرض ليست مما يشعر حتى يمكن أن نفترض أنه إنما قصدها بذلك .

## حدود السودان اللغوية

كان من الطبيعى وقد اتسع مفهوم السودان عند الأوائل فشمل كل أسود- أن تتّسع كذلك حدوده فتشمل كل بلد يقطنه السودان سواء أكان ذلك فى داخل إفريقيا ، أم خارجها .. بل إن كثرة السود وانتشارهم فى أقطار العالم جعل بعض المؤرخين العرب يوسع رقعة حدود السودان بما يشمل الهند والسند والصين ، وغيرها .. وبالغ آخرون فجعلوا حدود السودان مسيرة سبع سنين ، وقارن هذا البعض بين حدود السودان وحدود مصر ، فجعل الأخيرة جزءاً واحداً من ستين جزءاً من الأولى وكأنّه بذلك

١٠١ - ابن تغرى : النجوم الزاهرة فى مصر والقاهرة جـ ١ ص ٢٦٦ .
١٠٢ - نفسه جـ ٢ ص ٢٩٨ .
١٠٣ - نفس المرجع والصفحة .

قصر مصر على الأماكن التى يقطنها غير السود من السكّان ، على أنّه إن كان هذا أو ذاك فلا شكّ أن حدود السودان سابقًا ، لم تكن مقصورة على الحدود الحاليّة التى حددتْها اتفاقية سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩ م ، ولا على تلك التى كانت فى عصْر إسماعيل ، والتى حدد الدكتور محمد صبرى رقعتها بما يشمل إريتريا والصومال بشقّيه وأوغنده وجزءاً كبيراً من الكنغو(١٠٤) .

وحتى يتضح للقارىء مفهوم المؤرّخين الأوائل عن حدود السودان فسأورد فيما يلى بعض النصوص التى توضح المراد .

يقول ابن الفقيه : وأرض السودان مسيرة سبع سنين ، فما فضل عنهم من مائها صار إلى مصر ، وأرض مصر جزء من ستين جزءاً من أرض السودان ، وأرض السودان جزء من ستين جزءاً من الأرض (١٠٥) .

أترى ماذا يعنى ابن الفقيه بما كتب ؟! .

أمامنا بعض الافتراضات التى يُمكننا عن طريقها تحديد قصْده وتبيين غرضه .

**١ - الافتراض الأول :**

أن يريد الكاتب بما كتب أرض السودان الحاليّة .. وهذا غير مستقيم للأسباب الآتية :

أ / إن الماء لاينبع من أرض السودان حسب حدودها الحالية ، وإنّما ينبع من بحيرتى ( فكتوريا ) (١٠٦) ( وتانا ) (١٠٧) اللتين تقعان خارج حدود السودان الحاليّة .

ب / إنّ أرض مصر ليْست جزءاً من ستّين

---

١٠٤ - انظر أطلس الإمبراطورية السودانية للدكتور محمد صبرى خرطة رقم (١) وراجع عن الاتفاقيات الخاصة بالحدود ، الجواهر الحسان فى تأريخ الحبشان ص ٢٩/٢٨ .

١٠٥ - ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٥٩ .

١٠٦ - تعتبر بحيرة فكتوريا أكبر بحيرات الدنيا إذ تبلغ مساحتها ٦٩٠٠٠ ك . م٢ ( ٦٨٢٨ ميلاً مربعا ) ويعلو سطحها على سطح البحر بنحو ١١٣٥ متراً وكانت قبلا تسمى باسم أو كروى Ukerewe وهو اسم لجزيرة منها تتبع تنجانيقا ( راجع نهر النيل لمحمد عوض محمد ص ٣٨/٣٦ ) .

١٠٧ - يبلغ مستوى بحيرة تانا ١٨٤٠ متراً فوق سطح البحر ومساحتها ٣٠٦٠ ك . م٢.. والنيل الأزرق بوجه عام نهر جبلى شديد الانحدار فى كل مجراه من بحيرة تانا إلى الخرطوم .. هذا وحيث إن مستوى بحيرة تانا ١٨٤٠ م ومستوى الخرطوم أقل من ٤٠٠ متر فوق سطح البحر فإن انحدار النهر يبلغ إذن ١٤٤٠ متراً فى مساحته ١٦٢٢ ك م ، وأكثر مايكون هذا الانحدار فى الشطر الأعلى للنهر ما بين منابعه وبين بلدة الروصيرص التى تعلو عن سطح البحر ٤٦٦ متراً وعلى هذا فالانحدار فيما بعد الروصيرص ضعيف ( راجع نهر النيل لمحمد عوض محمد ص ١٠٠/١٠٧ ) .

جزءاً من أرض السودان .. وأرض السودان وإن كانت تفوق أرض مصر مساحة إلا أنها برغم ذلك لا ترتقى إلى تلك المساحة كما لا تدنو تلك إلى هذا المستوى .

ج / إن أرض السودان الحالية ليست جزءاً من ستّين جزءاً من الأرض بل هى دون ذلك بكثير .

د / اتساع مساحة السودان مهما بلغت لايُساوى اجْتيازها سبع سنين ، ذلك أنه يمكن للشخص أن يعبرها - ولو راجلاً فى مدة أقل من ذلك بكثير .

**٢ / الافتراض الثانى :**

أن يريد الكاتب بما كتب نفس ماأراده معاصره ابن خرداذبة حين قال : ووجدت أرض الحبشة والسودان مسيرة سبع سنين ،فأرض مصر جزء من أرض السودان ، وأرض السودان جزء واحد من ستّين جزءاً من الأرض كلها .

فإنْ صحّ هذا وكان المراد بأرض السودان ما يشمل أرض السودان ، والحبش فيكون ابن الفقيه إنما اقتصر فى نصه على كلمة « السودان» لشمولها لمن هم أشد سواداً كالحبشة ومن هم دونهم من السواد كالآخرين ، إذ السودان كما هو معلوم لفظ أكثر عمومًا من لفظ الحبش لا نحصار الأخير وانفراج دائرة الأول .

ولكن حتى هذا القصد لا يخلو من نَقد ، ولا يَسْلم من طعن إذ يمكن تسديد نفس السِّهام التى أودت ببقاء القصد الأول إليه .

**٣/ الافتراض الثالث :**

أن يريد الكاتب بما كتب إفريقيا بأسرها والقارة بأجمعها .. وهو وإن كان أوسع دائرة مما ذكرناه إلا أنه ما يزال دون الحقيقة بكثير ، إذ لاتبلغ مساحة هذه القارة مبلغًا يضطر المجتاز لها إلى قضاء سبع سنين بداخلها .

**٤- الافتراض الرابع :**

أن يريد الكاتب بماكتبه ما أراده الجاحظ حين قال : والسودان يعدون الزنج والحبشة ، وفزان ، وبربر ، والقبط ، والنوبة ، وزغاوة ، والسند ، والهند ، والدبيلا ، والصين ، وما صببت ، وجزائر البحر ما بين الصين والزنج

مملؤة سودان كسر نديب وكله ، وأمل ، وزايع ، وجزائرها إلى الهند ، إلى الصّين ، إلى كابل ، وتلك السواحل (١٠٨).. وكذلك بعض قبائل العرب (١٠٩) .. وهو قصد نسلّم به واتجاه نرتضيه لسلامته من الطعن وخُلوِّه مما يُوجب النقد .

فمفهوم السودان إذن عند العرب يتّسع لكل ما ذكرنا واسمه يضم جميع ما قلنا لايختص ببلد دون بلد ، ولا بمنطقة دون أخرى (١١٠) ، هذا ولئن انعتقت مصر أخيراً من دائرته وصار اللفظ مقصوراً على مَنْ يقعون جنوبها .. فلايعنى هذا أنّها لم تكن من قبلُ داخل حلقته ، إذ السودان كما قلنا كان يشمل فيما يشمل الأقباط وهم ساكنو مصر ، ومعمِّروها ، علما بأنّ اللفظ صارتْ دائرته تُسقط واحداً إثر واحد وجزءاً بعد جزء حتى أصبحت أضْيق مما كانت عليْه بكثير ، وصار الشعب أقلّ عددا مما كان عليه سابقًا .. أحب أن أخْلص مما سبق بأن لفظ السودان والحبش وإثيوبيا وكوش لم يُستعمل فيما مَضى اسما لسودان وادى النيل ولاعلمًا على هذا القطر المعروف باسم جمهورية السودان وإنما كان استعمالها محدوداً على الشعب ومقصوراً عليه .

## اسماء السودان

تسمّى السودان خلال تأريخه القديم بأسماء ذات مدلول غير محدّد أحيانًا ، وضيّق جداً أحيانًا أخرى .. من ذلك مثلاً :

١- **أرض السود:** وهى إشارة إلى من كان يسكن الأرض من ذوى السحنة السوداء . وتشمل فيما تشمل أرض النوبه وما يحادها جنوبا حتى البحر الأحمر .(١١١)

١٠٨ - الجاحظ فخر السودان على البيضان ص ٧٦ .

١٠٩ - الجاحظ فخر السودان على البيضان ص (٧٨) وفى (٧٠) من نفس المرجع يتكلم الجاحظ عن مفهوم السودان عند العرب فيقول : والسود عند العرب فيقول : والسود عند العرب الخضر ويستدل على ذلك بقول شماخ بن ضرار :

وراجت رواجًا من زرود فنازعت * زبالة جلبابا من الليل أخضرا

ويضيف قال الراجز :

حتى انتضانى الصبح من ليل خضر * مثل انتضاء البطل السيف الذكر

ويقول : وهم يصهرون الحديد أخضر لأنه صلب لأن الأخضر أسود ، وهذا الصنيع من الجاحظ .

١١٠ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢٤١ ، ومسالك الممالك ص ١٠/١١ ومختصر كتاب البلدان ص ٥٩/ ٦٠ ، والمسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٩٣ ، وفخر السودان على البيضان ص ٧٧ .

١١١ - السودان بين الوصفية والاسمية لحسن الفاتح .

**٢- تانهسو :** أو تانحسو .. ومعناها أيضاً أرض السود[١١٢] ، وهى تشمل كسابقتها السودان الحالى وما جاوره شمالاًحتى نهاية أرض النوبة ، وجنوبًا حتى نهاية أرض الحبشة ، على أن مفهومها أحيانًا يضيق فينحصر فى الجزء الواقع جنوب مصر مباشرة[١١٣].

**٣- الواوات :** وهى اسم عُنى به الحال فصار علمًا للمحل ، ويقصد به القبائل التى كانت تقطن بين الشّلالين الأوّل والثانى ، وهى المنطقة التى تقع ما بين أسوان ووادى حلفا .. علمًا بأن بعض سكان الواوات من النوبيين هاجروا مؤخرا من موطنهم الأصلى واستقروا بإقليمى لاستا وأجوميدر الواقعين حاليا بأرض الحبشة ، وعرف جنسهم بين الأهالى بأجو ( أى الأحرار) .[١١٤]

**٤-مازوى :** وهو اسم أريد به الحال فصار علمًا على المحل ويقصد به القبائل التى تسكن بين الشّلال الثانى وملتقى النيلين الأزرق والأبيض ، وهى قبائل كانت تمد الجيش المصرى بمختلف الإمدادات فى العصور المختلفة .

**٥- يام:** وهو اسم أريد به كذلك الحال فصار علمًا على المحل ويقصد به القبائل التى كانت تسكن بالقرب من مازوى وقد يقصد به البلاد الواقعة غرب بلاد كوش على أن البعض اعتبرها اسمًا قديمًا لكردفان أو دار فور .[١١٥]

**٦- الازنت والسنحتوت :** وهو اسم أريد به كذلك الحال فأصبح علمًا بالغلبة على المحل ، ويقصد به القبائل التى كانت تقطن الجهة الغربية لوادى النيل بين (مازوى ) و (يام ) جنوبًا و ( الواوات ) شمالاً .[١١٦]

**٧- كوش:** وهولفظ عبرى معناه السواد ، وبه كان يسمّى كوش بن حام أخو مصرايم ، وفوط ، ونعمان. وبنوكوش هم سبا ، وحويلية ، وسبتة ، ورعمة ، وسبنكا[١١٧].. وله من الأولاد كذلك مايأتى :

١١٢ – دراسات للبروفسير يوسف فضل جـ ٢ ص ١١٣ .
١١٣ – دراسات فى تاريخ السودان للبروفسور يوسف فضل جـ ٢ ص ١١٣ .
١١٤ – الجواهر الحسان ص ٣ .
١١٥ – دراسات فى تاريخ السودان للبروفسور يوسف فضل جـ ٢ ص ١١٣ ونهر النيل لمحمد عوض محمد ص ٦/٧ .
١١٦ – السودان بين الوصفية والاسمية للدكتور حسن الفاتح وهو بحث منشور بمجلة الثقافة السودانية السنة الرابعة العدد السادس عشر ديسمبر ١٩٨٠ م ص ٤٦/٥٩ .
١١٧ – العهد القديم : سفر التكوين الإصحاح العاشر .

١ / نوبة والد أمم النوبة .

٢ / زنج والد أمم الزنج ، ووالد برابرة السودان ، وفزان ، وزغاوة .

٣ / حبش والد أمم الحبش بجميع أجناسهم (١١٨)

ورد اسم ( كوش ) أوّل ماورد على لوْح ( بوهين ) الذى يرجع تأريخه إلى السنة الثامنة من حكم سيزوستريس .. وجاء فى لوْحَيْنِ لكاموس : أن بلاد كوش كانت تحت الحكم النوبى ، وأن حاكم النوبة آنذاك كان من القوة والسطوة والمتعة بحيث علا ذكره وارتفع صيته (١١٩)

أما حدود دولة ( كوش ) ذات التأريخ العريق فكانت تنفرج وتضيق حسب قوة البلاد وضَعفها ، علمًا بأنه بينْما كانت كوش حتى عصر البعثة النبوية تمتد إلى نهاية حدود إفريقيا جنوبًا وإلى مابعد خط ٣٠ شمالاً - كانت مصر تنحصر فيما بين مدار السرطان جنوبًا وبحر الروم ( البحر الأبيض المتوسط ) شمالاً ، وبحر القلزم ( البحر الأحمر ) شرقًا ، وخط طول ٣٠ غربًا (١٢٠) وعلى كل فقد كانت ( كوش ) هى الجارة الجنوبية لمصر وكانت النّصوص التّواتية كثيراً ماتربط بيْنها وبين مصر أو ( مصرايم ) .. وكان على رأس بلاد ( كوش ) ملك نوبى كان حتى فى عصور ضَعْف بلاده يعتبر مساويًا لفراعنة مصر (١٢١)

أما أهل كوش فيرجح البعض أنّهم فرع من الكوشيين الساميين (١٢٢) ممن نزحوا من

١١٨ - الجواهر الحسان ص ٣٦ وفيه أن مما يؤكد نسبة الأمم إلى أجدادهم أن ياء النسبة تلحق بهم عند الإضافة فيقال حبشى وحبشية ومثلها نوبى ونوبية ، وزنجى وزنجية .

١١٩ - مصطفى عبده : أثر العقيدة فى منهج الفن الإسلامى ص ٦٦ .

١٢٠ - الدكتور حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ص ٤٤ خريطة رقم ٢٨ صورة مرفقة - طبع القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٧٧ م وراجع نهر النيل لمحمد عوض محمد ص ٦ .

١٢١ - أثر العقيدة فى منهج الفن الإسلامى لمصطفى عبده ص ٦٦ ، وراجع كتاب التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٩١ .

١٢٢ - أ . ل . شلوزر كان هو أول من استخدم تعبير السامية لوصف الشعوب ذات العلاقة بالعبرانيين والتعبير مأخوذ عن اسم سام ( شم بالعبرية ) ابن نوح وهو الجد المزعوم للعبريين ولأقوام أخر ذكرتهم التوراة ، وتتحدث التوراة عن شعوب انحدرت من سام دون أن تصفها بالسامية ( راجع التوراة جاءت من جزيرة العرب ( هامش ص ٢٩ ) .

أراضيهم الأصلية باليمن قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ( أى ثلاثة آلاف وستمائة واثنين وعشرين سنة قبل الهجرة النبوية ) واستقروا بأراضى نبته ومروى بالقرب من سنار (١٢٣) .

٨ - **الحبشة** : وهو اسم كان يطلق قديمًا على جميع القارة الأفريقية باستثناء شريط ساحلى ضعيف لم يكن يتعدى فى أقصى توسّع له قبل البعثة النبوية - حدود بنى غازى ( سيرينايكا ) غربًا وبحر القلزم ومدار السرطان جنوبا (١٢٤)

علماً بأنّ نفس اللفظ ظل يُطلق إلى ما بعد سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م على كل من النوبة والبجة والدمادم . والزنج والتكرور ، وعن ذلك يقول أبو الفداء فى كتابه المختصر فى أخبار البشر تحت عنوان ذكر اسم أمم السودان ما يلى : فمن أعظم أممهم الحبش وبلادهم تقابل الحجاز ومن أسمائهم النوبة ، والبجة ، والدمادم ، والزنج ، والتكرور (١٢٥) ويقول القزوينى فى كتابه أخبار البلاد مانصه .. البجة بلاد متصلة بأعلى عيذاب فى غربٍ منه أهْلُها صنفٌ من الحبش (١٢٦) .

٩ - **السودان** : لم يكن لفظ السودان معروفًا أو مستخدمًا قبل التوسع العربى وانتشار القبائل العربية فى مساحات كبيرة من إفريقية بعيداً عن أوطانهم فى شبه الجزيرة العربية شمال النطاق الصحراوى المعروف باسم الصحراء الأفريقية الكبرى ، وهذا إن دلّ على شىء فإنما يدل على : أنّ كلمة ( سودان ) عربية أصيلة أطلقها العرب على كل الأراضى الأفريقية فيما وراء الصّحراء الكبرى جنوبًا والتى تمتد من أقصى الغرب الذى يشرف على المحيط الأطلنطى ( الظلمات ) إلى أقصى الشرق الذى يطل على ساحل البحر الأحمر أو ينتهى عند السفوح المنخفضة الحبشية .

---

١٢٣ - الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان ص ٦/٥ ، هذا وجاء فى ( و ) أورد بعض الكتاب أن لفظ ( كوش ) العبرى كان قد عرب إلى لفظ ( كوثه ) فى منطقة جيزان أو الأودية الداخلية لشبه الجزيرة العربية وذلك بقلب الشين ثاء وكان نفس الاسم بعد تعريبه معروفاً فى الأماكن المجاورة لخميس مشيط . بمنطقة عسير وبلدة ( كوثه ) أو ( كوش ) سكن سيدنا إبراهيم الخليل راجع صفحات ١٨/٢٤/٨٢/٩٤/٢٧٤ من كتاب التوراة جاءت من جزيرة العرب لكمال سليمان الصليبى الطبعة الثالثة نشر مؤسسة الأبحاث العربية - كانون الأول سنة ١٩٨٦ م .

١٢٥ - المختصر فى أخبار البشر ج ١ ص ٩٥ .

١٢٦ - أخبار البلاد للقزوينى وجغرافية وتأريخ السودان ص ٣٦٧ .

أما استخدام لفظ السودان للتعبير عن مدلول سياسى وكيان معين يضمُّ مساحات معيّنة فى قلب النِّيل الأوسط وروافده فلا يرجع إلى أبعد من أوائل القرن التاسع عشر الميلادى بعد ما دخلت هذه المساحات فى نطاق الإمبراطورية المصرية ويعنى ذلك أن التوسع المصرى فى سنة ١٨٢١م أدّى إلى استخدام تعبير الأقاليم السودانية للتعبير عن كل المساحات التى خَضعت للحكم المصرى .. ومع ذلك فإن كلمة السودان لم تستخدم كتعبيرٍ مطلقٍ له مدلوله السِّياسى للدلالة على الأراضى التى تقع جنوب مصر ولها حدود معيّنة مرسومة محدودة إلا فى بداية الحكم الثانى سنة ١٨٩٩م / ١٣١٧هـ . (١٢٧)

١٠ - **مملكة نوباتيا :** ومعناها بلاد النوبة وهو الاسم الرومانى الذى اشتهر به الجزء الشمالى من السودان لفترة طويلة ، ويضم حوض النيل من أسوان وحتّى الشّلال الثالث . (١٢٨)

١١ / **نبته :** ومكانها عند جبل البركل قرب الشّلال الرابع ، وهى تمثل إحدى عاصمتى إثيوبيا السّفْلى .

١٢ - **مروى :** ومكانها عند البجراوية فى رأس مروى . (١٢٩)

١٣ - **دولة الفونج :** أو مملكة سنار .. وقد امتدت شوكتها من الشلال الثالث إلى جبال فازوغلى شمالاً وجنوباً ، ومن سواكن ومصوّع على البحر الأحمر إلى النيل الأبيض شرقاً وغرباً ... (١٣٠) هذا وقد دامت هذه المملكة ٣٢٦ عاماً إذ أنْشئتْ فى سنة ٩١٠هـ / ١٥٠٥م وزالت فى سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .

١٤ - **مملكة الفور :** أو سلطنة الفور . (١٣١)

١٥ - **مملكة تقلى :** وهو اسم لإحدى ممالك السودان . (١٣٢)

---

١٢٧ - الموانىء السودانية للدكتور صلاح الدين الشامى ص ٦/٥ نشر مكتبة مصر طبع دار الطباعة الحديثة سنة ١٩٦١م .

١٢٨ - دراسات فى تأريخ السودان وإفريقيا ج ٢ ص ١١٣ .

١٢٩ - شقير : جغرافية وتاريخ السودان ص ١٠٣ .

١٣٠ - راجع عن تاريخها : شقير : جغرافية وتأريخ السودان ص ٣٨٨/٣٨٠ فما بعدها ، ودراسات فى تاريخ السودان وأفريقيا للبروفسير يوسف فضل ج ٢ ص ٤٥ فما بعدها طبع ١٩٨٩ م .

١٣١ شقير : جغرافية وتاريخ السودان ص ٤٤١ فما بعدها ودراسات للبروفسير يوسف فضل ج ٢ ص ١١٣ .

١٣٢ - دراسات ليوسف فضل ج ٢ ص ١١٣ .

١٦ - **مملكة المقرة :** وكانت تضم المنْطقة من الحدود الجنوبية لمملكة نوباتيا وحتى ملتقى النيلين ، والجزء الأعظم من وشمال كردفان .

١٧ - **مملكة علوة :** وكانت تضمُّ منطقة الجزيرة ومنطقة البطانة شمال وأواسط كردفان ودارفور ، وقد سميت هذه المملكة فى بعض الوثائق القبّطية بمملكة الحبشة . (١٣٣)

١٨ - **بلاد البوانيت :** وهو اسم أطلق على البلاد الواقعة على الساحل الجنوبى للبحر الأحمر (١٣٤) على أنه مَا يُذكر هنا أن أهالى هذه البلاد كانوا أقدم من المصريين فى ممارسة الملاحة والاشتغال بالوساطة التجارية فى البحر الأحمر . (١٣٥)

١٩ - **المريس :** وهو اسم استعمله العرب للدلالة على بلاد السود . (١٣٦)

٢٠ / **إثيوبيا :** أو إيثيوبس وهو اسم كان يُطلقه اليونانيون على عموم سكان أفريقيا (١٣٧) وعلى الأخص على سكان ما كان بين النِّيل الأعلى وصحراء ليبيا وسواحل البحر الأحمر منها - على أن المؤرخ ( هومر ) عمّم إطلاقه على سكان ما بين ( ابتداء آخر الشرق ) إلى ( آخر الغرب ) ويستفاد مما كتبه كل من ( هيرودث ) و ( بلين ) .. أن اللفظ عند الأول مقصور على سكان النّيل الأعلا فقط وهو عند الثانى يطلق على سكان النيل الأوسط والأزرق والنوبة والحبشة .

هذا وقد انقسمت إثيوبيا قديماً إلى قسمين :

أحدهما : إثيوبيا العليا التى عرفت فيما بعد بالحبشة ثم إثيوبيا .

ثانيهما : إثيوبيا السّفلى وتعرف الآن بالسودان أو بجمهورية السودان .

وكان للأخيرة عاصمتان إحداهما نبته .. والأخرى مروى .

وقد عاصرت إثيوبيا السّفلى كلا من الفراعنة ،

---

١٣٣ - تاريخ المسيحية ص
١٣٤ - شقير : جغرافية وتاريخ السودان ص ٢٩٩ ونهر النيل ص ٧ .
١٣٥ - موانىء السودان ص ١٦/١٥ .
١٣٦ - دراسات للبروفسير يوسف فضل ج ٢ ص ١١٣ .

والفرس ، والبطالسة ، والرومان ، وبقيت معروفة بهذا الاسم إلى سنة ١٩هـ / ٦٤٠م وهى السنة التى زالت فيها دولة الرومان . (١٣٨)

## أشهر عواصم السودان :

كانت عاصمة السودان بمفهومه السابق تنتقل من جهة إلى جهة بحسب تنقلات الحكومة (١٣٩) علماً بأن أشهر البلاد التى اتخذت عاصمة قبل البعثة النبوية وبعدها هى :

١ - **سوبا** : وهى أقدم مدينة بالسودان حتى أنه ليزعم البعض أنها من بناء سبأ بن نوح عليه السلام ويقولون : إنّ ثمت تشابها بينها وبين سبأ اليمنية من حيث ولاية الملكات على العرش ، ونظام المعابد ، وطريقة العبادة قبل الإسلام الأمر الذى دعاهم إلى أن يقولوا إن تحريفاً مًا قد حدث فى الكلمة فحوّلها من سبأ الى سوبا .. على أنه أيًا كان الأمر فإن أهالى مملكة النوبة العليا أو علوة اتخذوا من سوبا المذكورة عاصمةً لملكتهم وعُنوا بها عناية فائقة حتى أنهم أشادوا بها المبانى الجميلة ، والكنائس ، والمعابد الفخمة التى بنيت على طراز نيتا والنقعه ..

هذا وقد ظلت سوبا المذكورة أعلاه عاصمة عامرة حتى خربها الفونج وذهب تدميرها وخرابها مثلاً يجرى على لسان السودانيين حتى اليوم (١٤٠)

٢ - **قرى** : وكانت عاصمة لمشيخة ( العبْدَلاب ) .. وقد بلغت أوْج مجدها وقوتها فى عهد الشيخ عجيب المنجلك الذى تميز عصره بالفتوحات . (١٤١)

٣ - **حلفاية الملوك** (١٤٢) : وهى العاصمة البديلة للعاصمة ( قرى ) وكان قد أنشأها فى سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م الشيخ عجيب الثالث ، وظلت عاصمة للعبْدَلاب حتى مجىء الترك .. وفى عهد الأخيرين تحالف معهم الشايقية

---

١٣٩ - الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان ص ح .

١٤٠ - جغرافية وتاريخ السودان لشقير ص ١١١ ، وتاريخ الخرطوم ص ٩ وتاريخ الثقافة ص ٩ .

١٤١ - تاريخ الخرطوم ص ١٠ وجاء فى ص ٥ من نفس الكتاب أن الخرطوم ورثت مجد سوبا وقرى فجعلت عاصمة للسودان الحديث .

١٤٢ - لفظ الحلفايا كان ينصرف إلى إقليم واسع ولم يكن اسم موضع بعينه فى هذه الجهة راجع تاريخ الخرطوم ص ١٧٢ ، أما حلفايا الملوك التى عرفت بهذا الاسم فكانت عاصمة لمشيخة العبْدَلاب فى أواخر العهد الفونجى .

منافسو العبْدَ ّلاب ومناوئوهم فانتصر لهم الأتراك وأقاموا منهم حامية للشايقية قوامها [ ٤٠٠ ] رجل تحت قيادة سنجك منهم فاستسلم لهم دون مقاومة الشيخ ناصر الأمين شيخ العبْدَ ّلاب على أنه لما قَتَل الملك نمر إسماعيل باشا فى العام التالى ، وعمت الثورة الأقاليم الشمالية قام الشيخ الأمين بن الشيخ ناصر الأمين على رأس قوة من أهله وهجم على الحامية وقضى عليها قضاءً مبرماً الأمر الذى أغضب الأتراك فأصابوا العبْدَ لاب وضربوهم دون رحمة وصادروا أراضيهم فى الحلفاية وقرى ، وأقطعوها لحلفائهم الشايقية فازداد بذلك نفوذ الأخيرين وكوّنوا قوةً وعصبيةً . (١٤٣)

علماً بأنّ محمد أغا القبوجى باشى كبير الحجّاب بالسودان فى عصر محمد على كان قد أحضر أخيراً شيخ العبْدَ ّلاب ومنحه الأمان وأجلسه فى مكانه حاكماً ومنحه لقب ملك (١٤٤) فظلّت حلفاية الملوك لهذا السبب عاصمةً للإقليم واحتفظت بأهميتها لفترة من الزمن طغتْ فيه خلالها أهمية الخرطوم بحرى عليها فتضاءل دورها وانخفضت مكانتها . (١٤٥)

٤ - **مدنى** : أو ولد مدنى وقد تمّ اختيارها عاصمةً للسودان بديلاً عن سنار فى حوالى سنة ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م (١٤٦) بناء على توجيه فى ذلك أصدره محمد على باشا .

٥ - **الخرطوم** : وقد اختيرت عاصمة للبلاد فى حوالى سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م تنفيذاً لتوجيه فى ذلك أصدره محمد على باشا إلى عثمان بك فى ١٦ / ديسمبر ١٨٢٤م (١٤٧) وقد تلا ذلك بناء معسكر لجيش عثمان بك

---

١٤٣ - تاريخ الخرطوم للبروفسير محمد إبراهيم أبو سليم ص ١١/١٠ طبع دار الجيل بيروت سنة ١٣٩٩ هـ .
١٤٤ - تاريخ الخرطوم ص ٢١ .
١٤٥ - تاريخ الخرطوم ص ١٧٣ .
١٤٦ - تاريخ الخرطوم ص ٢١/١٦/١٥ .
١٤٧ - تاريخ الخرطوم ص ٢٥ هذا وكانت تقع ضمن حدود السودان بلدة أخرى تحمل نفس الاسم ( خرطوم ) وهى قرية تابعة لكلابشة تجاه جزيرة دارموت الواقعة على مقربة من المعبد الذى يسميه الأهالى بيت الوالى راجع رحلات بوركهات ص ١٠٦ . .

أعقبه عمل جاد فى تعمير الخرطوم تبنّاه محويك الذى أطلق اسمه على منطقة الشجرة الواقعة جنوب الخرطوم (١٤٨) ثم جاء خورشيد باشا وحل محل محو بك فعمل على توسيع الخرطوم وكان قد بنى بها مسجداً فى سنة ١٢٤٥هـ /١٨٢٩م ، وقام بتوسيعه فى سنة ١٢٥٣هـ /١٨٣٧م .. (١٤٩) ونقل إليها كل دواوين الحكومة فى سنة ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ م (١٥٠) على أن الخرطوم تلبث أن أخليت من كلٍّ سكانها وهجرت حين سقطت فى يد الدولة المهدية فى سنة ١٣٠٣ هـ/١٨٥٨م ، ولم تعد إليها الحياة ويعمها الازدهار إلا بعد احتلال الأوربيين للسودان وقضائهم المبرم على أم درمان واجهة التحدى الأفريقى للتوغل الأوربى ، وذلك فى سنة ١٣١٦ هـ/١٨٩٨م .

١٦ - **أم درمان** : وقد عرفت بهذا الاسم فى عصر العنج السابق لعصر الفونج حيث قالوا إن بنتا لأحد ملوك العنج كانت تسكن بها ولها ولد اسمته ( درمان ) فنسبت البلدة إليها وصارت تعرف باسمها الحالى ( أم درمان ) (١٥١) ..على أنه أيا كان السبب فمن المؤكد أن شأن أم درمان اضمحل بعد عصر الفونج ، حتى لقد صارت حلة صغيرة (١٥٢) أقام بها خورشيد باشا عدة أيام قبل أن يستقر بالخرطوم . (١٥٣)

وفى سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥ م بدأت أم درمان فى الازدهار بعد أن اختارها الإمام المهدى معسكراً له للهجرة (١٥٤) .وأعاد لها اسم البقعة المباركة الذى سبق أن أطلقه عليها الشيخ أحمد الطيب بن البشير جَد الأستاذ / محمد شريف شيخ الإمام المهدى . (١٥٥) مفضلاً لها بذلك على مدينة الخرطوم ، الأمر

١٤٨ - كان محويك قد عسكر تحت شجرة عرفت من قبلُ باسم شجرة النقارة وعرفت فيما بعد باسم شجرة غردون وتجاهل الناس حالياً ما التصق بالشجرة من أسماء وصاروا يطلقون عليها اسم الشجرة فقط تاريخ الخرطوم ص ١٧/١٦

١٤٩ - تاريخ الخرطوم ص ١٧ علما بأن شقير قال فى كتابه عن نفس المسجد مايلى وضع حجر الأساس لجامعها فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٠ م وسيتم بناؤه فى أواسط السنة الآتية راجع ص ١٣٤٩ جغرافية وتاريخ السودان .

١٥٠ - تأريخ الخرطوم ص ٢٦

١٥١ - تأريخ الخرطوم ص ٨٤

١٥٤ - تأريخ الخرطوم ص ٨٣

١٥٥ - سميت بالبقعة المباركة والبقعة الطاهرة وبدار الهجرة وبدار الفلاح وبمركز الإرشاد وبأمدرامان .. راجع تاريخ الخرطوم ص ٨٥ وراجع مقالا عن أم درمان بين التأصيل والتأهيل للأستاذ الطيب محمد الطيب ، نشر فى جريدة السودان الحديث بالسودان العدد ٩٤٧ بتاريخ الجمعة ١٥ صفر سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢/٨/١٤ م .

الذى سار على منواله فيه الخليفة عبد الله إذ ورد أنه - وفى السنة المذكورة التى توفى فيها الإمام المهدى وأعقبه هو - كان قد أمر القاطنين فى الخرطوم بإخلاء المدينة والانتقال إلى أم درمان ، ولم يستثن من ذلك غير الأشراف الذين كلّفهم بطرد من تبقى من أهالى الخرطوم بها . (١٥٦)

ولاهتمام الإمام المهدى وخليفته بأم درمان اختار الأول بها فضاءً واسعاً أحاطه بالشوك ليكون للأمة مسجداً ، وقد استبدل خليفته بالشوك سوراً من الطوب الأحمر وضع أساسه فى يوم الأربعاء ٤ / ربيع الأول سنة ١٣٠٥ هـ /١٨٨٧م وفرغ منه فى يوم الأربعاء ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧ م (١٥٧) .

هذا وقد تعرضت أم درمان عاصمة البلاد لهجمة شرسة من الأوربيين وأعوانهم تسنى للسلاح فيها أن ينتصر على القوة والحق فسقطت أم درمان فى صباح الجمعة ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨م الموافق ١٣١٦ هـ وتم عقب ذلك تدمير المسجد الجامع وأحيل إلى ساحة لاستعراض الجيوش . (١٥٨)

٧ - **الخرطوم بحرى :** (١٥٩) وهى مدينة حديثة النشأة لم يكن لها وجود قبل بداية القرن الرابع عشر الهجرى العشرين الميلادى ، (١٦٠) وقد قامت على جزء من الموضع الذى كان يطلق عليه اسم الحلفايا ، ذلك أن المعروف تأريخيا أن لفظ الحلفايا كان قديما يطلق على إقليم واسع ، (١٦١) يعم شرق النيل وغربه حتى أنه ليذكر أن الشيخ أبو صالح بن الشيخ أحمد الطيب بن الشيخ البشير حين تحدث الكتّاب عن تاريخه وخلافته -

---

١٥٦ - تأريخ الخرطوم ص ٨١
١٥٧ - تأريخ الخرطوم ص ٩١
١٥٨ - تأريخ الخرطوم ص ١١٤
١٥٩ - تم افتتاح مسجد الخرطوم بحرى يوم الجمعة ١١/٣ ، وأقيم الحفل لبناء جامع الخرطوم بحرى فى الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الثالث من نوفمبر سنة خمسين بعد التسعمائة والألف (١٩٥٠) م وذلك بالقرب من محطة الترام ( سابقا ) وأمام المجلس البلدى .
١٦٠ - تأريخ الخرطوم ص ١٧٢
١٦١ - تأريخ الخرطوم ص ١٧٢
١٦٢ - راجع التربية فى السودان للدكتور عبد العزيز عبد المجيد ص ١٧٦/١٧٢/١٧١ / وثيقة رقم ٣ ص ٢٠ بتأريخ ١٦ رجب .

(١٦٢) أشير إلى المنطقة ومكان المسجد الذى هو به بأنه يقع جهة الحلفاية (١٦٣) . وجاء ذلك بوضوح فى الدفتر رقم ١٢٥٧ صادر عرضحالات الداخلية بالوثيقة التركية رقم ٢ ص ٤ بتاريخ ٢٥ ربيع الآخرسنة ١٢٨٢ هـ . وبالدفتر رقم ٥٢٩ (معية عرضحالات ) بالوثيقة التركية رقم ٣ صفحة ٢٧٣ بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ هـ وبالدفتر رقم ١٢٨٢هـ بالوثيقة التركية رقم ٣ ص ٢٠ بتاريخ ١٦ رجب سنة ١٢٨٦هـ (١٦٤) .

٨ - **دنقلة العجوز** : عاصمة النوبة السفلى .. أومملكة المقرة وقد فتحها المسلمون فى سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧م ثم دخلت فى حكم ملوك سنار وكان خاتمة مجدها غزو الشايقية لها فى أواخر القرن الثامن عشر للمسيح أوائل القرن الثالث عشر للهجرة ، وبعده أصبحت يبابا فأخنى عليها الذى أخنى على لُبَد .. علما بأنّ بها مقامات للصحابة أحدها - كماقيل - لسيدنا عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق .. مع أن المذكور مات بمكة أو على بعد عشر أميال منها بموضع يقال له الحبشى وذلك فى سنة ٥٣ هـ / ٦٧٣م كما ورد ذلك فى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر (١٦٥) .

٩ - **دنقلة الجديدة** : عاصمة مديرية دنقلة وتوصف أحيانًا بالجديدة تميزًا لها عن دنقلا القديمة المذكورة وتسمى دنقلا الجديدة أيضًا بالأوردى أوالعرضى لأن إسماعيل باشا - بعد احتلال السودان - كان قد اختارها عاصمة للبلاد بدل دنقلة العجوز ووضع فيها أوردبا ( أى فيْلقا من العساكر ) فأطلق عليها اسم (الأوردى ) وحرف إلى العرضى (١٦٦) .

١٠- **بربر** : وكانت عاصمة ذات شهرة وعلى الأخص فى عهد مملكة سنار وبعدها حين الغزو التركى للسودان وكانت مقر كرسى الميرفاب ، وقد سقطت فى يد جيش الإمام المهدى فى سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م واحتلها الأوربيون وأعوانهم سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ، وكان قد سكنها الشيخ زين العابدين الأموى الشنقيطى القادرى وبها توفى ودفن سنة ١٢٨٣هـ / ١٨١٦م (١٦٧) .

---

١٦٤ - راجع الوثائق المذكورة مترجمة فى كتاب التربية فى السودان للدكتور عبد العزيز عبد المجيد ص ١٧١/١٧٢/١٧٦/ طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٤٩ م وراجع تأريخ الخرطوم ص ٤١/٢٠٤

١٦٥ - جغرافية وتأريخ السودان لشقير ص ٩٩/١٠١ والاستيعاب ج٦ ص ٣٤/٣٥ رقم ١٣٩٤

١٦٦ - جغرافية وتأريخ السودان لشقير ص ٩٩

١٦٧ - جغرافية وتأريخ السودان ص ١٠٥

١١ - **شندى** : وكانت مركز مملكة الجعليين وذات نشاط تجارى واسع فغدر بها وبأهلها الدفتردار فى فاتحة استعمار متمردى الأتراك للبلاد [١٦٨] .

١٢ - **سنار** : وهى من أشهر مدن السودان وأقدمها [١٦٩] وكانت مأهولة بالسكّان منذ زمن بعيد [١٧٠] .. وقد اتخذها الفونج فى سنة ٩١٠هـ / ١٥٠٤م عاصمة لدولتهم فسما نجمها وذاع صيتها فانْتسبَ أو نُسب إليها السكان [١٧١] وقصدها الناس من كل مكان [١٧٢] وأنْشىء لطلابها بمصر رواق خاص بهم عرف برواق السنارية ، وكان لعلمائها مكانة مرموقة فى العالم الإسلامى . إذا اتخذوهم مرجعًا فى بعض ما يكتبون من موضاعات فالشيخ أحمد الطيب بن بشير ( المتوفى سنة ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م ) كان شيخا لشيخ الشيخ محمد حقى النازلى (المتوفى سنة ١٣٠١هـ /١٨٨٣م) حيث أجازه فى خواص القافات ، وعن ذلك يقول النازلى فى كتابه خزينة الأسرار جليلة الأذكار ما يلى : اعلم أنّ هذه الآيات إذا قرئت كل واحدة منها مرة تكرر الأسماء المذكورة عقب كل واحدة منها ثلاث مرات مثلا : قيوم يرزق من يشاء القوة ثلاثا .. كذا أجاز لى شيخى سليمان أدرنوى عن الشيخ أحمد السنّارى [١٧٣] ..وكان الشيخ محمد بن عثمان الصايغ السنّارى أستاذاً للشيخ صديق المدنى بن عمر خان تلميذ سيدى الشيخ محمد عبد الكريم السمان وعنه تلقى بعض معارفه حين زار أرض سنار .. (١٧٤)

هذا وكانت الكرامة التى ذكرها الشيخ صديق حين زيارته لأرض سنار ذات دلالة مفادها قوة الصلة بين أهالى سنار حكومة وشعبا وبين أهالى المدنية المنورة وإلا فما بالُ سلطان سنّار يبعث إلى الشيخ صديق أثناء وجوده بسنّار ويُكرم نزله ،ثم يبعث إليه غداة

١٦٨ - جغرافية وتأريخ السودان ص ١٠٦/١٠٧
١٦٩ - جغرافية وتأريخ السودان ص ١١٣
١٧٠ - كتاب الطبقات هامش ص ٣٩ سطر ٥ من رقم ١١
١٧١ - خزينة الأسرار للنّازلى ص ٧٥ . وفيه أشير إلى الشيخ أحمد الطيب بن البشير بأحمد السنارى .
١٧٢ - قطف أزهار المواهب اللدنية ص ١٨٥
١٧٣ - خزينة الأسرار ص ٧٥ طبع عيسى الحلبى بمصر .. علما بأن القافات مطبوعة بزيل حزب الأمان للشيخ أحمد الطيب .
١٧٤ - قطف أزهار المواهب الربانية من أفنان رياض النفحة القدسية للشيخ صديق بن عمر خان ص ز طبع دار الطباعة المحمدية سنة ١٣٩٣ هـ /١٩٧٣ م .

ذلك اليوم بأمامه الذى يصلّى به فيبلغه مانصُّه ..إن السلطان مابعث إليك إلا لتتوجه إلى الله ببركات أستاذكم ( الشيخ محمد عبد الكريم السمان ) فى نزول المطر فاسأل الله له فعسى ببركته أن يسقينا الغيث ويكون ذلك كرامة له .(١٧٥)

احتل متمردوا الأتراك سنار فى سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م ..وجعلوها مركزا لمديرية سنار ، بل ومنفى لبعض من غضبوا عليهم من اللبنانيين وغيرهم ، ودامت فى يدهم حتى استردّها منهُم جيش الإمام المهدى سنة ١٣٠٣هـ /١٨٨٥م ..وبعدها خربت حتى لم يبق بها عام إعادة احتلالها سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م إلامئذنة لمسجد كان قد بناه خورشيد بك بأمر من محمد على باشا .(١٧٦)

**١٣- فرص** : وهى عاصمة مملكة نوبا طيا أومملكة المريس الواقعة مابين الشلال الأول بأسوان حتّى آخر الشلال الثانى المعروف ببطن الحجر وبها أطلال مدينة قديمة يظن أنها من عهد الرومان (١٧٧) .

**١٤ - مروى** : التى تقع شمال كبوشيه عند قرية البجراوية وهى - كما هو معروف كانت عاصمة لدولة امتدت من الشلاّل الأول إلى أعالى النيل ، وكانت ذات حضارة كبيرة تمثلها الأهرامات والمعابد والعمارات والحفائر ، وظلّت ذات شأن حتى أسقطها الأكسوميون حوالى سنة ٣٥ م (١٧٨) .

**١٥ - نبته** : وهى عاصمة مملكة النوبة فى القرن الثامن قبل الميلاد ، وكان من أشد ملوكها الملك بعانخى الذى غزا مصر واستولى على السلطة فيها من سنة ١٣٣٥ قبل الهجرة ٧١٣ قبل الميلاد إلى سنة ١٢٨٧ قبل الهجرة ٦٦٠ قبل الميلاد ووطّد خلال حكمه لها صلات تجارية وسياسية مع عدد من دول العالم كان على رأسها سوريا وفلسطين حتى أن ملوك هذين القطرين اعتبروه صديقاً لهم وحاميا لبلادهم (١٧٩) .

---

١٧٥ - قطف أزهار المواهب الربانية ص ١٨٥ هذا وجاء فى نفس الكتاب الإشارة إلى بعض سكان سنار ممن التقى بهم المؤلف مثل الشيخ عبد الله بن بخيت الذى التقى به فى سنار ، والشيخ إبراهيم القولباوى الذى التقى به فى مكة راجع ص ١٨٥/١٨٩

١٧٦ - جغرافية وتأريخ السودان ص ١١٣/١١٤

١٧٧ - تأريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث للأب الدكتور ج . فانتنى طبع .

١٧٨ - جغرافية وتأريخ السودان لشقير .. وتأريخ السودان لمندور ص ٣٨

١٧٩ - تأريخ السودان لمندور ص ٣٠/٣٢ ، والجواهر الحسان ص ٦/٧

# حدود السودان السياسية

أراضى السودان التى كانت تعرف بذلك باسم كوش (١٨٠) أو باسم الحبشة أو إثيوبيا (١٨١) هذه الأراضى تعرضت لغزو أجنبى قاده ضدها الملك ( بى ) الأول ثانى ملوك الدولة المصرية السادسة ( سنة ٣٧٠٣ إلى ٣٥٠٠ ق . م (١٨٢) إذ يروى أنه أرسل قائده أونا ( UNA ) إلى جهات كورسكو (١٨٣) فتم له بذلك إخضاع المنطقة ودانت له بالولاء قبائل تلك الجهة .

وفى عهد الملك ( متوسوفيس ) وهو الملك الثانى عشر من ملوك الدولة المصرية السادسة – تم غزو السودان أو بلاد التوانيت مرة أخرى بقيادة القائد ( هرخف ) ، وأسروا فيمن أسروا منه بعض الأقزام ممن كانوا يحسنون رَقْص الآلهة (١٨٤) .

وفى أيّام الدولة المصرية الثانية عشرة (٣٠٦٤ – ٢٨٥١ ق . م ) أعاد ( أوسرتسن ) الأول ثانى ملوك هذه الدولة غزو أراضى السودان فمد حدود مصر جنوباً إلى الشلال الثانى (١٨٥) ثم جاء ( أوسرتسن ) الثالث خامس ملوك هذه الدولة فوصل بحدود مصر إلى شلال سمنة واعتبر ذلك حداً فاصلا بين أراضى الدّولتين . (١٨٦) هذا ولم تمر فترة حتى استرد السودان استقلاله وأمكنه أن يملك قراره السياسى بعيداً عن التأثير الأجنبى فأتاح له ذلك منح اللجوء السياسى بأرضه لمن هاجر

---

١٨٠ – كوش : اسم عرفت به أراضى السودان فى التوراة وفى الآثار المصرية راجع جغرافية وتأريخ السودان لشقير ج ٢ ص ٢٩٧ وراجع التوراة الملوك الأول ١٤ : ٢٥ والأيام الثانى ١٢ : ١/٢ الملوك الثانى ٢٣ : ٢٩ الأيام الثانى ٣٥ : ٤٠ والجواهر الحسان ص ز ، والتربية فى السودان ج ٣ ص ١ ، هذا وكوش لفظ عبرى معناه الأسود راجع الفصائل اللغوية للدكتور/ محمود فهمى حجازى وهو بحث قدم لمؤتمر مجمع اللغة العربية فى دورته ٥٨

١٨١ – إثيوبيا : اسم أطلقه اليونانيون على جميع بلاد السود راجع أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس الخريطة رقم ٢٨ العالم فى عصر البعثة النبوية ( أوائل القرن السابع الميلادى ) وراجع أيضا الخريطة رقم ٢٠ والخريطة ٣١ ، والخريطة ٣٣ وراجع الجواهر الحسان ص ح وراجع كتاب التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٩١ (صور مرفقة من الخرائط وتجدها فى الباب السادس من هذا الكتاب تحت عنوان خرائط ) .

١٨٢ – جغرافية وتأريخ السودان لشقير ج ٢ ص ٢٩٩

١٨٣ – كورسكو .. بلدة صغيرة تقع على بعد ١٢ ١/٢ من الميل من السبوع وهى أقرب نقطة نيلية إلى أبى حمد راجع شقير ص ٩٢

١٨٤ – شقير ص ٢٩٩

١٨٥ – شقير ص ٣٠٠

١٨٦ – شقير ص ٣٠٠

إليــه من المصــريين (١٨٧) فــراراً من عــسْف وبطش الرعاة العمالقة أولئك الذين قدموا من آسيا الجنوبية وغلبوا المصريين على أراضيهم واستعـمروها ستـمائة سنة ونيــفًــا .

**بين السودان ومصر :**

خلال فترة استقلال السودان كوّن أهله مملكةً مُنظَمةً جعلوا ( نبتـه بالقرب من مروى ) عاصمةً لها وأسَّسوا بها حضارة تجلّت فى أنواع شــتّى فى الفنون والصّنايع .. (١٨٨) وبنـوا جيشاً ساعدوا به الملك أحمس أوّل ملوك الدولة الثامنة عشرة على طرد الرعاة من مصر وإعادة استقلالها لها بعد أن توّجا علاقاتهما بالمصاهرة والنسب حيث تزوج ملك مصر آنذاك بنت ملك الســودان . (١٨٩)

وفى عــهـد الملك ( تحـوتمس ) الأول ثالث ملوك الدولة المصرية الثامنة عشرة ( ١٦٠٠ : ١٣٨٠ ق . م ) أعيد احتلال السودان عسكرياً فأصبح بذلك تابعاً لمصر ، غير أنه ما إن استرد استقلاله عنْها حتّـى قـام بغـزوه مـرة أخرى ( امنحـتب ) الثـالث المعـروف ( بامنوفـيس ) تاسع ملوك الدولة المصرية الثامنة عشرة ، وقد دوّن هذا الأخير خبر انتصاراته على صخرةٍ بقرب جزيرة فيلى فى جنوب الشلال الأول ، حيث جزيرة أنس الوجود ، وبنى لنفسه هيْكلا فى صُلب ، وآخر فى عاصمة نبتة ، ووضَع أمـام بابـه صَفَّين مـن الكـباش الرابضة على هيئة أبى الهول . (١٩٠)

وفى عهد ( حور محب ) آخر ملوك الدولة المصرية الثامنة عشرة أعيد غزو السودان بعد أن نعم فيما يبدو فترةً باستقلاله ، وأصبحت له دولة ذات شـأن وبأس ، بدليل أن النصّ الذى سجل فيـه ( حور محب ) خبر انتصاره على السـودان جاء فيـه : لقد قدم المقدّس الفاضل بعد أن قهر كبار الأمم أجمع وقوسُه تلمع فى يده ، فحبّذا هذا الملك القادر الفخيم الذى جاء برؤساء إثيوبيا . (١٩١)

ثـم كـانت الدولــة المصريــة التـاسعــة عـشـرة ( ١٣٨٠ : ١٢٣٠ ق . م ) وفـيـهـا

---

١٨٧ - كان أبرز مهاجر المصريين هو مهجر أزقو راجع شقير ج ٢ ص ٣٠١
١٨٨ - راجع الحضارة والدين للبروفسير حسن الفاتح قريب الله .
١٩٠ - شقير ص ٣٠٣
١٩١ - شقير ص ٣٠٤

غـــزا ( رعـمسيس ) الثانى . (١٩٢) ثانى ملوكها أرضَ السودان ، وأقـام لـه فـى تلمس ( كلابشة ) هيْكلاً صغيراً نادر المثال ، حفره فى الصخر تذكـاراً لانتصاره ، وهو من أثمن الآثار القديمة فى مصر وإثيوبيا ، وعلى جدرانه نقــوش صــور وكـــتــابات رائعـــة الصنع .

ولرعـمسيس المذكور آثار أخرى بالسـودان منها :

١/ هيكل منحوت فى صخرة فى (الدر) .

٢/ هيكل من الحجر الرملى الصلب أقامه فى (السُّبوع ) .

٣/ قلعه بوادى ( السُّبوع ) . (١٩٣)

٤/ هيكل أبى سمبل على بعد ١٧٠ميلاً من الشلال الأول ، وهو هيكل عظيم منحوت فى الصخرة فى منحدر أكمة مرتفعة فوق النيل ، أقامه رعمسيس تذكاراً لانتصاره على الحيثيين فى الشمال الشرقى من سورية وهو أجمل وأعظم الهياكل فـى إثيوبيا الشمالية أو السودان ؛ بل لقد ورد بأن فى صنعه ونحته من العظمة مع البساطة على مالايوجد فى غيره من هياكل وادى النيل كلّها . (١٩٤)

٥/ هيكل نبته .. وهو أقدم الهياكل :- فيما يبدو - بتلك المدينة (١٩٥) هذا وفى الفترة التى أعقبت انقضاء الدولة العشرين خرج السودانيون عن طاعة مصر واستقلوا ببلادهم فتسنّى لهم بذلك تكوين دولة علا نجمها وذاع صيتها فأصبحت لها بذلك الريادة والسيادة فى كل المنطقة، بل لقد روى أنهـا مدت حدودها فـضـمت إليـهـا بعض الأراضى المصريـــة ، ودحر ملكـهـا ( الملك بعنخى ) هجـومًـا للملـك ( تفتحْت ) حاول به استرجاع بعض أراضى بلاده على أنه ما إن استسلم الأخير لسطوة الملك بعنخى حتى أقامه نائبا له بمصر مُقراً كذلك أمراءه على ما كانت لهم من

---

١٩٢ - رعمسيس الثانى هو ابن أمينوفيس أو أمونفاثيس كما كان يعرف قديماً وهو اسم لفرعون مصر الذى عاصره سيدنا موسى عليه السلام راجع هامش كتاب تاريخ مختصر الدول للعلامة غريغوريوس أبى الفرج بن أهرون الطبيب الملطى المعروف بابن العبرى تصحيح وفهرست الأب أنطون صالحانى اليسوعى طبع دار الرائد اللبنانى بلبنان سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . هامش ص ٢٧

١٩٣ - شقير ص ٣٠٦

١٩٤ - شقير ص ٣٠٦

امتيازات سابقة في عهد مليكهم - جاعلا له ولهم من مدينة ( نبتة ) عاصمة للمملكة الموحّدة التي ضمّت ( السودان ومصر). ( ١٩٦)

وانقضت أيّام الملك بعنخي .. وفي أيّام ابنه الملك (كاتشا) أو (كاشتا) ثار عليه نائبه بمصرالملك (تفنت) ، ثم من بعده ابنه ( باكوريس) واستطاعا استرداد مصر من قبضة السودانيين ، غير أن الملك السوداني (سباقون) ابن الملك (كاتشا) أعاد فتح مصر مرة أخْرى بعدأن قتل ملكها (باكوريس) ،وبذلك أسّس دولة عرفت في تأريخ مصر بالدولة الخامسة والعشرين الإثيوبية ( ٧١٥ : ٦٦٤ ق.م ) .

هذا ومما يذكر عن الملك ( سباقون ) أنه كان رجلاً عدلاً فخوراً ، محبًا للتقدم والإصلاح ، بدليل أنه لما تولى سرير الملك شرع في تنظيم مصر وضبْط إدارتها ، فأبقى كل رئيس على إقليمه مع حفظ نفوذه على الرؤساء بمراقبة أمراء إثيوبيين له وجعل شقيقته ( آمن ريتس ) ملكة على الوجه القبلي في ثيبه وأنشا بمصر الجسور ، وأكثر من حفر الترع حرصًا على البلاد من أن يمسها غرق ، ورمّم كثيرا من المعابد ، واستبدل عقوبة القتل بالأشغال الشاقة ، واشتهر بحسن التّدبير ، وجودة السياسة فتمتعت مصر في عهده بالراحة والاستقرار والأمان والرخاء . (١٩٧)

على أن طموح هذا الملك ورغبته في التوسع ، وبسْط نفوذه على بلاد الشام وحرصه على مساعدة ( هوشع )ملك إسرائيل ، وتحالفه معه ضد ( شلمنصر ) ملك آشور الذى كدّر صفاء الفينيقيين والإسرائيليين والفلسطينيين كل ذلك عجل بحتفه وزوال سلطانه - حيث هزم في حربه ضد الملك آشور من ناحية ، وثار عليه سكان الوجه البحري تحت رئاسة ( اسطيفانيس ) أحد أقرباء الملك (باكوريس ) من ناحية أخرى ، وبذلك زال ملكه بمصر وانحصر سلطانه داخل بلاده بالسودان . (١٩٨)

بعد أن مات ( سباقون ) استطاع الملك ( سبيخون ) أن يستعيد حكم مصر ويخضعها

١٩٦ - شقير ص ٣١٥/٣٠٧
١٩٧ - شقير ص ٣١٦/٣١٥

لسيطرته ، على أنه ما إن استتب له الأمر حتى ثارعليه أحد أمرائه من السودانيين واسمه ( طهراق ) فقضى على ملك (سبيخون ) ونصّب نفسه ملكا بدلاعنه ثم زحف طهراق على اسطيفانيس وحرر (منف) من قبضته واستدعى من بعد أمُه من السودان فولاّها حكم الوجه البحرى والقبلى ومنحها لقب (سيدة الأمم) .(١٩٩)

وفى النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد تعرضت مصر لغزو أجنبى من الأشوريين انسحب على إثره السودانيون من مصر ، ثم وفى سنة ٦٦٩ ق.م عاودوا فتحها فصدهم عنها الأشوريون ، على أنهم ما إن علموا بعودة الملك آشور إلى بلاده ( نيترى ) حتى استرجعوا من أمرائه أملاكهم ، وظلوا حكاما عليها فترة بلغت فى مجموعها عشرين عاما .

هذا وقد انسحب الملك طهراق من مصر بمحض اختياره ولما توفى بالسودان تولى الملك من بعده صهره ( أوردآمن )ثم خلفه الملك (توات ميامون ) (٢٠٠) وفى عهد هذا الأخير تم فتح السودان لمصر فتوحّدت قيادتها السياسيه تحت إمرة السودانيين بعد أن ساعدهم على النصر إخوانٌ لهم كانوا قد كونوا حزبًا قويًا فى (ثيبة ) وضواحيها وأقاموا فيها زمانًا حائزين لرتبة الكهانة فى معبد ( آمن رع ) (٢٠١) وفى آخر أيام هذا الملك الأخير تآمر ضده بعض وجهاء مصر واقتسموا الملك بعده فيما بينهم وكانوا اثنى عشر حاكما فسمِّيت حكومتهم بالمقاقمة الأنثى عشرية وداموا على ذلك خمس عشرة سنة إلى أن قام أحدهم وهو ( بسامتيك ) بلاستئثار بمفرده بحكم مصر ، مستعينا لتحقيق ذلك ببعض المرتزقة من اليونانيين الذين آزروه فى التخلص من منافسيه من ناحيه ، ثم فى إبعاد السودانيين إلى خارج أسوان من ناحية أخرى منهين بذلك فترة ٤٩ سنة شهدت فيها مصر باعتراف المؤرخين عدالة لم تشهدها من قبل . (٢٠٢)

١٩٨ - شقير ص ٣١٦
١٩٩ - شقير ص ٣١٧/٣١٦
٢٠٠ - شقير ص ٣١٨/٣١٧
٢٠١ - شقير ص ٣٢٠/٣١٨
٢٠٢ - شقير : جغرافية وتأريخ السودان ص ٣٢٠

**بعض أشهر لغات السودان قديماً :**

اللغـات السـامـيـة التى دخلت المناطق السودانيـة عن طريق الشـرق منذ القرن العاشر قـبل الميـلاد كـانت تشـمـل :

**ا/ لغة الجعز (الكعز) :** Gueźe Geez

وهذه اللغة هى أقدم ماوصل إلينا مدونا من اللغات السامية بالسودان .. ويتمثل المحفوظ منها حاليا ومن القرن الثالث الميـلادى - فى نقوش خالية من الحركات ، علما بأنّ ما على اللغة من حركات فى العصر الحاضر هى حركات حـادثة نسْبـيًا إذ يرجع تأريخـهـا إلى القـرن الخـامس بعـد الميـلاد .. هذا وكـانت اللغـة المذكـورة ذات تراكـيب ومـعـان أشـبـه مـاتكون باللغـة العـربيـة الفصحى .. [٢٠٣] وهـى وإن أخذت تنقرض منذ القرن الثانى عشر الميلادى فقـد بقيت حيّـة بفعل الكنيسة وإن انحصرت دائرتهـا فى نطـاق ضـيـق لايكـاد يتـعـدى الطقوس الدينية .

**ب/ اللغة التجرية ( التكرية ) :** [٢٠٤]

Tigré : Tigre

وهى لغة تنتسب إلى منطقة التِّجرىِ وكانت منتشرة فى منطقة تمتد من مُصَوِّع إلى كَسَلا ويتحدث بها الارتريون وسكان جزيرة (دهلك ) وقـدأخـذفـى تدوينهـا منـذ أوائل هـذا القرن .[٢٠٥]

**ج / اللغة التجرينية ( التكرينية ) :**

Tigrigana ( Tigri ) Tigrinya : Tigrai

وكانت كسابقتها تنتشر فى منطقة تمتد من مُصوّع إلى كَسَلاوتحدث بها كذلك بعض سكان شمال السودان .[٢٠٦]

**د/ اللغة الأمهرية :** Amharic

وهى لغـة ذات طابع كـوشى وكـانت أكـثـر انتشـارا من سابقتهـا إذ تحدث بهـا بعض سكان شـمـال السـودان وشـرقه كـمـا تحدث بهـا سكان

٢٠٣ - العربية هى إحدى اللغات السامية الجنوبية التى كانت تنتشر فى شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية وفى الحبشة ( السودان ) وأقدم نص عربى قديم وصل إلينا منها يرجع تاريخه إلى سنة ٣٧٨ بعد الميلاد علما بأن العربية المذكورة ذات مراحل تاريخية متعددة ومستويات لغوية شتى وقد استخدم القرآن منها اللغة الفصيحة وعليه فيها اعتمد النحاة فى وضع قواعد اللغة العربية كما اعتمدوا على كلام العرب شعراً ونثراً حتى منتصف القرن الثانى الهجرى بالنسبة للحضر وأواخر القرن الرابع بالنسبة للبدو ( راجع الفصائل اللغوية للأستاذ دكتور محمود فهمى حجازى ص ١٢/١١ ) .

٢٠٤ - نفسه ص ١٤

٢٠٥ - نفسه ص ١٥/١٤

٢٠٦ - الفصائل اللغوية ص ١٥

الحبشة فى حدودها الحالية ، وأقدم ما وصل إلينا من نصوصها يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادى ( السابع الهجرى ) . (٢٠٧)

**هـ/ اللغة التى تسمى اصطلاحا بالمصرية القديمة ( الهيروغليفية):**

وهى لغة استخدمت فى الكلام والكتابة فى السنوات (٣٢٠٠ - ٢٢٤٠ق.م) إبان عهد الدولتين القديمة والوسطى اللتين امتدت حدودهما الجغرافية والسياسية حتى سمنة ؛ الأمر الذى جعل الغزاة الهيروغليفية لغة رسمية للسودان سجّل بها الأخيرون آثارهم ، واستخدموها فى الكلام والكتابة تبعا لمن احتلوا بلادهم .

**و/ اللغة التى تسمى ا صطلاحا بالمصرية الحديثة**

وهى لغة استخدمت فى الكلام والكتابة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة التى كان للسودانيين الدور المعلّى فى إنشائها وتكوينها واستقرار أمورها إذ ساعدوا بجيشهم ملكها أحمس أول ملوك الدولة الثامنة عشرة على طرد الرعاة من مصر وإعادة استقلالها بعد أن توجا علاقات الجوار بينهما بالمصاهرة والنسب حيث تزوج ملك مصر آنذاك بنت ملك السودان . (٢٠٨)

فى عهد هذه الدولة ذات النفوذ السِّياسى والعسكرى للسودان فيها على مصر والتى ظلت قائمة حتى عهد البطالمة استعمل السودانيون الكتابة الهيروغلوفية كما استعملوا الخط الهيراطيقى (٢٠٩) . علما بأنه فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد هاجر إلى مملكة مروى عاصمة السودان الشمالى آنذاك - آلاف من المصريين غضبا من الملك بسامتيك الأول مؤسس الدولة المصرية السادسة والعشرين ( ٦٤٤-٥٢٥ ق . م )حيث آثر عليهم جيشا كوّنه من اليونان .

وفى السودان نعم المهاجرون بترحيب وإكرام خاص من ملك البلاد رووا أنه أقطعهم أراضى اتخذوها لهم موطناً استقروا به وتوالدوا فنشأت من ذريتهم طائفة كبيرة نالت شهرة ومكانة عند ملوك السودان حتى أنهم أجلسوهم على

---

٢٠٧ - الفصائل اللغوية ص ١٥
٢٠٨ - جغرافية وتاريخ السودان لشقير ص ٣٠٢
٢٠٩ - الفصائل اللغوية ص ١٦

يسارهم وأسموهم طائفة (الأسماخ ) أو (الأتومولى) . (٢١٠)

فى عهد هؤلاء الأسماخ أو الأتومولى أخذت الكتابة الهيروغلوفية المذكورة سابقا - صورة مختصرة غير الهيراطيقية أطلقوا عليها اسم ( الديموطيقية ) وظلت فى السودان كما هو الحال فى مصر لغة كتابة طوال العصور الصاوية واليونانية والرومانية (٢١١) .

هذا وقد استعان ملوك السودان بالأسماخ أو الأتومولى المذكورين فألحقوهم بجيش البلاد ليردوا لهم ما كان لأسلافهم فى بلادهم من مكانة سلبها منهم اليونانيون .. على أن السودان لم يلبث أن غزا مصر بهؤلاء المهاجرين وبغيرهم من السودانيين وذلك فى سنة ٥٩١ ق . م إبان عهد بسامتيك الثانى ثالث ملوك الدولة المصرية السادسة والعشرين (٢١٤) .

**ز / اللغة المرَوية :**

**ح/ اللغة القبطية :** وكانت قد شاعت هذه اللغة بالسودان إبان العصر النصرانى وعلى الأخص بعد أن عظم الاتصال بين النوبة والإسكندرية حتى أنه ليروى أن مطارنة النوبة كانوا يفدون إلى السودان من الإسكندرية بعد أن ينصبهم لهذا الغرض بطريرك الأقباط .. هذا وكانت اللغة القبطية المذكورة تكتب بأبجدية أخذت أربعة وعشرين حرفا من الأبجدية اليونانية وسبعة أحرف من الخط الديموطيقى (٢١٣)

**ط/ لغة البجة أو اللغة البشارية :**

وهى لغة كوشية كانت تنتشر على ساحل البحر الأحمر فى المنطقة الشمالية الشرقية من السودان ، على أن دائرة انتشارها حاليا قد انحسرت بعد أن عمت اللغة العربية كل أجزاء السودان بحدوده الحالية .

---

٢١٠ - جغرافية وتاريخ السودان لشقير ص ٣٢٣

٢١١ - الفصائل اللغوية ص ١٦ وتاريخ السودان لمندور ص ٥٠

٢١٢ - جغرافية وتاريخ السودان ص ٣٢٣

٢١٣ - الفصائل اللغوية ص ١٦

### ى/ اللغة العربية :

تعد اللغة العربية (٢١٤) من حيث الخصائص الصوتية والصرفية أقرب اللغات من اللغة السامية الأم .. وكانت قد انتشرت قديما فى المنطقة التى تحد من الجنوب الشرقى بالخليج العربى ، ومن الشمال الشرقى ببلاد مابين النهرين ، ومن الجنوب الغربى بالهضبة الحبشية ، ومن الشمال الغربى بالبحر الأبيض المتوسط وامتدت شمالا على مدى عدة قرون إلى الأندلس فى عهد الدولة الإسلامية بها .

**هذا وتنقسم اللغات السامية إلى :**

**١/ السامية الشرقية :** وهو مصطلح يطلق فى إطار التقسيم الجغرافى للغات السامية على اللغه الأكِديّة ؛وهى كما ورد لغة العراق القديمة وكانت كتابتها بالأحرف المخروطية الشكل مقطعية وليست أبجدية .

**٢/ السامية الغربية :** وهى مصطلح يُطلق فى إطار التقسيم الجغرافى على اللغات السامية التى انتشرت فى الشام والجزيرة العربية والحبشة .

**٣/ السامية الشمالية .**

**٤/ السامية الجنوبية :**

ومنطقة انتشارها قديما شبه الجزيرة العربية شمالها وجنوبها والحبشة . فى إطار هذه اللغة السامية الجنوبية نشأت اللغة العربية .. والأخيرة تسمية عامة تشتمل على كل مستويات اللغة العربية من النقوش القديمة والشعر الجاهلى والقرآن الكريم والحديث الشريف ولغة الآداب والعلوم واللهجات فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية إلى العصر الحديث علما بأنه وفى داخل العربية المذكورة مراحل تأريخية متعددة ومستويات لغوية شتى ، ويستخدم الباحثون لوصفها مصطلحات مختلفة مثل :

٢١٤ - بالرغم من أن اللغة العربية أقدم تأريخيا من اللغتين الكنعانية والآرامية وبالرغم من أن اللغات الثلاثة المذكورة كانت تستخدم لدى مجتمعات مختلفة فى غرب شبه الجزيرة العربية - إلا أنه من المرجح أن اللغة الكنعانية ( التى تمثل اللغة العبرية لهجة من لهجاتها ) كانت قد ماتت أو كادت فى سنة ٥٠٠ ق . م وحلت محلها اللغة الآرامية فأصبحت فى ظل حكم الاخمينيين لغة الإدارة فى أنحاء الإمبراطورية الفارسية واللغة المشتركة لمنطقة الشرق الأدنى .. هذا وبحلول القرون الأولى لميلاد سيدنا المسيح عليه السلام - كانت اللغة العربية وهى أصلاً لغة القبائل الرعوية للبادية الشامية العربية وكذلك فى أجزاء من العراق والشام غير تاركةٍ سوى جيوب صغيرة من المتكلمين بالآرامية فى هاتين المنطقتين الأخيرتين فى القرن السابع أو الثامن للميلاد ( راجع التوراة ) .

أ/ العربية الفصحى .

ب/ العربية المولّدة .

ج/ العربية المعاصرة .

د/ اللهجات العربية .

ولما كانت اللغة العربية لغة أصيلة بالسودان ، انتشرت بين أهله في نفس الوقت الذي انتشرت فيه بين سكان شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية (٢١٥) فقد كان من الطبيعي أن يتحدث بها عامة المواطنين وخاصتهم ، بل وأن يستخدموا اللغة الفصحى منها بكفاءة تجلّت مظاهرها فيما يلي :

١/ **مكنتهم** من أن يفهموا ويتأثروا بالدعوة الإسلامية التي شرحها لخاصتهم وعَبْرهم لعامتهم سيِّدناجعفر بن أبي طالب .

٢/ **مكنتهم** من أن يفهموا ويُقدِّروا ويستجيبوا لخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم .

٣/**مكنتهم** من أن يتعاملوا تجاريا مع جيرانهم في الشرق .

٤/ **مكنت** بعض النصارى من أن يؤثِّروا على عُبَيْد الله بن جحش فيرتدّ – والعياذ بالله – عن الإسلام .

٥/ **مكنتهم** مِنْ أن يتعاملوا مع من هاجر إلى بلادهم من الصحابة .

٦/ **مكنتهم** من أن يستجيبوا لعمرو بن أمية بن خُويلد الضّمري مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم للنجاشي فيردوا معه المسلمين على ظهر سفينتين خصّصها لهذا الغرض .

٧/ **مكنتهم** من أن يستمعوا ويستهجنوا دعوة عبد الله بن ربيعة مبعوث المشركين للإيقاع بالمسلمين ، مما جعله يرجع هو وصحبه خائبَيْن .

٨/ **مكنت** النجاشي من أن يُقنع عمرو بن العاص بالدعوة الإسلامية فيسلم على يديه .

٩/ مكّنت الأفراد والجماعات من أن يهاجروا طلبا للاستقرار النهائي أو المؤقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠/ مكّنت أسرا كاملة من أن تستقر حتى قبل ظهور الإسلام بمكة وغيرها من بلاد العرب .

***حسن الفاتح قريب الله***

عضو المجمع المراسل

من السودان

٢١٥ – الفصائل اللغوية للأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي ص ١١/١٢

# الأعلام الجغرافية والأمم المتحدة ★

للأستاذ الدكتور عبد الهادى التازى

لا يمكن لأى مشروع تنموى - كيفما كان شكله وحجمه - أن يتم دون أن تكون هناك خريطة تحدد موقع المشروع كخطوة أولى لمعرفة حظوظ نجاحه ، ولن تكون الخريطة قائمة إلا باشتمالها على عدد من الأعلام الجغرافية التى من شأنها أن تساعد على ضبط مكان المشروع وتحديد آفاقه .

وحتى يكون هناك ضبط للخريطة وللعلم الجغرافى يسهّل على الخبراء فى مختلف جهات العالم ، أن يلتقوا فيه على مائدة واحدةٍ ويتحدثوا بلسانٍ واحد ومصطلحٍ واحد ، فكرت الأمم المتحدة فى أن تعهد إلى المجلس الاقتصادى والاجتماعى ( ECOSOC ) بإنشاء مؤتمر عالمى مفتوح بصفة مستمرة يُعنَى بالخرائط ويضبط العَلَم الجغرافى ليس فقط لأن ذلك وسيلة فعالة من وسائل التنمية . وليس فقط لأنه وسيلة فعالة من وسائل التقارب بين الأمم ، ولكن لأن العَلَم الجغرافى تراث من حق كل بلد ، بل ومن واجبها كذلك أن تحتفظ به وتنطق به كما هو عندها . ومن حقها أن تفرض على الأمم المتحدة نفسها طريقة النطق بذلك العلم وطريقة كتابته على سائر الخرائط التى تروج فى العالم كله . .

وإن الدور الهام الذى تقوم به الخريطة فى عالمنا الحاضر بما تجدد فيه من تطورات ، وماعرفه من تغيّرات . كلّ ذلك يكوّن تحدياتٍ جديدة للمهتمين بالخريطة وبالتالى للمهتمين بالعلم الجغرافى حتى نسهل الاتصالات وحتى نتجنب الأخطاء التى حرص أسلافنا على تلافيها فى العلم الجغرافى الذى كان تحريفه عندهم بمثابة تحريفِ نصٍ مقدس !!

نحن نعلم أن السبب فى تأليف ياقوت الحموى لموسوعته العظيمة : ( معجم البلدان ) إنما كان ضبطَ علم جغرافى ورد فى حديث نبوى شريف ، فلقد كان ياقوت بمرو الشاه خان ، فى مجلس يناقش موضوعَ أسواق العرب فى الجاهلية وضبطِ كلمة ( حُبَاشة ) حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتجر لحساب السيدة خديجة ، فرأى ياقوت أنها بضم الحاء، ورأى أحدهم أنها بفتح الحاء ، فاندفع ياقوت يبحث عن نصوص تؤيد ما ذهب إليه وطال بحثه حتى وقع على مايؤيد رأيه ، ومن هنا جاء تفكيره فى وضع موسوعة تحتوى على 12.953 فقرة تضبط أسماء البلدان على ما يقوله هو فى المقدمة مغتنما هذه الفرصة ليردّ

---

★ ألقى هذا البحث فى الجلسة الحادية عشرة من مؤتمر المجمع بتاريخ ٥ من ذى القعدة سنة ١٤١٥هـ الموافق ٥ من أبريل ( نيسان ) سنة ١٩٩٥م .

وهنا أذكر أننا . نحن المجموعة العربية فى المؤتمر - دائماً نصطدم بأنَّ الأخوة العرب لا يتفقون على طريقةٍ واحدةٍ على نحو ما تتفق عليه المجموعات الأخرى المهتمة - كما أشرنا - بأمر الحرف الروسى والحرف اليونانى .. لماذا لَمْ نتفق ؟ لأن كل واحد يريد أن يجر النار إلى قُرْصه كما يقول التعبير العربى .. بعضنا متأثر بما خلفه فيه الاستعمار الإنجليزى وبعضنا متأثر بما خلفه الاستعمار الفرنسى ، وأنتم تعلمون أن أمامنا فى المؤتمر العالمى ثلاثَ مشروعات :

١ - المشروع الذى يُعرف بمشروع بيروت المعدّل .

٢ - المشروع الشهير الذى تتبعه إلى اليوم الموسوعة الإسلامية .

٣ - المشروع الأخير المعروض للمصادقة .

وإذا كنا قد اتفقنا على معظم الحروف فإن هناك نقاطًا لا تزال محل خلاف ( صورة من الجدول ) .

**أولاً** - الجيم : الموسوعة تكتبها كذا DJ ونحن نتجنب حرف D ونكتفى بـ : J

**ثانياً** - الظاء : الموسوعة الإسلامية تكتبها Ẕ ونحن نتجنب حرف Z ونكتبها : D̲

**ثالثاً** - القاف : الموسوعة تكتبها K ونحن نكتبها : Q

وإلى جانب هذا يهتم المؤتمر العالمى بالطريقة المثلى التى تمكن من أداء الحرف اللاتينى بالحرف العربى ، أعنى الطريقة التى يقع عليها الاتفاق من سائر الدول العربية - وهنا نلاحظ أيضاً ومع الأسف - أن البلاد العربية منقسمة على نفسها حول هذا الموضوع ، وهكذا نجد إخواننا فى مصر ينطقون حرف الكاف المعقودة جيما ، مثلاً : (دوكول) يكتب فى المطبوعات المصرية (دوجول) ، و(كيب) يصبح (جيب) و(بيكوفيتش) يُسمى (بيجوفيتش) ، بينما إخواننا فى سوريا يؤدون حرف ( ك ) بالغين ، فيقولون (دوغول) ، و(غيب) أو (بيغوفيتس) ، بينما يكتبه المغاربة على أشكال أخرى .

وفى إطار التوصية التى صدرت عن الدورة السابعة عشرة للخبراء العالميين المنعقدة فى نيويورك ( على ما أسلفنا ) تم تأليف لجنةٍ خاصة لإعداد الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على إنشاء المؤتمر العالمى المذكور . وقد كان فى صدر ما فكرت فيه هذه اللجنة من تظاهراتٍ ثقافية تخصيص يومٍ فى السنة لتحسيس الجمهور بأهمية العلم الجغرافى ... وكان مما تقرر

من توصيات كذلك تكريم الرحالة المغربي الكبير أبي عبد الله محمد بن بطوطة الطنجي باعتباره أحد الروّاد المواقعيين ( الطُوبُونيمِسط ) الذين أسهموا بصفةٍ فعالة في الحفاظ على العَلَم الجغرافي صيانةً وإنقاذاً من التحريف والتزييف .

فعلاً كان ابن بطوطة من الأوائل - إن لم يكن هو الأول - الذين حرصوا على أن يَشْكُلوا العلم الجغرافي بالتحريكات والتسكينات الموصوفة ، أي إنه عندما يورد العَلَم سواء كان في المشرق أو المغرب يُحركه ، وجدناه مثلاً عندما يذكر مدينة ( بَيْوَم قُطْلُوا ) يشكلها قائلاً :إنها بباء موحدة مفتوحة وياء ساكنة وواو مفتوحة وميم ، وقاف مضمومة وطاء مسكنة ولام مضمومة وواو .

وقد أكبر زملاؤنا في هذا المؤتمر العالمي من بلاد الصين الذين حرص ابن بطوطة على ذلك النوع من الضبط مؤكدين أنه يدل على أن ابن بطوطة زار الصين فعلاً خلافًا لما أشاعه بعض المستشرقين الذين أنكروا أن يكون ابن بطوطة وضع قدمه في الصين ! لمجرد أنه استعصى عليه تحديد موقع عَلَمٍ من الأعلام .

أريد القول : إن الخبراء الجغرافيين تنبهوا للمعروف والجميل الذي قدمه الرحالة المغربي للعَلَم الجغرافي الذي لولا صنيعُه ذاك في العصور الوسطى لضاعت علينا طريقة النطق الصحيح بعددٍ كبيرٍ من الأعلام الجغرافية .

وقد كان مما يهتم به المؤتمر العالمي للأسماء الجغرافية الطريقة المثلى لتلقي العلم الجغرافي من سكان المناطق التي نلتقط فيها هذا العَلَم .. فعلاوةً على المصادر التاريخية التي نستقي منها العَلَم الجغرافي سواء أكانت هذه المصادر نثراً أم شعراً ، وعلاوةً على التآليف الجغرافية المخصصة للمواقع الجغرافية ، علاوةً على كلّ ذلك فإن المصادر الشفوية لها أثرها على مصداقية الحديث عن الأعلام الجغرافية تمامًا على نحو ماكان أسلافنا من أمثال ياقوت الحموي والشريف الإدريسي يتلقون هذه الأسماء من سكان النواحي ...

وقد حرص المؤتمر العالمي لتنميط الأعلام الجغرافية على الحصول على أكبر ما يمكن من مصطلحاتٍ جغرافية تتفق عليها المجامع والأكاديميات في كل جهات العالم ، وعندما كنا نتحدث للخبراء هناك عن جهد مجمعنا هنا في القاهرة وعما يقوم به من أعمال كنّا نتلقى مختلف الإشادات وموفور التهاني .

ولابد أن أذكر هنا أن أعمال المؤتمر لا تقتصر على الأعلام الجغرافية على وجه البسيطة ولكنها تتجاوزها إلى ابتكار أعلام تحتاجها التطورات التى ظهرت على الساحة العلمية، تحتاجها فى بطون البحار عندما أصبحنا نرى ونسمع عن رواد البحار الذين يقدمون لنا عبر التلفاز ، تقاريرهم عما يوجد تحت الماء ....

المؤتمر العالمى يطلب إلى أعضائه أن يساعدوه على تقديم أسماء وابتكار أعلام لتلك العوالم التى نكتشفها يومًا عن يوم .

وعلى نحو ما نقوله عن جوف البحار نقوله كذلك عن الفضاء الذى أصبح مغزوًا من لدن العلماء حيث أصبحنا نشاهد نزول الإنسان على سطح القمر .

وهكذا فإن المؤتمر العالمى للأعلام الجغرافية تجاوز أيضًا عالم الأرضين ليطلب إلى المجموعة العربية أن ترشح له أسماءً لعلماء أعلام ، يطلقها على مناطق القمر حتى تصبح مصطلحاتٍ يستعملها رواد الفضاء .

تلك طموحات المؤتمر الدولى الذى اشترك فى أعمال خبرائه ، السنة الماضية - كما قلنا - 160 مُمثلاً وملاحظًا عن ستٍّ وستين دولة من دول العالم وست مؤسسات متخصصة ومنظماتٍ غير حكومية وثلاث منظمات علمية دولية ..

والإجماع من كلّ هؤلاء على ضرورة أنْ تنشئ كل دولة لجنة أو هيئة تتألف من المؤرخين والجغرافيين والاجتماعيين تنكب على جمع وضبط الأعلام الجغرافية الموجودة بها على أساس خريطة مدققة تعتمد على مقياس لايقل عن 1/50000.

ومن المهم أن أذكر أن بعض الدول الغربية ( بالْغَين ) ماضية فى طريقها لجرد سائر أعلامها الجغرافية (كانادا) مثلاً تسير فى مسح كل أراضيها - على سعتها - لإعداد سجلاتٍ تضبط الأعلام بمساحتها ومعناها .. وعندما ينتهى العلماء الجغرافيون إلى الحقيقة النهائية حول علم من الأعلام تتخذ الحكومة - على أعلى مستوى - قراراً باعتماد وتزكية ما وصل إليه علماؤها فى الجغرافية ، ومن ثمت فإنه لا يجوز لأية سلطةٍ ولا جهةٍ أن تتصرف فى ذلك العَلَم تبديلاً أو تحريفاً ، وهم يعتبرون أن أى تغيير يلحق بذلك العَلَم يعتبر عدوانًا على التراث يُتابع صاحبه ...!

وفى مقابلة هذا نجد أننا ، فى عالمنا العربى الزاخر بكل المعطيات ، مقصّرون أوّلا فى إعداد السجلات وفى تدقيق النشرات الجغرافية التى تتعلق بكل دولة ؛ فإننا قد نقرأ أو نسمع عن اسمٍ جغرافى يُنطق به محـرّفًا

فى وسائل إعلامنا : « إذاعة ، تلفزة ، صحافة » ، ولا نقوم بواجبنا فى تصحيح الخطأ والعودة إلى الصواب ولا نقوم بواجبنا فى تحسيس الجمهور بأهمية العلم الجغرافى : مَن أملاه علينا ؟ وما معناه ؟ وكيف تطور النطق به ؟ وهل هو من أصل عربى أو من أصل آخر ؟ وكيف يضبط ويشكل ؟

لا يوجد فى الجهات الأخرى مؤلّف على نحو رحلة الرحّالة ابن بطوطة التى اهتمت بضبط الأعلام الجغرافية حرفًا حرفًا ، تلك الرحلة التى يُنعت صاحبها اليوم من لدن علماء الغرب على أنه أعظم رحالةٍ فى تاريخ البشرية جمعاء .

ولقط طلعت علينا المجلة الأمريكية الشهيرة ( NATIONAL GEOGRAPHIC ) فى عددها : دجنبر 1991 ببحثٍ مخصصٍ للرَحّالة ابن بطوطة رصدت أموالاً طائلة لفريق علمى يقوده السيد طوماس أبير كرومبى ) ( Thomas j ABERCROMBIE ) الذى قام مع فريقه بتتبع خطوات ابن بطوطة ابتداء من مدينة طنجة إلى طايوان .. مرحلة مرحلة .. وصدر عنه تقرير كان من أمتع التقارير التى طالعتنا بها المجلة المذكورة فى خمسين صفحة .

وقد كان نصيبنا ، نحن العرب ، من هذه الدراسة أننا قمنا فى إحدى مجلاتنا بترجمة بعض فصولها ترجمة مُبتسرة غفلت عن الكثير من الأهداف التى توخاها التقرير القيم .

ومن هنا نرى أنه أصبح لزاما علينا أن نجند ناشئتنا وسائر أطرنا فى التعليم الجامعى خاصة ، لكى يخصصوا ندوات لهم حول هذه الأعلام الجغرافية فى مناطقهم وأقاليمهم ، كما يجب أن نجند وسائل أعلامنا على تقديم تعليقات عن الأماكن الجغرافية التى نقلت عن أسلافنا فى العالم العربى والإسلامى ..

أيها الزملاء الأعزاء :

إنى لم أقل كل شيء عن المؤتمر العالمى للأعلام الجغرافية . لقد كان علىّ أن أتحدث عن لائحته الداخلية .. وكان علىّ أن استعرض أمامكم أعمال لجانه الثلاثة .

- اللجنة التى تهتم بالمناهج المتبعة داخل كل دولة لإنجاح الغرض .
- اللجنة التقنية التى تهتم بوسائل ضبط الأعلام .
- اللجنة المهتمة بالمناهج الدولية .

ويحرص المؤتمر العام للأمم المتحدة على أن يظل يقظًا ومتنبهًا لكل التوصيات التى

تقتضيها الظروف أو يُمليها الواقع ، وهكذا وجدناه يوصى بإنشاء قسم يختص بالأعلام الجغرافية الواقعة فى جنوب إفريقيا كما ينشئ قسمًا لأوربا الشرقية وشمال آسيا ...

كما نجده يعيد النظر فى تركيبة قسم أمريكا اللاتينية . وبين يدى المؤتمر الآن قضية إسرائيل التى كانت ضمن مجموعة إيران التى ترفض اليوم أن تكون مع إسرائيل نظراً لكون اللغة لا تجمع بينهما ، واقترحت إحدى الدول أن تنضم إسرائيل إلى المجموعة العربية التى تملصت بدورها من أن تكون إسرائيل ضمن مجموعتها ، الأمر الذى دعا الأمم المتحدة إلى إنشاء قسم خاص بالدولة العبرية ... !

والمؤتمر يظل مفتوح الأبواب لكل تغيير يقع فى بلاد مَا لعلم جغرافى .. ولو كان اسم دولةٍ أو اسم عاصمةٍ حتى يأخذ المؤتمر ذلك بعين الاعتبار . والمقرر أن يتم عقد المؤتمر السابع فى طهران بعد سنتين من هذا التاريخ .

والذى أريد أن أختم به حديثى المقتضب هذا أن تنصبَّ توصياتنا فى هذه الدورة الواحدة والستين من دورات مجمع اللغة العربية على الاهتمام بالعَلَم الجغرافى فى الدول العربية ستكون هذه التوصية إسهامًا جاداً فى تحديد هوية كل دولة عربية بما تشتمل عليه من قبائلَ وعشائرَ وما تحتوى عليه هذه القبائلُ والعشائر من مواقع جغرافية لها دون شك تاريخٌ يُروى ومن شأنه أن يساعد على معرفة الذاتية العربية .

وأرجو أن يكون من بين التوصيات إنشاء خلايا فى الشُّعب الجغرافية بمختلف الجامعات العلمية بكل البلاد العربية ، خلايا تشتغل على إعداد لوائح للأعلام الجغرافية الموجودة فى بلادها ، فليس من المعقول أبداً أن نجد اسمًا لموقعٍ جغرافى فى الجزيرة العربية مثلاً مرَّ به بالأمس رحالة من رحالاتنا وضبطه بالاسم والنعت ثم إننا نعجز اليوم عن أن نجد له أثراً .

ولابد أن ندعو إلى تشجيع كلّ الدراسات التى تهتم بالفكر الجغرافى لدى العرب ، ونعنى بصفة خاصة بالعَلَم الجغرافى . وإنى لأذهب أكثر من هذا إلى ضرورة ربط مجمعنا صلته بسائر المجامع والأكاديميات فى العالم لتوحيد الجهود مع كل تلك المؤسسات من أجل إبراز أهمية التعريف بالعَلَم الجغرافى وأهميته فى الحديث عن الهُوية العربية .

**عبد الهادى التازى**

عضو المجمع من المغرب

# بعض الأعلام الجغرافية المشهورة ★

للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

**من هذه الأعلام الحبشة :**

( ١ ) فى كتاب المسعودى مروج الذهب أنَّ بلاد الحبشة حارة يابسة وأن مبدأها من أرض الجنادل جنوب أسوان .

وهذا النصف يصدق على بلدنا السودان .

وفى كتاب هيرودتس ( The Hiorories ) المترجم عنه إلى الإنجليزية أن مبدأ إثيوبيا من عند جزيرة الفيل بأسوان وأن عاصمة إثيوبيا مروى .

ومروى المعروفة بهذا الاسم عند الشلال الرابع من نهر النيل فى الشاطئ الأيسر منه . بإزاء كريمة التى هى إحدى نهايات الخطوط الحديدية السودانية وبالقرب منها جبل البركل وفى ناحية آثار قديمة ، ولكن هيرودتس لم يعن مروى هذه ، وإنما عنى المكان الذى يعرف باسم البجراوية بالقرب من بلدة كبوشية شمالى مدينة شندى على الشاطئ الأيمن من النيل ، وفى البجراوية آثار قديمة ، من معابد ومصانع وبالقرب منها عدد كبير من الأهرام أقرب إلى حجم هرم الجزيرة الأصفر وهى من حجر الرمل وبناؤها محكم وهى حادة الانخراط يقال إنها أكبر مجموعة من الأهرام فى العالم ذكر ذلك صاحب « الممر النوبى » The nubian Corrido نقلا فيما أحسب عن سير دوجلاس نيوبلد فى رسائله وهذا قد كان السكرتير الإدارى فى السودان فى السنوات مابين أواخر الثلاثين إلى أواسط الأربعين .

وكان أحد أساتذة الآثار الوافدين علينا ممتحنين خارجيين بجامعة الخرطوم يذكر أن اسم البجراوية أقرب أن يكون هو الاسم الصحيح من اسم مروى ، وهذا ترجيح استحسانى لا تقوم به حجة ، ولعل اسم مروى المعاصرة هو أيضا اسم قديم استعير من اسم البلد التى هى أقدم منه والله أعلم .

ويزعم عزانا الحبشى ملك أكسيوم أنه غزا البجراوية أى مروى القديمة وأحرق ما كان بها من مزارع القطن .

ولا يخفى أن هذا غير القطن الذى أدخل زراعته الحكمدار ممتاز باشا فى أرض توكر فى القرن الماضى .

---

★ ألقى هذا البحث فى الجلسة الحادية عشرة من مؤتمر المجمع بتاريخ ٥ من ذى القعدة ١٤١٥ هـ الموافق ٥ من أبريل ( نيسان ) سنة ١٩٩٥ م .

وفى الموسوعة البريطانية أن القطن قد يكون أول من زرعه السبئيون ، فإن كان ملك أكسيوم من السبئيين فقد ترى أنه قد وجد منه مزارع فى أرض النيل بناحية البجراوية فأهلها أولى بأن ينسب إليهم أول التوسع فى زراعة القطن .

٢ - هذا ، وفى كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى فى طيبة القطرية - أن الحبشة الوسطى مبدؤها من عيذاب جنوب مصر ونهايتها باضع وهى شمال مصوغ ولا يخفى أن هذا هو ساحل السودان ، وقد أعاد طبعه الشيخ حمد الجاسر عالم الجزيرة وعضو المجمع جزاه الله خيراً .

٣ - وفى سيرة ابن هشام فى خبر رؤيا ربيعة ابن نصر أن أحد الكاهنين قال ، أقسم برب الحرتين من حنش ليملكن أرضكم الحبش، والآخر قال أقسم بما بين الحرتين من إنسان ليملكن أرضكم السودان .

فالحبش والسودان كأنهما مترادفان .

والحبشة وإثيوبيا كأنهما مترادفتان .

ويقال إن معنى إثيوبيا بلاد السودان . ويذكر بعض علماء الآثار أنه يجوز أن يكون من معانى إثيوبيا ( بلاد الطيب ) .

ويوجد اسم ثيبا أو طيبا فى بلاد السودان وفى مصر وفى بلاد اليونان، فكأنه يدل على البلاد التى يجلب منها أو إليها الطيب .

وفى السودان أخشاب طيب كثيرة - منها الشاف وهو ضرب من الطلاح والكليت والهبيل وأصناف أخرى ، وعادة الدخان معروفة فى السودان وهو نوع من الحمام الساخن يكون أحيانا علاجا من الرطوبة وأكثر ما تستعمله النساء لتجميل البشرة . وفى أشعار العرب ذكر نيران توقدها النساء ، **قال الشماخ** :

رأيت وقد أتت بخران دونى
وحالت دون أرحلنا الدير
لليلى بالبويرة ضوء نار
تلوح كأنها الشعرى العبور

وفى المعلقات أنها توقد بالعود ، **قال اليشكرى** .

أوقدتها بشخصين بعود كما يلوح الضياء

**وقال العبادى :**

ياسليمى أوقدى النارا
إن من تهوين قد حارا
رب نار بت أرمقها
تعضم الهندى والفارا
وبها ظبى يؤهجها
عاقد بالخصر زنارا

**وقال كثير :**

وماروضة بالحزن باكرها الندى
يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا

إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

وقد تكون تلك النار توقد بأخشاب دون الصندل والمندل فى الطيب فيجعلها الشعراء صندلا ومندلا على سبيل التزيد والمبالغة كمزعمهم أنهم أبدا على ظهر ناقة أو بعير وقد لا يكون مركب الشاعر إلا قدميه أو حمارا ، وقلما يذكر الحمار فى الشعر مُفْتَخَرًا به مع أنه قد كان من أكثر مراكب العرب . قال تعالى : «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة» .

وقال تعالى : «وانظر إلى حمارك» . وقال تعالى : « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »

٤ - ومما يدل على أن الدخان كان معروفا من عادات الطيب عند العرب قول الآخر وهو فى ديوان الحماسة :

آليت لا أدفن قتلاكم

فدفنوا المرء وسرباله

٥ - وفى سيرة ابن هشام وهو أيضافى الحديث الشريف مروى عن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها أن النجاشى حاربه نجاشى آخر وكان بينهما عرض النيل وأن سيدنا الزبير بن العوام نفخت له قربة فعام ثم عاد وأخبر سيدنا جعفرا وأصحابه أن نجاشيهم قد انتصر على خصمه . وهذا الخبر يدل على أن الحبشة التى أمها الصحابة فيها نيل يعام ، وحبشة أكسيوم أنهارها سريعة الجريان رهيبة لا يقدم أحد على السباحة فيها وهى تمر بأيىّ جارف ، ومنطقة أديس أبابا لم تدخل فى ملك الدولة الإثيوبية الحديثة إلا فى أيام منليك أو قبله بقليل .

٦ - لا يزال المزورون بالمدينة يعرفون أهل السودان باسم الحبش وعلى ذلك الكتاب الموسوم باسم الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش . وبحسبنا هذا القدر عن العلم الجغرافى ( الحبشة ) .

**أدوليس :**

فرضة على البحر فى ناحية مابين مصوع وحلايب فى الزمان القديم ونجدها فى الخرائط القديمة أحيانا أقرب إلى موضع مصوع وأحيانا أقرب إلى موضع سواكن ، وهى من فرضات الفراعنة القدماء .

قال الشاعر وهو طرفة بن العبد :

عدولية أو من سفين ابن يامن

يجور بها الملاح طورا ويهتدى

وعند الشراح أن العدولية هى السفينة العظيمة . وبذلك فسروا هذا الحرف فى شعر أبى دؤاد .

وعندى أن عدولية هنا منسوبة إلى عدولة وهى أدوليس بالنطق العجمى من طريق البطالسة

أو نحوهم من الروم أو الإفرنج .

وهذا الحدس مما يرجحه قول « ابن يامن » فدل على أنها سفن تمخر فى البحر متاجرة ببضائع ابن يامن هذا وملاحيه ، وابن بلاريب « بنيامين » فهو تاجر يهودى . وهذا الاسم عينه ذكره امرؤ القيس حيث قال يذكر تمراً وبساتين بناحية المشقر :

حمته بنو الربداء من آل يامن
بأسيافها حتى أقر وأوقرا

فذكر آل يامن كما ترى . وقوله بنو الربداء يوقف عنده - قال الآخر :

أسد علّى وفى الحروب نعامة
ربداء تنفر من صفير الصافر

ولون الربدة يضرب إلى السواد .

قالوا وكان بنو عامر يغلب عليهم لون السواد ومنهم أربد الذى أصابته الصاعقة وهو أخو لبيد الشاعر لأمه ، فهل كان هذا لقباله ؟

وإن كان بنو يامن الذين ذكرهم طرفة وامرؤ القيس يهودا سودا فهل هم من الفلاشة أى اليهود السود ؟

ويقال إن هؤلاء من نسل سيدنا موسى لأن سيدنا موسى كانت له زوجة إثيوبية كما فى سفر السدد من التوراة ، فهل أخطأ الشاعران فنسبا بنى موسى عليه السلام إلى بنيامين عليه السلام ؟ الله أعلم .

**علوة :**

ذكرت الدكتورة الأديبة العالمة فى تحقيقها لرسالة الغفران عند قول المعرى فى سِينيَّتِه التى أوردها على لسان الجن :

تحملنا فى الجنح خيل لها
أجنحة ليست كخيل الأنيس
تقطع من علوة فى ليلها
إلى قرى شاس بسير هميس

أنها لم تجد علوة فى المراجع .

وهذا عجب ، فعلوة اسم معروف فى تأريخ الحبشة القديم أنها اسم للإقليم الذى عاصمته « سوبا » أو « سبا » كما ينطقها بعضهم ، وقد انقسمت دولة البجراوية القديمة إلى طائفتين إحداهما عاصمتها دنقلة العجوز شمالى الشلال الرابع وتسمى « المقرة » ويختلفون فى نطقها فيقال المَقرَّة والمُقْرَة وعندى أن الوجه الثانى أرجح لأن كلمة المُقر مستعملة إلى الآن ويُعْنى بها مكان تجمع الماء وهو حق الزراعة ، وأحسب أن جزيرة مقرات اشتقاق معناها من هذا . لأن الماء حولها كالحوض ، وأصل الكلمة عربى أو مشترك بين البجراوى القديم والكوشى والعربى ، وقال امرؤ القيس .

فتوضح فالمقرات لم يعف رسمها
لما نسجته من جنوب وشمأل .

وقال أبو تمام :

ولو كان يغنى الشعر أفناه سافرت

حيا ضك منه فى العصور الذواهب

هذا والطائفة الأخرى عاصمتها سوبا وهى مملكة علوة ولعلها سميت بهذا لوقوعها فى أعالٍ من حوض النيل وأحسب المعرى يشير إلى شيء من هذا فى قوله :

وما قام فى عليا زغاوة منذر

فكيف لجسم ينتجين إلى بقع

وهو بهذا ينكر أن يكون قد قام فى الحبشة نبىٌ ، رداً بذلك على من قال بنبوة لقمان الحكيم وقد قيل إنه حبشى وزعم بعض المفكرين أنه كان عبداً لداود عليه السلام واحتج ابن كثير بأن العبودية تمنع أن يكون نبيا وغفل عن أن يوسف عليه السلام وهو نبى « شروه بثمن بخس دراهم معدودة » والله أعلم .

**سوبا - سبا -**

موضع بالسودان بالقرب من الخرطوم - هل له صلة بسبأ الأقدمين ،إن يك ذلك فلعل هذه الكتابة التى أعيت قراءتها علماء الآثار على برابى أهل البجراوية . وملوكهم القدماء من أصل سابق للسبئية ومنه اشتق الخط المسمارى .

وفى الكتاب المقدس « شيبا » وفى ناحية البركل موضع يقال له « شيبا » ومن أسماء الكتاب المقدس « بت شيبا » وهى التى يزعمون أنه رآها نبى الله داود « وخر راكعًا وأناب » كما فى سورة «ص» لا كما يزعمون من أنه تابع فيها هواه فهو نبى معصوم وهذا عندنا من التحريف الفاسد كما لا يخفى . وهل وقع خلط عند رواة الكتاب المقدس بين « بت شيبا » هذه وبين بلقيس فهى بنت سبأ ؟ وهل وقع خلط عندهم بين سليمان وداود فجعلوا بزعمهم أن سليمان عليه السلام ابن « بت شيبا » وما كانت إلا زوجته إن استفيد هذا المعنى من قولها : «وأسلمت مع سليمان » ومن الذى يذكره المفسرون من أمر شعر ساقيها واستعمالها النورة لإزالته - الله أعلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

**الدكتور عبد الله الطيب**

عضو المجمع من السودان

# طائفة من « الأعلام الجغرافية » في العراق

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائى

لقد اخترت من الأعلام الجغرافية فى العراق طائفة منها ذات الفائدة اللغوية والتاريخية ، وقد استبعدت منها الأعلام التى كثر درسها فعُرِفت فى الموسوعات التاريخية ودوائر المعارف مثل « بغداد » . ولم أذكر من هذه « الأعلام » التاريخية إلا ما بقى معروفًا فى عصرنا فى تنظيمات العراق الإدارية .

وأبدأ هذه « الطائفة » بمدينة كردية عُرفت فى التاريخ الإسلامى ووردت فى الأخبار هى :

**١ - إِرْبِل :**

قال أهل البلدان ومنهم ياقوت فى «معجم البلدان» :

إِرْبِل : وزان «إِثْمِد» ، ولايجوز فتح الهمزة .

أقول : هذا هو ضبط هذه الحاضرة فى التاريخ القديم ، ولكنها الآن « أَربيل» وزان «أفعيل» وليس فى العربية شىء من هذا .

وهى من «المحافظات الكردية» فى شمالى العراق ، وفيها جامعة للآداب والعلوم . وهى فى الألسن الدارجة قبل عدّة عقود من السنين «أرويل » بالواو دون الباء ، وهذا شىء من الإبدال يعرض للألسن الدارجة .

**جاء فى « معجم البلدان » :**

إِرْبِل : قلعة حصينة ومدينة كبيرة فى فضاء من الأرض واسع بسيط ، ولقلعتها خندق .

أقول : وهى فى حاضرنا مدينة فسيحة فى فضاء من الأرض قد تخلىّ عن القلعة التى لم يبق منها إلا معالم دارسة .

---

ألقى هذا البحث فى الجلسة الثانية عشرة من مؤتمر المجمع بتاريخ ٩ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٩ من أبريل ( نيسان ) سنة ١٩٩٥ م

وقد نُسب إليها جماعة من أهل العلم والحديث منهم أبو أحمد القاسم بن المظفَّر الشهر زوري الشيباني الإربلي .

وقد صنّف في « تاريخ إربل » ابن المستوفي كتابه الشهير . وقد طبع هذا في العراق وكان من مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام منذ ما يقرب من ربع قرن ، حققه وقدّم له الأستاذ الدكتور سامي الصقّار .

ومن المفيد أن أشير إلى ما قاله في «إربل» أنوشروان البغدادي المعروف بـ «شيطان العراق الضرير» .

تبًّا لشيطاني وماسَوَّلا
لأنّه أنزلني « إربلا »
نزلتُها في يوم نَحْسٍ فما
شككتُ أني نازل «كربلا»

أقول : و«كربلا» في البيت الثاني هي « كربك » المدينة التي شهدت معركة الطَّفّ ، وقُتل فيها أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وسيأتي الكلام عنها.

**٢ - الإسكندرية :**

بليدة صغيرة من «محافظة بابل» .

قال ياقوت : قرية على دجلة بإزاء الجامدة بينها وبين واسط خمسة عشرفرسخاً .

أقول : هي في عصرنا على غير ماذكره ياقوت من كونها على دجلة ؛ لأنها كما أشرنا من «محافظة بابل» فهي على الفرات .

أقول : لعلَّ الذي ذكره ياقوت هو قرية على دجلة ذهبت معالمها ، فجدّت في عصرنا قرية أخرى على الفرات ، أو قد نحمل ذلك على سهو من ياقوت على ما عُرف من ضبطه والتزامه .

وليس لنا من علم في سبب التسمية ونسبتها إلى الإسكندر المكدوني .

والذي يقوّي كون القرية على الفرات في «بابل» علمنا أن الإسكندر قد وصل إلى بابل، والتاريخ معروف .

**٣ - ألوس :**

قرية على الفرات قرب عانات والحديثة كما قال ياقوت في «معجم البلدان» .

وقد تقال بمدّ الهمزة «آلوس» ، وهي بهذا النطق في عصرنا .

قال ياقوت : وإليها يُنسب المؤيّد الألوسى الشاعر المتوفىّ سنة ٧٥٥٧ .

ذكره العماد فى «الخريدة» قسم العراق .

أقول : وقد نُسب إليها جمهرةُ من أهل العلم فى عصرنا كان منهم أبو الثناء الألوسى صاحب التفسير المشهور ، والسيد محمود شكرى الألوسى صاحب «بلوغ الأرب» ، والسيد نعمان خير الدين ، ترجم لهؤلاء الثلاثة وغيرهم الأستاذ خير الدين الزركلى فى «الأعلام» .

٤ - الأنبار :

قال ياقوت : قال أبو القاسم :

«الأنبار» : حدّ بابل ، سُمِّيَت بذلك لأنه كان يُجمَع بها أنابير الحنطة والشعير والقَت والتبن . وكان يقال لها الأهراء .

قال الأزهرى : واحد الأنبار «نبرْ» ، وجمع الجمع « أنابير» .

فتحها خالد بن الوليد سنة ١٢ للهجرة أيام الخليفة أبى بكر الصّديق - رضى الله عنه -.

أقول : و« الأنبار» فى عصرنا محافظة على الفرات الأوسط تتبعها نواحٍ عدّة وتنظيمات إدارية .

وقد نُسب إلى « الأنبار » طائفةُ كبيرة فيهم اللغويون والنحويون والمحدثون والشعراء وغيرهم . والنسبة إلى الجمع «أنبارىّ» .

ويرى الفرس أن «الأنبار» كلمة استعارها العرب وتوهّموا فى صيغتها الجمع .

جاء فى «المعجمات » الفارسية أن :

« أنبار» بمعنى «امتلاء» أو « مايبرزه الإنسان» أو مايكون من ذلك من الحيوان الذى يُتّخذ سماداً أو مخزن الغِلال والتبن والعَلَف» .

أقول : ويكاد يتفق ماجاء فى المعجمات العربية وماجاء فى المعجمات الفارسية ، وليس القطع فى الأمر ممكنًا .

وفى الألسن الدارجة تحوّل « أنبار» إلى «عَنْبَر» و «عُمْبار» بمعنى «المخزن» للبضائع والغِلال .

٥ - بابل :

جاء فى«معجم البلدان» .

بابل اسمُ ناحيةٍ فيها الكوفة والحلّة يُنسَب إليها السِّحْر ، قال تعالى : « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت» ١٠٢ سورة البقرة .

قيل : بابل العراق ، وقيل : بابل دُنبا وَنْد .

وقيل : لما حَشَرَ الله الخلائق إلى بابل بعث إليهم ريحًا فحشرتهم واجتمعوا ببابل . فقام يعرُب بن قحطان ، أوّل من تكلمً بالعربية ، ولم يزل المنادى ينادى : من فَعَل كذا وكذا فله كذا وكذا ، حتى افترقوا على اثنين وسبعين لساناً ، وانقطع الصوت ، وتبَلْبَلَت الألسن فسُمِّيت «بابل » .

أقول : انتهى ما أثبته ياقوت فى «معجمه» ولكنّنا فى هذا العصر ندرك ما وصل إليه أهل التنقيب فى الحضارات القديمة . وقد بدأ هؤلاء درسهم الجادَّ منذ أوائل القرن التاسع عشر ، فعرفوا اللغة البابلية الآشورية ، وقرأوا النقوش فى الألواح ، وعلى النصب والتماثيل ، وعرفوا شريعة حمورابى التى سبقت التاريخ المسيحى بعشرات من القرون ، واكتشفوا مكتبة آشور بانيبال . وكان من جملة ذلك فوائد تاريخية وحضارية تتجاوز هذا الذى كان للعرب مما أورده ياقوت .

ومن هذا عرفنا أن « بابل » لاصلة لها بما يعنيه المصدر « بَلبلَة » الذى يفيد التّفرّق إن « بابل » تعنى « باب إيل » أى باب الإله (١) .

ولكن العرب حرَّفوا الاسم إلى بناء «فاعل» فكان من ذلك المعنى الذى وصلوا إليه من « البلبلة » .

أقول : وقد سَمّى العرب فى حاضرهم وماضيهم ( بابل ) فى أعلام الذكور ، ولكن للنصارى من العرب اتصال بالسريانية التى عُرف فيها « بابل » فرجعوا إلى الأصل وهو «باب إيل» فكان من أعلامهم « بابيل» ، وهذه الصيغة « فاعيل » هى بناء اسم الفاعل فى هذه اللغة .

وبهذه اللغة ورد فى الأثر «قابيل وهابيل» ابنى آدَم - عليه السلام .

ومن هنا كان من أسماء النصارى «ناصيف» ، وهو لدى المسلمين «ناصف» ، وغير هذا .

و «بابل» القديمة فى عصرنا موقع أثرى يشتمل على بقايا الحفائر التى قام بها العلماء المنقبون فى القرن الماضى ثم ما كان منها فى هذا القرن . وقد شارك فى تلك الأعمال علماء من الألمان والفرنسيين والإنكليز ثم خلفهم العراقيون .

---

( ١ ) أقول : من هذا أيضاً إسرافيل ، وعزرائيل وميكائيل . و « جبرائيل » و « وجَبْر » وجَبْر ا فى العربية والسريانية تعنى « الرجل » . وكذلك فى العبرانية ( جبِر ) .

و « بابل » الحديثة اسم محافظة كبيرة مركزها الرئيسى مدينة الحلّة التى سنعرض لها. إن إطلاق اسم بابل على المحافظة بجملتها كان منذ سنين قليلة .

٦ - **باجسرا:**

قال ياقوت : باجسرا بليدة فى شرقىّ بغداد بينها وبين حلوان على عشرة فراسخ من بغداد .

خرج منها جماعة من أهل العلم والرواية منهم أبو القاسم عبد الغنى بن محمد بن خليفة الباجسراوى ، وكان صالحاً ، له شعر حسن ورغبة فى الأدب ، توفى سنة ٥٣١ هـ .

أقول : والذى نعرفه عن هذه البليدة أنها الآن « أبو جِسْره » . ولابد لنا أن نقول أن الاسم الحالى « أبوجسره » هو الاسم القديم «باجسرا » ، والعامة فى كل عصر تذهب فى الأسماء إلى شىء آخر .

إن « باجسرا » موضع قديم يحمل الأصل السريانى ، فإن « با » تعنى « بيت » ، وهذا اللفظ الذى اجتُزِئَ به عن « بيت » معروف فى أسماء المواضع والبلدان فى البلاد التى عرفت التراث الآرامى فى بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام مثل : باخمرا ، وباصيدا ، وباعشيقا ، وغيرها .

ولما عُرِّبت هذه المواضع ذهبت كلمة « با » التى هى « بيت » [1] وتحوّلت إلى حرف الباء فى صدر هذه الأسماء نحو : بعشيقه وبحمدون، وحذفت فى أسماء أخرى فقالوا صيدا وسُورا وغيرهما .

وأما الألف فى آخر هذه الأسماء فهى الألف المعروفة فى نهايات الأسماء الآرامية التى تشير إلى أداة التعريف الآرامية ثم فقدت وظيفتها هذه، وبقيت علامة فى آخر الأسماء . وقد ذهبت الألف واكتُفى بالفتحة مع هاء للتأنيث .

---

( ١ ) من المفيد أن أشير إلى أن « با » تتصدر طائفة من الأعلام اليمنية ، وهو شىء ورثته اللغة اليمنية فيما ورثته من خصائص لغوية قديمة . إن « با » هذه فى الأعلام : باحسين ، باأحمد ، بابكر وغيرها هى «أبو» ، ولكنها فى لغة اليمن لزمت الألف دائماً وهذا نجده فى الشاهد القديم .

واهًا لسلمىَ ثم واهًا واها      فليتَ عيناها لنا وفاها

إن أباها وأباها أباها      قد بَلَغا فى المجد غايتاها

والرجز شاهد أيضًا فى التزام المثنى بالألف .

ولى أن ألحق بهذا « الباء » فى الأعلام القديمة اليمنية نحو : بلحارث ، وبالهجيم ، وبَلْعَنبر وغيرها من أسماء القبائل . وهذه الباء هى اجتزاء من « تنبوُ أو بنى » .

### ٧ - باحزاني :

بليدة صغيرة في أرض جبلية من نواحي الموصل في العراق . أهلها أكراد أشداء يعتنقون «اليزيدية» مذهبًا ، وهم أهل مذهب باطني يعبدون الشيطان ، وبينهم نصارى يدل عليهم هذا الاسم للمكان « باحزاني » . إنه نظير الأسماء القديمة العراقية التي تدلّ على التأثير الآرامي ، كما أشرنا في « باجسرا » .

ولكن هذا الاسم قد خُتم بالياء على خلاف تلك الأسماء ، وهذا يعود إلى أن الآراميين السريان في بلاد العراق نساطرة لهم خصوصية لغوية فيها مجيء الياء[1] قد تقول : ولِمَ جاءت الألف في الأسماء الأخرى ؟ والجواب أن تلك الأسماء قد غلب عليها الطابع الآرامي . ولم يرد اسم « باحزاني » في معجم ياقوت .

### ٨ - بادَرايا :

جاء في « معجم البلدان » :

أنها طَسّوج بالنهروان أو بليدة بقرب باكسايا بين البَنْدنيجَيْن ونواحي واسط . منها يكون التمر القَسْب اليابس الغاية في الجودة .

أقول : هي في عصرنا « بَدْرة » وأغلب أهلها من الأكراد الفيلية الشيعة في الحدود الشرقية جنوبيّ بغداد بما يقرب من مئتي كيلو متر .

أقول : والاسم يشير إلى الأصل الآرامي وهي «با» التي تعني « البيت » و « دَرايا » بمعنى « الديار » أو المنازل .

وما زال هذا الاسم « بيدْرايا » يطلق على التمر القَسْب الذي يؤتَى به منها .

### ٩ - باعشيقا :

جاء في « معجم البلدان » أنها من قرى الموصل من نواحي نَيْنَوَى في شرقيّ دجلة لها نهر جارٍ . أقول : هي في عصرنا « بَعْشيقه» ، وهي من القرى التي يسكنها يزيديوّن كما ذكرنا في « باحزاني » ، وهم أكراد غلاظ شداد . وفيها نصارى نساطرة .

ويعني الاسم « باعشيقا » بيت أصحاب العمل أي الزرّاع الفلاحين ، وأرضها خصبة يزرع فيها القمح والحبوب ، وفيها الشجر كالجوز وغيره .

---

( ١ ) يدلّ على ميل النساطرة إلى الياء ما عُرف في أعلامهم « مَتّي » بالياء ، وهو « مَتَّى » في السريانية الغربية ومنه « مار متيّ » صاحب « إنجيل متيّ » ، وكذلك « أدَي » ومنه « أدّي شير » رئيس أساقفة سِعِرْد ، وهو الكلداني الآشوري .

**١٠ - باعقوبا :**

جاء فى « معجم البلدان » : قرية بأعلى النهروان ، وقال : وظنّى أنها غير بعقوبا القرية المشهورة على عشرة فراسخ من بغداد .

أقول : قد يكون ماظنّه صحيحًا ، ولكن الذى يهمّنى أنها بليدة ذات صيغة سريانية صُدِّرت بـ « با » وقد تكلمنا على ذلك . وهى فى عصرنا مركز محافظة « ديالى » وكأنها « بيت يعقوب » ونهر يعقوبا الأعظم « النهروان » وهو نهر كبير بقرب بغداد ، وهو الحدّ بين طريق خراسان والخالص ، وهو نهر تامرًا بعينه .

**١١ - باكسايا :**

جاء فى « معجم البلدان » : أنها بلدة قرب البَنْدَنيجَيْن وبادرايا بين بغداد وواسط فى الجانب الشرقى فى أقصى النهروان وإليها ينسَب أبو محمد عباس بن عبدالله بن أبى عيسى الباكسائى يُعرَف بـ « الترقفى » أحد أئمة الحديث توفى سنة ٢٦٨ هـ .

أقول : إن « باكسايا » قرية صغيرة إلى أقصى الجنوب من بغداد فى الجانب الشرقىّ تقرب من مدينة العمارة فى محافظة مَيْسان ، لا يحُسَب لها حساب فى التنظيمات الإدارية فى عصرنا .

والاسم يشير إلى أن أهل باكسايا التى أوردها ياقوت فى معجمه آراميون نصارى قبل أن يتمّ فتحها على أيدى المسلمين فى « فتوح العراق » .

**١٢ - بَرَاثا :**

جاء فى « معجم البلدان » :

بَراثا محلة فى طرف بغداد فى قبلة الكرخ وجنوبىّ باب محوَّل ، وكان لها جامع مفرد تصلّى فيه الشيعة ، وقد خُرِّب عن آخره ، وكذلك المحلة . . .

وفى سنة ٣٢٩ فُرِغ من جامع بَراثا وأقيمت فيه الخطبة ، وكان قبلُ ومسجدًا يجتمع فيه قوم من الشيعة يسبّون الصحابة ، فكَبسَه الراضى بالله وأخذ من وَجَده فيه وحبسهم وهدمه حتى ساوّى به الأرض .

ويزعمون أن عليًا مرَّ بها لما خرج لقتال الحرورية بالنهروان ، وصلّى فى موضع من الجامع المذكور .

أقول : ولم يبق فى عصرنا إلا ما أثبته الخِططيّون ومنهم الدكتور مصطفى جواد من موضع الجامع فأعيد بناؤه جامعًا ومسجدًا للشيعة تقام فيه احتفالات دينية خاصة .

والاسم يحمل الصورة الآرامية شأنه شأن المواضع والحواضر العراقية التى خُتمت بالألف كما سنرى .

و « بَراثا » تومئ إلى « البَـرْث » فى العربية وهو الأرض السهلة اللينة .

## ١٣ - البصرة :

أقول : لم أرد أن أجعل « البصرة » فى عدّة أسماء الحواضر فى هذا الموجز ، وذلك لأنها مادة واسعة عُنى بها الأقدمون وأهل هذا العصر من عرب وغيرهم من العلماء الغربيين . غير أنى أدرجتها لأقول :

إن أهل البلدان الأقدمين ومعهم اللغويون قد توسّعوا على طرائقهم فى ردّ الأسماء القديمة إلى مادة فى العربية فتعسّفوا وخانهم الدرس .

إنك تجدهم فى « البصرة » كما تجدهم فى الكوفة ذهبوا إلى أن البصرة حجارة غليظة كما قال الأنبارى أبو بكر ، وكما قال قطرُب اللغوى المعروف . وقال غيرهما : حجارة رخوة فيها بياض ، وقالوا : فيها الحصى . وقالوا: أرض تسوخ فيها القدم ........

أقول : لعل « البصرة » التى مصّرها المسلمون بعد الفتح هى اسم قديم هو « بَصرا » العلم الذى وقفنا على نظائره فى حواضر العراق وبلاد الشام .

وقد حوّل العرب فى نطقهم الفتح الطويل فى آخر الاسم إلى علامة للتأنيث هى هاء التأنيث فكانت « بصرة » كما كانت «كوفة» التى سيجىء الكلام عنها .

وقال ياقوت :

وفى اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا فى اسم الرجل الذى تُنسب إليه القرية ألفًا ونونًا نحو « طَلْحَتان » وهو نهر يُنسَب إلى طلحة بن أبى رافع مولى طلحة بن عبيد الله . و«خِيرتان» نهر منسوب إلى خيرة بنت ضَمرة القُشَيرية امرأة المهلّب بن أبى صفرة . و«مُهَلّبان» : نهر منسوب إلى المهلّب بن أبى صفرة ، وغير هذا .

أقول : وفى هذا شىء آخر ذكره البلاذرى فى كلامه على البصرة فى « البلدان » (١) . ولنا أن نعود إلى عصرنا فنجد فى حاضر

---

(١) انظر « البلدان » للبلاذرى ص، ٣٤٦، ٣٧٢ . وقال ياقوت : قال البلاذرى : « عبّادان » قطيعة لحُمران بن أبان مولى عثمان بن عفان . وقال : قال ابن الكلبىّ : أوّل من رابط بعبّادان عبّاد بن الحصين فنُسبت إليه . ومن هذا : « أميتان » نسبة إلى أبى أمية ، « وجعفَران » نسبة إلى أم جعفر ، ومثله « خالدان » وغيرها . وانظر : Grundiss der iranischen philologie 12, 176, Nöldeke LA 12,183

البصرة فى بليدة من أعمالها تُسَمىَ أبا الخصيب شيئًا من هذا منه : « يُوسفان » لقطيعة ، ونهر لابدّ أن يكون منسوبًا إلى أحد من الأوائل يدعى « يوسف » ، كما نجد «مهيجْران » ولعلها « مُهاجران » وتحولّت إلى ما تحولّت إليه فى اللغة الدارجة ، ولابد أن يكون صاحب هذه النسبة أحداً اسمه « مُهاجر » .

كما نجد موضعاً فى هذه البليدة يُدعى «باب سليمان» ، ولعلهّ « باب سَلْمانان »

والبصرة اليوم محافظة واسعة تتبعها حواضر وقرى عدة [1] يجرى فيها نهر صغير يُدعَى « نهر العشّار » ، ولعل العشّارى من الشعراء المتأخرين منسو ب إلى النهر أو أنه منسو ب إلى آخر كان « عشّاراً » أى يستوفى العُشور . و « أبو الخصيب» هى « بَلَخْصيب» فى نطق العامّة .

**١٤ - البَنْدَنَيْجَيْن :**

قال ياقوت : لفظه لفظ التثنية ، ولا أدرى أن « بَنْدَنَيجْ » مفردة .

قال حمزة : هو بناحية موضع يُسمّى «وَنْدنيكان » وعُرِّب على « البَنْدَنَيْجَيْن » ، ولم يفسِّر معناه . بلدة مشهورة فى طرَف النهروان من ناحية الجبل ، من أعمال بغداد وقال ياقوت أيضًا :

وحدّثنى العماد بن كامل البَنْدَنَيْجّى الفقيه قال : البَنْدَنَيْجَيْن اسم يطلق على عدة محالّ متصلة ، وأكبر محلة فيها يقال لها «باقطنايا »، وبها سوق ودار للإمارة ومنزل القاضى ، ثم بُوَيقيا ، ثم سوق جميل ، ثم فلِشْتُ ، وقد خرج منها خلق من العلماء : محدّثون وشعراء وفقهاء وكتّاب .

أقول : وقال أهل الدرس فى عصرنا الباحثون فى « الخطط » :

أن « البَنْدَنَيْجَيْن » هذه هى «خانِقين» التى أوردها ياقوت فى « معجمه» بكسر النون بعدها قاف . وقال : هى بلدة من نواحى السواد فى طريق هَمَذان من بغداد بينها وبين «قَصْر شيرين» ستة فراسخ لمن يريد الجبال .

أقول أيضاً : « خانقين » فى عصرنا ، بفتح النون ، كما أوردها ياقوت ، وكذلك «قصر شيرين»، والأولى عراقية ، والثانية إيرانية . والعامة تقول : « خانِجْين » ، وهى «خانه كَين » فى اللغة الفارسية بمعنى «الأرض التى يُنْزَل فيها » .

---

(١) اتسعت رقعة التنظيمات فى البصرة فشملت جهات فى الخليج ، وشبه الجزيرة ، ومنها « دُبّى » وغيرها .

فهل نرى من وجه لنصل بين «البَنْدَنَيْجَنْ» و « خانقين » ؟ ما أرى شيئاً في هذا .

## ١٥ - تكريت :

قال ياقوت : هي بفتح التاء والعامّة يكسرونها ، بلدة بين بغداد والموصل ، وهي إلى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً . ولها قلعة حصينة في طرفها القبلي ، راكبة على دجلة ، وهي غربي دجلة . وكان أوّل من بنى هذه القلعة سابور بن أرد شير بن بابك لما نزل الهدّ ، وهو بلد مقابل تكريت في البرّيّة.

قال عبيد الله بن الحرّ ، وكان قد وقع بينه وبين أصحاب مصعب وقعة بتكريت قُتل بها أكثر أصحابه ونجا بنفسه فقال في أبيات :

فإنْ تَكُ خيلي يومَ تَكريتَ أحجَمَتْ

وقُتِّل فرساني ، فما كنتُ دانيا

وقد فتحها المسلمون في عهد عمر سنة ١٦ هـ . أرسل إليها سعد بن أبي وقّاص جيشاً عليه عبد الله بن المعتم فحارب أهلها حتى فتحها عنوةً . نُسب إليها جماعة من أهل العلم .

أقول : وقد ورد في المصادر النصرانية أن أهلها كانوا نصارى ، وقد عرفنا من أولئك النصارى أنطون التكريتي ، وله مصنَّفات في الثقافة السريانية .

وعُرف أن صلاح الدين بن أيوب قد ولد فيها .

وكانت تكريت في عصرنا هذا بليدة صغيرة تابعة لقضاء سامَرّا وهي وسامَرّا تابعتان إداريًا لبغداد العاصمة .

ولما قامت ثورة السابع عشر من تموّز سنة ١٩٦٨ م رأت الحكومة أن تجعل « تكريت » مركز محافظة ففُصلت عن كونها تتبع سامرّا ، ثم جعلت سامَرّا تتبع تكريت في شؤونها الإدارية .

وهكذا تتبدّل الحال ، فتكون سامرّا التي كانت عاصمة العباسيين طوال نصف قرن من أعمال تكريت ولكل زمان رأي وحكم ونظام .

قلتُ : صارت تكريت في عهد الثورة مركز محافظة صلاح الدين يكون فيها سامَرّا والدور وغيرهما وبها الآن جامعة للآداب والعلوم .

وقد ورد اسم تكريت فى النقوش الآشورية بالخط المسماری ، فهی على هذا من المراكز القديمة .

١٦ - تلّ أعفر :

أقول : هذا هو الاسم فی كتب البلدان ، وقد رُكِّبَت هاتان الكلمتان لدلالتهما على بليدة معروفة فكانت « تَلَعْفَر » .

قال ياقوت : هكذا تقول عامّة الناس [أى تلّ أعفر] ، وأما خواصُّهم فيقولون : « تّل يَعْفَر » ، وأصله التلّ الأعفر ، وهو اسم قلعة وربَض بين سنجار والموصل . فيها نهر جارٍ ، وهى على جَبَل منفرد . وإليها نُسِبَ الشاعر التَّلَعْفَرىّ موسى بن أبی من الذين مدحوا الملك الأشرف .

أقول : وهذه البليدة تتبع الموصل .

١٧ - الحديثة :

الحديثة القديمة هی التی دعاها ياقوت «حديثة الفرات » ، قال :

هی على فراسخ من الأنبار ، وفيها قلعة حصينة فی وسط الفرات ، والماء يحيط بها ، دخلها المسلمون فی خلافة عمر . نُسب إليها جماعة من الرجال من المحدّثين وغيرهم كما أشار الخطيب فی « تاريخ بغداد » .

أقول : وهی فی عصرنا بليدة صغيرة على الفرات الأوسط من أعمال محافظة «الأنبار» .

١٨ - الحَضْر :

جاء فی « معجم البلدان : أن « الحَضْر » اسم مدينة بإزاء تكريت فی البرية ، بينها وبين الموصل والفرات . وهی مبنيّة بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها . كان فيها ستّون برجاً كباراً ، وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار ، بإزاء كل برج قَصْر وإلى جانبه حمّام .

ومرَّ بها نهر الثرثار ، وكان نهراً عظيماً عليه قرًى وجنان .

وقال الشرقیّ بن القطامی : لما افترقت قضاعة سارت فرقة منهم إلى أرض الجزيرة ، وعليهم ملك يقال له الضَّيْزَن بن معاوية ... وكان فيما زعموا ملك الجزيرة كلها إلى الشام فنزلَ مدينة « الحَضْر » .

أقول : إنها مدينة ظاهرة آثارها أقبل

عليها الدارسون العراقيون ومنهم فؤاد سَفَر وكتب عنها وأشار إلى أن أهل « الحَضَر » بفتحتين عَرَب ، وملكهم « سَنَطْرُق » غير أن المشاهد العارف بفنون العمارة القديمة يدرك وهو يشاهد الحضر أن هذه الأبنية ذات عمارة رومانية فى حجارتها ونقوشها ، وفن التماثيل القائمة ولاسيما ما كان منها للمرأة . ثم إنه يدرك أن هذه الآثار تشبه آثار « بُصْرى وإبلا » فى بلاد الشام ، كما أنها تشبه ما هو معروف من نظائرها فى « البتراء » فى الأردن . إنه الفن الرومانى فى الأبنية فى أقواسها وعقوها ، وتماثيل الآدميين الدقيقة فى إبراز الصورة البشرية .

إنّ « الحضر » مدينة عراقية كانت تعرف باسم حطارا ، عرفت أطلالها وسط بادية ما بين دجلة والفرات المعروفة بـ « الجزيرة » على بعد ثلاثة كيلو مترات من وادى الثرثار ، وعلى مسافة ٦٠ كيلو متراً من قلعة شرفاط .

ثم إن لغة نقوش الحجر فى حروفها الآرامية ودلالاتها لا يمكن أن تكون عربية ، وأهلها عرب كما ذهب الأستاذ فؤاد سفر ، وإن « سَنَطْرُق » من غير الأعلام التى نعرفها فى العربية .

وإذا كان فى النقوش اسم « سَنَطْرُق ملك العرب فهذا لا يبعد عن ورود « العرب أو العريان » فى الآثار البابلية . وقد يعنى هذا أن كلمة « عرب وعُريان » أطلقها أولئك الأقوام على القادمين من بلاد العرب « أى شبه جزيرة العرب » .

ويؤيد هذا أن لغة النقوش آرامية برسومها ومعانيها ، فلابد أن يكون أهلها آراميين عاشوا فى منتصف القرن الأول للميلاد .

ثم إن التشابه فى الآثار والخصائص الفنية بين آثار الحضر ونظائرها فى بلاد الشام والأردن ليشير أن هذه محطّات رومانية أقامها الرومان مع أهل البلاد حماية لإمبراطوريتهم حين كان لها توسّع وامتداد فى الشرق .

١٩ - **الحلّة** :

قال ياقوت : هى فى اللغة القوم «النُّزُول» .

وهى عدّة مواضع أشهرها «حِلة بنى مَزْيَد» ، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تُسَمَّى « الجامعَيْن » .

وكان أول من عَمرّها سيف الدولة صَدَقة ابن منصور بن دُبَيْس بن على بن مَزْيَد الأسدى سنة ٤٩٥ هـ .

أقول : هى « الحلّة » فى عصرنا مركز محافظة بابل ، وقد مّر الكلام عليها . ولم يكن اسم بابل هو الشامل العام لهذه الجهة بما فيها « الحلة » وحواضر صغيرة أخرى إلا بعد إصلاح التنظيمات الإدارية فى عهد ثورة تموز الثانية .

أقول : خرج من الحلة جمهرة من أهل العلم والأدب ، ومنهم الشاعر صفى الدين الحلى ، والمحقّق الحلى من كبار رجال الشيعة، وشعراء آخرون فى القرون المتأخرة اشتهر من بينهم السيد حيدر الحلى فى القرن الماضى .

وهى اليوم مدينة عامرة كثيرة النفوس يمر فيها الفرات ، وهى ذات زرع ونخيل .

**٢٠ - حمّام علىّ:**

بليدة تتبع الموصل صغيرة . قال ياقوت : إنها بين الموصل وجهينة قرب عين القار ، غربىّ دجلة ، وهى عينٌ ماؤها حارّ كبريتى .....

أقول : يقصدها الناس للاستحمام والعلاج .

**٢١ - الحُوَيْزة :**

جاء فى « معجم البلدان » : أن الحُوَيزْة موضع حازه دُبَيْس بن عفيف الأسدىّ أيام الطائع لله ، ونزل فيه بحِلّته ، وبنى فيه أبنية . وليس هذا بدُبَيْس بن مَزْيَد الذى بنى « الحِلّة» بالجامعَيْن ، ولكنه أسدىّ أيضاً .

وهذا الموضع بين واسط والبصرة وخُوزستان فى وسط البطائح .

نُسِب إلى الحُوَيْزة قوم منهم عبد الله بن حسن بن إدريس الحُوَيْزى من أهل الحديث .

أقول : وقد أورد الخاقانى فى « شعراء العراق » غير واحد من الشعراء المتأخرين اشتهروا بـ « الحويزىّ » .

أقول أيضاً : إن « الحُوَيْزة » قرية حدودية بين جنوبى العراق وإيران على قرب من « الهور الكبير » الذى يُعرف بـ « هور الحُوَيْزة » إلى الجنوب الشرقى من مدينة العِمارة مركز محافظة « مَيْسان » . وهى منطقة كثر فيها النزاع والحرب بين العراق وإيران منذ عصور عدّة ، ومازال هذا إلى اليوم .

### ٢٢ - الحيـــرة :

قال ياقوت : هى مدينة كانت على ثلاثة أميـال من الكوفـة ، يقـال له « النَّجَف » ، زعمـوا أن بحـر فـارس (١) كـان يتـصـل به . وبالحيرة « الخَوَرْنَق والسدير » ، مسكن ملوك العـرب فى الجـاهليـة من زَمن نَصـر من لخم النعمان وآبائه ، والنسبة إليها « حاريّ » على غير قياس .

أقول : و « الحيرة » اليوم بليدة صغيرة من أعمال محافظة « الديوانية » على الفرات الأوسط ، وهى منطقة زرع وفلاحة ونخيل .

### ٢٣ - الخـابور :

قال ياقوت : الخابور من أرضٍ « خَبْرةٍ » وخَـبْـراء ، وهـو القـاع الـذى يـنبت السِّدْر . و«الخَبار» : الأرض الرخوة ذات الحجارة .

و « الخـابوراء » : اسم مـوضـع لعلّ نـهـر الخابور يمر فيه .

و « الخابور » : نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة .

أقول : إن نهر الخابور يمر – فى جزء من أعلاه – بأرض الجزيرة من بلاد الشام ، ويدخل العراق ، وعلى ضفافه فى العراق قرًى ومواضع منها « فيش خابور » بليدة أهلها أكراد .

### ٢٤ - الخـالص :

قال ياقوت : اسم كورة عظيمة من شرقى بغداد إلى سور بغداد .

أقـول : وهو الآن بليـدة فى مـحـافظة «دَيالا » (٢) ، يمرّ فـيـهـا نهـير صـغير هو نـهر الخالص وهى منطقـة فـلاحـة وبسـاتين فـاكـهـة ونخيل .

### ٢٥ - خـانِقين :

انظر « البَنْدَنيجَيْن » .

### ٢٦ - الدُّور :

قال ياقوت : الدُّور سبعة مـواضع بأرض العــراق من نـواحى بغـداد ، أحـدها « دُور »

---

( ١ ) أقول : إن تسمية « بحر فارس » ترد فى كتب البلدان العربية الجغرافية كما وردت فى « كتاب العين » للخليل . وهذه هى التى تُدعى فى عصرنا « الخليج العربى » وفيه بلاد عدّة معروفة . والتسمية القديمة مأخوذة ومستوحاة من عصور الإمبراطورية الإيرانية التى تفسّحت فى هذه البلاد العربية . وأذكر وأنا طالب فى الإعدادية كنا نطلق مصطلح « خليج البصرة » على هذا « الخليج الكبير » .

( ٢ ) أقول : ديالى ، محافظة ونهر فى عصرنا ، وأرى أنها كلمة تحمل ما يومئ إلى أصل سريانى ، ولكنى لم أجده فى المعجمات السريانية ، ولا فى العبرانية .

تكريت وهو بين سامَرّا وتكريت ، والثانى بين سامَرّا وتكريت أيضًا يُعرف بـ «دور عربايى» .

أقول : إن « دور عَربايى » يشير إلى التسمية السريانية ، ويعنى هذا أن أهلها عرب وآراميون .

وأقول : هذا هو الذى يهمنى من «الدُّور» التى هى مواطن إقامة حضرية فى العراق ، وأما ما بقى منها فهى خارج العراق .

و « الدُّور» الأولى كانت قرية تتبع سامرّا ، ثم اتّسعت حالها بعد ثورة تموز فساوت سامرّا فى درجتها الإدارية .

وقد خرج كثيرون من « الدور» هذه فى عصور ماضية ونُسبوا إليها ومنهم أبو عمر حفص ابن عمر الدوريّ ترجم له ابن الجزَرىّ فى طبقات القراء ١/ ٢٥٥ وغير هذا كثير .

أقول أيضًا : وهى الآن فى النطق السائد « دُور » كما نقول « صُوت » فى الألسن الدارجة ، ولكنّ النسب إليها كما هو فى فصيح العربية « دُورىّ » .

**٢٧ - ذى قار :**

أقول : هذا موضع قديم هو « ذو قار » ولكن المعاصرين أغفلوا وجه الاسم فلزم الياء فى كل الأحوال . وهذا الاسم لمحافظة كبيرة تقع على ضفتى الفرات الأسفل تشتمل على حواضَر وقرًى ، مركزها « الناصريّة » مدينة واسعة أسسها ناصر باشا السعدون فى العهد العثمانى المتأخر .

و« ذوقار » فى مصادر التاريخ والأدب ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط .

وحديث ذى قار مع كسرى والنعمان ابن المنذر قد ورد فى كتب التاريخ القديم الذى كان منه وقعة ذى قار المشهورة التى انتصر فيها العرب على الفرس .

وقيل بصدد هذه الوقعة إنها كانت يوم ولادة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وقد أشار إليها أبو تمام فى قصيدته التى مدح بها أبا دُلَف العجلىّ .

**٢٨ - زاخو :**

بليدة فى أقصى شمالى العراق منها يدخل

القاصد إلى الأراضى التركية ، أهلها أكراد مسلمون وبينهم نصارى ، ولعلّها من «زاخا» السريانية بمعنى «النظافة والصفاء» .

**٢٩ - سامرّا :**

جاء فى « معجم البلدان » أنها سامَرّا بالقصر ، وسامَرّاء بالمدّ ، وسُرَّ مَن رأَى ، وسُرَّ مَن راء ، وقد ورد هذا كله فى الشعر .

قال البحترى :

وأرى المطايا لا قصور بها
عن ليل سامَرّاءَ تذرَعُهُ

وقال الحسين بن الضحّاك :

سُرَّ مَن را أسَرُّ من بغدادِ
فالهُ عن بعض ذكرها المعتادِ

وقال البحترى :

لأرحَلَنَّ وآمالى مطرَّحة
بسُرَّ مَن راءَ مُسْتَبْطَى لها القَدَرُ

وهى مدينة بين بغداد وتكريت ، شرقىّ دجلة .

قال أبو سعد : سامرّاء بلد على درجةٍ فوق بغداد بثلاثين فرسخاً يقال لها «سُرَّ من رأى» ، فخفَّفها الناس وقالوا : سامرّا .

أقول : وهى مدينة مازالت فيها آثار العباسيين والمئذنة الملويّة ، ودار الخلافة وبقية أطلال القصور . وإلى جوار هذه بقايا خطة المدينة القديمة فى شوارعها وطرقها .

وهذه مجاورة للمدينة الحديثة التى فيها الإمام على الهادى والإمام حسن العسكرى ، وموضع غيبة الإمام المهدىّ المنتظر .

والنسبة إليها « سامَرّىّ » ، وقد عُرف بهذه النسبة خلق كثير من محدِّثين وقرّاء وغيرهم .

وأخبار سامرّا فى الأدب والشعر مستفيضة (١) .

وكأنى أرى أن « سامرّا » تحمل فى بنائها الصيغة الآرامية فى انتهائها بالألف . وأما ما قيل من صور تسميتها فذاك شىء ولّده استحسان الشعراء والناس الذين سكنوها وارتضوا إقامتهم فيها فقالوا : سُرَّ مَن رأى ، وغيرها .

---

( ١ ) أقول : ولى فى هذا كله مصنّف وسمته بـ « إعلام الورَى فيما نُسِبَ إلى سامرّا » طبع دار الحكمة بلندن .

### ٣٠ - سِنجار :

قال ياقوت : سنجار ، بكسر أوّله وسكون ثانيه ثم جيم وآخره راء ، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . وهى فى لِحْف جبل عالٍ .

ويقولون : إن سفينة نوح - عليه السلام- لما مرّت به نطحته ، فقال نوح : هذا سِنّ جبل جار علينا ، فسُمِّيت « سِنْجار » .

قال ياقوت : ولستُ أحقّق هذا والله أعلم به .

وقال ابن الكلبى : إنما سُمِّيَت سنجار وآمد وهِيت باسم بانيها .

وقال حمزة الأصبهانى : « سنجار » تعريب « سِنكار » [(١)] ، ولم يفسّره .

وهو مدينة طيبة فى وسطها نهرٌ جارٍ .

وقيل : إن السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن سلجوق وُلد فيها فسُمِّى باسمها عن الزمخشرىّ .

وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب والشعر .

وقد نُسب إليها جماعة من أهل العلم من أهل عصرنا منهم أسعد بن يحى بن موسى بن منصور الشاعر ويعرف بالبهاء السنجارىّ .

أقول : و « سنجار » اليوم بليدة بلحف الجبل كما ذكر ياقوت من موضعها ، وأهلها أكراد مسلمون وبينهم نصارى من أصول سريانية شرقية يطلقون على أنفسهم «الكلدان» . وأضيف أن من نُسب إلى سنجار أبو محمد الأمير حسن بن الأمير يوسف الملقّب بـ « المكزون السنجارىّ » المتوفى سنة ٦٣٨ هـ (انظر تاريخ العلويين للطويل ) .

### ٣١ - شَهْرزوُر :

قال ياقوت : شهرزور كورة واسعة بين إربل وهَمَذان ، أحدثها زَور بن الضحّاك . و «شِهْر» بالفارسية المدينة .

وأهلها أكراد . وقد خرج منها العلماء وأعيان الفضلاء والفقهاء ، يفوقون الحصر . وكثير من أولئك نسبوا إليها واشتهروا بـ « الشهرزورىّ » .

---

( ١ ) لقد حقّقت فى قول حمزة هذا فى معجمات اللغة الفارسية فلم أجده ، وكأنى أميل إلى أن أهل المعرّب من العلماء العرب لم يكن لهم معرفة حسنة بالفارسية على قربهم منها . ونسبة حمزة إلى أصبهان لا تعنى شيئاً ، وقد تأكدت أن ابن الجواليقى لا يعرف الفارسية وإن شمّر فى أقواله ، ونسب ألفاظاً كثيرة إليها لم تكن فارسية .

**٣٢ - صيـدا ( أبو صيّدا ) :**

أقول : هى بليدة صغيرة على نهر ديالى تُعرف بـ ( أبو صَيْدا ) . و « صَيدا » هذه نظير الاسم نفسه « صَيْدا » من حواضر بلاد الشام المشهورة التى تكون فى عصرنا فى جنوبىّ لبنان وهى « باصَيْدا » و « با » كما بيّنا فى « با عشيقا » و « با عقوبا » تَعنى «البيت» وعلى هذا تكون « باصَيدا » تفيد «بيت الصيد» . والمدينة على هذا تحمل الصيغة الآرامية .

أقول : والعرب من أهل اللغة والتاريخ ذهبوا إلى تفسير مادة « صيداء » يعنى الحجر الأبيض تُعمَل منه البرام « جمع برُمة » ، كما فسروا البصرة والكوفة أنها تربة وحجارة رخوة ونحو هذا ، وليس لنا أن نقبل هذه التفسيرات .

**٣٣ - عـانة :**

قال ياقوت : « عانات » بليدة فى أعلى الفرات .

قال الكلبى : قُرى « عانات » سُمّيت بثلاثة إخوة من قوم عاد . قال الأعشى :

كأنَّ جنِيّا من الزنجبيل خالط فيها ، أو اريْاً مَشورا .

وإسْفنْط عانَةَ بعد الرقاد شكّ الرصاف إليها عذيرا .

وقال : قلعة حصينة على الفرات .

أقول : قد تكون الفائده قليلة لنا ، نحن الدارسين ، ونحن ننظر فى أقوال المتقدمين كالكلبى والشرقى بن القطامى وغيرهما . ولنا أن نعرف أنها « عانة » و «عانات» ، وقد عرفت « هانا » فى العهد البابلى القديم .

وهى « أناتا وأناتو » فى المصادر اليونانية الرومانية .

أقول : إن الذى ورد فى مصادر الإغريق من أنها « أناتو أو أناتا » هو معروف فى الأكديّة البابلية والرسم المسمارى للهمزة والعين واحد ، وقد ظن نفر من أهل الآثار أن «العين» لا توجد فى الأبجدية الأكدية ، وهذا وهْم . وفى العربية الفصيحة « العانة » القطيع فى الحُمُر الوَحْشية ، قال الشاعر القديم :

وبينا هما عَنَّت على البُعد عانة

قد اكتَنزت لحماً وقد طُبِّقَتْ شَحْما

ولكننا نجد « عانا » السريانية تفيد «الضأن» (١) .

أقول : لعل بُلَيّدة «عانة» قد سُمِّيت بهذا الاسم الذى يدلّ على الضأن !

---

(١) ربما اختلفت اللغات السامية فى المشترك من اللفظ بينهما كما كان فى «عانة» فهى فى الآرامية الضأن ، وفى العربية « حُمر الوحش » .

قلتُ : إن « الضاد » فى العربية يقابله العين فى الآرامية ، ولذلك كانت « البيعة » التى نُقلت من السريانية الآرامية بصوت العين لتعنى « بنية النصارى أو الكنيسة » ، وكان ينبغى أن تكون « بَيْضة لأنها فى الحقيقة =

وهى فى عصرنا بليدة على الفرات فى الجانب الأيسر ، وفيها جزر فى وسط النهر جُعلت بساتين فيها نخيل وأعناب .

وقد اقتضت مصلحة لبناء سُدّ على الفرات فى موضع هذه المدينة أن تُزال المدينة ويُرسَم لها موضع آخر يبعد عنها ، تجلب إليه مياه الفرات ، فزالت وبكاها أهلها ممن عرفوا الماضى وكيف عمروها وغرسوا نخيلها وشجرها وشقوا فى ذلك .

**٣٤ - عين التمر :**

قال ياقوت :

هى بلدة قريبة من الأنبار ، غربىّ الكوفة ، بقربها موضع يقال له « شِفاثا » ، منها يُجلَب القسْب والتمر . فتحها المسلمون أيام أبى بكر الصديق على يد خالد .

أقول : نعم قد تقرب « عين التمر » من الأنبار فى سعتها القديمة التاريخية ، ولكنها الآن تابعة لمحافظة « كربلا » ، على طرَف البادية ، وهى بليدة صغيرة جداً .

أما قول ياقوت : بقربها موضع يقال له «شِفاثا» ، فصحيح ، وهذه الآن ناحية صغيرة يكثر فيها النخيل ، وماؤها من عيون يخالطه مركبات معدنية كالكبريت وغيره . وللعراقيين فى عصرنا مثل عامى ، يقولون : «ترجو العافية فى شِفاثا » [1] .

**٣٥ - الفلوجة :**

قال ياقوت : الفلّوجة الكبرى والفلّوجة الصغرى قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة .

أقول : و « الفلّوجة » فى عصرنا مدينة عامر من محافظة الأنبار ، على الفرات يمر بها الذاهب من بغداد إلى دمشق براً . وكان الناس يبدلون من الفاء ثاءً .

**٣٦ - كربلاء :**

قال ياقوت : هى بالمدّ ، وهى الموضع الذى قتل فيه الحسين بن على - رضى الله عنه - فى طرف البرية عند الكوفة . فإما اشتقاقه فالكربلة رخاوة فى القدمين ، يقال : جاء يمشى مكربلاً ، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك . ويقال :كربلت الحنطة إذا هذّبتها ونقّيتها فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقّاة من الحصى والدغل ، فُسِّميت بذلك .

---

= « قُبّة بيضاء اللون » . قال تعالى : « .. لَهُدِّمَت صَوَامِعُ وبِيَعٌ » .

( ١ ) شفاثا هذه من الأصول الآرامية التى بقيت فى أسماء المواضع والمدن ، ولم أهتد إلى دلالتها .

وأورد ياقوت أن الحسين قال : ما اسم هذه الأرض التى نحن فيها ؟ قالوا : كربلاء ، فقال : أرض كربٍ وبلاء ! وأراد الخروج منها فمنع كما هو مذكور فى مقتله .

أقول : و « كَرْبَلاء » اليوم مركز محافظة كبيرة ذات بساتين فيها نخيل وشجر يسقيها نهر يدعى « الحسينية » يأخذ ماءه من دجلة .

أقول أيضاً : هى بالقصر فى اللغة الدارجة ، وهى كذلك فى لغة الشعر ، ومما ورد من ذلك فى لغة الشعر ما نسب إلى الشريف الرضى من قوله فى مطلع قصيدة طويلة :

كَرْبَلا لازلتِ كَرْباً وبَلا

ما لَقِى عندكِ آلُ المصطفى

وقد وردت ممدودة فى قول الرباب بنت امرئ القيس ترثى الإمام الحسين :

إنّ الذى كان نوراً يستضاء به

بكربَلاءَ قتيلٌ غير مدفونِ

وكأنى أجعل الأصل هو لغة القصر «كَربَلا» وبذلك أستطيع أن ألحق هذه الكلمة بالأصول الآرامية فى أسماء المدن فيما بين النهرين وبلاد الشام .

## ٣٧ - الكوفة :

قال ياقوت : « كوفان » اسم أرض ، وبها سميت الكوفة . و« كوفان والكوفة » واحد والكوفة من أض بابل من سواد العراق . سميت لاستدارتها من قول العرب : رأيت كُوفاناً وكَوَفاناً .

وقيل سُمِّيت « كوفة » لاجتماع الناس بها ، من قولهم : تكوَّف الرمل .

وقد مُصِّرت فى أيام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سنة ١٧ هـ ، وقيل : سنة ١٨ هـ .

وقال قوم : إنها مُصِّرت بعد البصرة بعامين أى سنة ١٩ هـ .

قال أبو عبيدة : لما فرغ سعدُ من وقعة رستم بالقادسية .

أقول : لم يكن للدارسين الثقة التامة فيما سجله ياقوت وغيره عن الحواضر القديمة ذات الأصول التى سبقت تاريخ العرب والمسلمين ، فقد ذهبوا إلى شىء من القصص التى يختلط فيها التاريخ بالأسطورة . وقد ذهبوا أحياناً فى

الوصول إلى شيء يرضيهم بالرجوع إلى تأويل الكلم القديم بما يناسب العربية ، أو قل : إنهم وضعوا شيئاً فحملوا غيرهم عليه ، ألا ترى أنهم فسّروا البصرة والكوفة وصَيدا بشيء يتصل بالأرض والحجارة وبسطوا على كل من هذه لوناً يميزها !

أقول : لابد لي أن أذهب إلى أن «الكوفة» « من الكلم القديم « كوفا » التي تومئ إلى الصيغة السريانية وأن العرب حين واجهوا هذا ومثلها باعقوبا وبعشيقا ، نظروا إلى الألف الأخيرة ، وهي فتحة طويلة مالوا إلى تأنيث هذه الألفاظ فأضافوا هاءً محتفظة بفتحة قبل الهاء على غرار المؤنثات في العربية فصارت : كوفة وبصرة وبعقوبة وبعشيقة . كما مالوا إلى هذا في الكلمات الأخرى نحو سوريا [1] وتركيا وإيطاليا ، وفَرنسا وغيرها ، وجعلوها : سوريّة وتركية وإيطالية وفَرَنْسة .

وكأني أستدل على هذا الرأي في «الكوفة» بما ورد في مصادرنا في «كُوثَى[2]» أو «كوثا»

فقيل كوثَى : موضع بسواد العراق في أرض بابل ، وهي سُرّة السواد .

أقول : لابد أن يكون هذا الموضع أصلاً لـ «كوفا » التي تحوّلت إلى «كوفة» . وبين الثاء والفاء إبدال كثير في العربية فقالوا : جَدَث وجَدَف ، وقالوا : ثآليل وفآليل . وعامة العراقيين يقولون «ثلّوجةٌ» للفلّوجة التي مرّ ذكرها . وسمعنا لدى القرويين من يقول : «فَلْج» للثلْج .

**٣٨ المدائن :**

قال ياقوت : هي عدّة مدن عراقية اسمها بالفارسية «توسفون» (طَيْسَفون) ، وهي بما يقرب من ٣٥ فرسخاً جنوبيّ بغداد . اتّخذها سعد بن أبي وقاص مقرًّا له في فتح العراق . واتّخذها الفرثيون مَشْتًى ، وأعقبهم الساسانيون فاتخذوها عاصمة .

أقول : في هذه المدينة «طاق كسرى» أو إيوان كسرى الذين ورد ذكره في سينيّة البحتري الشهيرة التي مطلعها :

---

( ١ ) قيل في «سوريّا» إن هيرودتس الإغريقي حين مرّ بهذه المواضع حسبها «بلاد الآشوريين» فكانت لديه أشوريا أو أسّوريا ، ومن هذا جاء الاسم «سوريا» .

( ٢ ) و «كوثى » من أسماء مكّة – حرسها الله – .

صُنتُ نفسي عماً يُدنِّسُ نفسي

وتَرَفَّعتُ عن جَدا كلِّ جِبْس

وفي هذه المدينة : قبر الصحابي سلمان الفارسي ، ويطلق عليه العراقيون كما يطلقون على البليدة كلها «سلمان پاك» و « پاك » هذه تعني « النظيف والطاهر » بالفارسية . وبقي « سلمان ياك » هو المعروف في التنظيمات الإدارية ، ثم اجتهد أولو الأمر فأعادوا كلمة «المدائن» إلى هذه البليدة كما أعادوا أسماء قديمة أخرى لحواضر كثيرة مرَّت بنا في هذا «الموجَز» .

**٣٩ - المَوْصِل :**

قال ياقوت : الموصل إحدى قواعد الإسلام ، قليلة النظير كِبَراً وعِظماً وكثرةَ خَلْق وسَعَة رُقعة . وهي باب العراق ، ومنها يُذهب إلى خراسان ، ومنها يُقصَد إلى أذربيجان لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل : وَصَلت بين دجلة والفرات ، وقيل وصلت بين سنجار والحديثة .

أقول : هي في عصرنا حاضرة مهمة ذات قيمة تاريخية واقتصادية ، وهي أمّ الربيعين مركز محافظة كبيرة اختير لها الاسم الآشوري القديم «نَيْنَوَى» التي تشمل عدة مدن وحواضر وقرى .

ولابد من القول في نبذة موجزة عن «نَيْنَوَى» فأقول :

هي عاصمة الآشوريين في الألف الأول قبل الميلاد التي ورد ذكرها في سفر التكوين من العهد القديم وقد أشير إلى نمرود الذي أسّسها في سهل «شنعار» . وهناك إشارات أخرى إلى هذه الحاضرة في سفر ناحوم من أنبياء بني إسرائيل .

ولم أهتدِ إلى معرفة معنى «نينوى» فيما بين يدي من مراجع يسيرة ، ولم يُشر الغربيون إلى هذا وهم يبحثون وينقبون في آثار الآشوريين ومدينتهم هذه « Ninive » .

أقول : وقد خرج من الموصل جمهرة من أهل العلم ، ونُسب إليها عدد كبير منهم [١] وللموصل شهرة حضارية عرفت في فنون الصناعات ومنها صناعة النسيج . وحديث «موصلايا» ودلالتها معروفة .

**٤٠ مَيْسان :**

قال ياقوت : هو ، بفتح فسكون وسين مهملة وآخره نون ، ، اسم كورةٍ واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ، قصبتها ميسان .

---

( ١ ) كان من منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية كتاب مفيد هو «تاريخ الموصل » .

وفى هذه الكورة أيضًا قرية فيها قبر «عُزَير» النبىّ - عليه السلام - مشهور معمور ، يقوم بخدمته اليهود ، ولهم عليه «وقوف» وتأتيه النذور ، وأنا رأيته . ويُنسَب إليه «مَيْسانى ومَيْسْنانى» . وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ، لمّا فتحت مَيْسان فى أيّامه ولاّها النعمان بن عدى بن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرثان ..... وكان من مهاجرة الحبشة ، ولم يُوَلِّ عُمر أحداً من بنى عَدىّ ولايةً قطّ غيره لما كان فِي نفسه من صلاحه .

وأراد النعمان امرأته معه على الخروج إلى مَيْسان فأبَتْ عليه فكتب النعمان إلى زوجته :

ألا هل أتى الحسناءَ أنّ حليلَها
بَميْسانَ يُسقَى فى زجاجٍ وحَنْتَمِ
إذا شئت غَنَّتنى دهاقين قَريةٍ
وصَنّاجة يجثو على حَرْف مَنْسِمِ
فإنْ كنتَ نَدمانى فبالأكبَرِ اسْقِنِى
ولا تَسْقِنِى بالأصغر المُتَثَلِّمِ
لعلّ أميـر المؤمنين يَسوءُه
تَنادُمُنا بالجَوْسَقِ المُتهدّمِ

فبلغ ذلك عمرَ ، فكتب إليه :

بسم الله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز غافر الذنْب وقابل التَّوْب شديد العقاب ... أما بَعدُ فقد بلغنى قولك : «لعلّ أمير المؤمنين يسوءُه» وايمُ الله ، لقد ساءنى ذلك ، وقد عزلتك .

أقول : وقد أطلق اسم مَيْسان فى عصرنا على القرية الصغيرة التى فيها قبر « العُزَير» نبىّ الله - عليه السلام - . لقد كان هذا قبل مايقرب من خمسين سنة . ثم تنبّه أهل الرأى إلى ما كان منهم فعادوا إلى الاسم ونزعوه عن القرية وأطلقوه على رقعة واسعة جداً وجعلوه محافظة مركزها مدينة «العمارة» على الجانب الشرقىّ من دجلة بين واسط والبصرة .

**٤١ - النّجف :**

قال ياقوت : بظهر الكوفة كالمسنّاة ، تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها . وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين - رضى الله عنه - على بن أبى طالب . وقد ورد ذكر الموضع فى الشعر ولاسيما حين يعرض الشعراء لرثاء الإمام ، قال على بن محمد العلوىّ المعروف بـ «الحِمّانِىّ الكوفِىّ» .

فيا أسَفِى على النَّجَف المُعَرَّى
وأوديةٍ منوّرة الأقاحى

أقـول : وكـانت مـدينة النجف تابعـة لمحافظة «كَرْبلا» ، ثم رأت الحكومة أن تجعلها محافظة لمكانتها الدينية والعلمية ، كان هذا منذ ما يقرب من ربع قرن .

**٤٢ - نينوى :**

انظر « المَوْصِل » .

**٤٣ - هيت :**

قال ياقوت : هى بُليدة على الشاطىء الغربى من الفرات فى الرقعة الواسعة التى دُعيت «الأنبار» .

وقد عُرفت بـ «القار» وهو المعروف لدى أهل الصنعة .

أقول : وهذه المدينة هى التى ذكرها المعرّى فى شعره :

**هاتِ الحديثَ عن الزوراء أو هيتا**

**وموقد النار لا تكرى بتكريتا .**

**٤٤ - واسط :**

قال ياقوت : هى عدة مواضع منها :

واسط الحجّاج وهو أعظمها وأشهرها ، سُميّت لتوسُّطها بين البصرة والكوفة .

أقول : لم يكن معروفًا أمر واسط قبل ربع قرن إلا فى أطلالها وبقاياها فى حجارة وجدد متناثرة بعيداً عن نهر الفُرات ببضعة كيلومترات . غير أن أولى الأمر - جريًا مع سياستهم التنظيمية فى الحواضر والمدن - أعادوا هذ الاسم إلى المنطقة التى كانت تعرف بـ «لواء الكوت[1] » أو محافظة الكوت فِى منتصف الطريق بين بغداد والبصرة ، فكانت «محافظة واسط» .

## خاتمة

هذا موجز بالأعلام الجغرافية فى العراق جعلته إلى أهم الأعلام ذات الأصول الجغرافية التاريخية وماعرض لها فى مسيرتها التاريخية، وقد ابتعدت فيه عن المشهور مثل « بغداد » وغيرها لكثرة ما كتب فيها .

**إبراهيم السامرائى**

عضو المجمع من العراق

---

( ١ ) «الكُوت» حاضرة حديثة أنشأها الناس حول ماكان «Cot» فى الإنكليزية وهو المنزل الصغير الذى أقامه الإنكليز فى القرن التاسع عشر نقطة ومركزاً لهم على طريق الهند ، وهذا المنزل نظير «كُوت الزّين» و«كوُت الإمارة» وغيرها . ولابد أن يكون أوّل قيام «الكويت» هذا .

## مجمع اللغة العربية ...

### غـاية شــوط ...

### قصيدة للفريق يحيى عبد الله المعلمى

غـــايةُ الشـــوط بِحِـصـنِ الخـــالدينْ ... مـــعـــــقلِ الإبداع والفـن الرصـينْ
بعـــد كـــدٍّ وكـــفـــاح لا يلينْ ... تـبـلـغ الـذروةَ آمـــــالُ الـسـنـينْ
عِـشْـقُنا الفـحـصى بوجـد الوالهينْ ... قـــد رعـــيناها بشـــوقٍ وحنينْ
وعـذارى الشـعـر حـينًا بعـد حينْ ... تتـــراءى كطيـــوفٍ للعـــيـــونْ
كـــفـــراشـــات بأعـــمـــاق السكونْ ... حـــائمـــاتٍ عن يســـار ويمينْ
تيَّـمَـتْنِى ... صـيَّـرَتنى فى شـجـونْ ... كى أنالَ القـربَ .. قُـربَ العـاشـقينْ
وتـأبَّتْ بدلال وفـــــتـــــونْ ... تنشـــد الإغـــداق رقـــراق المعينْ
مـهـرها الديبـاج والخـزُّ الثـمينْ ... لِمـــعَـــانٍ .. تنشـــر اللفظ المبينْ
بوشـــاح بُحـــتـــرىٍّ اليـــاســـمينْ ... وقـــد ازدان بوشْـيِ الملهَـــمـينْ
ببلوغ الأوج مَن ذا يســـتـــهينْ ؟ ... بحـــمـــاكم صـــرت وضـــاء الجـبينْ

★ ★ ★

كم تجـــافى الجنب فى المهـد الوثيـرْ ... فى ليـالى السـعـد والعـهـد النضيـرْ
كـانت ( الأسـفـار ) كـالكنز الأثيـرْ ... تُتـــرِع الوجـــدان بالعلم الغـــزيرْ
كل سِـفـــر بشـــهـــيق وزفـــيـــرْ ... كـــان دنيـــاى ومـــصـــبـــاحى المنيـرْ
أشـــهـــد الأفـــلاك مـــا بين السطورْ ... فى ائتـلاق منذ أعـــمـــاق العـــصـــورْ

أى صـعب هو فى عـزمى يسـيرْ ... والأمـانى حـيـثـمـا سِـرتُ تسـيرْ

وعـشـقت الشـعـر فى سمت غـضـيرْ ... لا يعـانى من زحـاف أو كـسـورْ

وجـفـوت ( النبط ) أمـيـاً فطيرْ ... يرمق الفـصـحى بصمت لا يحـيرْ

أين سكنى الكوخ من سكنى القـصـورْ ... أيـن - لا أيـن - لأُمِّـىٍّ غـريرْ

أين لفظ دارج المبنى حـسـيـرْ ... من فـصـيح اللفظ ذى المعنى الغـزيرْ

لغـة القـرءان للفـذ البـصـيرْ ... نـبـع إثـراء إلـى يـوم النـشـورْ

★ ★ ★

بين أقـلامى وأوراقى عـهـودْ ... كنت فـيـهـا عن سُـمُـوٍّ لا أحـيـدْ

أنشـد التـوفـيق بالجـهـد الجـهـيدْ ... كـان نبلُ القـصـد لى بيتَ القـصـيدْ

وكـتـاب الله لى نعم المفـيـدْ ... كـان مِـشْكاتى إلى الرأى السـديدْ

وحـديث المصطفى حـبـل الوريدْ ... صـار زادى فى صـدور وورودْ

وشـؤون الأمن فى الإسـلام بيـدْ ... صـرتُ فـيـهـا صاحب الشأو البـعـيدْ

بعـد تصنيـفـىَ للجمِّ العـديدْ ... كـان إقـدامى بإخـلاص شـديدْ

مـا قـصـدت الزهو والفـخـر المديدْ ... بل كـجـندى مـشى بين الجنودْ

لابتـغـاء الأجـر من رب مـجـيدْ ... كـان كـدحى ... لا لسبق أو صـعـودْ

سـدد الخطو إلى منحى يُشـيـدْ ... برجـالات لهم نهج رشـيـدْ

تذكـر ( الأعـلامَ ) منهم بالمزيدْ ... من دراسـات تشـوق المسـتـزيدْ

★ ★ ★

إيه يا نخبة أقطاب البيانْ ... أوَ حقًّا ما يراه الناظرانْ
ما بدا فى الحفل من رأى العيانْ ... أشخوص أم ( عقود من جمانْ )
كنتُ قبلاً فى بعادٍ وافتتانْ ... وحدا بى للطموح الحرَمانْ
( مجمع الضاد ) دوامًا فى الجنانْ ... واختيارى فيه لى عزٌ وشانْ
كنت بالأمس بسيف وسِنانْ ... وأنا اليوم يَراع ولسانْ
كنت طوداً فى نزال وطعانْ ... ويداى اليوم كم ترتجفانْ
فأعينونى بتدعيم الكيانْ ... أنا فى البدء جدير باحتضانْ
لغة الضاد ستبقى فى أمانْ ... لا اعتلالٌ يعتريها أو هوانْ
بل شموخٌ بابتكارات ( اللجانْ ) ... أنتم الحراس فى هذا الزمانْ
أتقنوا التنقيب فى شتى المظانْ ... لازدهارٍ فى زمان أو مكانْ

الفريق

**يحيى بن عبد الله المعلمى**

عضو المجمع المراسل

من السعودية

★ ★ ★

# ثانياً : بحوث
# لم تلق فى المؤتمر

# الجهود العربية فى ضبط الأعلام الجغرافية

## لشبه الجزيرة العربية

للأستاذ الدكتور عبد الله يوسف الغنيم

إذا كان الهدف التطبيقى للجغرافيا فى الوقت الحاضر هو خدمة المجتمع والمساهمة فى تنميته ، فإن خدمة الجغرافيا للدراسات الأدبية والإنسانية لا تقل شأنًا عن ذلك . وقارىء الأدب العربى القديم يحتاج إلى معرفة البيئة التى ظهر فيها ذلك الأدب معبِّرا عنها ، وكذلك المؤرخون وكُتّاب السِّيرة وغيرهم .

ومعرفة البيئة المذكورة تقتضى معرفة أعلامها الجغرافية التى ترتبط أسماؤها إلى حدّ كبير بخصائص المكان وصفاته . ومن هنا فإن المحافظة على صورة الاسم للعلم الجغرافى لها أهميتها فى التعرّف على طبيعة المكان ، إضافة إلي المساهمة فى تحديد موضع ذلك العَلَم الجغرافى ووشائجه التاريخية والحضارية .

وسنعرض فى هذه الدراسة المسحية للمراحل المختلفة التى مرت بها الجهود العربية المبذولة لضبط الأعلام الجغرافية وتحديدها فى شبه الجزيرة العربية ، ويتخلل ذلك عرض للمشكلات التى عالجتها تلك الجهود ، وبيان بأوجه النقص المختلفة ، وبخاصة ما يتعلق بالتصحيف فى أسماء المواضع والذى عانى منه الأقدمون والمحدثون على حدٍّ سواء .

وقد مرت الجهود المبذولة للمحافظة على أسماء الأعلام الجغرافية بثلاث مراحل :

### المرحلة الأولى : الدراسات الأساسية

ارتبطت هذه المرحلة بالفتوح الإسلامية الأولى حيث اختلط العرب بغيرهم من الشعوب فى الحواضر العربية ، الأمر الذى أدى إلى ظهور بعض العجمة فى كلامهم ، فخشى العرب على عربيتهم ، وبها نزل القرآن الكريم ، وحرص الخلفاء وسراة القوم على أن يتولى فصحاء المربين تنشئة أبنائهم عليها ، أو إرسالهم إلى البادية لينشأوا بين العرب الفصحاء .

وحينما بدأت النهضة الأدبية العلمية فى الحواضر العربية فى القرنين الثانى والثالث الهجريين ، نشط علماء العربية فى جمع مفردات لغتهم وتسجيلها ، وبخاصة ما ورد

منهـا فـى شعـر الجـاهليـة وصـدر الإسـلام ، واحتـاجوا إلى شرح تلك المفردات وتوضيحها للباحثين ، فكان أن رحلوا إلى البادية ليأخذوا العلم من معدنه ، حيث بقيت العربية على نقائها القديم لم تداخلها العجمة التى أصابت المدن والحواضر .

من هؤلاء العلماء النَّضْر بن شُميل ( توفى ٢٠٤ هـ ) وأبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى ( ١١٤ - ٢١٠ هـ ) الذى أقام بالبادية نحو أربعين سنة ، وعبد الملك بن قريب الأصمعى ( ١٢٨ - ٢١٦ هـ ) وغيرهم . وقد صنف أولئك النفر من العلماء مصنفات كانت أشبه بالمعاجم المتخصصة تناولوا فى كل منها مظهراً من مظاهر البيئة البدوية ، كالطير ، والوحش ، والنبات ، والدارات ، وغير ذلك من المصنفات التى كانت المصدر الأساسى لأصحاب المعاجم اللغوية التى ظهرت فيما بعد .

وقد كان نصيب المواضع من ذلك النشاط العلمى كبيراً ، وذلك لما تتضمنه قصائد الجاهليين وصدر الإسلام من أسماء تتعلق بمنازل القبائل ومناهل المياه ومواطن الكلأ . وكان العربى مخلصًا لبيئته محبًا لها يحن إلى ملاعب صباه ومنازله القديمة التى هجرها ، يمر عليها أو يتذكرها فى غربته ، فيعدد منازلها ومناهلها ويذكر الطرق التى تصل إليها ، وقد حفلت مطالع القصائد العربية ببيان طائفة كبيرة من أسماء المواقع اهتم بتسجيلها علماء اللغة المشار إليهم .

وظهرت مجموعة من المصنفات التى اهتمت بالمواضع فى الجزيرة العربية تحت عناوين مختلفة ، منها « بلاد العرب » و « مناهل العرب » و « صفة الجزيرة العربية » وغيرها ، وقد عرض ابن النديم فى كتابه الفهرست مجموعةً منها وأجملها ياقوت الحموى عند بيانه لمصادره ضمن الصنف الخاص بالكتب التى قُصد بها ذكر البوادى والقفار ومنازل العرب الواردة فى أخبارهم وأشعارهم ، وأشار ياقوت إلى عدد من المؤلفين فى هذا الباب ، منهم أبو سعيد الأصمعى ، والحسن بن أحمد الهمدانى ، وأبو الأشعث الكندى ، وأبو سعيد السيرافى ، وأبو محمد الأسود الغندجانى ، وهشام بن محمد الكلبى الذى وقف له على كتاب سمّاه « اشتقاق البلدان » ، وغيرُهم .

## المرحلة الثانية : المعجمات الجغرافية

تمثل هذه المرحلة فترة ظهور المعجمات الجغرافية التى اعتمدت فى جانب رئيسى منها على كُتب المرحلة السابقة . وتضمنت تصحيحًا وضبطًا للتراث السابق فى هذا المجال ، ولم تقتصر تلك المعجمات على ضبط اسم الموضع فحسب ، بل تعدته إلى التعريف بذلك الموضع وتحديده وذكر ساكنيه ، وهذا ما أعطى لتلك الكتب صفتها الجغرافية . ولم تكن تلك المعجمات خاصة بمواضع الجزيرة العربية فقط ، بل وردت فيها مواضع كثيرة أخرى فى مختلف الأقطار الإسلامية لورودها فى كتب التاريخ والأخبار أو لصلتها بالفتوح .

وكان من أوائل المعجمات الجغرافية « معجم ما استعجم » لأبى عبيد البكرى ( ت ٤٩٦ هـ ) الذى يعتبر أول معجم غير لغوى فى أسماء المواضع يبنى على الترتيب «الألفبائى» الحديث . وظهر بعد معجم البكرى مجموعة من المعجمات التى التقت عند هدف واحد هو درء خطر التصحيف والتحريف عن أسماء الأعلام الجغرافية . ومن أمثلة ذلك كتاب « الجبال والأمكنة والمياه » لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ( ت ٥٣٨ هـ ) ، وكتاب « الأمكنة » لنصر ابن عبد الرحمن الإسكندرى ( ت ٥٦٠ هـ ) ، وكتاب « الأماكن » لمحمد بن موسى الحازمى ( ت ٥٨٤ هـ ) وكتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموى ( ت ٦٢٦ هـ ) . إضافة إلى معجمين آخرين هما «تقويم البلدان» لأبى الفداء (ت ٧٣٢ هـ) و «الروض المعطار» للحميرى ( ت ٧٤٩ ) .

وإذا ما تركنا جانباً الترتيب الزمنى لتأليف الكتب المذكورة ، فإننا يمكن أن نصنفها فى ثلاث فئات واضحة :

**أولاً :** معجمات هدفت إلى بيان اتفاق الرسم واختلاف اللفظ الناشئ عن اختلاف الإعجام أو علامات الضبط ، وهى مقسمة إلى أبواب بحسب المواد المتفقة فى الرسم ومرتبة وفق أولها فى الترتيب الألفبائى ، فمثلاً فى باب ( ثبير وسُرّ ) ورد هذا الباب فى حرف الثاء ولم يرد فى حرف السين ، ومثل ذلك يقال فى باب ( ثُرَيًا ويُرَنا ) الذى يرد فى حرف الثاء .

وقد سار على هذا المنهج معجمان رئيسان هما كتاب « الأمكنة والمياه والجبال والآثار ، ونحوها ، المذكورة فى الأخبار والأشعار » لأبى الفتح نصر بن عبد الرحمن الفزارى الإسكندرى

وكتاب «الأماكن» لمحمد بن موسى الحازمى . وقد عاصر الحازمى نصراً واستفاد كثيراً من كتابه مادةً ومنهجًا ، إذ يتفق الكتابان فى معظم النصوص اتفاقًا يكاد أن يكون تامًا الأمر الذى جعل ياقوت الحموى يتهم الحازمى بانتحال كتاب نصر واختلاسه . غير أن دراسة الشيخ حمد الجاسر لهذين الكتابين تنتهى إلى أنه رغم كون الكتابين يكادان يتفقان اتفاقًا حرفيًا إلا أن كتاب الحازمى يمتاز على كتاب نصر بأن قسمًا كبيراً من المواضع أورد الحازمى تحديدها نقلاً عن علماء ذكر أسماءهم واستشهد بأشعار كثيرة ، واطلع على كتب كثيرة لا نجد لها فى كتاب نصر ذكراً ، ويتضح ذلك بصورة خاصة فى أول الكتاب . أما كتاب نصر فله ميزة لا توجد فى كتاب الحازمى فهو فى آخر كل حرف من حروف الهجاء يسرد أسماء كثير من المواضع المبدوءة بذلك الحرف ويحدد مواقعها ، وهذا ما لا يوجد فى كتاب الحازمى ( ص : ١٦ مقدمة حمد الجاسر من كتاب الأمكان للحازمى ) .

ولهذين الكتابين قيمة خاصة إذ يقدمان حصراً مبوبًا وواضحًا لأسماء الأماكن التى قد يدخلها التحريف أو يقع فيها التصحيف ، وهو منهج فى ضبط أسماء الأعلام الجغرافية لا نجد له مثيلاً فى الكتابات الأخرى التى جاءت فيما بعد في التراث العربى ، ولا يقتصر ما جاء فى الكتابين على المواضع الواردة فى الجزيرة العربية ، بل يتجاوز ذلك إلى المواضع التى لها ذكر فى الفتوح فى بلاد ( مصر والشام وفارس ... وغيرها ) أو يُنسب إليها بعض العلماء المشاهير ، ومثال ذلك نص الحازمى فى باب شِيزْ ، وَشَبَر ، وَسَيِّر :

**اما الأول :** بكسر الشين بعدها ياء تحتها نقطتان وآخره زاى ناحية بأذربيجان ، من فتوح المغيرة بن شعبة صلحًا ، يقال : منها كان زَرَادَشْتُ الذى يُقال : إنه كان نبى المجوس وقصبةُ هذه الناحية أرْمِيَّةُ .

**واما الثانى :** بفتح الشين والباء الموحدة المخففة وآخره راء : موضع من نواحى البحرين.

**واما الثالث :** بفتح السين المهملة بعدها ياء تحتها نقطتان مشددة مكسورة : كَثِيبٌ بين المدينة وَبَدْرٍ ، يُقال : هناك قَسَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم بدر ، وقد يُخَالَفُ فى لفظه .

ويلاحظ من هذا المثال بعض الاختلافات بين كتابَىْ الحازمى ونصر ، فالأخير أورد هذا النص

ضمن باب شَبَر وشيز وسَبُر ، وقد جاءت عبارة نصر مقتضبة لكنها وافية بالغرض . ونص الحازمى عن « سيبر » بالياء أصح من نصر الذى أوردها بالباء الموحدة التحتية ، وقد أكد ذلك الشيخ حمد الجاسر فى حواشيه على كتاب الحازمى .

**ثانيا** - معجمات قُصد بها بيان ما اشترك لفظًا واختلف صقعًا ويمثل هذا الجانب المعرفى فى تسجيل الأعلام الجغرافية أهمية خاصة فى إزالة الالتباس الذى يواجه القارىء نتيجة تشابه الأسماء . والكتاب الوحيد الذى وردنا فى هذا السياق هو كتاب ياقوت الحموى « المشترك وضعًا والمفترق صعقًا » انتحله من كتابه الكبير معجم البلدان ، ذكر فيه « ما اتفق من أسماء البقاع لفظًا وخطًا ووافق شكلاً ونقطًا وافترق مكانًا ومحلاً ، واختلف صقعًا ومُحْتلاً ... » وقد رتب ياقوت كتابه هذا على حروف المعجم ، ملتزمًا ذلك من أول الكلمة ثم ما بعدها . ومثال ذلك :

« باب الزَّارة ثلاثة مواضع : بعد الألف راء : الزارة قرية كبيرة بالبحرين لها ذكر فى الفتوح ، ومنها مَرزُبان الزارة ، والزارة قرية بالصعيد قرب قِفْط ، الزارة من قرى طرابلس الغرب منها إبراهيم الزراى ... » ( ص : ٢٣٠ ) .

وهذا الأسلوب فى ضبط الأعلام الجغرافية يوفر معرفة بالأعلام المكررة التى غالبًا ما يؤدى الجهلُ بها إلى أخطاء علمية سواء ما يتعلق منها بالجانب الجغرافى أو نسبة بعض العلماء إلى غير أقاليمهم وغير ذلك من الالتباسات .

**ثالثا** - معجمات للبلدان نهجت الترتيب الألفبائى المعروف في العصر الحديث ، فيبدأ المعجم بالهمزة والألف ثم الهمزة والباء ، وهكذا إلى انقضاء الحروف الثمانية والعشرين ، وقد سار على هذا النهج البكرى ، والزمخشرى ، وياقوت الحموى . وإذا ما تركنا كتب الزمخشرى وأبى الفداء والحميرى جانبًا لأنها تعتنى بضبط المواضع على النحو الذى سار عليه البكرى وياقوت وقصرنا كلامنا هنا على كتابى « معجم ما استعجم » و « معجم البلدان » ، فإننا نلاحظ الآتى :

**معجم ما استعجم :**

كان الغرض الذى دفع البكرى إلى تأليف كتابه هو شيوع التصحيف فى أسماء المواضع

بين الناس ، فلما رأى أن ذلك قد استعجم على الناس ، أراد أن يفصح عنه ، بأن يذكر كل موضع مُبَيَّن البناء ، مُعْجَم الحروف ، حتى لا يدرك فيه لبس أو تحريف (١) .

وأورد البكرى فى مقدمته أسماء المواضع التى يحدث فيها التصحيف عادةً ، منها نَاعِجَة وبَاعِجَة ، نَبْتَل وَثَيْتَل ، نَحْلة ونَخْلة ، وما إلى ذلك .

وضرب الأمثلة على تصحيف علماء اللغة كالأصمعى وأبى عبيدة لأسماء المواضع ، وذكر من علماء الحديث يزيد بن هارون ، وأنه على إمامته فى الحديث وتقدمه فى العلم يصحف « جُمْدَان » وهو جبل بالحجاز بين قديد وعسفان من منازل بنى أسلم ، فيقول « جُنْدَان » بالنون ، وهو من المواضع الواردة فى الحديث (٢) .

**منهجه فى تحديد الموضع :**

لما كان الغرض من تأليف المعجم هو المحافظة على النطق الصحيح ومواضع الأعلام الجغرافية ، فإن ضبط الموضع - لغةً ومكانًا - من أهم الأغراض التى اعتنى بها البكرى فى معجمه ، وهو فى هذا يلجأ إلى إحدى طريقتين :

( أ ) التصريح بذكر بناء الكلمة ، نحو قوله « الجَزْلاء ، على وزن فَعْلاء » .

( ب ) التنبيه على الحروف المهملة والمعجمة بواحدة ، والمثناة والمثلثة والفوقية والتحتية ، نحو قوله « أُسَيْس : بضم أوله ، والياء المعجمة باثنتين من تحتها ، بعدها سين مهملة ، على لفظ تصغير أُسٍّ (٣) . ويعتنى البكرى بالضبط عناية كبيرة ، فيتتبع ضبط الموضع فى المصدر الذى يأخذ عنه ويشير إلى ذلك ، ففى رسم ( دُورِم ) - مثلاً - قال : « هكذا تكرر فى كتاب الهمدانى مضبوطًا » (٤) .

ويأتى بعد الضبط تحديد الموضع ، ويمكن أن نفرق بين عدة صور لتحديد الموضع فى معجم البكرى بخلاف معجم ياقوت الذى يكاد يسير على نظام واحد ، فالاسترسال فى أى موضع من المواضع عند ياقوت دليل على أهمية ذلك الموضع ولا يكون عادةً إلا عند ذكره المدن .

( ١ ) البكرى : معجم ما استعجم ، ( ١ / ١ ) .
( ٢ ) المرجع السابق ، ( ١ / ٣ ) .
( ٣ ) معجم ما استعجم : ( ١ / ١٥٢ ) .
( ٤ ) معجم ما استعجم : ( ١ / ١٥٢ ) .

ويمكن أن نميز بين نمطين فى أسلوب تحديد الموضع عند البكرى :

**الأول :** مواضع اقتصر على ضبطها دون أن يتعرض لمكانها ، ومعظم هذه المواضع نقلها عن ابن دريد ، ويقتصر تعريف البكرى لها على قوله : « موضع ذكره ابن دريد ولم يحدده » ، ويمكن اعتبارها من مشكلات البحث التى تدعو من يأتى من بعده إلى متابعة الدراسة فيما توقف فيه . وهذا ما فعله ياقوت - على سبيل المثال - حينما توافرت لديه المعلومات عن بعض هذه المواضع .

**الثانى :** مواضع ينسبها البكرى إلى الإقليم الذى تقع فيه ، فيقول بأن ذلك الموضع فى نجد أو تهامة أو حصن بأرض اليمامة . أو ينسبها إلى بلاد قبيلة معينة فيقول : « موضع فى ديار غطفان » أو « اسم واد لبنى سليم » ، ثم يورد البكرى شاهداً أو أكثر من شواهد الشعر، أو حادثة تاريخية ترتبط باسم ذلك الموقع .

**معجم البلدان لياقوت الحموى :**

ذكر ياقوت فى مقدمته أن حافزه إلى تأليف كتابه هو تلك المناظرة التى جرت له مع أحد المحدثين فى مجلس السمعانى عن « حبُاشة » اسم موضع جاء فى الحديث النبوى ، وهو سوق من أسواق العرب فى الجاهلية ، فقال ياقوت أنه « حُبَاشة » بضم الحاء ، أما الآخر فقال إنما هو « حَبَاشة » بالفتح ، وأصر على ذلك . ولما تبين لياقوت صواب رأيه بعد طول بحث ألقى فى روعه افتقار العالم إلى كتاب يُعنى بتقييد أسماء المواضع وضبطها .

ويختلف كتاب الحموى عن كتاب البكرى فى أن الأول قد اعتمد على طائفة كبيرة من المصادر ، ولم يقتصر على كتب اللغة والأخبار كما فعل البكرى . وقد أشار ياقوت إلى ثلاث طبقات من المصادر :

**أولها :** طبقة القدماء أمثال أفلاطون وفيثاغورس وبطليموس .

**وثانيها :** كتب طبقة الإسلاميين الذين سلكوا نهج القدماء فاهتموا بذكر البلاد والممالك وعينوا الطرق والمسالك ، مثل ابن خرداذبة واليعقوبى والجيهانى والاصطخرى وابن حوقل والبشارى وغيرهم .

**وثالثها** : طبقة أهل الأدب الذين قصدوا الأماكن العربية والمنازل البدوية ، أمثال أبى سعيد الأصمعى ، وأبى عُبيد السكونى والحسن بن أحمد الهمدانى .

وانتقد ياقوت كلَّ طبقة من الطبقات الثلاث ، فالأولى وقف لهم منها على تصانيف عدة ، وجهل أكثر الأماكن التى ذكرت فيها ، وأبهم عليه أمرها وعدمت لتطاول الزمان فلا تعرف . والثانية أسماء الأماكن فى كتبهم مصحفة مغيرة قد مسخها من نسخها . وأما الثالثة فإنها وإن وجدت لها أصول مضبوطة فإنها غير مرتبة وشديدة الاختصار لأن قصدهم منها تصحيح الألفاظ .

ثم ذكر الحموى منهجه فى الكتاب بأنه قام بجمع ما شتته السابقون وأضاف إليه ما أهملوه ورتبه على حروف المعجم ، ووضعه وضع أهل اللغة المحكم ، وأبان عن كل حرف من الاسم هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور ، ثم ذكر اشتقاقه إنْ كان عربياً ، ومعناه إن أحاط به علمًا إنْ كان أعجميًا ، وفى أى إقليم هو وأى شىء طالعه ، ومن بناه وأى بلد من المشهورات يجاوره ... إلخ .

لقد وصل ياقوت الحموى بهذا الفن الجغرافى فى القرن السابع الهجرى إلى غاية كبيرة من الكمال . ومع أن ياقوتًا لم يطَّلع على معجم البكرى ، رغم بحثه عنه وتطلبه له [1] إلا أن معجم البلدان احتوى معجمات كاملة ضمنها ياقوت فى كتابه ، من ذلك كتاب الزمخشرى : « الجبال والمياه والأمكنة » ، وكتاب « الأمكنة » لنصر بن عبد الرحمن الإسكندرى ، و « الأماكن » لأبى بكر محمد ابن موسى الحازمى ، كما أفاد من كتاب « تهذيب اللغة » للأزهرى ، ونوادر أبى زيد الأعرابى ، وغيرهما من أصحاب اللغة .

وبالمقارنة بين معجمى البكرى وياقوت ، يمكن أن نخرج ببعض الملاحظات :

١ - كتب البكرى كتابه معتمداً على ما بين يديه من الكتب ، وكان احتمال الخطأ فى معجمه يتفق مع التصحيف أو التحريف الذى لا يخلو منه كتاب ، ومن تلك التصحيفات ما يقود إلى أخطاء أخرى كقوله أن « بَارِق على وزن فاعل من برق : جبل بالسواد قريب من الكوفة » وهو خطأ ، فبارق جبل بالسراة

---

( ١ ) ياقوت الحموى : معجم البلدان ( ١ / ٧ ) .
( ٢ ) معجم ما استعجم : ( ١ / ١٥٢ ) .

وعندما صحف السراة فقال السواد أضاف الكوفة حتى يستقيم المعنى [٢] . وقد نبّهنى أستاذنا الشيخ حمد الجاسر إلى كثير من أسماء الأعلام الجغرافية وردت مصحفة ، منها :

آنقة = آنِقَة ( ص : ١٤ )[١]

الأيسر = الأنْسَر ( ص : ٩٧ )

بديع = يَدِيع ( ص : ٢٣٢ )

بق = نَفْء ( ص : ٢٦٣ )

بنيان = بَنْبَان ( ص : ٢٨١ )

وقد فطن القدماء إلى الأخطاء الواردة فى كتاب البكرى ، فتعرض السُّهيلى فى « الروض الأنف » للكثير من تلك الأخطاء ، وذكر ابن دحية ( ت ٦٣٣ هـ ) فى ترجمته لأبى الحكم على بن محمد بن عبد الملك اللخمى أنه أخذ عنه استدراكه على الوزير أبى عبيد البكرى فى معجم ما استعجم وذلك نحو من أربعمئة موضع[٢] .

ولا نريد أن نبرئ معجم ياقوت الحموى من أخطاء التصحيف ، وبعض تلك الأخطاء سبق أن صوبها البكرى فى معجمه ، مثال ذلك قول ياقوت : « قُراضِمْ » بالضم ، وبعد الألف ضاد معجمة وميم ، يقال : قرضت الشىء أو قطعته وهو اسم موضع بالمدينة[٣] .

أما البكرى ، فذكر أن ذلك الموضع بين المشلل والخيمتين ، وقال « قال الهجرى : وكنا نرويها قُراضم بالقاف ، حتى سألت أعربيًا عن تلك الناحية ، فقال فُراضم بالفاء عندنا ، ووصف الموضع »[٤] .

غير أن أخطاء ياقوت فى معجمه أقل بكثير من أخطاء البكرى ، فالرحلات التى قام بها ياقوت قد قللت إلى حد كبير من خطر التصحيف ، وقد رحل ياقوت إلى الشام ومصر وتبريز ونيسابور إلى أن بلغ مرو ، فأتاحت له تلك الرحلات تحقيق أسماء معجمه على الطبيعة .

٢ - استعان ياقوت بعدد كبير من كتب الجغرافيا اليونانية والعربية لم تتهيأ للبكرى فى فترة انشغاله بعمل المعجم ، ولعل اقتصار الأخير على ما ورد فى أخبار العرب وأشعارهم

( ١ ) معجم ما استعجم : ( ١ / ١٥٢ ) .
( ٢ ) معجم ما استعجم : ( ١ / ١٥٢ ) .
( ٣ ) معجم ما استعجم : ( ١ / ١٥٢ ) .
( ٤ ) معجم ما استعجم : ( ١ / ١٥٢ ) .

من أسمـاء المواضع ، وهو الذى كَشَّف المادة الجغرافية الخاصة بالجزيرة العربية دون غيرها من المواضع ، حتى اضطر البكرى إلى التمهيد لمعجمه بفصل خاص بجغرافية الجزيرة العربية ، فبدا معجم البكرى كأنه معجم خاص بالجزيرة فقط .

أما ياقوت فإن معجمه عامٌ شمل أجزاء كبيرة من الإمبراطورية الإسلامية ، وأجزاء أخرى خارجة عن بلاد الإسلام كبلاد الروم والصين .

٣ - عنصر التوازن مفتقد فى معجم البكرى ، فقد تناول بالتفصيل الأجزاء العربية من جزيرة العرب كالحجاز وتهامة والأجزاء الشمالية الغربية من نجد ، أما الأجزاء الأخرى من الجزيرة فنصيبها ضئيل قياسًا بتلك المناطق .

٤ - يركز البكرى على مناهل المياه ومنازل العرب الواردة فى الشعر ، أما ياقوت ، فإنه يركز على المدن ، فيذكر التعليل الأسطورى لنشأة المدينة ، ويذكر أحيانًا خطَّى الطول والعرض اللذين تقع عليهما المدينة ، ومن اشتهر بها من العلماء وما قيل فيها من الشعر، وخصائصها المميزة ، وقد يستطرد فى الوصف فى المواضع والمدن بحسب أهمية ذلك الموضع ، فالصين مثلاً عندما تكلم عنها نقل رسالة كاملة كان أبو دلف الخزرجى كتبها عن الصين بعد رحلته إليها فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى .

**المرحلة الثالثة : الدراسات والمعجمات الحديثة**

مضت بعد ياقوت الحموى أجيال متعاقبة دُرِسَتْ خلالها بلاد أو انتقل اسمها إلى مكان مجاور غير المكان الأصلى ، أو ردمتها الرياح السافية ، أو خُرِبت بفعل الحروب ونوائب الدهر . وتغيرت بعض الطرق والدروب ، وهاجر كثير من السكان من مواطنهم إلى مواطنَ جديدةٍ أطلقوا عليها أسماء بعض أماكنهم القديمة المحبَّبة إليهم .

وفى العصر الحديث برزت مجموعة من العوامل التى ساعدت على مزيد من التغيير والتحريف والنسيان لكثير من أسماء الأعلام الجغرافية القديمة ، نورد فيما يلى بعضًا منها :

١ - إن التحضر و التوسع المدنى الذى نشاهده فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى ،

والعالم العربى بشكل خاص قد أدى إلى انضواء أعلام جغرافية كثيرة كانت سابقًا خارج إطار المدن ، فأصبحت الآن أحياء من تلك المدن واتخذ الكثير من تلك المواضع أسماء جديدة بعيدة كل البعد عن الأسماء القديمة التى لم يبق منها سوى أعلام قليلة جداً أصبحت تُطلق على الأحياء . ومدينتا الرياض والقاهرة مثلان بارزان فى الوطن العربى على التوسع العمرانى الذى ضم فى إطاره العديد من الأعلام الجغرافية القديمة التى اختفت معالمها اليوم .

٢ - أدّت التغيرات الكبيرة فى اقتصاديات الدول الصحراوية ، وبخاصة فى شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى إلى هجرة أبناء البادية إلى الحواضر العربية منها على أمل الاستفادة من الرعاية والخدمات المبذولة بسخاء لأبناء المدن . وفقدنا بانتقالهم تراثاً مهمًا فقد كانوا هم البقية الذين حافظوا على المعارف المختلفة المتعلقة بالبادية مجتمعًا وأرضًا ومناخًا ، وكانوا هم الذين يمكن أن يميزوا بين أسماء الأعلام الجغرافية فى الصحراء ، فهم يدركون بخبرتهم الطويلة ومعايشتهم لتلك البيئة الفروق الضئيلة بين منطقة وأخرى فى البادية المترامية الأطراف ، مما لا يدركه سكان المدن ، وقد يكون ذلك الاختلاف ناشئًا عن تغير فى نوع النبات أو انتشار أحياء معينة أو تغير طفيف فى تضاريس الأرض أو غير ذلك .

٣ - المحاولات المقصودة ذات الدوافع الدينية أو السياسية لطمس بعض المعالم ذات المدلول الدينى أو الوطنى ، ونجد المثال الصارخ على ذلك استبدال اليهود لكثير من أسماء الأعلام الجغرافية القديمة بفلسطين بأسماء عبرية . ومحاولات الأنظمة السياسية فى بعض الدول الإسلامية تغيير الأسماء التى لها علاقة بتراث الإسلام وحضارته فى تلك الدول .

ومنذ بداية الأربعينيات بدأت جهود جديدة فى الجزيرة العربية هدفت إلى ضبط الأعلام الجغرافية وتصحيح ما وقع فيه القدماء من أوهام ، والاجتهاد فى تحقيق مواقع تلك الأعلام عن طريق الرحلة والبحث المتواصل ، وتتمثل تلك الجهود فى نمطين من الأعمال :

**( ١ ) الدراسات والكتب :**

كانت بداية تلك الجهود على يد العلامة الشيخ حمد الجاسر - أطال الله عمره - ويتمثل ذلك أولاً فيما نشره من أبحاث فى جريدة « أم القرى » ومجلة « المنهل » منذ

عام ١٩٤١ م . وفى عام ١٣٦٧ هـ نشر فى جريدة الفتح التى يحررها المرحوم الأستاذ محب الدين الخطيب وفى ثلاثة أعداد متوالية (٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦) نقداً قيِّمًا للطبعة التى حققها المرحوم مصطفى السقا من كتاب «معجم ما استعجم من أسماء المواضع» وتتابعت جهوده فى هذا المضمار فانتظمت أول مجلة عربية تختص بشكل أساسى فى قضية تحديد المواضع فى شبه الجزيرة العربية ، وهى مجلة « العرب » التى تحفل مجلداتها التى تربو الآن على ثلاثين مجلداً بمعلومات فريدة عن المواضع فى داخل الجزيرة العربية ، ثم قام بالتعاون مع تلامذته ومحبيه بإصدار مشروع «المعجم الجغرافى للمملكة العربية السعودية» وقد عانى المسهمون فى هذا المعجم مشقة وجهداً لا يخفى على من سلك هذا الطريق الصعب ، فقد قاموا بجمع مؤلفاتهم اعتماداً على مشاهداتهم الخاصة فى رحلاتهم المتكررة إلى المناطق التى تحدثوا عنها ، وقد خبر الكاتب مصاعب مثل تلك الرحلات فى داخل الجزيرة العربية وعرف عن قرب مقدار ما قاسوه من وعورة الطرق وانقطاع السبُل قبل أن تمتد معالم الحضارة الحديثة فى المملكة العربية السعودية إلى أرجائها المختلفة ، ويضاف إلى ذلك ما لاقوه من عناء البحث فى المصادر القديمة المتعلقة بالمواضع التى حددوها . وهم لم يقتصروا فى البحث عن الموضع فى المعاجم الجغرافية فقط ، بل تتبعوه فى كُتب اللغة وشروح الشعر ، ووجدوا هناك ثروة أخرى لم تتضمنها المعاجم المتخصصة . وقد أورد الشيخ حمد الجاسر فى مقدمته للمنطقة الشرقية من المعجم الجغرافى أن فى كتابى « التكملة » للإمام الصاغانى مواضع كثيرة لم يتضمنها معجم البلدان ، منها « بيسان » وادٍ قريب من الطائف ، و « خَمُومَة » جبل يُطل على بلدة جُرش القديمة ببلاد عسير ، و « دغُبَج » القريب من مَرَّان .

ويقول الشيخ حمد : إن غرض المعجم الجغرافى لا يقتصر على تحديد الموضع المعروف ، بل يمتد إلى دراسة المواضع التى ورد ذكرها فى الأخبار أو الأشعار أو فى مؤلفات المتقدمين ، وهذا جانب مهم لا يصح إغفاله ، فالأمة العربية أحوج ما تكون إلى ربط حاضرها بماضيها . وكثير من النصوص القديمة فى الأدب أو الشعر أو التاريخ لا يمكن فهمها فهمًا تامًا دون معرفة ما يتصل بها من بيئة . وكيف نفهم الوقائع التاريخية كالغزوات النبوية ، ووقعات حروب الردة إذا لم نعرف المواضع التى حدثت تلك الغزوات والوقعات فيها ؟! . وكيف نتصور حياة أى شاعر من الشعراء

المتقدمين تصوراً تامًا دون معرفة مرابع صباه ومراتع هواه .

ويورد الجاسر والمسهمون الآخرون فى المعجم أمثلة كثيرة على ما وقع فيه المتقدمون والمحدثون من أوهام سببها جهلهم بتلك المواقع واعتمادهم على الرواية دون المعاينة والمشاهدة .

• ومما صدر من « المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية » ما يلى :

• حمد الجاسر : المنطقة الشرقية : البحرين قديماً ، الرياض ١٩٧٩

حمد الجاسر : شمال المملكة : إمارات حايل والجوف وتبوك وعرعر والقريات ، الرياض ١٩٧٧

سعد بن جنيدل : عالية نجد : إمارات الدوادمى والقويعية والخاصرة وعفيف ووادى الدواسر وغيرها ، الرياض ١٩٦٨

• عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، الرياض ١٩٧٨

• على بن صالح الزهرانى : بلاد غامدوزهران ، الرياض ١٩٧١

• عمر غرامة العمروى : بلاد بارق ، جدة ١٩٧٩

• عمر غرامة العمروى : بلاد رجال الحجر ، الرياض ١٩٧٩

• محمد بن أحمد العقيلى : مقاطعة جازان ، المخلاف السليمانى ، الرياض ١٩٧٩

محمد بن ناصر العبودى : بلاد القصيم ، الرياض ١٩٧٩

ويزيد عدد مجلدات هذا المعجم على عشرين مجلّداً تُعَدُّ فى مجملها إضافة عالية القيمة للمكتبة العربية ، ومصدراً لابد من الرجوع إليه لكل باحث فى التراث العربى القديم أدبًا وتاريخًا .

وقد عُزِّز هذا المعجم بمجموعة كبيرة من الدراسات التى نُشر معظمها فى مجلة « العرب » بالإضافة إلى الكتب التى وضعها الشيخ حمد الجاسر عن رحلاته فى شمال غرب الجزيرة العربية وفى بلاد غامد وزهران وغيرها .

وما دمنا بصدد الحديث عن المعجمات التى تناولت المواضع ، فإننا لابد أن نشير إلى معجمين مهمين لم يصدرا ضمن سلسلة الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، وهما :

١ - معجم معالم الحجاز الذى وضعه عاتق ابن غيث البلادى فى عشرة مجلدات ، وصدر

فى مكة المكرمة ابتداء من عام ١٩٧٨ . وقد قضى البلادى سبع سنوات فى الإعداد لكتابه من خلال الرحلات التى زادت على ستين رحلة ، فى نواحي الحجاز ، وذكر أنه كان يحرص على تحقيق الأماكن التاريخية ، ويرى أن أكثرها ما يزال على اسمه القديم وبعضها قد تغير كليًا ، وأما المواضع التى لم يعثر عليها فهى القليل .

وتكلم البلادى عن الأخطاء التى وقع فيها الأقدمون ، وذكر أن عرام بن الأصبغ السلمى كتب رسالته عن أسماء جبال تهامة وسكانها ، وهو بعيد عن الحجاز فى بلاد فارس ، وكان يأخذ مادته من الأعراب الذين اتخذ بعضهم - فى تلك الأيام - من الرواية حرفةً يتعايش منها ؛ فجاءت رسالته مليئة بالأغلاط مختلة التعابير غير واضحة التحديدات ( ص : ٦ ) .

وأشار فى كتابه إلى إحدى المشكلات التى تتعرض لها الأعلام الجغرافية فى الحجاز ، وربما كان هذا أيضًا فى مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية . فأمراء النواحى الصغيرة يعمدون إلى إعطاء أسماء شعاب وآبار وآكام يسمونها قرى ويحصون لها سكانًا رجاء أن تكبر فى نظر المسئولين فى الدولة فيعيرونها اهتماماً يفضى إلى المأرب المنشود (ص : ٧).

والمعجم بشكل عامٍّ يسير على المنهج نفسه الذى سار عليه أصحاب المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، إلا أن الأخير أكثر تفصيلاً فى مراجعة اسم الموضع سواء فى المعاجم الجغرافية أو فى كتب الأدب وشروح الشعر ، أما البلادى فأكثر اعتماده على ياقوت الحموى ، إضافة إلى ما قام به من رحلات ميدانية فى مناطق الحجاز المختلفة .

٢ - مجموع بلدان اليمن وقبائلها جمعه المرحوم القاضى محمد بن أحمد الحَجْرى اليمانى ، المتوفى عام ١٩٦٠ ، وحققه القاضى إسماعيل بن على الأكوع . وقد صدر من هذا الكتاب جزآن ينتهيان بحرف الزاى ، وذكر أنه هدفه من تأليف هذا الكتاب هو للمساعدة فى معرفة المواضع المساعدة المتصلة ببلاد اليمن الواردة فى كتب الأخبار والسيَّر ، والتعريف بمواضع القرى الخاربة التى لها ذكر فى التاريخ وأشعار العرب ، كبلدة أثافث وبراقش ومعين والثَّجة وغيرها ، وبيان المحلات والمخاليف التى تبدلت أسماؤها ، وكذلك معرفة البلدان المتفقة الأسماء المختلفة الجهات كظفار داود فى بلاد حاشد وظفار يحصب عاصمة التبابعة فى

بلاد يـريم ، وظفـار الحَبـوضى عـلى سـاحل بحر العرب .

ولابد من الإشارة هنا إلى جهد آخر لا يقل أهميـة عن الجهود المذكورة فقد تضمن الكثير من المعلومات النافعة التى كانت مادة للحوار فى أمـر المواضع فى شبـه الجزيرة العـربيـة ، ويتمثل ذلك فى عملين للشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد ، أولهما كتاب « صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار » الذى نُشر فى القـاهرة فى خمسـة مجلدات عـام ١٩٥١ ، ويختص بدراسة المواقع الواردة فى المعلقات ، وكتاب « ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه » وقد نُشر فى الرياض بعد وفاة المؤلف رحمه الله ( بدون تاريخ ) ويسير على النمط الذى سار عليه ياقوت فى « المشترك وضعًا والمختلف صقعاً » .

وقـد تركنا الحـديث عن هذين الكتـابين لكونهما لا يدخلان بشكل مباشر فى إطار المعجمات الجغرافية المنظمة منهجيًا كما هو الحال بالنسبة للمعجمات المذكورة .

وقـد أشار الحجرى فى كتـابه أيضًا إلى طائفـة من أوهام القدماء فى تحديد المواضع ، كما فعل من سبقه .

( ٢ ) **الخرائط :**

يدخل فى نطاق الجهود الحديثة لتحديد وضبط الأعلام الجغرافية فى جزيرة العرب ، ذلك الجهد الذى قـامت به مصلحة المسـاحة الجيولوجية الأمريكية وشركة الزيت العربية الأمـريكيـة ( أرامكو ) تحت رعـاية المملكة العربية السعودية ووزارة الخارجية الأمريكية ، فقد نشرت ابتداء من عام ١٩٥٦ مجموعتين من الخـرائط الجيـولوجية والجغرافية بمقياس ١ / ٥٠٠,٠٠٠ غطت معظم شبـه الجـزيرة العربية فيما عدا أجزاء من اليمن وعدن وعُمان . ثم نشرت نفس الهيئة فى سنة ١٩٦٣ خريطة جيـولوجيـة بمقيـاس ١ / ٢,٠٠٠,٠٠٠ اشتملت على كل شبه الجزيرة العربية .

وقـد صدرت الخـرائط المذكـورة باللغـتين العـربيـة والإنجليـزية ، وتتـضـمن الملامح الطبوغرافية العامة كالجبال والهضاب والأودية وغيرها من معالم السطح ، فضلاً عن أسماء المدن والقرى وغيرها من الأعلام الجغرافية .

ومع أهمية هذا العمل الكبير الذى استغرق

سنوات طويلة من العمل الميدانى إلا أنه قد وقعت فى تلك الخرائط العديد من الأخطاء ، ويعود ذلك لعدة أسباب منها أن تلك الخرائط كانت تُكتب بالأحرف اللاتينية ثم تُترجم إلى العربية ومنها ما هو ناشئ عن اختلاف اللهجات بين أرجاء شبه الجزيرة العربية ، إضافة إلى التصحيف وأخطاء الطباعة .

**ومن أمثلة تلك الأخطاء :**

جبل الضورين حرفت إلى جبل الزورين ( منطقة عسير )

كرم حرفت إلى كروم ( منطقة عسير )

عَرْدان حرفت إلى الأردن ( نجد الجنوبى )

• ضرغد حرفت إلى زرغط ( الحجاز الشمالى الشرقى )

وهناك أمثلة كثيرة على التحريف درسها بعناية الدكتور أسعد عبده الأستاذ بقسم الجغرافيا بجامعة الملك سعود ، وأصدر مجموعة من الدراسات لبحث هذه القضية ، وانتهى إلى وضع معجم سمَّاه معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية مقاس ١ / ٥٠٠,٠٠٠ كان من أهم أهدافه تصحيح أخطاء الخرائط ، ومراجعة كل اسم فى الخرائط على أحد الكتب التى تعنى بأسماء الأماكن فى المملكة ، وقد تبين له أن عدد الأسماء الواردة فى الخرائط ٥١٣١ اسمًا يطابق ما فى الكتب منها ٢٢٣٨ اسمًا ، وتختلف عما فى الكتب ١١٣١٦ اسمًا ، أما بقية الأسماء وعددها ١٥٧٧ اسمًا فليس له ذكر فى الكتب المذكورة .

ويعتبر هذا الجهد القيِّم متممًا لجهود الشيخ حمد الجاسر وصحبه وجهود المنشئين للخرائط التفصيلية ، إذ يسرد الكتاب قائمة بأسماء الأعلام الجغرافية مع بيان اختلاف رسمها عن الخريطة إن وجد ، ثم الموقع الفلكى والصفة الطبوغرافية ورقم اللوحة من مجموعة الخرائط وأخيراً المصدر أو المصادر التى استند إليها فى مراجعة الاسم الجغرافى .

## خـــاتمة

استعرضت الدراسة السابقة الجهود العربية فى ضبط الأعلام الجغرافية فى شبه الجزيرة العربية ، منذ عصر التدوين إلى الوقت الحاضر. ومن الواضح أن تلك الجهود سابقة على الاهتمامات الدولية الخاصة بدراسة كيفية توحيد

كتابة أسماء الأعلام الجغرافية فى جميع خرائط العالم بطريقة دولية موحدة «قدر الإمكان» . فقد أصدر المجلس الاقتصادى والاجتماعى القرار رقم ٦٠٠ / ٤ أ يرجو فيه الأمين العام للأمم المتحدة أن يضع بالتعاون مع المنظمات الدولية ذات العلاقة برنامجًا يهدف إلى تقرير أسلوب موحد لكتابة الأسماء الجغرافية ، وانتظم فى جنيف عام ١٩٦٧ أول مؤتمر دولى تحت عنوان « تنميط الأسماء الجغرافية » تضمن قراراً ينصُّ على أن يكون رسم الاسم الجغرافى متفقًا بقدر الإمكان مع قواعد الإملاء المتَّبعة فى الدولة المعنية .

وإذا كان ذلك الجهد الدولى يهدف أساسًا إلى المحافظة على اسم العلم الجغرافى ويضع الطريقة المناسبة لتهجئته وفق نطقه المحلى بما يفيد الثقافة والمعرفة فى هذا المجال ، فإن ما قام به العرب عبر تاريخهم إلى يومنا هذا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بفهم طبيعة المواطن التى انتشرت فيها الحضارة العربية والإسلامية والطرق التى سلكها الإسلام فى استفاضته الأولى من جزيرة العرب إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، فضلاً عن تصور البيئة التى نشأ فيها الشعر والأدب العربى ، فعملية تحديد المواضع الجغرافية وضبطها وتحقيق ما ورد فى النصوص القديمة عنها ، ثم إدراج كل ذلك فى خرائط جغرافية تفصيلية ، يجعل من اليسير تتبع الأحداث وتحليلها بصورة أدق . نظراً لأن كثيراً من كتب التاريخ المعاصرة تحوى مبالغات أو أوهامًا سببها نقص فى التصور الجغرافى لمنطقة البحث .

وننتهى فى هذه الدراسة المسحية إلى توصيتين نراهما مهمتين فى هذا الصدد :

**أولهما** - إعداد مشروع يتولى تجميع الجهود المتناثرة فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى الهادفة إلى دراسة الأعلام الجغرافية القديمة التى لها صلة بحضارة الإسلام وإعداد معجم جغرافى شامل ييسر السبيل أمام الباحثين ، ويقدم لهم المعلومات المناسبة عن كل علم جغرافى سبق وروده فى كتاب من كتب الحضارة العربية .

ولا ننسى أن هناك بعض الجهود القيِّمة التى تمثل أساسًا طيبًا لهذا المعجم ، مثل كتاب « القاموس الجغرافى للبلاد المصرية » للمرحوم محمد رمزى ، وكتاب « تاريخ تركستان من الفتح الإسلامى إلى الغزو المغولى »

لبارتولد ، وتحقيقات مقبول أحمد عن المواضع التى أوردها الإدريسى عن الهند ، وغيرها .

إن مثل هذا العمل العلمى الكبير سوف يخدم الدراسات الأدبية والتاريخية والأثرية . كما يخدم الدارسين فى حقل علم الزلازل للتعرف على الأعلام الدارسة بفعل هذه الظاهرة الجغرافية .

**ثانيتهما** - ضرورة الاستفادة من أسماء الأعلام الجغرافية العربية فى وضع المصطلحات الخاصة بأشكال سطح الأرض ، فالأسماء المذكورة تعبّرغالبًا عن ظاهرة أو صورة معينة ، فاللغة العربية لغة بيئية كتب بها العربى ما شاهده بدقة لا نظير لها فى اللغات الأخرى .

ويمكننا من خلال تتبع أسماء الأعلام الجغرافية المتكررة ومدلولاتها فى شبه الجزيرة العربية أن نكشف عن مصطلح عربى لم يستخدمه الكُتّاب المعاصرون بلفظه العربى على الرغم من العلاقة الوثيقة بين اللفظ وطبيعة المكان ، واستبدلوا به مصطلحًا أجنبيًّا فما كان يمكن للفظ « كويستا » - على سبيل المثال - أن يشيع استخدامه لو كان إقرار هذا اللفظ الدخيل جاء مبنيًا على دراسة علمية ميدانية ، ومسح للأعلام الجغرافية فى المنطقة العربية وتحليل معانيها ، فهذا اللفظ يدل على ظاهرة منتشرة فى صحارينا العربية ، يطلق عليها اسم « الجالات » مفردها « جال » وهى عبارة عن حواف صخرية رسوبية ناهضة ذات جروف رأسية وعرة من جانب وانحدار لطيف من الجانب الآخر . ولفظ « جال » الذى استخدمه السكان هناك منذ مئات السنين هو لفظٌ ذو جرس عربى سهل فى النطق وفى التصريف . وهو مشتق من البناء اللغوى العربى . فقد أطلق العرب على جدار البئر وجانبى الوادى وشاطئ البحر اسم « الجال » بمعنى الحافة ، ومن هنا جاء استخدام أهل الجزيرة العربية لهذا المصطلح ؛ لأن أهم ما يميز « الكويستا » هو جانبها الوعر الذى هو أشبه بالحافة ، ولذلك شاع لفظ « الجال » للدلالة على هذه الظاهرة فى البيئة العربية . وثمة أمثلة كثيرة تؤيد أهمية ما ذهبنا إليه من استخدام المصطلحات العربية فى هذا المجال .

ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق .

**عبد الله يوسف الغنيم**
عضو المجمع المراسل
من الكويت

## المراجع

١ - إبراهيم أحمد المقحفى : معجم البلدان والقبائل اليمنية ، منشورات دار الكلمة ، صنعاء ، ١٩٨٥

٢ - أسعد سليمان عبده : معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية مقياس ١ : ٥٠٠,٠٠٠ ، مكتبة المدنى ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٤.

٣ - أسعد سليمان عبده : معجم أسماء الأماكن فى المملكة العربية السعودية المكتوبة على خريطة الجزيرة العربية مقياس ١ : ٢,٠٠٠,٠٠٠ ، مكتبة المدنى ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤.

٤ - أسعد سليمان عبده : تصحيح الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية مقياس ١ : ٥٠٠,٠٠٠ ، مكتبة المدنى ، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ، ١٩٨٤

٥ - أسعد سليمان عبده : تأثير القدرة الإملائية فى رسم الأسماء الجغرافية ، تجربة على طلاب من قسم الجغرافيا فى جامعة الملك سعود ، مجلة جامعة الملك سعود ، المجلد الخامس ، ١٩٩٣

٦ - أسعد سليمان عبده : بعض أوجه الاختلاف فى رسم اسم المكان الواحد بحروف اللغة العربية فى المملكة العربية السعودية ، إصدارات وحدة البحث والترجمة ، الكويت ، ١٩٨٥ .

٧ - البكرى ، عبد الله عبد العزيز : معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

٨ - ابن بليهد ، محمد بن عبد الله ، صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار ، الطبعة الثانية ، مراجعة : محمد محيى الدين عبد الحميد ، ١٩٧٢

٩ - ابن بليهد ، محمد بن عبد الله ، ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ، ١٣١٠ - ١٣٧٧ هـ تحقيق وتعليق : محمد بن سعد بن حسين ، الرياض ١٤٠٢ هـ .

١٠ - الحازمى ، محمد بن موسى : الأماكن ( ما اتفق لفظه وافترق مسماه فى الأمكنة ) ، الجزء الأول (أ - ض) ، إعداد : حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤١٥ هـ .

١١ - حمد الجاسر ، نقد الطبعة الأخيرة من ( معجم ما استعجم للبكرى ) ، مجلة الفتح ، العدد ٨٥٤ ، مارس ١٩٤٨ .

١٢ - حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، المنطقة الشرقية ( البحرين قديمًا ) ، القسم الأول ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٧٩ .

١٣ - حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية - شمال المملكة ، إمارات : حايل وتبوك وعرعر والقريات ، القسم الأول ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية .

١٤ - الحموى ، ياقوت بن عبد الله : كتاب المشترك وضعًا والمفترق صقعًا ١٨٤٦

١٥ - الحموى : ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان ، طهران ١٩٦٥ ( مصورة عن طبعة وستنفلد ) .

١٦ - الزمخشرى ، محمود بن عمر : الجبال والأمكنة والمياه ، المكتبة المرتضوية ومطبعتها الحيدرية - النجف الأشرف ، العراق ، الطبعة الأولى ، ١٩١٧ .

١٧ - عاتق بن غيث البلادى : معجم معالم الحجاز ، الجزء الأول ، دار مكة للنشر والتوزيع ١٩٧٨ .

١٨ - عبد الله بن محمد بن خميس : معجم اليمامة ، المعجم الجغرافى للمملكة العربية السعودية ، مطبعة الفرزدق ، السعودية ١٩٧٨ .

١٩- عبد الله يوسف الغنيم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى ، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩.

٢٠ - عبد الله يوسف الغنيم : منتخبات من المصطلحات العربية لأشكال سطح الأرض ، إصدارات وحدة البحث والترجمة ، الكويت ، ١٩٨٤ .

٢١ - على بن صالح السلوك الزهرانى : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، بلاد غامد وزهران ، الجزء الثانى ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٩٧١ .

٢٢ - عمر غرامة العمروى : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية الجزء الثالث ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٨ هـ .

٢٣ - محمد بن أحمد العقيلى : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، مقاطعة جازان ، المخلاف السليمانى ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٩٦٩ .

٢٤ - محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٣ - ١٩٥٤ .

٢٥ - محمد بن سعيد بن حسين : الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبية ، الجزء الأول ، مطابع اليمامة - الرياض ، ١٩٧٩.

٢٦ - محمد سيد نصر : توحيد نطق الأعلام الجغرافية وكتابتها ، رابطة أساتذة العلوم الاجتماعية ، مطبوعات الرابطة - السلسلة الجغرافية ، ١٩٧٣ .

٢٧ - محمد بن ناصر العبودى : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، بلاد القصيم ، القسم الأول منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٩٧٩ .

٢٨ - الهجرى ، هارون بن زكريا : التعليقات والنوادر ، دراسة ومختارات ، القسم الثالث اللغة والمواضع ، ترتيب : حمد الجاسر .

٢٩ - اليمانى ، بن أحمد الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق وتصحيح ومراجعة إسماعيل بن على الأكوع ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة ، مشروع الكتاب - اليمن ١٩٨٤ .

# أعلام الجغرافيا فى موريتانيا ومكانتها عند شعرائهم

للأستاذ الدكتور محمد المختار ولد إبّاه

## ١ - زمان يمر ومكان مستقر :

يحيط بالإنسان فى حياته إطاران ، هما الزمان والمكان . يشعر بالزمان وهو يفر بين يديه ، لا تتوقف ساعاته ولا تغير وجهتها ، تمضى سهامها مسرعة تحمل معها ماضيا ولى بغير رجعة ، وتترك أسئلة ، يستحيل الجواب عنها حول مستقبل الأيام .

أما المكان فإنه يظل ماثلا أمام أعيننا ، ثابتا تحت أقدامنا ، وكأنه يحاول أن يسعفنا باستعادة ذكريات الماضى الذى بقى مستودعا لها ، ومع ما لذلك من تحرك وجريان ، وما لهذا من سكون وثبات ، فإن بينهما صلة وثيقة أوحت لبعض العلماء المحدثين ، بنظرية النسبية المحدودة ، التى لم تر فى الزمان سوى بُعدٍ رابعٍ للمكان ، ويعتقد أصحابها أن فى إمكاننا أن نطوى صفحات الزمان حينما نقترب من السير بسرعة انتشار الضياء ، لكن بعض الفلاسفة سخر من هذا الرأى قائلا " إنها ليست الطريقة المثلى لمكافحة الشيخوخة " .

غير أن هذه المقولة لا تعنى فك ارتباط بين الزمان والمكان ، ولعل أكثر من يحس هذا الارتباط ، هم الشعراء الذين تهتز مشاعرهم كلما وقفوا على المواضيع التى قضوا فيها فتراتٍ من حياتهم ، فنراهم يخاطبونها بالتحية والسلام ، ويسائلونها من مُتَديِّريها ، « والدار لو كلمتهم ذات أخبار » .

لكنها تستعجم ، وتواجههم بصمت يبلغ أوجه فيما يرمز إليه أبو الهول من تعبير صامت رهيب وأمام هذا الصمت ، يلوذ الشاعر بالبكاء ، مثل ما بكى ابن حذام ، وامرؤ القيس بين الدّخُول وحَوملٍ وزهير بن أبى سُلمى بين الرسّ والرسيس وعاقل ، ومن اتبع طريقهم مثل ذى الرُّمة وجرير بن الخطفى .

## ٢ - حب الوطن من الإيمان :

ثم لم يقتصر هذا الحب والحنين على الشعراء ، فكان من المأثور أن حب الوطن من الإيمان ، ونرى أن الرسول عليه الصلاة والسلام اشتاق إلى رحاب مكةَ لما أخبره أصيل الغفارى

( أو الهذلى ) أنه تركها وقد اخضرت جنباتها وابيضت بطحاؤها ، وأينق إذخرها ، وانتشر سلمُها فقال له صلى الله عليه وسلم : حسبك يا أصيل لا تخزنا ودع القلوب تقر .

وكان بلال بن حمامة يتشوق إلى مكة ، وينشد قول الشاعر :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة

بواد وحولى إذ خر وجليل

وهل أرين يوما مياه مجنة

وهل يبدون لى شامت وطفيل

وتذكرنا هذه الأبيات بمقطوعة لشاعر شنقيطى عرف بلقب بُفمَيْن ، بحنينه إلى "تاركة" حيث يقول :

أحن إلى ترقى ووادى أضائها

وهل لى إلى وادى الأضاء سبيل

وهل أرينَّ أنيَا شَوَانَ وقد بدا

من أهلى مقيم عنده ونزول

رسوم بِتِنيافَيلَ منهم محيلة

حنينى إلى أيامهن طويل

وهذا ولم تك العواطف الشعرية أو الوطنية هى وحدها التى حملت العرب والمسلمين على العناية بالأعلام الجغرافية فقد عنوا ، كما هو معلوم ، بالخطط والمسالك ، وطرق الحج والقوافل ، والمناهل ، والحواضر ، فكتبوا المؤلفات العلمية فى هذا المجال .

فرسم الشريف الإدريسى صورة الأرض ، وألف الهمدانى إكليله ووصف جزيرة العرب ، ودون ياقوت الحموى معجمه للبلدان الذى كان بمثابة موسوعة أدبية متميزة ، ووضع المقريزى خططه المشهورة ، والبكرى مسالكه .

وتواصل هذا العمل عند العلماء المعاصرين أمثال العلامة حمد الجاسر ، وعبد الله بن خميس فى المشرق ، ومحمد حجى ود . أحمد توفيق فى المغرب .

**٣ - بعض ما كتِب عن الأعلام الجغرافية فى موريتانيا :**

وفيما يخص موريتانيا ، فإن أعلامها الجغرافية ما زالت تحتاج إلى مزيد من التعريف على مستوى العالم العربى ، وقد كُتِب عنها إلى الآن ثلاثة كتب مطبوعة ، أولها كتاب الوسيط فى تاريخ أدباء شنقيط ، ومؤلفه أحمد ابن الأمين الذى احتضنته القاهرة طيلة عقدين من الزمن ، استطاع خلالهما أن يغتنم فرصة

المناخ الثقافى فى مصر المعطاء ، فألف مصنفاته المشهورة فى اللغة والأدب ، وقد ذيّل كتابه المعروف بالوسيط فى تراجم أدباء شنقيط بقسم أسماه : «الكلام على شنقيط تخطيطها» وسنقدم عنه ملخصا فى هذه الورقة .

والكتاب الثانى هو كتاب إخبار الأحبار بأخبار الآبار ، للشاعر محمد بن أحمد يوره الديمانى ، وقد اقتصر فيه على منطقة "إيكيدى" وذكر أن معناه بالبربرية الأرض ذات الآبار اللينة التربة، والبعيدة الماء وقدم له بنبذة عن سكان "إيكيدى" من بنى المغافرة من بنى حسان واعتاد أن يفسر معانى أسماء المواضيع التى ذكرها ، وهى فى أغلبها من لغة صنهاجة- والملاحظ أن أكثرها يبتدأ "تن" إذا كان المكان مؤنثا مثل " تنشيكل" أو " تنيافيل " و "تندكسمى " ، أو بـ"إنْ" إذا كان المكان مذكرا مثل بـ "تن" مثل إنزمدّ ، اندومرى ، انواكشط ، وقسرة بالأصلم .

وكلما ذكر موضعًا استطرد ما اشتهر به ، من ذكر فى الشعر ، أو وجود مدفن مشهور ، أو وقعة من أيام الحروب بين السكان .

ففى كلامه عن تِنْيَاشِلْ ، عربها بـ"ذات الحى" وأتى بأبيات لعبد الله بن الشين الديمانى ، من نمط ما كان يردده بلال ، وبوفمين وهى :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
وللنَّفس بين المأمنين ثلوج
وهل لى بذات الحى عيش ألذهُ
منازلنا قدما وحيث نروج

وفى معرض حديثه عن موضع "دمان" جاء بخبر الحرب بين أبناء أحمد بن دمان ، وأبناء دمان ، وعن الوقعة المشهورة فى هذا المكان .

وفى كلامه عن "انتفاشين" قال إنها تعنى بالبربرية « ذو الكثيب الأبيض » وأن بها مقبرة عظيمة . فيها العلامة النظامة أحمد فال ابن محمد فال اليعقوبى .

وقد سلك العلامة المؤرخ والشاعر الأديب المرحوم المختار بن حامد ، نفس المنهج فى كتاب "جغرافية موريتانيا" تناول فيه الأعلام الجغرافية إلا أن كتابه شمل موريتانيا كلها ، وبدأه بأنساب جميع قبائلها وجغرافيتها مُركزًا على التنظيم الإدارى الحالى ، ثم تحدث فى كل محافظة عن أقسامها الطبيعية ومدنها وقراها، ومراكزها الإدارية ، ولقد أفاد من ما كتب ابن أحمد يورى وابن الأمين ، معتمدا الضوابط الثلاثة التى ينتقل المكان بسببها عن مجرد اسم

معروف محليا إلى درجة علم جغرافية معروف إقليميًا أو عالميًا . ونذكر بضوابط التحويل ، وهى الشهرة فى الأدب ، أو بالوقائع التاريخية ، أو بمقابر العظماء .

وفيما يلى ملخص عن ما كتبه ابن الأمين .

**٤ - ملخص تخطيط شنقيط عند ابن الأمين :**

لقد قلنا إن أول محاولة لتدوين الأعلام الجغرافية هى التى قام بها أحمد ابن الأمين فى كتاب الوسيط ، وتحدث فيها عن القطر الواقع فى أطراف العالم العربى ، والذى اشتهر ببلاد شنقيط .

فبيّن حدود البلاد ومناطقها الطبيعية وفى كل منطقة ذكر ما اشتهر من الأماكن ، وما عرفت به من وقائع فى الحروب ، أو أقوال الشعراء فيها ، أو ما يتميز به إنتاجه الزراعى، وها هى أهم هذه المناطق :

**(أ) آدرار :**

بدأ بمنطقة "آدرار" وذكر أن معناه بالبربرية "الجبل" وتحدث عن الطريق المؤدية إليه ، وقال إنها ثلاثة عشر مسلكا ، نذكر منها الطريق المدعوة بـ "شاة" وقال إنها شاة الجنّ - فلا يمر أحد بها إلا سمع صوت طبول الجن ، فإن هذا شائع عند أهل تلك البلاد .

وتكلم ثانيا عن "الظهر" أى متن آدرار وأن أشهر مدنه شنقيط ، ووادن وأوجفت . وقال إن مدينة شنقيط هى أقدم هذه المدن ، واشتهرت بجودة تمرها وأن النخلة الواحدة قد تحمل خمسة أوسق ، ثم استعرض ستة وعشرين موضعا ، منها مدينة "تنيك" التى يضرب المثل بخرابها ، وذكر أن سببه ما وقع من حرب بها بين أهلها . ومن هذه مواضع " اظهر" وادى "الحفير" وهو تصغير الحفرة. "وفى جودة تمره يقول أحد الظرفاء".

حسبى بمبسمها الألمى إذا ابتسمت من تمر "لحفير" أو من تمر واداں .

وذكر تعليق العلامة الحسن بن زين القنانى ، أن هذا البيت لمتأخر ثقيل .

وذكر تسعة من مواضع آدرار الشرقى ، وقال كلمة موجزة عن تاريخ مدينة وادان" .

وفى كلامه عن "باطن" آدرار ، ذكر مدينة "آطار" فقال إنها مدينة عظيمة ، وتجاورها أودية كثيرة . ولم يذكر فى "الباطن"، سوى ستة مواضع منها "الجريف"وكانوال : الذى عناه امحمد ابن الطلبة بقوله :

هاج قــرح الغــرام بعــد اندمــال

ظُعـن ظعـن الخـليـط يـوم إنـال

يـوم ولّت كـــأنـهـــا حين جـــدت

باســقــات النخــيـل من كــانوال

( ب ) لعصايب ومقطير :

وبعد آدرار ، الذى قال إنه يتوسط قُطر شنقيط أراد أن يتحدث عـما حوله من المناطق ، فبدأ بالكلام على لعصايب ومقطير .

وذكر فـيـهـمـا اثنى عـشر مـوضـعـا . منها بئر تسـمى "بشـار" وقـد بنى بـهـا أحـد أمـراء آدرار دورا ووجـد فـيـهـا آثارا قـديمة ، وكـذلك بئـر الطالب ابن الخليل وقـد زارها المؤلف ، وقـال إنها لما حفرها الطالب وجد فيها قسيا ورماحا قديمة .

( ج ) الساقية الحمراء :

ثم بعد ذلك تـكلم عن الساقـيـة الحمراء ، وأشار إلى أبيات ابن الشيخ سيدى التى يقول فيها .

أحـــمـــراء الســـواقـى مـــاورائـى

ألان غــربت أيهـــا الانتـــشــائى

ثم قـال إن الشـيـخ مـحـمـد المصطفى بن مـامين المشـهـور بماء العنين ، قد عـمرها وغـرس فـيـهـا النخل فـسهلت المواصلة بين شنقيط وغيـرها من المواضع المغربية التابعـة للمخزن وذكر أنها فى الأصل للركيبات

( د ) اينشيرى :

ويقول ابن الأمين: "بعد آدرار من الجهة الغربية توجد منطقة "إنشيـرى" ولم يذكر من معـالمها إلا مـوضـعين ، ولعله لم يعـرف غيـرهمـا ، ولم يك دقيقا فى تحديد جهتهما ، لأن إينشيرى فى جنوب آدرار وتوجد فيه أعلام جغرافية مذكورة فى الأدب الشنقــيطى ، منهـــا "ذريع مـــال إشكدان" الذى يعنيه امحمد بن الطلبة بقوله :

على م الأسى ان لم نلم ونجـــزع

ونبكى علـى أطلال رأس الذريع

وقـد بسط المخـتـار بن حـامـد القـول فى ذكـر مواضع إينشيرى ، وخصائصها .

( هـ ) تيرس :

وقـد كـان حظ منطقـة "تيـرس" أوفـرعند ابن الأمين ، لأنه أجاد فى وصفها ، وعدّد أكثر من ثلاثين مـوضـعـا منهـا .فـقـال إن المطر إذا نزل يبتهج الناس به لجودة تربتها وبعد نزوله بصدق فيهـا قـول العرب "شهـرثرى" و"شهـر مرعى" ، و"شهر ترى"

وذكر من أعلامها " كدية الجلّ " وفيها معدن للملح المعروف بالسبْخة ، وهى التى اكتشفت فيها أخبار مناجم الحديد فى موريتانيا . ومن أماكنها المشهورة جبلا "عيش اذخيرة ، وبنعميرة" وأورد ابن الأمين قول ابن الطلبة عنها :

يسقى الذراع فيتجريت مدوّما

من خبت "عيش" إلى مدافع تنضُل

**( و ) تكانت :**

ثم تحدث ابن الأمين عن منطقة تكانت ، وفسر معناها مبينا أنها "الغابة" وأنها حلقة جبلية مثل آدرار يفصل بينهما الخط الذى قال إنه لايعرف عنه شيئا بينما أوضح معرفته الدقيقة لتكانت التى قال إنه سلك خمسة من الطرق الموصلة إليها ، وذكر خمسين من أماكنها مثل مدينة تجكجة ، وأورد تاريخ بنائها وسبب تشييدها من قبل العلويين النازحين من مدينة شنقيط .

ومن هذه الأماكن ، "اللبيبة" وتعرف اليوم بمقسم "ابن عامر " وبها قبر سلطان مراكش " ابو بكر بن عامر" ، مؤسس دولة المرابطين وحاكمها قبل ابن عمه يوسف بن تاشفين ، ومنها أيضاً القبة وبها قبر العلامة سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم ومعه العلامة سيدى محمود الحاجى ولم يذكر ابن الأمين وابن حامد بعض ما قاله الشعراء لأن أكثره كان باللغة الحسانية العامية ونكتفى بإيراد مقطع واحد من شعر المرحوم محمد بن آدبٍّ الكنتى ، يستعيد فيها عهد وادى أشاريم ، ووادى اشو ، وهما من منطقة الرشيد فيقول :

أيام عَرفتْ اشو الخيًّام

فاشِوَ مَزال اشِو نَعِيمْ

وأشاريمْ عَرَفْتُ فايَّامْ

مَزَالْ أشاريمْ أشاريمْ

**( ز ) اراضى الرقيبة وأحوازها :**

وقسم ابن الأمين أرض الرقيبة قسمين : الرقيبة البيضاء ، والرقيباء السوداء . وتحدث عن أربعة عشر موضعا منها ، ومن أشهرها : كُنْدَيكة وهى التى وقع فيها يوم مشهور بين أهل سيدى محمود ، وقبيلة كنتة : وذكر أيضًا "انواملين" الذى اشتهر بالوقعة بين جيوش المجاهدين تحت إمرة الشريف مولاى إدريس الفاسى ، ضد الغزاة الفرنسيين ، وانتصار المجاهدين فيها .

( جـ ) ابن سيدى شاعر أوكار :

وأوكار الساحلى ، وهى المنطقة التى ارتضع ابن الشيخ سيدى أفاويق الصفاء فى ربوعها ، ففرض على نفسه البكاء فى مغانيها كلما تراءى له منها تل أنار ، وخط الشقارى ، وذواتا عليان ، والميامين أو روابى الكناوين فيقول :

هنالك لا تدع منهن رسما
بدا إلا مررت به مرارا

كما قال :

على دوران أوكار التحايا
تواصل بالغدايا والعشايا
فبيضاء التماشن فالروابى
روابى التوأمات فذى السرايا
إلى هضب السيال فأيدمات
معاهد حبهن لنا سجايا
يفضضها الهجير ولكل بدر
وتذهبها الغدايا والعشايا
ترى الأسباط منها والأراطى
كزين البيض أيام الضحايا
يود ذوو البُلَهْنية اضطجاعا
بها بدل الطناقس والخشايا

ومن مقطعاته المؤثرة قوله فى بئر تامرزكَيت التى يعربها ميمونة السعدى عند ما انهارت وعجز أهلها عن إصلاحها .

لعمرك ما ترتاب ميمونة السعدى
بأنا تركنا السعى فى أمرها عمدا
سوى أنا كنا عبيد مشيئة
ولا عار فى أن يُعجز السيد العبدا
حبسنا عليها وهى جدب سوامنا
فما صدنا السعدان عنها ولا صدا
ومرجع سانيها جعلنا مخيما
ليلا تصون الشيب عنها ولا المُردا
ويشرب كل الناس صفو مياههم
ونشرب منها الطين نحسبه شهدا

( جـ ) ولد حنبل الحسنى :

شاعر آخر من الذين أسهموا فى رفع ذكر الأعلام الجغرافية فى منطقته ، ألا وهو محمد ابن حنبل الحسنى ، المشهور برائعته الرملية التى مطلعها

أضرم الهم سحيرا فالتهب

لمع برق بربيات الذهب

ولقد كثر وقوفه على مغانى أرضه، وشوقه، فى دمن النقا. ومرقب الصيران وأضل الرعود، كل هذه مواضع فى سهل يعرف بآفطوط الشرقى. ومما يلفت الانتباه أن هذا السهل ينبت أشجارا عالية، تعرف محليا بالتيدوم وتعرب فى الشعر بالدوم، قد يبلغ قطر جذع الواحدة منها ثلاثة أمتار ولكل منها اسم علم عليها وقد تغنى الشاعر بها قائلا :

فأضا الرعود فملتقى أعراضها

فالدومة البيضاء فالسندان

إلى أن يقول :

والأرض مترعة زلالا باردا

تحنو عليه نواعم الأغصان

فظلاله لشبابنا متنزه

وفروعه للطير والغلمان

وقد تميزت من بين هذا الشجر، دومة تسمى ذات الحبال، وقد اعتاد الزوار التردد عليها والمقيل فى ظلها، وكتابة ما يريدون تخليده على جذعها. ولقد خاطبها محمد بن حنبل بقوله :

أذات الحبال الشُّم مَالكِ غضة

وفيك نقوشُ الأقدمين الأوائل

تعاطوك قرنا بعد قرن فأصبحوا

رميما رفاتًا تحت صُمِّ الجنادل

وكم فتية قالوا بظلّك قَبْلها

لهم حَسَب فى الأكرمين الأفاضل

وقبل عشر سنوات، لم تصمد ذات الحبال على مر القرون وسنى الجفاف فأجابت داعى ربها، دون أن تحظى برثاء أو تأبين، وسقطت معها الدومة البيضاء، والسندان. ودويمة العين، التى يخاطبها الشاعر العلوى محمد عبد الله بن أحمد فال، فيقول :

دويمة العين سرٌّ العين مَرآك

لا زال يعلو على الأشجار أعلاك

ما أنت إلا عجوز من عجائزنا

فأنت أمٌّ لنا ونحن أبناك

نفيدك بالدُّوم والأشجار قاطبة

لطيب ما مر من عيش بمغناك

(د) **شعراء العقل :**

والعُقل : تطلق على مجموعة من الآبار القصيرة ، والواحدة تسمى بعُقلة ، ولعل اشتقاقها أنها فى بعض الفصول يمكن امتياحها بجبل قصير ، مثل العِقال . ولقد كانت مواطن لكثير من الشعراء ، ويقول عنها والدنا محمد فال بن بابه العلوى .

وكان العُقْلُ لى وطنًا قديما
وميلادى بجنب أبى عقال

وفى أبى عقال ؛ يقول محمد عبد الله بن أحمد فال العلوى

أيا وادى الأراك وذا العقال
ضلالى عنكما عين الضال
فمن ضاليكما ما مِزْتُ ضالًا
وما مزت السّيَال من السيال
كأنى لم أُقِم بكما زمانًا
ولا شهرا أقمت ولا ليالى

ويذكر محمدو بن محمدى العُقَلَ فى قوله :

شمّر لعل رسيم الأينق الذلل
من بعد عشرين يدنى ساكنى العُقل

ويستسقى لها بقوله :

أرض العقيلات يا برق الحيا
وعلى أحيائها لعيون الشائمين لُح

ويقول عنها محمدن بن السالم الحسنى :

تضاحك الركب لما أن رأوا طربى
لما أضاء روابى سهلة الجلمُ
واعتن لى نَقَيَا لَمَغاسَ واعترضت
لِمْحيْدَتانِ ومن تَاتِيلَتَ العلم
يومى إلى بعضهم بالضحك بعضهم
أنْ قد صبا ويحهم ذا القاحل الهرم
لم أصب ويحكم لكن ذا وطن
لم ينسنيه بعاد العهد والقدم

وقد أورد ابن حامد مقطعات كثيرة لمحمد بن محمد المختار العلوى

منها قوله :

لدى الينبوع منزلة علىّ
لها ولنا بها زمن رخى
إذا هَبَّ النسيم بفوح منها
على الأرجاء هندى ندى

معاهد خيم الوسمى فيها

وولى فيضه فيها الولّى

**( هـ ) شعراء إيكيدى :**

ومن شعراء إيكيدى ، نعطى مثالين من مجموعة كثيرة أحدها يتعلق بمحمد فى الشعر كثيرا . وفيها يقول والدنا .

ذهابى لأرض البحر فى سورة الشتا

وكنت أوان البرد لا آلف البحرا

يعز على نفسى اصطباراً وإنما

يُهوّنه أنى أمرٌّ على البترا

**٦ - خاتمة :**

إن من الضرورى أن ننبه على أننا فى هذا المقال ، اقتصرنا على عيّنات محدودة من شعر الأعلام الجغرافية ، فاكتفينا من القلادة بما يحيط بالعنق ، ولو حاولنا إحصاء الأماكن المذكورة فى الأدب الشنقيطى لتطلب ذلك كتابا مستقلا على أقل تقديرى ؛ وإذا ما أضفنا إليه ما قيل فى الشعر الحسانى ، الشعبى ، لاحتجنا إلى عدة مصنفات .

غير أن الفكرة التى أردنا توضيحها ، هى أن بلاد شنقيط ، أى موريتانيا - أراضى مترامية الأطراف ، مليئة بأعلام جغرافية ، يلتقى فيها الأدب والتاريخ ، كما أنها ، بطبيعتها الصحراوية ، وعادات شعرائها البدوية ، تعطى صورة تكاد تكون طبق الأصل من الشعر القديم فى جزيرة العرب ، وتجعل من شعراء شنقيط فيما قبل العهد المعاصر خلفاء امرئ القيس بن حجر ، وزهير بن أبى سُلمى ، وذو الرمة ، وجرير ومن اتبع طريقهم .

ولعل فى هذا دليلًا - إن كان النهار يحتاج إلى دليل - على وحدة الحضارة العربية ، وأهمية التركيز على أصولها الثقافية ، التى تعتمد أساسا على القيم الإسلامية الصحيحة . ومما لا شك فيه أن أعمال مجمعنا الموقر ، تسهم بحظ وافر فى توثيق روابط هذه الحضارة ، وإن بحوثه فى الأعلام الجغرافية تقوى عُرى التواصل بين أبناء الأمة العربية فى كل مكان وتوطد أركان التعارف والتعاون بينها .

**والله الموفق**

**محمد المختار ولد إباه**

عضو المجمع المراسل

من موريتانيا

# الأعـــلام الجغرافيـــة العربيـــة

## للأستاذ الدكتور فؤاد فخر الدين

الأعلام جمع « علم » وهى شخصيات بارزة كأن على رؤوسها النار ، يشار إليها بالبنان ، ظهرت فى الوجود حاملة لواء الشهرة ، بما لها من شجاعة أو بطولة أو مهارة فى فن من الفنون أو علم من العلوم أو مهنة من المهن أو عمل من الأعمال أو أدب من الآداب شعرا كان أو نثرا ، لها أثر يحكى عنه فى المجتمع أو يبقى مع الأيام لا يزول ولا يذهب أدراج الرياح ، ولكنه يرمز على الحضارة من الحضارات أو مدنية من المدنيات التى يتباهى بها الإنسان بل الأمم فى إظهار كيانها التقدمى ووجودها القومى أو تاريخها الإنسانى أمام العالم الذى يخاطب الناس بفخر عن ميزاته الخاصة يمتاز بها ، ويتميز عن غيره من أبناء الجيل المتقدم .

والجغرافيا كلمة مأخوذة من كلمة أجنبية ، وهى علم يتصل بأديم الأرض والثرى ومساحتها وما يحيط بها من مواقع الحياة النامية ، والتضاريس والجبال والأوتاد ، والبراكين والسهول ، والوديان والأحراش ، والحاصلات والمنتجات الطبيعية والمائية والجوية ، وما يواجهها من أجواء وأنواء ، وكل فى حيز قُرِّر مكانه ومقره وموقعه حتى لا يتعدى على غيره ، فهو فى وطن له حدوده الطبيعية وروحه القومية ، ولغته الوطنية . فالأرض منطقة يابسة قسمت إلى أوطان ففى كل وطن جنس من البشر ، له حريته وحقه الأساسى يدافع عنه بكل ما لديه من قوة مادية ومعنوية .

والعرب جنس من هذا البشر ، عاشوا منذ الجاهلية الأولى فى شبه الجزيرة العربية ، وعرفوا كقوم لهم تاريخ ولا سيما فى الأدب شعره ونثره . فالفصاحة والبلاغة ميزة خاصة بهم ، وهما سلاح خاص بهم فى إشعال نار الحماس فى الحروب والخطوب وإشعال نار الحب فى قلوب النساء الفاتنات العاريات الكاسيات ، فاللغة مادة غزيرة سابحة فى بحر لجى ملآى باللآلى والمرجان والأسماك ذات الألوان ، فصارت اللغة وسيلة التخاطب فى كل مسائل الحياة تقرب الفهم والود والوئام حتى

أصبحت اللغة العربية لغة سائدة قائدة منذ أن كلم الله آدم عليه السلام وعلمه الأسماء كلها ، كميزة خاصة بالإنسان فلا يفهمها الملائكة واعترفوا بهذا العجز اعترافا بمعنى سمو المخلوق الإنسانى .

هذه الميزة الخاصة باللغة العربية استمر وجودها لغة دين قويم دين الله الوحيد ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين .

انتقلت اللغة العربية مع الإسلام إلى قومية أخرى أكثر فعالية ومفعولية وأوسع مجالا وساحة فى الوطنية ، إذ كل البلاد الإسلامية وطن للمسلم ، ولا يعرف الإسلام ولا يعترف بالوطنية الضيقة المقيدة بجنس معين من البشر والدين أقوى من صلة الدم ، وأقرب من القرابة النسبية ، والسلالة الجنسية ، ولا سيما أصبحت اللغة العربية إحدى مقومات القومية الإسلامية الخمس ، إذ نزل القرآن بها واختار الله واصطفى الرسول صلى الله عليه وسلم محمداً ممن يتكلم بها ، ولا شك أن الله جعل هذه اللغة رابطة دينية قومية ، فى أخوة وطنية، وفى وحدة شعورية لبناء مجتمع إسلامى فى صورة موحدة الجوانب ، واللسان أقوى هذه الجوانب فالمرء بأصغريه لسانه وقلبه ، إذ اللسان آلة التعبير والتحبير والتصوير حتى قال الفرنسيون :

( il faut tourner sa langue sept fois dans sa bouche avant de parler ) .

أى يجب أن تلف لسانك سبع مرات فى فمك قبل أن تتفوه بكلمة ، وحيث هذه اللغة من الله كلفة دينية للإسلام ، بل هى لغته الخاصة به وفضلها على سائر اللغات فعلينا أن نرجعها اليه كحقه ومميزاته كما يقول الفرنسيون فى مثلهم : (il faut rendre à Céser ce qui appertient à Céser,et à Dieu ce quiest à Dieu ) .

أعط لقيصر ما لقيصر وأعط لله ما لله .

وقد حدد الله مهمة القرآن فى توحيد الصفوف ، وتوجيه القلوب . وتكوين العقول والأفكار ، وتأليف أمة ذات صيغة خاصة ، ومقومات مميزة عن غيرها فقال سبحانه : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (يوسف ٢)، وقال : « وكذلك أنزلناه حُكْمًا عَربيا ، ولَئِن اتبعتَ أهواءهم بعد ما جاءك من العِلْمِ مَالكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِى ولا وَاقٍ » ( الرعد ٣٧ ) ، وقال : « وكذلكَ أنزلناه قرآنا عربيا وصَرَّفْنا فيه مِنَ الوعيدِ لعلهم يتقون أو يُحْدِثُ لهم ذِكْراً . فتعالى اللهُ الملكُ الحقُ ،

ولاتَعْجَلْ بالقرآنِ مِنْ قَبْلِ أن يُقْضَى إليكَ وَحْيُهُ، وقل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ، ولقد عَهِدْنا إلى آدمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِىَ ولم نَجِدْ له عَزْمًا » ( طه ١١٣ - ١١٥ ) وقال تعالى « قُرآنا عربيًا غَيرَ ذِى عِوَجٍ لعلهمْ يَتَّقُون « ( الزمر ٢٨ ) ، وغير ذلك من الآيات المبينات حاكية عن مهمة القرآن فى تكوين أمة إسلامية غير ذات عوج ، وهى رحمة للعالمين ، وخير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .

والإسلام غير العرب ، ولم يغير اللغة العربية وأن رفعها إلى أسمى اللغات قيمة وقدرا ، ونحن فى الواقع مجمع لغة القرآن لسان الإسلام ، إذا اتسعت مهمتها ، ويجب أن نرفع من شأنها فى الوحدة القومية التى بها نوحد الخطط السياسية ، والشئون الاقتصادية ، والمشاكل الثقافية ، والاختلافات المذهبية ونؤدى مهمتنا العليا فى الرسالة الإلاهية حتى تجد إسرائيل سم حاجتها فى تغيير جامعة الدول العربية الى جامعة دول الشرق الأوسط فالأولى بنا أن نجعلها جامعة الدول الإسلامية ، وهذا المجمع مجمع اللغة الإسلامية لنسد كل فراغ يمكن أن تدخل منها بجانب أننا نقوى صفوفنا القومية وروحنا الإسلامية ، ونرقى مشاعرنا اللغوية ، وننظر إلى سياسة أبعد مدى وأكثر فعالية ومفعولية ، فلا نضع العربة خلف الحصان كما يقول المثل الفرنسى : (Mettre la charrue devant les boeufs) .

ومميزات العرب فى الجاهلية لم تصل بعد إلى درجة التقدم العلمى وإلى الرقى الأخلاقى ، ولم تمتد حدودهم عن المناطق العربية المجاورة فى تجارة ما وللحصول على الضروريات الملحة ، ولم تكن لهم رسالة واسعة النطاق بل هم قوم رحل للبحث عن قوت يومهم حول الصحراء القاحلة والفيافى النائية ، وعلومهم لم تفدهم فى أداء هذه المهمة الضيقة ولا سيما العداوة بينهم كانت قبلية وشعوبية وعزة قومية ، وعلومهم لا تتجاوز حدود الاحتياجات المطلوبة فكانت علومهم بدائية للتغلب على الطبيعة القاسية والعوارض النفسية من الأهواء فى صورة ضغائن للأخذ بالثأر ، فأتقنوا علم القيافة والنجوم وغيرها من العلوم التى تواجه الطبيعة القاسية وتتغلب على الظروف المحيطة ، وعلى الطبائع الإنسانية الشريرة ، فتلك العلوم خاصة بمنطقة لم تخرج عن حيزها الضيق ، فالجهل صفة عدم

إدراك الطبيعة الإنسانية الشاملة ، فالعرب فى الجاهلية لم يخرجوا بعقولهم فى معالجة الأمور ، فسلاحهم لم يكن العلوم الفعلية بمشاعرها الإنسانية بل هى علوم طبيعية لمواجهة القوة كقانون الغاب وأسلوب الوحوش .

فلا يمكن أن نقول بملء الفيه إن هناك جغرافيين من العرب ولا سيما الأعلام منهم ، فإن وجد شخص ما فلم يكن مقياسا فالندرة شذوذ لا يقاس عليه : « وما شذ فعلى نقل قُصِر » كما يقول ابن مالك فى ألفيته ، وهو أنأى من الكواكب ، وأبعد من مناط الثريا وبيض الأنوق .

الإسلام هو الكمال المطلق ، وهذا ليس تعبيرا رمزيا ، بل هو تعبير إلهى شامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إذ قال تعالى : « ويَمْحُ اللهُ الباطلَ ويحقُّ الحقَّ بكلمتِه » ( الشورى٢٤ ) ، ما جاء الإسلام كدين الله إلا ليعطى للعلم قدره ، وللعقل مكانه وللتفكير صورته فى لون من الاجتهاد ، وفى وضع العلماء ورثة الأنبياء ، وهل يستوى الأعمى والبصير ، والجاهل والعالم المنير ، فكل فى فلك يسبحون .

لا شك أن العلماء فى جميع العلوم ظهروا مع الإسلام ، فالأشهر الإسلامية قمرية ، والقمر يظهر فى الليالى الليلاء ، فينير الطريق لمن ضل السبيل ، فجعلت اللغة العربية القمر مذكرا لأنه حارس ذلك الليل المخيف الذى يهلك الإنسان خوفا ورعبا من الأخطار المهددة لسلامة الإنسان وأمنه حتى يصل إلى هدفه تحت حراسة دين قويم فى عدالته ومساواته وإعطائه الحقوق دون نقص ولا خلل ولأن الإسلام شامل كامل وجامع مانع فلابد له من علوم تحميه وتحرسه من كل أخطار الدنيا ، والجغرافيا أحد العلوم الهامة لحراسة الكيان الإسلامى فى أداء دعوته وحفظ بلاده وصون وطنه ، وهذا العلم تعريف عن كل قطعة من المناطق الإسلامية حتى يلم المسلم بأحوال بلاده ووطنه ، ولا سيما الإسلام يدعو إلى القيام بأداء الرسالة لعامة الناس ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن فالإسلام سلام فى رحمة لإنقاذ البشرية من ظلم مقيم واستعمار بغيض كما نراه فى الحروب المتتالية من الصليبية وحرب الصرب القائمة إلى وقتنا الحاضر وغيرها من الحروب الانتقامية ضد الإسلام والمسلمين . فلا بد للمسلمين من مجلس أمن إسلامى يحدد

موقفهم إزاء هذه الأعمال الإجرامية التى تتنافى مع الأديان بل مع الشعور الإنسانى والأمن البشرى ، ومجلس الأمن الإسلامى له قواعده ومطالبه ومكانته .

وعلم الجغرافيا لدى المسلمين مهد الطريق لهم لمعرفة بلاد العالم والخروج من حيز بلادهم الضيقة إلى عالم واسع ، وهذا من رسالة الحج إذ قال الله لنبيه إبراهيم عليه السلام : « وأَذِّنْ فى الناسِ بالحَج يأتوكَ رِجَالًا وعلى كُلِّ ضَامرٍ يَأْتينَ مِنْ كل فَجٍ عميقٍ ليشهدوا مَنافعَ لهم ويذكروا اسمَ اللهِ فى أيامٍ معلومات على ما رزقهم من بَهيمةِ الأنعامِ » ( الحج ٢٧-٢٨) .

فهجرة المسلمين من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة انتقال أمة استوفت الشروط بعد اختبار أفرادها من أحسن الناس إيمانا وعقيدة وإسلاما ، واصطفاهم الرسول فردا فردا من أعلى طبقة العرب روحا ونفسا ، وأنفعهم جهادا ودفاعا عن الإسلام ، وأتى بهم من أم القرى إلى مدينة الرسول لتكوين دولة إسلامية بعد أن ألفهم فى أخوة صادقة وفية ، وفى تعاون مالى ودى وصفاء إسلامى وروح كلها تعايش سلمى وضمان اجتماعى وعدالة إنسانية شريفة .

هذه الأمة والدولة معا هما الإسلام فى صورته الحقيقية ، وهى صورة مصغرة لدولة إسلامية كبرى فحدود الإسلام العربية جعلت هذه اللغة لغته الدينية فالإسلام لا يعترف بالعنصرية ، واللغة العربية فى وضعها الطبيعى والسماوى ليست بلغة عنصرية ، ولا سيما العربية فى معناها الوضعى الإيضاح والظهور فى جلاء دون خفاء تتفق والإسلام دين الوضوح الحى المعبر عن حقيقة الأمور . والدعوة الإسلامية جعلت الرسول صلوات الله عليه يتعرض للصين فى قوله « اطلبوا العلم ولو بالصين » ، مهما كان وضع هذا الحديث فإنه يشير إلى المدى الذى يجب أن ينتشر الإسلام إلى المناطق النائية ، فهذا الحديث فتح للجغرافية الإسلامية ، وقد جاء وفد صينى فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان لمطالبة مساعدة عسكرية يستطيع بها إمبراطور الصين مواجهة الثوار ضد حكمه وسلطانه . قد تكون التجارة من الأمور الهامة ، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها فى الدعوة الإسلامية ، وقد تكون سندا ماديا ، ولكن الإسلام رسالة روحية معنوية ، والمعنويات أعلى شأنا من الماديات إذ المعنويات لا تزول مهما عارضتها الماديات ، هذا الذى أبقى الإسلام حيا فى مناطق كثيرة رغم محاولة الاستعمار محوه وإزالته مع طول بقائه فى محاربته قرونا وقرونا بل ومئات القرون .

فعلا اشتهر الجغرافيون الإسلاميون من العرب وغير العرب ، ولهم تاريخ طويل فى الجهاد العلمى المجيد ، وتركوا آثارا خالدة تسجل للإسلام مجدا فاخرا تعتز به فى هذه الأيام الخالدة ، فعلينا الاهتمام بدراسة جغرافية العالم الإسلامى وإعطاء الأهمية الكبرى للبلاد التى تحمل تاريخا إسلاميا بارزا مثل فلسطين وأفغانستان مما يعطى فكرة الحفاظ على التراث الإسلامى ، وعلى شخصيته الحقيقية لمواجهة الاعتداءات والمساعى لطمس معالمه الإسلامية كما فعلت إسرائيل فى المسجد الأقصى لإعادة هيكل سليمان المدعى .

ومما حافظ دائما الكيان الإسلامى فى وحدة قومية وإيجاد أسرة إسلامية متحدة العقيدة والشريعة فى كل حركاتها وسكناتها هو جعل الله الجزيرة العربية مركزا لبيته العظيم ، ومصدرا لظهور رسله وأنبيائه عليهم السلام ومهبطا للأديان الثلاثة العظمى ، هو تلك الإشارة على أهمية الجغرافية الدينية وبالأخص الإسلامية لأن الإسلام هو منبع كل الأديان السماوية من يهودية ومسيحية ، وبجانب هذا كله فهذا الجزء من العالم هو مركزه العالمى إذ يتوسطه كنقطة الارتكاز للكرة الأرضية ، من هنا انتشر الإسلام ، وإلى هنا يتجه المسلمون فى صلواتهم وأداء مناسك حجهم وجمع كلمتهم .

ولانتشار الإسلام عن طريق الجزيرة العربية وقد أعد الله العرب من البداية أصحاب سفن ومواصلات بحرية للانتقال إلى ما وراء بحارهم ، فاشتهروا بالتجارة ، بها تنتقل البضائع من الشرق إلى الغرب ، ولهم رحلة الصيف والشتاء التى ذكرها القرآن الكريم تسجيلا لفائدة التجارة ، وللانتقال من مكان إلى مكان لتوسعة المدارك العلمية ، والخبرة والتجارب الاجتماعية ولهذا وصل العرب إلى الصين وغيرها للبحث عن الحرير والتوابل والبهارات والإفادية ولفتح مصادر الرزق .

من هذه الناحية لم نجد للعرب تاريخا خاصا بهم بل انضووا تحت لواء الإسلام وكانوا قادته، وأصحاب الزعامة لحملها تلك المسئولية الدينية فى الرسالة الإسلامية وفى أداء الأمانة التى ورثوها عن سيد العرب رسول الإسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، والإسلام لا يفرق بين العرب والعجم فهو دين المساواة فالإنسان لديه كأسنان المشط ، والرسول قد قام بالرحلة التجارية كمثال للحياة العملية .

وصلات العرب بالبلاد الأخرى قبل الإسلام كانت صلات فردية ليست ذات أثر فى فكرة ما ، ولكن صلات الإسلام أنشأت أمة واسعة النطاق فى مساحة شاسعة من العالم ، وقال الدكتور يوسف أبو الحجار فى مقاله تحت عنوان مسالك انتشار الإسلام نشر فى صفحة ٣٣ من المجلد الرابع لبحوث المؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م «فالعالم الإسلامى دنيا فسيحة الأرجاء ، حتى لو قصرنا هذا التعريف على الوحدات السياسية التى يؤلف المسلمون أكثر من نصف سكانها بإجماع التقديرات . فهو يمتد نحو ١٤٠ درجة طولية ، من درجة ١٢٠ الشرقية ، شرقى أندونيسيا حتى درجة ١٨ الغربية حيث سواحل السنغال التى هى أقصى أقطار العالم الإسلامى فى الاتجاه الغربى » .

وهو يمتد نحو ٧٠ درجة عرضية من أعالى نهر الفولجا عند درجة عرض ٦٠ الشمالية حتى درجة عرض ٦ جنوب خط الاستواء حيث جزيرة زنجبار « وتلك مساحة هائلة ، أكثر مثلا من مساحة كل القارة الأفريقية ، وأكثر من مساحة قارتى أوربا وأمريكا الجنوبية مجتمعين ، فهى تبلغ نحو اثنى عشر مليونا من الأميال المربعة ولعلها تصل إلى نحو أربعة عشر مليونا إذا أضفنا إليها المساحة التى تشغلها الأقليات المسلمة فى الدول غير الإسلامية » .

« وفى هذه المساحة يعيش نحو ٨٠٠ مليون مسلم أو يزيدون ، مما يجعل الإسلام يحتل المركز الثانى بعد المسيحية من حيث عدد معتنقى الأديان السماوية » .

ولا شك إسرائيل العدو اللدود للإسلام والمسلمين أخذت تغير الأسماء الإسلامية للبلاد التى استولت عليها فى فلسطين مما جعل أجزاء من تلك البلاد الإسلامية مشوهة الأصل ، وفى ذلك سياسة ماكرة لاسترجاع تلك البلاد بأسمائها الإسرائيلية المصطنعة ولقد لعبت إسرائيل فى هذا الصدد فى المؤتمر المتتالى عقده لتنميط الأسماء الجغرافية وعقد أخيراً بأثينا فى ١٧ أغسطس ١٩٧٧ ، وكان الدكتور عبد الهادى التازى رئيسا للوفد المغربى فيه » .

والعلماء المسلمون قد درسوا تطور الفكر الإسلامى فى فترة كان ازدهار العلوم الإسلامية يضع اهتماما خاصا فى تاريخ علم الجغرافيا ويتدرج أفكاره الرئيسية ، والإسلام فى نفس الوقت قد دعا الأمة الإسلامية إلى التأمل فى

السمـاوات والأرض ، وإلى النظر فى الكون وإلى الطبيعة التى لعبت دورا فى التغيرات الجوية ، ومن سقوط الأمطار وغير ذلك من الأحوال على حياة الإنسان حتى أمر صيام رمضان برؤية الهلال وكذلك انتهائه ، ودورة الفلك ، كل أولئك داخل فى علم الجغرافيا فشموله على وضع الإنسان فى البحر والبر ، وحياته على أنشطة البحر والبر اللذين عليهما يعتمد الإنسان فى حياته وتنقلاته وجولاته . وعلم الجغرافيا هو الذى وحد المسلمين وهو الذى مهد لهم طريق الوصول إلى أداء فريضة الحج وغير ذلك من الأمور الهامة فى تكوين الوطن الإسلامى الموحد ، وفى نشر فكرة الاتحاد الأخوى .

من هذه الناحية الحساسة غير المسلمون العلوم الجاهلية المقصورة على مطالع النجوم ومضاربها إذ حددوا منازل القمر بين النجوم بثمانية وعشرين منزلا ، وسموها منازل القمر وأطلقوا على كل منزل منها اسما عربيا خالصا ، وأخذوا بأسباب العلوم فى القرون الأولى للهجرة وترجموا تراث القدماء سواء الهنود منهم أو المجوس أو الفرس أو اليونان ، وتوسعوا فى العلوم العملية بدور الإبداع وإظهار مهارتهم العلمية والفنية بالإسهامات الحقيقية فى نشاط الفكر العلمى عامة ، فعلينا أن نقدر تلك الثروة الضخمة ليكون لنا تاريخ علمى نفخر به أمام الحضارة الغربية المتوغلة فى المدنية المعاصرة التى قد طفت على الحضارة الإسلامية لإهمالنا وعدم اهتمامنا وتساهلنا وعدم إظهارنا تلك الحضارة فى مركز علمى إسلامى يضاهى ما لدى الغرب من معاهد عالية تدرس الحضارة القديمة الإسلامية وغير الإسلامية حتى أصبحنا نلتجئ إلى تلك المعاهد للتخصص فى العلوم الإسلامية مما يحط من كرامتنا العلمية والثقافية بل الإسلامية .

ويعتبر كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة ( ٨٢٠ - ٩١٣ ) جغرافى فارسى الأصل ، وهو مصور هام لتعريف صفة الأرض، يرسم هدفا ومنهجا للجغرافية ، ويعتبر أول مصنف فى الجغرافيا الوصفية فى المدرسة الجغرافية الإسلامية ، وابن خرداذبة هو ( أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خرداذبة) شغل وظيفة صاحب البريد بنواحي الجبال بإيران.

ويقول د/ محمد الأمير غلاف فى مقاله تحت عنوان « الجغرافيون المسلمون ودورهم فى تطور الفكر الجغرافى فى الصفحة ١٣٦ من كتاب بحوث المؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض المنعقد سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ».

المجلد الثالث : « وتظهر طريقة الاستقصاء فى جمع المادة الجغرافية من مقدمة الجغرافى والمؤرخ إلى العباس أحمد بن يعقوب اليعقوبى لكتابه « البلدان» إذ يقول : « إنى عنيف فى عنفوان شبابى » بعلم أخبار البلدان ومسافة ما بين كل بلد وبلد « لأنى سافرت حديث السن ، واتصلت أسفارى ، ودام تغربى ، فكنت كلما لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره ، فإذا ذكر لى محل داره وموضوع قراره سألته عن بلده وزرعه ما هو وسأكتبه من هم من عرب أو عجمُ ... ودياناتهم ومقالاتهم» ...

« ولكى نفهم ما يقصده الجغرافيون المسلمون بالممالك أو البلدان نورد خطة كتاب البلدان هذا . إذ هو يتحدث أولا عن بغداد «وسُر ّمن رأى» لأنهما مدينتا الملك ودار الخلافة . ثم عن إيران وتركستان وأفغانستان . ثم عن غربى وجنوبى الجزيرة العربية ثم العراق الجنوبى والشرقى وشرقى شبه الجزيرة العربية والهند والصين أما الرابع فبيزنطة ومصر والنوبة وشمال أفريقيا » .

ومن أنماط الكتب الجغرافية التى ظهرت فى هذا العصر «كتاب فتوح البلدان للبلازرى» الذى يعتبر بحق قطعة ممتازة فى الجغرافيا التاريخية وهو ذو قيمة كبرى فى التاريخ الإسلامى - وكتابان فى تاريخ مكة أحدهما للأزرقى ( المتوفى عام ٢٤٤هـ - ٨٥٨م ) والآخر الفاكهى ( المتوفى حوالى ٢٧٢هـ - ٨٨٥ م ) وينتسب لنفس النمط كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبى طاهر طبفور ( المتوفى عام ٢٨٠هـ - ٨٩٣م) وان كانت ضئيلة الحظ من الجغرافيا وكتاب تاريخ دمشق لأبى عساكر ( توفى ٥٧١هـ - ١١٧٦م ) .

والقرن الرابع الهجرى يعتبر تاريخيا عصر ازدهار الحضارة الإسلامية وفى نفس الوقت عهد ازدهار الجغرافيا الإسلامية وقد سمى العصر الكلاسيكى للجغرافيا الإسلامية إذ بدأت بالفلك ثم توسعت إلى رحلات وأدى ذلك إلى وجود الجغرافيا الوصفية .

وقد تطورت الجغرافيا الإسلامية إلى ظهور الجغرافيا الاجتماعية التى قادها عبد الرحمن ابن خلدون ( ١٣٣٢م- ١٤٠٦م )بكتابه «العِبر» المشهور بمقدمة ابن خلدون وفى الواقع الجغرافيا الإسلامية لها أن تفخر بعالم بارز آخر وهو البيرونى (أبو الريحان ٩٧٣م ـ ١٠٤٨م ) من أصل فارسى ومن أهم كتبه «الآثار الباقية من القرون الخالية » وهناك بعض علماء مجهولى الأسماء من إخوان الصفا تلك الجمعية السياسية الشيعية ظهرت فى القرن العاشر بالبصرة .

وأبو الحسن المسعودى وذلك المؤرخ الجغرافى الذى نشأ فى بغداد وطاف فارس وكرمان والهند وسيلان والصين ومدغسكر وما وراء النهر وأذربيجان وجرجان والشام وفلسطين ومصر وتوفى سنة ١٩٥٦م وضع فيما سمعه ورآه عشرات المؤلفات وأشهر ما بقى منها «مروج الذهب ومعادن الجوهر» وهو من أشهر جغرافى القرن الرابع الهجرى وهو عربى صرف ونسبه يرجع إلى الصحابى عبد الله بن مسعود وقيل إنه قد زار الصين وأربخيل الملايو .

فغرّبت حتى لم أجد ذكر مشرق

وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

وأحمد بن فضلان له مكانة خاصة لدى الرحالة المسلمين إذ أوفده الخليفة المقتدر بالله بهدايا إلى أمراء بلفار الفلجا وبلاد الترك وطرق أبواب عالم بربرى وعاد إلى بغداد وكتب «رسالة فى الرومى» عن رحلته واهتم بها الغربيون باعتبارها أحد المصادر النادرة الأصلية عن رحلات أجدادهم من البلغار والروس والجزر وبدأت هذة الرحلة باثنين صفر (عام ٣٠٩ هـ - يونيو ٩٢١م) ولكننا لا نعلم متى انتهت . ويقول الدكتور محمد السيد غلاب فى نفس مقاله ص ١٣٩ ما يلى : ويحتفظ باتوت بشذرات عديدة من رحلة طريفة قام بها رحالة أحاط به وبصحبة رحلته كثير من الريب والشكوك ، وهو أبودلف الينبص الخزرجى . وكان أبودلف شاعرا مداحا التحق ببلاط نصر الثانى بن أحمد السامانى ( ٣٠١- ٣٣١هـ - ٩١٤-٩٤٣ م ) وقد انتهز أبودلف فرصة وصول سفارة صينية إلى بخارى فاصطحبها وهى عائدة إلى بلادها ويبدو أن أبادلف كتب ذكرياته عن رحلته بعد عودته من الذاكرة . وخلط بها ما سمع من قصص وأساطير .

«غرب الرحالة العرب ووصلوا إلى أوربا ليس من الشرق فقط ، بل من الغرب أيضا وقد حفظ لنا البكرى الجغرافى الأندلسى (عبد الله) (توفى فى قرطبة ١٠٩٤م ) والقزوينى ( زكريا ١٢٠٣- ١٢٨٣ ) كثيرا من مشاهدات الرحالة إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلى الطرطوشى ، وكان عالما أندلسيا يهوديا اشتغل بتجارة الرقيق ، وأخذته رحلاته التجارية إلى جنوب ألمانيا فى القرن الرابع الهجرى (٩٦٥م) وقابل الإمبراطور الألمانى أوتونى مجد برج (Otton) وحفظ لنا معلومات واسعة عن، إمارات الصقالية فى أوربا فى ذلك العصر، ويحدثنا عن أربعة منها ؛ بلغاريا وبولندا والتشيك وإمارة ناكون الاندوريتى كما يورد تفاصيل واقعة عن بعض المدن الساحلية أو القريبة من الساحل بفرنسا وهولندا وألمانيا .

استمرت رحلة المسلمين إلى بلاد مختلفة مما فتح آفاقا واسعة زادت فى معرفة الناس للعالم ومواقع البلاد إلى أن وصلنا إلى آخر الممثلين الكبار للمدرسة الكلاسيكية وهو المقدسى ( أبو عبد الله ) أكبر جغرافى عرفته البشرية قاطبة ، ولد فى عام ٣٣٥هـ - ٩٤٦-٩٤٧ م، وتوفى نحو سنة ٩٨٥م تجول أكثر البلاد الإسلامية وقام فى سنه الأربعين بتأليف كتاب « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » (٣٧٥هـ - ٩٨٥-٩٨٦م ) ونقله الأوربيون إلى لغاتهم واستفادوا منه ، وهو لم يذكر غير الممالك الإسلامية ولم يتعرض لممالك غير إسلامية لأنه لم يدخلها ولم ير فائدة من ذكرها غير أنه تعرض لمواضع المسلمين فيها .

وفى هذا العصر ذاته برز فى الجغرافيا كأحد العلوم الفلسفية إذ تعرض لها كتاب « إخوان الصفاء وخلال الوفاء » كموسوعة ذات صبغة خاصة وحيدة من نوعها ألّفتها نخبة من المفكرين والعلماء أخفوا أسماءهم وهذا الكتاب يشتمل على علوم مختلفة فى مبادئ الرياضيات والمنطق وعلم النفس والطبيعة والتصوف والتنجيم ، وهو مجموعة من الرسائل مكونة من إحدى وخمسين رسالة وللجغرافيا الرسالة الخامسة .

فهناك البيرونى ، والبكرى فى الأندلس ، والإدريسى فى صقلية ، وكل منهم له أثر استفاد منه الناس عامة من المسلمين وغير المسلمين ، ولناصرى خسرو ( ٣٩٤-٤٨١ هـ = ١٠٠٣-١٠٨٨م ) الذى نشأ فى مدينة مرد ، كتابٌ باللغة الفارسية يعرف باسم « سفرنامه » وهو شاعر اعتنق المذهب الإسماعيلى ، وفى كتابه هذا تناول رحلته إلى مكة المكرمة .

وحمود الكاشفرى قد ترك كتابا باللغة العربية ، وهو سلجوكى ، وعرف هذا الكتاب الوحيد باسم « ديوان لغات الترك » دون فى بغداد بين عامى ٤٦٤ و ٤٦٦ = ١٠٧٢ و ١٠٧٤م ، وهذا الكتاب قد ترك لنا مادة غزيرة عن الشعب التركى فى مراحل تكوينه الأولى ، وتم طبعه أثناء الحرب العالمية الأولى .

وهناك كتاب « طبائع الحيوان » يتناول فى جوهره علم الحيوان بيد أنه تعرض للحديث عن الأصناف البشرية والجغرافيا ، ويمتاز بما تضمنه عن الشرق الأقصى « أى الهند والتبت والصين » .

وفى الأندلس والغرب قد ظهر ثلاثة أعلام ، وهم أبو عبد الله البكرى ( توفى فى قرطبة ١٠٩٤ م ) أقدم من بقيت مؤلفاتهم لدينا

كأكبر جغرافى أنجبته الأندلس - كما قال المستشرق دوزى ( Duzy ) - ١٨٢٠ - ١٨٨٤ م الهولندى ، ومدرس اللغة العربية فى كلية ليدن «Leiden» واشتغل فى تواريخ الدول الإسلامية فى الأندلس والمغرب ، ومن أهم مؤلفاته « ملحق وتكملة القواميس العربية » ، ذكر فيها الكلمات التى لم ترد فى المعاجم . ومن مؤلفات البكرى « المسالك والممالك » وكتاب «معجم ماالستعجم » والثانى الإدريسى ( أبو عبد الله المعروف بالشريف ( ١٠٩٩ - ١١٥٣ م ) ولد فى الأندلس واشتهر بأنه أكثر الجغرافيين المسلمين مكانة بين العلماء المحدثين ، ونسبه يرجع إلى الأدارسة العلويين ولهذا عرف بالشريف الإدريسى .

والإدريسى يختلف سلوكا عن الجغرافيين المسلمين الكلاسكيين حيث لم يقتصر على البلاد الإسلامية فحسب ، ولكنه ألف كتابه وخطط خرائطه وهو فى بالرمو «Palarme» عاصمة صقلية بدعوة من الملك روجر الثانى «Rager II» فاحتوى كتابه على وصف جذاب لأوربا الغربية ( فرنسا وسكتلاندا وألمانيا وأيرلندا وسواحل بحر الشمال ) .

والبكرى ( عبدالله ) من أقدم ما لدينا من مؤلفاتهم عن جغرافيى الأندلس وكتابه المعجم « ليس كتابا جغرافيا بل كتاب لغوى ، ولكن اهتم فيه البكرى بشبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص ، واستغرق فى ذكر الأسماء المذكورة فى القرآن الكريم والحديث الشريف وقصص المغازى الأولى والشعر الجاهلى .

كان فى الأندلس معاصرا للإدريسى «أبو حامد الغرناطى» ، ولد فى غرناطة عام ٤٧٣ هـ - ١٠٨٠ م ، شغوفاً بالرحلات وزار مصر وصقلية وسردينيا ، وبغداد وبحر قزوين وإيران ، وله كتاب تحت عنوان « تحفة الألباب ونخبة الإعجاب » .

ومن هؤلاء محمد بن أحمد بن جبير الكنانى ( ١١٤٥ - ١٢١٧ م ) . ولد فى بلنسية بالأندلس وتوفى فى الإسكندرية ، درس الفقه والحديث فى شاطبة ، شرب الخمر صدفة فحج تكفيرا ، زار الإسكندرية والقاهرة ومكة والمدينة والكوفة والموصل وحلب ودمشق وعكا وصقلية ثم عاد إلى غرناطة عن طريق قرطاجنة وقد حج عن طريق النيل إلى الصعيد ثم عبر الصحراء إلى عيذاب ( مرفأ على ساحل البحر الأحمر ) وقد وصف ابن جبير ما رآه فى الإسكندرية ومصر .

ومن جغرافى هذا العصر أبو المكارم أسعد مماتى المصرى توفى فى حلب ٦٠٦ هـ -١٢٠٩م ، وينتمى إلى أسرة قبطية عريقة ، وتولى رئيس ديوان الجيش للملك الناصر بالقاهرة ، اعتنق الإسلام وتولى منصباً كبيراً فى عهد صلاح الدين وخلفائه . له كتاب « قوانين الدواوين » فيه قواعد إدارة مصر فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وقد فصل نظام الأراضى بمصر ، وبين مساحتها وخراجها ، ويعتبر هذا الكتاب وثيقة هامة فى تاريخ مصر الاقتصادى .

بعد تغيير الوضع السياسى والاجتماعى فى الشرق الأوسط وتبديل النظام الإدارى فى العراق إثر استيلاء المغول على بغداد وتحطيمها للحضارة الإسلامية وتخريبها مكتباتها العلمية والثقافية تحول معمل الإشعاع الفكرى الإسلامى نحو الغرب أى إلى دمشق وحلب وأخيراً تمركز فى القاهرة مما جعل القرنين الهجريين السابع والثامن بروز المجهودات العلمية فى موسوعات عربية كبرى وبالأخص فى مصر ، وكان من قبل ياقوت الحموى قد أقدم على هذا العمل العلمى الجليل بمعجمه ، وكفى فخرا أن المعجم يتكون من ثلاثة آلاف وثمانمئة وأربع وتسعين صفحة ، وهو فى واقع الأمر مرجع للجغرافيا فى وصفها المختلف .

وياقوت هذا أى يعقوب الرومى ( ١١٧٩- ١٢٢٩ ) كان أصله بلاد الروم ، أسر صغيراً إذ ابتاعه تاجر بغدادى يعرف بعسكر الحموى ، علمه وشغله بالأسفار ثم أطلق سراحه فأتم رحلته إلى مدن إيران والشام والعراق ومصر إذ راجع فيها المكتبات فجمع حاصلات علمية وفيرة وضعها فى كتابه « معجم البلدان فى معرفة المدن والقرى فى كل مكان » .

وممن عاصر ياقوت المؤلف موفق الدين عبد اللطيف بن يونس البغدادى ( ١١٦٢ - ١٢٣١م ) وقد ترك معلومات هامةً عن مصر إذ ولد فى بغداد وأقام فى مصر ، درس الطب والأدب والكيمياء ، وله كتاب صغير تحت عنوان « الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » وقد وُلِد أبو الفداء (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل المؤيد ١٢٧٣- ١٣٣١م ) بمدينة دمشق ، وهو الأديب الإدارى المحارب إذ اشترك فى عدة حملات ضد الصليبيين ، واستقر أخيرا مع الأيوبيين بمصر ، فعُيِّن حاكما فى حماة ، ومؤلفه المشهور فى الجغرافيا تحت اسم « تقويم البلدان » .

فى عصر المماليك ظهرت موسوعتان إحداهما لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

البكرى النويرى ( ٦٧٧-٧٣٢ هـ = ١٢٧٩-١٣٣٢م ) والثانية لابن فضل الله العمرى ( ١٣٠٠ - ١٣٨٤ ) وكتابه « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار »

والقلقشندى أحمد ( ١٣٥٥ - ١٤١٨ ) المنسوب إلى قرية مصرية فى القليوبية المعروفة باسم قلقشنده ، وهو من علماء الأدب العربى ، وقد عرف بكتابه «صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء » ، وفيه مايحتاج المتعلم من معارف عامة منها الجغرافيا ، وعن الأرض وأبعادها والأقاليم السبعة ، والجبال والبحار والجزر والأنهار ، والبحيرات والبلدان المختلفة والمدن وسكانها .

والعلامة المصرى أحمد زكى باشا ( المتوفى ١٩٣٤ ) جمع هذا الكتاب القيم فى واحد وثلاثين جزءا .

ثم ظهر ابن بطوطة ( ١٣٠٤ -١٣٧٨، م ) الرحالة المولود فى طنجة تجول فى العالم فى ثلاث رحلات استغرقت زهاء ٢٩ سنة ، وهو أبوعبدالله محمد بن عبدالله اللوائى الطنجى ، وصل ابن بطوطة إلى إندونيسيا ، وهو ذلك المزواج الذواق . ترك آثاراً من سلالته فى كثير من البلاد . وذات مرة رأى الملك فى منطقة أتشيه يخرج لصلاة الجمعة حافى القدمين متمثلا فى ذلك بالآية الشريفة : ﴿ فاخلع نعليك إنك بالوادِ المقدَّس طوى ﴾ (طه ١٢) .

وهناك رحلات جغرافية قليلة الأثر قام بها بعض الشخصيات لغرض المتعة والترفيه، ولكنهم تركوا شيئا من آثار رحلاتهم هذه ، وذلك مثل الأمير محمد على ولى عهد المملكة المصرية ، وقد زار إندونيسيا وتحدث عنها ، ومما قاله : « عند نزول الإنسان فى أى فندق من الفنادق فإنه يجد على سريره مخدة محشوة طويلة مدورة يحتضنها النائم كمرافقة له تعرف باسم الفتاة الهولندية « Dutch fady» وكأن الهولنديين يرفهون عن الزوار بإعطائهم فرصة التمتع بفتاة هولندية افتخارا بكرمهم وحسن ضيافتهم كما يسمى الغربيون «البامية» للذتها بأصابع المرأة « Lady'S fingers» ما أحلاها من اسم ، وفى الواقع البامية لذيذة وأنا من محبيها - خلاصة القول ، أنى أرى أن موضوع بحثنا أعلام الجغرافيين العرب لايصلح لأن يكون موضوع الحديث بعد أن عرفنا أن الإسلام رفع العرب شأنا وجعلهم فى مقدمة الصفوف الدينية والعلمية والثقافية بل هم أصحاب الفضل فى فتح أبواب العلوم ؛ فلهذا أرى أن الأولى بنا أن ندرس أعلام الجغرافيين الإسلاميين الذين عاشوا فى التاريخ وأغلبهم

من العنصر العربى ومن فطاحل هذا الجنس البشرى الذى اختار الله رسوله من بين صفوفه .

واختصاراً للبحث عن هذا الموضوع فأمامنا دراسة مستفيضة عن الجغرافيين الإسلاميين إذ عقدت جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية بالرياض مؤتمرا خاصا لدراسة هذا الموضوع تحت عنوان « المؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول » فى الفترة من ( ٢٢ إلى ١٣٩٩/٢/٢٨هـ الموافق من ٢٠ إلى ١٩٧٩/١/٢٦ م ) .

وقد استضافت الجامعة نحو مئة وخمسين عالما من علماء الجغرافيا المسلمين ، وفدوا على الرياض من أرجاء العالم ، وأُلقيتْ بحوثُهم القيمة التى جُمِعتْ فى ثمانية عشر مجلداً . فالأحرى بنا مراجعة ذلك المحصول العلمى ، والمجهود الفكرى ، والإنتاج الجماعى عن التاريخ الإسلامى فى الموضوع الجغرافى ، حتى نختصر الطريق فى الوصول إلى الهدف المنشود الذى نبتغيه ، ويمكن لاختصار الوقت أيضًا أن نكوِّن لجنة من شخصيات أعضائنا أو الأعلام الجغرافيين خارج مجمعنا لبحث هذا الموضوع والخروج منه بنتيجة مرجوة ، ولابأس أن نطلب من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إتحافنا بتلك الكتب التى تبلغ ثمانية عشر مجلداً ..

الفرنسيون يؤنثون لفظ « القمر » « La Lune» ويُذكِّرون كلمة « الشمس » «Le Soleil»، ولهم فى ذلك فلسفة خاصة لهدوء القمر وثورة الشمس ، ولكن العرب اعتبروا أن القمر يحرس السارى ليلا فى البيداء الموحشة بينما الشمس تحدث تلك الحرارة التى تثير وتدفئ الجسم الهادئ الساكن .

ولكن العرب كالفرنسيين استعملوا هذه الكلمة بحسب معناها المراد ، فيتغازلون بالقمر ، فيقولون « ياقمر ، ياقمر » عند مغازلة المرأة والإعجاب بها .

غير أن هناك مغنية فريدة هى التى استعملت لفظ القمر فى معناه الحقيقى فتقول «يامًا ، القمر على الباب » .

### بعض اقتراحات لغوية

بمراجعة الاستعمالات اللغوية بل بالتأمل فى الناحية الخاصة ببناء الكلمات العربية ولاسيما الوضع الحركى فى النحو وقواعد

الإعراب ، فإنى أرى أن هناك أمورا يجب أن نستفيد منها فى إظهار فلسفة لغوية ولاسيما فيما يتصل بالشريعة الإسلامية فى استعماله للألفاظ ومعانيها فى إظهار الأحكام الفقهية ، بل هناك اصطلاحات لايصلح استعمالها لتعارضها مع حقيقة المعانى التى تحملها وقد تؤدى إلى سوء الأدب بالنظر إلى ارتباطها بالمعانى الحقيقية لها ، وذلك :

**١ - الفلسفة اللغوية :**

لايمكن أن نترك اللغة العربية بدون أن ننظر إلى فلسفة تركيب كلماتها وما الذى دفع واضعى قواعد النحو إلى تحريك الكلمات حسب وضعها الإعرابى مصورة تحقيق الغرض الحقيقى الذى تؤديه تلك الكلمات فى تركيب الجمل . مثلا يقول النحويون الفاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة وما إلى ذلك .

فبالتأمل نجد فلسفة هذه التسمية ملاحظة الاعتبارات الطبيعة فى المجتمع الإنسانى ، فالفاعل عمدة كما يقولون، وصاحب الشأن فى تركيب الجملة فلمركزه هذا فهو مرفوع، وإذا رآه الناس ضموه احتراما وتبجيلا تقديرا لوضعه الاجتماعى ، والمفعول به عبارة عن شىء واقع عليه الأذى كأنه مضروب ، فإذا هو مضرب مطروح أرضا ، وعلامة هذه الحادثة أثر فى جسمه وهى الفتحة أو الجرح ، وأما المجرور فإنه انجر فانكسر .

والاسم لايكون مجزوما أو ميتا ، بمعنى ليست له مهمة فى الجملة ، فهو متحرك أى له فعل ظاهر فى أداء مهمةٍ ما فى الجملة ، والفعل قد يكون مجزوما لعلة سبب ذلك مثل حروف الجزم التى دخلت عليه فمنعته من الحركة أى منعته من أداء مهمته فمثلا لا تفعل هذا ، ومعناه لاتؤدى هذا الفعل أى منعته من الحركة، وكذلك الأمر .

وإذا استطردنا البحث فوجدنا مثلا علامة التأنيث ، فللمفرد تاء التأنيث المربوطة وفوقها نقطتان بمعنى أن الأنثى إذا كانت منفردة وحيدة فلا يسمح لها الاختلاء بمفردها أو الخروج وحيدة، فهى مربوطة وهناك نقطتان تلاحظان تحركاتها ، أما إذا كانت أكثر فعلامتها تاء مفتوحة ولكنْ هناك النقطتان أى العينان اللتان تلاحظان تحركاتهن ، وعدد من النساء إذا خرجن معا لا مانع فى ذلك غير أنهن تحت رقابة دائمة للأثونة الفاتنة .

فهناك نوع آخر من مميزات هذه اللغة من حيث اشتراك كلمات فى مصدر أصلى واحد مثل فرج بسكون الراء والفرج بفتح الراء ، إذ بينهما ترابط روحى فى المعنى ، إذ الفرج بسكون الراء يفرج عن الإنسان همومة وضيقه فى حالات هو فيها مضطر للبحث عن الفرج ، ولهذا قال ( رسول الله صلى الله عليه وسلم ) « إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقصت فى نفسه فليعد إلى امرأته فليواقعها ، فإن ذلك يرد ن نفسه» هذه أمثلة فحسب ، وهناك الكثير من أمور تستحق الملاحظة وآخذ الاعتبار منها ، فأرى لا بد من إبراز هذه الفلسفة اللغوية لإعطاء العربية مميزاتها الخاصة ، ولا سيما الفقهاء قد لاحظوا هذه الأمور فى وضع الأحكام الشرعية فمثلا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » فهناك ظهرت فلسفة الإعراب من فاعل ومفعول به والمجرور ، فالفاعل القوى وضعا هو الذى يغير المنكر بيده ، والمفعول به فهو الذى يغيره بلسانه أما المجرور المكسور فلم يستطع تغييره إلا بقلبه ، وقال بعض العلماء : إن الأول هو الحكومة صاحبة السلطة والقوة ، والثانى هم الدعاة الذين لهم الألسن والدعوة والنداء ، وأما الثالث فعامة الشعب الذى لا قوة له ولا حيلة .

**٢ - الألقاب :**

هناك ألقاب سائدة فى المجتمع تضع أناسا فى مقامات مختلفة وتناديهم بصفات ذات صبغة خاصة مميزة كل منهم عن غيرهم ، وهذه الألقاب أصبحت لاصقة لكل صاحب منصب ومكانة فى الدولة ، اصطلح عليها المجتمع العالمى فى التطور السياسى والدبلوماسى والاجتماعى حتى أصبح لكل منصب لقب خاص له ينادى به ولا يتنازل بل يعاقب من تساهل فيه أو أهمله ، ومن تلك الألقاب : صاحب الجلالة أو صاحبة الجلالة ، صاحب الفخامة ، وصاحب السمو الملكى ، صاحب المعالى ، صاحب السيادة ، صاحب العزة ، وصاحب السماحة ، وصاحب الفضيلة وغير ذلك ، ولم تنفض هذه الألقاب بل تزيد مع مرور الزمن ووجود مناصب جديدة ، ففى الأيام الأخيرة فى مصر مثلا زاد لقبان جديدان هما صاحب المقام الرفيع للنحاس باشا كرئيس الوزراء ورئيس الوفد والأمة معا ، وصاحبة العصمة لزوجه السيدة زينب الوكيل .

هذه الألقاب أصبحت لها مميزات خاصة فى المجتمع ، وهى فى الغالب مأخوذة من الدول الأجنبية ، وبالأخص من الدول الغربية كفرنسا مثلا صاحبة السيادة فى الدبلوماسية ، فمثلا منها فى اللغات الأجنبية وفيرة ، وتستعمل فى المكاتبات والنداءات مثل : ( His Majesty. His Royal Highness. His Emminence etc ) وغير ذلك من الألقاب المشيرة إلى عدم المساواة وتفرقة عنصرية أخرى للعلماء أو تفرقة طبقية تتنافى مع الإسلام ومع الديمقراطية فى مساواة الجنس البشرى فى حقوقه الإنسانية ومنزلته البشرية .

وهذه الصفات مأخوذة من صفات الله سبحانه وتعالى صاحب الجلالة والإكرام والعزة والعصمة والفخامة والسمو ويجب على المجتمع حامل الرسالة الإسلامية واللغة العربية تحديد موقفه وإظهار رأيه إذ هذه الألقاب لم توجد فى اللغة العربية سواء فى العصر الجاهلى أو فى العصر الإسلامى .

وقد شعرت بعض الدول الإسلامية هذه الأعراض الاجتماعية الاستقراطية فأندونيسيا مثلا عقب الاستقلال ألغت كل هذه الألقاب ، واستعملت كلمة « بونج » (BUNG) بمعنى الأخ لكل أبناء البلاد على حد سواء فيقولون بونج كارنو للرئيس سوكارنو ، وبونج حنا للدكتور حنا وغير ذلك ، وفى مصر كذلك عقب الثورة إذ تقرر استعمال لفظ « السيد » لكل أبناء البلاد دون استثناء وفى الواقع هذا هو الأمر الذى نواجهه فى مخاطبة الدول الأجنبية ، ولكن اذا اتخذنا قرارا فلا أحد يستطيع أن يغير نظامنا السياسى أو الاجتماعى ولا عيب فى ذلك بل فى ذلك حفظا لكياننا وشخصيتنا بل ولغتنا وديننا .

**٣ - الكلمات المشتركة :**

نجد فى اللغة العربية كلمات مشتركة تعطى معنيين أو ثلاثة ، وقد تؤدى إلى اختلاف فى إعطاء المعنى الحقيقى المراد ، ولا سيما فى الأحكام الشرعية كما نجد فى الفقة الإسلامى مما أدى إلى وجود مذاهب أهمها أربعة مثلا فكلمة « لامس » فى قوله تعالى « إذا لامستم النساء » فهذه الكلمة لها معنيان أى اللمس والجماع وقد اختلف العلماء فى إعطاء المراد من معناها فى الحكم الشرعى ، أى هل اللمس فحسب أو الجماع هو الذى ينقض الوضوء .

هذا الاختلاف أدى إلى وجود أربع جماعات فى مواقيت الصلاة فى الجامع الأزهر ، والسبب

فى ذلك فى اختلاف إعطاء المعنى الحقيقى لهذه الكلمة ، فالحنفى مثلا يقول بعدم بطلان الوضوء عند مس / لمس المرأة ، والشافعى خلاف ذلك . فالشافعى لا يصلى وراء الحنفى اعتقادا بأنه غير متوضئ إذا مس امرأة ما .

وقد توغل المذهب الشافعى فى هذا المعنى حتى قال إذا مس المرء عمودا أملس أثار شهوته بطل وضوؤه ومس المرأة المسنة إن لم يثر الشهوة لا يبطل الوضوء . وفى الواقع لا بد من إزالة هذين المعنيين غير المقيدين فنعطى معنى جامعا ومانعا ولا يخرج عن حقيقة المعنى الأصلى الحقيقى المراد .

فالمعنى هو المس بشهوة ، والجماع مجمع الشهوات أما المس واللمس العادى ففيه نظر ، فطالما لا يثير الشهوة فغير مبطل للوضوء كالتاجر فى السوق أو المار فى الطريق أو غير ذلك . هذا لا سيما فى العصر الحاضر عصر الازدحام والاقتحام والانسجام .

ومثل ذلك كلمة قرء فى قوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهم ثلاثةَ قروء ﴾ ( البقرة ٢٢٨ ) والقرء تأتى بمعنى الحيض والطهارة معا ، فللمطلقة أو التى توفى زوجها فعليها أن تتربص « أى المدتين » أوفق لها الطهارة أو الحيض وفى الواقع أن لفظ « قرء » يأتى بمعنى « منجما » ولهذا قال بعض اللغويين القرآن مأخوذ من هذا المعنى لأن القرآن نزل منجما . وإذا تمشينا مع هذا المعنى فالقرء يأتى بمعنى الوقت المنجم الذى لصالح المرأة سواء الطهر أو الحيض فلها حق الاختيار للشىء الذى ينفعها أى الانتهاء من العدة لتتزوج من رجل آخر أو البقاء فى العدة لتستمر النفقة عليها .

هذه الأمور وأمثالها تحتاج إلى تحديد موقفنا لتوحيد الصف الإسلامى الذى فرقت المذاهب وحدته ، ولو أن فى الاختلاف رحمة ، ولكن فى الاتحاد قوة .

**٤ - الاختلاف فى إبداء الرأى :**

أرى بعض العلماء خرجوا عن حدود المنطق فى إعطاء معانى للكلمات الشرعية ، فمثلا كلمة « المطهرون » فى قوله تعالى :

﴿ فى كتاب مكنون لايمسه إلا المطهرون ﴾ وقد قال العلماء المقصود من هذه الكلمة إما الملائكة أو الإنسان المطهر .

أما إعطاء معنى الملائكة لهذه الكلمة فبعيد عن التصور العقلى ، إذ الملائكة مخلوق طاهر من شأنه والقرآن للجن والأنس :

﴿ ومـا خلقت الجن والأنس إلا ليـعـبـدون ﴾ فالمقصود بهـذه الكلمـة هم المكلفون المأمورون بتلاوة هذا الكتاب الكريم ، ولهذا قال تعالى :

﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ ( البقرة ٢٢٢ ) وقوله سبحانه :

﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين ﴾ ( التوبة ١٠٨ ) .

فإعـطاء مـعنى « المطهرون » للملائكة فـيـه نوع من التكلف ، لأن القـرآن خـاص بمخلوق الأرض ، وقـد نزل من الســمـاء لأمـر تكليف بشرى .

**فـؤاد محمـد فخر الـدين**

عضو المجمع المراسل

من إندونيسيا

★ ★ ★ ★ ★

شارك فى مراجعة هذا الجزء من المجلة

**جمال عبد الحى أحمد**

المحرر بإدارة التحرير والشؤون الثقافية بالمجمع

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الإدارة

**محاسب / أحمد محمد صالح**

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/٦٣٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٩٩٣٨ - ١٩٩٧ - ٢٠١٤

# مجلة مجمع اللغة العربية

بحوث مؤتمر
الدورة السادسة والخمسين
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
الجزء الثاني

الجزء السابع والستون
ربيع الآخر سنة ١٤١١ هـ
نوفمبر سنة ١٩٩٠م

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
المعهد السويسرى سابقا ) بالزمالك

# مجلة مجمع اللغة العربية

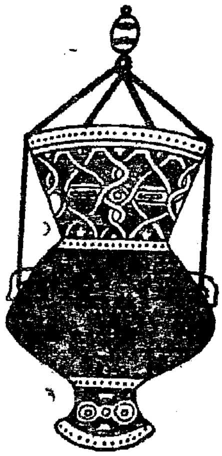
( تصدر مرتين فى السنة )

الجزء السابع والستون
ربيع الآخر سنة ١٤١١ هـ
نوفمبر سنة ١٩٩٠م

المشرف على المجلة:
الدكتور مهدى علام

رئيس التحرير:
إبراهيم الترزى

أمين التحرير:
سعد توفيق



# مع العربية ومجمع اللغة في القاهرة (*)

## قصيدة للدكتور إبراهيم السامرائي

رِيعَتْ فَضِيمَ بِرُزْهَا وَرِقُ — وَمَضَتْ بِمَا تَشْقَى وتَأْتَلِقُ
بِبَقِيَّةٍ مِن سِحْرٍ يانعةٍ — فَذَنٌ يَشِي بِنُضَارِهِ أَلَقُ
تَرَكَتْ غَرِيضَ الرَّوْضِ ظامئةً — رَوْحَاتُه ،واستَصْرَخَ الوَرَقُ
وذَوَى على أَعلاقِهَا عَبِقٌ — لم يَخْلُ عنه وارفٌ أَنِقُ
لغةٌ سَعَيْتُ لِمَا شَقِيتُ لَهُ — منها ، كَأَنِّى رُحْتُ أَسْتَبِقُ
وشُغِلْتُ منها شُغْلَ ذى أَرَبٍ — أَضْنَاهُ فى غَمَرَاتِهِ عَلَقُ
أنا بعضُ قَوْمٍ نَالَهُمْ نَصَبٌ — فيما سَعَوا لَعَلائِهَا وشَقُوا
أَضْنَاهُمُ الدَّرْبُ الذى طَرَقُوا — وهَدَاهُمُ الهَدْىُ الذى صَدَقُوا

* * *

ياخالدين ! وقد سَعَيْتُ لكُمْ — بأَثارةٍ فى طَيِّهَا عَبَقُ
أَكْبَرْتُ فيكُمْ كلَّ مُحْتَرِبٍ — طَالَعْتُهُ كالسَّيْلِ يَدَّفِقُ
وَوَجَدْتُ فيكم كلَّ مُدَّرِعٍ — بالعِلمِ ، وَهْوَ بِسِرِّهِ حَذِقُ
وقَبَسْتُ من « شَيْخٍ » سَمَاحَةَ مَنْ — يَغْنَى بِأَىِّ هُدًى ويَعْتَنِقُ
ولَأَنْتُمُ قَدَرٌ لِبَارِعَةٍ — غَنِيَتْ ، فلاخَوْفٌ وَلَا فَرَقُ
أَسْرَى بكمْ فى كلِّ مُظلمةٍ — فُلْكٌ ، فَلا عَطَبٌ وَلَا غَرَقُ

* * *

---

( * ) ألقيت هذه القصيدة فى الجلسة الثالثة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء ٣ من شعبان سنة ١٤١٠ الموافق ٢٨ من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٠ م

أنَا بعضَ جَمْعٍ ليسَ يَجْمَعُهُمْ … إلّا الّتى ببَيَـانِهَا نَطَقُـوا

وأمَضَّهُمْ هَمٌّ لِمَا بغَـدٍ … تَلْقَى ، فَلا تَشْـقَى وتَخْتَنِقُ

مِمَّا حَـوَتْ من فَيْضِها مَدَدًا … تَقْـوَى بهِ ، وتَروحُ تَرْتَفِقُ

وضَمانَةُ الضَّـادِ المُنِيرِ .ومَا … « للذِّكْرِ » من نَفَحاتِهِ نَسَـقُ

وذَخِـيرةٌ كُنَّا بحُرْمَتِهَـا … بأَجَـلِّ ما نُمْنَى ونَفْتَرِقُ

وبمَـا تَحَـدَّرَ مِن سَماحَتِها … حِكَمٌ تُضِىءُ لَنَـا وتَتَّسِـقُ

وبِمَـا هُـدِينا من رَحَابَتِها … طَبْـعٌ مَشَى فى سَمْحِهِ خُلُقُ

وَسَـعَتْ إلى أُمَمٍ أَضَرَّ بها … خُلْفٌ ، وعَمَّ سَبِيلَها غَسَقُ

ودَنَتْ إلَى رَشَـدٍ تَلُوحُ بِهِ … فيما تَلِى من خَطْبِهَـا طُرُقُ

أَلْوَتْ بِنَـا غَيًّـا ونَفْـتَرِقُ … ومَشَتْ بِنَـا هَـدْيًا ونَتَّفِقُ

أفَبَعْـدَ ما ضَـاقَتْ بِنَا حِلَلٌ … وتَوَزَّعَتْ بشَـتَاتِنَا فِـرَقُ

شِمْنَا الرَّجَـاءَ المُسْتَنِيرَ إلى … فَجْرٍ أَضَاءَ بنُـورِهِ أُفُـقُ

* * *

إنِّى ، وقد أدْرَكْتُ من رَشَـدٍ … وأَرِقْتُ فيـه ونابَنِى أَرَقُ

لأُطِيـلُ مِن نَفَسٍ لِعَـافِيَةٍ … وأَصُـدُّ ما يُومِى بِهِ رَمَـقُ

وأُزِيحُ عَنِّى كلَّ غَاشِـيَةٍ … لولا الهُدَى ، قدكِدْتُ أَحْتَرِقُ

عَـوْدًا إلى دَرْبٍ تَهَيَّبَنِى … مِمَّا دَجَا فى وَعْثِـهِ لَثَقُ

ومَعَ الّذِينَ بِبَأْسِهِمْ وَصَـلُوا … بِمَسِـيرةٍ قد رُحْتُ أَلْتَحِقُ

أُولاءِ مَنْ شَرُفُوا بِمَا صَدَقُوا … ولأَنْتَ فى هَـدْىٍ بِمَا نَطَقُوا

بلِسَانِ صِـدْقٍ غَيْرِ ذى عِوَجٍ … ولِذَاكَ أَوْفَرُ مُنَّـةٍ رُزِقُـوا

تَلْقَـاهُمُ السَّـاعِينَ فى حَرَدٍ … لِلْجِدِّ ، كُلُّ مُفْصِحٍ لَبِـقُ

بِحَمَاسَةٍ ذَهَبَتْ بِهِمْ رَشَدًا     وَلَهُمْ بِذَلِكَ مِقْوَلٌ ذَلِقُ
إِنْ كَانَ ذَاكَ فَأَنْتَ بَعْضُهُمُ     وَلَأَنْتَ فِيهِمْ مُعْجَلٌ تَئِقُ

* * *

قَسَمًا بِمَا ثَمَّرْتُ مِن قِيَمٍ     وَبِمَا انْجَلَى من هَدْيِهَا فَلَقُ
ما كُنْتُ أَعْدِلُ عن هَوًى أَبَدًا     للحَزْمِ ، لا دَعْوَى ولا مَلَقُ
هَمٌّ شَقِيتُ بِهِ وَأَحْسَبُنِى     أَنْ لَوْ صَبَرْتُ لَزُحْزِحَ القَلَقُ
وَلَنِعْمَ ما يَلْقَاهُ ذُو مِقَةٍ     فى سَعْيِهِ مِمَّا بِهِ يَثِقُ

**ابراهيم السامرائى**
عضو المجمع ( من العراق )

# حديث عن الإنسان في القرآن الكريم

للدكتور محمد رشاد الطوبى
عضو المجمع

سبق لى أن تحدثت فى العام الماضى أمام هذا المجلس الموقر عن « دواب الأرض فى القرآن الكريم » ، وأوضحت فى ذلك لحديث أن تلك الدواب تبدأ من النملة الصغيرة حتى الإنسان العاقل ، فكلها من المخلوقات التى تدب على سطح الأرض ، تأكل من رزق الله وتُسَبِّح بحمده ، وقد ورد فى القرآن الكريم مايستدل منه على أن هذا الإنسان العاقل إن هو إلا أحد تلك الدّواب كما فى الآية الكريمة التالية :

« وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى » . (٦١ / النحل)

ولكن الله سبحانه وتعالى قد ميز الإنسان العاقل بالفطنة والذكاء ، وجعل له من قدراته العقلية والجسدية ما يتفوق به على سائر المخلوقات ، حتى أصبح بفضل من الله وحكمة ، سيد المخلوقات جميعًا دون منازع ، وأصبحت له السيطرة الكاملة على مجريات الأمور فى هذا العالم المتسع الأرجاء.

ولذلك فقد تراءى لى أن أخص هـذا الإنسان العاقل بحديث مستقل أستمدُّ عناصره وأساسياته من القرآن الكريم ، فكان حديث اليوم .

**الإنسان ، الناس ، البشر :**

إن لفظ « الإنسان » يطلق على كل من الذكر والأنثى من بنى آدم كما ورد فى « معجم ألفاظ القرآن الكريم » الذى أخرجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،

(*) أُلقى هذا البحث فى الجلسة الثانية من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ٢ من شعبان سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٢٧ من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٠ م.

وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٣ ( ألف وتسعمائة وثلاث وخمسين ) وقد ورد هذا اللفظ بدون أداة التعريف مرة واحدة فى القرآن الكريم ، وذلك فى قوله سبحانه وتعالى :

« وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ »

( صدق الله العظيم )

( ١٣ / الإسراء )

أما مع أداة التعريف فقد ورد ذكره فى كثير من الآيات البينات نذكر منها على سبيل المثال :

« وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا » .

( ٨ / العنكبوت )

« أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ »

( ٣ / القيامة )

« يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ » .

( ١٠ / القيامة )

« يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى » .

( ٣٥ / النازعات )

« خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ » .

( ٣ ، ٤ / الرحمن )

« إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا » .

( صدق الله العظيم )

( ١٩ / المعارج )

وعدد هذه الآيات البينات إحدى وستون آية (٦١) ، كما ورد فى معجم ألفاظ القرآن الكريم ، تضاف إليها ثلاث آيات أخرى (٣ ) المقصود فيها بلفظ الإنسان هو آدم عليه السلام ، وتلك الآيات الثلاث هى :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ » . ( ٢٦ / الحجر )

« وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ » .

( ٧ ـ السجدة )

« خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ »

( صدق الله العظيم )

( ١٤ / الرحمن )

ومعنى ذلك أن هناك أربعًا وستين (٦٤ ) آية ورد فيها لفظ « الإنسان » معرفًا ، كما ورد فى معجم ألفاظ القرآن الكريم .

عند قراءة هذه الآيات البينات استعدادًا لكتابة هذا البحث عثرت على خطإ يسير غير مقصود فى سرد الآيات السابق ذكرها ويكون لى اليوم شرف تصحيح هذا الخطأ .

ففى قائمة الآيات الخاصة بالإنسان عامة وجدت الآية رقم « ١٢ / المؤمنون » ضمن

هذه القائمة . وتلك الآية هى كما يلى :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ » . (صدق الله العظيم)

(١٢ / المؤمنون)

ولَمَّا كانت هذه الآية الكريمة المقصود فيها أيضًا بلفظ « الإنسان » هو آدم عليه السلام ، فيجب ضمها إلى الآيات الثلاث الأخرى المتعلقة بآدم ، وبذلك يكون العدد الحقيقى للآيات الخاصة بالإنسان عمومًا هى ستون آية (٦٠) ، وتلك التى تشير إلى آدم عليه السلام هى أربع آيات (٤) بدلًا من ثلاث .

يضاف إلى تلك الايات السابقة ست آيات أخرى (٦) ورد فيها لفظ « الإنسان » مجرورًا باللام ، كما فى قوله تعالى :

« إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ » .

(صدق الله العظيم)

(٥ / يوسف)

ولَمَّا كانت كلمة « الناس » تطلق كما هو معروف على « الجماعة من الإنسان » فلابد لنا من التعرف على ورود هذا اللفظ فى القرآن الكريم ، وخصوصًا أنه أكثر الألفاظ دلالة على بنى البشر ، إذ أنه ورد فى مختلف الآيات القرآنية مائتين وأربعين مرة (٢٤٠) ، نذكر منها على سبيل المثال الآيات التالية :

« أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ » . (٤٤ – البقرة)

« فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » . (٢٤ / البقرة)

« فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ » . (٨٥ / الأعراف)

« رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ » . (٩ – آل عمران)

« وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » . (صدق الله العظيم)

(٥٨ / النساء)

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى لفظ آخر يدل على الإنسان وهو « البشر » لوجدنا أنه ورد كثيرًا فى القرآن الكريم ، ومن أمثلة الآيات التى ورد فيها هذا اللفظ – الآيات التالية

« قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ » . (٤٧ / آل عمران)

« قَالَ لَمْ أَكُنْ لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمإٍ مَّسْنُونٍ » .

( ٣٣ / الحجر )

« قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ »

( صدق الله العظيم )

( ١١٠ / الكهف )

**الذكر والأنثى :**

لست فى حاجة إلى القول إن الإنسان أو الناس أو البشر منهم الذكر ومنهم الأُنثى . ولولا وجودُهما معًا لما استمرت الحياة على ظهر هذه الأَرض من عهد آدم إلى يومنا هذا ، وكانت الأَقوام فى العهود الغابرة وخصوصًا أيام الجاهلية الأُولى يفضلون الذكر على الأُنثى ، وربما كان هذا الشعور العدائى نحو ولادة الأُنثى من رواسب المعتقدات القديمة التى توارثها الإنسان جيلًا بعد جيل . فقد عُرف مثلاً أن العرب فى الجاهلية ، أى قبل ظهور الإسلام كانوا يعتبرون ولادة الأُنثى كارثة تنخلع لها قلوبهم ، وليس أدل على ذلك من الوصف الذى أورده القرآن الكريم بهذا الخصوص ، كما يتضح من الآية الكريمة التالية :

« وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ، أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُون أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ » .

( صدق الله العظيم )

( ٥٨ ، ٥٩ / النحل )

وكان العرف السائد حينئذ هو التخلص من المولودة الأُنثى ، وكأَنهم يتخلصون من داءٍ وبيل ، وكان مبعث هذا الشعور هو الخوف مما قد ترتكبه تلك الأُنثى من الفساد عندما تشب وتنضج ، أو من وقوعها فى الأَسر فى أيدى أعدائهم ، حيث كانت القبائل البدوية فى حروب شبه مستمرة .

وكانت القبيلة المنتصرة تأْخذ الأَسلاب من ممتلكات القبيلة المهزومة ، كما كانت تأْخذ نساءها أسرى حرب أو سبايا ، ولذلك كانوا يتخلصون من الأُنثى بعد ولادتها مباشرة بدفنها حية فى التراب ، مما كان سببًا فى نزول الآية الكريمة التالية :

« وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » . ( صدق الله العظيم )

( ٨ ، ٩ / التكوير )

ولم يكن الانزعاج من ولادة البنت ، مقصورًا على الرجال وحدهم ، بل يتعداهم

إلى النساء أيضًا ، وقد نتلمس شيئًا من هذا القبيل فيما ورد ذكره فى القرآن - الكريم عن « امرأة عمران » فى الآية الكريمة التالية :

« فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى » ( صدق الله العظيم )

( ٣٦ - آل عمران )

ثم تستمر بعد ذلك فى مخاطبة المولى عز وجل قائلة :

« وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى »

( صدق الله العظيم )

( ٣٦ / آل عمران )

وقد نستشف من ذلك أنها غيرُ قانعة تمامًا بتلك المولودة ، أو أنها غير راضية عنها وإن لم يرد ذلك صراحة فى تلك الكلمات ، بل إنها كانت تفضل المولود الذكر ، لأنه فى عرفها أفضل من الأنثى

وقد تلاشت تمامًا تلك الأفكار القديمة فى عصرنا الحاضر ، أو كادت ، ولم يعد هناك أىُّ تمييز أو تفضيل بين الذكر والأنثى فى مضمار الحياة ، مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى :

«يَهَبُ لِمَنْ يَشَآءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَآءُ الذُّكُورَ » ( صدق الله العظيم )

( ٤٩ - الشورى )

**الأساس العلمى للذكورة والأنوثة :**

إن ولادة الذكور أو الإناث تسير فى نظام محدد ثابت منذ بدء الخليقة إلى الآن ، فقد وضع الله سبحانه وتعالى فى حساباته الدقيقة أن تكون ولادة الذكور مساوية تمامًا لولادة الإناث . فلا يطغى أحدهما على الآخر عدديًا ، مما قد يؤدى إلى اختلال فى موازين الوجود والبقاء على سطح الأرض .

وتدل جميع الإحصائيات فى مختلف بلاد العالم أن عدد الذكور مساو تقريبًا لعدد الإناث . ومع ذلك فقد وجد مثلًا أنَّ هناك بعض العائلات التى تلد نساؤها ذكورًا أكثر من الإناث ، وهناك عائلات أخرى تلد نساؤها إناثًا أكثر من الذكور . ولكن المجموع الكلى للذكور يكون مساويًا لمجموع الإناث فى نفس هذا المجتمع .

وعلى أية حال فقد ثبت علميًا فى الوقت الحاضر أن المرأة غيرُ مسئولة إطلاقًا عن ولادة الذكور أو الإناث . وذلك ، لأن

جميع البويضات ( ova ) التى تخرج من المبيض – والتى يتكون منها الجنين بعد إخصابها – من نوع واحد فقط ، وهذا النوع الوحيد من البيض قادر على إنتاج الذكور أو الإناث ، فهو يحتوى بداخله على نوع واحد فقط من الصبغيات الجنسية أو الكروموسومات ( Chromosomes ) يطلق عليه اسم الكروموسوم السينى (س) ، ويرمز له باللغات الأجنبية بالحرف (X)

أما الماء الدافق الذى « يخرج من بين الصلب والترائب » فهو يحتوى على خلايا جنسية من نوعين مختلفين ، يحمل أحدهما بداخله الكروموسوم السينى (س) ، بينما يحمل النوع الثانى كروموسوماً جنسياً آخر هو الكروموسوم الصادى (ص) ويرمز له باللغات الأجنبية بالحرف (Y)

إن هذه الخلايا الجنسية دقيقة الحجم تماماً إذا قورنت بحجم البويضة . ويوجد منها ما يقرب من الثلاثمائة مليون فى الدفقة الواحدة ، وعند وصولها إلى داخل الرحم فإنها تتسابق جميعاً نحو البويضة – إن وجدت – لإخصابها ، تدفعها فى ذلك قوة غامضة يطلق عليه العلماء اسم « التوجه الكيميائى » ( Chemotaxis ) ، ويكون الفوز للمتسابق الأول الذى يصل إلى البويضة قبل غيره ، إذ أنه يندمج معها تماماً ، ويقال للبويضة عندئذ : إنها قد أخصبت . ولما كانت تلك الخلايا الجنسية توجد بأعداد متساوية تماماً ، تكون الفرصة سانحة لأى من النوعين : (س) أو (ص) لكى يؤدى إلى إخصاب البويضة .

وبذلك يكون هناك احتمالان فقط ، لاثالث لهما :

الاحتمال الأول :

بويضة + حيوان منوى ← عملية الاخصاب ← بويضة مخصبة

س س س س

ويكون المولود أنثى

الاحتمال الثانى :

بويضة + حيوان منوى ← عملية الاخصاب ← بويضة مخصبة

س ص س ص

ويكون المولود ذكراً

وتبعاً لقانون الاحتمالات يكون نصف

المواليد ( ٥٠٪ ) من الأولاد ، والنصف الآخر من البنات ، وهو مايشاهد فى مختلف بلاد العالم بصفة عامة .

وأحب أن أنوه هنا أن بعض علماء الوراثة قد قاموا بعدةمحاولات التحكم فى جنس الجنين فى الإنسان ، وكانت آخر هذه المحاولاتتعتمد على فصل الحيوانات المنوية المنتجة للذكور ( وهى الحاملة للكروموسوم ص ) عن تلك المنتجة للإناث ( وهى الحاملة للكروموسوم س ) بعد تكوينها داخل الخصية ، ثم إتاحة الفرصة للنوع الأول منها لإخصاب البويضة دون النوع الثانى . وذلك فى حيوانات التجارب تمهيدًا لاستخدامها بعد نجاحها فى حالة الإنسان ، ولكن لم يكتب لمثل تلك المحاولات أى نجاح على الإطلاق ، ويظل الأمر كله فى يد الخالق العلى القدير ، كما تحدثنا الاية الكريمة :

« يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ » . ( صدق الله العظيم )

( ٤٩ / الشورى )

## مراحل العمر

**الطفل ، الصبى ، الغلام .**

إن كل هؤلاء المواليد سواء كانوا من الذكور أو الإناث يمرون خلال حياتهم بمراحل متعددة لكل منها فى القرآن ذكر ، وأول هذه المراحل هى مرحلة الطفولة ، ولم يرد لفظ « الطفل » فى القرآن الكريم إلا بمعنى الوليد ( كما هو واضح من معجم ألفاظ القرآن الكريم ) . ومن ذلك على سبيل المثال الآية الكريمة التالية :

« هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا » .

( صدق الله العظيم )

( ٦٧ / غافر )

وآية أخرى مماثلة :

« وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا » .

( صدق الله العظيم )

( ٥ / الحج )

ثم يأتى بعد ذلك الصبى ، وقد عُرِّفَ فى « المعجم الوسيط » بأنه الصغير دون الغلام ، أو من لم يفطم بعد ، وعرف فى معجم ألفاظ القرآن الكريم بأنه « من لم يبلغ الحُلُمَ » ، وقد وردت عنه فى القرآن الكريم آيتان فقط ، إحداهما

هى الآية الكريمة التالية :

« يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا » . ( صدق الله العظيم )

( ١٢ / مريم )

هناك بعد ذلك الغلام ، وقد عرف فى معجم القرآن الكريم والمعجم الوسيط بأنه « الصبى من حين يولد إلى أن يشب » ، ووردت عنه فى القرآن الكريم عدة آيات نذكر منها على سبيل المثال :

« قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ » .

( ١٩ / يوسف )

« فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ » .

( ١٠١ / الصافات )

« فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ »

( ٧٤ / الكهف )

**النضوج الجنسى :**

أما بعد بلوغ الحُلُم أو بعد مرحلة البلوغ فيكون هناك تمييز واضح بين الذكر والأنثى ، أو بين الرجل والمرأة نتيجة ، لظهور مايعرف « بالصفات الجنسية الثانوية » ، وتنتج هذه الصِّفات بتأثير هرمونات معينة تفرزها الخصية عند الرجال أو المبيض عند النساء .

فالمعروف أن الصبى أو الغلام عندما يقترب من سن البلوغ أو عند اجتيازها تظهر عليه عدة تغييرات جسدية منها على سبيل المثال عمق الصوت وخشونته نتيجة لنمو الحنجرة والأحبال الصوتية ، وخشونة الجلد بعد أن كان ناعم الملمس كجلد الفتيات ، ثم البدء فى نمو الشعر على الوجه لتكوين الشارب واللحية . ونمو عضلات الجسم وتضخمها وخصوصًا عضلات الأذرع والسيقان ، ولا يكون هناك تركيز لتوزيع المواد الدهنية تحت الجلد فى الصدر وعند الأرداف كما هى الحال عند الإناث .

أما الفتاة الصغيرة فمن أظهر صفاتها الجنسية الثانوية نمو الأثداء بطريقة تؤهلها للقيام بوظيفتها المستقبلية ، وهى إدرار اللَّبن لإرضاع المولود . وكذلك توزيع المواد الدهنية تحت الجلد بصورة تؤكد أنوثة الأُنثى . وخصوصًا عند الأرداف . وهو مايعنيه الشاعر بقوله :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة

لا يشتكى قصر منها ولا طول

أى أنها نحيفة البطن ممتلئة العجز ، مما يجعلها فى صورة تختلف تماماً عن صورة الرجل .

هذا بالإضافة إلى نعومة فى الصوت ، فلا يختلف كثيراً عن صوت الطفل ، ونعومة فى الجلد فيظل ناعم الملمس ، ولا تدركه الخشونة الموجودة فى جلد الرجال.

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة ذكر فيها كل من الرجل أو المرأة على حدة ، نذكر منها على سبيل المثال :

« أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ » .

( ٧٨ / هود )

« وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى »

( ٢٠ / القصص)

« وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ » .

( ٢٨ / غافر )

« إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ » . ( صدق الله العظيم )

( ٢٥ / المؤمنون )

أما المرأة فقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم للدلالة على الأنثى من بنات آدم ، كما فى قوله تعالى :

« إِنِّى وَجَدْتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ » .

( صدق الله العظيم )

( ٢٣ / النمل )

ولكن الأغلب والأعم هو ورودها بمعنى الزوجة ، وتكون مقرونة باسم زوجها ، كما فى الآيات التالية :

« إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا » .

( ٣٥ / آل عمران )

« وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ امرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ » .

( ٣٠ / يوسف )

« وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِى وَلَكَ » . ( صدق الله العظيم )

( ٩ / القصص )

**الكهل ، الشيخ :**

ويصل كل من الرجل والمرأة إلى دور الكهولة ، ويطلق لفظ « الكهل » كما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم على من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين ووخطه الشيب ، وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن

الكريم في آيتين فقط في معرض الحديث عن عيسى عليه السلام :

« وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ » . ( ٤٦ / آل عمران )

«إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا » . ( صدق الله العظيم )

( ١١٠ / المائدة )

أما الشيخ فتعريفه في معجم ألفاظ القرآن الكريم « من الخمسين إلى آخر عمره ، وقيل إلى الثمانين » . وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات فقط في الآيات التالية :

« أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا » .

( ٧٢ / هود )

«لانَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ[1] وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ » . ( ٢٣ / القصص )

« ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا » . ( صدق الله العظيم )

( ٦٧ / غافر )

**ابيض واسود :**

نعرف جميعًا أن آدم عليه السلام ، وزوجته حواء كانا يعيشان في الجنة ولكنهما استمعا إلى وسوسة الشيطان وأكلا من الشجرة المحرمة ، فطردا من الجنة كما توضح الآية الكريمة التالية :

« قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ » . ( صدق الله العظيم )

( ١٢٣ / طه )

ومنذ ذلك التاريخ السحيق وأبناؤهما يضربون في مجاهل الأرض ، من الشمال إلى الجنوب ، ومن الشرق إلى الغرب ، حتى امتلأت بهم الدنيا على سعتها ، وأصبحوا يبلغون الخمسة آلاف من الملايين على وجه التقريب ، كما أصبحوا شعوبًا وقبائل ، يتباينون في صفاتهم وطبائعهم ، كما يتباينون أيضًا في لغاتهم وألوانهم ، كما توضح الآية الكريمة التالية :

« وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ » .

( صدق الله العظيم )

( ٢٢ / الروم )

---

( ١ ) يصدر الرعاء — يسقي الرعاة دوابهم ويصرفوها عن الماء .

المقصود « بالألسنة » هنا هو «اللغات » التي يتكلم بها بنو البشر في مختلف أرجاء العالم ، كما هو معروف ، وقد أشرت في حديثي السابق إلى أن اللغة إن هي إلّا أصوات ينطق بها اللسان ، فتستقبلها الأذن وتدرك المقصود منها ، وأن الإنسان يتعلم في طفولته جميع الكلمات التي ينطق بها كل من حوله من البشر ، أي أنه يتعلم اللغة تعليماً ، ولا يولد على معرفة بها على الإطلاق .

ولذلك فإن الطفل الصغير المصاب ـ بالصَّمَم لا يستطيع سماع الأصوات أو الكلمات التي نتبادلها فيما بيننا ، ولذلك فإنه يصبح فيما بعد من البكم الذين لا يتكلمون ، ونستطيع أن نتلمس العلاقة بين الصَّمَم والبَكَم في كثير من الآيات القرآنية ـ الكريمة ، ومنها مثلاً :

« صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ » .

( ١٨ / البقرة )

« وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » . ( صدق الله العظيم )

( ٧٨ / النحل )

أما الألوان فالمقصود بها على الأرجح لون الجسم من بياض أو سمرة أو سواد أو غيرها وقد وردت في القرآن الكريم عدة آيات تدل على اللون عموماً ، منها على سبيل المثال :

« يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ » .

( ٦٩ / النحل )

« فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا »

( ٢٧ / فاطر )

« قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا »

( صدق الله العظيم )

( ٦٩ / البقرة )

وسوف أقتصر هنا في كلامي على لون الإنسان دون الألوان الأخرى ، ففي الأقاليم الشمالية الباردة حيث تكون أشعة الشمس ضعيفة نسبياً ، ويكون عدد الأيام المشمسة قليلاً على مدار العام ، نجد أن الجلد لا يحتوى إلّا على كمية قليلة من صبغ الميلانين(١) ( Melanin ) مما يودى إلى بياض البشرة وإلى وجود العيون الزرق ،

(١) الميلانين صبغ أسود أو بني داكن يستقر داخل الجلد عند قاعدة البشرة في خلايا خاصة تسمى « خلايا الميلانين »

والشعر الأصفر ، كما هى الحال فى البلاد الإسكنديناڤية على سبيل المثال .

فإذا انتقلنا نحو الجنوب نجد أن لون الجلد والشعر والأعين يزداد سمرة بالتدريج حتى نشاهد اللون الأسود الداكن فى المناطق الاستوائية وهى المناطق التى لا تكاد تغيب عنها الشمس طول العام ، كما تكون الأشعة الضوئية فى أعلى معدلاتها قوة ، وانتشارًا ، وهو ما يوضح لنا أن كمية الصبغ الأسود الموجود فى جلد الإنسان يتناسب تناسبًا طرديًا مع كمية الأشعة الضوئية التى يتعرض لها فى حياته اليومية .

والواقع أن صبغ الميلانين له أهمية قصوى فى حماية أنسجة الجلد اللينة من التأثيرات المدمرة «للأشعة فوق البنفسجية» الموجودة فى الشمس ، ولذلك تتكون من هذا الصبغ طبقة داكنة تمنع وصول تلك الأشعة إلى داخل الجلد ، ولذلك تكون هناك اختلافات واضحة فى كمية الميلانين الموجودة فى الجلد فى مختلف السلالات البشرية تبعًا للبيئات التى تعيش فيها كل من تلك السلالات .

ويتضح من ذلك أن اللون الأسود نعمة لا نقمة ، وحسنة لا سيئة ، قدرها الله سبحانه وتعالى لعباده الذين يعيشون فى أقاليم قد تتعرض فيها جلودهم ، وبالتالى أنفسهم للهلاك بفعل أشعة الشمس ، فالمعروف أن الجلد هو خط الدفاع الأول فى وقاية الإنسان من « الغزو الميكروبى » للجسم ، ولعل البيض فى جنوب إفريقيا يعون هذه الحقائق ، وتتفتح أبصارهم وقلوبهم على الحق والعدل .

تلك نبذة قصيرة عن « الإنسان فى القرآن الكريم » ، تناولت فيها قليلا من الحقائق المتعلقة بحياة هذا المخلوق الذى كرمه الله سبحانه وتعالى ممثلًا فى آدم عليه السلام ، حيث طلب من الملائكة أن يسجدوا له إجلالًا وتعظيمًا ، كما يتضح من الآية الكريمة التالية :

« وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ » .

( صدق الله العظيم )

( ٣٤ / البقرة )

ثم فى قوله سبحانه وتعالى :

«لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»

( ٤ / التين )

وغير ذلك من الآيات البينات التى توضح المنزلة الرفيعة التى اختصه بها سبحانه وتعالى دون سائر المخلوقات .

ولعلى أكون قد وفقت فى عرض هذا الحديث .

**محمد رشـاد الطوبى**
عضو المجمع

# المختصرات وطريقة أدائها باللغة العربية

للدكتور عبد الكريم خليفة

تهدف هذه الكلمة إلى طرح قضية من قضايا كثيرة، تخص اللغة العلمية العربية في العصر الحديث. وعلى الرغم من الجهود الخيرة التي قامت بها مجامع اللغة العربية ولا سيما مجمعنا بالقاهرة في مجال المصطلحات العلمية، فإن قضايا اللغة العلمية لم تحظ بعد بالعناية اللازمة، وما زالت تنتظر مزيداً من الدراسة والتحليل في ضوء المعطيات والمناهج العلمية الحديثة، ووضع الحلول المناسبة والقواعد الضرورية لإنماء اللغة العلمية العربية. فالهدف الكبير الذي ما زلنا نتطلع إليه يتجسد في تحقيق، إتعريب العلوم والمعرفة، وتصبح العربية لغة التدريس الجامعي في مختلف مستوياته وفي جميع فروعه، ولغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة. وبهذا الأسلوب وحده تستعيد العربية سيادتها في أوطانها، وتصبح عاملاً فاعلاً في رُقي أُمتنا وتحررها.

وإنه لمن البدهي القول باختلاف اللغة الأدبية عن اللغة العلمية من حيث أساليبها ووضوح مدلولاتها وتحديد مفرداتها. فاللغة العلمية تتحدد بصورة رئيسية بالقواعد التي تنتظم منهجية المصطلح العلمي وأدوات التعبير الأُخرى من رموز علمية ومختصرات ومعادلات رياضية وأشكال إيضاحية ورسوم بيانية وغيرها من أشكال الاختزال، والتركيب والرمز ...

وقد بذلت جهود كبيرة، منذ مطلع هذا القرن، ولا سيما في العقود القليلة الماضية، في مجال وضع المصطلحات العلمية

---

(*) أُلقي هذا البحث في الجلسة الثالثة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء ٣ من شعبان سنة ١٤١٠ الموافق ٢٨ من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٠.

باللغة العربية ، وتحديد منهجية ترتكز إلى قواعد ومبادئ محددة ، تنظم عملية التعريب . وفى هذه العملية واجه علماؤنا قضايا ومشكلات فى النقل من اللغات الحديثة المتقدمة التى أنتجت هذا السيل الضخم من العلوم والمعارف الإنسانية فى شتى المجالات . وبدأت المجامع اللغوية العربية وبعض المؤسسات العلمية والغيارى من علماء هذه الأمة ، يتلمسون طريقهم للتغلب على هذه الصعاب ، دون أن تكون هنالك سياسة محددة ومناهج واضحة ودقيقة ، متفق عليها ، تلتزمها الجامعات والمؤسسات العلمية العربية فى التطبيق . وكان نتيجة ذلك ما أشار إليه زميلنا العالم الجليل الدكتور محمود مختار ، فى محاضرته القيمة التى ألقاها فى ندوة عمان التى عقدها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية فى المدة الواقعة بين ٢٧ من جمادى الأولى - ٢٩ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٧ هـ الموافق ٢٧ كانون الثانى - ٢٩ كانون الثانى - يناير سنة ١٩٨٧ م ؛ إذ يقول :

« ولكن يؤسفنى أن أقول : إن هذه المعاجم ( يشير إلى مانشر من معاجم للمصطلحات العلمية ) لم تخل من الشوائب التى أصابت اللغة العلمية ذاتها بشىء من الوهن والقصور ... والتى كان من آثارها ظهور المصطلح الواحد المتخصص ، بعدد من المقابلات العربية ، وهو ما ترفضه اللغة العلمية تمامًا ، لما ينشره من بلبلة ولبس بين العلميين ... » .

وإن قضية الرموز العلمية العربية ، التى كانت موضوع الدراسة فى تلك الندوة ، كانت فى الواقع إحدى المشكلات التى واجهت مجمع اللغة العربية الأردنى منذ أواخر السبعينات ، عندما بدأ حملته ، لتعريب التعليم العلمى الجامعى . فقد أقر المتخصصون أن الترجمة برموز أجنبية إنما هى مجرد ترجمة ، وليست تعريبًا للعلم وإن التعريب ، إنما يتطلب إنبات العلم فى بيئة عربية خاصة[1]. وأن للرمز إيحاءات خاصة لا تنقل بانتقال الرمز من لغة إلى أخرى .

وأدى تسارع الحركة العلمية منذ الحرب العالمية الثانية ، إلى دخول فيض كبير من المصطلحات العلمية والتسميات بكلمات

(١) انظر : مشروع مجمع اللغة العربية الأردنى للرموز العلمية ، ص ٧ .

متعددة وعبارات طويلة فى اللغات الأجنبية المتقدمة مثل : الإنجليزية والفرنسية ، والألمانية والروسية . وقد رأوا فى مؤسساتهم اللغوية والعلمية أن ينأوا عن تكرار هذه العبارات الطويلة ، توفيرًا للوقت والجهد وتيسيرًا للفهم والإفهام فلجأوا إلى أسلوب المختصرات ( Abbreviations ) ، وذلك بوضع أشكال معينة للتعبير عن المعنى بصورة رمزية مختزلة ، وفق قواعد محدَّدة ومتعارف عليها ، فاختصروا الكلمات فى حروف تكون عادة أوائل كلمات المصطلح .

لقد دلت نتائج البحوث اللغوية ، أن الاتجاه العام لجميع اللغات هو نحو تقصير الصيغ للكلمات . وأن هذا الاتجاه واضح كل الوضوح فى مسيرة العربية عبر تاريخها التُّراثى الطويل . واعتبر « النحت » فى العربية جنسًا من « الاختصار » . فكانت العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، كقولهم : « رجل عبشمى » منسوب إلى اسمين ، وقولهم : « حيعلة » من حىَّ على ، وتسارع هذا الاتجاه نحو «الاختصار» بعد ظهور الإسلام ، فقالوا : «البسملة » من عبارة « باسم الله » ، و « الهيللة » من « لا إلٰهَ إلَّا الله » ، والحولقة والحوقلة من «لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بالله » و «الحمدلة » من « الحمد لله » و « الجعفدة » من جعلت فداك والسبحلة أى من « سبحان الله » ... وأصبحت « الحيعلة » تعنى قول المؤذن : « حىَّ على الصلاة ، حىَّ على الفلاح »[1] ...

وما زال « النحت » فى اللغة يراوح مكانه فى هذا المجال المحدود ، وهو مع ذلك يكوِّن رافدًا من روافد إنماء العربية . وما فتئت العربية أن وجدت نفسها : منذ بداية القرن العشرين تستيقظ على طوفان من المصطلحات العلمية فى مختلف مجالات المعرفة . ولذا كان على العربية أن تستخدم جميع أدوات التعبير من أجل استيعاب المصطلحات ، والمعانى الجديدة .. وكان النحت والاشتقاق والنقل والمجاز والاختزال والتركيب ، والتعريب ، من أهم الأدوات ، ولا سيما فى موضوع إيجاد المقابلات العربية للمصطلحات والرموز العلمية والمختصرات ... وعلى

(١) انظر : السيوطى ، المزهر ، ج ١ ص ٤٨٢ — ٤٨٥ .

الرغم من الدراسات التي عالجت هذه القضايا اللغوية المهمة ، إلَّا أنها لم تصل إلى مرحلة التنظيم وفق قواعد محدَّدة . فكثيرًا ما تختلط مفاهيم أدوات التعبير مثل النحت والاختزال والمختصرات والرموز ... إلخ ، ولا سيا أنها ذات طبيعة متداخلة .

وللغة العربية تجربة خصبة فى استعمال مختلف أدوات التعبير هذه ، وإن دراسة هذه التجربة التُّراثية ، لتشكل أساسًا فى وضع القواعد المحددة للإفادة من الاستعمال الواسع للرموز والمختصرات العلمية فى العصر الحديث .

شاع استعمال « المختصرات » فى اللغات الحية فى هذا القرن ، لا سيا منذ الحرب العالمية الثانية . وهى فى اللغات الأجنبية المتقدمة تخضع لقواعد محددة ، بصورة عامة ، وتَسْتعمل عادة أوائل حروف الكلمات التي تكوِّن العبارة أو المصطلح ، وتكتب وفق نظام متفق عليه . وأصبح هذا الأُسلوب يجد طريقة إلى كتاباتنا العربية ، ولا سيا العلمية منها فى العصر الحديث . ولكن غياب الدراسات اللغوية لموضوع « المختصرات » هذه ، وعدم التوصل إلى وضع قواعد تحدد استخدامها فى الكتابة العربية ، قد أعاق انتشارها من ناحية ، وأوقع الفوضى والتناقضات من ناحية أُخرى ، فالعفوية والاجتهادات الفردية ، ما زالت مع الأَسف هى الطريق الرئيسى ، الذى تشيع من خلاله أدوات التعبير العلمية الحديثة ، سواءٌ أكان ذلك فى مجال العلوم التطبيقية والإنشائية أم فى مجال الحياة الحضارية .

فإذا كانت الرموز العلمية ، تتصف بالخصوصية والثَّبات ، فإن «المختصرات » تتصف بالشمولية والتغير . إنها تتجاوز مجال العلوم إلى دلالات الحياة بأَوسع معانيها ، وهى فى الوقت ذاته ، أداة تعبر عن دلالات آنيَّة ، تختفى من الاستعمال باختفاء هذه المدلولات من واقع الحياة . فهذا « المختصر » مثلًا الذى يدل على حلف عسكرى أو دولى معين ، يختفى من الاستعمال بانتهاء هذه الأَحلاف وتلك المنظمات ...

وأدت العفوية فى دخول «المختصرات » إلى الكتابة العربية الحديثة إلى فوضى فى الاجتهاد وتناقضات تصل إلى حدّ التفكك

أحيانًا وأحيانًا أُخرى تفتح الباب إلى إدخال الحروف الأَجنبية بلفظها الأَعجمى فى سياق الكتابة العربية . وإن هذا الحال لشيءٌ مؤسِف حقًّا ، والأَمثلة على ذلك كثيرة .

لنأْخذ مثلًا اسم إحدى المنظمات العربية والمختصرات التى شاعت للدلالة عليها ، فالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أشاعت من حيث الواقع « المختصر » (ALECSO) وهذا المختصر بحروفه الأَجنبية قد تطور من الكتابة بحروف كبيرة ، يفصل بينها النقط إلى كلمة واحدة ، إنجليزية اللفظ والدلالة ... ثم تجاوز الأَمر إلى كتابتها بالحروف العربية ( ألكسو ) على طريقة التعريب من حيث إدخال الكلمة الأَعجمية كما هى فى العربية ، وتطبيق قواعد العربية عليها . لا شك أَن هذا اللون من التعريب ، تقبله العربية من حيث المبدأ ويشكل واحدًا من الروافد المهمة الكثيرة التى تمد العربية بالحياة المتجددة وباستيعاب كل ما يصل إليه الفكر الإنسانى من معارف وعلوم ولكنه فى هذا المقام يدعو إلى العجب . وإن نظرة فاحصة لهذا المسار الذى سلكته « المختصرات » ، على نهج المثال الذى أوردناه تبين لنا مقدار عقم هذا الأُسلوب ، وتناقضه واستخفافه برونق العربية وخصوصياتها من حيث هى لغة نامية ومتطورة . فإن حروف (A.L.E.C.S.O.) ، هى الحروف الأُولى – للكلمات التى يتأَلف منها اسم المنظمة العربية باللغة الإنجليزية وهو :

Arab League Educational Cultural and Scientific Organization

وإن كل حرف يوحى باللفظة التى ينتسب إليها ، وأنه بسبب الشيوع أَصبح المختصر كلمة واحدة ، وسقطت النقط ، ومع ذلك بقيت إلى حد ما موحية تذكر بأُصولها الإنجليزية . ولكنها عندما انتقلت إلى العربية بلفظها الأَعجمى ، وكتبت بالحروف العربية ( أَلكسو ) أصبحت لفظة صماء ، مقطوعة الجذور والأُصول ، فضلا عن الهجنة التى تكتنفها .

ومثل ذلك يقال فى « المختصر » الذى أُشيع استعماله فى تسمية «المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة » . فقد سلك « المختصر »الأُسلوب ذاته وسار على الطريق إياه . فقد وضع «المختصر » لاسم المنظمة

باللغة الإنجليزية واسمها باللغة الإنجليزية هو :

Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization

فوضع المختصر بأن أخذ الحرف الأول من كل كلمة من هذه التسمية ماعدا حروف العطف فأصبح على هذا الشكل : ( I.S.E.S.C.O. ) ثم سقطت النقط ليكوّن كلمة واحدة مؤلفة من الحروف الكبيرة فأصبحت هكذا ( ISESCO ) ، ثم وجدت طريقها مع الأسف إلى الكتابة العربية بلفظها الأعجمى فأصبحت تكتب بالحروف العربية ( اسيزكو ) ...

سار هذا الأسلوب فى هذين المختصرين على غرار الأسلوب الذى اتخذته منظمات الأمم المتحدة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ... وإن المثالين اللذين أوردناهما قد استوحيا تسمية المنظمة الدولية (U.N.E.S.C.O) ، فقد شاع هذا «المختصر» ، ودخل فى كتابة جميع اللغات تقريباً فى العصر الحديث . ودخل فيما دخل فى الكتابة العربية ، وقد عُرِّب بكتابته بالحروف العربية ، وإدخال « ال » التعريف عليه .

ونحن نجد فى هذا المسار ، أسلوباً صحيحاً ، وطريقاً سليماً فى استيعاب العربية هذه المختصرات التى أصبح لها وجود عالمى والأمثلة كثيرة على ذلك . فقد أصبح كثير من هذه المختصرات كلمات لا توحى بأصولها ولا تنم عن جذورها ، وبدأت تكوّن مصطلحات ذات دلالات علمية محدَّدة مثل : الليزر والإيدز ... إلخ

وإنه لمن العبث الذى يدعو إلى الاستهجان والحزن عندما تَسْتَعْمِلُ كثير من الأدبيات فى الوطن العربى اسم « اليونسكو العربية » للدلالة على « المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم » أو « اليونسكو الإسلامية » ، للدلالة على المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ... أو أنها تشيع المختصرات بألفاظها الأعجمية مكتوبة بحروف عربية !

ونحن نعتقد أن هذه الفوضى التى تكتنف المختصرات ، مثل ما تكتنف كثيراً من أدوات التعبير الحديثة ، وهذا التخبط الذى نلمسه فى أساليب استخدامها يهيب بنا إلى دراسة جميع المشكلات الخاصة بأدوات التعبير ، والأساليب التى تغنى العربية وتجعلها قادرة على مواكبة المسيرة.

العلمية الحديثة ،فى عصر التفجر العلمى ، ونحن نحث الخطى نحو فجر القرن الحادى والعشرين ...

فإشاعة أسلوب « المختصرات » فى كتاباتنا العربية يقضى بأن تأخذ المجامع والهيئات اللغوية العربية على عاتقها دراسة المشكلات التى تنشأ عن ذيوع استخدام المختصرات ، ووضع قواعد محددة تنظم كيفية صياغتها ، وإضفاء رونق العربية عليها ، ونظمها فى سياق الجملة العربية السليمة . فيتناول البحث المختصرات الأجنبية التى شاع استعمالها فى حياتنا العامة مثل : اليونسكو والليزر ... إلخ ، وكذلك المختصرات التى تتداولها اللغات الأجنبية المتقدمة ، ولما يَشِعْ استعمالها فى لغتنا . فما السبيل إلى استيعابها ؟ أيكون ذلك بأخذ هذه المختصرات بحروفها ، الأعجمية أم المحافظة على نطقها الأعجمى وكتابتها بالحروف العربية ؟ وهل تكتب هذه الحروف العربية بشكلها المقطع ، مفصولة بعضها عن بعض ، وهل تكون الفاصلة نقطة أم شولة ! أم أن تكتب هذه الحروف العربية بشكلها المتصل مكونة كلمة أو مقطعًا من كلمة !!

وربما نتحول إلى أسلوب آخر ، ينطلق من ترجمة المصطلح أو الاسم إلى العربية ، سواء أكان مؤلفًا من كلمة واحدة أم عدة كلمات ، وأن يؤخذ الحرف الأول من كل كلمة عربية ، بعد تجريدها من ال التعريف ويكون من أوائل هذه الكلمات مجموعة من الحروف ، تكتب بشكلها الهجائى المقطع (ا . ب ت ث ج ... إلخ » وهنا أيضًا يرد التساؤل ، فهل يكتب المختصر بهذه الحروف المقطعة مع فواصل بينها ، سواءٌ أكانت نقطة أم شولة ... أم أنها تكتب دون فواصل ، ويجرى نطقها بأسماء الحروف ( ألف باء جيم دال ... إلخ ) ، أم أنها تكتب بالحروف المتصلة وتنطق كلمة دالة على معنى اصطلاحى معين ؟ لنأخذ مثالًا على ذلك وليكن المختصر ( حماس ) فهو « مختصر » ( حركة المقاومة الإسلامية ) ... إلخ ، وربما كان لطبيعة الحروف المجتمعة وما تؤديه أحيانًا من لفظ يخف على السمع ويسهل على اللسان ، دور فى صياغة المختصر على شكل ألفاظ مقبولة أو بقائها حروفًا تنطق بأسمائها ( حاء ، ميم ، سين ) ، وإذا كان الإجماع تامًا على تجريد الأسماء من ال

التعريف ، عندما يؤخذ الحرف الأول من كلّ منها ، فإن التساؤل ما زال باقياً حول حروف الجر وأدوات الشرط والاستفهام والضمائر المنفصلة وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وظروف الزمان والمكان ... إلخ ، التي قد تولف جزءاً من تلك التسمية ، أو ذلك المصطلح الذي نريد وضع « مختصر » له . وربما تدعو الحاجة إلى استعمال « النسبة » إلى هذا الاسم أو المصطلح ، فكيف تتم النسبة ؟ ومتى تستساغ النسبة إلى « المختصر » ؟ ومتى يمكن أن تكون النسبة إلى التراكيب والعبارات ؟ وما هي القواعد اللغوية التي تضبط ذلك كله ؟ ... إلخ .

وجملة القول ، فإن ذلك كله يتطلب من المجامع اللغوية العربية وضع قواعد محدّدة ومنهجية ملزمة ، يتم الاتفاق عليها تحدد طريقة وضع « المختصرات » ، وغيرها من أدوات التعبير التي راج استعمالها في اللغات الأجنبية المتقدمة ، وتوضح أساليب استعمالها في الكتابة العربية . وقد هداني الاهتمام بهذا الموضوع والاطلاع على بعض ما كتب حوله ، قديماً وحديثاً أن أتقدم إلى مؤتمرنا العتيد ببعض الأفكار التي يمكن أن تشكل الخطوط العريضة لقواعد محدّدة يتم الاتفاق عليها ، تنظم طريقة أداء « المختصرات » وكيفية استعمالها باللغة العربية . وقبل أن أُجمل هذه الأفكار ، أقول :

عَرَفَت العربية منذ تاريخها المبكر أدوات التعبير المختلفة من رموز ومختصرات وغيرها . ولكن ظروف استعمالها كانت محدودة في مجالات معينة . وإن التطور العلمي الحديث وتفجر المعرفة وتسارعها ، يحتم علينا إيجاد قواعد محددة يلتزم بها في وضع الرموز والمختصرات وتعميمها في الكتابة العربية ، من أجل أن تفي العربية بمتطلبات العصر الحديث وتواكب مسيرة اللغات الأجنبية المتقدمة . فالعربية الخالدة ، لغة القرآن الكريم ، ثابتة من حيث نحوها وصرفها ، ولكنها لغة نامية ومتطورة من حيث أساليبها ومفرداتها فلها من خصائصها الذاتية وأدوات التعبير ، ما يجعلها قادرة على استيعاب كل ما يجد من معارف في مختلف العصور .

وإنني إذ أعزو الفضل لأصحابه من

العلماء والباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع من جوانبه المختلفة ، لأود أن أورد القواعد العامة التى ربما تصلح أن تكون منطلقاً ، للاتفاق على قواعد محددة توضح كيفية وضع « المختصرات » وأساليب استعمالها فى الكتابة العربية ، وذلك على الشكل التالى :

أولاً : يؤخذ ما جاء فى التراث من « مختصرات » كما هى ، سواء أكانت عن طريق النحت أم عن طريق التركيب أو الاختزال أو الرمز ، باعتبارها نقلية سماعية ، لا يقاس عليها ، ولا نخضعها لقواعد « المختصرات » الحديثة ، مثال ذلك : البسملة والحوقلة ، والحمدلة والحيعلة ... إلخ . ونقول بعدم القياس فى وضع هذه الكلمات ، كى نتجنب الخروج عن القاعدة والدخول فى فوضى الاجتهادات الفردية .

ثانياً : قبول « المختصرات » الأجنبية التى أصبح لها وجود عالمى فى اللغات المتقدمة ، وإدخالها فى الكتابة العربية باعتبارها كلمات أعجمية ، دون النظر إلى أصولها أو إيحاءاتها . وتكتب بالحروف العربية المتصلة ، وذلك على سبيل « التعريب » . وتجرى عليها قواعد العربية من حيث التعريف والتنكير والتثنية والجمع والنسبة عند الحاجة ، ومن حيث السياق والتركيب ، فنقول : اليونسكو والليزر والرادار والإيدز ... إلخ ، ونقول فى النسبة : « الليزرى والرادارى واليونسكى ... إلخ » .

ثالثاً : قبول « المختصرات » الأجنبية لأسماء الأعلام ، كما هى ، وكتابتها ، بالحروف العربية وفق نطقها الأعجمى .

رابعاً : يوضع « المختصر » للتسميات العربية ، سواء أكانت هذه التسميات عربية الأصل والمنشأ أم أنها تستعمل فى الدوائر الرسمية أو الجيش أو الموسسات العامة والخاصة أو الشركات أو يكثر استعمالها وترددها فى الحياة العامة ، وذلك وفق القواعد التالية :

١- يؤخذ الحرف الأول من كل اسم بعد تجريده من « ال » التعريف ، ومن كل كلمة بعد تجريدها من « الزوائد » . ويكتب المختصر بالحروف المنفصلة دون وضع إشارة فصل بينها . وتلفظ الحروف

العربية بأسمائها ، فنقول مثلًا : ( جيم ميم عين ) ، عند كتابة ( ج م ع ).

وإذا كان المختصر يشكل كلمة واحدة سهلة اللفظ ، سائغة الاستعمال ، فتكتب بالحروف المتصلة ، وتلفظ الحروف بأصواتها فى بنية الكلمة . فنقول مثلًا : « مآب » بدلًا من « مؤسسة آل البيت »

وإذا كان المصطلح أو الاسم كلمة واحدة يؤخذ الحرف الأول والثانى من الكلمة ، بعد تجريدها من ال التعريف والزوائد . ويكتب بأشكال الحروف المتصلة ، وتلفظ الحروف بأسمائها فنقول :

« سين ميم » للمختصر « سم » بدلًا من « سنتيمتر » .

و « تاء عين » للمختصر « تع » بدلًا من « تعاونية » .

و « ميم خاء » للمختصر « مخ » بدلًا من « مخطوطة » .

وهكذا ...

٢ ـ لا ينظر فى العبارة التى تكون التسمية أو المصطلح ، إلى حروف الجر والعطف وأدوات الاستفهام والشرط والتنبيه ، وأدوات النداء ، ولا إلى الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ...

٣ ـ يؤخذ الحرفان الأول والثانى من الكلمات الدالة على الظرف ، وتلفظ الحروف بأصواتها أى باعتبار بنية الكلمة وتكتب بالحروف المتصلة ، مثال ذلك :

« قَبْ » بدلًا من « قبل » .

و « تَحْ » بدلًا من « تحت » .

و « شَمْ » بدلًا من « شمال » .

و « بَعْ » بدلًا من « بعد » .

خامسًا : وبالنسبة للمختصرات الأجنبية التى تدعو الحاجة إلى استعمالها فى الكتابة العربية ، فيتم ترجمة المصطلح أو التسمية كما هو فى الأصل ، إلى اللغة العربية . ثم يعامل فى كيفية وضع « المختصر » ، معاملة التسميات العربية كما ورد فى البند الرابع . مثال ذلك : المختصر الإنجليزى ( M.O. ) يعنى بدلًا من المصطلح الإنجليزى ( Money Order ) ، فيترجم هذا المصطلح إلى العربية ، ويصبح : « حوالة مالية » ، ثم يوضع له المختصر باللغة العربية ، وفق القواعد التى ذكرناها

فيكون على الشكل التالى ( ح م ) ويلفظ بأسماء الحروف أى : (حاء ، ميم ) ...

وإذا كان المصطلح أو الاسم كلمة واحدة وأردنا أن نضع له مختصرًا ، فتجرى عليه القواعد نفسها التى ذكرت سابقًا ، مثال ذلك : فإن المختصر « باللغة الإنجليزية » ( M.S. ) يعنى بدلًا من التسمية الإنجليزية ( Manuscript ) . يترجم هذا المصطلح الأخير إلى العربية فيصبح « مخطوطة » ، ثم يوضع له « المختصر » باللغة العربية : « مخ » ، بأن يؤخذ الحرف الأول والثانى من كلمة « مخطوطة » ، ويكتبان بالحروف المتصلة ، ويلفظان حسب أسماء الحروف ، وقد يوحى « المختصر » بأن تلفظ عبارة المصطلح بكاملها ، إذا أصبح ذلك شائعًا ، كما هو الحال فى مختصر (ص) . فيكون النطق دائمًا بلفظ العبارة « صلى الله عليـه وسلم » . وهنا يتداخل مفهوم « الرمز » مع مفهوم « المختصر » ...

سادسًا : الالتزام باستعمال قواعد وضع « المختصرات » واستعمالها فى الكتابة العربية ، وأن تحتوى المعاجم والموسوعات والكتب العلمية العربية المتخصصة والعامة ثبتًا بالمختصرات التى استعملت فى هذه المصنفات ، ترجمة أو تأليفًا ...

سيدى الرئيس الجليل ، أيها الأساتذة العلماء ، لا أزعم أننى أتيت بشىء جديد ، بما عرضته من أفكار عامة وخطوط عريضة فى محاولتى تلمس الطريق فى هذه المسألة اللغوية ، ولكننى أرجو أن أكون قد وفقت فى جلب الانتباه إلى ضرورة دراسة المشكلات التى تواجهها العربية ، ونحن نستشرف القرن الحادى والعشرين ، حيث يلوح فى الأفق البعيد فجر حضارة جديدة . وإن أمتنا العربية لمدعوة إلى اللحاق بركب الحضارة ، والمشاركة المبدعة فيها ، وأنه لا يجوز لها التخلف أو التقصير والاختلاف فالقضية تمس هويتها ووجودها الحضارى . وإنها مدعوة بكل إمكاناتها ، لتجاوز مرحلة التبعية الفكرية والاستعمار العلمى الذى أبعد العربية من أن تمارس سيادتها فى أوطانها ، وأن تكون لغة التدريس العلمى الجامعى ولغة البحث العلمى فى جميع مستوياته ، ولغة التقنيات الحديثة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**عبد الكريم خليفة**
**عضو المجمع ( من الأردن )**

# المصادر


١ - إبراهيم السامرائي ، المختصرات والرموز فى التراث العربى ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى ، العدد (٣٢) ، عمان ، سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٢ - سيد رمضان هدارة ، المصطلح العامى بين الترجمة والتعريب . ندوة عمان ( اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ) ، سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٣ - عبد الرحمن جلال الدين السيوطى ، المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، ج ١ - ٢ ، القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .

٤ - عبد المجيد نصير ، منحوتات البدوء مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى ، العدد ( ٣٢ ) عمان سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٥ - مجلة « اللسان العربى » ، مكتب تنسيق التعريب بالرباط ، العدد الرابع والعشرين .

٦ - محمود شكرى الألوسى ، كتاب النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده ، تحقيق محمد بهجة الأثرى ، بغداد سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

٧ - محمود مختار ، اللغة العملية العربية : سماتها ومفرداتها ورموزها ، ندوة عمان ( اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ) سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٨ - مشروع مجمع اللغة العربية الأردنى للرموز العلمية العربية ، عمان - سنة ١٩٨٥ م .

٩ - نهاد الموسى : النحت فى اللغة العربية ، الرياض سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

شعراء مغمورون :

# خارجة بن فليح المللى

للأستاذ عبد العزيز أحمد الرفاعى

**مقدمة :**

خارجة بن فُليح المَلَلى شاعر حجازى مُجيد عاش فى القرن الثانى للهجرة ، لم تتحدث عنه كثيراً كتب الأدب الشهيرة ، خاصة منها الكتب التى عُنيت بتراجم الشعراء وطبقاتهم ، فلا ذكر له فى (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ، ولا فى ( طبقات الشعراء ) لابن سلام ، ولم يذكره الزركلى فى أعلامه ، ولا المرزبانى فى ( معجم الشعراء ) .. ولا نكاد نجد له اسماً إلا فى مصادر نزرة .. وهذه لاتورد من أخباره وأشعاره إلا الشىء القليل الذى لايشفى الغليل . ونجد أحياناً اسمه فى بعضها قد تصحَّف وتحرَّف ، فجاء المكى بدلاً من المللى ، وسيرد الحديث عن ذلك مفصلاً فيما بعد .

وقد رأيت فى شعر هذا الشاعر سماتٍ من الجودة أغرتنى أن أتتبعَ أخباره ما استطعت بل رأيت ثناء على شعره من بعض الرواة يُغرى بذلك التتبع ، فنازعتنى رغبةٌ جامحة إلى إنصافه ، وجمع أخباره وأشعاره ؛ وهى رغبة كثيراً ما تستبد بى كلما وجدتُ عبقرية يتكاثر عليها الظلام ليغطى من لمعانها ، ويحجبَ من شعاعها .

ولا أزعم أننى بلغت فى استقصاء أخبار هذا الشاعر المدى ، أو انتهيت إلى آخر الشوط ، ولكنى بذلت ما تيسر لى من جُهد . مؤملاً أن تكون هذه بدايةَ بحث أستكمله أو يستكمله غيرى .. وحسبى الآن من القلادة ما أحاط بالعنق .

والله الموفق .

---

( * ) ألقى هذا البحث فى الجلسة الرابعة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم السبت ٦ من شعبان سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٣ من مارس آذار سنة ١٩٩٠ م .

# الفصل الأول

## ترجمته وأخباره

- اسمه ونسبته :
- والده :
- تصحيف نسبته فى المصادر :
- عصره وأخباره :
- مكانته الشعرية :

**اسمه ونسبته :**

إن ندرة أخبارِ الشاعر ، وتبعثرها هنا وهناك بين مصادره القليلة لم تتح لى معلومات كافيةً عنه ، فلا حديثَ عن تاريخ مولده ولا تاريخِ وفاته ، ولا ملامحَ بارزةً من حياته ، وليس فى مُكنة الباحث إلَّا أن يستنتجَ فحسب الفترةَ الزمنية التى عاش فيها من تلك الأخبار الواردة من معاصريه أو ممدوحيه .

وأقْدَمُ من ذكره فيما انتهى إلينا من مصادره هو ( الزبير بن بكار ) فى كتابه ( جمهرة نسب قريش ) ، فقد كانت وفاته ٢٥٦ هـ ، على أن هذا الكتاب لم يصل إلينا كاملًا ، وما نشره منه الأُستاذ الباحث الجليل ( محمود شاكر ) ما هو إلَّا بعضُ الكتاب لا كلُّه ، وبقى منه بعضٌ لم ينشر بعد ، على نفاسة الكتاب وقيمته الكبرى للتاريخ الأدبى ، وهناك بعضٌ منه ذهبت به الأيام .. فلا يُدرى أين هو ؟

نعرف من الجزء الذى نشر : نسبَ الشاعر .. فهو خارجة بن فُليح بن إسماعيل ابن جعفر بن أبى كبير(١) .

ونعلم أنه مولى أسلم . . ذكر ذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ( ت ٢٩٦ هـ ) فى كتاب ( الورقة ) ص ٧٤ ، حيث قال : « خارجة بن فُليح المَلَلى ، مولى أسلم ، حجازى ، شاعرٌ مجيد

---

(١) ص ١٠٨ ، حيث جاء هذا النسب عن ( فليح ) وقال الأستاذ ( محمود شاكر ) محقق الكتاب كأنه هو أبو خارجة بن فليح المللى .

كثير الشعر » . وقد ذكر ( البكرى )[1] فى شرح أمالى القالى ص ٦٥ أن فليحا المَلَلى هو مولى أسلم .

وتدلنا نصوص الزبير بن بكار ، أن نسبته ( المللى ) ، كما جاء فى ص١٣٥ منه حيث قال : « وقال خارجة بن فليح المللى يمدح ( عبد الله بن مصعب ) »ويفسر ( البكرى ) فى شرح الأمالى ص ٦٥ معنى ( مَلَل )التى ينتسب إليها الشاعر فيقول : « ملل التى ينسب إليها على مقرُبة من المدينة فى شق ( الرَّوْحاء ) » .

أى أن ( ملل ) اسم موضع لا اسمُ رجل أو قبيلة .

وأوسَعُ مَنْ تحدث عن ( ملل ) من البُلدانيين القدامى هو ( البكرى ) نفسُه فى كتابه الآخر ( معجم ما استعجم ) فى مادة ( الميم واللام ) ، ونص أن خارجة بن فليح ينسب إليها ، وجاء بشاهد من شعر جعفر ابن الزبير يرثى ابنًا له مات بملل هو قوله :

أحزنٌ على ماءِ العشيرة والهوى
على ملل ، يالهف نفسى على مللْ

وقال : إن الفرش والفريشَ من مَلَل ، ويدل على قربها من المدينة ، ما رواه البكرى أيضًا من أن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، صلى الجمعةَ بالمدينة ، وصلى العصرَ بملل .

ويقول ( ياقوت ) فى ( معجم البلدان ) إنه منزل على طريق المدينة إلى مكة على بعد ثمانية وعشرين ميلًا من المدينة ، وهو واد ينحدر من ( وَرِقان ) جبلِ مُزينة ، حتى يَصُب فى ( الفرش ) فرشِ سويقة .

أقول : والفرش والفُريش لا يزالان معروفيْن بهذا الاسم حتى اليوم ، وكان الفُريش على الطريق القديم للسيارات بين مكة والمدينة ، وقد مررت به ، وهو على مقربة من المدينة المنورة .

وقد ورد ذكر ( الفرش ) فى شعر الشاعر نفسه :

سقى هضبات الفرش كلُّ مُجَلْجِلٍ
له نَضَدٌ من مزنه ، وصبيرُ

**والده :**

إن المصادر التى بين يدى لا تزيد عند

---

(١) الوزير عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأونبى ت ٤٨٧ هـ — ١٠٩٤ م .

ذكر الشاعر عن أن تقول : إنه ( خارجة بن فُليح ) ، فلا نعلم أى ( فُليح ) هذا ، ولكن الأُستاذ ( محمود شاكر ) محقق كتاب ( جمهرة نسب قريش وأخبارها ) ، وهو العمدة فى أخبار ( خارجة ) توقف عند الفقرة (٢١١) من هذا الكتاب ، ص ١٠٨ ، فعلق فى الهامش بما يدل على أنه يرجح أن فليحًا هو فليح بن إسماعيل ابن جعفر بن أبى كبير .

ولكى تتضحَ الصورة تمامًا .. فإنى أُورد نصَّ هذه الفقرة وتعليقَ شيخِنا عليها :

« ٢١١ – وابنه ثابت بن الزبير بن خُبَيْب ، وكان يتبدى بالرائع ، فزاره فليح بن إسماعيل بن جعفر بن أبى كبير . فقال فليح :

عنّيتنا يا ثابت بن الزبير
جشَّمتنا جَوب حرار وعُورْ
سقيًا لجـدَّيك وجديهما
ومن له جَدٌّ كمثل الزبيرْ »

هذه هى الفقرة ، أما التعليق ، فقد قال أُستاذنا عن فُليح : كأَنه هو أبو ( خارجة ابن فليح الملى ) .

فإذا صح هذا ، وأحسبه صحيحًا ،فيكون والد خارجة شاعرًا .

ولقد وجدت لفليح بن إسماعيل ذكرًا فى ( مجالس ثعلب ) ص ٩٤ ، فى هـذا الخبر :

« أخبرنا محمد قال : وثنا أبو العباس قال : حدثنى عبد الله قال : حدثنى محمد ابن عيسى ، عن فليح بن إسماعيل قال ؛ : حدثنى عبد الله بن صالح سنة اثنتين وستين ومائة قال : حدثنى عمى سليمان بن على ، عن عكرمة قال : إنى لمع ابن عباس بعرفة إذ فتية أُدْمان(١) يحملون فتى فى كساءٍ ، معروقَ الوجه ، ناحلَ البدن ، له حلاوة ، حتى وضعوه بين يدى ابن عباس وقالوا : استشفِ له يا ابن عم رسول الله . قال :

---

(١) الأدمان : السمر .

فقال ابن عباس : وما به ؟ فأنشأ الفتى يقول :

بنا من جوى الأحزان والوجد لوعةٌ
تكاد لها نفس الشفيق تذوبُ
ولكنما أبقى حشاشـةَ مُعْـول
على ما به عُـودٌ هناك صليب

فأقبل ابن عباس على عبد الله بن حُميد ابن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى فقال : أخذ هذا البدوى العود[1] علينا وعليك . قال : فحملوه فخفَتَ فى أيديهم فمات . فقال ابن عباس رحمه الله : هذا قتيل الحب ، لا عقْل ولا قَوَد . قال عكرمة : فما رأيت ابن عباس سأل الله عز وجل فى عشيتِه حتى المساء إلَّا العافيةَ ممَّا ابتلىَ به الفتى » اهـ .

ونرى من هذا الخبر أن فليح بن إسماعيل يحدد سنة روايته ، بسنة اثنتين وستين ومائة ، وهى الفترة التى عاش بها خارجة . فاحتمال أنه أبوه ليس مستبعدًا .

على أن لهذا الخبر بقية فى كتاب الأغانى ٢٠-١٥٨ ) هى :

« قال : وسألنا عنه فقيل هذا عروة ابن حزام » .

ولهذا الخبر دلالته فى عناية ( فليح بن إسماعيل ) بأخبار الأدب ، مما ينم على نزعة أدبية ورثها عنه ابنُه الذى أصبح شاعرًا .. حاز إعجابَ فريق من نقاد الشعر فى عصره .

**تصحيف نسبته فى المصادر :**

أشرت أن هناك تصحيفًا فى نسبته .. جعله المكىَّ بدلًا عن المللى ، وقد جاء هذا التصحيف فى ( مجالس ثعلب )[2] ، ومع أن محقق الكتاب هو العلامة المدقق الأستاذ عبد السلام هارون ، فإنه لم يتعرض لهذا التصحيف ، بل لم يترجم للشاعر ، أو يدل على مصادره خلافًا لعادته ، ولم يصلح ذلك فى كتابه ( تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب ) ص١١٠ ، ولكنه عاد فأثبت الصواب فى تحقيقه الرائع لخزانة الأدب ١٠ / ٤٥٢

---

(١) المراد الصلابة .
(٢) ج ١ - ٢٣٥ .

وهذا التصحيف وجدته فى كتاب ( الأغانى ) لأبى الفـرج الأصفهانى (ت ٣٥٦هـ ) ، فقد جاء فى ج ٢٠ / ١٥٧ فى رواية عن سليمان بن عبد العزيز بن عمران الرهوى « قال : حدثنى خارجة المكى أنه رأى عروة بن حزام يطاف به حول البيت قال : فدنوت منه فقلت : من أنت ؟ فقال : الذى يقول :

أفى كل يوم أنت رام بلادها
بعينين إنسـانـاهمـا غَرِقانِ

ألا فاحملانى بارك الله فيكما
إلى حاضر الرَّوْحاء ثم دعانى(١)

فقلت له : زدنى ، فقال : لا والله ولا حرفًا . اهـ .

هكذا النص فى الأصفهانى . ومما يستوقف النظر فيه ، أن خارجة المللى لا يمكن أن يكون قد رأى عروة بن حزام ، لأن وفاة هذا كانت سنة ٣٠ للهجرة ، وعاش خارجة إلى أواخر القرن الثانى للهجرة . فلعل هناك راويًا سقط أو أكثر من راو بعد اسم خارجة .

ومما يستلفت النظرَ جدا أن الأصفهانى لم يذكر شيئًا عن الشاعر المللى ، رغم كثرة رواياته عن الزبير بن بكار ، الذى أورد نصوصًا شعرية لخارجة ، بل كان (جمهرة نسب قريش ) هو أكثر المصادر القليلة إيرادًا لأشعاره .

وأشار الأستاذ الدكتور ( عبد الله الجبورى ) فى هامش الصفحة ٣٤٢ تعليقًا على الفقرة ١٥١ الخاصة بخارجة بن فليح المللى ، من كتاب (التذكرة السعدية فى الأشعار العربية ) تأليف ( محمـد ابن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدى ) من رجال القرن الثامن الهجرى ، وقد حققه ـ أشار إلى ورود النسبة فى ( مجالس ثعلب ) المكى ، وأعقب ذلك بقوله : « ولعله الصواب » ، قلت : بل الصواب هو المللى .

والأستاذ العلامة ( عبد العزيز الميمنى ) وهو الذى حقق كتاب ( سمط اللآلى ) فى شرح أمالى القالى ، علق فى هامش الصفحة ٦٥ التى أشرت إليها من قبل ، بعد أن أشار إلى ورود اسم خارجة بنسبه

(١) (الروحاء) كما سلف أن شرحت إلى جوار ملل .

( المكى ) فى ج ٢٠–١٥٧ من الأغانى ، فقال : « إنه ورد مصحفًا إلّا أن المصحِّف لم يبعد لقرب ملل من مكة » .

وأقول : بل لقد أبعد المصحف ، إن كان خارجة هذا هو خارجة بن فليح لأن موقع ملل قرب المدينة – كما بينت من قبل – وهو يبعد عن مكة ، وإن كان على الطريق إليها ، فلا تصح نسبته إلى مكة .

وقد ذكر الذى همش على كتاب ( الأمالى ) ج ١/ ١٤ ، معلقًا على كلمة ( المللى ) بأنه لم يجد هذه النسبة فى كتب الأنساب .

أما الدكتور (حمود عبدالأمير الحمادى ) الذى حقق كتاب ( التعليقات والنوادر ) لأبى على هارون بن زكريا الهَجَرى (ت نحو ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ) ، فقال معلقًا على نص منسوب إلى ( المللى ) ، ولم يذكر المؤلفُ اسمه : « لم أهتد إليه لعدم الإفصاح عنه » ، وألتمس له العذر ، فكتب الأدب الكبيرة ضنينة بذكره .

**عصره وأخباره :**

نستطيع أن نستنتج من بعض رواية فليح بن إسماعيل ، ومن مدائح ابنه خارجة لبعض مشاهير ورجالات عصره – فى موطنه – أن خارجة عاش بين القرنين الثانى والثالث للهجرة ، على عهد الخلفاء المؤسسين من بنى العباس ، كالمهدى – والمنصور ، وهارون الرشيد ، وهو عهد مزدهر بالعلم والأدب والشعر .

ومادمنا لا نجد فى المصادر المتوافرة معلوماتٍ كافيةً عن شاعرنا ، فلنلتمس هذه المعلومات بقدر الإمكان من شعره ، ومن مناسبات هذا الشعر .

ممّا يدلنا عليه شعره ، أنه كان وثيقَ الصلة ببنى مصعب من الزبيريين ، أى بعبيد الله بن مصعب ، وابنه البكار . وهذان توليا إمارة المدينة المنورة على التتابع أيام هارون الرشيد ، فكان يمدحهم ، ونجد فى ذلك أكثرَ من نص . من ذلك قصيدةٌ رائية طويلة ، يمدح فيها عبدَ الله بن مصعب (جمهرة نسب قريش ١/ ١٣٥ ) ، وسيرد بعضها فى النصوص إن شاء الله تعالى . فقد صرح صاحب الجمهرة أنها أكثر ممّا أورد ، وفيها يقول له :

لعمرك ما سُدَّتْ علىَّ مواردى

إليك ولا ضاقت علىَّ المصادرُ

مّما يدل على أنه كان يتردد عليه ، ويمتدحه ، ويرتفق بأعطياته ، وذلك شأنه أيضًا مع ابنه أبي بكر أو البكار ، وقد وليا إمارة المدينة المنورة بالتعاقب .. الوالدُ ثم الابن .

ونجده فى غزله يلهج بذكر ( ليلى ) .. فلا ندرى أهو اسم محبوبته حقا ؟ أو أنه يتخذ من هذا الاسم رمزا ، ليكتم الاسم الحقيقى تجنبًا للتشهير به :

وأقنعِ من ليلى بأصقاب دارها
وأخدع فيها بالمنى وهى باطلُ

ويقول :

ألا طرقت ليلى لَقًى بين أرحل
شجاه الهوى والنأْى فهو عميدُ

ويقول :

أحن إلى ليلى وقد شط وَلْيُها
كما حنّ محبوسٌ عن الألف نازع

ويقول :

ومانلت من ليلى وفاءً بعهدها
وما نلت منها العهدَ إلّا تضرعا

ويقول وقد أبدع :

فقـد جعلت دواوينُ الغوانى
سوى ديوانِ ليلى يمّحينا

**مكانته الشعرية :**

لقد وصف ( البكرى ) فى شرح اللآلى شاعرنا بقوله : « شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية » .

وقد سبق أن أوردت نص ماقاله عنه ( ابن الجراح ) حيث وصفه بأنه ( شاعر مجيد ) . وساق الرواية التالية :

« أخبرنى أحمد بن يحيى النحوى قال : أخبرنى عبد الله بن شبيب قال : حدثنى محمد بن إسماعيل قال : جئت عبد العزيز ابن عمران الرهوى يومًا ، فلما كنت عند خوخته سمعته يقول : علىّ أيمان البيعة إن لم يكن أشعرَ الناس . فدخلتُ عليه فقلت : من هذا ؟ قال : خارجةُ المللى . قلت : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول :

تخايلهـا طرفُ السمو لعاشق
هفا هفوةً ثم استفاق فأكذبا

ومن قوله :

فهمَّ نياط القلب إذ نَشَرت به
بنات الهوى فى الصدر ، أن يتقضبا

ومن قوله :

ما تَدْلُك الشمس إلّا حذوَ منكبه
فى غايةٍ تحتها الهامات والقُصُرُ

آل الزبير نجومٌ يستضاءُ بهم
إذا دجى الليل من ظلمائه زَهَروا

قومٌ إذا شومسوا جد الشَّماس بهم
ذاتَ العناد ، وإن ياسرتَهم يسروا

خُصَّ المديح أبا بكر ووالــده
وعُمَّهمْ منك إن غابوا وإن حضروا(١)

ومثل هذه الرواية ترد فى (مجالس ثعلب)
١/ ٢٣٥ قال : حدثنى عبد الله ابن شبيب
قال : جلس عبيد الله بن الحسن يومًا
– وهو والى المدينة ومكة – للناس ، فذكروا
الشعر والشعراء . فقال عبد الملك
ابن عبد العزيز بن الماجشون(٢) فقيه أهل
المدينة : أشعرُ الناس خارجةُ بن فليح
المكى(٣) ، حيث يقول فى مديح أبى بكر
بن عبدَ الله الزبيرى(٤) :

كأنَّ على عرنينِه وجبينه
شعاعيْن لاحا من سِماك وفرقدِ

هو السابق التالى أباه كما تلا
أبوه أباه ، سيد وابن سيِّد

أهابك إجلالًا وأرجوك للتى
تلين بهــا للراغب المتردد

قال : فقال أبو عبدالله زبير(٥) : كنت
وحسن بن عبيد الله – وأبوه إذ ذاك وال(٦)
وابن الماجشون جلوسا ، فذكر الشعر

(١) يقصد الشاعر بأبى بكر البكار بن عبد الله بن مصعب ، ت ١٩٥ هـ ٨١١ م ، ووالده عبد الله ت ١٨٤ هـ ٨٠٠ م .

(٢) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله التيمى بالولاء ، أبو مروان بن الماجشون فقيه مالكى فصيح ت ٢١٢ هـ ٨٢٧ م (الأعلام) .

(٣) تصحيف صحته المللى .

(٤) سلفت ترجمته .

(٥) هو الزبير بن بكار ت ٢٥٦ هـ ٨٧٠ م ، وقد أسلفت ترجمة أبيه .

(٦) أى عبيد الله بن الحسن ، سالف الذكر .

والشعراء ، فقال عبد الملك[1] : خارجة أشعر الناس فى مديح لأبى بكر هذا حين يقول :

ما تذلّك الشمس إلّا حذوَ منكبه

... إلخ (الأبيات الأربعة السابقة)

ونخلص من هذه الأقوال والروايات أن خارجة شاعرٌ مُجيد مطبوع ، تستحوذ أشعاره على الإعجاب ، فهى فى بعض المواطن من الغزل أو المديح عند بعض متذوقى شعره ، تجعله عندهم أشعر الناس.

وهذا يدل على أنه كان يتمتع بمكانة شعرية عالية ، كما كان له شعر كثير كما حدثنا ابن الجراح . ومن العجيب أن لا نجد له ذكرًا موسعا ، وأن لا نعثر من شعره إلّا على النزر القليل .

(١) أى ابن الماجشون.

# الفصل الثانى

## شعره

### ( البـاء )

– ١ –

قال :

تخايلهـا طرف السموّ لعاشـقٍ هفـا هفوة ثم استفاق فأكذبا

النص : هذا البيت مفرد ، جاء فى كتاب ( الورقة ) لابن الجراح ٧٤ ، ساقه مع الخبر التالى .

( أخبرنى أحمد بن يحيى النحوى : قال : أخبرنى عبد الله بن شبيب قال : حدثنى محمد بن إسماعيل قال : جئت عبد العزيز بن عمران الرهوى يومًا ، فلمّا كنت عند خوخته سمعته يقول : علىّ أيمان البيعة إن لم يكن أشعرَ الناس ، فدخلت عليه ،فقلت : من هذا ؟ فقال : خارجة الملل . فقلت : حين يقول ماذا؟ ، قال حين يقول : وأورد البيت ) .

– ٢ –

وقال :

فَهَمّ نياطُ القلبِ إذ نشرت به بنات الهوى فى لصدر أن يتقضبا

النص : هذا البيت مفرد فى ( الورقة ) لابن الجراح ٧٤

## ( التساء )

قال :

١ ـ ولقد قالت لأتراب لها كالمهَا يلعبن فى حجرتها :

٢ ـ خذن عنى الظل لا يفزعنى ومضت تسعى إلى قبتها

٣ ـ بنت عشر ،لم تعانق رجلًا صُور البدر على صورتها

٤ ـ ولقد قبلت فاهًا قبلة كدت ألقى الله من لذتها

٥ ـ لم تعانق رجلًا فيما مضى طفلةٌ غيداءُ فى كلتها

٦ ـ لم يطش سهم لها قط ومن ترمِه لم ينج من رميتها

النص : فى ( التعليقات والنوادر ) لأبى على هارون بن زكريا الهجرى ، ( عاش فى القرن الثالث الهجرى ) القطعة ١١١٢ ؛ حققه ( د . حمود عبد الأمير الحمادى ) . نشر دار الرشيد بالعراق .

أما المؤلف فاكتفى بأن قال : ( الملى ) وعلق المحقق ، بأنه لم يهتد إليه لعدم الافصاح عنه ، ولكنه أضاف أنه يعتقد أن نسبته إلى ملل ، وهو موضع فى طريق مكة بين الحرمين ، بينه وبين المدينة ليلتان ، وهو واد منحدر من ورقان ( جبل لمزينة ) حتى يصب فى الفرش : فرش سويقة ، ودل على المراصد ١٣٠٩/٣

## ( الدال )

– ١ –

١ – ألا طرقتنــا والرِّفاق هجــود فباتت بعــلات النوال تجودُ
٢ – ألا طرقت ليلى لَقًى بين أرحل شجاه الهوى والنأْى فهو عميــدُ
٣ – فليت النوى لم تُسحق الخرق بيننا وليت الخيــال المسترات يعودُ
٤ – إذًا لأَقاد النفس من فجعة الهوى بليلى ، وروعات الفواد تقيد
٥ – كأَن الدموع الواكفاتِ بذكرها إذا أسلمتهن الجفــونُ فريــدُ
٦ – إذا أدبرت بالشوق أعقاب ليلة أتاك بها يوم أغرّ مَجيدُ ( جديد )

النص : من كتاب الأَمالى للقالى ١/ ١٤ ؛ ومقدمته كالتالى :

« وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا عبد الرحمن عن عمه قال : أنشدنا بعض أهل المدينة لخارجة بن فليح المللى » .

وهو فى كتاب ( الأَشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ) للخالديين ، تحقيق د. السيد محمد يوسف ٢ /١٨٧

– ٢ –

وقال يمدح أبا بكر بن عبد الله بن مصعب :

١ – أرى البرق يدنو من يد مصعبية إلينــا ويذكو فى صبير منضَّدِ
٢ – يدٌ عوَّدتنا أن يروح غمامها علينــا بنجو مستهل ويغتدى
٣ – بسَيْب أَبى بكر نفــاد بدولة على سالف من عيشنا غير مُرغد

(١) هجود : نيام . علات : جمع علة : ما يتلهى به .
(٢) لقى : المطروح لهوانه . عميد : هدَّه العشق .
(٣) تسحق : تبعد . المسترات : المستبطى .
(٤) أقاد : اقتص ، يقال : أقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

٤ – وما زال مَوْلىّ التحيــةِ بالنــدى	وما زال مشفوع النوال بموعــد
٥ – إذا هُز هــزته عروقٌ كريمــة	يؤول إليهــا المجد من كل محتد
٦ – ترى سبل المعروف نحو سجاله	عوامرَ بالجادين من كل مورد
٧ – أغر زبيرى نمتــه جــدوده	بنو مالك فى بيت مجد مشيد
٨ – كأن على عرنينــه وجبينــه	شعاعين لاحا من سماك وفرقــد
٩ – له نسب بين الزبير وهــاشم	رفيع ، وصديقُ النبى محمد
١٠ – هو السابق التالى أباه كما تــلا	أبوه أباه ، سيِّد وابن سيد
١١ – أهابك إجــلالًا وأرجوك للّتى	تلين بهــا للرَّاغب المتــودد
١٢ – له لحظــةٌ فيها لنا اليسر بالغنى	وأُخرى رمــوقٌ للعــدو بمرصد
١٣ – لقد لاذ منه العائذون من الردى	بركن منيــع الساحتين مويَّد
١٤ – له عطَن رحب ، وحوض وفارط	يَعُلّ وفــودًا أولهت بتوفُّــد

النص : فى ( جمهرة نسب قريش ) للزبير بن بكار ، القطعة ٣٠٧ ، ١/ ١٧٠ – ١٧٢ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ فى مجالس ثعلب ٢٣٥ ؛ وفى مخطــوط فى الأنساب لإسماعيل بن إبراهيم ابن محمد الكتانى البلبيسى ( ملل ) ، وهو برقم ٥٩٦ فى مكتبة رئيس الكتاب باستانبول و ٨ فى خزانة الأدب ١٠ /٤٥٢

١ – الصبير : السحاب الأبيض الكثيف .

٢ – النجو : السحاب الذى به بريق المطر .

٧ – بنو مالك : يقصد به مالك بن نضر بن كنانة ؛ المقصود قريش .

١١ – المتودد .. جاءت فى ( مجالس ثعلب ) : المتردد .

١٤ – العطن : مبرك الإبل . والفارط : هو الذى يقدم الواردين إلى الماء ليعدلهم السقاء . ويعل : أى يسقيهم مرة بعد مرة .

## ( الراء )

١ - قال يمدح عبد الله بن مصعب :

١ - دعانا لعبـد الله والدهر باسط ... علينا جناح البوس والجود عاثرُ
٢ - تواترُ أخبـار يردن بحمـده ... علينا ، وللمعروف والنكر آثرُ
٣ - فإنى لمـا أو ليتنى يا ابن مصعب ... يدًا بعـد أيد منعمات لشاكر
٤ - وإنك والحى الذى أنت منهم ... لكالبـدر حفَّته النجوم الزواهرُ
٥ - ويسمو بكم مجد الزبير وفخره ... إذا عُدِّدت عنـد النفار المآثرُ
٦ - وتسطع منه غرة الفجر فيكم ... فتغضى لها عنك العيون الشوازرُ
٧ - فإن يك قوم قوضوا عرش مجدهم ... فقد رب مجدًا أولا منك آخـر
٨ - رأيتك تسمو للمكارم والعُلا ... فلا زاهق عنها ولا أنت قاصرُ
٩ - وتعلُو بكَ الأيَّام للـذروة التى ... لهـا كنف يـأْوى إليه المعاشِرُ
١٠ - لكم منكباها حيث قر قرارها ... وفرعك منهـا أيمنٌ متياسرُ
١١ - وجادت يداك المستهل نداهما ... فأغنى وأقنى سـيبُك المتظاهرُ
١٢ - فلا مجـدَ إلَّا منكم فيه أولٌ ... ولا مجـدَ إلَّا منكمُ فيه غابرُ
١٣ - ولا حرب إلَّا قد قرعتم كماتِهـا ... عليها بكم كانت تدور الدوائرُ
١٤ - لعمرك ما سدت على مـواردى ... لديك ولا ضـاقت على المصادرُ

النص : فى ( جمهرة نسب قريش ) للزبير بن بكار - القطعة ٢٦٧ ج ١/١٣٥ ، ويذهب محققه الأُستاذ ( محمود شاكر ) أن من هذه القصيدة البيتين المذكورين بعد ، ينظر الهامش فى ص ١٢٢ من الكتاب المذكور .

١ - الزواهر : النيِّرات .

٦ - الشوازر : من الشزر ، وهو النظر بغضب بمؤخر العين .

١١ - أقنى : أرضى ، سيبك : عطاؤك .

٢ - ولبنى مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يقول :

١ - بنى مصعب أنتم خيـار خيارنا أكابركم والمُعقبـون الأَصاغر

٢ - بهاليل قوّامون بالقسط بيننـا الكم خطاب تهتز منهـا المنابر

النص : القطعة ٢٤٤ من ١ /١٢٢ من (جمهرة نسب قريش) للزبير بن بكار ، تحقيق الأُستاذ (محمود شاكر) ، وذهب إلى أنهما من القصيدة الرائية السابقة . ويبدو الأَمر كذلك .

٢ - بهاليل : جمع بُهلُول : السيد الجامع لصفات الخير .

النص :

* فى (جمهرة نسب قريش) للزبير بن بكار ، القطعة ٣١٦ ج ١ /١٦٩ - ١٧٠

ومعنى اعتام فى ٣ ، ٦ : اختار .

وفى ٥ : لعل الصحة (مرغوبة) لا (مرهوبة) .

وقال الأُستاذ (محمود شاكر) فى تعليقه على كلمة (مرهوبة) فى البيت الخامس : « كذا فى النسخة الأُم ، ولم أعرف له معنى ، وفى (نسخة) كوبرلى : (مربوبة الثدى) كأَنه من قولهم رب المكان إذا لزمه ... » ، وربما كان هذا هو الصواب .

* والأَبيات الأَربعة الأَخيرة فى (مجالس ثعلب) ٢٣٥ - ٢٣٦

و ١٣ فى (لسان العرب) فى موضعين دالك وقصر . وهو فيه غير منسوب .

* وهى أيضًا فى كتاب (الورقة) لابن الجراح .

١٣ - تدلك الشمس : تميل للغروب . القصر : جمع قَصرة : وهى أَصل العُنق .

٣ – وقال يمدح أبا بكر بن عبد الله بن مصعب :

١ – بين البروج ، أبو بكر ووالده ... حيث استوى فوق طرف الناظر القمرُ
٢ – فى منزل بين مضحَى الشمس معتدل ... ومخْفَق النجم ، يعشو دونه البصرُ
٣ – أنت الإمام الذى بالبر نعرفه ... اعتامـه لدوام النعمة القـدرُ
٤ – يوماك : يوم تعم الناس رأفتُه ... ويومُ حكم لدين الله منتصـرُ
٥ – كم من يدٍ لك لا تبلى صنيعتها ... مرهوبة الشدى معلول بها البشرُ
٦ – تضحى لديك جنود الرأى عاكفة ... يعتامها عكر مـن خلفها عكرُ
٧ – تسمو بك الأرض عُلْواً فى مناكبها ... حيث انتحى بك من أقطارها قُطرُ
٨ – أكرم بأوّلكم فى الناس من سلف ... والآخرين إذا ما عدت الأُخَـرُ
٩ – إن يسبقوك – أبا بكر – بأُسِّهِمُ ... تحت البناء فقد شيدتَ ما عمروا
١٠ – مرفه الشـأْوِ سبّاق على مهل ... مستحصد الرأى لا كهل ولا غُمُرُ
١١ – مستعجم عن أذاة القوم منطقه ... مستسمح القـول لاعى ولا هذر
١٢ – مدّ الزبير له باعًا على شرف ... مطهّر البيتِ ، والقُطّان قد طهروا
١٣ – ما تدلك الشمس إلّا حذو منكبه ... فى حومة تحتها الهامات والقصَرُ
١٤ – آل الزبير نجوم يستنار بها ... إذا دجا الليل من ظلمائه زهروا
١٥ – قوم إذا شومسوا ، لج الشماس بهم ... ذات العناد ، وإن ياسرتهم يسروا
١٦ – خُصّ المديح أبا بكر ووالده ... وعُمّهم منك إن غابوا وإن حضروا

٤ – وقال :

١ – لقد طعنت فى ربرب شابه الدمى ... رقاق الثنايا واضحات المحاجر
٢ – ويسفرن للسارى إذا جن ليلها ... سبيلَ المطايا بالوجوه السوافر

النص :

* البيتان فى ( التذكرة السعدية ) للعبيدى . تحقيق د . عبدالله الجبورى ص ٣٤٢ قطعة رقم ١٥١

وقد ساقهما المؤلف دون تعليق . أما المحقق فقال : ( خارجة بن فليح الملى ، مولى أسلم حجازى ، شاعر مجيد ، كثير الشعر . وفى مجالس ثعلب : المكى ، ولعله الصواب . ثم دل على مواطن ترجمته وشعره . ولكنه لم يشر إلى الأغانى ، وجمهرة نسب قريش

٥ - وقال يمدح محمد بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر :

١ - ألا هل من البين المشتّ مجيرُ ... وهل لليالى السالفات عكورُ

٢ - لقد صدعت بين القرينين بغتة ... نوى ، يوم جرعاء الرياض هجور

٣ - فنى كبدى يا ليل من فجعة النوى ... نوائب وجى بينهن فطور

٤ - يميت المنى شوقى مرارًا وللهوى ... . . . من أحداقهن نشور

٥ - غريب عداوى يكاد فؤاده ... إلى أهل جلى البلاد يطير

٦ - غريب له قلب يحنّ صبابة ... وعين بأسراب الدموع دَرُورُ

٧ - وإنى لعين أسعدتنى بدمعها ... وقلب مراه شوقه لشكور

٨ - ولى روعة عند الإياب وزفرة ... لها تحت أحناء الضلوع سعير

٩ - خليلىّ ما لليل باتت نجومه ... رواكد ما يَسْرِى بها فتغور

١٠ - أظن الليالى زدن طولًا على امرئ ... يطول عليه الليل وهو قصير

١١ - سقى هضبات الفرش كل مجلجل ... له نضدٌ - من مزنه - وصبير

١٢ - وعادَ بأرض الجعفريين رائح ... هزيم ، ومنهلّ الغمام بكور

١٣ - هناك بنو الطيار فى الغرف العلى ... وجوه عليها نضرة وسرور

١٤ - لهم غرر تحت الدجى جعفرية ... لها تحت جلباب الظلام زهور

النص :

من كتاب ( النوادر والتعليقات ) لأبي على الهجرى . وهذه القصيدة فى القسم الذى لا يزال مخطوطًا من الكتاب ، فى المخطوطة الهندية ، وقد تفضل بإمدادى بها من مصورة المخطوطة أستاذنا الجليل الشيخ ( حمد الجاسر ) جزاه الله خيرًا . وقد تعسرت قراءة النص لوجود طمس كثير ، وقد وضعت فراغًا للكلمات التى تعذر إدراكها . وفى البيت رقم ٢٦ أُرجح كلمة ( عليها ) فى الفراغ .

والنص من الصفحة ١٢١ من المخطوطة . وجاء فى مقدمته :

« قال : وأنشدنى أبو الحسن إبراهيم بن يوسف بن عيسى بن محمد بن جعفر ابن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر لخارجة بن فليح المللى ، وهو مزنى ، فى محمد بن جعفر جده المذكور هاهنا : ... » .

١ - المشمت : المُفَرّق . عكور : رجوع .

٣ - وجى : الوجى رقة القدم من كثرة المشى ، استعير هنا للكبد .

٥ - عداوىّ : نسبته إلى عداء مزينة ، قال معن بن أوس العداوى - عداء مزينة فى إبلِه :

وترمى بها العوجاء كل ثنية      كأنّ بها بوًّا بنهى تعاوله

قال أبو على : كل ما فى العرب بنو عداء ، فالنسبة إليه عدائى الأعداء مزينة فالنسبة إليه عداوى .

٧ - مراه : استدرّه .

١١ - النضد : ما تراكب من السحاب . الصبير : السحاب الأبيض الذى يصير بعضه فوق بعض درجات .

١٤ - زهور : نور .

١٥ – ثرى أرضهم من وقع أقدامهم بها | ومس الجباه الساجدات – طهور
١٦ – لهم نسب لو يستلان . . . | ذرى الصخر ظلت صمهن تمور
١٧ – دعوت لنكبات الزمان محمداً | وقد هيض عظم الجود فهو كسير
١٨ – فلبّى ، وأنشا مزنة من نواله | لها عارض جمّ السجال مطير
١٩ – له شيم فيها أناة ونائل | عتيد ، وفيها للنكير نكير
٢٠ – تلاقت عليه بالمكارم منهمُ | بطون نفتْ عنه القذى وظهور
٢١ – تلاقت عليه أُمهات حواضن | ... ... .. الكرام فخور
٢٢ – يمانية الأنساب أو مضرية | تخيرها من سالفيه عشير
٢٣ – كلكن بعقد الخاطبين وإنما | دعاهن مجد ثاقب ومهور
٢٤ – بعلياء تجرى الشمس دون فروعها | ويقصر عنها الطرف وهو حسير
٢٥ – بحيث استوى بدر السماء وبدرها | هناك لهم مجد أشم فَخور
٢٦ – فتى علقت كفى بأسبابه التى | أغار ... بالسماح مغير
٢٧ – هناك له بين النبى وجعفر | وبين علي معقل ومصير
٢٨ – ورثت يمين الجود جود ابن جعفر | فأنت له فى الغابرين نظير
٢٩ – وحرمت (لا ) يا ابن النبى فلفظها | لباغى الندى عبءٌ عليك كبير

( العين )

— ١ —

١ — أحن إلى ليلى ، وقد شط وليها كما حنّ محبوس عن الالف ، نَازِعُ

٢ — إذا خوفتني النفس بالنأْي تارة وبالصرم منهـا أكذبتها المطامعُ

٣ — أكَلّ هواك الطرفَ من كل بهجة وصُمّت عن الدّاعى إليها المسامع

النص :

فى الأَمالى ٢٢٣/١ ، وفى السمط ٥١٥ / ٥١٦ ، أورد البيتين : الأَول والثانى فقط ، وقال : الولى : القرب . وفى مجموعة المعانى : المؤلف مجهول ، تحقيق عبد المعين — الملوحى : ٥٠٢ — ٥٠٣

وقال :

١ — ثنت طرفهـا نحو المطى صبابة إلىّ فكاد القلب أن يتصـدّعا

٢ — أقامت فطابت تربة الخيف إذ ثوتْ به بعد تعريف المعرف .. أربعا

٣ — وطاب حجاب المروتين بنشرها ومتن الصفا الشرقى حتى تضوعا

٤ — وما نلت من ليلى وفاء بعهدها وما نلت منها العهد إلّا تضرعا

النص :

من كتاب ( الورقة ) لابن الجراح ٧٥ قدّمه بقوله :

« ومن قول خارجة ، أنشد نبيه بن أبى خيثمة عن مصعب والزبير بن بكار » . ثم أورد الأَبيات .

## ( اللام )

١ - أشوقًا ولمّــا يسلك البين مسلكا فما أنت إن شقّت عصا البين فاعل

٢ - هنــاك يحن القلب حَنَّةَ والهٍ ويستنّ مرفضٌّ من الدمع هاطل

٣ - وإن عنّ لى بالليــل ذكرك عنّــة هفوت وشاقتنى الرسوم المواحل

٤ - وأقنع من ليلى بأعقاب دارها وأُخــدع فيها بالمنى وهى باطل

النص :

فى الحماسة البصرية ١٩٠/٢ القطعة رقم ٢٥١ ، ولم يعلق المحقق بشىء . عنوان القطعة ( وقال خارجة ) ، ولم يذكر المؤلف من هو خارجة ، وصمت المعلق . ولكن جاء فى فهرس الشعراء بعد ذكر ( خارجة ) وبين قوسين ( بن فليح المللى ) .

٢ - يستنّ : ينصب . مرفضّ : مترشش .

## ( النون )

قال :

فقــد جعلتْ دواوين الغوانى ســوى ديوان ليلى يمحينا

النص :

البيت مفرد فى كتاب ( الورقة ) لابن الجراح ٧٥

**عبد العزيز احمد الرفاعى**
عضو المجمع المراسل ( من السعودية )

# المصادر


١ - الأصفهانى : أبو الفرج (٣٥٦) ، الأغانى ، طبعة محمد أفندى ساسى .

٢ - البصرى : على بن أبى الفرج ( ت ٦٥٩ هـ ) ، الحماسة البصرية ، تحقيق : مختار الدين أحمد (عليكره ) ، القاهرة : عالم الكتب .

٣ - البكرى : ١ - عبد الله بن عبد العزيز ( ت ٤٨٧ هـ ) ، معجم ما استعجم ، تحقيق : مصطفى السقا ، المعهد الخليفى للأبحاث المغربية .

٢ - سمط اللآلى ، تحقيق : عبد العزيز الميمنى ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٤ هـ .

٤ - البلبيسى : إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الكنانى ( ٧٢٨ - ٨٠٢ هـ ) ، كتاب فى الأنساب ، مخطوط برقم ٥٩٦ فى مكتبة رئيس الكتاب فى استانبول ، تركيا .

٥ - ابن بكار : الزبير ( ت ٢٥٦ هـ ) ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الطبعة الأولى .

٦ - ثعلب : أحمد بن يحيى ( ت ٢٩١ هـ ) ، مجالس ثعلب ، شرح . عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : دار المعارف .

٧ - ابن الجراح : محمد بن داوود ( ٢٩٦ هـ ) ، الورقة ، تحقيق : عبد الوهاب عزام ، وعبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : دار المعارف .

٨ - الحموى : ياقوت (ت ٦٢٦ هـ ) .

٩ - الخالديان : أبو بكر محمد ( ٣٨٠ هـ ) ، وأبو عثمان سعيد ( ت ٣٩٠ هـ ) - ابنى هاشم : الأشباه والنظائر ، تحقيق : السيد محمد السيد ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥ م .

١٠ - العبيدى : محمد بن عبد الرحمن ( من رجال القرن الثامن الهجرى )، التذكرة السعدية فى الأشعار العربية ، تحقيق : د. عبد الله الجبورى ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨١ م .

١١ - القالى : أبو على ( ت ٣٥٦ هـ ) ، الأمالى .

١٢ - مؤلف مجهول ؟ كتاب ( مجموعة المعانى ) ، تحقيق : عبد المعين الملوحى ، دمشق : دار طلاس ، ١٩٨٨ م .

١٣ - هارون : عبد السلام محمد ، تحقيقات وتنبيهات فى لسان العرب .

# تراجم أدبية من مخطوط مجهول
# (تاريخ عبد الحميد بك)

للدكتور أبو القاسم سعد الله

نحقق الآن كتاباً فى التراجم نظن أنه لم ينشر بعد . وقد اخترنا منه نماذج من الشخصيات التى عرفت فى مجال الأدب بالخصوص ، وإلى وقت الشروع فى كتابة هذه الدراسة كنا نعتقد أن مؤلف الكتاب يكاد يكون مجهولا أيضاً ، لأننا لم نعثر على سوى اسم (عبد الحميد بك) فى المخطوط، وطالما رجعنا إلى كتب التراجم لأهل القرن التاسع عشر ( 13 هـ ) فلم نعثر له على ترجمـة ، ولولا بعض الإشارات فى غضون الكتاب عن والده ، وحياته هو الشخصية ودراسته ، لما استطعنا أن نعرف من هو .

وحتى عنوان الكتاب ما يزال مبتورًا ومجهولا عندنا ، إذ كل ما أفادنا به المصدر الذى رجعنا إليه هو أن عنوان الكتاب ( تاريخ عبد الحميد بك ) ، وكلمة ( تاريخ ) هذه لا تدل على أن الكتاب فى التراجم ، فقد يكون تاريخاً للدول أو البلدان والأمم ، وقد يكون تاريخاً شخصياً أو سيرة ذاتية ، ولكن المتمعن بعد ذلك فى محتوى الكتاب يدرك أنه مجموعة من التراجم أو قاموس أعلام .

وعندما جمعنا المادة لهذه الدراسة وأخذنا نتهيأ لتحريرها أطلعنا على كتاب أحمد تيمور ( أعلام الفكر الإسلامى فى العصر الحديث[1]) ، فإذا فيه ترجمة قصيرة

---

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الأحد ٧ من شعبان سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٤ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٠ م .

(1) ط أ ، القاهرة ، 1967 ، ص 204 – 205 . ولا ندرى من أين أضيفت كلمة (نافع) لاسم عبد الحميد ما دامت لم ترد فى المخطوط .

لمؤلف الكتاب الذى نحن بصدده ، لم تبلغ الصفحتين ، وإذا اسمه فيه ( عبد الحميد نافع بك ) ، وإذا عنوان كتابه هو ( تاريخ أعيان القرن الثالث عشر وبعض الثانى عشر ) . وبقدر ما أفادتنا هذه الترجمة بقدر ما زادتنا حيرة لأنها لم تؤرخ لعبد الحميد نافع ميلاداً ولا وفاةً ، ولم تصف كتابه . ولعل السبب فى ذلك هو أن أحمد تيمور لم يطلع على الكتاب أصلا وإنما سمع عنه أنه بيع بعد وفاة صاحبه كما بيعت كتبه الأخرى .

هذه هى الإشارة الأولى التى أفادتنا وحيرتنا معاً . أما الإشارة الثانية فهى ما ذكره محمد عبد الغنى حسن فى ثنايا كتابه ( أعلام من الشرق والغرب[1] ) من أن عبد الحميد نافع قد جمع وطبع فى حياته مختصر ديوان صديقه محمود صفوت الساعاتى ، والغريب هو أن اسم الساعاتى لا يظهر أبداً فى تاريخ ( أو قاموس ) عبد الحميد ، رغم أنه ترجم لمن اسمه ( محمود ) وتناول فى أعلامه الأصدقاء وغيرهم [2] .

ومهما يكن الأمر فإن دراستنا هذه تتناول التعريف بالمؤلف ، عبد الحميد ، والتعريف بمخطوطه ، ونماذج من الأدباء الذين ترجم لهم .

## (أ) التعريف بالمؤلف :

ترجم عبد الحميد بك لأبيه ولم يترجم لنفسه . وبناءً عليه فإن والده هو خليل بن مصطفى آغا بن حسن آغا ( ويسميه ابنه الأمير خليل أفندى ) ، وهو من مواليد قوالة حوالى سنة 1185 . وقد نشأ الوالد فى مسقط رأسه حيث تعلم المبادىء ثم أرسله والده ( جد المؤلف ) إلى اسطانبول حيث تعلم التركية والفارسية وبعض العلوم . وبعد رجوعه إلى قوالة اصطحبه محمد على ( قبل ولايته على مصر ) ولازمه

( 1 ) دار الفكر العربى ، القاهرة ، 1949 ، ص 44 ،55 .

( 2 ) كما أنه لم يترجم لإبراهيم أفندى طاهر الذى ذكر تيمور أنه كان من الشعراء المجيدين وصديقاً حميماً لعبد الحميد ، عاش معه ولم يفرق بينهما إلا الموت ، وكذلك لا وجود لاسم نصر الحورينى فى قاموس عبد الحميد رغم أن تيمور يقول إنه كان ( عبد الحميد ) يعهد إليه بمقابلة كتبه وتصحيحها .

مدة وكانت بينهما مصاهرة ، ثم تقلب خليل فى عدة وظائف قبل الاستقرار بمصر منها الكتابة فى إحدى سفن الأسطول العثمانى ، وبعد ولاية محمد على على مصر لحقت به عشيرته وأصهاره ، ومنهم خليل والده مؤلفنا .

ويريد المؤلف أن يبرز ثلاثة أمور من حياة والده : أن نسبه من جهة الأم ينتهى إلى الإمام الحسين ، فهو من آل البيت والأمر الثانى أنه من عائلة موظفين ساميين ( آغوات ) كانت تقطن قوالة ، والأمر الثالث أن والده قد أصبح فى مصر من كبار الأغنياء والملاك لأنه ترك عند وفاته سنة 1256 ( 1840 ) قصراً ضخماً فى شبرا تحيط به البساتين والحدائق الواسعة ، كما ترك نحو ألف فدان من الأرض موزعة فى عدة جهات ، بالإضافة إلى أربعة بيوت كبيرة ومجموعة من الحوانيت . أما الوظائف التى تولاها خليل أفندى فكثيرة نذكر منها : ناظر سوق السمك فى الإسكندرية ، وناظر سوق الغلال فى رشيد ثم أصبح محافظاً على رشيد ، ثم ناظراً على القلعة ، ثم على مصلحة المنسوجات التابعة للدولة ، ثم حاكماً على ولايتى الغربية والبحيرة ، ثم على ولاية بنى سويف ثم مديراً لولاية الدقهلية ، ثم على ترسانة السفن ببولاق ، بالإضافة إلى نظارة الكسوة الشريفة ومصلحة ضرب العملة .

ولو ترجم عبدالحميد لنفسه أو وجدنا له ترجمة وافية ، لما أطلنا فى ترجمة والده كل هذا الطول . وقد وجدنا فى المخطوط تعليقاً لمحمد عارف ، صهر عبد الحميد ( زوج أخته ) ، أن وفاة عبد الحميد كانت سنة 1280 ( 1863 ) . وجاء فى ترجمة مصطفى بيك الجميل المولود سنة 1247 ( 1831 ) قول عبد الحميد إنه كان « رفيق وصاحبى فى الصغر » . وآخر تاريخ ذكره عبد الحميد فى المخطوط هو تاريخ وفاة مصطفى الكبابطى الجزائرى ، سنة 1278 ( 1861 ) أى قبل وفاة المؤلف بسنتين . ويذكر أحمد تيمور أن عبد الحميد « مات شاباً » ، ومعنى ذلك أنه قد ولد لأبيه بعد التحاقه بمصر ، ونقدر ذلك بحوالى سنة 1245 ( 1829 ) ، عندما كان الوالد يقوم بإحدى وظائفه

المذكورة . فهل كان الميلاد بالقاهرة ؟ ليس هناك ما يدل على ذلك الآن ، ولكن من الواضح أن عبد الحميد قد تنقّل مع والده فى بعض الأماكن التى تولى فيها تلك الوظائف .

وواضح أيضاً أن عبد الحميد نشأ فى نعمة وبذخ ، وهو من تلك البيوتات الدخيلة على مصر عندئذ والتى ارتبطت بعائلة محمد على ، واستشرت على حساب الإنسان المصرى . ويظهر ذلك من مجموع التراجم التى اختارها عبد الحميد لكتابه ، فبعضها من أعيان هذه الفئة الطارئة والغنية والتى تمتعت بالوظائف السامية والامتيازات الكبيرة . ومن هذه التراجم ما يمت بصلة وثيقة إلى عائلة المولف من قريب أو بعيد مثل أحمد باشا يكن وحسن بيك منجى .

أشرنا إلى المصاهرة التى كانت بين محمد على ، والى مصر ، و ( الأمير ) خليل والد عبدالحميد . ومن الطبيعى أن يكون لهذا أيضاً أقارب وأصهار ، فأُخته ( منيرة ) كانت متزوجة من محمد عارف ( باشا ) . وقد توفيت فى سنة وفاة أخيها ( 1280 ) . وورث زوجها مكتبة عبد الحميد ، كما أشار تيمور ، ولعله قد ورث منه أشياء أُخرى أيضاً ، رغم تـأففه الذى عبر عنه بقوله « يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى » . وفى ترجمة حسن بك منجى يقول عبد الحميد إنه ابن عمه الشقيق وأنه ورث منه ربع الميراث تعصيباً فى الأرض الواقعة ببنى سويف والأمتعة . وكثيرًا مايذكر عبدالحميد أمورًا عائلية تتعلق بأصهاره وأقاربه . ولا ندرى إن كان قد ترك عقباً .

وكانت ثقافة المؤلف هى ثقافة هذه الفئة أيضاً . فهو قد درس التركية والفارسية والعربية ، ويظهر ذلك من إشادته بمن يعرف اللغتين التركية والفارسية . وكان والده قد درسهما . أما العربية فقد تمكن منها ، ولكن ليس إلى الحد الذى يذكره له أحمد تيمور عندما قال إنه شغف بالأدب « حتى صارت له ملكة أدبية يعتد بها » . ذلك أن أسلوبه فى كتابه الذى نحققه لا يدل على ذلك . وتكون ملاحظة أحمد تيمور صحيحة إذا ما صنفناه

عبد الحميد في « العجم » الذين درسوا العربية وتأدبوا بها وتذوقوا أساليبها رغم الخلفيات اللغوية والعائلية التي كانت معهم .

وهناك إشارات عديدة تدل على ثقافة عبد الحميد . فبالإضافة إلى اللغات المذكورة ، كان مولعاً بالأدب والموسيقى والميقات . ففي ترجمته لأحمد بن إسماعيل البقلي قال إنه قرأ عليه فن الميقات والحساب ، وإن له معه مراسلات أدبية ومناشدات شعرية وكان الشيخ البقلي يتردد على قصر عبد الحميد في شبرا سنة 1273 ( 1856 ) وأنه كان عندئذ في مجلس حافل وفي ترجمة قاسم ابن علي التونسي قال إنه لما ورد المدينة المنورة « اقتبسنا من مشكاة أنوار علومه ، وانْتَزَهْنَا بحدائق رياض فهومه » . وذكر مرة أخرى في ترجمة رحمين الإسرائيلي المتجول أنه شاهد علاجه منه بنفسه بالقاهرة وأنه رأى له شهادات معه أعطاها له « حكماء الأطراف » وهو يعني بهم الأطباء . وحين ترجم لعلي اللقاني قال عنه إنه أملاه نسبه أنه حسيني .

ومن جهة أخرى يذكر عبد الحميد أنه أخذ الحديث المسلسل بالأولية عن الشيخ مصطفى الكبابطي الجزائري[1] عن محمد صالح الرَّضْوِي البُخَاري . كما أخذ حديث المصافحة عنه وعن محمد عاقل أفندي. وكلا الشيخين كان بالإسكندرية[2] . والملاحظ أن عبد الحميد قد أكثر من تراجم المتصوفين والدراويش أيضاً ، وكان يذكر كراماتهم وخوارقهم بعقيدة واضحة . وهذا كله يدل على أنه كان غارقاً في تيار العصر أيضاً من البدع والدروشة والطرق الصوفية رغم أنه كان ، كما ذكرنا ، من أهل النعمة والجاه ، وكان منزله ، كما يقول تيمور ، موئلا للأدباء والمناظرات وكان

---

( 1 ) ترجمنا لحياة ونشاط المفتي مصطفى الكبابطي في دراسة خاصة نشرت في مجلة ( عالم الفكر ) الكويتية إبريل – مايو 1985 ، وهي مطبوعة ضمن كتابنا ( أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ( ، ج 2 ، الجزائر ، 1985 ص 11 – 48 . انظر أيضاً رثاء محمد عاقل للكبابطي في كتابنا ( تجارب في الأدب والرحلة ) ، الجزائر ، 1983 ، ص 17 – 47 وكذلك في مجلة الثقافة ( عدد 44 ، 1978 ) .

( 2 ) لاحظ أن عبد الحميد كثيرا ما ذكر الاسكندرية ونسب إليها الأعيان والأدباء ، فهل أقام بها أكثر من القاهرة أو كان يتردد عليها بكثرة ؟

مولعاً باقتناء الكتب والمغالاة بها حتى جاءه الوراقون من كل فج. ويذكر تيمور أيضاً أن عبد الحميد قد حذق الموسيقى واشتغل بها وأتقن العزف على القانون ، وألف رسالة فى الموسيقى . ومما يشهد على ذلك أن عبد الحميد كان يشير فى بعض تراجمه إلى من أتقن الموسيقى علماً وعملا ، كما يقول ، وألف فيها الرسائل . وقد ترك عبد الحميد عدة مؤلفات :

1 - تاريخه الذى نحن بصدده .

2 - رسالة فى الموسيقى (1) .

3 - مختصر ديوان الساعاتى (2). ويهمنا من هذه الأعمال الأول .

**(ب) المخطوط :**

ليس هناك عنوان ثابت لهذا العمل ، فهو كما قلنا قاموس أعلام أو مجموع تراجم . والمؤلف نفسه هو الذى استعمل كلمة ( تاريخ ) لعمله ، كما سنرى . ولعل هذا هو الذى جعله مفهرسى الكتاب يطلقون عليه اسم ( تاريخ عبد الحميد بك ) اختصاراً . أما محمد عارف ، صهر المؤلف فقد أطلق عليه اسم ( المجموع ) عندما ذكر فى تعليق له أن « عبد الحميد بك جامع هذا المجموع انتقل إلى دار الرحمة سنة 1280 . » ولا ندرى من أين أخذ أحمد تيمور العنوان ( تاريخ أعيان القرن الثالث عشر وبعض الثانى عشر ) .

والظاهر أن عبدالحميد قد ألف كتابين أو كتاباً واحداً فى جزئين تناول أحدهما تراجم أعيان القرن الثانى عشر والآخر أعيان القرن الثالث عشر . ونحن نفهم ذلك من العبارة التالية التى وردت فى ترجمته لمحمد أمين الزللى ، حيث قال : « ونقلت منه ( أى من الزللى ) جملة من تراجم أعيان القرن الثانى عشر فى تاريخى الذى رتبته فيه ، والثالث عشر هذا - أسأل الله إتمامه » . فمن الواضح أن عبد الحميد ألف « تاريخا » فى أعيان القرن الثانى عشر واستفاد من عمل الزللى فيه ، ويوحى كلامه أنه رتبه وانتهى منه . وأما عمله

(١) أشار إلى ذلك تيمور ، ص 205 .

(٢) ط . على الحجر سنة 1860 فى 90 صفحة .

الخاص بأعيان القرن الثالث عشر فما يزال لم يتمه عندئذ ، كما يوحى كلامه أيضاً ولم يرتبه .

ويزداد الأمر وضوحاً عندما نعرف أن الجزء الذى بين أيدينا إنما هـو الخاص بأعيان الثالث عشر ، وهـو غير مرتب وغير تام فعلا . فهو غير مرتب لأن التراجم متداخلة ويقع فى عدة صفحات غير مرتبة من الكتاب ، مثلا ترجمة خليل الغزلات تقع على الصفحات التالية : 7 ، 64 ، 68 ، وترجمة على الصيرفى تقع على صفحات 18 ، 34 ، 72 ، 73 . وهكذا . ولذلك كان علينا إن نجمع للترجمة الواحدة ما تفرق عنها فى مختلف صفحات الكتاب . وقد قلنا أن العمل غير كامل أيضاً لأن الموت قد أدرك عبد الحميد وهو منهمك فى عمله ، فهناك أولا بياضات متروكة لبعض التراجم قصد تسويدها متى توفرت المعلومات ، وهناك ثانياً حروف عديدة لم يترجم فيها لأى شخص . والحروف الموجودة هى : الألف والباء ، والحاء ، والخاء ، والدال ، والذال ، والراء ، والسين ، والشين ، والطاء ، والعين ، والقاف ، والميم ، والباء وكثير من هذه الحروف لايتضمن سوى ترجمة واحدة أو اثنتين . مثل الباء ، والدال والذال ، والطاء ، والقاف إلخ . وقد ذكرنا أن آخر تاريخ مذكور فى التراجم هو تاريخ وفاة الكبابطى الجزائرى سنة 1278 فهل أصيب عبد الحميد بمرض عاقه عن مواصلة عمله إلى أن مات به سنة 1280 ؟

ومهما كان الأمر فإن عبد الحميد قد جمع مادة كتابه من عدة مصادر ، من ذلك ما استقاه من معاصريه وزملائه وشيوخه . ذلك أن معظم الذين ترجم لهم كانوا معاصرين له ( أهل القرن الثالث عشر ) وفى عدد من الأماكن يتحدث عن المترجم له كشاهد عيان ، وأحياناً كراو عن غيره من المعاصرين . فإذا عرفنا أنه أن قد تنقل فى حياة والده إلى مناطق عديدة من مصر ، تبعاً لوظائف والده ، فإننا ندرك أنه جمع المعلومات عن تراجمه من هذه الاتصالات الشخصية والروايات الشفوية وقد لاحظنا أنه كان يقيم المجالس الحافلة فى قصر والده بشبرا فإذا هو يستقبل فيه الأدباء والأعيان . وقد ترجم لعدد من

رجال السلطة من جيل والده الذين لاشك أنه تعرف على بعضهم من خلال والده أو سمع بهم أو كانوا أصهاراً لهم .

وهناك مصدران آخران لهذا الكتاب : أولا خزانة الكتب التى جمعها المؤلف بالشراء ، كما لاحظ تيمور ، وهى الخزانة التى قيل إن صهره محمد عارف (باشا)[1] قد استولى عليها بعد وفاته ثم تفرقت بالبيع وغيره . أما المصدر الثانى فهو النقل من كتب المعاصرين . وقد صرح أنه نقل من تأليف فى التراجم للزللى ، ذاكراً العبارة التى أشرنا إليها أعلاه ، وقد بدأها بقوله عن محمد أمين الزللى : « وجمع كتاباً فى فى تراجم المتقدمين والمتأخرين من العلماء والأدباء والأعيان ، ومات قبل أن يرتبه ، رأيته ونقلت منه جملة ... إلخ[2] . كما أشار إلى أنه اعتمد على تأليف فى التراجم لصديقه محمد أفندى عاقل[3] .

ومن ثمة نرى أن كتاب عبد الحميد الذى نحققه ما هو إلّا عمل فى تراجم رجال ونساء القرن الثالث عشر ، ما يزال فى مسودته غير كامل وغير مرتب وفيه تشطيب كثير تارة على العبارة وتارة على الصفحة كاملة . وعلى حواشى الصفحات تعاليق أحياناً للمؤلف نفسه وأحياناً لغيره ، وهو فى حوالى 165 صفحة ، ويحتوى على حوالى مائة ترجمة غير متناسبة الطول . ففيه الترجمة ذات الثلاثة سطور مثل الشيخ سيد أبو عماشة ، وفيه الترجمة ذات الصفحات الطوال مثل الشيخ حسن العطار . ومن بينها أسماء مغمورة لا تكاد تجد لها ذكراً فى كتب التراجم ومن أخذ حظه من الشهرة مثل ابن العنابى الجزائرى . وفيه تراجم الأدباء والعلماء والأعيان والمتصوفة . وفيه بعض غلمان محمد على وضباطه وبعض أهل الفتوى والطب والأدب .

(1) كان محمد عارف متزوجاً من أخت المؤلف . ومن الصدف أن هذه السيدة قد توفيت سنة وفاة أخيها (1280) ، وقد وجدنا زوجها ، محمد عارف ، يشكو بعدها مر الشكوى مما حل به ، وهذا نص كلامه : إن عبد الحميد بك ، جامع هذا المجموع ، انتقل إلى دار الرحمة فى سنة 1280 ، ثم أخته آمنة هانم ، الشهيرة بمنيرة ، لحقته سنة 1280 ، وهى حريمى . . . وتركا على غوائل ناصبة بطرة ، فرأيت ما رأيت بسبب تلك المهدومة (كذا) ، بضيق صدرى ولا ينطلق لسانى . ص 83 من المخطوط .

(2) ص 112 من المخطوط .

(3) ص 161 – 164 من المخطوط .

وقد ضم الكتاب عددًا من أهل مصر والواردين عليها ، من الجزائر وتونس ، والحجاز والشام ونحوهم ، وفيهم الأتراك والإيرانيون والهنود وأضرابهم . كما أن فيه من لم يخرج ربما من بلاده مثل حاكم تونس وحاكم المغرب الأقصى . فالكتاب إذن ليس خاصًا بتراجم المصريين ولا بتراجم المشرقيين ، بل شمل مجموعة من أعيان العالم الإسلامي مشرقه ومغربه . وقد أحصيت عدد التراجم المغاربية فيه فوجدت تسعة من المغرب الأقصى وسبعة من الجزائر وستة من تونس .

### (ج) بعض التراجم :

والتراجم التى سنذكرها اخترناها لصلتها بالأدب ، لأن الكتاب يضم كما ذكرنا أعيانًا من أهل الدين والسياسة والحكم والتصوف . وسيكون عملنا هنا هو – تلخيص ما أورده عبد الحميد عن كل ترجمة محتفظين أحيانًا ببعض العبارات المفتاحية فى وصفه أو حكمه على شخصية المترجم ، ومن ثمة فنحن لم نرجع إلى مصادر أخرى لتوثيق معلومات المؤلف عن كل شخصية . وقد كنا رجعنا إلى بعض التراجم فى دراسات مستقلة مثل ترجمة الكبابطى وترجمة محمد بن محمود ابن العنابى(1) . وكنا نود ذكر ترجمة محمد عاقل لعلاقته بالمؤلف وبالأدب ولكننا لم نجدها ضمن الكتاب رغم أن عبد الحميد ذكر أنه ترجم لصاحبه فى حرفى ( م – ح ) .

### 1 – احمد راشد المصرى :

ولد بالقاهرة سنة 1215 ( 1800 ) وأخذ العلم بالأزهر . وعمل بدواوين القاهرة بوظيفة كاتب ، وفى سنة 1544 ( 1828 ) حل بالإسكندرية وتوظف بدواوينها أيضًا وكان أثناء ذلك يشتغل بتحصيل العلوم

---

( 1 ) أصدرنا عن ابن العنابى كتاباً سنة 1978 . واستفدنا من ترجمة عبد الحميد له فى ط . 2 المعدة للنشر وقد نشرنا ذلك فى مجلة ( حوليات جامعة الجزائر (1988 ) . وكان ابن العنابى من أبرز علماء الجزائر عند احتلالها من قبل الفرنسيين . وقد حكموا عليه بالنفى فاستقر بمصر وتولى الفتوى بالاسكندرية وله تآليف منها ( السعى المحمود فى نظام الجنود ) ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الجزائر ، 1983 . وقد توفى ابن العنابى بالاسكندرية سنة 1850 .

الرياضية وغيرها ، وأخذ يدرس ما مهر فيه من هذه العلوم لبعض أخصائه . كما تولى خليفة الطريقة الخلوتية .

تعلم علم الموسيقى علمًا وعملًا على الشيخ على الصيرفى الصغير ( الابن ) ، وبرع فى آلة القانون البسيط علمًا وعملًا أيضًا ، « وألف فيها رسائل عدة » . ثم درس اللغتين التركية والفارسية . وأتقن الأخيرة حتى صار يتكلم بها كأهلها[1] . ( وقد ذكرنا هذه الترجمة هنا لصلتها بالموسيقى لأن عبد الحميد ولع بها أيضًا وألف فيها ) ولم يذكر وفاته .

## ٢ - احمد المسيرى :

أحمد بن على بن موسى المسيرى ، نسبة إلى بلدة بولاية البحيرة « الأديب الشاعر والأريب الناثر » . ولد ببيروت سنة 1225 ( 1810 ) كان والده قد رحل إلى بيروت عندما احتل الإنجليز مدينة الإسكندرية سنة 1222 ( 1807 ) . أمه بنت خليل والد الشيخ خليل الغزلات ، قاضى الإسكندرية عندئذ[٢] .

نشأ أحمد المسيرى فى بيروت وحفظ بها بعض القرآن ، واستكمله فى طرابلس الشام عندما انتقل إليها والده سنة 1233 ( 1817 ) . وظل يتنقل مع والده بينها وبين بيروت إلى أن توفى والده سنة 1239 ( 1823 ) فذهب إليه خاله الغزلات وجاء به إلى الإسكندرية مع عائلته . وينقل عبد الحميد عن محمد عاقل أن أحمد المسيرى اعتكف بعد وصوله إلى الإسكندرية « على التحصيل والتلقين ، وبذل الجهد فى الفنون والتفنين ، إلى أن بلغ مناه ، وكاد أن يكاتف فى العلم أباه » . وأخذ العلم على خاله المذكور ، ومحمد بن سليمان العلاف ، وحسين الإدكاوى .

ثم دارت به أيدى الزمن وسافر إلى القاهرة واحتمى بالمفتى محمد أمين المهدى ومكث عنده مدة ، ودرس بالأزهر على

---

( 1 ) ص 41 — 66 من المخطوط .

( 2 ) أطال عبد الحميد فى ترجمة الغزلات . وكانت بين بعض علماء تونس والغزلات مراسلات وأشعار انظر شعر محمد بن سلامة التونسى فى خليل الغزلات فى كناش رقم 16511 المكتبة الوطنية — تونس . وفى هذا الكناش بعض أخبار محمد بن سلامة عندما ختم كتاب ( الشفاء ) للقاضى عياض .

حسن القويسى ، ومحمد الأمير الصغير ، ومصطفى البولاقى . وأجازوه ، وصار « فى العلوم خزانة ، وفى الأدب ريحانة » واختص بالشعر والخطابة ، وملك أعنة النثر والكتابة ، واشتغل مصححًا للكتب فى المطبعة البولاقية .

ثم دارت به الأيام مرة أخرى . فخرج إلى الصعيد ، وانضم إلى العسكر فسير إلى الحجاز ، « يتلظى حرق الجوى ، ويتأوه من النوى » ، ثم رجع إلى مصر وتوظف فى الدواوين ، ولكنه سرعان ما ترك الوظيفة «واشتغل بالعلم والآداب والمسامرة ». وكان سريع الفهم ، حاضر البديهة « طالما نظم المائة بيت محاضرة بلا محابرة » . ولذلك ضاع أكثر شعره ، وقد جمع جبران المخلع بعض أقواله من أوراق ممزقة فى ( مجموع ) جاء نحو عشرين كراسة .

وقد اشتهر المسيرى بالخلاعة والفكاهة بين الناس وابتلى بداء الإفرنجى (؟) فكان يشرب الخمر ثم أقلع عنها ، « واختلى بنفسه ، وتخلى عن مجالس أنسه » ، ثم رجع إليه المرض وحكم الطبيب بأن لا نجاة له من الموت إلا بالشرب ، ولكنه « اختار الموت مع التوبة على الحياة والأوبة » . وقد مات فى الإسكندرية — عام 1268 (1851) عن 43 سنة . وقد توسع عبد الحميد فى أخبار المسيرى كما رواها له محمد عاقل ،سيما أخبار المسيرى فى الحجاز مع حاكمه أمين باشا وعلاقته السيئة بأهل عسير واستنجاده بالمسيرى ليعمل له زايرجة فى ذلك ، وروايات خاله الغزلات عنه .

ثم أضاف عبد الحميد معلومات أخرى عن المسيرى حول أدبه بالذات فقال إنه كان « من نوادر الدهر » علمًا وأدبًا ، وأن عددًا من الأدباء انتفعوا به ، وجاء بجملة « من غرر نظمه ونثره » فأورد قطعة فى مدح بطرس كرامة التزم لفظة ( الخال ) على اختلاف معانيها :

لبطرس إبراهيم آل كرامة
رسائل مدح فى طلائعها الخال
فتى العلم والأفضال والمجد والعلا
على أنه من أصل عنصره الخال
له من رقيق النظم كل محرر
على تاجه بين الورى عقد الخال

وروى له قطعة أخرى التزم فيها لفظة ( سلامه ) :

سلا القلب عن ظبي لا يبيح سلامه
فقل لعزول قال عنى سلامه
لئن كنت راودت السلو فلا وفت
حشاشة قلبي فى هواه سلامه

**٣ – على الصيرفى :**

على الصيرفى بن أحمد الرشيدى ، من الأشراف ، ولد برشيد سنة 1170 ( 1756 ) ونشأ بها ، ثم توجه إلى الأزهر ، وتخرج منه فى المعقول والرياضيات . ورجع إلى رشيد بعد المائتين للإقامة والتدريس . وقد اشتهر شهرة واسعة بالعلم والغنى والجاه لدى الحكام .

قال الصيرفى الشعر ومارس الإنشاء ، وتعاطى العلوم الرياضية ، واشتهر فى ذلك حتى فى الشام . ولما سمع به أحمد الجزار استقدمه إلى عكا ، سنة 1220 ( 1805 ) واستفاد منه الميقات والرمل ، والحروف ، وأقام لديه خمس عشرة سنة . ثم رجع إلى رشيد وتولى بها نقابة الأشراف وقد ظل بها يدرس ويفيـد إلى وفاته سنة 1238 ( 1822 ) .

ولعلى الصيرفى ديوان شعر أخذه مفتى اسطانبول عارف حكمت ، أثناء مروره بمصر للحج ، أخذه من ابنه محمد الصيرفى « وله الشِّعر الدقيق والإنشاءُ الرقيق » . يتناقل الناس شعره ، وقد شطر البردة وسمى التشطير ( المواكب البدرية فى الكواكب الدرية ) . ومن شعره :

ألقى يديه على صدرى فقلت له
أبرأت منى مكانًا أنت موجعه

وله فى الغزل :

غزال جعلت الروح رهن وصاله
فلا الوصل أعطانى ولا رد لى رهنى
غدا مالكى لكن نعمان خـده
قضى فى دمى سفكًا ولا شافعى يغنى
يظن بأنى فى الهوى غير ثابت
فيقطع فى قلبى ويحكم بالظن

ومن تشطيره للبردة :

أمن تذكر جيران بذى سلم
أطلت سهدك فى حزن وفى ألم
أمن تباعـد أحباب وفرقتهم
مزجت دمعًا جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
فهيجت نار وجد زائد الضرم

وله قصيدة طويلة طرز فى أوائل أبياتها اسم ( الشيخ عبد الرحمن إبراهيم الخضرى ) ، ومنها قوله :

لا زلت أخفى الهوى والدمع يظهره
وهل رأيت كئيبًا قط يخفيه
شأنى عجيب فجمر الشوق متقد
على الدوام وما دمعى بمطفيه

* * *

هذا الكتاب الذى يتلى فيعجز من
يأتى بمثل له أو من يضاهيه
يا كاسى الحظ حظًا أنت لابسه
وكل فضل بفضل أنت كاسيه
مالى جواب سوى عجزى ومعذرتى
إليك فاقبل فعجز العبد كافيه
ألفاظه سحرت إعقال قارئه
ما روت من سحر هذا لا يماريه

* * *

وللصبيرفى ابنان : على ومحمد . والأول شاعر أيضا غير أن شهرة أبيه طغت عليه حتى إن شعره ينسب إلى أبيه أحيانا .

**4 – محمد امين الزللى :**

محمد أمين بن حبيب بن أبى بكر بن خضر الزللى ، المشتهر بأمين أفندى الزللى . ولد بالمدينة المنورة ونشأ بها وأخذ بها العلم عن الواردين عليها من علماء الأطراف . وتكون هنالك فى المعقول والمنقول والرياضيات « وغلب عليه الأدب فنظم ونثر وتفرد فيهما » .

طاف الزللى العراق والشام ومصر والروم واشتهر هناك . وله مراسلات ومحاورات مع أدباء الآفاق . وقد جمع حولهم كتابًا أسماه ( المجموع الأدبى ) لم يخرجه من مودته . وله كتاب آخر فى تراجم المتقدمين ، والمتأخرين من العلماء والأدباء والأعيان ، مات قبل أن يرتبه . « نقلت منه جملة من تراجم أعيان القرن الثانى عشر فى تاريخى الذى رتبته فيه ، والثالث عشر هذا » .

وجاء الزللى إلى مصر مرارًا . واجتمع بأعيانها وعلمائها ، وحصلت بينه وبين

الأديبين أمين أفندى الجندى الحمصى وبطرس كرامة محاورات أدبية . وآخر وروده على مصر متشكيًا ( ترك المؤلف هنا فراغًا أكثر من نصف صفحة ) .

جاء ذكر الزللى فى ( حديقة الأفراح ) لأحمد اليمنى الشروانى إذ قال عنه : صاحبنا الذى اجتمعت به عام 1222 ( 1807 ) فى جدة . وقد أشاد به ، وذكر له قصيدة طويلة فى الغزل مطلعها :

لاح الصباح براية بيضاء
وسطا ففرق عسكر الظلماء
والروضة الغناء قام هزارها
يشدو فأشجانا بطيب غناء

وله من قصيدة أرسل بها إلى أحمد اليمنى الشروانى :

حزت المحاسن جمعًا والمعادن فى
الآداب فردًا فما أبقيت للشعرا
ما شام مثلك فى بدو وفى حضر
من طاف طول الزمان البدو والحضرا
دعواى فيك عليها حجة ظهرت
من نظمك العذب يا من نظم الدررا
شرفتنى ببيان دون صنعته
نظم البديع ومعنى يخجل الزهرا
وإننى لو نظمت الزهر فى كلمى
ما كنت مثلك بالإتقان مشتهرا

وتمتد ترجمة الزللى من صفحة 126 إلى 131 ، وفيها قطع وقصائد معظمها فى الغزل .

## 5 ـ محمد كاشف البخارى :

محمد بن محمد عبد الودود بن محمد عبد الغفور بن محمد فاروق . أخبر المؤلف أنه بلغه أن فاروق هذا قد أوصى بتسمية عقبه إلى ما شاء الله بمحمد . فوصل العقب إلى محمد عاقل ( صديق المؤلف ) وهو الرابع من عقبه بهذه التسمية .

ولد محمد كاشف ( المشتهر بكاشف أفندى ) فى خوجند من أعمال القوقاز سنة 1192 ( 1778 ) ، قرأ هناك القرآن ثم أرسله والده إلى بخارى كعادة أهل تلك الناحية مع أولادهم . وقد أخذ العلم على ميرزا عبد الغفار ، والطريقة النقشبندية على ميرزا رجب بابا إيشان المتوفى بمصر سنة 1232 ( 1816 ) .

وبقى محمد كاشف فى بخارى إلى وفاة والده سنة 1220 ( 1805 ) ، ثم اختلف

مع عمه حول تركة والده. فحج عن طريق مصر سنة 1221 ؛ وبعد الحج رجع إلى مصر ، والتقى فيها بالشيخ عبد الحكيم ترابى بابا (وهو الشيخ الذى أقرأ أيضًا والد المؤلف) ، وكان شيخًا على تكايا البخاريين بوقف البسطامى ، فتنازل له عن مشيخة التكايا ، فتولاها واشتغل (محمد كاشف) بالمطالعة . وفى سنة 1229 (1813) اختاره محمد لاظاغلى - خوجة له ، ليعلمه الفارسية إلى سنة 1232 (1816) . ثم عينه الوالى محمد على رئيساً على خوجات غلمانه فى إسنا إلى 1239 (1821) . وبعد سنة واحدة رزق بابنه محمد عاقل .

وعين محمد كاشف مصححًا للكتب الفارسية والتركية بمطبعة بولاق إلى - سنة 1241 (1825) . وفى هذه السنة أرسله محمد على إلى إيران ليتجسس له على أحوال دولتها هناك بإشارة من الباب العالى ، فتوجه محمد كاشف إلى إيران مارا بسمورية . وبعد سنة رجع إلى مصر ، وعينه الوالى محمد على على مدرسة قصر العينى وغيرها من المناصب إلى أن وصل إلى نظارة المدرسة البحرية بالإسكندرية . وقد توفى سنة 1268 (1851) عن 68 سنة . وترك بالإسكندرية أملاكًا وعقارًا .

كان محمد كاشف شاعرًا ماهرًا بالفارسية والتركية والعربية ، كما حذق الإنشاء . ومن شعره :

دع كثرة الفكر فى أمر تهم به
وخل سبيل القضا يجرى على قدر
ونم خليا من الأفكار منشرحًا
فكثرة الفكر تبدى شدة الخطر

ومن إنشائه تقريظ لترجمة (كلستان) لسعدى[1] ، التى قام بها جبران المخلع من الفارسية إلى العربية . ومن ذلك قوله : « أزهار حمد تزهو فى رياض الجنان على مدى الأزمان ، وثمار شكر يقتطفها بنان البيان والأركان ، وجداول ثناء متسلسلة لاينقطع مددها من ينابيع - الأذهان ...

أما بعد ، فإن كتاب كلستان روضة منتقاة من شوك الشوائب ووردها ، مدبجة

(1) من الذين قرظوا هذه الترجمة أيضاً محمد ابن العنانى الجزائرى ، كما ذكر عبدالحميد فى ترجمته له.

بألوان اللطائف خدودها ... جمعت بين أخلاق الفقراء وسير الملوك ، وأبدعت شمائل البلاغة ، بما أودعت من أصائل البراعة ... إلخ » . وهو تقريظ طويل كتبه سنة 1259 ( 1843 ) .

وقد علق المؤلف ( عبد الحميد ) على ذلك بقوله : إن المقرظ كان يقدح فى المترجم بعبارات أوردها ، فيها تعريض ، ولكنه مع ذلك عذره فى قدحه ، لأن الفرع فى نظر عبد الحميد ، لا يمكن أن يرق إلى الأصل ، وقال : إن من اطلع على الفرع والأصل (النص الفارسي والترجمة العربية) يظهر له « التضادّ بينهما » . ومن هذا التعليق ربما يظهر الدارس أن عبد الحميد كان يتقن الفارسية ، كما أشرنا .

**6 ـ محمد نـوار الاسكندرى :**

محمود بن عبد الله نوار ، أصله من الحجاز ، ولد بالإسكندرية سنة 1248 ( 1832 ) . ونشأ بها وحفظ القرآن ، ودرس العلوم العقلية والنقلية على والده وعلى المعاصرين له من العلماء بالإسكندرية وكذلك بالأزهر حيث كان والده مجاورًا به ، فكان من مشائخ محمود الشيخ حسن العطار ، وإبراهيم الرياحى التونى أثناء مروره للحج . وفى سنة 1264 ( 1847 ) حج مع والده ، ورجع إلى الإسكندرية فأقام فيها واشتهر بالشعر ، وجرت بينه وبين أدبائها محاورات ، ولكن المنية وافته فى ريعان شبابه سنة 1274 ( 1857 ) عن 25 سنة وتسعة أشهر ، فكان ذلك نكبة كبرى على والده .

ويخبر عنه عبد الحميد أنه كان «حاذقا ذكيًّا متكلمًا » . ولم يذكر له وظيفة تولاها ، وجاء له بشعر غزير . فمنه فى مدح أحمد بك صادق :

دم فى زمانك أنت وحدك صادق
حامى الذمار ودون مجدك طارق

وكتب إلى أبيه أثناء غيبه عنه رسالة صدرها ببيتين :

ولو لم يكن عندى بقايا تجلّد
لجبت إليكم قدفدًا بعد فدفد
وسابقت أفراس الرياح بهمّتى
وحدثت نفسى أن أمد لكم يدى

وبعث إليه برسالة أخرى وصدرها أيضًا ببيتين ، ولكن نشر الرسالتين غير مذكور

وله قصيدة طويلة فى العتاب بعث بها إلى الشيخ حسن اللقانى :

أعيدى على الكأس مشمولة خمرا
فألحاظك الوسنى تعلمنى السكرا

وجاء فيها قوله :

سلوا من قوام البان جرح فؤادهم
مقدمة كبرى اذا سلموا الصغرى

كما يجرح المولى بمبضع ضده
شرايين ودى ثم لايحسن الجبرا

بروحى من يعفو ويهزم تارة
على مثله يجنى ويحتسب الأسرا

كبير أناس يستخف بأنفس
لتكبر لكن نفسها تكره الكبرا

وما شأن مثلى موسر من جفائه
سوى أنه لله يجتنب العسرا

وله قصيدة أخرى أرسلها إلى نفس الشيخ جاء فيها :

إذا جن ليل العاشقين فأقبلى
إلى مستهام عند دار ابن مقبل

تواضعت أحيانًا فلم يجد نفعه
ورحت بأعباء الصبابة مبتلى

وعربدت أيامًا فضل بى الهوى
وأبت بأعجاز وعدت بكلكل

* * *

همام له مجـد يلوح وهمة
تفوح بنشر من شذا طيب هندل

وفهامة صاغ القريض بفطنـة
وعلامة يزهو على خير أمثل

وتعزى له ذات العـلوم وتنتهى
ويعنو له المعلوم فى أى محفل

لعمرك إنى ما كذبت وإنمـا
ذكرت لكم قدرًا ولم أتوغل

إليه انتهى فى الشعر كل بديعة
تروق وتجلو ضغن أزمة معول

فخـذها مسجاة بأحسن حلة
فأنت لها كفء تكر بمغزل

وشد عليها بالنبـال وقل لها
إذا جن ليل العاشقين فأقبلى

### ٧ - مصطفى ابو الفضل :

ينتهى نسبه إلى السادة الوفائية . ولد بالهواتر بولاية الدقهلية سنة 1228 ( 1813 ) وجاء إلى الإسكندرية مراهقًا . وهناك كفله على بك جنينة ، قاضى الإسكندرية ورباه وأقرأه القرآن وعلمه الكتابة ثم ألحق

بكتبة المحكمة إلى أن صار هو رئيسهم ؛ وأكثر من مخالطة شعراء الإسكندرية حتى أصبح من أبرز الشعراء .

وانهمك فى الملذات والخلاعة مع صديقه أحمد المسيرى حتى بدد ما عنده من أملاك ومقتنيات .. وخاف افتضاح أمره بين الناس فسافر إلى القاهرة ، واشتد به الفقر فأشفق عليه بعض إخوانه هناك ؛ ففتح له دكانًا يبيع فيه الأقمشة . ثم تعرف على بعض الأعيان فعينه قاضيًا فى مدينة رشيد ، فتحسنت حالته المادية ، ولكنه عزل من القضاء سنة 1270 ( 1853 ) فرجع إلى الإسكندرية وإلى ملاذه وخلاعته فيها إلى أن ضاع منه كل ما جمعه أثناء ولايته القضاء ؛ ولما ضاق به الحال افتتح دكانًا يرتزق منه بالنساخة . وقد قال عنه :

يا سائلى عن حالتى من بعد ما
قد كنت من أهل الفتوة والهمم

ما حـال عان منزو بمكانة
يستجلب الأرزاق من شق القلم

وفى سنة 1271 توفى بالسل أثناء رجوعه من مولد السيد البدوى . عن 43 سنة .

كان « أديبًا : شاعرًا منشئًا . وكان فى أوقات فاقته واحتياجه حريصًا على اقتناء كتب الآداب وممارسة الظرفاء والأدباء » . وقد وجد عنده بعد وفاته ما ينيف عن 160 مجلدًا فى الأدب . وله شعر فى مدح آل البيت ، وفى التوسل بالنبى عليه الصلاة والسلام ، وفى التحسر على ما فات ؛ وفى الغزل والوصف . وقد قال فى التحسر :

العين قرحى ونار القلب تتقد
والوجد قام ولا صبر ولا جلد

يا ليت شعرى وهل للوصل من أمل
وهل تعـود ليال عيشها رغد

تلك الليالى التى ما كان أجملها
مرت كأضغاث حلم ليتها تعـد

وقال فى الربيع :

إذا اخضر روض فيا حبذا
ثغور أقاحيه تبدى ابتسام

يلذ لقلب الشـجى عندها
سماع الأغانى وشرب المـدام

ويا حبـذا الوقت من سـاعة
جميع محاسنه فى انتظام

وذكر له عبد الحميد نموذجين فى الإنشاء الأدبى ، أحدهما استدعاء بعث به إلى صديقه أحمد المسيرى إلى حان بروض والآخر رسالة بعث بها من رشيد إلى الشيخ محمد عاقل ، أثناء ولايته القضاء بها ؛ وكلا النموذجين فى غاية الرقة والسلاسة بأسلوب ذلك الوقت . وأضاف عبد الحميد قوله عنه : « وشعره وإنشاؤه كثير تناقله أهل الإسكندرية » . وقال : إن له (ديوانًا) وجد بتركته وكان « أكثره مجونًا — وخمريات » . ولمّا اطلع عليه أخوه ؛ وكان متصوفًا ، مزق الديوان ولم يترك منه « إلا ما فى المجاميع وصدور بعض الناس » .

**الخاتمة :**

هذا هو مخطوط عبد الحميد بك الذى قد يصدق عليه عنوان ( أعيان من المشرق والمغرب فى القرن الثالث عشر ) ، وهذه هى بعض التراجم الأدبية أو المتصلة بالأدب الواردة فيه . ونحن عاملون على تحقيق هذا المخطوط الخصب فى معلوماته المتنوع فى شخصياته ، رغم عدم استيعابه وإحاطته لوفاة صاحبه فى شبابه . وقبل إتمامه . ونحن نحسب أن المخطوط ما يزال بكرًا ، فإن سبقنا الغير إليه بالتحقيق أو بالتعريف فحسبنا منه الجهد الذى بذلناه فى استجلابه وتصويره ، والعلم الذى استقيناه من صفحاته وسطوره .

وفوق كل ذى علم عليم .

**أبو القاسم سعد الله**
**عضو المجمع المراسل ( من الجزائر )**

# آراء ابن جنّى
## فى تضاعيف كتب الشريف الرضىّ

للدكتور حسين على محفوظ

كان الرضى تلميذ ابن جنى وصديقه ، وكانت بينهما مودة أكيدة ، وخلطة متقادمة ، وأسباب جامعة . وقد قرأ عليه طويلًا ، واستفاد منه كثيرًا . وكان هو المتولى الصلاة عليه قبل دفنه » .

قرأ الرضى على ابن جنى ، وتعلم منه ، ونقل آراءه فى كتبه . وقد أطراه وأثنى عليه فى كتاب تلخيص البيان . ووصفه باستنباط الخبايا ، واستطلاع الخفايا ، قال : « كان – عفا الله عنه – كثير الاستنباط للخبايا ، والاستطلاع للخفايا »

وقال فى كتاب حقائق التأويل : « وكان [ ابن جنى ] يعلو به التغلغل فى استنباط المعانى ، والتولّج إلى غامضاتها ، والغوص على قراراتها إلى أن يورد مثل هذا الذى ربما خدش به فضله الذى لا مغمز فيه ، ولا مطعن عليه . ومع ذلك فهو فى هذا العلم السابق المسوّم ، والأول المقدّم ، والبحر الجموم ، والدليل المأموم » .

ووصف أقواله واستنباطاته ، فقال : « وهذا – أيضًا – من الأقوال الغريبة ، والاستنباطات اللطيفة » .

وقد قال ابن جنى فى كتاب الرضى ( حقائق التأويل ) هذا : « صنف الرضى كتابًا فى معانى القرآن الكريم يتعذر وجود مثله » .

عبّر الرضىّ عن ابن جنى بلفظ شيخنا فى كل المواطن ولقبه « شيخنا وصديقنا » مرة فى الكلام على إزاغة القلوب .

---

( * ) ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة من جلسات المؤتمر المنعقد يوم الأحد ٧ من شعبان سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٤ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٠ م .

وقد فسّر (الأستاذ) ابن جنى قصيدة الرضى الرائية التى رثى بها أبا طاهر إبراهيم ابن ناصر الدولة الحمدانى. وقتله أبو الذواد العقيلى، فى المحرم سنة ٣٨٢ هـ « وهذه القصيدة فصيحة الألفاظ، كثيرة المعانى. فسرها ابن جنى فى حياة رضى ومدحه لأجل ذلك »، ومطلع القصيدة :

ألقى السلاح ربيعة بن نزار
أودى الردى بقريعك المغوار

وهى فى (٥٩) بيتًا.

وقصيدة الرضى فى مدح الأستاذ ابن جنى أولها :

أراقب من طيف الحبيب وصالًا
ويأبى خيال أن يزور خيالا

وهى فى (٣٥) بيتًا، قال فيها :

وأكبر همى أن ألاقى فاضلا
أصادف منه للغليل بلالا

ولابن جنى تفسير العلويات، وهى أربع قصائد للشريف الرضى، كل واحدة فى مجلد. وهى القصيدة التى رثى بها أبا طاهر ابن ناصر الدولة، والقصيدة التى رثى بها الصاحب بن عباد، والقصيدة التى رثى بها الصابى. وقد سماه ابن النديم كتاب تفسير المراثى الثلاث. والقصيدة الرائية، ولا ندرى ما هى !

وقد رثى الرضى أستاذه ابن جنى – وقد توفى ببغداد، ليلة الجمعة، لليلتين بقيين من شهر صفر، سنة ٣٩٢ هـ، بقافية أولها :

ألا يا لقومى للخطوب الطوارق
وللعظم يُرمى كل يوم بعارق

وهى فى (٥٩) بيتًا. قال فيها، مما يوضح أعماق الصداقة والمودة بين الرجلين :

شقيقى إذا التاث الشوق وأعرضت
خلائق قومى جانبًا عن خلائقى

* * *

وفارقنى عن خلة غير طرقة
تضمنها صدر امرئ غير ماذق

(تروق ماء الودّ بينى وبينه
وطاح القذى عن سلسل الطعم رائق)

أشار الرضى إلى ابن جنى فى بعض كتبه. فقد ذكره مرارًا فى المجازات النبوية، وفى تلخيص البيان، وفى حقائق التأويل.

ونقل بعض أقواله وآرائه ، وروى عنه بعض الشواهد . ذكره فى المجازات النبوية (٦) مرات .

قال فى الحديث الثانى عشر . فى الكلام على الفصاحة العجيبة فى قوله عليه الصلاة والسلام — وقد تذاكر الناس عنده أمر الطاعون وانتشاره فى الأمصار والأرياف — « إنى أرجو ألا يطلع إلينا نقابها » ، يعنى نقاب المدينة .

وكان شيخنا أبو الفتح النحوى — رحمه الله — يسمى هذا الجنس «شجاعة الفصاحة» لأن الفصيح لايكاد يستعمل إلّا وفصاحته جريئة الجنان ، غزيرة المواد .

وقال فى الحديث (٣٩) فى قوله عليه الصلاة والسلام لأزواجه : « أسرعكن لحاقًا بى أطولكن يدًا » .

وقد جاء — أيضًا — فى جمعها ( أى جمع اليد التى هى العطية ) يُدِىّ . أنشدنا شيخنا أبو الفتح عثمان بن جنى . وأظنه من أبيات الكتاب :

ولا أذكر النعمـان إلا بصالح
فإن له عنـدى يديًا وأنعما

وقال فى الحديث (٩٤) فى قوله عليه الصلاة والسلام للرجل الذى قال لبعض الصحابة : « إن فتح الله عليكم الطائف » ، فقال عليه الصلاة والسلام : «لقد غلغلت النظر يا عدو الله ... » .

روى لنا أبو على .. الفارسى ، فى كتابه الموسوم بـ ( الإيضاح ) إجازةً ، وأنشدناه الشيخان أبو الفتح وأبو الحسن النحوى ملافظة قول الشاعر :

طلين بكديون وأشعرن كرة
فهن إضـاء صافيات الغلائل

وقال فى الحديث (٢٠٠) فى قوله عليه الصلاة والسلام : « ما نزل من القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن ... الحديث » وأنشدنا أبو الفتح النحوى — رحمه الله — قول الشاعر :

أما ترانى قالبا مجنى
أقلب أمرى ظهره للبطن
قد قبل الله زيادًا عنى

وكان [ ابن جنى ] رحمه الله يقول : فى : قوله : ( قد قبل الله زيادًا عنى ) سر لطيف وهو أنه أقام قبله مقام عزله فكأنه قال قد عزل الله زيادًا عنى ، لأنه إذا قبل فقد زال سلطانه ، وأمنت سطواته .

وقال فى الحديث (٢١٦) فى قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم إنا نعوذ بك من الأيهمين » ، ومثل تسميتهم الشيء أيهم إذا كان على الصفة التى ذكرناها (أى للشيء لايملك دفعه ، ولايستطاع رده) . ما أنشدناه شيخنا أبو الفتح عثمان بن جنى النحوى رحمه الله . وأظنه من أبيات الكتاب (أى كتاب سيبويه) :

ودامية يتقيها الرجا
ل مرهوبة الحد لا فالها

قال : والمراد بقوله : (لا فالها) أى ليس لها جهة واحدة تتقى منها ، كما يتقى الحيوان العادى من جهة أنيابه ، أو ناحية أظفاره . بل كل جهاتها محذور ، وكل نواحيها مخوف .

وقال فى الحديث (٣٥٤) فى قوله عليه الصلاة والسلام : « من قعد فى مصلاه ، حين يصلى الصبح حتى يسبح الضحى ... فى حديث طويل » . ومن الشاهد على ذلك قول ذى الرمة ... وأبين من هذا قول الآخر وأنشدناه شيخنا أبو الفتح النحوى رحمه الله :

قالت له وارتفعت ألافقى
يسوق بالقوم غزالات الضحا

وذكره فى تلخيص البيان خمس مرات .

قال فى الآية (٨٧) من السورة التى تذكر فيها التوبة ، فى الكلام على الخوالف أن يكون الخوالف ههنا جمع فرقة خالفة . وكنت أسمع شيخنا أبا الفتح عثمان بن جنى النحوى رحمه الله يقول ذلك ، ويذهب إلى مثله أيضًا فى قوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » . ويقول : هى جمع فرقة كافرة إلّا أن الكلام يكون على القول الأول استعارة ويكون على هذا القول حقيقة .

وقال فى الآية (٢) من السورة التى يذكر فيها النحل ؛ وكان شيخنا أبو الفتح عثمان ابن جنى — رحمه الله — يقول : معنى قولهم فى القسم (لعمرو الله ما فعلت ذلك) أو (لأفعلن ذلك) إنما يريدون به القسم بحياة يُحْيِها الله ، لا بحياة يحيا بها تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، فكأن المقسم إذا أقسم بهذه الحياة دخل ما يخصه منها فى جملة قسمه . وجرى ذلك مجرى قوله : لعمرى . فيعبر مقسمًا بحياته التى أحياه الله بها . والعمر ههنا هو العمر ، ومعناه الحياة . فكنت أستحسن هذا القول منه جدًّا . وله نظائر كنت أسمعها عند قراءتى

عليه . وكان – عفا الله عنه – كثير الاستنباط للخبايا ، والاستطلاع للخفايا .

وقال فى الآية (١٥) من السورة التى يذكر فيها طه عليه الصلاة والسلام ؛ قال لى ، وأنشدنى أبو على منذ أيام بيتًا هو من أنطق الشواهد على الغرض الذى رمينا إليه . وكان سماعى ذلك من أبى الفتح رحمه الله وأبو على الفارسى معنا فى الزمان حينئذ باقٍ لم يمت ، والبيت ، وهو قول الشاعر :

لقد علم الأيقاظ أخفية الكرى
تزججها من حالك واكتحالها

وهذا البيت أنشدنيه أبو الفتح النحوى عن أبى على الفارسى على قوله : ( تزججها من حالك واكتحالها ) .

وقال فى الآية (١٨) من السورة التى يذكر فيها لقمان ؛ وقال شيخنا أبو الفتح عثمان ابن جنى أنشدنا أبو على الفارسى هذا البيت ، أى :

تراهم إذا ما جئتهم فكأنما
يشيمون أعلى عارض متراكب

وقال : يصلح أن يجعل فى مقابلة قوله تعالى : « وَتَرَاهُم يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ » .

البيت فى صفة المتكبرين بالغيرة . والآية فى صفة الخاشعين بالذلة . وهما فى طرفين وسبيلين مختلفين .

والبيت المتقدم ذكره ، أنشدناه أبو الفتح عن أبى على على ما ذكرته .

وذكر الشريف الرضى شيخه وصديقه ابن جنى مرارًا فى ( حقائق التأويل فى متشابه التنزيل ) . وقد بقيت قطعة من بعض مجلداته .

قال فى الآية (٨) من السورة التى يذكر فيها آل عمران ؛ وكان شيخنا وصديقنا أبو الفتح النحوى يقول : أما قولهم عور وحول فالأصل فيه أعور وأحول لأن جميع نظائره كذلك . ولأن العور والحول أدخل فى باب الخلقة من الألوان . وليس يقال فى الألوان حمر ولا سود . فدل ذلك على أن أصل حور وحول التشديد ، والأصل أولى بهذه الأشياء .

* * *

وقال فى تزيين حب الشهوات فى الآية (١٤) من السورة التى يذكر فيها آل عمران :

ومما يجرى هذا المجرى مافسره لنا شيخنا أبو الفتح عثمان بن جنى – عند القراءةعليه – وقد مضى قول الشاعر ( وهو الأفضل ) فى تشبيه الناقة بالحمار الوحشى :

كأنها واضح الأقراب فى لقح
أسمى بهن وعزته الأناصيل

قال : أراد بقوله : ( أسمى بهن ) ، أى ركب بهن السماوة . وهو يعنى بهن الحمار وأتنه . وهذا مثل قولهم : أغبر وأتهم .

وقال فى أخذ ميثاق النبيين فى الآية (٨١) من السورة ؛ وقال لى شيخنا أبو الفتح عثمان ابن جنى ، عند بلوغى عليه فى القراءة من كتاب الإيضاح لأبى على الفارسى إلى باب المصادر – وقد مضى فى أثنائه ذكر هذا البيت – أى قول الشاعر :

أمن رسم دار مربع ومصيف
لعينيك من ماء الشئون وكيف

فقال : كأن الشاعر قال : أمن إن رسم دار مربع ومصيف بكيت لها . فالمربع ، والمصيف فاعلان فى المعنى .

وقال فى معنى رجوع الأمور إلى الله – وهى غير خارجة عن سلطانه وقدرته ، وتقلب العباد جميعًا فى قبضته وملكته – : وقد تقدم ما حكيناه عن شيخنا أبى الفتح النحوى من كلام فى قوله تعالى : « فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ » الآية ٥٩ فى البقرة ، وهو قوله :

إنما كرر تعالى ذكر الذين ظلموا ولم يقل وأنزلنا عليهم . لأن ذلك أشد مبالغة فى ذمهم ، وأدخل فى باب التفحيش لذكرهم ولأن إظهار اسم المستحق للعقاب مع الإخبار بوقوعه به أبلغ من إضماره ، وأجدر بخوف الخائف من مشاركته فى وجه استحقاقه .

وقال فى « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة » فى الآية (١١٠) وأنشدنا شيخنا أبو الفتح النحوى فى مثل ذلك :

سراة بنى أبى بكر تسامى
على كان المسومة العراب

وقال فى فصل النظر عندنا غير الرؤية ، فى رؤية الموت ، فى الآية (١٤٣) من السورة ؛ وأنشدنا شيخنا أبو الفتح :

فيامى هل يجرى بكائى بمثله
مرارًا وأنفاسى إليك الزواقر

وإنى متى أشرف من الجانب الذى
به أنت ، من بين الجوانب ناظر

قال : وكان يستشهد بهذا الشعر على أن الرؤية غير النظر . ويقول : لو كان النظر بمعنى الرؤية لم يطلب الشاعر عليه الجزاء ، لأن المحب لايستثيب على النظر إلى محبوبه ثوابًا ، ولايستجزى عليه جزاء .

وقال فى معنى قوله تعالى : « فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ » فى الآية (٣) من السورة التى يذكر فيها النساء . وفى أن من شعب الكلام على هذه المسألة تبيين الفرق بين قولهم ( اللائى ) بالياء ، و ( اللاتى ) بالتاء ... وكان شيخنا أبو الفتح النحوى — رحمه الله — يقول : إن اللاتى واللائى جميعًا جمعان للتى ، إلَّا أن اللاتى بالتاء المعجمة من فوقها للجمع القليل ، واللائى بالياء المعجمة من تحتها للجمع الكثير . قال : ومن الدليل على ذلك أن كل جمع يضارع واحدة من جهة من جهات المضارعة فهو أدل على ماقرب من واحدة فى باب العدد .

وقال فى معنى قوله : « إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا » ؛ وقد ذكر لنا شيخنا أبو الفتح عثمان بن جنى النحوى فى ذلك وجهًا آخر . قال : ( إن العادة قد جرت إذا مدح الإنسان أو تمدح أن يذكر أسلافه وقديمه وبيته ، وأوليته ، أو يذكر له ذلك ... » .

وقال فى معنى قوله تعالى : « وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا » فى الآية (٤٢) من السورة : وعلى ذكرنا قول الله سبحانه : « وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ » . فقد كان شيخنا أبو الفتح النحوى عمل فى آخر عمره كتابًا يشتمل على الاحتجاج بقراءة الشواذ ناحيًا به نحو أبى على الفارسى فى عمل كتاب الحجة ؛ وهو الاحتجاج للقراء السبعة . فقال فيه محتجًّا لقراءة من قرأ فى الزخرف :

« ونادوا يا مال ليقض علينا ربك ... » بالترخيم ، بعد ذكره وجوهًا فى ذلك : يجوز أن يكون اتخاذ ذلك على وجه الحكاية لكلام الكفار . وهم فى أطوار العذاب لأنهم لشدة آلامهم ، وإطباق العذاب عليهم قد ضعفت قواهم ، وخفيت أصواتهم ، وضعفوا عن تتميم اسم مالك عند ندائهم له ضعف أنفاس وخفوت أصوات . فحكى سبحانه قولهم ذلك على وجهه .

**حسين على محفوظ**
**عضو المجمع المراسل ( من العراق )**

# المصادر والمراجع


١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ حقائق التأويل فى متشابه التنزيل ـ الشريف الرضى .

٣ ـ تلخيص البيان فى مجازات القرآن ـ الشريف الرضى .

٤ ـ المجازات النبوية ـ الشريف الرضى .

٥ ـ ديوان ـ الشريف الرضى .

٦ ـ تقويم حياة الشريف الرضى ـ د . حسين على محفوظ .

٧ ـ الشريف الرضى ، « دراسات وأبحاث » / د . حسين على محفوظ .

٨ ـ الشريف الرضى ، « مقالات » / د . حسين على محفوظ .

# بين العلم والأدب
# عندنا: برزخ لا يبغيان
## للدكتور أحمد سليم سعيدان

سادتي الكرام!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قدري أن يكون أول حديث لي إليكم شكوى. ولابد من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع. ولكن شكواي لا للمواساة والتوجع، بل هي دعوة لتأمل وتفكر يفضي إلى عمل جازم. إنها الشكوى مما أراه عندنا من قطيعة بين العلم والأدب تفضي إلى ما نعاني منه من أزمة فكرية، وجمود ذهني في عالم متطور متفجر يطلع كل ساعة بجديد، في كل من مجالات الفن والأدب والعلم والتكنولوجيا في جميع دروب الحياة. والعلم والأدب، ابنان توأمان للفكر الإنساني، طبيعتهما وطبعهما أن يكونا متضامنين متكافلين، يسند كل منهما أخاه ويغذيه، سلاحهما الكلمة المكتوبة أو المسموعة، وهدفهما العمل من أجل مستقبل أفضل، لنا، وللإنسانية جمعاء.

وقبل أن أشرع بعرض ما أشكو منه أستأذنكم أيها السادة بأن أعرض أمامكم صورة من تضافر العلم والأدب في العالم المتقدم:

غني عن القول إن علوم اليوم هي صناعة غربية. أجل إن جذورها عربية وإغريقية وبابلية وفرعونية؛ ولكن جذوعها وفروعها وأغصانها وأوراقها وثمارها — كلها غربية — وهي متطورة آخذة بالعلو والنماء؛ ومفاتيح تطورها كلها بيد الغرب. وهي كلما ازدادت نموًا، زادت بعدًا عن جذورها، كشجرة تفاح تركب على فروعها شتى أنواع الفواكه، فتؤتي ثمارًا غير تفاحها الأصيل.

---

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الخامسة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الأحد ٧ من شعبان سنة ١٤١٠هـ الموافق ٤ من مارس سنة ١٩٩٠م

وعندما كان الغرب يتلقى علومه من الكتب العربية ، كانت لغة الكتابة عنده لاتينية ، وكان المتعلمون فيه هم القلة التي تتقنها ، وكان أكثرهم ، بل كلهم ، رجال دين . ثم تنبه الغرب إلى ضرورة إحياء لغاته ، البيئية ، وجعلها لغات كتابة .. وفي غضون ذلك كان إبداعه الفكري الذاتي قد بدأت بواكيره ، فقامت نهضته الفكرية ، ثقافية كانت أم اجتماعية أم سياسية ، أم أدبية — والعلم ركن هام من أركانها ، فكان إن مضت لغته المكتوبة في تطورها مع تطور العلم . حتى جاءت الآداب الغربية مجبولة بالعلم ، وهو الركن الأساسي من أركانها ، والملهم الأكبر في تسريع إنتاجها وتطويره ، شعرًا كان أم قصة ، أم فن رسم أم موسيقى . العلم في الغرب طابع الحياة اليومية ، يرضعه الطفل مع حليب أمه ، ويتلقاه في البيت والشارع والملعب والملهى ، والصحافة اليومية بل المدرسة . في الغرب نجد رجال القلم ، والأدب ، والصحافة والسياسة ، والتاجر في متجره ، والصانع في مصنعه ، والفلاح في مزرعته . ونجد سائق التاكسي وربة البيت — نجد كلاً من هؤلاء . له من العلم المعاصر نصيب . يجاريه في تطوره وتفجره ؛ يتلقاه في الكتب المبسطة ، والصحف والنشرات ، وفي الإذاعة والتلفزة بعبارات خبراء عارفين يفهمون ما يقولون . حتى أحدث الابتكارات العلمية والتكنولوجية نجد الحديث عنها ، وعما ينتظر من أثر لها ، على لسان الخاص والعام . إن من قيم الحياة في العالم المعاصر أن المرء المثقف ينبغي أن يكون ملمًا بما يجري في حقول العلوم من مستجدات نظرية وتطبيقية . أضف إلى ذلك أن العالم المتقدم يعيش عصر صراع هو حرب حياة أو موت ، أداته النافذة صاحبة الغلبة المطلقة هي العلم .

منذ الأربعينيات من هذا القرن ، صرنا نعيش عصر تفجر علمي رهيب ؛ الخفي فيه أشد هولًا من الظاهر المرئي ، ولكن العيون اليقظة والأذهان المتفتحة لا تلبث أن تكشف كل خفي ، وتحاربه بما هو أكثر خفاء . ليس علم اليوم كماليًّا من الكماليات ، وإنما هو ، كالماء والهواء ،

والغذاء ، ضرورة من ضرورات الحياة : والسلاح الأقوى من أسلحة الصراع ، لا يغير من الصورة ما صار يبدو اليوم من انفراج بين أكبر قوتين فى العالم .

والدول المتقدمة همها أن تقيم تفاعلاً قوياً مستديماً بين العلم والناس والعلم والأدب والأدب والعلم الإنسانيات .

فعلى الصعيد الشعبى :

ما إن يتم إنجاز علمى ذو شأن : مما قد يكون له أثر فى حياة الناس ، مثل كشف طبى أو صناعى أو زراعى ، حتى تنبرى وسائل الإعلام لنشره ، بأقلام خبراء علميين تربويين ، فى الإذاعة والصحافة والتلفاز ، ثم تصدر الكتب العلمية المبسطة تزيد البحث فيه تفصيلاً ، بطبعات شعبية رخيصة الثمن .

وإذا ظهر كتاب قيم بلغة أجنبية : مما قد يفيد الجماهير ، فلا يلبث أن يترجم ، وينشر بطبعات رخيصة . وقد يكون النشر سلاحاً ذا حدين ، فتظهر النشرات المفيدة إلى جانب كتب اللهو والمجون . ولكن النشر فى العالم المتقدم حر ، والقارىء هو الذى يختار ما يرضيه . والمربون يعرفون أن بعض الكتب تضر ولا تنفع . ولكنهم يتركون الخيار للقارئ كى يبقى الكتاب ذا جاذبية خاصة ، وكيلا يؤدى حجب بعض الكتب إلى البحث عنها خلسة .

وعلى صعيد الإنتاج الأدبى :

نجد الأديب ذا رؤية علمية ، يدرك اتجاهات علوم عصره ، وله فى قرارة نفسه فلسفة علمية تقيِّم الحاضر وتشارف المستقبل ، فهو فى ما يبدع من أدب مكتوب أو مسموع يحلق بخياله فيستطلع ما هو جارٍ وما قد يجرى فى المستقبل القريب أو البعيد . وبذلك يوحى إلى زميله العلمى بأفكار جديدة ، ويدفعه إلى مزيد من البحث والاستقصاء ، حتى ليجعل من خيال الأديب بالأمس وأوهامه بعضاً من حقائق اليوم وعلومه ، فيدفع الجديد من حقائق اليوم أديب الغد إلى جديد من الخيال ، وجديد من الرؤى والتطلعات .

هكذا يتضافر الأديب والعالم فى العالم المتقدم ، كل منهما يسند الآخر ويرفده . ومع تطور العلم والتكنولوجيا يتطور الأدب والفن ، حتى لتقام بين حين وحين معارض لآداب الخمسينيات والستينيات وفنونها ، فتقارن بما كان قبلها وما جد من بعدها ، وما أبعد ما بين هذا وذاك .

حتى اللغة يعتريها ما يعترى العلم والأدب من تطور . إن اللغة أداة العلم والأدب ، تتسع إذا اتسعت آفاقهما وتضيق إذا ضاقت . إنها لغة الأمة ، ولها من ثم كرامتها وقداستها . ولكنها أيضًا لغة حية فهى من ثم مقطورة قابلة للاتساع والنماء . إنها بحق مرآة حياة الأمة ، تعزّ إذا عزت الأمة ، وتهون إذا هانت .

إن لعلم المتجدد يلهم الأدباء بقدر ما يلهم العلماء فينوعون إنجازهم ويزيدونه جاذبية ، مستندين إلى خلفية علمية صلبة . وهو قد يلهم غير المتخصصين بأكثر ممّا يلهم المتخصصين . فمن قبل أن يبتكر العلم سفن الفضاء وينزل العلماء أرض القمر ، وضع الأدب قصصاً تصف مثل هذه السفن وتتكلم عن رجال الفضاء . خيال أدباء اليوم يجعله علم الغد حقيقة ، وخيال الأدباء فى العالم المتقدم يسبق إنجاز العلماء ويلهمهم .

والمواطن فى العالم المتقدم يعتز بحاضره لأنه يمده بالثقة بالنفس ، ويدفعه إلى صدق الانتماء ، فيعمل على تحقيق أمجاد تضاف إلى ما حقق آباؤه وما يحقق زملاؤه . أما ماضيه فينظر إليه باعتباره صفحات مطوية فى سجل حياته : إن يكن فيها بدائية قائمة ، وسطور معتمة : فتلك مراحل تجاوزها ، وبقى الماضى ، بخيره وشره ، تراثًا يحافظ عليه ويصونه لأن فيه جذوره ومسببات حاضره وأمجاده . إن الفرق الحضارى بين ماضيه وحاضره يزيده ثقة بالنفس ، وأملًا بمستقبل أفضل وتطلعًا إلى تحقيق أمجاد تضيف اسمه إلى قائمة الخالدين ، ما أكبر الفرق بين فكر المواطن فى العالم المتقدم ، وفكر نظيره فى العالم الثالث ! ذاك يتطلع إلى مستقبل أكثر إشراقًا ، وهذا يحنّ إلى الماضى ، ويتبرم بالحاضر ، ويخشى المستقبل المجهول . كم أتمنى لو يتضافر العلم والأدب عندنا تضافرهما فى الغرب .

وقد يحسن ، قبل أن ننتقل إلى وصف حال العلم والأدب فى العالم العربى أن نلقى نظرة سريعة على العلم الغربى التخصصى على الصعيد العالمى ، المعروض منه للعيان ، ناهيك عن الخفى تحت ستار المجهودات العسكرية .

ففى المستويات الجامعية نجد فى كل قسم من أقسام الكليات العلمية مختبر بحث يخصص كل ركن من أركانه لفرع من فروع البحث ، ويشغل كل ركن أستاذ أو فريق من الأساتذة أصحاب التخصص الواحد ، أو التخصصات المتقاربة فيعملون بعد الفراغ من المحاضرات اليومية فى بحوث يأملون من ورائها تحقيق إنجازات تحقق لهم ولجامعاتهم شيئًا من المجد أو بعضًا من الدخل . أو يعملون فى إيجاد حلول لمشكلات محددة تعرضها المؤسسات الصناعية أو الزراعية أو التجارية القائمة من حولهم . وهذه المؤسسات تعتمد لهم ولكلياتهم مبالغ سخية يتقاضون منها أجورهم ، ويشترون بها ما يلزم من معدات ويشغلون بها من يحتاجون إليهم من عمال ومساعدى بحث .

ومن المتخصصين الذين لا يعملون فى الجامعات من يعملون خبراء أو مستشارين فى الفعاليات الخاصة أو العامة ، يساعدون فى التخطيط أو التصحيح أو التطوير .

ومن المتخصصين من يهوون البحث والاستكشاف ، فيعملون أفرادًا أو جماعات بجهودهم ، لا لمطمع ، ولكن بغية تأدية رسالة ما ، قومية أو إنسانية . وقد يقضون العمر كله ، لا يحققون جديدًا سوى إرضاء نزعاتهم الخاصة ، أو قد يصلون إلى اكتشاف أو ابتكار أو تطوير يدر عليهم ما يرضيهم من سمعة مجزية ، وقد يدر عليهم أو لا يدر ما يرضيهم من مال . هؤلاء هم الذين يتحقق على أيديهم مجد البلد وتقدم الحضارة الإنسانية . ولكن على أيديهم أيضًا يتحقق صنع السلاح المدمر الذى قد يقضى فى لحظة جنون على أكثر ما صنعه الفكر الإنسانى فى قرون طويلة . تلك هى الأسس التى بنى عليها العلم المعاصر المتفجر .

وعليها بنى أيضًا صرح الآداب والفنون المعاصرة ، وما فيها من تنوع وإبداع ، يغمرها جميعًا منهجية علمية تعلم الفرد أنه سيد نفسه ، قادر على أن يبتكر ، مدعو إلى أن يخطط وينفذ ، واثقًا من نفسه ، مؤمنًا بربه ، يعمل بموضوعية وأمانة علمية يظلله تحكيم العقل ومقاييس المنهج العلمى المستند إلى برهان تجريبى عقلى — عالمًا كان أو أديبًا أو فنانًا ، طبيبًا كان ،

أو مهندسا أو تاجرًا أو صانعًا أو زارعًا . كلهم فى النهج العلمى والأدبى سواء .

فإذا جئنا إلى وضع العلم والأدب فى العالم العربى ، فإنى أخشى إذا أفضت فى وصف صورتهما الهزيلة أن أشعر بالإحباط. تلك الفئة القليلة من الأدباء المبدعين ، والعلماء ممن حققوا إنجازات ذات قيمة عالمية فى مجال الابتكار أو الاكتشاف : أو التطوير . ولكن مهما يكن عدد هؤلاء القلة ، فإن عالماً عدد أبنائه يربو على مائة مليون ، لايكون حاله مرضيًا أن يقل كل من الأدباء والعلماء فيه عن مليون ، منهم ألف على الأقل يعملون على مستوى عالمى ويساهمون فى صنع الحضارة الإنسانية ، ويمدون العرب جسورًا فكرية مع العالم المتقدم .

غنى عن البيان أن تربيتنا وأجواءنا الفكرية والثقافية والإقليمية والطائفية تحتاج إلى تطوير كبير كى تصبح صالحة لنمو الإنتاج الأدبى والإنجاز العلمى على مستوى عالمى ، أى صالحة للسير مع التيار الفكرى العالمى لقد قامت النهضة الغربية ، فى أواخر القرون الوسطى ، فى نور الفكر العربى الإسلامى الذى أقامه أجدادنا فى رحاب الحضارة الإسلامية . ولكن كان قدرنا نحن أن تقوم الحضارة الغربية المعاصرة ونحن نغط فى سبات عميق . وعندما شرعنا ننهض من سباتنا ، فى أواخر القرن التاسع عشر ، ألفينا أننا غرباء فى العالم المعاصر ، فلا علمه ساهمنا فى صنعه ، ولا أجواؤنا الحاضرة تصلح له ، ولا تربيتنا الذهنية تلائمه ، حتى ولا لغتنا الموروثة تتسع لاستيعابه .

سيصدم قولى هذا أدباء يتغنون بلغتنا الجميلة ، وعلميين يتباهون بما أنجز الآباء وماذا يجدى التغنى والتباهى إن لم يعمد إلى تطوير مناهج حياتنا وتفكيرنا ، حتى لغتنا ، إلى أن تتلاءم مع طابع حياة اليوم المتطورة السريعة التطور ، الخاضعة للتطوير. إليكم مثلاً واحدًا يبين كيف وقفنا جامدين فى عالم سريع الحركة : التوقف فيه كالهبوط من شاهق . فعندما ابتكر الغرب الطباعة بحروف متحركة ، كان ما يزال يتلقى علومه من كتب عربية ، فقام الغرب بطباعة هذه الكتب العربية ، أما نحن فقد مكثنا بعدها فى الشرق ثلاثمائة سنة

ننسخ باليد، وكانت أول مطبعة وردت إلى مصر تلك التى جاء بها نابليون فى أواخر القرن الثامن عشر عندما شرعنا نطبع كتبًا طبعها الغرب من قبلنا بثلاثة قرون .

فى العصور الإسلامية الأُولى أعلى المسلمون صرح المنهج العلمى ، بأن جعلوا الاختبار والمشاهدة ركنًا من أركانه . لقد أدركوا أن التفكير جهد إنسانى متطور يتغير بتغير الزمان والمكان ، فنادوا بألّا رأى لميت ، لأن الماجنين مهما أبدعوا فإن تفكيرهم وإبداعهم لزمان غير زماننا وأحوال غير أحوالنا قالوا هم رجال ونحن رجال ونحن أدرى منهم بمايتلاءم بينها وبين أيامنا .لقد أوصوا بأن يقوم على رأس كل مئة سنة مجتهد يجدد ويطور ، حسب مقتضيات العصر ؛ فإن لم يقم مجتهد ، وجب على المجتمعات الإسلامية أن تعمل على إيجاده بالرعاية الحكيمة والتربية الهادفة .

ولو امتثل اللاحقون لهذه التوصيات لتغير مسار التاريخ الإسلامى ، بل تاريخ العالم بأسره . ولكن تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن . ولقد جرت الرياح وماتزال تجرى بما لا يشتهى دعاة تطوير الحياة الفكرية فى عالمنا العربى ، من أجل معالجة ما نعانى من سطحية وأزمة فكرية ، تحت ربقة ستار حديدى اسمه المحافظة .

باسم المحافظة على القديم ، وبدعوى أن آخر الأمر لا يصلح إلّا بما صلح به أوله ، تفكر أجدادنا للعلم باسم الدين ، والدين مما يصنعون براء ، واكتفى الأُدباء بالتبارى فى المدح والهجاء ، نفاقًا وبهتانًا ، والأدب والفن مما يفعلون براء وباسم الدين تقيدت الحرية الفكرية ، وأعلن الفقهاء الحرب على العلم ، وقد كان الإسلام أقوى دعوة إليه . وكما أحرق الغلوّ الأوربى علماء فى ظل محاكم التفتيش ، أحرق الغلو العربى كتب الفلسفة وأعدم أصحاب الرأى الحر ، بدعاوى ظاهرها الحفاظ على الدين وباطنها التنافس على موائد الولاة .

هذا ماجرى فى أواخر العصور الإسلامية قبيل انتقال القيادة الفكرية والسياسية إلى العالم الغربى . وفى غضون القرن التاسع عشر ، شرعنا نضيق وقد مثلت فى أذهاننا ذكريات عصور ماجدة مضت ، فأخذنا

نتغنى بأمجاد مضت ، من غير أن نحقق أمجادًا مستجدة ، وليس من السهل تحقيقها فى عالم يتطور بسرعة خاطفة ، ويتفجر فيه العلم تفجرًا فوق كل تصور ، فى حين أننا ما زلنا يمضى بنا الزمان ، وعيوننا إلى وراء ، تحن إلى الماضى ، وتتبرم بالحاضر ، وتخشى المستقبل ؛ ما زلنا ننظر إلى الغرب نظرة ريبة وخوف ، نتحاشى أن نفيد من تجربته ، وأن نتعمق أسباب ضعفنا وقوته .

إننى يا سادتى أعتز وارفع رأسى عاليًا بالشعر العربى ، الوجدانى منه والقومى والإنسانى ، وأعتز وأرفع رأسى عاليًا ، بآدابنا الحديثة ذات النزعة القومية ، والنزعة الإنسانية ، وأعتز أيضًا وأرفع رأسى عاليًا أتباهى بكل عربى أنجز فى البلاد المتقدمة إنجازاً متميزًا . ولكنى أتألم حسرة عليه إذا لم يجد فى بلده ما يمكنه من مثل هذا الإنجاز . إن ما أشكو لكم يا سادتى منه أنّ أجواءنا الفكرية هنا محافظة إلى حد يجعلها لا تتواءم مع تيار الحياة المتطور . إنها تقيم برزخاً بين الأدب والعلم يعرقل مسار كل منهما ، ويجعلنا نجمد فى وجه تيار فكرى دافق لا يلوى على شىء .

ما نحتاج إليه كى نخرج من جمودنا الفكرى منهجية علمية تضم تحت جناحيها أدباءنا وعلماءنا وكل مفكرينا على السواء منهجية تدفعهم إلى التخطيط والتطوير ، مؤمنين بالله ، واثقين بقدرتهم العقلية ، متطلعين إلى المساهمة مع المساهمين فى بناء مستقبل أفضل يأخذ فيه العرب والعروبة مكانة قومية وإنسانية تليق بتاريخنا الحضارى المجيد .

غنى عن البيان أننى ، رغم تبرمى بالحاضر وما فيه من سطحية وأزمة فكرية ، لأعتز كل الاعتزاز بما حققت أقطار عربية من انتصارات عسكرية وسياسية واقتصادية ومن خطوات موفقة نحو الوحدة العربية ، أمل كل مواطن شريف . فى تقديرى ، وحكمى الموضوعى أننا ، أدباءً ومتأدبين ما تزال أفكارنا وخيالاتنا ، تهيم فى الماضى القريب ، يوم انقلب الفكر والأدب مجرد شكليات جوفاء ومحسنات لفظية يحليها سجع وجرس ، ولا يدعمها فكر ، وصار

الشعر مديح نفاق وارتزاق ، وهجاء سخف ربهتان . أما العلم عندنا فمن مآسيه أن مناهج التعليم ماتزال هى هى التى رسمها الاستعمار ، وما طرأ عليها من تغيير إنما هو سطحى لايمس الجذور . ولا يصل إلى حد الاجتهاد الحر والابتكار .

إن الجو والتربة بقيا فى العالم الإسلامى ، والعالم العربى بخاصة ، على مثل ما كانا عليه فى أواخر العصور الوسطى : تفكير تقليدى مكرر معاد . وتعلم تلقينى يعتمد على الحفظ ويتنكر للاجتهاد . وأقوال وشعارات لايسندها واقع ولا دليل ، وتربة تتقبل الكلام المزوق الأجوف . ولا تعنى بالمضمون وترفض المنهج العلمى الموضوعى والمنطق العلمى الجرئ .

وما العمل ؟ أقول : إن علينا بالإضافة إلى تيسير نشر العلم بين العلميين والإنسانيين على السواء ، خلق الجو المناسب والتربة المناسبة لأن ينمو العلم ويشيع ويصبح طابع حياتنا والموجه الفعال لتفكيرنا . وتصوراتنا . وأن ينمو الأدب الحر المنبعث عن أصالة فى التفكير ورؤية نافذة وعلم غزير .

ثمة مبادئ وحقائق وأفكار ينبغى أن تشيع بيننا وتجرى فى حياتنا كما يجرى الدم فى عروقنا ، كى نحقق الجو والتربة اللازمين لتضافر العلم والأدب عندنا ، كى نساير تيار الحياة المعاصرة ونمضى مع الركب بعزة وكرامة فاعلين لا منفعلين ، خلاقين لا مقلدين ولا متطفلين . من هذه المبادئ والحقائق والأفكار :

١ – إن العلم هو بانى الحياة المعاصرة :

يمدها بسلاح السلم والحرب والجد واللهو ، وهو ملهم الشعراء والكتاب ، والأدباء ، يمدهم بالغذاء الفكرى ويدفعهم إلى الابتكار والإبداع ، مع إدراك للحاضر ومشارفة للمستقبل ، ومع تخطيط سليم لتحقيق ما يبغون وإدراك ما يأملون . بل إن العلم هو الذى يعلمنا كيف نعبد الله حق عبادته ، فى عالم يتراوح كالمجنون بين تقى الزاهد المتصوف ، وضلال الاحمق المفتون .

٢ – إن التطور هو سنة الله فى الكون :

كى تمضى الحياة دائمًا إلى الأفضل ، ويشارك الفكر ما هو أرقى وأشرف . من أجل ذلك وهبنا الله العقل ، الأفراد يولدون

ويكبرون ويموتون . وقد ينتاب الفرد ، أو المجموعة أو الأُمة بأَسرها ما ينتاب الأَفراد من عجز وهرم . ولكن الحياة بعامة في هذا الكون الرهيب ، سائرة أَبدًا بفضل الله إلى الأَحسن . والتطور قائم منذ الأَزل ، وماض إلى الأَبد . كان في الماضي يجري بطيئًا وهو اليوم يغذ السير بفضل العلم ، ويقضي إلى التطوير أي عمل العقل في تسريع التطور . والتطوير إنما هو عمل بإرادة الله ، ونجاحه يفضي إلى مزيد من الثقة بالنفس ومزيد من شكر الله .

وليس التطوير شغل العلماء والأُدباء وحدهم ، فكل مواطن مكلف بتطوير عمله إلى الأَفضل : المزارع في حقله يطور سنابل القمح كي تجود بعطاءٍ أغزر وأَجود ، والصانع في مصنعه يطور إنتاجه ليصير أَفضل وأَكثر ، والأَديب والكاتب والشاعر والناقد والمؤرخ يجددون ويبتكرون ، وينوعون . إن كل نجاح هو خطوة نحو نجاح أكبر .

٣ـ تطوير العلوم والمعارف :

قدرنا أننا نعيش في عصر تتفجر فيه العلوم والمعارف بسرعة مذهلة . فما إن تبتدع عملية جديدة أو تعرض فكرة جديدة حتى يهرع التكنولوجيون إلى استغلالها بابتكار جديد ، وليس هذا التفجر ، والتجديد مقصورًا على مستويات التخصص بل هو يمتد إلى الحياة اليومية ويدهم الناس في بيوتهم ومطابخهم ومجالي جدهم ولهوهم . الحاسوب الذي كان في أَوائل الستينيات حديث الجامعيين صار اليوم الشغل الشاغل في المصانع والمتاجر والمصارف والدوائر العامة والخاصة وماذا نقول عن وسائل الطباعة والتصوير والاتصالات والطائرات ؟ وماذا نقول عن عالمنا الواسع الذي غدا صغيرًا نرى فيه على شاشة التلفاز فتيان الشرق والغرب في تعاملهم وجدهم ولهوهم . الأَقمار الاصطناعية تعمل على توحيد العالم سلوكًا وعادات ، شئنا أَو أَبينا .

هذا يضعنا أَمام تحدٍّ لابد من مواجهته . ومواجهته لاتتم بالتنكر للعلم والتكنولوجيا ، بل بالتكيف معهما لأَنهما أَمر محتوم . وهذا التكيف يقتضي تغييرًا جذريًا في مفاهيم التعلم والتعليم وواجبات المعلم . فالتعلم عملية تمتد مدى الحياة . في الماضي قال فيلسوف : إنا أُفكر ، إذن أَنا موجود .

واليوم يقول كل فرد : أنا أتعلم . إذن أنا موجود . والتعليم لم يعد يقتصر على إنهاء مقرر محدد . إنما هو يعلم المرء كيف يتعلم وكيف يبقى على صلة بالمستجدات فى مهنته وميدان عمله . كى يبقى مواكبا لتيار الحياة المتدفق . والمعلم لم يعد الموظف الذى تخرج وقد شدا من العلم شيئًا فهو يعطيه للمتعلمين جيلًا وراء جيل . إنما هو متعلم تتزايد معلوماته يومًا بعد يوم . وتتسع خبراته – هو صاحب مهنة وصاحب رسالة حياته مكرسة لتبليغها .

أيها السادة : إذا كنا نخطط بجدّ لنكون فى صفوف الأُمم المتقدمة . فينبغى أن نتدارك ما فاتنا من عناصر الحياة المعاصرة أدباء وعلماء . إن تفجر المعرفة قد جعل أكثر المعارف التقليدية معلومات بدائية تجاوزها التطور العلمى ، أو مغلوطة ثبت أنها ليست على صواب . ومن ثم فمبادئ العلوم الأَساسية التى تعلمناها قد جعلها التفجر العلمى غير ذات موضوع . وما لم نبادر للتعلم سنبقى أكثر جهلًا ممَّا يقدر المقدرون . إن من المعلومات المحدثة ما لابد لكل مثقف أن يلم به ، علميا كان أو أديبًا أو لغويًّا .

إن لم نسهم فى تطوير الحياة المعاصرة فلا أقل من أن نتفاعل معها على نحو يحفظ بقاءنا ، وإن لم نفعل فأغلب ظنى أن الحياة المعاصرة ستخلفنا وراءها وتمضى قدمًا لا تنتظر .

أظننى أطلت عليكم أيها السادة . شكرًا لإصغائكم وسعة صدوركم .

والسلام عليكم

**أحمد سعيدان**

عضو المجمع المراسل ( من الأردن )

# عود لابن النفيس

للدكتور حسن على إبرهيم

فى المؤتمر الماضى تكلمت عن ابن النفيس فما أثار قولى ما يشبه الثورة بين أعضاء المؤتمر ويبدو أن ابن النفيس كانت له فى نفوسهم مكانة عظيمة، بل أقول ما يشبه التأليه هذا مع أنى كنت أقول كلاماً علمياً بحتاً ولم أقصد الإساءة إليه فقد كان عالماً كبيرا فى زمانه، وهو الذى تنبه إلى وجود دورة رئوية دموية وعرف أن الهواء يختلط بالدم فى الرئة، وأن ذلك لازم للحياة منذ أن قال جالينوس إن الروح تدخل إلى الجسم مع كل شهيق، والناس تعرف أن التنفس لازم لاستمرار الحياة، ولكن ابن النفيس أراد أن يفسر كيف يحدث ذلك داخل الصدر وهنا وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه كثير من الأطباء العرب وهو إعمال الخيال بدون تشريح أو تجربة هذا باستثناء أبى بكر الرازى، وحنين بن إسحاق، وأبى القاسم الزهراوى وابن زُهر.

فمن الواضح أن ابن النفيس لم يُشَرِّح القلبَ ولم يفتح حجراتِه وإلَّا لما قال إن البطين الأيسر يخرج منه شريانان لا شريان واحد وكلنا نعلم الآن أن هناك شرياناً واحداً يخرج من البطين الأيسر وهو الأورطى كما أنه جعل الشريان الرئوى يخرج من البطين الأيسر وقد أهمل تماماً ناحية كبرى وهو أن الدم الفاسد يأتى من شتى أنحاء الجسم ويصب من خلال الوريد الأجوف السفلى والوريد الأجوف العلوى فى الأُذين الأيمن ومنه إلى البطين الأيمن ومن هذا يخرج الشريان الرئوى حاملاً الدم الفاسد إلى الرئة ليتحد بالأُكسجين ويتخلص من ثانى أكسيد الكربون ثم يعود دماً أحمر نقياً من الرئة إلى الأُذين الأيسر ومنه إلى البطين الأيسر ويخرج من خلال الأورطى ليغذى سائر الجسم بالدم النقى. وابن النفيس

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الإثنين ٨ من شعبان سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٠ م.

معذور لأنه نظر إلى القلب فرأى أن الشريان الرئوى ظاهريًّا يميل ناحية البطين الأيسر فيخيل للرائى أنه خارج ن البطين الأيسر ثم إنه قال إن هناك جرمًا بين البطينين يتلطف فيه الدم قبل أن يدخل البطين الأيسر وهذا الجرم لاوجود له . والذى أثار المؤتمر أكثر ما أثار هو أنى قلت إنه كان يتخبط وقد عدلت هذه العبارة فى مقالى إلى « أن ما قاله ابن نفيس لم يكن صحيحًا بمقاييسنا الحالية » وربما كنت واقعًا تحت تأثير سيء ، فقد كنت أقرأ قبلها بقليل أن الإدريسى هو أول من رسم خريطة للكرة الأرضية وكل من عنده أطلس جغرافى كبير يرى فى مقدمته صورًا لخرائط للأرض منذ أيام اليونان وبطليموس بل فى الواقع أن الخريطة التى رسمها بطليموس للأرض أضبط من خريطة الإدريسى ثم إن الإدريسى رسم أكثر من خمسين جزيرة كبيرة بين أفريقيا والهند فأين هى هذه الجزر ؟ كذلك كنت أقرأ أن أحمد بن ماجد المعروف بأسد البحار هو الذى علم فاسكودى جاما كيف يدور حول رأس الرجاء الصالح وهذا غير صحيح

كما أنه هو الذى علم ماجلا نبعد ذلك كيف يدور حول الكرة الأرضية وقد قرأت كتابًا كبيرًا عن رحلة ماجلان وهو ما كان يكتب كاتب السفينة يومًا بيوم منذ تحضير السفن حتى إبحارها . ثم ما جَرَى يومًا بيوم حتى عودة سفينة واحدة فقط إلى إسبانيا بعد رحلة استغرقت ثلاث سنوات فلم أقرأ إشارة واحدة إلى ابن ماجد . وكان كاتب السفينة التى يدون الوقائع دقيقًا جدًّا فكان يكتب يوم الثلاثاء كذا فى شهر كذا فى عام كذا حدث هذا ثم يوم الأربعاء وهكذا . وقد قتل ماجلان كما تعلمون فى جزر الفلبين وعادت سفينة واحدة فقط من الثلاث بدون ماجلان . ولكن الطريف فى هذه الرحلة أن يوم وصول السفينة كان يوم الثلاثاء كما تدون وقائع السفينة ، ولكنهم وجدوا أنه يوم الأربعاء فى إسبانيا هذا مع عدم الخطأ إطلاقًا فى التدوين وقد شغلت هذه الظاهرة عقول العلماء مدة طويلة فلم يكونوا يعلمون فى ذلك الوقت أن هناك خطًّا اسمه خط الزمن الدولى وهو يعبر المحيط الهادى من الشمال إلى الجنوب وهو خط ١٨٠ درجة دولى والذى يعبر هذا

الخط من الغرب إلى الشرق إلى الغرب يكسب يوماً والذى يعبره كما فعل ماجلان من الشرق إلى الغرب يفقد يوماً من عمره .

اعذرونى لخروجى عن الموضوع ، والآن أعود إلى ابن النفيس ونحن كعرب كان عندنا علماء كبار لنا أن نفخر بهم ومنهم ابن النفيس طبعاً ولكن أرجو أن يكون ذلك الفخر فى حدود العلم والمعقول ، والآن لأرضيكم سأعود إلى كتاب شرح تشريح القانون لابن النفيس ، فقد أصاب الرجل فى نواح عدة أذكر منها بعض الأمثلة :

يقول تعليقاً على كلام ابن سينا : « كل عضو فلابد وأن يكون فى جرمه خلل ينفذ فيه الغذاء إلى عمقه وهذا الخلل إن لم يكن محسوساً سمى مساماً ويسمى ماكان خلله من العظام كذلك مُصْمتا لأنه مُصْمت فى الحس وإن كان ذلك الخلل محسوساً . فإما أن يكون متفرقاً فى جرم العضو كما فى عظم الفك الأسفل فيسمى ماكان كذلك من العظام هشا ومُتَخَلْخِلًا أو لا يكون متفرقاً فى جرمه ، بل مجتمعاً فى موضع واحد فيسمى ماكان العظم كذلك مجوفاً

وكل عظم فإما أن يكون صغيراً جداً ، كالأغلة ، بل كالعظام السمسمانية Sesamoid Bones فلا يحتاج فيه إلى تجويف محسوس لأن هذا لصغره يتمكن الغذاء من النفوذ إلى قعره بسهولة لقصر المسافة .

هذا الكلام فى جملته صحيح ولو أن لى – كطبيب يعيش فى القرن العشرين – تعليقاً وهو أن عظم الفك الأسفل من أقوى العظام وأن التجويف الذى فيه يسير بطوله تحت كل الأسنان والغذاء لا يأتى إليه من وسطه كما يقول ابن النفيس ، بل يأتى إليه من زاويته الخلفية على الناحيتين ومن الغشاء المُخَاطِى الذى يغطيه والتجويف الذى فيه لم يوجد لكى يكون خفيفا فعضلات الفك من أقوى عضلات الجسم وهى تستطيع أن تحمل أضعاف أضعاف وزن الفك . فالتجويف الذى يوجد بداخل الفك بطوله يسير فيه الشريان الفكى ، والأوردة الفكية وهو المصدر الرئيسى لتغذية الفك والأسنان والقناة التى يسير فيها اسمها القناة الفكية Mandibular Canal .

كذلك أعجبنى فى كلام ابن النفيس وجود العظام السمسمانية التى قال ابن سينا

أنها موجودة بين الأصابع وفى أوتار الأصابع أو بين السُلاميات ، ولو أن إنكاره لها لم يكن مبنيًا على تشريح إذ قال إنه يعتقد أنها غيرُ موجودة وفى الواقع توجد عظمة سمسمانية واحدة فى يد الإنسان داخل الوتر للعضلة القابضة للإبهام وهذا الكلام لن يتغير لأنه مبنى على التشريح الدقيق لآلاف الأيدى إلّا إذا ظهرت فصيلة جديدة من البشر .

كما أحسن ابن النفيس عند كلامه عن العظم اللامى فى الرقبة Hyoid Bome فوصفه بأنه علاقة وهذا صحيح لأن كثيرا من عضلات الفك والرقبة تنشأ منه ؛ وهناك عضلات خاصة لتثبيت العظم اللامى فمثلًا أهم عضلة لفتح الفم هى الذقنية اللامية Geno Hyoid Muscle فعند فتح الفم للأكل أو للتثاؤب مثلًا تعمل هذه العضلة وقد وجب عند هذا الشد من أسفل على العظم اللامى وإلّا ارتفع إلى أعالى ولم ينزل الفك فتتقلص العضلات المرتبطة بالعظم اللامى من أسفل وتحفظه فى مكانه كما يعجبنى قوله التالى فى العظام وأنقله حرفيًا :

والتجويف يقل إذا كانت الحاجة إلى الوقاية أكثر ويكثر إذا كانت الحاجة إلى الخفة أكثر . هذا يُعْتبر بحسب الأُمور :

أحدها : اختلاف نوع عظام البدن الواحد فإن عظم الساق يحتاج إلى الخفة أكثر من عظم الفخذ لأن حاجته إلى الحركة أكثر من حاجة عظم الفخذ .

ثانيها : اختلاف الأبدان فى القوة فإن البدن الذى عضله ضعيف الخلقة يحتاج أن تكون عظامه أخف لِتُمَكِّن القوة الضعيفة ولا كذلك البدن القوى .

ثالثها : اختلاف الأبدان فى السن فإن الشيخ تضعف قوته عن تحريك الثقل ، فتحتاج أن تكون عظامه أخف وذلك يحصل بسبب تخلخل عظامه لقلة اغتذائها ( هذه الظاهرة نسميها الآن تخلخل العظام فى الشيوخ Senile osteoporosis ولو أن سببها ليس قلة التغذى كما قال ) .

رابعها : اختلاف نوع الحيوان ، فإن الحيوان الشديد البطش كالأسد يحتاج أن تكون عظامه شديدة القوة ، إنما يكون كذلك إذا لم يكن تجويفها كبيرًا . هذا

الكلام فى جملته صحيح وليس من المنتظر بالطبع أن يعرف ابن النفيس الهرمونات المسئولة عن هذا .

أما عند كلامه عن عظام الجمجمة يقول مصححا ما قاله ابن سينا « الجواب : أما ما قيل عن الأمر الأول فإننا وإن سلمنا أن الأجزاء التى يجب تخلخلها من عظم الرأس يَقِل قبولها للآفات الخارجية بما قلتم لكنها لا محالة شديدة القبول لمثل العفونة ونحوها وهذا كلام صحيح .

ويقول : « ولعل الذى رأسه من عظم واحد قد كان فاسد الذهن ردئ الأخلاق لأجل احتباس الأبخرة الكثيرة فى دماغه » وهذا كلام غير صحيح لأن هذه الحالة تعرف الآن بتضيق الجمجمة Craniostenosis ولا توجد أبخرة تتصاعد من الدماغ لتحتبس ولكن فساد الذهن يأتى من نقص نمو المخ فى هذه الحالات .

سادتى .. لن أطيل فالكتاب طويل جداً وهكذا يمضى ابن النفيس يصيب مرة ، ويخطئ مرة ، ولكنه مفكر عظيم بلا شك ويكفيه فخراً أنه أصاب تماماً فى كثير من المواضع ،

وقبل أن أختم كلامى أذكركم بما قلته عن ابن سينا فى أول مرة تكلمت عنه وعددت أخطاءه فقد قلت : ترى ماذا يقول الأطباء بعد ألف سنة إذا قرأوا كتبنا التى نتداولها وندرسها الآن ؟ إنهم فى الغالب لن يفهموها وإذا فهموها فسوف يضحكون من جهلنا هذا إذا لم يقض الإنسان على نفسه بأطماعه وغبائه قبل ألف سنة بكثير .

إن عيب الأطباء القدامى أنهم لجأوا إلى التفكير البحت دون تشريح جيد ، أو تجربة والطب الحديث قام على التشريح الدقيق والتجارب والعلم الكامل بالكيمياء الحيوية ووظائف الأعضاء وهى أسس الطب الآن .

أيها السادة .. أشكركم مرة أخرى لحسن استماعكم لهذا الموضوع الجاف وإنى عندما أتكلم عن الطب فإنما أقول كلاماً موضوعياً حيادياً فأنا لا أحارب أحداً أو أحابى الآخر وشكراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**حسن على ابراهيم**
عضو المجمع

# القرآن وتعريب الإنسان

## للأستاذ علي رجب المدني

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الأمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وعلى آله وأصحابه ومن تبعه إلى يوم الدين

من السهل على الباحث المتعمق فى أهداف القرآن وتوجهاته أن يدرك حقيقة أن القرآن قد أرسى أول ما أرسى مجموعة من التعاليم التى أوجب اعتبارها من المسلمات ومن أهمها ما يلى :

١ – أنه آخر كتب الله المنزلة ، الجامع لخلاصة تعاليمه إلى الإنسانية جمعاء لا إلى قوم بعينهم .

٢ – أنه خاطب الناس ( كل الناس ) بقوله : « يٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وجعلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ » ، وقوله : « يٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » .

٣ – أنه انطلق من مبدأ استنكار كل ما من شأنه أن يفرق بين إنسان وإنسان من عرق ولون أو انتماء عصبى أيًا كان مأتاه .

٤ – أنه تجنب مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم بنسبته إلى العرب ، ولم يورد للعرب ذكرًا إلا فيما تحدث به عن الأعراب فى بضع آيات ، ولكنه تحدث عن القرآن ذاته بقوله : « نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ،

---

( * ) ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الإثنين ٨ من شعبان سنة ١٤١٠ الموافق ٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٠ م .

على قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » وفى آية أخرى : « وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا » ، « قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ » .

٥ – أن حكمة الله شاءت أن يختار صاحب رسالة القرآن من العرب المستعربة التى تنحدر من صلب إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام وتتصل بالدم العربى من طريق زوج إسماعيل الجرهمية القحطانية « دعلة بنت مضاض » التى أنجب منها اثنى عشر ولداً من بينهم عدنان الذى ينتهى إليه نسب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ووصله بالدم المصرى عن طريق الأميرة المصرية الجدة هاجر زوج إبراهيم وأم إسماعيل عليهما السلام وبذلك وصل خاتم رسله بعدد من الأعراق ليكون مؤهلاً للرسالة العظمى الجامعة التى تخاطب جميع الناس دون نظر إلى الإعراق والانتماءات ومهد بكل ذلك لفكرة الدمج المستهدف برسالة محمد تحت لواء قومية واسعة مشتركة هى قومية العقيدة الإيمانية التى تنحدر عن تعاليم القرآن المنزل بلسان عربى مبين .

وبذلك يتحقق ما استهدفه الله بقوله عز من قائل : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » ، وقوله : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى » فتحدث فى الآيتين عن ذكر واحد هو آدم وأنثى واحدة هى حواء ، والمنحدرون عادة من أب واحد وأم واحدة يعدون إخوة لا يستقيم القول بأن فارقاً من لون أو عنصر أو غيرهما من شأنه أن يفرق بينهم أو يحول دون تعارفهم ، وامتزاجهم والتقائهم على صعيد الأسرة الواحدة .

٦ – أن القرآن يقوم على شتى التعاليم والإعجاز وإذا جاز أن يقال إن التعاليم قابلة للترجمة إلى لغات غير العربية فإن إعجازه المتمثل فى صياغته المتميزة وما تنطوى عليه من إيماءات وإشارات وصور لا يتسنى لأقدر المترجمين أن ينقلوا شيئاً منها إلى لغة أخرى ، هذا الإعجاز الذى يشكل الركن الركين فى تأثيره وهدايته وأخذه

بمجامع القلوب والعقول معًا :لابد للإحاطة به من الإحاطة باللغة العربية الفصحى وإجادتها إجادة تتيح للناطق بها أن يستوعب تلك الدقائق المعجزة التي تطرد عنه كافة الشبهات والشكوك التي تضعف الإيمان القلبي وتنزل به إلى الدرجة التي لاتؤهل صاحبها لأن يسلك في عداد المؤمنين الصادقين الذين التزم الله لهم بالنصر والدفاع عنهم وبأن لا يجعل للكافرين عليهم سبيلًا .

ولقد أكدت أحداث التاريخ في صدر الإسلام أن تعميم التعليم والتعلم للغة العرب كان يواكب حركة الانتشار للدعوة الإسلامية في مختلف الأمصار مما أهل تلك الأمصار لأن يستوعبوها ويتكلموا بها على نحو جيد مكنهم من تلاوة القرآن بلغته وفهم مكنونات إعجازه حتى برز منهم جهابذة من أمثال سلمان الفارسي والأئمة أبي حنيفة النعمان والبخاري وسيبويه ، وابن جني وابن العميد والصاحب بن عباد وأبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني وبشار بن برد وعبد الحميد الكاتب ، وأبي نواس وابن الرومي والطغرائي وابن سينا والإمام الغزالي وابن الحاجب الذين كانوا من الأعاجم (عدا ابن جني فكان يونانيًا) وغيرهم ممن عدوا بالآلاف حذقوا اللغة العربية وتبحروا في علومها وألفوا بها العديد من المؤلفات القيمة التي ساهمت في نشر حضارة الإسلام وأمجاده وفتوحاته وحفظ تراثه .

٧- يتبين من الأرقام المتقدمة أن اللغة العربية قد رشحها الله ضمنًا (باعتبارها لغة كتابه المنزل للإنسانية كافة ) أن تكون هي أيضًا لغة الإنسانية كافة ، وارتفع بالانتماء العربي عن مفهوم الانتماء القومي الضيق القائم على التميز العرقي أو القبلي أو العنصري إلى مستوى القومية الإنسانية العامة التي تنادي بأن كل إنسان أخ للآخرين دون أية فروق ، وأن ما بين الشعوب من فروق موروثة مرشح بنزول القرآن وانتشار دعوته للاضمحلال التدريجي الذي من شأنه أن يجعل الرباط بين المسلمين لايختلف عمّا كان يربط أباحنيفة والبخاري وسيبويه وابن جني بالمجتمع العربي المسلم . ويؤكد القاعدة التي أرساها محمد صلى الله عليه وسلم في

حديثه المشهور تلك القاعدة التى تقضى بأن العربى من يتكلم لغة العرب وذلك فيما أورده ابن عساكر من قوله صلى الله عليه وسلم : « ليست العربية فى أحدكم من أب أو أم وإنما هى لسان فمن تكلم العربية فهو عربى » .

والمؤمن بالقرآن عندما يستوعب هذا التحليل لا يتردد فى التخلى عن كل ما يفرقه عن المجتمع العربى أو يجعله فى موضع الغريب عنه ، وبذلك يتحقق الهدف الأسمى للرسالة العامة التى اتخذت شعاراً لها قول الله تعالى فى القرآن : « إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » .

٨ – والحق أن الله رشح البشرية للتآخى فى ظل الأمة الواحدة من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن ، وذلك بأن جعل الإسلام ديناً أوحد لكافة الرسل وهو ما ورد صريحاً فى سياق العديد من آيات القرآن الكريم فمن قوله تعالى : « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ . . » إلى قوله عز من قائل : « مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . . » إلى قوله عز من قائل على لسان رسوله نوح عليه الصلاة والسلام : « فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » إلى قوله جل شأنه فيما يحكيه عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : « وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » ، وقوله عز وجل : « وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا : نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » ، ثم قوله على لسان رسوله يوسف عليه الصلاة والسلام : « رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

بِالصَّالِحِينَ » ، وقوله عز وجل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام : « يَا قَوْمِ إِنْ كُنتُم آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُّسْلِمِينَ » ، وقوله عز وجل على لسان سليمان، فى رسالته إلى بلقيس ملكة سبأ : « إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ » ، وقوله على لسان سليمان عليه السلام أيضًا فى حديث النملة : « فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا من قَوْلِهَا وقَالَ : رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » .

وقوله عز وجل على لسان بلقيس : « وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ ربِّ الْعَالَمِين » وقوله سبحانه وتعالى على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام : « فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ : مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » إلى قوله عز شأنه : « وَمَن يبتغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » .

وعلى هذا يمكن القول بعدم جواز الادعاء بوجود أديان سماوية أُخرى بغير الإسلام لأن فى مثل هذا القول منافاة صريحة للنصوص القرآنية المتقدمة .

ولقد اتفق المفسرون على أن ما ورد فى خاتمة سورة ( الكافرون ) من قوله تعالى : لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » يقوم على نفى الاعتراف من الله بدين غير الإسلام ، وأن هذا النص إما أنه ورد فى سياق الجدل والتهكم أو أنه «وهو الأقرب إلى الصواب » يريد بالدين الجزاء فكأنه يقول : « لكم جزاؤكم ولى جزائى » إذ أن كلمة دين تطلق ويراد بها الجزاء ومنه قوله تعالى : « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » ، أى يوم الجزاء وهذا التحليل من شأنه أن يجرنا إلى القول بخطأ كل أولئك الذين درجوا على التحدث عمّا يسمونه الأديان السماوية ، إذ لا يليق أن يرد مثل هذا التعبير مع علمنا بأن الدين عند الله الإسلام وأنه دين جميع الرسل .

وإذا تلونا قوله تعالى فى القرآن المجيد : « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَٰذِهِ

أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُم فَاتَّقُونِ » فإننا نوقن بأن الله استهدف وحدة الشعوب الإنسانية وجعلها أمة واحدة منذ أن بعث أبانا آدم عليه السلام بدعوة الإسلام ، وفقًا لِمَا ورد بقوله تعالى : « وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » سورة يونس الآية ١٩ وقد ذكر المفسرون أن الناس كانوا أمة واحدة على دين الإسلام منذ آدم عليه السلام إلى عهد نوح عليه السلام ، ثم من عهد إبراهيم عليه السلام إلى عهد عمرو ابن لحيّ الذى أورد الكلبى فى كتابه ( الأصنام ) أنه أول من أدخل فى العرب عبادة الأصنام بعد أن كانوا على دين إسماعيل عليه السلام ، وكان عمرو هذا يتولى الحجاجة على الكعبة وقد استورد عبادة الأصنام من وادى الأردن عندما ذهب إليه فى زيارة .

وفى قوله تعالى : « لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا » إشارة إلى أنه وإن كانت الأديان السماوية لا تتعدد وإنما تنحصر فى دين واحد هو الإسلام بالنسبة لكافة الرسل إلا أن لكل من أولئك الرسل شريعته . فالشرائع تعددت أما الأديان فلا وليس ثمة من دين سماوى غير دين الإسلام .

ولئن لم يكن الله قد أوجب عالمية اللغات التى نزلت بها الكتب والصحف على الرسل السابقين لانتفاء عالمية دعوتهم وقصرها على شعوبهم تمهيدًا للرسالة العامة العظمى التى اختار الله لها محمدًا صلى الله عليه وسلم ، ولأن هؤلاء الرسل كانوا قد زودوا بمعجزات مادية حسية كتلك التى زود بها إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومن قبلهم نوح وهود وصالح ويونس ، وغيرهم ، فإن الأمر مختلف بالنسبة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم العامة لجميع البشر فإن الله اقتضت حكمته أن يقصر معجزة محمد على ما أودع القرآن من إعجاز يتفق مع ما انتهى إليه أمر البشرية من تطور عقلى وتهيؤ لاستيعاب المعجزة التى تخاطب العقل المستكمل لنضجه ، حتى تكون ملتقى وملاذًا لكل شعوب الأرض التى تتحد فى ميزة العقل الذى أراد الله أن تقوم وحدة المجتمع الإنسانى وحضارته على أساس منه .

وعلى ذلك فإن تعلم لغة القرآن حق من حقوق الإنسان أينما كان يتحد مع التزامه باستيعاب تعاليم القرآن وإعجازه ويجعل تعميم وتعليم هذه اللغة واجبًا قدسيًا على جميع المؤمنين بالقرآن وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

ولو تحقق للإنسانية هذا الحلم لسلمت من جميع الشرور التى حاقت بها وأسباب التطاحن التى هيمنت على حياتها طوال القرون الماضية التى تلت نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، ولوقوف الإخاء على مجتمع إنسانى واحد لا يحمل فى داخله شيئًا من أسباب التناحر والتصادم ويتمتع من الإيمان بالله بالقدر الذى يؤهله لنصرته ودفع الأذى عنه وفق ماتعاهد به فى العديد من آيات كتابه كقوله سبحانه: « وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ »، وقوله: « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ »، وقوله: « إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا »، وقوله: « وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا »، وقوله عز شأنه: « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » صدق الله العظيم. إلى غير هذا من الآيات العديدة التى وردت فى هذا المعنى.

وخلاصة القول أن الإيمان هو سبيلنا الأوحد لاكتساب مرضاة الله وحمايته وأمنه ونصرته، ولا سبيل إلى نمط الإيمان الذى يؤهل الإنسان لذلك إلا بالاقتناع العقلى والانصياع الوجدانى اللذين لن يتحققا لأحد بدون قراءة القرآن بلغته وبتضلع فيها يؤهل القارئ لإدراك مكامن إعجازه وأبعاد ما ترمى إليه آياته.

فإذا تسابق الناس إلى تعلم العربية وتحرى الدقة فى النطق بها والقدرة على الغوص إلى مكنوناتها فإن ذلك من شأنه أن يحقق هدفًا مزدوجًا يتمثل فى سهولة الوصول إلى منبع الهداية الذى تلتقى حوله العقول والمشاعر بالقدر الذى يرتقى بمطامح الإنسان ويسمو به إلى مرتبة من الصفاء والروحانية يتخلص بها من نوازع الشر فيه ويتأهل بها لمفهوم المحبة والمؤاخاة،

والبحث عن السلام واجتناب أسباب العداوة والبغضاء والتناحر. وهو الهدف الذى تتركز فيه أنظار الفلاسفة ودعاة الفضيلة والإصلاح فى كل زمان ومكان.

وهنا أرى أن أعرض خلاصة ( مشروع الصندوق العالمى لتعميم لغة القرآن )

إنه مشروع يقوم على الاستفادة من مستحدثات العلم والتقنية فى تيسير إيصال فرص الإلمام باللغة العربية إلى كل الناس دون استثناء، بدءًا بفئتى العرب والمسلمين اللتين يتحتم أن تنهدم بينهما الأسوار، والحواجز وتنصهرا فى بوتقة العروبة كأنموذج متحضر ومتمكن من قيم الأخلاق والمروءة والمسالمة والتحضر، والبحث عن المحبة بالقدر الذى يستهوى كل فئات المجتمع الإنسانى المتعطشة لكل ذلك ويستميلها إلى نفس السبيل، ويجعلها تتعشق من تلقاء نفسها تعلم لغة القرآن حتى تدرك معنى الإخاء ووحدة الأسرة اللذين يدعو إليهما القرآن فيما مر من آيات وفى غيرها مما لم يرد ذكره.

## الصندوق الدولى لتعميم اللغة العربية الفصحى

إن مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذى يضم النخبة الممتازة من أعلام العربية المتمكنين فيها والمتمتع بالشهرة العالمية التاريخية التى ترتفع به إلى مصاف أعلى الأكاديميات العلمية المتخصصة فى العالم المعاصر هو الهيئة المؤهلة لتبنى الدعوة، والعمل على تحقيق فكرة هذا الصندوق الذى سيتكفل بتوفير الموارد اللازمة للاتفاق على برنامج يبدأ بإعداد أحدث الوسائل التعليمية المتمثلة فيما يتسنى استخدامه من وسائل تقنية وتجنيد العلماء المتخصصين فى حقل اللغة العربية الذين يتكفلون بما يتاح تقديمه لهم من تلك الوسائل بإيصال معلوماتهم إلى كل مستمع أو مشاهد فى أطراف الأرض كلها، مستخدمين أحدث وأيسر ما وصلت إليه الأجهزة النظيرة فى مضمار تعليم اللغات فى الدول المتقدمة التى دأبت على تبسيط برامج تعليم لغاتها على النحو الذى نسمعه كل يوم من محطات إذاعة تلك الدول، وما نشاهده فى الأشرطة المسموعة والمرئية التى دأبت على تعميمها ووضعها تحت تصرف كل من يطلبها فى

جميع أرجاء المعمورة . ولسنا فى هذا الصدد بأقل استعدادًا وقدرة من غيرنا .

وإذا كان المجمع يتحرج من أن يكون له دور ذو طبيعة مادية فإنه لا أقل من أن يصدر مباركته لهذا المشروع والتوصية لتنفيذه بالاستعانة بهيئتى اليونسكو الدولى والعربى واقتراح تشكيل هيئة خاصة به تعمل تحت إشراف كل من المجمع ، واليونسكو مكونة من شخصيات تشتهر بكفاءتها ونزاهتها وإيمانها بأهداف هذا المشروع .

وواضح أن هذا المشروع إنما يقوى على الوقوف على قدميه إذا ما اتجهت إليه الحكومات العربية والإسلامية باهتمامها وأولته من إيجابيتها القدر الذى يستحقه .

لذلك

أرجو أن يتفضل مؤتمر المجمع السادس والخمسون الموقر بأن يصدر توصيته بتأييد المشروع على النحو المتقدم .

وشكرًا ،

**على رجب المدنى**
**عضو المجمع ( من الجماهيرية الليبية )**

# منهج طه حسين في الدراسات الأدبية

للدكتور شوقي ضيف

يعد طه حسين الرائد الفذ للدراسات الأدبية العربية فى القرن العشرين ، وعوامل مختلفة تضافرت فى إحلاله هذه المنزلة الرفيعة ، ولكى تتضح لنا ينبغى العودة إلى تكوينه الأدبى فى نشأته الأولى حين كان طالبًا بالأزهر منذ السادسة عشرة من عمره وكان يختلف إلى دروس الشيخ "سيد المرصفى ، وفيها كان يدرس لطلابه نصوصًا فى ديوان الحماسة لأبى تمام وكتابى الكامل للمبرد والأمالى لأبى على القالى ، وكان يملى عليهم شروحًا لما يقرأ ونظرات لغوية ونقدية ، من شأنها أن تكوّن فى الطلاب ملكةَ الكتابة وتذوقَ الأدب والفقه باللغة وجودة اللفظ ورصانة الأسلوب.

وافتتحت الجامعة المصرية الأهلية سنة ١٩٠٨ فانتسب إليها ، وكانت قد دعت إليها طائفة من المستشرقين فى إيطاليا وفرنسا وألمانيا ليحاضروا بها فى قسم الآداب ، وكان بينهم جويدى الذى عنى بعرض الأدب الجغرافى والتاريخى ، وناللينو الذى عنى بعرض تاريخ علم الفلك عند العرب ثم بدراسة تاريخ الأدب العربى فى العصرين الجاهلى والأموى ، وسانتلانا الذى عنى بدراسة الفلسفة الإسلامية ، واليونانية ، وليتمان أستاذ اللغات السامية ، وعنى بدراسة تاريخ الفلسفة . وظل طه حسين يستمع إلى محاضرات أستاذه المرصفى فى الصباح ، كما ظل يذهب فى المساء لاستماع هؤلاء المستشرقين .

واستقر فى نفس طه حسين مبكرا أنه ينبغى فى دراسة الأدب العربى الانتفاعُ بطريقة شيخه المرصفى التى تعين على تكوين

---

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة السابعة من جلسات المؤتمر (جلسة علنية مسائية) المنعقدة مساء يوم الإثنين ٨ من شعبان سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٠ م .

الملكة الأدبية عند الطلاب وتصقل أذواقهم بما تعرض من النقد اللغوى وبيان الدقائق والأسرار البلاغية ، والانتفاعُ مع ذلك بطرق المستشرقين فى دراسة تاريخ هذا الأدب فى الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم والفكر . لابد إذن فى دراسة الأدب من الأخذِ بطريقة المرصفى التى تساعد على فهم النصوص الأدبية وتذوقها تذوقًا حسنًا والأخذِ بطرق المستشرقين لاستنباط التاريخ الأدبى لهذه النصوص ومَنْ أنتجها من الشعراء والكتاب .

وما توافى سنة ١٩١٤ حتى يضع طه حسين رسالة يحصل بها على درجة العالمية من الجامعة المصرية الأهلية اتخذ موضوعها دراسة أبى العلاء المعرى مفيدًا فيها من طريقة شيخه المرصفى فى فهم الشعر وتذوقه ومن طرق المستشرقين فى دراسة تاريخ الأدب دراسة تعين على فهم المؤثرات السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والعقلية فى العصر كله ، ويوضح تأثره العميق بطرق المستشرقين فى دراسته لحكيم المعرة ودرتها الفريدة قولُه فى فواتحها :

«ليس الغرض فى هذا الكتاب أن نصف حياة أبى العلاء وحده ، وإنما نريد أن ندرس حياة النفس الإسلامية فى عصره ، فلم يكن لحكيم المعرة أن ينفرد بإظهار آثاره المادية والمعنوية وإنما الرجل وما له من آثار ، وأطوار نتيجة لازمة وثمرة ناضجة لطائفة من العلل اشتركت فى تأليف مزاجه ، وتصوير نفسه من غير أن يكون له عليها سيطرة أو سلطان ، من هذه العلل المادى والمعنوى وإذا صح هذا كله فأبو العلاء ثمرة من ثمرات عصره ، قد عمل فى إنضاجها الزمان والمكان والحال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية » .

وما يلبث أن يعلن فى التمهيد أن مورخ الأدب الذى لا يؤمن بالمذاهب الحديثة ولا يصطنع فى البحث طرائقه الطريفة ، ولا يطمئن إلى أن الحركة التاريخية جبرية ليس للاختيار فيها مكان لا يستطيع أن يوفّى دراسة أبى العلاء حقها فى رأيه . والمهمّ إعلانُه جبريةَ التاريخ الأدبى وأنه ثمرة علل ينبغى تبينُها فى دراسته ، وحار بعض الباحثين فى استشعار طه حسين لهذه الجبرية وتساءلوا هل اطلع على آراء تين

الناقد الفرنسي وما ذهب إليه من جبرية التاريخ الأدبي وجبرية علله المؤثرة في سماته وخصائصه . ولا موضع لهذا التساول ، فقد أعفانا هو نفسه من تعليل ذلك بما ذكر من أنه يتبع فيه فلاسفة أوربا والمسلمين ، أما فلاسفة أوربا فَمَنْ ذكره له منهم أساتذتُه المستشرقون ولا نعرف هل كان بينهم تين أو لم يكن ، وأما فلاسفة المسلمين فلعله يقصد ابن خلدون وما ذهب إليه من الجبرية التاريخية في فلسفته الاجتماعية بمقدمته المشهورة .

وبذلك يرسم طه حسين منهجه في دراسة تاريخ الأدب العربي ، فهو ليس سردًا لأخبار من هنا وهناك عن العصر وأدبائه ، بل هو دراسة جادة للأدب وأدبائه وللعوامل والمؤثرات الحتمية التي تتحكم فيه وفي منتجيه وما ينتجون من آثار أدبيه ، حتى ليقول : « إن الحادثة التاريخية والقصيدة الشعرية والخطبة يُجيدها الخطيب والرسالة ينمّقها الكاتب الأديب ، كل أولئك نسيج من العلل الاجتماعية والكونية يخضع للبحث والتحليل خضوع المادة لعمل الكيمياء » . وقد يكون طه حسين مسرفًا في تصور هذه الجبرية التي تشمل جميع الأُدباء في العصر دون أي تفريق بين أديب وأديب ودون أي مراعاة لفردية الأديب ومواهبه الذاتية ، غير أنه كان من الضروري وهو يضع — لأول مرة — قواعد التاريخ للأدب العربي وأُدبائه أن يقرع أسماع من يحاولون التصدى لدراسة هذا التاريخ بأن واجبهم أن يعكفوا على دراسة المؤثرات البيئية والسياسية والاجتماعية والعقلية والحضارية في العصر وفي أدبائه وما أنتجوا من شعر ونثر ، ويوضحوها توضيحًا تامًّا ، ومن الخير أن لا يعطوها صفة الحتم والجبر والإلزام ، ولكن لابد من استقصائها حتى تستبين سمات الأدب في العصر والعوامل التي تفاعل معها استبانة كاملة .

وجعل طه حسين الرسالة في تمهيد وخمس مقالات ، وتحدث في التمهيد عن مصادر الدراسة العربية القديمة والحديثة ومصادرها الإنجليزية والفرنسية ، وفي المقالة الأُولى عرض زمان أبي العلاء ومكانه وشعبه ،

وموضع عصره من العصور العباسية ملاحظًا أن ربط مؤرخي الأدب العربي بين السياسة والأدب يجر إلى حيف شديد ، لأن الدولة قد تضعف ويظل الأدب مزدهرًا ولا يزال هناك من يردد هذا الرأي ، غير أنه من الصعب وضعُ بديل سوى السياسة للعصور الأدبية ، وهي في واقعها رمز ، لأن العصور الأدبية لا تنشأُ فجأة ولا هي تنشأ بمراسيم سياسية ، إنما تنشأ تدريجًا وتتخذ حادثة سياسية كبيرة رمزًا لنشأتها على نحو ما صنعنا باتخاذ سنة ١٣٢ للهجرة بدءًا للعصر العباسي ، وكانت مقدماتُه بدأت قبل هذا التاريخ بسنوات غير قليلة — ويعرض طه حسين في المقالة الأولى أيضًا الحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية والعقلية والفلسفية والأدب في العصر والعلوم الأدبية واللغة .

وفي المقالة الثانية يتحدث عن حياة أبي العلاء فيعرض قبيلته وأُسرته ومولده واسمه ولقبه وكنيته وتربيته وتعليمه ، ومراحل حياته وأحداثها مفصَّلةً غاية التفصيل . ويتناول في المقالة الثالثة أدبه وشعره في سقط الزند واللزوميات والدرعيات ونَثْرَه وأطواره وخصائصه . وفي المقالة الرابعة يعرض علمه وكتبه . ويتحدث في المقالة الخامسة عن فلسفته الطبيعية ، والإلهية والعملية وخصائصه الفلسفية .

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هذه الرسالة تعد بدء التاريخ الدقيقِ لوضع الأُسس القويمة لتاريخ الأدب العربي ، بحيث يدرس دراسة علمية سديدة كما يدرس أعلامه دراسة تحليلية تتبين فيها روح العصر بكل مشخصاته الزمانية والبيئية ، وبعبارة أُخرى بكل مؤثراته — أو كما يقول بكل علله البيئية والسياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والعقلية ، وقد جلَّى شخصية أبي العلاء جلاءً تامًّا وصور منزلته الأدبية والعلمية والفلسفية تصويرًا بالغ الدقة ، ومهما اختلفنا معه — أو اختلاف بعض المعاصرين — إزاء بعض أحكامه عليه وخاصة على فلسفته وآرائه العقلية فإن هذه الرسالة تؤرخ — كما أسلفت — البدء الحقيقي للدراسات الأدب العربي وتاريخه في القرن العشرين إذ وُضعت على منهج سديد يستضيء بما اتخذه الغربيون في دراسات

الأدب وتاريخه من مناهج محكمة قويمة مع الانتفاع فيها بمنهج شيخه المرصفى وعنايته فيه باللغة والنقد وصقل الذوق الأدبى .

ولما أظهر فى رسالته من الاستعداد العلمى فى دراسة الأدب وتاريخه قررت الجامعة الأهلية إرساله فى بعثة إلى فرنسا سنة ١٩١٤ ورأى نهضة الفكر الأوربى تعتمد على الأصول الكلاسيكية اليونانية واللاتينية ، فأقبل على التزود من تلك الأصول بتعلم الإغريقية واللاتينية ، وأخذ يختلف إلى محاضرات دور كايم فى علم الاجتماع ، وأعجبته دراساته الاجتماعية وأعد بإشرافه رسالته للحصول على الدكتوراه فى فلسفة ابن خلدون الاجتماعية كما توضحها مقدمته المعروفة . وكان يختلف إلى محاضرات دييل عن الحضارة البيزنطية وليفى برول عن فلسفة ديكارت ولانسون عن تاريخ الأدب الفرنسى ، وكان يرفع من شأن الذوق وما يثيره فى الناقد الأدبى من انطباعاته وإحساسات وتأثرات بحيث يستهوى قارئه ويجذبه إلى ما يقوله ، وأعجبه منهجه التأثرى الذاتى فى دراسة الأدب ، واختلف إلى محاضرات كازانوفا فى تفسير القرآن الكريم وهو فى أثناء ذلك كله ظل يعنى بتاريخ اليونان والرومان عناية أتاحت له الحصول على دبلوم الدراسة العليا فى القانون المدنى الرومانى .

وعاد إلى مصر فى أكتوبر سنة ١٩١٩ فعين بالجامعة المصرية أستاذًا للتاريخ القديم اليونانى والرومانى ، ويظل فى هذا المنصب حتى سنة ١٩٢٥ وينشر خلال هذه السنوات طائفة من الكتب والمقالات تأليفًا وترجمة حول التراث اليونانى ، ويصدر حزب الأحرار الدستوريين صحيفة السياسة فى أواخر سنة ١٩٢٢ لتكون اللسان المعبر عن الحزب ومبادئه وأهدافه ، ويصبح طه حسين كاتبها الأدبى ، وينشر فيها يوم الأحد قصة ملخصة عن الأدب الفرنسى وكل يوم أربعاء ينشر فصولًا عن الشعر والشعراء فى أواخر العصر الأموى والعصر العباسى الأول ، بدأها فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ واستمر حتى فبراير سنة ١٩٢٤ وفيها عرض أبا نواس وشعراء الخمر واللهو من الوليد بن يزيد إلى مروان بن أبى حفصة مارًا بمطيع بن إياس وحماد عجرد وبشار ووالبة وغيرهم من المجان ، وثار عليه كثيرون وعدوه مشوهًا لتاريخ العرب فى حقبة باهرة من حقب تاريخهم زَمَنَ المنصور والمهدى والرشيد ، ورد بأن العلم ينكر تقديس السلف ولا يعرف الهوى ولا العواطف واستشهد بعصور فى تاريخ

اليونان القديم وتاريخ فرنسا الحديث كانت من أزهى العصور ومن أكثرها لهوًا ومجونًا . وأضاف إلى هذه الفصول فصولًا عن شعراء الغزل فى العصر الأموى ، وجميع هذه الفصول منشورة فى الجزء الثانى من حديث الأربعاء ، وفى تضاعيفها نظرات وآراء فى الشعر العربى وتاريخه مما أفاده فى دراسة الأدب من أساتذته الفرنسيين ونراه فى المقالة السابعة من الجزء يتحدث عن الغاية من نقد الشاعر ويرجعها إلى محاولة فهم شخصيته ، وعصره وبيئته ، وما يحدثه شعره فى نفس الناقد من لذة فنية ، ويعرض فى إجمال منهج سانت بيف Sainte Beine فى نقد الشعراء وتحليل لشخصياتهم ومنهج تين Taine فى عدم عنايته بشخصياتهم وإنما بعصورهم وبيئاتهم والأمم التى ينتمون إليها ومنهج جول ليمتر Jules Lemaitre فى عنايته بتأثير الشعراء فى النفوس ومايبعثون فيها من العواطف ، ويرى الانتفاع بكل هذه المناهج فى دراسة الشعراء ، وانتفع أيضًا بمنهج أستاذه لانسون فى نقد الشعراء وأنه ينبغى أن يصور ما خلفوه من انطباعات فى نفوس النقاد عن طريق التذوق الشخصى لأشعارهم . وسيعود طه حسين إلى ذكر مناهج النقاد الفرنسيين فى دراسة الأدب عمًّا قليل بصورة أكثر سعة وتفصيلًا .

وتتحول الجامعة المصرية الأهلية إلى جامعة حكومية منذ ١٩٢٥ ويصبح طه حسين أستاذًا فيها للأدب العربى وتاريخه ، وأخذ فى محاضراته طوال هذا العام يعنى بدراسة العصر الجاهلى أقدم عصور الأدب العربى ، وما أن استدار العام حتى نشر كتابه : « فى الشعر الجاهلى » مستعينًا فيه بمناهج الغربيين فى دراسة الشعر اليونانى القديم ، وأحدث الكتاب ضجة هائلة فى الأوساط الدينية والعلمية والسياسية والرأى العام بشكّه الواسع فى الشعر الجاهلى وتعرضه فيه لبعض مسائل تمس الدين ، فصودر الكتاب . وفى السنة التالية أعاد نشر الكتاب فى صورة معدلة وبعنوان جديد هو : « فى الأدب الجاهلى » وفيه رسم منهجه فى دراسة تاريخه ، وكانت بعض أسس هذا المنهج قد نشرها مفرقة فى رسالته عن أبى العلاء وفى المقالات التى نشرها فى السياسة والتى تحدثنا عنها آنفًا

فضم شوارد تلك الأسس وألف منها نسقًا واضح المعالم لمنهجه.

ويتحدث فى فواتح الكتاب عن دراسة الأدب العربى وتاريخه بمصر فى معاهده المختلفة ويقول إنها عقيمة أشد العقم مجدبة أشد الإجداب إذ لا تنشئ ملكة أدبية، ولا قدرة على النقد والتحليل ولا تصورا سليمًا لتاريخ الأدب ودراسة شخصيات الأدباء وما ينتجون من شعر ونثر، ويقول إن مؤرخ الأدب العربى لابد له من أن يكون واسع الثقافة باللغة وعلومها والعلوم الدينية والتاريخ وتقويم البلدان والفلسفة والآداب الأجنبية القديمة والحديثة، ويعرف الأدب بأنه مأثور الكلام شعرًا ونثرًا، ويقسمه إلى أدب إنشائى وهو ما ينتجه الأديب من آثار فنية شعرية ونثرية وأدب وصفى وهو الذى يدرس الأدب الإنشائى مفسرًا أو مؤرخًا ومحللًا وناقدًا، ويقول: إن الأدب الوصفى هو ما سماه المحدثون باسم تاريخ الأدب.

ويأخذ طه حسين فى بيان مقاييس التاريخ الأدبى، ويبدؤها بالمقياس السياسى وما يترتب عليه من تقسيم الأدب العربى إلى عصور، ويرفضه كما رفضه فى مقدمات رسالته عن أبى العلاء لما يجر إليه من الربط بين قوة الأدب وضعفه وقوة الدولة من الناحية السياسية وضعفها، فهو راق خصب إذا ارتقت الحياة السياسية، وهو جدب منحط إذا انحطت الحياة السياسية ومعروف أن الحياة السياسية العربية انحطت فى القرن الرابع الهجرى وارتقى الأدب وازدهر، فالسياسة لا تصلح مطلقاً – كما يقول – أن تكون مقياسًا دقيقًا للحياة الأدبية.

ويعرض المقياس الثانى لدراسة تاريخ الأدب ويسميه المقياس العلمى، وهو مقياس اشترك فى وضع مناهجه ثلاثة من مؤرخى الأدب الفرنسى فى القرن التاسع عشر أرادوا بتأثير النهضة العظيمة للعلوم الطبيعية فى عصرهم وسيطرة مناهجها وقواعدها فى دراسة الفلسفة وظهور ما سمى فيها بالفلسفة الوضعية – أن يخضعوا الأدب وتاريخه لقوانين ثابتة كقوانين العلوم الطبيعية المطردة الثابتة، ونهض بذلك ثلاثة من أفذاذ مؤرخى الأدب

الفرنسيين هم : سانت بيف Sainte Beune وتين Taine وبرونتيير Brunetiire أما الأول فرأى أن يرجع هذه القوانين إلى دراسة شخصيات الشعراء والكتاب دراسة نفسية عضوية تشمل عصورهم وأوطانهم وأسرهم وتربيتهم وتعلمهم ، وثقافتهم وتكويناتهم الجسمية والعقلية النفسية وصلاتهم الاجتماعية وجوانب ضعفهم وكل ما اضطربوا فيه من آراء ومن نجاح وإخفاق حتى إذا اتضحت فى شخصية الأديب كل هذه الجوانب استطاع مؤرخ الأدب أن يعرف ما يميز شخصيته ، وما يشترك فيه مع شخصيات أخرى بحيث يكوِّن معها فصيلة أدبية فى الأُمة على نحو ما يصنع علماء النبات فى تبيين الفصائل النباتية المختلفة إذ يُسْتَخْلَصُ للفصيلة الأَدبية قانونها العلمى الأدبى كما يَسْتَخْلِصُ هولاء العلماء لفصائل النبات قوانينهم العلمية الصرفة .

ومضى تين إلى نهج أبعد ، إذ لم يعتد فيه بشخصية الأَديب الفردية ، إنما اعتد بقوانين حتمية جبرية تطبق على جميع أفراد الأُمة ، دون أى استثناء ، كقوانين الطبيعة التى تخضع فيها جميع الجزئيات لكل قانون خضوعًا مطلقًا دون أى شذوذ ، ورد هذه القوانين إلى ثلاثة ، وهى الجنس والبيئة أو المكان ، والعصر أو الزمان — أما الجنس فَيُمثل فى الفطرة الموروثة لكل أُمة تنتمى إلى أصل واحد ، وأما البيئة فيقصد بها الوسط المكانى الذى ينشأ ويضطرب فيه جميع الأَفراد فى الأُمة بحيث يشتركون فى صورة واحدة من الروح الاجتماعية ومن الأَخلاق والعادات وأما العصر فيقصد به الظروف السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية ، فالشاعر والكاتب إنما هو أثرٌ من آثار الجنس والبيئة والعصر ، والغرض القويم من دراسة تاريخ الأَدب إنما هو بيان هذه المؤثرات أو بعبارة أدق القوانين التى أحدثت الكاتب أو الشاعر وأرغمته على أن ينتج ما أنتج من نثر أو شعر .

وأما برونتيير فقاده الأَخذ بمناهج العلوم الطبيعية وقوانينها الجبرية فى دراسة الأَدب إلى تطبيق ما ذهب إليه داروين فى علم الأَحياء من نظرية التطور أو نظرية النشوء والارتقاء فوضع فى ذلك كتابه :

« تطور الأنواع الأدبية » محاولاً تقسيمها في الشعر والنثر إلى فصائل كفصائل الكائنات الحيوانية فهى مثلها يتولد بعضها من بعض ، وقد تتلاشى كما تلاشت بعض فصائل الحيوان ، وأخذ يطبق ذلك على المسرح والنقد الأدبي والشعر الغنائي ، واتخذ من ازدهار النوع الأخير بفرنسا في القرن التاسع عشر دليلاً على أن نوعاً أدبياً تلاشى في نوع آخر ، إذ ذهب إلى أن هذا النوع أو الشعر لم يتطور عن أصل من نوعه ، إنما تطور عن الوعظ الديني الذى ازدهر بفرنسا في القرن السابع عشر ثم ضعف وعاد يحيى من جديد في هذا الشعر الغنائي للقرن الماضي .

ويعقب طه حسين على هذا المقياس العلمي عند مؤرخي الأدب الفرنسيين الثلاثة بأنهم كانوا غير موفقين فيما حاولوا من وضع قوانين علمية للأدب وتاريخه كقوانين العلوم الطبيعية لأن تاريخ الأدب لا يمكن أن يكون علماً خالصاً ، إذ لا يمكن لمورخ الأدب أن يبرأ من شخصيته وذوقه على نحو ما يبرأ عالم الطبيعة في وضع قوانينها العلمية . وهداه التفكير إلى مقياس ثالث لتاريخ الأدب سماه المقياس الأدبي ؛ وهو فيه يفسح مجالاً واسعاً للتذوق وتعبير مؤرخ الأدب عن انطباعاته إزاء الأثر الأدبي وصاحبه ، حتى يمتع عقولَ قرائه وقلوبَهم بتأثراته الذاتية ، وهو في ذلك يستضيء بآراء أستاذه لانسون ، مؤرخ الأدب الفرنسي وما كان يذهب إليه من الحملة على أصحاب المنهج العلمي السالف لما يؤدى إليه من مسخ تاريخ الأدب في رأيه ، إذ يخليه من شخصية المورخ الأدبي وتذوقه الشخصي ، ويجعله جافاً مجدباً لا يحبب الأدب إلى القراء .

ولم يجر مع أستاذه إلى نهاية الشوط ، فقد رأى أن يفيد مؤرخ الأدب من المناهج العلمية السالفة وأن يضم إليها تأثره وتذوقه للآثار الأدبية ، بحيث لا يطغى التذوق والتأثر أو بعبارة أخرى لا تطغى شخصية المؤرخ الأدبي على تاريخ الأدب وتتحكم فيه ، وإلا أصبح فناً ولم يعد تاريخاً أدبياً وكما أنه ينبغي أن لا يصبح علماً خالصاً كذلك ينبغي أن لا يصبح عملاً فنياً خالصاً ، ومنهجُه الذى ارتضاه بذلك لدراسة تاريخ الأدب أن يتخذ فيه سبيلٌ

وسط بين المناهج العلمية الصارمة السالفة وبين منهج لانسون التأثرى الذاتى ، وتأثر بلانسون أيضًا فيما ذكره من أن مؤرخ الأدب ينبغى أن يستعين بمعارف متنوعة من التاريخ الحضارى للأمة وتراجم الأدباء وتواريخ العلوم والفلسفة والعلوم اللغوية ، مما جعله يذهب إلى أن دراسة الأدب ينبغى أن تمر بمرحلتين : مرحلة إعداد يتقن فيها مؤرخ الأدب علومَ النحو وفقه اللغة ، والصرف والبيان والتاريخ ومعرفةَ مناهج البحث الأدبى ، حتى يستكشف النص الأدبى ويحققه ويضبطه ، ومرحلة ثانية تلى مرحلة الإعداد ، وفيها يتبين مواضع الجمال فى الأثر الأدبى معتمدًا فى ذلك على الذوق الشخصى وبيان انطباعاته إزاءه مع ماينبغى له من الحرية الفكرية فى البحث والنقد والتحليل .

ويدرس طه حسين بعد بيان منهجه وتفصيله الأدب الجاهلى محتكمًا فى دراسته إلى مذهب الشك الذى أوجب استخدامه الفيلسوف الفرنسى ديكارت فى البحث ، وهو يتلخص فى أن الباحث ينبغى أن يدرس موضوعه خالى الذهن مما قيل فيه دون استشعار أى شىء من عواطفه الدينية والقومية وقد مضى على هدى هذا المنهج لا يقبل حكمًا ولا رأيًا مما قاله القدماء إلا بعد تمحيص دقيق له ، ولا يلبث أن يعلن أنه درس الأدب الجاهلى دراسة علمية انتهت به إلى نظرية عامة هى أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبًا جاهليًّا ليست من الجاهلية فى شىء وإنما هى منتحلة بعد ظهور الإسلام فهى إسلامية تمثل حياة المسلمين أكثر مما تمثل حياة الجاهليين ، ولا ينبغى الاعتماد عليها فى استخراج الصورة الأدبية الصحيحة للعصر الجاهلى ، وتحدث عن أسباب الوضع والانتحال فى الشعر الجاهلى وردها إلى السياسة والدين والقصص والشعوبية والرواة ، ثم درس الشعراء الجاهليين دراسة تطبيقية ، وبدأ بشعراء اليمن وربيعة وشك فى حقيقة امرئ القيس ، وانتهى إلى رفض شعره وأشعار اليمنيين ورفض — أو كاد يرفض — أشعار شعراء ربيعة ، إذ جمهورها — فى رأيه منتحل مصنوع ، وذهب إلى أنه لم يسلم من أشعار مضر من الانتحال إلا القليل ، ومن هذا القليل مدرسة زهير وعنى بدراسة شعرها وخصائصه ، وأنكر النثر الجاهلى جملة ، وقال إننا لانستطيع أن نخلِّص

الأمثال الجاهلية من الأمثال الإسلامية ، فقد اختلط النوعان من الأمثال اختلاطًا واسعًا . وكتبت عشرات المقالات فى الصحف وألفت طائفة من الكتب تعارض نظرية الكتاب فى أن الكثرة من الشِّعر الجاهلى منحولة موضوعة ، غير أن النظرية أدت دورًا مهمًّا فى دراسة هذا الشِّعر إذ أصبح شعراوه لا يدرسون إلَّا بعد مراجعة دقيقة لروايات أشعارهم ونفى الزائف منها والاعتماد على الوثيق منها الذى لا تداخله الشبهة والارتياب .

ونمضى مع طه حسين إلى سنة ١٩٣٣ وفيها ينشر كتابًا عن حافظ وشوقى وهو فى مجموعة نقد للشاعرين الكبيرين . وينشر طائفة من المقالات فى بعض الصحف اليومية عن شعراء جاهليين ومخضرمين ، اختار فيها لكل منهم قصيدة مصورًا فيها انطباعات له بديعة ممتعة ، وجمعها فى الجزء الثانى من حديث الأربعاء – وألقى مجموعة من المحاضرات تحدث فيها عن منزلة الأدب العربى بين الآداب القـديمة الكبرى : اليونانية واللاتينية والفارسية ، ورأى أنه يتقدم الأدبين اللاتينى والفارسى وأخذ فى عرض النثر أثناء القرنين الثانى والثالث للهجرة وأعلامه النابهين : سالم مولى هشام بن عبد الملك كاتب الإنشاء فى دواوينه وخليفته فى الدواوين الأموية : عبد الحميد الكاتب وذهب إلى أنه كان يتأثر فى صياغة كتابته باليونانية لكثرة استخدامه للحال ، وهى لازمة تلاحظ عند أستاذه سالم من قبله وتحدث عن ابن المقفع وشبَّهه بالمستشرقين الذين يحسنون العربية ويعييهم أحيانًا الأداءُ السديد غير آبه بثناء القدماء عليه وعدِّهم له أحَد الأُدباء الأفذاذ الذين يتقدمون أُدباء العصر العباسى وكُتَّابه ، ونوَّه بالجاحظ وبرسالته البديعة « التربيع والتدوين » . وأضاف إلى هذه المحاضرات محاضرات عن كبار الشعراء فى القرن الثالث الهجرى : أبى تمام ، والبحترى وابن الرومى وابن المعتز . ونشر هذه المحاضرات جميعًا فى كتابه : « من حديث الشِّعر والنثر » وهو يجلو جوانب من الأَدب العربى نثرًا وشعرًا فى القرنين الثانى والثالث للهجرة وفى سنة ١٩٣٧ أصدر كتابه مع المتنبى وهو فيه يدرسه دراسة نفسية تاريخية فنية ، تتبعه فيها

منذ مولده ومنبته فى أسرة متواضعة ، ورأى أن شعوره بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأدنين كان العنصر الأول المؤثر فى شخصيته وبغضه للناس وما أخذ حياته من الشذوذ ، ويرافقه فى تعلمه وارتحاله إلى البادية وبدء نظمه للشعر وتعرفه على مبادئ القرامطة ومفارقته للكوفة فى السابعة عشرة من عمره وإلمامه ببغداد لمدة قصيرة وتحوله إلى الشام وثورته فيها وسجنه ومديحه للأمراء هناك وإقامته فترة فى بلاط سيف الدولة ، وتحوله إلى كافور بمصر وفراره منها إلى العراق وارتحاله إلى إيران لمديح ابن العميد وعضد الدولة ، ويعود من لدنهما ويفتك به القرامطة فى طريقه إلى بغداد . ويدرس طه حسين المتنبى فى كل ذلك محللاً نفسيته وشخصيته وشعره ويحمل عليه مراراً ويقول إنه كان متهالكاً على المنافع العاجلة وطلب المال من ممدوحيه الكثيرين ، وصب عنايته فى الكتاب على شخصية المتنبى لا على شعره ، وعلى جوانبه التاريخية لا على جوانب فنه .

وينشر الجزء الثالث من حديث الاربعاء وهو يضم مقالات متنوعة بعضها نشره فى صحف يومية منذ سنة ١٩٢٣ وبعضه نشره بها فى السنوات الأخيرة ، ويدخل فى القسم الأول ما كتبه من مقالات عن القديم ، والجديد والرافعى وعن أعمال بعض المفكرين والباحثين والأدباء ويدخل فى القسم الثانى ما كتبه من مقالات نقد فيها الإبداع الشعرى عند على محمود طه وإبراهيم ناجى ومحمود أبى الوفا وإيليا أبى ماضى وفوزى المعلوف ويعود إلى أبى العلاء ، فيعرض طائفة من شعره وفكره وفلسفته فى كتابه : « مع أبى العلاء فى سجنه » ثم يعود إليه ثانية فى كتابه « صوت أبى العلاء » ناثراً طرائف من شعره . وطه حسين – بكل ما قدمت – يعد الرائد الموجه الفذ لدراسات الأدب العربى وتاريخه ودراسات شعرائه المبدعين فى القديم والحديث .

**شوقى ضيف**
الأمين العام للمجمع

# التربية المثلى للشباب في ضوء الإسلام

للدكتور حسن الفاتح قريب الله

حرص الإسلام على تربية النَّشء من الذكور والإناث فهيأ لهم ولمَّا يزالوا فى بطون أمهاتهم الرعاية التَّامة ، وجعل لميلادهم فرحة فى الأُسرة فسنَّ لهم النُّسك[1] أو العقيقة إعلانًا له[2] ، وأوصى باختيار أحسن الاسماء للأبناء[3] ، وشارك النبى عليه الصلاة والسلام فى تسمية بعضهم حيث سمَّى ابنًا لأسماء بنت أبى بكر بعبد الله بن الزبير[4] ، كما وضع إطارًا عامًّا لتسمية المولودين فى عصره وبعده ، فقال : إن أحب أسمائكم إلى عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة ؛ وقال : لا تسمين غلامك يسارًا ولا رباحًا . ولا نجيحًا ولا أفلح ؛ فإنك تقول : أثمَّ هو ؟ فلا يكون ، فيقول : لا . أما هنّ أربع ، فلا تزيدن عليها[5] .

وأوصى رسول الله ﷺ الأبوين بمساعدة أبنائهم على الاستمرار على الفطرة ، فلا يُهوِّدانهم ، ولا يمجِّسانهم ولا ينصِّرانهم فقال : كل مولود يولد على الفطرة وإنَّما أبواه يُهوِّدانه ، أو ينصِّرانه ، أو

---

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ٩ من شعبان سنة ١٤١٠هـ الموافق ٦ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٠ م .

(١) الغزالى : إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٩٢ فما بعدها .

(٢) الفيروزبادى: سفر السعادة ص ٨٦ والأحياء ج ٢ ص ٦٩ .

(٣) الفيروزبادى: سفر السعادة ص ٨٧ والأحياء ج ٢ ص ٦٩ .

(٤) أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء ج ١ ص ٣٣٣ وسفر السعادة ص ٨٦ .

(٥) الفيروزبادى: سفر السعادة ص ٨٧ والأحياء ج ٢ ص ٦٩ .

يمجُسانه[1] وأوصاهم عليه الصلاة والسلام كذلك بتلقين أبنائهم الأذان والإقامة ولمّا يزالوا فى المهد، وأذَّن هو عليه الصلاة والسلام فى أذن الحسن بن على بالصلاة حيث ولدته فاطمة رضى الله عنها[2].

وسنَّ لأمّته جمعاء التحنيك، فمضغ تمرة، ثم وضعها فى فم عبد الله بن الزبير وكانت أُمّه أسماء بنت أبى بكر قد جاءت به إليه قبل أن تُرضعه، وبذلك كان أول شئ دخل بطن ابنها ريقُ رسول الله ﷺ[3].

مزج الرحمة القلبية عمليًا بالدين، فقال: ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا[4].

وجسّد عليه الصلاة والسلام العطف عمليًا أمام الصحابة حين سعى لعيادة ابن صغير لبعض بناته، فتناوله وروحُه تتقلقل فى صدره، وبكى قائلا: إنّما يرحم الله من عباده الرحماء[5]؛ وروى أن الحسن رضى الله عنه كان وهو صغير يصير على ظهره عليه الصلاة والسلام وهو ساجد، فيرفعه رفْعًا خفيفًا، وكان يقعد فى حِجْر رسول الله ﷺ، ويلمس لحيته، ورسول الله يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه، ويقول: اللهم إنّى أُحبُّه فأَحبَّه وأحب من يُحبُّه، يقولها ثلاث مرات[6] وروى أنه مسح على رأس ابن صغير لابن

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة.
(٢) قال ابن رافع رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أذن فى أذن الحسن بن على حيث ولدته فاطمة بالصلاة سفر السعادة ص ٨٧ والأحياء ج ٢ ص ٦٩.
(٣) الغزالى: الأحياء ج ٢ ص ٧٠.
(٤) رواه أبو داود والترمذى.
(٥) عن أسامة بن يزيد قال: كان ابن لبعض بنات رسول الله عليه وسلم يقضى فأرسلت إليه أن يأتيها فأرسل إليها أن لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكل شئ عنده إلى أجل مسمى فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه فأقسمت عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دخل ناولوه الصبى وروحه تقلقل فى صدره فبكى فقال له عبادة بن الصامت: ما هذا يارسول لله فقال الرحمة التى جعلها الله فى بنى دم وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، رواه الشيخان ونقله السيوطى فى كتابه التعالل والإطفاء لنار لا تطفى مخطوط صغير بدار الكتب الوطنية بباريس وهو ضمن مجلد كبير رقمه ٢٨٠٠ الورقة ٢٤٠ هذا وقد طبع المخطوط مع غيره تحت عنوان الفتاوى.
(٦) أبو نعيم: الحلية ج ٢ ص ٣٥.

بنت حميد ودعا له(١) ، وأردف خلفه بعض الغلمان ، وخصَّه برعايته ، ووجَّه عبره كل الأُمة مُبيِّنًا لهم حقوق الله عليهم وحقوقهم على الله .

يقول معاذ بن جبل رضى الله عنه : بينما أنا رديف النبى ﷺ ، ليس بيْنى وبينه إلَّا آخرة الرَّحل ، فقال : معاذ، قلت : لبيك يا رسول الله وسعْديْك . قال : هل تدرى ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، ثم سار ساعة ، ثم قال : يا معاذ بن جبل ، قلت : لبيك رسول الله وسعديْك . قال : هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسولُه أعلم ، قال : حق العباد على الله أن لا يُعذِّبهم(٢) .

وكرَّر عليه الصلاة والسلام هذا الأُسلوب التربوى مع آخرين كان من بينهم سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، يقول ابن عباس : كنت رديف النبى ﷺ فقال : يا غلام أو يا غليِّم ألَا أُعلِّمُك كلماتٍ ينفعك الله بهن ، فقلت : بلى . قال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك تعرَّف على الله فى الرخاء يعرفك فى الشِّدَّة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جَفَّ القلم بما هو كائن(٣) ؛ ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئًا لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا عليه ، وعلى أن يمنعوك شيئًا كتبه الله عز وجل لك لم يقدروا عليه ، فاعمل لله تعالى بالرضى فى اليقين ، واعلم أن فى الصَّبر على ما تكرهُ خيرًا كثيرًا ؛ وأن النصر مع الصبر ، وأنَّ الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا .

وكان من تربيته عليه الصلاة والسلام

(١) أخرجه البخارى راجع السمط المجيد ص٥٦ ونص الحديث : حدثنا أبو عقيل عن جده وكان قد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وذهبت به أمه بنت حميد إلى رسول الله (ص) فقالت يارسول الله بايعه : فقال النبى (ص) هو صغير ، فمسح رأسه ودعا له .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن والحلية ج ١ ص ٣١٤ .

الشباب أن أكرمهم ، وعمل على بناء شخصيتهم ، وإبراز دورهم وتجسيد تقديره لهم ، فأفسح لهم المجال لمشاركة كبار الصحابة فى حلقات البحث العلمى ، وفى صلاة الجماعة ، وأعلا من شأنهم فخصصهم بالذكر وجعلهم من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظلّ إلّا ظِله .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : سبعة يُظلهم اللهُ فى ظله يوم لا ظل إلّا ظلُّه : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلّق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه[1] .

وأوكل لعتّاب بن أسيد وكان ابن عشرين سنة – أو إحدى وعشرين – إمارة مكة وقضاءها[2] ، وكذلك فعل مع معاذ بن جبل. ومما يذكر أنه أوصى معاذًا حين توليته بقوله : يا معاذ إنّى أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، ورحمة اليتيم ، وحفظ الجار ، وكظم الغيظ ، وخفض الجناح ، وبذل السلام ، ولين الكلام ، ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن ، وحب الآخرة ، والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل ، وأنهاك أن تشتم مسلمًا ، أو تكذب صادقًا ، أو تعصى إمامًا عادلًا .. يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر ، وأحدث مع كل ذنب توبة ، السر بالسر ، والعلانية بالعلانية[3] وكان معاذ هذا على رغم صغر سنّه موضع احترام وتقدير وإكبار صحابة رسول الله.

---

(١) متفق عليه .

(٢) المغنى عن حمل الأسفار هامش ص ١٩٣ ج ١ .

(٣) رواه ابن عمر راجع حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى ج ١ ص ٢٤٠ – ٢٤١ وراجع المغنى عن حمل الأسفار ص ١٩٣ ج ١ .

ﷺ ، حتى أنه ليذكر أنهم كانوا ينظرون إليه إذا تحدَّث بينهم نظر هيْبة له[1] .

وتقديرًا من رسول الله ﷺ لدور الشباب أوكل لأُسامة – وكان دون العشرين – قيادة جيش المسلمين ، علمًا بأن فى الجيش من هم أسن منه ، وأقدم منه إسلامًا .. وأتاح لهم فرص التعليم ، والتربية والاستقرار الأسرى ، وكان ممَّا قال : ما من أحد يُدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه ، إلَّا أدخلتاه الجنة[2]

وتولى هو عليه الصلاة والسلام تربية بعض الشباب فى بيته ، فقام بتربية سيدنا على ، والسيدة عائشة رضى الله عنهما ، وكانا صغيرين. كما قام كذلك بتربية نسله الطاهر الشريف من البنين والبنات ، وتبنى بالإضافة إلى هولاء وأُولئك عددًا من الشباب كان من أشهرهم زيد بن حارثة ..

وكان لا يفتأ يُسبغ رعايته وعطفه ورحمته وأُبوته على اليتامى والمساكين وأبناء المعْسِرين .. وممَّا يروى فى هذا الصدد أنه اتفق أنه قابل شابًّا يائسًا وسط آخرين مبتهجين مسرورين فرحين فاصطفاه عليه الصلاة والسلام وقربه ، وأصلح من حاله وزيِّه وهيئته .. وقال له وهو يرفع من قدره : أما ترضى أن أكون لك أبًا ، وعائشة أم المومنين لك أمًّا ، وفاطمة أختًا[3] ؟

وأناخ عليه الصلاة والسلام ناقته ليحمل معه عليها أسماء بنت أبى بكر الصديق ، حيث رآها مجهدة بالسير ، وبما كانت تحمله على رأسها من نوًى ، غير أن حياء السيدة أسماء وغيْرةَ زوجها ، جعلها تُؤثر المشى على الركوب[4] .

وأُثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال

(١) أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء ج ١ ص ٢٣١ هذا وقد جعل الفخر الرازى صفة الهيبة من صفات الرئاسة ج ١٤ ص ١٥٠ عند تفسيره لقوله تعالى ( قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين ) الأعراف آيات ٥٩ – ٦٤ .

(٢) محمد على فياض : التاريخ الإسلامى عصر الخلفاء الراشدين طبع مطبعة المتوكل بمصر سنة ١٩٤٩ ١٩٥٠ م ص ٩٣ – ٩٤ .

(٣) أخرجه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٤) الغزالى : إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٧٦ – ٧٧ .

عن صغير كان وَفْدُ بنى سعْد هذيم من قضاعة قد خلَّفوه على رحلهم : أَصغرُ القوم خادمهم ، بل لقد أَمَّر عليه الصلاة والسلام هذا الصغير على كبار الصحابة وزعماء الوفد ، إعلاءً منه عليه الصلاة والسلام لمكانة الخِدْمة الاجتماعية فى الإسلام (١) .

وإدراكًا منه عليه الصلاة والسلام لما للَّهو البرئ المتَّسق مع الخلق – من دورٍ نفسى ، وتربوىّ ، فى تقويم السُّلوك وتهذيب الطباع – أباح للنساء والرجال أصنافًا منه وضروبًا ، فكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تلهو وهى صغيرة فى بيت الرسول عليه الصلاة والسلام – بما يُدخل عليها المسرَّة ويطرد عنها الملل ، وحيث شبَّت وكبرت أتاح لها رؤية الحبش وهم يرقصون . تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : جاء حبش يزفون فى يوم عيد فى المسجد ؛ فدعانى النبى ﷺ فوضعت رأسى على منكبه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم ؛ حتى كنت أنا التى أنصرف عن النظر إليهم .

وروى مسلم عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تغنِّيان وتضربان ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُسَجّى بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، وقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد .

وفى رواية أُخرى عن السيدة عائشة أنها قالت : دخل علىَّ أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأَنصار تُغَنِّيان بما تقاولت به الأَنصار يوم بعاث . قالت : وليستا بمغنِّيتين . فقال أبو بكر : أَبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وذلك فى يوم عيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لكل قوم عيداً وهذا عيدُنا .

وأورث عليه الصلاة والسلام الشباب مكارم الأَخلاق ، إذ ربَّاهم على طاعة الوالدين ، والبر بهما ، ومراعاة شعورهما وإسباغ ثوب الرحمة عليهما . بل لقد آثر

---

(١) محمد أحمد جاد المولى : محمد المثل الكامل الطبعة الأولى بمصر ١٣٤٩ هـ – ١٩٣١ م ص ١٢٩ .

برهما حتى على الجهاد ، وقال لمن قدم إليه مبايعًا على الهجرة والجهاد : هل من والديك أحد حيّ ؟ فقال الشاب : نعم كلاهما حيّ ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : وهل تبغي الأجر من الله ؟ فأجاب الشاب : نعم . فقال عليه الصلاة والسلام : ارجع إليهما فأحسن صحبتهما .

وأرجع الرسول ﷺ شابًا قدم إليه للجهاد دون إذن والديه ورضاهما عن خروجه ، وبعد أن سمع منه قوله : يا رسول الله جئتُ أبايعك على الهجرة ، وتركت أبويّ يبكيان . قال عليه الصلاة والسلام : ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما .

وحرصًا منه عليه الصلاة والسلام على مراعاة الروابط الاجتماعية أمر الأبناء بأن يوادوا من كان يواد أبويهم ، ويبروه ، ويواصلوه ، ويُحسنوا إليه فقال عليه الصلاة والسلام : إن أبر البر ، صلة الولد أهل وُدّ أبيه[1] .

وفى إطار العلاقات الاجتماعية أيضًا دل الإسلام الشباب وغيرهم على ما ينمّى العلاقات الإنسانية بينهم فقال : ألا أدلكم على ما تحبون به أفشوا السلام بينكم ، أفشوا السلام تسلموا ، وقد اعتبر الإسلام السلامَ الذى يُلقيه الفرد لمن عرف ومن لم يعرف ، من أفضل القربات التى يكسب بها رضاء ربه ، ورضاء الناس . فقال عليه الصلاة والسلام : إن أفضل الإسلام وخيره إطعام الطعام ، وأن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .. ورفع رسول الله ﷺ من قدر السّلام فجعله من أحد شعب الإيمان حيث قال : ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من الاقتار . وجعل عليه الصلاة والسلام المصافحة من تمام التحية ، فقال : تمام تحاياكم المصافحة .

أما الرد على السلام فقد عده الرسول ﷺ من موجبات الرحمة فقال : رحمة على القوم المسلمين الذين لا يردون تحية السلام .. وحذّر عليه الصلاة والسلامَ كل المسلمين من أن يُعرضوا عن رد السلام ، فقال : ما من رجل يمر على قوم مسلمين

---

(١) رواه مسلم وأبو دواود والترمذى.

فيسلم عليهم ، ولا يردون عليه السلام ، إلّا نزع عنهم روح القدس ، وردّت عليه الملائكة[1] »

» هذا ومكارم الأخلاق التى بثها رسول الله ﷺ للشباب نظريًّا وعمليًّا ، وربّى عليها أمته أكثر من أن تُحصى فقد علّمهم السّماحة فى المعاملة ، والعفو فى العطاء ، والتضحية بالمال ، وبالنفس والوقت ، وحبّب إليهم عمل الخير ، وحثّهم على صلة الرحم ، وعلى زيارة الأحياء والأموات من المسلمين .

وجعل الصلاة وسيلة لتوثيق الصلة بين العبد وربه ، والحج هجرة إليه ، والزكاة تطهيرًا له ، والصوم إعدادًا له ، وتدريبًا. أضف إلى ذلك أنه حول بالنية كثيرًا من الأفعال العادية إلى عبادة .. فأصبح تبعًا لذلك التّعليم عبادة ، والزواج عبادة ، وإماطة الأذى عن الطريق عبادة ، والتربية البدنية إذا خلت من شوائب الاختلاط ، واللبس الفاضح وغيرها عبادة .. وصارت معاونة الزّمْنى والمرضى عبادة ، واحترام الصغير وتوقير الكبير عبادة ، ومشاطرة الجيران أفراحهم وأتراحهم عبادة ، حتى ولو كانوا يهودا أو نصارى أو غيرهم .. ومحبة الصالحين والتأسّى بهم وانتهاج طريقهم والانتظام فى سلكهم عبادة - والدعوة إلى الله بالمقال والمال عبادة .. وصار العمل الدنيوى مكتبيًّا ، أو حقليًّا ، أو صناعيًّا ، أو غيره إذا ما روعى فيه المولى عبادة . وأصبحت نظافة البدن ، والمكان ، والوقاية من الأمراض ، والعلاج منها عبادة .. وتبسّم الفرد فى وجه أخيه ومعاونته له عبادة .

وعمومًا فقد ربط الإسلام بمنهجه التربوى بين القيم الدينية والممارسات العملية ، نسما بالفرد اجتماعيًّا ، وحضاريًّا ، وعقليًّا ، وروحيًّا ، وخلق منه شخصية متميزة ، استطاعت أن تُبلور شئون الحياة بما يتمشّى والدين ، وتبعًا لذلك أصبحت نعمة فصل الدين عن الحياة أسطورة لا صلة لها بفكر الشاب المسلم ، وعقيدته .

---

(١) نصر على عبد الهادى: التحية فى الإسلام طبع المطبعة الكمالية بعابدين ص ٨ ، ١٢ .

كان الإسلام إذن فتحًا إيجابيًّا على الإنسانية وطاقة دافعة لها نحو الرقى ، والكمال والرفعة . كان وما يزال هو الدين العملى الوحيد الذى يتفاعل إيجابيا مع قضايا الشَّباب فى كل العصور ، والأزمنة والأمكنة ، هو دين ماضى الأُمم ، وهو دين حاضرها ، ومستقبلها .

لقد سمت تشريعاته الإلهية على كل تشريع فاستأصل بحكمته جذور الجرائم ونشر ألوية العدل ، وساوى فى الحقوق والواجبات بين كل الأفراد ، بل لقد هيأ لغير المسلمين من العدل والرحمة ، والمساواة مالم يكونوا يتصوّرون حدوثه فى مجتمعهم الدنيوى ، ومن ثم كان حرص غير المسلمين على دولة الإسلام يماثل حرص المسلمين عليها .

**حسن الفاتح قريب الله**
عضو المجمع المراسل ( من السودان )

# الفكر العلمي العربي وحضارة الغرب

للدكتور يوسف عز الدين

**المقدمة :**

حضارة الغرب التي سيطرت على كل معالم الحياة العلمية المعاصرة ، ولبدة البحث العلمي الجاد ، وابنة أصول البحث العلمي المنظم لأن العلم هو القاعدة القوية التي قام صرح الحضارة الغربية على أساسها ... وأصول البحث المنظم طور المعارف العلمية وضبط النظريات الحديثة عندما وضعت لها الضوابط فسيطرت على العالم الحديث باستخدام التقنية الجديدة والتطبيق العلمي الحديث ودخلت العلوم في تجديد المعارف القديمة وتطوير الحضارة المعاصرة وبالتالي تقدمت حياة المجتمع الغربي الاجتماعية ، والسياسية والاقتصادية والفكرية .

ولم يكن الغرب بأقل قدرة وقابلية في التقنية العلمية القائمة على أصول البحث المنظم عندما بنى الحضارة الإنسانية وعندما طور أساليب البحث العلمي وأقامها على أسس قويمة ومنهج دقيق في جميع ميادين العلم التطبيقي وسوح العلم النظري . بداية من الطب والزراعة وعلم الحيل (الميكانيكا) ووصولاً إلى الأدب والنقد والشعر .

وبالرغم من الجهود التي تبذل والطاقات العلمية التي تهدر في سبيل تعريف الجيل المعاصر بقيمة حضارتنا وكثرة المؤتمرات التي عقدت والكتب الكثيرة التي نشرت ومراكـز الأبحاث التي انتشرت في العالم وكلها تؤكد أصالة العلم في تراثنا وجذوره العميقة في علوم الغرب وأنه اعتمد عليها في حضارته فما زال هذا الجيل لا يصدق هذه الحقائق بعد أن نشأ في

---

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة التاسعة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء ١٠ من شعبان سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٧ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٠ م .

ظلال الفكر الغربي وانبهر بحضارته المؤثرة فى حياتنا فى كل دقيقة . فطلاب العلم لا يرون بغير أصول البحث العلمى عند الغرب بديلا مع أن هذه الأصول ممتدة الجذور فى حضارتنا وأساليب بحث العلماء الأوائل فلو درست كتب التراث دراسة عميقة بوعى وتتبع الدارس الصابر لوجد الكثير مما فى حضارة الغرب تقوم أسسه على حضارتنا .

لا شك فى أن الحضارة الغربية دخلت طوراً جديداً بما وصلتها من مخترعات ، واكتشافات وأنها أخذت طريقاً جديداً يختلف عن حضارة العرب فى التقنية الحديثة لكن الدراسات الكثيرة فى مجالات البيئة وحياة المجتمع والفكر الإنسانى والقواعد الأساسية فى تطبيق العلوم الصرفة عند العرب يمكن أن تمد الباحث بالكثير من التجارب التى كانت تقوم بها المدارس العلمية فى مختبراتها وتجاربها فى حقول المعرفة كلها .

وقد اهتم الغرب بالعلوم العربية والحضارة الإسلامية واعتنى بالحضارة العربية والإسلامية التى أنتجت العلوم والفنون والقوانين المتنوعة التى كتبت باللغة العربية لأن المسلمين يفضلون اللغة العربية فى بحوثهم على الكتابة بلغتهم المحلية ، تقديساً لهذه اللغة ولأنها كانت لغة العلوم والفنون والآداب[1] .

وفى العصر الحديث كثرت مراكز البحث فى الغرب تدرس أصول حضارتنا وتراثنا ونشطت هذه الحركة العلمية فى هذه المراكز وكثرت أعمالها فى نشر — النصوص بالتحقيق تارة أو بنشرها مصورة كما هى وترجمت بعض هذه النصوص إلى اللغات الغربية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية وغيرها من اللغات فى مراكز البحث فى جامعات فرانكفورت وتوبنكن وباريس وجامعتى أنقرة ، واستانبول ومعهد ولكم فى لندن وغيرها .. إضافة إلى عدة جامعات فى أمريكا مثل

(١) يلاحظ نللينو فى كتابه (علم الفلك وتاريخه عند العرب) وألدو ميللى فى كتابه (العلم عند العرب) ومنهج البحث العلمى عند العرب لجلال محمد عبد الحميد موسى .

هارفرد ولم تتخلف البلاد العربية عن إنشاء مثل هذه المراكز أو المعاهد [1] .

ويظهر أن هذه الأعمال التى تقوم بها هذه المراكز ومعاهد البحث العلمى لم يكتب لها أن تكتسب السيطرة الواسعة فى عالم المعرفة المعاصرة ولعلها محدودة الجهود قليلة الإنتاج بالقياس إلى ملايين المخطوطات العربية فى العالم لأنها بحاجة إلى دعم كبير لإسماع البحث العلمى الجاد فى حضارتنا لأكبر قدر ممكن من القراء وألا تقتصر بحوثها على العلماء والمختصين ليتعرف أكبر عدد من المفكرين على أمانة الباحث العربى ودقة الاستنتاج لديه وأسلوبه العلمى المنظم والزيادات الكثيرة التى أضافها على العلوم التى سبقت حضارتنا .

**أسس البحث العلمى وقواعده :**

للبحث العلمى الحديث قواعد عامة وأسس واضحة محددة وأسلوب منظم — لا يمكن أن يتخطاه كل باحث ودارس فى مختلف علوم المعرفة الإنسانية ولعلى أقدر على إيجازها وهى :

أولاً : الإلمام التام بجهود العلماء الذين سبقوا الباحث فى الدراسة والتتبع والاستفادة من النتائج والفرضيات السابقة بما فيها إن خدمت البحث أم لم تخدمه .. وتتبع ذلك بالبحث فى الكتب العلمية والدراسات الجامعية والبحوث المتنوعة المنشورة فى الموضوع الذى يريد الباحث دراسته ، وإحصاء النتائج والتجارب التى توصل إليها الباحثون مهما كلف الدارس من جهد وصرف من وقت لأن الصبر من ضرورات البحث العلمى الناجح لا سيما إذا كان الباحث محبًا لبحثه وعلمه وكان دقيق الملاحظة فلابد له أن يطلع على ما نشر فى اللغات الأجنبية ومتى زادت مصادر البحث زادت أهمية البحث .

ولا يكتفى الباحث الأصيل بما يجد فى أمته من مصادر بحث ومراجع علم كتبها علماء أمته فى أصولها أو علماء الغرب عن هذا التراث إنما يجب أن يكرس جهده لعلمائنا وما وصلت إليه بحوثهم من نظريات

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب عبد الحميد صبرة ص ٦٠ .

وحقائق علمية وتعقب جذورها ودراسة قواعدها فى حضارتنا وتراثنا .

فقد اهتم العرب بقياس دقيق لمحيط الكرة الأرضية على غير طريقة قياس أراطوستانس التى أخذت عن البابليين غالباً والتى كانت درجة صوابها منوطة بالصدفة .

وفى هذه المرحلة تيقن العلماءُ العرب أن مقياس بطليموس وأرصاده تحتوى على أغلاط وأن من الواجب استعراض صحتها وتصحيحها وإكمال نواقصها أو الاستدراك عليها بإجراء بحوث جديدة [١] .

وامتحنوا النتائج الجغرافية التى وصلت إليهم من الإغريق من جهة وسعوا فى امتحان الشبكة المقيسة للكرة الأرضية من جهة أخرى وفى هذه المرحلة نفسها أسس العرب علم الكيمياء على أساس نظرى وعلمى مستندين إلى النتائج التى وصلت إليها مختلف الأمم قبيل الإسلام [٢] .

وقد يقف الباحث العربى محايداً دون أن يصدر حكماً خشية أن تكون أحكامه غير دقيقة وإنما يذكر ما يسمع ويروى ما يراه وبالرغم من أن مثل هذا الأمر يقلق الدارس إلّا أنه يدل على تحرج كبير من الباحث العربى على إصدار الأحكام .

إن ذكر كل الروايات الصادقة والمختلفة منهج قد يفيد الذين يأتون فيما بعد لاستخراج الحوادث الضعيفة والمدسوسة كما يرسم صورة للعصر الذى ظهرت فيه الحوادث التاريخية ، فقد روى الطبرى بأنه اعتمد الحوادث المتعددة المتنوعة ، وحددها بقوله : ( ما أحضرت ذكره فيه ، مما شرطت أنى راسمه فيه ، إنما هو

---

(١) يكفى ذكر أرصاد يحيى بن أبى منصور ومعاونيه فى بغداد ودمشق فى عصر المأمون وأرصاد حبش الحاسب لمواقع النجوم السيارة وكسوف الشمس والقمر فى بغداد وسامراء ودمشق فى العصر العباسى وأرصاد ابن يونس فى القاهرة فى بداية القرن الحادى عشر وأرصاد أبى الفتح عمر الصوفى فى شيراز بعد منتصف القرن العاشر وأرصاد البيرونى فى خوارزم فى نهاية القرن العاشر وما جرى فيما بعد فى مراغة فى القرن الثالث ودمشق فى الرابع عشر وفى سمرقند فى الخامس عشر .

(٢) فؤاد سزكين ص ٤٨ ، ٤٩ .

ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه ، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها دون ما أدرك بحجج العقول وأستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه ... فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارؤه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من بعض ناقليه إلينا وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا ... )[1].

وقد اهتم العلماء بما وصلت إليهم من علوم مختلفة من اليونان والفرس والهنود وتتبعوا فيها مختلف التيارات الفكرية فالذين اهتموا بالفلك لضبط الأمور الدينية من صلاة وصيام وحج لم يقفوا عنه عندما احتاجوا إليه إنما أرادوا الاستفادة الكاملة من علم الفلك والعلوم الأخرى ومعرفة الاختلافات في النتائج فأوصلهم هذا — التتبع لجهود العلماء إلى محاولة جديدة في البحث العميق للوصول إلى إزالة الخلاف بين القيم العددية التي وجدها العلماء الإسلاميون في المؤلفات الهندية والفارسية واليونانية .

ومن هذا أن التتبع السطحي ولد عند علمائنا فكرة المقارنة والامتحان أي الإبداع بامتحان نتائج الأرصاد القديمة عن طريق مقارنتها بنتائج أرصاد جديدة[2] وجدوا من الضروري القيام بها ليصلوا إلى الحقائق الدقيقة والنتائج السليمة .

إن هذه المقارنة والتأكد من النتائج العلمية تدل على فكر علمي يسعى بكل قوة لمعرفة علوم الآخرين وإن أولى خطوات البحث العلمي الإحاطة بكل ما كتب الباحثون السابقون وبالمقارنة تظهر صدق النتائج وصحة النظريات واضطروا وهم يتابعون جهود علماء الأمم الأخرى إلى امتحانهم .

وكان كتاب المجسطي من الكتب المهمة التي ينظر إليها بكل احترام فنبه البتاني إلى أنه يجوز أن يستدرك عليه في أرصاده على طول الزمان[3] .

(١) للطبري المقدمة ٧ — ٨ ج ١ .
(٢) تاريخ العلوم عند العرب ص ٦٣ .
(٣) المصدر نفسه .

إن تمحيص المعلومات والتأكد منها بعد تتبعها فى مظانها من أهم أسس البحث العلمى عند العرب والنظرة إلى علم اليونان كانت محترمة ومقدسة والتأكد من آراء بطليموس تعكس لنا الثقة بالنفس والقدرة على التمحيص والدراسة الجادة إذ لم يأخذ علماؤنا عن الهند وفارس واليونان علومهم كما جاءت دون روية إنما درسوها وقارنوا بينها للوصول إلى نتائج سليمة للوصول إلى أمور جديدة لم تكن معارف العصر قد وصلت إليها . ووضعوا أسسًا جديدة بعد تتبع آراء العلماء ودراسة النظريات القديمة التى كانت تسود الجو العلمى ويذكر الدكتور عبد الحميد موقف كارادى فو من فكر العرب وموقفهم من آراء وفروض بطليموس وإعجاب دى فو باتجاه الطوسى النقدى فى التفكير وعدت فى العصر الحديث من الفرضيات العلمية الناجحة بعد أن أهملت ولم يؤخذ بها فى ضوء الهيئة التى افترضها الطوسى . ليصبح ( من الممكن لأول مرة تفسير حركات الكواكب السيارة جميعًا دون الخروج على مبدأ الحركة الدائرية المنتظمة ، ولكن الكشف الذى فاجأ المشتغلين بتاريخ الفلك هو الشبه الكبير بين هيئة ابن الشاطر وهيئة كوبر نيكس وبخاصة فيما يتصل بحركات عطارد .. بالإضافة إلى استعمال كوبرنيكس نفس الحيلة الهندسية التى استنبطها الطوسى واستخدمها فى هيئته الجديدة[1] .

**ثانيا : دراسة النتائج السابقة وتمحيصها :**

بعد أن يطلع العالم على آراء العلماء والباحثين السابقين لايكتفى بآرائهم ، وما توصلوا إليه من نظريات إنما كان ينقدها ويحاول أن يصلح ما فيها فيقوم هو بالدراسة ولاسيما فى حقل التجارب المعملية والميدانية والتطبيق العلمى وبصورة خاصة فى العلوم الصرفة . وبالرغم من تقدم وسائل البحث العلمى ومساعدة المخترعات والمكتشفات الكثيرة والتقنية المتطورة والآلات المبتكرة فما زالت أساليب الدراسة الأولى عند العلماء قاعدة علمية واضحة الأسلوب .

(١) صبره ٧٠.

وكان العالم لا يقف عند ظهور نتائج الأبحاث إنما يدرسها دراسة الخبير ويمحص النتائج للاستفادة مما بقى لها من فائدة فى دراسته وبحثه وقد ضرب البيرونى مثلاً واضحاً عندما تحدث عن الجاذبية الأرضية وقال بأن الأرض تجذب الأجسام وهو يناقش حركة الأجرام السماوية وعلى من يقول : ( إن الأرض لو هكذا دارت إذن لطارت من فوق سطحها الأحجار واقتلعت الأشجار ) ويثبت رأيه بقوة الجاذبية الأرضية فيقول : ( هذا لا يقع لأنه لابد من أن ندخل فى الحساب أن الأرض تجذب كل ما عليها نحو مركزها ) .

ويؤكد هذا الرأى فى كتابه ( القانون المسعودى ) فيقول : ( والناس على الأرض منتصبو القامات على استقامة أقطار الكرة وعليها أيضاً نزول الأثقال إلى أسفل[1] .

إن رأى البيرونى واضح بمعرفته للجاذبية قبل أن يعرفها نيوتن كما برهن على كروية الأرض[2] وفى مثل هذا التأكد من النتائج نجد ذلك فى ميدان الطب والبصريات فقد كان الرازى يرد على إقليدس وجالينوس قولهما فى كون رؤية الأشياء تتكون بخروج الرؤية من العين إلى الأشياء ويصرح الرازى أن الرؤية تحدث بوصول الضياء من المادة إلى العين كما يرى أن حدقة العين تتغير كبراً وصغراً بمقدار قوة الضياء الذى يدخل فيها[3] .

**ثالثا : الاعتماد على التجربة :**

من الضرورى أن يعتمد طالب العلم على التجربة الخاصة والدراسة الموضوعية والبعد عن الهوى والابتعاد على الأساطير والخرافات التى لا تثبت أمام البحث المجرد والعقل المخلص والفكر العميق وبخاصة فى العلوم الإنسانية التى يكثر فيها الوضع والحذف ويدخل الخيال والهوى والمصلحة فى حناياها .

وقد قام السلف الصالح بالتأكد من

(١) دراسات البيرونى فى الطبيعيات الدكتور جلال شوقى ص ٢٦٣ اعتمد على بواتق وأنابيب الكيمياء تأليف برنارد جافى ترجمة الدكتور أحمد زكى ص ٦٢ (والقانون المسعودى) للبيرونى طبعة ج١ ص ٢٢ .

(٢) منهج البحث العلمى عند العرب ص ٢٦٣ .

(٣) مكانة العرب فى تاريخ العلوم فؤاد سزكين ص ٥٠ .

القضايا المختلفة وبخاصة ما يمس العقيدة بالتمحيص والدراسة ومتابعة السند ومعرفة من القائل ومقدار عقيدته وأخلاقه وكان الباحث والدارس يسافر بعيدًا للتحقق من الحقائق والروايات والإسناد والتأكد من أبيات الشّعر ناهيك عن الأحاديث النبوية التي كانت مثلًا راقيًا في ضبطها وتسجيلها.

أما في العلوم التطبيقية فكانوا يجربون بأنفسهم العمليات للتأكد من صدق - النظرية أو الحقيقة العلمية في الطب، والنبات والفلك والجغرافية وغيرها. وعندما أراد البيروني التأكد من الثقل النوعي لاختلاف وزنه وثقله استعمل وعاءً خاصًا لمعرفة الثقل النوعي للمعادن والأحجار الكريمة وقام أبو الريحان بجهد عظيم في تعيين قيم الثقل النوعي لبعض المعادن والأحجار الكريمة مستعملًا وعاءً مخروطي الشكل ذا مصب بالقرب من فوهته بحيث يتجه هذا المصب إلى أسفل، وكان البيروني يزن المعادن المطلوب قياس وزنها النوعي وزنًا دقيقًا جدًا، ثم يدخلها في جهازه المخروطي الذي يكون قد ملأه إلى غاية مصبه بالماء فتحل المادة المولجة محل جسم مساوٍ لها من الماء الذي يفيض من المصب عندئذ يقوم البيروني بوزن الماء المزاح ويعني الوزن النوعي للمادة بحساب النسبة بين وزن المادة المختبرة ووزن الماء الذي أزاحته عند إدخاله في الجهاز ويعتبر جهاز البيروني هذا أقدم مقياس لتعيين كثافة المواد[1] وهو القائل في القانون المسعودي[2] : (وعلى هذا اعملوا كما عملنا نحن وإن كان عملنا للتوطيد، حتى يتأكد من تجارب الآخرين)

والطريف: أن نسمع بأن:

المأمون تولى نصب عمود من حديد بدير مران من دمشق وسواه في صدر النهار ثم قاسه بالماء فوجده متغيرًا عن نصبته طول شعيرة بتأثير برودة الليل فيه[3].

إن الاعتماد على التجربة الفردية. جاءت بحقائق علمية موكدة وأبعدت كثيرًا من

(١) الدكتور جلال شوقي المصدر السابق ٢٦٤.
(٢) القانون المسعودي المصدر السابق ٢٦٨.
(٣) المصدر نفسه جلال شوقي.

الأفكار التى كانت تنقل من جيل إلى جيل دون تمحيص كما جاءت العلوم من اليونان والسريان والفرس والهنود حتى جاء العرب فأخذوه بالتأكيد وإضافة شيء جديد دون أن ينتقص هؤلاء من العلماء السابقين ومن الأمم الأخرى وتتبع الزلات والهفوات إنما كانت إضافات دون تجريح أو تضليل وفى اعتقاد العلماء العرب أنه ما من عالم مَهْمَا بلغ شأنه معصوم من الخطأ منزه عن الزلل. هذه المبادئ أرست لديهم الأسس الأخلاقية للنقد وأدت بهم إلى جعل النقد عندهم مفيداً[1].

وبذلك فإصلاح الخطأ كان رائدهم، واحترام السابقين واضحاً فقد قال البيرونى: «إن ما فعلت هو واجب على كل إنسان أن يعلمه فى صناعته من تقبيل اجتهاد من تقدمه بالمهنة وتصحيح خلل إن عثر عليه بلا حشمة وتخليد ما يلوح له فيها تذكرة لمن تأخر عنا بالزمان وأتى بعد..»[2].

وقد اعتمد البيرونى عندما أراد مقياس محيط الأرض واختار جبلاً من بلاد الهند مشرفاً على البحر وعلى برية مستوية ثم قاس ارتفاع الجبل[3].

وقد اعتمد فى قياسه على التجربة الفردية وهو القائل (وإلى التجربة يلتجأ فى مثل هذه الأشياء وعلى الامتحان فيها يقول)[4].

ويظهر الرازى حبه للتجربة فى مقدمة كتابه «الخواص» حيث برر رأيه فى تأليف هذا الكتاب الذى قرر أن يجمع فيه أقوال الناس فى خواص الأشياء، ويجوز من قبول هذه الخواص دون التثبت بالتجربة[5] وبذلك فهو لا يثبت إلا الخواص التى شهدت التجربة والاختبار بجدواها وآثرها.

(١) سزكين ص ٥٢.
(٢) المصدر نفسه ص ٥٣ عن القانون المسعودى ص ١ — ٤ — ٥.
(٣) منهج البحث العلمى عن العرب جلال محمد عبد الحميد موسى (الكتاب اللبنانى ص ٢٥٩).
(٤) المصدر نفسه عن علم الفلك عند العرب.
(٥) المصدر السابق ص ١٨١ — ١٨٣.

**رابعا : العرض الجيد والابداع :**

إن عرض الفكرة العلمية لابد لها من أسلوب جيد قادر على تقديم المعلومات ضمن الإطار العام للبحث مثل تسلسل الآراء وسبك المعلومات بدقة متناهية فى استخدام الكلمات دون إطالة فى الحديث واستفاضة زائدة للوصول إلى النتائج أو النظريات التى يريد أن يصل إليها العالم الباحث .

إن الأصالة العلمية والإبداع الفكرى وصدق النتائج لا تأتى إلّا بعد دراسة ـ عميقة مستفيضة لجوانب المعرفة ، والإحاطة التامة بالبحث والفهم الدقيق لما قرأ أو درس أو طبق من العلوم ـ والنظريات فى الكتب أو المختبرات أو تجارب الميدان التطبيقى .

فقد أخذ العرب علومهم من أمم شتى ومن مصادر مختلفة منها طريقة التجربة الذاتية والترجمة من اللغات الأخرى .. ولما نشأ جيل يفهم اللغات الأجنبية واستعرب من هذه الأمم بدأ الإحساس بالعلوم أكثر التصاقًا بالمفاهيم العربية كاليونانية والهندية والفارسية واستمر التراث يستفيد من الأمم الأخرى حتى أواسط القرن الثالث الهجرى . وبعد أن هضم التيارات الحضارية للأمم الأخرى وبدأ يعرف جوانب علومها ومعارفها نشطت عنده ملكة الإبداع العلمى فى مختلف ميادين العلوم وتطورها وأصلحوا بعض الأفكار القديمة عند اليونان مثل ( مقاييس بطليموس وأرصاده ) وأكملوا نواقصها وقاسوا اختلاف منظر القمر واستعمال مناهج حسابية غير معروفة عند الإغريق[1] .

وقد ضرب الدكتور فؤاد سزكين بمرحلة الخلق والإبداع والثقة العلمية بالنفس ـ الذى لدى علمائنا وقدرتهم على التوصل إلى نتائج لم يتوصل إليها علماء اليونان بدراسات ( الإخوة الثلاثة المشهورين ببنى موسى ،والذين كانوا يقومون بعمل مشترك

---

(١) مكانة العرب فى تاريخ العلوم ص ٤٨ ؛

فى دراساتهم لأرخميدس وأبلونيس . . . هؤلاء الإخوة الثلاثة كانوا يحاولون – الوصول إلى تحديد الرقم اليونانى ليكون أدق مما وصل إليه القدماء وإلى حل جديد لمسألة تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية وقد كانوا يصححون ما وقع لأبلونيوس فى كتابه ( المخروطات ) على رأيهم (١) .

ولم يختلف علماء الأندلس عن رأى علماء العرب فى المشرق فقد كانوا شديدى الحذر من أخذ علوم اليونان بالرغم من أن هناك جذورًا فكرية تنازع الفكر العربى الإسلامى فى حداثته متصلة باليونان ، لكن الفكر الإسلامى والإبداع عند علمائنا رفض آراء بطليموس فى الفلك وأعادة تكوين علم جديد يلائم ما يريدون مفضلين أرسطو عليه .

**انشاء نظرية جديدة فى الفلك :**

فقد وقف من نظرية بطليموس ابن طفيل وابن رشد وابن ميمون وجاء فى أثرهم البطروجى بنظرية جديدة معارضة للفلك البطلمى فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى ورغم أن محاولة البطروجى لم تكن موفقة من الناحية الرياضية فإنها دليل واضح على قوة التيار الفكرى الجديد فى الأندلس ومداه .

ولا جدال فى أن نزعة التجديد والنقد والتطور صاحبت العلوم الأخرى فالطب والرياضيات والفلك مثل تطور العلوم الأخرى .

**خامسا : الأمانة العلمية :**

كان تراثنا أمينًا كل الأمانة فى ذكر المصادر والمراجع التى أخذ منها وتسلسل الرواة والرواية والتثبت من كل رأى وفكر فى البحث العلمى لإتمام بحوث الذين سبقوه من العلماء ليكون أمينًا فى النقل والرواية .

ففى البحث العلمى المعاصر الذى أخذنا شكله العام من الغرب لابد أن توجد هوامش فى البحوث ترقم عند أخذ النص فى المتن ويشار إلى الكتاب الذى أخذت منه المعلومة ويذكر اسم المؤلف والصفحة وسنة

(١) مكانة العرب فى تاريخ العلوم ص ٤٨ .

طبع الكتاب ومكان طبعه وغيرها لمعرفة هوية الكاتب واضحة لتوثيق الرأى ، لأن المطبعة أثرت الحياة العامة بالكتب المختلفة فى العلوم المتنوعة .

ولا تختلف أساليب علمائنا عن هذا التوثيق يضاف إليه دراسة صاحب النص ومقدار صدقه وعلمه وخبرته فيما يؤلف فيه برغم أن الكتب كانت مخطوطة وصعوبة الحصول على أدوات التأليف قياسًا بسهولتها اليوم .

وبدأت عملية التوثيق بالحديث النبوى الشريف وظهرت كتب الصحاح وسار العلماء والأدباء على هذا النهج فى التاريخ والجغرافية ورواية الشعر والأخبار والأنباء فى الأغانى والطبرى والمسعودى والبلاذرى وسير الرجال والأسانيد المختلفة خير دليل على غربلة الخبر ونقده وتمحيص الروايات .

ما كان العالم يفكر فى الجنس واللون أو الدين عندما أخذ علومه من الأمم الأخرى كاليونان والهند والسريان والفرس وما أخذ هؤلاء من الآشوريين والبابليين إنما كان فى فكره الممحص وذكائه المغربل ينتقى المعلومات ويقارن بين العلوم ومصادر المعارف بأمانة مطلقة وتدقيق عميق . وكان العالم يذكر رأيه بوضوح وصراحة فهو يمدح الجيد ويؤكد على الصواب ويبتعد عن ما يخالف عقيدته ودينه ورأيه .

وللأسف الشديد وجدت بعض علماء الغرب وكثيرًا من المستشرقين والمستعربين يأخذون من علومنا وتجارب علمائنا خلال قرون طويلة دون أن يذكروا مصادر علمهم حتى قيض الله من أبنائهم من أعاد لنا الحق بصراحة واضحة . فمن هؤلاء روجربيكون الذى (يعد منذ أمد بعيد المؤسس للمنهج العلمى الذى يقوم على أن التجربة هى أساس البحث فى العلوم الطبيعية )[1] حتى جاء عالم غربى فوقف أمام هذا الرأى وقال : ( إن روجر بيكون أخذ كل الاستنتاجات المنسوبة إليه فى العلوم الطبيعية )[2] .

(١ ، ٢) مكانة العرب فى تاريخ العلوم ص ٥٣ .

وقد أكد مكانة العرب العلمية فيدمان وترام فيما كتباه وأوضحا مكانة العلماء فى بناء قانون التجربة والنظرية وأثرهم فى بيكون ودافنتشى حتى قال فيدمان : إن العرب كانوا سباقين إلى الموضوع ، بل إن ما توصل إليه بيكون أقل بكثير مما كان موجودًا عند علمائنا[1] فالنظرية والتجربة أهم قواعد البحث العلمى وكانت أساليبهم العلمية متوازنة محسوبة الخطوات ، فقد ذكروا خطوات بحوثهم وتطور أعمالهم حتى يصلوا إلى النتائج العلمية بدقة وهدوء وصدق .

وفى الوقت ذاته كان علماء الغرب يسطون على معارفنا وينتحلون الكتب بعد ترجمتها مثل انتحال Mignel Serreit كتاب ابن النفيس[2] .

ومن الأمانة العلمية الاعتماد على التجربة العلمية للتأكيد على صدق النظرية لإرضاء الضمير العلمى الذى يؤكده الدين الذى يمنع الكذب والسرقة والسطو على الآخرين وبذلك وجدنا صدق الرواية والتحرج من الظن والحدس والتخمين بالخطوات المتسلسلة التى تأخذ حلقاتها واحدة بأخرى للوصول إلى اطمئنان نفسى من النتائج والنجاح فى الدراسة .

وظهرت تلك الأساليب فى جميع العلوم المختلفة والتجارب المتنوعة فى إنشاء المراصد والتدقيق من الرصد عكس الغرب الذى كان يأخذ من علمائنا ويزعم أنها من اليونان ويكتب عليها أسماء علمائه وفلاسفته .

**انصاف العرب :**

إن الاهتمام بالشرق وبالمسلمين كان جزءًا لا يمكن تجاهله من حياة الغرب الذى كان يطمح أن يكون مثل علماء العرب والمسلمين وقد كانت كلمات الشرق والإسلام والعرب متحدة ومتشابكة لوجود الاختلاف الفكرى والدينى بين أوروبا والشرق فلا عجب أن نجد العداء النفسى لكل ما هو غير عربى والتجاهل التام للحضارة الإسلامية والتراث العربى والإرث الشرقى .

ثم بدأ بعض الكتاب والشعراء فى الاستفادة من الأدب العربى بالترجمة التى

(١) مكانة العرب فى تاريخ العلوم ص ٥٣ ، ٥٤ .
(٢) مكانة العرب فى تاريخ العلوم ص ٥٧ .

نشرت منه وكانت هذه الترجمة مقدمة للتعرف على الفكر فى حضارتنا وبداية ألفة لمقاومة روح العداء التى استشرت فى أوروبا ولعل الأدب كان أول طريق مهد للعلوم وأفسح المجال لمحاربة هذا العداء التقليدى لتراثنا .

وما جاء القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر إلّا أخذت حضارتنا تجلب لها جماعة من المستشرقين تتعاطف معها ثم اعترفت بالأثر الحضارى فى حضارة الغرب من هؤلاء كارلايل ونللينو وفيديمان وأخيراً سنكريد هونكه وكبريللى وريزيتانو وشاخت ، وسير هملتن كب واربرى وبوزورت من القرن العشرين .

وممن أخذ شهرة جورج سارتون عندما كتب المدخل إلى تاريخ العلم وأعطى أهمية للعلوم العرب بالمقارنة مع تاريخ العلوم عند الأمم الأخرى وخرج بمنهج أدى إلى إبراز تفوق العلم العربى على غيره فى الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن الميلادى ونهاية القرن الرابع عشر[1] وأبرز رواد البحث العلمى فى تراثنا وسمى فترات التطور العلمى بأسماء عاش أصحابها فى العالم الإسلامى ودونوا مؤلفاتهم باللغة العربية مثل عصر جابر بن حيان وعصر الخوارزمى وعصر الرازى[2] .

ولا شك أن الحضارات تأخذ من بعضها وتستفيد من تجارب الأمم الأخرى فى مختلف العصور وتباين المعارف وحضارتنا جزء من الحضارة العالمية وما توصل إليه علماؤنا جزء لا يمكن فصله عن تجارب ونتائج البحث عند علماء الأمم وبخاصة اليونان والهند وبلاد فارس بعد أن نقل العرب علوم الحضارات الأخرى إلى العربية ومن ثم أخذت أوروبا ما عندنا وترجم إلى اللغة اللاتينية بمختلف المعارف العلمية والأدبية برغم الموقف السلبى مما فى حضارتنا من إبداع وخلق وإضافات وإصلاح أغلاط ومناقشة للآراء للوصول إلى الحقيقة العلمية المجردة لأن العلماء كانوا صادقى الرغبة فى الاستفادة من الحضارات التى سبقتهم

(١ و٢) تاريخ العلوم عند العرب ص ٦٠ و٦٥ للدكتور عبد الحميد صبرة .

وعاصرتهم بداية من الآشوريين والبابليين الذين أسسوا العلوم وأنجبوا الحضارة العالمية الأولى وأثروا فى كل من جاء بعدهم كاليونان والسريان والفرس والهند وبلغت الحضارة العربية والإسلامية مرحلة النضج العلمى بعد هضم مراحل التطور العلمى للأمم الأخرى ووصلت إلى نتائج علمية، وفكرية متقدمة فى الفحص والدراسة .

أخذ العرب الحساب عن اليونان ولكنهم أضافوا إليه دون جهل للحساب الستينى البابلى الذى أخذه اليونان منهم بما فيه من خليط من جذور وأصول قديمة وبخاصة تطبيق النظام العشرى على الأعداد الصحيحة والكسور على السواء بالإضافة إلى استخدام الأرقام الهندية، ولا شك أن الكاشانى قد اهتدى فيه إلى حساب الكسور الستينية[1] فقد سبق ظهور هذه الكسور فى أوروبا حوالى مئتى عام[2] ومثلها فى الجبر الذى لا شك فى أنه عربى بأسلوبه وطريقته واسمه، ولا يعرف فى اليونان سبق له، وكتاب الخوارزمى دليل واضح على هذه الأصالة، ثم أضاف إليه العلماء المسلمون فيما بعد إضافات أبرزته كالكرجى والخيامى والطوسى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**يوسف عز الدين**
عضو المجمع المراسل ( من العراق )

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب ص ٦٠ .
(٢) المصدر السابق ٦٥ .

# العلاقات الثقافية بين القاهرة وتونس من خلال رسائل الزبيدى صاحب تاج العروس

للأستاذ أبو القاسم محمد كرّو

لعل أكثرنا ما زال يذكر ما أتحفنا به شيخنا البحاثة الجليل سيدى محمد الفاسى فى الدورة الثالثة والخمسين : من بحث قيم عن العلاقات العلمية الوطيدة والعميقة بين الشيخ العلامة مرتضى الزبيدى – صاحب تاج العروس – وبين علماء المغرب وخاصة منهم علماء فاس ، وبينهم العلامة ابن مالك عبد الواحد بن محمد الفاسى الذى أجازه الزبيدى فكانت إجازته موضوع البحث المذكور .

وقد تبسط شيخنا الفاسى فى ترجمة جده ابن مالك وفى الحديث عن الزبيدى وعلاقاته الواسعة مع علماء المغرب الأقصى مما يؤكد أهمية تلك العلاقات التى هى جانب واحد فى جوانب التواصل العلمى بل الوحدة الثقافية واللغوية بين المشرق والمغرب .

ومن حسن الصدف أن اكتشفت فى العام الموالى وثيقة أخرى غير تلك الإجازة التى أتحفنا بها الشيخ الفاسى وثيقة من نوع مختلف وتصنيفها مجموع خطى نفيس كان تائهًا ومغمور فى مكتبتى الخاصة .. وقد شغلتنى عنه الشواغل الكثيرة والغفلة والنسيان .

يتضمن المجموع مختارات عديدة من الرسائل والإجازات والأشعار اختارها ونسخها بقلمه عالم مغربى مغمور [1] ، كان مقيمًا بتونس عام كتابتها ١٢٤٤هـ وهذا المجموع هو أقرب ما يكون إلى تأليف أدبى ، وإن لم يوضح ذلك جامعه .

على أن أهم قسم فى هذا المجموع هو القسم الثانى الذى تضمن عشرات الرسائل الشخصية الخاصة الذى كتبها الزبيدى إلى صديق له بتونس عرف فى عصره بالعلم والصلاح والتقوى وكان مقعدًا ملازما لسقيفة بيته . وهو الشيخ أحمد بن عبد الله

(١) يدعى عبد القادر بن عبد القادر بن الزين المغربى الخالدى الميمونى . كان حيا عام ١٢٤٨ هـ

السوسى أحد علماء تونس فى القرن الثانى عشر ومطلع الثالث عشر هجريًّا .

ومعلوم أن الزبيدى قد توفى بالطاعون عام ١٢٠٥ ، أما صاحبه التونسى فكانت وفاته بعد الزبيدى بثلاث سنوات ١٢٠٨ ﻫ وأن نفاسة هذه الرسائل تتمثل فى :

أولًا : أنها صادرة من الشيخ الزبيدى نفسه إلى واحد من علماء تونس فى أيامه .

ثانيًا : أنها تتناول جوانب عديدة من حياة العصر العلمية والسياسية والاقتصادية كما فهمها وناجى بها الزبيدى خليله وصاحبه التونسى .

ثالثًا : أنها توضح جوانب مختلفة من العلاقات الثقافية بين القاهرة وتونس ، وأيضًا بين المغرب والمشرق ، خلال القرن الثانى عشر ، وذلك بما تتحدث عنه من شئون وشجون تتصل بالأدب والكتب وما كان بين العلماء من شواغل واهتمامات علمية وإنسانية .

رابعًا : أنها توضح ، ولأول مرة ، جوانب طريفة وخاصة جدًّا من حياة الزبيدى العائلية والشخصية لم يذكرها ــ فيما نعلم ــ أقرب تلاميذه المتصلين به وأكثرهم معرفة بخصوصياته وهو المؤرخ الشهير عبد الرحمن الجبرتى الذى ، وإن حدثنا عن زوجة الزبيدى الأولى والثانية فإنه أكد أن الزبيدى لم يرزق أولادًا ولكن الزبيدى يتحدث فى رسائله بأن الله قد رزقه ولدًا وأنه سماه « عبد الله » تيمنًا باسم والد صديقه التونسى ، لما كان عليه هذا التونسى من صلاح وتقوى حملت الزبيدى على أن يلتمس منه ــ فى معظم الرسائل ــ البركة والدعاء له ولابنه ولزوجته الأولى ــ أم ولده ــ وأن يستجيزه أيضًا لنفسه ولابنه .

وفى هذا الجانب وحده مايبرهن على طرافة هذه الرسائل وأهميتها التاريخية والأدبية .

وخلافا لما تحدثت عنه المصادر المشرقية ، وخاصة تاريخ الجبرتى ، من تهافت المغاربة ــ علماء وأمراء وعامة الناس ــ على الزبيدى طلبًا لبركته والتماسًا لرضاه ودعواته ، حتى زعم الجبرتى بأن الحجاج المغاربة كانوا يعتقدون أن حجهم يظل ناقصًا إذا لم

ـزوروا الشيخ الزبيدى ليمنحهم رضاه
وبركته .. إخلافًا لهذا الزعم فإن رسائل
الزبيدى تكشف لنا عن تهافته وخضوعه
بل سد حاجته أحيانًا من هذا العالم
لتونسى المغربى الذى لم يكن فى عصره من
لعلماء البارزين ، كما لم يترك أثرًا علميًا
احدًا .

كذلك تكشف لنا رسائل الزبيدى عن
موقف مماثل نحو أمراء تونس البابات ،
كيف كان الزبيدى يبعث إليهم - من
تلقاء نفسه - الهدايا النفيسة وقصائد
المديح وإجازاته العلمية - فى حين يذكر
هو نفسه مواقف معاكسة نحو أمراء مصر
صدور الخلافة الذين - كما يقول - كان
رفض هداياهم .

مهما يكن من أمر ، فإن عدد هذه
الرسائل - على اختلاف حجتهما - يتجاوز
الخمسين رسالة ، وهى تقضى زهاء العشر
سنوات الأخيرة من حياة الزبيدى ، وهى
فى اتجاه واحد أى من الزبيدى إلى صديقه
التونسى إذ يبدو أن صاحبه التونسى لم
يحتفظ لنفسه بنسخة من رسائله للزبيدى .

ونظرًا لوقتنا المحدود ، ولأننى أقوم
حاليًا بتحقيق مفصل لهذه الرسائل تمهيدًا
لطبعها . فإنى أكتفى هنا بتقديم معلومتين
جديدتين مما تضمنته هذه الرسائل كدليل
على أهميتها مع ملحق به صفحة من رسالة
هامة :

المعلومة الأولى تؤكد أن الزبيدى - كما
تحدث فى رسائله أكثر من مرة - قد رزقه
الله ولدًا بعد طول انتظار ويأس ، وأنه
سماه - كما أشرت سابقًا - عبد الله .
وها هو يتحدث عنه فيقول[1] :

« ... وذكرت لكم فى الكتاب الذى
قبل هذا من قبل ولدى عبد الله ، فقد
تزايد لى فى ليلة سبع وعشرين من شهر
رمضان من شهور سنة ١١٩٤ م وسميته
باسم والدكم المرحوم تبركًا به ومحبة إليه
وكنيته أبا الفضل ، أسأل الله العظيم أن
يجعله بارًا بوالديه عالمًا عاملًا محدثًا ،
صوفيًا . ولقد جاءنى بعد أن يئست
وطرق المشيب المفارق ... فأحببت أن

تشرفوه بالإجازة يسمو بها بين الأنام وتنعيمه بحملها يحفظ من صـوارف الأيام ... » (١) .

ولكن هـذا المولود لم يعش طويلاً ففى إحدى رسائله عام ١١٩٦ هـ يخبر بوفاته وبمكان دفنه وحزنه عليه حزناً شديداً حتى بنى قبرين حول قبره ، واحداً له والآخر لزوجته التى توفيت بالفعل عام ١١٩٨ هـ كما سجل ذلك الجبرتى وأكدته لنا رسائل الزبيدى مع تفاصيل أخرى .

والمعلومة الثانية : أن الزبيدى كان يحب الشكلاطة ويبدو أنها لم تكن معروفة فى القاهرة . فكان صديقه التونسى يرسل له منها باستمرار ، ربما كل شهر ، حيث كان تبادل الرسائل بينهما شهرياً وعلى مدى عشر سنوات . فى رسالة متأخرة شكر الزبيدى صاحبه التونسى على مختلف الهدايا وشكره كذلك على الشكلاطة وعلى الآلة الخاصة بصنعها والتى كانت مع الهدايا .

على أن الزبيدى كان بدوره يهادى صاحبه بنفائس الشرق وبالكتب التى يطلبها . ويتحدث إليه عن كثير من شجونه وعن أبحاثه العلمية وعن كل قسم أو جزء يكمله من شرحه لكتاب إحياء علوم الدين .

رحم الله الجميع وأفادنا بعلمهم وتراثهم .

**أبو القاسم محمد كرو**
عضو المجمع المراسل من تونس

(١) باقى الرسالة فى الملحق .

فهلي حبيب الانوار ومحبب السر الخلوات وحولا خوفي لعلم الصفة الموجبة للمقتر
والاعيادة والاجتماع على جمعت الباب والاسماء الخطاب في المسكر حسن التوجه
والسالكين الى احوال المحب المخلص بعد قيام عهده واداء وظيفة تذكرة عسى ان يجتمع
شمله مع اهل الله ويكف عن اعراض مجمل الوقوع في الاشتباه والكل ميزان وبيان
والسبيل من عمل بين القصور والنسيان ونمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لها
هو وعليه قصد السبيل وذكرت لي في الكتاب الذي قبل هذا من قبل ولي عبد الله
محمد بن اسيدي في ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان من شهور سنة ١١٩٤ ومضمنه
بالسم والزكي الموضوع تبركا به ومحبة اليه وكتبته ابا الفضل بسال الله العظيم
ان يجعله بابا لحو الدين على لم عالم كلا محمد ثابت هو فيها ولفتح فيه بيان بيانه
وكشف المنقب المعارف واتم التدبير وعلا العقل في حيث ان تشرحوه بالاجازة
فيسمو بها بين الانام ونجمة في جملها من صوارف الايام وتاخذوا له
كذلك الاجازة ممن احببتم من علماء البلاد من الطلحاء وان هذه والواصل في
طي هذا الكتاب الى حضرته نسخة صغيرة كنت جمعتها سابقا في السلوك على
مشرب الطريقة النقشبندية نفع الله بهم تشرح بطول الكلام عليها
ويسكت حضرتكم وطريقته بها في الاتصال بكل من العوشتين المسلسلين
بمكاوية قرأولي وتبين الثانيه ولا تؤاخذوني في قلة الادب في المحب
والمحب داخل في مقام الادلال بين التذلل والتدلل نعطكم يختار فيه العالم المحرر
ويعنى لتكنه من مقاطع الكلام نتمم نعمة من حيث المحب تذكر الانعام بهذا الكلام
على مرور الايام والتمم في محبة الملك العلام وصلى الله على سيدنا محمد بدر الظلام
وعلى آله وصحبه ما هدر حمام وهطل الغمام تحريرا في ليلة الاثنين ٨ ربيع الآخر
١١٩٥

# الإطار التاريخي لسورة براءة

## للدكتور حسين مؤنس

يذهب الكثيرون من علماء القرآن الكريم والمفسرين إلى أن سورة براءة أو التوبة ، وهى التاسعة من سور المصحف المتداول هى آخر سورة كاملة أُنزلت على رسول الله ﷺ ويقولون : إنه أُنزلت على رسول الله بعد براءة آيات كثيرة دخلت فى سور أُخرى ، والعامل الرئيسى الذى يجعل العلماء يقولون ذلك هو : ارتباط هذه السورة الشديد بغزوة تبوك التى بدأت السورة تتنزل على رسول الله وهو عائد منها ، واتصال آياتها الوثيق بحوادث تلك الغزوة وما وقع فيها .

وإذا كانت سورة براءة أو التوبة تتميز فى مجموعها بوحدة الموضوع ، فكل آياتها تدور حول أحوال المدينة خلال العام التاسع للهجرة وبيان العيوب التى كانت فى ذلك المجتمع قبل انتقال الرسول إلى الملإ الأعلى بعام هجرى على وجه التقريب ، فهى ترتبط كذلك كل الارتباط بغزوة تبوك التى كانت فى رجب وشعبان سنة ٩ هجرية — ( أكتوبر — ديسمبر سنة ٦٣٠ ميلادية )

وعندما نقرأ السورة وندرس الظروف التى وقعت فيها غزوة تبوك ندرك تمام الإدراك أن الله سبحانه وتعالى بعث رسوله فى هذه الغزوة اختباراً للمجتمع المدنى وبياناً لأحواله وعيوبه ووجوه التقى فيه لتجىء سورة التوبة بعد ذلك حداً فاصلاً بين العصر الذى كان يباح فيه للعربى أن يبقى على الجاهلية ، والوثنية أو يدخل الكعبة . فإن السورة نفسها تبدأ بوضع الحد الفاصل بين العصرين وذلك فى آياتها الأُولى :

« بَرَآءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِى الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ

مُعْجِزِى اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِى الْكَافِرِينَ *
وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ
الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ
وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ
يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ
أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ
إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ » .

ثم يلى ذلك أمر من الله بالحرب على المشركين وضرورة قتالهم حتى يتوبوا عن الكفر ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا هم فعلوا ذلك توقف المسلمون عن قتالهم .

«فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ
وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ
تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا
سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » .

وهذا فى ذاته حادث فاصل فى تاريخ الدعوة الإسلامية ، وإذا نحن تأملناه مليًّا تبينًا لماذا نزلت هذه السورة بعد غزوة تبوك ، فإن غزوة تبوك آخر الغزوات التى قادها رسول الله ﷺ ، وقد سبق له . أن قاد حوالى أربعًا وعشرين غزوة ، أما رقمها بين كل العمليات الحربية التى قادها رسول الله ﷺ فهو تسعة وثمانون ، وتبقى بعد ذلك بالإحصاء الدقيق سبعة أعمال عسكرية سيبعث بها رسول الله ﷺ خلال العام الأخير من حياته .

ولا ينبغى أن يهولنا ذلك العدد من المغازى والسرايا والبعوث فإن رسول الله منذ نزل المدينة سنة ٦٢٢ ميلادية رسم خطته على العمل على تحويل المدينة إلى قاعدة الإسلام ، واستخدام هذه القاعدة فى نشر الإسلام فى جزيرة العرب كلها ، وإعدادها لفتح العالم كله بعد ذلك وسار فى عمله بوحى من الله طبعًا . بنظام دقيق وجهد بالغ .

وفى سياق هذا الجهد تحتل غزوة تبوك مكانًا فاصلًا ، فهى الغزوة التى تعين نهاية الجهود لإدخال الجزيرة العربية كلها فى الإسلام وتلى ذلك أعمال مكملة لفتح الجزيرة العربية وإدخالها كلها فى الإسلام وستبدأ مرحلة نشر الإسلام خارج الجزيرة بعد وفاة الرسول ﷺ وانتهاء أبى بكر من حروب الردة .

وغزوة تبوك تبدو لنا وكأن الله سبحانه أراد بها أن تكون إشعاراً بهذا التطور فى مسيرة الدعوة الإسلامية ، وبعض المراجع تذكر أن رسول الله خرج بها فى وقت عسرة وهو يظن أن الروم أعدوا شيئاً ضد الإسلام فى الجزيرة وهذا غير صحيح ، ولا جائز فى السيرة النبوية ،فإن الروم لم يعدوا شيئاً ،وهذا واضح من كلام الواقدى وهو مرجعنا الأكبر فى كل مايتعلق بالمغازى فقد قال هنا ج ٣ (ص ٩٩١ - ٩٩٢ ) والتفاصيل التى لدينا تدل على ذلك فقد ذكر الواقدى بعد ذلك بقليل (ص ٩٩٢) كلاماً يدل على أن رسول الله ﷺ مع عظيم استعداده لهذه الغزوة إلا أنه كان يعرف أن الروم لم يعدوا فى الحقيقة شيئاً لغزو الجزيرة العربية .

ولهذا فهو لم يخف وجهته ، بل أعلنها صراحة لكى تعرف القبائل العربية أنها تسير إلى غزوة خطيرة فيكون ردها على إنذار النبى ﷺ دليلاً على إيمانها أو ضعف إيمانها ،ويكون ذلك كما يتجلى من سورة براءة مناسبة لدرس من الله سبحانه للمسلمين ، وهذه الدروس قائمة على تفاصيل تجربتهم الكبرى فى غزوة تبوك ، وهذا هو الذى نريد أن ننص عليه فى هذا البحث ونزيده وضوحاً بالتفاصيل . وأعتقد أن هذه واحدة من أظهر المناسبات التى تدل على أن السيرة النبوية فى مجموعها كانت درساً أو دروساً عظيمة للمسلمين لا فى العصر النبوى فحسب ، بل فى تاريخهم كله بعد ذلك .

وهذا النظر إلى غزوة تبوك وسورة براءة نظر جديد لم يتنبه له السابقون من المفسرين القدماء الذين تعودوا على أن ينظروا إلى الحوادث على أنها مجرد حوادث لا يرتبط بعضها ببعض بروابط تاريخية ودينية وأخلاقية ،وهذا فى ذاته حال بينهم وبين أن يستخرجوا الدروس العظيمة التى تضمنها سورة التوبة ، فهم دائماً مشغولون بالجزئيات والتفاصيل . وعلى هذا الضوء نرى أن غزوة تبوك ذاتها كانت مناسبة أرادها الله سبحانه ليضع أمام المسلمين قواعد واضحة لعصر جديد سيدخل فيه الإسلام والمسلمون بعدها ، وهذا فى ذاته يعيننا - أولاً - على فهم تفاصيل غزوة تبوك ويمكننا - ثانياً - من فهم آيات سورة التوبة وما تتضمنه من الحكم والتوجيهات التى تتضمنها تلك السورة .

والآن فلننظر إلى غزوة تبوك بإيجاز :

سبقت غزوة تبوك سبع سرايا كلها فى سنة ثمانية هجرية وأوائل سنة تسعة هجرية وكلها كانت بعد إرسال رسول الله ﷺ للمصدقين فى المحرم سنة تسع هجرية .

والمصدقون هنا لم يكونوا حكامًا كما يظن بعض المورخين وإنما كانوا مشرفين على إسلام الناس وإخراجهم الصدقات ، ولكن المؤرخين جعلوهم حكامًا أو ولاة سياسيين وما كانوا بذلك ، فعباد بن بشر الأشهلى الذى أرسل إلى قبيلتى سليم ومزينة لم يكن حاكمًا لهم ، بل لم تكن له أية سلطة على القبائل إنما كان ممثلًا للإسلام فى تلك القبائل ومعلمًا للناس ومبينًا لأصوله ومشرفًا على إخراج الزكوات

وتفاصيل غزوة تبوك عندنا كاملة بفضل الواقدى الذى أتانا بها فى كتاب مغازيه الذى نشر كاملًا منذ سنوات ، وهذه التفاصيل تعطينا - إذا جمعت ودرست - تفصيلًا دقيقًا لأحوال المدينة المنورة فى السنة التاسعة للهجرة .

والناس عندنا يعتقدون أن المجتمع المدنى - بعد تسع سنوات من قيادة الرسول - قد أصبح مجتمعًا مثاليًا ، ولا عيب فيه . ولكن التفاصيل التى لدينا لا تدل على أن كل أهل المدينة كانوا قد دخلوا الإسلام وآمنوا به ، بل كان هناك الكثيرون من المنافقين والمستهزئين ، وسورة براءة التى نزلت بعد ذلك تؤكد ذلك وترى المسلمين كيف كان تصرف الرسول مع هؤلاء - الأعداء على مستوى رفيع جدًا من الإنسانية وبعد النظر .

والقرآن هنا يؤيد ذلك كله ويشرح للمسلمين طريق التصرف مع كل طراز من أولئك الأعداء .

لأن المنافقين مثلًا لم يكن هناك أمل فى إصلاح أحوالهم ، ولكن معاملتهم لا تكون بالعنف والقسوة ولكن بالصبر والحكمة كما نرى فى مثال الجد بن قيس الذى كان مرة ظهر نفاقه ، أى إظهاره الإسلام للمسلمين بالكذب والتظاهر بالإيمان بها نفاقه هنا - أى أثناء استعدادا تبدو بصورة واضحة جدًا يحكيها لنا .

وقال رسول الله ﷺ للجد بن قيس : أبا وهب ، هل لك العام تخرج معنا لعلك

تحتقب[1] من بنات الأصفر ؟ فقال الجدّ : أوَتأْذن لى ولا تَفتِنّى ؟ فوالله ، لقدعرف قومى ما أحدٌ أشدّ عُجْبًا بالنساء منى ، وإنى لأخشى إن رأيتُ نساءَ بنى الأصفر لا أصبر عنهنّ . فأعرض عنه رسول الله ﷺ فقال : قد أذنتُ لك ! فجاءه ابنه عبد الله بن الجدّ - وكان بَدْرِيًّا ، وهو أخو مُعاذ بن جَبَل لأُمه - فقال لأبيه : لِم تردّ على رسول الله ﷺ مقالته ؟ فوالله ما فى سَلِمَة أكثر مالاً منك ولاتخرج ولاتحمل أحدًا ! قال : يا بُنَىّ ، مالى وللخروج فى الريح والحر والعسرة إلى بنى الأصفر ، والله ما آمن خوفا من بنى الأصفر وإنى فى منزلى - بخُرْبَى ، فأذهب إليهم فأغزوهم ، إنّى والله يا بُنَىّ عالمٌ بالدوائر ! فأغلظ له ابنه ،فقال :لا والله ،ولكنه النفاق ! والله ، لينزلنّ على رسول الله ﷺ فيك قرآنٌ يقرأونه . قال : فرفع نَعْلَهُ فضرب بها وجهه ، فانصرف ابنه ولم يُكلّمه . وجعل الخبيث يُثبّط قومه ، وقال لجبّار بن صَخر ونفرٍ معه من بنى سَلِمَة : يا بنى سَلِمَة ، لا تَنفِروا فى الحرّ . يقول : لا تخرجوا فى الحرّ زهادةً فى الجهاد ، وشكًّا فى الحقّ وإرجافًا برسول الله ﷺ . فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : « وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ » إلى قوله : « جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »[1] . وفيه نزلت : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائذَن لِى وَلَا تَفْتِنِّى .. »[2] الآية ، أى كأنه إنما يخشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ؛ إنما تعذّر بالباطل ، فما سقط فيه من الفتنة أكثر ، بتخلّفه عن رسول الله ﷺ ورغبته بنفسه عن نفسه . يقول الله عزّ وجلّ : « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ » يقول : إنّ جهنّم لَمِن ورائه ؛ فلمّا نزلت هذه الآية جاء ابنه إلى أبيه فقال : ألم أقل لك إنّه سوف ينزل فيك قرآن يقرأه المسلمون ؟ قال : يقول أبوه : اسكتْ عنى يا لُكَعُ ! والله ، لاأنفعك بنافعةٍ أبدًا ! والله لأنت أشدّ على من محمّد !

وتؤكد ذلك سورة التوبة أو براءة فى الآية ٤٩ ومايليها ، والسورة هنا تفصل أمر هذا المنافق وتوضح دخائل المنافقين بصورة عامة وترى المسلمين أنهم - أى المنافقين - فى الحقيقة أشرار وأشقياء بشرهم ولافائدة فى استعمال القوة معهم ، لأنهم هم أنفسهم يشعرون بحرج مركزهم

فى المجتمع الإسلامى المؤمن ، ولكنهم لايعرفون كيف يتصرفون . بل إن السورة توضح لنا موضوع الصدقات وفيم تصرف فى الآية ٦٠ وهى آية معروفة ومشهورة ، وهى تتضمن كذلك تفاصيل تكشف عن بعض الفضائل الإنسانية التى يتميز بها الإسلام وتلى ذلك ( الآية ٦١ ) صورة للأذى الذى كان رسول الله ﷺ يتحمله من أولئك المنافقين الذين كانت كراهيتهم للإسلام وخوفهم من المسلمين تؤدى بهم إلى الوقوع فى أخطاء جسيمة ، ولكن الله ينصح المسلمين بالصبر عليهم ، ويكفى أن لهم عند الله عذابًا أليمًا : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

( التوبة ٩ / ٦٠ )

« وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »

( التوبة ٩ / ٦١ )

وتفاصيل غزوة تبوك كما يرويها هنا الواقدى وغيره ترينا كيف أظهر المؤمنون الصادقون – وهم غالبية أهل المدينة – من حقائق إيمانهم واستعدادهم الكامل للبذل فى سبيل الإسلام ما يؤكد لنا بأجلى صورة كيف نجح رسول الله حقًا فى إنشاء مجتمع من المؤمنين الذين يتصرفون رجالًا ونساءً على أعلى مستوى من الإيمان والاستعداد للبذل فى سبيل الإسلام ، كما نرى فى قول الواقدى فى ص ٩٩١ : ( وحض رسول الله ﷺ المسلمين على القتال والجهاد ، ورغّبهم فيه ، وأمرهم بالصَّدَقَة ، فحملوا صدقات كثيرة ، فكان أوّل من حمل أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه ، جاء بماله كلِّه أربعةِ آلاف درهم ، فقال له رسول الله ﷺ : هل أبقيتَ شيئًا ؟ قال : الله ورسوله أعلم ! وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله ، فقال له رسول الله ﷺ : هل أبقيتَ شيئًا ؟ قال : نعم ، نصفَ ما جئتُ به . وبلغ عمرَ ما جاء به أبو بكر فقال : ما استبقْنا إلى الخير قطُّ إلا سبقنى إليه . وحمل العبَّاس – ابن عبد المطَّلب عليه السلام إلى رسول الله ﷺ مالًا ؛ وحمل طَلحة بن عُبَيد الله

إلى النبيّ ﷺ مالًا ؛ وحمل عبد الرحمن ابن عَوف إليه مالًا، مائتى أُوقيّة ؛ وحمل سعد بن عُبادة إليه مالًا ، وحمل محمّد ابن مَسْلَمَة إليه مالًا . وتصدّق عاصم ابن عَدىّ بتسعين وَسْقًا تمرًا . وجهَّز عُثمان ابن عَفّان رضى الله عنه ثُلُثَ ذلك الجيش فكان من أكثرهم نَفَقَةً ، حتى كفى ذلك الجيش مَؤونتَهم ، حتى إن كان ليقال : ما بقيت لهم حاجة ! حتى كفاهم شُنُقَ[1] أسقيتهم . فيقال : إنَّ رسول الله ﷺ قال يومئذٍ : ما يضرّ عُثمانَ ما فعل بعد هذا!

ورغِب أهل الغنى فى الخير والمعروف ، واحتسبوا فى ذلك الخير ، وقوّوا أُناسًا دون هؤلاء مَن هو أضعف منهم ، حتى إنَّ الرجل ليأتى بالبعير إلى الرجل والرجلَين فيقول : هذا البعير بينكما تتعاقبانه[2] ويأتى الرجل بالنَّفَقَة فيُعطيها بعض من يخرج ، حتى إن كنَّ النساءُ لَيُعِنَّ بكل ماقدرنَ عليه .

والقرآن الكريم يؤيد ذلك فى الآية ٧١ من سورة التوبة حيث يقول سبحانه وتعالى : « وَالْمُؤمِنُونَ وَالْمُؤمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ، أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم » ويقول سبحانه بعد ذلك فى الآية التالية (٧٢) : « وَعَدَ اللهُ الْمُؤمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

وكلنا نعرف أن القرآن الكريم نزل منجمًا على أساس حوادث من الواقع حتى يكون الواقع مؤيدًا لما يرد فى القرآن .

ويندر فعلًا أن يلتقى الواقع كما كان فى عصر الرسول مع آيات معينة فى القرآن الكريم مما يؤكد ما سبق أن قلناه من أن غزوة تبوك كانت فى الحقيقة مقدمة من الواقع الذى كان المسلمون يرونه ثم جاءت

(١) شنق : جمع شناق ، وهو الخيط أو السير الذى تعلق بـه القربة ، والخيط الذى يشد به فمها . (النهاية ج ١ ، ص ٢٣٩) .

(٢) فى الأصل : « تتعقبانه » .

آيات سورة براءة لترسم حكم الله سبحانه على أهل الإيمان وأهل النفاق ، وتأتى بعد ذلك توجيهات من الله سبحانه لرسول الله تتضمن القواعد التى ينبغى أن يسير عليها الرسول والمؤمنون حيال أولئك الكفار والمنافقين . ومن الواضح أن هذا الطراز من أهل الكفر والنفاق سيوجد فى كافة المجتمعات الإسلامية بعد ذلك وإن هذه الآيات الموجهة هنا إلى رسول الله ﷺ تتضمن أحكامًا أساسية ينبغى أن تطبقها الجماعات الإسلامية مع من فيها من الكفار والمنافقين ، ويُراد بالكفار هنا الوثنيون الذين لا يؤمنون بالله سبحانه ، كذلك المنافقون الذين يتظاهرون بالإسلام وما هم بمؤمنين ، أما غير المسلمين من أهل الكتاب فلهم أحكام أُخرى لها مكانها المعروف فى كتاب الله ونخرج هنا بتوكيدات لموضوع هذا البحث وهو أن سورة براءة أو التوبة ترسم لنا إطارًا للحياة فى المدينة المنورة بعد تسع سنوات من جهاد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا الإطار ينطبق على أحوال المجتمعات الإسلامية فيما بعد . أى أننا هنا أمام تشريعات إسلامية أساسية تصدق فى كل زمان ومكان ، وموضع الأهمية هنا أن لدينا غزوة معروفة التفاصيل وهى غزوة تبوك ، وتفاصيل هذه الغزوة ترسم الظروف التى نزلت فيها أحكام إسلامية فى حالات المنافقين والكافرين والذى نراه هنا مقال نادر من تطابق الواقع مع أحكام القرآن الكريم وهذا طبعًا موجود فى مناسبات أُخرى من واقع الحياة أيام الرسول وأحكام الإسلام بشأنها ؛ ولكننا هنا أمام مثال نادر من التطابق ؛ فإذا كانت تفاصيل غزوة تبوك هى الواقع فإن سورة التوبة تتضمن الأحكام الإسلامية التى ينبغى أن يطبقها المسلمون فى مثل هذه الحالات ، ويحكى الواقدى هنا — (٣-١٠٤٢ ) حكاية تدل على سعة صدر رسول الله ﷺ والتزامه بأحكام الإسلام حتى فى أخطر الظروف . ذكر الواقدى ( ص ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ ) كيف أن نفرًا من المنافقين ائتمروا أن يطرحوه من عقبه فى الطريق ، والنص يثبت فعلًا أنهم حاولوا ذلك ولم يوفقوا فيه ، ونحن نرى هنا أن الرسول عرفهم فردًا فردًا ، وكان يستطيع عقابهم ولكنه رأى أن — يعاملهم بالحسنى أملاً فى إصلاح أحوالهم ، بل إن أُسيد بن حضير طلب إلى رسول

الله ﷺ أن يعاقبهم ، فقال رسول الله ﷺ لأسيد : إنِّى أكره أن يقول الناسُ إنَّ محمَّدًا لمَّا انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يدَه فى قتل أصحابه ! فقال : يا رسول الله ، فهؤلاء ليسوا بأصحاب ! قال رسول الله ﷺ : أليس يُظهرون شهادة أن لا إلٰهَ إلَّا الله ؟ قال بلى ، ولا شهادةَ لهم ! قال : أليس يُظهرون أنِّى رسول الله ؟ قال : بلى ، ولاشهادةَ لهم ! قال : فقد نُهِيتُ عن قَتْل أُولئك .

وأعتقد أننامهما بحثنا فإننا لن نجد مثالا أبلغ من هذا فى بيان سعة صدر الرسول والتزامه بأُصول الاسلام .

وفى سورة براءة عدد كبير من الآيات يدور حول المنافقين وأعمالهم وما ينتظرهم من العقاب ، ومع أن السورة كلها لا تزال تشير إلى المنافقين وتصف أعمالهم ، إلا أنها تقف منهم ومن كل ضعفاء الإيمان موقفاً حاسماً ومفصلاً ابتداءً من الآية السادسة والثلاثين التى تبدأ بقول الله سبحانه :

« إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّموَاتِ والأَرْضَ مِنْها أَرْبعةٌ حُرمٌ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فلاَ تَظلِمُوا فِيهِنَّ أَنفسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَما يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » .

ويبدو أن هذه الآية مدخل للآيات التى تفصل موقف القرآن الكريم من كل هذه الأَصناف من ضعاف الإيمان . فقد تحدثت السورة قبل ذلك عن اليهود والنصارى وبسطت بعض نقائصهم وسوءَ مايؤْمنون به ومايقولونه ، والقرآن الكريم يصف الأَحبار والرهبان ويبين بعض نقائصهم من وجهة نظر الإسلام .

ولكنه بعد ذلك مباشرة وابتداءً من الآية ٣٦ نفسها يبدأُ فى تحديد موقف الإسلام من هذه الأَصناف من الناس . والكلام كله فى هذه الآية وما بعدها مثقل بالأَحكام ، وهى تبدأُ بإحلال قتال من يقاتلون المسلمين فى الأَشهر الحرم ، ثم يتحدث عن النسىء وأهله ( آية ٣٧ ) وبعد ذلك تبدأُ الآيات فى الكلام على الذين يتثاقلون عن الخروج للحرب فى سبيل الله إذا دعوا إلى ذلك .

ويبدو أن المفسرين لم يفسروا تلك

الآيات التفسير الذى يبين ضرورة خروج المسلمين للقتال فى سبيل الله وما أعد الله من العقاب للذين لايخرجون ، ويبدو أنهم مالوا إلى الأخذ بقول الله سبحانه فى الآية ١٢٢ من نفس السورة :

( وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ) .

وعلى أية حال فإن تفسير المفسرين لهذه الآية غير حاسم ولا مقنع لأن كل الآيات فيما عداها تنص على ضرورة الجهاد للقادرين عليه صحياً وعقلياً وإذا كان هناك من لا يجدون المال الكافى للنفقة على أنفسهم فلابد أن يبذلوا غاية الجهد فى ذلك ولابد كذلك من أن يجتهد القادرون فى إعانة غير القادرين . وهذا فيما أعتقد هو حكم القرآن فى ذلك الموضوع الخطير .

والواقدى نفسه يقول ، تفسير هذه الآية فى الباب الذى ألحقه منفصلاً عن غزوة تبوك وعنوانه : «ذكر مانزل من القرآن فى غزوة تبوك ١٠٦٠ : «ماكان المؤمنون إذا خرج رسول الله ﷺ فى غزوة أن ينفروا كلهم ويتركوا المدينة ولكن ينفر من كل قبيلة طائفة . يقول : بعضهم لينظروا كيف سير رسول الله ﷺ فى المشركين ويعوا ماسمعوا منه «وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » يعنى يخافون الله. وهذا تفسير غير كاف أو مقنع وعلى أى حال فإننا نعتقد أن هذه الآية وما قبلها وما بعدها إن كانت قد فسرت كما ينبغى أن تفسر لكان لذلك أثر بعيد جداً فى تاريخ الإسلام .

وقد لاحظ ابن كثير فى تفسيره لسورة براءة أن سبب غزوة تبوك يكمن فى قول الله تعالى فى سورة براءة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » ( ٩ – ٢٨ ) « قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى

يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ) . ( ٩ / ٢٩ ) .

فقد قال بعد كلام كثير : « وهذه الآية الكريمة نزلت أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعد ما تمهدت أمور المشركين ( يريد فى جزيرة العرب ) ودخل الناس فى دين الله أفواجاً فلما استقامت جزيرة العرب أمر الله رسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى ، وكان ذلك فى سنة تسع ، ولهذا دعا رسول الله ﷺ لقتال الروم ودعا الناس إلى ذلك ، وأظهره لهم ، وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة فندبهم للخروج معه ، واجتمع من المقاتلة نحو ثلاثين ألفا ، وتخلف بعض الناس من أهل المدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم وكان ذلك فى عام جدب ووقت قيظ وخرج عليه السلام يريد الشام لقتال الروم فبلغ تبوك ونزل بها وأقام على مائها قريباً من عشرين يوماً ثم استخار الله فى الرجوع ، فرجع عامه وذلك لضيق الحال وضعف الناس كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى [1] » .

وهذا الكلام وإن لم يكن كامل الصحة فى مجموعة يفتح لنا باباً واسعاً للكلام عن غزوة تبوك وعلاقتها بسورة براءة فإن ابن كثير يقول هنا : إنه بعد إسلام أهل الجزيرة جاءه أمر الله سبحانه بقتال المشركين من أهل الكتاب يهوداً كانوا أو نصارى ، ولم يقتصر الأمر هنا على قتال الروم وحدهم فقد كان من العرب فى الشمال أقوام دخلوا فى النصرانية أو حالفوا الروم فهم معدودون منهم .

قال الواقدى فى الخبر الذى روى عن أن هرقل استعد لقتال المسلمين : ( وهو الخبر الذى تبين بعد ذلك أنه غير صحيح : وإن هرقل قد رزق أصحابه لسنة واجلبت معه لخم وجذام وغسان وعاملة وزحفوا وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها وتخلف هرقل بحمص . ولم يكن ذلك ، إنما ذلك شىء قيل لهم فقالوه » [2] .

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٧٤ — ٧٥).

(٢) الواقدى ، مغازى ٣ — ٩٩٠ .

وإذن فلم يكن الروم وحدهم هم المقصودون بهذه الغزوة ، وإنما قبائل عربية دخلت المسيحية وساروا مع الروم ، وقد ذكر الواقدى هنا لخماً وجذاماً وعاملة فأما الثلاثة الأخيرة من هذه فكانت فيما عرف بعرب الروم أو نصارى العرب ، وهم قبائل عربية فى مداخل الشام من فروع قضاعة ، وكانت قضاعة قد تفككت رضعف أمرها ، ومن أكبر ما تفرق منها جذام وغسان وعاملة وجهينة وباهلة وذات القين وغيرها . وكانت هذه القبائل تتفرق وتمتد حتى تقترب من المدينة المنورة ، وكانت تتعالى على بقية العرب وتحسب نفسها أرفع منها مكاناً ، وكان رسول الله ﷺ قد أدرك ذلك لأول دخوله المدينة

فاتجهت همته إلى غزو جهينة التى كانت بلادها تمتد إلى شمال الجزيرة فسير إليها صاحبه عبد الله بن جحش فى نفر من أصحابه فأخافها ، وأعلنت رغبتها فى محالفة المسلمين فطلبت أن يعطيها الرسول ميثاقاً بالأمان ( أوثق لنا موثقاً ) فأعطاهم عبد الله بن جحش الأمان الذى سألوا ، وهذه سرية لم يذكرها أصحاب المغازى وإنما جمعنا تفاصيلها من النصوص التى بين أيدينا ، وفيها يقال إن عبدالله بن جحش كان أول من لقب بأمير المؤمنين ، أى أمير المقاتلين من المسلمين المؤمنين وهذه سرية سابقة على سرية سيف البحر التى تعد أول السرايا فى كتب السيرة .

وبقيت من فروع قضاعة التى حالفت الروم قبائل كثيرة تمتد بلادها من شمالى خيبر إلى مداخل البلقاء وأهمها هى الثلاث المذكورة هنا ( جذام وغسان وعاملة ) وكان لابد من إدخالها فى الإسلام أو فى عهده قبل غزو الروم وقد ورد هنا أيضاً ذكر لخم ، ولخم ، المأثور الشائع عندنا كانت فى حلف الفرس وطاعتهم ومنهم كانت المناذرة ، ولكننا نرى هنا أن فريقاً من لخم كانوا نصارى ، وكانوا مع الروم وهؤلاء كانوا هم المقصودين فى هذه الغزوة .

وقد صارح الرسول أصحابه وأهل المدينة جميعاً ومن دخل فى عهده من القبائل حول المدينة بوجهته حتى يعرف الناس أنهم يتوجهون إلى بلد بعيد وقتال شديد ، فلا يزعم أحد منهم بعد ذلك أنه لم يعرف إلى أين كانت الغزوة ولكى يختبر المسلمين بذلك ، فمن الناس من تقعد به الإرادة

عن الحرب البعيدة لأن إيمانهم لم يبلغ المبلغ المطلوب فى الجهاد ، وقد حدث من هذا كثير ، وكانت تبوك من هذه الناحية اختبارًا للمسلمين أولا ثم وسيلة لبيان موقف الإسلام من هؤلاء .

وقد أظهر أغلب المسلمين – كما رأينا – إيماناً عظيماً وبذلوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله راضين سعداء .

وقد ذكر الواقدى أمثلة كثيرة من دلائل إيمان هؤلاء ، بل إنه يقف طويلاً عند ما أظهرته المؤمنات من كرم وسماحة وقال : « حتى إن النساء كُنَّ يَجُدْن بكل ما قدرن عليه قالت أم سفيان الأسلمية : قد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدى رسول الله ﷺ فى بيت عائشة رضى الله عنها فيه مسكة ( سورة من ذبْل[1] أوعاج ) ومعاضد وخلاخل وأقرطة وخواتيم وخدمات مما يبعث به النساء يُعِنَّ به المسلمين فى جهازهم والناس فى عسرة شديدة »[2] .

ثم يحدثنا الواقدى بعد ذلك عن اهتمام الرسول ﷺ بتنبيه المسلمين إلى أهمية هذه الغزوة وضرورة بذل أكبر الجهد فيها والإسراع فى ذلك ، ثم رحل وضرب معسكره فى ثنية الوداع ( شمالى المدينة ) ليلحق به من يريد اللحاق ، وقد لحق به الكثيرون جدا حتى بلغت عدة الجيش ثلاثين ألفًا وكانت هذه أكبر قوة عسكرية عرفتها الجزيرة إلى ذلك الحين .

ولكن المنافقين ظلُّوا رغم ذلك كله منافقين ، أى مظهرين للإسلام مخفين العداء له ، وهذا طبيعى فى حالتنا تلك لأن المؤمن الذى فتح الله قلبه للإيمان آمن ، أما الذى امتلأ قلبه بالشكوك فكيف يؤمن ؟

ويبدأ الواقدى هنا فيحدثنا عن الجدّ ابن قيس وكان من كبار المنافقين الذين لم يؤمنوا قط ، وقد زعم هنا أنه لا يستطيع الخروج لحرب الروم خوفًا على نفسه من نسائهم ، وزعم هنا أنه يخشى أنه إذا رآهن ضعف ووقع فى الفتنة ، وواضح أن هذه مجرد تعلة لأن المسألة إذا كانت

(١) الذبل جلد السلحفاة البرية أو البحرية تتخذ منه الأسورة والأمشاط .
(٢) الواقدى ، مغازى ٣ – ٩٩١ – ٩٩٢ .

مسألة فتنة نساء الروم فكل العرب كانوا معرضين لهذه الفتنة ، ولكن إيمانهم كان أقوى منها ، فهم لايخشون على أنفسهم منها لأن إيمانهم يغلب على ذلك كله ، وهم ذاهبون لقتال الروم لا للتعرض لنسائهم ، والواقدى يؤكد هنا أن الرجل لم تكن به كل هذه الفتنة بنساء الروم ، وكان أكبر من أنكر موقف الجدّ بن قيس ابنه عبدالله الذى لام أباه لومًا شديدًا وقال له : فو الله ما فى بنى سلمة أكثر منك مالًا ، ولا تخرج ولا تحمل أحدًا .

وهنا اضطر الرجل إلى أن يكشف لابنه عن حقيقة نفسه وما دعاه إلى القعود عن الخروج مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وتعلق هنا أيضًا بحجة الخوف من فتنة نساء الروم ، فرد ابنه عليه قائلًا له : لا والله ولكنه النفاق ، والله لينزلن على رسول الله فيك قرآن يقرأونه ! » فغضب الرجل على ابنه وخلع نعله فضرب بها وجهه ، فانصرف ابنه ولم يكلمه ، وكشف الحر عن وجهه فمضى يثبط من هم على شاكلته عن الخروج للحرب ، وجعل يوجه كلامه إلى بنى سلمة وهم قومه ولولا النفاق لكان رئيسهم وسيدهم وجعل يقول : ( لا تخرجُوا فى الْحَرِّ ) زهادة فى الجهاد وشكًّا فى الحق وإرجافًا برسول الله ﷺ ولم يفعل الرسول به شيئًا ولكن الله سبحانه أنزل فيه وفى أمثاله قوله :

« فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَإِن رَّجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ * وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ »[1] .

(١) سورة التوبة ٩ — ٨١ — ٨٥ .

يقول الواقدى : «فلمَّا نزلت هذه الآية جاء الابن إلى أبيه فقال : أَلَمْ أَقل لك إنه سوف ينزل فيك قرآنٌ يقرؤه المسلمون ؟ قال : يقول أبوه : اسكت عنى يالكع ، والله لاأنفعك بنافعة أبدًا ، والله لأنت أشد علىَّ من محمد »[1] .

وهذا الموقف والكلام من الجد بن قيس يدل على أنه كان فى الحق تعيسًا بموقفه من رسول الله والإسلام ولكن ماعساه يفعل فى نفسه وقد امتلأت غيرة من رسول الله ونفورًا من الإسلام .

ويقول المفسرون فى تفسير الآيات الأخيرة من الآيات التى ذكرناها أنها نزلت فى عبد الله بن أُبىٍّ الذى يوصف دائمًا بأنه كبير المنافقين وكان رسول الله يعلم بأنه منافق وكاذب ، ولكنه كان يتركه على حاله ليتعذب بموقف المسلمين منه واحتقارهم إِيَّاه وعجزه عن القيام بشىء ، وقد أَراد الله سبحانه أن يكون هذا حالهم لكى يكونوا عبرًا للمسلمين .

وكذلك كان موقف الصبر وطول البال وبُعد النظر من جانب رسول الله دروسًا للمسلمين ، فلو أنه أَراد أن يقضى عليهم كلهم فى ساعة لتم له ما أَراد ، ولكن الله سبحانه أَراد هنا أن يعلم المسلمين ويعرفهم كيف ينبغى أن تكون مواقفهم فى هذا الطراز من أهل النفاق .

ومن المعروف أن الإسلام دين الصبر على الأعداء وطول البال معهم والحكمة فى معاملتهم ، وماكان شىءٌ من هذا ليتحقق لو أن محمدًا صلوات الله وسلامه عليه انتهى من أمرهم فى يوم ، لأن العبرة كانت فى أن يرى المسلمون تعاستهم ، وعذابهم وسوء مركزهم وسط المسلمين .

وكان ابن أبى لايستطيع كتمان نفاقه لأنه فى الواقع كان يعانى منه وكان غروره بنفسه يمسكه عن الإيمان برسول الله ﷺ .

قال الواقدى : « فلمَّا سار رسول الله ﷺ تخلف ابن أُبىّ عن رسول الله ﷺ فيمن تخلف من المنافقين وقال : يغزو محمد بنى الأصفر ! مع جهد الحال والحر والبلد البعيد إلى ماقِبَلَ له به !

---

(١) الواقدى ، مغازى ٣ — ٩٣ .

يحسب محمد أن قتال بنى الأصفر اللعب !

ونافق معه من هو على مثيل رأيه ، ثم قال ابن أبي : والله لكأنى أنظر إلى أصحابه غدًا مقرنين فى الحديد ! إرجافًا برسول الرسول ﷺ [(1)] .

ومع ذلك فقد تركه رسول الله على حاله لتزداد تعاسته وسط المسلمين . وكان الناس يعرفون المنافقين بينهم ، ولكنهم كانوا يتركونهم على مذهب رسول الله ﷺ من هذا الطراز من الناس ، قال الواقدى : « قال : حدثنى يونس بن محمد عن يعقوب بن عمر بن قتادة عن محمود ابن لبيدا أنه قال له :

هل كان الناس يعرفون أهل النفاق منهم ؟ فقال : نعم والله ! إن كان الرجل ليعرفه من أبيه وأخيه وبنى عمه . سمعت جدك قتادة بن النعمان يقول : تبعنا فى دارنا قوم منا منافقون ثم من بعد سمعت زيد بن يقـــول فى بنى النجار : من لابارك الله فيه ! فقال : من يا أبا سعيد ؟ فيقول : أسعد بن زرارة وقيس بن قهد ، ثم يقول زيد : لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك فلمّا كان من أمر الماء ما كان دعا رسول الله ﷺ فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس .

فقلنا : يا ويحك أبعد هذا شئ ؟

فقال : سحابة حارة ! وهو والله رجل لك به قرابة .

قال محمود : قد عرفته [(2)] !

وإذن فموقف المسلمين من المنافقين تسامح وعقل مقصودان كى يتعلم المسلمون كيف يصبرون على المنافقين فى وسطهم حتى يبلغ بهم الأمر أن يؤمنوا أو يموتوا على حالهم من النفاق والبعد عن الناس .

وقد حكى الواقدى بعد ذلك حكاية رجل من المنافقين يسمى زيد بن اللصيت وكان من بقايا بنى قينقاع ، وكان رسول الله ﷺ قد فقد ناقته فقال المنافقون

---

(١) الواقدى ، مغازى ، ٣ — ٩٩٥ — ٩٩٦ .

(٢) الواقدى ، مغازى ، ٣ — ١٠٠٩ .

وفيهم زيد هذا ما معناه كيف يأتيكم محمد بخبر السماء وتصدقونه ، وقد ضاعت ناقته فهو لا يعرف أين تكون ، وقد دل رسول الله ﷺ على مكانها ، وذهب الناس وعادوا بها ، فقال زيد بن اللصيت لكأنى لم أسلم إلّا اليوم لقد كنت شاكًا فى محمد وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة ، وأشهد أنه رسول الله ، فزعم الناس أنه تاب : وكان خارجة بن زيد بن ثابت ينكر توبته ويقول : لم يزل فسلًا ( أى رذلًا ) حتى مات »[1] .

وبهذه المناسبة أظهر الرسول ﷺ من العناية بالخيل ما زاد من محبة الناس لها والحرص عليها ، قال : قالوا : وبينا رسول الله ﷺ بتبوك قام إلى فرسه الظرب فعلق عليه شعار ( الشعار ما ولى الجسد من الثياب ) وجعل يمسح ظهره بردائه . قيل : يا رسول الله ، تمسح ظهره بردائك ! قال : نعم ، وما يدريك لعل جبريل أمرنى بذلك ، مع أنى قد بت الليلة وإن الملائكة تعاتبنى فى حسن الخيل ، ومسحها .

وقال : أخبرنى خليلى جبريل أنه يكتب لى بكل حسنة أوفيتها إيّاه حسنة ، وأن ربى عزّ وجلّ يحط بها عنى سيئة ، وما من المسلمين من يربط فرسًا فى سبيل الله فيوفيه بعليفه يلتمس به قوته إلّا كتب الله له بكل حسبة حسنة وحط عنه بكل حسبة سيئة[2] .

بل إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه وجد فى هذه الغزوة الكبيرة فرصة لتربية الناس وحثهم على الثبات والعقل ، فقد فزع الناس ذات مرة لأمر ما ، ويبدو أن فزعهم زاد على الحد فخرج رسول الله علينا مغضبًا فقال : أيها الناس ، ما هذه الخفة ، ما هذا النزق ألا صنعتم ما صنع هذان الرجلان الصالحان[3] ، يريد عبد الله ابن عمر أو عبد الله بن عمرو بن العاص وسالمًا مولى حذافة .

والآيات تتوالى ، بعد ذلك فى بيان أعمال

(١) الواقدى ، مغازى ٣ — ١٠٠٨ — ١٠١٠ .
(٢) وقد أمر الرسول بالعناية بالخيل فى مناسبات أخرى — الواقدى ٣ — ١٠٢٠ .
(٣) نفس المصدر ، ٣ — ١٠٢١ .

المنافقين وأهل الكفر وما أعد الله لهم من العقاب ، وهنا نلقى آيات كثيرة تنص على وجوب قتال المشركين ، ويلاحظ هنا أننا فى العادة نفرق بين الكافر والمشرك ، فنقول : إن الكافر هو من كفر بالله ، أى أنكره وأنكر الإيمان به إنكارًا تامًّا .

أما المشرك فهو الذى يؤمن بالله ولكنه يشرك معه غيره فى الألوهية والعبادة . فأما الكافر وهو فى الغالب وثنى فلابد من قتاله حتى يؤمن أو يموت ، وأما المشرك فإنه يقاتل حتى إذا استسلم للمسلمين خُيِّر بين أن يسلم ويصبح واحدًا من المؤمنين أو يبقى على دينه ويؤدى الجزية فيصبح من أهل الذمة أى من الداخلين فى طاعة المسلمين وحمايتهم أو يقاتل حتى يموت ، وقد درس الفقهاء والأئمة ذلك كله وانتهوا إلى أن الجهاد خارج بلاد المسلمين واجب على المسلمين جميعاً باستثناء من عجز عن القتال للضعف أو المرض أو الشيخوخة ، وجعلوا لكل حالة حلاً أو حلولاً .

أما داخل بلاد الإسلام فإن الكافر بالله لا يترك على كفره أبدًا ، بل لابد أن يؤمن أو حتى الموت أما المشرك فقد ذكرنا حكمه فيما سبق .

* * *

والآيات بعد ذلك تتتبع أعمال المنافقين فى المدينة وتصدر حكم الله على كل طائفة من المنافقين ، مثال ذلك أن نفرًا من المنافقين استأذنوا رسولَ الله فى عدم الخروج للغزو وتعللوا فى ذلك بتعلات شتى ، فقال الله فى الآية ٤٣ وما بعدها :

«عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ * (٤٣) لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * (٤٥) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ، وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالًا وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) » .

وللمفسرين كلام جميل فى معانى هذه الآيات ، فقال ابن كثير نقلا عن ابن أبى حاتم عن رواته : هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا ! بدأ بالعفو قبل المعاتبة فقال : « عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ » .

وقال ابن كثير أيضاً : ولكن نقلاً عن قتادة بن النعمان : عاتبه كما تسمعون ثم أنزل ( الآيات ) التى فى سورة النور : فرخص له فى أن يأذن لهم إن شاء :

« فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ » ( ٢٤ - ٦٢ ) .

ثم يقول الله بعد ذلك : إنهم إذا أرادوا الخروج لاستعدوا له وخرجوا ، ولكن الله يعلم بما فى قلوبهم من الضعف فثبطهم عن الخروج حتى لايكون لهم شرف الخروج ، ثم لكى يحمى المسلمين منهم لأنهم لو خرجوا مع المومنين ماكفوا عن تثبيطهم ومنهم ناس يسمعون لهم .

ثم يقول الله تعالى :

« لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ » ( ٩ - ٤٨ ) .

قال ابن كثير : « وذلك أول مقدم رسول الله ﷺ ، رمته العرب عن قوس واحد وحاربته يهود المدينة ومنافقوها ، فلما نصره الله تعالى يوم بدر وأعلى كلمته قال عبد الله ابن أبى وأصحابه : هذا أمر قد توجه ، أى أن تثبيط أمور المسلمين انتهى أجله وانقضى فدخلوا فى الإسلام ظاهرًا ثم أنهم لما أعز الله الإسلام وأهله غاظهم ذلك وساءهم ولهذا قال الله تعالى :

« حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ » .

ثم يدخل القرآن بعد ذلك فى تفاصيل بعض ماحدث قبيل خروج الرسول ﷺ إلى تبوك من تعلق بعض المنافقين بتعلات واهية - بل سخيفة - لتبرير عدم الخروج للجهاد فيقول - مثلاً فى الآية ٤٩ من سورة التوبة :

« وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ) والإشارة هنا واضحة ، والمراد بها هنا الجدّ بن قيس أخو بنى سلمة ، وكان واحدًا من أكبرهم ، وكان معروفاً أنه فى جملة المنافقين ، وقد دعاه رسول الله ﷺ إلى الخروج للغزو فى أسلوب لطيف مجاملة له ، قال ابن كثير

فقال : يارسول الله ، أو تأذن لى ولاتفتنى فوالله لقد عرف قومى مارجل أشد عجباً بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر عليهن وأعرض عنه رسـول الله ﷺ وقال : قـد أذنت لك وهذا كان كلام الجدّ بن قيس ...أى أنه كان يخشى من نساء بنى الأصغر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله ﷺ والرغبة بنفسه عن الجهاد أعظم (تفسير الطبرى ) ، الأثر ٥٦٧٨٨ ( ١٤ / ٣٨٣ ) ، وينظر سيرة ابن هشام (٢ / ٥١٦ ) . وواضح أن هذا الرجل كان فى الغاية من التفاهة عندما قال ذلك ، فإن فى كل رجل صحيح ميلاً إلى النساء ، ولكن الإنسان يضغط على نفسه ويوجهها ولا يخشى أن يخرج للقتال ، فيتعرض للفتنة من نساء الأعداء ، ولهذا فقد كان إنكار الله سبحانه لموقفه هذا شديدًا ، وكان رسول الله قد صرف النظر عنه لأنه كان يعرف أنه منافق ، فلما نزل حكم الله فيه افتضح أمره بين المسلمين وساء مركزه ولكنه ظل منافقاً .

وفى آيات أخرى بعد ذلك نجد الإشارة إلى المخلفين ، وهم نفر من القادرين على القتال تخلفوا عن رسول الله كسلا وميلاً إلى الدعة ومنهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية ، وهؤلاء اختلف فيهم حكم الإسلام بحسب موقفهم بعد تبوك .

قال ابن كثير : « فكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم بالسوارى كما فعل ابن لبابة وأصحابه وطائفة لم يفعلوا ذلك ، وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون ، فنزلت توبة هؤلاء قبل أولئك ، وأرجِئ هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية الآتية ، وهى قوله تعالى :

« لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِىِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ... » ( الآية ١١٧ ) « وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ... » ( الآية ١١٨ ) .

كما سيأتى بيانه فى حديث كعب بن مالك وقوله :

« فَإِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ » أى . هم تحت عفو الله ، إن شاء فعل بهم

هذا ، وإن شاء فعل بهم ذاك ، ولكن رحمته تغلب غضبه ، « وهُوَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » أى عليم بمن يستحق العقوبة ومن يستحق العفو ، حكيم فى أقواله وأفعاله ، لا إله إلا هو ولا رب سواه(١) .

وهذا الكشف عن أعمال المسلمين وعرضها فى الآيات هو الذى جعل المسلمين المعاصرين لرسول الله ﷺ يخافون هذه السورة خوفاً شديداً ، فقد كانت آياتها تتنزل على رسول الله شيئاً فشيئاً ، وكل منهم يخاف أن يكون قد فعل شيئاً لا يرضى عنه الله سبحانه دون أن يدرى ، ولهذا وصفت سورة التوبة بأنها الكاشفة والفاضحة .

وهذا التطابق بين ماورد فى القرآن وماكانت عليه أحوال المسلمين فى العام التاسع من جهاد الرسول فى المدينة هو الذى جعلنا نقول : إن السورة تعطينا إطاراً لأحوال المسلمين فى المدينة فى ذلك الوقت ، فما دامت الإشارة قد وردت فى القرآن إلى عمل من أعمال المؤمنين أو المنافقين كان ذلك دليلاً لا يقبل الشك على حقيقة ذلك .

وقد تنبه المفسرون الماضون إلى ذلك ، ولكن أذهانهم اتجهت فى الغالب إلى الأحكام الفقهية لأنهم فقهاء ، وما يهمهم فى المكانة الأولى هى الأحكام ، ونحن — طبعاً — تهمنا الأحكام ، ولكن الوقائع التاريخية تهمنا أيضاً .

وهذه حقيقة جديرة بالذكر ، فغالبية المسلمين يجمع على أن المجتمع الإسلامى فى المدينة كان صافياً خالصاً لانفاق فيه ولا غش ، والحقيقة أنه كان فيه غش ونفاق كثيران ، وتلك هى العبرة فى ذكر القرآن لذلك كله فالقرآن لم ينزل للصحابة ومعاصرى رسول الله ﷺ وحدهم ، وإنما نزل لهم وللأجيال التالية لهم ، وهذا هو مجال العبرة والحكمة الإلهية .

وفيما بين ذلك أنزل الله سبحانه آيات كثيرة تحمل قواعد إسلامية ثابتة وعامة وصادقة على اختلاف العصور والظروف ، مثل قوله تعالى فى الآية الستين من السورة .

«إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينَ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٨٤ .

الرقاب والغارمين وفى سبيل الله ) فهنا نجد قواعد عامة عادلة لابد أن يطبقها المسلمون فى التصرف فى أموال الصدقات ، فلابد أن تقسم على الطوائف الثمانية الذين وردوا فى هذه الآية ، وحيث إن الصدقات فريضة على كل المسلمين فهذه طريقة التصرف فيها ، وليس لمسلم أن يتصرف فيها كما يشاء . وللمسلمين كلام كثير فى ذلك كما أن كثيرًا من حكام المسلمين أساءوا التصرف فى الصدقات فاعتبروها ضمن ماظنوا أنه حق لهم من الضرائب على الناس.

وقد أورد الصحابى عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم مع سنده قال فيه : فأتى رجل رسول الله فقال أعطنى من الصدقات فقال له : إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو ، فجزأها ثمانية أصناف فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك[1] » .

وهذه الآية معروفة لنا جميعاً ، وهى متداولة فى كتب كثيرة لأهميتها . والآيات التى تتضمن أحكاماً عامة تصدق فى كل زمان كثيرة جدًا فى هذه السورة التى نزلت فى مناسبة معروفة هى غزوة تبوك ولكنها تصدق على المسلمين فى كل زمان ومكان ومن ذلك قوله تعالى فى الآيتين ٦٥ و ٦٦ من نفس السورة :

« وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ،قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ » .

وقد روى ابن كثير خبرًا غير محدد ولكنه يؤكد حقيقة ما وقع من المنافقين قال بعد السند : قالوا : قال رجل من المنافقين : ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء ، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فجاء إلى رسول الله ، وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فقال : « أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ » إلى قوله « مُجْرِمِينَ » ، وإن رجليه لتنسفان الحجارة ، أى أنه فى تتبعه لرسول الله يشق الأرض برجليه

(١) أحالنا ابن كثير هنا إلى سنن أبى داوود «كتاب الزكاة» باب من يعطى الصدقة وحد الغنى الحديث: ١٦٣٠ ، ٢ – ٢١٧ . وقد قال ابن كثير إن الحديث ضعيف ، وهو ضعيف فعلا (انظر تفسير ابن كثير ٤ ، ٢٠٥) .

كأنهما تقتلعان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ ( والنِّسْعة بكسر وسكون سَيْرٌ مضفور يجعل زماماً للبعير )(١) .

والآية تدل على وجود هذه الطائفة من المسلمين الذين لم يستقر فى نفوسهم جلال الإيمان ، فهم يستهزئون فى أحاديثهم بين بعضهم وبعض بما لا يجوز أن يستهزأ به وإن كنا نلاحظ أن الحادثة التى رواها ليست بحادثة وإنما هى مجرد تصوير لما يمكن أن يكون قد وقع بين رسول الله ﷺ وواحد من أولئك المستهزئين الذين أرادوا تخفيف جريمتهم بالقول بأنهم فى أحاديثهم التى وقع فيها الاستهزاء لم يكونوا جادين فى الكلام ، وإنما هم كانوا يخوضون فى الحديث لمجرد الكلام . ولكن موقف الرسول ﷺ منه كان موقفاً بالغـاً فى الحزم والغضب ولا شك أن هذا درس لا ينسى لكل المسلمين بعد ذلك ، وهذا هو المقصود من الآية القرآنية وموقف رسول الله ﷺ من أولئك المنحرفين والآية ٦٧ من سورة التوبة تجعل المنافقين فاسقين كفاراً والآية التى تليها تبين عقابهم :

« الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [٦٧] وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ » [٦٨] ) .

والآيات التالية تعطينا أمثلة من المنافقين والمنافقات قبل الإسلام ، يجعل مسئولية النفاق على المنافق نفسه : ( فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » ( الآية ٧٠ ) .

ونعتقد أن هذه الآيات كانت نهاية النفاق والمنافقين فى المجتمع الإسلامى ، حقاً لقد بقى منهم منافقون قدماء ولكن هؤلاء كانوا قليلين ، ولكننا فيما عدا هؤلاء لم نعد نسمع عن منافقين فى العصر النبوى الذى يمتد إلى نهاية العصر الراشدى وبعد آيات يبين الله فيها فضل المؤمنين

---

(١) ابن كثير ٤ / ١١١

الصادقين وما أعد الله لهم من حسن الجزاء نجد الآية الرابعة والسبعين تفتح لمن يريد إصلاح نفسه والانضمام إلى المسلمين الصادقين طريقاً للتوبة :

« يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَاقَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَانَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِنَّ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَاباً فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَالَهُمْ فِى الْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلا نَصِيرٍ » .

ونعتقد أن هـذه الآية التى فتحت أبواب التوبة والرحمـة أمام المنافقين هى التى أوقفت النفاق فى المدينـة ، والمجتمع الإسـلامى كله بعد ذلك ، ونلاحظ أن الآية تنص على أن الله أغنى أولئك الناس وبقية أهل المدينة من فضله ، وتلك حقيقة تاريخية لم يتنبه إليها أحد ممن أرّخوا للسيرة أو لعصر الرسول ، فإن هجرة الرسول إلى المدينة وإنشاءه الجماعة الإسلامية فتحت أمام أهل المدينة أبواباً واسعة من الغنى ، فقد هدأت الأحوال فيها وكثر توافد الناس عليها ، فاتسعت مساحتها وزادت أبواب الرزق أمام أهلها ، فاغتنوا وأصبحوا أغنى من أهل مكة .

حقاً لقد بقى فى مكة نفر قليل من الأغنياء ولكن البلد كله افتقر بعد أن توقفت تجارته ولم يعد الناس يزورونه للحج كما كان الحال قبل .

ولا ننسى هنا أن تحسن الأحوال الاقتصادية فى المدينة يرجع إلى الاسلام ومبادئه وإلى الطريقة المثلى التى سار عليها رسول الله فى قيادة أهل المدينة ، فقد كثر السكان وكان لابد من أعمال صناعية وتجارية للقيام بشئون هؤلاء السكان الجدد ، ثم إن الإسلام ينص على أن يشترك المسلمون جميعاً فى الغزو أو الإنفاق على الغزوات والسرايا والبعوث .

ومن هنا نفهم كيف أن تحسن الأحوال فى المدينة لم يؤدِّ إلى ظهور طبقة من الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال كما كان الحال فى مكة ، إنما هى كانت حالة رخاء عام ونشاط فى العمل والإنتاج مع النص على أن الأغنياء ينبغى أن ينفقوا أموالهم على مصالح الجماعة .

وقد أخطأ نفر من المفسرين فقالوا هنا إن الإسلام كان يأبى على الإنسان أن يغتني ولو قام بكل مسؤلياته حيال الجماعة وهذا ليس بصحيح ، لأن الإسلام لا يتدخل فى أموال الناس التى يكسبونها حلالاً ويؤدون عنها ما أمرهم الله أن يؤدوا .

وفى الآية ٧٥ – ٧٧ يقول الله سبحانه وتعالى : « وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فلَمَّا آتَاهُمْ من فَضْلِهِ بخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فى قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ » .

وهذه صياغة قرآنية كريمة لقصة حقيقية وقعت لرجل يسمى ثعلبة سأل رسول الله أن يدعو له الله أن يرزقه مالاً فنبهه رسول الله إلى مسئولية صاحب المال فى ماله ، بل سأله إن كان لا يعجبه أن يكون كرسول الله ﷺ فإن الرسول كان يستطيع أن يدعو الله أن يرزقه فيرزقه كيف شاء ، ولكنه فضل أن يظل على ما هو عليه مكتفياً بالقليل الذى يغنيه عن الحاجة ولكن الرجل أصر ، فدعا له الرسول وتركه ، فاشترى الرجل غنماً ونماها حتى كثرت حتى ترك المدينة إلى موضع قريب منها ليرعى غنمه ويستكثر منها واغتنى فعلاً حتى صرفه المال عن الصلاة ، وبلغ الرسول خبره وكان يتوقع له ذلك ..

فقال ياويح ثعلبة ! ياويح ثعلبة ! وعندما مر رجال الرسول بثعلبة وطلبوا صدقة ماله قال : ماهذه إلا ضريبة ! ماهى إلا أخت الجزية ، وقال لهما انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلىّ ، وكان الله قد أنزل على رسوله قوله تعالى :

« وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ( ٩ – ٧٥ ) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ (٩–٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فى قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٩–٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ( ٩ – ٧٨ ) » .

فكانت هذه الآيات قاضية على ثعلبة وأمثاله ، فقد حاول الرجل أن يتصالح

مع الرسول ويقدم له من أمواله فرفض الرسول ﷺ ورفضه كذلك أبو بكر وعمر وعثمان ، وانتهت حياته ذليلاً تعيساً فى خلافة عثمان .

وكانت هذه الآيات كافية للقضاء على مثل هذا الرجل وأمثاله فلم نعد نسمع بأحد فى العصر النبوى فعل مثل ذلك .

وشبيه بذلك وأولئك الذين نزل فيهم قوله تعالى :

« الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ( ٩ ـ ٧٩ ) .

فهنا أيضاً نجد الإشارة إلى ناس حقيقيين من أولئك المنافقين ممن جعلوا همهم السخرية من المؤمنين الذين كانوا يجودون بما يستطيعون من أموالهم فى سبيل الإسلام .

فقد جاء رجل بسيط أسود اللون قصير القامة فتقدم لرسول الله بفاقة ويقول راوى الخبر إنه لم يَرَ فى البقيع أحسن منها فقال المنافقون : « هذا يتصدق بهذه ؟ فوالله لهى خير منه !

فسمعها رسول الله ﷺ فقال : ( كذبت بل هو خير منك ومنها ـ ثلاث مرات ) .

ثم قال : ويل لأصحاب المئين من الإبل ـ ثلاثاً ـ فقالوا إلا من يا رسول الله ؟

قال : [ إلا من قال ] [1] بالمال هكذا وهكذا ، وجمع بين كفيه عن شماله وعن يمينه ثم قال : قد أفلح المزهد المجهد ، ثلاثاً . المزهد فى العيش ، المجهد فى العبادة » [2] .

وقد حدث بعد ذلك أن عبد الرحمن بن عوف قدم نصف ماله كله ـ وقدر النصف أربعـة آلاف على سبيل الصدقة ، وقدم رجل آخر يسمى أبا عقيل صاعاً من تمر ، وكان هذا نصف ماعنده ، فقالوا إن عبد الرحمن بن عوف أعطى ما أعطى

---

(١) هذا الكلام ينقل عن تفسير ابن كثير ، والقوسان من عنده ، المراد بالأمن قال : إلا من فعل .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ١٢٦ .

نفاقاً ، وأما عن صاحب الصاع فقد تضاحكوا به وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل ! فقبل رسول الله ﷺ من كل منهم ما تقدم به وقال لكل منهم : بارك الله لك فيما أعطيت ، وبارك الله لك فيما أمسكت .

وقال ابن كثير بعد ذلك : وقوله : فيسخرون منهم ، وهذا على باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمسلمين لأن الجزاء من جنس العمل ؛ فعاملهم معاملة من سخر بهم انتصاراً للمؤمنين فى الدنيا ، وأعد للمنافقين فى الآخرة عذاباً أليماً[1] وقال الله سبحانه بعد ذلك مخاطباً رسوله الكريم :

« اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ . واللهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ » ( ٩ــ٨٠ )

ونحن نرى هنا أن الله سبحانه وتعالى ترك هؤلاء المنافقين يتصرفون على هواهم ، وكان قادراً على أن يسكتهم إلى الأبد ، ولكن الله أراد أن تكون فى هذا دروس للمؤمنين ، وأن نرى بأعيننا الحرية التى كانت للناس فى عهد الرسول ، وهذه الحرية هى التى قضت على أولئك الناس لأنهم تصرفوا على ماراأوا دون أن يتدخل الرسول فى حياتهم ، ثم جاء الله بالحل الأمثل والدرس الأعظم الذى نفع المسلمين فى العصر النبوى ، فقد كانت آيات الله سبحانه خير علاج ، وبالفعل فإن هذه الطرز من المنافقين اختفت من المجتمع الإسلامى اختفاء تاماً ، وما كانت لتختفى على هذا النحو إذا كان الرسول قد أخذهم بالعنف.

ونعتقد أن الحرية هنا كانت جزءاً أساسياً فى العلاج ، فقد رأى الناس كلهم هؤلاء الناس وما كان من تصرفهم ، ثم جاء حكم الله خير علاج لأحوالهم .

وتأتى بعد ذلك آيات تكرر الغضب على الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله كسلاً وكراهة فى الحرب ، ولم يكتفوا بذلك بل مضوا فى حث الناس على القعود وعدم الخروج فى الحر :

(١) ابن كثير ٤ / ١٢٦ .

« فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا : لا تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ . قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٩ ـ ٨١) . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (٩ ـ ٨٢) .

ثم تلى ذلك آيات تذكر عقابات أخرى لهؤلاء :

« فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٩ ـ٨٣) وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٩ـ ٨٤) وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٣ ـ ٨٥) .

وهكذا نرى أن الله سبحانه جعل عقاب أولئك المخالفين والقاعدين بيده وحده ، وهو الذى عاقبهم وحكم عليهم فكان ذلك أبلغ حكم ، فاختفوا بحكم الله لا بحكم أحد ، لأن الناس قد يخطىء بعضهم فى حق بعض ، وقد يسىء بعضهم الحكم على بعض فتكون العقوبة غير عادلة ، ولكن الله سبحانه يعرف الناس أجمعين ظاهرًا وباطناً ، ولهذا كان عرضه لحالاتهم صادقاً وحكمه عليهم حاسماً .

وهذا هو الذى نراه فى المجتمع الإسلامى فى العصر النبوى ، وهو يصدق أيضاً على كل الجماعات الإسلامية بعد ذلك ، وهذا هو موقف العبرة الكبرى فى الإسلام فإن الله سبحانه هو الذى يهدى الناس ، والناس لا يستطيعون هداية بعضهم بعضاً ، وإنما يقف جهدهم عند بيان الدين وشرحه للكافرين أو المقصرين ، والبقية ، وهى هداية الناس أو عقابهم إذا كانوا لا يفتحون قلوبهم للحق – بيد الله سبحانه وتعالى .

وحتى لو جاءوا بعد ذلك يعرضون على الرسول أن يخرجوا معه فإن الله سبحانه لا يرضى عن خروجهم ويقول لهم : لقد قعدتم عن الخروج أول مرة كسلاً وتهاوناً بأمر

الله ( فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ) . بل إن الله يأمر رسوله الكريم بألا يصلى على أحد مات منهم ولا يقوم على قبره لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون .

وكان رسول الله ﷺ يرى قبل نزول هذه الآيات أن الله خيره بين أن يصلى على هؤلاء المنافقين أولا يصلى، فاختار الصلاة على ابن أُبى بن أبى سلول لأن ابنه كان مؤمناً ، وقد سأل رسول الله أن يصلى على أبيه عندما مات وصلى عليه فعلا وقام على دفنه وقد أنكر ذلك عمر وأنكره جبريل كذلك فجاءت هذه الآيات حاسمة هنا حتى لا يصلى المؤمنون على المنافقين والكاذبين بعد ذلك أبداً ، بل إن الله سبحانه حذر رسوله من العطف على أحد من المنافقين إكراماً لأبنائهم المؤمنين .

« وَلاتُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ) .

وبعد ذلك وزيادة فى التوضيح من الله سبحانه وتعالى فى هذه المواقف جاء قول الله سبحانه :

« لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ) (٩ ـ ٩١ ) وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَايُنفِقُونَ ) ( ٩ـ٩٢ ) .

وهذا حدث فعلاً ، إذ أن نفراً من المؤمنين الصادقين لم يجدوا سلاحاً ولا ما يركبونه للخروج فى تلك الغزوة البعيدة فاعتذر الرسول إليهم بأنه لا يملك ما يحملهم عليه فتولوا وهم يبكون .

وقد تولى بعض المؤمنين إعانة بعضهم فأعطوا رجلين منهم جملا ليركبا متعاقبين ولكن بقى الكثيرون عاجزين عن الخروج ، وهؤلاء يعفيهم الله سبحانه من العقاب وهذا يصدق أكثر فى أيامنا هذه لأن الحرب أصبحت أكثر تعقيداً وصعوبة ، وإذا كان كافياً فى العصر النبوى أن يساعد مؤمن إخوانه من المسلمين الصادقين فيعطى اثنين منهم جملاً ليخرجا عليه ، فإن الحرب فى أيامنا تحتاج إلى أكثر من هذه المعونة

البسيطة وتصبح الدولة هى المسئولة عن خروج الناس إلى الحرب وبدلاً من أن يذهب الناس إلى الدولة يطلبون المعاونة نجد أن الدولة فى أيامنا هذه هى التى تقوم بتنظيم الخدمة العسكرية ، فهى تجند الناس فى سن معينة وتعلمهم الحرب وتمرنهم على استخدام السلاح وتعدهم للحرب دفاعاً عن الوطن حتى إذا جاء وقت الحرب كانوا قادرين على الخروج والثبات والحرب واستعمال أجهزة العصر وأدواته .

وأصبح الواجب على الناس فى أيامنا الصدق مع الدولة والإخلاص فى التدريب واستعمال الأجهزة والسلاح ، وأصبح هذا كله فاصلاً فى أيامنا حتى إن رجالاً فى الغرب فاتتهم سن الحرب والقدرة عليها فلجأوا إلى الكذب فى تعيين سنهم لكى يخرجوا مع المقاتلين ولا يبقوا مع القاعدين فاجتهد رجال الدولة فى إفهامهم أنهم يعرفون سنهم ويعرفون كذلك أن هذه السن لا تساعدهم على الثبات والقتال فى الميادين .

ومن هنا نرى أن ما يزعمه البعض من أنهم مسئولون عن الحرب والدفاع دون إذن الدولة وتنظيمها وتسليحها خطأ ولا يجوز ، فإن الناس أصبحوا فى أيامنا ملايين كثيرة ، ومن الممكن أن يحاول البعض خداع الدولة والزعم بأنهم مسؤلون عن القتال مباشرة ، وهذا خطأ وخطر ، وحتى إن زعم بعضهم أن الدولة أهملته فإنه لا يجوز له أن يعد نفسه للحرب ويقوم بها بنفسه أو مع جماعة من أمثاله فذلك خطأ .

ومن الواجب أن يتقدم كل من يريد الدفاع عن الوطن والدين إلى الدولة وهى التى تتولى كل مسؤليات الحرب والجهاد وإعداد الجيوش للقيام بالحروب على مستوى العصر .

وبعد آيات قليلة يأتى الكلام على الأعراب ، والمراد بهم هنا – وفى العصور التالية – الجهال الذين يعيشون فى جماعات غير منظمة بعيداً عن الجماعات المستقرة المتحفزة ، فهؤلاء تشغلهم الفوضى التى يعيشون فيها عن الدين ومطالبه ، ثم إن الجهل والفوضى تجعلهم بعيدين بالقلب والإحساس عن طلب الهدى ، وقبل أن نورد كلام الفقهاء فى هذه المعانى نورد

الآيات القرآنية الكريمة : قال سبحانه :

« وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩-٩٨) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩-٩٩) .

ونلاحظ هنا وكذلك لاحظ المفسرون أن الله سبحانه قسم الأعراب هنا إلى قسمين :

قسم منافق كافر وقسم مؤمن .

قال ابن كثير : أخبر تعالى أن فى الأعراب كفارًا ومنافقين ومؤمنين ، وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد وأجدر ، أى أحرى ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، كما قال الأعمش عن إبراهيم قال : جلس أعرابى إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه ، وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند .

فقال الأعرابى : والله إن حديثك ليعجبنى ، وإن يدك لتريبنى .

فقال زيد : ما يريبك من يدى ؟ إنها الشمال .

فقال الأعرابى ، والله ما أدرى اليمين يقطعون أم الشمال ؟

قال زيد بن صوحان : صدق الله :

« الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقاً ، وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ » (١)

ونلاحظ هنا أن ذلك الأعرابى لم يكن جاهلاً فحسب ، بل كان كذلك شريرًا سيء القلب ، فهو يسخر من الشيخ لمجرد أنه شيخ عالم .

وروى ابن كثير هنا حديثًا عن ابن عباس يقول فيه بعد السند :

( من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل « عن أوقات الصلاة » ، ومن أتى السلطان افتتن ) (٢) .

وقد علق الترمذى على ذلك الحديث

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٠٩٣ (١٤ - ٤٢٩) .
(٢) مسند الإمام أحمد ١ - ٣٥٧ ، ابن كثير ٤ - ١٤٠ .

بقوله : حديث حسن غريب لا نعرفه إلّا من حديث الثورى .

ويعلق ابن كثير على ذلك بقوله : ولـمّا كانت الغلظة والجفاء فى أهل البوادى لم يبعث الله منهم رسولًا ، وإنما كانت البعثة من أهل القرى كما قال تعالى :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِى إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ » .

( سورة يوسف ، الآية ١٠٩ )

أى أن الله سبحانه يختار رسله من أهل القرى والجماعات المستقرة المتحفزة .

قال ابن كثير فى تفسير الآية : (وأخبر تعالى أن منهم « مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ » ، أى فى سبيل الله مغرمًا أى غرامة وخسارة . « وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ » ، أى ينتظر بكم الحوادث والآفات . ثم يقول بعد ذلك : « وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَايُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وصَلَوَاتِ الرَّسُولِ » .

هذا هو القسم الممدوح من الأعراب ، وهم الذين يتخذون ماينفقون فى سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله ويبتغون بذلك دعاء الرسول لهم : « أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ » أى إن ذلك حاصل لهم : « سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِى رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » .

وقد فات ابن كثير أهم شيء هنا ، وهو ما كان ينبغى له أن يفوته وهو عدل الله سبحانه وتعالى فى الحكم على الناس ، فما كان ليصدر حكمًا عاما على كل الأعمال بأنهم : « أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَاأَنزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ سَمِيعٌ عليمٌ » . فإن فى الأعراب مؤمنين أتقياء يتخذون ماينفقون فى سبيل الله قربات يتقربون بها إلى الله ويبغون بذلك أن يدعو الرسول لهم .

وهذه حقيقة عن الأحوال الاجتماعية فى جزيرة العرب فى العصر النبوى فقد كان الأعراب كثيرين ، ومنهم من كانوا — مؤمنين ذوى قلوب رقيقة وهؤلاء فهموا الإسلام حق الفهم ولكن غالبيتهم كانوا من أشد الناس كفرًا ونفاقًا ، لأن هذه هى طبيعة البداوة وجفاءها وخشونتها ،

ولن يصلح المجتمع العربي فى جزيرة العرب إلّا إذا قضى على البداوة واستقر سكانها أجمعين وساروا فى طريق الحضارة ، وهذا هو ما أدركه الملك عبد العزيز آل سعود عندما تولى أمر جزيرة العرب وقرر أن يخرجها من الضياع والتفرق الذى كانت تعانيه ، وينشئ من أولئك العرب ، بدوًا وحضرًا مجتمعًا واحدًا متحضرًا متساندًا ، أى أمة عربية ، وقد وفق فى ذلك ، لأنه كان يسير فى تفكيره السياسى وعمله فى تطبيق ذلك التفكير على القرآن الكريم والسنة الشريفة .

ومن الحقائق الاجتماعية والفكرية التى تتضمنها الآيات بعد ذلك مايقوله ابن كثير : وقال عبد الرازق : أخبرنا معمر عن قتادة فى هذه الآية :

« وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ » ( ٩ - ١٠١ )

أنه رأى رسول الله ﷺ قال : ما بال أناس يتكلفون علم الناس : فلان فى الجنة وفلان فى النار ، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال : لا أدرى ، لعمرى أنت بنفسك أعلم منك بأحوال الناس ، وقد تكلفت أى ( كلفت نفسك ) شيئًا ما تكلفه الأنبياء قبلك . قال نبى الله نوح : « وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ، وقال نبى الله شعيب : « بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ » سورة هود ( ١ - ٨٦ )

والمراد ببقية الله خير لكم : أى ما أبقاه الله لكم من الحلال .

( انظر : المصحف المفسر لمحمد فريد وجدى من ٢٩٧ - تفسير سورة هود ) .

وقد فات ابن كثير أن يلاحظ أن هذه الآية تؤكد ما سبق أن ذكرناه من عدل الله سبحانه ودقة القرآن الكريم فمادام الله قد ذكر فى آية سابقة أن من الأعراب وأهل القرى مؤمنين فكان لابد أن يؤكد هنا أن فى الحين منافقين وذلك حتى لا يدرك أهل المدينة غرور فيحسبوا أنهم كلهم أفضل فى إيمانهم من الأعراب ، بل أن فيهم أيضًا منافقين مردوا على النفاق لا يعرفون أنفسهم ولكن الله يعرفهم وسيعذبون مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم .

ثم يورد ابن كثير بعد ذلك حديثًا ينسبه إلى السدى رواية عن ابن عباس يقول : قام رسول الله ﷺ خطيبًا يوم الجمعة فقال : اخرج يا فلان فإنك منافق واخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج من المسجد ناسًا منهم ، فضحهم فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة ، وظن أن الناس قد انصرفوا ، واختبأوا هم من عمر ، ظنوا أنه قد علم بأمرهم ، فجاء عمر فدخل المسجد فإذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر يا عمر ، قد فضح الله المنافقين اليوم !

قال ابن عباس : فهذا العذاب الأول عن إخراجهم من المسجد ، والعذاب الثانى عذاب القبر [1] .

وهذا من الأحاديث التى لا يدرى الإنسان إن كان يقبلها أو لا يقبلها . من الناحية التاريخية أقصد ، لأن هذا المذهب فى معاملة الناس — والمنافقين خاصة — لا يتفق مع ما نعرف من بعد نظر الرسول فى معاملتهم

(١) ابن كثير ( ٤ — ١٠٤ ) .

فقد كان ميالًا إلى أن يجعلهم يشعرون بكفرهم وإنكار المسلمين لهم .

والقرآن الكريم كان يؤيد اتجاهه هذا حتى يجىء اليوم الذى يختفون فيه ، ويكون المجتمع فى هذه الحالة هو الذى حكم عليهم بالموت ، وهذا هو الذى حدث فعلًا .

والآية التالية تعطينا صورة لطراز آخر من أهل المدينة وهو طراز المؤمنين الذين لا يساور قلوبهم شك ، ولكنهم كسالى وميالون إلى الراحة والقعود عن القيام بما أمر الله سبحانه ، وهؤلاء يعترفون فى العادة بذنوبهم ويرجون أن يغفر الله لهم ، وهم يقومون فى أثناء ذلك بأعمال صالحة ، خلطو كسلهم وإهمالهم باعترافهم به بينهم وبين الله : « خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا » فهؤلاء كما يقول ابن كثير تحت عفو الله وغفرانه .

وهذه وإن كانت نزلت فى أناس معينين إلَّا أنها عامة فى كل المذنبين الخاطئين المخلصين المتلوثين ، وقد قال مجاهد : إنها

نزلت فى أبى لبابة لَمَّا قال لبنى قريظة : ( إنه الذبح ) وأشار بيده إلى حلقه ، ولم يكن رسول الله ﷺ قد قال له شيئًا من هذا ، ولا أذن له فيه ، فتنبه إلى خطئه ، وذهب فربط نفسه إلى سارية فى المسجد وأصر على أن يظل مربوطًا حتى يغفر الله له إذا شاء ، وعندما غفر الله له ونزلت آية بذلك وأذن الله له فى أن ينطلق أو تطلقه ابنته أبى إلَّا أن يكون رسول الله بنفسه ، وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك .

ويهمنا هنا أن نقول : إن هذا الطراز من المؤمنين الكسالى الميالين للإهمال كثيرون جدًّا فى المجتمع الإسلامى ، بل هم غالبية فى أيامنا التى تجد الناس فيها كسالى ، مهملين رغم إيمانهم ، وهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه كما يقول ابن كثير .

ثم تجىء بعد ذلك الآية ١٠٣ وهى الآية التى تهم أى دارس للإسلام اهتمامًا خاصًّا ، فهى تعين دور الزكاة فى أمواله وتبين كيف أنها رئيسية لكل مؤمن ، فإننا نعلم هنا أن الزكاة لا تعين المسلم الفقير المسكين العاجز فحسب ، بل إن فائدتها لمن يؤديها أعظم ، فهى تطهرهم وتطهر أموالهم وتزكيهم ، فإذا طهر مال المسلم وزكت نفسه بعد أداء الزكاة أصبح فى حالة يستحق فيها أن يصلى الرسول عليه ، أى يطلب له الرحمة من الله ، وهذه الصلاة فى ذاتها تملأ نفسه أمنًا وسكنًا لأنه يحس أنه أصبح من المؤمنين الصادقين القريبين من رسول الله المرضى عنهم وهم أهل لصلاته .

ونحن فى يومنا هذا نذكر هذه الآية فى بحثنا عن النظام المالى الإسلامى ، فإن الإسلام يقول : إن المال كله لله سبحانه وهو يستخلفنا فيه ، ومن واجبنا أن نعمل على إنمائه فإذا نما المال كان على صاحبه أن يؤدى زكاته حتى يطهر ماله وتزكو نفسه ، وبدون هذا يظل ماله غير طاهر ولا يجوز له الاستمرار فى ملكيته وهذا يخالف ما عليه معظم الناس من استثمار أموالهم فى المصارف وهم فى معظم الحالات لا يهتمون بالزكاة ، فيظل مالهم غير طاهر أى غير حلال ، ثم تجىء أرباح البنوك فتزيد من سوء وضع الإنسان وتزيد حرامه وقد قررنا هذا كله فيما كتبناه عن الربا .

* * *

وتلى ذلك فى هذه السورة الجليلة آيات عظيمة القيمة من الناحية الإسلامية والفقهية ولكنها لا تقدم لنا مادة تدخل فى موضوع هذا البحث وهو الإطار التاريخى لسورة براءة .

وسأستعرض هذه الآيات الباقية من السورة لنرى إن كان فيها إلى جانب ما ذكرنا مادة تنفعنا فى رسم الأحوال السياسية والدينية لأهل المدينة وبقية الجزيرة العربية .

الآيات من ١٠٢ إلى ١٠٩ تدور كلها حول مسجد الضرار الذى بناه فى قباء نفرٌ من المنافقين من بنى عمرو بن عوف من الخزرج من آل قباء ، وكان غرضهم المطوى فى نفوسهم من إنشائه هو أن يكون مركزاً من مراكز تجمعهم ونشاطهم المعادى — للإسلام .

وقد أرادوا أن يعطوا مسجدهم أهمية كبيرة فطلبوا إلى رسول الله ﷺ أن يصلى فيه التماسًا للبركة كما قالوا .

وكان فى نفس رسول الله شىء من أمر أولئك الناس فأرجأ الاستجابة إلى ما بعد غزوة تبوك ، وعندما فرغ من الغزوة وسار فى طريق العودة جاءه من الله ما يكشف له خطيئة هذا المسجد وأهله .

وبهذه المناسبة نقول : إن أهل الفقه والحديث يذكرون هنا أبا عامر الذى كان يوصف قبل الإسلام من جانب أصحابه بالراهب ، ولقبه المسلمون بالفاسق ، وكان هذا الرجل من الخزرج ، ولكننا لا نعرف إن كان من بنى عمرو بن عوف أهل قباء ، ولكن الظاهر أنه كان منهم .

وكان فيما يقال نصرانيًّا وكان يرجو أن تكون له مكانة كبيرة فى المدينة بسبب حماسه لهذا الدين ، ولكننا لا نجد له أتباعًا من النصارى فى المدينة ، ولا نسمع أنه فكر فى إقامة كنيسة وإحضار الأناجيل إليها ، وغاية ما نستطيع قوله أنه كان يتمتع بمركز لا بأس به فى المدينة ويرجو أن يزداد مع الزمن ، ولعله كان مثل عبد الله ابن أُبى بن سلول .

فلمَّا جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة ودخل الناس فى الإسلام وتحمسوا له ضاع أمر أبى عامر ، فحقد على الإسلام ونبيه .

قال ابن كثير : ( شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها . ويظهر أنه لم تكن له مكانة فى قومه كما كان لابن أبى فى قومه فخرج فارًا إلى مشركى قريش فألبهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب ، وقدموا عام أحد ، فكان من أمر المسلمين ما كان وامتحنهم الله وكانت العاقبة للمتقين ( ص ١٤٩ ) .

ثم يذكر ابن كثير أن هذا الرجل حفر حفرًا فيما بين الصفين وفى إحدى هذه الحفر وضع رسول الله ﷺ وأصابه – ما نعرف وتقدم أبو عامر من قومه ودعاهم لتأييده ، فلمّا عرفوا كلامه قالوا : لا أنعم الله بك عينًا يا فاسق يا عدو الله ! فرجع وهو يقول : والله لقد أصاب قومى بعدى شر وكان رسول الله ﷺ قد حاول هدايته فأبى فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت طريدًا شريدًا ، فنالته هذه الدعوة ، لأنه بعد ما حدث فى أحد من نفر المسلمين آخر الأمر ورفضهم إياه ذهب إلى هرقل – يستنصره على النبى ﷺ فوعده ومناه ، فظل مقيمًا عنده فكتب إلى أنصاره فى المدينة يبشرهم بأن قيصر سيؤيده ، وطلب إليهم أن يتخذوا معقلًا يقدم عليهم فيه ، فبنوا ذلك المسجد وزعموا أنه للمسلمين وسألوا الرسول ﷺ أن يصلى فيه ، فأنظرهم إلى ما بعد تبوك ثم كشف الله أمرهم ، فلمّا اقترب من المدينة وهو عائد من تبوك ، فدعا مالك بن الدخشم أخا بنى سالم بن عوف ومعن بن عدى وأخاه عامر بن عدى أخا بنى العجلان ، وأمرهما أن يمضيا فى أصحابهما إلى هذا المسجد فيحرقاه ويهدماه ففعلا .

ثم نزلت الآية ١٠٨ من سورة التوبة تؤكد أن هذا المسجد كان مركز ضرار وكفر وتفريق بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله :

« وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ » .

( سورة التوبة ، الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨ )

والمسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، وقد أصبح مكان هذا المسجد

مزملة وقتًا طويلًا بعد ذلك ثم زال – ( ابن كثير التفسير ٤ – ١٤٩ ) .

ثم تأتى بعد ذلك الآية ١١١ من سورة التوبة وهى مشهورة وهامة جدًا وفيها بيان أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ، وأموالهم بأن لهم الجنة ، وأنهم يقاتلون فيقتلون ويقتلون وأن هذا وعد من الله سبحانه للمتقين وهذا الوعد وارد فى التوراة والإنجيل والقرآن :

« وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

والآية ١٢٠ تقول : « مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِم عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِن عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ » .

وقد صدق الله تعالى ، فإن أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أقبلوا على الجهاد راضين ولم يصبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة طوال العهد النبوى ، وفى ختام الكلام فى تفسير هذه الآية يقول ابن كثير : ( وقال الحوفى عن أبيه عن ابن عباس فى هذه الآية : كان ينطلق من كل حى من العرب عصابة فيأتون النبى ﷺ فيسألونه مايريدون من أهل دينهم ويتفقهون فى أمر دينهم ويقولون ، لنبى الله : ماتأمرنا أن نفعله وأخبرنا ما نقوله لعشائرنا إذا قدمنا وانطلقنا إليهم .

قال : فيأمرهم نبى الله بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا إذا أتوا قومهم نادوا : إن من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى إن الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله يخبرهم وينذرون قومهم ، فإذا رجعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة ( ابن كثير ٤ – ١٧٣ ) .

والكلام هنا غير متصل تماماً ، ولكن هكذا نقله من الأصل الرجال الذين أشرفوا.

والسورة غنية بعد ذلك بالآيات التى تؤكد روعة القرآن الكريم فى التفسير

وتأكيده للمعنى مرة بعد أخرى مع اختلاف النص فى بعض الأحيان ، وإذا تشابه النص فإن الإنسان لا يلبث أن يدرك أن هذا التشابه ظاهرى وأن القرآن يقدم فى كل آية معنى جديداً ، خذ مثلاً الآيات من ١٠٤ ـ ١٠٥

« أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » ( ٩ ـ ١٠٤ ) .

والبلاغة القرآنية هنا مبينة فى كل لفظ ، فانظر مثلا قوله إن الله يقبل التوبة عن عباده ، فحرف « عن » هنا عظيم الدلالة والمعنى هنا يختلف كل الاختلاف عن معناه إذا قال : « من » عباده ثم انظر بعد ذلك إلى قوله تعالى : ( وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ) والمعنى هنا جديد جداً ، فقد رأينا مصارف الصدقات فيما سلف ، ولكننا نرى هنا أن الله يأخذ الصدقات ، أى أنها مهما اختلفت مصارفها فإنها كلها تصير إلى الله سبحانه فإن المسلم هنا يتعامل مع الله مباشرة ـ مما يزيد جلال الله ويرفع من قدر المؤمن ، والحال هنا هو نفس الحال مع الصلاة ، فنحن فى الصلاة نقف بين يدى الله فيرتفع مكاننا ، وهو يقبل صلاتنا ـ إذا قبلها ـ فيزداد جلاله سبحانه وكذلك الحال مع الصيام ، ومع ذلك فإن المسلمين لهم أيضاً نصيب فى عمل كل مسلم ، فإنهم لابد أن يروا نتيجة عمله ويحسوا بها وبعد ذلك نرد جميعاً إلى عالم الغيب والشهادة ـ وهو الله ـ فينبئنا بما كنا نعمل :

« وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » ( ٩ ـ ١٠٥ ) .

وبعد ذلك تجىء الآية ١١٧ فترينا كيف « تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » ( ٩ ـ ١١٧ ) .

وأنت ترى هنا أن الله يضع رسوله فيمن تاب عليهم قبل المهاجرين والأنصار ، لأن الرسول أذن لبعض ضعاف الإيمان أن يتخلفوا عن الخروج معه إلى تبوك وطلب المغفرة لرجل كافر القلب مثل ابن أُبى وأعطى ابنه قميصه ليلبسه إياه فى ساعة الموت إلتماساً للرحمة له

ثم صلى عليه واشترك فى دفنه دون أن يأذن له الله فى ذلك .

ثم جاء بعد ذلك عتاب الله الجميل للرسول ثم أمره إياه بألا يأذن لأحد منهم فى التخلف إلا إذا جاءه إذن بذلك من الله .

وفى سورة أخرى يعطى الله رسوله الكريم الحق فى الإذن لمن يرى أنه يستحق الإذن له فى التخلف ثم يتوب الله على المهاجرين والأنصار من بعد ما كاد يزيغ قلوب منهم لأنه سبحانه رؤوف رحيم .

وفى الآية ١١٨ إشارة إلى الثلاثة الذين تخلفوا دون مبرر مقبول عقلاً وشرعاً وقعدوا عن الخروج ، وقد رووا بعد ذلك قصصهم وهى تدل على أنهم لم يكونوا أهل كفر بطلبهم ، ولكن الكسل والانصراف إلى مشاغل الحياة قعد بهم ، فغضب الله سبحانه عليهم ثم تاب عليهم وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى .

ويلاحظ أنهم كلهم كانوا من خمسة قبائل من الأوس توقفوا عن الدخول فى الدعوة فسموا أوس مناة ، ثم تابوا ودخلوا فى الدعوة عن إيمان فسموا أوس الله ، وبهم تم إيمان الأوس وإسلامهم جميعاً ( انظر تفسير ابن كثير ٤ ـ ١٦٥ ـ ١٧٠ ) .

« وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَلاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ) ( ٤-١١٨ ) .

ثم تجىء بعد ذلك الآيات ١٢٠ ـ ١٢٢ وفيها ذكر التوبة العامة على المؤمنين من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ممن لم يتخلفوا عن رسول الله ولم يرغبوا بأنفسهم عن نفسه .

« ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لايُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلايَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الكُفَّارَ وَلايَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لايُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ( ٩-١٢٠ ) وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاكَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ ( ٩ ـ١٢١ ) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنَ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ

طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (٩–١٢٢).

والكلام فى هذه الآيات ينطبق على المهاجرين والأنصار والأعراب الذين عاصروا رسول الله ﷺ ولكنه أيضاً ينطبق على المسلمين فى كل عصر بعد ذلك ، فما كانت غزوة تبوك ثم سورة التوبة من بعدها إلا درساً عظيماً للمسلمين فى كل العصور فإن المسلم المجاهد مهما لقى من متاعب من ظمإ وتعب وجوع ، ومهما تحمل فى سبيل الإسلام من لقاء الأعداء فإن له ثواباً خاصاً من الله على كل شىء من ذلك إلى جانب ما ترزقه الجماعة إياه من أجر أو مكافأة ، فإن أجر الناس شىء وأجر الله شىء ، وهذا الأخير هو الأعظم والباقى .

ومعانى هذه الآيات غاب عن النفر الذين تجمعوا فى المدينة فى منتصف خلافة عثمان ، وقد أتوا إليها ليطالبوا عثمان بالجزاء والمكافأة ولم يكن لدى عثمان ما يكافئهم به ، وقد حاول عثمان أن ينصحهم ويلفت نظرهم إلى أن المكافأة الحقيقية تأتى من عند الله سبحانه وأن مكافأة الناس للمجاهد لاتعد شيئاً إلى جانب مكافأة الله ، لأن الله سبحانه أعلم بما تحمله كل مسلم على حدة وما أنفق كل منهم من ماله مما لا يعلمه الناس ، ولكن الله يعلمه ويكافىء عليه .

أقول لو علم معاصرو عثمان بالمعانى العظيمة التى تضمنتها هذه الآيات العظيمات لما أصروا على مطالبة عثمان ولما كانت الفتنة الكبرى التى نظر فيها رجال مثل معاوية إلى ما يمكن أن يصيبهم من الدنيا من ورائها ، فعرضوا على عثمان أن يخرج إليهم – إلى دمشق مثلاً – ، من المدينة فإن لديهم هناك الرجال والأموال ، وهم يستطيعون نصرة عثمان – والحكم باسمه لأن ذلك لم يكن فى يده فى المدينة ولكن عثمان رفض أن يترك مدينة رسول الله ﷺ فى سبيل الحكم أو أى عرض من أعراض الدنيا. انظر التفاصيل فى تفسير ابن كثير الجزء الرابع .

* * *

وبعد أن تأتينا السورة بإشارات بالغة البلاغة والحكمة عن كفر الكافرين ونفاق المنافقين ، وما أعد الله لهؤلاء وأولئك من سوء العذاب تجىء نهاية هذه السورة ،

وهما آيتان مشهورتان ولا يزال المسلمون يكررونهما فى شتى ما يلم بهم من ظروف نظرًا لما فيهما من الحكمة العظيمة والبلاغ الكامل ، وما تضفيانه على قلب المؤمن من إيمان بالله وسعادة بهذا الإيمان :

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩ ــ ١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٤ــ١٢٩) .

فإن المسلم فى كل عصر أو زمان أو مكان لايزال يشعر بأن الله أرسل إلينا رسولا من أنفسنا يشاركنا آلامنا ومتاعبنا ، إذ يصعب عليه رؤية ما نعانى ونقاسى ، وهو صلى الله عليه وسلم لايزال يدعو للمؤمنين بالمغفرة والمعونة فيستجيب الله له فى حالات المؤمنين الصادقين أما غير المخلصين الذين يتولون عن الرسول ودعوته فإن الرسول يتركهم إلى الله سبحانه ، وهو حسبه «عليه توكلوا وهو رب العرش العظيم ».

**حسين مؤنس**
عضو المجمع

# المصادر والمراجع


**المصادر المخطوطة :**

البلاذرى : أحمد بن يحى بن جابر :

أنساب الأشراف ج ٩ ، ١٠

مصور نسخة دار الكتب المصرية – القاهرة رقم ١١٠٣ أنساب الأشراف جـ ٤ .

مصور نسخة الخزانة الملكية فى الرباط رقم ٢٥١٨

مصور الخزانة العامة فى الرباط رقم ٦٩١٤

الكلاعى البلنسى : سليمان بن موسى ، أبو الربيع :

الاكتفاء من مغازى رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء .

مصور نسخة جامعة الكويت ج ١ رقم ٢٥٥ ، ج ٢ رقم ٢٥٦

ابن الكلبى : هشام بن محمد ، أبو المنذر :

جمهرة النسب

مصور نسخة المتحف البريطانى ج ١ رقم ٢٣٢٩٧ ، ج ٢ رقم ٢٢٣٧٦

**المصادر المطبوعة :**

ابن الأبرص : عبيد ، أبو زياد الأسدى :

( ديوان عبيد بن الأبرص ) ، تحقيق حسين نصار ، مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، طبعة ١ – ١٩٥٧

ابن أبى الحديد : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ، عز الدين :

( شرح نهج البلاغة ) ، تحقيق حسن تميم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣ ، ٥ أجزاء .

ابن الأثير : على بن محمد ، أبو الحسن عز الدين الجزرى :

( أسد الغابة فى معرفة الصحابة ) ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ( ب ت ) ٥ أجزاء .

( الكامل فى التاريخ ) ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٥ ، ١٣ جزءا .

( اللباب فى تهذيب الأنساب ) ، دار صادر ، بيروت ، (ب ت ) ٣ أجزاء .

ابن أعثم : أحمد بن أعثم ، أبو محمد الكوفى :

( كتاب الفتوح ) ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٩٦٨ – ١٩٧٥ ، ٨ أجزاء .

الباقلانى : محمد بن الطيب ، أبو بكر :

( إعجاز القرآن ) ، تحقيق أحمد صقر دار المعارف بمصر ١٩٦٣

البخارى : إسماعيل بن إبراهيم الجعفى ، أبو عبد الله :

( كتاب التاريخ الكبير ) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٨٦ ٨ أجزاء

ابن بدران : عبد القادر بن أحمد :

( تهذيب تاريخ دمشق ) ، مطبعة الترقى بدمشق ، ١٣٢٩ – ١٣٥١ هـ ، ٧ أجزاء .

البسوى : يعقوب بن سفيان ، أبو يوسف :

( كتاب المعرفة والتاريخ ) ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، عام ١٩٧٤ – ١٩٧٦ ، ٣ أجزاء .

البغدادى : عبد القادر بن عمر :

( خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٧ هـ ، ٤ أجزاء .

البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر :

( أنساب الأشراف ) ج ١ ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩

( فتوح البلدان ) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة عام ١٩٥٦ – ١٩٥٨ ، ٣ أجزاء .

– الشيخان ، أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما ، من كتاب الأنساب ، تحقيق إحسان صدقى – الكويت ، ١٩٨٩

البيهقى : إبراهيم بن محمد :

( المحاسن والمساوئ ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ٢ ج .

التبريزى : يحى بن على ، أبو زكريا :

( شرح ديوان الحماسة لأبى تمام ) ، تحقيق محمد عبد القادر سعيد ، مكتبة النورى دمشق ( ب ت ) .

الترمذى : محمد بن عيسى السلمى ، أبو عيسى :

( سنن الترمذى ) ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٨

ابن تغرى بردى : يوسف ، أبو المحاسن :

( النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ) ، هيئة الكتاب بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٠ أجزاء .

الجاحظ : عمرو بن بحر ، أبو عثمان :

( البيان والتبيين ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى فى القاهرة ، مكتبة الهلال فى بيروت ، طبعة ٣ / ١٩٦٨ ، ٤ أجزاء .

ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على بن محمد ، أبو الفرج :

( صفة الصفوة ) ، تحقيق محمود فاخورى ، دار الوعى ، حلب ، طبعة ١ / ١٩٦٩ ، ٢ جـ .

( مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ) ، تحقيق زينب إبراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة ٢ / ١٩٨٢

حاتم الطائى : حاتم بن عبد الله ، أبو عدى :

( ديوان حاتم الطائى ) ، تحقيق كرم بستانى ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٣

ابن حبيب البغدادى : محمد بن حبيب بن أمية :

( كتاب المحبر ) ، تحقيق أيلزة ليختن شتيتر ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٩٤٢

( كتاب المنمق فى أخبار قريش ) ، تحقيق خورشيد فاروق ، دائرة المعاف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٩٦٤

ابن حجر : أحمد بن على ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، العسقلانى :

( الإصابة فى تمييز الصحابة ) ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، مصور الطبعة الأولى ، ١٣٢٨ هـ ، ٤ أجزاء .

( تهذيب التهذيب ) ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، عام ١٣٢٥ هـ ، ١٢ جزءاً .

( فتح البارى بشرح البخارى ) ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ١١ جزءا .

ابن حزم : على بن أحمد بن سعيد ، أبو محمد :

( جمهرة أنساب العرب ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢

حسان بن ثابت :

( ديوان حسان بن ثابت ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦١

الحميرى : محمد بن عبد المنعم ، أبو عبد الله :

( الروض المعطار فى خبر الأقطار ) ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، - بيروت ، ١٩٧٥

الحميرى : نشوان بن سعيد ، أبو سعيد :

( الحور العين ) ، تحقيق كمال مصطفى ، دار آزال ، بيروت ، طبعة ٢ ، ١٩٨٥

ابن حنبل : أحمد بن محمد ، أبو عبد الله :

( مسند الإمام أحمد بن حنبل ) ، المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ، دار صادر ، بيروت ( ب ت ) - وطبعة دار المعارف بالقاهرة ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، ١٥ جزءًا .

الخطيب البغدادى : أحمد بن على ، أبو بكر :

( تاريخ بغداد ) ، دار الكتاب العربى ، بيروت ( ب ت ) ، ١٤ جزءًا .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، أبو زيد :

( كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .. ) ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٥٨- ١٩٦٧ ، ٧ أجزاء على أساس طبعة بولاق - القاهرة .

ابن خلكان : أحمد بن محمد ، أبو العباس ، شمس الدين :

( وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ) ، تحقيق محمد عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ٦ أجزاء .

ابن خياط : خليفة بن خياط العصفرى البصرى :

( تاريخ خليفة بن خياط ) ، تحقيق سهيل زكار ، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومى ، دمشق ، ١٩٦٧ – ١٩٦٨ ، ٢ ج .

الدميرى : محمد بن موسى ، أبو البقاء ، كمال الدين :

( حياة الحيوان الكبرى ) ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ٢ ج .

الديكار بكرى : حسين بن محمد بن الحسن :

( تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس ) ، مؤسسة شعبان ، بيروت ، مصور نسخة المطبعة الوهبية ، القاهرة ، ١٢٨٣ هـ ، ٢ ج .

الدينورى : أحمد بن داود ، أبو حنيفة .

( الأخبار الطوال ) ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، عام ١٩٦٠

الذهبى : محمد بن أحمد بن عثمان ، شمس الدين .

( تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ) ج ١ ، السيرة النبوية ، القاهرة ١٩٧٠ ج ٣ ، تحقيق حسام الدين القدسى ، مطبعة القدس ، القاهرة ١٩٧٩

( تذكرة الحفاظ ) ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، طبعة ٣ / ١٩٥٦ ، ٤ أجزاء .

( سير أعلام النبلاء ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، طبعة ٣ / ١٩٨٦ ، ٢٥ جزءا .

( العبر فى خبر من غبر ) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٠ – ١٩٦٦ ، ٥ أجزاء .

الزبيدى : محمد بن محمد ، أبو الفيض ، مرتضى :

( تاج العروس من جواهر القاموس ) ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٥

الزبير بن بكار : أبو عبد الله ، القرشي الأسدى :

( الأخبار الموفقيات ) ، تحقيق سامى مكى العانى ، مطبعة العانى ، بغداد ، ١٩٧٢

الزبيرى : مصعب بن عبد الله ، أبو عبد الله :

( نسب قريش ) ، تحقيق أ . ليفى بروفنسال ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ ، وطبعة عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧

ابن زنجويه : حميد :

( كتاب الأموال ) ، تحقيق شاكر فياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٩٨٦ ، ٣ أجزاء .

السخاوى : محمد بن عبد الرحمن ، شمس الدين :

( الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ) ، تحقيق فرانز روزنتال ، مطبعة العانى ، بغداد ، ١٩٦٢ ؛ وطبعة أحمد الصالح على ، بغداد ج واحد كبير .

السرخسى : محمد بن أحمد ، أبو بكر ، شمس الدين :

( كتاب المبسوط ) ، دار الدعوة ، استانبول ، ١٩٨٢ ، ٣٠ جزءا .

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهرى :

( الطبقات الكبرى ) ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٥٩ ، ٨ أجزاء .

( الطبقات الكبرى – القسم المتمم ) ، تحقيق زياد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، طبعة ٢ / ١٩٨٧ ، ٤ أجزاء .

السمعانى : عبد الكريم بن محمد ، أبو سعد :

( الأنساب ) ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٩٦٢

السمهودى : على بن أحمد ، نور الدين :

( وفاءُ الوفا بأخبار دار المصطفى ) ، تحقيق محمد عبد الحميد : دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ( ب ت )

السيوطى : عبد الرحمن بن أبى بكر ، جلال الدين :

( تاريخ الخلفاء ) ، تحقيق قاسم الرفاعى ، محمد العثمانى ، دار القلم ، بيروت عام ١٩٨٦

( الشماريخ فى علم التاريخ ) ، تحقيق إبراهيم السامرائى ، مطبعة أسعد ، بغداد ، عام ١٩٧١

( طبقات الحفاظ ) ، تحقيق على محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

ابن شبّه : عمر بن شبه النميرى البصرى :

( تاريخ المدينة المنورة – أخبار المدينة النبوية ) ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، دار الأصفهانى للطباعة ، جدة ، طبعة ٢ / ١٣٩٣ ، ٤ أجزاء .

الصفدى : خليل بن أيبك ، صلاح الدين :

( نكت الهميان فى نكت العميان ) ، تحقيق أحمد زكى ، المطبعة الجمالية– مصر ، ١٩١١ .

( الوافى بالوفيات ) ، جمعية المستشرقين الألمانية ، ١٩٤٩ – ١٩٨٢ : فرانز شتاينر– ڤسبادن .

الطبرى : محمد بن جرير ، أبو جعفر :

– ( تاريخ الرسل والملوك ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ – ١٩٦٩ ، ١٠ أجزاء .

– تفسير الطبرى – ٢٠ جزءًا – القاهرة ( ب – ت )

العباسى : أحمد بن عبد الحميد :

( عمدة الأخبار فى مدينة المختار ) ، تحقيق حمد الجاسر ، طبعة ٥ – ب ت

ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله ، أبو عمر القرطبى :

( الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ) ، تحقيق على البجاوى ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، (ب – ت ) ، ٤ أجزاء .

( بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس ) ، تحقيق محمد مرسى الخولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة ٢ / ١٩٨٢ ، ٣ أجزاء .

( الدرر فى اختصار المغازى والسير ) ، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٨٣

ابن عبد ربه : أحمد بن محمد ، أبو عمر :

( العقد الفريد ) ، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الإبيارى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ٧ أجزاء .

أبو عبيد : القاسم بن سلّام :

( كتاب الأموال ) ، تحقيق محمد هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٦٨

ابن عساكر : على بن الحسن ، أبو القاسم :

(تاريخ مدينة دمشق – تراجم النساء ) ، تحقيق سكينة الشهابى ، دمشق ، ١٩٨٢

العسكرى : الحسن بن عبد الله ، أبو هلال :

( كتاب الأوائل ) ، تحقيق محمد الوكيل ، مطبعة دار الأمل ، طنجة ، المغرب الأقصى ، ( ب - ت ) .

ابن العماد : عبد الحى بن أحمد ، أبو الفلاح :

( شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ) ، المكتب التجارى ، بيروت ، ( ب - ت ) ٨ أجزاء .

الغزالى : محمد بن محمد ، أبو حامد :

( إحياء علوم الدين ) ، دار الفكر ، مصور طبعة لجنة الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٥٦ هـ ، ١٦ جزءًا .

( التبر المسبوك فى نصيحة الملوك ) ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٦٨

الغسانى : محمد بن محمد بن أبى الحفص :

( كتاب الخذلان ) ، نشره شاكر مصطفى على سبع حلقات فى صحيفة القبس الكويتية ، من ١٩٨٧/١/٢٣ - ١٩٨٧/٣/١٣ ، الأعداد ، ٥٢٨٠ ، ٥٢٩٤ ، ٥٣٠١ ، ٥٣٠٨ ، ٥٣١٥ ، ٥٣٢١ ، ٥٣٢٨

ابن فارس : أحمد بن زكريا الرازى :

( مجمل اللغة ) ، تحقيق هادى حمورى ، معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، عام ١٩٨٥ ، ٤ أجزاء .

أبو الفرج الأصفهانى : على بن الحسين الأموى :

( الأغانى ) ، دار الثقافة ، بيروت ، طبعة ٣ - ١٩٦٢ ، ٢٥ جزءًا .

الفيومى : أحمد بن محمد :

( المصباح المنير ) ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، ( ب ـ ت ) ، ٢ ج

القالى : إسماعيل بن القاسم البغدادى ، أبو على :

( الأمالى ) ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، طبعة ٢ ـ ١٩٢٦

ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم ، أبو محمد :

( الشعر والشعراء ) ، تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ ، ٢ ج .

( عيون الأخبار ) ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، عام ١٩٦٣ ، ٤ أجزاء .

( المعارف ) ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف بمصر ، طبعة ٣ ـ ١٩٦٩

ابن قدامة المقدسى : عبد الله بن أحمد ، أبو محمد ، موفق الدين :

( التبيين فى أنساب القرشيين ) ، تحقيق محمد نايف الدليمى ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، طبعة ٢ ـ ١٩٨٨

القسطلانى : أحمد بن محمد الخطيب ، شهاب الدين :

( إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى ) ، المطبعة الكبرى الأميرية ، القاهرة ، عام ١٣٢٣ هـ ، ١٠ أجزاء .

القلشندى : أحمد بن على ، أبو العباس :

( صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ) ، هيئة الكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ١٤ جزءًا .

( قلائد العقيان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ) ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، طبعة ٢ ـ ١٩٨٣

( نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ) ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩

القمي : عباس بن محمد رضا :

( الكنى والألقاب ) ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٥٦ ، ٣ أجزاء .

ابن كثير : إسماعيل بن عمر ، عماد الدين :

( البداية والنهاية ) ، مكتبة المعارف ، بيروت ، مكتبة النصر ، الرياض ، ١٩٦٦ ، ١٤ جزءًا .

( تفسير القرآن العظيم ) ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ٧ جـ .

الكلاعي البلنسي : سليمان بن موسى ، أبو الربيع :

( الاكتفاء من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ) ، تحقيق مصطفى عبد الواحد مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ج ١ / ١٩٦٦ ، ج ٢ / ١٩٧٠

ابن الكلبي : هشام بن محمد ، أبو المنذر :

( جمهرة النسب ) ج ١ ، تحقيق عبد الستار فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٣

الكندي : محمد بن يوسف :

( ولاة مصر ) ، تحقيق حسين نصار ، دار بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٩

الماوردي : علي بن محمد ، أبو الحسن :

( الأحكام السلطانية والولايات الدينية ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، طبعة ٢ / ١٩٦٦

المبرد : محمد بن يزيد : أبو العباس :

( الكامل ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، السيد شحاتة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ( ب ـ ت ) ، ٤ أجزاء

المحب الطبرى : أحمد بن عبد الله ، أبو العباس ، محب الدين :

( الرياض النضرة فى مناقب العشرة ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ٤ أجزاء .

المدائنى : على بن محمد ، أبو الحسن :

( كتاب التعازى ) ، تحقيق ابتسام الصفار ، بدرى فهد ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧١

المرزبانى : محمد بن عمران ، أبو عبيد الله :

( معجم الشعراء ) ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة عام ١٩٦٠

( الموشح ) ، تحقيق على البجاوى ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٥

المزى : يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدين :

( تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ) ، تحقيق بشار عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، طبعة ٤ ، ١٩٨٥

المسعودى : على بن الحسين ، أبو الحسن :

( التنبيه والأشراف ) ، مكتبة خياط ، بيروت ، ١٩٦٥

( مروج الذهب ومعادن الجوهر ) ، تحقيق يوسف داغر ، دار الأندلس ، بيروت ، عام ١٩٦٥ ، ٤ أجزاء .

المعلوف : يويس اليسوعى :

( المنجد فى اللغة ) ، دار المشرق ، بيروت ، طبعة ٢٠ / ١٩٦٩

المفضل الضبي : المفضل بن محمد ، أبو العباس :

( ديوان المفضليات ) ، تحقيق كارلوس يعقوب لايل ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٠

المنذري : عبد العظيم بن عبد القوى ، زكى الدين :

( مختصر صحيح مسلم ) ، تحقيق محمد ناصر الألبانى ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت – طبعة ٣ / ١٩٧٩

ابن منظور : محمد بن مكرم ، أبو الفضل جمال الدين :

( لسان العرب ) ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ( ب – ت ) ٢٠ جزءًا .

الميدانى : أحمد بن محمد ، أبو الفضل :

( مجمع الأمثال ) ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١ ، ٢ ج .

أبو نعيم الأصفهانى : أحمد بن عبد الله :

( حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ) ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، طبعة ١٩٨٥/٤ ١٠ أجزاء .

النويرى : أحمد بن عبد الوهاب ، شهاب الدين :

( نهاية الأرب فى فنون الأدب ) ، ١٩ جزءًا ، تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥

ابن هشام : عبد الملك بن هشام ، أبو محمد :

( سيرة النبى ﷺ – السيرة النبوية ) ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الإبيارى ، عبد الحفيظ شلبى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، ١٩٣٦ ، ٤ أجزاء .

الواحدى : على بن أحمد ، أبو الحسن :

( أسباب نزول القرآن ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتاب الجديد ، القاهرة ، ١٩٦٩

الواقدى : محمد بن عمر :

( فتوح الشام ) ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ٢ ج .

( المغازى ) ، تحقيق مارسدن جونس ، مؤسسة الأعلمى ، بيروت ، مصور مطبعة لندن ، ١٩٦٦ ، ٣ أجزاء .

الوشاء : محمد بن أحمد ، أبو الطيب :

( الموشى ، أو الظرف والظرفاء ) ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٥

وكيع القاضى : محمد بن خلف بن حيان :

( أخبار القضاة ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ( ب ـ ت ) ، ٣ أجزاء .

ياقوت الحموى : ياقوت بن عبد الله ، أبو عبد الله :

( إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ـ معجم الأدباء ) ، دار إحياء التراث العربى ، ( ب ـ ت ) ، ٢٠ جزءًا .

( معجم البلدان ) ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٥٥ ، ٥ أجزاء .

اليعقوبى : أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح :

( تاريخ اليعقوبى ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ٢ ج

أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم :

( كتاب الخراج ) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، طبعة ٤ / ١٣٩٢ هـ

## المراجع :


إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد على النجار :

( المعجم الوسيط ) ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، المكتبة العلمية ، طهران ، (ب ت)

جواد على :

( المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٨ - ١٩٧٣

حميد الله : محمد :

( مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ) ، دار الإرشاد ، بيروت طبعة ٣ - ١٩٦٩

الدباغ : مصطفى مراد :

( بلادنا فلسطين ) ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٥

الراشد : سعد بن عبد العزيز :

( الربذة ) ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٩٨٦

الزركلى : خير الدين محمود :

( الأعلام ) ، بيروت ، طبعة ٣ / ١٩٦٩ ، ١٢ جزءا .

شيت خطاب : محمود :

( قادة فتح الشام ومصر ) ، دار الفتح ، بيروت ، ١٩٦٥

صفوت : أحمد زكى :

( جمهرة خطب العرب ) ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، طبعة ٢ / ١٩٦٢ ، ٣ أجزاء .

( جمهرة رسائل العرب ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ١٩٣٧ ، ٤ أجزاء .

الطنطاوي : علي وناجي :

( أخبار عمر ) ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٥٩

عبد الباقي : محمد فؤاد :

( اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ) ، المطبعة العصرية الكويت ، ١٩٧٧
٣ أجزاء .

( المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ) ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ، ( ب ت )

العلي : عبد المنعم صالح :

( دفاع عن أبي هريرة ) ، مكتبة النهضة ، بغداد ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٧٣

كحالة : عمر رضا :

( أعلام النساء ) ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، طبعة ٢ / ١٩٥٩ ، ٥ أجزاء .

( معجم قبائل العرب ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، طبعة ٢ / ١٩٦٨ ، ٣ أجزاء .

محمد علي أدلبي : محمد عوامة :

( فهرس الأعلام المترجمين في الطبقات الكبرى لابن سعد ) ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، ١٩٨٦

ونسنك . أ . ى :

( المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ) ، مكتبة بريل ، لندن ، ١٩٣٦ ـ ١٩٨٨
٨ أجزاء .

دائرة المعارف الإسلامية ، طبعة ١ ( الترجمة العربية ) ١٣ جزءًا .

الموسوعة الفقهية : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، طبعة ٣ / ١٩٨٤

# فهرس

## الآيات القرآنية الواردة بالبحث وفق ترتيب ورودها بالمصحف الشريف

---

١٧ – وأسلمت مع سليمان ... الآية – سورة النمل ، الآية ٤٤

١٨ – فلمَّا أحس عيسى منهم الكفر ... الآية – سورة آل عمران ، الآية ٥٢

١٩ – ومن يبتغ غير الإسلام دينًا ... الآية – سورة آل عمران ، الآية ٨٥

٢٠ – لكم دينكم ولى دين – سورة الكافرون ، الآية ٦

٢١ – مالك يوم الدين – سورة الفاتحة – الآية ٣

٢٢ – يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ... الآيتين – سورة المؤمنون ، الآيتان ٥١ و ٥٢

٢٣ – وما كان الناس إلا أمة واحدة ... الآية – سورة يونس ، الآية ١٩

٢٤ – لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ... الآية – سورة المائدة ، الاية ٥١

٢٥ – ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ... الآية – سورة المنافقون ، الآية ٨

٢٦ – الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ... الآية – سورة الأنعام ، الآية ٨٢

٢٧ – إن الله يدافع عن الذين آمنوا ... الآية – سورة الحج ، الآية ٣٨

٢٨ – ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا – سورة النساء ، الاية ١٤١

٢٩ – ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا ... الآية – سورة الأعراف ، الآية ٩٦

# في آفاق لغة الوحي

## للأستاذ حسن عبد الله القرشي

هَفَا النجمُ ، يعنو لأَعتَـابها　　وغنَّى الزمَانُ على بَابِهَـا
ودانَ لها المجدُ وهْو العصِيُّ　　وأرخَى العنَـانَ لِخُطَّابِهَا
ترقْرقَ منها الضياءُ البهيجُ　　وشعشع في أُفْـقِ أصْحابهَا
وتَوَّجهَـا الله - يالِلجلالِ -　　بوحْيٍ تَجَـلَّى بِمحِرَابِهَا
غمَائِمُهَـا ثَرَّةٌ بالحَيَـاة　　وَوَشْيُ الرَّبيـعِ بِأهْـدَابِهَا
هي (الضَّادُ) ما ظَفِرت أُمةٌ　　بِمثلِ جَنَـاها ، وأطْيَـابِهَا
تَعَهَّـدَهَا رَبُّهَا بالبَقَـاء　　فَهَلْ مُجْدِبٌ فَيْضُ إخْصَابها ؟
تَـأَلَّقُ في صَفَحاتِ الخُلُودِ　　فَتنجـابُ ثَوْرَةُ حُجَّـابِهَا
وَمَا شَفَّ عن شُرُفَاتِ الوُجُودِ　　كَمِثْلِ سَنًا شَعَّ مِنْ غَابِهَا
فَمَا عِشْقُهَا غَيْرُ مَوْتٍ بها　　غَرَامَـا لِتَهْنَا بِتَرْحَابهَا
وَكَمْ يَحفِرُ الصَّخرَ صَبٌّ بها　　ليحظى بتَرشَافِ أكْوَابِهَـا
لينقادَ منها النُّفُورُ الشَّمُوسُ　　وَيُسْتَعذَبُ المُرُّ من صَابِهَا
وينهمِرُ الدُّرُّ من بَحْرِهَا　　ويَحْلُو الرَّحِيقُ لِشُرَّابِهَا
أنُوفٌ هي (الضَّادُ) أن تُجتنى　　لِغَـيرِ صَـبُورٍ لأتْعَابِهَـا
لغيرِ مُلحٍّ شَدِيدِ المِراسِ　　عميق المعـاناةِ وَهَّابِهَـا
يجوبُ الدُّروبَ احتفاءً بها　　لِيُسْلَكَ في سِمْطِ أقْطَابِهَا

* * *

(*) ألقيت في الجلسة الثانية صباح يوم الثلاثاء ٢ من شعبان ١٤١٠ الموافق ٢٧ من فبراير (شباط) ١٩٩٠ م.

وأعرضَ عنها قصيرو الأداةِ وَمَا مِنْهُمُـو من تَغَنَّى بِهَا
فَمَا عَبِـأَتْ بِـالأُلى أعرضُـوا وَمَا وَصَـلتْهم بـأَسْـبَابِهَا

* * *

بنى (الضَّادِ) يا جَمَرات الحياة لِأَعْـدَائِها .. ولسُـلَّابِها
ويا شُهُب الحق كفُّوا الأذى وَرُدُّوا البُغَـاةَ لاعتابها
هو الدَّمُ نادى (بنى يَعرُب) فَهَـلَّا تَحِنُّ لأَنْسَابِهَا
عَتَا الظُّلمُ منْ متحدِّى الكِرام حُمَـاةِ (يَهُـوذا) وأَذنَابِهَا
أُسُـودٌ عَلَيْنَا وما مِنْهُمُو سِوى خَائِرِ النفسِ هيَّـابِهَا
وأرغَم جَورُ الطغاةِ الأُباةَ لتعنُـوا لِصَـولَةِ إرْهابِهَا
فَمَا من (مُثَنَّى) يَسُوق الحُتُوفَ و (مُعْتَصِمٍ) دونَ أَنْيَابِهَـا
ومَا مِن (صَلاحٍ) يرصُّ الصُّفُو فَ ويُقصِى العروبةَ عن عَابِهَا
تَفرُّقُهَا قادَهَـا للكَلال وطُـول التَّنَاحرِ أَوْدَى بِهَا
تَمادَى العَـدوُّ نكالاً بهَا فَجُنَّ الهـوان بِأَلْبَابِهَـا
ولا من نَصِيرٍ وأَينَ النصيرُ لِخاذلِ نَفْسٍ فَأَزْرَى بها ؟
تَنَاسَتْ مع الذُّلِّ تَارِيخَها لِلَهْـو الحَيَاةِ ، وأَلْعَـابِهَا
فَلَمْ تَسْتَجِبْ لِصُراخ النَّذِيرِ ولَمْ تَسْتَشِفَّ لَظَى مَا بِهَـا
فَلَجَّ الصَّـدِيقُ بتجرِيحِها وهَامَ العَـدوُّ بِأَغْضَابِهَـا
وما هِىَ إلَّا جَنَى التضحياتِ وإن لَبِستْ غَـيرَ أَثْوَابِهَا
فَهَل يا بنى (الضَّادِ) من وَثْبَةٍ تَرُدُّ الكماةَ لأَسْرابِهَـا !

* * *

ويا (مَجمع الضادِ) من صَفْوَةٍ ... تَغَارُ النُّجُومُ لأَحْسَابِهَا

عَلَت بالنُّهى فَوْقَ هَام الدُّنَى ... وعَزَّتْ بجَوْهرِ آرابهَا

تسامتْ على تُرُّهات الزَّمانِ ... فَلَمْ تَسْتَرقَّ لأَوْصَابِهَا

وقدَّمتِ الشَّهدَ، كم غادرتْ ... حُطَامَ الحَيَاة لأَنْصَابِهَا

وكَم قد أَراقَتْ ضياءَ العُيُونِ ... فِدَى (الضادِ) قُربى لأَحْبابها

سَتُجزى بما بذلتْ فى غَدٍ ... جِنَانًا تَهَشُّ لِطُلَّابِهَا

وتُزهَى بِهَا غُرُفاتُ النَّعِيم ... فَدَارُ البَقَاءِ لأَرْبَابِهَا !

**حسن عبد الله القرشى**
(عضو المجمع المراسلُ من السعودية)

شارك فى مراجعة تجارب الطبع مع أمين التحرير

**السيدة / سميرة صـــادق شعلان**

المحرر الثانى بادارة التحرير والشئون الثقافية

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة
رمزى السيد شعبان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٣/٦٣٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٧٣٢٦ — ١٩٩٠ — ٣٠٠٢

ضیا

# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء الرابع والسبعون
ذو الحجة ١٤١٤ هـ
مايو ١٩٩٤ م

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١ ش عزيز أباظة بالزمالك

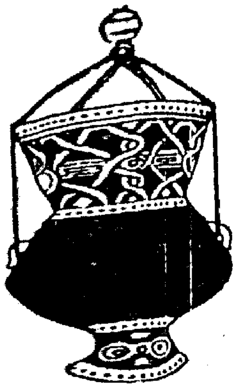
# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين فى السنة )

## الجزء الرابع والسبعون

جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ / نوفمبر ١٩٩٣ م

# الفهـرس



# الفهرس

# فجر الطب

## الجزء الثانى والأخير

للدكتور حسن على إبراهيم

تكلمت في المؤتمر الماضي عن الطب الفرعوني وذكرت بعض روائعه وقد اختصرت كثيراً لكى لا يمتد الكلام إلى ساعتين أو أكثر فقد كان الطب المصري شديد الوضوح وقد عالج كلَّ داء على حدة ، فكان هناك متخصص في طب العيون والأذن والمعدة وغير ذلك ، وكان العلاجُ – سواء كان خطأ أم صوابا – واضحا جدا وقد بلغ بهم التقدم أنهم قسموا علاج التهاب الأذن الوسطى ثلاثة أقسام كل منها له علاج ولن أطيل .

أعود فأقول : إنَّ الطب المصري بقدر ما كان دقيقا وواضحا فإن الطب الأشوري يحيط به كثير من الغموض . والذي لا شك فيه هو أن الطب الأشوري كان قديما جدا وربما سبق الطب الفرعوني ، ومن البارز اهتمام الأشوريين بالصحة العامة فقد عرفت مجاري الصرف الصحي في كيش ويرجع تاريخها إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد وكذلك المراحيض التي وجدت في أور يرجع تاريخها إلى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وذلك سابق لعصر حسى رع وامحتب بوقت طويل .

سبب حفظ الطب الفرعوني أنه كان ينقش على الحجر أو يكتب على أوراق البردي ، أما الأشوريون فقد دونوا طبهم على ألواح من الطين والكتابة على الطين يطمسها مرور الزمن ، كما أنها تتحطم بسهولة أثناء عمليات التنقيب ، وقد لجأ المنقبون إلى تحميصها قبل نقلها للمحافظة عليها إلا أن ذلك كان يؤدي إلى التصاق التراب ببعض أجزائها فيخفي معالمها .

أما السبب الثاني لغموض الطب الأشوري فهو المصطلحات التي تشمل الكتابة عن الأمراض ؛ فالأمراض الزهرية يشار إليها بيد عشتار إلهة

---

(*) ألقى البحث فى الجلسة السابعة المنعقدة يوم الاثنين ٢٩ من رجب سنة ١٤١٢ هـ الموافق ٣ من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٢ م .

الحبِّ والأمراض المعدية يكنى عنها بيد «سني» والأمراض العصبية بيدلوليتو وهكذا .

أما سبب الغموض الثالث فيعزى إلى أن من قام بترجمتها من الغربيين كان يجهل اللغة العربية التي ينتمي إليها الخط المسماري المكتوب به لوحات الطين الأشورية .

كما أن هناك تعابير لا تفهم في طبهم مثل زيادة معبد شماس كناية عن اقتراف إثم ، أو الإصابة بالجنون أو نبيذ البقر ويعني ماء الورد وهكذا .

قام الطب الأشوري على أسس تجريبية أمبيريقية إلى جانب الأسس السحرية والكهنوتية ، ولعله لم يعرف الأسس المنطقية الصورية مثل تلك التي بني على أساسها الطب الإغريقي مع أن الطب الإغريقي كان خاطئا في ذلك وغالبا ما كان الطب الأشوري أقرب إلى الطب الفرعوني ، ولو أن السحرة الفراعنة كانوا في مرتبة دون الأطباء كما أسلفت في مقالي السابق .

أما كون الطب الأشوري قائما على السحر فواضح من الأدعية والتعاويذ التي كان يوحى بترتيلها إما بمفردها أو مع تناول بعض العقاقير ، ومن أمثلة ذلك دعاء لعلاج العين يقول (أيتها العين الصافية يا عين البصر الصافي إلخ) .

ومن أمثلة التفكير السحري اعتقادهم في الحسد بالعين فقد كانوا يؤمنون أن سبعة من الشياطين تسمى «المسقم» وتلقب بالأشباح السبعة ، وهم توابع لعشتار إلهة السحر والظلام وهي التي تستطيع أن تسبب الأوبئة ، كما أنها قد تسكن جسد إنسان حتى إذا نظر إلى إنسان آخر خرجت الشياطين من عينيه فأصابت ذلك الشخص .

**الكهنوت في الطب الأشوري :** يتمثل ذلك في اعتقادهم بوجود ثلاثة آلهة عظام مثل «أيا» إله الأعماق والشتاء . و«بل» إله الأرض ، و«أنو» إله السماء . وكان الأشوريون يستنجدون «بمدردوخ» ابن «أيا» . وإذا استمر تعداد أبناء الآلهة الذين كان يستنجدون بهم فسوف نضيع بينها جميعا لكثرة الأسماء واختصاص كل إله .

ومن ممارسات المدخل الكهنوتي ما كانت تقوم به كاهنات المعبد من مزاولة الجنس مع الغرباء خدمة للمعبد بعد تعقيمهن جراحيا (ولم يذكر كيف) .

**أما المدخل المادي التجريبي (الإمبريقي)** : فهو الغالب على ما نشر من ترجمة الألواح الأشورية فهي مليئة بأسماء النباتات (٢٥٠ نوعًا) ومواد أخرى متفرقة ويضاف إليها الكحوليات مثل البيرة القوية وبيرة السمسم والنبيذ والشحوم والزيوت إلخ . كما كانوا يعرفون الحقن الشرجية وكذلك اللبوسات وقطرات ومراهم للعين والأذن واللبائخ كما كانت تحقن بعض الأدوية في الإحليل بواسطة أنبوب مجفف . وفي لوحة «ينبولتو» ذكر عامل لكل الأدوية المستعملة وطريقة هذا الاستعمال .

وقد نظمت قوانين حمورابي عمل الجراح أكثر مما فعلت بالنسبة للطبيب كذلك ذكر الأشوريون أمراضًا كثيرة مما نعرفه اليوم كخراج الكلية والرعاف والكسور وقاموا بعلاجها . وكان الطبيب يحمل في حقيبته أعشابًا وأدوية وبعض الآلات الجراحية ومن الغريب أنه كان لديهم إلهام بأن الأمراض تسببها أجسام غير منظورة تدخل الجسم مع الهواء أو الطعام أو عن طريق الجلد (وكانت إرهاصة بما نسميه ميكروبات الآن) كذلك أعتقد الأشوريون في انتقال بعض الأمراض بالعدوى ومنها الجذام والمادة ٢٧٨ من شرائع حمورابي تبطل بيع العبد إذا ما ظهر به الجذام بعد شهر واحد من بيعه ، ثم طالت الفترة بعد ذلك إلى مائة يوم ، كذلك كانوا يغسلون أيديهم قبل الأكل وبعده .

وقد عرف الأشوريون من فحص جروح القتال الكبيرة وجود قلب أيمن وأيسر (يعني حجرتين) والأمعاء والكبد وقنواتها والوريد الأجوف السفلي . والمعدة والبنكرياس والطحال وغير ذلك من كلية وحالب ومثانة وبروستات ورحم وشرايين وأوردة وعضلات لها أوتار ، كما كونوا فكرة عامة عن سيطرة الجهاز العصبي على الجسم كله ، وعن أهمية الكبد وكثرة وظائفها .

ومن هذا يتبين أن الطب الأشوري

يشترك إلى حد كبير مع الطب الفرعونى فى الاعتماد على المدخل التجريبى والعلاج المادى للمرض دون تفسيرات منطقية كالتى أدخلها الإغريق (وحسناً فعلوا) هذا مع بقايا التفكير السحرى الكهنوتى وهو ما اتبعه المصريون القدامى قدر ما استطاعوا .

وكان الأطباء من فئات ثلاث :

**الكاشف** : هو أول من يزور المريض ويشخص المرض والمآل ، وقد تميز الكاشف بخلفية غريبة ؛ فكان يتطير من الطيور التي تمر به في طريقه إلى بيت المريض ؛ وإلى جانب فحص المريض يقوم بحساب الفلك والأبراج ثم ينبأ بنتيجة المرض ويترك العلاج لمن يليه .

**الآسي** : وهو الطبيب المهتم بالجزء المادي من الطب وقد أخذت مكانته تزداد بمرور الزمن ، ولو أنه لوحظ أن هناك تكاملاً بين الكاشف والأسى .

**الجراح** : وهو لم يذكر في النصوص الطبية إلا نادراً ويرجع ذلك لممارستهم السرية للجراحة خوفا من شرائع حمورابي التي كانت تفرض عقوبات قاسية على الجراح إذا فشل . وكان الناس سواء عربا أم أوربيين يعتبرون الجراح خليفة لحلاق الصحة حتى منتصف القرن الماضي تقريبا .

وقد يكون من الممكن استعراض بعض ما جاء في طبهم :

ذلك الرجل قد ذهب إلى معبد شماش (أصابه الجنون) خذ صمغ الصنوبر ثم لفه بصوفة على بطنه ، ثم يأكله بعد ذلك بخبز الحنطة ويداوم على ذلك ، وسوف يشفى . ورجل آخر ذهب إلى معبد شماش والذى يرى أشياء خيالية ولأجل شفائه ضع حب العزيز على رأسه وداوم على العلاج وسوف يشفى .

كما جاء فى أوراقهم الطبية إذا أصاب الرجل وجع في الرأس ووخز فى الفم واضطراب فى العين وطنين في الأذن واختناق فى البلعوم ووجع فى عضلات الرقبة والكتف والصدر والخاصرة والأسفل والتهاب في المعدة وحرارة فى الأمعاء وألم فى اليدين والقدمين والركبتين فهو إما عنده ... وأن

أمعاءه أو كليتيه هى السبب ... وهو مصاب بالانحباس (الإمساك) أو انحباس الريح أو أن كليتيه مصابتان أو أنه مريض بالصفراء أو اليرقان أو أنه مريض باللعنة أو الروماتيزم أو به الشبح أو أنه مريض بالعفاريت التي تجمع الرؤوس للشيطان ... ثم يمضي هذا الكلام غير المفهوم مع علاجات لا نعرف عنها شيئا الآن إلا الخشخاش والبلسم وعرق السوس (وهى حالة تشبه الشلل البصلى الكاذب كما نعرفه الآن) وربما كانت بعض الصور تبين شيئا مثل :

إذا هاجمت الحمى رجلا فتقيحت أوردة جبهته وأصابت عينيه غشاوة ووجع شديد والتهاب وسيلان فخذ نبات الزعرور ... الخ . ولكن هذه الصورة تنطبق على انسداد الجيوب الوريدية الكهفية داخل الجمجمة .

وأخيرا أرى أيها السادة أن أخرجكم من هذه الدوامة والمتاهات ويمكنكم الآن المقارنة بين الطب الأشوري والطب الفرعوني الذي تكلمت عنه في مؤتمر هذا المجمع الموقر في العام الماضي.

ولا يسعني في ختام كلامي إلا أن أتقدم بمزيد الشكر للأستاذ الدكتور محمد عماد الدين فضلي الذي كان المصدر الوحيد لى فيما قلت . وقد لجأت إلى مقال جامع كتبه فى المجلة الطبية المصرية الجديدة .

شكرا أيها السادة والسلام عليكم ورحمة الله .

**حسن على إبراهيم**

عضو المجمع

# حياة كلمة

## للاستاذ سعيد الأفغاني

في قول سائر بين المحصّلين : زلّة العالِم زلّة العالَم .

وعلوم اللغة العربية لكل منها منهج خاص ، متعارف بين المتخصصين ، لا يجوز فيه الخلط بين أحدها والآخر ؛ فطريق متن اللغة غير طريق النحو ، غير طريق البلاغة ، غير طريق العروض .. إلخ . وعمدته النقل الصحيح عن أهل اللسان المتفق على فصاحتهم ، والاحتجاج بأقوالهم ، والقياس على ما ثبت منها واطرد ولم يشذّ .

وهذا ما حفظ على اللغة سلامتها ورواءها ؛ فإن خالف شيءٌ من ذلك القواعد المطردة ، وثبت سماعه عن أهله سماعاً صحيحاً لا شائبة فيه ، حُفظ ولم يقس عليه كبعض الضرورات الشعرية وما إليها . والهادي إلى ذلك إمعانٌ مترو فيما في المعجمات وكتب اللغة الموثوق بها عند علمائها وفقهائها ، وتجنُب ما عُرف بوهْي الثقة ، وتسقُّط الشوارد والنوادر ، والتهاون بالرواية ، ككتب المحاضرات والقصص والأخبار . وليس كل قارئ في معجم أن يبادر إلى الحكم بما فهم . فإن قراءة سريعة في معجم ، لمدة لم يعرف شأن صاحبه في الثقة به ، ومبلغَ اعتماد المحققين كلامه ، مورّط في زلل هو أحيانا فضيحة .

وأول متبادر إلى الذهن في هذا الباب كلمة (إخصائي) بمعنى اختصاصي ، وهي مثار لغط بين الحين والحين ، فَلأتتبعْ تاريخها الحديث ، منذ شاعت أول هذا القرن الميلادي الذي شهد الخلاف حولها غير مرة : أنكرها بعضٌ كلَّ الإنكار ، وتهاون في استعمالها بعض محبي التفاصح بالغريب في الحديث ، وصارت تظهر في بعض الجرائد والمجلات .

---

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الخامسة للمؤتمر (السبت ٢٧ من رجب سنة ١٤١٢ هـ الموافق الأول من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٢.

في سنة ١٩٠٨ نشرت مجلة المقتبس التي أصدرها في القاهرة الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله ، في عددها الثالث ص ٩٠ – وكان يعني بالموضوعات الاجتماعية عنايته بالموضوعات العلمية والأدبية ، نشرت مقالاً عنوانه : (الإخصاء في العلوم) بدأه بتعريف المصطلح بقوله :

«المُخْصي» هو الذي ينفرد بدراسة فن واحد ، من أَخْصى الرجل إذا تعلم علماً واحداً» . وهذه الكلمات الست بين القوسين ، منقولة بنصها من (القاموس المحيط) للفيروزابادي . في مادة (خ ص ي) ، لا في مادة ( خ ص ص) حيث يجب أن تكون في محلها الطبيعي ؛ وكما شرح الزبيدي القاموس استراب فأراد إبراء ذمة صاحب القاموس بقوله : «نقله الصغاني وهو مجاز» . وهذا الشارح رحمه الله أهمل مصدر الصغاني من الذكر كما لم يبين طريق هذا المجاز . وظل هذا النقل موضع ريبة . مجهول القائل مغمضًا لا نور بين يديه ولا من خلفه . وبقيت التبعة معلقة بعنق الصغاني رحمه الله .

وقصته أنه أراد الاستدراك على الجوهري ما فاته في كتابه العظيم (تاج اللغة وصحاح العربية) المشهور اختصاراً بـ (الصحاح) ، فألف الصغاني في ذلك كتابه (التكملة والذيل والصلة) . وفى هذا الكتاب أثبت الكلمات الست كما نقلها القاموس المحيط (أخصى الرجل إذا تعلم علمًا واحدًا) . فعلمنا أنه أول من أخطأ فوضع هذه الكلمات في غير موضعها الطبيعي ، وأن موضعها الطبيعي (خصّ) ، لا (أخصى) ، ولاتعنينا الاحتمالات التى يمكن أن تورد هنا متعددة كلها ممكن ، تشابههما فى الرسم (أخصى) و(أخصّ) ، خطأ الناسخ .. ولكن الذي يتصدر السؤال : أفلم يتساءل الفيروزابادي أو شارح كتابه : ما علاقة هذا المعنى بما قبله ؟ أفلم يلفت الانتباه هذا الإنبتات بين المعنيين ؟

أم هو درس للمتأمل أن لو كان أحد ينجو من سهو أو غفلة وهو مكبٌّ على عمله ، لكان هؤلاء الفضلاء . هل عدّ محققو العلماء (الصغاني) مع نقوله

الواسعة من الضابطين ؟ هو مكثر في التأليف اللغوي ، وعني خاصة بالنوادر والشوارد والشواذ ، فجمع منها مالم يجمع غيره ، وهو كثير الترحال ولقاء الرجال والاستيضاح من الرواة والمصادر ؛ إلا أن شأنه شأن المكثرين غالبا يتسرعون بالنقل والإثبات تسرعًا لا يُجنبهم الزلل ، وقد عرفوا ذلك من أمره ، وأتوقع – إذا طبع للصغاني كتاب جديد طبعة محققة – أن نرى فيها من حواشي المحقق ما يشير إلى مادة في غير موضعها ، أو كلمة مصحفة أو ضبط غلط ، الشيء الكثير دون أن استكثره عليه .

صدرت للصغاني طبعة جديدة محققة أخرجها المجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٧٨ من كتابه (العُباب) بتحقيق الأستاذ فير محمد حسن ، وقد عدَّد المحقق في تقديمه لهذه الطبعة المآخذ على الصغاني فيه ثم قال : « .. ولا يُوجب ما ذكرنا فوقُ من أخطاء قليلة في العباب ، وأنه كان ينتحل أقوال العلماء ، ولا ينبه عليها إذا أخذها منهم .. النقصَ في كتابه الجليل .. الخ »[1].

وكذلك أخذ عليه محقق كتابه (الشوارد في اللغات) – الأستاذ مصطفى حجازي – في مقدمته الوافية أنه لم يراع «الترتيب الداخلي للكلمة ، **وربما أدخل في بعض الحروف كلمات ليست منها**»[2]. وهذا ما فعله في حرف الخاء من التكملة والذيل والصلة . حين أنزل معنى (الإخصاص) في مادة (الإخصاء) ، وورّط الفيروزابادي صاحب القاموس ، وشارحه الزبيدي من بعده ، وخلقاً كثيراً آخر المئة التاسعة عشر للميلاد ، وإلى اليوم .

وأما الفيروزابادي الذي نشر هذه الزلّة وشهرها حتى احتج بها غير متثبتين ، فتآليفه في اللغة كثيرة ، وعني بكتب الصغاني ، واهتم بها . وأراد أن يجمع بين المحكم لابن سيده ، و(العباب) الصغاني ، فألف (العجب العجاب ،

(١) العباب تحقيق فير محمد حسن طبعة المجمع العلمي العراقي صفحة ج ١ ق ١ .
(٢) ص ٣٤ طبعة مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٨٣ .

الجامع بين المحكم والعباب) . وتوقف العلماء في قبول بعض دعاويه ، قال ابن حجر :

«كان الفيروزابادي يرفع نسبه إلى الشيخ أبى إسحاق الشيرازي ، وكان الناس يطعنون فى ذلك مستندين إلى أن الشيخ الشيرازى لم يعقب ، ثم ارتقى فادعى – بعد أن ولي قضاء اليمن – أنه من ذرية أبي بكر الصديق» . وعقّب ابن حجر : «ولم يكن مدفوعا في معرفة ، إلا أن النفس تأبي قبول ذلك .. وسافر إلى أقاليم عدة ، وسمع بها ، وجال فيما بين الأناضول إلى اليمن والهند ، وحظى عند ملوكها ، وولي القضاء في بلاد عدة ..» .

وألّف في الحديث كتابه (السّيح الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري) الذي قال فيه ابن حجر : «ملأه بغرائب النقول ، ولما اشتهرت مقالة ابن عربي في اليمن ، صار يدخل منها فيه ، فشانه ..» . وعلى هذه الشاكلة من عدم الثبوت ، نجعل نقله الساهي عن الصغاني تلك الكلمات الست (أخصي الرجل إذا تعلّم علمًا واحداً» في غير موضعها الصحيح ، وبذلك عُرف الصغاني نفسه من قبل .

***

هذا في زمن (الصغاني – ٦٥٠هـ) و(الفيروزابادي – ٨١٦) و(الزبيدي – ١٢٠٥ هـ) ، فماذا في زماننا الذي عشناه حتى اليوم وهذه الكلمة (الإخصاء) ؟

سأقصر الكلام على عملين :

معجم ، وكتاب تصدى صاحبه لتصحيح أخطاء دارجة :

١ – المعجمات التي أصدرتها الشام ومصر وغيرهما كثيرة بين مختصرة ومتوسطة ومطولة ، وغالبها قام بها أفراد، فهي أعمال شخصية لا تلزم لا أصحابها، الذين هم بين متعلم وعالم وجاهل مركب الجهل[1] . يتسم كثير منها بالجرأة والاقتحام حيث يتجنب أولو الفضل ويتخوف العلماء مزالقها . وغالبها تعرض للملام والذم ، وكان ضررها محققا ، ونفعها موضع ارتياب .

(١) لا يدري ولا يدري أنه لا يدري .

اختـرت من هذه الأعـمـال اللغـوية معجمًا أراد صاحبه الفاضل ، أن يحمل مـا ينوء بالعـصـبـة أولى القـوة فـرزح تحته ، ولم يستطع الوفاء بما عزم عليه . وعذره عندي أن ما خطط له فوق طاقة الفرد بأضعاف ، فكان من الطبيعي أن يقف ، على رغم مـا بذل من مـجـهـود وأنفق من مـال وسنين عـدة ، ذلك هو (المرجع) للأسـتـاذ الشـيـخ عـبـد الله العـلايلي أحسن الله إليه ، فـقـد أراده «معجمًا وسيطًا علميًا لغويًا فنيًا مرتبًا وفق المفرد بحسب لفظه» ، وألزم نفسه ذكر المقابل بالإنكليـزية وبالفـرنسـيـة . فـحـوى جـزؤه الأول المواد اللغـوية بين حـرف الألف وكلمـة (جـدا) في ٧٣٦ صـفـحة بالحرف الصـغيـر الذي يكاد لا يتـبـينه سليم العين – هذا عـدا قـسم بالفرنسية .

ويعـنينا منـه الآن تنـاولـه كلمـة (الإخـصـاء) التي نحـاول التـأريخ لـهـا . كنت أقدر أنه سيمر بها غير عابئ البتة – وكان من وراء تقديري القدر – فانجرّ إلى المزلق وزاده توسـيـعـاً ، إذ كـانت عبارة الصغاني في ست كلمات ، فزادها شـرحـا ، ومكن لـهـا بزوائد طفـيلية عن يمين وشـمـال حـتى صـارت أسطرا ، وجـعل لهـا المكان الأول في التـعـريف قائلا :

«الإخـصـاء مـصـدر من (خـصـي) : الاقـتـصـار على فـرع واحـد من فروع المعرفة والعلم أي أفرده ولم يعدّد ... ومن «المنسوب» الإخـصـائي . بإزاء «انج Speciaist» و«فر T» المستحكم العلم في شئ ما . وله أيضا متخصص . وهو أصحُّه . وقوله : «وهو أصح» غير دقـيق ، والصـواب أن يقـول : «وهو الصحيح» .

هذا المعـجم (المرجع) عـدد المعنى المزعـوم الذي أداه الصـغـاني في ست كلمات ، وجعل له إضافات حتى كـأنه هو المعنى الأساسي في الكلمـة ، على غير ما يسوغ في المعجمات الأصولية ذوات المنهج الملتـزم ، بينمـا لم يحظ المعنى الأسـاسي إلا بكلمتين . وفي هذا بعض الإخـلال في التـوازن الـواجـب ، الذي يفرق بين المعنى الأساسي والمعاني الفرعية .

إن سـعـة الميـدان الذي أخـذ المؤلف نفسه بالجولان فيه لا تُدرك ، وأنّي لفرد

واحد ، مهما يؤت من بسطة في الإمكانات العلمية والمادية ، أن يملك قدرات متخصصين متعددين في تخصصاتهم ليكون له معجم متعدد الأهداف (وسيط علمي لغوي فني مرتب وفق المفرد بحسب لفظه) وإزاء كل مادة فيه مقابل إنكليزي ومقابل فرنسي ؟.

أرجو ألا يكون أمثال هذا المأخذ كثيرة في معجم (المرجع) فإني أعرف صاحبه الصديق بكثرة الاطلاع وسداد الإدراك للغة . لكن طموحه فاق قدراته ، وجاوز بعيداً المدى الذي ظنه كافياً لهذا العمل ، وإن هدفاً واحداً منها لخليق باستنزاف سنوات من أعمار المجدين[1].

***

٢ – أما العمل الثاني من أعمال العصريين ، فكتاب (قل .. ولا تقل) للأستاذ مصطفى جواد العراقي ، فقد عرض لكلمة (إخصاء) بقوله ص ٩٧ :

« قل : متخصص بالعلم ، ولا تقل : إخصائي» ولو اقتصر على هذا لكفي ووفَّى وأوجز؛ لكنه أراد شاهداً عليه ، وتوسعاً وتعليلاً له . فحاد عن سواء السبيل :

أولا: أما شاهده فقوله : قال جار الله الزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) وهو كتاب مشهور: «إن من لا يعلم إلا فنًّا واحداً من العلم ، ينبغي أن يسمى خصيَّ العلماء»[2].

(١) كتب الأستاذ فؤاد أفرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية سنة صدور معجم (المرجع) صفحتين لتكونا كالتمهيد له فلم تمهدا لشئ ، بل كانتا فرصة أهتبلها للدعاية لمطبوعات بلده للمعاجم ، ولا بأس في دعاية إنسان لمطبوعات بلده ولو خرج عن مراعاة الموضوع ، لكن القول قد اشتط به إلى الغلو بقوله : «.. حتى غدا كل متمرس بالعربية في مشارق الأرض ومغاربها ، إذا اعتاص عليه تعبير لجأ حتما إلى معجم لبناني – ص ج) اهـ وكان الله للمتمرسين بالعربية في مشارق الأرض ومغاربها ، وحماهم من الأسواء .

(٢) المجاز الذي استعمله العرب في (الخصاء) هو النقص والذل ، وهو ما وافق استعمال العرب . جاء في (لسان العرب) : «قال أبو المهوس الأسدي :

خصيتك يابن حمزة بالقوافي . . كما يُخصى من الحلق الحمار

قال الشيخ : الشعراء يجعلون الهجاء والغلبة خِصاءً ، كأنه خرج من الفحول ، ومنه قول جرير :

خُصى الفرزدق والخِصاء مذلة . . يرجو مخاطرة القروم البُزَّل

قلت هذا كل ما في «لسان العرب ؛ لا شيء مما نقل القاموس المحيط عن الصغاني ، ولاما زعم المتأخرون من بعده حتى اليوم .

يفهم من قوله (ينبغي أن يسمّى) أنه لم يقع ، ولم يسمّ ، والزمخشري يقترح أن يسمّى بذلك ، أما الأستاذ جواد ففهم العكس ، ومضى يعلل قائلا : «والسبب في ذلك أن الوقوف على علم واحد عند القدماء كان عجزًا وعيبًا ، ومن لفظ الخصيٍّ المذكور في ذلك ، أخذوا الفعل (أخصى يخصي) ، والمصدر (الإخصاء) . فمعنى (أخصى فلان) صار خصيا (كذا) في العلم مثل أثرى صار ثريًا ، وأفصح صار فصيحا (كذلك أيضا) . قلت : لا يلزم من كلام الزمخشري شيء مما فهمه الأستاذ .

ثانيا : وتابع الأستاذ جواد تعليله مازجًا به استنباطًا آخر غير صحيح بقوله :

قال صاحب القاموس المحيط : «وأخصى تعلم علمًا واحداً» ، فاستنبط منه مالايدل عليه ، قال : «وفي قوله إشارة إلى أنه لم يتقن العلم الواحد(؟!)، ولو كان فيه دلالة على الإتقان لقال : علم علماً واحداً وأتقنه ، وبرع فيه وتبحر فيه .. وما إلى ذلك (أيضا) . فالإخصاء أقرب إلى الذم من التصريح به (كذا) . ثم إن قباحة اللفظ تدل على قبح معناه» وقد أحسّ بذلك من اختاره لتأدية معنى (سپْسيا لِسْت) الفرنسية .

وختم المؤلف كلامه بحكم سديد صحيح بقوله : «فأنت ترى أن «الإخصائي قبيح في المعنى وغلط في الوضع» .

قلت : ليته أراح القارئ من تعليلاته واستنباطاته ، واقتصر على السطر الأول والسطر الأخير .

***

مولد هذه الزلة إذاً ، المئة السابعة للهجرة ، ولم تعرف – في علمي– من قبل . أما المعنى فاطلبه في مادته الخاصة من المعجمات ، حيث تجد في مادة (خصّ) : خصّه بالشيء وخصّصه واختصه : أفرده به دون غيره . ويقال : اختصّ فلان بالأمر ، وتخصصّ له إذا انفرد به ، ويقال : فلان مُخَصّ بفلان أي خاص به»(١) .

(١) لسان العرب . مادة (خ.ص.ص) .

فالكلمة إذًا (أخصّ إخصاصًا) لا (أخصى إخصاء). وعلى هذا فالكلمات (اختصاصي، ومختص، ومتخصّص، ومُخِصّ، ومخصّ، وإخصاصي) كل أولئك صحيح فصيح، أما إخصائي فخطأ فاحش قبيح (*).

***

زلة الصغاني تلك في المئة السابعة للهجرة، هي التي أزلّت صاحب القاموس المحيط في المئة التاسعة، وأزلّت من تبعه تقليدًا دون انتباه إلى قبح معنى الإخصاء، حتى يومنا هذا في المئة الخامسة عشرة.

وهذا هو الذي ينعته أهل العلم قديمًا بـ (الصحفية)؛ فإذا قالوا: «فلان صحفي»، عنوا أنه يأخذ علمه من الصحف بغير أستاذ، فيزلّ بما تحوي من خطأ وتصحيف وزيادة ونقصان. أما الآخذ عن شيوخ العلم المختصين، فهم يبصّرونه بخطئها فيصححه، وبصوابها فينشره ويعلمه. جنبنا الله الزلل، وهدانا إلى السداد.

**سعيد الأفغاني**
عضو المجمع من سورية

(*) من توفيق الله تنزه الطبعة الثالثة من (المعجم الوسيط) عن هذه الزلة القديمة، وستتنزه أيضا الطبعة الجديدة من (المعجم الوجيز) قريبا إن شاء الله.

# اللون والجمال

# فى الشعر القديم

للدكتور عبد الله الطيب

قال امرؤ القيس :

ومثلِك بيضاءِ العوارضِ } (البيت)

في بعض الشروح :

العوارض :صَفْحتا الخد . هذا خطأ.

قال عنترة :

وكأنّ فأرةَ تاجرٍ بِقسيمةٍ

سَبَقَتْ عَوارِضَها إليكَ من الْفَمِ

أي أسْنانَها وبريقهن وحُسْنَهن – ترى ذلك وتَشَمّ طيبَه . وقال كعب بن زهير:

تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت

كأنّه مُنهل بالراحِ مَعْلُولُ

وذكر الجوهري بيّتَ جرير :

أتذْكرُ يوم تَصقُلُ عارِضَيْها

بفَرْعِ بشامةٍ سُقِيَ البشام

ورواية الديوان :

أتنسَى إذ تُودِّعنا سُلَيْمَى

بفَرْعِ بَشامةٍ سُقِيَ البشام

وهذا أحبُّ إليَّ ، على أنني أحْسَبُ أن البَيْتَيْنِ بروايتهما : كلاتَيْنِك بلا ريب . قول جرير : وفي صِحَاح الجوهري :

قال أبو نَصر : يعني به الأسْنان ما بَعْدَ الثَّنايا والثنايا ليست من العارض (هكذا – وفي الهامش ص ١٠٨٦ طبع مصر – نقلا عن اللسان، العوارض) وعلى هذا فالفتاة كانت تستاك بفَرْع بشامةٍ مُجِدَّةً في ذلك ، ثم فَطِنَتْ للوداع فأشارتْ بفرع البشام – شَرَح أبي نصر للرواية التي رَوَى يوضح هذا المعنى . والعارضُ قد يُطلَق على الثنايا وجميع الأسنان .

والعرب لا تصف الخُدود بالبياض ولكن تقُول كما قال غيلان :

تُريك سُنَّةَ وجْهٍ غيْرَ مقْرِفَةٍ

مَلْساءَ ليْسَ بها خَالٌ ولا ندبُ

واستحْسَن المتأخرون الخالَ لمقابلته بياضُ البَشَرة ومنه قول أبي الطيب :

عواذِلُ ذات الخال فيَّ حواسد

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الخامسة للمؤتمر المنعقدة بتاريخ ٢٧ من رجب سنة ١٤١٢ الموافق الأول من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٢ .

وكما قال ابن ميَّادة (رَجَع الحديث إلى قَوْلِ غيلان وصفةِ الخدود بالصَّقلِ والبريق)

تَقُول خَوْدٌ ذات خدٍ براق

وقال غَيْلان :

برّاقَةُ الجيدِ واللَّبَاتُ واضِحةٌ

وربما شبهوا بالدُّرة ؛ يريدون صفاء البشرة ورقتها – وذلك قول زهير :

فأما ما فُوَيّقَ العِقد منها

فمن أدماء مرتعها الخلاءُ

وأما المقْلتان فمن مهاةٍ

وللدرّ الملاحةُ والصفاءُ

الأدماء : الظبية ولَوْنُ الظباء السمرة والأُدْمة السّمرة . والظبية الأدماء والأُدْمَانَةُ هي البيضاءُ فيها جُدَد ولونها لون جبلها – تأمل قولهم ، فهذا وَصْفٌ بالسمرة أظهر وعليها أدل .

وقال امرؤ القيس :

كبِكْرِ المقاناةِ البياضِ بصُفْرةٍ

غذاها نميرُ الماءِ غير المحلل

وفي بعض الشروح أنه أراد البرديّة ، ويقّويه قوله : «غذاها نَميرُ الماء» فهو لا يصلح أن يُرَدَّ على بِكْرِ بيض النعام ، ولكن ربما صلح أن يردّ على المشبهة ببكْر البيض . قال تعالى : «كأنهن بَيْضٌ مكنون» . وقيل : أراد الدرة . والعرب تقول النَّمير للماء العذب والماء الملح . والدُّرة منشأها في البحر الملح ولكن قوله : «المقاناة البياض بصفرة» ؛ أي التي تخالط بياضَها صُفرةٌ ، فيه بُعْدٌ مع الدرة . والمرأة مِمّا تُشَبّه بالبردية . قال الأعشي :

كبرديّة الغِيلِ وَسْطَ الغريفِ

إذا خالط المَاءُ منها السُّرورا

الغِيل ، الشجر الملتفُّ والغريفُ الأَجَمَة أي الغابة والسُّرورُ بَطْنُ البردية ، وإذا خالط الماء بَطْنَ البرديَّة كان ذلك لها سبب اكتنازٍ وجَوْدَةٍ – أي إذا ارتوت من الماء .

ومن شواهد الجوهري في الصحاح :

جديدةُ سِربالِ الشبابِ كأنها

سَقِّيةُ بَردِيٍّ نَمَتْها غيولها

وفي معلقة لامرئ القيس :

وساقٍ كأنبوب السِقيِّ المذلّل

وفسروا أنبوب السقيّ بالبرديّ تنبت قصبته مع النّخل ، وهو السقيّ أيّ المسقِيّ

وقال قيس بن الخطيم :

ما تَمْنَعِي يقظي فقد تؤتينه
في النّوم غَيْرَ مصرّد محسوب
كان المُنَى بلقائها فلقيتها
فلهَوْتُ من لَهْوِ امرئٍ مكذوب

أي يا لك من لهو امرئ مكذوب ، إذ كان لهوا من طيفٍ لا حقيقة له .

فرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمس عند طلوعها
في الحُسْنِ أو كدُنوِّها لغروب
صفراءَ أعجلَها الشّبابُ لداتها
مَوْسومةً بالْحُسْنِ غَيْرَ قطوب
تخطو على بَرِدْتين غذاهما
غَدَقٌ بساحةِ حائر يعبوب

قوله غذاهما غدق .. الخ ، كقول امرئ القيس « غذاها نمير الماء » وأحسبك فطنت إلى تكرار الغين فى « غذاهما غدق » .

قوله بساحة حائر أي بمكان انساح فيه سيل يعبوب أو ماء مطر ، وسحاب يَعْبُوب أي كثير غزير . وأصل اشتقاق اليعبوب من عُبابِ البحر أي ارتفاع موجه . وأكثر ما يستعمل اليعبوب في وصف الفرس الكريم . قال سلامة بن جندل :

من كلّ حَتٍّ إذا ما ابتل مليده
صَافِي الأديم أسيل الخدّ يَعْبُوب

وما تقدم من شرح أبي محمد رحمه الله . والحائر ما اجتمع من ماء المطر كقولنا «المَيْعَة»(١).

ونظر المخبل السعدي إلى كلمة قيس ابن الخطيم وذلك قوله :

برديّة سَبَقَ النعيمُ بها
أقرانها وغلابها عَظْمُ
وتُرِيكَ وجْهًا كالصَّحِيفة لا
ظمآن مُخْتَلِجٌ ولا جَهْمُ

فالمختلج الذي ليس بمستو ولا أملس وكأنه يابس ُ قليل اللحم ، والجَهْمُ غير المليح أو كثير اللحم كثرة ممجة .

وقول ابن الخطيم « صفراء » على مذهب العرب في استحسان لون الصُّفرة في بَشَرَاتِ النساء . قال النابغة في متجردته :

صفراء كالسِّيراء أُكمِلَ خَلْقُها
كالغُصْنِ في غُلوائه المتأوِّد

وقد يوصف بالغصن وبالبانة وكل ذلك في مجرى البرديّةِ . إلا أن البردية أدلُّ على الساق الخدْل وعلى القامة المُسبكِرَّة .

(١) وأصل هذه الكلمة صحيح فصيح ، قولهم «مَيْعَةُ الشباب» أي ماؤه المترقرق وعنفوانه .

وتشبيه الأنصاري محبوبته بالشمس حين طلوعها مُنْبِئٌ بالرَّوْعة والإشراق الباهر ، وقد افتنَّ في هذا المعنى حيث قال :

تبدّت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وتشبيهه لها بالشمس حين دنوها لغروب ، فيه معنى هُدوءِ الضوءِ ووداعَتِه كما فيه معنى صُفْرةِ اللون الحَسنة .

وقال الأعْشيَ :

بيضاءُ ضَحْوتها وصَفْـ
ـراءُ العشيَّة كالعرارة

والعَرارُ نوَّار نَجْد - وقولهُ صُفراء العشية الخ كأنه عين مقاله حيث قال يصف هريرة :

مَا رَوضَةٌ من رياض الحَزْنِ مُعْشبَةٌ
خَضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضَاحِك الشمْسَ منها كَوْكَبٌ شَرِق
مُؤَزَّرٌ بعميم النبت مُكْتَهِلُ
يومًا بأَطيَبَ منها نَشْرَ رائحةٍ
ولا بأحْسَنَ مِنها إذْ دَنا الأُصُلُ

فقوله : «إذ دنا الأصل» فيه لون الصفرة . وهل كانت هريرة نفسها خضراء اللون كالروضة ، وبالإشراق كالشمس ، وبعلوق أصناف الطيب بهما صفراء العشية كالعرارة؟» وهل نظر أبو تمام إلى هذه الخضرة المُضَاحِكَةِ لضوْءِ الشمس ثم يكون لونها من أجل اكتهال النَّبت والعُشْب والنوار كأنه لَوْنُ الأصيلِ ذي الصُّفْرَةَ البهيجِ الوديعِ ، فقال :

تَريَا نهاراً مُشْمِساً قد شابه
زَهْرُ الرُّبا فكأنَّما هو مقمر ؟

وقال تعالى في قصة بقرة بني إسرائيل : ﴿ قالوا ادْعُ لنَا ربَّك يُبَيِّن لَّنا ما لَوْنُها قال إنّه يقول إنّها بقَرةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لونها تسرُّ النّاظرين ﴾ - فوصف جلّ شأنه اللون الأصفر الفاقِع ذا البهاءِ بالحُسْنِ وأنه يسر الناظرين .

هذا اللون الجميل في البقرة العزيزة جميلٌ أيضا في العقيلة من الكرائم . والعَربُ تُشَبِّه النساء بالبقرة الوحشية . قال أبو الطيب يتبدَّى وهو بِمصْرَ أقدمِ بلادِ الله في الحضارة وأعرقهنَّ فيها :

لا تَجْزني بضني بي بَعْدَها بَقَرُ
تَجْزي دُمُوعِيَ مَسْكُوبا بمسكوب

وقد احترس أبو تمام حين ذكر بني الأصفر أي الروم فزعم أن صفرتها صُفْرَةُ مرضٍ غير ذي إشراق ، وذلك فى قوله :

أبقت بَني الأصفَرِ المراضِ كاسمِهم
صُفْرَ الوجوهِ وجلَّت أَوْجهَ العرب
بالذي أصابوه من النصر .

وقيل إنما قيل للروم بنو الأصفر لأن أمَّهم ولدَتْهم لزَنْجيٍّ فخالط لَوْنَ بياضها لَوْنُ سواده فصار ذلك في نسلهما صُفْرةً . ولعلهم إنما قيل لهم بنو الأصفر لما كان يُخالط سِبالَهم ولِمَّاتِهم من صُهْبَةٍ وتَذْهيب . قال عبد الله بن سَبْرَة يَصف مُنَازلَه الروميَّ - أطربوت - والأبيات التي منها هذا البيت في الجزء الأول من أمالي أبي علي القالي .

كأنَّ لِمتَّهُ هُدّاب مُخْملَة
أحمُّ أزرق لم يُشْمِطْ وقد صلَعا

فقوله : هدّاب مُخْمَلَة» ، فيه دلالة على شَعر أصهب أو ذهبي . وقوله «أحمُّ أزرق» .فذلك لون عينيه . ولم يُشمِط أي شابٌّ ولم يخالط شباب شعره شَيبٌ . والعرب تَصف العجمَ ولا سيما رُومهم وصقالبهم ومن إلى ذلك بزرقة العين وتعدُّه شؤما . وقال الشماخ في رثائه أمير المؤمنين عُمَر رضي الله عنه :

وما كُنْتُ أخشى أن تكون وفاتُه
بكفيْ سَبَنْتَي أزرق العين مطرق

كأنه ثعبان . ودافَع ابن حزم عن زُرْقَة العيون في طوق الحمامة «وفي طوق الحمامة» قولان .

وقال عوف بن محلم :

فَفَرٌّ بَاني بِأَبِي أنتما
من وطني قبل اصفرارِ البنان

فهذه صفرة الموت وليست بذات بهاء.

وفي القرآن : ﴿ إنها تَرْمِي بشَررٍ كالقصر كأنَّه جِمِلَتٌ صُفْر﴾(١) قالوا في تفسيره أي سُود . قال ابن جرير رحمه الله : وإنما قيل لها صُفْرٌ وهي سودٌ لأن ألوانَ الأبل سُودٌ تضرب إلى الصفرة ولذلك قيل لها : صُفْر، كما سمّيت الظباء أُدْماً لِمَا يَعْلو بياضَها من الظلمة".

واعلم أن العَرب قد تقول للشئ أخْضَر وليس بأخضر ولكن تُقرّبه بذلك

(١) هذه رواية حفص عن عاصم ورواية الدورى عن أبى عمرو : جمالات وكلاهما جمع للجمع أو جمالة جمع جمل كذكارة جمع ذكر وجمالات جمع الجمع .

(وربما كان أسمرَ أو نحواً منه) إلى الخضرة ، كقول حسان :

أو من بَنِي جُمَحَ الخُضْرِ الجلاعيد

وكقول اللَّهبي من بني هاشم يصف نفسه ويفتخر :

أَخْضَرُ الجِلدة من لون العرب

وربما سمَّت الشَّيَّ بلون يُدَانيه لا يَبْلُغه كقول الأعشى :

إذا تقوم يضوع المسكِ أصْوَرَةً

والزَّنْبق الورد من أردانها خضل

أي المُشرَب بالحمرة . وقالوا : الأسد الورد وليس بورد ولكن تُخالطه سُمرة فيها ضرب احمرار. وقال الحسحاسي :

فلو كنتُ وَرْداً في الرجال عَشِقنَني

ولكنَّ ربي شانني بسواديا

أي من هذه الألوان الرومية التي جعلت تستحسنها العرب الآن ، ولكني يا للأسف إذ أنا من اللون الذي جعلت العرب تفرّ منه ، يَسْخَرُ العبد ويتهكم . وقد زعم من قبل أنهن تجمّعن إليه حتى اكتملن ثمانيا وما بنَى يائيَّته إلا على على عشقهنَّ له الأسودَ العبْدَ في نظرهنَّ .

والعربُ ربما قالت الأحمر تعني مداناة البياض من السمرة ، وربما لقبوا أحدهم بذلك كالذى فى السيرة من خبر « أحمر بأسًا » أنه كان إذا بُيِّتَ الحرىُّ صرخوا به : يا أحمر ، جعلوا ذلك لقبًا وما أحسبه كان أحمر كحمرة الروم والله تعالى أعلم .

وقول الله تعالى : ﴿ ومن الجبال جُدَدٌ بِيض وحُمر مختلف ألوانها وغرابيب سودٌ ومن الناس والدوابِّ والأنعام مختلف ألوانه كذلك ﴾ يدل على أنه في اللون الواحد درجات يطلق اسمه عليها جميعًا وعلى هذا المعنى تفسير ابن جرير لله درّه .

وفي الحديث «بُعثتُ إلى الأحمر والأسود» ؛ فالأحمر العجم والأسود العرب وقال ابن الأثير في النهاية (١:٢٥٧) : لأن الغالب على ألوان العجم الحمرة والبياضُ ، وعلى ألوان العرب الأُدْمة والسمرة» .

قال أبو تمام يذكر رماح أبي دُلف في مدحة له :

مُثَقّفات سَلَبْن الروم زُرقتها

والعرب سُمْرتها والعاشقِ القضفا

تأملْ حِذق أبي تمام حيث قال «زرقتها» هنا ولم يقل صفرتها ؛ إذ الصفرة مطلقا حسن ولون العرب المحبب المفضل مدحه القرآن ومدحوه قصيداً ورجزا [1]. والقضَفُ النحافة . فللرماح المثقفات من الروم زرقة نصالها ، ومن العرب سمرة القناة نفسها ، وهذا يقوي عندك ما ذكرناه من قبل في البرديّةِ ومن العاشق النحافة والدقة واللطافة وهي لفظ التبريزي في شرحه .

وقال ابن الأثير في تفسير الأحمر والأسود :«وقيل الجن والإنس» فالعجم كما ترى يشبهون الجن والحمرة لون النار. «وقيل أراد بالأحمر الأبيض مطلقا فإن العرب تقول امرأة حمراء أي بيضاء» – قلت : والبياض هنا نسبي لا يُرادُ به كبياض الروم ، وعليه تسمية أُمِّنا عائشة رضي الله عنها حُميراء . فيما يُذكر من خبر كلاب الحَوْأب وهو منزل بين مكة والبصرة .

وقال ابن الأثير أيضا : «وسئل ثعْلبٌ لم خُصَّ الأحمر دون الأبيض (أي أنه أشبه بالمقابلة أن يجعل الأبيض فى مقابلة الأسود ، لا الأحمر فى مقابلته هذا على ظاهر الأمر من وجوه البلاغة والبديع) . فقال – أي فقال ثعلب – : « لأن العرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون ، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا الأحمر » .

ثم قال ابن الأثير : « وفي هذا القول نظر ، فإنهم قد استعملوا الأبيض في ألوان الناس وغيرهم».

قلت : ماذكره ابن الأثير هذا صحيح، إلا أنه لا ينقض ما تقدم من قول ثعلب فقد كان رحمه الله بكلام العرب عالمًا حافظًا لضروبه متقنا . وما ذكره ابن الأثير يحسن أن يرّد إلى مواضعه فقد لا يزيد مدلوله على معان نسبية أو خاصة . مثلا قول رؤبة :

لأُغنيَنَّ اليوم ما أغْنى رَجُلْ

لأضربن اليوم ضربا وَعْسا

---

(1) كقول أحد بني جذيمة :

قد علمت صفراء بيضاء الإطلِ

والإطل هو الجنب . وقال آخر :

قد علمت صفراء تلهِْي الفرسا

فهذا رجز وله نظائر .

لقد أتَى في رمَضان الماضي

جَارِيَةٌ في درعِها الفضفاض

أبيض من أخت بني إباض

فهذا بياض نسبي كما تدل المفاضلة ولعلهـا هي وأخت بني إباض لم تكن الأسمراونى بالقياس إلى بياض العجم الذي هو من أشدْ الحمرة .

وقال الأعشي :

من كل بيضاء رُعبوبة

لها بَشَرٌ ناصعٌ كاللّبن

والسِّياق مشعر بأن هذه ليست من العرب ولكن من بغايا العجم كَكأس عمرو التي شرب بعلبك وقرى الشام التي كانت آنئذ من بلاد الروم .

وكأُسٍ قد شربتُ ببعلبكٌ

وأخرى في دمشق وقاصرينا

قال امرؤ القيس وهو في طريق رحلته إلى القسطنطينية :

لقد أنكرتْني بَعْلَبَكُّ وأهلها

ولابْنُ جُرَيْجٍ في قُرىَ حِمْص أنكرا

فجعل يشيم البرقَ أين مَصابُه يشتاق إلى ديار العرب وهو في ديار الروم .

وممّا يجري مجرى ما ذهب إليه ثَعْلب النعت بالبيـاض للدلالة على النّور والإشراق ، وجليٌّ أن معنى الطاهرة من بَيْضاء الأعشي التي كاللبن بعيد .

وقال قيس بن الخطيم :

بيضاءُ فرعاءُ يُسْتضَاء بها

كأنها خُوطُ بانَةٍ قَصِفُ

تَغْترق الطَّرفَ وهي لاهية

كأنما شفّ وجهها نُزُف

أي رق وجهها كأنما نزفت فتوهج واحمرّ . والموصوفة هنا عَمْرَةُ بنت رواحة وفيها يقول :

وعَمْرة من سَرَوات النسا

تَنفَحُ بالْمِسكِ أردانُهـا

وقبله :

فما رَوْضة من رياض القطا

كأنَّ المصابيح حَوْذَانُها

بأحْسَن منها ولا مزنة

دَلوحٌ تَكشَّف أَدْجانهـا

فهذا إشراق جمال لا بياض بشرة . وعمرة كانت من الخزرج ولم يكونوا بيضًا بل السواد عليهم أغلب وربما داني الخضرة قول حسان في بني جُمح :

أو من بني جمح الخضر الجلاعيد

وقد يكون قوله «الخضر» نعتًا لما ذكر من قبائل قريش حيث قال :

لو كنت من بني هاشم أو من بني أسد

إلا أنه هنا على بني جمح رهط صفوان بن أمية (وقد أسلم بعد الفتح) وأبويه أمية وأبيّ بن خلف أدلّ والله تعالى أعلم .

وقيل إن كعب بن زهير عرّض بالأنصار حيث قال :

يَمْشُون مَشْيَ الجمالِ الزُّهر يعصممهم
ضَرْبٌ إذا عرّد السُّود التنابيل

قال السهيلي في الروض الأنف : «وجعلهم سودا لما خالط أهلَ اليمن من السودان عند غلبة الحبشة على بلادهم . ولذلك قال حسان في آل جفنة :

أولادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قبر أبيهم
بِيضُ الوجوهِ من الطراز الأول

يعني بقوله من الطّراز الأول أن آل جفنة كانوا من اليمن ثم استوطنوا الشام بعد سيل العرم فلم يخالطهم السودان كما خالطوا من كان من اليمن، من الطراز الأول الذي كانوا عليه في ألوانهم وأخلاقهم»(1). وهذا من السهيلي رحمه الله وَهْمٌ فإن هجرة أولاد جفنة وابْنَىْ قيلة جميعا كانت في زمان واحد . وما أرى إلا أن الأنصار نفروا من قوله : التنابيل فهو أدل على ما كان من قصر قاماتهم بالنسبة إلى المهاجرين وما كان الأنصار بأشد سوادًا من كثير من قريش ، فقد وُصفوا - عدد منهم وقبائل منهم - بالأدمة وبالخضرة كالذي مرّ من قول حسان وكقول الفضل بن العباس بن أبي لهب :

وأنا الأخْضَرُ من يَعْرِفُني
أخضَرُ الجِلْدةِ من لَوْنِ العَرَبْ
من يُساجِلْنى يُسَاجِلْ ماجداً
يَمْلأ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ

(1) الروض الأنف تحقيق الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ج7 ص ٣٠١ /٣٠٢ ورواية الديوان والمشهورمن أمر قصيدة حسان «قبر أبيهم» «بعدَه قبر ابن مارية الكريم المفضل» ، «ثم بيض الوجوه» كريمة أحسابهم شم الأنوف إلى آخر البيت» .

وفي هامش الشرح ص ٣٠٤ عن لاميّة «كعب قال وقد أورد ابن إسحاق القصيدة دون إسناد ، قلت وابن إسحاق معاصر مالك ووثقه البخاري ومسلم كلاهما ولم يكن دأب العلماء بسط الإسناد كل حين وكانوا في غير الحديث يختصرونه والسير والأشعار والنحو وكثير من التفسيرأجروه هذا المجرى . وهذا باب يطول تفصيله ولا ريب في صحة ما روى من أمر لامية كعب لاشتهار ذلك وإشارة الشعراء القدماء وغيرهم إليه والله تعالى أعلم .

وكأنهم إذ كانوا أهل فلاحة وعمل كَرِهُوا ما يدل عليه القِصَرُ مع سَوادِ الأعقاب من ضرورة وشقاء. قال النابغة:

ليستْ من السُّود أعقاباً إذا انصرفت
ولا تَبِيعُ بجَنْبَيْ نَخْلَةَ البرما

وقال الفرزدق :

إذا القُنبضاتُ السُّودُ طَوَّفْنَ بالضُّحى
رقَدْنَ عليهم الحِجَال المسجَّف

هذا وقريب مما ذهب إليه ابن الخطيم ما قاله جميل يشبه ضياء الجمال واشراقه بفاثور الفضَّة :

سَبَتْنِي بعينيْ جُوذَر وسط ربرب
وصَدْرٍ كفاثور اللُّجين وجِيد

فجعل الصدر والثدي كلَّ ذلك إشراقا واحدا .

ومما يدل على صحة ما ذكره ثعلب رحمه الله قول ابن أبي ربيعة :

أبرزوها مِثْلَ المهاة تهادَى
بين خَمسٍ كواعبٍ أتــــراب
وهي مكنونةٌ تحيَّر منها
في أديم الخدَّين ماء الشباب

أخذه من قول ابن الخطيم «كأنما شَفَّ وجهها نُزُف» يريد رقتها ولُطفَ شبابها وقد أحكم المخزومي المعنى وأتمه :

دُمْيَةٌ عند راهبٍ ذي اجتهاد
صَوَّروها في جَانِبِ المحراب
وتكنَّفْنَها كواعبُ بيـــــضٌ
واضحات الخدود والأقــراب
ثم قالوا : تحبُّها ؟ قلت : بَهْرا
عدد النجم والحصى والتراب
حين شَبَّ القتولَ والجيدَ منها
حُسْنُ لون يرِفُّ كالزريــــاب
أذكرتني من بهجة الشمس لما
طَلعت من دجنة وسحـــــاب

فالزرياب – كلمة معربة – هو الذهب أو ماء الذهب . فهذا لون الصفرة التي تسر الناظرين . وقوله في صاحباتها وهي ترْبُهن ومنهن أنهن بيض واضحات الخدود والأقراب لا ريب على مذهب ثعلب . هُنَّ دون لونها لونهن ، أشدُّ منها أُدمةً ووضوح خدودهن لبريقهن وتَحَيُّرُ ماء الشباب فيهن . والأقراب الخصور ووضوحهن وضوح ضمورهن مع اسبكرارِ القامة . وبيضٌ أي حسانٌ حرائر كرائم . وقوله أذكرتني من بهجة

الشمس ، من مقال قيس بن الخطيم « بدا حاجب منها وضنّت بحاجب » ، وقوله « حين شبّ القتول » عني به سحر العينين .

وقال أبو الطيب :

ألا خدَّد الله ورد الخدود
وقدّ قُد ود الحسان القدود

وقال :

نَسيتُ وما أنسى عتابا على الصدِّ
ولا خفرا زادت به حمرة الخدِّ

وقال :

حيث التقى خدُّها وتفاح لُـ
بنانَ وثَغْرَي على حُمَيَّاهـا
كَحْلاءُ فى بَرج صفراء في نَعج
كأنها فضة قد مسَّها ذهب

أي صفراء لون البشرة الحسن الناعج – أي الخالص بياض ما كانت تعدُّه العرب أبيض من النعاج أي بقر الوحش ومن الإبل . وكل ذلك من درجات لون الرمل ولون السُّمرة كما لا يخفي .

وما كانت العرب في قديم أشعارها تمدح الخدود الحمر . فصارت بعد الحضارة لا ترى الجمال إلا الأحمر ، كما قال أبو عبادة البحتري :

ويَشُوُقني وَردُ الخدود الأحمر

وقال أبو تمام :

وأجرَى لها الأشفاق دمْعاً موردا
من الدم يَجرى فوق خدٍّ مورد

وقال الحكمي :

يا قمراً أبصرت في مأْتَم
يندُب شَجْواً بين أتراب
يبكي فيُذري الدمع من نرجس
ويلْطُم الورد بُعنّاب

فأين هذا من حزينة عمر التي قال فيها :

فقامت كَئيباً ليس في وَجْهها دم
من الحُزنِ تَذري عَبْرَة تَتَحدّرُ

فهذه لم تكن حمراء ولكن عربية سمراء غام وجهُها للهمّ والحزن بعد بَهْجَة وبريق وإشراق .

وما أحسب إلا أن العرب أرادت حاقّ خضرة اللون أو كخضرته فيما نعتت من جمال تشبهه بخضرة الروضة وإشراق البرق في مُدجنات السحائب . وقال ذو الرمة :

أسيلةُ مستنِّ الوشاحين قانئٌ
بأطرافها الحِنَّاء في سَبِط طَفْل

أي كف سبط الأصابع ناعم

من المشرفات البيض في غير مُرْهة
ذوات الشّفاه الحوّ والأعين الكُحْل

وفي الأساس « الشفاه اللُّعس » وفي الديوان « من الأشرفات » وأراه تحريفًا والصواب من الأساس وهذه سَمْراءُ لحوّةِ الشفاه ، وكذلك فتاةُ طرفة :

وفي الحيّ أحوي ينفض المَرْدَ شادن
مظاهر سِمْطَيْ لؤلؤ وزبرجد
ووجه كأنَّ الشمس ألقتْ رداءَها
عليه نقيّ اللون لم يتخدَّدِ

فلم يذكر هنا للخد حُمْرةً إلا تلميحا لبعض ما يكون في التفاح من توريد . وكأنه نظر فى هذا إلى قول الرَّمَّاح بن ميادة :

فيهنَّ صفراءُ المعاصِمِ طفلة
بيضاء مِثلَ غريضة التفاح

وذكر التّفاح في شعر العرب قليل. وذكره حسَّان لما كان له من علاقة ومعرفة بالشام وقرابة نسب من بني جَفْنة ملوكِ غسان . على أنه لم يذكر حُمْرَة خدٍّ ولكن أشار إلى الطعم وضمَّن ذلك معنى الرائحة الزكية الطيبة .

كأنَّ سبيئةً من بَيْتِ رأسٍ
يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ
على أنيابها أو طَعْمَ غضٍّ
من التّفاح هصّرة اجتناء
على فيها إذا ما الليل قَلَّت
كواكِبُه ومال به الغطاء
إذا ما الأشربَاتُ ذُكِرْنَ يوما
فهن لِطيِّبِ الرّاح الفداء

وأعرض أبو الطيب فلم يلتفت إلى ذكر وردِ الخدود في غزله بالبدويات:

من الجآذرِ في زيّ الأعاريب
حُمْر الحُلَى والمطايا والجلابيب

فجعل الحُمرة كما ترى لما عليهن من الحلية والثياب ولإبلهن ولم يَنْسُب إليهن الحمرة ؛ إذ الحمرة كما تقدم ذكر ذلك للعجم .

وكتب زياد إلى معاوية أيام عمله لعلِيّ واخلاصه له (وذلك قبل أن يستلحقه مُعَاوية ويصير هو ساعده الأيمن) يصف نفسه أحْمَر ضرَّابا بالسيف ، أي أعجميًا لا يعرف لنفسه في العرب نسبًا وإنما نسبه إلى أمه ولم تكن من الحرائر، فتلك لها عُجْمةٌ مع أن اسمها سُمية .

وقال ذو الرمة يهجو بَطنًا من بني سعد يقال لهم بنو امرئ القيس :

تَسَمَّى امرؤُ القيس ابْنَ سَعْدٍ إذا اعتَزَتْ
وتأبَى السِّبالُ الصُّهبُ والآنف الحمر

ولكنّما أصل امرئِ القيس مَعشرٌ

يَحِلّ لهم لحم الخنازير والخمر

فجعلهم لحمرتهم عَجماً روماً أو إلى الروم أقرب . وهو القائل في ميّة :

لمياءُ في شفتيها حُوَّة لعس

وفي اللثاتِ وفي أنيابها شنب

قوله : أحوى يجوز أن يكون أراد به فم الفتاة كالذي قال ذو الرمة من بعد «الشفاه الحُوّ» ويجوز أن يكون أراد صفة الشادن من الظباء وشبَّه المحبوبة به في أُدمة لونها وجمالها . وأظهر من هذا وأشبه بالسياق أن يقال إنسان أحوى ، أي ضارب إلى السواد أي أخضر اللون أو آدمه شديد الأدمة . وقالوا في « لم يتخدَّد » لم يتشنّج ولم يتغضّن ، قال الشيخ السقا رحمه الله : « غير متشنج ولا متغضن لأنها في ريعان الشباب وربيع الحياة » .

وأشبه بظاهر سياق المعنى وأقرب إلى نمط بلاغة هذا الشاعر الفحل المقدم على غيره في هذه القصيدة خاصة أن يكون أراد بقوله لم يتخدد أي لم تُصنع فيه أخاديد . أي خطوط على خدّه . وهي التي نقول لها في عاميتنا الشُلُوخ إذا كانت طوالاً والرشوم إذا كانت صغارا .

قال الشيخ عبد الله عبد الرحمن رحمه الله :

الخدُّ لم تَجْرِ مُوسَى في جوانبه

والجيدُ في حُسْنِه عن حلية غان

وفي صحاح الجوهري قال :

لَقَّي حملته أُمه وهي ضَيفَةٌ

فجاءت بِيَتْنٍ للضيافةِ أرشما

اليَتْن : الذي تخرج رجله في الولادة قبل رأسه وذكر الجوهري عجز البيت في مادة «اليتن» وقال : « والأرشم أيضا الذي به وشم وخطوط » .

والبيت للبعيث يهجو جريرا (النقائض طبع بريل بليدن ١٩٠٧م ص ٤٤) :

لَقًى حملته أُمه وهي ضيفة

فجاءت بتزٍّ للنزالة أرشما

قال أبو عبيدة في الشرح بعد تمهيد ذكره : « أرشم أصحم الوجه إلى السواد ، ويقال الأرشم الذي به وسم وخطوط ، ويقال الذي يشتمل على الطعام[1] . ويحرص عليه ويروي « من نزالة أرشما » - قلت وهذا أشبه ؛ إذ لم

(١) الحق أن الأرشم بمعنى الشره من باب إبدال النون ميمًا . والراشن « هو الذى يأتى الوليمة ولم يدع إليها » كما ذكر الجوهرى رحمه الله .

يوصف جرير بأن على وجهه وشما ، كما لم يوصف بصُحْمة ظاهرة . وُصِفَ بنحو من ذلك غيلان فقيل إن ميّة فزعت من سواده . والذي في كتاب أبي علي أنه كان حلو العينين خفيف العارضين برّاق الثنايا واضح الجبين حسن الحديث » وأن ميَّة وصفها عصمة راوية غيلان فقال : « كانت ميّ صفراء أملودا واردة الشعر حلوة ظريفة وأن في النساء التي معها لأحسن منها وكانت عليها ثوب أصفر ونطاق أخضر » قلت فهذا نحو مما يلبس أهل بلادنا والنطاق الإزار .

وبيت البعيث كأن الوجه الصائب فيه رواية من روي «من نُزَالَةَ أرْشَمـا » ، أي من نطفة أرشم أي ذي خطوط – كما هجا جرير البعيث بالحمرة هجاه البعيث أنه لغير رشدة من ذي رشوم لعله أسود عبد .

قول ذي الرمة « في غير مُرْهَة » قالوا أي في غير تَرْكٍ للكحل . وعندي أن هذا فيه بعد ، إذ ما يمنعها من الكحل ، وقد وصفها بأنها «كحلاء في بَرَجٍ» ؟ وليس النفي ههنا يقوي الإشعار بالمدح .

وفي قولنا لمن ليس في وجهه «شلوخ» أو «رشوم» في لساننا العامي « أمْره ومرهاء » ما عسى أن يستعان به في هذا الباب ، إذ أصل الأمْره الذي لا يخالط بياضه شيء . فيكون الذي ليس به وشم أمْره ، ولا يَنْفي أن ميّة كان بها وَشْمٌ أو رَشْمٌ سكوت عصمة عن ذلك ، والله تعالى أعلم .

وفي العرب منذ الجاهلية فزعٌ من السواد ، ربما كان من حاقَ أسبابه قوة صلتهم بأهله الغرابيب ، وأن السمرة والصفرة من السواد في اللون قريب . وقولهم أخضر يعنون أسود البشرة كأنه من لون السَّوادِ فرار .

وقال الآخر

أنسُبِ العبد إلى آبائه

أسودَ الجلدةِ من قوم عُبُد

وفي الفيروزابادي : «أسود ولد غلاما سيدا أو غلاما أسْوَد ، ضدّ » فكأن الأسود عنده عبد ضربة لازب وفي الصحاح بلا تعليق وذلك أصح وأجود .

وقول علقمة :

يحملن أُتْرجة نَضْخُ الْعبير بها

كأنّ تطيابها في الأنف مشموم

فيه إلماع إلى لونها خضراء أو صفراء كما يكون الأترج . وزعم بعض الشراح أنه « كأنها أتُرُّجة من طيب رائحتها » ، فحصر المعنى في أمر واحد وبعد هذا البيت :

كأن فارة مسك في مفارقها
للباسط المتعاطي وهو مزكوم

فهذا بيان لقوله «نضخ العبير بها» وبَقِيَتْ في الأترجة بقيات دلالة من لون وجمال .

وإن تكن الفَرَسُ السلهبة التي في آخر القصيدة كناية عن سلماه فقد شبهها ، بالسُّلاءَة ، أي شوكة النحل وهي خضراء ، ولا يقدح في هذا أن السُّلاءة في شعر امرئ القيس ، ولعلّه على تقدمه اتُّبع علقمة ، فقد كانا في زمان واحد ، وبينهما في قول الشعر تنافس .

والفحل الأكلف الذي في آخر القصيدة كأنه جعله رمزا لنفسه .

والأكلف الذي في سواده حمرة — حمرة ألوان الإبل ولا تكون قانية وقد مرّ بك أن الإبل السود يقال لها صفر فتأمل .

وقال طفيل الغنوي ، فذكر الوردة في ألوان الخيل وهي كما تقدم لم يذكرها القدماء في ألوان النساء ، وكانوا مما يشبهون النساء الحسان بالخيل وبالقلاص من الإبل تصريحا وتلميحا .

قال الأعشى :

عَهْدِي بها في الحيّ إذ أبرزت
هيفاء مثل المُهْرَةِ الضّامر

وقال القطاميّ يصف الإبل :

يَمشين هَوْناً فلا الأعجاز خاذلةٌ
ولا الخُصور على الأعجاز تتكل

وقال الأخطل وكان القطامي معاصرا له وهو أي الأخطل ، أسن :

وقد عَهدت بها بيضاً منعمة
لا يرتدين على عَيْبٍ ولا وصب
يَمْشينَ مَشْيَ الهجان الأدم يوعثها
أعراف دكداكة منْهَالة الكُثُب
من كل بيضاءَ معطال برهرهةٍ
زانت معاطلها بالدّر والذهب
حوراء عجزاء لم تُقْذَف بفاحشة
هيفاء رعبوبة ممكورة القَصَبِ

وهو كقوله :

كانت منازل أقوام فسيّرها
مرّ الليالي ونضخ العارضِ الهزم

وقد تكون بها هيفٌ منعمة

لا يلتفعن على سوءٍ ولا سقـــم

يمشين مشي الهجان الأدم روّحها

عند الأصيل هَديرالمُصْعَب القطم

أي الفـحل الهـائج . وهنا نفس من أواخـر مـيـمـيـة علقمـة. وقـد مرت أبيـات طفيل ومنها مما أشرنا إليه الآن :

ورَاداً وحوّاً مشرفا حجباتها

بناتُ حصانٍ قد تعولم منجِـب

وقول يزيد بن الخذّاق :

ألا هل أتاها أن شكة حازمٍ

لديّ وأنيّ قد صنعت الشموسا

وداويتها حتى شَتَتْ حبشيَّةً

كأَن عليها سُندُسا وسُدوسـا

فـيه تشـبـيه المهرة بالفـتـاة وهي هنا حبشية جميلة تلبس الخُضْرة (السُّدوس) وقـد يكون سُندسـهـا أصْـفَر كـمـا ذكـر عِصْمة من نعت ميّة . وخُزَامـي الخرْجِ في ميمية ذي الرمة كالكناية عنها والمزنة الفارق والظلماء علجوم .

تلك التي أشبهت خرقاء جلوتها

يوم النّقا بَهْجةٌ منها وتَطهيم

ومـعنى من جمال الحبشيات في قول أبي ذؤيب :

تروّت بماء البحر ثم تنصبّت

على حبشيات لهنّ نَئيج

ويروى (رواة الأصمعي رحمه الله) :

شَرِبْن بماء البحر ثم ترفّعت

متى حبشيّات لهنّ نئيج

ورواية النحـويين وأحـسـبـهـا ممـا روى الأصمعي[1].

متى لُجَجٍ خُضْرٍ لهن نئيج

فـهنا إيـثـار لجـمـال البـحـر الملح ، وأمواجه الخضر على خضرة الحبشـيات وصـفرتهن . وقـد صـار الحبشي من بعـد في مادة تشبيهات أخر ، العبد ذو الفرو الطويل الأصلم قد صرّح حبشيًا في قول غيلان :

كأنه حبشيٌّ يقتفي أثرًا

أو من معاشر في آذانها الحـرب

وقول لبيد :

يضيئ ربابه في المزن حبشا

قياما في الحراب وفي الالال

كأنّ مصفّحات في ذراه

وأنواحا عليهن المئالـــــي

تصـوير جـمـالي لا عنصـرية فـيـه . ونَفَسٌ من عنصرية في قول الأخطل :

---

(١) شرح فى أشعار الهذليين ، دار العروبة ، مصر ، جـ ١ – ص ١٢٩ .

أناخوا فأدنرا شاصيات كأنّها

رجالٌ من السودان لم يتسربلوا

وهو مأخوذ من قول الأعشي :

تَحْسبِ الزّق لديها مُسندا

حَبَشيا نَام عمدا فانبطح

وقد رأى الأعشي بلد الحبش . ولعل الأخطل إنما عَنَى سودان جيش يزيد بن معاوية . وذكر الجاحظ أنه كانت لهم أفاعيل في يوم الحرّة . وفي الجاحظ عثمانية وميل إلى أمية ذو أصل قديم والله تعالى أعلم .

وقال العجاج وعنصر الاحتقار لا يخفي :

كالحبشي التفّ أو تسبّجا

وقال رؤبة يذكر الغربان الحُجَّل أي التي تحجل (وهي مشية الغراب) وهي تَنْتَاش ما طرحته الرواحل من حَمْلها فصار للنسر والضبع :

وحُجّل كدردق الأزْناج

أي كصغار أولاد الزنج . وقد صار أمر الحبش والزّنج والنوبة وسائر السودان في نظر العنصرية التي نشأت من بَعْد من إيثار الحمرة على سائر الألوان ، أمراً واحدا يُزْدرَي .

حتى لقمان العبد الصالح أو النبي قيل «كان عبدا مجدّعا ذا مشفر» «وقصيرا أفطس الأنف من النوبة» «ومن سودان مِصْر ذا مشافر» وما أشبه مما ليس فيه توقير لابس عدم التوقير هذا المنبعث من العنصرية المنافية حقا لروح الإسلام ولماضي ما كان عليه العرب سذَاجَةُ القصص القديم ، وما لا شك فيه ، أن صحت روايته عن السلف أنه كان مرادا للعظة والتنبيه على سِعةِ رحمة الله إذ يجتبي من يشاء ويؤتي الحكمةَ من يشاء ويضع التقوى في القلوبِ فلا يشغلنّ أولي الألباب مظهر لون الجسد وهيئته .

ومماشاع عند المتأخرين حين يتغزلون بسوداء أن ينسوا كل محاسنها بل أن يعتبروا سواد لونها شَيْناً ويحتفظوا لها بَعْدُ بفضيلة جنسية شَهْوِيّةٍ هي وحدها عندهم كل ما لدَيْها من حُسْنٍ يُعْتَذَرُ به عن لونها المرغوب عنه .

تُخْتَارُ لابن الرومي أبيات قافية في هذا المعنى منها قوله :

تزداد ضيقا على المراس كما

تزداد ضيقاً أُنشوطَةُ الوَهَق

في أبيات هي على نهجه من تشقيق المعاني على مذهب صناعة جدل البديع. «ولصاحب الطراز المنقوش في محاسن الحبوش» تفريع بارد في هذا الباب .

وفي أنساب الأشراف أبيات ليزيدَ بن معاوية يُفَضِّلُ فيها جاريةً له سوداء على ابْنَةِ عَمِّه أم ابنه خالد من أجل فضيلةٍ جسديةٍ من هذا الضَّرْب .

وهي فضيلةٌ فى الظاهر وفي باطنها ذَمٌّ مردّه إلى دَعْوَى التفوق العنصري الشديد . والحق أن التعصب والعنصرية مفسدان للذوق والرأي .

وقد عاب الكاتب الإنجليزي شارلس لام على قومه تمثيلهم رواية «توثيلو» لشكسبير إذ زعم أنه لا يصلح تمثيل منظر عِشْقٍ بين أسود وبيضاء وأنه سَمِجٌ . ولم يأخذ على شكسبير قِصَّته لحبه شعره وقال إنما صيغت لتقرأ لا لتمثل وتُرَى أشخاصا .

ومع هذا التعصب العنصري الذي حجب عنه ما قد يتأتي في «أوثيلو» من جَوْدَةِ التمثيل تنبه شارلس لام ونبَّه على أن المغاربة قومٌ بيض بياضَ قومه وأن قَوْمَه يعرفون ذلك وقد رأوا منهم سفراء .

خَفِيَ عن شارلس لام أمر تعصب آخر هو عداوة الصليبية التي كان عليها قومه للإسلام والمسلمين . المسلمون لأنهم أعداءٌ ، سودٌ . وانطبع سوادُهم في قلوبِ الصليبية انطباعا منذ أيام يُوسف بن تاشفين حيث انتصر في الزلاّقة ومعه مجاهدون من المسلمين السودان على الجمال بأيديهم المزاريق .

والمغاربة المسلمون وأن يكونوا بيضا بياض الإفرنج و الصقالب ، فهم سودٌ عند نصارى الإفرنج لأنهم مسلمون ، لأنهم أعداء . سواد «أوثيلو» إسلامه المستتر ، أنطقه مع هذا شكسبير بما ينطق به الكفرة في قوله :

.... Set you down this;
And say, besides, that in Allepo once,
Where a malignant and a turban'd turk

Beat a venectian and traduc'd the state,
I took by the throat the circumcised dog, and smote him - thus[1]

ويقابل سوادَ البيض من المسلمين ، سوادَ العداوة واختلاف الدين ، بياضُ السُّودِ من نصارى السودان الحَبش .. حلم تخدير الأفيون ، رأى صموئيل تيلور كلردج الحبشية جميلة رائعة :

A damsel with a dulcimer
In a vision once I saw:
It was an Abyssinian maid,
And on her dulcimer she played,
Singing of Mount Abora.,

وأنكر التعصُّبُ العنصري أن يكون من بَيْن السود نَبِيٌّ مرسل فزعم زاعمون أن الرق منع لقمان النبوةَ ، وقد شرى يوسف عليه السلام بثمن بخس دراهم معدودة فلم يمنع ذلك نبوّته ولا مُنِعَها هرون عليه السلام وكان بنو إسرائيل جميعا ممن عبَّدهم فرعون .

وقال المعرى :

وما قام في علّيا زُغاوة مُنْذِرٌ
فما بالُ سُحْمٍ يَنْتَجِينَ إلى بُقْعِ

وفي تفسير الطبري لقوله تعالى «ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك» أن الذين لم يقص قصصهم علينا أنبياء السودان . قال يسنده إلى علي كرم الله وجهه : «بعث الله عبْداً حبشيا نبيا فهو الذي لَم نقْصُص عليك» - فالحبشيُّ كما ترى لا يكون إلا عبدا ، وصناعة القصص لا تخفي هنا إذ آخر سياق الخبر على خلاف ما نصت عليه الآية : ﴿ لم نقصص عليك ﴾ .

(١) اكتبوا هذا :
ثم أضيفوا أنه مرة فى حلب ،
حيث خبيث من الترك معمّم
ضرب رجلاً من أهل البندقية وأهان الدولة ،
أخذت بحلقومه ذلك الكلب المختون
وصفعته هكذا -

(٢) فتاة ذات أوتار قانون // رأيتها طيفًا فى حلم // كانت جارية حبشية // وكانت تضرب أوتار قانونها // تتغنى من جبل أبورا ،
قلت هل عنى بأبورا « أبرهة » أو « أتبرا » أو « عتباى » - كان كلردج واسع الاطلاع ولعله يشير إلى أغنية ( سونانة ) شكسبير ( ١٢٨ ) ذات المغنية التي بعض وصفها كأنه محذو على مغنية أبى تمام التى تكسب يداها من الوجد ما لا تكسب الخدود . والله أعلم .

هذا وأحسبه غير خاف عنك قول الفقهاء بكراهة التجارة إلى بلد السودان كراهة تحريم(١). وفي ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله : « وكان مالك يعجبه الموز ويقول : لم يمسّه ذباب ولايد أسْود وليس شئ أشبه بثمر الجنة منه ، لا تطلبه في شتاء ولا صيف إلا وجدته ، قال تعالى «أكلها دائم وظلها »(٢).

وما أرى إلا أن مالكا رحمه الله قد أراد بالأسود هنا الشخص لا أمراً من السودان أسودَ اللون . ويقال للأشخاص أسْودة لأن كل شخص يرى أسود من بعيد . وجعلوها جمعا لسواد . ويقال أساود أيضا فهي جَمْعٌ لأسود بمعنى شخص . وأكثر السودان على مذهب مالك رضي الله عنه .

وقال نُصَيْب يعتذر عن سواد لونه ، وكان عبداً فَعَتق :

سَوِدتُ ولم أمْلك سوادي وتحته
قميصٌ القوهيّ بيض بنائِقُهْ
ولا خَيْرَ في ودٍّ امرئ متكارهٍ
عليك ولا في صاحبٍ لا توافقه
فإن شئْت فارفضه فلا خَيْرَ عنده
وإن شئت فاجْعَلْهُ خليلا تصادقه

ونسبها في بعض أبواب اللسان إلى عنترة . وإلى عنترة منسوب قوله :

لئن يعيبُوا سوادي فهو لي نَسَبٌ
يوم الطراد إذا ما فاتني النسب

وهذا كأنه من صناعة القصاص .

وقد كان امرؤ القيس من كِنْدَةَ وأصلها من اليمن وفي اليمن أُدْمَةٌ وسواد ، فهل كان له من ذلك نصيب ، فهذا إنكار بعلبك وابن جريح له حيث قال :

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها
ولابن جريجٍ في قرى حمص أنكرا ؟

---

(١) انظر حاشية العدوى على شرح الرسالة جـ ٢ ص ٤٤٩ – قال الشارح « إلى بلد السودان منهم للصلة المتقدمة وهى قوله : لأن فى ذلك تغريرَ الإنسان بنفسه وماله وإذلالاً للدين » . قال العدوى فى الحاشية : قوله الكفار منهم فهو من عطف الخاص على العام ونكتة ذلك أن الكفار السودان ليسوا مثل غيرهم من الكفار فى شدة الحمية فربما يتوهم جواز السفر » لهم ثم قال من بعد « واستظهر الشيخ أحمد زروق أن المراد بلاد السودان ولو المسلمين لما فيها من المخاطرة بالنفس والمال . ١ – هـ .

(٢) ترتيب المدارك ، طبع المغرب جـ ١ ص ١٢٥ .

وأنفـــاس، من إنكار ابن جـريح على امـرئ القـيس لونه - إن كـان أنكره - نحسـها في قـول المعـري ، يُنْكِرُ على الصحابيّ المجاهد الجليل خُفَاف بن نُدْبة السُّلمي ، وكان سيدُ سُلَيْم وحاملَ لوائها يوم حنين ، سواد لونه :

مثل خُفافٍ ساد في قومه

على اجتياب الحَسَبِ المُظلِم

وقد كـان خفـاف في الجـاهلية سـيدا فـزاده الإسـلام شـرفـا ، رضـي الله عنه وأرضاه .

وقد أحسن ابن الرومي بعد أن سما عن وَهْدةِ أنشـــوطة الوهق إلى أوج الإنسانية الرفيع فقال في رثائه ليحيى العلوي :

وعيرّتموهم بالسواد ولم يزل

من العَرَبِ الأمجاد أخْضَرُ أدعج

ومرثيته أهل البصرة أظهر فيها روْح الفاجعة والمأساة من سوي ذلك - وفي قـوله : «دخلوها كـأنهم قطع الليل » من السواد نفور عظيم . وهذا بعد أصلحنا الله وإياك أيها السامع الفاضل والقارئ الكريم بابٌ واسع يوشك أن يخـرج بنا من رياض علوم الأدب إلى صحارٍ أُخر ليس لها من نهاية .

والله المستعان وبه التوفيق .

**عبدالله الطيب**

عضو المجمع من السودان

# الحضور العربي في جزيرة سردانية

للدكتور عبد الهادي التازي

أعتقد أن الأطروحة التي تقول بأن العرب لم يخلفوا لهم أثرا من شأنه أن يذكر أهل سردانية بأيام العرب فيها – على نحو ما خلفته آثار بيزة وجنوة وإسبانيا وغيرها – أعتقد أنها أطروحة متجاوزة[1]، وإن جولة عابرة من ساسارس إلى كالياري، وخاصة في بعض المتاحف الأتنوغرافية، نورو (Nuoro) مثلا، لخير شاهد على ذلك الحضور الذي تحدث عنه أكثر من مصدر بعد ظهور الإسلام في المنطقة. فلقد قرأنا عن سردانية[2] عند ابن عبدالحكم (ت257-871) في كتابه: «فتوح مصر والمغرب والأندلس»، وعند ابن قتيبة (ت276 هـ = 889م) في «الإمامة و السياسة» وعند ابن بسام (542هـ = 1148) في «الذخيرة»، وعند الشريف الإدريسي (560=1155) في: «نزهة المشتاق»، وأبي حامد الغرناطي (565=1169) في كتابه «تحفة الألباب» والضبي (599هـ = 1203) في «البغية»، وياقوت (626=1229) في « المعجم »، وابن الأثير (630=1233)، في «الكامل»، والحميري (727=1327) في الروض المعطار، وأبي الفداء (732=1331) في المختصر، والنويري (731 = 1332) في النهاية، والذهبي (748=1348) في التاريخ، وابن عذارى (750=1349) في البيان المغرب، وغير هؤلاء ممن اختصرنا أسماءهم[3]...

(*) ألقى البحث في الجلسة الخامسة للمؤتمر المنعقدة يوم السبت ٢٧ من رجب سنة ١٤١٢ هـ الموافق الأول من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٢ م.

(١) T. Crouther Gorlon. Sardaigne, Ency. Islam.

(٢) سردانية (Sardegna)، أو (Cerdéna): ورد ذكرها وضبطها وتحديدها في معجم البلدان فهي على مايقول: «جزيرة في بحر المغرب، كبيرة، ليس هناك بعد الأندلس وصقلية وقريطيش أكبر منها»..

(3) MARIA Giov anna Stasolla : (Boloyna) - ARABI E SARDEGNA Nekka Storiografia araba del Medioveo - Centro di Studi Maghribini - Studi Maghribini, Volume XIV 1982
I NSTITUTO UNIVERSITARIO ORIENTALE Napolie - ITALIA.

وقد كانت معظم الإفادات التي وردت في تلك المصادر تتركز على المحاولات الأولى لافتتاح الجزيرة التي قام بها القادة العرب – وفي صدرهم موسى بن نصير منذ أواخر النصف الثاني للقرن الهجري = الموافق لأوائل القرن الثامن الميلادي ، كما تتركز على المصاعب التي واجهت الفاتحين سواء منها ما يرجع للمقاومة المستميتة لأهل الجزيرة أو ما يرجع أيضًا لرداءة أحوال الطقس التي كانت تعاكسهم باستمرار ..

ولعل مما يعبر عن تعلق العرب بالجزيرة أن نراهم يطلقون اسمها على أحد المواقع الجغرافية جنوبي القيروان حيث تم عقد العقد يوم الأربعاء 20 ذي الحجة 361=2 أكتوبر 972 لبلقين ابن زيري من لدن المعز لدين الله الذي وصل بلقين بالخِلَع الفخرة وأنفذ أمره في الجيش والمال وأطلق يده في الأعمال وسلم له الخاتم ولقبه بخليفة أمير المؤمنين[1]. 1014 أبو الجيش مجاهد العامري الملقب بالموفق صاحب دانية (الأندلس) الذي اشتهر في المصادر اللاتينية باسم (Museto) والذي كان يريد أن يجعل من سردانية صقلية ثانية !! وقد قصد الجزيرة – على نحو ما نقرأه حتى في الشعر العربي – في مائة وعشرين مركبا ومعه ألف فارس [2]حيث اضطر السَّرَادنة إلى طلب النجدة من الجمهوريتين العظيمتين – ذلك العهد – بيزة وجنوة .. وبعد أن تحقق النصر لهما على جيش

---

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، ج 5، ص 361 .
رشيد بورويبة : الدولة الحمادية الجزائر 1977 ص . 14

(2) ورد في أرجوزة أبي طالب عبد الجبار في التأريخ لملوك الطوائف :

وثار في شرق البلاد الفتيان * العامريون ومنهم خيران
ثم زهير والفتى لبيب * ومنهم مجاهد اللبيب
سلطانة رسا بمرسى دانية * ثم غزا حتى إلى سردانية

هذا وتشيد المصادر الأندلسية بمجاهد «فتى أمراء دهره وأديب ملوك عصره» وعندما تذكر الدبلوماسية الأندلسية في أوج عظمتها يذكر مجاهد الذي كان «إذا سفر أصلح وإذا سعى أنجح» على حد تعبير الكاتب ابن القلاس أو القلالس ، على لسان ابن هود .

ابن بسام : «الذخيرة» تحقيق د. إحسان عباس ، القسم الثالث ص 418 – ص 943 – الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس 1974 .

مجاهد[1]... أخذتا في التنافس على امتلاك الجزيرة لحسابهما على ما تذكره المصادر الأوربية .

كلُّ هذا قرأناه عن سردانية في تلك المصادر، لكن يبقى مصدر من المصادر الهامة في تاريخ الجزيرة أهملته كلُّ تلك المؤلفات العربية وحتى الأجنبية ، بما فيها الإيطالية ، ويتعلق الأمر بالوثائق الدبلوماسية المغربية المكتوبة باللغة العربية ..

أذكر أنني قلت في إحدى محاضراتي : إنّه لا توجد حدود بين المغرب وبين أيّة أمة من الأمم في الشرق أو الغرب ، فقد كان التاريخ الدولي للمغرب حاضرا على مرِّ الزمن ومع كل الأحداث الكبرى ، وفي كل المناسبات[2]. وهنا نقرأ مثلا من الأمثلة على ذلك ..

عندما أصبحت المنافسات على أشدها بين بيزة وجنوة على امتلاك الجزيرة كان لابد لكل منهما أن يبحث عن حليف له قوي يعزّز ظهره في الحوض المتوسط ، ولم يكن ذلك الحليف غير هذا المغرب الذي كان أسطوله على ذلك العهد أسطورة البحار[3] !!

---

(1) كان ممن وقع في الأسر بسردانية أهل مجاهد وحريمه وفيهن نساؤه وبناته وعليٌّ ولده ، ويذكر ابن عذارى في البيان المغرب ، عند الحديث عن دولة علي بن مجاهد الملقب قبل الدولة ، يذكر أن عليّاً هذا كان أسره الروم في صباه ، وقصته مشهورة عند الروم الذي نشأ بينهم ، وكان أبوه ، قبل فدائه من الأسر ، رشح للإمارة بعده ولده الأصغر حَسَن الملقب بسعد الدولة ، وصرف الأمر بعده لعلي هذا الطليق .. ويذكر التاريخ أن عليا هذا خرج من الأسر وهو يتكلم بلسان الروم ، الذي ربّي بينهم وتزيّا بزيهم . أقول : وهذا يشبه الأمير المغربي محمد الملقب بالبرتغالي الذي ظل أسيراً في البرتغال أمداً طويلاً قبل أن يفتديه والده .

محمد عنان : دول الطوائف ، القاهرة ، طبعة أولى 1380=1950 .

AMARI : Storia Dei Musulmani di SiCilra (Fierenze 1868) V. 111 P. 6-7-9.

(2) المحاضرة التي ألقيتها في جامعة محمد الخامس ، لتقديم موسوعتي : «التاريخ الدبلوماسي للمغرب» بالمدرج رقم ١ كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية يوم الجمعة ٦ رجب 1410 الموافق ٢ يبراير 1990 تحت رئاسة السيد عبد اللطيف بن عبد الجليل رئيس الجامعة وبدعوة من د. عبد العزيز بن جلوان عميد الكلية .

(3) تعرضت سردانية طوال تاريخها لعدد من الامتحانات والاختبارات التي كانت تهزها وكانت أحيانًا تتعرض بسببها للتفتت والتمزق فكان طرف منها يتبع بيزة وجانب آخر يتبع جنوة وطرف ثالث يداهن هذه وتلك ، وكانت في هذه الأحوال ينطبق عليها المثل المغربي الذي قيل في حق مدينة أصيلة المغربية «أصيلة صغيرة ومحاينها كبار» ! .

ومن هنا سجل التاريخ عددا من الاتفاقيات الشفوية بين دولة المرابطين وبين جمهورية بيزة ، ولم تلبث هذه الاتفاقيات أن أصبحت مكتوبة حيث وجدنا القائد محمد بن ميمون يتولى توقيعها نيابة عن السلطان علي بن يوسف بن تاشفين عام 527=1133 ، بضع سنوات قبل أن تشييد المنارة العظمي التي اشتهرت بها مدينة بيزة !.

ولم يكن غريبا علينا أن نجد جمهورية جنوة تتهافت بدورها على بلاط المرابطين لتطلب ودّ المغرب في أعقاب ما بلغها من أخبار عن علاقات المغرب مع بيزة ، وهي الحقيقة التي يفسرها التجاء أهل مرسيليا إلى جنوة للتوسط لدى المرابطين حتى لا تتعرض مراكبهم لهجوم محتمل من قطع الأسطول المغربي(1).

وفي هذا الصدد قرأنا في أحداث سنة 547 = 1553 أنّ الأسطول الموحدي ، وبالضبط في أيام الخليفة عبد المؤمن بن علي ، يرفع الحصار عن بعض السفن في كالياري (سردينية) وكانت تابعة لجنوة !!

وقد أبرمت اتفاقية بين الخليفة أبي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن وبين كوكوكريفي السفير البيزي عام 561=1166 .. وبمقتضاها يتم التعاون بين الطرفين في المجال البحري..

وقد تبع هذا وصول خطاب من حاكم بيزة وسردانية أوبالدي (OBALDE) عام 576=1181 إلى أبي يعقوب يذكّره في الإتّفاقية سابقة الذكر ويشكو فيها مما تعرض له مركب تابع للجمهورية ، في طرابلس الغرب ، وهذا ما استدعى صدور مرسوم ملكي «في خمس نسخ يمسكون منها واحدة في بلدهم ويستظهرون بباقيها في البلاد المأذون لهم في الوصول إليها ..» وقد كان المرسوم يحمل تاريخ أوائل رمضان عام 582=1186 .

(1) TRAITES DE PAIX et DE COMMERCE ET DOCUMENTS DIVERS CONCERNANT LES RELATIONS DE L'AFRIQUE SEPTENTRIALE AU MOYEN AGE, PAR LF COMTE M.L. DE MAS LATRIE . PARIS 1866 - 1868.

وفي أثناء «التمرد» الذي حدث في المهدية (بتونس) ضد السلطة المركزية حوالي سنة 598 = 1202 وجدنا والي تونس الأمير عبد الرحمن بن الخليفة أمير المؤمنين يرفع خطابا إلى رئيس بيزة وسردانية وكورسيكا حول ما بلغ للحكومة المغربية عن مساعدة بعض السّرادنة للمتمردين في المهدية !!

ومعنى كلّ هذا أن الصلات بين المغرب وبين سردانية لم تنقطع في الفترة التي كانت فيها تابعة لبيزة أو جنوة ..

وخلال هذا وجدنا أن البابا بونيفاس الثامن يقوم عام 696-697=1297 بجعل الجزيرة إقطاعا للملك جاك الثاني ملك أراغون الذين دشن أيامه بإعلان الحرب ضد بيزة وجنوة معاً . !

وهنا وجدنا ملك أراغون يبعث بسفارته إلى المغرب عام 723=1323 إلى العاهل المريني السلطان أبي سعيد يطلب منه قرض أربعين ألف ضبلون (Double d'or) وإرسال عدد من الجند الأمر الذي استجاب إليه العاهل المغربي « .. كما تقدمت بذلك عوائد أسلافنا الكرام مع الملوك أمثالكم[1]..» .

وقد شهدت تلمسان 5 شوال 739=16 أبريل 1339 إبرام اتفاقية للسلام والتجارة لمدة عشر سنوات بين السلطان أبي الحسن بن أبي سعيد وبين جاك الثاني ملك أراغون وسرظانية[2] كما ترسمها الوثائق التاريخية التي تعتبر أقدم اتفاقية أبرمها العاهل المغربي أبو الحسن مع أعظم قوة كانت توجد على ذلك العهد في المنطقة ، وهي أي الإتفاقية ، تهدف على ما تقتضيه بنودها إلى التعاون بين الطرفين في مجال الملاحة البحرية كما تهدف إلى تحديد المواد التي يؤذن بالاتجار فيها وفق ما جرت به العادة في سالف الزمن»

(1) MAXIMILIANO A. ALARCON Y SANTON Y RAMON GARCIA DE LINARES : LOS DOCUMENTOS ARABES DIPLOMATICOS DEL ARCHIVO DE LA CORONA de ARAGON-Madrid 1940.

(2) ورد في الروض المعطار مادة (سرظانية) إنها بلاد المرجان ، قالوا : إن بها عينا تجري ، من شرب منها من الخلق وكان به وجع في عينيه أو غشاوة في بصره أو بياض أو أي ضرر ذهب عنه . فهل القصد إلى التي توجد جنوب القيروان ؟ .

على حد تعبير الوثيقة التي كانت تحتفظ بأصولها المكتبة الملكية بباريز[1]..

كلّ تلك الوثائق الدبلوماسية كانت تختفي تماما في المصادر التي تحدثت عن سردانية سواء منها المصادر العربية أو الأجنبية وخاصة منها النشرات الإيطالية التي تعرّف بماضي الجزيرة ، وكأن المغرب العربي لم يكن له وجود بالمنطقة !

لكن الشيء الذي أثار انتباهي حقاً هو أن زملاءنا في إيطاليا لم يعيروا أيضا كبير اهتمام لمصدر عربي آخر اهتم بالجزيرة ألا وهو الرحالة المغربي ابن بطوطة ..

كنت أشعر وأنا أتجول في معالم كالياري ومتاحفها المتعددة أن خيال ابن بطوطة يعترض طريقي وهو يتحدث عن ميناء عاصمة سردانية وعن حصونها وأسواقها ثم وهو يشير- وهذا مهم - لما كان يربط الجزيرة بمملكة أراغون أو بالحري ما يربط بين المغرب وسردانية عبر التاج الأراغوني ، ومن ثمت قدّرت حضور الرحالة المغربي أيضا في تاريخ الجزيرة الإيطالية .

وهكذا فإن مذكرات ابن بطوطه عن زيارته لسردانية في رجب 750 شتنبر1349 تعتبر - رغم اختصارها - وثيقة هامة عن الوضع السياسي في أقطار المغرب الكبير ، وعن حركة الأساطيل التجارية في حوض البحر المتوسط بصفة عامة ، وعن العلاقات الدبلوماسية التي كانت تربط المملكة المغربية بحليفتها آنذاك مملكة أراغون في أعقاب انتهاء مفعول الاتفاقية المبرمة في تلمسان عام 739-1339 بين السلطان أبي الحسن وبين الملك جاك الثاني سابقة الذكر .

علاوة على أنها ، أي المذكرات ، تقدم لقطات طريفةً لمدينة كالياري عاصمة سردانية ، ومن أجل كل ذلك حق على زملائنا في الجامعات الإيطالية أن يعدوا

(1) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، المجلد السابع .. ص ، 196 .

ابن بطوطة مصدراً من مصادر تاريخهم في العصر الوسيط[1] !

لقد سمع ابن بطوطة وهو في القاهرة في مطلع عام 750=1349 بعد عودته من مناسك الحج ، بأصداء التطوّرات التي حصلت ببلاد المغرب أي بجلوس السلطان أبي عنان على كرسي الحكم في أعقاب الأنباء التي شاعت عن مصرع والده أبي الحسن بتونس .. وقد أحس بنوازع الشوق إلى وطنه سيما وقد مضى على مغادرته قرابة ربع القرن :

بلاد بها نيطت على تمائمي*
وأول أرض مس جلدي ترابها !

لقد اتجه نحو المغرب معرجاً على تونس حيث وجد السلطان أبا الحسن على حال من ضنك وضيق يعرفها الذين يتتبعون تاريخ تونس على ذلك العهد .

وهناك اجتمع بالسلطان المذكور الذي كان سأله بمحضر جلسائه أبي عبدالله السطي وأبي عبدالله محمد بن الصباغ من أهل المغرب وأبي علي عمر بن عبدالرفيع وأبي عبدالله بن هارون من أهل تونس .. سأله عن الحجاز وسلطان مصر وملك الهند الخ ..

لقد استمر ابن بطوطة يتردّد على مجلس الملك زهاء ستة وثلاثين يوما .. أدرك خلالها أن الوضع في البلاد يزداد تفاقما .. ! وأن عليه أن يلتحق بوطنه في أقرب وقت . ومن يدري ؟ لعله لو مدّد مقامه أكثر لعاد صحبة الركب الملكي مع الأسطول أوائل شوال 750 = أواسط دجنبر 1349 ولعله راح[t] في هم المأساة التي ذهبت بنحو ستمائة سفينة أو

(1) كل ما وجدته عن ابن بطوطة في سردانية هو الترجمة الحرفية للرحلة التي قام بها مشكوراً الأستاذ ف.كابرييلي(GABRIELI) وكذا التدخل المختصر جدا الذي ألقاه في ندوة الأسبوع المغربي المنعقدة بكالياري بين 22 و25 مايه 1969 .

F. Gabrieli : Viaggiatori arabi, biblioteca Sansani Firenze Viaggi di Ibn Battuta Scelta E Versione dall arabio di Francesco Gabrieli. Sansoni Editore Firenze 1961 - IBN BATTUTA. Viaggiatore M aghribino, Universita de cagliari, Istituto di Studi Africami .

(t) هناك حكمة تقول «لا يقتل الإنسان إلا همزه» وهو ما تذكرته عندما قرأت عن نجاة ابن بطوطة من عدد من المواقف التي كانت فيها حياته على قاب قوسين أو أدنى .. والمعتقد أن ابن بطوطة كان مرشحا .. وهو بتونس – ليكون ضمن الهالكين .

بالأربعمائة[1] عالم الذين لقوا مصرعهم في الكارثة التي رددت أصداءها كتب التاريخ المغربي[2] ، مهما يكن فقد حجز ابن بطوطة مقعده على متن سفينة أراغونية : «مركب قطلاني» كأن يربط الصلة بين تونس وتنس[3] ولكن عبْر جزيرة سردانية .

لقد كانت الطريق البرية غير آمنة نظرا للظروف التي أشرت إليها ؛ ومن ثمت فضل الرحالة المغربي هذا الطريق ولو أنه منعرج ! وهنا نأخذ صورة لما كانت عليه الحال على ذلك العهد في البحر المتوسط .. أي إنّ الأسطول التجاري لملكة أراغون هو الذي كان يتحكم في ممرات البحر سيما عندما كانت القيادة توجد في بلاد المغرب على حالٍ من التفكك والتفتت .. وعدم الاستقرار !

---

(1) كان من بين هؤلاء العلماء أبو عبد الله السطّي شارح الحوفي وأبو عبد الله بن الصباغ الذي ترجم له ابن خلدون في (ترجمته بقلمه) قال المقري : مات غريقا في أسطول السلطان أبي الحسن هو والفقيه السطي والأستاذ الزواوي .

نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ج 6 ص 215 .

(2) عرفت الكارثة عند الكفيف الزرهوني في (الملعبة) برّزية المسمار ، ولعله يقصد رزية الأسطول ، وكما يكنى عن المركب البحري باللوح يمكن أن يكنى عنه بالمسمار ، لأن المركب يتألف من اللوح والمسمار ويذكر المثل الأندلسي :«أن المسمار يضم اللوح» وفي القرآن الكريم : «وحملناه على ذات ألواح ودسر» وقد بادر أهل الجفن الوحيد الذي سلم إلى السلطان فاحتملوه .

الناصري السلاوي : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج 3 ص 170 – 171 دار الكتاب – الدار البيضاء 1954 .

الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس 1966 .

ابن غازى : الروض الهتون : المطبعة الملكية 1964 .

ملعبة الكفيف الزرهوني تقديم وتعليق وتحقيق د. محمد بن شريفة المطبعة الملكية 1407-1987 ص 137 .

د. عبد الهادي التازي : جامع القرويين ، المسجد الجامع بمدينة فاس الجزء الثاني ص 490 – دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى 1977 .

محمد العروسى المطوى : السلطنة الحفصية – دار الغرب الإسلامى بيروت – لبنان 1986-1406 ص407

(3) تنس : أحد ثغور المغرب الأوسط يقع غربي مدينة الجزائر العاصمة الحالية للجمهورية الجزائرية ، وكانت ترتبط بخط بحري – على هذا العهد مع سردانية ومع باقي الجزر المتوسطية .

كتاب الجزائر في التاريخ ج 3 تأليف د. رشيد بورويبة وزملاؤه ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 .

وكما تحط بنا اليوم السفن التجارية في بعض المراسي التي توجد على الطريق ، وكما يمكن أن يحدث عندما يقتضي الأمر أن نقضي بعض الوقت الذي يقصر أو يطول في تلك المراسي .. فقد وجد ابن بطوطة نفسه في كالياري (Caliari)[1] عاصمة جزيرة سردانية التي كانت تختلف اختلافا كليًا عما كان يألفه في المحطات التي نزلها في السنين السابقة . إنَّ أهلها كانوا لا يتكلمون العربية ولم يجد فيهم من يعتنق الإسلام ! على نحو زيارته لبيزنطة . فهي إذن معدودة عنده من بلاد الروم كما كان التعبير سائدًا .

إنَّ سردانية على هذا العهد كانت خاضعة لملكة أراغون على ما أسلفنا .

وقد نعت ابن بطوطة مرسى كالياري بأنه مرسى عجيب ، وبالفعل فإن المرسى يقع على خليج جعلت منه الطبيعة ميناء يسهل اللجوء إليه ، وتسهل كذلك حمايته وحراسته على ما نراه في هذه الخريطة التاريخية التي تصحب هذا البحث .

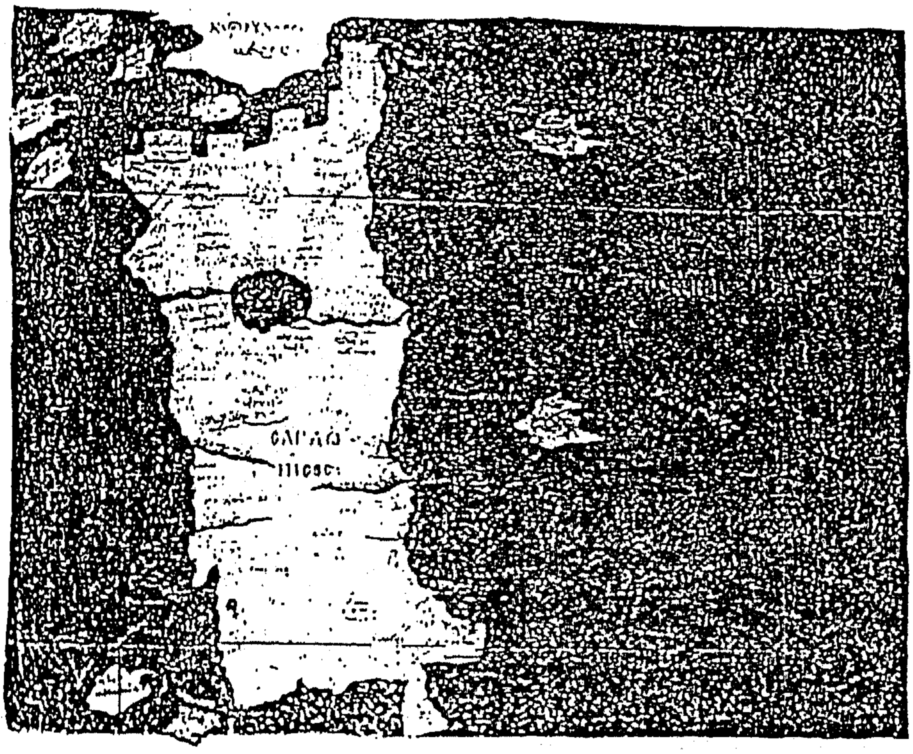
وقد غرست على حافات الميناء ألواح عظيمة الحجم من الخشب القوي دائرة عليه وعلقت بها سلاسل تتحكم في مدخله الذي يكون بمثابة باب للمرسي لا يفتح إلا بإذن من المسؤولين عن الميناء.

ذلك كان الانطباع الأول للرحالة المغربي .. وهو ما تؤكده المعلومات اللاتينية المعاصرة ، فقد ورد في الدليل البحري الذي وضعه ريتزو (Rizzo) نعت الميناء بأنه ميناء عجيب وأنه يقوم على متاريس قوية Bon Porto Fato Per Farza de Plangade.

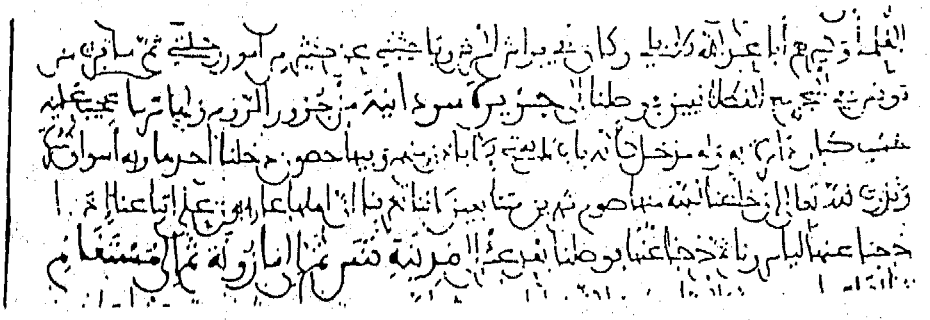
وينزل ابن بطوطة الجزيرة وكعادته في حب الإستطلاع فإنه لم يلزم مكانا ينتظر فيه موعد إقلاع المركب إلى (تنس) ولكنه قام بجولة في المدينة حيث شاهد حصون المدينة وذكر أنه دخل أحدهما .

---

(1) حط حرف (G) في اللغة الإيطالية كحطها في اللغات الأخرى : إما حذف أو قلب إلى ياء أو كاف معقدة . ونحن نقول أحيانا في المسجد .. مسيد والخليجيون يقولون « ياء عوض ساء» والمصريون يقولون الكيزة عوض الجزيرة .



سردانية حسب وثيقة في
حاضرة الفاتيكان



الظلمة وتمم أبا عبد الله ... وكان ... عن جنسهم من أمور ... ثم سافرنا من
تونس في البحر مع القطلانيين فوصلنا إلى جزيرة سردانية من جزر الروم ولها مرسى عجيب عليه
خشب كبار دائرة به وله مدخل كأنه باب لا يفتح إلا بإذن منهم وبها حصون دخلنا أحدها وبه أسواق كثيرة
ونذرت لله تعالى إن خلصنا الله منها صوم شهرين متتابعين لأنا تعرفنا أن أهلها عازمون على اتباعنا إذا
خرجنا عنها لأسرنا ثم خرجنا عنها فوصلنا بعد عشر إلى مدينة تنس ثم إلى مازونة ثم إلى مستغانم

سردانية في رحلة ابن بطوطة

نسخة بباريز رقم 2291 بخط الكاتب ابن جزي

ومن الثابت تاريخيا أن حكام جنوة هم الذين بنوا هذه القلاع (CASTEBGENOVESE) أيام التنافس الذي أشرنا إليه ، تحصيناً للمدينة من الأساطيل التي كانت تضيق الخناق علي الجزر المتوسطية .

ولم يحدّد ابن بطوطة اسم الحصن الذي زاره ولكنه على كلّ حال كان صادقاً في التعبير عن نقاط الدفاع عن المدينة .

وبعد هذا يذكر ابن بطوطة أن بالمدينة عدداً من الأسواق المختلفة ، ومعنى هذا أن ابن بطوطة وجد من الوقت ما يكفيه لزيارة الأسواق المنتشرة في العاصمة كالياري .

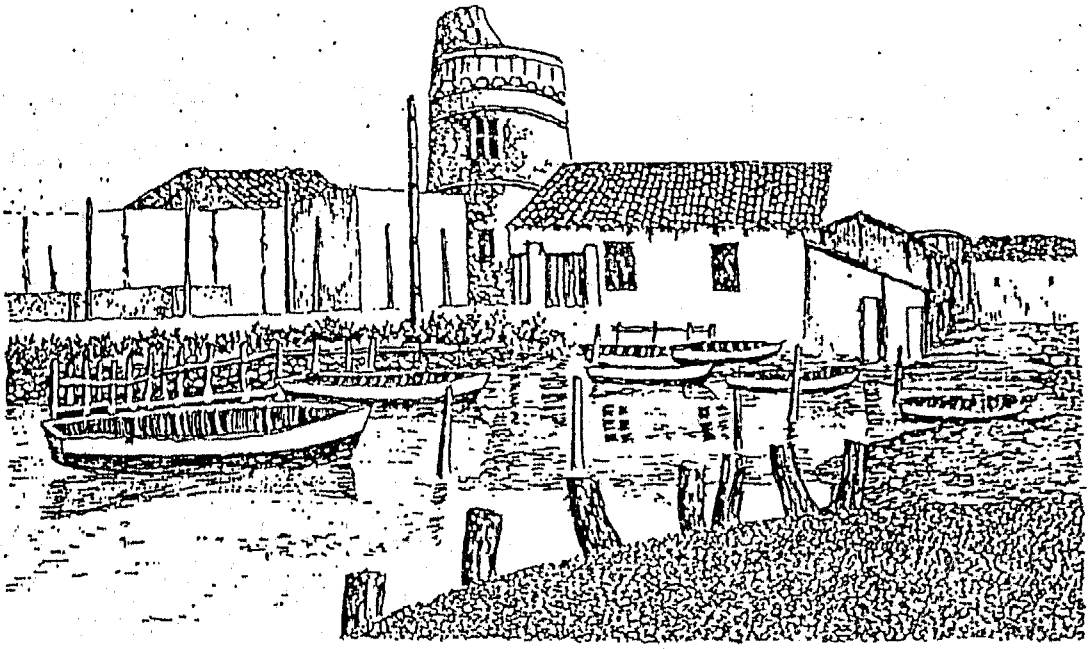
وبعد هذا تاتي الإفادة الطريفة .. وهي إحساس الرجل بأن السَّرادِنة – وقد عرفوا ربما عن هُوية الزائرين – ونفترض أنه كان يصحبه بعض آخر من أهل الجزائر والمغرب – أخذوا يتابعونه..!

وهنا نرى من المناسب أن نذكر بصفحةٍ من صفحات التاريخ الدّولي للمغرب لنعرف عن العلاقات التي كانت تربط سردانية على ذلك العهد بالمملكة المغربية لنأخذ فكرة كاملة عن بواعث تلك «الهواجس» التي أخذت تخامر ابن بطوطة ..

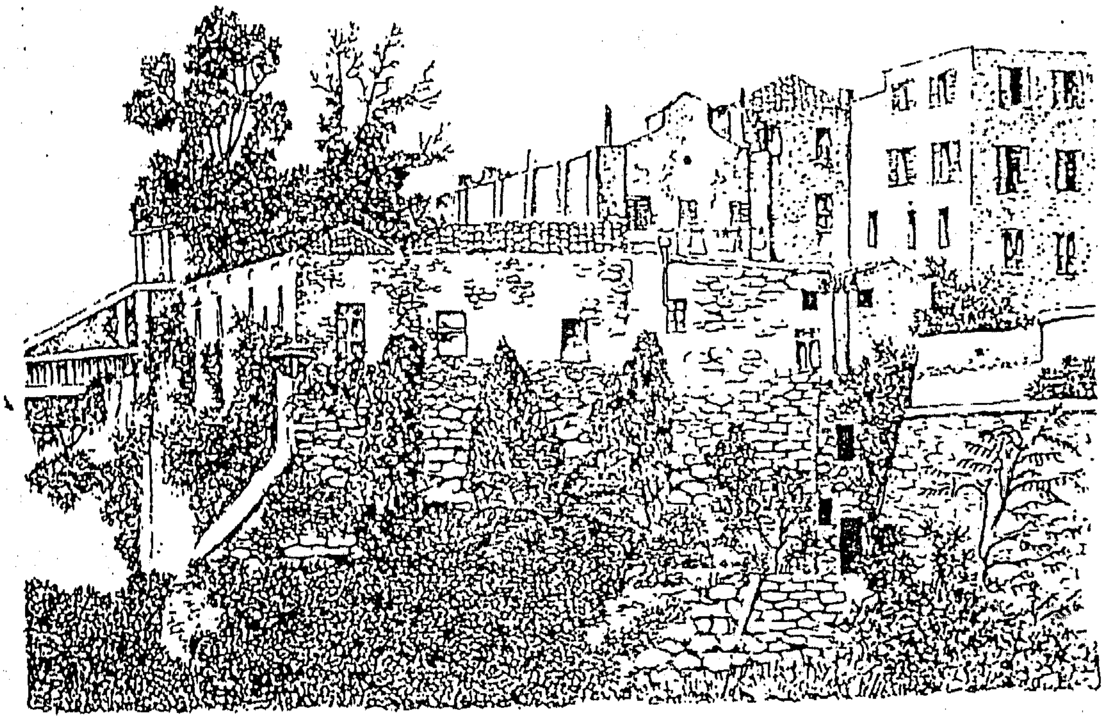
لقد سمعنا عن المساعدات المادية التي قدّمها العاهل المغربي لملك أراغون من أجل اكتساح سردانية وخاصة الأربعين ألف ضبلون .. وخاصة جند بني مرين..

وكما تتسرب مثل هذه الأخبار اليوم فإنها تسربت – على ما يبدو– إلى أهل الجزيرة الذين يكونوا راضين باحتلال جزيرتهم ولو أن البابا بونيفاس الثامن أقطع الجزيرة للتّاج الأراغونى على ماسلف ..

أكثر من هذا أن ملكة أراغون جاك الثاني أبرم اتفاقية في منتهى الأهمية مع العاهل المغربي أبي الحسن علي بن أبي سعيد بتلمسان يوم 5 شوال 1390 16 أبريل 1339 وهي السالفة الذكر ، وهو حدث اعتبر في نظر أهل سردانية مؤشرا واضحا على أن المغاربة كانوا متواطئين مع الأرغوانيين على احتلال بلادهم .. هذه تقديرات قد تخطر على البال ، واعتقد أنها واردة !!



جانب من ميناء كاليارى



جانب من حصون كاليارى

وهكذا فقد كان لهواجس ابن بطوطة ما يبررها سيما وأن فترة المعاهدة المحددة في عشر سنوات ، كانت قد انتهت .. فلم يبق هناك التزام من لدن أراغون ولا من لدن المستعمرات السائرة في ركابها لحماية المغاربة الموجودين على أرض تابعة للتاج الأراغوني على ما تقتضيه معاهدة تلمسان ..

أقول : كل تلك العوامل الظرفية جعلت ابن بطوطة يشعر بأنه متابع ومضايق في حريته بل ومهدّد في حياته ، وهو الشعور الذي قواه لديه ما بلغه من أن أهل الجزيرة عازمون على متابعة المركب عندما يغادر الجزيرة ليأخذوه إلى الأسر!!

وقد رأينا الرحالة المغربي ينذر لله أن يصوم شهرين متتابعين إن هو خرج من هذه الزيارة سالما ..

ومن حسن الحظ أن ظنون ابن بطوطة لم تتجاوز أن تكون خطرات مسافر لا يعرف شيئا عن غده . !!

وقد حاولت أن أتتبع تعليقات زملائي الأساتذة الطلاينة على تلك الزيارة ، لكني لم أقف حسب علمي ، على أكثر من الترجمة الحرفية لما أتى به ابن بطوطة وهي التي قام بها مشكورا الزميل فرانسيسكو كابرييلي (F.Gabrieli) الأستاذ بمعهد الدراسات الإسلامية بجامعة روما والذي اكتفى أيضا بتدخل متواضع جدا حول ابن بطوطة[1] !

أما عن زملائنا من غير الطليان فإن المعلقين يختلفون من الواحد إلى الآخر فمعظمهم مر مرور الكرام لكن بعضهم استوقفته هذه «الانعطافة» من ابن بطوطة[2] ، وبعضهم من الأوروبيين كالأستاذ صطيفان ييرازيموس لم يكن

(1) IBN BATTUTA: Voyage, traduction de l'arabe de C. defremery et B.R. Sanguinetti 1858.
Introduction et notes de Stèphane Yerasimos T. 111, Edi. LA dècouverte . Paris 1990 .
Thomas J. ABERCROMBIE : Ibn Battuta, prince of Travelers (National Geographic Society) Washington, vol. 180 - No. 6 - Décember 1991 p.2-49.

(2) Ross E, Dunn: The Adventures of Ibn Battúta Cnoom Helm - London et Sydney 1986.

جازما بأن القصد بالمرسى إلى كالياري[1] مع أن الوصف المذكور من قبل ابن بطوطة لم يترك مجالا للتفكير في غير كالياري ..

وأما عن زملائنا من المعلقين أو المختصرين ، فإنه مما يؤخذ على بعضهم إهماله نهائيا لنزول ابن بطوطة في سردانية لان إيجاز الرحلة زيّن لهم أن يحذفوا سردانية من لائحة الجهات التي تمت زيارتها من لدن الرحالة المغربى[2] !

وإني على مثل اليقين من أن قصر مقام ابن بطوطة في الجزيرة حال دون إعطائنا فكرة عما إذا كان ما يزال هناك في وقته أثر للوجود العربي في الجزيرة .. على الأقل فيما يتصل باللباس والأكل والعادات .. فقد علمنا أن الجزيرة تعرضت منذ ظهور الإسلام ، مرارا وتكرارا للمحاولات التي كانت تهدف إلى اتخاذها محطة من محطات أساطيلهم وأنهم تمكنوا في بعض محاولاتهم من الشروع في إنشاء بعض القلاع والمدن على ما يذكره الحميري[3].. أضف إلى كل تلك المحاولات «الاستعمارية» إنّ صح هذا التعبير ، فإن تردد العرب الدائم على الجزيرة ، ونزولهم المستمر بها أمر معروف مشهور ، وحسبنا على سبيل المثال أن نجد اسم سردانية ضمن الدول التي تفتح لها المملكة المغربية سواحلها معاملة لها بالمثل ، هذا إلى أن سردانية كانت محطة للوفود المغربية إلى

(1) F. Gabrieli : I Viaggi di Ibn Battuta - Scelta E Versione d'All' arabio, FIRENZE 1961-IBN BATTUTA; Viaggiatore Maghribino, Settimana Maghribina CALIARI 22-25 Maggio 1969 Publicazioni della Facoltà DI Giurisprudenza Istituto di Studi Africani 1970 .

(٢) محمود الشرقاوى : رحلة مع ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وإفريقيا 1968 مكتبة الانجلو المصرية ص 363 .

(٣) تذكر بعض المصادر أن السرادنة بعد أن هدموا مابناه مجاهد أنشأوا مكان ذلك مدينة ألغيرو (ALGHERO)

الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تأليف : محمد عبدالمنعم الحميرى ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، مكتبة لبنان طبعة 1984 .

الامبراطورية العثمانية ذهاباً وإياباً حيث نجد أصداء تلك الزيارات في أرشيف الدولة ، وهو يتحدث عن المساعي الحميدة التي كانت المملكة المغربية تقوم بها لصالح افتداء أسرى الجزيرة المحتجزين في الولايات العثمانية بتونس أو الجزائر ، والعكس أي افتداء الأسرى المسلمين الواقعين في قبضة سردانية ، وهذا إلى الإتفاقية المغربية السردانية عام 1782 التي تعرف نصوصها في الحوليات الدولية .. إلى جانب بعض الرسوم التذكارية التي أخذت للسفارات المغربية (على سبيل المثال : عبد العزيز فنيش) أثناء استقبالها الكبير بميناء الجزيرة(1).

ومع كل هذا فهل يصح القول بأنه لم يبق في الجزيرة أثر من آثار الوجود العربي بها ؟ إني أعتقد أنه بالرغم من مقاومة أهل الجزيرة ومساعدة جيرانهم على إقصاء العرب من الجزيرة ، فإنهم - مع كل ذلك - تأثروا ببعض العادات التي حملها العرب إلى الجزيرة .

أعتقد - كما قلت في البداية - أن الأطروحة التي تقول : بأن العرب لم يخلفوا أثراً يذكّر أهل الجزيرة بأيام العرب فيها على نحو ما تركه وجود بيزة وجنوة وإسبانيا .. أعتقد أنها أطروحة تجاوزها الزمن ، وإن جولة عابرة في المتاحف التابعة للمعاهد العليا الإتثوغرافية المنتشرة في الجزيرة أصدق شاهد على ذلك ، لقد قدّرت كثيرا قيام كل إقليم من أقاليم الجزيرة بإصدار النشرات المتعددة عن إقليمه تاريخياً وحضارياً واجتماعياً وقدرت اهتمامهم بإنعاش مقاطعاتهم ومدنهم بل وقراهم الصغيرة(2) ... وإن رجائي مع ذلك أن

(1) RAMON Lourido Diaz : Marruecos y el Mond exterion en la secondu Witad del Siglo - XVIII INSTITUTO DE Coopercion con el Mundo Arabe Madrid 1989 .

د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب جـ 9 ص

CARLO Pilla : Tra. il 1786 ed. il 1787, du ambas, Ciatori marocchini si fermarono nella nastra città per oltre de mesi Almanacco di Cagliari 1986 .

(2) الإشارة إلى التعريف الذي قدمه إلينا عن نورو (Nuoro) السيد Giovanni Todde والذي قدمه السيد Michelle Carta عن أروزي Orosei .

يشمل ذلك الاهتمام البحث عن التأثير العربي في تلك الأقاليم والمقاطعات والمدن والقرى .. لقد وقفت على نماذج من الملابس التي كانت تتشابه تماما مع الملابس التي ترتديها السيدة العربية في الجهة المقابلة من البحر المتوسط ، وكذا كان الأمر في أنواع الحلى والمجوهرات التي تتزيّن به السيدة السردانية .. التفنّن في إعداد الخبز وخاصة الرقاق المستدير المعروف هناك باسم باني كارازو (Pane Carasau) الصناعات اليدوية التقليدية .. كل ذلك لا يمكن مشاهدته من قبل زائرٍ عربي دون أن يشعر بمايعرفه سلفا في بيئته ومحيطه[1] ...

والأمل معقود على رجال البحث العلمي والآثار المهتمين بالأعلام الجغرافية (Caln Abbas) وكذا الانتربولوجيين المهتمين باللهجات المستعملة في اتجاه الجزيرة والألفاظ والكلمات العربية التي دخلت اللغة الإيطالية .. أقول الأمل معقود عليهم في أن يترصّدوا أثر العرب بالجزيرة ، فليس من الممكن إطلاقا أن يقتنع الباحث بوجود آثار كلّ الأمم الأخرى التي مرت بالجزيرة بمن فيها من لم تطل إقامته بالجزيرة ، دون أن يجد أثرا ما من الآثار العربية بها سيما وقد عرفنا عن أن مقام العرب طال أحياناً حتى لشيدت في الجزيرة بعض الثغور والقلاع ..

عبدالهادى التازى

عضو المجمع من المغرب

---

(1) "IL Musco et-Nogralico Di Nuara"

وثيقة رفيعة تضافر على إخراجها عدد من الباحثين المرموقين بإشراف باولو بيكير يدو P.Piquereddu .

نشر بنك سردانيا .

وهذه وثيقة أخرى مختصرة بنفس العنوان أصدرها المعهد العالي الإقليمي الإثنوغرافي :

"Il Musco et-Nogralico di Nuoro"

# ثقافة الأديب المعاصر والتغريب

للدكتور يوسف عز الدين

## بين الشرق والغرب :

مازال الصراع الحضاري بين الشرق والغرب مستمرا بالرغم من تطوره التقني الكبير فهو يرى الشرق قوة عارمة قوية تقف أمام طموحه الحضاري ورغبته في السيطرة الثقافية والهيمنة الفكرية لذلك يتجاهل حضارتنا وفضلها عليه محاولا طمسها ونسيانها .

قال ول . ديورانت في (قصة الحضارة) :

(إن قصتنا تبدأ بالشرق ، لا لأن آسية كانت مسرحا لأقدم مدنية معروفة لنا فحسب ، بل كذلك لأن تلك المدنيات كونت البطانة والأساس للثقافة اليونانية والرومانية ، التي ظن (سيرهنري مين) خطأ أنها المصدر الوحيد الذي استقى منه العقل الحديث ، فسيدهشنا أن نعلم كم مخترعا ألزم مخترعاتنا لحياتنا ، وكم من نظامنا الاقتصادي والسياسي ومما لدينا من علوم وآداب ومالنا من فلسفة ودين يرتد إلى مصر والشرق) .

إن ديورانت يعترف بوضوح وبصراحة بأن مؤرخي الغرب لا يريدون وصل جذور حضارتهم بالشرق ، لذلك حالوا بكل جهدهم طمس حضارة الشرق ووليدها الأصيل الحضارة العربية الإسلامية وتجاهلوها وسموها حضارة الشرق ، لأن الحضارة اليونانية الغربية لها صلة بهم ، فهم يرونها أصل حضارتهم ومنبع ثقافتهم وقاعدة فنهم الجديد وأصل أدبهم . ولم تكن مصر وحدها التي أثرت في حضارتهم إنما تمتد الجذور إلى الأشوريين والكلدانيين والبابليين واستمدت قاعدتها من الشرق كله .. وقد اعترف ديورانت ثانية بأثر التعصب وتجاهل فضل الشرق بقوله :

---

(*) ألقى البحث في الجلسة السادسة للمؤتمر المنعقدة ٢٨ من رجب سنة ١٤١٢ هـ الموافق ٣ من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٢ م .

(إن التعصب الإقليمي الذي ساد كتابتنا التقليدية للتاريخ التي تبدأ رواية التاريخ من اليونان وتلخص آسية في سطر واحد ولم يعد مجرد غلطة علمية ، بل كان إخفاقا ذريعا في تصوير الوقائع ونقصا فاضحا..) .

أوردت النصين عن كاتب منصف لأبرهن بأن كثيرا من علماء الغرب مازالوا يرون الثقافة اليونانية والفكر الروماني أصل ثقافتهم وعلى هذين المنبعين قامت حضارتهم وثقافتهم وفكرهم ليظهروا بمظهر القوى الذي لا يدين للشرق بشئ وأن حضارتهم ذاتية وخير من حضارة الشرق وأنضج من ثقافته ولابد للثقافة الناضجة والفكر الغربي المبدع أن يسيطر على العالم لقوته وأصالته وإبداعه .

ولاشك بأن الغرب وثقافته وحضارته دخلت إلى أفكارنا وسيطرت على كثير من عقول الكتاب ؛ لأن وسائل إعلامه في الصحف والكتب والإذاعة المرئية والمسموعة أصبحت علما يدرس ، وصناعة يجب أن تتقن ، وقد وصل في هذه الصناعة مستوى كبيرا ولن ترقى وسائل إعلامنا في الشرق كله إلى مستواه المتطور .

**وسائل إعلام الغرب :**

ولقوة وسائل الإعلام الغربي والأسلوب العلمي والفني في النشر والبثّ سيطرت على عواطف الجماهير وفهم نفسية الشرق ، وغدا سبيلا من سبل خلق الإبداع الفني والإنتاج الثقافي في الغرب نفسه وقد استغل الغرب هذه المواهب الإبداعية الكبيرة لفرض حضارته وثقافته وحياة مجتمعه ومشكلاته الفكرية والأدبية على الأمم وأبرز الفارق الحضاري بين حضارتنا المعاصرة وحضارته الشابة الفعالة بعد أن أثّر فكريا وحضاريا على كثير من التقاليد والعادات الشرقية ، وتمكن من الضغط على جماعة ممن ليست لهم الشخصية القوية والقاعدة التراثية الصلبة وأخذها إلى جانبه .

ومع أن الشرق بفكره وحضارته وثوابت أصالته كان أقوى كثيرا من اليوم عندما جاء نابليون فقد استف

الشرق في حملته من ثقافة الغرب الجديدة وفكره المتطور ما كان متسقا مع تقاليد الشرق وعاداته الاجتماعية .. ولم تقدر هذه الحضارة على زعزعة الكيان الحضاري للأمة بل إن هذا التحدي الغربي كان له رد فعل أفاد الفكر والأدب وحضارة الشرق إذ نهض الفكر وتحرك بقوة وأخذ ما يناسبه وأبدع الكتاب والشعراء وتطورت الحضارة .. واستمرت هذه اليقظة حتى الحرب العظمى الأولى وزادت في الحرب العالمية الثانية وازدهرت في النصف الأول من القرن الحالي . ثم بدأت حضارة الغرب وثقافته تتغلغل بعمق وبقوة بعد انبهار المفكر بالمخترعات الكثيرة واستكان إلي الترف والرفاهية التي ولدتها هذه الحضارة .

**التقليد والتبعية :**

إن الانبهار بالحضارة الغربية التي تحمل ثقافته وأدبه وأسلوب حياته كان موضع استغراب من قبل البعثة الأولى التي ذهبت إلى فرنسة فقد رأي رفاعة رافع الطهطاوي أسلوب الحياة .

**المصلحـون :**

إن ظهور عدد من المصلحين المسلمين والعرب كان سببا في توعية الأمة بالمخاطر التي سوف يتعرض لها الشرق من الثقافة الغربية للاختلاف الجذري بين الحضارتين والتباين بين العقيدتين فأراد المصلح رفع المستوى الثقافي في الشرق ليقدر على هضم هذا التحدي الجديد وينبه على مالايفيد الأمة من تراث الغرب وحضارته شرط الاحتفاظ بأصالة اللغة العربية والتراث الإسلامي منهم عبد الرحمن الكواكبي في كتابيه (أم القرى) و(طبائع الاستبداد) ودعوة جمال الأفغاني وتبعه محمد عبده وَوُجِدَ هذا الصدى في كتابات محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان .

**التيار المادي :**

كان رد الفعل واضحا أمام تيار الغرب المادي عندما نشرت (نظرية النشوء والارتقاء) لجارلس دارون في كتابه أصل الأنواع الذي احتقر الإنسان كونه سيد المخلوقات . وبما كتب شبلي شميل في (فلسفة النشوء والارتقاء) فرد

عليهم جمال الدين الأفغاني في (الرد على الدهريين) كما رد محمد عبده .. وكتب فريد وجدي كتابه (أطلال على المذهب المادي) للوقوف أمام التشكيك في ثقافتنا الروحية ومقاومة النظريات المادية الغربية .

### موقف الشرق :

إن التطور العلمي أو الفكر الجديد في الغرب كان عاملا قويا في هز الشرق عندما رأي قوة الغرب وتطوره العلمي فقد أثرت فيه حملة نابليون والعلماء الذين جاءوا مع الحملة لما أسسوا المجمع العلمي المصري وبدأ العلماء المسلمون يحتكون بالعلماء الفرنسيين ووجدوا هناك علوما أخرى غير العلوم التي يعرفونها وقد حدثنا الجبرتي عن التجارب العلمية التي كانت تجري واندهاش علماء مصر بهذه العلوم الجديدة وقد كان ميالا إلى هذه العلوم وفضل الحكم الفرنسي على الحكم العثماني وحكم المماليك ، وذكر أسلوبهم في العدل وإصلاحاتهم وعدهم رسل الثقافة لا رسل استعمار فكان من أوائل من رضي بالثقافة الغربية . وكان حسن العطار أكثر صراحة عندما طالب بأخذ الحضارة الغربية عندما قارنها بما آل إليه حال مصر من تأخر وانحطاط . وجاءت (روضة المدارس) و(يعسوب الطب) وغيرها من المجلات التي صدرت وفيها طراز المجتمع وتقاليده تخالف كثيرا ما ألفه في الشرق ومن أبرز مواضع الاستغراب طريقة إعداد الطعام والشراب فوصفها لنا بقوله في تلخيص الإبريز :

لم نشعر في أول يوم إلا وقد حصل لنا أمور غريبة في غالبها وذلك أنهم حضروا لنا عدة خدم فرنساوية لا نعرف لغاتهم ونحو مئة كرسي للجلوس عليها لأن هذه البلاد يستغربون جلوس الإنسان علي سجادة مفروشة على الأرض . فضلا عن الجلوس بالأرض ثم مدوا السفرة للفطور ثم جاءوا بطبليات(١) عالية ثم رصوها من الصحون البيضاء الشبيهة بالعجمية وجعلوا قدام كل

(١) الطبلية المنضدة ولعلها من الإنكليزية TABLE .
(٢) قزاز الزجاج ويريد قارورة .

صحن قدحا من القزاز وسكينا وشوكة وملعقة وفي كل طبلية قزازتين من الماء وإناء فيه ملح وآخر فيه فلفل ثم رصوا حول الطبلية كراسيّ لكل واحد كرسي ثم جاءوا بالطبيخ ووضعوا في كل طبلية صحنا كبيرا أو صحنين ليغرف أحد أهل الطبلية ويقسم على الجميع لكل إنسان فى صحنه شيئا يقطعه بالسكين التي قدامه ، ثم يوصله إلى فمه بالشوكة لا بيده ، فلا يأكل الإنسان بيده أصلا ولا بشوكة غيره أو سكينه أو يشرب من قدحه أبدا) .

هذا الاستغراب في طريقة تناول الطعام والجلوس إلى المائدة أصبح أمرا طبيعيا في عالمنا الشرقي فقد قرأت في مناهج دراسة التدبير المنزلي الأسلوب والقواعد ذاتها وبدأت المدارس تدرسها وتعلم الفتيات ترتيب المائدة ووضع الأطباق والجلوس إلى المائدة وطريقة الجلوس وقواعد تقديم الطعام ومتى يبدأ الجالس بالأكل وكيف يأكل .. وكأننا لم نكن نعرف حضارة الأكل وأسلوب تناوله .. لأن حضارة الغرب أصبحت جزءا من حياتنا وأسلوبا طبيعيا من شرائح المجتمع العربي الذي استغرب الطهطاوي من هذا الأسلوب حتى سجله لأنه شيء جديد غريب .

**ضعف الشرق :**

لا شك بأن شعور الضعف الذي استولى على كثير من أبناء هذا الشرق من جراء قوة الغرب وتقدمه التقني دعاه إلى التقليد منذ زمن محمد علي باشا . وعندما كان الجيل قوي الأصالة عميق الجذور في الحضارة الإسلامية أخذ من الغرب مالاءم تقاليده وعاداته ومثله ودينه ومجتمعه .

ذكر أعلام الغرب وعلمائهم مع مصطلحات حديثة في العلوم ومن ثم تبنت المقتطف ترجمة كثير من علوم الغرب ونظرياته فكان صدى هذه النظريات عميقا في فكر المفكرين في كثير من الأقطار العربية بخاصة نظرية التطور لجارلس دارون ونظرية جيمس جينز في تكون المجموعة الشمسية وظهور نظرية الجاذبية لإسحق نيوتن وأسهم شبلي شميل وصروف في نشرها وشرحها .

وفي العراق أصاب هوس الإعجاب بالغرب ونظرياته بعض المفكرين وكان أكثرهم اندفاعا جميل صدقي الزهاوي متأثرا بما تنشره مجلة المقتطف فدعا إلى مساواة المرأة بالرجل في جميع الحياة العامة والاختلاط قبل الزواج دون مراعاة المجتمع الإسلامي وتقاليده .

قال :

في الغرب حيث كلا الجنسين يشتغل
لا يفضل المرأة المقدامة الرجل

ويذكر سقراط وأرسطو وكوبرنيكس وداروين وسبنسر وأديسن وغيرهم من المخترعين والمكتشفين في الغرب مع الفلاسفة فقال في قصيدة الجحيم :

ثم إني سمعت سقراط يلقي
خطبة في الجحيم وهي تفور
وإلى جنبه على النار أفلا
طون يصغي كأنه مسرور
وأرسطاطاليس الكبير وقد أغر
ق منه المشاعرَ التفكير
ثم كوبرنيك الذي كان قد
أفهمنا أن الأرض جرم يدور

ثم داروين وهو من قال أنا
نسل قرد قضت عليه الدهور

وعندما مات توماس أديسون رثاه وسماه ملك الكهرباء :

يا بلاد الأمريك إنا معزو
ك على رزء قد أبى أن يهونا
ملك الكهرباء خلَّدك العلم
وإن كنت قد لقيت المنونا
ملك الكهرباء إنا محبو
بك وإن كنت في التراب دفينا
ملك الكهرباء إن علينا
لك فيما اخترعته لديونا

وقد أكثرت بعض المجلات من أسماء الكتاب والمخترعين والمفكرين والشعراء الغربيين وترجمت بعض آثار الأدب الغربي وعلومه أمثال فرويد وديكارت وكورنيل وأديسون وداروين ورسو ومنتسكيو وكوكول وتوركنيف وجيمس جويس ولافونتين .. وتبارى المعجبون بالعصرية التقدمية في حشد آراء الغربيين في مقالاتهم وكتبهم دون أن يهضم أكثرهم هذه الآراء أو تُعرف

دوافع هذه النظريات العلمية أو الفلسفة الأدبية وأسبابها وأهميتها الاقتصادية والاجتماعية التي أثرت في فكر الغرب .

أمام هذا الزخم الكبير من التيار الغربي الذي نشره كُتاب التحديث وقف التيار المعارض الذي كان يقف على قاعدة صلبة من التراث الإسلامي والأدب العربي وثبت أمامه ، لأن أكثر دعاة التغريب كانوا يجهلون جذور هذا الفكر والأسباب التي دعت إلى ظهوره وردد (العصري) الآراء كالببغاء دون عمق في الفهم ومعرفة بالأسباب فهو يتحدث عن الاتباعية (الكلاسيكية) ولكن يمثل بأمثلة من الإبداعية (الرومانتسية) ويتحدث عن الواقعية ولكن يمثل بالرمزية ولعل مرد هذا الخلط عدم فهم هؤلاء لنظريات الأدب والفكر الغربي فهما جذريا .

إن ثبات الفكر الشرقي أمام التيار الغربي يظهر قوة شخصية المفكر الشرقي الذي ما ضاعت شخصيته أو اهتزت مُثله أو ضاعت تقاليده وسلم من القلق والحيرة بالرغم من أن الفكر الذي وصله كان نتيجة قلق واضطراب في نفس الغربي من جراء الحروب والمطاحنات الطائفية والعرقية في الغرب وسيطرة المادية الجافة التي آمنت بالعلم والمختبر وبالتطبيق العلمي للنظريات الجديدة بعد انحسار سيطرة الإيمان الروحي من النفوس وتوغلها في العالم المادي الجديد .

إن الحروب والمنازعات الغربية انعكست على نظرياته وآرائه وفلسفته وعلى بنائه الفكري والأدبي والاقتصادي والاجتماعي .. إن فقدان الأثر الروحي وظهور المخترعات والاكتشافات الجديدة هزت الفكر الغربي القديم وأبرزت فلسفات وآراء جديدة ظهرت بعد الحروب الطاحنة فولدت الحيرة والقلق بعد تدهور المثل العالية وضياع التقاليد السامية التي كان يعيش عليها الفكر الأدبي التي أدت إلى ظهور تيارات فكرية وأدبية جديدة وأساليب فنية حديثة كالوجودية والسريالية وأدب اللامنتمي والدادية والتكعيبية والتجريبية واللامعقول والعبثية .

إن انشــغــال الفكر العــربي بآلام حاضره سببت التوتر النفسي والحيرة التي كمنت في اللاشعور وأبعدت المقلد عن أصـالة الفن ومـتـعة الجمـال ورقـة الأحاسيس الأدبيـة التي تلهم العـواطف النبيلة والأفكار السامية ووضوح التعبير وجودة اللفظة وما فيها من صفاء روحي وهدوء لأن المتناقضـات الغربية أدت إلى تشـويه واضح في الإنتاج الأدبي والفني واضطراب في فلســفــة الحــيــاة التي رسـخت في الفكر الغـربي والتي وجـد فيهاالكاتب العربي القلِق راحة نفسية .

**الصراع الاقتصادي :**

إن كثيرا من المفكرين المعاصرين لم يدرسوا الأثر الاقتـصـادي في السـيطرة الثـقــافـيــة والغـزو الفكري وظنوا أن الاستعمار لم يأت إلا لنشر دينه وعاداته و تقاليده . والواقع أن الصراع كان بين الرأسمالية وفكر ماركس والفكر المتمثل بالشيوعية قويًا وأن التقدم الصناعي في الغـرب أدى إلى وفـرة الإنتـاج وحـاجـة مـاسة إلى المواد الأولية إضـافـة إلى أن الشـرق خير سـوق لبيع إنتاج المصـانع المتـقـدمـة التي تركت النول اليـدوي إلى الآلة التي اخـتـصـرت عـددا من العـمـال وأدت إلى بطالة لم تكن في الغــرب من قبل الثورة الصناعية .

فالاستعمار الحربي أو السياسي جاء إلى الشرق وآثار الحروب للسيطرة على مخزن كبير للمواد الأولية رخيصة الثمن سهلة الحصول . جاء إلى الشرق تحت شعار تحضير الأمم المتأخرة وبث الحرية بنشـر المدنية الأوربية وحـضـارة الغـرب وعلمه وثقافته ولغته وقد كانت الكنيسة بقواها الدينية تسند هذه السيطرة التي أخـفت باسم الدين والحـضـارة أزمـتـهـا الاقتصادية .

وجد الغرب ثوابت الشرق الحضـارية ليست هشة الأخذ أو سهلة السيطرة لأن المفكر الشرقي له قاعدة من اللغة العربية ومن الحـضـارة الإسـلامـيـة درسـهـا في الأزهر والمساجد في بغداد ودمشق ومكة المكرمـة والمدينة المنورة والزيتـونة ، وقف أمـام تيـار حـضـارة الغـرب وهـضـمـهـا واسـتـفـاد منها وطورها حسب حـاجته وقوة إرادته والمنفعة التي تعود على أمته

فالعامل الاقتصادي كان الدافع الأول للاستعمار الحربي والسياسي والديني أخفاه وراء دعوة التمدن والحرية والحضارة .

إن مقاومة الاستعمار بالثورة عليه أو محاسبته أو رفض آرائه كانت تقوم على قاعدة الاختلاف في الدين واللغة والأصل بل بالشكل الخارجي لأن التراث الإسلامي الضخم لم يذب أو يضمحل أو يذهب إنما سكن في اللاشعور بالرغم من أن الحملات الأولى التي وصلت إلى الشرق كانت تلبس لباس البحث العلمي وحب الاستطلاع والسياحة .. أراد الغرب إضعاف هذه الشخصية القوية التي تقف أمام سيطرته بالدراسة العلمية والإحصاءات الحسابية وعرف أن الدين الإسلامي هو القوة التي تقف أمامه . وادعى بأنه سبب تخلف الشرق وانحطاطه فتصدى له المفكرون والشعراء والأدباء وفندوا هذا الزعم الباطل بإثبات أن المسلمين الأوائل قد تقدموا بالإسلام وتطورت حياتهم الحضارية فيه ومن هؤلاء معروف عبد الغني الرصافي قال :

يقولون في الإسلام ظلما بأنه
يصد بنيه عن طريق التقدم
فإن كان ذا حقا فكيف تقدمت
أوائله في عهدها المتقدم ؟
إذا كان ذنب المسلم اليوم جهله
فماذا على الإسلام من جهل مسلم
هل العلم في الإسلام إلا فريضة
وهل أمة سادت بغير التعلم
لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلي
بصائر أقوام عن المجد نوم
فأشرق نور العلم من حجراته
على وجه عصر بالجهالة مظلم
وأنشط بالعلم العزائم وابتني
لأهليه مجدا ليس بالمتهدم

وكان رد الفعل الدعوة إلى إحياء التراث الإسلامي وإلى إصلاح أحوال المسلمين ونشر الثقافة العربية ونبذ كل غريب والاستفادة من مخترعات الغرب وفهم حضارته في الوقت نفسه .

**نشر ثقافة الغرب :**

بالرغم من قدرة الغرب على الحرب السياسية وانتصاره بالمخترعات الجديدة وبالرغم من أنه سيطر على كثير من

الأقطار العربية فلم تنثن المقاومة السياسية والتحدي الثقافي والحضاري فاضطر الاستعمار إلى إنشاء حكومات صورية حكامها من أبناء القطر وبدأ يحكمها من وراء ستار بالمستشارين الذين كانوا يعينهم مع الوزراء لامتصاص هذا التحدي وكسر حيويته الدافعة ثم بذل الجهد بإبعاد العربي عن التاريخ الإسلامي بالعناية بالتاريخ القديم مثل آشور وآكد وبابل في العراق وبالحضارة الفينيقية في الشام والحضارة الفرعونية في مصر وأخذ يظهر رمز هذه الحضارات في الطوابع والنقود وفي التاريخ ويعني عناية خاصة بها متجاهلا حضارة الإسلام والعرب واهتم بدراسة آثار الحضارة القديمة للقضاء على الاعتزاز الروحي والكيان الفكري وقطع صلة العربي والمسلم بالتراث لأنه متى انفصم عن تراثه أحس بالغربة والحيرة والقلق وعندما يعيش في الفراغ الروحي والقلق الحضاري يسهل على الغرب الاستيلاء على فكره وتوجيهه الوجهة التي يريدها ومتى تاه فكره ضل في روحه فسيكون إنسانا بلا قاعدة روحية وتسيطر عليه اللاأبالية ويندفع نحو اللهو والعبث والاهتمام بالمظاهر البراقة والطقوس الظاهرية والعدمية القاتلة دون أن يسبر غور الفكر الغربي ويعرف شيئا عن حضارته المزدهرة وتراثه الأصيل .

**اللغة الأجنبية :**

كانت أول محاولات التغريب نشر اللغة الأجنبية في أوطاننا لأن اللغة الغربية تحمل ثقافته وحضارته ومتى أحب العربي لغة الأجنبي فسوف يرتبط به ويزداد الإعجاب بالأدب وبالتالي بالثقافة وأخيرا بالحضارة .. فكان أبناء العراق وفلسطين والسودان يتعلمون الإنكليزية وأبناء الشام وشمالي إفريقيا العربية يتعلمون الفرنسية وطرابلس وبرقة وفزان يدرسون الإيطالية وقد تمكن الفرنسيون من خلق جيل لا يعرف لغته في المغرب وتونس والجزائر .

الغريب أن اليهود أحيوا لغتهم الميتة بل إن برودسكي كتب باليديش اللغة الميتة وأخذ جائزة نوبل وأصر اليهود

الجامعات الحديثة وبذلك خلق طائفتين أو جيلين ينادي كل واحد بأنه على حق وأن صاحبه هو الذي يعيش في الضلال.

**الثقافة و التغريب :**

اخـتلف المفكرون والأدباء في مـعنى كلمة ثقافة ؟

فما الثقافة ؟ :

ظن كـثـيـر من الدارسين المعاصرين بأن الثقافة هي كمية العلم والمعرفة التي يحصل عليها المتعلم من الكتب أو المقدار الذي يهضمه من المعلومات التي يتلقاها من المحاضرات العلمية التي يستمع إليها فسمي خريج الجامعة بالمثقف لأنه حصل على شهادة عالية .

لاشك في أن الدراسة الجامعية جزء ضروري من الثقافة بالمعنى الدقيق والمصطلح الواسع ولكن خريج الجامعة لن يكون مثقفا ولو حصل على أعلى الشهادات العلمية أو كان عالمًا في اختصاصه أو فقيها في فرعه لأن الثقافة هي معرفة الحياة ومشكلاتها وما فيها من متناقضات متعددة وبالرغم من أن جذور الكلمة كانت محدودة بأمور الزراعة لأنها كانت علم الإنسان المزارع وحاجته العامة فكلمة Agriculture كانت تشتمل علي علم الزراعة وتمثل حاجات المزارع وكانت ثقافته ومعلوماته المتعددة في الزرع والحصاد والمطر والحرث وتطورت هذه المعلومات لإنتاج أفضل وغدت كلمة الثقافة Culture جانبا من جوانب هذه الحاجة الإنسانية في حياته التي تحضرت وتطورت .

إن الربط بين كلمة (زراعة) و(ثقافة) باللغة الإنكليزية ليست جديدة في الساحة العلمية فقد تنبه لها قبلي (صاحب قصة الحضارة) لارتباط الحضارة والمدنية والثقافة بعضها ببعض برغم اختلاف الأسماء التي وضعت لكل جانب من هذه الجوانب لأن الحياة أو الثقافة بدأت في الريف وإنتاجه الذي يذهب إلى المدينة كالصناعة التي بدأت في المدينة ونمت فيها وخلقت مجتمعا صناعيا جديدا في مُثله وعاداته وأسلوب حياته الذي تكون فيه ساعات الفراغ أكثر مما في الريف والقرى وفي اتساع

الوقت تظهر المناقشات والحوار وتبادل الآراء وبالنقاش تظهر أمور جديدة وأهداف حديثة لا تحدث في حياة القرى والأرياف .

فالثقافة بدأت من زراعة الفلاح وحراثته واتصلت بثقافة المفكر في المدينة ثم تطورت فيها أساليب التعليم واتسعت الكلمة وأصبحت التقويم والتطور والحذق والمهارة في العمل والفكر . قالت العرب ثقف الرمح قوّمه أي قوّم المعوج وظفر باستقامته وتقويمه وبذلك فالظفر بالشيء أصبح ثقافة وثقف الشئ حذقه وثقفه ظفر به .. قال تعالى ﴿ فأما تثقفنهم في الحرب ﴾ الأنفال ٥٧ وقال : ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ وعدت كلمة ثقافة هي الحذق والمهارة والتعديل والتسوية والتقويم .

إن الصناعة في المدن توجد ساعات إضافية تتلاقى فيها الأفكار ويظهر الإبداع عندما يجد جماعة من الناس الوقت الكافي يصرفونه في الدراسة العلمية والفنية والأدبية وخلق الجديد وتطوره .. إن توفر جماعة من الناس على الصناعات والظفر بإتقانها أو بالفنون الجميلة معناها الثقافة الواسعة وقد نوقش هذا الرأي وعورض من قبل المعاصرين لتطور المفهوم وتداخله بأمور الحياة المعاصرة لكن ما نزال نرى أثر الزراعة في الكلمة ونجد جذورها في الحضارة .. فالثقافة هي تقويم العقل وتعديل المعوج بالعلوم التي يدرسها والفنون التي يتذوقها والتجارب المتعددة التي يكسبها من الحياة العامة وبالتالي فالثقافة تطلق على (ما يمارسه الناس من أنواع السلوك وأنواع الفنون وإما على مجموع ما لدى الشعب من أنظمة اجتماعية وعادات وفنون).

وعلى هذا المدى الواسع لفهم الثقافة بدأ التخطيط ووضعت الوسائل للسيطرة على الفكر العربي والتراث الإسلامي والعقل الشرقي وكان أول هذه الخطوات إبعاد الثقافة العربية عن جذورها لبناء جديد فيه متناقضات الغرب لجعل الفكر محايدا ومن ثم يكون غربيا وأخيرا حائرا يبحث عن الملجأ الذي يأوي إليه .

فما الأساليب التي يُسيطر فيها على الثقافة ؟

١ - السيطرة على حياة المجتمع العربي بنشر أساليب حياة المجتمع الغربي وطريقة حياته الاجتماعية ومثله وتقاليده .

وقد بدأ ذلك منذ الحملة الفرنسية فقد دخل نابليون مصر ٢٤ تموز ١٧٩٨ وادعى الإسلام وأنه جاء لإنقاذ مصر وبهر الناس بالمثل وطراز الحياة وتدخل في عقولهم عندما أشعرهم بأن لهم الحق في حكم أنفسهم وأسس (الديوان العام) واختار أعيان مصر لهذا الديوان من المحافظات واختير علي الشرقاوي رئيسا بالاقتراع السري وقارن الشعب بين الحرية التي منحها للناس وبين حكم المماليك والعثمانيين الذين كانوا ينظرون إلى المصريين باستهانة وعدم احترام وبدأت تكبر هذه الفكرة وبذرت فكرة الديمقراطية الغربية في الشرق .

ولسنا نخاف التغريب إذا كان سببا في تطور الحياة وتقدمها ونشر الحضارة السليمة والأخذ بها ولكن نخاف من خطط تطمس ثقافتنا وتدمر كياننا الحضاري والقضاء على المثل السامية والحياة الاجتماعية والاقتصادية وتدميرها لصالح الغرب أو ثقافته الجديدة تقضي على الثقافة العربية ومقوماتها بادعاء أنهم يمثلون المجتمع العالمي .

وقد تنبه رفاعة رافع الطهطاوي إلى هذا وهاجم بقوة جانبا من الحضارة الغربية وثقافة الشعب الفرنسي التي لا تتفق مع مثله وتقاليده مع أنه أثنى على كثير من أساليب حياة فرنسة وطريقة المجتمع في الحياة مثل حرية الرأي وإصدار المطبوعات والتنقل والكسب لأنه اختار بصورة موفقة الشيء المفيد من الثقافة وصفي العادات والأخلاق التي تقدم الأمة وحافظ على شخصيته القوية .. بينما جاءت بعده طائفة دعت إلى الأخذ من الغرب حياته ومثله وطالبت بإبعاد كل المثل العربية والشرقية والإسلامية .. فقد قال سلامة موسى بصراحة تامة ووضوح عبارة بضرورة الأخذ من الغرب وهاجم الفتح الإسلامي

والدول العربية كلها لأنه أراد التغيير الكامل والاندماج في حياة الغرب في كتابه (اليوم والغد) قال : (هذا مذهبي الذي أعمل له طوال حياتي سرا وجهرا فأنا كافر بالشرق ومؤمن بالغرب).

كانت آراء سلامة في عقول كثير المفكرين في مصر كل حسب قدرته وقابليته وزمنه ودعوته إلى الاندماج بالغرب وحضارته مثل شبلي شميل ولويس عوض (تلميذ سلامة موسى) حسبما قال في (أوراق العمر) .

وقد رأى سعد زغلول أن تعلم اللغة الأجنبية يقوي الطلاب على مواجهة حضارة الغرب والاستفادة منها في حياتهم عندما قرر تعليم اللغة الإنجليزية في تدريس العلوم . الهلال (١٩٠٧ الشهر نيسان) ورد عليه جورجي زيدان بأن اللغة العربية لغة تحدث وعلم ودين وهي أرقى لغات الأرض فضلا عن ارتباطها بالدين الإسلامي .. (الأهرام ٩١/١/٢٠) .

أنا تعلمت في أوربا إضافة إلى دراستي في الوطن العربي وفهمت حياتها وأساليب مجتمعها ومارست حضارتها وتطوير حياتها المادية والعلمية وأحسست بالهوة السحيقة والبعد الزمني الكبير ، مقارنة بحياتنا المعاصرة من التقدم العلمي والمخترعات والتكنولوجيا التي غزت ديارنا وما أحدث الغرب في الحياة المادية من تغيير شامل .

الشرق ذهب إلى الغرب يطلب المعرفة وأرسل البعوث إليه لدراسة علومه والانتفاع بحضارته وتقدمه وإن تقليد الغرب بدأ بوضوح منذ عهد محمد علي باشا الكبير وفي لبنان زمن الأمير فخر الدين المعنى عندما سافر إلى توسكانا في فلورنسة وتأثر بما رآه فيها من تقدم حضاري وتطور اجتماعي وقد حاول المحاكاة بعد عودته من سفرته .

وفي زمن الأمير بشير في لبنان الذي أعجب بالحضارة الغربية وأراد أن يرى حياة الشعب مثل شعوب أوربا .

إن البعثات التي أرسلت إلى أوربا كانت تريد تعلم العلوم الحديثة الصرفة للاستفادة منها ومع ذلك فلم يغفل الرواد عن ترجمة بعض الأعمال الأدبية لأن جذورهم كانت أدبية .

وأكثر طلاب البعثات من الأزهر لهم قواعدهم الإسلامية المتينة ولهم قوى فكرية ناضجة لذلك لم يقبل فكرهم بكل شيء وجده في أوربا وحافظ على أصالته وهضم أساليب الحضارة وسخّرها لفكره العربي المسلم الذي تمرس بحضارة الشرق الزاهية و ما فيها من تفاعل واضح مع الثقافات الأجنبية القديمة كاليونانية والهندية والفارسية واللاتينية ولقد عرف أسلافنا أفلاطون وأرسطو وأرخميدس ودخل الفكر اليوناني مع الحضارات القديمة في تراثنا لذلك لم يكن الفكر الغربي الذي وجده طلاب البعثات غريبا عنهم .

**التنافذ الثقافي :**

إن الاتصال المباشر بين الحضارتين الشرقية والغربية لم ينقطع منذ الاحتكاك الأول في العصر العباسي وكانت ثقافة العرب مؤثرة في من يتفقه بها لأنها بعيدة الغور ووصلت إلى مرحلة من التطور من جراء المماحكات الكلامية والمنطق اليوناني وعلم الكلام والفلسفة الإسلامية ووصلت ذروة فكرية كبيرة وبدّلت فكر العالم وطورته وأثرت في الاتجاه الديني والفكرى والاجتماعي لكثير من الأمم وهذه القاعدة الفكرية حالت دون ضياع شخصية العربي السابق بالرغم من أنه عاش في الغرب واستفاد من حضارته وبقيت اللغة العربية في العالم العربي أداة التعبير في مختلف علوم المعرفة ولم يبدل بغيرها إلا في بعض الأقطار العربية التي منعها المستعمر من تعلم العربية فكتبت بالفرنسية مضطرة .

إضافة إلى أن الحربين الأولى والثانية واجهت العرب بالاستعمار فولد فى النفوس الكراهية للغة الأجنبي ولهذا لم نكن نتعلمها إلا بالقوة .

إن كراهية اللغة الأجنبية كانت نتاج العمل السياسي وكان رد الفعل الاهتمام بدراسة التراث العربي الأصيل حتى يرد على الاستعمار العسكري والسيطرة الاقتصادية ونما في النفوس الشك من كل علوم الغرب فابتعد جانب من المفكرين من تيارات الغرب .

## صراع بين جيلين :

غير أن الجيل الثاني بدأ يألف العلوم الجديدة بعد أن كثرت المجلات والجرائد في مصر ولبنان ودمشق تتحدث عن شيء جديد وتمكنت بعض العقائد من السيطرة وخلقت لها أنصارا وأنشأت أحزابا وجمعيات تعجب بالغرب وعلمه ثم نسى بعد ذلك أعمال المستعمر الأول ونشأ جيل تعلم اللغة الأجنبية وأصبحت كراهية المستعمر بعيدة عنه لأنه لم يمارسها أو يحس بوطأتها وبدأت المعركة الكبيرة بين التيار الراديكالي والفكر الرأسمالي وكل واحد يدعو إلى مثل عليا وشعارات براقة وقد نفذ الفكر الجديد إلى كثير من عقول الشباب عندما أحس بأنه مسحوق ماديا ومعنويا وتجلى الاحتكاك الكبير بين مثل الشاب وما يقرأ وما يدرس فجرّه إلى حيرة وقلق وضياع روحي .. وبدأت تهتز بعض مثله القديمة وتتناقض الآراء التي درسها .

وأخذ الدارسون يقرأون شكسبير ووردز ورث وكوليرج وبوب وكيتس وبايرون بحذر شديد ، كما دُرس راسين وڤولتير ورسو وبودلير ورامبو ومالرميه واستولى التيار اليسارى على بعض الكُتاب والشعراء وترجم كوكول ودستويفيسكى وتوركيف وجيكوف وبوشكين من الأدب الروسي بصورة عامة وأخذ الفكر المحايد يقرأ لهؤلاء جميعا ويستفيد دون أن يندفع فهو حائر بين الرأسمالية وبين الاشتراكية وأي الفكرين يأخذ وممن يستفيد .. وكنا نحن على الحياد نأخذ ونهضم ووقفنا وقفة الفاحص المستفيد لا موقف الخائف الذي يأخذ دون وعي وإدراك .

ولم يكن القلق أو الحيرة وقفًا على جانب ، فقد لفّ المعجبين بالرأسمالية واليسارية عندما قارنوا أوطانهم المختلفة بهذين التيارين وعاشوا في دوامة فكرية دفع بعضهم إلى المبالغة بأن اليسارية هي التي تطورنا ورد عليهم الرأسماليون بأن الحرية في كل شئ هي أهم من رغيف الخبز والآراء والاشتراكية فوجدنا صراعا واضحا أدي في أحيان كثيرة إلى القطيعة والحرب الفكرية والتصفية الجسدية والاضطهاد والتعذيب .

ولا أدرى الآن ما موقف الطائفتين اللتين كانتا تتنازعان بالأمس من أحداث الساعة ونتائج السياسة العالمية ؟

**كيف نسترد الشخصية العربية :**

إن الصراع الثقافي الذي جاء من الاحتكاك المباشر وغير المباشر بثقافتنا خلق جيلا مضطرب الفكر حائر الرأي وقد ساعد الغرب على هذه السيطرة والحيرة والقلق فما السبيل إلى إعادة الثقة بالنفس ؟؟

١- خلق جيل قوي متين مزود بالثقافة العربية الأصيلة مع دراسة عميقة للتراث الغربي بعد أن خُلق جيل آمن بالمفاهيم اليسارية والرأسمالية وكلا القاعدتين اقتصادية بالدرجة الأولى ومتى فهم هذا الجيل الأسباب والدوافع وقارن ذلك بحضارته فسوف ينشأ جيل له قابلية كبيرة في هضم الفكر الجديد واحتواء كل حديث لا سيما أن التغيرات العالمية الحالية تساعد على ذلك .

ومتى آمن الجيل بجذوره الحضارية وتراثه واستفاد من الغرب فسوف تذهب حيرته وقلقه ويستأنف مسيرته في تطور أمته وتقدم فكرها ومجتمعها .

٢- فهم حضارة الغرب على ضوء المقومات الشرقية وتقليص شدة الانبهار وعمق الإعجاب بإحياء جانب من حضارتنا ومقارنتها بحضارته والجذور التي استقى منها الغرب حضارته وأثر حضارتنا في حياته لأن كثيرا من المتعلمين خضع لكل ما هو أجنبي دون وعي وقلّده دون أن يعرف نتائج هذا التقليد لأن العقيدة أو الإيمان أهم قاعدة للثقافة ولبناء الشخصية القوية وبالقاعدة المتينة يبنى الشخص القادر على فهم الجديد وبخاصة حضارة الغرب .

٣- بذر الغرب التفرقة والبغضاء بين أبناء العرب ليسهل عليه السيطرة عليهم متفرقين خوفا من قوة العرب ووعيهم في الاتحاد والدفاع عن المصير المشترك بعد أن وجد جذورهم الحضارية قوية وتراثهم متين البناء وحدة نظرتهم وقوة أصالتهم وبناء شخصيتهم .

٤- نشر الحرية الكاملة بعد أن بذر الغرب في أقطارنا روح الدكتاتورية لقمع

الحركات الفكرية التي يراد منها قمع الشعوب وقتل حريته كاملة .. وقد منح الإسلام حرية فردية واحترم بني آدم وكرمهم دون النظر في اللون والأصل .. وحاول رفاعة الطهطاوي فهم الفلسفة البرجوازية وضرب الأمثلة بالحرية بأيام العرب وأنهم كانوا أحرارا وأورد قول عمر بن الخطاب (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارًا) وأراد الاستفادة الصالحة وندد بمساوئ الغرب لثقته بثقافته وإيمانه بالتراث الفكري وليحذر الناس من مساوئ الغرب حتى لا يضعف أمام مظاهره ويفتن بما فيها .

٥- وضع منهج حديث لكل المدارس في التدريس بداية من اللغة العربية وتدريسها والعلوم البحتة والتقنية ووضع منهج يلائم الفكر الأصيل والحضارة الجديدة والاهتمام بجوهر الأمور والابتعاد عن المظاهر البراقة لأن التطور الاجتماعي يجب أن يكون جزءًا من اللاشعور الروحي حتى يعمل به الجيل والابتعاد عن ثنائية التعليم لبناء الشخصية الجديدة والثقافة الحديثة وقد حاول ذلك علي مبارك عندما أسس دار العلوم ليجمع بين الثقافة الغربية والأصالة العربية .

٦- بالانتقاص من المثل العليا لهدم المقومات العربية والإسلامية بأساليب جديدة بعيدة عن الوعيد والخطب والترهيب لخلق إنسان يؤمن بحضارته ولا يكون ذلك إلا بالقضاء على أمّيّة المتعلمين والقضاء على الجهل الحضاري عند الدارسين وبالاستفادة من حضارة الغرب ووسائل إعلامه وأسلوبه في بث الثقافة ونشر علومه وأفكاره عندما انشأ المدارس والجامعات في الوطن العربي ونشر بواسطتها ثقافته وعلومه في لبنان ومصر وبلاد الشام إضافة إلى تبشيره السري المنظم المنسق لإدخال الفكر العربي المسلم في الحيرة والقلق والضياع الروحي . وقد ساعدت الظروف السياسية والاقتصادية في كثير من الأقطار العربية على نشر هذه الأفكار لعدم وجود الإصلاح الذي يريده المثقف فلجأ إلى المذاهب الغربية للتخلص من تناقضات حياته عساه أن يجد الراحة

والأمان الروحي والعقلي في اعتناقها ولكنها لم تملأ فراغه الروحي أو تدخل الإيمان في قلبه لأنها ذات جذور مادية وآراء غربية بحتة تعارضت مع ما في نفسه من إيمان وفي قلبه من اطمئنان وحضارة راسخة قوية .

## وأخيرا الغزو الاقتصادي الحديث :

ذكرت بأن الغزو الثقافي والفكري لم يكن إلا غطاء للسيطرة الاقتصادية بعد أن غير الغرب أسلوبه القديم من الاستعمار المباشر إلى المعاهدات والاتفاقات الاقتصادية وقد برهنت الظروف الحديثة على أن جميع محاولات الغرب القديمة والحديثة كانت للسيطرة الاقتصادية التي غطيت بأسماء متعددة ، مثل تطوير الشعوب وتمدينها أو تجديد حياتها المختلفة ، وبرهنت أيضا على أن هذه الشعارات تخفي وراءها الغزو الاقتصادي والمكوس المالي العميق الجذور ، لأن الشرق كثير الخيرات والمواد الأولية الرخيصة ، ثم هو خير سوق للاستهلاك بعد أن كثرت الاختراعات وفاضت البضائع وعمت البطالة .

فلا نعجب إذا انصبت محاولات الغرب على تقسيم الشرق وجعله دولا تتعادى ومجموعات تخاف بعضها من بعض ، وخلق أنظمة تسير في ضوء هذه السياسة حتى لا ينهض الشرق اقتصاديا وينتعش ماليا ، فقد اجتمع في شهر تشرين الأول (١٩٩١) في لوكسمبرغ وزراء الخارجية والتجارة لدول السوق الأوربية المشتركة واتصلوا بمنظمة التجارة الحرة للاتفاق على خلق هذه السوق ودعمها لتشمل أكبر مجموعة اقتصادية موحدة اقتصاديا ، ويبلغ عدد نفوس هذه المجموعة ٣٨٠ مليون ، وحجم تجارتها حوالي ٢٢٠ مليون دولار ، أي حوالي ٤٠ ٪ من تجارة العالم كله حفاظا على هذه المجموعة ، وخوفا وهلعا من رابطة جنوب شرقي آسية ولا سيما اليابان ، إضافة إلى خوفها من اقتصاد الولايات المتحدة وكندا والمكسيك . حتى أصبحت لهم سوق مشتركة واضطربت أوربا خوفا من الوحدة الاقتصادية التي تمت بين اندونيسيا وماليزيا وبروناي وسنغافورة .

السؤال الذي يتردد في ذهن كل واع للأمور الاقتصادية :

ما صنع العرب أمام هذه التكتلات الاقتصادية ؟ مع أن لهم مصالح مشتركة واحدة أقوى من مصالح الغرب وتجمعاته ، ولهم آصرة أعمق من أواصر دول الغرب ، ثم إن للعرب من المال والأيدي العاملة والتطور الثقافي والفكري ما يساعدهم على التطور والوحدة والتمدن ، لكنهم في صراع فكري وتباين ثقافي ولم يتفقوا على أسلوب واحد يجمع شتاتهم الثقافي على كثرة عدد المتعلمين والمثقفين وبخاصة في التجارة والاقتصاد والمال .

هل قدم هؤلاء على كثرتهم ما يقي شعوبهم من الثورات والانقلابات والتفرقة وحاولوا وضع أسس جديدة لحضارة عربية تقف أمام الظروف القلقة والأحوال المضطربة في أوطانهم ؟ ! أو كانوا أداة تبرير للسلطة وأعمالهم الفردية؟!

نحن بحاجة إلى تخطيط واسع في مضامير حياتنا كلها سواء أكانت ثقافية أم اقتصادية أم اجتماعية لإعادة تماسك الأمة العربية والإسلامية بعد سيطرة حكم الفرد واستحواذه السلطة كلها .

العالم كله يركض وراء أمريكا ، وهي تركض وراء اليابان ، فقد سافر الرئيس بوش للاتفاق مع رئيس الوزراء ميازاوا لخفض الميزان التجاري والاقتصادي والحد من النمو التجاري وحل الخلافات الاقتصادية بين البلدين بعد أن بلغ الفائض التجاري ٤١مليار دولار ، ومحاولة إقناع اليابان بشراء سيارات أمريكا المحروم منها أبناء الشعوب العربية والإسلامية لغلائها، والطريف أن يقول رئيس وزراء اليابان إنه والرئيس بوش يعملان بجد من أجل دفع العلاقات الثنائية بما في ذلك الجوانب الاقتصادية – ليس من أجل اليابان وأمريكا إنما من أجل بقية العالم ، وطالب خبراء أمريكا بالضغط على شراء الرز الأمريكي مثل مطالبتهم شراء سياراتهم .

وبذلك فالمشكلة الاقتصادية طغت علي مشكلات السياسة .

فهل وعت الدول العربية والإسلامية والشرقية بصورة عامة أثر حياة

الاقتصاد وتقدمت بدراسة جديدة تلم شملهم ، وفي أوربا وأمريكا عناصر عربية ومسلمة وشرقية هربت من بلدانهم وأسهمت في تطور حياة الغرب ، وأمريكا بعد أن ديست كرامتهم، وأغفلت الكفاءة العلمية لهم .

إن اليابان بدأت نهضتها مع نهضة مصر في زمن محمد علي باشا وضربت بالقنابل الذرية في هورشيما وناكازاكي ولكنها اليوم تتحدى أمريكا برغم ضعف مواردها الطبيعية .. حيث اضطر بوش إلى الذهاب بنفسه إلى اليابان من أجل تحسين اقتصاد بلاده والقضاء على البطالة فيها ، والعالم كله يذهب إلى أمريكا طالبا المساعدة ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

**يوسف عز الدين**

عضو المجمع المراسل من العراق

# ابن المولى
# حياتـــه وشعـــره

للأستاذ عبد العزيز أحمد الرفاعي

## استهـــــلال

وبالناس عاش الناس قدمًا ولم يــزل
مــــن الناس مرغوب إليـه وراغـــب
وما يستوي الصابي ومن ترك الصبا
وإن الصبا لَلْعيــش لولا العــواقب

## الخلا صة

ابن المولى ، مـحـمـد بن عـبـد الله بن مسلم ، مولي الأنصار من بني عمرو بن عوف ، شـاعر مـخضـرم بين العـهـدين : الأمـوي والعـبـاسي ، توفي في أواخـر العقد السابع من القرن الهجري الثاني .

شـعـره جـيـد ، صـرف مـعظمـه إلى المديح ، حتى عُدَّ من المدَّاحين المحسنين، كان من ممدوحيه الخليفة عبد الملك بن مروان ، والخليفة المهدي ، والأمير القائد يزيد بن حاتم ، وفي هذا الأخير استفرغ أجود شعره ، وهو الذي يقول فيه :

وإذا تباع كريمة أو تشـــــتري
فسواك بائعها وأنت المشــــتري
وإذا تخيل من سحابك لامـــــع
سبقت مخائله يد المستـــــمطر
وإذا صنعت صنيعة أتممتهـــــا
بيدين ، ليـس نداهما بمكـــــدر
وإذا الفوارس عــددت أبطالهـــا
عدوك في أبطالهـم بالخنصـــر
وإذا توعرت المسالك لم يكـــــن
منها السـبيل إلى نداك بأوعـــر
وإذا هممت لمعتفيـــك بنائـــل
قال الندى – فأطعته – لك : أكثر
يا أوحد العرب الذي ماإن لهـــم
من مذهب عنـــه ، ولا من مقصـر

يعده أهل المدينة من أعيان رجالها ، ويشـترك في الوفود التي يرسلونها إلى

(*) ألقى البحث فى الجلسة السادسة للمؤتمر المنعقدة بتاريخ ٢٨ من رجب سنة ١٤١٢ هـ الموافق ٣ من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٢ م .

بغداد لمقابلة الخليفة المهدي ، وعدا بغداد فقد رحل إلى مصر .

عمّر طويلا حتى قارب المئة أو جاوزها، وهو وإن لم يشترك في التيارات السياسية المتصارعة ، فإن بعض مدائحه للمهدي لم تخل من تهوين دعوة العلويين إلى أنفسهم إرضاءً لممدوحه .

له شعر غزلي ، ولكنه يؤكد أن ليلاه إنما كان يعني بها قوسه التي كانت لا تكاد تفارق سنكبه .

لم يخلص إلينا ديوان مجموع ، فعمدت إلى جمع أشعاره من شتى المصادر التي ذكرته وأهمها إطلاقا كتاب الأغاني الذي خصص له ترجمة ، وذكر طرفا من أشعاره وأخباره ، وقال عنه إنه كان عفيفا نظيف الملبس ، وقد أورد له صوتا من المئة المختارة ، وذلك غير ما اختير من شعره للغناء ، وإن كان بعضه قد غني بأمر الخليفة المهدي.

جمع ثروة جيدة من الجوائز التي كان يحصل عليها من أماديحه ، وخاصة من يزيد بن حاتم ، الذي وصلت أعطياته المدى .

استشهد بعض النحويين واللغويين والبلدانيين بشيء من أشعاره ، مما يدل على الثقة بلغته ، وعلو مكانته عند أصحاب هذه الشواهد .

كانت نشأته بضاحية (قباء) بالمدينة المنورة ، ويرجح أنه بها ولد ومات ، وكانت هي مسكنه وبها مزارعه أو مزرعته .

كانت تربطه صداقات مع عدد من الأمراء ، وأعيان المدينة ، وبعض الرواة والنقاد ..

## كليمة

هذا الحديث ، هو الحديث الثالث ، من سلسلة أحاديثي الحولية ، التي خصصتها لمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ شرفت بالانضمام إليه عضواً مراسلاً .

و هو عن الشاعر (ابن المولى) بحسبانه شاعراً مغمورا ، في محاولة لتقديم صورة عنه ، وتجميع ما تيسر من أشعاره .. فالسلسلة تُعنى بالشعراء المغمورين ، فالحديث الأول كان عن

الشاعر المدني (عبد الله بن أبي صبح المزني) ، مع محاولة جمع أشعاره ، ألقيته في فبراير ١٩٨٩م . والحديث الثاني كان عن الشاعر (خارجة بن فليح المللي) خصصته لدورة فبراير ١٩٩٠م ..

وهذا الآن عن (ابن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم) .

وفكرة محاولة إنصاف مثل هؤلاء الشعراء المجيدين كانت قديمة لديّ ، فقد كتبت عن العرجي ، وضرار بن الأزور ، وأرطاة بن سهية ، وزيد الخير .. وغيرهم، مما نشر ، ومما لم ينشر بعد .

ومحاولة تتبع أخبار شاعر قديم ، غير مشهور ، لم يعن به الدارسون كثيراً ، والربط بين هذه الأخبار وتنسيقها ، وجمع أشعاره المنتشرة بين شتى المصادر، عملية غير يسيرة ، ومع هذه الصعاب التي تتكرر كلما حاولت أن ألقي أضواء على شاعر مغمور ، فإني أجدني مدفوعا لاستمرار هذه المحاولات ، عسى أن أسهم بنحو ما في إضاءة شمعة مهما كانت خافتة على ذلك الظلام الذي يحيط بهؤلاء الشعراء الذين أعتقد أن في حيواتهم وأشعارهم ما هو جدير أن يكون في دائرة الضوء .

وجدير بالذكر ، أنه عند عنايتي بأمر هذا الشاعر ، وجدت أن أبا الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ، اهتم بأمره ومنحه صفحات ذات بال من كتابه، وظل من بعده من المؤلفين عالة عليه فيه ، فهو صاحب الفضل الأول أيضا في إمدادي بأكبر قدر من المعلومات والأشعار وعنه .

وقد رأيت في شعره من الجودة ، ما شجعني على أن أتتبع أخباره وأشعاره في المصادر الأخرى التي استطعت الوصول إليها ،

ولا أزعم أنني استطعت أن أقوم بحصر تام لتلك الأخبار والأشعار ، ولكني بذلت من الجهد طاقتي .

وإنه ليسرني أجد من يرشدني إلى أخطائي ، أو يزودني بمعلومات جديدة . لم أهتد إليها ، أو لم تصل إليها وسائلي.

والله ولي التوفيق

## بطاقـــة

محـمـد بن عـبـد الله بن مـسلم بن المزني. مولي الانصار [1] ، كنيتـه أبو عبد الله[2] توفي نحــو سنة ١٧٠ هـ = ٧٨٦م . جده (الكبير) مولي بن عمرو بن عوف ، من الأنصار .

شاعر متقدم مجيد من مخضرمي الدولتين : الأموية و العباسية ، مسكنه (قباء) بالمدينة المنورة.

## حياتـــه

لا يعــرف مــتى ولد ولا أين .. ولكن يرجح أن مولده كان في (قباء) وهي الآن ضاحية من ضواحي المدينة المنورة ، بل لقد امتد إليها العمران فأصبحت جزءا أو محلة من محـلاتها .. ومن المعروف تاريخـيـا أن الرسـول صلى الله عليـه وسلم ، نزل بها أول أمـره عندما وصل إلى المدينة في هجرته .. وأكرمـه أهلها من الأنصار ، وهم بنو عمرو بن عوف ، الذين ينتمي إليهم الشاعر بولائه ، وبها بني رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مسجد بُنىَ في الإسلام ، وذلك ما نص عليه القرآن الكريم في قوله تعـالى : (لمسجد أسس على التقوى من أوّل يوم أحق أن تقوم فيه) ١٠٨ التوبة .

وأهل قباء هم الذين أثنى عليهم أيضا كتاب الله الحكيم في قوله تعالى من الآية نفسها : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين).

و(قـبـاء) ضـاحـيـة عـامـرة بمزارع النخـيل، الذي يعطي أجـود التـمـر ، وبالمياه التي ترفد المدينة المنورة بالماء .. وسكانها على عهد الشاعر ، قوم كرام من الأنصار ، أحسنوا استقبال رسول الله صلى الله عليـه وسلم . فـأسس في قريتهم المسجد الأول في الإسلام ، ولا شك أنه كان لهذه البيئة الطيبة ، والتربة المعطاء ، أثرها الطيب في شـاعـرنا الذي وصـفـه أبو الفـرج في الأغـاني بالعفيف .. وسيأتي من أخباره مصداق هذه العفة ..

---

(١) الأغاني : ترجمته .

(٢) المرزباني في معجم الشعراء ٤١١ .

وإذا كانت المصادر التي وقفت عليها لم تنص على تاريخ مولده، فان أخباره تدل على أنه عمّر طويلا .. حتى ليبدو أنه جاوز مئة عام .. فإن من أخباره .. أنه مدح بشعره عبد الملك بن مروان وهو خليفة . بل أكثر من مدحه [1] .. والتقى به، فإن صحّ هذا وافترضنا أن ذلك كان في أواخر حكم عبد الملك الذي توفي سنة ٨٦هـ، فإن معناه أن ابن المولى كان شابًا في هذه الفترة، قادرًا على قول الشعر، وإذا رجحنا أن عمره حوالي العشرين، فإنه يكون من مواليد العقد السابع من القرن الأول للهجرة .. فإذا توفي نحو سنة ١٧٠هـ [2] فيكون قد عمّر مئة سنة .. ونجد مصداق ذلك فيما قاله المرزباني من أنه (قد أسنّ)، وفيما عبر عنه الأصفهاني حينما قال إنه من مخضرمي الدولتين، يعني الأموية، والعباسية، ومداحي أهلهما .

ونجد في أخباره أنه مدح المهدي، وهو خليفة، وهذا توفي سنة (١٦٩هـ) = ٧٨٥هـ .

كما يصفه أبو الفرج في الأغاني، بأنه متقدم .. وهو يعني تقدمه الزمني، ثم يصف خلقه وهيئته فيقول : «كان ظريفا عفيفا، نظيف الثياب، حسن الهيئة» .

ولعل أبا الفرج اعتمد في وصفه بنظافة الثياب، وحسن الهيئة، على ما رواه إسحق بن مرار الشيباني ولاء، أبو عمرو، المتوفي سنة ٢٠٦هـ، الذي عاصر ابن المولي، والتقاه في جسر بغداد، وكان معنيًا بتدوين الأشعار والأخبار واللغات والنوادر، ووضع كتبا عديدة، فقد روى [3] ما نصه :

«كنت أسير على الجسر ببغداد، فإذا أنا بشيخ على حمار مصري، بسرج

(١) الأغاني : ترجمته .
(٢) هكذا اختار الزركلي في (الأعلام) في ترجمته . وذكر سيزكين في تاريخ التراث في ترجمته أنه توفي بالمدينة سنة ١٦٥هـ = ٧٨١م .. المجلد الثاني، الشعر إلى حوالي سنة ٤٣٠ هـ، الجزء الثالث ص ٢٢١، ولم يذكر لنا أي منهما مصدره في هذا الاختيار أو التحديد.
(٣) جاء الخبر في ٣٣٠/٦ من (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ و ٢٢٢/١ من أنباه الرواة للقفطي ت٦٤٦ هـ، وقد جاء في (تاريخ بغداد) أن أبا عمرو الشيباني كان «خيرا فاضلا صدوقا» .

مديني، فعلمت أنه من أهلها[1] ، فكلمته فإذا فصاحة وظرف ، فقلت : ممن أنت؟ قال : أنا من الأنصار .. أنا ابن المولي الشاعر إن كنت سمعت به ؟ فقلت : أي - والإله - لقد سمعت به ، أنت الذي تقول :

ذهب الرجال فما أحسّ رجالا

وأرى الإقامة بالعراق ضلالا ؟

قال : نعم .

قلت : كيف قلتَ :

ياليت ناقتــي التي أكربْتُها[2]

نحرت وأعقبها النُّحاز سُعالا

قال : لم أقل كذا .. وإنما قلت : أعقبها القلاب سعالا ، فدعوت عليها بثلاثة أدواء. [3] أ.هـ .

والواضح من هذا النص ، أن ابن المولى كاني يعني بهيئته ومظهره ، وسندرك من سيرته أنه كان يتصل بطبقة مميزة ، ويحسن علاقاته بالخلفاء والأمراء ، وأنهم كانوا يتمسكون به ويطيلون إقامته عندهم ، كلما ارتحل إليهم مادحا ومسترفدا .. ونلحظ من طبقة خلطائه ، أنه كان يحسن اختيارهم ، كما لا نجد له في اللهو والقصف أخبارا ، بينما كانت أجواء الغناء واللهو قد أخذت تنتشر في المدينة ، كما هي في المدن الكبيرة الأخرى على عهده ، حيث أخذ الترف يبسط رداءه .. خاصة في العصر العباسي ، وخاصة في مدن الحجاز ، حيث نبغ عدد من محترفي الغناء ومن شعراء اللهو ، إلى جوار ما كان في هذه المدن من فقه وعلم وحديث .

وكان ابن المولى في عفته ، وانصرافه عن اللهو مؤشراً حسناً على أن المجتمع

(١) أي من أهل المدينة .

(٢) النص في المصدرين السابقين بالياء المثناه ، من الكراء . وأظن الصحة : أكربتها بالباء الموحدة (كما في أساس البلاغة) من كرب بمعنى أجهدها . ذلك أن ابن المولى كان ميسور الحال ، ولا يحتاج إلى ناقة بالكراء .

(٣) أي بالنحاز بضم النون ، وهو داء يصيب الإبل في رئاتها تسعل منه سعالا شديداً ، والقلاب بضم القاف ، داء يصيبها في القلب فهذان داءان ، والثالث السعال .

ورواية البيت في أساس البلاغة :

ياليت ناقتــي التي أكربتها قلبت وأورثها النحاز سعالا

وهي أصح لأن النحاز هو الذي يورث السعال لا القلاب .

الحجازي لم يكن كله مندفعا إلى اللهو والقيان والغناء ، فلقد كان لكل بضاعة سوقها ، ومروجوها .

ولا نستغرب أن يحتفظ ابن المولى بتقاه وعفته ، مع أنه ينتمي بشعره إلى طبقة (الفنانين) ، غير منغمس في أجوائهم .. فهو من قرية المتطهرين (قباء) ، مولي لفرع أصيل من الأنصار ، تغلغل في قلوبهم الإيمان ، وأشربوا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك لا نعجب كثيراً حينما يؤكد لكل من فاتحه في تفسير غزلياته ، وتشبيبه بليلي ، بأن ليلى هذه ، لم تكن إلا قوسه التي يتنكبها، وأنه إنما يتخذها رمزًا ، يصل به إلى تلطيف أشعاره برقائق غزلية ، يستهوي بها الأسماع .. لأن الشعر (في نظره) لا يعذب إلا بالغزل .. وإلا فليس في حياته (ليلى) حقيقية وأنه يربأ بنفسه أن يشبب بأية امرأة لها حرمتها .. وهو يحلف على صحة مذهبه الرمزى هذا فى أكثر من خبر ، وأكثر من مناسبة .. ونجد أن شواهد حاله وأخباره تعضد هذا الحلف كما سنرى ذلك فيما بعد .

ومع حرص أبى الفرج على تتبع أخبار العشق والهوى عند الشعراء الذين يترجم لهم فى كتابه الكبير ، وابن المولى أحدهم ، فقد أفرد له ترجمة لم تخلُ من طول فإنه لم يورد أية قصة غرامية تتصل بشاعرنا .. إلا ماأكده من نفى شبهة ليلى التي لم تكن إلى قوس صاحبنا .. وهي كما يبدو قوس أثيرة ، لها عند الشاعر شأن ومكان .

وليس في أخبار الشاعر بين يديّ ، سواء في الأغاني الذي أعده المصدر الأول المهم ، أو في غيره من النتف التي تأتي هنا وهناك ، أية تفاصيل مُشبعة عن حياة شاعرنا ونشأته وأسرته .. كل ما نعرفه أنه كان يكنى بأبي عبد الله ، فهل كان له ابن يسمى عبدالله حقا .. أو أنه كان يكنى باسم أبيه ، على أمل أن يكون له ابن يسميه كاسم أبيه .. وإن كنا نجد بعض المصادر تكنيه بأبي عبيد الله (بالتصغير) ، ولا أظن ذلك إلا من أخطاء النسخ .

ولكن من السهل أن ندرك أن الشاعر كان يعيش على ارتياد كرام الرجال من

خلفاء وأمراء وسراة ، ليضفي عليهم أماديحه ، وليضفوا عليه عطاياهم وهباتهم ، وفي سبيل هذه الأعطيات كانت رحلاته إلى العراق ومصر وربما غيرهما . وكانت بعض رحلاته يطول أمدها ، حتى تصل درجة الملل والحنين إلى الوطن والأهل ، وكانت ثمار هذه الأسفار والمدائح ، سواء في بلده أو خارج بلده ، ما جمع من ثروة ، وما اقتنى من عقار وبساتين .. وكان المجتمع آنذاك لا يرى في هذا التصرف من الشعراء غضاضة اجتماعية ، فهذه المدائح لا تتنافى مع عفته .. فهي عفة عن غشيان المحارم ، أو الانغماس في اللذات .

واحتراف المديح عند ابن المولى ، جعله يقع في بعض المتناقضات التي تدل على أنه لم يكن ملتزما بخط سياسي معين ، مع أن الأجواء السياسية على عهده ، كانت تشيع فيها تيارات مختلفة، أبرزها التحزب للعلويين .. وكانت ألسنة الشعراء تصطبغ بألوان تلك التيارات .. وهي تمثل آنذاك أبرز وسائل الإعلام ..

فهناك شعراء انضموا إلى المعسكر العلوي ، وهناك من انضم منهم إلى المعسكر الأموي .. وإن كان منهم من ظل مستقلا ، أو منشغلا بنفسه أو بلهوه .. غير مشتغل بالسياسة ولا منغمر في تياراتها .. ولكن كان هناك بعض الشعراء المداحين الذين كان وَكْدهم أن يبذلوا المديح لمن يعطي ويقولون للممدوح ما يشتهي .. ويثنون على اتجاهه السياسي ضمن أماديحهم .. ولم يكن هذا المديح ، ليعبر عن رأي سياسي معين يعتقده الشاعر فعلا .. كان ابن المولى أحد هؤلاء الشعراء .. كما سيرد إن شاء الله حينما نستعرض أماديحه وممدوحيه .. ولا عجب أن يوقعه ذلك في بعض المآزق ، كما حدث فعلا مما سنتحدث عنه في موضعه .. إلا أن ابن المولى كان على أي حال يحسن التخلص والاعتذار ..

وبالرغم من أن ابن المولي كان حقا شاعرا مداحا .. إلا أنه كان يحسن أماديحه ويجوّدها .. ويصدر فيها عن إعجاب حقيقي بممدوحيه .. بل كان

يمدح بعضهم قبل أن يلتقي بهم .. كان يمدحهم عن بعد .. وقد روى ذلك عن مدحه لعبد الملك بن مروان ، وليزيد بن حاتم المهلبي .. في قصتين متشابهتين .. حتى لمن حق الباحث أن يظنهما قصة واحدة .. فُصلِّت لرجلين .. على أنه قد يستخدم المدح لاستخراج بعض حقوقه .. فقد امتدح الحسن بن زيد ليحصل منه على وظيفته أو مخصصه السنوي الذي يبدو أنه حجبه عنه هذا الوالي .. وسنقف إن شاء الله في باب رأي النقاد في شعره ، على أنه كان مداحا محسنا ، وأن إحسانه قد يقوده إلى معاني محلقة أو مبتكرة ، وندرك من النبذ اليسيرة التي أوردها أبو الفرج عنه ، أنه كان رجلا اجتماعيا يعده أهل المدينة من كبار القوم .. فحينما يتشكل وفد للسفر إلى بغداد من مدينة الرسول ، لزيارة الخليفة المهدي فيه جماعة من قريش ومن الأنصار ، يشترك ابن المولى معه ، بل يكون محل اهتمام الخليفة . بحيث يقبل عليه ويسأله عن شعره ، كما سأذكر ذلك في موضعه إن شاء الله ، وللمهدي موقف مماثل حينما ذهب للحج ، بعد أن تولى الخلافة ، وجاء المدينة المنورة فبذل أهلها أموالا كثيرة ، وصلات سنية ، وحينما تفقد الشعراء ، اشرأب يبحث بعينيه عن ابن المولى ، فأمر بتقريبه ، واستنشده من شعره .. وسواء أكانت هذه الواقعة قبل الأولى ، كما أرجح أو بعدها فإن الحادثتين تحملان دلالة و احدة ، هي ما كان يتمتع به ابن المولي من مكانة ، لجودة شعره ، ولأنه أيضا شخصية اجتماعية مرموقة .. فإن الخليفة المهدي لم يكتف بأن تكون له جائزة مقابل شعره ، كما هو الشأن في غيره من الشعراء ، بل يختصه بمخصص سنوي ، يجري عليه وعلى عياله . وهذا المخصص فيما يبدو لي هو الذي حاول تأخيره عنه (الحسن ابن زيد) .

ونستطيع أن نستنتج من كلمة (وعياله) أنه كان رب أسرة .. ولابد لي هنا من أن أسبق الأحداث مادامت قد وردت الإشارة إلى الموقف الذي وقفه منه (الحسن بن زيد) حينما أخّر عنه وظيفته

السنوية .. لتعزيز ما يروى عن عفته .. إذ تقول الرواية أنه دخل عليه فأنشده يمدحه :

هاج شوقي تفرق الجيران

واعترتني طوارق الأحزان

إلى آخر القصيدة[1] .. فلما فرغ ، دعا به خاليا ، فأنّبه . لأنه إذا جاء الحجاز ، قال ما قال في مديحه ، أما في العراق فيعرِّض في شعره بالعلويين ، والحسن بن زيد منهم .. فاعتذر بأنه شاعر ، يقول ما يتقرب به إلى ممدوحه .. وخرج منكسرا .. ولكن الحسن على ما يبدو ندم على تصرفه ، فأرسل إليه بوظيفته وزاده عليها .. ولكن ابن المولى لم يقبلها مادام الأمير ساخطًا عليه .. فعاد الرسول ليخبره عن رضا الأمير .. فقبل الوظيفة والهبة[2].. لقد كان في تصرفه تعبير عن أنفته وعفته ..

***

وإذا تجاوزنا أخباره القليلة ، التي وصلت إلينا ، وحاولنا أن نتعرف على شيء من أحواله الشخصية ، من حصيلة أشعاره ، التي بقيت في بعض المصادر .. على ضآلتها هي الأخرى . لم نكد نجد شيئا ذا بال .. فما حفظت المصادر إلا قصائد مديحه أو بعضها أو نتفًا منها أو من بعضها .. وهي في مجملها تدور حول الثناء على ممدوحيه .. وقد يدلف إلى المديح ، بشئ من الغزل على طريقة الشعراء قبله ، وفي عصره .. وقد يضمن قصائده شيئا من الحِكَم التي تتسم بالتعميم وليس فيها خصوصية التجربة . ولكننا لا نعدم شيئا من الحديث الذاتي ، في ساعة ضيق أو ملل ، أوضعف بشري ، أو في أبيات شوارد هنا وهناك .. ولكن حتى في هذه النفثات ، لا نجد شيئا صريحا نستطيع أن نعرف عن طريقه ملامح بارزة عن بيته وأسرته .

لقد مرّ بنا أنه كانت له وظيفة عند الوالي تصرف لأجله ولأجل عياله ، مما نستنتج منه أنه رب عيال ، فهو إذن رب أسرة .. زوجة وأولاد . ونجده في بعض

(١) تنظر في مجموعة شعره .

(٢) هذه الأخبار كلها مصدرها الأغاني ترجمة الشاعر ج٣ ص ٢٨٦ و مابعدها طبعة دار الكتب .

أخباره يحلف بالطلاق[1]. مما يؤكد هذا الاستنتاج ، ونجد قطعة شعرية حزينة ، يشير فيها صراحة إلى (أم البنين) القرينة ، وتبدو وكأنها قطعة رثاء لها ، يشير فيها إلى الفراق ، والموت ، وتقلب الأيام ، والمصير الحتمي للإنسان .. وفيها يقول :

حيٍّ المنازل قد بلينـا
أقوين من مرّ السنينا
وسل الديار لعلهـا
تخبرك عن أم البنينا
بانت وكل قرينـة
يوما ، مفارقة قرينا

إلى آخر الأبيات الموجودة في ملحق شعره .

وقد أورد أبو الفرج هذه الأبيات دون أن يذكر مناسبتها وخبرها ..

مهما يكن الأمر ، فإنا نعد تلك النفثات خروجا عما لمسناه فيما وصل إلينا من شعره الذي تجنب فيه الحديث عن الذات .

من نفثاته ، حنينه إلى بلده المدينة ، حينما سافر إلى العراق لبعض شأنه فطال به مقامه، فقال يحن إلى المدينة :

وطربت إذ ذكر المدينة ذاكر
يوم الخميس فهاج لي بلبالا
فظللت أنظر في السماء كأنني
أبغي بناحية السماء هـلالا
طربا إلى أهل الحجاز وتـارة
أبكي بدمع مسبل أسـبالا

إلى آخر ما قال في هذه القصيدة ، التي يجدها القارئ في محلها من أشعاره ، وسيجد أنه يعبر في وضوح عن حنينه الجامح إلى بلده ، وبرمه بالمكث في العراق .

ولعل القارئ لم يفته أن الشاعر كان رقيق العاطفة ، يأخذه البكاء ، كلما حَزَبَه أمر يضيق به ، فهو هنا يعبِّر عن هذا الشعور بقوله «أبكي بدمع مسبل أسبالا» وسنجد ظاهرة البكاء جلية في شعره ، فهو الذي يقول :

وأبكي فلا ليلي بكت من صبابة
إليَّ ، ولاليلي لذي الود تبـذل

---

(١) الأغاني ٢٩١/٣ ، ترجمته .

بغض النظر عن المقصود بليلي هنا ، وهل هي ليلي حقيقية . أو هي قوسه كما أكده ، أو هي مجرد رمز لحالة نفسية ما .. وهو الذي يقول أيضا :

فقال خليلي والبكا لي غالب

أفاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّق

وفي هذه القصيدة يسترسل في وصف حالته البكائية ومدامعة .. مما يحمننا علي القول بأنه كان في حالة وَجْدٍ حقيقي لا افتعال فيه ، وليس مجرد تصوير شعري ، أو محاكاة لمن وقف على الدمن والأطلال من أسلافه الشعراء .. ويحسن مراجعة القطعة في موضعها من شعره لتَبِين الصورة المفصلة التي قدمها والتي يختمها بقوله:

وعاب رجال أن علقت وقد بدا

لهم بعض ما أهوى وذو الحلم يعلق

ويكشف لنا هذا البيت الأخير، وأضرابه ، وإشارات بعض أخباره ، أن الشاعر كان من التعقل بحيث تستغرب منه بعض المواقف الوجدانية ، التي كان يضعف فيهاعما يعلم عنه من جلد أو (حلم ) كما عبر . أو كما وصف في بيته التالي :

فداويت وجدي باجتناب ، فلم يكن

دواء لما ألقاه منها التجنبُ

هذه النفثات الوجدانية ، التي تخللت أماديحه ، رشحت شعره الوجداني للغناء ، فوجدنا له أكثر من قطعة مغنَّاة ، بل وجدنا له قطعة من المئة المختارة ، التي قام عليها كتاب الأغاني كله .

ومهما قيل عن وجدانياته ، فإن ابن المولى كان صارما في كتمان تفاصيل ذلك الوجد، وآثاره .. وكأنما يحتسب ذلك من تمام مروعته ، ومظهرا من مظاهر شخصيته التي أهلته أن يعدّ من علِيَّة القوم في أهل بلده .

وكان ابن المولى ، على ما يبدو من أخباره وأشعاره ، شديد الارتباط ببلده ، لا يكاد يغادرها حتى يعود إليها مهما طال به المدى هنا أو هناك ، بين العراق ومصر ، أو ربما غيرهما .. فهو في العراق يضجر ، ولا يكتم ضجره ، وهو في مصر يتعرض لحالة مرضية شديدة ، تحمل مضيفه (يزيد بن حاتم المهلبي) على الإشفاق عليه ، لئلا يتحمل مشاق السفر بعد ذلك ، مكتفيا بما يذل له من عطاء ، طبقا لقوله مخاطبا ممدوحه :

إني لأرجو إن لقيتك سالما
ألا أعالج بعدك الأسفارا

وقال له حينما جاء لعيادته بعد أن نقه: لوددت والله يا أبا عبد الله ألا تعالج بعدي الأسفار حقا !

## بيئته وأصدقاؤه

### ١ - بيئته :

عاش ابن المولى ما بين حوالي منتصف القرن الهجري الأول ، وحوالي منتصف القرن الهجري الثاني ، وشهد طرفا من عهد الأمويين ، وأوائل الخلفاء العباسيين .. فهو من مخضرمي الدولتين .

وهذه الفترة شهدت تغيرا في السياسة ، والفكر ، والأدب ، وفي الأخلاق الاجتماعية ، وطريقة الحياة ذاتها .

وأبرز الأحداث السياسية في هذا العهد انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين ، بعد تضافر جهود العلويين وأتباعهم إلى اقتلاعه من أيدي الأمويين ، وإن لم يصل إلى أيديهم ، حيث استطاع العباسيون أن يستولوا عليه لأنفسهم ، وأن يؤول الأمر إليهم وأن يخلف ذلك سلسلة من الثورات والقلاقل والاضطرابات ، كان الخلفاء العباسيون المؤسسون يقضون عليها بحزم وشدة .

وفي هذه الفترة التي نتحدث عنها ظهر في المدينة (النفس الزكية) ، الذي حاول الاستيلاء على السلطة ، ليردها إلى أبناء فاطمة .. وقد التف حوله رجال من أهل المدينة ، ولكن حركته لم تنجح ، وقضي المهديُّ عليها .. ولكنها دلت على وجود تيارات سياسية داخل المجتمع الإسلامى ، تعطف على العلويين وتتضامن معهم ، وتحمل السلاح في سبيل دعوتهم .. حتى بعد أن استقر الأمر من ناحية أمنية لبني العباس ، كانت تلك التيارات تطفو على السطح ، علي شكل قصائد ، تعبر بها الأطراف المتحمسة عن عقائدها السياسية .

والسياق هنا لا يتسع للتفصيل .. ولكني وجدت ضرورة الإلماح إلى هذه التيارات التي بسطتها كتب التاريخ الأدبي ، وخاصة منها ما رصد الحركة الأدبية في القرنين الأولين من الهجرة .

المهم في الأمر هنا ، أن نعرف موقف ابن المولي من الأحداث التي كانت تمور في عصره ..

لم تنقل إلينا أخباره القليلة التي وصلت إلينا ، على الأقل في حدود اطلاعي ، ما يدل على اتخاذه موقفا محددا مع العلويين أو ضدهم ، مع أن أهل المدينة ، قد انضموا أو جلّهم إلى حركة النفس الزكية .

ولكننا نجد في شعره قصيدة يمتدح فيها الخليفة المهدي ، ويعرِّض خلالها بالعلويين ، ويذكر أن لا حقّ لهم في الخلافة ، وهي القصيدة البائية ، التي يقول فيها[1] :

إذا ذكرت يوما مناقب هاشم
فإنكمُ منها بخير المناصب
ومن عيب في أخلاقه ونصابه
فما في بني العباس عيب لعائب
وإن أمير المؤمنين ورهطه
لأهلُ المعالي من لؤيٍّ بن غالب
أولئك أوتاد البلاد ووارثو النبـ
ـيِّ بأمر الحق ، غير التكاذب
وما نقموا إلا المودة بينهم
وإن غادروا فيهم جزيل المواهب
وأنهم نالوا لهم بدمائهم
شفاء نفوس من قتيل وهارب
وقاموا لهم دون العدا وكفوهم
بسمر القنا ، والمرهفات القواضب
وحاموا على أحسابهم وكرائم
حسان الوجوه ، واضحات الترائب

ولكن هل قال ابن المولى هذه المقالة التي أرضى بها الخليفة وأسخط العلويين عن عقيدة ، أو عن مذهبية سياسية ، أو أن الأمر لديه لا يعدو أنه قال ما قال، ليمدح الخليفة بما يشتهي ، وينال أعطياته ؟

يبدو أن الافتراض الأخير هو السليم، فلم يؤثر عن الشاعر أنه كان ملتزما باتجاه سياسي معين ، وليس في شعره الذي وصل إلينا انحياز إلى معسكر ما إلا هذه القصيدة التي عاتبه فيما بعد على ما جاء فيها (الحسن بن زيد) ، أحد أعلام العلويين وأمير المدينة من قبل الخليفة المهدي ذاته ، وحينما تأخرت

(١) تنظر في شعره قافية الباء .

عليه وظيفته السنوية (قاعدته السنوية) من قبل هذا العامل ، ويبدو أنه أخرها عامدا ليغيظه .. دخل الشاعر عليه مسترضيا ، ممتدحا له بقصيدته التي يقول فيها:

هاج شوقي تفرّق الجيران
واعترتني طوارقُ الأحــزان[1]

وفيها يقول له :

فضله واضح برهط أبي القاسم
رهط اليقــــين والإيمــــان
هم ذوو النور والهدى ومدى الأ
مر وأهـــل البرهـــان والعـــرفان
معدن الحق ، والنبـوة والعـــد
ل إذا ما تنــازع الخصمــــان

وهو في هذا يناقض ما قاله هناك ، ويجعل العلويين هم معدن الحق ، وإن فضلهم واضح إذا ما تنازع الخصمان.. أي أنهم يرجحون على الفريق الآخر .

تقول القصة التي يرويها صاحب الأغاني ، في ترجمة الشاعر إن الحسن ابن زيد قال له وهو يؤنبه : .. أما إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا ، وأما إذا مضيت إلى العراق فتقول :

وإن أمير المؤمنين ورهطــــــه
لرهط المعالي من لؤي بن غالب
أولئك أوتاد البلاد ووارثو النبي
بأمر الحق ، غير التكـــــاذب

فقال له : أتنصفني يا ابن الرسول أم لا ؟ فقال : نعم ، فقال : ألم أقل : وإن أمير المؤمنين ورهطه . ألستم رهطه ؟ فقال : دع هذا .. ألم تقدر أن ينفق شعرك ومديحك إلاّ بتهجين أهلي ، والطعن عليهم ، والإغراء بهم حيث تقول:

وما نقموا إلا المــودة منهــمُ
وإن غادروا فيهم جزيل المواهب
وأنهمُ نالوا لهــــم بدمائهــم
شفاء نفوس من قتيل وهـــارب

فوجم ابن المولي وأطرق ، ثم قال : ياابن الرسول ، إن الشاعر يقول ويتقرب بجهده ، ثم قام فخرج من عنده منكسرا ، فأمر الحسن وكيله أن يحمل إليه وظيفته ويزيده فيها ففعل ، فقال ابن المولي : والله لا أقبلها وهو عليّ ساخط. فأما إن قرنها بالرضا فأقبلها ، فأما إن أقام وهو ساخط عليّ البتة فلا ! فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره فقال له : فقل له : قد رضيت فاقبلها .

(١) تنظر القصيدة في موضعها من قافية النون .

وجدير بالذكر أن الحسن إنما جرى حواره أو تأنيبه مع الشاعر في خلوة احترازاً أن يبلغ خبرها إلى الخليفة ، وأن توبيخه لم يخل من بعض الشتائم[1] .

وندرك من هذه القصة ، أنه قال للخليفة المهدي العباسي : أنتم أصحاب الحق .. ثم عاد فقال ذلك نفسه للحسن ابن زيد العلوي .. فهل فعل ذلك لأنه تذبذب بين التيارين .. أو أنه فعله لأنه شاعر مداح أراد أن يرضي ممدوحه ؟ إني أذهب للرأي الأخير ، الذي صرح به الشاعر نفسه حينما قال : إن الشاعر يقول ويتقرب بجهده .. ويعني أن الشاعر المداح ليس له موقف محدد صريح ..

وقد صنَّف الأصمعي (ابن المولي) ضمن الشعراء المحسنين المداحين من المولّدين ، في رواية عن يموت بن المزرع[2] عن الجاحظ[3] عن الأصمعي، جاءت في تاريخ دمشق لابن عساكر، في ترجمة يزيد بن حاتم ، حينما قال له الأصمعي : يا أبا عثمان ، ابن المولي من المحسنين المداحين ، ولقد أسهرني في ليلتي هذه حسن مديحه يزيد بن حاتم حيث يقول :

وإذا تباع كريمة أو تشتري
فسواك بائعها وأنت المشتري
وإذا تُخيِّلُ من سحابك لامع
سبقت مخيلتُه يدَ المستمطر
وإذا صنعت صنيعة أتممتها
بيدين ليس نداهما بمكدر
وإذا الفوارس عُددت أبطالها
عَدُّوك فى أبطالهم بالخنصر

ولا نستطيع القول إن ابن المولى كان ذا خط سياسي معين ، انغمس فيه، ثم عدل عنه ، مالم نجد على ذلك دليلا ، كما لا نجد اسمه ضمن رجال من أهل المدينة ، من أعلامها وأبطالها وشجعانها، وشعرائها الذين عضدوا

(١) الأغاني ٣/٢٩٤ ، طبعة دار الكتب .
(٢) يموت بن المزرع : ابن أخت الجاحظ ، شاعر أديب عالم ت ٣٠٤ هـ = ٩١٦ م .
(٣) وقد جاءت هذه الرواية أيضا (من طريق ابن عساكر) في وفيات الأعيان ٦/٣٢٥ ، لكن سقط منها اسم الجاحظ فأخلّ ذلك بسندها. وقد تنبه إلى هذا الخلل محقق وفيات الأعيان (الدكتور إحسان عباس) فقال في الهامش إنه يستبعد لقاء يموت بالأصمعي لأن هذا توفي حوالي ٢١٠ هـ ، ويموت مات سنة ٣٠٤ هـ .

حركة النفس الزكية ، التي انبعثت من المدينة ذاتها سنة ١٤٥ هـ وقد قتل في السنة نفسها ، مما يدل على أن ابن المولى قد اعتزل الفتنة .

## ٢ - أصدقاؤه :

ونستطيع أن نتعرف من بعض أخباره ، على عدد من أصدقائه الذين يخصهم بمودته ، ويغدون ويروحون معه.

فهذا خبر في الأغاني ، في ترجمته ، يرويه عبد الملك بن عبد العزيز ، أنه خرج (أي من المدينة) إلى قباء في رفقة من الأصدقاء هم أبو السائب المخزومي ، وعبيد الله بن مسلم بن جندب ، وابن المولى ، وأصْبَغ بن عبدالعزيز بن مروان ، وكان ابن المولى متنكبا قوسا عربية ، فأنشد ابن المولى لنفسه :

وأبكي ، فلا ليلى بكت من صبابة
إليّ ، ولا ليلي لذي الود تبذل
وأخنع بالعتبى إذا كنت مذنبا
وإن أذنبتْ ، كنت الذي أتنصل

وقد حملهم شعره هذا على أن يسألوه عن ليلاه هذه التي دعته إلى البكاء ، وجعلته يخنع بالعتبى إذا صدر منه ذنب، أما إن صدر الذنب عنها هي ، فهو الذي يبادر بالتنصل والتماس العذر - لعلهم يستطيعون أن يحملوها إليه .. ولكن الشاعر يقول : ما هي إلا قوسي هذه سميتها ليلى !

ولكي نستطيع أن ندرك مكانة ابن المولي في مجتمع المدينة ، لابد أن نتعرف على هؤلاء الأصدقاء فمن هم ؟

أما عبد الملك فهو ابن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون .. فهو ابن الماجشون ، أبو مروان التيمي بالولاء (ت٢١٢ هـ = ٨٢٧م) ، وهو فقيه مالكي فصيح ، كانت له الفتيا في عهده ، كما كانت لأبيه من قبله ، قيل كان أعمى ، وقيل عمي في آخر عمره ، تفقه علي الإمام مالك ، وعلى أبيه عبد العزيز وغيرهما ، كان مولعا بسماع الغناء ، وحدّث ، وكان من الفصحاء ، تأدب في خؤولته من كلب بالبادية ، مات سنة ٢١٢هـ = ٨٢٧ م ، وقيل في وفاته إنها

كانت سنة ثلاث عشرة ، وأربع عشرة[1] .

وكما عني أبناء الماجشون بالعلم والفقه والحديث ، فقد عنوا أيضا بالأدب والفن ، فكان عبد الملك فقيها ، وأديبا ، وناقدا .. يتذوق الشعر ، ويقدِّر الجيد منه .. فلا غرو أن انعقدت صلاته وصداقاته مع عدد من الشعراء ، الذين يغشون مجلسه ، أو يسعى هو إلى مجالسهم كما في قصته هذه مع ابن المولى .

***

أما أبو السائب المخزومي ، فهو شخصية ظريفة ، يتردد اسمه في كتب الأدب ، وفي كتب الحديث ، فهو أيضا من رواته .. ولكنني لم أستطع أن أعثر له على ترجمة[2].

وأما عبيد الله[3] بن مسلم بن جندب، فإنا نجد اسمه يتردد في مجالس الأدب والوفادة على الخلفاء ، في صحبة عبد الله بن مصعب ، وخاصة في مجلس الخليفة الهادي ، حيث يروي عبد الله بن مصعب ، الأمير الشاعر ، أنه كان أجرأهم على الخليفة .. في قصة طويلة[4] ..

وقد ذكره الصفدي في (الوافي بالوفيات) ٦٠٩/١٧ تحت عنوان (ابن جندب القارئ) ، في الترجمة ٥١٧ فقال:

«عبد الله بن مسلم بن جندب بن حذيفة بن عمرو بن زهير بن خِداش الهذلي القارئ .. أحد القراء الرواة ، قرأ عليه نافع بن أبي نعيم ، وحدَّث عنه ابن أبي ذئب وغيره . ودخل على المهدي مع القراء فأخذ عشرة آلاف درهم ، ثم دخل

(١) الأعلام ، وفيه مصادره ، وينظر وفيات الأعيان الترجمة ٣٧٧ ، وأشار محققه الدكتور إحسان عباس في الهامش إلى مصادر ترجمته .
كما ترجم صاحب الوفيات للماجشون الذي تنسب إليه الأسرة ، تنظر فيه الترجمة ٨٢٣ وهي مذيلة بترجمة عبد العزيز بن عبد الله ، والد عبد الملك ، كما دل المحقق على مصادر ترجمتهما .

(٢) ورد ذكره في (المقتنى في سرد الكنى) للذهبي ٢٥٨/١ . وفي ميزان الاعتدال ٥٢٧/٤ . وفي لسان الميزان لابن حجر ٥٠/٧ .

(٣) هذا تصحيف في (الأغاني) – والله أعلم – والصواب عبد الله كما يأتي في ترجمته .

(٤) معجم الأدباء لياقوت ١٦٢/١٦ في قصة رواها عبد الله بن مصعب قال : كنا جماعة نجالس الخليفة الهادي ، أنا ، وسعيد بن سلم الباهلي ، وابن دأب الليثي ، وعبد الله بن مسلم العزيزي ، وكان أجرأنا عليه .. فخرج الهادي علينا يوما مغضبا متغيرا ، فسأله عبد الله بن مسلم عن سبب الغضب والتغير.. الخ .

عليه في الرواة ، فأخذ عشرة آلاف درهم ، ثم دعي في المغنين فأخذ عشرة آلاف درهم ، ثم دعي في القصاص . فقال المهدي : لم أر كاليوم أجمع لما لم يجمع الله في أحد منك ! وكان ظريفا غزلا ، وهو أحد الكملة»[1] .

أما أصبغ بن عبد العزيز ، فهو غالبا ، الأصبغ بن عبد العزيز المدني ، مولي خزاعة ، شاعر ، ذكره الصفدي في (الوافي بالوفيات ٢٨٠/٩ في الترجمة ٤٢٠٣) ، وقال «هو القائل يمدح جعفر ابن سليمان الهاشمي :

حلفت بما حجت قريش لبيته
وما وضعت بالأخشبين رحالها
لقد أهلّت أرض بها حلّ جعفر
وما عدمت معروفها وجمالها

وقال يمدح عبد العزيز بن المطلب المخزومي :

إذا قيل من للعدل والحق والنهي
أشارت إلى عبد العزيز الأصابع
أشارت إلى حر المحامد لم يكن
ليدفعه في غاية المجد دافع»[2]

***

ومن أصدقائه أيضا عبد الله بن مصعب الزبيري ، وهو أمير ، شاعر ، وجيه من ذوي الصدارة ، وسيأتي الحديث عنه في ممدوحيه .

---

(١) لم يترجمه في الإعلام ، ولم يذكر الصفدي شيئا عن وفاته ، ولكن من الواضح أنه عاش مخضرما بين العهدين الأموي والعباسي ، ويذكر الصفدي في بقية خبره ، خبرا يذكرنا بموقف الحسن بن زيد في ولايته للمدينة ، حينما لام ابن المولى لتشبيبه في قوله :
وابكي فلا ليلي بكت من صبابة .. حتى حلف له أنها قوسه ، يقول خبر ابن جندب إن الحسن حينما ولي المدينة منع ابن جندب أن يؤم الناس ، فلما سأله عن السبيب قال : منعك منه يوم الأربعاء ، يريد قوله من أبيات:

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ... ينفك يحدث لي بعد النهي طربا
إذ لا يزال غزال فيه يفتنني ... يهوى إلى مسجد الأحزاب منتقبا
يخبر الناس أن الأجر همته ... وما أتى طالبا للأجر محتسبا
لو كان يطلب أجرا ما أتى ظهرا ... مضمخا بفتيت المسك مختضبا

أما قول الصفدي : وهو أحد « الكملة » ، فقد قال ابن سعد في الطبقات الكبرى ج٣ص٦٢٢ (الكامل : الذي يكتب ويحسن العوم والرمي) .

(٢) لم يترجم له الزركلي في الأعلام ، ولكنه ترجم للأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، أمير ، من بني أمية توفي سنة ٨٦ هـ = ٧٠٥ م ولا أظنه المقصود ، فالأليق أن يكون الخزاعي الذي ذكرت فهو مدني ، أما الأمير فقد كان بمصر ، وهو ليس من طبقة صاحبنا .

ونجد في أخبار ابن المولي ما حدّث به عبد الله بن مصعب الزبيري، قال :[1]

وفدنا إلى المهدي، ونحن جماعة من قريش والأنصار، فلما دخلنا عليه سلمنا ودعونا وأثنينا، فلما فرغنا من كلامنا أقبل عليَّ ابن المولى فقال : هات يا محمد ما قلت فأنشده :

نادى الأحبة باحتمال

إن المقيم إلى زوال

إلى آخر القصيدة التي يجدها القارئ في مكانها من شعره.

وندرك من هذا الخبر أنه كان معدودا من وجهاء القوم، وأنه كان يشترك مع الوفود، ضمن وفد الأنصار، وأنه كان معروف المكانة الاجتماعية والأدبية.

## ممدوحوه

أما الذين قصدهم بأماديحه، فكانوا نخبة من الرجال، كان يتخيرهم تخيرا. وكان كأنما يمدحهم عن عقيدة جازمة، بأنهم أهل للمدح والثناء .. لكي تكون كلماته فيهم صادرة عن صدق ويقين .. بل لقد كان يبدو أحيانا أنه يمدحهم وكأنه لا يرجو جوائزهم، وإنما يراهم أهلا للمدح، لأنهم رشحوا أنفسهم له .. ولا غرو بعد ذلك أن جاءت مدائحه في هؤلاء بارعة تنم عن صدق يجاور البراعة والجودة.

تنقل إلينا الرواية أنه فعل ذلك مع رجلين عظيمين، امتدحهما قبل أن يلتقي بهما، وقبل أن ينال من جوائزهما شيئا، وهما عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي[2]، ويزيد بن حاتم المهلبي[3] القائد المشهور بفتوحاته وأعطياته.

أما عبد الملك، فكان من أعظم خلفاء بني أمية، (٢٦-٨٦هـ) وكان فقيها، واسع العلم، قال عنه الشعبي : «ما ذاكرت أحدا إلا وجدت لي الفضل عليه، إلا عبد الملك فما ذاكرته حديثا ولا شعرا إلا زادني فيه».

(١) الأغاني، ترجمة ابن المولى ٢٩٩/٣ من طبعة الدار.
(٢) الأغاني، ترجمته ينظر ٢٩٠/٣ من طبعة الدار.
(٣) الأغاني، ترجمته ينظر ٢٩٠/٣ من طبعة الدار.

يقول الأصفهاني في روايته : « قَدِم عبد الملك بن مروان المدينة ، وكان ابن المولي يكثر مدحه ، وكان يسأل عنه من غير أن يكون التقيا ، فلما قدم عبد الملك المدينة قدم ابن المولى ، لما بلغه من مسألة عبد الملك عنه ، فوردها وقد رحل عبد الملك عنها ، فأتبعه فأدركه بإضَم[1] بذي خُشُب[2]، بين عين مروان[3] ، وعين الحديد[4] ، وهما جميعا لمروان ، فالتفت عبد الملك إليه ، وابن المولى على نجيب متنكبًا قوسًا عربيةً فقال له عبدالملك : ابن المولي؟ قال : لبيك ياأمير المؤمنين . قال : مرحبا بمن نالنا شكرُه ، ولم ينلْه منا فعل . ثم قال : أخبرني عن ليلى التي تقول فيها :

وأبكي فلا ليلي بكت من صبابة
إليّ ، ولا ليلي لذي الود تبذل

والله لئن كانت ليلى حرة لأزوجنكها ، ولإن كانت أمة لأبتاعنّها لك بما بلغت !

فقال : كلا ياأمير المؤمنين ، والله ما كنت لأذكر حرمة حر أبدا ولا أمته والله ما ليلي إلا قوسي هذه ، سميتها ليلي لأشبب بها ، وإن الشاعر لا يُستطاب إذا لم يتشبب . فقال له بعد الملك : ذلك والله أظرف لك . فأقام عنده يومه وليلته ينشده ويسامره . ثم أمر له بمال وكسوة، وانصرف إلى المدينة » .

***

أما الشخص الآخر .. وهو يزيد بن حاتم المهلبي .. فهو أمير قائد شجاع توفي سنة ١٧٠ هـ (٧٨٧م) ، وَلِيَ مصر سنة ١٤٤ هـ للمنصور . ومكث سبع سنين وأربعة أشهر ، وصرفه المنصور سنة ١٥٢ هـ ، ثم ولاه إفريقية (تونس) سنة ١٥٤ هـ ، واستقر واليا عليها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر .

كان جوادا ممدوحا شديد الشبه بجده المهلب في الدهاء والشجاعة[5].

(١) إضيم : اسم الوادي الذي تجتمع فيه أودية المدينة .
(٢) ذو خُشُب - بضمتين - " واد على ليلة من المدينة ، وهو أسفل مجتمع أودية المدينة .
(٣) عين مروان : بإضَم .
(٤) عين الحديد : بإضَم .
(٥) الأعلام للزركلي .

يروي الأصفهاني عن لقاء ابن المولي به ، رواية تشبه روايته عن عبد الملك ولكن الراوي هذه المرة هو ابن المولى نفسه :

« كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه ، فلما ولاه المنصور مصر ، أخذ على طريق المدينة فلقيته ، فأنشدته وقد خرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن صار إلى مسجد الشجرة ، فأعطاني رِزمتَي[1] ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريتُ بها ضِياعًا تُغِلُّ ألفَ دينار ، أقومُ في أدناها وأصيح بقَهِمي ولا يَسمعني وهو في أقصاها .

وتقول إحدى روايات الأغاني إنه استفرغ مدحه في يزيد ، وإنه قال فيه قصيدته التي يقول فيها :

يا واحد العرب الذي دانت لـه
قحطان قاطبة ، وساد نزارا[2]
إني لأرجو إن لقيتــك سـالما
ألا أعالـــج بعدك الأســـفار

ولا عجب أن يقول الراوي ، وهو عبد الملك الماجشون ، أحد أصدقاء ابن المولى أن الشاعر استفرغ مدحه ، أو أعطى أجوده وأعلاه وأصدقه في هذا الأمير ، فقد كانت أعطياته السخية تحضّه على هذا الإحسان والتجويد وكأنَّ الشاعر كان يحس بالاكتفاء ، مما أغدق عليه ممدوحه هذا ، ويعبر عن ذلك في قوله : (إني لأرجو إن لقيتك سالما ، ألا أعالج بعدك الأسفار) .

وهذا السخاء العجيب كان يحث الشاعر أيضا على أن يلهج بذكر الأمير يزيد ، ويكرر زياراته له ، أنّي ذهب الأمير ، مما وثّق عري الألفة بين الرجلين .. وهذا ما يدل عليه خبر هذه الأبيات ، فقد قصده بها في مقر إمارته بمصر (أي ما بين سنة ١٤٤و١٥٢هـ) ، فأنشده إياها فأعطاه حتى رضي ، وهنا تقول الرواية[3] إن الشاعر مرض عنده بمصر مرضا طويلا ، وثقل حتى أشفي (أشرف على الموت) ، فلما أفاق من علته

(١) الرزمة من الثياب : ماشُدّ في ثوب واحد .
(٢) الأغاني ، ترجمة ابن المولى ٣/٢٩٠ من طبعة الدار .
(٣) ترجمة ابن المولى في الأغاني ، ٣ / ٢٩٠ من طبعة الدار .

ونهض ، دخل عليه يزيد يتفقده ، ويتعرف خبره .. حيث قال له : لوددتُ والله – يا أبا عبد الله – ألا تعالج بعد الأسفار حقا ! ثم أضعف صلته .

وواضح أن الأمير يشير إلى بيت الشاعر الذي سلف .. وأغلب الظن أنه أشفق عليه من تقدم السن .

ومما يؤسف له أن هذه القصيدة الرائعة ، لم أجد منها في آثاره الباقية إلا أبياتا ثلاثة ، يجدها القارئ في القسم الخاص بالأشعار ، من هذا الحديث .

وفي يزيد بن حاتم ، قال ابن المولى قصيدته الرائعة التي يقول في مطلعها :

ألا يا لقومي هل لما فات مطلب
وهل يُعذرن ذو صبوة وهو أشيب

وهي قصيدة جميلة ، من حسن الحظ أنها نقلت إلينا كاملة ، أو معظمها[1] (تراجع في شعره)

وفي يزيد بن حاتم قال ابن المولي قصيدته التي نال بعض أبياتها شهرة مستفيضة ، وقد تكون أجود ما قال ومنها :

وإذا تباع كريمة أو تشترى
فسواك بائعها وأنت المشتري

(تنظر في موضعها من شعره) .

وكان الخليفة المهدي (١٦٩هـ=٧٨٥م) من ممدوحي الشاعر ابن المولى ، يقدم عليه في بغداد فينشده من أشعاره .. ومن ذلك قصيدته القافية التي مطلعها :

سلا دار ليلي هل تبين فتنطق
وأنّي ترد القول بيداء سملقُ

وقد استحسنها الخليفة ، وأجزل صلته ، وأمر أن يغني في نسيب القصيدة (تنظر في مجموعة شعره) .

وقدم عليه أيضا فمدحه بقصيدة يقول فيها :

وما قارع الأعداء مثلُ محمد
إذا الحرب أبدت عن حجول الكواعبِ

وهي التي عّرض فيها بآل أبي طالب، فوصله المهدي بصلة سنية ، أنفق منها وبنى داره ، وحسن مظهره .

ويبدو أن أول صلته بالمهدي ، حينما ولى الخلافة فحج[2] وأتي المدينة ، وبسط يده بالعطاء فى قريش والأنصار ، وفرّق

(١) الأغاني ، ترجمة ابن المولى ٣/٢٩٠ من طبعة الدار .
(٢) تولى الخلافة آخر سنة ١٥٨ هـ ، وحجج بالناس سنة ١٦٠ هـ .

أموالا عظيمة ، بعدما أصاب الناس من جهد أيام أبيه ، لاشتراكهم في حركة النفس الزكية (محمد بن عبد الله بن حسن) ، وقد التف الناس حول المهدي ، وأحبوه وقصده الشعراء بالثناء ، وحينما التقوا به بحث عن أبن المولي ، وأمر بتقريبه ، فقرب منه .. وقال له : هاتِ يامولي الأنصار ما عندك ؟ فأنشده قصيدته :

ياليلَ لا تبخلي ياليلَ بالزاد

واشفي بذلك داء الحائم الصادي

(تنظر القصيدة في موضعها من أشعاره) .

حتى أتى على آخرها ، فأمر له بعشرة آلاف درهم وكسوة ، وأمر صاحب المخصصات الجارية أن يجري له ولعياله[1] في كل سنة ما يكفيهم ، وألحقهم في شرف العطاء (أي الأعطيات الفضلى) .

وروي عبد الله بن مصعب الزبيري[2]:

«وفدنا إلى المهدي ، ونحن جماعة من قريش والأنصار ، فلما دخلنا عليه ، سلمنا ودعونا وأثنينا ، فلما فرغنا من كلامنا أقبل علي ابن المولى فقال: هات يامحمد ما قلت . فأنشده :

نادي الأحبة باحتمال

إن المقيـم إلى زوال

(الخ القصيدة وهي في مجموعة شعره).

فأمر له خاصة بعشرة آلاف درهم معجلة ، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة ، وأعطاه مثل ما أعطاهم ، وقال : ذلك بحق المديح . وهذا بحق الوفادة[3] .

وهذا الخبر وغيره مما سلف ، يدل على اهتمام المهدي اهتماما خاصا بالشاعر والالتفات إليه كلما رآه ، واستنشاده من شعره ، مما يدل على مكانته عنده .

***

ومن ممدوحيه جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، وهو أمير عباسى ، ولي إمارة البصرة والمدينة واليمن ، ت ١٧٧ هـ[4] .

---

(١) تراجع الأغاني ، ترجمة الشاعر ٢٩٨/٣ من طبعة الدار .
(٢) أمير شاعر من ذرية عبد الله بن الزبير . ستأتي ترجمته .
(٣) تراجع الأغاني ، ترجمة ابن المولى ، طبعة الدار ٣٠٢/٣ .
(٤) لم يترجمه الزركلي في الأعلام ، وأخباره مبثوثة في كتب التاريخ والأدب . ينظر فهرست تاريخ الكامل .

وقد قدم ابن المولي البصرة ، فأتي جعفر بن سليمان ، فوقف في طريقه وقد ركب ، فأنشده :

كم صارخ يدعو وذي فاقة

يا جعفَر الخيرات يا جعفرُ

والأبيات الأربعة مذكورة في محلها من قافية الراء من مجموعة شعره ، الملحق بهذا الحديث(١).

ويقول صديقه عبد الملك بن الماجشون : إنه كان مدّاحا لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العباس الهاشميين ، ويزيد بن حاتم ، وإنه استفرغ مدحه في هذا الأخير(٢).

***

ومدح (الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب) ، (٨٣-١٦٨هـ = ٧٠٢-٧٨٤م) وهو أبو محمد ، وقد ولي إمارة المدينة ، وهو والد السيدة نفيسة ، وشيخ بني هاشم في زمانه(٣).

وقد كانت للشاعر وظيفة لديه (أي مخصص أو مقرر سنوي) ولعله هو المقرر الذي فرضه له الخليفة المهدي فيما سلف من أخبار أماديحه له .

فدخل الشاعر على الحسن فامتدحه بقصيدة مطلعها :

هاج شوقي تفرّق الجيران

واعترتني طوارق الأحزان

(القصيدة في مجموعة شعره الملحق بهذا الحديث)

وفي القصيدة ثناء عليه وعلي ذويه من آل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلفت خبر القصة ، وأن الحسن لامه ، لأنه ذهب إلى العراق فامتدح المهديَّ وقال له :

وإن أمير المؤمنين ورهطه

لرهط المعالي من لؤيٍّ بن غالب

أولئك أوتاد البلاد ووارثو النبـ

ـبيِّ بأمر الحق غير التكاذب

وإذا عاد إلى الحجاز ، امتدحه بما يخالف ذلك . ويبدو أن كلمة ( غير التكاذب ) كانت شديدة الوطأة على

(١) الأغاني : ترجمة ابن المولى طبعة الدار ٣٠٢/٣ .
(٢) الأغاني : ترجمة ابن المولى طبعة الدار ٢٩٠/٣ .
(٣) تنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ، وقد ولي إمارة المدينة من قبل المنصور سنة ١٥٠هـ بعد عزل جعفر بن سليمان ، ومكث بها إلى أن عزله سنة ١٥٥ هـ .

العلويين من أمثال الحسن بن زيد بالإضافة إلى قوله :

ومانقموا إلاّ المودة منهم
وإن غادروا فيهم جزيل المواهب
وأنهمُ نالوا لهم بدمائهم
شفاء نفوس من قتيل وهارب

ولكنه عاد فقدر موقفه ، موقف الشاعر المداح ، يرضي ممدوحه بما يسره من القول ، فأعطاه وظيفته التي كان منعه إياها .. بل زاده عليها ، فقبل بعد امتناع ثم استرضاء ، فامتدحه كرّة أخرى بأبياته :

سألتُ فأعطاني وأعطى ولم أسل
وجاد كما جادت غوادٍ رواعد

(الأبيات في مجموعة أشعاره)[1].

وجدير بالذكر ، ما دمنا في حديث علاقته بالحسن بن زيد ، أن هناك قصة أوردها صاحب الأغاني[2] ، تقول ، إنه دعا بابن المولي فأغلظ له ، وقال : أتشبب بحرم المسلمين ، وتنشد ذلك في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي الأسواق والمحافل ظاهراً ! فحلف له بالطلاق أنه ما تعرض لمحرم قط ، ولا شبب بامرأة مسلم ، ولا معاهد قط . قال: فمن ليلي هذه التي تذكر في شعرك؟ فقال له : امرأتي طالق إن كانت إلاّ قوسي هذه سميتها ليلي لأذكرها في شعري ، فإن الشعر لا يحسن إلا بالتشبيب . فضحك الحسن ، ثم قال : إذا كانت القصة هذه فقل ما شئت .

***

ورأينا من رواية عبد الملك بن الماجشون السالفة ، أن من ممدوحيه (قُثَم بن العباس) .. فمن هو هذا الممدوح؟ وأين أشعاره فيه ؟ .

(١) القصة في ترجمة ابن المولي بالأغاني ، ينظر طبعة الدار ٢٩٣/٣ ومابعدها ، ومما يستحق التأمل ، أن الحسن بن زيد عزل عن إمارة المدينة سنة ١٥٥ هـ من قبل المنصور ، كما في تاريخ الكامل لابن الأثير ، أي قبل خلافة المهدي ، والقصة في الأغاني تدل على أن أحداثها كانت على عهد المهدي بل راويها هو مولى الحسن بن زيد نفسه . أي أن الحسن لم يكن أميرًا على المدينة في عهد المهدي . إلا أن يكون مسئولا عن توزيع المخصصات والأموال .

(٢) الأغاني ترجمة ابن المولى . ينظر من طبعة الدار ٢٩١/٣ .

قثم بن العباس المقصود هنا[1] هو قثم ابن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، المتوفي سنة ١٥٩هـ=٧٧٦م : أمير ولاّه المنصور العباسي إمرة اليمامة سنة ١٤٣ هـ ، فأقام فيها إلى أن توفي المنصور ، وولي المهدي ، فكتب هذا بعزله ، ولكن الكتاب وصل إلى اليمامة بعد وفاته[2] .

وما عثرت إلاّ على بيت واحد فريد في مدح (قثم بن العباس) ، أوردته في مجموعة شعره ، هو قوله :

عتقت من حِلٍّ ومن رحلتي

يا ناق إن أدنيتني من قثم

وقد ورد في (نسب قريش) للمصعب الزبيري ، ولكن صاحب الأغاني أورده منسوبا إلى داود بن سلم (ت١٣٢هـ) ضمن قصيدة يمدح بها قثم بن العباس[3].

فإن انتفي عن شاعرنا هذا البيت الفرد ، فيكون قد انتفى وصول أي شعر له في مدح قثم .

ونجد من بين ممدوحيه (عبد الله بن مصعب الزبيري) المتوفي سنة ١٨٤هـ=٨٠٠م ، وكان أيضا ممن ولي إمارة المدينة ، وقد أوردت له أبياتا في مديحه ، في مجموعة شعره أولها[4] :

ولما رأيت الناس بين مبلد

حرون ، وصعب ظهره شر مركب

أخذت بحبل من حبال ابن مصعب

قريع قريش ، والهجان المهذب

ونجد من سيرته أن عبدالله بن مصعب ، كان من رواة بعض أخباره فهو الذي روى قصيدته التي يمدح فيها المهدي :

نادي الأحبة باحتمال

إن المقيم إلى زوال

وكان ابن المولى ضمن وفد قدم على المهدي ، فيهم عبد الله بن مصعب .

(١) هناك قُثم بن العباس بن عبد المطلب ، توفي سنة ٥٧هـ ، وليس مقصودا هنا .
(٢) الأعلام للزركلي .
(٣) الأغاني ٢٠/٦ و١٦٩/٩ من طبعة دار الكتب .
(٤) الأبيات في (جمهرة نسب قريش) للزبير بن بكار ص ١٣٣ ، وربما كانت من قصيدة طويلة لم تصل إلينا .

### شعره المغني

من شعر ابن المولى ، ما تغنى به المغنون في عهده ، وبعد عهده ، إما بأمر من الخلفاء الذين كانوا يستحسنون أبياتا منه ، وإما أن يكون المغنون قد فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم .

ولابن المولي صوت من المئة المختارة من الأغنيات التي اختارها أبو الفرج الأصفهاني ، وبني عليها كتابه الضخم (الأغاني) ، وكان هذا الصوت سببا في إيراد ترجمة ابن المولي وكسب الأدب أوسع أخبار هذا الشاعر(١).

وهذا الصوت من بيتين هما :

سلا دار ليلي هل تبين فتنطقُ
وأنّي ترد القول بيداء سملق
وأني ترد القول دار كأنها
لطول بِلاها والتقادم مُهرَق

وهما من قصيدته القافية الطويلة المثبتة في مجموعة شعره ، وقد حقق الأصفهاني ، بعد إيرادهما ، أن الشعر ليس للأعشي ، كما غلط في ذلك إسحق (الموصلي) ، وأنه (أي الأصفهاني) ، التمسه في ديوان الأعشي – كل أعشي– فلم يجده ، ووجده في شعر ابن المولى(٢)، من قصيدة له طويلة جيدة .. وعد بإيرادهما تدليلا على جودتها ، ولكنه لم يوردها جميعها .. وإنما اكتفى بإيراد بعضها ثم اعتذر عن إتمامها قائلا : والقصيدة طويلة ، وفي بعض ما ذكرته منها دلالة على صحة ما قلته (يعني جودتها).

وقال الأصفهاني : إن هذا الغناء من اللحن المختار من المئة لعطّرد(٣)، وإن فيه لأيوب زهرة غناء مع زيادة بيتين هما :

---

(١) الأغاني . ترجمة ابن المولى = ينظر من طبعة الدار ٢٨٥/٣ .

(٢) يراجع تحقيقه في أخبار ابن المولي ، الصفحة السابقة للأخبار ، والعبارة تدل على اطلاع الأصفهاني على ديوان ابن المولي .

(٣) يضبط في الأغاني (في ترجمته) ٣٠٣/٣ من طبعة دار الكتب – بفتح أوله وثانيه وتشديد الثالث مع الفتح – قال عنه : مولى الأنصار ، ثم مولي بني عمرو بني عوف وكان ينزل قباء ، وقال : زعم إسحق (أي الموصلي) أنه كان جميل الوجه ، حسن الغناء ، طيب الصوت ، جيد الصنعة ، حسن الرأي والمروءة ، فقيها ، قارئا للقرآن، كان يغني مرتجلا، وأدرك دولة بني أمية وبقى إلى أيام الرشيد، وقيل إنه كا ن معدل الشهادة بالمدينة.

وقال خليلي ، والبكا لــي غالــب :

أقاض عليك ذا الأسى والتشوق؟

وقد طال توقافي أكفكف عــبرة

تكاد إذا ردت لها النفس تزهق !

وجدير بالذكر ، أن بعض ما غُني من أبيات هذه القصيدة ، كان بأمر المهدي نفســه ، فـقـد قـال الأصـفـهـاني ، إن الخليفة استحسنها وأجزل صلته ، وأمر فَغُنى في نسبيها .

ومما غنى فيه عطرد أيضا قوله :

ألا يا لقومي هل لما فات مطلب

وهل يُعذرن ذو صبوة وهو أشيب

يحن إلى ليلى وقد شطّت النوى

بليلي ، كما حَن اليراع المثقب[1]

والبيـتـان من قصيدة بائية طويلة ، أوردتها في مجموعة شعره ، قالها في مدح يزيد بن حاتم المهلبي ، لما انصرف من حرب الأزاقة[2] وقد ظفر ، وعقد له لواء علي كـور الأهواز ، وســائر مــا افتتحه .

ومن القصيدة اللامية ، التي يقول في مطلعها :

ذهب الرجال فلا أُحسُّ رجالا

وأرى الإقامة بالعراق ضلالا

غنى ابن عـائشـة ، وهـو مـحـمـد بن يحـيى أربعـة أبيـا ت منها ، فـيـهـا هذا البيت وبعده :

وطربـت إذْ ذكر المدينة ذاكر

يوم الخميس فهاج لي بلبـالا

فظللت أنظر في السماء كأنني

أبغي بناحية السماء هـــلالا

طربا إلى أهل الحجاز ، وتارة

أبكي بدمع مسبل إســـبالا

ومما أنشده المغنون ، الأبيات الأربعة التالية ، غناها مغن اسمه (نبيه) وهي :

حَيِّ المنازل قد بلينــا

أقوين عن مرّ السنينـا

وسل الديار لعلهـــا

تخبرك عن أم البنيـنـا

---

(١) المثقب : المزمار .

(٢) من الخوارج ، أصحاب نافع بن الأزرق .

بانت وكل قرينة
يوما مفارقة قرينا
وأخو الحياة من الحيا
ة معالج غِلظا ولينا

والقصيدة بتمامها مذكورة في مجموعة شعره .

كما يذكر صاحب الأغاني أن قصيدته التي يقول في مطلعها :

نادي الأحبةُ باحتمال
إن المقيم إلى زوال

وهي المذكورة بتمامها في مجموعة شعره ، كانت من بين الأصوات المغناة، وإن لم يذكر اسم صاحب الصوت لحنا أو أداء .

وذكر الأصفهاني أن بيتيه المشهورين:

وأبكي فلا ليلي بكت من صبابة
إليّ ، ولا ليلي لذي الود تبذل
وأخنع بالعتبى إذا كنت مذنبا
وإن أذنبت كنت الذي أتنصل

فيها صنعة غنائية لخزرج ، ويقال : هاشم بن سليمان [1].

وفي الأغاني (١٥/٣٤-٣٥) ، في ترجمة بصبص جارية ابن النفيس وكانت جارية حسناء تتقن الغناء ، أن محمد بن عيسى الجعفري ، كان يهواها ثم هجرها لأمر بلغه ، ثم زارها فقال لها أتغنين :

وكنت أحبكم فسلَوْتُ عنكم
عليكم في دياركمُ السلام

فقالت : نعم وأغنى :

تحمل أهلها عنها فبانوا
على آثار من ذهب العفاءُ

فازداد بها شغفا وكلفا ، وظل يديم النظر إليها ثم قال : أتغنين ؟

وأَخْنَعُ بالعتبى إذا كنت ظالما
وإن ظلمت كنت الذي أتنصل

قالت : نعم . وأغني :

فإن تقبلوا نقبل عليكم بودنا
وننزلكم منا برحب المنازل

فتقاطعا في بيتين ، وتواصلا في بيتين ، ولم يفطن لذلك من القوم إلا راوي الخبر وهو عبد الله بن مصعب [2].

---

(١) الأغاني ، ترجمة ابن المولى .
(٢) تنظر القصة أيضا في أخبار الموفقيات ، ط بغداد ٣٤ ، ونهاية الأرب للنويري ، ٧١/٥ وعيون الأخبار ٨٧/٤.

## رأي النقاد

أثني عليه الأصفهاني ، حينما ترجم له ، فقال : شاعر مجيد . ويقول عن بعض قصائده ، إنها نالت استحسانا .. كما يصف بعض قصائده بالجودة ، وتعددت الأبيات التي سرت على حناجر المغنين .. ومنها صوت من المئة المختارة .. وهذا يجعل اسمه أكثر شهرة وأبعد صيتا .

ونجد الأصمعي يقول للجاحظ : يا أبا عثمان ، ابن المولى من المحسنين المداحين ، ولقد أسهرني في ليلتي هذه حين مديحه يزيد بن حاتم حيث يقول :

وإذا تباع كريمة ...

فهو يصفه بالإحسان(١).

## ليلاه .. قوسه

بالرغم من أن المديح هو اللون الغالب على شعر ابن المولى الذي وصل إلينا .. نجد في هذا الشعر شيئا من الغزل .. وترددا لاسم (ليلى) الذي كثيرا ما يرمز به الشعراء إلى الحبيبة .. ولكن الشاعر نفسه ينفي نفيا قاطعا يؤكده بالحلف .. حتي بالطلاق ، أنه لا يعني بليلي إلاّ قوسه التي كان يتنكبها .. وأنه ما كان له أن يشبب بحرمات المسلمين . ونجد عند صاحب الأغاني أكثر من قصة لهذه القوس التي اتخذ منها الشاعر محورا لغزله ..

وقد مر ، ويمر ، من أخباره وأشعاره أكثر من قصة تؤكد قصة هذا الرمز .. وان كان في اختلاف الروايات ما يدعو إلى الشك في حقيقة الملابسة ، إلا أن هذا الاختلاف نفسه ، لا ينفي اتخاذ الشاعر لهذا الرمز مطية للتغزل الذي يرى أن الشعر لا يستملح إلاّ به ، ليقدمه بين يدي مديحه ، على طريقة شعراء الجاهلية الذين جعلوا من أحاديث الغزل والأطلال جسرا يصلون عن طريقه إلى مختلف مقاصدهم الأخرى ، إلا أن أولئك قد نجد في غزلياتهم صدق التجارب الوجدانية ..

فقد رأينا أصدقاءه ، حينما يسمعونه يقول :

وأبكي فلا ليلى بكت من صبابة
إليّ ولا ليلي لذي الود تبذل

---

(١) ابن عساكر (٢٥٨/١٨) من مخطوطة تاريخ دمشق .

وأخنع بالعتبى إذا كنت مذنبـــا

وإن أذنبت كنتُ الذي أتنصـــــل

يـغـلـب عـلـى ظـنـهـم أن وراء هـذه الشكوى هوى مبرحا .. يدعو الشاعر إلى الاعـتـراف بالذنب .. إن وقع منه تقصير في حق الحبيبة . أما إذا كان هذا التقصير من الحبيبة ذاتها ، فإنه يبادر بالاعتذار والتنصل .. كأنما هو المذنب لا هي .

ولكن ابن المولى (يتنصل) أيضا من تهمة الهوى ، ويؤكد حالفا أنها قوسه لئلا يجشم أصدقاءه مشقة السعي في الصلح . بل نجد في أخباره أن شخصية كبيرة جدا تعرض وساطتها هي شخصية الخليفة نفسه ، عبد الملك بن مروان ، في سياق آخر للرواية ، لعله السياق الأول .. وكان الشاعر فتى في مطلع شبابه .. فان عبد الملك إنما توفي سنة ٨٦هـ بينما امتد العمر بابن المولى إلى خلافة المهدي العباسي فقد سأله عن ليلي التي بكى من أجلها . كما في البيتين السالفين ، وحرّى بالخليفة أن يقول ويفعل .. فإن كانت حرة زوجناكها .. وإن كانت أمة ابتعناها لك بما بلغت !.. فيؤكد الشاعر له قائلا : كلا يا أمير المؤمنين .. والله ماكنت لأذكر حرمة حر أبدا ولا أمته ! والله ما ليلي إلا قوسي هذه سميتها ليلي لأشبب بها ، وإن الشاعر لا يستطاب إذا لم يتشبب .

ويبدو أنه لم يخلص ابن المولى من جرائر قوسه .. فهذا أمير المدينة الحسن ابن زيد ، وربما لأمر في نفسه ، من موقف ابن المولى من التعريض بالطالبيين ، يستدعيه ويعنفه .. لماذا؟ لأنه يشبب بحرمات المسلمين ، وينشد ذلك في الحرم النبوي ، وفي الأسواق والمحافل ، علانية .. مما اضطر الشاعر إلى أن يحلف بالطلاق .. إن هي إلا قوسه .

ومن العجيب أن يفعل ذلك الحسن بن زيد ، في زمن تكثر فيه ليلي ولبنى ، وعزة ، وبثينة ، وميّ .. إلى آخر سلسلة عرائس الشعر .. كما كثر المجانين الذين ملأ أسماع الناس على عهدهم وعلى غيرهم أخبار تغزلهم وتشبيبهم .. !

وقد سلف أن أشرت إلى جانب من ترداد اسم ليلي في أشعاره .

على أن دفاع الشاعر عن نفسه ، مهما تعددت صور هذا الدفاع أو رواياته .. لا يجعلنا نتهمه بالجفاف العاطفي ونحن نلمس ومضات وجدانية تحمل نبض الصدق ، حتى لو جاء ذلك في موقف رثائي حزين ، مثل قوله : وأراه فيه يرثي زوجته ، وإن لم يرد في ذلك خبر صريح :

وسل الديار لعلها
تخبرك عن أُم البنينا
بانت وكل قرينة
يوما مفارقة قرينا

والشاهد في الأمر قوله :

وترى الموكل بالغوا
ني راكبا أبدا فتونا
ومن البلية أن تدان
بما كرهت وأن تَدينا

فإن في قوله : إن الموكل بالغواني راكبا أبدا فتونا ، ما لعله ينم عن تجربة حقيقية .

وربما كان فيما فقدنا من أشعاره ما يعين على تكوين صورة أوضح لعواطفه .. ويكفي هذا البيت الشارد الذي أورده (ياقوت الحموي) في معجم البلدان ، مادة (روضة) ، دليلا على ما ذهبت إليه :

هل تذكرين بجنب الروض من مرخ
ياأملح الناس – وعدا شفني كمدا؟[1]

وهو أيضا القائل :

وما يستوي الصابي ومن ترك الصبا
وإن الصبا لَلعيش لولا العواقبُ

أتكون هذه الومضات من شعر الشباب ، وأنه بعد ذلك (ترك الصبا) ؟ ربما .

## صاحب شواهد

مما يدل على علو كعب ابن المولى في اللغة ، أن المشتغلين باللغة والنحو كانوا يستشهدون بشعره ، ويثقون بسلامة نطقه واختياره .

فالزمخشري (ت٥٣٨هـ) يستشهد في مادة (قلب) من قاموسه المعروف (أساس البلاغة) ، بقوله :

ياليت ناقتي التي أكريتها
قُلبت وأورثها النُّحاز سعالا

---

(١) روضة مرخ كما قال ياقوت بالمدينة .

والقلاب : مرض القلب .

وورد في (خزانة الأدب) للبغدادي (ت١٠٩٣هـ) ، في سياق الاستشهاد باستنطاق الديار بعد نزوح أهلها ، ثم الرجوع إلى الحقيقة بعد المجاز ، اعترافا بأن الديار لن تجيب على تساؤلات الشعراء .. قوله :

«ومثله ما أنشده أبو الفرج الأصفهاني (في الأغاني) لمحمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى ، مولى الأنصار، من مخضرمي الدولتين ، يمدح المهدي :

سلا دار ليلي هل تبين فتنطق
وأني ترد القول بيداء سملق
وأني ترد القول دار كأنها
لطول بلاها والتقادم مُهرق» (١).

وابن عقيل (ت٧٦٩هـ) شارح ألفية ابن مالك المشهورة يستشهد بابن المولى في استعمال (سوى) مرفوعة في قوله :

وإذا تباع كريمة أو تشترى
فسواك بائعها وأنت المشترى

وهذا البيت من أبياته الرائية الجميلة في مجموعة أشعاره الملحقة بهذا الحديث .

وقد دعا ذلك بعض المعلقين والشراح إلى ذكر شيء عن الشاعر ، ومناسبة الأبيات ، وأورد بعضهم شيئا من الأبيات كما فعل العيني (ت٨٥٥هـ) في شرح الشواهد الكبرى .

ويستشهد به (ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ) في مادة (روضة مرخ) ، فينتهي إلينا بيت جميل من شعر ابن المولى ، ينم عن رقيق غزله ، وهو قوله :

هل تذكرين بجنب الروض من مَرخ
-ياأملح الناس- وعدا شفّني كمدا؟(٢)

## اين ديوانه .. ؟

لقد كان ابن المولى- في عصره ، وفي عصور تالية - شاعرا مشهورا ، وتدل قصته مع أبي عمرو الشيباني ، على جسر بغداد ، على أنه كان ذائع الصيت ، أما والأمر كذلك ، فلابد أن يكون له ديوان مجموع ، يتداوله المعنيون بالأدب والشعر بصفة عامة . والمعجبون بشعره بصفة خاصة . ومن المؤكد أن ديوانه كان بين يدي أبي الفرج الأصفهاني ، عندما أورد أخباره في

(١) خزانة الأدب ٥٢٨/٨ طبعة الخانجي ١٤٠٠ هـ .
(٢) مرخ المقصود هنا ، هو واد خضر نضر بين المدينة وفَدَك .

موسوعته (الأغاني) وسرد جانبا من شعره ، وقارن بينه وبين شعر الأعشي ، ليحقق ويدقق كما مر بنا في أخباره[١].

كما نجد صاحب (الفهرست) ينقل عن ابن الجراح في (الورقة) أن له شعرا مجموعا في نحو ثلاثين ورقة[٢]، وإن كنا لا نجد ذكرا لابن المولى فيما بين أيدينا من كتاب (الورقة) ، كما نشره محققاه عبد الوهاب عزام ، وعبد الستار أحمد فراج . ولكن لا ينبغي أن ننسى أن هذه النشرة منه بها نقص ، لم يفت المحققين الإشارة إليه في مقدمة التحقيق[٣].

ولكن هذا الديوان على ما يبدو ، قد ضاع فيما ضاع من تراثنا الضخم ، أو هو على الأقل مجهول المصير حتى الآن.

فنحن نجد باحثا مستقصيا هو البروفيسور فؤاد سيزكين ، عندما تكلم عن ابن المولى في كتابه (تاريخ التراث العربي) ، لم يشر إلى وجود ديوانه فيما يتوفر لديه من فهارس المخطوطات .

واكتفي بأن أحصي ما وجد من شعره في كتاب (الأغاني) فكان إحصاؤه (١٤٠) بيتا ، وقد تأكدت من صحة ذلك.

وفيما أعلم .. فإنه لم يتصدّ لجمع شعر هذا الشاعر أحد ، مما حدا بي إلى أن أضطلع بهذه المهمة إلى الحد الذي استطعته ، وقد توفر لي من ذلك ما قدمته في نهاية هذا الحديث ، مما يلغ مجموع أبياته (١٧٤) بيتا .

وإذا قارنته بما ذكره صاحب الفهرست ، من أن مجموع شعره يقع في نحو ثلاثين ورقة ، وإذا افترضت أن ذلك من قطع الفولسكاب من الورق مثلا، فمن المؤكد أن ما توصلت إليه دون ذلك المقدار ، وبهذا يظل الجانب الأكبر من ديوانه مفقودا أو هو حتى الآن في حكم المفقود .

### الهمزة

ألا بأبينا جعفر، وبأمنا

نقول إذا الهيجاء سار لواؤُها

---

(١) تراجع ص ١٠٨ من هذا الحديث .
(٢) ١٨٤ من تحقيق رضا تجدد .
(٣) ص ١٠ من كتاب الورقة .

ولا عيب فيه غير ما خوف قومه
على نفسه ألا يطول بقاؤها(١)

## الباء

### ١- قال من قصيدة يمدح فيها الخليفة المهدي العباسي:

١ - وما قارع الأعداء مثل محمد
إذا الحرب أبدت عن حجول الكواعب

٢ - فتى ماجد الأعراق من آل هاشم
تبحبح منها في الذري والذوائب

٣ - أشم من الرهط الذين كأنهم
لدى حندس الظلماء زهر الكواكب

٤ - إذا ذكرت يوما مناقب هاشم
فإنكمُ منها بخير المناصب

٥ - ومن عِيب في أخلاقه ونصابه
فما في بني العايس عيب لعائب

٦ - وإن أمير المؤمنين ورهطه
لأهل المعالي من لؤي بن غالب

٧ - أولئك أوتاد البلاد ووارثو
النبي بأمر الحق ، غير التكاذب

ثم ذكر فيها آل طالب فقال :

٨ - وما نقموا إلا المودة منهمُ
وإن غادروا فيهم جزيل المواهب

٩ - وأنّهم نالوا لهم بدمائهم
شفاء نفوس من قتيل وهارب

١٠ - وقاموا لهم دون العدا وكفوهمُ
بسمر القنا والمرهفات القواضب

١١ - وحاموا على أحسابهم وكرائم
حسان الوجوه ، واضحات الترائب

١٢ - وإن أمير المؤمنين لعائد
بأنعامه فيهم على كل تائب

١٣ - إذا ما دَنَوْا أدناهُم وإذاهَفَوْا
تجاوز عنهم ناظرا في العواقب

١٤- شفيق على الأقصَيْن أن يركبوا الردى
فكيف به في واشجات الأقارب ؟

---

(١) المصدر : حماسة أبي تمام : الحماسية رقم ٥٩٥ . وفيه : قال ابن المولى ، وتروي لرجل من بني الحارث .
تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح .
وربما كان المقصود جعفر بن سليمان .
() البيتان لابن المولي في الأشباه والنظائر للخالديين : ٣٠٧/٢ .
١ - حجول : خلا خيل .
٢ - تبحبح : تمكن .
٣ - حندس : شدة الظلام .
٥ - مصناب : أصل .
٨ - تركوا لديهم جزيل الهبات .
١٠ - القواضب : القواطع .
(١٤) واشجات : روابط .
المصدر : () الأغاني ٢٩٢/٣ - ٢٩٣ .
() الوافي بالوفيات ٦١٢/١٧.

## ٢ - وقال يمدح يزيد بن حاتم المهابي

١ - ألا يا لقومي هل لما فات مطلبُ
وهل يُعْذرنْ ذو صبوة وهو أشيب

٢ - يحنّ إلى ليلي ، وقد شطت النوى
بليلي ، كما حن اليراع المثقب

٣ - تقربت ليلي ، كي تثيب فزادني
بعادا على بعد إليها التقرب

٤ - فداويت وجدي باجتناب فلم يكن
دواء لما ألقاه منها التجنب

٥ - فلا أنا عند النأى سال لحبها
ولا أنا منها مشتفٍ حيت تصقَب

٦ - وما كنت بالراضي بما غيره الرضا
ولكنني أنوي العزاء فأُغلبُ

٧ - وليل خداري الرواق جشمتُه
إذا هابه السارون لا أتهيب

٨ - لأظفر يوما من يزيد بن حاتم
بحبل جوار ، ذاك ما كنت أطلب

٩ - بلوت ، وقلبت الرجال كمابلا
بكفيه أوساطَ القداح مقلب

١٠ - وصعَّدني همي ، وصوّب مرة
وذو السهم يوما مصعد ومصوّب

١١ - لأعرف ما آتي ، فلم أر مثله
من الناس ، فيما حاز شرق ومغرب

١٢ - أكرَّ على جيش ، وأعظم هيبةً
وأوهبَ في جود ، لما ليس يوهب

١٣ - تصدى رجال في المعالي ليلحقوا
مداك وما أدركتَه .. فتذبذبوا

١٤ - ورمت الذي راموا فأذللتَ صعبَه
وراموا الذي أذللتَ منه فأصعبوا

١٥ - ومهما تناول من منال سنية
يساعدك فيها المنتمي والمركب

١٦ - ومنصب آباء كرام فما هُمُ
إلى المجد آباء كرام ومنصبِ

١٧ - كواكب دجن كلما انقض كوكب
بدا منهمُ بدر منير وكوكب

١٨ - أنار به آل المهلب بعدما
هوى مَنكب منهم بليل ومنكب

١٩ - ومازال إلحاح الزمان عليهمُ
بنائبةٍ كادت لها الأرض تخرب

٢٠ - فلو أبقت الأيام حيا نفاسة
لأبقاهمُ للجود ناب ومخلب

٢١ - وكنت ليومي نعمة ونكاية
كما فيها للناس كان المهلّب

٢٢ - ألا حبذا الأحياء منكم وحبذا
قبور بها موتاكم حين غُيبوا

---

المصدر : الأغاني ٣/٢٩٥ - ٢٩٧ .
(٢) شطت : بعدت . اليراع المثقب : المزمار
(٥) تصقب : تقرب : تجاور .
(٧) الخداري : المظلم .
(٩) القدح : السهم قبل أن يراش وينصل .
(١٠) صعدني همي : أي صعب علي أمري ، وصوب : أصاب ، زي كانت أموري تسهل مرة وتصعب مرة . وهكذا حال الزمان .
(١٣) قصد تصدى رجال للمعالي فأتي بـ (في) محل اللام .
(١٧) دجن : ليل .

٣ – قال يمدح عبد الله بن مصعب :

١ – ولما رأيتُ الناس بين مبلّد
حرون ، وصعب ظهره شر مركب
٢ – أخذت بحبل من حبال ابن مصعب
قريع قريش ، والهجان المهذب
٣ – وإن امرأ بين الزبير إذا انتمى
وبين أبي بكر لمحض المركب
٤ – فللتُ به ناب الزمان وقد عدا
عليَّ بناب ذي شَباة ومخلب
٥ – إليه تخطيت المشاربَ كلها
إلى مشرب من ورده خير مشرب
٦ – فأترع دلوي من هناك وها هنا
ببسطة بسام متى يُعْطِ يُرغبِ
٧ – وقد علمت عُليا لؤي بن غالب
إذا ما لُقُوا بالصدق لا بالتكذب
٨ – بأن أبا بكر فتاها وأنه
أخوها الذي ما يركب الليث يركب
٩ – تحملها بالحلم عطفا عليهمُ
وَأَلْفَوْهُ ذا شغب على كلِّ مِشغَب
١٠ – وأن اقتباس العلم منه ، وإنه
إذا كان منه الرأي لم يتُعَقّب
١١ – فإن يجهلوا يحلم ببرٍّ ورأفة
وإن يك صدْع في العشيرة يَشْعَب

٤ – وله :

وبالناس عاش الناس قدما ولم يزل
من الناس مرغوب إليه وراغب
ومايستوي الصابي ومن ترك الصبا
وإن الصبا لَلْعيشُ لولا العواقب(×)

٥ –

يذكرني مقامي في ذراكم
مقامي أمس في ظل الشباب(××)

٦ –

سررت بجعفر والقرب منه
كما سُرّ المسافر بالإياب
وكنت بقربه إذ حلّ أرضي
أميرا بالسكينة والصواب
كممطور ببلدته فأضحى
غنيا عن مطالبة السحاب(×××)

---

المصدر : جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ، ت محمود شاكر ، ص ١٣٣.
(٤) ذي شباة : ذي حد .
(٩) الشغب : تهيج الشر والفتنة والخصام . والمشغب : هو ذو الشغب ، الجائر في خصومته ، العاند عن الحق.
(×) المصدر : () معجم الأدباء للمرزباني ٤١١ ، طبعة القدسي .
(××) المصدر : (مجموعة المعاني) لمؤلف مجهول . تحقيق عبد المعين الملوحي ، ط ١٩٨٨ م ص ٢٤٤ . وذكر المحقق في الهامش أن البيت متنازع فهو في التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ لأبي عُيينه ، وفي زهر الآداب ١٩٢/٣ لابن المولى .
قلت : والبيت ليس فيهما ، أما التمثيل والمحاضرة ففيه أبيات أخرى لأبي عُيينه . وأما زهر الآداب ففيه البيتان الآتي ذكرهما في البائية التالية .
(×××) المصدر : عيون الأخبار ١٤١/١ بدون نسبة .
بهجة المجالس ٣٢٨/١ بدون نسبة .
زهر الآداب ١٩٢/٣ لابن المولى .

## الدال

**١ – قال يمدح الحسن بن زيد :**

١ – سألت فأعطاني ، وأعطى ولم أسَلْ
وجاد كما جادت غواد رواعدُ

٢ – فاقسم لا أنفك أنشد مدحه
إذا جمعتني في الحجيج المشاهد

٣ – إذا قلت يوما في ثنائي قصيدة
ثنيتُ بأخرى حيث تُجزى القصائد

**٢ – قال يمدح الخليفة المهدي العباسي :**

١ – يا ليلَ لا تبخلي ياليل بالزاد
واشفي بذلك داء الحائم الصادي

٢ – وأنجزى عدة كانت لنا أملا
قد جاء ميعادها من بعد ميعاد

٣ – ما ضرّه غير أن أبدي مودته
إن المحب هواه ظاهر بادي

**ثم قال فيها**

٤ – تطوي البلاد إلى جم منافعهُ
فعّال خير لفعل خير عوّاد

٥ – للمهتدين إليه من منافعه
خير يروح وخير باكر غادي

٦ – أغني قريشا ، وأنصار النبي ومَنْ
بالمسجدين ، بإسعاد وإحفاد

٧ – كانت منافعه في الأرض شائعة
تترى ، وسيرته كالماء للصادي

٨ – خليفة الله ، عبد الله ، والده
وأمه حرة ، تنمي لأمجاد

٩ – من خير ذي يمن في خير رابية
من القبول إليها مَعْقِل النادي

٣ –

هل تذكرين بجنب الروض من مَرَخ
– يا أملح الناس – وعدا شفّني كمدا[١٠] ؟

---

(١) الغوادي : السحب .
المصدر : () الأغاني ٣/٢٩٥ .
() الوافي بالوفيات ١٧/٦١٤ .
(٦) الإحفاد : الاسراع .
(٩) مَعْقِل : ملجأ .
المصدر : الأغاني ٣/٢٩٩ .
(١٠) شفّهُ الحزن والحب : لذع قلبه ، وقيل : أنحله ، وقيل أذهب عقله . وشف كبده : أحرقها . وشفه الحزن : أظهر ما عنده من الجزع . وشفه الهم : أي هزله وأضمره حتى رقّ .
المصدر : () ياقوت الحموي في معجم البلدان : مادة روضة مرخ . وقال : مرخ بالتحريك وآخره خاء معجمة ، بالمدينة .
() والمغانم المطابة : ١٦٥ .
المصدر : () الأغاني ٣/٢٨٩ .
() ومعجم الأدباء للمرزباني ٤١١ طبعة القدسي . وفيه : (مادار) بدلا من (ماكان) في الشطر الثاني من البيت الثاني .
() والوافي بالوفيات ٣/٢٩٧.
() ووفيات الأعيان ٦/٣٢٦ مثل رواية الأغاني .
() الحماسة البصرية ١/١٨٣ .
() المستجاد من فعلات الأجواد ، للتنوخي ، ت . محمد كرد علي ، طبعة ١٩٧٠ م ، ص ٢٢٢ .
() خزانة الأدب : ٦/٢٩٤ .

## الـــراء

**١ – قال يمدح يزيد بن حاتم من قصيدة :**

– يا واحد العرب الذي
أضحى وليس له نظيرُ
لو كان مثلك آخر
ماكان في الدنيا فقيرُ

**٢ – وقال من قصيدة يمدح فيها يزيد بن حاتم(x) :**

١ – يا واحد العرب الذي دانت له
قحطانُ قاطبة وساد نزارا
٢ – أني لأرجو إن لقيتك سالما
ألاّ أعالجَ بعدك الأسفارا
٣ – رشتَ الندى ، ولقد تكسر ريشهُ
فعلا الندى فوق البلاد وطارا

**٣ – قال يمدح جعفر بن سليمان(xx) :**

١ – كم صارخ يدعو وذي فاقة
يا جعفرَ الخيرات يا جعفرُ
٢ – أنت الذي أحييت بذل الندى
وكان قد مات .. فلا يذكر
٣ – سليلُ عباس ، وليّ الهدى
ومن به فى المحل يستمطر
٤ – هذا امتداحيك عقيدَ الندى
أشهدَ بالمجد لك الأشقر

**٤ – قال في يزيد بن حاتم(xxx) :**

١ – وإذا تباع كريمة أو تشترى
فسواك بائعها ، وأنت المشتري
٢ – وإذا تخيل من سحابك لامع
سبقت مخائلهُ يد المستمطرُ
٣ – وإذا صنعت صنيعة أتممتها
بيدين ، ليس نداهما بمكدر
٤ – و إذا الفوارس عُدِّدَتْ أبطالها
عدُّوك في أبطالهم بالخنصر
٥ – وإذا توعرت المسالك لم يكن
منها السبيل إلى نداك بأوعر
٦ – وإذا هممت لمعتفيك بنائل
قال الندى فأطعته لك : أكْثِرِ

(x) رشت : أى جعلت له ريشا .
المصدر : () الأغاني ٣/٢٩٠ .
() الوافي بالوفيات ١٧/٦١١ .
(xx) عقيد : حليف .
المصدر : الأغاني ٣/٣٠٢ .
(xxx) كريمة : أراد بها فعلة كريمة ، أي حسنة .
(٢) تخيل : يقال : تخيلت السماء : تهيأت للمطر فرعدت وبرقت .
والمخائل : جمع مخيلة – بفتح الميم – وهي السحابة .
(٦) لمعتفيك :أي لسائليك ، من الاعتفاء بالعين المهملة والفاء .

٧ – يا أوحد العرب الذي ما إن لهم
من مذهب عنه ، ولا من مَقصر

٥ –

١ – يلقي السيوف بوجهه وبنحره
ويقيم هامته مقام المِغفر

٢– ما إن يريد إذا الرماح شجرنه
ودعا سوى سربال طيب العنصر

٣– ويقول للطِّرف اصطبر لشَبا القنا
فعَقَرْتُ ركن المجدإن لم تُعقر

٤ – وإذا تأمل شخص ضيف مقبل
متسربل أثواب مَحْل أغبر

٥ – أومى إلى الكوماء هذا طارق
نَحرتْني الأعداء إن لم تنحر

---

(٧) يقال ما رضيت من فلان بمقصر ، ومقصِر ، أي بأمر من دون ، أي بأمر يسير ، و«من» زائدة ..
المصدر : () معجم الشعراء للمرزباني ٤١١ ، طبعة القدسي ، الأبيات الثلاثة الأولى ..
() وفيات الأعيان ٦/٣٢٥ وفيه زيادة البيت الرابع .
() حماسة أبي تمام ، الحماسية رقم ٨٠٢ ، أورد خمسة أبيات وترتيبها لديه ١ ، ٥ ، ٣ ، ٦ ، ٧ / تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح .
() التذكرة السعدية للعبيدي ، ت د. عبد الله الجبوري ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ١٤١ ، القطعة رقم ١٩١ ورد بها بالترتيب ٢ ، ٣ ، ٤ .
() الحماسة البصرية ١/١٨٤ فيها ١ ، ٢ ، ٣ .
() الحيوان للجاحظ ، ت عبد السلام هارون ،طبعة مصطفى محمد ، ١٣٦٣هـ ، ٦/٥٠٩ أورد ٣ و ١ غير معزوين ، ولكن المحقق عزاهما لابن المولى .
() البرصان والعرجان للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ص ٥٨٠ ، أورد ٣ ، ١ بدون عزو ، وعزاهما المحقق أيضًا لابن المولى .
() الأغاني : ١٠ / ١٢٨ ، أورد البيتين ١ و ٣ بدون عزو .
() شرح المضنون به على غير أهله : ١٤٧ ، البيتان ١ و٥ .
() العيني : ٣/١٢٥ ، أورد خمسة أبيات ، وترتيبها عنده ١ ، ٥ ، ٣ ، ٦، ٧ .
() زهر الآداب : ٢/١٠٧٨ تحقيق البجاوي وفيه أيضا الأبيات ١ ، ٥، ٣، ٦ ، ٧ . وفيه : قال ابن المبارك يمدح يزيد بن حاتم قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة . وذكر محققه أن في نسخة أخرى : قال المولي .
(٢) شجرنه : شجر : طعن بالرمح ، وشجره بالرمح طعنه . وفي حديث الشراه فشجرناهم بالرماح : أي طعناهم بها حتى اشتبكت فيهم .
(٣) الطرف – بكسر الطاء المهملة – كريم الخيل .
شبا : شباة كل شيء حد طرفه ، وقيل حده ، وحدّ كل شيء شباته ، والجمع شبوات ، وشباً .
**المصدر :**
الحماسة البصرية : لعلي بن أبي الفرج بن الحسن البصري ، ت ٦٥٩ تحقيق مختار الدين أحمد (جامعة عليكرة) مصورة عالم الكتب ، بيروت ج١/٢٠ ، الحماسية رقم ٤٩ وهي معزوة إلى عبد الملك بن معاوية الحارثي (أموي) ، وقال : رواها البعض لحجين بن حجر الغساني ، وقد ذكر المحقق في الهامش أن الأربعة في القالي ١/٤٥ لابن المولى ، وسرد مراجع أخرى لم تُعيِّن الشاعر .
**أقول :** وهي من روح قصيدته في مدح يزيد بن حاتم : وإذا تباع ومن وزنها وقافيتها . والأربعة التي في القالي ١ و٣ و٤ و٥ في ص٤٣ بدون نسبة .

٦ –

ولا تطلبنْ عزا بذل عشيرة
فإن الذليل من تذل عشائره(*)

## القــاف

قال يمدح الخليفة المهدي :

١ – سلا دار ليلي هل تبين فتنطق
وأنّي ترد القول بيداء سَمْلق(**)

---

وقال البكري في (سمط اللآلي) ١٨٢/١ : «هذا الشعر ينسب إلى ابن المولى (محمد بن عبد الله بن مسلم مولى) بنى عمرو بن عوف ، من شعراء الدولتين ، ويوصل به بيت خامس وهو :

وإذا الفوارس عددت أبطالهـــا — عدوه في أبطالهم بالخنصــر

وهذا البيت مثبت في القطعة التي أولها : وإذا تباع ...

وقد علق محقق (سمط اللآلي ٢٧٨/١) الأستاذ الميمني يرحمه الله ، بتعداد مصادر أوردت بعض هذا الشعر ، إما بغير عزو ، وإما معزوا لغير ابن المولى حتى قال : قال النويري ٢٠٣/٣ إن الشعر يروي لحسان . أقول (أي الميمني) وهو وهمٌ ، ومطلعه :

أنسيم ريحك أم خيار العنبــــر — يا هذه أم ريح مسك أذفـــر
قولي لطيفك أن يصدّ عن الحشـــا — سطوات نيران الأسى ثم اهجري
وانهي رماتك أن يصبن (؟) مقاتلـي — فتنال قومَك سطوةٌ من معشـري
إنا من النفـر الذيـن جيادهـم — طلعت على كسرى بريح صرصـر
وسلبن تاجيْ ملك قيصر بالقنـــا — واجتزن باب الدرب لابن الأصفـر
كم قد ولدنـا مـن كريم ماجـد — دامي الأظافر أو ربيـع ممطـر
خلقـت أناملـه لقائـم مرهـف — ولبـذل مكرمـة ، وذروة منـبر

ثم أربعة القالي .

«وأنا أجزم (القائل هو الميمني) بأنها ليست لابن المولى ولا للاعرابي ولا لحسان ولا للعلوي» . أ هـ .

**أقول** : ولم يذكر الميمنى أسباب الجزم ، أو النفي ، كما لم يذكر (صراحة) مصدره في إيراد هذه الأبيات (وهو نهاية الأرب للنويري :٢٠٣/٣) .. ويبدو أن نفيه منصب على غير أربعة القالي . وإذا كان نفيه عن ابن المولى منصبا على ما أورده هو فحسب ، فلا تبدو الأبيات حقا من شعره ، وإن اختلطت بأبياته .

() وفي مجموعة المعاني (لمؤلف مجهول) تحقيق عبد المعين الملوحي طبعة ١٩٨٨م ، ص ٩٢ ورد البيتان ٤و٥ معزوين للعلوي صاحب الزنج . فينظر هامش المحقق . وفيه ص ١٠٢ ورد ١و٣ للعلوي أيضا . وينظر الهامش أيضًا .

**المصدر :**

البيت منسوب لابن المولي في مجموعة المعاني (لمؤلف مجهول) تحقيق (عبد المعين الملوحي) ، ط ١٩٨٨ م ، ص ٩٢ ورد البيتان ٤ ، ٥ معزوين للعلوى صاحب الزنج . فينظر هامش المحقق ، وفيه ص ١٠٢ ورد ١ و ٢ للعلوى أيضًا ، وينظر الهامش أيضًا .

(*) المصدر: البيت منسوب لابن المولى فى مجموعة المعانى (لمؤلف مجهول) تحقيق عبدالمعين الملوحى ط ١٩٨٨ ص ١٦٣ ، ودل في الهامش على حماسة البحتري ١١٧ ، وهى فيه منسوبة لابن المولى القرشى ، وابن المولى صاحبنا ليس قرشيًا بل هو مدني ، مولي لبني عمرو بن عوف من الأنصار .

سملق : أي قفر لا نبات بها .

(**) عجز هذا البيت يشبه عجز بيت (مطلع قصيدة) لجميل ، انظر ديوانه ص ١٤٥.

٢ – وأني ترد القول دار كأنها
لطول بلاها ، والتقادم ، مُهرَق(*)
٣ – عفتها الرياح الرامسات مع البِلى
بأذيالها ، والرائح المتبعّق(*)
٤ – بكل شآبيب من الماء خلفها
شآبيب ماء مزنها متألق
٥ – إذا ريّق منها هريقت سجاله
أعيد لها كرفئ ماء وريّق
٦ – فأصبح يرمي بالرباب كأنما
بأرجله منه نعام معلّــق
٧ – فلا تبك أطلال الديار فإنها
خيال لمن لا يدفع الشوقَ عولق
٨ – وإن سفاها أن تُرى متفجعا
بأطلال دار ، أو يقودك مَعلق
٩ – فلا تجزعن للبين ، كل جماعة
– وجدِّك– مكتوب عليها التفوق
١٠ – وخذْ بالتعرّي ، كل ما أنت لابس
جديدا على الأيام بال ومُخلِق
١١ – فصبر الفتى عما تولى وفاته(*)
من الأمر أولى بالسداد وأرفق
١٢– فإنك بالإشفاق لا تدفع الردى
ولا الحَين مجلوب ، فمالك تشفق ؟
١٣ – كأن لم يرعك الدهر أو أنت آمن
لأحداثه فيما يغادي ويطرق
١٤ – فقال خليلي ، والبكا لي غالب :
أفاضٍ عليك ذا الأسى والتشوق
١٥ – وقد طال توقافي أكفكف عبرة
على دمنة ، كادت لها النفس تزهق

---

(٢) مهرق : صحراء ملساء ، وإنما قيل للصحراء مهرق تشبيها بالصحيفة .
(*) البيت بعينه في ديوان جميل ص ١٤٦ .
(٣) الرامسات : الرياح الزافيات ، التي تنقل التراب من بلد إلى آخر ، وربما غشّت وجه الأرض كله بتراب أرض أخرى . والروامس : الرياح التي تثير التراب وتدفن الآثار .
**بأذيالها** : ذيل الرياح ما جرّته على وجه الأرض من التراب والقتام .. **الرائح** : مطر العشيّ . **المتبعّق** : المطر المندفع . قال رؤبة : جود كجود الغيث إذ تبعقا .
(*) انظر ديوان جميل ص ١٤٦ .
(٤) الشآبيب (من المطر) : الدّفعات .
(٥) ريّق كل شيء أفضله وأوله . وقيل : ريق المطر ناحيته وطرفه . ويقال : ريق المطر أو شؤبوبه (أي دفعته) . الكرفئ: سحاب متراكم. وفي الصحاح : الكرفىء السحاب المرتفع الذي بعضه فوق بعض .
(٦) **الرباب** : هو السحاب المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب .
(٧) **خيال عولق : العولق** : (الغول) وقيل : الكلبة الحريصة ... وقولهم هذا حديث طويل العولق أي طويل الذنب . وقال كراع : انه لطويل العولق أي الذنب ، فلم يخص به حديثا ولا غيره .
(٨) المعلق : الهوى .
(*) في المطبوعة «فإنه» وهو تصحيف .
(١١) يروي : أدنى للذي هو أوفق .
(١٢) الاشفاق : الخوف . الحَين : الهلاك .
(١٣) يغادي : يباكر . يطرق : يأتي ليلا .
(١٥) دمنة الدار : أثرها ، والدمنة : آثار الناس وما سوّدوا .

١٦ – وإنسان عيني في دوائر لجة
من الماء ، يبدو تارة ثم يغرق
١٧ – وللدمع من عيني شريجا صبابة
مرش الرجا ، والجائل المترقرق
١٨ – وكنت أخا عشق ولم يك صاحبي
فيعذرني مما يصب ويعشق
١٩ – وقد يعذر الصب السقيم ذوي الهوى
ويلحي المحبين الصديق فيخرق
٢٠ – وعاب رجال أن علقت وقد بدا
لهم بعض ما أهوى وذو الحلم يعلق

**ويقول فيها :**

٢١ – إلى القائم المهديِّ أعملتُ ناقتي
بكل فلاة آلُها يترقــــــــرق
٢٢ – إذا غال منها الركبَ صحراءُ برَّحت
بهم بعدها في السير صحراء دردق
٢٣ – رميت قراها بين يوم وليلة
بفتلاء لم ينكب لها الزور مرفق
٢٤ – مزمرة سقبا كأن زمامها
بجرداء من عُمٍّ الصنوبر معلق
٢٥ – موكلة بالفادحات كأنها
– وقد جعلت منها الثميلة تخلق –
٢٦– بقِي الملاهيق أمام رئاله
أصم هجف أقرع الرأس نقنق
٢٧ – تراها إذا استعجلتها وكأنها
على الأين يعروها من الروع أولق

---

(١٧) الشريجان : لونان مختلفان من كل شيء . والمرش : يقال : شواء مرش ورشراش خَضِل تَدِ يقطر ماؤه ، وقيل يقطر دسمه . والرجا: ناحية كل شيء . وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها وحافتيها ، وكل شيء وكل ناحية رجا . والجائل : الزائل عن مكانه .

(١٨) لعله ممن يصب .

(١٩) يلحي : يلوم ويعذل .

(٢٠) علقت : أحببت .

(٢١) **أعملت ناقتي :** حثثتها لتسرع . **الآل :** السراب .

(٢٢) **غال :** يقال : هذه أرض تغتال المشي أي لا يستبين فيها المشي من بعدها وسعتها . برح به : إذا شق عليه . **الدردق :** الصغير من كل شيء .

(٢٣) **قراها :** ظهرها . ناقة فتلاء :ثقيلة . وناقة فتلاء إذا كان في ذراعها فَتَل وبيُون عن الجنب . **النكب :** داء يأخذ الإبل في مناكبها فتظلع منه وتمشي منحرفة . يقال : نكب البعير ، ينكب نكبا ، وهو أنكب . ونكب الحجر رجله وظفره ، فهو منكوب ونكيب : أصابه . **الزور:** الصدر . وقيل : وسط الصدر . وقيل : أعلى الصدر . وقيل : ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت . وقيل: هو جماعة الصدر من الخُف . **والزور :** عوج الزور .

(٢٤) عُمٌّ : جمع عميمة ، وهي الطويلة . السقب: ولد الناقة . ولعلها تزمره : تصوت عليه .

(٢٥)**الفادحات :** جمع فادحة ، وهي النازلة . **الثميلة :** لعلها تصغير ثَمَلة وهي الصوفة أو الخرقة التي تغمس في القطران ثم يهنأ بها الجرب ويدهن بها السقاء ..

((٢٦) **القي :** القفر . **الهيق :** الظليم . هو ذكر النعام ، **والرئال:**أفراخه. **الهجف :** الظليم المسن . **النقنق:** الظليم .

(٢٧) **الأين :** الإعياء والتعب. **الأولق :** الجنون .

٢٨ – موركة أرض العُذَيْبِ وقد بدا

– فَسُرَّ به – للأبيين الخورنق

وقـد قـال أبو الفرج بعد مـا أورده من أبياتها إن القصيدة طويلة ، ونسب إسحق (يقصد الموصلي) الشعر المغنَّي في المئة المختـارة ، وهو البيتـان الأولان ، إلى الأعـشي ، ولكن أبا الفـرج نفى ذلك ، ووجدهما في شعر ابن المولى .

## اللام

**١ – قال وهو يرمز بليلي لقوسه :**

١ – وأبكي فلا ليلى بكت من صبابة

إليَّ ولا ليلي لذي الود تبذلُ

٢ – وأخنعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مذنبا

وإن أذنبتْ كنتُ الذي أتنصل

**٢ – قال يمدح المهدي الخليفة العباسي :**

١ – نادي الأحبةُ باحتمالِ

إن المقيـم إلــى زوالِ

٢ – رد القيان عليهـــمُ

ذللَ المطيِّ من الجمـــال

٣ – فتحملوا بعقيـــلة

زهـراءَ آنســة الـدلال

٤ – كالشمس راق جمالها

بين النساء ، على الجمال

٥ – لما رأيت جمالهـــم

في الآل ، تغرف باللآلـي

٦ – ياليت ذلك بعـــد أن

أظهرت أنك لا تبالـــي

٧ – ولمثل ما جربتَ مـــن

إخلافهن لذي الوصـــال

٨ – أسلاك عن طلب الصـــبا

واخو الصبا لابد ســـال

٩ – يا ابن الأطايب للأطـــا

يب ذا المكارم والمعالـــي

١٠ – وابن الهداة ، بني الهدا

ة وكاشفي ظلم الضـلال

١١ – أصبحت أكرم غـالب

عند التفاخر والنضـــال

١٢ – وإذا تُحصلَ هاشـــم

يعلو بمجدك كل عالـــي

١٣– ويكون بيتك منهـمُ

في الشاهقات من القلال

---

(٢٨) موركة : مجاوزة . أرض العذيب: موضع بالعراق . والخورنق : قصر بالحيرة .

المصدر: () الأغاني ٣/٢٨٦ – ٢٨٩ . () الأول والثاني في خزانة الأدب ٨/٥٢٨ .

(٢) خنع : خضع . أتنصل : أتبرأ .

المصدر : () الأغاني ٣، ٢٨٩ و ٥/٩٦ و ١٥/٣٥ . () الوافي بالوفيات ٣/٢٩٦ .

() معجم الشعراء ٤١١ طبعة مكتبة القدسي .

() والثاني في (مجموعة المعاني) لمؤلف مجهول ، تحقيق عبد المعين الملوحي ط ١٩٨٨م ، ص ٢٧٤ . ودل المحقق في الهامش على عيون الأخبار ٢/٨٨ . قلت : وهو فيه بدون عزو ، وصوابه : ٤/٨٨ .

() والثاني أيضا في نهاية الأرب : ٥/٧١ بدون عزو . () وكذا في الأخبار الموفقيات ص ٣٥ .

(١٣) قله الشيء : أعلاه .

١٤ – هذا وأنت ثمالهـــا
وابن الثمال ، أخو الثمال
١٥ – ومآلها بأمورهـــا
إن الأمور إلى مـــآل

**٣ – قال ، وقد قدم العراق ، لبعض أمره فطال مقامه بها ، فضجر وتشوق إلى المدينة:**

١ – يدعو النبي بعمه فيجيبُه
يا خير من يدعو النبي جلالا
٢ – ذهب الرجال فلا أحسّ رجالا
وأرى الإقامة بالعراق ضلالا
٣ – وأرى المرجي للعراق وأهله
ظمآن هاجرة يؤمل آلا
٤ – وطربت إذ ذكر المدينة ذاكر
يوم الخميس فهاج لي بلبالا
٥ – فظللت أنظر في السماء كأنني
أبغي بناحية السماء هلالا
٦ – طربا إلى أهل الحجاز وتارة
أبكي بدمع مسبل إسبالا
٧– فيقال : قد أضحى يحدث نفسه
والعين تذرف في الرداء سجالا
٨ – إن الغريب إذا تذكر أوشكت
منه المدامع أن تفيض علالا
٩ – ولقد أقول لصاحبي وكأنه
مما يعالج ضُمّن الأغلالا:
١٠ – خفض عليك فما يُردْ بك تلقه
لا تكثرن ، وإن جزعت ، مقالا
١١ – قد كنت إذ تدع المدينة كالذي
ترك البحار ، ويمم الأوشالا
١٢ – فأجابني : خاطر بنفسك لا تكن
أبدا تعدّ مع العيال ، عيالا
١٣ – واعلم بأنك لن تنال جسيمة
حتى تجشم نفسك الأهوالا
١٤ – إني ، وجدِّك يوم أترك زاخرا
بحرا ينفل سيبُه الأنفالا

---

(١٤) الثمال : الغياث .
المصدر : () الأغاني ٣ / ٣٠٠ – ٣٠١
(١) هذا البيت جاء استهلالاً للأبيات الواردة في ج٢/٢١٨ من الأغاني ، ، ولكنه قلق في موضعه ، ويبدو أن المطلع هو البيت الثاني ، ولعل مكان البيت الأول هو بعد قوله : وطربت إذ ذكر المدينة ذاكر .
(٤) البلبال : شدة الهم .
(٨) العلال : مرة بعد أخرى .
(١٠) خفض عليك : هوِّن عليك .
(١١) يمم : قصد ، والأوشال : المياه الضحلة القليلة .
(١٤) البحر الزاخر : العميق المتلاطم ، وسيبه : عطاؤه . والأنفال : العطايا .

١٥ – لأضلُّ من جلب القوافي صعبة
حتى أذل متونها إذلالا

٤ –
ياليت ناقتي التي أكريتها(*)
قلبت وأورثها النُّحاز سُعالا(١)

## الميـــم

**قال يمدح قثم بن عباس بن عبيد الله بن عباس حينما كان عاملا على اليمامة(**):**

عُنقتَ من حلّي ومن رحلتي
يا ناقُ أدنيتني من قُثَمُ

## النـــون

**١ – قال يمدح الحسن بن يزيد:**

١ – هاج شوقي تفرّق الجيرانِ
واعترتني طوارق الأحزانِ

٢ – وتذكرت ما مضى من زماني
حين صار الزمان شر زمان

**يقول فيها**

٣ – ولو أنَّ امرءًا ينال خلودا
بمحل ، ومنصب ، ومكان

٤ – أو ببيت ذراه تلق بالنجـ
ـم قرانا في غير برج قران

٥ – أو بمجد الحياة أو بسماح
أو بحلم أوفى على ثهلان

٦ – أو بفضل لناله حسن الخير
بفضل الرسول ذي البرهان

٧ – فضله واضح برهط أبي القا
سم رهط اليقين والإيمان

---

(١٥) متونها : ظهورها ، كناية عن تمكنه من الشعر .

المصدر : () الأغاني الأبيات الخمسة الأولى جـ ٢ /٢١٨ . والقصيدة كاملة سوى البيتين ١و٣ في الأغاني ٢٩١/٣-٢٩٢ .

() البيت الثاني في تاريخ بغداد ٣٣٠/٦ . وانباه الرواة ٢٢٢/١ .

(١) قلبت : من القُلاب مرض القلب .

والنحاز : – بالحاء المهملة : داء يأخذ الدواب والإبل في رئاتها فتسعل سعالاً شديداً ، وقدر ورد في «الأساس» (النجاز) بالجيم ، تطبيعا .

(*) المصدر : () أساس البلاغة للزمخشري مادة (قلب) .

() تاريخ بغداد ٣٣٠/٦ .

() أنباه الرواة ٢٢٢/١ .

وقد تشير القصة التي أوردها الخطيب البغدادي والقفطي (انظر ص ٩-١٠) إلى أن هذا البيت هو أحد أبيات اللامية السابقة . وانظر في الصفحة ذاتها اختلاف رواية البيت في المصدرين السابقين .

(**) المصدر : نسب قريش للمصعب بن عبد الله الزبيري ص ٣٣ ، والبيت في الأغاني ٢٠/٦ و١٦٩/٩ منسوب إلى داود بن سلم . وفي الكامل للمبرد ٢٢٩/٢ منسوب إلى سليمان بن قتة .

(٥) ثهلان : جبل ضخم بالجزيرة العربية .

(٧) أبو القاسم : هو النبي صلى الله عليه وسلم .

٨ – هم ذوو النور والهدى ومدى الأ
مر وأهل البرهان والعرفان

٩ – معدن الحق والنبوة والعد
ل إذا ما تنازع الخصمان

١٠ – وابن زيد إذا الرجال تَجارَوْا
يوم حفــل ، وغاية، ورهــان

١١ – سابق مُغْلِقٌ مجيـز رهــان
ورث السبق من أبيه الهجان

٢ – له :

١ – حـــيِّ المنازل قــد بلينــا
أقوين عــن مرِّ الســـنينا

٢ – وســـل الديـــار لعلهـــا
تخبـرك عن أم البنينـــا

٤ – بانـــت ، وكـــل قرينـــة
يومـــا ، مفارقـــة قرينـــا

٥ – وأخو الحيــاة مــن الحيــا
ة مـــعـــالج غِلظا ولينا

٦ – وتـرى الموكّـل بالـغـــوا
انى راكـــبــا أبدا فنونا

٧ – ومـن البليـــة أن تُـــدا
ن بما كـــرهـت ولن تـدينا

٨ – والمـــرء تحـرم نفسُـــه
مـــالايزال به حـــزينا

٩ – وتـراه يجمـــع مالـــه
جــمـع الحـــريص لوارثينا

١٠ – يسعى بأفضـل سـعيه
فـيـصـيـر ذاك لقـاعـدينا

١١ – لـم يُعط ذا النسب القريـ
ـب ولم يجــد للأبعـــدينا

١٢ – قد حـل منزله الذمــــ
ـيـم وفـارق المتنصـحـينا

**عبد العزيز أحمد الرفاعي**
عضو المجمع المراسل
من السعودية

---

(١١) الهجان : ذو الحسب .
المصدر : () الأغاني ٣/٢٩٤ .
() الوافي بالوفيات ١٧/٦١٣ ، وفيه الأبيات (٣–٩) .
(١) أقوين : أقفرن .
المصدر : الأغاني ٣/٢٩٧–٢٩٨.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولا : الكتب

١ - الأخبار الموفقيات / للزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ) ، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، بغداد، ١٩٧٢م.

٢ - الأعلام / للزركلي (ت١٣٩٦هـ) ، الطبعة الثالثة .

٣ - الأغاني / لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) ط - دار الكتب المصرية (١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م).

٤ - الأمالي / لأبي علي القالي (ت٣٥٦هـ)، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م).

٥ - إنباه الرواة على أنباه النحاة / للقفطي (جمال الدين ، علي بن يوسف ت ٦٤٦هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة : (١٣٦٩ - ١٩٥٠م) .

٦ - البرصان والعرجان والعميان والحولان/ للجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط- دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م .

٧ - بهجة المجالس ، وأنس المجالس ، وشحذ الذهن والهاجس / لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، مراجعة د. عبدالقادر القط، ط . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ودار الكاتب العربي للطباعة والنشر (١٩٦٢م) .

٨ - تاريخ الأدب العربي / لعمر فروخ . ط- دار العلم للملايين ، بيروت : (١٩٧٥م) .

٩ - تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) ، ط - الخانجي بالقاهرة ، والمكتبة العربية ببغداد ، ومطبعة السعادة بالقاهرة ، (١٣٤٩هـ ١٩٣١م).

١٠ - تاريخ التراث العربي / لفؤاد سيزكين ، ط - جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، الرياض : (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

١١ - تاريخ دمشق / لابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ، مخطوط مصور ، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، (١٤٠٧هـ) .

١٢ - التذكرة السعدية / للعبيدي (من رجال القرن الثامن الهجري) ، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨١م .

١٣ - التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول / للدكتور مجاهد مصطفى بهجت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ.

١٤ - التمثيل والمحاضرة / لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو ، ط - عيسى البابي الحلبي ، القاهرة : (١٣٨١هـ ١٩٦١م) .

١٥ - جمهرة نسب قريش / للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة (١٣٨١هـ) ، توزيع مكتبة دار العروبة ، القاهرة .

١٦ - الحماسة / لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ) ، تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح .

١٧ - حماسة البحتري / للبحتري (ت٢٨٤هـ) ، تحقيق لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت : ١٩١٠م .

١٨ - الحماسة البصرية / لعلي بن أبي الفرج بن الحسين البصري (ت٦٥٩هـ) ، تصحيح وتعليق د. مختار الدين أحمد ، مصورة عالم الكتب - بيروت ، عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند (١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م) .

١٩ - الحيوان / للجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة مصطفى محمد ، ١٣٦٣ هـ .

٢٠ - خزانة الأدب / لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ، (١٤٠٠هـ — ١٩٨١م) .

٢١ - دائرة معارف البستاني الحديثة .

٢٢ - ديوان جميل (ت ٨٢هـ) ، جمع وتحقيق د. حسين نصار ، القاهرة : دار مصر للطباعة ، ١٩٧٧م.

٢٣ - زهر الآداب وثمر الألباب / للحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ) ، تحقيق د. زكي مبارك ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، (١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م) . المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٢٤ – سمط اللآلي / لأبي عبيد البكري (ت٤٨٧هـ) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، (١٣٥٤هـ – ١٩٣٦م) .
٢٥ – شرح ديوان الحماسة / للمرزوقي (ت٤٢١هـ) ، نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م) .
٢٦ – شرح الشواهد الكبرى (المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية) / للعيني (ت٨٥٥هـ)، مطبوع بهامش خزانة الأدب ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، القاهرة (١٢٩٩هـ) .
٢٧ – شرح المضنون به على غير أهله / لعبيد الله بن عبد الكافي بن عبدالمجيد العبيدي (ت بعد ٧٢٤هـ) ، ط– مكتبة دار البيان – بغداد ، دار صعب – بيروت .
٢٨ – عيون الأخبار / لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، (١٣٤٩هـ – ١٩٣٠م) .
٢٩ – الفهرست / لابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق رضا تجدد ، ط– طهران (١٣٩١هـ – ١٩٧١م) .
٣٠ – الكامل في اللغة والأدب / للمبرد (ت٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة : (١٩٥٦م) .
٣١ – لسان العرب / لابن منظور (ت ٧١١هـ) ، ط – دار صادر ، بيروت .
٣٢ – مجموعة المعاني / لمؤلف مجهول ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، ط– دار طلاس دمشق ١٩٨٨م .
٣٣ – المستجاد من فعلات الأجواد / للتنوخي (أبو علي ، المحسّن بن علي ، ت٣٨٤هـ) عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٠م .
٣٤ – معجم الأدباء / لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ، تحقيق د. أحمد فريد رفاعي ، ط–دار المأمون ، ومكتبة عيسى البابي الحلبي ، (١٣٥٥هـ–١٩٣٦م) .

٣٥ - معجم البلدان / لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ، ط. دار بيروت . (١٣٧٤هـ-١٩٥٥م) .

٣٦ - معجم الشعراء / للمرزباني (ت٣٨٤هـ) ، تصحيح وتعليق د. فرنسيس كرنكو مطبعة مكتبة القدسي ، القاهرة : ١٣٥٤ هـ .

٣٧ - نسب قريش / للمصعب بن عبد الله الزبيري (ت ٢٣٦هـ) عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ليفى بروفينسال ، دار المعارف بمصر ١٩٥٣م .

٣٨ - نهاية الأرب في فنون الأدب / للنويري (٧٣٣هـ) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، بالقاهرة ، (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م) .

٣٩ - الوافي بالوفيات / للصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، ط. دار النشر ، فرانز شتاينر بفسبادن .

٤٠ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / لابن خلّكان (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس، ط- دار الثقافة ، بيروت : (١٩٦٨م) .

### ثانيا الدوريات

* مجلة مجمع اللغة العربية الأردني - العدد ٣٠ - مقال : عبد الباقي الأشقر، عن (معجم شعراء أساس البلاغة) .

# رياضة الصيد عند العرب

**للأستاذ عبدالله بن محمد بن خميس**

للأمة العربية كنوز وذخائر زاخرة بأنواع الرياضات العقلية والبدنية نشأت وتطورت مع تطور المد الحضاري العربي، وأخذت عنها الحضارات الأخرى كثيراً من جوانبها المشرقة .. ولم تزل صنوف متعددة من أنواع الرياضة في الأمم الراقية تنزع إلى أصل عربي .

والعربي رياضي بطبعه ، هيأته بيئته ومناخه وطبيعة أرضه.. لأن يكون كذلك فهو صلب العود، قوي المراس، شديد الأسر، صبور جلد يمتاز بالرشاقة وخفة الحركة وسرعة الاستجابة مما جعل في خلقه سرعة البديهة، وتوقد الذهن ، وصفاء النفس، وحدة الذكاء.

ومن أبرز فنون الرياضة عند العرب الصيد وهو فن نشأ أول ما نشأ مع العربي الأول كضرورة من ضرورات حياته ، وجزء مهم من معيشته حيث وجد نفسه في جزيرته المترامية الأطراف بعيداً عن معرفة سبل المعيشة كالزراعة والصناعة والتجارة وغيرهامن سبل العيش ، ووجد أرضه غنية بحيواناتها البرية المتوحشة لقلة سكانها وكثرة جبالها ووديانها وأشجارها وكثبانها مما ساعد على وفرة حيواناتها البرية وانتشارهافي سائر أجزاء الجزيرة.

لذلك اتخذ الصيد سبيلاً من سبل حياته، وتفنن في الوسائل والطرق وأدوات القنص بمالديه من إمكانات بدائية فاتخذ الشباك والزبى والفخاخ، وأمعن في دراسة طبائع الحيوانات وعاداتها حتى تفتق ذهنه عن حيل شتى للاصطياد، فأدرك أن الأسد نوّام وأن لنومه أوقاتاً معلومة فجعل يباغته في

---

(*) ألقى البحث في الجلسة العاشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء غرة شعبان ١٤١٢ هـ الموافق ٥ من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٢م .

عرينه أوقات نومه فيعمل فيه سيفه أو رمحه أو سكينه . وأدرك أن للظباء أوقاتاً تأوي فيها إلى كناسها، وتخلد فيها للنوم والراحة فيخالف الهواء لئلا تنقل ريحه إليها لما لديها من حاسة شم قوية فيخرج إليها عن كثب ويصطادها بيده أوينال منها بسلاحه البدائي.. وأدرك أن الأرنب إذا شاهدها القانص في مربضها وعمد إليها لم يغض طرفه عنها، ولم يلتفت يميناً ولا شمالاً.. بقيت حتي يأخذها بيده أو يضربها بعصاه. وتسمى هذه الطريقة لديهم (بالبحر) يقال بحر الأرنب إذا استعمل لها هذه الطريقة..

وأدرك أن اليربوع يجعل لجحره بابين باباً بارزاً مرئيًا ، وآخر معمى لايهتدى إليه إلا هو ؛ وطريقة اليربوع في ذلك أن يعمد إلى جانب من الجحر فيتخذ فيه مسلكاً يحفره حتى لم يبق بينه وبين سطح الأرض إلا طبقة رقيقة جداً بحيث إذا داهمه العدو من باب جحره عمدإلى هذا المسلك وبضربة يسيرة من رأسه يجد هذه الطبقة الخفيفة قد انزاحت فيهرب.. أدرك هذا العربي فعمد إلي باب جحر اليربوع وجعل يركضه برجله ركضاً قوياً، وهذا الركض بطبيعة الحال يجعل الهواء الذي كان يشغل حيزاً من مسلك الجحر مما يلي الباب يطلب متنفساً فيجد الهواء يسبق اليربوع إلى الباب ويشكل خروجه غباراً قليلاً ليسرع القانص ويضع يده عليه فسرعان ما يكون اليربوع في يده.. وهكذا من الوسائل والحيل التي كان يصطاد بها العربي الأول.

إلى جانب ما أعطته المرونة والتجربة من معرفة بالقيافة تامة بحيث يعرف أثر الصيد أين هو متجه؟ ومتى كان أثره؟- ماهو مبيته ومصبحه؟! وكذا معرفة زبله وبوله .. إلى جانب حدة في البصر نادرة، وملكة عجيبة يدرك بها مكامن الصيد ومراحه ومسرحه.

ثم تطورت أدوات القنص ووسائله فاستعمل القوس والنشاب يتخذها الفارس عندما يثير الصيد من مكامنه ، يتبعه فرسه بمنتهى حضره حتى إذا كان منه قريباً أطلق سهمه عليه فلا يخطئ المكان الذي وضعه به من جسم طريدته. ولهم خبرة ودرايه تامة

باصطفاء الأقواس وتثقيفها حتى ليحكى عن رجل يدعي الكُسَـعيّ أنه لما ثقف قـوسـه وهذبه ورمى به حـمـار الوحش رأى السهم يصلد في الجبل بعد أن نفذ من جسم حمار الوحش فظنها أخطأته فضرب بها الحجر حتى كسرها حرداً عليها ثم تبين له أن حـمـار الوحش قد خر مضرجا بدمه فندم ندامة ضرب بها المثل ، يقال «ندامة الكسعي» ومن ذلك قول الفرزدق :

ندمت ندامـــــة الكســـعيٍّ لما

غـدت مني مُطلَّقة نـــوار

واتخـــذ العــربي مع مـــرور الزمن من الطيــور الجــارحـــة ، والحـيــوانات الكاســرة ، والكلاب المعلمــة وســائل لصيده يبذل جـهداً كبيراً في الحصول عليها ثم في ترويضـها وتأليـفها ثم في تعليمـهـا على الصـيد.. فـعلم الفـهود والكلاب والبزاة والصقور.. وغيرها من أنواع الكواسـر والجـوارح وجـعل من طبائعها الشرسة وأمزجتها الحادة وشـرهها وفـتكها طبـائع أليـفة مـرنة هـادئة .

فطريقته في اتخاذ الكلاب وتعليمها هي أن يصطفي نوعاً من الكلاب خاصاً يسـمى السلوقي - نسـبـة إلى سلوق مـدينة في اليـمن- فليست كل الكلاب تصلح للصيد أو تقبل التعليم، والكلاب السلوقـية لها مميزات خاصة هي أنها مـجدولة القوام ، طويلة الرقاب، ممتدة الظهور، ضامرة البطون، مرتخية الآذان طويلة القوائم ، خـفيفة الحركة، حادة الشم، سريعة العدو، تستعين بسمعها وشمها القويين على العثور على الصيد.

فحينما يصطحبها القانص تجدها تذرع الأرض يمنة ويسرة وتتبع مسايل الماء ، ومـتكاثف الشـجـر، والمغـاور والأحـجـار التي يألفها الصيد في حين أنها تتابع اتجاه القانص وتكون دائماً على صلة به، فإذا وجد القانص صيداً أشلاها- ناداها بسرعة واستحثاث.. وبسرعة خاطفة يجدها عنده ثم بإشارة خفيفة منه إلى اتجاه الطريدة تجدها قد أمعنت في العدو خلفها، ولم تلبث أن تكون قد ضرست طريدتها.. وأحياناً تلجأ الطريدة إلى جحرها أو وجارها

فيتحسر الكلب ويعوي ويعود إلى صاحبه يظهر حسرته ثم يعود إلى حيث لجأت الطريدة.. والطرائد التي تصطادها الكلاب هي الأرانب وتصطاد أيضاً الظباء وبقر الوحش وحمره.. يصف لنا النابغة الذبياني في شعره مشهداً من هذه المشاهد للكلاب مع ثور الوحش فيقول :

مطرد أفردت عنه حلائله
من وحش وجرة أو من وحش ذي قار
مجرس جأب وحد أطاع له
نبات غيث من الوسمي مبكار
باتت له ليلة شهباء تسفعه
بحاصب ذات إشعان وإمطار
وبات ضيفا لأرطاة وألجأه
مع الظلام إليها وابل سار
حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته
وأسفر الصبح عنه أي إسفار
أهوى له قانص يسعى بأكلبه
عار الأشاجع من قناص أنمار
محالف الصيد هباش له لحم
ما إن عليه ثياب غير أطمار
يسعى بغضف براها فهي طاوية
طول ارتحال با منه وتسيار
حتى إذا الثور بعد النفر أمكنه
أشلى وأرسل غضفا كلها ضار
فكر محمية من أن يفر كما
كر المحامي حفاظاً خشية العار

إلى آخر قطعة النابغة ..

ولتعليمهم لهذه الكلاب يعودونها أن تتبعهم المسافات الطوال في البرية، وأن يكون الكلب غير المتعلم إلى جانب آخر متعلم يقلده فيما يفعل، وأحياناً يكسرون له قائمة أرنب ويطلقونها تعدو على ثلاث، ويشلون الكلب خلفها ليصطادها.. ويعودونه على ألا يذوق طريدته ولايكشط لحمها لأن الكلب إذا أكل من الطريدة حرمت شرعاً..

وقال بعضهم يصف كلبا ويطرق هذا المعنى :

أنعت كلبا للقلوب مجذلا
آلى إذا أمسك ألا يقتلا
مؤملا لأهله ممولا
يزيد ذا الوفر ويغني المزملا

ذا همة في الصيد في أعلى العلا
يستصغر الظبي فيبغي الإيلا
لايجد الأيل منه موئلا
تخاله من خوفه معقلا
يعول من كان عليه عولا

وكانوا يستجيدون في الخيل ، ما استجادوه في كلاب الصيد . قال المأمون لبعض رجاله : اذهب إلى بادية كذا فابتغ لي من أجاود خيلها. قال الرجل: إنه لا يحسن معرفة الخيل وإنما معرفته في جيد الكلاب. قال المأمون: أو أنت كذلك. قال: نعم، قال: استجد لي في الفرس ما تستجيده في الكلب وكفى ..

ولاصطياد الصقر وترويضه وتعليمه طرق معروفة لديهم فمنها ما يحصلون عليه في عشه قبل أن يقوى على الطيران ، ومن عادة الصقر أن يودع فراخه رعان الجبال وشواهقها، ويختار لها الأمكنة الممتنع الوصل إليها.. فيغامر طلابها مغامرات متهورة فأحياناً يصلون إليها وأحياناً يعجزون ؛ وما قصة مقيط وصاحبه إلا من هذا القبيل ذلك أن مقيطا هذا كلف باجتناء فراخ الصقور وتربيتها واقتنائها، وذات مرة أدرك أن في هضبة «جبلة» – هضبة في أواسط نجد يراها سالك الطريق المتجه إلى الحجاز بعد أن ينكب الدوادمي بقليل عن يمينه – أدرك أن بها فراخ صقر فاتفق مع صاحب له على أن يضعه في شبكة من الحبال ويحدره في رشاء ليأخذ هذه الفراخ وكل منهما على نصيبه منها، وكذلك يفعلان وكان الصقر عادة يفرخ ثلاثة فراخ ويندر أن يكون رابعاً ويسمى الأكبر منها نادراً والأوسط لزيزا والأخير محقورا، وإذا ندر أن وجدرابع فيسمى تبعاً وعندما وجد مقيط الفراخ صوت لصاحبه أنه وجدها فقال الذي يمسك الرشاء مانصيبي منها أجابه مقيط بأن لانصيب له منها، فالنادر له – لمقيط – واللزيز لأخيه ، والمحقور لصديق أوصاه وليس لك هذه المرة شئ.. تجرى هذه المحاورة ومقيط معلق بين السماء والأرض لايرى من الأرض إلا غبارها فحرد صاحبه لهذه القسمة الضيزى ؛

وقال له : ( يامقيط دوك رشاك ) ، يعني يامقيط اذهب إلى الأرض أنت ورشاؤك وفـــراخك ليكون إرباً إرباً تحت هذا الجبل . فذهبت القصة مثلاً يضرب للرجل يطلب الإنصاف ثم لاينصف وفي هذا يقول أحد شعراء النبط :

أما على مثل النعايـم لفينـا

وإلاهمزنا همزة مقيط وارشاه

ومن الصقور ما يصطادونه بحيلة من حيل شتى ..

فتارة إذا وجدوه صائداً طريدة له ومقبلاً على أكلها نفروه منها بعيداً، وعمدوا إلى خيط دقيق ووضعوه في رجلها ودفنوا رجلاً حولها لم يبقوا منه إلا عينيه وجزءاً من يده وغطوهما بشجر أوبقش وذهبوا، فإذا رأى الصقر طريدته وحدها جاء إليها، وإذا علقت أظفاره بها وجعل يأكل منها أخذ الرجل يجذب الخيط إليها رويداً رويداً كلما وجد غفلة من الصقر في الأكل حتى تكون الطريدة والصقر فوق يده وعند ذلك يقبض رجليه ويأخذه..

وتارة يقيمون شبكة لونها كلون الأرض التي تقام بها وتكون خيوطها دقيقة جداً ويربطون تحتها يربوعاً أو حمامة أو سماني حية، وتكون الشبكة مما يلي مجيء الصقر؛ لأنهم لا يضعونها إلا بعد أن يروه واقعاً حولهم ويذهبون ويتركون هذا اليربوع أو الحمامة أو السماني تجتال تطلب الفرار- ويسمون ذلك - بالزريق - فإذا رآها الصقر انقض عليها في اندفاع كبير ولدقة خيوط الشبكة ومجانسة لونها للون الأرض فإنه لايراها إلا بعد أن يكون منها قريباً جداً في حين أن يصدف عنها فيقع فيها، وتتلوى خيوطها على أجنحته وأظافره ورأسه بعد أن تنقلع أوتادها الخفيفة من شدة ضربته بها عند ذلك يسارع صاحبها الكامن بعيداً عنها إلى أخذ الصقر، وعند ذلك يمهده كتمهيد الطفل لئلا يعنت نفسه بكثرة الاضطراب والنزوع للهروب وليهدأ روعه وتسكن نفسه..

فأما صقور الجزيرة وهي ما تسمى بالشياهين والوكارى، فهذه تصاد في الجزيرة كل حين ، وهناك جبال تجود صقورها جودة فائقة كجبل سنجار وجبل حوران وجبل شلوى . حتى أنهم

يصفون الرجال الشجعان بها فيقولون فلان طير حوران وفلان طير شلوى ... إلخ ؛ وأما ما يسمونه - بالحرار - جمع حر على لغة العامة والمراد الأحرار فهذه توجد في جزء في البحر الأحمر وما جاوره ، وفي الخليج العربي وما جاوره وفي فصلي الأسد والسنبلة تهرب هذه الطيور من الحر إلى هضبة الحبشة وإلى قمم جبال السروات وقمم جبال إيران مما يلي الخليج العربي، ويجرى اصطيادها في هذين الفصلين غالباً، وهذا النوع من الصقور - الأحرار - هي المفضلة والأثيرة وتمتاز بكبرها وثقل وزنها ويفضلون منها ما تتوافر فيه الصفات الآتية : كبر الرأس ، وضخامة المناكب ، وطول العنق ، والفراهة، والكبر ، وانتظام الحركة في خفة وملاحة وحذر ،، يأخذون مثل هذه الصفات على أنها من أدلة جودة الصقور، وقد تختلف هذه الصفات بضدها وتوجد الجودة وبالعكس ، فالفعل هو المعيار.

وفي وصف الصقر يقول بعضهم :

يارب صقر يفرس الصقورا
ويكسر العقبان والنسورا
يجتاب بُردا فاخرا مطرورا
مسيرا بكتفه تسييرا
وقد تقبا تحته حريرا
مشمرا عن ساقه تشميرا
يضاعف الوشي به التنميرا
معرجا فيه ومستديرا
كما يضم الكاتب السطورا
كأنه قد ملك التصويرا
مشزرا ألحاظة تشزيراً
كأن في مقلته سعيرا
سباه من شاهقه صغيرا
قد طار أو ناهز أن يطيرا
من كان بالرفق له جديرا
ينذر في بقائه النذورا
ترى الإوز منه مستجيرا
يبادر الضحضاح والغديرا
يثبت في أحشائها الإظفورا
ينتظم الأسحار والنحورا

ولترويض الصقر وتعليمه على الصيد وتأليفه.. تتخذ في رجليه رباط من (السيور) الأدم المدبوغ الناعم، ويوصل إلى ركيزة من الخشب مسطحة الرأس بأسفلها حربة تغرس في الأرض وتسمى هذه الركيزة بالوكر، يوضع

الصقر عليها لأنه لا يألف الوقوع إلا على مرتفع ويتخذ لرأسه غطاء يحجب كامل رأسه ماعدا منقاره ويسمى بالبرقع. ويحمله الصقّار – مروض الصقر – إلى الأسواق العامة ومجامع الناس ويأخذ عنه برقعه ليؤلفه على الناس ويزيل عنه الهيبة والنفور وإذا أراد إطعامه – وهو طبعاً لا يطعم إلا اللحم النيئ – أمسك باللحمة في يده وتركه يأخذ منها بقدر، ثم أخفاها عنه ليظل يبحث عنها في حضن الصقار أو تحته ، وفي أثناء إطعامه يظل الصقار يصيح عليه صياحاً منكرا؛ وكل هذه ضروب من التأليف..

وبعد أن يراه ألف نوعاً ما يضع فيه خيطاً دقيقاً قوياً يبلغ طوله أكثر من ثلاث مئة متر، ويذهب صقار آخر بقدر هذه المسافة فيقف ينادي ويلوح للصقر بشلو في يده – قطعة لحم – فيطير إليه فإذا أقبل عليه رقد وتركه ليظل صاحبه يلوح له بالشلوويدعوه فيعود إليه مرة أخرى ، وإذا اطمأنوا إلى أنه ألف أزالوا الخيط عنه وكرروا معه هذه العملية مراراً ، وأحياناً يكسرون له جناح حبارى ويتركونه يصطادها، ويأكل من لحمها، وفي مواطن الصيد يقفون على نشز من الأرض، ويأخذون برقع الصقر فإذا أبصر الحبارى انقض عليها فمن الصقور ما يضربها بمخلبه وهو طائر فيقتلها، أو على الأقل يكسر حدة فتنتها ، ومن ثم يعود إليها فيقبض رأسها حتى يصله القانص وينيله قطعة منها، ومنها ماينازل الحبارى في الأرض وحينئذ تنفش ريشها وتكون في خيمة منه ويبدو لها منظر عجيب، وتحاول بقدر استطاعتها أن تستدير الصقر حتى إذا جاءها من خلفها سلحت عليه وعطلت ريشه عن الطيران وهربت وهذا أقوى سلاح لديها يمنعها منه، ولا يكون ذلك إلا للصقر الخامل أما الشجاع فإنه لا يأتيها إلا بحذر ويتصيد رأسها حتى يمسكه وهكذا مع كل واحدة حتى إن بعض الصقور ليصطاد في يومه خمس عشرة وأكثر ..

ذلكم هو اصطياد الصقور وترويضها وتعليمها.. ونكتفي من ذكر كواسر الحيوانات بالكلاب المعلمة ، ومن

جوارح الطير بالصقور طلباً للاختصار وإلا فإن هنالك الفهود والبزاة والعقبان والبواشق والكونج والمزمج وغيرها مما يصطاد به العرب.. للحصول عليها وترويضها وتعليمها طرقاً يطول شرحها.

وهنا ظاهرة يجب التنبيه عليها ذلك أن بعض الناس ومنهم خواص أيضاً ينظرون إلى النسور على أنها من الطيورالجوارح وأنها مشهورة بالشجاعة حتى ليصفون الشباب المدرب على سلاح الطيران بالنسور فيقولون «نسورنا الأبطال» وقد وقع فى ذلك بعض الشعراء في مدحه للأكابر وهذا غلط فاحش ، فالنسر طائر خبيث من فصيلة الرخم يأكل الجيف ويسقط مساقط الذباب ومانعتته العرب بشجاعة ولا كرامة فنرجو أن نصحح هذا المفهوم .

وجاء الإسلام وأقر الصيد وأباحه إلا أنه هذبه ووضع له حدوداً وقواعد وبين ما يحل وما يحرم من الحيوانات ومتى تكون الطريدة حلالاً ومتى تكون حراماً إلى آخر القواعد التي تعهدها شأنه في تنظيم أمور البشرية وتهذيبها.. فجاء في القرآن الكريم آيتان لهذا الغرض كلاهما في سورة المائدة الأولى قوله تعالى : ﴿ يسئلونك ماذا أُحل لهم قل أُحِلَ لكم الطيبات وماعلمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب ﴾ » المائدة (٤) . والثانية قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ » المائدة/٩٤ .

فسبب نزول الآية الأولى أن عدي ابن حاتم وزيد بن مهلهل جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة ، وإن الكلاب تأخذ البقر والحمر والظباء فمنه ماندرك ذكاته، ومنه ماتقتله فلا ندرك ذكاته وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا فنزلت الآية. من ذلك

انعقد إجماع علماء المسلمين على أنه لابد في صيد الكلب أن تتوفر فيه الشروط التالية: إذا لم يكن الكلب أسود وعلمه مسلم فيشلى إذا شلى، ويجيب إذا دعى، وينزجر بعد ظفره بالصيد إذا زجر، وأن يكون لا يأكل من صيده الذي صاده وأثر بجرح أو تنييب وصاد به مسلم وذكر اسم الله عند إرساله..

والثانية نزلت على الأرجح في شأن صيد المحرم وما يحل وما يحرم في حقه لأن الصيد آنذاك كان هو إحدى معايش العرب ، فحدد الإسلام مايحل ومايحرم منه في الحل والحرم..

وورد في السُّنَّة أحاديث كثيرة تفسر ماورد في القرآن عن الصيد وتبينه وتبسط القول في الذكاة، والتسمية وصيد الكلاب والبزاة والرمي وغير ذلك مما عقد له فقهاء الإسلام ومحدثوه أبواباً وبسطوا القول فيه واستوعبوه..

ونخص بالإشارة من ذلك ما يباح أكله وما لا يباح من الحيوانات والطيور والزواحف ونحوها..

فهنا قوله تعالي :

﴿ قل لا أجد فى ما أُوحِيَ إلىَّ محرمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتةً أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقًا أُهِلَّ لغير الله به فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فإن ربك غفور رحيم ﴾ « الأنعام/١٤٥ » .

فالحصر في هذه الآية ظاهر أنه لا محرم غير ماورد فيها غير أنه وردت أحاديث صحيحة تخصص هذه الآية ، منها حديث : « يحرم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير» فهذا الحديث مخصص للآية الكريمة على رأي بعض العلماء بأن المراد ما سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقتها جاء الجواب عليه في هذه الآية وهذا لا يمنع في رأيهم من أن يكون هناك محرم غير مانص عليه، وقال آخرون إن الآية مكية وخصصت بالنصوص المدنية.. وأيما كان فالذي عليه جمهور العلماء هو إنه تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وكل مالم يرد فيه نص وهو مستقذر لدى أواسط الناس ولو طرد مفهوم الآية لأكلت الكلاب والحمير ونحوها.

على أن هناك أشياء مخصصة من عموم الأحاديث مثل الضبع فإنها ذات ناب، وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم أكلها ومثل الضب فإنه مستقذر وقد وضع على مائدة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأكله، ولكنه أقر أكله وعلل عدم أكله له بأنه ليس بأرض قومه .

على أن كثيراً من العرب يتساهلون في ذلك إما لضرورة وإما لرخص يجدونها من بعض العلماء يقول بعضهم :

أكلنا الربى يا أم عمرو ومن يكن
غريباً لديكم يأكل الحشرات

ويصف لنا البحتري مشهداً له مع الذئب انتهى بقتله واشتوائه وأكله ، فيقول :

وأطلس ملء العين يحمل زوره
وأضلاعه من جانبيه شوى نهد
له ذنب مثل الرشاء يجره
ومتن كمتن القوس اعوج منآد
طواه الطوى حتى استمر مريره
فما فيه إلا العظم والروح والجلد
يقضقض عصلا في أسرتها الردى
كقضقضة المقرور أرعده البرد
سمالي وبي من شدة الجوع مابه
ببيداء لم تعرف بها عيشة رغد
كلانا بها ذئب يحدث نفسه
بصاحبه والجد يتعسه الجد
عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها
على كوكب ينقض والليل مسود
فما ازداد إلا جرأة وصرامة
وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها
بحيث يكون اللب والرعب والحقد
فخر وقد أوردته منهل الردى
على ظمأ لو أنه عذب المورد
وقمت فجمعت الحصا فاشتويته
عليه وللرمضاء من تحته وقد
ونلت خسيسا منه ثم تركته
وأقلعت عنه وهو منعفر فرد

أما ما يقصدونه بالقنص ويحرصون على اصطياده فهو بقر

الوحش وحمره والنعام والأيائل - الوعول - والظباء والأرانب والحبارى والكروان والقطا والحمام والدرج.. إلخ، وللظباء لديهم أثرة وامتياز وهي ثلاثة أنواع الأدمى وهو الذي في لونه ضرب من الكمتة، وريمى وهو الذي يضرب إلى الحمرة، وعفرى وهو الذي يميل إلى البياض وهي غالباً تكون بلون الأرض التي تعيش فيها وكذلك غالب الوحوش والحيوانات وهذا نوع من حماية الله لها، وسبيل من سبل الإبقاء عليها، وإلا لتسلطت عليها الجوارح والقناص وأبادتها وهي ظاهرة اتبعتها الأمم في تلوين أسلحتها وخيامها وعتادها بلون الأرض التي تحارب بها.. وكم لله من لطف خفي علموه أو لم يعلموه.

وفي ألوان الظباء يشبه أحد الشعراء الشعبيين صويحباته بهن وكان قد عهدهن في منازل أقفرت منهن فيقول :

يادار وين الظبا ألي فيك خابرها
أدمى وعفرى وريمى وغزلان

ولقد انتقل الصيد إبان الحضارة العربية من كونه ضرباً من ضروب المعيشة وجزءاً من حياة العربي خصوصاً البداة إلى دور النزهة والسلوة والمباهاة، وإعطاء النفس نصيبها من المرح والانطلاق فحفلت العهود الأموية والعباسية والأيوبية والفاطمية والسلجوقية بضروب القنص وأفانين الصيد، وجاءت أشعار شعرائهم حافلة بذلك يقول أبو نواس ينعت كلبا :

أعددت كلبا للطراد فظا
إذا غدا من نهم تلظى
وجاذب المقود واستلظى
كان شيطانا له الظا
يكظ أسراب الظباء كظا
حتى تراها فرقا تشظا
يحوز منها كل يوم حظا
حتى ترى نجيعها مكتظا

ويقول يصف صقراً :

لا صيد إلا بالصقور اللمح
كل قطامى بعيد المطرح
يجلو حجاجى مقلة لم تجرح
لم تغذه باللبن المضيح
أم ولم يولد بسهل الأبطح
إلا بإشراف الجبال الطمح

أحصى أطراف القدامى وحوح
أبرش من بين القرى والمذبح
فاصطاد قبل التعب المبـــرح
وقبل أوب العازب المــــروح
خمسين مثل العنز المشـــرح
مابين مذبوح ومالم يذبـــح
ويقول ابن المعتز يصف فهده :
ولا صـيد إلا بوثـابـــــة
تطير على أربع كالعــــــذب
فإن أطلقت من قلاداتهـا
وطار الغبار وجد الطلـــــب
فزويعة من بنات الريـــاح
تريك على الأرض شيئًا عجـب
تضم الطريد إلى نحرها
كضم المحبة من لا يحــــب
وقال بعضهم :
لا تستضيف من الطراد جيادهم
فتراهم أبداً على أوفـــــاز
فبزاتهم تصطاد صيد كلابهـــم
وكلابهم تصطاد صيد البـاز
ألفوا الوغى فتعللوا بمصائـــد
عن شن غارات وبعد مفـــاز

ولعل أصدق ما يمثل واقع الصيد في عـهوده المتأخرة ، قطعة البارودي التالية :

وفتيان لهو قد دعوت وللكــــــرى
خباء بأهداب الجفون مطنـــــب
إلى مربع يجري النسيم خـــلاله
بنشر الخزامى والندى يتصـــبب
فلم يمض أن جاءوا ملبين دعوتـي
سراعا كما وافى على الماء ربـرب
بخيل كآرام الصــــريم وراءهـــا
ضوارى سلـوق عاطل وملبـــب
من اللاء لا يأكلن زادا سوى الذي
يضرسنه والصيد أشــــهى وأعذب
ترى كل محمر الحماليق فاغـــــر
إلى الوحش لايألوا ولايتنصب
يكاد يفوت البرق شدا إذا انبـرت
له بنت مــاء أو تعرض ثعلـــب
فملنا إلى واد كان تلاعــــــــه
من العصب موشى الحبائك مذهـب
تراح به الآمال بعـــد كلالـــها
ويصبو إليه ذو الحجا وهو أشيـب

# هى أهل وإن تنكر دهر

**قصيدة للدكتور إبراهيم السامرائى**

قرُبتْ أم تباعَدَت عنكَ مصـر
هي أهلٌ وإنْ تنكّر عصـرُ
ورَفَتْ بسَرْحةٍ وأغدقَ نيـلُ
ولكم زانَها الثّرى وهو تِبْـرُ
هي أمٌّ قد قرَّبَتْ فَلَـذاتٍ
رضعوا ثديَهـا فأسلَس دَرٌّ
وهي منّا ، وإن دَهَتنْا خطوبٌ
ومن الخَطْبِ ما يهزُّ ويَعـزو
وهي مصر، دعا بها كل نَدْبٍ
هَمٌّ للحزم والدجَى مكفهِـرٌّ
نحنُ منها، ونحن قومٌ سَمَوْنا
للمعالي يدعو إليهنّ نُكْـرُ
قد وطئنا السبيلَ وهو جهادٌ
وخَبَرناه والثّرى مقشعِـرٌّ
ولَزِمنَا النضالَ خُطّةَ حـزْمٍ
ولقد عزَّ دونها اليومَ مَهْـرُ

* * *

أتُراني ، وقد سعَيتُ إليـهـا
ورفيقى فيها عزيزٌ وحُـرٌ ؟
ويهون العسيرُ، وهْو جحيمٌ
إنْ تَداعَى إلى الرزيّة حَشْـرُ
أو ترامَى إلى الكريهةِ قـومٌ
قد أساغوا شرابهَا وهو مـرٌّ
أو تُراني، وقد دَعَتني إليـها
برّةٌ سَمْحةُ الجناحَين مِصـرُ
أتَملّى صَحْبي ، وأين حبيـبٌ
شِمتُ فيه صبابتي ، وهي بِكـرُ
من ثلاثين .. أوتُنيف عليـها
شامخاتٌ على المدى هُنَّ عُمْـرُ
قلتُ: أين «السعيدُ أحمدُ» مـ
ـن أومَتْ إلى سَعْده فضائلُ كُثْرُ
أتُراه قد استجابَ لـداعٍ
قد سَطَا هَوْلُه، فُروّعَ بـدْرُ

(*) ألقيت هذه القصيدة فى الجلسة السادسة للمؤتمر المنعقدة بتاريخ ٢٨ من رجب سنة ١٤١٢ هـ الموافق ٢ من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٢م .

غابَ ، لم أستطعْ بلوغَ عُلاهُ

ولَكَمْ أدرَكَ السماكَينِ نَسْرُ

غيرَ أنّي ، وقد دهانيَ خَطْبٌ

فاحتَواني ، وقد تطايَرَ شرٌّ

أتَسَلّى بالأكثرين وحَولي

أنجمٌ ، في مواطن الجدِّ ، زُهْرُ

وهم من هم إلى الضاد نبعٌ

فاض من وافر يُغَذِّيه وَفْرُ

هى بين اللُّغَى أمارة مجدٍ

زَيَّنَت رِفْدَه ذخائرُ غرٌّ

وهُمُ الأكرمون ، قد كان منهمْ

لنِداها، ما استَحْكَمَ الخطبُ ، برٌّ

هو ذا شيخنا الرئيسُ بدَأْبٍ

منذ ستين يحتويهنَّ سفْرُ

* * *

أين قومي، وقد دَهَتهُمْ دَواهٍ

فرَّقَت شَمْلَهم ، وفي ذاكَ سرٌّ؟

مالَنا ؟ كُلّنا جَوٍ يتلظّى

أنعاني من عمرنا، وهو خُسْرُ ؟

مَرَّ عامٌ حُرِمتُ فيه لقاءً

هو خيْر ، والخيرُ في العصر نَزْرُ

أتَقَرَّى به بقيّةَ وَفْرٍ

نبتغيه ، وحاجُنا اليومَ صِفْرُ

أَفَأَمْضي إلى الحِمَى بعد بَيْنٍ

قد طوانى، فيه على الضيم ضُرٌّ؟

أطَأُ العَشوةَ البغيضةَ أشقَى

فى لظاها، وقد شَجَتْني عَشْرُ

أمُقامي «صنعا» ، وقد عِفتُ عمّانَ،

وزادي في موحش الدرب صَبْرُ

هى عشر سَئِمتُ فيها مقامي

ولَكَمْ قد نَبا بعيشي مَقَرٌّ

أفأنتَ الشقيقُ لي ذاك سرٌّ

ولأنتَ البعيدُ منّي تفِرُّ

* * *

أتَصَبَّى إلى العراق ، ودوني

بعضُ مالا أُطيقه ، وهو أمْرُ

أفحسبي صباً، وأهلي شتات

ولقد هالني تبابٌ وعُسْرُ

قد دَرَجْنا، وكان فينا مِراحٌ
بَطَرٌ يُطَّبى ، وفي الحال يُسرُ
وانثَنَينا ، بطرفة العين ، نبدو
سلعاً يرتمي عليهنّ تَجْرُ

* * *

أديارَ السلام ياقِبلة المجد
كيف استباحكِ اليوم كُفْرُ
أصحيحٌ ماكان فيكَ مقيماً
من ربيع ذَوى فأجدبَ قَفْرُ !
وثراءٌ مشى بأرضك رِفْهاً
قد تداعَى عليه ظلمٌ وغَدْرُ
كيف لي أن أرى دياري نهبًا
يتصدّى لها غُثاءٌ ومَكْرُ
لستُ أقوَى على صَعيدٍ ، يُعاني
فيه سَمْحٌ يشدُّه اليومَ فَقْرُ
وهو مني ، وللمروءة حقٌّ
كيف أرضَى أن يُبْتَلى فيه كِبْرُ
أأشمُّ الأمسَ البعيدَ قريباً
ومتاعي منه شَميمٌ وعِطْرُ؟
أفَلِي كل ذاكَ يسطَعُ نَفْحٌ
وأناجي الربوعَ يبسَم زَهْرُ؟

أعذيرى البعادُ عن أرض قومي
ومتى كان لي على البعد عُذْرُ ؟
ونصيبي في الرَّوع سَمْحُ بيانٍ
أتَصَبَّى بفيضه ، وهو شعرُ
وأُورّي بهمْسه ، وهو صدقٌ
صُغْتُ فيه صبابتي، وهو سحرُ
حَمِيَ البأسُ فانْتَفَضْتُ فأمسَى
كلُّ ما أدَّريه مني يُجرُّ
أفترضَى الحياةَ في غير عزٍّ
وهي تحلو ، ورُبَّ حلوٍ يَمَرُّ
غير أني ألقى بمصرَ وفاءً
قد تحامى عليه في السرِّ دهرُ
أنت يامصر موردُ الخير للناس
وأُسْدُ الثرى ، ولوذٌ ووَكْرُ
ولقد هالنا معينٌ يُجَافَى
فيعاني أهل له ، وهو ثَرُّ
رِيعَ أهلٌ لنا وضيمتْ ديارٌ
لبني العُرْب والمصاب يَجُرُّ
ما أراني إلا الذي من إذا
ضيم إخوانُه تقاضاه جَمْرُ

أرفيقي من أنت ؟ أنت وقـــودٌ ... ومَعِينٌ يزكو ويعُمرُ رِفهـــاً

تتلظّى في « القدس » ذاك الأبـرُّ ... أَفنشكو من جَدْبنا ، وهو نَـهْـــرُ

أنت من أهلنا ، ورُبَّ وجيـــعٍ ... أَوَ نَسْـتَـفُّ مِلحَ أرضٍ علاها

يتوخّى طلقَ الضحى ، وهو أجـرُ ... هاتفٌ في جهادنـا هو نَصْـــرُ؟

أنا لي في غدٍ عزاءُ ويبـــدو ... قد يعودُ البعيد فينا قريبـاً

لي فيما أشيمه اليوم ، فجْـــرُ ... ويُنـادَى بـنـا ، وفينـــا يُسَـــرُّ

**إبراهيم السامرائي**

عضو المجمع من العراق

# عندما تترجل الفرسان ...!

**قصيدة للأستاذ حسن عبدالله القرشي**

باسِمٌ والأسَى لِرُوحِكَ زادُ
وعَليلٌ قَدْ مَلّه العُوَّادُ
سَاهِدُ الطَّرفِ من جَهَام الليالى
ضاحِكٌ للبُكاء فيكَ مَعَادُ
زَارِعٌ والحُقُولُ ألْوىَ بها الجَدْ
ـبُ ، فلا ثَمَّ سُنْبلٌ ولاحصادُ
حاضِرٌ غائبٌ معاً والمآسي
تتوالى، وللحُبورِ ارتدادُ
وَلّت الأمْنياتُ بعد اقترابٍ
يَشْحُبُ الحُلْمُ إذ يَضِلُّ المُرادُ
لسْتَ تشكو لما يؤودك فَرْداً
أويَروع الفؤادَ منك الرَّمَادُ
أنتَ تأسَى لأمةٍّ شَفَّها الضعـ
ـفُ وأودى بريحها الأوْغَادُ
لارَشَادٌ يقودها لعُرَى الخيْـ
ـر أضلَّتْ طريقَها لاسَدَادُ
كانتِ الذِّروة التي يَزْهرُ الدَّهـ
ـر بأكنافها، وتسمو البلادُ
كان نهرُ الجُنَى على ضِفَّتَيْها
يتهادَى ، وللشمُوخِ امتدادُ
ولها صَوْلَةُ الجبالِ وومْضُ الشـ
ـمسِ ، تعنُو لِضَوئها الآبادُ
كان عزم (الفاروق) مِلءَ جناحيْـ
ـها، وكانت أيَّامَها الأعيادُ
ويدوي زئير (معتصمٍ) فيـ
ـها فَنَارُ دماؤها وجِهَادُ
تتحدَّى جَيْشَ الصَّليب يبادر
ها من الفَتْح عُدَّةٌ وجِلادُ
فإذا بعدَ كُلِّ هذا التَّسامى
يَذْبُل الفَجْر ، تَضْمُر الأمجَادُ
وتطيشُ الرُّؤى فيندثر الزهـ
ـو ويَرْعى أطيَارها الصَّيَّادُ
حيث يعلو صدى (يهوذا) بلادي
وله في حُدودهنَّ احتشاد
يالَذُلِّ الإسلام والعُرْبُ طُراً
وذُرَى ( القُدْس ) قد علاها السَّوادُ

أترى ينْجلي القتامُ وتعــــلو
رايةُ الحقّ، تنطوي الأبْـــــعَادُ؟

* * *

مَن عذيري ، وللخَـــلافِ جُذورٌ
في دِيَارى رغم انتصارِ العوادي
كلَّ حين تحدو سراها المآســـي
جائحـاتٍ في كل صُقْــعٍ ووادى
شُوِّهَتْ فى النّفوس زُهْرُ المعاني
وانثنى حاضــرٌ بِهَمٍّ وبَـــادي
أتُرى الخصْبُ جَفَّ فيـها فلا نبـ
ـع دفوق ، ولاصهيل جِيــادِ ؟
لا جِهَادٌ يَردّ كيد المضِّـــــليـ
ـن ويشفى منا القلوب الصوادِى
يألَمُ الناسُ للأخاءِ صَرِيـــعاً
بعْدَ أن كان جمْرَةً في اتِّـــقادِ
ويسود العدو أرض النبييـــــ
ـن ويُذْكي الشجون في الأكبـادِ
يتحدى مروءة كان ماضيـ
ـها سَمَاءً لنجـدةٍ ، واعتِـــدادِ
أتُنَادي بالسِّلْم والعارُفى السِّـ
ـم لـدَى حاقدٍ غليظ الفُــــؤادِ
مُوغلٍ في مهانةِ الأهْل مــــوتو
ر عَتِيٍّ الإصْرار وارِى الزِّنـــادِ
يرفُضُ السِّلم موغلاً فيه تــحدٍّ
يه ، ويُورى لَظَى الأسى في عِنادِ
هَمُّه في انتكاسِ ثوْرتنا البِكـ
ـر تَعَالتْ رغم الخُطُـوب الشِّدادِ
فـدَم الأبْريـاء خمــرٌ يـــرو
يــه وزادٌ لجُـوعِــــــهِ أيُّ زادِ
وأنينُ الثُّكْلَى بأذنيــه أهْــزُو
جـة نصْـرٍ ، مُنَغّمِ الإنشــــادِ
سَرَقَ الأرض واستباح بها العر
ض، خبيثاً في جَوْره المتمـادى
وتباريه جَوْقَةٌ من لئِام الغـــــر
ب ضلّت سبيلها للـرَّشــــادِ
تَـدّعِي للحُـقُـوق رُعْيــا وما عــا
شت لغَيْـرِ الضّـلال والإفسـادِ
سَوْفَ يَعْلُـو برغمها مَنْطِق الحـ
ـق على كلّ غــدْرةٍ وكيـــادِ
فديار الأحـــرارِ مهما تنـــاءَتْ
هي للأهْـل رغَم أنْف الأعــادي

* * *

أمَّتِي والشُجونُ مِـــــلْءُ كياني
مِنْ ورائي مطيفةٌ ، وأمامـــي
والمآسي تزاحَمْت فإذا الأفـــ
ـــق جَهَامٌ مستـهدفٌ لِجَـهام
أنا مَهْما قسوت في عَذْلِ قومي
وتألّمتُ من ضَـيَـاع مرامـــي
وغزا خافقي الضّبابُ وشَجَّتْ
رايةَ النَّصْرِ هَيْنَماتُ آنقسَـــام
فهمـــو كُلُّهم ملاذ غَـدي الآ
تـى وما قد ذَخرتُ من أيّامِـــي
لَسْتُ أرضَى لهم هَوَانًا ويُشجِي
خافِقِي منهمو آنثلامُ حُسَامـــي
أيـ (صهيون) أن تعكِّر صَفْوِى
دون أن تستثير بأسَ آحتدامـــي ؟
ألِمن دفـؤه إذا مَسَّ قُـــرّ
من بلادي ، وزادُه من طـعامـــي ؟
أن يُنادى جَهرًا بنصـر عدوّي
ويُمارِي كرامتـــي ، وسلامـــي ؟
يُترعُ المال في خَزائن خَصْمي
كي يحثّ الخُطـى لوأد عُرامـــي
حاضنًا من شـراذم البغي والإر
هـاب من هشَّموا سليم عِظـامي
كُلـّهم رغم صَوْلةِ الغَدْرِ والإجـ
ـرام رهْنٌ لِصَاعِقٍ من ضِرامي
لن يعيشَ الباغي وفي جُعْبتى الثأ
رُ وجيشٌ من الأسُودِ الكـــرامِ
هـل دَرَى أنَّ كلَّ ذرَّة رمْـــلٍ
مِنْ ديارى مَذخُورَة لآنتقامـــى ؟
هـوذا جيلنا الجـديدُ تحـــدَّى
بغْيَه غـــير آبهٍ لحِمـــام !
بالصمود العنيد يفْترعُ الخطـ
ـب ولاينحني لسهم الرَّامِـــي
عربيٌّ الإبــاءِ لا يرهب المـــو
تَ ولا يَسْتنيمُ للأحـــــلامِ
في سبيل النِّضالِ والوطن الغا
لـى وفي ثورةٍ وفي إقْــــدامِ
سوف يَمْضي محررًا أرضَه الطُّهـ
ـرويجلو من غاشياتِ الظّلامِ !

**حسن عبدالله القرشي**

عضو المجمع المراسل من السعودية

# علي هامش تفسير بضع
# من آي الذكر الحكيم

للدكتور حامد جوهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته :

السيد الأستاذ الجليل الرئيس :
السادة الضيوف الأجلاء الوافدين إلينا من بلاد شقيقة وصديقة والمقيمين معنا ،
السادة الزملاء الأعزاء أعضاء المجمع الموقرين :

لامرية أنكم تعجبتم لاختيارى مثل هذا الموضوع لأتحدث عنه إليكم . وفيكم أساطين هذه العلوم . وأنا لا أعجب لتعجبكم هذا إذ لا أدعي أنني ممن تخصصوا فيه أو وصلتُ فيه إلى ماتصبو إليه نفسي من علمٍ به ومعرفة . فلم أؤهل له أو أعد له الإعداد الكافى ، ولكننى إنما أخضع لأمره تعالى لعباده أجمعين ، أن يُنعموا النظر ويُعمِلوا الفكر في ملكوته وخلقه لعلهم يهتدون . إنما كان قوام إعدادى العلمى كله موجهاً إلى ناحية العلوم الطبيعية ، وبخاصة إلى علوم الحياة ، وعلى الأخص إلى ظواهر الحياة فى البحار . وأحب أن أؤكد لكم أننى أجد أن هذه العلوم إنما هى من أقوى الوسائل التى تهدى إلى الإيمان الراسخ الثابت الذى لايتزعزع . بل ألمس ذلك دائمًا عند مشاهدى البرنامج التلفزيونى « عالم البحار » دون أن أحاول مطلقًا التوجيه إليه . فإن هذه العلوم تقوم على الملاحظة والتفكير فى ملكوت الله تعالى ، وفى قدرته وعظمة خلقه وإبداعه . ولذلك فإننى لا أشك أن هذه الدراسات إنما تشكل دعائم قوية للإيمان بالله سبحانه جلّ وعلا . وليس أدل على هذا من أمره تعالى عباده أجمعين بالتفكير فى مخلوقاته . أليس هو القائل فى سورة آل عمران بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات

(*) القيت هذه المحاضرة في جلسة المؤتمر العلنية التى انعقدت مساء الأربعاء غرة شعبان سنة ١٤١٢ هـ الموافق ٥ من فبراير (شباط) سنة ١٩٩٢م .

لأولى الألباب (١٩٠) الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾(١٩١) » صدق الله العظيم . وفى الآيتين التاسعة عشرة والعشرين من سورة العنكبوت ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير(١٩) قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة (٢٠)﴾ صدق الله العظيم . كل هذه ومعها الكثير من أمثالها فى كل المجالات إنما هى أوامر صريحة واجب على كل فرد تنفيذها ، كلٌّ بحسب طاقته . واستعداده ووسائله . هذا هو الذى شجعنى على أن اقتحم هذا الخِضَمّ العميق الشاسع المنير .

ولقد كان أول ما اتجه إليه تفكيرى ، بطبيعة الحال ، هو البحر وجلال خلقه وأول آيات خطرت على بالى إنما هى الآيات ١٩-٢٣ من سورة الرحمن : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان (١٩) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢٠) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢٢) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢٣) ﴾ صدق الله العظيم . واتجه التفكير مباشرة إلى التيارات البحرية فى بوغاز باب المندب بين البحر الأحمر وخليج عدن ؛ إذ كنا فى ذلك الوقت ( أوائل الثلاثينيات ) ندرس تلك الظاهرة على ظهر سفينة البحوث المصرية « مباحث » ومضت فترة ليست بالقصيرة قبل أن نعرف أن القرآن الكريم قد حدّد البحرين بأنهما الملحُ والعذب . وعرفنا أن اجتهادنا فى كل تلك الفترة لم يكن على الطريق الصحيح ، وأنه على من يتصدى لتفسير آى الذكر الحكيم لابد وأن يكون على إلمام كافٍ به أو على الأقل بكل مايتصل بموضوعه من آيات . الأمر الذى لم يكن فى متناولى أدواته فى ذلك الوقت .

هذه الآيات العظيمة القليلة الموجزة أعظم الإيجاز كانت موضع اهتمام الكثيرين الذين وضعوا لها تفسيرات مفصلة قيمة ، ولم يكن يدور بخلدى أن

من المستطاع الإضافة إليها . ولكن بمزيد من البحث والإطلاع على مايُجرى من بحوث فى كثير من بقاع العالم أجد ناحية تستحق الإضافة إلى ماوصل إليه التفسير إلى الآن .

ولقد أورد سبحانه جلَّ وعلا مفتاح المعنى فى القرآن الكريم : ففى سورة فاطر الآية ١٢ : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ومايستوى البحران هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابه وهذا مِلحٌ أُجاج ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حِليةً تلبسونها وترى الفُلكَ فيه مواخر ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ . وفى سورة الفرقان/٥٣ : ﴿ وهو الذى مرج البحرين هذا عذبٌ فراتٌ وهذا مِلحٌ أُجاج وجعل بينهما برزخًا وحِجراً مَحجُوراً ﴾ . وكذلك فى مواضع آخرى .

إذًا لامجال للمناقشة فى أن البحرين هما البحار الملحة من ناحية والبحار العذبة من أنهار ، ووديان تمتلئ بالماء فى مواسم الأمطار أو من ذوبان الثلج فى قمم الجبال والجليد فى المناطق الباردة من ناحيةٍ أخرى .

وأما مايخرج منهما من لؤلؤٍ ومرجانٍ فقد كان هذا موضوع أول لقاء لى مع التفكير فى تفسيره ، إذ كان المغفور له الإمام الشيخ عبدالرحمن تاج معنيًا بدراسة سورة الرحمن وسألنى عن اللؤلؤ والمرجان ومواطن وجودهما . فأنبأته أن اللؤلؤ أكثر مايوجد فى البحار المِلحَةِ الدافئة ، ولكنه يوجد أيضًا ، وإن كان بقلة ، فى المياه العذبة حيث جيده نفيس . أما المرجان فلا يوجد إلا فى البحار المِلحَةِ الدافئة .

والمرة الثانية كانت فى برامج الإذاعة القرآنية فى أحد شهور رمضان المعظم منذ سنوات . وكان الموضوع الذى اختِيرَ لى للتحدث عنه تلك الآيات الكريمة بالذات من سورة الرحمن . وأصررت حينذاك على أن يشترك معى عَلَمٌ من علماء الدين ليتولى الناحية الدينية فتطوع المرحوم الأستاذ الشيخ الحسينى هاشم بتحقيق رغبتى فتولى الناحية الدينية .

وقد كان أهم ماتحدثتُ فيه هو التقاء مصاب الأنهار والوديان بالبحار وكيف

تُمْزَجُ المياه من البحرين بعضها ببعض وضربت مثلا بالبحر الأبيض المتوسط ونهر النيل فى مصبى دمياط ورشيد ، فيما قبل بناء السد العالى . فعند مصاب الأنهار يتسع مجرى النهر . وإذ يرتطم الماء العذب بالماء الملح يرتفع العذب فوق الملح ، وهذا، أى الملح، يزحف على القاع داخلاً إلى مسافة ، ليست بالطويلة ، فى المصب ، بينما يفيض العذب على السطح منسابًا إلى البحر . هذا إذا كان الجو هادئًا تمامًا . أما إذا كان الجو مضطربًا والرياح شديدة فتعمل الرياح وشدة الأمواج على خلط المياه خلطًا محدودًا يسمح بانفصالهما بعد فترة من الزمان والمكان . كما أن حركة ارتفاع ماء البحر وانخفاضه ، والتى تعظم عند المصب ، مع حركة المد والجزر فتُنَشِّط الخلط تنشيطًا خفيفًا نسبيًا يؤدى إلى المزيد من كمية الماء العذب الخارج إلى البحر طافيًا فوق ماء البحر . والمحصلة النهائية هى خروج الماء العذب إلى البحر طافيًا على السطح . ومع هذا فقد استمرت هذه الحال ملايين السنين ولم تتحول البحار إلى العذوبة ولاتحولت الأنهار إلى الملوحة .

والذى أضيفه الآن أن مياه الأنهار إذ تجلب إلى البحار أملاحًا ذائبة وطميًا ومواد أخرى ذائبةً وعالقة ، وأحياءً مائيةً عالقةً وغير عالقة . كنا نرى أثر ذلك جليًا فى ماء نهر النيل وقت الفيضان ، إذ كان يُكسِبِ ماء النهر لونًا بنيًا مُحْمرًا ، وذلك قبل بناء السد العالى ، فنميِّز مياه النيل فوق سطح البحر الأبيض المتوسط حيث تصل إلى سواحل فلسطين ولبنان وسورية قبل أن تتلاشى فى ماء البحر تدريجًا. إذ تفقد عوالقها لترسبَ على قاع البحر مكسبة الماء خصوبة زائدة فتسمَنَ الأحياء القاعية بما يميزها على أفراد أنواعها فى المناطق المجاورة . والأملاح الذائبة فى كل نهر كبير توجد بنسب ثابتة بالنسبة لبعضها ، وتختلف تلك النسب عن نسب الأملاح الذائبة فى ماء البحر بعضها إلى البعض الآخر واستمر ذلك منذ آلاف السنين على الأقل. وذلك كما ثبت من تحليل أملاح البحر المتخلفة فى مناطق تجمعها حيث

جفت وبقيت الأملاح لتنبئنا قصتها . وقد كان يظن أن نسب أملاح البحر تتأثر بما يصب فيها من مياه الأنهار وتتغير تدريجًا على مر الأزمان . ولكن ما أثار الدهشة أنه ثبت حديثًا أن ماء البحر احتفظ بنسب أملاحه الذائبة لاتتغير . والذى نستنتجه من ذلك هو أن قدرة عظيمة قد ثبّتت هذه النسب بتفاعلات فيزيائية وكيميائية تتم فى الناحيتين مثل الترسيب والإذابة ، وفعل الأحياء فى الناحيتين لتظل الحياة فى مياههما ثابتة إذ لا الأنهار تطغى على البحار ولا البحار تطغى على الأنهار .

وأحب أن أذكر هنا ، توضيحًا لما سبق أن من أهم النظريات التى لاقت قبولاً كبيراً فى نشأة ماء البحر وملوحته أن هطول الأمطار الغزيرة والسيول على سطح الكرة الأرضية عندما برد كوكب الأرض فى أول تكونه ، كما أن قدراً كذلك أخرجته وتخرجه الأرض عند تصلبها ، ومن البراكين بعد ذلك - تلك المياه أذابت الأملاح من الأرض وسطحها فتجمعت فى المنخفضات لتنشئ المحيطات والبحار ، وتدريجًا وصلت الملوحة فيها إلى درجتها الحالية وأن نسبة المواد الذائبة فى الماء بعضها إلى بعض قد ثبتت تدريجًا بعد ظهور الحياة فيها رغم زيادة الملوحة العامة ذاتها ببطء شديد لايُشْعَرُ به .

### القرية حاضرة البحر

والآن أرجو أن ننتقل إلى آية واحدة رقم ١٦٣ فى سورة الأعراف وهى : بسم الله الرحمن الرحيم( واسألهم عن القريةِ التى كانت حاضرةَ البحرِ إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حِيتانُهم يوم سَبتِهِم شُرّعًا ويوم لا يسبِتونَ لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يَفْسُقون ﴾ صدق الله العظيم .

والواقع أننى عندما قرأت هذه الآية الكريمة لأول مرة فهمت منها أن أهل تلك القرية صيادون ، وكانوا يراعون عطلة يوم السبت ، ولكنهم بدلاً من أن يمضوا العطلة فى التعَبُّدِ والأعمال الصالحة كانوا يأتون فيها السيئات ولايصيدون ، فعاقبهم الله تعالى بأن أرسل إليهم يوم السبت الأسراب الكبيرة من الحيتان

(السمك) سابحة عند سطح البحر كبيرة رافعة زعانفها الظهرية مرتفعة خارج سطح البحر كأنها أشرعةُ السُّفن ، ومنع عنهم الحيتان فى أيام الأسبوع الأخرى فلم يكونوا يصيدونها يوم السبت وانصرفوا عنها غارقين أنفسهم فى الموبقات . وأرى أن هذه الآية إنما هى من السهل الموجز الممتنع .

ولكنى وجدت بعد ذلك أن أغلب المفسرين يرون أن ﴿ إذ يعدون فى السبت ﴾ تعنى « إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم يوم السبت وقد نُهوا عنه » ( تفسير الكشاف جـ ٢ ص ١٢٥ ) ويرى آخرون أن « الذين اعتدوا منكم » فى سورة البقرة/١٥٠ المراد منها الذين أخذوا الحيتان على جهة الاستحلال » معجم ألفاظ القرآن جـ ٢ ص ٧٤٨ . والحقيقة أننى لم أقتنع بهذا التفسير فرأيت وجوب تحقيقه .

والآية الكريمة تحمل تفسير المعنى بوضوح . وحاولت الاهتداء إلى تحريم كا العمل ، دع عنك الصيد ، فى يوم السبت ، مما ورد فى القرآن الكريم . فلم أهتد إلى مايثبت ذلك . بل جاء ذكر يوم السبت متصلاً بجرائم من الكبائر كانوا يقترفونها ليس من المعقول أن صيد الأسماك يقارن بها من ناحية الفسق ، بل لم يرد أى تحريم للعمل يوم السبت إطلاقًا . فكان من المهم الرجوع إلى مواثيق بنى إسرائيل .

**مواثيق بنى إسرائيل**

فى سورة البقرة الآيات ٦٣-٦٦ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكُمُ الطور خُذوا ما ماآتيناكُم بقوةٍ واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (٦٣) ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضلُ الله عليكم ورحمتُه لكنتُم من الخاسرين (٦٤) ولقد علِمتُمُ الذين اعتدَوا منكم فى السبتِ فقُلنا لهم كونوا قِرَدَةً خاسِئين (٦٥) فجعلناها نَكَالاً لما بين يديها وما خَلْفَها وموعِظَةً للمُتَّقين ﴾(٦٦) صدق الله العظيم ، واعتدوا فى السبت هنا كانت جريمة قتل ، وليست أخذ الحيتان على جهة الاستحلال . وشتان بين القتل وصيد السمك فى يوم عطلة .

وفى سـورة النسـاء/٤٧ : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتابَ آمنوا بما نزّلنا مُصدِّقًا لما معكم من قَبلِ أن نَطمسَ وجوهًا فنردَّها على أدبارها أو نلعَنَهُم كما لَعنَّا أصحاب السبتِ وكان أمرُ اللهِ مفعُولاً ﴾ .

وفى الآيتين ٧٢ ، ٧٣/البقرة : ﴿ وإذ قَتلتُم نفسًا فادَّارأتُم فيها واللهُ مُخْرِجٌ ماكُنتُم تَكْتُمون (٧٢) فقُلنا اضربُوه ببَعضِها كذلكَ يُحيى اللهُ الموتى ويُريكُم آياتهِ لعلكُم تعقِلُون (٧٣) ﴾ صدق الله العظيم .

كانت هذه بعض الآثام التى كانوا يقترفونها ، ولعل أغلبها كان يوم السبت يوم العطلة ، وكما نقول فى الأمثال (اليد البطّالة نجسةٌ) وطبيعيًا لو كانوا يصيدون كان خيراً . ونلاحظ هنا أنه لم يأت أى ذكرٍ لتحريم الصيد أيام السبت ولاحتى تحريم العمل أيام السبت واعتداءات بنى إسرائيل كانت أكبر من ذلك بكثير ، نذكر توضيحًا لبعضها فيما يلى : فى سورة البقرة/٦١ : بسم لله الرحمن الرحيم ﴿ وإذ قُلتُم ياموسى لن نصبِرَ على طعامٍ واحدٍ فادعُ لنا ربَّكَ يُخرِجْ لنا مما تُنبِتُ الأرضُ من بقلِهَا وقِثَّائهَا وفُومِها وعدسها وبصلِهَا قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبِطُوا مصراً فإنَّ لكُم ما سألتُم وضُرِبَتْ عليهمُ الذِّلَّةُ والمسكَنةُ وباءوا بغضبٍ من اللهِ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللهِ ويقتُلون النَّبيِّين بغيرِ الحق ذلكَ بما عَصوا وكانوا يعتَدُون (٦١) ﴾ . وفى آل عمران/١١٢ : ﴿ ضُرِبَتْ عليهمُ الذلة أينما ثُقِفوا إلا بحَبلٍ من الله وحبلٍ من الناس وباءوا بغضب من الله وضُرِبتَ عليهم المسكَنَةُ ذلك بأنهم كانوا يكفرونَ بآياتِ اللهِ ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١١٢) ﴾ . وفى سـورة المائدة/٧٨، ٧٩ :﴿ لُعِنَ الذين كَفَروا من بنى إسرائيل على لسَانِ دَاودَ وعيسى ابنِ مريم ذلك بما عصوا وكانوا يَعتَدون (٧٨) كانوا لايتَناهَونَ عن مُنكرٍ فَعَلُوه لبِئسَ ما كانوا يفعلُون (٧٩)﴾ صدق الله العظيم .

كل ذلك خلو تمامًا من ذكر عطلة يوم السبت ، وكلها آثام من أكبر الكبائر

لايقارن بها مطلقًا العمل يوم السبت حتى ولو كان عطلة حقيقية .

وحتى المواثيق الأخرى التى أخذها الله عليهم لم تحتو أى إشارة إلى عطلة أيام السبت : ففى سورة البقرة/٨٣، ٨٥ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وإذ أخذنا مِيثَاقَ بَنى إسرائيلَ لاتعبدونَ إلا الله وبالوالدين إحسانًا وذى القُربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حُسنًا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاةَ ثم تَوَلَّيتُم إلا قليلاً منكم وأنتم مُعرِضُون (٨٣) وإذ أخذنا ميثاقَكُم لاتسفِكُون دماءكم ولاتُخرِجُونَ أنفُسَكُم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون (٨٤) ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتُخرِجُون فريقًا منكم من ديارِهم تَظَاهرُون عليهم بالإثمِ والعُدوان وإنْ يأتُوكُم أُسارى تُفادُوهُم وهو مُحرَّمٌ عليكُم إخراجُهم أفتُؤمِنون ببعضِ الكتَابِ وتكفرون ببعض فما جزاءُ من يفعلُ ذلك مِنكُم إلا خِزىٌ فى الحياةِ الدُّنيا ويَومَ القيامةِ يُرَدونَ إلى أشدِ العذاب وما اللهُ بغافلٍ عمّا تعملون (٨٥) ﴾، وفى الآيات/ ١٥٣-١٦١ من سورة النساء : ﴿ يسألُكَ أهل الكتَابِ أن تُنزِّلَ عليهم كتَابًا من السماءِ فقد سألوا موسى أكبرَ من ذلك فقالوا أرنا اللهَ جهرَةً فأخذتهُم الصاعقةُ بظلمِهم ثم اتخَذُوا العِجلَ مِن بَعدِ ما جاءتهُم البيّنات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سُلطانًا مبينًا (١٥٣) ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخُلوا البابَ سُجّدًا وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا (١٥٤) فبما نقضِهم ميثاقهم وكفرِهم بآياتِ اللهِ وقتلِهمُ الأنبياء بغير حق وقولهم قُلوبُنا غُلْفٌ بل طَبَعَ اللهُ عليها بكُفرِهم فلايؤمِنون إلا قليلاً (١٥٥) وبكُفرِهم وقولِهم على مَريمَ بُهتانًا عظيمًا (١٥٦) وقولِهم إنَّا قتلنا المسيحَ عيسى ابنَ مَريم رسول الله وماقتلوهُ وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علمٍ إلا اتباعَ الظن وماقتلوه يقينًا (١٥٧) بل رفعه اللهُ إليه وكان اللهُ عزيزًا حكيمًا (١٥٨) وإنَّ مِن أهلِ الكتابِ إلا ليُؤمِنَنَّ به قبل موته ويوم القيامةِ يكون عليهم شهيدًا (١٥٩) فبظلمٍ من الذين هادوا حَرَّمنا عليهم طيباتٍ

أُحِلَّتْ لهم وبصدِّهم عن سبيلِ الله كثيراً (١٦٠) وأخذِهمُ الربا وقد نُهوا عنه وأكلِهم أموالَ الناسِ بالباطلِ وأعتدنا للكافرينَ منهم عذابًا أليمًا (١٦١) ﴾ صدق الله العظيم .

هذا من ناحية مواثيق بنى إسرائيل ونرى أنها أيضًا تعدد بعض ما كانوا يقترفون من ذنوب وآثام كلها أكبر كثيراً من صيدهم الحيتان يوم سبتهم أو عدم مراعاتهم عطلة السبت ، ولا نجد فى ذلك كله أى ذكر لعطلة يوم السبت أو تحريم الصيدِ فيه .

والآن نبحثُ عما جاء فى القرآن الكريم عن صيد الحيتان وما إذا كان قد حُرِّمَ فى أيام أو مواسم معينة .

**صيد الحيتان**

تناول سبحانه وتعالى فى التنزيل العزيز الصيد فى البر والبحر ومواسمه بالتقنين وبيَّن أوقاته ومواسمه ومكانه وحلاله وحرامه فمثلاً :

فى سورة المائدة/ ٩٤-٩٦ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لَيبلُوَنَّكُمُ الله بشئٍ من الصيد تنالُه أيديكُم ورماحُكم ليعلمَ اللهُ من يخافُهُ بالغيب فمن اعتدى بعدَ ذلكَ فلهُ عذابٌ أليم (٩٤) يا أيها الذين آمنوا لا تقتُلوا الصيد وأنتُم حُرُم ومن قتلهُ منكُم مُتَعمِّدًا فجزاءٌ مثلُ ماقَتَلَ من النَّعَمِ يحكُمُ به ذوا عدلٍ منكُم هديًا بالغ الكَعبَةِ أو كفارةٌ طعام مساكين أو عدلُ ذلك صيامًا ليذوقَ وبالَ أمرِهِ عفا اللهُ عما سلفَ ومن عادَ فينتقِمُ اللهُ منهُ واللهُ عزيزٌ ذو انتقام(٩٥) أُحِلَّ لكُمُ صيدُ البحرِ وطعامُهُ متاعًا لكُم وللسيّارة وحُرِّمَ عليكُمْ صيدُ البرِّ مادُمتُم حُرُمًا واتقُوا اللهَ الذى إليهِ تُحشَرون (٩٦) ﴾ صدق الله العظيم .

ونرى فى هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى بينما قيّد صيد البر وحرَّمه فى الأشهر الحرم وفى الإحرام ، وحرَّم قتله فيها وجعل لذلك عقابًا صارمًا ، فإنه أطلق صيد البحر وأحل طعامه للناس وللقوافل المسافرة ( السَّيّارة ) ولم يضع لذلك أى قيد أو شرط بل اعتبرها متاعًا للآكلين . وجاء تحديد صيد البر وإطلاق صيد البحر كل ذلك فى آية واحدة

( المائدة/٩٦) . ولذلك لا أرى أىَّ سببٍ لتحريمه يوم السبت على قرية الصيادين التى كانت حاضرة البحر ، واعتبار ذلك إثمًا كبيرًا يستحقون عليه حرمانهم من الصيد بقية الأسبوع عقابًا لهم على الصيد يوم السبت، وأن يُسخطوا قردة ، بل لم يحرم عليهم العمل يوم السبت ولامراء أن إلههم هو إلهنا وسبتهم إنما يقابل يوم الجمعة عندنا الذى أمرنا الله بصلاة الجمعة فيه جماعة بما لها من نظام خاص . وهذا كل ما أمرنا سبحانه به . وإن كنا نحن – من عندنا – نراعى العطلة فيه عن العمل . والله سبحانه وتعالى يعلم ، ويأمرنا بالعمل فى يوم الجمعة . وقد أمرنا فى سورة الجمعة بالآيتين الاثنتين بذلك فى سورة الجمعة/ ٩ ، ١٠ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نُودِىَ للصلاةِ من يوم الجُمعةِ فاسعَوا إلى ذِكرِ اللهِ وذَروا البيعَ ذلِكُم خَيرٌ لكم إن كُنتُم تعلَمون (٩) فإذا قُضِيت الصلاةُ فانتشِروا فى الأرضِ وابتغوا من فضلِ اللهِ واذكروا اللهَ كثيرًا لعلكم تفلحون ﴾ صدق الله العظيم . ﴿ إذا نُودِىَ للصلاةِ من يومِ الجُمعةِ فاسعَوا إلى ذِكرِ اللهِ وذَروا البيعَ ذلِكُم خَيرٌ لكم إن كُنتُم تعلَمون ﴾ ألا يعنى ذلك أنه تعالى يعلم أن المؤمنين يكونون فى عملهم صباح يوم الجمعة إلى أن يحين وقت صلاة الجمعة . وحينئذٍ يتركون عملهم لتأدية الفريضة ؟ ثم يقول عز وجل من قائل :﴿ فإذا قُضِيت الصلاةُ فانتشِروا فى الأرضِ وابتغوا من فضلِ اللهِ واذكروا اللهَ كثيرًا ﴾ . أليس معنى هذا أنه يأمرنا بالعمل والسعى وراء الرزق بعد انقضاء صلاة الجمعة أيضًا ؟ ثم يأمرنا بعد ذلك بأن نذكر الله كثيرًا ، أى ونذكر آلاءه وأنعمه « لعلكم تفلحون » . لست أرى أن ذلك يتسق مع اعتبار أهل القرية التى كانت حاضرة البحر فاسقين أو معتدين، عادين إذا صادوا « إذ تأتيهِم حِيتَانُهم يومَ سبتِهم شُرَّعًا » وهى لاتأتيهم فى أى يوم آخر . والذى أراه أنهم لم يكونوا يصيدون يوم السبت « إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهِم حِيتَانُهم يومَ سبتِهم شُرَّعًا » فى حين أنها « يوم لايسبتون لاتأتيهم » والذى أراه أيضًا أنهم لم يكونوا يصيدون إذ يصرفهم عن ذلك فسقهم فى عطلة يوم السبت . فكان الله تعالى يعاقبهم على ذلك بصرف الحيتان عنهم يوم لايسبتون.

أُحِلَّتْ لهم وبصدِّهم عن سبيلِ اللهِ كثيرًا (١٦٠) وأخذِهمُ الربا وقد نُهوا عنه وأكلِهم أموالَ الناسِ بالباطلِ وأعتدنا للكافرينَ منهم عذابًا أليمًا (١٦١) ﴾ صدق الله العظيم .

هذا من ناحية مواثيق بنى إسرائيل ونرى أنها أيضًا تعدد بعض ما كانوا يقترفون من ذنوب وآثام كلها أكبر كثيرًا من صيدهم الحيتان يوم سبتهم أو عدم مراعاتهم عطلة السبت ، ولا نجد فى ذلك كله أى ذكر لعطلة يوم السبت أو تحريم الصيد فيه .

والآن نبحثُ عما جاء فى القرآن الكريم عن صيد الحيتان وما إذا كان قد حُرِّمَ فى أيام أو مواسم معينة .

**صيد الحيتان**

تناول سبحانه وتعالى فى التنزيل العزيز الصيد فى البر والبحر ومواسمه بالتقنين وبيَّن أوقاته ومواسمه ومكانه وحلاله وحرامه فمثلاً :

فى سورة المائدة/ ٩٤-٩٦ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لَيبلُوَنَّكُمُ الله بشئٍ من الصيد تنالُه أيديكُم ورماحُكم ليعلمَ اللهُ من يخافُهُ بالغيب فمن اعتدى بعدَ ذلكَ فلهُ عذابٌ أليم (٩٤) يا أيها الذين آمنوا لا تقتُلوا الصيد وأنتُم حُرُم ومن قتلهُ منكُم مُتَعمِّدًا فجزاءٌ مثلُ ماقَتَلَ من النَّعَمِ يحكُمُ به ذوا عدلٍ منكُم هديًا بالغ الكَعبَةِ أو كفارةٌ طعام مساكين أو عدلُ ذلك صيامًا ليذوقَ وبالَ أمرِهِ عفا اللهُ عما سلفَ ومن عادَ فينتقمُ اللهُ منهُ واللهُ عزيزٌ ذو انتقام(٩٥) أُحِلَّ لكُمُ صيدُ البحرِ وطعامُهُ متاعًا لكُم وللسيَّارة وحُرِّمَ عليكُمُ صيدُ البرِّ مادُمتُم حُرُمًا واتقُوا اللهَ الذى إليهِ تُحشَرون (٩٦) ﴾ صدق الله العظيم .

ونرى فى هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى بينما قيّد صيد البر وحرَّمه فى الأشهر الحرم وفى الإحرام ، وحرَّم قتله فيها وجعل لذلك عقابًا صارمًا ، فإنه أطلق صيد البحر وأحل طعامه للناس وللقوافل المسافرة ( السَّيّارة ) ولم يضع لذلك أى قيد أو شرط بل اعتبرها متاعًا للآكلين . وجاء تحديد صيد البر وإطلاق صيد البحر كل ذلك فى آية واحدة

( المائدة/٩٦) . ولذلك لا أرى أىَّ سببٍ لتحريمه يوم السبت على قرية الصيادين التى كانت حاضرة البحر ، واعتبار ذلك إثمًا كبيرًا يستحقون عليه حرمانهم من الصيد بقية الأسبوع عقابًا لهم على الصيد يوم السبت، وأن يُسخطوا قردة ، بل لم يحرم عليهم العمل يوم السبت ولامراء أن إلههم هو إلهنا وسبتهم إنما يقابل يوم الجمعة عندنا الذى أمرنا الله بصلاة الجمعة فيه جماعة بما لها من نظام خاص . وهذا كل ما أمرنا سبحانه به . وإن كنا نحن - من عندنا - نراعى العطلة فيه عن العمل . والله سبحانه وتعالى يعلم ، ويأمرنا بالعمل فى يوم الجمعة . وقد أمرنا فى سورة الجمعة بالآيتين الاثنتين بذلك فى سورة الجمعة/ ٩ ، ١٠ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نُودِىَ للصلاةِ من يوم الجُمعةِ فاسعَوا إلى ذِكرِ اللهِ وذَروا البيعَ ذلِكُم خَيرٌ لكم إن كُنتُم تعلَمون (٩) فإذا قُضِيت الصلاةُ فانتشِروا فى الأرضِ وابتغوا من فضل اللهِ واذكروا اللهَ كثيرًا لعلكم تفلحون ﴾ صدق الله العظيم . ﴿ إذا نُودِىَ للصلاةِ من يوم الجُمعةِ فاسعَوا إلى ذِكرِ اللهِ وذَروا البيعَ ذلِكُم خَيرٌ لكم إن كُنتُم تعلَمون ﴾ ألا يعنى ذلك أنه تعالى يعلم أن المؤمنين يكونون فى عملهم صباح يوم الجمعة إلى أن يحين وقت صلاة الجمعة . وحينئذٍ يتركون عملهم لتأدية الفريضة ؟ ثم يقول عز وجل من قائل :﴿ فإذا قُضِيت الصلاةُ فانتشِروا فى الأرضِ وابتغوا من فضل اللهِ واذكروا اللهَ كثيرًا ﴾ . أليس معنى هذا أنه يأمرنا بالعمل والسعى وراء الرزق بعد انقضاء صلاة الجمعة أيضًا ؟ ثم يأمرنا بعد ذلك بأن نذكر الله كثيرًا ، أى ونذكر آلاءه وأنعمه « لعلكم تفلحون » . لست أرى أن ذلك يتسق مع اعتبار أهل القرية التى كانت حاضرة البحر فاسقين أو معتدين، عادين إذا صادوا « إذ تأتيهِم حِيتَانُهم يومَ سبتِهِم شُرَّعًا » وهى لاتأتيهم فى أى يوم آخر . والذى أراه أنهم لم يكونوا يصيدون يوم السبت « إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهِم حِيتَانُهم يومَ سبتِهِم شُرَّعًا » فى حين أنها « يوم لايسبتون لاتأتيهم » والذى أراه أيضًا أنهم لم يكونوا يصيدون إذ يصرفهم عن ذلك فسقهم فى عطلة يوم السبت . فكان الله تعالى يعاقبهم على ذلك بصرف الحيتان عنهم يوم لايسبتون.

وإذ تأتيهم الحيتان يوم السبت وهم يفسقون فيه عذابٌ نفسيٌّ أعظم .

أما لماذا كانوا يراعون عطلة يوم السبت فهذا ما لم أجد عندى من المراجع التى تنبئنى بصراحة عنه . وقد تكون هذه سُّنةً سنَّها إسرائيل عليه السلام ليتفرغوا فيه للعبادة ، والتى بدلاً منها انصرفوا إلى الفسوق فحق عليهم عقابُ اللهِ تعالى « كذلك نبلوهم بما كانوا يفسُقون » . أى أن تكون هذه العطلة من بين السُّنن التى استنها نبىُّ الله إسرائيل عليه السلام مثل : تحريم بعض الطعام على نفسه ﴿ كلُّ الطعامِ كان حِلاً لبنى إسرائيلَ إلا ما حَرَّمَ إسرائيلُ على نفسه من قبل أن تُنَزَّلَ التوراة ، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كُنتُم صادقين ﴾ صدق الله العظيم ، سورة آل عمران/ ٩٣ ، ٩٤ .

**ختام :**

وفى ختام حديثى هذا لايسعنى إلا أن أتجه إلى العلىِّ القدير حامداً إياه أن قد هدانى لهذا ، ومكننى من القيام به ، ومستغفراً إياه عن أى خطأ أكون قد وقعت فيه ، فى التفكير أو التعبير أو التفسير أو التقصير . فما قصدتُ إلا الصدع بأمره تعالى : ﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ . وأرجو أن أكون قد وُفِّقْتُ فى ذلك . كما أرجو أيضًا أن لا أكون قد تجرّأتُ على الأولين الذين أسسوا صرح هذه العلوم والذين أُكِنُّ لهم كل الاحترام والتبجيل ، ولا أقلل ولا أستهين فى علو قدرهم ، وإخلاصهم واجتهادهم وتضحياتهم وإيمانهم وأمانتهم . أعظمَ اللهُ ثوابهم بما قدموا . وأنا لم أقصد إلا إبداء رأيى . والقاعدة فى الآراء الاختلاف، وإلا لما كانت الشورى . ﴿ سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ .

ولكم أيها السادة الكرام الأعزاء رجائى قبول عظيم شكري وامتنانى على جميل إنصاتكم ، وفقكم اللهُ وسدد خطاكم ومتعكم بالصحة والسعادة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**حامد جوهر**

عضو المجمع

# شخصيات مجمعية

[illegible]

**أولا : الاستقبال :**

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ١٣ من مارس سنة ١٩٩١ عقد المجمع جلسة علنية لاستقبال عضو المجمع الجديد الأستاذ الصحفي الكبير مصطفى أمين يوسف الذى اعتذر من عدم الحضور بسبب وعكة صحية ألمتْ به فجأة ، وأناب عنه فى إلقاء كلمته الأستاذ إبراهيم الترزى عضو المجمع ، أما كلمة المجمع فى حفل استقباله فقد ألقاها فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار عضو المجمع .

وفيما يلى نص الكلمات التى ألقيت فى الحفل :

# كلمة المجمع
# في استقبال العضو الجديد
# الأستاذ مصطفي أمين

للدكتور محمد الطيب النجار
عضو المجمع

أيها السادة الأجلاء والإخوة الأكارم ،

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

وبعد فإنه ليُسْعِدُ مجمع الخالدين أن يستقبل اليوم علمًا من أعلام الكُتاب البارزين فى مصر بل فى العالم العربى بأسره ، ذلكم هو الكاتب الفذ الأمين الأستاذ الكبير مصطفى أمين ، ونحن إذْ نحيى كاتبنا الجليل فإنما نحيى فيه حرية الرأى ونزاهة القلم ورسوخ القدم والإخلاص فى القول والعمل .

ولاشك أن النجاح فى هذه الحياة ليس بالأمر الهين الميسور لكل إنسان بل لابُدَّ لمن ينشده أن يتزود له بالأساس الصالح والعمل الدائب والكفاح الموصول . ذلكم بأن العظيم لايمكن أن يبنى مجده من الأوهام ولامن أحجار ملقاة فى الرغام ، إنما يبنى العظيم مجده من النجوم . ويمضى إلى غايته صاعدًا فوق أشلاء المتاعب والمصاعب .

وإن المقياس الصحيح الذى تقاس به الحياة وتوزن على ضوئه الآجال والأعمار ليس هو السنين الطويلة ولا الزمن المديد ، وإنما هو العمل الصالح والذكر الحميد ، وكما يقول الحكماء :

عمر الرجال يقاس بالمجد الذى

شادوه لابتقادم الميلاد

والناس فى هذه الحياة رجلان : رجل يفهم من الحياة مجرد العيش الرغيد والمتاع الشهى والمال الكثير . ومثل هذا الرجل لاخير فى حياته ولاقيمة لوجوده لأنه يعبر الحياة سابحًا فى ظلام الأنانية محاطًا بغلاف الأثرة الكثيف . دائرًا حول نفسه لايلوى على شئ إلا على منافعه ومآربه .

ورجل آخر يفهم من الحياة أن يكون حيًا فى أذهان الناس بأعماله ، متوغلاً فى أعماق الزمن بجليل مآثره وكريم أفعاله تتحدث الدنيا بما أسدى إليها من

الخير . وما قدم لها من البر والمعروف . ومثل هذا الرجل هو الذى يعرف قيمة الحياة ويدرك الأسرار الحقيقية للمجد والخلود .

وعلى هذا الأساس السليم والمنهج القويم نجد أخانا وزميلنا الكاتب الكبير الأستاذ مصطفى أمين يتخذ سبيله فى الحياة مخلصًا فى جهاده وكفاحه حتى غدا فى سماء الصحافة نجمًا ساطعًا وسما برسالتها فجعلها خالصة فى الدفاع عن الحق وذاد عنها سلطان الأهواء وطغيان الأحقاد واستبداد الفساد ، ولاغرو فهو الذى نشأ فى بيت الأمة بيت الزعامة الوطنية بيت الزعيم الخالد سعد زغلول وعرف منه معنى الوطنية وتنفس إلى جواره عبير الحرية ، وكان يردِّد معه دائمًا قوله الخالد : « إن الحق فوق القوة ، والأمة فوق الحكومة » وقوله : « يجب أن ينظر كل فرد من أفراد الشعب إلى حكامه نظر الجندى إلى قائده لانظر الطير إلى صائده » .

أيها السادة الأجلاء

لقد ولد مصطفى محمد أمين فى بيت الأمة بيت الزعيم الخالد سعد زغلول وهو جده لأمه وكان مولده فى ٢١ من فبراير عام ألف وتسعمائة وأربعة عشر ، وتلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى المدارس المصرية ، ثم التحق بكلية الحقوق وسافر بعد ذلك إلى الولايات المتحدة حيث التحق بجامعة چورچ تاون وحصل منها على شهادة الـ (M. A) مع مرتبة الشرف فى العلوم السياسية والاقتصاد والصحافة عام ألف وتسعمائة وثمان وثلاثين .

وقد بدأ عمله بالصحافة منذ كان طالبًا بالتعليم الثانوى فاشترك فى تحرير الرغائب وفى مجلة روز اليوسف وقام بتحرير باب القصة فى مجلة الفكاهة التى كانت تصدرها دار الهلال مع عمله بمجلة روز اليوسف . وفى عام ١٩٣٤ انفصل عن روز اليوسف واشترك فى مجلة آخر ساعة نائبًا لرئيس تحريرها الأستاذ محمد التابعى وشارك فى نفس الوقت فى تحرير جريدة الجهاد مع مديرها الأستاذ محمد توفيق دياب وكان يكتب فيها كل يوم عمودين تحت عنوان ( مشاغبات ) . وكانت مشاغباته هادئة هادفة . ثم تولى رئاسة تحرير مجلة آخر ساعة عام ١٩٣٨ . وفى عام ١٩٣٩ عين رئيسًا لقسم الأخبار بجريدة الأهرام ومحررًا دبلوماسيًا بها . وبعد عامين اثنين تولى رئاسة تحرير مجلة الاثنين والدنيا التى أصبحت أوسع المجلات انتشارًا وذلك إلى جانب عمله

بجريدة الأهرام . وفى ١١ من نوفمبر سنة ١٩٤٤ أصدر مع شقيقه التوأم المرحوم على أمين جريدة أخبار اليوم . وقد أحدثت هذه الجريدة اهتمامًا بالقارئ . ولأول مرة فى تاريخ الصحافة تصبح هذه الجريدة منذ عددها الأول أوسع الصحف انتشارًا فى الشرق الأوسط . وقد بدأت أخبار اليوم فى شقة متواضعة بشارع قصر النيل بالقاهرة ثم أصبحت الدار بعد ذلك مبنى ضخمًا من أحد عشر طابقًا وتشتمل على أحدث معدات الطباعة وأصبح بها مايزيد على أربعة آلاف محرر وموظف وعامل ثم أقامت أخبار اليوم مبنى آخر من تسعة طوابق أمام المبنى الأول . وقد صادفت أخبار اليوم متاعب ضخمة وتعرضت لأزمات عصيبة هددها قرار الإفلاس عدة مرات وذلك بسبب استقلالها فى الرأى ومواقفها الوطنية المستمرة .

وفى عام ١٩٤٤ انتخب الأستاذ مصطفى أمين عضوًا بمجلس النواب . وفى عام ١٩٤٦ اشترى الأخوان مصطفى أمين وعلى أمين مجلة آخر ساعة من الأستاذ محمد التابعى وصدرت المجلة عن دار أخبار اليوم ثم أصدر الأخوان مصطفى أمين وعلى أمين مجلة الجيل . وفى نفس العام أصدرا جريدة الأخبار اليومية التى أصبحت الآن أوسع الصحف اليومية انتشارًا .

وفى عام ١٩٦٠ صدر قرار تنظيم الصحافة وأخذت أعاصير السياسة الهوجاء تعصف بالأستاذ مصطفى أمين فلفقت التهم الباطلة جزاءً وفاقًا لما كان يبديه من الآراء الحرة التى لم تتلاءم مع أفكار المسئولين فى ذلك الحين فنقل من رئاسة مجلس إدارة أخبار اليوم إلى مجرد إشراف شكلى على الجريدة . ومع ذلك فإنه لم يتخل عن مواصلة أفكاره ولم يتزحزح قيد أنملة عن المضى فى مساره.

وفى عام ١٩٦٥ ألقى القبض على مصطفى أمين بتهمة التعامل مع المخابرات الأمريكية وصدر الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة . وكان الذى تولى كبر هذا الاتهام الباطل صلاح نصر الذى طغى وبغى وأمعن فى تعذيب الأستاذ مصطفى أمين لإرغامه على الاعتراف بأعمال لم يقارفها . وقد شاء الله بعد ذلك إلا أن يؤخذ هذا الظالم بظلمه ويذوق وبال أمره حيث حكم عليه بالسجن عشر سنين . وثبتت براءة الأستاذ مصطفى أمين وأصدر رئيس الجمهورية قرارًا بالعفو عنه ليعود إلى الكفاح والنضال من أجل حرية الرأى

والإخلاص للوطن . وقد قدم الأستاذ مصطفى أمين للمكتبة العربية أكثر من أربعين كتاباً عالج فيها كثيراً من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية وكان من أهمها : المائتا فكرة ، وأفكار ممنوعة ، وأمريكا الضاحكة ، وكتبه الخمسة من سنة أولى سجن إلى سنة خامسة سجن ، وشخصيات لاتنسى ، وأسماء لاتموت ، وقلمى يضحك ويبكى ، ومن فكرة إلى فكرة ، وتحيا الديمقراطية ومن واحد إلى عشرة ، ومن عشرة إلى عشرين ، وعمالقة وأقزام ، وصاحبة الجلالة فى الزنزانة ، وصاحب الجلالة الحب إلخ .

ومن حقكم الآن أن تستمعوا إليه حينما يتحدث عن الصحافة فيقول : « الصحافة صاحبة جلالة ولكن الصحفى ليس ملكاً ، إنه جندى يحرس حريتها بقلمه ، وحريتها ليست حرية الصحفيين وحدهم ، بل حرية الشعب كله . ومن أجل ذلك كان قلم الصحفى هو صولجانه ، وكان سلاح الصحفى هو لسانه وكانت نزاهة الصحفى هى تاجه ، وحرية الصحفى هى جلالته وقيود الصحفى هى ذله وهوانه » .

وحينما يقول عن الديمقراطية فى كتابه « تحيا الديمقراطية » : « أول أساس الديمقراطية هو حرية المواطن فى أن يختلف مع الحاكم فى الرأى فلا يُعاقب على رأيه ولايرغم على السكوت ولايفصل من حزبه أو من وظيفته أو من جريدته أو من عمله ، أو من عضوية مجلس الشعب » .

ثم يقول : « وقد عرفت مصر طريقها عندما عرفت طريق الحرية وستعرف عن هذا الطريق الطريق إلى الرخاء . والذين يقاومون الحرية والديمقراطية والعدالة فى بلادنا يريدون منا أن نبقى فقراء ضعفاء مسحوقين لأنهم يعلمون أنهم لايستطيعون السيطرة على الأحرار وإنما يستطيعون أن يسيطروا على العبيد المستسلمين . ولن تستسلم مصر بعد اليوم لأحد » .

ثم يقول : « إن الرخاء لايعيش بين الأسلاك الشائكة ولا فى ظل التهديد والوعيد وإنما يعيش حيث يوجد الأمن والأمان ويستقر حيث يوجد القانون والحرية . وفى عصور الحكم الفردى تختنق الكفايات وتموت العبقريات ويصبح النبوغ جريمة يعاقب عليها القانون » .

وفى كتاب ( المائتا فكرة ) يتحدث عن رجل الدين وكيف يجب أن يعتز بكرامته يقول : « لقد رأى منصب شيخ الإسلام فى مصر رجالاً أقوياء تعتز بهم مصر ،

وأذكر أن واحداً من هؤلاء الشيوخ دُعِيَ لحضور حفلة لدى خديو مصر وأراد العاهل المصرى أن يجامل شيخ الأزهر فأرسل إليه عباءة ثمينة ليرتديها فى الحفل نظراً لأن شيخ الأزهر هذا كان معروفًا بالزهد ولايرتدى الثياب الفاخرة ولكن شيخ الأزهر أرسل سكرتيره يحمل العباءة إلى الحفلة ومعها خطاب للخديوى يقول فيه : « أرسل إليكم عباءتكم لتحضر الحفلة بالنيابة عنى » .

وأعرف شيخ إسلام آخر أبلغته الحكومة بأنها خصصت له سيارة ليركب فيها ولكنه اعتذر من عدم ركوبها وأرسل إلى رئيس الوزراء حسين رشدى باشا يقول له : « إن حمارى أضمن وأسرع وأقترح توزيع ثمن السيارة على فقراء المسلمين ، وأعرف أن ثورة ١٩١٩ كانت تعتبر الجامع الأزهر قلعتها الثانية وفوق منبر الأزهر وقف القسس يعانقون الشيوخ ووقف القس سرجيوس يخطب فى الناس ويقول : « أتعرفون لماذا ترون وجوه الإنجليز لونها أحمر ؟ لأنهم يشربون دماء الشرقيين الذين يستعمرونهم » !!

فى تاريخ الشرق ظهر رجال دين يحملون بيمينهم مشعل الدين وبيسارهم مشعل الحرية . فيهم المسلمون وفيهم المسيحيون ولكن جمعهم الإيمان بأن حب الوطن هو جزء من حب الله . وأن الكفاح الوطنى هو صلاة مقدسة مقبولة عند الله » .

وبعد فهذه إشارات خاطفة وكلمات محدودة عن الرجل الذى نذر حياته للدفاع عن الحق وتنفس به العمر فى ميدان الجهاد وتمرس بشدائد الحياة واستعذب الآلام فى سبيل تحقيق رسالته وراض نفسه على أدب اللسان والقلم . فكملت عبقريته الموهوبة بالمعرفة وتثقفت بالتجربة وقويت بالمران حتى غدا الكاتب الفذّ الذى لايعرف اللغو . والذى تصدر عنه الكتابة عادة مستحكمة وطبيعة ملازمة ، فالفكر عميق والأسلوب رائق شائق دقيق والألفاظ منتقاة متخيرة تقع من النفوس موقع الماء من ذى الغلة الصادى وتصل إلى القلوب دون أن يحجبها حجاب أو تغلق دونها أبواب .

فتحية طيبة للأستاذ الكبير مصطفى أمين ، ومرحباً به فى عرين اللغة العربية حارساً أميناً ومجاهداً مخلصاً . وأسأل الله أن يزيده هدى ورشاداً وتوفيقاً وسداداً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

**محمد الطيب النجار**

عضو المجمع

# كلمة العضو الجديد
# الأستاذ مصطفى أمين

الأستاذ الجليل رئيس المجمع

الأساتذة الأجلاء الأعضاء

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد

فإنه لشرف عظيم لى أن أنضم إلى مجمع الخالدين ، وهو شرف كبير لم يخطر ببالى ، ولم يمرّ بخيالى . وأعتقد أنكم لم تنتخبونى لشخصى ، ولكن لأننى واحد من جنود الصِّحافة التى شرَّفها المجمع دائمًا بأن يختار واحدًا من أعضاء أسرتها ليكون عضواً فيه . شرف قبلى كثير من الصحفيين بعضوية المجمع اللغوى أذكر منهم الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازنى ، والأستاذ أحمد أمين رئيس تحرير مجلة الثقافة ، وأحمد حافظ عوض بك صاحب جريدة كوكب الشرق ، والدكتور أحمد زكى رئيس تحرير مجلة الهلال ورئيس تحرير مجلة العربى فى الكويت ، وأستاذنا أحمد لطفى السيد باشا رئيس تحرير جريدة الجريدة ، وإسماعيل مظهر رئيس تحرير مجلة المصور ، والشاذلى القليبى رئيس تحرير جريدة الصباح اليومية فى تونس ورئيس تحرير جريدة صوت العمل التى كان يصدرها الاتحاد العام التونسى ، وأمين الخولى الذى نذكر مقالاته الرائعة فى مجلة الرسالة والسياسة الأسبوعية ، والمقتطف ، والأب أنستاس الكرملى صاحب مجلة لغة العرب فى لبنان ، وأنطون الجميل مؤسس مجلة الزهور ورئيس تحرير جريدة الأهرام ، وتوفيق الحكيم ، وطه حسين رئيس تحرير جريدة كوكب الشرق ، والوادى ، والمحرر فى جرائد السياسة والاتحاد والجهاد ، وعباس محمود العقاد المحرر فى البلاغ والجهاد والضياء والأخبار والأساس ، وعبدالقادر المغربى المحرر فى جريدتى الظاهر والمؤيد ، وعبدالقادر حمزة باشا صاحب جريدة البلاغ وعشرات الصحف التى صادرتها الحكومة ، وأول من كتب المقال القصير فى الصِّحافة . وعيسى إسكندر المعلوف محرر جريدة لبنان ، ودكتور فارس نمر باشا أحد أصحاب جريدتى المقطم والمقتطف ، ومحمد توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد اليومية ،

والذى أصدر عشرات الصحف والمجلات التى عطلتها الحكومة ، والدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة اليومية ومجلة السياسة الأسبوعية ومحمد زكى عبدالقادر رئيس تحرير الأهرام وأحد رؤساء تحرير جريدة الأخبار اليومية ، ومحمد عبدالله عنان المحرر بجريدة السياسة والمؤرخ المعروف ، ومحمد فريد أبو حديد رئيس تحرير مجلة الثقافة ، ومحمد كرد على صاحب جريدة القبس اليومية فى دمشق ، والدكتور حسين مؤنس الكاتب الصحفى المعروف .

ولعل البعض منا لايعرف أنه عندما تُوفى أنطون الجميل باشا رئيس تحرير جريدة الأهرام عام ١٩٤٨ اجتمع مجلس إدارة الأهرام واختار الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مدكور رئيس المجمع الحالى رئيسًا للتحرير ، ولكن القصر الملكى رفض الموافقة على الاختيار ، لأن الدكتور مدكور كان من المعارضين .

سادتى

إن مرسوم إنشاء المجمع نصّ على أن من أغراضه أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، وقد قام المجمع منذ إنشائه بهذه المهمة ولايجاريه فيه هيئة علمية أخرى فى العالم العربى وأقر المجمع عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية .

وقامت الصحافة المصرية بتبسيط اللغة وتسهيلها ، وبعد أن كان يقال إن كاتب هذا المقال لايفهمه إلا خمسة من القراء أصبح المقال يفهمه الملايين . واللغة ليست مقصورة على الكتب والصحف ، بل تمتد إلى المسرح والسينما والإذاعة المسموعة والمرئية . ومما يدعو إلى الأسف أن اللغة العربية هبطت فى السنوات الأخيرة ، وانتشرت اللغة الهابطة فى المسرح والسينما والإذاعة المسموعة والمرئية بل فى بعض الصحف والمجلات ، وذاعت كلمات هابطة على ألسنة الأولاد والبنات ، وانتشرت بين النساء والرجال . وبعد أن كان الشباب فى أيامنا يرددون قصائد شوقى وحافظ إبراهيم أصبح الشباب يردد أزجالاً وأغانى نزلت إلى هاوية من الإسفاف . وأرى أنه يجب علينا أن نقاوم هذه الموجة ونطالب بأن يعود للغة احترامها .

سادتى

من سُنن المجمع الحميدة أن يُعرِّف العضو الخالف بالعضو السالف الذى خلفه على كرسيه . وقد كان سلفى الدكتور المهندس إبراهيم أدهم الدمرداش شخصية عظيمة ، وشاعراً موهوبًا وأديبًا كبيرًا ، ومهندسًا عملاقًا ، قرأت تاريخه وأبحاثه وشعرتُ أننى عاجز عن أن أملأ كرسيه أو أؤدى للمجمع بعض ما أداه . ولد الدكتور الدمرداش عام ١٩٠٦ ، ونال بكالوريوس الهندسة سنة ١٩٢٥ من مدرسة الهندسة العليا ، وسافر فى بعثة إلى سويسرا ، حيث نال دبلوم الهندسة المدنية سنة ١٩٢٨ من جامعة زيورخ ، ثم نال فى سنة ١٩٣٠ شهادة الدكتوراه فى العلوم الهندسية من جامعة زيورخ ولم يكتف بدرجاته العلمية بل التحق بعدد من المصانع الكبرى فى سويسرا عاملاً حتى يدرس الجانب العملى إلى جانب العمل العلمى . ودخل بعض المصانع الكبرى وتدرب على العمل فى كثير فروعها ، ثم عين مدرسًا بمدرسة الهندسة ، ثم أستاذًا مساعداً بكلية الهندسة ، وعندما تحولت مدرسة الهندسة إلى كلية الهندسة أصبح أستاذ كرسى حساب الإنشاءات ثم أصبح عميد كلية الهندسة بجامعة القاهرة ثلاث مرات فى سنوات ١٩٥٢ و١٩٥٤ و١٩٦٢ .

ثم انتخب نقيبًا للمهندسين فى سنة ١٩٥٥ و١٩٥٦ ، ونال جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٨ وانتخب عضواً فى المجمع اللغوى سنة ١٩٧٣ فى الكرسى الذى خلا بوفاة القانونى العظيم الدكتور عبدالرازق السنهورى وتزيد بحوثه العلمية على الأربعين بحثًا .

وامتاز الفقيد بثقافة رفيعة وعلم غزير، وكانت له قصائد رائعة فى رثاء عدد من أعضاء المجمع اللغوى ، الذين تُوُفُّوا إلى رحمة الله . كان الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش أستاذًا عظيمًا ، وله تلاميذ كثيرون نبغوا على يديه وانتشروا فى جميع البلاد العربية يبنون وينشئون ويعمرون وأصبحت هذه الإنشاءات العظيمة تماثيل للدكتور الدمرداش فى كل عاصمة عربية .

أيها السادة

إننى عاجز عن شكر الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار على كلمته الكبيرة التى استقبلنى بها ، وعلى الصفات الكثيرة التى أسبغها علىّ وأتمنى أن أكون جديراً بهذه الصفات فى يوم من الأيام .

ولست أكثر من كاتب صحفى ، يقول مايعتقد ، ويؤمن بكل مايقول ، ويرى أن الصحافة هى أن تقول للحاكم مايريده

الشعب قبل أن تقول للشعب مايريده الحاكم .

وأخيراً أقول : إنني أتوقع فى المستقبل تغييرات كثيرة ومخترعات عديدة فى عصر الإلكترون ، أتوقع أن تُلغى المدارس والجامعات ، وأن يصبح التعليم فى البيت بفضل الاختراعات الإلكترونية ، وأن يجلس الطالب فى بيته ويدوس على زر فيسمع المحاضرات التى يريدها فى كل علم وفن ، ويسأل مايريد من الأسئلة ويسمع إجابات العلماء عن كل سؤال ، ويستطيع الطالب أن يجلس فى القاهرة ويرى ويسمع المحاضرات فى جامعة لندن أو جامعة باريس أو جامعة موسكو أو جامعة واشنطن ، وهذا يدعونا إلى أن نجد لغة مفهومة فى كل بلد عربى لاتحتاج إلى شرح ولا إلى قاموس .

العالم مقبل على حضارة عظيمة وستكونون أنتم أيها السادة رُسُلَ هذه الحضارة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**مصطفى أمين**

عضو المجمع

## التأبين

(أ) فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ٨ من نوفمبر سنة ١٩٨٩ أقام المجمع حفلاً لتأبين عضوه الراحل الأستاذ محمد مرسى أحمد . وقد ألقى كلمة المجمع فى تأبين الراحل الكريم الأستاذ الدكتور محمود مختار عضو المجمع .

وفيما يلى نص الكلمات التى ألقيت فى الحفل :

# كلمة الدكتور إبراهيم مدكور
# رئيس المجمع
# في رثاء الفقيد

سيداتي – سادتي

أحييكم بتحية الإسلام وأشكر لحضراتكم كريم مواساتكم لنا فى تأبين الفقيد . وإنه ليعز علينا أن نرى الموت يخطف زملاءنا واحداً وراء الآخر وفى فترات متقاربة . فما تكاد دموعنا تجف على زميل راحل حتى تعود فتنهمر على زميل آخر . ولقد ودع المجمع منذ أيام قليلة الزميل الكريم والعالم الجليل الدكتور محمد مرسى أحمد الذى اغتالته المنية فجأة وعلى غير انتظار فقضى بين عشية وضحاها . لقد اعتكف عنا الفقيد أعوامًا طويلة كان يصارع فيها المرض ولكنه انتهى إلى حيث أراد الله لكل حى أن ينتهى . لقد كانت خسارتنا فيه فادحة وفجيعتنا فيه أليمة . لقد ترك بيننا فراغًا ليس من السهل أن يشغله سواه . على أننا إذ نبكى الدكتور محمد مرسى أحمد فإننا لانبكى فيه عضواً مجمعيًا ممتازًا فحسب ولكننا نبكى فيه علمًا من أعلام الرياضيات ورائدًا من رواده ، نبكى فيه عالمًا تجاوزت كفايته الرياضية حدود بلده وشع ضوؤها على كثير من البلاد العربية فقد اجتمع للفقيد من صفات الصبر والجلد والقدرة ومواصلة العمل مالم يتهيأ إلا للقليل جداً من الناس .

هذا أيها السادة هو فقيدنا الذى نجتمع اليوم لتكريم ذكراه رحمه الله وطيب ثراه وجعل الجنة مستقره ومثواه .

# كلمة المجمع فى
# تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مرسي أحمد

للدكتور محمود مختار
عضو المجمع

السيد الأستاذ الكبير رئيس المجمع

السادة الأساتذة الزملاء الكرام

أعضاء المجمع

السادة الأجلاء من أسرة الفقيد

سيداتى وسادتى

أليم على النفس أن يقف المرء لتأبين زميل وصديق عزيز أغلى مايكون الإعزاز والصداقة . وإنى إذ أولانى المجمع شرف إلقاء كلمة تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مرسى أحمد فقيد المجمع بل فقيد الوطن وفقيد العروبة ، أكاد لا أجد عبارة استهل بها حديثى خيرا مما أستهل به رائد الجيل العلمى فى مصر المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف عند استقباله للدكتور محمد مرسى أحمد عضوا فى هذا المجمع منذ سبعة وعشرين عاما . قال مصطفى نظيف :

« إنى إذ أتولى اليوم تقديم صديقى الدكتور محمد مرسى أحمد عضواً بالمجمع أوثر أن أقدمه لا بصفته مديرا لجامعة عين شمس وإنما بصفة من صفاته الذاتية تلازمه ولا تنفك عنه ، تصدر عنها أفعاله وتصرفاته فى الأعمال التى يمارسها والمناصب التى يتولاها تلك هى صفته العلمية .

فالدكتور مرسى عالم من علماء الرياضيات له مكان الصدارة بين أصحاب هذا العلم لافى مصر وحدها بل فى العالم العربى جميعا . وله منزلة مرموقة فى الدوائر والهيئات العلمية فى الخارج » .

تلك كانت كلمة الأستاذ مصطفى نظيف التى زادتها الأيام والسنون قوة على قوة وتأكيداً فوق تأكيد .

وكان من حق الفقيد على المجمع أن يجلو حياته الحافلة منذ نشأته حتى لقاء ربه بتفصيل دقيق ، ولكن هذا المقام المحدود لا يستطيع إلا أن يوجز ذلك إيجازا أو أن يجمع أطرافه فى أضيق ما يكون الجمع . فعذرا مسبقا إن لم أوفيه كل حقه .

فقيدنا العزيز الدكتور مرسى ولد فى أواخر العقد الأول من هذا القرن ببلدة أولاد يحيى مركز البلينة من محافظة سوهاج . وهى المحافظة التى أعطت مصر روادا وعلماء من أمثال رفاعة الطهطاوى والمراغى . وتلقى محمد مرسى تعليمه الابتدائى والثانوى فى أسيوط حتى حصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٢٥ وكان ترتيبه الثالث فيها . وكان يريد له الوالد أن يدرس الطب ولكنه آثر مهنة التعليم فالتحق بمدرسة المعلمين العليا التى اختارها عن قصد وروية ، ولعله آنس فى نفسه الرغبة فى الاستزادة من العلوم الأساسية وخاصة علوم الرياضيات التى نبت حبه لها منذ المرحلة الثانوية . وواتاه الحظ بمنحه فرصة أكبر لإشباع رغبته وهوايته فى الاستزادة من علوم الرياضيات . ففى تلك السنة ١٩٢٥ أنشئت أول كلية جامعية لدراسة العلوم الأساسية فى مصر بل فى الوطن العربى كله . ،كان إنشاؤها حدثا علميا بارزاً فى تاريخ النهضة العلمية لافى مصر وحدها بل فى الوطن العربى . بها دخلت ميدان العلوم الأساسية المتقدمة وسارت فى ركب النهضة العلمية العالمية على مستوى التعليم الجامعى وفى البحث العلمى وفى التطبيق .

ووفرت الجامعة للكلية الناشئة كل أسباب النجاح فوطدت صلتها بجامعة لندن واستقدمت أساتذة أجانب من الدرجة الممتازة ثم فتحت أبوابها فى أكتوبر ١٩٢٥ . ولكن لم يتقدم للالتحاق بها غير طالب واحد فبعثت الجامعة إلى المدارس العالية تستحثهم على تحويل عدد من أوائل المتقدمين لها ليكونوا نواة لكلية العلوم . ونجحت الجامعة فى مسعاها وحصلت كلية العلوم على اثنين وعشرين طالبا بالتحويل من تلك المدارس العالية كان من بينهم سبعة طلاب شعبة الرياضة والطبيعة يتقدمهم الطالب محمد مرسى أحمد وسعدت أن أكون من بينهم .

وأمضينا فى دراسة علوم الرياضة والطبيعة بالكلية أربع سنوات كان الطالب محمد مرسى فيها متميزا دائما . حتى أنى أذكر أن الأستاذ الدكتور على مصطفى مشرفة فى أحد اختباراته لطلبة السنة الثالثة منح الطالب محمد مرسى١٢٠ درجة من مائة ، مبررا ذلك أنه قد أجاب على أسئلة أكثر مما يتطلبه الحد الأقصى للدرجة وهو ١٠٠ .

وتخرجت الدفعة الأولى عام ١٩٢٩ وحصل محمد مرسى على البكالوريوس

# كلمة المجمع فى
# تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مرسي أحمد

للدكتور محمود مختار
عضو المجمع

السيد الأستاذ الكبير رئيس المجمع

السادة الأساتذة الزملاء الكرام

أعضاء المجمع

السادة الأجلاء من أسرة الفقيد

سيداتى وسادتى

أليم على النفس أن يقف المرء لتأبين زميل وصديق عزيز أغلى مايكون الإعزاز والصداقة . وإنى إذ أولانى المجمع شرف إلقاء كلمة تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مرسى أحمد فقيد المجمع بل فقيد الوطن وفقيد العروبة ، أكاد لا أجد عبارة استهل بها حديثى خيرا مما أستهل به رائد الجيل العلمى فى مصر المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف عند استقباله للدكتور محمد مرسى أحمد عضوا فى هذا المجمع منذ سبعة وعشرين عاما . قال مصطفى نظيف :

« إنى إذ أتولى اليوم تقديم صديقى الدكتور محمد مرسى أحمد عضواً بالمجمع أوثر أن أقدمه لا بصفته مديرا لجامعة عين شمس وإنما بصفة من صفاته الذاتية تلازمه ولا تنفك عنه ، تصدر عنها أفعاله وتصرفاته فى الأعمال التى يمارسها والمناصب التى يتولاها تلك هى صفته العلمية .

فالدكتور مرسى عالم من علماء الرياضيات له مكان الصدارة بين أصحاب هذا العلم لافى مصر وحدها بل فى العالم العربى جميعا . وله منزلة مرموقة فى الدوائر والهيئات العلمية فى الخارج » .

تلك كانت كلمة الأستاذ مصطفى نظيف التى زادتها الأيام والسنون قوة على قوة وتأكيداً فوق تأكيد .

وكان من حق الفقيد على المجمع أن يجلو حياته الحافلة منذ نشأته حتى لقاء ربه بتفصيل دقيق ، ولكن هذا المقام المحدود لا يستطيع إلا أن يوجز ذلك إيجازا أو أن يجمع أطرافه فى أضيق ما يكون الجمع . فعذرا مسبقا إن لم أوفيه كل حقه .

فقيدنا العزيز الدكتور مرسى ولد فى أواخر العقد الأول من هذا القرن ببلدة أولاد يحيى مركز البلينة من محافظة سوهاج . وهى المحافظة التى أعطت مصر روادا وعلماء من أمثال رفاعة الطهطاوى والمراغى . وتلقى محمد مرسى تعليمه الابتدائى والثانوى فى أسيوط حتى حصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٢٥ وكان ترتيبه الثالث فيها . وكان يريد له الوالد أن يدرس الطب ولكنه آثر مهنة التعليم فالتحق بمدرسة المعلمين العليا التى اختارها عن قصد وروية ، ولعله آنس فى نفسه الرغبة فى الاستزادة من العلوم الأساسية وخاصة علوم الرياضيات التى نبت حبه لها منذ المرحلة الثانوية . وواتاه الحظ بمنحه فرصة أكبر لإشباع رغبته وهوايته فى الاستزادة من علوم الرياضيات . ففى تلك السنة ١٩٢٥ أنشئت أول كلية جامعية لدراسة العلوم الأساسية فى مصر بل فى الوطن العربى كله . ،كان إنشاؤها حدثا علميا بارزاً فى تاريخ النهضة العلمية لافى مصر وحدها بل فى الوطن العربى . بها دخلت ميدان العلوم الأساسية المتقدمة وسارت فى ركب النهضة العلمية العالمية على مستوى التعليم الجامعى وفى البحث العلمى وفى التطبيق .

ووفرت الجامعة للكلية الناشئة كل أسباب النجاح فوطدت صلتها بجامعة لندن واستقدمت أساتذة أجانب من الدرجة الممتازة ثم فتحت أبوابها فى أكتوبر ١٩٢٥ . ولكن لم يتقدم للالتحاق بها غير طالب واحد فبعثت الجامعة إلى المدارس العالية تستحثهم على تحويل عدد من أوائل المتقدمين لها ليكونوا نواة لكلية العلوم . ونجحت الجامعة فى مسعاها وحصلت كلية العلوم على اثنين وعشرين طالبا بالتحويل من تلك المدارس العالية كان من بينهم سبعة طلاب شعبة الرياضة والطبيعة يتقدمهم الطالب محمد مرسى أحمد وسعدت أن أكون من بينهم .

وأمضينا فى دراسة علوم الرياضة والطبيعة بالكلية أربع سنوات كان الطالب محمد مرسى فيها متميزا دائما . حتى أنى أذكر أن الأستاذ الدكتور على مصطفى مشرفة فى أحد اختباراته لطلبة السنة الثالثة منح الطالب محمد مرسى ١٢٠ درجة من مائة ، مبررا ذلك أنه قد أجاب على أسئلة أكثر مما يتطلبه الحد الأقصى للدرجة وهو ١٠٠ .

وتخرجت الدفعة الأولى عام ١٩٢٩ وحصل محمد مرسى على البكالوريوس

بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى ، مما حفز الدكتور مشرفة على إيفاده فى بعثة للخارج التحق فيها بجامعة أدنبرة باسكتلندا التى لم تكتف باعتماد شهادة البكالوريوس بل أعفته من الحصول على درجة الماجستير فسجل لدرجة الدكتوراه رأسا وحصل عليها فى عامين اثنين فقط ، ولم يكن عمره قد جاوز ثلاثا وعشرين سنة . فأشار عليه أستاذه أن يلتحق بجامعة كمبردج للاستزادة من تخصصه. فقضى بها سنة نال فيها دبلوما فى البحوث الرياضية سجلت كفاءته ونبوغه .

وعاد الدكتور مرسى إلى كلية العلوم ١٩٣٢ حيث عين مدرسا للرياضة البحتة . وتدرج فى وظائف التدريس إلى أن عين أستاذاً للرياضة البحتة عام ١٩٤٣ وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره . وكان أول مصرى يشغل كرسى الرياضة البحتة وظل يشغله طيلة ١٥ عاما .

وكان الدكتور مرسى طوال محاضراته قريبا من نفوس طلابه تلين فى عباراته أعقد المسائل . وكان ضليعاً فى لغتيه العربية والإنجليزية يحاضر بالعربية فى الفرقتين الأولى والثانية ، وفى الفرقتين الثالثة والرابعة يحاضر بالإنجليزية بنفس الطلاقة واليسر .

وكان الدكتور مرسى أستاذا كما ينبغى أن يكون أساتذة الجامعات ، قديراً متمكناً من علمه متعمقاً فيه ، وكانت له مدارس بحث متميزة فى تخصص واسع هو كثيرات الحدود . تخرج منها بدرجة الدكتوراه على يديه عدد كبير ممن شغلوا بعد ذلك كراسى الأستاذية فى الجامعات المصرية والعربية .

وكانت أهم أعماله تتناول نظرية الدوال والمعادلات التفاضلية وكثيرات الحدود ونشر له فيها ٢٥ بحثا فى المجلات العلمية العالمية والمصرية مثل الجمعية الرياضية فى إدنبره ، والجمعية الرياضية فى لندن ، والأكاديمية العلمية فى باريس ، والمجلة الرياضية الفرنسية وجورنال السفورد الرياضى ، والجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية .

ولم تحل مهام مناصبه الكبيرة التى تقلدها بعد ذلك بينه وبين مداومة الاهتمام بمهام الأستاذية . فقد ظل يعنى بعلمه ويرعاه بنفس النشاط ويعمل على رفع المستوى الأكاديمى لعلمه الرياضى حيثما يكون . فقد شارك مشاركة فعالة

فى إنشاء الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية عام ١٩٣٦ ورأسها بعد وفاة الدكتور على مشرفة وعهد إلىّ بنيابة الرئاسة ممثلا للطبيعة وبتحرير مجلتها البحثية . وانتظم العمل بيننا فى الجمعية والمجلة لفترة ناهزت ٣٥ عاما حتى بعد أن ترك الكلية . وما زالت هذه الجمعية تؤتى ثمارها حتى اليوم وقد بلغت ٥٣ عاما . وشارك الدكتور مرسى فى إنشاء الاتحاد العلمى المصرى ، والمجلس الأعلى للعلوم ، وأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا والأكاديمية المصرية للعلوم ، والمجمع المصرى للثقافة العلمية ، والمجمع العلمى المصرى وأسهم فى العديد من المؤتمرات والندوات الدولية والمحلية .

واهتم الدكتور مرسى اهتماما خاصا بحركة ترجمة الكتب العلمية المتخصصة إلى العربية وتكونت لها جماعة برئاسة الدكتور مشرفة واتسع نشاطها بتشجيع من المجلس الأعلى للعلوم لإعداد الكتب العربية التى تصلح للدراسة الجامعية من حيث مستواها العلمى والعالمى .

وإلى جانب هذه الكتب الدراسية كانت له أعمال قيمة فى ترجمة الكتب المرجعية والثقافية الرفيعة فأخرج منها كتابين للفيلسوف الرياضى برتراند رسل عن « أصول الرياضيات » و« مقدمة للفلسفة الرياضية » كما قام بتأليف كتب عن نيوتن وأنيشتين .وترجمة نحو خمسة عشر كتابا رياضيا مرجعيا وثقافيا عاليا .

وتردد اسم الدكتور مرسى فى هيئات علمية عالمية دعته لإلقاء محاضرات متخصصة فيها ، فكان خير سفير لمصر فى الخارج يتحدث عن مدى التقدم العلمى بمصر العربية ويصحح الصور المشوهة التى كانت متداولة فى تلك البلاد . ودعته جامعة استنبول لإلقاء سلسلة من المحاضرات على طلاب البحوث فيها ودعته الجامعة الأمريكية فى بيروت ، ودعته الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها الكثير.

ولم يقتصر نشاط الدكتور مرسى على الإسهام فى النهضة العلمية فى مصر بل امتد إلى البلاد العربية حيث أسهم فى إنشاء جامعة الرياض التى تشع اليوم فى ربوع الجزيرة العربية نهضة علمية حديثة .

وفى عام ١٩٦٥منح الدكتور مرسى جائزة الدولة التقديرية اعترافا بآثاره

العلمية والثقافية التى تمثلت فى أنه صاحب مدرسة علمية فى الرياضة البحتة تعتبر من أكثر المدارس ازدهارا فى العالم . كما منح وسام الاستحقاق من الدرجة الثانية ثم من الدرجة الأولى ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأعلى .

وقد أولع الدكتور مرسى بإحياء التراث العلمى العربى فاشترك مع الدكتور مشرفة فى تحقيق كتاب الجبر والمقابلة للعالم الرياضى العربى محمد ابن موسى الخوارزمى . وقد كان هذا الكتاب هو المنهل الذى أخذ منه علماء أوربا أصول علم الجبر . ويعتبر تحقيقه وإخراجه من أهم إنجازات الدكتور مرسى وأبعدها أثرا فى إحياء التراث العربى .

وأستأذن هنا فى وقفة قصيرة مع هذا الكتاب التاريخى الفذ لمؤلفه عالم الرياضيات العربى محمد بن موسى وأصله من خوارزم . وكان منقطقا إلى خزانة الحكمة للمأمون الذى حكم فيما بين ٨١٣ - ٨٣٣ ميلادية . وقد قام بوضع كتاب فى الجبر نقله عنه الكثيرون وترجم إلى اللغة اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوربية وأجمع المؤرخون على أن الخوارزمى يعتبر بحق واضع علم الجبر وقد اشتهر عند الإفرنج شهرة واسعة حتى استخدم لفظ الجبر فى جميع لغات العالم مأخوذا عن الأصل العربى الذى وضعه له الخوارزمى .

وفى علوم الحاسبات الحديثة ( الكمبيوتر ) اتخذ لفظ خوارزم (algorithm) كمصطلح علمى عالمى تكريما وتقديرا لواضع علم الجبر ويطلق هذا المصطلح العلمى خوارزم على كل مجموعة محددة من خطوات منطقية وحسابية تحدد المنهاج لحل مسألة ما . ومن هذا المصطلح اشتق اسم لغة من لغات الكمبيوتر هى اللغة الخوارزمية (algorithmic language) التى تستخدم الخوارزمات وتخضع لقواعدها ويقول مرسى ومشرفة فى مقدمة كتابهما عن تحقيق كتابهما عن الجبر والمقابلة للخوارزمى :

« ليس يكفى أن نتحدث عن مجدنا العلمى كما لوكان أسطورة أو حديث خرافة يتغنى به الشعراء ويتغالى فى وصفه الخيال بل يجب أن يظهر هذا المجد فى صورة ملموسة تراها الأعين

وتنالها الأيدى . لذلك كان من المهم أن نعنى بنشر الكتب التى وضعها أجدادنا وخاصة ماكان منها كبير الأثر فى تكييف الفكر البشرى .

ولاشك أن فى مقدمة هذه الكتب كتاب الخوارزمى فى الجبر والمقابلة الذى حققه مرسى ومشرفة .

والواقع أن سجل العلماء العرب فى الرياضيات بوجه خاص سجل حافل مشرق . نذكر من بينهم فى ترتيب زمنى ثابت بن قرة . محمد بن مرسى الخوارزمى وعلى مشرفة ومحمد مرسى أحمد .

سادتى :

هذا جزء من كل من النشاط العلمى المتميز لفقيدنا الدكتورمحمد مرسى أحمد الذى جعل منه مثلا رائعا لما يجب أن يكون عليه الأستاذ الجامعى علما وخلقا وإنتاجا . أما إنجازاته الإدارية فى المناصب التى تقلدها بدءًا من عمادة كلية العلوم ثم وكالة الجامعة فإدارة الجامعتين العريقتين عين شمس والقاهرة ثم وزارة التعليم العالى فهى كفيلة بأن تتحدث عن نفسها بلسان أفصح منى بيانا وأقوى حجة . هذا المثل الرائع للأستاذ الرائد والإدارى الضليع والمصرى العريق تجسد فى الدكتور مرسى حتى أصبح من صفاته الملازمة لاسمه أينما ذكر .

وقدانتخب الدكتور مرسى لعضوية المجمع عام ١٩٦٢ وشغل الكرسى الذى كان قد خلا بوفاة الأستاذ الحاخام حايم ناحوم الذى كان انتخابه فى المجمع تأكيدا لمبدأ سام هو أن المعرفة هى تراث الإنسانية وأن التقدير العلمى للأشخاص لا يحجبه سياسة أومذهب . وظل عطاء الدكتور مرسى للمجمع وافرا متواصلا فى مجلسه وفى مؤتمراته وفى لجانه العلمية المتخصصة الرياضية والطبيعية والهندسية زهاء عشرين عاما حتى أقعده المرض عن الانتقال إلى مقر المجمع ، وإن ظل ماثلاً فيه بشخصيته الوضاءة وآثاره المجمعية .

أستأذن سيداتى سادتى بأن أختتم حديثى بكلمة قلبية وجيزة أوجهها للمرحوم الدكتور محمد مرسى أحمد فى مثواه الأخير فأقول له :

« الآن وقد سعيت أنت قبلنا للقاء وجه الله فاطلب إلى ربك أن يلحقنا بك فى زمرة الصالحين . وسلام عليك يوم ولدت ويوم انتقلت من دار الخالدين إلى دار الخلود » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**محمود مختار**

عضو المجمع

# كلمة الأسرة

## للدكتور أمين زايد

سيادة الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع

السادة الأعضاء . .

أتشرف أن أقف أمامكم لألقى كلمة الأسرة فى حفل تأبين أستاذنا الراحل الدكتور محمد مرسى أحمد وبادئ ذى بدء اعتذر إليكم عن أية سهام شاردة قد تنطلق عفوا من يدى لتصيب لغة الضاد فى كبدها فأنا لست ضليعا فى قواعد النحو والصرف والإعراب ولكن شاءت المقادير أن أتحدث إلى فرسان اللغة العربية محتشدين فى معقل دارهم فمعذرة ثم معذرة ورجائى أن تغضوا الطرف عن أى نشاز قد يصيب رنين اللغة أو يخدش جمالها على لسان شخصى الضعيف .

ترجع صلتى بأستاذنا الكبير الراحل أنى تشرفت بمصاهرته بزواج كبرى بناته منذ أكثر من ثلاثين عاما ، فكنت أقرب أزواج البنات إليه ، وأكثرهم التصاقا به وشاهدته يرتقى سلم المناصب الرفيعة درجة بعد درجة ، من نائب رئيس جامعة القاهرة ، فرئيسا لجامعة عين شمس فرئيسا لجامعة القاهرة ثم وزيرا للتعليم العالى على مدى فترة زمنية لاتزيد عن ثلاثة عشر عاما . . كان خلالها نعم الرائد والقائد لمسيرة العلم والجامعات ، ولم تغير تلك المناصب من معدنه الأصل . والرجال كما تعلمون معادن وأستاذنا الراحل كان من المعادن النادرة التى قلما يجود بها الزمان . . أدرك بحسه وفطرته السليمة وهو أستاذ الرياضيّات ، أن الجامعة فى تصوره مثلث متساوى الأضلاع ، فهو علم يُدَرّس وأساتذة يُدَرِّسون وطلاب يتلقون العلم على أيديهم وكان حرصه على الأضلاع الثلاثة متساوياً . . فاهتم بالتقدم العلمى وبذل كل ما فى جهده لدفع عجلته إلى الأمام .

واهتم بالأستاذ الجامعى الذى هو فى نظره حجر الزاوية فى التقدم العلمى وحمله الأمانة فى عنقه ولاننسى مبدأ له لا رقيب ولاحسيب على الأستاذ الجامعى إلا ضميره فوضعه بذلك فى مكانة

القاضى فى محراب العدالة . . أما الطلاب وهم القاعدة العريضة فى الجامعة ، فكان يحنو عليهم كما يحنو الأب على ابنه ويأخذ بيدهم ويشجع النابهين منهم ، ولا عجب ولاعجاب أن يأتى ذلك الفعل من رجل عصامى شق طريقه فى الصخر وسلك طريق العلم والنور ومشى على الدرب معتمدا على نفسه فلا وساطة ولا محسوبية ولا غيرها من تلك الأمراض الخبيثة التى ابتلى بها مجتمعنا فى هذه الأيام .

تعلم الفقيد الراحل فى كتاب قرية البلينة فى صعيد مصر الخالدة وحفظ القرآن الكريم على يد سيدنا الذى توسم فيه الخير والنجاح فنصح والده أن يكمل له مسيرة العلم فسافر إلى أسيوط حيث المدرسة الثانوية منارة العلم فى صعيد مصر فى ذلك الوقت ، ثم التحق بكلية علوم القاهرة بقسم الرياضة البحتة فتتلمذ على يد أستاذ مصر الراحل المغفور له الدكتور مصطفى مشرفة ، الذى توسم فيه هو الآخر مستقبلاً زاهراً ونبوغًا باهرًا ، ثم سافر إلى الخارج بعد تخرجه من كلية العلوم إلى المملكة المتحدة فى بعثة علمية ليحصل على الدكتوراه فى فترة زمنية قياسية .

عاد بعدها ليُدَرِّس بكلية العلوم ثم أصبح رئيساً لقسم الرياضة البحتة ثم عميداً للكلية ثم ما تلاها من مناصب قيادية فى إدارة الجامعة .

كان حبه لوطنه عميقاً راسخاً والله أشهد أنى لم أره يبكى فى حياته قط إلاّ يوم الهزيمة فى عام ١٩٦٧ ، فتدفق الدمع من عينيه مدراراً ويبكى كما يبكى الطفل الصغير على فاجعة مفزعة أصابت هذا البلد الأمين ومصيبة ابتلينا بها أجمعين .

كان حرصه على طلابه ورعايته لهم تفوق حد الخيال وسأقص عليكم قصة محدودة سمعتها منه حينذاك . . فما إن وقعت الواقعة ودنس الأعداء أرض البلاد فى عام ١٩٦٧ حتى هب شباب الجامعة فى ثورة عارمة تطالب بقصف رؤوس المسئولين عن الهزيمة . . وضاقت الحكومة بهم ذرعاً واستدعى رأس الدولة رؤساء الجامعات فى ذلك الوقت للاجتماع بهم والاستماع إلى آرائهم فى ثورة الطلاب . . وبقى أستاذنا الراحل يستمع ولا يتكلم ، فأدهش ذلك رئيس الدولة فتوجه إليه بالسؤال : أريد أن أستمع إلى رأيك . . وفى وقار بالغ قال

الشيخ الكبير أستاذ الرياضيات وتلميذ أينشتين ونيوتن إن لكل فعل رد فعل . هكذا قال نيوتن وهكذا ندرس . فالهزيمة كانت خاطفة ماحقة ساحقة وكان رد فعلها عند الشيوخ مثلى حسرة . أما عند الشباب فكان رد الفعل ثورة وغليانًا وانتفاضة وفورانًا وتلك ظاهرة صحية وإن لم تحدث فعلى هذه الأمة العفاء .

فوافقه رئيس الدولة على أن يتحمل مسئوليته داخل الجامعة ، واجتمع أستاذ الجيل بطلابه قائلا لهم : إنى أقرب إليكم من أنفسكم أشعر بخلجاتكم واستمع إلى دقات قلوبكم . . افعلوا ما شئتم داخل حرم الجامعة فهذا هو حصنكم الحصين ، وأنتم بداخله أحرار آمنون .

كان لوالدى وأستاذى الدكتور مرسى فضل كبيرٌ علىّ ، فقد تعلمت منه وعلى يديه مالم أكن أعلم . . وكانت له نظرة ثاقبة وحكمة بالغة فى كل مايعرض عليه من أمور وموضوعات . . وإذا توجهت إلى نفسى بالسؤال قائلاً : ماذا تعلمت منه .تعلمت منه أن للحياة أصولا ثابتة وقواعد راسخة ، يجب ألا نحيد عنها أبداً ، وإلا وقعنا فى هوة سحيقة لا قاع لها ولا قرار . . فالصدق والأمانة والعدل قيم إنسانية سامية . . والحق يقال إننا فى زماننا هذا نعانى كل المعاناة ، لا بسبب فقر فى الموارد بل بابتعادنا عن تلك القيم الجوهرية .

تعلمت منه أن التواضع شيمة من شيم العلماء ، فمن تواضع لله رفعه . . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . . تعلمت منه ما قاله الله تعالى فى سورة الإسراء : « ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » .

تعلمت منه الوفاء لمن علموه والرفق بمن تتلمذوا على يديه .

تعلمت منه عفة اللسان وطهارة اليد وقد تعجبون أيها السادة أن الأستاذ الراحل كان يسكن حتى وفاته فى شقة متواضعة استأجرها حين كان مدرسا بكلية العلوم . رحم الله فقيدنا العزيز فقد كان زميلاً عزيزاً لكم ينتمى إلى جيلكم . جيل العمالقة والقمم الشامخة ، ذلك الجيل الذى أرسى قواعد الفضيلة والعلم والأخلاق ذلك الجيل الذى تعلمنا منه نحن المعاصرين لكم . . .

ويا حسرتاه على الأجيال القادمة التى أطلت برؤوسها فى هذه الأيام فجعلتنا نشعر أننا نعيش وكأننا غرباء فى الزمان

وغرباء فى المكان .

ختاما أرجو أن تتقبل يا سيادة رئيس المجمع والسادة الأعضاء وسكرتارية المجمع جزيل الشكر من العائلة ، فقد مرض شيخنا الراحل لمدة عشرة أعوام قبل وفاته . والحق يقال إنكم لم تنقطعوا خلال تلك الفترة الحزينة عن إرسال خطاباتكم ومطبوعاتكم إليه أثناء مرضه .

كان لكل ذلك أثرسعيد فى نفسه وكم رأيته فى مرضه العضال يتألم حزيناً مكتئبا . . حتى تصله رسالة منكم تطلعه عليها زوجتى وكبرى بناته . . فسبحان مغير الأحوال . . يبدل حزنه ودموعه ابتسامة وينشرح صدره وتنفرج أساريره . . فشكرا لكم أيها السادة الأوفياء على سؤالكم عنه فى مرضه وشكراً لكم على حفل اليوم لتأبينه وتخليد ذكراه .

والله ولى الصابرين . .

**أمين زايد**
أستاذ طب وجراحة العيون
جامعة القاهرة

(ب) فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ٣١ من أكتوبر سنة ١٩٩٠ أقام المجمع حفلاً لتأبين عضوه الراحل الأستاذ عبدالعزيز محمد رحمه الله . وقد ألقى كلمة المجمع فى تأبين الراحل الكريم الأستاذ الدكتور حسين مؤنس عضو المجمع .

وفيما يلى نص الكلمات التى ألقيت فى الحفل :

# كلمة المجمع
# في تأبين المرحوم الأستاذ عبدالعزيز محمد حسن

للدكتور حسين مؤنس
عضو المجمع

فى عصرنا هذا ، كما هو الحال فى كل عصر مضى يكثر الرجال الصادقون المخلصون الذين يهبون حياتهم وجهودهم كلها للقيام بالواجب ، ولكن النادر فعلاً هو أن يكون أولئك الصادقون المخلصون موهوبين فى نفس الوقت ، أى أن قيامهم بالواجب يكون عملاً ضخمًا مستمرًا وآداءً متصلاً كما لابد أن يؤدى وإنما يكون فيه ابتكارٌ وتجديدٌ وتوجيهٌ دائمًا إلى الأحسن . فلايكون عملهم مجرد قيامٍ بالواجب وتحريرًا للرقبة من الالتزام الشخصى ، وإنما يكون فى نفس الوقت تقدمًا بالإنسانية وسيرًا بالحضارة إلى الأمام ، كما نجد فى حالات لطفى السيد وعبدالرازق السنهورى وعباس محمود العقاد وأمثالهم ممن نهضوا بمصر والعالم العربى ونقلوها من عصر إلى عصر ومن مستوى إلى مستوى أرفع .

من هؤلاء الرجال الأستاذ الدكتور عبدالعزيز محمد حسن رحمه الله رحمة واسعة ، فقد كان قانونيًا مجتهدًا مقبلاً على العمل يُنفق فيه كل وقته وجهده ، وكان إلى جانب ذلك قانونيًا مجددًا يُدخِل على مايتناوله من عمل قانونى سواء فى المحاماة أو القضاء تقدمًا عظيمًا شاملاً ، ويخلِّف كل ميدان عمل فيه أحسن بكثير مماوجده عليه ، فأثره عظيم فى القانون والقضاء والمحاماة ، فهو فى العمل القانونى نفسه مجدد متعمق مدرك لأهمية الدور الذى يقوم به عارف بأساليب الإتقان فيه والنهوض به وسد مايلقى فى عمله من وجوه النقص ، أما عمله فى القضاء فهو مفخرة كبرى ، ففى كل وظائف القضاء التى تولاها نجد هذا الرجل يدرس القضايا درسًا كاملاً شاملاً ، ويبحث دائمًا عن وجه الحق ليصوره ولتكون أحكامه دائمًا تأييدًا له ، حتى إن القانونيين ودارسى القضاء يستذكرون قضاياه ويتتبعون ملفاته وتعليقاته ودراساته الفردية أو الجماعية على أنها أعمال مثالية فى ممارسة القضاء وخدمة العدالة ، أما فى المحاماة

على أنها أعمال مثالية فى ممارسة القضاء وخدمة العدالة ، أما فى المحاماة فنحن هنا أمام رجل لم ينظر إلى نفسه أبدًا على اعتبار أنه موكَّل يلتمس أساليب موكِّله بأى طريق ، وهو لم يبحث قط عن الثقوب التى لايخلو منها قانون لينفذ منها ويصل إلى مايريد إظهاره للقضاة على أنه الحق ، بل إن عبدالعزيز محمد حسن المحامى رجل عدالة لايقبل من القضايا إلا مايرى أنه حق يستحق الدفاع عنه ، وإذا اتضح له أثناء البحث أن موكله لم يطلعه - قاصدًا أو غير قاصد - على وجه الحق فى قضيته فهو لايعنى بالموكَّل بل يقصد إلى القانون وحده ويلتزم بالحق وحده أى أنه أولاً وقبل كل شئ إنسان حر الضمير يقظ النفس ، يخدم الإنسانية كلها ، ولهذا السبب أيضًا يدرس هواة مهنة المحاماة الكريمة قضايا هذا الرجل على أنها مدرسة قانونية .

وإلى جانب هذا كله فإن الرجل كان مجددًا ، فما من قانون يمر به إلا ويدرسه ويدل أهل القانون على وجوه النقص فيه والسبيل إلى تصحيحها ، بل هو اقترح صيغًا قانونية جديدة لكثير من القوانين واجتهد فى إقرار هذه الصيغ ، وفى هذا السبيل قام الرجل بما يشبه المعجزات حقًا ، ومن أعماله الجليلة التى أدى بها خدمة كبرى للمشتغلين بالقانون مجموعة القواعد القانونية التى قررتها محكمة النقض فى خمسة وعشرين عامًا سواء فى المواد المدنية أو فى المواد الجنائية ، فقد درس أحكام محكمة النقض خلال تلك الفترة الطويلة وجمعها ورتبها وأشرف على إخراجها فى سفر ثمين يعتبر عونًا لاغنى عنه للباحثين من رجال القانون سواء أكان فى محيط الفقه أو محيط القضاء .

وتستوقف نظرنا حياته الوظيفية منذ تخرج فى مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٢ وكانت سنُّه إذ ذاك ثلاثًا وعشرين عامًا فقد ولد فى أوائل يناير سنة ١٨٩٩ فى مدينة أبى قرقاص ، وقد اشتغل بالمحاماة بعد تخرجه ، وسرعان مابرزت مواهبه فى ميدان العمل ، ولفت الأنظار بسعة الاطلاع والقدرة على البحث وسداد الرأى وسلامة المنطق فى الجدل والمرافعة ، وأثار الإعجاب فى نفس الوقت بسلامة الخلق والجد الصارم والأمانة الكاملة فى القول والعمل ، هذا إلى جانب تواضع أصيل يدل على أن

ورجل كهذا لايمكن أن يغفل عنه القائمون بأمر القضاء فى وزارة العدل فعين قاضيًا فى محكمة الإسكندرية الابتدائية فى مايو ١٩٢٩ أى بعد سبع سنوات من تخرجه ، وهنا يدهشنا صعوده السريع والمتصل فى سلم الوظائف القضائية ، فعين فى سنة ١٩٣٢ نائبًا بإدارة قضايا الحكومة . فقد ذكرنا تعيينه نائبًا بإدارة قضايا الحكومة سنة ١٩٣٢ ، وبعد ذلك بعشر سنوات ، أى فى سنة ١٩٤٢ عين رئيسًا للتفتيش القضائى بوزارة العدل ، وفى سنة ١٩٤٤ يعين مستشارًا بمحكمة الاستئناف ، وبعد أربع سنوات - ١٩٤٨ يعين مستشارًا بمحكمة النقض ، وفى سنة ١٩٥٢ يعين رئيسًا لإدارة قضايا الحكومة ، وفى سنة ١٩٥٣ يصبح وكيلاً لمحكمة النقض ، وفى سنة ١٩٥٤ يصبح رئيسًا لمحكمة النقض ويظل فى هذه الوظيفة القضائية الكبرى حتى نهاية الخدمة ، أى بلوغه الستين سنة ١٩٥٩ ، وهذه كلها وظائف كبرى تولاها الرجل بكفاية وعلم وثقة فى النفس دون أن ينظر إلى ماينظر إليه أمثاله من كبار رجال القضاء من النظر إلى الوزارة أو رئاسة الوزارة مما يستدعى دخوله السياسة ، ولكن السياسة كانت ولاشك ستشغله عن القانون فابتعد عنها وظل رجل قضاء وعلم وبحث وأمانة .

وبعد انتهاء خدمته فى الحكومة عاد إلى المهنة الحبيبة إلى قلبه وهى المحاماة ، عاد ليدافع عن المظلومين كما هو أسلوبه الذى جرى عليه ، فهو يناضل فى دفع الباطل ويجاهد فى رد الحقوق إلى أهلها .

ورجل كهذا لايمكن أن يظل بعيدًا عن مسئوليات العمل الجامعى فسعت إليه الكليات القانونية ليتولى الأستاذية لفترات محددة إلى جانب عمله القضائى الحكومى ، فألقى الرجل سلاسل محاضرات بجامعة القاهرة وفى كلية الحقوق بجامعة عين شمس . وفى سنة ١٩٣٧ انتدب أستاذًا للحقوق بجامعة بغداد ، وهناك وضع إلى جانب التدريس شرحًا وافيًا للقسم العام من قانون العقوبات فى العراق وبعد عودته إلى مصر عاد إلى المحاماة ، وفضلاً عن ذلك نجده يسهم بنصيب جوهرى فى أعمال لجان تعديل القوانين ، ومن ذلك لجنة تعديل قانون العقوبات ، ولجنة تعديل قانون المرافعات كما نجد رجل القانون الأول فى مصر إذ ذاك ، وهو عبدالرازق السنهورى يستعين به فى تعديل القانون المدنى .

وتتجلى براعته ومهارته فى الأحكام العديدة التى دونها طوال حياته القضائية والتى توّجها بالأحكام التى أصدرتها تحت رياسته الدائرة المدنية بمحكمة النقض . وهذه الأحكام يعرف قدرها القلائل من أهل القانون الذين يطلعون عليها فيلقون فيها ثروة غنية من البحث القانونى العميق ونماذج تعد أمثلة رائعة لحسن العرض والتأصيل المنطقى السليم ، والدقة فى إيراد الحجج المقنعة والرد على ما يثار من اعتراضات ، وكل هذا فى أسلوب عربى بليغ رصين وعبارة جلية موجزة .

وهذه العبارة الأخيرة تفتح لنا بابًا عظيمًا من أبواب امتياز الأستاذ عبدالعزيز محمد حسن فقد كان يعتز باللغة العربية الرفيعة فى أدائها ، ويعمل على السمو بها ، ويؤدى رسالة الحفاظ على سلامتها ورفعتها كأحسن مايكون .

وبهذه المناسبة نقول إن لغة القانون كانت فى أوائل القرن الماضى قد هبطت إلى مستوى يبعث فى النفس الأسى ، ولايحجب الإنسان لانحدار اللغة العربية بصفة عامة وفى مجال التشريع والقضاء بصفة خاصة فقد كان هذا عصر محمد على باشا ، ذلك التاجر الذى وصل إلى حكم مصر بفضل المصريين فكان أول مافعله عندما استقر له الأمر أن أهمل المصريين وحاول أن يكون تركيًا ليكسب احترام الدول وهو لم يهتم أبدًا بالمصريين أو باللغة العربية ، فالمصريون كانوا فى نظره عبيدًا واللغة العربية شبطت إلى مستوى خفيض لايُصَدَّق ، ففى سنة ١٨٤٢ مثلاً أنشأ محمد على مجلسًا سماه مجلس الجمعية القانونية ليحل محل الديوان العالى أو الديوان الخديوى فى مصر ، ونقرأ فى حاشية اشتمل عليها الأمر الصادر بتشكيل هذا المجلس مايلى : « حيث إن فى البلاد المنتظمة محاكم قانونجى مخصوصة لكل مصلحة ، البرية بخلاف والبحرية بخلاف والملكية وكان يجب علينا أيضًا أن نشكل جمعيات حقانية لكل مصلحة مثلهم ، ولكن لايوجد عندنا الآن رجال لتشكيل الجمعيات المتفرقة ، فلذا يجب أن هذه الجمعية تنظر جميع القوانين الآن ، وعند وسعة وقت نكون قد حصلنا على رجال ذوى عدالة ونعرفكم عن الجمعيات المتفرقة ومحلات تشكيلها والمعلومية لزم التحشية » . ونجد أن قانون مجلس جمعية الحقانية هذه يعبر عن مقترفة الزنا بقوله : الفلانية الثابت عليها الفلت .. وفى نص هذا القانون وعند التحدث عن رجل قتل عن غير قصد يقول « وإنما كان ناشئًا عن غشومية الفاعل ».

وهذا هو الأسلوب القانونى الذى وجده رجال القانون من أمثال السنهورى وعبدالعزيز محمد ، وكان عليهم أن يعملوا بجد لتغيير لغة القانون وتعريبها ورفعها إلى مستوى البلاغة ، ومن حسن الحظ أنهم كانوا قادرين على ذلك ، ولايتسع المجال هنا لإبراز الجهود المضنية التى قاموا بها حتى وصلوا بلغة القانون إلى المستوى الذى نجدها عليه اليوم رغم أن الدولة كانت تقرر أن يدرس القانون فى مدرسة الحقوق باللغة الفرنسية وأحيانًا بالتركية ، وعندما جاء الإنجليز فرضوا تدريس القانون باللغة الإنجليزية فلم يكن يدرس باللغة العربية إلا الشريعة وبعض مواد أخرى ، كأن اللغة العربية كانت عاجزة عن التعبير القانونى ، فاجتهد هؤلاء وأولهم المغفور له عبدالرازق السنهورى الذى تولى محكمة النقض المستقلة فوضع تقاليد راسخة فى صياغة الأحكام وتحريرها وخلفه فى ذلك من تولى هذه المحكمة من القانونيين من أمثال عبدالعزيز محمد حسن ، فقد كان حريصًا جدًا على سلامة التعبير بلغة عربية رفيعة ، فقد كان أديبًا لغويًا ، وهذا هو الذى رشحه لعضوية مجمعنا هذا سنة ١٩٦٩ خلفًا للمرحوم الأستاذ حامد عبدالقادر . وقد أثبت أنه من أنشط رجال المجمع فى لجان القانون واللغة وقدم خدمات جليلة للغة العربية لازلنا نذكرها إلى اليوم حتى وفاته عليه ألف رحمة من الله سنة ١٩٩٠م .

**حسين مؤنس**

عضو المجمع

# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء التاسع والعشرون
صفر ١٣٩٢
مارس ١٩٧٢

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع مراد ـ الجيزة

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين فى السنة )

## الجزء التاسع والعشرون

( صفر ١٣٩٢ هـ = مارس ١٩٧٢ م )

المشرف على المجلة :

د . إبراهيم أنيس

أمين التحرير :

إبراهيم الترزى

# الفهرس





## من التراث اللغوى :



## تعريف ونقد :



## شخصيات مجمعية :

# بسم الله الرحمن الرحيم

# تصدير

# مسطرة اللغوى

## للدكتور إبراهيم أنيس

لكل من المهندس وطالب الهندسة مسطرة حاسبة تيسّر العمليات الحسابية المعقدة فى دقة وأمنٍ من الزلل ، فتغنى عن الحساب بوساطة القلم والقرطاس ، وتوفر زمنا وجهدا ذهنياً ، وتحقق نتائج سريعة دقيقة فى البحوث الهندسية ، وهى تستخدم لدى المهندسين منذ عشرات من السنين .

ثم أصبحنا وإذا باللغوى الحديث وقد تهيأت له منذ شهور أداة تشبه مسطرة المهندس ، هى التى ندعوها هنا مسطرة اللغوى ، وتتمثل فى تلك الجداول الإحصائية التى نُشرت ووزعت على أعضاء المجامع اللغوية وأساتذة اللغات والرياضة فى العالم العربى ، وبها اكتملت مسطرة اللغوى التى ظلت زمنا طويلا حُلماً لنا نحن اللغويين وأملا نتطلع إليه ونتمنى لو ظفرنا به حتى تتحقق على يدى أُستاذ الفيزياء الدكتور على حلمى موسى بعد أن استخدم ذلك الجهاز العجيب المسمى بالكومبيوتر أو العقل الإلكترونى ! !

والجداول الإحصائية التى بين أيدينا الآن مؤسسة على معجم من أشهر وأصح المعاجم العربية القديمة ، هو معجم صحاح اللغة للجوهرى المتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى .

ويتساءل الدارسون منذ ظهرت تلك الإحصاءات كيف نستخدمها فى البحث اللغوى ، وهل تفسّر لنا بعض تلك الظواهر اللغوية التى كنا ندهش لها ، ونعجب من أمرها ، ثم لا نكاد نجد لها تفسيرا علميا معقولا مقبولا ؟ !

وقد أشرتُ من قبل إلى هذا التساؤل فى صدر هذه المجلة ، وتنبأتُ بأن ذلك التفسير العلمى المنشود سيتمّ بإذن الله ، ودعوتُ اللغويين المحدثين إلى أن يقولوا كلمتهم بعد أن قال أهل العلوم كلمتهم ! !

وهأنذا أفتتح هنا البحث اللغوى على أساس تلك الإحصاءات ، وقد كان لى حظ الاستشارة فيها والإشراف عليها . فأصدِّر هذا الجزء من مجلتنا ببحث قصير أحاول فيه على ضوء هذه الإحصاءات تفسير ظاهرة من ظواهر لغتنا العربية عرفها علماؤنا القدماء باسم « القلب المكانى » ! !

قنع اللغويون من العرب بالإشارة السريعة إلى هذه الظاهرة ودون محاولة لتعليلها أو تفسيرها متمررين أنها من سنن العرب ، ثم يسوقون لها مجموعة من الأمثلة لعل من أشهرها : جذب ، جبذ . يئس ، أيس ، لأك ، ألك . اضمحل ، امضحلّ . عجوز شهبرة ، شهربة . اكفهرّ ، اكرهفّ .

ولستُ أعرف منهم من عرض لها بشىء من التفصيل سوى ابن جنّى فى كتابه الخصائص ، فقد قسم أمثلتها قسمين : أحدهما يكون فيه كل من الصورتين أصلا مستقلا بذاته ، فليست إحدى الصورتين أصلا والأخرى فرعا لها . ومثّل لهذا القسم بالكلمة ( جذب ، جبذ ) . ومقياس الأصالة فى هاتين الصورتين ، فى رأيه ، كثرة التصريف مع كل منهما إذ يقال : جذب يجذب جذبا فهو جاذب .......... الخ . كما يقال جبذ يجبذ جبذا فهو جابذ ! !

أما القسم الآخر فيمثل له ابن جنى بكلمة ( اضمحلّ ، امضحل ) ويعدّ الصورة الأُولى أصلا ، وأن امضحلّ فرع لها . وذلك لأَن اضمحلّ هى التى تتصرف فيكون منها المصدر اضمحلال ، فى حين أن امضحلّ لم يرد منها امضحلال ! !

ويرى اللغوى الحديث فى كل أمثلة القلب المكانى أن إحدى الصورتين أصل ، وأن الأُخرى فرع لها ، غير أنه قد تصادف أن بعض الفروع اشتهرت وشاع استعمالها فتصرفت أيضا كالأُصول وجاءت منها مشتقاتها ، فى حين أن البعض الآخر من الفروع لم تتح له تلك الشهرة أو الشيوع فلم تتصرف كأُصولها .

وظاهرة القلب المكانى ليست مقصورة على اللغة العربية ، فقد عرفت فى بعض اللغات الأَجنبية ، وأشار إليها بعض اللغويين الأَجانب ، وفسروها فى لغاتهم . فيسميها « جسبرسن » فى بعض ما كتب Transpositon أو Mnetathesis (١) ويعزوها إلى الجيل الناشىء وتعثره فى النطق بالصورة الأَصلية ثم ذيوع الصورة الجديدة . ويرى أنه مع الكلمة الكبيرة البنية يشق عادةً على الطفل النطق بمجموع ما فيها من أصوات مرتبةً نفس الترتيب . ويعبر عن ذلك بقوله : « ليس الأَمر مرجعه إلى طول الكلمة وحده ، أى صعوبة إصدار سلسلة كبيرة من الأَصوات ، لأَن الطفل فى مرحلة المناغاة يستطيع النطق بسلسلة أطول من الأَصوات ، وذلك حين يكون نطقه غير متعمد أو مقصود . ولكن السرّ الحقيقى فى هذه الظاهرة هو أن الطفل يصعب على ذاكرته الضعيفة تذكُّر سلاسل الأَصوات مرتبةً كما يسمعها من الكبار حوله ، فلا يقدر على تذكُّر ترتيبها ليتحقق له النطق الصحيح . وكذلك الشأْن مع بعض الكبار فى بعض الأَحيان ممن يكون نصيبهم من التعليم والثقافة ضئيلا . فحين يُطلب من أحدهم ترديد كلمة طويلة البنية من لغة أَجنبية عنه كالسنسكريتية مثلا يشق عليه تذكر الترتيب الصحيح بين أصواتها ، فيحدث فى نطقه ما يسمى بالقلب المكانى » . ويسوق لنا جسبرسن أمثلة لاحظها مع بعض أطفال الإنجليز حين قالوا : Efelent بدلا من Elefent ، وقالوا : Serreval بدلا من Several ؛ وقالوا : Waps بدلا من Wasp ؛ وقالوا : Pillarcat بدلا من Caterpillar ! !

(١) Language its nature, development & origin. P. 108. & 281.

على أننا مع التسليم بفكرة ضعف الذاكرة لدى الأطفال وأشباههم ، نتساءل لماذا يقع القلب المكانى ، مع ذلك ، فى بعض الكلمات القصيرة البنية ، ثم فوق هذا ، لماذا يتخذ القلب المكانى صورة معينة فى تغيّر ترتيب الحروف ؟ ! ولذلك لا نتصور أن يكون لضعف الذاكرة دور حقيقى فى ظاهرة القلب المكانى إلا مع الألفاظ الأجنبية الطويلة البنية" .

وقد تبيّن لنا فى دراسة حديثة أن السرّ الحقيقى فى معظم أمثلة القلب المكانى يرجع إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية فى كلمات اللغات .

وربما يكون ذلك أوضح فى اللغات السامية ومنها اللغة العربية ، لأنها تعتمد فى كلماتها على الجذور الأصلية . وعليه فمعظم الصور المروية للقلب المكانى فى الكلمات العربية تعزى أولا وقبل كل شىء إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية فى اللغة العربية .

وليس بين اللغويين العرب أو المستشرقين من فطن لذلك ، بل لم نفطن له نحن قبل ظهور الإحصاءات التى بين أيدينا .

وحديث ذلك ، دون الدخول فى متاهات علم النفس عن الذاكرة أو الحافظة ، أن نقول : إن المرء يكتسب فى سنى حياته محصولا لغويا ضخما يختزنه مرتبا فى مخّه ترتيبا خاصا يعين على تذكره وتداعى بعضه مع بعض ، فكأن الله سبحانه قد أمدّ المخّ فى كل منا بجهاز كومبيوترى عجيب لا يكاد العلم الحديث يعرف عنه شيئا . ويكفل لنا هذا الاستعداد الفطرى اختزان المحصول اللغوى مرتبا فى نظام صوتى خاص ييسّر علينا تذكر ما نحتاج منه فى كلامنا ، كما ترتبط عناصره بعضها ببعض ، وتتداعى بعضها مع بعض كلما خطرت فى الشعور أو جرت فى الاستعمال . ولا نشك فى أن ذلك المحصول اللغوى لدى كل منا يتألف من سلاسل صوتية أغلبها ثلاثى الأصول أو الجذور ، وأن هذه السلاسل الصوتية تختلف فى نسبة شيوعها

فى الكلام العربى ؛ فمنها الكثير الشيوع ، ومنها المتوسط الشيوع ، ومنها النادر الشيوع .

فإذا خطرت فى الذهن إحدى تلك السلاسل الصوتية القليلة الشيوع فقد تستدعى إلى الشعور سلسلة أخرى تشبهها فى معظم معالمها . ونلحظ أن السلاسل الصوتية الأكثر شيوعا من الناحية الإحصائية هى أكثر السلاسل خطورا فى الاذهان ، وأسرع فى الاستجابة حين الحاجة . فإذا سمع السامع أو نطق الناطق بسلسلة من تلك السلاسل الصوتية القليلة الشيوع تداعت لها مسرعةً سلسلة أخرى أشبه بها أو أقرب إليها ، وهى فى نفس الوقت أكثر منها شيوعا وترددا فى كلام الناس ، فكأنما كانت تطفو على سطح الشعور ، ولذلك تبادر قبل غيرها فى الاستجابة إلى المتكلم أو السامع .

فحلول سلسلة صوتية محل أخرى ، وهذا هو القلب المكانى ، سرّه الحقيقى أن السلسلة الجديدة الطارئة أكثر شيوعا ودورانا فى الكلام من الأخرى .

هذا هو الذى يفسر لنا ظاهرة القلب المكانى فى معظم أمثلة العربية بوجه عام . فما يسمى أحيانا بتعثر اللسان أو زلة اللسان ليس مرضا عضويا فى كثير من حالاته ؛ ولعلّ التعبير بقولنا : « سبق اللسان » يكون أقرب إلى ما نحاول هنا بيانه ؛ فسبق اللسان ليس إلا صدى لسبق التذكر الذى مرجعه أن بعض السلاسل الصوتية فى حافظتنا أسرع استجابة للخاطر من غيرها .

فإذا نظرنا فى ضوء ما تقدم ، لمجرد زيادة التوضيح ، إلى مثل من الأمثلة المروية فى كتب اللغة للقلب المكانى تجلت لنا هذه الحقيقة .

خذ مثلا الفعل « يئس » مع مقلوبه « أيس » نجد أن التفسير العلمى لهذا القلب هو أننا نجد فى الإحصاءات التى بين أيدينا ، والتى استخدم فى استخراجها جهاز الكومبيوتر ، وهي الإحصاءات التى ندعوها هنا مسطرة اللغوى ، نجد أن الجذر

الثلاثى الذى يبدأ بالياء وبعدها الهمزة أقل شيوعا من الذى يبدأ بالهمزة وبعدها الياء ، فبينما يرد الأول فى إحصاءاتنا مرة واحدة فقط يرد الثانى عشر مرات .

وكذلك نجد أن الجذر الثلاثى الذى ينتهى بالهمزة وبعدها السين أقل شيوعا من الذى ينتهى بالياء وبعدها السين ، فبينما يرد الأول فى إحصاءاتنا مرتين فقط يرد الاخر ثمانى مرات . وأخيرا نجد أن المادة الثلاثية التى تبدأ بالياء وتنتهى بالسين أقل شيوعا من تلك التى تبدأ بالهمزة وتنتهى بالسين ، فبينما ترد الأولى فى إحصاءاتنا سبع مرات ترد الأخرى خمس عشرة مرة .

وهكذا نرى أن الذى سوغ القلب المكانى فى الفعل « يئس » ليصبح « أيس » هو أن نسبة شيوع السلسلة الصوتية « أيس » فى الكلام العربى أكثر كثيرا من نسبة شيوع السلسلة الأخرى .

وبالله التوفيق ،،

مارس ١٩٧٢ م

**ابراهيم أنيس**
المشرف على المجلة

# بحوث ومقالات

فى تخير اللفظ الملائم للمعنى الذى قصدوا إليه ، وبقدر تمكنهم من لغتهم يكون اختيارهم أدق وأحكم . وقدلا يجد الباحث الأول اللفظ الدقيق ، فيتدارك تلاميذه مافاته . وهكذا يسير العلماء ، الواحد منهم تلو الآخر ، فى ضبط المعانى وتحديد الألفاظ المعبّرة عنها ، وتطور العلم تطور لمصطلحاته بقدر اهو تطور لآرائه ونظرياته .

* * *

على هذا النحو تكوّنت لغة العلم فى الإسلام ، فلم تنشأ دفعة واحدة ، بل نمت وتنوعت على مر الزمن . بذرت بذورها فى القرن الأول الهجرى ، وظهرت مصطلحات فى الفقه والتفسير والكلام ، وتلتها فى القرن الثانى مصطلحات فى علوم اللغة والتاريخ ، فى الأخلاق والسياسة ، فى الطب والكيمياء ، فى الفلك والهندسة . واستكملت العلوم العربية فى القرن الثالث لغتها ، وتوفّرت لها أسباب الحياة . وما إن حل القرن الرابع الهجرى ، وهو العصر الذهبى فى تاريخ الثقافة الإسلامية ، حتى استقر المصطلح العلمى ، وتنوسى معناه الاول ، وأصبح حقيقة عرفية لايفهم منها إلا مدلولها الجديد . وتداوله الباحثون فى المشرق والمغرب ، ولم يختلف من قطر إلى قطر . فكانت لغة العلم واحدة فى قرطبة والقيروان ، فى الفسطاط ودمشق ، فى بغداد وأصفهان . وبدئ بتسجيلها فى معجمات خاصة تحت اسم مفردات أو تعريفات . ويمكن أن نذكر منها «كتاب الحروف» للفارابى ، «ومفاتيح العلوم للخوارزمى» اللذين ظهرا فى القرن الرابع ، و «كتاب التعريفات» للجرجانى فى القرن الثامن ، و «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوى فى النصف الأخير من القرن الثانى عشر . ومن المصطلحات العربية مانقل إلى الفارسية والتركية ، ومنها ماسرى إلى اللاتينية ، بل إلى بعض اللغات الأوربية الحديثة .

واستعان علماء الإسلام على تكوين لغتهم بوسيلتين هامتين ، وهما النقل والوضع ، والنقل طريق سهل مألوف فى اللغات على اختلافها . ينقل اللفظ من مدلوله الأصلى إلى مدلول آخر جديد ، لايلبث أن يستقر ويصبح حقيقة عرفية . وقد عوّل عليه مفكرو الإسلام الأول

فيما وضَعُوه من مصطلحات ، ويلحظ بوضوح فى مصطلحات الفقه والتشريع كالصلاة والصوم والزكاة ، وفى علوم النحو واللغة كالتمييز والاستثناء ، والجامد والمشتق . وكثيرا مادرج المؤلفون على شرح المصطلح فى جانبيه اللغوى والعلمى . وعن طريق النقل قد يؤدى اللفظ عدة معان باختلاف الموضوعات ، فالرجعة مثلا عند الفقهاء الرجوع فى الطلاق ، وعند الشيعة عودة الإمام بعد غيبته أو موته ، وعند المنجمين سير الكواكب المتحيرة على غير النظام المألوف .

وليس الوضع أقل شأنا من النقل فى تكوين المصطلح العلمى ، فيبتكر لفظ جديد لأداء معنى خاص عن طريق النحت أو التركيب أو الاختزال . والاشتقاق أيسر السبل لوضع المصطلحات لأنه يخضع لقواعد محددة ويؤدى معانى متعددة ، فمنه تؤخذ صيغة الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة وصيغة المبالغة ، واسم الآلة والزمان والمكان ، وقد أفسح المصدر الصناعى المجال للدلالة على أسماء طوائف ومذاهب مختلفة كالقدرية والجبرية واللا أدرية . وإن لغة اشتقاقية كالعربية لا يعز عليها أن تؤدى المعانى فى صورها المختلفة ، وليست فى هذا أقل مرونة من بعض اللغات اللاتينية التى تعتمد على نظام السوابق ( Tréfines ) واللواحق ( Suffines ) .

على أن علماء العرب لم يقفوا عند النقل والوضع ، بل أخذوا بالتعريب كلما دعت إليه حاجة ، فعربوا عن الفارسية والهندية ، كما عرّبوا عن اليونانية والسريانية . وربما آثروا المعرّب على العربى الأصيل إذا كان أدل على المعنى ، فأحلوّا كلمة «جوهر» الفارسية الأصل محل كلمة «عين» العربية للدلالة على لفظ «أوسيا» اليونانية . ويطول بنا الحديث لوتتبعنا هذه المعربات جميعها ، وفى «مفاتيح العلوم» للخوارزمى قدرمنها . ويكفى أن نشير إلى أن الألفاظ الفارسية كثيرة الورود فى مستحدثات الحضارة والنظم والإدارة ، وأن اليونانية والسريانية ملحوظة فى العلوم والفلسفة . وفى هذا مايدل على المصادر التى أخذ عنها العرب بوجه عام ، ويحمل المعنى معه عادة اللفظ الدال عليه . فمن الفارسية مثلاً «الزُّنامة» وهى

مثل حساب الخراج ، « والدفتر » « والفِهرست » وهما من مستلزمات الديوان ، و« البريد» ، وهو فى الأصل دابة تحمل الرسائل ، أصبح نظاما متعدد الأشكال ، و «الدستور » ، وهو كلمة تنوسى اليوم تماما أصلها الفارسى .

ومن اليونانية على سبيل المثال أيضاً « الناموس » « والسفسطة » فى الفلسفة ، « والارتماطيقى » « والأسْطُرلاب » فى الرياضيات ، « والقولون » وهو المِعى الغليظ « والتِرياق » وهو دواءُ السم فى الطب ، ومن السريانية الكِيان وهو الطبيعة فى الفلسفة ، والبُحرَان وهوداء معروف فى الطب .

* * *

والعلوم الإسلامية متعددة ومتنوعة ، بين دينية ولغوية ، طبيعية ورياضية ، ولكل علم لغته ومصطلحاته . ولا سبيل لأن ندرس الآن نشأة هذه المصطلحات وتطورها ، وما أجدرنا أن نفعل ، ففيها تراث الماضى وذخيرة الحاضر ، وعَوْن على تكوين لغة العلم المعاصر . وعسانا نوفق لعرض نماذج من ذلك فى فرصة تالية . وقد سبق لمجمع اللغة العربية أن وجه فى سنيه الاولى الباحثين لجمع المصطلحات العلمية القديمة من أمهات الكتب التى نشرت أو التى تعد للنشر ، ولا يأْخذ المحققون أنفسهم بذلك فى اطراد ، مع أنه جزء هام من أجزاء المنهج العلمى للنشر الدقيق . وينبغى أن يختم كل نص قديم يخرج للقراء بفهرس يشتمل على ماورد فيه من مصطلحات ، نحيى بها الماضى ونعين أبناء الحاضر على الدرس والبحث .

**ابراهيم مدكور**

الأمين العام للمجمع

# الطير الأبابيل
## في واقعة الفيل
## وما يراه الشيخ محمد عبده في ذلك

للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

الإمام المغفور له الشيخ « محمد عبده » تفسير الجزء الثلاثين من القرآن الكريم .

وله فيما كتب على بعض سور هذا الجزء آراء خاصة ، انفرد بها ، لم يقل بها – فيما نعلم – أحد ممن سبقه من أئمة التفسير القدامى ، ولا من جاء بعدهم .

وليس على الباحث عيب ، ولا عليه تبعة إذا هو خرج من بحثه برأى لم يسبقه إليه أحد ، ما دام يعتمد فى هذا الرأى على حجة واضحة ، وما دامت تؤيده فيه اللغة الصحيحة .

أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فإن المطالع المتبصر لا يسوغ له أن يأخذ بذلك الرأى أو يعتمد عليه مهما كان شأن صاحبه ، فإنما ينبغى التعويل على القول ذاته وصحته وجودته ، لا على القائل ومكانته أو شهرته .

وإن من تلك الآراء الخاصة ، التى انفرد بها الأستاذ الإمام – عليه سحائب الرحمة – قوله فى الطير الأبابيل[1] التى أرسلها الله – سبحانه وتعالى – على جيش الأحباش فى حادثة الفيل – إنها جماعات البعوض والذباب ، التى كانت تحمل جراثيم مرض الحصبة أو مرض الجدرى ، وإنها ليست على ما يرويه المؤرخون والمفسرون من أنها أنواع من الطيور تشبه الخطاطيف ، وأن كل واحد منها كان يحمل ثلاثة أحجار على ما سنبينه فيما يلى بشىء من التفصيل .

---

(١) الأبابيل جمع إبيل أو إبول أو إبالة : القطعة من الطير والخيل والإبل . والإبالة أيضاً الحزمة من الحشيش أو الحطب ، استعملت فى جماعة الطير المتضامة التى فيها كثرة . وقيل إن الأبابيل جمع لا واحد له .

يرى الأُستاذ الإمام رأيه الخاص فى ذلك ويقول إنه الوجه الذى يصح اعتقاده والاعتداد به فى تفسير قوله تعالى :

« وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل » .

وسنعرف قيمة هذا الرأى بعد عرضه ، بالتفصيل ومقابلته برأى العلماء الآخرين .

قد ورد فى قصة الفيل — برواية الثقات — أن « أبرهة الأشرم » بن الصباح الحبشى — ملك اليمن من قِبَل « أصحمة النجاشى » ملك الحبشة — أنشأ كنيسة بصنعاء ، أحكم تشييدها ، وأبدع زخرفتها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر الثمينة ؛ وقد أراد بإنشائها أمرين :

(الأول) المبالغة فى إرضاء النجاشى وإزالة ما قد يكون باقياً فى نفسه من الغضب عليه لِما كان منه من قتل « إرياط » قائد الجيش الحبشى إلى اليمن واستبداده بملك اليمن من بعده .

(الثانى) أنه — انتصارا للمسيحية — أراد أن يحوّل إلى تلك الكنيسة جموع العرب الذين كانوا يقصدون إلى « مكة » فى موسم الحج ، وكتب بذلك إلى النجاشى .

وقد أثار هذا الأمر الثانى حفيظة العرب ، فخرج رجل من كنانة إلى تلك الكنيسة ليلا متخفياً وقعد فيها أى أحدث ، ثم لطخ محرابها بما أحدث . وقيل أيضاً : إن جماعة من العرب أوقدوا نارا فى موضع كان قريباً من الكنيسة ، فتطاير إليها الشرر فأحرقها . وقد يكون الأمران جميعاً.

أغضب ذلك « أبرهة » غضباً شديدا فأقسم ليهدمن الكعبة ، قبلة أولئك العرب ومتعبدهم ؛ وأرسل إلى النجاشى يبلغه ذلك ، ويسأله أن يرسل إليه الفيل الأعظم المعروف عندهم ؛ ويقال إن اسمه « محمود » .

ثم تجهز بستين ألفاً من الأحباش ، وقدم الفيل الذى أعده ليهدم به الكعبة وسار بالجيش ، فخرج له فى بعض الطريق ، ملك من ملوك اليمن ، يقال له « ذو نَفْر » ، فقاتله ، ولكن أبرهة هزمه وأسره بعد ما فتك بأصحابه ، وقد همّ بقتله ، فرجاه ألا يفعل ، فربما كان بقاؤه خيرا وأنفع من قتله ؛ فعدل عن قتله ،واكتفى بأن أوثقه وأخذه معه أسيرا .

---

(١) يقول المؤرخون : إن « أصحمة » هذا هو جد النجاشى الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرك زمن بعثته عليه الصلاة والسلام .

ثم سار حتى بلغ أرض « خثعم » ، فخرج له « نفيل » بن حبيب الخثعمى بقبيلته ومن انضم إليهم من العرب ، فقاتلوه ، ولكنه قهرهم أيضاً ؛ ووقع فى يده « نفيل » أسيرا ؛ ولما أراد قتله قال له لا تقتلنى ، وأكون لك دليلا بأرض العرب ، حتى تبلغ ماتريد. فعدل عن قتله ، واتخذه دليلا ، وسار حتى بلغ «الطائف» فخرجت له « ثقيف » برئيسها « مسعود ابن معتّب الثقفى » ، يستقبلونه ويحيونه ويظهرون له الطاعة والخضوع ، ويقولون له إن بيت « اللات » معبودتهم ليس هو البيت الذى يريده ، وإنما ذلك فى مكة ، وقدموا له رجلا منهم ، يقال له : «أبو رغال» ليكون دليله إلى ذلك البيت ، فانصرف عنهم ، وسار ومعه هذا الدليل حتى بلغ موضعاً يقال له « المُغَمّس » بضم الميم الأولى وفتح الغين المعجمة وتشديد الميم الثانية مفتوحة أو مكسورة . وهو فى طريق «الطائف» على بعد ثلثى فرسخ من مكة ؛ فمات هناك « أبو رغال » ودفن ، ثم صار قبره بعد ذلك يرجم بالأحجار .

ومن المغمس بعث « أبرهة » قطعة من الخيل بإمرة « الأسود بن مقصود » « بالفاء » للغارة على مكة ، فمضى واستاق إبلا لقريش فيها مائتا بعير لعبد المطلب وحده ، ولم تستطع قريش أن تصد هذه الغارة أو تعرض لها .

ثم أرسل « أبرهة » مرة أخرى – وهو بالمغمس – « حناطة الحميرى » رسولا إلى سيد مكة وشريفها يبلغه أن الملك لم يأت لحرب ، وإنما جاء لهدم البيت ، فإن لم يقاوم أهل مكة ولم يحولوا بينه وبين مقصده فسوف لا تكون حرب . وسينتهى الأمر بسلام ، فإنه ليس به حاجة إلى دمائهم .

وكان فيما أمر به ذلك الرسول أن يستصحب إليه سيد مكة إذا عرف منه أنه لا ينوى حربا ولا مقاومة . فدخل « حناطة » مكة وسأل عمن يكون سيد القوم ، فدلوه على «عبد المطلب بن هاشم» فبلغه الرسالة وذهب معه إلى « أبرهة » ، فاستقبله وأجله ، ونزل عن سريره ، وأجلسه بجواره على البساط لما قيل له إنه سيد مكة وشريفها . غير أنه عاب عليه أنه لم يهتم لذلك الأمر العظيم الذى قدم له أبرهة ، وأنه لم يطلب – لماسأله عن حاجته – إلا أن يرد إليه إبله ، ولم يبال بما اعتزم أبرهة أن يفعله بالبيت

الذى هو متعبد القوم ومحل عزهم وشرفهم ؛ فقال له « عبد المطلب » : إنى أنا رب الإبل ، وأما البيت فله رب يحميه .

ورجع عبد المطلب بالإبل فأهداها جميعها — فيما يروى — للحرم .

ثم أعد أبرهة الخيل والجند والفيل لدخول مكة ، فلم يستطيعوا سوق الفيل نحوها ، وكان كلما وجهوه إليها سقط إلى الأرض ؛ فإذا وجهوه إلى جهة أخرى أى جهة هرول .

ثم نزلت بهم الكارثة العظمى التى حدث عنها القرآن : أرسل الله عليهم أنواعاً من الطير ، لم يكن لأهل مكة عهد بها من قبل : فى أشكالها وألوانها وكثرتها وشدة هجومها ؛ وكانت ترد جماعات جماعات ، تحلق فوق الجيش وترميهم بحجارة من سجيل ، كما قال القرآن ؛ فقضت عليه ، ولم يبق منه إلا عدد قليل يحمل العبرة ، ويكون شاهدا بالهول الذى حدث ، وبعظم المعجزة التى أرادها الله إرهاصاً وتمهيدا لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحفظاً للبيت الذى هو كعبة الإسلام .

وفيما يروى أن أبرهة قد أصابه الله بمرض الجدرى الذى تساقطت منه أطرافه ، وانشق به صدره عن قلبه وكان به فى آخر الأمر حتفه ، أما وزيره الذى يدعى « أبا يكسوم » فقد فر راجعاً إلى « أصحمة » وطائر يتبعه وهو لا يدرى ؛ حتى إذا فرغ من إخبار الملك بما حدث للجيش ألقى عليه الطائر حجرا من تلك الحجارة فمات لساعته ، والملك ينظر فيعرف كيف كان هلاك الجيش .

ولقد كان هلاك الجيش بتلك الحجارة أمرا عجيباً حقاً .

لكن هل كان بتلك الحجارة ذاتها ومن غير توسيط شىء آخر ، كما يهلك إنسان بصخرة تقع عليه ، أو بطعنة رمح تنفذ منه فى مقتل ؟ أو أن الرمى بتلك الحجارة كان ينشأ عنه مرض فتاك ، يكون بسببه الهلاك ؟ ثم ما هى حقيقة تلك الحجارة ؟

الذى قاله المفسرون والمؤرخون أن هذه الحجارة كانت قطعاً صغيرة من طين يابس ، شديد صلب ، وذلك هو معنى السجيل ، فهى من طبيعة الطين ، وليست

من طبيعة أحجار الجبال ؛ وقد عبر عنها بحجارة نظرا إلى يبسها وشدتها وصلابتها.

هذا هو ما تشهد به اللغة فى معنى السجيل ؛ وهو ما تدل عليه آيات قرآنية تحدثت عما رمى به قوم « لوط » عليه السلام من مثل ذلك ، مما كان به هلاكهم كذلك : قال تعالى : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » . ( ٨٢ هود ) وقال سبحانه : « فأخذتهم الصيحة مشرقين ؛ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . ( ٧٣ ، ٧٤ الحجر ) .

وفى سورة ثالثة بيان عن تلك الحجارة التى رمى بها قوم « لوط » أنها من الطين ، ذلك هو قوله تعالى : « قال فما خطبكم أيها المرسلون ، قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ؛ لنرسل عليهم حجارة من طين » ( ٣١ ـ ٣٣ الذاريات ) .

وقد حفظ أولئك المفسرون والمؤرخون ـ مما بلغهم عن حادثة الفيل ـ أن هلاك جيش « أبرهة » كان بتلك الأحجار ذاتها ، فكان الحجر يسقط على الرجل فى أعلاه فينفذ فيه ويخرج من أسفله ؛ حتى إنه إذا كان راكباً نفذ أيضاً فى مطيته .

روى « ابن كثير » بسنده عن عبيد ابن عمير قال : « لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف ، كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار : حجرين فى رجليه ، وحجرا فى منقاره ، قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ، ثم صاحت وألقت ما فى رجليها ومناقيرها ، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع على شىء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر ، وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة ، فزادتها شدة ، فأهلكوا جميعاً . ( البداية والنهاية ج ٢ ص ١٧٤ )

ثم إنه ليس فى كلمة « حجارة » ، ولا فى كلمة « سجيل » التى هى بمعنى الطين اليابس الصلب المتحجر كما قدمنا ، ولا فى التعبير بالرمى ما يشعر بشىء غير الذى قاله أولئك العلماء ، فهو الذى يتبادر إلى الذهن من تلك الكلمات .

وليس بغريب فى باب المعجزات وخوارق العادات ـ وحادثة الفيل ـ هى من هذا

القبيل – أن ينتقم الله من ذلك الجيش الجرار الجبار الذى سار ليهدم الكعبة المشرفة بيت الله الحرام ، فيرسل عليه جماعات عظيمة من الطير تحمل أحجارا صغيرة وشديدة ترمى بها ذلك الجيش فيكون فيها هلاكه . .

إن الآيات الكريمة من سورة الفيل لم تعين ذلك الطير ، ولم تبين نوعه ، وإنما أتت بكلمة طير منكرة ، لإفادة الكثرة التى قد تكون من أغراض التنكير ، لأنه لا يتعلق غرض خاص بتعيين ذلك الطير وبيان نوعه أو لونه ؛ إذ أنه يكفى فيما يقصدُ إليه الإعلام بالواقعة ، أن يحمل لفظ الطير على ما يتبادر إلى الذهن مما هو معهود ، أو مما يماثل ما هو معهود منه ؛ أى أنه يكفى فى تحقيق المقصود من الإخبار بواقعة الفيل أن يحمل الطير على نحو العصافير أو الحمام أو اليمام أو الهدهد أو الخطاف أو ما شاكل ذلك .

لكن هل يمكن أن يحمل لفظ الطير فى الآية الكريمة على البعوض أو الذباب ، وأن يكون المراد بحجارة السجيل ما يعلق بأرجل ذلك البعوض أو الذباب من المواد المسمومة ، التى تشتمل على جراثيم الأمراض الفتاكة ، ثم تكون ملامسة أرجل البعوض أو الذباب لجسم الإنسان هى المراد بالرمى بتلك الحجارة ؟

لا نظن أن أحدا من أئمة التفسير يجيز مثل هذه الاحتمالات ، لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز .

لكن الشيخ « محمد عبده » – رحمة الله عليه – قد أجازها وقال صراحة بها ، بل قال « إنه يجوز » أن يكون من جماعات ذلك الطير ما يسمى الآن بالميكروب ، فهو فرق وجماعات لايحصى عددها إلا بارئها » .

إنه جائز من ناحية اللغة ذاتها أن يطلق على البعوض « طير » وعلى الذباب « طير » ؛ وحتى الميكروب يمكن أن يحمل على ذلك ويطلق عليه أيضاً أنه طير ، فالطير – كما يقول الأستاذ الإمام – كل حيوان يطير فى الهواء مما يرى وما لا يرى .

لكن الكلام فى الطير المحدث عنه فى سورة الفيل : ذلك الطير الذى أخبر القرآن أنه كان يحمل أحجارا يابسة شديدة عبر عنها بالسجيل ، وأنه كان يرمى بها جنود جيش الحبشة فيكون فيها هلاكهم .

فهل يصح أن يفهم أن الذباب أو البعوض أو الميكروب هو المراد بذلك الطير ؟

إن السورة ليس فيها مايشعر بشيء من هذه الأنواع الثلاثة ، التى يريدها الشيخ « محمد عبده » من كلمة « طير » وليس فيها مايوجب صرف اللفظ إلى هذه الأنواع ؛ فما هو السبب الذى جعل الأستاذ الإمام يذهب فى التفسير ذلك المذهب البعيد ؟ لعله استنتاج يكون قد اعتمد فيه على ماجاء فى بعض الروايات عن حادثة الفيل أنه قد وقع فى الجيش الحبشى الإصابة بمرض الجدرى أو الحصبة . وقد اختار الشيخ « عبده » رواية وردت فى ذلك لم تسعد عند المؤرخين وعلماء التفسير بشهرة من مثل ما كان لكثير من وقائع تلك الحملة الحبشية . تلك الرواية تحكى أن ذلك المرض — الجدرى أو الحصبة — قد عم الجيش الحبشى كله وتفشى فيه .

فلعل « الشيخ » أراد أن يعلل هذا المرض بما يعلل به عادة فى عالم الطب ؛ وذلك بإسناده إلى الإصابة بالميكروب الخاص به .

ثم لم يرد أن يذهب — مع الاحتفاظ بذلك التعليل العلمى — مذهب أولئك العلماء الذين ثبت لديهم أن ما ورد فى السورة من ألفاظ « الطير والرمى والحجارة والسجيل » هى على معانيها الظاهرة ، التى لم يصرف عنها صارف ، والتى على أساسها تكون واقعة الطير ورميه الجيش الحبشى بحجارة السجيل من باب المعجزات وخوارق العادات .

لم يذهب الشيخ هذا المذهب ، واقتصر على أن ما كان هنالك من الطير هو من نوع البعوض والذباب الذى حمل للجيش جراثيم ذلك المرض .

وهنا نرى أنه لابد من وقفة بإزاء ما قرره الشيخ « محمد عبده » فى تفسير السورة لإبداء بعض ملاحظات ، وهى التى نوردها فيما يلى :

١ — الملاحظة الأولى : « أنه ردد عبارات « التواتر » و « المتواتر » وما اتفقت عليه الروايات » بمناسبة ما يروى من وقائع حادثة الفيل ، ثم قال « إن الذى ذكره هو واقتصر عليه من تلك الوقائع فى تفسير السورة هو الذى ثبت بالتواتر »

وهو الذى يصح الاعتماد عليه . وما عداه فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته » .

وغريب أنه يرفض هكذا رواية أخبار الأحداث التاريخية إذا لم تكن متواترة ولو كانت صحيحة لا مطعن فيها .

إنه معقول أن يشترط التواتر فى الإخبار عن أمهات الأحداث وأصول الوقائع ، التى تتحقق لها موجبات الذيوع والشهرة ، كأن تكون مما تتوافر الدواعى على نقله والإخبار به ، والحديث عنه . وفى هذه الحالة لا يقبل من آحاد الناس ادعاءُ الانفراد بشهودها ومعرفتها والوقوف عليها .

أما فروع الأحداث وتفاصيلها التى لا تتوافر لها موجبات الذيوع والشهرة كما تتوافر لتلك الأصول فإنه يكون من الحيف ألا يقبل فيها ما يرويه الآحاد ولو كانوا عدولا صادقين غير متهمين بكذب ولا تدليس ولا تحريف ، وكان ما يخبرون به عن تلك الأحداث الفرعية لا يتعارض وما ثبت بالتواتر عن الوقائع الأصلية ، ولا يناقض روايات آحادية أخرى عن تلك الأحداث الفرعية ذاتها .

ونضرب لذلك مثلا ما روى من أن « عبد المطلب » جد الرسول صلى الله عليه وسلم لما ذهب إلى « أبرهة » حينما كان بالمغمس طلب منه أن يرد عليه إبله التى كان قد استولى عليها قائده « الأسود بن مقصود » فى غارته على سرح مكة ، وأن « أبرهة » قد رد عليه الإبل ، وكانت مائتى بعير ، وأنها كانت كلها لعبد المطلب ، وأنه أهداها جميعها للحرم .

فهل مثل هذه الوقائع الفرعية يلزم لقبولها أن تكون مروية بالنقل المتواتر فتكون مرفوضة إذا لم يتحقق لها هذا التواتر ولو كانت صحيحة لا طعن فيها ولا تجريح ؟ إن هذا يكون من لزوم ما لا يلزم ، وهو شىءٌ لم يقل به أحد فيما نعلم .

هذا — ونريد ألا نقف هنا طويلا ، فإن هذه المسألة ليس لها من الأثر فى الموضوع الذى نحن بصدده إلا بالقدر الذى أشرنا إليه .

٢ — الملاحظة الثانية : أن الشيخ « محمد عبده » قد أورد فى القطعة التى قال إنها متواترة شيئاً لم يثبت بالتواتر ولم تتفق عليه روايات الرواة فإنه قال

ما نصه : « وفى اليوم الثانى – أى بعد وصول « أبرهة » إلى المغمس – فشا فى جند الجيش الحبشى داء الجدرى والحصبة قال « عكرمة » : وهو أول جدرى ظهر ببلاد العرب . وقال « يعقوب بن عتبة » فيما حدث : إن أول ما رُئيت الحصبة والجدرى ببلاد العرب ذلك العام ؛ وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط ، فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين . وأصيب الحبشى ، ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأنملة أنملة ، حتى انصدع صدره ومات فى صنعاء » .

ثم قال « الشيخ » : هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به » اهـ .

وهكذا يقرر الشيخ « محمد عبده » أن الإصابة بالجدرى والحصبة قد أفزعت الجيش كله ، وفشت فيه ، وأن هذا مما ثبت بالتواتر واتفقت عليه الروايات .

ونحن نقول : إن حادثة مرض الجدرى أو الحصبة وفشوه فى الجيش لم تتفق عليها الروايات ، ولم تثبت بالضرورة ثبوت التواتر ، فإن كثيرا من أعلام المؤرخين لم يذكروا شيئاً يدل على أن مرض الجدرى أو الحصبة قد عم الجيش وفشا فيه ، بل إنهم لم يذكروا شيئاً أصلا عن إصابة الجيش بهذا المرض . ومن ذكر من هؤلاء شيئاً عن مرض الجدرى أو الحصبة لم يذكر أنه أصيب به أحد غير أبرهة .

إنه بعيد جدا أن تكون إصابة الجيش الحبشى بمرض الجدرى هكذا إصابة عامة وبائية ثم يسكت عنها ويغفل أمرها أولئك العلماء الذين أشرنا إليهم [1] ، إذ أنها حينئذ تكون جديرة أن يروى أخبارها كل معنى بحفظ الأحداث التاريخية العظيمة ، ولا سيا حادثة كحادثة الفيل .

ويستند المرحوم الشيخ « محمد عبده » فى دعوى إصابة الجيش الحبشى بالجدرى إلى ما روى عن « عكرمة » أن ذلك كان أول جدرى ظهر ببلاد العرب ؛ ولكن هذه الرواية ليس فيها ما يفيد أن مرض الجدرى قد تفشى فى الجيش كله .

(١) من هؤلاء العلامة القسطلانى فى المواهب الدينية والإمام محمد بن عبد الباقى الزرقانى فى شرح المواهب ؛ وابن كثير فى البداية والنهاية .

بل نحن نقول : إنه قد روى عن « عكرمة » ما هو أصرح من ذلك فى الدلالة على وقوع الجدرى فى الجيش وأنه قد تفشى فيه : ذلك هو ما أثبته « الفخر الرازى » فى التفسير الكبير إذ يقول : روى عكرمة عن ابن عباس قال : لما أرسل الله الحجارة على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد منهم إلا نفط جلده وثار به الجدرى ؛ قال : وهو قول « سعيد بن جبير » . ثم قال : وكانت تلك الأحجار أصغرها مثل العدسة وأكبرها مثل الحمصة »(١) .

ولكن هذه رواية ، فأين هى من دعوى التواتر أو دعوى اتفاق الروايات ؟

ثم إننا لا نمنع أن يكون جيش الحبشة قد وقعت فيه الإصابة بالجدرى ونفترض أن هذا المرض قد عم أفراد الجيش وتفشى فيهم ، وأنه كان أثرا لما رماهم به الطير الذى أرسله الله عليهم ؛ لكن يجب أن يكون ذلك كله على أساس أن تكون ألفاظ الطير والرمى والحجارة الواردة فى السورة مأخوذة فى معناها الظاهر الذى يتبادر إلى الذهن من تلك الألفاظ ، وهو الذى بيناه فيما سبق واتفق عليه جميع المفسرين ، والمؤرخين ، وهو الذى روى أيضاً عن « عكرمة » الذى يستند إلى روايته المرحوم الشيخ « محمد عبده » .

وهو غير ما ذهب اليه « الشيخ » الذى يحصر سبب إصابة الجيش الحبشى بالجدرى فيما نقل إليه من الجراثيم بواسطة الذباب أو البعوض .

٣ ـ الملاحظة الثالثة : أن الشيخ «عبده» ـ الذى يقرر أنه إنما يعتمد على المتواتر فى أخبار هذه الأحداث ، أو على ما اتفقت عليه الروايات ـ لم يأخذ بما اتفقت عليه الروايات جميعها فيما حدثت به عن الطير وعن الحجارة التى كان يلقى بها على الجند وكيف كان الهلاك بتلك الحجارة على ما بيناه فيما سبق ؛ بل نحا فى ذلك ناحية لم يذهب إليها أحد قبله ، فقال بالبعوض والذباب والميكروبات ، ولم يقل بما قاله سائر العلماء الذين نقلوا أن هلاك جيش « أبرهة » كان بذلك الحدث الذى هو من المعجزات وخوارق العادات .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٨ ص ٤٨٤

٤ ـ الملاحظة الرابعة : هى أن المرحوم الشيخ « عبده » يقول : وقد بينت لنا هـذه السورة الكريمـة أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير ، مما يرسله الله مع الريح » .

ونحن نرجع إلى السـورة فلا نراها تبين شيئاً أو تقول شيئاً عن الجدرى أو الحصبـة . لم تعرض السورة لشىء من ذلك ، ولم تقل إن تلك الحصبة أو ذلك الجدرى كان من أثر الجراثيم التى كانت عالقة بحجارة سقطت على الجيش من الطير الذى يرسله الله مع الريح ، تعنى الذباب والبعوض .

فالسورة لم تذكر تعليلا للإصابة بمرض حصبة أو جدرى ، لأنها لم تذكر فى آياتها الحصبة والجدرى .

ثم لم يثبت ثبوتاً قاطعاً متواترا أن الجيش أصيب إصابة عامة بهذا المرض ، على ما يرى المرحوم الشيخ « محمد عبده » حتى يمكن أن يقال إن السورة قد عرضت لبيان العلة فى هذه الإصابة مكتفية بذلك عن التصريح باسم الحصبة أو الجدرى .

هذا ـ وفى ختام هذه الملاحظات نقول : إنه ليس بمثل تلك التكلفات والمحاولات تكون الإجادة أو التجديد ، فى تفسير الآيات البينات ، من كتاب الله المجيد.

والحمد لله رب العالمين .

**عبد الرحمن تاج**

عضو المجمع

# وديان و أودية

للدكتور ناصر الدين الأسد

(١)

يذهب بعض المُحْدَثين ، ممن لهم عناية باللغة ، إلى تخطئة استعمال « الوديان » جمعًا للوادى ، ونبّهوا على أنّ الصواب « أودية »(١) .

وحاولت أن أتتبّع جمع « الوادى » فى أساليب القدماء ، فرجعت إلى نحو ثلاثين ديوانا لشعراء العصور المختلفة : الجاهلية والأُموية والعبّاسية ، وقرأت جميع ما فيها من أبيات على قافية النون وقبلها ألف ، فلم أجد فيها « الوديان » على كثرة الحاجة إليها فى مثل هذه القافية ، ووجدت فى بعض هذا الشعر « أودية » فى دَرْج البيت . ثم رجعت إلى ما تيسّر لى من كتب المسالك والبلدان ومعاجم الجغرافيا ، فلم أجد كذلك أحدًا من مؤلفيها يستعمل « الوديان » ووجدتهم جميعاً يجمعون « الوادى » على « أودية » .

واشتد طلبى للوديان وحرصى على التنقيب عن هذا الجمع ، ولكنّى لم أجده فيما قرأت من كتب تراثنا فى اللغة أو الأدب أو التاريخ أو غيرها . حتى أفسدت علىّ شهوة البحث عن هذا الجمع لذّة قراءة تلك الكتب وربّما فوّتت علىّ فوائد أخرى كثيرة .

ولجأت إلى المعاجم وكتب اللغة لعلّى أجد فيها ما لم أجد فى غيرها ، فلم أفز بطائل .

فالأزهرى ( ت ٣٧٠ هـ ) اقتصر على إيراد جمع واحد للوادى هو « الأودية »(٢) .

(١) كتاب المنذر إلى المجمع العلمى العربى فى دمشق ١ : ١٢ ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٢٧ ؛ والكتابة الصحيحة ، لزهدى جار الله : ٣٢٩ ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٨

(٢) تهذيب اللغة ١٤ : ٢٣٢

وكذلك فعل أبو بكر الزُّبَيدى (ت٣٧٩هـ) ولكنه أضاف فائدة جليلة ، قال[١] : « والوادى : كل بطن مطمئن من الأرض ، وربما استقر فيه الماء ، والجمع أودية ، على غير قياس . . . . »

وتابعه الجوهرى ( ت ٣٩٣ – ٤٠٠ هـ في النص على مخالفة هذا الجمع للقياس ، ثم أضاف فائدة أخرى جليلة ، قال[٢] : « والجمع : الأودية ، على غير قياس ، كأنه جمع وَدِىّ ، مثل : سَرِىّ وأَسْرِية للنهر » .

ولم يذكر الزمخشرى ( ت ٥٣٨ هـ ) الجمع ، واقتصر على ذكر المفرد[٣] .

وأورد ابن منظور (ت ٧١١ هـ ) ثلاثة جموع ، قال[٤] : « والجمع : الأودية . . . وقال ابن الأعرابى : الوادى يجمع أوداء ، على أفعال . . . أسدية ، وطيئ تقول : أوداء ، على القلب » ، ثم أورد ما ذكره الجوهرى فى صحاحه عن مخالفة الجمع « أودية » للقياس .

واقتصر الفيومى ( ت ٧٧٠ هـ ) على ذكر « أودية » فى جمع واد[٥] .

أما مجد الدين الفيـــروز ابادى ( ت ٨١٦ أو ٨١٧ هـ ) فقد أورد أربعة جموع ، هى : أوداء ، وأودية ، وأوداة ، وأوداية[٦] .

وكذلك فعل المرتضى الزَّبيدى (ت ١٢٠٥هـ) فقد أورد هذه الجموع الأربعة وزادها بيانا مما ذكره الجوهرى وابن منظور[٧] .

أما فى كتاب الله فقد جاءت كلمة « واد » منكَّرة ومعرَّفة ، مجرورةً

---

(١) لحن العوام ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة دار العروبة بالقاهرة ١٩٦٤ ، ص : ٢٤٠

(٢) الصحاح ( ودى ) .

(٣) أساس البلاغة ( ودى ) .

(٤) اللسان ( ودى ) .

(٥) المصباح المنير ( ودى ) .

(٦) القاموس المحيط ( ودى ) .

(٧) التاج ( ودى ) .

ومنصوبة ، فى ثمانى آيات من ثمانى سور [1] ، ولم يجىء الجمع إلا فى صيغة « أودية » وحدها ، وذلك فى آيتين من سورتين ، قال الله تعالى : ( أنزَلَ من السَّماءِ ماءً فسالت أوديةٌ بِقَدَرِها ) [2] وقال تعالى ( فلمَّا رأَوْهُ عارضًا مُسْتَقْبِلَ أوديتِهِمْ قالوا هذا عارضٌ مُمْطِرُنا ) [3]

وكان فى كل هذا غناءٌ ومَقْنع ، وكان بعضه حريًّا أن يصرفنى عن متابعة البحث لولا اللجاجة وشهوة التنقيب .

( ٢ )

ثمَّ عثرت فى تاج العـروس [4] — فى آخر مستدرك الزَّبيدى حيث لا يظنُّ أحد أنه سيعود إلى الحديث عن الوادى وجمعِه بعد أن طال حديثه فى أمور أُخرى غيرهما — على قوله :

« . . . والوَدِيَّان مثنَّى وَدِىّ كغنىّ : أرض بمكة لها ذكر فى المغازى ، وقديجمع الوادى أيضاً على وُدْيان بالضمّ . . . »

ولكنَّ انفراده وحده بهذا الجمع ، دون غيره من أصحاب المعاجم واللغة ، أمر يدعو إلى التوقُّف والبحث عن مظانّه ، فليست قيمة الزَّبيدى فى ذاته ، ولكنها فيما يجمع لنا عن غيره ممن سبقه ، ولا بدَّ من العثور على مصدره الذى استقى منه . وقد أورد عبارته دون نسبة إلى صاحبها ، وأنزلها منزلا مبهمًا . ولم يهدنى طول التنقيب إلى كتاب آخر قبل تاج العروس يُحتمل أن يكون قد أخذ منه .

ومع ذلك فهذا عالم أورد فى كتابه ما كان يحوك فى النفس . وليس أقلّ من أن أُثبت هنا ما جمعته عن هذا الأَمر عسى غيرى أن يصل إلى ما عجزت عنه من اليقين القاطع .

( ٣ )

لا نعرف أحدا من أصحاب اللغة والنحو ذكر أنَّ صيغة ( فاعل ) فى أىّ معنى من معانيها : سواءٌ أكانت صفة أم اسماً ، مذكَّرًا أم مؤنَّثاً ، تجمع على ( أفعلة )

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٧٤٧
(٢) الرعد : ١٧
(٣) الأحقاف : ٢٤
(٤) الفضل فى ذلك للصديق العلامة الأستاذ حمد الجاسر .

سوى ما استدركه بعضهم من نصّهم على شذوذ ثلاث كلمات ذكرها المرتضى الزّبيدى نقلا عن غيره[1] ، وهى ناد وأندية ، وناج وأنجية ، وواد وأودية .

أما جمع ناد فقد استوفيت الحديث عنه فى مقالة نشرت فى هذه المجلّة[2] . ودهبت إلى أنّ ( أندية ) جمع ( نَدِىّ ) بمعنى ( ناد ) ، أما جمع ( النادى ) فهو ( النوادى ) وهو جمع قياسىّ مطّرد لا ينكسر فى « فاعل » إذا كان اسما أو صفة غلبت عليها الاسمية لغير العاقل .

أما ( أنجية ) جمع ( ناج ) فلم أعثر عليه فى شىء مما اطلعت عليه من المعاجم وكتب اللغة — سوى هذا الذى نقله الزّبيدى فى التاج عن أبى العباس الحلبى المعروف بالسّمين فى كتابه عمدة الحفّاظ — فجميعها تنصُّ على أن الناجية هى «الناقة السريعة تنجو بمن ركبها ، والبعير ناج »[3] ، ولا تورد له جمعًا . أما أنجية التى وردت فى هذه المعاجم فهى جمع نَجِىّ ، والنص عليه وشرحه وأمثلته من الشعر وغيره ، كل ذلك واضح الدلالة على أن ( أنجية ) هم القوم الذين يتناجون فهى جمع ( نجىّ ) وليست جمع ( ناج ) بمعنى البعير .

أما جمع ( واد ) فهو موضوع الحديث فى هذا البحث . وقد رأينا أن المعاجم وكتب اللغة لم تنص إلا على جمع واحد هو ( أودية ) ، ولكننا رأينا كذلك أنها نصّت على أن هذا الجمع « على غير قياس » لأن صيغة ( فاعل ) لا تجمع على ( أفعلة ) وزاد الجوهرى فى صحاحه : « كأنه جمع وَدِىّ ، مثل : سَرِىّ وأسْرية ، للنهر » .

فإذا كان هذا صحيحاً فنحن نعرف أن ( أفعلة ) من جموع القلّة ، وأنها تطّرد فى صيغة ( فعيل ) ، وأن جمع الكثرة لهذه الصيغة هى ( فعلان ) بضم الفاء أصلاً وكسرها أحياناً . وقد وضّح

---

(١) تاج العروس ( ودى ) .

(٢) الجزء السابع والعشرون ، ذو الحجة سنة ١٣٩٠ ﻫ ، فبراير سنة ١٩٧١ ، ص : ٩٠ — ١٠٣ .

(٣) انظر « اللسان » مثلا .

سيبويه وجوه استعمال هذا الجمع بما لا مزيد عليه[1] ، ومما قاله :

« . . . فأما ما كان من بنات الياء والواو فهو بمنزلة ما ذكرنا ، وقالوا : قريّ وأقرية وقُرْيان ، حين أرادوا بناء الأكثر ، كما قالوا جَريب وأجربة وجُرْبان ، ومثله سَرِيّ وأسْرِية وسُرْيان . . . »

وقال المبرّد ( ت ٢٨٥ هـ )[2] :

« . . . ولكنَّ باب جمع ( فُعال ) في العدد الكثير ( فِعْلان ) ، كما أن باب جمع ( فعِيل ) ( فُعْلان ) ، نحو : ظليم وظُلْمان ، وقضيب وقُضبان . . . »

وقال ابن سيدة ( ت ٤٥٨ هـ )[3] :

« . . . وإذا سمّيت بصفة مما يختلف جمع الاسم والصفة فيه جمعتَه جمع نظائره من الأسماء ولم تُجْره على ما جمعو حين كان صفة إلا أن يكونوا جمعوه جمع الأسماء فتُجريه على ذلك ، كرجل سمّيته بسعيد أو شريف تقول في أدنى العدد : ثلاثة أشرفة وأسعدة ، وتقول في الكثير : سُعْدان وشُرْفان وسُعُد وشُرُف ، لأن هذا هو الكثير في الأسماء في جمع هذا البناء ، تقول : رغيف وأرغفة ، وجَريب وأجربة ، وقالوا : رُغفان وجُربان . . . »

ونصَّ السيوطي على الصيغ التي يستعمل فيها هذا الجمع فبدأها بقوله[4] : « فُعْلان ، بالضم ، ويطَّرد جمعاً لاسم على فعيل . . . »

ونحن نرى من هذا كله أنهم حين نصوا على أنَّ جمع ( واد ) على ( أودية ) إنما هو على غير قياس ، ذكروا أيضاً « كأنه جمع وَدِيّ ، مثل : سَرِيّ وأسْرِية ، للنهر » ، وهذا سيبويه ينص ، كما رأينا ، نصًّا واضحاً على أن (سَرِيّ) يجمع على ( أسْرية ) حين يريدون جمع القلَّة ، ويجمع على ( سُرْيان ) حين يريدون جمع الكثرة . فإذا استعملوا لواد جمع قلَّة هو في الأصل لصيغته

(١) الكتاب ٢ : ١٩٢ – ١٩٤
(٢) المقتضب ٢ : ٢١٢
(٣) المخصص ١٧ : ٨٥
(٤) همع الهوامع ٢ : ١٧٨

( وَدِى ) ، فهل لنا أن نتساءل لِمَ لا لا نستعمل جمع الكثرة لمثل هذه الصيغة ، فيكون ( وديان ) للكثرة و ( أودية ) للقلّة ؟

( ٤ )

وذكر رضى الدين الاستراباذى ( ت ٦٨٨ هـ ) أن ( الوادى ) لم يجمع الجمع القياسى المطّرد على ( فواعل ) وكذلك لم يجمع على ( فُعْلان ) ، وإنما جمع على ( أفعلة ) لعلّة محدّدة ، قال[1] :

« كأنهم استثقلوا الواوين فى أول الكلمة لو جمعوه على ( فواعل ) ،وانضمام الواو وانكسارها لو جمع على ( فعْلان ) »

وإذا سلّمنا بصحة العلة الأُولى وهى استثقالهم الواوين فى أول الكلمة لو جمعوه على ( فواعل )[2] فإن العلّة الثانيــة يصدق عليها قولهم : أوهى من حجة نحوى ! وذلك أن الواو : مضمومة أو مكسورة ، فى أول المفرد وفى أول الجمع كثير فى كلام العرب ، لم يجدوا فيها ثقلا ، أو لم يمنعهم ما فيها من ثقل أحس به رضى الدين الاستراباذى من أن تكثر فى كلامهم . وحسبنا أن نذكر من أمثلة الجمع ، وهى كثيرة على أبنية متعددة ، جمعين على بناء ( فعلان ) — وهو مدار حديثنا هنـا — أحدهمـا بضم الواو والآخر بكسرها ، وهما : وحْدان ( بضم الواو ) جمع واحد ، ووِلدان ( بكسر الواو ) جمع وَلد .

وقد استعمل العرب هذين الجمعين منذ أقدم ما نعرف من عصور العربية ، وما زلنا نستعملها إلى يوم الناس هذا ، وسنظل نستعملهما إلى ما شاء الله ، لا نحسّ فيهما ثقلًا يمنع من استعمالهما . فكيف

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٢ : ١٥١ مطبعة حجازى .

(٢) وكانوا يتخلصون أحياناً من اجتماع الواوين فى أول الكلمة بقلب الأولى منهما همزة ، قال نشوان الحميرى ( ت ٥٧٣ هـ ) : « وإذا اجتمع فى أول الكلمة واوان قلبت الأولى منهما همزة ، وذلك فى جمع ( واصل ) وتصغيره ، فتقول فى جمعه : أواصل ، وفى تصغيره : أويصل . والأصل : ووَاصل ، وويصل . وذلك لكراهية اجتماع واوين فى أول الكلمة وثقل النطق بهما . فأما قوله تعالى : ( ما ووُرى عنهما ) فانما ذلك على أن الواو الثانية مدت لأنها بدل من ألف ( واريت ) ، وقال الشاعر فى الهمزة « هو مهلهل بن ربيعة » :

ضربت صـدرها إلى وقالت     ياعديا لقـد وقتـك الأواقى

والأصل الواو فى جمع واقية ، كعافية وعواف » . ( الحور العين ، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٨ ، ص : ٧٣ ) وانظر أيضاً المعاجم ( وق ) .

نستثقل انضمام الواو أو انكسارها فى ( وديان ) جمع ( واد ) ، وهى مثل ( وحدان ) جمع ( واحد ) ؟ والجمع ( وديان ) بكسر الواو مستعمل فى عصرنا هذا على ألسنة العرب كافة فى أحاديثهم من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب . وقد سألت نفرا من أهل كل مصر من هذه الأمصار عمّا يستعملونه فى أحاديثهم اليومية جمعاً لوادٍ فلم أسمع من أحد منهم أنهم يستعملون ( أودية )[1] ، وإنما يستعملون جميعاً كلمة ( وديان ) . والعامية تجنح دائماً إلى استعمال الأخفّ والأسهل والأبعد عن الاستكراه والاستثقال ليكون ذلك أعون على دوران الكلمة على الألسنة !

( ٥ )

فإذا كانت ( وديان ) جمع ( وادٍ ) هى وحدها المستعملة فى عاميّة العرب ، أو عاميّاتهم ، فى جميع ديارهم فى عصرنا هذا وربما فيما قبله من عصور ،

وإذا كان مثل هذا الجمع هو من مألوف كلام العرب الفصحاء ومن صحيح أبنيتهم وأساليبهم وقياسهم المطّرد فى جمع ما جاء على وزن ( فعِيل ) من الأسماء حين يريدون الكثرة ،

وإذا كانوا قد جمعوا لفظ ( واد ) على ( أودية ) على غير قياس ، كأنه جمع (وَدِىّ) مثل : سَرِىّ وأسرية ، بمعنى نهر.

فهل نستطيع نحن أن نقرّ استعمال ( وديان ) جمعاً لوادٍ ، حين يُشبّه جمعه بجمع وَدِىّ ، كما استعملوا لفظ (سُرْيان) ولفظ ( أسرية ) معاً جمعاً لسَرِىّ ، الأول للكثرة والآخر للقلّة ؟

ذلك كلّه إذا أخذنا بغير القياس ، على تشبيه بناء ( فاعل ) ببناء ( فعيل ) فنستعمل فى جمع (وادٍ) جمع ( وَدِىّ )[2]

---

(١) سوى ما أخبرنى به – بعد طبع تجارب هذه المقالة – صديق ثقه من أنه سمع رجلا من السراة وآخر من بعض أنحاء نجد يستعملون « الأودية » جمعا للوادى فى حديثهما .

(٢) كان العرب يشبهون بناء ببناء ، ويجمعون أحد البناءين بجمع الآخر ، جاء فى اللسان ( شعر ) : « ... ورجل شاعر ، والجمع شعراء . قال سيبويه : شبهوا فاعلا بفعيل كما شبهوه بفعول ، كما قالوا : صبور وصبر ، واستغنوا بفاعل عن فعيل ، وهو فى أنفسهم وعلى بال من تصورهم لما كان واقعاً موقعه ، وكسر تكسيره ليكون أمارة ودليلا على إرادته وأنه مغن عنه وبدل منه » .

وفى المصباح المنير ( شعر ) : « ... قال ابن خالويه : وإنما جمع شاعر على شعراء لأن فى العرب من يقول شعر ، بالضم ، فقياسه أن تجىء الصفة على فعيل ، نحو : شرف فهو شريف ، فلو قيل كذلك لا لتبس بشعير ، الذى هو الحب ، فقالوا : شاعر ، ولحوا فى الجمع بناءه الأصلى ... » .

ولكنْ ما لنا نلجأ إلى هذا التشبيه والتغيير فى بناء المفرد التماساً لتعليل الجمع ؟ وما لنا لا نعود إلى أصل البناء وهو ( فاعل ) لنرى ما قال فيه علماء اللغة والنحو ؟ قال سيبويه[١] : «وما كان من الأسماء على ( فاعل ) أو ( فاعَل ) فإنه يكسَّر على بناء ( فواعل ) ، وذلك : تابَل وتوابل ، وطابق وطوابق ، وحاجِر وحواجر ، وحائط وحوائط .

« وقد يكسِّرون ( الفاعل ) على ( فُعْلان ) نحو : حاجر وحُجْران[٢] ، وسالٍ وسُـلَّان[٣] ، وحائر وحُوْران[٤] وقد قال بعضهم : حيران ، كما قالوا : جانٌ وجِنَّان ، وكما قال بعضهم : غائط وغيطان ،وحائط وحيطان ، قلبوها حيث صارت الواو بعد كسرة ، فالأصل ( فُعْلان ) . وقد قالوا : غالٌ وغُلَّان[٥] ، وفالق وفلْقـان[٦] ، ومالٌ ومُلَّان[٧] . ولا يمتنع شىءُ من ذا من ( فواعل ) .

« وأما ما كان أصله صفة فأُجرى مُجرى الأسماء فقد يبنونه على ( فُعْلان ) كما يبنونها ، وذلك : راكب ورُكْبان ، وصاحب وصُحبان ، وفارس وفُرْسان ، وراعٍ ورُعْيَان . . . فلما لم يخافوا الالتباس قالوا ( فواعل ) كما قالوا ( فُعْلان ) » .

فهل بعد هذا البيان بيان ؟ وهل يحتاج الأمر إلى مزيد من التمثل والاستشهاد وضرب الأمثلة ؟ إن ما أورد سيبويه يتردد بعبارات متقاربة فى كتب النحو الأُخرى ، وحسبنا أن نضرب مثلاً برضى الدين الاستراباذى الذى يقول[٨] :

« قياس فاعَل – بفتح العين وكسرها – فى الاسم : فواعل ، قياساً لا ينكسر ....

(١) الكتاب ٢ : ١٩٨
(٢) الحاجر من مسايل المياه ومنابت العشب ما استدار به سند أو نهر مرتفع .
(٣) السال : المسيل الضيق فى الوادى .
(٤) الحائر : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف .
(٥) الغال : نبت ، أو نبات الطلح ، أو الوادى الغامض فى الأرض فيه شجر .
(٦) الفالق : المكان المنحدر بين ربوتين ، والقضاء بين شقيقتين من رمل .
(٧) المال : فى اللسان ( ملل ) : « وحكى سيبويه مال ، وجمعه مالان ، ولم يفسره » ..
(٨) شرح الشافية ٢ : ١٥١ – ١٥٢ ، وله رأى طريف وملحظ دقيق فى الفرق بين صيغتى الجمع فى المعنى ، قال : « وإذا انتقل فاعل من الصفة إلى الاسم ، كراكب الذى هو مختص براكب البعير ... وفارس المختص براكب الفرس ، وراع المختص برعى نوع مخصوص ، ليست كما ترى على طريق الفعل من العموم ، فانه يجمع فى الغالب على فعلان ، كحجران فى الاسم الصريح ... » .

وقد جاء فُعلان كحُجْران ، وفِعْلان كجِنَّان ، والأول أكثر – أى مضموم الفاء – ويجوز أن يكون حيطان من الأول قلبت الضمة كسرة لتَسْلَم الياء . . . »

وأورد ابن منظور فى تعليل جمع (راعٍ) على ( رُعْيان ) ما ذكروه من أنه مثل « شابّ وشُبّان ، كسّروه تكسير الأسماء ، كحاجر وحجران ، لأنها صفة غالبة[1] » .

وهذه العبارة توضِّح ما جاء فى كلام سيبويه وما أورده سائر علماء النحو من أن الأسماء التى على وزن ( فاعل ) يجوز جمعها جمع تكسير على بناء ( فُعلان ) وأن الصفات حين تجرى مجرى الأسماء يجوز كذلك جمعها على ( فعلان ) كما جاز فى الأسماء .

وربما كان من المفيد أن نعيد ترتيب الأسماء والصفات التى وردت فى النصوص السابقة ترتيبا يكشف عن نوع هذه الأسماء والصفات من حيث حروفها الأصلية .

فمن أمثلة الأسماء والصفات ذات الحروف الصحيحة : فالق وفلقان ، وراكب وركبان ، وصاحب وصُحْبان ، وفارس وفُرْسان ، وحاجر وحُجْران .

ونضيف إليها : راهب ورهبان ، وراجل ورُجْلان .

ومن أمثلة المضعَّفة اللام : شابٌّ وشُبَّان ، وسالٌّ وسُلَّان ، وغالٌّ وغُلَّان ، ومالٌ ومُلَّان ، وجانٌّ وجِنَّان .

ومن أمثلة المعتلَّة العين : حائط وحيطان ، وحائر وحُوْران أو حِيران ، وغائط وغيطان . ونضيف إليها : جائز وجُوزان[2] .

ومما يحسن أن يضاف كذلك استكمالا لمعالم هذا التقسيم :

من أمثلة المعتل الفاء : واحد ووُحْدان .

ومن أمثلة المهموز اللام : شاطئ وشُطآن .

(١) اللسان ( رعى ) .

(٢) الجائز : الخشبة التى يوضع عليها أطراف الخشب فى سقف البيت .

فهذه تسعة عشر لفظا من الأسماء والصفات التى أُجريت مجرى الأسماء ، من الصحيحة الحروف الأصلية ، أو من معتلّة الأول أو الوسط أو الآخِر ، أو من مضعّفة الآخِر أو مهموزته . وكلها على وزن ( فاعل ) وتجمع على ( فُعلان ) بضم العين أو بكسرها ، مع أن لها كلِّها جمعًا آخر أو جموعًا أُخرى على أبنية مختلفة . وجمع هذه الالفاظ على (فعلان) ورد فى المعاجم وكتب اللغة وجرى به أسلوب الفصحاء .

( ٦ )

وبعد

فما كنت لأتكلّف ما تكلّفت لو لم تكن كلمة ( وديان ) هى الجمع الجارى على ألسنة العرب فى هذا العصر فى مختلف ديارهم ؛ ولو لم يتصدَّ نفر – من الحريصين على نقاء هذه اللغة وسلامتها – لتخطئة هذا الجمع .

ومن الطبيعى أن يتسرَّب الفساد ويتطرَّق الخطأ إلى بعض ألفاظ اللغة أو أساليب العبارة عند بعض الناس ، فى كل عصر من العصور ومنها هذا العصر الذى نعيش فيه ، خاصة بين جمهرة المتعلمين الذين يتأثَّرون بما يقرأون مما تدخله العجمة وتشوبه آثار الترجمة . أمَّا أن تُجمع الأُمة كلها دون استثناء – فى أى عصر – على استعمال كلمة فى لغتها تجرى فى بنائها على بناء مثيلاتها التى تُعَدُّ من الكلام الصحيح الفصيح ، ثم يأتى من يخطِّئ تلك الكلمة ، فهذا أمر يدعو إلى التوقف أوّلا ، وإلى النظر ثانيا ، ثم إلى الإمساك عن العجلة فى التخطئة آخر الأمر .

وخلاصة كل ما تقدَّم :

١ – أن كلمة ( وديان ) هى المستعملة جمعاً لوادٍ فى كلام العرب وأحاديثهم اليومية فى العصور الأخيرة ، وقد أنس

إليها ذوق جمهور المعاصرين ، وجرت على أقلام بعضهم [1] .

٢ ـ إن هذا الجمع ( فعلان ) من أبنية الجموع العربية التي نصّت عليها معاجمهم وكتب لغتهم ، ودارت على ألسنتهم وعلى أقلامهم في شعرهم ونثرهم .

٣ ـ إن القدماء نصّوا على أن جمع ( وادٍ ) على ( أودية ) هو على غير قياس كأنما هو جمع ( وَدِيّ ) ، مثل : ( سَرِيّ ) . و ( سَرِيّ ) جَمْعُه : أَسْرِيَةٌ وسُرْيان . وهذه الصيغة ( فعيل ) تجمع جمع قلّة على ( أفعلة ) وجمع كثرة على ( فعلان ) وأمثلة ذلك من كلام العرب كثيرة ، وهي قاعدة غالبة ، وإنْ لم تكن شاملة جامعة .

٤ ـ أن القدماء نصّوا على أن بناء ( فاعل ) للاسم أو للصفة التي تجري مجرى الاسم ، قد يكون على ( فعلان ). وقد أوردنا أمثلة متعددة على ذلك . و ( الوادي ) على بناء ( فاعل ) .

* *

فهل من حرج ، بعد هذا ، على من لا تطمئنُّ نفسه إلى تخطئة ( وديان ) إذا ما رآها في بعض ما يُكْتَب أو سمعها في بعض ما يقال ، حتى تقوم على تخطئتها بيّنة قاطعة ؟ وهيهات ! !

**ناصر الدين الأسد**

عضو المجمع

---

(١) وذلك كثير في الشعر والنثر ، وحسبنا أن نسوق ثلاثة أمثلة من الشعر ، أحدها من مصر ، والثاني من لبنان ، والثالث من الجزيرة العربية .

قال حافظ إبراهيم ( ديوانه ، طبع دار الكتب سنة ١٩٣٧ ، ج ١ ، ص : ٢٩ ) :

نظرت للنيل فاهتزت جوانبه وفاض بالخير في سهل ووديان

وقال إلياس أبوشبكة ( من صعيد الآلهة ، بيروت ١٩٥٩ ، ص : ٤١ ) :

يمشي وللنـار في أجفانه زبد على لظى الرمل ، من واد لوديان

وقال حسن عبد الله القرشي ( فلسطين وكبرياء الجرح ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ ، ص : ١٠٢ ) :

يتنادون يا لغـارات « مروا ن » فيسري النـداء في الوديان

# هجاء الزوجات

## للأستاذ على الجندى

لست أدرى من فتح باب الشرّ، وإن كان يغلب على الظنّ: أنه الحطيئة بقوله:

أطوّفُ ما أطوّف ثم آوِى
إلى بيت قعيدته لَكاعِ

ومع أن هذا الشاعر كان خبيث اللّسان، كثير الفُحْش والبَذاء، حتى لم تسلم نفسه من شر نفسه! فمن الإنصاف له أن نعترف: بأنه سلك سبيل القصد فى هجاء زوجه! فلم يُمْعن فى الثّلْب، ولم يتقصَّ العيوب كما فعل غيره، ممّن وردوا هذا المستنقع الوَخِم!

وهذا اللّون من الأدب قد كشف لنا عن ضعف بَيِّن فى أخلاق هؤلاء الشعراء!

فلو أنهم كانوا على حظ من سموّ الخلق، ورِقّة الشعور، وسلامة الذوق، لكظموا غيظهم، ولَطوَوْا كَشْحا على المكروه، ولآثروا الصّمت على الكلام فى مثل هذه المواطن التى تُهجّن سمعة الفِراش، وتَشِى بمساوئ البيوت! فكل ما يتعلّق بالنساء يجب ستره كالنساء! ولو كان حَسَناً! فما الظنّ به إذا كان ممّا يقبُحُ نَشْرُهُ!

ولكن لا عجب! فمعظم هؤلاء الشعراء أعراب أجلاف! لم تُغَذِّهم رِقّة الحضارة! وبعضهم قد مَرَنوا على الهجاء، وغرّوا به كدِعبِل الخُزاعىّ وأمثاله!

وإن صَحّ أن منهم أشرافاً؛ فينضح عنهم اللّوم! أنهم كانوا يُعانون ثورة نفسيّة عَزُب معها حِلْمهم، فنطقوا بما لا يريدون! وكثيرا ما يَستفزّ النساءُ — بخُرْقهن وكيدهن — أرحب الرجال صدرًا! وأكثرهم صبرا، وأبعدهم أناة!

ولكن ما لنا نلومهم، وهذه ساحات المحاكم الشرعيّة يقف فيها الزوجان

« الكرمان » بين سمع الجمهور وبصره ، يتراشقان بحصائد الألسنة ! ويهتكان الأستار عن مخبّآتٍ تقنّعهما بالعار والشّنار ؟ !

قلت : إنَّ هذا اللون من الأدب كشف لنا عن ضعف فى أخلاق الشعراء ! وقد يسوغ لى أن أقول : إنه كشف لنا كذلك عن ضعف فى أبدانهم ! فلو أنهم أوتوا بَسْطة فى الجسم ، وشدّة فى الأسْر ؛ لأغنتهم بَسْطة أيديهم عن بسطة ألسنتهم ، ولعملوا بالحكمة العربيّة المأْثورة :

« علّق سوطك حيثُ يراه أهلك »

ولكن أنّى لهم العضل المجدول ، والساعد المفتول ، والتراكيب الموثّقة ، يُرهبون بها نساءهم ! وقد أنحل الشّعر أبدانهم ، ونزف قوتهم ، وأورثهم الضعف والذُّبول ! وألبسهم الهرم قبل الأوان ! فلو زيّن لأحدهم شيطانُ القوافى أن يمدَّ يده بسوءٍ إلى قعيدة بيته ، لراغت عليه ضرباً باليمين ! فأطارت مركز الشّعر من مخّه ! وردّت إليه صُبابَة عقله !

فلما لم يجدوا ما يشفون به غيظ قلوبهم ، فزعوا إلى ألسنتهم يصبّونها صَابًا وعلقمًا على الزوجات ! ولكنّه انتقام الذّليل ، وقدرة الخوْر التى يصوّرها أبو تمام فى قوله :

وضعيفة فإذا أصابتْ فرصـــــةً
قتلتْ ، كذلك قُـــــــدْرةُ الضعفاء

وهل يستطيع الشاعر أن ينتقم بغير لسانه ؟ إذا ما ساق إليه القدر القاهر زوجة ؛ كتلك التى يقول فيها خالد الحذّاء : خطبت امرأة من بنى أسد ، فجئت لأنظر إليها – وبينى وبينها رِواق يَشِفّ – فدعت بجفنة مملوءة ثريدا ، مكلّلة باللحم ، فأتت على آخرها ! وأتت بإناءٍ مملوءٍ لبناً ونبيذا ، فشربته حتى كفأته على وجهها! ثم قالت : يا جارية ، ارفعى السّجف ، فإذا هى جالسة على جلد أسد ! وإذا هى شابّة جميلة !

ثم قالت : يا عبد الله ، أنا أَسَدة ! من بنى أسد ! على جلد أسد ! وهذا مطعمى ومشربى ! فإن أحببت أن تتقدم فافعل !

فقلت : أستخير الله وأنظر ! فخرجت ولم أعد !

على أن هؤلاء الشعراء ، إن كانوا قد أساءُوا من جهة ، فقد أحسنوا من

جهات ، فأقوالهم قد حُشِيت مُلَحا وفُكاهات مستعذبة ، وظَرْفاً بارعاً ؛ يبسط النفوس المنقبضة ! ويُطلق بالضحك فم الثَّكْلى والثَّكلان !

وهى – إلى ذلك – تُرينا قدرة الشاعر على وضع لسانه حيث شاء ، وبراعته على قلب الزَّيْن شَيْنا ، وتبديله الحسنات سيئات !

وفيها وصف دقيق لكثير من أعضاء المرأة ، أكسبت البيان ثروة طائلة من التشبيهات الرائعة ،والاستعارات الجميلة !

وفيها تصوير للعلاقة الزوجية ، حين تستحكم النُّفْرة والشِّقاق ! ويستحيل غير الطلاق !

ويحسن أن نشير : إلى أنَّ هذا الشِّعر قد عرض لمذمّة النساء فى خَلقهن – بفتح الخاء وسكون اللام – أكثر من خُلُقهنّ – بضم الخاء واللام – والحكمة من ذلك واضحة ، فهؤلاء النساءُ زوجات أو كنّ زوجات ، ورمى الغرائب المحصنات جُرم شنيع ! وإسفاف ودناءة ! يَمَسّ عارها الرجلَ نفسه ؛ فكيف إذا كنَّ حليلات؟!

فلم يكن وَكْدُ الشعراء من هذا الهجو ، عَضْب النساء بِسُبّة لا تُمْحَى ! وإنما كان الغرض التَّشفِّى بإغاظتهنَّ ! ولا شى أشدَّ إيلاماً للمرأة ، ولا أسرع فى هدم كبريائها ، من وصفها بالقبح والدَّمامة !

هذا هو الوتر الحسّاس ، الذى يهزُّها من أعماقها هزًّا عنيفاً ! ولو كانت تؤْمن فى نفسها : بأنها خلقت على صورة القرد والخنزير ! ولن تنسى ما عاشت هذه الإساءة من مخلوق !

فممَّا ورد فى ذم الزَّوجات ؛ ما حكاه الأصمعى ؛ قال : كنت أختلف إلى أعرابىّ ، أقتبس منه الغريب ، فكنت – إذا استأذنت عليه – يقول : يا «أُمامة» إيذنى له .

فاستأذنت عليه مرارا ، فلم أسمعه يذكر أمامة ؛ فقلت : يرحمك الله ! ما أسمعك تذكر أُمامة !

قال : فوجم وَجْمة ! فندمت على ما كان منّى ! ثم أنشأ يقول :

طَعَنت أُمامــــــةُ بالطّــــلاقِ
وَنَجَوْت من غُـــــلّ الوَثاقِ

بانت فلم يَأْلمْ لها
قلبي ، ولم تبْكِ المآقى
لَوْ لم أرُحْ بطلاقها
لأرحت نفسى بالإباق (١)

ودواءُ ما لا تشتهيه النَّـ
ـفس تعجيلُ الفراق

والعيشُ ليس يَطيب بين اثـ
ـنَيْن من غير اتفاق

وقال أبو موسى فى زوجته — وقد طلَّقها — :

تَجَهَّزى للطلاق وارتحلى
فذا دواءُ المجانِب الشَّرِسِ

ما أنت بالحُبَّة الوَدُود ولا
عندك نفعٌ يُرْجَى لملتمس (٢)

للَيْلتى حينَ بِتُّ طالقةً
ألَذُّ عندى من ليلةِ العُرُس

بتُّ لديها بشرِّ منزلةٍ
لا أنا فى لذَّة ، ولا فرسى

تلك على الخَسْف لا مُعينَ لها
وذا أنا لا يسوغ لى نَفَسى

ومن الملح : أنَّ بعض الأدباء تزوّج امرأة فلم توافقه ! فقيل له : إنَّ حُمَّى دمشق سريعة فى موت النِّساء !

فحملها إليها وأنشد هذه الأبيات :

دمَشقُ خُذيها وأعلمى أنَّ ليلةً
تمرُّ بعُودَىْ نَعشها ليلةُ القدر

أكلت دما إن لم أرُعكِ بضَرَّة
بعيدةِ مَهوَى القرط طيِّبة النَّشْر (٣)

أما لك عُمْرٌ إنَّما أنت حيّة
إذا هى لم تُقْتَل تَعش آخرَ الدهر

ثلاثين حولا لا أرى منك راحةً
لِهَنَّك فى الدنيا لباقية العُمْر

فإن أنفلتْ من حبل « صَعبَة » مرة
أكنْ من نساء الناس فى بيضة العُقْر (٥)

---

(١) الإباق : الهروب والذهاب .

(٢) الحبة — كقبة — الحبيبة .

(٣) أكلت دما : كناية عن أنه يرضى بالدية عن أخذه الثأر وهو عندهم ضعف وذلة . وبعيدة مهوى القرط : كناية عن طول العنق .

(٤) لهنك : لأنك ، أبدلت الهمزة هاء .

(٥) بيضة العقر : بضم فسكون — : آخر بيضة الدجاج ، أو بيضة الديك يبيضها فى السنة مره . يريد أنه لا يتزوج بعد ذلك .

وهذه الأبيات وما قبلها تجلو لنا حكمة الطلاق فى أبهى مِعْرَض ! فإنه وإن كان أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، فإنه كثيرا ما يكون نعمة على الزوجين ، لا تطيب لهما الحياة بدونه ! والشارع أعلم بمصالح العباد !

وقال آخر يهجو امرأته : بأنها مِضياع خرقاءُ ، وهما خصلتان عمّت بها البلوى فى عصرنا الحاضر ! فكل زوج منهما فى همٍّ مُقْعِدٍ مُقيم !

يقول :

وإنَّ بلائى من « رُدَيْنة » كلَّما
رجوْت انتعاشا أدركتنى بعاثر
تُبرِّدُ ماءَ «السَّعن[1]» فى ليلة الصَّبا
وتستعمل الكركور[2] فى شهر ناجر

أما الهجاءُ بذكر العيوب البدنية ، فقد قدَّمنا أنه كثير ، وسنقتصر على أملحه وألطفه وأعفِّه !

فمن ذلك قول بعض الأعراب :

لها جسمُ برغوثٍ وساق بعوضةٍ
ووجهٌ كوجه القرد بـل هوأقبح
وتبرق عيناها إذا ما رأيتهـا
وتعبَس فى وجه الضجيع وتَكْلَح
وتفتح – لا كانت – فما لو رأيته
توَهَّمتَه بابا من النـار يُفتَحُ
فما ضحكت فى الناس إلاَّ ظننتها
أَمامَهُمُ كلبا يَهِرّ وينبَـح
إذا عاين الشيطانُ صورةَ وجهها
تعوَّذَ منها حين يُمْسى ويُصْبح
وقد أعجبتها نفسُها فتملَّحت
بأىِّ جمالٍ ليت شعرى تَمَلَّحُ[2]

وقال آخر :

أَلامُ على بُغْضى لمـا بين حيَّـة
وضبع وتمساحٍ تَغَشَّاك من بَحْر
تُحاكى نعيما زال فى قُبْح وجهها
وصفحتُها – لما بدت – سطوةُ الدهر

---

(١) السَّعن – كسمن : قربة تقطع من نصفها وينبذ فيها .
(٢) الكركور : من أدوات التسخين . وناجر من شهور الصيف .
(٢) تملحت : تحسنت .

هى الضِّرَبَانُ فى المفاصـــــل نازلا
وشُعبة بِرسام ضممتَ إلى النَّحر[1]

إذا سفَرتْ كانت لعينك سُخْنَةً
وإن بُرْقعَت فالفقرُ بل غايةُ الفقر

وإن حدَّثت كانت جميعَ مصائب
موفَّـــرَةً تـأتى بقاصمة الظَّهر

حديث كقلع الضرس أو نتف شارب
ودَلّ كحَطم الأنف عِيلَ له صبرى

وتَفْتَرُّ عن قُلْحٍ ـ عَدمت حديثها ـ
وعن جَبَلَىْ طىٍّ وعن هرَمَىْ مصر[2]

وقال الحنفى :

مُنيت بِزُمْرُدَةٍ كالعصـــــــا
ألصُّ وأخبث من كُنْدُشِ[3]

لها شَعـــــر قرد إذا أَزَّيَّنتْ
ولون كلون القَطـــــا الأبرش

وثـــــدْىٌ يجول على نحــــرها
كقربة ذى انْغُلَّـــة الْمُعْطِش

وساق مُخَلْخَلُهـــــــا حَمْشــة
كساق الجـــرادة أو أحْمَشِ[4]

كأنَّ الثَّآليــــــل فى وجهها
إذا سفَرت بِدَدُ الْكِشْمِش[5]

لهـــــا جُمَّـــةٌ فوقها جَثْلَةٌ
كمشـــــل الْخَوَافى من المرعَش[6]

وقد يكون للهجاء سبب ؛ لا تملك معه إلاَّ أن تمهِّد بعض العذر للشاعر ؛ فمن ذلك ما حكاه الكلابىّ : من أن أعرابيًّا خطب شابّة بالبصرة ، فدسُّوا إليه عجوزا !

فلما دخل بها وأُرخيت الستور ، وغُلِّقت الأبواب ، ضجر وطالت ليلته ! حتى إذا أصبح وأراد الخروج ، مُنع من ذلك ! وقيل له : لا ينبغى لك أن تخرج

---

(١) الضربان ـ كسرطان ـ : نخسة ووجعة . والبرسام ـ بكسر الراء ـ : علة يهذى منها .
(٢) قلح ـ كحمر ـ : أى أسنان صفر . من القلح ـ كسبب ـ وهو صفرة فى الأسنان .
(٣) كندش : ـ بضم فسكون ـ : العقعق ، وهو طائر خطاف .
(٤) حمشة الساق : دقيقتها .
(٥) الثآليل : بثر صغار صلب مستدير على صور شئ . والكشمش ـ كسمسم ـ : عنب صغار يكون أصفر وأحمر وأسود .
(٦) المرعش ـ كمكرم بفتح العين وكمقعد ـ : جنس من الحمام يحلق فى الهواء .

إلا بعد سبعة أيام ! فقال – يشكو مصابه ويبكى حريته ! – :

أقول وقد شدُّوا عليها حجابَهـــا
ألا حبّذا الأرواحُ والبلدُ الْقفرْ
ألا حبّذا سيفى ورحلى ونُمْرُقى
ولا حبّذا منها الوِشاحان والشَّذْر [1]
أتَوْنى بها قبل المحاق بليلــــة
فكان محاقا كلُّـــه ذلك الشهر
عجوز تُرجّى أن تكون فتيّـــةً
وقد يَبس الجنبان واحْدَوْب الظّهر
وما غرّنى إلاّ خضابٌ بكفِّهـــا
وكُحْلٌ بعينيْها وأثوابُها الصُّفْر
تُسائلنى عن نفسها هل أُحبّهــا
فقلت ألا لا والذى أَمْرُهُ الأَمر
تفوح رياحُ المسك والعطرِ عندها
وأشهد عند الله ما ينفع الْعطــر

ويشبه ذلك ما قصه عبد الملك بن عفّان ، قال : تزوّج ابن عَبْدَل امرأة من هَمْدان . فلما دخل بها ، لم تقع عنده بموقع ! فقال :

أعاذلتى – بربكما – دعانـــى
أقِلاَّ اللومَ إن لم تَعْــذِرانى
فإنى قـــد دُلِلْت على عجــوز
مُبَرْقَعَـــــةٍ مخضَّبةِ الْبَنـان
تَغضَّن جِلدُها واخضــرَّ إلاَّ
إذا ما ضُرِّجَتْ بالزّعفـــران
فلما أن دخلت وحادثتنـــى
أظلّتنى بيوم أَرْوَنـــان [2]
تحدثّنى عن الأزمان حتّـــى
سمعت نِدا المؤذِّن بالأذان ؟
فقالت قد نكحت اثنين شتّى
فلما صاحبـــانى طلَّقـانى
وأربعـــة نكحتهم فماتــوا
فليت عريف حىّ قـد نعانى [3]

---

(١) النمرق – كقنفذ – : الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرحل . والشذر : قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار .

(٢) يوم أرونان : صعب .

(٣) العريف : رئيس القوم أو النقيب وهو دون الرئيس .

وقالت ما تِلادُك قلت مالى
حمار ظالع ، ومَزادتان[1]

وبورىٌّ وأربعة زُيوف
وثوباً مُفْلِسٍ مُتَخرّقان[2]

فقالت قد رضيت فسَمِّ ألفا
ليسمعَ ما تقول الشاهدان

ومالك عندنا ألف عَتيد
ولا تِسْع تُعَدُّ ولا ثمان

ولدعبل الخزاعىّ فى هذا الباب قدم راسخة ، ولكن المبالغة والإغراق فى تصوير العيوب ، وإبرازها فى إطار من التهويل ، قد أفسد عليه قصده ، فاستحال هجاؤه ضربا من المفاكهة والتندر ، حتى ليخيل إليك أنه كان يقصد العبث والتلعب ، لا حقيقة الهجاء ! ولا أظنّ زوجه وجاريته حين هجاهما بهذا الشعر الذى سنسوقه للقرّاء ، إلّا قابلتاه بالضحك والسّخرية !

يقول فى امرأته .

يا رُكبتى جَزْر وساقَ نعامة
وزبيل كنّاس ورأسَ بعير[3]

يا من أُشَبهُها بحمّى نافض
قَطّاعة للظهر ذاتُ زئير[4]

صُدغاك قد شَمِطا ونحرك يابس
والصدرمنك كجُؤْجُؤِ الطنبُور[5]

يا مَنْ مُعانقها يَبيت كأنّه
فى مَحْبِسٍ قَمِلٍ ، وفى ساجور[6]

قبّلتها فوجدت طعم لِثاتِها
فوق اللّثام كلسْعَة الزنبور

ويقول فى جاريته « غربال » :

رأيت « غربا لا » وقد أقبلت
فأَبْدَت لعينى عن مَبْصَقه

(١) ظالع : يغمز فى مشيه . والمزادة : ما يحمل فيه الماء « القربة » .
(٢) البورى : الحصير .
(٣) الجزر — كجمر — الشاء . والزبيل — كزميل — : القفة .
(٤) النافض من الحمى : ذات الرعدة .
(٥) شمطا : من الشمط — كسبب — وهو بياض الشعر يخالطه سواد . والجؤجؤ : الصدر . والطنبور من آلات الطرب « العود » .
(٦) قمل — كفرح — كثير القمل . والساجور : خشبة تجعل فى عنق الكلب .

قصيرة خَلْق ودَحْـــداحـــــة

تَدَحْرَجُ فى المشى كالْبُنْدقهْ(١)

كأن ذراعاً علت كفُّهـــا

ـ إذا حَسَرَت ـ ذنْبُ الْملعَقةْ

تُخَطِّط حاجبها بالمـــــداد

وتربط فى عَجزها مِرْفَقه

وأنفٌ على وجهها مُلصَق

قصير المناخِر كالفُستُقه

وثديان : ثدى كبَلوطـــــة

وآخر كالقربـــة الْمفهقه(٢)

وصدر نحيف كثير الْعظــا

م تَقعقعُ من فوقــه الْمِخنَقه(٣)

وثغـــر إذا كَشَرت خِلتَـــــه

ـ يُخالج ـ ذاوية مُغْلقــــةْ

وقال آخر :

أَلِمْ بجوهـــرَ بالقضبان والْمَدَرِ

وبالعصىِّ التى فى رأسها عُجَرُ(٤)

أَلْمِمْ بها لا لتسليم ولا مِقَــة

إلاَّ ليكسرَ منها أنفها الحجــر

أَلْمِمْ برطباءَ فى أشداقها سَعَةٌ

فى صورة الكلب إلاَّ أنها بشر(٥)

حَدْباءُوَقصاءُ صِيغت صيغةً عجباً

وفى تَرائبها عن صدرها زَوَرُ(٦)

وقال آخر :

تمَّت عُبَيْدَةُ إلاَّ من محاسنهـا

والْمِلْحُ منها مكان الشمس والقمر(٧)

قل للذى عابها من عائب حَنِق

أَقصِرْ فرأس الذى قدعِبْتَ الحجر

وقال آخر :

لا تَنْكحنَّ الدهرَ ما عشت أَيِّمـاً

مُخرَّمة قد مُلَّ منهـــا وملَّتِ(٨)

تَحُكُّ قفاها من وراء خمارها

إذا فقدت شيئاً من البيت جُنَّت

---

(١) دحداحة : قصيرة .

(٢) المفهقة : الممتلئة .

(٣) المخنقة : القلادة .

(٤) العجر : العقد جمع عقدة .

(٥) الوطباء : العظيمة الثديين .

(٦) الوقصاء : قصيرة العنق . والترائب : عظام الصدر . والزور – كسبب – : الميل .

(٧) الملح : الملاحة . أى تمت فى كل شىء إلا فى الملاحة ، وبعدت منها المحاسن بعد الشمس والقمر .

(٨) الأيم : التى فارقها زوجها بموت أو طلاق . مخرمة : كثر الدعاء عليها باخترام المنية لها .

ولنختم مقالنا بهذه الطرفة ؛ يذكر بعض أشياخ البصرة : أن رجلا وامرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق ؛ وكانت المرأة حسنة المتنقب ، قبيحة المنظر ، كانت ذات لسان فصيح !

فكأن العامل مال إليها ، وظن أن تحت القبح غادة فاتنة ! فقال : يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ، ثم يسيء إليها !

فأهوى الزوج ، فألقى النقاب عن وجهها ! فقال العامل : عليك اللعنة ! كلام مظلوم ، ووجه ظالم !

**على الجنـدى**

عضو المجمع

# ابن العوام

للدكتور عبد الحليم منتصر

هو أبو زكريا بن محمد بن العوام الأشبيلى ، اشتهر بكتاب كبير فى الفلاحة عنوانه « كتاب الفلاحة » لانكاد نعرف شيئاً عن حياته ، إلا أنه كان يعيش حوالى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى ، وأن أصله من أشبيليه ؛ وقد ذكره ابن خلدون ، دون أن يعرف له هذا المصنف ، الذى كان يعتبره موجزا لكتاب «الفلاحة النبطية» لابن وحشية ، ولم يذكره « حاجى خليفة » . ولا ابن خلكان .

وكان « كازيرى » فى فهرسه ، أول من نبه الأذهان إلى المخطوط الكامل لهذا الكتاب المحفوظ بمكتبة الأسكوريال . وقد نشر بانكوير هذا الكتاب مع ترجمة أسبانية سنة ١٨٠٣ . وينقسم الكتاب إلى أربعة وثلاثين فصلا ، تبحث الفصول الثلاثون الأولى فى الفلاحة ، بينما تبحث الأربعة الأخيرة فى تربية الماشية . وقد أعطى « مايرن » خلاصة لهذا الكتاب فى : « "Geschichte der Botanik" » ونشر كليمان ميرليه « ترجمة فرنسية لهذا الكتاب ١٨٦٤ ونقد « دوزى » ثم « هنكاده » كلا من المترجم والناشر .

وقد قدم ابن العوام لكتابه بمقدمة طويلة رائعة ضمنها بعض الأحاديث الشريفة مثل « أطلبوا الرزق فى حنايا الأرض » وقوله « من غرس غرساً أو زرع زرعاً . فأكل منه إنسان أوطائر أو سَبُع كان له صدقة » وقوله « من غرس غرساً فأثمر ، أعطاه الله من الأجر بقدر مايخرج من الثمر » كما أورد بعض الأقوال المأثورة مثل قول قيس بن عاصم لبنيه « عليكم بإصلاح المال ، فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم » ومن ذلك أن يتفقد صاحب الضيعة ضيعته بنفسه ، ولا يغيب عنها ، ولا سيما فى وقت عملها وفلاحتها ومن الأمثال فى هذا تقول الضيعة لصاحبها « أرنى ظلك آعمُر »

وقد سمى ابن العوام المراجع والمصادر التى استقى منها ، ورمز لمؤلفيها بحروف ، لا يفتأ يذكرها ، كلما أراد ، فهذا الغرناطى (غ) ، وجالينوس (جـ) وقسطوس (ق) ، وأرسطوطاليس (ط ط) وطامترى (ط) وهكذا . ويقول إنه لم يثبت إلا ما جرّبه مرارا فصحّ ، ويقول أحياناً إنه لم يقطع بأن هذا يصح فى بلادنا ، لبعد بلادهم عنا كما أنه حدد المقايس وعرف المصطلحات كالطمر ، والكمخ ، والنبش .

وقسم الكتاب إلى جزأين ، يقع الأول فى ستة عشر بابا ، كما يقع الثانى فى ثمانية عشر بابا . وخص الجزء الأول فى معرفة أنواع الأراضى ، وأنواع الأسمدة ، وأنواع المياه ، والبساتين ، واتخاذ الأشجار والثمار ، ثم فى تطعيم الأشجار وتسمية الأشجار المعتاد زراعتها ، ويقول فى أغلب بلاد الأندلس . الجبلى والريفى والسهلى ، نحو خمسين نوعاً . ويتكلم فى الباب الثامن عن تركيب الأشجار بعضها فى بعض ، أوقاته وكيفية اختيار الأقلام ثم تقليم الأشجار ، وتحدث فى الباب العاشر عن حرارة الأرض المغترسة وتسمية الأشجار التى توافقها . ثم يذكر تزبيل الأرض والأشجار المغروسة وغير المغروسة وما يوافق كل نوع من الزبول ، وعلاج الأرض المالحة ، وكيفية التسميد ، ثم صفة العمل فى سقى الأشجار والخضر بالمياه ، وما يحتمل السقى الكثير ، ويصف عملية تذكير الأشجار ، ويتحدث عن الأشجار المتحابة والمتنافرة ، ويفرد بابا خاصا لعلاج الأشجار من الداء والأمراض وكذا علاج البقول والخضر . ويتحدث فى باب آخر : عما سماه مُلحاً مستطرفة تُعمل فى بعض الأشجار والخضر ؛ وتغيير لون الورد ، وتدبير فى الورد حتى يورد والتفاح حتى يثمر فى غير أيامه . ويشرح كيفية العمل فى اختزان الحبوب والفواكه الغضة واليابسة والتخليل وغيره مما يمكن أن يسمى الصناعات الزراعية .

ويتحدث فى الباب السابع عشر عن كيفية عمل القليب ومنفعته وإصلاح الأرض بعد كلالها وما يريح الأرض ويصلحها من الحبوب والقطانى واختيار البذور ، واختيار ما يصلح لكل نوع من أنواع الحبوب من أنواع الأرض ، ومعرفة أوقات الزراعة ، وصفة العمل فى زراعة الرز والذرة والدخن

والجلبان واللوبيا سقيا وبعلا ، ثم زراعة القطانى سقيا وبعلا ، وكذا الكتان والعنب والقطن وبصل الزعفران والفوّة ثم اتخاذ المباقل واختيار أرضها ، وذكر ما يصلح أن ينقل ، ويخصص أبواباً متتابعة لزراعة البقول ذوات الأُصول مثل السلجم والجزر والفجل ثم القثاء والبطيخ والدلاع والباذنجان والحنظل ثم البذور المستعملة فى الأدوية كالكمون والكزبرة والكراوية.. مما يمكن أن نسميها النباتات الطبية . ويخصص فصلا للرياحين وثانى لأنواع النبات التى تتخذ منه الجنان وثالث لاختيار البيادر والمدارس حيث تجمع المحاصيل وتدرس . وخص الباب الثلاثين لاختيار مواضع البنيان ووقت قطع الخشب ومعاصر الزيت .

أما الأبواب الباقية من الكتاب فقد خصصها ابن العوام لما نسميه تغذية وتربية الحيوان وكذا أمراض الحيوان ، فتحدث عن كيفية اختيار الجيد ، ومدة الحمل ، وما يصلح من العلف . وعلاج بعض أدوائها ثم التسمين والعلف ،ورياضة الأمهار ثم علاج بعض علل الدواب ، مما يمكن أن يسمى بيطرة. وتحدث فى فصل خاص عن اقتناء الحيوان الطائر فى البيوت مثل الحمام والأوز والدجاج ونحل العسل ، ثم اقتناء الكلاب للصيد والزرع .

وكذلك نرى أن الكتاب على بعد عهده يعالج كل العلوم الزراعية تقريباً فى أسلوب سهل جذاب ، لا تمل قراءته إن اتسم بالأمانة فى العرض والاستشهاد ، ثم يتبع ذلك بقوله : لى ». وذلك حين يعرض رأيه هو . وفيما عدا ذلك فإنه ينسب الأقوال إلى قائليها من ابن حجاج إلى يونيوس أو قسطوس . . الخ

يقول ابن العوام أول مراتب علم الفلاحة معرفة الأرض ، والسواد دليل الحرارة كذلك الحمرة ، إلا أن حر الحمرة أقل من السودة ، ثم يتلوه الصفرة ، إن أنت مارست الطين بيديك فأصبته شبيهاً بالشمع يلصق شديدا فاعلم أنها أرض غير موافقة للبقول ولعله يقصد الأرض الطينية الناعمة ، ويقول هذا قول « يونيوس » ويقول إن بعضهم يستدل على طيب الأرض ودناءتها بأعشاب نبتها ، لا تكاد نخطىء الاستدلال بها ويمثل بنباتات لا تنبت إلا فى الأرض الجيدة ، وأخرى تنبت فى الأرض الدنيئة ، والبعض ينبت فى كليهما . وهذا ما يسمى فى العلم الحديث

أن النباتات كواشف للبيئة ، وهى كما يقول ابن العوام لا تخطىءُ أبدا .

يقول : وأجود الأرض البنة سجية ثم شديدة الغبرة ، فيها تخلخل وطعم ترابها عذب ، لعله يريد أن يقول إنها مسامية خالية من الأملاح . وأنه ليجرى التجارب ، وإن كانت بدائية إلا أنها تدل على اعتماده على المنهج التجريبى . فهو يطلب إليك أن تأخذ قدرا معيناً من التربة ، وترجه بالماء الحار ، وتتذوق الماء وتتبين رائحته ، ويطلب أن تلاحظ ما ينبت بها من نبات برى ، إن كان قميئاً أو قوياً . ويقول إن البعض يكتفون فى امتحان الأرض بالنظر إلى ما ينبت فيها ولو بحشيشة واحدة مثل السوس والعوسج والشرك والعليق فيأخذون من أغصانها وأوراقها المتوسطة ، فيدقونه ويقيسون طعمه إلى طعم مثله مما ينبت فى أرض سليمة من الآفات . فيستدلون بالخلاف والوفاق . وهذه دراسة مقارنة لها قيمتها العملية . وعلى أسس علمية سليمة يقول ابن العوام . وهناك الأرض المالحة ، والنزه ، والغدقه ، والرخوة ، والدسمه المفرطه فى ذلك والقابضة والحامضة الحارة ، والمفرطة التخلخل ، والمفرطة الاستحصاف والمفرطة التكرز ، وما أظن علم الأراضى الحديث يزيد على هذه الأنواع ، وإنما ابتكر المقاييس والتعاريف المختلفة . ثم يذكر ما يصلح لكل منها من نبات . وكيفية معالجة كل نوع من هذه الأراضى . ويقول : والأرض المالحة ، وهى أنواع منها ما يشرب طعمها مع الملوحة حموضة ومنها ما يشوبه معها مرارة ، ومنها ما يشوبه معها قبض ، ويضيف وللملوحة علاج عام وعلاج خاص وإن زرع فى هذه الأرض حَبُّ الازادرخت واللوز المر والآس وشجر الغار ، لقطت هذه الأشياءُ المرارة كلها حتى تصلح صلاحاً تاماً ، ويتم صلاحها بتكرير التزييل الحصوف المرافق . ويقول اهرب كل الهرب من الأرض المالحة والرمل المالح ، يقول من صفات الأرض التخلخل والرخاوة والتكنز والتنكيد . ويذكر تجربة لمعرفة نوع الأرض ويقول يحفر ثلاث حفر ، عمق نصف ذراع ويجمع التراب فى آنية من الخزف بعناية شديدة ثم يؤخذ من أرض متخلخلة غير مكتنزة ويوضع فى الحفاير فإن بقى شىء كانت مكتنزة ، يقول والأرض المتخلخلة تصلح للغرس . والصلبة المكتنزة لا تصلح ، وشديدة التلزز من طبعها تحبس الماء

فلا تمص كثيرا ، ولا تجذبه إلى باطنها ويقول : ويصلح فى الجبلية منها على حال مع كثرة العمارة ، شجر الزيتون والخروب والبلوط والشاه بلوط والغبيراء والكمثرى والأجاص والقراصيا . ثم يقارن بين أنواع الأسمدة البلدية. ويقول :هذا رأى يونيوس أما قسطوس فيرتبها الأزبال والأتبان والأرمدة ، إما مفردة أو مركبة . ويخصص فصلا لكيفية استعمال الأزبال فى الشجر والخضر .ويقول :وهذه مع منفعتها للنبات فإنها تنفع الأرضين التى فيها النبات والتى لا نبات فيها ولا شجر ، وذلك أنه إن طرحت فى أرض رديئة أصلحتها ، وإن كانت الأرض صالحة زادتها صلاحية فى طيبها وقوتها ، وكذلك هو فعلها فى النبات والشجر . التقوية والصلاح ودفع العوارض الردية عنها .

ويتحدث عن أنواع المياه المستعملة فى سقى الأشجار والخضر ، فيقول هناك الماء العذب ، والماء المر ، والماء المالح الزعاق . والماء القابض العفن ، والماء الذى غلب عليه طعم بعض المعادن .

يقول :ويستدل على قرب الماء بأنواع النبات وبلون وجه أرض وطعمه وريحه .

وأنه ليوصى بتجربة الشمعة لمعرفة ما إذا كان فى البئر بخار مؤذى ، وطريقة إخراج هذا البخار ، وهى طريقة مؤكدة صحيحة وأنه ليوصى فى غرس البساتين ، بألا يكون غرس الأشجار غرساً مختلطاً ، لكن يغرس كل واحد منها قريباً من جنسه ، لئلا يغلب القوى منها الضعيف ، فيعدم ذلك الضعيف منها ، وينبغى أن تكون الفرج التى بين الغروس على قدر طبع الأرض وقوتها ، ويضيف وأجود جميع الغروس التى تحوّل ، وخير غرس الشجر ما يكون من غصون ، وأن الغروس التى من البذور فى الجملة أضعف من جميع الغروس ولا تغرس الأشجار التى تعظم مع الأشجار التى لا تعظم ، ولا التى تتعرى من أوراقها مع التى لا تتعرى منها وكذلك ما يأتى منها فائدة فى وقت واحد ، يغرس معاً فى جهة واحدة ، مثل التفاح والأجاص والكمثرى والمشمش لتخف المؤونة فى حرازتها . وبعد أن يذكر ما يصلح غرس من نوى أو بذر ، يذكر إجماع حذاق الفلاحين على ألا تقر هذه الأشياء فى مواضعها ، بل تنقل ، وذلك مثل الجوز واللوز وشاه بلوط والخوخ والأجاص والنخل والصنوبر والسرو والغبيراء والغار والصنوبر والمشمش

والفستق ، فإذا حال عليها حولان ، حولت كلها إلى مكان آخر .

يقول : وما ينبغى أن يغرس من فروع تنتزع من الشجر ، التفاح فالقراصيا ، والآس ، والزعرور ، ثم يضيف ؛ ومن الناس من يعمد إلى زرع هذه الأشجار فيميلها ويطمرها فى التراب ، حتى يصير لها أصول ثم ينقلها ، وهو بذلك يصف ما نسميه « الترقيد » . يقول والأشياء التى تغرس فى أوتاد التوت ، والأترج والسفرجل والزيتون والطرفا والحرر ، وهذه هى أيضا إن نقلت فغرست تكون أجود . وأما شجرة التين ، وإن كانت من الأشجار اللابثة ( المعمرة ) فلتحريف عودها وخوره ، رأوا غرسه من القضبان الرقاق . ويتابع وصفه لطرائق التكاثر الخضرى فى الأشجار المختلفة ، فيقول : تقلع القضبان من الترميدانات ( المشاتل ) بطينها ، وتطمر ثلاثة أرباعها ويبقى الربع بارزا ، وينبغى أن تكون الترميدانات فى أرض لم تفلح ، جافة وأن تكون الشمس مشرقة عليها ، وتصل إليها الرياح الجارية ، وينبغى أن تقلب هذه الأرض قلبا مستقصى لتنزع أصول الحشائش ، ويحفر حول الغروس مرة كل شهر ، وأن تكون الآلات صغارا جدا لئلا يضر ذلك الحفر بالغرس ، وتلقط الفروع التى تنبت فى الغروس ، وهى غضة قبل أن تخشن وينبغى أن تكون الأرض التى تحول إليها الغروس من موضع تربتها مقاربة فى الصفة للأرضين التى ابتدأ زراعتها فيها أو مثلها ، ولاتحول من أرض جيدة إلى أرض رديئة .

ويقول : فى أوقات الغرس ، أنها تختلف على قدر اختلاف البلدان والأمم ، أوالربيع أو الخريف ويضيف : وإذا أردت أن تأخذ الغرس من أى نوع شئت كان ، قطعا ، أو خلعا ، أو ملخا ، أو وتدا ، أو غرسا بأصله ، فلا تأخذ إلا ما يلى الشمس ، فهى تحره وتدفئه ، وكلما أحرته الشمس فهو أجود ولا تأخذ غرسا أبدا من ناحية الشمال ، وما جاوز الشمال فإنه ظليل قليل الحمل ، قليل التعلق . ينبغى أن تأخذ الأغصان من أعلى الشجرة . ويضيف قول سيداغوس : « ينبغى ألا ننقل ما كان من من الملاخ والقضبان والنوى والأوتاد منشوه على السقى والرطوبة الدائمة إلا إلى مثل ما كان عليه ، فينبغى أن ينقل السقى

إلى السقى ، والبعل إلى البعل ، وأنه ليقارن بين أقوال يونيوس وديمقراطيس ، وبنهاريس وتسطوس ، وابن حجاج ، والحاج الغرناطى وغيرهم ،ثم يقول : وتختار للغراسة من الأشجار أكثرها حملا وأطيبها طعماً ، فإن المؤونة والنفقة فى غراسة النوع الجيد وعمارته والردىء سواء ، فغراسة الجيد أولى ، وأنه ليذكر ما آثرت ذلك فيضيف : قالوا نغرس الأشجار فى زيادة القمر ، فإنها تطول وتغلظ وتفرط فى ذلك ويكثر حملها إذا غرست فى ذلك الوقت . وبالضد من ذلك فيما يغرس أو يزرع فى نقصانه ، وأنه ليؤيد آراءه أحيانا بقوله « قال ابن الحجاج رحمه الله : هذا إجماع من حذاق أصحاب الفلاحة على كراهة غدران الناس وكراهة الافراط فى الزبل لشجر الزيتون ، فبعد أن يذكر آراء سلفه يقول لى : جربت ذلك فصح . كما يورد بعض الأحاديث النبوية أو بعض الوصفات البلدية ، أو الملح الطريفة ، ويقول لم أذهب إلا إلى التأنيس باتفاق المتقدمين على الأشياء التى قصصتها ، وليعلم أن هذا إجماع من حذاقهم ،ليعمل به ويعتقد عليه . ولو أنى أوردت قول أحدهم دون أصحابه لم آمن أن يظن أنه قد شذ عن نظرائه ، فأوردت أقوالهم بحسب ما لقيتها ليكون الأمر أوكد عنده وألزم له . وفضلا عن ذلك فإنه حين يتحدث مثلا عن غراسة الخوخ والمشمش والنارنج والجوز والدردارو قصب السكر... الخ يلزم فى كل حالة باختبار الأرض ، وطريقة الغرس ، وموعده ، وطريقة السقى والتعهد ، مما لا يبقى معه زيادةلمستزيد .

ذلك هو ابن العوام عالم الزراعة القديم ، وتلك طريقته فى البحث ، كما عرضها فى كتابه الفلاحة الذى نقدمه فى هذا الحديث .

**عبد الحليم منتصر**
عضو المجمع

# بين القافية في الشعر العربي والقافية في الشعر الإنجليزي

للدكتور إبراهيم أنيس

تبين لنا في بحث سابق أن الامية التي سادت في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام كان لها دور كبير في صبغ ألفاظ اللغة العربية وأساليبها بصبغة موسيقية . وذلك لأن القوم قد اعتمدوا ، من حيث اللغة ، على الآذان في تلقيها ، وعلى الألسنة في أدائها ، فمرنت الآذان والألسنة ، وأصبحت الآذان مرهفة حساسة تميز الجرس الجميل المطرب من النابي النشاز ، كما أصبحت الألسنة ذلقة لبقة تنطلق بأصوات اللغة في وضوح وتطريب . وترتب على كل ذلك كلف القوم بنغمات كلامهم ، وحرصهم على جرسه ، واستمتاعهم بجمال أصواته ، وتحاشيهم لكل ما يتعثر فيه اللسان وينبو في الآذان[1]

وإذا كان هذا هو حكمنا على لغتنا العربية في مجموعها ، أي من حيث أصواتها وصيغها وتراكيبها في جل صنوف الكلام وأساليبه ، فأولى بهذا شعرها ، لأن الموسيقى أهم ما يتسم به الشعر. ليس من المغالاة إذن أن نتوقع في تلك البيئة الجاهلية ، شعرا كملت موسيقيته فأطرب السامعين في أسواقها ، وهز قلوبهم ونفوسهم هزا عنيفاً .

وحدث أن كنا أخيرا نتدارس بعض ظواهر الشعر الإنجليزي في كتب الأدب والنقد فراعنا أن وجدنا شيئاً لا تسمح به قافية الشعر الإنجليزي ونعلم في نفس الوقت أنه جائز في شعرنا العربي . ولم يكن هذا الأمر قد خطر لي وأنا أؤلف كتابي « موسيقى الشعر » منذ ما يقرب من عشرين عاماً .

(١) دلالة الألفاظ : ص ١٩٥ — ٢٠٦

وإزاء تلك الظاهرة التى وقفنا عليها فى القافية الإنجليزية ، خيل إلينا لأول وهلة ، أن القافية الإنجليزية ، أدق فى موسيقيتها من القافية العربية .

فبدأنا نتساءل : هل يعقل مع ماقررناه من اتسام العربية بالموسيقية ، وحرص أهلها على تلك السمة أن تتسامح فيما لا تتسامح فيه لغة أخرى ؟ وأن يجوز شعرها ظاهرة مهما كانت لطيفة فى السمع ولا تكاد تدركها الأذن ، فى الوقت الذى تأباها لغة أخرى ؟ !

ثم اطمأنت النفس حين تذكرنا أن القافية العربية فى أغلب حالاتها من النوع الذى يسمى بالقافية المطلقة وهى التى يحرك فيها الروى بحركة قد تستطيل فى الإنشاد حتى تصبح حرف مد ، بل قد يكون حرف المد الذى تنتهى به قافيتنا العربية جزءًا من بنية الكلمة التى ينتهى بها البيت . فلنستمع لأمير الشعراء «شوقى» يقول :

ريم على القاع بين البان والعلمِ
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرمِ

لما رنا حدثتنى النفس قائلة
يا ويح جنبك بالسهم المصيب رُمِى

فالروىّ فى هذه القصيدة هو حرف « الميم » وقد حرك بالكسرة التى قد تستطيل فى الإنشاد حتى تصبح ياءَ مد ، ولذلك قابلتهاوانسجمت معها ياءُ المد الأصلية فى الفعل « رمى » وهى جزءٌ من بنية الكلمة . ويعتمد الروى على هذه الحركة فى تردد وصدىالقافية وحسن موسيقاها . ويتصور مَنْ لا دراية لهم بطبيعة الأصوات أن مثل هذه الحركة صوت تافه لا أثر له فى السمع ، غير أن الدراسة الصوتيةالحديثة تبين بجلاءٍ أنها أوضح فىالسمع من الروى نفسه ،وتتلقفها الآذان فى وضوح وقوة لا تقل عن الروى. فهى مما يسميه الصوتيون بأصوات اللين أو الـ Vowels التى تعد أوضح الأصوات فى كل لغة وأقبل المتغنى بها . ليست العبرة هنا بوظيفتها النحوية وإنما العبرة بوقعها فى الأذن .

وقد تبين لنا فى إحصاءٍ سابق أن نحو ٩٠٪ من الشعر العربى، قديمه وحديثه وقعت فيه القافية المطلقة وهى التى لا يكاد يعرفها الشعر الإنجليزى الذى تنتهى أبياته بحروف ساكنة كما هو معروف ؛ أى أن المقارنة بين القافية العربية والقافية

الإنجليزية تقتصر على ما نسميه فى شعرنا بالقافية المقيدة التى لا تجاوز فى الشعر العربى ١٠٪ بل نحن هنا نقصر المقارنة على ما قبل الروى من حركة أو حرف مد فى تلك القافية المقيدة .

وقبل أن نعرض لتلك الظاهرة التى أزعجتنا لأول وهلة ، وقبل أن نحاول تفسيرها وبيان الحقيقة فى أمرها ، يجدر بنا أن نبين بما لا يدع مجالا للبس أو الوهم أن القافية فى الشعر العربى بوجه عام أكثر موسيقية وأجمل وقعا فى الآذان من القافية فى الشعر الإنجليزى مؤسسين هذه الحقيقة على الأسس الصوتية التالية :

أولا : أن القافية المطلقة أوضح فى السمع وأشد أسرا للأذن ، لأن الروى فيها يعتمد على حركة بعده قد تستطيل فى الإنشاد وتشبه حينئذ حرف مدّ . ومن المقرر فى علم الأصوات أن حروف المدّ أوضح فى السمع من الحروف الأخرى كالعين والفاء مثلا . وإذا كان قد ثبت لنا عن طريق الإحصاء أن القافية العربية فى الكثرة الغالبة من صورها من النوع المسمى بالقافية المطلقة وأن القافية الإنجليزية لا تكاد تعرف هذا النوع ، اتضح من ذلك جنوحٌ أكثر نحو الموسيقية فى القافية العربية .

وقد يتوهم بعض الدارسين أن القافية المطلقة قد وقعت أيضاً فى الشعر الإنجليزى حين يقرأ تلك الأشعار الإنجليزية القليلة أو النادرة التى فيها يجد أن القافية قد انتهت بكلمتين مثل : Fro مع Free. So مع Blue. Sea مع Woe. Drew مع Below . ويتصور لذلك أن القافية هنا تشبه القافية العربية المطلقة لأنها تنتهى فى كل من القافيتين بحرف مد ! !

وفى الحق أن القافية المطلقة فى الشعر العربى لم تسمّ كذلك لمجرد انتهائها بحرف مدّ ، بل لا بد فيها من أمرين : الرويّ أولا وهو حرف عادى كالسين أو الميم مثلا ويضاف إليه حرف المدّ ، ففيها عنصران أساسيان هما : الروى + حرف المد فى حين أن الإنجليزية فى الأمثلة الآنفة الذكر قد اعتمد كل منها على حرف المد وحده . فكأن القافية العربية إذا قورنت بالإنجليزية ، تشبه ما يسمى بلزوم مالا يلزم ، أو بعبارة أدق يكثر فيها تردد

الأصوات فيكسبها جمالا موسيقيًّا أكثر مما قد يتصور فى نظيرتها الإنجليزية ، إذ ليس فى القافية الإنجليزية فى هذه الحالة ما يناظر الرويّ العربى .

ولعل الذى سوغ على كره ،قبول ذلك فى الشعر الإنجليزى أن النبر فى الأمثلة السابقة يقع على الحركة الطويلة أوحرف المد الذى تنتهى به القافية ، فى حين أن طبيعة اللغة العربية تأبى وقوع النبر على المد الأخير من الكلمة ، ولذلك لا يقنع به السامع فى الاعتماد عليه وحده لتكوين النغمة الشعرية ، ويتطلب معه ما يسمى بالرويّ . فإذا أريد فى بعض الحالات الوقوف على حرف المد الأخير من الكلمة العربية ونبره حينئذ ، استحسنت لغتنا العربية أن يوصل حرف المد بهاء السكت ، أو بهمزة الوقف ، أو بما يسمى نون الترنم .

وهذا هو السر فى تردّد معظم العروضيين بصدد وقوع حروف المد رويًّا ، ولم يجوزوا منها إلا الألف استثناسا بتلك القصائد التى تسمى بالمقصورات وأشهرها مقصورة ابن دريد التى يروى أن مطلعها :

شمرَّد عن عينى الكرى طيف سرى
من أم عمرو فى غياهيب الدجى

أما فى حالة واو المد وياء المد فيأبى معظم أهل العروض اعتبارهما رويًّا ، ويتطلبون أن يُسبق كل منهما فى القافية العربية بحرف عادى هو الروى الحقيقى للقصيدة كالدال أو النون مثلا .

ومع أننا لا نكاد نعثر على شعر عربى محقق النسبة فيه واو المد أو ياء المد بمثابة الرويّ ، نجد أن بعض المتسامحين من العروضيين يقبلون ذلك حين تكون واو المد أو ياء المدّ حرفاً أصليًّا من بنية الكلمة ، فإذا كان زائدا رفضوا الاعتراف به رويًّا . ويستقبحون لذلك ما يروى عن مروان بن الحكم أنه قال :

وهل نحن إلا مثل من كان قبلنا
نموت كما ماتوا ونحيا كما حيُوا

وينقص منا كل يوم وليلة
ولا بد أن يلقى من الأمر مالقُوا

* * *

ومع أن معظم المستنيرين من العروضيين لا يسمحون بقبول حتى الأصلية من واو المد وياء المد بوصف كل منهما رويًّا ، نجد أن قلة من العروضيين يقنعون بذلك ويمثلون له ببيتين تبدو عليهما الصنعة

العروضية ، ويترددان بعينهما فى كتبهم وهما :

نروح ونغدو لحاجاتنا
وحاجات من عاش لاتنقضى
تموت مع المرء حاجاته
وتبقى له حاجة ما بقى

* * *

وفى الحق أننا لا نكاد نعثر فى الشعر العربى ، قديمه وحديثه ، على أمثلة محققة النسبة لهذا النوع الذى يعتبر فيه الروى واو مد أو ياء مد .

وهكذا نرى أن القافية العربية المطلقة وهى التى يتألف منها الكثرة الغالبة من الشعر العربى تعد فى الحقيقة إذا قورنت بالنادر من القوافى الإنجليزية التى فى مثل blue مع dew ، أكثر عناية بالموسيقى وأجمل وقعاً فى الأسماع .

ثانياً : تبين أن الكثرة الغالبة من الشعر الإنجليزى قافيته تشبه القافية المقيدة أى تنتهى بحرف ساكن مثل : Street مع Rough. Sweet مع Enough وتعتمد القافية فى هذه الحالة على ذلك لحرف الساكن اعتمادا كبيرا .

ولكننا نعرف من الدراسة الصوتية أن الحرف الساكن Consonant حين يقع فى نهاية الكلمة ثم يراد الوقوف على كلمته ، قد يتعرض ذلك الحرف الغموض أو الإبهام فيقل وضوحه فى السمع أو قد يسقط فى النطق ، ولا سيما حين يكون من الحروف المهموسة الشديدة كالتاء والكاف ، فلا يكاد يتضح فى الأذن ولا يكاد السامع يدرى حقيقة أمره ولا يحس بموسيقاه .

ومما تقدم نرى أنه ليس من الإسراف أو المغالاة أن نقرر أن القافية فى الشعر العربى بوجه عام تعد أدق حساسية بالموسيقى وأكثر عناية بإبرازها من القافية فى الشعر الإنجليزى التى تعتمد اعتمادا يكاد يكون كليًّا على النوع المسمى بالقافية المقيدة .

نشرع بعد ذلك فى الحديث عن تلك الظاهرة التى راعتنا فى أثناء مدارسة حديثة محاولين تفسيرها تفسيرا موضوعيا ، وفى حيدة وإنصاف ، لكل من الشعر العربى والشعر الإنجليزى .

ولنبدأ بالقافية الإنجليزية ، حين يكون ما قبل الروى حركة قصيرة ، أى

ما يشبه الفتحة والضمة والكسرة مثل الكلمات :

dead, said, bed التي تنسجم معاً حين تكون فى قواف متوالية ، مثل met مع set ، ومثل but مع cut ، ومثل bit مع sit ، ومثل rod مع tod ، ومثل ox مع rocks ، ومثل flex مع sex .

وهكذا نرى أن القافية الإنجليزية تُصرُّ على التزام الحركة القصيرة قبل الروى ، فإذا كانت ما يشبه الفتحة التزمت ، وإذا كانت ما يشبه الضمة التزمت ، وإذا كانت ما يشبه الكسرة التزمت . ولا تسمح القافية الإنجليزية أن يرد فيها sex مع ox ، ولا مثل put مع met ، أو sit مع cut .

فى حين أن الشعر العربى قد وقع فيه شيءٌ من هذا ، فلنستمع إلى قصيدة شوقى تحت عنوان انتحار الطلبة :

ناشئٌ فى الورد من أيامه
حسبه الله أبالورد عثَرْ ؟

راحلا فى مثل أعمار المنى
ذاهباً فى مثل آجال الزهَرْ

هارباً من ساحة العيش وما
شارف الغمرة منها والغُدُرْ

وكذلك قصيدته فى أبى الهول :

أبا الهول طال عليك العصُرْ
وبلغت فى الأرض أقصى العُمُرْ

فيالدة الدهر لا الدهر شاب
ولا أنت جاوزت حد الصِّغرْ

* *

ففى القصيدة الأُولى وعدتها ٥٧ بيتاً نلاحظ أن ما يقرب من ٤٩ بيتاً سبق الروى فيها بالفتح ، وسبق الروى بالضم فى خمسة أبيات ، وبالكسر فى ثلاثة .

وفى مشهد من مشاهد مسرحية عبدالرحمن الناصر للشاعر الكبير عزيز أباظة نجد أن هذا المشهد القصير الذى يتألف من ١١ بيتاً ومطلعه :

بعض الحنان يا شفقْ
حطم قلبى يا شفقْ

يشتمل على ٧ فتحات ، ٣ كسرات ، وضمة واحدة قبل الروى .

وفى الحق أن جميع الشعراء المحدثين قد تناوبت الحركات الثلاث وبكثرة

فى قوافى شعرهم التى من هذا النوع ، فلا يكاد أحدهم يلتزم حركة واحدة فى قصيدة من قصائده .

ورأينا إزاء هذا أن نرجع إلى الشعر الجاهلى الذى نظمه أصحابه بآذانهم المرهفة ، واعتمدوا فيه على الجرس الموسيقى وحرصوا فيه إلى أبعد حدود الحرص على الانسجام بين نغمات القوافى . فدهشنا حين تبين لنا أن فى القدر القليل المروى من هذا النوع فى الشعر الجاهلى قد تناوبت الحركات الثلاث ، وإن التزم بعض الشعراء فى القليل من الأحيان حركة بعينها ولا سيما حين تكون الفتحة . ففى قصيدة من قصائد المفضليات عدتها تجاوز ثمانين بيتا التزمت الفتحة : مثل ( وقَعْ ، نفعْ ) ، إلا فى بيت واحد يؤكد لنا محققو الديوان أنه ينتهى بالكلمة « كنِعْ » بهذا الضبط . ولست أدهش حين يتضح لنا بالبحث فى المعاجم أن هذه الكلمة ينطق بها « كَنَعْ » أيضاً ، أو أن لام الكلمة هنا وهى من حروف الحلق ، تسمح بفتح الوسط كما هو الشأن فى كثير من الصيغ العربية .

ولما عرض أصحاب العروض لهذه الظاهرة فى كتبهم عدوها من عيوب القافية وسموها « سناد التوجيه » ، ثم رووا لنا فيه ثلاثة آراء :

( أ ) رأى الأخفش وفيه يقرر أن سناد التوجيه لا عيب فيه ، أو على الأقل يمكن أن يعدّ رخصة شعرية ولا يلام الشاعر عليها .

(ب) رأى الخليل الذى يجوز التناوب بين الضمة والكسرة فقط . ولا شك حين نسترشد بعلم الأصوات نجد أنهما حركتان متشابهتان وأن الموجة الصوتية الأساسية معهما واحدة ، والاختلاف بينهما فى الموجات الفرعية . هذا إلى أنهما من الأصوات الضيقة التى يتخذ أول اللسان معها فى حالة الكسرة وضعا يشبه ما يتخذه أقصى اللسان مع الضمة . ولا غرابة لذلك أن الأذن تسمعهما وكأنهما أختان أو توأمان . ويقلل من قيمة الفرق بينهما أنهما حركتان قصيرتان تتطلبان زمناً قصيرا فى النطق بكل منهما ، مما قد يساعد على ضآلة الأثر السمعى فى تمييز الفرق بينهما .

ولذلك نطمئن كثيرا إلى رأى الخليل ونرى أنه استلهم فى هذا حسه الموسيقى المرهف .

فإذا كان من الضرورى المناوبة بين الحركات فى القافية المقيدة فليقتصر فى هذا على الضمة مع الكسرة ، وإن كان التزام إحداهما أحسن وأجمل .

(ج) أما الرأى الثالث وهو المنسوب لكراع فهو رأى عجيب غريب لا يستند إلى طبيعة الأصوات فى شيء ، ولا يبرره ما روى فعلا من الشعر ، ولذلك نؤثر أن نتجاهله إذ ليس له أى سند علمى .

فلنطمئن إذن على موسيقى القافية العربية ، ذلك لأن القافية المقيدة فى الشعر العربى قليلة أو نادرة ، والحكم على شعرنا يجب أن يؤسس على الشائع منه وعلى الكثرة الغالبة من حالاته ويتمثل هذا فى القافية المطلقة التى لا تكاد توجد فى الشعر الإنجليزى ، والتى يعتمد الروى فيها على الحركة التى بعده ويتجاهل الحركة التى قبله ، ولا عيب لذلك أن يقول شوقى :

ريم على القاع بين البان والعلَم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحُرُم ِ

لأن السمع فى هذه القافية يتعلق بالروى والصوت الذى بعده وهو الحركة .ولذلك لم يتحدث علماءُ العروض عما يسمى بسنادا لتوجيه إلا فى القافية المقيدة .

أما ما يزعمه بعض أصحاب العروض من وقوع تلك الظاهرة التى يسمونها بالإقواء حين تختلف حركة الروى فى القافية المطلقة بين الضمة والكسرة ، ويسمى بالإصراف حين يكون الاختلاف بينهما وبين الفتحة ، فليس كل هذا فى الحقيقة إلا صناعة عروضية ، أو مؤسساً على وهم منهم . فلا يعقل مطلقاً أن تقع مخالفة فى حركة الروى حتى بين المتشاعرين المبتدئين . فالشاعر فى القافية المطلقة يلتزم حركة واحدة لا يحيد عنها أبدا ، ولكنا فى الأمثلة المروية مما يسمى بالإقواء أو الإصراف قد حاد عن الحركة الإعرابية التى يتطلبها الوضع الإعرابى ، وضحى بهذا فى نظير التزام حركة واحدة ،

أى كما يقضى النظام الشعرى وتقضى موسيقاه ، أو بتعبير آخر يمكن أن يقال إن الشاعر فى هذه الأمثلة أخطأ فى الإعراب ولم يخطىء فى موسيقى الشعر . وسواء كان هذا الخطأ الإعرابى كما يقول النحاة من الضرورة الشعرية أى يقع من الشاعر عن عمد وهو مدرك لهذا الانحراف الإعرابى مستغلا فى ذلك الضرورة الشعرية ، أو أن الشاعر وقد ملكت عليه الموسيقى عقله وقلبه لم يفطن إلى ما قد تتطلبه القاعدة الإعرابية ، أقول سواء هذا أو ذاك فالنتيجة واحدة وهى اتحاد حركة الروى فى كل أبيات القصيدة.

ومع قلة أو ندرة القافية المقيدة فى الشعر الجاهلى ، فلا أظن أن ما روى فيه من أمثلة هذه القافية يجاوز نسبة ٢ ٪ من مجموع الشعر الجاهلى ، ومع أن العروض العربى يصم اختلاف الحركة هنا ويعده من عيوب القافية ، لا يزال فى النفس شىء من تلك الأمثلة القليلة أو النادرة التى انحدرت إلينا ونسبت لشعراء جاهليين ! ! إذ نتساءل كيف يقع هذا فى شعرهم وهم الذين كانوا يعتمدون فى النظم على الآذان المرهفة ، ويحرصون كل الحرص على كمال الموسيقى فى التقفية ؟ ! ومن واجبنا إزاء ذلك أن نلتمس مسوغاً معقولا مقبولا لورود تلك الأمثلة على قلّتها أو ندرتها .

وليس من الضرورى هنا أن نشير إلى ما يقرره كثير من الدارسين من أن بعض الشعر الجاهلى قد وقع فيه الانتحال ، لأن كل ما يمكن أن يترتب على ذلك هو أن النسبة تقل ولا تنعدم ، ولا مفر من الاعتراف بصحة بعض المروى من هذه القافية ، وأننا لا نزال بحاجة إلى تفسير هذا الصحيح ، وإن كان من العسير فصله فصلا تاماً عن المنتحل .

وفى رأيى المتواضع أن الشاعر الجاهلى برىء من هذا النوع فى القافية المقيدة ، أى لم يقع فى شعره ما يسمى بسناد التوجيه ، وأما ما ظنه المتأخرون تخالفاً فى حركة ما قبل الروى من القافية المقيدة فيشبه ما تصوره بعض العروضيين مما يسمى بالإقواء أو الإصراف ، وهو التخالف فى حركة الروى نفسه ، وقد أنكرنا آنفاً وقوع التخالف فى حركة الروى من القافية المطلقة ، وتبين لنا أن الشاعر حرص دائماً على حركة واحدة بعد الروى،

مضحياً فى سبيل موسيقاه سواء عن عمد أو عن غير عمد، بما تقضى به قواعد الإعراب.

وكذلك الشأن مع القافية المقيدة نتصور أن الشاعر الجاهلى حرص دائماً على وحدة الحركة التى قبل الروى ، وأن رواة النصوص فى عصر التدوين هم المسئولون وحدهم عن إبراز أمثلة التخالف، التى نراها فى دواوين الشعر الجاهلى ، لأنهم ربما اعتمدوا على رأى واحد فى نطق الكلمة العربية ثبت لديهم أنه وحده الصحيح .

ولا بد لنا هنا أن نفترض أحد فرضين:

١ ـ بأن نقول كما قلنا فى القافية المطلقة إن الشاعر قد ضحى بشىء من بنية الكلمة وأحدث فيها تغييرا طفيفاً اقتضته القافية وموسيقاها ، وهكذا نطق بالكلمة المضمومة الوسط مفتوحة أو مكسورة على على حسب ما جاء فى معظم أبيات القصيدة. فالذى لا شك فيه أن كل مثل من الأمثلة التى قيل إن التخالف فى الحركات قد وقع فيها ، يعتمد فى معظم الأبيات على حركة بعينها ، وأن قدرا ضيئلا جدا من الأبيات جاء مخالفاً لهذه الحركة . ففى مثل من تلك الأمثلة المروية يلحظ بوضوح أن معظم أبيات القصيدة التزمت فيه الفتحة ، ووقعت الضمة أو الكسرة فى القليل أو النادر من أبياتها . وقد نجد فى مثل آخر أن الضمة التزمت فى معظم الأبيات قبل الروى ونجد معها الكسرة أو الفتحة فى حالات قليلة أو نادرة .

٢ ـ والفرض الثانى هو أن نقرر ونحن مطمئنون أن الشاعر فى كل مثل من هذه الأمثلة المروية ، قد اتخذ حركة معينة ليؤسس عليها القصيدة ، وأنه أنشد جميع الأبيات بحركة واحدة قبل الروى ، مستلهماً فى هذا حسه الموسيقى ومعتمدا على نطق آخر للكلمة جائز أو سائد فى لهجة قومه .

ولم يزعم أحد من اللغويين أن ما ورد فى المعاجم التى بين أيدينا هو كل الوجوه الجائزة فى ضبط الكلمات ، بل يكادون يجمعون على أن كثيرا من الوجوه الصحيحة فى ضبط الكلمات العربية ، قد ندّ عنا وافتقدناه فيما روى لنا .

وإذا سلمنا بصحة القول المشهور عن أبى عمرو بن العلاء ( ما انتهى إليكم من كلام العرب إلا أقله ، ولو قد جاءكم كله

لجاءكم علم وأدب كثير ) ، فلا شك أن مما فقدناه بعض الوجوه الجائزة فى ضبط الكلمة العربية .

ليس من الإسراف إذن أن ندعو الدارسين للشعر الجاهلى إلى إنشاد تلك الأمثلة المروية من القافية المقيدة بحركة واحدة أى قبل الروى ، وإلى أن ينزهوا هذا الشعر عن ذلك العيب الموسيقى

أما ما جاء فى شعر المحدثين والمولدين مما يشبه تلك الأمثلة المنسوبة للجاهليين فليس فى الحقيقة إلا نوعاً من التقليد على توهم أن ما جاز للقدماء أصحاب اللغة يجوز من باب أولى للمحدثين أو المولدين. أى أن الشعراء المحدثين والمولدين لم يستلهموا فى هذا قريحتهم الشعرية وحدها ، بل اعتمدوا أيضا على المروى من شعر نسب للقدماء فقلدوه وحذوا حذوه . ولو قد استلهموا قريحتهم الشعرية وحدها واحتكموا إلى آذانهم المرهفة ما وقع فى شعرهم هذا التخالف فى حركة القافية المقيدة ، ولكانوا كابن الرومى الذى التزم فى كل شعره حركة بعينها اعتمدت عليها قصائده التى من القافية المقيدة ، فلا يكاد يشذ عن هذا ، فلم نعثر فى ديوانه على مثل واحد فيه تختلف الحركة قبل الروى من القافية المقيدة .

وكنا نتوقع أن تسترعى هذه الظاهرة الموسيقية فى شعر ابن الرومى انتباه أستاذنا العقاد رحمه الله فى كتابه المشهور عن ابن الرومى ، غير أنا لم نجد فى كتابه سوى بضعة سطور فى فصل من الكتاب بعنوان (صناعة ابن الرومى ) فيها يقول العقاد[1] ( كان ابن الرومى يركب القوافى الصعبة ويتعمد رياضة الحروف العصية فيذل له أعصاها ، حتى الثاءُ والخاءُ والذال والزاى والظاءُ والغين والهاءُ ، وغيرها من الحروف المتروكة فى الروى الناقصة فى شعر أقدر الشعراء . . . )

ثم يقول فى موضع آخر من نفس الفصل[2] ( نقول إن ابن الرومى كان من أقل الشعراء تجوزا فى عروضه وأكثرهم حرصا على أوزانه ) ، ثم يدافع عن ابن الرومى فى بيتين رويا عنه وهما :

أبا عثمان أنت قريع قومكْ
وجودك للعشيرة دون لومكْ

تمتع من أخيك فما أراه
يراك ولا تراه بعد يومكْ

(١) ص ٣١٠
(٢) ص ٣٢٣

ذلك لأن أبا العلاء المعرى فى رسالة الغفران قد عاب على هذين البيتين أن القافية فيهما مقيدة وأن هذا الوزن ( يعنى الوافر ) لم يجىء عن الفصحاء مقيدا إلا حين يكون فى القافية ألف التأسيس . ولكن الأستاذ العقاد يرى ونحن معه أنه لا عيب فى موسيقى البيتين ، مخالفاً بهذا الرأى ، رأى أبى العلاء .

ويعدّ ابن الرومى من هذه الناحية فريدا بين الشعراء القدماء منهم والمحدثين ، فقد تخيرنا من بين أعظم شعراء العربية « البحترى » وهو الذى تروى فى شأنه كتب الأدب أنه — فى رأى المتنبى وقيل فى رأى أبى العلاء — حين سأل سائل عن شعر أبى تمام والبحترى والمتنبى فكان الجواب المشهور فى كتب النقد الأدبى « أبو تمام والمتنبى حكيمان والشاعر البحترى » ! !

ولسنا ندعى القطع أو الجزم فى فحوى هذه القولة المشهورة ، فقد تكون الموازنة هنا مقصورة على الصور والأخيلة والأغراض والموضوعات . على أنا مع هذا نفترض أن وصف البحترى بأنه الشاعر يتضمن أيضاً عنايته بموسيقى الشعر . وعلى أساس هذا الفرض نظرنا فى ديوانه لنتبين موقفه من القافية المقيدة التى سبق رويها بحركة فلم نجده يختلف عن الشعراء الآخرين فى شىء ، فنسبة القوافى المقيدة فى ديوانه فى حدود ٣٪ والكثرة الغالبة منها من النوع الذى سبق فيه الروى بحركة مثل قوله :

( ا ) من أى ثغر تبتسمْ
وبأى طرف تحتكمْ ( مجزوء الكامل )

( ب ) مخلفٌ فى الذى وعدْ
سيل وصلا فلم يجُدْ ( خفيف )

( ج ) قلت للائم فى الحب أفِق
لا تهوّن طعم شىء لم تذُقْ ( الرمل )

*

نكتفى بهذا القدر فى القافية المقيدة حين يكون قبل الروى حركة ، وننتقل إلى تلك التى يكون قبل رويها حرف مد . وهنا نشهد فى الشعر الإنجليزى ما يشبهها فالكلمات الإنجليزية cat ، flat ، mat ، sat تنسجم موسيقاها حين تقع فى القافية الإنجليزية . ويشبه هذا فى القافية العربية

وقوع ألف المد قبل روى القافية المقيدة مثل قول البحترى :

إن رقّ لى قلبكِ مما ألاقْ
من فرط تعذيب وطول اشتياقْ
وجُدتِ بالوصل على مغرم
فزوديني منك قبل انطلاقْ

* *

وهنا نرى كل شعراء العربية ، قديمهم وحديثهم ، قد التزموا هذه الألف ولم يشذوا عنها مطلقاً ، لأنها أوضح حروف المد فى السمع ، وأن أى انحراف عنها تدركه الأُذن حتى غير المدربة أو المرهفة . ولذلك لم تختلف القافية الإنجليزية عن العربية فى هذا النوع .

أما الذى اختلفت فيه القافية الإنجليزية عن العربية فهو حين يكون حرف المد قبل روى القافية المقيدة واو مد أو ياء مد . ففى هذه الحالة نجد أن القافية الإنجليزية تلتزم إحداهما ولا تسمح بأن يتناوبا فى قوافى القصيدة الواحدة :

فالكلمات الإنجليزية intrude, conclude, crude ينسجم بعضها مع بعض فى القافية الإنجليزية . والكلمات الإنجليزية creed, breed, lead ينسجم بعضها مع بعض . ولا تسمح القافية الإنجليزية بأن يقع فيها مثلا mood مع lead ، فى حين أن القافية العربية ، تسمح بواو المد مع ياء المد ، وهذه هى الظاهرة التى أزعجتنا حقاً . فإذا كنا قد تجاوزنا عن اختلاف فى الحركة قبل روى القافية المقيدة لصغر هذه الحركة وسرعة النطق بها وقصر زمنها فلا تكاد تشعر بها الأُذن ، فكيف يتأتى هذا مع واو المد وياء المد ، مع طول زمن النطق بهما ووضوحهما فى السمع وضوحاً كبيرا ؟!.

وهنا ننوه بابن الرومى مرةً ثانية لأنه لم يقع فى شعره شىء من هذا لا فى القافية المقيدة وحدها ، بل حتى المطلقة . ففى قصيدة له عنوانها « وحيد المغنية » وعدتها ٥٧ بيتاً ومطلعها :

يا خليلى تيمتنى وحيدُ
ففؤادى بها معنًّى عميدُ
غادة زانها من الغصن قدٌّ
ومن الظبى مقلتان وجيدُ

* * *

ففى هذه القصيدة وبرغم قافيتها المطلقة قد التزم ابن الرومى ياء المد فى كل

الأبيات وهو ما يشبه لزوم ما لا يلزم . ذلك لأنه فى القافية المطلقة نلحظ بعد الروى حركة تستطيل عند الإنشاد وهى التى يعتمد عليها الروى وتعلق الأذن بها متجاهلة ما قد يكون قبل الروى إلى حد ما ، ولذلك جاز فى القافية المطلقة وقوع واو المد مع ياء المد قبل الروى لما بينهما من تشابه صوتى كما أشرنا آنفاً مع الضمة والكسرة .ويرى معظم العروضيين جواز تناوب واو المد مع ياء المد قبل روى القافية المطلقة . ومع هذا يقول الصبان ما نصه ( إنه يجوز من غير قبح وقوع الواو ردفاً فى بعض أبيات القصيدة الواحدة والياء فى بعضها الآخر ، وإن كان الاتفاق أحسن ) . فهذا هو عالم كبير من علماء العروض يرى أن التزام واو المد أو ياء المد أحسن من التناوب بينهما حتى مع القافية المطلقة ، أى على نحو ما التزم به ابن الرومى فى شعره .

أما جواز وقوع التناوب بين واو المد وياء المد فى القافية المقيدة فأمر عجيب حقاً ، ولا ندرى كيف سمح به الشعر العربى ؟ بل أشنع من هذا أن هذه الظاهرة قد كثرت نسبيًّا بين المولدين والمحدثين . فيقول مهيار الديلمى :

ردوا لها أيامها بالغميمْ
إن كان من بعد شقاء نعيمْ
قلوبهم رق لأهل الحمى
حيث النواصى حرة والجسومْ

* *

ويقول العقاد تحت عنوان « حسناءُ عمياءُ » :

قرة العين عزاء
لك فى الكون المنيرْ
إن طرفا يأسر النا
س هو الآن أسيرْ
صدت الشمس ضياها
عنك يا أخت البدورْ

وجاء فى قصيدة شوقى على قبر نابليون وهى القصيدة المؤسسة على ياء المد والتى مطلعها :

قف على كنز بباريس دفينْ
من فريد للمعانى وثمينْ

عدة أبيات فيها واو المد قبل روى القافية المقيدة .

ولكن يبدو أن شوقى حين استلهم قريحته الشعرية وحدها التزم ياء المد فى كل قصيدته لأم المحسنين ومطلعها :

ارفعى الستر وحيّى بالجبينْ
وأرينا فلق الصبح المبينْ
وقفى الهودج فينا ساعة
نقتبس من نور أم المحسنينْ

* * *

وبصدد هذه الظاهرة نجد أن أبا العلاء المعرى وهو الشاعر المكفوف الذى يعتمد على أذنه الموسيقية المرهفة وحدها يقول فى مقدمة ديوانه «لزوم ما لا يلزم» ما نصه : «ولم يفرقوا بين المقيد والمطلق فى مجىء الواو المضموم ما قبلها مع الياء المكسور ما قبلها ... » إلى أن يقول : «وأنا أفرق بين المطلق والمقيد وأعده فى المقيد أشد ، لأن الروى لا يكون بعده ما يعتمد عليه ، أما فى المقيد فهذا عندى أقبح منه إذا استعمل فى الشعر المطلق » !

ونحن إذا أخذنا أفعل التفضيل فى فى الكلمة « أقبح » على بابه ، كان معنى كلام أبى العلاء أن تناوب واو المد وياء المد فى قوافى القصيدة الواحدة قبيح سواء كانت القافية مطلقة أو مقيدة ، غير أنه أقبح مع المقيدة ، وهذه هى التى تشبه القافية الإنجليزية .

ويعزينا عن هذا الذى استنكره أبو العلاء وعده أقبح أن أمثلته فى كل الشعر العربى قديمه وحديثه لا تكاد تجاوز نسبة $\frac{1}{2}$٪

ولا شك أن تناوب واو المد وياء المد فى القافية المقيدة ظاهرة قبيحة من حيث الموسيقى الشعرية ، ولذلك يأباها الشعر الإنجليزى كل الإباء .

وكنا نتوقع ألا ترد لها أمثلة فى الشعر الجاهلى ذلك الذى نظمته آذان مرهفة ، وحرص أصحابه على موسيقيته كل الحرص غير أنا عثرنا على عدة أمثلة من قطع شعرية صغيرة نسبت فى ديوان الحماسة والمفضليات والأصمعيات لشعراء جاهليين .

مثل المقطوعات الآتية :

( ا ) لامرئ القيس :

وجاملٍ خوّع من نيبه
زجرُ المُعلى أُصُلا والمنيحْ

وهى من بحر السريع ، وورد فيها واو المد أيضاً .

(ب) للمرقش الأصغر :

لابنة عجلان بالجو رسومْ
لم يتعفَّين والعهد قديمْ

وهى من مجزوء البسيط .

(ج) لثعلبة بن عمرو :

أأسماءُ لِمْ تسألى عن أبيّك
والقوم قد كان فيهم خطوبْ

وهى من المتقارب ، وورد فيها ياء المد أيضاً .

(د) للخنساء :

دلّ على معروفه وجهه
بورك هذا هاديا من دليلْ

وهى من السريع ، وورد فيها «مايحول» ، « الشليل » .

(هـ) لامرئ القيس :

أبلغ بنى أود فقد أحسنوا
أمس بضرب الهام تحت القنوسْ

وهى من السريع ، وورد فيها «جلوس» ، « القليس » ، « النفيس » .

(و) للمهلهل :

جارت بنو بكر ولم يعدلوا
والمرءُ قد يعرف قصد الطريقْ

وهى من السريع، وورد فيها «الوسوق» ، « بالمطيق » ، « الحقوق »

(ز) للخرنق أخت طرفة :

يارب غيث قد قرى عازب
أجش أحوى فى جماذى مطيرْ

وهى من السريع ، وورد فيها «عثور» « القرور » ، « بالبشير » .

(ح) للمرقش الأصغر :

الزق مُلك لمن كان له
والمُلْك منه طويل وقصيرْ

وهى من مجزوء البسيط ( مستفعلاتْ ) ، وورد فيها « صبور » .

فكيف نفسر وقوع هذا القدر الضئيل جدا فى شعر الجاهليين ؟

كان من رأيي دائما أن المحدثين أكثر تسامحا ، أو إن شئت قلت أكثر جرأة على موسيقى الشعر العربى من القدماء . ولعل فيما يسمى فى الوقت الحالى بالشعر الحر أكبر دليل على هذا الاتجاه وقد عثرت أخيرا على نص لأبى العلاء يؤكد لى هذا الرأى ، إذ يقرر فى مقدمة ديوانه لزوم مالا يلزم أن القدماء كانوا أكثر عناية بموسيقى الشعر من المحدثين الذين أباحوا فيه بعض الرخص ، ثم يوازن بين

شعر لأبى تمام نظم على نسق قصيدة الشنفرى الأزدى التى مطلعها :

أرى أم عمرو أزمعت فاستقلتِ
وما ودعت جيرانها إذْ تولتِ

وقصيدة الأعشى :

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى
وراكُبها يوم اللقاء وقلّتِ

ثم يقول أبو العلاء إن أبا تمام – وهو فى رأى أبى العلاء من المحدثين – لم يلتزم شيئاً قبل التاء .

ونحن مع موافقتنا لقول أبى العلاء نلاحظ أن الشنفرى لم يلتزم اللام قبل التاء فى كل قصيدته التى عدتها ٣٦ بيتاً ، بل وقع فيها ما يقرب من نصفها خلوا من اللام قبل التاء . وكان أولى بأبى العلاء أن يمثل مع قصيدة الأعشى بقصيدة كثير عزة التى مطلعها :

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا
قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّتِ

وما أظن أن أبا العلاء يريد أن قصيدة أبى تمام لم يقع قبل التاء فيها ولا لام واحدة ، فالحقيقة أن عدد هذه القصيدة ٤٤ بيتاً ووقعت اللام قبل التاء فى ١٤ بيتاً منها ، ومطلع هذه القصيدة :هو

نسائلها أى المواطن حلّتِ
وأى ديار أوطنتها وأيّتِ ؟

* *

وفى تفسيرنا لتلك الأمثلة الضئيلة القدر التى وردت فى الشعر الجاهلى من القافية المقيدة وتناوبت فيها واو المد مع ياء المد ، نلاحظ أنها مقطوعات قصيرة وأن كلا منها يتألف من عدد من الأبيات لا يجاوز أصابع اليدين عدا ، وأن معظمها من بحر واحد هو السريع ( خمس من القطع الثمانية ) ، واثنتان من مجزوء البسيط وواحدة من المتقارب ! !

وهنا يخامرنا شك فى صحة هذه الأمثلة ونؤثر أن نعدها مما انتحل فى العصور الإسلامية ، ونسب للجاهليين . وما أظننا الآن نتردد فى قبول تلك القضية التى نادى بها بعض الدارسين قديماً وحديثاً من أن بعض ما روى من الشعر الجاهلى منتحل . وبهذا ننزه شعر القدماء الذى نظم بالسليقة ومع الرعاية التامة لحسن الموسيقى عن أن يكون أدنى مرتبة من الشعر الإنجليزى فى العناية بموسيقى القافية .

**ابراهيم أنيس**

عضو المجمع

# تخريج نصوص أرسطالية في كتاب الحيوان للجاحظ

للدكتور محمد طه الحاجرى

منذ عهد غير قريب كنت أخذت — استكمالا لدرس الجاحظ، وتحقيقا لمصادر معرفته — أتقصى نقوله عن صاحب المنطق، في كتاب الحيوان خاصة، وأحاول أن أتعرف مواضع هذه النقول في كتب أرسطو، وأوردها عنها، كما جاءت في ترجمة سانتيلير لها. وقد أتيح لي من ذلك قدر صالح، منها ماجاء مصدرا بعبارة الجاحظ: « قال صاحب المنطق »، ومنها ماجاء غفلا من ذلك، لسقط أو اضطراب أو ما إليه. وأخذت في وضع نص حيوان الجاحظ بإزاء نظيره في كلام أرسطو، متخذا ذلك أساسا للمقارنة بينهما. وقد أتاحت هذه المقارنة أشياء لها خطرها، منها أنها صححت بعض الأخطاء التي وقعت في النشرة المحققة التي أخرجها الأستاذ الجليل عبدالسلام هارون. وماكان النص الصحيح ليأخذ مكانه لولا هذه الوسيلة، ومنها أنها رجحت بعض القراءات على بعض، فوضعت القراءة المرجوحة مكان القراءة الراجحة. ومنها، فوق ذلك، أنها ألقت بعض الضوء على قراءات النص اليوناني واحتمالاته المختلفة، كما أثبتها المترجم في هوامش ترجمته، ولعلها بذلك يمكن أن ترجح بعضها على بعض.

وكنت نشرت من هذه النصوص طائفة تبلغ الثلاثين، في مجلة كلية الآداب بجامعة الأسكندرية[1]، ثم صرفتني بعض الصوارف عن نشر سائرها، ثم توالت بعض الشواغل التي صرفتني عنها، حتى كدت أنساها، إلى أن فرضت على طبيعة الحياة إلى التفت إلى الوراء أراجع

(١) المجلدان السادس والسابع (١٩٥٢ — ١٩٥٣) والمجلد الثامن (ديسمبر ١٩٥٤).

ماضىّ ، فاذا هذه الدراسة بين يدى ، تدعونى اليها ، لتأخذَ فى الحياة العلمية مكانها .

وانى إذ أستأنف اليوم نشر هذه النصوص أتقدم بصادق الشكر لمجلة مجمع اللغة العربية أن أتاحت لى ولهاهذه الفرصة .

٣١ ـ قال الجاحظ : «قال : ويستبين خلق الفراخ إذا مضت لها ثلاثة أيام بلياليها ، وذلك فى شباب الدجاج ؛ [وأما فى المسان منها فهو أكثر . وفى ذلك الوقت] توجد الصفرة من الناحية العليا من البيضة ، عند الطرف المحدد ، وحيث يكون أول نقرها ، فثم يستبين فى بياض البيضة مثل نقطة من دم ، وهى تختلج [وتتحرك . والفَرخ انما يخلق من البياض ، ويغتذَى الصفرة ، ويتم خلقه لعشرة أيام ، والرأس وحده يكون أكبر من سائر البدن »[1]

ويقع هذا النص من حيوان الجاحظ فى سياق القول فى الحمام . وقد أسند بعض القول فيه إلى من يطلق عليه إسم «صاحب الحمام» ، وإلى «مثنى بن زهير» . كما استطرد فيه من الحديث عن بيض الحمام إلى الحديث عن بيض الدجاج ، دون أن يرد ذكر «صاحب المنطق» فى شئ من ذلك ، مع أن المقارنة دلت على أن من الأقوال التى أوردها ماهو مأخوذ عن أرسطو ، كما نرى ذلك فى النصوص السبعة السابقة[2] على هذا النص الذى تتصدره أيضا كلمة : «قال» مرسلة دون تعيين صاحب القول ، وهو صاحب المنطق ، الذى تقع هذه الجملة من كلامه فى أعقاب النص السابق ، فى أول الفصل الثالث من الكتاب السادس ، وفى أثنائه ، بعد مقدمة فى أن جميع الطير يتولد من البيض ، فى مدة تختلف باختلاف أنواعه . وذلك إذ يقول :

«وفى الدجاج يكفى ثلاثة أيام وثلاث ليال ليبدأ الفرخ فى الاستبانة ، فأما الطيور الكبرى فيلزمها أكثر من ذلك ، كما يلزم الصغرى أقل . وفى تلك الفترة تصعد الصفرة شيئا فشيئا إلى أعلى

(١) ٣ : ١٧٧ — ١٧٨

(٢) انظر مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد الثامن ، ص ٨٢ — ٩٠

البيضة ، وهو طرفها المحدد ، حيث مبدأ البيضة ، وحيث تنكسر . وفى البياض يوجد شئ كنقطة من دم ، وهى القلب . وهذه النقطة تخفق وتضطرب ، لأنها حية »

وبعد أن يتكلم فى شئ من التفصيل عن خلق الفرخ ، يقول : «ويخرج الفرخ من البياض ، وغذاؤه من الصفرة من خلال السرة ، وفى عشرة أيام يتم خلق الفرخ ، ويتميز تماما بأعضائه التى يتكون منها جميعها ، ولايزال رأسه أكبر من سائر جسده[1] »

وبين النصين من الخلاف مايرجع إلى اختلاف الفهم ، كما فى عبارة النص الجاحظى : «وذلك فى شباب الدجاج ، وأما فى المسان منها فهو أكثر » ، وليس الأمر فى النص الآخر خاصا بالدجاج ، وإنما هو فى الطير عامة . كما أن من الخلاف مايرجع إلى النساخ وتصرفهم فى النص ، كما فى قوله : «فثم يستبين فى بياض البيضة مثل نقطة من دم » ، فهناك نسخة أخرى من الحيوان لم يرض الناشر قراءتها فى هذا الموضع فلم يأخذ بها ، تجعل الكلام فى هذه الجملة عن القلب : « والقلب يستبين فى بياض البيضة مثل نقطة من دم ، وبذلك تتفق تماما مع النص الآخر .

على أنه — إلى جانب مافى النصين من خلاف — يوجد شئ من الاتفاق الدقيق فى بعض المواضع . فالتعبير عن النقطة الدموية بأنها تختلج وتتحرك يبدو لأول وهلة كأنه شئ من الفضول أن يورد الفعلان معا فى النص الجاحظى ، ومعناهما واحد . ولكننا نجد الأمر كذلك فى الترجمة الفرنسية : "Ce point bat et s'agite" » ، كما نجد مثل ذلك فى ترجمة دارسى ونتورث طومسون الانجليزية ويصرح سانتلير فى التعليق على هذا الموضع أن الكلمتين موجودتان فى النص اليونانى . فليس الأمر إذن فى مثل أمر شرح أو فضول أو تزيد فى التعبير ، وانما هو أمر دقة وتحر للحرفية .

٣٢ — قال الجاحظ : «وقال صاحب المنطق : وقد باضت فيما مضى دجاجة ثمانى عشرة بيضة ، لكل بيضة محتان ،

---

(١) v. II, p. 268-270

ثم سخنت وحضنت ، فخرج من كل بيضة فروجان ، ماخلا البيض الذى كان فاسدا فى الأصل . وقد يخرج من البيضة فروجان ، ويكون أحدهما أعظم جثة »[(١)]

ونظير هذا النص عند أرسطو يقع فى آخر الفصل الثالث من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان . وذلك إذ يقول ، بعد أن ذكر أنه قد شوهد من الدجاج ما لا يبيض إلا بيضا مزدوجا ، أى له محتان :

« وقد باضت دجاجة ثمانى عشرة بيضة ، وخرج من كل بيضة فروجان ، ماعدا بيض الذنب أو بيض البول les oeufs de queue ou d'urine أما الباقى فكان جميعه مخصبا . وإذا كان أحد الفرخين أكبر جثة جاء الآخر أصغر ، ويكون الفرخ الأخير مشوها »[(٢)]

ولعل أول مايلفت النظر فى هذا النص هو عبارة « بيض الذنب أو بيض البول » التى يقابلها فى النص الجاحظى الذى كان فاسدا فى الأصل » ، فالترجمة الفرنسية تبدو غامضة غير مفهومة ، ومن هنا لاتظهر لنا العلاقة بينها وبين الترجمة العربية .

على أن مما يجدر ذكره هنا مماجاء فى تعليقات سانتيلير ، مما قد يكون له دلالته ، أن هذا النص قد عانى فى غير موضع منه غموضا واضطرابا دعيا إلى إدخال بعض التصحيحات عليه ، كما فعل جسنر gessner . كما حملا سانتيلير على التردد فى ترجمة بعض الكلمات ، وهى : أحد الفرخين ، أو أحد الصفرتين .

ويتصل بالنص العربى هذه الفقرة ، كأنها تكملة له : « وكذلك الحمام . وما أقل مايغادر الحمام أن يكون أحد الفرخين ذكراً والآخر أنثى » ، ولانظير لها عند أرسطو ، فهل سقطت من كلامه ، أم هى من كلام الجاحظ وصلها بكلام أرسطو ؟

٣٣ ـ قال الجاحظ : « قال : وربما باضت الحمامة وأشباهها من الفواخت ثلاث بيضات ، فاما الاطرغلات والفواخت فانها تبيض بيضين ، وربما باضت ثلاث بيضات ، ولكن لايخرج منها أكثر من فرخين ، وربما كان واحدا فقط . قال : وبعض الطير لا يبيض الا بعد

(١) ٣ : ١٧٨

(٢) v. II, p. 276-277

مرور الحول عليه كملا. والحمامة فى إكثر أمرها يكون أحد فرخيها ذكرا والآخرأنثى ، وهى تبيض أولا البيضة التى فيها الذكر ، ثم تقيم يوما وليلة ، ثم تبيض الأخرى . وتمضى ما بين السبعة عشر يوما إلى العشرين ، على قدر اختلاف طباع الزمان والذى يعرض لها من العلل . والحمامة أبرّ بالبيض والحمام أبرّ بالفراخ[1] »

وهذا النص يقع ، منثورا ، فى الفصل الرابع من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان لأرسطو . ولا أدرى أكذلك كان بوصفه هذا فى الأصل الذى نقل الجاحظ عنه ، أم أن الجاحظ كان يتخير : يأخذ جملة من هنا وجملة من هنا ، أم أن مانقله أبو عثمان قدعرض له من البتر ماجعله على هذه الصورة ؟

ومهما يكن من أمر فها هو ذا مايقابل هذا النص فى ذلك الموضع من كتاب أرسطو :

«وجميع الطير من جنس الحمام كالفواخت le ramier والاطرغلات la tourterelle تبيض عادة بيضتين ، وأكثر مايمكن أن تبيض الاطرغلات والفواخت ثلاث ... ولكنها لا تربى أكثر من فرخين ، بل لا تربى أكثر من فرخ واحد فى بعض الأحيان .... ومعظم الطير لا يبيض فى عامه الأول... والحمام يبيض عادة ذكرا وأنثى ، وتكون بيضة الذكر غالبا قبل الأخرى ، وبعد تستريح فترة يوم ، ثم تبيض الأخرى... وتبلغ البيضة التى بيضت أولا نضجها ثم تفقس فى عشرين يوما .... والأنثى أسوأ من الذكر خلقا أثناء تربيتها بصغارها[2] »

وبين النصين بعض الخلافات الطفيفة التى لانريد أن نقف عندها ، التماسا لتعليلها ، كتحديد مدة الحضن فى النص الارسطالى بعشرين ، وتفاوتها بين العشرين والسبعة عشر فى النص الجاحظى وكالخلاف فى التعبير عن موقف أنثى الحمام وذكرها من الفراخ ، فالأول يكتفى بالقول بان الانثى أسوأ خلقاً من الذكر أثناء تربيتها لصغارها ، فى حين يأخذ الآخر بمفهوم ذلك ، فيجعل الأمر

---

(١) ٣ : ١٧٨ – ١٧٩

(٢) v. II, p. 277-279

قسمة بين الذكر والأنثى ، فالذكر أبرّ بالفراخ ، والأنثى أبرّ بالبيض

٣٤ـ قال الجاحظ : «قال : وأما جميع أجناس الطير مما يأكل اللحم ، فلم يظهر لنا أنه يبيض ويفرخ أكثر من مرة واحدة ، ماخلا الخطاف فانه يبيض مرتين [(١)] »

ويقع هذا النص عند أرسطو فى الفصل الخامس من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان ، حيث عقد الكلام عن العقاب. قال :

« والطيور الأخرى آكلة اللحم لاتبيض أكثر من مرة واحدة فى العام ، قدرما يمكن أن يرى . والخطاف l'hirondèlle وحده بين آكلة اللحم هو الذى يبيض بيضتين فى السنة [(٢)] »

والنصان يتفقان ، كما نرى ، اتفاقا تاما ، فليس لنا غير ذلك من تعليق عليهما .

٣٥ـ قال الجاحظ : «وقالوا : وأما الفرخ الذى يخرجه العقاب ، فان المكلفة ، وهى طائر يقال لها كاسر العظام ، تقبله وتربيه . والعقاب تحضن ثلاثين يوما ، وكذلك كل طائر عظيم ، مثل الأوز وأشباه ذلك . فأما الوسط فهو يحضن عشرين يوما ، مثل الحدأة ، ومثل أصناف البزاة ، كالبواشق واليآيىء والحدأة تبيض بيضتين ، وربما باضت ثلاث بيضات ، وخرج منهن ثلاثة أفراخ . قالوا : وأما العقبان السود الالوان فانها تربى وتحضن . وجميع الطير المعقف المخالب تطرد فراخها من أعشاشها عند قوتها على الطيران ، وكذلك سائر الأصناف من الطير ، فانها تطرد الفراخ ثم لا تعرفها ، ماعدا الغداف ، فانها لاتزال لولدها قابلة ، ولحاله متفقدة [(٣)] »

وهذا النص أرسطالى خالص صريح ، وان صدر بكلمة : « وقالوا » فانما حقها أن تكون : «وقال صاحب المنطق ، كما يبدو من مقارنته بهذا النص من تاريخ الحيوان ، فى الفصل الخامس من الكتاب السادس . قال :

« والنسر (l'effraie) يقبل (resçoit) فرخ العقاب الذى

(١) ٣ : ١٧٩
(٢) v. II, p. 281
(٣) ٣ : ١٨٠ – ١٨١

الذى طرد ويغذوه . والعقاب يحضن ثلاثين يوما تقريبا ، وهذه هى مدة الحضانة عند الطيور العظام ، مثل الأوز والحبارى ( l' outorde ) ، وأما الطير المتوسطة الجثة فقلّ أن تحضن غير عشرين يوما ، مثل الحدأة والبازى . والحدأة لاتبيض فى أغلب الأحوال غير بيضتين ، ومع ذلك ففى بعض الأحيان يبلغ صغارها ثلاثة ... والعقبان السود ، على العكس من ذلك ، تغذو صغارها باهتمام كبير . ومهما يكن من أمر ، فانه يمكن القول بأن جميع الطيور ذوات المخالب المعقوفة تطرد صغارها وتضربها منذ تصبح قادرة على الطيران . ونكرر القول بأن جميع الطير الأخرى شأنها ذلك تقريبا ، أو على الأقل لاتولى صغارها أدنى عناية بعد أن تغذوها بعض الوقت . ويجب أن نستثنى من ذلك الغداف الذى لايزال معينا بها زمنا ، وحين تطير يغذوها ويطير بجانبها[1]

وهكذا نرى أن النص العربى يساير النص الآخر مسايرة دقيقة ، الا فى أشياء لاوزن لها ، كوضعه عبارة « وما أشبه ذلك » موضع كلمة « الحبارى » ، وكالتمثيل لأصناف البزاة بالبواشق والياّبىء ، ولانظير لهما فى نص أرسطو الذى ترجمه سانتيليلر . على أن احدى مخطوطات الحيوان قد أغفلتهما. فاذا نحن لم نقف عند حد النسخة التى اعتمدها ناشر الحيوان فى هذا الموضع ، واعتبرنا تلك النسخة الأخرى ، وهى مخطوطة كبريلى ، أمثل النسخ وأجدرها بالثقة ، فان الاتفاق بين النصين يكاد يكون تاما. وقد أشرنا فى موضع سابق إلى أن هذه المخطوطة وضعت فى هذا النص ، فى موضع كلمة « كاسر العظام » كلمة « فينا » ، وهى بعينها الكلمة اليونانية Phéné المستعملة فى هذا الموضع[2]

٣٦ – قال الجاحظ : « (قال : وقالوا : فراخ البزاة سمينة طيبة جدا). وأما الأوزة فانها التى تحضن دون الذكر ، وأما الغربان فعلى الاناث الحضن ، والذكورة تأتى الاناث بالطعمة ، وأما الحجل ، فان الزوج منها يهيئان للبيض

(١) v. II, p. 283-284

(٢) انظر مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد السادس والسابع ، ص ٢٠ – ٢١

عشين وثيقين مقسومين عليهما ، فيحضن أحدهما الذكر ، والآخر الأنثى ؛ وكذلك هما فى التربية . وكل واحدمنهما يعيش خمسا وعشرين سنة . ولا تلقح الأنثى بالبيض ، ولا يلقح الذكر إلا بعد ثلاث سنين[١] »

وهذا النص – كما نرى – مضطرب فى مبدئه وفى آخره . وانما أوردناه بصورته هذه ليكون مقالا لماعاناه كتاب الحيوان من اضطراب وماداخله من خلط . فصدر هذا النص ناب فى موضعه ، منقطع الصلة بما قبله ومابعده . وظاهران عبارة : «وقالوا فراخ البزاة سمينة طيبةجدا » مقحمةفى غير موضعها ، وأكبر الظن انها كانت مما جرى به قلم أحد القراء على هامش إحدى النسخ ، عند الكلام على البزاة وحضنها ، فجاء بعد ذلك أحد النساخ فأدخلها فى هذا الموضع . وكذلك الأمر فى آخر هذا النص ، ففيه من الخلط مانستطيع أن نتبينه من المقارنة بينه وبين نظيره فى كلام أرسطو ، كما جاء فى الفصل الثامن من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان . قال :

«واناث الأوز هى التى تحضن وحدها ... وإناث الغربان هى التى عليها وحدها أن تحضن ، فلاتدع أن تكون على البيض لحظة واحدة ، والذكورة تحمل اليها ماتطعمه ... والحجلان تكوّم بيضها كومتين ، فتقوم الأنثى على احداهما ، ويقوم الذكر على الأخرى . وبعض الفقس يربى كل منهما ماحضنه خاصة[٢] »

ثم يتحدث بعدذلك قليلا عن سفاد الحجل ، وبهذا ينتهى الفصل الخاص به ، ليبدأ فصل جديد عن الطاووس ، دون أن نرى أثرا لهذه الجملة التى جاءت فى آخر النص العربى ، «وكل منهما يعيش خمسا وعشرين سنة .. الخ » ولكنا سنجدها فى الفصل التالى ، عن الطاووس ، وقد اقتبس منه الجاحظ ، عقب كلامه عن الحجل مباشرة .

٣٧ – قال الجاحظ : « قال : وأما الطاووس فأول ماتبيض فانها تبيض ثمانى بيضات ، وتبيض أيضا بيض الريح . والطاووس يلقى ريشه فى زمن الخريف ، إذا بدأ أول ورق الشجر يسقط . وإذا

(١) ٣ : ١٨٢ – ١٨٣

(٢) v. II. p. 287-288

بدأ الشجر يكتسى ورقا ، بدأ الطاووس فاكتسى ريشا [(١)] »

ويقع هذا القول – كما قلنا فى الفقرة السابقة – فى الفصل التالى ، وهو الفصل التاسع من الكتاب السادس . ويبدأ هذا الفصل بالكلام عن مدة حياة الطاووس ، فيقول : « الطاووس يعيش إلى خمس وعشرين سنة تقريبا ، ويلقح ، عامة ، فى الثالثة من عمره » . ثم يقول :

« وأنثى الطاووس التى تبيض للمرة الأولى قلما تبيض غير ثمان بيضات ، وتبيض أيضا بيضا رائقا (Oeufs-clairs)

. . . ويلقى الطاووس ريشه مع سقوط أول أوراق الشجر التى تسقط ، ثم يأخذ فى استرداد ريشه حين تسترد الأشجار أيضا خضرتها [(٢)] »

ومن هذا نرى أن العبارة التى جعلت فى آخر الكلام عن الحجل فى النص العربى ، إنما هى من جملة الكلام عن الطاووس ، أخطأت موضعها وزحلت عنه ، فأدمجت فيما قبلها ، ووهب عمر الطاووس ، وهو خمس وعشرون عاما للحجل ، وقد قال أرسطو فى موضع آخر أنه ستة عشر عاما أو فوقها [(٣)]

أما وضع كلمة بيض الريح فى النص الجاحظى للتعبير عن البيض الرائق ، فقد عرضنا له فى موضع له سابق [(٤)] .

٣٨ – قال الجاحظ : « قال : وما كان من الطير الثقيل الجثة فليس يهيئ لبيضه عشا ، من أجل أنه لا يجيد الطيران ، ويثقل عليه النهوض ، ولا يتحلق مثل الدراج والقبج ، وإنما يبيض على التراب [(٥)] »

وهذا المعنى نجده عند أرسطو فى الفصل الأول من الكتاب السادس من تاريخ الحيوان ، إذ يقول :

« والطيور تبيض بصفة عامة فى أعشاش ، ولكن التى لاتطير كثيرا لاتعمل أعشاشا ، مثل الحجل والقبج les perdrix et les cailles التى تبيض على الأرض ، وتغطى بيضها ببعض الأغصان [(٦)] »

---

(١) ٢ : ١٨٣ (٢) II, V. II, p. 289-290 (٣) V. II, p. 280

(٤) مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية . المجلد الثامن ص ٨٦ – ٨٧

(٥) ٢ : ١٨٤ (٦) V. II, p. 266

وبين النصين ، وإن كانا يتفقان فى المعنى العام ، شيئ من التفاوت ، فى النص العربى إسهاب فى التعبير عن العجز عن الطيران ، بما هو شبيه بأسلوب الجاحظ . وفيه أيضا وضعت أيضا كلمة الدراج فى مقابل ماترجم قبل بالحجل perdrix

٣٩ ـ قال الجاحظ : «قال : وإذا دنا الصياد من عش القبجة ، ولها فراخ ، مرت بين يديه مرا غير مفيت ، وأطمعته فى نفسها ليتبعها ، فتمر الفراخ فى رجوعها إلى موضع عشها . والفراخ ليس معها من الهداية مامع أمها . وعلى أن القبجة سيئة الدلالة والهداية ، وكذلك كل طائر يعجل له الكيس والكسوة ، ويعجل له الكسب فى صغره . وهذا إنما اعتراها لقرابة مابينها وبين الديك

قال : فاذا أمعن الصائد خلفها وقد خرجت الفراخ من موضعها ، طارت وقد نحته إلى حيث لا يهتدى الرجوع منه إلى موضع عشها . فإذا سقطت قريبا دعتها بأصوات لها ، حتى يجتمعن إليها .

قال : وإناث القبج تبيض خمس عشرة بيضة إلى ست عشرة بيضة .

قال : والقبج طير منكر ، وهى تفر ببيضها من الذكر ، لأن الأنثى تشتغل بالحضن عن طاعة الذكر فى طلب السفاد . والقبج الذكر يوصف بالقوة على السفاد، كما يوصف الديك والحجل والعصفور

قال : فإذا شغلت عنه بالحضن ، طلب مواضع بيضها حتى يفسده . فلذلك ترتاد الأنثى عشها فى مخابئ ، إذا أحست بوقف البيض . وإذا قاتل بعض ذكورة القبج بعضا فالمغلوب منها مسفود ، والغالب سافد . وهذا العرض يعرض للديكة ولذكور الدراريج ، فإذا دخل بين الديكة ديك غريب ، فما أكثر ماتجتمع عليه حتى تسفده [1] »

ونستطيع أن نجدما يناظر هذا النص فى الفصل التاسع من الكتاب التاسع من تاريخ الحيوان ، فى الحديث عما ترجم أولا بالحجل ، ثم ترجم ثانيا ، كما رأينا فى النص السابق ، بالدراج ، وماترجم فى هذا النص بالقبج ، وهو مايسمى بالفرنسية ، كما يذكره سانتيلير ،

(١) ٣ : ١٨٤ — ١٨٦

perdrix . وأكبر الظن أن هذا النوع من الخلط يرجع إلى سوء صنيع النساخ ، إذ يبعد عندنا أن يقع من مترجم واحد قال :

« وإذا وقع الصائد على العش استدارت الحجلة la perdrix ، لتنجو بنفسها ، كما لوكانت ستدعه يمسكها ، ثم تطمعه فى إمساكها ، فتجتذبه إليها ، فتتيح لصغارها الوقت ليهربوا . وبعد هذا التدبير تطير وتدعو الصغار إليها . والحجلة لا تبيض أقل من عشر بيضات ، وأحيانا تبيض إلى ستة عشربيضة . والحجلة ، كما قيل طير خبيث ماكر.... وإذ كانت الذكورة شديدة الغلمة ، فإنها ، لكى تمنع الأنثى من الحضن ، تبعثر البيض وتكسره حيث تجده ، والأنثى تدافع قدر ما تستطيع عنه ، تخلص بنفسها لتبيض فى مكان آخر . وكثيرا مايحدث ، حين يعجلها البيض ، أن تضع بيضها حيثما اتفق ، بشرط أن يكون الذكر غير مطيق . ومن أجل أن تنقذه جملة واحدة ، فإنها لاتعود إليه... وإذا تقابلت الذكورة ، فالذكر المنهزم يتبع غالبه ، ولا يدع لغيره أن يسمه ، وإذا هزم الذكر وسمه الثانى ، أو أى واحد آخر فى خفية عن الغالب . . . ومثل هذا يحدث عند القبج les cailles ، كما يلاحظ هذا أحيانا عند الديكة . وفى المعابد التى تربى فيها الديكة بدون إناثها ، تتتابع جميعا على وسم القادم الجديد (١) .

وبين النصين – كما نرى – تفاوت واضح ، وإن اتفقا فى الجملة . فبينما نرى النص الجاحظى يتبسط أحيانا بالشرح والتنظير نراه يتجاوز عن بعض التفصيلات التى وردت فى النص الآخر ولا يعنينا الآن التماس مرجع هـذا التجاوز . أما البسطة فى النص الجاحظى فربما كانت ترجع – فيما يخيل الينا – إلى أنه قد داخل كلام أرسطو بعض التعليقات التى أقحمها الجاحظ عليه ، وفصل بها بين أجزائه ، كقوله ، فى سياق ذلك النص ، فيما نحسب : «والفراخ ليس معها من الهداية مامع أمها ... » إلى قوله : «وهذا إنما اعتراها لقرابة مابينهما وبين الديك .

---

(٢) V. III, p. 166-168

كما نحسب أن شيئا من هذا التفاوت يرجع إلى غموض النص اليوناني فى بعض مواضعه . فوسم الذكر الغالب للذكر المغلوب أو حزه شئ يعترف سانتيلير بأنه غير مفهوم . ولكنه يقول أن النص لايعطى غير هذا المعنى ، والمخطوطات لاتقدم أى قراءة أخرى . أما المترجم العربى فقد فهمه على أن المراد به السفاد ، وجاء المعنى على هذا واضحا .

أما المعابد التى تربى فيها الديكة المقدسة ، فأكبر الظن أن المترجم العربى لم يكن ليستطيع إدراك المراد بها ، لذلك أغفل ذكرها ، وعبر عن المعنى بعبارة عامة .

٤٠ ــ قال الجاحظ : «زعم صاحب المنطق أن البزاة عشرة أجناس ؛ فمنها مايضرب الحمامة والحمامة جاثمة ، ومنها مالا يضرب الحمام إلا وهو يطير ، ومنها مالا يضرب الحمام فى حال طيرانه ، ولا فى حال جثومه ، ولا يعرض له إلا أن يجده فى بعض الأغصان ، أو على بعض الأنشاز والأشجار . فعدد أجناس صيدها . ثم ذكر أن الحمام لا يخفى عليه فى أول ما يرى البازى فى الهواء : أى البزاة هو وأى نوع صيده ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمام بذلك من البازى أشكال : أول ذلك أن الحمام فى أول نهوضه يفصل بين النسر والعقاب ، وبين الرخمة والبازى ، وبين الغراب والصقر ، فهو يرى الكركى والطيرزين ولا يستوحش منهما ، ويرى الزرق فيتضاءل ، فان رأى الشاهين فقد رأى السم الذعاف الناقع »[1]

وهذا النص الذى يبدو أن الجاحظ أورد فيه كلام أرسطو بمعناه ، وعبر عنه بعبارته هو ، يقع فى الفصل الرابع والعشرين من الكتاب التاسع ، من تاريخ الحيوان حيث يقول :

«يقال أنه يوجد عشرة أجناس من البزاة على الأقل ، تمثل الفروق الكبرى بينها ، فبعضها ينقض على الحمام وهو على الأرض ، ويحتمله ، ولايمسه وهو يطير ؛ وبعضها يطارد الحمام وهو متشبث بشجرة أو أى شئ آخر ، ولكنه لايمسكه وهو على الأرض ، ولا حين يكون متشبثا ؛ وبعضها لايهاجمه وهو على الأرض ولا حين يكون متشبثا ، بل لايحاول

(١) ٣ : ١٨٧

إمساكه الا وهو يطير . ويؤكدون أن الحمام تستطيع معرفة هــذه الأنواع المختلفة من البزاة ، حين يطير البازى نحوها ؛ فإذا كان من البزاة التى لاتصطاد إلا فى الهواء ، فانها لا تترك مكانها الذى هى فيه ، ولكن إذا كان البازى الذى ينقض فوقها من البزاة التى تضرب على الأرض ، فإنها لاتنتظره ، بل تسارع بالطيران[1] .

وظاهر أن الجاحظ لخص فى هذا النص شيئا وأشار إلى شئ . ولكن فيه زيادة لانجدها فى النص الآخر ، وذلك قوله : « ولمعرفة الحمام بذلك من البازى أشكال » إلى آخر النص ، فهل هى زيادة سقطت من النص الآخر ، إذ لم توجد فى المخطوطات التى ترجم عنها فى أوربا ؟ أم هى زيادة غير أرسططالية ، وقد أوردها الجاحظ عن مصدر آخر من مصادره الكثيرة لكتاب الحيوان ؟ ذلك ما لا يمكن القطع به الآن فيما يبدو .

٤١ ـ قال الجاحظ : « وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عام : لابد لجميع الحيوان من دم ، أو من شئ يشاكل الدم[2] .

وقد كرر الجاحظ هذا النقل فى موضع آخر ، فقال : « وأما صاحب المنطق فإنه قال باضطرار أنه لايعيش حيوان إلا وفيه دم أو شئ يشاكل الدم[3] » .

وقد جاء هذا القول فى الفصل الثانى من الكتاب الثانى ، من أعضاء الحيوان إذ يقول :

« دعامة الحيوان منه ماله دم ، ومنه سائل يشبه الدم ، يحل محله »[4] .

٤٢ ـ قال الجاحظ : « وقد قال صاحب المنطق وزعم فى كتاب الحيوان أن لكل طائر يعشش شكلا يتخذ عشه منه ، فيختلف ذلك على قدر اختلاف المواضع ، وعلى قدر اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أن الهدهد من بينها يطلب الزبل ، حتى إذا وجده نقل منه ، كما تنقل الأرضة من التراب ، ويبنى منه بيتا كما تبنى الأرضة ، ويضع جزءا على جزء ، فاذا طال مكثه فى ذلك البيت ،

---

(١) V.III, p. 212-213 (٢) ٣ : ٣٦٩ (٣) ٦ : ١٢٩

(٤) Traité des parties des animaux . . . V. I, p 83

وفيه أيضا ولد ، أو فى مثله ، وتربى ريشه وبدنه بتلك الرائحة ، فأخلق به أيضا أن يورث ابنه النتن الذى علقه ، كما أورث جده أباه ، و كما أورثه أبوه . قال : ولذلك يكون منتنا[1] »

ولم نجد نظير هذا النص ، بهذه الصورة فيما بين يدينا من حيوان أرسطو ، ولم نجد هذه المعانى ، بهذا الوضع ، لديه . وإن يكن أرسطو تكلم عن الأعشاش فى غير موضع ، وعن اختلافها باختلاف أصحابها ، كما تكلم عن الهدهد وعشه خاصة ، وذكر أصل القول هنا فيه ، أما ماعدا ذلك من تفصيلات وصور فلم يقع لنا منها شئ فيما أتيح لنا ، فإما أن يكون ذلك قد كان فى حيوان أرسطو الذى نقلت نسخته إلى العربية ، ثم سقط وضاع ، وإما أن يكون شيئا أقحم عليه ، أقحمه المترجم ، أو أقحمه الجاحظ نفسه . وكل ذلك جائز محتمل فيما نحن فيه .

وهذا هو نص كلام أرسطو عن عش الهدهد ، كما جاء فى الفصل السادس عشر من الكتاب التاسع من تاريخ الحيوان :

« والهدهد يصنع عشه كله تقريبا من زبل الإنسان[2] »

٤٣ ـ قال الجاحظ : « وذكر صاحب المنطق أن الطير الكبير ، الذى يسمى باليونانية : أغتيولس ، يحكم عشه ويتقنه ويجعله مستديرا مداخلا كأنه كرة معمولة . وروى أنهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدار صينى من موضعه ، فيفرش به عشه ؛ ولايعشش إلا فى أعالى الشجر المرتفعة المواضع . قال : وربما عمد الناس إلى سهام يشدون عليها رصاصا ، ثم يرمون بها أعشتها ، فيسقط عليهم الدارصينى ،فيلتقطونه ويأخذونه[3] »

ويقع نظير هذا النص فى آخر الفصل الرابع عشر من كتاب التاسع ، من تاريخ الحيوان ، إذ يقول أرسطو :

« ويؤكد أهل البلاد أن الطائر المسمى سيناموم le cinnamome يجلب أيضا من حيث لا يعرف أحد المادة المسماة

(١) ٣ : ٥١٣ ـ ٥١٤

(٢) V. III, p. 185

(٣) ٣ : ٥١٥

بهذا الاسم ، ويصنع منها عشه ، وهو يجعله فوق الأشجار وفى أعلا الأغصان . والأهالى يسقطون هذا العش بضربه بالسهام المشدود إليها الرصاص ،فيجمعون ماجلبه هذا الطائر من الدار صينى »[1] .

وبين النصين — كما نرى — بعض الفروق ، وإن كان أصل المعنى واحدا ، وجملة الصورة متفقة فيهما .

ولعل أول مايلفت النظر ويثير التساؤل من وجوه الخلاف هو الخلاف فى اسم ذلك الطائر ، إذ يجعله النص الجاحظى «أغتيولس» ، ويجعله النص الآخر «سيناموم» . فهل يرجع هذا الخلاف إلى أن الاسم ، كما جاء فى النص الأول ، تعرض للتحريف الذى حوله من «سيناموم» إلى «اغتيولس» ؟ ذلك فرض بعيد ، إذ لا تكاد الكلمتان تلتقيان بوجه من الوجوه فى الصورة الخطية ، إلا أن تكون الكلمة الأولى قد مرت فى مراحل مختلفة من التحريفات والتصحيفات انتهت بها إلى أن فقدت كل صلة بصورتها الأولى .

أم أن الاسم الذى جاء به النص الجاحظى أو مايشبهه ضاع أو انبهم فى الأصول اليونانية المخطوطة التى كانت مادة الترجمة الأوربية ، وبذلك أطلق على الطائر اسم النبات الذى يصنع منه عشه ؟

أم أنه — قبل الاسترسال فى الفروض — لابد من الرجوع إلى الأصول اليونانية ، فلعلها تحتفظ بهذا الاسم أو مايشبهه ؟

ولعل من تمام القول فى هذا النص أن نذكر ماعلق به الجاحظ عليه ، وذلك إذ يقول :

«ولست أدفع خبر صاحب المنطق عن صاحب الدار صينى ، وإن كنت لا أعرف الوجه فى أن طائرا ينهض من وكره فى الجبال ، أو بفارس ، أو باليمن ، فيؤم ويعمد نحو بلاد الدارصينى ، وهو لم يجاور موضعه ولا قرب منه . وليس يخلو هذا الطائر من أن يكون من الأوابد أو من القواطع ، وإن كان من القواطع فكيف يقطع الصحصحان الأملس ، وبطون الأودية ، وأهضام الجبال ،

---

(١) V. III, p. 182

بالتدويم فى الأجواء، وبالمضى على السمت، لطلب مالم يره ولم يشمه ولم يذقه. وأخرى فإنه لايجلب منه بمنقاره ورجليه مايصير فراشا له ومهادا، إلا بالاختلاف الطويل. وبعد فإنه ليس بالوطىء الوثير، ولا هو له بطعام. فأنا وإن كنت لاأعرف العلة بعينها، فلست أنكر الأمور من هذه الجهة، فأذكرهذا »[١].

وقبل أن ندع هذا النص نقول إن الترجمة العربية التى وضعت كلمة «الدار صينى» بإزاء كلمة « cinnamome » قد فصلت فى حيرة سانتيلير حين قال فى تعليقه على هذه الكلمة: إنه لايدرى، على وجه الدقة، ماذا كان القدماء يعنون بها: أهو المر ( myrhe ) أم هى القرفة ( Cannelle )

٤٤ ـ قال الجاحظ: «وقدزعم صاحب المنطق أن ذوات الأربع كلها تحيض، على اختلاف فى القلة والكثرة، والزمان، والحمرة والصفرة، والرقة والغلظ »[٢].

٤٥ ـ قال الجاحظ: «وقد زعم صاحب المنطق أن الكلاب السلوقية كلما دخلت فى السن كان أقوى لها على المعاظلة »[٣].

وقد سبق للجاحظ أن ذكر هذا المعنى، حاكيا له عن أرسطو، فى سياق فصل طويل خاص بالكلاب، نقله عنه، ونص عبارته هناك:

«ويعرض للكلاب السلوقية عرض خاص، وهى أنها كلما بقيت كانت أقوى على السفاد »[٤].

ونظيرها فى كلام أرسطو قوله: «وللكلاب اللقونية خاصية تمتاز بها، وهى أنها كلما تعبت كانت أقوى على السفاد من التى لم تتعب ».

وقد لاحظنا أن فى عبارة أرسطو ـ كما أوردها الجاحظ ـ تحريفين: أولهما فى كلمة «السلوقية »، فينبغى أن تكون محرفة عن « اللقونية »، والآخر فى كلمة «بقيت »، فينبغى أن تكون محرفة عن «تعبت »[٥].

(١) ٣ : ٥١٧ ـ ٥١٨
(٢) ٣ : ٥٢٩ ـ ٥٣٠
(٣) ٣ : ٥٣٣
(٤) ٢ : ٢٢٢
(٥) مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، المجلد الثامن، ص ٧٧

وهنا نستطيع أن نقول إن هذا التحريف الأخير ليس تحريفا فى نسخ حيوان الجاحظ التى بلغتنا ، وإنما كان تحريفا فى نسخة حيوان أرسطو التى كانت بين يدى الجاحظ ينقل عنها ، بدليل أنه ، حين روى هنا بالمعنى ماكان أورده قبل نصا ، قال : « كلما دخلت فى السن » بدلا من قوله : « كلما بقيت » ومن ذلك كان تعليقه على كلام أرسطو بقوله :

« وهذا غريب جدا . وقد علمنا أن الغلام أحدّ مايكون وأشبق وأنكح وأحرص عند أول بلوغه ، ثم لايزال كذلك حتى يقطعه الكبر ، أو إصفاد ، أو تعرض له آفة » .

**محمد طه الحاجرى**

# سجع القرآن فريد

للدكتور أحمد الحوفي

في البحث السابق[*] عرضت بعض خصائص السجع القرآني ، وهذا طرف آخر من تلك الخصائص .

٤ – قد يتداخل في القرينتين سجع آخر غير سجعهما ، فيتضاعف نغم التعبير ، وتعلو موسيقاه ، ويعظم في السمع وقعه ، ويعمق في النفس أثره ، كقوله سبحانه وتعالى : « ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال قد أجيبت دعوتكما ، فاستقيما ، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون »[١] .

فهاهنا سجع داخلي بين أموالهم وقلوبهم .

ومثل قوله سبحانه : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ، وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا »[٢] .

وهنا سجع داخلي بين مترفيها وفيها .

ومثل قوله تعالى : « وما تفرقوا إلا من من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم ، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب . فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا ، وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير »[٣] .

فالسجع الداخلي واضح في الآيتين .

٥ – ولقد ترد الفاصلة مسبوقة بلفظ يمهد لها ويكاد يعينها ، سواء أكان هذا اللفظ الممهد في أول الآية مثل قوله تعالى :

(*) نشر بالجزء السابق من المجلة (٢٨) .

(١) سورة يونس ٨٨ – ٨٩

(٢) سورة الإسراء ١٦ – ١٧

(٣) سورة الشورى ١٤ – ١٥

« ولقد فتنّا سليمان ، وألقينا على كرسيه جسدا ، ثم أناب . قال رب اغفر لى ، وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب »(1) ، أم كان فى صدر الآية نحو قوله سبحانه : « قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا ، فيُسْحتكم بعذاب ، وقد خاب من افترى ، فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى »(2) ، ونحو قوله سبحانه : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون »(3) .

فإن كلمتى الوهاب وهبْ ، وكلمتى لا تفتروا وافترى ، وكلمتى اختلفوا ويختلفون ، تلائم كل منهما الأخرى .

٦ – وأحيانا تأتى الفاصلة موافقة لمعنى ما قبلها وإن لم تتفق معه فى لفظه ، مثل قوله تعالى : « وآية لهم الليل نَسْلُخُ منه النهار فإذا هم مظلمون »(4) ، لأن الفواصل السابقة للآية نون ، وانسلاخ النهار من الليل ومجيئه بعده يرشح أن تكون الفاصلة كلمة ( مظلمون ) .

وكذلك قوله سبحانه : « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير »(5) ، لأن كلمة اللطيف هى التى تناسب الذات العلية التى لايدركها بصر ، وكلمة الخبير هى التى تلائم الخالق القدير الذى يدرك أبصار الخلق وأحوالهم جميعها .

وقوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ، فيضاعفه له وله أجر كريم . يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم »(6)

لأن الأجر الكريم هو الذى يناسب مضاعفة الأجر ، والفوز العظيم هو الذى يناسب النور الهادى والنعيم فى الجنات .

٧ – وكثيرا ما ترافق الفواصل أغراض بلاغية أصيلة تتجلى من نسق الآية أو من إيثار لفظ على لفظ ، وهذا مجال رحب للدراسة متأنية مفصلة .

---

(١) سورة ص ٣٤ – ٣٥

(٢) سورة طه ٦١ – ٦٢

(٣) سورة يونس ١٩

(٤) سورة يس ٣٧

(٥) سورة الأنعام ١٠٣

(٦) سورة الحديد ١١ – ١٢

ففي قوله تعالى : « يا أيها المدثر قم فأنذر . وربَّك فكبر . وثيابك فطهر . والرُّجْزَ فاهجر . ولا تَمْنُنْ تستكثر . ولربك فاصبر »[1] قدمت المفعولات ( ربك وثيابك والرجز ) على الأفعال ( كبر وطهر واهجر ) للقصر البلاغي من ناحية ، ولتحقيق موسيقى الفواصل من ناحية ، وقدم الجار والمجرور ( ولربك ) على الفعل ( اصبر ) للغرض نفسه .

وفي قوله سبحانه وتعالى : « قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألْقَى . قال : بل ألْقُوا ، فإذا حبالهم وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّل إليه من سحرهم أنها تَسْعَى . فأوجس في نفسه خِيفةً موسى ، قلنا : لا تخف إنك أنت الأعلى . وَأَلْقِ ما في يمينك تلْقَفْ ما صنعوا ، إنما صنعوا كَيْدُ ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى »[2] .

قدم الضمير وهو الهاء في كلمة (نفسه) على ( موسى ) لسبب معنوي هو الدلالة على أن خوف موسى كان يجيش في نفسه ولكنه خفي على السحرة ، مستور عنهم وهذا التقديم أدق من التأخير ، والسبب لفظي هو أن الفاصلة ألف مقصورة ناسبها أن تجيء كلمة موسى في آخر الآية .

وفي قوله تعالى : « سَأُصْلِيه سَقَر . وما أدراك ما سقر ؟ لا تُبْقِي ولا تَذَر . لوَّاحَةُ للبَشَر . عليها تسعة عشر »

حذف المفعول بعد الفعل ( تذر ) للدلالة على التعميم وأن سقر لا تبقي شيئا ، ولتحقيق الفاصلة وهي الراء .

كذلك حذف المفعول في قوله تعالى : « والضحى والليل إذا سجى ، ما ودَّعك ربك وما قَلَى »[4] لإيناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفي هجر الله تعالى له نفيا قاطعا يتضمن الرفق والرحمة والمحبة ، ولهذا لم يذكر الضمير وهو الكاف حتى لا يتصل بالهجر وإن كان منفيا ، ومع هذا حقق حذف الضمير موسيقى السجع .

أما الذين ذهبوا إلى أن حذف الضمير في الآية رعاية للفاصلة كالحموي وغيره[5] فإن نظرتهم محتاجة إلى تصويب ، لأن

(١) سورة المدثر ١ — ٧
(٢) سورة طه ٦٥ — ٦٩
(٣) سورة المدثر ٢٦ — ٣٠
(٤) سورة الضحى ١ — ٣
(٥) خزانة الأدب للحموي ٥١٧

الحذف لرعاية الفاصلة وحدها يؤدى إلى إيثار اللفظ على المعنى ، وإلى التكلف فى التعبير ، وإلى الغفلة عما تقتضيه بلاغة البشر ، فما بالنا بالقرآن الكريم؟

وأما قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبَى . فقلنا : يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ، فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تَعْرَى . وأنك لا تظمأُ فيها ولا تَضْحَى[1] » .

فقد جاء الفعل ( تشقى ) بدلا من تشقيان ، للدلالة على أن فى شقاء آدم شقاء لحواء ، لأن الحياة الزوجية شركة بين الزوج والزوجة ، تسعد فيها الزوجة أو تشقى بسعادة زوجها وشقائه ، ولأن الرجل هو القوام على المرأة ، وفى هذا رعاية للفاصلة أيضا .

٨ – على أن الفاصلة قد تجيء وليس لها رجحان فى المعنى ولا طغيان عليه ، مثل حذف ياء المتكلم فى قوله تعالى : « كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر . إنا أرسلنا عليهم ريحا صَرْصَرا فى يوم نحس مستمر[2] » .

فإن الياء حذفت من ( نذرى ) ولا أثر لهذا فى المعنى .

ومثل حذف الياء من الاسم المنقوص المعرف فى قوله سبحانه : « ويقول الذين كفروا : لولا أُنْزِل عليه آيةٌ من ربه ، إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد . الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تَغِيضُ الأَرحام وما تزداد . وكل شىء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال[3] » .

فقد حذفت الياء من ( المتعال ) وليس لحذفها أى أثر فى المعنى .

وشبيه بهذا الحذف إثبات هاء السكت فى قوله تعالى : « يومئذ تُعْرَضون لا تَخْفَى منكم خافية . فأما من أُوتى كتابه بيمينه فيقول : هاؤُم اقرأُوا كِتَابِيَهْ . إنى ظننت أنى ملاقٍ حسابِيَهْ . فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية[4] » . إذ جاءت كلمة ( كتابيه ) بدلا من كتابى ، وكلمة ( حسابيه ) بدلا من حسابى ، وليس فى هذا جور على المعنى .

---

(١) سورة طه ١١٦ – ١١٩ .

(٢) سورة القمر ١٨ – ١٩ .

(٣) سورة الرعد ٧ – ٩ .

(٤) سورة الحاقة ١٨ – ٢٣ .

على أن في القرآن الكريم كثيرا من الأساليب المرسلة ، فلماذا لم ينزل مسجوعا كله ؟

أجاب ابن الأثير على هذا بقوله : « وما منع أن يأتي القرآن كله مسجوعا إلا أنه سلك مسلك الإيجاز والاختصار ، والسجع لا يواتي في كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار ، فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب »

وهذا تعليل متهافت ، لأنه إن صدق على الأديب غير المتمكن لا يصدق على الأديب اللبق المجيد ، وإذا جاز على البشر فليس بجائز على رب البشر . وكأنما أحس ابن الأثير بضعف تعليله ، فعقب عليه بقوله : « وها هنا وجه آخر هو أقوى من الأول ، ولذلك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع ، وإنما تضمن القرآن غير المسجوع ، لأن ورود غير المسجوع معجزاً أبلغ في باب الإعجاز من ورود المسجوع ، ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعا [١] »

على أنني أزيد على هذا أن الكتاب الكريم نزل هاديا ، ومشرعا ، ومبطلا لعقائد ، ومؤسسا لعقائد ، يجادل ، ويقص ، ويعد ، وينذر ، ويبشر ، ويرغب ، ويستميل ، فلا بد أن يراوح في عباداته بين مجمل ومفصل ، وبين مسجوع ومرسل ، مراعاة للموضوع وللمقام .

لهذا نزل منثورا ، وتصرف أسلوبه تصرفا بديعا ، فهو آنا مرسل ، وحينا مسجوع ، وطورا مزدوج أو متوازن لا تتحد فواصله ، بل تجيء من أحرف متقاربة المخارج كقوله تعالى : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين [٢] »

وقوله سبحانه : « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا . وما تشاءون إلا أن يشاء الله ، إن الله كان عليما حكيما . يدخل من يشاء في رحمته ، والظالمين أعد لهم عذابا أليما [٣] » .

(١) المثل السائر ١ — ٢٧٧

(٢) سورة الحاقة ٣٨ — ٤٣

(٣) سورة الإنسان ٢٨ — ٣٠

وقوله تعالى : « كلا ، بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين[1] » على أن المزدوج قد يرد من أحرف متباعدة المخارج ، ولكن وحدة الوزن كفيلة بالترنيم والتنغيم ، مثل قوله تعالى : « والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق؟ النجم الثاقب . إن كل نفس لما عليها حافظ . فلينظر الإنسان مم خُلق ؟ خُلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجعه لقادر يوم تُبْلَى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر »[2] . وقوله سبحانه : « قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا . وأنه تعالى جَدُّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا . وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا ، وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا[3] » .

( ٤ )

وبعد ، فقد كان للعرب نثر مرسل ، وكان لهم نثر مسجوع ، وكان لهم نثر مزدوج ، وكانوا فى فنون مقالهم نثرا وشعرا أصحاب براعة وافتنان ، فلما نزل القرآن الكريم مرسلا ومسجوعا ومزدوجا تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، ودانوا ببلاغته التى لا تلحق ، وتطامنوا لروعته التى لا تجحد ، فصدقوا قول الله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا[4] » .

**احمد الحوفى**

---

(١) سورة الفجر ١٧ – ١٨
(٢) سورة الطارق ١ – ١٠
(٣) سورة الجن ١ – ٦
(٤) سورة الإسراء ٨٨

# دراسة تفصيلية في كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية بحروف عربية

للدكتور محمد محمود السلاموني

إن كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية وكذلك الأعلام الأجنبيـــة التى وردت فى أعمـــال الكتّاب الإغريق والرومان بحروف عربية موضوع جدير بالعناية ، ولهذا حاول بعض الأعلام المحدثين وضع قواعد تيسر على المعربين نقل أسماء الأعلام بما يقرب جرسها فى اللغة العربية من نطقها فى اللغتين اليونانية واللاتينية وتوّج هذه المحاولة مجمع اللغة العربية فى مصر ، فأصدر قرارات تضمنت القواعد التى تساعد على تحقيق هذا الغرض [1] .

ولما كانت اللجنة الموقرة التى ألفها المجمع لدراسة هذا الموضوع قد ذكرت فى تصديرها للقواعد التى وضعتها «أنها لاتقيد باحثاً مختصاً بالآداب اليونانية

---

(١) لقد تناول هذا الموضوع الأستاذ الجليل الفريق أمين المعلوف فى مقتطف يونيو ويوليو سنة ١٩١١ (وقد أعاد نشر هذا البحث فى مقتطف فبراير سنة ١٩٣٣ ) وكذلك الأســتاذ الجليل الدكتور أحمد عيسى فى كتاب التهذيب فى أصول التعريف » ، القاهرة ١٩٢٣ .

وأما مجمع اللغة العربية بمصر ( مجمع فؤاد الأول للغة العربية ) ، فقد عنى بهذا الموضوع كذلك ، فأصدر قرارات فى « كتابة الأعلام اليونانية واللاطينية بحروف عربية » ، ( انظر الدورة الرابعة ، الجلستين الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين ، ص ٤٠٤ — ٤٢٦ ، ١٩٣٧ ) وقد نشرت هذه القرارت فى مجلة مجمع اللغة العربية ( مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ) ، الجزء الرابع ، ص ٣١ — ٣٨ ، ١٩٣٩ ، خلوا من الأمثلة ثم ذكرت الأمثلة فى مكان آخر من المجلة فى ص ١٢٤ — ١٤٠ . ونشرت هذه القرارات مرة ثالثة فى مجموعة القرارات العلميـــة — ٣ — بعنوان « مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاماً ، ١٩٣٢ —١٩٦٢ » خلوا من الأمثـــلة ، ص ١٠١ — ١١١ ، القاهرة، ١٩٦٣ .

وأضيف إلى هذا كتاب الأستاذ الجليل الأمير مصطفى الشهابى « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية فى القديم والحديث » ، باب كتابة الحروف اليونانية واللاطينية بحروف عربية — ص ١٠٦ — ١١٣ — حيث نقل قرارات المجمع الموقر ثم أضاف إليها بعض ملاحظات قيمة جديرة بالنظر ، ص ١١٣ — ١١٤ ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

ولما كانت اللجنة الموقرة المؤلفة لكتابة الأعلام اليونانية واللاتينية قد استعانت ببحثى الأستاذ الفريق أمين المعلوف والأستاذ الجليل الدكتور أحمد عيسى واستمدت من هذين البحثين قواعد كثيرة ( انظر د ٤ ﺟ ٣٣ ص ٤٠٦ ) ، فقد رأيت أن أقصر ملاحظاتى على ما ورد فى قرارات المجمع فى ص ٤٠٤ — ٤٢٦ من الدورة الرابعة ( ﺟ ٣٣ ، ٣٤ ) ، فهى المصدر الرئيسى لهذه القرارات .

[ واللاتينية ولا تمنعه من أن يتبع قواعد أخرى إن أراد التقصى فى ضبط هذه الأعلام ضبطا أدق [٢] فقد تركت بهذا ، مشكورة الباب مفتوحا للمختص ليدلى بدلوه فى هذا الموضوع ، ولكنى أختلف معها فى فصل أعلام الآداب اليونانية واللاتينية عن أعلام العلوم المختلفة الذين ورد ذكرهم فى الترجمات العربية القديمة ، ذلك أن القواعد التى تنقل على أساسها أسماء هؤلاء الأعلام ينبغى أن تكون موحدة ، وهذا ما سأحاول القيام به فى هذه الدراسة المتواضعة حيث استأنس فيها بما ورد فى قرارات المجمع الموقر وأناقش بعض مضامينها كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، وأرجو أن يتفضل المجمع الموقر ، ممثلا فى أعضائه المختصين بالصوتيات ، بمناقشتى فيما أثرته من آراء تخالف ماورد فى بعض قراراته ، حتى إذا وافق هؤلاء الأعضاء الأجلاء على رأى من آرائى أو صححوا رأياً واتفقت آخر الأمر وجهات النظر ، صدر ملحق للقرارات السابقة ، وذلك بغية توحيد طريقة النقل ليسترشد بها السادة المعربون ، ومن أولى بالمجمع الموقر فى مواصلة تبنيه لهذا الموضوع وأجدر منه فى إصدار مرشد يُتوخى فيه النقل الدقيق لأصوات الحروف فى هاتين اللغتين ، اليونانية واللاتينية ، بقدر الإمكان . فالحاجة ملحة إلى هذا المرشد ، فإن غالبية المعربين المحدثين لا يتبعون قاعدة ثابتة فيما ينقلون من أسماء الأعلام الإغريق والرومان إلى العربية ، بل إن بعضهم ينقل أسماء هؤلاء الأعلام عن طريق اللغة الفرنسية مع اختلاف أصوات الحروف الجامدة [٣] فى هذه اللغة عن نظائرها فى اللغتين اليونانية واللاتينية ، والأمثلة على ذلك ليست بالقليلة .

## منهج البحث

[ لما كان هدفى الإسهام فى وضع قواعد تيسر نقل الأعلام الإغريقية والرومانية إلى العربية ، أرى من الضرورى أن ألقى نظرة سريعة على أسلوب القدامى

(٢) د ٤ ، ٣٣ ، ص ٤٠٥

(٣) أطلق على الحروف اليونانية واللاتينية المقابلة للحروف العربية ( الباء والتاء والدال والجيم إلى آخره ) اسم الحروف الجامدة كما أطلق على الحروف المقابلة للحروف المعتلة فى العربية اسم اللينة ، وذلك بناء على توجيه السيد الأستاذ الدكتور طه حسين الذى كان قد تفضل بمراجعة كتاب « اللغة اللاتينية » وهو من تأليفى وتأليف زميلين كريمين آخرين ، القاهرة ، ١٩٤٨

فى نقل الحروف اليونانية واللاتينية إلى العربية لتكون تمهيداً للطريقة التى سأتبعها فى نقل هذه الحروف أو بعضها إلى العربية ، وهذه الطريقة تعتمد أساسا على أصوات الحروف فى اللغتين المذكورتين . ولهذا ينبغى علىَّ أن أعرّف أولاً بحروف الأَبجدية اليونانية ،جامدها ولينها وبأصواتها الأَصلية وأعطى ما يقابلها من أصوات حروف الأَبجدية العربية أوما يكون أشد قرباً من جرسها ، إذا لم يكن فى العربية أصوات مشابهة تماماً ، وسأخصص لكل حرف تعليقاً مستقلاً أناقش فيه قاعدة المجمع الموقر المتصلة بالحرف الذى سأتناوله وسأشير إلى قاعدة المجمع بجانب كل تعليق . وستكون هذه التعليقات مرقمة ومسلسلة لسهولة الرجوع إليها . فإذا انتهيت من ذلك سقت أمثلة من أسماء الأَعلام المختارة بغية التطبيق على ماتضمنته بعض التعليقات ، وحتى يكون التطبيق واضحاً سأُشير أسفل الأَعلام المختارة إلى التعليقات التى أرى تذكير القارئ الكريم بها . ثم أنتقل بعد ذلك إلى التعريف بحروف الأَبجدية اللاتينية وأنتهج معها نفس المنهج الذى اتبعته مع حروف الأَبجدية اليونانية تماماً ثم أختتم دراستى بإبداء بعض ملاحظات عن طريقة الأَقدمين فى تعريف الأَعلام عن طريق أمثلة أسوقها مما عرب قديماً منها

وأفصل هذا المنهج تحت رؤوس الموضوعات الآتية :

١ ـ نظرة سريعة فى أُسلوب القدامى فى النقل .

٢ ـ الطريقة المقترحة لكتابة الأَعلام بحروف عربية .

٣ ـ كتابة الأَعلام الإغريقية بحروف عربية .

٤ ـ كتابة الأَعلام الرومانية بحروف عربية .

ملاحظة : إن ما دعانى إلى تناول الأعلام الإغريقية (٣) والرومانية (٤) كل على حدة ، هو اختلاف أصوات بعض الحروف اليونانية عنها فى اللاتينية ولأسباب أخرى سأذكرها فى مواضعها إن شاء الله .

٥ ـ ملاحظات على طريقة القدامى فى النقل .

## ١ — نظرة سريعة فى أسلوب القدامى فى النقل

عندما بزغ فجر العصر العباسى وأخذ خلفاؤه يشجعون حركة ترجمة العلوم من لغات الأمم القديمة ومنها علوم الإغريق بخاصة ، قام المترجمون ابتداء من القرن الثامن الميلادى بترجمة هذه العلوم إلى السريانية أولاً ثم إلى العربية ثانياً ، كانت اللغتان ، اليونانية واللاتينية قد أصابهما الاضمحلال[٤] ، أما أصوات بعض حروف هاتين اللغتين ، وهى ماتعنينا فى هذه الدراسة ، فقد فقدت جرسها الأول الأصيل وأصبح لها أصوات جديدة بعيدة كل البعد عن أصواتها الأولى وكان من نتيجة ذلك أن الصورة الصوتية للأسماء الإغريقية والرومانية لم تعد نفس الصورة الأصلية التى نُطق بها من قبل . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء المترجمين القدامى الذين لاينكر فضلهم فيما أنجزوه من أعمال جديرة بالتقدير العظيم ، لم يلتزموا بالقواعد الصوتية للحروف الجامدة واللينة اليونانية واللاتينية — وحتى المتأخرة منها — فى نقلهم الأعلام الإغريقية والرومانية ، ففيما يتعلق بأصوات الحروف الجامدة ، فخموا أصوات بعض الحروف ، فأحالوا ، على سبيل المثال ، صوت الحرف الذى يقابل حرف التاء فى العربية طاء . أمّا ما يقابِل صوت حرف الباء فقد جعلوه فاء على مقتضى قواعد النطق والخط السريانى ومن العجيب أن المترجمين غير السريان قد جروا على عرفهم (إلى غير ذلك مما سأناقشه فى موضعه) ، كذلك لم يعن هؤلاء النقلة بأصوات الحروف اللينة فلم يميزوا بين أصوات حروف المد واللين ولم يتنبهوا إلى وظيفة الحركات .فلم يَضبطوا الأعلام عند نقلها . وهذه ظاهرة

---

(٤) أعنى باللغة اليونانية لهجتها النموذجية ، وهى الأتيكية ، لهجة أثينا فى عصر زعامتها الأدبية والعلمية ابتداء من القرن الخامس ق . م ، وهى ما كتبت بها أعمال الشعراء والكتاب المجيدين فى أكثر من فن ؛ وكانت تعد فى نفس الوقت أكثر اللهجات جمالا وأبدعها صقلا . أما قواعدها اللغوية — وكذلك الصوتية إلى حد ما — فاتخذت أساساً فى دراسة اللهجات الأخرى . ومثل هذا يقال عن اللغة اللاتينية فى القرن الأول ق . م فى عصرها الذهبى ، عصر الشعراء والكتاب الفحول . إلا أن هاتين اللغتين قد عانتا الكثير مع تعاقب الأجيال والقرون ، فأخذتا تفقدان مزاياهما اللغوية الأولى شيئاً فشيئاً حيث تحرر كتاب العصور المتعاقبة من قواعد اللغتين الأساسية فحرفوا بعضها وانصرفوا عن بعضها الآخر وذلك لانتشار هاتين اللغتين فى بقاع بعيدة ولأسباب أخرى ، منها محاولة كتاب ليسوا إغريق ولا رومان الكتابة باليونانية واللاتينية .

لايستطاع معها التعرف على الاسم فى لغته الأصلية (إلى غير ذلك مماسأذكره فى موضعه) ، وهم عندما فعلوا ذلك قد باعدوا بين صورة الاسم الإغريقى والرومانى وصورته فى العربية ، وماكان ينبغى لهم أن يتخطوا حدودهم فيطوعوا أصوات حروف لغة ليست بلغتهم ، ويفرضوا عليها أصواتا سريانية أو عربية لاتقابل أصوات الحروف التى ينقلونها إلى العربية . إن هذا الذى فعلوه غير مقبول علمياً طالما كان المقصود نقل الاسم إلى العربية وفق صورته الأصلية ولا يسعنى الآن إلاَّ أن أطالب بالحد من مبدأ «القديم على قدمه» فإن لهذا المبدأ نتائجه الخطيرة على مدى العصور خصوصاً وأن بعض الكتاب المحدثين المحاكين للقدامى قد بالغوا فى محاكاتهم لهم وأساءوا إليهم ، ولأضرب مثلا يقوم دليلاً على ما أقول : لقد ورد فى كتب العرب الأقدمين الاسم «قليوبطرة» – وهو للملكة مصر البطلمية المعروفة – وبالرغم من أن أصوات حروف الاسم الجامدة العربية لاتقابل أصوات حروفه فى اليونانية أو اللاتينية تماما ، إلا أنه يعتبر أقرب مايكون إلى صورته الأصلية إذاما قورن بالصورة التى نقلها أحد الكتاب المحدثين لهذا الاسم ، فقد نقلها «قلاو فطرة» (٥) ويبدو لى أن ما لم يكن هذا الكاتب قد أخذ بأسلوب القدامى بطريقة غير ذكيةلما تجرأ على على هذا النقل المعيب .

ومجمل القول : إن قدامى النقلة : فى رأيى مجتهدون ، قاموامشكورين بكل ما استطاعوا ولكن المجتهد قد يصيب وقد يخطئ ولن يقلل من شأنهم إعادة النظر فى أسلوبهم فى النقل والإبقاء على ما نراه صحيحاً والانصراف عمانراه لايمثل أصوات الحروف فى اللغتين المنقول عنهما ومحاولة التصحيح

(٥) انظر الأستاذ الأمير مصطفى الشهابى ، نفس الكتاب ، ص ١١٥

والآن فإن ماذكرته فى هذه النظرة السريعة – وهو قِل من كثر – فى أسلوب القدامى فى النقل جعلنى أحاول طريقة أخرى فى نقل الأعلام إلى العربية أكثر دقة ، لأنها تعتمد أساساً على أصوات الحروف الجامدة واللينة فى اللغتين اليونانية واللاتينية المنقول عنهما . وهذه الأصوات هى ما أقرها معظم علماء فقه اللغة الذين قاموا بجهود جبارة فى الوصول إلى خصائص هذه الحروف وأصواتها . ولما كانت اللغتان اليونانية واللاتينية تنتميان إلى أسرة اللغات « الهندية – الأوروبيـــة » أو « الآرية » وتنتمى العربية إلى السامية ، فلاينتظر أن تكون طبيعة اللغتين اليونانية واللاتينية من ناحية ، وطبيعة اللغة العربية من ناحية أخرى ، واحدة أو متسقة ، بل إن من المحقق أن هناك خلافاً بين بعض أصوات الحروف الجامدة واللينة اليونانية واللاتينية وبين نظائرها فى العربية ؛ أضف إلى هذا أن باليونانية واللاتينية مايسمى بالحروف اللينة المزدوجة [٦] ، وهى غير واضحة فى العربية كما يجب بالرغم مما يقال من أن العرب تصوروا « المزدوج » الذى يوجد فى لسانهم والذى لم يسموه قط [٧] ، فإن كل هذه الخلافات ستكون موضع مناقشة ، وقد أصل فى بعض الحالات إلى حل وسط ولكن ذلك لن يكون على حساب أصوات الحروف اليونانية واللاتينية لأن هذا يبعدنا كل البعد عن نطق الأسماء كما نطق بها أصحاب اللغتين .

أما الأصوات السريانية لبعض الحروف فسوف أتحاشاها وكذلك سأصرف النظر عن تفخيم بعض الحروف الجامدة التى فخّمها القدامى ون مبرر صوتى لا فى اليونانية ولا فى اللاتينية ولا فى العربية .

---

(٦) انظر حـ – الحروف اللينـــة المزدوجة اليونانية وخصائصها ، ص ١١٣ – ١١٦ ؛ حـ – الحروف اللينة المزدوجة اللاتينية وخصائصها ، ص ١٣٠ – ١٣٤ .

(٧) انظر « التفكير الصوتى عند العرب فى ضوء سر صناعة الأعراب لابن جنى » للدكتور الأب هنرى فليش ، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ، مجلة اللغة العربية ، الجزء الثالث والعشرون ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص ٧٤ .

## ٣ ـ كتابة الأعلام الإغريقية بحروف عربية

### ١ ـ أصوات حروف الأبجدية اليونانية الجامدة :

تنبيه : الحرف الجامد اليونانى صوت واحد لا يتغير (فيما عدا حرف (جاماً ، Γ, γ) انظر التعليق (٢) .

وفيما يلى بيان بهذه الحروف وما يقابلها من حروف الأبجدية العربية :

| الحروف اليونانية: الصغيرة | الحروف اليونانية: الكبيرة | أسماء الحروف باللاتينية | أسماء الحروف بالعربية | الحروف العربية المقابلة | التعليق |
|---|---|---|---|---|---|
| β | Β | Beta | بيتا | الباء | (١) |
| γ | Γ | Gamma | جاماً | الجيم | (٢) |
| δ | Δ | Delta | دلتا | الدال | (٣) |
| ζ | Ζ | Zeta | زيتا | الزاى | (٤) |
| θ | Θ | Theta | ثيتا | الثاء | (٥) |
| ϰ | Κ | Kappa | كاباً | الكاف | (٦) |
| λ | Λ | Lambda | لامبدا | اللام | (٧) |
| μ | Μ | Mu | مو | الميم | (٨) |
| ν | Ν | Nu | نو | النون | (٩) |
| ξ | Ξ | Xi | إكسي | ينطق كْسْ بسكون الكاف | (١٠) |
| π | Π | Pi | پي | (الپاء) | (١١) |
| ϱ | Ρ | Rho | رو | الراء | (١٢) |
| σ,ς | Σ | Sigma | سيجما | السين | (١٣) |
| τ | Τ | Tau | تاو | التاء | (١٤) |
| φ | Φ | Phi | في | الفاء | (١٥) |
| χ | Χ | Chi | خي | الخاء | (١٦) |
| ψ | Ψ | Psi | إپسي | ينطق پْسْ بسكون (الپاء) | (١٧) |

ملاحظة : ليس فى اليونانية حرف جامد يقابل حرف الهاء فى العربية ، ولكن هناك علامة تمثل صوت هذا الحرف . انظر التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائى ، ص ١١٦ ـ ١١٧

# التعليقات

التعليق (١) :

فى الحرف (بيتا ، β ، B ) ، لم يأت ذكره فى قواعد المجمع .

بالرغم من أن صوت هذا الحرف صار فى العصور المتأخرة مثل صوت الحرف (V) فى الإنجليزية ، إلا أن النقلة القدامى انصرفوا عن هذا الصوت لأنه غير موجود فى الأبجدية العربية ، وعلى ذلك يرسم باء خفيفة فى العربية .

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة التاسعة ، فى الحرف (جامّا ، γ ، Γ ) — د ٤ . حـ ٣٤ ، ص ٤١٦—٤١٧ .

لم أصل إلى أن الإغريق القدامى قد نطقوا هذا الحرف بما يشبه صوت حرف الغين فى العربية كما ينطق الآن فى اللغة الحديثة ، ولعله كان نطقاً دارجاً جرى على ألسنة العامة فى عصور الترجمة أو أن المترجمين قد خلطوا بين أصوات الحروف فى اللغات المختلفة التى كانوا يترجمونها . وعلى هذا أقترح تعديل القاعدة كالآتى :

«يرسم هذا الحرف جيما شديدة (غيرمعطشة ) »

ملاحظة : يلاحظ أن هذا الحرف يحل محل الحرف ( نو ، ν ، N ) ، أى ينطق نوناً فى العربية قبل الحروف الآتية ( جامّا γ . كابّا κ ، خى ، χ ، إكسى ξ ) وأقترح أن تكون هذه الملاحظة بديلا للفقرة الثانية من القاعدة .

التعليق (٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الخامسة ، فى الحرف (ديلتا ، δ ، Δ ) — د٤ . حـ ٣٤ ص ٤١٣ .

كان صوت هذا الحرف حتى القرن الرابع الميلادى يقابل فى العربية صوت حرف الدال المهملة ثم أصبح صوته يقابل صوت حرف الدال الأعجمية كما ينطق الآن فى اللغة الحديثة .

وأرى من الأفضل أن نُبقى على صوته الأول فيرسم دالاً مهملة .

التعليق (٤) :

قارن المجمع . القاعدة الثالثة والعشرون ، فى الحرف (زيتا ، ζ ، Z — د ٤ . ج ٣٤ ، ص ٤٢٦ .

إن صوت هذا الحرف لايقابل تماماً صوت حرف الزاى العربية ، فهو مركب من حرفىْ (الديلتاوالسيجما ، δ + σ,ς) ، ومع ذلك فالزاى العربية قريبة الشبه به ، ولهذا أقر رأى المجمع ،فى إثبات هذا الحرف زايا .

التعليق (٥) :

قارن المجمع ، القاعدة الثامنة عشرة ، فى الحرف (ثيتا ، θ ، Θ ) ـ د ٤ حـ ٣٤ ص ٤٢٣ .

أقر رأى المجمع فى نقل هذا الحرف إلى العربية ثاء .

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة ، فى الحرف (كابًا ، κ ، K ) ـ د٤ حـ ٣٤ . ص ٤١١ ـ ٤١٢ .

إن صوت هذا الحرف يقابل فى العربية حرف الكاف تماماً ولذلك لا أرى رسمه قافاً ، فهذا لايقابل صوت الحرف فى لغته الأَصلية ثم إنه لايتفق مع قواعد الصوتيات العربية ، فابن جنى[8] يقول إن القاف أصل لابدل ولاداعى لقلب الكاف قافاً . ويسرنى أن بعض أعضاء اللجنة بالمجمع قدقال بهذا ولكن لم يؤخذ برأيه . ومازلت أعتقد أن القرار فى حاجة إلى مراجعة ، وأقترح على أية حال التعديل الآتى :

«يثبت هذا الحرف كافاً فى العربية »

التعليق (٧) :

فى الحرف (لامبدا ، λ ، Λ ) ، لم يأْت ذكره فى قرارات المجمع

«يرسم هذا الحرف فى العربية لاماً »

التعليق (٨) :

فى الحرف (مو ، μ ، M ) ، لم يأْت ذكره فى قرارات المجمع

« يرسم هذا الحرف فى العربية ميماً »

التعليق (٩) :

فى الحرف (نو ، ν ، N ) ، لم يأْت ذكره فى قرارات المجمع

«يرسم هذا الحرف فى العربية نوناً »

(٨) انظر سر صناعة الإعراب لابن جنى ، الجزء الأول ، تحقيق الأساتذة : مصطفى السقا وآخرين ، طبعة سنة ١٩٥٤م ، ص ٢٧٨

التعليق (١٠) :

قارن المجمع ،القاعدة الحادية والعشرون ، فى الحرف (إكْسى ، ξ ، Ξ ) ــ د ٤ . حـ ٣٤ ص ٤٢٤ ــ ٤٢٥ .

هذا حرف جامد مركب ، يتركب من حرفىْ (كا پا وسيجما ، σ, ς, k ) وأتفق مع المجمع الموقر فى أن يؤدى صوت هذا الحرف فى العربية كما ينطق . كافاً ساكنة متبوعة بحرف السين . وأيسّر نقلها إلى العربية كالآتى :

١ ــ يرسم فى أول الاسم (إكْس) طبقاً لقاعدة الابتداء بالساكن (انظر التنبيه الخاص بالأعلام المبدوءة بالساكن ص ١١٧ )

٢ ــ يرسم فى وسط الاسم (كْس ) بسكون الكاف ؛ (أما حرف السين فيحرك وفقاً لحركة الحرف اللين التالى له ) .

التعليق ١١ :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة عشرة ، فى الحرف ( پى ، π ، Π ) ــ د ٤ . حـ ٣٤ ص ٤٢٠ ــ ٤٢١ خلافا لما ورد بهذه القاعدة فى الأرقام ( ١ ــ ٣ ) فإن صوت هذا الحرف فى لغته الأصلية يقابل صوت باء شديدة لا فاء ( فالصوت الأخير سريانى لا يونانى ) وعلى ذلك أرى الاحتفاظ بصوته اليونانى دون تحفظ . وهنا يتعين إدخال صوت الحرف باء الشديد فى العربية أسوة بما قرره المجمع الموقر بقبول صوت الحرف ( V الانجليزى ) ونقله فى العربية فاء بثلاث نقط[(٩)] ، فيكتب باء أسفلها ثلاث نقط ( پ ) . إن الحاجة ماسة إلى هذا الحرف لأنه سيرفع اللبس بين صوت الحرفين الباء والفاء . وأسوق المثل التالى الذى يقوم دليلا على ضرورة التمييز بين الباء والفاء : انظر إلى الاسمين الآتيين Πάϱos ــ وبالحروف اللاتينية Paros ) ، ( Φάϱos ــ وبالحروف اللاتينية Pharos ) فأولهما يبدأ بالحرف ( پى Π ) والثانى بالحرف ( فى Φ ) وينطقان بطريقة السريان « فاروس » مع أنهما علمين مختلفين تمام الاختلاف ، فالاسم الأول علم على جزيرة فى بحر إيجة والثانى علم على جزيرة مصرية

(٩) انظر د ٤ . حـ ٣٢ ، ص ٣٩٨

تجاه مدينة الإسكندرية القديمة ، وعلى هذا أقترح تعديل القاعدة كالآتى :

« يرسم هذا الحرف باء شديدة ( پ ) وذلك فى جميع الأحوال »

التعليق (١٢) :

فى الحرف ( رو ، ρ ، P ) ، لم يأت ذكره فى قرارات المجمع .

هذا الحرف منفّس فى اليونانية ، أى هائى الجرس ولكن نقله بصوته اليونانى متعذر فى العربية ، ولهذا يرسم راء كما نصت قاعدة المجمع بذلك .

التعليق (١٣) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة عشرة ، فى الحرف (سيجما ، ς , σ ، Σ) ـ د ٤ ج ٣٤ ، ص ٤٢٢

ملاحظة : للحرف سيجما الصغير شكلان : أولهما ( σ ) يكتب فى أول الكلمة اليونانية وفى أى موضع آخر منها إلا نهايتها . أما الثانى ( ς ) فيكتب فقط فى نهاية الكلمة ، مثال ذلك : σύστασις .

أرى أن يكتفى برسم هذا الحرف سينا وصرف النظر عن حرفى الصاد والشين المعجمة ، لأن صوت الصاد والشين لا تقابلان صوت الحرف اليونانى بحال من الأحوال . ولهذا أقترح تعديل القاعدة كالآتى :

« يرسم هذا الحرف سيناً فقط »

التعليق (١٤) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة عشرة ، [فى الحرف ( تاو ، τ ، T ) ـ د ٤ ج ٣٤ ، ص ٤٢٣

أرى أن نقل هذا الحرف طاء فى العربية بسبب غلبة استعماله كذلك عند العرب لاسنده لغويًّا وصوتيًا. أضف إلى هذا أن أصحاب اللغة أنفسهم لم يعرفوا هذا الصوت فى جميع عصور اللغة ، ولهذا يجب التخلى عن هذا الصوت وأقترح تعديل القاعدة كالآتى :

« يرسم هذا الحرف فى العربية تاء »

التعليق (١٥) :

قارن المجمع ، القاعدة الثامنة ، فى الحرف ( فى ، φ ، Φ ) ـ د ٤ ، ج ٣٤ ، ص ٤١٦

هذا الحرف منفّس فى اليونانية ، أى له جرس حرف ( پى ، Π ) الهائى . وهو فى حقيقة الأمر لا يقابل صوت الحرف

المركب ( Ph ) فى اللغات الأُوروبية ولا الفاء فى العربية ، ولكن تيسيرا لنطقه اصطلح على أن يكون صوته مثل صوت ( Ph ) فى اللغات الأُوروبية ، ولهذا يرسم فاء فى العربية .

التعليق (١٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة ، فى الحرف (خِى ، χ ، X )ـ د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤١٢ .

أوافق على نقل هذا الحرف اليونانى خاء فى العربية ، ولكن لما كانت القاعدة قدقرنته بالحرف اللاتينى المركب (kh،ch) ، الذى لا يقابل صوتُه صوت الخاء فى العربية لأن الأبجدية اللاتينية ليس بها مثل هذا الصوت ( انظر ـ أ ـأصوات الحروف الجامدة اللاتينية ، التعليق (٢٠) الخاص بالحرف المركب ( Ch ) ، فإنى أقترح تعديل القاعدة كالآتى :

«يرسم هذا الحرف اليونانى خاء فى التعريب » :

القاعدة (١٧) :

فى الحرف المركب (إپسى ، ψ ، Ψ ) لم يأْت ذكره فى قرارات المجمع الموقر .

هذا حرف جامد مركب ، يتركب من ( پى ، π ، σ,ς ) ، أى إپس بسكون الباء الشديدة ، وهو يرسم كالحرف المركب ( إكْسى ، ξ ، Ξ ) أى كما ينطق ، پاء ساكنة متبوعة بالحرف سين .وأُيسِّر نقلها إلى العربية كالآتى :

١ ـ يرسم فى أول الاسم ( إپس ) طبقا لقاعدة الابتداء بالساكن ( انظر التنبيه الخاص بالأعلام المبدوءة بحرف ساكن ، ص ١١٧ ـ ١١٨) .

٢ ـ يرسم فى وسط الاسم ( پس ) بسكون الباء ( أمّا حرف السين فيحرك وفقا لحركة الحرف اللين التالى له ) .

## (ب) أصوات حروف الأبجدية اليونانية اللينة :

ملاحظة : للحرف اللين اليونانى صوت واحد لايتغير ولكنه يكون ممدوداً أو مخففاً .

وهذه الحروف السبعة هى :

( ألفا ، α ، A ) ، ( إيپسيلون ، ε ، E ) ، (إيتا ، η، H ) ، ( إيوتا ، ι، I) ، (وأُميكرون ، ο ، O) ، ( أُوپسيلون ، υ، Y ) ،( أُوميجا ، ω، Ω ) ؛ وهى إما ممدودة أو مخففة على النحو الآتى :

١ ـ (H,η)،(Ω,ω) حرفا مد بطبيعتهما .

٢ ـ (E, ε) ، (O, o) حرفان مخففان (قد يكونان ممدودين فى بعض المواضع) .

٣ ـ (A, α) ، (I, ι) ، (Y, υ) إما ممدودة أو مخففة .

وفيما يلى بيان بهذه الحروف وأصواتها اليونانية مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية ، أما الأصوات العربية المقابلة فستذكر فى التعليقات ؛ انظر ، (١) إلى (٧) .

| الحروف اليونانية | | أسماء الحروف باللاتينية | أسماء الحروف بالعربية | أصوات الحروف مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية | التعليق |
|---|---|---|---|---|---|
| الصغيرة | الكبيرة | | | | |
| α | A | Alpha | ألفا | الحرف الممدود : مثل صوت (a) فى كلمة (father) الإنجليزية . | (١) |
| ε | E | Epsilon | إبسيلون | الحرف المخفف : مثل صوت (e) فى كلمة (met) الإنجليزية . | (٢) |
| η | H | Eta | إيتا | الحرف الممدود : مثل صوت الحرف (a) فى كلمة (mate) الإنجليزية . | (٣) |
| ι | I | Iota | إيوتا | الحرف الممدود : مثل صوت الحرفين (ee) فى كلمة (feed) الإنجليزية .<br>الحرف المخفف مثل صوف (i) فى كلمة (fit) الإنجليزية . | (٤) |
| o | O | Omicron | أوميكرون | الحرف المخفف : مثل صوت (o) فى كلمة (not) الإنجليزية . | (٥) |
| υ | Y | Upsilon | أوبسيلون | الحرف الممدود : مثل صوت (u) فى كلمة (tue) الفرنسية .<br>الحرف المخفف : مثل صوت (u) فى كلمة (du pan) الفرنسية . | (٦) |
| ω | Ω | Omega | أوميجا | الحرف الممدود : مثل صوت الحرفين (oa) فى كلمة (broad) الإنجليزية . | (٧) |

تنبيه : أصوات الحروف اللينة كما أقترحها :

إن حروف الرقمين (٢) ، (٣) وهى مخففة بطبيعتها بعامة ، قد تكون ممدودة أيضاً إذا تلا أى حرف منها حرفان جامدان أو حرف جامد مركب وفى حالات أخرى معقدة وحافلة بالاستثناءات التى لايستطيع الوقوف على أسرارها إلا مختص ، وبالرغم من أن صوت الحرف الممدود اليونانى يقابله الألف والواو والياء فى العربية بحسب صوت الحرف اللين اليونانى وبالرغم من أن صوت الحرف اليونانى المخفف يؤدى بالفتحة والضمة والكسرة ، فإن المعربين القدامى — وكذلك المحدثين — لم يعنوا بنقل أصوات هذه الحروف إلى العربية كما يجب ، فإنهم أحياناً يجعلون الممدود مخففاً والمخفف ممدوداً ؛ ولهم عذرهم فى ذلك لأن التمييز بين الممدود والمخفف يتطلب دراسة صوتية متخصصة وعميقة . ثم إن هؤلاء المعربين ، قدامى ومحدثين ، فى نقلهم الأعلام إلى العربية لايعنون بالتشكيل ، كالفتحة والضمة والكسرة التى تمثل ما يقابلها من الحروف اليونانية المخففة ، الأمر الذى لايمكن القارىء من قراءة الاسم وفقاً لأصوات الحروف اللينة اليونانية ولا من الاهتداء كذلك إلى صورة الاسم الحقيقية فى لغته . كل هذا حدا بى إلى أن أعتبر جميع الحروف اللينة حروف مد . وهذا الاتجاه ، وإن كان غير دقيق صوتيا من حيث طبقة الصوت للحرف ، مدا وقصرا ، إلا أنه فى اعتقادى أفضل بكثير من الطريقة العشوائية التى اتبعها المعربون القدامى ويتبعها الآن المعربون المحدثون بجعل الممدود مخففاً والمخفف ممدوداً ، وهو كذلك أفضل من عزوفهم عن التشكيل . وأضرب مثلا يقوم دليلا على سلامة هذا الاتجاه نسبياً : فالأصل عند تعريب العلم (Αργος — وبالحروف اللاتينية Argos) أن توضع ضمة على الحرف السابق على الحرف اللين المخفف (σ) ، فاذا أهمل وضع الضمة على هذا الحرف ونقل الاسم إلى العربية (أرجس) ، فان القارىء لهذا الاسم لا يستطيع معرفة العلم ولا صورته الأصلية فى لغته ، وبالعكس إذا استعيض عن الضمة بالواو وكتب الاسم (أرجوس) لاستطاع أن يهتدى إلى الاسم المقصود والرجوع إليه فى لغته الأصلية بسهولة .

## التعليقات

التعليق (١) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية ، فى الحرف (ألفا ، α ، Α) — د ٤ ج ٣٣ ص ٤٠٨ — ٤٠٩

أحاول فى هذا التعليق أن أكون قريبا من أصوات الحروف اليونانية وأن أبسط عرض الحرف فى الوقت نفسه . وأرى أن ينقل إلى العربية كالآتى :

١ — يُرسم هذا الحرف فى أول الاسم همزة مفتوحة .

٢ — يُرسم فى وسط الاسم ألفاً .

٣ — يُرسم فى آخر الاسم ألفاً لينة .

٤ — يُرسم تجوزا فى آخر الاسم تاء مربوطة إذا سبقه الحرف (ι) أو المزدوجان (ει) أو الحرف الجامد (رو ، ρ ، Ρ) الذى يعتبر وسطاً بين الجامد واللين لميوعته .

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة ، فى الحرف (إيبسليون ، ε ، Ε) ، الرقمان

( ١ ) ، ( ٢ ) – د ٤ ح ٣٤ ، ص ٤١٣–٤١٤

صوت هذا الحرف يشبه فى العربية الألف الممالة فى سكارى ، وأقترح أن ينقل إلى العربية كالآتى :

١ – يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة ( وليس همزة مفترحة كما ورد فى قاعدة المجمع ) .

٢ – يرسم فى وسط الاسم ياء ( أوكسرة إذا عنى بالتشكيل ) .

ملاحظة : إن مادعانى إلى مخالفة المجمع الموقر فى الرقمين (١) ، (٢) هو حرصى الشديد على تجنب اللبس بين صوت هذا الحرف وصوت الحرف ( ألفا ، A ، α ) – انظر التعليق رقم (١ )– وأضرب مثلا يوضح حرصى هذا : إذ نقل الاسم (Ἔφεσος – بحروف لاتينية Ephesos ) إلى العربية (أفاسوس) كما ورد فى قاعدة المجمع (١) ، أصبح صوت الحرف ( ε ) فى أول الاسم وفى وسطه هو صوت الحرف ( α ) ، وفى هذا لبس شديد . إن كتابة هذا الاسم فى العربية ( إفيسوس أو إفسوس ) لأقرب إلى صورة الاسم الأصلية . ولهذا أرجو أن يأخذ المجمع الموقر برأيى هذا أو يتفضل بمناقشتى فيما ذهبت إليه .

التعليق ( ٣ ) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة ، رقم ( ٣ ) فى الحرف ( إيتا ، η ، H ) – د ٤ ح ٣٤ ص ٤١٤ – ٤١٥

صوت هذا الحرف الممدود بطبيعته يقابل صوت الألف الممالة الممدودة فى كلمة ضُحى وأقترح أن ينقل إلى العربية كالآتى :

١ – فى أول الاسم يرسم ألفاً مكسورة بعدها ياءٌ ( ذلك لأن الإمالة أن تميل بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياءِ ) .

٢ – فى وسط الاسم يرسم ياءٌ ممدودة .

٣ – فى آخر الاسم يرسم ياءٌ ممدودة أو ألفاً لينة *

ملاحظة : الألف اللينة هنا تقابل ( الحرف α ) وهو نهاية الكلمة المؤنثة المفردة فى اللهجة الدورية ( ذلك أن الأسماء المؤنثة المفردة فى اللهجة الأتيكية ، إذا ما انتهت فى حالة الرفع بالحرف ( η ) انتهت فى اللهجة الدورية بالحرف ( α ) ويصح فى هذه الحالة عند التعريب أن يحل صوت الحرف ( α ) محل الحرف ( η ) وذلك لخفة الحرف الأول عن الثانى . وهذا ما حدا بالأستاذ الجليل الدكتور طه حسين إلى تعريب مأساة ( Ἀντιγόνη ) بالاسم ( أنيتجونا ) بدلا من ( أنيتجونى ) .

وأما ما ذكره المجمع الموقر فى رقم ( ٣ ) برسم هذا الحرف – η – بياء وتاء مربوطة ( ية ) أسوة بالقلة القدامى فهو لا يمثل صوت الحرف فى لغته ولا يعتمد على قاعدة صوتية عربية . . وأرى أن ( أفريكا ) أصح من ( أفريقية ) و ( روما ) أصح من ( رومية ) .

التعليق ( ٤ ) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية عشرة ، فى الحرف (ايوتا ι ، ι ، I ) - د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤١٨ - ٤١٩

أقترح أن يرسم هذا الحرف كالآتى :

١ - يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة ، وهذا ما قال به المجمع الموقر .

٢ - يرسم فى أى جزء من بنية الاسم ياء ( مخافة إغفال وضع الكسرة تحت الحرف الذى قبله ، إذ بالرغم من أن المجمع الموقر قد قرر أن يمثل هذا الحرف بكسرة تحت الحرف الذى قبله ، فإنى لم أر أثرا لهذه الكسرة فى الأمثلة التى صاحبت القاعدة ، وهذا ما يجعلنى أتمسك مضطرا باتجاهى فى هذا الصدد ) .

التعليق ( ٥ ) :

قارن المجمع - القاعدة الثالثة عشرة فى الحرف ( أوميكرون ο ، ο ، O ) - د ٤ حـ ٣٤ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠

خشية إهمال وضع حركات التشكيل ، أخالف المجمع الموقر فى رقم ( ١ ) ، ( ٢ ) الذى صحبته أسماءٌ لم يظهر فيها أى أثر للحركات التى تنص القاعدة عليها .

وأقترح أن يكون صوته كالآتى :

١ - يرسم فى أول الاسم همزة مضمومة فقط أو بعدها واو .

٢ - يرسم فى أى جزء من بنية الاسم واوا .

وأود أن يأخذ المجمع الموقر برأيى ويتنازل عما ذكره فى رقم ( ١ ) ،( ٢ ) من القاعدة لأنه لا يمثل قاعدة صوتية يونانية .

وأقترح حذف ما ذكر فى رقم ( ٣ ) لأن الكلام هنا عن حرف ( أوميكرون ) لا الحرف ( أوميجا ) وسوف أناقش هذا عند الكلام عن صوت الحرف ( أوميجا ) الذى لم يعالج هنا بطريقة علمية انظر التعليق ( ٧ ) ، ملاحظة .

التعليق ( ٦ ) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية والعشرون ، فى الحرف (أوبسيلون υ ، υ ، Y ) - د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦

ليس لصوت هذا الحرف شبيه فى اللغة العربية إذ أن صوته واو مائلة إلى الياء ؛

وهذا ما حدا بالمعربين القدامى إلى نقله إلى العربية واوا حينا وياءً حينا آخر . وعلى هذا يمكن رسم هذاالحرف تجوزا واوا أو ياءً . ويكون صوته كالآتى :

١ – يرسم هذا الحرف فى أول الاسم « هُو » وذلك لأنه بطبيعته هائى الجرس فى أول الكلمة (انظر التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائى ، ص ١١٦–١١٧ )

٢ – يرسم فى أى جزء من بنية الاسم واوا أو ياءً .

ملاحظة : لكى يكون نطق العلم مستساغاً فى العربية أقترح أن يرسم هذا الحرف ياء فقط إذا كان فى بنية الاسم صوت أو أكثر يقابل حرف الواو . مثال ذلك الاسم (Λικομήδης) فكتابة هذا الاسم بالعربية ( ليكوميديس ) أخف فى النطق من ( لوكوميدس ) .

التعليق (٧) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة عشرة ، فى الحرف ( أوميجا ω، Ω ) ، رقم (٣) – د ٤ . حـ ٣٤ ، ص ٤٢٠

ليس لهذا الحرف الممدود بطبيعته صوت مقابل فى اللغة العربية ، إلاَّ أنه يمكن القول بأن صوته قريب من صوت الواو المائلة إلى الأَلف فى كلمة (عون ، النطق الدارج للفظ العربى عوْن ) . ويرسم هذا الحرف فى العربية كالآتى :

١ – يرسم فى أول الاسم همزة مضمومة ممدودة ( مائلة إلى الألف ) أو همزة مضمومة بعدها واو وذلك للتيسير .

٢ – يرسم فى أى جزء من بنية الاسم واوا ( مائلة إلى الألف ) .

ملاحظة : لاحظت أن صياغة ماورد فى رقم (٣) – وهو عن هذا الحرف – غير واضحة ومضطربة فى نفس الوقت . وأغلب الظن أنه وقع فيها بعض الأخطاء المطبعية ، ذلك لأنه من المستحيل أن يرسم هذا الحرف واواً ونوناً إلا إذا كان حرف(ν) أحد حروف الاسم ، وأذكر على سبيل المثال الاسم (Σαπφω) فهو ينطق ( سافو ) لا سفون ( كما ورد فى الأمثلة المصاحبة لهذه القاعدة ، فمن أين أتت هذه النون التى لا وجود لها فى بنية الاسم ؛ انظر ، ١ – أصوات الحروف اللاتينية اللينة ، التعليق – ٤ – ، فما ذكرته هناك يعتبر تصحيحاً لما ورد فى هذه القاعدة .

## ج – أصوات الحروف اللينة المزدوجة اليونانية :

ملاحظة : المزدوج هو وحدة صوتية تتألف من حرفين لينين معينين ويشترط عند النطق بها أن يحس كلا الحرفين المكونين لها على أن يكون ذلك مختلساً ، وقد ظل صوت المزدوج ممدوداً فى عصور اللغة المختلفة .

والحروف اللينة المزدوجة هى : αι ، αυ ، ει ، ευ ، οι ، ου . أما جرسها اليونانى فسأحاول تقريبه بأصوات إنجليزية أو فرنسية ، وسوف أذكر الأصوات العربية المقابلة فى التعليقات ، انظر ، (١) – (٦) .

تنبيه : لقد اعترى بعض أصوات هذه الحروف التغيير والتحريف عبر الأجيال والقرون ، فأخذت تنحرف عن أصواتها الأولى الأصيلة التى كانت تمثل صوت المزدوج كأحسن ما يكون التمثيل فأصبح صوت المزدوج ( αι ، ει ) يقابل صوت الحرف ( ε الممدود ) وصار صوت المزدوجين ( οι ، ου ) يقابل صوت الحرف ( υ الممدود ) ومما لاريب فيه أن عدم التمييز بين أصوات المزدوجين ( αι ، ει ) ثم بين المزدوجين ( οι ، ου ) كما رأينا يسبب لبساً شديداً للمعرب ولا يساعده على الوصول إلى الاسم المعرب فى لغته . لقد اكتفى المجمع الموقر فى قراراته بوضع قواعد عن المزدوجين ( ει ) (١٠) ، (αι) (١١) ولم يتعرض لأصوات الحروف المزدوجة الأخرى التى ذكرتها ، و لو أنه فعل لوقف على هذه الظاهرة المؤسفة . وأغلب الظن أنه لم يتناولها بالبحث لأن أصوات هذه الحروف المزدوجة اليونانية ليس لها نظائر فى العربية فيما عدا صوت المزدوج المكون من الهمزة أو الألف المفتوحة بعدها ياء ساكنة مثل ( أى ) وهى تقابل فى اليونانية المزدوج ( αι ) والمزدوج المكون من الألف المفتوحة بعدها واو ساكنة مثل ( أو ) وهى تقابل فى اليونانية المزدوج ( αυ ) وقد توافق صوتا هذين المزدوجين فى العربية وفى اليونانية كما سنرى على أساس أن مجىء الياء أو الواو بعد الفتحة أمر ممكن (١٢) .

وبالنسبة لأصوات المزدوج الأصلية والمتأخرة ، فارانى أجنح إلى التمسك بالأصوات القديمة الأصلية لأنها وحدها التى تساعد على النطق الصحيح للأعلام كما نطقها أصحاب الأعلام أنفسهم ، ومع ذلك سأعرض تعليقاً فى الأصوات الأصلية والمتأخرة ، وأناقش ما أراه جديراً بالمناقشة وأترك للمعرب تخير ما يحلو له من هذه الأصوات ، أصلية كانت أو متأخرة .

ولأول مرة سأذكر بعض الأعلام فى صورتها اليونانية وأنقلها إلى العربية ، بعد أن انتهيت من الكلام عن الحروف اليونانية ، جامدة ولينة

وفيما يلى بيان بهذه الحروف .

| المزدوج | صوته الأصلى مقربا بأصوات إنجليزية | صوته المتأخر | التعليق |
|---|---|---|---|
| αι | مثل صوت الحرف (i) فى كلمة (idle) الإنجليزية . | تغير صوته فى القرن الثانى الميلادى إلى صوت الحرف (e) الممدود | (١) |
| αυ | مثل صوت الحرفين (ou) فى كلمة (house) الإنجليزية . | احتفظ بصوته الأصيل | (٢) |
| ει | مثل صوت الحرفين (ee) فى كلمة « meet » الإنجليزية أو صوت الحرفين (ey) فى كلمة (grey) الإنجليزية . | تغيرصوته إلى صوت الحرف ( e الممدود ) أو صوت الحرف ( I الممدود ) فى القرن الأول ق . م | (٣) |
| ευ | مثل صوت الحرفين (ew) فى كلمة (new) الإنجليزية . | احتفظ بصوته الأصيل | (٤) |
| οι | مثل صوت الحرفين (oi) فى كلمة (boil) الإنجليزية . | تغير صوته إلى صوت الحرف (u الممدود) فى القرن الثالث الميلادى | (٥) |
| ου | مثل صوت الحرفين (oo) فى كلمة (moon) الإنجليزية أو صوت الحرفين (ou) فى كلمة (youth) الإنجليزية . | تغير صوته إلى صوت الحرف ( u الممدود ) ، عام ١٥٠ ق . م | (٦) |

(١٠) انظر القاعدة الثانية ، د ٤ ، ج ٣٣ ، ص ٤٠٩ — ٤١٠

(١١) انظر القاعدة السابعة د ٤ ، ج ٣٤ ، ص ٤١٥ — ٤١٦

(١٢) انظر ص ٧٦ من بحث « التفكير الصوتى عند العرب فى ضوء سر صناعة الإعراب لابن جنى » انظر كذلك الحاشية رقم ( ٧ ) .

# التعليقات

التعليق (١) :

قارن قرار المجمع . القاعدة الثانية فى المزدوج (αι) رقم (١) – د ٤ ، ﺣ ٣٣، ص ٤٠٩ – ٤١٠ .

يُرسم هذا المزدوج كالآتى :

١ – يرسم فى أول الاسم همزة ممدودة مفتوحة بعدها ياء ساكنه ، وهذا ممكن فى العربية ( وليس همزة مكسورة كما ورد فى قاعدة المجمع ) ؛ مثال ذلك :

آيْسوپوس Αἴσωπος

٢ – يرسم فى أى جزء من بنية الاسم ألفاً بعدها ياء ( الصوت الأصلى ) أو ياءً مكسورة ( الصوت المتأخر ) ، مثال ذلك

أريستايوس ( الصوت الأصلى ) ، أريستيوس (الصوت المتأخر) Ἀριστaῖος

التعليق (٢) :

فى المزدوج (αυ) ؛ لم يأت ذكره فى قرارات المجمع الموقر .

صوت هذا المزدوج الذى احتفظ بصوته الأصلى كالآتى :

١ – يرسم هذا الحرف فى أول الاسم همزة ممدودة مفتوحة بعدها واو ساكنة وهذا ممكن فى العربية . مثال ذلك :

آوْليس Αὐλίς

٢ – يرسم فى وسط الاسم ألفاً بعدها واو ، مثال ذلك :

تاوْروس Ταῦρος

التعليق (٣) :

فى المزدوج (ει) ؛ لم يأت ذكره فى قرارات المجمع الموقر ، وصوته كالآتى :

١ – يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة بعدها ياءً مكسورة ( الصوت المتأخر ) مثال ذلك :

إيراس Εἰράς

٢ – يرسم فى وسط الاسم ياءً مكسورة ( الصوت المتأخر ) ، مثال ذلك :

بوسيدون Ποσειδῶν

التعليق (٤) :

قارن المجمع القاعدة السابعة في المزدوج (ευ) – د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤١٥ – ٤١٦. وصوت هذا المزدوج كالآتي :

١ – يرسم هذا الحرف في أول الاسم همزه مكسورة بعدها ياء مضمومة أو يرسم ياء مضمومة بعدها واو ( أمّا ما أقره المجمع برسمها همزة مضمومة بعدها واو ففيه لبس يأتي من عدم التمييز بين صوت هذا المزدوج وبين صوت الحرف ( أوميجا ω ) ، مثال ذلك :

إيوكليديس أو يوكليديس ( إقليدس ) Εὐκλείδης

٢ – يرسم في وسط الاسم ياء مضمومة بعدها واو ، مثال ذلك :

تيُوكروس Τεῦκρος

التعليق ( ٥ ) :

في المزدوج ( οι ) ، لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر ، وصوته

١ – يرسم هذا المزدوج في أول الاسم همزة مضمومة بعدها ياء ساكنة ( الصوت الأصلي ) ، أو يرسم ألفاً مضمومة بعدها واو ( الصوت المتأخر ) ، مثال ذلك :

أَيْنُوني ( أُيْنونا ) ( الصوت الأصلي ) ، أونوني ( أونونا ) ( الصوت المتأخر ) ، Οἰνώνη

٢ – يرسم في وسط الاسم واوا بعدها ياء ساكنة ( الصوت الأصلي ) أو واوا ( الصوت المتأخر ) مثال ذلك :

فوينيكس ( الصوت الأصلي ) ، فونيكس (الصوت المتأخر ) Φοῖνιξ

ملاحظة : يلاحظ أن صوت هذا المزدوج أصبح مثل صوت الحرف اللين ( ι ) في عصور متأخرة ولكنى لا أستطيع الأخذ بهذا الصوت لأن أحداً من المعربين سوف لا يلتفت إليه عند التعريب ، ثم إنه صوت مفتعل .

التعليق ( ٦ ) :

في المزدوج ( ου ) ؛ لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر .

إن صوت هذا المزدوج يتفق في صوته الأصلي والمتأخر مع صوت الواو في العربية ، صوته كالآتي :

١ – يرسم في أول الاسم همزة مضمومة بعدها واو ، مثال ذلك :

أورانوس Οὐρανς

٢ – يرسم في وسط الاسم واوا ممدودة .

بوسيريس . Βοὖσιρις

تنبيه : علامة التنفيس أو الجرس الهائى :
ليس في الأبجدية اليونانية حرف يقابل حرف الهاء في العربية ، ولكن هناك علامة تشبه القوس الصغير المفتوح من الجهة اليمنى توضع عن يسار الحرف اللين

الأول من الاسم مثل ( Aʽ ) وعلى الحرف الثانى من المزدوج ، مثل ( Aἱ ) لتكسب الحرف اللين أو المزدوج صوتاً هائياً . وبهذا ينطق الحرف ( Aʽ ) على سبيل المثال ( ها ) ، وينطق المزدوج ( Aʽι ) ( هاى ) . وهذه العلامة إذا إن صاحبت الحروف اللينة والمزدوجة التى يبدأ بها الاسم وكذلك الحرف الجامد ( رو ، ρ ، P ) أكسبته جرساً هائياً ، مثال ذلك :

| | |
|---|---|
| هالوس | Ἅλος |
| هيكتور | Ἕκτωρ |
| هيراكليس ( هرقل ) | Ἡρακλῆς |
| هوميروس | Ὅμηρος |
| هوروس ( حورس ) | Ὧρος |
| رودوپى ( رودوپا ) | Ῥοδόπη |

( يلاحظ أن حرف ( P ) لم يظهر معه الجرس الهائى فى التعريب ، وذلك لصعوبة النطق به فى العربية . )

هايمون ( الصوت الأصلى ) ، هيمون ( الصوت المتأخر ) . Aʽἱμων

ملاحظة : الحرفان ( أوپسيلون υ ، رو P ) هما الوحيدان اللذان تصاحبهما علامة التنفيس دائماً ، وأما الحروف الأخرى فقد تكون هائية الصوت كما رأينا أو لا تكون ، مثال ذلك :

أكاديميا ، أكاديمية . Ἀκαδημεία

تنبيه : الابتداء بالساكن :

قارن المجمع ، القاعدة الأولى – د ٤ ، ج ٣٣ ، ص ٤٠٧ – ٤٠٨

إذا استحال النطق بالمبدوء بالساكن فى العربية ، فالأمر غير كذلك فى اليونانية ، وعلى ذلك إن طبقت قاعدة الابتداء بالساكن على الأعلام الإغريقية فسوف تكون صورة هذه الأعلام فى العربية مختلفة عن صورتها فى اليونانية ومادام بعض المعربين العرب لم يأخذوا بهذه القاعدة ، فأرى أن يرسم طبقاً للقاعدة العربية فى حالة واحدة فقط ، وهى رقم (١) وفيما عدا هذا يُتبع أسلوب صوتى آخر فى رقمى (٢) ، (٣) كالآتى :

١ – تزاد همزة مكسورة فى أول الاسم إذا كان أول حرف لين فيه هو ( ε ) أو ( ι ) أو ( η ) ، مثال ذلك :

| | |
|---|---|
| إفريكسوس | Φρίξος |
| إكسيركيس | Ξέρξης |

٢ – تزاد همزة مفتوحة فى أول الاسم ، إذا كان الحرف اللين الأول منه حرف ( α ) ، مثال ذلك :

أپلاتون ( أفلاطون ) Πλάτων

٣ – يضم الحرف الأول من الاسم إن كان الحرف اللين الأول منه هو حرف ( ο أو υ أو ο υ أو ω ) ، مثال ذلك :

| | |
|---|---|
| بُروميثيوس | Προμηθεύς |
| أُبسيخا | Ψύχη |

بْلوتارخوس Πλούταρχος

پروتاجوراس Πρωταγόρας

تنبيه : نطق الحروف المشددة ( المضعّفة ) فى الاسم : ينطق الحرفان الجامدان اللذان من نوع واحد مثل ( λλ ، μμ ) فى العربية حرفاً واحدا مشدّدًا ، مثال ذلك :

كالِّيماخوس Καλλίμαχος

ليسّوس Λισσός

## نماذج من الأعلام للتطبيق على التعليقات[١٣]

أرخيميديس (أرشيمدس) Ἀρχιμήδης

( انظر ( ا – أصوات الحروف الجامدة : التعليق – ١٦ – ) ، ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٣ – )

أفروديتى ، أفروديتا . Ἀφροδιτη

انظر (ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٣ – ، رقم – ٣ – )

أندروميدا Ἀνδρομέδα

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ١ – ، رقم – ٣ – )

أنخيسيس Ἀγχίσης

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٢ – ملاحظة )

أبراسيداس Βρασίδας

انظر ( التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم – ٢ – ، ص ١١٧ )

جورجياس Γοργίας

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٢ – )

جورجو Γοργώ

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، تعليق – ٧ – ، ملاحظة )

ديونيسوس Διόνυσος

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٣ – ) ، ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٦ – ، رقم – ٢ – )

إيندوميون Ἐνδυμίων

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٢ – رقم – ١ – ٢ )

هيلوس Ἕλος

انظر ( التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائى ، ص ١١٦ )

زينون Ζήνων

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٤ – ) ، ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٧ – )

إيليكترا ، إيليكتره Ἠλέκτρα

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٣ – ، رقم – ١ – ) ، ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ١ – ، رقم – ٤ – )

(١٣) عن المزدوج ، انظر : حـ – أصوات الحروف اللينة المزدوجة والتعليق على كل مزدوج منها .

ثيسّاليا ، ثيسّالية Θεσσαλία

انظر ( التنبيه الخاص بالحروف المشددة فى الاسم ، ص ١١٨ ) ، ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ١ – ، رقم – ٤ – )

إيونيا ، إيونية Ἰωνία

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٤ – )

كادموس Κάδμος

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة التعليق – ٦ – ، – ٤ – )

إكليوپاترا ، كليوپاترا ، كليوپاترة . Κλεοπάτρα

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ١٤ – )

ليبيا Λιβύη

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٦ – رقم – ٢ – )

ماراثون Μαραθών

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٨ – )

ميديا ، ميديّة Μήδεια

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ١ – ، رقم – ٣ ، ٤ – )

ناكسوس : Νάξος

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٩ – ، – ١٠ – )

إكسينوفون Ξενοφῶν

انظر ( التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم – ١ – ، ص ١١٧ )

أوسيريس ( أُزيريس ) Ὄσιρις

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٥ – )

بيثاجوراس ( فيثاغورس ) Πυθαγόρας

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ١١ – )

رودوس ( رودس ) Ῥόδος

انظر ( التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائى ولاحظ تعذر نطق الراء المنفسة فى العربية )

إستيسيخوروس Στησίχορος

انظر ( التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم – ١ – ، ص ١١٧ )

تيموكراتيس Τιμοκράτης

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ١٤ – )

إفريجيا ، فريجيا ، فريجية Φρυγία

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ١٥ – )

فيليپوس ( فليب ) Φίλιππος

انظر ( التنبيه الخاص بالحروف المشددة فى الاسم ص ١١٨ )

خيمَايْرا ، خمايرة ، خيميرا ، خيميرة ، ( الصوت الأَصلى والأَخير ) Χίμαιρα

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ١٦ – ) ، ( ح – أصوات الحروف اللينة المزدوجة – التعليق ، – ١ – )

أوريون Ὠρίων

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٧ – ، رقم – ١ – ، – ٢ – )

## ٤ — كتابة الاعلام الرومانية بحروف عربية

### (ا) أصوات حروف الأبجدية اللاتينية الجامدة :

ملاحظة : أسماء الحروف اللاتينية ، جامدها ولينها هى تقريباً الأسماء التى تطلق على حروف اللغة الإنجليزية .

تنبيه : للحرف الجامد اللاتينى صوت واحد لايتغير مطلقاً .

وفيما يلى بيان بهذه الحروف وما يقابلها من حروف الأبجديه العربية :

| الحروف الجامدة: الصغير | الحروف الجامدة: الكبير | الحروف العربية المقابلة والأصوات المقترحة | التعليق |
|---|---|---|---|
| b | B | الباء | (١) |
| c | C | الكاف | (٢) |
| d | D | الدال | (٣) |
| f | F | الفاء | (٤) |
| g | G | الجيم (غير المعطشة) | (٥) |
| h | H | الهاء | (٦) |
| i,j | I,J | (الياء) | (٧) |
| k) | (K | (الكاف) | (٨) |
| l | L | اللام | (٩) |
| m | M | الميم | (١٠) |
| n | N | النون | (١١) |
| p | P | (الباء) | (١٢) |
| q | Q | الكاف | (١٣) |
| r | R | الراء | (١٤) |
| s | S | السين | (١٥) |
| t | T | التاء | (١٦) |
| u(v) | V | واو أو فاء بثلاث نقط | (١٧) |
| x | X | تنطق كس بسكون الكاف | (١٨) |
| z | Z | الزاى | (١٩) |
| الحروف المركبة | | | |
| ch | Ch | الكاف | (٢٠) |
| ph | Ph | الفاء | (٢١) |
| th | Th | الثاء | (٢٢) |

# التعليقات

التعليق ( ١ ) :

الحرف ( B, b ) لم يأت ذكره فى قرارات المجمع الموقر . وصوته كالآتى :

« يرسم هذا الحرف باءً فى العربية »

التعليق ( ٢ ) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة ، فى الحرف (C, c) ـ د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤١١ ـ ٤١٢

ملاحظة : كان هذا الحرف ينطق فى العصور الأولى للغة كحرف ( G ) جيما غير معطشة ، يشهد بذلك أن اختصار بعض الأعلام التى تبدأ بالحرف ( G ) كان يمثله الحرف ( C ) مثل (Gaius) . وأصبح هذا الحرف ينطق كحرف ( K ) ، أى كافا وعند هذا اختفى الحرف الأخير من الاستعمال فيما عدا بضع أعلام احتفظت فى بنيتها بهذا الحرف مثل ( Kaeso ) .

صوت هذا الحرف يقابل فى العربية حرف الكاف ولا أجد مبررًا صوتياً يسمح بقلب الكاف قافاً ، لأن أصحاب اللغة لم ينطقوه كذلك ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن ابن جنى يقول إن القاف أصلا لا بدلاً ويقول كذلك بأنه ليس هناك داع لقلب الكاف قافاً ، (١٤) فإذا كان قلب الكاف قافاً معترضاً عليه فى العربية ، فهل يفرض على لغة أخرى ، لهذا أقترح تعديل القاعدة كالآتى :

« يرسم هذا الحرف كافاً فى العربية »

التعليق ( ٣ ) :

قارن المجمع القاعـــــدة الخامسة ، فى الحرف (D,d) ـ د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤١٣ .

صوت هذا الحرف لا يقابل دالاً معجمة ، فإن صح هذا تجوزا على الحرف ( Δ, δ ) اليونانى فلا يصح على هذا الحرف بالمرة ، وعلى ذلك أقترح تعديل القاعدة كالآتى :

« يرسم هذا الحرف دالا مهملة »

التعليق ( ٤ ) :

قارن المجمع ، القاعدة الثامنة ، فى الحرف ( F, f ) ـ د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤١٦ .

---

(١٤) انظر « سر صناعة الاعراب » ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٢٧٨ . انظر كذلك الحاشية ( ٨ ) .

صوت هذا الحرف يقابله فى العربية حرف الفاء ، وهو وقف على اللاتينية دون اليونانية ، ويرسم هذا الحرف كالآتى :

« يرسم هذا الحرف فاءً فى العربية » .

التعليق (٥) :

قارن المجمع ، القاعدة التاسعة ، فى الحرف ( G,g ) – د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤١٦ – ٤١٧ .

صوت هذا الحرف حتى القرن السادس الميلادى يقابل صوت الجيم العربية غير المعطشة ، وليس هناك دليل على أنه نطق غنيا بالمرة ، وعلى هذا أقترح تعديل هذه القاعدة كالآتى :

« يرسم هذا الحرف جيماً غير معطشة »

التعليق ( ٦ ) :

قارن المجمع ، القاعدة العاشرة ، فى الحرف ( H,h ) – د ٤ حـ ٣٤ ، ص ٤١٧ – ٤١٨ .

صوت هذا الحرف كالآتى :

« يرسم هذا الحرف فى العربية هاءً »

التعليق ( ٧ ) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية عشرة فى الحرف ( J,j ) – د ٤ ، ، حـ ٣٤ ، ص ٤١٩ .

ملاحظة : الحرف ( I,i ) ، أحد الحروف اللينة ، هو أيضاً حرف جامد ( أو نصف جامد كما يسميه النحاة المحدثون ) . وهذا الحرف يكون جامداً إذا سبقه حرف لين أو تلاه آخر . وينطق ياء مثل ( iam ) وينطق ( يام ) ، ( eius ) وتنطق ( إيوس ) . وللتمييز بين الحرف (i) اللين والجامد روى فى عصور متأخرة أن يمثل الحرف ( J ) – وهو ليس أحد حروف الأبجدية اللاتينية – الحرف ( I,i الجامد ) على أن ينطق ياء مثل ( jam ) فهى تنطق ( يام ) كما لو كانت قد كتبت ( iam ) .

وبالنسبة للأعلام الرومانية ، أرى أن يكون صوت الحرف ( J ) مقابلا لصوت الحرف جيم ( المعطشة ) وذلك لسهولة الرجوع إلى الأعلام المبدوءة بهذا الحرف فى المعاجم الكبرى التى خصصت له باباً خاصاً به . ولكن لا مانع من نطقه ياءً أيضاً . ولهذا أود أن يقرنى المجمع الموقر على التعديل الآتى :

« يرسم الحرف ( J ) الممثل للحرف ( I , i الجامد ) جيماً معطشة إذا بدأ به علم من الأعلام الرومانية فقط ولا مانع من رسمه ياءً أيضاً » .

التعليق ( ٨ ) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة فى الحرف ( K, k ) _ د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤١١

لقد أهمل استعمال هذا الحرف وحل محله الحرف (C, c) ؛ انظر التعليق _ ٢ _ ، ملاحظة .

التعليق ( ٩ ) :

فى الحرف (L , l) ؛ لم يأت ذكره فى قرارات المجمع الموقر ، وصوته كالآتى :

« يرسم هذا الحرف فى العربية لاماً »

التعليق (١٠) :

فى الحرف (M,m) ؛ لم يأت ذكره فى قرارات المجمع الموقر ، وصوته كالآتى :

« يرسم هذا الحرف فى العربية ميماً ».

التعليق (١١) :

فى الحرف (N,n) ؛ لم يأت ذكره فى قرارات المجمع الموقر ، وصوته كالآتى :

« يرسم هذا الحرف فى العربية نوناً »

التعليق (١٢) :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة عشرة ، فى الحرف (P, p) _ د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤٢٠ _ ٤٢١ .

صوت هذا الحرف يقابل صوت الپاء لا الفاء فى العربية وذلك فى جميع الأحوال والمواضع ؛ انظر ما ذكرته عن حرف (پي اليونانى) _ ( أ _ أصوات الحروف الجامدة اليونانية ، التعليق _ ١١ _ ) ، وأود أن يوافق المجمع على تعديل القاعدة كالآتى :

« يرسم هذا الحرف باءً شديدة (أى باءً تحتها ثلاث نقط ) » .

التعليق (١٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الخامسة عشرة ، فى الحرف (Q, q) _ د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤٢١ _ ٤٢٢ .

ملاحظة : يتبع هذا الحرف دائماً بالحرف اللين (U) ويعتبران حرفاً واحداً .

صوت هذا الحرف يقابل صوت الحرف (C) تماماً ، أى يرسم كافاً لا قافاً (انظر ، ا _ أصوات الحروف الجامدة اللاتينية ،

التعليق ٢ – ) ، ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالآتى :

« يرسم هذا الحرف فى العربية كافاً شأنه فى ذلك شأن الحرف ( C ) .

التعليق (١٤) :

فى الحرف (R , r) ؛ لم يأت ذكره فى قرارات المجمع الموقر فصوته كالآتى :

« يرسم هذا الحرف فى العربية راء » .

التعليق (١٥) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة عشرة ، فى الحرف (S , s) – د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤٢٢ .

يقابل هذا الحرف السين العربية ولا علاقة له البتة بصوت الصاد أو الشين المعجمة كما كتبه بعض النقلة القدامى ، ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالآتى :

« يرسم هذا الحرف سيناً فقط »

التعليق (١٦) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة عشرة ، فى الحرف ( T , t ) – د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤٢٣

هذا الحرف يقابل التاء لا الطاء فى العربية (انظر أ – أصوات الحروف الجامدة اليونانية ، القاعدة – ١٤ – ) ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالآتى :

« يرسم الحرف فى العربية تاء فقط »

القاعدة (١٧) :

قارن المجمع ، القاعدة العشرون ، فى صوت الحرف ( V , u ) – د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤٢٤ .

ملاحظة : الشكل ( V ) فى اللغة اللاتينية يمثل الحرف الكبير للحرف الصغير ( u ) ، أى أنه لايمثل الحرف ( V , v ) ، أحد حروف الأبجدية الإنجليزية مثلا .

وهذا الحرف ، وإن كان أحد الحروف اللينة ، إلا أنه حرف جامد كذلك ( أو نصف جامد كما يسميه النحاة المحدثون ) . ويكون هذا الحرف جامداً إذا تلاه حرف لين وينطق واواً ، مثل ( Venio,uenio ) وتنطق فى العربية ( وينيو ) . وللتمييز بين صوتى الحرف ( V, u ) اللين والجامد رؤى فى عصور متأخرة أن يمثل الحرف ( V, v ) – وهو ليس أحد حروف الأبجدية اللاتينية – الحرف (V, u) الجامد على أن ينطق واواً أو فاء بثلاث نقط وذلك للتيسير ، وعلى هذا تكتب الكلمة المذكورة ( Venio, venio ) وتنطق ( وينيو أو ڤينيو ) . ويسرنى أن المجمع الموقر قد قبل صوت الحرف ( V – ڤ ) وأوصى برسمه فاء بثلاث نقط (١٥) .

(١٥) انظر : د ٤ ، حـ ٣٢ ، ص ٣٩٨

وبالنسبة للأعلام الرومانية ، أرى أن يكون صوت الحرف (V,v = V, u)مقابلاً لصوت الحرف ( V ـ ڤ) ، وذلك لسهولة الرجوع إلى الأعلام المبدوءة بهذا الحرف فى المعاجم الكبرى . ولكن لا مانع من نطقه واوًا أيضاً ولهذا أود أن يقرنى المجمع الموقر على التعديل الآتى :

١ – يرسم الحرف ( V ) الجامد الكبير فى أول الاسم فاءً بثلاث نقط أو واوا .

٢ – يرسم الحرف ( v ) الجامدالصغير وسط الاسم فاءً بثلاث نقط .

التعليق ( ١٨ ) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية والعشرون ، فى الحرف (X , x) – د ٤ حـ ٣٤ ، ص ٤٢٤ – ٤٢٥ .

هذا الحرف مركب ، يتركب من ( S , c ) وينطق «كْس» بسكون الكاف وصوته كالآتى :

١ – يرسم فى أول الاسم (إكْس) طبقاً للتنبيه الخاص بالابتداء بالساكن ، انظر ص ١٣٣ – ١٣٤ ) .

٢ – يرسم فى وسط الاسم (كْس) بسكون الكاف ، أما حرف السين فيحرك وفقاً لحركة الحرف اللين التالى له .

التعليق ( ١٩ ) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة والعشرون ، فى الحرف (Z, z) – د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤٢٦ .

هذا الحرف من الحروف الأبجدية اليونانية التى دخلت الأبجدية اللاتينية ( انظر ، أ – أصوات الحروف الجامدة اليونانية ، التعليق –٤– ) وهو يقابل فى العربية زايا .

التعليق (٢٠) :

قارن المجمع القاعدة الرابعة فى الحرف المركب ( Ch, ch ) – د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤١٢

هذا حرف مركب ، يتركب من حرفى (h, c) وصوته فى اللاتينية كاف منفَّسَة ذات جرس هائى . وأقرب صوت له فى العربية هو صوت الكاف لا الخاء ،

لأن صوت الخاء ليس صوتاً لاتينيا ، وعلى هذا أقترح تعديل القاعدة كالآتى :

١ - يرسم فى الأعلام الرومانية كافاً .

٢ - قد يرسم فى الأعلام الإغريقية المكتوبة بحروف لاتينية خاءً ، وذلك للاحتفاظ بالصورة الصوتية للعلم الإغريقى.

التعليق (٢١) :

فى الحرف المركب ( Ph, ph ) ؛ لم يأت ذكره فى قرارات المجمع .

هذا الحرف مركب ، يتركب من ( h ، p) وصوته فى لغتة صوت الباء المنفّسة أو الباء ذات الجرس الهائى . وأقرب صوت له فى العربية هو صوت الفاء ، وعلى هذا أقترح أن يكون صوته كالآتى :

« يرسم هذا الحرف المركب فاءً فى العربية »

التعليق (٢٢) :

قارن المجمع القاعدة ، الثامنة عشرة ، فى الحرف المركب ( Th, th ) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٣ .

هذا الحرف مركب ، يتركب من ( h ، t ) وصوته فى لغته هو صوت التاء المنفّسة أو التاء ذات الجرس الهائى . وأقرب صوت له فى العربية هو صوت الثاء ، وعلى ذلك أقترح أن يكون صوته كالآتى :

« يرسم هذا الحرف المركب ثاءً فى العربية »

## (ب) أصوات حروف الأبجدية اللاتينية اللينة :

ملاحظة : الحرف اللين اللاتينى صوت واحد لايتغير ولكنه يكون ممدوداً أو مخففاً .

وهذه الحروف الستة هى :

y, u, o, i, e, a

وفيما يلى بيان بهذه الحروف وأصواتها اللاتينية مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية . أما الأصوات العربية المقابلة فستذكر فى التعليقات ، انظر (١) -(٦)

| الحروف اللينة | | أصواتها اللاتينية مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية | التعليق |
|---|---|---|---|
| الصغيرة | الكبيرة | | |
| a | A | الممدود : مثل صوت الحرف ( a ) الثانى فى كلمة (Papa) الإنجليزية .<br>المخفف : مثل صوت الحرف ( a ) الأول فى كلمة (Papa) الإنجليزية . | ( ١ ) |
| e | E | الممدود : مثل صوت الحرفين ( e e ) فى كلمة (feet) الإنجليزية .<br>المخفف : مثل صوت الحرف ( e ) فى كلمة (net) الإنجليزية . | ( ٢ ) |
| i | I | الممدود مثل صوت الحرف ( i ) فى كلمة (caprice) الإنجليزية .<br>المخفف : مثل صوت الحرف ( i ) فى كلمة (Pin) الإنجليزية . | ( ٣ ) |
| o | O | الممدود : مثل صوت الحرف ( o ) فى كلمة (note) الإنجليزية .<br>المخفف : مثل صوت الحرف ( o ) فى كلمة (not) الإنجليزية . | ( ٤ ) |
| u | V | الممدود : مثل صوت الحرفين ( o o ) فى كلمة (shoot) الإنجليزية .<br>المخفف : مثل صوت الحرفين ( o o ) فى كلمة (Took) الإنجليزية . | ( ٥ ) |
| y | Y | الممدود : مثل صوت الحرف ( U ) فى كلمة (pure) الفرنسية .<br>المخفف : مثل صوت الحرف ( U ) فى كلمة (pu) الفرنسية . | ( ٦ ) |

تنبيه : أصوات الحروف اللينة كما اقترحها :

الأصل فى نقل حروف المد أن ترسم ألفاً أو واواً أو ياء بحسب صوت الحرف اللين اللاتينى . أما المخففة فتقابلها الحركات : الفتحة والضمة والكسرة بحسب صوت الحرف اللين اللاتينى ، ولكن لما كان التمييز بين الحرف الممدود والمخفف يتطلب دراسة متخصصة لا تخلو من الصعوبة التى أشرت إلى بعضها سابقاً ( انظر التنبيه الخاص بأصوات الحروف اللينة اليونانية ، ص١٠٨ ) فأرى أن تعتبر الحروف كلها حروف مد بدامة ما دام ذلك لايغير طبيعة صوت الحرف وإن كان يغير طبقته ، مداً وقصراً ، وإذا كان هذا الاتجاه غير دقيق نسبياً إلا أنه أفضل من التخبط فى نقل صوت الحرف وهو كذلك أفضل من اغفال وضع الحركات وكثيراً مايحدث هذا ، بل إن ذلك يحدث فى معظم الأحيان . وأسوق مثلا يقوم دليلا على سلامة هذا الاتجاه نسبياً : فالأصل فى نقل الاسم (Balbus) الذى ينتهى بحرف ( u المخفف ) أن توضع ضمة على الحرف السابق على هذا الحرف اللين ، فاذا أغفل وضع هذه الضمة ونقل الاسم إلى العربية ( بالبس ) ، فان القارىء لهذا الاسم لا يستطيع معرفة صورة العلم فى لغته ، ولكن إذا استعيض عن الضمة بالواو وكتب الاسم ( بالبوس ) استطاع أن يهتدى إلى الاسم المقصود والرجوع إليه بسهولة فى مراجعه .

التعليق (١) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية :
فى الحرف (A, a) ـ د ٤ ، حـ ٣٣ ، ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ .

صوت هذا الحرف كالآتى :

١ ـ يرسم فى أول الاسم همزة مفتوحة .

٢ ـ يرسم فى وسط الاسم ألفاً .

٣ ـ يرسم فى نهاية الاسم ألفاً لينة .

٤ ـ يرسم فى آخر الاسم تجوزا تاء مربوطة إذا سبقه الحرف اللين (e) أو (i) أو الحرف الجامد (r) ( لأنه حرف مائع ، وسط بين الجامد واللين ).

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة :
فى الحرف (E, e) ، ـ د٤ حـ٣٤ ، ص ٤١٣ ـ ٤١٤ .

صوت هذا الحرف يشبه فى العربية الألف الممالة فى كلمة سكارى ، وأرى أن ينقل إلى العربية كالآتى :

١ ـ يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة ( لا مفتوحة كما ورد فى قاعدة المجمع ) .

٢ ـ يرسم فى وسط الاسم ياء ( أو يودى بكسرة إذا عنى بالتشكيل ) .

٣ ـ يرسم فى آخر الاسم ألفاً ممالة أو ألفاً لينة للتخفيف .

ملاحظة : إن مادعانى إلى مخالفة المجمع الموقر فيما ورد فى رقمى (١) ، (٢) هو حرصى على تجنب اللبس بين صوت هذا الحرف وصوت الحرف (A, a) ، انظر التعليق ـ ١ ـ ( وأضرب مثلا يقوم دليلا على سلامة هذا الاتجاه : إذا نقل الاسم (Ephesus) إلى العربية ( أفاسوس ) ، كما ورد فى قاعدة المجمع رقم (١) ، أصبح صوت الحرف ( e ) فى أول الاسم وفى وسطه هو نفس صوت الحرف ( a ) وسيسبب هذا لبسا للقارىء ، أضف إلى هذا أنه لايوجد حرف لين يتفق صوته مع صوت حرف لين آخر ، وهكذا فكتابة هذا الاسم فى العربية ( إفيسوس أو إفسوس ) صحيحة صوتياً وأقرب إلى صورة الاسم الأصلى المعرب .

ولهذا أرجو أن يأخذ المجمع الموقر بهذا الرأى أو يناقشنى فيه .

التعليق (٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية عشرة ، فى الحرف ( I, i ) ـ د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩ .

ملاحظة : ( انظر ، أ ـ أصوات الحروف اللاتينية الجامدة ، التعليق ـ ٧ ـ ، ملاحظة ، حيث تناولت هذا الحرف بالتعريف بوصفه جامداً ) .

هذا الحرف حرف لين ، ويكون ليناً إذا كان أساساً فى تكوين مقطع مثل (in)

وصوت هذا الحرف كالآتى :

١ – يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة أو همزة بعدها ياء ، ( كما ورد فى قاعدة المجمع ) .

٢ – يرسم فى وسط الاسم ياء .

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة عشرة ، فى الحرف (O, o) – د٤ ، حـ ٣٤ ، ص٤١٩ –٤٢٠ .

صوت هذا الحرف كما أقترحه كالآتى :

١ – يرسم فى أول الاسم همزة مضمومة أو بعدها واو .

٢ – يرسم فى وسط الاسم أو فى آخره واوا .

ملاحظة : أود أن يأخذ المجمع الموقر برأيي ويتنازل عما ورد ذكره فى الرقمين (١) ، (٢) من القاعدة لأنه لايمثل قاعدة صوتية لاتينية .

ملاحظة : ورد فى رقم (٣) من هذه القاعدة النص الآتى « فى وسط الاسم يرسم الحرف (o) واواً فى الغالب ، إلا فى الأسماء اللاتينية ؛ فيرسم واواً ونوناً » ويؤسفنى أن أقول إن هذه ليست قاعدة صوتية ولاتنطبق فى نفس الوقت على الأمثلة المصاحبة للقاعدة ، وأغلب الظن أنه وقع خطأ فى كتابة العبارة بدليل أن المقصود هو الأسماء بحروف يونانية لا لاتينية وبعبارة أوضح أسماء إغريقية ؛ لهذا أقترح تعديل القاعدة أو تصحيحها كالآتى :

« قد يمثل الحرف ( o ) فى آخر الاسم المقطع ( ων ) فى اللغة اليونانية ؛ ومع ذلك فينبغى الالتزام عند التعريب بالصوت اللاتينى مادام الاسم مكتوباً بحروف لاتينية ، مثال ذلك :

أبولو لا ( أبولون ) Apollo = Απόλλων

التعليق (٥) :

قارن المجمع ، القاعدة التاسعة عشرة ، فى الحرف (V, u) – د٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤٢٣ – ٤٢٤ .

ملاحظة : ( انظر أ – أصوات الحروف اللاتينية الجامدة ، التعليق – ١٧ – ، ملاحظة ، حيث تناولت هذا الحرف بالتعريب بوصفه جامداً ) ؛ وهذا الحرف لين كذلك ، ويكون ليناً إذا كان أساساً فى تكوين مقطع مثل (nunc) .

وصوت هذا الحرف كالآتى :

١ – يرسم فى أول الاسم همزة مضمومة أو همزة بعدها واو .

٢ – يرسم فى وسط الاسم وفى المقطع الأخير منه واوا .

ملاحظة : لما كانت قاعدة المجمع الموقر لم تحدد صوت هذا الحرف فى أول الاسم وفى وسطه ، أود أن تعدل القاعدة كما وردت فى هذا التعليق .

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية والعشرون ، فى حرف ( Y ، y ) – د ٤ ، حـ ٣٤ ص ٤٢٥ – ٤٢٦ .

هذا الحرف ليس من حروف الأبجدية اللاتينية أصلا وقد صار بعد عصور اللغة الأولى أحد حروفها . وصوت هذا الحرف هو تماماً صوت الحرف اليونانى ( أو پسيلون υ ، Υ ) – ( انظر ب – أصوات الحروف اللينة اليونانية ، التعليق – ٦ – ) ، وهو لا يأتى فى أول الأعلام الرومانية ويرد فقط فى أول الأعلام الإغريقية ، وصوته كالآتى :

١ – يرسم هذا الحرف فى أول الاسم الإغريقى المكتوب بحروف لاتينية ( هو = Hy ) ، ( انظر التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أوالجرس الهائى ، ص١١٦–١١٧ )

٢ – يرسم فى أى جزء من بنية الاسم واواً أو ياءً .

ملاحظة : لكى يكون نطق العلم مستساغاً فى العربية ، أقترح أن يرسم هذا الحرف ياء فقط إذا كان فى بنية الاسم صوت أو أكثر يقابل حرف الواو ، مثال ذلك : اسم العلم (Myconus) فكتابة هذا الاسم بالعربية ( ميكونوس ) أخف فى النطق من ( موكونوس ) .

## ( ج ) أصوات الحروف اللينة المزدوجة اللاتينية :

ملاحظة : المزدوج هو وحدة صوتية تتألف من حرفين لينين معينين ويشترط عند النطق بها أن يحس كلا الحرفين المكونين لها ، على أن يكون ذلك مختلساً .

والحروف اللينة المزدوجة هى :

ae ، au ، ei, ، eu ، oe. أما جرسها اللاتينى فسأحاول تقريبه بأصوات إنجليزية ، أو فرنسية وسوف أذكر الأصوات العربية المقابلة فى التعليقات ، انظر ؛(١)–(٥) .

تنبيه : لقد تناول بعض أصوات هذه الحروف التغيير عبر الأجيال والقرون ، فأخذت تنحرف بسرعة عن أصواتها الأولى الأصلية التى كانت تمثل صوت الوحدة الصوتية كأحسن ما يكون التمثيل ، ومع ميلى إلى الأخذ بالأصوات الأولى فى بعض الأحيان لأصالتها ووضوحها ودقتها ، إلا أنى سأحاول فى تعليقاتى عرض الأصوات الأصلية والمتطورة ومناقشة ما أراه جديراً بالمناقشة مراعياً فى هذا تخير الأصوات المحققة لنقل العلم بدقة ، وأترك للمعرب حرية تخير مايحلو له من الأصوات ، أصلية كانت أو متطورة .

ولأول مرة سأذكر بعض الأعلام فى صورتها اللاتينية وأنقلها إلى العربية بعد أن انتهيت من الكلام عن الحروف اللاتينية ، جامدة لينة .

وفيما يلي بيان بهذه الحروف المزدوجة :

| التعليق | صوته المتطور | صوته الأصلي مقربا بأصوات إنجليزية | المزدوج |
|---|---|---|---|
| (١) | صار صوته مثل صوت الحرف (e) في القرن الثاني ، ق.م | صوته مثل صوت الحرف (i) في كلمة (island) الإنجليزية | ae |
| (٢) | صار صوته مثل صوت الحرف (o) في القرن الأول ق.م وفي العصور المتأخرة صار صوته مثل الحرف (a) ومن الصعب الأخذ بالصوت الأخير | صوته مثل صوت الحرفين (ou) في كلمة (our) الإنجليزية | au |
| (٣) | صار صوته مثل صوت الحرف (i) أو (e) في القرن الثاني . ق.م. | صوته مثل صوت الحرفين (ay) في كلمة (pray) الإنجليزية | ei |
| (٤) | صار صوته مثل صوت الحرف (u) ابتداء من القرن الثالث ق.م. | صوته مثل صوت الحرفين (ew) في كلمة (few) الإنجليزية | eu |
| (٥) | صار صوته مثل صوت الحرف (u) في القرن الثاني ق.م. ثم أصبح صوته مثل صوت الحرف (e) فيما بعد وأرى أن الصوت الأخير يسبب لبسا كبيرا | صوته مثل صوت الحرفين (oy) في كلمة (toy) الإنجليزية | oe |

## التعليقات

التعليق ( ١ ) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية المزدوج ( ae ) ، رقم ( ١ ) — د ٤ ج ٣٤ ، ص ٤٠٩ — ٤١٠

صوت هذا المزدوج كالآتي :

١ـ يرسم في أول الاسم همزة ممدودة مفتوحة بعدها ياء ساكنة ( الصوت الأصلي ) أو همزة مكسورة بعدها ياء مكسورة ( الصوت المتطور ) ، مثال ذلك :آينياس ( الصوت الأصلي ) : إينياس ( الصوت المتطور ) Aeneas

٢ـ يرسم في أي جزء من بنية الاسم ألفاً بعدها ياء ساكنة ( الصوت الأصلي )

أو ياءٌ مكسورة ( الصوت المتطور ) ، مثال ذلك :

كايكوبوم ( لصوت الأَصلى ) ، كيكوبوم (الصوت المتطور ) Caecubum

٣ – يرسم فى آخر الاسم ألفاً ممالة ( الصوت المتطور ) أو ألفاً لينة للتخفيف، مثال ذلك :

أثينى ( الصوت المتطور ) ، أثينا ( الصوت المقترح ) Athenae

التعليق (٢) :

فى الحرف ( au ) ، لم يأْت ذكره فى قرارات المجمع الموقر .

وصوت هذا المزدوج كالآتى :

١ – يرسم فى أول الاسم همزة ممدودة مفتوحة بعدها واو ساكنة ( الصوت الأَصلى ) أو همزة مضمومة بعدها واو ، مثال ذلك :

آوْجوستوس ( الصوت الأَصلى ) ، أُوجوستوس ( الصوت المتطور ) Augustus

ملاحظـــة : إن كتابة أوغسطس أو أغسطس لا تتفق والقواعد الصوتية .

٢ – يرسم فى وسط الاسم ألفاً بعدها واو ساكنة ( الصوت الأَصلى ) أو يرسم واوا ممدودة ، مثال ذلك :

كاوْكاسوس ( الصوت الأَصلى ) ، كوكاسوس ( الصوت المتطور ) Caucasus وقد عرِّب الاسم قديماً بالقوقاز .

التعليق (٣) :

فى المزدوج ( ei ) ، لم يأْت ذكره فى قرارات المجمع الموقر .

صوت هذا المزدوج كالآتى :

١ – يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة بعدها ياءٌ ساكنة ( الصوت الأَصلى ) أو همزة مكسورة بعدها ياءٌ مكسورة (الصوت المتطور ) ، مثال ذلك :

إيْدوثيا ، إيْدوثية ( الصوت الأَصلى ) ، إيِدوثيا ، إيِدوثية ( الصوت المتطور ) Eidothea

٢ – يرسم فى وسط الاسم ياءٌ ساكنة (الصوت الأَصلى) أو ياءٌ مكسورة (الصوت المتطور ) مثال ذلك :

إيلَيْثويا ، إيلَيْثوية ( الصوت الأَصلى) ، إيليثويا ، إيليثوية ( الصوت المتطور ) Eileithyia

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة ، فى المزدوج (eu) ـ د ٤ ، حـ ٣٤ ، ص ٤١٥ ـ ٤١٦

صوت هذا المزدوج كالآتى :

١ ـ يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة بعدها ياء مضمومة أو يرسم ياءً مضمومة بعدها واو ، مثال ذلك .

إيوتروپيوس ( الصوت الأصلى ) ، يوتروپيوس ( الصوت المتطور ) Eutropius

٢ ـ يرسم فى وسط الاسم ياءً مضمومة بعدها واو ( وليس كما ورد فى قاعدة المجمع برسم هذا الحرف واوا ) ، ذلك أن الصوت المتطور لا يمثل المزدوج بالمرة ؛ مثال ذلك

ديُوكاليون ( الصوت الأصلى ) ، دوكاليون ( الصوت المتطور ) Deucalion

التعليق (٥) :

فى المزدوج (oe) ، لم يأْت ذكره فى قرارات المجمع الموقر

صوت هذا المزدوج كالآتى

١ ـ يرسم هذا المزدوج فى أول الاسم همزة مضمومة بعدها ياءٌ ساكنة ( الصوت الأَصلى ) أو يرسم ألفاً مضمومة بعدها واو ( الصوت المتطور ) ، مثال ذلك :

أُيْبالوس ( الصوت الأَصلى ) ، أوبالوس ( الصوت المتطور ) Oebalus

٢ ـ يرسم فى وسط الاسم واوا بعدها ياءٌ ساكنة ( الصوت الأَصلى ) أو يرسم واوا فقط ( الصوت المتطور ) مثال ذلك :

فويْبوس ( الصوت الأَصلى ) ، فوبوس ( الصوت المتطور ) Phoebus

يلاحظ أن المزدوج (oe) فى هذاالاسم يقابل أيضاً الحرف (e) فينقل على هذا الأَساس فيبوس .

ملاحظة : يؤسفنى أن الصوت المتطور للمزدوج (eu) ، المزدوج (oe) يقابل صوت (u) ، أى يقابل واواً فى العربية ، أما صوت المزدوج (oe) الذى يقابل صوت الحرف (e) فهو يدعو إلى أسف أعظم . إن هذا يجعل مهمة الباحث عسيرة إذا أراد الرجوع إلى اسم علم من الأعلام فى لغته ( اللاتينية ) ، وهذا ما يجعلنى أجنح إلى النقل على أساس الأصوات الأصلية .

تنبيه : الابتداء بالساكن :

قارن المجمع ، القاعدة الأُولى ـ د ٤ ، حـ ٣٣ ، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨

تيسيرا لهذه القاعدة التى لم يعمل بها بدقة قديماً ، أقترح تعديل صياغتها بما

يتفق وأصوات الحروف اللاتينية (انظر أيضاً التنبيه الخاص بالابتداء بالساكن فى الأسماء الإغريقية ص١١٧ ،فالقاعدة بالنسبة للأعلام الإغريقية والرومانية واحدة) :

١ـ تزاد همزة وصل مكسورة فى أول الاسم إذا كان أول حرف لين فيه هو ( e ) أو ( i ) ، مثال ذلك :

إپلينوس Plinus

٢ـ تزاد همزة مفتوحة فى أول الاسم ، إذا كان الحرف اللين الأول منه هو ( a ) ، مثال ذلك :

أفلاڤيوس Flavius

٣ـ يضم الحرف الأول من الاسم ، إذا كان الحرف اللين الأول منه حرف (o) أو (u) أو ou (١٦) ؛ مثال ذلك :

پُلُوتينوس Plotinus

بلوتو Pluto

تنبيه : الحروف المشددة فى الاسم :

ينطق الحرفان الجامدان اللذان من نوع واحد مثل ( nn ) ، ( ss ) ، ( ll ) فى العربية حرْفاً واحدًا مشددا ، مثال ذلك :

راڤينَّا Ravenna

مولوسُّوس Molossus

لوكيلّوس Lucillus

## نمـاذج من الأعلام للتطبيق على التعليقات

أجريپّا Agrippa

انظر ( أ ـ أصوات الحروف الجامدة ، التعليق ـ ٥ ـ) ، ( التنبيه الخاص بالحروف المشددة ، ص١٣٤)

الإسكندرية ( أليكساندرية )

Alexandrea, Alexandria

انظر ( ب ـ أصوات الحروف اللينة ، التعليق ـ ١ ـ ، رقم ـ ٤ ـ )

أفروديتى ، أفروديتا Aphrodite

انظر ( أ ـ أصوات الحروف الجامدة ، التعليق ـ ٣ ـ ) ، (ب ـ أصوات الحروف اللينة ـ التعليق ـ ٢ ـ ، رقم ـ ٣ ـ )

أكوينوس Aquinus

انظر ( أ ـ أصوات الحروف الجامدة ، التعليق ـ ١٣ ـ )

أسّوريا ( أشور ) Assyria

انظر ( التنبيه الخاص بالحروف المشددة ) ، ( ب ـ أصوات الحروف اللينة ، التعليق ـ ٦ ـ ، رقم ـ ٢ ـ)

آوْجوستينوس ، أُوجوستينوس

Augustinus

انظر ( حـ ـ أصوات الحروف اللينة المزدوجة ، تعليق ـ ١ ـ )

---

(١٦) عن المزدوج ، انظر ( حـ ـ أصوات الحروف المزدوجة والتعليق على كل مزدوج منها ) .

باكتريا ، باكترية Bactria

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٢ – )

بيثينيا ، بيثينية Bithynia

انظر ( أ – أصوات الحروف المركبة الجامدة ، التعليق – ٢٢ – )

بروندیسیوم ( برنديزى ) Brundisium

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ١٥ – )

بيزانتيوم ( بيزنطة ) Byzantium

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ١٦ – )

كيكيرو ( شيشرون ) Cicero

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٤ – ، ملاحظة – ٢ – )

إكنيدوس ، كنيدوس Cnidus

انظر ( التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم – ١ – ، ص ١٣١–١٣٤ )

كوركيرا ، كوركيرة Corcyra

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ١ – ، رقم – ٤ – )

كوبروس ( قبرص ) Cyprus

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٢ – )

ديميتير Demeter

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٢ – ، رقم – ٢ – ، ملاحظة )

درووسوس Drusus

انظر ( التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم – ٣ – ، ص ١٣٤ )

إيلايوس ، إيليوس Elaeus

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٢ – ، رقم – ١ – ) ، ( حـ – أصوات الحروف اللينة المزدوجة ، التعليق – ١ – ، رقم – ٢ – )

إيليفانتيس Elephantis

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٢ – ، ملاحظة )

فابيوس Febius

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٤ – )

أفلاكوس Flaccus

انظر ( التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم – ٢ – ) ، ( الحروف المشددة ، ص ١٣٤ )

فلوڤيوس Fluvius

انظر ( التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم – ٣ – ، ص ١٣١ – ١٣٤ ) ، ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ١٧ – ، ملاحظة )

جونّوس Gonnus

انظر ( التنبيه الخاص بالحروف المشددة ، ص ١٣٤ )

هيلينا ( هيلانة ) Helena

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٢ – ، رقم – ٢ – ، ملاحظة )

يابيتوس Iapetus (=Ἰαπετός)

إيونيا ، إيونية Ionia (=Ἰωνία)

* هذان الاسمان يونانيان كتبا بحروف لاتينية ، ولهذا فان الحرف ( I ) حرف لين فلا يعامل معاملة الحرف ( I ) الجامد فى اللاتينية ، انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة اليونانية ، التعليق – ٣ – )

إيليبا ، إلِيبا Ilipa

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة اللاتينية ، التعليق – ٣ – رقم – ١ ، ٢ – )

جانوس ، يانوس

Janus (= Ianus)

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٧ – ، ملاحظة )

جوبيتير ، يوبيتير

Jupiter (= Iupiter)

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٧ – ملاحظة )

ليجوريا ، ليجورية Liguria

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ٥ – )

ماجو Mago

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٤ – ، ملاحظة – ٢ – )

ميلامبوس Melampus

انظر ( ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٢ – ملاحظة )

أوروسيوس ، أُروسيوس (هروثيوس؟)

Orosios

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٤ – ، رقم – ١ ، ٢ – )

أورتيجيا ، أُورتجية Ortygia

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٦ – ، رقم – ٢ – )

پيرجاموم Pergamum

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٢ – ، ملاحظة )

بولّا Polla

( انظر التنبيه الخاص بتشديد الحروف ، ص ١٣٤)

كوينتوس Quintus

انظر ( أ – أصوات الحروف الجامدة ، التعليق – ١٣ – )

روما ( رومية ) Roma

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ١ – ، رقم – ٣ – )

سيميراميس Semiramis

انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٢ – ، ملاحظة )

سيليوكوس ، سيلوكوس (سلوقس)

Seleucus

انظر ( حـ – أصوات الحروف اللينة المزدوجة ، التعليق – ٤ –) وقارن صوت ( eu ) بصوت الحرف ( u ) ، انظر ( ب – أصوات الحروف اللينة ، التعليق – ٥ – ، رقم – ٢ – حيث أشرت إلى اللبس )

سيرفيوس Servius
انظر ( أ- أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ١٧ - ) ، ( أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٥ - ، رقم - ٢ - )

تارينتوم Tarentum
انظر ( أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ١٦ - )

توركواتوس Torquatus
انظر ( أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ١٣ - )

أُتيكا ، أوتيكا Utica
انظر ( ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٥ - ، رقم - ١ - )

سُولّا Sulla
انظر ( ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٥ - ، رقم - ٢ - ) ، ( انظر التنبيه الخاص بتشديد الحروف ، ص ١٣٤ )

ڤاليريا ، ڤاليرية Valeria
انظر ( أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ١٧ - ) ، ( ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٢ - : ملاحظة ) .

ڤارُّو Varro
انظر ( التنبيه الخاص بالحروف المشددة ) ، ( ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٤ - ملاحظة - ٢ - )

إكسانثوس Xanthus
انظر ( التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ٢ - ، ص١٣٣ )

إكسينوفانيس Xenophanes
انظر ( التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ١ - ، ص ١٣٣ )

زاما Zama
انظر ( أ -أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ١٩ - )

زينوبيا ، زينوبية Zenobia
انظر ( ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٢ - ، رقم - ٢ - )

إزميرنا ( أزمير ) Zmyrna
انظر ( ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٦ - ، رقم - ٢ - )

زوپيروس Zopyrus
انظر ( ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٦ - ، رقم - ٢ - ، ملاحظة )

كلوروس Chlorus
انظر ( أ - أصوات الحروف الجامدة المركبة ، التعليق - ٢٠ - ، رقم - ١ - ؛ ورسم هذا الحرف كافاً لأنه ورد فى اسم رومانى ، وكما قلت فإن اللاتينية لا تعرف صوت الخاء )

خريسيپوس Chrysippus
انظر ( أ - أصوات الحروف الجامدة المركبة ، التعليق - ٢٠ - ، رقم - ٢ - ، وصوت هذا الحرف ( Ch ) هنا يقابل صوت الخاء لأن الاسم يونانى )

فوسفوروس Phosphorus
انظر ( أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٢١ - )

ثيسّاليا ، ثيسّالية Thessalia
انظر ( أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٢٢ - ) ، ( التنبيه الخاص بالحروف المشددة ، ص ١٣٤ )

## ٥ — ملاحظات على طريقة القدامى فى النقل

ولا يسعنى الآن بعد هذه الدراسة إلا المناداة بإعادة النظر فى أسلوب القدامى أو غالبيتهم فى تعريب الأعلام الإغريقية والرومانية ، فإنها فى حاجة ماسة إلى إعادة النظر والفحص . وإنى لعلى يقين أن هذه الصيحة لن تجد آذاناً صاغية من البعض ، فقد طالب ، على سبيل المثال ، الأستاذ نلينو ، وهو المستشرق الفذ ، بأن يبقى القديم على قدمه ، وها هو ذا يقول بالحرف الواحد « يجب أن يبقى القديم مما عرف عن العرب على قدمه ، ونحن لا نتصرف إلّا فيما يجد وفيما لم ينطق به العرب ولم يكتبوه »[١٧] ومثل هذا القول يعنى أن النقلة القدامى الأجلاء أو بعضهم كانوا على دراية تامة بأصوات الحروف اليونانية واللاتينية ، جامدة ولينة وكانوا كذلك على علم تام بقواعد اللغتين ، اليونانية واللاتينية النحوية ، وهذا للأسف غير صحيح فإن الكثير من الأعلام المعربة ثبت أن أخطاء وقعت فى التعريب

وأسوق مثلا استقيته من تصدير اللجنة الموقرة التى ألفها المجمع لوضع قواعد «لكتابة الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية » ، فقد أشارت هذه اللجنة إلى أن بعض الأعلام عربت على غير قاعدة أو غلطا وذكرت أن معرباً قد أخطأ فى تعريب الاسم Hypsicles ونقله إلى العربية ( أبسقلاوس ) لأنه عربه فى صيغة الجر ( المضاف إليه ) بدلا من أن يعربه فى صيغة الرفع ( وهى الصيغة الوحيدة التى ينبغى نقل الاسم على أساسها ) وقد عجبت لأن اللجنة رأت أن تحافظ على مثل هذا النقل الشاذ[١٨] لأن هذا التعريب ليس شاذا بل خطأ ، والعلم لا يقر الخطأ وينبغى تصحيحه لا الإبقاء عليه ، وهذه مسئولية المختصين ولا مهرب منها بأى حال من الأحوال حتى يقدموا يد العون إلى الباحث الذى يرغب فى الوصول إلى الاسم المعرب صحيحاً ليرجع إلى أصله فى لغته فى يسر .

---

(١٧) انظر ، د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤١٢

(١٨) انظر ، د ٤ ، ح ٣٣ ، ص ٤٠٦

ولما كنت أدرك أن ما أنادى به من إعادة النظر والفحص فى طريقة القدامى فى النقل لن يلقى ترحيباً بالدرجة الأولى ما لم أقنع المختصين بوجهة نظرى بأسلوب علمى والتدليل على ما أقول بالأمثلة ، فقد حرصت على عرض طائفة من النماذج من الأعلام التى عربت قديماً ، وهذه سوف أناقشها مناقشة موضوعية بغية الوصول إلى الهدف الذى أنشده . وسبيلى فى المناقشة سيكون على أساس ما اتبعته فى ثنايا دراستى . وهو مراعاة الأمانة فى نقل أصوات الحروف الجامدة واللينة فى اللغتين المذكورتين إلى العربية وعدم الأخذ بالأصوات الدخيلة التى فرضت على حروف اللغتين المذكورتين وتحاشى تفخيم الحروف ، لأنى أعتقد أن هذا وحده هو الذى يحفظ للاسم المعرب صورته الأصليه . وقد يقول البعض إن الوقت قد تأخر للأخذ بطريقة جديدة – وسيقولون أكثر من ذلك مما لا أود الخوض فيه الآن أو بعد الآن – إلا أنى أرى أن تأخر الوقت يجب ألّا يدخل فى حساب الدارسين التقدميين ما دام الغرض هو التصحيح وهو هدف له وزنه وكيف يقال إن الوقت قد تأخر وقد عنى ويعنى القرن الذى نعيشه بإحياء التراث القديم وتحقيقه ، ولا يخفى أن بعض هذا التراث قد ترجم عن اليونانية واللاتينية أو يتصل اتصالا مباشرا أو غير مباشر بعلوم الإغريق والرومان. ومما لا ريب فيه أن أعلاماً إغريقية ورومانية قد وردت فى ثنايا نصوص هذا التراث والكثير منها لا يسير على القواعد الصوتيه للغتين المذكورتين . أفليس من الواجب إذاً أن ننقذ ما يمكن إنقاذه ونعيد النظر فيما نراه فى حاجة إلى التصحيح؟ وإذا تساءل البعض عن الطريقة التى تتبع لتصحيح ما عرب قديماً ، فإنى أقترح الآتى :

( أ ) بالنسبة للأعلام الواردة فى نصوص التراث القديم المحقق المراد تصحيحها ، أرى الإبقاء على المعرب القديم فى مكان من النص بين حاصرتيْن وكتابة الاسم المصحح فى الحاشية وحبذا لو كتب بجانبه الاسم الإغريقى والرومانى بحروف لاتينية للمقابلة بين المعرّب وأصله فى لغته .

(ب) وبالنسبة للأعلام الواردة فى الكتب المؤلفة حديثاً التى يرجع فيها المؤلف إلى المخطوطات القديمة أو إلى مراجع حديثة تحوى هذه الأعلام (المراد تصحيحها) أرى ان يكتب العلم فى النص صحيحاً ويكتب بجانبه الاسم الإغريقى والرومانى بحروف لاتينية للمقابلة بين المعرب وأصله فى لغته على أن يكتب المعرّب القديم بين حاصرتين فى الحاشية .

وأود قبل مناقشة بعض النماذج أن أؤكد بأنى لا أزرى بالنقلة القدامى الأجلاء ولا أنتقص من جهودهم الجديرة بكل تقدير، بيد أنى أنظر إليهم بوصفهم روادا مجتهدين قاموا بكل ما استطاعوه وليس علينا، نحن المحدثين، إلاأن نكمل ما نقص بما يحقق ما قصدوا إليه ولم يحالفهم الصواب .

وها أنذا أسوق طائفة من النماذج من الأعلام الإغريقية والرومانية وكذلك الأعلام الأجنبية التى وردت فى أعمال الكتاب الإغريق والرومان بحروف يونانية ولاتينية، ولن أتقيد بالنسبة للأعلام الأخيرة، بأصوات الحروف فى لغاتها الأصلية .

وفيما يلى هذه الطائفة من الأعلام التى سأناقشها وأقترح تصحيحها [١٩]

῎Αρης (= Lat. Arés)

نقل هذا العلم قديماً (أرس) ؛ونلاحظ أن المعرب قدأهمل صوت الحرف (η) الذى يقابل فى العربية ياء ممدودة، ثم أغفل وضع الحركات على الحروف . وما أقترحه نقلا لهذا العلم هو (أريس) .

᾽Αγάθων (= Lat. Agathon)

نقل هذا العلم قديماً (أغاثن)ونلاحظ أنالمعرب قد نقلحرف (γ) غيناً وأغفل صوت الحرف (ω) وهو يقابل الواو الممدودة . وما أقترحه نقلا لهذا العلم هو (أجاثون) .

᾽Ασσυρία (= Lat. Assyria)

نقل هذا العلم قديماً (أشور) ويلاحظ أن المعرب قد نقل الحرفين (σσ) شينا

(١٩) المرجو الرجوع إلى أصوات الحروف، جامدة ولينة ولينة مزدوجة (يونانية ولاتينية) فى التعليقات الواردة فى هذه الدراسة .

ثم أهمل صوت الحرفين اللينين (α ι) ، وما أقترحه نقلا لهذا العلم هو) أسوريا ، أسورية ) .

Βυζάντιον (= Lat. Byzantium)

نقل هذا العلم قديماً ( بيزنطة ) ويلاحظ أن المعرب قد نقل الحرف ( τ ) طاء ونقل الحروف ( ium ) تاءا مربوطة ولا أدرى على أية قاعدة فعل هذا ؛ وما أقترحه نقلا لهذا العلم هو (بيزانتيون)

ويلاحظ أن النهاية (ον) فى اليونانية يقابلها فى اللاتينية النهاية (um) .

Δάρειος (= Lat. Dareus)

نقل هذا العلم قديما ( دارا ) وهذا يخالف صورة الاسم فى اليونانيةوخاصة فى النهاية ( ειος ) ؛ وما أقترحه نقلا لهذا العلم هو ( داريوس ) .

Ἑλένη (= Lat. Helene, Helena)

نقل هذا العلم ( هيلانة ) ، أى أن الحرف ( ε ) الأول نقل ياء وأما الثانى فنقل ألفاً مع أن صوت هذا الحرف لا يتغير ثم إن الحرف ( η ) فىنهاية الكلمة نقل تاء مربوطة وكان يجب أن ينقل ألفاً ممالة أو ألفاً لينة ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( هيليني أو هيلينا ) .

Ἐμπεδοκλῆς (= Lat. Empedocles)

نقل هذا العلم قديماً ( أمفاد قليس ) ، أى أن الحرف ( ε ) الأول والثانى نقلا ألفاً ، وصوت هذا الحرف يقابل كسرة ممالة أو كسرة مشربة بالفتحة وليست على كل حال ألفاً صريحة ، أمّا الحرف ( π ) فقد نقل فاء على طريقة السريان ونقل الحرف ( κ ) قافاً وهذا غير صحيح ؛ وما اقترحه نقلا لهذا العلم هو ( إمپيدوكليس ) .

Θεοδέκτης (= Lat. Theodectés)

نقل هذا العلم قديماً ( ثاو داقطس ) ، أى أن الحرفين ( εο ) يقابلان ( أو ) وهذا خطأ ثم إن صوت الحرف ( ε ) نقل ألفاً ، وأما الحرف ( κ ) فنقل قافاً ، ونقل الحرف ( τ ) طاء وأهمل صوت الحرف ( η ) مع أنه حرف لين ممدود . وعلى ذلك فالنقل أبعد مايكون عن الأصل ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( ثيوديكتيس) .

Ἶσις (= Lat. Isis)

نقل هذا العلم قديماً ( إيزيس ) أى نقل الحرف ( σ ) الأول زايا وهذا خطأ ، أما الثانى فنقل صحيحاً .

والسؤال الآن : كيف يتغير صوت الحرف الواحد فى الكلمة الواحدة ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( إيسيس).

Καμβύσης (= Lat. Cambyses)

نقل هذا العلم قديماً ( قمبيز ) ، أى نقل صوت الحرف (K) قافاً ونقل صوت الحرف ( σ ) الأول زاياً وسقط المقطع ( ης ) فى نهاية الاسم مع أن الحرف ( η ) حرف لين ممدود ، ولهذا فإن النقل لا يطابق صورة الاسم فى اللغة اليونانية ، وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( كامبيسيس أو كامبوسيس ) .

Κλεοφων (= Lat. Cleophon)

نقل هذا العلم قديماً ( قلافون ) ، أى نقل الحرف ( K ) قافاً ونقل صوت الحرفيْن (εο) ( أوْ ) فى العربية وهذا يخالف القاعدة ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( إكليوفون ) مع ملاحظة أن الاسم مبدوء بساكن .

Κῦρος (= Lat . Cyrus)

نقل هذا العلم قديماً ( قورش ) ، وذلك بنقل الحرف ( K) قافاً ونقل الحرف ( ς ) شيناً وهذا أمر يدعو إلى العجب ، وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( كيروس ) .

Ὅμηρος (= Lat. Homerus)

نقل هذا العلم قديماً ( أوميروش ) فانصرف المعرب عن جرس الهاء فى الاسم ونقل الحرف ( ς ) شيناً وهذا لا يتفق مع أصوات اللغة المنقول عنها . وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو(هوميروس) وقد سبقنى إلى ذلك بعض الدارسين والمعربين المحدثين .

Περικλῆς (= Lat. Pericles)

نُقل هذا العلم قديماً ( بركليز ) ، فأغفل المعرب صوتى الحرفيْن اللينين ( ει ) ونقل الحرف ( ς ) فى آخر الاسم زايا ولايتفق هذا مع أصوات اللغة المنقول عنها ، وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( پيريكليس ) .

Πορφυρίων (= Lat. Porphorion)

نقل هذا العلم قديماً ( فورفوريون ) . فنقل المعرب صوت الحرف ( π ) فاء وجعل بذلك صوت الحرفيْن ( π الپاء Φ الفاء ) واحداً وهو الفاء ، وأعتبر أن هذا أسوأ مثل للنقل على طريقة السريان ، فكيف يهتدى الباحث إلى

الاسم الأَصلى على هذه الصورة . وماأَقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( بورفوريون ) .

Πρωτάγορας (= Lat. Protagoras)

نُقل هذا العلم قديماً ( فروطاغورس ) . إن هذا التعريب حافل بالأَخطاء ، فقد نقل الحرف ( π ) فاءً ونقل الحرف ( τ ) طاءً ونقل الحرف ( γ ) غيناً وأَغفل صوت ( α ) فى آخر الاسم وكان لابد من نقله أَلفاً ؛ وما أَقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( بروتاجوراس ) .

Σαλαμίς (= Lat. Salamis)

نُقل هذا ال لم قديماً ( سالامينا ) وسالامينا هذه ليست إلا صيغة المفعول به للعلم والتعريب لا يكون إلا فى صيغة الرفع للعلم ، ويدل هذا على أن المعرب لم يميز بين صيغتىْ الرفع والنصْب ؛ والنقل الصحيح لهذا العلم هو إذا ( سالاميس ) .

Σέλευκος (= Lat. Seleucus)

نقل هذا العلم قديماً ( سلوقوس ، سلوقس ) ، فأَغفل المعرب صوت الحرف ( ε ) عند التعريب ونقل المزدوج ( ευ ) واواً وهو ، وإن كان جائزاً ، إلا أنه يسبب اللبس مع أَصوات الحروف ( ο ) ، ( υ ) ، عند النقل ثم نقل الحرف ( κ ) قافاً ؛ وما أَقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( سيليوكوس ) .

Σθένελος (= Lat. Sthenelos)

نقل هذا العلم قديماً ( اسثانلس ) فنقل المعرب الحرف ( ε ) الأَول أَلفاً وأَغفل صوت الحرف ( ε ) الثانى ، وباعد بذلك بين الأَصل والمعرَّب ؛ وما أَقترحه نقلاً لهذا العَلم هو ( اسثينيلوس ) .

Σίσυφος (= Lat. Sisyphos)

نقل هذا العلم قديماً ( سيوسيفوس ) وقد دهشت لهذا النقل الغريب ووددت أن يكون خطأً مطبعياً ، إذ ليس فى بنية العلم ما يقابل الصوت ( يو ) ؛ وما أَقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( سيسيفوس ) .

Σοφοκλῆς (= Lat. Sophocles)

نقل هذا العلم قديماً ( سوفقلس ) فنقل المعرب الحرف ( ο ) الأَول واواً وأَما الحرف ( ο ) الثانى فقد أَهمل صوته . ونقل الحرف ( κ ) قافاً وأَهمل صوت الحرف اللين ( η ) الممدود

بطبيعته ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( سوفوكليس ) .

Τηλέμαχος (= Lat. Telemachus)

نقل هذا العلم قديماً ( طيلاماخوس ) فنقل المعرب الحرف ( T ) طاء ونقل الحرف ( ε ) ألفاً مع أن الحرف اليونانى ( ε ) هو حرف لين مخفف للحرف ( η ) ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( تيليماخوس ) .

Africa

نقل هذا العلم قديماً ( افريقية ) فنقل المعرب الحرف ( c ) قافاً ونقل الحرف ( a ) فى آخر العلم ياء وتاء مربوطة ؛ ولا تسمح القواعد الصوتية بذلك ، فالحرف المقابل للحرف ( a ) فى العربية هو الألف اللينة ؛ وعلى ذلك فإن ما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( أفريكا ) كما نقول الآن ( أمريكا ) .

Augustus

نقل هذا العلم قديماً ( أوغسطس ، أغسطس ) ، فنقل المعرب صوت المزدوج (au) فى المعرّب الأول ألفاً مضمومة بعدها واو ونقله فى المعرّب الثانى ألفاً وأرى أن نقل المزدوج همزة ممدودة مفتوحة بعدها واو ساكنة أقرب إلى الصوت الأصلى له ، أما نقله ألفاً ففيه من اللبس ما فيه ، إذ يكون صوته مثل صوت الحرف (a) تماماً ومع أن صوت المزدوج صار فى الأزمنة الأخيرة مثل صوت الحرف ( a ) فإن هذا يدعو إلى بلبلة المعرب المعاصر على الأقل . ثم إن نقل صوت الحرف ( g ) غيناً وهذا لا يتفق مع صوت الحرف فى لغته ، وأهمل كذلك صوت الحرفين ( u ) فى وسط العلم وفى آخره ولم يضع على الأقل ضمة على كلا الحرفين الجامدين السابقيْن عليهما . ونقل التاء طاء كالعادة . ويعتبر هذا كله خروجاً على القواعد الصوتية اللاتينية ؛ وما أقترحه نقلا لهذا العلم هو ( آوجوستوس ، أوجستوس ) .

Brundisium

نقل هذا العلم قديماً ( برنديزى ) ، فأهمل المعرّب صوت الحرف ( u ) ونقل صوت الحرف ( s ) زاياً ثم نقل الحروف ( ium ) ياء . وهذا لا يسير على أية قاعدة صوتية لا فى العربية

ولا فى اللاتيبية ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( برونديسيوم ) .

Cicero

نقل هذا العلم قديماً ( شيشرون ) ، فنقل المعرب صوت الحرف ( c ) شيناً ونقل الحرف ( o ) فى نهاية العلم واواً ونوناً وهذا عجيب حقاً لأن النون ليست من حروف العلم فى صيغة الرفع ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو ( كيكيرو ).

Latium

نقل هذا العلم قديماً ( لاطيوم ) ، فنقل المعرب صوت الحرف ( t ) طاء ، وصوت الطاء ، كما قلت مراراً وتكراراً ليس صوتاً لاتينياً . وبالمناسبة فإن ( اللاطينية ) بوصفها صفة مشتقة من Latium ، ينبغى أن تنطق طبقا لصوت الحرف ( t ) فى هذا العلم الذى أقترح نقله ( لاتيوم ) وعلى هذا الأساس يقال ( اللاتينية ) ( لا اللاطينية ) .

Orosius

نقل هذا العلم قديماً ( هوروشيوس ) ولا أعرف من أين أتى المعرب بالجرس الهائى فى أول العلم ، ونقل الحرف ( s ) الأول شيناً ونقل الحرف ( s ) الثانى سيناً ، إن ما أقترحه على أية حال أن ينقل هذا العلم ( أوروسيوس ) .

Roma

نقل هذا العلم قديماً ( رومية ) ، فنقل المعرّب الحرف ( a ) فى آخر العلم ياء وتاء مربوطة وهذا مالا تسمح به القواعد الصوتية ، فالحرف المقابل للحرف ( a ) فى العربية هو الألف اللينة ، وعلى ذلك فإن ما أقترحه نقلا لهذا العلم هو ( روما ) .

والآن أليس تعريب النقلة القدامى للأعلام الإغريقية والرومانية فى حاجة إلى إعادة النظر ؟

# المــراجع

## (ا) المراجع العربية :


١ – « قواعد كتابة الأعلام اليونانية واللاطينية بحروف عربية » للأساتذة : فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين، حسن حسني عبد الوهاب (باشا) والدكتور منصور فهمي ( بك ) ، محمد كردعلي (بك) نلينو وجب ، وهم أعضاء اللجنة التي ألفها المجمع الموقر لوضع هذه القواعد ( انظر مجمع اللغة العربية – مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، محاضر جلسات دور الانعقاد الرابع ، الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين ، ص ٤٠٤ – ٤٢٦ ، القاهرة ، ١٩٣٧) .

٢ – « سر صناعة الإعراب » ، صنعه الشيخ أبي الفتح عثمان بن جني ، الجزء الأول ، تحقيق الأستاذ ابراهيم مصطفى وأساتذة آخرين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

٣ – « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » للأستاذ الأمير مصطفى الشهابي، القاهرة، ١٩٥٥.

٤ – « التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الاعراب لابن جني » للدكتور الأب هنري فليش ، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ، ص ٥٣ – ٨٩ ، مقال نشر في مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثالث والعشرون ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٥ – أرسطو طاليس (وصحته أريستوتاليس) « فن الشعر » مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٥٣ .

٦ – « علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب » تأليف أوليري ، ترجمة الدكتور وهيب كامل ، راجعه الأستاذ زكي علي ، القاهرة ، ١٩٦٢ .


## (ب) المعاجم الأجنبية :


1.—Greek - English Lexicon, Liddell & Scott, Oxford, 1953.

2.—A Latin Dictionary, Lewis & Short, Oxford, 1927.

3.—The Oxford Classical Dictionary, Edited by Cary (M) & Others, Oxford, 1949.


## (ج) المراجع الأجنبيـــة :


1.—Atkinson (B.F.C.), The Greek Language, London, 1933

2.—Buck (Carl Darling), The Greek Dialects, Chicago, 1928.

3.— " ( " " ), Comparative Grammar of Greek & Latin, Chicago. 1948.

4.—Crowford (D.S.), Greek & Latin: An Introduction to the Historical Study of Classical Languages, Cairo, 1939.

5.—Gildersleeve (B.L.), Latin Grammar, London, 1948.

6.—Giles (P.) A Short Manual of Comparative Philology, London, 1895.

7.—Goodwin (William. W), A Greek Grammar, London, 1916.

8.—Niedermann (M.), Phonetique historique du latin, Paris, 1953.

9.—Roby (H.J.), School Latin Grammar, London, 1904.


محمد محمود السلاموني

# الألفاظ ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية

للأستاذ نيقولا دوبريشان

رزحت البلدان الرومانية [1] ما يقارب خمسة قرون تحت نير الإمبراطورية العثمانية ، إذ يتشابه تاريخها فى هذه المدة الطويلة مع تاريخ أغلبية مناطق العالم العربي ، لكنها لم تصبح أبداً أقاليم تابعة لهذه الإمبراطورية رغم أنها كانت تدفع الأتاوات ورغم أن الباب العالى كان يعيّن قادة هذه البلاد . وطوال عصور الاحتلال العثمانى للبلدان الرومانية تأثرت اللغة الرومانية باللغة التركية تأثرا ملحوظا ، فقد وصل إليها عدد كبير نسبيا من الألفاظ التركية . ومما يلفت النظر فيما يتعلق بهذه الألفاظ أن أغلبيتها أصلها عربي . ومن المعروف — وهو جدير بالذكر هنا — أن اللغة التركية بدورها تأثرت تأثرا هامًّا باللغة العربية ، إذ كانت هذه الأخيرة حاملة ثقافة وحضارة متطورة غنية ، بينما كانت لغة العثمانيين لغة فقيرة غير قادرة على التعبير عن منجزات الحياة المتحضرة لذلك العصر .

وبالإضافة إلى هذه الألفاظ دخلت فى اللغة الرومانية ألفاظ عربية أخرى — وعددها

(١) أراضى رومانيا الحالية كانت مقسمة إلى ثلاث دويلات : « مولدوفا » و « فالاهيا » ( أو البلاد الرومانية ) و « ترانسيلفانيا » .

واتحدت « مولدوفا » مع « فالا هيا » فى دولة واحدة سنة ١٨٥٩ وحصلت الدولة الرومانية القومية على استقلالها الوطنى إذ تحررت من السيطرة العثمانية سنة ١٨٧٧ . ووقعت الدويلة المسماة بـ « ترانسيلفانيا » لمدة قرون تحت سيطرة الامبراطورية النمساوية الهنغارية وحصلت هذه المنطقة الرومانية على استقلالها بعد الحرب العالمية الأولى ، أى بعد انهيار هذه الامبراطورية ، وانضمت إلى الدولة الرومانية الموحدة .

أصغر – عن طريق اللغة الأسبانية ولغات غربية أخرى ، ولا نرغب فى أن نحلل هذه الألفاظ فى مقالنا هذا لأن وضعها فى اللغة الرومانية يختلف اختلافا كبيرا عن وضع الكلمات الدخيلة بواسطة اللغة التركية. إن أغلبية الكلمات الدخيلة بواسطة الأسبانية واللغات الغربية الأخرى أصبحت مصطلحات علمية ولها مواضع ثابتة فى اللغة فى الوقت الحاضر كذلك .

وأصبحت الألفاظ ذات الأصل العربى موضع البحث من جانب الباحثين الرومانيين فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية قرننا العشرين ولكنهم كانوا يعتبرون جميع الكلمات التى لها أصل شرقى ( ومنها ألفاظ أصلها فارسى أو تركى أو تترى ) « كلمات تركية » أو بمصطلح أوسع وغير واضح « كلمات شرقية » أو « عناصر لفظية شرقية[1] » .

---

(١) ونذكر بين أهم الدراسات فى هذا المجال :

(أ) بحث « التأثير الشرقى على اللغة والثقافة الرومانية » للعالم اللغوى « لا زار شينيانو » الذى صدر فى بوخارست سنة ١٩٠٠ (العنوان باللغة الرومانية : Lazar Seineanu ; Influenta orientala asupra limbei si culturei române Bucuresti, 1900) وهو إكمال لبحث آخر عنوانه : « ألفاظ تركية فى اللغة الرومانية » صدر فى سنة ١٨٥٥ (العنوان باللغة الرومانية : Elemente turcesti in limba româna, Bucuresti, 1885) ويعتبر بحثا « لا زار شينيانو » من أكمل البحوث التى وضعت حتى الآن فى هذا الموضوع رغم أن مؤلفهما لم يوضح ما هى مكانة الألفاظ العربية والتركيه والفارسية بين هذه الكلمات . أما الجزء الثانى من هذا البحث ، فهو قائمة بالكلمات الشرقية وفى هذا الجزء يشير الباحث إلى الأصل العربى لعدد من الكلمات الشرقية . أما أغلبيتها فهو يشير إلى الكلمة التركية فقط بدون أى إشارة إلى أصلها العربى أو الفارسى . ونذكر كذلك أن « لا زار شينيانو » لم يسجل فى القائمة التى حددها عددا كبيرا من الألفاظ العربية . و هو يقع فى كثير من الأخطاء لأنه لم يعرف اللغة العربية ومن المحتمل أنه لم يعرف الفارسية ولا التركية . ولهذا السبب يعتبر عددا من الكلمات العربية فارسية أو العكس كما أنه لا يشير بصورة صحيحة إلى اللفظ العربى الذى كان أصلا للكلمة الرومانية .

(ب) بحثا « تيوفيل ليوبيل » : « ألفاظ تركية وعربية وفارسية فى اللغة الرومانية » الصادر فى ليبزيغ سنة ١٨٩٤ ( العنوان باللغة الرومانية : Elemente turcesti arabesti si persane in limba româna, 1894) و « اسهام فى تحديد الأصل الشرقى لعدد من الألفاظ الرومانية » الصادر فى بوخارست سنة ١٩٠٨ (العنوان باللغة الرومانية Contributiuni la stabilirea originii orientale a unor cuvinte românesti, Bucuresti, 1908. ) ويكمل هذان البحثان عمل « لازار شينيانو » وتكون أغلبية تصحيحاته سليمة على الرغم من أنه يقع فى بعض الاخطاء كذلك . وكان « تيوفيل ليوبيل » يجيد اللغة التركية كما عرف شيئا ما العربية . ومما يثير الاهتمام أنه اعتبر الكلمات ذات الأصل العربى عربية وما كان منها تركى الأصل ألفاظا تركية وما كان منها فارسى الأصل ألفاظا فارسية ( البحث الأول ص ١٧٠ – ١٨ ، البحث الثانى ص ٣٠ ) =

واعتبرت «قضية الألفاظ العربية الأصل» محلولة من خلال هذه الأبحاث ولم يتناولها بالبحث اللغويون خلال نصف قرن تقريبا وأشار مؤخرا « ألكساندرو روسيتى » عضو أكاديمية العلوم الرومانية والأستاذ « بوريس كازكو » فى كتابهما ( تاريخ اللغة الرومانية ) ، أشارا إلى ضرورة إعادة بحث هذ الكلمات فى ضوء الإنجازات الجديدة فى ميدان علم الاستشراق[١] .

ويبدو أن عددا من الباحثين لا يزالون يعدون جميع الألفاظ الشرقية الأصل الدخيلة إلى اللغة الرومانية عناصر لفظية تركية بصرف النظر عن أصلها العربى أو الفارسى .

إن الأصل المباشر لهذه الكلمات من اللغة الرومانية يوجد فى اللغة التركية ، ولكن دراسة عميقة لأصل الألفاظ يجب ألا تكتفى بالإشارة إلى اللغة التى جاءت الكلمة منها مباشرة ، بل يجب أن تتابع الطريق الذى سارت عليه الكلمة وأن تصل إلى اللغة التى خرجت الكلمة المعنية منها . إن مثل هذه الدراسة تشير إلى إسهام اللغات فى نقل منجزات ثقافة مختلف الشعوب كما تشير إلى أن لغات شعوب متباعدة ظاهريًّا كانت بينهاروابط ربما لا تزال قائمة ، كما توضح تحقيق التبادل بين مختلف الحضارات .

وقد نبّه اللغوى السوفياتى ( ر. أ. بوداغوف )ـ حين أشار إلى هذه الفكرة ـ إلى أصل مختلف الألفاظ الدخيلة ، فنص على أنها تؤخذ مباشرة وغير مباشرة أى بواسطة لغة ثالثة أوحتى رابعة أوخامسة[٢]

---

= (ج) بحث « بعض الألفاظ الرومانية ذات الأصل العربى والتركى والفارسى والعبرى » لـ « غيورغى بوبيسكو تشوكانيل » ، باريس ، ١٩٠٧ ( العنوان باللغة الفرنسية : Quelques mots roumains d'origine arabe, turque, persane et hebraique

وهذا البحث يجافى المنهج العلمى الصحيح إذ يعتبر مؤلفه عددا من الكلمات التى لا يوجد أى شك بصدد أصلها ، يعتبرها شرقية انطلاقا من التشابه اللفظى أو الدلالى فقط بدون أن يأخذ فى الاعتبار تاريخها والبحوث الأخرى التى وضعت إلى ذلك التاريخ والتى تشير بوضوح إلى أصلها .

(١) الكساندرو روسيتى وبوريس كازكو، تاريخ اللغة الرومانية ص٣٤١) Al. Rosetti, B.Cazacu, Istoria limbii române literare, Bucuresti, 1961, p. 341

(٢) ر . أ . بوداغوف : مقدمة فى علم اللغة ( الطبعة الرومانية ) ، بوخارست ١٩٦١ ، ص ١٣٧٠ .

أما الكلمات العربية الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية فقد وصلت إلى اللغة الرومانية بواسطة لغة ثالثة أي اللغة التركية ولكن هناك كلمات عربية وصلت إلى اللغة الرومانية بواسطة لغة رابعة ( العربية ـ فالتركية ـ فالبلغارية ( أو الصربية أو اليونانية ) ـ فالرومانية ) أو ( العربية ـ فاللاتينية ـ فالفرنسية ـ فالرومانية ) أو ( العربية ـ فالأسبانية ـ فالفرنسية ـ فالرومانية ) .

واعتبرت المستشرقة السوفيتية ( ج. ف. زافا وفسكايا ) الكلمات العربية الدخيلة في اللغة الفرنسية مثلا اعتبرتها عربية ـ حتى لولم تدخل إلى اللغة الفرنسية مباشرة من اللغة العربية[١] .

وأشار ( لويس ديروا ) حيث تحدث عن كلمة magasin الموجودة فى اللغة الفرنسية إلى أنها عربية الأصل وأصلها كلمة ( مخازن ) جمع ( مخزن ) بالرغم من أنها وصلت إلى اللغة الفرنسية بواسطة الإيطالية أو البروفانسية[٢] . ، وأشار فى موضع آخر من نفس مؤلفه إلى أن بعض الكلمات الأجنبية قد دخلت الفرنسية عن طريق مباشر أو غير مباشر . « ومن الممكن أن نقول إن الفرنسية أخذت كلمات من جميع لغات العالم تقريبا إذا لم نأخذ فى الاعتبار أن عددا منها وصل إليها بواسطة لغة أخرى[٣] » .

وفى رأينا أنه يجب أن نعتبر الألفاظ ذات الأصل العربى الدخيلة فى اللغة الرومانية ألفاظا عربية لا تركية ولا شرقية تحريا للدقة فى التعبير .

وليس فى نيتنا أن نتناول التغيرات الصوتية التى حدثت عند انتقال الكلمات العربية إلى اللغة التركية إذ أشار إليها اللغوى الفرنسى ( جان ديونى ) فى كتابه « مبادئ النحو التركى[٤] » . كما أشار ( لازار شاينيانو ) فى كتابه ( التأثير الشرقى على اللغة والثقافة الرومانية ) المذكور إلى التغيرات الصوتية التى حدثت عند انتقال الكلمات من اللغة التركية إلى اللغة الرومانية[٥] .

---

( ١ ) اللغات السامية (Semitskie iazîki) « الطبعة الروسية » ، موسكو ، ١٩٦٣ ص ٩٩ .

( ٢ ) Louis Deroy, L'emprunt linguistique, Paris, 1956, p. 20

( ٣ ) نفس المرجع ، ص ٢٨٠

( ٤ ) Jean Deny, Principes de grammaire turque, Paris, 1955,P. 26

( ٥ ) لازار شاينيانو ، العمل المذكور ، ص ٤١٠ – ٤٥ .

ويلفت النظر أن اللغة التركية قد أثّرت بخصائصها الصوتية فى الكلمات العربية الدخيلة وعملت الرومانية بدورها نفس الشئ عند انتقال هذه الكلمات إليها . وفى حالة الكلمات الطويلة الحجم أو بعض التركيبات تم تقصيرها عند دخولها فى الرومانية . وفيما يلى بعض الأمثلة : ع . استفتاح < ت. siftah < ر. saftea. ؛ ع . مصادرة < ت. (mu) sadere < ر. satara. ؛ ع. دار الصناعة < ت. tersane < ر. tersana ؛ ع . ما شاء الله < ت . masallah < ر. masala ؛ ع . سلام عليكم < ت. selamlic < ر. selamlic .

وجرى تغيير آخر فى مجال الصوتيات كذلك ، ألا وهو فقد الحروف العربية المشدّدة تشديدَها عند انتقالها من اللغة التركية إلى اللغة الرومانية وذلك أن التشديد ليس من خواصّ اللغة الرومانية ، فمثلا : ع . بطّال < ت. battal < ر. batal ؛ ع. جلّاد < ت. gellad < ر. gealat ؛ ع. حمّال < ت. hammal < ر. hamal ؛ ع. محلّة < ت. mahalle < ر. mahala ؛ ع. مقلّد < ت. mukallit < ر. mucalit إلى آخرها .

وهناك عدد من الأدلّة تشير إلى أن أغلبية الكلمات التى أخذتها اللغة التركية من اللغة العربية أخذتها من اللهجات الدارجة ولم تأخذها من اللغة الفصحى . والدليل الأول على ذلك أنها كلمات تحمل أسماء أدوات ملموسة لها انتشار واسع ، وقليل منها فقط يسمى عناصر للحياة الروحية .

والدليل الثانى هو فقد التنوين الذى الذى يمثل سمة للأغلبية الساحقة من الأسماء والصفات فى اللغة الفصحى ، ولا يصدر إلا فى حالات نادرة فى اللهجات الدارجة . وقد تركت التنوين جميع الكلمات العربية الأصل التى أخذتها الرومانية بواسطة التركية ، فمثلا :

ع. بلاءٌ < اللهجة بَلَا < ت. bela < ر. belea ؛ ع . كيفٌ < اللهجة كيْف < ت. keiyf < ر. chef ؛ ع . ترتيبٌ < اللهجة ترتيبْ < ت. tertip < ر. tertip .

والدليل الثالث أنه لا يوجد هناك لفظ واحد وصل إلى اللغة الرومانية مسبوقا بأداة التعريف ( ال ) ، إن كل الألفاظ من اللغة الدارجة ولها استخدام واسع وهذا مما يفسر نقص أداة التعريف [1] .

والدليل الرابع أن أغلبية الألفاظ التى تنتهى فى اللغة العربية بتاء مربوطة قد فقدت هذه التاء عند انتقالها إلى اللغة التركية : ع . عقيدة > ت . akyde > ر. acadea ؛ ع. لقمة > ت. lokma > ر. locma ؛ ع. نفقة > ت. nafaka > ر. nafaca ( وجرى عند الانتقال إلى اللغة الرومانية كما يبدو تغيير لترتيب الحروف الأصلية ) .

وفى عصر التأثير التركى الطويل على البلدان الرومانية — وبالتالى على اللغة الرومانية — لم يُمَسّ ما يسمى بالتركيب الأساسى للغة الرومانية . ونفس الشئ من الممكن أن نقوله بصدد التركيب النحوى والتركيب الصوتى . إن الكلمات ذات الأصل العربى الدخيلة فى اللغة الرومانية والتى بلغ عددها بعض المئات ترتبط بالحياة السياسية والعسكرية والإدارية للبلدان الرومانية وبالأثاوات التى كانت هذه البلاد مضطرة إلى دفعها ، وبالثياب الشرقية الأصل من ذلك العصر .

ودخل عدد من هذه الكلمات اللغة الرومانية بالعادات والعلاقات التى كانت تسميها بينما كان عدد منها يسمى العلاقات القائمة فى الامبراطورية العثمانية ولما زالت العلاقات التى كانت تسميها هذه الألفاظ وتبدلت الأدوات التى دخلت معها اللغة الرومانية ، فإن هذه الألفاظ أصبحت غير معروفة وغير مستعملة وتعتبر فى عصرنا هذا كلمات قديمة لا تستخدم إلا فى كتب التاريخ أو كتب الأدب ذات الطابع التاريخى .

---

( ١ ) والجدير بالذكر أنه دخل فى اللغة الرومانية بواسطة اللغات الغربية كثير من الألفاظ العربية التى كانت مصطلحات علمية فى اللغة العربية . وقد وصلت إلى اللغة الرومانية مسبوقة بأداة التعريف ومن هذه الألفاظ مثلا : alambic, alcali, alcool, algebra, alidada وغيرها ، ويبدو أن استخدام أداة التعريف كان يشير إلى أن هذه الكلمات مصطلحات علمية إذا أخذنا فى الاعتبار أن هناك كلمات من اللغة الدارجة وصلت بغير أداة التعريف إلى اللغة الفرنسية ومنها إلى الرومانية ، مثل ع . فقير > ف . faguir > ر. fachir ؛ ع . مسكين > ف . mesquin > ر . meschin ؛ ع . فلاح > ف . fellah > ر . felah .

وفيما يلى قائمة بالألفاظ العربية الأصل التى كانت تسمى علاقات سياسية وإدارية وعسكرية من عصر السيطرة التركية وأدوات ملموسة لها ارتباط بهذه العلاقات.

ascher, cadiascherº,[1] caid, caimacamº, calem, carar, cist, dandana, gerid, hanger, harșa, hatișerifº, havalea, hochim, huzmet, leafa, mazdrac, menzil, merchez, mertepea, meterez, mucaesea, mucarer, muchealemea, muhafiz, muhaserea, muhemat, muhur, mumbașir, murahaș, mușir, muteveliu, naip, nazir, nefer, nizam, nobet, raia, redif, regeal, reiz, rusumat, rușfet, sacat sadrazanº saltanat, seleaf, seraschierº, serhatº, sultan, tabie, tacrir, talhîs, tarapanaº, teșcherea. teșrifat, umur, ușur, validea, valiu, vechil, vilaet, vizir, zabet, zaherea, zaim.

ولا يستخدم من هذه القائمة الطويلة إلا بعض الألفاظ فى أيامنا ، بعضها نتيجة للتطور الدلالى وبعضها فى الأدب ذى الطابع التاريخى

dandana, hanger, leafa, meterez, raia, sultan, tarapana, vechil, vizir.

ومن الممكن أن يجرى هذا التغير لأن العلاقات التى كانت تسميها تغيرت تغيرا مستمرا كبيرا .

ولا يزال يستخدم فى عصرنا عدد من الكلمات التى كانت تسمى أنواعا من المنسوجات أو الثياب ، مثل :

aba, anteriu, burnuz, catifea, cutnie, fes, giubea, halat, imamea, iminei, marama, melez ولكن معناها قد تغير فى خلال القرون .

وقد وصل إلى اللغة الرومانية عدد من الألفاظ التى لها وزن « فَعَّال » الذى يشير إلى المهنة أو الحرفة :

bacal, casap, cavaf, gealat, gerah, hamal, telal, zaraf ولكنها وصلت إلى اللغة الرومانية بحرف عين غير مشدد . وبالإضافة إلى هذه ، وصلت كذلك كلمات أخرى تشير إلى الحرف أولها صلة بالحرف :

alvitar, calfa, hadîmb, halvagiu, isnaf, māmular, nalbar, rufet, tergiman, seiz, surugiu ولا يزال يستخدم بعض هذه الألفاظ : casap التى اشتق منها فى اللغة الرومانية الفعل căsăpi الذى له انتشار واسع و gealat, و surugiu و zaraf, .

ومن الجدير بالذكر أن أغلبية الألفاظ التى لها صلة بالحياة المالية والتجارية

---

( ١ ) الكلمات التى تتبعها هذه الإشارة(o) تكونت فى اللغة التركية من كلمتين عربيتين أو من كلمة عربية وكلمة فارسية

تستخدم كذلك فى عصرنا :

aiar, amanet, calp, chesat, chila, mezat, magazie, mofluz, musteriu, oca, raft, saftea, tarapana°, telal, zaraf,

كما تحتفظ اللغة الرومانية الحالية بأغلبية الألفاظ العربية الأصل التى كانت تسمى أطعمة ومشروبات

acadea, cafea, cataif, chebap, ciorba halva, locma, magiun, musaca, rachiu, rahat, serbet, tahin ، كما وصلت إلى الرومانية بعض الألفاظ التى لها صلة بالأطعمة ومنها : mutpah, nastrapa, sahan, satîr, sofra, sufertas°, tain ولاتزال تستخدم منها satîr, sufertas°, tain.

ووصلت إلى اللغة الرومانية كذلك بعض الكلمات العربية الأصل التى تسمى نباتات وموادّ مثل :

afion, cafea, cafea, cana, catran,[1] chibrit, chimen, cîrmîz, cubeba, hardal, haşiş, liliac, mucava, sabur, sidef, tahîn, zambac, zof, zambila

وكثير من هذه الكلمات يوجد فى اللغة الرومانية الحديثة ويستخدم بعضها كمصطلحات علمية .

ويستخدم كذلك جزءٌ من الألفاظ التى كانت تدل على أسماء الأعيان :

alem, acaret, bagdadie, bina, cafas, calup, canat, cherpedin, chiub, cîlîf, cubea, cula, halca, hap, havuz, hazna, hurtum, mahmudea, macaz, maden, magazie, mahala, maidan, masala, matara, aba, anteriu, burnuz catifea, cutni, fes, giubea, halat mehlem, merea, minaret, nastrapa, sel, saca, satîr, zaraf, imamea, iminei, marama, melez

ولبعض هذه الألفاظ انتشار واسع فى أيامنا أيضا .

والجدير بالذكر أن ١٥ كلمة من مجموع الـ ٢١[2] كلمة التى دخلت إلى اللغة

---

(١) دخلت كذلك بواسطة الفرنسية بشكل gudron

(٢) وسجل هذه الكلمات الـ ٢١ « الكساندرو روسيتى » و « بوريس كازاكو » فى كتابهما المذكور ، ص . ٣٣٨

الرومانية عن اللغة التركية وكانت تحمل دلالات مجردة أصلها عربي

belea, berechet chef, cusur, dandana, habar, haĭ haltir, huzur, mahmur, marafet,nuri, sart, tabiet, tertip

وبالرغم من أن مجال الديانة لم يُمَسّ بالتأثير الإسلامى خلال القرون الماضية فقد دخل إلى اللغة الرومانية عدد من الكلمات التى كانت تسمى الأمور التى لها علاقة بالدين الإسلامى . ومن الطبيعى أن يكون أصل هذه الكلمات عربيا إذا أخذنا فى الاعتبار أن العرب[1] هم الذين أسسوا هذه الديانة . ولا تزال تستخدم أغلبية الألفاظ التى تسمى وقائع لها صلة بالدين الإسلامى :

cadiu, Coran, geamie, gheaur,hagialic, hagiu, hurie, imam, mecet, muezin, musulman, rama - zan, salavat, segedea. seic, seitan, ulema, vacuf

ومن المتوقع أنه جرت تغيرات كبيرة فى ( دلالة ) الألفاظ العربية الأصل الدخيلة فى اللغة الرومانية باعتبار أنها وصلت إلى الرومانية بواسطة لغة أخرى قبل قرون كثيرة . وعلى الرغم من هذه الظروف فإن هذه الألفاظ لم تتغير معانيها إلا فى حالات نادرة وبصورة ضئيلة .

ودخل إلى الرومانية الألفاظ التى كانت تسمى علاقات سياسية أو شرعية أو إدارية أو عسكرية فى عصر معين أى فى عصر الاحتلال العثمانى فى نفس الوقت مع العلاقات التى كانت تسميها . أما اللغة التركية فأخذتها فى أغلب الحالات من العربية بدون أن تحدث فيها أى تغيير أو محدثة فى بعضها تغييرات ضئيلة صغيرة . وأغلبية هذه الكلمات لها نفس المعانى فى العربية والتركية والرومانية ونذكر من بينها : حكم < hochim محافظ < muhafiz ، مباشر < mumbașir ، محاصرة < muhaserea ، متولى < mutevelia ، مسلّم < muselim ، نائب < naip ، سلطان < sultan ، تقرير < tacrir ، تذكرة < tescherea ، والى < valiu ، ولاية < vilaet ، وزير < vizir ، ضابط < zabet ، زعيم < zaim كما لم تحدث تغيرات فى معانى الكلمات التى تسمى أسماء الأعيان مثل :

acaret, alem, cafas, calup, havuz, hurtum, mușama, nastrapa

---

(١) لم نعن هنا بالسكان الأتراك والتتار الذين يعيشون فى رومانيا حاليا والذين يتجاوز عددهم ٤٠ ألفا والذين يعتنقون الإسلام .

وغيرها . وكذلك فى معانى أسماء النباتات والمواد مثل :

afion, cafea, cana, cafea, catran, chimen,cîrmîz, cubeba, hardal, hașiș, liliac, sabur, sidef, șofran, tahîn, zambac

وفى المصطلحات الدينية مثل :

Cadiu, Coran, geamie, hagiu, imam, mecet, muezin, ramazan, șeic, segede, vacuf

أما الألفاظ التى تسمى أصحاب الحرف وأشياء أخرى تتصل بهم ، فلم تجر فيها إلا تغييرات طفيفة

bacal (bacan), casap, cavaf, gerah, halvagiu, hamal, isnaf, rufet, seiz, telal, tergiman, zaraf

وقد جرت أهم التغيرات فى معانى الألفاظ التى تسمى صفات أو عيوبا ولكن مدلولات هذه الألفاظ أيضا كانت أقرب إلى المدلولات الموجودة فى اللغة التركية أو فى اللغة العربية فى عصر قديم من تاريخ اللغة الرومانية . فمثلا كلمة عجمىّ > ت acemi بالمعانى الآتية : « فارس ؛ بربرى ؛جاهل ، خشن ، غليظ ؛ مبتدئ ، شخص ليست له خبرة > ageamiu بالمعنى « مبتدئ ، شخص ليست له خبرة بالحياة أو لا يحسن التصرف » ؛ع . خائن > ت hain بنفس المدلول الموجود فى اللغة العربية > ر . hain ، وكان للفظ الرومانى المعنى العام الموجود فى العربية والتركية ولكنه اكتسب كذلك معنى آخر « قاسٍ » ؛ ع . مقلِّد > ت. mukallit > ر . mucalit وبالإضافة إلى الدلالة الأصلية تطوّرت هذه الكلمة فى اللغة الرومانية إلى معنى «مضحك وهو جادّ ، متندر » . وفى ع. « تلبيس » نجد أنها أصبحت فى الرومانية telpiz وأنها صفة فى هذه اللغة ولها معنى « ماكر ، متكلّف ، متصنّع » .

وجرت التغيرات التى تتصل بمعانى هذه الكلمات فى اللغة الرومانية بعد أن انقطعت علاقاتها المباشرة مع اللغة التركية . إن حالة من حالات تطوّر الدلالة يمثلها فقط عدد من المدلولات الأصلية حيث يقتصر اللفظ على معنى واحد وحسب ، دون المدلولات الأُخرى التى كانت له فى التركية أو العربية . وهذه الظاهرة تحدث فى أغلبية الألفاظ العربية الأصل الدخيلة فى اللغة الرومانية . كما يحدث فى بعض الحالات أن التركية بدورها قد اقتصرت على أحد مدلولات اللفظ دون غيرها . وفيما يلى بعض الأمثلة :

ع. عوائد (جمع العائدة)[1] > ت. avait «مداخيل، ضرائب» > ر. avaet «ضريبة كانت تدفع لمداخيل معينة». ونلاحظ أن الكلمة «عوائد» التى لها معان كثيرة فى اللغة العربية دخلت فى اللغة التركية ببعضها بينما لم تحتفظ الرومانية إلا بمعنى واحد. ونفس الظاهرة جرت بكلمات أخرى: ع. قيد > ت. kayd > ر. caid «ملف، أرشيف»؛ ع. خاطر > ت. hatir > ر. hatîr «رغبة»؛ ع. مسافر > ت. musafir > ر. musafir «ضيف» وغيرها.

وهناك طبعا ألفاظ وصلت إلى الرومانية واحتفظت بمعانيها المختلفة من اللغة المانحة، مثل اللفظ «حريم» الذى له فى الرومانية المدلولان الموجودان فى اللغة الأصلية: «زوجات رجل مسلم متعدد الزوجات» و «جزء من البيت الخاص بالنساء».

ومن الطبيعى أن تتغير مدلولات كثير من الكلمات الدخيلة إذ أنها أصبحت ذات سمات جديدة تتسم بها ألفاظ اللغة التى وصلت إليها وتطورت فى ظروف تاريخية جديدة تحدّد تطوّر اللغة فى مجموعها. وهناك فى اللغة الرومانية كلمات عربية الأصل ابتعدت معانيها عن المعانى الموجودة لها فى اللغة العربية وحتى فى اللغة التركية. وهذا ما حدث مثلا فى اللفظ «أبرش» الذى كان يشير فى اللغة العربية إلى صفة من صفات الحصان والذى أصبح فى الرومانية (وشكلها abraș) يشير إلى صفة أخرى بالنسبة للحصان ألا وهى «جامح» وبالإضافة إلى هذه يشير إلى صفة من صفات الإنسان ألا وهى «عنيف وشرير» وإلى صفة لأعمال الإنسان ألا وهى «فاشل وخائب». ومن الملاحظ أنه بينما كان يدل فى العربية والتركية على صفة من صفات الإنسان فقط، توسع فى الرومانية نطاق الدلالة وأصبح يشمل بالإضافة إلى صفة الحصان صفات أخرى خاصة بالإنسان. إن تطورا مشابها جرى بالنسبة لكلمة «خفيف» والتى أصبحت تدل فى الرومانية (وشكلها afif) على صفة «المفلس».

وفى حالات أخرى لا يقتصر تطور اللفظ الدخيل على التعبير عن معان جديدة بل فى

(١) لا تسجل هنا معانى الكلمات فى العربية اعتبارا أن الباحث يجدها فى القواميس العربية.

إمكانها أن تكسب قيما بلاغية معينة وطابعا اجتماعيا معينا . وقد أشار « لازارشاينيانو » فى عمله المذكور إلى بعض هذه الكلمات [1] ونحن نضيف إليها أمثلة أخرى :

afif (ع . خفيف) بمعنى « مفلس » و ageamîu (ع . عجمىّ) بمعنى « مبتدىء » و berechet (ع. بركة) بمعنى « مكّار » و ciorba (ع . شربة) فى المثل « a te băga în ciorba cuiva » بمعنى « تدخل فى شؤون شخص آخر » و fes (ع . فاس) فى المثل « a turti fesul cuiva » بمعنى « خيب آماله » و fitil (ع . فتيل) فى المثل « a băga fitiluri » بمعنى « دس الدسائس » و hap (ع. حبّ) فى المثل « a înghiți hapul » بمعنى « فشل » إلى آخرها .

وفيما يتعلق بالقيمة الاجتماعية التى تكسبها كلمة فى مرحلة من مراحل تطورها ، أبلغ مثل هو مثل اللفظ chiabur (ع . كبير) . وقد أصبح لهذا اللفظ استخدام واسع جدّا فى مرحلة انتقال رومانيا من الرأسمالية إلى الاشتراكية أى فى سنوات الكفاح ضد ملاك الأراضى الكبار ومن أجل الإصلاح الزراعى والتحول الاشتراكى للزراعة . واكتسبت هذه الكلمة فى تلك السنوات معنى الكلمة الروسية « كولاك » تحت تأثير اللغة الروسية طبعا وكانت لا تدل على الإقطاعيين بالضبط ، بل على فئة ريفية أخرى – فئة برجوازية الأرياف وصغار الملاك الذين لم تقم الدولة الاشتراكية بتأميم ممتلكاتهم أو بتوزيعها على الفلاحين الفقراء ولكنها ضغطت عليهم لكى يتجهوا إلى الاشتراكية . ونتيجة لاكتساب هذا المعنى أصبح لهذه الكلمة انتشار واسع إذ كان يستخدمها جميع متحدثى اللغة الرومانية واشتق منها أحد عشر مشتقا جديدا بوسائل اشتقاقية خاصة للغة الرومانية وهى : صفة chiaburesc واسم chiaburan واسم se chiaburime وفعل se chiaburi واسم chiaburoi ومصدر deschiaburire وفعل deschiaburi ومصدر deschiaburire وصفة închiaburit .

---

(١) لا زار شاينيانو ، الكتاب المذكور ، ص. ٤٧

ومما يلفت النظر أن الانتشار الواسع لهذه الكلمة ومشتقاتها كان محدودا زمنيا ، ولا يستخدمها متحدثو الرومانية اليوم إلا عندما يتحدثون عن وقائع تلك الفترة التي تجاوزها المجتمع الروماني .

وحصلت الكلمة vechil (وكيل) كذلك في مرحلة معينة من تاريخها على ظل دلالي اجتماعي . وكان من بين معاني الكلمة العربية معنى « منتدب » و « مفوّض » و « نائب » واحتفظت الكلمة بنفس الدلالات في اللغة التركية بينما بدّلتها في اللغة الرومانية إذ أصبحت تعني فيها بالإضافة إلى « نائب قائد الدولة » و « المحامي » معنى آخر ألا وهو « الشخص المفوّض بالإشراف على العمل في إقطاع » أي « نائب الإقطاعي » و « مشرف » . ويعرفها متحدثو الرومانية بهذه المعاني الأخيرة نتيجة لاستخدامها في فترة طويلة من الزمن بهذه المعاني .

إن كثيرا من الكلمات العربية الأصل الموجودة في اللغة الرومانية اكتسبت ظلا دلاليا فكاهيا . فمثلا كلمة berechet (بركة) اكتسبت بالإضافة إلى معنى « زيادة الخير » الأصلي معنى « مكّار ، شاطر » وكذلك الكلمة « fudul (فضول) التي لها بالإضافة إلى معنى يكون ممكنا تفسير ارتباطه بالمعنى الأصلي اكتسبت معنى آخر في المثل fudul de-o ureche أي « أصم » ، وكذلك الكلمة hap (حبّ) لها معنى جديد فكاهي في المثل a înghiti hapul بمعنى « تحمل شيئا غير محبوب » .

هذا ، وقد اكتسبت ألفاظ أخرى ظلا دلاليا ممزوجا بالفكاهة ، ومنها gealat (جلاّد) بمعنى « فتوة ، جدع » mahala (محلّة) بمعنى « ساحة ، خاصّةً في ضواحي المدن ، تجمع فيها الزبالة أو يستخدمها الأطفال للعب » . ويعرف كذلك متحدثو الرومانية هذه الكلمة في عصرنا هذا بمعانيها الجديدة هذه .

وأشار اللغوي الفرنسي « لويس ديروا » في إحصاء عامّ للكلمات الدخيلة إلى أن أغلبيتها (ما بين ٧١ في المئة و ٧٥ في المئة) أسماء وما بين ١٨ — ٢٣ في المئة أفعال ، وما بين ٣ — ٤ في المئة صفات ، و ١ في المئة حروف .[1] ونلاحظ أن

(١) Louis Deroy ، الكتاب المذكور ص ٦٧ .

هذه الإحصائيات تؤكدها كذلك حالة الكلمات العربية الدخيلة إلى اللغة الرومانية: حوالى ٨٥ فى المئة منها أسماء وحوالى ١٠ فى المئة منها صفات وحوالى ١٠ فى المئة تكون حروفا وأدوات تعجب . ومما يلفت النظر كذلك أنه لم يصل إلى الرومانية فعل واحد وربما ذلك بسبب الشكل المقيد للفعل العربى .

وكثيرا ما يحدث عند انتقال لفظ من لغة إلى لغة أخرى تغير له من أجل إدخاله فى نوع صرفى معين كما يحدث تنقله من الاسم إلى الصفة أو العكس . وهناك بعض الأمثلة من هذه الناحية : اللفظ « فضول » كان اسما فى العربية والتركية وأصبحت fudul فى الرومانية صفة واشتقت الرومانية من هذه الصفة اسما جديدا حسب نظامها فى الاشتقاق fudulie . واللفظ « تلبيس » telpiz الذى هو مصدر فى العربية أصبح فى التركية اسما وصفة وفى الرومانية صفة فقط . والحالة العكسية : اللفظ chiabur الذى تحدثنا عن معانيها أعلاه .

وبين الألفاظ العربية الأصل هناك بعض الصفات التى تدل على خواص أو عيوب . ومن الجدير بالذكر أنها كانت فى اللغة العربية أسماء ومنها hain (خائن) بمعنى « شرّير » و « قاس » و mofluz (مفلس) بمعنى « غير مرض » و șiret (شرّة) بمعنى « ماكر ، مخدع » وغيرها .

وهناك بعض الحالات التى لا تعتبر فيها اللغة التركية الجمع جمعا بل تعتبره مفردا وتشتق منه جمعا جديدا حسب نظام اشتقاقها للجمع كما تحدث هذه الظاهرة عند انتقال عدد من هذه الجموع إلى الرومانية . فمثلا acaret (عقارات جمع عقار) يشتق منها جمع رومانى acareturi ، وكذلك cataif (قطائف جمع قطيفة) يشتق منها جمع cataifuri . وكذلك من havadiș (حوادث جمع حادثة) يشتق جمع havadișuri وغيرها . وهذا هو دليل آخر على أن هذه الكلمات وصلت إلى الرومانية عن طريق الحديث لا عن طريق الكتابة .

وأصبحت بعض أسماء المدن والمناطق العربية تسمى فى الرومانية بأشياء ملموسة أصلها فى هذه المناطق ، ومنها fes (مدينة فاس) بمعنى « طربوش » و misir

(مصر ) بمعنى «حصان عربى » و șama (شام ) بمعنى «منسوج معين ». واحتفظت هذه الكلمات لفترة بعد دخولها الرومانية بالمعنى الأصلى وفى مرحلة أخرى فقدت هذا المعنى وأصبحت تعرف بمعانى هذه الأشياء الملموسة التى اعتبر أصلها فى هذه المناطق العربية المذكورة .

كما وصل إلى اللغة الرومانية عدد من النسب المشتقة من أسماء مناطق أو مدن عربية كذلك . ومنها iminei (يمنىّ ) ويدل اللفظ على نوع خاص من الأحذية يعتبر أصلها فى اليمن و bagdadie (بغدادىّ ) الذى يدل على أسلوب معين فى طلاء المبانى يتشابه مع الطلاء الذى كان يستخدم فى بناء البيوت ببغداد وغيرها . وفى أغلب الحالات أصبحت هذه النسب أسماء فى الرومانية .

وليست الألفاظ التى تسمى ظروفا أو أدوات تعجُّب ليست فى أغلب الحالات كذلك فى العربية ، بل هى إما أسماء وإما مصادر وإما تركيبات لفظية ، فمثلا اللفظ hareci ( حراج ) بمعنى «صوت يستخدمه قائد بيع المزاد » و mașala ( ماشاء الله ) بمعنى « أحسنت ، برافو عليك » و tiptil ( تبديل ) بمعنى « خفية » . ونذكر كذلك أن عددا من الألفاظ العربية الأصل احتفظت بها الرومانية فى عبارات مركَّبة فقط على الرغم من أن لها معان خاصة فى العربية وفى التركية ، ومنها : cherem (كرام ) فى المثل la cheremul cuiva بمعنى « تحت أمر شخص » و chelemet ( كلمة ) فى المثل a face chelemet cu cineva بمعنى « اتَّصل بشخص اتصالا وديًّا » و naht ( نقد ) فى العبارة în naht بمعنى « نقدا » و naiba ( نائبة ) فى العبارة la naiba بمعنى : فى الداهية وغيرها .

وتعتبر أغلبية هذه الأمثال قديمة ومن الممكن أنه فى فترة معينة من تاريخ اللغة الرومانية كانت لهذه الكلمات معان خاصة . ويبدو أن هذا سيكون مصير ألفاظ لها معان خاصة وهى منفردة ولكن أغلبية المتحدثين يعرفونها فى أمثال . ومن هذه الألفاظ: aman, abraș, habar, har, hal, halal, haram, hatîr, hap, iaca, mertepea, nazar, ramazan, saftea, șart

وكان عدد الألفاظ العربية الأصل التى دخلت فى اللغة الرومانية بواسطة التركية يتجاوز ٤٠٠ لفظا . ويحتوى هذا الرقم

على الألفاظ الأصلية فقط ولا يشمل المشتقات المختلفة التى تكونت من هذه الألفاظ على التربة الرومانية ولا الأشكال اللهجية التى كانت متعددة فى بعض الحالات . وتستخدم فى الوقت الحاضر أغلبية هذه الألفاظ فى لغة الكتابة ولكنها غير شائعة فى الاستعمال العادى للغة .

إن عددا من هذه الألفاظ استخدم فى قرون السيطرة العثمانية فقط وفى أغلب الحالات زالت فى نفس الوقت بزوال الأدوات والمؤسسات والعلاقات التى كانت ترتبط بها .

إن كثيرا من الألفاظ التى حللناها لا تزال تستخدم فى عصرنا الحديث استخداما واسعا ، وهذه قائمة لها :

abraș, acaret, ageamiu, bina, calp, catifea, catran, chef, chibrit, chirie, ciorba, cusur, dandana, fes, fitil, fudul, furtun, gealat, get-beget, habar, hac, hal, halal, halat, halva, hamal, haram, hatîr, haz, hazna, huzur, leafa, liliac, macaz, magazie, magiun, mahala, mahmur, marafet, marama, meremet, mezat, mofluz, mosor, mucalit, mucava, musaca, mușama, mușteriu, naiba, năframa, oca, rachiu, rahat, ramazan, raft, șaca, saftea, satîr, sidef, sofa, sufertas, șerbet, șiret, tabiet, tacîm, taman, talpiz, tertip, tiptil, vechil, zaiafet, zambila, zarzavat, zurliu.

وهناك ألفاظ أخرى تستخدم فى اللغة الدارجة بصورة خاصة .

والجدير بالذكر أن عددا منها لايزال يستخدم نتيجة للمعانى الجديدة التى حصل عليها فى اللغة الرومانية ، مثل :

abraș, ageamiu, avan, berechet, bina, dandana, fudul, gealat, halat, hatîr, leafa, magazie

وهناك ألفاظ أخرى بقيت فى اللغة نتيجة لدخولها فى أمثلة لها استعمال واسع ، ومنها : bac, habar, halal, hatîr, naiba وغيرها .

ومن أهم الملاحظات أن هناك عددا من الكلمات العربية الأصل التى وصلت إلى رصيد اللغة الأساسى أى أنها تُعدّ بين الآلاف القليلة من ألفاظ اللغة الرومانية التى تعتبر أساس متن اللغة وهذه الألفاظ هى cafea, chef, chirie, hal . وهناك كلمة خامسة — cîntar — التى نشك فى أن أصلها عربى ولكنها دخلت بالمعنى

الموجود فى اللغة الرومانية من اللغة العربية بواسطة التركية وتسجل قواميس اللغة الرومانية عددا من المشتقات التى اشتقت من هذه الألفاظ إما باللغة التركية وإما بالرومانية .

إن اللفظة cafea ( قهوة ) مثلا لها ثمانية مشتقات فى اللغة الرومانية : الاسم cafegi-bașa < ت . kahvegi-bașa والاسم cafegiu < ت. kahveci والاسم cafegioaica والفعل cafeli والاسم cafeluța واسم المكان cafenea < ت. kahvehane واسم المكان المصغّر cafeneluța والصفة cafeniu

أما اللفظة chef ( كَيْفَ ) فلها خمسة مشتقات ولكنها تستخدم فى اللغة الحديثة استخداما واسعا إذ أن اللفظة تدل فى الرومانية على الاجتماع المصحوب بالشراب والرقص ،والرومانيون مشهورون بهذه الأفراح التى يأكلون فيها ويشربون الخمر ويرقصون . وهذه المشتقات هى : الفعل chefălui والصفة chefliu ت. < keyfli والفعل chefui واسم التصغير chefulet واسم التصغير chefușor .

أما اللفظة chirie ( كراء ) فلها تسعة مشتقات ويُعدّ بعضها مهجورا : الاسم chiriaș والاسم chirigiu < ت. kiragy والفعل închiria والمصدر închiriere والمفعول închiriat والفعل reînchiria والمصدر reînchiriere والفعل subînchiria والمصدر subînchiriere

أما اللفظة hal (حال ) فبالرغم من أنه ليست لها مشتقات فلها استعمال جدّ واسع نتيجة لدخولها فى عدد من الأمثال الواسعة الاستخدام .

وفيما يخص اللفظة cîntar فلها ستة مشتقات وكلها تستخدم بصورة خاصة فى لغة التجارة ، وهى اسم الحرفة cantaragiu < ت. kantaragy والفعل cîntări والمصدر cîntărire والمفعول cîntărit والصفة necîntărit والصفة recîntărit .

إن كثيرا من الألفاظ التى ذكرناها أعلاه دخلت فى لغة الأدب نتيجة لظلالها

البلاغية أو نتيجة لقوتها التعبيرية الكبيرة ، كما دخل عدد آخر منها فى رصيد الألفاظ المهجورة للغة الرومانية والتى تخرج من مخفاها وتستخدم لوصف وضع خاص من ماضى التاريخ .

ومن المفترض أن جزءًا من الكلمات العربية الأصل الدخيلة إلى اللغة الرومانية سوف يستمر استخدامها لمدة طويلة بعد إما نتيجة لأنه لا يوجد هناك مترادفات تنافسها وإما نتيجة للظلال الدلالية الجديدة التى اكتسبتها .

هذا ، ونقدم فيما يلى قائمة كاملة بالألفاظ العربية الأصل الدخيلة فى اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية ولأسباب من السهل فهمها نقتصر على الإشارة إلى الأصل العربى والوسيط التركى من غير أن نشير إلى معانيها . إن الراغبين فى بحث هذه الكلمات فى إمكانهم أن يجدوا دلالاتها مسجلة فى قواميس اللغة الرومانية . ولا نسجل فى هذه القائمة كذلك إلا الشكل الأساسى لكل كلمة أى الشكل الذى يستخدم فى اللغة الفصيحة أو الذى كان له أكبر انتشار فى حالة الكلمات التى لا تستخدم فى الوقت الحالى . ولانسجل الأشكال اللهجية الأخرى التى لها استخدام محلى أو محدود زمنيا رغم أنه فى عدد من الحالات تكون هذه الأشكال أقرب من الأصل وتساعدنا فى فهم التطور الدلالى ، ولانتناول المشتقات الأخرى المكونة فى اللغة الرومانية . ورتبنا الألفاظ فى هذه القائمة حسب الحروف الأبجدية الرومانية .

| اللغة العربية > | التركية > | الرومانية |
|---|---|---|
| عباء | aba | aba |
| أبرش | abraș | abraș |
| عقيدة | akyde | acadea |
| عقارات | akaret | acaret |
| عادة | âdet | adet |
| خفيف | hafif, afif | afif |
| عجمىّ | agemî | ageamiu |
| عجم | Agem | agem |
| عيار | aiar | aiar |
| علم | alam | alem |
| أمّا | amma | ama |
| أمان | aman | aman |
| أمانة | amanet, emanet | amanet |
| عرب | arab | arap |
| عرض | arz | arz |
| عرض حال | arzi hal | Arzihal° |

| الرومانية | < التركية | < اللغة العربية |
| --- | --- | --- |
| ascher(iu) | asker | عسكر |
| atlaz | atlaz, atlas | أطلس |
| avaet | avait, avaid | عوائد |
| avan | havan | خوّان |
| bacal | bakkal | بقّال |
| bagdadie | bagdadi | بغدادىّ |
| batal | battal | بطّال |
| băcan | bakkal | بقّال |
| bacan | bakkam | بقّم |
| becher | bekâr | بكر |
| belea | belâ | بلاء |
| berechet | bereket | بركة ؛ بركات |
| bidiviu | bedevi | بدوىّ |
| bina | bina | بناء |
| budala | budala | بدلاء |
| burnuz | burnuz, burnus | برنس |
| cabul | kabul | قبول |
| cadiascher | kadyasker | قاضى عسكر |
| cadiu | kady | قاضى |
| cafas | kafas | قفص |
| cafea | kahve | قهوة |
| caiafet | kiyafet | كيفية |
| caid | kayd | قيد |
| caimacam° | kaymakam | قائم مقام |
| caimea | kayme | قائمة |
| calem | kalem | قلم |
| calfa | kalfa | خليفة |
| calp | kalp, kalb | قلب |
| canat | kanat | كنّة |
| carar | karar | قرار |
| casap | kasab, kassab | قصّاب |
| cataif | kataif | قطائف |
| catifea | katifa | قطيفة |
| catran | katran | قطران |
| cavaf | kavaf | خفّاف |
| cavas | kavas | قوّاس |
| căneala,cana | kana | حنّاء |
| chebap | kebap | كباب |
| chef | kef, keiyf | كيف |
| chelemet | kelimet | كلمة |
| cherem | kerem | كرام |
| cherpedin | kerpedin | كلبتان |
| chesat | kesat, kesad | كساد |
| chiabur | kebir | كبير |
| chiafir | kyafir | كافر |

| اللغة العربية > | التركية > | الرومانية |
|---|---|---|
| كاتب | kyatib | chiatip |
| كبريت | kibrit | chibrit |
| كيلة | kile | chila |
| غلاف | kîlîf, gylaf | chilîf |
| كراء | kira | chirie |
| كوب | kup, kub | chiup |
| شربة | ciorba | ciorba |
| قنطار | kantar | cînter |
| قرمز | kîrmîz | cîrîmîz |
| قسط | kyst | cîştiu |
| القرآن | Koran | Coran |
| قبّة | kubbe | cubea |
| كبابة | kebâbe | cubeba |
| قلعة | kula | cula |
| قماش | kumaş | cumaş |
| قصور | kusur | cusur |
| كسكس+كباب | kuş-kebaby | cuşchebap° |
| قطنيّة | kutnie | cutnie |
| دهيّ | dahi | dahiu |
| دائرة | daire | dairea |
| طنطنة | tantana | dandana |
| دعوى | dava | dava |
| دور | devir | dever |
| دولة | devlet | devlet |
| دخان | duhan | duhan |
| دعاء | duva | duva |
| أتباع | etba | ecpaia |
| فرفرة | farfara | farfara |
| فاس | fes | fes |
| وسوسة | fesfese, vesvese | fesfesea |
| فيل | fil | fil |
| فضول | fudul | fudul |
| خرطوم | hortum | furtun |
| جلّاد | gellât, gellâd | gealat |
| جمال | gemal | geamala |
| جامع | gami | geamie |
| جلّاب | gelep | gelep |
| جرّاح | gerrah | gerah |
| جريمة | gereme | geremea |
| جدّ بجدّ | ged-bi-ged | get-beget |
| كافر | gâvur | ghiaur |
| كرديّة | kurdiye | ghiordie |
| جلّ | gul | giol |
| جبّة | ǧubbe | giubea |
| خبر | habar, haber | habar |
| حق | hak | hac |

| العربية | التركية | الرومانية |
|---|---|---|
| خادم | hadym | hadîm |
| حاجّ | hagi | hagiu |
| خائن | hain | hain |
| حال | hal | hal |
| حلال | halâl | halal |
| خلعة | halat | halat |
| آلات | alât | halat |
| حلقة | halka | halca |
| حلوى | halva | halva |
| حمّال | hammal | hamal |
| خنجر | hanger | hanger |
| حَبّ | hap | hap |
| خراج | haraci | haraci |
| حرام | haram | haram |
| حراج | hareč | hareci |
| خردل | hardal | hardal |
| حريم | harem | harem |
| غاشية | haşa | harşa |
| غشاء | hasa | hasa |
| خط | hatt | hat |
| حدّ | hat | hat |
| خطأ | hata | hata |
| خاطر | hatir | hatîr |
| حوادث | havadis | havadis |
| هووّى | havayi | havaiu |
| حوالة | havale | havalea |
| حوض | havuz | havuz |
| هزل | haz,hazl | haz |
| خزينة | hazine | hazna |
| البتّ | elbet, elbette | helbet |
| حكم | hüküm | hochim |
| حوريّة | hurie | hurie |
| خرطوم | hortum | hurtum |
| خدمة | hyzmet | huzmet |
| حضور | huzur | huzur |
| خفيف | afifli, hafifli | ififliu |
| إمام | imam | imam |
| يمنيّ | yemeni | iminei |
| عناد | inat, inad | inat |
| عطر شاهى | ytri-şahi | indruş aim |
| أصناف | esnaf | isnaf |
| علوفة | olefe, ülefe | leafa |
| ليلك | leylak | liliac |
| لقمة | lokma | locma |
| مقعد | makat | macat |
| مقصّ | makas | macaz |

| الرومانية | التركية > | اللغة العربية > | الرومانية | التركية > | اللغة العربية > |
|---|---|---|---|---|---|
| madea | madde | مادّة | mehtup | mektup | مكتوب |
| madem | meden | معدن | melez | melez | ملس |
| magazie | magaza | مخزن | menzil | menzil | منزل |
| magiun | mağun | معجون | merchez | merkez | مركز |
| magmuza | magmuz | مغمور | merea | mera | مرعى |
| mahala | mahalle | محلّة | meremet | meremet, meramet | مرمّة |
| mahmudea | mahmudiye | محمود | mertepea | mertebe | مرتبة |
| mahmur | mahmur | مخمور | metah | metah, meta | متاع |
| maidan | meydan | ميدان | meterez | meteriz | متراس |
| mansub | mansup, mansip | منصب | mezat | mezat | مزاد |
| marafet | marifet | معرفة | minarea | minare | منارة |
| marama | mahrama | محرمة | miraz | miraz | ميراث |
| maraz | maraz | مرض | misir | Misir | مصر |
| masala | masal | مشعلة | mofluz | muflus | مفلس |
| masat | masat | مسد | moslim | moslim | مسلم |
| mascara | maskara | مسخرة | mozavir | muzevvir | مزوّر |
| mașala | mașaallah | ما شاء الله | mubaia | mubaya | مبايعة |
| matara | matara | مطرة | mucadin | mukadim | مكدّم |
| matuf | matuf, matuh | معتوه | mucaesea | mukayese | مقايسة |
| mazdrac | mizrak | مزراق | mucalit | mukallit | مقلّد |
| mazil | mazul | معزول | mucaremea | mukarreme | مكرّمة |
| mămular | mamele | معاملة | mucava | mukavva | مقوّى |
| mecet | mecid | مسجد | muchealemea, | mukâleme | مكالمة |

| الرومانية | التركية > | العربية > |
|---|---|---|
| muchelef | mukellef | مكلّف |
| mudir | mudir | مدير |
| muezin | muezzin | مؤذّن |
| moftiu | mufti | مفتى |
| muhafiz | muhafiz | محافظ |
| muhaserea | muhasere | محاصرة |
| muhemat | muhimmat | مهمّات |
| muhur | muhur | مهر ، مهور |
| mumbașir | mubașir | مباشر |
| murahaș | murahhas | مرخّص |
| musaadea | musaade | مساعدة |
| musaca | musakka | مسقّع |
| musafir | musafir | مسافر |
| musaip | musahip | مصاحب |
| muselim | musellim | مسلّم |
| mușama | mușama | مشمّع |
| mușaverea | mușavere | مشاورة |
| mușir | mușir | مشير |
| mușteriu | mușteri | مشترى |
| muteferica | muteferrika | متفرّقة |
| mutpah | mutbah | مطبخ |
| muteveliu | mutevelli | متولّى |
| nafaca | nafaka | نفقة |

| الرومانية | التركية > | العربية > |
|---|---|---|
| nacaşlîc | nakaşlik | نقش |
| naht | nakt, nakd | نقد |
| naiba | nayba | نائبة |
| naip | naip, naib | نائب |
| nastrapa | meșrebe | مشربة |
| nazar | nazar | نظر |
| nazir | nazir | ناظر |
| nălbar | nalbant | نعل + بند |
| nefer | nefer | نفر |
| netegea | netige | نتيجة |
| nisfia | nisfiyet | نصف |
| nizam | nizam | نظام |
| nobet | nobet, nevbet | نوبة |
| nur | nur | نور |
| oca | okka | أقّة |
| olmaz | elmas | ألماس |
| raft | raf | رفّ |
| ragea | reğa | رجاء |
| rageal | rigal | رجال |
| rahat | rahat | راحة |
| rahatlocum | rahatlokum | راحة الحلقوم |
| raia | raya | رعايا |
| ramazan | ramazan | رمضان |

| الرومانية | التركية | اللغة العربية |
|---|---|---|
| răcam | rakam | رقم كاب |
| rechiab | rikiab | ركاب |
| redif | redif | رديف |
| reiz | reis | رئيس |
| rubia | rubiye | ربعة |
| ruca | ruka | رقعة |
| rufet | rufet, hyrfet | حرفة |
| rup | rüb | ربع |
| rusumat | rusumat | رسومات |
| ruşfet | rüşvet | رشوة |
| rutea | rüte, rütbe | رتبة |
| sabur | sabyr | صبر |
| saca | saka | سقّاء |
| sacat | sakat | سقط |
| sadrazan° | sadrazam | صدر أعظم |
| safi | sâf | صافى |
| saftea | sefte, sifta | استفتاح |
| sahan | sahan | صحن |
| salamalec° | selamalek | سلام عليكم |
| salavat | salavat | صلوات |
| salep | salep | سحلب |
| saltanat | saltanat | سلطنة |
| satara | musadere | مصادرة |

| الرومانية | التركية | اللغة العربية |
|---|---|---|
| satîr | satir | ساطور |
| saxana° | seysane | سائس + خانه |
| segedea | seggade | سجّادة |
| seiz | seyis | سائس |
| sel | sel | سيل |
| selamlîc | selâmlik | سلام عليكم |
| selemet | selâmet | سلامة |
| seraschier° | serasker | سر + عسكر |
| serhat° | serhat | سر + حدّ |
| sidef | sedef | صدف |
| sileaf | sileaf, silâh | سلاح |
| simit | simit | سميد |
| sinet | senet | سند |
| sinie | sini | صينية |
| socac | sokak | زقاق |
| sofa | sofa | صفّة |
| sofra | sofra | سفرة |
| sultan | sultan | سلطان |
| suret | suret | صورة |
| surugiu | surugi | سروجيّ |
| şabaca | şebeke | شبكة |
| şah mat | şha mat | شاه مات |
| şam (ă) | şam | شام |

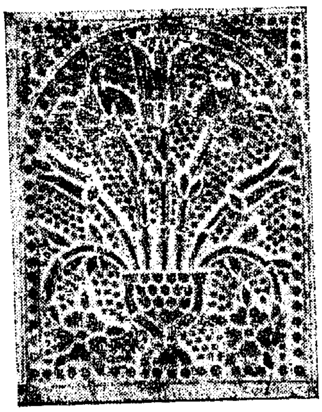
| اللغة العربية > | التركية > | الرومانية | اللغة العربية > | التركية > | الرومانية |
|---|---|---|---|---|---|
| تعليم | talim | talîm | شرط | șart | șart |
| طمع + كر | tamakar | tamachiar° | شاطر | șatir | șatir |
| تمام | tamam | taman | شربات | șerbet | șerbet |
| تنّور | tandur | tandur | شيخ | șeyh | șeic |
| طرف | taraf | taraf | شريف | șerif | șerif |
| ضرب + خانة | tarabhane | tarapana° | شرّة | șirret | șiret |
| تقسيم | taksim | taxim | زعفران | șafran, zaferan | șofran |
| تكليفات | teklifat | teclifat | شروط | șurut | șurut |
| دلاّل | tellâl, dellâl | telal | دبّاغ | tabak | tabac |
| تلبيس | telbis | telpiz | طابية | tabiye | tabie |
| تمنّى | temenna | temenea | طبيعة | tabbiat | tabiet |
| ترجمان | tergeman | tergiman | طاقم | takim | tacîm |
| دار صناعة | tersane | tersana° | تقليد | taklit, taklid | taclit |
| ترتيب | tertip | tertip | تقرير | takrir | tacrir |
| تذكرة | tezkere | teșcherea | طحين | tahin | tahîn |
| طباشير | tebeșir | tibișir | تخمين | tahmin | tahmin |
| تبديل | tebdil | tiptil | تحميص | tahmis | tahmis |
| ثلث | suls | tult | طائفة | taife | taifa |
| علماء | ulema | ulema | طائفة | taife | taifas |
| أمور | umur | umur | طائفة | taife | taifet |
| عشر | öșur | ușur | تعيين | tayin | tain |
| وقف | vakuf | vacuf | تلخيص | telhis | talhiș |
| وعدة | vâde | vadea | طالع | tâli | tali |

| الرومانية | < التركية | < اللغة العربية |
|---|---|---|
| validea | valide | والدة |
| valiu | valii | والى |
| vechil | vekil | وكيل |
| veznea | vezine | وزنة |
| vilaiet | vilâyet | ولاية |
| vizir | vezir | وزير |
| zabet | zabit | ضابط |
| zaharea | zahire | ذخيرة |
| zaiafet | ziyafet | ضيافة |
| zaif | zayif | ضعيف |
| zaim | zaîm | زعيم |

| الرومانية | < التركية | < اللغة العربية |
|---|---|---|
| zambac | zambak | زنبق |
| zambila | sümbül | سمبل |
| zapt | zapt, zabt | ضبط |
| zaraf | zaraf | صرّاف |
| zarf | zarf | ظرف |
| zarif | zarif | ظريف |
| zarzavat | zerzevat | خضروات |
| zefchi | zevk | ذوق |
| zuf | sof | صوف |
| zulum | zulüm | ظلم |


Nicolae Dobrisan
Section de langues orientales
Université de Bucarest
Roumanie

**نيقولا دوبريشان**
أستاذ قسم اللغات الشرقية
جامعة بوخارست ــ رومانيا

دراسة

# فى حركية عين الكلمة الثلاثية فى العربية ولهجاتها

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

## مقــدمة :

توهم القدماءُ من علمائنا ضآلة قيمة الحركات – وأنها أمر ثانوى بالقياس على الحروف ، وفى هذا القول بعض المغالاة ، فللحركات خطورتها فى تنويع أصل كل معنى ، وعن طريقها يتحقق تغاير المعنى الصرفى ، والدور البنائى الوظيفى . وتاريخ الحركات – جزءٌ هام من تاريخ الكتابة العربية فى عصورها الإسلامية ، غايتها تصوير كل صوت برمز كتابى يدل عليه . ولقد مرت العربية فى تاريخها الطويل بإصلاحات فى هذه الحركات متنقلة بين النقط[1] وغيره حتى استقرت على يد الخليل بن أحمد – رائد هذه المدرسة العلمية بإبدال طريقة النقط التى وضعها أبو الأسود الدُّؤلى للدلالة على الحركات الإعرابية بجرات علوية وسفلية للدلالة على الفتح والكسر ، وبرأس واو للدلالة على الضم[2] ، وما قام به الخليل فى هذا الشأن يومئُ إلى العبقرية العربية ، وأيًّا ما كان فالكتابة وحركاتها ترتبط بالعقيدة الإسلامية حيث حملت الدين الجديد على جناحيها شرقا وغربا ، بل كانت له خيرا من صليل السيوف ومشرعات الرماح ، كما ترتبط بالفن الهندسى الجمالى تارة أُخرى .

(١) ألف فى النقط كثيرون من العلماء منهم أبو عمرو الدانى صاحب كتاب : النقط والشكل : مكتب الدراسات الإسلامية فى دمشق ١٩٤٠ م . تحدث فيه عن نقط المصاحف وكيفية ضبطها على ألفاظ التلاوة ومذاهب القراءة ، كما ذكر مواضع الحركات من الحروف ، والتنوين وتتابعه ، وعلامة السكون والتشديد ، وتحدث كذلك عن أحكام نقط ما نقص من هجائه وما زيد فى هجائه بالنسبة للمصحف ...

(٢) وآخر هذه الإصلاحات فى الحركات حتى الآن ماقام به الدكتور خليل عساكر حيث أضاف خمس علامات مبتكرة وجعلها رموزا لخمس حركات ترد فى نطق اللهجات العربية الحديثة ، وقد راعى اتفاق هذه العلامات الجديدة وانسجامها مع طبيعة الكتابة العربية . انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨ . وأرى أن هذا الإصلاح هو الرابع فى تاريخ إصلاح الكتابة .

وفى العربية نجد أنماطا من الحركات المختلفة من بسيطة ومزدوجة Diphthong وممطولة ومخطوفة أو مختلسة إلى آخر ما نراه فى كتب العربية وعلوم القرآن، على أن الحركات يمكن أن ترتبط بنظرية نحويى العربية الذين يرون أن الحركات الأساسية هى التى بواسطتها تحرك نهاية الكلمة فى حالات الإعراب، غير أنه يوجد إلى جانب هذه الحركات حركات أخرى نشأت بتأثير الحرف الصامت سابقا أو لاحقا، مع بعض العوامل الأخرى.

والحركات قصيرة وطويلة وليس من فرق بينهما إلا فى الكمية، والأولى قامت بدور المخالفة بين الصيغ التى لا تفترق إلا فى حركة محققة البناء الوظيفى فى الصيغة، من ذلك:

| | |
|---|---|
| حفرت وسْط الدار بئرا<br>وحفرت وسَط الدار بئرا | بين الظرفية والإسمية. |
| قاتَل فلان فلانا<br>وقاتِلْ فلانا | بين المشاركة وبين الأمر |
| شاتَم فلان فلانا<br>وشَاتِمُ فلان | بين المشاركة واسم الفاعل |
| سقْف وسُقُف | بين المفرد والجمع |
| ضُحَكَة وضُحْكَة | بين الفاعلية والمفعولية |
| شَربة وشِربة | بين الوحدة والهيئة |

فما رأيت من تفاوت أو تغاير فى المعنى الوظيفى فمرجعه الاختلاف فى الحركات دون غيرها.

## حركية العين وتنويع المعنى:

قد تتوالى الحركات والسكنات على الصيغة، وتتقاصف عليها فتتألف نمطا منسجما يتواكب مع المعانى الوظيفية[1]، ويمكن أن نرى نموذجا لما وقع فيه التخفيف بالإسكان فى عين الكلمة، ونرصد دلالته فإذا نظرت إلى:

(أ) ثبَت وثبْت، فالدلالة فى الأول على المتثبت، وفى الثانى على زيادة التمكن فى الوصف.

(ب) النَّفْض والنَّفَض، والخبْط والخبَط، والطرْد والطرَد، فقد كثر عنهم مجىء المصدر

(١) انظر: الوحدات الصرفية ص ٢٥٢ (مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم) الأستاذ أحمد عبد العظيم.

على فعل ساكن العين ، واسم المفعول منه على فعل مفتوحها [1] كما يمكن أن تختلف دلالة الكلمة أيضا باختلاف أى حركة فيها ولو كانت الحركة غير السكون :

( أ ) فمن ذلك : قول ابن درستويه « وقد يلتزمون أحد الوجهين للفرق بين المعانى كقولهم : ينفر – بالضم من النفار والاشمئزاز ، وينفر – بالكسر من نفر الحجاج من عرفات [2] » إلا أن هذه المفاهيم الدقيقة قد تجمدت فيما بعد وزالت الحدود بينها رويدا رويدا ، خذ مثلا قول الله تعالى : « ويهلك الحرث والنَّسل » [3] فقد روى هارون عن الحسن وابن أبى إسحق وابن محيصن . « ويَهلَك » بفتح الياء واللام ورفع الكاف . الحرث والنسل : رفع فيهما ، وابن مجاهد يغلط القراءة ، وابن جنى يتصدى للدفاع عنها معتمدا على دربته الذهنية وأقيسته الصناعية إذ يقول : لعمرى إن ذلك ترك لما عليه اللغة .... ثم ينقل ابن جنى عن أبى بكر ( أنه كان يذهب فى هذا إلى أنها لغات تداخلت [4] ) . وكان على اللغويين أن يبحثوا فى المعنى أولا بمعنى أن الفعل هلك – إذا جاء فى قبيلة من باب ضرب ، وفى أخرى من باب علم – هل يكون المعنى واحدا فيهما أم يختلف باختلاف الصيغة ؟ وكان عليهم أيضا أن يفتشوا عن الباب الأصلى لهذه المادة والفرعى منها ، وهل الأصلى يتساوى مع الفرعى فى المعنى أو يزيد أو ينقص أو ينحرف معناه قليلا أو كثيرا ؟ .

---

(١) المحتسب لابن جنى ٢ / ٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) المزهر للسيوطى ١ / ٢٠٨ (٣) سورة البقرة آية ٢٠٥

(٤) المحتسب ١ / ١٣١ خط بالتيمورية .

(ب) وقد كان لدى الفراء شفافية في لحظ هذه الظلال الدقيقة بين الضم والفتح ، وذلك في كتابه « المذكر والمؤنث [1] » قال الفراءُ : أكثر القراء على فتح القاف في قوله تعالى : « إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله » وقرأ أصحاب عبد الله : قرح - بالضم . وكأن القرح - بالضم ألم الجراحات وكأن القرح - بالفتح الجراحات بأعيانها . على أن كثيرا من المتأخرين يمرون على مثل هذا ، ولا يكادون يقفون تلك الوقفة الرائعة التي وقفها الفراءُ حين نظر إلى الصيغة من الجانب الفني الدلالي لا الجانب الميكانيكي الصناعي الذي ينحصر في استبدال حركة بأخرى على حين تبقى الدلالة في الصيغة راكدة هامدة .

## التفريغ والتفريع في عين الكلمة :

معلوم أن الثلاثي المجرد له الأوزان الآتية : فعل ، فعل ، فعل بفتح العين وكسرها وضمها ولكن لوحظ أن الصيغتين الأخيرتين تعتورهما تغيرات عدة لا سيا في الأوزان الصرفية ، والقصد من هذه التغيرات هو التخفيف وتوفير الجهد الذي تنزع إليه القبائل العربية في أثناء كلامها ، وأمثال ذلك ما نجده في :

١ - فعِل : بكسر العين سواءٌ كانت اسما أو فعلا حيث ينطق بها ( فعْل ) بتسكين العين مثل : عَلِم تقول فيه : علْم ، وفي كتف : كتْف ، وفي فخذ : فخْذ ، ويظهر أن هذه التغيرات أو التفريعات تختص بلهجة تميم ، على حين لهجة الحجاز أبقتها على حالها بدون تفريع ، يقول الرضي « وجميع هذه التفريعات في كلام بني تميم ، وأما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون [2] » وعزاه سيبويه « إلى بكر بن وائل وأناس كثير من

---

(١) ٢٦ ، وانظر اللسان ٦ / ١٤٨

(٢) شرح الشافية : ابن الحاجب : ١ / ٤٠ ط حجازى .

تميم[1] » وبالاستقراء وجد أن صيغة : ( فعِل ) بكسر العين يتفرع عنها ما يلى :

( أ ) تسكين العين : مثل فعل .

(ب) تسكينها بعد نقل حركتها إلى الفاء فتصير ( فِعْل ) نحو : شهد ، فخذ ، فى حلقى العين ، وكتف ، وكبر ، فى غير الحلقى .

( ج ) التفريع الثالث : فِعِل : بكسرتين وهذا التفريع يختص بما كان حلقى العين نحو ضِحِك . هذه هى تفريعات ( فعِل ) بكسر العين .

( أ ) فعِل : بكسر العين وتفريعها إلى فعْل بسكون العين .

ولما كانت النصوص القرآنية ، وغيرها هى سبيلنا فى إثبات كل قضية فإليك ما يلى :

١ - كلمة على وزن نبقة وهى الفصحى وهى لغة الحجاز ، وبها جاء التنزيل ، وكلمة على وزن ( سدرة ) ، وعلى وزن ( تمرة ) وهى لغتا تميم[2] . ويقول المصباح بأن « الكلمة » تخفف على لغة بنى تميم[3] . وفى قوله تعالى : « قل يأَهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء[4] » قرئت كلمة - على وزن ضربة ، وكلمة على وزن ( سدرة )[5] .

٢ - وفى الآية « وكأَين من نبىّ قاتل معه رِبِّيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم »[6] . قرأ عكرمة وأَبو السّمال : وهنوا بإسكان الهاء[7] .

٣ - يرى الأَزهرى أَن ( الوسمة ) بكسر السين وهو كلام العرب - وعزى كسر السين إلى لغة الحجاز[8] ، وقال الجوهرى تسكينها لغة[9] . ولا شك أن التسكين تفريع عن الكسر وأرجح أن التسكين لتميم .

---

( ١ ) سيبويه : ٢ - ٢٥٧

( ٢ ) ابن هشام : شذور الذهب : ١٣/١ ، وحاشية عبادة على الشذور : ١٣/١

( ٣ ) المصباح : ٨٣١/١ ، شرح المفصل : ابن يعيش : ١٩/١ ، اللسان : ٤٢٨/١٥

( ٤ ) سورة آل عمران آية : ٦٤

(٥) البحر : ٤٤٧/٢ : ٤٨٢

( ٦ ) آل عمران آية : ١٤٦

(٧) البحر : ٧٤/٣

( ٨ ) المصباح : ١٠٢٤/٢

(٩) اللسان : ١٢٣/١٦

٤ـ فى قوله تعالى : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة »[1] فقرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن وغيرهم بسكون الظاء ـ وهى لغة تميمية[2] ـ كما عزاها فى المحتسب إلى تميم[3] أيضا . ولا شك أن هذا التسكين فى الظاء للتخفيف من نظرة ـ بكسر الظاء .

٥ـ وما رواه ابن السكيت من أنه سمع أعرابيا من بنى تميم يقول : « نَعْم »[4] وقرأ ابن وثاب قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »[5] بفتح النون وسكون العين ، قال أبو حيان وتخفيف فعل لغة تميمية »[6] .

ويظهر أن هذا التخفيف لم يكن خاصا بتميم بل شمل كثيرا من المناطق العربية ، فكانت بكر بن وائل تخفف مثل هذا فقد ذكر سيبويه فى كتابه « أن من العرب من يقول : نَعْم الرجل ـ فى نِعم ـ كأن أصله : نَعِم ثم خفف بإسكان الكسرة على لغة بكر بن وائل[7] ، ومما يزيد هذا الدليل قوة ما روى عن أبى هريرة وعاصم الجحدرى فى قراءتهما « مَلْك يوم الدين »[8] فى « مالك يوم الدين »[9] على الصفة المشبهة . وقد قرأ بها أيضا عبد الوارث عن أبى عمرو[10] ، كما عزيت هذه القراءة فى مكان آخر لربيعة ، واستشهد لها بقول الأعشى :

فقال للمَلْك أطلق منهم مائة
رَسلًا من القول مخفوضا[11] ومارفعا

وإذا كانت الظاهرة واحدة فى بكر بن وائل وربيعة ؛ فذلك لأن العلاقة النسبية بينهما قائمة ، إذ أن بكرا هذه ـ كما ترى كتب الأنساب ـ بطن من ربيعة[12] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٠

(٢) ٢/٣٤٠ من البحر المحيط ، ومختصر شواذ القرآن ابن خالويه : ١٧

(٣) المحتسب : ابن جنى : ١/١٦٤ مخطوطة بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير تيمور .

(٤) إصلاح المنطق : ١٠٥

(٥) سورة الرعد آية : ٢٤

(٦) البحر المحيط : ٥/٣٨٧

(٧) اللسان : ١٦/٦٦

(٨) البحر : ١/٢٠

(٩) سورة الفاتحة آية : ٤

(١٠) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ١

(١١) الاشتقاق : ١٧ ط وستنفلد .

(١٢) نهاية الأرب : القلقشندى : ١٧٨

وإذا كان هذا التسكين جائزا فإننا نرى بعض المتزمتين يسمونه بعدم الصحة مستدلين بقول الشاعر :

وأحفظ من أخى ما حفْظ منى
ويكفينى البلاءُ إذا بــلوت

فسكن حفظ – وهو غير سائغ على رأيهم ! ! والصحيح أنه جائز فى سعة الكلام وليس من الضرورة فى شئ .

والأمثلة السابقة فيها تفرعت الصيغة ( فَعِل ) إلى ( فَعْل ) بسكون العين .

وقد تتفرغ صيغة ( فَعل ) بكسر العين إلى ( فِعْل ) بسكونها ، وذلك فى لهجة تميم ، ومن ذلك :

(ب) فَعِل : بكسر العين وتفريعها إلى فِعْل بكسر الفاء ، وسكون العين .

١ – وذلك قوله تعالى « بئسما اشتروا به أنفسهم » [١] فأصل بئْس : بَئِس من البؤْس ، سكنت همزتها ، ثم نقلت حركتها إلى الباء ، كما قيل : لكبد : كِبْد .

قال الطبرى فى تفسيره « وهى من لغة الذين ينقلون حركة العين من فَعِل إلى الفاء إذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة – وذلك فيما يقال لغة فاشية فى تميم [٢] .

٢ – وقرأ الجمهور قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » [٣] بكسر النون وسكون العين وهى أكثر استعمالا [٤] ، وأصلها : نَعِم ، فسكنت العين ثم نقلت حركتها إلى النون قبلها فصارت ( نِعْم ) .

٣ – وفى المخصص أنه سمع من العرب من يقول « وَرِكَ ، و – وِرْك ، وكَتِف وكِتْف [٥] ، ولَعِب ولِعْب [٦] .

والغرض من هذا التفريع المعزو إلى تميم هو كراهة الانتقال من الأخف إلى الأثقل . ولهذا آثرت تميم تسكين العين فى هذا كله ، والسكون أخف من الحركة .

---

(١) سورة البقرة آية : ٩٠
(٢) تفسير الطبرى : ٢/٣٣٨ دار المعارف .
(٣) سورة الرعد آية : ٢٤
(٤) البحر : ٥/٣٨٧
(٥) المخصص : سفر ١٤ ص : ٢٢١
(٦) تفسير الطبرى : ٢/٣٣٨ دار المعارف

وقد تتفرع صيغة : فَعِل إلى فِعِل ، بكسر الفاء والعين وهذا التفريع لا يكون إلا فى الحلقى العين .

( ج ) فَعِل : بفتح الفاء وكسر العين وتفريعها إلى فِعِل : بكسر الفاء والعين .

وهذا التفريع لا يكون إلا فى الحلقى العين كنِعْم وبئْس : فتقول فيها على التفريع نعم وبئس ، بكسر الفاء والعين فى كل منهما والأصل فيهما ، نعم وبئس بفتح فكسر ، وقد عزا صاحب التوضيح الصيغتين نعم وبئس ، بكسر الحرفين الأولين إلى تميم حيث قال « وكسرهما عند بنى تميم ، ولا يجيز الحجازيون فيهما إلا الأصل »[1] ، وقد ساق سيبويه عدة صيغ على فعل : بكسر الفاء والعين منها : رجل لعب : بكسر الفاء والعين ، ورجل محك ، وهو ماضغ لهم : بكسر الفاء والعين ، وهذا رجل وِعِك[2] .

ولقد علل الرضى هذا التفريغ فى تلك الصيغة فقال « وإنما جعلوا ما قبل الحلقى تابعا له فى الحركة ، مع أن حق الحلقى أن يفتح نفسه أو ما قبله كما فى « يد مَع » لثقل الحلقى وخفة الفتحة ، فأتبع فاؤه لعينه فى الكسر[3] . وعلل سيبويه لهذا التفريع بأن حرف الحلق لا يناسبه إلا الفتح ، ولم تفتح العين الحلقية هنا خوفا من أن تلتبس صيغة ( فعل ) بفتح العين مع صيغة ( فعل ) بكسرها ، فلما لزمت العين الكسر ، وهى حرف حلق ، وفى ذلك شىءٌ من الثقل — أتبعوا الفاء العين ليحدث نوع من التخفيف بالميل من كسرة إلى كسرة ، وذلك لأن اللسان يعمل فى جهة واحدة ، فيكون العمل من وجه واحد[4] .

٢ — فَعُل : بفتح الفاء وضم العين وتفريعها إلى فَعْل : بفتح الفاء وسكون العين . وقد جاء التفريع فيها بسكون العين تخفيفا ولا يكون ذلك إلا عند بنى تميم . وأمثلة ذلك : ما قرئ به فى قوله

---

(١) التصريح والتوضيح : ٢/٩٥

(٢) كتاب سيبويه : ٢/٢٥٥ ، شرح السيرافى على سيبويه : ٥-٣١٣ مخطوط بالتيمورية .

(٣) شرح الشافية : ١/٤٠

(٤) كتاب سيبويه : ٢/٢٥٥ ، وانظر : المخصص لابن سيده : سفر : ١٤ ص ٢١٣

تعالى : كبرت كلمة تخرج من أفواههم »[1] بسكون الباء فى ( كبر ) – وعزاها أبو حيان إلى تميم[2] . كما قرأ أبو السمال قوله تعالى : « وحسن أولئك رفيقا »[3] بسكون السين – وعزاها أبو حيان إلى تميم كذلك[4] . ونسب ابن خالويه فى البديع هذه القراءة إلى قعنب[5] .

على حين لغة الحجاز لا تفرع فى تلك الصيغة ، فقد قرأ الجمهور الآية السابقة « وحسن » بفتح الفاء وضم العين وهى الأصل، قال أبوحيان : وهى لغة الحجاز[6] ، ويظهر أن التفريغ فى تلك الصيغة لم يكن خاصا بتميم وحدها – فقد شمل بقاعا أخرى من الجزيرة العربية ، ومما يؤيد هذا ما جاء عن سيبويه من أن التسكين فى العين لغة بكر بن وائل ، وأناس كثير من تميم ، ومثل لذلك بقوله : « عَضْد فى عَضُد وفى كَرُم الرجل : كرم[7] بفتح فسكون ، وقد وجدنا صدى للهجة بكر بن وائل فى كتاب الله أذكر منها :

( أ ) قال تعالى : «حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت »[8]

قرأ زيد بن على « بما رحْبت » بسكون الحاء[9] .

(ب ) وقال تعالى : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم »[10] .

فقد قرئ ( كبْرت ) بسكون الباء – وهى لغة تميم[11] .

ويجوز فى هذا التفريع أى صيغة « فَعُل » أن تنقل ضمة عينه إلى فائه فيكون على وزن ( فُعْل ) بضم الفاء وتسكين العين –وعليها قرئ قوله تعالى : « وحسن أولئك رفيقا »[12] « وحُسْن » بضم الحاء وسكون السين ، والذى حدث فى تلك الصيغة : أن حركة السين وهى الضمة ، نقلت إلى الحاء قبلها – وقد عزى هذه الصيغة المنقولة حركتها –

(١) سورة الكهف آية : ٥
(٣) سورة النساء آية : ٦٩
(٥) مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٧
(٦) البحر : ٣/٢٨٩ ، الدر اللقيط : ٣/٢٩٠
(٧) الكتاب : ٢/٢٥٧
(٩) البحر : ٥ / ٢٤
(١١) البحر : ٦/٩٧

(٢) البحر : ٦/٩٧
(٤) البحر : ٣/٢٨٩
(٨) سورة التوبة آية : ١١٨
(١٠) سورة الكهف آية : ٥
(١٢) سورة النساء آية : ٦٩

أبو حيان « إلى لغة بعض قيس »[1] — ويظهر أن النقل فى الحركة هنا لا يصح إلاَّ إذا لمحنا معنى التعجب فيها ، لأن التغيير فى اللفظ بالنقل صحبه معنى آخر زائدا وهو التعجب ، وهذا معنى كلام الرضى «من أن فَعُل — الذى فيه معنى التعجب يقال فيه فعل[2] » بسكون العين وضم الفاء .

واستشهد لذلك بقول الأخطل :

« وحُبَّ بها مقتولة حين تُقتل »

ولعل ذلك دلالة على نقله إلى معنى التعجب[3] .

وأصل : حُبَّ : حَبَبَ — بفتح العين ، ثم حول إلى فَعُل : بضم العين لإرادة المدح والتعجب فصار « حبب » بضم العين ، ثم نقلت العين إلى الفاء بعد حذف حركتها فصار : حُبَّ بضم ففتح .

وفى نسبة البيت السابق إلى الأخطل دليل يفيدنا فى قضيتنا ، وهو أن هذا التفريع فى الصيغ لم يكن فى تميم فقط ، ولكنه شمل أجزاء كبرى من الجزيرة العربية — فالأخطل هذا من تغلب ، وتغلب وبكر ابنا وائل من ربيعة . وفى الكامل للمبرد نجد شيئا من التفريع فى صيغة فعُل بضم العين ، وتحويلها إلى فَعْل بسكونها .

من ذلك قول عمران بن حطّان :

من الأزد إن الأزد أكرم معشر
يمانية طابوا إذا نسب البشر[4]

ويعقب المبرد على البيت السابق بقوله: وينشد :

( يمانية قرْبوا إذا نسب البشر ) بسكون الراء .

يريد : قربوا — بضم الراء . قال المبرد : « وهذا جائز فى كل شىء مضموم أو مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب : تقول فى الأسماء : فى فَخِذ : فخْذ وفى عضُد : عضْد بسكون العين ، وتقول فى الأفعال : كرم عبد الله بسكون العين أى كرم »[5] ، وقول المبرد « وهذا جائز . . . » دليل على أن هذا ليس بابه الضرورة ، بل يكون فى سعة الكلام .

---

(١) البحر : ٣/٢٨٩
(٢) شرح الشافية لابن الحاجب : ١/٤٣
(٣) شرح الشافية : ١/٤٣
(٤) الكامل : ١١/١٢ ط حجازى ١٣٦٥
(٥) الكامل المبرد : ٢/١١٤

وإنما كان القصد من هذا التفريع – هو التخفيف ، لأن النطق بصيغة : فَعْل بسكون العين أخف من صيغة فعل : أى بضم العين ، ولا شك أن السكون أخف من الضم. ولو لم يسكنوا العين بل تركوها على الضم لترتب عليه أن اللسان ينتقل من الأخف وهى الفتحة – إلى الأثقل منه – وهى الضمة ، ولهذا سكنت الضمة فى تفريعه ، لأن السكون أخف. ويظهر أن التسكين كما كان فى الكلمة الواحدة عند تميم ، شمل الكلمتين أيضا ، ويظهر هذا فى غير المتصل بأن تكون الكسرة أو الضمة ليست فى وسط الكلمة – كما تقدم من الأمثلة – بل ينظر إليها بجانب كلمة أخرى ، ومن هذا أنهم يسكنون هاء – هو وهى ، إذا سبقهما واو ، أو فاء ، أو لام ، وقد وردت بعض القراءات على ذلك : منها قوله تعالى : «وهو بكل شيء عليم[1]» ، «وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم[2]» ، «وإن الدار الآخرة لهى الحيوان[3]» فقد قرأ قراء عديدون بسكون الهاء من الآيات السابقة منهم أبو عمرو والكسائى وأبو جعفر[4] ، وعزا صاحب الإتحاف هذا التسكين إلى نجد ، كما نسب التحريك فيها إلى الحجاز[5].

والسبب فى هذا التسكين عند نجد أو تميم أن ( فَهُوَ ) على وزن ( فعل ) فكما جاز أن نسكن عَضُدَ – فتكون ( عَضْد ) ، جاز تسكين الهاء من ( فهو ) التى بوزن ( فَعُل ) بضم العين فتصير ( فهو ) ( وهو ) ، بسكونها وهذا إن دل فإنما يدل على أن التسكين كان كثيرا شاملا فى تميم فى الأسماء والأفعال.

ومما جاء من التفريع على تلك الصيغة قوله تعالى « فخر عليهم السقف[6] » بسكون القاف وهى قراءة الجمهور ، وقد عزاها أبو حيان إلى تميم[7] ، وهى مخففة من « السقف » بضم العين ، كما عزا صاحب البحر صيغة « عَضْدا » فى قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٩

(٢) سورة البقرة آية : ٢٧١

(٣) سورة العنكبوت آية : ٦٤

(٤) إتحاف فضلاء البشر : ١٣٢

(٥) المرجع السابق.

(٦) سورة النحل آية : ٢٦

(٧) البحر : ٤٨٥/٥

عضدا [1] » إلى تميم [2] ، وبهذه اللغة قرأ عيسى [3] ، وفى المصباح عزيت إلى تميم وبكر بن وائل [4] ، على حين عزا ابن منظور ناقلا عن أبى يزيد أن صيغة « العُضُد والعُجُز – بضمتين – فى لغة تهامة [5] » وفى المصباح أن تلك الصيغة السابقة معزوة إلى الحجاز [6] ، وهذا يشير إلى أن التفريع لم يكن فى الحجاز . ويشير إلى معنى آخر وهو أن اللهجات كان بعضها يحل مكان بعض فى نظر اللغويين والرواة ، فالصيغة عزيت فى كتاب إلى تهامة ، وفى كتاب آخر إلى الحجاز ولا شك أن الصيغة الأصلية هى : عضد – بفتح فضم – ثم حدث فيها التخفيف فسكنت الضاد ، فصارت : عضد : بسكون الضاد – وأما نطقها فى تهامة عضد : بضمتين فهى صورة متطورة عن الأصل ، ولأنها أخف من عَضُد – واللغة فى سيرها تميل إلى السهولة ، وقد سبق أن جاءت القراءات فى تلك الكلمة فى لهجة تميم وبكر بن وائل ، أما لهجة تهامة أو الحجاز فقد قرأ بها الحسن فى قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين عُضُدا » بضمتين [7] .

٣ – تفريع : « فُعِل » بضم الفاء وكسر العين إلى « فُعْل » بسكون العين .

وهذا الضرب خاص بالفعل المبنى للمجهول ، ومن المعلوم أن الفعل فى الماضى يضم أوله ويكسر ما قبل آخره فى البناء للمجهول لكنه يحول إلى صيغة تفريعية أخرى عند تميم وبكر بن وائل وتغلب – وهى صيغة : « فعل » بضم الفاء وسكون العين ويمكن أن نورد الشواهد الآتية لهذه الظاهرة :

١ – عزى سيبويه إلى أبى النجم قوله :
( لو عُصْر منه البان والمسك انعصر [8] )
بضم العين وسكون الصاد – وأصلها : عصر – بالبناء للمجهول .

(١) الكهف آية : ٥١
(٢) البحر : ١٣٧/٦
(٣) مختصر شواذ القرآن ابن خالويه : ٨٠
(٤) المصباح : ٦٣٥/٢
(٥) اللسان : ٢٨٣/٤
(٦) المصباح : ٦٣٥/٢
(٧) المصباح : ٦٣٥/٢
(٨) الكتاب لسيبويه : ٢٥٨/٢ ، شرح الشافية : ٤٣/١ ، التصريح على التوضيح : ١٩٤/١ ، المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠

٢ – ورد فى كتاب المخصص استشهاده بقول الشاعر : ( ونفْخوا فى مدائنهم فطاروا [١] ) بسكون الفاء ، ولم يعز البيت إلى قائل ، وفى نسخة السيرافى المخطوطة [٢] على سيبويه عزى هذا البيت إلى القطامى ، وكذلك فى اللسان مادة ( ن ف خ [٣] ) .

٣ – جاء فى كتاب « العقفة والبررة » ما عزى إلى معبد بن قرط العبدى فى هجاء أمه من قوله :

تلتهم الوسق مشدودا أشظتـــه [٤]
كأنما وجهها قد سُفْعَ بالنّار

بسكون الفاء – فى « سفع » .

وإذا بحثنا فى كتب الطبقات والأنساب وجدنا أن أبا النجم صاحب البيت الأول من بكر بن وائل [٥] من بنى عجل . وأن القطامى : هو عمير بن شييم من بنى تغلب [٦] فيكون هذا التفريع من « فُعِل » إلى « فُعْل » فى بكر بن وائل ، وفى « تغلب » الذى هو أخو بكر ، كما يطرد هذا التفريع عند تميم أيضا [٧] .

وعلى الرغم من أن التفريع هذا فى تميم إلا أن الرضى المحقق – أخطأ عندما نسب أبا النجم – إلى تميم [٨] فى بيته السالف – ولعل هذا النسب الخاطئ جاء له من شبهة مؤداها : أن هذا التفريع عند تميم أيضا .

ويمكن أن تعلل صيغة التفريع السابقة بأنهم كرهوا فى « فُعِل » الكسرة بعد الضمة ، فسكنوا هذه الكسرة حتى لا ينتقل اللسان إلى الثقل ، وعلل صاحب المخصص هذا ناقلا عن سيبويه قوله : « كرهوا فى « عُصِر » الكسرة بعد الضمة ، كما يكرهون الواو مع الياء فى مواضع ، ومع هذا إنه بناءٌ ليس من كلامهم إلا فى هذا الموضع من الفعل فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال [٩] »

---

(١) المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠ (٢) السيرافى على سيبويه : ٥–٣٢٤ تيمور خط .
(٣) وفى ديوان القطامى المطبوع سنة ١٩٦٠ ص : ١٤٣ « ونُفُخوا » .
(٤) كتاب العقفة والبررة : لأبى عبيد معمر بن المثنى : ٣٦٥ من نوادر المخطوطات رقم ٧ ط أولى ، لجنة التأليف والترجمة : ١٣٧٣ – ١٩٥٤ تحقيق عبد السلام هارون .
(٥) الشعر والشعراء : ٢٣٢ ط المعاهد ، المخصص : س : ١٤ ص : ٢٢٠
(٦) الشعر والشعراء : ٢٧٧ ط المعاهد .
(٧) شرح السيرافى على سيبويه : ٥–٣٢٣ ، كتاب سيبويه : ٢–٢٥٧ – ٢٥٨
(٨) شرح الشافية : ١–٤٣ ، وانظر الهامش . (٩) المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠

وإذا التفتنا إلى كتاب الله – التمسنا فى قراءته شواهد لهذا التفريع الذى جاء على لهجة تميم ، وبكر ، وتغلب :

١ – قرأ أبو السمال قوله تعالى « ولعنوا بما قالوا[١] » بسكون العين، ولقد حسنت قراءة أبى السمال لأن الكسرة وقعت بين ضمتين[٢] .

٢ – كما قرأ مسلمة بن محارب «جزاء لمن كان كفر[٣] » بإسكان العين فى « كفر » .

٣ – وجاء فى شرح السيرافى مثل من أمثال العرب وهو : لم يحرم من فُصْد له[٤] ؛ بإسكان الصاد وأصلها : فصد – بالبناء للمجهول ، ولكن جاءت صورتها بالسكون فى المثل – وهى ولا شك صيغة تفريعية من المبنى للمجهول .

تلك هى أهم التفريعات وكلها فى تميم ومن لفّ لفهم من بكر بن وائل وتغلب وربيعة .

٤ – أما صيغة ( فَعَل ) بفتح الفاء والعين فلا تفريع فيها ؛ لأن الفتح خفيف فلا داعى للخروج عنه ، قال سيبويه : وأما ما توالت فيه الفتحتان ، فإنهم لا يسكنون منه ، فلا يقولون فى جمل (بفتح الميم) جمل (بسكونها[٥] ) .

وفى ركاب سيبويه يسير السيرافى[٦] وابن جنى حيث يقول فى محتسبه معلقا على قراءة أبى السّمال وأبى المتوكل وأبى الجوزاء ( حتى يلج الجمل[٧] ) : وأما الجمل – بالسكون فبعيد أن يكون مخففا من المفتوح لخفة الفتحة[٨] .

وأرى أن كلا من سيبويه ومن تبعه فى مذهبه من مثل السيرافى وابن جنى وكثرة كاثرة من النحاة غيرهم قد جانبهم الصواب أو جانبوه لورود ذلك فى القرآن المقدس وفى التراث العربى وأمثلة ذلك من القرآن :

( أ ) قراءة جحفلة من القراء ( حتى يلج الجمْل فى سم الخياط ) بسكون الميم ، وذلك تخفيف من الفتح .

---

(١) المائدة : ٦٤
(٢) البحر : ٣–٥٢٣
(٣) سورة القمر آية : ١٤
(٤) شرح السيرافى : ٥–٤٢٣ مخطوط .
(٥) شرح السيرافى على سيبويه : ٥–٤١٦ خط بالتيمورية ، الكتاب ٢–٢٥٨ ، ٢–٢٨١
(٦) شرح السيرافى على سيبويه ٥–٤١٦
(٧) الأعراف : ٤٠ وانظر المحتسب فى نفس السورة والآية .
(٨) وانظر كذلك شواهد الشافية : ١٨

(ب) وقرأ أبو عمرو بن العلاء البصرى التميمى وأحد القراء السبعة «ويدعوننا رغْبا ورهبا»[1] بالإسكان ، ورواه عنه هارون عن أبي عمرو[2] ، وبهذا يكون قد خفف أبو عمرو المفتوح.

(ج) كما خففت الجماعة المفتوح فى «كانتا رتْقا»[3] وقراءة الحسن وعيسى الثقفى وأبى حيوة (رتَقا) بالفتح[4] .

(د) وفى معانى القرآن للفراء عند قوله تعالى «سبع سنين دأْبا»[5] يقول الفراء « قرأ بعض قرائنا - دأبا - فَعَلا . وكذلك كل حرف فتح أوله وسكن ثانيه فتثقيله جائز إذا كان ثانيه همزة أو غينا أو عينا أو حاء أو خاء أو هاء»[6] والنحاة يرون أن الفتح والسكون فى ذلك لغتان ، وكأنهم ينكرون أن التسكين فى ذلك تخفيف من التحريك .

(هـ) ومن تخفيف المفتوح ما فى البديع لابن خالويه فى رواية عن الكسائى أنه قرأ فى الآية ٩٢ من النساء « ومن يقتل مؤمنا متعمدا » ساكنة التاء . وقد حكم النحاة على تلك القراءة بأنها فى غاية الشذوذ والوهن ، ثم يتراجعون قليلا عن صلفهم فيقولون : (وسهله مجاورة الفتحة للضمة) وكأن القراءات القرآنية لا تُقبل إلا بمثل هذ التعليل .

ومن التراث :

(أ) وقد ورد تخفيف المفتوح فى قول الأخطل النصرانى :

وما كل مبتاع ولو سلْف صفْقةُ
براجـــع ما قد فاته برداد[7]

(١) الأنبياء : ٩٠
(٢) شواذ القرآن : ٩٢ لابن خالويه .
(٣) الأنبياء : ٣٠
(٤) المحتسب : ٢-٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٥) يوسف : ٤٧
(٦) معانى القرآن للفراء : ٢-٤٧
(٧) سلف صفقه : وجب بيعه . برداد : اسم من الاسترداد .

يقول البغدادى فى شرح شواهد الشافية[1] : أصله سلف بفتح اللام .

(ب) وقول الراجز :

على محالات عُكِسْنَ عكساً
إذا تسدَّاها طلابـــاً غلسْا

يريد غَلَسا بالفتح .

(ج) ونقل البغدادى عن كتاب الضرائر لابن عصفور قول الشاعر :

وقالوا ترابىٌّ فقلت صـــدقتم
أبى من تراب خلْقــه الله آدم

يريد : خَلَقه

(د) وقول أبى خراش :

ولحم امرىء لم تطعم الطيـــر مثله
عشية أمسى لايُبين من البَكْم

يريد : من البَكَمَ .

وابن جنى فى شرح التصريف للمازنى[2] يرى أن تخفيف المفتوح ضرورة ، وعند أصحابه من الشاذ ، ثم يرى رأيا آخر فى توجيه : سلْف - فى قول الأخطل السابق : وهو أن يكون مخففا من فعل - مكسور العين ، ولكنه فِعْل غير مستعمل إلا أنه فى تقدير الاستعمال وإن لم ينطق به . وهذا تمحل عجيب من جنىّ وابن جنىّ ثم ينقل عن سيبويه قوله ( وهذا التسكين لم نره فى المفتوح البتة )[3] وقد وضعت الحق فى نصابه فظهر ترديِّهم فى الخطإ ، ومجانبة الصواب .

## مواقف متشابهة :

وموقف النحاة السابق وتزمتهم حتى فى فهم كتاب الله يذكرنى بموقفهم فى إنكار بعضهم إسكان حركة الإعراب ، حيث يرى كثير منهم عدم حذفها مطلقا فى الشعر وغيره ، وهم محجوجون بقراءات القرآن الموثقة ، فقد حذفت الحركة فى الفعل المضارع وقرأ أبو عمرو بحذف الحركة الإعرابية فى « ينصركم » فى آل عمران والملك ، و « يأمركم » و « يأْمرهم » و « تأْمرهم » و « يشعركم » فى الأنعام ١٠٩ ، « ويعلمهم » فى البقرة ١٢٩ وقد عزى حذف الحركة الإعرابية

---

( ١ ) ص ١٨ فما بعدها .

(٢) ١ - ٢١

( ٣ ) شرح تصريف المازنى ١ / ٢٢ لابن جنى .

فى القراءات السالفة إلى بنى أسد وتميم وبعض نجد [1] ، كما حذفت الحركة الاعرابية فى الأسماء [2] ، وأيدتها القراءات القرآنية الموثقة الأمينة ، وكما جاء حذف الحركة الإعرابية فى النثر ورد كذلك فى الشعر [3] . وهذا يشيرإلى أن المكان السامى الذى كان لحركات الإعراب قد هبط ، إذ الإسكان قد بدأ ينازعها فى مكانها ويستولى على أمكنتها ، وكيف لا يكون ذلك وقد صار الإسكان سمة لهجية لقبائل تمم وأسد وغيرها من قبائل نجد ، وقرأ على تلك الظاهرة أبو عمرو التميمى ، بل يظهر أن الإسكان قد زحف على الأماكن التى تسيطر عليها الحركة الإعرابية ، ومما يؤيد وجهة نظرى ما جاء فى النشر « وقد قرأ بإسكان لام الفعل ... محمد بن عبد الرحمن بن محيصن » وإذا أدرنا البحث فى كتب الطبقات لنعرف إلى أى بقعة ينتمى هذا الذى قرأ بالإسكان – أفادنا ابن الجزرى فى طبقاته « بأنه قرشى ؛ ومن قراء مكة [4] »

فكأن ظاهرة الإسكان قد زحفت من تميم حتى اقتحمت دوائر الحجاز ، فأصبح الإسكان لا يقل شأنا عن الحركة الإعرابية خذ مثلا – يؤكد ما سبق – على سبيل المثال لا الحصر ، قراءة نافع ( والأذن بالأذن ) ٤٥ من المائدة . بإسكان الذال . ونافع حجازى قرأ بالإسكان كما ترى ، مخالفا بيئته التى لا تسكن .

والغرض من ذهاب حركة الإعراب هو عامل الخفة والتيسير ، وقد فهمنا فيما تقدم أن تميما وجيرانها يخففون عين الكلمة بإسكانها ، فإذا حذفوا الحركة الإعرابية فإنهم يعملون ذلك تمشيا مع نظامهم فى التيسير والتخفيف ، ومع كل هذا نرى :

١ – أن المبرد يزعم بأن قراءة أبى عمرو لحن [5]

٢ – وسيبويه يحمل ظاهرة الإسكان فى قراءة أبى عمرو على الاختلاس .

---

(١) اتحاف فضلاء البشر : ١٣٦ وانظر إبراز المعانى . ٢٣١ والنشر ٢ – ٢١٢

(٢) النشر ٢ – ٢١٤ ، والبحر ٢ – ١٨٨ ومختصر شواذ القرآن ١٤

(٣) شرح السيرافى ١ – ٢٦٧ والخصائص ١ – ٧٤ دار الكتب ، وسيبويه ٢–٢٩٧

(٤) طبقات القراء ٢ – ١٦٧

(٥) البحر ١ – ٢٠٦

٣-وابن جنى يسير فى ركاب سيبويه بل ويشنع على القراء ويرى أن روايتهم بالإسكان جاءتهم « من ضعف دراية »[١] والحق أنه يجب ألا نلزم بقول النحاة وحدهم ، إذالقراءُ شركاء لهم فى نقل اللغة ، بل قد كان من القراءِ أكابر النحاة .

على أننى أُرجح أن الإسكان لم ينتصر على الحركة الإعرابية وحدها ، بل سيطر على حركات البناء ، فى الخصائص[٢] ورد قول نهشل بن حرى :

فلما تبينْ غبٌ أمرى وأمره
ولت بأعجاز الأمور صدورُ

وقول جرير :

هو الخليفة فارضوْا ما رضِى لكمو
ماضى العزيمة ما فى حكمه جَنَفُ

بتسكين الياء فى رضى .

وقد يستطيع النحاة أن يقولوا شيئا ؛ لأن الشواهد شعرية ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يقولوا شيئا فى قراءة أُبَىّ « وذروا ما بقى من الربا[٣] » بكسر القاف وسكون الياء[٤] .

على أن السكون عنصر له قيمة يمكن أن تقارن بقيم الحركات فمثلا : هو يمثل الإمكانية الرابعة وهى الخلو من الحركة ، وله وظيفته وقيمته فى التركيب المقطعى ، وله سمة هامة موسيقية وذلك فى التفعيلات العروضية وله قيمة إيجابية كذلك فى النظام الفنولوجى ، وله مكانته فى الجانب النحوى إذ هو دليل الجزم ، كما أنه دليل إعرابى فى حالة الوقف وأخيرا هو إمكانية من إمكانات البناء[٥] .

هذا ، ويظهر أن مشكلة السكون قد أثارت نوعا من القلق فى دوائر علمائنا الأقدمين ، استمع إلى ما جاء فى شواذ القرآن لابن خالويه[٦] عند قوله تعالى « ويدعوننا رغبا ورهبا »[٧] يقول ابن خالويه سمعت أبا بشر النحوى يقول :

---

(١) الخصائص ١ – ٧٥ ط الهلال . (٢) ١ – ٧٤

(٣) البقرة ٢٧٨

(٤) شواذ القرآن لابن خالويه ١٧ وانظر البحر ٢ – ٣٣٧ فقد عزاها إلى الحسن .

(٥) السكون . دكتور كمال بشر مجلة المجمع ج ٢٤ (٦) ص ٩٢

(٧) الأنبياء ٩٠

قال الأصمعي قلت لأبي عمرو : لم لا تقرأ - رغْبا ورهْبا - بالسكون مع ميلك إلى إلى التخفيف فقال : ويلك - أحمْل أخف أم حمَل - يعني أن المفتوح لايخفف ثم يقول ابن خالويه : وسمعت ابن مجاهد يقول : روى بالتخفيف فى قوله : رغبا ورهبا - هارون عن أبي عمرو . ويفهم من تلك المحاورة :

( أ ) أن العلاقة بين السكون والفتح كانت غير واضحة تماما عند الأقدمين .

(ب) وأن أبا عمرو قال : بأن المفتوح لا يخفف ثم روى عنه من طريق آخر تخفيف المفتوح ، ولا تعارض ولا تناكر ؛ لأن الروايات موثقة وجاءت على هذا .

إلا أن النظرة اللغوية الحديثة وجدت حلاً لهذه المشكلة وذلك القلق حيث رأت أن السكون له من الناحية الصوتية جانبان .

١ - جانب النطق والتأثر السمعى .

٢ - جانب الوظيفة التى يقوم بها فى النظام الصوتى ، فهو من حيث الجانب الأول عدم أو لا شئ ، ومن حيث الجانب الثانى فهو عنصر له قيمة تقارن بقيم الحركات . . وقد أطلق عليه ( الحركة الصفر ) نظرا لسلبية السكون فى النطق ، وإن كانت له قيمة إيجابية فى النظام اللغوى ، وخلاصة ذلك :

١ - أنه يجوز أن نسمى السكون حركة إذا نظرنا إلى قيمته الوظيفية .

٢ - وهناك نظام وظيفى للحركات مكون من أربعة عناصر : ثلاثة منها لها تحقق صوتى مادى وهى : الفتحة والكسرة والضمة . وعنصر واحد وهو السكون ( لا شئ ) أو (عدم) من هذه الناحية [1]

تعقيب :

١ - أرى مما سبق فى إسكان حركة البنية ، وحركة الإعراب - أنه من خصائص تميم ، ومن جاورها كبكر بن وائل ، وتغلب ومن لف لفهما .

٢ - وأن لهجات الحجاز تحتفظ بالصيغ دون حذف أو تغيير ، فالصيغ ثابتة .

(١) السكون : دكتور كمال بشر مجلة المجمع ج ٢٤

٣ ـ أن هذا التفريع فى قبائل تميم وغيرها ـ تطور عن الصيغ الجازية الثابتة .

٤ ـ أن ظاهرة حذف الحركات تتلاءم وتميم البدوية ، حيث أنهم يميلون إلى السرعة فى النطق الذى ينتهى إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى ، ولا شك أن حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد وهو ما يهدف إليه البدوى ـ بعكس الحجاز المتحضرة التى تهدف إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان .

ودليل ذلك ما جاء فى الخبر « نزل القرآن بالتفخيم » وقد اختلفت الأئمة فى معنى هذا الحديث ، فبعضهم يرى أنه نزل بذلك [1] ، ثم رخص فى الإمالة وبعضهم شرحه بأن المقصود : أنه يقرأ على قراءة الرجال ، لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء ، وآخرون بأن المقصود منه : أنه نزل بالشدة والغلظة على المشركين ، وبعضهم يرى أن المراد بالتفخيم : تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر دون إسكانها [2] ، وأرجح أن هذا المعنى الأخير هو المقصود دون غيره ، لأن من يرى أن معنى التفخيم نزوله بالشدة والغلظة على المشركين ـ مردود ، لأن القرآن الكريم كما نزل بالغلظة نزل كذلك بالرحمة والرأفة ، والذى يؤيد ما أرجحه ما ورد عن أبى عبيدة من قوله « أهل الحجاز يفخمون الكلام كله [3] » ، وكأن المقصود هو نطق الحركات كاملة دون الجور عليها بالتسكين ، وتلك سمة حجازية .

وهناك استثناء من تلك القاعدة العامة وهو أن أهل الحجاز يسكنون الشين من ( عشرة ) فيقولون « إحدى عشرة » على حين تميم تقول ذلك بالكسر . وهذا عكس ما نعرفه عنهما ، لأن المعروف أن تميما تسكن العين من فَعِل وفَعَلة ، والحجاز يحركون ذلك ، ووردت نصوص تؤيد ذلك ، منها :

قوله تعالى : « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا [4] » فقد نسب أبو حيان إسكان الشين إلى الحجاز ، وكسرها إلى

(١) لعله يقصد « الفتحة الصريحة » .

(٢) الإتقان : للسيوطى : ١ ــ ٩٥

(٣) الإتقان : ١ ــ ٩٥

(٤) سورة البقرة آية : ٦٠

تميم[1] . وعن ابن خالويه – أن كسر الشين قراءة الأعمش[2] . كما قرأ ابن وثاب قوله تعالى : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما »[3] بكسر الشين وهى فى تميم ، والجمهور بالإسكان وهى لغة الحجاز[4] ، وفى نوادر يونس « أن تميما تثقل عشرة ، وتكسر الشين . وأهل الحجاز لا يحركون[4] .

وقد يعلل لكل من اللهجتين حيث خالفتا معتاد لغتها ، وذلك أن المشهور عن الحجازيين تحريك الثانى من الثلاثى إذا كان مضموما أو مكسورا – وأما تميم فتسكن ذلك – وسبب المخالفة فى العدد [ أنه قد نقضت فى كثير منه العادات من ذلك قولهم فى الواحد : واحد وأحد ، فلما صاروا منه إلى العدد قالرا : إحدى عشرة – فبنوه على فعلى ، ومنه اقتصارهم من ثلثمائة إلى تسعمائة على أن أضافوه إلى الواحد ، ولم يقولوا ثلاث مئات ولا أربع مئين[5] . ويرى ابن جنى « أن العدد موضع يحدث معه ترك الأصول »[6]

ولهذا تركت كل من اللهجتين لهجتها إلى لهجة أخرى ، فأسكن من كان يحرك ، وحرك من كان يسكن . والمقارنة مع بقية اللغات السامية فى هذا اللفظ تثبت أن اللفظ فى السامية الأم لم يكن فيه حركة بعد العين ، ففى العبرية هو עֶשְׂרֵה ومعنى هذا أن لهجة الحجاز على الأصل ، على حين ( عشرة ) بالكسر فى تميم من قبيل اجتلاب الحركة ، وهو ما يسمى بالقلقلة[7] .

٥ – كما كانت كل قبيلة تسير فى لغتها على مقدار يكافئ طبيعتها ، فما رفضته القبيلة أو قبلته فإنما يخضع لعامل الثقل حينا والخفة أحيانا ، وهاتان الصفتان لا تجمع عليهما جميع القبائل ، لأن مراتب الثقل والخفة متفاوتة ، ولهذا قد يدعون البناء من الشيء وهم يتكلمون بمثله فى لفظ آخر ، كما يتركون صيغا سهلة لتوهمهم فيها سببا من أسباب الثقل .

(١) البحر : ١ / ٢١٨
(٢) مختصر شواذ القرآن : ٥ / ٦
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٠
(٤) البحر : ٤ / ٤٠٦
(٤) المزهر : ٢ / ٢٧٥
(٥) شرح المفصل لابن يعيش : ٦ / ٢٧
(٦) المحتسب : ابن جنى : ١ / ٣٢٥ / ٣٢٦ ، مخطوط بالتيمورية .
(٧) رابين : ٩٨

وقفـــة :

ولكن يظهر أن القبائل الشرقية ـ كتميم وبكر وربيعة وأسد وقيس وعقيل وغيرها من قبائل الشرق ـ لم تكن على درجة واحدة من الميل إلى تسكين البنية ، بل تتفاوت كل قبيلة عن الأخرى فى ميلها إلى تسكين وسط الكلمة ـ تفاوتاقليلا ـ أمكننى أن ألاحظه ، وأن أسجل تفاوته بين هذه القبائل الشرقية ، وإن كانت السمة الغالبة عليهم جميعا هى ميلهم إلى التسكين .

١ ـ فأسد وإن كانت تجنح إلى إسكان البنية ـ إلا أنها فى بعض الأحيان تخالف ذلك ، فمن ذلك ما جاء فى شرح السيرافى على سيبويه من أن « فعل » بضم الفاء وسكون العين تضم بنو أسد عينه اتباعا لأوله ، على حين « فعل » بضمتين فتسكنه تميم[١] . وفى قوله تعالى « ويأمرون الناس بالبخل »[٢] فقد عزا الفراء : التثقيل فى « البخل » إلى أسد[٣] ، ومراده التثقيل أى النطق بالحركات كاملة ، أى أن أسدا تنطق بالصيغة مكتملة ، على حين عزا التخفيف إلى تميم ، والمراد بالتخفيف التسكين ؛ لأن التسكين أخف على اللسان من غيره ، وقد نطقت الحجاز فى هذا كأسد[٤] : أى با كمال الحركات وأما بكر بن وائل فسارت سير تميم فى التسكين ، قال ابن خالويه : بالبخل ـ ( بفتح فسكون ) لغة بكر بن وائل[٥] ، وعلى هذه اللغات جميعا قرأ القراء كما فى البحر[٦] .

٢ ـ وفى كنز الحفاظ أن الفراء حكى عن بنى أسد قولهم : هل رأيت عينا؟[٧] بفتح العين والياء فى معنى : أحدًا . وبعض العرب يقول : ما بها عيْن بسكون الياء .

٣ ـ وجاء فى اللسان أن بنى أسد تقول : فى أسنانه حفر[٨] . بفتح العين ، والحفر ما يلزق بالأسنان ، وغيرهم يقول : حفر . بسكون العين .

(١) شرح السيرافى على سيبويه : ٥ / ٦
(٢) سورة النساء آية : ٣٧
(٣) البحر : ٣ / ٢٤٧
(٤) البحر : ٣ / ٢٤٧
(٥) مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٦
(٦) البحر : ٣ / ٢٤٦
(٧) كنز الحفاظ : ٢٧٣
(٨) اللسان : ٥ / ٢٨١

فالسمة الغالبة فى هذه النصوص لبنى أسد أنها آثرت الحركات على السكون ، وإنما قلت فى هذه النصوص فقط ؛ لأن المأثور عنها حذف الحركة مثل قراءة « نذرا » فى المرسلات ، « وعرفا » فيها أيضا ، « وخبرا » فى الكهف ، فالإسكان كما ذكر صاحب الإتحاف لغة تميم وأسد وعامة قيس ، والضم لغة الحجاز[1] ، وأرجح أن الأصل الضم فى هذه الأمثلة ، وأسكن تخفيفا . فمن النصوص نرى أن أسدا كانت تتردد فى حذف الحركات ، أى أنها كانت حينا تحذف ، وأحيانا لا تحذف ، وليس هذا اضطرابا فى الظاهرة – بل يسهل علينا تعليل ذلك : أن أسدا من القبائل الكبرى ذات البطون الكثيرة ، والعمائر المتعددة ، فيمكن أن نعزو صيغ حذف الحركات إلى قبائلها المتاخمة لتميم ، والصيغ المكتملة الحركات إلى قبائلها التى تنحدر إلى ما يقرب البيئات الحجازية ، تلك التى كانت تحرص على اكتمال الحركات ، إلا أن حذف الحركات فى أسد أكثر من اكتمال الحركات ؛ لأن قبائلها كانت أكثرها فى المنطقة الشرقية والوسطى من الجزيرة العربية تلك كانت تؤثر حذف الحركات .

٢ – أما قيس فقد تقدم أنها أحيانا تسير فى ركاب تميم وبكر بن وائل فى حذف الحركات القصيرة ، ولكن لانعدم أن نرى بعض الروايات التى تنسب إليها اكتمال الحركات مثل ما جاء فى خزانة الأدب من أن قيسا تقول « الضَّبُع » بضم الباء ، وتميم تسكنها[2] ، وورد نص مثله فى المصباح[3] . ويرى البغدادى أن التخفيف الواقع فى الكلمة نحو ( عضد ) بضم الضاد سائغ فى حال السعة ، لأنه لغة لقبائل ربيعة[4] ؛ وأرى أن قبائل قيس كانت تتردد بين حذف الحركة ، وبين عدم حذفها ؛ وليس معنى هذا اضطراب الظاهرة ؛ إذ أن قيسا كانت شعبا عظيما – تفرق إلى عدة قبائل ، وتوزعت قبائلها على محيط شاسع فى الجزيرة العربية ، وبعض قبائلها كانت فى وسط الجزيرة كعقيل وغنى ؛ وبعضها الآخر كان يسكن مناطق الحجاز لذلك أرجح أن قبائلها التى كانت تسكن

(١) الإتحاف : ١٤٣
(٢) الخزانة : ٢ / ٣٦٩
(٣) المصباح : ٢ / ٥٤٥
(٤) الخزانة : ٢ / ٣٦٩ ، ٣ / ٥٢١

شرق الجزيرة ووسطها كانت تحذف الحركة القصيرة كعقيل ـ فقد روى اللسان أن يوم (الجمعة) بسكون الميم لغة بنى عقيل ،وأهل الحجاز تقول :الجمعة ـ مثقلة [1] ـ أى مع عدم حذف الحركة والأصل فيها السكون ، فمن ثقل أتبع الضمة الضمة ، ومن خفف فعلى الأصل. وعلى لغة عقيل قرأ الأعمش [2] ، ومما يؤيدنى فى هذا الرأى ما جاء فى الإتحاف من عزو تسكين الوسط فى « نذرا » بالمرسلات ، « وخبرا » فى الكهف إلى تميم ، وأسد ، وعامة قيس [3] . فقوله « وعامة قيس » دليل على أن قيسا لم تكن جميعها تحذف الحركة ، بل قبائلها الضاربة فى البادية كعقيل وغنىّ وغيرهما بدليل ما أوردته فى عقيل ، وأما بقية قيس المتصلة بالحجاز كغطفان وغيرها ـ فإنها لم تكن تحذف الحركة وشأنها فى ذلك شأن الحجاز بدليل أن الحجاز كانت تقول « الجمعة » [4] بالحركات كاملة . وكلما اتجهنا إلى مناطق الحجاز وجدنا استكمال الحركات فى الكلمة والمحافظة عليها ؛ بدليل أن هذيلا وهى فى مناطق الحجاز أُثر عنها كما جاء فى المخصص عن أبى عبيد أنها كانت تقول : « نجد » بضمتين فى ( نجد ) [5] بالسكون ، والدليل على ذلك ما قاله أبو ذؤيب

فى عانة بجنوب السِّىّ مشربُها
غور ومصدرها عن مائها نُجُد [6]

بضمتين . وعزا الأصمعى هذه الصيغة إلى الحجاز وهذيل [7] ، وفى معجم البلدان أنها لغة هذيل خاصة [8] . وعلى أى حال فسواء كانت اللهجة هى لهجة الحجاز وهذيل ، أم هذيل وحدها فإنها تؤيد ما نذهب إليه من أن الحجاز وما جاورها من هذيل وبطون قيس ـ كانت لا تحذف الحركات القصيرة .

وأما تميم وبكر بن وائل وقبائل ربيعة ، وأكثر قبائل أسد ، وعامة قبائل قيس المتاخمة لتميم ـ فإنها كانت جميعا تجنح إلى حذف الحركات القصيرة . ولعل هذا

---

(١) اللسان : جـ ٩ مادة جمع .
(٢) المصباح ١ / ١٧٠ ـ ١٧١
(٣) الإتحاف : ١٤٣
(٤) اللسان : جـ ٩ مادة جمع .
(٥) المخصص : س ١٢ ص : ٤٨
(٦) ديوان الهذليين : ١ / ٢٤ دار الكتب
(٧) اللسان : ٤ : ٤٢٥
(٨) معجم البلدان : ٨ / ٢٥٢ ياقوت .

يتفق مع طبيعة البدو فى السرعة فى نطق الكلمة ، ولهذا جانب الصواب الأُستاذ عبد الوهاب حمودة فى كتابه « القراءات واللهجات [(١)] » حيث ذكر أن تسكين العين فى « رسل » لغة أهل الحجاز والتحريك لغة بنى تميم ، ويبدو أن الدكتور شوقى ضيف مال إلى ما رآه الأُستاذ عبد الوهاب حمودة [(٢)] أيضا .

وقد وقع أبو حيان نفسه فيما وقعا فيه عند تفسيره لقوله تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفَّينا من بعده بالرسل » [(٣)] حيث ذكر أن قراءة الجمهور — بالرسل — بضم السين ، كما قرأ الحسن ويحيى ابن يعمر بتسكينها [(٤)] » ثم قال أبو حيان « وتسكين عينه لغة أهل الحجاز ، والتحريك لغة بنى تميم » [(٥)] .

ومن مجانبة الصواب فى حركة العين من الفعل المعتل أن رجلا أخطأ بحضرة أبى عمرو بن العلاء حين أنشد قول المرقش الأصغر :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره
ومن يَغْوَ لا يعدم على الغىّ لائما .

فقال له أبو عمرو أقومك أم أتركك تتسكَّع فى طمّتك ؟ فقال : بل قومنى . فقال : قل : ومن يغْوِ ( بكسر الواو [(٦)] ) ألا ترى إلى قوله تعالى : « وعصى آدم ربه فغوى » [(٧)] . وإنما أخطأ المنشد لأن الفعل من باب : قضى يقضى

وقد نرى حذف الحركات تارة واكتمالها تارة أُخرى فى اللغات السّامية أيضا كما رأينا فى لهجات القبائل ففى ففى الأكدية Uznu' وهى فى العبرية 'Ozen [(٨)] باكتمال الحركة ، ونجدها فى العربية : أُذُن — باكتمال الحركة تارة وبحذفها تارة أُخرى ، وذلك فى قراءة

---

(١) ص : ٣٧ ط أولى .
(٢) تاريخ الأدب العربى ١ — ١٢٦ د . شوقى ضيف (٣) سورة البقرة آية : ٨٧
(٤) البحر المحيط ١ — ٢٩٩ (٥) البحر المحيط ١ — ٢٩٧
(٦) طبقات اللغويين ٢٩ للزبيدى . (٧) سورةطه آية : ١٢١
(٨) التطور النحوى ٤٤ برجشتراسر .

نافع « والأُذْن بالأُذْن » ٤٥ من المائدة . ونافع بن أبى نعيم صاحب هذه القراءة مدنى حجازى ، ومع ذلك فقد خالف بيئته التى لا تسكن .

وقد تؤثر عين الكلمة حركة فى موضع ما ثم ترفض نفس الحركة من الكلمة نفسها فى موضع آخر ، وليس السبب فى ذلك عامل الثقل أو الخفة كما قد يتوهم ، وإنما يرجع إلى تحقيق الموسيقا الصوتية وانسجام النغم ، ففى قوله تعالى : « إلى شىء نكُرٍ » القمـــر : ٦ . حرك عين الكلمة ؛ لأن النظام العام للسورة آثر الحركة فى آياتهـا ، على حين رفض الحركة فى الكلمة نفسها فى قوله تعالى : « وعذبناها عذابا نكْرا » الطلاق : ٨ . وذلك تحقيقا لموسيقا السورة التى آثرت سكون العين[(١)] فى آياتها .

وفى النهاية : نرى أن نظام العربية فى ضوء ما سبق من النصوص والشواهد قد حقق من خلال الحركات والسّكنات وتقاصفها على الصيغ – فيضاً غامراً من كثرة الوجوه وحركية الانتقال ، ونظاما منتظماً متوا كباً مع الدلالة فى نسق صوتى خاص ، وهذه المساوقة بين الصيغ اللفظية ومعانيها يشير إلى تمدن العرب فى لغتهم من جانب ، كما يعدُّ نمطًا فريدا لسياسة الحروف وحركاتها من جانب آخر .

**أحمد علم الدين الجندى**

---

(١) انظر أمثلة مختلفة للموسيقا وأثرها فى :
(أ) أبو زكريا الفراء ٣٠٤ د . مكى الأنصارى .
(ب) التصوير الفنى فى القرآن .
(ج) أثر القرآن فى تطور النقد العربى ٦٣ د . زغلول سلام .

# أمثال عاميّة..

## بين القرنين: التاسع والرابع عشر الهجريين

للأستاذ محمد قنديل البقلي

الإنسان ماعاش صاحب تجربة يمليها مرة عملا، ويمليها مرة كلمة، ولن يبلغ هذا العمل، كما لن تبلغ تلك الكلمة مبلغ التجربة إلا حين يكون هذا العمل أو تكون تلك الكلمة حكما لا يتزعزع ولا يجرح، وإلا فقد هذا الحكم أثره.

وهذا الحكم لا يبلغ أن يكون حكما إلا بعد أن تسبقه قضايا تحمل المقدمات نفسها، والملابسات نفسها، والنتائج نفسها، لا يختل من ذلك شئ وإلا اختلّ الحكم.

واتحاد كل من المقدمات والملابسات والنتائج لا يعنى أن يكون على صورة واحدة، أو على مرتبة واحدة، بل قد تختلف صورها كما قد تختلف مراتبها.

من أجل هذا كان الاستقصاء الذى يبلغ بالمستقصى إلى الحكم يعوزه جهد كثير وتحرٍّ شامل، كما يعوزه رأى ثاقب وبصيرة نافذة وخبرة واسعة، ثم بعد هذا كله محتاج إلى الصائغ الحكيم الذى يجمع الكثير فى قليل ويختار من الكلمات أدلها ومن الألفاظ أنفذها ومن العبارات أجزلها ليجعل من حكمه آية مبنى ومعنى.

وبعيد أن يكتب لحكم البقاء ما لم تتوفر فيه الخبرة والوعى والصدق وحسن الأداء لكى يجرى على الألسنة ويعيه الناس جيلا بعد جيل يقضون به فى أمورهم المشاكلة وكأنهم فى ذلك قضاة ولكن دون أن يعنوا أنفسهم بدراسة ودون أن يعنوا أنفسهم بوعى ودون أن يعنوا أنفسهم بصدق الحس، ودون أن يعنوا أنفسهم بحسن الأداء، بل حسبهم أن يقيسوا حاضرا بغائب، وما أيسر ما يكون هذا القياس عليهم، ثم بعدها يحكمون بهذه الأحكام التى حفظوها، وحفظ المرء لهذه الأحكام لن يكون إلا عن إيمان بها وبمدلولها

ومضمونها ، وهذا الإيمان بهذه الأحكام لن يتم للمرء إلا إذا حذر ما تحذره الأحكام ورغب فيما ترغب فيه هذه الأحكام ، عندها تكون الأحكام على لسانه أنفذ وأقوى لأنه سوف يضفى عليها من وحيه وعقيدته فيزيد الناس استمساكا بما يستمسك به هو وبعدا عما يبتعد عنه .

وهذه الأحكام كما لم تبلغ مبلغها عبثا كذلك لم تؤثر عبثا فهى تجربة الماضين للاحقين وأدب من سبقوا يؤدبون به من خلفوا .

ومن المعروف أن الأمثال التى يتداولها الشعب هى حكم نتيجة لتجارب هذا الشعب وتسجيل قولى لبعض ما مر به من أحداث استخلص منها مآثر ومواعظ ، وأبى أن يهملها أو ينساها فسجلها فى هذه الكلمات التى يتناقلها الناس بالرواية جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر ، مما جعل الأمثال تأخذ طابعا خاصا من ألوان فن القول ، وأصبحت الأمثال مرآة للشعوب نستخلص منها اتجاه الشعب وخصائصه الاجتماعية مما لا نجده مسجلا فى أى لون من ألوان الأدب أو المعرفة . فالمؤرخون لا يذكرون دقائق الحياة الاجتماعية على نحو ما تصوره الأمثال . والشعر لا يصف إلا نواحى خاصة من نواحى الحياة الاجتماعية هى التى يراها الشاعر بنظره هو دون أن يراها المجتمع نفسه . ولكن الأمثال هى التى أجمع عليها الشعب ينطق بها الجاهل والمتعلم والفقير والغنى . هى التى تجرى على ألسنة طبقات المجتمع ، فهى المعبر إذن عن اتجاهات ونواحى هذا المجتمع دون غيرها .

فمصر عرفت منذ أقدم عصورها بفن القول ، ولها طابعها الخاص فى النواحى الأدبية التى تمتاز بها عن غيرها من البلدان ، ولها حياتها الاجتماعية الخاصة التى هى نتيجة لتلك البيئة المصرية ، وكثرت فيها الأمثال التى عبر عنها المصريون عن تجاربهم الطويلة العديدة ، وعن نواحى حياتهم المتأثرة بما كان فى المجتمع المصرى من سخط ورضى ، وجد وهزل ، نطق المصريون بهذه الأمثال وتداولوها منذ أقدم عصورهم ، ولو قُدّر للمصريين أن يحفظوا أمثالهم القديمة فى عصورهم المختلفة ، ودوّنوا هذه الأمثال لاستطعنا

أن نرجع عددا كبيرا من الأمثال التى ننطقها اليوم إلى عصورها التاريخية .

فمما لا شك فيه أن كثيرا من الأمثال المصرية الحالية عرفها المصريون منذ قرون عديدة وخاصة هذه الأمثال التى تتحدث عن تقلبات الجو ، أو التى تتحدث فى الشئون الزراعية ، فمثل هذه الأمثال قديمة ، ولكن لاندرى على وجه التحديد متى ظهرت لأول مرة بين الشعب المصرى ، وكذلك نقول عن كثير من الأمثال التى تمس حياتنا الاجتماعية ، فمن حسن الحظ أننا نجد فى كتاب مصرى ينسب إلى القرن التاسع الهجرى ( الخامس عشر الميلادى ) وهو كتاب « المستطرف فى كل فن مستظرف » للإبشيهى ، بابا خاصا بالأمثال المصرية ، جمع فيه مؤلف الكتاب عدة أمثال تبلغ نحوا من ثلاثمائة وخمسين مثلا . إذا قرأناها سنجد أنها تتفق فى كثير من ألفاظها مع ما ينطق به رجل الشارع اليوم ، وهذا إن دلّ على شىء فإنما يدل على أن هذه الأمثال كانت موجودة قبل القرن التاسع للهجرة ، وأنها بقيت على حالتها يرويها الشعب جيلا بعد جيل ، ويأخذها الصغير عن الكبير بدون تغيير يذكر لا لشىء إلا لأنها ما زالت تمثل الحياة المصرية بالرغم مما أصاب حياتنا من تغيير وتطور ، وهذا يدل من ناحية أخرى على أن مصر تتمتع بميزة المحافظة وبحب الجديد فى الوقت نفسه .

ومن يدرس الأدب المصرى فى عصوره المختلفة تتضح له هذه الحقيقة ماثلة وتظهر ظهورا لافتا فى مختلف حياتنا . فمصر كما لاحظها مؤرخو الأدب المصرى تحب الاحتفاظ بشخصيتها وبتقاليدها ، فهى محافظة على هذا النحو ، ولكنها من ناحية أخرى تحب أن تعرف كل شىء جديد على أن تخضع هذا الجديد لمزاجها وتقاليدها .

وهكذا استطاعت مصر أن تحافظ على أمثالها بنفس الصيغ التى وردت عند المصريين فى القرن التاسع الهجرى ، كما أضافت إلى هذا التراث القديم أمثالا جديدة هى نتيجة لما طرأ على مصر من تطورات جديدة .

فإذا نظرنا إلى هذه الأمثال التى دونت فى القرن التاسع نستطيع فى سهولة ويسر

أن نقسمها إلى عدة أقسام ،نستطيع أن نلمس فى بعضها أنها لا تزال مستعملة إلى اليوم . وهذا القسم من الأمثال هو أكثر ما جاء فى هذا الباب من الكتاب فمثل قوله :

– إذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله

– المستعجل والبطى عند المعدية يلتقى

– إذا غاب عنه أصله كانت دلايله فعله

– إيش انت فى الحاره يا منخل بلا طاره

– والله العدو ما يبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب

– تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها

– جارك مرآك إن لم ينظر وجهك نظر قفاك

– جوِّزوها له مالها إلا له

– جوِّزوا مشكاح لريمه ما على الاتنين قيمه

– حاجه ما تهمك وصى عليها زوج أمك

– حب وداري واكره وداري

– زى ما هى ومانه إلا قلوب ملانه

– ركِّبتك ورايه حطِّيت يدك فى الخُرج

– رزق الكلاب على المجانين

– راحت على جمل وجات على قُطَّه مال دى الشِّيلة إلادى الحطة

– سل مجرب ولا تِنسى الطبيب

– شىء ما ييجى على القلب عنايته صعب

– شرى العبد ولا تربيِّته

– صباح الخير يا جارى إنت فى دارك وانا فى دارى

– ضرب الحبيب كأكل الزبيب

– طبق وجارية على صحن بساريه

– طعامك ما جانى ودخانك أعمانى

– طار طيرك وأخد غيرك

– طوّل الغيبة وجه بالخيبة

– كُلْ وبَحْلَقْ عنيك عزومة انْحَسَبِتْ عليك

– قالوا للجمل زمّر قال لاشفف ملمُومة ولا أيادى مفرودة

– قالوا للدِّبة طرّزى قالت خنِّية أيادى

– كُشكال داير ولا علامة مقطوعة

– لولاك يا كُمِّى ما أكلت يا فُمِّى

– لولاك يا لسانى ما انسكِّيت يا قفايه

– لو كان فيها خير ما رماها الطِّير

- ما شِلتك يا دِمعى إلا لشدتى
- من عاشر الحداد احترق بناره
- نوايه تِسْند جرّه قال والزِّير الكبير
- لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من ييجى
- الكلام لك يا جاره إلا إنت حماره
- إش تعمل الماشطة فى الوِش المِشّوِّم
- أرملة عدس ومزوجة عدس
- جارية وَزِبْدِيَّة على باذنجانة مقلِيَّة
- خطبوها تْعززت
- زمّر بالزمِّيرة تبان لك العاقْلة من المجنونة

إلى غير ذلك من هذه الأمثال العديدة التى مانزال نرددها إلى اليوم بنفس الألفاظ التى كان يتحدث بها المصريون منذ خمسمائة عام . ولا شك أن هذه الأمثال كانت أقدم من هذا القرن التى دوّنت فيه ، ومن يدرى لعلها ترجع إلى ذلك العصر الذى بدأ فيه ظهور الآداب الشعبية المصرية ظهورا لافتًا ، وهو العصر المملوكى الأول ، أى فى النصف الثانى من القرن السادس للهجرة ، وما بعده ، فإن فيما بقى لنا من أدب شعبى لهذا العصر ألفاظ لا نزال ننطق بها إلى الآن وتعبيرات هى نفس التعبيرات التى نستعملها فى بعض القرى المصرية وبعض الأحياء الشعبية ، فلعل هذه الأمثال ظهرت بهذه الصورة فى تلك العصور . ولكننا لا نستطيع أن نجزم بذلك . ولعل أساتذة الفيلولوجى وأساتذة الأدب المصرى فى العصور الوسطى يستطيعون أن يحدثونا عن ذلك كله .

وأذكر هنا بعضا من المؤلفات جاءت بعد كتاب المستطرف للإبشيهى أو التى فى عصرنا ونقلت إلينا الكثير من هذه الأمثال كما رواها الإبشيهى ومنها :

١ ـ الشيخ محمد شكرى : مجمع الأمثال العامية المصرية ، مخطوط بالتيمورية رقم ٥١٩ تيمور .

٢ ـ محمود عمر الباجورى : أمثال المتكلمين من عوام المصريين ـ مصر ١٣١١ هـ

٣ ـ كرلو لندبرج الأسوجى : الأمثال السائرة والأقوال الدائرة عند أولاد العرب ـ لندن ١٨٨٣

٤ ـ شرف الدين بن أسعد : جمع ، الأمثال المصرية العامية ـ نشرها بوركهارت ، لندن ١٨٣٠

James Richard Jewett : Arabic-o proverbes and proverbial phrases, New Haven 1890.

٦ ـ أحمد تيمور : الأمثال العامية المصرية ، القاهرة ١٩٤٩

٧ ـ شفيقة شبير : جمعت الأمثال الاجتماعية والفكاهية .

٨ ـ فائقة حسين راغب : حدائق الأمثال العامية ، القاهرة ١٣٥٧ هـ .

٩ ـ نعوم شقير : أمثال العوام في مصر والسودان والشام ، مصر ١٨٩٤

١٠ ـ Mrs. A.P. Singir : جمعت أمثال العوام من مصر والسودان والشام ـ نشرها إنو ليتمان ، مصر ١٩١٣

١١ ـ محمد قنديل البقلي : وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ، القاهرة ١٩٦٨

وأما القسم الثاني من هذه الأمثال التي دونت في القرن التاسع فهي أمثال لانسمعها اليوم في مصر لا لشيء إلا لأن التطور الذي تطورته مصر في مدى هذه القرون ، أبعدت الحياة المصرية بعض الشيء عما كانت عليه ، فأصبحت هذه الأمثال لا تنطبق على حياتنا الحديثة مثال ذلك :

ـ بدوى مقروح لقى التمر أينْ يخْلى ويروح .

فهذا المثل حل محله قولهم : « رزقه في رجليه » واختفى المثل القديم ، ومن يدرى فلعله لا يزال عند بعض الريفيين .

مثل آخر قولهم :

ـ ذكروا مصر والقاهرة قامت باب اللوق بحشايشها .

هذا مثل كان يضرب عند ما كانت منطقة باب اللوق المعروفة بالقاهرة مملوءة بالحشائش ،وكان يخشى الناس من ارتياد هذه المنطقة ، فلا شك أن من ينظر الان إلى باب اللوق وهى من أعمر أماكن القاهرة لا يستطيع أن يضرب بها المثل بما كان فيها من خراب وحشائش . ثم قوله : ذكروا مصر والقاهرة والمقصود بكلمة مصر في العصور الوسطى « الفسطاط » وكانت الفساط من أجمل مدن القطر المصرى وكانت تنافس القاهرة في الذكر لدرجة أن

المؤرخين عندما كانوا يؤلفون كتبهم التاريخية يذكرون مصر والقاهرة معاً ،فمثلا كتاب «لأبي المحاسن بن تغرى بردى» بعنوان « النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة » والسيوطى له كتاب بعنوان « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » . وعلى هذا النحو ورد هذا المثل وجعل مصر أى الفسطاط معطوفة على القاهرة لما كان بين البلدين من التنافس والرقى فى التحضر. أما الآن فالفسطاط لا وجود لها ، بل حل محلها مصر القديمة حتى نستطيع أن نتحدث عنها فى الأمثال فى جيلنا الحديث ،ولذلك اختفى هذا المثل من أمثالنا الحديثة .

ومثال قوله أيضاً :

– رأوا سكران يقرأ قالوا : غِنْ تشاكل روحك .

فالمعروف فى ذلك العصر ، أى فى القرن التاسع الهجرى أن كلمة قراءة كان المقصود بها قراءة القرآن الكريم وتجويده ، كما أن المعروف فى كل العصور وفى كل البيئات أن السكير الذى يقرأ ويغن فى قراءته كأنه يتشاجر مع نفسه ، فلا شك أن ظروف التعليم والقراءة فى عصرنا هذا تختلف عما كانت عليه فى العصور الوسطى ، والقراءة الآن أصبحت ليست وقفا على تلاوة القرآن الكريم ، ومن ثم أصبح هذا المثل لا ينطبق على حالتنا الحاضرة ولذلك اختفى .

ومثل آخر ورد فى هذه المجموعة هو قولهم :

– هانت الزلابية حتى أكلها بنو وائل .

فهذا المثل يدل عى أن المجتمع المصرى فى هذه العصور الوسطى كان لايزال يحتفظ إلى حد ما بالنسبة القبلية وخاصة هذه الطبقة من المجتمع التى سماها المؤرخون طبقة الأعراب ، وكان فى هذه الطبقة الأغنياءُ والفقراءُ والرفيع والذليل ، فهذا المثل يدلنا على أن بنى وائل فى مصر كانوا من الطبقات الذليلة حتى ضرب بذلتهم هذا المثل ، ومن حسن الحظ أننا نعيش الآن فى جو اجتماعى إشتراكى تعاونى لانلمس فيه أثر العنجهية القبلية ، ولا ينتسب أحد إلى طبقة دون أخرى ، فالكل سواء ولذلك لانرى هذا المثل بين أمثالنا الحديثة .

وكذلك قولهم فى الأمثال القديمة :

- بقى للكلب سرج وغاشية وغلمان وحاشية .

ذلك عندما كان الأغنياء يركبون المطايا ذات السروج والغواشى ، ولهم عبيد وحاشية ، أما الآن فالأغنياء يركبون السيارات الكاديلاك بدلا من الخيل أو البغال وليس لهم عبيد وإن كان لهم خدم ، ولذلك لا ينطبق هذا المثل على عصرنا الحالى .

وقولهم :

- خلت زوجها مكروب وراحت تشوف المصلوب

فهذا المثل لا ينطبق على عصرنا الحديث لأن الصلب لا يكون فى الميادين ، كما كان الأمر فى العصور الوسطى .

أما القسم الثالث من هذه الأمثال التى ذكرها الابشيهى فهى هذه الأمثال التى تتعلق ببعض النواحى الجنسية ، التى لا نستطيع أن نذكر عنها شيئا فى هذا الغرض . ومن الغريب أن هذا القسم من الأمثال يختلف تمام الاختلاف عن ذلك الذى نسمعه الآن وعما يشبهه بالرغم من أن الألفاظ تكاد تكون واحدة ولكن مدلول المثل مختلف جداً .

ونلاحظ فى هذا القسم كثرة ما يقال عن النقاب الذى كانت تضعه المرأة المصرية على وجهها ، وما كان يجر النقاب من ويلات وما شنّع به على كل متنقبة مما يجعلنا نحمد الله الآن على أن تنبهنا إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، ونبذ النقاب إلى غير رجعة حتى لا ينطبق علينا الآن ما كان يقال عن المرأة صاحبة النقاب فى العصور الوسطى .

وهكذا أمثالنا تدل علينا قديما وحديثا ، ولعلنا نعمل على دراسة أدبنا القومى دراسة صحيحة شاملة ، ولعل الذين يهتمون بأمر الفولكلور المصرى ومافيه من آداب شعبية يعملون على إيجاد هذه العلاقة بين حاضرنا وماضينا ، عسانا ننتفع بالماضى للمستقبل ثم لإحياء مايفيد فى نهضتنا الحالية .

**محمد قنديل البقلى**

# من التراث اللغوى

# لامية
# منظور بن مرثد الأسدى

جمعها وحققها وعلق عليها :
الدكتور رمضان عبد التواب

لفت نظرى إلى هذه الأرجوزة ، لمنظور بن مرثد الأسدى ، اشتغالى بموضوع الضرائر الشعرية ، منذ زمن ليس بالقصير ؛ فقد اضطر هذا الراجز إلى تشديد أواخر كلمات كثيرة فى أرجوزته تلك ، بسبب ضرورة الوزن والقافية ؛ مثل كلمات : الأول ، وأرغل ، والطول ، والعطبل ، والخلخل ، والمكحل ، ومبدل ، وعيهل ، والمرحل ، والكلكل ... وغيرها .

ومن هذه الأرجوزة حوالى ثلاثين بيتا فى « مجالس ثعلب » ، غير أن فى بعضها هناك سقطا وتحريفا . وقد قلبت كثيرا من المصادر ، بحثا عن أبيات هذه الأرجوزة[1] ، فاجتمع لى منها ست وأربعون بيتا[2] ، عرفت مطلعها[3] ، ورتبتها حسبما بدا لى من معانى أبياتها . وقد دللت على اختلاف الروايات فى بعض هذه الأبيات ، وانتقيت من الشروح المأثورة هنا وهناك ما يبين معناها ، وخرجتها فى مصادرها المختلفة التى وقعت لى .

أما صاحبها ، فقد قال عنه الآمدى إنه هو « منظور بن حبة الأسدى ، وحبة أمه ، ويعرف بها[4] » ، ومع ذلك فإننا لا نعثر له على أثر فى كتاب محمد بن حبيب : « ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه » ، الذى نشره عبد السلام

(١) قال البغدادى فى خزانة الأدب ٢ / ٥٥٢ : « وهى أرجوزة طويلة ، أورد منها شراح شواهد سيبويه جملة ، وكذلك أبو على الفارسى فى المسائل العسكرية » .

(٢) قال محقق سر صناعة الإعراب ( ١ / ١٧٨ ) فى هامشه : « وعدة ما وجدنا من أبياتها ثمانية عشر بيتاً مفرقة فى بطون الكتب » ! !

(٣) نص على ذلك فى شرح شواهد الشافية ٤ / ٢٤٨ والمحتسب ١ / ٢٧٦

(٤) المؤتلف والمختلف ١٤٧

هارون ، فى نوادر المخطوطات (المجلد الثانى ٢٩٧ – ٣٢٨) .

وأما أبوه فاسمه «مرثد». وهو ينسب فى المصادر إلى أبيه وإلى أمه ، وهذا ماجعل البغدادى (فى شرح شواهد الشافية ٤/٤٤٨) يظنه شخصين ، فيقول : «والبيت من أرجوزة طويلة لمنظور بن مرثد الأسدى ، وقيل لمنظور بن حبة الأسدى » ! أو لعله يقصد أنه يسمى بهذا وبذاك ؛ فقد قال (فى خزانة الأدب ٢/٥٥٣) : «وهذه الأرجوزة نسبها السخاوى فى سفر السعادة لمنظور بن مرثد الأسدى ؛ قال : وقيل لغيره . ونسبه الصاغانى فى العباب لمنظور بن حبة الأسدى ، وهما واحد ؛ فإن مرثداً أبوه وحبة أمه ، فبعضهم ينسبه إلى أبيه ، وبعضهم إلى أمه . قال الصاغانى فى العباب : منظور بن حبة ، راجز من بنى أسد ، وحبة أمه ، واسم أبيه مرثد بن فروة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن طريف بن عمرو بن قعين » .

وقد نسبه الآمدى فقال : «وهو منظور بن مرثد بن فروة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس»[١] . أما المرزبانى ، فقد تردد بين نسبين له ، فقال : «منظور بن مرثد بن فروة الفقعسى . وقيل هو منظور بن فروة بن مرثد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف»[٢]

وقد كناه أبو محمد الأسود الغندجانى «أبا مسعر»[٣] . وهو شاعر وراجز محسن[٤] . قال عنه الآمدى ، بعد أن ساق بعض شعره : «وله أيضا أراجيز جياد»[٥] . كما ذكر المرزبانى أنه إسلامى[٦] .

وهو فى أرجوزته هذه يتحسر على مافات من عمره ، ويشكو من هجران محبوبته ، التى يسميها «ليلى» ، كما يسميها «بجمل» أو «هند» أو «مىّ» كذلك ؛ إذ تعرّضت له بحسنها وجمالها ، فسلبت لبه وخلبت فؤاده ،

(١) المؤتلف والمختلف ١٤٧
(٢) معجم الشعراء ٢٨١
(٣) هامش معجم الشعراء ٢٨١
(٤) المؤتلف والمختلف ١٤٧
(٥) المؤتلف والمختلف ١٤٧
(٦) معجم الشعراء ٢٨١

ولم يكن ليرضى بها بديلا ، غير أنها بخلت عليه بالوصل ، وظعنت مع الظاعنين . فأخذ يسلى همومه ، ويشفى وجده وهيامه ، بوصف راحلته ، وقد أبدع فى هذا الوصف ، حتى كأن الأرجوزة قد قيلت فى وصف الإبل . وفيما يلى نسوق هذه الأرجوزة :

١ ـ ليت شبابى كان للأوّلِ
٢ ـ وغضّ عيشٍ قد خلا أرْغَلِ
٣ ـ من لىَ من هجران لَيْلَى مَن لِى
٤ ـ والحبل من حِبالها المنحلّ
٥ ـ تعرّضت لى بمكانٍ حِلّ
٦ ـ تعرُّضَ المُهرَة فى الطِّوَلّ
٧ ـ تعرُّضاً لم تأْلُ عن قتلٍ لى
٨ ـ بمثل جِيد الرِّئمة العُطبُلّ
٩ ـ ملءُ البريم متأَقُ الخَلْخَلّ
١٠ ـ ومُقلتان جَوْنَتا المُكْحَلّ
١١ ـ فأَردفتْ خَبْلاً على خَبلٍ لِى
١٢ ـ كالثِّقْل إذ عالَى به المُعَلّى
١٣ ـ ياصاح لا تُكثر بها عذلاً لِى
١٤ ـ فلم أكن والمالك الأَجَلّ
١٥ ـ أرضى بألف بعدها مُبْدَلّ
١٦ ـ بخَلّةٍ عنها ولا مُختلّ
١٧ ـ إنْ أصحُ عن داعى الهَوى المضلّ
١٨ ـ صُحُوَّ ناسى الشوق مُستَبِلّ
١٩ ـ مقتصر للصّرم أو مُدِلّ
٢٠ ـ إن تبخلى ياجُمْلُ أو تعتلّى
٢١ ـ أوتصبحى فى الظاعن المُوَلّى
٢٢ ـ أو تغْلُنى عن حاجها حاجٌ لى
٢٣ ـ نُسلّ وَجْدَ الهائم المغتلّ
٢٤ ـ ببازلٍ وجناءَ أو عَيهلّ
٢٥ ـ تَرى مَرادَ نِسْعِهِ المُدْخَلّ
٢٦ ـ بين رَحَى الحيزُوم والمرْحَلّ
٢٧ ـ بسلَّمٍ من دفِّهِ المزَلّ
٢٨ ـ مثل الزّحاليف بنَعْف التّلّ
٢٩ ـ نُوط إلى صُلب شديد الحلّ
٣٠ ـ وعُنق كالجذع مُتمهِلّ
٣١ ـ تقصُر عنه هُدُبات الجَلّ
٣٢ ـ إذا اعتلى عَرْضَ نِياف قَلّ
٣٣ ـ أذرَى أساهيك عتيق ألّ
٣٤ ـ ناوٍ ضَشْعَىْ مَرِح شِمِلّ
٣٥ ـ كأنّ مَهواه على الكَلكلّ
٣٦ ـ ومَوْقِعاً من ثَفِناتٍ زُلّ

٣٧ ـ بعد السُّرى من النّـدى السُّخْضَل

٣٨ ـ فى غَبَشِ الصبح وفى التَّجلِّى

٣٩ ـ مَوْقعُ كفَّىْ راهبٍ مُصَـــلٍّ

٤٠ ـ لعَلها تُسعفُ أو لَعَـــلِّى

٤١ ـ فى طَلَبِ الحاج أو التَّسلِّى

٤٢ ـ ياصاحَبِيَّ خَوِّصــــا بِسَـــلِّ

٤٣ ـ من كلِّ ذاتِ ذَنَبٍ رِفَـــلِّ

٤٤ ـ حَرَّقها حَمضُ بـلاد فــلِّ

٤٥ ـ وغَمُّ نجم غيرِ مُستقـــلِّ

٤٦ ـ فما تكادُ نِيبُها تُــــــولِّى

* * *

## فروق الروايات :

١ ـ فى المحتسب ١/٢٧٦ : «عادللأول»

٤ ـ فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٣ : «والحبل من وصالها» .

٥ ـ فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٤ وتاج العروس (عرض) ٥/٥٣ وإعجاز القرآن للباقلانى ١٧٣ : «بمجازحل» . وفى المحتسب ١/١٣٧ : «بمجار» تصحيف.

٧ ـ فى اللسان (عرض) ٩/٣٠ وإصلاح المنطق ١٧٠ والوساطة للجرجانى ٤٦٤ وتهذيب اللغة ١٤/١٧ : «تعرضت» وفى شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩ : «تعرضا لم تعد» . وفى تاج العروس (طول) ٧/٤٢٣ والصحاح (قتل) ٥/١٧٩٩ : «لم يأل» . وفى سر صناعة الإعراب ١/٢٣٥ وشرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩ واللسان (أذن)١٦/١٧٨ : «عن قتلالى» .

٩ ـ فى مادة (خلل) من اللسان ١٣/٢٣٤ والتاج ٧/٣٠٩ : «ملأى البريم» .

١١ ـ فى تاج العروس (ردف) ٦/١١٦ : «خيلا على خيل» تصحيف .

١٥ ـ فى اللسان (بدل) ١٣/٥١ : «أرضى بخل» .

١٧ ـ فى مجالس ثعلب ٢/ ٥٣٥ وشرح شواهد الشافية ٤/٢٥١ : «إن صح» .

١٨ ـ فى شرح شواهد الشافية ٤/٢٥١ : «ضحوة» !

٢٠ ـ فى اللسان (عسس) ٨/١٥والمحكم لابن سيدة ١/٣٠ : «إن تهجرى ياهند» .

وفى أمالى ابن الشجرى ١/٥٠ : «إن تبخلي يامى » .

٢٣ـ فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٥ : «فسل هم الوامق» . وفى المحكم لابن سيدة ٦٥/١ : «فسل وجد» . وفى التاج (عهل)٨/٤٠ : «الهائم المعتل» تصحيف

٢٥ـ فى شرح ابن يعيش ٩ / ٨٢ : «مزاد سعد » تحريف

٢٦ـ فى شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩ : «بين رجى » . وفى شرح ابن يعيش ٩/٨٢ : «بين رجا » .

٢٧ـ فى اللسان ( زلل ) ١٣/٣٢٥ : «من دفة مزل » .

٢٩ـ فى مجالس ثعلب ٢ / ٥٣٦ : «شديدالحمل » . وفى تهذيب اللغة ٦/٥٧٢ واللسان (خلل ) ١٣/٢٣٣ : «ثم إلى هاد شديد » . وفى جمهرة اللغة ١/٦٩ والصحاح (خلل)٤/١٦٨٩ : «ثم إلى صلب شديد» . وفى التاج (خلل ) ٧/٣٠٦ : «تمت إلى صلب » تحريف .

٣٠ـ فى اللسان (خلل ) ١٣/٢٣٣ : «فى الجذع » . وفى جمهرة اللغة١/٦٩ والتاج (خلل ) ٧/٣٠٦ : «وعنق أتلع » .

٣٢ـ فى مجالس ثعلب ٢ / ٥٣٦ : «إذا اغتدى » .

٣٤ـ فى اللسان (نوف ) ١١/٢٥٨ : «بعطف ضبعى » ، وبعده : «ويروى : بأوب » .

٣٥ـ فيما عدا مجالس ثعلب ٢/٥٣٦ وتهذيب الألفاظ ٤١٢ والأضداد لأبى الطيب ١/١٢٨ : «كأن مهواها » . وفى قوافى الأخفش ٩٠ : «أقول إذخرت على الكلكل » ، وهو خلط لهذا البيت ببيت آخر هو : «أقول إذ خرت على الكلكال » وبعده : « ياناقتى ماجلت من مجال » . انظر : تأويل مشكل القرآن ٢٣٤ وشواهد التوضيح ٢٣ والإنصاف ١٦

٣٦ـ فى نوادر أبى زيد ٥٣ : «من نفثات » . وفى اللسان (كلل ) ١٤/١١٧ : «وموقفا من ثفناة» تحريف .

٣٨ـ فى الأضداد لأبى الطيب ١/١٢٨ واللسان (غبش ) ٨/٢١٣ « أو التجلى » وفى تهذيب الألفاظ ٤١٢ : «أو التتلى» .

٣٩ـ فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦ : «راهب مصلى» . وفى اللسان (كلل) ١٤/١١٧ : «موضع كفى» .

٤٢ـ فى تهذيب إصلاح المنطق ١/٣٧ «يا ذائديها خوضن» . وفى شرح المفضليات ١٣١ ، ٥٧٠ ، ٦٣٦ : «يا ذائديها خوصا» .

٤٣ـ فى المقاييس ٢/٢٢٨ : «لبن رفل» .

٤٥ـ فى الاقتضاب ٣٠٩ : «وغيم نجم» وهى رواية نص عليها فى اللسان (حرق) ١١/٣٢٦ وتهذيب إصلاح المنطق ١/٣٨

٤٦ـ فى الاقتضاب ٣٠٩ : «بينها تولى» تصحيف .

* * *

الشروح اللغوية :

٢ـ فى شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٨ : «شدد لام أول وأرغل كذلك ، وهو بالغين المعجمة . قال صاحب العباب : وعيش أرغل وأغرل أى واسع» .

٤ـ فى شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩ : «قال أبو على فى المسائل العسكرية : المنحلّ لا يخلو من أن يكون محمولا على (الحبل) أو (الحبال) وكلا الأمرين قبيح» .

٥ـ فى جمهرة اللغة ٣/٤٩٧ : «يريد : تريك عرضها أى جانبها ، وقولهم : عرّضت لفلان بكذا وكذا ، إذا لم تبينه له» .

٦ـ فى إعجاز القرآن للباقلانى ١٧٣ : «تريك عرضها وهى فى الرَّسَن» . والطِّوَل ، كعنب : الحبل الطويل يربط أحد طرفيه بيد الدابة والآخر بوتد أو نحوه؛ لتدور فيه وترعى ولا تذهب لوجهها ، وقد شددها الراجز للضرورة .

٧ـ فى اللسان (عرض) ٩/٣٠ : «واعترض الفرس فى رسنه وتعرض : لم يستقم لقائدة» . وفى تهذيب إصلاح المنطق ٢/٢٩ : «لم تأل : لم تقصر فى اعتمادها قتلى . تعرضت له كما تتعرض المهرة فى طِوَلها ، تفعل ذلك لنشاطها» . وقد أفاضت المصادر فى شرح الرواية الأخرى لهذا البيت ، وهى : «عن قتلالى» ؛ فقال فى اللسان (طول) ١٣/٤٣٩ : «ويروى : عن قتلالى ، على الحكاية ، أى عن قولها : قتلاله» . وفى سر الصناعة ١/٢٣٦ : «هكذا

أنشدنيه ( أبوعلى ) : عن قتلا ، وحمله تأويلين : أحدهما أنه قال : يجوز أن يكون أراد الحكاية ، كأنه حكى النصب الذى كان معتادا من قولها فى بابه ، أى كانت تقول : قتلا قتلا ، أى أنا أقتله قتلا ، ثم حكى ماكانت تلفظ به ... والوجه الآخر الذى أجازه أبوعلى فى قوله : عن قتلالى ، أنه قال : يجوز أن يكون أراد : أن قتلالى ، أى أن قتلتنى قتلا ، فأبدل الهمزة عينا ، فهذا أيضا من عنعنة تميم » . وقال فى اللسان ( قتل ) ١٤ / ٦٦ : « أراد عن قتلى ، فلما أدخل عليه لاما مشددة ، وصار الإعراب فيه ، فتح اللام الأولى ، كما تفتح فى قولك : مررت بنمر ونمرة وبرجل وبرجلين . قال ابن برى : والمشهور فى رجز منظور : لم تأل عن قتلالى ، على الحكاية ، أى عن قولها : قتلا له ، أى اقتلوه ، ثم يدغم التنوين فى اللام ، فيصير فى السمع على مارواه الجوهرى (قَتْلَلِىٌّ) . قال : وليس الأمر على ماتأوله » .

٨ ـ فى المحكم لابن سيدة ٢/٣٢٠ واللسان ( عطبـل ) ١٣/٤٨٣ : « والعُطْبُل والعطبول من الظباء والنساء : الطويلة العنق . وقوله أنشده ثعلب : يمثل جيد الرئمة العطبلّ ، إنما أراد العطبل ، فشدد للضرورة » .

٩ ـ البريم : خيط فيه ألوان تشده المرأة على حقويها ، والمتأق : المملوء . وقال فى اللسان ( خلل ) ١٣/٢٣٤ : « أراد متأق الخلخل ، فشدد للضرورة ، والخلخل لغة فى الخلخال ، أو مقصور منه ، واحد خلاخيل النساء » .

١٠ ـ الجون : الأسود المشرب بحمرة ، أراد أنها سوداء مكان الكحل بلا كحل ، والمكحل : مكان وضع الكحل ، وشدد لامه للضرورة .

١١ ـ فى اللسان (ردف) ١١/١٤ : « وأردف الشئ بالشئ وأردفه عليه : أتبعه عليه » .

١٥ ـ فى اللسان ( بدل ) ١٣/٥١ : « إنما أراد مبدل ، فشدد اللام للضرورة . قال ابن سيدة : وعندى أنه شددها للوقف ، ثم اضطر فأجرى الوصل مجرى الوقف » .

١٨ – الصحوّ : مصدر من مصادر صحا يصحو . والمستبل : الذى برأ وصح . وفى شرح شواهد الشافية ٤/٢٥١ : «ومستبل من أبل من مرضه إذا صح وتوجه إلى العافية » .

٢٠ – فى خزانة الأدب ٢/٥٥٢ : « وقوله : إن تبخلى ، هو من البخل ، أى إن تبخلى علينا بوصلك ، وجمل بضم الجيم : من أسماء نساء العرب . وتعتلّى : من الاعتلال ، وهو التمارض والتمسك بحجة » . وانظر كذلك شرح شواهد الشافية ٤/ ٢٥٠

٢١ – فى خزانة الأدب ٢/٥٥٢ : «والظاعن من ظعن – من باب نفع – إذا ارتحل . والمولّى : من ولّيت عنه ، إذا أعرضت عنه وتركته . وتسلّى ، وتصبحى معطوفان على تبخلى ؛ ولهذا جزما بحذف النون » .

٢٢ – فى شرح شواهد الشافية ٤/٢٥١ : «وتَعْدُنى : تتجاوزنى ، وحاج : جمع حاجة » .

٢٣ – فى شرح شواهد الشافية ٤/٢٥٠ : «نسل : من التسلية ، وهى تطييب النفس ، وهو جواب الشرط . والمغتلّ – بالغين المعجمة : الذى قد اغتلّ جوفه من الشوق والحب والحزن ، كغلة العطش » . وفى خزانة الأدب ٢/٥٥٢ : « نسل : جواب الشرط ، مجزوم بحذف الياء ، وأوله نون المتكلم ، من التسلية ، وهو إذهاب الهم ونحوه بالسلو . قال أبوزيد : السلو طيب نفس الإلف عن إلفه . والوجد : الغم والحزن . والهائم : أراد به الشاعر نفسه ، وهو من هام إذا خرج على وجهه لايدرى أين يتوجه ، إن سلك طريقاً مسلوكا ، فإن سلك طريقا غير مسلوك ، فهو راكب التعاسيف ، كذا فى المصباح . والمغتل – بالغين المعجمة : من الغُلّة بالضم ، وهى حرارة العطش » .

٢٤ – فى نوادر أبى زيد ٥٣ : « قال أبو الحسن : عَيْهَلٌ ، وجاء فى الشعر : عَيْهَلٌ ... والوجناء : الوثيرة القصيرة . والعيهل : الطويلة ... قال أبو الحسن : حفظى عن الأصمعى الذى لا أشك فيه أن الوجناء الغليظة ، مأخوذة من الوَجين ، وهو ماغلظ من الأرض . والعيهل : السريعة » . وفى الصحاح ( عهل )

٥/١٧٧٨ : «الإيهل من النوق : السريعة. قال أبوحاتم : ولا يقال جمل عيهل ... وربما قالوا : عيهل مشددا فى ضرورة الشعر». وفى المحتسب ١/٧٦ : «يريد : العيهل ، فنوى الوقف ، فثقل ثم أطلق وهويريد الوقف» . وفى خزانة الأدب ٢/٥٥٢ : «وقوله : ببازل ، متعلق بنسلّ . والبازل : الداخل فى السنة التاسعة من الإبل ، ذكرا كان أو أنثى ، والمراد هنا الثانى لقوله : وجناء ، وفسرها أبوزيد بالوثيرة بالثاء المثلثة ، وهى الكثيرة اللحم ، والتى لاتتعب راكبها . والمشهور تفسيرها بالناقة الشديدة . والعيهل : فسرها أبوزيد بالطويلة. وقال غيره : هى السريعة . قال صاحب العباب : العيهل والعيهلة : الناقة السريعة . قال أبو حاتم : ولايقال جمل عيهل ، وتشديد اللام لضرورة الشعر اه . وبه يظهر فساد قول السخاوى فى سفر السعادة : إن العيهل النجيب من الإبل الأنثى عيهلة ، ويرد عليه أيضا قوله : وجناء» . وانظر سفر السعادة للسخاوى ١١٠ ب .

٢٥ـ مراد النسع ، بفتح الميم : المكان الذى يتحرك فيه النسع من جانبى الدابة وبطنها . والنسع : الحبل أو السير يضفر ، ويجعل حزاما للدابة . والمدخل الذى يدخل بعضه فى بعض الضفر . وشدد اللام للضرورة .

٢٦ـ الحيزوم : الصدر . والرحى من البعير : هى القرص المستدير الذى يلامس الأرض إذا برك . والمرحل : حيث يشد الرَّحْل ، وشدد لامه للضرورة . وقال فى اللسان ( دخل ) ١٣/٢٥٤ : «إنما أراد المُدْخَلَ والمَرْحَلَ ، فشدد للوقف ، ثم احتاج فأجرى الوصل مجرى الوقف ».

٢٧ـ الدف والدفة : الجنب . والمزل : من الزلل وهو الزلق . وفى اللسان (زلل) ١٣/٣٢٥ : «من دَفَّة مَزِلّ» . قال ابن سيدة : «يجوز أن يكون :مَزِلّ بدلا من سلم ولا يكون نعتا ؛ لأن مَفْعِلاً لم يجئ صفة . ويجوز أن تكون الرواية : مُزِلّ ، بضم الميم »

٢٨ـ الزحاليف : جمع زحلوفة ، وهى المكان الأملس ، الذى يتزلّج عليه الصبيان من فوق التل . ونعف التل : ما انحدر منه . ومعنى هذه الأبيات أن الموضع الذى يقع عليه النسع بين رحى

الحيزوم والمرحل ، يتحات شعره حتى يصير أملس كالزحاليف بنعف التل .

٢٩ ـ نوط ، يريد : نيط ، على لغة من يقول : « بوع » فى « بيع » . وفى اللسان ( خلل ) ١٣/٢٣٣ : « والخل : عرق فى العنق متصل بالرأس » .

٣٠ ـ فى اللسان ( مهل ) ١٤/١٥٧ : « اتمهلّ اتمهلالاً ، أى اعتدل وانتصب » .

٣١ ـ الجَلّ بالفتح : شراع السفينة .

٣٢ ـ فى اللسان ( نوف ) ١١/٢٥٨ : « فلاة نياف : طويلة عريضة » .

٣٣ ـ فى اللسان ( سهك ) ١٢/٣٣٠ : « وسهكت الدابة سهوكاً : جرت جرياً خفيفاً ، وقيل سهوكها : استنانها يميناً وشمالا . وأساهيكها : ضروب جريها ، واستنانها ... أراد : ذى أل ، وهو السرعة وإن شئت قلت : إنه وصفه بالمصدر » . والعتيق : الكريم ، يريد به البعير .

٣٤ ـ فى اللسان (شمل ) ١٣/٣٩٤ : « وجمل شملّ وشملال وشمليل : سريع » .

٣٥ ـ فى تهذيب الألفاظ ٤١٢ : « الكلكل : الصدر . واحتاج إلى تشديد اللام من أجل القافية » . وفى خزانة الأدب ٢/٥٥٢ : « وقوله : مهواها ، مصدر بمعنى الهوى والسقوط . والكلكل كجعفر : الصدر وتشديد اللام ضرورة أيضاً » .

٣٦ ـ فى نوادر أبى زيد ٥٣ : « الزُّلّ : الملس » . وفى تهذيب الألفاظ ٤١٢ « والزُّلّ القليلة اللحم » . وفى خزانة الأدب ٢/٥٥٢ : « وثفنات : جمع ثفنة ، بفتح المثلثة وكسر الفاء بعدها نون ، وهو ما يقع على الأرض من أعضاء الإبل استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما . وزُلّ ـ بالضم : جمع أزَلّ ، وهو الخفيف ، وفسره أبوزيد بملس ، وهو غير مناسب إذ المراد تشبيه الأعضاء الخشنة الغليظة من الناقة بكثرة الاستناخة ، بكفى راهب قد شثنت وخشنت من كثرة اعتماده عليها فى السجود » .

٣٨ ـ فى خزانة الأدب ٢/٥٥١ وشرح شواهد الشافية ٤/٢٥٠ : « والغَبَشُ ـ بفتحتين : بقية الليل ، وأراد بالتجلى : النهار » . وفى تهذيب الألفاظ ٤١٢ : « التتلى : ما يتلو ضوء الفجر الأول من الضوء الذى بعده . ويروى : أو التجلّى : أن يعم الضوء كلّ شىء » .

٣٩ ـ فى شرح شواهد الشافية ٤/٢٥٠ : «شبه الأعضاء الخشنة من الناقة بكثرة الاستناخة ، بكفى راهب قد خشنتا من كثرة اعتماده عليهما فى السجود » . وفى تهذيب الألفاظ ٤١٢ : « شبه موقع ثفناته إذا برك ، بموقع كفى راهب على الأرض إذا صلى . قال وعندى أنه أراد أن يشبه يدى الراهب وركبته بثفنات البعير ، فاقتصر على ذكر اليدين لأنه يعلم أن المصلى لا يدع يديه على الأرض ويرفع ركبتيه ». وفى خزانة الأدب ٢/٥٢ : «وروى : رجلى راهب ، بدل : كفى راهب ».

٤٢ ـ فى اللسان (خوص ) ٨/٣٠٠ : «ابن الأعرابى خوّص الرجل : إذا ابتدأ بإكرام الكرام ، ثم اللئام ... وفسره فقال : خوّصا أى ابدأ بخيارها وكرامها يقول : قدم خيارها وجلتها وكرامها تشرب ، فإن كان هنالك قلة ماء كان لشرارها ، وقد شربت الخيار عَفْوته وصَفْوته . قال ابن سيدة : هذا معنى قول ابن الأعرابى ، وقد لطفت أنا تفسيره . ومعنى (يتَمَلّ ) أن الناقة الكريمة تنسلّ إذا شربت فتدخل بين ناقتين ». وفى المقاييس ٢/٢٢٩ : «يقول : قرّبا إبلكما شيئاً بعد شيء ، ولا تدعاها تداكّ على الحوض » أى تزدحم عليه .

٤٣ ـ فى شمس العلوم ٢/٢٦٠ : «والرفل : الطويل .... أى قربا إبلكما شيئاً بعد شيء » . وفى تهذيب إصلاح المنطق ١/٣٧ : «والرفل : التام » . وفى اللسان ( خوص) ٨/٣٠٠ : «وقوله : من كل ذات ذنب رفل . قال : لا يكون طول شعر الذنب وصَفْوه إلا فى خيارها » .

٤٤ ـ فى أساس البلاغة ١/١٦٨ : «حرق المرعى الإبل : عطشها » . وفى تهذيب إصلاح المنطق ١/٣٨ : «حَرَّقها : أى حَرَّق أجواف الإبل رعيُ الحمض ، وليس لها ماء » . وفى اللسان (فلل ) ١٤/٤٧ : « الفِلّ : الأرض القفرة » . وفى إصلاح المنطق ٢٥ : «والفِلّ :الأرض التى لم يصبها مطر ، وجمعها : أفلال . وقد أفللنا ، إذا وطئنا أرضاً فلاًّ » .

٤٥ ـ فى إصلاح المنطق ٢٥ واللسان (فلل ) ١٤/٤٧ : «الغتم : شدة الحر الذى يأخذ النفس » . وفى تهذيب إصلاح المنطق ١/٣٨ : « والغتم : شدة الحر والأخذ

بالنفس ؛ أى طلع نجم الحر . ويروى : غيم نجم ، والغيم : العطش » . وفى اللسان (غتم) ١٥/٣٢٩ : «غير مستقل : أى غير مرتفع ؛ لثبات الحر المنسوب إليه ؛ وإنما يشتد الحر عند طلوع الشعرى التى فى الجوزاء » .

٤٦ ـ فى تهذيب إصلاح المنطق ٣٨/١ : «والنيب : جمع ناب ، يريد أنها قد اشتد عليها العطش ، فما تكاد تولى عن الحوض لما وردت ؛ لما نالها من العطش » . وفى الاقتضاب ٣٠٩ : «أى ما تكاد تولى عن الحوض لشدة حاجتها إلى الماء » .

## تخريج أبيات القصيدة :

١ ـ شرح شواهد الشافية ٢٤٨/٤ وبلا نسبة فى المحتسب ٢٧٦/١

٢ ـ شرح شواهد الشافية ٢٤٨/٤ وبلا نسبة فى المحتسب ٢٧٦/١

٣ ـ شرح شواهد الشافية ٢٤٨/٤ والخصائص ٢٦٢/٢ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٥٣٣/٢ وسر صناعة الإعراب ١٧٧/١ ؛ ٢٣٥/١ وشرح ابن يعيش ٨٢/٩

٤ ـ شرح شواهد الشافية ٢٤٨/٤ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٥٣٣/٢ وسر صناعة الإعراب ١٧٧/١ ؛ ٢٣٥/١ وشرح ابن يعيش ٨٢/٩

٥ ـ شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ ولسان العرب (طول) ٤٣٩/١٣ (قتل) ٦٦/١٤ وجمهرة اللغة ٤٩٧/٣ وتاج العروس (عرض) ٥٣/٥ (طول) ٤٢٣/٧ وتهذيب إصلاح المنطق ٢٩/٢ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وسر صناعة الإعراب ١٧٨/١ ؛ ٢٣٥/١ واللسان (أذن) ١٧٨/١٦ وشرح ابن يعيش ٨٢/٩ والصحاح (طول) ١٧٥٤/٥ (قتل) ١٧٦٩/٥ وإعجاز القرآن للباقلانى ١٧٣ والمحتسب ١٣٧/١ والقوافى للأخفش ٩٠ وشرح القصائد السبع ٥٠

٦ ـ شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ واللسان (طول) ٤٣٩/١٣ (قتل) ٦٦/١٤ وجمهرة اللغة ٤٩٧/٣ وتاج العروس (عرض) ٥٣/٥ (طول) ٤٢٣/٧ وتهذيب إصلاح المنطق ٢٩/٢ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وسر صناعة الإعراب ١٧٨/١ ؛ ٢٣٥/١ واللسان (عرض) ٣٠/٩ (أذن) ١٧٨/١٦ وإصلاح المنطق ١٧٠ وشرح ابن يعيش ٨٢/٩ والصحاح (طول) ١٧٥٤/٥ (قتل) ١٧٩٩/٥ والوساطة للجرجانى ٤٦٤ وإعجاز القرآن للباقلانى

١٧٣ وتهذيب اللغة ١٤/١٧ والمحتسب ١/١٣٦ وشرح القصائد السبع ٥٠ والقوافى للأخفش ٩٠

٧ـ شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩ ولسان العرب ( طول ) ١٣/٤٣٩ (قتل) ١٤/٦٦ وتهذيب إصلاح المنطق ٢/٢٩ وتاج العروس (عرض) ٥/٥٣ (طول ) ٧/٤٢٣ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٤ وسر صناعة الإعراب ١/٢٣٥ واللسان (عرض) ٩/٣٠ (أنن ) ١٦/١٧٨ وإصلاح المنطق ١٧٠ والصحاح (قتل) ٥/١٧٩٩ والوساطة للجرجانى ٤٦٤ وتهذيب اللغة ١٤/١٧

٨ـ من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٤ وبلا نسبة فى مادة (عطبل) من اللسان ١٣/٤٨٣ والتاج ٨/٢٤ والمحكم لابن لابن سيدة ٢/٣٢٠

٩ـ من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٤ وبلا نسبة فى مادة (خلل) من اللسان ١٣/٢٣٤ والتاج ٧/٣٠٩

١٠ـ المحتسب ١/١٣٧ ؛ ١/٢٧٦

١١ـ مجالس ثعلب ٢/٥٣٤ وبلا نسبة فى مادة (ردف) من اللسان ١١/١٤ والتاج ٦/١١٦

١٢ـ مجالس ثعلب ٢/٥٣٤ وبلا نسبة فى مادة ( ردف ) من اللسان ١١/١٤ والتاج ٦/١١٦ وهو فى المحكم لابن سيدة ٢/٢٥٢ ولسان العرب (علا ) ١٩/٣١٦

١٣ـ مجالس ثعلب ٢/٥٣٤

١٤ـ مجالس ثعلب ٢/٥٣٤ وبلا نسبة فى اللسان (بدل) ١٣/٥١

١٥ـ مجالس ثعلب ٢/٥٣٤ وبلا نسبة فى اللسان (بدل ) ١٣/٥١

١٦ـ مجالس ثعلب ٢/٥٣٥

١٧ـ مجالس ثعلب ٢/٥٣٥ وشرح شواهد الشافية ٤/٢٥١ وسفر السعادة ١١٠ ب .

١٨ـ مجالس ثعلب ٢/٥٣٥ وشرح شواهد الشافية ٤/٢٥١

١٩ـ مجالس ثعلب ٢/٥٣٥

٢٠ـ نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩ واللسان (عهل )١٣/٥٠٩ وخزانة الأدب ٢/٥٥١ وسفر السعادة ١١٠ أ وأراجيز العرب ١٥٨ وبلا نسبة فى اللسان ( عسس ) ٨/١٥ والمحكم لابن سيدة ١/٣٠ وأمالى ابن الشجرى ١/٥٠ والصحاح ( عهل ) ٥/١٧٧٩

٢١ ـ نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩ واللسان ( عهل ) ١٣/٥٠٩ وسفر السعادة ١١٠ أ وخزانة الأدب ٢/٥٥١ وأراجيز العرب ١٥٨ وبلا نسبة فى اللسان ( عسس ) ٨/١٥ والمحكم لابن سيدة ١/٣٠ وأمالى ابن الشجرى ١/٥٠ والصحاح ( عهل ) ٥/١٧٧٩

٢٢ ـ شرح شواهد الشافية ٤/٢٥١ وسفر السعادة ١١٠ ب .

٢٣ ـ نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٤/٢٥٠ وخزانة الأدب ٢/٥٥١ وسفر السعادة ١١٠ أ ؛ ١١٠ ب ؛ ومادة ( عهل ) من اللسان ١٣/٥٠٩ والتاج ٨/٤٠ وأراجيز العرب ١٥٨ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٥ وسر صناعة الإعراب ١/١٧٨ والمحكم لابن سيدة ١/٦٥

٢٤ ـ نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٤/٢٥٠ ومادة ( عهل ) من اللسان ١٣/٥٠٩ والتاج ٨/٤٠ وسفر السعادة ١١٠ ب ؛ وتهذيب الألفاظ ٤١٢ وخزانة الأدب ٢/٥٥١ وأراجيز العرب ١٥٨ ولرجل من بنى أسد فى سيبويه والشنتمرى ٢/٢٨٢ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٥ وسر صناعة الاعراب ١/١٧٨ ولسان العرب ( بدل ) ١٣/٥١ ( فوه ) ١٧/٤٢٣ والخصائص ٢/٣٥٩ والمحتسب ١/١٠٢ ؛ ١/١٣٧ ؛ ١/٢٧٦ والمقاييس ٤/١٧٣ والمنصف ١/١١ والصحاح ( عهل ) ٥/١٧٧٩ والممتع فى التصريف ١/١١١ والمحكم لابن سيدة ١/٦٥ ؛ ٤/٣١٣ والإنصاف ٤٥٧ والقوافى للأخفش ٩٠

٢٥ ـ شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٥ وسر صناعة الإعراب ١/١٧٨ ولسان العرب ( دخل ) ١٣/٢٥٤ وشرح ابن يعيش ٩/٨٢

٢٦ ـ شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٥/٥٣٥ وسر صناعة الإعراب ١/٧٨١ ولسان العرب ( دخل ) ١٣/٢٥٤ وشرح ابن يعيش ٩/٨٢

٢٧ ـ من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٥ وبلا نسبة فى اللسان ( زلل ) ١٣/٣٢٥

٢٨ ـ شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٥ وسر صناعة الإعراب ١/١٧٨ ولسان العرب ( دخل ) ١٣/٢٥٤

٢٩ ـ من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦ وينسب إلى جندل بن المثنى الطهوى فى جمهرة اللغة ١/٦٩ وتاج العروس ( خلل ) ٧/٣٠٦ وهو بلا نسبة فى المنصف ١/٢٠٥ والمحتسب ٢/١٧٨ ومادة ( خلل ) من الصحاح ٤/١٦٨٩ ولسان العرب ١٣/٢٣٣ وتهذيب اللغة ٦/٥٧٢

٣٠ ـ من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦ وينسب إلى جندل بن المثنى الطهوى فى جمهرة اللغة ١/٦٩ وتاج العروس ( خلل ) ٧/٣٠٦ وبلا نسبة فى المنصف ١/٢٥٠ ولسان العرب ( خلل ) ١٣/٢٣٣ ( مهل ) ١٤/١٥٧ وتهذيب اللغة ٦/٥٧٢

٣١ ـ مجالس ثعلب ٢/٥٣٦

٣٢ ـ منه قطعة محرفة فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦ هى : « إذا اغتدى عر » . وهو بلانسبة فى مادة ( نوف ) من اللسان ١١/٢٥٨ والتاج ٦/٢٦٣ .

٣٣ ـ من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦ وبلانسبة فى اللسان ( نوف ) ١١/٢٥٨ ( سهك ) ١٢/٣٣٠ وتاج العروس ( نوف ) ٦/٢٦٣ ( سهك ) ٧/١٤٦

٣٤ ـ من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦ وبلا نسبة فى اللسان ( نوف ) ١١/٢٥٨ ( شمل ) ١٣/٣٩٤ وتاج العروس ( شمل ) ٧/ ٣٩

٣٥ ـ نوادر أبى زيد ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٤/٢٥٠ ومادة ( كلل ) من اللسان ١٤/١١٧ والتاج ٨/١٠٣ وسفر السعادة ١١٠ ب وتهذيب الألفاظ ٤١٢ وخزانة الأدب ٢/٥٥١ وأراجيز العرب ١٥٩ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦ وسر صناعة الإعراب ١/١٧٨ ولسان العرب ( فوه ) ١٧/٤٢٣ والمحتسب ١/١٠٢ والمنصف ١/١١ وتوجيه إعراب أبيات ملغزة ١٥٥ والمعانى الكبير ١/٢١٨ والصحاح ( كلل ) ٥/١٨١٢ والمحتسب ١/١٣٧ والمحكم لابن سيدة ٤/٣١٣ والأضداد لأبى الطيب ١/١٢٨ والقوافى للأخفش ٩٠

٣٦ ـ نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٤/٢٥٠ واللسان ( كلل ) ١٤/١١٧ وخزانة الأدب ٢/٥٥١ وتهذيب الألفاظ ٤١٢ وأراجيز العرب ١٥٩ وسفر السعادة ١١٠ب ؛ وبلا نسبة فى الأضداد لأبى الطيب ١/١٢٨

٣٧ ـ من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦

٣٨ ـ شرح شواهد الشافية ٤/٢٥٠ ، وتهذيب الألفاظ ٤١٢ وخزانة الأدب ٢/٥٥٢ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦ والأضداد لأبى الطيب ١/١٢٨ ولسان العرب ( غبش ) ٨/٢١٣

٣٩ ـ نوادر أبى زيد ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٤ / ٢٥٠ ومادة ( كلل ) من اللسان ١٤/١١٧ والتاج ٨/١٠٣ وتهذيب الألفاظ ٤١٢ وخزانة الأدب ٢/٥٥١ وأراجيز العرب ١٥٩ وسفر السعادة ١١٠ ب ؛ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦ وسر صناعة الإعراب ١/١٧٨ ولسان العرب ( فوه ) ١٧/٤٢٣ والصحاح ( كلل ) ٥/١٨١٢ والمحكم لابن سيدة ٤/٣١٣ والأضداد لأبى الطيب ١ /١٢٨

٤٠ ـ من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦

٤١ ـ من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦

٤٢ ـ مقاييس اللغة ٢/٢٢٨ وشمس العلوم ٢/٢٦٠ وتهذيب إصلاح المنطق ٣/٧١ ولسان العرب ( خوص ) ٨/٣٠٠ وتهذيب اللغة ٧/٤٧٥ وتاج العروس ( خوص ) ٤ / ٣٩٢ وشرح المفضليات ١٣١ ؛ ٥٧٠ ؛ ٦٣٦ ولم ينسب فى أى مصدر من هذه المصادر ، غير أنه ذكر فى بعضها مع رقم ٤٤ وهو لمنظور .

٤٣ ـ مقاييس اللغة ٢ / ٢٢٨ وشمس العلوم ٢/٢٦٠ وتهذيب إصلاح المنطق ١/٣٧ ولسان العرب ( خوص ) ٨/٣٠٠ وتاج العروس ( خوص ) ٤ / ٣٩٢ وشرح المفضليات ١٣١ ؛ ٥٧٠ ؛ ٦٣٦ ولم ينسب فى أى مصدر من هذه المصادر ، غير أنه ذكر فى بعضها مع البيت التالى ، وهو لمنظور .

٤٤ ـ لسان العرب ( نيب ) ٢/٢٧٥ والتاج ( نيب ) ١/٤٩٨ وينسب لأبى صالح مسعود بن قيد الفزارى فى التكملة ١/٢٨١ وتاج العروس ( حرق ) ٦ /٣١٣ ( فلل ) ٨/٦٦ ( غتم ) ٩/٢ وبلا نسبة فى لسان العرب ( خوص ) ٨/٣٠٠ ( حرق ) ١١/٣٢٦ ( فلل ) ١٤/٤٧ ( غتم ) ١٥ / ٣٢٩ وإصلاح المنطق

٢٥ وتاج العروس (خرص) ٤/٣٩٢ وأساس البلاغة ١/١٦٨ والصحاح (نيب) ١/٢٣٠ (حرق) ٤/١٤٥٨ (فلل) ٥/١٧٩٣ (غتم) ٥/١٩٩٥ وتهذيب إصلاح المنطق ١/٣٧ والاقتضاب ٣٠٩ وتهذيب اللغة ٨/٨٣ ؛ ١٥/٣٣٥ وشرح المفضليات ٦٣٦

٤٥ـ ينسب لأبي صالح مسعود بن قيد الفزارى فى التكملة ١/٢٨١ وتاج العروس (حرق) ٦/٣١٣ (فلل) ٨/٦٦ (غتم) ٩/٢ مع البيت السابق . وبلا نسبة فى لسان العرب (حرق) ١١/٣٢٦ (فلل) ١٤/٤٧ (غتم) ١٥/٣٢٩ والصحاح (نيب) ١/٢٣٠ (فلل) ٥/١٧٩٣ (غتم) ٥/١٩٩٥ وتهذيب **إصلاح** المنطق ١/٣٧ والاقتضاب ٣٠٩ **وتهذيب** اللغة ٨/٨٣ ؛ ١٥/٣٣٥ وشرح **المفضليات** ٦٣٦

٤٦ـ لسان العرب (نيب) ٢/٢٧٥ وتاج العروس (نيب) ١/٤٩٨ وينسب لأبي صالح مسعود بن قيد الفزارى فى التكملة ١/٨١ وتاج العروس (فلل) ٨/٦٦ وبلا نسبة فى اللسان (فلل) ١٤/٤٧ وتهذيب إصلاح المنطق ١/٣٧ والصحاح (نيب) ١/٢٣٠ والاقتضاب ٣٠٩ وشرح المفضليات ٦٣٦ وإصلاح المنطق ٢٥

## قائمة المصادر :


١ ـ أراجيز العرب ، للسيد توفيق البكرى ـ القاهرة ١٣٤٦هـ

٢ ـ أساس البلاغة ، للزمخشرى ـ القاهرة ١٩٢٢

٣ ـ إصلاح المنطق ، لابن السكيت ـ تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٥٦

٤ ـ الأضداد فى كلام العرب ، لأبي الطيب اللغوى ـ تحقيق الدكتور عزة حسن ـ دمشق ١٩٦٣

٥ ـ إعجاز القرآن ، للباقلانى ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ القاهرة ١٩٥٤

٦ ـ الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، للبطليوسى ـ نشر عبد الله البستانى ـ بيروت ١٩٠١

٧ ـ ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه ، لمحمد بن حبيب ـ المجلد الثانى

من نوادر المخطوطات – تحقيق عبدالسلام هارون – القاهرة ١٩٥٤

٨ – الأمالى لابن الشجرى – حيدر آباد بالهند ١٣٤٩هـ .

٩ – الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لأبى البركات بن الأنبارى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – القاهرة ١٩٥٣

١٠ – تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى – القاهرة ١٣٠٦ هـ .

١١ – تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة الدينورى – تحقيق السيد صقر – القاهرة ١٩٥٤

١٢ – التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، للصاغانى – تحقيق عبد العليم الطحاوى – القاهرة ١٩٧٠

١٣ – تهذيب إصلاح المنطق ، للتبريزى – القاهرة ١٩٠٧

١٤ – تهذيب الألفاظ ، لابن السكيت – نشر لويس شيخو – بيروت ١٨٩٥

١٥ – تهذيب اللغة ، لأبى منصور الأزهرى – تحقيق عبد السلام هارون وآخرين – القاهرة ١٩٦٤ – ١٩٦٧

١٦ – توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب المنسوب للرمانى – تحقيق سعيد الأفغانى – دمشق ١٩٥٨

١٧ – جمهرة اللغة ، لابن دريد الأزدى – تحقيق كرنكو – حيدر آباد بالهند ١٣٤٤ – ١٣٥١ هـ .

١٨ – خزانة الأدب ، لعبد القادر البغدادى بولاق ١٢٩٩هـ .

١٩ – الخصائص ، لابن جنى – تحقيق محمد على النجار – دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٥٢ – ١٩٥٦

٢٠ – سر صناعة الإعراب ، لابن جنى – تحقيق مصطفى السقا وآخرين – القاهرة ١٩٥٤

٢١ – سفر السعادة وسفير الإفادة . لعلم الدين السخاوى – مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٧٨ مجاميع م .

٢٢ – شرح شواهد الشافية ، لعبد القادر البغـــدادى – تحقيق محمد الزفزاف وآخرين – القاهرة ١٣٥٦هـ .

٢٣ – شرح الشواهد للشنتمرى – على هامش كتاب سيبويه – بولاق ١٣١٦ – ١٣١٧هـ .

٢٤ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لابن الأنبارى ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٦٣

٢٥ـ شرح المفضليات ، لأبى محمد القاسم بن بشار الأنبارى ـ تحقيق لايل ـ بيروت ١٩٢٠

٢٦ـ شرح ابن يعيش للمفصل ـ المطبعة المنيرية بالقاهرة ( بلا تاريخ ) .

٢٧ـ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لنشوان بن سعيد الحميرى ـ مطبعة عيسى الحلبى بالقاهرة ( بلا تاريخ ) .

٢٨ـ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، لابن مالك ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ـ القاهرة ١٩٥٧

٢٩ـ الصحاح للجوهرى = تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبى نصر الجوهرى ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ـ القاهرة ١٩٥٦

٣٠ـ القوافى ، لأبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ـ تحقيق الدكتور عزت حسن ـ دمشق ١٩٧٠

٣١ـ الكتاب ، لسيبويه ـ بولاق ١٣١٦ـ ١٣١٧ هـ .

٣٢ـ لسان العرب ، لابن منظور الإفريقى بولاق ١٣٠٠ ـ ١٣٠٧ هـ .

٣٣ـ المؤتلف والمختلف ، للآمدى ـ تحقيق عبد الستار فراج ـ القاهرة ١٩٦١

٣٤ـ مجالس ثعلب ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٦٠

٣٥ـ المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جنى ـ تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ـ القاهرة ١٣٨٦ هـ .

٣٦ـ المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة ، لابن سيدة الأندلسى ـ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ القاهرة ١٩٥٨ ومابعدها .

٣٧ـ المعانى الكبير ، لابن قتيبة الدينورى حيدر آباد بالهند ١٩٤٩

٣٨ـ معجم الشعراء ، للمرزبانى ـ تحقيق عبد الستار فراج ـ القاهرة ١٩٦٠

٣٩ـ مقاييس اللغة ، لابن فارس ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٣٦٦ ـ ١٣٧١ هـ .

# كتاب
# "محاضرات فى علم اللغة العام"
## لفردينانـد دى سوسير
## وموقعه فى آثـار الدارسين

للدكتور كمال محمد بشـر

فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن الذى نعيش فيه ، حظى الدرس اللغوى بالقارة الأوربية بعبقرية نادرة المثال . ونعنى بتلك العبقرية ذلك اللغوى السويسرى الشهير فرديناند دى سوسير Ferdinand de Saussure

ويحتل دى سوسير فى نظر الدارسين مكانة خاصة ، قل أن يشاركه أويدانيه فيها غيره من اللغويين المحدثين . إنه فى نظرهم أحد الرواد القلائل الذين وضعوا حجر الأساس لعلم اللغة الحديث . وهو بالإضافة إلى ذلك يمثل مدرسة فكرية جديدة من نوع لم يألفه الناس من قبل : مدرسة استطاعت أن ترسم حدودا واضحة المناهج من البحث كانت بمثابة اللبنات الأولى لكل الاتجاهات الجديدة فى الحقل اللغوى المعاصر .

لسنا ننكر أن القارة الأوربية قد شهدت فى تاريخها الطويل شخصيات لغوية أخرى فذة ، أمثـال همبولت Humboldt ، نورين Noreen ، ماشيس Mathesius ، تروبتسكوى Trubetzkoy ، مييه Meillet وهيلمسلف Hjelmslev . ولكن دى سوسير يفوق هؤلاء جميعاً بميزتين مهمتين :

١ — تعد أفكار دى سوسير وآراؤه بداية علم اللغة الحديث بوصفه موضوعا أكاديميا مستقلا ، كما يبدو فى صورته الحاضرة .

٢ — كثير من الموضوعات والتعريفات العلمية المعترف بها فى العالم الآن ، والتى تعد أساسيات فى الدراسات اللغوية الحديثة ، قد اتضحت لأول مرة على يديه وبفضل جهوده الخاصة (١) .

ومما يؤكد أهمية آراء هذا العالم ويشير إلى خطورة أفكاره ، أن أصبح اللغويون المحترفون يصنفون ويقسمون إلى مجموعات ، منسوبين إليه جميعاً . فهم على رأى أستاذنا فيرث — اما :

١ — Saussureans = السوسيريون .

٢ — anti — Saussureans

(1) See, Robins: General Linguistics: An Introductory Survey, P. 32.

= معارضو السوسيريّين .

٣ — Post — Saussureans

= السوسيريون المتأخرون .

أو ٤— non — Saussureans(1)

= اللاسوسيريو ن .

وما ذلك فى رأينا إلا لأن دى سوسير قد أثر فى الدارسين تاثيرا لا يعدله بحال تأثير أى لغوى فرد على الإطلاق ؛ فقد نجح الرجل فى إثارتهم جميعاً وشد انتباههم إليه ، بما ألقى فى الحقل اللغوى من أفكار جريئة ومبادىء غير مألوفة لهم من قبل . وقد حمل هذا بعض الدارسين إلى اتباعه والتحمس لتعاليمه كما دفع آخرين إلى إلى معارضته والتصدى لنظرياته .

ولا ترجع شهرة دى سوسير ومكانته العلمية إلى كثرة نتاجه أو كثرة المنشور منه. فكل مانشر فى حياته لا يتجاوز ستمائة صفحة ، وهى تشمل رسالته للدكتوراه التى اتبع فى كتابتهــا الخطوط التقليــدية لمناهج البحث ، كما تشمل بحثا قيما عن « نظام الحركات » Vowel systim فى اللغة الهندية الأوربية الأم : Proto—Indo—European وقد قام بهذا العمل الأخير وهو فى سن العشرين ( أو الثانية والعشرين ، على مايرى بعضهم)(2) حين كان طالبا بجامعة ليبزج . ويقول الدارسون : إن هذا البحث — بالرغم من اعتماده على حقائق كانت معروفة آنذاك — يعد أشمل دراسة وأعمقها فيما يختص بهذا الموضوع (٣) . وتنتظم هذه الصفحات المذكورة كذلك دراسات أخرى من أنواع متفرقة .

أما شهرة دى سوسير الحقيقية فتنسب فى الأساس إلى محاضراته القيمة التى ألقاها على طلابه فى معهدين كبيرين من معاهد العلم فى أوربا . أولهما : معهــد الدراسات العليــا بباريس École de Hautes Études حين كان فى الوقت نفسه يشغل منصب الأمانة العامة للجمعية اللغوية هناك . وثانيهما : جامعة جينف ، حين تربع على كرسى الأستاذية سنة ١٩٠٦ خلفا للعالم الكبير Joseph Wertheimer

وقد كانت هذه الفترة الثانية — فترة أستاذيته بجنيف — أخصب سنى حياته وأكثرها تأثيرا فى عقول الدارسين . وهذه الفترة نفسها — بالرغم من قصرها — هى التى شاهدت أفكار هذا العبقرى تجاوز

(1) Firth : Papers in linguistics, P.179.

(٢) انظر مقدمة الترجمة الإنجليزية لكتاب دىسوسير :

Course in General Linguistics, P. XI, translated by W. Baskin (Peter Owen, London 1960).

وانظر أيضا :

New Trends in Linguistics, by B. Malmberg, P. 36.

(٣) مقدمة الترجمة الإنجليزية للكتاب السابق ص xi

الحدود التقليدية للبحث اللغوى ، وتخط للباحثين خطوطا جديدة تتسم بالأصالة والابتكار .

ولقد ألقى الأستاذ محاضرات هذه الفترة الثانية على ثلاث دورات ، بدأت عام ١٩٠٦ ، وانتهت عام ١٩١١ . وكان المفروض أن تخصص هذه المحاضرات كلها لعلم اللغة العام ، ولكن دى سوسير اضطر — بحكم طبيعة عمله فى الفترة الأولى - إلى أن يعرج من آن إلى آخر على تاريخ اللغات الهندية الأوربية ووصف مشكلاتها . ولقد كان من نتائج هذا السلوك — كما يقرر ناشرو هذه المحاضرات — أن الجزء الأساسى من موضوعه ( وهو علم اللغة العام ) لم يحظ بالعناية التى يستحقها (١) .

وقد أدى هذا إلى حرمان الدارسين من مادة قيمة كان بوسع دى سوسير أن يقدمها إليهم فى سهولة ويسر .

وفى سنة ١٩١٣ وضع القدر نهاية لهذا الفكر الخصب بوفاة دى سوسير ، تاركا طلاب اللغة جميعاً بدون مرجع يلجئون إليه لتوضيح آرائه ونظراته ، وهى آراء لا يغنى فيها أى مرجع آخر ، ونظرات يعوزها البسط والتفصيل أحياناً ، هذا بالإضافة إلى أنها — فى جملتها — من ابتكار الرجل ومن صنع ذاته وحده .

وقد كان ذلك حافزاً للنابهين من طلابه إلى جمع « مذكراتهم » الخاصة بعد مراجعتها ومقارنتها بما عسى أن يكون الأستاذ قد تركه من مخطوط لدى أسرته ، وضم ذلك كله بعضه إلى بعض وإخراجه فى صورة كتاب كامل يحمل ذلك العنوان المشهور فى الدرس اللغوى الحديث :

Cours de linguistique générale

وخرج الكتاب إلى الناس لأول مرة سنة ١٩١٦ (٢) بعد جهود شاقة قام بها تلميذاه الوفيان Charles Bally و Albert Sechehaye . وقد ساعدهما فى بعض المراحل تلميذ ثالث هو A. Reidinger وقد اضطروا جميعاً إلى اتخاذ خطوات معينة تضمن صحة المادة وسلامتها والظفر بأفكار أستاذهم كاملة دون تزييف .

ولم يكن هذا العمل بطبيعة الحال أمراً هيناً ، فمذكرات الطلاب مهما بلغت من الدقة يعوزها الوضوح والكمال أحيانا ، بما قد يلحقها من اضطراب العبارة أو تكرارها ، أو تداخل الأفكار بعضها ببعض. ويزيد فى هذا الاضطراب والخلط أن دى سوسير كان يلقى بأفكاره على طلابه ارتجالا ، كما كان كثير الحركة أثناء الإلقاء وقد جعل هذا السلوك مهمة التسجيل لما يقول

---

(١) مقدمة الناشرين للكتاب المذكور ص xiii .

(٢) ترجم الكتاب إلى الألمانية سنة ١٩٣١ ، وإلى الأسبانية سنة ١٩٤٥ ، كما ظهرت له ترجمة انجليزية سنة ١٩٦٠ انظر ص ٢٢٩ ، ملحوظة (٢) ونحن فى سبيل الانتهاء من ترجمته إلى العربية .

أمراً فيه قدر كبير من الصعوبة . ويروى كذلك أن الأستاذ كان يطلق العنان لأفكاره أحياناً وينتقل من نقطة إلى أخرى بدون تنبيـــه لطلابه أو تحذير لهم ، حتى ليكاد يخرج عن الموضوع أو يناقض نفسه من آن إلى آخر .

وقد وضع طلابه القـــائمون بهذه المهمة هذه الأمور كلها نصب أعينهم . ومن ثم راحوا يجمعون ما يمكن جمعه من مذكرات الدورات الثلاث ومقارنتها بعضها ببعض ، معتمدين على محاضرات الدورة الثالثة كنقطة بداية للعمل . وفى نهاية المطاف خرجوا بالكتاب فى صورة متكاملة .

ولكن بالرغم من هذا الجهد الكبير فقد بدت بالكتاب بعض أوجه القصور التى يستطيع أن يدركها من له دراسة بالبحث اللغوى .

من أهم هـــذه الوجوه فى نظرنا ما يتسم به الكتاب من تعقيد واضطراب فى العبارة أحياناً ، حتى ليعجز المرء فى أكثر من مناسبة عن إدراك المقصود . وذلك بالطبع أمر يمكن تفسيره ، إذ من الصعب أن ترقى عبارة الطالب إلى عبارة الأستاذ فى الدقة والوضوح ، وبخاصة فى مثل تلك الظروف التى أحاطت بالقاء دى سوسير لمحاضراته . وقد أحس الناشرون بهذا الأمر ، فكانوا يعمدون إلى توضيح ما استبهم بإشارات تفسيرية فى هامش الكتاب .

وقد يوجه النقد مباشرة إلى الناشرين فى بعض النقاط . من ذلك مثلا أنهم حاولوا نسبة بعض الحقائق العلمية إلى أستاذهم ، بالرغم من أنها كانت معروفة من قبله ، ونوقشت بالفعل فى بحوث سابقة لمحاضراته ، كما يبـــدو ذلك الأمر جليا فى بعض القضـــايا التى أثيرت حول موضـــوع التطـــور الصـــوتى Phonetic change . ولكن الناشرين — مدركين احتمال توجيه هذا النقد — يجيبون — وهم على حق — بأن ما نسبوه لأستاذهم فى هذا المجال ليس تزييفاً للأمور ، وانما هو فى الحقيقة من صنعه ؛ وإن كان ذلك من زاوية معينة . تتمثل تلك الزاوية فى قدرة دى سوسير على ربط هذه القضايا بموضوع آخر لا شك إطلاقا فى أنه صاحبه وصانعه بالدرجة الأولى ، وهو منهجه الخاص بعلم اللغة الذى نعته « بالسنكرونى » synchronic فى مقابل علم اللغة « الدياكرونى »[1] diachronic (انظر ص ٢٣٤) .

على أن بالكتاب نقاط ضعف أخرى ، تظهر فى المادة العلمية ذاتها ولكنها هذه المرة ترجع إلى دى سوسير نفسه . من هذه النقاط ما نلحظه هنا وهناك من إيجاز مخل ، حيث يكتفى الأستاذ أحياناً بلمس

(١) انظر مقدمة الترجمة الإنجليزية للكتاب ، ص Xiii. وما بعدها .

بعض المسائل المهمة لمسا خفيفاً ، فيترك القارىء نهبا للغموض وسوء الفهم . وقد حدث ذلك بالفعل عندما عرض للسيمانتيك أو علم الدلالة أو « السيمية » باصطلاح مجمع اللغة العربية بالقاهرة . فقد أشار إلى هذا الموضوع إشارات عابرة لاتشفى غلة ، ولا تمكن الدارس من التعرف على رأى دى سوسير فيه تعرفاً دقيقاً . هذا ما فعله دى سوسير ، بالرغم من أنه قد ناقش فى ثنايا كتابه بعض الجوانب المهمة للسيمية ، كالرمز اللغوى مثلا أو ما سماه le signe linguistique ، وبالرغم من أن فكرته عن هذا « الرمز » كانت بمثابه الانطلاقة الحقيقية لعلم « السيمانتيك » الحديث ، كما كانت أساساً مهما لتفريع قضاياه وإثارة مشكلاته ، على نحو ما يجرى فى الدراسات المعاصرة الخاصة بهذا العلم .

ربما يعتذر عن دى سوسير هنا بأنه فى حقيقة الأمر لم يكن يهدف فى هذه المحاضرات إلى معالجة كل نقاط الدرس اللغوى ، وإنما كانت لديه أفكار معينة ، يرمى إلى إبرازها وتأكيد أهميتها حتى يتبناها طلابه والدارسون من بعده .

وقد يؤخذ عليه كذلك أنه أهمل أحد طرفى « ثنائيته » المشهورة والمعروفة باللغة langue والكلام parole (١) ، ولم يعطه نصيبا من النظر والدرس . لقد ركز دى سوسير جل اهتمامه أو كله على « اللغة » ووجه كل عنايته إلى « العلم » الذى يكرس جهوده لبحثها وهو « علم اللغة » بالمعنى الصحيح ، على حين لم يأخذ « الكلام» فى حسبانه إلا على ضرب من التسامح وفى حدود ضيقة إلى أبعد حد . ولم يشأ دى سوسير كذلك أن يضع منهجا أو أن يخط مبادىء علم معين لدراسة « الكلام » فى الوقت الذى يعترف فيه بأنه يستحق الدراسة ، وبالرغم من أنه صاحب ثنائية « اللغة — الكلام » التى كان ينبغى أن تقابلها ثنائية فى المنهج أو طرائق البحث .

ولا يعدم قارىء الكتاب كذلك أن يجد أفكاراً يناقض بعضها البعض الآخر ، كما يظهر ذلك مثلا فى استعمال بعض المصطلحات . « فالرمز اللغوى » le signe linguistique بوصفه مصطلحاً ، قد خرج باستعماله عن المفهوم التقليدى وهو « الدال » signifiant وأطلقه على معنى جديد ينتظم مجموع شيئين متلازمين ، هما « الفكرة » concept ( أو ما يشار إليه عادة بالمدلول Signifié ) والصورة الذهنية للأصوات sound — image (أو ما يعرف عند الآخرين بالدال signibiant). وهذا يعنى أن « الرمز اللغوى » عنده وحدة متكاملة ذات جانبين لا يمكن فصلهما أو عزلهما بعضهما عن بعض ، شأنهما فى ذلك شأن صفحتى الورقة (٢) .

(١) انظر ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٢) انظر : مالبرج ، السابق ص ٤١ — ٤٤

وليس ينكر أحد على دى سوسير أو غيره حقه فى استعمال المصطلحات فى مفهومات جديدة ، متى قام بتحديدها ، وبيان المقصود منها ، ولكن الذى نأخذه عليه هو أنه قد خالف هذا الاستعمال بنفسه أحياناً ، حيث كان يطلقه على المعنى التقليـــدى ، وهو « الدال » فقط ، الأمر الذى أدى إلى الخلط وســـوء الفهم لبعض مسائل الكتاب .

ومهما يكن من أمر فكتاب دى سوسير يعد واحداً من تلك الآثار العلمية التى وضعت على الطريق معالم بارزة فى مناهج البحث اللغوى الحديث والتى كونت — بجدتها وعمقها — علما مستقلاله كيانه الخاص.

ولسنا نبالغ إذا قررنا أن محاضرات دى سوسير هذه كانت أكبر أثراً من غيرها فى هذا المجال ، لاحتوائها على أفكار ومبادىء تعرف لأول مرة فى تاريخ الدراسات اللغوية ، أو على الأقل تولت شرح أو تقنين أمثلة جزئية من الأفكار ، كانت تطلق قبله هنا وهناك دون القدرة على الربط بينها وإخراجها فى صورة نظريات أو مناهج متكاملة .

ولعل أبرز سمة يتصف بها كتاب دى سوسير هى اهتمامه بالمبادىء العامة دون الدخول فى الدقائق والتفصيلات ، أو التعرض للأمثلة الجزئية إلا فى النادر اليسير. وفى هذه الحالة الأخيرة ، تظهر عبقرية الرجل فى محاولة التعرف على الخيوط الرفيعة التى تربط هذه الدقائق بعضها ببعض والتى تقود إلى استخلاص قاعدة عامة على نحو ما من هذه الأمثلة المتفرقة .

والكتاب فوق هذا وذاك يمثل خلاصة آراء هذا اللغوى الكبير واتجاهاته نحو عدد من المسائل الخطيرة التى تكون فى جملتها نظرية متكاملة ، جديرة أن تنسب إليه وحده. والحق أن مناقشة أية مسألة من هذه المسائل — على نحو ما جرى فى محاضرات دى سوسير — تقود فى نهاية المطاف إلى نظرية خاصة بهذه المسألة أو تلك . ولكنا بالرغم من ذلك نعد هذه النظريات « الجزئية » أو « النوعية» حلقات متصلة من التفكير تأخذ بيدنا فى النهاية إلى كل متلائم الأطراف متناسق الوحدات ، تتمثل فيما يمكن أن يسمى «نظرية دى سوسير فى البحث اللغوى » .

وقد كانت أفكار دى سوسير ومبادئه اللغوية تدور فى عمومها حول هدفين رئيسين : اولهما : تصحيح بعض الآراء الزائفة التى كانت تشيع فى أوساط التقليديين من اللغويين . وثانيهما : محاولة تخليص البحث اللغوى من تبعيته للعلوم الأخرى وتخصيص علم مستقل ذى حدود معينة يقوم على النظر فى اللغة والكشف عن حقيقتها .

كما كان دى سوسير كذلك يصدر فى كل ما أتى به عن فكرة معينة ألحت عليه إلحاحاً شديداً فى كل أعماله . تتمثل

هذه الفكرة فى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وليست كائناً حيا (إلا على ضرب من المجاز) أو هى حقيقة اجتماعية social fact يمكن أو ينبغى أن تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية الأخرى من التحليل العلمى. واللغة بهذا المعنى، ينبغى أن نأخذها — حين نتناولها بالدرس — على أنها « نظام تركيبى » تتحدد قيمة كل عنصر فيه بالإشارة إلى وظيفته، أى إلى علاقته بالعناصر الأخرى فى هـذا النظام، لا بالإشارة إلى خواصه اللغوية، فيزيائية كانت أو سيكلوجية.

والمبادىء اللغوية التى ألقى بها دى سوسير إلى العاملين فى الحقل اللغوى كثيرة متنوعة. ولكنا هنا سوف نقصر الحديث على مبدأين أو فكرتين اثنتين. ذلك، لأن دى سوسير هو الرائد الأول فيهما، أو — على أقل تقدير — هو صاحب الفضل فى إبرازهما بتلك الصورة التى أدت إلى إحداث ثورة فى التفكير اللغوى، وإلى دفع هذا التفكير إلى آفاق علمية لم يحلم بها سابقوه. أضف إلى هذا أن هاتين الفكرتين تكونان — فى حقيقة الأمر — الإطار العام لوجهة نظر هذا اللغوى الكبير فى دراسة اللغة، كما أنهما تنتظمان — بطريق مباشر أو غير مباشر — أهم الأفكار الجزئية المتناثرة هنا وهناك فى محاضراته.

هاتان الفكرتان هما: أولا: التفريق التام بين طريقين لدراسة اللغـة سماهما « التحليل السنكرونى » و « الدراسة الدياكرونية ». ثانياً: التفريق التام بين ما أطلق عليهما la langue و la parole.

وقد كانت هاتان الفكرتان كلتاهما تمثلان اتجاهين مختلفين تماماً عما تعارف عليه التقليديون من اللغويين.

## الفكرة الأولى:

جاء دى سوسير فوجد اللغويين من قبله يقصرون دراستهم للغة على النهج التاريخى الصرف، أو النهج التاريخى المشوب بشىء من الوصف المبنى على أفكار فلسفية أو معيارية. وقد كانت هذه الدراسة ذاتها ناقصة من بعض وجوهها؛ إذ كانت تعنى — فى الأغلب الأعم — بتتبع الظواهر اللغوية من فترة زمنية إلى أخرى، لا بوصفها عناصر فى نظم لغوية تتبين قيمها بمواقعها فى هذه النظم، وإنما بالنظر إليها كما لو كانت ظواهر منعزلة، أو — بالأحرى — كما لو كانت أمثلة جزئية لا تخضع لقواعد مطردة.

ثار دى سوسير على هذا الخط التقليدى، ورأى أن هناك طريقين مختلفين لدراسة اللغة. أما أحدهما فسماه المنهج « الدياكرونى » diachronic أو التاريخى historical أو ما يدعى أحياناً بالنظرة « الديناميكية » dynamic والثانى هو طريق التحليل «السكرونى» synchronic أو ما عرف فيما بعد

بالوصفى descriptive وقد ينعت أحياناً « بالثابت » static .

ثم أخذ دى سوسير يفرق تفريقاً تاما بين هذين الطريقين ، فالمنهج الدياكرونى أساسه تعدد الفترة الزمنية ، حيث يلاحظ الدارس الظواهر اللغوية من فترة زمنية إلى أخرى ، قصدا إلى التعرف على ما أصابها من تغير وتطور . ولكن « المنهج السنكرونى » خاصته الأساسية وحدة الفترة الزمنية ، مع قصر وظيفة اللغويين فى هذه الحالة على النظر فى وحدات التركيب اللغوى للوقوف على نوع العلاقات الداخلية بينها فى هذا التركيب. إن الدارس — على هذا المنهج — لا يدخل عامل الزمن فى حسبانه ألبته ، وإنما يعنيه أولا وآخرا أن يأخذ اللغة على أنها « نظام تركيبى » ثابت فى نقطة محددة من الزمن لا يتعداها .

فالمنهجان فى نظره صالحان للدراسة ، وضروريان للبحث اللغوى ، ولكن مع التمييز بينهما والتفريق بين وظائفهما . ومن ثم لا يجوز الخلط بينهما أو العمل بهما معاً فى آن . وحذر دى سوسير من اعتماد الدراسة السنكرونية على النظرة التاريخية ، لما يعقب ذلك من الخلط فى النتائج اللغوية ؛ ولكن الطريقة الدياكرونية لها أن تلجأ إلى المنهج السنكرونى ، بل إن ذلك أمر ضرورى حيث إن تعدد الفترة الزمنية يعنى — بداهة — انتظام العمل لأكثر من دراسة سنكرونية سابقة ، كل واحدة منها تختص بفترة زمنية واحدة .

## الفكرة الثانية :

أنهى دى سوسير مناقشته الطويلة فى الموضوع السابق بأن المنهج السنكرونى هو المنهج الواجب اتباعه فى تحليل اللغة ، بالمعنى الجديد الذى أراده لها .

ومن ثم كان عليه أن يحدد أو أن يبين ما يعنيه « باللغة » التى يرى وجوب اخضاعها لهذا المنهج . بدأ دى سوسير هذا التحديد وذاك البيان بالتفريق بين ثلاثة مصطلحات وثلاثة مدلولات ليصل إلى مقصوده . هذه المصطلحات هى :

lalangue, la parole, le langage [1]

(١) المصطلحات الثلاثة التى استعملها دى سوسير فى هذا المقام ( وهى Parole, langue, langage ) مصطلحات فرنسية ، وهى ذات دلالات خاصة عنده ، كما سيتبين لنا فى هذا البحث . ومن ثم حرص كثير من الدارسين على الاحتفاظ بها دون الالتجاء إلى ترجمتها حتى لا يختلط الأمر ويسوء الفهم . ونحن من جانبنا نقرر أن أيا من هذه المصطلحات لايمكن ترجمته إلى العربية ترجمة دقيقة بكلمة واحدة ، على ما هو المفروض أن يتبع فى مجال المصطلحات العلمية . أما الترجمة المناسبة لهذه المصطلحات — فى رأينا — فهى (على الترتيب المذكور بالنسبة للمصطلحات الفرنسية السابقة) : اللغة بالمعنى العام أو المطلق ، اللغة بمعنى النظام التركيبى ذى الحدود والقواعد المعينة ( وهذا المعنى لا ينطبق إلا على اللغة المعينة ، كالعربية فقط أو الإنجليزية فقط إلخ . . . ) . ثم الكلام الفعلى . وقد نكتفى فى هذه الحالة الأخيرة بلفظة « الكلام » وحدها ، قاصدين بها ذلك النشاط اللغوى المنطوق من المتكلم الفرد فى الموقف=

le langage مصطلح فرنسى يستعمله دى سوسير ليريد به ما يمكن أن يسمى « اللغة بالمعنى المطلق » . أنها - عنده - أشبه بالملكة أو الطاقة اللغوية . وهى دائما تتضمن جانبين متقابلتين ، فهى تتضمن نظاما ثابتا مقررا established system كما تتضمن التطور والديناميكية evolution . أو قل : إنها تنتظم مجموع الأحداث النطقية الواقعية فى الكلام الفعلى ، كما تنتظم القواعد اللغوية المقررة فى البيئة الاجتماعية المعينة .

إنها – بهذا المعنى – شئ غير متجانس hetrogenous غير واضح الحدود ، وهى ملك الفرد والمجتمع كليهما ؛ فهى فردية واجتماعية معا ( individual and social ) .

واللغة بالمعنى المطلق عند دى سو سير لها اتصال بمجالات من أنواع شتى ، مجالات فيزيائية مادية physical وفسيولوجية نفسية physiological and psychological

ولكن هذه اللغة ( langage ) ينقصها مبدأ التجانس والوحدة ومن ثم لم يكن فى استطاعتنا دراستها دراسة علمية . والحق أنه ليس هناك علم وحيد يمكن أن يخضعها للنظر والبحث ، كما أنه ليس فى مقدورنا أن نحدد لها مكانا فى أجناس الحقائق الانسانية ؛ إذ من الصعب التعرف عليها أو اكتشاف وحدتها ، إنها – كما يقول هو – inconnaissable .

هذان الجانبان المتقابلان اللذان تتضمنهما « اللغة بالمعنى العام » أو laugage يشيران إلى « ثنائية » دى سوسير الشهيرة أو ما سماهما langue و parole .

أما la parole فيطلقه دى سوسير على ما يمكن أن ندعوه « بالكلام » أوعملية الكلام " speaking " . ويعنى به النشاط الصوتى المادى ، أو هو عبارة عن تلك الأصوات والأحداث المنطوقة بالفعل من المتكلم الفرد فى الموقف المعين . وهو لذلك فردى فقط individual ونفسى مادى psychophysical . والفرد صاحبه وهو المسيطر عليه : يغير فيه بالزيادة والنقص والتطوير . و parole شئ غير ثابت ، إنه مرتبط باللحظة التى يؤدى فيها . إنه ليس حقيقة اجتماعية ، وإنما هو نشاط فردى إيجابى غير مستقر ، وهو وظيفة الفرد وحده la sujet parlant .

---

= المعين ، على نحو ما قصد دى سوسير نفسه بمصطلحه الثالث parole . وهذا المصطلح ذاته قد جرت عادة الدارسين من يكتبون بالانجليزية على ترجمته بالكلمة « speech » . ولكن مترجم كتاب دى سوسير آثر مصطلحا آخر هو speaking ليعنى به parole وخصص المصطلح "speech" للدلالة على ما سماه دى سوسير langage ( اللغة بالمعنى العام ) . وما جرى عليه هذا المترجم الفاضل أدق فى نظر نا لأن كلمة speaking أصدق فى الدلالة على ما عناه دى سوسير باللفظة parole ، وأقرب إلى المفهوم الذى رآه لهذا المصطلح الأخير . ولسوف نسير فى هذا البحث وفقا للترجمة العربية التى اخترناها وإن كان هذا لا يمنع الجمع بين هذه الترجمة ونظيرها الفرنسى بلفظه ، أو الاقتصار على المصطلحات الفرنسية وحدها ، إذا اقتضى الأمر ذلك قصدا إلى الدقة فى التوضيح أو إلى الاختصار فى صيغ المصطلحات .

ثم ينتقل دى سوسير إلى الكلام عن la langue ، فيصورها لنا بالطريقة التالية : إذا استبعدنا من هذا العموم المسمى langage وأخذنا منه كل العناصر الفردية التى تتمثل فى الكلام الفعلى ، وكل الأصوات المنتشرة فى الهواء ، وكل الأحداث الفعلية الواقعة من أفراد المتكلمين، أو – بعبارة أخرى – إذا أبعدنا واستخلصنا la parole من le langage فسوف يبقى لدينا أهم شئ فى الموضوع ، أو سوف نحصل على هدفنا الأصلى وهو la langue أو « اللغة بمعنى النظام الثابت » أو أنماط العادات والقواعد اللغوية التى استقرت فى أذهاننا نتيجة لممارسة النشاط الكلامى الإيجابى فى البيئة .

langue إذن ليس فيها أصوات مادية حقيقية ، وإنما تحتوى على وحدات صوتية ذهنية أو فونيمات phonemes وليس بها كلمات أو جمل منطوقة بالفعل وإنما بها أجناس صرفية نحوية . وهى عرفية تقليدية، وهى وظيفة جماعة المتكلمين la masse parlante . إنها ملك هذه الجماعة وليس للفرد عليها من سلطان ، وهى لذلك اجتماعية فقط social ونفسية صرفة psycho logical وهى مخزونة فى شبه نظام دقيق فى الوعى أو العقل الجماعى conscience collective

إن langue بهذا الوصف الذى أتى به دى سوسير إنما تنطبق على اللغة المعينة كالعربية فقط أو الانجليزية فقط ، آخذين فى الحسبان خاصتيهما الأساسيتين وهما كون كل منهما « نظاما » ، لا أحداثا منطوقة ، وكون هذه اللغة أو تلك اجتماعية ، تنسب إلى جماعة المتكلمين ، لا إلى الأفراد ، بوصفهم أفراداً .

ويوضح هاتين الخاصتين معا تفسيره « للغة » بهذا المعنى المعين بأنها « حصيلة كل القوانين اللغوية التى تحدد استعمال الأصوات والصيغ ووسائل التعبير النحوية والمعجمية فى البيئة اللغوية المعينة » .

وهى - بهذا أو مع هذا - « نظام تركيبى » مكون من وحدات ذات قيم خلافيه لا يمكن التعرف عليها أو الكشف عنها إلا بتحديد مواقعها وبيان علاقاتها مع جاراتها فى التركيب . وفى رأيه أن ذلك أنما يتم بطريق التحليل السنكرونى .

والفرق بين اللغة والكلام كالفرق بين القاعدة وتطبيق هذه القاعدة . والناس لا يتكلمون القواعد وإن كانو يتكلمون طبقا لها ويحاولون تحقيقها ماديا ، كما يظهر ذلك فى كلام الفرد فى الموقف المعين . أو - على حد تعبير دى سوسير نفسه[1] - اللغة تشبه السيمفونية على حين يشبه الكلام العزف على الآلات الموسيقية بالفعل لتحقيق هذه السيمفونية

---

(١) الترجمة الانجليزية ص ١٨

ماديا .أو قل : إن اللغة تقع من الكلام موقع القواعد التلغرافية من عملية إرسال الرسالة التلغرافية نفسها .

و langue يمكن أن تدرس وحدها ، أى بقطع النظر عن تحقيقها المادى وهو الكلام parole . فاللغات الميتة كالسنسكريتية واليونانية واللاتينية وغيرها تجرى دراستها الآن - كما جرت من قبل - فى الجامعات ومعاهد العلم المختلفة ، بالرغم من أن الناس لا يتكلمونها ، ولايستعملها أحد فى التخاطب العادى .

أما الكلام فتحتاج دراسته إلى التعرض لأشياء أخرى ، أو على أقل تقدير ، لابد لهذه الدراسة من النظر فى اللغة ، إذ الكلام لا يكون إلا بوجود اللغة . وصاحبه - وهو الفرد - مضطر دائما إلى أن يتعلم هذه اللغة وإلى أن يظل دائما كما لو كان فى فترة تدريب على كيفية أداء هذه اللغة لوظيفتها .

وإلى هنا يصل دى سوسير إلى تفريق تام بين lavgue و parole ولكنه بالرغم من ذلك لا ينكر وجود علاقة بينهما ، كما لاينكر اعتماد كل واحد منهما على الآخر . إن اللغة - عنده - أداة الكلام من جهة وهى نتاجه من جهة أخرى [٢] . فاللغة تمد الكلام بالقواعد والقوانين التى يجرى على سننها تحقيقه المادى الفعلى ، كما أنها - بوصفها مجموعة من النظم الذهنية - تترسب فى أذهان الجماعة اللغوية المعينة وتختزن فى هذه الأذهان بعد الاستماع الطويل المتكرر إلى المتكلمين ، بوصفهم أفرادا - فى البيئة الخاصة .

والكلام هو الآخر ضرورى لبناء اللغة وتكوينها . وهو وسيلتها إلى التطور والنمو ، ويتم التطور عن طريق تأثرنا بكلام الأفراد الكثيرين من حولنا ، الأمر الذى يؤدى إلى تغيير عاداتنا اللغوية أو تعديلها .

واللغة بهذا المعنى الذى قرره دى سوسير يمكن التعرف عليها وعلى حدودها . وهى متجانسة homogenous ولها بذلك مكان بارز بين الحقائق الإنسانية . ومن ثم نستطيع تناولها بالدراسة ، بل إن اللغة - بهذا المفهوم الخاص - هى الموضوع الأساسى لعلم اللغة

وليس يعنى هذا أن الكلام شئ لا يستحق الدراسة . إنه جدير بها . ولكن هذه الدراسة لاتتم - فى رأيه - فى إطار علم اللغة بالمعنى الصحيح . وإذا كان من الضرورى سحب المصطلح « علم اللغة » عليهما معا ( langue و parole ) .وجب علينا حينئذ أن نتكلم عما يمكن أن نسميه « علم لغة الكلام linguistics of speaking » فى مقابل » علم لغة اللغة « linguistics of language ، على شريطة ألاتخلط

(٢) السابق ص ١٩

بينهما بحال من الأحوال [1]. ومع هذا كله فقد استقر رأى دى سوسير على إفراد langue وحدها بالدراسة وعلى تخصيص « علم اللغة » لها دون غيرها .

....

وإذا كان لنا أن نقف على مدى التأثير الذى أحدثته أفكار دى سوسير فى البحث اللغوى وأن نتعرف على نوع هذا التأثير واتجاهاته أصبح من الضرورى أن نصاحب كتابه المذكور فى رحلته التاريخية الطويلة ، وأن نواكب محاضراته هذه فى مسارها العلمى عبر قارات العالم المختلفة .

لقد بدأت هذه المحاضرات رحلتها فور ظهورها فى صورة كتاب لأول مرة عام ١٩١٦ م . ومنذ ذلك التاريخ حتى هذه اللحظة ، والكتاب يوالى أسفاره ويجد فى مسيرته عبر قارات الدنيا ، غربها وشرقها على سواء ، وإنك لتجده يحتل مكانا بارزا فى مكتبات دور العلم وقاعات الدرس ومنتديات الفكر اللغوى فى كل بلد أراد لنفسه أن يحظى بنصيب من هذه الثروة العلمية الجديدة وتلك الأصالة المنهجية اللتين حملهما الكتاب إلى الناس .

وقد اتخذ تأثير الكتاب فى أعمال الدارسين من بعد دى سوسير صورا عدة ونحا فى ذلك نواحى مختلفة . وإنه لمن الصعب فى هذا المقام أن نحصر هذه الصور أو أن نعدد تلك المناحى . ويحسنا أن نشير هنا إلى أمثلة محدودة فقط من صور هذا التأثير ، وبخاصة فيما يتعلق بمبدأيه الأساسيين اللذين سبقت الإشارة إليهما . ونعنى بهما التفريق بين المنهج الدياكرونى والمنهج السنكرونى ورأيه فى مفهوم « اللغة والكلام » والعلاقة بينهما .

وأول ما يلفت النظر فى هذا الشأن هو أن الكتاب استطاع أن يجذب إليه عددا من اللغويين وأن يوحد بين اتجاهاتهم وأفكارهم الرئيسية بحيث أصبحوا يكونوا مدرسة لغوية جديدة ، عرفت فيما بعد بمدرسة دى سوسير ، أو مدرسة جنيف . . . .

من أشهر أعضاء هذا المدرسة تلميذه الوفى تشارلز بييه الذى « طبق مبادئ أستاذه فى التحليل السنكرونى على اللغة الفرنسية ، والذى استخدم هذه المبادئ ذاتها فى عقد مقارنة بين نظامى اللغتين « الفرنسية والألمانية » . وكذلك سار هذا التلميذ فى ركاب أستاذه

---

(١) بالرغم من اعتراف دى سوسير « بأهلية » الكلام بالدراسة وبالرغم من اقتراحه اطلاق اسم « علم لغة الكلام » linguistics of speaking على العلم الذى يمكن أن يتولى شئونه – فانه لم يشأ أن يحدد طبيعة هذا العلم ، أو أن يبين جوانبه . وقد كان هذا مدعاة إلى اتهامه باهمال أحد طرفى ثنائيته ( اللغة – الكلام ) كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ( انظر ص٢٣٢ ) . وقد رأى بعض تابعيه ( مثل بالمار الانجليزى على ما يروى يسبرسن فى كتابه « الانسانية والأمة والفرد من وجهة نظر لغوية » ص ١٥ ) أن علم النفس هو المختص بالنظر فى « الكلام » ، على حين قرر كثيرون أن « علم الأصوات » ( الفوناتيك phonetics فى مقابل الفنولوجيا phonology ) هو الذى يعنى بدراسته والبحث فيه .

بقبوله مبدأ التفريق بين اللغة والكلام ، وإن كان يرى أن أستاذه قد بالغ فى النظر إلى اللغة على أنها شئ عقلى صرف ، وأنها نتيجة العقل الجماعى . أما هو ( بيبه ) فيؤكد أهمية العنصر العاطفى فى اللغة .

أما أشهر تلامذته وأهمهم على الإطلاق فهو اللغوى الفرنسى الذائع الصيت أنطوان ميّيه الذى أخذ بوجهة نظر الأستاذ فيما يتعلق باللغة بوصفها « نظاما متكاملا متناسق التركيب مترابط الوحدات » والذى حذر - كما فعل أستاذه من قبل - من خطر دراسة عناصر اللغة منعزلة عن سياقها التركيبى . ولكن ميّيه بالرغم من هذا يميل إلى مخالفة الأستاذ فى بعض النقاط . من ذلك مثلا أنه «يأسف لما تعنيه النظرة التركيبية للغة - كما أرادها دى سوسير - من التجاهل الواضح للبشر الذين يستعملون اللغة ومن إغفالها لهذا العنصر المهم عند التحليل » .

وقد رأى هذا الرأى نفسه اللغوى الأسبانى « أمادو ألونسو » أحد المتأثرين بآراء دى سوسير وأفكاره الجديدة . يلخص « ألونسو » موقفه من هذه القضية بقوله : « إن نظرية دى سوسير اللغوية قد ظفرت بوضوحها الرائع وبساطتها المميزة على حساب تجاهل أهم شئ فى الموضوع وهو العنصر البشرى فى اللغة» .

ولم يقف تأثير الكتاب عند هذا الحد الذى ينتهى بتجميع عدد من التلامذة حول آراء الأستاذ ومبادئه ، وإنما استطاعت نظريات دى سوسير ومناهجه أن تنفذ بعمق واتساع واتساع عريض إلى أعمال اللغويين المحترفين على اختلاف بيئاتهم واتجاهاتهم الفكرية .

لقد أحدثت فكرة دى سوسير فى التفريق بين المنهجين الدياكرونى والسنكرونى فى دراسة اللغة ردود فعل واسعة متباينة ، فعارضها قوم فى بداية الأمر، مقررين سلامة القول بوجود هذين المنهجين ، ولكن التفريق التام بينهما - كما فعل الأستاذ الأول - أمر مبالغ فيه ولا تسوغه طبيعة اللغة ذاتها. وحجتهم فى ذلك - كما يرويها واحد منهم وهو يسبرسن الدنمركى - أن الدراسة السنكرونية التى لا تأخذ عامل الزمن فى الحسبان ألبتة لا يمكن تطبيقها تطبيقا سليما على اللغة ، إذ من الصعب « تثبيت » هذه اللغة ووصفها دون الإشارة إلى ما قد تخضع له من تغير وتطور . ودعموا حجتهم هذه بمجموعة من التساؤلات أوردها لنا يسبرسن المذكور على هذا النحو : « متى يجوز لنا أن نقرر أن حالة ما من حالات اللغة قد انتهت ، وأن حالة أخرى قد حلت محلها » ؟ « كيف نتعامل مع تلك الآثار اللغوية القديمة التى تسللت وعادت إلى الحياة فى أساليب لغوية معينة » ؟ أو « كيف إذن نتناول هذه المستويات اللغوية المختلفة الظواهر ، كاللغة الدارجة ، وأساليب النثر العادية ، أو أساليبه الراقية » ؟ « أهذه المستويات لغات مختلفة أم هى لغة واحدة » ؟

على أن هذه المعارضة لم تمنع مبدأ التفريق بين المنهجين من الانتشار والذيوع ، بحيث أصبح لكل منهج أتباع وأشياع . وكان المنهج السنكرونى أسعد حظا من صاحبه وتلقاه الناس بالقبول ، واتجه إليه معظم الدارسين المحدثين فأفادوا منه ، وطبقه كل واحد منهم بصورة أو بأخرى ، والتزموا — بوجه خاص — بما تضمنه هذا المنهج من وجوب النظر إلى اللغة بوصفها « نظاما تركيباً » تظهر قيمة وحداته بطريق النظر فى علاقتها بعضها ببعض .

وهكذا امتد المنهج السنكرونى وأصبح يعنى شيئين متلازمين ، أولهما وصف الحقائق اللغوية ، كما هى فى التركيب فى فترة زمنية معينة ، ومن ثم أطلق عليه فيما بعد « المنهج الوصفى » وثانيهما : تناول اللغة على أنها شكل « تركيبى » لا مادة منطوقة ، مع الأخذ فى الحسبان أن اللغة « كل متكامل » تظهر قيم وحداته عن طريق وظائفها ، وذلك بالإشارة إلى جاراتها فى التركيب ذاته . وقد سمى هذا الوجه الثانى فيما بعد « بالنظرة التركيبية » أو « التركيبية الشكلية » فى البحث اللغوى .

ولسنا نبالغ إذا قررنا منذ البداية أن معظم الاتجاهات اللغوية الحديثــة التى تؤكد أهمية منهج الوصف فى دراسة اللغة إنما ترجع مباشرة بطريق أو بآخر إلى دى سوسير نفسه ، كما ترجع إليه كذلك كل الأفكار الجديدة فيما يتعلق بالنظرة التركيبية إلى اللغة .

تجد هذين الجانبين كليهما واضحين فى أعمال اللغوى الإنجليزى « فيرث » الذى لا يحيد عن مبدأ الوصف فى كل ما أخرجه هو وتلامذته إلى الناس ، كما تراه يلتزم بصورة أو بأخرى بالنظرة التركيبية إلى اللغة . اننا لا ننكر أن فيرث هو الآخر كان رائد مدرسة خاصة به ، تنسب إليه وحده ، كما لا ننكر أنه كان كثير الاعتراض على الفكرة « التركيبية » للغة . بالمعنى الذى عناه رجال التحليل الفونيمى أو التحليل الصوتى الوظيفى ، من الأمريكان . ولكنه من المؤكد كان من رجال « النظـــرة التركيبية » بالمفهوم الذى أراده دى سوسير . تلحظ هذا فى بعض مصطلحاته ، كما تلمسه فى طرائق تحليله للغة .

ولقد أفاد الأمريكان المحدثون من المنهج السنكرونى عند دى سوسير . أفاد منه زعيمهم بلومفيلد المتوفى سنة ١٩٥٣ م ، فالتزم بمبدأ الوصف التزاما واضحا كما طبق النظرة التركيبية فى آثاره وأهمها كتابه الموسوم « باللغة » والمنعوت « بإنجيل علم اللغة » عند الأمريكان . غاية الأمر أن بلومفيلد خلط عمله هذا بمنهج مرحلى ، قوامه النظرة السلوكية إلى الأحداث اللغوية . إن هذه الأحداث عنده لا تعدو أن تكون ردود فعل لمثيرات أو دوافع ، تتبعها استجابات عملية . على أن هذا المنهج السلوكى ذاته لم يخل بالوفاء بمبادىء الوصف والتحليل التركيبى ، وهى مبادىء ترجع فى أساسها إلى العبقرى السويسرى دى سوسير .

ومنـــذ أن خط بلومفيلد هذا الخط ، والدراسات اللغوية الأمريكية كلها على اختلاف اتجاهاتها لا تستطيع تجاوزه ؛ فالوصف أصبح القاعدة العامة عند تلامذته ولاحقيه ، كما سيطرت النظرة التركيبية على جل أعمالهم . يبدو ذلك واضحاً فى أعمال « زليج هارس Z. Harris » المؤسس الحقيقى للنظرة التركيبية فى أمريكا، كما يشهد على ذلك كله كتابه المسمى «طرائق فى علم اللغة التركيبى Methods in Structural Linguistics » :

وكل ما هنالك أن دراسات « هارس » فى هذا الكتاب كانت مركزة على الجانبين الصوتى والصرفى للغة دون كبير اهتمام بالجانب النحوى .

وفى هذه الأيام يخرج إلينا اللغوى الأمريكى « تشومسكى chomsky » بنظرية عدوها آخر صيحة فى البحث اللغوى ، وهى ماسموها » نظرية النحو التحويلى Transformational grammar » .

وإنك إن دققت النظر فى تفاصيلها استطعت أن ترجعها بصورة أو بأخرى إلى فكرة دى سوسير عن الدراسة التركيبية للغة .

والحق أن الأمريكان متأثرون أشد تأثر بالمنهج السنكرونى عند دى سوسير بل لعلهم بالغوا فى ذلك ؛ اذ هم الآن يعاملون اللغة ويتناولونها بالتحليل ، كما لو كانت شيئاً جامداً لا يتحرك ، شيئاً لا يصيبه التغير والتطور .

وجدير بنا هنا كذلك أن نشير إلى أن « النظرة السنكرونية » عند دى سوسير قد وجدت طريقها إلى أعمال الدراسين فى مدرسة « براج اللغوية » على الأقل فى فتراتها الأولى ، أو مرحلتها « الكلاسيكية» كما يطلقون عليها أحياناً . نعم ، لقد كان لهؤلاء القوم ـ كمايقولون ـ معرفة من نوع ما بالمنهج السنكرونى والطبيعيـة السنكرونية للغة ، ولكن فكرة دى سوسير فى هذا الشأن كانت الدافع القوى لتعميق هذه الدراسة وجعل هذا اللون من التحليل خطا تفكيريا عاما فى رحاب هذه المدرسة .

وهناك فى جانب آخر من جوانب القارة الأوربية نجد ذلك العالم الدنمركى الشهير « هيلمسلف » الذى تأتى آثاره امتدادا حقيقياً لطريق دى سوسير فى التركيز على « الخواص التركيبية » للغة ، وفى تناولها على أساس أنها « بنـــاء » أو « شكل » form « لا مادة منطـــوقة substance . إنه يصرح أكثر من مرة أن مهمة علم اللغة إنما هى وصف وحدات اللغة فى التركيب وبيان العلاقات بين هذه الوحدات .

ويستمر هيلمسلف فى تعميق هذه النظرة وتأصيلها حتى يصل بها إلى دراسة رياضية، مستخدما فى ذلك مناهج علم الجبر ووسائله فى التحليل اللغوى . وكان دائم الإلحاح على وجوب الاهتمام « بجوانيه » اللغة ؛ لا بجوانبها « البرانية » ، ومن ثم كان من أهم

أهداف نظريته الوصول إلى ما سماه « علم اللغة الجواني . » إنه — مثل دى سوسير — ينكر أن تكون اللغة مجرد أسماء لمسميات أو مجموعة من الرموز أو علامات مميزة للأشياء فى الواقع الخارجى ، إنها عنده مجموعة من العلاقات والارتباطات بين عناصر التركيب .

والخلاف الواضح بين الرجلين إنما يظهر فى إهمال هيلمسلف للجانب « العقلى أو النفسى للرمز » اللغوى وتركيزه على تحليـــل هذا « الرمز » بطريق « الوظائف الداخليـــة » التى يتكون منهـــا والوظائف الخارجيـــة التى تربطه بغيره من الوحدات اللغوية ، ويتم ذلك كله فى إطار الطريقـــة « الجوانية » للتحليل .

وبالرغم من أن هيلمسلف ينص على أنه وصل إلى نظريته هذه مستقلا عن غيره ، فانه لا ينكر فضل دى سوسير عليه ، وإفادته منه . لقد رأى فى أعمال دى سوسير تأكيدا لآرائه وتشجيعاً لها . وفى اعتقاده أن نظريته هى أول نظرية تمشى فى اطراد على الأسس التى وضعها دى سوسير فى نظريته التركيبية .

أما رحلة هذا الكتاب بالنسبة للمبدأ الثانى من مبادىء دى سوسير — ونعنى به — مبدأ التفريق بين « اللغة » و « الكلام » — فانها رحلة أطول مدى وأكثر تشعباً وأعمق تأثيراً من صاحبتها[1] .

(١) إن دى سوسير يعد فى نظرنا الرائد الأول فى التفريق بين اللغة langue والكلام parole ، بالوجه الذى طلع علينا به ، وبالصورة التى رسمها وحدد معالمها ، بحيث أصبح الجانبان كما لو كانا من طبيعتين مختلفتين ، وبحيث أدى هذا التفريق إلى إحداث تغيير ثورى فى النظر إلى اللغة وإلى خلق مناهج بحث جديدة ما كان لها أن تظهر لولا هذا الابتكار .

ولكن هذا لا ينفى بحال من الأحوال وجود نوع ما من التفريق أو التقابل بين اللغة والكلام فى التراث اللغوى الإنسانى قبل عصر دى سوسير ، ويظهر هذا التفريق النوعى فى صورتين رئيستين :

أولاهمـــا تتمثل فى وجود مصطلحات معينة فى بعض اللغات تومىء أو تشير إلى هذا التفريق النوعى . فى اللغة العربية مثلا ، يوجد المصطلحان : اللغة والكلام ، وبجانبهما أيضاً يوجد مصطلح ثالث هو « اللسان » . وهذه الثلاثية موجودة فى اللغة الانجليزية كذلك . فهناك speech, language, tongue وكان المصريون القدماء يستعملون أحياناً المصطلح ro (بمعنى فم) فى مقابل « لغة » ، على حين كانت الكلمة mūdet تمثل « الكلام الفعلى » speaking .

أما اللاتينية ففيها المصطلحان : lingua و sermo ، وفى الألمانية : sprache و Reda ، وفى الهولندية : taal و rede وفى السويدية : tal, spräok وفى الأسبانية : langue و habla . (جاردنر : نظرية الكلام واللغة ص ١٠٧ ، والمبرج : اتجاهات حديثة فى علم اللغة ص ٤٠) .

فى هذه اللغات كلها يغلب أن يطلق المصطلح « لغة » أو مايقابله (وهو الأول من اليمين فى كل حالة) على العرف أو النظام اللغوى العام ، أو على الحقائق اللغوية بوصفها وحدات فى نظم مقررة يجرى عليها التقليد فى البيئة اللغوية المعينة ، على حين يستعمل « الكلام » وما يرادفه فى معنى النشاط العضوى أو النطق للانسان أو فى معنى الأحداث اللغوية الواقعة بالفعل من المتكلم .

عندما صرح دى سوسير بأن اللغة «حصيلة من الرموز المخزونة فى أذهان الجماعة وأنها بذلك عقلية اجتماعية، ومن ثم كانت الموضوع الأول والأخير لعلم اللغة، وأن الكلام المنطوق شىء مادى فردى وبذلك لا يدخل فى نطاق علم اللغة بمعناه الصحيح — عندما قرر دى سوسير ذلك تشعبت آراء الدارسين من بعده إلى اتجاهين رئيسيين فى هذا الشأن .

أما الاتجاه الأول فهو اتجاه معارض ، ويتزعمه اللغوى الدنمركى يسبرسن الذى ينص على أن هذا التفريق يخالف طبيعة الأمور وواقعها . فاللغة والكلام جانبان لشىء واحد ، وكلاهما عقلى ومادى وكلاهما اجتماعى وفردى ، وليس أحدهما أولى

على أن هذا التقابل فى استعمال هذه المصطلحات لايرقى بحال إلى مستوى التفريق الذى جاء به دى سوسير . فن الواضح أن هذه المصطلحات ( أو أغلبها ) ذات مفهومات واسعة ، وقد يحدث التداخل أو الخلط بينها أحياناً .

« فاللغة » فى العربية مثلا مصطلح ذو مدلولات عدة ، فقد يطلق على الأسلوب ، وقد يعنى اللهجة ، وربما أطلق على « الكلام » نفسه ، هذا بالإضافة إلى معناه التقليدى المشهور .

« والكلام » هو الآخر قد يعنى أشياء كثيرة ، منها : اللغة ، ومجموعة الأصوات المنطوقة ، والحادثة واللهجة ، وقد يكون مرادفا للجملة ، كما فى نحو قول ابن مالك : كلامنا لفظ مفيد ، كاستقم .

وقد يشير إلى هذا التداخل أو الخلط ما لمسناه من استعمال بعض هذه اللغات لهذه المصطلحات . ففى الألمانية والسويدية تستعمل الكلمتان sprache و sprack فى معنى « اللغــة » على حين أن المصطلح الانجليزى speech يطلق على « الكلام » ، بالرغم من انتماء هذه الكلمات الثــلاث إلى أصل لغوى واحد ، كما هو معروف . وفى السويدية تعنى الكلمة tal « الكلام » ولكن المصطلح الهولندى taal يعنى « اللغة » .

وعلى فرض أن هناك فروقا دقيقة بين « اللغة » و « الكلام » فى الاستعمال العام لهذه اللغات ، فان هذه الفروق ذات طبيعة تختلف عما عناه دى سوسير بمصطلحيه المشهورين ، على الوجه المبين سابقا . ولهذا لم يجد أكثر العلماء بدا من الالتزام فى غالب الأحايين بالمصطلحات الفرنسية التى استعملها هذا اللغوى الكبير فى هذا المجال ، حيث تأكدوا أن غيرها من المصطلحات فى اللغات الأخرى لا يستطيع الوفاء بما يرمى إليه دى سوسير ويعنيه .

أما الصورة الثانية التى تشعر بوجود فروق بين « اللغة » و « الكلام » فى التراث اللغوى ، فتظهر فيما يرويه التاريخ عن الهنود القدماء . يروى التاريخ أن هؤلاء الهنود قد وجدت لديهم فكرة التفريق بين هذين الجانبين ، ونصوا على أن « الكلام شىء ، ومعرفة العناصر التى يحتوى عليها هذا الكلام شىء آخر » ، أو بعبارة أخرى — كما يقرر أستاذنا فيرث — « لقد أكد الهندوس القدامى الفرق الكبير بين الكلام ومعرفة هذا الكلام .. أو تحليله من طريق نسبتهم أول تحليل للكلام — وبالتالى نسبتهم أسس قواعد الكتابة — إلى الاله أندرا Indra » ( انظر : فيرث Tongues of Men, P. 15. ) .

وواضح من هذا أن هؤلاء الهندوس كانوا يدركون خواص كل من اللغة والكلام . ولكن هذا الإدراك — فى نظرنا — لم يتعد هذه المرحلة إلى ما بعدها ، بحيث تظهر آثاره فى الدرس العلمى ، وبحيث يضيف جديداً فى طرق البحث اللغوى . وحقيقة الأمر أن هذا التفريق الهندى بين الجانبين كان صادرا عن دافع دينى بحت ، ظهرت نتائجه فى نسبة تلك الأعمال العظيمة — وهى القدرة على التحليل اللغوى ووضع أسس الكتابة — إلى آلهتهم .

وبهذا كله استقر لنا الرأى الذى تبنيناه ، وهو أن ماقام به دى سوسير فى هذا الموضوع يعد أول محاولة علمية فى تاريخ البحث اللغوى .

من الآخر بالنظر والدراسة . وإذا كان لنا أن نفرق بينهما كان ذلك على أساس الواقع والاستعمال ، فنقول مثلا : لغة الجماعة ولغة الفرد . وفى رأى أصحاب هذا الاتجاه أن دى سوسير فى نقطتـه هذه كان متأثراً بآراء « دركايم » فى التركيب الاجتماعى وفكرته حول ما أسماه « العقل الجماعى » أو « الشعور الجماعى » و « العقل الفردى » أو « الشعور الفردى » .

ويميل إلى هذا الرأى فى عمومه أستاذنا فيرث . والحق أن فيرث لم يتورط فى موضوع التفريق بين اللغة والكلام بالصورة التى خرج بها دى سوسير إلى الأوساط اللغوية . إن فيرث لا يرى التفريق بينهما ، إذ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، لا فى النظر ولا فى التطبيق . ويبدو أن فيرث كان أكثر اهتماما بالأحداث المنطوقة - سواء أسميتها لغة أم كلاما ؛ لأن هـذه الأحداث هى اللغة الحية التى تحمل فى طياتها الحقائق الاجتماعية والثقافية فى المجتمع المعين . وسر هذا الاهتمام من فيرث ليس غريباً عن منهجه العام فى دراسة اللغة . إنه منهج يقوم على نظرية « المقام » أو سياق الحال context of situation . ومعناه عنـده أنه لا يمكننا دراسة اللغة منعزلة عن سياقها الاجتماعى الذى تستعمل فيه .

ويسير الاتجاه الثانى فى ركب الأستاذ مع خلافات يسيرة لا تخرج السائرين فى هذا الطريق عن الإطار العام الذى حدده دى سوسير . ومن البديهى أن يسلك تلامذته هذا النهج ، كما سبق أن بينا فيما يتعلق بتلميذه « بييه » الذى وافق أستاذه فى قضيته هذه ، ولكنه تخلف عنه حين قرر أن دى سوسير قد بالغ فى التفريق بين اللغة والكلام .

وهناك خارج « مدرسة جنيف » يقابلنا « بالمار » الإنجليزى الذى يحذو حذو دى سوسير فى مبدأ التفريق فى عمومه ، ويقدم لنا تفسيرات أخرى لبيان الفرق بين اللغة والكلام . إنه يشبه الفرق بينهما بالفرق الذى يوجد بين القواعد والنظم والتلغرافية وإرسال الرسالة التلغرافية نفسها عن طريق استخدام هذه القواعد . أو قل إنه كالفرق بين قواعد الموسيقى ونظمها وبين العزف نفسه .

وكذلك الحكم على جاردنر الذى ينضم فى نظرنا إلى أصحاب هذا الاتجاه . يظهر اتباعه لهذا المنهج فى تفسيره للحقيقة اللغوية وعناصرها وشرحه للعملية اللغوية وميكانيكيتها .

والحق أن جاردنر يفصح عن منهجه هذا بعنوان كتاب له ينتظم صراحة وبلا غموض فكرة التفريق السويسرية ، إذ أطلق عليه The Theory of Speech and Language « نظرية اللغة والكلام » .

وامتد هذا التأثير إلى واحد من أشهر المهتمين بالسيمانتيك أو علم المعنى فى انجلترا. ذلك هو أولمان الذى يسير على الدرب ذاته ، حين يقرر بوضوح أن « اللغة نظام من رموز صوتيه مخزونة فى أذهان أفراد الجماعة اللغوية ، ولكن الكلام نشاط مترجم لهذه الرموز الموجودة بالقوة إلى رموز فعلية حقيقية » .

ولم يكتف أولمان بهذا التفريق النظرى ، بل ظهر أثره فى أعماله فى أكثر من صورة . من ذلك مثلا أنه ينص على أن التحليل اللغوى ينبغى أن « يسير فى خطين متوازين » أحدهما يعنى بالجانب المادى وهو يتمثل فى الأصوات المنطوقة بالفعل والآخر يختص بالنظر فى الجانب العقلى وهو المعنى .

وما هذان الجانبان فى نظرنا إلا انعكاس صادق لفكرة « الثنائية » التى جاء بها دى سوسير . ويظهر هذا التأثير بصورة أعمق فى مواضيع أخرى مهمة أولاها أولمان عناية كبيرة .

من أبرز هذه المواضيع ما شغل أولمان به نفسه حين أراد تفريع علم اللغة إلى فروعه المختلفة . لقد قام هذا الباحث بتفريع هذا العلم تفريعا يطابق هذه الثنائية اللغوية مطابقة تامة . من ذلك مثلا أنه لم يدخل «الفونانيك» ( علم الأصوات Phonetics ) فى قائمة فروع علم اللغة على أساس أنه مختص بالنظر فى أصوات الكلام ، وهى أصوات مادية ، ليس من شأن اللغوى أن يعرض لها إلا بوصفها وسيلة لا غاية . أما العلم الذى نص عليه ، ورآه أهلا لنظر اللغويين فهو «الفنولوجيا» ( أى علم وظائف الأصوات Phonology ) أو علم الوحدات الصوتية للغة ، لا الأحداث الصوتية المنطوقة فى الكلام الفعلى .

أما التأثير الواضح لفكرة التفريق بين اللغة والكلام التى أتى بها دى سوسير فيظهر فى أعمال مدرسة مشهورة فى البحث اللغوى الحديث تعرف « بمدرسة براج اللغوية » . نلمس هذا التأثير عميقاً فى ذلك المبدأ المنسوب إلى رواد هذه المدرسة فى فتراتها الأولى . ونعنى به مبدأ التفريق التام بين علمين أو منهجين اثنين لدراسة الأصوات ، أحدهما هو «الفونانيك» ، والآخر هو « الفنولوجيا». ويخصصون الأول لدراسة الأحداث الصوتية المنطوقة فى الكلام الفعلى ، أما الثانى فيكرس جهوده فى النظر فى النظم الصوتية للغة المعينة ودراسة وظائف أصواتها فى التركيب .

ولقد كان هناك فى أواخر القرن التاسع إحساس عام بين اللغويين بوجوب التفريق

بين الأصوات المنطوقة ، وأنماط الأصوات أو الوحدات الصوتية . فكر فى هذا التفريق — بصورة ما — يسبرسن الدنمركى وسويت الإنجليزى ، ولكن وضع الحدود الفاصلة بين الجانبين إنما جاءت بطريقة حاسمة على يد الدارسين التشيكيين . وكان زعيمهم فى هذا الشأن هو العالم الشهير « تروبتسكوى » الذى وضع أسس « الفنولوجيا » ، ومناهج البحث فيه ، بوصفه فرعا من فروع التحليل اللغوى ، مناظرا ومقابلا للفوناتيك .

ولقد اعتمد تروبتسكوى فى عمله هذا على فكرة دى سوسير فى التفريق بين اللغة والكلام ، حيث طابق هذه الثنائية بثنائية « الفوناتيك والفنولوجيا » وحكم على الفوناتيك بأنه من العلوم الطبيعية ، على حين عد الفنولوجيا منهجاً لغويا أو فرعا مهما من فروع علم اللغة . وبالرغم من اعتراف تروبتسكوى بأهمية الفوناتيك بالنسبة للفنولوجيا وعلم اللغة بعامة ، فقد قوبل بما قوبل به دى سوسير من اعتراضات على مبدأ التفريق بين الجانبين ، فكلاهما مبالغ فى نظرته ، إذ اللغة والكلام — فى رأى المعارضين — شيئان لا ينفصلان ، وكذلك لا تتم الدراسة الصوتية دراسة دقيقة دون الاعتماد على الفوناتيك والفنولوجيا كليهما .

ومهما يكن الأمر فمن المؤكد لدى الدارسين أن مبدأ التفريق الذى أتى به دى سوسير هو الأساس الحقيقى لظهور مدرسة صوتية مميزة ، ما كان لها أن تظهر بمنهجها هذا لولا أفكار هذا السويسرى العظيم . هذه المدرسة هى « مدرسة براغ للصوتيات » .

وهناك فى الجانب الآخر من الصورة مجموعة من اللغويين فى بلاد العالم المختلفة لم تشأ أن تقف عند مسألة التفريق بين اللغة والكلام وقفة خاصة ، وأن تبدى رأيا حاسما واضحاً فيها ، ولكنا مع ذلك نلمح فى آثار بعضهم الميل أحياناً إلى التسليم بمبدأ التفريق فى بعض صوره .

من ذلك مثلا ما يعمد إليه البعض فى أمريكا بالذات من محاولة الإشارة إلى الطبيعة المادية للكلام فى مقابل الطبيعة التركيبية أو « النظامية » للغة . ومن ثم نرى هؤلاء

يضعون حدوداً من نوع ما بين الفوناتيك والفنولوجيا . حتى لتجد الواحد منهم يعد « الفوناتيك » فرعا ثانوياً من فروع علم اللغة ، أو تخرجه نهائياً من هذا الحقل ؛ على حين يضع الفنولوجيا فى قائمة الفروع الأساسية لهذا العلم ، بوصفه منهجا يعنى باللغة أو بنظامها الصوتى ؛ لا بالأحداث المادية للكلام المنطوق . يظهر هذا السلوك فى أعمـــال هُكِت الأمريكى ، ويشبهه إلى حد ما فى ذلك روبنس الإنجليزى .

**كمال محمد بشر**

# شخصيات مجمعية

**فى الساعة السادسة من مساء الاثنين ٢٩ من ذى الحجة سنة ١٣٩١هـ الموافق ١٤ من فبراير سنة ١٩٧٢ ، أقام المجمع فى دار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع ، حفل استقبال الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة عضو المجمع من تونس ، وفيما يلى ما ألقى فى الحفل من كلمات :**

**الدكتور الشيخ**
**محمد الحبيب ابن الخوجة**

# كلمة الأستاذ زكى المهندس فى استقبال

أيها السادة : فى مثل هذا اليوم من العام الماضى وفى هذه القاعة نفسها سعد المؤتمر باستقبال زميل كريم وعالم جليل هو السيد الأستاذ الشاذلى القليبى وزير الثقافة التونسى الذى اختير عضوا عاملا بالمجمع من تونس الشقيق ، خلفا للعالم الكبير الأستاذ المغفور له حسن حسنى عبد الوهاب ؛

والليلة سعد المجمع كل السعادة أن يستقبل زميلا كريما آخر من تونس الشقيق وخلفا للمرحوم الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور وهو السيد الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة عميد كلية الشريعة وأصول الدين فى جامعة الزيتونة وأحد أركان النهضة الفكرية العربية ، وإن المجمع إذ يهنىء الزميل الجديد بما نال من ثقة وتأييد ليسره كل السرور أن يرى كفاية عربية جديدة تضاف إلى كفاياته ، ونشاطا علميا جديدا سيلتقى بنشاطه ، فكذلك كان المجمع . وسيظل مثابة للثقافات العالية وملتقى للكفايات الممتازة

إننا إذ نستقبل الزميل الجديد لا ننسى أن اسم تونس الشقيق ، وقد اقترن بهذا المجمع وقت نشأته ؛

فقد كان المرحوم الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب من أولئك الرواد الأوائل الذين حملوا رسالة المجمع وشارك فى وضع الأسس والقرارات التى مازلنا حتى اليوم نفيد منها ، ونعمل فى ضوئها ، ثم بعد ذلك أتى إلينا المرحوم الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ، فكانت له مواقف وكلمات وتعليقات فى المجمع مازلنا نذكرها له بالإعجاب والتقدير ؛

وهانحن أولاء الليلة نظفر بعالم جليل كما ظفرنا فى العام الماضى بأستاذ جليل ، وهكذا سيظل تونس دائما يزودنا بالعلماء الأجلاء الذين يشاركوننا فى تأدية رسالة المجمع ، وإننا لعلى ثقة أن زميلنا الجديد بما يعرف عنه من نشاط وكفاية سيشغل هذا الفراغ

الذى تركه المرحوم الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور بيننا ، وسيكون خير خلف لخير سلف ، فمرحباً بالزميل الجديد فى أسرة المجمع ، وأهلا به بين الخالدين . أما الآن – أيها السادة – فسيتولى استقبال الزميل الجديد الكريم الدكتور مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية ، فليتفضل وشكراً .

## • • كلمة الدكتور ابراهيم مدكور

سيدى الرئيس ، سادتى :

زرت تونس منذ ثلاث سنوات فى مهمة خاصة بتكليف من المجمع ، ولمست حين ذاك أن للعربية فيها جذوراً أصيلة وعميقة ، برغم منافسة الفرنسية الشديدة وتعصب فريق لها . وبدت لى آثار ذلك واضحة فى أقلام الكتاب وعلى ألسنة الخطباء فى الإذاعة والصحافة ، فى الدرس والمحاضرة ، فى الأندية والمجالس ، بل فى الحديث الدارج بين الناس ، ولم يتسع لى الوقت لتفهم مدى هذه الظاهرة ، والوقوف على ما وراءها من عوامل وأسباب .

ونعمت هذا العام بزيارة هذا القطر الشقيق مرة أخرى ، فتوثقت صلتى به ، ووقفت على كثير من شئونه ، وزاد اتصالى بشبابه وشيوخه ، وتنقلت بين أطرافه وجوانبه ، وزرت عددا غير قليل من مدنه وشواطئه . ولست فى حاجة أن أتحدث عما حظيت به من رعاية وعناية أعتقد مخلصا أن مردها الأول إلى مجمعكم الموقر ، وإنى لعاجز كل العجز عن أن أوفى تونس والتونسيين حقهم من الحمد والثناء ، أما الزملاء والأصدقاء فأنا مدين لهم بمودتهم الصادقة وأخوتهم الكريمة ، وأتيحت لى الفرصة مرة أخرى لأتبين فى دقة موقف العربية فى هذا القطر الشقيق ، وقد وجدتها صامدة لتقلبات الدهر ، تصارع وتجالد ، وتسترد مكانتها بعد ما أقامه الاستعمار فى طريقها من أشواك ، ولا سبيل بحال للغة أخرى أن تحل محلها .

ولا غرابة فالشعب التونسى عربى صميم ، عربى فى أصله ونشأته ، يعتز بماضيه وتراثه ، ويسعى جاهداً إلى أن يستعيد مجد الأغالبة والحفصيين ، عربى فى حاضره ، يحس إحساساً صادقاً بعروبته ، ويشعر شعوراً خالصاً بأنه جزء من الوطن العربى الكبير . يهتز طربا لأمجاده وانتصاراته ويأسى حزنا وكمدا على ما يحل به من ويلات ونكبات وإن شعبا أنجب ابن رشيق القيروانى بالأمس وأبا القاسم الشابى اليوم لا يمكن أن تصاب العربية فيه بسوء .

ومن حسن حظ هذا البلد الأمين أن قام فيه معهد من معاهد الإسلام الخالدة ، وهو جامع الزيتونة ، ثمرة الماضى وعون الحاضر. وهو أحد مساجد ثلاثة فى أفريقيا لها شأنها فى تاريخنا الثقافى الطويل ، قام إلى جانب الأزهر والقرويين على رعاية التراث الإسلامى وتعهده . أسس أولا ليكون مصلى ومقرا للعبادة ، ثم شاء الحفصيون أن يجعلوا منه أيضاً معهد للدرس والبحث ، فجلبوا إليه الشيوخ والعلماء من الأندلس وصقلية . وأصبح جامعة إسلامية مكتملة ، تعنى بالعلوم النقلية والعقلية ، فدرس فيها الفقه والحديث والتفسير ، والتاريخ والأدب واللغة ، كما درست الفلسفة والرياضة والطب . وكان لهجرة علماء الأندلس فى القرن السابع الهجرى إلى تونس شأن فى ازدهار ثقافى كبير عمر بضعة قرون . واتصلت الزيتونة بالمعاهد الإسلامية الأخرى ، ، وبخاصة الأزهر الشريف .

وتخرج فيها عدد غير قليل من الأئمة والعلماء ، والكتاب والأدباء ، ويكفى أن أشير إلى أن ابن خلدون عالم تونس الكبير نهل من حياضها .

قضت هذه الجامعة التونسية نحو ثمانية قرون تسير فى طريقها ، وتنشر العلم والثقافة. وفى القرن التاسع عشر أريد تطويرها ، والتطور سنة من سنن الحياة . ولم ير القائمون عليها بأسا فى أن يسايروا الزمن ويلائموا بين الحاضر والماضى . وما الجمعية الخلدونية إلا صورة من صور هذا التطور ، أنشئت عام ١٨٩٦ على هدى من تعاليم الأستاذ الإمام ، وقد كان له بتونس صلات وثيقة وقصد بها أن تعلم فيها العلوم العصرية باللغة العربية ، وأقبل عليها طلاب الزيتونة ، ورغبوا فى أن يمتد هذا التعليم إلى معهدهم ، واستجاب المسئولون لذلك ، وأخذت حركة الإصلاح تقوى وتشتد . وجمعية قدماء الصادقية دعامة أخرى من دعائم التجديد

والإصلاح ، ربى أبناوها على أساس من الثقافة الفرنسية ، ولكنهم ما لبثوا أن مزجوها بالثقافة العربية ، فتلاقت الصادقية فى البداية مع الخلدونية ، وقد قاما معا على أكتاف الزيتونة ، وجاء الصد للتطور المنشود .

وقد أضحت الزيتونة نفسها واحدة من كليات جامعة تونس الحديثة ، وتضطلع بوجه خاص بعلوم الشريعة وأصول الدين ، وتؤدى رسالة عظمى فى ميدان الثقافة التونسية ، ولا يقف اشعاعها عند تونس وحدها ، بل يمتد إلى أبناء أقطار أخرى فى أفريقيا وآسيا ، يفدون إليها وينهلون من حياضها .

وللزيتونة أياد على مجمعنا هذا ، أسهمت فيه منذ إنشائه ، أمدته بأئمة أعلام ، وغذته بغذاء صاف كريم . فكان الخضر حسين من أعضائه المؤسسين ، ولاتزال بحوثه القيمة حجة يرجع إليها . واختير الشيخ الجليل محمد الطاهر ابن عاشور بين أوائل

أعضائه لمراسلين ، وهو من نعرف تفانيا في خدمة اللغة والدين ، ، استمساكا بكلمة الحق ، أطال الله بقاءه ونفع به الإسلام والمسلمين ، وحسني عبد الوهاب ، وإن كان صادقاً النشاة ، لم يفته أن ينهل من جامع الزيتونة ، فأكثر التردد عليه وعلى خزائن كتبه حتى اختلط بالمحيط الزيتوني وامتزج به ، ، قد كان من أعضاء المجمع المؤسسين . ونعمنا معه بزيتوني آخر كبير هو الخالد الذكر محمد الفاضل ابن عاشور ، وقد عرفتموه فاضلا حقا ، وعالما كبيرا ، وإماما من أئمة الأدب ، اللغة والفقه والتشريع .

* * *

، ها نحن أولاء نستقبل اليوم تلميذه وصفيه ، الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة ، وهو زيتوني النشاة والثقافة . نستقبله ليشغل كرسي استاذه ، ولو كان الأمر ميراثا ماكان أحد أحق به منه ؛ على أنكم اخترتموه وانتم على يقين من أنه خير خلف لخير سلف . وما اظن انى رايت تلميذا شبيها بأستاذه شبه الحبيب بالفاضل . يحاكيه في زيه وسمته ، ويتسم بما اتسم به من شمائل وخلال ، ويسير على نهجه في درسه وبحثه .

وقد قدم الاستاذ لكتاب « مناهج البلغاء » الذي أخرجه التلميذ ، وفي هذه المقدمة ما يعبر عن البنوة الروحية والود الأثر ، يقول الفاضل : « إنه سرى في نفس الحبيب ما سرى من نفحات نفسي ومدارك عقلي وحسي » . ورحمة الله على الراحل الكريم ، ومرحبا بالقادم العزيز ، وسأترجم له في اختصار ، وأشير إلى شيء من جوانب نشاطه وثقافته .

ولد الحبيب في أوائل العقد الثالث من هذا القرن ، ونشأ في بيئة دينية محافظة ، وأسهم في تثقيفه البيت والمدرسة ، فالتحق بالمدارس القرآنية الابتدائية ، وكان أبوه يرعاه ويوجهه ، ويشرف على دروسه في اللغتين العربية والفرنسية ، وفي سن الرابعة عشرة دخل المدرسة الصادقية ولم يكد يمضي فيها عامين حتى بدأت الاضطرابات السياسية ، ولم يكن بد من أن يسهم فيها شاب مثله ، وداعي الوطن عنده مستجاب دائما ، وكان جزاؤه أن نال شرف السجن والطرد من المدرسة في سبيل أمته وبلاده . وما أن أطلق سراحه حتى ألحق بجامع الزيتونة ، وفيه أتم دراسته الثانوية والعالية . واستطاع أن يضيف إليه دراسة قانونية ، وحصل على شهادةالحقوق التونسية ويوم أن اكتمل إعداده اجتذبته المعاهد المختلفة ، فدعي للتدريس في ثانوية الجمعية الخلدونية ، وثانوية الدراسةالزيتونية ، ومعهد البحوث الإسلامية للجمعية الخلدونية ، ولما يجاوز الرابعة والعشرين . وفي عام ١٩٥٠ نجح في مناظرة التدريس من الطبقة الثانية ، وانتدب بعد ذلك بقليل أستاذا بالتعليم العالي بالجامعة الزيتونية ، وقضى فيها إحدى عشرة سنة . ثم شاء أن يضيف الثقافة الغربية إلى ثقافته العربية ، فالتحق

بجامعة باريس التي منحته درجة الدكتوراه بمرتبة « الامتياز الفائق » بعد عامين اثنين ، وأصبح فى آن واحد الشيخ الزيتونى والدكتور السربونى . ثم عاد إلى وطنه ينشر العلم فى أرجائه ، ويوفى الزيتونة بعض حقها عليه ، وقد عين أستاذا بها ، ولم يبعده عنها إلا عمل بمصلحة النشر بوزارة الثقافة أشرف فيه على إخراج طائفة من الكتب القيمة ، وهو اليوم عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ؛

ولم يقف نشاط الحبيب عند تونس بل جاوزها إلى أوساط ثقافية مختلفة ، فدعى للتدريس فى جامعة محمد الخامس ، والقرويين بفاس ، وجامعة بنغازى ، وبكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالبيضاء . وحاضر بدار الفكر بالرباط ، وفى الجزائر بدعوة من وزارة الثقافة . وكان للمشرق فيه نصيب ، فحاضر فى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، وفى جامعة آل سعود بجدة . أما رحلاته وأسفاره فمتعددة ، زار فى العالم الإسلامى القاهرة ، وبيروت ، وجدة ، والمدينة ، وكراتشى ، وفى أوربا باريس ، ولندن ، وبرلين ، وبون وفرنكفورت ، وليبتز ، وبلجراد ، وبودابست . وأسهم فيما يزيد على عشرة مؤتمرات ، بين أدبية وثقافية ، عقدت فى تونس أو فى غيرها من عواصم العالم الإسلامى . واشترك فى عدة هيئات ، فهو عضو بلجان الموسوعة الفقهية وإحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو قديم بالجمعية الخلدونية ، وعضو بالشبيبة المدرسية لجمعية قدماء الصادقية ، ورئيس للشبيبة الزيتونية ، وجمعية طلبة شمال أفريقيا ؛

* * *

وما أشبه الحبيب فى نشاطه العلمى بشيخه الفاضل ، إنتاجه غزير ومتنوع ، درس وحاضر وحقق وأخرج ، وكتب وألف ، كتب بالعربية وبالفرنسية معا ، قام بهذا كله ولما يبلغ الخمسين فى نشاط الشباب ورجاحة الشيوخ . ويدور إنتاجه حول أبواب ثلاثة : بحوث إسلامية ، ودراسات فى الأدب واللغة والتاريخ ، وتحقيق لبعض نفائس التراث القديم . فعرض الزميل الكريم للعمل والجهاد فى الإسلام ، وعالج موضوع الأخلاق الإسلامية وموقف الإسلام من التطور والتجديد وقد ظهرت سلسلة من هذا أخيرا تحت عنوان : مواقف إسلامية وعنده أن الإسلام دين جد وعمل لا خمول وكسل ، والعمل فيه مناط التكليف وأساس المسئولية ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنـــون » والجهاد لفظة إسلامية واسعة الدلالة ، يقصد بها خاصة مجاهدة العدو الظاهر والعدو الباطن؛ وترمى مجاهدة العدو الظاهر أولا إلى نصحه ودعوته إلى الرشاد ورفع راية الأمن والسلام ، فإن أبى إلا العدوان والخصومة لم يكن بد من الذود عن الحياض والدفاع عن دار

الإسلام : وليس عدونا الباطن شيئاً سوى أهوائنا وشهواتنا ، ومجاهدتنا لها هى الجهاد الحقيقى أو الجهاد الأكبر ، لنقف فى طريقها ونترفع عن الخطايا والدنايا . ولم يكن الجهاد فى الإسلام قط مجرد عدوان للظفر والغلبة ، أو الاستعمار والسيادة ، ولا محل لأن يفسر فقط بالحرب والقتال ، بل هو معالجة طويلة ومتنوعة ربما كانت الحرب آخر وسائلها . ومن الخطأ أن يقال إن الإسلام لم ينشر إلا بالسيف . ولاشك فى أن الدعوة الإسلامية السمحة تقوم على أساسين هامين : كفالة الحريات ، وإقرار السلام « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ، « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . ويحرص الزميل الكريم فى بحوثه هذه على أن يصدر عن الكتاب والسنة وأن يستخلص منهما الأهداف الحقيقية للإسلام . وهو يرى أن تعاليم الإسلام تواجه شئون الدين والدنيا ، وليس فيها ما يتعارض مع أصول الحضارة الصحيحة أو الرقى السليم . أما الدعايات الهدامة ، والأيديولوجيات الكاذبة فليست من الدين ولا من الحضارة فى شىء . وهل من سبيل لأن تقوم حضارة على الماديات وحدها إنها بذلك أشبه ما تكون بحياة الغابات والجاهلية الأولى والإباحية المطلقة ، وهذا ما تشقى به بعض المجتمعات الغربية اليوم ، وما أجدر مجتمعاتنا الإسلامية أن تتحرر من هذه الآفات . وللشيخ حديث طويل فى هذا ألقاه تحت عنوان : « الإسلام وأزمة مجتمعاتنا الحاضرة » بالجزائر فى ديسمبر الماضى بمناسبة الأسبوع الثقافى التونسى .

* * *

وقد عنى زميلنا بالدراسات الأدبية واللغوية والتاريخية عناية كبيرة ، فعرض لبعض الكتاب والشعراء القدامى والمعاصرين ، أمثال الشاب الظريف ، وصفى الدين الحلى ، وشوقى ، والجارم ، وأحمد أمين . واتجه خاصة نحو الأدب ، التونسى ، يحيى ماضيه ، ويحلل حاضره ، تتبع مراحله ، من الفتح والمعهد الأغلبى إلى الدور العبيدى والصنهاجى ، ومنه إلى العهد الحفصى ثم التركى ، ويقف عند العصر الحديث عصر النهضة والتجديد . وله عشر محاضرات فى الشعر العربى المعاصر بتونس ألقيت فى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، ولم يفته أن يعالج موضوع الأزجال والموشحات فى الأندلس وبلاد المغرب العربى .

واستوقفته الدراسات النحوية والبلاغية طويلا ، فدرس نشأة النحو العربى ، وبين المدارس النحوية المتعاقبة فى المشرق العربى ، وأشار إلى ما أدخل على النحو من اصلاحات وتجديدات وعلى نحو شبيه بهذا تصدى لنشأة علم البلاغة والمذاهب البلاغية ، وعالج قضايا النقد وما يتصل بها . وفرق بين المدارس البلاغية المختلفة ، وبين أثرها فى الفنون الأدبية .

وله بحث طريف ودقيق فى هجرة الأندلسيين إلى أفريقية فى القرن السابع الهجرى ، وهى هجرة أشرنا إليها من قبل ، وسبق للشاعر الطليطلى أن توقعها قبل ذلك بنحو قرن ونصف حين قال :

يا أهل أندلس شدوا رحالكـــم
فـــا المقام بها إلا من الغلـــط

السلك ينثر من أطرافـــه وأرى
سلك الجزيرة منثورا من الوســط

من جاور الشر لا يأمن بوائقـــه
كيف الحياة مع الحيات فى سفـــط

وقد اتجه مهاجرو الأندلس نحو شمال أفريقيا ، فاستقر به منهم من استقر ، وأوغل فى الرحلة فريق آخر ، اتجه نحو مصر والشام والحجاز . وكان لتونس من هؤلاء المهاجرين نصيب كبير ، نزلوا أهلا ومكانا سهلا ، وأسهموا فى الحضارة والثقافة التونسية إسهاماً واضحاً ، ولا تزال فى تونس أسر معروفة بأصولها الأندلسية ، وأسرة آل عاشور واحدة منها . ويحرص الأستاذ الحبيب على أن يقف عند الأثر الثقافى لهذه الهجرة ، ويلاحظ بحق أن هؤلاء المهاجرين قد غذوا الحركة الفكرية فى تونس بغذاء خاص ، فكان منهم القراء والمحدثون ، والفقهاء والمؤرخون ، والأدباء والعلماء . ويسرد صاحبنا أسماء عدد وفير منهم ، نذكر من بينهم ابن الأبار الأديب الشاعر من بلنسيه ، وكان من أوائل الوافدين ( ٦٣٥ هـ ) ، وابن البيطار ( ٦٤٥ هـ ) النباتى الكبير ، وهو من مالقه ، أقام بتونس زمنا ، ثم رحل إلى مصر ، وكان رئيس العشابين بها وابن سيد الناس ( ٦٥٧ هـ ) الفقيه والمحدث تلميذ ابن خروف وابن جبير ، وهو من اشبيليه ، وابن عصفور ( ٦٦٩ هـ ) النحوى المشهور تلميذ الشلوبين ، وهو من أشبيليه أيضاً ، وحازما القرطاجنى ( ٦٨٤هـ ) الشاعر والناقد واللغوى ، ولزميلنا صلة وثيقة به سنعرض لها بعد قليل . وعن هؤلاء وزملائهم الآخرين أخذت الأسانيد الأندلسية ، وعرفت المذاهب النحوية ، وحفظ الشعر والأدب الأندلسى ، وكتب العلم والتاريخ . ونشأت باختصار مدرسة أندلسية تونسية ، كان فيها الفقهاء والمحدثون ، والنحاة واللغويون ، والنباتيون والرياضيون .

وللشيخ الحبيب ولع خاص باحياء التراث وتحقيق النصوص ، وأغلب الظن أن شيخه الأكبر الطاهر ابن عاشور وأستاذه الفاضل غرسا فى نفسه ذلك . فأولع به فى شبابه الباكر ، وكان من أحب الأشياء إليه أن يتردد على المكتبة العبدلية ، وأن يقتنى نفائس المخطوطات .

وقد حقق وأخرج كتاب « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » لحازم القرطاجنى ، وهو الذى قدمه لجامعة باريس ، ونال به شهادة الدكتوراه ، واتصلت عنايته بحازم ، فحقق ديوانه ، وهو تحت الطبع الآن . وحقق كذلك رحلة ابن رشيد ( ٧٢١ هـ ) . وكتابين

آخرين له فى الحديث ، وهما : « السنن الأبين والمورد الأمعن فى السند المعنعن » ، « وإفادة النصيح » ، ونرجو أن يخرج هذا كله للقراء قريباً .

ولصاحبنا منهج مرسوم فى التحقيق وإقامة النص ، وهو منهج علمى دقيق يعتمد على التاريخ اعتمادا كبيرا ، فيستوعب المراجع كلها : قديمها وحديثها ، ومفصلها ومجملها ، مخطوطها ومطبوعها ، عربيها وأجنبيها . ويوازن بينها فى نقد محكم ، ويستخلص منها أوثق المعلومات وأصح الأحكام ، ويثبت الآراء المختلفة مرجحا بعضها على بعض ، ومحاولا الفصل فى أدق المواقف وأعقدها . يتأهب لما يحاول تحقيقه ، فيجمع كل ما يهتدى إليه من أصوله ، ولا يفوته أن يستعين ما أمكن بكل ما ورد منه على ألسنة باحثين آخرين . يعرف بالأشخاص والأماكن ، ويشرح الألفاظ الغامضة والعبارات المأثورة . ويختم تحقيقه بمعاجم للمصطلحات والألفاظ الغريبة وبفهارس للأعلام والآيات والأحاديث والأمثال والأشعار . وكل ذلك فى ترتيب واضح ، وأسلوب سهل ولغة دقيقة . والحق أن زميلنا يعول على التاريخ التعويل كله ، وقد تطلب هذا منه اطلاعا واسعا ، وقراءة مستفيضة . وأضحى حجة فى تاريخ الثقافة التونسية بخاصة ، والاسلامية بعامة .

والنموذج القيم فى التحقيق الذى أخرجه خير شاهد على ذلك ، فقد شاء بتوجيه من أستاذه الفاضل ، أن يخرج كتاب « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » لحازم القرطاجنى ؛ عرفه مخطوطا منذ عهد مبكر ، واستعان به فى عام ١٩٥٦ على تدريس النقد ومناهجه لطلبة كلية اللغة العربية بالجامعة الزيتونية ، وأخذ يقلب صحائفه ، ويتدارسه ، واستقر رأيه على إعداد نشره وطوال عامين كاملين بباريس تفرغ له تفرغا تاما ، ثم أخرجه بتونس عام ١٩٦٦ فى ثوب أنيق .

وقد مهد له بمدخل طويل يقع فى نحو ٩٠ صفحة ، ترجم فيها للمؤلف ، متتبعا كل المصادر التى عرضت له من أقوال حازم نفسه ، أو ما كتبه عنه معاصروه ، أو ما سجله له رجال التاريخ والطبقات وبخاصة السيوطى والمقرى . واستخلص من ذلك كله ترجمة كاملة تكشف عن مراحل حياة الرجل وتوضح البيئة السياسية والفكرية التى عاش فيها ، وتعرض لمصنفاته المخطوط منها والمطبوع ، « والمقصورة » على رأسها ، وتبين أثرها فى المشرق والمغرب . ثم اتجه الجبيب إلى تحليل الكتاب نفسه ، فحقق عنوانه ، ولخص موضوعه ، وشرح منهجه ، وأشار إلى العوامل التى أثرت فيه . ولاحظ بحق أنه مؤلف محكم الترتيب ، وضع فى صورة أقسام ، ومناهج ، ومعالم ، ومعارف وإضاءات ، وتنويرات ، وخرج بذلك عن أسلوب التأليف المعهود . وبرغم ترتيبه الدقيق لم يخل من غموض وتعقيد ، لاستعمال ألفاظ غريبة ، واستحداث مصطلحات

جديدة ، وإسراف فى المصطلح الفلسفى وهو مع هذا يؤذن باطلاع واسع ، وإحاطة تامة بالأدب العربى ، يستشهد حازم بالشعر الجاهلى والأموى والعباسى ، كما يستشهد بشعر المشارقة والمغاربة المتأخرين . ويشير إلى بعض النقاد والبلاغيين السابقين ، أمثال قدامة بن جعفر ( ٢٩٤ هـ ) وأبى هلال العسكرى ( ٣٩٥ هـ ) ، وابن رشيق القيروانى ( ٤٦٣ هـ ) ، وابن الأثير ( ٦٠٦ هـ ) ، والآمدى ( ٦٣٠ هـ ) ، والخفاجى ( ١٠٦٩ هـ ) ، ولكن من الخطأ أن يظن أنه قنع بمجرد الأخذ عنهم بل له محاولات لا تخلو من ابتكار وأصالة ، وكتابه « المنهاج » لون خاص من ألوان الدراسة الأدبية .

والواقع أن هذا الكتاب يتصل اتصالا وثيقا بموضوع دار حوله شئ من الأخذ والرد ، ونعنى به موضوع الصلة بين الدراسات الأدبية العربية وبعض الآراء والنظريات الأدبية الهلينية ، وقد أنكر هذه الصلة فريق ، وأيدها آخرون ، وسبق لابن الأثير أن ذهب إلى أن كلام أرسطو ومن بعده ابن سينا فى الخطابة والشعر لغو ، ولا يستفيد به صاحب الكلام العربى شيئا ، ولكننا نعتقد أنه لم يبق اليوم شك فى أن البلاغة العربية تأثرت بالفلسفة والمنطق على الأخص ، وقديما فرق بين الطريقة الكلامية والطريقة الأدبية ، وما الأولى إلا درس للبلاغة فى ضوء الكلام والفلسفة . ويشهد تاريخ البلاغة بأن الكثيرين ممن كتبوا فيها فلاسفة أو متفلسفون ، كقدامة ابن جعفر ، والجرجانى ( ٤٧٢ هـ ) وحازم القرطاجنى واضح وصريح كل الصراحة فى هذه الناحية ، فقد أخذ بآراء أرسطو وتلاميذه من المشـائين العرب ، وعول على كتاب « الشعر » لابن سينا ، وأحال عليه عدة مرات ، وهو مستمد من كتاب « الشعر » الأرسطى . ولاغرابة فحازم تلميذ تلميذ ابن رشيد وان لم ينقل عنه وآثر النقل عن الفارابى وابن سينا ، ونزعته الفلسفية والمنطقية واضحة .

* * *

سادتى :

لقد عنينا بتاريخ الثقافة العربية فى عصورها الأولى ، وعالجنا شيئا من تاريخها المعاصر والحديث ، واغفلنا مرحلة طويلة بين هذين الطرفين . أغفلنا أو كدنا - مابين القرنين السادس والثانى عشر الهجرى ، وهى حقبة على ما بها جديرة بالبحث والدرس .

وفى جهود زميلنا الكريم الأستاذ الحبيب ابن الخوجة ما يلقى أضواء عليها ، وما يكشف عن الصلات الوثيقة بين ثقافة المغرب الإسلامى ، وثقافة المشرق . وقد رأيتم كيف طوف بأرجاء الثقافة العربية وأحاط بجوانبها المختلفة ، وفى زمالته الكريمة خير عون لمجمع الخالدين على أداء رسالته .

والسلام عليكم ورحمة الله ،،،

## كلمة الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

حضرة الرئيس الموقر

حضرات الأساتذة أعضاء المجمع المحترمين

سيداتي الفضليات ، سادتي الكرام

جرت عادة هذا المجمع الجليل — كغيره من المجامع العلمية واللغوية في مختلف البلاد — باقتبال الأعضاء الجدد في جلسة علنية عامة ، يقدم فيها أحد الأعضاء العاملين العضو المنتسب ، ثم يتلوه هذا بالحديث عن صاحب المقعد الذي يخلفه فيه تقريرا لاستمرارية العمل بالمجمع وتخليدا للراحل الذي زان من قبل تلك المؤسسة العلمية الموقرة بمواقفه وخدماته وعمله وآثاره .

وإني حين يقحم بي إقحاما في هذا المقام الجليل : لأتعثر في مشيتي حياء ، ويعقد لساني شعوري بحقيقة أمري ، وأفقد العبارة الموفية بما يطلب مني وتدعوني ضرورة هذا الموقف إليه .

وأبجدني بادئ بدء مصروفا إلى رد التحية ، وشكر الأستاذ الجليل أمين المجمع على ما حباني به من عطف وشملني به من رعاية يحاول بهما أن يرفع من منزلتي لديكم ويقربني منكم بما تستطيعون به الاطمئنان إلى القادم عليكم الذي يعتقد في قرارة نفسه أنه لايريد إلا الا ستفادة منكم ، والانتفاع بتجاربكم ، والمسايرة لمناهجكم ، لكونه قاصرا عن المشاركة لكم مشاركة مركزة فيما بلوتم من أسرار البيان ، وحقائق وتصاريف لغة القرآن . واني لا أقدر على أن أوفيه حقه فقد شرفني بما عرض له وذكرني به عرضا وذكرا يصوران كمال خلقه وجميل أدبه وما أعرب عنه وترجم عليه من حسن ظن بي أرجو محاولة تحقيقه بما يكسبني محبتكم ، ويدنيني منكم .

وهل أشك في تفضلكم بذلك ، أوأتردد فيما أطمع وأتطلع إليه من صداقتكم وحدبكم وقد بذلتم الشواهد عليه أولا وآخرا . فكنتم المقترحين لعضويتي المبادرين بإكرامي في غيبتي حين شئتم أن أكون لمجمعكم عضوا مراسلا ، ومن بعد عام رشحتموني لأكون عضوا عاملا .

وليس لي ما أطمح به إلى هذه المنازل الشريفة العالية إلا ما طبعت عليه من إخلاص للعربية ، وتفان في خدمتها ، وذود عنها ،

أنا فى جميع ذلك مدين به للراحل العزيز أستاذى وشيخى مقام والدى ، العلامة محمد الفاضل ابن عاشور ، تغمده الله برضوانه : وأسكنه فسيح جناته .

وإنى لأزجى لكم من الشكر على ثقتكم الغالية التى أعتز بها اعتزازى بلغتى وأدب قومى ، ما يكافئ جهودكم الجبارة فى الحفاظ على العربية ، والدعم لها ، والحرص على إنمائها وإثرائها ، والمساعدة على تطورها والنهوض بها ، تطورا ونهوضا تستعيد به ما سلف من مجدها ، وتكون معه لغة إنسانية عالمية ، لاتضيق بشئ مما تمتد إليه أيدى الناس ، أويعن لهم من آراء وأفكار ونظريات وقوانين ومصطلحات وأغراض وعلوم وفنون .

وإن فى الأعمال التى يشتغل بها مؤتمركم فى كل عام مما يتصل بأصول اللغة والمعجمات والمصطلحات والبحوث والدراسات ، وفى ما يصدر عن المجمع من منشورات ومعاجم وكتب ، وفى ما تقوم به اللجان العلمية من تحقيق ودرس على مر الأيام وطوال السنين ، وفى ما تتجهون إليه وتنمونه وتؤكدونه من صلات المجمع بالهيئات والمنظمات العلمية ، ما هو كفيل بما نؤمله للغة العربية من ازدهار ، وللسان الوحى الإسلامى من غلبة وظهور .

وإنى لأحس بالفراغ الكبير الذى تركه الراحل الخالد فضيلة الأستاذ المقدس المبرور محمد الفاضل ابن عاشور بينكم ، وأشعر بما تشعرون به لذكراه من أسى على فراقه . وأعلم أن أى واحد من بعده من أهل بلده - لايمكنه أن يشغل ذلك الفراغ الذى تركه ، أو يقوم بالدور الذى كان يقوم به معكم بهذا المجمع .

فلقد كان — رحمه الله — فردا فيما تجمع فيه من خصال وكمالات ومعارف وآداب ولطائف وأذواق . وكان وحده الذى يستطيع أن يمثل بصدق هذا المجمع - مجمع اللغة العربية - ببلده ، كما كان يمثل أحسن تمثيل ببلده المسلم العربى التونسى به . ولا غرو فى ذلك فقد كان طود علم ، وقمة فكر ، أجمع الناس من حوله فى الأجيال التى تخرجت عليه وعاشت معه على كونه المثل والرائد والأسوة . وقبلوا فى تقدير وإجلال رئاسته الفكرية والعلمية فى كل ميدان حل به أو مجلس ظهر فيه .

تعود معرفتى به إلى أيام الدراسة الثانوية زمن كنت تلميذا فى الصفوف الأولى بالمدرسة الصادقية . وكان كل ما نتصل بهم من الأساتذة هناك يطبقون على تعظيمه وإكباره ، وينعتونه بالعلامة البحر . حتى إذا تحولت إلى الجامع — جامع الزيتونة الأعظم كعبة العلوم الإسلامية والعربية بإفريقية ، رأيت فيه علما لا نظير له فى الشيوخ والمدرسين ، يتميز عن جميعهم بكمال الذات والأدوات ، وبعد الغور ، واتساع النظر ،

وشمول المعرفة . وقد اقتضى ذلك فيما أحسب حسن تخرجه على شيخنا الأستاذ الإمام والده أطال الله عمره المبارك ، وأخذه بالمنهجين المتكاملين والوجهتين المتلاقيتين فيه ، الأصالة والتفتح .

يشهد لأصالته مارواه وسمعه وقرأه ودرّسه ودرسه من أمهات الكتب الجليلة والمصنفات العظيمة المعتمدة فى العلوم اللسانية والشرعية جميعا . فقد حضرنا دروسه للمطول ، والبيضاوى بحاشية الشهاب ، والعقائدالنسفية ، وجمع الجوامع للجلال المحلى . وهو إلى عظيم غوصه ، وبديع تقريراته ، وكمال تدبره لتلك المؤلفات وما كتب عليها ، جليل المحاضرة ، جميل المذاكرة ، عجيب التدقيق والتحرير للقضايا ومسالكها ، والمسائل ومتفرعاتها . لا يكاد يسأل فى شئ إلا أجاب عنه ، مع شرح ومقابلة وتفصيل وتعليل . وهو إلى هذا الجانب العظيم فيه الذى ينفرد به يضم إلى كمال الدراية حسن الرواية فى هذا العصر ببلدنا ، لا يعرف ذلك منه إلا النزر اليسير من طلابه والمنتسبين إليه .

وقد خصنى — رحمه الله وبرد ثراه — بعد دراسة طويلة عليه ، وانقطاع كامل إليه بالإجازة العامة فى كل ما قرأته عليه وسمعته منه ، وما يتحمله من شيوخه من الطرق . وأتحفنى بعد ذلك من بين تلك الأسانيد بأعلاها وأكملها قائلا فى التمهيد له : « وهذا السند العزيز الغالى هو ما لا نعلم أحدا فى الدنيا يحدث به الآن غير والدنا — أدام الله عزه — وهو ، زيادة على خصوصية جمعه بين الصحيحين ، يكون أعلى إسناد مجمع على استيفاء شروطه يحدث به فى الصحيحين ، إذ يكون فيه بين الابن المجاز وبين الإمامين البخارى ومسلم ثلاثة عشر راويا ، ويكون بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة عشر راويا فى ثلاثيات البخارى » . وكتب لى ذلك شاهدا به على نفسه « كتب الله له فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، فى يوم الأربعاء خامس شهر رمضان المعظم من سنة ست وستين وثلاثمائة وألف » .

ثم قرأت بين يديه موطأ الإمام مالك ، وهو يمسك بيده الشريفة نسخته ، وكتب لى فى آخر نسختى ، عند تمام التلاوة ، ما نصه :

( الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم . قرأ على ابنى العزيز محمد الحبيب ابن الخوجه جميع الأحاديث التى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله وإقراراته من مسند أو مرسل أو بلاغ مما تضمنته برواية يحيى عن مالك فى الموطأ . وكانت قراءته بهذه النسخة ، غير معتمد على طبعتها لما فيها من تحريف ، قراءة تحقيق وإتقان قدر الطاقة فى أربعة أيام ، وذلك بالمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة . وكان الختم بعد صلاة العشاء من ليلة الجمعة لأربع بقين من ذى الحجة

سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف بالروضة الشريفة بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره الكريم ، محمد الفاضل ابن عاشور ) .

ومن لطيف الأسانيد التى تحملتها منه وأقرأ بها الجامع الصحيح لأمير المؤمنين فى السنة أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى المسلسل بالمحمدين :

محمد الحبيب ابن الخوجة ، عن شيخى وأستاذى سيدى محمد الفاضل ابن عاشور ، عن والده سيدى محمد الطاهر ، عن جده الشيخ محمد العزيز بوعتور ، عن شيخ الإسلام محمد ابن الخوجة ، عن الشيخ محمد بن التهامى الرباطى ، عن محمد بن عبد السلام النصاصرى ، عن محمد بن الحسن التطاونى ، عن محمد بن عبد العزيز الحنفى ، عن محمد بن علاء الدين البابلى ، عن الشيخ محمد حجازى ، عن الشيخ محمد الغيطى ، عن محمد بن محمد الزنجى ، عن محمد الخضيرى ، عن محمد المراعى ، عن فخر الأئمة محمد القرقشندى ، عن محمد بن فليح ، عن محمد بن مسلم الحنبلى ، عن محمد ابن أحمد بن عبد الرحيم المقدسى ، عن محمد ابن عبد الواحد ، عن محمد بن أبى القاسم القطان ، عن محمد ابن محمد الحفيد ، عن محمد بن طاهر المقدسى ، عن محمد بن عبد الواحد البزار ، عن محمد بن أحمد ابن حمدان ، عن محمد مكى ، عن محمد ابن يوسف الفربرى ، عن الإمام محمد محمد بن اسماعيل البخارى .

وليست هذه الأسانيد مقصورة على رواية الحديث النبوى الشريف أو العلوم الشرعية بل له منها ، كما تدل على ذلك الإجازة العامة ، ما يضبط روايته الكتب الأدبية ، ومن ذلك سنده الذى نروى به ديوان الحماسة عن طريق أبى العلاء المعرى الذى كان أعلم أهل عصره به - عن أبى عبد الله النمرى ، عن أبى رياش ، عن عبد السلام البصرى ، عن أبى المطوف الأنطاكى ، عن أبى تمام .

وتنطق بتفتحه محاضراته التاريخية والأدبية ودروسه فى الفرق وفى المناهج الأدبية وما كان يتعرض له أثناء ذلك من آراء وأفكار للمستشرقين وغيرهم بالنقد والمناقشة والتصحيح بعد مطالعات واسعة وشاملة لكتبهم ، وتحليل دقيق لمواقفهم ، سواء منها ما يتصل باللغة أو الأدب أو القرآن أو التاريخ أو الحضارة العربية الإسلامية . وقد كان العامة والخاصة ينثالون مع الطلاب على حلقته أو فصله أو قاعة المحاضرة التى يكون بها ، يغترفون من معينه الذى لا ينضب ويتلقون عنه ما لا يستطيعون الحصول عليه بمفردهم فكان يفرغ فى أسماعهم نتائج مطالعاته المختلفة المتنوعة مرتبة منسقة مصفاة لا تشوبها شائبة غموض أو إبهام ولا يكدرها توقف أو حيرة .

الحكمة القديمة لتجمع أطرافها . وتسيطر عليها بالبحث الفاحص والحكم الممحص ثم لتخرج منها فلسفة جامعة مهذبة قوامها روح النظرة الإسلامية ، ومادتها كل ما أنتجته الأوائل من آراء وما سلكت من مذاهب ، ومنهجها التقريب بين كل ماظنه الأوائل متباعدا ، والتأليف بين ما حسبته متنافرا ، وخاصة فى ما بين العقل والعقيدة والطبيعة ومابعد الطبيعة » .

وعلى هذا النحو من تحليل الفلسفة الإسلامية أو النظر والفكر الإسلامى ببيان خصائصه وإبراز ظواهره ومميزاته يتجه العلامة المرحوم شيخنا الفاضل إلى التفريق أولا بين العلم والمعرفة والثقافة ليتخلص من ذلك إلى الحديث عن مقومات الثقافة الإسلامية وما تتميز به ذاتيا عن غيرها من الثقافات . وهنا يظهر العمق الذى يعالج به هذا الموضوع الدقيق . وهو قبل أن يحلل ركائز الثقافة الإسلامية الأربع يمهد لذلك بقوله :

« وإن الثقافة الإسلامية ذاتيه للإسلام ، ناشئة عن خصوصيات تعاليمه ، وخصوصيات المناهج التربوية التى كونت بها الدعوة الإسلامية أمة الإسلام ، فرديا واجتماعيا ، فى الاعتقاد والفكر والسلوك . وبذلك كان للثقافة الإسلامية منهجها الذى اختلف عن جميع المناهج الثقافية ، وسارت به المعرفة والحضارة فى تاريخ الإسلام سيرة ذات مميزات هى التى برز بها التفكير الإسلامى على النحو الذى برز عليه فى التاريخ الوسيط وهذا المنهج الثقافى الإسلامى يتقوم من خصوصيات تتحقق من تلاقيها وتفاعلها ماهية الثقافة الإسلامية . وتعتمد تلك ، الخصوصيات على أربعة أركان : الروح والمادة والوضع والحركة » .

فإذا فقد ركن من تلك الأركان ، فأعوزت المادة الروح ، أو خانت الحركة الوضع ، حصل مامنه نستغرب اليوم ، وما هو مشاهد من فروق بين العالمين الأوربى والإسلامى .

« فان حركة تداول التراث العلمى بينهما ثلاثة قرون لم تكن نتائجها بين العالمين متساوية ولا متقاربة بل كانت فيما يظهر للعيان متعاكسة فإذا كان اقتباس الغرب عن الإسلام قد أفاد تقدما واستقلالا وتفوقا ؛ فإن اقتباس الإسلام عن الغرب لم يفده عزة ولا استغناء ولا ارتقاء بل أصابه بخنوع متواصل وتبعية متظاهرة وما زاده إلا خبالا » .

ولن يعود شأن المسلمين إلى المستوى الثقافى السليم الاصيل الا متى شعروا بأن العلم الرياضى والطبيعى سند للعلم الدينى ودعامة من دعائمه وأن العلم الدينى روح توجه بها المدارك العلمية الرياضية والطبيعية .

« فهنالك يعود العالم الإسلامى إلى الأصالة الفكرية ، وينزع عن التقاليد ، وتبدو عبقريته بالإسلام كما بدت به أولا ، إذ يستمد من ذاتيته الإسلامية روحاً ثقافية

متجانسة مع روحه الإعتقادية ، تجعل التعليم الإسلامى باللغة القرآنية أصلا للتعليم فى مراحله كافة ، ينمو مع نمو الفرد طبعا وفكرا ويمتد إلى طلب المعارف واللغات طلبا حثيثا بدافع من الذات ، ولغاية زكية سامية من الدين ، فيدرك أن منهجه الإسلامى هو منهجه الأصلى لا التقليدى ، وأنه لن يبلغ مبلغ الأمم التى يتطلع إلى اللحاق بها ، إلا إذا طلب العلم على منهجه الذاتى ، وبدافع من نفسه كما طلبت هى العلم على منهج ذاتى لها وبدافع من أنفسها . سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

فالروح الإسلامى ، والتربية الدينية ، والوازع الدينى ، والتمسك باللغة مع مراعاة متطلبات العصر ومقتضياته والاستجابة لمستلزمات رقيه وتطوراته هى الأصول النظرية والطرائق العلمية ، التى جاهد فقيدنا العزيز فى تركيزها ، وعمل مخلصا من أجل الدعوة إليها والحث على التمسك بها . أعلن عن ذلك فى غير ما مناسبة وصرح به فى مقامات مختلفة ، تنطق بذلك بحوثه ودراساته عن منهج الثقافة الإسلامية ، وعن روح الحضارة العربية ، وعن التشريع الإسلامى وغيرها ، كما تردد صدى ذلك ندواته ومحاضراته وخطابه بوطنه وخارج وطنه .

فلله مابذل الراحل الخالد فقيدنا العزيز أبو عياض محمد الفاضل ابن عاشور ذلك الداعى ، المجاهد فى سبيل اللغة والإسلام ، المكافح المناضل فى سبيل إرساء قواعد الثقافة العربية وبعث وتجديد الحضارة الإسلامية جزاه الله عن العربية والإسلام خيراً ، وأفاض عليه من شآبيب الرحمة ، وواسع المغفرة ما يرفع مقامه فى عليين ، ويحشره به مع عباده المخلصين من الشهداء والصالحين ، « وحسن أولائك رفيقا » .

وإنى وأنا أخلفه فى مقامى هذا ، وقد بوأتمونى — شكر الله لكم — مقعده بينكم لأوجه من هذا المكان إلى روحه الزكية الطاهرة ، وهو فى دار الخلد ، هذه التحية الخالصة من ابن بار به ، يعرف حقه عليه ، ويحاول قدر الطاقة الجرى على سننه والايتساء به فى ما كان له عنوانا من الفضائل الخلقية والكمالات العلمية . وأرجو الله أن يكتب لى من التوفيق ما أكون به عند حسن ظنكم جميعا ، وأن يمدنى بعونه وأيده كيما أسهم معكم — لا زلتم للغة الضاد حماة ، ولأمجادها دعاة ، ولروائعها بناة — فى الخدمات الجليلة التى تقومون بها والأعمال العملية التى تعكفون عليها والجهود الجبارة التى ما فتئتم تبذلونها قصد حماية العربية وصونها ورعايتها وتعزيزها . أقدرنى الله على أن أكون حريا بالانتساب إليكم والعمل معكم وسدد خطانا جميعا للاطلاع بأعباء المسؤوليات الثقيلة التى تنوء بها كواهلنا من أجل أن نعيد للغة القرآن شبابها وماسلف من زاهر عهودها وأن نحقق لها الانطلاقة الكبرى بفضل ما توفر لها من شمول واتساع مادة وحيوية تجعلها دوما ثابتة ولتطورات الزمان ومقتضيات الحضارة الجديدة مواكبه.

في الساعة الخامسة من مساء الأربعاء ١٣ من شوال سنة ١٣٩١ هـ الموافق أول ديسمبر سنة ١٩٧١ م أقام المجمع في دار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع حفل تأبين للمغفور له الدكتور عبد الرزاق السنهوري عضو المجمع ، وفيما يلي الكلمات التي ألقيت في الحفل :

# الدكتور عبد الرزاق السنهوري

## كلمة الأستاذ زكي المهندس في تأبين المرحوم

سيداتي ، وسادتي :

لقد كان السيد الدكتور طه حسين رئيس المجمع ، حريصا على أن يشارك في تأبين الفقيد الكريم ، ولكن نظرا لحالته الصحية فقد اضطر إلى الاعتكاف والاعتذار ، وإني باسمه وباسم المجمع أحييكم وأشكر لحضراتكم كريم مواساتكم لنا في تأبين الفقيد . وإنه ليعز علينا أن نرى الموت يختطف زملاءنا واحدا وراء الآخر وفي فترات متقاربة ، فما تكاد دموعنا تجف على زميل راحل حتى تعود فتنهمر على زميل آخر ، ففي عام واحد ودع المجمع ثلاثة من أعضائه العاملين الذين كان يعتز بهم ، ويعتمد في تحقيق رسالته على علمهم ونشاطهم .

لقد ودع المجمع في صدر هذا العام الزميل الكريم والعالم الجليل المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف ، الذي اغتالته المنية فجأة ثم ودعنا بعده الزميل الكريم المرحوم الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي الذي دهمته سيارة وهو في طريقه إلى المجمع ليشارك في حفل تأبين المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف .

وها نحن أولاء نجتمع الليلة لتكريم ذكرى راحل كريم ثالث وهو المغفور له الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري . لقد وافته المنية في شهر يونيه الماضي حين كان المجمع في عطلته السنوية . وكان قد اعتكف عنا عامين كاملين ، أخذ يصارع فيهما المرض ، ولكنه انتهى إلى حيث أراد الله لكل حي أن ينتهي .

لقد كانت خسارتنا فيه فادحة وفجيعتنا فيه أليمة ، وقد ترك بيننا فراغا ليس من السهل أن يشغله سواه ، على أننا إذ نبكي السنهوري الليلة ، فإننا لا نبكي فيه عضوا مجمعيا ممتازا

فحسب ، ولكننا نبكى فيه علما من أعلام القانون ، ورائدا من رواد الفكر والثقافة .

نبكى فيه عالما تجاوزت كفايته القانونية حدود بلده وشع ضوؤها على كثير من البلاد العربية . ولعل أصدق ما وصف به السنهورى أنه « دينامو » عمل ونشاط ؛ فقد اجتمع له من صفات الصبر والجلد والقدرة على مواصلة العمل ، مالم يتهيأ للقليل جدا من الناس .

وأذكر أننى اجتمعت به ذات مساء فى لجنة من لجان وزارة المعارف وهو يومئذ وزيرها ، وفى أثناء الاجتماع انطفأ النور وطالت مدته وشاء الرفاق أن يؤجلوا عمل اللجنة إلى موعد آخر ، ولكنه أبى وأصر على أن تتم اللجنة عملها وأمر بإحضار بعض الشموع ، وظلت اللجنة تعمل فى ضوء الشموع حتى عاد التيار .

هذا — أيها السادة : — هو فقيدنا الذى نجتمع الليلة لتكريم ذكراه ، رحمه الله وطيب ثراه ، وجعل الجنة مستقره ومثواه .

## كلمة الدكتور محمد مصطفى القللى

سيداتى ، سادتى

فقدنا الأستاذ الإمام ، فقدنا رجل القانون النابغة الفذ الدكتور عبد الرزاق السنهورى ، وقلما يجود الزمان بمثله . ذلك قضاء الله ولا راد لقضائه ، ولا حيلة إلا الصبر والامتثال لمشيئته . . . إنا لله وإنا إليه راجعون

إن الخطب جلل والخسارة فادحة ، لا لمجمع اللغة العربية وحده ولا لمصر وحدها بل وللشرق كله ، ولعالم القانون بصفة عامة .

كان — عليه رحمة الله — نسيج برد وحده . فإذا بكيته فإنما أبكى فيه أمة مجتمعة فى شخصه نبكى فيه العالم المتبحر والباحث المدقق والأستاذ المتمكن والمؤلف الفياض والمشرع الحصيف الثاقب النظر ، والقاضى النزيه الجرئ العادل ، الذى لا يرى إلا الحق سلطة تعلو على سائر الرءوس ، والذى ينتصر للمظلوم ولو كان من خصومه والحاقدين عليه ، ويقتص من الظالم وإن كان من أقرب الأقربين إليه ، أو كان له النصيب الأوفى من الهيمنة والسلطة الغاشمة . نبكى فيه الوطنى الغيور المخلص فى وطنيته ، والاشتراكى الصادق النظر المدرك لأوجاع أمته ، نبكى فيه الرسول المؤمن برسالته ، والعربى الوفى

لعروبته ، العامل على استعادة مجدها والتقريب بين أبنائها وتوثيق الألفة بين قلوبهم :

نبكي فيه كل هاتيك الفضائل والمناقب : تعددت ميادين جهاده وتنوعت المهام التى اضطلع بعبئها ، وامتد نشاطه إلى سائر البلاد العربية أستاذا ومؤلفا ومشرعا . وتوالت أبحاثه ومؤلفاته فيضا غزيرا فى القانون وخاصة فى القانون المدنى ، فخلف لنا ثروة علمية طائلة لايدانيه فيها أحد ، وتراثا خالدا من محكم البيان وصائب التفكير ، ونموذجا رائعا لحسن الأداء وسلاسة التعبير . كنز ثمين لا تبلى جدته ، وذخر دائم لا غنى عنه لرجال القانون على اختلاف مشاربهم فى سائر البلاد العربية .

لقد مكنه من كل هذا الإنتاج الضخم وهيأ له تلك المنزلة السامية سواء فى مصر أو فى الوطن العربى بصفة عامة ما حباه الله به من مواهب عقلية وخلقية فذة وما استقر فى قرارة نفسه وأمام ناظره من مثل عليا تغياها طول حياته :

منحه الله عقلا منطقيا مرتبا ، وذهنا نافذا لا يرضى بالقشور أو السطحيات ، وإنما يعمل فى تؤدة حتى يكشف عن أصول الأشياء ويصل إلى كبد الحقيقة . وأفرغ عليه صبرا وطول أناة فى كل ما يفعل . فكان جلده وتفانيه فى العمل مدعاة للإعجاب بل وللإشفاق عليه . إنما ذلك كله يرجع إلى حبه لفنه . فقد كان محبا لفنه إلى أقصى درجات الحب . وهذا هو سر تفوقه وإنتاجه الغزير فى هذا الميدان . كان يضحى فى سبيل عمله بكل الاعتبارات أيا كانت . كان عمله وخاصة فى ميدان القانون والقانون المدنى فى الطليعة هو متعته وغذاؤه ، وهو سلوته وهو هناؤه . وكانت أسعد الأوقات تلك التى يقضيها بين كتبه وأوراقه يطالعها ويناقشها ويستوعب ما فيها ، أو مع إخوان من الصفوة الممتازة يجادلونه ويجادلهم فى شتى المسائل وخاصة المشكلات القانونية . ولم يكن يضن فى هذا السبيل بوقته أو براحته أو بصحته . تعرض له المشكلة فلا يزال يقلب فيها ويجزئها، ويستعرض سائر وجوهها ومختلف الاحتمالات فى مجابهتها وحلها ، ويتناقش مع المختصين فيها ، ويستمع إلى كل رأى وإن كان يسرف فى معارضة رأيه ومناقضته ، كل ذلك فى صبر وفى جلد ودون أدنى ملل مهما طال النقاش ، كما لو لم يكن أمامه فى الحياة سوى تلك المشكلة ؛ يتأمل فيها ويراجع من سبق أن عالجوها ويستوعب آراء من يتناقشون معه . وبعد هذا الدرس وهذا التمحيص يستخلص النتيجة التى ينتهى إليها فإذا بها آية فى سداد الرأى وسلامة التفكير ، تدل على تلك العقلية المنطقية المرتبة وعلى ذلك الذهن النافذ الوقاد .

كان يؤمن إيمانا عميقا وجوب سيطرة القانون . فالقانون هو صوت العدل مجسما يبين للناس كافة حدود حقوقهم والتزاماتهم سواء فى علاقة الأفراد بعضهم ببعض أو فى علاقتهم بأرباب السلطة العامة والقابضين على

مقاليدها . والقانون روح قبل أن يكون نصا ومعنى قبل أن يكون حرفا ، ولهذا يجب أن يكون تعبيرا صحيحا عن الوضع العادل السليم ، يستهدف المصلحة العامة فى غير جور أو حيف أو محاباة . ولهذا أيضا لا بد أن يرسخ فى نفوس الحاكمين والمحكومين وجوب احترامه والإذعان لأوامره ونواهيه . ذلك لأن القانون هو الذى ينظم سير الناس فى طرقات الحياة، ويحدد أبعاد مالهم وما عليهم. فهو الدرع الواقى لكل فرد سواء فى نفسه أو فى ماله أو فى عرضه أو فى كرامته . وعلى أساس القانون السليم العادل يجب أن تقيم الأمة بناءها وإلا انهار كل ما تبنيه أو يتخيل البانون أنهم يقيمونه . كانت هذه نظرة الكريم الراحل . نلمس أمثلة عليها بارزة فى قراراته وأحكامه وهو رئيس لمجلس الدولة، وفى مشروعاته الدستورية التى عهد إليه بوضعها . وفى الحق أن القانون أشبه بشرطى المرور ينظم لأفراد الشعب سيرهم فى طرق الحياة . وبلد تهون فيه سلطة القانون أشبه بطريق مزدحم بالمارة خال من إشارات المرور وممن ينظمه . ومؤدى ذلك دون ما ريب فوضى لاحد لها ، واختلال ضحيته الضعفاء والراجلون .

وكان — عليه رحمة الله — فى هذا السبيل صلبا فى الدفاع عن الحق الذى يمثله القانون عنيدا فى الذود عن حياضه . اختطفته السياسة فترات ما لتفيد من عبقريته ومن نبوغه فكان، وهو فى غرتها كالعهد به طول حياته ، عادلا فى تصرفاته مستهدفا المصلحة العامة دون سواها ، مضحيا فى خدمتها بوقته وصحته أبعد ما يكون عن التطلع إلى كسب مادى أو مظهر ما من زيف الحياة، مما يتكالب عليه الناس ويتسابقون ويتفانون فى الوصول إليه ؛ ولم يكن ينسى وهو فى دوامات السياسة فنه المحبب وأبحاثه فى القانون المدنى خاصة ، فلم تنقطع صلته به بل ظل يوالى تآليفه ومحاضراته ؛

وعدت عليه تيارات السياسة أيضا ضيقا بحيدته وطمعا فى إمالته ، فلم يهن ولم تفل عزيمته . وظل كما هو كالطود الراسخ لا تلين قناته ولا يلتوى عوده ، شديد الإيمان بالله وبعدالته وبأنه جل شأنه ناصر للحق وإن طالت غشاوته .

وكان فى طليعة المؤمنين بأن وحدة الشعوب العربية غاية أولى يجب أن تتضافر الجهود من كل النواحى لتحقيقها . ففى ذلك القوة الحقة للعروبة وإعلاء كلمتها فى المجال الدولى ، والوسيلة الناجعة لاستعادة مجدها ورد كيد الحاقدين عليها والطامعين فى ثروات أقطارها. وكان فى هذا الميدان الجندى الباسل والداعية الحصيف الرأى والثاقب النظر . فأخذ يستعين بفنه للتقريب بينها ، وذلك عن طريق توحيد الثقافة القانونية وتوحيد التشريعات أو تقاربها . بهذا ينهل أبناء البلاد العربية فى هذا الصدد من معين واحد وتربط بينهم فى معاملاتهم وتصرفاتهم أيا كانت أنظمة واحدة وتؤلف بين قلوبهم أصول ومبادئ راسخة لديهم مؤمنين بها مجمعين عليها .

كان السنهورى—تغمده الله برحمته—شخصية نادرة تنوعت مواهبه وتعددت مآثره . وكانت حياته صورة مشرقة للعاملين المخلصين المجاهدين ، ومثلا عاليا جديرا أن يحتذيه الناشئون ويجرى على نهجه الحاكمون والمصلحون . وكم يطول بى المقام بعد هذه النظرة المجملة لو حاولت أن أحصى آثاره ومناقبه . وحسبى أن أستعرض فى عبارات موجزة خطواته فى الحياة وثمرات إنتاجه ، وكلها صفحات ناصعة وضاءة ، هى مثار للإكبار والإعجاب وعلى مثلها فليعمل العاملون .

نشأ الفقيد الكريم بالإسكندرية . وكان مولده بها فى سنة ١٨٩٥ . وبعد أن أتم دراسته الابتدائية بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية التحق بمدرسة رأس التين الثانوية ثم بالمدرسة العباسية وحصل منها على شهادة البكالوريا سنة ١٩١٣ وكان ترتيبه الأول بين الناجحين فى القسم الأدبى . ثم التحق بمدرسة الحقوق بقسم المنتسبين وحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩١٧ وكان ترتيبه الأول بين خريجى ذلك القسم . وعين فى ذلك العام بالنيابة العامة . ثم عين رغم حداثة سنه لتدريس مادة القانون بمدرسة القضاء الشرعى خلفا للمرحوم الأستاذ الكبير أحمد بك أمين . وإذ أعيد إرسال البعثات الدراسية للخارج عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى أوفد صيف سنة ١٩٢١ إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه فى القانون فالتحق بكلية الحقوق فى ليون . وهناك كان اتصاله بالعلامة الكبير الأستاذ إدوار لامبرت الذى كان فيما مضى ناظرا لمدرسة الحقوق الخديوية . وكان لهذا الاتصال أثر كبير فى توجيه النشاط العلمى للمرحوم الدكتور السنهورى . ذلك لأن الأستاذ لامبير كان زعيم المنادين بأهمية دراسة القانون المقارن فى ذلك فائدة محققة سواء من حيث دراسة القانون القائم أو البحث فى مجال التشريع عن أصلح الأنظمة وأوفاها بحاجيات الأفراد ، وتقرير الأحكام العادلة فى معاملاتهم وشتى تصرفاتهم . وفعلا أنشأ الأستاذ لامبرت معهدا للقانون المقارن . وعن هذا الأستاذ الجليل أشرب المرحوم الدكتور السنهورى حبه للدراسات المقارنة . وقد أسهم فعلا بنصيب كبير فى هذا المجال فى المقارنة بين القوانين الوضعية وأحكام الشريعة الغراء .

ومن كلية الحقوق بليون حصل على الدكتوراه فى العلوم القانونية سنة ١٩٢٥ وكان موضوع رسالته « القيود التعاقدية على حرية الفرد فى العمل » . وقد عنى فيها خاصة بدراسة أحكام القضاء الإنجليزى وتناول فيها بحث المعايير القانونية المرنة مقارنا إياها بالقواعد الجامدة . ثم حصل على الدكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية سنة ١٩٢٦ وكان موضوع رسالته « الخلافة الإسلامية وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية » . وحصل كذلك على دبلوم معهد القانون الدولى بجامعة باريس .

وهكذا نرى أنه قد اتسعت آفاق دراساته القانونية فناول فى تحصيله مواد القانون الخاص والقانون العام ولا سيما مادة القانون الدولى .

وبعد أن أتم دراساته فى الخارج عاد إلى مصر سنة ١٩٢٦ وعين مدرسا بكلية الحقوق . وربما لا يعرف الكثيرون أن الدكتور السنهورى ذلك القطب العملاق فى القانون المدنى عندما عاد من بعثته فى الخارج كان المقرر أن يعين لتدريس القانون الدولى . ولكن نظرا لعدم خلو المكان فى ذلك الوقت عهد إليه بتدريس القانون المدنى فتفوق فيه وأبدع ، وكان له ذلك الإنتاج الضخم الغزير الذى يعد ثروة غالية وكنزا ثمينا لرجال القانون . وليس هذا بمستغرب فالفضل فى ذلك إنما يرجع إلى تلك العقلية الجبارة والعبقرية الموهوبة وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

وسرعان ماتخطى درجات الترقى بالكلية حتى صار أستاذا للقانون المدنى . وفى كلية الحقوق تجلى نبوغه وبرزت شخصيته الفاضلة العظيمة . فكان الأستاذ العطوف على تلامذته ، القريب إلى قلوبهم ، المحبب إلى أسماعهم ، المتفانى فى تثقيفهم وإرشادهم وتيسير عويص المشكلات أمامهم ، يحرصون كل الحرص على محاضراته ويترسمون أسلوبه ومنطقة فيما يلقيه أو يكتبه . وأخذت تتوالى مؤلفاته القيمة . فأخرج فى سنة ١٩٣٠ كتابه فى « شرح عقد الإيجار » جرى فيه على نهج علمى ممتاز . ثم أخرج سنة ١٩٣٤ مؤلفه الشامخ « فى نظرية العقد » وهو يقع فى نحو ألف صحيفة من القطع الكبير . وكان هذا الكتاب بحق فتحا علميا جديدا فى الفقه المدنى فى مصر ، وتلقاه كبار رجال القانون وخاصة من أساطين القضاء بكل تقدير وترحيب .

وقد نشر بعد ذلك كتابه « الموجز فى النظرية العامة للالتزامات » فى ٧٥٠ صحيفة وهو مرجع مبسط شامل لطلاب القانون . كما أخرج كتاب «أصول القانون» بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور أحمد حشمت أبوستيت

وفى سنة ١٩٣٥ ندب عميدا لكلية الحقوق فى بغداد بالعراق فاصطحب معه نخبة من خيرة الشبان الأكفاء . وهناك وضع الأسس السليمة التى قامت عليها دراسة القانون وأرسى قواعد النظام المحكم لكلية الحقوق ببغداد . وكان حصيفا وعمليا فأفرغ جهده فى المواءمة والمقارنة بين المبادئ الحديثة فى القانون المدنى وبين « أحكام المجلة » التى كانت سارية بالعراق وقتئذ ، ووضع مؤلفين فى هذا الصدد لطلاب الكلية . وطلب منه وزير العدل المرحوم رشيد عالى الكيلانى مشروعا للقانون المدنى فلم يتمكن إلا من وضع مشروع لعقد البيع .

ولم تطل إقامته بالعراق . وبعد عام عاد إلى مصر واختار معه العشرة الأوائل من أبناء كلية الحقوق ببغداد وألحقهم بكلية

الحقوق بالقاهرة . وكان من هؤلاء نواة الأساتذة العراقيين الذين اضطلعوا بتدريس القانون هناك فيما بعد .

وفى أواخر سنة ١٩٣٦ انتخب عميدا لكلية الحقوق بالقاهرة . ثم نزعته السياسة من التدريس إلى القضاء المختلط فى سنة١٩٣٧ فكان القاضى النابه بين زملائه من القضاة الأجانب . ثم اختير مستشارا مساعدا بقلم قضايا الحكومة .

وحدث أن استجابت الحكومة فى ذلك العهد إلى ماسبق أن نادى به من قبل من وجوب وضع قانون مدنى جديد للبلاد . فقد سبق أن نشر مقالا مسهبا فى هذا المعنى بمجلة القانون والاقتصاد فى سنة ١٩٣٦ فى العيد الخمسينى للمحاكم الأهلية . وإذ نزلت الحكومة عند فكرته هذه شكلت فى أول الأمر لجنة لتعديل القانون المدنى ، وكان السنهورى من أبرز أعضائها . ثم انتهى الأمر بإسناد مهمة التعديل إليه وحده فى سنة ١٩٣٨ . وكان أن انقطع لوضع مشروع القانون المدنى ، أفرغ فيه جهده مستعينا فى ذلك بنخبة من خيرة رجال القانون الأكفاء ، واشرك معه فى أول الأمر أستاذه العلامة الجليل ادوار لامبير . وفى هذا المشروع سد مابالتشريع القائم من ثغرات على ضوء ماجرت به أحكام القضاء واستقرت عليه ومادعت إليه ضرورات الحياة والأخذ والعطاء بين المتعاملين ، وما اهتدى إليه المشرعون مختلف البلاد الراقية تحقيقا للعدل فيما نجم عن تطور أساليب الحياة وماترتب عن ذلك من مشاكل وتضارب بين الحقوق والالتزامات وساعده فى مجهوده الموفق فى هذا المشروع تضلعه فى أحكام الشريعة الغراء وسعة اطلاعه فاقتبس منها وأفاد منها أيما فائدة :

وانتهى وضع مشروع القانون المدنى الجديد سنة ١٩٤٥ ثم مر فى مجلس النواب والشيوخ بعد إدخال تعديلات قليلة عليه وصدر فى أواخر شهر يوليه سنة ١٩٤٨ : وأكشف لكم هنا عن ناحية مشرفة فى عمله الجليل الذى تفانى فى إنجازه تدل على زهده وإكباره للمعنويات دون الماديات . فقد عرضت عليه الحكومة القائمة وقتئذ مبلغا ضخما لقاء الجهد المضنى الذى بذله فى هذا العمل العظيم وألح عليه وزير العدل حينئذ الحاحا شديدا فرفض بكل إباء ، وأنا أعلم فى يقين مدى حاجته وقتئذ ، وآثر أن يقدم صنيعه خدمة للوطن ولا يبتغى عليه أجرا فأجره عند الله ، والله عونه ورازقه ، فهو هو عبد الرزاق كما كان دائما ، خدمة القانون والقانون وحده هدفه وغايته .

وقد رأى من واجبه أن يشرح للمطلعين والباحثين ذلك القانون الذى وضعه . فقام بتأليف كتابه القيم « الوسيط فى شرح القانون المدنى » وهو مؤلف فى عشرة أجزاء استغرق فى تأليفها عشرين سنة . وكل جزء منها يتكون من ألف صحيفة أو يزيد ، وبعض الأجزاء يتكون الواحد منها من مجلدين .

وقد أتم الجزء الأخير من هذا الكتاب وهو فى مرضه الأخير ، ولم يقعده المرض عن تنفيذ ماعتزمه ، وإتمام رسالته التى يؤمن بها حق الإيمان . وهذا الكتاب موسوعة مسهبة فى القانون المدنى ، وهى ذخيرة علمية لاتدانى . وكما يقول عنها بحق أحد الأساتذة الأجلاء : « إنها تذكرنا بالمجلدات الضخمة التى كان يعكف على تأليفها فقهاء الإسلام فى العصور الأولى ويفرغون لها العمر كله . ولكن الغرابة تزول إذا ماعرفنا أن ذلك المؤلف الذى اضطلع بكل هذا العبء وحده هو الدكتور السنهورى » .

وإمعانا فى خدمة المادة والتيسير على الطالبين والباحثين كان يعتزم — كما أفصح عن ذلك فى مستهل كتابه « الوسيط » — إخراج موجز يقتصر فيه على بيان الأصول والقواعد الأساسية ، وكذلك إخراج شرح مستفيض فى مؤلف باسم « المبسوط » . وقد آثر أن يبدأ بالوسيط فهو كما أشار إليه بمثابة الحلقة الوسطى من عقد واحد تجمله فيصبح وجيزا وتفصله فيصير مبسوطا .

وقد أصدر فعلا فى سنة ١٩٦٦ كتاب « الوجيز فى نظرية الالتزام بوجه عام » ، لخص فيه الأجزاء الثلاثة الأولى من الوسيط وهو يقع فى ١٣٠٠ صحيفة . وكان فى نيته أن يلخص كل ثلاثة أجزاء من الوسيط فى جزء واحد من « الوجيز » .

وفضلا عن هذه المؤلفات نشر الفقيد أبحاثا ومقالات عديدة باللغة العربية واللغة الفرنسية فى مختلف المجلات العربية والأجنبية ، وكلها كسب عظيم للثروة العلمية . أسوق منها خاصة مايأتى :

باللغة العربية :

١ — تنقيح القانون المدنى وعلى أى أساس يكون ( الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية سنة ١٩٣٣ ) .

٢ — من مجلة الأحكام العدلية إلى القانون المدنى العراقى ( مجلة القضاء العراقية سنة ١٩٣٦ ) .

٣ — مشروع تنقيح القانون المدنى المصرى ( مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٤٢ ) .

٤ — الروابط الثقافية والقانونية بين البلاد العربية ( المجلة المصرية للقانون الدولى سنة ١٩٤٦ ) .

٥ — عقد البيع فى مشروع القانون العراقى ( مجلة القضاء العراقية ) .

٦ — الانحراف فى استعمال السلطة التشريعية ( مجلة مجلس الدولة سنة ١٩٥٢ ) .

٧ — تطبيق نظرية الظروف الطارئة ( مجلة المحاماة سنة ١٩٦١ ) .

٨ — الإسلام والشرق ( السياسة الأسبوعية ١١ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ) .

٩ — الوحدة العربية ( فى ثلاث مقالات ) ( مجلة الرابطة العربية سنة ١٩٣٦ )

وباللغة الفرنسية :

١ — المعيار فى القانون ( فى مجموعة البحوث المهداة إلى الأستاذ جينى سنة ١٩٣٧ ) .

٢ — الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع المصرى ( فى مجموعة البحوث المهداة إلى الأستاذ لامبير سنة ١٩٣٨ ) .

٣ — المسئولية التقصيرية ( بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ الدكتور حلمى بهجت بدوى ، فى مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٣٣ ) .

٤ — المسئولية التقصيرية فى الشريعة الإسلامية ( مجموعة بحوث مؤتمر القانون المقارن بلاهاى سنة ١٩٣٧ ) .

٥ — الشريعة الإسلامية أمام مؤتمر القانون المقارن بلا هاى ( مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٣٧ ) .

٦ — مجلس الدولة ( بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور عثمان خليل عثمان ، فى مجلة مجلس الدولة سنة ١٩٥١ ) .

ومن نواحى عظمة السنهورى العلمية تمكنه من الشريعة الإسلامية . فقد كان يؤمن بأن فقهاء الشريعة قد خلفوا كنوزا ثمينة من خير ماتنتجه القرائح وتهتدى إليه العقول الناضجة فى التخريج والتدليل والعمل على تحقيق المصالح بين الناس . ولذلك كان يرى أن الشريعة الغراء مصدر عظيم من مصادر التشريع . وله فى هذا الصدد بحث رائق باللغة الفرنسية بعنوان « الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع المصرى » وقد نشر فى مجموعة البحوث المهداة إلى الأستاذ لامبير كما سبق وأشرت إليه . وقد عكف على دراسة الشريعة دراسة عميقة ومفصلة . ولم يقتصر فى ذلك على مذهب معين بل تناول المذاهب المختلفة بالبحث والتحليل والمقارنة . ولهذا لم أدهش حينما قرأت لأحد تلامذته النابهين أنه سمع من أحد الثقاة أن الأساتذة المتفرغين لدراسة الشريعة الإسلامية فى الجامعات البريطانية يعتبرون السنهورى دون أدنى جدال الإمام الخامس بعد الأئمة الأربعة.

وإن أنس لاأنسى جهده الرائع الموفق فى مؤتمر القانون المقارن الذى عقد فى لاهاى فى صيف سنة ١٩٣٧ . فقد صاحبته أنا ونخبة من أساتذة كلية الحقوق كأعضاء فى ذلك المؤتمر الذى كان يتناول موضوعات مختلفة فى شتى فروع القانون . كان الفارس المجلى فى ميدان أبحاث القانون المدنى وفى المقارنة مع أحكام الشريعة الغراء بوجه خاص والدفاع عنها ضد من يتجنون عليها ، وما أكثرهم ، ويردون إلى القانون الرومانى فضل ماجادت به قرائح الفقهاء وثمرات اجتهادهم .

ومن آثاره الخالدة فى خدمة الفقه الإسلامى ماقام به فى معهد الدراسات العربية العليا . فقد تقدم لمجلس جامعة الدول العربية بمشروع

إنشاء معهد للدراسات العربية ووافق المجلس على إنشاء المعهد فى مارس سنة ١٩٥٢ . وعين السنهورى رئيسا لقسم القانون بالمعهد منذ إنشائه وظل رئيسا له حتى أواخر سنة ١٩٥٩ . وقد قام بإلقاء المحاضرات فى الفقه الإسلامى ونشرت هذه المحاضرات على نفقة المعهد فى كتابه « مصادر الحق فى الفقه الإسلامى » وهو ذخيرة قيمة ويقع فى ست أجزاء . وقد طبعه المعهد ثلاث طبعات .

ولم يقتصر نشاطه فى مجال القانون على الدرس والنظر ، بل أن آثاره فى ميدان العمل والتطبيق بارزة عديدة . فقد عمل فى المحاماة فى فترات متقطعة أكثرها طولا مابين سنتى ١٩٤٢ و ١٩٤٥ وله فى هذه الحقبة مذكرات قيمة قدمها لمحكمة النقض فى قضايا خطيرة حدثنى عنها أحد تلامذته النجباء الذين عملوا معه فى تلك الفترة ، وخص بالذكر منها مذكرة مستفيضة فى أكثر من مائتى صحيفة كان لها صيت مدو وكان موضوعها : «وصية غير المسلم وخضوعها لأحكام الشريعة الإسلامية » . وتعتبر مرجعا علميا ثمينا فى بابها . ومما يؤثر فى شأنه فى عالم المحاماة أن أرباب القضايا كان يعجبون لتواضعه فى تقدير أتعابه وفى رفض القضايا المجزية .

ومن أروع آثاره الخالدة فى ميدان العمل والتطبيق والتى تعد بحق خدمة جليلة للعروبة وللتقريب بين أبنائها نواحى نشاطه فى مجال التشريع . فقد قصدت اليه أغلب البلاد العربية لتفيد من غزير علمه وواسع خبرته فى وضع تشريعاتها الحديثة . فوضع للعراق قانونها المدنى الذى جمع فيه بين أحكام القوانين الوضعية العصرية وأحكام الشريعة الإسلامية . إذ كان السارى فى العراق من قبل « مجلة الأحكام العدلية » . وهى مجموعة قواعد قانونية مستمدة من الفقه الإسلامى على مذهب الأمام أبى حنيفة جرى العمل بها منذ التبعية فيما مضى للدولة العثمانية . وقد رأى بصادق نظره أن لايقطع الصلة بين الماضى والحاضر وآثر التدرج على الطفرة .

كذلك قام عليه رحمة الله بوضع القانون المدنى فى سوريا وقانون البينات وهو يشمل قواعد الإثبات الموضوعية وإجراءاتها ، كما وضع القانون المدنى فى ليبيا، وتكفل بوضع جميع قوانين الكويت الأساسية ودستورها وكذلك وضع الدستور السودانى . وكان آخر عمل تشريعى قام به فى البلاد العربية مشروع وضع دستور لاتحاد إمارات الخليج العربى، ولكنه لم يتمكن من إتمامه نظرا لحالته الصحية التى لم تكن تساعده على السفر إلى تلك المنطقة لدراسة ظروفها وعوائدها وتقرير مايلائمها . كذلك وضع لإمارة البحرين مجموعة من القوانين العصرية قال عنها أحد الأساتذة المحترمين أنها تعد من المفاخر التشريعية .

ومن الصفحات الخالدة الوضاءة فى تاريخه عهد رئاسته لمجلس الدولة ، وما بدا منه فى ذلك العهد من مواقف حازمة جريئة وماقرره من مبادئ سامية عادلة صونا للحريات

وكبحا لافتيات السلطات الحاكمة وعنتها . وليس من المبالغة فى شئ إذا قيل بأنه حين يذكر مجلس الدولة فإنه يذكر مقرونا باسم السنهورى . فقد جعل من مجلس الدولة حصنا منيعا لحماية حريات الأفراد وملاذا أمينا من عدوان الحاكمين .

لقد تولى رئاسة ذلك المجلس فى سنة ١٩٤٨ وظل به حتى عام ١٩٥٤ . وفى تلك الفترة عمل جاهداً على أن يحقق على خير وجه الغاية التى من أجلها أنشئ ذلك المجلس . وقد عبر عن ذلك فى تقريرله سنة ١٩٤٨—١٩٤٩ بقوله : « إن مجلس الدولة له رسالة جليلة سامية ، فهو يقف إلى جانب الإدارة المصرية يعاونها فيما تحمل من أعباء وتبعات ولأول مرة فى تاريخ مصر الحديث يقوم مجلس الدولة ويصبح حقيقة واقعة . بل لعله أن يكون حقيقة رائعة . روعته أن الإدارة المصرية أعلنت بقيامه أنها تقف إلى جانب الحق والقانون لاتظلم ولا تتعسف » « وأن صدرها يتسع للشاكى يناقشها الحساب فتنتصفه أو تنتصف منه . وروعته أن الأفراد والجماعات يرون فيه غوثاً للملهوف ولباذاً للعائذ وموئلا للحريات » .

وحسبى أن أشير إلى بعض المبادئ الجوهرية التى قررها والمواقف الحميدة التى حرص عليها والتى تعد مفخرة فى سجل مجلس الدولة .

فى قمة المبادئ السليمة التى أرساها حق القضاء فى رقابة دستورية القوانين ، وذلك خلافاً للرأى الراجح فى ذلك الوقت : أوضح فى بيان مفحم أن السلطة القضائية وهى تراقب تقدير السلطة التشريعية لا تقوم بعمل تشريعى يحول دونه مبدأ الفصل بين السلطات ، ولكنها تقوم بعمل قضائى محض هو تعرف القانون الواجب التطبيق فى النزاع المطروح أمامها . فإذا تعارض التشريع مع الدستور وجب عدم تطبيق التشريع المخالف وتطبيق الدستور سيد القوانين فى البلاد .

ومن تصرفاته العادلة الرشيدة انتصاره لحرية الصحافة ؛ فقد وقف بالمرصاد لما كانت تقرره الحكومة من تكميم حرية الصحف وتعطيلها . لقد أدرك بثاقب نظره الصادق أن حرية الكلمة وحرية الصحافة خاصة هى أول ضمان للحريات عامة ، وأن حرية الصحافة سياج واق من عبث الحاكمين وطغيانهم . ولهذا أصدر بوصفه رئيساً لمجلس الدولة القرارات بوقف ما كانت تصدره الحكومة من أوامر بتعطيل بعض الصحف رافضاً أن يعتبر القرار الصادر بتعطيل جريدة أو برفض الترخيص بإصدارها أو إلغاء الترخيص عملا من أعمال السيادة ، ولو كان صادرا من مجلس الوزراء . واتبع هذه القرارات بالفصل فى الموضوع من محكمة القضاء الإدارى بإلغاء القرارات الإدارية الصادرة من مجلس الوزراء . سار على هذا النهج فى إنصاف الصحف حتى وإن كان أربابها من خصومه .

كذلك وقف فى حزم وصلابة ضد امتناع بعض الوزراء وقتئذ عن تنفيذ الأحكام التى تصدر من مجلس الدولة ، ووصم هذا الامتناع بأنه مخالفة قانونية خطيرة لأصل من الأصول التى تمليها المبادئ الدستورية العليا ، وقضى بأن هذا يعد خطأ جسيما يندرج تحت الجرائم التى يعاقب عليها جنائيا ، ويعد خطأ الوزير الذى يقدم على ذلك مستوجبا لمسئوليته الذاتية فى ماله الخاص عن التعويض المطالب به دون خزانة الدولة .

وتفيض أعداد مجلة مجلس الدولة فى عهده بأحكامه وقراراته العادلة الحكيمة ، وتروى مواقفه الحازمة الجريئة ضد تحدى بعض الحكومات التى كانت تضيق به ذرعا فى أوائل عهده ، وتحاول أن تحمله على التخلى عن منصبه . ولكنه ظل كالطود الراسخ مؤمنا بمبادئه السامية المحايدة بعيدا عن التحيز أو الغرض لايعبأ بالتحدى وتعطيل وجوه الإصلاح التى كان يقترحها للنهوض بالمجلس.

أن ذكراه العطرة فى مجلس الدولة تحدث عن مثل عال ضربه لما يجب أن يكون عليه القاضى من النزاهة والعدل ، فلايخشى فى الحق لومة لائم ولايطأطئ رأسه لصاحب النفوذ مهما علا قدره وأمعن فى عتوه وعدوانه. وقد قرأت للسيد ضياء شيت خطاب رئيس ديوان التدوين القانونى بالعراق أن إحدى الصحف البريطانية قالت فى تعليق لها على أحكام المرحوم السنهورى : «ليت فى بريطانيا قضاة مثل هذا الرجل » .

وإلى جانب نشاطه القانونى الفياض علما وعملا كان له نشاط فى ميدان الإدارة والسياسة فقد عين وكيلا لوزارة العدل كما عين وكيلا لوزارة المعارف ثم وزيرا لها مرتين . وكان فى كل هذه المراحل هو هو معدنه الأصيل لايتغير ، هدفه المصلحة العامة أولا وآخرا مضحيا فى ذلك بمصالحه الخاصة وبراحته ، وتصرفاته فى مختلف الشؤون والمشكلات لايبغى من ورائها إلا وجه الحق والإنصاف ، لايقعده فى هذا السبيل أية اعتبارات مهما كان شأنها . وقد ترك فى وزارة المعارف آثارا جليلة . وكان من أول ماعنى به وضع سياسة ثابتة للتعليم يكون قوامها إنصاف المعلم وتوفير الاستقرار والكرامة له مع توسيع قاعدة التعليم وتوجيه الطلاب إلى مايتلاءم مع احتياجات المجتمع من أنواع التعليم الفنى ، الزراعى والصناعى ، الذى لاجدال فى أنه دعامة أساسية لتقوية البنيان الاقتصادى للدولة . كذلك عمل على دعم سلطة المناطق التعليمية واستقلالها ، كما عنى كل العناية بالتوسع فى إنشاء دور التعليم المصرية فى السودان .

هذا وقد أوفد إلى مؤتمرات دولية عديدة. ففضلا عن المؤتمرات القانونية التى شهدها ، كان رئيس الوفد المصرى إلى لندن فى مؤتمر فلسطين سنة ١٩٤٦ ورئيس الوفد المصرى فى الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٦ وعضوا فى الوفد المصرى الذى تقدم بشكوى مصر ضد إنجلترا أمام مجلس الأمن سنة ١٩٤٧ .

ويتوج هذه المواهب النادرة والمناقب التى ذكرتها ماكان للفقيد العزيز من شأوعظيم فى مجال اللغة وآدابها . فقد أوتى حظا كبيرا فى تحصيلها ، وبدا ذلك جليا رائعا فى مؤلفاته وعديد كتاباته . وهو دون أدنى ريب فى طليعة الأفذاذ فى أدب العبارة فى القانون . يمتاز أسلوبه بالرصانة والأحكام والسلاسة ، وكان مجددا فى تعبيراته التى يستعملها موفقا فى اصطلاحاته التى يبتكرها . كان مثلا فريدا فى بلاغة الأداء وسهولة التعبير . وستظل مؤلفاته وكتاباته نموذجا يحتذى فى حسن البيان والإفصاح عن المراد فى عالم القانون .

وقد حظى مجمعنا بانضمامه إليه فى سنة ١٩٤٦ فأسهم بآرائه واقتراحاته الناضجة . وقد عرض فكرته حول تطور لغتنا العربية ومسايرتها لتطور المجتمع وحاجياته فى مؤتمرات المجمع .

ومما ذكره فى ذلك المقام قوله فى مؤتمر عام ١٩٤٨ مايأتى :

« اللغة العربية ليست مقصورة على ماقاله أسلافنا وأجدادنا فى العصور السابقة ، بل هى تتسع لتشمل ما نقوله نحن فى عصرنا الحاضر . ولا تملك الأموات من هذه اللغة أكثر مما يملك الأحياء » .

ثم يستطرد ويقول :

« هناك وجه شبه حقيقى فيما بين اللغة العربية والفقه الإسلامى، هو فى أن الفقه واللغة على السواء مصادرهما واحدة . مصادر الفقة الإسلامى كما تعلمون الكتاب والسنة ، أى النص ، ثم القياس والإجماع ، ومصادر اللغة العربية هى أيضا النص ، وهو هنا ينحصر فى هذه الألفاظ والعبارات التوقيفية التى ورثناها عن أجدادنا الأولين والتى يأبى بعض منا إلا أن يقف عندها ، وهم فى ذلك يعتبرون أهل الظاهر فى اللغة ويقابلون أهل الظاهر فى الفقه . ثم القياس ، وبه يقول فيما أعلم جمهور الزملاء فى المجمع ، فيستنبطون صيغة من أخرى سماعا وقياسا ، ويشتقون وينحتون . ثم الإجماع وهذا هو المصدر الذى أحب أن أسترعى إليه أنظاركم ، فإن الإجماع فى اللغة كالإجماع فى الفقة مصدر جوهرى ، وهو الذى يكفل التطور فى اللغة كما كفل التطور فى الفقة . وقد لايريد بعض منا أن يعترف بهذا المصدر أو يقره . ولكنه مصدر يفرض نفسه ، وتحتمه سنن الوجود ، ويقتضيه القانون الطبيعى . واللغة التى لايعترف بالإجماع مصدرا لها لغة لاتلبث أن تنطوى على نفسها ، ثم تذبل وتموت ؛ والذين ينكرون الإجماع مصدرا للغة ، ينكرون على هذه اللغة أن تعيش .

والإجماع معناه حق المساواة مابين السلف والخلف . وهو حق هؤلاء جميعا فى أن يصنعوا لغتهم على قدر حاجتهم ، فيكون لكل جيل نصيب فى ذلك . وكما أن الذى يراه المسلمون فى الفقة حسنا فهو عند الله حسن ، كذلك مايراه الناطقون بالعربية

فى جيل من الأجيال حسنا فهو فى اللغة حسن .

لانستطيع أن ننكر على أى جيل حقه فى أن يساهم فى صنع لغته ، وفى أن يبتدع من الألفاظ مايفى بحاجاته ، ومايتمشى مع حضارته ، ومتى فعل ذلك فإن الألفاظ التى ابتدعها تكسب مكانا مشروعا فى اللغة لايجوز لأحد إنكاره . »

هذا هو النابغة العظيم الذى نفتقده اليوم . كان منارا للعلم وداعية للحق ، ومعلما أمينا ارتوى من فيض علمه قولا وكتابة آلاف الطالبين والباحثين . كان نورا تجلى فى سماء البلاد العربية كافة ، أضاء لها سبل الحياة عن طريق القانون ، وعاملا على التأليف بين قلوب أبنائها وتوحيد تفكيرهم والتقريب فى الأخذ والعطاء بينهم .

وقد رأت الدولة علو كعبه وسمو منزلته فمنحته أخيرا سنة ١٩٧٠ جائزة الدولة التقديرية تكريما له واعترافا بفضله . والسنهورى من ذلك الطراز الذى ترتفع به الوظائف وتزدان به الجوائز . وهو من حيث تقدير العارفين فى سائر الوطن العربى فى أعلى عليين .

ولئن غاب شخصه الكريم عنا فستظل ذكراه خالدة أمد السنين ، وسيظل المرشد الأمين والحكيم الصائب الرأى ، يستنجد بتراثه وينهل منه الطالبون والمدافعون والقضاة والمشرعون ، ويحتكم إلى سداد رأيه المتنازعون والمتقاضون . فهو السند الأمين لصاحب الحق ، ومطلع النور فى الظلمات الخصومة ، وصائب الرأى مأفتى به وما قاله السنهورى .

رحمه الله رحمة واسعة وأنزله فسيح جناته فى عداد الأبرار الأخيار المخلصين .

## • • قصيدة الأستاذ محمد عزيز أباظة

ظَلِمَ الموتُ ؛ إنَّ فى أحضانِهْ
مَرْفَأً للغريق فى أشجانِهْ

ومَجازاً إلى جوار طهـــور
ساكب حوله سنا رحمانه

الحليم الذى يتوج بالغفرا
ن آلاءه على عُبْدانه [1]

كل حىّ فانٍ . وما الحَىُّ إلاالله
ـه فى حوله وفى سلطانه

---

( ١ ) عبدان وعبيد جمع عبد

والردى راصد . وكل ابن أنثى
بين فكَّيْــه مُنْظَرٌ لأوانه

يتلقى الصباح فى أردانـــهْ
ويراه المَساءُ فى أكفانهِ

ما الحياة التى نعيش غرور
نحن نلتذه على بهتـــانه

إن حب البقاءِ غَشَّى على المو
ت وحض الورى على نسيانه

غَيَّبَ الموتُ شافعىَّ [1] زمانهْ
وأصاب القانونَ فى بُرهانهْ

يعظم الخطب فى العظيم إذا لم
يَرْقَ راقٍ إلى عَوالِي مكانهْ

نَكَّس الفقهُ رأسه يوم أَوْدَى
وانطَوى سامداً [2] على أحزانه

أى صافٍ منه تدافَعَ سهلا
مُعْجِزاً من جَنانه لبنَانه

صاحِبَ الفقه منذ هَلَّ صِبَا الفقـ
ـه إلى أن أَشعَّ [3] فى رَيْعانه

راضَ للباحِثِينَ جامِحَه الصَّعْـ
ـبَ وأرخى لهم عَصِىَّ عِنانِه

وحَباهم من المراجعِ بالغَيْـ
ـثِ تُضِىءُ الشُّروحُ فى هَطَلانه

مُغْنِياتٍ عن غيرِهِنَّ جَــلاهُ
نَّ بعيدُ الآفاقِ من إمْكانِــه

صادِراتٍ عن رأيه . لايَسُوقُ الـ
ـحُكْمَ إلاَّ إن صَحَّ فى مِيزانِهْ

جهد فردٍ تَعْيَا المَجامِعُ ذاتُ الـ
ـعَزْم عن صوفه وعن إتْقانه

صَفْوَةُ القول أنه عَبْقرىٌّ الـ
ـجيل غيرُ المسبوقِ فى مَيْدانه

ذو حَياءٍ فى فَضْلِه حين بعضُ الـ
ـخَلْقِ ذو خَيْلَة [4] على نُقْصانِهْ

جَمَّعَ الشرقَ وحده فتَلاقَى
فى ديابيج علمه وبيانه

من أقاصى خَليجه لدمَشْقٍ
من طَرابُلْسه إلى بَغْدانه [5]

---

(١) الإشارة الإمام الشافعى رضى الله عنه
(٢) السامد : المبهوت المتحير
(٣) أشعت الشمس : تلألأ نورها
(٤) الخيلة : الكبر والعجب
(٥) إشارة إلى أن الفقيد هو الذى سن قوانين الكويت وليبيا وسورية والعراق وغيرها .

وطوى العرب عند ضاف من التّقْ
نين أعلى وشَدّ من أركانه
فجَنَوْا من نَضيرِ بسْتانه الفيْـ
نان أبْهَى ما رَفّ من ألْوانه
وانْتَشَوْا من رَحيقِ راووقه[1] العَذْ
بِ وضمُّوا الصفوفَ حولَ دِنانه
لَمَّ من شَملهم طِراز من التَّشـ
ـريع باتُوا فى أَمْنه وضَمانِـه
ثم عادُوا إلى التَّخاذُل مُفْتَنّـ
ـينَ فى خَلْقه وفى إعْلانِـه
آه لو يُخْلِصُون لانْبَعَثَ الشـرْ
ـقُ ورُدَّتْ له نباهةُ شـانه
اخْتلاف الآراءِ قد يَلِدُ الخَيـ
ـرَ ويبنى إن عُفّ عن شنآنه
إن هذى الحَياةَ وهى صِراعٌ
لم تُوطَّأْ لقابعٍ فى هَوانِـه
رُبَّ ومضٍ مُبَشِّر لاح فى الأفـ
ـقِ سَنَبْلُو غداً مَدَى لمَعانـهْ

***

نَهْنِهُوا الحُزْنَ إنه فى رُفاتِـه
حُطَّ عنه ما مَضَّهُ فى حَياتهْ
حُطّ عنه الأَذَى يُشَنُّ فَيَشْقَى الـ
حُرُّ فى وَقْدِه وفى لَفَحاتِـهْ
سادنُ العدْلِ أعرض العَدْلُ عنه
ساخراً من يَقينه وحَصاته
رأيه الحُرُّ عُدَّ من سَيِّآتــهْ
والإباءُ الوَقُورُ من سَقَطاته
وعظيمُ الرجال يُغْرَى به الحقـ
ـدُ فيُضْفى السَّنا على حَسَنَاته
حَسَدُ الحاسدينَ يُغْضِى عن السَّفْ
ح ويَرقى للطودِ فى شُرفاتِه
إنَّ رأىَ الإنسان ضربٌ من العِرْ
ضِ ، هما الأكرمانِ من حُرُماتِهْ
فإذا ساقَه اسْتَطارَتْ قُوى الشَّـ
ـرِّ فألْوَتْ برزْقِه أو بذاتِهْ
وإذا البَغْىُ لم تُزِلْهُ فأمْهِلْـ
ـهُ تَفُلَّ الأيامُ حَدَّ شَباتِهْ
ليس حُكْماً ، حُكْمٌ يَشُقُّ من الإرْ
هاب مَهْواتَه إلى شَهَواتِهْ

---

(١) الراووق : المصفاة .

ليس شَعْباً ، شَعْبٌ يقرُّ على الضَّـ
يم ويَشفِى غَليلَه فى نِكاتِهْ

كادَ لولا حياؤُه وجلالُ الـ
ـعِلْمِ يروى أساهُ فى عَبَراتِهْ

إيهِ عَبْدَ الرَّزّاقِ أَضْفَى عليكَ اللـ
ـهُ من فَضْلِهِ ومن رَحَماتِه

لم يمت عالم جَماهِيرُ أَهْلِ الـ
ـفِقْهِ مهما يَشَّعَّبُوا من رُواته

وتَولاَّك من رضاهُ بفَيْض
يَتَوالى عليكَ فى جَنّاتِهْ

لا . ولا المَشْرَعُ الخِضَمُّ الذى فـ
ـجَّرت للشرق فاسْتَقَى من فُراته

يُكْرِمُ اللهُ نافِعَ الناسِ قَبْلَ الـ
ـمُنْطَوِى فى صِيامِهِ وصَلاتِهْ

أنْتَ حَىٌّ وإن طَوَتْكَ المَنايا
ومن الناس مَيِّتٌ فى حَياتِهْ

جَزِع المجمَعُ الوَقُورُ وهَلْ يَجْـ
ـزَعُ إلاَّ للصُّمِّ من نَكَباتهْ

## كلمة الأسرة للأستاذ حنفى محمود الفزارى

أساتذتى الأجلاء :

سيداتى وسادتى :

يؤسفنى أن تغيب عن هذا الحفل كريمة الراحل العظيم، إذ هى فى خارج البلاد تواصل دراساتها العليا فى صحبة السيدة والدتها .

ولقد أريد لهذا الحفل أن يكون حفل تأبين للفقيد الكبير ، ولكنكم استطعتم بشرف حضوركم وأنتم الصفوة المختارة من رجال العلم والقانون وما دوى فى أرجائه من كلمات الخطباء الأجلاء ، تلك الكلمات الفياضة بكل معانى الإجلال والإكبار ، الزاخرة بكل عواطف الوفاء والإخلاص—أن تجعلوا منه حفلا يمدنا بأسباب الزهو به ؛ فقد أصبحنا أسرة أخرجت إلى الأمة عظيما من عظمائها .

على أن الراحل العظيم لم يكن فردا فى أسرة وإنما كان واحدا فى أمة، عاش حياته يعمل لها وينشر فقهه ، ويطوف ببلاد الأمة العربية يضع دساتيرها وقوانينها ليقيم أقوى عناصر الوحدة بينها .

ولقد سعى سعيه يبتغى الحياة فى مواجهة الموت، فدانت له الحياة، وبقى ببقاء فقهه وعلمه وإن ذهب عنها كما يذهب أصحاب الرسالات؛ فالراحل العظيم من هذا ينتمى إلى أسرته القانونية التى ظل عقله ينبض بحبها، مكرسا حياته لها، وليس أمامى إلا أن أعترف بأنه فقيدكم قبل أن يكون فقيدنا .

لقد كان يغالب عدوا واحدا هو الزمن فقد كان يسابقه خشية أن يحين الأجل قبل أن يفرغ من تدوين علمه وفقهه .

ومعذرة إذا رأيتم أن هذه الكلمة قد خالطها لسان واحد من تلاميذه فوق لسان واحد من أسرته؛ إذ أن أمجاد الرجل العظيم هى حديث أمته لا حديث أسرته .

ويكفينا — نحن أسرته — أن يكون لنا شرف الانتساب إليه .

أطال الله بقاءكم، وجزاكم عنا خير الجزاء .

أقام المجمع فى دار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع فى الساعة السادسة من مساء الثلاثاء ٣٠ من ذى الحجة سنة ١٣٩١هـ الموافق ١٥ من فبراير سنة ١٩٧٢ ، حفل تأبين للدكتور قدرى حافظ طوقان عضو المجمع من الأردن . وفيما يلى ما ألقى فى الحفل:

# الدكتور قدرى حافظ طوقان

## كلمة الأستاذ زكى المهندس فى تأبين المرحوم

سادتى

إنه ليعز علينا أن نجتمع الليلة لتأبين زميل كريم وعالم جليل هو المغفور له الأستاذ الدكتور قدرى حافظ طوقان .

لقد تركت وفاته فى نفوسنا الحزن ، وأعمق الأسى ؛

لقد كان رحمه الله — يتابع أعمال المجمع عن كثب ، وكان عاملا نشيطاً يمدنا بكثير من بحوثه ومقالاته ، وقد نشرنا له فى مجموعة البحوث ثلاثة لها بحوث قيمتها وأثرها .

على أن الفجيعة فى طوقان ، ليست فجيعة المجمع وحده ، أنها فجيعة الأمة العربية بأمرها لأنها فجيعة العلم والعلماء فى كل قطر عربى.

لقد استطاع — طيب الله ثراه — بمؤلفاته ومقالاته أن يجلو أمامنا أمجاد العرب العلمية ، وأن يؤكد لنا ما سبق أن أكده بعض المنصفين من علماء الغرب من أن الطريقة الحديثة فى البحث العلمى مدينة بنشأتها وتنظيمها لجهود علماء العرب .

ففى الوقت الذى كانت فيه أمريكا لا تزال فى عالم الخفاء وكانت أوربا لا تزال تعيش فى جهالة جهلاء ، وظلمة عمياء ، كانت للعرب طاقات علمية مبدعة خلاقة ، تبحث وتحلل وتلاحظ وتجرب وتصل إلى نتائج علمية ، كان لها أثرها وخطرها فى نهضة أوروبا .

على أن الفقيد — رحمه الله — كان من رجال العلم القلائل الذين اجتمعت لهم دقة العالم وخيال الأديب ، وعهدنا بكثير من رجال العلم أنهم لا يحفلون بالأدب ، ولا يقيمون له وزناً فى حياتهم ، ولكن فقيدنا — رحمه الله — كان يعنى بالأدب عنايته بالعلم ؛ كان عالماً أديباً ، أو أديباً عالماً . وإذا كان العلم يمثل العقل الإنسانى فى أعمق صوره ، فإن الأدب يمثل العاطفة الإنسانية فى أنبل صورها ومظاهرها .

لهذا كان الفقيد يعنى بالأدب عنايته بالعلم. إن النزعة الأدبية لم تفارقه حتى وهو يعالج مسائل العلم . فإذا كان العلم من شأنه أن يدربنا على التفكير المنطقى وعلى التماس الحق ،

وعدم الاسترسال مع العواطف ، ويكشف لنا عن أسرار الكون وأعاجيبه ، فإن الأدب يعالج النفس الانسانية فى جميع مظاهرها ويضيء فى نفوسنا تلك الجوانب المظلمة. وهو كذلك يضفى على أذواقنا رقياً وتهذيباً وجمالا .

ويحضرنى فى هذه المناسبة كلمة قالها ( داروين ) وهو العالم المشهور صاحب نظرية أصل الأنواع ، قال فى أسى وحسره ما معناه : إن كثرة مزاولتى للعلم قد أفقدتنى القدرة على تذوق الشعر والأدب حتى لقد حاولت أن أقرأ شيئاً لشكسبير فلم أظفر منه بطائل ، ولئن أتيح لى أن أبدأ حياتى مرة أخرى لأفرضن على نفسى قراءة الأدب والشعر كل يوم .

رحم الله الفقيد وجزاه عما قدم للأمة العربية خير ما يجزى به عباده المخلصين العاملين . أما الآن أيها السادة — فسيتولى تأبين الفقيد نيابة عن المجمع الزميل الدكتور عبد الحليم منتصر ، فليتفضل مشكوراً .

## • • كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر

لعمرى لئن خطفتك المنايا

ووارتك تحت ظلام الحفر

فما زلت فى كل نفس تعيش

عبيرا زكا وضياء غمر

أيها السادة :

يعز على نفسى جدا ، أن أقف فى مكانى هذا ، مؤبناً صديق العمر ، زميلنا وفقيدنا العظيم الدكتور قدرى طوقان الذى شارك فى جميع المؤتمرات العلمية العربية التى عقدت فى العواصم العربية ، وكان خير سفير علمى للفكر العربى فى الدول الأجنبية ، وقف حياته على الدراسة والبحث الخصب ، وأنشأ مكتبة تضم الألوف من الكتب والمخطوطات النادرة ، وكتب ونشر وأذاع مئات المقالات والأحاديث والمحاضرات فى كثير من الحواضر العربية والأجنبية .

لقد كنا فى مطلع نهضتنا العلمية ننقل المعرفة عن غيرنا نقلا ، ونظن أنها علوم مستوردة كلها من الخارج ، حتى جاءت المدرسة العظيمة والشجرة الباسقة يتزعمها المرحومون مصطفى نظيف وعلى مشرفة وعبدالحميد حمدى والأمير مصطفى الشهابى وقدرى طوقان وأصواتهم تجلجل فى المؤتمرات العلمية مصححة تاريخنا العلمى ومطعمة شجرة المعرفة لدى الأجيال الصاعدة بثقافة علمية عربية أصيلة ، وغدت أسماء ابن سينا وابن الهيثم والخوارزمى والبيرونى والصوفى وابن يونس والخازن

وجابر وغيرهم كثير ، غدت مألوفة لدينا وغدا فضلهم معترفاً به بيننا ، وعرفنا أننا لسنا دخلاء على المعرفة العلمية وإنما نحن أهل أصالة فيها ، وقدرنا فضل هؤلاء على النهضة العلمية العالمية ، هذا الفضل الذى اعترف به المنصفون من الأجانب ، فقالوا إن الحضارة المصرية القديمة هى ينبوع الحضارات جميعاً وإن الحضارة العربية الإسلامية هى النبع الأصيل للعلوم الطبيعية من كيمياء وطبيعة ورياضيات وفلك وطب ونبات وحيوان ومعادن ، هى النبع الذى تزودت منه النهضة العلمية الأوربية وإن العلماء العرب فى العصر الإسلامى هم الذين قدموا لأوروبا زاد نهضتها العلمية . ومن الحق أن نقول إن فقيدنا العظيم كان أيسر هؤلاء حركة وانتقالا بين العواصم الأوروبية والعربية ، فكان خير سفير للفكر العلمى العربى فى كل رجا من أرجاء العالم حملته إياه قدماه . وبفضل هؤلاء الأعلام امتدت جذور شجرة ثقافتنا العلمية إلى منابعها الأصيلة ، وأصولها العربية العميقة ، فاستقام عودها وامتدت فروعها ، وكثفت أوراقها واخضوضرت براعم وأغصانا ، وعرفنا فضل الخوارزمى على الحساب والجبر وأن ابن مسكوية وابن خلدون وإخوان الصفا ، قد سبقوا داروين ولا مارك فى فى القول بالتطور وأثر البيئة على الأحياء ، وأن الخازن قد سبق تورشيلى ونيوتن ، فى القول بالجاذبية ، وأن ابن الهيثم قد سبق ديكارت وغيره فى الضوء ونظرياته .

وأن جابراً أول من أسس الكيمياء على دعائم التجربة الصحيحة الدقيقة ، وأن الصوفى كان نقطة تحول فى علم الفلك ؛ وأن الرازى وابن سينا والزهراوى كانوا بمثابة المصابيح التى أضاءت منها أوروبا قناديلها فى القرون الوسطى فى علوم الطب ؛ وأن ابن النفيس قد سبق هارفى فى كشف الدورة الدموية الصغرى ، وأن الجاحظ لم يكن إماما من أئمة الأدب فحسب بل إنه لإمام فى العلم التجريبى كذلك بما أجرى من تجارب علمية على الحيوان . وان ابن الهيثم سبق باكون فى القول بالطريقة العلمية ، وأن ابن يونس مكتشف البندول لا جليليو كما يقال عادة . وأن ماتعرفه أوروبا باسم قاعدة البيرونى أو معادلة البيرونى لإيجاد نصف قطر الأرض ، إنما هو فضل يجب أن يعرفه أبناؤنا ومن الخير أن نذكر أن فقيدنا العظيم كان الفارس المجلى فى هذا الميدان ، ميدان تحقيق التراث العلمى العربى والتعريف به فيقول : إن الروح العلمية عند العلماء العرب والمسلمين ، إنما تتجلى فى إخلاصهم للحقيقة ، وتمجيدهم للعقل ، والتقيد بأحكامه ، مما دفعهم فى كثير من الأحيان إلى مخالفة فلاسفة اليونان .

كما ظهرت روحهم العلمية ، فى عدم إيمان كثير منهم بالتنجيم والدعوة إلى إبطال نظريات تحويل المعادن إلى ذهب وانهم يدفعون إلى صميم الموضوع فى دقة وإيجاز وضبط وإحكام ، تسيطر على هذا كله روح علمية صحيحة وكذلك امتاز أسلوب

الفارابى المعلم الثانى ، وابن سينا المعلم الثالث بالعمق والدقة والاعتماد على المنطق لأنه الآلة العاصمة للذهن من الخطأ ، ومع اعترافهما بفضل المعلم الأول أرسطو ، إلا أنهما يخالفانه فى أشياء ويقولان إنه لا ينبغى أن يختار على الحق . ويورد اعتراف باكون بابن رشد كفيلسوف يتعمق ، صحح كثيرا من أغلاط الفكر وأضاف إلى ثمرات العقول ثروة لايستغنى بها عنها لسواها . وأدرك كثيرا مما لم يكن قبله معلوما لأحد . وأزال الغموض من كثير من الكتب التى يتناولها بحثه وأثبت أن الغرب اقتبس فلسفة ابن رشد ، وكان من حسناتها أن حلت عقال الفكر الأوروبى ، وفتحت أمامه أبواب البحث والمناقشة على مصاريعها ، وكيف أن الغزالى قد جعل أول شرائط البحث عن الحقيقة أن يكون الباحث ذا عقل مستقل تماما ، فالحقيقة لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق بحث حر مختار . وقد ندد فى جميع أعماله وبحوثه بالتفكير الموسوم بالتبعية والتقليد .

ويورد أقوالا مشابهة كثيرة لابن الهيثم والكندى والبيرونى ، يتحدث عن شجاعة البيرونى الفكرية وحبسه للاطلاع العلمى ، وبعده عن التوهم وإخلاصه للحقيقة وتسامحه. ويبين كيف أنه كان فى الواقع عبقريا مبدعا ، ذا بصيرة شاملة نافذة . وقول ابن طفيل بأهمية التجارب وأن أسرار العالم العربى المادى لا تفهم ولا تعرف إلا عن طريق التجارب المتكررة بعد الملاحظة وإعمال العقل ، فالاشتغال بالأمور المادية والصناعات والعلوم هى الخطوة الطبيعية الأولى فى سبيل الكمال الروحى ، ودعوة ابن خلدون أن يفكر العالم فيما تؤدى إليه التجربة الحسية ، وكيف حارب التنجيم بالأدلة العقلية ، وقوله إن الاشتغال بالكيمياء قصد الحصول على الذهب مضيعة للوقت ، قد انتحلها واشتغل بها بعض العاجزين عن معاشهم بالطرق الطبيعية وابتغاء المعاش من غير وجوهه الطبيعية .

وإن فقيدنا العظيم ليدعو الأمة العربية إلى الأخذ بالروح العلمية التى تجلت فى التراث العربى عند العلماء العرب والمسلمين تلك الروح التى تمجد العقل وتدعو إلى التجربة والتجديد واحترام الأمانة العلمية والإخلاص للحق والحقيقة ، وتقديس حرية الفكر والانعتاق من أغلال التقليد وتدفع إلى التطور ، وبذلك يدفع المجتمع العربى إلى التقدم المستمر والنمو المتواصل ، وتحول دون تعطيل العقل وتجميده ، فينطلق متحركا خلاقا منتجاً فى سائر ميادين الحياة . ويذهب فقيدنا العظيم فى بحثه عن فاعلية الفكر العربى فى نقد الفكر اليونانى ، إلى أن الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ليس فيها شذوذ أو خروج عن منطق التاريخ ، فلم يكن بد من قيامها حين قامت ، فقد قام أصحابها العرب بدورهم فى تقدم الفكر وتطوره بأقصى الحماسة والفهم ، ولم يكونوا مجرد ناقلين كما قال بعض المؤرخين ، بل

إن فى نقلهم روحا وحياة ، وكذلك لم يكن ميكانيكيا فهو أبعد ما يكون عن الجمود .

ففى فلسفتهم عناصر يونانية وهندية وفارسية ، ثم إن فيها ثمرات عبقرية أهلها ، خالفوا أرسطو وأفلاطون وجالينوس — وبطليموس . ويؤيد ماذهب إليه سارتون بأنه لو لم ينقل إلينا العرب كنوز الحكمة اليونانية ويحافظوا عليها ، لتأخر سير المدنية عدة قرون ، وأنه كان لا بد من ظهور ابن الهيثم والبيرونى والصوفى حتى يتسنى ظهور جاليليو وكبلر وكوبرنيق . وأنه لولا أعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية . وأن العرب كانوا أعظم معلمين فى العالم وأنهم قد نقدوا واتقنوا وعملوا على تحسين وتصحيح وإنماء التراث اليونانى حتى سلموه إلى العصور الحديثة ، وما كان التحسين والتصحيح والإنماء ليتم لولا النقد والتمحيص . فقد وضعوا الكتب والمقالات فى الشكوك على بطليموس وتصحيح أغلاط أرسطو وجالينوس وأفلاطون .

ويورد قول ابن الهيثم فى الشكوك على بطليموس : « الحق مطلوب لذاته ، وكل مطلوب لذاته فليس يعنى طالبه غير وجوده ووجود الحق صعب والطريق إليه وعر » ، ولما نظرنا فى كتب الرجل المشهور بالفضيلة ، يعنى بطليموس القلوذى ، وجدنا فيها علوما كثيرة ، ولما درسناها وميزناها ، وجدنا فيها مواضع مشبهة وألفاظا بشعة ومعانى متناقضة إلا أنها يسيره فى جنب ما أصاب فيه من المعانى الصحيحة ، ورأينا فى الإمساك عنها هضما للحق وتعديا عليـه . ويعرض لآراء الكندى الجريئة فى نشأة الحياة على الأرض وفى زرقة السماء الناشئة من انعكاس الضوء على ذرات الغبار وبخار الماء العالق بالجو ، وأثر القمر فى حركة المد والجزر ، ولآراء ابن حزم فى أثر النجوم والكواكب ، وقوله : ليس لها تأثير فى أعمالنا ، ولا لها عقل تدبرنا به إلا إذا كان المقصود أنها تدبرنا طبيعيا كتدبير الغذاء لنا وكتدبير الماء والهواء ونحو أثرها فى المد والجزر ، وكتأثير الشمس فى عكس الحر وتصعيد الرطوبات . والنجوم لا تدلل على الحوادث المقبلة — ويبين كيف أن ابن الهيثم قد قلب الأوضاع القديمة وأنشأ علما جديدا ، فقد أبطل علم المنـاظر وأنشأ علم الضوء بالمعنى الحديث وبالحدود والأصول التى نريدها الآن ، وأن أثر ابن الهيثم فى هذا لايقل خطورة عن أثر نيوتن فى الميكانيكا ويشرح رأى ابن طفيل ومخالفته للكثيرين من معاصريه ومن الذين سبقوه من فلاسفة اليونان ، إذ قال بوحدة القوانين والأنظمة الكونية وشمولها ، ممـا يسيطر على النبات والماء والهواء والجماد يسيطر على الحيوان والإنسان وسائر الموجودات ، وأن العـالم بجملته كشىء واحد يتصل بعضه ببعض ويتحرك فى دائرة من الأنظمة والقوانين لا يخرج عليها ولا يشذ عنها .

ويتابع عالمنا عرض هذه الصفحات المشرقة من التراث العلمي العربي ، موضحا أن العرب لم يكونوا مجرد نقلة أو مقلدين وأنهم لم يصبهم شلل الفكر ، بل لجأوا إلى العقل فجعلوه المرجع والأساس ولجأوا كذلك للامتحان والتجربة والدرس والبحث ، فنفذوا نظريات وآراء فلاسفة اليونان وعلماء الإسكندرية وخالفوهم فى القضايا والأحكام ، وعدلوا بعضها وصححوا بعضها الآخر ، ولم يعبأوا بالمصدر أو القائل ، بل ركزوا عنايتهم واهتمامهم بالنظرية أو الرأى والقول ، ولهذا أضافوا إلى المعرفة الإنسانية إضافات هامة ، يرى فيها المنصفون من الثقات والباحثين الغربيين عملا هاما من عوامل التقدم العلمى والنهضة العلمية الحديثة ، حتى قال دى فو : إن الميراث الذى تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام عليه ، أما العرب فقد أتقنوه وعملوا على تحسينه وإنمائه حتى سلموه إلى العصور الحديثة . وكذلك ظل عالمنا يردد هذه الآراء فى المؤتمرات والمحافل التى كان يرتادها ممثلا الأردن ، بل الدول العربية جمعاء على مدى ربع قرن من الزمان ، وما أشك فى أنه نجح إلى أبعد الحدود فى تبيان فضل العرب على الحضارة العلمية .

ولابد لى من الإشارة إلى دور فقيدنا العظيم فى إنشاء الاتحاد العلمى العربى ومحاضراته فى مؤتمراته المختلفة ، وكانت شعبة الأردن أو الاتحاد العلمى الأردنى ، أول شعبة تتكون فى هذا الاتحاد ، وكيف شارك فى اجتماع اللجنة التأسيسية فى بيت مرى بلبنان ، وكان رحمات الله عليه لايفتأ يدعو إلى التعاون العلمى بين العلماء والباحثين فى العالم العربى باعتباره عنصرا أساسيا فى نهضة العلم وأنه لا يمكن للبلاد أن تتقدم ولا أن يرقى مستواها المادى والاجتماعى إلا على أسس علمية سليمة وأن هذه المؤتمرات دلت على وعى علمى كما أنها تنبيه للشعوب العربية بأن العلم هو القوة الفعالة التى تنقل العرب إلى آفاق جديدة ، تحررهم من الماضى ومقاييسه ، وأنه طريق الرخاء والصحة وهو القوة بجميع معانيها .

أما روحه المرحة ، فقد كانت طبيعة فيه لا اصطناع فيها ، ولذا كان نجم كل مؤتمر وكل ندوة وكل اجتماع ، إنه مركز الاشعاع والإشراق الذى يتحلق حوله المجتمعون ، يستمتعون بحلو حديثه وطريف تعليقاته وعمق فكره وآرائه ، إنه الرفيق الذى لا تمل صحبته أبداً ولا تشبع من عذب حديثه أبداً . وهو فى العيد الألفى لابن سينا كأنما تسمع متخصصا فى أعمال ابن سينا باحثا منقبا فى ابن سينا وأعماله العلمية ، وفى العيد الألفى للبيرونى كأنما هو الدارس المتخصص لأعمال البيرونى ، وحين يعرض لأعمال ابن الهيثم أو الكندى أو الرازى أو الصوفى أو الفارابى فكأنما صرف عمره كله فى دراسة مئات الدراسات والكتب التى تركها هؤلاء ، فهو يحيط بها إحاطة شاملة ويعرضها عرضا أميناً وافياً ، لا يكاد يترك منها شاردة ولا واردة ، إنما هى دراسة استقصائية يعرضها فى عمق وإيجاز .

وهو فى اشتغاله بالحركة الوطنية ، كأنما هو الزعيم الذى نيط به قيادة الحركة الوطنية ليسنم بلاده ذرا المجد والاستقلال ، كما كان داعية إلى اتحاد الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج .

لقد ولد عالماً فى مدينة نابلس بالأردن سنة ١٩١١ وتخرج فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ١٩٢٩ متخصصاً فى العلوم الرياضية ومثل بلاده فى أكثر من خمسة وعشرين مؤتمرا علمياً وثقافياً وإنسانياً فى البلاد العربية والغربية فى سويسرا والهند والباكستان وإيطاليا وأسبانيا ومصر والكويت ولبنان والمغرب والعراق ودمشق وهو عضو فى المجمع العلمى العربى بدمشق والمجمع العلمى لدول البحر المتوسط بايطاليا ورئيس الجمعية الأردنية للعلوم وعضو اللجنة القومية وعضو مجلس الاتحاد العلمى العربى بالقاهرة وعضو مجلس أمناء الجامعة الأردنية وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ ١٩٦١ ، وانتخب نائباً للرئيس فى المؤتمرات العلمية العربية جميعاً ومؤتمر المفكرين فى لاهور ومؤتمر التعريب فى الرباط .

أما عن كرمه وبسطة يده ، فيكفى أن أذكر إصراره على دعوة وفد مصر فى مؤتمر الخريجين بالقدس فى الخمسينيات الوسطى . وكان يزيد على مائة وخمسين عضوا فلما راجعته فى ذلك ترك لى الخيار أن أدعو له من أشاء فدعوت نحو الخمسين .

أعد لهم رتلا من السيارات نقلتهم من القدس إلى نابلس ، حيث نعموا بكرم ضيافته وأمضوا يوماً لا أظن واحدا منهم ينسى قدرى الكريم المضياف صاحب المكتبة الزاخرة بالمؤلفات النادرة ولا المصانع التى يديرها ولا كلية النجاح التى يشرف عليها ، ولا هداياه الرمزية التى لا ينفأ يغمر بها أصفياءه وأصدقاءه .

أما وفاؤه لأصدقائه فلا أكاد أعرف له ندا فى هذا الوفاء ، فهو حين يحل مصر لا بد أن يتصل بأصدقائه وأن يزورهم ، وأن يحمل لهم التذكارات وفى الحق أن أصدقاءه هنا ، كانوا يبادلونه الود والوفاء ، فما يعلمون بوجوده بين ظهرانيهم حتى يهرعون إليه للتحية والسلام ، وما ذلك إلا أنه أهل لكل تقدير ووفاء .

لقد أذاع عالمنا عشرات الأحاديث العلمية فى الأقطار العربية والأوروبية ، وكتب العديد من المقالات وألقى الكثير من المحاضرات فى العلم والتوجيه العلمى .

ونال عالمنا أرفع الأوسمه من الأردن والمغرب ، كما نال وسام الجمهورية من الطبقة الأولى فى عيد العلم العاشر فى سنة ١٩٦٤ بالقاهرة ، وذلك تقديرا لجليل خدماته للعلم والقومية العربية ، ومنحته جامعة البنجاب فى الباكستان درجة الدكتوراه الفخرية عام ١٩٦٥ .

ولايتسع المقام لعرض أعماله العلمية ، ومعظمها يدور حول تراث العرب العلمى ، وله كتاب بهذا العنوان طبع ثلاث مرات ، عالج فيه أعمال العلماء العرب فى العصر الإسلامى ، أشاد فيه بأفضالهم على العلم والحضارة العلمية وقال بحق إنهم كانوا واسطة العقد بين العصرين الإغريقى والإسكندرى من ناحية وبين عصرى النهضة الأوروبية والعصر الحديث واستشهد بأقوال كثير من المستشرقين من أمثال سارتون ونيللينوو سميث وبرنال وغيرهم . وبين بما لا يدع مجالا للشك فضل الحضارة العربية على النهضة العلمية الأوروبية . ثم الأسلوب العلمى عند العرب ، والنزعة العلمية فى التراث العربى والعلوم عند العرب وقد طبع عدة مرات ، ومقام العقل عند العرب ، وأثر العرب فى تقدم علم الفلك ونشاط العرب العلمى . ذلك إلى جانب مؤلفات ومحاضرات أخرى مثل نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية ، والكون العجيب ، وبين العلم والأدب ، وجمال الدين الأفغانى « والعيون فى العلم » « وبعد النكبة » ، و« وعى المستقبل » « والخالدون العرب » و « بين البقاء والفناء » « وابن حمزة والتمهيد إلى اللوغاريتمات ، كما ألقى أمامنا فى المجمع ثلاثة بحوث قيمة هى » الروح العلمية عند علماء العرب والمسلمين » ، و« التعاون بين العلماء والباحثين فى البلاد العربية » و« فعالية الفكر العربى فى نقد الفكر اليونانى » .

لقد عمل فقيدنا وزيرا للخارجية فى الأردن عام ١٩٦٤ ، وكان من أهم منجزات الوزارة حينذاك تحسين العلاقات بين الأردن ومصر وبقية الدول العربية ، وكانت طبيعته المرحة تتجافى ومقتضيات هذه المناصب ، فكان يصرف من يتولون حراسته سواء فى الأردن أو فى خارجه ثم أن طبيعته الصريحة والحرة إلى أبعد الحدود لم تتح له البقاء طويلا فى مثل هذه المناصب التى قد تحتاج إلى مؤهلات أخرى لم تكن متاحة لصاحبنا .

لقد عمل فقيدنا منذ تخرجه مدرساً بكلية النجاح الوطنية بنابلس ثم تولى إدارتها منذ خمس وعشرين سنة ، وإن هذه الكلية لمدينة لعالمنا بكل ما وصلت إليه من نجاح وازدهار وقد علمت أن إدارتها فكرت فى إقامة تمثال له يقوم على صنعه مثال مصرى ، كم أرجو أن يتولى مجمعنا الدعوة إلى أن تسهم مصر فى نفقات صنع هذا التمثال وإقامته ، فقد كان فقيدنا مثالا فى عربيته ومتفانيا فى حب مصر والمصريين . وإنى لأقترح تخليدا لذكراه أن يتبنى المجمع الدعوة لإنشاء كرسى لتاريخ العلم عند العرب فى إحدى الجامعات العربية فى أى من البلاد العربية وليكن جامعة الأردن أو الجامعة العربية فى بيروت ؟

وكذلك عاش فقيدنا كتلة من النشاط والحركة والبحث والدرس والكتابة والنشر والسفر ، حتى وافاه القدر المحتوم وهو فى طريقه إلينا ظهر يوم ٢٦ من فبراير ١٩٧١ ، اختطفه الموت فجأة فى بيروت وإن مقعده فى الطائرة التى تغادر بيروت إلى القاهرة لينتظره فى عصر نفس اليوم ، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الثواب بقدر ما أعطى للعلم والأمة العربية وتراثها العلمى من خدمات ، وأحسن عزاء آله وذويه ومحبيه وعارفى فضله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته *

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ١٣ من المحرم سنة ١٣٩٢هـ الموافق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٢ اقام المجمع فى داره حفل تابين للأستاذ السير هاميلتون الكزاندر رسكين جب عضو المجمع من انجلترا ، وفيما يلى كلمة التابين التى القيت فى الحفل :

# كلمة الدكتور مهدى علام فى تأبين

# السير هاملتون أ. ر. جب

فى خريف سنة ١٩٢٥ ، فى مدخل مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، عرفنى الأستاذ سير توماس آرنولد بشاب سامق حيي هادئ الحركات ، يكاد يبدو مشغولا عن محدثه وقال لى : هذا مستر جب ، مساعدى فى تدريس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية ولم يكن عملى يتصل بعمله مدة دراستى هناك ، ولكننا كنا نلتقى فى الفينة بعد الفينة لتبادل تحية قصيرة ، أو لحديث موجز عن أصل كلمة عربية .

وفى شتاء عام ١٩٢٨ ، وكنت قد عدت إلى مصر ، اتصل بى هذا الأستاذ ، فتقابلنا على فنجان شاى فى القاهرة ، وسارع إلى موضوع المقابلة ، سائلا عن مؤلفات بعض رجال الفكر المعاصرين فى مصر ، فذكرت له ما أعرفه منها ، مع تعليقات وجيزة عن رأيي فيها اعتقادا منى أنه كان يرغب فى هذه التعليقات . وحدث أننى لم أذكر مؤلفات عالم شهير فى ذلك الوقت ، فسألنى عنها ، فقلت له إننى لم أذكرها لأننى أعتقد أنها كتابات لا تهمك باعتبارك متخصصا فى الأدب العربى ، ولأنها فى رأيي كتابات كانت تمثل مرحلة قد انقضت فى حياتنا الثقافية ، وأنها ليست مما يشغل بال الأدباء اليوم .

وهنا أدركت لأول مرة أننى لم أكن أمام رجل يقصر بحثه على الأدب العربى ، بل كنت أمام أستاذ يؤرخ للفكر العربى الإسلامى ، فقد أخبرنى أنه لا يعنيه موضوع هذه الكتب ولا مدى قبول ما فيها من أفكار . إنه يبحث عن كل ما خطته أقلام المؤلفين فى مصر ليؤرخ له بل إن دائرة بحثه قد اتسعت ، كما نعرف من مؤلفاته التى أخرجها فى نحو نصف قرن بعد ذلك ، حتى شمل نشاطه العلمى السياسة والاجتماع والاقتصاد والدين ، ولم يحتل الأدب إلا منزلة لا تتميز عن سائر هذه الفروع من المعارف ، إن لم تكن أقلها .

وكادت الصلة تنقطع بيننا منذ ذلك اليوم ، حتى رأيت اسمه فى المرسوم الذى صدر فى السادس من أكتوبر سنة ١٩٣٢ بإنشاء مجمع اللغة العربية ، فاذا هو واحد من عشرين علما من أعلام اللغة العربية وأدبها ، يمثلون مصر ، وسائر العالم العربى ، وخمسة من كبار المستشرقين يمثلون : إنجلترا ، وألمانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وهولندة .

وكان فقيدنا أصغر هؤلاء العشرين سنا ، بل كان عمره أقل من متوسط عمر الأعضاء بنحو عشرين عاما ، وأقل من سن بعض الأعضاء بأربعين سنة ؛

هذا هو الفقيد الذى نجتمع اليوم لتأبينه فى المجمع الذى اتصلت حياته العلمية به منذ أربعين سنة .

ولد هاميلتون الكزاندر وسكين جب فى الاسكندرية ، فى الثانى من يناير سنة ١٨٩٥ من سلالة اسكتلندية أبا وأما ، وكان والده مديرا لمزرعة تابعة لجمعية استصلاح الأراضى الزراعية .

وفى سن الخامسة أرسل هاميلتون الصغير إلى استكلنده ليتعلم هناك . وقضى فى هذه المرحلة اثنى عشرة عاما ، حتى سنة ١٩١٢ . وفى خلال تلك المدة حضر إلى مسقط رأسه مرتين لقضاء الصيف مع والدته التى كانت ما تزال تقيم فى مصر .

وقد شملت دراسته فى هذه المرحلة اللغتين العريقتين اليونانية واللاتينية ، واللغتين الحديثتين الفرنسية والألمانية ، كما شملت العلوم الطبيعية .

وفى سنة ١٩١٢ التحق الشاب الذى كان فى سنته الثامنة عشرة بجامعة أدنبرة . وهنا ظهر له ميل يمكن أن نعزوه إلى ميلاده فى بلد عربى قضى فيه باكورة حياته ، فقد التحق فى السنة الجامعية الأولى بشعبة الدراسات السامية ، لدراسة اللغة العربية والعبرية والآرامية وكان أستاذه فى اللغة العربية هو الأستاذ ادوارد روبرتسون الذى سعدت بزمالته بعد ذلك بربع قرن فى جامعة منشستر اثنتى عشر سنة : وكثيرا ما حدثنى عن تلميذه النجيب هاميلتون جب . وكان له أثر كبير فى تحبيب دراسة اللغة العربية اليه

وانقطعت دراسة جب الجامعية بقيام الحرب العالمية الأولى ، فقد التحق بالجيش سنة ١٩١٤ وخدم فى فرنسا من سنة ١٩١٧ حتى إعلان الهدنة سنة ١٩١٨

ثم عاد إلى الجامعة وحصل فى سنة ١٩١٩ على درجة الليسانس (بنظام الحرب) وهى درجة أنشأتها الجامعات البريطانية للطلاب الذين قطعوا دراساتهم الجامعية للالتحاق بالقوات المسلحة باسم War Degree

والتحق بعد ذلك بمدرسة اللغات الشرقية بلندن . وكانت وليـدة الحرب ، ولكنها ضمت إلى جامعة لندن كلية من كلياتها . وحصل منها على درجة الماجستير فى اللغة العربية سنة ١٩٢٢ ، وعين مدرسا مساعدا فيها ، وكان موضوع رسالته « الفتوحات العربية فى وسط آسيا » .

وهنا تحدد فى ذهنه المنهج العلمى الذى أراد أن ينتهجه فى حياته ، وهو التأريخ للحياة العربية الإسلامية ، فى سياستها واجتماعها واقتصادها ودينها . وأعتقد أننى لا أعدو الحقيقة إذا قلت إنه كان لأستاذه العظيم ، سير توماس آرنولد ، أثر مباشر فى هذا الاتجاه فقد كان هذا العلامة أستاذا للتاريخ الإسلامى فى جامعة لندن ، وكان جب مساعدا له .

وقد قام فى المدة التى كان يعمل فيها معه برحلتين علميتين ، إحداهما فى شمال أفريقية ، والأخرى فى الشرق الأوسط .

وفى سنة ١٩٢٩ عين فى جامعة لندن بلقب "Reader" للتاريخ الإسلامى واللغة العربية ويعبر هذا اللقب فى الجامعات الإنجليزية عما نسميه فى جامعاتنا أستاذا بدون كرسى ، ولما خلا الكرسى فى سنة ١٩٣٠ بوفاة أستاذه ، سير توماس آرنولد ، شغله هذا الأستاذ الذى كان بمقياس السن شابا صغيرا ، حتى لقبه المستشرق ليفى دلا ڤيدا بالأستاذ الحدث السن "The young professor"

وكما خلف أستاذه فى الكرسى الجامعى ، خلفه كذلك فى الإشراف على دائرة المعارف الإسلامية سنة ١٩٣١ ، وكان هنا كذلك أصغر المشرفين على هذه الدائرة سنا. كان أصغر من ليفى دلاڤيدا بتسع سنوات ، ومن فنسنك بخمس عشرة سنة . وفى الطبعة الجديدة لدائرة المعارف الإسلامية كان أحد المشرفين الأصليين ، بعد ما تجلى من جهده فى المدة التى حل فيها محل أستاذه فى الطبعة الأولى .

وبقى الأستاذ جب فى جامعة لندن من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٣٧ حين خلا كرسى اللغة العربية فى جامعة أكسفورد من شاغله الأستاذ مرجوليوث ، فشغله فقيدنا من سنة ١٩٣٧ حتى سنة ١٩٥٥

وفى تلك السنة دعته جامعة هارفارد بالولايات المتحدة ، أستاذا ومستشارا للدراسات العليا - وبعد ذلك بعامين عين مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط . وفى سنة ١٩٦٤ تقاعد مع بقائه مشرفا على ذلك المركز .

ولا يتسع المقام للحديث عن النشاط العلمى للفقيد ، فكتاباته تملأ آلاف الصفحات ، ومحاضراته استمع إليها علماء البلاد العربية والاسلاميـــة ، وبعض البلاد الأوربيـــة والأمريكية .

وقد كرمته دول وهيئات علمية كثيرة . فقد منحته دولته لقب سير سنة ١٩٥٤ ، ومنحته فرنسا وهولندة بعض الأوسمة . وكان عضوا فى الأكاديمية البريطانية ، والأكاديمية الدانمركية ، والجمعية الفلسفية الأمريكية ، وكان عضوا فخريا فى الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم ، وعضوا فخريا فى الأكاديمية الأمريكية للقرون الوسطى وعضوا مؤسسا فى مجمعنا هذا ، وعضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية بدمشق ، وعضوا مراسلا بالمجمع العلمى العراقى .

وسأقتصر على لمحات من نشاطه .

ففى هذا المجمع اشترك الفقيد فى لجنة رسم الحروف ، ولجنة الأصول ، ولجنة معجم فيشر ، ولجنة الأعلام الجغرافية ، ولجنة

اللهجات . وفى افتتاح دورة الانعقاد الثالثة سنة ١٩٣٦ جاء فى خطابه قوله :

« قد أشار الزميل المحترم السيد محمد كرد على بك إلى أن المجمع قد تجاوز سن الرضاعة ، ويدخل الآن فى سن الحضانة ، واحتج بصغر سنه على من يلح عليه بأن ينوء بأعباء فوق طاقته الحالية .

والمجمع كله يؤيد ولا شك هذا الاحتجاج ومما يزاد على ذلك أن سن الحضانة هى فى الوقت نفسه سن التعليم والاستعداد لأعمال الرجولة ، وأن تجاربنا فى سنتى الطفولة قد برهنت على أن نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربى يتوقف على استعدادنا لسلوك طريق طويل المدى ، دارس المعالم - طريق الاكتشاف والتوسع ، وهو طريق لا يسلك إلا بشئ من الجرأة ، ولا يسلم من الضلالة فيه إلا من استعد له بكامل العدد ، وليس منا أحد إلا وهو يعترف بأنه تعلم فى الدورتين اللتين مضتا كثيرا . واوصرح لى بإشارة شخصية لقلت تعلم كثيرا جدا مما كان يجهله .

أما مدرستنا فليست محصورة بين هذه الجدر الأربعة ، بل تمتد إلى حدود العالم العربى وإلى ما وراءها . ويا حبذا لو أن العالمين بأنواع العلوم والفنون الذين ينظرون إلى المجمع بعين العطف والإخلاص ، أجابوا دعوته إلى الاشتراك معه فى أعماله . ولن يتحقق صعوبة وظيفة المجمع فى القرن بين تيار الجديد وتراث القديم إلا من جربها . فويل للغة مصادرها ومعجماتها ، دون الشعور الحى للناطقين بها ، وويل أيضا للغة ينطق ويكتب الناطقون بها طوع أهوائهم ويضربون بمعجماتها عرض الأفق لذلك كان رجاؤنا إلى المخلصين المنتقدين جميعا أن لا يلزمونا التسرع فى إصدار الرأى قبل أوانه .

وبهذه الروح - روح الاجتهاد فى العمل ، وروح التعاون نتقدم إلى أعمال الدورة الثالثة عسى الله أن يوفقنا إلى أن نجعلها ، كما قال معالى الرئيس وباشرافه الكريم ، حافلة بالخير والبركة على اللغة » .

وفى مؤتمر الدورة الثالثة عشرة سنة١٩٤٨ ألقى الفقيد كلمة جاء فيها :

« أفتتح كلمتى معترفا بالتقصير - أوبالأحرى بما يشبه التقصير - فى التخلف عن شهود المؤتمرين الماضيين . على أنى لم أقطع صلتى بالمجمع : فإنى لا أزال من أشد أعضائه تفاؤلا بمستقبله ، وإيمانا بمهمته .

وقد كنت خلال هذين العامين أعمل مع إخوانى المستشرقين فى انجلترا . وقصة عملنا طويلة ، وهذا موقف اختصار . وربماأتيحت لى فى غير هذه المناسبة فرصة لشرح التفاصيل وحاصل الأمر أننا ، أساتذة اللغات والثقافات الشرقية فى انجلترا ، كنا فى هاتين السنتين متطوعين نجاهد فى توسيع نطاق الدراسات الشرقية فى جامعاتنا ، وقد تابعنا هذا الجهاد

فى جهتين مستقلتين ، جهة حكومية ، وأخرى داخلية .

فأما الجبهة الحكومية فقد ابتدأت بتأليف لجنة رسمية مثلت فيها كثرة الوزارات لبحث حالة الدراسات الشرقية فى الجامعات فاستمرت فى البحث أكثر من سنة ، بل نحو سنتين ، ودرست تقارير الجامعات والمستشرقين ، وأصدرت تقريرا يسمى تقرير سكار بارا ، دعت فيه إلى إرصاد مبالغ وافرة لتشجيع الدراسات الشرقية فى الجامعات ، وحث الطلبة المتميزين على التخصص فى هذه الدراسات .

وأما الجبهة الداخلية فقد جمعت أساتذة اللغات الشرقية وغرضها تنظيم الدراسات الشرقية فى جامعاتنا . والاستفادة مما كسبناه من التجارب أثناء سنى الحرب الماضية فى تعليم الضباط . وفى سنة ١٩٤٦ عقدنا مؤتمرا عاما فى أكسفورد بمناسبة مرور مائتى سنة على ميلاد سير وليام جونز ( Sir William Jones ) من أكابر المستشرقين فى القرن الثامن عشر. وقد اشترك فى هذا المؤتمر أساتذة اللغات والثقافات الشرقية ، وبحثوا فى أساليب التدريس ووسائل التعرف إلى الثقافة العربية والهندية وغيرها من ثقافات الشرق ، وكيفية نشرها بين الجمهور . وقد نجح المؤتمر نجاحا أكاد أقول غريبا . واتجه العزم إلى انشاء جمعية خاصة للمهتمين بهذه الدراسات ، لتواصل عقد المؤتمرات والأبحاث لتنظيم أعمالنا ونشر ثقافاتنا ، إذا سمحتم لى أن أقول ثقافاتنا . . . وقد ألفت هذه الجمعية فى مؤتمر عام انعقد فى كمبردج فى السنة الماضية ، وشرعت الجمعية فعلا فى القيام ببعض الأعمال .

وفى أثناء ذلك فتحت جبهة ثالثة ، هى جبهة ما وراء البحار ، فإن هذه الحركة فى انجلترا تردد صداها فى بعض الدوائر العلمية الأمريكية ، فدعت مؤسسة روكفيلر وفدا منا للاتصال بالمستشرقين فى جامعات أمريكا والاشتراك معهم فى بحث الأساليب الكفيلة بتشجيع الدراسات الشرقية فى الجامعات الأمريكية ، وتنظيم وسائل التعاون فى هذه السبيل ، بين الأساتذة الانجليز والأمريكيين وقد تم الاتصال المنشود ، ورسمت بعض الخطوط العملية للقيام بغرضين : تشجيع الدراسات الثقافية العربية فى الجامعات الأمريكية ، والتعاون على بث التعرف إلى الثقافة الإسلامية والعربية فى بلادنا .

وتلك هى الجبهات الثلاث التى كانت تعمل على تنظيم الجهود فى السنتين الماضيتين وعسى أن يراها المجمع جديرة باهتمامه » .

وقد أشرت فيما سبق إلى أن الفقيد توج أعماله العلمية بما قام به فى جامعة هارفارد ، ومركز دراسات الشرق الأوسط بها .

ومما يجدر بى أن اشير اليه ، بصدد إشراف الفقيد على دائرة المعارف الاسلامية ، أنه إلى جانب ذلك الجهد العلمى الشاق ، قد ساهم بنحو ثلاثين مقالة فى تلك الموسوعة

وكان من الطبيعى أن تكون مقالاته عن تاريخ بلاد وشخصيات عربية ، وموضوعات إسلامية . فمن ذلك مقالاته عن عدن ، والبحرين ، ومصر ، وحضرموت ، واليمن ، وعبد العزيز بن سعود ، ومحمد على ، وسعد زغلول ، وعن اللغة العربية ، والخلافة والدروز .

كذلك أود الإشارة إلى كتاباته عن أعمال بعض الزملاء المجمعيين . فقد كتب عن قاموس شرف ، وعن إحياء النحو للمرحوم إبراهيم مصطفى ، وعن قرية ظالمة الدكتور محمد كامل حسين .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية كان من حظى أن أترجم لسير هاميلتون مقالتين عن الأدب العربى ، نشرتا فى مجلة « الأدب والفن » الأولى فى العدد الثانى من السنة الأولى سنة ١٩٤٣ والثانية فى العدد الأول من السنة الثالثة سنة ١٩٤٥ ، وأعيد نشرهما فى كتابه « دراسات فى حضارة الاسلام » سنة ١٩٦٢

"Studies on the civilization of Islam"

ومما جاء فى المقالة الثانية بعنوان « نشأة الإنشاء الأدبى » محاولة الكاتب فى تعريف الأدب ، إذ يقول :

« الأدب ، كما هو معروف لكل إنسان كلمة اصطلاحية تدل على إنتاج إنشائى من طراز خاص باللغة العربية . غير أن الكتابات التى تندرج تحت هذه الكلمة تتنوع تنوعا كبيرا فى موضوعاتها ، وأساليبها ، وأغراضها ، بحيث يصعب أن تجد عبارة تشملها جميعا . ويترجم الكتاب الأوربيون عادة كلمة أدب ، بهذا المعنى ، بالعبارة (Belle — lettres) أو الأدب الجميل ، أو الكتابة الرفيعة ، وهى عبارة تكاد تكون فى صعوبة اللفظ العربى تحديدا .

ولأيسر لنا أن نعرف الأدب تعريفا سلبيا . فنحدد ما لا يدخل تحته بأن نميزه من الكتابات التى فى فقه اللغة ، والفلسفة ، والتاريخ والجغرافية ، وما إلى ذلك على أننا سنرى أن الحد الفاصل بينه وبينها ليس واضحا بحال من الأحوال . ولعل أقرب تعريف يتسنى لنا وضعه هو أن نقول إن كتابا فى الأدب هو كتاب يكتبه مؤلفه وهو يشعر بغرض أدبى أو إنشائى ، سواء أكان يعالج موضوعا فى فقه اللغة أو التاريخ أو الأخلاق أو التسلية المحضة ، فالكاتب فى فقه اللغة أو التاريخ مثلا يرمى فى كتابته إلى هدف واحد ، هو تزويد القارئ بمعلومات أو تنظيم بعض الحقائق وتبويبها لتزود القارئ بمعلومات على حين أن كاتب الأدب يدخل فى موضوعه أيا كان ذلك الموضوع ، عنصر الخيال أو الابتكار بما يضفى عليه ثوب الجمال أو الفن ، فيجعله سائغا شائقا للقراء الذى يشاكلونه فى ميولهم وأذواقهم العقلية . ويحدث هذا طبعا بدرجات مختلفة فى مستوياتها من حاسة الجمال المرهفة المثقفة التى تتميز بها الدوائر الأدبية الواسعة الاطلاع ، إلى الفجاجة والفظاظة التى تتمثل فى دهماء الشوارع .

فستجد عناصر من جميع هذه المستويات ممثلة فى الانشاء الأدبى وأنه من أجل ذلك كانت تلك الكتابة الأدبية إذا فهمت فهما صحيحا ، هى المصدر الذى نجد فيه أصدق صورة للمجتمع الاسلامى فى القرنين التاسع والعاشر ، ذلك المجتمع الذى كان مدهشا فى حيويته ، وبحثه ، وقوته ، وتشعب نواحيه » .

وبعد : ألم أقل من قبل أن اهتمام هذا الأستاذ كان يدور فى فلك التاريخ السياسى والاجتماعى للمجتمع الاسلامى .

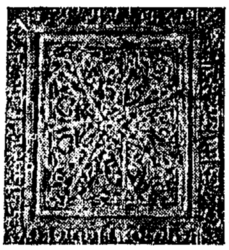
فها هوذا يعلن أنه يستهدف من دراسته للأدب العربى ، تحليل صور الحياة فى المجتمع الاسلامى .

لقد عاش هذا المستشرق العظيم دارسا ومعلما فى هذا الاطار الشامل للدراسات الاسلامية . وما أبعدنى عن انتقاص قدره فى يوم تكريم ذكراه ، إذا لاحظت أن أوجز أعماله وأصغرها حجما ، هو كتابه « الأدب العربى : مقدمة
"(Arabic Literature: On Introduction"

كما يدل على ذلك هذا العدد الكبير من البحوث التى كتبها ، والتى تميزت إلى جانب عمقها ، بتنوعها وتعددها ، فكانت بمثابة روضة يانعة مترامية الأطراف متنوعة الثمار وكان بين أشجارها شجرة صغيرة جميلة هى شجرة « الأدب العربى » .

باسم هذا المجمع الموقر ، الذى شرفنى بالتحدث باسمه فى تأبين فقيدنا الكريم ، أحيى هذا الإنتاج العلمى العظيم فى ميدان الثقافة العربية الاسلامية ، وأحيى صاحبه فى مثواه الأخير .

وإذا كان هناك مؤسسة قديمة باسم مؤسسة جب : The Gibb Memorial فإن مؤسسة معنوية جديدة لذكرى هاميلتون جب قد أقامها لنفسه فقيدنا الكريم .



Arabic Literature: On Introduction.

# من أنباء المجمع

## القرار الجمهورى بتجديد انتخاب

## الدكتور طه حسين رئيسا للمجمع :

صدر قرار جمهورى بتجديد انتخاب الدكتور طه حسين رئيسا للمجمع لمدة أربع سنوات أخرى ، تبدأ من ١٩٧١/١٢/٧ ، وفيما يلى نص القرار :

**قرار رئيس جمهورية مصر العربية**

**رقم ٣١١٠ لسنة ١٩٧١**

**رئيس الجمهورية**

بعد الاطلاع على الدستور

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ بانشاء مجمع اللغة العربية ؛

وعلى قرار مجلس مجمع اللغة العربية بجلسته المنعقدة فى ١٥ من نوفمبر ١٩٧١ بانتخاب الدكتور طه حسين بالاجماع رئيسا للمجمع لمدة أربع سنوات ، تبدأ من ٧ من ديسمبر سنة ١٩٧١ ؛

**قرر :**

( المادة الأولى )

اعتماد انتخاب السيد الدكتور طه حسين رئيسا لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات تبدأ من ٧ ديسمبر سنة ١٩٧١

( المادة الثانية )

على نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الثقافة والاعلام تنفيذ هذا القرار .

صدر برياسة الجمهورية فى ١٣ ذى القعدة سنة ١٣٩١ هـ ( ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٧١ م ) .

**( أنور السادات )**

**أعضاء جدد :**

انتخب عضوا بالمجمع كل من السيدين :

- الامام الأكبر الدكتور الشيخ محمد الفحام شيخ الجامع الأزهر ، فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ محمد توفيق دياب .

- والأستاذ على السباعى – الرئيس السابق لقسم النحو بكلية دار العلوم – فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

وذلك فى الجلسة التى عقدها مجلس المجمع فى يوم الاثنين ١٩٧١/١٢/١٣

- كما انتخب عضوا بالمجمع الدكتور ناصر الدين الأسد – المدير العام المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية – فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الدكتور قدرى حافظ طوقان ، عضو المجمع من الأردن .

وذلك فى الجلسة الختامية التى عقدها مؤتمر المجمع فى ١٩٧٢/٢/٢١

**فقيدا المجمع :**

قبض الله تعالى الى رحمته روح المغفور لهما : الدكتور محمد عوض محمد عضو المجمع – فى ١٩٧٢/١/١٠ – والأستاذ سامى الكيالى عضو المجمع المراسل من سوريا – فى فبراير سنة ١٩٧٢ – تغمدهما الله برضوانه ، والهمنا فيهما الصبر الجميل ! !

**خبراء جدد :**

وافق مؤتمر المجمع فى جلسته الختامية المنعقدة فى ١٩٧٢/٢/٢١ على اختيار بعض الأعضاء المراسلين ، وهم السادة :

- الدكتور زكى المحاسنى ( من سوريا ) .
- الأستاذ احمد مشارى العدوانى ( من الكويت ) .
- الدكتور محسن مهدى ( من العراق ) .
- الأستاذ على نصوح الطاهر ( من الأردن ) .
- الأستاذ أبو القاسم محمد كرو ( من تونس ) .

## صلات المجمع الثقافية :

●● ورد المجمع طائفة من المصطلحات الادارية ، بعث بها الأستاذ ابراهيم البرلسى ــ مستشار معهد الادارة العامة والخبير بلجنة القانون بالمجمع ــ وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٢/١٢/٦ احالتها على لجنة القانون ، لدراستها وابداء الرأى فيها .

●● بعثت جامعة هارفارد الأمريكية الى المجمع بكتاب يعرض محاولة لتدريس اللغة العربية للطلبة الأمريكيين ، فأحاله مجلس المجمع على الدكتور مهدى علام ــ عضو المجمع ــ لمراجعته وابداء الرأى فيه . وقد قام الدكتور مهدى علام بدراسة هذا الكتاب وتقويمه ، وأبدى ملاحظات بعث بها المجمع الى جامعة هارفارد .

●● عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية لجنة فنية لدراسة أحرف الطباعة العربية ودعت الى الاشتراك فيها مجمع اللغة العربية مع ممثلى الهيئات الثقافية المختلفة فى البلاد العربية ، وقد قرر المجمع أن يمثله فى اللجنة الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع ، كما قرر ندب الأستاذ محمد شوقى أمين الخبير بالمجمع لهذه المهمة أيضا . ولما انعقدت اللجنة اختارت الأستاذ محمد شوقى أمين مقررا عاما لها . فقدم تقريرا عن أعمالها عرض على مجلس المجمع فى جلسته المنعقدة فى ١٩٧٢/١/٢ فأحيل التقرير الى لجنة تيسير الكتابة بالمجمع ، وهذا نصه :

**مجمع اللغة العربية**
**١٩٧١**

### تقرير

فى شأن ما قامت به اللجنة الفنية لدراسة أحرف الطباعة العربية وهى اللجنة التى دعت اليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية

**مقدم من الأستاذ محمد شوقى أمين**
ممثل مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمقرر العام للجنة

١ ــ دعى المجمع الى تمثيله فى اللجنة الفنية لدراسة أحرف الطباعة العربية ، وهى اللجنة التى قامت بتأليفها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية ، فقرر المجمع أن يمثله فيها الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع . وكان المجمع من قبل قد تفضل فندبنى أن أكون بين ممثلى الهيئات المدعوة الى هذه اللجنة ، وفى الموعد المحدد لأول اجتماع لها كلفنى الأستاذ زكى المهندس أن أبلغ اللجنة اعتذاره من التخلف .

٢ ــ وقد تفضلت المنظمة فاختارتنى فى الهيئة التحضيرية لاعداد الموضوعات التى تدرسها اللجنة ، وتحديد جدول أعمالها ، ثم كلفتنى الهيئة أن أعد الثلاثة البحوث الآتية :

(أ) مراحل البحث فى تيسير أحرف الطباعة .

(ب) نظرة مقارنة وموازنة بين طريقة المجمع وطريقة الأستاذ احمد الأخضر فى اختصار صور الحروف الطباعية .

(ج) كيف تعالج قضية الشكل فى الطباعة ؟

وكذلك كلفتنى اللجنة ــ من بعد ــ اعداد بحث رابع فى الدلالة على الأصوات الأجنبية بعلامات فى الكتابة العربية .

٣ ــ وقد عقدت اللجنة تسع جلسات بدأت يوم ١٩٧١/١١/٢٧ وانتهت يوم ١٩٧١/١٢/٢ وكانت الجلسات صباحية ومسائية فى بعض الأيام ، وشهدها ممثلون للمملكة الأردنية الهاشمية ، وجمهورية السودان الديمقراطية ، والجمهورية العراقية ، والجمهورية اللبنانية ، وجمهورية مصر العربية بهيئاتها التالية : مجمع اللغة العربية ، ومؤسسة الأهرام ، والهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ودار الكتب والوثائق القومية ، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، والهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .

وكذلك ممثل لمعهد البحوث والدراسات العربية ، ووفد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الى جانب بعض الباحثين ، وبينهم أحد المشتغلين بموضوع أحرف الطباعة العربية من جامعة أمستردام فى هولنده .

٤ ــ وقد تفضلت اللجنة فى جلسة افتتاحها ، فاختارتنى مقررا عاما لها ، فتوليت تحرير جلساتها ، وتسجيل أعمالها ، وكنت بين أعضائها الذين تولوا صياغة قراراتها وتوصياتها .

٥ ــ وقد عنيت بأن أعرض على اللجنة مع البحوث الأربعة التى أعددتها لها وتدارسها أعضاؤها ، ما قام به « مجمع اللغة العربية » فى مختلف الموضوعات المعروضة للبحث .

وكان للأستاذ الدكتور محمد مهدى علام عضو المجمع ، وممثل المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى اللجنة ــ اثر عميق فيما دار من مناقشات ، وفيما انتهت اليه اللجنة من قرارات وتوصيات .

٦ ــ ويسرنى أن انوه بما لقيت أعمال المجمع فى اللجنة من تقدير وتأييد ، فقد كان فيما ووفق عليه بالاجماع مما يتصل بالمجمع أصالة فى القرارات والتوصيات ما يأتى :

أولا ــ اعتبار النموذج الذى قدمه مجمع اللغة العربية بالقاهرة مطبوعا بعنوان « تيسير الكتابة العربية » أقرب النماذج التى عرضت تحقيقا لأكثر السمات التى أقرتها اللجنة لتتصف بها الحروف العربية الطباعية .

ولكن أغلب الأعضاء رأوا أن الأفضل استعمال حرفى العين المهملة والغين المعجمة فى وسط الكلمة وآخرها بصورتيهما المقفلتين ، لا بصورتيهما المفتوحتين اللتين تجيئان فى أول الكلمة .

ثانيا ــ قررت اللجنة استبعاد رقم ٢ ذى القنطرة وكتابته مستقيم الرأس أفقيا ، وذلك مما قرره المجمع ، ومما اتبع فى طريقته لاختصار صور الحروف الطباعية .

ثالثا ــ الموافقة على تبنى القواعد التى انتهى اليها المجمع فى وضع الشكل فى الكتب المدرسية على النحو المبين فى تلك القواعد .

رابعا ــ توصى اللجنة المجامع اللغوية واتحادها أن تولى عنايتها للاتفاق على رسوم كتابية وطباعية للأصوات الأجنبية التى لا رموز لها فى الهجاء العربى ، وأن يواصل مجمع اللغة العربية بالقاهرة جهوده فى هذا النضال .

٧ ــ ومع هذا التقرير نصوص القرارات والتوصيات كاملة .

٨ ــ وأضيف الى ذلك أن أحد ممثلى الجمهورية اللبنانية وهو الأستاذ جورج أديب صاحب مسبك الحروف الحديث قدم لى رسالة مكتوبة الى رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة والى أعضائه يقرر فيها أنه فى حالة اقرار اللجنة لسمات حرف طباعى موحد واعتماد المجمع اياه ، فانه يسره القيام بحفريات هذا الحرف دون مقابل .

٩ ــ كذلك أضيف أنه فى أثناء مناقشات اللجنة عرض الأستاذ عبد الفتاح الكليسلى ممثل الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية أن الهيئة محتفظة بقاعدة المجمع فى اختصار صور الحروف وأن الهيئة مستعدة لسبك حروف بها لطبع ما ينتجه من أعماله ، على أن تستخدمها الهيئة فى طبع التقارير والنشرات التى تطلب منها الوزارات والهيئات طبعها ، وفى تزويد المطابع الفرعية بها .

١٠ ــ وفيما اقترحه أحد ممثلى المنظمة أن ينظر فى طبع أعمال اللجنة وبحوثها وفق الطريقة المجمعية لاختصار صور الحروف ، وسيضع اقتراحه بين يدى المنظمة .

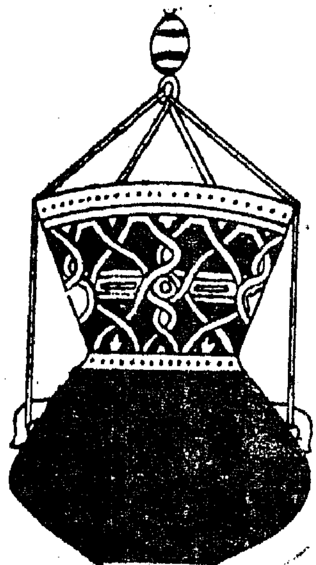
وأخيرا أشكر للمجمع أنه أتاح لى شرف تمثيله فى اللجنة كما أتاح لى شرف الاسهام فى أعمالها على ضوء اسهامى فى جهود المجمع فى تيسير الكتابة العربية أثناء عملى فيه .

**محمد شوقى أمين**
الخبير بالمجمع

## مؤتمر المجمع

انعقد مؤتمر المجمع فى الدورة الثامنة والثلاثين لمدة خمسة عشر يوما ، بدأت من ١٩٧٢/٢/٧ ، وحضره عدد كبير من أعضاء المجمع فى البلاد العربية الشقيقة ، وعرضت فيه أعمال لجان المجمع ، والقيت عدة بحوث ، وجرت حول هذا وذاك مناقشات وتعقيبات .

وسيصدر المجمع محاضر جلسات المؤتمر وبحوثه فى مجموعة خاصة به .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٢/١٩٧٢

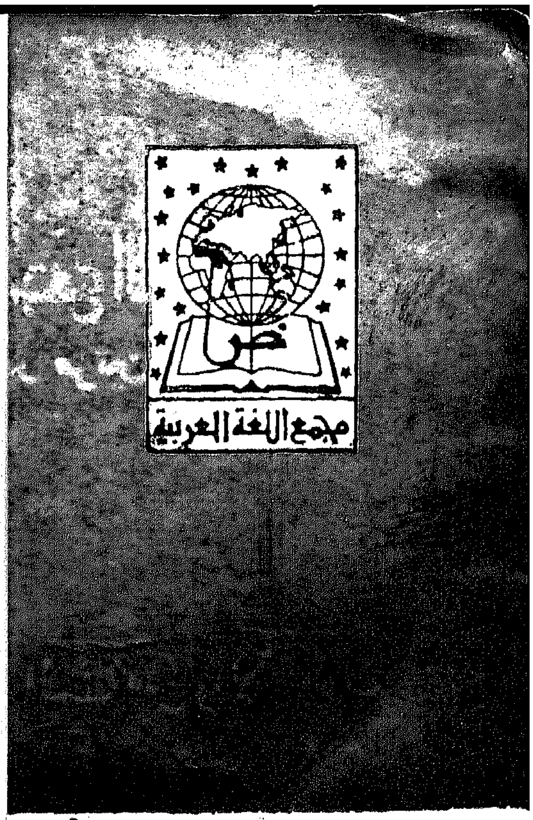
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٢٠٠٢-١٩٧٢س١٠٨٧

ضیا

# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء الثامن والأربعون
المحرم ١٤٠٢هـ
نوفمبر ١٩٨١م




**مجمع اللغة العربية بالقاهرة**
**١٥ شارع عزيز أباظة الزمالك**

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين فى السنة )

الجزء الثامن والأربعون

المحرم ١٤٠٢هـ - نوفمبر ١٩٨١م

المشرف على المجلة:

الدكتور مهدى علام

رئيس التحرير

إبراهيم الترزى

# الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

# تصدير

## للدكتور مهدى علام

# من مكتبتى

---

أعود مرة أخرى إلى رفوف مكتبتى ، لألتقى بأحد أصدقائى بها ، فأحدث قرائى عنه ، كما فعلت فى عدد من المقدمات التى صدرت بها أجزاء مجلتنا الموقرة .

هذا الصديق هو كتاب « أوهام شعراء العرب فى المعانى » تأليف المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا . وترجع صلتى بذخائر تيمور الأدبية إلى نحو نصف قرن ، وترجع علاقتى بهذا الكتاب إلى ثلث قرن . ففى منتصف الثلاثينيات كنت أشتغل ببحث رجعت فيه إلى المخطوطات فى « الخزانة التيمورية » التى كانت تحتل قاعة خاصة بها فى دار الكتب المصرية ، بباب الخلق . ولم يبهرنى يومئذ ماعثرت عليه هناك من المخطوطات النادرة المتصلة ببحثى ، قدر مابهرنى من التعليقات التحقيقية التى وُشِّيَتْ بها صفحات الكتب التى تملأ الخزانة التيمورية . إن عناية المرحوم أحمد تيمور باشا بجمع الذخائر العلمية كانت أمراً معروفاً لأهل الأدب والثقافة ، أما التعليقات والحواشى التى خطها هذا العالم بخطه الواضح الجميل على صفحات كتبه فلم يكن يعرفها ، ويعرف قيمتها ، إلا من اطلع عليها . وقد بهرنى منها أمران : غزارتها ودقتها . أما غزارتها فتبدو لكل مطلع عابر ، يقلب الكتب ويتصفحها . وأما دقتها فلا تتجلى إلا للباحث الذى يسعى وراء تحقيق مسألة من المسائل . فإذا حدث أن مثل هذا الباحث المتخصص رجع إلى أحد الكتب أو المخطوطات التى فى هذه الخزانة الميمونة ، ألفى أن ما خطته يد ذلك الشيخ الجليل ، لم تكن خواطر عابرة ، مما يجده المرء عادة على هوامش بعض الكتب ، بل كانت تحقيقات علمية يثرى بها العلم ويستنير بها الباحث .

وكانت إشاراته يلاحق بعضها بعضا ، ويكمل بعضها بعضا . فمثلا ؛ إذا علق فى موضع من كتاب على مسألة ، قال : ولهذه المسألة تكملة أو معارضة فى صفحة كذا من الكتاب الفلانى ، ثم نجد فى ذلك الكتاب الآخر إشارة إلى ما فى الكتاب الأول ، وهكذا على نسق ما هو

متبع فى أدق نظم المراجع والفهارس ، مما هو معروف باسم Cross - references أو ما يمكن تسميته بالإشارات المتقاطعة .

لقد كنت أتعقب تاريخ شاعر أندلسى عظيم ، نسيه الزمن ، ولم تنتبه له كتب الأدب إلا نادرا ، ولم يظفر بحظ فى كتب التاريخ المتداولة ؛ حتى « دائرة المعارف الإسلامية » لم تجُدْ عليه ، ولا على مؤلَّف من مؤلفاته بكلمة واحدة . ولكننى وجدت فى مخطوط من مخطوطات تيمور العظيم ، تعليقات تشير إلى بعض المراجع التى فيها شذرات عن ذلك الشاعر العظيم : « حازم القرطاجنى » . ( كتبت عنه بعد ذلك فى « حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس » العددان الأول والثانى سنة ١٩٥١ ، ١٩٥٢ )

ولكم تمنيت يومئذ أن يتيح الله من يدرس هذه التعليقات ليضم مؤتلفها ، ويمحص مختلفها ، ليكون ذلك فى متناول العلماء والباحثين .

ولم أكن أعلم أن تيمور العظيم كان قد قام هو نفسه بذلك ، أو ببعضه على الأقل ، مما تولت إخراجه فيما بعد « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » . وكان من حظى أن عهدتْ إلى هذه اللجنة فى سنة ١٩٤٩ تحرير بعض هذه المؤلفات والتقديم لها .

وهذا هو الكتاب الذى أتحدث عنه اليوم ، بعد أن تحدثت عنه فى ديسمبر ١٩٤٩ — جمع تيمور فى هذا الكتاب « أوهام شعراء العرب فى المعانى » : جمعها من لسان العرب ، والمزهر ، والأغانى ، والخصائص ، والعقد الفريد ، ومحاضرات الأدباء ، والتنبيهات ، والوساطة ، ومجالس أبى مسلم ، والموشح ، وسفر السعادة ، وخزانة الأدب ، وشروح الدواوين الشعرية المختلفة ، وغيرها من الكتب التى قرأها وعلق عليها .

ولم يكن تيمور العظيم فى هذا الكتاب متعقباً لأخطاء الشعراء ، كما لم يكن ، فى أى تعليق من تعليقاته ، متعقبا لأخطاء الكتاب والمؤلفين ، حبا فى تسجيل خطأ المخطئين ، بل كان يريد تصويب الأمر بتسجيل الصواب ، ووضع الأمر فى نصابه ، فهو ليس من العيابين الذين يتصيدون الهفوات ، أو يختلقونها ، بل كان من المصلحين . يتجلى ذلك فى مناقشته لآراء النقاد الذين يخطّئون الشعراء فى معانيهم . فهو لايفرح باكتشاف خطأ ليسجله شأن فقراء النفوس ، وفقراء العلم ؛ ولكنه كما يتعقب الشعراء ، يتعقب النقاد وينصف أولئك من هؤلاء . فعل ذلك فى ثلاثة مواضع : حين أنصف أبا النجم من ابن قتيبة وأبى هلال العسكرى ( ص ١٦ ) ؛ وحين أنصف النابغة الذبيانى من الأصمعى وأبى عمرو بن العلاء

( ص ٢٤ ) ؛ وحين أنصف زهير بن أبي سلمى من مؤلفي العقد الفريد، والوساطة ، والموشح ، وسر الفصاحة ، والموازنة ، والصناعتين ، وطبقات الشعراء، فقد اتهموه بالخطأ حين وصف الضفادع بأنها تخرج من الماء على جذوع الشجر «يَخَفْنَ الغَمَّ والغَرَقَ» لأنها إنما تخرج لتبيض وتفرخ في الشطوط . واستشهد تيمور بقول من برأ زهيراً من الخطأ : إنه لم يُرِد أنها تخاف الغرق على الحقيقة ، وإنما أراد المبالغة في كثرة الماء ( ص ٣٥ )[١]

وبهذه المناسبة سألني أحد الطلاب يوماً ، وأنا أتكلم عن قول المتنبي في وصف حسّاده، إذ يضرّهم إنشاد قصائده كما تضرّ رياحُ الوَرْد بالجُعَل ( نوع من الخنافس ) :

بِذِي الغَبَاوةِ من إنشادها ضرر    كما تُضِرُّ رياح الورد بالجُعَلِ

أصحيح أنّ الجعل يضرُّ بها ريح الورد ؟ فكان جوابي : أنني لم أقم بتجربة أتبين منها صحة ذلك ؛ وأغلب الظن أنها لاتضر بها ، وإنما تصوّر المتنبي أن الجعل تتأذى بريح الورد لأنها تعيش في بيئة قذرة ، ولعل ذلك من أوهام الشعراء . ولم أكن أدري يوم قلت ذلك أنه سيصبح من حسن حظي أن أكتب مقدمة لكتاب في «أوهام الشعراء في المعاني» لعالم من أعظم علمائنا . تغمده الله تعالى برحمته .

**محمد مهدي علام**
الأمين العام للمجمع والمشرف على المجلة

(١) إني أعجب أنه لم يخطر ببال هؤلاء الأفاضل أن ذلك قد يكون من قبيل «حسن التعليل» .

# بحوث ومقالات

# حياتنا الفكرية فى نصف القرن الأخير

## (٢)

### للدكتور إبراهيم مدكور

**اللغة الوطنية :**

ولغتنا نفسها كانت موضع أخذ ورد ، فقيل : هل نفسح فيها المجال للفظ الأجنبى والدخيل ، أو نقاطعه ونحرمه ؟ ودار حول ذلك نقاش وجدل طويل ، ثم انتهينا إلى أنه ليس ثمة غضاضة فى أن نعرّب كما عرّب الأقدمون ، وأن نضيف إلى ثروتنا اللغوية الموروثة ثروة جديدة مكتسبة تسد حاجة العلم والحضارة . وتساءلنا أيضاً أنقف عند العامية أو نحل محلها الفصحى ؟ وكان لكل من الجانبين أنصار وأعوان . ولم يبق اليوم شك فى أن العربية هى اللغة الوطنية ، وفى وسعها أن تحل محل العامية واللغات الأجنبية . وسبق لسعد زغلول أن خطا فى العقد الأول من هذا القرن خطوة فى سبيل تعريب التعليم الابتدائى والثانوى ، ثم تابعنا السير وخطونا خطى بعيدة ، فعُرِّبت مرحلة التعليم العام جميعه فى الربع الثانى من هذا القرن ، فيما عدا مدارس اللغات ، وقُطِع شوط كبير فى تعريب التعليم العالى والجامعى . والعربية التى ننادى بها تختلف عن عربية القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، فنحن نريد لها أن تكون ملائمة لروح العصر ، تمقت الغرابة والتعقيد ، وتتخلص من الصنعة والزخرف اللفظى ، وتبدو سهلة سائغة . ويراد لها أيضاً أن تكون يسيرة فى تعليمها وتعلمها ، فيتخفف ما أمكن فى نحوها وصرفها ، ويسلك فى كتابتها وإملائها أيسر السبل ويراد بها فى اختصار أن تكون لغة الخاصة والعامة على السواء ، لأنا أصبحنا لا نستسيغ الامتيازات الثقافية والاجتماعية ، ولا نسلم بما كان يسمى : « الأرستقراطية الفكرية » ، ورددت تلك العبارة الشهيرة ، وهى « أن التعليم للإنسان كالمـــاء والهواء » .

ويلحظ أن العامية عادت فشمخت بأنفها بعض الشىء فى ربع القرن الأخير ، وذلك راجع فى الغالب إلى قصور فى التعليم ، وضعف لدى بعض من يحترفون الكتابة . وربما كان للغة السياسة دخل فى هذا أيضاً ، وقد قيل يوماً : « إن العامية أصبحت لغة الدولة الرسمية » ، وبقدرما عزّز سعد زغلول

الفصحى فى ثورة سنة ١٩١٩ . أصابها ما أصابها فى ثورة عام ١٩٥٢ . ولكنى على يقين من أن تلك أمور عارضة ، وأنه لا معدل عن الفصحى بحال .

وتدور حياتنا الفكرية بوجه عام حول أبواب ثلاثة رئيسية ، هى التحقيق والنشر ، والترجمة والتعريب ، والبحث والتأليف ، وسنقف عند كل واحد منها وقفة قصيرة . ولن نعرض للجوانب السياسية والاجتماعية ، لأنها تتطلب حديثاً خاصاً ، بل أحاديث .

**( ا ) التحقيق والنشر :**

اعتداداً بتراثنا رغبنا فى إحيائه ، وقد سبقنا إلى ذلك بعض المستشرقين فى القرن الماضى ، ورسموا له مناهج علمية دقيقة . وحاولنا أن نسهم معهم ، وخطونا فى ذلك خطوات فسيحة فى نصف القرن الأخير ، وبخاصة يوم أن سلمت جامعاتنا بأن تحقيق النصوص يدخل عن جدارة فى الدراسات الجامعية . وتراثنا خصب فسيح ، فيه علوم دين ودنيا ، فيه تفسير وحديث وفقه ، فيه أدب ولغة ونحو وصرف ، فيه تاريخ ، وقصص ، فيه كلام وفلسفة ، ورياضيات وطبيعيات . وهو بلا شك من أغنى مخلفات الحضارات القديمة والوسطى ، ولا أدل على هذا من إحصاء قام به حاجى خليفة إبان القرن السابع عشر ، وقدمه فى كتابه : « كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون » . ويشتمل هذا الكتاب الضخم على ٣٠٠ فن ، وعلى عدة آلاف من المؤلفين ، وعلى نحو خمسة عشر ألف كتاب ، وأيد هذا إحصاءات وكشوف أخرى حديثة ومعاصرة . وأصبح هذا التراث الوفير جانباً هاماً من جوانب حياتنا الفكرية ، وله نسبة ملحوظة فيما تخرجه المطبعة العربية كل عام . وبذلت فى سبيله جهود مختلفة ، للكشف عنه وجمعه ، أو تحقيقه ونشره . ودارت حوله دراسات متصلة لشرحه والتعليق عليه ، واستطعنا فى ضوئه أن نتدارك نقصاً ، ونصحح خطأ ، أو نوضح غامضاً فى تاريخ الفكر الإسلامى . بدأنا فى إحيائه منذ أخريات القرن الماضى ، وأخرجنا منه على عجل قدراً لم يؤخذ فيه بمنهج التحقيق العلمى . وأجوده ما اضطلعت به هيئات متخصصة أو كان ثمرة دراسات جامعية للماجستير أو الدكتوراه . ومما يؤسف له أن قدراً من هذا التحقيق الجامعى لم ير النور بعد .

وللعلوم الإنسانية ، وبخاصة الأدب واللغة ، نصيب ملحوظ فيما حقق ونشر . وما أحوجنا أن نعنى بالعلوم الطبيعية والرياضية التى شغل بها الغرب قبلنا ، وكان لها شأن فى تاريخ الفكر الإنسانى ، ومنها ما ترجم قديماً إلى اللاتينية والعبرية ولم نقف بعد على أصله العربى ، وفى وسع مجمعكم أن يسهم فى هذا بنصيب .

**(ب) الترجمة والتعريب :**

الترجمة وسيلة هامة من وسائل ربط الثقافات بعضها ببعض ، وتبادل الآراء ، والأفكار وقد أخذ بها قديماً وحديثاً ، وهى اليوم أداة اتصال سريع ومباشر . وفى صدر الدولة العباسية قامت حركة ترجمة إلى العربية تعد من أخصب الحركات الفكرية فى التاريخ القديم والمتوسط ، كانت خصبة فى موضوعاتها ، ففيها أدب وعلم وفلسفة ، وخصبة فى أصولها ومراجعها ، فنقلت عن الهندية والفارسية ، كما نقلت عن السريانية واليونانية واللاتينية ، وخصبة أخيراً فيمن اضطلعوا بها ، فلم تفرق بين مسلم ومسيحى بل كان أغلبهم من المسيحيين ، ولا بين عربى وعجمى ، بل كان أغلبهم غير عربى . وآتت أكلها على أكمل وجه ، وكان لها أثر واضح فى النهضة العلمية الإسلامية .

وفى التاريخ المعاصر صاحب نهضة محمد على التعليمية حركة ترجمة تزعمها رفاعة الطهطاوى ، واحتفظ لنا الزمن بقدر من ثمارها . ثم توقف السير أو كاد فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وكأنما شاء لطفى السيد فى الربع الأول من القرن العشرين أن يوجه النظر مرة أخرى نحو الأصول اليونانية القديمة ، وكان معجباً بمولاه أرسطو . فترجم سلسلة من كتبه ، بدأها بكتاب الأخلاق ، وعول فيها على ترجمة بارتلمى سانتهيلر الفرنسية . وبصرف النظر عما يؤخذ على صنيعه من مآخذ ، فإنه جاء مؤشراً للاتجاه نحو الترجمة والعناية بها . وقد دُفعت الدراسات الجامعية فى الربع الثانى من هذا القرن نحو ترجمة متنوعة فى الأدب والعلم والفلسفة ، نقلت عن الفرنسية والإيطالية ، أو عن الألمانية والإنجليزية ، وانصبّ معظمها على دراسات حول آراء ومذاهب ، أو حول أشخاص ومدارس ، ووقف قسط ضئيل منها على النصوص . واضطلع بمعظمها متخصصون يفقهون ما يترجمون ، ويعرفون كيف يؤدونه بالعربية أداء حسناً إلا أن هذه جميعها إنما كانت ثمرة جهود فردية ومحدودة وكأن باحثينا يؤثرون التأليف على الترجمة ، ولست أدرى إن كنا لا نزال نحرص اليوم على التمكن من لغة أجنبية واحدة على الأقل ، كما كنا نفعل بالأمس ؟ والتمكن من اللغات المنقول منها والمنقول إليها هو السلاح الأول للترجمة السليمة .

وعلى كل حال لا نزال فى حاجة ماسة إلى حركة ترجمة أنشط وأوسع تضطلع بها هيئات تسهر عليها ، وتسهم فيها الدولة إسهاماً أكبر . وقد رسمت فى ذلك خطط ، ووضعت مشروعات لم تأخذ فى جد سبيلها إلى التنفيذ . وهناك كتب أمهات تتبادلها اللغة الحية فيما بينها ، وما أجدرها أن تترجم وتزود بها المكتبة العربية . ولست فى حاجة أن أشير إلى أن هناك بحوثاً تنقل من لغة حية إلى أخرى ولما يمض على ظهورها بضعة أشهر .

وإذا كنت أدعو إلى تزويد المكتبة العربية بثمار الفكر الإنسانى فى اللغات الحية ، فإنى آمل أن يكون لنا إنتاج تتسابق هذه اللغات إليه ، وتسعى إلى ترجمته ، أو نضطلع نحن بالتأليف فى هذه اللغات على نحو ما صنع بعض مفكرينا ومبعوثينا .

**( ج ) البحث والتأليف :**

لنا فى نصف القرن الأخير بحوث ومؤلفات متعددة ومتنوعة ، وفى كثير منها عمق ودقة ، وابتكار وأصالة ، ويمكن أن يقارن بنظائره فى اللغات الحية . وتكاد تستوعب بحوثنا أبواب الفكر الإنسانى جميعها ، فشغلت بالعلوم الإنسانية كما شغلت بالعلوم الرياضية والطبيعية . والعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول فى قمة الدراسات الإنسانية ، وقد اضطلع بها أساتذة أجلاء كشفوا عما فيها من عمق وأصالة . وعُنيى مؤرخونا بالحضارة الإسلامية عناية كبيرة ، فوضحوا كثيراً من جوانبها . وقام مؤرخون آخرون بحفريات حول الحضارات القديمة من فرعونية ، ورومانية ، أو بابلية وآشورية . وحاول مؤرخو الفكر والفلسفة أن يعرفوا بمدارس إسلامية غفل الناس عنها ، وأن يترجموا لرجال بقوا مستورين فى غياهب التاريخ . وقام بعض علماء الاجتماع بدراسات حقلية هامة ، ومن بين علماء النفس من اضطلع ببحوث وتجارب دقيقة .

ونحس اليوم إحساساً صادقاً بأنا نعيش فى عصر العلم والتكنولوجيا ، فى عصر الملاحظة والتجربة . وأعددنا لذلك عدته من معامل ومراصد ، من محطات تجارب ومراكز بحوث ، من معاهد ومؤسسات وأكاديميات علمية ، وأنشئت جامعات مستقلة للتكنولوجيا أو للبترول والمعادن ، واستكملت فروع الدراسات الطبيعية والرياضية على اختلافها ، من طب وفسيولوجيا ، وكيمياء وصيدلة ، ونبات وحيوان ، وجيولوجيا وبترول ، وطبيعة ورياضة ، وهندسة وميكانيكا ، وكهرباء وإلكترونيات . وفى كل فرع من هذه الفروع أساتذة متخصصون لهم آراؤهم وأبحاثهم بالعربية أو الإنجليزية ، ومنها ما نشر فى بعض المجلات العلمية العالمية ، أو ما كان محل تعليق وتنويه فى المؤتمرات الدولية . ومن بين هؤلاء الأساتذة أعلام يُعَدُّون فى مَصَافّ الأطباء والعلماء العالميين ويرأسون أقساماً متخصصة تخصصاً دقيقاً فى جامعات إنجلترا والولايات المتحدة . ولدينا ما يزيد على أربعين جمعية علمية تتابع نشاطها وتنظم لقاءاتها ، وتنشر أبحاثها ، وقد تكون لبعضها صحيفة خاصة بها ، وعلى رأس هذه الجمعيات الاتحاد العلمى المصرى الذى يربطها بالاتحادات العلمية العربية والعالمية . ومما يؤسف له أن قدراً غير قليل من بحوثنا فى ربع القرن الأخير ينحو نحو الجمع والتلخيص ويتسم بطابع السطحية ، ولا يعنى كثيراً بالأصالة والتعمق ، وكثيراً ما جنت عليه السرعة والتعجل .

## مسار الفكر الاسلامي :

لا سبيل لأن ندخل في تفاصيل هذه البحوث والدراسات ، ويعنينا أن نوجه النظر إلى جانب واحد منها ينصب على الفكر الإسلامي ومساره . ولا شك في أن هذا المسار قد تغير وتبدل على مر الزمن ، وكسته عصور الانحطاط والظلمة بجمود وعمق عشنا معهما زمناً طويلا ، ففقدنا بصرنا وبصيرتنا ، وأهملنا عقولنا وتفكيرنا . وفي أخريات القرن الماضي وأوائل هذا القرن عدنا إلى أنفسنا ونعمنا بوعي جديد ينادي بفهم الإسلام على وجهه والعودة به إلى أصوله الأولى، وصورته الحقة التي عرف بها في عصور النهوض والازدهار . وسبق أن أشرنا إلى ما كان لمحمد عبده من شأن في توجيه هذه الدعوة وحمل رايتها ، وقد حملها من بعده تلاميذ له وخلفاء فكشفوا بوضوح عن سماحة الإسلام ويسره ، واتساع آفاقه وقبوله للجديد النافع ، ودعوته إلى النظر والتأمل ، وإفساحه المجال للعقل ، وحثه على تحكيمه وحسن استخدامه . وفي ثقة هؤلاء الرواد والمصلحين بأنفسهم لم يخشوا مطلقاً طغيان الحضارة الغربية ، ولم يروا بأساً أن يأخذوا عنها ويفيدوا منها . وبالأمس البعيد قامت الحضارة الإسلامية الكبرى التي بزت الحضارات الأخرى وسمت عليها ، وتقبلت أفكاراً أجنبية كثيرة وفي وسعنا أن نستعيد مجدها ، وأن نطور ونجدد في ضوء مثلها وقيمتها :

وفي الربع الثاني من هذا القرن تضافرت جهود صادقة على رسم هذه الصورة وتوضيحها وبيان حقيقتها ومعالمها الأصيلة : فبرهن أمثال مصطفى المراغي ، ومصطفى عبد الرازق ، ومحمود شلتوت ، على أن في التشريع الإسلامي مرونة تمكنه من متابعة التطور والتجديد ، وتسمح له بمواجهة متطلبات كل عصر وحاجاته وتشريع الكتاب والسنة نفسه إنما ينصب أساساً على الأصول والمبادىء العامة ، وعلى الفقهاء والمشرعين أن يعالجوا كل جديد في ضوء ظروفه ، على أن يضعوا المصلحة العامة موضع الاعتبار وقد أدوا في الماضي رسالتهم على وجه سديد. وحتى الجرائم وقفت الشريعة الإسلامية فيها عند الأصول والقواعد التي تحدد مفهوم الجريمة والمخالفة ، تاركة للقاضي والحاكم تقدير العقوبة الملائمة . ولم تشر إلا إلى عقوبات ثلاث جرائم كبرى هي : القتل والزنا ، والسرقة ، فاتحة الباب لدرء الحدود بالشبهات وبهذه الروح صيغت في الربع الثاني من هذا القرن قوانين الوقف والوصية والميراث وعني في الوقف خاصة بالوقف الخيري ، وأخذ في الميراث بالوصية الواجبة التي فتحت باب الإرث لأبناء الأبناء ، كي يحلّوا محل آبائهم الذين ماتوا قبل المورث . وقننت حقوق الأسرة من زواج ونفقة ، وطلاق ووصاية ، وقيدت بقيود تلائم العصر وتحترم حقوق المجتمع ، وخطونا أخيراً في هذا السبيل خطوات فسيحة . وصيغ القانون

المدنى جملة على أيدى عبد الرازق السنهورى صياغة تلائم بين مبادىء المعاملات فى الإسلام ، وما أخذ به التشريع المدنى المعاصر فى أرقى صوره وأحكمها . وأصّل على الخفيف التأمين فى الإسلام ، ووجد لشهادات الاستثمار سنداً فى الفقه الإسلامى ولست فى حاجة أن أشير إلى أن القائلين باطراح قوانيننا جميعاً ، والعودة إلى الفقه الإسلامى يغفلون ماضينا القريب والبعيد .

واستكمالا لهذه الصورة اتجه فريق آخر نحو سِيَر الأعلام فى الإسلام ، وفى هذه السِّيَر هداية وإرشاد ، ودحض لشبه باطلة ، ورفض لقصص وروايات لا أساس لها ، وتقديم نماذج حية لما كان عليه الإسلام فى ثوبه الصافى ومظهره الحقيقى . ويكفى أن أشير فى هذا إلى كتب ثلاثة لهيكل هى : « حياة محمد » ، « وأبو بكر الصديق » ، والفاروق عمر ، وإلى كتابين للعقاد ، وهما : « عبقرية محمد » ، و « عبقرية عمر » ، وإلى آخرين لطه حسين ، وهما : « الفتنة الكبرى » ، و « على هامش السيرة » . ونحا أحمد أمين نحواً آخر ، فوقف نفسه فى العشرين سنة الأخيرة من حياته على تاريخ الحياة العقلية فى الإسلام ، ووضع فى ذلك على التوالى : « فجر الإسلام » ، و « ضحى الإسلام » ، « وظهر الإسلام » ، وفى هذا التوالى نفسه ما يؤيد فكرة التطور والتبدل ، وتلك سنة الحياة .

وتلتقى هذه المحاولات على اختلافها عند هدف واحد ، هو عرض تعاليم الإسلام فى صورها الحقة ، وهى لا تتنافى بحال مع النهوض والتقدم ، وتفسح المجال لحرية الفكر ويسلّم بما للعقل من سلطان .

## خاتمـة :

كل تلك جهود عشنا معها زمناً رغداً ، وسعدنا فيها بالمواءمة بين القديم والجديد ، ولم ترفض من ثمار الحضارة الغربية إلا ما يتنافى مع أصولنا ومبادئنا ، وسرنا فعلا إلى الأمام فى ثقة وطمأنينة ، وقطعنا شوطاً لا بأس به ؛ ولكنا مع الأسف الشديد بُلينا فى الخمسينيات والستينيات بنكسة تهدم ولا تبنى . وتتنكر لكثير مما بنيناه فى النصف الأول من هذا القرن . تندد بما سمته الغزو الأوربى وتحاول ما استطاعت أن تضيق النافذة المفتوحة على الغرب . وتصور الإسلام بصورة قاتمة ، وتنادى بالرجوع إلى ما ليس من الدين فى شىء ، ولا يتلاءم مطلقاً مع سنن النشوء والارتقاء . ومكن الكبت والقهر لمثل هذه الاتجاهات أن تنبت فى منبت السوء ، وأن تعيش وتحيا تحت كنف الجمعيات السرية والخلايا الخفية ، وأن يتعصب لها علماء أو جهلاء ، واختلط الفكر والدين بالسياسة ، فضلّ معها الطريق . ولا يخلو هذا الضلال والزيغ من تيارات خفية ومؤثرات خارجية ، هدفها الأول الهدم والتخريب برغم ما تزعمه من رغبة أكيدة فى البناء والتشييد . ولا سبيل

لحياة حقة ، فكرية كانت أو عملية ، إلا فى وضح النهار .

فلنعد لأنفسنا ، ولنستفد من تجاربنا القريبة ، ولنثبت أقدام الحرية ما استطعنا ، ولنحارب التستر وبث السموم فى الظلام ، « ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**ابراهيم مدكور**

**رئيس المجمع**

# المساهمون في إحياء التراث

للدكتور أحمد الحوفي

أشاد المقال السابق بطائفتين من العلماء الذين بذلوا جهوداً عظيمة محمودة فى الحرص على تراثنا وإحيائه هما طائفة العلماء والأدباء الذين كانوا يسهرون الليالى ، ويطربون لصرير أقلامهم كما يطرب الموسيقار لألحانه وأنغامه ، وطائفة الأثرياء أرباب المكتبات العامة والخاصة ، الذين كنزوا فى مكتباتهم عشرات الألوف من المخطوطات ، التى وصلتنا بماضينا العريق ، وأروتنا بنميره العذب :

وأما الطائفة الثالثة فهم النساخ الذين سكبوا نور عيونهم على الأوراق ، فحفظوا هـــذه المخطوطات من الضياع والفناء ، إذ نهضوا بأعباء النسخ ، وبلغوا درجة عالية فى تجويد الخط وزخرفته ودقة النقل وأمانته ، سواء أكانوا ينسخون المخطوط من الأصل الذى كتبه المؤلف نفسه ، أم من نسخ أخر منقولة منه ، ولم يكن تكرير العمل ومشقته لتعدل بهم عن تجويد الخط ومراعاة أصول الضبط :

وأريد أن أنبه على أن بعضهم كانوا من العلماء والأدباء الكبار ، وكان آخرون من ذوى الوظائف العالية فى الدولة ، حتى إنهم تولوا القضاء والوزارة .

فمثلا كان فى مكتبة المأمون كثير من النساخ ، وكثير من التراجمة ، على رأسهم ثابت بن قرة وحنين بن إسحاق . أذكر من أولئك النساخ على سبيل التمثيل :

١ ــ أبو على محمد بن على المعروف بابن مقلة ( ٣١٦ هـ ) كان جيد الخط ، يضرب بخطه المثل، لا ينازعه فى ذلك منازع .

وكان عند سيف الدولة ابن حمدان خمسة آلاف ورقة بخط أبى علىّ ، لأنه كان منقطعاً إلى بنى حمدان سنوات كثيرة ، يقومون بأمره أحسن القيام ، وقد تولى الوزارة للمقتدر سنة ٣١٦ هـ .

٢ ــ أبو عبد الله الحسن بن على بن مقلة سنة ( ٣٣٨ هـ ) ، كان أكتب من أخيه الوزير أبى على ، وقد ولاه أخوه ديوان

الضياع الخاصة وديوان الضياع المستحدثة وديوان الدار الصغيرة ، وكان أبوهما الملقب بابن مقلة كاتباً مليح الخط .

٣ ــ أبو سعيد السيرافى النحوى الحسن ابن عبد الله المرزبانى ( ٣٦٨ هـ ) كان عالماً كبيراً تولى القضاء ببغداد ، وكان زاهداً لم يأخذ على القضاء أجراً ، أفتى فى مسجد الرصافة خمسين سنة على مذهب أبى حنيفة ، فما وجد له خطأ ، وقد وصفه أبو حيان التوحيدى فى كتابه ( محاضرات الأدباء ) بأنه شيخ الدهر ، وقريع العصر ، العديم المثل ، المفقود الشكل .

كان أبو سعيد يعتمد فى نفقاته على أجر النسخ ، وكان لا يخرج من بيته إلى مجلس القضاء ولا إلى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات ، يأخذ أجرتها عشرة دراهم ، تقوم بمؤونته ، ثم يخرج إلى مجلسه .

وله مؤلفات كثيرة ، منها شرح كتاب سيبويه ، وكتاب أخبار النحويين ، وكتاب شرح مقصورة ابن دريد .

٤ ــ على بن محمد بن عُبَيْد بن الزبير الأسدى ( ٣٤٨ هـ ) ، صاحب الخط المعروف بالصحة المشهور باتقان الضبط وحسن الشكل ، كان من أجلّ أصحاب العلامة ثعلب ، ومن جمّاعى الكتب ومحبيها ، وله تآليف كثيرة .

٥ ــ أبو الحسن على بن عيسى الرمانى سنة ( ٣٨٤ هـ ) كان إماماً فى العربية والأدب وله مؤلفات كثيرة .

٦ ــ ابن البواب ( على بن هلال ) سنة ( ٤١٠ هـ ) صاحب الخط المليح والأدب الفائق ، كان ناثراً شاعراً وقيماً على خزانة كتب بهاء الدين بن عضد الدولة بشيراز .

٧ ــ أبو حيان التوحيدى ( ٤١٤ هـ ) كان يحترف بالوراقة ، ولما اتصل بالصاحب ابن عباد قال له الصاحب : الزم دارنا ، وانسخ هذا الكتاب ، فقال أبو حيان : أنا سامع مطيع .

ثم شكا لبعض الناس أنه جاء من العراق إلى الصاحب ليتخلص من حرفة الشؤم ، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة . فنقل هذا الكلام إلى الصاحب كله أو بعضه أو على غير وجهه ، فازداد تنكراً لأبى حيان .

وحدّث أبو حيان فقال فيما بعد: قدّم إلى نجاح الخادم وكان ناظراً على خزانة كتب الصاحب ثلاثين مجلدة من رسائل الصاحب ، وقال : يقول لك مولانا : انسخ هذا ، فإنه طلب منه بخراسان ، فقلت بعد ارتياد ( تدبر وإمعان ) : هذا طويل :

٨ ــ موهوب بن أحمد بن الحسن الجواليقى سنة ( ٥٣٩ هـ ) ، إمام اللغة والأدب ، مليح الخط ، تنافس الناس فى الحصول على خطه ، وتغالوا به .

٩ ــ كمال الدين على بن حمزة البغدادى سنة ( ٥٥٦ هـ ) ، صاحب الخط المليح غاية الملاحة على طريقة على بن هلال بن البواب ،

وبخاصة علم المصاحف ، فإنه لم يكتبه أحد مثله فيمن تقدم أو تأخر :

كان من الأعيان الأماثل ، ولاه الخليفة العباسى المسترشد الحجابة ، ووكاه وكالة مطلقة ، ثم ولاه الخليفة المقتضى لأمر الله صدرية المخزن

وأما الطائفة الرابعة فهم المحققون الذين نهضوا بنشر هذا التراث بعد ظهور المطابع ، فصححوا نسخه ، وقابلوا بعضها ببعض ، وأكملوا ما نقص ، وشرحوا ما غمض ، وعقبوا بما ينبغى أن يعقبوا به ، وفهرسوا الكتب فهارس متعددة تيسر البحث والاطلاع وعرّفوا بالمؤلفين ومناهجهم .

أذكر من هؤلاء على سبيل المثال هيئات فى مصر وفى العالم العربى ، كالجامعة العربية والمجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون ، والجامعات ، والمعاهد العليا ، ومجمع اللغة العربية ، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ولا ننسى الأفراد الذين بذلوا جهوداً حميدة مشكورة فى إحياء التراث وتحقيقه ونشره ، وفى مقدمتهم أحمد تيمور باشا ( ت سنة ١٣٤٩هـ — ١٩٣٠م ) فقد احتوت مكتبته على اثنى عشر ألف كتاب ومخطوط .

وأحمد زكى باشا شيخ العروبة (ت سنة ١٣٥٣هـ — ١٩٣٤م) فقد جمع أكثر من ستة آلاف مخطوط .

والأب أنستاس ماري الكرملى ( ت سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م ) وغيرهم :

هذا التراث الذى نعنى به يوحى إلينا بآثاره العظيمة فى نهضة أوروبا ، لأنه هو الأساس الذى قام عليه المذهب العلمى التجريبى ، ولأنه أحد الأصول التى دعمت عليها أوروبا نهضتها العلمية .

فقد سرت الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا فى عدة غدران ، منها أسبانيا وصقلية وإيطاليا ، ومنها الحروب الصليبية ، وذلك أنه منذ سنة ( ٥٥٥ هـ — ١١٣٠ م ) بدأ مكتب للتراجمة فى طليطلة ينقل — برعاية رئيس الأساقفة ريمون — أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية ، فنجح نجاحاً باهراً ، وحسبنا أن نشير إلى أن علم الضوء مدين لكتاب ( المناظر ) للعلامة ابن الهيثم :

كما أن أصول الرياضيات مدينة للعلامة الخوارزمى ، وإليه ينسب علم الجبر :

وكما أن أصول الهيئة والنجوم والفلك ترجع إلى كتاب ( القانون ) للمسعودى :

كذلك كان لكتب ابن سينا فى الطب أثرها العظيم إلى أواخر القرن الثامن عشر . ولقد قضت أوروبا ثلاثة قرون من القرن الثانى عشر إلى القرن الرابع عشر وهى تترجم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية ، ولم تقتصر

على مؤلفات ابن سينا وابن رشد والرازى ونظرائهم ، بل إنها ترجمت عن العربية كتب اليونان التى كان العرب قد ترجموها ، مثل كتب جالينوس وبقراط وأفلاطون ، وأرسطو وإقليدس وبطليموس ، فزاد عدد ما ترجم من كتب العرب إلى اللغة اللاتينية على ثلاثمائة كتاب .

ولم يظهر فى أوروبا قبل القرن الخامس عشر عالم لم يستنسخ كتب العرب ولم ينتفع بها ، مثل روجر بيكون وألبرت الكبير وسان توما وغيرهم ، قال مسيورينان : إن ألبرت الكبير مدين لابن سينا ، وإن سان توما مدين لابن رشد .

وقد ظلت ترجمات الكتب العربية ولا سيما الكتب العلمية هى المصدر الوحيد تقريباً للتدريس فى جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة .

وبفضل هذه الترجمات عرف الغرب كتب اليونان التى ضاع أكثرها ، مثل : كتاب جالينوس فى الأمراض السارية ؛ وكتاب أرسطو فى الحجارة ، وكتاب أبولونيوس فى المخروطات ، كما ذكر الدكتور لوكلير فى كتابه ( تاريخ الطب العربى ) .

وقد عقّب جوستاف لوبون على هـذا بقوله : « إذا كانت هنالك أمة تقرّ بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة ، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان ، فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم فى إنقاذ تلك الكنوز الثمينة . قال مسيو ليبرى : «لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا فى الآداب عدة قرون » .

فإذا ما رجعنا إلى ورق الكتابة حدثنا التاريخ بأن العرب عرفوه من الصين فى القرن الثانى للهجرة ، لكنهم لم يلبثوا أن أنشأوا المصانع لإنتاجه منذ القرن الثالث فى مصر والأندلس والمغرب ، وبلغت صناعة الورق على أيديهم درجة عالية من الجودة ، سواء أكان أبيض ناصعاً أم ملوناً ، وعن العرب نقلت أوروبا هذه الصناعة فى القرن السادس للهجرة ، إذ كانت حضارتهم تعمر الأندلس وإيطاليا وجنوبى فرنسا .

أما بعد ، فقد آن للذين يتساءلون عن بواعث حفاوتنا بتراثنا العربى أن يعلموا قيمته وآثاره وأسباب عنايتنا به وحرصنا على إحيائه .

**احمد الحوفى**
**عضو المجمع**

من التراث الدرعمي :

# حول الألف اللينة

للأستاذ محمد شوقي أمين

١ — هذا طَرَف من تراث درعمى : : :

وأقول : « درعمى » محاكياً النسبة إلى النحت من « دار العلوم » التى تعد مع « الأزهر » أقدم معاهد العربية فى « مصر » . وصاحب هذا التراث هو « محمد المهدى » أحد أقطاب العلماء الأزاهرة الدراعمة المخضرمين ، أعنى الذين عاشوا فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

وإنما آثرت تسمية هذا التراث « درعمياً » لأنه محاضرة ألقيت فى « نادى دار العلوم » ، وشهدها أساتذة العربية من أعضاء النادى ورواده ، وأسفرت المحاضرة عن إجراء اتخذه النادى بعد أن أمضى جلستين فى دراسة وتمحيص للوضوع ، وهو علاج مشكلة « الألف اللينة » ، وكان هذا الإجراء توجيه تقرير إلى من له ولاية الأمر فى التعليم المدرسى يطالب باتباع الطريقة التى بنى عليها المحاضر بحثه ، وهى كتابة الألف اللينة ألفاً على الإطلاق :

وأما أن ذلك يعد من التراث ، فلأنه قد مرّ على إذاعته خمس وسبعون من السنين — وأنه منذ أذيع فى نشرة دورية طوتها الأيام ، لم يعد له — فيما أعلم — بين الباحثين ذكر ، إلا ما كان من إشارة منى إليه فى مذكرة قدمتها إلى «مجمع اللغة العربية» بالقاهرة منذ خمس عشرة سنة .

٢ — ولقد كان أول عهدى بهذا التراث الدرعمى فى حديث لى مع الشيخ «حسين والى» وهو ذو باع وسيع فى الدراسات الإملائية خاصة ، سألته فى شأن « الألف اللينة » ومصاعبها ، وكان ذلك فى أول دورة « لمجمع اللغة العربية » سنة ١٩٣٤ فأخبرنى بأن زميله فى التدريس بمدرسة القضاء الشرعى المرحوم الشيخ « المهدى زيكو » له فيها رأى أولع به ، ودعا إليه ، وهو أن تكتب ألفاً فى كل حال . ولم أدر سر كلمة « زيكو » اللاحقة لاسم الرجل إلا حين علمت من بعد أن جده اسمه « زكير أغا » فلعل « زيكو » معدول

عن «زكير» للتمايح والتحبيب على نحو ما نفعل فى بعض الأسماء .

وبعد ذلك بأكثر من ربع قرن ، والمجمع يتابع دراساته لموضوع الإملاء ، ذكرت للشيخ « أمين الخـولى » حديثى مـع الشيخ « حسين والى » ، فأفادنى بأن « محمد المهدى » كان من أساتذته فى مدرسة القضاء الشرعى ، وأن له محاضرة جامعة فى موضـوع .الألف اللينة كان لها صداها وقت إلقائهـا ، فى نادى دار العلوم ، وأن معظم أعضاء النادى أقروه على رأيه فى كتابتها ألفا ، وكتبوا إلى وزير المعارف بما استقر عليه الرأى . وبعد أسبوع تفضل الشيخ « أمين الخولى » فأهدى إلى نسخة العدد الثانى من صحيفة « نادى دار العلوم » الصادر فى غرة ربيع الثانى سنة ١٣٢٧ هـ — ٢١ إبريل سنة ١٩٠٩ م وقد خصصت صفحاته إلا قليلا للخطبة التى ألقاها الأستاذ « محمد المهدى » المدرس بمدرسة القضاء الشرعى على أعضاء نادى دار العلوم يوم الخميس ١١ مارس سنة ١٩٠٩ فى الإملاء وتاريخه وتذليل أكبر صعوبة فيه . ولتقرير مرفوع إلى صاحب السعادة «ناظر المعارف العمومية» لطلب الترخيص للمعلمين أن يتبعوا فى التعليم طريقة كتابة الألف ألفا فى جميع أحوالها .

ولقد ظلت هذه النسخة عندى ، حتى بدالى اليوم أن أنشر ماحوت من الخطبة والتقرير بنصهما ، على رأس سبع عشرات وخمس من السنين ترادفت على النشر الأول ، إحياء لذلك التراث العامى الدرعمى .

والباعث لى على هذا الإحياء أمور :

أولها : أن مشكلة الألف اللينة مازالت قائمة ،لم ينته الرأى فيها إلى علاج ،ومن الخير أن يبعث فيها ذلك الصوت القديم ،من جديد!

الثانى : أن المحاضرة دراسة علمية وثيقة وأنها هى وتقرير أعضاء النادى ، يلقيان ضوءا على الحركة العلمية والاتجاه التقدمى إلى الإصلاح والتقويم ، فى ذلك العهد المبكر الذى كان يعرف بأنه عهد المحافظة والسلفية والتقليد .

الثالث : أن هذا البحث للشيخ « محمد المهدى لم يذكره الذين ترجموا له ، وفى مقدمتهم صاحب « تقويم دار العلوم » ، وصاحب موسوعة « الأعلام » وما أجدره بالذكر :

٣ — ومجمل تاريخ الشيخ « محمد المهدى» أنه عاش فيما بين سنة ١٨٦٨ م و١٩٢٤م : وأن جده لأبيه « زكير أغا أرناؤوط» من قبيلة زوغو الألبانية ، وأن أمه كردية ، وأنه تعلم فى الأزهر ودار العلوم ، وتلمذ للشيخ « محمد عبده » ، وناصر « مصطفى كامل » فى دعوته الوطنية ، وقد قام بتدريس العربية والأدب والفقه والتاريخ الإسلامى فى مدرسة القضاء الشرعى وفى الجامعة الأهلية ، وله سفرة إلى أوربة ،وكان كاتبا مجيدا ، وكان لايعدل بالفصحى فى حديثه بديلا ،

وكان حسن الهندام، حتى إن أصحابه كانوا يلقبونه في زيه العربي : ملك العرب .

وهو في بحثه الذي نعيد نشره اليوم، يعرض مشكلة الكتابة العربية، وبخاصة الألف اللينة، ويبين أن اتباع مايفرض من قواعد كتابتها لايتسنى إلا للمنتهين في العلم، وقد عني بأن يبسط الشبهات التي تعرض للمعارضين في كتابتها بالألف، ويفيض في تفنيدها واحدة واحدة ومن الطريف في بحثه قوله : « لا أدري لم لا يقولون لتلاميذهم تعلموا كل شيء في اللغة قبل أن تتعلموا كتابتها » . ولم يفته أن يشير في بحثه إلى مشكلة الهمزة أيضا، فقال : إنه أعد العدة لبقية نواحي الإصلاح للإملاء، ولكنه آثر أن أن يتربص بها حتى يعلم مايصير إليه الرأي فيما ينادي به، علاجا لمشكلة الألف اللينة .

٤ — والحق أن كتابة الألف اللينة بحسب الضوابط التي يسوقها علماء الإملاء بالغة الصعوبة فهي تختلف في أحكام كتابتها ألفا أو ياء بين وقوعها متطرفة أو متوسطة، سواء أكان توسطها أصليا أم عارضا، والخطب كل الخطب في المتطرفة، فهي على تعدد وجوهها تقتضي تفصيلا وتفرقة بين الاسم والفعل والحرف، وبين الأعجمي وغير الأعجمي، وبين المعرب والمبني، وبين المنقلب عن واو وعن ياء، وبين ماهو واوي يائي معا، وبين كون الألف ثالثة أو ما فوقها، وبين ماقبله ياء وماليس كذلك، وبين كون عين الفعل مهموزة وغير مهموزة. على أن الضوابط بعد هذا كله تجرّ وراءها قافلة من المحترزات والمستثنيات، وهي فوق ذلك كله ليست بين أعلام الإملاء محل اتفاق باطلاق !

ولبعض القدامى من النحاة رأي في كتابة الألف اللينة ألفا، حملا للخط على اللفظ فقد اختار هذا الرأي « أبو علي الفارسي »، و« الزجاج » ولبعض النحاة رأي في تجويز كتابتها ألفا أو ياء، مع تفضيل كتابتها بالياء، وقد ذكر ذلك « أبو حيّان » .

٥ — أما في عصرنا الحديث، فكان الشعور بمشكلة الألف اللينة عميقا، ومن ثم اهتمت بها الهيئات والمعاهد والمجامع في البلاد العربية . وفي « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة عنيت بها لجنة الإملاء ولجنة الأصول، في دورات شتى، وأصدرت كلتاهما في شأنها قرارات متعاقبة . وماأكثر ماتعددت آراء الباحثين هيئات وأفراداً في شأن هذه الألف اللينة هناك قائل بكتابتها ألفا مطلقا دون استثناء، أو باستثناء الحروف، أو باستثناء مايلتبس من الكلم، وهنالك قائل بكتابتها ياء مطلقا، أو باستثناء طائفة من الألفاظ، وثمة قول بكتابة الأسماء بالياء، وكذلك الأفعال إلا أفعالا بأعيانها تحفظ وثمة أيضا قول بأن الثلاثي يكتب بالألف، وغيره يكتب بالياء .

( العدد الثاني ) ( السنة الاولى )

# صحيفة نادي دار العلوم

﴿ مصر في غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ — ٢١ ابريل سنة ١٩٠٩ ﴾

الخطبة التي ألقاها الاستاذ محمد المهدي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي على أعضاء نادي دار العلوم يوم الخميس ١١ مارس سنة ١٩٠٩ في الموضوع الآتي

## ﴿ الاملاء وتاريخه وتذليل أكبر صعوبة فيه ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشداً

سادتي

طال الامد على وقوف لغتنا وسير المدنية فينا سيراً حثيثاً حتى اتسعت مسافة الخلف بينهما وضج بالشكاة من اعواز اللغة وصعوبة قواعدها الكاتب المجيد والعالم النحرير والشاعر الفحل والخطيب المفوه والمعلم الماهر والمترجم المتفنن كلهم متألم لذلك ولان سلفهم كانوا افراداً متقاطعين بعيدين عن روح الجامعة العلمية الاصلاحية ولا يكادون يجتمعون حتى يفترقوا وهذا تاريخ فن الاملاء أصدق شاهد على ما أقول وعلى أن الايدي العاملة فيه أيدي

افراد لا أيدي جماعات .

ذلك ان الخط العربي من عهد عاد الاولى كان حروفا منفصلا بعضها عن بعض ولم تكن الحروف على هذا الترتيب ولا بهذه الاشكال وكان تعلم الكتابة محظوراً على الناس الا باذن من أهلها فلما نقله الى آل المنذر نسباء التابعة مرامر بن مرة وعامر بن جدرة وأسلم بن سدرة تصرف فيه الاول واقتطع منه خطا سماه خط الجزم ووصل بعضه ببعض وتبعه فى ذلك من بعده . والدليل على أن الاول من هؤلاء الثلاثة هو واضع خط الجزم ما رواه ابن خلكان أنه قيل لابى سفيان بن حرب ممن أخذ ابوك هذه الكتابة فقال من أسلم بن سدرة وقال سألت أسلم ممن أخذت هذه الكتابة فقال من واضعها (١) مرامر بن مرة فكان مرامر فيما نقل الينا اول مخترل في اشكال الحروف العربية ثم نقل هذه الكتابة حرب بن أمية القرشى الى أهل الحجاز ومن جاورهم من الأميين وقد كانت على حالتها البدوية خالية من النقط والشكل والشدات والمدات وكثير من الألفات خصوصا منها المتوسطات وقد كتب القرآن الكريم بها على هذه الصورة ولم يكن للعرب كتب اذ ذاك غير القرآن وهو محفوظ فى الصدور متاقى بالسند الشفوى المتصل المتواتر فلم يبالوا باللبس فى رسم المصحف ولم يعنوا باصلاح الخط لمكانة السليقة فيهم من جهة والبداوة من جهة أخرى فلما كثر الموالى والمولدون أخذ أفراد من العلماء في عصور مختلفة يزيلون اللبس بالتدريج اشفاقا على الناس ومحافظة على كتاب الله من تحريف غير القراء فان كلمة عبد مثلا كانت مرسومة هكذا (عبد) ولا تكاد تجد فرقا بينها وبين عِند وعَندُ وعُبُد وعَبْد وعُبَّاد وعِبَاد وعُنَّاد وعيد وغيد وعتاد الى غير ذلك وكثير من أمثال هذه الكلمة فوضع ابو الاسود علامات الاعراب آخر كلمات المصحف فى خلافة معاوية وهو يعلم اولاد زياد بن أبيه أخى معاوية بالبصرة فلما انتشر اللحن بالعراق فى خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج طلب

(١) هذا رأي مؤرخى العرب ويرى علماء الآثار الآن ان تاريخ الخط العربي المتصل الحروف أقدم من هذا التاريخ .

الحجاج من كتابه ان ينقطوا ازواجا وافرادا ويكملوا ما وضعه ابو الاسود فقام بذلك نصر ابن عاصم وجرى على طريقة تخالف طريقة ابي الاسود ثم جاء الخليل بن احمد فتمم ما نقص من اصلاح نصر بن عاصم وحسن ما وجده منه واخترع الشدة والصلة والقطعة وعلامة الامالة وبقي الناس يكتبون بخط الجزم وهو الذي سموه الخط الكوفي الى ما بعد الهجرة بنحو ثلاثة قرون حتى جاء الوزير ابن مقلة وزير المقتدر بالله من خلفاء بني العباس فحول صورته الكوفية الى الصورة الحاضرة هذا ولقلة الكتابة في صدر الاسلام وانتشار الامية وكثرة اللبس في الخط العربي بقيت دواوين العرب باللغات الاجنبية الى سنة ٨٧ فقد كان ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وديوان مصر بالقبطية(١) فعلوا ذلك للضرورة ولكنهم ما لبثوا ان كشفوا تلك الازمة الكتابية بالخروج عن خط المصحف الى خط اصطلاحي اشتغل به كثير من علماء البصرة والكوفة فدونوا له القواعد على مقتضى الأقيسة الصرفية وأمن اللبس وان الرسم تصوير للفظ فزادوا فيه ونقصوا ووصلوا وقطعوا وقد كان ذلك على حسب سماعهم من العرب ولما كان السماع مختلفا كان الاستنباط كذلك فلم يمض غير قليل حتى ظهر للناس مذهبان بصرى وكوفى بل مذاهب عدة ولكل شيعة وانصار وقد أخذ الناس عن علماء البلدين طرائق شتى فى رسم الحروف خصوصا منها الالف اللينة حتى كاد يكون لكل عالم فى ذلك العصر مذهب خاص مثل ميمون الاقرن وابى عمرو بن العلاء ويونس والاخفش والخليل وابي زيد وابي عبيدة والاصمعي وحماد بن سلمة وسيبويه وقطرب والمازني وابن دريد من علماء البصرة • ومثل الكسائي والفراء وابن الاعرابى والمفضل الضبي وثعلب من علماء الكوفة ولقد كان غيرهم من نحاة الامصار يحذو حذوهم فى تشعب الخلاف وكثرة العلل ولقد كان ذلك فى اول الامر محتملا لاعتماد الناس على الحفظ ولقلة المشتغلين بالعلم وقلة العلوم نفسها

(١) نقل الاول صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج بامر منه ونقل الثاني صالح بن سعد والى الاردن من قبل عبد الملك بن مروان ونقل الثالث عبد الله بن عبد الملك بن مروان في خلافة الوليد بن عبد الملك وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص

وصلاح حياة اكثر علمائهم الى الانقطاع لمثل ذلك فاما بعد تدوينهم العلوم وسير المدنية فيهم وانتشار القراءة والكتابة في غير العلماء فلم يكن من حقهم البقاء في هذه الفوضى ولكن التقليد ضرب بجرانه على كل شئ حتى ما ليس بدين فان الذي وسع المتقدمين في الخروج عن رسم المصحف كان يسعهم في الخروج عن رسم اسلافهم للاتفاق على طريقة واحدة قريبة المأخذ بعيدة اللبس ولكن الجمود والتقاطع فيما بينهم كانا ولا يزالان عقبة كئودا في سبيل العلم والمدنيه لتخالف رسم الكتب وكثرة الخطأ والتصحيف فيما رووا عن العرب من اشعارها وفيما دونوا من المؤلفات وحسبنا ان يخطئ ذلك العالم اللغوى الكبير أبو محمد عبد الله البطليوسي في اسم أدب الكاتب لابن قتيبة فيقرأه أدب الكتاب ويسمى شرحه عليه الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب وذلك لان كلمة الكاتب كانت مرسومة على الطريقة القديمة هكذا (الكتب) وهى ان جعلت الفها بعد الكاف قرئت الكاتب وان جعلتها بعد التاء قرئت الكتاب ولا نزال مخطوطات العصور الماضية بين أيدينا نشكو من تخالفها وكثرة لبسها فترى في بعضها كلمة ادعو أمامها الالف وهي فعل الواحد وتجد فى بعض آخر هذه الكلمة للجماعة وليس امامها الف واذا فتشت في المذاهب وجدت لكل مذهبا ٭ وتجد مها مرسومة تارة بالالف واخرى بالياء على طريقة المغاربة وتجد كلمة الجزء تارة مكتوبة بواو واخرى بهمز ومرة بهمز فوق الواو ٭ ومن الكتاب من يكتب الصلاة والمشكاة والزكاة بالواو متبعاً فى ذلك المصحف كابي حيان ومنهم من زاد الفا فى مئه للفرق بينها وبين منه كما زادت العامة عندنا الفا في حسنين للفرق بينها وبين حنين ومنهم من لم يزدها الى غير ذلك ولا يزال الخلاف الى الآن خلافا كبيراً في دور التعليم عندنا وعند سائر الامم العربية نجد ذلك فى جرائدهم ومجلاتهم وكتبهم بل قد يتخالف الاساتذة فى المدرسة الواحدة ويكون التعليم على طريقتين مختلفتين في الفرقة الواحدة المقسمة الى فصلين وكما يكون الخلاف فى التعليم يكون عند تصحيح أوراق الامتحان فبعض المصححين يكاد يجوز كل شيء وبعضهم يكاد يخطيء كل شيء وكل يدلي بحجة

وينقل قولا عن امام يكاد يراه معصوما ولذلك كانوا يضطرون قبل التصحيح الى الاتفاق على الطريقة المشهورة وهي طريقة جمهور البصريين ولكني كنت ولا أزال أرى ان تكليف التلاميذ الكتابة على مقتضى هذه الطريقة ظلم من الاساتذة لا يجوز البقاء عليه فان اللغويين أنفسهم اليوم لا يستطيعون ان يكتبوا على هذه الطريقة كتابة سليمة من الخطأ باطراد الا بعد مراجعة كتب الصرف والقراآت وكتب اللغة لان أكثر قواعد الفن مرتبط بتلك الكتب ارتباطاً وثيقا فكيف نأخذ صبياننا بما لا يقدر عليه فضلاؤنا ومن العجب العجيب ان يشتكي العلماء قديماً وحديثا من صعوبة الاملاء ولا تبلغ بهم الشكوى ان يعملوا على تسهيله فقد قال أبو محمد البطليوسي في الاقتضاب صفحة ١٦٦ ما نصه وقد اضطربت آراء الكتاب والنحويين في الهجاء ولم يلتزموا فيه القياس فزادوا في مواضع حروفاخشية اللبس نحو واو عمرو والف مائة وحذفوا في مواضع ما هو من نفس الكلمة نحو خالد ومالك فأوقعوا اللبس بمافعلوه لان الالف اذا حذفت من خالد صار خلداً واذا حذفت من مالك صار ملكا وجعلوا كثيراً من الحروف على صورة واحدة كالدال والذال والجيم والحاء والخاء وعولوا على النقط في الفرق بينها فكان ذلك سببا للتصحيف الواقع في الكلام ولو جعلوا لكل حرف صورة لا تشبه صورة صاحبه كما فعل سائر الامم لكان أوضح للمعاني وأقل للالتباس والتصحيف ولذلك صار التصحيف في اللسان العربي أكثر منه في سائر الالسنة اهـ * فأنتم ترون ان هذا العالم الجليل الذي أصلح كتاب ابن قتيبه وهو احد أركان الادب الاربعة يجيز أن يضع الكتاب حروفا أخرى غير الحروف التي عرفت من قبل الاسلام ليرفع بذلك اللبس ويقلل الخطأ ويشكي الناس ولكنه لم يفعل ولم يبلغنا انه دعا معاصريه الى الفعل وأنا في مقالي هذا لا أريد ان أعمل كما يريد البطليوسي ولا أريد ان ابتدع وانما أريد ان أحمل الناس على مذهب سهل وطريقة متقبلة حتى لا يحمل على المحافظون حملتهم المعهودة

ولقد فكرت أيها السادة في صعاب الاملاء وذللتها بما بلغه وسعي ورأيت ان أصعبها على المتعلمين والمعلمين قواعد الالف اللينة ثم الهمزة وان الخطب فيما بعدها محتمل

اما قواعد رسم الالف اللينة فالظاهر انها وضعت للعلماء المتبحرين لا للنشأ المبتدئين لان منها تخليص الواو من الياء وهو من أصعب المباحث اللغوية التي افتخر بها مجد الدين الفيروز آبادي في مقدمة قاموسه اذ يقول ومن أحسن ما اختص به هذا الكتاب تخليص الواو من الياء وذلك قسم يسم المصنفين بالعي والاعياء ( أي بالعجز والكلال ) وانا أقول اذا كان يسم المصنفين بالعي والاعياء أفلا يسم المتعلمين من باب أولى باليأس والشقاء اذ كيف يتأتى للناشئ الذى لا يعرف كيف يراجع كتب اللغة فضلا عن التضلع منها ان يعرف ما يفتخر بمثله أئمة اللغة ليصحح كتابة الالف *

ومنها ان كل اسم أو فعل ثلاثي ممال تكتب الفه ياء وكلكم يعلم ان الامالة أصبحت فيما بيننا مهجورة لا تكاد تعرف الا من بطون الكتب بل قد بطلت دراستها من أكثر المدارس لقلة الحاجة اليها في الانشاء والخطابة ولم نعد نسمعها الا من بعض القراء الذين يقرءون نادراً بغير قراءة حفص المشهورة بيننا فكيف نحيل الطلبة على الامالة فى تعليم الاملاء بعد ان أصبحت خافية على كثير من المشتغلين بالعربية أفنطالب الصبي ان يرجع الى كتب القراآت وشروح الالفية ليعلم هل الكلمة التى يريد ان يكتبها ممالة فيرسمها ياء أو غير ممالة فيرسمها ألفا ذلك هو الارهاق

ومنها قولهم ان الكلمة اذا وردت ممدودة ولو مرة واحدة فان الفها ترسم الفا قائمة ومعنى هذا ان ينقب الطالب أو المعلم فى أمهات الكتب على الكلمة ويستقصى جميع ما وردت فيه من نظم ونثر حتى يحكم بأنها لم تسمع ممدودة وحينئذ يرسمها بالياء ومن عجيب ما رأيت ان القاموس رسم كلمة سنا بالياء في النسخة التى عليها خطه مع انه قال فى المادة نفسها ( ويمد ) ولم يفطن لها فيما رأيت الا صاحب اللسان فانه نص على رسمها بالالف فقاعدة هذا أثر التطبيق عليها بين لغويين كبيرين كيف يكون أثرها بين من دونهما فى العلم والانقطاع الى اللغة بله التلاميذ وهل يصح ان يكلف الذى يريد القراءة والكتابة مثل هذا ان هذا لتكليف بما لا يطاق .

ألم يقولوا للتلاميذ اذا أردتم ان تعرفوا الواوى من اليائي فاعرفوا ذلك بالتثنية

والجمع والمصدر والمرة والهيئة والفعل والمضارع والاسناد الى تاء الفاعل أو الف الاثنين ولا أدرى لم لم يقولوا لتلاميذهم اعرفوا ذلك بعلم الصرف واللغة بل لا أدرى لم لم يقولوا لهم تعلموا كل شئ فى اللغة قبل ان تتعلموا كتابتها ؟

ألم تكتب المطابع النصرية نحو تسع صفحات بالخط الدقيق فى شروط حذف الف ابن ثم ختمت ذلك بعشرين بيتاً لجمع هذه الشروط وتسهيلها على طالبيها وانى أناشدكم الله أي صعوبة أصعب من هذا التسهيل ؟

أليس من قواعد الالف انها اذا كانت زائدة عن ثلاثة فى كلمة أعجمية رسمت الفا واذا كانت فى عربية رسمت ياء مع ان المتضلعين من اللغة بل من اللغات لا يقفون على أصل بعض الكلمات وتمييز عربيها من عجميها الا بعد التنقيب والبحث الدقيقين وقلما ينفعهم اليوم رجوعهم الى القواعد التى وضعها المتقدمون للفرق بين الكلمات الاعجمية والعربية لان أغلبها ملاحظ فيه اللغة الفارسية فاما اللغات المنتشرة بيننا الآن كالانجليزية والفرنسية والايطالية فلا تكاد تتعرض لها هذه القواعد ولا يذكر منها مثل فى كتبنا لان معاجمنا قديمة لا تتعرض بالضرورة للجديد ولان المشتغلين منا لا يحبون ان يزيدوا مثالا غير الامثلة الموروثة فهل هذه القاعدة التى تنوء بحملها الكبار تلقى على الصغار ؟

لهذا كله عمد ناس من المتقدمين وبعض المتأخرين الى جمع الواوي واليائي وما وصل اليه من الكلمات الاعجمية وصاروا يعلمون تلاميذهم باملاء ذلك عليهم كلمة كلمة فراراً من هذه القواعد التى تكاد تقعد باللغة على اطلالها القديمة ورسومها الدارسة

ومنهم من ظن انه يخفف على الناس بجمع المقصور في قصائد فجمع كثيراً منه في كلام غث ثقيل فجعل للواوي من الافعال قصيدة ولليائي قصيدة وللمتراوح بينهما قصيدة ثم ثلاثا أخرى للاسماء ومع هذا لم يستقروا ولم يوفقوا للصواب فى كل ماقالوا على ان هذه الطوائف من القصائد اذا ابتلى بها طالب وحفظها فان كلماتها لا تصير

ملكة في يده بمجرد حفظها بل قلما تبقى محفوظة لان الشيء الثقيل القليل الفائدة سريع الزوال

وهل يجوز أن يضيع الطالب زمنه ويكد ذهنه ويملأ حافظته بكلام سخيف لاجل أن يتأتى له رسم الالف اللينة في بعض صورها مع أنه لقنها في الهجاء وعلم أن شكلها أسهل الاشكال وابعدها عن الاشكال وهل في استطاعة اية حكومة ان نجعل التعليم عاما في أمتها مع بقاء مثل هذه القواعد المتعذرة التطبيق لاجل كتابة حرف واحد من لغتها وهو الالف اللينة ٭ ياسبحان الله ما اقسى هذه الالف اللينة وما اشد مصيبة التعليم بها

لهذا كله رأيت ان أطوح بهذه الاحمال الثقال وافرج عن المعلمين والمتعلمين واطلق يد الكاتبين وارفع صوتي مناديا بترك هذه القواعد وهذه المنظومات وكل ماخط في رسم الالف اللينة والاستغناء عن هذا كله برسم الالف اللينة الفا قائمة كما ننطق بها وكما علمناها في الهجاء سواء كانت في حرف او اسم او فعل ثلاثي او أكثر علم او غير علم مختوم بياء او غير مختوم ٭ واني أقول للمحافظين لا يرعجكم هذا النداء فاني راعيت جانبكم وتقبت في الاقوال المأثورة عن المتقدمين ووجدت كثيرا من علماء النحو يقول بهذه المقالة فلم آلُ والحمد لله عندكم بدعا فيما أقول واليكم ذلك فقد جاء في صحيفة ١٧٣ من الاقتضاب مانصه

(ومن النحويين من يرى ان يكتب كل هذا بالالف حملا للخط على اللفظ وهو الذي اختاره أبو علي الفارسي في مسائله الحلبية) بل قد جاء في الكتاب الذي تتداولونه وهو المطالع النصرية في صفحة سنة ١٢٠ ما نصه ٭ واما المسوغ لكتابتها الفا مع وجود المقتضي للياء فسبعة وسرد ستة منها (ثم قال) وسابعها اتباع جماعة من النحاة مشوا على كتابة الباب كله بالالف حملا للخط على اللفظ سواء كانت الالف ثالثة او فوقها ولو منقلبة عن ياء في علم او غيره كما في الشافية ووجهه شيخ الاسلام بانه القياس ولانه انفى للغلط اهـ

فان كان لا بد من فتوى فاليكم فتوى شيخ الاسلام زكريا الانصاري وان كان لا بد من قاعدة فالقاعدة ان كل مسألة فيها قولان ينبغي ان يرجح منهما مايوافق القياس

اخواني هذه الطريقة يوجبها القياس والسهولة وادخار الزمن لعمل انفع وتيسرها للناس

كافة وهي التي تناسب تعميم التعليم ويستوى فى معرفتها العالم الكبير والصبي الصغير وتخفف عنكم شيئا من العناء الكبير الذى تجدونه فى تصحيح الكراسات وتمرين التلاميذ والطلبة على أن المسألة ليست من مسائل الاعتقاد حتى نخشى من مناجاة الناس بها بل هي مسألة اصطلاحية فنية بحتة وقد خرج الناس قبلنا فى صدر الاسلام عن رسم المصحف الكريم الى خط اصطلاحى ولم يروا في ذلك غضاضة على انفسهم ولا حطا من شأن الكتاب العزيز مع أن حاجتهم الى الخروج كانت أقل من حاجتنا اليوم فقد اصبحنا فى حياة كلها منافسة وهى تستدعى علوما جمة وأعمالا شتى واصبحت اعمار الناس لا تفسح لان يصرف الواحد منهم سبع سنين في تعليم الاملاء ومع ذلك لا يجيده بل لا يزال يخطئ الى أن يموت على أن أهل العلم اذا تشددوا فى التمسك بمثل هذه القواعد العقيمة فانى انذرهم وانذر نفسى بتخلف اللغة العربية عن سير المدنية تخلفا ينسلّ معه الناس من لغتنا لواذا اما الى العامية وهى لهجة لا تنهض بعلم ولا باخلاق ولا بشىء من مقومات الحياة الطيبة واما الى اللغات الاوربية وفى ذلك فناء الامة فى سواها ٭

فاذا كان لى منكم عضد ووافقتموني على هذه الطريقة وطلبتم أن يؤذن لكم بتعميمها فى مدارسكم فانى لا اشك فى اجابة طلبكم لانكم انتم لسان الحكومة العربى ويرجع تعليم اللغة العربية فى مدارس الحكومة اليكم ومنكم المدرسون والمفتشون والنظار واذا تم لكم ذلك مشى على أثركم المعلمون فى القطر المصرى وانتقل الى الاقطار الاخرى اذلا يعقل أن يكلفوا أنفسهم الصعب بعد وجود السهل المقبول ٭

لعلكم تقولون اذا كنت مصلحا ولا بد فضم الى عملك هذا تسهيل رسم الهمزة بل اجعل الاصلاح عاما واعرضه بعد ذلك على العلماء والكتاب وأهل الرأى حتى اذا وافقوك نقلت الناس نقلة واحدة بدل أن تنقلهم كل حين الى مسألة واحدة فان هذا يبطئ بالاصلاح من جهة ويكثر ازعاج الجمهور من جهة أخرى بنقلهم من شيء ألفوه الى شيء جديد ٭

( م ٦ من الصحيفة )

واني أجيبكم أيها السادة من وجوه • الوجه الاول ان الاصلاح الصغير لا يترك لانتظار الاصلاح الكبير • الثاني اني أردت التدريج مخافة الفشل اذا عملت كل ما أريد وتريدون دفعة واحدة * وصعب على الانسان مالم يعود • الوجه الثالث اني أعددت بقية الاصلاح وتربصت به حتى أعلم رأيكم ورأى الجمهور فى ذلك فاذا أنست منكم ومنهم تقبل بادرت الى اعلانه كله في خطبة واحدة وارجو ان شاء الله أن يكون ذلك قريبا

بقي على ان ارد الشبه التي سيوردها المحافظون فانهم سيقولون لا محالة *

(١) ان المتعلمين على طريقتك التي اخترتها اذا قرءوا فى كتبنا وجرائدنا ومجلاتنا القديمة فانهم ينطقون بالالف المكتوبة على صورة الياء ياء فيقولون فى رمى رمي وفى على علي وفى الى إلي وفى المصطفى المصطفي الى غير ذلك ورد هذه الشبهة من وجهين الاول ان الطريقة القديمة لا تعصم من مثل هذا بل توقع فيما هو شر منه لان الرسم فيها لا يفرق بين المصطفى والمستفتى اسمي الفاعل والمفعول ولا يفرق بين هَوى وهَوَى وهوَى وهُوِى ولا بين على وعلي الى غير ذلك ولان المعتلات الاواخر المرسومة الفاتها على صورة الياء في الطريقة القديمة تزيد عن الفى كلمة مما يقع في عبارات الكتاب والمؤلفين فالراجع الى الكتب القديمة واقع فى لبس من هذا لا محالة ولا ينجيه منه الا التضلع من علمي الصرف واللغة فالذي ينجيه من هذا على كثرته ينجيه مما تخافون عليه من اللبس القليل فى جانب ذلك فالطالب الذي يرجع الى الكتب القديمة ان كان من صغار الطلبة فانه مخطئ ولا بد سواء جرى على الطريقة الجديدة أو القديمة التى لا تنقط الياء المتطرفة فهو ينطق بالالف المقصورة كما ينطق بالياء ولا فارق فيها يعصمه من هذا الخطأ فخير له على طريقتنا ان يقال خطوه جداً فان الكتب ستنقسم الى جديدة لا يخطئ فيها وقديمة يهجرها الزمان يخطئ فيها كما كان يخطئ من قبل ان دعته الحاجة الى ذلك على سبيل الندور وان كان عارفاً باللغة والصرف فان اعتراضكم لا يجئ لانه متى لاحظها سهل عليه ان يعرف الصواب

الوجه الثانى ان الصدر الاول لم يبال بهذه الصعوبة حينما أحدث الخط الاصطلاحى ولم يبال ابن مقلة حينما غير الخط الكوفى الى الخط الذى تعرفونه الآن لان الزمان كفيل باظهار ما تدعو اليه الحاجة واضمار مالا تدعو اليه فهو الذي يسير بالجديد الحاجى ويقف بالقديم المفروغ منه على ان المطابع ستعيد طبع النافع من الكتب القديمة فتطبعها على الطريقة الجديدة ولا يبقى بلا طبع غالبا الا الذى لا خير فى كثير منه للناس وبهذا تذهب الشبهة الاولى

الشبهة الثانية ان كتابة المقصور كله بالالف تفوت الطالب معرفة أصل الكلمة أمن بنات الواو هى أم من بنات الياء فلا يدرى كيف يثنى الاسماء أو يجمعها جمع سلامة أو يسند الافعال المعتلة الى الضمائر وهذا شئ لا يستهان به

والجواب ان هذه مسألة دورية محالة وذلك ان الكاتب على الطريقة القديمة لا يكتب الالف الثالثة الا اذا عرف أصلها ومعرفة أصلها متوقفة على علم الصرف واللغة وعلم الصرف أو اللغة متوقف على الاملاء في رأى المشتبه فيجيء الدور حتما على ان تثنية الاسماء وجمعها واسناد الفعل الى الضمائر كل ذلك له علم خاص به وهو الصرف فمن أراد ذلك فليطلبه ولا يجوز أن تكلف من لا يريد الصرف ان يعرفه من الاملاء معرفة ناقصة وتضيع عليه زمنه بادخال ما لم يرد فيما أراد فلا يتقن لا هذا ولا ذاك بل لا معنى لتكليفه مالا يطيقه ولا فائدة له منه

الشبهة الثالثة ان الجرى على الطريقة الجديدة غير مأمون اللبس بل يوقع الطالب في أشتباه كان ينجو من مثله على الطريقة القديمة مثال ذلك الى فانها تشتبه بالا وعلى فانها تشتبه بعلا الفعلية

وجواب هذه الشبهة ان الالتباس فى ألفاظ قليلة جداً وتميزها بالقرائن أسهل من تميز سواها على الطريقة الاولى فاذا قلت أرسلت الى فلان أو سعيت الى زيارته ورسمت الى بالالف لم يشتبه الامر على الناظر خصوصاً بعد ان تبلغه الطريقة الجديدة ولا يفوتنك أيها المشتبه ان تمييز الا من ألا وألاً أصعب وأدق من تمييز الى من احدى هذه الثلاث

على اني أجيز للكاتب أن يضبط بعض الكلمات اذا ظن فيها اللبس وأقول للمشتبه اذا رضيت باللبس على الطريقة القديمة في نحو ثلاثة آلاف كلمة ألف سنة أفلا ترضى به على الطريقة الجديدة فى كلمات لا تكاد تستحضر منها بضع عشرة كلمة واذا رضيت بالاشق الابعد عن القياس أفلا ترضى بالايسر الاقيس

الشبهة الرابعة اذا كنت تقول بالقياس وهو ان تكتب كما ننطق ادان اددان والا اللاوادعى اددعى واطآن اطاأن وانك ان فعلت ذلك أوقعت الناس فى لبس لم يقعوا فيه من قبل

والجواب انى أقول بالقياس اذا كان مع المصلحة وكلامي اليوم فى الالف اللينة دون سواها والقياس فيها جلي واضح المنفعة واما فى سواها فاني أكون مع المصلحة أينما كانت

الشبهة الخامسة ان الانسان لا يكتب الا ما هو متمكن من معرفته والكلمات التى تدور على ألسنة الناس وفى حاجاتهم قليلة يمكن حصرها وتعليمها اياهم على الطريقة القديمة ولا حاجة الى هذا التغيير

والجواب ان الدعوى الاولى غير صحيحة فقد يكتب الكاتب مالا يعرف اذا أملي عليه من يعرف وقد رأيت عالما أعمى يملي على تلميذه تأليفا له فى علم لم يلقنه اياه فكان يخبط فى ذلك خبط عشواء وهؤلاء النساخون الذين نشتكي منهم كل يوم هل يكتبون ما يعرفون

وأما كون الكلمات المستعملة قليلة فهذا كلام مقول بالتشكيك وما ذا تريدون من القلة فان كانت ألف كلمة فهى كثيرة وان كانت ألفا فكذلك على ان كلمات التأليف والتحرير غير واقفة عند الحد الذي يجئ في اذهانكم لاول نظره ولقد عنيت بالنظر فى ذلك فرأيت المستعمل فى التأليف لا يقل عن الفي كلمة هذا عدا ما ظننت انه مهجور ويجوز الا يهجره غيرى

الشبهة السادسة انه يشق على الناس ان يخرجوا من عادتهم فى مثل ذلك وتكليفهم

الخروج عما ألفوه ضرب من الارهاق وربما كان منه مالا يحب

والجواب ان الخروج من العادات الضارة واجب وليس فى مثل هذا الاصلاح المسهل ارهاق على أنى معتقد ان الناس متى علموا جواز الرسم على هذه الطريقة وانه لا يعتبر خطأ فى الكتابة العلمية والرسمية والادبية سارعوا اليها ونبذوا القديم الذى لا يكاد يسلم من الخطا فيه صغير ولا كبير

وسيقول من يحسن ظنه فيَّ لم لا يشتغل بتأليف كتاب فى آداب اللغة والحاجة شديدة بدل اشتغاله بموضوع صغير كهذا وما هذه الالف اللينة التى يعني بها كل هذه العناية *

والجواب اني مشتغل بما يريد من جهة ومعتقد ان هذا الموضوع الآن افيد للأمة من الموضوع الذي يقترحه على فان اصلاح الاملاء أمر يرتبط من جهة أخرى فى مصر باثنى عشر مليونا يراد ان يعمهم التعليم وهذا أمر حاجي لا يتأتى تعميم التعليم الا به واما كتاب آداب اللغة فانه يؤلف لطبقة قليلة مخصوصة على أنه الى الآن من كماليات لغتنا فهل يحملك أيها الاخ العزيز حسن اعتقادك فيّ على أن تصرفني عن الانفع الى النافع وعن الضروري الى الكمالي ذلك مالا ارضاه لصداقتك وحبك الخير لى وللناس

بقيت كلمة يقولها كثير من الناس حينما يسمعون باصلاح جديد وهى هل اصلحت كل شيء حتى لم يبق الا الاملاء وهذه الكلمة تقال لى اذا أخذت في اصلاح معاجم اللغة كما تقال لسواى اذا هم باصلاح أى شيء وكان من حقي الا ابالى بهذه الكلمة ولا افرض لها وجودا لانها لا تصدر الا من الذين يكرهون كل تغير ولو كان في مصلحتهم كما كانوا يقولون وهل علمنا البنين حتى نعلم البنات ولكني أردت أن أجيب عنها لارضى العامة او الجامدين أيضا فاقول افرضوا ان هذا اول اصلاح مستطاع الى الآن افأتركه حتى يتأتى لي اصلاح كل ما عداه وهل أترك ما استطيع لما لا استطيع وهل يتأتى اصلاح كل شيء الا بالبدء فى شيء منه كما بدأت بهذا الآن ثم نجيء الاشياء الاخرى التى تتخيلونها بعد فيتم بهذا ما أردتم وقد يقول المحافظون انا نخشى ان جرينا على طريقة

الاصلاح ان نغير من اشكال حروفنا او ان نخرج بها عن المعروف قديما وحديثا لسائر الامم ومن ذا الذى يعلم ما يصل اليه الامر فقد يتطرف متطرف الى اكثر من ذلك ولهذا لا ينبغي أن نغير شيئا مما نحن فيه *

والجواب ان البقاء على ضرر محقق مخافة ضرر موهوم ليس من الكياسة في شيء وانا لخشي على اللغة من الضرر المحقق أكثر من خشيتنا عليها من الضرر الموهوم . على ان الخط أمر اصطلاحي متى ظهرت المصلحة في تغيير شيء منه فاى خطر على اللغة من ذلك وانى اعتقد ان الساعي في اصلاحها الآن اشفق عليها من هؤلاء المحافظين الذين يحتملون الضرر الواقع مخافة الضرر الذى يخيل اليهم *

سادتي واخواني ان الناس لا يرضون منا أن نقتصر فى اعمالنا على ما تفرضه القوانين الرسمية على المدرسين منا والنظار والمفتشين بل يطلبون الينا ان نهذب لغتنا ونقرب منهم مأخذها ونزيد لهم مادتها حتى تسع مسمياتهم الجديدة كما وسعت مسميات العلوم من قبل واذا كان الله قد الهم الناس هذه الثقة بنا فقد وجب علينا ان نهب حياتنا للنهوض بلغة كتابه العزيز شكراً له على هذه المنة الجليلة وتحقيقا لظن الناس بنا وبحسبه فى الخير وحق على كل انسان أن يشد ازر أخيه لنعمل باجتماعنا عملا صالحا فاذا كان لي منكم عون فيما اقترحه اليوم فاننا نذلل اكبر صعوبة فى سبيل تعليم هذه الامة التي تريد أن يكون التعليم فيها عاما اجباريا ليتعلم أبناؤها القراءة والكتابة وما لابد منه من علم الدين والدنيا ويتفرغوا بعد لمزارعهم وصنائعهم كما هو الشأن فى الامم الراقية

هذا واني لارجو من غيرتكم أيها الاخوان ان تنقدوا ما عسى ان يكون قد وقع فى خطاب أخيكم نقدكم الصحيح الذى يعهده فى ذكائكم وفطنتكم وأسأل الله تعالى لي ولكم التوفيق الى طريق السداد وقبل أن أختم خطابي اناشدكم الله الا ما سرعتم الى العمل مجتمعين اذا تقبلتم اقتراحي بقبول حسن

محمد المهدي

## ( صورة التقرير المرفوع الى صاحب السعادة ناظر المعارف العمومية بطلب الترخيص للمعلمين ان يتبعوا فى التعليم طريقة كتابة الالف ألفا فى جميع أحوالها )

ناظر المعارف العمومية سعادتلو افندم

الامة الآن تسير فى طريق تعميم التعليم وسعادتكم تأخذون بيدها لتنال هذه الامنية ومن الضرورى ان يكون طريقها الى ذلك مدللا من العقبات التى تجعل السير فيه صعبا *

اساس التعليم كله هو الكتابة والقراءة وعليهما يبتنى كل علم آخر يراد استفادته والكتابة والقراءة هما اول ما يقابل الناشئ في تعليمه الاولى أي تعليم الكتاب فمن الواجب ان يتجه كل طالب اصلاح لتهذيب قواعدهما حتى لا يكون اول ما يقابل المتعلم مصاعب لا قبل له بها * من القواعد الثابتة المقررة ان الكتابة انما هي دليل النطق فيلزم ان تكون مصورة له تماما وكلما كثرت مراعاة هذه القاعدة كانت السهولة في الكتابة والقراءة أتم اذ لا يحتاج المتعلم مع ذلك الا الى معرفة صور الحروف الهجائية نطقا وكتابة وذلك لا يحتاج الا الى ايام قليلة ثم يشغل وقته بعد ذلك بما هو اكثر فائدة وقد خرج الكتاب المتقدمون عن هذه القاعدة فى تصوير بعض الحروف لامور راعوها كما صوروا بعض حروف لا ينطق بها فى الوصل رعاية للابتداء بها والوقف عليها الا انا رأيناهم قد خرجوا عن هذه القاعدة فى أمور فكان من جراء الخروج فيها اللبس على المتعلم وتعذر وصوله فى نشأته الى مراعاة ماراعوه * من ذلك كتابة الالف اللينة التى تنتهي بها الكلمات من الاسماء والافعال والحروف * اختار جماعة من كتاب البصريين ان يصوروها بمراعاة الاصل الذي انقلبت عنه او بمراعاة ماتؤول اليه فصوروا الف دعا والعصا الفا لانها منقلبة عن واو وصوروا الف سعى والنهى ياء لانها منقلبة عن ياء وصوروا الف على والى ياء لانها تؤول الى ياء عند اتصالها بالضمائر ولم يثبتوا على ذلك بل شذوا

عنه فى بعض كلمات مراعاة لامور أخرى كما يصورون الف (أحيا) بالالف ويفرقون بين (الربى) و(الدنيا) لان الاولى علم والثانية صفة وكما يفرقون بين بخارى واوربا واختار جماعة من كتاب الكوفة ان يصوروها تبعا لامالة ما تليه من الحركة فالكلمة الممالة يصورونها ياء وغير الممالة يصورونها على الاصل ٭

وبعض الكتاب يطرد الاصل فيرى ان تصور الالف كما نطق بها منعا للبس ومراعاة لاصل ان الكتابة دليل النطق وقد أحس المعلمون المدارس من أعضاء نادى دار العلوم بما هنالك من المصاعب فى تعليم النشء ما يتبعونه فى كتابة هذه الالف فاقترح أحدهم ان تكون الالف الفا فى جميع أحوالها سواء كانت فى اسم او فعل او حرف ثالثة أو زائدة عن الثلاثة وقد نظر الاعضاء في هذا الاقتراح فى جلستين من جلسات النادى وكانت النتيجة ان وافقوا ماعدا القليل منهم على هذا الاقتراح للاسباب الآتية ٭

(١) ان الكتابة دليل النطق ولا يخرج عن هذا الاصل الا اذا كانت هناك اسباب قوية تقتضي الخروج عنه ولا يصلح كل من مراعاة أصل الالف أو ما لها أو امالتها سببا في ذلك ٭ اما أصل الالف فان الباحث عنه علم التصريف أو القواميس اللغوية ٭ معلم الصرف اذا أراد ان يعلم الطالب كيفية اسناد ذى الالف الى الضمائر المتصلة أو تثنية المقصور يأمره ان يرد الالف الى أصلها ويبين له القواعد التي تعرفه ذلك الاصل فيقول فى الفعل تعرفه من مضارعه أو مصدره ويقول فى الاسم ارجع المعاجم أو اعرف ما اشتق منه ولا يخطر بباله ان يحيله على الكتابة فيقول ما كتبته بالالف فاجعله واوا وما كتبته بالياء فاجعله ياء لانه لو فعل ذلك لكان تعليمه دوريا فالطالب لا يعرف ان يكتب الالف الا اذا عرف أصلها ولا يعرف أصلها الا اذا عرف كتابتها هذا دور فالكتابة تبين النطق والصرف والمعاجم تبين أصول الالفات ولا معنى لخلط شئ بآخر لا سيما ان كان هذا الخلط مما يجعل امامنا عقبات صعبة فيما نقصد اليه من تعميم التعليم ٭ واما الامالة فضلا عن أنها لم تكن لغة قريش وأنها لا يكاد يعرف قواعدها أحد من المتكلمين بالعربية الآن الا قليلا قد وضع لها باب خاص فى علم الصرف يعرف

مايمال وما لا يمـال فلا معنى لجعل الـكتابة دليـلا على شيء لا يعرف ولا ينطق به والتغاضي عن جعلها دليلا على شيء ينطق به واذا كانت امالة ما قبـل الالف تصلح لـكتابتها ياء فكان يجدر بهم ان يفعلوا ذلك في الالف المتوسطة الممالة لكنهم لم يفعلوا فبان من ذلك ان ماراعوه لا يصلح ان يكون موجباً للخروج عن هـذا الاصل الكلي المسلم به

(٣) ان هذا مذهب صرح باختياره بعض الـكبار من العلماء وارتضوه مقتنعين بأنه خير مما سواه فلا نكون باختيارنا له بدعا

وقد حاول بعض المعارضين منا ان يجعلوا امام اختيارنا هـذا أشياء ظنوها مانعا فقالوا ان هـذا خروج عما سنه المتقدمون وجرت عليـه الآن فصار من عاداتها . والعادات مما تجب المحافظة عليه . وجوابنا على هذا سهل فان العادة التي تلزم المحافظة عليها هي العادة المميزة للامـة عن سواها . اما استبدال حرف عربي بآخر عربي فليس مما يضر بمميزات الامة خصوصا ان كان رجوعا الى صواب . لا يعارضنا أحد في ان تكليف الصغير ان يكتب بى وينطق با شطط وخروج عن الجادة فنحن لم نفعل شيئا الا انا قلنا أكتب با وانطق با واكتب بي وانطق بي على ان العادة مهما كان قدرها اذا تبين أنها عثرة في طريق تسهيل التعليم فانا ننبذها غير آسفين عليها

قالوا ان الكتابة الجديدة تقطع الصلة بيننا وبين كثير من الـكتب التي كتبت قبل . وجوابنا على ذلك ان الخط العربي محتاج في كثير من اشكاله الى القرائن للاستدلال على ما يراد منه مالم يكن مشكولا اذ أن القارئ لا يميز في هذه الصورة ( كتب ) بين كَتَبَ وكَتِبَ وكُتُبٌ وكَتْبٌ وكُتِّبَ الا بالقرينة التي تعين احداها والذي يقرأ في الـكتب المطبوعة ويرى مثل سعى ورمى وهدى لا يتعذر عليـه ان يقرأها افعالا اذا دلت على ذلك قرائن الـكلام على انه الآن محتاج الى هذه القرائن ليفرق بينها وبين سَعْي وَرَمْي وهَدْي وقد يغتفر هذا الشيء اليسير في مقابل المنفعة العظمى التي سننالهـا

( م ٧ من الصحيفة )

بجعل الالف الفا على الدوام ٣. وحركة الطبع المستمرة لا تمكن الكتب الجيدة من البقاء زمنا طويلا حتى يعاد طبعها. اما مالا أمل فى اعادة طبعه فهذا لا يرجع اليه فى الغالب الا كبار المتعلمين وهؤلاء لا يصعب عليهم التمييز بين الكلمات

قالوا ان المتعلمين سيضطربون زمنا طويلا وجوابنا على ذلك ان كل اصلاح جديد لا بد ان يقابله شئ من الاضطراب الوقتى بين القديم والجديد و بعد زمن قليل يتغير الامر على مارأيناه سهلا وهذا الاضطراب اليسير مغتفر في جانب الوقت العظيم الذى يوفر على الاطفال الذين نعلمهم الآن طريقة كتابة الالف . تبين من هذا ان ما راعاه المتقدمون في الخروج عن أصل الكتابة لا يصلح سببا وما رآه بعض المعارضين للرجوع الى الاصل لا يصلح مانعا .

لذلك كانت الاغلبية العظمى موافقة على هذا الاقتراح

وبناء على ذلك

نتقدم الى سعادة الوزير الجليل العامل على نشر التعليم وتسهيله ان يأذن لحضرات المعلمين بالمدارس فى اتباع هذه الطريقة فيعلموا تلاميذهم ان يكتبوا الالف الفا فى جميع الاحوال

( التوقيعات )

العلوم

للورد باكون الفيلسوف المشهور

العلوم تطلب للانشراح وللتحلي وللاقتدار . اما الانشراح بها ففي الخلوة . وأما التحلي ففي المناقشة . وأما الاقتدار ففي ترتيب الاعمال وانفاذها . لان الرجال ذوي التجربة لا يقدرون الا على تنفيذ الجزئيات وترتيبها واحداً بعد واحد . وأما المشورات والمشروعات العامة وتنفيذ الامور الكلية فاكفاء الناس لها العلماء . المبالغة فى اطالة زمن الدرس ن الكسل وفى التحلي بالعلوم من المراءاة وفي الاعتماد عليها وحدها في انفاذ الاعمال ن شطط المتعلمين لان العلوم كالطبيعة محتاجة لان تكملها التجربة فانه ان كانت

القدرة الطبيعية كالنباتات الطبيعية تحتاج الى ان يهذبها العلم فان القواعد العلمية شاسعة الاطراف تحتاج كذلك الى ان تحدها التجربة

خبثاء الناس يحتقرون العلوم و بسطاؤهم يحترمونها وعقلاؤهم يستعملونها فان العلوم لا تعلم استعمالها لانه أمر آخر وراءها لا يكتسب الا بالملاحظة

اقرأ لا لتخالف وتدحض ولا لتسلم وتعتقد ولا لتجد موضوعا للكلام ولكن لتبحث وتزن

بعض الكتب يذاق و بعضها يبلع وقليل منها يمضغ ويهضم ومعنى هذا ان بعض الكتب لا يقرأ منه الا أجزاء و بعضها يمر عليه وقليل منها يقرأ كله مع الدقة والالتفات وهناك كتب تقرأ بالانابة يكلف الانسان آخر بقراءتها ووضع اشارات على الاجزاء التي تستحق القراءة منها ولكن ذلك قاصر على الموضوعات غير الهامة والكتب القليلة الفائدة اما الكتب المصفاة فهي كالماء المصفى براقة باهرة

المطالعة تجعل الرجل ممتلئا والمناقشة تجعله حاضراً والكتابة تجعله دقيقا لذلك يحتاج قليل الكتابة الى قوة الذاكرة وقليل المناقشة الى حضور الذهن وقليل المطالعة الى المكر حتى يظهر بمعرفة ما يجهل

التاريخ يجعل الانسان حكيما والشعر يجعله فطنا والرياضة تجعله دقيقا والطبيعيات تجعله عميقا وفلسفة الاخلاق تجعله رزينا والمنطق والبلاغة يقويانه في المناقشة والمحاضرة

لكل داء من أدواء العقل علم يداوى به كما ان لكل مرض من أمراض الجسم تمرينا يشفى منه فكما ان رمي الكرة يصلح الكلى والمثانة والصيد يصلح الصدر والرئة والمشي الهين يصلح المعدة وركوب الخيل يصلح الرأس وهلم جرا كذلك الرياضيات تشفي من تنقل الفكر ودراسة آراء العلماء تكسب الدقة في التمييز والتفريق بين المتشابهات ودراسة الدعاوي والخصومات تكسب المواصلة في البحث وقوة الاستدلال فاذا

لكل داء دواء يستطب به  عيت الحماقة أعيت من يداويها

## ﴿ نماذج من كتابات بعض أعضاء النادى ﴾

من معلمى الاجانب الذين كان لهم أثر حميد فى ترقية صناعة التعليم بمصر جناب المستر ( ماردن ) فقد كان معلما حازما ماهراً مدققا فى أعماله واشتغل بتعليم اللغة الانجليزية بالمدرسة الخديوية ثم بمدرسة دار العلوم ثم نقل معلما لفن التعليم بمدرسة المعلمين التوفيقية ثم أعيد معلما لهذا العلم بمدرسة دار العلوم التى سميت بعد مدرسة المعلمين الناصرية وبقى فيها مثالا للجد واتقان العمل حتى اعتلت صحته وأشار عليه الاطباء بوجوب اقامته فى انجلتره فأحيل على المعاش ومنحته الحكومة المصرية الوسام المجيدى الثالث وقد اشترك تلاميذه وزملاؤه المدرسون في توديعه وشكره على أعماله النافعة بالقول والفعل وهذا بعض ما كتب له في ذلك

---

﴿ شكر من طلبة مدرسة المعلمين الناصرية لاستاذهم المستر ماردن بعد سفره الى بلاده لتغير صحته بقلم أحد معلميهم ﴾

استاذنا المحترم

ان بوادى النيل قلوبا مقيمة على الاعتراف لك بالجميل وألسنة ناطقة بشكرك أولئك هم تلاميذك بمدرسة المعلمين الناصرية ولئن اشتملت عليك الان ديارك بعد ان كان منك ضوء ساطع عندنا لقد تضمنت هذه القلوب من الاسى ما تضمنت • انا ودعنا فيك استاذا جمع كثيرا من الخلال الطيبة • حب الخير والصدق فى العمل والجد والنظام واصابة مواقع الفائدة كل هذه أوصاف ودعناها فيك • أليس هذا التغير الذى مس جسمك أثرا لهذه المزايا التى حملتك على الاستهانة به فى سبيل تعليمنا ونصب آثارك النافعة من مؤلفات وغيرها • ولولا مزاياك لبقيت بيننا الى الآن فى عملك تصرفه على وجه ما • ولكن أبى لك ذاك صدقك • لك من هؤلاء الطلاب قلبان اما أحدهما فقلب ملؤه الشكر لاستاذ خير عامل • وأما ثانيهما فقلب ملؤه الأسف على فراق هذا الاستاذ وطيب الذكرى له • وبقى قلب كله دعاء الى الله تعالى أن

يعيد لك لباس العافية قشيبا وان يجعل لبلادنا مرة أخرى من شروق عرفانك فيها نصيبا

وقد سرنا ان حكومتنا لم يفتها ادراك فضلك على البلاد فقلدتك الوسام المجيدى الثالث وان كان عارفوك يرون من هذا الذبول الذى علا جسمك فى سبيل الواجب وساما طبيعيا أنطق بفضلك وأدل عليك . وما الجندى الباسل يوم رجوعه من الوغى الى وطنه وجسمه حافل بالجروح تقطر منه الدماء باخلق منك بالتجلة يوم عودتك اليه وفى جسمك بقية مما ترك الجد والصدق فى العمل . انه أخلص لداره وأخلصت لكل دار أظلتك والسلام

---

﴿ عبارة كتبت فى مجموعة صور مدرسى مدرسة المعلمين الناصرية التى قدمت لجناب المستر ماردن عند توديعه لعودته الى بلاده سنة ١٩٠٩ ﴾

يا جناب المربى المحترم

ان كانت الآثار التى تركتها فى قلوب تلاميذك تجعلهم يأسفون على فراقك ويعلنون اعترافهم بجميلك فاننا نحن زملاءك أجدر ان نعترف بان عملك لمصر وان قصرت مدته فى جانب مدد من استعانت بهم من فضلاء الاجانب قد كان من أبرك الاعمال لها وأعرقها فى نفعها وأنجحها فى تهذيب مربيها . تشهد بذلك مؤلفاتك الجليلة وآثارك الخالدة وليس في سعتنا يا حضرة الفاضل كفاء ما أسلفته لنا من طيب صحبتك وأنفقته لخيرنا من وقتك وصحتك أجمل من ان نشكر لك كل هذا من صميم أفئدتنا ونقدم اليك صورنا تذكارا لعهدنا معك ودلالة على تعلق قلوبنا بك واقتداءا بحسن تاريخك وجليل ماضيك والله يسبغ عليك العافية وينسح لك في الامد ويجعل حياتك حافلة باليمن والسعادة والسلام

﴿ كتاب مقدم من مدرسة المعلمين الناصرية الى حضرة المفضال أحمد بك
فهمي الذى كان مدرسا بها ونقل مرتقيا الى ديوان المعارف مفتشا فيه وناموسا
خاصا لسعادة ناظر المعارف . ثم هو الآن وكيل للمدرسة المذكورة ﴾

حضرة المفضال

لئن كان للمعروف أثر فى امتلاك القلوب . والاحسان سبيل الى استحقاق الشكر . لقد كان منك الينا ماجعل قلوبنا طوع محبتك . ورهن مودتك . ومنك الى الطلبة ماجعلهم فى أعينهم نتائج صنعك . وصنائع تفضلك . وفي أعين الملأ صحائف لتخليد الثناء عليك ونماذج لاياديك البيضاء فى خدمة العلم وأهله . وانا وان حرمنا منك شريكا في الصناعة ورفيقا فى حسن العشرة لن نعدم منك عضدا في المهم . وأهلا للافادة . ولم تنتقل عن الفرع نعمة ذهبت الى الاصل — وان ماخلفته بيننا من آثار خلالك وجليل فعالك لاحسن ذكرى تأمن الدهر على حل عقدها فلا تحسب ابتعادك عن اشخاصنا الا اقترابا من قلوبنا

هذا وان الصحف المجيدة التى أضفتها الى تاريخ مدرسة المعلمين الناصرية تحفظ لك أحمد أثر وأطيب ذكر فى تكوين نهضتها المباركة وتشييد صرحها المتين وضمان سيرها فى الطريق التى يتمناها لها كل محب للعلم ونشره . فالمدرسة اذا أسفت لفراقك فان لها بعض السلوة أن كانت فى ماضيها بستانا لكريم غراسك ومجازا لاذاعة فضلك وتهيئة رقيك وأن تكون في مستقبلها مترقبة لمساعدات عديدة تؤديها اليها في عملك الجديد . وهى تقدم اليك هذا الخطاب تذكارا لاعمالك العظيمة فيها واظهارا لحسن ولائها لك

هيأ الله لك ما ترجوه وحفظك لامتك الفقيرة من أمثالك ونفع بك حيثما حللت وأينما يممت والسلام

---

﴿ مقابسة ﴾

﴿ لابى حيان التوحيدى فى معرفة الناس للحق ﴾

قال سمعت أبا سليمان(١) يقول قال أفلاطن ان الحق لم يصبه الناس فى كل وجوهه ولا اخطئوه فى كل وجوهه بل أصاب منه كل انسان جهة قال ومثال ذلك عميان انطلقوا الى فيل وأخذ كل واحد منهم جارحة منه فجسها بيده ومثلها فى نفسه فأخبر الذى مس الرجل ان خلقة الفيل طويلة مدورة شبيهة بأصل الشجرة والجذع وأخبر الذى مس الظهر ان خلقته شبيهة بالهضبة والرابية المرتفعة . وأخبر الذى مس اذنه انه منبسط دقيق يطويه وينشره . فكل واحد منهم قد أدى بعض ما أدرك وكل يكذب صاحبه ويدعى عليه الخطأ والغلط والجهل فيما يصفه من خلق الفيل . فانظر الى الصدق كيف جمعهم وانظر الى الكذب والخطأ كيف دخل عليهم حتى فرقهم . وكان يقول أعنى أبا سليمان هذا مثل يشتمل على نكت حسنة مفهومة لا خفاء بها عند من يسمعها بتحصيل ويؤيدها ببيان قال ولهذا لا تجد عاقلا فى مذهب يقول شيئا الا وهناك ماقد اقتضاه ذلك بحسب نظره والسابق الى قلبه والملائم لطبعه والموافق لهواه ولكن البارع المتسع المحصل له المزيد فى السبق والفلج بالتدبير .

## مقابسة له

( فى سهولة ارتجال الكلام الصحيح وصعوبة اصلاح المختل )

قال سمعت الخوارزمى الكاتب يقول لابي اسحاق الصابى بن هيثم بن هلال لم اذا قيل المصنف أو كاتب أو خطيب أو شاعر فى كلام قد اختل شئ منه وبيت قد انحل نظمه وانفظ قلق مصابه هات بدل هذا اللفظ ومكان هذه الكلمة كلمة وموضع هذا المعنى معنى آخر تهافتت قوته وصعب عليه تكلفه وبعل بمزاولة ذلك رأيه ولو رام انشاء قصيدة مفردة وتحبير رسالة مقترحة كان عسرها عليه أقل وكان نهوضه بها أعجل . فقال — رقع ما وهي يحتاج الى تدبير قد فات أوله من جهة صاحبه الاول ومن كان أولى به وكان كالاب له . وذلك شبيه بعلم الغيب وقل من ينفذ فى حجب الغيب مع الموانع التى دونه وليس كذلك اذا افترع هو كلاما وابتدأ فعلا واقتضب حالا يستقل

(١) هو محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى المنطقى

حينئذ بنفسه ولا يحتاج فيه الى شئ كان من غيره أو يكون تعلقه بيقظته يعطيه تمام ماقد فتح عليه سده وقدح عليه زنده ولم يكن هكذا حاله فى كلام معروض عليه ولم يهجس قط فى نفسه ولا أعد له شيئا من فكره فقد يعجزه مالم يتأهب له ولم يرض نفسه عليه . وفى الجملة كل مبتدئ شيئا فقوة المبدأ فيه تفضي به الى غاية ذلك الشئ . وكل معقب أمرا قد بدأ به غيره فانه بتعقيبه يفضي الى حد مابدأ به في تعقيبه و يصير ذلك مبدأ له ثم تنقطع المشاكلة بين المبتدأ و بين المتعقب

## النادى

فى يوم أول ابريل سنة ١٩٠٩ القى حضرة الاستاذ أحمد فهمى بك وكيل مدرسة المعلمين بمُدَرَّج المدرسة على أعضاء النادي خطابا فى حياة الفيلسوف المربي الالماني ( هيربارت ) وفى آرائه الخاصة فى النفس وقواعده التى جعلت الان أساسا لفن التربية الحديث . وقد حضر الاجتماع غير أعضاء النادي كثير من فضلاء المعلمين و بعد انتهائه قام حضرة رئيس النادى وشكر له تفضله بالقاء الخطاب والفوائد الجليلة التى اقتبست منه وقد حضر الاجتماع غير أعضاء النادي كثير من فضلاء المعلمين ونظار المدارس وعلية أهل العلم والادب وسينشر الخطاب فى العدد التالى لهذا

وفى يوم ١٥ ابريل سنة ١٩٠٩ القى حضرة الاستاذ محمد الخضري المدرس بمدرسة القضاء الشرعى خطابا فى حياة حجة الاسلام الغزالي وآرائه فى الاخلاق والتربية و بعد انتهائه قام حضرة رئيس النادى و ناقشه فى بعض ارائه وشكر الخطيب . وقد حضر الاجتماع كثير من المعلمين وفضلاء القوم

﴿ تنبيهان ﴾ (١) نرجو من حضرات المشتركين فى صحيفة نادى دار العلوم اذا طرأ تغيير على عنواناتهم ان يكتبوا بذلك للنادى حتى تصل اليهم الصحيفة فى اوقات صدورها

( ٢ ) نرجو من حضرات أعضاء النادى ومشتركى الصحيفة اذا أرسلوا أى قيمة للنادى ولم يصل اليهم وصل بها موقع عليه من أمين صندوقه ( السيد النزهي أفندي ) في بحر أسبوع ان يكتبوا الى النادى بذلك حفظا لحقوقهم و انتظاما لاعماله

# حتام نحن مع الفتنة باليوت

## للدكتور عبد الله الطيب

### تمهيد :

توماس ستيرنز إليوت Thomas sterns Eliot . ولد سنة ١٨٨٨ م وتوفى سنة ١٩٦٥ م . نشأ بسنت لويس مسورى من الولايات المتحدة بأمريكا الشمالية وتلقى تعليمه الجامعى بين سنة ١٩٠٦ م و ١٩١٥ فى هارڤارد بأمريكا والسوربون بباريس وأكسفورد بإنجلترا واستقر بإنجلترا بعد سنة ١٩١٥ وتجنس الجنسية البريطانية ويذكر مترجموه أنه كان من أسرة عريقة الأصل من السلالات البريطانية القديمة ذات جاه وثراء . وكان هو مع أدبه فى إنجلترا من رجال الأعمال الناجحين فى ميدان النشر : وكان مرموق المكان بين أدباء عصره من جانبى المحيط الأطلسى ، قريباً فى المنزلة عندهم مما كان عليه أديبا الأمة العربية الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين رحمهما الله . اشتهر أول أمره بعد نشره منظومته ( الأرض المقفرة The Waste Land فى سنة ١٩٢٢ . ويقال : إن الذى نشر حينئذ كان شيئا مختصرا ، اختصره منها — وهى طويلة جدا — صاحبه وأستاذه الروحى إزرا باوند Ezra Pound وعندى أن مثل هذا القول ، صح أو لم يصح ، مما لاينبغى أن يُعَوَّل عليه . وإليوت أعظم بها شهرة بين أدباء الغرب المتعلقين به منه بغيرها ، ولكنه فى فرنسا مثلا أعظم شهرة بمسرحيته (مَقْتَلٌ فى الكنيسة Mured in the Cathedral ) وللناس فى ما يعشقون مذاهب .

### الفتنة باليوت والأرض المقفرة وحتام نحن مع ذلك ؟ :

الفتنة بإليوت بين أدباء العرب المعاصرين كبيرة جدا . وينسب إليه تفوق وإبداع وابتكار . ومما ينسب إليه فى باب الابتكار مذهبه فى الإشارات والاقتباس : وهذا المذهب قديم فى اللغة الإنجليزية وأقدم فى اللغة العربية افْتَنّ فيه من الجاهليين ، على سبيل المثال ، زهير ونابغة بنى ذبيان ، ودع الفرزدق وجريرا وذا الرمة وأبانواس وشيخ المذهب فى المحدثين أبا تمام وتلاميذه

من لان أبي العلاء إلى الحريرى ؛ وكان إليوت معروفا بالانحراف عن جون ماتون John Milton الشاعر الإنجليزى الكبير المشهور ؛ ومن جون ماتون استفاد هو طريقة مذهبه فى الإشارات والاقتباس فتأمل هذه الالتواءة ؛ وكأنما كان أسلوب أمثالها له ديدنا وطبيعة والله تعالى أعلم بسرائر غيابات النفوس ؛

ويدعو الداعون إلى الاقتداء بأسلوب إليوت والتمذهب بمذهبه ويبغون بذلك النهوض بالشعر العربى الحديث وبث روح جديد فيه أو هكذا يقولون . وفى هذه القضية نظر . هذا أقل مايقال . ولو قلنا إنها قضية دعوى من الضلال البعيد والانحراف السمج ما غلونا . وإليك بعض البيان :

أولا : لفت نظرى أن تعليقات إليوت التى جعلها فى ذيل منظومته المسماة The Waste Land أى الأرض المقفرة = خالية من الإشارة إلى العرب وما يمت إلى العرب وما العرب يمتون إليه ( القرآن مثلا والإسلام) مع أن هذه التعليقات ذات حظ وافر من الحرص على إظهار المعرفة العريضة والاطلاع الواسع وبعض الغلو فى ذلك حتى إنها لتوشك أن تشمل أكثر أمم الأرض ولغاتها وآدابها الحاضرة والغابرة :

ثانيا : لفت نظرى أن إليوت قد ضمن منظومته ( راجع = The Waste Land and other Poems طبعة لندن فى السنوات ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و ١٩٧٥ م ) فى السطر ١٠٠ — ١٠٣ ص ٣٠ إشارة إلى شئ من شعر وليم وردزورث William Words Worth الرومانتكى الانجليزى الكبير وفى السطر ٢٦٣ — ٢٦٥ من ص ٣٧ إشارة إلى شئ من شعر والتردى لامير Walter de la Mare من شعراء صدر هذا القرن الشديدى التأثر بالرومانتكية . ولم يذكر فى تعليقاته شيئا يدل على هاتين الإشارتين . وقد يبدو لأول وهلة أن سبب هذا السكوت هو شهرة الشعر المشار إليه . ولكننا نجد أن إليوت يشير إلى بيت مشهور تكرر فى منظومته من شعر SPENCER سبنسر ( راجع ص ٣٣ و ٣٤ س ١٧٦ و ١٨٣ ) وآخر مشهور جدا من شعر ANDREW MARVEL أندروما رفيل ( راجع ص ٣٤ س ١٩٦ ) وأشياء معروفة من التوراة والإنجيل وغير ذلك . إذن ينبغى أن نبحث عن سبب آخر لسكوت إليوت عن البيان غير شهرة ماأشار إليه على نحو ماهو معروف من مذهبه .

ثالثا : لفت نظرى أن ذكر العرب الذى قد أضرب عنه إليوت كل الإضراب له ورود واضح فى أصل الإشارتين اللتين تضمنت معانيهما وألفاظها الأمطار التى أشرنا إليها من قبل فى منظومته — الإشارة الوردزورثية ، نسبة إلى وليم وردزورث ، فى الأسطر ١٠٠—١٠٣ والإشارة الديلميزية ،

نسبة إلى والترى لامير ، فى الأسطر ٢٦٣ — ٢٦٥ «ا» الإشارة التى وردت من إليوت فى س ١٠٠ — ١٠٣ من ص ٣٠ إلى شئ من شعر وليم وردزورث هى قوله :

..... Yet there the nightingale Filledl the desert with inviolable voice and still she cried, and still the world pursues Jug jug' to dirty ears

**ترجمـة تقريبية :**

ولكن هناك البلبل
ملأ كل الصحراء بصوت لايطمث ولايغتصب
واستمر يصيح وتستمر الدنيا تطارد
زقزقة صغيرة إلى الآذان القذرة

هذا و الذى أشار إليه إليوت من شعر وليم وردزورث هو قول هذا فى منظومته The Solitary Reaper أى الحاصدة المتوحدة :

Olisten for the vale profound Is overflowing with the sound. No nightingale did ever chant more welcome notes to weary bands of travellers in some shady haunt Among *A!abian* sands.

وضعنا خطا تحت الكلمة الدالة على العرب من نظم وردزورث لمجرد التنبيه على موضعها و ترجمة هذا النظم التقريبية كما يلى :

ألا فاسمع فإن الوادى العميق
يفيض مفعما بالصوت
وما غنى أبداً بلبل
نغمات أطيب لجماعات مضناة
من المسافرين فى ظل مكان ما
بين الرمال العربية

أخذ إليوت معنى فيض الوادى وإفعامه بالصوت من قول وليم وردزورث حيث قال ( راجع السطر الثانى من كلامه الذى مر ) :

..... Overflowing with the sound

أى : يفيض مفعماً بالصوت

فجاء بقوله فى السطر ١٠٠ :

Filled all the desert

أى ملأ كل الصحراء كما مر بك فى الترجمة ، وتتمة السطر فى نعت البلبل بأن صوته الذى ملأ الصحراء لايستطيع أحد له اغتصابا وطمثا inviolable وأصل هذا المعنى مأخوذ من حاصدة وردزورث المتوحدة . شبه إليوت صوت بلبله بالعذراء الحاصدة المتوحدة التى أفعم صوتها الوادى العميق وفضله وردزورث على صوت كل بلبل ، ونقل عذرية الحاصدة التى لاتنال لتوحدها وبداوتها إلى الصوت نفسه فزعم له عذرية سرمدية لايستطاع نيلها بغصب وطمث ، لايطمثها أحد لا إنس ولاجان كحور الجنة . وأزعم أن إليوت لايخاو أن يكون نظر فى قوله invoilable إلى هذا المعنى القرآنى — قال تعالى فى سورة الرحمن فى وصف الحور العين : لم يطمثهن إنس

قبلهم ولا جان » ؛ وذلك أن ترجمات القرآن فى اللغة الإنجليزية وغيرها من لغات أوروبا كثيرة والاطلاع عليها واسع .

هذا وإليوت فى السطر ٩٩ من منظومته يذكر تغيير صورة فيلوصيل Philomel فى نوع من تكلف وإقحام :

The change of Philomel .....

وهو يريد بذلك أن يوقع فى وهمنا أنه يشير إلى خبر Philomela فيلوميلا الأسطورى وخلاصته (وقد أشار إليه فى التعليقات ص ٤٦) أن ماكا تزوج أخت فيلوميلا (أو فيلوميل) ثم شغف بها هى حبا وغصبها نفسها ثم قطع لسانها لكيلا تكلم أحدا بذلك فاحتالت على بث خبرها بتطريز طرزته وتنتهى الأسطورة بمسخ الغاصب والمرأتين طيرا وصيرورة فيلوميلا (فيلوميل) بلبلا لتتغنى كالتعويض لها عن لسانها الذى قطع . وما أشبه كلمة بلبل بفيلوميل لسهولة تحول الفاء والميم باء ويجوز أن أصل اللفظين واحد قديم موغل فى القدم . وهل لذلك صلة ببابل وهى من أمهات الحضارة ؟ ومن خطأ اليونان أو غيرهم فى هذه الأسطورة نسبة الغناء إلى أنثى البلبل لأن الصادح فى الحقيقة هو الذكر .

والدليل القاطع على أن أصل معنى إليوت أخذه من حاصدة وردزورث المتوحدة محاكاته الواضحة لصياغة وردزورث . استبدل إليوت قول وردزورث الرمال العربية Arabian sands بقوله هو « كل الصحراء » All the desert وما قوله كل الصحراء . إلا كما لو قال رمال العرب أو الرمال العربية أو الصحراء العربية . واستبدل إليوت قول وردزورث للجماعات مضناة « to weary bands » بقوله هو « للآذان أو إلى الآذان القذرة » to diuty ears » وشبه الصياغة ودليل الأخذ فى النص الإنجليزى واضح جداً . ولاحظ مع هذا أن إليوت حذف اللفظ الدال على العرب حين استبدل قول وردزورث « بين الرمال العربية » بقوله هو « كل الصحراء » :

وردزورث : Among Arabian sands

إليوت : Filled all the desert

وقول إليوت

Jug jug to dirty ears ...

أى : زقزقة صفير البلبل إلى الآذان القذرة .

إنما جاء فيه بحكاية الصوت « زقزق » ليوهم بأنه يشير إلى شكسبير ومعاصريه لكثرة ورود هذه الحكاية فى أشعارهم ويصرف الأذهان عن محاكاته لوردزورث كما بينا من قبل .

ولا يخفى أن ثمة رابطة قوية بين طى إليوت لذكر العرب وطيه لذكر وردزورث وأن هذا الأمر قد كان منه عن عمد لا مجرد مصادفة واتفاق .

«ب» الإشارة الديلميرية نسبة إلى والتردى لامير .

قال إليوت فى منظومته السطر ٢٦٣ — ٢٦٥ ص ٣٠ :

Where fishmen lounge at noon, where the usalls of magnus martyr hold. Inexplicable splendourrs of Ionian white and gold.

الترجمة التقريبية :

حيث يستريح صائدو الحوت فى نصف النهار ، حيث جدران (كنيسة) ماغنس الشهيد تحوى :

مايعجز الشرح من روعة الأبيض اليونانى والذهبى .

الكلمة Inexplicable فى هذا النص ومعناها مايعجز الشرح والتفسير تشبه فى روح الفكرة والصناعة كلمته التى تقدمت فى أخذه من وردزورث وهى inviolable أى لايستطاع اغتصابه . وفكرة الأبيض اليونانى والذهبى فيها مشابه من فكرة إقحامة فيلوميل من قبل من حيث الإيهام بالرجوع الى الأصول القديمة الكلاسيكية وصرف النظر عن موضع الأخذ القريب .

وكذلك ذكر كنيسة ماغنس الشهيد وتعميته بذكر المعمارى رن WREN فى ص٤٨ وهو السير كرستوفر رن SIR CHRISTOPHER WREN يشبه إقحامه «زقزق» ليصرف النظر عن أخذه عن دى لامير ويوهم بإشارة بدل ذلك إلى هذا المعمارى وعصره الرفيع فى تأريخ الحضارة والفن والأدب .

عنى إليوت بالأبيض اليونانى والذهبى من قوله المتقدم نقوش الفسيفساء التى فى سقف الكنيسة من الداخل وأصلها يونانى وقول إليوت : Magnus Martyr أى ماغنس الشهيد عنى به كنيسة القديس ماغنس SAINT MAGNUS وذلك اسم كنيسة مما صممه المعمارى المهندس السير كرستوفر رن. ومعنى « مارتر Martyr » التى أقحمها إليوت هو الشهيد ، وصف وصف به القديس ماغنس المسماة باسمه الكنيسة . (راجع A HISTORY OF ARCHITECTURE أى تأريخ العمارة لمؤلفه السير بانستر فلتشر SIRBANISTER FLETCHER طبع مدينة لندن سنة ١٩٤٨ م ص ٨١١ — ٨١٥ ) .

السير كرستوفر رن Sir Christophet Wren ( ١٦٣١ — ١٧٢٣ م ) من كبار رجال الفكر والعلم والهندسة والعمارة فى بريطانيا فى القرن السابع عشر الميلادى ، وثيق الصلة بملكها شارلس الثانى ، أعاد تصميم عدد كبير من كنائس مدينة لندن بعد حريقها الكبير فى سنة ١٦٦٦ م ومما أعاد تصميمه كاتدرائية القديس بولص المعروفة SAINT PAUL'S ونقوش سقفها الداخلية البيض المذهبات تعد من الروائع وقد حاكى بها كريستوفر رن طريقة مايكل انجلو الفنان العظيم فى تصميمه كنيسة القديس بطرس بروما وقد حاكى كرستوفررن فن النهضة فى سائر ماصممه ولا يستبعد أن يكون إليوت ضمن قوله ( ماغنس مارتر Magnus Martyr ) على شرحه المتكاف له فى ص

٤٨ فى التعليقات ، معنى كاتدرائية القديس بولص تشبيها لها بكنيسة القديس بطرس فى روما إذ لايخفى أن بطرس الحوارى هو شهيد المسيحية العظيم ( ماغنس مارتر ) وهذا معنى جانبى تجىء ظلاله من طريق تداعى المعانى والأول مع الشرح هو الظاهر ولكنى أحسب أن هذا هو المقصود وهو الأصل .

أضرب إليوت عن ذكر دى لامير وأخفاه

وقول والتردى لامير الذى أشار إليه هو أول كلمته ARABIA أى الجزيرة العربية ، هذا هو العنوان – ( انظر ص ١٥٥ من مختارات . الشعر الإنجليزى المسماة

Selections from Modern Poets

لصانعها ج. س. سكوير J.C. SQUIRE طبع لندن – مارتن سكر MARTIN SECKER سنة ١٩٢١ م . قال والتردى لامير فى أول منظومته :

Far are the shades of Arabia,
Where the princes ride at noon,

هذان أول سطرين وقد نظر إلى هذين السطرين وإلى مابعدهما إليوت نظرا شديداً فى الأسطار التى ذكر فيها فياوميل والتى قبلها (راجع من أول الفصل الذى عنوانه لعبة الشطرنج حيث يبدأ بشئ كمحاكاة وصف شكسبير لسفينة كليوبترة إلى السطر ٩٩) وليس ههنا موضع تفصيل ذلك .

وترجمة سطرى دى لامير على وجه التقريب :

هيهات ظلال جزيرة العرب
حيث يركب الأمراء فى نصف النهار . . .

استبدل إليوت عبارة دى لامير the shades of Arabia ( ظلال جزيرة العرب ) بعبارته هو ... the walls / of magnus martyr ( جدران كنيسة ماغنس الشهيد ) .

حذف إليوت اللفظ الدال على العرب وهو جزيرة العرب Arabia واستبدله بكنيسة ماغنس الشهيد وجعل الجدران فى مكان الظلال التى فى عبارة والتردى لامير ولايخفى أن الجدران وثيقة الصلة بالظلال . والغرار عن جزيرة العرب Arabia إن يلك بعضه صادراً عن تعصب دينى أو عنصرى أو عقابيل شعور صليبى مما يدعو إلى التماس ملجأ عند الكنيسة اذ لايخفى أن ظلال جزيرة العرب لاتخلو من معنى ظلال سيوف محمد وصلاح الدين والإسلام والجهاد .

وقد كان والتردى لامير (١٨٧٣ م – ١٩٥٦ م) معاصراً لإليوت ، أسن منه شيئاً ووصفه تأريخ كمبردج الصغير لآداب اللغة الانجليزية بالأصالة والملكة ذات الطبع الجذاب – ( انظر ص ٨٤٧ – ٨٤٨ من كتاب

The Concise Cambridge History of English Leterature

لمؤلفه جورج سامبسون George Sampson طبعة ١٩٧٥ م ) وقد كان ذا روح رومانتيكى وطوى ايليوت ذكره طياً مع أن شاهد محاكاته له واضح فى الصياغة والتركيب كما طوى ذكر العرب والجزيرة العربية .

واستبدل إليوت لفظ الأمراء the princrs الوارد فى بيت دى لامير بقوله the fishmen أى صائدو الحوت وقول دى لامير ride ( يركب ) بقوله lounge ( يسترَيح ) واحتفظ بلفظا نصف النهار at noon وهو وحده كاف فى النميمة بالمحاكاة . وكرَّر إليوت لفظ Where ( حيث ) الوارد فى بيت دى لامير :

.... Where the princes ride at noon

( حيث يركب الأمراء فى نصف النهار )

يترنم به كما ترى :

لايخفى أن ثم رابطة قوية بين طى إليوت لذكر دى لامير وجزيرته العربية كما بين طيه لذكر وردزورث ورماله العربية .

بعض هذا مرجعه كما قدمنا منذ حين إلى الشعور الصليبى الموروث والتعصب الدينى والتعصب العنصرى ، وبعضه مرده إلى الزهو والغرور والاعتداد بالانتماء إلى حضارة اليونان والرومان وأوزوباو السوربون وهافارد واكسفورد والاستنكاف عن أن ينسب إلى الرومانتيكية لادعائه الانتساب إلى الكلاسيكية مع أنه غارق إلى أذنيه فى الرومانتيكية مدين لشاعرها وردزورث السابق له فى الأوان ولشاعرها والتردى لامير المعاصر له فى الزمان، وبعضه مَرَدّه إلى شخصيته وبيئته كنشأته فى أمريكا وتحوله إلى الجنسية البريطانية وتقلب أهوائه فى السياسة والدين ، وأكثره مرده إلى طموح جامح طلب مملكة محدودة المدى أن يساوى ملتون وشكسبير ويحل كمثل محلهما فى عصره ، معتمداً فى ذلك على الكدّ والمكر والدهاء كالذى رأيت من كتمانه محاكاته لوردزورث ودى لامير وتغطية ذلك بضباب من الكلاسيكية والتعليقات الأكاديميه . وككتمانه أمر ديْنه لهما وإضرابه عن ذكرهما فى النص والتعليقات كذلك كتم أمر دينه للعربية وأضرب عن ذكره والإشارة إليه كل الإضراب .

ووجدت فى كتاب برنارد برغونزى عن ت . س . إليوت فى طبعته البريطانية الثانية سنة ١٩٧٢ م ص ١٤٣ ( راجع الكتاب واسمه بالإنجليزية :

T.S. ELIOT BY BERNARD BERGONSI

أشطارا هجاه بها أحد نقاده ونصها كما يلى :

How unpleasant to meet Mr. Eliot !
With his features of clarical cut,
And his brow so grim
And his mouth so prim.
And his conversation, so nicely
Restricted to what *Plecisely*
And If and Perhaps and But.

وترجمتها على وجه التقريب :

ما أسمج لقاء المستر إليوت
بسمت تقاطيعه الاكليروسي
وبحاجبه جدّ الكالح
وبفمه جدّ المتنطس
وبمحادثته حتى الحريصة على أن

تتقيد بأمثال ماذا تقول على وجه التحديد ، وأمثال إذا كان ويجوز ولكن .

ومع ما فى هذه الأشطار من سخرية ومرارة فان الصورة التى تطالع القارئ منها غير بعيدة الصفة والملامح جداً مما يطالع قارئ شعر إليوت من أثناء أسطاره وتعليقاته قبل أن يطلع عليها . وفى الذى قدمنا ما عسى أن يشهد بصحة ما نقوله فى هذا الصدد .

* * *

قال الشاعر الجاهلى أحد أصحاب المعلقات، لبيد بن ربيعة العامرى :

عفت الديار محلها ومقامها

بمنى تأبد غولها ورجامها

وضعنا خطاً تحت ( عفت الديار ) إذ لفتتنا قوة الشبه بين هذا التعبير وبين عنوان إليوت لمنظومته The Waste Land أى الأرض التى جُعِلَتْ عافيــةً فأقوت وأقفرت وعفت وعفتها السنون :

* وغيَّر الأيام والليالى *

كما قال ذو الرمة .

فى قاموس الدكتور صمويل جونسون أن معنى Waste الصفة المشتقة من الفعل أولا يدل على تعفية المكان وجعله قفرا وثانياً يدل على الخلو كل الخلو مثل خلو الصحراء والبرية التى لاديار فيها . وكلا المعنيين متضمن فى عنوان إليوت The Waste Land

أى الأرض التى أقفرت أو الأرض المقفرة أو قل عفت الديار .

ولإليوت بعد هذا العنوان عنوان ثان لفصله الأول هو :

The Burial of the Dead.

أى : دفن الموتى .

هذا أيضاً لفت نظرى على بُعْدٍ فى ذلك .

شعراء العرب تبدأ فى باب الأطلال بذكر تعفية الديار ثم تذكر أن الرياح دفنتها بما أهالته عليها من غبار : ثم جاءت رياح أخرى فأزالت هذا الغبار فبدت معالم الدار ظاهرة فيعرفها الشاعر بعد تأمل ، قال امرؤ القيس :

فتوضح فالمقراة لم يَعْفُ رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمأل

وقال ذو الرمة : وبائيته مما ترجمه الأفرنج ونشروه وحققوه :

من دمنة كشفت عنها الصبا سفعاً

كما تنشر بعد الطية الكتب

وقال لبيد بعد قوله : ( عفت الديار ) الذى معناه كمعنى عنوان إليوت The Waste Land

فمدافع الريان عُرِّىَ رسمها

خلقاً كما ضمن الوُحِىَّ سلامها

أى كانت مدفونة فعرّتها الرياح وعرّتها السيول فأظهرتها ، وذلك قوله :

وجلا السيول عن الطلول كأنها

زبر تجد متونها أقلامها

وبعد تعفية الديار ودفن الرياح لها ثم كشفها لها من بعد وتعريتها لرسومها حتى بدت كالنقش القديم على حجارة آثار الأمم الماضية ، بعد هذا يقول لبيد :

رزقت مرابيع النجوم وصابها
ودق الرواعد جودها فرهامها

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت
بالجلهتين ظباؤها ونعامها

والعين ساكنة على أطلائها
عوذاً تأجل بالفضاء بهامها

وجلا السيول عن الطلول كأنها
زبر تجد متونها أقلامها

وموضع استشهادنا هو البيت الأول الدال على أن مدافع الريان التي دفنتها الرياح ، وهذا المعنى متضمن معروف ، قد عريت فبدت ملمساً عليها الآثار كالنقوش إما عرتها رياح معاكسة التي دفنتها وإما عرتها السيول .

ورب قائل إن المعاني مشتركة والعواطف الإنسانية التي تلابس المعاني متقاربة وخواطر البشر كثيراً ما تتفق ، ولذلك قديماً ما قيل ، قد يقع الخاطر على الخاطر كما يقع الحافر على الحافر ، ويرد على مثل هذا القائل بأن الصياغات والأشكال البيانية والرنات المغ‍ ة المؤثرة هي التي يتفوق بها الشعراء والكتاب والخطباء ويتميزون عن غيرهم ، وهي التي يقع فيها التقليد الأخـــذ والتوليد والنظر والإغارة والاختلاس . ولقد فطن إلى ذلك نقاد العرب القدماء وخصصوا له الأبواب في تصانيفهم : ومما تعمقوا في الفطنة إليه والتنبيه عليه أن الأخذ يكون نوع الصياغة كما يكون في المعاني . من ذلك مثلا ما ذكروه عن أبي عبادة البحتري أنه سأل التوخي عن بيت أبي نواس :

ولم أدر مَنْ هم غَيْرَ ماشَهِدَتْ به
بشَرْقيّ ساباط الديارُ البسابِسُ

وهو آخر أبياته السينية الجميلة التي أولها :

ودارِ ندامى عطلوها وأدْلجوا
بها أثرٌ منهم جديد ودارِسُ

أتدري من أين أخذ أبو نواس قوله ؟ قال التوخي فقلت لا . قال من قول أبي خراش !

ولم أدرِ من ألْقى عليه رداءَهُ
ولكنّه قد سُلّ عن ماجدٍ محضِ

قلت له : والمعنى مختلف ؟ قال : أما ترى حذو الكلام واحداً ؟

وأبو خراش من شعراء هذيل والبيت من قطعة يذكر فيها أبو خراش مقتل أخيه عروة ونجاة ابنه خراش ويمدح رجلا ألقى على خراش رداءه ليجيره حتى نجا ولم يعرف هذا الرجل فهذا مراده من قوله : « ولم أدر من ألقى عليه رداءه ، وفطن البحتري إلى أن أبا نواس حذا كلامه على نهج كلام أبي خراش مع اختلاف المعنى والموضوع . وقد كان البحتري ناقداً ثاقب النظر ( راجع الذخيرة لابن بسام . دار الكتب مصر

سنة ١٩٣٥ م القسم الأول المجلد الأول ص ٥٩ – ٦٠ ) .

ومن أمثلة حذو الكلام على الكلام مع شدة مراعاة الصياغة على تقارب المعانى قول المعرى يصف نار القرى :

حمراءساطعة الذوائب فى الدُّجى
تَرْمى بكل شرارةٍ كطرافِ

والطراف ضرب من بيوت البادية .

حذا المعرى كلامه على الآية : « إنها تَرْمى بشررٍ كالْقَصْرِ » وقد نبه على هذا الزمخشرى فى تفسير هذه الآية فى الكشاف .

ومن أمثلة الحذو بمراعاة الصياغة مع تباعد المعانى قول المتنبى :

فياشوق ما أبقى ويالى من النوى
ويا دمع ماأجرى ويا قلب ماأَصْبَى

وهو فى نسيب قصيدته ( فديناك من ربع وإن زدتنا كربا ) حذاه على منهج ليلى الأخيلية فى رثائها توبة بن الحمير حيث قالت :

فيا تَوْبَ للهيجا ويا توب للندّى
ويا تَوْبَ للمستنبح المتَنَوِّرِ

اهتم أبو الطيب كما ترى بمحاكاة الإيقاع ( راجع إلتماسة عناوين الشعراء ص ١٢٢ ) وإنما استطردنا هذا الاستطراد للتنبيه على أن الأخذ لايقع فى المعانى وحدها وأن التشابه والتوافق وتوارد الخواطر فى المعانى جائز ، أما الصياغات وأشكال الأداء فأمرها مختلف ، ومتى وجدنا تشابهاً فيها وجب علينا أن نرجح أخذ المتأخر فى الزمان عن المتقدم وأن نجزم بذلك حتى ما وجدنا مايدل على الصلات والوسائط التى يكون بها الأخذ. ورب حَدْسٍ كترجيح وترجيح كجَزْم . والله تعالى أعلم .

ونحن إذ ذكرنا لبيداً والأبيات الأوليات من معاقته نريد التنبيه على حذو إليوت على شكل القصيدة العربية بوجه عام وعلى أول معاقة لبيد بوجه خاص وكذلك حذا على نماذج من معاقة امرىء القيس — على أنه لا ينبغى أن ننسى غموض إليوت والتواءات أسلوبه ولا شيئيته ذات السطح المتعمق .

سياق معانى لبيد هكذا :

(١) تعفية الديار : The Waste Land

(٢) اندفات الرسوم ثم تعريتها حتى وضحت معالمها : The Burial of the Dead

(٣) هطول أمطار الربيع وما نشأ عنها من زيادة التعفية :
April is the cruellest month

جعلنا فى مقابلة سياق لبيد بعض عناوين إليوت وابتداءاته : سياق تأليف إليوت ينتهى بعد عنوانيه : The Waste Land ( الأرض المقفرة ، الأرض التى عفت ، عفت الديار ) The Burial of the Dead ( أى دفن الموتى وقد تقدم كلامنا عنه )

بذكره الربيعَ وأمطارَه كالذى صنعه لبيد فى قوله :

رزقت مرابيع النجوم وصابها
ودق الرواعد جودها وجهامها

قال إليوت بعد العنوانين اللذين يشبهان طريقة بَدْء قدمائنا بعفاء الديار واندفانها ( انظر منظومته من السطر ١ — إلى — ٨ ص ٢٧ ) :

April is the cruellest month breeding
Lilacs out of the dead land, mixing
Memory and desire, stirring Drill roots
with spring rain. Winter kept us warm,
covering Earth in forget ful snaw, feading
A little life with dried tubers.
Summer surpoised us .....

نافت النظر أول شيء إلى لزوم إليوت فى خمسة من أسطاره هذه نظاماً ذا شبه بالقافية العربية وهو الصيغة الصرفية ( انق ) ing . وقد جاء بسجعة تامة فى breeding ( بريدنق — القاف مقاربة للكاف كنطقها فى دارجتنا ودارجة كثير من البلاد العربية feeding ( فيدنق ) وكالتامة فى stirring ( ستيرنق ) وفى covering ( كفرنق ) وترجمة كلام إليوت الذى مر كما يلى على وجه التقريب :

أبريل أقسى الشهور ، منبتاً :
زهرة ليلى من الأرض الميتة ، مازجاً .
الذكرى بالشهوة ، مثيراً .
الجذور الفاترة بمطر الربيع ؟
كان الشتاء قد حفظنا فى دِفْء ، مغطياً
الأرض فى الجليد الناسى ، مطعماً .
حياة قليلة بأنابيش جافة
فاجأنا الصيف . . . ؛

قول إليوت : أبريل أقسى الشهور إلخ بعد تعفية الأرض The Waste Land وبعد دفن الموتى The Burial of the Dead يشبه قول لبيد :

رُزِقَتْ مَرَابيعَ النجوم وصابها
وَدْقُ الرواعد جَوْدها فرهامها

الجود بفتح الجيم وسكون الواو المطر الغزير والرِهام بكسر الراء وهاء مفتوحة بعدها ألف ثم ميم جمع رهمة بكسر الراء وسكون الهاء وميم مفتوحة بعدها علامة التأنيث التاء المتحركة وهى الأمطار الخفاف اللطيفة .

ترجمة هذا البيت كما ترجمه المستشرق الانجليزى السير وليم جونز :

The rainy constellations of spring have made their hills green and luxuriant : the drops from thunder clouds have, drenched them with profuse as well as gentle showers.
Showers

مجمل معنى كلام لبيد أن أمطار نجوم الربيع هطلت على هذا المكان المقفر فزادته توحيشاً لتعفيتها كل أثر ولخلوه من الأحبة ، ولحلول النعام والبقر الوحشية وما أشبه فيه بعد عهدهم . هذه قساوة لاتخفى ؟

مع هذا علينا أن نتذكر أن السير وليم جونز جاء فى ترجمته بكلمة Showers ومعناها رش المطر وهموله فى قوله :

.... Profuse, as well as gentle showers..

ليدل بذلك على معنى المطر الغزير (الجَوْدُ) والأمطار الخفاف اللطاف (الرهام) أو كما قال لبيد : وَدْقُ الرَّواعدِ جَوْدُها فترِهامُها » .

قول وليم جونز هنا « Showers... » ينبغى أن يوقف عنده لأن هذه الكلمة كثيراً ما ترتبط فى الذهن بالقول الانجليزى المعروف الجارى مجرى المثل :

March winds, April showers, Bring forth May flowers.

أى رياح مارس وأمطار أبريل .
تخرج بهن أزهار مايو .

«لا يخفى أن مارس هو آذار وأبريل نيسان ومايو أيار فمن شاء أن يضع ذلك مكان ما وضحناه فله أن يفعل ) .

وأبريل بحبوحة أشهر الربيع فذكره يدل عليه . واستشهدنا بترجمة وليم جونز لنشير إلى أنه لوصحَّ أن إليوت أطلع عليها فإنه يكون بنى قوله « أبريل أقسى الشهور » على كلمة ( Showers ) الواردة فيها . وقد سبق التنبيه منا على أن قوله : « أبريل أقسى الشهور » بعد عنوانيه الدالين على العفاء والأندفان شبيه فى سياقه بسياق لبيد :

(١) عفت الديار محلها فمقامها . . .

(٢) فجلا السيول عن الطلول . . .

(٣) رزقت مرابيع النجوم . . .

ولا يقف الأمر عند هذا كما سيجىء من بعد أن شاء الله :

هنا نتساءل : هل أطلع إليوت حقاً على ترجمة السير وليم جونز للمعلقات ؟

كان السير وليم جونز. Sir William Jones ( ١٧٤٦ — ١٧٩٤ م ) من قدماء الاستشراق وجهابذته تعلم فى هافارد واكسفورد — (التى قصدها إليوت وتعلم بها (وأتقن اللغات الكلاسيكية ( أى اليونانية القديمة واللاتينية ) مع الفرنسية ولغـات أوربية معاصرة أخرى ودرس العربية والفارسية وكتب ملخصاً فى نحوها وبعد درسه القضاء واشتغاله بالقانون عُيِّن قاضياً بالمحكمة العليا بفورت وليم ( كالكتا ) بالهند وتعمق فى درس السنسكريتية ( لغة الهند القديمة ) وكتب رسالة عن الشعر الشرقى باللغة الفرنسية

TRAITÉ SUR LA POÉSIE ORIENTALE

طبعت أول مرة بلندن سنة ١٧٧١م [ وأعيد طبعها وأعاد كتابتها بلغته الإنجليزية أيضاً ] أشاد فيها بمكان الشعر العربى ونبه على موضع معلقة لبيد وامرىء القيس واستشهد فى ما استشهد بقول أبى تمام :

إن القوافى والمساعى لم تزل
مثل النظام إذا أصاب فريدا
هى جوهر نثر فإن ألفته
بالنظم صار قلائداً وعقوداً

مترجماً للبيتين من دون ذكر نصهما العربي وله مختارات من أشعار العرب والفرس وأم المشرق من ضمنها لامية المعري .

أعن وخد القلاص كشفت حالا
ومن عند الظلام طابت مالا

أوردها نموذجاً لشعر المدح الذي استشهد على أهميته ببيتي أبي تمام المتقدمين . وكان أبو تمام من أوائل من عرفه المستشرقون وطبعت حماسته في ألمانيا سنة ١٧٤٨ وترجمت باللاتينية وقد تأثر جوته الشاعر الألماني في ترجمته للامية المنسوبة إلى تأبط شرا :

إن بالشعب الذي دون سلع
لقتيلاً دمه ما يُطَلّ

بترجمة فرتياخ اللاتينية في مازعمه المستشرق الإنجليزي السير شارلس ليال . (انظر ترجمته لها وتعليقه ص ٥٠ مختاراته المترجمة من الشعر العربي القديم

TRANSLATIONS OF ANCIENT ARABIAN POETRY

تأليف شارلس جمس ليال

CHARLES JAMES LYALL

الموظف ببنغال طبع لندن ١٨٨٥ م) .

وترجمة السير شارلس ليال هذه ذكر هو نفسه أنه صنعها متأثراً بترجمة ألمانية للحماسة .

وقد ترجم السير وليم جونز المعلقات السبع ترجمة حسنة ناصعة الأسلوب وجعل لكل معلقة مقدمة موجزة وافية تحدث فيها عن الوزن وما يقابله من أوزان الإنجليزية وعن طريقة أسلوب الشاعر ومعاينه وتشبيهاته ومجازه وعناصر الوحدة في نظمه وأردف ذلك بكتابة بالحرف اللاتيني بحسب النطق لكل معلقة مبالغة منه في التقريب . وقد تأثربه واقتدى ليال في كتابه المشار إليه آنفا ونيكلسون في ترجماته التي ضمنها تأريخه للادب العربي . ولم يترجم ليال من المعلقات غير آخر لامية امرىء القيس وغير ميمية زهير وكأنه اكتفى في هذا المجال بعمل السير وليم جونز لجودته . وترجمه السير وليم جونز للمعلقات في ٤٦ صفحة نشرت وطبعت بلندن سنة ١٧٧٢ م وسنة ١٧٨٣ م ومرات بعد ذلك وتوجد من ذلك نسخ في مكتبة المتحف البريطاني رأيتها ومن قبل اعتمدت على نسخة صورت لي منها وفي كمبردج نسخة من مجموعة مؤلفات السير وليم جونز صورت لي منها نسخة من رسالته عن الشعر الشرقي المشار إليها آنفاً ولا ريب في وجود نسخ من مؤلفاته باكسفورد وسوى ذلك من ذلك من خزانات الجياد وترجمة السير وليم جونز المستشرق في الجزء الثالث عشر من الموسوعة البريطانية ومكان اسمه في الفهارس عامرٌ بماله من تصانيف ومن أهم تآليفه ترجمته للسكونتالة وهي من مسرحيات اللغة الهندية القديمة . وترجح الموسوعة البريطانية ( ج ١٣ ص ٢٤٤ طبعة ١٩٤٧ م. ( أن مؤلفها ـ كالداسة KALIDASA من أدباء الهند القديمة عاش

فى المائة الميلادية الثالثة والسير وليم جونز كتاب فى الموازنة بين تشريع الملكية الخاصة عند المسلمين وعند الهندوس وغير ذلك مماهو ادخل فى حدود فلسفة القانون وعلوم الاجتماع :

إذا تذكرت أيها القارىء الكريم أن إليوت كان على جوينب من الاستشراق إذ قد درس لغة الهند القديمة سنتين بهارفارد وفلسفة الهند مدى سنه وهو يعد للدكتوراه ، ثم عدل عن ذلك لما وجد فيه من العسر ، وقد قال : إن دراسته هذه ، معترفاً بما أصاب فيها من مشقة ، تركته فى حيرة مستنيرة ( enlighted mystification واجع كتاب برغونزى ص ٢٣ ) ومع ذلك كان يزعم أنه كان يتذوق الشعر — السنسكريتى وقدترك فى نفسه أثراً عظيماً. إذ تذكرت هذا وأضفت إليه صحبته لإزراباوند وتأثره به وكان هذا ذا ولع صادق فيه أو كاذب بلغة الصين وآدابها . وإذا أضفت أيضاً أن إليوت اتصل بجماعة التصويريين Imagists — وكانوا يدعون إلى محاكاة اشعار الشرق واساليب اغانى العهد القديم العبرانية ، وزدت على هذا ان إليوت نفسه قد ذكر أنه كان قرأ فى صباه رباعيات الخيام المترجمة وأعجب بها :

احسب أن إليوت ذكر أن ذلك كان سنه فى زمان الصبا أنفة منه أن ينسب إلى — الرومانتيكية وهو صاحب كلاسيكية زعمه وواقعية جادة : ونذكر على سبيل الاستطراد فى هذا الصدد مقال برتراندرسل Bartrand Russel فى كتابه :

HISTORY OF WESTERN PHILOSOPHY

تاريخ الفلسفة الغربية طبعة ١٩٧٤ م ص ٦٥٤ حيث قال عن الرومانتكيين الألمان : إنهم كانوا شباناً وفى أوج شبابهم كان أجود تعبيرهم عن الروح الرومانتيكى ، أما الذين لم يسعدهم الحظ منهم بالموت فى الشباب كما قال فقد طاحت فرديتهم إذ طغت عليها فغطتها الكثلكة بما تتطلبه من خضوع وتسليم . فهل كان تراجع إليوت من مذهب أسرته وآبائه البيوريتانى — والبيوريتانية طرف من المذهب البروتستانتى — إلى محافظة الكثلكة الإنجليزية من دافع رومانتكى يا ترى ؟ هذا وإذا تذكرت مع ما تقدم أن إليوت أديب مثقف ناقد قارىء وذو دعوى فى ذلك طويلة عريضة ، ألا ترجح معى حينئذ ألا يكون قد خفى عنه مكان السير وليم جونز المستشرق فى معرفته باللغات الشرقية والصينية والسنسكريتية وآدابها وفلسفة الهند القديمة مما زعم أنه أثر فيه وإن يك قد وجد فيه عسراً وانصرف عن مواصلة درسه متحيراً مستنيراً كما زعم ، ولعل السكونتالة مع ترجمة وليم جونز كانت من مقرر الدرس ، وقد كانت رسالته الفرنسية وأختها الإنجليزية عن الشعر الشرقى معروفتين عند المستشرقين وقد ذكرنا أنه نبه على المعلقات وعلى امرىء القيس ولبيد وقد دافع عن شعر العرب وقطع بأن الافرنج الاوائل إنما أخذوا القوا فى عن

عرب الأندلس ؟ أضف إلى هذا أن إليوت كان معجباً بالبريطانيين وامبراطوريتهم معتزاً بذلك ، وقد ترك بلاده التي كانت تعد من بلاد الرمز إلى الحرية لثورتها على الاستعمار في سنة ١٧٨١ م ولإعلانها حقوق الإنسان ، وتجنس بالجنسية البريطانية وببريطانية أقام وإلى كنيستها الإنجلوكثلوكية انتمى ؟

ونذكر من باب الاستطراد أن إليوت كان شديد الإعجاب بالشاعر المعاصر لزمان شكسبير جون دن John Donne وكان غامض العبارة كثير الإشارة ملتوى عقد الأسلوب واسع الاطلاع عالماً بالكوميدية الإلهية لدانتي في نصها الأصيل من أسرة متطرفة في الكثلكة نشأ كاثوليكياً ثم تحول إلى كنيسة إنجلترا الإنجلوكثوليكية وأخلص في خدمة الملك واتهمه بعض نقاده بأنه كان في نفسه منطوياً على شعور بالخيانة لعقيدته وتراث أسرته فلذلك جرّ عليه كثيراً مما أخذ به من عُقَد الأسلوب . وحمد النقاد لحون دون أنه قارب برنة نغمه الشعرى رنات نبرات الكلام الذى يدور في حديث الناس . هذا والشيء بالشيء يذكر ، فتأمل .

ونعود إلى ما كنا فيه فنقول : لا بد أن يكون إليوت قد اطلع على مؤلفات السير وليم جونز في شعراء فارس والصين والهند وضروب تصانيفه في هذا الباب الشرقي القصيّ الذى كان فيه من أعمدة أستاذيْه : شارلس لامان وجيمز وود (Charles Lamman and James Wood) أستاذى السنسكريتية والفلسفة الهندية بها رفارد بلا ريب . وهل تظن أيها القارىء الكريم أنه إذا دعا واجب الدرس إليوت الطالب المعد للدكتوراة أن يتحبر ويستنير بشعر السنسكريتية — وهو أمر أقر بمعرفته وادعى تذوقه وسكونتالة جزء منه ومعرفته ترجمتها متممة لتذوقه — هل تظن أنه إذا اطلع على ذلك وعلى ما تُرجِمَ من أدب الفرس وكان إليه مائلا ولوليم جونز فيه من العمل ما قدمنا ذكره مع اختيازاته من شعراء الشرق ومن بينهم حافظ الشيرازى . . . هل تظن أنه إذا فعل ذلك سيتجاهل كتاب وليم جونز الخفيف اللطيف الوافى الذى ترجم فيه المعلقات ؟ هذا مع العلم بأن السير وليم جونز قد نبه في رسالتيه الفرنسية والإنجليزية عن مكان شعر المعلقات الرفيع ؟

إن مكتبات الأقسام الشرقية في جامعات أوروبا كثيراً ما تكون في موضع واحد ، وكثيراً ما تقع بين طلبة لغات الشرق الذين يختلفون إليها ضروب من التعارف وتبادل الآراء ، ويكونون أشبه بقبيلة فكرية واحدة ، فيشتاق من يقرأ الهندية مثلا أن يقرأ لمستشرق مشهور كتب في آداب الفارسية أو التركية أو العربية مثلا أو كتب في باب من أبواب الأدب المحض ذى الطابع الشرقي القوى كالسير شارلس داوتى Sir Charles Doughty في كتابه ARABIA DESERTA ( أي الصحـــراء العربية ) وردیارد كبلنج Rudyard Kipling في قصته KIM ( كمْ )

وغيرها وكان إليوت به معجباً وقد عاصره ولعله لقيه وكان يقال له شاعر الامبراطورية الكبير ووصفه إليوت بأنه ــ كان من كتاب التراتيل الدينية العظام فيما ذكره روبنسون ( ص ١٧ ) a great hymn writer ، وكان للمدرسة الهندية البريطانية في المكتبة الشرقية مكان مرموق وقد قدمنا ذكر السيروليم جونز وكان فيها بمنزلة المؤسس وممن كان ينتمي إليها من الكبار المستشرقين السير شارلس ليال صاحب ترجمة المختارات التي مر ذكرها ومن بينها شيء من المعلقات ( زهير وامرىء القيس ) وصاحب ترجمة المفضليات والشرح والتعليق الوافي ( اكسفورد عام ١٩١٨ ) وراجع للمزيد في هذا الصدد تاريخ كمبردج الصغير للأدب الإنجليزي الذي مر ذكره في الفصل الذي جعله للأدب الهندي الإنجليزي من ص ٧٣٤ إلى ص ٧٤٤ . وقد نشر مكارتني على زمان إليوت شعر ذي الرمة ولعله لقيه وقد ترجمت بائية ذي الرمة من قبل . وقد ترجمت المعلقات بالفرنسية وبانت سعاد وترجم بالألمانية شعر عربي كثير وكان إليوت بالفرنسية والألمانية وغيرهما عالماً وقد درس بألمانيا كما درس بباريس .

إذا صح ما قدمناه من تعارف أسرة من يعرفون اللغات الشرقية وتقارب أسباب قبيلتهم فكيف يكون الأمر إذ كان أحد هؤلاء أديباً شاعراً طموحاً موسوعياً ذا مقدرة و دهاء مثل إليوت وأصاب ضالة نادرة في موسوعي نادر مثل وليم جونز الذي لما وصل الهند كان مستشرقاً ناضجاً وزاد بها نضجاً وفتح الطريق لمن بعده ؟

على أن الاستشراق في زمان إليوت في هذا القرن الميلادي العشرين إلى قريب من أوساطه قد صارت تغلب عليه سمة التخصص مكان الموسوعية فإذا أخذ إليوت مثلا من الأدب العربي وهو غير معروف بأنه درس لغة العرب وآدابها ولكن معروف بأن درسه إنما كان للغة الهند القديمة ، فمن سيفطن إلى أنه أخذ من الأدب العربي القديم ثم يتهمه بناء على ذلك بالسرقة من أدب العرب ؟

بعيد جداً أن يتنبه أحد إلى أن ــ السير وليم جونز صاحب ترجمة السكونتالة أو الشاكونتالة Shatuntala ( تأريخ كمبردج ٧٣٥ ) والمختارات من أشعار فارس والهند والصين هو أيضاً قد كان طريقاً سرياً خفياً سلكه إليوت إلى النظر او الأخذ أو الاختلاس أو السرقة من أسلوب المعلقات وشكل صياغتها ومعانيها وكتمان ذلك وإخفائه كل الإخفاء وحذفه كل الحذف ، كما قد حذف كلمة ( العربية Arabian ) وإشارته إلى وليم وردزورث وكلمة ( جزيرة العرب Arabia ) وإشارته إلى ــ والتردى لامير . نعود بعد هذه الفذلكة إلى ماكنا فيه من تتبع أسطار منظومة إليوت :

* * *

أول ما ذكره إليوت من شواهد قساوة إبريل انباته زهرة ليلي و هي التي يقال لها في الإنجليزية : ( Lilac : ليلاك ) ونقل برغونزي ( ص ٥ ) أن الليلاك كان كثيراً في سياجات ها فارد النباتية كأنه يشرح بذلك وروده في شعره . وذكَرُ إليوت هذه الزهرة الشرقية الإسلامية المعدن في سياقه الذي يقرنها فيه بالذكرى والجنس .

عجب : ( راجع قوله :

...., breeding
Lilacs out of the dead land, mixing
Memory and desire, ......

والترجمة : منبتاً

زهرة ليلي من الأرض الميتة ، مازجاً الذكرى بالشهوة ) .

إذ قد كان أشبه بأساليب لغته وحضارته لو قد ذكر الوردو كان من ضروب نواوير أوربا وبريطانيا وأمريكا — أم ليت شعري هل فر من رومانتكية الورد وما بمجراه ؟

في معجم أكسفورد في تخريج كلمة ( ليلاك Lilac ) أن أصلها من ( ليلك ) العربية ولا وجود لهذا اللفظ ( ليلاك أو ليلك ) في العربية اسماً لهذه الزهرة . وأصل هـذا التخريج من المستشرق ر . دوزى R. Dozy ( راجع المجلد الثاني ص ٥٦٢ من معجمه طبعة باريس وليدن ١٩٧٢ — واسم المعجم يدل على أنه تكملة وملحق للمعاجم العربية : (SUPPLEMENT AUX DICTIONAIRES ARABES)

ظن دوزى أن النيلج بكسر النون هو الليـلاك Lilac مع أنه كان يعلم أن النياج بكسر النون هو النيلة الزرقاء . وذكر — الفيروزابادى ( النيل ) بلا تاء في آخرها في مادة ( وسم ) في تفسير لفظ الوسمة بفتح الواو وكسر السين أو سكونها وبعدها ميم مفتوحة فهاء التأنيث قال الفيروزابادى : « ورق النيل أو نبات يخضب بورقه » . وأحسب أن الشك جاء الفيروزابادى من أن لفظ العظلم الوارد في شعر عنترة يستخرج منه صبغ أسود أو النيلة وقيل هو صبغ أحمر وبيت عنترة هو قوله في معلقته :

عهدى به مـدّ النهار كأنما
صُبِغَ البنان ورأسه بالعظـلم

وذكر الفيروزابادى ( النيلج ) بكسر النون في مادة ( نلته ) وذكر طريقة استخراج ( النياج ) بمعنى ( النيلة ) من العظلم . جاء هنا بالنيلةمقرونة بالتاء المتحركة علامة التأنيث وفي شرحه لكلمة ( الوسمة ) ذكر النيل مثل اسم نهر النيل بلا تاء التأنيث . وكلمة ( النياج ) بكسر النون غير عربية الأصل ولكن معربة مثل فالوذج وادزينج وهلم جرا ومعنى النيلج كما تقدم النبات الذي تستخرج منه النيلة الزرقاء .

واضطرب شراح بيت عنترة واكتفى السير وليم جونز بوسم لفظ العظلم نفسه بالحروف اللاتينية من دون ترجمة له ، هكذا ( IDHLIM ) والراجح عندي أن

عنترة أراد لون الزرقة لا الحمرة يكنى بذلك عن الموت وذها بحمرة دم الحياة . وقد نقل عن الأزهرى أنه اختضب بالعظلم يسود به شعره فهذا يقوى ما ذكره — الفيروزابادى وعليه تفسير التبريزى فى شرحه أن العظلم هو الوسمة ولم يزد على ذلك عنى عنترة أن عَهْدَه به ، وقد قتله ، وقد صار لون رأسه كله ، والوجه من الرأس ، ولون أصابعه أزرق هامداً بعد أن كان كل ذلك مشرقاً ناضراً بالحياة . ولا يخلو عنترة فى قوله هذا من بعض التعريض الساخر المر ، كأن يقال مثلا : « صار المسكين أسود مثلى أنا العبد بعد أن كان حراً أبيض » . قال تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زُرْقاً » . والله تعالى أعلم .

ليس ( النيلج ) بكسر النون هو الليلاك Lilac

الليلاك شيء غير النيلج . الليلك Lilac هو زهرة ليلى الفارسية وقد يقال له فى عربية اليوم زهر البنفسج وليس كله بنفسجياً ولكن منه ذو اللون البنفسجى وذو اللون الأبيض . وفى معجم أكسفورد ومعجم وبستر أن الشبه المتوهم بين اللون الأزرق واللون البنفسجى هو مما جعل اسم « ليلاك Lilac » يطلق على الزهرة المسماة باسمه اشتقاقاً من كلمة ( النيلج ) الدالة على اللون الأزرق وهذا أصله من دوزى وهو بعيد وليس بشيء : وفى معجم لاروس الفرنسى أن أصل « الليلاك » من بلاد الشرق الأوسط وأنه يزرع من أجل نواويره البيض والبنفسجيات وذكر لاروس أنه من أسرة Oléacées ( أولياسيه ) التى منها الياسمين والزيتون .

ويظهر أن هذه الكلمة الفرنسية Oléacées ( أولياسيه ) نفسها قد حرفت من الفارسية ( جل ياس ) تنطقها كالجيم المصرية بين الكاف والقاف وتكتب بالكاف المعقودة ( كل ياس ) . على أن أصل Oléacées لاتينى فى مدلولها العام .

و ( جل ياس ) أصلها من ( جل ليلى ) أو ( كل ليلى ) أى وردة ليلى أو زهرة ليلى ثم شبهوها بالياسمين فقالوا : ( جل ياس ) أو ( كل ياس ) بالكاف المعقودة كما ذكرنا من قبل .

ونبئت أن ( جل ) بالجيم التى كالكاف معناها بالفارسية الورد وهى أصل الجل بفتح الجيم وضمها الواردة فى شعر الأعشى :

وشاهدنا الجل والياسمون
والمسمعات بقصابها

قال الفيروزابادى : ( وبالضم ويفتح الياسمين والورد أبيضه وأحمره وأصفره ) ومن ( جل ياس ) أخذت كلمة Oléacées الفرنسية ومنها أخذت الكلمة الدالة على هذا الزهر فى الفرنسية الآن وهى : ليلا بكسر اللام بعدها ياء فلام ألف ( Lilas ) — راجع لاروس الكبير طبعة ١٩١٥ م المجلد ٤

ص ٣٠٥٣ والمجلد ٥ ص ٣٧٦٠ . وراجع أيضاً المعجم الفارسي المتوسط لمحمد معين طبعة طهران ١٩٧٥ م ص ٥٢٤٣ في المجلد الرابع وقد اطلعتُ عليه واستعنت بمن يعرف الفارسية ومنه أفدت ما تقدم وذكر كلمة ( ليلاك ) وهي ذات مدلول مختلف في — المجلد ٣ في ص ٣٦٧٠ .

وقد ذكر لين LANE في معجمه العربي الإنجليزي أن الحل من أصل فارسي وأصاب ( طبعة بيروت المصورة ١٩٨٠ م ٢ ص٤٣٧) والعجب لبادجر BADGER في معجمه العربي الإنجليزي ( تصوير بيروت ١٩٨٠ م ص ٥٧٦ ) إذ ترجم ( ليـلاك Lilac ) بـ ( لعَلّي ) وهي لفظ لا وجود له .

هـــذا ،

وبعد أن انتهى إليوت من نعت قساوة إبريل ، منبتاً زهرة ليلي ، مازجا الذكرى بالشهوة ، انتقل إلى ذكر الصيف وذلك قوله :

SUMMER SURPRISEDUS ...

ومعناها : فاجأنا الصيف . . .

تأمل شدة الشبه بين قول لبيد :

رزقت مرابيع النجوم . . . ( البيت )

فعلا فروع الأيهقان . . . ( البيت )

وبين قول إليوت جاء الربيع منبتاً زهرة ليلى . . . إلخ . تأمل الشبه في السياق والصياغة بين قول لبيد : ( فعلا فروع الأيهقان بعد ذكره مطر الربيع وبين قول إليوت منبتاً زهرة ليلي ( الليلاك ) بعد ذكره مطر الربيع الذي إبريل رمز له . . . منبتاً زهرة ليلي . . . أي فعلت أغصان « الليلك » كما علت فروع أيهقان لبيد . الأيهقان عربي و « الليلك » فارسي . محاكاة نهج لبيد الذي اطلع عليه في ترجمة وليم جونز لا تخفى .

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت
بالجلهتين ظباؤها ونعـــامها

جاءت الظباء والنعام في مكان الحبيبة والظبية تشبه بها الحبيبة . ههنا مجال للذكريات واتصال معنى ولادة الظباء أطفالها وإفراخ النعام بالشهوة غير خاف ، ومن هنا أخذ إليوت مزجه الذكرى بالشهوة . ثم انتقل من بعد إلى ذكر الصيف وذلك قوله :

Summer surprised us ....

أي فاجأنا الصيف .

ثم انتقل بعد مفاجأة الصيف له إلى ذكر ( محبوبة ) التجأ معها من مفاجأة مطر الصيف إلى بناء ذي صف من أعمدة ثم خرجا إلى ضوء الشمس ثم إلى الحديقة .

ولبيد بن ربيعة العامري صاحب المعلقة يخرج من نعت القفر إلى مرابيع النجوم أو كما قال السير وليم جونز في ترجمته :

.... profuse, as well as gentle showers

ثم يخرج من ذلك إلى إنبات الأيهقان ، وهو من نبات البادية قيل هو الجرجير البري ، الذي علت فروعه ، ثم إلى الوحش

الذى خلف الأحباب على الديار وجعل بحيوية الربيع يُطْفِل ويُفْرِخ. ثم يتذكر لبيد الحبيبة ويقسو عليها وعلى نفسه حين يقباح فى صدره أمر انصرام عهودها وتبدد زمان وصلها :

بل ما تذكر من نوارِ وقد نأت
وتقطعت أسبابها ورمـــامها

يقول السير وليم جونز فى مقدمته لقصيدة لبيد : إن أبياتها الخمسة عشر الأولى من روائع التصوير ، يعذل الشاعر فى آخرها نفسه على هواه الضائع سدى عند امرأة لا تستجيب ، فيدعوه ذلك إلى أن يفر من الهوى إلى الراحلة ، ثم يعود إلى ذكر محبوبته نوار بعد نعت الرحلة برجوع فيه نوع من قلة الاهتمام بدلا لها . هذا ماخص كلام السير وليم جونز فى مقدمته . أ هـ .

ليت شعرى هل مجرد توافق خواطر شبه :

١ — قول إليوت فى عنوانه The Waste Land بقول لبيد : « عفت الديار ... إلخ »

٢ — وقول إليوت فى عنوانه The Burial of the Dead بطريقة الشعراء العرب ومنهم لبيد بأن الديار تندفن وتكشف آثارها الرياح والسيول ( عرى رسمها ) ( وجلا السيول عن الطاول ) .

٣ — وذكر إليوت أمطار إبريل وقساوته وشبه ذلك بقول لبيد : « رزقت مرابيع النجوم ... إلخ » .

٤ — وقول إليوت بإنبـــات زهور ليلى Lilacs وخلط الذكريات بالشهوات وشبه ذلك كما قدمنا بقول لبيد : « فعلا فروع الأيهقان ... إلخ » .

٥ — وانصراف إليوت عن مطر الربيع إلى مطر الصيف حيث قال : « فاجأنا الصيف » — هل هذا أيضاً مجرد توافق خواطر ؟

٦ — وتذكر إليوت للحبيبة بعد إذ ساقاها القهوة وتقطعت أسبابها ورسامها . . ( راجع الأسطر ٨ — ٩ — ١٠ — ١١ — ١٢ ) . . هل هذا أيضاً مجرد توافق خواطر ؟

وقد ركب لبيد ناقته بعد تصرم أسباب نوار وشبهها بحمار وحشى وذكر الصيف وحره . . .

. . . . . وتهيجت
ريح المصايف سومها وسهامها

أى أعاصيرها وسمائها .

٧ — أم هل مجرد توافق خواطر قول إليوت فى س ٢٣ ص ٢٧ .

And the dead tree gives no shelter

أى : والشجرة الميتة لا تعطى مأوى .

مع شدة شبهه بقول لبيد فى وصفه للبقرة الوحشية التى أصابت السباع ولدها ، وأحاطت بها المخاوف بعد ترددها تبحث عنه وتناديه بنوح وبغام ، ولَفّتْها بين الرمال ليلةٌ ذات برق ومطر وأهوال :

تجتاف أصلا قالصاً متنبذاً
بعجوب أنقاءٍ يميل هيامها

كومة من ظلال متكسرة ، حيث
الشمس تصك .

وحيث الشجرة الميتة لا تعطى مأوى ،
ولا الصرصور راحة ولا الحجر اليابس
صوت ماء . . .

أحالنا إليوت على سفر حزقيل أول الاصحاح الثانى بالنسبة إلى سطره ( الثانى أعلاه ) ٢٠ ليؤكد أن مواده من قوله : Son of Man(أى يابن آدم أو يا أيها الإنسان) هو معناها الذى فى العهد القديم لا معنى « ابن الإنسان »الذى عند النصارى . ولاشىء يمنع ملابسه هذا المعنى المسيحى لكلامه هو لأنه هو مسيحى الديانة لن يخلو منه بحال ولن يخلو من القصد إليه وليس تأكيده الذى زعم بملزم استبعاده أحدا .

وهذه الإحالة لما هو ظاهر من عدم الحاجة إليها لا تخلو من تعمية ما وتضايل . وكاد السارق يقول خذونى مرات . ذلك بأنه فى سفر حزقيل فى الإصحاح نفسه بعد رقم «١» ، الذى فيه son of man ورد فى رقم ٢ و ٣ و ٤ ذكر تمرد بنى إسرائيل وقسوة قلوبهم ، وهذا وارد فى قول إليوت متضمناً لمعناه فى :

And the dry stone no sound of water

أى : « ولا الحجر اليابس صوت ماء » ، أى القلوب قاسية كهذا الحجر اليابس .

لكن هذا التشبيه وهذه العبارة نفسها لم ترد بهذا اللفظ وهذا البيان التصويرى فى سفر حزقيل الذى أحالنا عليه تعمية وتضليلا فيما نرجح ، إذ لاريب أنه أخذها من القرآن — وتراجمة كثيرات — لأنها بعينها واردة فى خبر تمرد بنى إسرائيل : ثم قَسَتْ قلوبُكُمْ من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشدُّ قَسْوَةً وإنَّ من الحجارة لما يتفجرُ منه الأنهارُ وإنَّ منها لما يشقَّقُ فيخرُجُ منه الماءُ » — سورة البقرة ، ٧٤ . ولكن هل يعقل فى إليوت الكتوم لذكر وردزورث ودى لامير وظلال جزيرة العرب The shadrs of Arabia وما أشبه أن يخطىء فيحيلنا على القرآن ؟ أليس ذكره سفر حزقيل فى إحالاته ههنا شبيها فى طريقة الاستبدال بما صنعه من جعل جدران كنيسة ما غنس ما رتر فى مكان ظلال جزيرة العرب؟

وبالنسبة إلى الأسطر ١٩ — ٢٤ ( انظر ما تقدم) أحالنا إليوت فى تعليقاته على السطر ٢٣ وهو الخامس فى ما ذكرنا لننظر فى سفر ( الجامعة ) من العهد القديم وهو الذى يقال له ( الواعظ ) أو The Preacher بالإنجليزية وأيضـاً يقال له Ecclesiastes رقم ٥ فى الإصحاح ١٢ من أجـل توضيح مراده من الكلمة Cricket أى الصرصور الواردة فى النص المتقدم . وكلمة Cricket أى الصرصور غير واردة فى نص سفر الجامعة ابن داود الذى أحالنا عليه ولكن وردت كلمة grass-hopper أى الجندب وإنما أحالنا إليوت على سفر الجامعة تعمية وتضايلا .

وقد وجدت من نقاد إليوت البروفسور رملبون يقول بمثل ما نقول به من عمده إلى التعمية فى تعليقاته إذ ذكر بمعرض حديثه عن الأرض المقفرة فى كتابه عن الأدب الإنجليزى الحديث ، وسبقت الإشارة إليه فى ص ١١٢ ، أن إليوت أضاف تعليقات أحياناً هى غامضة غموض الاسطار التى يراد بها شرحها .

.... Later Eliot added notes sometimes as cryptic as the lines they punport to elucidate .....

ومن تعليقات إليوت المضللة ، والشيء بالشيء يذكر نورد ذلك على سبيل المثال ، إحالته بالنسبة إلى سطره رقم ٦٣ على جحيم دانتى وإنما خطف خطفاً من مسرحية ماكبيث لشكسبير من قول مشهور وهو مقال امرأة ماكبيث فى الفصل الخامس فى حديث هذيانها : « من كان يظن أن هذا الرجل العجوز دمه كثير هكذا ؟ ويجوز أن يكون شكسبير رمَق دانتى وأخذ من هناك وأن إليوت نظر إلى دانتى كما نظر إلى شكسبير إلا أنه حذا على صياغة هذا . ونحو ما يجرى هذا المجرى هو ما سماه أبو تمام السرق ( بفتح السين والراء ) المورى بضم الميم وفتح الواو وراء مشددة مفتوحة بعدها ألف لينة — قال يمدح شعره :

إليك بعثت أبكار القوافى
يليها سائق عجل وحادى
شداد الأسر سالمة النواحى
من الإقواء فيها والسناد
منزهة عن السرق المورى
مكرمة عن المعنى المعاد

الأقواء والسناد من عيوب القافية كما لايخفى

وقد أحكم نقاد العرب باب السرقات إحكاماً وأبواباً غير من النقد كثيرات .

هذا والصرصور Cricket شيء غير الجندب grass-hopper وظاهر مراد إليوت فى إحالته على سفر الجامعة » أن يشعر القارىء مثلاً بأنه إستبدل كلمة grass - hopper أى الجندب بكلمته : cricket أى صرصور لداعٍ دقيق من دواعى البيان والصناعة الشعرية . هنا مكان التعمية والتضليل والغموض . وليس بين النص الوارد فى سفر الجامعة وورد فيه كلمة الجندب grass - hopper أدنى صلة معنوية بكلام إليوت فى الأسطر ٢٢ — ٢٣ :

......... where the sun beats
And the dead tree gives no shelter, the cricket morelief,

أى ..... حيث تَصُكُّ الشمس .

وحيث الشجرة الميتة لا تعطى مأوى ، ولا الصرصرر راحة ، ونص كلام الجامعة الذى ورد فيه ذكر الجندب كما يلى ( دار الكتاب المقدس ، العهد القديم ) :

وأيضاً يخافون من العالى ، وفى الطريق أهوال ، واللوز يزهر ، والجندب يستثقل ، والشهوة تبطل ، لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدى والنادبون يطوفون فى السوق . اهـ .

Also when they shall be afraid of that which is high and fears shall be in the way, and the almond tree shall flourish, and the grasshopper shall be a Burden, and desire shall fail : because man goeth to his long Lome, and the mourners go about the streets. (Ecclesiastes-Chapter 12 - 5).

مجمل المعنى أنه فى زمن اكتساء شجر اللوز بأزهاره البيض الحسان وهو زمن الربيع حين تزداد الحيوية والنشاط وتدب الشهوة فى النفوس ، فى هذا الزمن حين يقترب الموت من الإنسان تذهب لاقترابه كل حيوية وكل روح نشاط ، حتى أن الجندب الصغير الجسم الخفيف الوزن ليستثقل المرء وزنه ثم يحمل المرء إلى القبر ويطوف نادبوه ينوحون .

إليوت لا يشير إلى الحين الذي يستثقل فيه الإنسان وزن حشرة صغيرة لأن الموت الذى اقترب منه يجعل كل شىء ثقيلا ، فلماذا يحيلنا على سفر الجامعة ابن داود ؟ نعم ، الصناعة الشعرية — صناعة السرق المورى ورحم الله أبا تمام — هى التى دفعت إليوت إلى استعمال cricket أى الصرصور مكان grass hopper أى الجندب . لا لأن الجندب فى نص الكتاب المقدس فى العهد القديم فذلك أدعى له لأن يذكرها لا أن يتفاداها ، ولكن لأن الجندب فى شعر العرب ومن هنالك أخذها . الجندب حشرة نهارية ، والصرصور حشرة ليلية تأوى إلى مواقد البيوت ذوات المواقد ( فى أوروبا مثلا ) نهاراً لظلامها ودفئها ولا تنفك تصرصر ولا تكف . gives no relief ....

وكلا الجندب والصرصور حشرة مصوتة وثابة Jumping, chirping كما يقول المعجم الإنجليزى ، ومراد إليوت واضح وهو استمرار الصرصور يصيح بلا انقطاع . والضرورة الشعرية التى دعته إلى ذكر الصرصور مكان الجندب ( cricket مكان grass hopper) هو أنه ذكر الشمس وحرارتها وذلك قوله :
Where the sun beats

أي حيث الشمس تصك .

وليس الصرصور — cricket — بأخى الشمس ولا موقده الذى يأوى إليه نهاراً وهو مظلم دافىء ، بوهج الشمس الملتهب الذى تتكسر منه أكوام الظلال .

أخــذ إليوت فكرة صرصوره لامن سفر الجامعة ابن داود ولكن من جندب أشعار العرب . حشرة سفر الجامعة ابن داود خفيفة الوزن وثابة بين أزهار اللوز ، لا مزعجة صخابة فى حر الهجير حيث تصك الشمس وتتكسر الظلال . قال كعب بن زهير فى بانت سعاد وهى مما ترجم :

وقال للقوم حــاديهم وقد جعلت
ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا

جعلت الجنادب تركض الحصى بحثاً عن الظل ، عندئذ قال الحادى للركب الآن وجب المقيل .

وقال ذو الرمة ، ونشر ديوانه بكمبردج سنة ١٩١٩ م وترجمت بانيته من قبل ولعل إليوت أن يكون قد لقى مكارتيني الذى حقق الديوان ، وقد نبه شارلس ليال على منزلة ذى الرمة فى ذيل ص XXXIII من مقدمة مختاراته قائلا :

Dhu-r -rummah was the last really great representative of desert song ....

أى كان ذو الرمة حقاً آخر شعراء الصحراء العظام — أو آخر ممثل لعظام المتغنين بالصحراء قلت : فى هذا نظر وأبو عمرو بن العلاء عندنا أصبح بصراً بالشعر من شارلس ليال على حسن اجتهاده ورأيه فى ذى الرمة معروف إذ جعله شاعراً من المحدثين وهو فى الحقيقة لم رائد ؛ وما نشك أن إليوت اطلع على ترجمة ليال فى اختياراته ومقدمتها وأفاد من ذلك فى معرفة طريقة نظم الشعر العربى ، فى زمان كان فيه شعراء أوروبا والإنجليز خاصة يريدون التجديد ويطلبونه من طريق الأخذ عن أمم الشرق أشد طلب . وقد ذكرنا من قبل أن شارلس ليال نشر اختياراته — سنة ١٨٨٥ م وكان موظفاً بالهند ومن قبل سبق له نشر بعضها فى مجلة بنغال ثم إنه فى سنة ١٩١٨ م نشر ترجمته للمفضليات مع تعليقاته الناضجة النفيسة وقد حقق شرح ابن الأنبارى للمفضليات كما هو معروف . وسنعرض إن شاء الله من بعد لما نرى أن إليوت أخذ من ليال فى المقدمة التى ذكرناها. قال ذو الرمة يصف الجندب :

معروريا رمض الرضراض يركضه
والشمس حيرى لها بالجو تدويم

البيت مشهور وقيل فيه : إنه أكثر رمضاً من رمال دمبرين لتكراره الراء والضاد وهذا يسمى الآن الجناس الداخلى وهو فن فى العربية قديم . وبيت ذى الرمة هذا يحتوى على معنى ظلال إليوت المتكسرة وشمسه التى تصاك :

Where the sun beats

* والشمس حيرى لها بالجو تدويم *

وتأمل ( رمض الرضراض ) مع قوله : ( يركضه ) لأن الجندب يطلب المأوى فى بقية الظل المتكسر فى رمض الرضراض .

وأخذ ذو الرمة من كعب بن زهير قوله : « يركضه » لأنها من قول كعب :

. . . . . . . وقــد جعلت
ورق الجنادب يركضن الحصى

ومن كليهما أفاد من أفاد .

.... for you know only

هذا وفى قول إليوت :

A heap of broken images

أى إنما تعلم — كومة من ظلال متكسرة .

فيه نوع من السخرية بأساليب الشعراء إذ كلمة image كما تدل على الظل تدل أيضاً على الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وما أشبه وفيه صدًى من وردزورث — ودى لامير كليهما وتأثر بمقدمة وليم جونز لمعلقة لبيد حيث ذكر أوصافه وتشبيهاته

وزعم أنها مثل التشبيهات الطويلة التي ترد في الشعر الكلاسيكي أي ( اليوناني واللاتيني ) هذا وزيادة على ما تقدم ، واعتماداً على ما هو نازل عندنا منزلة الدليل القاطع من قوة الملابسات التي تشهد باطلاع إليوت على عمل السير وليم جونز ، وطريقته في الإخفاء والكتمان ، نرجح أن إليوت اطلع على كثير مما ترجم من أدب العرب وعلى ما كتبه كبار المستشرقين بالإنجليزية ، على أقل تقدير وعلى ما كتبه السير شارلس ليال مما يدل على فهم عميق لطريقة الوحدة والانسجام عند شعراء العرب القدماء مثلاً تعليقه على بائية سلامة ابن جندل ولامية بشامة بن الغدير وعينية سويد بن أبي كاهل وطويلتي علقمة بن عبدة ومما عن ذكره ههنا أن بعض من كتبوا عن شعراء المفضليات من فضلائنا أخذوا عنه ولم يشيروا إليه ومنهم من تابعه آخذاً غير معترف في الخطأ وفي الصواب وهذا باب ربما أتيح لنا بعض تفصيله في موضع غير هذا مما يناسبه . وإنما دعا إليه أن الشيء بالشيء يذكر ، وكما يقول سيبويه : رب شيء كهذا .

ولا شك أن إليوت قد اطلع على شيء من مقدمة ليال لمختاراته ( طبعة ١٨٨٥ م ) إذ كان ذا استشراق ومن عصبة نجباء الحكومة البريطانية بالهند إحدى مراكز السحر الشرقي الكبرى وقد وصف ليال القصيدة العربية القديمة بأن شكلها لا يمكن أن يوصف بما عليه أوصاف الأشكال في شعر أوروبا وأنه عسى أن يكون أقرب الأمور به شبهاً ما كان اليونان يسمونه بالقطعة الوصفية أو الأخبارية idyll وأنها تعرض علينا صوراً متتابعة مأخوذة أخذاً مباشراً في التجارب والواقع مصوغة بمهارة وإحكام يربط بينها عنصر من الوحدة التي لا تبدو وثيقة واضحة ولكن تخضع لروح من الشاعر يهيمن عليها بكشف ما يشتمل عليه ضميره شيئاً بعد شيء — ( راجع ص XVIII من المقدمة ) .

مما أخذه إليوت من المعلقات سوى الذي ألمعنا إليه من محاكاة لبيد أنه حاكى طريقة النظم فيها ونظر في ذلك نظراً شديداً إلى المعلقة الأولى ، التي ينبغي أن يكون حين بدأ بالقراءة قد بدأ بها .

عول إليوت في نظم أرضه القفر على اتباع طريقة صياغة امرىء القيس حيث بنى تأليف لاميته المعلقة على وحدة مستمدة من الربط العاطفي الإيقاعي وتداعي المعاني المنبعثة من حل عقد خيط الذكريات ( أو كشف ما تشتمل عليه ضميره شيئاً بعد شيء أو كما قال شارلس ليال the poet's unfolding of himself — ص XVIII ) من حل عقد خيط الذكريات عقدة بعد عقدة ، من الوقوف والاستيقاف إلى ذكر أم الرباب وأم الحويرث — دارة جلجل — نحر الناقة — خدر عنيزة — حديث الحب — حديث الجمال — الليل — الصعلكة — الفروسية والصيد وزمان الشباب — ذكريات

الطفولة — المطر والسيل وانمحى كل شيء إلا منظر ثبير وصوت الطير — والسباع الغرقى — كل ذلك في تجاوب مذهل من الإيقاع والصور وضروب الموسيقى الظاهرة والباطنة .

من حيث لا نحتسب يدلنا إليوت على أخذه من معلقة امرىء القيس في السطرين ٧ و ٨ من أرضه البلاقع أي المقفرة وقدموا في أول كلامنا ، واخترنا لفظ الأنابيش . في ترجمتنا لقوله tubers لأنه الأصل الذي نرجح أنه أخذ منه قوله :

............ feeding
A little life with dried tubers

أي : . . . . . . . . . . مطعماً
حيـاة قليلة بأنابيش جـافة

ونشير ههنا إلى قول امرىء القيس في المعلقة :

كأن السباع فيه غرقى عشية
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

العنصل بضم العين وسكون النون وضم الصاد هو البصل البري والأنابيش ما ينبشه الصبيان من عروق ونحو ذلك . التبريزي :— « الأنابيش جماعات من العنصل يجمعها الصبيان ويقال الأنابيش العنصل والعنصل بصل بري » ا . هـ . (راجع شرح التبريزي للمعلقات العشر وطبعاته كثيرة) . وترجمة السير وليم جونز :

The beasts of the wood, drowned in the floods of the night, float like the roots of wild anions

(وراجع ترجمة ليال لهذا البيت في ص ١٠٤ حيث قال :

( ,like earth-stained roots of squills.)

الاصطلاح الإنجليزي لما ينمو من النبات كالبصل ينتفخ أصله الملامس بجذوره للتراب Bulb ولما ينمو كالبطاطس بانتفاخ جزء الساق الملامس للتراب هو Tuber واستعمل إليوت اللفظ الدال على النوع الثاني فيبدو أولا أن هذا بعيد من أن يكون مأخوذاً من عبارة السير وليم جونز the roots of wild anions (أي عروق البصل البري) التي ترجم بها (أنابيش عنصل) . وترجمة ليال غير بعيد من هذا . وأخذ إليوت قوله المتقدم من (أنابيش عنصل) هذه . وقد أبت فكرة صورة الجثث التي غرقت وبدت أطرافها من شوارب وآذان وأذناب كأطراف أنابيش العنصل أن تفارق إليوت فنمت بنفسها في أسطاره ٧٠ — ٧٢ من ص ٢٩ وذلك قوله :

You who were with me in the ships at Mylae that corps you planted last year in your garden, Has it begun to sprout ?

أي :

يا أنت الذي كنت معي في سفينات ما يليس
تلك الجنازة التي غرستها العام الماضي في حديقتك
هل بدأت تخرج شطئها ؟

عنى إليوت بما يلبس هنا المكتشف الدنمركي ما يليس للوج Mylius Ludurig الذى غامر باكتشافه سواحل جرنلندة فى أوائل هذا القرن الميلادى ومات سنة ١٩٠٧ م بعد مغامرة أخيرة فى سنة ١٩٠٦ وكانت هى من أسباب هلاكه :

استعمل إليوت صيغة المضاف إليه اللاتينية ( مايلاى ) من ( ما يليس ) . وهل خفى عنك أيها القارىء الكريم عنصر تداعى المعانى الشديدة فى النظر إلى بيت امرىء القيس ههنا ؟

امرؤ القيس :

غرقى . جنائز سباع غرقى فى العشية . تشبه مناظرها فى الأرجاء القصوى أطراف البصل البرى التى ينبشهاالصبيان أو خرجوا لينبشوها .

إليوت :

سفائن ما يليس (At Mylae) معها البحر ومخاطره . جنازة مفروشة فى حديقة فى العام الماضى . هل نبتت وأخرجت شطئها مثل النبات ؟

هذه المشابهة فى نهج الصياغة هل هى مجرد توافق خواطر مع بيت امرىء القيس ، كما مطر إبريل وعلو أغصان ( الليلك ) مجرد توافق خواطر مع مرابيع النجوم وعلت فروع الأيهقان ؟ وهل فكرة dried tubers ( أى الأصول النباتية الجافة أو العروق الجافة ) مجرد توافق خواطر مع أنابيش العنصل ؟ العنصل هو ( Bulb ) بحسب الاصطلاح النباتى ومع هذا الاصطلاح يرد دائماً الاصطلاح الآخر المقابل لة TUBER — أليس تحويل ( Bulb ) إلى ( Tuber ) فيه لون من أسلوب تحويل (grass-hopper) إلى (cricket) وما مر بك من قبل من أمثلة « السَّرَق المُورَّى » ؟

قولنا عن امرىء القيس آنفاً : إنه تذكر الصبا وتذكر الطفولة نشير به إلى قوله :

يزل الغلام الخف عن صهواته
ويلوى بأثواب العفيف المثقل

وإلى قوله :

كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

وليس ههنا موضع التفصيل وقد كان امرؤٌ القيس صاحب ذكريات وتُذْكَرُ له أبياتٌ لطيفة يصف بها زحلوقة الأطفال أولها :

لمن زحلوقة زُلّ
لهـا العينان تُنْهل

لاحظ أن تذكر الزحلوقة هنا أبكاه كما بكى من ذكرى الأحباب والمنازل .

وإلى قوله :

درير كخذروف الوليد أَمَرَّه
تتابع كفَّيهْ بخيطٍ مُوَصَّل

هذا .

ومثل أبي تمام إذ فاجأته « مقدمة المصيف حميدة » نجد إليوت فاجأته مقدمة المصيف — ولكن غير حميدة ( إبريل أقسى الشهور ) ومثل امرىء القيس خلص إليوت الذى هو امروء الأرض القفر من البدء بذكر الأطلال ( عفت الديار كما تقدم ) إلى حل العقد من خيط الذكريات — المقهى فى أول المنظومة ( السطر ١١ ) — إلى النعت المنظور فيه إلى سفينة كليوباترة بعين ، ( س ٧٧ ص ٢٩ ) :

The chair she sat in, like a burnished throne, glowed on marble.....

أى : الكرسى الذى جلست عليه كان يتوهج من فوق بلاط الرخام كأنه عرش مجلو . . . . (راجع نعت أنوباربس لسفينة كليوباترة عند شكسبير ) ومنظور أيضاً فيه بنفس العين أو بعين أخرى تحت الحاجب الكالح إلى قول امرىء القيس :

إذا قامتا تضوع المسك منهما
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

( راجع من قوله س ٨٤ ) :

The glitter of her jeusels rose......

أى : قام بريق جواهرها . . . . .

إلى . . . .

her strange synthetic perfumes.....

أى : عطورها المصنوعة الغريبة — س ٨٧ ص ٣٠ ) .

وقال وليم جونز فى ترجمة هذا البيت :

When those two damsels departed, musk was diffused from their robes, as the eastern gale sheds the scent of clove-gilly flowers.....

لاحظ استعمال إليوت prolucion فى س ٧٥ وكذلك poured فى مقابلة diffused التى عند وليم جونز و sheds...

تأمل ذلك أيها القارىء الكريم .

الفصل الذى فيه هذا النعت جعل إليوت عنواناً له « لعبة الشطرنج A Game of chess » وهو الفصل الثانى من الأرض المقفرة والعنوان مأخوذ من اختيارات — وليم جونز إذ عنوان إحدى القصائد الهندية التى اختارها هناك هو هذا ، فتأمل . . . .

رجع الحديث ، راجع قولنا قبل إلى النعت المنظور فيه . . . إلخ والآن . . . . إلى لقاء الكويتبة فى الفصل الثالث الذى عنوانه ترتيلة النار أو كما قال : A FIRE SERMON

ونلفت نظرك ههنا إلى ما ذُكِرَ عن ليوت أنه وصف رديارد كبلنج شاعر الامبراطورية الذى نشأ فى الهند بأنه كان من عظام أصحاب التراتيل .

لقى إليوت فى منظومته الكويتبة فى الفصل المذكور على مائدة فاترة وصال من نوع ما يقع فى سأم المدن المعاصرة . . . شىء ممسوخ من وليمة عنارى دارة جلجل ودخول الخدر خدر عنيزة : ( وقد ترجم ذلك السير وليم جونز ترجمة حسنة جية :

Woe to thee ! than wilt compel me to travel on foot

تقول لك الويلات إنك مرجلى .

من هنا أخذ إليوت عبارته ( ص ٣٢ ) :

..... caresses
Which still unreproved, if undesined

وتأمل بعد أسطاره من ٢٣٥ — إلى — ٢٣٨ فى حديث عنيزته هو :

The time is now propitious as he guesses
The mean ended, she is bored and tired,
Endeavours to engage her in careses
Which still unreproved, if undesived

الترجمة التقريبية :

الوقت الآن موات كما يظن .
انتهت الوجبة وهى متعبة وسئمت :
يحاول أن يشركها معه فى ملامسات .
استمرت بلا مؤاخذة إن لا بلا اشتهاء .

كذلك من قبل ظن امرؤ القيس الوقت مواتياً بعد عقر الناقة وانتهاء الوليمة وارتماء العذارى — يطبخن — بلحم مطيته ( يخطىء من يحسب أنهن كن يترامين بقطع اللحم كالغولات وكأن اللحم كرات لعب ) وبشحم كهداب الدمقس المقتل ، الذى هو حريرهن وبياض أبشارهن ، فدخل الخدر خدر عنيزة ليشركها معه فى ملامسات ومداعبات فزجرته بقولها : « لك الويلات إنك مرجلى » ومع زجرها له مال بهما الغبيط معاً :

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً
عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

ولكنه لا ينزل :

فقلت لها سيرى وأرخى زمامه
ولا تبعدينى من جناك المعلل

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فألهيتها عن ذى تمائم محول

كلام امرىء القيس فيه شيطنة وأريحية وحرارة عاطفة وصدق فنى مباشر مع الزمان والبيان الناصع . كلام إليوت مصقول كخشب النجار الماهر ولكنه ناشف لا عاطفة فيه ولا حرارة ولكن حرارة برود تعال فكرى وشىء من سخرية . غطاء كثيف يخفى حقيقة السريرة ولو كانت فيها أريحية من عواطف البيان والصدق الشعرى لهتكته .

فى كلام إليوت روح سآمة كسآمة الليل والبعير الذى شبه به امرؤ القيس الليل لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل ، وكسآمة الحبلى التى ذكرها امرؤ القيس فزعم أنه أنهاها عن طفلها ذى التمائم المحول :

إذا ما بكى من تحتها انصرفت له
بشق وتحتى شقها لم يحوّل

وقد استفحش النقاد هذا من مقال امرىء القيس وعذلوه عليه وعابوه وأبى الشعراء من بعد إلا أن يحاكوه فيه ويسرفوا كالذى صنعه سحيم عبد بنى الحسحاس فى يائيته « عميرة ودع إن تجهزت غادياً » وفيها :

توسدنى كفاً وتثنى بمعصم
على وتحنو رجلها من ورائيا

وفيها وجدان وغرام وفتك وكالذى صنعه بشار فى الرائيتين ، المقيدة التى يقول فيها :

أمتى بدّد هذا لُعبى
ووشاحى حلّه حتى انتثر

والمطلقة التى يقول فيها :

قولى لهـا بقة لهـا ظفر
إن كان فى البق ما له ظفر

وفى كلتيهما تهتاك وزندقة ومجون .

وهل نظر بعض شعرائنا المعاصرين إلى عنيزة امرىء القيس وإلى دعوى التحضر والتقدم بالنظر إلى عنيزة وجبة طعام أرض إليوت المقفرة الباب الخراب ؟ هذا باب يكتفى فيه بمجرد الإشارة واللمح :

ويبقى وزن إليوت : ومداره كما يذكر نقاده على محاكاة نبرات الكلام المألوف وعلى الجناس الحرفى الداخلى وعلى سجعات القوافى وهذا أمرٌ خالف فيه أصحاب الشعر الحر الفرنسيين ومن مال إلى مذهبهم . وقد تأثر فيما ذكروا بإزرا پاوند وقد سبقه فى مذاهب من النظم جرارد ما نلى هو بكنز ١٨٤٤ — ١٨٨٩ م

GERARD MANLEY HOPKINS

ورجع إليوت فى ما يذكر إلى نماذج من الشعر الإنجليزى القـديم الذى يقال له المتوسط مثل منظومة وليم لانجلاند ( ولا يكادون يستشهدون إلا بها ) التى أسماها بطرس الحرّاث William Lang Land ( ولد سنة ١٣٠٢ م وتوفى ١٤٠٠ م ) — بطرس الحرّاث Pibrs Ploughman وعنـدى أن الجناس الحرفى أو الداخلى ليس بأصيل فى اللغة الإنجليزية على اتصاله بأوائلها ولكنه أخذت أصوله من البديع العربى إذ هو قد كان النموذج الأدبى البراق المحتذى فى القرن الحادى عشر والثانى عشر الميلادى فما بعدهما وقد كانت أمّةُ العربية آنئذ هى أمة المدنية الكبرى المرموقة فى ذلك الزمان — تحاكى أساليب حياتها وآدابها كما نفعل الآن بتقايد الأفرنج . ذكر صاحب الذخيرة نقلا عن المؤرخ أبى مروان بن حيان فى صفة ريموند صاحب برشلونه ( ص ١٥٥ العتم أ ح أ ) : «فإذا هو جالس على مرتبته عليه ثياب من ثياب المسلمين » أ . ه .

أمر آخر ينبه إليه مما عسى أن يكون إليوت قد أخذه أيضاً من أساليب العربية ، هو مذهبه فى غرابة التشبيه . ويوقف كثيراً عند قوله فى إحدى منظوماته :

Let us go then, you and I
When the evening is spread out against the sky Like a patient ethervised upon a table

أى :

دعْنا إذن نذهب أنت وأنا .
عندما يكون الليل قد مدد بإزاء السماء .
مثل مريض بنج على منضدة « العمليات » .

ووصفه برغونزى بالجمال والغرابة ( ص ١٥ ) .

والحق أن تشبيه إليوت ههنا جارٍ على ما يسميه البديعيون بالتشبيه المقلوب ، المريض ساعة الغيبوبة والامتداد على المنضدة هو المشبه بغروب الشمس إذ كمفاجأة غشيان

الظلام الأفق تكون مفاجأة غيبوبة المريض بالبنج .

من أمثلة التشبيه المقلوب المعروفة :

وبدأ الصباح كأن غرته
وجه الخليفة حين يمتدح

وما الأمر إلا أن وجه الخليفة المشرق بغرة الانشراح للمدح قد صار جسم مريض ممدوداً على منضدة عملية . وغرة الصباح الباهرة صارت غروباً . . هل أخذ إليوت من ههنا أم هو توارد خواطر ؟ لعله توارد خواطر ولكنه بلاريب تشبيه مقلوب .صناعة وبديع مصقول متكلف لا أكثر ولا أقل .

أشهد أن أول مادعا إلى الشك في أصالة إليـوت في منظومته The Waste Land ( الأرض المقفرة ) ما قدمته من ارتياب النفس من تعليقاته ومن حذفه اسم العرب وأسماء من أشاروا إليهم ومن غاية البرود والتنطس على أساوبه ومذهبه ومن الفتنة المفرطة به ولاسيما من ليست لغتهم بلغته وفي لغته على أهل لغته هو الإنجليزية عُسْر شديد، حتى المعجبون به ذكروا ذلك . مثــلا قال انتــوني بيرغس Anthony Burgess في كتابه من الأدب الإنجليزي طبعة ١٩٨٠ م وهو من المعجبين بإليوت أن منظومته ( الأرض المقفرة ) The Waste Land فيها عسر ومشقة على القارىء وذكر من بين أسباب ذلك كثرة الإشارات والاقتباسات والأخذ من أدب أوربا والهند وتداخل الصور إلى آخر ما قال .

ومع أن تأريخ كمبردج للأدب الإنجليزي بعد إليوت من ثلاثة العصر في الشعر الإنجليزي الكبار ، مع هذا عاب عليه كثرة أخذه من دون إشارة إلى موضع الأخذ أو علامات تدل عليه وقال إنه كان يلزمه بيان ما أخذ وماستعار. وألمع تأريخ كمبردج إلى أنه إن كان المراد من هذا الحنين إلى الماضي هو للتعبير عن الضجر عن العصر بأسلوب أدبي ، فإن ذلك غير خارج عن نطاق الأساليب التقليدية، ونص عبارة تأريخ كمبردج هو كما يلي وما قدمناه فحواها وملخصها ، ( ص ٨٥٣) :

But we may doubt wheither the disgust with the realities of the modern world, and the nostalgia for the past, not in its own kind of disgusting reality but as abstracted in literature and art, is anything more than a traditional litenary device.

كلمة صدق تقال للمفتونين بإليوت : إن كتمانه وسرقته و دينه للمعلقات وشعر العرب من طريق مستشرقي الهند وفرنسة وألمانيا وهافارد وجامعتي أكسفورد وكمبردج ومن يكون لاقاه فيهما وفي غيرهما وشافهه ، ينبغي أن يكون ذلك موضع زراية به ونفور عنه لا فرط إعجاب به وإقبال عليه .

أسأل الله أن تكون الموضوعية النقدية لنا رائداً ودليلا في مانقدمه من حدس مرتب على مشابه قوية وملابسات دليلها قاطع ، وقد اكتفيت في أكثر ما قدمت بالصدر الأول لأكثر من منظومة إليوت The Waste Land

خشية الإطالة إذ ليس هذا مجالها وإنما مرادى التنبيه : ولقد أقبلت على كتابة هذه الكلمة الموجزة فى بابها ، وحسك من القلادة ما أحاط بالعنق ، بعد مناقشة مادتها الأولى وجماة معناها مع زملاء فضلاء وطلبة أذكياء وأساتذة علماء وغيرهم من المعارف والأصدقاء فمنهم من نبه على ما لم أكن له منبهاً ومنهم من أعان على تيسير المراجع أودل عليها ومنهم من ساهم بالرأى وبالكلمة المفيدة — من ذلك مثلا أن عنوان إليوت لعبة الشطرنج A GAME of CHESS لا يخلو من نفس امرىء القيس إذ كان يلعب النرد لما جاءه خبر مقتل أبيه : ومن ذلك مثلا أن قول إليوت :

Let us go then, you and I

فيه شبه بصياغة الأمر فى نحو :

قفا نبك من ذكرى . .

عوجوا فحيوا لنعم دمنه الدار . .

خليلىّ عوجاً من صدور الرواجل : :

قفى قبل التفرق ياظعينا . . .

ونحو هذا كثير . ونحو هذا القول محتمل [إلا أننى أرجح أن يكون إليوت اقتدى بطريقة] شكسبير ومعاصريه ، نحو قول شكسبير فى مسرحية ريتشارد الثانى الملك ، على لسانه :

Of comfort let no man speak

أى لا يتحدثن امرؤ عن الراحة وفيها let us sit upon the ground أى لنجلس على الأرض : ويعجبنى منها قوله ( راجع التماسه عزاء ص ٤٤ ) :

Let's talk of graves and worms and epitaphs Make dust our paper and with rainy eyes write sorrow on the bos an of the earth

وترجمته التقريبية ( التماسة عزاء ٤٤ ) :

هلموا من الأحداث والدود والرثا

حديثكمو ثم اجعلوا الترب قرطاساً

ومن أعين تهمى بكالغيث سطروا

على ثدى هذى الأرض للحزن أنفاساً

وشبه كلام شكسبير بقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل فى نمط الصياغة غير بعيد :

وقال درايتون Drayton من معاصرى شكسبير

Since there is no help, let us kiss and part

وأقرب ما يترجم به هذا شطر بيت المثقب العبدى :

أفاطم قبــل بنيك متعينى

وليس بجد بعيد من : فسلى ثيابى من ثيابك تنسل . توارد الخواطر كثير فى المعانى الإنسانية ، ولكن روح التعبير هنا عربى المعدن وكان الأخذ فى زمان النهضة الأوروبية عن معارف العرب وآدابهم أمر شائعاً :

وأخذ إليوت من شعراء الإنجليزية خاصة قد كفانا مئونته نقاده ، حتى بيرغسى الموالى له لم يغمض فيه وتاريخ كمبردج للأدب الإنجليزى الذى سبق أن أحلنا عليه من قبل قد بكت إليوت كما مرّ على الأخذ بلا اعتراف أو تعليق ونعى عليه استعمال التضمين والاقتباس بطريقة آلية صارت من بعد مجرد

حياة أساوبية عند مقلد الكثيرين وكما قال (ص ٨٥٣) :

...... A mere trick of fashion in his numerous imitators

هذا ، ومنهم — أي ممن ناقشت — من حث حثا على تدوين ما بدا خشية أن يؤخذ من المشافهة فأسبق إلى نشره ولا يشار إلى المصدر . وهذا قبيح . ولكن ليس السبق إلى النشر هو الغرض . ولكن الغرض هو التنبيه على كتمان إليوت تقاليده لطريقة العرب في صياغة القصيد — وقد عرف العرب التضمين والإشارة وغرائب من البديع مع الذي سبق توضيحه من مذهبهم في الوصف وتداعي المعاني على النحو الذي بين جانبا منه ليال في مقدمته القيمة .

يسمى بعضنا صياغة القصيده الذي لو أقبلنا على درسه لأغنتنا روائعه أساوباً تقليدياً .... ويسمون إبداعاً تقليد إليوت الذي يقلده ، فتأمل .

الآراء التي بثثت بطرف منها ههنا قديمة عند كاتب هذه الأسطر ألمع إلى بعضها في حديثه عن أبي الطيب الذي ألقاه في المهرجان الذي أقيم له ببغداد في تشرين الثاني سنة ١٩٧٧ وطبعت ثم في سفر بعنوان الطبيعة عند المتنبي وقد جاء فيها ذكر أخذ الشاعر أندرد مارڤيل في منظومته البستان The Garden من :

مغاني الشعب طيباً في المغاني

وأخذ وليم بليك في منظومته عن النمر من أسد أبي الطيب الذي ما قوبلت عيناه ...

ما قوبلت عينـــاه إلا ظنتا

تحت الدجى نار الفريق حلولا

وهذا باب يتسع فيه القول ومجال البحث .

ولله الحمد في المبدأ والختام .

وعلى رسول الله الصلاة والسلام :

وعلى آله وصحبه أجمعين ،

**عبد الله الطيب**

عضو المجمع من السودان

# الجزائر

## للأستاذ أحمد توفيق المدني

**الجمهورية** الجزائرية : دولة عربية إسلامية ، تتوسط بلاد المغرب العربي ، وتقع بين جمهورية تونس شرقا وبين مملكة المغرب الأقصى غربا ، يمتد ساحلها ١٢٥٠ كيلو مترا على البحر المتوسط ، وتضرب فى أعماق الصحراء جنوبا ، حيث تتصل بالبلاد الليبية ، وجمهوريات النيجر ومالى ، وموريتانيا ، والصحراء الغربية . مساحتها ٥٢,٣٧٦,٤٠٠ وسكانها سنة ١٩٨١ يبلغون ٢٠,٠٠٠,٠٠٠

أرضها : فى بلاد الجزائر ثلاث مناطق أفقية مختلفة من حيث التضاريس هى : منطقة التل شمالا ، تليها منطقة النجود وسطا ثم منطقة الصحراء جنوبا ولكل من هذه الأقسام ميزات خاصة ، ومناخ خاص وإنتاج اقتصادى مستقل ، فمنطقة الشمال تمتد على كامل الساحل البحرى وفيها من شرقها إلى غربها جبال التل ، تتخللها السهول الخصبة والمزارع الغنية ، وفيها جميع الأنواع من الأشجار المثمرة والحبوب المختلفة ، كسهول عنابة وهى بونة القديمة وسهول متيجة الواسعة حوالى العاصمة وجنوب العاصمة الجزائرية ، وسهول وهران غربى البلاد وسهول المدية وسيدى بالعباس وتستمر جبال الأطلس التلى متتابعة على خط أفقى من الشرق إلى الغرب وأعلى قمة فيها هى : لالاخديجة التى ترتفع ٢٣٠٨ أمتار ، وثلاثة أرباع سكان الجزائر يعيشون مما تنتجه هذه الناحية الزراعية الممتازة التى تجود عليها السماء بأمطار موسمية وابلة يبلغ معدلها ١٠٠٠ ملليمتر فى السنة . وفى هذه الناحية أيضا سدود عديدة لجمع مياه المطر والإفادة منها زمن الحر . أما مناخها فهو معتدل ، شتاء لطيف وصيف مقبول . أما منطقة النجود أو الهضاب العليا فمعدل ارتفاعها عن سطح البحر ٨٠٠ متر وهى تكاد تكون خالية من السكان إلا فى ناحيتها الشرقية الغنية . ومزروعاتها ضعيفة ، إلا فى ناحية الشرق لكنها تنبت طبيعيا شجيرات الحلفاء التى يصنع منها أحسن أنواع الورق وبعض الأقمشة . وهى كثيرة التباين من حيث المناخ فارتفاعها ووقوعها بين سلسلة جبال الأطلس التلى شمالا وجبال الأطلس الصحراوى

جنوب يجعل شتاءها قارصا حيث تكتسى بالثلوج ويجعل صيفها قائظا لكنها بين الشتاء والصيف تكتسى باعشاب . مرتفعة ذات جمال وزهور بديعة ، تكون مرتعا خصيبا للملايين من الغنم التى تصعد إليهامن الجنوب وإذا جفت تلك الأعشاب أصبحت — تدعى « الهيشر » وهى مغذية جدا للأنعام وتتلقى هذه النجودمن المطر معدل ٣٠٠ مليمتر سنويا .

وأما منطقة الصحراء ، وهى نحو مليونى كيلومترا ، فتقع جنوب سلسلة الأطلس الصحراوى وهى أضخم الجبال الجزائرية وأكثرها ارتفاعا ، ويبلغ أقصى ارتفاعها ٢٣١١ مترا فى قمةالشلية بناحيةالأوراس الغنية البهية ، ذات المجد التالد والطريف تليها جبال اولاد نايل وعمور ، وتسكنها القبائل الهلالية العربية الشهيرة ، وتتلقى هذه الجبال كمية ضخمة من الأمطار كل سنة. والصحراء قسمان قسم صخرى لاحياة فيه لحيوان او نبات ، ويدعى « الحمادة » وقسم رملى ناعم ، يدعى ، «العرق» وهو القسم الأكبر وفيه عدد لايستهان به من الواحات الخضراء البديعة التى طبقت شهرتها الآفاق كبسكرة ، وطولقة والأغواط وكامل جهات الزيبان ووادى سوف شرقا وبلاد ميزاب جنوبا ، وشلالة واولاد سيدى الشيخ غربا بحيث كلما برزت على سطح الارض منابع طبيعية من المياه الجوفية المنحدرة من سلاسل الأطلس تكونت الحياة الانسانية والنباتية فى أبهى مناظرها والقاسم المشترك الأعظم بين هذه الواحات هو جنات النخيل الباسقة الشهيرة بجمالها وثمارها وفى الجنوب الصحراوى توجد جبال ( الهقار ) الشامخة المتشعبة التى تسكنها قبائل « الطوارق » الملثمون وكانوا أصحاب حضارة كبيرة بائدة ، والمرأة عندهم هى صاحبة المكانة الأولى فى المجتمع . وفى أقصى الجنوب الشرقى على مقربة من الحدود الليبية ، توجد جبال الطاسيلى وبها رسوم وصور ملونة متقنة لأزمنة ماقبل التاريخ : تعاصر الحضارة المصرية القديمة ويهتم بها الباحثون من مختلف بقاع الدنيا كثيرا .

سكانها : إن العشرين مليونا من سكان الجزائر اليوم كلهم مسلمون لم يبق بينهم دخيل منذ نزوح الأوربيين واليهود عامة سنة ١٩٦٢ عند إعلان الاستقلال. كلهم يتبع مذهب الإمام مالك بن أنس إلا نحو عشرة آلاف من بقايا الأتراك العثمانيين يتبعون مذهب أبى حنيفة . النعمان ، وستين ألفا يتبعون المذهب الأباضى وأغلبيتهم العظمى ببلاد ميزاب ، ان أصل السكان هم قبائل « الأمازيغ » أى الرجال الأحرار ، نسبة إلى جدهم الأعلى « مازيغ بن قحطان » — ويدعوهم الرومانيون ( البربر ) أى الأجانب ، وتبعهم ابن خلدون فى هذه التسمية غالطا .وبعد الفتح الإسلامى ،

وخاصة بعد استقرار قبائل بنى هلال وبنى سليم بالبلاد اندمجت أغلب القبائل الأمازيغية فى العرب واعتنق جميع الأمازيغ الإسلام ، فخذقوا لغة العرب اثر حفظهم للقرآن فلم يبق فى كامل الأرض الجزائرية إلا نحو أربعة آلاف نسمة يسكنون أعالى الجبال ،لايتكلمون — على خلاف بينهم — إلا لغة أمازيغية قديمة ويمتاز سكان الأرض الجزائرية عموما بأمرين: أولهما نسبة الشباب التى تزيد عن ٥٥ ٪ ممن سنهم دون العشرين وثانيها نسبة الزيادة السنوية فى السكان ، حيث هى تزيد قليلا عن ٣,٥٠ بالمائة .

مركزها الاقتصادى : تزداد أهمية الجزائر الاقتصادية ،منذ الاستقلال زيادة ملحوظة فالجزائر بلد زراعى رعوى أساسا ينتج الحبوب المختلفة ،وكل أنواع الأشجار المثمرة وخاصة الحمضيات منها، والزيتون المنتشر فى بلاد الشمال (نحو ١٢,٠٠٠,٠٠٠ شجرة تنتج زيتا كثيراً والنخيل فى الجنوب ) ( نحو ١٠,٠٠٠,٠٠٠ ) ومنه نوع دقلة نور ذات الشهرة العالمية ،وكل انواع البقول المختلفة ،لكن تزايد عددالسكان بصفة عالية جدا جعل تلك الخيرات الدافقة لا تكاد تكفى لسد حاجتهم ، كذلك عدد الماشية من الضأن التى كانت على نسبة شاة واحدة لكل فرد من السكان ، فأصبحت لاتكاد تفى بحاجة المستهلكين :

نشأت بالبلاد بعد الاستقلال صناعة مختلفة عمت كل الجهات ،زيادة عن الصناعات التقليدية القديمة كصناعة النحاس ، والحلى من الذهب والفضة ، والزرابى التى تختص كل جهة بنوع جميل منها ، وانسجة الصوف والحرير الطبيعى ،فالمعامل الكبيرة الجديدة تشمل صناعة التعدين وخاصة الحديد الموجود بوفرة ، ومعامل الأقمشة المختلفة ،ومعامل الورق ،ومعامل الآلات الزراعية الثقيلة والخفيفة ومعامل الأدوات المنزلية من معدنية وفخارية على الطريقة الصينية ، ومعامل للصناعات الكهربائية المختلفة ،ومعامل للنشارة والأخشاب ،تستثمر الغابات الجزائرية العديدة كالأرز ، والصنوبر والفلين ،وغيرها والغابات تنمو فى الجزائر بشكل غريب، ناهيك أن الدولة تنشىء الآن غابة سميكة تمتد نحو ١٥٠٠ كيلو متر متواصلة فى الجنوب لتمنع تسرب الرمال إلى أرض الشمال .

وفى أرض الجنوب معادن غنية جدا ، منها مالم يستثمر بعد،كالذهب الموجود وافرا، وقد رأت الدولة أن يبقى مكتوما إلى أن تحين ساعة الحاجة إليه ، ومنها ما استثمر بعضه كالنفط الذى هو عمدة الاقتصاد الجزائرى اليوم حيث ينتج نحو ٥٠ مليون طن سنويا ونشأت بالجزائر صناعة نفط كاملة ،لها أنابيب صنعت بالجزائر لإيصاله إلى الناحية الشمالية حيث يرسل منه نحو ٥٠

مايون طن إلى مختلف بلاد العالم ، وكالغاز الطبيعى الذى يخرج بكثرة متدفقا وأنشئت له معامل عديدة لتنميه . وتزويد مختلف البلاد الأجنبية به ، زيادة عن الاستهلاك المحلى الذى شمل كل مدن القطر ، ولازالت البلاد تكتشف مناطق جديدة للنفط والغاز . وكل هذه الموارد الضخمة تنفق فى سبيل الإنشاء والتعمير ، وجزء منها لأعمال التسيير .

تاريخها = للجزائر تاريخ حافل طويل قبل الإسلام وبعده يمكن تلخيصه كما يلى :

١ - جاءها العرب من بنى كنعان (فنيقيا) قبل المسيح بألف سنة وعاشروا أهلها سلما قصد التبادل التجارى ، ثم اسسوا مدينة (قرطاجنة) سنة ٤٨٠ ق .م واصبحت لها امبراطورية ضخمة عمت الشمال الإفريقى كافة وتأسست فيه ممالك أمازيغية كبيرة خاصة فى جهتها الشرقية والوسطى (نوميديا) .

٢ - استعمرها الرومانيون بعد تحطيم قرطاجنة سنة ٢٥٠ ق .م ودام استعمارهم لها إلى سنة ٤٢٩ ق .م وقامت ضد الرومانيون ثورات عنيفة جدا اخمدوا الكثير منها الى ان استعان الأمازيغ عليهم بالوندال (سكان الأندلس) فجاؤوها فاتحين ، وأعانوا الأمازيغ على تقويض كل أثر للرومان .

٣ - لم يكث الوندال بالبلاد إلا مائة عام (٤٢٩-٥٣٠) استرجع خلالها الأمازيغ سلطانهم وحريتهم .

٤ - جاء الروم من بلاد القسطنطينية فاتحين فأخرجوا الوندال (٥٣٠م) إنما كان الأمازيغ قد استرجعوا استقلالهم ، فلم يكن الروم يحتلون إلا مراكز عسكرية محددة النطاق .

٥ - فاضت انوار المدينة الإسلامية بالفتح العربى تحت قيادة عقبة بن نافع ، وحسان بن النعمان وعم الفتح كل جهات المغرب العربى ، وبعد معارك قليلة متفرقة أسلم الأمازيغ وحسن إسلامهم وأصبح المغرب ومنه الجزائر ، جزءا من بلاد العروبة والإسلام وتوالى عليها الولاة من قبل دمشق .

٦ - أقام الأباضيون بوسط الجزائر (تاهرت) أول دولة إسلامية خارجة عن الخلافة ، سنة ١٢٩ هـ هى دولة بنى رستم ، وكان نظامها دينيا إسلاميا صادقا يتولى أمرها الإمام وجماعة « الشراة » ودامت الدولة ١٣٦ سنة .

٧ - عمت دعوة الشيعة التى نشأت بشرق الجزائر كل أقطار المغرب العربى وتأسست بالمغرب الأقصى دولة الفاطميين التى وحدت كامل المغرب ، وقضت على دوله المستقلة إلا أنهم فتحوا القاهرة ونقلوا إليها ملكهم ، فتأسست بالقطر الجزائرى دولة بنى حماد ( ٣٩٨ - ٥٢٩ هـ ) وكتاب من أحسن دول الإسلام بلغت بجاية فى أيامها أوج المدنية علما وعملا وفى أيامها استقر الأعراب الهلاليون بالبلاد .

٨ — نشأت بالمغرب دولة الموحدين ( ٥٢٤—٦٨٧ ) وعمت موجتها كامل بلاد المغرب العربي فوحدته توحيدا كاملا وكانت إدارة صالحة .

٩ — أسس أهل المغرب الجزائري بمدينة تلمسان دولة بني زيان ، أثر انقراض دولة الموحدين سنة ٦٢٧فكانت دولة من أحسن دول البلاد بلغت أوج الحضارة ، ونبغ فيها العلماء ، و الأدباء والمخترعون ، وتوسعت في البلاد إلى أن أصابها الهرم ، وتنازع أمراؤها على كرسي الملك ، كما تنازع وتقاتل امراء بني حفص الذين أسسوا ملكا ببجاية وعلوا كبيرا ، وكانت النتيجة : هي مهاجمة الأسبان لهذه البلاد بعد تفويض دولة المسلمين بالأندلس وأشعلوها صليبية رسمية ، فاحتلوا كامل الساحل الجزائري من وهران إلى بجاية ، وذبحوا أهله وخربوا أعمرانية ولم يجدوا مقاومة عنيفة ، لان الشعب فقد قيادته .

١٠ — كان البطلان المسلمان ( عروج ) ( وخير الدين) وهما من قراصنة الدولة العثمانية يقومان بانقاذ بقايا مسلمي الأندلس والقدوم بهم إلى الأرض الجزائرية . فأرسل لهما الجزائريون يطلبون نجدتهم العسكرية لإنقاذ بلاد الإسلام من احتلال الأسبان ، ولبى البطلان الطلب فنزلا خلف بجاية ثم استقرا ببعض المدن الساحلية ومنها قدما إلى مدينة الجزائر وكان سرور الشعب بهما عظيما ، فأسسا بكامل البلاد دولة الجزائر المستقلة ، لأول مرة في التاريخ سنة ١٥١٦م . وأقبل الشعب عليهم ، فنظموا الحكم وأقاموا الإدارة ووحدوا البلاد ، وأنقذوا الساحل الجزائري من الأسبان وكان عدد الأتراك قليلا جدا إنما التف أهل البلاد حولهم فكانت البلاد تحت الحماية العثمانية دولة قوية قهرت أسبانية بصفة لا مثيل لها وحاربت أغلب الدول الأوربية واستمرت الحرب مع أسبانيا من أجل إنقاذ وهران ٣٠٠ سنة واستمرت الدولة الجزائرية هكذا إلى سنة ١٨٣٠حيث احتلت فرنسا العاصمة .

١١ — رغم المقاومة البطولية التي قام بها أهل البلاد تحت قيادة الأمير عبد القادر وأحمد الشريف والى المقاطعة الشرقية تمكنت فرنسا بعد خسائر كبيرة ، من احتلال كامل البلاد ، وقهرت أهلها وإذلتهم لأنها كانت محاية إلا أن الأحرار أسسوا سنة ١٩٥٤( جبهة التحرير الوطني) وأعلنوا باسمها الثورة العارمة الشاملة يوم أول نفامبر ، وسلك الفرنسيون سياسة التدمير وإتلاف كل أنواع الحياة إلا أن ذلك لم يغن عنهم فتيلا ، وتكبد الجزائريون أثناء حرب التحرير خسارة فادحة في الأنفس والأموال ، إذ قتل الفرنسيون منهم مليونا ونصف مليون من الأنفس واستمرت الحرب إلى مارس ١٩٦٢حيث اعترفت فرنسا مكرهة للجزائر بحق تقرير المصير ، وأعلن الاستقلال

يوم ٥ يوليو ١٩٦٢ وتأسست أول حكومة وطنية بها :

١٢ – نظامها وإدارتها = يقول الدستور الجزائرى والميثاق الوطنى الجزائرى أن الدولة دينها الإسلام ولغتها العربية، وهى دولة ديمقراطية شعبية يديرها حزب جبهة التحرير الوطنى الجزائرى بواسطة حكومة رئاسية تعتمد على مجلس أمة شعبى وبها ٣٢ ولاية لكل منها مجلس شعبى ولائى منتخب ولكل مدينة فيها مجلس شعبى بلدى ( وعددها ٧١٠) وهى تسير فى نظام اشتراكى لا يعارض الإسلام دين الدولة . فأنشات منذ الاستقلال تعليما وطنيا قويا تشمل أقسامه الابتدائية ٤,٥٠٠,٠٠٠ طفل يتعلمون العربية فقط خلال ثلاث سنوات مع حفظ شىء من القرآن ، وعلوم الدين ، ثم يتناولون اللغة الفرنسية بعد ذلك إلى جنب العربية لبقية مدة الدراسة وبالجزائر اليوم ٦ جامعات لتدريس العلوم العليا ، وهى سائرة نحو التعريب التام رجالها الخالدون = من أشهر رجال العلم والأدب فى الجزائر منذ إسلامها العلامة إبراهيم ابن عبد الرحمان التنسى ، والشاعر العظيم بكر بن حماد أيام الدولة الرستمية ، والعالم الطبيب اللغوى ابن تميم والجغرافى الكبير ابن الوراق أيام الفاطميين ومحمد بن على الصنهاجى المؤرخ الكبير واللغوى النحوى ابن العفراء والعلامة المجتهد ابن الرماح فى دولة الفاطميين أما فى أيام الموحدين فقد نبغ فى أرض الجزائر الشريف ابن عمارة الشاعر الكبير والحسن ابن العكون القسنطينى ، ويوسف بن إبراهيم الوارجلانى : أما فى أيام دولة بنى زيان فقد نبغ نبوغا كبيرا وتفوق أمثال عبدالرحمان الثعالبى ومحمد بن يحيى الونشريسى ومحمد السنوسى والقاصادى الفلكى وابن الفحام المهندس واضع اول ساعة متكاملة ، والمقرى صاحب كتاب نفح الطيب أما أيام الدولة الجزائرية العثمانية فقد نبغ رجال عظماء من محمد بن عمار الجزائرى وعيسى بن محمد الثعالبى ، ويحى بن صالح المليانى وعمر المنقلاتى . أما فى أيام فرنسا فقد سجلت بكل فخر أسماء الأمير المجاهد عبد القادر ابن محى الدين وأحمدالشريف المجاهد بقسنطينة ومحمد ابن أبى الشنب ، وعبد الحميد بن باديس محى العربية والإسلام والبشير الإبراهيمى العالم الأديب عضو مجمع اللغة العربية والشاعر الكبير محمد العيد ومفدى زكريا .

والجزائر عاصمة الجمهورية الجزائرية مدينة جميلة تقع داخل جون واسع على البحر المتوسط . تمتد على الساحل وترتفع شيئا فشيئا إلى قمة ربوة ترتفع نحو ١٢٠ مترا حيث توجد قلعة ( القصبة) والمدينة ذات قسمين مختلفين بصفة ظاهرة : المدينة العربية العتيقة وهى المرتفعة على سفح الربوة وبين منعرجات طرفها الظيفة نجد الديار العديدة ذات الطابع الأندلسى ؟ والعثمانى وكلها مبنى على نمط واحد بهيج ، يشرف أكثرها على البحر ثم المدينة الأوربية التى بنيت

اتقاض المدينة العربية العثمانية التى كانت على الساحل البحرى ، وكانت تشمل أجمل المساجد وأبهى الدور العربية ومقر الإدارات العثمانية المختلفة . فبعد احتلال فرنسا لهذه المدينة (يوليو ١٨٣٠)حطم المستعمرون كامل الشريط الساحلى وأتلفوا ما فيه من مساجد (١٠١) ومن حدائق وقصور ، وبنوا على أنقاضها مدينة أوربية كاملة ، وللمدينة مرفاء كبير كان فى قديم الزمان مجموعة من عشرين جزيرة ، جمع بينها القائد العثمانى الشهير خير الدين باشا سنة ١٥٢٠ بواسطة سدود ، فأصبحت مأوى لأسطول بحرى من أشهر أساطيل القرصان الذين لعبوا دورا خطيرا فى البحر المتوسط فيما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر ميـلادى ووسع ذلك المرسى الذى لا يبعد عن مرسيليا إلا مسافة ٨٠٠ كيلو مترا ، حتى أصبح من أهم وأعظم مراسى الحوض الغربى بالبحر المتوسط .

تاريخها = أسس العرب الكنعانيون ( الفنيقيون ) هذه البلدة حوالى ١٠٠٠سنة ق .م فأصبحت من أهم مراكزهم التجارية التى أسسوها على ساحل البحر المتوسط وكان اسمها يومئذ ( أقسوم ) ثم استولى عليها الرومانيون بعد تحطيم قرطاجنة ثم تولى أمرها كل الفاتحين من بعدهم ( انظر قسم الجزائر الجمهورية) إلى أن تولى العرب المسلمون أمرها وتداولت عليها دولهم ، وقد خربتها الأعمال الحربية المتوالية وأهملت .فأعاد الأمير الحمادى الشهير بولكين ابن زيرى بناءها حوالى سنة ٩٨٠ م : وأصبحت ماهولة بقبيلة « بنى مزغنة » الأمازيغية ثم استقر حولها الأعراب من بنى هلال وخاصة من الثعالبة الذين دخلوها وتاء لفوا مع سكانها وفى سنة ١٥١٦جاءها القائدان العثمانيان عروج وخير الدين فى أسطولها القرصانى وأبعد عنها الخطر الأسبانى الذى ضيق عليها الخناق . واتخذا منها عاصمة للدولة الإسلامية الجديدة التى تدعى (دولة الجزائر ) محتمية بالخلافة العثمانية فى استامبول .

أخذت المدينة تنمو وتستقر بها الأوضاع منذ تلك السنة وتوالت عليها الحملات الأسبانية القوية براوبحرافقهرها الجزائريون وحطموها جميعا ، سنوات ١٥١٦ — ١٥١٩ — ١٥٤١ حيث حطموا كامل أسطول وجند الملك شرلكان وتوطدت أركان الحكم الإسلامى العثمانى مدة تزيد عن ٣٢٠ سنة ، إلى أن احتلها الجند الفرنسى يوم ٥ يوليو ١٨٣٠ بعد معركة رهيبة واتفاقية أبرمت من أجل تسليم المدينة ، ولكن الفرنسيين أهملوها وعملوا على نقيضها .

أصبحت مدينة الجزائر تحت الاحتلال الفرنسى مدينـة كبيرة ارتكزت فيها الإدارات العامة والولاية العامة ، وكانت محط رجال الاستعمار ومركز المعاملات التجارية والتبادل الاقتصادى وأصبح

سكانها يومئذ يبلغون ٦٠٠٠٠٠ منهم ١٥٠٠٠٠ فقط من أهل البلاد .

وهكذا إلى أن أعلنت الحرب التحريرية العظمى يوم ١ نفامبر ١٩٥٤ فاشتركت مدينة الجزائر اشتراكا فعالا في حوادث تلك الثورة العارمة ، إلى أن أيقنت فرنسا بأن التعنت لا يجديها نفعا وكثرت خسائرها ، وسقطت حكوماتها ، فاعترفت للقطر الجزائري بحق تقرير المصير ، وأعلن الاستقلال بإجماع الأصوات أواخر سنة ١٩٦٢

يومئذ تأسست بمدينة الجزائر حكومة وطنية من رجال جبهة التحرير وجيش التحرير وأخذت الجزائر عامة تسير في ميدان التقدم العلمي والاجتماعي والاقتصادي ، واستقرت ، على إنقاض النظام الاستعماري إدارة وطنية صرفة عملت بجد وإخلاص لإصلاح ما أفسده الاستعمار كما استقرت بها الشركات الوطنية الكبرى التي تدير اقتصاد البلاد الذي ينمو ويستقر بصفة مستمرة .

أما السكان فقد أصبحوا اليوم نحواً من ٢٧٥٠٠٠٠ كلهم جزائرين وقد غصت بهم المدينة القديمة ، وضاقت بهم العمارات التي لا يكاد يحصيها عدد ، والتي أنشأتها حكومة الاستقلال .

**أحمد توفيق المدني**
عضو المجمع من الجزائر

# أصحاب اللسانين

## للدكتور حسين مجيب المصري

من غير شك أن الفرس بعد إذ تعربوا بلغوا كل مبلغ فى امتلاك ناصية العربية وكل ما هو متصل بسبب منها ، ولقد ترددت على ألسن فصحائهم كما جرت على شباة أقلام بلغائهم ولمائهم ولا نسيان على طول الزمان لما أورثوا التراث العربى من بدائع وروائع .

وبالذكر جدير أن انعقاد الوصلة بين الفرس والعرب متوضح فى مظهر لغوى بالتراث هو التقاء بين العربية والفارسية جميعا لدى بعض الفرس لغتين فى كفتى ميزان تتراجحان وبهذا نظموا على الأخص شعرهم ودبجوا نثرهم وأصدروا التآليف والتصانيف . ويسعنا قولنا إن مثل تلك الظاهرة تقوم كدليل على أن التراث الإسلامى فى شتى نواحيه إنما تتوزعه أكثر من لغة فما كان حكرا على لغة الضاد ليس إلا . وفى ذلك ما يرشد إلى ما كان لدين الله ولغة كتابه المبين من جليل القدر وعظيم الخطر وكبير الفضل على أجيال من الناس وأجيال جمعتهم من الدين جامعة وانتظمتهم وحدة فلما أصبحوا من أهل لا إله إلا الله تألفت ثقافاتهم وإن تخالفت لغاتهم وتساندت ألسنتهم فى التعبير تبعا لتشاكلهم وتقاربهم فى الشعور والتفكير . ولا غرو فإن وحدة العقيدة مترتبة عليها بالجمع وحدة الثقافة وهى التى أدعم عليها كل ما خفق فى القلوب وانتقام فى العقول والأفهام ومن حيث مست الحاجة فى كل شعور وتفكير إلى إبانة عنه وتفسير له ، كان التراث الإسلامى متكامل العناصر متشاكل ، وهى عناصر ما من سبيل إلى فصل أحدها عن الآخر — فبينهما ندية لاضدية — أما اختلاف لغات ذلك التراث فتعلق بالمظهر غير متصل بالجوهر .. وما ذاك إلا لأن المعنى يلبس اللفظ ثوبا ومن اكتسى ثوبا عوضا من ثوب تبدلت بزته رأى العين وما تبدلت حقيقة فى واقع الحال .

ونستخلص من هذا كله أن من بلغاء وعلماء الفرس من اتخذوا لهم لسانين هما الفارسية والعربية ولذلك امتازوا بتلك التسمية من غيرهم الذين لم يقدموا إلى تراث

المسلمين مزيدا وجديدا إلا بلغتهم الفارسية وفرق بين صاحب قدرة وصاحب قدرتين وليس سواء شئ وضعفه .

وهذا الملحظ يتأيد ويتأكد بخاصة فيما يتعلق بشأن صاحب اللسانين وماذاك إلا لأنه ملحوظ جلى لا مجال للريب فيه .

أما إذا كان من الخير أن نسوق الكلام على وجه التحديد وتطلق الحكم فى شمول وعموم ، فلنا أن نشير إلى أن أصحاب اللسانين من الفرس لا يشكلون كثرة بل قلة فى نطاق الإمكان حصرها وهى من قبيل تلك القلة التى للجهابذة الأعلام وصفوة أهل التحصيل الذين برزوا على غيرهم واوتوا من العلم ما لم يؤت سواهم إلا فى الندرة . كما أن هؤلاء تظهر لهم نصوصيتهم المرموق من قدرتهم الأمر طويل زمان على فتح العرب لفارس وقامت الفارسية على ساق ولها مكتمل من كيانها وأهلها معتزون بها ذهابا منهم إلى اعتزازهم بقوميتهم الفارسية التى ردت عليهم بعد أن محقها العرب أو كادوا . ومن ثم يستبين فصل صاحب اللسانين الذى يقتدر على التعبير بلغة الضاد التى لم تعد لغة الفرس مالهم لغة سواها . على نحو ما ينطلق تعبيره بلسانه الفارسى الذى أصبح قومه كافة . فما كان عليه بأس إذا ما عالج من ذلك ما عالج وقد امتلأ فخرا ، لأنه إنما شق على نفسه بمزاولة مطلب صعب وركوب مركب وعر .

ولكن بين أصحاب اللسانين تفاضل وتفاوت ، فمنهم من كانت إحدى اللغتين أوفى نصيباً من اهتمامه من اللغة الأخرى فأكثر من تأليفه بالفارسية مثلا ، وذلك يطرد عكسا . كما لا يخفى أن إجادته فيها ليست على قدر متساو .

وأول حقيق بالذكر من هؤلاء الأمير قابوس بن وشمكير الزيادى المتوفى عام ٤٠٣ هـ وهو من الملوك الأدباء وصاحب هذه الأبيات المأثورة :

قيل للذى بصروف الدهر عيرنا
هل حارب الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف
وتستقر بأقصى قاعه الدرر
فإن تكن نشبت أيدى الزمان بنا
ونالنا من تمادى بؤسه الضـــــرر
ففى السماء نجوم مالها عــــــدد
وليس يكسف إلا الشمس والقمر

وكان يقول الشعر بالعربية والفارسية ولقد ثقلت عليه العلة وناكرته حروف الزمان إلا أنه كان منقطع القرين فى علو همته وكرمه وأدبه وله فى النثر العربى روائع ورسائله من البلاغة فى رتبة رسائل بلغاء العرب[1].

بيد أننا لا نعرف له فى لغة الفرس نثرا فنيا ولا شعرا مطرباً معجبا وله أبيات يقول فيها .

---

(١) آشتيانى : قابوس وشمكيرزيارى ص ١٣ ( برلين ١٣٤٣ )

(إن أمر الدنيا كله رغبات وحاجات أنا لست أشغل القلب بما يحتاج ويرغب ولقد اخترت عشرين شيئا من هذه الدنيا كلها، كيا أقضى بها الحياة بطولها — الشعر والغناء والحسناء، وما طاب لى من صهباء، والشطرنج والنرد، والمصاد والبازى والفهد، والميدان والخضرة والملاحم والكرة والملاحم والولائم والفرس والسلاح والسخاء، والصلاة والدعاء)[1]

فإذا ضاهينا هذا المثال — من شعره الفارسى بما أوردنا من شعره العربى، تبين لنا ما بين المثالين من تخالف. وأدركنا فى يقين أن قابوس بن وشمكير صاحب اللسانين قال فى العربية شعرا مستقيم المنهج شرق المعانى يرى على اللسان للتمثل بحكمة وبلاغة، أما فى الفارسية فلا يستدل من شعره على أنه شاعر رفيع الطبقة لطيف التخيل. وما قيل من أن له الروائع فى النثر العربى بخاصة، يقيم الدليل على ما نذهب إليه من أنه فى عداد أعيان البيان ولكن فى لغة العرب لا لغة الفرس.

وإنا لنذكر بقابوس بديع الزمان الهمذانى لما بينهما من وجوه شبه. فبديع الزمان من فاضت له الشهرة فى الآفاق بمقاماته التى راقت ديباجتها ونمقت عبارتها: ونثره يفضل شعره. وكان يرغب إليه أن يترجم الشعر الفارسى غريب المعنى إلى شعر عربى، فيجمع فى ترجمته بين الإسراع والإبداع إلى عجائب كثيرة لا تحصر[2].

واتفق للصاحب بن عباد أن أراد امتحانه — معاجزا له — فاقترح عليه ترجمة أبيات من الشعر الفارسى إلى شعر عربى. وبلغ بديع الزمان من اقتناعه بعظيم قدرته على أداء ما طلب إليه على الوجه الأكمل أن يختار أصعب القوافى والبحور وأن يترجم على البديهة، وكأنما امتلأ زهوا وعول على مواجهة المتحدى بأيسر جهد والإشارة ضمنا إلى أنه مالها إلا هو.

وإن دل ذلك على شئ فدلالة على اتساع باعه فى لغة الضاد. ولا غرو فإنه من البلغاء المشاهير ولا ريب، أما ما فيه بعض الريب فكونه صاحب فصاحة وإبانة فى الفارسية لأن ذلك مالا نعرفه عنه ولا نعهده فيه.

ومادام الشئ بالشئ يذكر، فهذا فارسى آخر من أصحاب اللسانين يسمى ابن أبى كوبة ثوبة، (قيل إن أحد الندماء فى مجلس شرابه أنشد بيتين من شعر أبى نواس، فتأمل ساعة ثم ترجمه إلى شعر فارسى ترجمة عناية فى دقتها وجودتها)[3].

---

(١) كارجهان سرار ازاست يانياز — من بيش دل بيش آزونيازرا
من بيت جيزرا بجهان بركزيده ام — تاهم بدان كزارم درازرا
شعر وسرود ورود وفى خوشكواررا
ميدان وكوى وباركه ورزم وبزمرا شطرنج ونرد وصيدكه وبوزويازرا
اسب وسلاح وجود ودعا ونمازرا

(٢) الثعالبى: يتيمة الدهر. ص ٣٤١ ج ٤ (القاهرة ١٩٣٤)

(٣) عوفى، لباب الألباب ص ٧٦ ج١ (ليدن ١٩٠٩)

وجملة ما يقال فى هذا الصدد أن ابن أبى توبة كان راسخ القدم فى علمه باللغتين . فهو من أصحابهما . ومن أهل القرن الرابع الهجرى أبو الفتح البستى الذى ينسب اليه محمد عوفى صاحب لباب الألباب ديوانا من الشعر العربى وآخر من الشعر الفارسى ، ويخصه الثعالبى فى يتيمته بسبع وعشرين صفحة يورد فيها الأمثلة من نظمه ونثره إلا أنه لا ينسب إليه ديوانا من الشعر الفارسى . وفى هذا أخباره أنه ترجم عن الفارسية إلى العربية شعرا . وبما أننا لم نطلع على شعره الفارسى ، لايتيسر لنا معرفة الراجح من الرجوح المرجوح من شعره فى اللغتين ، وإن كنا أميل إلى أرجحية شعره ونثره فى العربية وذلك لنزلة فى أدب العرب لا فى أدب الفرس .

كما قيل أن ابن أبى عباس الاسفرابين وزير السلطان محمود الغزنوى كان يترجم الشعر العربى إلى شعر فارسى . مما يستدل منه على أن كثيرا من الفرس ألفوا الترجمة المنظومة إلا أن هذا إنما كان رياضة ، ورغبة فى التباهى بعلو كعبهم فى اللغتين جميعا . وهنا نتحفظ فى الحكم لنقول ان هؤلاء المترجمين إذا اقتصروا على الترجمة وحدها وعلى نحو محدود فهم من أصحاب اللسانين ولكن لا يبلغون مبلغ غيرهم ممن نظموا ونثروا وألفوا فى اللسانين جميعا .

ويأتى الترتيب بعد ذلك على ذكر عمر الخيام ، من حيث كونه شاعراً ذاعت شهرته برباعياته الفارسية ولما كاد يعرف بأنه معدود فى أصحاب اللسانين . لقد اشتهر بشعره الفارسى لا العربى وأصبحت الترجمة الإنجليزية لرباعياته ضمن روائع الأدب الإنجليزى وهى أكثر تداولا عند قراء الإنجليزية ولا يضاهيها إلاروائع شكسبير[1] .

وقيل إن الخيام يربط بين الشعر الفارسى والعربى فى تصورنا أبياتا فى لزوميات أبى العلاء تذكرنا بأشعار الخيام )[2] .

وهذا رأى لا نميل إلى الأخذ به لما فيه من تحكم وتجاف عن حقيقة الأمر وليس يكفى أن يتفق الشاعران على أن أديم الأرض من هذه الأجساد للحكم بأن الشعر العربى والفارسى ملتقيان فى قولهما .

أما ما نلحظه على شعر الخيام العربى بالخاصة ، فهو اختلاف غرضه فيه كلية عن غرضه فى شعره الفارسى لأنه القائل :

تدين لى الدنيا بل السبعة العلى
بل الأفق الأعلى إذا جاش خاطرى
أصوم عن الفحشاء جهرا وخفية
عفافا وإفطارى بتقديس فاطرى
وكل عصبة نلت عن الحق واهتدت
بطرق الهدى من فيضى المتقاطر
فإن صراطى المستقيم بصائر
نصبن على وادى العمى كالقناطر

---

(١) د . حسين مجيب المصرى : من أدب الفرس والترك ص ١٩ ( القاهرة من ١٩ )

2. weir : Dmarkhoyyam tee poar pll lfahore 1954i.

وإذا تدبرنا هذا الشعر مبنى ومعنى، ألفيناه مهلهل النظم تعوزه استقامة العبارة وسلامتها، ويرشد إلى أن قائله نازل عن رتبة المجيدين وهو ذاهب بنفسه إلى أبعد الغايات. ويا ليته كان سمح القريحة، فلقد جهد أن يتألق غير أنه لم يوفق. ولكن الخيام قبل هذا من قوله مورد على الخاطر أنه فى شعره العربى مناقض معاند لنفسه فى شعره الفارسى الذى ذهب الدارسون مذاهب شتى فى التعرف على حقيقة غرضه. ونحن نتخذ من شعره العربى هذا على ضعفه وركته ما نؤيد به رأينا فى الرجل ورباعياته. فالذى عندنا أنه كان عالما تحريرا وسع علمه الأصول والفروع من تفسير وحديث ولغة وطب ونجوم، ولذلك عرف بحجة الحق، وقلة الزلفى والحظوة وعلو المنزلة عند السلطان الذى كان يجلبه ويوقره ويجلسه إلى جانبه، ولا يستقيم فى بدائه العقول أن يحمل قوله فى الدعوة إلى معاقرة الصهباء والتهافت على مفاتن دنيا إلى فناء على الظاهر. فلم يبق إلا أن تكون جمهرة رباعية الفارسية منحولة مدسوسة عليه وهو الأقرب إلى الحقيقة، أو أنه كان لكلام ظاهر غير مقصود وباطن هو المقصود ومازال اللبس يغشى ذلك المقصود.

ويبدو حكيما حلب الدهر أشطر، متمرسا بتجارب زادته علما ولأعماق السرار فهما، فهو القائل:

زجيت دهرا طويلا فى التماس أخ
يرعى ودادى إذا ذو خلة خانا

فكم ألفت وكم أصبت غير أخ
وكم تبدلت بالإخوان إخوانا

فكأن هذه القلة من الأبيات العربية التى دخل فى زمرة أصحاب اللسانين أبدت مارواه أصحاب السير من سيرته كمؤمن موقن تقى نقى، وأعانتنا بالتالى على الاجتهاد بالرأى فيه، فخرجنا به خروجا بعيدا من طائفة أهل الحانة والصبوة والملاحدة المارقين قمين بالذكر أن قرنا واحداً هو القرن الخامس الهجرى أظل الخيام وشاعرا آخر يسمى مسعود سعد سلمان. وكان مداحا إلا أنه أول من ضمن القصيدة الفارسية خاصا من أحاسيسه وطبعها بطابع من ذاتيته[1].

ومن أهم ماتميز به سيرته أنه قضى فى السجن سنين عددا على غير ذنب مقتضى لسجنه وإنما زجه فى غيابة السجن كيد الكائدين وحقد الحاقدين المحنقين، مما أفرغ على شعره لونا مميزا له مخصوصا به. وهنا يجول فى الخاطر ماجال بشأن الخيام وأبى العلاء من رابطة التشابه بين شاعر فارسى وعربى، وذلك أن مسعود سعد سلمان برز فى فن مستطرف هو فن الحبسيات، وحبسياته تعقد وصلة بينه وبين الشاعر العربى أبى فراس الحمدانى صاحب الحبسيات المأثورات.

1. Bousani: Storia Jella Lettaratusa dal Paiistan FF 65, 66 (Mlans 1958).

أما إذا كان مناط اهتمامنا في هذا المقام شعره العربي ، فها هو ذا يصدقنا القول في شأنه من يقوله في بيت من الشعر الفارسي ماترجمته ( ولواختبرني في العربيةوالفارسية إنسان — لكنت أنا فارس هذا الميدان [1])

وقد أورد رشيد الدين الوطواط الشواهد من شعره العربي والفارسي في كتابه ( حدائق السحر ) وهو كتاب في البلاغة ، ولكن ناشر ديوانه الفارسي يقول إن جمع شعره العربي بين دفتي ديوان موضع نظر[2] .

ولعل مسعود سعد سلمان بما ذكر عن سعة علمه بالعربية والفارسية يطلعنا كما لم يطلعنا غيره على واقعة الحق ، كما أنه قدم العربية على الفارسية وتاه تيها بتضلعه منهما في آن .

أما أن يسوق مؤلف في البلاغة أمثلة من شعره فيها جميعا ، فلن يسقط به الاستدلال على أنه كان ينظم بهما جياد أشعاره ، مما يلزم منه أن يكون علمه بهما بمقدار واحد ونظمه فيهما بالسوية على الأرجح ومن قوله :

لعل كأن الشمس ضلت ممرها
وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت إليه والظلام كأنه
على العين غربان من الجو وقع

فقلت لقلبي طال ليلي وليس لي
من الهم منجاة وفي الصبر منزع

وفي أخباره ما إذا استقرأناه وتدبرناه وجدناه يحمل الدليل على أنه أخلى ذرعه للنظم بالعربية وبلغ شأو المشهود لهم بالإجادة قيل إنه كانت بينه وبين الحريري صاحب المقامات ألفة ومودةمكانا يتراسلان بالشعر ، واتفق أن أرسل إلى الحريري أبياتا أثناء مقامه في مصر[3] . فرد عليه الحريري بشعر يقول فيه :

كلام كنور الربى فاح غضا
وقد غازلته شآبيب قطر
وريح الشمال جرت ثم جرت
على صفحة الأرض أذيال عطر
ونجم الليالي ونظم اللآلي
ومقبوط عمر ومضبوط أمر

ونحن وإن لم نطلع على مانظم مسعود من أبيات ، نقطع بأنها عربية فبعيد كل البعد أن يكون قد بعثه إليه الشعر فارسي لاعلم له باللغة ، ولو كان كتب إليه بالفارسية لأجابه بلغته .

فالأدلة تتوافر على أنمسعود سعد سلمان من أصحاب اللسانين الذين شغلوا أنفسهم بالعربية والنظم وعرضوا مافي جعبتهم على

---

(١) د . حسين مجيب المصري : صلات بين العرب والفرس والترك . ص ١٦٤ ( القاهرة ص ١٩ )
(٢) رشيد ياسمي : ديوان مسعود سلمان . ص س ( نهران ١٣١٨ )
(٣) محمد محمدي : الدراسات الأدبية ص ١٥ عدد ٣ عام ٢ ( بيروت ١٩٦٠ )

أبلغ البلغاء فى العربية وكأن لهم رغبة فى المعارضة والمساجلة .

ويذكر بعده سعدى الشيرازى من أهل القرن السابع الهجرى ، ويعد أكبر وأشهر الأخلاقيين فى الشرق وأكثرهم شعبية[1] .

وهو ذلك الحصيف سديد الرأى الساخر المتهكم فى تسامح إذا تناول بالنقد والتجريح نقائص ومعايب الإنسانية ، وتلك مزية له نكاد نعدمها عند معاصريه . مما يثير فرط الإعجاب به[2] .

وسعدى فى تراثه الأدبى المنثور والمنظوم يمثل البليغ الإسلامى الحق الذى جمع أشتات العلوم الإسلامية من أطرافها . وكان العلم بلغة الضاد قواما يقوم به كيان ثقافة ، وحسبنا أن نشير أنه قضى شطرا من عمره يحصل العلم فى المدرسة النظامية ببغداد ، ومن هذا شأنه يجدر به أن تكون العلقة بينه وبين العرب ولغتهم أقوى منها لدى سواه ممن لم يعيشوا بين ظهرانى العرب .

وفى كلياته قسم عنوانه ( قصائد عربية ) . وهذا العنوان دال على كثير ، لأنه يؤكد أن صاحب تلك الكليات أو مجموعة أخرج صاحبها من تأليف تتضمن قسما قائما برأسه لما توفر الشاعر على نظمه من شعر عربى إلى جانب مانظم من شعر فارسى وكتب من نثر فنى . وذلك مايتبوأ به سعدى رفيعا من منزلة بين أصحاب اللسانين .

وعند بعض العلماء أن سعدى نظم بعض أشعاره العربية بالضرروة وهو مقيم فى بغداد[3] ونحن نتلقى هذا الرأى على أنه جائز عقلا ، وإن كنا لانستطيع الحكم بأرجحيته لخلو اليد من حجة تؤيده . وأياما كان فهو مؤكد أن الشاعر عاش فى بيئة عربية ، وذاك مايدنوبه ويدنو من شعر العرب وقد يتأتى له به أن يكون أقدر على نظم الشعر العربى من فارسى سواه لم يعايش العرب فى أرضهم ، وبالتالى تبرز فيه صفات ذى اللسانين على نحو ليس لغيره .

وأول ما نلتفت إليه من الشعره العربى قصيدة طويلة يتوجع فيها لما حاق ببغداد من خراب واندثار لمعالم حضارة الإسلام فيها بعد غزو التتار لها فشأن الريح الهوجاء فى عصفها وقصفها .

وهذه القصيدة من اثنين وتسعين بيتا ، ولاتماسك فى وحدة ، وسعدى متنقل فيها من غرض إلى غرض لكثرة مايتوارد عليه من معان ، ففى ديباجتها يعبر عن كوامن الشجن فى نفسه ويبدى مرير الأسف على ماحاق بحاضرة الإسلام التى سواها العتاة الطغاة بالأرض هدما ، وانهالوا على الأسفار

1 - Horn . Geschichte pessischen litteratur. 2168 ( Leipzig 1901 ).
2 - B arlior de Meynard . le Booton . P 26 ( Paris 1880 )
3 - Massu Essai aur le Poéte Soodi R 21 ( Poris 1919 )

تمزيقا وتحريفا ووضعوا السيف فى أهل العلم والفضل إلى غير ذلك من قائم ومحارم. والحق أن سعدى جعل من قصيدته وثيقة تاريخية لها عظيم من الأهمية إلى إنطاقها لسانا لكل مسلم فى قاصية الشرق وقاصية الغرب فى قلبه مثل حز الحسام من لوعة الأسى :

حبست بجفنى المدامع لاتجرى
فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابها
تمنيت لوكانت تمر على قبرى
لزمت اصطبارى حين كنت منازفا
وهذا فرات لايعالج بالصبر
أديرت كؤوس الموت حتى كأنه
رؤوس الأسارى قد رجحن من السكر
بكت جدر المستنصرية ندبة
على العلماء الراسخين ذوى الحجر
نوائب دهر ليتنى مت قبلها
ولم أر عدوان السفيه على الحبر
محابر تبكى بعدهم بسوادها
وبعض قلوب الناس أحلك من حبر
مررت بصم الراسيات أجوبها
كخنساء من فرط البكاء على صخر

ويبسط القول فى وصف البكاء وشدة الجزع لوقوع البلاء إلى أن يطرق غرضا آخر هو الأسف على أن السلطان هلك عن العباسيين وقد ذهبت ريحهم بعد ما كان من سؤددهم واتساع ملكهم ، وينفضى ذلك إلى التوجع للخليفة المستعصم آخر خلفائهم فيتذكره الرقة له ويشبهه بالأئمة فى عصمته واستشهاده وتتأذى نفسه بألا يذكر على المنابر .

إلا أنه يغلب على تصبره وتجلده فبعد أن حدثنا ماشاء الله أن يحدثنا عن سقوط الخلافة ونكبة الخليفة مشيها فى ذلك من يؤرخ الحقائق ويعرف بمصائر أمور الدول سرعان مايعود إلى التعبير عما يكرب نفسه ويمضها حين يتصدى لوصف السبايا وهن يسقن سافرات ذليلات ذيلات ، ويأتى برمز لتحقيرهن بعدما كان من توقيرهن ، وبذلك ضمنا إلى ماحاق بالمسلمين من ذل وهوان بعد أن غلبوا ونكبوا : ثم يجرى على مايجرى عليه شعراء الفرس خصوصا من قول فى الحكمة والموعظة وبذل النصيحة ، كأن يغلظ اللائمة على الشامت المعير بالدهر والأيام دول والزمان ذو غير .

ولسعدى قصيدة فارسية فى الغرض نفسه ، تفترق عن القصيدة بوصف نكبة المسلمين بسقوط خلافة أمير المؤمنين فى تفصيل بيان وتحديد حقائق ، وبذلك تتكامل القصيدتان فيما تتضمنان من معان وأغراض ، وقلة فسعدى الشيرازى صاحب اللسانين بهاتين القصيدتين يبدو بجانبين متماثلين متوازيين يتسقان فى لغتين .

ولكن سعدى مع ماعرفناه من جدية توفره على نظم الشعر العربي ، لم يعرج في سماء شهرته إلا بماله في الفارسية من منظوم ومنثور . ومثل تلك الظاهرة تتجلى على نحو أوضح لدى الشاعر حافظ الشيرازي من أهل القرن الثامن الهجري الذي تجتمع الكلمة في المشارق والمغارب على أنه شاعر الفارسية الرقيق الأنيق .

وهذا مستشرق روسي لايعزو شهرته بشاعريته إلى الخارق من قدرته على التصوير والتخييل ، بل إلى نزعته الغلابة إلى غنائيته[1].

وإن كنا أميل إلى القول بأن رقة معانيه ودقتها وجمال عبارته وأناقتها هي التي رفعت بين شعراء الفرس من منزلته ووهبته ماله من حيثية .

ولحافظ شعر عربي ، إلا أنه ليس في مجموعة كما هو الشأن في شعر سعدى العربي ، وشعره متفرق في مواضع من شعره الفارسي ، فتارة يورد شطرا بالعربية مقابل شطر بالفارسية وهذا مألوف عند شعراء الفرس كافة ومعروف بالتلميع وأصل التلميع أن تكون في جسم الفرس مواضع من لون تخالف لون جسمه ، فكان مصطلح التلميع على التشبيه . كما يورد بيتا أو أبياتا في أول شعره أو نهايته . وقد يتتالى البيتان في موضعين ونورد له أربعة أبيات متعاقبة لنتبين فيها خصائص شعره العربي :

ربيع العمر في مرعى حمايته
حماك الله يا عهد التلاقي
مضت فرص الوصال وماشعرنا
وإني الآن في عين الفراق
نهاني الشيب عن وصل العذارى
سوى تقبيل وجه واعتناق
دموعي بعدكم لاتحقروها
فكم بحر جمعن من السواقي

فهذا شعر عربي لاماء فيه ولا رواء وهو بادي العجمة والركة . وإذا تحصل معنى من البيت الرابع فقد عجز اللفظ عن أدائه . وفرق أي فرق بين حافظ في شعره الفارسي وشعره العربي .

ولما كان المتوقع منه أن يقول شعرا عربيا على هذه الصفة ، وهو الذي قيل عنه في شعره الفارسي إنه مبدع في تعبيره وتخير ألفاظه . وقد تهيأ له بذلك أن يتخذ لنفسه على حدة ، تجمع بين الجزالة والسلاسة والحزن والطرب ، كما أن تغاير المعاني في كلامه مما يشهد له ببراعة منقطع نظيرها[2] .

والتحصل مما سلف ذكره عن شعراء أصحاب اللسانين ، أن شعرهم العربي كان على تفاوت في جودته ، ومنهم من نظم

1. Braginski : Khaafiz. Sti. 27 (Moskva 1950)

(٢) على دشتى : نقشى از حافظ . ص ١١٣ ( تهران ١٣٣٩ )

بالعربية رياضة وتكلفا للصفة كما أنهم لم يكونوا جميعا على نحو واحد فى اهتمامهم بالنظم فى لغة الضاد .

وإذا ما عرجنا على شعراء الترك ألفينا مثل تلك الظاهرة الأدبية لديهم مع فوارق تمس الحاجة فيها إلى فضل إيضاح .

وأول ما نحن ذاكرون فى هذا الصدد . أن الترك كانوا أضعف من الفرس صلة بلغة العرب ، فما خالطوا العرب وعايشوهم بهم كما كان من شأن الفرس وإنما عرفوا لغتهم لغة القرآن والحديث والشرع والعلم ، وما أولوها جانبا كبيرا من عنايتهم من حيث كونها لغة للأدب . وماذاك إلا لأنهم ورثوا حضارة الفرس فى كل مظاهرها ، وتأثرت لغتهم بلغة الفرس فى الأعماق والأبعاد ، ونظروا إلى الفارسى مثالا يحتذى . وذلك ما فرضه واقع تاريخهم وحقيقة وضعهم . وكانت الفارسية لدى بلغائهم هى لغة الثقافة والأدب العالى ، وما كان لأديب الترك وعالمهم غنية عن العلم بالعربية والفارسية ، ولكن على أن الأولى لغة دين وعلم والأخرى لغة أدب وشعر .

وترتب على ذلك أن ظهرت فى تاريخ الأدب التركى ظـــاهرة أصحاب اللسانين أو الثلاثة ولكن بكيفية ونوعية تأليف مع ما عرفنا عنه الفرس وتختلف عنها .

ونبدأ بالتعرف إلى شعراء الترك وإقبالهم على النظم بالعربية ، كما أن بلغاء الترك لم يجددوا أن يكون للعرب شعر غاية فى روعته . فها هوذا شاعر تركى يسمى ( نابى ) كانت وفاته عام ١٧١٢ يوجه الخطاب إلى والده ناصحا وهو يقول ( ما أكثر أشعار العرب وهى التى قيلت فى الشام وحلب . لاتقل أنها من الأوزان مجردة ، فإن لها أوزانها على حدة وعامرة بالمعانى الراقصة ، وما أشبهها بالمشعل اللماع ، يلقى الشرر فى الأسماع ، ويالهذا المطرب المعجب ، الذى يجلو مرآة القلب[1] .

فيؤخذ من مثل هذا القول اقتناعه الحازم بما للعرب من جياد الأشعار إلا أن تلك الحقيقة السافرة لم تحرك إلا القليل من همم شعراء الترك إلى النظم بالعربية ، وفى نظرنا أن عمدة السبب فى ذلك هو انصرافهم إلى شعر الفرس انصرافا تاما حرفهم عن شعر العرب وهو فى لغة أصعب عليهم تعلمها من لغة الفرس فما نظم فى العربية إلا من اكتملت أداته وغزرت معرفته وهم قلال .

---

(١) شعرى جوقدر شعراى عربك نرده ما يلسى شام وحلبده
ديه ابياته ناو دون ور أنلك اوزانلرى ديكركون در
نيجه معنا لرى وار رقص آور مشعل أساد وكر اسماعه شرر
وارا سجنده نيجه أشعار كثار كه قومز أئينة دلده عبار

وأول ما نعرف من شعراء الترك الذين نظموا شعرا عربيا القاضي برهان الدين المتوفى عام ١٣٩٨ م .

وله كذلك شعر فى الفارسية ، وذلك ما يرفعه إلى منزلة الشاعر التركى بالمفهوم الحق عند قدماء الترك لأن الشاعر فى عرفهم كان من أحاط علما بأصول العلوم وفروعها وعرف لغات الأدب الإسلامى الثلاث وهى العربية والفارسية والتركية . أما أن يقتدر على النظم فى لغة القرآن فهذا فضل كبير له وغاية لا يبلغها إلا نواحى الخواص أهل العلم والأدب .

وفى الشطر الأول من القرن الخامس عشر الميلادى نظم شاعر تركى يسمى يازنجى أوغلى محمد منظومة بالعربية عنوانها ( مغارب الزمان ) ، وقد استقى مادتها من تفاسير القرآن والحديث وكتب المتصوفة وأفواه العلماء والحكماء حتى قيل إنها احتوت اثنى عشر علما . ولنا أن ندرك من نظمه لها بالعربية أن العربية كانت عند الترك آنئذ لغة العلم بخاصة والشاعر إنما نظم فى أفانين العلم . وترجمها إلى التركية نثرا أخ للشاعر اسمه أحمد وسماها أنوار العاشقين كيما يتيسر فهمها والانتفاع بها على النطاق الأوسع .

وتنسب إلى السلطان سليم الأول أبيات من الشعر العربى وهى معدودات لا ترقى به إلى مرتبة الناظمين بالعربية من شعراء الترك . وإن كان له ديوان من الشعر الفارسى ينطوى على الجيد الرائق .

ويذكر بعده فضولى البغادى أمير الشعر التركى القديم الذى يحدثنا من شعره العربى فيقول فى مقدمة ديوانه التركى أنه نظم الأراجيز العربية[1] كما يذكر فى مقدمة ديوانه الفارسى أنه أطرب فصحاء العرب بشعره العربى[2] .

وله ديوان من الشعر العربى ، ويقول بعضهم إن ديوانه العربى يتألف من ثلاثين ألف بيت من الشعر[3] ومنذ خمسة عشر عاما أو ما يقرب ، أتيح لى الاطلاع على كتاب بعنوان الاعتقاد والقصائد العربية لفضولى الذى نشره حميد آراسلى الأستاذ بجامعة باكو الروسية . وبذلك أصبح فى الإمكان النظر فى شعره العربى فى مجموعة إضافة إلى ما تفرق منه فى ديوانه التركية بيتا أو بيتين .

من مثل قوله فيما يعرف فى الشعر التركى بالمنعت وهو مدح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر صفاته :

أثنى على خير الأنام محمد
كشف الدجى بضياء بدر جماله

بثنائه رفعت مدارج قدرنا
خصت تحيتنا عليه وآله

---

( ١ ) فضولى : كليات فضولى . ص ٩ ( استانبول ١٣١٥ )
( ٢ ) فضولى ديوان فضولى . ( مخطوطة بمكتبة جامعة استانبول رقم ٨٣٣ فارسى )
( ٣ ) برسومه لى ظاهرة عثمانلى مؤلفا ص ١٣٦٠ يكنجى جلد ( استانبول ١٣٣٨ )

وهذا الشعر ذكرنا بشعر تلك المنظومات التي تعرف الواحدة منها بالمولد وهي لشعراء مغمورين ومنها التعبير عن شعور المؤمنين نحو خير الأنبياء والمرسلين .

ويقول فضولي في فن من فنون الشعر للفرس والترك ألف به ، فما يكاد ديوان من دواوينهم يخلو منه ، وهم يطرقون هذا الفن في الصفحات الأولى على أنه تمهيد وديباجة :

يامن بسط الأرض وأجرى الأفلاك
إدراك كماله كمال الإدراك
في الأرض والسماء لارب سواك
ما نعبد ياواحد إلا إياك

وهذا النمط من الشعر هو المعروف في الفارسية بالدوبيت بمعنى البيتين ، وللفرس ولوع به وإيثار له على جميع أنماط الشعر ، وذلك لأنهم يعدونهم النمط الفارسي الخاص بهم ، وما عداه إنما هو مستعار من العرب ، وأخذه الترك عنهم ونظموا فيه للتعبير عن أغراض بعينها وهي التي يراد فيها الإبانة عن دقات المعاني ، وعرض فكرة بعينها في إطار يحدها ، فالشاعر في بيتين اثنين يجد نفسه ضرورة تحديد المعنى وتوضيحه بحيث لا يخرج من أشطر أربعة .

ومن قول فضولي :

شربت رحيقان إناء محبة
ولاعدت أدرى ما الإناء ومن أنا
هويت حبيبا قد سما الغصن قامة
ووجها يفوق البدر في أفق السما
مفصل إجمال الكمال جماله
منزه حسن عن سوية ماسوى
هوى حيه المحراب شبه حظيرة
لجمع المصلي والإجابة للدعا
سعيت بطول العمر حول حريمه
فما زاد من سعي سوى ثمر الجفا

فمثل هذا الشعر لايثبت على النقد مافيه من ضعف وركة ، والعجمة تتجلى في ألفاظ تنبو عن مواضعها ، وعيب القافية لايشهد للشاعر إلا بقلة البضاعة ، ويدل على أنه لايصدر في قول الشعر العربي عما ينبغي لشاعر العرب أن يصدر عنه .

أما إن كان الحكم على شعر فضولي العربي يقتضينا الهوينى لأن النزر اليسير منه بين يدينا فإن القليل دليل على الكثير — كما أن الشاعر عاش في عصر تردى فيه الشعر العربي خصوصا في الحضيض والشعر في الدرك الأسفل مما تعرف شاعرا عربيا في زمانه وبيئته قال خيرا مما قال . وليشفع له أنه نظم في الفارسية شعرا يفضل شعر الفرس من المجيدين ، إلى جانب ما نظم في لغته من بدائع كان له بها إمارة الشعر التركي القديم .

وللكلام أن يدور بعد فضولي على الشاعر التركي سنبلزاده وهبي المتوفى ١٨٠٨ —

كفضولى وإن كان فى نظرنا مبرزا عليه لأنه كان أطول نفسا وأكثر تصرفا فى فنون الشعر وأحسن عبارة .

ومن مستطرف مايروى أنه لما ثقلت عليه الصلاة عاده بعض الشعراء ومنهم الشاعر سرورى الذى استفاضت له الشهرة بنظم التواريخ ، ورغب إليه وهبى أن ينظم شعرا يؤرخ فيه وفاته بحساب الحروف ، فقال سرورى ماترجمته ( اللهم احشر وهبى مع امرئ القيس ) [1] .

وندرك من مثل هذا القول أن سرورى يلمح إلى أن وهبى له الشعر الحسن المعجب فى لغة العرب . ووهبى ظاهر التأثر بالشعر العربى وصوره البيانية بقدر تأثره بشعراء العرب ، وذلك مايفرق بينه وبين شعراء الترك الذين لم يزيدوا على إيراد مايؤدى فى الشعر التركى من معان ويعرض من صور فى لغة عربية تسوغ فى الذوق تارة ولاتسوغ تارات ، وهذا مثال من شعر وهبى :

سلمى على لاحالها والرحل محمول
والركب مرتحل والقلب متبول
ترنو إلى بطرف مدنف غنج
وزدنها من سجوم الدمع مبلول
دخلت منزلها ليلا على وجل
من أهلها وقناع الليل مسدول
مالت إلى وقالت وهى ضاحكة :
ياطارق الليل جن أنت أم غول
فقلت : إنى صب هائم وجل
فلى اجترأت ومنك العذر مقبول
فنبهتنى وقالت وهى باكية
قم واهربن فسيف الصبح مسلول

وليس يخاف أن وهبى متأثر ولابد فى مثل هذا المثال المجمل من شعره بأكثر من شاعر عربى جاهلى وإسلامى .

ولانبلغ بكلامنا منتهاه دون أن نقول إن شعراء الترك الذين نظموا بالعربية كان لهم فارسى تحتويه دواوين أو ديوان أو قسم من ديوان ، مما يجعلهم أصحاب ألسن ثلاثة ، كما نحكم فى عموم وشمول بأن ظاهرة تعدد الألسنة فى أدب الفرس والترك من قواطع الأدلة على أن التراث الأدبى الإسلامى فى عدة لغات متكاملات هى لشعوب تساندت وتعاضدت بفضل من دين الله الذى جمعها على وحدة فى عقيدتها التى تشكلت منها وحدتها فى روحانيتها .

**حسين مجيب المصرى**
الخبير بالمجمع

❖ ❖ ❖

---

(1) د. حسين مجيب المصرى : فى الأدب العربى والتركى ص ٢٢ ( القاهرة ١٩٦٢ ) .

# دراسة وتحقيق لديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي

## للدكتور محمد بديع شريف

**ولد** ابن المعتز في عهد جده المتوكل ، في عهد زاهر من أجلّ عهود الخلافة العباسية وترعرع في ظلال العيش الرغيد والعزة ، وظلت هذه النبتة الهاشمية النضرة تنمو في رعاية الأبوين والجد حتى وقعت الكارثة التي كانت الأولى من نوعها حين تصلف خدام القصر فأتمروا بالمتوكل واغتالوه فتخضخضت قوة الدولة ، وبدأ الضباب يلف تلك النضارة البهيجة في قصور الخلافة وأسرعت الحوادث تتلاحق حتى اغتيل أبوه وهو طفل لم تؤهله سنه أن يشعر بالكوارث ، ونفيت جدته إلى مكة وهو في حضنها . وبقيت حتى أعادها المعتمد الذي بدأت العزة في عهده تخطو سراعا إلى قصور الخلافة وفي هذه العودة كان ابن المعتز في سن تؤهله لاستقبال التعليم والتهذيب ، فاحتضنته بغداد وهي تموج بالعلوم والآداب ، وتزدهر في ربوعها بلاغة القرآن والحديث وأدب الصحابة ونثر عبد الحميد وابن المقفع ، وترسل الجاحظ والرواة يرددون شعر فحول الجاهلية ، والنابتين في صدر الإسلام ، وعصر بني أمية ، واللغة في المحل الأرفع وسعة الأفق فتحت صدرها تستقبل نتاج حضارات الأمم في الترجمة والاقتباس ، وبيوت الحكمة وخزانات الأدب تزخر بالكتب والرسائل ، وأندية الجدل والمراء مفتحة أبوابها للمفكرين في معالجة الآراء الوافدة النابتة ، والمؤدبون يجوسون خلال القصور وأروقة المساجد يؤدبون أبناء الخلفاء والأمراء والوزراء والوجهاء وقواد الجند فانغمرت هذه النبتة الهاشمية في غمرة هذه الحضارة بالمؤدبين والمعلمين والمترجمين وأساطين اللغة ، فكان من أشهر مؤدبيه أبو جعفر محمد بن عمران بن زياد الضبيّ صاحب القراءات والنحو ، وأبو العباس المبرد الذي انتهت إليه مدرسة البصرة ، ثم عاش بقية عمره في بغداد ، وأبو العباس أحمد بن

يحيى ثعلب ، وقد انتهت إليه مدرسة الكوفة ومنهم أحمد بن سعيد الدمشقي راوية شعره الذى كان لا يفارقه ، وهيأت له جدته مكتبة عامرة بالعلوم والآداب ، صارت مثواه ومرجعه وأحب المجالس إليه فانكب على الكتب يأخذ فى التراث الأجنبي ما ترجم عنه فى علم وأدب وفلسفة ، وفى علوم العرب وآدابها وفى القرآن الكريم والحديث ،ومثلما تهيأ له هذا الجو العلمى كان ينعم بعيش رغيد فى ظلال المعتمد والمعتضد والمكتفى حيث بلغت الدولة الذروة فى القوة والعزة ومباهج الطبيعة التى تنبض برواء الحياة ، تنبسط فى جنباتها المروج والبساتين ، وتمخر السفن السابحات غدواً ورواحاً فى دجلة والفرات ، وتتنادح القصور الشامخة فى بغداد وسُرَّ مَنْ رأى مفروشة بالطنافس والأرائك المصفوفة والزرابى المبثوثة ،والموائد عليها أوانى الذهب والفضة مترعة بالخيرات بها تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، وعيون المحصنات من بنات حواء الساحرة تبعث فى النفس بهجة الحياة وغناء الجوارى يرن فى أبهاء الأمراء والوجهاء، والأسنة مشرعة والخيول مسرجة تعلك اللجم عليها الكماة للدفاع عن الثغور : وبعد هذا العيش الرغيد والطبيعة التى تنبض بالرواء ، أخذت البيئة السياسية والحربية ، تموجان بالاضطراب ،وطفقت المؤامرات المريبة تتوارى فى مكانس الريب تعد للخروج على السلطان واغتيالات الخلفاء :

والوسط الاجتماعى شرع يتمايل بين القوة والضعف ، فتظهر القوة أحياناً فى الذروة التى ترفع الدولة بالنصر المؤيد ، وتنزل بها حيناً آخر بالهزيمة المنكرة :

فى كل هذه البيئات التى مر ذكرها وأثبتُّها فى المقدمة توضيحاً وتفصيلا ازدهر هذا الغصن فى الدوحة العباسية بين جفاف ورواء وتربع فى مكانة رفيعة فى شعر نبيل ونثر هادىء مترسل مترع بالحكمة والمثل ، والافتنان فى فنون التعبير والتصرف الساحر فى البيان بخيال مجنح واسع وجميل ذلكم هو الشاعر الناثر الفقيه العالم الأمير والخليفة أبو العبّاس عبد الله بن محمد المعتز بالله ، الذى صار مثار الإعجاب والفخر وتطلعت إليه عيون المحبين وثقفته عيون الحاقدين ، تخافه ، وتتمنى أن لا يجلس على كرسى الخلافة ، وينظر ابن المعتز إلى أولئكم وهؤلاء فيفضل دفتره وقلمه ، ويترك لشعره أن يسجل الحق والفخر والمجد لخلفاء الدولة العباسية وقادة الجند ، ويصب الويل على الخارجين ، ويسفه الآراء الوافدة ، ويبسط للشباب أرضاً واسعة لمسارح اللهو يجد اللاهون والمنشدون فيها متعة الحياة فى فنون عشرة تختلف قوة وضعفاً . وبعد الكارثة الغامضة التى ذهبت بحياته يترك ديوانه وشعره فى مهب رياح القدر ، وكان الصولى احتجن لنفسه رواية شعره كاملا فى نسخته تعاورتها أيدى النساخ صحة وخطأ ومسخاً وتحريفاً :

وشاءت الظروف أن أحط الرحال فى بون Bonn عاصمة ألمانيا الغربية اليوم فى أوائل الثلاثينات مبعوثاً من وزارة التربية لنيل الدكتوراه فى فرع من فروع التربية وأن أخصص قسما من الزمن فى تعلم اللغة الألمانية ، وهيأت هذه الظروف لقاء مع الأستاذ «باول كاله» رئيس القسم الشرقى فى جامعة بون ورئيس جماعة المستشرقين فى ذلك العهد ، وفى هذا اللقاء اقترح على أن ألتحق بهذه الجامعة وأن أخص ديوان ابن المعتز بالتحقيق ، وأن أكتب فى أدبه بعد أن تبين له أننى متخرج فى دار العلوم بمصر ، وأكد لى أن تحقيق هذا الديوان يعود على الثقافة العربية بثروة ثمينة وسيكون فى المراجع المهمة للعصر الذى عاش فيه ابن المعتز ولن يؤخرنى هذا عن الوصول إلى الهدف الذى أبغيه فى دراستى .

وكان الأستاذ باول كاله معتزاً بالديوان ، فلما وافقته أسرع دون تردد ، فأحضر نسخة مصورة من المخطوطة النادرة المحفوظة فى المكتبة السليمانية فى قسم (لاله لى) فى استنبول ، ظهر أنها تحوى النصف الثانى من أشعار ديوان ابن المعتز ، وأنها صنعة أبى بكر محمد بن يحيى الصولى ، مكتوبة بخط جميل الرسم مضبوط بالشكل ، يرجع إلى سنة مائتين وخمس وسبعين من الهجرة فى مائتين وثلاث ورقات . وفى نهاية الورقة الثانية بعد المائتين كتب ، وكمل شعر أبى العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله . وفيه زيادات من إملائه وهو الفخر والطلب والغزل والمديح والهجاء والشراب والمعاتبات والطرد والأوصاف والذم والملح ، والمراثى والتعازى ، والزهد ، والشيب والأدب والحكمة .

ولا يوجد فى هذه المخطوطة فى فنون الشعر غير الشراب ، والمعاتبات والطرد والأوصاف والمراثى والزهد مع زيادات فى حواشيها فى روايات ابن المرزبان التى رمز إليها بحرف (ن) ، وروايات ابن عون ورمز إليها بحرف (ع) ، وما كان علامته (ص) فهو فى زيادات الصولى نفسه ، ورمز بحرف (ح) إلى رواية حمزة ، وختمت الورقة الأخيرة بالبيتين التاليين :

ألا يا نفس إن ترْضَىْ بقوت
فأنت عزيزة أبــداً غنيةْ

دعى عنك المطامع والأمانى
فكم أمنية غلبت منيةْ !

وفى هذه الورقة ، عرض واسع لتعدد النسخ التى أخذت عن النسخة الأولى فى عهود متفاوتة كلها تستند إلى رواية الصولى والزيادات التى وجدت عليها ، وقد انتشرت هذه النسخ بين أيدى قراء وكتاب يختلفون فى عد التنازل العلمى والأدبى درجات ، فكثر التحريف والمسخ الذى استمر إلى يومنا هذا بالاتفاق غير المتعمد مع الناشرين والباحثين والنقدة الذين لم يكلفوا أنفسهم

أقل مايتطلبه الدرس والتحقيق ، أولئكم تدفعهم لقمة العيش وتحدوهم الشهرة على حساب ابن المعتز وغيره من فحول الشعراء والعلماء الذين تركوا لنا تراثاً ثميناً ..

وعلى اسم الله شرعت فى دراسة نسخة (لاله لى) ، ومقابلتها بنسختين فقيرتين مطبوعتين فى نهاية القرن التاسع عشر فى القاهرة وبيروت ، ومعها نسخة لأشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم فى كتاب الأوراق للصولى أيضاً نشرها المستشرق هيوارث دن فى القاهرة مفتتحة بمقدمة للمرحوم الدكتور طه حسين ، وهى نسخة ممسوخة مغمورة بالأخطاء التى وقع فيها المؤلفون والناشرون ، صرفت معانى الشعر عن مقاصدها وشوهت محاسن مضامينه وعصفت بذلك الخيال الشعرى الجميل ، ومسخت ألفاظ اللغة العربية ، ذات الجرس والنغم وطمست معالم ذلكم النبل التعبيرى الذى يمتاز به أبو العباس . وعن أولئكم النساخ أخذت المطابع تنشر مايقع تحت يدها دون تمحيص ولا فهم ، وقد تبين لى كما ذكرت أننى لم أقع على أجزاء الديوان كلها ، وأن هناك جهداً مضنياً ينتظرنى ، وبعد أن أفنيت زمناً ثميناً وكدت أستمر فى التحقيق وقع مالم يكن فى الحسبان إذ عزل الأستاذ (كالله) من منصبه وترك جامعة بون إلى جامعة أكسفورد ، فوضعت ابن المعتز على الرف وبقى مسكوتاً عنه واتجهت فى دراستى إلى موضوع آخر ... ولما وضعت الحرب أوزارها وعدت إلى العراق شغلتنى عنه الوظائف الإدارية وكراسى التدريس . وفى أواخر الأربعينات فجأتنى رسائل الأستاذ كالله يحثنى ويكتب فيها يقول : أرجو أنك قد حققت رغبة ظلت تراودنى منذ زمن بعيد ، وأنك أكملت ما أوصيتك به فى شأن ديوان ابن المعتز وشرعت فى طبعه ، وإن لم ، فإنى أرجو أن تشرع فى إنجازه فإن جماعة من علماء الاستشراق شرعت فى إخراجه ، وأنت أولى أن تتولاه بنفسك ، وفى أوائل الستينات زرته بجامعة أكسفورد بعد عشرين عاماً من فراقنا ، فرأيته قد أخذت منه السنون والهموم ومتاعب البحث والتحقيق مأخذها وتساسل شعره الأبيض على عارضيه حتى مس شحمتى أذنيه ، ومع ذلك لم يدع الفرصة تفوت ، فاستعان بى على قراءة كلمات فى مخطوطة شوه محاسنها اختلاف النقط ، وسر سروراً عظيما حين أكدت له أننى سوف أحقق رغبته فى إخراجه ، وفى سنة ألف وتسعماية وسبعين ، تحررت من قيود الوظيفة بجميع أنواعها وعدت إلى خزانة مكتبتى ، فوقعت عينى على مسودات كانت تنتظرنى ومنها نسخة (لاله لى) التى كنت أتممت تحقيقها فى « بون » ورجعت إلى الفهارس وكتب الأدب وما كتب عن ابن المعتز إلى أيامنا هذه ، فوجدت لديوانه مخطوطات منتشرة فى مكتبات الشرق والغرب ، أكثرها موجود فى دار الكتب فى القاهرة ، ووقعت يدى على مخطوطات

متعددة النسخ ، مختلفة التواريخ ، كلها ترجع إلى رواية الصولى ، رديئة النسخ ، كثيرة المنحول والتحريف ، واستعنت بمعهد المخطوطات فى جامعة الدول العربية فتكونت لدى مجموعة محترمة فى مقدمتها ( لا له لى ) ، ومخطوطة كوبنهاجن ومخطوطة مكتبة الملك الحسن فى المغرب ومخطوطة لندن والمجموعة التى وردت فى المجلد الرابع من سفينة ابن مبارك شاه ومخطوطة المدينة المنورة اختيار الصاحب ابن عباد ، وجميع ما وجدته من هذه المخطوطات منها مايرجع فى التاريخ إلى الربع الأخير فى القرن الثالث الهجرى ومنها مايعود إلى القرن الرابع والسادس والتاسع والعاشر ، وأحدثها مايعود إلى أواخر القرن الثالث عشر وتعتبر هذه النسخة الأخيرة أم الخطايا ، وقد يكون المطبوع الأول أخذ عنها ، فقد اعتاد الناشرون أن لايذكروا المصدر الذى أخذوا عنه .

كانت هذه المخطوطات فى صحتها وخطئها عوناً لى ، وكان فى مقدمتها نسخة (لاله لى) ونسخة كوبنهاجن ونسخة المدينة المنورة ، ونسخة السفينة ، أما بقية النسخ ، فقد كانت رديئة ، أعانتنى فى ناحية واحدة هى القاعدة المشهورة « وبضدها تتميز الأشياء »

فى هذه المخطوطات عثرت على إحدى وعشرين قطعة فى الشراب لم تنشر ولم ترد فى مخطوط آخر ، وعلى سبع قصائد من المطولات خاصة منها ، القصيدة الرائعة بمدح المكتفى بثلاثة وستين بيتاً ، والأخرى بمدح الموفق بخمسة وأربعين بيتاً ، وفى مدح المعتضد أخرى باثنين وعشرين بيتاً ، وفى فن الغزل انفردت نسخة بتسع وستين قطعة وتنفرد نسخة السفينة التى ترجع إلى القرن التاسع الهجرى بمقطع فى القصائد الممتعة منسوبة إلى ابن المعتز من أجملها إمتاعاً القصيدة الرائية التى لم تنشر فى مطبوع ، ولم يأخذها مخطوط جاءت بثلاثة وثلاثين بيتاً .

وتختلف هذه النسخ أيضاً فى الوضوح والغموض ، وينفرد بعضها بصحة الكلمة الشعرية المناسبة للبيت على حين يقع مخطوط آخر فى خطأ فظيع يبعد البيت عن معناه الأصيل ، وقد ظهر فى هـذا التحقيق والمقابلة بين المخطوطات ، والديوان المطبوع المتداول ، (وهو أحدثها أنه ممسوخ وفيه من الأخطاء ماتجاوز ألفاً وستمائة وخمسة وعشرين تعبيراً محرفاً أو منتحلا ، أو مزيفا ، نتيجة ضعف النساخ الذين مسخوا معانى الديوان ، وأثرا لعقده الناشرين الذين مشوا وراء المستشرقين والمحققين الذين لم يبذلوا فيه مايستحقه من الجهد ، وقد عرضت جملة من النماذج فى مقدمة الديوان ، إظهاراً لجهد مضن بذل فيه مايزيد على سبع سنوات من أجمل أيام الحياة فى ألمانيا والقاهرة ، ففى كل هذه السنين كنت أتجادل مع نساخ ديوانه ورواة أشعاره وأخباره فى مخطوطات قضمت رديبة الأرض فيها بعض كلمات الأبيات

وحروف الكلمات أو عفت من تقادم العهد وحوادث الأيام ، فأصحح ماوقع فيه النساخ من الخطأ وما تورط به النقدة والأدباء من جراء السهو والغفلة ، فقد كانت النقطة فى اختلاف وضعها تغير الكلمة والجملة ، وكان تبديل شطر بآخر من بيت يليه ، أو حذفه يعصف بالبيت كله ، ناهيك عن انتحال مرتجل ، أو إقحام كلمات نابية ، فقد يخطر للناسخ المستهتر أن يضع اللفظة تندراً واستهزاء ، فيفوت ذلك على المحقق ، والناقد والأديب ، مثلما نجده عند الذين أخرجوا ديوانه ، الهزيل ، الأنسى والبستانى ، وشفيق جبرى ، فى تبديل الكلمات الأصيلة بأخرى هزيلة كلفظة العثير ، بالشعير ، والأثداء جمع ثدى النابض بالحياة بالأشلاء جمع شاو المقطوع من الجثة ، والنور للزهر بالثور ، أو كما جاء عند المستشرقين بوضع كلمة الذيخ مكان كلمة الزنج والرخال مكان الرجال والغاديات ، مكان العاديات وشِمرّ حبيبة ابن المعتز الذى يرمز بها فى مفتتح قصائد المدح والفخر والغزل وضع فى مكانها « شيمْر » مع أن هذه اللفظة المحببة مثبتة فى جميع المخطوطات ، وعدة مئات من طراز هذا التحريف ، فصرت أتصيد الكلمة ذات المعنى الموائم للقصيدة والوزن فى صحف المخطوطات ، وأمهات كتب الأدب ، ومراجع الشواهد ، حتى أعثر على الصواب فى الكلمة ، وبالاستقراء والمقابلة يجد الباحث أن أكرم البستانى فى تحقيقه ، ونعمان ميشيل فى شرحه ترسما خطوات الأنسى فى نشره ، ومحى الدين فى شرحه وجبرى فى تصديره ، زد على ذلك الخلط الذى وقع فيه البستانى مترسما خطى هيوارث دن المستشرق. ومن بعض الأخطاء التى وقع فيها البستانى وهى كثيرة هذه اللوحة الجميلة التى شوه بها أدب الشاعر وتصويره.

قال ابن المعتز فى طردياته ، وأوردها البستانى فى الديوان مشوهة بخمسة أبيات فقط كما يلى :

تخالهم إسوار جيش أبلخا
أوْ معهم جود يزين وسخا
تمت ( بهم ، حال لهم مثل الرخا )
أخاف طير أرضه ودوخا
يعجلها فى مائها أن ترسخا
حكم فيها منسراً مضمخا
ومخلباً بدمهــا ملطخاً
عوائداً من خطفه وصرَّخا
كأنه لما قطعنا فرسخا
مصحف ورّاق أدق نسخا

ولم يكلف نفسه بتوضيح هذه القطعة إلا بشرح كلمتين فى الحاشية وهما ، قال : ( الأبلخ العظيم والرخا طائر كبير ) .

وجاء تحريف القطعة بأكملها فوضعت كلمة تخالهم مكان تخاله » وكلمتى « أوْمعهم » مكان كلمة أوسعهم ، وكلمة « يزين » مكان كلمة « يدين » ( مثنى يد ) وفهمت

بذلك كلمة «وسخا» من الوسخ بدلا من السخاء» وفى البيت الثانى وضعت كلمة «ثم» مكان كلمة «به» وشرحت كلمة «الرخاء» التى يراد بها وفرة الخير وبلهنية العيش بطائر عظيم. وفى البيت الثالث وضع ميشيل نعمان «عوايذاً من خلقه» بدلا من «عوايذاً من خطفه»، وحذف من المطبوعات كلها الشطر الثانى من البيت الخامس والشطر الأول من البيت السادس وجمع بين الشطرين الأول والثانى على التتالى فى بيت واحد، وبهذا التحريف والحذف والتلفيق اختلت خطوط الصورة التى رسمها ابن المعتز للبازى فى رحلة من رحلات الصيد. فهو فى نظره وتصويره: كمثل قائد عظيم من الأساورة واسع الجود سخى اليدين، يبذل لجيشه من الغنائم ما تقع يده عليه، ذاك يبطش بالأعداء ويقدم لأبطاله الغنائم بكرم وعطاء، وهذا يبطش بالطير، يذهلها أن تقع على مياهها، ويتركها لواجىء صارخات من الخوف ويعود منها منتصراً مضمخ المنسر منضخ المخلب، ويقدم للجماعة صيداً شهياً بكرم وسخاء، ويكمل ابن المعتز هذه الملحمة الطردية بوصف للباز بعد ما يلملم الليل أذياله ويكشف الصبح عن جبينه الوضاح، فإذا البازى مرقش كمثل مصحف أدق الخطاط الماهر نسخه وتنقيطه. وتحرير القطعة الشعرية كما يلى:

تخاله إسوار جيش أبلخا ... أوسعهم جود يدين وسخا
تمت به حال لهم فى الرخا ... أخاف طير أرضه ودوخا
يعجلها من مائها أن ترسخا ... حكم فيها منسراً مضمخا
ومخلباً بدمها منضخا ... عوايذاً من خطفه وصرخا
كأنه لما قطعنا فرسخا ... والصبح فى مشرقه قد شمخا
والليل فى مغربه قد رسخا ... مصحف وراق أدق نسخا

ومن هذه النماذج ما أخرجه الناشرون مشاكل بعضهم برقاب بعض فى الأخطاء.

فمن الملح والأوصاف الأبيات الثلاثة التى وردت بهذه الصيغة المضللة للقارئ والمشوهة لشعر الشاعر قولهم:

رعى شهرين بالدير ... قباباً كالطوامير
يقلبن إلى الذعر ... عيونا كالقوارير
وآذان سميعات ... كأصناف الكوارير

وشرحها البستانى بما يلى:

القوارير الأوانى الزجاجية، الكوارير خلايا النحل. ورواها بهذا التحريف مع تجنب بيتين وردا فى نسخة الصاحب بن عباد

ووضع كلمة قباباً مكان قباً ، وآذان بالرفع بدلاً من آذاناً بالنصب وأصناف مكان أنصاف والكوارير مكان الكوافير جمع كافور وهو بيت المطاع إذا انشق نصفين أشبه كل نصف منه أذن الحمار فى انتصابها، وتحرير القطعة بأبياتها الخمسة كما أوردتها نسخة لاله لى ونسخة المدينة المنورة هى :

يرعى شهرين بالديرين
قُبّاً كالطوامير
يقابلن من الذعر
عيونا كالقوارير
وآذانا سميعات
كأنصاف الكوافير
وقلبٌ الأرض منها أسوُق صمٌ الحوافير
كأن الأرض تلقاها
بأذناب الزنابير

وابن المعتز فى هذه القطعة يرسم صورة رائعة لجماعة من الأُتُن والحمير الوحشية يغمرها النشاط فى صَحْوة الربيع ، فهن ضامرات البطون كمثل الكتب المطوية لهن أعين تلتمع التماع قوارير الزجاج صفاء ولهن آذان مرهفات السمع منتصبات انتصاب كوافير الطلع عندما تنشق عنه ، جهزتهن الطبيعة بأرجل لها حوافر صماء قوية يضربن بها الأرض رفعا وخفضا ، كأنما تتلقاهن أذناب الزنابير . وابن المعتز مولع بتصوير المشاهد الطبيعية ، وله فى وصف حمار الوحش مطولة رويت بستة وخمسين بيتاً دونت فى المخطوطات ولم تنشر منها غير ثلاثة أبيات جاءت فى ديوان المعانى .

ولم يكن التحريف مقصورا على اختلاف النقطة والحرف فى الكلمة ، بل تعدى ذلك إلى انتحال اللفظة نفسها فى البيت . ومن ذلك ما جاء فى هذا البيت ضمن قصيدة عصماء يمدح بها الخليفة المعتضد ، وهو :

بَرّح الحشا بَرْحاً ظلاماً سرمداً
ما فيه مَسْرى للخيال الطارق

هكذا عُرِض البيت فى نسخة لندن والمغرب ، ودار الكتب ، وطاعت ، عرضا غامضاً لم يفهم المراد منه وقد نقلته أول مرة مشيرا إلى غموضه ، وتركته حيث هو حتى وقعت بيدى نسخة المدينة المنورة فإذا به ثانى بيت فى مستهل القصيدة التى مطلعها :

قَرُبَ المحب من الحبيب الوامق
من بعدما فتك الفراق بعاشق
يرعى الكواكب فى ظلام سرمد
ما فيه مسرى للخيال الطارق

هذه الأنواع من التحريف أوقعت نقدة الأدب والمؤلفين فى ورطات تركت آثارا سيئة فى أدب ابن المعتز ، وقد عرضت الكثير منها فى مقدمة الديوان وسجلتها كلها فى أماكنها من الحواشى . وبعد هذا

التحقيق المضنى والدراسة الطويلة وجدتنى أمام ثمرة صالحة من جملة أشعار صافية صحيحة، وأمام شاعر من أولئكم الشعراء الذى طبعت مواهب الفن على جباههم قُبُلَ الرضا، إنه شاعر خرج من البيضة تحف به المواهب، فتعلم وتدرب، وجالس العلماء والأدباء وأهل الفصاحة، وحظى بالعزة والجاه، ونعيم العيش وبؤسه بين يدى الخلفاء والأمراء ونُشِّئ على دراسة القرآن والحديث، ولغة العرب وآدابها، فصارت اللغة أداته، ومع أن التمهر فيها صعب فقد جاءته طَيِّعة، تركض الألفاظ إلى المعانى الموهوبة ركضاً فتظهر صور شعرية لها نغم جميل، إنه كان يختار الألفاظ لا لأجل أن يعبر عن إحساس، بل ليخلق الإحساس.

لقد وصف الشاعر الفرنسى (درتزار) الربيع فى عصور خلت، ومع أن الناس لم يسمعوه ولم يعلموا عن نشيد الربيع شيئاً، فقد كانوا يسيرون فى أرض الشعر التى أنشأها حين كان جالسا يغمره اليأس يتصيد الكلمات فى لغته الصعبة ليخلق الإحساس للناس، وهكذا كان ابن المعتز، ولم يكن فى أولئكم الشعراء الهزليين الحمقى الذين يتنادمون على موائد الوجهاء، يقدمون بين أيديهم تاريخاً مفضوحاً؛ ولا من أولئكم الماجنين المتيمين الذين ينشدون قوافيهم بين يدى المتبرجات، إنه شاعر مبدع خصب الخيال والشاعر يضع فى خياله ما يقع لبنى آدم فى أفعالهم، حتى المجرمين لهم مكان فى هذا الخيال. أنشد بن المعتز شعره فى عشرة فنون جرياً على عادة شعراء عهده، واستجابة لرغبات الناس الذين يريدون أن يتنقلوا فى دولة الشعر، من أرض إلى أرض.

قال فى الفخر، وكان فخره ببنى العباس وحدهم، سجل لهم حق الخلافة بقصائد رائعة يستهلها أحيانا بوصف مشاهد الطبيعة فى محاسنها وهدوئها وعنفها، فى سهولها ومفازاتها فى حزونها ومتونها؛ منح الجماد نبضات الحياة، وجرد الكائن الحى من شعوره فإذا هو جماد لا تنبض فى جوانحه نابضة فالسحب تَسومها العواصف مكتحلة العيون تفرغ دموعها، وتعود مرهاء مُسِح الكحل فى جفونها، والبرق يتقلب فى طيات السحب مثلما يتقلب الأفعوان فوق كثبان الرمال:

كأنها ورعدها مسترجع
لجَّ به على بكاه ذو صخب
جاءت بجفن أكحل وانصرفت
مرهاء من إسبال دمع منسكب
إذا تعرّى البرق فيها خِلْتَه
بطن شجاع فى كثيب يضطرب

وفى فن الغزل كان لابن المعتز معين يتدفق، فقد كان سوق الجوارى مشروعا ومحافل الغناء لها المحل الأرفع فى قصور الخلفاء والأمراء والأثرياء، والطبيعة ريا بسواد العراق برافديه دجلة والفرات

والغناء يستعذب من أفواه الحسناوات أكثر مما يسمع من حناجر الرجال ، ومكانة القينة المغنية ترتفع بمقدار مالها من الثقافة والجمال وعذوبة الصوت ، والمغنون والمغنيات يترنمون بشعر فحول الشعراء ولم يشأ ابن المعتز الذى ملك ناصية البيان ، وأذن العود الموسيقى أن يتخلف عن أقرانه من المبدعين ، فسلك فى غزله أسلوب القصائد القصار ، ونهج فيه منهجين : أحدهما ما اتبعه الأقدمون فى ديباجتى الفخر والمديح يقوله الشاعر ليتخذ منه مدخلا إلى غرضه ، وفى هذا النوع تلمح الإحساس بالجمال يكاد يكون عُذْريًّا ، وثانى المنهجين ، ما يقوله الشاعر لنفسه ، وقد سار شعر ابن المعتز الغزلى فى مفازات القرون تتناهبه أيدى الناسخين حذفاً ومسخاً وسرقة وانتحالا ، وأصاب جمعه تعدد الروايات وفلتت منه كثرة ، خاصة فى المقطوعات القصيرة ، فأصبح للمرء عذر أن يخامره الشك فى صحة كثير منها ، واحتفظت مخطوطة كوبنهاجن التى أحيل فى روايتها إلى رواية حمزة لكثرة التشابه بينها وما ورد فى حاشيته لا له لى مرسوما بحرف ( ح ) بثمان وخمسين قطعة ، بما يربو على مائتين وأربعة وثلاثين بيتاً واحتفظت السفينة لغزله بقصيدة مطولة فى ثلاثة وثلاثين بيتاً ومطلعها :

حييت من ربع وسقيت المطر
يا طالما أصبحت محمود الأثر

وفى مغانيك الغوانى رتعاً
ربايب ما بين دل وخفر

قال ابن المعتز شعر الغزل جرياً على شيوع هذه الصنعة ورواجها واتصالها بالحياة شأن كل نفس ترفعها غريزة تحس بالبقاء والجمال ، وهو كغيره من الشعراء يريد أن يجد لشعره مكانة ينتشر عليها الجمال ويتمتع بها بنو آدم ويتسابقون إلى البقاء تسابق هابيل وقابيل فقال شعره للفتيات يتغنين بالفتيان وقاله للفتيان يتغنون بالفتيات وفى غزله الصحيح ظرف ونبل وحسن تعليل ومن المقطوعات الجميلة التى وردت فى مخطوطه كوبنهاجن قوله :

قل للمليحة فى الخمار الأبيض
ولِمَنْ لَوَتْ دَيْنَ الغريم المقتضى

أعرضت ظالمة وأمرضت امرأ
لو صح منك له الهوى لم يمرض

يامن بها حسرات نفسي جمة
حتي الممات أظنها لا تنقضى

لا تقبلى فيمن أقادك رقة
فلكته قول العذول المبغض

وممدوح ابن المعتز ، هو ذلك الرجل الذى يسند أركان الدولة العباسية ويدفع عن كيانها ، خليفة كان الممدوح ، أو أميراً أو وزيرا ، أو قائد جيش ، أو عالما يضيف إلى صرح الحضارة الإسلامية العربية لبنة تقويه وتسنده ، وفى

مدحه بسلك السبيل فى سبر أغوار النفس فيبرز محاسنها فى الشجاعة والكرم والحلم والغضب والحـزم وتدبير الرأى وإذا رغب فى صورة تتجلى فيها المروءة أو النصر المؤثل فى موقعة من المواقع الحربية ، مهد لها بديباجة رائعة تبدأ أحيانا بغزل ينسكب فيه الدمع ، وتذوب الكبد عند الهجران وتتفتح الأسارير وتبتهج النفس حال الوصال ، أو يفتتحها فى وصف مشاهد الطبيعة فى أجوائها بسحبها وبروقها ، ورعودها ، والبيد بمفاوزها ووعورتها وتعسف السير بها على ظهور النوق العراب والخيول المطهمة ،ويتلطف فى مدخله هذا حتى يصل إلى ممدوحه .

وتتسم قصائد ابن المعتز فى مدح الخليفة المعتضد بالتكاثر والتفاخر ، وقوة الخيال ، وجزالة الأسـلوب الذى يأسر الأنفس لإبرازها خصائص اكتمال الرجولة ومنها ( العينية ) عندما أخـذ المعتضد صالح ابن مدرك الخارج على سلطان الدولة ، وقد بدأها بغزل رقيق ثم دخل إلى المدح فى مدخل بهيج جاء فيه :

ألا ترى بهجة الأيام قد رجعت
والبأس فى ملك والعدل قد جمعا

واعتضد الدينُ والدنيا بمعتضد
بالله ، فى الله ما أعطى وما منعا

يا خاضبت السيف مذ شُدّت مآزره
وابن الحروب التى من ثديها رضعا

كم من عدو أبحت السيف مهجته
والسيف أحسم للداء الذى امتنعا

وعرض ابن المعتز الشراب عرضاً جميلا ، من يقرؤه يظن أن هذا العلامة المعتكف على دفتره وقلمه ، يؤلف ويكتب ، ويقول الشعر بأسلوب رقيق ، ولفظ بليغ وجزل ، ووصف دقيق وخيال مجنح لاهم له إلا هذه الحياة الرخوة ، وهذا وهم ، فإن ابن المعتز العالم ، وصف الشراب لأهل الشراب ، ليبسط لهم أرضاً يمشى عليها أولئك المدمنون الذين يترددون فى حياتهم على الحانات والخمارات ويجتمعون فى الشتاء حول الكانون ، وفى الربيع بين الزهور فى الرياض تجرى خلالها الجداول ، ويطوف عليهم السقاة بكئوس دافقات ، يصب فيها الشراب من الزّقاق ، كأنه فى انحداره منها سيوف مقدودة من ذهب تدار بأقداح رءوسها فضة وأجسامها من العسجد ، والخمرة فى شعره راح وراحة للقلوب ، تجلب السرور وتنفى الهموم والكروب لطيفة كتخلّق الأماجد الكرام ، والكئوس فى خياله حين تدار بأيدى السقاة كالثريا ، تبدو وتغرب ، فكأن الشرق ساق وكأن الغرب يشرب وهى إذا امتزجت بالماء نبت الدّرّ فى أرض من الذهب ، وإذا لحظتها العيون رأت عجباً كيف يضىء نورُ الماء نارَ العنب ، وبعد هذا الوصف الذى كان يعارض فيه أبانواس، يعطف ابن المعتز فى أرجوزته المشهورة « فى ذم الصبوح » فيرسم صورة

ويقول :

الموت أولى بالفتى من أنْ يُرَى
طابعٌ دهرٍ كلما شاء انقلبْ
لأىِّ غاياتى أجرى بعدما
رأيتُ أترابى وقد صاروا تُرَبْ

ويقول :

ما عابنى إلا الحسـ
ـودُ وتلك من خير المناقب
وإذا ملكتَ المجدَ لم
تملك مودات الأقارب
والمجدُ والحسادُ مقـ
ـرونان قد ذهبوا فذاهب .

وبعد فهذا قُلٌّ من كُثْر ، ولست نادماً على زمن طويل قضيته فى تحقيق هذا الديوان ودراسته ، فقد بذلت فى هذه الدراسة ما أمكننى من الجهد فأنصفت ابن المعتز الذى ظلمته الأيام ، وأرجعت له هذه الحماة النظيفة من شعره صافية يلمع فيها فكر عربى عبقرى منح الحضارة العربية الإسلامية هذه الثروة الهائلة واضحة بلغة قريش لغة القرآن ، وأسلوبه المعجز وتعبيره الموجز الذى يحز المفصل ، ويبسط آفاق الفكر ويمتع النفس .

**محمد بديع شريف**
**الخبير بالمجمع**

# تراثنا اللغوي في حاجة إلى التهذيب

للدكتور رمضان عبد التواب

عُني اللغويون والنحاة العرب — منذ أواخر القرن الأول الهجرى ، بدراسة الفصحى ، وهى تلك اللغة الأدبية المشتركة بين مختلف القبائل العربية ، تلك اللغة التى سجل بها الشعراء خواطرهم ، ومظاهر الحياة من حولهم ، كما استخدمها الخطباء فى محافلهم وأسواقهم الأدبية ، ثم توجها القرآن الكريم ، فأنزله الله تعالى بأعلى ما تصبو إليه هذه اللغة من مستوى . ومنذ ذلك الحين ، ارتبطت هذه اللغة بالقرآن الكريم ، واجتهد النحاة واللغويون فى دراستها ، وتحديد معالمها من نواحى الأصوات ، والصيغ والأبنية ، والدلالة ، وتركيب الجملة ، ووظيفة الكلمة فى داخل هذا التركيب .

وقد نشأت الدراسات اللغوية عند العرب بين كثير من الدراسات ، التى قامت لخدمة الدين الإسلامى ، ولغرض فهم القرآن الكريم ، المصدر الأول للتشريع الإسلامى ، ودستور المسلمين ، فقد أدت الحاجة إلى معرفة معانى الألفاظ الغريبة فى القرآن الكريم ، إلى دراسة الشعر العربى ، للاستشهاد به على تلك المعانى ، فالسبب فى الاشتغال بدراسة هذا الشعر فى العصور الإسلامية الأولى ، كان — فيما أعتقد — هو الحاجة إلى شرح الكلمات الصعبة من القرآن الكريم ، وتفسيرها بالشواهد الشعرية .

ومن المعروف أن القرآن الكريم ، أنزل بلغة فصحى ، تعلو عن مستوى العامة من العرب ، ولذلك أخذ الناس فى الصدر الأول من الإسلام ، يسألون كبار الصحابة عن تفسير آياته وغريب ألفاظه . وتحدثنا الروايات الإسلامية بأن الناس كانوا يسألون الصحابى المشهور « عبد الله بن عباس » رضى الله تعالى عنهما ، عن معنى ألفاظ معينة من القرآن الكريم ، فيفسرها للناس ، ويستشهد على تفسيرها بأبيات من الشعر العربى ، وقد جمعت هذه الأسئلة وإجاباتها فى كتاب مستقل ، باسم : « سؤالات نافع بن الأزرق » ونشرها الدكتور إبراهيم السامرائى ، ببغداد سنة ١٩٦٨ م ، كما ذكرها جلال الدين

السيوطى ، فى النوع السادس والثلاثين من كتابة : « الإتقان فى علوم القرآن »[1] .

ويمكننا لذلك أن نعد تفسير ابن عباس للقرآن الكريم ، على هذا النحو ، نواة للمعاجم العربية ، فقد بدأت الدراسة فى هذا الميدان من ميادين اللغة ، بالبحث عن معانى الألفاظ الغريبة فى القرآن الكريم ، ولذلك نجد التآليف الأولى فى المعاجم ، كانت تحمل اسم : « غريب القرآن » ، وأقدم مؤلف يحمل هذا الاسم ، هو لأبى سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكرى ، المتوفى سنة ١٤١ ﻫ[2] .

وخلص اللغويون العرب من ذلك ، شيئاً فشيئاً ، إلى دراسة ألفاظ الشعر ، واستخراج معانيها ، على غرار مافى كتاب : « المعانى الكبير » لابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ ﻫ كما ساح الرعيل الأول من اللغويين ، فى الجزيرة العربية ، يجمعون اللغة من أفواه العرب ، فقد روى عن الكسائى المتوفى سنة ١٨٩ ﻫ ، أنه أنفد خمس عشرة قنينة حبر ، فى الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظ[3] .

وتتردد فى مؤلفات هؤلاء اللغويين العرب القدامى أسماء كثير من البدو الفصحاء ، الذين تلقوا اللغة عنهم ، مثل : أبى تمام الأعرابى ، وأبى ثروان العكلى ، وأبى الجراح العقيلى ، وأبى جميل الكلابى ، وأبى حزام العكلى ، وأبى شبل الأعرابى ، وأبى صاعد الكلابى ، وأبى الغمر العقيلى ، وأبى مرة الكلابى ، وأبى مهدى الباهلى ، وأبى مهدية الكلابى ، وغيرهم ، بل لقد تلقوا اللغة أحياناً عن الأعرابيات ، مثل : أم الحمارس البكرية ، وغنية الكلابية ، وقريبة الأسدية ، وغيرهن ، .

وانتشرت فى تلك الفترة المبكرة ، طريقة تأليف الرسائل اللغوية الصغيرة ، ذات الموضوع الواحد ، وممن بقى لنا شيء من تآليفهم على هذه الطريقة ، فى تلك الفترة : الأصمعى المتوفى سنة ٢١٦ ﻫ ، فقد نشر له « أوجست هفنر » كتابى : « خلق الإنسان » و « الإبل » ، فى ليزج سنة ١٩٠٥ م ، وكتاب : « الخيل » ، فى فينا سنة ١٨٩٥ م وكتاب « الشاء » فى فينا سنة ١٨٩٦ م ، كما نشر له « رودلف جاير » كتاب : « الوحوش » فى فينا سنة ١٨٨٧ م ، ونشر له « موللر » كتاب : « الفرق » فى فينا سنة ١٨٧٦ م ، و « لويس شيخو » كتاب : « النبات والشجر » فى بيروت سنة ١٩١٤ م ،

ومثل الأصمعى ، معاصره : أبو زيد الأنصارى المتوفى سنة ٢١٤ ﻫ ، الذى بقى لنا من مؤلفاته اللغوية ، ذات الموضوع الواحد : كتاب « المطر » نشره « جوتهايل »

---

(١) وانظر بعضها فى الكامل للمبرد ٢٢٨/٢٢٢/٣ وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنبارى ٩٨/٧٦

(٢) انظر : معجم الأدباء ١٠٨/١

(٣) انظر : أنباه الرواة ٢٥٨/٢

فى نيويورك سنة ١٨٩٥ م ، ثم نشرة « لويس شيخو » فى بيروت سنة ١٩١٤ م ، وكتاب « الهمز » نشره « لويس شيخو » فى بيروت سنة ١٩١٠ م ، وكتاب « اللبأ واللبن » نشره « لويس شيخو » فى بيروت سنة ١٩١٤ م ، وكتاب « النوادر فى اللغة » نشره سعيد الخورى الشرتونى ، فى بيروت سنة ١٨٩٤ م

ويطول بنا القول ، لو تتبعنا ما وصل إلينا ، من مؤلفات لغوية ، ذات موضوع واحد ، لعلماء عاشوا فى هذه الفترة ، كابن الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، والفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ ، وابن الأعرابى المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، وأبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ وابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ :

وقد عاش إلى جانب هؤلاء كذلك علماء آخرون ، ألفوا معاجم شاملة للغة العربية ، غير متخصصة فى موضوع واحد ، كالخليل ابن أحمد الفراهيدى المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، الذى ألف معجم « العين » ، وقد طبع جزء صغير منه ، بتحقيق الدكتور عبد الله درويش فى بغداد سنة ١٩٦٧ م ، ثم صدر هذا الجزء مرة أخرى فى بغداد سنة ١٩٨٠ م بتحقيق الدكتور مهدى المخزومى والدكتور إبراهيم السامرائى : وبعد الخليل بزمن يسير جاء أبو عمرو الشيبانى المتوفى سنة ٢٠٦هـ ، وألف معجم « الجيم » . وقد نشر معجم الجيم بعناية مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٧٥ م :

وبعد هذه الفترة الأولى توقفت حركة جمع اللغة ، واقتصر جهد اللاحقين من اللغويين ، على تنظيم تلك المادة التى جمعها السابقون ، وتبويبها طبقاً لمناهج مختلفة ، فنشأت عندنا ثلاثة أنواع من المعاجم العربية ، أحدها : ينظم المادة على حسب المعانى والموضوعات بجمع تلك الرسائل اللغوية المفردة — التى تحدثنا عنها من قبل — فى مؤلف واحد ، يضم أبوابا تشبه عناوينها عناوين الرسائل القديمة ، ومن هذا النوع من المعاجم : « الألفاظ الكتابية » لعبد الرحمن بن عيسى الهمدانى المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ، وقد طبع عدة طبعات آخرها بتحقيق الدكتور البدراوى زهران سنة ١٩٨٠ م ، ومعجم « متخير الألفاظ » لابن فارس اللغوى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ نشره هلال ناجى فى بغداد سنة ١٩٧٠ م ، وكتاب « التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء » لأبى هلال العسكرى المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ ، نشره الدكتور عزة حسن بدمشق سنة ١٩٦٩ م ، و « مبادىء اللغة » للخطيب الإسكافى المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، نشر بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ، و « فقه اللغة » لأبى منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، طبع أكثر من مرة بالقاهرة وغيرها . وأهم كتب هذا النوع من المعاجم هو كتاب « المخصص فى اللغة » لابن سيده الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وقد طبع فى ١٧ سفراً بالقاهرة سنة ١٣١٦ هـ :

والنوع الثانى من المعاجم العربية ، يرتب المادة اللغوية ، على حسب مخارج الأصوات ، وطريقة التقاليب ، مثل تقاليب مادة الضاد والراء والباء مثلا ، على : ضرب — ضبر — ربض — رضب — بضر — برض ، وغير ذلك : وقد سار على هذه الطريقة كتاب « العين » للخليل بن أحمد الفراهيدى ، الذى كان من الرعيل الأول من اللغويين العرب ، وتابعه على ذلك كثيرون منهم : أبو منصور الأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ فى كتابه : « تهذيب اللغة » الذى نشرته الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، بتحقيق عبد السلام هارون وآخرين بالقاهرة سنة ١٩٦٤ — ١٩٦٧ م ، وكذلك ابن سيده الأندلسى ، صاحب كتاب « المخصص » السابق ، الذى ألف كتاباً آخر على طريقة كتاب « العين » وهو المحكم والمحيط الأعظم » وقد نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة سبعة أجزاء منه حتى الآن .

أما النوع الثالث من المعاجم ، فإنه يرتب المادة اللغوية ، على الترتيب الهجائى المعروف لنا ، إما بحسب الأصل الأول للكلمة ، كما فعل الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ فى كتابه « أساس البلاغة » ، والفيومى المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ، فى كتابه : « المصباح المنير » ، وإما بحسب الأصل الأخير للكلمة ، مع مراعاة الأصل الأول أيضاً ، وقد كان المشهور عند الدارسين ، أن مبتدع هذا الترتيب هو الجوهرى المتوفى حوالى سنة ٤٠٠ هـ بناء على ما ذكره هو فى مقدمة معجمه : « تاج اللغة وصحاح العربية » ، من قوله : « على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه » ، غير أننا اكتشفنا حديثاً ، معجماً أقدم منه ، هو : « التقفية » لأبى بشر اليمان ابن أبى اليمان البندنيجى المتوفى ٢٨٤ هـ ، وقد حققه تلميذى الدكتور خليل العطية ، ونشره فى بغداد سنة ١٩٧٦ م ، وهو يسير على نظام القافية ، أو الأصل الأخير من الكلمة . وأغلب الظن أن اللغويين اختاروا هذا النوع من الترتيب ، حتى يساعدوا الشاعر على اختيار قافيته فى شعره .

وممن سار على هذا الترتيب كذلك : ابن منظور الإفريقى المصرى المتوفى سنة ٧١١ هـ ، فى معجمه المشهور : « لسان العرب » الذى طبع فى بولاق سنة ١٣٠٠ — ١٣٠٧ هـ فى عشرين جزءاً ، كما طبع فى بيروت سنة ١٩٥٥ م فى خمسة عشر مجلداً . وكذلك مجد الدين الفيروزابادى المتوفى سنة ٨١٧ هـ ، فى معجمه الذى طبقت شهرته الآفاق ، وهو : « القاموس المحيط » . وقد شرحه « الزبيدى » المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ ، فى كتابه : « تاج العروس » .

هذا أحد جوانب تراثنا اللغوى فى العربية ، وهو جانب متن اللغة ، أو « المعجم » ولا ينكر أحد ما بذله أسلافنا فيه ، من الجهد الكبير ، فى البحث والتنقيب ، والجمع

والترتيب ، غير أنه لم يخل من بعض العيوب التى نلخص أهمها فيما يلى :

١ ــ مادة هذه المعاجم اللغوية ، قد جمعها الرعيل الأول من اللغويين ، ثم توقفت حركة الجمع هذه بعد فترة ، واقتصر جهد العلماء بعد ذلك ، على تبويب هذه المادة وعرضها بطرق مختلفة ، وبذلك أغفلوا ناحية مهمة ، من نواحى الدراسات اللغوية ، تلك هى ناحية التطور اللغوى ، فى نواحى : الأصوات والبنية ، والدلالة ، والأسلوب ، فلم يحاول مثلا أحد المؤلفين فى المعاجم فى القرن الرابع أو الخامس الهجرى مثلا ، أن يبين لنا تطور معنى الكلمة ، التى جمعها من قبله أحد علماء القرن الثانى الهجرى ، وبعبارة أخرى : لم يبين لنا المعنى ، الذى كان يفهم من الكلمة فى عصره ، كما أنه لم يبين لنا كيف كانت تنطق الكلمة ، فى لغة التخاطب فى عصره ، وليس لدينا فى هذا المجال سوى إشارات سريعة ، فيما يسمى بكتب « لحن العامة » .

٢ ــ قصور هذه المعاجم فى الاستدلال على المعنى بالشواهد أحياناً ، فهى رغم غناها بالشواهد ، من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والأمثال ، والشعر ، فيها الكثير من المواد ، التى تخلو من هذا الشعر خلواً تاماً ، مما قد يشكك فى صحة ورودها عن العرب ، مثل المواد : كثل ، وكثل ، وكندش ، وكندس ، وغيرها .

وهذه الناحية تستدرك الآن ، بعمل معجم للغة العربية ، يستمد ألفاظه من الشعر والنثر ، وهذا المعجم ، بدأه المستشرق الألمانى « أوجست فيشر » A. Fischer فى المجمع اللغوى بالقاهرة ، ويخرجه الآن نخبة من المستشرقين الألمان ، وعلى رأسهم أستاذنا بروفسور « شبيتالر » A. spitaler . رئيس معهد اللغات السامية بجامعة ميونخ .

٣ ــ رغم أن شيئاً من اللغات السامية ، كان معروفاً لدى بعض اللغويين العرب ، فإنهم لم يفيدوا من هذه المعرفة ، فى مقارنة العربية بأخواتها الساميات ، كالعبرية والآرامية والحبشية ؛ ومن الممكن أن تفيد هذه المقارنات فى إلقاء الضوء على الدلالات المركزية والدلالات الهامشية ، لهذه اللفظة أو تلك ، والفصل فى قضية التعريب والمولد والدخيل وغيرها من المصطلحات التى تمتلىء بها معاجمنا العربية ، دون تحديد واضح لتلك المصطلحات .

٤ ــ التضخم الذى نلحظه فى المؤلفات المتأخرة ، مثل : « لسان العرب » لابن منظور و « تاج العروس » للزبيدى . والسر فى ذلك يرجع ــ فى نظرى ــ إلى نقل المادة اللغوية الواحدة ، من أكثر من مصدر ، فمثلا ينقل صاحب اللسان عن « تهذيب اللغة » للأزهرى ، و « المحكم » لابن سيده ، و « الصحاح » للجوهرى ، وكل واحد من هذه المعاجم الثلاثة ، استخدم بعض المصادر التى استخدمها الآخر ، كالغريب المصنف لأبى عبيد ، ولذلك تقابلنا مثلا عبارات هذا الكتاب الأخير فى « لسان العرب » منقولة ثلاث مرات ، عن المصادر الثلاثة المتقدمة .

٥ — تخلط هذه المعاجم كثيراً ، بين مستوى العربية الفصحى ، واللهجات القديمة ، فى اللفظ والدلالة ، بلا إشارة إلى ذلك فى كثير من الأحيان ، مثل : السراط والصراط والزراط ، بمعنى : الطريق مثلا ، وكذكرها لكلمة « العجوز » مثلا ، أكثر من سبعين معنى ، من بينهما : الإبرة ، ، والجوع ، والسمن ، والقبلة ، واليد اليمنى . فمن المحال أن تكون هذه المعانى جميعها ، مستعملة فى الفصحى وحدها .

٦ — انتاب المادة اللغوية الكثيرة من التصحيف والتحريف ، بسبب كثرة تعاور النساخ لها على مر العصور . وقد وقع اللغويون العرب ، فى وهم هذا التصحيف والتحريف فى معاجمهم ، كالتحريف الذى وقع فيه الجوهرى صاحب « الصحاح » حين استشهد على أن « اللجز » مقلوب : « اللزج » ببيت ابن مقبل :

يعلون بالمردقوش الورد ضاحية
على سعابيب ماء الضالة اللجز

ونسى أن هذا البيت من قصيدة نونية فى ديوان ابن مقبل[1] ، وصحة الروى فيه : « اللجن » !

وهذا هو محمد بن المستنير المعروف بقطرب والمتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، يجعل فى كتابه عن « الأضداد » كلمة : « برد » بمعنى : التبريد والتسخين ، ويسوق على المعنى الثانى شاهداً ، هو قول الشاعر :

عافت الماء فى الشتاء فقلنا
بَرِّديه تصادفيه سخيناً[2]

ولا شك أن هذا تحريف لعبارة : « بل رديه » من الورود لشرب الماء ، قال أبو الطيب اللغوى فى التعليق على هذا البيت : « قال قطرب : معنى برديه فى هذا البيت : سخِّنيه . وقال أبو حاتم : هذا خطأ ، إنما هو : بل رديه ، من الورود ، ولكنه أدغم اللام فى الراء ، كما يقرأ : « كلا بل ران على قلوبهم » قال أبو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى البيت[3] » .

ومثل ذلك أيضاً ، ما وقع فيه « الفيروزابادى صاحب : « القاموس المحيط » حين نقل فى معجمه[4] ، أن : السواف — كسحاب — القثاء ، وداء يأخذ الإبل فتهلك . وما درى الفيروزابادى أن هذا القثاء « ليس إلا تصحيفاً لكلمة : « الفناء » وهو : الهلاك ، الموجود فى المعنى الثانى ، الذى ذكره .

٧ — عدم المنهجية فى ترتيب مفردات المادة الواحدة ، فيتحتم على المرء فى كثير من الأحيان ، أن يقرأ المادة كلها ، للعثور على بغيته ، إذ يلزمك أن تقرأ عشر صفحات فى مادة ( عرف ) ، إذا كنت تبحث مثلا معنى كلمة : « معرفة الفرس » وما شابه ذلك .

---

(١) ديوان ابن عقيل ٣٠٧
(٢) أضداد قطرب ٢٥٨
(٣) أضداد أبى الطيب ٨٦/١
(٤) القاموس المحيط ( سوف ) ١٥٥/٣

هذه هي أبرز العيوب في هذا القطاع اللغوي في العربية : وفي مقدورنا بالطبع التغلب على هذه العيوب ، إذا أعــدنا النظر مرة أخرى في معاجمنا اللغوية ، فصفيناها من الحشو والتكرار ، وفقه لنا بين مستوى الفصحى واللهجات القديمة ، في ألفاظها ومدلولاتها ، ورتبنا كلمات المادة الواحدة ، ترتيباً منهجياً صارماً ، وأعدنا استقراء النصوص القديمة من جديد، لنخلص هذه المعاجم مما فيها من تحريف أو تصحيف ، أو مواد هي من صنع اللغويين ، ولم تجربها ألسنة العرب القدماء .

هذا ، ويعمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة على إخراج معجم كبير للغة العربية ، مستخدماً المعاجم العربية ، التي وصلت إلينا ، إلى جانب كتب الأدب واللغة ، ودواوين الشعراء . وقد اتبع في تأليفه منهجاً صارماً ، تغلب فيه على شيء من العيوب السابقة . وقد خرج الجزء الأول من هذا « المعجم الكبير » خاصاً بحرف الهمزة ، وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م ، وهو جهد يتطلب الكثير من الوقت ، وتعاون المتخصصين في هذا الميدان :

* * *

هذا هو جانب المعجم في تراثنا اللغوي : .. فإذا جئنا إلى الدراسة الخاصة بنظام الجملة ، ووظائف الكلمات في داخل الجمل ، وجدنا تراثاً ضخماً ، تباهى به الأمة العربية سائر الأمم في هذا المضمار ؛ وقد وصل إلينا أول كتاب في هذا المجال كاملا ، يبهر النفوس ، ويستحوذ على القلوب ويبعث على الإعجاب بعقلية مبدعه ، وتفكير منشئه ، وهو كتاب سيبويه النحوي البصري المشهور ( المتوفى سنة ١٨٠ هـ ) . وتوالت المؤلفات العربية في هذا الميدان بعد سيبويه ، ومن أهم هذه المؤلفات : كتاب « المقتضب » لأبي العباس المبرد ( المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ) ، و « أصول النحو » لابن السراج ( المتوفى سنة ٣١٦ هـ ) ، و « الجمل » للزجاجي ( المتوفى سنة ٣٤٠ هـ ) ، و « المفصل » للزمخشري ( المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ) و « الإنصاف » لأبي البركات بن الأنباري ( المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ) ، و « شرح المفصل » لابن يعيش ( المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ) ، و « الألفية » المشهورة ، لابن مالك ( المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ) ، وكتب العلامة المصري « ابن هشام » ( المتوفى سنة ٧٦١ هـ ) كشذور الذهب ، وقطر الندى ، وأوضح المسالك ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، وشرح الأشموني ( المتوفى سنة ٨٧٢ هـ ) على ألفية ابن مالك ، و « همع الهوامع » لجلال الدين السيوطي ( المتوفى سنة ٩١١ هـ ) ، وغير ذلك كثير كثير :

وإن من يتصفح هذه المؤلفات الكثيرة يعجب من الجهد المبذول فيها حقاً ، غير أنه يضل وسط الآراء الجدلية النظرية ، التي

لا تفيد كثيراً فى الدرس النحوى ، والابتعاد عن الواقع اللغوى إلى الافتراض ، وانظر معى إلى قول الزجاج مثلا : « والمازنى يجيز فى : يأيها الرجل ، النصب فى الرجل ؛ ولم يقل بهذا القول أحد من البصريين غيره ، وهو قياس ، لأن موضع المفرد المنادى نصب فحملت صفته على موضعه . وهذا فى غير يأيها الرجل جائز عند جميع النحويين ، نحو قولك : يازيد الظريف والظريف : والنحويون لا يقولون إلا : ياأيها الرجل، ويأيها الناس ؛ والعرب لغتها فى هذا الرفع ، ولم يرد عنها غيره »[1] .

ففى هذا النص نجد المازنى يبتدع لغة لم تجر على لسان العرب ، ويترك الواقع اللغوى، إلى افتراضات قياسية ما أنزل الله بها من سلطان ، فإذا كان العرب قد قالوا : يازيد الظريف ، فلا مانع عند المازنى أن تقول : يأيها الرجل ، وإن لم تقل بذلك العرب .

وما صنيع المازنى فى هذا الزمن القديم ، إلا كصنيع من يبتدع قياساً باطلا فى لهجات الخطاب المعاصرة ، ويدعيه على أصحاب هذه اللهجات ، فيجيز أن تجمع كلمة : « تاج » على : « أتواج » ، قياساً على جمع مال على أموال ، أو يعكس فيجيز أن تجمع كلمة : « مال » على : « ميلان » ، قياساً على جمع تاج على تيجان ، وما أشبه ذلك مما لا يصح أن يدخل إلا فى دائرة الأوهام والخيالات .

وأنت واقع هنا وهناك ، فى التراث النحوى ، على كثير من التعليلات الواهية التى لا يسندها قانون لغوى ، أو قاعدة كلية تسرى على مجموعة من اللغات البشرية ؛ وتأمل معى قول الزجاج فى تعليل إعراب المثنى من اسم الإشارة واسم الموصول : « فإن قال قائل : فما بالك تقول : أتانى اللذان فى الدار ، ورأيت اللذين فى الدار ، فتعرب كل مالا يعرب فى تثنيته نحو : هذان ، وهذين ؛ وأنت لا تعرب : هذا ، ولا هؤلاء؟ فالجواب فى ذلك أن جميع مالا يعرب فى الواحد مشبه بالحرف الذى جاء لمعنى ، فإذا ثنيته ، فقد بطل شبه الحرف الذى جاء لمعنى ، لأن حروف المعانى لا تثنى »[2] .

وقد فات الزجاج أن الجمع يمكن أن يقال فيه ما قاله هو فى التثنية ، من بطلان شبه الحرف الذى جاء لمعنى . فلماذا لم يعرب إذن اسم الموصول المجموع مثل : « الذين » ، واسم الإشارة للجمع ، مثل : هؤلاء ؟ !

وليست كل التفسيرات التى قدمها النحاة القدامى للظواهر اللغوية فى العربية خطأً نحذر الناس منه ، أو خطايا نستغفر الله للنحاة العرب من الوقوع فى أدرانها ، وإنما نحذر بعض شبابنا الباحثين ، من الوقوع أسرى

---

(١) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ١ / ٦٤

(٢) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٣٤/١

لبعض هذه التفسيرات الواهية ، وندعوهم إلى إعمال العقل فى المنقول عن هؤلاء النحاة من مختلف التفسيرات للظواهر اللغوية .

ولسنا فى دعوتنا هذه نخرج كثيراً عن منهج كبار علمائنا القدامى ، ورحم الله عبقرى العربية ، الخليل بن أحمد ، حين سُئل عن العلل التى يعتل بها فى النحو ، فقيل له : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام فى عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها . واعتللت أنا بما عندى أنه علة لما عللته منه ، فإن أكن أصبت العلة فهو الذى التمست ، وإن تكن هناك علة أخرى له ، فمثلى فى ذلك مثل رجل حكيم ، دخل داراً محكمة البناء ، عظيمة النظم والأقسام . فكلما وقف هذا الرجل فى الدار على شى منها ، قال : إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا ، سنحت له وخطرت بباله ، محتملة لذلك . فجائز أن يكون الحكيم البانى للدار ، فعل ذلك للعلة التى ذكرها هذا الذى دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ... فإن سنح لغيرى علة لما عللته من النحو ، هى أليق مما ذكرته بالمعلول ، فليأت بها[1] .

ومن الأمور التى تلفت النظر ، فى تراثنا النحوى الضخم ، خلوه فى بعض الأحيان من الاستقراء الكامل ، لبعض صور الظاهرة الواحدة ، من الظواهر النحوية ، ويكفى أن نذكر هنا بما يقوله النحاة ، منذ أيام سيبويه ، من أن الاستثناء فى الكلام التام غير الموجب المنقطع ، كما فى مثالهم المشهور : «ما قام القوم إلا حماراً» يجب فيه نصب المستثنى على لغة أهل الحجاز وبها نزل قول الله تعالى : « مالهم به من علم إلا اتباع الظن». أما بنو تميم فإنهم يجيزون فيه الإتباع .

كقول زياد بن حمل التميمى :

ليست عليهم إذا يغدون أردية
إلا جياد قسى النبع واللجم[2]

وليس النحاة على حق فى هذا ، فليس بنو تميم وحدهم فى تجويز الإتباع هنا ، فهذا جران العود النميرى يقول :

وبلدة ليس بها أنيس
إلا اليعافير وإلا العيس[3]

كما يقول ضرار بن الأزور فى يوم اليمامة :

عشية لا تغنى الرماح مكانها
ولا النبل إلا المشرفى المصمم[4]

وضرار شاعر من بنى أسد[5] ومثله قول الأخطل التغلبى :

فرابية السكران قفر فما لهم
بها شبح إلا سلام وحرمل

والسلام : الحجارة ، والحرمل : شجر[6] .

ومثله قول سعد بن مالك بن ضبيعة ،

(١) الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ٦٥

(٢) انظر : الحماسة بشرح المرزوقى ق ٣٩/٥٧٧ ص ١٤/٢ (٣) ديوانه ص ٥٢

(٤) انظر : تاريخ الطبرى ٢٩٧/٣ (٥) انظر : جمهرة الأنساب لابن حزم ١٩٣

(٦) ديوان الأخطل ص ٢

جد طرفة بن العبد البكري :

والحرب لا يبقى لجاحمها
التخيل والمراح
إلا الفتى الصبار في النـ
ـجدات والفرس الوقاح[1]

فهذه الأبيات — كما ترى — لشعراء من نمير ، وأسد ، وتغلب ، وبكر ، وغيرها كثير ، يثبت أن استقراء النحاة العرب لهذه الظاهرة ، كان استقراء ناقصا .

ومن العجب قول المرزوقي في شرح هذين البيتين الأخيرين : إلا الفتى ، ارتفع على أنه بدل من التخيل ، وهذه لغة تميم .

بل إنه ليلاحظ في هذا التراث النحوي ، أن فيه متابعة ، تكاد تكون كاملة ، لكثير مما جاء به سيبويه في كتابه ، دون تمحيص أو تدقيق ، على ما في بعض مسائله أحيانا من الخطأ المبني على تحريف في الرواية أو تغيير في الشواهد العربية . وهذا مثال واحد ، من أمثلة كثيرة ، يدل على صدق ما نذهب إليه :

يرى النحاة العرب ، منذ أيام سيبويه ، أن (كان) الناسخة تحذف وحدها أحيانا وذلك بعد أن المصدرية ، في مثل قولك ، «أما أنت منطلقاً انطلقت» ، وأصله — كما يقول النحاة — انطلقت لأن كنت منطلقا ، ثم قدمت اللام وما بعدها على : «انطلقت» للاختصاص ، ثم حذفت اللام للاختصار ، وحذفت «كان» لذلك فانفصل الضمير ، ثم زيدت ( ما ) للتعويض ، ثم أدغمت النون في الميم للتقارب .

هكذا يقول النحاة العرب ، ويستشهدون على ذلك ، بقول العباس بن مرداس السلمي :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر
فإن قومي لم تأكلهم الضبع[2]

وقول الشاعر :

إما أقمت وأما أنت مرتحلا
فالله يكلأ ما تأتي وما تذر[3]

ويبدو أن هذه المسألة ، مبنية على تحريف وقع في بيت العباس بن مرداس السلمي ، وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ، بين شاهدي هذه المسألة ، لأن البيت الثاني يروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوي على عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه مسموع بعد وضع القاعدة ، وعلى ضوئها .

وهذا يعني أن المسألة لا وجود لها في اللغة العربية أصلا ، وأن النحاة وعلى رأسهم سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا في التحريف في بيت العباس بن مرداس وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى ، وأن صواب رواية البيت :

أبا خراشة إما كنت ذا نفر
فإن قومي لم تأكلهم الضبع

هكذا : «إما كنت» بدلا من : «أما أنت» التي يزعم النحاة ، منذ أيام سيبويه ، أن

---

(١) شرح المرزوقي للحماسة ٥٠١/٢ (٢) كتاب سيبويه ١٤٨/١ (٣) خزانة الأدب ٨٢/٢

البيت يروى بها و «إما» هذه هي : «إن» الشرطية المؤكدة بما الزائدة ، وهي كثيرة في الكلام العربي ، ويأتي بعدها المضارع كقوله تعالى : «إما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء» والماضي كقول الأبيرد الرياحي :

فلا يبعد نك الله إما تركتنا
حميدا وأودى بعدك المجد والفخر(1)

ولعل الدليل على صحة ما نقول ، أن بيت العباس بن مرداس ، يروى كثيرا في غير كتب النحو ( التي ينقل بعضها عن بعض ) ، بالرواية الصحيحة ، وهي : «إما كنت» ويكفي أن تراجع ذلك في كتاب العين للخليل بن أحمد ٣٣١/١ وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١١٠/٢ وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ٢٦ وحماسة الخالديين ٨٩/١ وجمهرة اللغة لابن دريد ٣٠٢/١ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٣/١ ولسان العرب ( خرش ) ١٤٣/٨ والاشتقاق لابن دريد٣١٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٤١/١ وشرح ديوان جرير لمحمدبن حبيب ٣٤٩/١ والحيوان للجاحظ ٢٤/٥ ، ٤٤٦/٦ وغير ذلك .

وهذا مثال ثان يؤكد ما قلناه ، من ابتداع بعض النحاة العرب لشيء من القواعد ، بناء على رواية مغيرة لهذا الشاهد أو ذاك من شواهد الشعر ، يقول ابن قتيبة : وقد رأيت سيبويه يذكر بيتا يحتج به ، في نسق "الاسم المنصوب" على المخفوض " على المعنى ، لا على اللفظ ، وهو قول الشاعر :

معاوي إننا بشر فأسجح
فلسنا بالجبال ولا الحديدا

قال : كأنه أراد : لسنا الجبال ولا الحديدا ، فرد الحديد على المعنى قبل دخول الباء . وقد غلط على الشاعر ، لأن هذا الشعر كله مخفوض ، قال الشاعر :

فهبها أمة ذهبت ضياعا
يزيد أميرها وأبو يزيد
أكلتم أرضنا وجردتموها
فهل من قائم أو من حصيد

ويحتج أيضا بقول الهذلي في كتابه ، وهو قوله :

بيت على معاري فاخرات
بهن ملوب كدم العباط

وليست ها هنا ضرورة ، فيحتاج الشاعر إلى أن يترك صرف « معار » . ولو قال : يبيت على معار فاخرات ، كان الشعر موزونا ، والإعراب صحيحا . قال أبو محمد : وهكذا قرأته على أصحاب الأصمعي . وكقوله في بيت آخر :

ليبك يزيد ضارع لخصومة
ومختبط مما تطيح الطوائح

وكان الأصمعي ينكر هذا ، ويقول : ما اضطره إليه ؟ الرواية : ليبك يزيد ضارع لخصومه(2)

ولقد أسهم النساخ والطباعون ، في شيوع التصحيف والتحريف في كثير من شواهد النحو ، ومسائله وقضاياه ،

(1) الكامل للمبرد ٢١٥/١

(2) الشعر والشعراء ٩٨/١

وأصبح من الواجب علينا التدقيق فى إخراج هذه الكتب محققة ، على وجه تخلو فيه من مثل التحريفات الشنيعة ، التى تتداول بين الدارسين ، فى مشاهير الكتب النحوية ، فقد استشهد ابن عقيل فى شرحه لألفية ابن مالك ، على جواز نصب المفعول لأجله ، إذا كان محلى بالألف واللام ، بقول قريط ابن أنيف :

فليت لى بهم قوما اذا ركبوا
شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

والبيت على هذه الرواية ، التى جاءت فى كتاب ابن عقيل ، ليس فيه شاهد على هذه المسألة ، لأن « الإغارة » مفعول به ، وليس مفعولا له . والذى فى شعر قريط بن أنيف «شدوا الإغارة» . ويقول التبريزى فى تفسيره : « ويروى شنوا الإغارة »، أى فرقوها ، ومن روى : شدوا الإغارة ، فليس الإغارة مفعولا به ، ولا انتصابها على ذلك ، لكن انتصابها انتصاب المفعول له ، أى شدوا للإغارة(١) .

ويبدوا أن ما فى كتاب ابن عقيل تحريف للرواية الأخرى ، «شدوا» وأن المراد : شدوا الخيل للإغارة ، وإن كان شراح شواهده ، كالشيخ عبد المنعم الجرجاوى والشيخ قطة العدوى ، يريان حذف المفعول به هنا أيضا ، فيقولان : «إن المعنى شنوا أنفسهم لأجل الإغارة على العدو » مع أن الذى فى المعاجم : « شن الغارة» أى فرقها ، ولم يقل : «شنوا أنفسهم » فيما وقفت عليه من نصوص العربية .

* * *

أما كتب فقه اللغة العربية ، من تراثنا اللغوى فإنها حقا تبعث على الإعجاب والإكبار ، إذ يظهر فى شىء غير قليل من قضاياها ، سبق علمائنا القدامى لأحدث النظريات اللغوية فى العصر الحديث : بألف عام أو يزيد . وعلى رأس هذه الكتب : «الخصائص» و«سر صناعة الإعراب» للإمام ابن جنى ( المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ) و«الصاحبى فى فقه اللغة» لابن فارس اللغوى ( المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ) ، و« المزهر فى علوم اللغة وأنواعها » للإمام السيوطى ( المتوفى سنة ٩١١ هـ ) ، ففى هذه الكتب وغيرها ، علم كثير ، ونظريات لغوية ، تقف شامخة أمام ما وصل إليه العلماء ، فى عصر التكنولوجيا الحديثة ، والعقول الإلكترونية .

ولكنك تعجب حين ترى فى بعضها اشتغال هؤلاء العلماء ، بشىء من التعليلات الواهية ، والجدل العقيم ، واسمع معى إلى قول ابن جنى ، متسائلا : لماذا رفع الفاعل ونصب المفعول ؟ ثم يجيب بقوله : «لأن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة ، فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرته وذلك ليقل فى كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر فى كلامهم ما يستخفون » .

(١) الخصائص ١ / ٦٩

كما يقول ابن جنى فى موضع آخر : «لماذا يكثر الأصل الثلاثى فى اللغة العربية ، دون الرباعى والخماسى ؟ الجواب هو : لأنه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه . وليس اعتدال الثلاثى لقلة حروفه فحسب ، لو كان كذلك لكان الثنائى أكثر منه ، لأنه أقل حروفا ، وليس الأمر كذلك ، وأقل منه ما جاء على حرف واحد . . . فتمكن الثلاثى إنما هو لقلة حروفه — لعمرى — ولشيء آخر ، وهو حجز الحشو الذى هو عينه بين فائه ولامه ، وذلك لتباينهما ولتعادى حاليهما ، ألا ترى أن المبتدأ لا يكون إلا متحركا ، وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا ؟ فلما تنافرت حالاهما ، وسطوا العين حاجزا بينهما ، لئلا يفجئوا الحس بضد ما كان آخذ فيه[1]» .

ويدلك على ما نقول كذلك هذا ، الجدل العنيف ، الذى يثيره ابن جنى حول الحركة القصيرة ، أهى قبل الحرف ، أو معه ، أو بعده ؟ وبدلا من أن يلجأ إلى التجربة ، أخذ يستخدم منطق أرسطو ، فى التدليل على أن الحركة القصيرة تقع بعد الحرف ، مثلها فى ذلك مثل حروف المد وهى الألف والواو والياء ، فيقول : «واعلم أن الحركة التى يتحملها الحرف ، لا تخلو أن تكون فى المرتبة قبله ، أو معه أو بعده ، فمحال أن تكون الحركة فى المرتبة قبل الحرف ، إذ لو كانت كذلك لما جاز الإدغام فى الكلام أصلا ، ألا ترى أنك تقول : قطع ، فتدغم الطاء الأولى فى الثانية ، ولو كانت حركة الطاء الثانية فى الرتبة قبلها ، لكانت حاجزة بين الطاء الأولى والطاء الثانية ، ولو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى فى الثانية ، فجواز الإدغام فى الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها . . . وبقى أن تكون معه أو بعده ، وفى الفرق بينهما بعض الإشكال ، فالذى يدل على أن حركة الحرف فى المرتبة بعده ، أنك تجدها فاصلة بين المثلين ، نحو قولك : قصص ، ومضض ، فإن ظهر هذان المثلان ، ولم يدغم الأول منهما فى الآخر منهما ، فظهورهما دلالة على فصل واقع بينهما ، وليس ها هنا فصل البته ، غير الحركة المتأخرة عن الحرف الأول[2]» .

أما أبو على الفارسى ، فإنه لم يتصور إمكان استقلال الحركة بالنطق ، ولم يستطع أن يفرق بين الصوت الصامت والحركة ، هذه التفرقة ، فكان يرى أن الحركة تحدث مع الحرف يقول ابن جنى : «واستدل أبو على على أن الحركة تحدث مع الحرف ، بأن النون الساكنة إذا تحركت ، زالت عن الخياشيم إلى الفم ، وكذلك الألف إذا تحركت انقلبت همزة

(١) الخصائص ١ / ٥٥

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٢

فدل ذلك عنده ، على أن الحركة تحدث مع الحرف ، وهو لعمرى استدلال قوى[1].

وقد فات أبا على الفارسى ، أن الذى يزول عن الخياشيم إلى الفم ، هو الحركة وليست النون ، وأن الذى يتحرك هو الهمزة ، وليست ألف المد ، لأن ألف المد حركة طويلة ، والحركة لا تحرك !

ولم تخل هذه الكتب كذلك من داء التصحيف والتحريف ، الذى ابتليت به الكتابة العربية ، منذ القدم ، فقد وقع فى كتاب «المزهر» للسيوطى النص التالى : « قال ابن درستويه فى شرح الفصيح : قول العامة نحوى لغوى على وزن : جهل يجهل ، خطأ أو لغة رديئة » . وفى هامشه تعليقا على عبارة : « نحوى لغوى » قال محققو المزهر : « لم نقف على ضبط هذه العبارة » !

وهذا الذى لم يقف على ضبطه محققو الكتاب ، موجود على الصواب فى تصحيح الفصيح لابن درستويه ، وهو قوله : « فتقول : غوى يغوى على نحو جهل يجهل » .

هذه هى بعض الملاحظات ، التى لم يقصد كاتبها إلى الحصر والاستقصاء ، وإنما هو تنبيه للأذهان ، إلى أنه قد آن الأوان لتنقية تراثنا اللغوى من كل هذه الشوائب ، التى تركت آثارها الجدرية ، فى وجه اللغة الحسناء ، لغتنا الجميلة .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت ، وإليه أنيب .

**رمضان عبد التواب**
الخبير بالمجمع

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٧ ومع تحمس ابن جنى لرأى أستاذه أبى على الفارسى هنا ، ووصفه دليله بأنه « استدلال قوى» فانه لم يرتض هذا الرأى فى كتابه الخصائص ٢-٣٣٤ ورد استدلاله هناك .

# الحركة الأخيرة
# فى الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا

للدكتور مصطفى حجازى السيد

**الغرض** من هـذا البحث[*] هو دراسة ظاهرة لغوية هامة فى الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا ، وهى الحركة الأخيرة فى الكلمة المقترضة ، وتقوم المادة العلمية لهذه الدراسة على ماجمعت من مفردات لغوية أثناء قراءتى لكتب الأدب الهوسوى المذكورة فى نهاية هذا البحث . وبدراسة هذه المادة المقترضة امكن تقسيمها إلى قسمين القسم الأول ويشمل أسماء الأعلام العربية والمعربة المستعملة فى اللغة العربية . والقسم الثانى ويشمل الكلمات الأخرى . وقد أمكن بعد استقراء المادة العلمية بكل قسم توزيعها على النحو التالى :

أولا : اسم العلم : وينتهى بالحركات التالية :

١ — حركة الضمة وهى الحركة السائدة .

٢ — حركة الفتحة : فى الحالات التالية :

( أ ) الأعلام المنتهية بتاء التأنيث .

(ب) الأعلام المنتهية بالألف المقصورة .

( ج) الأعلام المنتهية بالألف الممدودة .

( د ) الأعلام التى ترد كثيراً فى حالة النصب فى القرآن الكريم .

٣ — حركة الكسرة : وتأتى فى نهاية الأعلام التالية :

( أ )الأعلام المركبة من المضاف والمضاف إليه

(ب) الأعلام المنتهية بحركة الكسرة الطويلة .

( ج) فى حالة حذف المقطع الأخير من الاسم ، وانتهاء المقطع السابق على المحذوف بالكسرة .

( د ) أعلام قليلة لم يمكن تعليلها .

ثانياً : الكلمات الأخرى : وتنتهى بالحركات التالية :

١ — حركة الفتحة وتأتى مشروطة وغير مشروطه .

---

[*] فى بداية هذا البحث أتقدم بالشكر إلى أ.د محمود فهمى حجازى للاحظاته القيمة التى افادتنى كثيرا فى إخراجه على هذه الصورة .

(أ) حركة الفتحة المشروطة وتأتى فى الحالات التالية :

١ – فى نهاية الكلمات التى أصلها فعل ماضى مبنى على الفتحة .

٢ – فى حالة حذف المقطع الأخير من الكلمة وانتهاء المقطع السابق على المحذوف بالكسرة .

٣ – الكلمات المنتهية بالألف المقصورة .

٤ – الكلمات المنتهية بالألف الممدودة .

٥ – الكلمات المنتهية بتاء التأنيث .

٦ – كلمات مقترضة كما هى .

(ب) حركة الفتحة غير المشروطة وتأتى فى نهاية عدد محدود من الكلمات منها :

١ – كلمات أصلها مصدر .

٢ – كلمات أصلها مصدر ميمى .

٣ – كلمات أصلها اسم فاعل .

٤ – كلمات أصلها اسم زمان .

٥ – كلمات أصلها اسم جامد .

٢ – حركة الكسرة وهى الحركة السائدة باستثناء الحالات السابقة وتأتى فى نهاية الكلمات التالية :

(أ) كلمات أصلها اسم فاعل .

(ب) كلمات أصلها اسم مفعول .

(ج) كلمات أصلها مصدر .

(د) كلمات أصلها اسم جامد .

(هـ) كلمات أصلها صفة .

٣ – حركة الضمة تأتى فى نهاية عدد محدود جداً من الكلمات التالية :

(أ) كلمات أصلها مصدر .

(ب) كلمات أصلها اسم جامد .

٤ – السكون : ويأتى فى نهاية الكلمات التاليـة :

(أ) فى نهاية الكلمات المقترضة منونة .

(ب) فى نهاية العقود من عشرين إلى تسعين .

(ج) بعض الكلمات المنتهية بصوت النون .

(د) بعض الكلمات المنتهية بصوت الراء وغيرها من الأصوات .

هذا عرض سريع للبحث وفى الصفحات التالية التفاصيل المدعمة بالأمثلة والأنماط المختلفة لكل حالة .

**أولا : أسماء الأعلام :**

إذا نظرنا إلى اسم العلم فى اللغة العربية من حيث الرفع والنصب والجر ، يبدو أن حالة الرفع هى أكثر الحالات شيوعاً ، إذ أنها ترتبط بالتركيب اللغوى . حيث تتركب اللغة من مجموعة من الجمل الفعلية والإسمية ؛ وفى كلتا الحالتين ، يأتى الأسم مرفوعاً ؛ حيث يكون مبتدأ فى الجملة الإسمية ، أو فاعلا أو نائباً للفاعل فى الجملة الفعلية ، وبدراسة أسماء الأعلام التى قمت بجمعها استطعت تحديد الحالات التى يأتى فيها الاسم مضموماً أومفتوحاً أو مجروراً . على النحو التالى :

**حركة الضمة :**

للأسباب التى سبق ذكرها كانت الحركة الشائعة فى نهاية أسماء الأعلام الموسوية .

المقترضة من اللغة العربية هي حالة الرفع ، حيث يضعون حركة الضمة القصيرة في نهاية كل إسم كما نلاحظ في الأمثلة التالية :

الأمثلة :

?aadamu < آدم

?amiinu < أمين

?umaru < عمر

Siraaju < سراج

Shu?aybu < شعيب

mu?aazu < معاذ

nuuhu < نوح

zaynabu < زينب

zubayru < زبير

**حركة الفتحة :**

ينتهي إسم العلم المقترض بالفتحة في إحدى الحالات الآتية :

١ ــ إذا كان الاسم منتهياً بتاء التأنيث ، حذفت التاء ، وبقيت حركة الفتحة السابقة عليها . على النحو التالي :

الأمثلة :

?amiina < أمينة

habiiba < حبيبة

hadiiza < خديجة

haliifa < خليفة

haliima < حليمة

hurayra < هريرة

raqiiya < رقية

safiiya < صفية

sakiina < سكينة

maka < مكة

وقد شذ عن هذه القاعدة الأعلام التالية حيث لم تحذف من نهايتها تاء التأنيث وانتهت بحركة الضمة القصيرة .

hafsatu < حفصة

salaamatu < سلامة

saaratu < سارة

٢ ــ إذا كان اسم العلم ينتهي بألف التأنيث الممدودة ، حذفت الهمزة وبقيت حركة الفتحة الطويلة :

مثال :

hawaa < حواء

٣ ــ إذا كان اسم العلم ينتهي بالألف المقصورة :

الأمثلة :

?iisa < عيسى

muusa < موسى

musḍafa < مصطفى

ملحوظة : ? < أ ، ه < ح ، j < ج ، sh < ش ، ḍ < ط

٤ ــ أسماء الأعلام التى وردت كثيراً فى القرآن الكريم منصوبة أو مجرورة بالفتحة وهى موضحة فى الجدول التالى[١] :

| اسم العلم فى اللغة العربية | | اسم العلم المقترض فى لغة الهوسا | عدد مرات وروده فى القرآن الكريم | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | | حالات النصب | حالات الضم | جملة الحالات |
| أيوب | > | ?ayyuuba | ٤ | — | ٤ |
| داود | > | dawda | ١٣ | ٣ | ١٦ |
| فرعون | > | fir ?awna | ٥٤ | ١٦ | ٧٠ |
| هارون | > | haaruuna | ١٧ | ٣ | ٢٠ |
| عمران | > | ?imraàna | ٣ | — | ٣ |
| جبريل | > | jibriila | ٢ | ١ | ٣ |
| جهنم | > | jahannama | ٥٨ | ١٧ | ٧٥ |
| قارون | > | qaaruuna | ٣ | ١ | ٤ |
| إسماعيل | > | samaa ?iila | ١١ | ١ | ١٢ |
| يونس | > | yuunusa | ٤ | — | ٤ |

ومن هذا يتضح أن الأسماء المنتهية بالفتحة أكثر وردها بالقرآن منتهية بالفتحة :

( ١ ) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقى ، القاهرة ١٩٤٥

**حركة الكسرة :**

ينتهى اسم العلم العربى المقترض فى لغة الهوسا بالكسرة فى الحالات الآتية :

١ – إذا كان الإسم مركباً من المضاف والمضاف إليه فيكون المضاف مرفوعاً بالضمة والمضاف إليه مجروراً بالكسرة على النحو التالى :

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| عبد العزيز | < | ?abdul?aziizi |
| عبد الباسط | < | ?abdulbaasiḍi |
| عز الدين | < | ?izzuddiini |
| عبد الغفار | < | ?abdulgaffaari |
| عبد الجبار | < | ?abluljabbaari |
| عبد الرحيم | < | ?abdurrahiimi |
| عبد الرازق | < | ?abdurraaziki |

٢ – إذا كان الاسم العربى المقترض ينتهى بحركة الكسرة الطويلة .

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| على | < | ?alii |
| عشماوى | < | ?ashmaawii |
| ثانى | < | saanii |
| سيوطى | < | suyuuḍii |
| مهدى | < | maadii |

٣ – إذا حذف المقطع الأخير من الاسم وكانت الحركة السابقة على المقطع المحذوف كسرة بقيت كما هى على النحو التالى :

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| بلقيس | < | bilkii |
| رابعة | < | raabii |

٤ – وإلى جانب الحالات السابقة وردت الأعلام الآتية منتهية بحركة الكسرة .

| | | |
|---|---|---|
| حبيب | < | habiibii |
| حسين | < | husayni |
| إدريس | < | ?iidi |
| مالك | < | maalikii |
| نكير | < | walkiirii |

**السكون :**

والمقصود بالسكون هنا هو عدم وجود إحدى الحركات المذكورة آنفاً ، أى أن الاسم ينتهى بصوت صامت لايليه أية حركة ، وقد جاءت الأعلام الآتية منتهية بصوت صامت .

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| الله | < | ?allah |
| حسن | < | hasan |
| رجب | < | rajab |
| رمضان | < | ramalaan |
| صفر | < | safar |
| شعبان | < | shabaan |
| شوال | < | shawwaal |
| شيطان | < | shayḍaan |
| محرم | < | muharram |

**ثانيا : الكلمات الاخرى :**

والمقصود بالكلمات الأخرى تلك الكلمات التي ليست بأسماء أعلام ، وهي قلما تقترض كما هي في اللغة العربية ، ولكن الغالب هو حدوث كثير من التغايرات في بنية الكلمة المقترضة حتى تتلاءم مع النظام البنيوي للغة الهوسا ، ومن التغايرات التي تحدث في هذه الكلمات ، ظاهرة الحذف الصوتي ، وابدال أصوات الحلق والأطباق ، والأصوات التي تخرج مما بين الأسنان الأمامية . فيبدلون صوت الهمزة بالعين فيقولون — saa?a — بدلا من « ساعة » ويبدلون الهاء بالحاء فيقولون — haali — بدلا من « حال » وصوت الجيم القاهرية بالغين فيقولون — gargara — بـدلا من « غرغرة » وصوت الهاء بالخاء فيقولون — husuuma — بدلا من « خصومة » .

وفي مجال الأطباق يبدلون صوت السين بالصاد فيقولون — sanaa?a — بـدلا من « صناعة » واللام بالضـاد فيقولون — ?alkaali — بدلا من « القاضي » ، وصوت الزاي بالظاء فيقولون — ?azzaalumi بدلا من « الظالم » .

ويبدلون صـوت التاء بالثاء فيقولون — tabbata — بدلا من « ثبّت » الزاي بالذال فيقولون — zimma — بدلا من « ذمة »[1] .

ومن ظواهر التغاير الأخرى إضافة إحدى الحركات بين الصوتين الصامتين ، منعاً لالتقائهما ، حيث يسود نظام المقطع المفتوح ، ولذلك كانت أكثر الصيغ العربية اقتراضاً صيغة فَعَلَ وفَعَّلَ حيث تستعمل الصيغة الأخيرة في لغة الهوسا للدلالة على تكرار الحدث من شخص واحد ، أو عدة أشخاص في وقت واحد ، فيقولون — yaa taara — بمعنى جمع ، ويقولون — yaa tattaara — بمعنى جمّع .

ولما كانت اللغة العربية لغة إعراب عكس الحال في لغة الهوسا ، كانت قضية الحركة الأخيرة من الكلمة العربية المقترضة من القضايا الهامة التي تحتاج إلى دراسة ، وقد قمت بدراسة ٧٨٤ كلمة عربية مقترضة ، وتتبعت الحركة الأخيرة في كل كلمة أصلية ، فكانت الكلمات التي تنتهي بحركة الفتحة ٣١٥ كلمة والتي تنتهي بحركة الكسرة ٣٦٠ كلمة والتي تنتهي بحركة الضمة ٣٦ كلمة ، بينما بلغ عدد الكلمات التي تنتهي بصوت صامت لايلية حركة ٧٣ كلمة .

ومن هذا يتضح أن الحركة السائدة في نهاية الكلمات التي ليست بأسماء أعلام هي حركة الفتحة المشروطة — كما سنرى فيما بعد — وحركة الكسرة غير المشروطة بينما

(١) المزيد من التفاصيل أنظر الإبدال الصوتي في الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا . للباحث ، والمنشور في مجلة مجمع اللغة العربية العدد ٤٢

تسود حركة الضمة فى نهاية أسماء الأعلام كما رأينا آنفاً . فى بداية هذا البحث .

وفيما يلى دراسة للحركات النهائية فى الكلمة العربية المقترضة والأنماط المختلفة التى جاءت فيها .

### ١ ـ حركة الفتحة :

تأتى حركة الفتحة فى نهاية الكلمة العربية المقترضةفى لغة الهوسا مشروطةوغير مشروطة على النحو التالى .

### أولا : حركة الفتحة المشروطة :

تأتى حركة الفتحة المشروطة فى نهاية الكلمات العربية التى أصلها فعل ماضى مبنى على الفتحة كما هو موضح فيما يلى :

( أ ) الأفعال الماضية على وزن فَعَلَ :

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| بلغ | < | balaga |
| حسد | < | hasada |
| لعن | < | la?ana |
| ركع | < | raka?a |
| سجد | < | sajada |
| شرح | < | sharaha |
| شرط | < | sharaḍa |
| وجب | < | wajaba |

(ب) الكلمات التى أصلها فعل ماضى على وزن فَعِلَ :

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| أذن | < | ?azina |
| شهد | < | shaayda |
| وهم | < | wahima |

( جـ ) الكلمات التى أصلها فعل ماضى على وزن فَعُلَ :

مثال :

| | | |
|---|---|---|
| رَخُصَ | < | rahusa |

( د ) الكلمات التى أصلها فعل ماضى على وزن فَعَّلَ :

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| عظّم | < | ?azzama |
| فضّل | < | fallala |
| فسّر | < | fassara |
| فوّض | < | fawwala |
| جرّب | < | jarraba |
| قدّر | < | kaddara |
| صرّف | < | sarrafa |
| ألفّ | < | wallafa |

( هـ ) الكلمات التى أصلها فعل ماضى على وزن تفعّل :

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| تألّق | < | ta?allaqa |
| تعذّر | < | ta?azzara |
| تطوّع | < | taḍawwa?a |
| تغيّر | < | tagayyara |

( و ) الكلمات التى أصلها فعل ماضى على وزن فَعَالَ :

مثال :

| | | |
|---|---|---|
| توانى | < | sawaana |

(ز) الكلمات التى أصلها فعل ماضى على وزن فَاعَلَ :

مثال :

شاور < shaawara

(ح) الكلمات التى أصلها فعل ماضى على وزن فعّ :

الأمثلة :

بتّ < batta

دقّ < daqqa

شكّ < shakka

(ط) الكلمات التى أصلها فعل ماضى على وزن إفْتَعَلَ :

مثال :

إنتهى < ?intaha

(ك) الكلمات التى أصلها فعل ماضى على وزن فَعْلَلَ :

مثال :

ترجم < tarjama

٢ ـ الكلمات التى يحذف منها المقطع الأخير : وتبقى حركة الفتحة السابقة عليها .

الأمثلة :

البصل < ?albasa

القمح < ?alkama

أرخص < ?araha

الصبح < ?asuba

أوقع < ?awka

نكران < nukura

تكرار < takara

٣ ـ الكلمات المنتهية بالألف المقصوره .

الأمثلة :

دنيا < duuniiya

فتوى < fatawa

هدايا < hadaaya

معنى < ma?ana

٤ ـ الكلمات العربية التى أصلها أسماء منتهية بألف التأنيث المحدودة حيث تحذف الهمزة وتبقى حركة الفتحة الطويلة السابقة عليها :

الأمثلة :

الدعاء < ?addu?aa

العشاء < ?al?isha

عاشوراء < ?aashuuraa

العشاء < lishaa

رجاء < rajaa

رياء < riyaa

صحراء < sahaara

شعراء < shu?ara

٥ ـ الكلمات العربية التى أصلها أسماء منتهية بتاء التأنيث . حيث تحذف التاء وتبقى حركة الفتحة السابقة عليها وهى إما أسماء جامدة أو مصادر أو اسم فاعل : :

(أ) الأسماء الجامدة والتى تنتهى بتاء التأنيث .

الأمثلة :

الأمة < ?al?umma

الغاية < ?algaaya

دابة < daabba

جريدة < jariida

نافلة < naafila

طاقية < taagiiya

وثيقه < wasiiqa

ذرية < zuriiya

(ب) الكلمات التى أصلها مصادر وتنتهى بتاء التأنيث وتأتى على الأنماط التالية :

١ ـ النمط cvcv

مثال :

حجه < huja

٢ ـ النمط cvvcv

الأمثلة :

طاعة < ḍaa?a

زينة < ziina

٣ ـ النمط cvccv

الأمثلة :

عزة < ?izza

دولة < dawla

حركة < harka

هيبة < hayba

قصة < kissa

كسوة < kiswa

نية < niyya

٤ ـ النمط cvcvcv

الأمثلة :

دعوة < da?awa

خدمة < hidima

قسمة < kisima

قطعة < kiti?a

نعمة < ni?ima

رشوة < rashawa

٥ ـ النمط cvcvvcv

الأمثلة :

عبادة < ?ibaada

إشاره < ?ishaara

حكاية < hikaaya

خسارة < hasaara

نجاسة < najaasa

صناعة < sanaa?a

وليمة < waliima

٦ ـ النمط cvccvcv

مثال :

غرغرة < gargara

٧ ـ النمط cvccvccv

الأمثلة :

النية < ?anniyya

تربية < tarbiyya

٨ — النمط cvccvcvcv

الأمثلة :

النفقة < ?annafaga

النشوة < ?annashawa

٩ — النمط cvccvcvvcv

مثال :

استخارة < ?istihaara

(ج) كلمات أصلها مصدر ميمى وتنتهى بتاء التأنيث وتأتى على .

١ — النمط التالى cvcvvc

الأمثلة :

معاملة < ma?aamala

مبايعة < mabaaya?a

محاورة < mahaawara

مكالمة < makaalama

مكيدة < makiida

مصافحة < musaafaha

موافقة < mawaafaka

(د) كلمات أصلها اسم فاعل وتنتهى بتاء التأنيث .

مثال :

معجزة < mujiza

(هـ) كلمات أصلها اسم مكان وتنتهى بتاء التأنيث .

مثال :

مطبعة < maḍaba?a

٦ — كلمات عربية مبنية على الفتحة واقترضت فى لغة الهوسا كما هى ، وهى :

أبداً < ?abada

أما < ?ammaa

إما < ?imma

إلا < ?illa

إلى < ?ila

عند < ?inda

غير < gayra

لا < la

حتى < hatta

هيهات < hayhaata

هكذا < haka

**ثانيا : حركة الفتحة غير المشروطة :**

وهى تأتى فى نهاية عدد محدود من الكلمات بلغ عددها فيما جمعت من مادة علمية ثلاثين كلمة على النحو التالى :

(أ) فى نهاية كلمات أصلها مصدر وتأتى على الأنماط التالية :

١ — النمط cvvcv

مثال :

ربح أو ربا < riiba

٢ — النمط cvcvcv

الأمثلة :

عفو < ?afuwa

سبب < sababa

شكر < shkura

٣ ــ النمط cvcvvcv

الأمثلة :

عذاب < ?azaaba

جدال < jidaala

خلاف < hilaafa

حنان < hanaana

قتال < kitaala

(ب) كلمات أصلها مصدر ميمي :

الأمثلة :

مقام < mugaama

(ج) كلمات أصلها اسم فاعل :

الأمثلة :

داخل < daahila

خارج < haarija

واقع < waaqi?a

زائد < zaa?ida

(د) كلمات أصلها اسم زمان :

مثال :

مغرب < magariba

(هـ) كلمات أصلها إسم جامد وتأتى على الأنماط التالية :

١ ــ النمط cvccv

مثال :

جُرم ، حجم < girma

٢ ــ النمط cvcvcv

مثال :

ذراع < dara?a

٣ ــ النمط cvcvvcv

مثال :

فراغ < faraaga

كسل < kasaala

٤ ــ النمط cvvcvvcv

مثال :

تاريخ < taariiha

٥ ــ النمط cvcvcvcv

مثال :

فهرس < fihirisa

٦ ــ النمط cvccvcv

مثال :

marmara

٧ ــ النمط cvcvvcvcv

مثال :

جنائز < جنازه < janaa?iza

**٢ ــ حركة الكسرة :**

تأتى حركة الكسرة غير مشروطة فى نهاية الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا ، سواء كان أصلها اسم فاعل أو اسم مفعول ، أو مصدر أو اسم جامد أو صفة فى جميع أنماط الكلمة على النحو الموضح فيما بعده :

(أ) كلمات أصلها اسم فاعل وتأتى على الأنماط التالية :

١ ــ النمط cvcv

مثال :

حاج < haji

٢ ـ النمط cvcvv

مثال :

ولى < walii

٣ ـ النمط cvvcvv

مثال :

والى < waalii

٤ ـ النمط cvccv

مثال :

شاذ < shazzi

٥ ـ النمط cvccvv

مثال :

مفتى < muftii

٦ ـ النمط cvvcvcvv وهو الغالب :

الأمثلة :

دائم < daa?imii

فاجر < faajirii

فاسق < faasiqii

غالب < gaalibii

حاكم < haakimii

جاهل < jaahilii

كامل < kaamilii

كاذب < kaazibii

٧ ـ النمط cvcvcvcvv

مثال :

مثير الفتنة < mafitinii

مشرك < mushirikii

٨ ـ النمط cvccvcvv

مثال :

مشكل < mushkilii

٩ ـ النمط cvccvvcvv

الأمثلة :

القاضى < ?alkaalii

الوالى < ?alwaalii

١٠ ـ النمط cvccvvcvcvv

الأمثلة :

الخائن ?alhaa?inii

الحاصل ?alhaasiilii

المهاجر < التلميذ < ?almaajirii

التاجر < الثرى < ?attaajirii

الظالم ?azzaalumii

١١ ـ النمط cvccvcvccvcvv

مثال :

المبذر < ?almubazzarii

(ب) كلمات أصلها إسم مفعول وتأتى على الأنماط التالية

١ ـ النمط cvcvvcv

مثال :

مراد < muraadi

٢ ـ النمط cvccvvcv

مثال :

مستور < mastuuri

٣ ـ النمط cvcvcvvcv وهو الغالب :

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| مخلوق | < | mahaluuki |
| مقبول | < | makabuuli |
| مقصود | < | makasuudi |
| مكتوب | < | makatuubi |
| مصروف | < | masaruufi |
| مشغول | < | mashaguuli |
| مشهور | < | mashahuuri |

٤ ـ النمط cvcvccvcvv

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| مدور | < | madawwarii |
| مكسر | < | makassarii |
| محرم | < | muharramii |
| مربع | < | murabba ?ii |

(ج) كلمات عربية مقترضة أصلها مصدر وتأتى على الأنماط التالية ، وهى الأكثر استعمالا فى اللغة :

١ ـ النمط cvccv

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| عيب | < | ?aybi |
| حد | < | haddi |
| نص | < | nassi |
| صوت | < | sawti |
| سر | < | sirri |

٢ ـ النمط cvcvcvv

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| أمر | < | ?amarii |
| إذن | < | ?izinii |
| درس | < | darasii |
| فرض | < | faralii |
| لفظ | < | lafazii |
| سحر | < | sihrii |

٣ ـ النمط cvcvvcv

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| بيان | < | bayaani |
| فساد | < | fasaadi |
| جدال | < | jidaali |
| جهاد | < | jihaadi |
| صلاة | < | salaati |
| سكون | < | sukuuni |

٤ ـ النمط cvvcvvcv

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| تأكيد | < | taakiidi |
| تأثير | < | taasiiri |
| تأخير | < | taahiiri |
| تأريخ | < | taariihi |
| تأويل | < | taawiili |

٥ ـ النمط cvcvcvvcv

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| تدبير | < | tadabiiri |
| تدليس | < | tadaliisi |
| تجوال | < | tajawaali |
| تقدير | < | takadiiri |
| تكايف | < | takaliifi |
| تكرار | < | takaraati |

٦ ــ النمط cvccvvcv

الأمثلة :

إنكار < ?inkaari
انزال < ?inzaali
تفسير < tafsiiri
تلقين < talqiini
ترتيب < tartiibi
توحيد < tawhiidi

٧ ــ النمط cvcvccvcvv

الأمثلة :

تعامل < ta?ammalii
تعنت < ta?annutii
تطوع < tadawwu?ii
تلوم < talawwamii
تصرف < tasarrufii
توكل < tawakkalii

(د) كلمات أصلها اسم جامد وتأتى على الأنماط التالية وهى أكثر الأنماط شيوعاً فى اللغة :

١ ــ النمط cvccv

الأمثلة :

عرض < ?irlii
حرف < harfi
جنس < jinsi
مسك < miski

٢ ــ النمط cvcvcvv

الأمثلة :

عنب < ?inabii
أهل < ?ahalii
عجمى < ?ajamii
قبر < kabarii
سبع < subu?ii
ثلث < sulusii
ثمن < tumunii

٣ ــ النمط cvcvvcv

الأمثلة :

أساس < ?asaasi
دليل < daliili
خراج < haraaji
زبيب < zabiibi

٤ ــ النمط cvccvcvv

الأمثلة :

أول < ?awwalii
دفتر < daftarii
درهم < darhamii
خنصر < hinsarii
هيكل < haykalii
هودج < hawdajii

٥ ــ النمط cvccvvcv

الأمثلة :

إقليم < ?ikliimi
بنلير < bandiiri
براد < barraadi
قفطان < kaftaani
صندوق < sunduuqi

(هـ) كلمات أصلها صفة وتأتى على الأنماط التالية وهى أكثر الأنماط شيوعاً :

١ – النمط cvcvvcv

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| أمين | < | ?amiini |
| عنيد | < | ?aniidi |
| بخيل | < | bahiili |
| بليد | < | baliidi |
| جميل | < | jamiili |
| كريم | < | kariimi |
| ضرورى | < | laruuri |

٢ – النمط cvcvccv

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| عدو | < | ?aduwwi |
| مهم | < | muhimmi |

ويلاحظ مما سبق أن حركة الكسرة تطول وتقصر فى التتابعات التالية :

١ – التتابع cvcc – فى نهاية الكلمة تسود فى نهايته حركة الكسرة القصيرة على النحو التالى :

| | | |
|---|---|---|
| عدو | < | ?aduwwi |
| العرش | < | ?al?arshi |
| المسك | < | ?almiski |
| حد | < | haddi |
| خط | < | haḍḍi |
| مهم | < | muhimmi |
| ملك | < | mulki |
| سر | < | sirri |

٢ – التتابع cvvc – فى نهاية الكلمة تسود فى نهايته حركة الكسرة القصيرة على النحو التالى :

| | | |
|---|---|---|
| النور | < | ?annuuri |
| حال | < | haali |
| جواب | < | jawaabi |
| متاع | < | mataa?i |
| صداق | < | sadaaki |

٣ – التتابع cvc – فى نهاية الكلمة تسود فى نهايته حركة الكسرة الطويلة على النحو التالى :

| | | |
|---|---|---|
| أصل | < | ?asalii |
| العجب | < | ?al?ajabii |
| بدل | < | badalii |
| بحر | < | baharii |
| مدد | < | madadii |
| ثمن | < | samanii |
| شكله < حركة | < | shakalii |
| ثمن | < | tumunii |
| زمن | < | zaamanii |

٤ – يأتى التتابع ccii – أو cvvcii فى نهاية الكلمة المقترضة إذا كانت تنتهى بياء النسب على النحو التالى :

| | | |
|---|---|---|
| هندى | < | hindii |
| سنى | < | sunnii |
| بخارى | < | bunkaarii |
| هوائى | < | hawaa?ii |
| روحانى | < | rawhaanii |

وقد شذ عما سبق الكلمات التالية :

العـار < la?aarii

مشاهد < masaydii

### ٣ ـ حركة الضمـة :

تأتى حركة الضمة فى نهاية عدد محدود من الكلمات على النحو التالى :

(أ) كلمات أصلها مصدر وتأتى على الأنماط التالية :

١ ـ النمط cvcvcv

الأمثلة :

حقد < hiqidu

جمع < jama?u

نقص < naqasu

يأس < ya?asu

٢ ـ النمط cvccv

الأمثلة :

بيت < baytu

فرق < farqu

صلح < sulhu

سم < sammu

شرك < shirku

ظلم < zulmu

٣ ـ النمط cvcvvcv

الأمثلة

أمان < ?amaanu

فداء < fidaa?u

قراءة < karaatu

٤ ـ cvccvvcv

مثال

التعب < ?attaabu

٥ ـ النمط cvccvcvvcv

مثال :

السلام < ?assalaamu

(ب) كلمات أصلها اسم جامد وتأتى على الأنماط التالية :

١ ـ النمط cvcvcv

مثال :

نحو < nahawu

٢ ـ النمط cvcvvcv

مثال :

سماء < samaa?u

٣ ـ النمط cvvcvvcv

مثال :

آلات < ?aalaatu

٤ ـ النمط cvccvvcvv

مثال :

الجيب < ?ljiifuu

٥ ـ النمط cvccvcvcv

مثال :

الجزر < ?algazaru

٦ ـ النمط cvcvccvcv

الأمثلة :

زبرجد < zabargadu

زمرد < zumurrudu

## ٤ ــ السكون :

تنتهي بعض الكلمات العربية المقترضه فى لغة الهوسا ، بصوت صامت . وأكثر هذه الكلمات مقترض من اللهجة العامية ، وأكثرها ينتهى بصوت النون أو الراء حيث يشيع استعمال هذين الصوتين كأداة لربط بعض الكلمات ببعضها فى حالات معينة : وقد أمكن تصنيف الأصوات الصامته فى نهاية الكلمات المقترضة على النحو التالى :

### ١ ــ صوت النون :

(أ) يأتى فى حالة اقتراض الكلمة منتهية بنون التنوين كما هو واضح فى الأنماط الآتية .

١ ــ النمط cvccvn

الأمثلة :

باتاً < battan
حقاً < hakkan
حياً < hayyan
خيراً < hayran
شيئاً < shay ?an

٢ ــ النمط cvcvcvn

الأمثلة :

أبداً < ?abadan
عجباً < ajaban
دفعاً < dafa ?an
مثلاً < masalan

٣ ــ النمط cvcvvcvn

الأمثلة :

هنيئاً < hanii ?an
مثال < misaalin
مراراً < muraaran

٤ ــ النمط cvvcvcvn

مثال :

واضحاً < waalihan

٥ ــ النمط cvvcvvcvn

مثال :

آباد < ?aabaadin

٦ ــ النمط cvccvcvn

مثال :

شرمداً < sarmadan

٧ ــ cvvccvcvn

الأمثلة :

كافة < kaaffatan

٨ ــ النمط cvvcvcvcvn

مثال :

ساعتئذ < saata ?izin

(ب) تأتى فى نهاية العقود من عشرين إلى تسعين على النحو التالى :

٢٠ < ?ishiriin
٣٠ < talatiin
٤٠ < ?arba ?iin
٥٠ < hamsiin

٦٠ < sittiin

٧٠ < saba?iin

٨٠ < tamaniin

٩٠ < tas?iin

(ج) كلمات تنتهي بصوت النون وتأتي على الأنماط التالية :

١ ــ النمط cvcvn

مثال :

مثلا < kaman

٢ ــ النمط cvvcvn

الأمثلة :

بين < خلف < baayan

لكن laakin

٣ ــ النمط cvccvvn

الأمثلة :

رمان < rummaan

سلطان < suldaan

شيطان < shaydaan

زيتون < zaytuun

٤ ــ النمط cvccvcvvn

مثال :

ترجمان < turjumaan

٥ ــ النمط cvcvcvvcvn

مثال :

زعفران < za?afaraan

**٢ ــ صوت الراء :**

وتأتي الكلمات على الأنماط التالية

١ ــ النمط cvr

مثال :

مر < mur

زور < zur

٢ ــ النمط cvcvr

الأمثلة :

بخور < bafur

مثل < kamar

سكر < sukar

٣ ــ النمط cvvcvvr

مثال :

سحور < saahuur

٤ ــ النمط cvccvr

الأمثلة :

أكبر < ?akbar

عسكر < ?askar

٥ ــ النمط cvcvcvr

مثال :

الظهر < ?azahar

٦ ــ النمط cvcvcvcvr

مثال :

مختصر < muhutalar

٣ ــ كلمات تنتهي بصوت الباء :

الأمثلة :

الكذب < ?alkazib

عنب < ?anab

| | | |
|---|---|---|
| الأدب | < | ladab |
| صدف | < | sadab |

٤ ـ كلمات تنتهى بصوت التاء :

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| فقط | < | fakat |
| تحت | < | tamat |

٥ ـ كلمات تنتهى بصوت السين .

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| البرص | < | ?albaras |
| القراقيش | < | ?algaragiis |
| الخميس | < | ?alhamiis |
| الخبز | < | ?alkubus |
| بس | < | bas |
| مقادس | < | makadas |

٦ ـ كلمات تنتهى بصوت اللام .

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| بطال | < | battaal |
| فلفل | < | filfil |
| فجل | < | fijil |
| فى الأزل | < | fil?azal |
| رطل | < | ratal |
| ريال | < | riiyaal |
| خشب الصندل | < | sandal |
| زوال | < | zawwal |

٧ ـ كلمات تنتهى بصوت الميم :

الأمثلة :

| | | |
|---|---|---|
| حرم | < | haram |
| الأمام | < | liimaam |

**الخلاصــة :**

خلاصة البحث أن الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا ، تنقسم من حيث الحركة النهائية إلى قسمين :

القسم الأول : وهو أسماء الأعلام وتسود حركة الضمة القصيرة فى نهايتها ، فيما عدا الأسماء التى تنتهى بتاء التأنيث أو ألف التأنيث الممدودة حيث تبقى حركة الفتحة بعد حذف التاء ، وحركة الفتحة الطويلة بعد حذف الهمزة ، أواسماء الأعلام التى وردت فى القرآن الكريم كثيراً فى حالة النصب بالفتحة ، بينما تأتى الأعلام التى تقع فى موقع المضاف إليه منتهية بحركة الكسرة وكذلك الأعلام التى تنتهى بحركة الكسرة الطويلة .

أما القسم الثانى وهو الكلمات التى ليست بأسماءأعلام فتسود فيها حركة الكسرة الطويلة أو القصيرة حسب حركة المقطع قبل الأخير من الكلمة . ففى حالة وجود التتابع cvcc — أو cvvc — تأتى حركة الكسرة القصيرة فى نهاية الكلمة ، أما فى حالة وجود التتابع cvc — فتسد حركة الكسرة الطويلة فى نهاية الكلمة : أما التتابعان ccii — و cvvcii فيأتيان إذا كانت الكلمة تنتهى بياء النسب :

أما حركة الفتحة فتأتى فى نهاية الكلمة العربية المقترضة غير مشروطه فى كلمات معدودة ، وتأتى مشروطه فى حالات كثيرة وهى الحالات الآتية :

١ ــ فى نهاية الكلمات المبنية على الفتحة مثل الفعل الماضى وبعض الأدوات والظروف وحروف الجر ؛

٢ ــ فى حالة انتهاء الكلمة بتاء التأنيث المحدودة ، حيث تحذف التاء فى الحالة الأولى والهمزة فى الحالة الثانية وتبقى حركة الفتحة السابقه على المحذوف ؛

٣ ــ فى حالة حذف المقطع الأخير من الكلمة ، وكانت الحركة السابقة على المقطع المحذوف هى حركة الفتحة ؛

٤ ــ الكلمات المنتهية بالألف المقصورة ؛

وإذا كانت حركة الضمة تسود فى نهاية أسماء الإعلام إلا أنها تأتى فى نهاية عدد محدود جداً من الكلمات الأخرى ، شأنها فى ذلك شأن الكلمات المنتهية بصوت صامت ؛

ويمكن القول أن الكلمات التى تنتهى بحركة الفتحة والسكون تعتبر دليلا على انتقالها عن طريق العامية وليس عن طريق اللغة العربية الفصحى .

مصطفى حجازى السيد
الأستاذ بمعهد البحوث والدراسات
الافريقية بجامعة القاهرة

أهم مصادر البحث :


Abraham : Dictionary of the Hausa Language, University of London press ، 1973

Ahmed ، Umar Balarabe : Bora da Mora N.N.P.C

Balew ، Abubakar Tafawa : Shaihu Umar N.N.P.C 1937

Bamalli ، Nuhu : Bala Da Babiya N.N.P.C 1973

Bello ، Walin Katsina : Gandoki N.N.P.C 1973

Dembo ، Umar : Wasannin Yara N.N.P.C 1972

Gogge ، Adamu and Dauda Kano : Tabarmar Kunya, N.N.P.C 1973

Imam, Abubakar : 1. Magana Jari ce I, II, III N.N.P.C 1973
2. Ruwan Bagaja N.N.P.C 1973

Ingawa ، Ahmadu 3. Iliya Dan Maikarfi N.N.P.C 1973

Ka'oje ، Abdulahi : Dare Daya N.N.P.C 1973

Makarfi ، Shu'aibu : Jatau Na Kyallu N.N.P.C 1970

Rimmer ، Ahmadu Ingawa and Abu Musawa and Yakubu Auna : Zaman mutum da sana'arsa N.N.P.C 1970

Tunau ، Abubakar : Wasan Marafa Wusasa Tafida Jiki Magayi N.N.P.C 1973

Yahaya ، Ibrahim Yaro : Daren sha Biyu N.N.P.C 1971

——— : Karamin Sani I, II, N.N.P.C 1973

——— : Ka kara Karatu N.N.P.C 1971

——— : Ka yi ta Karatu N.N.P.C 1973


N.N.P.C = Northern Nigerian Publishing Company Zaria ، Nigeria

# ظاهرة الإعلال والإبدال في العربية بين القدماء والمحدثين

## (٢)

للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف

**ثالثا :** حروف الإعلال والإبدال :

إبدال الحروف بعضها من بعض - بمعناه الواسع - يقع على أنواع مختلفة يمكن أن نصنفها على الوجه الآتي :

١ - الإبدال التصريفي .
٢ - الإبدال اللهجي .
٣ - الإبدال الشاذ .
٤ - إبدال الضرورة الشعرية.

وكل منها في حاجة إلى شيء من التفصيل على أن الذي يعنينا من هذه الأنواع هو النوع الأول أي البدل التصريفي وها هي هذه الأنواع :

**( ١ ) الإبدال التصريفي :**

وهو الذي تبدل الحروف فيه بعضها من بعض لعلة تصريفية ،أي أن البدل فيها يخضع لقوانين صوتية خاصة ، وهذا النوع تنطبق قوانينه على اللغة المشتركة [١] كلها ولذلك يمثل فيها ظاهرة تستحق الدراسة ، وقد حدده الرضي فيما نقله عنه الأشموني بأنه هو « مالو لم يبدل أوقع في الخطأ أو مخالفة الأكثر ، فالموقع في الخطأ كقولك في : مال : مول ، والموقع في مخالفة الأكثر كقولك في سقاءة : سقاية [٢] ».

والحروف التي يقع فيها هذا النوع ثمانية أحرف هي : الهمزة والواو والألف والياء ، والدال والطاء والتاء والميم . وقد جمعها ابن مالك في كتابه تسهيل الفوائد في قوله «طويت دائما [٣] » ووصف هذه الحروف بأنها ضرورية للتصريف ، أي أنها هي التي تقع

(١) « اللغة المشتركة » مصطلح بين دارسي اللغة المحدثين يقصد به اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وقيل بها الشعر الجاهلي وهي اللغة التي يفهمها كل عربي من قبيلة قد تتخاطب بلهجة تتفق أو تختلف مع اللهجة الأم أي اللغة المشتركة .

(٢) انظر : شرح الأشموني ٤-٢٨٣ .

(٣) انظر : تسهيل الفوائد ص ٣٠٠ وقد أشار ابن مالك مرة أخرى إلى هذه الحروف بعبارة زاد فيها الهاء وذلك في ألفيته الشهيرة إذ يقول : « أحرف الإبدال هدأت موطيا » وذلك لأن الهاء تبدل من التاء في الوقف ، فإذا وقفت على كلمة مثل : فاطمة ومسلمة ومجتهدة إلى آخره قلبت تاء التأنيث في الوقف هاء ، ومجال دراسة هذه الحالة هو باب الوقف .

تحت طائلة القواعد الصرفية بمعنى أن يقال مثلا : إذا وقعت تاء الافتعال بعد حرف من حروف الإطباق قلبت طاء مثل اصطبر فهذه قاعدة عامة لاتتخلف فى كل صيغ الافتعال ، وكأن يقال مثلا : إذا وقعت الواو أو الياء عينا لاسم فاعل فعل ثلاثى أعلت فى ماضيه قلبت همزة مثل : قائل وبائع ، فهذه أيضا قاعدة لا تتخلف فى كل اسم فاعل توافر فى ماضيه هذا الشرط ، وهكذا :

ويستطيع المتكلم باللغة أن ينطق بكل ماحدث فيه هذا الضرب من الإبدال أو الإعلال دون أن يقوم فى نفسه سببه أو يعرف علته ، لأنه ينطق باللغة على عادته وكما سمعها ، والذين استخلصوا هذه القواعد هم الصرفيون ، والغرض من هذه القواعد — كما يقول أبو على الفارسى — إنما هو ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها ويستوى من ليس بفصيح ومن هو فصيح [1] .

وبيان ذلك أن المتكلم بالعربية إذا صاغ اسم الفاعل من قام قال : قائم ، ولكن غير المتكلم بها ممن يحاولون تعلمها لا يجرى ذلك على لسانه دون أن يتعلم أن عين اسم الفاعل إذا كانت واواً — كما فى هذا الفعل — تقلب همزة ، فالقواعد التصريفية الخاصة بهذا النوع من أنواع الإبدال إنما هى لوصف خصائص هذه الظاهرة فتعين المتكلم بالعربية على تفسيرها ، وتعين المتعلمين لها على كيفية النطق وإجادتها .

**( ب ) النوع الثانى هو ما يمكن أن يسمى « الابدال اللهجى » :**

ونقصد به ذلك النوع الذى لا يخضع لقاعدة تصريفية فى اللغة المشتركة ، بل يخضع لمادة نطقية خاصة بأبناء لهجة معينة ويطرد فى هذه اللهجة المعينة دون أن يتمكن من التسرب إلى مستوى اللغة المشتركة بل يظل مقصوراً على استعمال هذه اللهجة فحسب :

ومن هذا النوع إبدال الياء المشددة جيما فى الوقف كقول الراجز :

خَالى عُوَيْفٌ وأبو عِلِجّ

المطعمان اللحمَ بالعَشِجّ

وبالغداة كتل البرنِجّ

يُقْلَعُ بالوَدّ وبالصِّيصِجّ [2]

وهذه الظاهرة — وأعنى بها إبدال الياء المشددة جيما — من خصائص لهجة « قضاعة » وتسمى « العجعجة » أو « عجعجة قضاعة » وربما أبدلوا الجيم من الياء فى غير الوقف كقولهم فى « الأيِّل » : الأجِّل ، وقد يبدلون

(١) ابن جنى : المنصف شرح التصريف ١/٢٧٩ .

(٢) أبو علج : أبو على ، العشج ، العشى ، البرنج : البرنى نوع من التمر ، الصيصج : الصيصى ، وهو قرن البقر ، والكتل : جمع كتلة وهى القطعة المجتمعة .

الياء غير المشددة جيما أيضا كقول الراجز:

لاهُمَّ إن كنتَ قَبلْتَ حَجَّتجْ
فلا يزال شاحِجٌ يأتيكَ بِجْ
أقمرُ نهَّاتٌ يُنزِّى وَفرتِج[1]

فالياء فى كل من: «حجتى ووفرتى وبى» غير مشددة لأنها ياء المتكلم ومع ذلك أبدلت جيما.

ومن هذا النوع من الإبدال اللهجى «العنعنة» فى لهجة قيس وتميم، وهى إبدال الهمزة المبدوء بها عينا، فيقولون فى إنك عنَّك وفى أسلم: عسلم، وفى أذَّن: عذَّن.

ومن هذا النوع «الفحفحة» فى لغة هذيل وهى جعل الحاء عينا فى هذه اللهجة، وقد قرئ قوله تعالى: «حتَّى حين» «على لهجتهم «عتى عين» ولعل هذا ضرب من المبالغة فى نطق الحاء، لأن العين أدخل فى الحلق من الحاء.

ومن ذلك أيضا «الكشكشة» فى لهجة تميم وهى إبدال كاف الخطاب للمؤنثة شينا كقولهم فى خطاب المؤنثة المفردة: ما الذى جاء بش؟ يريدون: بك، وقراءة بعضهم (قد جعل رَبُّشِ تحتشِ سَرِيًّا[2]).

ومن ذلك أيضا «الكسكسة» فى لهجة بكر وهم يبدلون كاف الخطاب للمؤنثة سينا كقولهم فى خطاب المؤنثة: أبوس بدلا من: أبوك، وفى أمك يقولون: أمس.

وهذا الضرب من الإبدال اللهجى كثير متعدد وليس هنا مجال دراسته أو عرضه[3] لأن هذا النوع — كما يقول الرضى — «جدير بأن يذكر فى كتب اللغة لا فى كتب التصريف[4]» فليس هذا النوع — إذن — من مباحث الإبدال التصريفى الذى نحن بصدد دراسته.

**(ج) والنوع الثالث هو الابدال الشاذ:**

وهذا النوع مثل سابقه من حيث إنه لا يخضع لقاعدة تصريفية خاصة بمعنى أنه لا يمكن معه القول بأنه كلما كان كذا كان كذا، غير أنه لا يرتبط باستعمال لهجى خاص أى أن كتب اللغة لم تنقله لنا بوصفه استعمالا للهجة قبيلة مخصوصة، ولذلك فهو لا يطرد فى بابه بل يتوقف فيه على حدود ما ورد، ولا يمكن القياس عليه أو التوسع فيه.

---

(١) الشاحج: البغل، الأقمر: الأبيض، النهات: الصياح والنهاق، ينزى: يحرك، والوفرة: شعر الرأس إذا بلغ شحمة الأذن.

(٢) الآية ٢٤ من سورة مريم (فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) أنظر فقه اللغة للثعالبى ١١٤، ١١٥ (الطبعة الأولى سنة ١٩٢٣ م) وشرح الأشمونى ٢٨٢/٤

(٣) انظر: سر الصناعة ٢٣٤/١ المزهر للسيوطى ٢٢١/١، والصاحبى لابن فارس ص ٢٧/١٩ ولهجات العرب للمرحوم أحمد تيمور للوقوف على عدد من هذه اللهجات.

(٤) انظر هذه العبارة — وقد نقلها الأشمونى من شرح الكافية للرضى — فى الأشمونى ٤-٢٨٢.

ومن ذلك إبدال اللام من النون فى كلمة أصيلان فى مثل قول النابغة :

وقفت فيها أصيلالا أسائلها
عيّت جوابا وما بالربع من أحد

يقول سيبويه « وقد أبدلوا اللام من النون وذلك قليل جدا ، قالوا : أصيلال وإنما هو أصيلان »(١) .

ومن ذلك إبدال اللام من الضاد فى قول منظور بن حبة الأسدى :

لما رأى أن لا دَعَةً ولا شبع
مال إلى أرطاة حقف فالطجع

وأصل « فالطجع » : فاضطجع ، أبدلت الضاد لاما إبدالا شاذا .

من ذلك إبدال الهمزة هاء كقولهم هياك فى إياك ، و« لهنك قائم » فى « لإنك قائم(٢) » ، وهرقت الماء فى : أرقت الماء وهردت الشىء فى أردت الشىء ، وهرحت الدابة فى أرحت الدابة ، يقول سيبويه : « وقد أبدلت ( الهاء ) من الهمزة فى هرقت وهمرت وهرحت الفرس تريد أرحت » ويقول أيضا : « ويقال إياك وهياك »(٣) .

( د ) النوع الرابع فهو ابدال الضرورة الشـعرية :

وهو الذى يقع فى الشعر من أجل إقامة الوزن أو القافية ، ويلاحظ أن الأمثلة التى ساقها الصرفيون فى هذا المجال يقع فيها الإبدال فى الحرف الأخير من الكلمة بأن يبدل ياء ، وذلك كما فى قول النمر بن تولب اليشكرى :

لها أشارير من لحم تتمره
من الثعالى ووخزٌ من أرانيها

فقد أبدل من الباء فى كلمة الثعالب ياء ومن الباء فى كلمة أرانبها ياء كذلك .

وقد أبدلت العين من كلمة « الضفادع » ياء فى قول الشاعر :

ومنهل ليس له حوازقُ
ولضفادى جمة نقانق

وقد أبدلت الحروف الأخيرة من الكلمات : الثالث والخامس والسادس ياء فى الشواهد الآتية :

قد مرّ عامان وهذا الثّالى
وأنت بالهجران لا تُبالى

وقول الآخر :

مضت ثلاث سنين منذ حلّ بها
وعام حلّت وهذا التابعُ الخامى

---

(١) سيبويه : ٢-٣١٤ .
(٢) فى مثل هذا التركيب تتأخر اللام إلى خبر إن وتسمى اللام المزحلقة ، ولكنهم لم يبالوا بهذا لاختلاف الصورة فى « لهنك قائم » .
(٣) سيبويه ٢-٣١٣ .

وقول الآخر :

إذا ما عُدَّ أربعة فِسالٌ
فزوجك خامس وأبوك سادى[1]

واعتبار هذا النوع من إبدال الضرورة الشعرية هو رأى سيبويه وبعض النحاة الذين اتبعوه ، ويفسر سيبويه ذلك بأن الشاعر احتاج فى قوله :

ولضفادى جمة نقانق

إلى حرف يكون ساكنا من أجل إقامة الوزن ولما كانت العين فى كلمة (ولضفادع) لا يصح أن تكون ساكنة ، لأنها ليست فى الوقف ، بل يجب أن تكون هنا مجرورة فقد أبدلها الشاعر ياء ، لأنها حرف يمكن أن يكون ساكنا[2] ، ويقول المبرد : «واعلم أن الشعراء إذا اضطروا إلى إسكان حرف مما هو متحرك فلم يصلوا إلى ذلك أبدلوا منه الياء إن كانت قبله كسرة ، لأن الياء إذا كانت كذلك ( أى قبلها الكسرة) لم تحرك فيسلم الإعراب ويصح الوزن[3]»

ويرى بعض النحاة أن هذا النوع ليس من الإبدال للضرورة الشعرية ، بل هو من الترخيم فى غير النداء للضرورة .

ويرى فريق ثالث أن هذا النوع ليس من إبدال الضرورة الشعرية وليس من الترخيم فى غير النداء للضرورة ، ولكنه من « البدل غير المقيس» أى من البدل الشاذ فهم بذلك يدرجون هذا النوع تحت النوع السابق .

ويرى فريق رابع أن هذه الكلمات صيغ مستعملة بجوار الصيغ الأخرى فكل من الثالث والثالى ، والخامس والخامى ، والسادس والسادى كلمة مستعملة جنب الأخرى ، دون أن يكون ثمة بدل ومبدل منه ، ولعل الإبدال كان فى فترة سابقة ، بحيث نسيت ولا يمكن معها أن تعد إحداهما أصلا والأخرى فرعا ، وإلى هذا الرأى ذهب ابن السكيت[4] ، ولذلك عده ابن سيده فى المخصص[5] لغة .

ولعلك قد أدركت بعد عرض هذه الأنواع الأربعة من الإبدال أن النوع الأول منها وهو الإبدال التصريفى هو الذى يندرج تحت طائلة علم الصرف ، ولذلك يجب الرجوع إليه مرة أخرى لنتعرف حروفه التى يقع فيها هذا النوع من الإبدال ونحاول أن ندرس خصائصها .

**أولا : حروف الاعلال :**

بالتعريف الذى سنأخذ به فى الإعلال تكون حروف الإعلال هى : الألف والواو والياء والهمزة .

وللصرفيين العرب نظرة خاصة إلى الهمزة إذ يلحقونها بأحرف العلة الثلاثة ، فهم

(١) انظر هذه الشواهد فى المفصل للزمخشرى ٣٦٤ وما بعدها وهمع الهوامع للسيوطى ١٥٧/٢ .
(٢) انظر سيبويه ٣٤٤/١ . (٣) المقتضب للمبرد : ٢٤٧/١ .
(٤) انظر إصلاح المنطق ٣٠١ . (٥) أنظر : الدرر اللوامع ٢١٢/٢ . (٦) سيبويه ١٦٥/٢ .

يقولون إنها أخت لحروف العلة اللاتى هن أمهات البدل والزوائد وكان الخليل بن أحمد يسميها الحروف الهوائية ويقول سيبويه : « فأبدلوا هذه الحروف التى منها الحركات لأنها أخوات، وهى أمهات البدل والزوائد، وليس حرف يخلو منها أو من بعضها، وبعضها حركاتها ، وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف ، وهى إحدى الثلاث ، والواو والياء شبيهة بها أيضا مع شركتهما أقرب الحروف منها[1] ونص سيبويه يجعل هذه الأصوات الأربعة ( الألف والواو والياء والهمزة ) أخوات ولعل هذا مما يسوغ البدل بينها .

والواو والياء والألف تسمى حروف المد واللين ، وهى متقاربة المخرج ، إذ ينطلق فى نطقها الهواء خارجا من الرئتين لايعترضه شيء ولايشكل نطق كل منها إلا حركة الفم ، ويمكن مع التراخى بعض الشيء فى نطق إحداها أن تتحول إلى الأخرى يقول ابن جنى فى وصف مخارج هذه الأحرف الثلاثة : « والحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو ، وأوسعها وألينها الألف ، إلا أن الصوت الذى يجرى فى الألف مخالف للصوت الذى يجرى فى الياء والواو ، والصوت الذى يجرى فى الياء مخالف للصوت الذى يجرى فى الألف والواو .

والعلة فى ذلك أنك تجد الفم والحلق فى ثلاث الأحوال مختلف الأشكال .

أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر . وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتى اللسان وضغطته ، وتفاج ( أى تباعد ) الحنك عن ظهر اللسان ، فيجرى الصوت متصعدا هناك ، فلأجل تلك الفجوة ما[2] استطال .

وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت .

فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر[3] .

فالأصوات الثلاثة مخرجها واحد وصفاتها متقاربة ، والهمزة أخت لها كما يقرر سيبويه ولهذا السبب ساغ البدل بينها ، وسوف نحاول أن نتناول كل واحد منها على حدة .

---

(١) أنظر العين ٦٤/١ .

(٢) (ما) هنا زائدة ، ويكثر هذا فى أسلوب ابن جنى .

(٣) ابن جنى : سر الصناعة ٩٢٨/١ .

### ١ ـ الألف :

صوت الألف لايكون إلا حرف مد ، ولايقبل الحركة بحال ، لأنه هو نفسه ــ كما يرى علماء اللغة المحدثون والقدماء أيضا ــ فتحة طويلة .

والصرفيون العرب يرون أن الألف حركة طويلة ، وذلك لأنهم يقولون إن الحركات ( الفتحة والكسرة والضمة ) أبعاض حروف المد واللين ، غير أنهم لايعاملونها على أنها كذلك ، وذلك لأن الطبيعة الاشتقاقية للغة العربية ، وبناء الكثير من كلماتها على أصول ثلاثية قد تكون الألف واحدا منها ، وصيرورة هذه الألف فى تقليبات الكلمة إلى واو أو ياء تجعل من الصعب القول بأن حروف المد واللين لا تكون إلا حركات فى حالة كونها ممدودة ، فإذا قلنا مثلا : إن (باع ) مكونة من مقطعين :

ب + فتحة طويلة + ع + فتحة قصيرة

فإن هذا ــ مع صحته صوتيا ــ يصطدم مع التقليبات الأخرى مثل : البيْع والبيَّاع والبيُّع ، والبائِع ، وبيِعَ ، وتبَايَع ، وبَايِع ، ومُبَايَعة وغيرها من الصيغ المأخوذة من مادة ( البيع ) أو من الجذر الثلاثى ( ب . ى . ع ) .

نحن ــ إذن ــ مضطرون أمام هذه الخاصية الاشتقاقية لما يسمى بالأسرة اللغوية للجذر وتفريعاته فى اللغة العربية أن نقول إن الألف الموجودة فى ( باع ) ليست إلا أصلا من أصول الكلمة وهى منقلبة عن ياء .

ولاتكون الألف نفسها أصلا من أصول الكلمة فإذا وجدت أصلا فى كلمة ما ، فإنها حينئذ تكون منقلبة عن واو أو عن ياء ، فالألف فى نحو : قال ، صام ، قام ، طال ، طاف ، راح ، صال ، جال ، أصلها الواو .

والألف فى نحو : باع ، سال ، مال ، بات ، صار ، جاء أصلها الياء .

والألف فى نحو : دعا ، دنا ، رجا ، سما ، نما أصلها الواو .

والألف فى نحو : سعى ، رعى ، بنى ، هذى أصلها الياء .

وقد انقلبت الواو والياء فى كل هذه الكلمات ألفا ، لأن الواو حرف من حروف المادة المعجمية لكل الكلمات التى يرى الصرفيون أن الألف منقلبة عنها فيها ، وكذلك الياء .

وخلاصة هذا كله أن الألف فى نظر علماء الصرف قد تكون أحد أصول الكلمة غير أنها تكون منقلبة عن ياء أو عن واو ، وقد تكون زائدة فى مثل : قاوم وساوم وبايع وقائم الخ ، ولا يمنعهم هذا من النظر إليها على أنها فتحة طويلة أخذت منها الحركة القصيرة وهى الفتحة لأن الحركات أبعاض حروف المد واللين ،

فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة(1) .

**٢ ، ٣ – الواو والياء :**

للواو والياء حالتان :

أولاهما : أنهما قد يكونان حركتين طويلتين كما فى : أدعو وأرجو ونسمو ونشكو ويرمى ويجرى ويهدى والداعى والقاضى فكل من الواو والياء فى هذه الأمثلة عبارة عن حركة طويلة فالواو ضمة طويلة ، والياء كسرة طويلة ، ولا فرق بين الكسرة القصيرة والكسرة الطويلة إلا كمية الطول ، وكذلك لا فرق بين الضمة القصيرة والضمة الطويلة إلا كمية الطول فحسب .

**ثانيهما :**

هى أن كلا من الواو والياء قد تعامل معاملة الأصوات الصامتة وذلك إذا تحركتا فى مثل وَلَد ، ويَكتب فكل من الواو والياء فى المثال المذكور قائم بوظيفة يقوم بها الصوت الصامت فليست كل منهما فى مثل المثال المذكور ( حرف مد ) أو حركة طويلة ومما يؤيد أن الواو والياء فى هاتين الكلمتين ( وَلَد – يَكتب ) وأمثالهما تؤديان وظيفة الأصوات الصامتة أنهما – كالأصوات الصامتة تماما – متبوعتان بحركات ؛ أى أن الواو محركة بالفتحة وكذلك الياء فلا يمكن عدهما هما أنفسهما حركات فى هذا المثال :

فإذا تحركت الواو والياء فى مثل وَلَد ، وَعَد ، وَثَب الخ ويَكتب ، يَترك الخ ، وكذلك إذا وقعتا ساكنتين فى مثل حوْض ثوْب وبيْت وغيْظ فإنهما يكونان من الأصوات الصامتة ، يقول الدكتور كمال بشر : « ومعنى هذا أن الواو والياء فى اللغة العربية من الأصوات الصامتة فى سياقين صوتيين معينين هما :

١ – إذا أتبعت الواو والياء بحركة من أى نوع ( أى إذا حركت كل منهما ) :

٢ – إذا وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة :

ولكن يجب ألا ننسى أنهما فى هاتين الحالتين لهما شبه نطقى بالحركات كما أن لهما شبها وظيفيا بالأصوات الصامتة – من جهة أخرى – ولهذا يطلق عليهما العلماء فى هاتين الحالتين « أنصاف الحركات » ويرى الدكتور بشر أنه من الممكن أن يسميا أنصاف صوامت أيضا ولكن المصطلح الأول أولى لشهرته فى الدراسات اللغوية وهو أيضا ما تعارف عليه الدارسون(2) .

---

(١) انظر سر صناعة الإعراب لابن جنى ١/١٩ .

(٢) انظر د . بشر : علم اللغة العام : الأصوات ٨٥ ، ٨٦ .

وسواء أكانت الواو والياء من الصوامت أم من الحركات فقد هيأتهما طبيعتهما الصوتية إلى إمكان التبادل بحيث تتحولان فى سياقات صوتية مختلفة إلى بعضهما أو إلى الألف أو الهمزة وفقا للتناسق الصوتى على ماسنرى فيما بعد.

**٤ ـ الهمزة :**

سبق لنا طرف من آراء النحاة القدماء فى الهمزة ، فبعضهم يرى الهمزة أختا لحروف العلة ، ونود أن نذكرهنا أن الخليل ابن أحمد يرى أن الهمزة حرف علة [1] أو هى شبيهة بحروف العلة ، ولذلك عندما تخفف تصير إلى أحد حروف العلة .

وصوت الهمزة ينتج من انطباق الوترين الصوتيين « الغشائيين » والغضروفيين الهرميين فى الحنجرة انطباقا كاملا وشديدا بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقا فيحتبس داخل الحنجرة ثم يسمح له بالخروج على صورة انفجار .

يقول سيبويه عن الواو والياء والألف «وهذه الحروف غير مهموسات وهى حروف لين ومد ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس شىء من الحروف أوسع مخارجَ منها ولا أمد للصوت ، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها فيهوى الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره فى موضع الهمزة ، وإذا تفطنت وجدت مَسّ ذلك ، وذلك قولك ظلموا وَرَمَوْا وعمِى وحُبْلى .

وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا ظلموا ورموا فكتبوا بعد الواو ألفا ، وزعم الخليل أن بعضهم يقول رأيت رجلأً فيهمز وهذه حُبْلأْ وتقديرهما رجلعْ وحبلعْ ، فيهمز لقرب الألف من الهمزة حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمزة فأراد أن يجعلها همزة واحدة ، وكان أخف عليهم . وسمعناهم يقولون : هو يضربهأْ فيهمز كل ألف فى الوقف كما يستخفون فى الإدغام فإذا وصلت لم يكن هذا ، لأن أخذك فى ابتداء صوت آخر يمنع الصوت أن يبلغ تلك الغاية فى السمع [2] » .

وقال الليث : قال الخليل :

« فى العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج وأربعة هوائية وهى الواو والياء والألف اللينة والهمزة .

فأما الهمزة فسميت حرفا هاويا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان ولامن مدارج الحلق ولامن مدارج اللهاة إنما هى هاوية فى الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، وكان يقول كثيرا : الألف اللينة والواو والياء هوائية أى أنها فى الهواء [3] » .

---

(١) أنظر العين ١/٦٤ ، ٦٥ (٢) سيبويه ٢/٢٨٥
(٣) العين ١/٦٤

وهذه النصوص تكشف فهم القدماء للقرابة الصوتية بين هذه الأحرف ولعل هذا ما سهل التبادل بينها وتغييرها ببعضها دون أن يترتب على ذلك تغيير فى معنى الكلمة الواحدة.

وقد اختلف الدارسون المحدثون فى وصف هذا الصوت بالجهر أو بالهمس، وبعضهم قال عنه إنه صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور[1].

ومهما يكن من اتفاق هؤلاء أو اختلافهم فإن الذى يعنينا هنا أن هذا الصوت يقع تحت طائلة الإبدال أو الإعلال فيتحول إلى ياء أو ألف أو واو كما تتحول هذه الأحرف إليه فى سياقات صوتية مختلفة لم تنل من هؤلاء المحدثين الاهتمام المناسب.

**ثانيا: حروف الإبدال:**

حروف الإبدال - بالمفهوم الذى سنتناوله به - هى: الدال والطاء والتاء والميم، وقد ينضم إليها فى بعض الحالات الذال والزاى والظاء فى حالة الإدغام فحسب.

ولكننا سنتناول بالتفصيل الحروف المشهورة منها وهى الدال والطاء والتاء وأما الميم فإن لها موقعا خاصا[2].

**(١) التاء:**

التاء صوت (أو حرف) ينقلب إلى حروف أخرى كالطاء والدال ويكون ذلك فى صيغة الافتعال وما يتفرع منه إذا كانت فاء الافتعال حرفا معينا، كما أن التاء تبدل منها الواو والياء فى هذه الصيغة أيضا أى صيغة الافتعال، وما يتفرع منها، فإبدال التاء طاء أو دالا وإبدالها من الواو والياء خاص بصيغ الافتعال وتقلب التاء طاء أو دالا للتناسب الصوتى وتبدل من الواو أو الياء تسهيلا للنطق وتخفيفا فيه.

وقد وصفت التاء بأنها صوت أسنانى لثوى انفجارى مهموس، أما أنها صوت انفجارى فلأن الهواء يقف وقوفا تاما أثناء النطق بها عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة ويضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل اللسان فجأة تاركا نقطة الالتقاء فيحدث صوت انفجارى، وأما أنه صوت مهموس فلأن الأوتار الصوتية لا تتذبذب حال النطق به، ويلاحظ أن التاء هى النظير المرقق للطاء المستعملة فى الفصحى المعاصرة.

(١) انظر: د. تمام حسان مناهج البحث فى اللغة ١٠٣ ود. عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ود. إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ٧٢ ود. كمال بشر: الأصوات ١١٢ ود. عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٤، ٢٥ ود. محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٥

(٢) تبدل الميم من النون الساكنة إذا وقعت بعدها الباء مثل: من بعد، وأنبهم ولهذا رسمت فى المصحف العثمانى ميم صغيرة فوق النون إشارة للقارىء، ويلاحظ أن الميم جمعت خصائص من الباء الشفوية والنون الأنفية ولذلك صلحت معبرا بينهما، ويسمى هذا فى فن التجويد القرآنى «الإقلاب».

## ( ٢ ) الطـاء :

وصف القدماء هذا الصوت بأنه صوت مجهور ، فقد عدها سيبويه من الحروف المجهورة — وهى التى تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بها — ويرى سيبويه أن الفرق بين الطاء والدال هو الإطباق فحسب إذ يقول « ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شئ من موضعها غيرها[١] » ، فلما كانت الدال صوتا مجهورا ، وكانت الطاء مشبهة لها فى غير الإطباق كانت الطاء صوتا مجهورا كذلك .

وقد وصف علماء اللغة المحدثون صوت الطاء بأنه صوت أسنانى لثوى انفجارى مهموس مفخم أو مطبق .

وقد وقف بعض الدارسين أمام وصف القدماء محاولا أن يلتمس له وجها ، وعلل ذلك بأحد ثلاثة أمور :

الأول : أن هؤلاء القدماء ربما أخطأوا فى الملاحظة ولا سيما أنهم لم يستخدموا إلا الملاحظة الذاتية التى لا تستند إلى أجهزة علمية أو غيرها ، فكانت الملاحظة الذاتية هى وسيلتهم الوحيدة .

الثانى : أن الطاء ربما كانت تنطق فى عصرهم بالطريقة التى وصفوها بها ثم حدث تطور فى نطق هذا الصوت حتى صار إلى ما نعرفه اليوم ، أى أنه كان فى عصرهم مجهوراً ثم تطور النطق به حتى صار مهموسا .

الثالث : لعلهم كانوا يصفون صوتا يشبه صوت الطاء الذى نسمعه فى بعض لهجات الصعيد وفى نطق بعض السودانيين الآن وهو صوت طاء مشربة بالتهميز glattalization أى أننا نشعر عند نطقها بوجود عنصر الهمز فيها . ويتم نطق هذه الطاء بالطريقة التى تنطق بها طاؤنا الحالية بإضافة عنصر جديد هو إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها ومن ثم لا يمر الهواء خلال الحلق والفم ، وبالتالى يختلف ضغط الهواء فى هاتين المنطقتين وفى خارج جهاز النطق عنه خلف الأوتار الصوتية وفجأة تنفصل الأعضاء المشتركة فى نطقها بعضها عن بعض فيخرج الهواء المضغوط خلف الأوتار بقوة ملتقيا مع الهواء المندفع من الخارج فى الفم فنسمع طاء مهموزة glottalized نتيجة إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها[٢] .

والذى أراه أنه ينبغى ألا نغفل هنا ظاهرة الإبدال بين التاء والطاء وتحول التاء — وهى مهموسة — إلى طاء فى صيغة افتعل إذا كانت فاء الافتعال صوتا مطبقاً أو مفخما كالطاء

---

( ١ ) سيبويه ٤٠٦/٢ وانظر سر الصناعة ٢٢٣/١ حيث يقول « اعلم أن الطاء صوت مجهور » وكذلك المقتضب للمبرد ١٩٥/١ حيث عد الأصوات المهموسة ولم يعد بينها الطاء .

( ٢ ) أنظر د . كمال بشر : الأصوات ١٠٣ ، ١٠٤ .

والظاء والصاد والضاد فينبغي إذن أن تكون الطاء مهموسة أيضا ، إذ الحاجة إلى التفخيم فحسب ففي مثل اصطبر قلبت التاء طاء ، ولا يحتج هنا بأن هذه من الممكن أن تكون صيغة مستقلة ولا علاقة لها بالتاء ، لأننا نرى أن القوالب الصرفية ثابتة ومطردة وهذه التغييرات إنما تحدث لمناسبة الأصوات بعضها مع البعض الآخر عند انصبابها في القوالب الصرفية .

**( ٣ ) الدال :**

الدال صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور ، وهو النظير المجهور للتاء ، وليس بينهما من فرق إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان مع الدال أثناء النطق ولذلك قلبت تاء الافتعال دالا عند وقوعها بعد صوت بين أسناني مجهور مثل الذال أو لثوي مجهور كالزاي .

ولعلك لاحظت أن هذه الأصوات الثلاثة (التاء والطاء والدال) أصوات أسنانية لثوية انفجارية فهي متقاربة في المخرج والصفة والتاء والطاء مهموستان ولا فرق بينهما إلا الإطباق ، والدال مجهورة ، ولذلك قلبت التاء طاء بعد الأصوات المفخمة أي فخمت التاء فصارت طاء ، وقلبت التاء دالا بعد الأصوات المجهورة أي صارت التاء صوتا مجهورا ولا فرق بين التاء والدال إلا في الجهر فقط .

يقول ابن جني « فإن فاء افتعل إذا كانت زايا قلبت التاء دالا وذلك نحو : ازدجر ، وازدهى ، وازدار ، وازدان ، وازدلف ، وازدهف ونحو ذلك ، وأصل هذا كله : ازتجر وازتهى وازتار وازتان وازتلف وازتهف لأنه افتعل من الزجر والزهر والزور والزين والزلف والزهف ، ولكن الزاي لما كانت مجهورة وكانت التاء مهموسة وكانت الدال أخت التاء في المخرج وأخت الزاي في الجهر قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي وهي الدال فقالوا ازدجر وازدار[1]» ونص ابن جني واضح في بيان أن المناسبة الصوتية هي سبب الإبدال ، وهذا وقوع من الصرفيين القدماء على العلة الصحيحة .

**رابعا : فلسفة الصرفيين في تناول هذه الظاهرة :**

ينبغي أن يكون واضحا أن الصرفيين العرب لم يخلقوا هذه الظاهرة خلقاً ، ولا تكلفوا القول بها ارتجالا ، وذلك لأن مهمة الباحثين ينبغي أن تكون وصفا للظاهرة وتحديدا لها ثم وضعا للقواعد التي تحكمها على ما هي عليه دون تدخل منهم في مسارها لكنه يمكن القول بأن منهج الصرفيين العرب هو الذي استدعى الوقوف على هذه الظاهرة بالطريقة التي سلكوها معها ، وكان من الممكن

---

( ١ ) ابن جني : سر صناعة الإعراب ١/٢٠٠ .

لو أنهم اتبعوا منهجا آخر ألا يكون ثمة ما يسمى إعلالا أو إبدالا (١).

ومن الحق أن نقرر بادىء ذى بدء أن مسلك الصرفيين العرب كان مسلكا منسجما مع طبيعة اللغة العربية وفهم أسرارها .

وبيان ذلك أن اللغة العربية لغة اشتقاقية كأخواتها الساميات (٢) بمعنى أن الكلمات فيها تلتقى كل مجموعة منها فى أسرة واحدة تنتمى إلى جذر ثلاثى فى أقل صورة ، فكل ثلاثة أحرف تكون مادة لعدد من الكلمات تتفق فى معنى أساسى وتزيد بعض هذه الكلمات معنى إضافيا على هذا المعنى الأصلى تبعا للصيغة التى تكون عليها هذه المادة فمثلا المادة (ف . ه . م) من الممكن أن تُصَبّ فى عدد من « الصيغ » أو القوالب ، مثل فَعِل(فهم) ويَفْعَل(يفهم) و(افْعَل)افهم وفَاعِل (فاهم) ومفْعُول(مفهوم) وفَعَّال (فهام) وفَعّل(فهم) وأَفْعَلَ(أفهم)ويُفْعِل (يفهم)واستَفْعَل(استفهم)وتَفَاعَل(تفاهم) إلى آخر ما يمكن أن تصب فيه هذه المادة من القوالب أو الصيغ الصرفية التى تتفق مع بعضها فى المعنى الأساسى الأول وهو الفهم ولكن كل صيغة منها لها معنى أو دلالة صرفية إضافية نابعة من اختلاف الصيغة أو القالب .

ومن الواضح أن بعض هذه الصيغ أفعال وبعضها الآخر أسماء وعلى عالم الصرف أن يحدد هذه الصيغ ويحصرها ويحدد صفات كل صيغة من هذه الصيغ ويبين صيغ الأفعال وصيغ الأسماء .. إلخ .

ونحن نرى أن علماء الصرف العرب قد قاموا بجهد كبير فى هذا المجال فحددوا صيغ الأفعال وصيغ الأسماء وبينوا الفروق الدقيقة بين كل صيغة وأخرى تحت ما سموه بمعانى حروف الزيادة ، وحروف الزيادة فى الواقع هى اللواصق التى تكسب البنية دلالة إضافية مع المعنى الأصلىّ .

وقد اطردت هذه النظرة واستقامت لهم لأن طبيعة اللغة مواتية لهذا الفهم ، وعلى ذلك صنفت المعاجم العربية بحيث تذكر المادة اللغوية المكونة من ثلاثة أصوات أو حروف على الأقل ويندرج تحت هذه المادة جميع الصيغ الممكنة أو قل جميع القوالب التى يمكن أن تصب فيها هذه المادة الصوتية الثلاثية

---

(١) وكان ذلك يحدث لو أنهم لم ينظروا إلى اللغة على أنها لغة اشتقاقية تنتمى كل مجموعة من الكلمات فيها إلى جذر ثلاثى واحد مثلا .

(٢) يقرر كثير من الدارسين لفصيلة اللغات السامية أنها لغات اشتقاقية ويؤكد أن الأصوات التى يتألف منها أصل ما توجد مرتبة حسب ترتيبها فى هذا الأصل فى جميع الكلمات المشتملة على معناه فالأصوات الثلاثة ( ق. ت. ل ) مثلا التى يتألف منها الأصل الدال على معنى القتل توجد مرتبة بالشكل السابق فى جميع الكلمات المشتملة على هذا المعنى مثل ( قتل ) يقتل ، قاتل ، قتال ، مقتول ، قتيل ، إلخ ( أنظر اللغات السامية لنولدكه ص ١٠ وتاريخ اللغات السامية لولفنسون ١٤ وفقه اللغة لعلى عبد الواحد وافى ١٣ ، ١٤ ط ٢ ) .

لتشكل بأشكال مختلفة تتفق فى معنى أساسى ويفترق بعضها عن بعض بفروق دقيقة مضافة إلى المعنى الأساسى عن طريق اختلاف الصيغ أو المقاييس أو الأبنية أو الموازين وإن شئت عن طريق المورفيمات أو اللواحق الصرفية بمعناها الأعم وقد سموا الجذر الأصلى بالمصدر «فالمصدر كالمادة والفعل كالمركب من الصورة والمادة وكذا اسم الفاعل والمفعول والموضع والآلة وجميع ما هو مشتق من المصدر»(١) « كما يقول الرضى » .

وقد كان من الضرورى استجابة لهذا المنهج الذى سلكه الصرفيون العرب أن يوجد ما سمى بالإعلال والإبدال ، وذلك أن الأصول الثلاثية التى يمكن وضعها فى صيغ مختلفة قد يكون بينها حرف علة مثل مادة (ق.و.ل) أو (ب.ى.ع) أو ( د.ع . و) أو (س.ع.ى) إلخ .

فمادة ( القاف والواو واللام ) عند وضعها فى صيغة (فَعَلَ) ينبغى أن تكون (قَوَلَ) بواو مفتوحة — وهنا تخضع هذه الصورة (قَوَلَ) لقوانين صوتية تجعل استخدامها هو (قَالَ) لا ( قَوَلَ ) فهنا نجد صيغة هى :

فَعَلَ = قَوَلَ ← قَالَ

ولذلك نجد الصرفيين يقولون إن قال أصلها قَوَلَ ومرادهم بالأصل هنا الصورة المطابقة تماما لبناء الصيغة أو ما يسمى الميزان وهو « البانية التحتية » وكان عليهم أن يصفوا التغيير الذى حدث وهو هنا قلب الواو ألفا وسبب هذا التغيير وهو هنا فى نظرهم تحرك الواو بعد فتح ، وقد فعل الصرفيون كل هذا .

فالمهم عند الصرفيين هو اطراد الأبنية أو النماذج أو القوالب أو « الموازين » ولذلك عندما يزنون كلمة ( قال ) وزنا صرفيا نجدهم يقولون : إن وزنها هو (فَعَلَ) أى أن الصورة التى تنطق بها ( قال ) صورة اقتضتها طبيعة الأصوات والاستعمال وما يتطلبه من انسجام فى الأصوات وسهولة فى النطق ، ولكن الصورة الأصلية الصورة المطابقة للميزان ، قياسا على نظائرها من الصحيح مثل (كتب) و (أخذ) مثلا .

وهنا مسألة يمكن أن تثار حول هذه النقطة الأخيرة وهى هل ما يدعيه الصرفيون من أصول لبعض الكلمات التى حدث فيها الإعلال أو الإبدال يعد أصولا تاريخية بمعنى أن كلمة مثل (قال) كانت تستعمل فى فترة من فترات الاستعمال اللغوى بالصورة التى تصورها الصرفيون وهى ( قَوَلَ) أو أن ذلك محض افتراض من أجل اطراد الموازين والأقيسة الصرفية ؟ .

والحق أن العلماء القدامى أنفسهم لم يغفلوا عن دراسة هذا الجانب ، ولكنها دراسة تناسب ما تيسر لهم من وسائل ؛ فقد رأى ابن جنى أن مثل هذه الأصوات

---

(١) شرح الشافية : ٨٨٢ .

المفترضة ليست أصولا تاريخية وأكد ذلك بوضوح شديد فى أكثر من موضع من كتبه يقول فى كتابه «الخصائص» معنى قولنا: «أنه كان أصله كذا أنه لو جاء مجىء الصحيح ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ، فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر»[1].

ويقول أيضا فى كتابه المنصف : «وينبغى أن يعلم أنه ليس معنى قولنا: أنه كان الأصل فى قام وباع: قَوَمَ وبَيَعَ» وفى «أخاف وأقام أخْوَفَ وأقْوَمَ» وفى «استعان واستقام: استعْوَنَ واستقْوَمَ» أننا نريد به أنهم قد كانوا نطقوا مدة من الزمان بقَوَمَ وبَيَعَ ونحوهما ثم إنهم أضربوا عن ذلك فيما بعد.

وإنما نريد بذلك أن هذا لو نطق به على ما يوجبه القياس بالحمل على أمثاله لقيل «قوَلَ وبيعَ واستقْوَمَ واستعْوَنَ».

ألا ترى أن استقام بوزن استَخْرَج فقياسه أن يكون استقوم إلا أن الواو قلبت ألفاً لتحركها الآن وانفتاح ما قبلها فى الأصل، أعنى قوم، ويدل على ذلك أيضاً ما يخرج من المعتلات على أصله.

ألا ترى إن قولهم: استَرْوَحَ واستَنْوَقَ الجمل واستَتْيَسَت الشاة فدل ذلك على أن أصل استقام: استَقْوَمَ وقال الشاعر:

صدَدْتِ فأطْوَلْتِ الصُّدُودَ وقلَّما
وصالٌ على طولِ الصدودِ يَدُومُ

فقوله: أطوَلْتِ يدل على أن أصل أخاف: أخْوَفَ وقد قالوا أطال. وقالوا أحْوَجت زيدا إلى كذا وكذا وأغيَلْتِ المرأة. وغير ذلك.

فهذه الأشياء الشاذة إنما خرجت كالتنبيه على أصول ما غُيِّرَ، وأنه لولا ما لحقه من العلل العارضة لكان سبيله أن يجىء على غير تلك الهيئة المستعملة[2].

فابن جنى يعلل وجود بعض الكلمات التى لم يحدث فيها إعلال وكان ينبغى أن يقع فيها الإعلال بناء على ما أسسوه مثل (أطول) فى قول الشاعر:

صددتِ فأطْوَلتِ الصدود وقلما
وصالٌ على طول الصدودِ يدومُ

ومثل (استحوذ) فى قوله تعالى «استحوذ عليهم الشيطان» وغيرها مما ذكر بأن هذه الكلمات وأمثالها جاءت منبهة على الأصل فوجود «أطول» وهى على وزن (أفعل) تنبيه على أن كلمات مثل: أقام وأقال وغيرهما أصلهما أقْوَمَ وأقْوَلَ على وزن (أفعل).

---

(1) ابن جنى: الخصائص ٢٥٧/١ وانظر أيضا صفحات ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١ فى هذا الجزء نفسه.
(2) المنصف ١٩٠/١، ١٩١.

وقد وقف بعض الدارسين المحدثين من هذه المسألة — أى مسألة الأصل — الذى يفترضه الصرفيون مواقف مختلفة فنهم من قال بأن « القول بأن صيغة ما أصل لكلمة أو صيغة أخرى مما يتنافى مع المنهج اللغوى الحديث » (١) ولذلك ينبغى الاكتفاء بتسجيل الحقائق الموجودة فى الصيغة بالفعل دون تأويل أو افتراض ، وهذا سلوك الوصفيين من علماء اللغة .

ومنهم من ينتهج منهجا تاريخيا ، ويرى أننا ينبغى أن نتبع تاريخ الصيغ المختلفة لنكشف عما أصابها من تغير وما حدث لها من تطور عبر فترات التاريخ وتجب الاستعانة فى ذلك بمقارنة العربية بأخواتها الساميات وعلى هذا يمكن الاستدلال . بالكلمات التى بقيت لم يحدث فيها إعلال بأنها بقايا تاريخية للاستعمال لم يصبها ما أصاب الكلمات الأخرى مما سماه الصرفيون إعلال ، فهم يستدلون على أن ( قال ) أصلها ( قَوَل ) تاريخيا — لا صرفيا فحسب — بوجودها فى الحبشية مثلا — وهى سامية — بالصورة الأخيرة .

ومهما يكن من أمر فإن هذه قضية يمكن أن يدرس الإعلال والإبدال فى ضوئها وقد تأتى بنتائج تعين على فهم أسرار اللغة غير أنها محتاجة إلى وثائق يمكن الاعتماد عليها فى هذا الصدد .

لكننا يمكننا القول الآن بأن الأساس الذى اعتمد عليه الصرفيون العرب فى دراسة هذه الظاهرة هو مالاحظوه من خصائص اللغة العربية وأهم هذه الخصائص « الاشتقاق فى اللغة » واعتماد كل مجموعة من الكلمات على أصل ثلاثى يتشكل فى عدد من الصيغ تكشف عنه نظم المعاجم العربية — وماأكثرها — بصورة غاية فى النصوع والبين .

وهذا هو الأساس الأول الذى استند إليه الصرفيون فى النظر إلى ظاهرة الإعلال والإبدال .

أما الأساس الثانى فهو مراعاة الانسجام والتناسق الصوتيين أو ماسموه بالمناسبة الصوتية فى الكلمة ولذلك عللوا حدوث الإعلال بأنه للتخفيف ، وهذا الأساس فى واقع الأمر ليس إلا تعليلا للأساس الأول ، ومبلغ علمى أنهم قد أصابوا توفيقا كبيرا فى كثير من هذه التعليلات .

ينبغى أن نسجل هنا بأمانة أن هؤلاء العلماء قد وقف كثير منهم على فهم كثير من أسرار العربية ، وعللوا لهذه الظاهرة تعليلا صحيحا فى كثير من الأحيان ، فظاهرة الإعلال عندهم ترجع لأسباب مختلفة هدفها جميعا التخفيف ، فالعربية تستثقل مقاطع خاصة كالواو ساكنة بين الياء المفتوحة والكسرة ولذلك حذفت الواو فى مضارع وَثَبَ وَعَدَ وَثِقَ على سبيل المثال فلم يقل يَوْثب ولا يَوْعد ولا يوثق : بل قيل : يَثِب ويَعِد ويثق .

---

(١) د . تمام حسان . مناهج البحث فى اللغة ١٨١ .

ويعبر عن ذلك ابن الحاجب بقوله «وتحذف الواو من نحو يَعِد ويَلِد لوقوعها بين ياء وكسرة أصلية » وهذه طريقة وصفية تعتمد على ملاحظة الظاهرة الصوتية دون تدخل من الباحث ، ولكنه يكتفى بوصفها بالطريقة التى قدمها بها .

ولما كان الإعلال مجاله حروف العلة فقد اهتموا بذكر خصائص حروف العلة وحاولوا تتبعها ، ولهم فى ذلك أحكام يصيب بعضها ويجانب الصواب بعضها الآخر فقد أدركوا التقارب بين الياء والواو ، لكنهم يتهمون بعض أحرف العلة بالثقل دون بعض ، وهذا ما لا نوافقهم عليه .

وقد التفتوا إلى ظاهرة التناسب بين الأصوات وصيرورتها من نمط واحد ، على حد تعبير بعضهم ، ولهم فى ذلك نصوص كثيرة دقيقة ، وظاهرة الإعلال والإبدال فى حقيقة أمرها إنما هى للتناسب بين الأصوات فى الكلمة ، والصوت يتأثر بما قبله وما بعده أى بالظروف المحيطة به ، يقول ابن جنى : « ويدلك على أن الشيء إذا جاور الشيء دخل فى كثير من أحكامه لأجل المجاورة قولهم : قِنْيَة ، وصِبْيَة ، وفلان من عِلْيَة الناس ، وهو ابن عمى دِنْيا ، وصِبْيان . وأصل قِنْيَة من قنوت ، وصِبْيَة وصِبْيان من صبوت ، وعِلْيَة من علوت ، ودِنيا من دنوت . وقياسه : قِنْوة ، وصِبْوة ، وصِبْوان ، وعِلْوة ودِنْوا ولكن لما جاورت الواو الكسرة قبلها صارت الكسرة كأنها قبل الواو ، ولم يعتمد الساكن حاجزا لضعفه»(١) وتغيير أصول الكلمة بما يناسب الصيغة أو البنية يغير ظروف الصوت فيحدث أن تتحول الواو مرة إلى ياء وأخرى إلى ألف أو همزة وعكس ذلك كله واقع ، وهكذا .

وهذا إدراك سليم من الصرفيين ، وفهم صائب لا نريد أن نزكيه بما يقوله ريتشاردز :

«إن وقع الصوت لدى النفس لا يتوقف على الصوت نفسه بقدر ما يتوقف على ظروفه المحيطة به ؛ أى على مقدار ما بينه وبين ما قبله وما بعده من الأصوات من انسجام فإن هذه الأصوات تتآلف وتكون شبكة محبوكة النسيج ، وأن الكلمة التى تستطيع أن تقع موقع الرضا والقبول لدى هذه الأصوات جميعا وتنسجم معها كلها فى وقت واحد لهى الكلمة التى تظهر بمظهر الفوز الموسيقى»(٢) وقد حاولوا وصف تغير الأصوات حتى تنسجم موسيقاها وبينوا السبب فى ذلك بما يدل على أنهم فهموا الظاهرة على هذا النحو الدقيق ، فمما لا شك فيه أن المتكلم يجد عند نطق همزتين متجاورتين من الثقل ما يعييه ، ولذلك تخلصت العربية من التقاء همزتين متجاورتين بقلب الثانية إلى حرف علة يناسب الموقع صوتيا ولذلك يقول المازنى : « إذا التقت الهمزتان فى واحدة فلا بد من إبدال الثانية على كل حال» (٣) .

---

(١) المنصف شرح التصريف لابن جنى ٢/٢ ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن تأثير الجوار يمتد إلى ظاهرة الإعراب نفسها وهى أغلى ما يحرص عليه النحاة فعرف الجر على الجوار والإتباع وغير ذلك .

(٢)

(٣) المنصف ٢/٥٢

وإذا خفي عليهم سبب بعض التغييرات فإنهم كانوا يعللونها بأنها لطرد الباب على وتيرة واحدة حتى يحصل التشاكل ، ففي مضارع (يعد) مثلاقالوا إن الواو حذفت لأنها مستثقلة بين الياء المفتوحة والكسرة فلما وجدوا أنها محذوفة في : أَعِد ونَعِد وتَعِد — وهي فيها لم تقع بين ياء مفتوحة وكسرة — قالوا : إن الحذف في هذه نوع من الاطراد حتى لا يحصل تخالف في الصيغة الواحدة ، والفرار من حصول التخالف إلى حصول التشاكل سبب عندهم كذلك لوجود إبدال الواو في صيغة افتعل تاء ، فلولم تقلب فاء الافتعال إذا كانت واوا تاء لصارت مرة واوا إذا قلت في اتّصل مبنيا للمجهول «اوتصل» وصارت ياء إذا كان مبنيا للمعلوم (ايتصل) وفي المضارع واسم الفاعل والمفعول : يوتصل وموتصل وموصل ، وفي الأمر : ايتصل » فلما حصل هذا الداعي إلى مطلق قلبها إلى حرف جَلْد (قوى) لا يتغير في الأحوال — وللواو بانقلابها تاء عهد قديم — كان انقلابها تاء ههنا أولى ولاسيما وبعدها تاء الافتعال وبانقلابها إليها يحصل التخفيف بالإدغام فيها » [(1)].

وأما في الإبدال فقد رأينا تفسير ابن جني السابق في إبدال تاء الافتعال دالا بأنه لمناسبة الأصوات بعضها لبعض في المخرج أو الصفة ، فهي تبدل دالا إذا كان قبلها الزاي ليتناسب الصوت المجهور مع المجهور ، وتبدل طاء إذا كان قبلها صوت مطبق أي مفخم ليتناسب التفخيم مع مثيله وهكذا .

ونستطيع بعد هذا أن نلخص فلسفة الصرفيين العرب في تفسير ظاهرة الإعلال والإبدال فيما يأتي :

١ — إن تناول الصرفيين لهذه الظاهرة يكشف عن فهمهم الصحيح لخصائص العربية إذ أنها لغة اشتقاقية ، والقول بما قالوا به في بعض مسائل الإعلال يطرد مع هذه الخاصية التي تشترك فيها العربية مع أخواتها الساميات ، فالقول بأن (قال) أصلها (قَوَل) مثلا إنما هو رد هذه الصورة المنطوقة إلى الجذر الذي تنتمي إليه وهو ( ق.و.ل) وقد أكد ابن جني هذا المعنى في النصوص التي نقلناها عنه من أجل اطراد الأقيسة والنماذج وإن كان هذا لا ينفي أن يكون ثمة أصل تاريخي لمثل هذه الصيغ كما يتضح في الأمثلة التي لم يحدث فيها إعلال مثل : استحوذ وأغيلت المرأة واستنوق الجمل واستتيست الشاة إلخ غير أن هذا الفرض الأخير محتاج إلى دراسة تاريخية مقارنة حتى يُطمأن إلى صحته .

---

(١) شرح الشافية ٢/٨٢ ، ٨٣ .

٢ — إن تلمس الصرفيين لأسباب التغير فى هيئة الكلمات التى حدث فيها الإعلال و الإبدال يكشف عن فهم فيه صواب كثير لخصائص الأصوات العربية والتشكيل المقطعى لكلماتها، والأسباب التى قدموها فى هذا السبيل من حيث الخفة والاستثقال والتناسب الصوتى وغير ذلك أسباب صحيحة فى مجملها برغم أنهم لم يكونوا يملكون إلا الملاحظة الذاتية .

ولكن هناك بعض الملاحظات التى يجب الالتفات إليها فى هذا الصدد ويمكن أن نجملها فيما يأتى :

١ — لقد أكثر الصرفيون العرب من افتراض الأمثلة غير المستعملة فى اللغة وفقا للنماذج أو الموازين أو المقاييس التى استخلصوها ، وأكثروا مما سموه بمسائل التمرين كأن يقولوا : « صغ من كذا على وزن كذا » من أجل التدريب على مسائل التصريف .

وهذه المسائل — وإن كانت تعين على التمكن من أحكام التصريف لأنها تطبق قواعده على افتراضات ذهنية — أرى أنها تعوق ما يجب على الباحث من قصر اهتمامه بالمستعمل المنطوق من اللغة فضلا عن أنها تزهد كثيراً من الباحثين فى دراسة هذا الجانب بله الشادين فيه ، وتعوق دون الإقبال على هذا الفرع من الدراسة ، ويكفى الرجوع إلى باب «مسائل التمرين » فى أى كتاب من كتب الصرف التى تذكر هذا النوع حتى يمكن التحقق من صدق هذه المقولة[١] ، ولا أود أن أذكر هنا أمثلة لهذا الضرب حتى لا أرعب القارىء ، ويجب أن تخلص كتب التصريف من هذه التدريبات غير المجدية وتنقى منها .

٢ — لقد اعتمد هؤلاء الدارسون القدامى على ملاحظتهم الذاتية وحدها إذ لم يكن متاحا لهم فى عصرهم مثل ما أتيح لدارسى اليوم من الأجهزة العلمية المختلفة والملاحظة الذاتية فى حد ذاتها إحدى الوسائل فى الوصف اللغوى غير أن الباحث يقع لظروف مختلفة فى خطأ فى الملاحظة أو قد تعجز وسائل الملاحظة عن إدراك الظاهرة على النحو الصحيح ، ومعظم هذه الأخطاء تقع فى وصف الأصوات وقد رأينا نموذجا لذلك ماسبق فى صوت ( الطاء ) إذ وصف بأنه صوت مجهور ، ومن ذلك قول الرضى « اعلم أن التاء قريبة من الواو فى المخرج لكون التاء من أصول الثنايا والواو من الشفتين ويجمعها الهمس »[٢] ومدلول هذا النص أن الواو مهموسة كالتاء ، والحق أن الواو صوت مجهور[٣] .

---

( ١ ) أنظر مثلا شرح الشافية ٢/٢٩٤ وما بعدها .

( ٢ ) المنصف ٣/٩٧ ومابعدها وشرح الشافية ٢/٨٠ ومابعدها .

( ٣ ) انظر فى الجهر والهمس الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢١ على سبيل المثال .

٣ ــ من الملاحظات فى دراسة الإعلال والإبدال كذلك أنهم خلطوا بين اللهجات العربية فى هذه الظاهرة ، وعدوا ما كان خاصا بلهجة من اللهجات مبدأ عاما أو قانونا على اللغة المشتركة والأمثلة على ذلك كثيرة .

وهذا الجانب جزء من نظرة النحاة والصرفيين للغة بوجه عام وكان من الواجب عليهم أن يقعدوا للغة المشتركة أو اللغة الأدبية ، أو كان عليهم أن يحددوا مستوى معينا من المستويات ويضعوا قواعده على حدة حتى لا يحدث خلط فى التقعيد كأن يقول الرضى مثلا : « وبعضهم يقلب الواو الواقعة بين الياء المفتوحة والفتحة ألفا لأن فيه ثقلا لكن ليس بحيث يحذف الواو له فيقول فى : يَوْجَل ياجل وبعضهم يقلبها ياء لأن الياء أخف من الواو ، وبعضهم يستشنع قلب الواو ياء لا لعلة ظاهرة فيكسر ياء المضارع ليكون انقلاب الواو ياء لوقوعها بعد كسرة »[1] فكلمة « بعضهم » فى نص الرضى تشير إلى قبيلة من العرب أى مجموعة لغوية معينة بلا شك ، ولا يمكن أن يكون المقصود بكلمة « بعضهم » بعض العلماء لأن العالم ليس من حقه أن يتدخل فى الاستعمال اللغوى كما هو واضح ، ونلاحظ أن الرضى ذكر هذا الكلام بإجمال ولم يحدد أصحاب كل قول وهل هذا داخل فى صلب اللغة المشتركة أو لا وأيها نختار ... إلخ .

٤ ــ مع الدقة الملحوظة فى تناول الصرفيين العرب لهذه الظاهرة نلاحظ أيضا أنهم اضطربوا أمام بعض الظواهر فلم تتفق لهم سبيل واحدة فى التفسير وقد صرح الرضى بهذا حين قال فى مسألة من المسائل : « واضطرب فى هذا المقام كلامهم » والحق أن هذا الاضطراب الذى يشير إليه الرضى كان فى مسألة من مسائل التمرين ، فالمثال مفترض وفيه خلاف واضطراب فكأننا نخلق المشكلة لنختلف فى حلها ، وهذا ما قلنا من قبل إنه يجب التخلص منه .

٥ ــ هناك أيضا تكلف فى محاولة التماس العلة فى كل تغيير يحدث وبعض هذه العلل واه ضعيف ، وبعضها ملفق كأن يقولوا مثلا فى «استقام» : أصلها استقوم ــ وهذا القدر نتفهم وجهة نظرهم فيه ــ ويبينون السبب فى التغيير فيقولون : نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم يحاولون بعد ذلك التماس العلة لقلب الواو ألفا ، فيقولون : تحركت الواو بحسب الأصل ــ لأنها من قوم ــ وانفتح ما قبلها بحسب الآن فقلبت ألفا .

وهذا فى الواقع تلفيق بين حالين لا يستريح له العقل لأن الموضوع افتراض من أوله ، ونحن قد نسلم بأن الأصل هو

---

(١) شرح الشافية ٢/٩١ ، ٩٢ .

استقوم لأن القالب أو الميزان أو المقياس هو ( استفعل ) للصحيح والمعتل فإذا سلمنا بأن حركة الواو انتقلت حقا إلى الحرف الساكن الصحيح قبلها فينبغى أن نقول: إن حرف العلة المناسب للفتحة هو الألف ولذلك قلبت الواو ألفا لهذا السبب ولا داعى إلى التلفيق بين الأسباب مع مراعاة أنها مفترضة من أصلها من أجل اطراد الصيغة ، وتجب الإشارة إلى أن بعض العلماء — كابن هشام — قد تجنب كثيرا من التعقيدات الموروثة وعالج كثيرا من المسائل علاجا فيه سهولة ويسر .

**خامسا : رأى بعض المحدثين فى الاعلال والابدال :**

رأينا أن القول بالإعلال والإبدال جاء نتيجة لفكرة الصرفيين العرب القائلة بأن ثمة أصلا افتراضيا مطابقا للميزان أو مطابقا للقالب الصرفى فصيغة «استقول» تعد أصلا لـ « استقال » وصيغة « أقول » تعد أصلا لـ « أقال » وصيغة « قوم » تعد أصلا لـ « قام » وصيغة « دَعَوَ » تعد أصلا لـ « دعا » وصيغة « ازتجر » تعد أصلا لـ « ازدجر » وهكذا ، ومن هنا ساغ القول عندهم بأن الواو قلبت ألفا ، والياء قلبت ألفا والتاء أبدلت طاء الخ ، وأن هذا نابع من أن الصحيح والمعتل يخضعان معا لمقياس واحد .

أما علماء اللغة المحدثون فإن بعضهم فى الحقيقة لم يتعرضوا تعرضا مباشرا لظاهرة الإعلال والإبدال ولكن يمكن فهم وجهة نظرهم من خلال أقوال متناثرة تعد أسسا لهذه القضية ، فالدكتور إبراهيم أنيس والدكتور تمام حسان مثلا يريان : أن القول بأن صيغة ما أصل لكلمة أخرى مما يتنافى مع المنهج اللغوى الحديث (١) ويؤكد الدكتور كمال بشر هذا المبدأ إذ يقول : إن الفكرة التى تتضمن أن هناك أصلا واحدا فقط تفرعت عنه بقية الصيغ مع شئ من التعديل والتغيير فى صورها فكرة لا تعترف بها الدراسات الوصفية الحديثة فى البحوث اللغوية ، ويرى أن لكل صيغة خصائصها ووظائفها المعينة فكل صيغة من أعطى ، يعطى ، عطى ، معطى ، معط كلمة مستقلة وكذلك الحكم فى نحو يقود وقائد وقيادة ، ويقول إن هناك أساسا عاما يجب اتباعه دائما فى الدراسات الوصفية « وهذا الأساس هو الاعتماد دائما على الخصائص والمميزات الموجودة فعلا بالصيغة نفسها بقطع النظر عن إمكانية ردها إلى أصل تشترك فيه مع غيرها أو عدم إمكانية ذلك » (٢) .

---

(١) انظر من أسرار اللغة : ٥٥ ومناهج البحث فى اللغة : ١٨١ .

(٢) انظر التعليق ٢٦ من صفحة ٤٩ وما بعدها فى كتاب « دور الكلمة فى اللغة » الذى ترجمه الدكتور كمال بشر وعلق على كثير من قضاياه .

والواقع أن ماذهب إليه الدكتور تمام والدكتور بشر صحيح فى ذاته وقد كان هناك من القدماء من أشار إلى هذه اللفتة، يقول السيوطى: « وزعم قوم من أهل النظر أن الكلم كله أصل وليس منه شيء اشتق من غيره [1] » ولكن السيوطى لم يعين هؤلاء الذين وصفهم بأنهم أهل النظر ، وفى مقابل هذا الرأى يذكر أن كلا من الخليل وسيبويه وأبى عمرو وأبى الخطاب وعيسى بن عمر والأصمعى وابن زيد وأبى عبيدة والجرمى وقطرب والمازنى والمبرد والزجاج والكسائى والفراء والشيبانى وابن الأعرابى وثعلب يذهب إلى أن الكلم بعضه مشتق وبعضه غير مشتق ، ويغلو بعض العلماء فيرى أن الكلم كله مشتق وقد نسب هذا المذهب للزجاج [2]

غير أن انطباق ما يقول به كل من الدكتور تمام والدكتور بشر على لغة اشتقاقية يقوم الاشتقاق فيها بدور كبير كاللغة العربية على وجه الخصوص قد يقابل بكثير من الصعوبات ، وإذا كان ستيفن أولمان وهو يتحدث عن بعض مجموعات الكلمات فى اللغة الإنجليزية

مثل : Lead ، Leader ، Leadership

ومثل : give ، gives ، gave ، given

يقول : « ومهما يكن من أمر فإن هناك صلات ترابطية قوية بين أفراد كل مجموعة من مجموعات هذين النموذجين : صلات تبرر بصورة قوية جواز معاملة كل مسلسلة منها على أنها وحدة عضوية متكاملة » مع أن هـذه الظاهرة غير مطردة فى اللغة الإنجليزية ، إذا كان ستيفن أولمان يقول هذا عن لغة كالإنجليزية ، فهل يحق لنا أن نقول بمثل ما قال به الدكتور تمام والدكتور بشر عن اللغة العربية وهى لغة اشتقاقية .

إننى أرى أن كلا من الدكتور تمام والدكتور بشر قد تأثر باللغة الإنجليزية فى هذا الحكم ، وما قالا به صحيح فى ذاته وهو أكثر انطباقا على لغة غير اشتقاقية وأرى أيضاً أن لكل لغة ظروفها الخاصة التى ينبغى أن تدرس فى ضوئها .

ولقد ذهب الدكتور بشر مذهبا أبعد من هذا إذ أخذ على الصرفيين العرب قولهم بأن كلمة كذا أصلها كذا ، كأن يقولوا إن «قل» أصلها «قول» وحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، يقول الدكتور كمال بشر لقد درج علماء الصرف التقليديون على أن يقولوا مثلا :

قُلْ أصلها قُولْ (*)

التقى ساكنان الواو واللام فحذفت الواو لالتقاء الساكنين فصارت : قل .

(١) الهمع ٢٣١/٦ (٣) انظر الهمع ٢٣/٦ ، ٢٣١ (تحقيق الدكتور مكرم) .
(٢) دور الكلمة فى اللغة ٤٩ ، ٥٠ (ترجمة د. كمال بشر) .
(*) يقول الصرفيون إن قل أصلها (اقول) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها فحذفت همزة الوصل لأنه لم يعد هناك داع لها فصارت الكلمة (قول) فحذفت الواو تخلصا من التقاء الساكنين ، سكون الواو وسكون اللام فى الأمر الساكن الآخر .

وحقيقة الأمر أن قل جاءت على هذه الصورة منذ بداية الأمر ، ولم يكن من المستطاع أن تأتى بالصورة الثانية «قول» فى النطق الفعلى ، لسبب صوتى ظاهر يرتبط بخواص التركيب المقطعى فى العربية الفصحى . لقد ثبت بالدراسة أن التركيب المقطعى :

صوت صامت + حركة طويلة + صوت صامت ( cvvc ) تركيب ممتنع فى هذه اللغة إلا فى حالتين اثنتين هما :

١ — فى حالة الوقف .

٢ — أن تكون الحركة الطويلة متلوة بمثلين مدغمين من أصل الكلمة مثل شابة ودابة. أما ما ذهب إليه هؤلاء الصرفيون فهو عمل افتراضى لا نأخذ به فى الدرس اللغوى الحديث (١) .

مرة أخرى نقول إن ما قاله الدكتور بشر صحيح فى ذاته ، ولكن الصرفيين العرب أو التقليديين كما يسميهم الدكتور بشر قد قرروا هم أنفسهم أن هذه الأصول افتراضية لم تكن مستعملة فى وقت من الأوقات ثم عدل عنها إلى الصيغة المستعملة أو حدث تطور فيها حتى صارت الكلمة إلى ما صارت إليه ، ولكنهم يعنون بالأصل الصورة التى كان ينبغى أن تكون عليها الكلمة لو لم يحدث فيها ما سموه هم إعلالا بالحذف وسماه الدكتور بشر تركيبا مقطعيا ممتنعا ، وهذا الأصل الافتراضى عند هؤلاء الصرفيين أيضاً تركيب مقطعى ممتنع وقد بينوا سبب امتناعه لكنهم لا يغفلون عن طبيعة اللغة الاشتقاقية ويحاولون بكل سبيل أن يربطوا كل كلمة بأصلها الاشتقاقى أو بالجذر الذى تنتمى إليه ، ولم يغفلوا أيضاً عن مهمة الصرف الحقيقية وهى دراسة الصيغ والفروق بين كل صيغة وأخرى والتغييرات التى تصيب بعض حروف الكلمات عندما تصب فى صيغة معينة أو قالب معين ، وحديثهم عما ينبغى أن يكون إنما هو من أجل توضيح ما هو كائن وشرحه وتفسيره .

ولقد أخذ الدكتور بشر على الصرفيين العرب أيضاً معالجتهم لمسائل الإبدال التى تبدل فيها تاء الافتعال ( طاء ) أو ( دالا ) ورأى أن منهجهم فى هذا يتسم بسمتين واضحتين :

أولاهما : إيمانهم بفكرة الأصل بمعنى أن هناك أصلا ثابتا ترجع إليه كل الصيغ المتشابهة بطريق مباشر إن أمكن وإلا فبطريق غير مباشر على الافتراض والتأويل .

ثانيتهما : محاولة حشدهم الأمثلة المتفقة فى شىء آخر تحت نظام واحد ، أو إخضاعهم لها لميزان واحد فابتكر واصطبر

(١) د . بشر : الأصوات ١٨٥ ، ١٨٦ . وانظر له أيضا : دراسات فى علم اللغة القسم الثانى ص ١١٠ .

عندهم كلاهما على وزن افتعل وكلاهما يرجع إلى أصل ثلاثى هو الباء والكاف والراء فى الأول والصاد والباء والراء فى الثانى .

ويرى أن سبيل المعالجة لهذه المسائل هو الوصف على حالتها الراهنة دون إلحاقها إلى أصل واحد باتباع مبدأ تعدد الأنظمة فى البحث اللغوى Polysgatemic Principls لأن مبدأ توحد الأنظمة جر الصرفيين العرب إلى التأويل والتخريج والافتراض والوصف وتعدد الأنظمة لا يتم إلا على أسس صوتية تقتضيها خـواص الصيغ المذكورة[1] ؟

وإننى أرى أن طريقة الصرفيين لم تخرج عما وصفه الدكتور إبشر بأنه « التفسير العلمى » فما قدموه فى علاج هذه المسائل إنما هو وصف لسلوك الأصوات فى سياقات معينة ، كما أن مبدأ توحد الأنظمة ليس عيبا ، وليس خيرا منه مبدأ تعدد الأنظمة ، وخاصة أن مبدأ توحد الأنظمة يؤدى إلى تيسير سبل الفهم والحصر وإدراك أوجه التشابه والاختلاف ، ولاشك أننى عندما أقول ( افتعل ) أسهل وأوضح من أن أقول ( افطعل ) و ( افدعل ) ، وإذا سألت أحد المبتدئين عن صيغة اصطبر ما ميزانها لقال على الفور : افتعل وكذلك ازدهر وافتكر فهذه الثلاثة من وزن واحد ولكن التناسق الصوتى هو الذى أبقى التاء فى موضع واستبدل بها طاء ودالا فى الموضعين الآخرين .

وإذا كان الدكتور بشر يرى أن هذه الأمور ينبغى أن يتكفل بها علم الأصوات فإننا نرى أن هؤلاء — وليس هذا دفاعا عنهم بل هو تقرير لواقع — لم يقصروا فى هذا الجانب وقد ردوا كل تغيير من تغييرات الإعلال والإبدال إلى سبب صوتى يرجع إلى استحالة فى النطق أو تركيب مقطعى ممتنع وسموا بعض هذا تناسبا صوتيا فى المخرج أو فى الصفة غير أن لهم مصطلحات تختلف بعض الاختلاف عن المصطلحات الحديثة وكما أنهم اعتمدوا على الوسيلة الوحيدة التى يمتلكونها فى ذلك الوقت وهى الملاحظة الذاتية ومع ذلك حققوا نتائج عظيمة .

وهناك بعض الدارسين الذين تعرضوا لدراسة الإعلال والإبدال ، وقد عالجوا هذه الظاهرة على أسس صوتية محضة ، ومن هؤلاء جان كانتينو فى كتابه « دروس فى علم أصوات العربية »[2] وقد عالج بعض مسائل الإعلال فى مواضع متناثرة تحت قوانين صوتية قائمة على الوصف ،

---

(١) انظر دراسات فى علم اللغة ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) ترجمه إلى العربية صالح القرماوى وطبع سنة ١٩٦٦ م ( الجامعة التونسية ) .

ولكنها لم تسلم له فى كثير من الأحيان كقوله « وإذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة قصيرة قلبتا همزة ، نحو : قاول – قائل وبايع – بائع وعجاوز – عجائز وجزاير – جزائر ، وإرضاى [١] – إرضاء ووفاى – وفاء [٢] .

ونحن نرى أن وضع القاعدة بهذه الصورة ناقص لأن ثمة واوات أو ياءات تقع بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة ولا تقلب همزة وذلك مثل جمع مقود مقاود وجمع معيشة ومعايش دون همزة .

ولكن النحاة القدماء والصرفيين العرب قد وضعوا القاعدة مستقصاة إذ نصوا على شرط قلب الواو والياء همزة فى اسم الفاعل أن تكون الواو أو الياء معلة فى الماضى فإذا لم تعل فى الماضى لم تقلب أى منهما همزة وكذلك شرطوا لقلبها همزة فى الجمع الذى على وزن مفاعل أن تكون الواو أو الياء فى المفرد فإذا كانت كل منهما متحركة أو أصلية لم تبدل منهما الهمزة ، ولذلك حكموا بشذوذ همز « مصائب » وشذوذ همز « معائش » .

وليس معنى أننا ننكر أن يدرس الإعلال والإبدال دراسة صوتية ، بل على العكس من ذلك إننا نرى أن دراسة الظاهرة صوتيا قد تساعد على فهمها وتحليلها غير أننا نرى أنها لكى تدرس دراسة صوتية ينبغى أن تعمق هذه الدراسة حتى لا يحدث تناقض فى القواعد التى يمكن وضعها لإحكام هذه الظاهرة .

ونلاحظ أيضا أن جان كانتينو يلجأ مع هذه الدراسة الصوتية إلى مثل ما لجأ إليه الصرفيون العرب القدماء كأن يقول بأن كذا حمل على كذا أى قيس عليه مثل قوله «إذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وفتحة قصيرة سلمتا نحو : قاول وساير وأما قولهم فى النصب «إرضاء» و «وفاء» فلا يناقض هذه القاعدة كما يظهر لك وإنما ذلك راجع إلى حملهم حالة النصب على حالة الرفع والجر [٣] والواقع أنه يتناقض ولن يسلم من هذا التناقض بسبب قوله إنهم حملوا حالة النصب على حالة الرفع والجر . لأن المعول فيه على الوصف الصوتى هو النطق ولا يستقيم مع طريقة الوصف الصوتى القول : بأن كذا حمل على كذا ، وإلا فقد عدنا إلى أسلوب القدماء وطريقتهم فى التناول ، ومعنى هذا أنه ينبغى ألا نلجأ إلى أسلوب آخر إلا إذا كان متكاملا مطردا لا ينقض آخره أوله .

---

(١) الصواب أن تكون ( إرضو ) لأنها من الرضوان والمادة ( ر . ض . و ) .

(٢) انظر صفحة ١٣٩ . (٣) المرجع المشار إليه ص ١٣٩ .

وإننا لنلاحظ كذلك أن الأمور التي سلمت عن طريق الوصف الصوتي كقول جسان كانتينو « وإذا وقعت الواو بعد كسرة ياء وينتج عن هذه العملية حدوث مجموعة هي « سِيْ » تصير كسرة طويلة أي ( سِي ) إذا كان بعدها حرف ، وتبقى على حالها إذا كانت متبوعة بحركة نحو : مِيوْلاد مِيْلاد ـ ميلاد

| | |
|---|---|
| دِوار | دِيار [1] |
| عَاليوْ | عالي |

أقول إننا نلاحظ أن مثل هذه الأمور التي سلمت عن طريق الوصف الصوتي قد سلمت كذلك للنحاة والصرفيين العرب القدامى من قبل وبهذا الوصف نفسه.

وهناك باحثون آخرون عرضوا لمسائل الإعلال والإبدال منهم هنري فليش الذي وضع أسسا عامة لهذه الظاهرة هي في الواقع وصف لمواقع قلب حروف العلة بعضها إلى بعض وهذا الوصف مجمل يمكن أن يتوجه إليه النقد ، ولا نود أن نطيل بذكر ما عرض له[2] كما أن هناك من أرجع ظاهرة الإعلال إلى أصل سامي قديم حيث يقول : «وأحد أنواع تبديل الواو والياء بالهمزة مطرد قديم جدا وهو في حالة وقوعها بعد فتحة ممدودة مثاله قائم وسائر إلى غيرهما . والدليل على أن ذلك التبديل يرتقي إلى اللغة السامية الأم هو أنا نجده في الأكادية والآرامية»[3] .

وإذا كان برجستراسر يؤكد أن الإعلال بين الواو والياء وبين الهمزة ظاهرة سامية الأصل لوجودها في عدة لغات سامية فإن باحثا محدثا ينكر هذه الظاهرة من أساسها ويحكم بتخطيء القدماء ومن وافقهم من المحدثين فيقول «إننا — من وجهة نظرنا — نحكم بخطأ القدماء ومن وافقهم من المحدثين في كل ما زعموه من دعاوي الإبدال في هذا الباب لسبب بسيط هو عدم وجود العلاقة الصوتية المشترطة لحدوث الإبدال»[4] ، ثم يجهد نفسه في محاولة للبحث عن تفسير آخر لهذه الظاهرة ، وقد اقتنع بتفسيرات خاصة منها أن إبدال الواو والياء همزة في الطرف بعد ألف زائدة مثل كساء وبناء ليس إبدالا وإنما هو إقفال للمقطع المفتوح وتصحيح الكلمة في الوقف فآثر الناطق إقفال هذا المقطع المفتوح بإحلال الهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الإبدال ؛ بل من أجل تصحيح نهاية

(١) انظر ص ١٣٩ .

(٢) يمكن الرجوع إلى أسس هنري فليش هذه في العربية الفصحى ( ترجمة د . عبد الصبور شاهين ) من ٣٥ إلى ٥٠ وكذلك ( القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين حيث شرح كثيرا من هذه الأسس في مبحث مشكلة الهمزة ، وناقشها صفحة ٥٥ وما بعدها ، واعتمد عليها .

(٣) برجستراسر : التطور النحوي : ٣١

(٤) القراءات القرآنية د . عبد الصبور شاهين ٧٧ ، قد ردد هذه الآراء نفسها في كتابه « المنهج الصوتي للبنية العربية » ص ١٦٧ وما بعدها حتى صفحة ٢٠٢ .

الكلمة . ولا علاقة صوتية مطلقا بين الهمزة وبين الياء والواو توجب إبدالا (ما)(١) وإذا كان ما يقوله صحيحا فلماذا لم يقفل المقطع فى مثل (الآى) و (الغاى) و (الراى)(٢) وكل ما آخره مقطع مفتوح منته بحرف علة ، ثم إذا كان هذا من أجل الوقف -كما يقول- فلماذا لم تعد تلك الكلمات إلى حالتها عند وصلها؟ وبعد هذا كله فإنه يرى أن هذه الهمزة كانت ياء أو واوا لكنه لا يريد أن يسميها إبدالا ، ونحن نقول له : سمها ماشئت مادامت تسميتها (إبدالا) غير مرضية عندك ، فنحن نسميها كما سماها الأقدمون - والمحدثون أيضا - حفاظا على المصطلح ووصفا للظاهرة .

وأما بقية مسائل الإبدال بين أحرف العلة والهمزة فإنه يخضعها لتفسير واحد « لأن مشكلتها واحدة هى مشكلة تتابع الحركات على تفاوت فى كميتها من مسألة لأخرى »(٣) وليس هذا على سبيل الإبدال ولكنه -هذه المرة- على سبيل التعويض فكل من : قاول تحولت إلى قائل فعوض بالهمزة عن الواو . وعجاوز تحولت إلى عجائز وصحايف إلى صحائف إلخ. كل ذلك على سبيل التعويض حتى لا تتابع الحركات .

ولست أدرى ما الذى جعل العرب « يعوضون » فى هذه المسائل ولا يفعلون ذلك فى نحو : مقَاوِد ، مُجَاوِر ، ومَعَايِن ومُبَايِن وأمثالها وهى فى المنطق مثل عجائز وصحائف؟ إن العربية عندما أعلت تلك وصححت هذه كانت ترمى إلى نوع من الاطراد تنبه له الصرفيون القدماء .

إن هذه الآراء التى تنظر إلى القديم بعين الاحتقار وترى أن الأخذ به ضرب من « الرجعية » لا تلبث أن تقع عند أول خطوة تحاول بها الفكاك من أسر صوابه . لقد درس القدماء اللغة من جوانبها المختلفة . واطردت نظرتهم واستقامت لهم الطريق فلم يقعوا فى مثل ما يقع فيه أولئك « المجددون » من خلط واضطراب *

والله ولى التوفيق

**محمد حماسة عبد اللطيف**
مدرس النحو بكلية دار العلوم

---

(١) السابق ص ٨١ . (٢) جمع آية وغاية وراية . انظر القاموس ٣٧٢٤ ، ٣٣/٨ .
(٣) القراءات القرآنية : ٨٨ .

# إعلال الواو والياء في اللغة العربية

للدكتور صلاح الدين صالح حسنين

**مخرج الواو والياء وصفتاهما :**

**( أ ) الواو :**

تبدأ أعضاء النطق فى اتخاذ الوضع المناسب لنطق الضمة ، ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع نطق حركة الفتحة ، وعند نطق الواو تنضم الشفتان ، ويرفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك ، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان ، فالواو إذاً صوت مجهور شفوى حنكى قصى[1] .

أما ابن الجزرى فقد وصف للواو مخرجين ، الأول الجوف وهو للألف والواو الساكنة المضموم ماقبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها . وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين . وتسمى الهوائية والجوفية . قال الخليل : وإنما نسبن إلى الجوف لأنه آخر انقطاع مخرجهن . والمخرج الثانى وهو للواو غير المدية ومخرجها مما بين الشفتين[2] .

ونتفق مع ابن الجزرى فى تحديد مخرج الواو المدية وغير المدية ، إلا أننا نزيد عليه بأن أقصى اللسان يرتفع نحو أقصى الحنك عند نطق الواو فالواو فى رأيى صوت شفوى حنكى قصى .

**( ب ) اليـاء :**

تبدأ أعضاء النطق فى اتخاذ الوضع المناسب لنطق حركة الكسرة ، ثم تنتقل بسرعة إلى نطق حركة الفتحة . وعند نطق الياء يرتفع وسط اللسان تجاه الحنك الصلب وتكسر الشفتان ، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان . فالياء صوت مجهور حنكى وسيط[3] .

أما ابن الجزرى فقد وصف للياء مخرجين ، الأول : الجوف وهو للياء عندما تكون حرف مد أو لين ، والثانى : وهو للياء غير المدية ،

(١) د. محمود السعران ، علم اللغة ، مقدمة للقارىء العربى : ١٩٧ — ١٩٨

(٢) ابن الجزرى ، النشر فى القراءات العشر : ١/١٩٩

(٣) علم اللغة ، مقدمة للقارى العربى : ١٩٨

ومخرجها من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك[1] .

ونتفق مع ابن الجزرى فى تحديد مخرج الياء المدية وغير المدية ، إلا أننا نزيد عليه أن الشفتين تكسران ، وهذا فى الحقيقة يميز الياء المدية فى نحو ( فى ) .

اختلاف الواو والياء عن الحروف الأخرى :

تختلف الواو والياء عن الحروف الأخرى ، فهما ليسا رخوين ، لأنه لا يحدث تضييق فى مجرى الفم بشكل يساعد على إنتاج الاحتكاك ، وهما ليسا شديدين ، لأنه لا يحدث التقاء محكم لأعضاء النطق بشكل يساعد على إنتاج الانفجار ، يقول ابن جنى فى تأكيد هذا الخلاف : « اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا ، حتى يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع ، أينما عرض له حرفاً ، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها . . . فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتداً حتى ينفد ، فيفضى حسيراً إلى مخرج الهمزة ، فينقطع بالضرورة عندها ، إذا لم يجد منقطعاً فيما فوقها .

والحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف إلا أن الصوت الذى يجرى فى الألف مخالف للصوت الذى يجرى فى الياء والواو ، والصوت الذى يجرى فى الياء مخالف للصوت الذى يجرى فى الألف والواو ، والعلة فى ذلك أنك تجد الفم والحلق فى ثلاث أحوال مختلف الأشكال . . . أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر ، وأما الياء فتجد معها الأضراس سُفْلاً وعُلْواً قد اكتنفت جنبتى اللسان وضغطته وتفاج[2] الحنك عن ظهر اللسان ، فجرى الصوت متصعّداً هناك ، فلأجل تلك الفجوة ما استطال ، وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ، ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت »[3] .

## وظيفة الواو والياء :

١ — تقوم الواو والياء بوظيفة الحروف فتتبع بحركة مثل ولد ، ويترك ، وقد تسكنان نحو حَوْض وبَيْت .

٢ — تقوم الواو والياء بوظيفة الحركات[4] وهذا ما أسماه اللغويون واو المد نحو كتبُوا وياء المد نحو تكتبين ، وللمصطلحين مصطلح خاص هو الضمة الطويلة والكسرة الطويلة .

---

( ١ ) النشر فى القرءات العشر : ٢٠٠/١ .

( ٢ ) تفاج : تباعد .

( ٣ ) ابن جنى ، سر صناعة الإعراب : ٨-٩ .

( ٤ ) د . كمال بشر ، الأصوات : ٨٤ — ٨٥ .

معنى هذا أن للواو والياء طبيعة انتقالية ، ولهذا يسميان صوتين انزلاقيين . والأمثلة الآتية توضح ذلك :

من المعروف أن المضارع من ( دعا ) هو ( يدعو ) ومن ( رمى ) هو ( يرمى ) . فالواو فى ( يدعو ) والياء فى ( يرمى ) حرفا مد ، وعند نصب هذين الفعلين بالفتحة على آخرهما سنجد أن الواو والياء يقومان بوظيفة الحروف نحو ( لن يَدْعُوَ ) و ( لن يَرْمِيَ ) . ويرجع هذا الانتقال فى الوظيفة إلى أن الواو واقعة بين ضمة وفتحة ، والياء واقعة بين كسرة وفتحة ، فهما إذاً يسهلان الانتقال بين هاتين الحركتين ، وهذا الانتقال يتضح أيضاً عند إسناد الفعلين ( يدعو ويرمى ) إلى ألف الاثنين فيقال : ( يدعوان ويرميان ) وأشار ابن الحاجب إلى ذلك بقوله : إن الواو والياء هنا يصححان نحو لن يغزو ولن يرمى[1] .

التغيير الذى يطرأ على الواو والياء :

يسمى التغيير الذى يطرأ على الواو أو الياء بالإعلال[2] أو بالتطور ، من ذلك مثلا تتحول الواو أو الياء إلى فتحة طويلة ( ألف مد) نحو قَوَمَ وقَامَ ، وبَيَنَ وبَانَ ، وتبدل الواو المسبوقة بالكسرة ياء نحو مِعْوِد ومعيد ، وتبدل الياء المسبوقة بالضمة واواً نحو طُيْبَى وطُوبَى ، وتبدل الواو والياء همزة إذا وقعتا بعد فتحة طويلة ( ألف مد ) نحو قاوم وقائم ، باين وبائن .

فالإعلال إذاً ضرب من التطور ، ومما يدل على ذلك أن هناك صيغاً حافظت على الصيغة الأصلية فى بيئة معينة . فإذا انتقلنا إلى بيئة أخرى وجدنا أن هذه الصيغة تطورت ، فتغيرت عن الصيغة الأصلية . من ذلك مثلا :

١ — روى أبو زيد أن قيس تقول : العَفَوَة وغيرها يقول : عَفَاة[3] .

٢ — قرأ قتادة قوله تعالى : « لمَثُوبَةٌ من عند الله خير » ( البقرة آية ١٠٣ ) بإسكان الثاء وفتح الواو أى « لمَثْوَبَةٌ »[4] . ووصف اللحيانى هذه الصيغة بأنها شاذة ، وأضاف إلى ذلك قوله : « وقال الكلابيون لا نعرف المثْوَبَة ولكن المثابة »[5] .

٣ — حكى الفراء قول الشاعر عياض ابن أم درة الطائى :

حمى لا يحل الدهر إلا بإذننـــا
ولا نسأل الأقوام عهد الميـــاثق

فى حين رواه أبو زيد بالواو على القياس أى عهد المواثق .

---

(١) شرح الشافية : ١٥٥ .
(٢) شرح المفصل : ١٠/٥٤ .
(٣) د . علم الدين الجندى ، اللهجات فى التراث : ٤٣١ .
(٤) مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه . نشره برجشتراسر سنة ١٩٣٤ .
(٥) لسان العرب لابن منظور .

٤ — ذكر ابن جنى عن أبى على قراءةً عليه عن أبى العباس عن أبى عثمان الأصمعى . قال : بنو تميم — فيما زعم علماؤنا — يتمون مفعولا من الياء فيقولون : ثوب مخيوط ، وبر مكيول ، وبسرة مطيوبة [1] .

وأنشد علقمة :

* يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم[2] *

قال الشاعر :

قد كان قومك يزعمونك سيداً
وإخـــال أنك سيد معيون[3]

أما أهل الحجاز فى مثل هذا فيحذفون[4] .

٥ — جاء فى الخصائص لابن جنى ، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى ، قال : يقال استصوبت الشئ ولا يقال : استصبت الشئ ، ومنه استحوذ وأغيلت المرأة ، واستنوق الجمل ، واستتيست الشاة[5] .

٦ — جاء فى الكتاب لسيبويه وتبدل ( الواو ) مكان الألف فى الوقف وذلك قول بعضهم : أفعو[6] وعزا اللسان صيغة أفعو إلى تميم وصيغة أفعى إلى أهل الحجاز[7] .

وبعد فهذه صيغ قديمة لم يلحقها التطور ، وليست شاذة كما ذهب اللغويون ، فقد وصف ابن جنى هذه الصيغ بأنها مفردة فى الاستعمال[8] .

يوصف التطور الذى يطرأ على الأصوات بأنه بطىء ، ولا يحدث فى كل الصيغ اللغوية . فقد يحدث فى صيغة ولا يحدث فى صيغة أخرى ، فمثلا الصيغة السامية القديمة ( قَوَمَ ) احتفظت بها الحبشية القديمة ( الجعزية ) فهى فيها ( Qawam )[9] أما فى العربية فقد تطورت وأصبحت ( قَامَ ) ، والصيغة السامية القديمة ( عَوِرَ ) و (صَيِدَ) ظلت فى العربية دون تطور . ومن هذا القبيل أيضاً أن الواو والياء تُعلاَّن فى نحو ( يَقْوُلُ) و ( يَبْيِنُ ) فتحول الأولى إلى ( يَقُولُ ) والثانية إلى ( يَبِين ) ، ولكنهما لم يُعلاَّ فى صيغة الفعل المضاعف نحو ابْيَضَّ واسْوَدَّ ، وصيغة التعجب نحو (ما أبْيَنَ) و (ما أقْوَمَ) . ومن هذا أيضاً أن الواو والياء المحركتين بالفتحة الطويلة تعلان فى المصدر ، فتقلبان ألفاً ، ثم يستعاض عن أحد الألفين بتاء مربوطة نحو ( استقوام ) و ( استقامة ) ؛ ولكنهما يسلمان فى صيغ جموع التكسير نحو ( قوت وأقْوات ) و ( صَوْت وأصوات ) .

---

( ١ ) انظر نوادر أبى زيد — ٢٦٤ والخصائص ٣—١٥٧ ، وشرح المفصل ١٢٢/٥

( ٢ ) المقتضب : ١٠١/١٠ ، الخصائص : ٢٦١/١ ، العينى : ٥٧٦/٤

( ٣ ) قائله العباس بن مرداس راجع المقتضب : ٢٠١/١ ، وشرح شواهد الشافية : ٢٨١ ، وشرح التصريح : ٣٩٥/٢

( ٤ ) د . علم الدين الجندى ، اللهجات فى التراث : ٤٣١ و ٤١٥

( ٥ ) الخصائص : ١ / ٩٧—٩٨

( ٦ ) الكتاب : ٢١١/٤ تحقيق عبد السلام هارون

( ٧ ) اللسان ٢٠ / ١٨

( ٨ ) القياس والنحو العربى مجلة كلية اللغة العربية : ٣٠٢/١٠

( ٩ ) ( ترجمتى الخاصة ) Dilmann, Ethiopic Gr. P. 105

ويرتبط حدوث التطور أيضاً بظاهرة أخرى هي ظاهرة الموقعية [1] ، من أمثلة ذلك ما يلى :

١ - إذا سبقت الواو أو الياء الساكنتان بفتحة قصيرة فإنهما لا يسقطان إذا وقعا فى وسط الكلمة نحو : يَوْم ، وبَيْت ، وحَوْقل ، وشَيْطن ، ويسقطان إذا وقعا فى طرف الصيغة نحو ( عَصَوْ وعَصَا ) و ( قُرَىْ وقُرَى ).

٢ - الواو والياء المتحركتان بالفتحة المسبوقتان بساكن تتحولان إلى فتحة طويلة ( ألف مد ) إذا وقعتا فى الوسط نحو ( يُقْوَم ويُقَام ) ( أَقْوَمَ وأقَام ) ولكنهما تسلمان إذا وقعتا فى الطرف نحو عَدْوٌ وحَيٌّ وصِنْوٌ .

قوانين التطور اللغوى :

من أهم قوانين التطور اللغوى المشابهة والمخالفة :

**أولا : المشابهة :**

هى عملية تحويل صوت إلى صوت آخر يشابهه أو يكون قريباً من الصوت التالى له أو السابق له ، والمشابهة نوعان : النوع الأول ، وفيه يؤثر الصوت الأول على الصوت الثانى ، فيتحول الصوت الثانى إلى صوت يشبه الصوت الأول وتسمى مشابهة تقدمية .

والنوع الثانى ، وفيه يؤثر الصوت الثانى على الصوت الأول فيتحول إلى صوت مشابه له أو قريب منه وتسمى مشابهة رجعية .

**المشابهة التقدمية :**

ويؤدى هذا النوع إلى سقوط الصوت الثانى . والصوت المؤثر قد يكون صامتاً أو حركة ، والمتأثر واو أو ياء .

( أ ) عندما يكون الصوت المؤثر صامتاً ( حرفاً ) :

١ - تؤثر الياء على الضمة الطويلة ( واو المد ) التالية لها فى صيغة اسم المفعول الأجوف اليائى ، فتتحول إلى كسرة طويلة ( ياء مد ) ثم تسقط الياء ، وتنتقل الكسرة الطويلة ( ياء المد ) إلى الصامت ( الساكن ) قبلها فيتغير التركيب المقطعى للكلمة نحو مَبْيُوع ومَبِيع .

٢ - تؤثر الياء الساكنة على الواو التالية لها مباشرة فتتحول إلى ياء ، وتدغم فى الياء السابقة نحو أَيْوام وأيَّام ، سَيْوِد وسَيِّد .

(ب) عندما يكون الصوت المؤثر حركة :

١ - تؤثر الكسرة على الياء الساكنة التالية لها فتتحول إلى ياء مد للكسرة السابقة ،

---

( ١ ) يقصد بالموقعية الموقع الذى يقع فيه الواو أو الياء ، فقد يقعان فى بداية الكلمة أو فى وسط الكلمة أو فى طرف الكلمة ، وقد بنى سيبويه دراسته لإعلال الواو والياء على موقعيهما فى الكلمة ، يقول فى قلب الواو همزة فى نحو وعاء وإعاء : ولكن ناسا كثيرين يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة ، فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أولا ... ( الكتاب : ٤/٣٣١ ) وبنى سائر اللغويين قواعد إعلالهم على أساس الموقعية ، من ذلك مثلا : إذا تطرفت الواو والياء بعد ألف زائدة قلبت همزة ( تصريف الأسماء د . عبد الرحمن شاهين : ١٦٧ ) .

ويتحول المقطع المغلق إلى مقطع مفتـوح نحو : (مُيْقات ومِيقات) .

وتؤثر الضمة على الواو الساكنة التالية لها فتتحول إلى واو مد للضمة السابقة ويتحول المقطع المغلق إلى مقطع مفتوح نحو (مُوْصَدَة ومُوصَدة) .

٢ ـ تؤثر الكسرة على الواو التالية ، فتتحول إلى ياء نحو (رضِو ورضِي) ، وإن كانت الواو ساكنة تتحول إلى ياء وتصبح الياء كسرة طويلة (ياء مد) نحو (إوْعاد وإيعاد) و (عالِوْ وعالي وعال) و (مِوْلاد وميلاد) ، وأشار اللغويون القدماء إلى ذلك فقالوا . تبدل الواو ياء لوقوعها ساكنة مفردة إثر كسرة[1] .

**المشابهة الرجعية :**

يؤدى هذا النوع إلى سقوط الصوت الأول ، والصوت المؤثر قد يكون الواو أو الياء أو حركة .

(أ) عندما يكون الصوت الثانى المؤثر واواً أو ياء ، والمتأثر هو الواو أو الياء :

١ ـ تؤثر الياء على الواو الساكنة السابقة لها مباشرة ، فتتحول إلى ياء نحو (شَوْى وشَيّ) و (كَوْى وكَيّ) .

(ب) عندما يكون الصوت الثانى المؤثر واواً أو ياء والصوت الأول المتأثر حركة :

تؤثر الياء الساكنة على الضمة السابقة لها مباشرة فتتحول إلى كسرة ، ثم تصبح الياء الساكنة حرف مد للكسرة السابقة مثل : (بُيْض وبِيض) .

(جـ) عندما يكون الصوت الثانى المؤثر حركة والمتأثر هو الواو أو الياء :

١ ـ تؤثر الكسرة على الياء السابقة لها فينتج كسرة طويلة ، وتنقل هذه الحركة إلى الساكن قبلها نحو : (يَسْيِرُ ويَسِير) و (مُصْيِب ومُصِيب) .

٢ ـ تؤثر الكسرة على الواو السابقة لها فتتحول إلى ياء ، ثم تتحول الكسرة والياء ـ كما فى الحالة الأولى ـ إلى كسرة طويلة ، وتنتقل إلى الساكن قبلها نحو (مصيوب ومُصْيِب ومَصِيب) و (مضيوف ومُضْيِف ومضِيف) و (مقول ومقيل) .

٣ ـ تؤثر الضمة على الواو السابقة لها فينتج ضمة طويلة وتنتقل إلى الساكن قبلها نحو (يَقْوُل ويقُول) .

٤ ـ تؤثر الفتحة على الواو أو الياء السابقتين فتبدلها ألفاً نحو (يُقْوَلُ ويُقَالُ) و (أَبْيَنَ وأبَانَ) .

---

(١) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ١٩٥ .

٥ ـ تؤثر الضمة الطويلة ( واو المد ) على الواو السابقة لها فتسقط ، وتنتقل الضمة الطويلة ( واو المد ) إلى الساكن قبلها نحو (مصْوُون ومَصُون) .

**ثانيا : المخالفة (١) :**

تتمثل فى نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف ، وتميل الواو أو الياء إلى قلبهما همزة فى اللغة العربية فى الأحوال الآتية :

١ ـ إذا التقت واوان فى أول الكلمة ، تخالف الواو الأولى إلى همزة نحو ( وَوَاق وأواق ) .

٢ ـ الواو المفتوحة أو المكسورة أو المضمومة فى بداية الكلمة تخالف إلى همزة عند أهل تميم نحو ( وِشاح وإشاح ) .

٣ ـ الواو والياء المحركة بالكسرة والمسبوقة بفتحة طويلة فى صيغة اسم الفاعل تخالف إلى همزة نحو ( قاول وقائل ) و ( بايع وبائع ) وكذلك فى المصدر نحو لقاء وبقاء وحياء وذلك عند أهل العالية (٢) .

**ثالثا :** تكون الواو والياء ضعيفتين إذا وقعتا بين حركتين قصيرتين نحو ( قَوَم وقَام ) و ( بَيَن وبان ) ، لذلك يميلان نحو السقوط فى أوزان صرفية معينة وفى موقع معين ، إلا أنهما يسلمان إذا ضُعفا نحو سعوديّ وسوريّ وعراقى ، ويكثر ذلك فى صيغ النسب .

**رابعا : سبب مقطعى :**

إذا وقعت الواو أو الياء فى نهاية مقطع مزدوج تميل إلى السقوط لأن اللغة العربية تميل إلى التخلص من هذا النوع من المقاطع نحو ( ليَسْتُ ولَسْتُ ) .

وفيما يلى دراسة مفصلة عن إعلال الواو والياء وفق أسس ثلاثة هى :

١ ـ قوانين التطور .

٢ ـ الصيغ التى يحدث فيها الإعلال .

٣ ـ الموقع الذى يحدث فيه الإعلال .

وسنقسم هذه الدراسة إلى قسمين : القسم الأول ، وهو خاص بالواو أو الياء الساكنتين ، والقسم الثانى خاص بالواو أو الياء المحركتين .

**القسم الأول : الواو والياء الساكنتان :**

الواو والياء الساكنتان المسبوقتان بحركة قصيرة

تسبق الواو والياء بحركة قصيرة قد تكون فتحة أو كسرة أو ضمة .

**١ ـ الفتحة**

للموقعية والوزن الصرفى أثر فى حدوث الإعلال أو عدم حدوثه .

( ١ ) يقصد بالمخالفة إبدال الحرف حرفا يخالف الأول تمام المخالفة كقلب الواو همزة ، فالهمزة تخالف الواو تماما .

( ٢ ) المقصود بأهل العالية هو نجد . قال الأصبهانى نقلا عن ابن الأعرابى نجد رسهان : السافلة والعالية ، فالسافلة ماولى العراق والعالية ماولى الحجاز وتهامة ( اللهجات فى التراث : ٩ )

من حيث الموقعية : أولا فى وسط الكلمة.

من حيث الصيغة الصرفية :

هناك ثلاث حالات هى :

( أ ) سقوط الواو والياء .

(ب) المحافظة على الواو والياء .

(جـ) تحويل الواو ياء .

( أ ) سقوط الواو والياء :

تسقط الواو والياء فى صيغة المضارع على وزن ( يَفْعِلُ ) نحو وَعَدَ فأصل صيغة المضارع ( يَوْعِدُ ) وأصبحت ( يَعِدُ ) وكذلك زاد، أصل صيغة المضارع ( يَزْيِدُ ) وأصبحت ( يَزِيد ) . وسار ، أصل صيغة المضارع ( يَسْيِرُ ) وأصبحت ( يَسِير )[1] .

(ب) المحافظة على الواو والياء :

تحافظ على الواو والياء فى الأوزان الصرفية الآتية :

١ – فَعْل نحو يَوْم وصَوْم وسَوْء وبَيْت وسَيْر .

٢ – فَعْلَة نحو عَوْرة وبَيْضة .

٣ – مَفْعِل نحو مَوْعِد ومَوْقِع .

٤ – مَفْعُول نحو مَوْثُوق .

٥ – صيغة المضارع (يَفْعَلُ) نحو يَيْبَس .

٦ – صيغة استفْعَل نحو استوْلى .

٧ – صيغة أفْعَل نحو أيْقن وأيقظ وأوعد.

٨ – صيغة فَعْلل نحو حَوْقَل وشَيْطَن .

٩ – صيغة تَفْعيل نحو تَوْكيد ، وقد تقلب الواو همزة عند بعض العرب فيقولون تأكيد[2] .

(جـ) تحويل الواو إلى ياء :

تتحول الواو إلى ياء فى حالتين :

( أ ) إذا تبعت الواو بالياء نحو ( رَوْيان وريّان ) .

(ب) إذا وقعت رابعة أو خامسة نحو (أعْطوتُ وأعطيْتُ) و(زكّوتُ وزكّيتُ) و(تَعاطوتُ وتَعاطيتُ) وعلى هذا النحو تزكّيتُ وتساقيْتَ واستدعيت .

ثانياً : فى طرف الكلمة :

تسقط الواو والياء ، وتنشأ فتحة طويلة ( ألف مد ) فى الأفعال والأسماء ، ومع الأسماء المنونة تقصر الفتحة الطويلة إلى فتحة قصيرة نحو (عَصَوْ وعَصَا الولد ومع التنوين عَصًا) و ( قُرَىْ وقُرَى ومع التنوين قُرًى وبالمثل (خُطَوْ وخُطا ) و ( شَتَىَ وشَتّى ) و ( عُفَىْ وعفاة ) و ( أعْمَىْ وأعْمَى ) ، (مُسَمَّوْ ومُسَمَّى). ويرى النحاة أن الواو والياء هنا محركتان على أساس وجود حركة الإعراب ، وبالتالى تكون الواو أو الياء قد تحركتا وانفتح ما قبلهما فقلبتا ألفاً ( أى فتحة طويلة ) ، ولكننا نرى

---

(١) د . إبراهيم هلال فى الوافى الحديث فى التصريف : ١٧٧ – ١٨٧ .

(٢) ابن السكيت ، إصلاح المنطق : ٥٩

أن الإعراب لا يظهر في الكلمات المفردة البعيدة عن التراكيب، لهذا نرى أن الكلمات هنا ساكنة الآخر.

## ٢ ــ الكسرة

من حيث الموقع :

أولا : في وسط الكلمة.

تؤثر الكسرة على الواو التالية لها فتستبدل ياء من باب المماثلة التقدمية، ثم تتحول الياء إلى حرف مد للكسرة السابقة، أما الياء فتتحول إلى كسرة طويلة ( حرف مد للكسرة السابقة ).

من حيث الصيغة الصرفية :

تطبق القاعدة السابقة على الصيغ الآتية :

١ ــ فِعْل نحو (طِوْب وطِيب) و (دِوْك وديك).

٢ ــ فِعْلة نحو ( ثِوْرة وثِيرة ).

٣ ــ فِعْلان نحو ( خِوْلان وخيلان ) و(جِوران وجِيران) و (جِوْعان وجِيعان).

٤ ــ مِفْعال نحو ( مِوْعاد ومِيعاد ) و(مِوْقات ومِيقات) و ( مِوْزان ومِيزان).

٥ ــ إفعال نحو ( إوْقاد وإيقاد ).

٦ ــ اسْتِفعال نحو (استِوْثاق واستِيثاق)[١] و ( استِوْلاء واستيلاء)، يقول اللغويون: تتحول الواو إلى ياء لوقوعها ساكنة إثر كسرة[٢]. وشرح سيبويه انقلاب الواو ياء فقال في باب ماتقلب فيه الواو ياء: وذلك إذا سكنت وقبلها كسرة: "فمن ذلك قولهم الميزان والميعاد، وإنما كرهوا ذلك كما كرهوا الواو مع الياء في لَيَّة وسَيِّد ونحوهما، وكما يكرهون الضمة بعد الكسرة حتى إنه ليس في الكلام أن يكسروا أول حرف ويضموا الثاني نحو فِعُل، ولا يكون ذلك لازماً في غير الأول أيضاً، إلا أن يدركه الإعراب، نحو قولك : فخذ. وترك الواو في مِوْزان أثقل، من قِبل أنه ساكن فليس يحجزه عن الكسر شيء، ألا ترى أنك إذا قلت وَتِدة[٣] قوى البيان للحركة، فإذا أسكنت التاء لم يكن إلا الإدغام؛ لأنه ليس بينهما حاجز، فالواو والياء بمنزلة الحروف التي تتدانى في المخرج، لكثرة استعمالهم إياها، وأنهما لاتخلو الحروف منهما ومن الألف، أو بعضهن، فكان العمل من وجه آخر أخف عليهم، كما أن رفع اللسان من موضع واحد أخفُّ عليهم في الإدغام، وكما أنهم إذا أدْنَوا الحرف من الحرف كان أخفَّ عليهم، نحو قولهم ازدان واصطبر، فهذه قصة الواو والياء[٤].

(١) استوثاق صيغة استفعال من الفعل استوثق والفعل المجرد منه وثق.
(٢) د. عبد الرحمن شاهين، تصريف الأسماء : ١٦٥
(٣) وتدة مصدر من الفعل وتد.
(٤) الكتاب : ٤ / ٣٣٦ و ٣٣٧ تحقيق عبد السلام هارون.

ثانياً : فى طرف الصيغة :

تؤثر الكسرة على الواو التالية فتتحول إلى ياء ثم تصبح ياء مد للكسرة السابقة ، أما الياء فتتحول إلى ياء مد للكسرة السابقة ، وتميل الكسرة الطويلة إلى التقصير مع التنوين نحو (غازِىْ وغازِى ومع التنوين غازٍ) و (مُهتدِىْ ومُهتدِى ومع التنوين مُهتدٍ). يقول اللغويون استثقلت الضمة أو الكسرة على الواو أو الياء فحذفت ، فالتقى ساكنان ، الواو أو الياء والتنوين ، فحذفت الواو أو الياء وبقى التنوين (١).

## ٣ ـ الضمة

سندرس الواو مستقلة عن الياء هنا :

الواو :

من حيث الموقع :

فى وسط الكلمة .

تؤثر الضمة على الواو التالية فتتحول إلى حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) ، وذلك عند بعض القبائل العربية نحو ( مُوْصَدَه ومُوصَدة ) ، وتتحول إلى همزة عند بعض آخر من القبائل العربية نحو ( مُؤْصَدَة ) .

جاء فى إصلاح المنطق : أنشدنا أبو عمرو عن الكسائى :

تحن إلى أجيال مكة ناقتى
ومن دونها أبواب صنعاء مُؤْصدة (٢)

اليـــاء :

هناك حالتان من حالات المماثلة .

الحالة الأولى : وفيها تؤثر الضمة على الياء التالية لها فتتحول إلى واو من باب المماثلة التقدمية ، ثم تصبح الواو حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) .

الحالة الثانية : وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة فتتحول إلى ياء من باب المماثلة الرجعية ، وتصبح الياء حرف مد للكسرة السابقة .

وفيما يلى دراسة مستقلة عن هاتين الحالتين :

الحالة الأولى : وفيها تؤثر الضمة على الياء التالية لها فتتحول إلى واو ، ثم تصبح الواو حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) ويقول اللغويون : تبدل الياء واواً لوقوعها ساكنة بعد ضمة .

من حيث الموقـــع .

أولا : فى وسط الكلمة .

من حيث الصيغة .

تحدث هذا الإعلال فى الصيغ الآتية :

١ ـ اسم الفاعل مُفعِل نحو (مُيقِن ومُوقِن) و ( مُيْسِر ومُوسِر ) .

٢ ـ فُعلَى عندما تكون اسما نحو ( ضُيقَى وضُوقَى ) و ( كُيسَى وكُوسَى ) ، و ( طُيبَى وطُوبى (٣) )

---

( ١ ) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ١٨٤ ( ٢ ) إصلاح المنطق : ١٥٩ و ١٦٠

( ٣ ) أما إذا كانت صفة فتحدث الحالة الثانية ، وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة فتتحول إلى كسرة ، وتصبح الياء حرف مد للكسرة السابقة فيقال ضيق وكيسى صفتين ( الكتاب : ٤ / ٣٣٨ و ٣٣٩ تحقيق عبد السلام هارون ) وهذا يعنى أن الحالة الأولى تحدث فى صيغ صرفية معينة ، والحالة الثانية فى صيغ صرفية أخرى ، أما ما ذهب إليه جان كانتنيو من أنه يجوز أن نغلب الياء واواً أو أن تسلم فهذا غير مقبول فى نظرنا ، لهذا نؤيد ما ذهب إليه سيبويه من أن القلب قاصر على الأسماء ، وعدم القلب قاصر على الصفات ( راجع علم الأصوات العربى لجان كانتنيو : ١٣٩ والكتاب : ٤ / ٣٣٨ و ٣٣٩

ثانياً : في طرف الكلمة :

من حيث الصيغة :

١ ـ في صيغة الفعل الماضي فَعُلَ إذا كانت لامها ياء نحو ( قَضُيَ وقَضُوَ ) .

٢ ـ إذا وقعت الياء قبل تاء التأنيث نحو ( مَرْمُيَة ومَرْمُوَة ) .

٣ ـ إذا وقعت قبل زيادتي فعلان نحو ( رَمُيان ورَمُوان ) .

٤ ـ إذا كانت الياء لاماً لاسم على وزن فَعْلَى نحو (تَقْيَى وتَقْوَى) ، وذلك للتمييز بين الاسم والصفة ، فإن كانت صفة لم تقلب .

الحالة الثانية : وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة ، فتتحول الضمة إلى كسرة ، وتصبح الياء حرف مد للكسرة السابقة .

من حيث الموقع :

أولا : وسط الكلمة

من حيث الصيغة : تحدث ذلك في الصيغ الآتية :

١ ـ صيغة فُعْلَى عندما تكون صفة نحو ( ضُيْقَى وضِيقَى ) و ( كُيْسَى وكِيسَى ).

٢ ـ صيغة فُعْل جمع أفعل نحو ( هَيْمَاء وهُيْم وهِيم ) و ( بيضاء وبُيْض وبِيض ).

ثانيـاً : طرف الكلمة

من حيث الصيغة :

تحدث ذلك في صيغة تَفَاعُل نحو ( تَوَانُيٌ وتَوَانِي وتوانٍ مع التنوين ) .

( ١ ) الكتاب : ٤ / ٣٣٥ - ٣٣٩

الواو والياء الساكنتان المسبوقتان بحركة طويلة :

قد تسبق الواو أو اليـاء بحركة الفتحة الطويلة ( ألف المد ) أو الكسرة الطويلة ( ياء المد ) أو الضمة الطويلة ( واو المد )

( أ ) الفتحة الطويلة « ألف المد » :

من حيث الموقع : طرف الصيغة .

من حيث الصيغة : صيغة فَعَال أو فِعَال .

تثبت الواو أو الياء عند تميم فيقال : حَيَاْي وكِسَاْي وبِنَاْي ورِدَاْي ، وفِدَاْي وعَلَاْو وتخالف الواو أو الياء إلى همزة عند أهل العالية ( أهل نجد ) لذلك يقال : عَلَاء وحَيَاء وكِسَاء وبِنَاء ورِداء وفِداء ، ثم شاع ذلك في العربية الفصحى .

(ب) الكسرة الطويلة :

من حيث الموقع : طرف الصيغة .

من حيث الصيغة : صيغة فَعِيل . ( ياء مد ) .

تتحول الواو الساكنة المسبوقة بكسرة طويلة إلى ياء لتناسب الكسرة ، ثم تقصر الكسرة الطويلة لينشأ مقطع قصير ؛ لأن اللغة العربية لا تفضل المقطع الطويل في طرف الكلمة ، ويؤدي تقصير المقطع الطويل إلى تضعيف الياء ، يقول اللغويون : اجتمعت الواو والياء وسكنت الأولى فقلبت الثانية ياء

( ٢ ) ابن عقيل : ٢ / ٥٦١

وأدغمت في الياء[1] نحو (جَلِيوو جليِيْ وَجليّ) وهي صيغة فعيل من الفعل جلا يجلو).

(جـ) الضمة الطويلة :

من حيث الموقع : طرف الصيغة.

من حيث الصيغة : صيغة فَعُول أو فُعُول.

(أ) إذا سبقت الواو بضمة طويلة (واو مد) : تقصر الضمة الطويلة إلى قصيرة وتضعف الواو نحو (عَدُووْ وعَدُوٌّ) و (عُدُووْ وعُدُوٌّ).

(ب) إذا سبقت الياء بضمة طويلة (واو مد) : تؤثر الياء عليها، فتتحول الضمة الطويلة (واو المد) إلى كسرة طويلة (ياء مد) ثم تقصر إلى كسرة قصيرة وتضعّف الياء نحو (مَضُوي ومَضِيٌّ) و(عُصُوي وعِصِيٌّ) و (دلوي ودُلِيّ) يقول اللغويون : قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وكسر ما قبل الياء المشددة.

## القسم الثاني :

## الواو أو الياء المتحركتان اذا سبقتا بحرف ساكن :

١ ــ تُعَلّ الواو أو الياء بوجه عام إذا وقعت في وسط الكلمة حسب التفصيلات المقبلة، ولكنهما يسلمان في الصيغ الآتية :

(أ) الفعل المضاعف نحو ابْيَضّ واسْوَدّ.

(ب) صيغة أفعل من المعتل الفاء نحو أوْفَى وأيْقَن.

(جـ) صيغة التعجب نحو : ما أبْيَنَ وما أقْوَمَ[2].

٢ ــ تحول الواو أو الياء إلى حركة طويلة، وتنقل إلى الساكن قبلها، وبالتالي سيحدث تغيير في التركيب المقطعي للكلمة، فمثلا (يَهْيَبُ) تتكون من ثلاثة مقاطع : الأول مغلق (يَهْ)، وكل من الثاني والثالث مفتوح (يَـ، بُ)، وبعد الإعلال ستتحول المقاطع الثلاثة إلى مقاطع مفتوحة هي : (يـ ــ ها ــ ب)، وهذا الإعلال خاص بصيغ معينة.

٣ ــ تسقط الواو أو الياء، ويستعاض عنها بتاء التأنيث المربوطة، ويحدث هذا في صيغ المصادر نحو إقوام (وهي الصيغة الأساسية للمصدر الذي على وزن إفعال). وإقامة.

وسندرس فيما يلي بالتفصيل أحوال إعلال الواو أو الياء المتحركتين والمسبوقتين بحرف ساكن :

قد تكون حركة الواو أو الياء فتحة قصيرة أو كسرة قصيرة أو ضمة قصيرة أو فتحة طويلة أو ضمة طويلة.

(١) د. عبد الرحمن شاهين، تصريف الأسماء : ٢٤١

(٢) ابن عقيل : ٢ / ٥٧٢

(١) الواو أو الياء المحركتان بالفتحة القصيرة :

من حيث الموقع :

أولا : فى وسط الكلمة

من حيث الصيغة :

(أ) تسقط الياء أو الواو وتنشأ فتحة طويلة (ألف مد) فى الصيغ الآتية :

١ ـ صيغة الفعل المضارع (يُفْعَل) نحو (يُقْوَل ويُقَال) و (يُسْيَل ويُسَال) .

٢ ـ صيغة الفعل الماضى (أفْعَلَ) نحو (أقْوَمَ وأقَامَ) و (أبْيَنَ وأبَانَ) و (أعْوَدَ وأعَادَ) .

٣ ـ صيغة الفعل الماضى (استفْعَل) نحو (استعْوَذ واستعَاذ) و (استشْوَر واستشَار) واحتفظت قبيلة تميم بالصيغة الأصلية نحو استَحْوَذ واستَيْيَس واستَنْوَق .

٤ ـ صيغتا (مَفْعَل ومَفْعَلة) نحو (مَسْوَق ومَسَاق) و (مَمْوَت ومَمَات) و (مَنْوَم ومَنَام) و (مَطْيَر ومَطَار) و (مَكْوَزة ومَكَازة) .

٥ ـ صيغة (مُفْعَل) نحو (مُقْوَم ومُقَام) و (مُعْوَذ ومُعَاذ) .

٦ ـ صيغة (مُسْتَفْعَل) نحو (مُسْتَشْوَر ومُسْتَشَار) و (مُسْتَعْوَن ومُسْتَعَان) .

(ب) تمتاز أبنية المصدر بأن ألف المد المنقلبة عن واو أو ياء ـ كما فى الحالة السابقة ـ تسقط ويستعاض عنها بتاء مربوطة فى طرف الصيغة نحو (إقوام وإقام وإقامة) و (إبيان وإبان وإبانة) .

(جـ) تقلب الواو ياء فى الصيغ الآتية :

١ ـ الصفات التى على وزن «فُعْلَى» لتمييزها عن الأسماء التى على نفس الوزن ، ويحدث هذا القلب عند أهل تميم نحو (عُلْو وعُلْيا) و (دُنْوَى ودُنْيَا) أما حُزْوَى وقُصْوَى فهما اسمان عند أهل تميم ويستعملهما أهل الحجاز صفتين .

٢ ـ صيغ التصغير التى تقع فيها الواو بعد الياء نحو (جَرْو وجُرَيْو وجُرَىّ) يقول النحاة فى تفسير هذا الإعلال : اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء .

٣ ـ لا يحدث إعلال فى صيغة (افْعَلّ) نحو اغْيَمّ(١) .

ثانياً : فى طرف الكلمة :

تسلم الواو والياء نحو عَدْوٌ ورَمْىٌ وصِنْوٌ .

(٢) الواو والياء المحركتان بالكسرة القصيرة :

١ ـ تؤثر الكسرة على الواو ـ من باب المماثلة الرجعية ـ فتتحول الواو إلى ياء ، ثم تصبح حرف مد للكسرة السابقة نحو (مضووف ومضيف) و (مقوول ومقيل) .

---

(١) ابن عقيل : ٢/٥٦٥ ، تصريف الأسماء : ١٦٦ .

٢ — تثبت الياء وتصبح حرف مد للكسرة التالية (كسرة طويلة) نحو (مُبْيِن ومُبِين) و (يَبْيِن ويَبِين) و (يَسْيِر ويَسِير).

٣ — إذا وقع قبل الواو ياء، تدغم في الياء المنقلبة عن واو مثل (سَيْوِد وسَيْيِد وسَيِّد) و (مَيْوِت ومَيِّت[1]).

**(٣) الواو المحركة بالضمة القصيرة:**

تتحول إلى ضمة طويلة، وتنتقل إلى الساكن قبلها نحو (يقْوُل ويقُول).

وفي صيغ جموع التكسير تخالف الضمة إلى همزة عند بعض القبائل العربية نحو (أدْوُر وأدْؤُر) و (أنْوُر وأنْؤُر).

**(٤) الواو والياء المحركتان بالفتحة الطويلة (ألف المـد):**

من حيث الموقع: وسط الكلمة.

من حيث الصيغة:

(أ) المصدر:

تسقط الواو أو الياء وتنشأ ألف مد (فتحة طويلة) فيلتقي ألفا مد (فتحتان طويلتان) فتنتقل إحداهما إلى الساكن السابق، ويستعاض عن الأخرى بتاء مربوطة في نهاية الصيغة[2]، وعلّل النحاة هذا الإعلال بقولهم: تحركت عين المصدر بحسب الأصل وفتح ما قبلها بحسب الآن، فقلبت الواو أو الياء ألفاً، فالتقى ساكنان، الألف الجديدة التي هي عين الكلمة وألف المصدر، فحذفت إحداهما، وعوض عنها تاء؛ نحو (استعْواذ واستعاذة) و (استقْوام واستقامة) و (إقْوام وإقامة) و (إضْيَاف وإضافة).

(ب) أبنية جموع التكسير:

لا تحدث فيها مثل هذا الإعلال، وإنما تسلم الواو أو الياء نحو (صَوْت وأصْوات) و (قُوت وأقْوات) و (باب وأبواب) و (موت وأموات).

وإذا سبقت الواوَ ياءٌ ساكنةٌ تقلب الواو ياء وتدغم في الياء الأولى نحو (يوم وأيْوَام وأيَّام)

**(٥) الواو والياء المحركتان بالضمة الطويلة (واو المد):**

تحافظ تميم على الواو والياء المحركتان بالضمة الطويلة نحو مبيوع ومكيول ومديون ومعيون ومصوون ومقوون قال ابن جني: بنو تميم — فيما زعم علماؤنا — يتمون مفعولاً من الياء فيقولون: ثوب مخيوط ويسرة مطيوبة أما أهل الحجاز فيحذفون الواو وتنتقل حركتها إلى الساكن قبلها نحو ثوب مصون وقول مقول، وفرس مقود، ذكر ابن خالويه: ليس في كلام العرب من ذوات الواو معقول نخرج على أصله إلا في حرفين،

---

(١) الكتاب لسيبويه: ٣٦٥/٤ تحقيق عبد السلام هارون، وابن عقيل: ٥٦٦/٢

(٢) هناك خلاف بين البصريين والكوفيين حول أي الألفين تحذف.

(٣) ويعوض عنها بتاء مربوطة في طرف الصيغة (راجع شرح المفصل: ٦٠/١٠ ومابعدها).

يقال مسك مدووف وثوب مصوون ، وحكى الكسائى بخاتم مصووغ ، وفرس مقوود[1] .

جاء فى اللسان : رجل معود ومَعْوُود، الأخيرة شاذة ، وهى تميمية ، ومسك مَدْوُوف وهى تميمية . قال ابن الأعرابى: ثوب مصون على النقص ومَصْوُون على التمام. الأخيرة نادرة وهى تميمية[2] ، قال اللحيانى قول مقول ومَقْوُول. قال والإتمام لغة أبى الجراح ، ولعله أبو الجراح العقيلى . جاء عن الفراء عن الكسائى أن بنى يربوع وبنى عقيل يقولون حلى مَصْوُوغ ومسك مدووف وثوب مصوون وفرس مقوود وقول مقوول ، أما البصريون فلا يعرفون ذلك[3] .

وبنو يربوع بطن من حنظلـــة من تميم كما جاء فى نهاية الأرب ، وأما عزوها لعقيل ، فعقيل غير تميم[4] .

ومن الأمثلة العامية فى نجد « أم البيض مَقْوُوو قرأدة »[5] قتادة الآية الكريمة : «لمَثْوُوبَةٌ من عند الله خير» ( البقرة: ١٢٥) فى حين أن قراءة الجمهور « لمَثُوبَةٌ » :

هذه إذن صيغة قديمة ولو جارت التطور لأصبحت مثابة كما فى لهجة كلاب . حكى ابن منظور قـــول الـــكلابيين : « لانعرف المَثْوُبَة ولكن المَثَابة » .

أما الياء المحركة بالضمة الطويلة عند أهل الحجاز ، فإن الضمة الطويلة ( واو المد ) تسقط ويحافظ على الياء ثم تتحول إلى كسرة طويلة ( ياء مد ) ، وتنتقل إلى الساكن قبلها نحو مبيوع عند أهل تميم ومبيع عند أهل الحجاز ، وبالمثل يكون مَصْيُوب ومَصِيب ، مكيول ومكيل ، معنى هذا أن اللغة تحافظ على الضمة الطويلة مع الواو إشارة إلى الأصل الواوى ، وتحافظ على الكسرة الطويلة مع الياء إشارة إلى الأصل اليائى . وفسر النحاة هذا الإعلال فقالوا : « إن أصل مبيع هو مبيوع ، ثم نقلت حركة الياء إلى الساكن الصحيح قبلها ، فسكنت الياء ، فالتقى ساكنان الياء والواو ، فحذفت الواو على رأى سيبويه ، ثم قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء فصار مبيع » .

## القســـم الثالث :

## الواو أو الياء المتحركتان فى أول الكلمة :

### ١ — الواو أو الياء المحركتان بالفتحة القصيرة :

تقلب الواو أو الياء عند القبائل الشرقية من الجزيرة العربية همزة ، وتثبت عند القبائل العربية نحو وَجَمَ وأجَمَ ونَاة وأناة ، وسادة ، وإسادة ، وتشبه اللهجات الشرقية فى هذا اللغة الأكادية التى تميل إلى تحويل الواو أو الياء فى أول الكلمة همزة فمثلا يَوْم فيها أُمٌ (umu')[6]

(١) الخصائص: ١/٣٧٠ ، واللهجات فى التراث : ٤١٦

(٢) اللسان: ١٧/١١٨ ، اللهجات فى التراث : ٤١٧

(٣) أدب الكاتب : ٤٧٧

(٤) ( ترجمتى الخاصة ) Rabin, Ancient West Arabian. P. 160

(٥) اللهجات فى التراث : ٤٣١

(٦) (ترجمتى الخاصة) Rabin, Ancient West Arabian. P. 84

ولكن يبدو أن هذا القلب ليس مطرداً كما وصفه سيبويه[1] غير أن الواو المحركة بالفتحة القصيرة تقلب همزة باطراد إذا تبعت بواو أخرى محركة بفتحة طويلة ( متبوعة بألف مد ) نحو( ووعد وأواعد ) و ( وواصل وأواصل ).

هذا بالنسبة إلى الواو ، أما بالنسبة إلى الياء فإنها كالواو نحو ( يلك وألك ) وتنسب الأخيرة إلى هذيل ، وهذيل من قبائل الجزيرة العربية الشرقية و ( يرقان وأرقان ) و( يَدٌ وأدٌ ) وتشبه اللهجات الغربية فى ذلك اللغات السامية الغربية .

٢ ــ الواو أو الياء المحركتان بالكسرة القصيرة :

تثبت عند القبائل العربية فى غرب الجزيرة العربية مثل وسواس ، وسام ، وشاح ، وعاء ، وتقلب همزة عند القبائل فى شرق الجزيرة العربية ، وعزى ذلك إلى قبيلة هذيل ، فتقول فى وشاح إشاح ، وفى وعاء إعاء ، جاء فى إصلاح المنطق : وكاف وإكاف ،ولاف وإلاف ، وسادة وإسادة[2].

يقول سيبويه : « ولكن ناساً من العرب يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة ، فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أولا ، كرهوا الكسرة فيها كما استثقل فى يَيجل وسَيِّد وأشباه ذلك »[3] .

٣ ــ الواو أو الياء المحركتان بالضمة القصيرة :

تثبت عند بعض القبائل ، وتستبدل همزة عند بعضها الآخر ، مثل وُجُوه وأُجُوه ، حكى الفراء حيٌّ الوجوه وحيٌّ الأُجوه[4] ، ومثل : وُلِدَ وأُلِدَ[5] ، يقول سيبويه : « اعلم أن هذه الواو إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها ،وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها وذلك نحو قولهم فى وُلِدَ أُلِدَ . وفى وُجُوه أُجُوه ، وإنما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمة كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو قَؤُول ومؤُنة ؛ وأما الذين لم يهمزوا فإنهم تركوا الحرف على أصله ، كما يقولون قؤول ، ومع أن هذه الواو ضعيفة تحذف وتبدل ، فأرادوا أن يضعوا مكانها حرفاً أجلد منها ، ولما كانوا يبدلونها وهى مفتوحة فى مثل وَناة وأناة ، كانوا فى هــذا أجدر أن يبدلوا حيث دخله ما يستثقلون ،فصار الإبدال فيه مطرداً حيث كان البدل يدخل فيما هو أخف منه[6] .

أما الياء المضمومة فتثبت نحو يُبُوسة[7] :

( ١ ) الكتاب : ٤/٣٣١ تحقيق عبد السلام هارون
( ٢ ) إصلاح المنطق : ٧٥
( ٣ ) الكتاب : ٤/٣٣١ تحقيق عبد السلام هارون .
( ٤ ) إصلاح المنطق : ٦٠
( ٥ ) الكتاب : ٤/٣٣١ تحقيق عبد السلام هارون .
( ٦ ) الكتاب : ٤/٣٣١ تحقيق عبد السلام هارون
( ٧ ) تصريف الأسماء : ١٦٠

إلى همزة نحو مُشاء وبُكاء ودُعاء ووعاء، ولقاءة وعباءة[1] ويقول النحاة إذا تطرفت الواو أو الياء بعد ألف زائدة قلبت همزة[2] .

(ب) الواو أو الياء المحركتان بالكسرة القصيرة :

قد تسبقان بفتحة قصيرة أو بضمة قصيرة .

١ ــ عندما تسبقان بفتحة قصيرة :

تؤثر الفتحة على الواو أو الياء والكسرة فيسقطان وتنشأ فتحة طويلة ، أو كما يقول النحاة ، تحركت الواو أو الياء وفتح ما قبلهما فقلبتا ألفا[3] نحو (مُختيَر ومُختار) و ( مُنقود ومُنقاد ) و ( خوف وخاف ) و ( نَوِر ونار ) .

٢ ــ عندما تسبقان بضمة قصيرة :

تؤثر الكسرة على الواو والضمة السابقة فتنشأ كسرة طويلة أو ياء مد نحو ( قُوِل وقيل ) و ( سُيِر وسير ) .

٣ ــ عندما تسبقان بفتحة طويلة (ألف مد) :

تتحولان إلى همزة في الصيغ الآتية :

(أ) اسم الفاعل نحو قاوِم وقائم ، قاوِل وقائل ، يقول النحاة وقعت الواو عينا لاسم الفاعل فقلبت همزة لوقوعها إثر ألف زائدة :

(ب) صيغة جمع التكسير فعائل نحو ( سَحاوِب وسحائب ) ( عجاوز وعجائز ) ويقول النحاة : وقعت الألف وهي حرف زائد بعد ألف الجمع فقلبت همزة ، وإن كانت المدة أصلية لم تقلب نحو مُصيبة ومَصايب .

( ج ) صيغ المصادر «فَعال وفِعال وإفعال» نحو ( قضاي وقَضَاء ) و ( نَمَاو ونَمَاء ) و (شَقَاي وشَقَاء ) و ( إرضاي وإرضاء )

(ح) الواو أو الياء المحركتان بالضمة القصيرة :

قد تسبق الواو أو الياء بفتحة قصيرة أو كسرة قصيرة أو ضمة قصيرة .

(أ) عندما تسبقان بفتحة قصيرة :

تؤثر الفتحة على الواو أو الياء والضمة القصيرة فتحذف الواو أو الياء والضمة وتنشأ فتحة طويلة أو كما يقول النحاة : تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلهما فقلبتا ألفا نحو ( طوُل وطال ) و ( يُنْدَوُ ويُنْدَى ) .

( ب) عندما تسبق الياء بكسرة قصيرة :

تسقط الضمة وتتحول الياء إلى حرف مد للكسرة السابقة نحو ( يَرْمِيُ ويَرْمِي ) ؟

---

(١) اللهجات في التراث : ٢٦٤

(٢) تصريف الأسماء : ١٦٧ و ١٦٨ و ١٨٨

(٣) تصريف الأسماء : ١٦٤

(جـ) عندما تسبق الواو بالضمة القصيرة تسقط الضمة وتتحول الواو إلى حرف مد للضمة السابقة نحو (يَنْدُو وَيَنْدُو) (يَغْزُوُ ويَغْزُو).

(د) الواو أو الياء المحركتان بحركة طويلة (بحرف مد أولين):

١ - الواو أو الياء المحركتان بفتحة طويلة (ألف المد):

تسبق الواو أو الياء بالفتحة القصيرة أو الكسرة القصيرة.

(١) عندما تسبق الواو أو الياء بالفتحة القصيرة: - يحافظ عليهما مثل: صَوَاعق.

(٢) عندما تسبق الواو أو الياء بالكسرة القصيرة: تقلب الواو ياء في الصيغ الآتية:

(أ) صيغة المصدر فِعَال من الفعل الثلاثي فَعَلَ عند أهل الحجاز نحو (قام قياما) (وصام صياما) و(حال حيالا)[٢] أما إذا كانت فعَال مصدراً لفعل على وزن فاعل فإنها تثبت، وذلك للتمييز بين مصدر الفعل المجرد (فَعَلَ) ومصدر الفعل المزيد (فَاعَلَ)، نحو (لاوذ لِوَاذاً) و (جَاوَرَ جِواراً[٣]).

(ب) صيغة جمع التكسير (فعال) نحو (سَوْط وسياط) و (ثَوْب وثياب) و(روضة ورياض) و (دار وديار)، يقول النحاة في تفسير ذلك: وقعت الواو والياء عينا في جمع التكسير وبعدها ألف الجمع وقبلها كسرة فقلبت ياء[٤]، وشرح سيبويه أسباب قلب الواو ياء فقال في باب: «هذا باب تقلب الواو فيه ياء لا لياء قبلها ساكنة ولا لسكونها وبعدها ياء، وذلك قولك: حاولت حيالا وإنما قلبوها حيث كانت معتلة في الفعل فأرادوا أن تعتل إذا كانت قبلها كسرة، وبعدها حرف يشبه الياء، فلما كان ذلك فيها مع الاعتلال لم يقروها، وكان العمل من وجه واحد أخف عليهم وجروا على ذلك للاعتلال، ومثل سَوْط وسياط، وثوب وثياب وروضة ورياض: لما كانت الواو ميتةً ساكنةً شبهوها بواو يقول لأنها ساكنة مثلها ولأنها حرف الاعتلال[٥]».

ونرى أن سبب القلب يرجع إلى المشابهة التقدمية، فقد أثرت الكسرة على الواو التالية لها فحولتها إلى ياء، ومن المعروف - كما قال ابن جني - أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء

---

(١) (ترجمتي الخاصة) O'leary, Comparative Gr. of the Semitic Languages P. 119.

(٢) تثبت الواو عند أهل تميم فيقولون قوام وصوام وحوال وعوار وبالتالي لايكون ذلك من باب الشذوذ كما ذهب النحاة (انظر أوضح المسالك: ٢/٤٠٢)

(٣) تصريف الأسماء: ٣٠١

(٤) الكتاب: ٤/٣٦٠ تحقيق عبد السلام هارون.

(٥) سر صناعة الإعراب: ١٩/١ تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

والواو ، أي أن الكسرة بعض من الياء ، وهذا بالطبع قاصر على وزن صرفي معين ؟ أما الياء فتثبت نحو حياكة .

(٣) عندما تسبق الواو أو الياء بالضمة القصيرة: يحافظ عليها مثل خُوَّار ومُوَّال

٢ – الواو أو الياء المحركتان بالكسرة الطويلة ( ياء المد ) تسبق الواو أو الياء هنا بالفتحة القصيرة : تسقط الكسرة الطويلة ( ياء المد ) وتستخدم الواو أو الياء في غلق المقطع ، أي أنها ستسكن نحو (تَنْسَيِين وتَنْسَيْنَ ) و ( تَرْضَوِين وترضون ) .

٣ – الواو أو الياء المحركتان بالضمة الطويلة ( واو المد )

(أ) عندما تسبقان بالفتحة القصيرة : من حيث الموقع .

أولا : في وسط الكلمة :

تثبت عند بعض القبائل العربية ، وتستبدل همزة عند بعضها الآخر ، نحو ( قَوُول وقَؤُول ) و ( صَوُول وصَؤُول ) ، ويفسر النحاة ذلك بقولهم : قلبت الواو الأولى همزة لوقوعها مضمومة ضمة لازمة غير مشددة[1] .

ثانيا : في طرف الكلمة :

تسقط الضمة الطويلة ( واو المد ) وتستخدم الواو في غلق المقطع نحو ( غَزَوُوا وغَزَوْا ) .

(ب) عندما تسبقان بالكسرة :

تسقط الضمة الطويلة ( واو المد ) وتستبدل بالكسرة الضمة نحو ( رضِيُوا ورَضِيُوا ورَضُوا ) ومع الياء تستبدل الواو ياء وتصبح ياء مد للكسرة السابقة نحو (رَاضِيُون وراضِيُون وراضين ) .

(ج) عندما تسبقان بالضمة :

تسقط الضمة الطويلة (واو المد) وتصبح الواو الأولى حرف مد للضمة السابقة نحو : (يَغْزُوُون ويَغْزُون)(ومع الجزم يَغْزُوا[2]).

الخاتمة :

درست في هذا البحث تكوين الواو والياء ، ووظيفة كل منهما في اللغة العربية ، وانتهيت من هذا إلى أن للواو والياء طبيعة انتقالية ، فالواو تسهل الانتقال بين الضمة والفتحة نحو لن يَدْعُوَ ، والياء تسهل الانتقال بين الكسرة والفتحة نحو لن يَرْمِيَ .

بعد ذلك انتقلت إلى شرح معنى الإعلال فأوضحت أنه ضرب من التطور اللغوي . واستدللت على ذلك بوجود صيغتين للكلمة الواحدة ، الأولى لم تُعَلّ فيها الواو أو الياء والثانية اعتلت فيها الواو أو الياء ، وأكدت

(١) تصريف الأسماء : ١٨٨

(٢) علم الأصوات العربي : ١٣٨

أن الصيغ التي لم تُعَلّ فيها الواو أو الياء ليست شاذة كما ذهب الصرفيون ، بل إنها تمثل الصيغ الأصلية قبل أن ينتابها التطور ، من هنا تتبعت موطن الصيغ الأصلية ، وموطن الصيغ التي انتابها الإعلال ، فمثلا عندما وجدت صيغتين لاسم المفعول من الفعل ( خاط ) وهما مَخْيُوط ومخيط ، أرجعت الأولى إلى تميم وأرجعت الثانية إلى أهل الحجاز ، وهكذا استطعت إرجاع كل الصيغ التي وصفها الصرفيون بالشذوذ إلى مواطنها الأصلية ، ولهذا أرى أن السبب الذي جعل الصرفيين يحكمون على صيغة مثل مخيوط بالشذوذ هو تطبيق نظرية القياس دون مراعاة للهجات العربية القديمة المختلفة .

شرحت بعد ذلك أسباب الإعلال فأثبتُّ أن الإعلال لا يرجع إلى مجرد قوانين مهما قيدت بشروط دقيقة ، بل رأيت أن الإعلال يرجع إلى عدة أسباب مجتمعة هي خصائص المقطع العربي وموقع الواو أو الياء في الكلمة ونوع الصيغة الصرفية ، ولأوضح أهمية كل هذه العوامل في حدوث الإعلال تتبعت الواو أو الياء عندما يكونان ساكنين تارة وعندما يكونان محركين تارة أخرى ، وتتبعت تأثير الحركة السابقة على الواو أو الياء عندما يكونان ساكنين أو عندما يكونان محركين . . . وقد اقتفيت بذلك إثر سيبويه في دراسة الإعلال .

---

## المراجع


**أولا : المراجع العربية :**

١ – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر دمشق سنة ١٣٤٥ هـ .

٢ – ابن جني ، الخصائص ، تحقيق عبد الحليم النجار . القاهرة سنة ١٩٥٢

٣ – ابن جني سر صناعة الإعراب . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . القاهرة سنة ١٩٥٤

٤ – عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية . بيروت سنة ١٩٨٠ .

٥ – محمود السعران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي . الإسكندرية سنة ١٩٦٢

٦ – ابن يعيش ، شرح المفصل .

٧ – سيبويه ، الكتاب تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة .

٨ – كمال بشر ، علم اللغة العام ( الأصوات ) . القاهرة ١٩٧٠ .

٩ – علم الدين الجندي ، اللهجات في التراث . القاهرة ١٩٦٥ .

١٠ – عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء . القاهرة ١٩٧٥ .

١١ – إبراهيم هلال ، الوافي الحديث في التصريف . منشورات جامعة بنغازى ليبيا سنة ١٩٧٤ .

١٢ – ابن السكيت ، إصلاح المنطق . القاهرة سنة ١٩٦٥ .

١٣ – ابن عقيل . شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . تحقيق محي الدين عبد الحميد .

١٤ – ابن قتيبة ، أدب الكاتب .

١٥ – ابن هشام ، أوضح المسالك . تحقيق محى الدين عبد الحميد ، بيروت سنة ١٩٧٤ .

١٦ – جان كانتينو ، علم الأصوات العربي . منشورات الجامعة التونسية سنة ١٩٦٦

١٧ – كارل بروكلمانه ، فقه اللغات السامية . منشورات جامعة الرياض سنة ١٩٧٧

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1. Gesenius, Hebrew Grammar. Oxford 1949.
2. Dilmann, Ethiopic Grámmar. London 1917.
3. O'leary, Comparative Grammar of the Semitic Languages London 1937.
4. Rabin, Ancient West Arabian, London 1960.
5. Von Soden, Akkadischen Grammatik. Roma 1979.
6. Moscati, An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages' WIESBADEN 1969.

صلاح الدين صالح حسنين

# شعراء قوص

## في القرنين السادس والسابع الهجريين

**للأستاذ محمد قنديل البقلي**

**حفلت** مصر في القرنين السادس والسابع الهجرين في ظل الأيوبيين والمماليك بكثرة من الأدباء ، لا سيا الشعراء ، وكانت هذه الكثرة تفيض في جنبات الوادى من شماليه إلى جنوبيه الأقصى ، لا تكاد تخلو منطقة من شعراء ، كما لا تكاد تخلو مدينة من شاعر أو اثنين ، إن لم يكن أكثر ، لا سيا المدن الكبرى التى كانت أشبه بالقاهرة والتى كانت مراكز لتلك المناطق التى كانت أشبه بالمديريات أو المحافظات ، فكان فى الأسكندرية مثلا شعراء ينسبون إليها ، وكان فى القاهرة أيضاً شعراء ينسبون إليها ، وكان فى إسنا شعراء ينسبون إليها ، وكان فى إدفو شعراء ينسبون إليها ، وكان فى أسوان شعراء ينسبون إليها .

وهكذا عاش هؤلاء الشعراء ينسبون إلى مدينتهم الأولى ، على الرغم من أن كثرة منهم نزحت إلى القاهرة التى كانت ميدان الأدب العام حيث الحياة الفكرية أشد رواجاً وأكثر شيوعاً .

وعلى الرغم من هذا الإغراء ، أعنى الإغراء القاهرى ، فلقد بقى جملة من هؤلاء الشعراء حيث نشأوا ، وكان لتمسكهم بأرضهم أو بوطنهم الأول أسباب منها ما هو مادى ومنها ما هو معنوى ، ولكنهم على هذا كانوا موصولين بمركز الأدب العام ، أعنى القاهرة ، فكانت أخبارهم تنقل إلى هناك حيث مقر الحكم ، وحيث المطمع فى جاه أو شهرة . ومن لم يكن منهم تكتب له الشهرة فى القاهرة فلا شهرة له إلا شهرة محدودة .

ولكن المؤرخين الذين سجلوا للحركات الأدبية وللحركات العلمية لم يفتهم تقصى الأخبار حيث كانت ، يمضون وراء استيعابها هنا وهناك لا يثنيهم أن يكون بينهم وبين ما يريدون من التقاطه سفر طويل أو رحلة شاقة .

وما فعله الثعالبى فى كتابه اليتيمة من جمعه لشعراء مصريين وغير مصريين فى شتى البلاد ونواحيها المختلفة يدلك على شيء من

ذلك ، ثم ما فعله العماد الأصفهانى فى كتابه : « خريدة القصر » وتقسيمه الشعراء على مواطنهم حيث كانوا وأنّى نزلوا يدلك أيضاً على العناء والجهد المبذول .

ولست أعنى أن ما جمعه هذا أو ذاك ، أعنى الثعالبى والعماد الأصفهانى كان كله عن رحلة ونقلة ، بل منه أى من هذه الأخبار ما نقل عن سالف لها ، ولكن الذى لا شك فيه أن من هذه الأخبار أيضاً كان عن معاينة ومشاهدة تلزمهما نقلة ورحلة .

ولقد جاء غير هؤلاء المؤرخين الذين كان منهجهم التعميم ، أعنى النظرة إلى الساحة العربية كلها كإقليم واحد اختلفت أسماؤه فألفوا كتبهم هذا التأليف العام الذى ضربت لك منه هذين المثلين .

أقول : إنه كان إلى جانب هذا التأليف الأدبى العام تأليف أدبى أو شبه أدبى خاص يختص بإقليم بذاته أو بمدينة بذاتها ، من هؤلاء فى العصر الذى نحن بصدده وهو العصر الذى شمل القرنين السادس والسابع الهجريين الإدفوى صاحب « الطالع السعيد » حيث جمع فى كتابه ما يخص شطراً من وادى النيل ، وهو الشطر الجنوبى ، فجمع أدباءه وعلماءه وفقهاءه ونجباءه يخص ولا يعمم .

ورأينا فى العصر الحديث من ينهج هذا النهج الخاص فيخص إقليم الحلة من العراق بكتاب يجمع شعراء الحلة يقع فى خمسة أجزاء ليست بالصغيرة ولا بالكبيرة .

وفى الحق نحن أحوج ما نكون فى عصرنا الحديث إلى أن ننحو نحو هذا النحو الخاص فنخص كل إقليم أو كل مدينة إن أمكن بجمع أخبار من نشأوا فيه أو فيها على أن يكون لكل فرع من فروع الحياة الفكرية مؤلف خاص به يجمع آثار من نشأوا فيه جمعاً مستوعباً .

فما من شك فى أن لكل بيئة مهما صغرت وضاقت حياتها ومنطقها وأسلوبها والأدب من بين الاتجاهات الفكرية كلها هو الناطق عن البيئة المترجم لها المتحدث عنها .

ونحن حين نسجل هذا لبيئة بعينها إنما نضع لبنة فى الحياة الأدبية العامة ، ومن هذه اللبنات مجتمعة يكون الحكم العام الذى تسبقه الأحكام الخاصة التى لا غنى للدارس عنها ولا معدل له عن أن ينظر إليها أولا قبل أن ينظر فيما فوقها أعنى الحياة الشاملة .

والإقليم الذى أتحدث عنه هنا هو بلد لنا معروف فى صعيد مصر ، وكان فى ظل هذين القرنين اللذين خصصتهما ، أعنى القرن السادس والقرن السابع الهجريين محط رحال التجار القادمين من الأقطار العربية الشقيقة ، وكانت قوص لهذا ذات حركة دائبة موفورة الرزق واسعة الرخاء مما حبب إلى أهلها استيطانها لا يبغون بها بدلا ، لهذا كان الشعراء الذين نشأوا فيها آثروا المقام بها يكفيهم أن فى هذا الخضم من يسمع لهم ، ويكفيهم أنهم واجدون من هذه الحضارة

مادة تغزيهم بالقول ، وحسبهم أن الخارجين عنها سيكونون ألسنتهم المعبرة عما يقولون يذيعون ويشيعون وكأنهم الصحف السائرة.

وما أظن كتاباً سبق للتعريف بهذه البيئات الخاصة حتى الإدفوى فى كتابه ، الطالع السعيد ، فلقد كان جامعاً لرقعة أفسح ومدى أوسع ، والذى أدعو إليه هو هذا التخصيص فى الجمع والأخبار لما له من هذه الفائدة فى الحياة الأدبية التى أشرت إليها قبل ذلك بقليل.

ولقد آثرت اختيار قوص لتلك الحضارة التى عاشتها قوص فى هذين القرنين ثم لأنها بلد كان ممعناً فى الجنوب ، والجنوب كما عهدنا ونعهد مقطوع الصلة بالشمال يكاد يظن به أنه لا نصيب له من أدب ولا مشاركة فى حياة فكرية.

لهذا ولما راقنى من نتاج شعرى لقوص آثرتها بالحديث وآثرت شعراءها فى هذين القرنين بالكلام عنهم والتعريف بهم وعرض نماذج من شعرهم ولأكون بهذا قد مهدت الطريق لأن نخص ولا نعم فى مؤلفاتنا عن البيئات ، فنحن بحاجة إلى هذا الأدب الخاص قبل حاجتنا إلى الأدب العام.

ومن هؤلاء الشعراء القوصيين الذين وقعوا لى فى تنقيبى : أحمد بن موسى القوصى الدار والوفاة ، ولقد كان إلى جانب نبوغه فى الشعر فقيهاً . من أجل هذا كانت إليه نظارة الدواوين بمدينة قوص . وما أحب أن أسترسل فى الكلام عن حياة الرجل ، فالحديث عنه كثير ، فلقد تكلم عنه ابن حجر فى كتابه : « الدرر الكامنة[1] » كما تكلم عنه الإدفوى فى كتابه : « الطالع السعيد[2] » ، كما عرض له البغدادى فى كتابه : « هدية العارفين[3] » ، ولم يفت ذكر صاحب معجم المؤلفين[4] ولا الزركلى فى كتابه : « الأعلام[5] » ، فلقد نقل بعضهم عن بعض يزيدون وينقصون ، يعرفون بحياته وعجائبه مرة ويسوقون شعره مرة أخرى ويتكلمون عن مؤلفاته مرة ثالثة.

والذى يعنينى هنا والباب معقود لشعراء وشعرهم أن أسوق جملة طيبة من شعر هذا الشاعر القوصى الذى كان يكنى بابن قرصة ، وهذه الكنية لم تفت رجلنا أن يحدثنا عنها ويجلو السبب الذى من أجله كنى بها ، فهو يقول :

لا تحقرن من الأعداء من قصرت
يداه عنك وإن كان ابن يومين

فإن فى قرصة البرغوث معتبراً
فيها أذى الجسم والتسهيد للعين

(1) ج ١ ص ٣٢٠ . (2) ص ١٤٥ – ١٤٩
(3) ج ١ ص ٢٤٧ . (4) ج ٢ ص ١٩٠ . (5) ج ٩ ص ١٠٣ .

ويبدو أن هذين البيتين كانا السبب الذى جعل الناس من حوله يكنونه بابن قرصة ، فانظر كيف كان الناس موصولين بالشعراء، وكيف كان الشعراء موصولين بالناس ، يعنى الشعراء أمر الناس ويعنى أمر الناس الشعراء ، يتلقف الشعراء عن الناس حكمة أو رأياً أو فلسفة أو أمراً اجتماعياً فيصوغونه شعراً ، ويرى الناس فى شعر الشعراء ما داو نخلدهم من حكمة أو فلسفة أو مثل لم يستطيعوا الإفصاح عنه فيرتاح الشعراء لأنهم قد ترجموا للناس ما تنطوى عليه أنفسهم ويرتاح الناس لشعر الشعراء لأنهم قد قرأوا فيه ما تختلج به نفوسهم .

ومما ترجم به ابن قرصة حياة بيئته فى ذلك العصر الذى عاشه شيء كان لا بد شائعاً فى عصر ابن قرصة وهو زواج الشيب من الغانيات الصغيرات ، ويبدو أن هذا كان أمراً شاع فى عصر ابن قرصة وذاع وكان لا بد أن يحرك فى نفسه شاعريته ، ما أظن عن مجاراة ، فالشاعر مستقل الفكر ، ولكن الذى أظنه كان عن رأى خاص بابن قرصة ، فنقرأ له فى هذا المعنى يقول :

إذا تزوج شيخ الدار غانية
مليحة القــد تزهى ساعة النظر

فقد ترافع فى أحواله وأتت
قاف القيادة تستقصى عن الخبر

وفى البيت الثانى من هذين البيتين تحذير أى تحذير لمن يسلك هذه السبيل ، فقد يعرض الشيخ الغانية الصغيرة لما لا تحمد عقباه ، وكأنى بابن قرصة بعد هذا يؤكد ما يكون مع المشيب من سوء حال وبعد عن الراحة وتردد فى المتاعب والمصاعب فيقول :

الشيب عيب ولكن عينه قلعت
بالشين من شدة فيه وتعذيب

والشيب شين ولكن نونه حذفت
بباء بعد عن اللذات والطيب

ألا ترى معى كم أبدع ابن قرصة، وكم ورى تلك التوريات اللطيفة ، وكم أدى ذلك الأداء السهل الممتنع .

ووجدت لابن قرصة أيضاً من شعره الذى فاتنا أكثره هذه الأبيات التى يوازن فيها بين الخير والشر ، وإذا هو قد أفلح وأجاد حين صور الشر بالسواد والخير بالبياض ، وذلك حيث يقول :

يا من يعــذب نفسه فى صورة
سوداء مظلمة كفحم النــار

أتعبت نفسك فى سواد مظــلم
إن السواد يضر بالأبصــار

فإذا عــدلت عن البياض وحسنه
ماذا تؤمل فى سواد القــار

وأحب أن أختم الحديث عن ابن قرصة بهذين البيتين اللذين فيهما التسليم بقضاء الله وقدره ، واللذين جود فيهما ابن قرصة أيما تجويد ، يقول :

نحن نسعى والسعى غير مفيــد
إن أراد الإله منع المغــانم

وإذا ما الإله قـــدر شيئاً
جــاء سعياً إلى الفتى وهو نائم

والبيتان إن نطقا بسكون حرف الروى فلا عيب ، وإن تحرك حرف الروى فجاء الروى الأول مكسوراً والروى الثانى مضموماً كان فى الشعر إقواء ، وهو عيب ، كثيراً ما وقع فيه فحول الشعراء .

ولقد كان هذا الشاعر الأديب الفقيـــه مؤلفاً فى فروع مختلفة فله مؤلفات فى الفقه ، وأخرى فى النحو ، وثالثة فى اللغة ورابعة فى الأدب . وحسبنا من هذه المؤلفات كلها كتابه الذى فى الأدب : نتف المذاكرة وتحف المحاضرة ، وعنوانه يغنى عن ذكر محتوياته ، ولقد ذكره صاحب الكشف باسم : نتف المحاضرة ، ناسباً إياه لمؤلفه ، ولم يزد ، ولكن الكتاب ، كما قلت ، يملى عنوانه ما فيه الغناء عن التفصيل .

ولقد كانت وفاة ابن قرصة ، كما ذكره ابن حجر والإدفوى وحاجى خليفة والبغدادى فى شهر ذى الحجة من سنة إحدى وسبعمائة سنة ( ٧٠١ هـ ) ولا يعنينا ما جاء فى معجم المؤلفين والأعلام للزركلى من أن وفاته كانت سنة سبعمائة وعشر ( ٧١٠ هـ ) ، فلقد أخذ أحدهما عن الآخر ، ولا أدرى من الآخذ ولا من المأخوذ عنه .

وغير ابن قرصة من شعراء قوص كان إسماعيل بن هبة الله القوصى الأديب الشاعر . اختصه الإدفوى فى كتابه الطالع السعيد بترجمة قصيرة ويكاد يكون الإدفوى هو الوحيد الذى ترجم لابن هبة الله هذا ، وكان ما ذكره عنه كما لم يسق له غير بيتين من الشعر فى الشباب والشيب ، يقول فيهما :

يا شبابى أفسدت صالح دينى
يا مشيبى نغصت لذة عيشى

فعــــدوان أنـــتما لا صــــديقا
ن تلاعبتمـــــا بحامى وطيشى

وأنت ترى معى أنه لا غبار على شعر الشاعر ، وما من شك فى أن هذا القليل يشير إلى كثير غيره على مثل هذه الجودة ومثل هذه الإبانة .

ولعل الإدفوى وهو الوحيد الذى ترجم له ، فلقد فاتته معاصرة هذا الشاعر ، كما فاته أن يجد من يعى له فينقل عنه ، يدلنا على هذا سياق السند الذى قدم به الإدفوى لصاحب هذه الترجمة ، وذلك حيث يقول : روى عنه شيئاً من شعره الحافظ أبو الفتح محمد ابن على بن وهب القشيرى والفقيه عبد الملك ابن أحمد الأرمنتى ، أنشدنا شيخنا أثير الدين أبو حيان ، أنشدنا الشيخ تقى الدين أبو الفتح القشيرى ، أنشدنا القاضى إسماعيل ابن هبة الله .

فأنت ترى معى من هذا السند أن بين الإدفوى وبين صاحب هذه الترجمة نحواً من ثلاثة شيوخ ، وإذا علمنا أن وفاة الإدفوى

كانت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، كذلك ندرك أن وفاة إسماعيل بن هبة الله صاحب هذه الترجمة كانت فى النصف الأول من القرن السابع إن لم تكن قبل ذلك ، وهذا يعنى أن الإدفوى لم يعاصره ، وأنه نقل عنه بتوسط بينه وبينه مشايخ ثلاثة ، لذا كانت هذه القلة فى التعريف بالرجل والقلة فى الشعر المروى له .

ويأتى بعد هذين شاعر قوصى آخر هو حيدرة بن الحسين ويعرف بابن الغمر .

وكان حيدرة هذا حاكماً بالأعمال القوصية ، ولقد عاش حيدرة هذا فى القرن السادس الهجرى ، ويكاد هذا القرن ، أعنى القرن السادس يضم ميلاده ووفاته ، فلقد روى من روى عنه ذاكراً أن ما رواه عنه أى عن ابن الغمر كان فى الخامس من شوال سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة .

وعلى الرغم من بعد ما بين ابن الغمر والإدفوى الذى انفرد للتعريف بابن الغمر وإيراد ترجمة له ، غير أنه أورد له الكثير من الشعر . ويبدو أن الذى يسر للإدفوى هذا على الرغم من أنه لا معاصرة ، أنه أعنى الإدفوى وجد بين يديه كتاباً يترجم لمن بصعيد مصر خاصة ، وهذا الكتاب هو : « المفيد فى ذكر من كان بالصعيد » لمؤلفه أبى جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم الإدريسى .

وفى هذا الكتاب الذى نفتقده والذى وقع للإدفوى لا شك الكثير من أخبار أهل الصعيد ، ولقد كانت وفاة مؤلفه الإدريسى فى سنة تسع وأربعين وستمائة ( ٦٤٩هـ ) كما يقول صاحب كشف الظنون الذى أورد الكتاب باسم : المفيد فى أخبار الصعيد[1] .

وهذه تنضم إلى ما ذكرته قبل من العناية بالمؤلفات الخاصة التى أدعو إليها اليوم .

والغريب أنك سوف تقرأ معى فى شعر هذا الشاعر حيدرة وصفاً صريحاً للحياة الاجتماعية التى كان يعيشها حيدرة ، فلم يفته أن ينزل إلى الحياة العامة ويصف ما فيها ، من ذلك قوله فى رثاء قزاز وهو النساج ، يقول :

تبكى المواسير والألطاخ والبكر
على ابن سمرة لما اغتاله القدر
والمشط يندب والمتيت يسعده
وحق للنول أن يبكيه والحضر
إذا استوى فوق ظهر النول وانبسطت
رجلاه فى الزرزرايا وهو متزر
وسايرت يده المكوك واعتقلت
يسراه مقبضها والنير منحدر
فمن مهلهل أو سيف بن ذى يزن
أو من ربيعة فى الميجاء أوزفر
كأنما مغزل الألطاخ فى يده
إذا تناوله صمصامة ذكر

(١) كشف الظنون ص ١٧٧

فانظر معى كيف نزل حيدرة القوصى إلى حانوت هذا النساج ، وتناول نوله قطعة قطعة ، وكأنه عارف بوظيفة كل قطعة ، وهو بهذا قد أحيا أسماء كادت أن تندثر :

ثم انظر معى كيف ساق عمل النساج عملا عملا هذا المساق اللطيف الظريف :

ثم انظر معى كيف عقد هذه التشبيهات البديعة جاعلا من النساج ما يشابه به مهلهل الشاعر أو سيف بن ذى يزن أو ربيعة أو زفر.

وهو بهذا يدلنا وإن كان شاعراً من شعراء القرن السادس الهجرى غير أنه لم تفته نظرات منه إلى ماضيه الأول بتراثه الخالد .

وكما فعل حيدرة هذا فى رثاء هذا القزاز فعل مثل ذلك فى رثاء ملاح ، حيث يقول :

من لجر اللبان فى الثقلين
ولإلقا المرسى على الأنبوطين
واعتقال المدرا وقد سكن الري
ح برغم السفار فى تشرين
والمجاديف من بها مستقل
بعد ما قد أتاك ريب المنون
من يلالى لصحبة كل وقت
بنشيد جزل وصوت حزين
تطرب الأروع الحليم فيلهو
وتسلى بالحب لب الحزين
تهتدى فى الظلام بالقطب والجد
ى وفى الصبح بالضياء المبين
فتشق البحار فى الليل شقا
حركات تولدت من سكون
كانت المركب التى أنت فيها
حرماً آمناً كحصن حصين
فهى اليوم بعد فقدك عطل
بل حطام ملقى ليوم الدين

وهكذا ترى معى فى هذه الأبيات تعرف الشاعر للملاح وعمله وأجزاء سفينته يخرج من وصف جزء إلى جزء آخر فى ذلك الأسلوب السهل والمنطق المبين ، وكأنه واحد من هؤلاء الملاحين .

وكما كانت لهذا الشاعر القوصى هذه الجولات الميدانية ، كان له فيما فوق هذا جولات أخرى ، يقول فى مدح الأمير موسك وكانت قد نابته خطوب :

إذا حاربتك صروف الزمان
بحادثها المتلف المهلك
فما للخطوب إذا أظلمت
سوى الملك المتقى موسك

هذه نماذج قليلة من شعر شعراء قوص فى هذين القرنين السادس والسابع الهجريين ، ولو أن هناك للإطالة فسحة لأطلت ، ولكنى اجتزأت بهذا القليل الذى يغنى عن الكثير راجياً به أن ألفت النظر إلى أنه ثمة شعر للمصريين الذين نأت بهم مواطنهم الخاصة عن القاهرة موطن الأدب والأدباء لا يقل جودة وأداء عن شعر العاصمتين المتحضرتين القاهرة والأسكندرية ، ثم لأدعو ثانية بهذا الأدب الخاص فنسجل لشعراء المدن على اختلافها خاصين كل مدينة بشعرائها فى هذا ، كما قلت قبل العرض التمهيدى عند الكلام عن الأدب العام .

**محمد قنديل البقلى**

# من التراث اللغوى

# مع الأخفش الأوسط
# في كتابه "معاني القرآن"
## بقلم الأستاذ سعيد الأفغاني

**كنت** أظن ابن جني هو المدين الأول في ملء كتب النحو بما لا يصح من سماع ولا قياس ، وذلك حين ألف كتابه المشهور ( المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ) وحشر فيه مزاعم لا تحصى من لهجات نسبت لقبائل على غير تحقيق ، كما نثر فيه من أبيات الضرورات الشعرية حشداً غير قليل ، وجعل موطن الضرورة قاعدة يعالج بها مالم يثبت من شواذ القراءات .. كنت أظن هذا حتى قرأت كتاب ( معاني الشعر ) للأخفش وقد طبع حديثاً[1] ؛ فصح لي القول (قبل ابن جني كان الأخفش) كما قالوا قديماً ( قبل جحا كان أبو دلامة ) .

وموضع الخلل في منهج بعض الأقدمين أنهم — حباً في التكثر وإظهار سعة الرواية — زحموا القواعد المطردة التي لا شك فيها والتي هي قانون العربية الجامع بضرورات لجأ إليها الشعراء اضطراراً ولغيات زعموا أنها رويت عن ( بعض ) العرب ، فجعلوا منها قواعد وأمدتهم تعليلات وتأويلات صناعية في صياغتها ، حتى ظن من لم يعتد إعمال الروية وتحكيم المنهج السليم أنها من لغة العرب ، والحق أنها — إن صح إسنادها إلى عربي معروف — من أخطاء بعض العرب ، وأشد أضرار هذا الخلل حين لن يعيث في توضيح قراءات شاذة روجها أهل الأهواء بلاسند، حشيت بها كتب التفسير مع محاولات تسويغها .

للأخفش أن يغلط سيبويه وأن يخلط أقوال كوفيين بأقوال بصريين ، فلن يضيره ذلك عندي ، بل يزين المؤلف — في رأيي — أن يكون في العلم ( موضوعياً ) يأخذ بما أيقن أنه الحق مهما يكن القائلون به ، بل ولو لم يقله أحد قبله — وعلى هذا سأعرض لبعض ما وقفت عنده من قضايا في كتابه ( معاني القرآن ) ، الذي لم يرق قط إلى مستوى كتاب أبي عبيدة ( مجاز القرآن ) وإن ألف

---

( ١ ) انظر عن هذه الطبعة العدد ١٢

بعده ، وكان أمام عيني الأخفش حين التأليف .

هذه الكتب وما ألف على طريقتها بعدها ليست تفاسير ؛ لكنها تعليقات على بعض الغريب وكلام على شيء من النحو بالمناسبة واستشهاد على ذلك بشعر كان يجب التحقق من صحة روايته وصحة نسبته معاً . وإليك بعض هذه الوقفات :

١ — ص ٢٦ : « ومنهم ( أي العرب ) من يسكن هاء الإضمار للمذكر قال الشاعر :

فظلْتُ لدى البيت العتيق أخيله
ومِطْواىَ مشتاقان لهْ أرقانِ (١)

وهذا في لغة أزد السراة — زعموا كثير » .

أراد الأخفش الاحتجاج لقراءة من أدغم الهاءين في قوله تعالى « فيه هدى » ، وهذا شيء آخر غير إسكان الضمير المذكر الذى زعموه لغة أزد السراة ، فهو إدغام المتماثلين المألوف في لهجات العرب والقراءات الصحيحة هو غير إسكان ضمير المذكور كما في الشاهد الشعرى .

هذا الاحتجاج منقوض من وجهين :

الأول : إذا قرأنا المقطوعة التى منها هذا البيت وهي في خزانة الأدب ( ٤٠٤/٢ ) وفي الأغانى ( ١١١/١٩ ) وجدنا ضمائر للمذكرين عدة ، لم يسكّن الشاعر غير كلمة ( لهْ ) في هذا البيت لضرورة الوزن ، فلو كانت لغته لرأيناها مستفيضة في شعره كله ، فعرف أنها ضرورة لا يحتج بها .

والثانى : أن البيت حُرّف ليصح الاستشهاد به على قضية مزعومة لا تعد والضرورة . أما الرواية الصحيحة للبيت فكما رواه أبو عمر الشيبانى أوثق العلماء وأخبرهم بشعر القبائل :

فبتُّ لدى البيت الحرام أشيمه
ومطواى من شوق لهُ أرقانِ

وهي التى اعتمدها أبو الفرج الأصفهانى .

فلا إسكان ضمير ، ولا لهجة لقبيلة الشاعر ( يعلى الأزدي ) ؛ كل مافى الأمر تحريف متعمد لبيت ينقله لاحق عن سابق وتمتلىء به مصادر متسلسلة حتى يوم الناس هذا(١) وقاعدة توضع لتسويغ تحريف ، ونسبة لقبيلة لم تصح ؛ وكان الله لأزد السراة.

٢ — ص ٤١ « وأما قوله ( أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ) فقد قرأها قوم مهموزتين جميعاً ، وقالوا ( سواء عليهم أأنذرتهم ) ، ( ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ) وقالوا : ( أثذا ) و « أئنا » كلّ هذا يهمزون فيه همزتين ، وكل هذا ليس من كلام العرب إلا شاذاً . . . إلخ » .

وهذا عجيب جداً ، وقراءة عاصم فى هذا كله بتحقيق الهمزتين رواها عنه حفص وعليها قراءة أهل المشرق اليوم كله ، وهو

---

(١) ولا يقولون ( زعموا ) كما قال الأخفش .

من القرّأة السبعة، قرأها بسنده المتواتر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن أين قطع الأخفش بأنها ليست من كلام العرب وأنها شاذة !

٣ ــ ص ٤٥ « وقوله : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا » فأذهب الواو ، لأنه كان حرفاً ساكناً لقي اللام وهي ساكنة ، فذهبت لسكونه ولم تحتج إلى حركته » . .

أقول : لم تذهب اللام ، بل الذي ذهب الواو . سوء عبارته أفهم ضد مراده ، وحفظ الترتيب أن يقول : ( فذهب لسكونها ) ولو أراد إيضاحاً لقال : ( فذهبت الواو لسكون اللام ) ، لكن هذا يفوت عليه التدبير الذي قصد[1] .

٤ ــ ص ٩٩ : « فإن قلت : إنما يكون هذا ( يريد زيادة حرف الجر من ) في النفي والاستفهام ) .

( قلت ) فقد جاء في غير ذلك ، قال ــ تعالى ــ : ( ونكفر عنكم من سيئاتكم ) فهذا ليس باستفهام ولا نفي ، وتقول ( زيد من أفضلها ) تريد : هو أفضلها » . اهـ .

الشطر الأخير من كلامه غير مسلّم ، إذ فيه ( من ) تبعيضية ليست زائدة ، معناها : هو أحد أفضلها ، أما ( هو أفضلها ) فقد فُضّل على جميعها .

أما الآية الكريمة فـ ( من ) فيها تبعيضية حتماً ، وإنما أوقع الأخفش في هذا ما أوقع الكسائي من بعده ، ومن ثم كان ما يسمى المذهب الكوفي الذي لا يشترط في زيادة حرف الجر (من) نفياً ولا استفهاماً ولا غيرهما دعاهم إلى الخطأ في هذا غفلة بعضهم عن حكم الشريعة في الذنوب التي تكفر والتي لا تكفر ، ومعلوم بالضرورة أن اثنتين لا تكفران : الشرك بالله والإضرار بالناس . ومن ثمَّ دخلت ( من ) في بعض الآيات لتقرر أن بعض الذنوب يغفرها الله وهي ما تعلق بحقوق الله من تقصير في صلاة أو صوم أو عبادة ، أما ما تعلق بحقوق الناس فلا بد من أدائه إلا أن يعفو صاحب الحق . . وعدد من النحاة أتوا من ضعف ثقافتهم العامة كما نقول اليوم . وأعاد المؤلف قوله في هذه الآية في ص ٢٥٤ مع أمثلة أخطاء في أكثرها .

٥ ــ ص ١٢٠ : ( وكذلك : « كيلا يكون دُولَةً » ( أن ) مضمرة وقد جرتها ( كي ) . وقالوا ( كيْمَهْ ) ، فـ ( مه ) اسم لأنه ( ما ) التي في الاستفهام ، وأضاف ( كي ) إليها .

أما كون ( كي ) في الآية جارة فغير صحيح البتة ، و ( أن ) لا تضمر بعدها

---

( ١ ) إشارة إلى قوله للجاحظ لما عاب عليه بعض الغموض : « لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنما قد كسبت في هذا التدبير إذ كنت إلى التكسب ذهبت ... »
الحيوان للجاحظ ١/٩١، ٩٢ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

لأن ( كى ) نفسها هى المصدرية الناصبة للفعل فى الآية على عكس ما قرر بعض النحاة[1]

وأما (كيمه) فصحيح أن سيبويه ذكرها فى الكتاب ، ولم يعزها إلى عربى فصيح ، لكنه نص بأمانة أن ذلك شأن بعض العرب قال « وبعض العرب يجعل ( كى ) بمنزلة حتى وذلك أنهم يقولون ( كيمه ) . . لما »[2] ولم يسمهم سيبويه . وأمر هذه يسير ؛ فإن صحت عن بعض العرب فتقدير الفعل بينها وبين ( ما ) واجب والمعنى : ( كى يفعل ماذا ؟ ) . وفى جميع الأحوال لا تكون (كى) فى الآية جارة أبداً ولا تخرج القراءات الصحيحة الثابتة فيه على رواية شاذة ولا مجهولة .

٦ — ص ١٨٩ علق على قوله تعالى : « . . ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله » بقوله : « فأضمر الشاهد وقال : ( إلى أجله ) إلى الأجل الذى تجوز فيه شهادته والله أعلم » ا هـ .

قلت : الضمير لا يعود إلى الشاهد بل إلى الدين وعليه تدور الآية ، ولم أفهم ماذا يقصد بالأجل الذى تجوز فيه شهادة الشاهد إنما يكتب أجل الدين . وعلى من يتصدى للتفسير أن يعرف الفقه ويتمرس بفقه النصوص ومراميها حتى لا يزل فى مراجع الضمائر ، وذلك من مواد الثقافة العامة فى البلاد الإسلامية على مدى العصور :

٧ — ص ١٩٦ علق على قوله تعالى : « . . . وإن للمتقين لَحُسْنَ مآب جنات عدن » بقوله : ( وإن شئت جعلت (جنات) على البدل أيضاً وإن شئت رفعت على خبر إن ... ولم يقرأه أحد بالرفع ) . ا هـ .

وظاهرٌ خطؤه فى رفعه على خبر ( إن ) لأن خبرها تقدم اسمها وهذا سهو منه رحمه الله .

٨ — ص ١٩٧ قال الشاعر :

إنا وجدنا بنى جلان كلهم
كساعد الضب لا طول ولا عظم

على البدل ، أى كلا طول ولا عظم أ هـ . وأعاد ذلك ص ٢٨٤

قلت : البدل غير مفهوم هنا ، وقد قصر اللفظ عن تأدية المعنى . والمعنى أنهم متساوون لا تفاوت بينهم فى طول ولا عظم .

الشاعر مجهول ، فإن لم يكن البيت مصنوعاً فهو إقواء[3] وحق المعنى أن يقول : (لا طول ولا عظم فيها ) فاضطر إلى كسر القافية ، والإقواء خير من هذا البدل المتكلف .

---

( ١ ) انظر تعليقنا على الشواهد المصنوعة أو المحرفه التى يحتجون بها فى طبعتنا لمغنى اللبيب ص ٢٤٢ ( دار الفكر : بيروت ١٩٧٢ ) . وانظر فى تحقيق هذا بحثنا المنشور فى محاضر مؤتمر الدورة الأربعين لمجمع اللغة العربية فى القاهرة ص ٣٠٥ فما بعد . وأدرجته فى مقتطفاتها مجلة اللسان العربى فى الجزء الأول من المجلد السادس عشر ص ٢٣٤

( ٢ ) الكتاب لسيبويه ١ / ٤٠٨

( ٣ ) أعاد ذكره فى ص ٢٨٤ مع بيت سابق هو :

أنى وجدتك يا جرثوم من نفر  جرثومة اللؤم لا جرثومة الكرم

٩ – ص ٢١٣ ( وقال : « لن يضروكم إلا أذى » استثناء يخرج من أول الكلام ، وهو كما روى يونس عن بعض العرب قال : ما أشتكى شيئاً إلا خيراً ) .

قلت : ليسا سواء ، فما قبل ( إلا ) فى الآية وما بعدها من جنس واحد ، أما فيما روى يونس فمختلفان ، وقد خانه التوفيق فى غير موضع من الكتاب حين يجمع مالا يجتمع .

١٠ – ص ٢٥٥ فى الآية : « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » قال : « ويجوز الجر على الإتباع ، وهو فى المعنى : الغسل ، نحو ( هذا جحر ضب خرب ) والنصب أسلم وأجود من هذا الاضطرار ، ومثاله قول العرب : ( أكلت خبزاً ولبناً ) واللبن لا يؤكل . . . إلخ » أ هـ .

أما أن الآية مثل ( أكلت خبزاً ولبناً ) فغير صحيح ، لأن الأرجل تغسل وتمسح وقراءة الخفض ( وأرجليكم ) صحيحة ، على العطف لا على ما زعموا على الإتباع ، والجر على الإتباع لم يثبت فيه شىء من كلام عربى ثقة .

١١ – ص ٢٦٢ يجىء أشياء فى اللفظ لا تكون فى المعانى ، منها قولهم : « جحر ضب خرب » . وكان قال فى ص ١٥ :

وهذا يشبه ( هذا جحر ضب خرب ) : وآنفاً شبه بهذا القول الآية : « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم » فى قراءة من قرأها بجر ( وأرجلكم ) .

أقول : كثر الاحتجاج والتمثيل بهذه الجملة التى سمعها سيبويه رحمه الله من الخليل ، ولم يذكر أحدهما أنه سمعها من عربى يحتج به ، بل هى مما تنوقل بين نحاة من المئة الثانية مثالا لوجه إعرابى كيف يخرج إذا وقع ، وبمرور الزمن صار يحتج به متأخرون حتى صارت شبه شاهد وليست به ، فلم تقع فى كلام عربى فصيح ، إلا إقواء فى ضرورة شعرية مثل التى ارتكبها امرؤ القيس فى قوله :

كأن ثبيراً فى عرانين وبله
كبير أناس فى بجاد مزمّلِ

ولولا الضرورة لكان الوجه ( مزملُ ) لأنه صفة لكبير أناس لا لـ ( بجاد ) ومثله قول العجاج :

* كأن غزلَ العنكبوت المرّملِ[1] *

وكان عليه أن يقول : ( المرملُ ) بالرفع نعتاً لـ ( غزل ) فقد أقوى كما أقوى امرؤ القيس .

وأهملوا تأكيد سيبويه أن « الوجه الرفع وهو كلام أكثر العرب وفصحائهم »[2] كما

---

( ١ ) الكتاب لسيبويه ١–٢١٧ وكل ما فعل الخليل وسيبويه محاولة الاعتذار عن هذا الغلط الذى قد يقع ، ، وضع قاعدة

(٢) المصدر السابق .

تسوا نص الخليل على أن هذا غلط ، فقد جاء فى المسألة نفسها قول الخليل : «... وإنما يغلطون إذا كان الآخر بعدة الأول وكان مذكراً مثله . . الخ »[1] .

فإذا كان السماع والقياس على خلافه وكان غلطاً فى رأى الخليل ، فكيف سوّغ الوهم لمن نقل هذه الحماة من بعدهما حتى يومنا هذا أن يبنى عليها حكماً بل قاعدة ؟ ! غفلة ظاهرة ، واعتماد على نصف الكلام دون وعى الآخرة ، وبلاء على المحصلين فى هذه الكتب إلى اليوم . وأعجب من هذا حملهم قراءة الجر ( وأرجلكم ) على جحر ضب خرب . والقراءة واضحة المعنى ، وقبله مسح بعض الصحابة إلى أن جاءت السنة مؤكدة الغسل[2] .

١٢ — ص ٢٦٢ فى تعليقه على الآية : « ثم عمُوا وصَمُّوا كثيرٌ منهم » قال : « . . . وإن شئت جعلت الفعل للآخر ، فجعلته على لغة الذين يقولون : ( أكلونى البراغيث ) » أ هـ .

لم يكن لذى ملكة فى العربية أن يسوى هذه اللغة الرديئة — إن صح أن ناسا من العرب تكلموا بها — واللغة الفصحى النقية ، والذى ثبت أنها وردت فى ضرورات شعرية لا يبنى عليها حكم ، وقد يعتذر عن الشعراء الذين اضطروا إليها أن الضمير يعود إلى شىء فى نفوسهم ، فلما نطقوا بالفعل فسروا المضمر وهى على كل حال لا تعدو الضرورة ، ويكنيها نبزاً تسميتها لغة ( أكلونى البراغيث ) ، وهى وردت فى كلام بعض النحويين فى صدد تشقيقاتهم لبعض صيغ افترضوها ولم تكن ، وكل ما ورد فى كتاب سيبويه قوله : « وإن سميت رجلاً ( ضربوا ) فيمن قال : ( أكلونى البراغيث ) ؟ ! ، قلت : هذا ضربون قد أقبل . . »[3] ونقله عن الخليل : « من قال : ( أكلونى البراغيث ) أجرى هذا على أوله فقال : مررت برجل حسنين أبواه ومررت بقوم قرشيين آباؤهم . . »[4] .

والطريف فى الأمر أن هذه الجملة المبتذلة ( أكلونى البراغيث ) فيها رداءة أخرى هى إطلاق واو الجماعة على ما لا يعقل ، ولا تظنن سيبويه والخليل يجوزان ذلك ، ولا يقول هذا عربى عاقل البتة .

ومن أعظم النكر حمل آية على هذه اللغة بحال من الأحوال .

وفى عصور متأخرة حين أولع بعض أهل الصناعة بتزوير شواهد على اللغيات الرديئة أو النادرة ، أسقطوا أول الحديث : ( إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ) فبدؤوه من قوله : ( يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ) ليجعلوه شاهداً على لغة زعموها لغة ( أكلونى

---

( ١ ) الكتاب لسيبويه ٢١٧/١

( ٢ ) انظر كلاماً فى موضوع الآية فى تفسير الكشاف ٦١١/١ وتفسير القرطبى ٩٢/٦ وأن المسح فى اللغة يشمل الغسل . ولأبى إسحاق النحوى استنكار لحمل الآية على ( حجر ضب خرب ) أى زعم الجر على الجوار ، وحصر ذلك فى الضرورات الشعرية — لسان العرب مادة ( مسح )

( ٣ ) الكتاب لسيبويه ٢—٢٠٨ ( ٤ ) المصدر السابق ١—٢٣٧

البراغيث ) . مما وفيناه حقه فى موضع آخر ، بل أبعد بعضهم جداً فأراد حمل آيات من الكتاب الكريم عليها جهلا بأسلوب القرآن وتجاهلا للمعنى ، وهي جميعاً إما من باب البدل كما فى الآية المتكلم عليها وإما من حذف فعل القول كما فى « وأسروا النجوى قال : « الذين ظلموا أهل هذا إلا بشر مثلكم »[1] .

١٣ — ص ٣١٢ فى تعليقه على الآية : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » قال : أى اختار من قومه ، فلما نزع ( من ) عمل الفعل . . . وقال النابغة :

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها
يهدى إلى أوابد الأشعار

والبيت لا شاهد فيه على ما قال ، ولعل هذا سهو منه .

١٤ — ص ٤١٢ وقال :

أطوف بهـا لا أرى غيرهـا
كما طـاف بالبيعة الراهب

فجعل الراهب بدلاً من ( ما ) ، كأنه قال : كالذى طاف » أ هـ .

البيت مجهول القائل ، لا يعرف ما قبله وما بعده حتى نتثبت من أن رويه مكسور ، والأصل فيه ( الراهبُ ) بالرفع ، فما الذى جعلهم يعدلون عن الأصل وهم لا يعرفون القـائل ولا سياق البيت ؟ وما الذى صرفهم عن الكلام المطبوع ( أطوف كطواف الراهب ) فتكون ( ما ) مصدرية ؟ لعل السبب أن البيت يخسر بذلك ما علقوا عليه من صناعتهم وإشكالاتهم ، استعمال ( ما ) للعاقل ، وتقدير مضاف محذوف : كطواف الذى ، وجعل الراهب ( بدلاً ) من ( ما ) المظلومة هذه . ولأمر ما لم يذكره سيبويه ، والله أعلم من الذى وضعه هذا الموضع الشاذ .

١٥ — فى ص ٤١٤ : وقال : « ومن يُرِدْ فيه بإلحاد » معناه : ومن يرد إلحاداً ، فزاد الباء كما تزاد فى قوله : ( تنبت بالدهن ) وقال الشاعر :

أليس أميرى فى الأمور بأنتما
بما لستما أهل الخيانة والغدر » أ هـ

أما أن الباء فى قوله « تنبت بالدهن » زائدة فغير صحيح ، فالشجرة لا تنبت الزيت ولكنها تنبت ثمرها ( الزيتون ) حاوياً الزيت فالباء للمصاحبة وليست زائدة . وأما الشعر الذى استشهد به الأخفش فمصنوع ردئ الصنعة جدا ، والتكلف فيه ظاهر وصانعه لاملكة له فى اللغة . ونحن نستنكر الاستشهاد بشعر بليغ للدلالة على صحة كلمة فى القرآن الكريم ، فكيف بمثل هذا المسخ من الزيف . وإنما الصواب العكس : أن نستشهد بالقرآن على الشعر وغيره . إنه انحراف ظهر فى المئة الثانية للهجرة ولوعاً برواية الشعر ، استشرى وتتابع النحاة فيه إلى اليوم .

---

( ١ ) لا يتسع المقام للتفصيل فارجع إلى بحثنا ( البناء على الشاهد الأبتر ) المنشور فى محاضر مؤتمر الدورة الحادية والأربعين لمجمع اللغة العربية فى القاهرة ( ١٩٧٥ ) ص ٢٤٠ فما بعد .

١٦ — ص ٤٢٣ : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً) فهذا ليس له خبر إلا فى المعنى والله أعلم ا ه

قلت : إن خبره إلى جانبه لفظاً ومعنى وهو (الذين) أو قوله بعد اثنتى عشرة آية : « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا » والأول أقرب .

١٧ — ص ٤٢٣ أيضاً « وقال الشاعر :

ياعاذلانى لاتردن ملامتى

إن العواذل ليس لى بأمير

قلت : بيت مصنوع لايصح الاحتجاج به .

١٨ — ص ٤٢٧ « لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لايشعرون فيقولوا هل نحن منظرون»

قال الأخفش : ليس بمعطوف على (حتى) ، إنما هو جواب لقوله «لايؤمنون به » ، فلما كان جواباً للنفى انتصب . وكذلك « فيقولوا » إنما هو جواب النفى . ا ه

قلت : بل الصحيح أنه معطوف على (حتى) وأن هذه الفاء ليست جواب النفى أى أنها ليست السببية بحال ، إنما هى العاطفة ، وأن (فيقولوا) معطوف على (فيأتيهم) وليست جواب النفى . ولا معنى للسببية هنا البتة إنما المعنى : لايؤمنون به حتى يروا العذاب وحتى يأتيهم بغتة وحتى يقولوا . والفاء رتبته الحوادث : يأتى العذاب فيرونه فيقولون .

١٩ — فى ص ٤٣٤ : وفى الشعر :

تنوء بها فتثقلها عجيزتها

وليست العجيزة تنوء بها ولكنها هى تنوء بالعجيزة ، وقال :

ماكنت فى الحرب العوان مغمراً

إذا شب حرٌ وقودها أجذالها

قلت : البيت مستوٍ لاقلب فيه ، فحر الوقود هو الذى يضرم أجذال الحطب ، فلا شاهد فيه إذاً .

٢٠ — ص ٤٣٧ وقال : « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى »

ف (السوأى) مصدر هاهنا مثل (التقوى) . اه

ليست (السوأى) هنا ولاغير هنا بمصدر ، هى مؤنث الأسوأ والمراد بها النار كما فى المعجمات . ويقابلها : الحسنى .

٢١ — ص ٤٦١ وقال : « يا هامانُ ابْنِ لى صرحاً » .

(بعضهم يضم النون كأنه أتبعه ضمة النون التى فى (هامانُ) ، كما قالوا (مِنِتِن) فكسروا الميم للكسرة التى فى التاء ، وبينهما حرف ساكن فلم يحُلْ ، وكذلك لم يحُل الباء فى قوله : (ابن لى) . ا ه

أتساءل : ماغناء هذا فى بيان معانى القرآن ؟ ثم متى كان انحراف اللسان

فى كلمة مصدر قاعدة ، تؤيد انحرافاً فى النطق بآية ؟ وظاهر بعد هذا أن المحتج له كلمتان والمحتج به كلمة واحدة ، وهذا فارق كاف .

وعيب هذا الكتاب عنايته بقراءات لاتعرف ، ومتى جُهل قارئ القراءة لم تجز روايتها بله الاحتجاج بها . وكان عمل الأخفش وأمثاله فى عدم التزام منهج سليم قدوة غير صالحة لمن بعدهم حتى كثر فى كتبهم الطم والرم ، وصاروا يحتجون بـ (مينتين) و(المغيرة) و (ما أيطبه) وغيرها من سبق اللسان أو انحرافه[1] .

٢٢ — ص ٤٨٠ قال : (ألا ترى أنهم يقولون (يدع) ولايقولون (ودع) ولايقولون (وذر) . ا هـ

أقول : بل قالوه فى شعرهم ونثرهم ووردت بها قراءة صحيحة (ماودّعك ربك وما قلى) وحديث شريف « لينتهينّ قوم عن ودعهم الجمعات أو ليختمنّ على قلوبهم » شعر لغير واحد مثل قول أبي الأسود :

ليت شعري عن خليلي ما الذي
غاله فى الحب حتى ودّعه

وقول الآخر :

وثمّ ودعنا آل عمرو وعامر
فرائس أطراف المثقفة السمر

وانجز ابن جنى على أذيال الأخفش فجعل القراءة شاذة وادعى أن (ودع) شاذة فى الاستعمال مماتة . حتى جاء من المتأخرين من أصلح خطأه وخطأ الأخفش فأثبتها فى معجمه كصاحب (المصباح المنير) والمطرزى صاحب (المغرب)[2] .

٢٣ — فى ص ٤٩٩ : قال : (« كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » أى كبر مقتكم مقتاً ، ثم قال « أن تقولوا مالا تفعلون » أى قولكم) . ا هـ

قلت : إذا جعلت لهذا الكلام نسقاً أصبح : كبر مقتكم مقتاً قولكم ! جعل الأخفش الفاعل محذوفاً ، فقدره ، ثم جعل (أن تقولوا) بدلا من هذا المحذوف ، والكلام واضح ولا فاعل (كبر) مذكور : كبر مقتاً قولكم ، فما الداعى للحذف والتقدير والإبدال والبيان غنىّ عن كل هذا الالتواء ؟

٢٤ — فى ص ٥٠٥ : قال : (« بأيّكم المفتون » يريد : أيكم المفتون) . ا هـ

قصد أن الباء زائدة ، وليست بزائدة ، والذى حمله على هذا القول ذهاب خاطره إلى أن المفتون هنا اسم مفعول . وليس الأمر كذلك ، بل (المفتون) مصدر كالفتنة . والمعنى فستبصر ويبصرون بأيكم (تقع) الفتنة أى الابتلاء[3] .

---

(١) انظر مثلا على ذلك ص ٧٣٧ من كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى ، فى كلامه على خلافهم فى الف الوصل (المسألة ١٠٧) .

(٢) المسألة مستوفاة فى كتابى (فى أصول النحو) ص ٣٣ فما بعد ، ومادة (ودع) فى المصباح والمغرب .

(٣) مختار الصحاح (فتن) .

لمن عمل الأخفش كتابه معاني القرآن ؟

لوكان للكتاب مقدمة تبين الغرض من تأليفه ماورد هذا السؤال الذى بقى فى ذهننا ماثلاحتى آخر صفحة منه ، ومع هذا لانستطيع إجابة تقنعنا ، فبينا نراه فى أوله ص (٣ — ٩) يفيض فى بيان سقوط ألفات الوصل (الرحمن الرحيم الحمد) فى النطق ، بعد إفاضته فى أشياء تتعلق بألف (اسم) أكثرها لايوضح معنى فى النص ويجب أن يستغنى عنها فى هذا المقام ، ولكنها مما يدرسها المتقدمون فى علوم اللغة، نراه فى مواضع أخرى يبسط القول فى أن الف (أفعلُ) لاتسقط ، مما يعرفه المبتدئون فيقول فى قوله تعالى: «ادعونى أستجب لكم» :

فقوله «أستجب» إنما هو (أفعلُ) (كذا!) ، وهذه الألف سوى ألف الوصل، ألا ترى أنك تقول (أبيع) فتجيء فيها ألف لـ (أفعلُ) ، فهى نظير الياء والتاء فى (يفعل) و(تفعل) تقطع كل شئ كان على (أفعل) فى وصل أو قطع) — ص ٤٦٣

وحيناً يتجاوز السورة لايعلق عليها بشئ كسور (الضحى) و (البينة) و (ألم نشرح) ، كما لايعلق على آيات كثيرة بشئ ، بحيث لاتجد السرد متصلا فى أرقام الآيات

وعلى هذ لايمكن القطع بمستوى القارى الذى تصوره الأخفش حين عمل الكتاب ، والأحتمال القريب أنه عمله دون منهج مع أن صناعته الغالبة التعليم ومنها مكسبه ، وهو يصرح بهذا عرضاً حين عرض ص ٤٤ إلى اجتماع الهمزتين فى مثل قوله تعالى : «ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه» فقال : (إذا خففت «الهمزة» الآخرة جعلتها بين بين ، والذى نختاره تخفيف الآخرة ؛ إلا أنا نحققهما فى التعليم كليتهما ، نريد بذلك الاستقصاء) .

* * *

وبعد ، فالكتاب فى موضوعه غير مغن، وهو إلى الخوض فى النحو والصرف أقرب منه إلى شرح المعنى ، بل يكاد يكون تعليقات نحويه خطرت له وهو يقرأ ، وكثير مما خاض فيه غير واضح ، وبعضه غير مسلم ، ويستشف الممعن فيه ضعفاً فى علوم القرآن واللغة والشريعة أحياناً ، إلا أن استشهاده بالشعر كثير ، وإن كان أحياناً يذكره لمناسبة وهمية .

قيمة الكتاب تاريخية محضة ، فهو دون كتاب أبى عبيدة (مجاز القرآن) الذى ألف قبله ، ودون كتاب الفراء الذى ألف بعده ، إذ هما إلى مطابقة محتوياتهما العنوان (معانى القرآن) أقرب ، وهو عن المطابقة أبعد . وفى كل الأحوال لا أسمح لنفسى — مع بعض الخطأ فى تفسيره — أن أقول فى

الأخفش ماقال فيه ثعلب : (أوسع الناس علماً) ونحن نعلم أن ثعلباً المسكين ليس فى حيث يحكم ، ولا أن أذهب فيه مذهب أبى حاتم السجستانى — حين قال :

« ولم يدر الأخفش مامعنى نقدر (يعنى فى قوله تعالى : « وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه . . . »[1]) وذهب إلى موضع القدرة ، إلى معنى (فظن أن يفوتنا)[2] ، ولم يعلم كلام العرب ولغاتها... ولو علم أن معنى (نقدر) : نضيِّق لم يخبط هذا الخبط . قال : ولم يكن عالماً بكلام العرب . . [3] » :

لاهذا ولاذاك ، لأن الحق وقف بين القولين ، وهو إلى مذهب السجستانى أقرب ، والله أعلم .

وهل من جناح فى أن أختم كلمتى بنكتة زل بها لسان الأخفش عفوا ، دلت على ظرفه وكانت أصدق تعليق على مايتكلفه بعض الناس ، قديماً وحديثاً فى تسويغ الأخطاء ، قال ص ٣٧٥ :

«وبلغنا عن الأعمش قال : «بمُصْرِخيِّ» فكسره ، وهذه لحن لم يسمع بها من أحد من العرب ولا من أهل النحو» . لقد ظرف جدا فى كلماته الثلاث الأخيرة ، ولم يبج أحد أهل النحو بمثل هذا الظرف ، وإن كان الأخفش ذكر أهل النحو ونسى نفسه ؛ رحمه الله وتجاوز عنه .

**سعيد الأفغانى**
عضو المجمع المراسل من سورية

---

(١) سورة الأنبياء ٢١ /١٥٣

(٢) لم يذكر السجستانى كتاب الأخفش الذى نقل منه . أما الذى فى (معانى القرآن) هذا فشىء آخر — انظر ص ٤١٢

(٣) تهذيب اللغة للأزهرى ٩ /٢١ . وقد عقب الأزهرى بقوله : فأما أن يكون قوله (أن لن نقدر عليه) من القدرة فلا يجوز ، لأن من ظن هذا كفر ، والظن شك، والشك فى قدرة الله كفر ، وقد عصم الله أنبياءه من مثل ما ذهب إليه هذا المتأول ، ولا يتأول مثله إلا الجاهل بكلام العرب ولغاتها . اه

# تعريف ونقد

# "لسان العرب" وكنز العربية في تحقيق وإخراج جديد

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

أصدر الأديب الناقد البريطاني الكبير : « صمويل جونسون » فى سنة ١٧٥٥ م معجمه المشهور فى اللغة الإنجليزية ، مبتدئا تدوين ألفاظها المستعملة منذ عصر الملكة اليزابيث . سنة ١٥٥٠ م حتى عصره . . عد عمله هذا ريادة عظيمة فى الأدب الإنجليزى وأثنى عليه اللورد « تشستر فيلد » فى مقالتين مشهورتين فى الفكر البريطانى ، مع أن هذا المعجم لم يزد حجمه على مجلدين اثنين

فماذا نقول نحن العرب وقد صنف « جمال الدين بن مكرم » — المعروف بابن منظور — فى القرن الثامن الهجرى : الرابع عشر الميلادى ، معجمه اللغوى الثمين : ( لسان العرب ) قبل معجم «جونسون» الإنجليزى بأربعة قرون ؟ وماذا نقول أيضا إذا عرفنا أن معجم ( لسان العرب ) قد بلغ حجمه عشرين مجلدا ضخما ؟ وأنه جمع فيه ألفاظ اللغة العربية منذ العصر الجاهلى حتى وقته ، وأنه حشد فيه للاستشهاد اللغوى كثيرا من آيات القرآن الكريم ، والحديث النبوى ، والشعر العربى الذى يستشهد به على صحة المعانى التى أراد تسجيلها فى معجمه ، حتى بلغت عدة الأبيات والأراجيز فيه ألوفا ، وبلغت عدة الشعراء والرجازين فيه بضع مئات ألفت فيهم الدراسات المعاصرة ؟ .

الحق أنه يحق لنا — لو يقام معرض للفخار — أن نفخر بعمل « ابن منظور » العظيم الواسع فى خدمة لغة الضاد ، وتقييد شواردها وأوابدها وكل لفظة فيها ، منذ أيام إمرىء القيس ، والنابغة ، وزهير ، وقس بن ساعدة ، وأكثم بن صيفى ، والحجاج وغيرهم ، إلى زمان المصنف

ولم يكن عجيبا على صاحب « اللسان » أن ينتج مثل هذا العمل الكبير ، فقد شارك الرجل فى تزويد المكتبة العربية بحوالى خمسمائة كتاب من وضعه ، ما بين مؤلف ومختصر ومهذب ... والحق أن « ابن منظور » كان مولعا باختصار كتب غيره وتلخيصها وتهذيبها ، قدر اهتمامه وولوعه بالتأليف ، فقد اختصر كتاب «الأغانى» المشهور للأصفهانى

واختصر « الذخيرة » لابن بسام واختصر « تاريخ دمشق » لابن عساكر ، واختصر « تاريخ بغداد » للسمعانى ، واختصر « العقد الفريد » لابن عبد ربه ، واختصر « يتيمة الدهر » للثعالبى . . . ولن نحصر هنا — فى مجال ضيق كل مختصراته النفيسة لكتب سابقيه .

وبارك الله فى عمر « ابن منظور » الذى زاد على ثمانين عاما ، فاستغل طول عمره كما استغل جمال خطه ، وقلة هموم حياته فى نسخ كتب السابقين عليه . ومن هنا كانت حياته إقامة سعيدة وصحبة مباركة للكتب : إما نسخا أو اختصارا أو تأليفا .

وقد رزق معجم « لسان العرب » على الرغم من ضخامة حجمه او انبساط مداه بعض الحظ فى إعادة طبعه منذ طبعته الأولى على مطابع بولاق الأميرية سنة ١٨٨٢ وفى تلك الطبعة ظهر جهد جيل من المصححين والمحققين بعد جهد المصحح الرائد الشيخ نصر الهورينى .

وفى سنة ١٩٥٥ م أعادت طبعه دار صادر وبيروت ، فأصدرته فى خمسة وستين جزءا تحتوى كل صفحة نهرين — أو عمودين — كبيرين . وهى طبعة مبينة ، إلا أنها لم تبلغ الكمال المنشود .

وجاءت المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بعد ذلك بسنوات فنشرت « اللسان » مصورا عن طبعة بولاق الأولى . فلم يخرج هذا الصنيع عن كونه تكرارا لعمل قديم .

وقبل طبعة صادر وبيروت — وفى سنة ١٩٣٦ بالضبط — حاول أديب ناشر مصرى — هو الأستاذ عبد الله اسماعيل الصاوى — أول محاولة لإصدار « لسان العرب » ؛ على ترتيب الأحرف الهجائية فى أوائل الكلمات ، لا فى أواخرها كما هى طريقة اللسان . ونجحت المحاولة العصرية التى جعلت لفظة ( أكل ) و( أرم ) و( بذل ) و( حقن ) تأتى فى الأجزاء الأولى بدلا من مجيئها — على الطريقة القديمة — فى الأجزاء الأخيرة . وقد صدر من هذه الطبعة المرتبة ترتيبا جديدا خمسة أجزاء صغار ، ثم حالت ظروف خاصة دون إكمال ذلك العمل ، والمضى « بلسان العرب » إلى نهايته .

ومن سنوات معدودة أصدرت « دار لسان العرب » ؛ ببيروت طبعة جديدة رتبت المواد اللغوية فيها الترتيب الجديد على حروف الهجاء ، وتحتوى كل صفحة على ثلاثة أنهر . وصدرت هذه الطبعة فى ثلاثة مجلدات ضخام ، وقد ألحق بذيل كل مجلد ثبتٌ بمصطلحات العلوم والفنون .

وجاءت « دار المعارف » أخيرا بمصر منذ سنتين ، فتصدت لإصدار « لسان العرب » على صورة جديدة ، وبمنهج

جديدا ، وتحقيق وتعقيب جديدين . فعمدت إلى ضبطه كله بالشكل الكامل — مع ما فى ذلك من عناء — تحقيقا للسلامة اللغوية ، ورتبته وفق الحروف الهجائية لأوائل الكلمات لا أواخرها ، جريا على طريقة المعاجم الحديثة ، وأضافت إلى متن الكتاب هوامش حافلة بالتحقيق ، والمقابلة والاستدراك ، والتنبيه على ما وقع فى الطبعات السابقة من أخطاء وحرصت على استكمال كثير من النقص ، وتصحيح الخطأ وملء البياض الذى وجد فى الذى ظهر من طبعات ، وعمدت إلى مقابلة النسخة المعتمدة أصلا على المصادر التى استقى منها « ابن منظور » مادة معجمه ، وعلى دواوين الشعر الذى استشهد به صاحب « اللسان » .

والحق أن ذلك كله عمل يأخذ من الجهد والمراجعة وإدامة النظر فى المراجع والمصادر ، والمظان وغيرها مالا يقوى عليه إلا القادرون ، ولا يعرفه إلا المكابدون . ومن هنا عمدت دار المعارف إلى ثلاثة من الرجال ملأهم الله همة ، وعزما ، وصبرا على البحث ، وطول نظر فى المصادر ، وكثرة تقليب للدفاتر ، وإصرارا على تنفيذ الغاية ، وبلوغ النهاية . كما رزقهم الله « الشك » فى كل كلمة « والتوقف » عند كل لفظة . وقد رأيتهم بعينى فى محراب من محاريب « دار المعارف » عاكفين على عملهم ، مكبين على أوراقهم ، لا يشغلهم شاغل ولا يحول دون إنجازاتهم حائل ، وهم الأساتذة : عبد الله على الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلى . وقد طبعت أسماؤهم على أولى صفحات اللسان ، تسجيلا لفضلهم وتخليدا لذكرهم وعلى الرغم مما بذله هؤلاء المحققون من جهد فى التحقيق والتصحيح وإكمال النقص والضبط — مستعينين فى ذلك باجتهاداتهم الخاصة ، وبقراءاتهم الدائمة ، وبمتابعاتهم لتصحيحات المرحوم أحمد تيمور باشا التى نشرها محمد عبد الجواد الأصمعى ، وتصحيحات زميلنا المجمعى الأستاذ عبد السلام محمد هارون — على الرغم من ذلك وقعت فى هذه الطبعة الجليلة أوهام . كنا نود لو خلصت منها ، وتنزهت عنها ، ولكنها جاءت دليلا على جملة النقص فى البشر ، وشاهدا جديدا يتجدد على أن العصمة لله وحده .

ومن توقفاتى واستدراكاتى على هذه الطبعة بعض نماذج وقفت عندها ولم أشأ حصرها ، فإن ذلك قد يبعد هذه الكلمة عن غرضها وينئيها عن قصدها ولكنها أمثلة لا أود — بحال — أن تشين هذا الوجه الجميل ، لهذا العمل الأدبى اللغوى الجليل :

* جاء فى صفحة ٢٥٨٥ اسم أوس بن حُجْر بضم الحاء ، وسكون الجيم ، وهو خطأ

والصواب : حَجَر بفتحتين ( انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ) وتبصير المنتبه لابن حجر ح ١-٤١٢ ، والأعلام للزركلى ).

جاء فى صفحة ٢٥٢٤ ( وهو أصوار ) على وزن أفعال وهو خطأ وصوابه : ( أصور ) على وزن أفعل أى مائل العنق . فالألف زائدة ، وأرجو أن تكون من أخطاء الطبع .

جاء فى صفحة ٢٥١٨ هذا البيت الآتى مشكولا هكذا : —

فأقسمتُ لا أحتلّ إلاّ بصهوةٍ
حرامٍ علىّ رملُهُ وشقائقُهْ

بضبط الميم من ( حرام ) بكسرتين على توهم أنها صفة لصهوة . وهو خطأ بين فهى يجب أن تضبط بالرفع : أى بضمتين ، على أنها خبر للمبتدأ : رمله ، أو أنها مبتدأ خبره ما بعده .

جاء فى صفحة ٢٢٩٢ هذا البيت التالى مضبوطا بالشكل هكذا :

تهوى حياتى وأهوى موتها شفقاً
والموتُ أكرم نُزّالٍ على الحُرَم

بضم النون من كلمة ( نزال ) ، على توهم أنها جمع ، والصواب أنها ( نزال ) بفتح النون لأنها صيغة مبالغة من الفعل ( نزل ) وليست جمعا لنازل .

فى صفحة ٢٢٥٢ ورد بيت الشاعر «القطامى» هكذا :

لَمَن الكواعبُ بعد يوم وصلتنى
بشرى الفرات وبعد يوم الجوسق

بتاء المخاطب ونون فى الفعل : ( وصلتنى ) والأصح والأنسب : «وصلتنى» بنون النسوة وبعدها نون الوقاية . وكان يجب إثبات هذه القراءة فى الأصل .

جاء فى صفحة ٣١٥٢ اسم عبد الله ابن الزَّبير[1] الشاعر الأسدى بفتح الزاى مع «ال» التعريف وقد جاء هذا الاسم فى «طبقات» الشعراء لابن سلام بدون ( ال ) كما جاء فى «حماسة أبى تمام» وفى «تبصير المنتبه» بال . . . فليت المحققين للسان العرب أثبتوا هذا الفرق وحققوه .

ورد فى صفحة ٢٣٠٢ هذه العبارة : ( وأنشد لعمرو بو ملقط ) ، فمن هو ( بو ملقط هذا ؟ ) أهو مغربى ؟ لا : إنه شاعر جاهلى ، وصواب اسمه : عمرو بن ملقط ويكشف عنه فى بعض كتب الطبقات والتراجم تحت اسم عمرو بن ثعلبة .

فى صفحة ٢٥٢٠ كان يجب على المحققين الوقوف عند بيت :

أظلوم إن مصابكم رجلاً
أهدى السلام تحية ظلم

(١) هو بالطبع غير «عبد الله بن الزبير» — بضم الزاى الذى بويع بالخلافة سنة ٦٤ هـ بعد موت يزيد بن معاوية.

# مَن أنباء المجمع

**تجديد انتخاب نائب رئيس المجمع :**

جدد مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في غرة صفر سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٨ من ديسمبر سنة ١٩٨٠ م انتخابه الدكتور أحمد عمار نائبا لرئيس المجمع لمدة اربع سنوات جديدة .

**تجديد انتخاب الأمين العام للمجمع :**

كما جدد مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في ٢٤ من جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٣٠ من مارس سنة ١٩٨٠ انتخابه الدكتور محمد مهدي علام أمينا عاما للمجمع لمدة أربع سنوات جديدة .

**انتخاب عضو جديد للمجمع :**

فاز الدكتور توفيق الطويل بعضوية المجمع في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ عباس حسن ، وذلك في الجلسة التي عقدها مجلس المجمع في ٦ من ربيع الأول سنة ١٤٠١ هـ الموافق ١٢ من يناير سنة ١٩٨١ م .

**فوز الدكتور احمد عمار بجائزة الدولة التقديرية :**

فاز الدكتور أحمد عمار نائب رئيس المجمع بجائزة الدولة التقديرية في العلوم لعام ١٩٨١ م .

**فوز الأستاذ عبد السلام هارون بجائزة الملك فيصل العالمية :**

كما فاز الأستاذ عبد السلام هارون عضو المجمع بجائزة الملك فيصل العالمية لتحقيق التراث العربي .

**خبراء جدد للجان المجمع :**

وافق مجلس المجمع على اختيار خبراء جدد لبعض لجان المجمع وهم السادة :

- الدكتور فؤاد أبو حطب الأستاذ بكلية التربية بجامعة عين شمس
- والدكتور ممدوح الصدفي المدرس بكلية التربية بجامعة الأزهر ( لجنة علم النفس والتربية )
- الدكتور أحمد مدحت شمس الدين استاذ الكيمياء بالمركز القومي للبحوث ( لجنة الكيمياء والصيدلة )

الدكتور شحاته آدم المدير السابق لهيئة الآثار ( لجنة التاريخ )

- الدكتور البدراوي زهران المدرس بكلية الآداب بسوهاج ( لجنة اللهجات )

- الدكتور عبد الحكيم أحسان أستاذ الآدب العربى بكلية دار العلوم
( لجنة الآدب )

- الدكتور سعد الدين مصطفى الأنصارى الأستاذ بكلية الهندسة بجامعة الأزهر ( لجنة النفط لجنة الجيولوجيا )

- الدكتور محمود فهمى زيدان الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية والدكتور صلاح قنصوه الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة والأستاذ سعيد زايد المدير العام السابق للمجمع
( لجنة الفلسفة )

- الدكتور محمد بهير أنسى الأستاذ المنتدب بكلية السياحة
( لجنة الفاظ الحضارة )

## صلات المجمع الثقافية :

- ورد الى المجمع كتاب من مدرسة نوباريان الأرمينية يعرض فيه على المجمع كتابا نشرته أكاديمية العلوم بأرمينية يتضمن كلمات عربية دخلت اللغة الأرمينية قبل الفتح العربى لأرمينية . وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٨٠/١١/١٠ احالته على لجنة الالفاظ والأساليب .

- بعث الأستاذ اسماعيل شوقى كتابا الى المجمع بشأن علامات الترقيم وقرر المجلس احالته على لجنة تيسير الكتابة العربية .

- كما بعث الأستاذ محمد الكسار الى المجمع بكتابه « المفتاح لتعريب النحو » يطلب رأيه فيه . وقرر المجلس فى جلسته المنعقدة فى ١٩٨١/٣/٢٣ احالة الكتاب على لجنة الأصول .

- قام الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع بتمثيله فى الاجتماع السنوى للاتحاد الدولى للأكاديميات الذى انعقد فى بودابست فى المدة من ١٤ الى ٢٠ من يونيه سنة ١٩٨١ .

- بعث مكتب تنسيق التعريب فى الرباط بتوصيات الندوة التى عقدها بشأن « توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة » ، وقد أخذت فيها بأكثر ما أصدره مؤتمر المجمع فى الدورة الخامسة والأربعين من توصيات فى هذا الشأن .

## مسابقتا المجمع

**( أ ) مسابقة احياء التراث العربى :**

فاز بجائزة المسابقة لعام ١٩٨١/١٩٨٢ كتاب « ضرائر الشعر » لابن عصفور الاشبيلى . بتحقيق الأستاذ السيد ابراهيم محمد .

**(ب) المسابقة الأدبية :**

فاز بالجائزة الأولى لمسابقة عام ١٩٨١/٨٠ الأستاذ صلاح عبد العزيز عن كتابه « الشباب فى الأدب العربى ـ بحث فنى » وهو موضوع المسابقة .

وأعلنت لجنة الأدب مسابقة المجمع الأدبية لعام ١٩٨٢/٨١ م ، وموضوعها « الشيخ مصطفى عبد الرازق مفكرا وأديبا » .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة

**مصطفى حسن على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٢/٨٤١٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٥٧-١٩٨٢-٢٠٠٠

# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء الرابع والثلاثون
شوال ١٣٩٤ هـ
نوفمبر ١٩٧٤ م

**مجمع اللغة العربية بالقاهرة**
٢٦ شارع مراد بالجيزة

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين في السنة )

## الجزء الرابع والثلاثون
شوال ١٣٩٤هـ - نوفمبر ١٩٧٤م

المشرف على المجلة:

د. إبراهيم أنيس

رئيس التحرير:

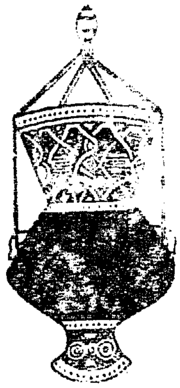
إبراهيم الترزى

# الفهرس

## تصدير :



## بحوث ومقالات :





## تعريف ونقد :



## شخصيات مجمعية :

### أعضــاء جدد :

# بسم الله الرحمن الرحيم

## تصدير

# ما هو السرّ فى هذه الجموع ؟

للدكتور إبراهيم أنيس

**تروى** لنا المعاجم العربية جموعا عجيبة للمفردات : رأس ، رئم ، بئر ، رأى ، مؤق ، سؤر ، هى على الترتيب : آراس ، آرام ، آبار ، آراء ، آماق ، آسار .

وقد كنا ندهش لهذه الجموع التى قيل لنا إن ظاهرة القلب المكانى قد لحقتها ؛ وإنها فى الأصل : أرآس ، أرآم ، أبآر ، أرآء ، أمآق ، أسآر ؟ . ثم تقنع كتب الصرف بذلك ، ولا تكاد تفسر لنا لماذا وقع القلب فى هذه الأمثلة بالذات ؛ ولم يقع فى جمع « ظِئْر » بمعنى المرضع ، « دَأْث » بمعنى الدنس ، « لِئْم » بمعنى الند والنظير ، « رِئْد » بمعنى الترب المماثل فى السن ، « رَأْد ، رُؤْد » بمعنى أصل الأضراس فى اللحى ؟ ؟ إذْ لم يرد فى جمع هذه الكلمات إلا : أظآر ، أدآث ، ألآم ، أرآد ، أى على الأصل فقط ! !

وقد تبين لنا فى هذه الدراسة أن السرّ فى وقوع القلب المكانى فى تلك الأمثلة الستة هو اختلاف نسبة الشيوع بين السلاسل الصوتية التى تتألف منها تلك الجموع ، فحين

كانت نسبة شيوع الحرفين المتواليين فى الصورة الأصلية قليلة، ولكنها فى الصورة الفرعية كثيرة ، على حسب ما جاء فى إحصاءات جذور اللغة العربية — لوحظ أن القلب المكانى قد يحدث . ففى جمع مثل « آراء » نجد فى إحصاءات الجذور الثلاثية أن الثنائى المؤلف من الراء وبعدها الهمزة نسبة شيوعه سبع مرات فقط ، فى حين أن الهمزة وبعدها الراء ١٦ مرة ! ! لذلك نتصور أن الثنائى « أر » يخطر فى الذاكرة أسرع مما يخطر الثنائى « رأ » ، ويترتب على ذلك أن الثنائى « أر » يسبق إلى اللسان ويحل محل الثنائى الآخر « رأ »، وهذا هو القلب المكانى .

ونجد النسبة الآنفة الذكر فى ثلاثة من الأمثلة الستة هى : آراس ، آرام ، آراء .

وأما الشأن مع الأمثلة الثلاثة الأخرى فنجد أن النسبة مع « آبار » هى : « ب أ » ٤مرات ، « أ ب » ١٥ مرة ؛ ومع آماق » هى : « م أ » ٧ مرات ، «أم» ١١ مرة . ومع « آسار » هى « س أ » ٨مرات ، « أس » ١١ مرة[1] .

فى حين أنه إذا نظرنا إلى مثل من تلك التى لم يقع فى جمعها القلب المكانى ، مثل كلمة « ظئر » نجد أن نسبة الشيوع هى : « ظ أ » ٣ مرات ، ولكن « أ ظ » صفر ، أى أن الذاكرة تصرّ على الثنائى الأصلى « ظ أ » ، ولايكاد يخطر فيها الثنائى « أ ظ » الذى لاوجود له فى أول الجذر الثلاثى . ولذلك تبقى الصورة الأصلية دون قلب .

وكل ذلك إذا لم يلتبس الجمع فى حالة القلب المكانى بجمع كلمة أخرى أشهر وأعرف ، فحينئذ نلحظ أن خوف اللبس يمنع وقوع القلب .

وفى ضوء ما تقدم رأينا أن نستعرض هنا الأمثلة التى عثرنا عليها فى المعاجم القديمة مثلاً مثلاً ؛ لنرى ما روى عنها فى تلك المعاجم ، ولنتبين السر فيما أصاب بعضها من قلب مكانى ، والسر فى عدم وقوع القلب فى البعض الآخر .

---

(١) راجع إحصاءات الحاسب الإلكترونى لجذور اللغة العربية — نشر جامعة الكويت .

## أولا :

الأمثلة التي روى القلب المكانى فى جمعها على وزن أفعال :

١ – ( رأس ) . جاء فى اللسان : « رأس كل شئ أعلاه ، والجمع فى القلة أرؤس ، آراس على القلب ، ورءوس فى الكثير ، ولم يقلبوا هذه » . فلم يشر صاحب اللسان إلى الصورة الأصلية فى أفعال ، أى أرآس ، مكتفيا برواية المقلوب . وكما أشرنا آنفا نلحظ أن نسبة شيوع الثنائى « رأ » فى إحصاءات الجذور الثلاثية قليلة ؛ هى سبع مرات فقط ، فى حين أن الثنائى « أر » ١٦ مرة ، ولذلك وقع القلب المكانى .

فإذا خيف اللبس لم يقع القلب ، ولذلك وجدنا أن كلمة « لأم » بمعنى الند والنظير لاتجمعها المعاجم مع القلب برغم أن نسبة الشيوع هى : « ل أ » ٢ مرتان فقط ، « أ ل » ١١ مرة . وكنا نتوقع أن يحدث هنا القلب ، ولكن المروى هو « ألآم » فقط فى ذلك الشاهد الشعرى :

أنقعد العام لا نجنى على أحدٍ مجندين وهذا الناس ألآمُ

ومن المؤكد أن السرّ فى عدمَ وقوع القلب المكانى فى جمع « لِئْم » برغم تحقق الشرط فى نسبة الشيوع ، هو خوف اللبس مع جمع كلمة أخرى مشهورة جدا هى « آلام » جمع « ألم » بمعنى وجع .

٢ – رِئْم ، والمشهور فى جمعها هو « آرام » ، فالنسبة هنا محققة وتسوغ القلب المكانى وإن جاء فى المعاجم أيضا «أرآم» على الأصل . جاء فى اللسان : « الرِّئم الخالص من الظباء ، وقيل هو ولد الظبي والجمع « أرآم » ، وقلبوا فقالوا آرام » .

ونسبة الشيوع هنا هى : « رأ » ٧ مرات ، ولكن « أر » ١٦ مرة ! !

ولكن يبدو أن خوف اللبس هنا مع كلمة غير مشهورة أو قليلة الاستعمال لايعتدّ لبسا حقيقيا يوقع فى البلبلة والحيرة ، ولذلك لم يمنع من وقوع القلب المكانى فى جمع « رِئْم » على آرام وهو الجمع الأشهر ، برغم أن المعاجم تروى هذا الجمع نفسه لكلمة أخرى غير مشهورة هى « إرَم » ؛ فنرى فى اللسان ما نصه : «والإرَم حجارة تنصب علماً فى المفازة ،

والجمع آرام ، أروم ،مثل ضلع وأضلاع وضلوع . وفى الحديث : ما يوجد فى آرام الجاهلية وخِربِها فيه الخمس ، والأرآم الأعلام وهى حجارة تجمع وتنصب فى المفازة يهتدى بها واحدها إرَم كعنب » .

فيبدو أن قلة شهرة آرام بمعنى الأعلام لم تمنع من وقوع القلب الذى فى آرام بمعنى الظباء، وذلك لضعف احتمال اللبس بين الجمعين . ومع هذا فقد أبقت المعاجم على الصورة الأصلية أرآم أيضا بمعنى الظباء .

ولذلك ندهش جدا حين نرى رواية فى اللسان تجمع كلمة « ثأر » على آثار ، أى مع القلب المكانى ! ! فيقول صاحب اللسان : « ابن سيده : الثأر الطلب بالدم ، وقيل : الدم نفسه ، والجمع أثآر ، وآثار على القلب ، حكاه يعقوب » .

فاللبس هنا مؤكد مع جمع كلمة أخرى مشهورة جدا وكثيرة الاستعمال هى « أثر » التى جمعها المشهور آثار !! لذلك نتشكك فى حكاية يعقوب لجمع « ثأر » على آثار ، أى مع القلب . وكأن ابن سيده فى قوله : « حكاه يعقوب » يريد أن يحمل يعقوب وحده وزر هذه الرواية !!

ونحن على كل حال لا نعرف شاهدا من كلام العرب ورد فيه الجمع «أثآر» أو «آثار» لكلمة ثأر ، وإنما المشهور المروى فى النصوص هو جمعها جمعا صحيحا مؤنثا ومع تخفيف الهمزة ، أى ثارات !! جاء فى اللسان :

« ونقول ياثارات فلان ، أى يا قتلة فلان ، وفى الحديث : ياثارات عثمان ، أى يا أهل ثاراته ، ويأيها المطالبون بدمه ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وقال حسان بن ثابت .

لتسمعنّ وشيكاً فى ديارهــــمُ .:. الله أكبر ياثارات عثمانــــا »

وهنا نرى أن الجوهرى إزاء هذا النص يحاول جاهدا ومع قدر من التعسف أن يفسر « ياثارات عثمانا » على أنه إما نداء لطالبى الثأر ، أو نداء للقتلة ؟

والحقيقة أنه لا يعدو أن يكون من أساليب الندبة ، وأن الجمع «ثارات» لتضخيم شأن «الثأر» وبيان خطورته ، ولا سيما مع خليفة المسلمين عثمان !

ويزيد من شكّنا فى حكاية يعقوب أن الإحصاءات [ترينا أن «ث أ» ٧ مرات ، ولكن « أث » ٦ مرات ، فلا مسوغ للقلب مطلقاً ، بل إن جميع الظروف اللغوية فى الكلمة تأبى الرواية التى انفرد بها يعقوب .

٣ — « بئر »، والمشهور فى جمعها هو «آبار» .ونسبة الشيوع هنا محققة ومسوغة للقلب إذ هى : ب أ ٤ مرات فقط ، ولكن « أ ب » ١٥ مرة . ويساعد على ذلك أن المعاجم لا تذكر اسما ثلاثيا من مادة (أبر) يتطلب جمعا على وزن أفعال ، فلا خوف من اللبس فى حالة القلب المكانى . جاء فى اللسان ما نصه :

« البئر القليب أنثى والجمع أبآر بهمزة بعد الباء ،ومقلوب عن يعقوب،ومن العرب من يقلب الهمزة فيقول: (آبار) ، فاذا كثرت فهى البئار، وهى فى القلة، أبؤر، وفى حديث عائشة : اغتسلى من ثلاثة أبؤر يمد بعضها بعضا » .

وفى رأيى أن لا مسوغ لرواية الجمع « أبآر» إلا أن يكون ذلك لمجرد الإشارة إلى أنه الأصل ، ثم اندثر من الاستعمال .

٤ — «رأى» والمشهور فى جمعها هو «آراء»ونسبة الشيوع هنا محققة ومسوغه للقلب المكانى ؛إذ هى : «رأ» ٧ مرات ، ولكن «أر» ١٦ مرة . ولا احتمال للبس مع كلمة «أرْى» التى لم ترو لها المعاجم جمعا .

جاء فى اللسان : «والرأى معروف وجمعه أرآء ، آراء أيضا مقلوب» ولكن يذكر صاحب اللسان أيضا ما نصه :

«والرأى الاعتقاد اسم لامصدر، والجمع آراء، قال سيبويه: لم يكسّر على غير ذلك، وحكى اللحيانى فى جمعه أرءٍ » .

لا مبرّر كذلك لرواية الجمع (أرآء) إلا على أنه الأصل وقد اندثر من الاستعمال ولا سيما حين نذكر قول سيبويه إن (رأى) لم يكسر على غير آراء !!

٥ — مأق العين ، موقها بمعنى حرف العين الذى يلى الأنف . والمشهور فى الجمع هو «آماق» . ونسبة الشيوع محققة ومسوغة للقلب المكانى ، وإن لم يكن الفرق فى النسبة كبيراً كما فى الأمثلة السابقة؛ فنسبة الشيوع هنا هى «مأ» ٧ مرات ، ولكن «أم» ١١ مرة .

وكما جاء فى اللسان لم يذكر اللحيانى فى جمع هذه الكلمة إلا الجمع المشهور ، أى «آماق» ، وهو الذى ورد فى شعر الخنساء .وأما قول أبى الهيثم إن الجمع قد يكون أيضاً «أمآق» وروايته فى ذلك شعرا مجهولا صاحبه ، فلاحجة له بهذا الشاهد وحده ؛ إذ ربما كانت الرواية الصحيحة فى هذا الشاهد هى «آماق» ولا يختل الوزن بذلك .

وليس يسوغ فى رأيى رواية الجمع «أمآق» بمعنى الألحاظ إلا أن نفترض أنه الأصل وقد اندثر من الاستعمال. ومما يزيد هذا الفرض قوة أن المعاجم العربية القديمة قد روت الجمع «أمآق» وحده بمعنى آخر هو النواحى الغامضة من أطراف الأرض ،فقد جاء فى اللسان ما نصه :

«الليث : المؤق من الأرض والجمع أمآق النواحى الغامضة من أطرافها » .

ويقضى ذلك بتخصيص الجمع «آماق» للألحاظ ، والجمع «أمآق» للنواحى الغامضة من أطراف الأرض ، منعا للبس بين الدلالتين .

٦ — سؤر ، تلك هى الكلمة التى روى يعقوب وحده جمعا لها على «آسار» أى مع القلب المكانى . فإذا رجعنا إلى اللسان وجدنا ما نصه :

السؤر بقية الشئ وجمعه أسآر، وسؤر الفأرة وغيرها ، وقوله:أنشده يعقوب فى المقلوب :

إنا لنضرب جعفرا بسيوفنـــــا ضرب الغريبة تركب الآســـــارا

أراد «الأسآر» فقلب ، ونظيره الآبار والآرام فى جمع بئر ورئم » .

وبرغم أن الفرق فى النسبة هنا غير كبير إذهو : «س أ» ٨ مرات ولكن «أس » ١١ مرة نشعر مع ذلك أن القلب فى «آسار» إن صحت الرواية إنما أمكن وقوعه بسبب أن المادة (أسر) لا تتضمن اسما ثلاثيا يتطلب جمعا على وزن أفعال ، وعليه فلا خوف من اللبس مطلقا .

على أنه من ناحية أخرى يمكن أن يقال: إن صغر الفرق فى نسبة الشيوع جعل الجمع «آسار» أقل شهرة فى الاستعمال اللغوى، ولذلك انفرد يعقوب ، بروايته ، برغم أن الوزن فى شاهده يصح أيضا مع الجمع الآخر «أسآر» فلا حجة له بهذا الشاهد وحده .

**ثانيا :**

الأمثلة التى لم يرو القلب المكانى فى جمعها على وزن أفعال :

(ا) إما لأن النسبة الإحصائية المؤهلة للقلب غير محققة .

(ب) أو لأن خوف اللبس مع كلمة أخرى يمنع من وقوع القلب .

١ ــ «ظئر» بمعنى المرضع جمعت على «أظآر» فقط؛ لأن نسبة الشيوع هى: «ظأ» ٣ مرات ، ولكن «أظ» صفر .

٢ ــ «الدأث» بمعنى الدنس ، جمعت على « أدآث » فقط ؛ لأن النسبة هى «دأ» ٦ مرات ، ولكن «أد» ٦ مرات أيضا .

٣ ــ «لِئْم» بمعنى الندّ والنظير ، فبرغم تحقق النسبة المطلوبة؛ إذ هى «لأ» ٢ مرتين فقط ولكن «أل» ١١ مرة ، ومع ذلك نرى أن خوف اللبس مع «آلام» بمعنى أوجاع منع من وقوع القلب المكانى مع معنى الند والنظير ، ولذلك جمعت على «ألآم» فقط .

**أما بعد :**

فلم يشذّ عن القاعدة التى اهتدينا إليها هنا سوى جذر واحد ثلاثى يتمثل فى هذه الكلمات :

١ ــ رئْد بمعنى الترب المماثل فى السن .

٢ ــ رَأْد ، رُؤْد ، بمعنى أصل الأضراس فى اللحْىْ .

فقد روى الجمع فى هذه الكلمات على صورة واحدة هى «أرآد» فقط ، برغم أن النسبة الإحصائية محققة ومسوغة للقلب وهى :

«رأ» ٧ مرات ، ولكن «أر» ١٦ مرة . بل إن مما يزيد الأمر هنا غرابة أن المادة اللغوية (أرد) لا وجود لها فى المعاجم ، فلا احتمال لأى لبس . أى أن جميع الشروط المطلوب توافرها لحدوث القلب محققة ، ومع ذلك جاء الجمع على الأصل وحده ودون قلب ، أى «أرآد» فقط !!

ولا غرابة أن نجد فى المعاجم هذا الجذر الشاذ ، فالشذوذ يؤكد القاعدة .

وبالله التوفيق

المشرف على المجلة

**ابراهيم أنيس**

نوفمبر ١٩٧٤

# بحوث ومقالات

# المعجمات العربية المتخصصة

## للدكتور ابراهيم مدكور

قد يظن أن المعجمات المتخصصة من صنع التاريخ الحديث والمعاصر ، ولكنها عرفت منذ زمن طويل . لها أصول فى التاريخ القديم والمتوسط ، ووصل إلينا منها قدر لا بأس به . ودون أن نعرض لها فى اللاتينية أو اليونانية ، نود أن نقف قليلا عندها فى العربية فنشير إلى نشأتها ونموها ، وننوه ببعض نماذج منها . ولا شك فى أن هذه المعجمات ثمرة من ثمار النهضات العلمية والثقافية ، لا تظهر لأول وهلة ، وإنما هى وليدة جمع وتحصيل لجهود سابقة واستخلاص من مكاسب وثروات محققة ، وتتويج لحركات فكرية متلاحقة .

وقد بدأت الحركة الفكرية فى الإسلام منذ الدعوة المحمدية ، وأخذت تتغذى بقول النبى وفعله ، وقام على أمرها من بعده الصحابة والتابعون ، وتعهدها شيوخ المسلمين وأئمتهم . ولم يترددوا فى أن يستعينوا فى ميدان الدرس والبحث بمن انضم إليهم من مفكرين كتابيين وغير كتابيين ، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها . وبلغت هذه الحركة أوجها فى القرن الرابع الهجرى ، أو العاشر الميلادى ، ونشأت عنها علوم مختلفة ، بين دينية ولغوية ، طبيعية ورياضية منطقية وفلسفية . وأصبحت دائرة المعارف الإسلامية من أوسع دوائر معارف الفكر البشرى ، ربطت التاريخ القديم بالمتوسط ، وامتدت إلى التاريخ الحديث ، وغذته بغذاء له شأنه . أخذت وأعطت ، تأثرت وأثرت .

ولكل علم لغته ومصطلحاته ، يضعها أهله ، ويذيعها الدرس والتأليف . تبدأ قلقة محدودة ، وتخضع لسنة النشوء والارتقاء فيحذف منها ما يحذف ، ويعدل ما يعدل ثم لا تلبث أن تنمو بنمو العلم نفسه ، وأن تنتشر بانتشاره ، وأن تستقر باستقرار العرف والاستعمال . وهنا يعنى الباحثون بجمعها وشرحها فى معجمات خاصة لأنها مفاتيح العلم وأدوات التعلم . ويتفننون فى وضع هذه المعاجم ، فيقصرونها على علم بعينه ، أو يستوعبون فيها طائفة من العلوم . يرتبونها ترتيبا موضوعيا ، أو يسلكون فيها مسلك الترتيب الهجائى على غرار المعجمات اللغوية . وتتفاوت شروحهم للمصطلحات ، فتجىء تارة مختصرة مركزة ،

تكتفي بذكر الدلالة اللغوية للفظ، وتضيف إليها دلالته الاصطلاحية في دقة واختصار. وتنحو تارة أخرى منحى البسط والتفصيل، فتبين آراء العلماء والباحثين، وتشير إلى خلاف المذاهب والمدارس.

ولا تقف المعجمات المتخصصة عند المصطلحات العلمية، بل تعالج أيضا العلماء أنفسهم. فتحاول حصرهم والتعريف بهم، وتسجل بذلك تاريخ العلم، وتعين على فهم قضاياه، وتمكن من الحكم على رجاله.

* * *

والعربية غنية غناء ملحوظا بمعجماتها المتخصصة، فكُثِّر فيها منذ عهد مبكر، وبُدِئ بها في العلوم الدينية واللغوية، ثم طُبِّقت فكرتها على العلوم الأخرى من إنسانية وطبيعية ورياضية، وكتب التفسير في أساسها تعد ضربا من هذه المعجمات، وكتب الحديث من صحيح ومسند وشرح لها لا تخرج عن هذا كثيرا. وفي وسع العربية أن تباهي بما وفر لها من معجمات الأعلام، فلديها منها ثروة لا نكاد نجد لها نظيرا في اللغات الأخرى. وكثيرا ما سميت كتب الطبقات أو التراجم، ولكل فرقة ولكل مدرسة ولكل علم طبقاته، مثل طبقات المعتزلة، وطبقات الشافعية، وطبقات النحاة وطبقات الأطباء. ولا شك في أن علوم الحديث في عنايتها بتاريخ الرجال والكشف عن مدى نزاهتهم وصدقهم في روايتهم هي التي وجهت نحو هذا اللون من التأليف.

ولم يقف أمر هذه المعجمات عند الأشخاص بل امتد إلى البلدان والأماكن. وهناك باحثون أولعوا بذلك ولوعا كبيرا، وعلى رأسهم ياقوت الحموي (٦٢٤هـ=١٢٢٨م) صاحب «معجم الأدباء»، و«معجم البلدان» وهو دون نزاع حجة في هذا الباب، ومرجع هام يعول عليه. ويعد من أعلام أصحاب الموسوعات والمعاجم في التاريخ القديم والحديث.

وندع جانبا معجمات الأشخاص والأماكن وما أجدرها ببحث خاص. ونقصر حديثنا على معجمات المصطلحات، والحديث فيها يطول، وليس في وسعنا أن نستوعبها هنا جميعها، فهي متعددة ومتنوعة بتنوع العلوم والفنون، ونكتفي بذكر ثلاثة منها تشير إلى التطور التاريخي في وضع المعجمات العربية المتخصصة، وهي «مفاتيح العلوم للخوارزمي»، و«تعريفات الجرجاني»، و«كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي».

والخوارزمي (٣٨٧هـ=٩٩٧م) شيخ من شيوخ القرن الرابع الهجري، الذي يعد العصر الذهبي للثقافة الإسلامية، فوقف عليها الخوارزمي في مراحل نضجها، وألم بفروعها وأصولها، واتسم بالطابع الموسوعي الذي كان شارة العصر وإن غلبت عليه حرفة الأدب. اتصل بالدولة الساسانية، وهي مشهورة بخدمة العلم ورعايته، وكتابه الذي نعرض له إنما صنف باسم واحد من وزرائها. وكان

يجيد العربية والفارسية ، وله فيما يبدو إلمام بالسريانية واليونانية . ويظهر أن بعض فلاسفة هذا العصر وعلمائه كانوا يعنون باللغات الأجنبية ، ويحصّلون منها ما يجدون السبيل إلى تحصيله . ويكفى أن نشير إلى الفارابى الفيلسوف ، وهو معاصر للخوارزمى ، وقد توسع رجال التراجم كثيرا فيما ينسبوه إليه من معرفة لغات أجنبية .

والخوارزمى رائد من رواد المعجمات العربية المتخصصة ، أدرك فى وضوح الفرق بينها وبين المعجمات اللغوية . ذلك لأنها تعبر عن عرف خاص ، وتشتمل على مصطلحات ومواصفات لا يعرفها إلا أهل العلم أنفسهم . ويلاحظ بحق « أن اللغوى المبرز فى الأدب إذا تأمل كتابا من الكتب التى ألفت فى أبواب العلم والحكمة ، ولم يكن شدا صدرا من تلك الصناعة ، لم يفهم شيئا منه »[1] . وهو يشير بهذا إلى ما استقر عليه رأى الفيلولوجيين المعاصرين من أن اللغة العلمية واحدة من اللغات الخاصة ولاحظ أيضا أن اللفظ الواحد قد يأخذ دلالات مختلفة باختلاف العلوم والفنون ، فالرجعة مثلا عند الفقهاء الرجوع فى الطلاق ، وعند متكلمى الشيعة عودة الإمام بعد غيبته أو موته ، وعند الفلكيين سير أحد الكواكب الخمسة المتحيرة على غير نضد البروج[2] .

ويقع كتابه فى مقالتين ، وقف أولاهما على العلوم الشرعية والعربية ، ووقف الثانية على العلوم الأعجمية والدخيلة وتحت كل مقالة عدة أبواب ، وتحت كل باب عدة فصول . فقام الكتاب جميعه على تقسيم موضوعى ، وتبويب دقيق محكم . وقد أعلن المؤلف فى مقدمته : أنه ، رغبة فى الاختصار والوضوح ، ترك جانبا المصطلحات المشهورة والمتعارف عليها ، كما ترك المصطلحات الغريبة والغامضة التى تحتاج إلى مزيد من الشرح والتفسير ، وتحاشى التفريع المفرط وإيراد الحجج والشواهد[3] . وقد حقق فعلا ما قصد إليه ، وجاء كتابه مرجعا للمتخصصين ، وعونا لطلاب البحث والدراسة . ولذلك سماه « مفاتيح العلوم » لأنه مدخل لها ، ووسيلة للكشف عن بعض الغامض منها[4] . ولهذا الكتاب شأن خاص فى توضيح تطور المصطلح العلمى العربى ، والإشارة إلى مصادره الأساسية من وضع أو تعريب ، ولعله من أوضح المراجع العربية بيان الأخذ عن اليونانية والسريانية . وقد كشف عنه حديثا المستشرق الهولندى «فان فولتن» فى أخريات القرن الماضى ، وعول عليه من بعده الباحثون والدارسون .

---

(١) الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ، القاهرة ١٣٤٢ هـ ، ص ٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص٣
(٣) المصدر السابق ، ص٤
(٤) المصدر السابق

والشريف الجرجاني (٨١٦هـ=١٤١٣م) من رجال القرن التاسع الهجري ، جاء بعد الخوارزمي بنحو خمسة قرون ، وعاش في عصر غلبت فيه الدراسات النقلية من فقه وتفسير وحديث ، ولم يبق من الدراسات العقلية إلا المنطق وعلم الكلام . تتلمذ لبعض شيوخ عصره ، أمثال قطب الدين الرازي (٧٦٥هـ=١٣٦٥م) واتصل بتيمور لنك ، وفي مجالسه ناظر سعد الدين التفتازاني (٧٩٠هـ=١٣٨٩م) أجاد العربية والفارسية ، وكتب وألف فيهما ، وتدور مؤلفاته حول الفقه والتفسير والحديث من جانب ، والمنطق والكلام والبلاغة من جانب آخر .

ومن بينها «كتاب التعريفات» ، وهو معجم متخصص صغير ، عني خاصة بالعلوم الدينية والأدبية ، وطغت عليه نزعة لغوية واضحة ، فأدخلت فيه ألفاظ لا تعد من المصطلح في شيء ، وحظ العلوم الطبيعية والرياضية فيه جد ضئيل ، فهو صورة صادقة لبيئته وثقافة عصره . سلك فيه مؤلفه مسلكا واضحا في التلخيص والتركيز ، ولم يعرض للخلافات المذهبية والمدرسية إلا في حدود ضيقة . فجاءت تعريفاته جلية واضحة ، يسهل حفظها والاستشهاد بها . ورتبت مصطلحاته ترتيبا أبجديا ، يسر أمرها على الدارسين والباحثين . وفي هذا ما يفسر ذيوعه ، والإقبال عليه ، ولكن «مفاتيح العلوم» دون نزاع أعمق منه درسا ، وأكثر تخصصا .

والتهانوي من رجال القرن الثاني عشر الهجري (١١٥٧هـ=١٧٤٥م) ، وهو علم من أعلام الفكر الإسلامي في الهند . ويمتاز هذا الفكر بمحاولة دائبة للجمع بين العلوم العقلية والنقلية ، حتى في عصور الانحطاط والظلمة . وقد نشأ التهانوي في بيت علم ، واستطاع أن يلم بأطراف المعرفة لعهده ، فأحاط بالعلوم الشرعية والعربية ، وتمكن من علوم الحكمة النظرية والعملية ، واتسم بطابع موسوعي فسيح يذكرنا بكبار مفكري الإسلام في العصر الذهبي .

ويبدو طابعه الموسوعي هذا في معجمه الكبير الذي سماه «كشاف مصطلحات الفنون» وقد قضى في وضعه بضع سنين ، وهو قطعا من أكبر المعجمات العربية المتخصصة ، بدأه بمقدمة طويلة حاول أن يحصر فيها العلوم المختلفة ، بين عربية وغير عربية ، شرعية وغير شرعية ، جزئية وكلية ، حقيقية وغير حقيقية . وهذه المقدمة ضرب من تصنيف العلوم ، شبيه بما لوحظ لدى مفكرين آخرين ، كإحصاء العلوم للفارابي ، وإن كان صنيع التهانوي أعم وأشمل . وعرض لهذه الأقسام قسما قسما ، وعرف بموضوع كل علم ومسائله وأهدافه ، وقد يشير إلى بعض كتبه ورجاله . ومراجعه عربية خالصة ، وفي أغلبها معاصرة أو شبه معاصرة . وفي ضوء هذه المعرفة غذى معجمه ، وقد يتوسع في بعض المواد إلى درجة هي أدخل في باب التأليف الموسوعي منها في باب المعجم العلمي .

ويكفى أن نشير على سبيل المثال إلى مادة « التأريخ » التى وقف عليها عدة صفحات عرض فيها للتواريخ المختلفة : الهجرى ، والرومى ، والقبطى ، والفارسى ، والتركى .

ورتب هذا المعجم ترتيبا أبجديا ، وقسم إلى أبواب على حسب حروف الهجاء ، وتحت كل باب عدة فصول . ولوحظ فى الباب الحرف الأول من الكلمة ، وفى الفصل الحرف الأخير منها ، على عكس ما صنع صاحب « الصحاح » . وهو تبويب معقد بعض الشىء ، لا يجد فيه الباحث طلبته فى يسر ، فينتقل مثلا من « الأدب » إلى « المؤنث » ، ثم إلى « الأوج » ، « والتاريخ » وقضى بذلك على كثير من مزايا الترتيب الأبجدى ، ولو وقف عند الأبواب ، ورتب مواد كل باب ترتيبا هجائيا خالصاً لكان أولى . وقد درج المؤلف فى الشرح على أن يبدأ بالدلالة اللغوية ، ثم ينتقل إلى الدلالة الاصطلاحية ، ويتوسع فيها ما استطاع ، ولا يتردد فى أن يبين مختلف المذاهب والآراء ، وأن يشير إلى بعض المراجع . وقد يثبت نصوصاً فارسية للدلالة على معنى خاص . فجاء معجمه إلى حد ما « ثنائى اللغة » . وشاءت وزارة الثقافة أن تخرجه فى ثوب عربى خالص ، وأن تعيد طبعه وفق المنهج العلمى السليم ، لاسيما وقد نفدت طبعة الهند العتيقة (١٨٦٢) . ويسير هذا التحقيق فى بطء ملحوظ ، بدئ به عام ١٩٦٣ ، ولم يخرج منه فى العشر سنوات التالية إلا ثلاثة أجزاء صغيرة ، وقف آخرها عند « باب السين » « فصل الطاء » .

* * *

هذه نماذج ثلاثة من المعجم العربى المتخصص ، وفيها سبق واضح فى الموضوع والترتيب ، فمنها ما اقتصر على المصطلح ، ولم يخلط به شيئا سواه ، وهذا هو أساس المعجم المتخصص . ومنها ما التزم بالترتيب الأبجدى ، وهذا هو دعامة التأليف المعجمى اليوم ، ومنها ما نحا نحوا موسوعيا ، فمهد لما تضطلع به دوائر المعارف الحديثة ، وهذه المعجمات الثلاثة متعاقبة زمنا ، ويرتبط لاحقها بسابقها . وبرغم أنها وليدة بيئات مختلفة فإنها تشهد بوحدة لغة العلم فى العالم الإسلامى جميعه ، وبذيوعها واستقرارها لدى العلماء والباحثين شرقا وغربا . ولم يصنع أصحاب المعجمات هذه شيئا أكثر من أنهم سجلوا عرفا شائعا ، ودونوا مصطلحات ومواصفات متوارثة ، وهذه هى القيمة الحقيقية للمعجم العلمى . فلم يخترع أصحابنا شيئا ، ولم يبتكروا ألفاظا جديدة ، وفى هذا درس ما أجدرنا أن نفيد منه فيما نعالج من معجمات علمية .

ولاشك فى أن العالم العربى ، من الخليج إلى المحيط ، يشهد اليوم نهضة ثقافية ملحوظة ، تهدف إلى إحياء مجد الماضى ومواجهة متطلبات الحاضر . ومما يؤسف له أن كثيرين من باحثينا لايعنون بالمصطلحات القديمة عناية كافية ، وفى وسعهم أن يفيدوا منها فى أداء بعض مبتكرات العلم الحديث ، وهذا قصور أو تقصير لامبرر له . ويلاحظ فى ربع القرن الأخير تسابق إلى تأليف المعجمات المتخصصة ، ونحن فعلا فى حاجة إليها ، ولكنها ليست مجرد ترجمة ووضع مقابلات عربية لألفاظ أجنبية ، بل هى أساسا تسجيل لعرف شاع واستقر . أما أن تتعدد هذه المقابلات وتتنوع بتنوع المؤلفين ، فهذه بلبلة ينبغى أن نحذرها . وقيمة المصطلح فى أنه جزء من لغة تعارف عليها المشتغلون بعلم معين واطمأنوا إليها . ونريد للعلم العربى اليوم لغة موحدة فى المشرق والمغرب ، كما كان شأنه بالأمس القريب والبعيد .

**ابراهيم مدكور**
رئيس المجمع

# الآيات التسع البينات

## للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

قد أكرم الله سبحانه وتعالى رسوله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم — بآيات بينات، ومعجزات باهرات، كل معجزة منها آية بينة واضحة، ودليل قوي قاطع، يشهد بصدقه، ويثبت دعواه، أنه رسول من الله.

وإن ما أكرمه الله به من الآيات، وما منحه من المعجزات. ليس في مقدور أحد من البشر، ولا في مقدور الناس جميعا ولو تعاونوا عليه، فإنه فعل الله وحده، يصدق به رسوله فيما يدعيه، وهو بمنزلة قول الله تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني.

إن الآيات البينات، والمعجزات الباهرات التي أكرم الله بها رسوله موسى عليه السلام كثيرة.

(١، ٢) فمنها الآيتان اللتان أمره الله تعالى أن يذهب بهما أول الأمر إلى فرعون، ليثبت له بهما صدقه في دعواه أنه رسول الله إليه، وهما: «العصا واليد»، كما قال سبحانه وتعالى: «وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى. قال: ألقها ياموسى، فألقاها فإذا هي حية تسعى. قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى. واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى. لنريك من آياتنا الكبرى اذهب إلى فرعون إنه طغى». (١٧ — ٢٤ طه)

(٣، ٤) «ومنها آيتا السنين أي سني القحط ونقص من الثمرات» كما قال تعالى: «ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون». (١٣٠ الأعراف).

(٥ — ٩) ومنها الآيات الخمس التي قال الله فيها: «فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين» (١٣٣ الأعراف).

هذه الأنواع الخمسة من العذاب قد أنزلها الله على فرعون وقومه، ولم يصبهم بها دفعة واحدة، بل أرسلها عليهم متفرقة؛ وكانوا كلما أصابهم نوع منها ضجوا

واستغاثوا وتضرعوا وطلبوا من موسى عليه الصلاة والسلام أن يسأل ربه ليرفع عنهم ذلك العذاب، وكانوا يعطونه العهد والميثاق أن يؤمنوا به إذا رفع عنهم مانزل بهم: لكنهم ما كانوا يوفون بالعهد أو يرعون الميثاق، بل كانوا سراعا إلى نقض ذلك والتنكر له. وذلك كما قال الله تعالى: «ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لتؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل، فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون» . (١٣٤، ١٣٥ الأعراف)

(١٠، ١١) ومنها معجزة فلق البحر فرقتين ومرور موسى عليه السلام ببنى إسرائيل بينهما على أرض يابسة حتى وصلوا شاطئ البر الآخر سالمين، ثم غرق فرعون ومن كان معه من كبار جيشه والملأ من قومه، وهم الذين كانوا يركضون خلف بنى إسرائيل ليقتلوهم ويقضوا عليهم؛ فإنهم تبعوهم فى ذلك الطريق، ولكنهم ما كادوا يتوسطونه حتى انطبق عليهم البحر من شقيه فلم ينج منهم أحد.

وكانت حادثة انفلاق البحر فلقتين كالطودين العظيمين وحادثة انضمام الفلقتين إحداهما إلى الأخرى وعودة البحر إلى ما كان عليه — كلتاهما معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام: أمره الله سبحانه وتعالى فى الأولى بأن يضرب البحر بعصاه فضربه ضربة انفلق بها فرقتين، وكان بينهما الطريق اليبس الذى نجى الله به بنى إسرائيل من فرعون وبطشه. ثم كانت المعجزة الثانية بانضمام الفرقتين وعودة الماء إلى حالته الأولى لإغراق فرعون ومن كان معه من جنده وقومه.

(١٢) ومنها معجزة نتق الجبل فوق بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر، وتهديدهم بإسقاط الجبل عليهم لتثاقلهم فى امتثال أوامر الله تعالى، وتراخيهم فى تنفيذ الأحكام التى حملها إليهم رسولهم من عند الله تعالى، كما قال سبحانه:

«وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون» . (١٧١ الأعراف).

(١٣) ومن المعجزات التى أكرم الله بها سيدنا موسى منحة له ولبنى إسرائيل: معجزة تظليل الغمام عليهم وهم فى التيه، فكان السحاب يسير معهم فوقهم يمنع عنهم لفح الشمس، ويقيهم شدة حرها.

(١٤) ومنها معجزة المن الذى كان يرسله الله عليهم كل صباح من الفجر إلى طلوع الشمس، وهو مادة بيضاء حلوة كانوا يتغذون بها أجود غذاء، وكانت تغنيهم عن الخبز المعتاد، وكانوا أيضاً يصنعون منها نوعاً من الخبز.

(١٥) وكذلك معجزة السلوى ، وهو طائر السمانى[1] المعروف أو نوع قريب منه ، كان يرسله الله عليهم آخر النهار من كل يوم ، فكان لهم من هذا وذاك أطيب غذاء يتجدد لهم كل يوم . وفى ذلك يقول الله تعالى : «وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم» : (٥٧ البقرة) .

(١٦) ومن المعجزات التى أكرم الله سبحانه وتعالى بها سيدنا موسى وامتن بها على بنى إسرائيل معجزة الحجر وتفجير الماء منه ، فإنهم لما فقدوا الماء وهم فى التيه واشتد بهم العطش فى الصحراء المحرقة استغاثوا بموسى عليه السلام ، فسأل ربه أن يسقيهم : فأمره الله سبحانه وتعالى أن يضرب الحجر بعصاه فضربه ، فتفجر الماء منه عيونا غزيرة اثنتى عشرة عينا للأسباط الاثنى عشر ، فكان فى ذلك ريهم وسقى دوابهم وكفايتهم فى وجوه حاجاتهم إلى الماء . وذلك قوله تعالى :

«وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم» :
(٦٠ البقرة)

هذه ست عشرة معجزة من المعجزات التى أكرم الله بها رسوله موسى عليه السلام ؛ وهى كثيرة لا تقف عند هذه الست عشرة :

وما دام الأمر كذلك :

١ – فكيف يفهم قوله تعالى : «ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات» (١٠١ الإسراء)

٢ – وما هى على التعيين هذه الآيات التسع من بين الآيات الكثيرة التى أشرنا إليها ؟

٣ – وهل كانت هذه الآيات التسع موجهة إلى قوم معينين غير من وجهت إليهم الآيات الأخرى ؟

٤ – وإذا كان الجواب على هذا بالإيجاب فكيف يستقيم ذلك مع قوله تعالى ، فى الإخبار عن فرعون وما كان منه : «ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى» ؟(٥٦ طه) :

والجواب عن هذه الأسئلة الأربعة أن الآيات الكثيرة التى أكرم الله بها رسوله موسى عليه السلام وأيد بها رسالته – منها تسع آيات هى التى قصد بها فرعون وقومه كما تشير إلى ذلك آية سورة الإسراء : «ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون : إنى لأظنك ياموسى مسحورا» ، فإن ما أخبرت به به هذه الآية من رد فرعون على موسى عليه الصلاة والسلام ذلك الرد الذى هو غاية فى العناد والتكذيب والسفاهة يدل على أن الآيات التسع التى أوتيها موسى عليه السلام قد كانت موجهة إلى فرعون وقومه :

---

(١) بتخفيف الميم بعد السين المضمومة المشددة .

وهذا المعنى يفيده بصراحة ووضوح قوله تعالى : « ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم . وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانّ ولى مدبرا ولم يعقب : ياموسى لاتخف إنى لايخاف لدىّ المرسلون . إلا من ظلم ثم بدّل حسنا بعد سوء فإنى غفور رحيم . وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات إلى فرعون وقومه. إنهم كانوا قوما فاسقين »( ٩-١٢ النمل)

**الآيات التسع البينات**

وفى سبيل تعيين هذه الآيات التسع نورد ماقاله «النسفى » فى التفسير متابعا فيه الزمخشرى صاحب الكشاف :

قال رحمه الله - فى تفسير قوله تعالى: « ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » مانصه : « ولقد أريناه » أى فرعون «آياتنا كلها » وهى تسع آيات : العصا ، واليد ، وفلق البحر ، والحجر ، والجراد والقمل ، والضفادع ، والدم ، ونتق الجبل .

وفى تفسير قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » :

قال النسفى - تبعا للزمخشرى أيضا مانصه :

«ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » ، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى إسرائيل .

ثم قال : « وعن الحسن» الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور » . اهـ

وهكذا يعتمد كل من الزمخشرى والنسفى فى تفسير آية « طه » : « ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » على مانسب إلى ابن عباس من أن آيات فلق البحر ، وتفجير الماء من الحجر ، ونتق الجبل هى من الآيات التسع التى ووجه بها فرعون وقومه .

كما أنهما أوردا فى تفسير آية الإسراء ذلك الذى نسب إلى « ابن عباس » وقدماه على غيره من الأقوال .

وهذا أمر عجيب ، وشىء لايطمأن إليه ، ولاينبغى أن يعتمد عليه فى تفسير الآيات التسع وتعيينها. ولايكفى لقبول ذلك أن يكون منسوبا إلى ابن عباس ، فكم كذب الناس على ابن عباس رضى الله عنهما ، وكم نسبوا إليه من الأقوال ماهو منه براء .

على أنه لوصحت نسبة ذلك القول إليه فهو مجتهد غير معصوم الرأى كغيره من المجتهدين .

إنه عجيب حقا أن تعد معجزة فلق البحر من المعجزات التى ووجه بها فرعون ليرتدع عن عناده وضلاله ، ويكف عن كفره وفجوره ، كما هو الشأن فى المعجزات التى يراد بها الإنذار والتهديد .

إن معجزة فلق البحر قد أرادها الله تعالى لتكون نهاية لطغيان فرعون ، وإهلاكا له ، وقضاء عليه وعلى الملأ من قومه وإذاً لا ينبغي أن تعد من المعجزات التي وجهت إليه لهدايته وإرشاده كي يعدل عن غيه ، ويكف عن فجوره وبغيه . وإنما هي الحدث الأكبر الذي كان به هلاكه ونهاية أمره ، وهلاك الممالئين له من قومه .

أما المعجزتان الأخريان — وهما معجزة الحجر ومعجزة نتق الجبل — فقد كانتا مع بني إسرائيل بعد خروجهم من «مصر» ونجاتهم من فرعون الذي أهلكه الله .

كانت معجزة الحجر منحة لهم ، ونعمة عظيمة امتن الله بها عليهم لما عطشوا واشتدت حاجتهم إلى الماء ، ولجأوا إلى موسى عليه السلام أن يستسقي لهم ، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه أن يضرب بعصاه الحجر ، فلما ضربه موسى بعصاه انفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد الأسباط الاثني عشر كما قدمنا .

وكذلك معجزة نتق الجبل ، كانت خاصة ببني إسرائيل لكنها كانت محنة لهم وإنذارا شديداً وتهديداً بإسقاط الجبل عليهم وإهلاكهم ؛ لما تراخوا وتثاقلوا في القيام بأمر الله وتنفيذ أحكام التوراة التي حملها إليهم رسولهم من عند الله تعالى ، كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

ومن ذلك يعلم أن ما روى عن الحسن البصري أصح وأثبت مما نسب إلى ابن عباس ، وأن الآيات التسع التي حدثت عنها آية سورة « الإسراء » وآية سورة «النمل » ليس منها معجزات البحر والحجر ونتق الجبل .

هذا — والذي حققه العلامة « الآلوسي » صاحب « روح المعاني » — في تفسيره آية « الإسراء : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » — أنه قد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك عدة روايات وأن أصح ما روى عنه هو أن الآيات التسع هي : « العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم » . اهـ

وهي التي نسبت في بعض الروايات إلى «الحسن» ، كما قدمنا . ثم يقول الشيخ الآلوسي : إن نسبة ذلك إلى « الحسن » هي على خلاف ما وجدناه في الكتب التي يعول عليها في أمثال ذلك : اهـ : ( روح المعاني جـ١٥ ص١٦٩ المطبعة المنيرية ) ويخلص من ذلك أن الآيات التسع هي العصا ، واليد ، والسنون ، ونقص الثمرات بمختلف الآفات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل والضفادع ، والدم .

فالعصا واليد لا يحتاج فيهما بعد ما تقدم إلى زيادة بيان .

وأما السنون فهى مدة القحط والجدب، وكانت سبع سنوات لم ينبت لهم فيها نبات ولازرع بسبب احتباس المطر .

وأما نقص الثمرات فهو بوقوع التالف فيها بما سلط عليها من مختلف الآفات. وروى عن « ابن عباس » رضى الله عنهما أن القحط أصيب به أهل البادية وأصحاب الماشية ، فأما نقص الثمرات فقد أصيب به أهل الحضر .

والمراد بالطوفان المطر الشديد الذى غمر حروثهم وزروعهم، وقد دام عليهم ثمانية أيام فى ظلمة لم يروا معها شمسا ولاقمرا ولم يستطيعوا أن يخرجوا فيها من بيوتهم .

وقيل إن هذا الطوفان هو ماء المطر الغزير الذى تسرب إلى بيوت القبط فغمر كل مافيها من متاع وأثاث . وبلغ ارتفاعه قامة الرجل وهو واقف إلى ترقوته ، فإذا قعد غرق.

ومع أن بيوت بنى إسرائيل وبيوت القبط كانت متجاورة متشابكة لم يدخل شئ من ذلك المطر بيتا من بيوت بنى إسرائيل

أما الجراد فكان كثيراً شديد الحملات عليهم ، قضى على الزروع والثمار وعلى كل شئ ، حتى أكل ثيابهم وسقوف بيوتهم وأبوابها ، ولم يدخل شئ منه فى بيوت بنى إسرائيل .

وأما القمل — وهو القراد فكان يسبح فى ثيابهم وأجسادهم وفراشهم ومطاعمهم، فكانوا لذلك يلاقون منه أشد العنت والأذى فى صحوهم ورقادهم وسائر أحوالهم . أما بنو إسرائيل فقد كانوا فى أمن وسلام من ذلك كله .

ولقد كانت الضفادع كبيرها وصغيرها تمتلىء بها بيوت القبط . وكان تأذيهم بها بالغا غايته ، حتى إنها كانت تقفز فى قدورهم وهى تغلى ، بل كانت تقفز فى وجه أحدهم إذا كان يتكلم أو كان يأكل تحاول أن تدخل فى فمه . ولم يكن شئ من ذلك فى أى بيت من بيوت بنى إسرائيل .

أما الدم فقد حول الله سبحانه وتعالى مياه الأقباط دما لايحرز أحدهم شيئا من الماء إلا وجده دما ، ولايستقى من معين أو مسيل ماء صاف إلا وجده دما يستقيه دما. ولقد كان يجمع بين الإسرائيلى والقبطى على إناء واحد فيكون مايلى الإسرائيلى ماء صافيا على حين يكون مايلى القبطى دما خالصا.

وقد نصت على هذه الأنواع من العقوبات التى عوقب بها فرعون وقومه تلك الآيات القرآنية التى عينت بالتفصيل ماأيد الله به موسى عليه السلام من المعجزات التسع : يقول الله تعالى : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » . ويقول سبحانه وتعالى : « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد

والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين » .

فإذا ضمت هذه الآيات السبع إلى الآيتين الأصليتين اللتين حدث عنهما القرآن فى عدة سور — وهما « العصا واليد » — كان المجموع تسع آيات هى التى يشير إليها قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات» وقوله سبحانه فى سورة النمل : «وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات إلى فرعون وقومه » . وهى الآيات التى ووجه بها فرعون وقومه ، كما صرحت بذلك هذه الآية القرآنية من سورة النمل .

وقد رأى فرعون هذه الآيات التسع كلها ولكنه كذب بها كلها وأبى أن يؤمن ويخضع للحق ، كما قال تعالى : « ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » ، وكما قال سبحانه : «كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر» . وينبغى أن يعلم أنه إذا كانت هذه الآيات التسع هى التى ووجه بها فرعون وقومه كما أسلفنا فإن آية « العصا » من بينها قد كانت لها آثارها العظيمة مع بنى إسرائيل أيضا، فهى التى ضرب بها البحر فانفلق ، وكان فى ذلك نجاتهم من فرعون وقومه الذين أهلكهم الله بالغرق فى ذلك البحر نفسه .

وهذه العصا هى التى ضرب بها الحجر لما عطش بنو إسرائيل وطلبوا الماء فتفجرت منه ينابيع وعيون بعدد الأسباط الاثنى عشر . فآثار معجزة العصا كانت عامة فيهم وفى فرعون وقومه .

أما غير هذه الآيات التسع من المعجزات الأخرى فقد كان المقصود بها بنى إسرائيل وحدهم .

هذا وقد قال بعض العلماء : إن الآيات التسع التى قال الله سبحانه وتعالى فى شأنها : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » إنما هى آيات الأحكام الشرعية الأساسية التى وردت فى التوراة ، وفى أمهات الكتب السماوية :

تأمر بعبادة الله تعالى وحده ، عبادة خالصة من شوائب الشرك والشك ومن النفاق والرياء .

وتأمر كذلك ببر الوالدين برا صادقا خالصا من شوائب التأفف والضجر ؛ وذلك بإكرامهما وإحسان خدمتهما ، والشفقة بهما ، والعطف عليهما .

ثم هى التى تأمر بالاعتدال فى معاملة الإنسان لأخيه الإنسان ، بأن يرعى حقه ، ويوفى له بعهده ، ويؤدى إليه أمانته ، ثم لا يتكبر عليه ، ولا يتجبر ، ولا يتفاخر ولا يتعالى ، ولا يعتدى على أحد فى نفس أو عرض أو مال .

وهذا كما فصلته آيات من سورة « الأنعام » جاءت بمثل ما ورد فى التوراة وغيرها من الكتب السماوية المقدسة :

قال تعالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون :

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون : وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» ( ١٥١ — ١٥٣ الانعام ) .

ومثل هذا قد جاء مفصلا في سورة الإسراء في قوله تعالى :

«وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما : أف ، ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل: رب ارحمهما كما ربياني صغيرا : ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا . وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا . ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا . ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا : ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا . وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم . ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » ( ٢٣ — ٢٧ الإسراء ) :

قال أولئك العلماء : إن الموافقات التي نجدها بين ما ورد في القرآن في هاتين السورتين : «الأنعام والإسراء» وماورود في التوراة متعلقا بالأحكام الشرعية وأصول الأخلاق الدينية قد تساعد على الحكم بأن المراد بالآيات في قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات» إنما هي آيات الأحكام ، وليست الآيات الكونية التي هي المعجزات وقوارع العقوبات .

وقالوا أيضا : إنه يؤيد هذا الحكم ماورد من الأخبار الصحيحة التى تصرح بهذا المراد فقد روى الإمام أحمد والطبرانى والبيهقى والنسائى وابن ماجه والترمذى وقال: حسن صحيح ، وكذلك الحاكم وقال : صحيح لانعرف له علة ، كما رواه خلق كثير عن صفوان بن عسال (١) أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه : انطلق بنا إلى هذا النبى نسأله (يريدان النبى محمدا صلى الله عليه وسلم) — فأتياه صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » .

قال أولئك العلماء : إن الظاهر أن هذين اليهوديين كانا يقصدان السؤال عن الآيات التسع : أى شىء هى ؟ وهل يقول فيها هذا النبى بنحو ماهو مسطور فى التوراة فيكون ذلك دليلا على صدقه ؟

فلما وجدا أنه قد انطبق كلامه صلى الله عليه وسلم فى ذلك على ما ورد فى التوراة سرا بذلك وفرحا وقاما يقبلان يديه وقدميه . فإنه عليه الصلاة والسلام قد أجابهما بقوله : « لا تشركوا بالله شيئا ، ولاتزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله تعالى إلا بالحق ، ولا تسرقوا ، ولا تسحروا، ولا ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببرىء إلى سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة ، ولاتفروا من الزحف ، وعليكم يايهود خاصة ألا تعتدوا فى السبت ، فقبلا يديه ورجليه وقالا : نشهد أنك نبى الخير » .

قالوا : فهذه تسع آيات من آيات الأحكام الشرعية ، والوصايا الخلقية ، وأما العاشرة فهى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة باليهود ألا يعتدوا فى السبت .

وبهذا يتبين أن الآيات التسع التى أوتيها سيدنا موسى عليه السلام والتى ورد ذكرها فى سورة الإسراء هى آيات الأحكام الشرعية كما وردت بهذا المعنى فى التوراة، وكما نبه إلى ذلك بجوابه السديد على سؤال اليهوديين نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام .

وخلاصة القول أننا فى هذا الموضوع أمام ثلاثة أمور ، كل منها له شأنه وقدره العظيم ، وإنها من أجل ذلك تستوجب أن نقف عندها وقفة تفهم وتدبر وقوة انتباه ، لنصل فيها إلى حكم فصل تطمئن إليه النفس وتقره مبادئ الدين .

«الأمر الأول» قول الله تعالى: « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » مع ما أجاب به رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهوديين اللذين قيل إنه عليه الصلاة والسلام قد علم من حالها أنهما يسألان عن الآيات

(١) صفوان بن عسال هو أحد الصحابة الأجلاء غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة غزوة ، وله رضى الله عنه عشرون حديثا .

التسع التى هى آيات أحكام ، فإن ذلك الجواب يدل بظاهره على أن الرسول صلى الله عليه وسلم يرى أن الآيات التسع فى قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات» هى آيات أحكام ، وليست هى الآيات الكونية .

« الأمر الثانى » قوله سبحانه وتعالى : « يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ، وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب، يا موسى لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون. إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإنى غفور رحيم . وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين » ( ٩ — ١٢ النمل )

وهو واضح الدلالة على أن الآيات التسع التى أوتيها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام هى آيات كونية ومعجزات قاهرة، وعقوبات قد قصد بها فرعون وقومه الكفار الفجرة .

« الأمر الثالث » ماروى عن الحبر ابن عباس رضى الله عنهما وهو أصح ماروى عنه فى هذا الموضوع كما قدمنا — أنه فسر التسع الآيات البينات فى قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » بأنها هى العصا ، واليد ، والسنون ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وهو تفسير منطبق على ما أفادته آيات سورة النمل ؛ من أن الآيات التسع هى آيات كونية ، ومعجزات من قبيل العصا واليد ، وليست آيات أحكام .

وعلى هذا يقال : كيف يكون التوفيق بين الحكم بأن الآيات التسع البينات هى آيات أحكام شرعية ، كما يستفاد من ظاهر خبر اليهوديين وما أجاب به على سؤالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين الحكم بأن تلك الآيات هى آيات كونية كما أشارت إلى ذلك سورة النمل ، وفصلته سورة الأعراف.

والجواب أن كلمة « الآيات التسع البينات» لاشك أنها تطلق على تلك الآيات الكونية والمعجزات الباهرة القاهرة التى أيد الله بها رسوله موسى عليه السلام وكان فيها قوارع العقوبات لفرعون وقومه جزاء عتوهم وكفرهم، كما أشير إلى ذلك إجمالا فى قوله تعالى : « فى تسع آيات إلى فرعون وقومه »، وفصل تفصيلا تاما بينا فى سورة الأعراف ، كما قدمنا . وهذه الآيات التسع الكونية هى التى فسر بها ابن عباس » رضى الله عنهما كلمة : « تسع آيات بينات » فى فى قوله تعالى فى سورة الإسراء: «ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » كما علمنا .

لكن ماذا يصنع فى خبر اليهوديين وما أجابهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألاه عن هذه الآية من سورة الإسراء ؛ إذ ذكر لهما أشياء هى آيات أحكام وليست من الآيات الكونية التى أشرنا إليها آنفا ؟

« والجواب » عن ذلك من وجهين :

الأول : أنه يمكن أن يكون المراد من الآيات التسع البينات الواردة فى سورة الإسراء آيات للأحكام على نحو ما ورد فى التوراة ، وكما هو ظاهر قول الرسول صلى الله عليه وسلم أنه تفسير لها فى جوابه على سؤال اليهوديين ، فقد أوردها عليه والسلام تسعة أشياء أحكاما عامة ثم ختمها بحكم خاص باليهود : ألا يعتدوا فى السبت .

وهذه غير آيات أخرى هى من الآيات الكونية والمعجزات القاهرة قد أشارت إليها سورة النمل ، وأنها تسع آيات أيضا . حتى إنه إذا سأل سائل عن تسع آيات بينات أوتيها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فأجيب بأنها تلك الآيات الكونية فإن ذلك يكون جوابا صحيحا وسديدا ، لأن للرسول موسى عليه الصلاة والسلام تسع آيات بينات هى آيات كونية ومعجزات باهرة ، وعقوبات قاهرة قد أخذ الله سبحانه وتعالى بها فرعون وقومه .

الوجه الثانى أنه لا يجب أن نحكم بأن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أجاب به اليهوديين كان شرحا وتفسيرا لآية : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » وأنه يرى أن « الآيات التسع البينات » فى الآية الكريمة مراد بها آيات الأحكام ، وإنما كان كلامه صلى الله عليه وسلم فى ذلك كلاما حكيما أراد به أن يحقق رغبتهما فى الوقوف على ما عنده من العلم بالآيات البينات التى أراد الله أن يؤيد بها رسوله موسى عليه الصلاة والسلام ، وهى آيات الأحكام والأخلاق التى يعهدونها مسطورة فى التوراة ، ليتخذوا مما يقوله فيها دليلا على صدقه إذا جاء موافقا لما فى التوراة ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم يكون قد أدرك منهما هذه الرغبة ، أو لعله علم ذلك مما أوحاه الله إليه ، وعلى هذا يكون جوابه لليهوديين بذكر آيات من آيات الأحكام إنما كان لغرض خاص هو إفادتهما بالآيات التسع التى يعرفانها من التوراة ، ويريدان معرفة ما يقوله فيها . وليس لبيان الآيات التسع البينات التى قال الله فى شأنها : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » . فإن هذه هى الآيات الكونية التى نبهت إليها آية النمل » وفصلتها آيات الأعراف :

ويحتمل أيضا أن سؤال اليهوديين إنما كان عن الآيات التسع التى هى الآيات الكونية . لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يصرفهما بأسلوب حكيم إلى ما هو أنفع لهما وأجدى عليهما ، وأولى أن يشتد فيه حرصهما واهتمامهما بالبحث عنه ، والوقوف عليه ، وذلك هو آيات الأحكام الدينية ، التى فى الاستمساك بها وإحسان العمل على وفقها سعادة الدنيا والدين .

وأيا ما كان فليس هناك دليل يفيد العلم والقطع بأن كلمة « تسع آيات بينات » فى قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » مراد بها شئ آخر غير تلك

الآيات الكونية والمعجزات الباهرات، وقوارع العقوبات التى أنزلها الله على فرعون وقومه الفجرة الكافرين، وكان ذلك تأييدا من الله تعالى لرسوله موسى عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة والتسليم.

## كلمة الختام

قد تم القول فى الجملة الأولى من الآية الكريمة — وهى قوله تعالى: «ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات» حسبما منّ الله سبحانه وتعالى به من التوفيق والتيسير، وعلى قدر ما منح من العلم والفهم.

ونرى هنا — إتماما للفائدة — أنه يحسن أن نفسر الجملة الثانية من الآية (الكريمة) باختصار، وهى قوله تعالى: «فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم»، فإنه قد يحتاج فيها إلى بيان المسائل التالية:

١ — المسألة الأولى: من هو ذلك الشخص المأمور بالسؤال؟

٢ — المسألة الثانية: من هو المطلوب سؤاله؟

٣ — المسألة الثالثة: ما هو ذلك الشيء المطلوب بالسؤال؟

٤ — المسألة الرابعة: كيف عطفت هذه الجملة الثانية بالفاء — وهى جملة طلبية متضمنة حضور المخاطب المأمور الذى معه الحديث — على الجملة الأولى الخبرية المقتضية غيبة المحدث عنه؟

٥ — المسألة الخامسة: بم يتعلق الظرف فى قوله سبحانه «إذ جاءهم»؟

وفى الجواب عن المسائل الثلاث الأولى قد اختلفت كلمة المفسرين.

ولهم فى ذلك رأيان:

الأول: أن المأمور بسؤال بنى إسرائيل هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. أمره الله سبحانه وتعالى أن يسأل بنى إسرائيل الذين كانوا فى عهده عليه الصلاة والسلام — أو الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام — سؤال تقرير، يقررون فى جوابه حقيقة ما يعرفونه فى كتبهم عن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وما جرى له مع فرعون وقومه، حينما جاءهم بتلك الآيات البينات، وما رد به عليه فرعون من قوله: «إنى لأظنك يا موسى مسحوراً». وتقدير الكلام على هذا الرأى هكذا: فاسأل يا محمد بنى إسرائيل عنه، أى عن موسى، وما كان منه مع آبائهم من بنى إسرائيل حين جاءهم وما جرى بينه وبين فرعون وقومه ودعاهم إلى الإيمان به والتصديق برسالته.

الرأى الثانى: أن المأمور بالسؤال هو سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، أمره الله تعالى أن يسأل بنى إسرائيل الذين كانوا فى مصر يسعون فى معايشهم، ويعملون تحت سلطان فرعون وفى دولته.

أمره الله سبحانه وتعالى أن يسألهم من فرعون، أى يطلبهم منه؛ فالسؤال هنا

بمعنى الطلب . ومعنى هذا أن يطلب من فرعون أن يخلي سبيلهم ولا يحول بينهم وبين الخروج مع نبيهم موسى ليسير بهم إلى حيث يريد من أرض الله كما أمره الله .

وذلك كما فى قوله تعالى : « وقال موسى: يافرعون إنى رسول من رب العالمين . حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل » . ( ١٠٤ ، ١٠٥ الأعراف )

وكذلك قوله تعالى : « فأتيا فرعون فقولا : إنا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بنى إسرائيل » . ( ١٦ ، ١٧ الشعراء ) .

وقوله عز وجل : « فأتياه فقولا : إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم » . ( ٤٧ طه )

ولقد كان اهتمام موسى عليه الصلاة والسلام بخروج بنى إسرائيل من مصر عظيما جدا ، لأنه كان يريد أن يبعدهم من مواطن الكفر والشرك والفجور ، ويخلصهم من العذاب الذى كان فرعون وقومه ينزلونه بهم ، وكذلك ما عسى أن ينزل بتلك المواطن من عذاب الله وسخطه .

وقيل : إن السؤال فى قوله تعالى : « فاسأل بنى إسرائيل » مستعمل فى معناه الظاهر ، وهو سؤال الاستفهام والاستخبار . فالرسول موسى عليه السلام قد أمره الله تعالى أن يسأل بنى إسرائيل عن حالهم ومبلغ تدينهم وإيمانهم وقوة استمساكهم برسالته ، وهل هم مستمرون على متابعته ، مصممو العزم على تأييده ومناصرته والكفاح معه ؟

هذا الوجه قد جوز إرادته بعض العلماء .

ولكنا نرى أنه لا يتم عليه المعنى باستقامة فى بقية الآية ، فإنه لا يظهر عليه سر غضب فرعون على موسى عليه السلام ورده عليه ذلك الرد السفيه ، وقوله له : « إنى لأظنك ياموسى مسحورا » ، لكن هذا الرد يظهر جيدا ترتبه بالفاء على ما قبله فيما وردت به الآية الكريمة إذا حمل السؤال فى قوله تعالى : « فاسأل بنى إسرائيل » على المعنى الأول الذى هو طلبهم من فرعون ، وأمر فرعون أن يخلى سبيلهم ليذهبوا مع نبيهم كما أوضحنا ذلك آنفا .

أما الجواب عن المسألة الرابعة فهو أن الفاء على الرأى الأول وهو أن المأمور بالسؤال محمد صلى الله عليه وسلم — هى فاء الفصيحة . والأمر فيها ظاهر .

وأما على الرأى الثانى — وهو أن المأمور بالسؤال سيدنا موسى عليه السلام — فهى للعطف بتقدير فعل ماض من القول معطوف على « آتينا » تصير به الجملة المعطوفة جملة خبرية معطوفة على مثلها ، والتقدير : ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقلنا له : أسأل بنى إسرائيل .

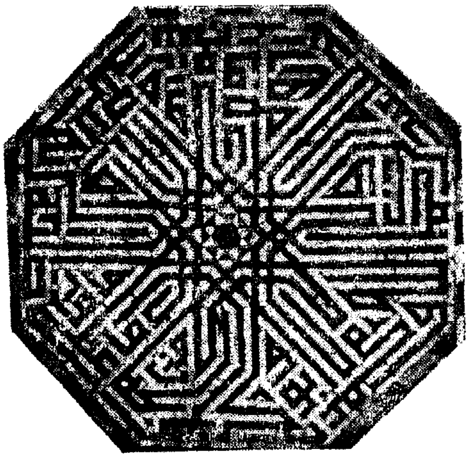
وأما الجواب عن المسألة الخامسة فهو أن الظرف «إذ» على الرأى الأول متعلق بمقدر من المقدرات بعد قوله سبحانه وتعالى: «فاسأل بنى إسرائيل» على ما أوضحناه.

وأما على الرأى الثانى فهو متعلق بالفعل الماضى المقدر بعد الفاء فى قوله سبحانه: «فاسأل». والتقدير: ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقلنا له: اسأل بنى إسرائيل حين مجيئه إليهم: أى قلنا له حين مجيئه إليهم: اسألهم من فرعون واطلب منه أن يخلى سبيلهم؛ فلما طلب منه ذلك غضب واستكبر ورد عليه ذلك الرد الفاجر السفيه.

والحمد لله رب العالمين

**عبد الرحمن تاج**

عضو المجمع



# حماس وحماسة

## للدكتور ناصر الدين الأسد

(١)

ليست قيمة البحث والتنقيب عن أحد الألفاظ محصورة فى ذلك اللفظ وحده، وإلا كان الأمر أهون من أن يشغل به أحد نفسه ويضيع وقته فضلاً عن أن يشغل به غيره ويضيع أوقاتهم. فحين تحدثنا فى مناسبات سابقة عن «معاجم» ورأيناها الجمع الصحيح لـ«معجم»(١)، وعن «نواد» ورأيناها جمعاً صحيحاً فى القياس لـ«ناد» وأن «أندية» هى جمع «ندى» وليست جمع «ناد»(٢)، وعن «وديان»(٣) ورأيناها جمع كثرة لـ«واد» يستوى فى صحته مع «أودية» التى هى جمع قلة للفظ نفسه — حين تحدثنا عن كل ذلك قصدنا إلى أمرين لهما فى رأينا قيمة تستحق هذا العناء:

أولهما — أن هذه الجموع التى شاعت تخطئتها بين جمهرة العلماء وأهل اللغة فى زماننا، هى وحدها الشائعة الغالبة على ألسنة الناس وفى كتاباتهم فى جميع البلاد العربية خلال هذا العصر، وحتى أولئك الذين يحرصون — عن وعى وتعمد وفى تكلف ومشقة — على تجنب استعمالها مسايرة منهم للرأى الشائع فى تخطئتها. لا يلبثون حين ينساقون مع طبعهم وسليقتهم أن تجرى بها ألسنتهم وأقلامهم. فنجد فى الحديث الواحد والمقالة الواحدة الجمعين(٤) معاً. وليس أدل من ذلك على استحكام هذه الجموع وتمكنها فى الاستعمال.

وثانيهما — أن مفرد كل جمع من هذه الجموع عربى صحيح، وأن صيغة جمعه — الذى ذهبوا إلى تخطئته — هى من الصيغ التى جاء على مثالها جموعُ عدد كبير من المفردات بُنيت على بناء هذا المفرد نفسه، حتى كانت هذه الصيغة قياسية مطردة — فيما نص عليه القدماء أنفسهم — أو كالمطردة لكثرتها، وإن لم نجد هذا الجمع ذاته فيما وصلنا من كلامهم.

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الخامس والعشرون.

(٢) المرجع السابق الجزء السابع والعشرون

(٣) المرجع السابق الجزء التاسع والعشرون

(٤) ضربنا أمثلة على ذلك فى بعض المقالات التى أشرنا إليها فى المراجع السابقة.

هذان الأمران معاً متكاملين هما اللذان يكسبان هذا الحديث الذى نتجشم عناءه قيمة وخطراً ، لأنهما يخرجان به من حدود الجزء إلى نطاق الكل ، ومن اللفظة ذاتها التى يدور عليها البحث إلى ظاهرة عامة حين تجتمع لهذه الظاهرة أركانها كاملة دون إغفال شيء منها وبعض هذه الأركان دقيق خفى ، إذا غفل عنه الباحث انزلق فى مهاوى الخطأ . ومن هنا جاء حرص الحريصين على ضرورة بحث كل حالة وحدها من هذه الألفاظ دون وضع قواعد مطردة يقاس عليها .

هذان الأمران المتكاملان معاً هما : شيوع اللفظ شيوعاً عاماً غالباً على ألسنة أهل العصر وأقلامهم ، فى جميع الأقطار العربية ، وشيوع صيغته وبنائه فى ألفاظ كثيرة أخرى تشترك معه فى الخصائص والأركان . مما ورد عن العرب وشاع فى استعمالهم .

وإذا كنا لا نقر مذهب التسرع إلى التخطئة لأنه يحجر على العلماء والكتّاب ويحول بين اللغة و التطور فى مسار طبيعى ، وينفى من اللغة ألفاظاً هى منها فى الحقيقة . فلا بد من التنبيه إلى خطر المذهب المخالف الذى يدعو إلى التوسع فى قبول ألفاظ كثيراً ما تكون على قياس غير صحيح لخفاء بعض عناصره وأركانه الأساسية ، وحين لا تدعو حاجة حقيقية إلى قبولها ، وخاصة إذا لم يجتمع فى هذه الألفاظ الأمران المتكاملان اللذان أشرنا إليهما . وعلى هذا لا بد من التثبت من دقة المقياس ، ومن سلامة خطوات القياس ، حتى يكون الطريق لاحباً والهدف أمَماً .

## ( ٢ )

وحديثنا الآن مشابه لأحاديثنا السابقة داخل فى بابها ، فهو — مثلها — محصور فى صيغ الألفاظ وأبنيتها : تلك فى الخنوع ، وهذا فى المصادر ، ومدارها جميعها على إلحاق ألفاظ بمثيلاتها بشروط معلومة وفى أحوال مخصوصة . وهى كلها ، بذلك ، أبعد شيء عن تناول الأساليب والعبارات ونظم الكلام ، فهذا بابٌ الحرصُ فيه أدعى والحذرُ منه أوجب لأنه متصل بروح البيان العربى ، وقد كان مدخلا لكثير من الخطأ والوهم ، ومَدْرَجَةً للعُجْمة والهُجْنة ، حتى إنى رأيت فيما كتب بعض الكاتبين — وهم منا قريب — ما يوهم أنهم يتحدثون عن ألفاظ بأعيانها ويستشهدون لها بشواهد من كلام العرب هى صحيحة فى مواضعها التى استشهدوا بها ، ثم لا يلبثون قياساً على ذلك — أن يذهبوا إلى تصويب استعمالها فى أساليب وعبارات محدثة ، والنظم غير النظم ، والاستعمال غير الاستعمال ، فخفيت عنهم فى الاستدلال دقائق ولطائف هى فى الحقيقة سر النظم ، فانتهوا بنا إلى شيء لا يمت إلى العربية بسبب ، وليس هنا موضع التفصيل وضرب الامثلة .

ثم إن هذا الحديث ، مثل الأحاديث السابقة ، يبدأ بالقياس ويقوم عليه ولكنه لا ينتهى إليه . فنحن نقيس اللفظة المفردة التى تشيع فى الاستعمال بين الجمهرة الغالبة من الناس

فى الأقطار العربية كلها ، على نظائرها فى بنائها اللغوى مما أجمع القدماء على صوابه ، وإن لم تكن هذه اللفظة المفردة مما دونوه ووصل إلينا . ونطيل فى سرد كثير من هذه النظائر لتطمئن نفوسنا إلى هذه الكثرة من جانب ، ولنجمع من جانب آخر ضروب هذه الصيغة كلها فلا تفوتنا أدق خوافى المشابهة بين المقيس والمقيس عليه . حتى نصل فى كل ذلك إلى حكم محدود لا نتجاوزه وهو أن هذا اللفظ الشائع اليوم والذى ذهب بعضهم إلى تخطئته لأنه لم يرد فيما دونه القدماء فى المعاجم وكتب اللغة ، هو صواب لأنه يجرى على القوالب الموروثة وتنطبق عليه القواعد الموضوعة ، وهو من كلام العرب وإن لم يصلنا مدوناً — لأنه جرى مجرى كلامهم وقيس عليه. وقديما قال سيبويه فى كتابه[1] : «فإنما هذا الأقل نوادر تحفظ عن العرب ولا يقاس عليها ، ولكن الأكثر يقاس عليه» ومن هنا جاء حرصنا على الاستكثار من جمع النظائر والأمثلة . وكذلك قال ابن جنى فى خصائصه[2] : «واعلم أن من قوة القياس عندهم اعتقاد النحويين أن ما قيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب» .

وإذا كنا نبدأ بالقياس ونعتمد عليه — بالمعنى الذى وضحناه — فإننا لا ننتهى إليه ، ذلك لأننا لا نعتسف الطريق فننتهى إلى وضع قاعدة عامة مطردة تشمل كل ما جاء على هذه الصيغة سواء أكان من الألفاظ الشائعة فى الاستعمال فى عصرنا أم لم يكن مستعملا شائعا . فهدفنا ليس اختراع قواعد جامدة تخضع لها اللغة كلها بحجة التيسير والتقريب ، وإنما هدفنا الاستئناس والاحتجاج بنظائر كثيرة مما ورد فى كلام العرب ، للفظ يشيع استعماله فى هذا العصر بين العرب كافة ، وإن لم ينقل هو نفسه إلينا ، والاستدلال من ذلك على صوابه بعد أن جرى على الألسنة وفى الكتابة واستساغه ذوق العصر .

وقد تكلفنا هذا الإطناب كله وأكثرنا فيه من التكرار الذى قد يثقل على القارئ ، لنضع مثل هذه الدراسات فى موضعها الصحيح ونحصرها فى نطاقها الذى لا يجوز أن تتعداه بحيث لا يؤخذ منها إلا بقدر الحاجة إليها .

## ( ٣ )

واخترنا موضوعاً لهذا المقال كلمة «حماس» التى ذهب إلى تخطئتها كل من نعرف ممن نصب نفسه لتنقية اللغة من الشوائب والعثرات منذ مطلع هذا القرن ، وأولهم الشيخ إبراهيم اليازجى فى سلسلة مقالاته التى كتبها عن «لغة

(١) ج : ٢ ص : ٢١٥ — ٢١٦

(٢) ج : ١ ص : ١١٤

الجرائد»[1] ، ثم الشيخ المنذر[2] وأسعد خليل داغر[3]، وآخرهم فيما نعرف زهدى جار الله[4]، وقد أجمعوا على أن صوابها «حماسة» بالتأنيث .

ثم رأينا جماعة آخرين لا يقلّون حرصاً على لغتنا ، يردّون عليهم ويذهبون إلى صواب الكلمة بالتذكير . غير أن هؤلاء المصوّبين اجتزأوا من الحديث بأقله ، ورتبوا نتائج على مقدمات لا تقود إليها بالضرورة ، واعتمدوا على مراجع لا يُعْتَدُّ بها فى هذا المضمار — على نفعها واستيعابها — ولم يوردوا من الأقيسة وشواهدها ما يدعم مذهبهم وسنسرد أسماء ثلاثة منهم ونسوق حديثهم كاملاً على إيجازه .

فأقدم من نعرف منهم ممن تناولوا هذه الكلمة بالحديث المرحوم الأستاذ أحمد العوامرى قال [5] : « يتوهم كثير أن الحماس بمعنى الحماسة خطأ . وقد كان هذا اللفظ إلى عهد قريب شائعاً فى الصحف ، فأخذ يقل حتى كاد يختفى منها ، ولكنه شديد الشيوع الآن فى لغة التخاطب فقلما تسمع من الناس كلمة الحماسة[6] . والحماسة والحماس بمعنى واحد كما سترى: قال فى اللسان : الحماسة: المنع والمحاربة . وقال: الحماسة : الشجاعة . وفى شرح القاموس الحماسة : الشجاعة والمنع والمحاربة . وفيه : والحماس كسحاب: الشدة والمنع والمحاربة . فقد تبين لك أن اللفظين متفقان معنى » .

واتفاقهما فى المعنى أمر لم يختلف فيه أحد ، ولكن المختلف فيه هو صواب استعمال لفظ « حماس » بالتذكير . ولم يحتجّ على صحته إلا بوروده فى شرح القاموس ، وصاحب هذا الشرح مُحْدَث لا يُحتج به ، على جلال قدره . وقيمته فيما ينقل عن غيره . وهو لم يذكر لنا من أين أخذ الكلمة . ولم نجدها فى كتاب قبله .

وثانيهم المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات الذى قدّم إلى مجلس مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى ٢ مايو سنة ١٩٥١ « طائفة من

---

(١) مجلة الضياء ، الجزء الثامن — ٣١ يناير ١٩٠٥ص : ٢٣٦ والطريف انه يذكر أن العامة كلهم يقولون الحماسة.

(٢) كتاب المنذر الى المجمع العلمى العربى بدمشق ، الجزء الأول ص : ٣٢ ( الطبعة الثالثة ) مطبعة الاجتهاد : بيروت ١٩٢٧

(٣) تذكرة الكاتب ، مطبعة المقتطف والمقطم بمصر ١٩٢٣ ، ص : ٨٦

(٤) الكتابة الصحيحة ، بيروت ١٩٦٨ ، ص : ٧٦

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية الملكى ، الجزء الأول سنة ١٩٣٤ ص : ١٦٦

(٦) قابل هذا الحكم الذى لايزال صحيحا حتى الآن بما ذكره الشيخ ابراهيم اليازجى من أن العامة كلهم يقولون الحماسة ( انظر الحاشية السابقة رقم ١ ) .

الألفاظ المسموعة عن المحدثين على خلاف ما سمع عن العرب الأولين فى الصيغة أو فى الدلالة فناقشها المجلس وأقر بعضها فى هذه الجلسة والبعض الآخر فى الجلسة الختامية للدورة الثامنة عشرة بعد أن درستها لجنة « الأصول » ومن هذه الكلمات :

« ٣١ – الحماس : سمع من المحدثين استعمال الحماس بدون تاء ، والمسموع عن العرب : الحماسة .

٣٢ – المران : يقول المحدثون : مران ، بدون تاء ، والمسموع عن العرب : مرانة »[١].

وثالثهم الأستاذ محمد العدنانى ، قال[٢] : « ويخطّئون من يقول : فلان كثير الحماس. ويقولون إن الصواب هو : كثير الحماسة ، ومعناها الشجاعة ...... وقال التاج فى مستدركه : الحماس هو : الشدة والمنع والمحاربة . ونقل عنه متن اللغة ذلك . أما الحماسة فقال إنها الشجاعة والمنع والمحاربة كما قال اللسان . أما الصحاح فقد قال : الحماسة : الشجاعة ، ويخطىء من يقولها : الحماس[٣] !! ولكن الوسيط قال : الحماس والحماسة : الشدة والشجاعة والمحاربة . لذا علينا ( !! ) أن نستعمل كلمة الحماسة والحماس دون تردد !! ما دامت الكلمتان تحملان معنى المنع والمحاربة ، حسب رأى التاج والوسيط ، والمحاربة لا تكون دون حماسة » .

ولا تعقيب لنا على هذا الكلام سوى القول إن التاج ومتن اللغة والوسيط ، كلها – على نفعها وقيمتها – ليست حجة على صواب هذا اللفظ ، لمجرد أنه ورد فيها وإن كان يجوز الاستئناس ، وليس الاحتجاج بما ورد فى التاج لأسباب نذكرها بعد قليل .

فقد بقى إذن فضل حديث عن هذا اللفظ نرى أن نورده فيما يلى .

## ( ٤ )

لم نجد كلمة « حماس » بالتذكير وفتح الحاء المهملة ، فيما وصلنا من المعاجم وكتب اللغة حتى المائة الثانية عشرة الهجرية . وأجمعت كلها على الاقتصار على « حماسة» بالتأنيث بمعنى : الشجاعة والمنع والمحاربة . وفيها أيضاً « حِماس » بكسر الحاء ، مصدر « تحامس » . إلى أن جاء محمد مرتضى الزّبيدى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ فذكرها فى مستدركه على القاموس قال : « ومما يستدرك عليه ... والحماس كسحاب : الشدة والمنع والمحاربة » فهل رآها الزّبيدى فيما كان بين

(١) الدورة التاسعة عشرة ١٩٥٢ – ١٩٥٣ م الجلسة السادسة

(٢) معجم الأخطاء الشائعة ، ص : ٧٠ ، رقم ٢٣٦ ،

(٣) لم يذكر الجوهرى فى صحاحه لفظ « حماس » فكيف يخطئها ؟ غير أن محقق هذا المعجم الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ذكر فى الحاشية معلقا على قول الجوهرى : « والحماسة : الشجاعة » مايلى : ويخطىء من يقولها : « الحماس » . وهذا من كلام محقق الطبعة وليس من كلام الجوهرى فى الصحاح .

يديه من أصول ضاعت بعده ولم تصل إلينا أو لم نعثر عليها بعد ؟ أو هل كان يضيف في مستدركه كلمات مما جرى استعمالها وشاع في عصره والعصور القريبة السابقة عليه إذا كانت على قياس العربية في نظائرها وبنائها ، ولو لم تكن مما تضمنته كتب اللغويين ومعاجمهم ؟ والأول عندنا هو الأرجح لأن كلام الزّبيدى في مقدمته واضح في الاقتصار عليه ، قال : « وليس لى فى هذا الشرح فضيلة أمتّ بها ولا وسيلة أتمسك بها سوى أننى جمعت فيه ما تفرق فى تلك الكتب من منطوق ومفهوم . وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير وطالب العلم منهوم ، فمن وقف فيه على صواب أو زلل أو صحة أو خلل فعهدته على المصنف الأول ، وحمده وذمه لأصله الذى عليه المعول . لأنى عن كل كتاب نقلت مضمونه فلم أبدل شيئاً فيقال : فإنما إثمه على الذين يبدلونه . بل أديت الأمانة فى شرح العبارة بالنصّ . وأوردت ما زدت على المؤلفين بالنصّ » .

فمن أين إذن جاء بكلمة « حماس » وهى غير موجودة فى كل ما وصل إلينا من المعاجم وكتب اللغة التى اطلعنا عليها واطلع عليها غيرنا من المُحْدَثين بدليل أنهم ذهبوا إلى تخطئتها لأنها لم تتضمنها تلك المعاجم والكتب؟ أحسب أن الإجابة عن هذا السؤال غير ميسورة مما فى أيدينا . وعسى أن تكشف مقبل الأيام ما خفى عنا . وليست هذه الكلمة وحدها هى التى انفرد بذكرها صاحب التاج مما لم نجده عند غيره ؛ فقد أشرنا فى بحثنا عن « وديان وأودية » أنه استقل بذكر « وديان » جمعا لـ « واد » فى مستدركه .

ومن كان مثل الزّبيدى فى علمه وجمعه واستقصائه واطلاعه ، كان حرياً بالثقة والقبول . وهذا ما فعله بعض من ذهب إلى صواب كلمة « حماس » حين اعتمدوا على ما ورد فى التاج وحده ، أما غيرهم ممن ذهبوا إلى تخطئتها فإمّا أنهم لم يروها فى المستدرك وإمّا أنهم لم يقنعوا بما قنع به الآخرون .

ثم إننا رجعنا إلى ما استطعنا الرجوع إليه من شعر العرب ونثرهم ، فلم نرهم يستعملون « الحماس » سوى احتمال أن يكون ذلك فى بيتين للشاعر فتيان الأسدى الشاغورى المتوفى سنة ٦١٥ هـ ، قال فى الأول [١] :

وبلغتم بالرأى ما لم يستطع
إدراكه باللأم أُسْدُ حماس

وقال فى الثانى [٢] :

يجود فيُغْنى الموالى سماحا
ويسطو فيفنى الأعادى حماسا

---

(١) ديوان فتيان الشاغورى ، تحقيق أحمد الجندى ، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٧ ، ص : ٢٣٢

(٢) ص : ٢٣٦

وقد ضبط المحقق الحاء في البيت الأول بالكسر ، وفي البيت الثاني بالفتح . ولست أدري ما الذي حمله على أن يخالف بينهما . وقد ينازعه منازع أنّ الحاء في الكلمتين مكسورة ، أو أنها فيهما كليهما مفتوحة . فلا دليل على ذلك ، ولا حجة فيه .

ولم نجدها كذلك في الكتب القديمة التي تتبعت أوهام الخواص في اللغة أو لحن العوام وحرصت على تثقيف لسانهم . فهل مردّ ذلك إلى أن هذه الكلمة لم تكن مما استعملوه وجرت به الأقلام فلم تقع عينهم عليها لينبهوا على صحتها إن كانت خطأ ، أو أنها كانت تجرى بها أقلامهم وألسنتهم ولكنهم لم يجدوا فيها ما يستنكرونه فسكتوا عنها لصحتها ؟ سيظل هذا السؤال أيضاً بغير إجابة شأنه شأن السؤال الأول عن المصدر الذي اعتمد عليه الزبيدي في إثبات الكلمة في مستدركه .

فإذا كان هذا النمط من البحث عن الكلمة في كتبنا لم ينته بنا إلى وجودها فيها ، فهل من سبيل أخرى أمامنا نسلكها لبحث صحة الكلمة ؟ أحسب أنْ نعم .

## ( ٥ )

وأول ما نلاحظه هنا أن إغفال المعاجم وكتب اللغة إيراد أحد الألفاظ لا يعني أن ذلك اللفظ غير موجود حقاً ، أو أننا نخطئ حين نستعمله . فلم يدَّعِ أحد أن تلك المعاجم والكتب قد قيدت اللغة جميعها . وما أفيد هذه الفهارس التي تلحق بالطبعات الحديثة المحققة تحقيقاً علمياً لبعض كتب تراثنا ، والتي تتضمن الألفاظ التي وردت في تلك الكتب مما لم يرد في المعاجم . وفضلاً عن النقص الطبيعي الذي يعتور كل عمل بشرى فيحول بينه وبين استيفاء كل شيء ؛ نجد هذه المعاجم والكتب قد أغفلت كثيراً من الألفاظ حين يكون بناؤها قياسياً ، وقد نصّوا على هذا الإغفال في مواطن متعددة من معاجمهم وكتبهم .

فإذا انتقلنا من هذا الحكم العام إلى تخصيصه بلفظي « حماس » و« حماسة » وجدنا مصادر على وزن «فَعَال » بالتذكير وفتح الفاء أغفلتها المعاجم واقتصرت على ذكر المؤنث « فَعَالة » ومن أدلّ ما عثرنا عليه في هذا الباب تعليق للأستاذ محمود محمد شاكر على كلام لمحمد بن سلام في طبقاته . قال ابن سلام [1] : وكان الذي يُسْمِعُ الناسَ عنه صلى الله عليه، ربيعةُ بن أميةَ بن خلف الجُمَحِيّ . وكان في صوته رَفاع » وقال الأستاذ محمود محمد شاكر : « رفاعة الصوت ورفاعته (بالفتح والضم) جهارته ، ورجل رفيع الصوت . ولم أجد (الرفاع) في المعاجم ، ولكن فَعَال وفَعَالة يتعاقبان كثيراً في المصادر فيما تتبعته منها » .

(١) طبقات فحول الشعراء ، قراءة محمود محمد شاكر وشرحه ، ١ : ٧٤ ، مطبعة المدني بالقاهرة سنة ٧٤

فهذا مثل واحد من المصادر التى أغفلتها المعاجم على وزان «حَمَاس» المذكر واكتفت بالنص على مؤنثه ، وسترد معنا أمثلة أخرى بعد قليل . ولكننا نحب أن نتتبع كلام الأستاذ محمود ، ونتوكأ على العبارة الأخيرة منه ، لننتقل من خلالها إلى الملاحظة الثانية ، وهى « تعاقب فعال وفعالة كثيراً فى المصادر » .

وفى هذا نستشهد بنص ثمين لسيبويه قال[1] : «وقالوا : سَعِدَ يَسْعَدُ سعادة ، وشَقِىَ يَشْقَى شقاوة .... وقالوا : الشقاء ، كما قالوا : الجمال واللذاذ ، حذفوا الهاء استخفافا» . ونقل الفيومى هذا الكلام فى المصباح المنير ( جمل ) فقال : « قال سيبويه : الجمال رقة الحسن ، والأصل جمالة بالهاء مثل صبح صباحة ، لكنهم حذفوا الهاء تخفيفاً لكثرة الاستعمال » . ولست أدرى أهذا الذى أورده الفيومى هو الكلام الذى أوردناه لسيبويه ولكن الفيومى زاد فيه ، أو هو كلامٌ غيرُه بمعناه لسيبويه فى موطن آخر من كتابه لم نعثر عليه ؟ غير أن المعنى واحد وكأنما ذهب ابن منظور أيضا هذا المذهب حين قال : « وَسُمَ الرجل ( بالضم ) وسامة ووَساما ، بحذف الهاء » كأنه يرى أيضاً أن وجود الهاء هو الأصل وحذفت للتخفيف .

فهل أصل هذه المصادر حقاً هو « فعالة » بالهاء ، ثم حذفت هذه الهاء تخفيفاً ؟ وهل هذا هو السبب فى التعاقب الكثير فى هذه المصادر بين فَعَال وفَعَالة؟ وإذا كان ذلك كذلك فهل يجوز أن نعتمد على كل ما قدمنا فى قبول « حماس » ؟

ونضيف وجها آخر لصيغة « فعال » فى المصادر ، وذلك ما أورده ابن منظور فى اللسان ( سلم ) قال : « السلام والسلامة : البراءة ، ........ قال ابن قتيبة : يجوز أن يكون السلام والسلامة لغتين كاللذاذ واللذاذة ... ويجوز أن يكون السلام جمع سلامة » . وهو وجه نكتفى بإيراده استيفاء للبحث دون الخوض فى تفصيلاته .

فنحن إذن أمام ثلاثة مذاهب للقدماء فى تفسير هذا التعاقب بين « فَعَال » و « فَعَالة » فى المصادر . المذهب الأول لسيبويه ، وفيه يرى أن الأصل « فَعَالة » بالهاء ثم حذفوا هذه الهاء تخفيفا لكثرة الاستعمال فصار المصدر على صيغة « فَعَال » بالتذكير . أما المذهبان الآخران فهما لابن قتيبة ، أحدهما : أنهما لغتان ، أى أن بعض القبائل تستعمل صيغة « فعالة » وبعضها يستعمل صيغة « فَعَال » ، والآخر : أن صيغة « فَعَال » جمع « فعالة » .

ولسنا بسبيل استقصاء البحث فى هذه التفسيرات وترجيح أحدها على الآخر ، وحسبنا أن نشير إلى أن تعاقب « فعال » و « فعالة » فى المصادر قد كان ظاهرة شائعة حتى احتاجوا إلى أن يتلمسوا لها تفسيرات مختلفة .

---

( ١ ) الكتاب ٢ : ٢٢٥

وهذه الأمثلة التي أوردوها لها نظائر كثيرة لا سبيل إلى جمعها على وجه الحصر . ولا ضرورة تدعو إلى ذلك ، فحسبنا منها نماذج تدل على أنها كثيرة متواترة . ونذكر هنا أمثالهم وبعض نظائرها الأخرى :

براءة وبراء ، جمالة وجمال ، جلالة وجلال ، جهارة وجهار[1] ، رجاحة ورجاح ، رضاعة ورضاع ، رفاعة ورفاع[2] سفالة وسفال ، سقامة وسقام ، سماحة وسماح ، سفاهة وسفاه ، سماعة وسماع ، سلامة وسلام ، شقاوة وشقاء ، شماتة وشمات ، صغارة وصغار[3] ، ضلالة وضلال ، عفافة وعفاف ، علاوة وعلاء ، كلالة وكلال ، ملاءة وملاء[4] ، لباثة ولباث ، لذاذة ولذاذ ، وثاقة ووثاق[5] ، وسامة ووسام ، وقارة ووقار . وكلها بفتح أولها .

فهل نستطيع بعد هذا كله أن نقول إن من يستعمل لفظ « حماس » في كلامه أو كتابته هو في مأمن من التخطئة ؟ وهل نستطيع أن نمضي خطوة أبعد ونقول : إن كثرة تعاقب « فَعال » و « فَعالة » وتواترهما في المصادر عند القدماء تجعلنا نحجم عن تخطئة من يستعمل صيغة « فعال » ولو لم تذكرها المعاجم وكتب اللغة واقتصرت على إيراد فَعالة ، وذلك بقيدٍ لابد منه وهو أن تكون اللفظة التي على هذه الصيغة قد كثر دورانها على اللسان وفي الكتابة في الأقطار العربية كلها حتى أصبحت من مألوف ذوق أهل العصر وشائع استعمالهم مثل لفظي : حَماس ومَران ، اللتين لم نعثر عليهما حتى الآن في كتب القدماء وشعرهم ، واقتصروا فيهما على حماسة ومرانة ؟

**ناصر الدين الأسد**
**عضو المجمع**

---

(١) لم تذكر المعاجم « جهاراً » بفتح الجيم عند الحديث عن مصدر الفعل ، وذكرته في درج الكلام عند الحديث عن قولهم : « لقيه نهارا جهارا » ضبطوا الجيم بالكسر وقالوا : وبفتح ، وفي اللسان : بكسر الجيم وفتحها وأبى ابن الأعرابي فتحها .

(٢) رفع الزرع يرفعه ( بفتح الفاء فيهما ) رفعا ورفاعة ورفاعا ( بفتح الراء فيها كلها ) : نقله من الموضع الذي يحصده فيه الى البيدر ( اللسان ) .

(٣) لم تذكر المعاجم « الصغار » عند ايراد مصادر الفعل ، وأورده ابن منظور في درج الكلام بعد صفحتين من بداية المادة ، قال : والصغار مصدر الصغير في القدر .

(٤) ملؤ الرجل يملؤ ( بفتح اللام فيهما ) ملاءة ، فهو مليء .. بين الملاء والملاءة ، ممدودان ( اللسان ) .

(٥) قال في اللسان : الوثاقة : مصدر الشيء الوثيق المحكم ، والفعل اللازم : يوثق وثاقة ، والوثاق : اسم الايثاق ، تقول : أوثقته إيثاقا ووثاقا .

# دراسات قرآنية

## حذف المقابل لما بعد "لا" النافية للمساواة

### للدكتور أحمد الحوفى

تمهيد :

كثر فى القرآن الكريم نفى المساواة بين شيئين أو أكثر بهذين الأسلوبين :

الأول : أن تتقدم أداة النفى على الفعل الدال على المساواة ، ويذكر بعده الشيئان أو الأشياء التى لا تتساوى ، كما فى قوله تعالى : « لايَسْتوِى القاعدون من المؤمنين غيرُ أُولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم[1] » .

وفى قوله سبحانه : « قل لايَسْتَوِى الخبيثُ والطيبُ ولو أعجبك كثرةُ الخبيث[2] » .

وقوله عز وجل : « وما يَسْتوى البحران : هذا عذب فراتٌ سائغٌ شرابُهُ ، وهذا مِلْحٌ أُجاج[3] » .

وقوله تعالى : « ومالكم ألاَّ تُنْفِقوا فى سبيل الله ولله ميراثُ السماواتِ والأرضِ ، لايَسْتَوِى منكم مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفتح وقاتل ، أولئك أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا مِنْ بَعْدُ وقاتلوا ، وكلاًّ وعدَ الله الحسْنَى ، والله بما تعملون خبير »[4] .

أى لايستوى ثواب الذين أنفقوا أموالهم قبل فتح مكة وقاتلوا فى سبيل الله وثواب الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، وهذا الشق محذوف يدل عليه قوله تعالى : « أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلاًّ وعدَ الله الحسنى » وقوله سبحانه : « لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون[5] » .

---

(١) سورة النساء ٩٥ (٢) سورة المائدة ١٠٠ (٣) سورة فاطر ١٢
(٤) سورة الحديد ١٠ (٥) سورة الحشر ٢٠

وقد يحل محل أداة النفى استفهام يؤدى معنى النفى ، مثل قوله تعالى : « قل هل يستوى الأعمى والبصير ؟ أم هل تستوى الظلماتُ والنور ؟ »[1] .

والثانى أن يتقدم ذكر الشيئين أو الأشياءِ المراد نفى المساواة بينها ، ويجىء نفى التسوية بعد ذلك ، مثل قوله تعالى : « أجعلتم سقاية الحاجِّ وعمارةَ المسجدِ الحرام كمن آمَنَ بالله واليومِ الآخر وجاهَدَ فى سبيل الله ؟ لا يَسْتَوون عِنْدَ اللهِ ، واللهُ لا يَهْدِى القومَ الظالمين »[2] .

ومثل قوله سبحانه : « مثل الفريقَيْنِ كالأعْمَى والأصَمِّ والبصير والسَّميع ، هل يَسْتَويان مثَلاً ؟ أفلا تذكرون »[3] .

ومثل قوله تعالى : « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ؟ لا يستوون »[4] .

وفى كلا الحالين نجد أن النفى تحقق فى هذه الآيات وأمثالها بأداة نفى واحدة.

ولا فرق بين أداة النفى والاستفهام المراد به النفى . لكن فى القرآن الكريم نفياً للمساواة بأُسلوب آخر ؛ إذْ وقعت (لا) النافية مكررة بعد عطف فى ثلاث آيات :

## ( الآية الأولى )

قال تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصيرُ ، ولا الظلماتُ ولا النورُ ، ولا الظلُّ ولا الحرورُ ، وما يستوى الأحياءُ ولا الأمواتُ ، إن الله يُسْمِعُ مَنْ يشاءُ ؛ وما أنت بِمُسْمِعٍ مَنْ فى القبور ، إنْ أنت إلا نذيرٌ »[5] .

فنفت ( ما ) فى الآية الكريمة الأولى المساواة بين اثنين متضادين هما الأعمى والبصير ، سواء أكان المراد بالعمى والبصر معناهما الحقيقى أم المراد المعنى المجازى لكل منهما وهو الكفر والإيمان ، وهذا النفى جاء على الأسلوب المعهود .

لكن النفى جاء بعد ذلك فى أسلوب آخر « ولا الظلماتُ ولا النورُ » و« ولا الظل

(١) سورة الرعد ١٦
(٢) سورة التوبة ١٩
(٣) سورة هود ٢٤
(٤) سورة السجدة ١٨
(٥) سورة فاطر ١٩ - ٢٣

ولا الحرورُ » و « وما يستوى الأحياء ولا الأموات » .

فلماذا جاءت ( لا ) مكررة بعدالظلمات ، وبعد الظل ، وبعد الأحياء ؟ .

لقد تتبعت ماذكره بعض المفسرين ، وآثرت أن أثبته مرتباً ترتيباً زمنياً ، ثم أتـأمله ، لعلنى أرجح بعضه ، أو لعلنى أعرض رأيا آخر .

١ ـ ذكر ابن جرير الطبرى (٣١٠هـ) رأيين :

أولهما أن بعض نحاة البصرة ذهبوا إلى أن ( لا ) تشبه أن تكون زائدة ، لأنك لوقلت : لايستوى عمروولازيدفى هذا المعنى لم يجز إلا أن تكون ( لا ) زائدة .

والثانى أن غيرهم قال : إذا لم تدخل ( لا ) مع الواو فإنما لم تدخل اكتفاءً بدخولها فى أول الكلام ، فإذا دخلت فإنه يراد بالكلام أن كل واحد منهما لايساوى صاحبه ، فمعنى الكلام إذا أُعيدت (لا) مع الواو عند صاحب هذا القول :لايساوى الأعمى البصير ، ولا يساوى البصير الأعمى ، فكل واحد منهما لايساوى صاحبه[1] .

٢ ـ وذكر الزمخشرى ( ٥٣٨ هـ ) أن (لا ) لتأكيد معنى النفى[2] .

٣ ـ ونقل القرطبى ( ٦٧١ هـ ) عن الأخفش سعيد أن (لا) زائدة ، والمعنى ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور[3] .

٤ ـ وقال النيسابورى ( ٧٢٨ هـ )إن (لا ) كررت فى الأمثال الأخيرة دون الأول ، لأن المنافاة بين العمى والبصر ليست ذاتية كما فى سائرها ، وقديكون شخص واحد بصيرا بإحدى العينين أعمى بالأخرى[4] .

---

(١) تفسير الطبرى ٨٥/٢٢

(٢) الكشاف ٢٧٣/٣

(٣) تفسير القرطبى ٣٣٩/١٤

(٤) تفسير النيسابورى على هامش الطبرى ٢٢ / ٨٤ وقال : قدم الأشرف فى مثلين وهو الظل والحى ، وأخر فى الآخرين ، فذهب أهل الظاهر الى أن ذلك لرعاية الفواصل ، وذهب المحققون الى أنهم كانوا قبل البعث فى ظلمة الضلال فصاروا الى نور الإيمان فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم ، فلهذا الترتيب قدم مثل الكافر وكفره على مثل المؤمن وإيمانه . ولما ذكر المآل والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لأن رحمته سبقت غضبه . ثم إن الكافر المصر بعد البعثة صار أضل من الأعمى وشابه الأموات فى عدم إدراك الحق ، فقال « وما يستوى الأحياء » أى المؤمن الذى آمن بما أنزل الله « والأموات » الذين تليت عليهم الآيات ولم تنجع فيهم البينات ، فأخرهم عن المؤمنين لوجود حياتهم قبل ممات الكافرين المعاندين

٥ – وذهب أبوحيان الأندلسى (٧٥٤هـ) إلى أن ( لا ) زائدة لتأكيد النفى ، وحكى عن ابن عطية أن دخولها يفيد التكرار ، كأنه قال : وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور ، ولا النور والظلمات ، ولا الظل والحرور ، ولا الحرور والظل ، وما يستوى الأحياء والأموات ولا الأموات والأحياء ، فاستغنى بذكر الأوائل عن الثوانى ودل مذكور الكلام على متروكه .

ثم رد أبوحيان على هذا الرأى بقوله : وماذكر غير محتاج إلى تقديره ، لأنه إذا نفى استواء الظلمات والنور فأى فائدة فى تقدير نفى استوائهما ثانياً وادعاء محذوفين[1] ؟

٦ – أما ابن كثير ( ٧٧٤ هـ ) فإنه لم يعرض للحرف (لا)[2] .

٧ – وأما الزركشى ( ٧٩٤ هـ ) فإنه نقل عن ابن عطية أن (لا) دخلت على نية التكرار ، كما سبق فيما نقله عنه أبوحيان الأندلسى[3] .

٨ – ثم كتب فضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج بحثاً قيما مفصلا أثبت فيه أن النفى فى هذه الآيات مسلط على الأفراد نفسها ، لأن الظمات الحقيقية الحسية متعددة متفاوتة قوة وضعفاوشدة وخفة ، وكذلك الظلمات المعنوية التى جعلت تلك تمثيلا لها وهى الضلالات ، فهى أنواع متفاوتة أيضاً ، وكل من النور الحسى المعهود والمعنوى الذى هو الهداية والرشاد له أفراد متفاوتة قوة وضعفا .

---

= ووحد الأعمى والبصير لأن المراد أن أحد الجنسين لا يساوى جنس الآخر من جهة العمى والبصر ، ولعل فردا من أحدهما قد يساوى الفرد الآخر من جهة أخرى .

وكثر الكلام فى اقرار الظل والحرور ، وإنما جمع الظلمات ووحد النور ، لأن الحق واحد والشبهات كثيرة ، وإنما جمع الأحياء والأموات ، لأن المراد أن أحد الصنفين لا يساوى الآخر ، سواء قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد

(١) البحر المحيط ٣٠٨/٧

(٢) تفسير ابن كثير ٥٥٢/٣

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١٢٣/٣ و ٣٥٧/٤

ومثل هذا يقال في الظل والحرور ، فهما مختلفان حسياً شدة وخفة ، أي أن لكل منهما أفرادا متفاوتة في ذلك . وقد قال العلماء إن المقصود بهما في الآية الإشارة إلى المصير الأخروي ومايلقاه الإنسان فيه من الجزاء ، فهما تمثيل للثواب والعقاب ، وكل من الثواب والعقاب درجات متفاوتة تفاوتاً عظيما .

وكذلك الحال في الأحياء والأموات وما جعل الأحياء والأموات تمثيلا لهم وهم المؤمنون والكفار ، كل منهم ذو مراتب ودرجات . وإذا كان ذلك كذلك أمكن أن يحمل نفي الاستواء في كل واحد من هذه المذكورات على أنه نفي استوائه في نفسه ، أي نفي تساوي أفراده ذاتها ، ويكون هذا أولى وأرجح مماقيل من زيادة ( لا ) لأنه يحفظ أصالتها ، ويوفر عليها معناها[1] .

## تعقيب

١ - هكذا تبين أن الآراء السابقة تدور في عدة اتجاهات : لأن ( لا ) إما زائدة أوشبه زائدة ، وإما لتأكيد النفي ، وإما أصيلة والنفي منصب على كل كلمة بعدها لأن الظلمات درجات ولأن النور درجات ، وإما أصيلة تؤدي معنى مفهوما من السياق ولكن ما بعدها محذوف دل عليـــه المذكور .

فأما القول بزيادتها أوشبه زيادتها فإنه مرفوض ، لأن القرآن الكريم وهو ذروة البلاغة أسمى من أن يقع فيه حرف مزيد أو كلمة مقحمة .

فإن قيل إن الزيادة لغرض بلاغي كان هذا القول دليلا على الأصالة واستبعادا للزيادة ، لأن الغرض البلاغي لا يتم بغير ماقيل إنه مزيد .

وأما القول بأنها لتوكيد النفي فإنه مردود بأن هذا التوكيد لم يجيء في نفي المساواة بين الأعمى والبصير . فلماذا جاء في نفي المساواة بين ما بعدهما ؟ ولو أنها مكررة لتوكيد النفي لوافق جميع المفسرين على هذا .

وأما الحكم بأنها أصيلة جاءت لنفي المساواة بين ماتدل عليه كل كلمة بعدها من درجات ودركات فإنني أرى أنه لا يلائم الغرض من الآيات الكريمة ،

(١) البحوث والمحاضرات لدورة المجمع اللغوي الثالثة والثلاثين ٨٣ .

لأنها تمدح الإيمان وترغب فيه وتشوق إليه، وتذم الكفر وتنفر منه وتحذر من عواقبه بتمثيل حسى لاشك فيه هو أن البصير والأعمى لايتساويان، وأن النور والظلام متناقضان، وأن الظل والحر متضادان. وأن الحي والميت متباينان، فكذلك الإيمان والكفر. ومعنى هذا أنه ليس المراد من الآيات الكريمة أن النور درجات وأن الظلام دركات، ولا أن الظل طبقات وأن الحر طبقات، ولا أن الأحياء أصناف وأن الموتى أصناف، لأن هذا معناه أن المؤمنين ذوو درجات وأن الكفار أصحاب دركات، وهذا حق، لكنه لايفيد فى هذا المقام مقام الترغيب فى الإيمان وبيان آثاره الطيبة الحميدة والتنفير من الكفر وتبيان جرائره الخبيثة.

وإذا كان المؤمنون أصحاب درجات عالية تناسب إيمانهم بالله وطاعتهم له، فإن الكفار لايدينون بأنهم أصحاب دركات تناسب كفرهم وأعمالهم، ولو أنهم آمنوا بهذا فإن إيمانهم به مقطوع عن التفرقة المحسوسة بين هداية الإيمان وضلال الكفر التى مثلتها الآيات الكريمة بأربعة أمثلة لايمترى أحد فى الإقرار بتباينها.

٢ - وكنت قد فكرت طويلا فى هذا الأسلوب، فسنح لى رأى استرحت إليه فلما تتبعت آراء المفسرين وجدت ابن عطية قد أشار إلى هذا الرأى[١]، فازددت به اقتناعا وهو أن - والله أعلم - فى الكلام محذوفا دل عليه السياق، والكلام بغير حذف هو: وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور، ولا النور والظلمات، ولا الظل والحرور، ولا الحرور والظل، وما يستوى الأحياء والأموات، ولا الأموات والأحياء.

ومن عجب أن رأى ابن عطية ظل مجهولا أو مغمورا هذا الزمان الطويل.

وقد يبدو هنا سؤال هو: إذا كانت المساواة بين الظلمات والنور قد نفيت فلماذا كرر هذا النفى بين النور والظلمات؟

وإذا كان نفى المساواة بين الظل والحرور قد وقع فلماذا كرر هذا النفى بين الحرور والظل؟

(١) كما ذكر أبو حيان الأندلسى فى رقم (٥) والزركشى فى كتابه البرهان ١٢٣/٣

وإذا كان نفى المساواة بين الأحياء والأموات قد حدث ، فلماذا كرر النفى بين الأموات والأحياء ؟

أليس فى النفى الأول ما يغنى عن الثانى ؟

والجواب عن هذا أن المراد بنفى المساواة بين الظلمات والنور كما فى فى الآية الكريمة هو الدلالة على أن الظلام لايستطيع أن يتسامى إلى النور فى إشراقه وهدايته وجماله ونفعه وارتياح النفوس له وشوقها إليه ، ومن هذا يتبين أن وجه الشبه مقصور على النور .

أما نفى المساواة المقدر بين النور والظلمات فإن المراد منه أن النور لايمكن أن يهبط إلى ما يتصف به الظلام من قتام وتضليل ووحشة ومجلبة للضيق والكآبة والحيرة والمعاطب ، فوجه الشبه هنا مقصور على الظلام .

كذلك لايمكن أن يهبط الظل إلى درك الحر اللافح الخانق الداعى إلى الضجر والضيق والسقم ، فوجه الشبه هنا مقصور على الحر ، ولا يمكن أن يسمو الحر إلى مقام الظل البارد المنعش الشارح للصدور الملائم للحياة الطيبة والعمل المثمر ، فوجه الشبه هنا مقصور على الظل . وكذلك لايتنزل الحى إلى أن يساوى الميت فى فقدانه للحياة ومخافة الناس من جثته ومسارعتهم إلى دفنه ، فوجه الشبه هنا مقصور على الميت ، ولا يستطيع الميت أن يشبه الحى المتحرك النامى المستمتع بمظاهر الشعور كلها ، أى أن وجه الشبه مقصور على الحى .

ومن هذا كله يتبين أن الإيمان والكفر متباينان أشد التباين ، فلا المؤمنون يشبهون الكفار فى جحودهم لربهم وفى ضلالهم وفى معصيتهم لخالقهم وفى غضبه عليهم وفى عقابهم المتوقع ، ولا الكفار يشبهون المؤمنين فى إيمانهم بربهم وفى اهتدائهم لطاعته وفى رضوانه عليهم وفى ثوابهم المأمول .

والغرض من هذا توكيد المخالفة وزيادة توضيح المباينة كما نقول : ليس الناجح كالراسب ولا الراسب كالناجح ، ونحن نريد أن الناجح لا يشبه الراسب فى إخفاقه وحسرته ، وأن الراسب لايشبه الناجح فى ظفره وبهجته .

والحذف هنا ضرب من البلاغة القرآنية التى تستغنى بالمذكور عن المحذوف المفهوم .

وقد يسترعي الانتباه أن الآيات الكريمة نفت مساواة الأدنى للأعلى فى حالتين هما العمى والبصر والظلام والنور ، ونفت مساواة الأعلى للأدنى فى حالتين هما الظل بالحرور ، والحياة والموت .

وحينما نقدر المحذوف يتقدم الأدنى تارة ويتقدم الأعلى تارة ، والغرض من التكرير بتقديم الأدنى مرة وتقديم الأعلى مرة توكيد المنافاة ، وإبطال المشابهة على أى وجه من الوجوه ، سواء أتقدم الأعلى أم تقدم الأدنى .

ولاشك أن الأسلوب الشائع فى القرآن الكريم وفى غيره يجرى على نفى مشابهة الناقص للكامل ، ولكن بعض الآيات الكريمة جاءت لتنفى عن الكامل شبهه بالناقص ، مثل قوله تعالى : « إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرتُ لك ما فى بطنى مُحَرَّرا ، فتقبلْ منى إنك أنت السميع العليم . فلما وَضَعَتْهَا قالت رب إنى وضعتها أُنثى والله أعلم بما وَضَعَت ، وليس الذكر كالأُنثى ، وإنى سميتها مريم وإنى أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم [1] » .

فتحسرت لأن أملها فى أن يكون مافى بطنها ذكرا أخفق ، إذ كانت نذرته محررا لسدانة المسجد الأقصى ، وعبرت عن حسرتها بأنها وضعت أُنثى ، وبأن الذكر فى قوته وجلده على العبادة وقدرته على خدمة البيت ليس كالأُنثى فى ضعفها ولينها وقلة احتمالها ، وكان المعهود أن تقول : وليست الأُنثى مثل الذكر .

ومثل قوله سبحانه : « يا نساء النبي لستُنَّ كأحد من النساء إن اتَّقيتُنَّ فلا تَخْضَعْن بالقول فيطمَع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا [2] » .

جاءت الآية الكريمة على هذا النسق ، ولم تجىء هكذا : ليس أحد من النساء مثلكن .

أى أنكن يا نساء النبي لستن فى شرف مكانتكن وعلاء قدركن ونظرة المسلمين والمسلمات إليكن مثل النسوة الأُخريات فى مكانتهن العادية وافتقارهن إلى

(١) سورة آل عمران ٣٥/٣٦
(٢) سورة الأحزاب ٣٢

فضلكن وسابقتكن وصلتكن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكذلك قوله تعالى : « أفمن يخْلُق كمن لا يَخْلُق أفلا تَذَكَّرون[1] » فقدم الأعلى فى نفى المشابهة ، لأن المراد هل يستوى الله تعالى وهو الخالق القوى القادر بآلهة تعبدونها وهى مصنوعة مخلوقة عاجزة عن الخلق وعن النفع والضر ؟

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : « أفمن اتَّبع رضوانَ الله كمن باءَ بسَخَط من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير[2] » .

أى هل يستوى من آمن بالله وأطاعه واستحق ثوابه ورضاه بمن كفر بالله وعصاه واستحق سخطه وعقابه ؟

وقوله تعالى : « أفمن وعدناه وَعْدًا حَسَناً فهو لاقيه كمن مَتَّعْنَاه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحْضَرين[3] » .

أى هل يستوى من وعدناه ثوابنا الحق فيلقاه ومن عصانا فغضبنا عليه واغتر بنعيم الحياة الدنيا ، وهو فى القيامة من أصحاب النار .

وقوله سبحانه وتعالى : « أفمن كان مؤْمناً كمن كان فاسقاً ؟ لايستوون[4] »

وقوله عز وجل : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ؟أم نجعل المتقين كالفُجَّار ؟[5] »

ففى هذه الآيات الكريمة نفى المساواة أو المشابهة بين الأدنى والأعلى مع تقديم الأعلى فى الذكر .

ولهذا الأسلوب نظائر فى الشعر القديم ، منها قول المرقش الأكبر :

لسنا كأقــوام مطاعِمُهُمْ
كَسْبُ الخَنا ونَهْكَةُ المَحْرَمْ[6]

فنفى عن الأعلين الذين يتعففون فى كسب المال شبههم بالأدنين الذين يسلكون إلى كسب المال أى طريق . وكان الأسلوب الشائع أن يقول ليس أصحاب الفساد وانتهاك الحرم مثلنا . ومنها قول معن بن أوس فى شكواه من ابن عمه :

(١) سورة النحل ١٧
(٢) سورة آل عمران ١٦٢
(٣) سورة القصص ٦١
(٤) سورة السجدة ١٨
(٥) سورة ص ٢٨
(٦) المفضليات ٢/٤٠ الخنا : الفساد . نهكة المحرم : انتهاك الحرم أى لا نهجو الناس ليعطونا

ويسعى إذا أبني ليهدم صالحي

وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم

وكان المتوقع أن يقول وليس الذى يهدم كالذى يبنى ، ولكنه أراد بهذا الأسلوب أن الذى يبنى مجد القبيلة يتصف بالنفع والغيرة والإصلاح والإيثار والشرف فلا يشبهه الذى يهدم مجد القبيلة ، لأنه يتصف بالتخريب والتدمير والحمق والفساد والدمار .

وقول النجاشي فى رده على قصيدة كعب بن جُعيْل :

جعلتم عليًّا وأشياعه

نظير ابن هند أما تستحونا ؟

فهو يلوم الشاميين على أنهم هبطوا بمكانة على بن أبي طالب إلى منزلة معاوية ابن أبي سفيان ، ولم يقل إنهم ارتفعوا بمعاوية إلى مقام على .

( الآية الثانية )

قال سبحانه وتعالى : « ومايستوى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا المسىءُ ، قليلاً ما تتذكَّرون [١] » .

فماذا قالوا فى ( لا ) هنا ؟

١ ـ اكتفى الطبرى بتفسير الآية الكريمة ، وجاء فى تفسيره قوله : لا يستوى المؤمنون بالله ورسوله المطيعون لربهم ولا المسىء، وهو الكافر بربه ، العاصى له ، المخالف لأمره [٢] .

ولم يذكر شيئا عن ( لا ) فى هذه الآية .

٢ ـ وصنع الزمخشرى صنيعه. [٣]

٣ ـ وكذلك صنع القرطبي [٤] .

٤ ـ أما النسفى (٧٠١هـ) فقال إنها زائدة [٥]

٥ ـ وأما النيسابورى فلم يذكر شيئا [٦] .

٦ ـ وأما أبو حيان الأندلسى فقال إنها كررت لتوكيد النفى ، لأن جملة الصلة وماعطف عليها طالت [٧] .

٧ ـ وأما ابن كثيرفلم يذكرشيئا [٨] .

---

(١) سورة غافر ٥٨

(٢) تفسير الطبرى ٥١/٢٤

(٣) الكشاف ٣٧٥/٣

(٤) تفسير القرطبى ٣٢٥/١٥

(٥) تفسير النسفى ٢٥٧/٢٤

(٦) على هامش الطبرى ٥٢/٢٤

(٧) البحر المحيط ٤٧٢/٧

(٨) تفسير ابن كثير ٨٥/٤

٨ ـ وأما أبو السعود (٩٨٢هـ) فقال مثل أبي حيان ، وزاد عليه أن المقصود نفي مساواة المسيء للمحسن فيما له من الفضل والكرامة ، وقال : هذا الرأي الثاني هو الصواب ، لأن (لا) هنا أصيلة دلت على أن المسيء لا يساوي المحسن بعد أن فهم من الآية نفسها أن المحسن لايساوي المسيء ، لأن التقدير في ( الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات[1] .

٩ ـ ثم ذهب فضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج إلى مثل رأيه السابق وهو أن المراد نفي استواء المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنفسهم ، لأن أفرادهم كثيرون متفاوتون في قوة الإيمان والعمل الصالح . ثم إن المقابل الذي هو المسيء في العقيدة والعمل له أفراد كثيرون أيضا متفاوتون في درجات هذه الإساءة ، فأريد نفي المساواة فيما بينهم بقوله سبحانه « ولاالمسيء » .ولاشك أن مجموع هذا وذاك يلزمه انتفاء المساواة بين المحسنين في العقيدة والعمل والمسيئين فيهما ، فإنه إذا ثبت أن النوع الواحد قد انتفت المساواة فيه نفسه،أي انتفى التساوي بين أفراده فإنه يلزم انتفاء المساواة بين النوعين أوبين أفراد النوعين بالطريق الأولى وهذه نتيجة لايمكن الوصول إليها مع زيادة (لا)[2]

## تعقيب

١ ـ هكذا مر بعض المفسرين بالآية مرورا لاذكر فيه للحرف (لا) وذهب آخرون إلى مثل ماذهبوا إليه في الآية السابقة .

والتعقيب هنا لايختلف عن التعقيب هناك[3] .

٢ ـ والذي أرجحه ـ والله أعلم ـ أن في الكلام حذفا يدل عليه السياق ، وبغير الحذف يكون التعبير هكذا : ومايستوي الذين آمنوا وعملوا الصالحات والذين كفروا وعملوا السيئات ، ولا

(١) تفسير أبي السعود ٦٣١/٧
(٢) البحوث والمحاضرات لدورة المجمع اللغوي الثالثة والثلاثين ٨٧
(٣) نفي التساوي بين أفراد ما بعدها لا يحقق الغرض من الآية وهو نفي المشابهة بين المؤمنين والكفار .

الذين كفروا وعملوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات .

أى أن المؤمنين لايشبهون الكفار فى ضلالهم وفساد عقائدهم وسوء أعمالهم والعذاب المعدّ لهم ، فوجه الشبه هنا خاص بالكفار ، وكذلك لايشبه الكفار المؤمنين فى اهتدائهم وصواب عقائدهم وطيب أعمالهم واستحقاقهم ثواب الله المعدلهم ، فوجه الشبه هنا خاص بالمؤمنين ، كما تبين فى الآيات السابقة .

ومن هذا يتضح أن فى الآية محذوفا دل عليه الكلام الباقى وأغنى عنه ، وقد تقدم التفصيل والتدليل والتعليل فى الآية السابقة

## ( الآية الثالثة )

قال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفعْ بالتى هى أحْسَنُ ، فإذا الذى بينك وبينه عداوةٌ كأنّه ولىٌّ حميم . وما يُلَقَّاها إلا الذين صَبَرُوا ، وما يُلَقَّاها إلا ذو حظٍّ عظيم »[١] .

١ ـ قال الطبرى إن ( لا ) مكررة ، والمعنى ولا تستوى الحسنة والسيئة ، لأن كل ماكان غير مساو شيئا فالشىء الآخر غير مساويه ، كما أن كل ماكان مساويا لشئ فذلك الشئ مساو له ، فيقال فلان مساو فلانا وفلان له مساوٍ ، فكذلك فلان ليس مساويا لفلان ولا فلان مساويا له ، فلذلك كررت ( لا ) مع السيئة ولو لم تكن مكررة معها كان الكلام صحيحا .

وقد كان بعض نحويى البصرة يقول: يجوز أن يقال ( لا ) الثانية زائدة توكيدا ، كما فى قوله تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شئ من فضل الله »[٢] أى لأن يعلم أهل الكتاب ، وكما قال تعالى : « لا أُقسم بيوم القيامة ولا أُقسم بالنفس اللوامة »[٣] .

وكان بعضهم ينكر قوله هذا فى « لئلا يعلم أهل الكتاب » وفى قوله « لا أقسم بيوم القيامة »[٤] .

٢ ـ وقال الزمخشرى إن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما ، فخذ

(١) سورة فصلت : ٣٤ ، ٣٥
(٣) سورة القيامة ١ ـ ٢
(٢) سورة الحديد : ٢٩
(٤) تفسير الطبرى ٢٤/٧٤

بالحسنة التى هى أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان ، فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك . ومثال ذلك رجل أساء إليك إساءة ، فالحسنة أن تعفو عنه ، والتى هى أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك ، مثل أن يذمك فتمدحه ، ويقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه ، فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك .

وقيل ( لا ) مزيدة ، والمعنى ولاتستوى الحسنة والسيئة[(١)] .

٣ – وقال القرطبى نقلا عن الفراء إن ( لا ) صلة ، أى لاتستوى الحسنة والسيئة ، وأنشد :

ماكان يَرْضَى رسول الله فعلهم
أو الطيبان أبو بكر ولا عمر

أراد (أبو بكر وعمر) أى لايستوى ماأنت عليه من التوحيد وما عليه المشركون من الشرك[(٢)] .

٤ – وذكر النيسابورى أن ( لا ) زائدة لتوكيد نفى الا ستواء ، والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة قط ، ومثالهما الإيمان والشرك ، والحلم والغضب ، والطاعة والمعصية ، واللطف والعنف[(٣)] .

٥ – وذكر أبوحيان الأندلسى رأيين : أحدهما أن ( لا ) زائدة والآخر أنها أصيلة ، لأن الحسنة جنس والسيئة جنس ، فالمعنى إذن ولا تستوى الحسنات لأنها متفاوتة فى أنفسها . ولا السيئات لأنها متفاوتة أيضا[(٤)] .

٦ – أما ابن كثير فلم يذكر شيئا[(٥)]

٧ – وأما الزركشى فقال إن ( لا ) تزاد مع الواو بعد النفى ، كما فى هذه الآية ، لأن استوى من الأفعال التى تطلب اسمين ، أى لاتليق بفاعل واحد ، نحو اختصم ، فعلم أن (لا ) زائدة .

وقيل إنها دخلت فى السيئة لتحقق أنه لا تساوى الحسنة السيئة ولا السيئة الحسنة . وقال إنهاليست زائدة عندمن قال إن جنس الحسنة لا يستوى أفراده ،

(١) الكشاف ٣/٣٩٢ يتفق الرأى الأول ورأى فضيلة الدكتورعبد الرحمن تاج
(٢) تفسير القرطبى ١٥/٣٦١
(٣) على هامش الطبرى ٢٥/١٠ .
(٤) البحر المحيط ٧/٤٩٨
(٥) تفسير ابن كثير ٤/١٠٠ .

وجنس السيئة لا يستوى أفراده ، وهو الظاهر من سياق الآية ، فليست زائدة ، والواو عطفت جملة على جملة [1].

٨ - وارتضى فضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج ما ارتضاه فى الآيتين السابقتين وهو أن المقصود نفى استواء أفراد الحسنة نفسها ، ثم نفى استواء السيئة كذلك ، فإن لكل من أفراد الحسنة والسيئة أفرادا متفاوتة فى القوة والأثر .

وإذا كان الأمر كذلك ثبت بطريق الأولى عدم التساوى بين الحسنة والسيئة [2].

## تعقيب

١ - تبين أن الآراء التى قيلت هنا لاتختلف عما قيل فى الموضعين السابقين ، فلا مدعاة للمناقشة ، لأن المناقشة السابقة تغنى .

وإذا كان من الحق أن الحسنات متفاوتة القدر والأثر والمثوبة ، وأن السيئات مختلفة الجرم والضرر والعقوبة ، ولهذا جاءت (لا) أصيلة لنفى المساواة بين أفراد ما بعدها ، إذا كان هذا حقـا فإنه لا يناسب ما تتوخاه الآية الكريمة من تبيين الفرق الجسيم بين الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح ، وبين الإحسان والإساءة ، تمهيدا للأمر بالحلم والصبر والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة ، لأن هذه المقابلة تستل سخائم النفوس ، وتلين القلوب ، تغرس المودة ، وتوثق صلة الفرد بالفرد وصلة المجموع بالمجموع .

٢ - فأرجح - والله أعلم - أن فى الكلام محذوفا ، لأن أصله ولاتستوى الحسنة والسيئة ولا السيئة والحسنة ، أى لا تستوى الحسنة والسيئة فى شرور السيئة وأذاها وإشعالها للضغن والعداء والانتقام ، ولا تستوى السيئة والحسنة فى محامد الحسنة وطيب آثارها وتأليفها قلوب الأفراد والجماعات.

ولا شك أن التعبير بهذه الصورة يتضمن أيضا توكيدا لنفى التساوى بين الحسنة والسيئة ، سواء أكان المقصود محامد الحسنة أم مخازى السيئة أم بيان الفروق العظيمة بينهما كما ، سبق فى الآيات الأولى .

**أحمد الحوفى**
**عضو المجمع**

(١) البرهان فى علوم القرآن ٣/٧٨ و ٤/٣٥٧

(٢) البحوث والمحاضرات الدورة الثالثة والثلاثين ٨١

# اللغة العربية
## مكانتها القومية والعالمية في القديم والحديث
للأستاذ محمد شوقي أمين

١ — مفهوم « القومية » أشبه بالطيف الشمسي يتكون من حزمة من الألوان ، لكنه يتجمع فى بلورة ليبعث شعاعه الألاق . ومهما يكن من تخالف المفاهيم للقومية ، ومهما يكن من تعدد مقوماتها من وحدة أرض أو لغة أو تاريخ أو مصالح مشتركة أو هتافات روحية ، فليس من شك فى أن هذه المقومات تلتقى عند الشعور الجماعى بالانتماء ، والتقدير المشترك للذكريات ، والتجاوب الذهنى والوجدانى فى المجالات الحيوية على تنوعها من اجتماعية وثقافية واقتصادية ودينية .

ولا يغالى من يقول بأن « اللغة » هى الأساس فى ذلك كله ، إذ هى وسيلة التفاهم الفكرى ، وأداة التعاطف الروحى ، فالشعور الموحد مدين أعظم الدين للاشتراك اللغوى فى عمقه وشموله .

وليس المقصود باللغة مدلولها السطحى فى أنها مجرد وصلة للتعبير عن الأفكار ، ورمز لما يخالج الأفئدة ، بل هى تيار يمازج العقل والنفس ، وطاقة تتولد بها الألفة الوثقى بين الناس بعضهم وبعض . فتجعلهم على صعيد رحيب يسوده جو نقى ، يتبادلون به الآراء والعواطف والأحاسيس ومظاهر السلوك الاجتماعى العام .

ونحن إذا تأملنا مدلول « القومية » العربية » التى نعبر عنها فى الغالب بكلمة واحدة . هى « العروبة » ، تبين لنا أنها لا تعنى مجرد جنس أو نسب أو عقيدة ، ولا مجرد علاقات من وحدة الأرض أو ذكريات التاريخ ، ولكنها تعنى دلالة صريحة جهيرة على معنى بارز موسع من المشاركة الجماعية فى كيان متميز ، يسطع فيه لألاء اللغة العربية بكل ما فيها من سحر وجاذبية ، وبكل ما تحتويه من زاد ثقافى وفكرى وروحى .

٢ — ومكانة « اللغة العربية » قوميا يرجع بها التاريخ إلى ما اصطلحنا على تسميته « العصر الجاهلى » . ففى هذا العصر كان للعرب فى جملتهم لغتهم التى وحدت شعورهم بكيانهم وتميزهم . فبنوا عليها دعائم قوميتهم . وقد غلبت هذه « اللغة المشتركة » على شبه الجزيرة العربية ، وعبرت عن

مرافق حياتها ، وسجلت ألوان نشاطها الاجتماعي والأدبي في نماذج رفيعة من شعر وخطب ، ومن رسائل ووصايا ، ومن قصص وأمثال .

وإن « معجم اللغة العربية » في ذلك العصر المسمى بالجاهلي ليحفل بما ينم عن معارف في زراعة وملاحة ، وفي جغرافية وتاريخ ، وفي فلك ورياضة . كما أنه يدلنا على إبداع عقلي ، وترف ذهني ، وتفوق في التصور والتخيل ، وسمو في المثل والأهداف . ومابالنا نحيل على معجم للغة العصر الجاهلي ، لم يعن بوضعه أحد بعد ، وبين أيدينا معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وماألفاظه في مجموعها إلا نخبة طيبة موثقة من لغة ذلك العصر الذي نعنيه ،وهي مرآة صافية صادقة الدلالة على أن صوت السماء القدسي إنما نزل بلغة اكتسبت بالشيوع والشمول صفة « القومية» واكتملت لها بالازدهار والنضج مزية الإبانة والإفصاح .

٣ — وإن نمو اللغة العربية ونضجها من حيث الأصوات والصيغ ونظام الجمل ، وقوميتها من حيث الشيوع و الشمول في البيئة الحضرية من ذلك العصر المعروف بالجاهلي ، هو الذي هيألها أن تستقبل الوثبة الكبرى بعد ظهور الإسلام ، فعاشت حياتها المديدة تتفاعل وتتطور ، وتختزن عناصر من القوة والفراهة ، حتى نهضت بتبعاتها الحضارية مع التقدم الإنساني المطرد ،

وظلت على اتساع مناطقها لغة مشتركة بين من تظلهم « القومية العربية » ، محافظة على وحدتها ، متغلغلة في مجموعات من الأمم والشعوب ، حريصة على تحقيق التوازن بين ضرورات التطور والتغيير ومقومات البقاء والصمود . فأتيح لها أن تستوعب ماستوعبت ، مفسحة صدرها لتراث الإنسانية ومعارفها ، وهضمت كل ماقدم إليها ، وقاومت مايعوق انطلاقها .

وبهذا جمعت اللغة العربية بين كونها « لغة قومية » وكونها « لغة عالمية » في آن .فهي « بقوميتها » لسان شعور متوحد مشترك ، وترجمان كيان بارز متميز ، وهي بإحاطتها برقعة كبيرة من المعمورة وجملة وافرة من الأمم والشعوب تمثل «لغة عالمية»بأوفى ماتحتمل الكلمة من معنى [(١)].

٤ — وقد أعان « اللغة العربية » على ذلك أنها ظفرت باكتساب قدسية التعبير عن وحي السماء ، في كتاب الله المبين ، فأضفى عليها من جلاله ونفخ فيها من سلطانه ، ومن ثم كانت لغة للدين كما هي لغة للدنيا ، وانتشرت في الأصقاع مشرقة ومغربة ، تدرس في أصبهان وشيراز ، كما تدرس في دمشق وبغداد ، وينبغ فيها كتاب وشعراء في قرطبة والحمراء ، كما ينبغون في القاهرة والقيروان ، وبذلك تمت لها الهيمنة من أواسط الهند شرقا إلى جبل طارق غربا ، ومن البحر الأسود شمالا إلى المحيط الهندي جنوبا . وهي

(١) من أوفى ماكتب في اللغة العربية ومكانتها القومية والعالمية ما جاء في مؤلف الدكتور إبرهيم أنيس « اللغة بين القومية والعالمية » وقد اعتمده الكاتب في عدة مواضع .

بذلك أسبق لغة عالمية ، إذ تجلت حقيقتها قبل أن يعرض المحدثون لفكرة اللغة العالمية أو يحددوا معالمها .

٥ — وبوساطة « اللغة العربية » عرفت الأمة العربية فى محيطها الواسع : طب أبقراط ، وفلك بطلميوس ، وهندسة إقليدس ، وفلسفة أرسطو ، وسائر علوم إغريقا والإسكندرية ، ومعارف الهند والفرس والسوريان والقبط . ولولا أن اللغة العربية نقلت بلسانها تلك الذخائر على أقلام الأعلام فى بيت الحكمة ودار العلم وغيرهما من معاهد الترجمة والدرس ، لتأخرت المدنية الإنسانية قرونا . فحضارة البشر مدينة للغة العربية بنهضتها الأوربية الحديثة . ولو تصورنا أن هذه اللغة الحية لم تحافظ على التراث العلمى الحضارى ولم يتح لها تنميته والإبداع فيه على هذا النحو لجاز لنا أن نتصور الإنسانية وهى تبدأ رحلتها العلمية الحضارية من أول الطريق .

إن اللغة العربية لم تعدم من منصفى المؤرخين الأجانب من يقول إنه كان لابد من ظهور ابن الهيثم والبيرونى والكندى لكى يظهر جاليلو وكبلر وكوبرنيق . ولولا ماأصاب البلاد العربية من محنتها بالمغول والتتار ومن حبسوا الانطلاق العربى فى قماقم العبودية والجمود ، لكانت النهضة التى سجلها التاريخ الحديث لأوربا من حظ الأمة العربية بلغتها القومية العالمية ، تتقدم بها الركب الحضارى إلى أمام . وعلى الرغم من ذلك فإن ضمير التاريخ ، لا يستطيع أن يجحد فضل تلك اللغة التى دونت كنوز العرفان وحملتها أمانة إلى من تلقوها بشيرا بالفجر الجديد .

٦ — فى تلك العصور التى ازدهرت فيها البلاد العربية بالمعرفة الإنسانية ، استطاعت اللغة العربية أن تواتى العلماء بحاجاتهم من التعبير العلمى الصحيح ، ومكنتهم من أن يستخدموا فصاحة اللغة وطواعيتها لخلق أسلوب علمى قويم ، تتوافر له دقة وعمق وسلامة . وهذه هى مؤلفات ابن سينا وابن الهيثم والبيرونى والخوارزمى والرازى وغيرهم تشهد بما وفقوا فيه من تجلية الحقائق العلمية النظرية والتجريبية فى مختلف ضروب المعرفة ، مستعينين بما ابتدعوا من مصطلحات ومواضعات أصيلة بلسان عربى مبين .

وإن استجابة اللغة للمطالب العلمية والاجتماعية والحضارية بوجه عام ، لهى برهان ما تميزت به من سعة وغنى ومرانة ، فى مادتها الغزيرة وأقيستها المتنوعة . وفى طرائقها للوضع والاشتقاق من الألفاظ والتراكيب ، وفى أدواتها ووسائطها لتأدية ألوان المعانى والدلالات — عون وثيق لمن ينشد عندها التعبير عن كل ما يجد فى الحياة من الأعيان وسائر المسميات ، وما يقوم بالنفس من ضروب الخوالج والأفكار .

٧ — ولقد كان إيمان الأمة العربية بقومية لغتها باعتبار، وعالميتها باعتبار آخر، باعثا لها على أن تحرص على «الوحدة» اللغوية» فيما يتداول من الألفاظ والأساليب فى معظم ما تتناوله الأقلام وتتناقله الأفهام. ولم يكن ذلك مقصورا على أنماط الأدب وفنونه، بل كان على وجه أخص فى لغة العلم ومواضعاته؛ فعلى الرغم من تباعد الأصقاع العربية وعسر اتصال بعضها ببعض، من حدود الصين فى الشرق إلى حدود فرنسا فى الغرب، ظلت الثقافة العربية «لغة مشتركة» موحدة لها خصائصها البارزة فى عباراتها وفى مصطلحاتها تيسيرا للتبادل الثقافى على أوسع نطاق، حتى يسعنا القول بأن هناك لغة للعلم تخلقت ونمت وتنوعت على مر الزمن: «بذرت بذورها فى القرن الأول الهجرى، وظهرت مصطلحات فى علوم الفقه والتفسير والكلام. وتلتها فى القرن الثانى مصطلحات فى علوم اللغة والتاريخ، فى الأخلاق والسياسة، فى الطب والكيمياء، فى الفلك والهندسة، واستكملت العلوم العربية فى القرن الثالث لغتها، وتوفرت لها أسباب الحياة. وما إن حل القرن الرابع الهجرى، وهو العصر الذهبى فى تاريخ الثقافة الإسلامية، حتى استقر المصطلح العلمى، وبدئ بتسجيله فى معجمات خاصة، ومنه ما نقل إلى الفارسية، والتركية، ومنه ما سرى إلى اللاتينية بل بعض اللغات الأوربية الحديثة» — كما فى بحث الدكتور إبراهيم مدكور المنشور فى الجزء التاسع والعشرين من مجلة «مجمع اللغة العربية».

وهكذا كان تأصيل «اللغة القومية» وحياطتها من عوادى البلبلة والتفكك والفرقة، عاملا جوهريا فى أن تصطبغ بالصبغة العالمية الناصعة، وذلك بتأديتها لمطالب الحضارة الأدبية والعلمية والفنية والاجتماعية بين أمم وشعوب تراحبت بينها دائرة المشابهات وتضايقت دائرة الفروق، خلال مئات من السنين.

٨ — ولقد أتى على العربية حين من الدهر، تخلفت فيه بتخلف البلاد العربية عن ركب التقدم الحضارى. وما إن مضى ذلك العهد، وانقشعت غياهبه، حتى كانت العربية بأصالتها وفراهتها على موعد مع النهضة العصرية الحديثة فى بلاد العروبة، وقد نيف الآن عصر هذه النهضة على مائة سنة، تتابعت فيها الجهود لتنمية اللغة الحضارية، فترجم الطب والهندسة وغيرهما فى مطالع العصر، بل لقد كان تدريسها بالعربية أول الأمر، وفى هذا العصر ترجمت شوامخ العلم والفلسفة والفن والأدب، من أمثال أرسطو وداروين وفرويد وشكسبير، وألفت كتب فى الفروع العلمية كافة، وتولى تدريسها بالعربية علميون مختصون، واستطاعت العربية العريقة ذات التجارب فى الأداء العلمى أن تطاوع ما تراد عليه من تأدية المعانى الاصطلاحية. ولم تكن المشكلة عندها نقل المعانى المجردة والأوصاف والشروح بل نقل أسماء الجواهر والذوات والأعيان وبعض المسميات، ومع ذلك اتسعت لها بالوضع والاشتقاق فى الأكثر، وبالتعريب فى الأقل

وبين أيدى قراء العربية ما تتابع خلال مائة السنة الماضية من معجمات ثنائية حافلة بالألوف من مصطلحات المعرفة الحديثة عامة ، نذكر منها تمثيلا لاحصرا: معجم شرف الطبى ، ومعجم عيسى النباتى ومعجم مظهر للعلوم ، ومعجم الشهابى الزراعى ومعجم المعلوف الحيوانى ، ومعجم الجامعة العربية العسكرى ، ومعجم الياس العصرى وكذلك المورد والمنهل وغيرهما من عشرات المعجمات ، وهذا كله غير الجهد الحاشد المتواصل فيما أخرجه «مجمع اللغة العربية» القاهرى من عشرات الألوف من مصطلحات العلوم والفنون والآداب فى مجموعات متوالية ، وغيرما لمجمع دمشق ومجمع بغداد وسواهما من الهيئات والمؤتمرات من جهود مساعفة فى مجال التعبير العصرى عن التقدم الحضارى .

وفى البلاد العربية على تعددها عشرات الكليات والمعاهد والأندية، تمارس الحياة العلمية الطليقة فى أدق مجالاتها وأرفع درجاتها وصميم اختصاصاتها ، واللسان الذى ينطق بهذه الحياة العلمية ويعبر عنها فى معظم المجالات هو اللسان العربى القومى العالمى . وتحت أنظارنا المطبعة العربية تخرج فى كل يوم ، بل فى كل ساعة ، من الزاد العلمى والثقافى مايتناول ضروب المعرفة بنسب متدرجة ، وفى العرب الألوف من الدارسين العلميين المتخصصين الذين جمعوا بين اللغات المتعددة والثقافات المتنوعة ، وقد فتحت أمامهم النوافذ على الصعيد العالمى ، يحصلون ويعلمون ويؤلفون ويترجمون بالعربية ، على نحو يؤكد احتواءها لأمهات المصطلحات العلمية وتعبيرها عن أكثرها من مادتها الفصحى.

وتلك هى الصحافة العربية تخرج للأمة العربية صباح مساء مصورة أحداث الحياة وشئون الدنيا وما يدور فيها من وجوه الأنشطة ، بلسان عربى ينتقل إلى أذهان قراء العربية فى كل مكان ، وهنالك إلى جانب ذلك كله ، وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة التى تتجاوب بلغة عربية عصرية حديثة .

وليس من ريب فى أن تلك الظواهر السائدة ، أو الحقائق الواقعة ، إنما تفصح فى يومنا الراهن عن قومية اللغة العربية وعالميتها اللتين تزدادان مع الأيام استقرارا وشمولا واطراد نمو ، وتمضيان قدما فى سبيل استيعاب الحضارة الجديدة على اختلاف مناحيها فى العلوم والفنون والآداب وسائر مرافق الحياة .

ومما يشهد لهذا أوثق شهادة أن الرأى العالمى العام فى أوج مستوياته الدولية ، قد اعترف للعربية بقوميتها وعالميتها ، فهى الآن إحدى اللغات المعدودة التى تعبر بها « اليونسكو » ، تلك المنظمة الثقافية الدولية الممثلة لهيئة الأمم المتحدة ، عن دراساتها وبحوثها وسائر وجوه نشاطها الفكرى

٩ — والإيمان بقومية اللغة العربية وعالميتها اليوم . لاينبع من تحمس لجنس . أو تعصب لعقيدة ، أو تأثر بعامل وهمى من العوامل المفتعلة التى تثيرها الدعايات أو الشعارات العارضة ، وإنما ينبع ذلك الإيمان من واقع ثابت له جذوره الراسخة فى غير تعمل أو افتعال ، فإن للعدد الجم من الأمم والشعوب فى شرق الأرض وغربها أعراقا فى هذه اللغة الأصيلة ، وإن الاعتزاز بهذه الأعراق عميق إلى أقصى حدود العمق فى تلك الأمم والشعوب ، ونعنى بالأعراق العزيزة تراث الآباء والأجداد الذين رفعوا مشاعل المعرفة الإنسانية فى أحقاب متوالية ، وتركوا آثارهم تزدان بها اللغة العربية فى كنوزها الغالية التى تعتبر ركائز للثقافة البشرية الرفيعة على امتداد التاريخ

إن الألوف من المؤلفين باللغة العربية يذكرون بنسبتهم إلى أقطارهم المتعددة من بسيط الأرض ، وحسبنا أن نذكر من أمثالهم : الفارابى والقزوينى واللكنوى والخراسانى والأصبهانى والمراكشى والدينورى والأنطاكى والطوسى والحريطى والخوارزمى والبطلميوسى والأفغانى والهندى والراجكوتى والطبرسى والزنجانى والصاغانى والفيروزابادى والغرناطى والبستى والقيروانى والفاسى والطنجى والصقلى والزمخشرى والشيرازى والتبريزى والكشغرى والجبرتى . فهؤلاء الألوف ينتسبون إلى بلاد لو رمز لها بنقاط على المصور الجغرافى للدنيا لملأت النقاط معظم الأرجاء ، وإن بلادهم التى نجلتهم ما برحت عامرة بأهلها الذين يباهون بما خلف الأجداد من أمجاد .

١٠ — من هذا كله ، يتبين أن هنالك حقيقة تسمو إلى مستوى العقيدة ، فلا سبيل إلى الخلاف عليها ، ولاجدوى من الجدل حولها ، تلك هى أن الأمة العربية بمدلول العروبة الفكرى والثقافى والروحى مصممة على الاستمساك باللغة العربية ، مؤمنة بأنها هى اللغة القومية العريقة الخالدة الجديرة بوصف العالمية الحق ، تلك اللغة التى تتمثل فيها عقلية العروبة ووجدانها ، ويتجلى فى مرآتها النشاط العروبى الحيوى ، ويكمن فى ذخائرها ما لهذا النشاط من أثر إيجابى فى الحضارة والعمران .

ولن تدخر الأمة العربية وأشياعها وسعا فى توكيد أسباب البقاء والنماء لتلك اللغة القومية العالمية التى واكبت أكثر من خمسة عشر قرنا من الزمن ، تعبر فى طلاقة عن حضارة الكون ، وتنطق فى صدق عن مشاعر الإنسان .

**محمد شوقى أمين**
عضو المجمع

# الاحتجاج للقراءات

## للأستاذ سعيد الأفغاني

تضافرت جهود أولى العبقريات النادرة فى هذه الأمة العظيمة ، على خدمة اللغة العربية فى أنحاء شتى متقاربة ومتباعدة ، من حيث كانت لغة القرآن الكريم مصدر التشريع والنظم الكافلين خير الناس قاطبة . ونمت من هذه الجهود — فيما نمى — علوم اللغة العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأصول فقه . . .

وفن « الاحتجاج للقراءات » الذى أعرض له إحدى هذه الفنون التى استغل العلماء بها خدمة للكتاب العظيم ، ولابد من عرض تاريخى موجز للقراءات يمهد للكلام على الاحتجاج لها والتأليف فيه .

لم يكن كتبة الوحى الذين كان النبى صلى الله عليه وسلم يملى عليهم كلما أوحى إليه شىء ، من قبيلة واحدة بل من قبائل عدة أكثرها مضرية ، وكان الناس — على اختلاف لهجاتهم — فى سعة من أمرهم فى قراءة القرآن أول الأمر : كلٌّ يقرؤه بلحن قومه (أى لهجتهم) ؛ حتى إذا آنس أحدهم اختلافا فى قراءة سمعها من إنسان عما أقرأه الرسول ، هرع إليه شاكيا ، فسمع الرسول من كلٍّ قراءته فأقره عليها قائلا : « هكذا أنزلت »(١) .

وكان التغيير تغيير أداء أحيانا من حيث الإمالة أو الترقيق أو التفخيم أو ضبط المضارع الرباعى مثل (نُنْزِل) و (نُنَزِّل) تخفيفا أو تشديدا ، أو تغاير لفظين والمعنى واحد .. إلى آخر ما أحصوا من أحوال أطلقوا عليها خلافا وما هى بخلاف ، إذ لم تكن تؤدى إلى تغيير معنى ولا حكم ، وكلها مسندة إسنادا صحيحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقاه السامعون منه ، وعرفوا من أمر هذه الرخصة(٢) مالم يكونوا على علم به ، واندرجت هذه الوجوه الكثيرة من القراءة فى تعبير

---

(١) انظر مثلا الجامع الصحيح للبخارى ٦-٢٢٧ كيف لبب عمر بن الخطاب هشام بن حكيم لما سمعه يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها الرسول عمر نفسه ، فقاده الى الرسول فلما سمع من هشام قال : « كذلك أنزلت » ولما سمعها من عمر قال : « كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ماتيسر منه . »

( الأحرف السبعة ) الواردة فى الحديث وأريد بالسبعة التعدد والكثرة لا تحديد العدد بسبعة .

كثرت الوجوه المتواترة عن رسول الله فى القراءة(1)، وتفرق الصحابة فى الأمصار كل يقرئ أهل مصره بما سمع ، على لهجته . وتعارف الناس هذه الوجوه واللهجات ولم ينكر أحد على أخيه قراءته ، حتى إذا امتد الزمان قليلا وكثر الآخذون عن الصحابة ، وقع بين أتباعهم شيء من خلاف وإنكار خشى الأجلاء من الصحابة مغبته مع الزمن ، فحملوا الخليفة الثالث عثمان ابن عفان على معالجة الأمر ففعل ، وكان من رأيه المبارك كتابة مصحف يجتمع عليه قراء الصحابة وكتبة الوحى ، وهؤلاء وأولئك كثير متوافرون .. حتى إذا وقع خلاف كتبوه على لغة قريش ، وكذلك كان :

استعار عثمان من أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر المصحف الذى كان جمعه زيد بن ثابت بتكليف من الخليفة الأول بناء على رأى عمر بن الخطاب الذى هاله أن استحر القتل يوم اليمامة بالقراء ، ففزع إلى أبى بكر ليجمع الصحف واللخاف والعسب التى كتب عليها القرآن .. إلى ما فى صدور الرجال منه فيودع ذلك كله بجمع من قراء الصحابة مصحفاً واحداً حتى لا يضيع من القرآن شيء .. فأرسلت السيدة حفصة المصحف ، [ « فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام لينسخوا المصحف فى المصاحف ، وقال للرهط من قريش : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن ] فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم(2) » فنعلوا ذلك ، حتى إذا نسخ المصحف رد عثمان المصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق مصحفاً مما نسخوا وأمر بكل ما سواه من القرآن فى كل صحيفة ومصحف أن يحرق »(2) ، « وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن ، وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبى صلى الله عليه وسلم .. فكتبت المصاحف على اللفظ الذى استقر عليه فى العرضة الأخيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به غير واحد من أئمة السلف »(3) .

---

(1) قال ابن الجزرى . (751 – 833هـ) : وقوله من قال ( إن القراءات المتواترة لا حد لها ) : إن كان أراد فى زماننا فغير صحيح لأنه لم يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر ، وإن أراد فى الصدر الأول فمحتمل – غيث النفع ص7 .

(2) انظر صحيح البخارى 4 – 219 والفهرست لابن النديم ص 37 .

(3) النشر فى القراءات العشر ص 7 . واللام فى قوله ( ليحتملها ) لام العاقبة لا لام التعليل ، إذ لم يكن يومئذ نقط ولا شكل .

كانت تلك المصاحف التي وزعها عثمان على الأمصار مرجع الناس ، إليها يصيرون في قراءتهم وخلافهم ، وبذلك قضى على احتمالات الفرقة في الأجيال القادمة ، وترك الناس قراءات كثيرة صحيحة لا يحتملها الرسم العثماني [1] إيثاراً للعافية ووحدة الكلمة فكان من ذلك بعد التيسير الأول تقريب بين اللهجات ، وبقي الرسم العثماني ضابطاً لما اتفق عليه منها ، كما كان خطوة واسعة نحو التوحيد ، ثم تكفلت الأعصار المتعاقبة بالباقي .

مضت المائة الأولى للهجرة والناس على ماقدمنا لا يقرؤون المصاحف إلا بما أقرأهم الصحابة والتابعون ، والمقرئون الثقات الذين يرجع إليهم كثيرون مشهورون ، وانحصرت وجوه القراءات بما تواتر موافقاً الرسم العثماني ، ونسيت القراءات الصحيحة التي لا تنطبق على الرسم . إلا أن ناشئة نشأت لم ترجع في قراءتها إلى المقرئين الأئمة الثقات وإنما اكتفت بما ينطبق على الرسم « فصار أهل البدع والأهواء يقرؤون بما لا يحل تلاوته وفاقا لبدعتهم ( ٢ ) ولما كثر الاختلاف بفعل هؤلاء « أجمع رأي المسلمين على أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم فاختاروا من كل مصر وُجه إليه مصحف أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدراية وكمال العلم ، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء ، واشتهر أمرهم وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم . ولم تخرج قراءاتهم عن خط مصحفهم».(٢) وكانت وجوه قراءاتهم ينظمها ضابط صاغه علماء القراءات في شروط ثلاثة :

١ — صحة السند بالقراءة إلى رسول الله متواترة من أول السند إلى آخره .

٢ — موافقة القراءة رسم المصحف العثماني .

٣ — موافقتها وجهاً من وجوه العربية مجمعا عليه أو مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله .

والشرط الأساسي كما يظهر للمتأمل هو الأول أما الثاني والثالث فالغالب أنهما أضيفا ليتكون من الثلاثة ماينطبق تمام الانطباق على القراءات العشر المعروفة ، وليخرج بذلك قراءات متواترة تركها الناس منذ حملهم عثمان على مصحفه ، لمخالفتها رسمه .

انعقد إجماع علماء القراءة على هذه الشروط ، إلا أن بعضهم اكتفى من الشرط الأول بصحة السند إلى رسول الله ولم

---

(١) كبعض ما في مصحف ابن مسعود ، وكبعض قراءات أبي ، وبقي علم هذه القراءات عند المختصين .

(٢) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص ٦

يشترط التواتر ، ويهمنا — هنا — بيان ضعف هذا الرأى ونكير العلماء عليه :

أشهر من عرف عنه ذلك فى المائة الخامسة للهجرة (١) مكى بن أبى طالب المقرئ المفسر العالم بالعربية ، فقد قال : « القراءة الصحيحة ماصح سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وساغ وجهها فى العربية ووافقت خط المصحف » (٢) وشاع هذا القول بعده حتى « تبعه على ذلك بعض المتأخرين ومشى عليه ابن الجزرى (٣) فى (نشره) و( طيبته )» [٢] . وهما كتابان صارا عمدة فى فن القراءة يدرسهما كل من أراد تحصيله وكادت (مدرستيتهما) تسبغ عليهما التقديس.

واستنكر الجمهرة ذلك حتى قال الإمام السفاقسى فى كتابه المشهور (غيث النفع فى القراءات السبع ) بعد أن أورده : « وهذا قول محدث لايعوّل عليه» [٢] بل لقد قرر هذا الإمام أن« مذهب الأصوليين ، وفقهاء المذاهب الأربعة ، والمحدثين ، والقراء أن التواتر شرط فى صحة القراءة ، ولاتثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية » [٢] وهذا حكم صحيح يقتضيه المنهج السليم فى كل ما يرجع إلى النقل . وبذلك تمتاز وجوه القراءات من الأحاديث الصحيحة التى يكتفى فى ثبوت صحتها بنقل العدل الضابط عن مثله فى سلسلة تنتهى بالصحابى دون اشتراط التواتر .

ويعجبنى من السفاقسى استدراكه على ماقد يرد فى الخاطر إزاء التواتر فقد لفت الأنظار بقوله :

« ولايقدح فى ثبوت التواتر اختلاف القراء : فقد تتواتر القراءة عند قوم دون قوم ، فكل من القراء إنما لم يقرأ بقراءة غيره لأنها لم تبلغه على وجه التواتر . ولذا لم يعب أحد منهم على غيره قراءته لثبوت شرط صحتها عنده وإن كان هولم يقرأ بها لفقد الشرط عنده » (٢)

---

(١) أصله من القيروان وسكن قرطبة وسمع بمكة ومصر من ابن غلبون وقرأ عليه القرآن وكان من أهل التبحر فى علوم القرآن والعربية ، حسن الفهم والخلق ، جيد الدين والعقل كثير التأليف ، مجوداً للقرآن . أقرأ بجامع قرطبة وخطب به وانتفع به جمع وعظم اسمه — بغية الوعاة ص ٣٩٦
وترك تآليف أكثرها فى القرآن وقراءاته وعللها ، انظر اسماءها فى الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلى ٨ — ٢١٤

(٢) ص ٦ ، ٧ غيث النفع (١٣٥٢ هـ — ١٩٣٤م) وانظر بحثنا فى الاحتجاج من كتابنا ( فى أصول النحو ) ص ٢٨ — ٣٣ .

(٣) محمد بن محمد بن محمد الجزرى ( ٧٥١-٨٣٣هـ ) نسبة إلى جزيرة ابن عمر ، أبو الخير شمس الدين العمرى ولد ونشأ فى دمشق وابتنى فيها (دار القرآن ) ورحل إلى مصر والأناضول وماوراء النهر والحجاز. شيخ الإقراء فى زمانه وصاحب المصنفات المشهورة فى علم القراءات له ( النشر فى القراءات العشر ) و (تقريب النشر) و (طيبة النشر) و (غاية النهاية فى طبقات القراء) ، وكلها مطبوع وكلها مما عظم نفعنا منه فى تحقيق هذا الكتاب .
— انظر المصدر الأخير ٢/ ٢٤٧ ؛ والأعلام للزركلى ٧/٢٧٤ .

أما القراءة الشاذة فهم في تعريفها فريقان :

الأول : جعلها فيما توفر فيه الشرط الأول والثالث وتخلف الشرط الثاني وهو موافقة رسم المصحف الإمام . وفي هذا التعريف بعض تساهل قياساً إلى تعريف الفريق الثاني الآتي .

الثاني : جعلها فيما فقد التواتر من الشرط الأول ، فمهما تجتمع الشروط الثلاثة في قراءة بسند صحيح غير متواتر فهي –عندهم– شاذة . وأجمعوا على تحريم القراءة بها في الصلاة ، كما تحرم في غير الصلاة أيضا إذا اعتقد قرآنيتها أو أوهم ذلك [1].

هذا وقد قرروا أن الشاذ هو كل ماوراء القراءات العشر المعروفة الآتي بيان أصحابها بعد[1] .

تناقل التابعون قراءات الصحابة بالتواتر ، وذهبت قراءات كثيرة صحيحة بسبب أخذ الناس باتباع المصاحف العثمانية[2] ، وأخذ عن أعلام التابعين خلق كثير لا يحصون فذهبت بذلك أيضا قراءات صحيحة لسبب يسير هو عدم بلوغها بالتواتر إلى التابعي مع صحتها في نفسها ، وهكذا دواليك حتى ساغ لابن الجزري وهو يؤرخ لحركة التدوين في هذا الفن أن يقول :

« القراءات المشهورة اليوم [ يعني الثلث الأول من المئة التاسعة للهجرة ] عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول : قُلٌّ من كُثْر، ونَزْرٌ من بحر ، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين ، وذلك أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة وغيرهم كانوا أمماً لا تحصى وطوائف لا تستقصى . والذين أخذوا عنهم أكثر .. وهلم جرا .

فلما كانت المئة الثالثة واتسع الخرق وقلّ الضبط وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان وفي ذلك العصر ، تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات ، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب

---

(١) ص ٧ غيث النفع للسفاقسي . أما من حيث الاحتجاج بها على اللغة والقواعد العربية فذلك سليم سائغ إذا صحت نسبتها إلى صحابي أو عربي سليقي من التابعين – انظر كتابي ( في أصول النحو ) ص ٣٠ فما بعد .

(٢) من القراءات الصحيحة التي فضل عليها غيرها ماكان مسموحاً به اتساعاً ورخصة على الناس قبل المصاحف العثمانية من قراءة كل قبيلة بلهجتها « فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه بأن يقرىء كل أمة بلغتهم وماجرت عليه عادتهم فالهذلي يقرأ : ( عتى حين ) يريد ( حتى حين ) وهكذا يلفظ بها ويستعملها ، والتميمي يهمز ، والقرشي لايهمز ، والآخر يقرأ : ( قيل لهم ) ، ( وغيض الماء ) بإشمام الضم مع الكسر .. الخ قال ابن قتيبة : ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وماجرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتد عليه ذلك وعظمت المحنة فيه .. ) النشر ص ٢٣ و ٢٤

أبو عبيد القاسم بن سلام ، وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة وتوفى سنة ٢٢٤ هـ ... الخ[١]

ومن قبله ألف فى القراءات عدد من العلماء ، من هؤلاء ابن جبير المكى وهو قبل ابن مجاهد الآتى ذكره بعد قليل ، فقد صنف « كتاباً فى القراءات فاقتصر على خمسة أئمة ، من كل مصر إمام ، وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التى أرسلها عثمان إلى الأمصار كانت إلى خمسة أمصار[٢]

ويمضى الشيخ ابن الجزرى يعدد المؤلفين الذين تتابعوا فى الإقراء والتأليف ويذكر المؤلفات المشهورة لهم .

ويعنينا منهم الآن أبعدهم أثراً وأوسعهم شهرة : أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤ هـ بعد أبى عبيد بمئة عام ، إذ كان أول من اختار سبعة من أئمة القراء الكثيرين فألف فى قراءاتهم واختار لكل منهم اثنين ممن روى عنه ، على ما سيأتى تفصيله . واشتهر اختياره هذا حتى صارت ( القراءات السبع ) التى اختارها علماً فى القراءة وعناوين لكتب عدة ومنظومات شتى مشهورة ، هى إلى الآن المراجع التى تحفظ وتشرح وتدرس فى حلقات الإقراء :

ولد ابن مجاهد بسوق العطش ببغداد سنة ٢٤٥ هـ وقرأ على شيوخ كثيرين عدّ منهم ابن الجزرى فى كتابه ( غاية النهاية فى طبقات القراء[٣] ) نحواً من مئة شيخ قرأ على أحدهم عبد الرحمن بن عبدوسى عشرين ختمة ، ونعته ابن الجزرى بـ ( شيخ الصنعة وأول من سبّع السبعة)[٣] وهو فى شهادة ابن النديم صاحب الفهرست[٤] « واحد عصره غير مدافع ، وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلم القرآن ، حسن الأدب رقيق الخلق كثير المداعبة ، ثاقب الفطنة ، جواداً » . و « بعُد صيته واشتهر أمره وفاق نظراءه مع الدين والحفظ والخير . ولا أعلم أحداً من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه ، ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه .

حكى ابن الأخرم أنه وصل إلى بغداد فرأى فى حلقة ابن مجاهد نحواً من ثلاثمئة مصدّر . وقال على بن عمر المقرى : كان ابن مجاهد له فى حلقته أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس» .[٥] وعد له ابن النديم الكتب الآتية :

١ — كتاب القراءات الكبير

٢ — كتاب القراءات الصغير

(١) النشر ص ٣٣
(٢) تفسير التحرير والتنوير ١ / ٥٣ نقلا عن السيوطى
(٣) ١ / ١٣٩ — ١٤٢
(٤) ص ٤٧
(٥) غاية النهاية ص ١٤٢ وذكر ابن النديم أنه توفى فى شعبان سنة ٣٢٤ ودفن فى تربة فى حريم داره بسوق العطش ثانى يوم موته — الفهرست ص ٤٧ .

٣ ــ الياءات

٤ ــ الهاءات

٥ ــ قراءة أبي عمرو

٦ ــ قراءة ابن كثير

٧ ــ قراءة عاصم

٨ ــ قراءة نافع

٩ ــ قراءة حمزة

١٠ ــ قراءة الكسائي

١١ ــ قراءة ابن عامر

١٢ ــ قراءة النبي صلى الله عليه وسلم .

وعرف هؤلاء الذين ألف فيهم كتبه بالقراء السبعة . ولعله جمع السبعة فى كتاب ( القراءات السبع ) على ما فى كشف الظنون ٢ / ١٤٤٨ .

وينبغى أن نلفت الأنظار هنا إلى أن اختيار ابن مجاهد هذا لا يعنى أن هؤلاء السبعة هم أفضل الأئمة ، فقد انتقده غير واحد بذلك ، وإن كثيراً من الأئمة هم أفضل من بعض هؤلاء مثل يعقوب الحضرمى وأبى جعفر يزيد بن القعقاع وعبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمى وغيرهم[1] بل نقدوه لاختياره العدد سبعة لا أقل ولا أكثر ، فدخل بذلك على العوام وأشباههم وغيرهم وهمٌ بأن هذه القراءات لهؤلاء السبعة هى المقصودة بالحديث الشريف : ( أنزل القرآن على سبعة أحرف ) ، وانبرى النقاد للومه وإزالة هذا الوهم من النفوس . وصار بعضهم يزيد فى تآليفه على السبعة وينقص حتى قال عبد الرحمن الرازى : «إن الناس إنما ثمّنوا القراءات وعشّروها وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة . . . وإنى لم أقتف أثرهم تثميناً فى التصنيف أو تعشيراً أو تفريداً إلا لإزالة هذه الشبهة[2] »

## الاحتجاج للقراءات :

قدمت كل هذا من تاريخ القراءة والمقرئين[3] لأؤيد ما كنت ذهبت إليه منذ سنين طويلة من أن تآليف المؤلفين القدماء يحتجون للقراءات المتواترة بالنحو وشواهده عكسٌ للوضع الصحيح ، وأن السلامة فى المنهج والسداد فى المنطق العلمى التاريخى يقضيان بأن يُحتج للنحو ومذاهبه وشواهده بهذه القراءات المتواترة ، لما توفر لها من الضبط

(١) قال مكى بن أبي طالب : وقد ذكر الأئمة فى كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجل قدراً من هؤلاء السبعة ... وقد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائى وابن عامر وزاد نحو عشرين ممن هو فوق هؤلاء .... والكسائى إنما ألحق بالسبعة بالأمس فى أيام المأمون وغيره ، وكان السابع يعقوب الحضرمى فأثبت ابن مجاهد فى سنة ٣٠٠ أو نحوها الكسائى فى موضع يعقوب » النشر ص ٣٦ . قلت : وسترى فى أقوال الكسائى التى نقلها مؤلف هذا الكتاب للاحتجاج كثيراً من الوهى وضعف الملكة إذا قسته بأمثاله من المحتجين .

(٢) انظر النشر ص ٤٣

(٣) جعلت الكلام على القراء السبعة فالعشرة فالأربعة عشر مع رواتهم فى مدخل بعد التمهيد وقبل الشروع فى الكتاب .

والوثوق والدقة والتحرى وهو شيء لم يتوفر بعضه لأوثق شواهد النحو . ولا أفيض هنا فى شرح مذهبى فقد كنت شرحته واستدللت له منذ اثنتين وعشرين سنة فى كتابى ( فى أصول النحو)(١)، ولم أكن بدعاً فى ذلك فقد سبقنى من العلماء الجهابذة ذوى الفكر الحر المستقل عدد استشهدت بأقوال بعضهم.

وأيٌّ كان فهذا ما وقع ، وعلىَّ الإشارة إلى شيء من تأريخ التأليف فى الاحتجاج للقراءات :

بين علوم القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية ترابط محكم ، فهما تتقن من علوم العربية وأنت خاوى الوفاض من علوم القرآن فعلمك بها ناقص واهى الأساس ، وسبب ذلك واضح لكل من ألم بتاريخ العربية : فهو يعلم حق العلم أنها جميعاً نشأت حول القرآن وخدمةً له ، فمتن اللغة اهتم قبل كل شيء بشرح مفردات القرآن ، والنحو والصرف نشأ لعصمة اللسان من الخطأ فى التلاوة أول الأمر ، وعلوم البلاغة همها جلاء روعة البيان القرآنى لأذهان الناس ليتذوقوا حلاوته وتتلقح ملكاتهم بفصاحته .. لذا كان أمراً طبيعياً قيام أئمة القراء بعلوم العربية، وكان كبارهم أئمة العربية الفحول كأبى عمرو بن العلاء وحمزة الزيات ، ويعقوب الحضرمى وابن محيص واليزيدى ، وحتى الكسائى فى كوفته على ضعف ملكته .

وكذلك الرواة عنهم . وهذا الإمام ابن مجاهد مسبِّع السبعة يقول: «لا يقوم بالتمام إلا نحوى عالم بالقراءات ، عالم بالتفسير ، عالم بالقصص وتلخيص بعضها من بعض ، عالم باللغة التى نزل بها القرآن » (٢) .

فى المئة الثالثة عصر التأليف بالقراءات وماقبلها بقليل كانت قراءات الناس متعددة كثيرة ، وكان كل يفاضل بين القراءة التى تلقاها والقراءات المستفيضة ، وتعددت وجوه المفاضلة من حيث التواتر وعدمه، ومن حيث جلالة الإمام القارئ وقدمه ، ومن حيث البلدة التى استفاضت القراءة فيها مكية أو مدنية أو بصرية أو كوفية أو شامية ، وكان من جملة ماحكموا فى المفاضلة الوجوه النحوية التى توافقها القراءة أوتقترب منها . وعلم العربية حينذاك متسع منتشر اتساع القراءات وانتشارها.

(١) الطبعة الثالثة ص ٣٠ — ٤٥ من بحث الاحتجاج . وقرأت أخيرا للعلامة تونس الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مايفيد اعتراضه على ذلك التحكيم الخطأ ، فقد قال فى مقـــدمة تفسيره ( التحرير والتنوير ) بصدد كلامه على القراءات : « وأما ما خالف الوجوه الصحيحة فى العربية ففيه نظر قوى : لأنا لا ثقة لنا بانحصار فصيح كلام العرب فيما صار الى نحاة البصرة والكوفة . وبهذا نبطل كثيرا مما زيفه الزمخشرى من القراءات بعلة أنها جرت على وجوه ضعيفة فى العربية» — ١ — ٥٥ ( تفسير التحرير التنوير — سنة ١٩٦٤ ) .

(٢) الوقف والابتداء لابن الأنبارى ص ٢٥ نشر مجمع دمشق وتحقيق محيى الدين رمضان .

تجد الاستشهاد بالقراءات ولها مالئاً كتاب سيبويه (١٤٨–١٨٠هـ) وتستطيع أن تعد ذلك مذهب أستاذه الخليل إذ كان كثير النقل عنه والتأثر به، ولو وصل إلينا كتب من قبله لرأينا الأمر مقارباً . ومن المحتمل أن يكون ألف فى المئة الثالثة رسائل فى الاحتجاج للقراءات وإن لم يصل إلينا علم شيء منها. حتى إذا أدركنا المئة الرابعة وجدنا ابن النديم ينبى على أن لأبى بكر ابن السراج (– ٣١٦هـ) كتاب ( احتجاج القراءة)[1]، وأن للقارىء النحوى أبى طاهر عبد الواحد البزار ( – ٣٤٩ هـ )[2] كتاب الفصل بين أبى عمرو والكسائى فيسبق إلى الذهن أنه لابد أن يستعين فى فصله بينهما بالنحو فإذا بلغ ابن مقسم أحد القراء بمدينة السلام (–٣٦٢هـ) سرد لنا كتبه فى اللغة والنحو والقراءات فكان من بينها ( كتاب احتجاج القراءات ) وذلك بعد وفاة ابن مجاهد واشتهار تسبيعه . ثم جاء أبو على الفارسى فألف كتابه المشهور ( الحجة فى علل القراءات السبع )[3] وهو تلميذ ابن مجاهد وعليه قرأ ، وتلميذ ابن السراج سابقه فى التأليف فى هذا الفن ، وجعل كتابه شرحاً لكتاب القراءات السبع لابن مجاهد على ماقال صاحب كشف الظنون ٢ / ١٤٤٨

وقد كنت عزمت – لشهرة الكتاب الواسعة – على دراسته ونشره سنة ١٩٤٧ فى إحدى سفراتى إلى مصر ، وعكفت فى دار الكتب على قراءة أجزائه الستة الضخمة ثم عدلت بعزم، لتطويله الشديد وضعف تأليفه ، ولقد كان ابن جنى منصفاً فى نعته حين قال : « وقد كان شيخنا أبو على عمل كتاب الحجة فأغمضه وأطاله حتى منع كثيراً ممن يدعى العربية – فضلا عن القرأة – منه وأجفاهم عنه» . ولا يحظى مطالعة بمادة علمية تعدل ذلك التطويل والاستطراد . وتمنيت لو أن أحداً عرض المادة التى فيه فى جزء لطيف يفى بحاجة أهل العلم وطلابهم ويجنبهم فى الوقت نفسه مكارهه .

فلما كانت سنة ١٩٥٦ فى شهرها العاشر حللت تونس ورأيت ماكنت أبغى فى مخطوطة لكتاب ( حجة القراءات ) للشيخ أبى زرعة عبد الرحمن ابن زنجلة وأوصيت بعد مطالعتى إياه بتصويره واصطحبت مصوره معى . وأبو زرعة من مخضرى المئتين الثالثة والرابعة. وسيأتى الكلام عليه وعلى كتابه بعد قليل . واطلعت على

(١) ص ٩٢ وبغية الوعاة ص ٤٤

(٢) الفهرست ص ٤٩

(٣) صدر من الجزء الأول فى القاهرة (دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بغير تاريخ ) .

كتاب (المختار فى معانى قراءات أهل الأمصار) لأبى بكر أحمد بن عبيد الله بن إدريس ، فكان حسن التأليف قريب العبارة ، أداره على معانى مااختلفت فيه القراء الثمانية[1] ( السبعة ويعقوب الحضرمى ) فى منهج مرضى وصفه بقوله: « اختصرت الترجمة وتنكبت الإطالة ، وملت إلى الإيجاز ، غير مخل بالإفهام و ذكرت [من ذلك ما] يستعين به المتوسط ويتذكر به المتناهى.. »[2]. ورأيت مؤلفه — بعد الإمعان — قد وفى بشرطه .

ويأتى فى المئة الخامسة مكى بن أبى طالب المغربى الأندلسى (٣٥٥-٤٣٧هـ) فى كتابه ( الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها ) يشرح فيه مختصراً كان ألفه فى المشرق ، وفى إشارته إلى ذلك ووصفه عمله فيه تأريخ لمرحلة هامة من مراحل التصنيف فى هذا الفن ، ورد فعل لعمل أبى على الفارسى الذى طوّل واستطرد وأغمض ،وترك غصة فى قلب مطالعة وحسرة حافزة على استئناف تأليف يقرب الفن إلى القارىء،ويبعد عنه ما تورط فيه أبو على. وإليك جملاً من مقدمه مكى بعبارته : « كنت قد ألفت بالمشرق كتاباً مختصراً فى القراءات السبع فى سنة ٣٩١ هـ وسميته ( كتاب التبصرة) فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون ، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو فى القراءات واللغات ،طلباً للتسهيل وحرصاً على التخفيف ، ووعدت فى صدره أنى سأؤلف كتاباً فى علل القراءات التى ذكرتها فى ذلك الكتاب « كتاب التبصرة » أذكر فيه حجج القراءات .. ثم إذا صرنا إلى فرش الحروف ذكرنا كل حرف ومن قرأبه ، وعلته وحجة كل فريق ثم أذكر اختيارى فى كل حرف وأنبه على علة اختيارى لذلك كما فعل مرة تقدمنا من أئمة المقرئين ... وذكرت فى كتاب (التبصرة) أسماء القراء ورواتهم وأسانيدهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم ... فهذا الكتاب كتاب فهم وعلم ودراية ، والكتاب الأول كتاب نقل ورواية ».

ولمكى هذا فضل كبير فى توسيع نشر هذا الفن فى الأندلس والمغرب ، وقد شاعت مؤلفاته فيهما . وأسلوبه فى كتابه سؤال جواب ، هكذا اختار لنفسه . وقد وجدت كتاب « المختار » الآنف الذكر أقوى طبعاً من كتاب مكى وأمتن تأليفاً

(١) لاتنسى مامر بك حول تقدهم ابن مجاهد على جعل العدد سبعة .

(٢) الورقة الأولى من مخطوطة مكتبة جاد الله رقم ١٨ ، وهى فى ١٢٤ ورقة كتبت سنة ٥٩٦ هـ

وأرضى طريقة، وهناك كتب أخرى صنفت فى العصر نفسه[1]

وأزمنة تأليف هذه الكتب بدءاً من الفارسى متقاربة ومؤلفوها إلى تحكيم مذاهب النحو فى القراءات أقرب منهم إلى العكس، سمة غلبت على التأليف فى العهد العباسى[2]؛ وبدعة نسج الآخر فيها على منوال الأول، وقد عرفت أن المنهج السليم يقضى بتحكيم القراءات فى مذاهب النحو، وتعديل هذه لتساوق تلك حين يكون بينهما تخالف.

آن بعد هذه الإلمامة بتاريخ التأليف فى الاحتجاج للقراءات أن أقدم مثالا على كلمة مما اختلفوا فيه واحتجوا له، أنتزعه من (حجة القراءات) كتاب أبى زرعة تلميذ ابن فارس وأحد المؤلفين المجودين فى هذا الفن، وقد طال مكثه بين يدى مندصورته من المكتبة العبدلية فى تونس. وعادته أن يبدأ كلامه بقوله: (قرأ فلان وفلان كذا) وحجتهما كذا، وقرأ الباقون (يريد بقية القراء السبعة) كذا وحجتهم كذا؛ فإن كان هناك أكثر من حجة قال: وحجة أخرى .. وعرّج على سرد حججه معتمداً على المعنى حيناً، وعلى ورود الكلمة كذلك فى موضع آخر من القرآن الكريم حيناً آخر، أو على حجة نحوية أو صرفية أو لغوية أو بيت من الشعر أو جملة من حديث أو كلام من يحتج به؛ حتى إذا اكتفى انتقل إلى آية أخرى حتى نهاية السورة. وإليكم ما شرح به قوله تعالى فى سورة يوسف ١٢ / ١٣: « .. وقالت: هَيْتَ لك »:

(..وقالتْ هيْتَ لك .. — ٢٣)

قرأ أهل العراق: «هيْتَ لك» بفتح الهاء والتاء؛ أى هلمّ وتعال وأقبلْ إلى ما أدعوك إليه. وحجتهم قول الشاعر:

أبلغ أمير المؤمنين
أخا العراق إذا أتيتا

أن العراق وأهله
عُنُقٌ إليك فهَيْتَ هيتا[3]

---

(١) اطلعت أخيراً على كتاب نشر فى بيروت بعنوان (الحجة فى القراءات السبع) ونسب لابن خالويه، فلما تصفحته وجدته يعرض قراءات بقوله: (وقرىء كذا) ولاينسب القراءة إلى إمام غالباً ولايدعمها بسندها، وهذا فى عمدته النقل والسند.

ثم قرأت عنه فى مجلة (اللسان العربى) بحثاً قيماً عنوانه «نسبة الحجة إلى ابن خالويه لاتصح» للأستاذ العلامة محمد العابد الفاسى فند فيه هذه النسبة. وكان محقق الكتاب تقدم به إلى مسابقة المكتب الدائم. فكان تقرير الأستاذ الفاسى هذا عذراً لعدم قبول اللجنة هذا العمل — (مجلة اللسان العربى: المجلد الثامن ١ / ٥٢١)

على أنه — ولو صحت النسبة — لايرقى هذا الكتاب إلى مستوى الكتب التى ذكرناها لعدم الفائدة من ذكر قراءات غير مسندة. والسند والعز وهما دعامتا الوثوق فى البحوث النقلية.

(٢) باستثناء سيبويه الذى كان يستشهد بها ولها معا.

(٣) فى لسان العرب مادة (هيت) وفى شرح المفصل ٤/٢٣: (سلم) بدل (عنق). يقال: جاء القوم عنقا أى طوائف كل جماعة منهم عنق، يريد أقبلوا إليك بجماعاتهم.

أما (سلم) فمعناها: منقادون إليك. أنشد الفراء محتجا لهذه القراءة (هيت) لشاعر لم يسمه يخاطب على بن أبى طالب — معانى القرآن ٢/ ٤٠

قال الزجاج : أما فتح التاء فى (هيْتَ) فلأنها بمنزلة أصوات ، وليس منها فعل يتصرف ففتحت التاء لسكونها وسكون الياء واختير الفتح لأن قبل التاء ياء كما قالوا: (كيف وأين) .

وقرأ أهل المدينة والشام: «هِيتَ» وهى لغة .

وقرأ ابن كثير : «هَيْتُ» بفتح الهاء وضم التاء، وحجته قول الشاعر :

ليس قومى بالأبعدين إذا ما
قال داعٍ من العشيرة هيْتُ
هم يجيبون ذا (هَلُمَّ) سراعاً
كالأبابيل ، لا يغادر بيت[1]

فأما الضم من (هيْتُ) فلأنها بمعنى الغايات ، كأنها قالت :(دعائى لك) ، فلما حذفت الإضافة وتضمنت (هيْتَ) معناها بنيت على الضم كما بنيت (حيث) .

وقرأ هشام : «هِئْتُ» بالهمز من الهيئة كأنها قالت : تهيأت لك .

ويشعر القارىء أن المؤلف متمكن فى فنه تمكنه فى علوم اللغة والأدب ورواية الشعر ، موجز فى عبارته واثق أنه يخاطب محصلاً فى هذا الفن مشاركاً فى بقية الفنون العربية عامة . ولذلك ترك الإسهاب والتطويل وحتى التقديم للكتاب .

وكان يخلط بين ما نسميه اليوم حركات إعراب وما نسميه حركات بناء؛ فيقول مثلا فى قوله تعالى : «فلا تَحْسَبُنَّهُم » : قرىء برفع الباء ونصبها (بدل قولنا اليوم بضم الباء وفتحها) ، وكذلك قوله : (الجزم) بدل السكون . والظاهر أن هذا كان شأن قوم حتى المئة الخامسة ، أثرا من آثار الكوفيين فى عدم الدقه .

وكثيراً ما يعقب بعد إيراد الحجج بالقاعدة يصوغها فى إيجاز كقوله (٢/ص٨٠) فى صدد الآية «قال تزرعون سبع سنين دأبا» ١٢-٤٧ إنها قرئت بفتح الهمزة وإسكانها :

( كل اسم [ ثلاثى ] ثانيه حرف من حروف الحلق جاز حركته وإسكانه).

ويغلب إذا كانت الحجة لغيره أن يسميه فى مثل قوله فى الصفحة نفسها : (وحجته ذكرها اليزيدى) ولا نستغرب كثرة تردد اسم اليزيدى وغيره من النحاة القراء ، فكتابنا مظنة وجود ذلك فيه بكثرة[2] .

---

(١) أبابيل : جماعات جماعات . ذا هلم ، أى الذى يناديهم بـ (هلم) مستغيثا .

(٢) ستصدر الجامعة الليبية فى بنغازى هذا الكتاب ( حجة القراءات لأبى زرعة ) فى مطبوعاتها لعام ١٣٩٤هـ إن شاء الله وهذا البحث من مقدمتى له .

وأكرر التنبيه هنا على أن كلمة الحجة فى هذه المؤلفات لا يراد بها الدليل ، لأن دليل القراءة صحة إسنادها وتواترها ، وإنما يراد بها وجه الاختيار : لماذا اختار القارىء قراءته من بين القراءات الصحيحة المتواترة التى أتقنها؟ يكون هذا الوجه أحيانا تعليلا نحوياً وأحياناً لغوياً

وآونة معنوياً وتارة لأخبار أو أحاديث استأنس بها فى اختياره ...فهى تعليل اختيار لادليل صحة القراءة ، إذ هى صحيحة بنفسها وتواترها لابأسباب اختيار قارىء لها. ولابد من هذا التنبيه لأن عدداً من الباحثين البعيدين عن هذا الفن تورطوا فى مزالق ومزلات حين جهلوا المقصود من هذا المصطلح ، كما انزلق قديما الزمخشرى وهو لايحسن هذا الفن ولامصطلحه ، حين ظن أن القارىء حر فى قراءته أو أنه أسير رسم المصحف العثمانى ، وغاب عنه أن القراءة سنة متبعة .

هذا ،ولابد أيضاً من لفت النظر إلى أن معنى إسناد كل حرف من حروف الاختلاف إلى صاحبه من الصحابة فمن بعدهم هو فى تعبير ابن الجزرى: « أنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به ، وملازمة له وميلا إليه لاغير ذلك . وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراء ورواتهم يراد بها أن ذلك القارىء اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره وداوم عليه ،ولزمه حتى اشتهر وعرف به ،وقصد فيه وأخذ عنه ؛ فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء . وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لاإضافة اختراع ورأى واجتهاد »[(١)]

وتشيع كلمة ( الاختيار ) فى هذا الضرب من تصانيف المقرئين . وهذا ابن الجزرى نفسه بعد أن نقل عن البغوى صاحب التفسير وشرح السنة قوله فى أئمة القراءة : « واتفقت كلمة الأمة على اختيارهم [ الذين اختاروه] » يعقب بقوله : « وقد ذكرت فى هذا الكتاب ( النشر) قراءات من اشتهر منهم بالقراءة واختياراتهم[(٢)] » . وفى ترجمته لأبى عمرو ابن العلاء يروى قول شعبة: «انظر مايقرأ أبو عمرو مما يختارلنفسه فإنه سيصير للناس إسنادا »[(٣)] .

---

(١) النشر فى القراءات العشر ص ٥١

(٢) المصدر السابق ص ٣٧ وينقل عن الدانى فى طبقاته قوله « وائتم بيعقوب فى اختياره عامة البصريين .. الخ» ص ٤٣

(٣) غاية النهاية ٢٩٢/١

وأضيف إلى ذلك بعد الإمعان فى تاريخ الفن وتراجم رجاله أن هذا الاختيار لا يحصل إلا بعد أن يتقن القارىء المختص روايات عدة من القراءات الصحيحة المتواترة عن أئمتها ، فيختار لنفسه من بينها واحدة يثبت عليها وتؤخذ عنه .

إن هذه العناية البالغة فى تحرى القراءات تحمل اللغويين على العض عليها بالنواجذ والاحتجاج بها ، وتحكيمها فى القواعد ؛ إذ أتيح لها من الضبط مالم يتح للشعر ولا للنثر ، ولئن طرح القراء القراءات الشاذة لمخالفتها الرسم العثمانى إن على اللغوى أن يتمسك بها كل التمسك متى صح سندها إلى عربى سليم السليقة فى عصور الاحتجاج.

**سعيد الأفغانى**
عضو المجمع المراسل
من سورية

# المحصول اللفظي لطفل المدرسة الابتدائية

للدكتور فؤاد البهي السيد

**يلخص** هذا المقال نتائج البحث التجريبي الذي أجرى على ٥٥١ طفلا من اطفال المدرسة الابتدائية بالكويت ، وذلك للكشف عن متوسط المحصول اللفظي لكل سنة دراسية . هذا مع العلم بأن المدرسة الابتدائية الكويتية تشتمل على أربع سنوات دراسية .

وسنبين فيما يلي ماذا نعني بالمحصول اللفظي والاختبار الذي استخدم لقياس هذا المحصول وعينة الأطفال التي اجرى عليها الاختبار ، والنتائج التي انتهى اليها البحث ، كما تتمثل في متوسطات الاجابات الصحيحة ، ومتوسطات السرعة الكتابية ، وترتيب صعوبة الحروف الهجائية التي تبدأ بها كلمات المحصول اللفظي بالنسبة لسنوات المرحلة الابتدائية .

## المحصول اللفظي العام :

المحصول اللفظي العام هو عدد الكلمات العربية التي يستطيع الفرد ان يكتبها كتابة صحيحة في زمن تحدده ظروف التجربة .

ويحسب متوسط المحصول اللفظي العام لأطفال فرقة دراسية ما بقسمة عدد الكلمات الصحيحة التي يكتبها جميع افراد تلك الفرقة على عدد الأفراد .

وبذلك يمكن الكشف عن الخصائص العلمية لنمو المحصول اللفظي من السنة الاولى الابتدائية إلى السنة الثانية الابتدائية إلى نهاية تلك المرحلة . ولاشك أن لتتابع السنوات الدارسية علاقة وثيقة بتتابع العمر الزمني . ولذا تدل تلك النتائج على النمو اللغوي في الأعمار الزمنية المتتالية للطفل ، كما دلت على النمو اللغوي في السنوات الدراسية المتعاقبة .

## المحصول اللفظي النوعي :

يحسب متوسط المحصول اللفظي النوعي الذي تبدا كلماته بحرف هجائي معين لأطفال فرقة دراسية ما ، وذلك بقسمة عدد الكلمات الصحيحة التي يكتبها جميع افراد تلك الفرقة والتي تبدا بذلك الحرف ، على عدد افراد تلك الفرقة . ويستفاد من هذا المحصول في الكشف عن أثر الحرف الأول للكلمة العربية في تحديد مستوى صعوبتها . فالمتوسط الكبير يشير إلى السهولة ، والمتوسط الصغير إلى الصعوبة .

وبذلك يمكن الكشف عن الصعوبة النسبية للكلمات العربية ، وذلك تبعا للحرف الهجائي الأول الذى تبدأ به الكلمات المختلفة هذا وقد أكدت الأبحاث العلمية أهمية الحرف الأول فى تحديد مستوى صعوبة الكلمة المكتوبة ، ومدى تغير هذه الصعوبة تبعا لتغير السنة الدراسية من الأولى إلى الثانية إلى نهاية المرحلة .

## معدل السرعة الكتابية :

تهدف هذه الدراسة فيما تهدف اليه ، إلى الكشف عن معدل السرعة الكتابية لكل سنة دراسية من سنوات المرحلة الابتدائية .

ونعنى بالسرعة الكتابية متوسط عدد الكلمات الصحيحة والخاطئة التى يكتبها الأفراد فى زمن محدد ، ويحسب هذا المتوسط لأية سنة دراسية ، وذلك بقسمة المجموع الكلى للكلمات الصحيحة والخاطئة التى كتبها أطفال تلك السنة على عدد هؤلاء الأطفال .

هذا ويمكن حساب معدل السرعة الكتابية بالنسبة لأية وحدة زمنية نصطلح عليها مثل الدقيقة أو الثانية .

## اختبار المحصول اللفظى :

تعتمد فكرة اختبار المحصول اللفظى لهذه الدراسة على أنه اكثر الاختبارات المعروفة ارتباطا بالقدرة على التحصيل اللغوى ، وهو يعد بحق المقياس العلمى الصحيح للقدرة على الطلاقة اللفظية .

ويتميز هذا الاختبار أيضا بصلاحيته لقياس المحصول اللفظى من السنة الأولى الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية ، ويمكن أيضا أن يمتد إلى ما بعد المرحلة الثانوية — وبذلك يصلح بخواصه تلك لقياس مدى نمو المحصول اللفظى للفرد خلال مراحل تعليمه المتعاقبة ، وخلال مراحل العمر المتتالية .

وسنبين فيما يلى الصفات الرئيسية لهذا الاختبار :

١ — هدف الاختبار : يهدف الاختبار إلى قياس المحصول اللفظى للفرد ، وبما أن هذا المحصول ينمو تبعا للنمو اللغوى ، إذن فهذا الاختبار يكشف عن المستوى اللغوى للفرد .

٢ — طريقة الاجابة : على الفرد أن يكتب جميع الكلمات التى يعرفها وتبدأ بحرف الألف ، ثم يكتب جميع الكلمات التى تبدأ بحرف الباء ، وهكذا تستمر هذه العملية حتى حرف الياء .

٣ — زمن الاختبار : زمن التعليمات ، والتدريب على طريقة الاجابة ١٥ دقيقة . وزمن الاختبار ٢٨ دقيقة ، أى دقيقة واحدة لكل سؤال ، وبذلك يصبح الزمن الكلى للاختبار مساويا لـ ٤٢ دقيقة ، أى ما يقرب من حصة دراسية .

٤ — ثبات الاختبار : ونعنى بالثبات مدى اقتراب نتائج البحث من نفسها ، وذلك إذا أمكن تطبيق الاختبار على نفس مجموعة الأفراد تحت نفس الظروف التجريبية

الأولى . ولهذا الثبات أهميته القصوى فى مدى اعتمادنا على نتائج الاختبار . وكلما اقترب معامل الثبات من الواحد الصحيح ، ازدادت تبعا لذلك نقاوة الاختبار من الأخطاء التجريبية التى تؤثر على نتائجه وتحول بيننا وبين الاعتماد عليه . وقد حسب معامل الثبات ( بطريقة التجزئة النصفية ) ودلت نتائج هذه العملية على أن معامل الثبات يساوى ٠,٩٤ وهكذا نستطيع ان نستنتج من هذه الحقيقة العلمية أن النتائج الراهنة لاختبار المحصول اللفظى ذات ثبات مرتفع جدا .

## عينة الأفراد التى أجرى عليها البحث :

تشتمل عينة البحث على أفراد من تلاميذ المدرسة الابتدائية بالكويت بجميع سنواتها المتعاقبة ، أى من السنة الدراسية الأولى إلى السنه الدراسية الرابعة من كلا الجنسين ، أى البنين والبنات .

وتم اختيار العينة بطريقة طبقية عشوائية ، وهى طبقية بالنسبة للمستويات المتعاقبة المتتالية للسنوات الدراسية ، و عشوائية بالنسبة لاختيار الشعبة الدراسية فى كل من تلك السنوات .

ويدل الجدول رقم ( ١ ) على توزيع أفراد عينة البحث بالنسبة للسنوات الدراسية ، وبالنسبة للجنس ذكراً كان أم أنثى .

| السنوات الدراسية | المدارس الابتدائية | | | | | | مجموع البنين والبنات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | البنين | | | البنات | | | |
| | النجاح | العضيلية | المجموع | هدى شعراوى | أبرق خيطان | المجموع | |
| ١ | ٣٢ | ٣٥ | ٦٧ | ٢٤ | ٤٠ | ٧٤ | ١٤١ |
| ٢ | ٣١ | ٣٦ | ٦٧ | ٤٣ | ٣٤ | ٧٧ | ١٤٤ |
| ٣ | ٣٥ | ٣٨ | ٧٣ | ٣٤ | ٢٤ | ٥٨ | ١٣١ |
| ٤ | ٣٤ | ٣٦ | ٧٠ | ٣٦ | ٢٩ | ٦٥ | ١٣٤ |
| المجموع | ١٣٢ | ١٤٥ | ٢٧٧ | ١٤٧ | ١٢٧ | ٢٧٤ | ٥٥١ |

جدول ( ١ ) يبين توزيع عينة البحث

## متوسطات الإجابات الصحيحة فى المرحلة الابتدائية :

حسبت متوسطات نتائج الاجابات الصحيحة لجميع السنوات الدراسية للمرحلة الابتدائية ، وذلك بقسمة مجموع درجات تلاميذ السنة الدراسية الواحدة على عدد أفراد الفصول الدراسية لهذه السنة ، سواء أكانوا بنين أم بنات :

ويدل الجدول (٢) على نتائج حساب هذه المتوسطات : وبما أن الاختبار أجرى فى بدء النصف الثانى من العام الدراسى ، اذن فتلاميذ السنة الدراسية الأولى قد مضى عليهم فى المدرسة ٥ و ٠ سنة عند تطبيق الاختبار ، وتلاميذ السنة الدراسية الثانية قد مضى عليهم ٥ و ١ سنة عند تطبيق الاختبار . وهكذا بالنسبة للسنوات الدراسية الأخرى :

| السنة الدراسية | متوسط الاجابات الصحيحة | متوسط الكلمات الصحيحة فى الدقيقة الواحدة |
|---|---|---|
| س | ص | |
| ٠,٥ | ٣٥,٢٣ | ١,٢٦ |
| ١,٥ | ٥٤,٤٤ | ١,٩٤ |
| ٢,٥ | ٩٦,٢٤ | ٣,٤٤ |
| ٣,٥ | ١٢٧,٣١ | ٤,٥٤ |

جدول ( ٢ ) المتوسطات التجريبية للاجابات الصحيحة فى المرحلة الابتدائية

وبذلك نستطيع أن نفسر نتائج هذا الجدول على أن متوسط المحصول اللفظى للتلاميذ الذين قضوا فى المدرسة الابتدائية ٥ و ٠ سنة هو ٢٣ و ٣٥ كلمة عربية صحيحة ، ومتوسط المحصول اللفظى للتلاميذ الذين قضوا فى المدرسة الابتدائية ٥ و ١ سنة هو ٤٤ و ٥٤ كلمة عربية صحيحة ، وهكذا بالنسبة لمتوسطات السنوات الدراسية الأخرى التالية . ونستطيع ايضا أن نرى أن متوسط الكلمات — الصحيحة فى الدقيقة الواحدة هو ٥ و ٠ سنة دراسية ، و ٩٤ و ١ فى ٥ و ١ سنة دراسية ، وهكذا بالنسبة للسنوات الدراسية الأخرى :

فاذا رمزنا للسنوات بالزمن (س) ولمتوسطات الاجابات الصحيحة بالرمز (ص) فاننا نستطيع أن نرصد نتائج هذه التجربة فى رسم بيانى يوضح العلاقة بين (س ، ص) : وبما أن هذه العلاقة تقترب

جدا من الخط المستقيم ، اذن يمكن ان نحسب الخط المستقم الذى يمثل هـذه العلاقة . وقد دلت نتائج هذا التحليل على أن معادلة الخط المستقيم التى تمثل هذه العلاقة هى :

ص = ٨٠ و ٣١ س + ٧١ و ١٤

وهكذا نستطيع — عن طريق هذه المعادلة أن نستنتج متوسطات الاجابات الصحيحة لجميع السنوات الدراسية فى المرحلة الابتدائية كما يدل على ذلك الجدول (٣) . وهكذا نرى إن المتوسط النظرى للاجابات الصحيحة لتلميذ السنة الرابعة الابتدائية هو ٩١ و ١٤١ ؛ وأن المتوسط النظرى للطفل عند التحاقه بالمدرسة الابتدائية هو ٧١ و ١٤ كلمة ؛ وهكذا بالنسبة للسنوات المختلفة ؛ وأن متوسط الكلمات الصحيحة فى الدقيقة يساوى ٦٦ و ١ فى ٥ و ٠ سنة دراسية ؛ ويساوى ٠٩ و ١ فى السنة الآولى الدواسية ، وهكذا بالنسبة للسنوات الأخرى .

| السنة الدراسية | متوسط الاجابات الصحيحة | متوسط الكلمات الصحيحة فى الدقيقة الواحدة |
|---|---|---|
| س | ص | |
| صفر | ١٤,٧١ | ٠,٥٣ |
| ٠,٥ | ٣٠,٦١ | ١,٠٩ |
| ١,٠ | ٤٦,٥١ | ١,٦٦ |
| ١,٥ | ٦٢,٤١ | ٢,٢٣ |
| ٢,٠ | ٧٧,٣١ | ٢,٧٦ |
| ٢,٥ | ٩٤,٢١ | ٣,٣٦ |
| ٣,٠ | ١١٠,١١ | ٣,٩٣ |
| ٣,٥ | ١٢٦,٠١ | ٤, ٩ |
| ٤,٠ | ١٤١,٩١ | ٠,٠٧ |

جدول (٣) المتوسطات النظرية للاجابات الصحيحة فى المرحلة لابتدائية

## متوسطات السرعة الكتابية فى المرحلة الابتدائية :

حسبت متوسطات السرعة الكتابية لجميع السنوات الدراسية لمرحلة التعليم الابتدائى ، وذلك بقسمة المجموع الكلى لكلمات المحصول واللفظى الصحيحة والخاطئة لكل سنة دراسية على عدد تلاميذ تلك السنة كما يدل على ذلك الجدول (٤)، وهكذا نرى أن متوسط

السرعة الكتابية للنصف الأول من السنة الاولى الدراسية هو ٥١,٢١ كلمة ، وأن معدل السرعة الكتابية فى الدقيقة الواحدة هو ١٨٣ كلمة ، وهكذا بالنسبة للسنوات الدراسية التالية حتى نصل إلى أن متوسط السرعة الكتابية للسنة الدراسية ٣,٥ تساوى ١٦٢,٥٣ كلمة ، ومعدل السرعة الكتابية لهذه السنة الدراسية هو ٥,٨٠

| السنوات الدراسية | متوسط السرعة الكتابية | معدل السرعة الكتابية فى الدقيقة الواحدة |
|---|---|---|
| س | ص | |
| ٠,٥ | ٥١,٢١ | ١,٨٣ |
| ١,٥ | ١٠٠,٥٤ | ٣,٥٩ |
| ٢,٥ | ١٣٩,٤٥ | ٤,٩٨ |
| ٣,٥ | ١٦٢,٥٣ | ٥,٨٠ |

جدول ( ٤ ) متوسطات ومعدلات السرعة الكتابية فى المرحلة الابتدائية

هذا وعندما رصدنا هذه النتائج فى رسم بيانى يوضح العلاقة بين ( س ، ص ) ظهر أن هذه العلاقات تقترب جدا من الخط المستقيم ، ولذلك فقد حسبت معادلة هذا الخط وقد دلت نتائج هذا التحليل على أن معادلة الخط المستقيم هى :

ص = ٣٧,٢٩ + ٣٨,٨٥

وهكذا نستطيع عن طريق هذه المعادلة ، أن نحسب متوسطات السرعة لجميع السنوات الدراسية للمرحلة الابتدائية كما يدل على ذلك الجدول ( ٥ ) حيث نرى أن متوسط السرعة الكتابية يساوى ٥٠ و ٥٧ فى السنة الدراسية ٠,٥ ، وأن معدل السرعة الكتابية فى الدقيقة الواحدة هو ٢,٠٥ كلمة لنفس هذه السنة الدراسية ، وهكذا بالنسبة لبقية السنوات الدراسية للمرحلة الابتدائية.

حسبت متوسطات السرعة الكتابية لجميع مستويات مرحلة مكافحة الأمية بنفس الطريقة التى حسبت بها هذه السرعة لمرحلة التعليم الابتدائى .

## تحليل نتائج الصعوبة للكلمات الصحيحة :

حسبت متوسطات الكلمات الصحيحة لكل حرف هجائى تبدأ به كل كلمة كتبها التلاميذ، ثم رتبت هذه الكلمات بالنسبة لحرفها الأول ترتيبا تنازليا تبعا لسهولتها ،

وتصاعديا وفقا لصعوبتها ، واصطلح على والرقم ( ٢٨ ) يدل على أصعب كلمة ، كما أن الرقم ( ١ ) يدل على اسهل كلمة ، يوضح ذلك الجدول رقم ( ٦ ) :

| السنة الدراسية | متوسط السرعة الكتابية | معدل السرعة الكتابية في الدقيقة الواحدة |
|---|---|---|
| س | ص | |
| صفر | ٣٨,٨٥ | ١,٣٩ |
| ٠,٥ | ٥٧,٥٠ | ٢,٠٥ |
| ١,٠ | ٧٦,١٤ | ٢,٧٢ |
| ١,٥ | ٩٤,٧٩ | ٣,٣٨ |
| ٢,٠ | ١١٣,٤٣ | ٤,٠٥ |
| ٢,٥ | ١٣٢,٠٨ | ٤,٧٢ |
| ٣,٠ | ١٥٠,٧٢ | ٥,٣٧ |
| ٣,٥ | ١٦٩,٣٧ | ٦,٠٥ |
| ٤,٠ | ١٨٨,٠١ | ٦,١٢ |

**جدول** ( ٥ ) متوسطات ومعدلات السرعة الكتابية فى المرحلة الابتدائية كما تدل عليها معادلة الخط المستقيم

| الحروف الهجائية | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | المتوسط | الترتيب النسبي للصعوبة من السهل الى الصعب |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | ترتيب الصعوبة فى سنوات المرحلة الابتدائية | | | | | |
| أ | ١ | ١٨ | ١٤ | ٦ | ٩,٧٥ | ١٠ |
| ب | ٥ | ١٢ | ٢٣ | ٢٢ | ١٥,٥٠ | ١٦ |
| ت | ١٩ | ٢٣ | ٢٠ | ١٢ | ١٨,٥٠ | ١٩ |
| ث | ٢٤ | ٢٥ | ٢٦ | ٢٤ | ٢٤,٧٥ | ٢٥ |
| ج | ١٤ | ٥ | ٥ | ٨ | ٨,٠٠ | ٧ |
| ح | ٢ | ١٠ | ١٠ | ٧ | ٧,٢٥ | ٥ |
| خ | ٢ | ١٥ | ١٩ | ٢ | ١٨,٥٠ | ١٩ |
| د | ٦ | ٧ | ١٢ | ١٧ | ١٠,٥٠ | ١١ |
| ذ | ٢٣ | ٢٤ | ٢٧ | ٢٧ | ٢٥,٢٥ | ٢٦ |
| ر | ١١ | ١٤ | ١٧ | ١٦ | ١٤,٥٠ | ١٤ |
| ز | ٢٧ | ١٩ | ٢١ | ١٩ | ٢١, ٥ | ٢٤ |
| س | ٢١ | ١ | ٦ | ١ | ٧,٢٥ | ٥ |
| ش | ١٥ | ٦ | ٩ | ٥ | ٨,٧٥ | ٨ |
| ص | ٢٦ | ١٣ | ١٨ | ١٣ | ١٧,٢٥ | ١٨ |
| ض | ٢٨ | ٢٧ | ٢٥ | ٢٣ | ٢٥,٧٥ | ٢٧ |
| ط | ٢١ | ١٦ | ١٥ | ١٤ | ١٦,٥٠ | ١٧ |
| ظ | ٢٥ | ٢٨ | ٢٨ | ٢٨ | ٢٧,٢٥ | ٢٨ |
| ع | ١٠ | ٨ | ٢ | ٣ | ٥,٧٥ | ٤ |
| غ | ١٦ | ٢٢ | ١٦ | ٢١ | ١٨,٨٥ | ٢١ |
| ف | ١٢ | ٨ | ٧ | ٩ | ٩,٠٠ | ٩ |
| ق | ٤ | ٢ | ١ | ١٥ | ٥,٥٠ | ٣ |
| ك | ٩ | ١٧ | ٨ | ١٨ | ١٣,٠٠ | ١٢ |
| ل | ١٣ | ٢١ | ٢٢ | ٢٥ | ٢٠,٢٥ | ٢٢ |
| م | ٣ | ٤ | ٤ | ٤ | ٢,٧٥ | ١ |
| ن | ٧ | ٢ | ٣ | ٢ | ٣,٧٥ | ١ |
| هـ | ١٧ | ١١ | ١٣ | ١١ | ١٣,٠٠ | ١٢ |
| و | ٨ | ٢٦ | ٢٤ | ٢٦ | ٢١,٠٠ | ٢٣ |
| ى | ١٨ | ٢٠ | ١١ | ١٠ | ١٤,٧٥ | ١٥ |

جدول رقم ( ٦ ) ترتيب الكلمات الصحيحة تبعا لزيادة صعوبتها وذلك بالنسبة للحرف الهجائى الاول فى الكلمة

وهكذا نرى أن أسهل خمسة حروف تبدأ بها الكلمات فى المرحلة الابتدائية هى كما يلى مرتبة من السهل إلى الصعب :

م – ن – ق – ع – س –

وأصعب خمسة حروف تبدأ بها الكلمات هى كما يلى مرتبة من الصعب إلى السهل :

ظ – ض – ذ – ث – ز –

## رعاية المحصول اللفظى للطفل :

تتطلب عملية الرعاية معرفة المستوى الواقعى للمحصول اللفظى والمستوى المتوقع ثم تنمية المستوى الواقعى حتى يصل إلى المستوى المتوقع .

ويقاس المستوى الواقعى للمحصول اللفظى العام والفرعى ، باختبار المحصول اللفظى ، ولا يتطلب هذا الاختبار من الطفل اكثر من أن يكتب جميع الكلمات التى يعرفها ، وتبدأ بحرف معين من حروف الهجاء فى مدى زمنى يساوى تماما دقيقة واحدة ، وهكذا بالنسبة لبقية الحروف الأخرى ، ويمكن معرفة عدد الكلمات التى يعرفها الطفل والتى يكتبها فى ٢٨ دقيقة .

ويقاس المستوى المتوقع للمحصول اللفظى العام والنوعى باختبار المحصول اللفظى وذلك عن طريق تطبيقه على تلاميذ السنة الدراسية التى ينتمى لها الطفل ، ثم حساب متوسط إجابة تلاميذ هذه السنة ، ومقارنة المحصول اللفظى للطفل بمستوى المحصول اللفظى لفرقته الدراسية .

وبذلك يمكن معرفة مستوى الطفل بالنسبة لمستوى فرقته .

ومستوى الطفل إما أن يكون أقل من مستوى فرقته فيحتاج عندئذ إلى تدريب وقراءة حتى يصل إلى مستوى فرقته .

وإما أن يساوى مستوى فرقته أو يزيد عليه ، وبذلك يستقيم محصوله اللفظى ولا يشير إلى التخلف الذى نخشاه .

والقراءة خير علاج لتخلف مستوى المحصول اللفظى عن المستوى العادى .

ويمكن أن يقاس المحصول اللفظى على فترات متعاقبة ، وتقارن نتيجة كل قياس بالتى تسبقها حتى يعرف الأثر النسبى للبرنامج القرائى المتبع فى زيادة ذلك المحصول .

وللمحصول اللفظى أهميته القصوى فى القدرة على التعبير ، والقدرة على معرفة المادة القرائية .

**الدكتور فؤاد البهى السيد**

# الصّغانى

## للدكتور حسين علي محفوظ

٥٧٧ — ٦٥٠ هـ

### اسمه ونسبه ولقبه :

هو ، رضى الدين أبو الفضائل الحسن ابن أبى السعادات محمد بن أبى الفضل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن على بن إسماعيل ، العمرى ، العدوى ، القرشى ، اللاهورى ، الصغانى ، اللغوى القرشى ، اللاهورى ، الصغانى ، اللغوى الأديب ، المحدث ، النحوى الفقيه ، الحنفى .

### ولادته ووفاته وقبره :

ولد فى لاهور ، يوم الخميس ١٠ من صفر سنة ٥٧٧ هـ = ٢٥ من حزيران سنة ١١٨١ م ، وتوفى — فجأة — ببغداد ، ليلة الجمعة ١٩ من شعبان ، سنه ٦٥٠ هـ = ٢٥ من تشرين الأول سنة ١٢٥٢ م ، عن ٧٣ سنة .

وتولى أصحاب الوزير ابن العلقمى تجهيزه ودفنه .. فقبر فى داره بالحريم الطاهرى فى الجانب الغربى .

ثم نقل إلى مكة ، ودفن جوار الفضل ابن عياض ، كما أوصى .

### مجمل سيرته :

نشأ بغزنة ، ورحل فى طلب الحديث والعلم ، ودخل اليمن ، وورد إلى عدن سنة ٦١٠ هـ ، وحج ، وجاور مكة ، وكان بها ستة ٦٢٣ . وقدم بغداد سنة ٦١٥ ، وبعثه الخليفة الناصر رسولا إلى ملك الهند ، سنة ٦١٧ هـ . ورجع منها سنة ٦٢٤ ، وعاد إلى بغداد — بعد مدة طويلة وأرسله المستنصر بالله — أيضا — إلى مملكة الهند . ثم رجع إلى بغداد سنة ٦٣٧ هـ .

سمع بمكة ، وعدن ، والهند ، وبغداد ، وقرأ الناس عليه ، وانتفعوا بعلمه الجم .

وجعله المستنصر شيخ رباط المرزبانية الذى بناه الخليفة الناصر لأهل النصوص فى قرية المرزبانية على نهر عيسى ، بالجانب الغربى . كما كان مدرس المدرسة التتشية الحنفية ببغداد .

وقربه الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى ، واختصه لتعليم ولده عز الدين محمد . وألحقه قاضى القضاة أعز الدين أبو العباس أحمد بن محمود الزنجانى بالمعدلين .

## أساتذته وشيوخه :

لاقى الصغانى أفاضل الشيوخ ، ومنهم :

١ – أبو الفتوح بن الحصرى ، بمكة.

٢ – سعيد بن الرزاز ، ببغداد

٣ – القاضى سعد الدين خلف بن محمد ، الحسنابادى .

٤ – والده : أبو السعادات محمد بن أبى الفضل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن على بن إسماعيل القرشى ، بلاهور .

٥ – النظام محمد بن الحسن ، المرغينانى .

## تلاميذه والرواة عنه :

قرأ الناس عليه ببغداد – وانتفعوا به وكان يقرأ عليه – بعدن – كتاب « معالم السنن » للخطابى .

وقد قرأ عليه ، وسمع منه ، وروى عنه ، جماعة من الأفاضل والأعيان ، منهم :

١ – السيد ، جمال الدين ، أبو الفضائل أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس ، الحسينى ، المتوفى سنة ٦٧٣ ﻫ أجاز له جميع مسموعاته ومؤلفاته ومنشآته.

٢ – أبو العز ، أسعد البغدادى بن إسكندر بن محمد بن نصر بن محمود ، الشروانى .

٣ – العلامة الحلى ، جمال الدين ، أبو منصور ، الحسن بن يوسف بن المطهر ، الحلى ، المتوفى سنة ٧٢٦ ﻫ . روى عنه كتاب « التكملة والذيل والصلة » . وإليه ينتهى سند الفيروزابادى – صاحب القاموس المحيط – فى رواية هذا الكتاب . ولاريب أنه أجاز له فى طفولته .

٤ – قاضى القضاة ، تقى الدين ، أبو الفضل ، سليمان بن حمزة ، المقدسى .

٥ – محيى الدين ، أبو التقى ، صالح بن عبد الله بن جعفر بن على بن صالح ، الأسدى ، الكوفى ، الفقيه ، النحوى ، المعروف بابن الصباغ . روى عنه إجازة ٦٥٠ ﻫ.

٦ – موفق الدين ، أبو محمد ، عبد القاهر بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الفوطى ، البغدادى ، الأديب ، المقتول – فى واقعة التتار – سنة ٦٥٦ ﻫ . قرأ عليه الأدب .

٧ – السيد ، غياث الدين ، أبو المظفر عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر ابن محمد بن طاووس ، الحسنى ، المتوفى سنة ٦٩٣ ﻫ . أجاز له – طفلا – جميع مسموعاته ومؤلفاته ومنشآته – فى إجازة أبيه السيد جمال الدين بن طاووس .

٨ – الحافظ ، شرف الدين ، أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف ابن الخضر بن موسى ، الدمياطى ، الشافعى المتوفى سنة ٧٠٥ ﻫ . سمع منه ببغداد .

٩ — العلامة ، كمال الدين ، أبو الحسن ، على بن محمد بن محمد بن محمد بن وضاح أبن أسعد محمد بن وضاح ، الشهرابانى الحنبلى ، الفقيه ، النحوى ، الكاتب ، نزيل بغداد ، المتوفى سنة ٦٧٣ ھ .

١٠ — ابنه ، الضياء ، أبو البركات ، محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن على بن إسماعيل ، الصغانى . قرأ عليه كتاب « العباب » سنة ٦٤٩ھ .

١١ — الوزير عز الدين أبو الفضل ، محمد بن الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد ، ابن العلقمى ، الأسدى : قرأ عليه أكثر دواوين العرب . وكان الصغانى يتردد إلى دار والده الوزير يعلمه .

١٢ — الشيخ برهان الدين ، محمود ابن أبى الخير أسعد ، البلخى ، شارح كتاب « آثار النيرين فى اخبار الصحيحين » فى الحديث .

١٣ — نظام الدين محمود بن عمر ، الهروى .

## آثاره :

عددت المصادر تآليفه . وقد بلغت ٩٠ كتاباً ورسالة ، كل الظن أنها نحو ٥٠ زادت بالتصحيف ، والتحريف ، والتغيير ، والتكرير .

وهذه أسماؤها مجموعة ، كما جاءت فى مختلف كتب التراجم :

١ — الأثر .

٢ — الأحكام ، فى فقه الحنفية .

٣ — أسامى شيوخ البخارى .

٤ — الأسماء .

٥ — أسماء الأسد .

٦ — أسماء الدين .

٧ — أسماء الذئب وكناه .

٨ — أسماء السعادة .

٩ — أسماء العادة .

١٠ — أسماء الغادة فى أسماء العادة .

١١ — أسماء الغارة .

١٢ — أسماء الفارة .

١٣ — أسماء القارة .

١٤ — أفعل فعلان .

١٥ — بغية الصديان .

١٦ — بقعة الصديان

١٧ — بيان الأحاديث الموضوعة .

١٨ — التذكرة الفاخرة .

١٩ — تعزيز بيتى الحريرى .

٢٠ — تقرير منتهى الحريرى .

٢١ — تكملة العزيزى ، فى الأدب .

٢٢ — التكملة على الصحاح ، فى ٦ مجلدات كبار . ذكر فيها ما فات الجوهرى من اللغة . وهى أكبر حجماً من الصحاح .

٢٣ — التكملة والذيل والصلة .

**٢٤ — توشيح الدريدية .**

٢٥ ــ حاشية ذيل الصحاح فى اللغة من تأليفه المسمى بالتكملة وصلته. أفردها تسهيلا على الطالب وتيسيراً على الراغب.

٢٦ ــ درّ السحابة فى بيان مواضع وفيات الصحابة.

٢٧ ــ درّ السحابة فى معرفة صفات الصحابة.

٢٨ ــ در السحابة فى وفيات الصحابة.

٢٩ ــ الدر الملتقط فى تبيين الغلط. ذكر فيه مافى كتابى الشهاب والنجم، من الموضوع.

٣٠ ــ الدرر الملتقطة، فى بيان الأحاديث الموضوعة.

٣١ ــ ذيل العزيزى.

٣٢ ــ رسالة فى الأحاديث الموضوعات.

٣٣ ــ رسالة فى الأحاديث الموضوعة.

٣٤ ــ رسالة أخرى فى الأحاديث الموضوعة.

٣٥ ــ رسالة فى الأحاديث الواردة فى صدر التفاسير، فى فضائل القرآن، وغيرها.

٣٦ ــ رسالة فى الموضوعات من الأحاديث.

٣٧ ــ شرح أبيات المفصل.

٣٨ ــ شرح الأخبار المولوية والآثار المرضية.

٣٩ ــ شرح أسباب المفصل.

٤٠ ــ شرح القلادة السمطية فى توشيح المقصورة الدريدنه.

٤١ ــ شرح مقصورة ابن دريد.

٤٢ ــ الشمس المنيرة من الصحاح المأثورة فى الحديث.

٤٣ ــ الشوارد فى اللغات.

٤٤ ــ ضوء الشهاب؛ للقضاعى.

٤٥ ــ العباب الزاهر واللباب الفاخر.

٤٦ ــ القلائد السمطية فى توشيح الدريدية.

٤٧ ــ القلائد السمطية فى شرح الدريدية.

٤٨ ــ كتاب الأسفار.

٤٩ ــ كتاب الأسماء.

٥٠ ــ كتاب الأصفاد.

٥١ ــ كتاب الأصفار.

٥٢ ــ كتاب الأضداد.

٥٣ ــ كتاب الافتعال.

٥٤ ــ كتاب افتعل.

٥٥ ــ كتاب الأفعال.

٥٦ ــ كتاب الانفعال.

٥٧ ــ كتاب انفعل.

٥٨ ــ كتاب التراكيب.

٥٩ ــ كتاب خلق الإنسان.

٦٠ ــ كتاب السالكين.

٦١ ــ كتاب السحابة فى وفيات الصحابة.

٦٢ ــ كتاب الضعفاء.

٦٣ ــ كتاب العادات.

٦٤ ــ كتاب العروض.

٦٥ ــ كتاب الفرائض.

٦٦ — كتاب فَعّال ؛ على وزن خَذّام وقَطّامِ ، فيما بنته العرب على لفظ فَعّالِ على حروف المعجم .

٦٧ — كتاب فعلان ؛ على وزن سيان .

٦٨ — كتاب فعول .

٦٩ — كتاب فى التصريف .

٧٠ — كتاب فى علم الحديث .

٧١ — كتاب فى نوادر اللغة .

٧٢ — كتاب المفعول .

٧٣ — كتاب يفعول .

٧٤ — كشف الحجاب عن أحاديث الشهاب .

٧٥ — ما أهمله الجوهرى من لغة .

٧٦ — ما تفرد به بعض أئمة اللغة .

٧٧ — مجمع البحرين فى الجمع بين أحاديث الصحيحين ؛ فى الحديث .

٧٨ — مجمع البحرين فى اللغة ، فى ١٢ مجلداً .

٧٩ — مختصر العروض .

٨٠ — مختصر الوفيات .

٨١ — مشارق الأنوار الجمع بين الصحيحين .

٨٢ — مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية .

٨٣ — مصباح الدجى فى حديث المصطفى .

٨٤ — مصباح الدجى فى صحاح حديث المصطفى .

٨٥ — مصباح الدعاء .

٨٦ — مصباح الدياجى .

٨٧ — مناسك الحج .

٨٨ — نظم عدد آى القرآن .

٨٩ — نقعة الصديان فيما جاء على وزن فعلان .

٩٠ — النكت الأدبية .

## مكانة كتبه :

يعد الصغانى من أئمة اللغة ، ومن أعلام المصنفين فى فنونها ، عد عن آثاره الأخرى فى علوم الحديث ، والقرآن ، والأدب والعروض ، والتصريف ، والفرائض ، والفقه ، والتاريخ .

ومعجماه الكبيران «التكملة» ، و«العباب» هما خير ما ترك فى اللغة من آثار .

أما كتاب «التكملة والذيل والصلة» ، فقد ألفه فى ست مجلدات — بعد أن بلغ الكبر ، وبعد أن أحاط بما جمع من كتب اللغة — وقد جمع فيه ما أهمله الجوهرى فى كتابه «الصحاح» ، وذيل عليه.

واستخرج لغاته من أصول أربت على ألف مصدر ؛ من كتب اللغة ، والنحو وغرائب الحديث ، ودواوين الشعراء ، وأراجيز الرجاز ، والكتب المصنفة فى المذكر والمؤنث ، والآباء والأمهات والبنين والبنات ، والأضداد والنبات والأشجار

وما اتفق لفظه وافترق معناه ، وما صنف فى أسامى الجبال والمواضع والبقاع والأصقاع . وقد أحصى فيه ٩٨ كتاباً من أمهات المراجع فى الأدب واللغة والشعر ، حفظ أسماءها ، ونسبها إلى مؤلفيها ؛ مما يفيد فى الفهرسة ، وتاريخ الثقافه ، وتدوين التراث . وفى التكملة هذه — من مادة تلك الكتب التى ضاع كثير منها — ما قد يسلينا من الهم والحزن على ضياع مافقد من ذخائرها.

وأما كتاب «العباب الزاخر واللباب الفاخر» فقد ألفه للوزير الفاضل ابن العلقمى ؛ إذا أوعز إليه أن يؤلف كتاباً فى لغة العرب ؛ يكون جامعا لشتاتها وشواردها ، حاوياً مشاهير لغاتها وأوابدها ، مشتملا على كل التراكيب المستعملة . فقد جمع فيه ما تفرق فى كتب اللغة المشهورة ، وما بلغه مما جمعه علماء اللغة ، والقدماء الذين شافهوا العرب وساكنوهم وسايروهم ، ومن بعدهم ممن أدرك زمانهم .

وقد أتى فيه على عامة ما نطقت به العرب من المستعمل والنادر ، مستشهداً على صحة ذلك بالآيات ، والأحاديث ، والأشعار والأمثال.

وذكر أسامى خيل العرب ، وفرسانها ، وشعرائها وبقاعها ، وأصقاعها ، وبرقها ، وداراتها.

وقد أتى بالأشعار معزوة إلى قائليها بعد أن راجع دواوينهم ، واعتام أصحّ الروايات واختار أقوال الثقات .

والكتاب فى ٢٠ مجلداً ، وصل فيها إلى مادة «بكم» . وقد صدره بفصلين :

الفصل الأول — فى أسامى جماعة من أهل اللغة .

والفصل الثانى : فى أسامى كتب حوى معجمه لغاتها .

وقد أحصى فى مقدمته ١٠١ كتاب من أمهات المراجع ، حفظ — أيضا — أسماءها ونص على نسبتها إلى مصنفيها . وتعد هذه المدونة القيمة — على اقتضابها — من فهارس التراث المفيدة ، التى تؤرخ الآثار الباقية فى زمانه مما ضاع بعضه ، عدّ عما أحاط به العباب من مادتها اللغوية والأدبية التى فقدت المكتبة العربية نفائس أصولها .

## مراجع الترجمة :


١ — إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .
٢ — الأعلام .
٣ — إيضاح المكنون .
٤ — بروكلمن .
٥ — بغيه الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة .
٦ — تاج التراجم فى طبقات الحنفية .
٧ — تاج العروس .
٨ — تاريخ آداب اللغة العربية .
٩ — تكملة بروكلمن .

١٠ – تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب .

١١ – الجاسوس على القاموس .

١٢ – الجواهر المضية فى طبقات الحنفية .

١٣ – الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة .

١٤ – دول الإسلام .

١٥ – رجال السند والهند فى القرن السابع .

١٦ – روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات .

١٧ – ريحانة الأدب فى تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب .

١٨ – شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .

١٩ – فوات الوفيات .

٢٠ – قاموس الأعلام .

٢١ – القاموس المحيط .

٢٢ – كشف الظنون .

٢٣ – الكنى والألقاب .

٢٤ – مجلة ثقافة الهند .

٢٥ – مجلة العربى .

٢٦ – مجلة المجمع العلمى العربى .

٢٧ – مرآة الجنان وعبرة اليقظان .

٢٨ – المزهر .

٢٩ – معجم الأدباء .

٣٠ – معجم المؤلفين .

٣١ – مفتاح السعادة ومصباح السيادة .

٣٢ – مقدمة التكملة والذيل والصلة .

٣٣ – منتخب المختار .

٣٤ – نامة دانشوران ناصرى .

٣٥ – نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر .

٣٦ – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .

٣٧ – هدية الأحباب فى ذكر المعروفين بالكنى والألقاب والأنساب .

٣٨ – هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين .

٣٩ – الوافى بالوفيات .

**حسين على محفوظ**

عضو المجمع المراسل من العراق

# سيبويه
## إمام النحو وأدبه
### للأستاذ علي أصغر حكمت

**تصادف** هذه السنة (١٣٩٤هـ ق = ١٣٥٣ هـ ش) الذكرى المائة الثانية عشرة للذكرى أحد أئمة الأدب وأساطين النحو العربى ، أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه ، وبمناسبة إقامة مهرجان تخليداً لذكرى هذا العبقرى الفارسى من قبل جامعة بهلوى بشيراز قمت أبحث بعد سير أحواله ودراسة أخباره عن مادة تاريخية لعام وفاته ، كما هو المتداول والمتعارف فى أوساط الأدباء .

وبعد ذلك وجدت أن جملة (إمام النحو وأدبه) التى يستخرج منها بحساب الجُمّل الرقم (١٩٥) مناسبة لسنة وفاة عالمنا الجليل[1] . وبما أن وفاته كانت عام (١٩٤هـ ق) على أصح الأقوال فإننا نطرح رقما واحداً من الجمع فيحصل لدينا عام (١٩٤هـ ق) وقد أحسست بشوق إلى نظمها فى صورة قطعة شعرية أقدمها لأعتاب العلماء والأدباء .

فنظمت هذه القطعة المتضمنة للخطوط العريضة لحياة عالمنا الإمام النحوى والأديب الأريب ومنزلته العلمية العظيمة ، وهذه ترجمتها باللغة العربية :

### (سيبويه إمام النحو وأدبه)

كان كالتفاح عمرو بن عثمان
فلا مندوحة إذاً أن يلقب بسيبويه
قد عاش منذ اثنى عشر قرنـــــا
وكان عصره هو العصر الذهبى
مولده ببيضاء فى فارس
وورث عن إيران أصله ونسبه
أصبحت البصرة من حسن نشأته (تربيته)
مدرسة علم ، وما أروعها من مدرسة
كتابه « الكتاب » خزانة أدب
وقد شمخت صروح اللغة العربية به
أستاذه الخليل بن أحمد
فلا تعجب إن وجه أعذب المديح إليه
وإن الأخفشين الكبير والصغير
يقفان متـــأدبين بجــواره
وكأن الكسائى على أعتـــــابه
تلثم شفتاه أعتابه بأدب
كلامه كأعطاف الورد
وحديث سواه كالشوك والخشب

---

(١) حسن فسائى ذكر تاريخ وفاة سيبويه فى كتابه الكبير ، فارسنامه ١٩٥ هـ ، ج ١ ص ١٣ طبعة طهران .

ناهز الأربعين من عمره
تلألأ كوكبا ساطعا فى سماء الأدب
إذا قصدت مرقده كما تقصد الكعبة
فاطلبه فى شيراز عند الحجر الأسود
طلبت يوماً من الله تعالى
مدداً ، لتاريخ وفاته
فخرج علىّ من الجمع واحد
يقول لى بالشعر أرّخ «إمام النحو وأدبه»
أربع وتسعون ومائة
عام وفاته إن أردت معرفته

نظم «حكمت» هذه القطعة تكريما وتعظيما له،فأنت أحلى من السكر والرطب.

طهران ١٧ صفر ١٣٩٤

ولما كانت الإشارات الورادة فى هذه القطعة تعوزها بعض التنبيهات فإننى أشير إليها وأشرحها خلال هذه المقالة .

## (١)

إن جل المؤرخين فسّروا إسم الإمام (سيبويه) الفارسى بـ(رائحة التفاح) وبعضهم زعموا أن خدّيه كانتا تشبهان التفاح فى النضارة والجمال .[1]

ورأيى أنا أن كلمة «سيب» وحدها كانت اسما له بالفارسية ، لأن سكان فارس (جنوب إيران) فى لهجتهم الدارجة ينطقون الأعلام بصورة عامة بإشباع الضمة على شكل واو مضمومة ،فأخذوا يدعونه فى بلده بـ«سيبُو» ومن ناحية أخرى فإن مثل هذه الأسماء الأعلام حينما تعرب يضاف إليها حرفا «الياء والهاء» ويفتحان عند النطق.

وهذه التسمية العربية لم تكن منحصرة فى الأسماء الفارسية فحسب ،بل إن إلحاق «ويه» كانت متداولة فى العالم العربى أيضاً مثل ، نفطويه وخالويه وقولويه ، وغيرها من الأع م المعروفة .

ومن هذا القبيل إلحاق «ويه» بالأعلام الفارسية؛فهو ما زال موجودا ومستعملا حتى اليوم فى جنوب إيران ، والكل ينطقونها بلهجتهم الدارجة بإشباع الضمة بدون تلك اللاحقة ، وقد حفظت لنا السجلات القديمة كلمة «ويه» فى مثل الكلمات : «كوه كيلو» المنطقة المعروفة ، وتعريبها«كوه كيلويه» وقرية «مهارلو» المعربة فى المخطوطات القديمة بـ«مهارلويه» (وهى قرية على بعد أربعين كيلو مترا فى الناحية الشرقية من شيراز (وكذلك ميناء «عسلو») التى جاءت فى المخطوطات الرسمية «عسلويه»). وهكذا لقب الأمير علاء الدولة الديلمى بالفارسية «كاكو» = خال» وعربت

(١) مقدمة «الكتاب» طبعة بيروت ١٣٨٧ هـ . ق.شد الإزار فى حط الأوزار عن زوار المزار . «أبو القاسم جنيد شيرازى (قرن ٧) ص ٩٦ ط طهران ١٣٢٨ هـ.ش وفيات الأعيان ، ابن خلكان .

هذه الكلمة بـ « كاكويه » . والسلالة التاريخية لملوك الديالمة الذين اشتهروا بأسرة « بويه » ( بفتح الواو ، باللغة العربية، والأصح سكونها ) .

( ٢ )

كما أسلفنا ، أن ميلاد عمرو بن عثمان ؛ سيبويه وحياته ونشأته كانت فى القرن الثانى للهجرة، وأن عمره كله انقضى فى هذا القرن . ولا شك أن القرن الثانى ليعتبر فى تاريخ إيران الإسلامى قرناً مباركاً وكان يعد القرن الذهبى للثقافة الإيرانية الإسلامية ، حيث تمكن الإيرانيون بقوة ذكائهم وأصالة ثقافتهم ، وبلوغهم الذاتى ، أن يتملكوا الزعامة الفكرية والمادية فى مجالات العلم والفن والسياسة فى منطقة الشرق الأوسط . وأصبحت الشريعة الإسلاميــة تنتشر انتشاراً منقطع النظير فى الأقاليم والأوساط الإيرانية ، وترعى تحت ظلالها المذهب الجعفرى . وبذلك أصبحت لغة الإيرانيين مزيجاً من اللغة العربية الحجازية ومن الفارسية الفهلوية . ومن مميزات هذا القرن أيضاً ، ظهور أبى مسلم الخراسانى (المقتول ١٣٧ هـ ) وثورته القاضية على الحكم الأموى الغاصب وإرساؤه قواعد الخلافة العباسية ( ١٣٢ هـ مقتل مروان الأموى ) .

فنى أواخر هذا القرن أيضاً قضى الأمير الطاهر ذو اليمينين (قيل إنه من أحفاد بهرام جوبينه ) على محمد الأمين، ونصب أخاه المأمون ( الذى كانت أمه إيرانية ) على الخلافة . والطاهر كوّن أول أسرة ملكية إقليمية إيرانية فى خراسان وما وراء النهر تدعى بالطاهريين ( توفى ٢٠٧ هـ بمرو )

وفى هذا القرن كان وزراء وحكام إيرانيون يديرون شئون الدولة الإسلامية المترامية الأرجاء باسم خليفة بغداد من أمثال يحيى وجعفر والفضل البرمكيين ( المقتول ١٩٣ هـ ق ) والفضل بن الربيع السرخسىّ ( توفى بطوس ٢٠٨ هـ ق ) .

وقد ظهر أيضاً فى القرن الثانى عباقرة وعلماء وشعراء، من مثل عبد الله بن المقفع (المقتول بالبصرة ١٤٣ هـ ق ) والذى ترجم كتاب كليلة ودمنة من اللغة البهلوية إلى العربية، وألف كتباً أخرى ، وهكذا نرى فى هذا القرن شاعرًا كبيرًا مثل بشار بن برد( ١٦٧ هـ ق ) وأبا نواس ( ١٩٨ هـ ق ) ومسلم بن الوليد (المتوفى بجرجان ٢٠٨ هـ ق ) ، الذين دوت أشعارهم وقصائدهم فى أرجاء العالم الإسلامى وقام هؤلاء الكبار الذين ينتمون إلى أصل فارسى بنهضة عظيمة مدوية فى الشعر العربى وأدبه .

( ٣ )

أجمع المؤرخون على أن مولد سيبويه كان فى ناحية«بيضاء»فى ولاية فارس، وتقع هذه الناحية فى شمال غربى شيراز، على بعد ٤٢ كيلو متراً، ومركز هذه الناحية يسمى

الآن « تل بيضا » [1] وأغلب الظن أن هذه القرية المركزية كانت مولد سيبويه الإيرانى نسباً وعنصراً . كان جده الأعلى اسمه « قنبر »، والظاهر أن هذه الكلمة إيرانية .

وفى قرية بيضاء ولد كثير من العلماء والشخصيات المعروفة من المتقدمين من مثل : حسين بن منصور الحلاج ( المقتول ٣٠٦ هق ) وهو من كبار علماء التصوف والعرفان . وقصته معروفة . ومن هناك أيضاً القاضى ناصر الدين أبو سعيد المعروف بالقاضى البيضاوى ( المتوفى فى تبريز — ٦٩٥ ه ق ) وهو مشاهير الأدب والفقه والتاريخ والتفسير . ولابأس فى أن نشير هنا إلى أن محل « تل بيضاء » الحالية والقرية المجاورة لها المسماة بـ « مليان » هى محل المدينة الأثرية القديمة « آنشان . أو—أنزان» Anshan التى كانت فى أواخر الألف الثانى وأواسط الألف الأول، مدينة عظيمة عامرة ومركزا لمحافظة «بارسوا Parsua فارس قبل حكم الأخمينين Aeaminians فى عصر العيلاميين Elamites الذين كان لهم حضارة وحظ فى جنوب إيران . وكانوا معاصرين للأشوريين وقد حكموا فى جنوب إيران وجنوب العراق ، ولكن بعد أن قضى عليهم كورش الكبير وأسس عاصمته باسار كاد Pasorcde فقدت مدينة «آنشان» أهميتها وأصبحت شيئا فشيئاً قرية صغيرة تناولها النسيان . وفى عام ١٩٧٢ م عثر العالم الأثرى الأميركى الدكتور Dr. Sumner على آثار قديمة للمدينة فى أنقاض « مليان » و« تل بيضا» فظهرت مرة أخرى إلى الوجود مدينة آنشان الأثرية . فلا غرو إذن أن نرى سكان هذه المدينة —التى ورثت الحضارة العيلاميـة — متميزين بنهضة علمية ومقدرة عقلية جبارة، فيظهر من هذا الوسط الحضارى من أمثال سيبويه والحلاج والبيضاوى وغيرهم من الأفذاذ .

## ( ٤ )

وبعد أن بزغت شمس الإسلام، وانقرضت الدولة الساسانية على يد المسلمين العرب (٦٥٠م ) وجالت خيول العرب من الجزيرة العربية على شكل الغزاة المسلمين فى جميع إيران وثوران ، أقاموا معسكراتهم فى منطقتين :

إحداهما فى شمال العراق باسم الكوفة والأخرى فى الجنوب باسم البصرة، وإن هاتين المنطقتين العسكريتين تطورتا أخيرا إلى مركزى علم وأدب للعرب ، وكان المسلمون العرب يحكمون من الكوفة شمال إيران من ماوراء النهر إلى إرمنتان (إرمينية) ومن البصرة يحكمون المناطق الجنوبية والشرقية حتى السند والهند ، ولما هدأت الأحوال وأخذت الأمور تسير فى مجراها فى القرن الثانى، واستتب السلام ، وتوفرت الفرص

(١) فارسنامه ناصرى ج ٣

للدراسة والبحث لرجال العلم ، تكونت حينئذ مدرستا الكوفة والبصرة من علماء العرب والفرس، وانهال رواة الحديث وطلاب العلم من كل حدب على هاتين المدينتين، وظهر رجال الفكر والثقافة في كل فن من فنون العلم والأدب ، وألفت كتب كثيرة في فنون الأدب ، كاللغة والنحو والصرف والشعر ، وكذلك في علوم الفقه والتفسير والكلام . ففي هذا الوسط الثقافي برز إلى الوجود عالم اشتهر في علم اللغة والأدب والموسيقى ، وألف كتباً كثيرة وهو الخليل ابن أحمد ( ١٧٠ هـ ق ) الذي كان يقيم في البصرة ، وقد عرف بالأستاذ : ورحل سيبويه الإيراني مع أبيه من فارس إلى البصرة ، وفي هـذا الجو المشبع بالعلم والفن عكف أولا على دراسة الحديث والفقه ، ثم على دراسة النحو وتتلمذ على الخليل بن أحمد ، فأخذ عنه اللغة وعلم النحو ، إلى أن وصل مرتبة الكمال وهو حدث . وقبيل الشباب حاز على قدر كبير من العلم والفضيلة ، وقد أثنى الخليل في إبان دراسته على سيبويه وكان يستقبله الخليل بترحيبته المعروفة : « مرحباً بزائر لا يمل » . وقيل إن الخليل لم يثن على أحد بمثل ما أثنى على سيبويه . وقد تتلمذ سيبويه أيضاً على أساتذة آخرين أمثال الأخفش الكبير ( عبد الحميد بن عبد المجيد البصري (توفي ١٧٧ هـ.ق ) . وقد أخذ سيبويه لغته من أبناء البادية أيضا . وتتلمذ على سيبويه علماء كبار من مثل : الأخفش الأوسط ( سعيد بن مسعدة المتوفى ٣١٥ هـ ق ) والأخفش الأصغر ( علي بن كيسان المتوفى ٣١٥ هـ ق) ، وغيرهما .

## ( ٥ )

إن أعظم أثر تركه لنا سيبويه كتاب اشتهر بـ « الكتاب » بصورة مطلقة ، وقد أثني على « الكتاب » طوال التاريخ الثقافي الإسلامي ، ولا يزال مصدرا كبيراً من مصادر الدراسة في علم النحو والعربية ، وقد شرح هذا الكتاب وعلق عليه كثير من العلماء ، منهم : أبو سعيد السيرافي ( ٣٦٨ هـ ق ) وأبو علي الفارسي المعاصر له ، وغيرهما من الشراح ( انظر معجم الأدباء لياقوت ) وطبع في كلكته والقاهرة وبيروت وباريس وبرلين .

ولا شك أن سيبويه قد أرسى قواعد اللغة العربية ، ووضع أصولها في هذا الكتاب . وقد قيل إنه أخذ الأصول من الخليل ، واقتبس الفروع والشروح من عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، وغيرهم من علماء البصرة ، فجمع أشتات مواضيعها ورتبها ، ولهذا عرف « الكتاب » باسم سيبويه . وهذا كتاب قد شبهوه بالبحر .

## ( ٦ )

وعندما شمخت صروح الخلافة في بغداد وأخذت في التوسع ، وأصبح الوزراء البرامكة

موئلا ومحجا للخاص والعام ، قصد عالمنا الشاب بغداد ليزور يحيي البرمكي ، فحاز في بغداد على مكانة وشهرة واسعتين جداً . وهناك كان الكسائي أبوالحسن علي بن حمزة الكوفي أحد القراء السبعة ومعلم هارون وابنه الأمين ( توفي في الري ١٨٩ ه ق )ونعلم أنه من رواد مدرسة الكوفة ، وكان في بغداد تفرش له الوسادة ، وله منزلة سامية عند الخليفة حيث عينه معلماً لولده محمد الأمين ، ولما عرف الكسائي مالسيبويه من منزلة كبيرة في العلم حسده ، وخطأه في بعض من المسائل العلمية ، فلما اشتد الخلاف بينهما أمر يحيي البرمكي أن يعقد مجلس بحث ونوقشت القضية المعروفة « بالزنبورية » ( والمسألة موجودة في كتب النحو المبسطة أمثال مغني اللبيب لابن هشام ) ولما كان الكسائي محظوظاً لدى جهاز الخلافة تآمر محمد الأمين والكسائي على سيبويه ، وجاءوا بجماعة من أعراب البادية ليحكموا بينهما ، فأوعزوا إليهم أن يخطئوا سيبويه ويقولوا : « الصواب قول الكسائي »

(انظر وفيات الأعيان والفهرست )

وبهذه المسرحية المبكية أفحموا سيبويه الفارسي الذي كان ذا لكنة بسيطة في لسانه ؛ ولكن أسلوبه وطريقته في الكتابة سهلة مرنة جزلة . وبعد هذه الحادثة ، قام يحيي البرمكي الذي أعد هذا البرنامج باستعطاف سيبويه ، وقدم إليه عشرة آلاف درهم . فعاد سيبويه من بغداد إلى البصرة وقد صمم على أن يذهب إلى طلحة بن طاهر أمير خراسان ، فلما وصل إلى مدينة ساوة اضطره المرض على أن يعدل عن سفره إلى خراسان ، وهو مهموم ومهضوم ، فيمم نحو شيراز قاصداً موطنه الأصلي . فتوفي هناك في الثانية والثلاثين من عمره على قول ، وقيل : في الأربعين من عمره ، ودفن في مقبرة « باهلية » ، وقد نصب عليه رخام أسود ، وقدبقي من تربته هذا الحجر الأسود حتى الآن . واشتهرت المنطقة التي فيها قبر سيبويه بواسطة الرخامة = سنك ، بمنطقة « سنك سياه » الحجر الأسود (١)

## ( ٧ )

قد اختلف المؤرخون وكتاب التراجم في مدفن سيبويه ، فبعضهم قال : إنه دفن في مدينة ساوة ، وقال آخرون دفن في « بيضا » مسقط رأسه . أما أصح الأقوال فهو أن مدفنه في شيراز ، وقد زرت قبره في حي « سنك سياه » عليه رخام طوله ٩٤ ( م ٩ م ٩ ) سنتيمتراً وعرضه م ٩ سنتيمتراً .

ذكر مؤلف كتاب شد الإزار ( المتوفى في ٧٩١ ه ق ) بأنه لم يتأكد من موضع قبره في « باهلية » ، ولكن ابنه عيسى بن جنيد تعرف على القبر وأشار إلى المحل الذي هو الآن معروف لدى عامة سكان شيراز .

---

(١) شد الإزار ص ٩٥ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ، الفهرست لابن النديم ط ٠ طهران ج ٥٧ ، فارسنامه ناصري ج ٣ و آثار العجم فرصت شيرازي .

كانت الرخامة سابقاً ذات كتابة ونقوش وقد نحتت عليها أبيات من الشعر ، ولكن مرور الزمن محا تلك الخطوط وأصبحت الرخامة صافية لماعة[1] . ويذكر عيسى ابن جنيد عن سبب لمعان تلك الرخامة : أن المعروف عند عامة الناس فى شيراز ، أن من طلاب العلم مَنْ إذا أراد أن يصل إلى درجة الكمال يأتى عند قبر سيبويه ويمسح صدره على تلك الرخامة ليكتسب البركة من صاحب القبر ،وقد فشت هذه العادة بين الناس فى مدينة شيراز فيأتون بأطفالهم المصابين بمرض السعال الديكى Coqulouche ويمسحون رقابهم وصدورهم ذهبت الكتابة وبسبب هذه العقيدة والمسح المستمر على خطوط تلك اللوحة الصخرية بتلك الصخرة وأصبحت شفافه لماعة[2] .

## ( ٨ )

كما أسلفنا فى صدر كلامنا أن تاريخ وفاة سيبويه هو عام ١٩٤ه ق على أصح الأقوال وأن حسن فسائى فى فارسنامه قد ذكر تاريخ الوفاة ١٩٥ه . ق، ولكن المصادر تدلنا على أن عام ١٩٤ ه هو أصح الأقوال بما يلى :

أولا : أن الحافظ الخطيب البغدادى أبا بكر أحمد بن على ( المتوفى ٤٦٣ ه.ق ) ذكر فى تاريخ بغداد ، أن وفاة سيبويه كانت فى ١٩٤ه،وعمره اثنتان وثلاثون سنة ،فعليه يكون قد ولد عام ١٦٢ه،والخطيب كما نعلم من ثقات المؤرخين ومعتمد لدى المؤرخين والأدباء ، وأن ،القاضى جمال الدين المصرى ( المتوفى فى شيراز ٦٥٣ه. ق ) يؤيد كلام الخطيب[3] وأن ابن دريد الأديب اللغوى لى ( المتوفى ٣٢٤ ه. ق) والذى أخذ الخطيب عنه كثيرا من مصادره التاريخية ،يقول : إن سيبويه توفى فى مدينة شيراز عام ١٩٤ ه وقبره معروف فى هذه المدينة .

ثانياً : بعد دراسة تاريخ المناقشة التى وقعت بين سيبويه وبين الكسائى نعلم أن محمد الأمين الذى كان ينحاز إلى الكسائى ، ويؤازره فى المؤامرة المدبرة على سيبويه كان فى مرحلة من النضج والإدراك ، بحيث كان يدرك ويتعقل تدبير المؤامرة. ولما كنا نعلم أن ولادته — أى الأمين — كانت فى سنة ١٧٤ هفيغلب على الظن أن تكون المناظرة قد وقعت حول عام ١٩٠ ه وأن سيبويه ترك بغداد بعد أربع أو خمس سنوات إلى ساوة ، ومن هناك إلى فارس، وتوفى بعد مدة قليلة. واعتماداً على هذه الوثائق التاريخيه نقطع بأن وفاته كانت عام ١٩٤ ه وماعدا ذلك ليس بصحيح .

---

(١) آثار العجم ، فرصت شيرازى ( تأليف عام ١٣١٠ ه ق )
(٢ المزارات عيسى بن جنيد ص ٤٦٥
(٣) شد الإزار ، هامش ص ٩٨

وفى هذا العام ( أى ١٣٠٤ هـ ق = ١٣٥٣ هـ ش ) يوافق الذكرى المئوية الثانية عشرة لوفاة سيبويه . قامت جمعية الآثار الوطنية فى طهران التى تقوم منذ نصف قرن على حفظ الآثار ، وإصلاح المبانى والمشاهد والمقابر الأثرية وطبع الكتب والرسائل الكثيرة ونشرها وجهود علمية كبيرة . هذه الجمعية تفكر الآن بتشييد بناء ضريح يناسب ذلك الإمام الفارسى فى شيراز ، وهى أيضاً بصدد شراء الدور التى تحيط بالمقبرة فى « سند سياه » وتسوية المعابر والشوارع الموصلة إلى المقبرة إن للجمعية الثقافية فى فارس وبلدية شيراز الدور الفعال فى هذا العمل العظيم . أرجو من الله التوفيق وعليه التكلان .

**على اصغر حكمت**
طهران — ايران

# سيبويه في الميزان

للدكتور احمد مكي الأنصاري

قبل أن أخوض فى هذا الحديث المستفيض أبادر فأضع بين يديكم مبدأ راسخا .. ينبغى ألا نحيد عنه فى دراساتنا لسيبويه العظيم ..ذلك المبدأ هو :

يجب أن نقدر سيبويه كل التقدير .. ولكن ينبغى ألا نقدسه أى تقديس .. وفرق كبير بين التقدير والتقديس .

ذلكم هو المبدأ .. وهذا هو المنطلق الذى ننطلق منه، فى رحلتنا الطويلة مع سيبويه .. وأظنكم توافقوننى على أن تقديس الأشخاص حرام .. حرام قطعا ، شرعا وقانونا ونحوا وصرفا .

والآن نبدأ فى وزن سيبويه .. وأشهد أننى لم أجد ميزانا واحدا يتسع لوزن سيبويه الضخم العملاق . وكيف تتسع له الموازين وقد طبقت شهرته الآفاق .. شرقا وغربا، عربا وعجما . فكان ملء السمع والبصر والفؤاد .. فى القديم وفى الحديث على السواء .

إن سمعة سيبويه العبقرى تغزو الآن أوربا .. حتى أن كتابه الفريد يترجم إلى بعض اللغات الحية مثل اللغة الألمانية، والإسبانية .. وغيرهما من اللغات .

وقديما أنصفوه فأطلقوا عليه ( إمام النحاة ) .. كما أنهم بالغوا فى تقدير كتابه فقالوا : ( إنه قرآن النحو )، وحسبه ذلك تمجيدا وتقديرا . ومن هنا نجد الباحث نفسه أمام عمل ضخم حينما يحاول جاهدا أن يضع ( سيبويه فى الميزان ). وأشهد أن عبقرية سيبويه تجلت فى كتابه الخالد .. فهو كنز هائل ، ومنبع ثر ، كأنه بحر زاخر يمده من بعده سبعة أبحر .. فيه من الجوانب الحية النابضة مايدعو الباحثين إلى التعمق فيها، وهى ماتزال أبكارا، عربا أترابا. تنتظر الباحثين فى كثير من الميادين، مثل الأصوات ، واللهجات، والبلاغة ، والنقد .. بالإضافة إلى النحو والصرف واللغة بوجه عام .. وإليك بعض العناوين لتكون بين يديك بمثابة دليل أو معين .

١ – سيبويه والأصوات : فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة .

٢ – سيبويه واللهجات :

٣ – شواهد سيبويه على محك النقد – ( ومن ورائها الشواهد النحوية بوجه عام ) .

٤ — التداخل بين البلاغة والنحو فى كتاب سيبويه .

٥ — كتاب سيبويه بين النقل والابتكار .

٦ — القضايا النحوية بين سيبويه والمبرد .

٧ — أخطاء سيبويه فى نظر ابن تيمية .

٨ — مشكلات ابن الضائع فى كتاب سيبويه .

٩ — مآخذ الأخفش على الكتاب .

١٠ — ظاهرة التأويل فى كتاب سيبويه .

١١ — وأخيرا وليس آخرا ( سيبويه والقراءات ) .

كل هذه الموضوعات أو جلها وغيرها كثير وكثير ... ماتزال تنتظر البحث .. ومن خلال هذا البحث والدرس العميق نستطيع أن نزن سيبويه وزنا دقيقا ، لنعرف حجمه الطبيعى دون تهويل أو تهوين .. ثم نضعه فى المكان اللائق به .. وما أحسبه إلا فى عنان السماء : بين السماكين أو الفرقدين . وكم كنا نود أن نزن سيبويه من جميع النواحى ، ولكن أنى لنا ذلك . والجهد قاصر ، والقضايا متعددة الجوانب . لهذا وذاك سنقصر حديثنا الآن على قضية واحدة ، فقط وهى ( موقف سيبويه من القراءات ) — وقديما قالوا : « مالا يدرك كله لايترك كله » ، « وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » .

وإليك البيان :

## القضية الكبرى :

هى : موقف سيبويه من ، القراءات القرآنية .. ومنها تتفرع سائر القضايا الأخرى وهى :

١ — قضية المعارضة الصريحة للقراءات عند سيبويه .

٢ — قضية المعارضة الخفية للقراءات عند سيبويه .

٣ — قضية التأويل للآيات القرآنية عند معارضتها للقواعد النحوية .

٤ — قضية موافقة الكتاب للكتاب ، والمراد بها موافقة كتاب سيبويه لكتاب الله العزيز .

## مسالك التفكير عند سيبويه :

يخيل إلى أن مسالك التفكير عند سيبويه كانت على النحو التالى :

إن سيبويه — رحمه الله — وضع القواعد النحوية فى كفة ، ووضع الآيات القرآنية فى كفة أخرى ، ثم نظر فى الآيات القرآنية فما كان منها موافقا للقواعد البصرية .. تقبله بقبول حسن ، واستشهد به فى الكتاب وتلك هى القضية الرابعة التى أشرنا إليها آنفا ( موافقة الكتاب للكتاب ) . أما ماتعارض من الآيات مع القواعد النحوية البصرية .. فوقف منه مواقف ثلاثة .. تتجلى فيمايلى :

قسم منها استطاع أن يخضعه للتأويل والتقدير .. ليتفق مع القواعد البصرية

وتلك هى القضية الثالثة ( قضية التأويل للآيات ، وإخضاعها للقواعد ) .

أما الباقى من الآيات المتعارضة للقواعد البصرية .. فإنها تأبى الخضوع للتأويل والتقدير :

وحينما استعصت على سيبويه وقف منها موقف المعارضة القوية ورماها بالضعف ، والقبح والرداءة .. لالشيء إلا لأنها خالفت القواعد البصرية .. وكأن القواعد النحوية مقدسة أكثر من الآيات القرآنية.

ومهما يكن من أمر فإن المعارضة القوية كان لها مظهران عند سيبويه :

المظهر الأول : هى المعارضة الخفية .. وذلك حينما يضع القاعدة النحوية التى تصطدم بالآية اصطداما عنيفا دون أن يذكر نص الآية بصراحة .. وإن كان يذكر كل ماينطبق عليها ، ويحددها تمام التحديد. وعندما تصل الأمور إلى هذا الحد يستوى فيها التصريح والتلميح : والمظهر الآخر هو المعارضة الصريحة .. وذلك عندما يفلت منه الزمام .. فيذكر نص الآية بصراحة ويذكر معها بعض الصفات التى لا تليق .. كما سيأتى بالتفصيل عما قليل . ولعلك تلحظ أن المعارضة الصريحة ، والمعارضة الخفية ، هما وجهان لعملة واحدة : يتعامل بها سيبويه مع القراءات التى لاتتفق مع المذهب البصرى ، ولايستطيع إخضاعها للتأويل والتقدير يروهما ؛ مثلان القضية الأولى والثانية من القضايا الأربع التى تشتمل عليها القضية الكبرى ، وهى (موقف سيبويه من القراءات ) .

## وإليكم بعض النماذج

### أولا : نماذج من المعارضة الصريحة[1] :

قال تعالى فى سورة الجاثية[2] : «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون» : جاءت القراءة بنصب كلمة (سواء) ويرفعها كذلك ، وكلتاها قراءة سبعية ، ولكن سيبويه يأخذ ما يروق له وهى قراءة الرفع .. ثم يهاجم قراءة النصب ويصفها بالقبح والرداءة[3] مع أنها قراءة سبعية كما ترى .. قرأ بها أكثر من قارئ فى السبعية . قرأ بها حفص وحمزة والكسائى : وتوجيهها فى النحو سهل ميسور .. فإنها تعرب حالا ، أو مفعولا ثانيا لنجعلهم ، أى نجعلهم سواءً فى المحيا وفى الممات .. إلى غير ذلك من الأعاريب التى ذكرها العلماء بالتفصيل ،

(١) انظر تفصيل كل ذلك فى كتابنا ( سيبوية والقراءات ) ص ١٦ فما بعدها ، توزيع دار المعارف بمصر

(٢) آية : ٢١

(٣) راجع الكتاب ١ : ٢٣٣ ط بولاق

ولكنها لا تتفق مع مذهب سيبويه .. ولهذا وصفها بالقبح والرداءة سامحه الله . وهناك آية أخرى ينطبق عليها وصف سيبويه بالقبح والرداءة ، وهي قوله تعالى : «سواء العاكف فيه والباد» وهي قرءة سبعية أيضا[1]. ولكن سيبويه لا يحفل بالقراءة السبعية أو غيرها من القراءات . إذا ما اختلفت مع القواعد النحوية البصرية بالذات .

ومن النماذج أيضا قراءة آية أخرى وصفها سيبويه بالضعف والقبح معا[2] وهي قوله تعالى : «ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن» بضم كلمة (أحسن) على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : تماما على الذى هو أحسن — مثل هذا جائز مستساغ ، لا غبار عليه عند غير سيبويه ومن لف لفه من البصريين والمتبصرين .. أولئك الذين هاجموا هذه القراءة ورموها بالضعف والقبح والشذوذ .. ومن كان منهم معتدلا بعض الاعتدال وصفها بالقلة والندور[3]

وإن أردت المزيد من النماذج فعليك بكتاب (سيبويه والقراءات)[4] ففيه بعض الآيات التي عارضها سيبويه معارضة صريحة ، ومنها قوله تعالى : «وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين» فى قراءة أبى عمرو بن العلاء بالإبدال — والمراد إبدال الهمزة ياء فى (ائتنا) وكان حقها أن تبدل واوا فى نظر سيبويه ؛ لأن ما قبلها مضموم .. فلما لم تجئ على القاعدة البصرية رماها بالضعف — سامحه الله .

## ثانيا : من نماذج المعارضة الخفية[5] :

(أ) قال تعالى فى سورة يس : «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون»[6] قرأ بنصب المضارع (يكون) قارئان كبيران من القراء السبعة .. هما الكسائى وابن عامر — وتكررت قراءة النصب فى هذا الحرف من القرآن حين جاء فى سورة النحل كذلك عندهما معا — كما أن ابن عامر قرأ بالنصب فى جميع المواضع الأخرى التى ورد فيها هذا الحرف من القرآن الكريم ، باستثناء موضعين اثنين ومع هذه الكثرة الكاثرة من الآيات القرآنية المنصوبة .. ومع التوثيق الكامل لقراءة الكسائى وابن عامر فإن سيبويه رحمه الله يقرر ضعف النصب هذه الحال[7] .

---

(١) راجع كتاب (سيبويه والقراءات) ص ٢٣

(٢) انظر الكتاب ١ - ٢٧٠ ط بولاق

(٣) راجع شراح الألفية فى باب الموصول عند قول ابن مالك :

(وبعضهم أعرب مطلقا وفى . . . ذا الحذف أيا غير أي يقتفى)

(ان يستطل وصل وان لم يستطل . . . فالحذف نزر وأبوا أن يختزل)

(٤) ص ٢٥ فما بعدها . (٥) راجع تفصيل كل ذلك فى كتاب (سيبويه والقراءات) ص ٤٦ فما بعدها

(٦) آية - ٨٢ (٧) راجع الكتاب ١ - ٤٢٣ ط بولاق

لا لشيء إلا لأنها لاتتفق مع القاعدة النحوية التي وضعوها بأيديهم في مصنع التقعيد — وخلاصة القاعدة عندهم أن الفعل المضارع لا ينصب بعد الفاء إلا إذا كان جوابا .

هذه هي القاعدة الناقصة التي أحاطوها بالتقديس أكثر من القراءات القرآنية المحكمة؛ ماذا عليهم لو نسفوا هذه القاعدة من أساسها .. و على الأقل يعدلونها ويوسعونها بحيث تشمل هذه القراءات السبعية المتعددة .. ويجيزون النصب — دون ضعف — كما يجيزون الرفع وإن كان الرفع أكثر !

ماذا على شيخنا سيبويه — رحمه الله — لو فعل ذلك .. وأعفى نفسه من الحرج بوضع قاعدة نحوية تصطدم بالقرآن الكريم في أعلى قراءاته .. وهي القراءة السبعية ؟ ليته فعل ... ولكنه لم يفعل مع الأسف الشديد .

(ب) ومن ذلك [1] قوله تعالى : «يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك »[2] وقوله جل شأنه : « أولئك هم خير البرية» [3]

قرأ نافع بتحقيق الهمزة في الكلمتين معا ( النبيء والبريئة) وهو من القراء السبعة وبه بدأ ابن مجاهد حيث كانت قراءته أوثق القراءات في نظره لأنه قرأ على سبعين من التابعين ، ولكن سيبويه — رحمه الله — لا يبالي بذلك ويصف هذه القراءة بالقلة والرداءة [4] .

هذا إلى أن تحقيق الهمزة وتخفيفها كلاهما لهجة واردة عن العرب الفصحاء . . وأكثر من هذا أن التحقيق أدخل في باب اللغة من التخفيف ، وفي هذا يقول العلامة الرضي : « والتحقيق هو الأصل كسائر الحروف ، والتخفيف استحسان » .

وإذا لم يكن هذا ولاذاك فالقرآن وحده الحجة البالغة على جميع اللغات . . والقراءة سنة متبعة . . ولولا ذلك ما تكلفت قريش نبر الهمزة وتحقيقها في القرآن الكريم ، وآية ذلك أن الإمام عليا كرم الله وجهه قال : « نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي صلى الله عليه وسلم ماهمزنا »[5] فانظر إلى الإمام علي يقرر نزول الوحي بقراءة الهمزة ويخضع لها مع أنها تخالف لهجته الخاصة . . ثم انظر إلى سيبويه يصفها بالرداءة مع أنه يعلم اليقين أنها واردة وأن القراءة سنة متبعة هذه واحدة . وأخرى سلفت . وهناك أخريات . . وأخريات مما لا أطيل بذكره الآن [6]

---

(١) انظر ص ٧٠ فما بعدها من كتاب ( سيبويه والقراءات ) (٢) التحريم

(٣) سورة البينة آية رقم (٧) وقبلها جاءت كلمة ( البرية ) كذلك في آية رقم (٦) من نفس السورة .

(٤) انظر الكتاب ٢ - ١٧٠,٢ - ١٦٣ ط بولاق (٥) راجع شرح الشافية ٣ . ٣٢

(٦) راجع المبحث الثاني كله ابتداء من ص ٤٠ فما بعدها من كتابنا ( سيبويه والقراءات ) .

ومنها ( تاءات البزى ) المشهورة عند جميع القراء . وعددها واحد وثلاثون موضعا فى القرآن الكريم . وقد تعرض سيبويه لبعضها فمنعها منعا باتا مع أنها جميعا من القراءات السبعية المحكمة [١] .

## ثالثا : من نماذج التأويل [٢]

( أ ) قال تعالى فى سورة النور [٣] : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » . الإعراب الفطرى الذى يتبادر إلى الذهن لأول وهلة هو أن تعرب ( الزانية ) مبتدأ وخبره جملة ( فاجلدوا ) .. وبه قال بعض العلماء الأجلاء من أمثال المبرد والزجاج والزمخشرى وأبى زكريا الفراء .

غير أن سيبويه - رحمه الله - لجأ إلى التأويل البعيد حينما وقفت له الصنعة بالمرصاد فقال : إن خبر (الزانية) محذوف تقديره (فيما يتلى عليك الزانية والزانى - أو فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزانى) .. أما جملة (فاجلدوا) فأعربها مستأنفه .. ولا يصح أن تكون خبرا فى نظره لا لشىء إلا لأنها خالفت القاعدة النحوية البصرية .

فانظر إليه رحمه الله ..كيف تتحكم فيه الصنعة فيرفض الإعراب الذى يساير الفطرة كما يساير طبيعة اللغة العربية السمحة ..فماذا عليه لو أجاز هذا الإعراب كما أجازه العلماء الأجلاء من المدارس النحوية الكبرى جميعا؟ وما الذى يضيره أو يضير اللغة العربية حينما يوسع هذه القاعدة الناقصة .. فيجعلها تشمل هذا الخبر كما تشمل غيره من الأخبار؟ لو فعل ذلك لأراح نفسه وأراح الناس من بعده .. من أمثال هذا التأويل المتكلف، وذلك التقدير الذى يفسد الذوق العربى السليم .. ولكن هيهات أن يمس القاعدة المقدسة مهما كانت مخالفة للكثير من الآيات القرآنية المماثلة [٤] .. ومن الشعر العربى الفصيح [٥]

(ب) ومن التأويل المتكلف ما جاء فى قوله : قوله تعالى : «إذا السماء انشقت» - وقوله جل شأنه : «وان أحد من المشركين استجارك» [٦] إذا أردت الفطرة السليمة فى الإعراب واستلهمت الحس اللغوى المرهف أعربت كلمة (السماء) مبتدأ وما بعدها خبر لها - وكذلك الحال فى الآية الثانية .. وبه قال كثير من

---

(١) انظر ص ٥٣ فما بعدها من نفس المصدر . (٢) راجع ص ١٧٠ فما بعدها من المصدر السابق .

(٣) آية رقم ٢

(٤) من الآيات المماثلة قوله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» المائدة ٣٨-وقوله عز وجل: «واللذان يأتيانها منكم فآذوهما» النساء - ١٦ .

(٥) من ذلك قال الشاعر .

وقائلة خولان فانكح فتاتهم ... وأكرومة الحيين خلو كاهيا

(٦) التوبة ، آية .

العلماء الاجلاء[1] ولكن سيبويه — رحمه الله — يرفض هذا الإعراب الفطرى الجميل ويلجأ إلى التأويل والتقدير، ويتبعه فى ذلك سائر البصريين والمتبصرين إلى يومنا هذا فى هذا العصر الحديث .. ويقولون : إن كلمة (السماء) فاعل لفعل محذوف تقديره (انشقت) وكذلك كلمة (أحد) فاعل لفعل محذوف تقديره (استجارك) .. وبناء على هذا وذاك يكون التقدير فى الآيتين هكذا :—(انشقت السماء انشقت) — (وان استجارك أحد من المشركين استجار) . وأكثر الظن أننا لسنا بحاجه إلى التعقيب على هذا التقدير المتكلف ذلك الذى يخرج الآية الكريمة عن سماحتها وسلاستها .. ويشوه الأسلوب القرآنى الرفيع .

ويلاحظ أن باب التأويل داخل فى التعارض مع القواعد .. ولكن سيبويه — رحمه الله — يلوى أعناق الآيات .. إلى أن يخضعها للقواعد البصرية د. أما القسم الذى لا يقبل الخضوع للتأويل فإنه يقف منه موقف المعارضة الصريحة ، أو المعارضة الخفية —كما سلف به البيان — غير أن الكل داخل فى باب التعارض مع القواعد — كما ترى .

والآن آن لنا أن نقتضب الحديث اقتضابا، ونكف عن ذكر النماذج للقضية الرابعة وهى (موافقة الكتاب للكتاب) .. ذلك أن معظم الآيات الواردة [2] فى كتاب سيبويه من هذا القبيل .. فلا تحتاج إلى بحث أو تنقيب .. ومن أراد شيئا من النماذج المختارة فعليه بالمبحث الرابع من كتاب ( سيبويه والقراءات ) [3] .

## أثر سيبويه فى المخالفين :

وكان من الطبيعى أن يتأثر النحاة بما جاء فى كتاب سيبويه .. وأن يقتدوا به ( حذوك الكف بالكف) .. إلا من رحم ربك ..وقليل ما هم .. ولنا مع هؤلاء النحاة حديث يطول نرجئه إلى حين . . غير أننا نشير إشارة عابرة إلى (المزايدات) التى زادوها على سيبويه فى قراءة سبعية محكمة [4] وهى قراءة حمزة فى سورة النساء: « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » بخفض الأرحام ،حيث وصفوها بالقبح والضعف واللحن والخطأ .. وأكثر من هذا وذاك أنهم حرّموا القراءة بها تحريما قاطعا .. ولهذا قال المبرد : « لوأنى صليت خلف إمام يقرؤها لقطعت صلاتى وحملت نعلى ومضيت » .

---

(١) من أمثال الأخفش وأبى زكريا الفراء والكوفيين بوجه عام .

(٢) أحصاها بعض الباحثين فوصل بها إلى (٣٧٣) آية ، وهى تمثل جميع القضايا الأربع التى عالجناها فى كتابنا ( سيبويه والقراءات ) (٣) ص ١٨١ فما بعدها . وانظر الكتاب ١ / ٣٧ فما بعدها و ١ / ٤٦ فما بعدها و ٢ / ١٦٥،١ / ١٢٠ فما بعدها وغيرها كثير وكثير . طبع بولاق .

(٤) انظر تفصيل ذلك فى كتابنا ( الدفاع عن القرآن ) توزيع دار المعارف بمصر .

لا لشيء إلا لأنها خالفت القاعدة النحوية الناقصة .. ماذا عليهم لو عدلوا هذه القاعدة كما عدلها الإمام التقى الورع الحصيف.. ابن مالك الحيانى حيث قال فى الألفية المشهورة :

وعود خافض لدى عطف على
ضمير خفض لازما قد جعلا
وليس عندى لازما إذ قد أتى
فى النظم والنثر الصحيح مثبتا

حياك الله يا ابن مالك .. حياك الله أيها الإمام العظيم .. حياك الله أيها النحوى الغيور على القرآن الكريم ، وقراءاته السبعية المحكمة.

هذا إلى أننى لا أتهم هؤلاء النحاة .. كما أننى لا أتهم سيبويه فى دين أو خلق .. فقد كان رحمه الله-مثالا عاليا لهذا وذاك .. ولكنها العصبية المذهبية . . والتمسك بالقواعد النحوية الناقصة .. وكان جديرا به ، وبغيره من النحاة الأوائل أن يتخذوا القرآن الكريم منبعهم الذى لا يغيض ، ومصدرهم الأول فى كل تقعيد .. ومن هنا كانت دعوتنا الحارة لا تخاذ الخطوات الجادة فى إخراج (النحو القرآنى) .. وأكرر وأضغط فى التكرار على (النحو القرآنى)

## نداء ورجاء لإصلاح نحونا الجميل :

لعلى لا أكون متعصبا لتخصصى حين أقول : إن النحو العربى من ألذ العلوم وأجملها .. ولكن تشوبه بعض الشوائب وليتنا نستطيع أن نخلصه من هذه الشوائب الدخيلة عليه ، المتطفلة على موائده الشهية اللذيذه الممتعة .. وتتمثل هذه الشوائب فى آثار الفلسفية الإغريقية ظنا منهم أن النحو منطقى دائما وأبدا .. ونسوا — أو تناسوا — أن اللغة ظاهرة اجتماعية لا تخضع دائما للمنطق العقلى .. وإنما لها منطقها الخاص الذى قد يتفق مع المنطق العقلى ، وقد يختلف معه فى بعض الأحايين (١)

ومن هنا كانت الحاجه ماسه إلى شيء من الإصلاح المتعقل .. وإذا كان الإصلاح الجذرى[٣] للنحو العربى قد عزعلينا .. فلن يعز علينا — مجتمعين — مثل هذا الإصلاح الجزئى .. ذلك الذى يتمثل فى (حركة التنقية والانتقاء) بحيث نبدأ بتنقية النحو من جميع الشوائب الفلسفية التى علقت به .. ثم نقوم بحركة الانتقاء ، واختيار أيسر الآراء على الدارسين والمتعلمين .. شريطة أن يكون هذا التيسير قائما على أساس من الأصالة فى اختيار الآراء من أقوال النحاة القدماء دون تعصب لشخص .. أو مذهب على مذهب .. ونكتفى بهذه الإشارة الخاطفة إلى الإصلاح .

وللإصلاح لدينا حديث طويل نرجئه إلى حين ، ولكن لنا بعض التوصيات .. وإليك البيان :

(١) باب (عطف النسق)
(٢) انظر تفصيل ذلك فى كتابنا (أبو زكريا الفراء) ص ٤٠٣ فما بعدها - توزيع دار المعارف بمصر .
(٣) راجع ص ٤٠٩ فما بعدها من المصدر السابق بعنوان (المنهج اللغوى السليم)

التوصيات التى يهدف إليها هـذا البحث تتركز فيما يأتى :

١ ـ الاقتناع الحقيقى بأن القداسة للشواهد القرآنية .. وليست للقواعد النحوية .
ويترتب على ذلك :

٢ ـ تعديل القواعد على أساس الوارد من الشواهد .

٣ ـ الإصلاح الجزئى .. إذا تعذر الإصلاح الكلى الجذرى[1]

٤ ـ تضافر الجهود لإخراج (النحو القرآنى) وتعميمه فى جميع البلاد العربية والإسلامية ، والاستعانه فى ذلك بكل الوسائل المتاحة علميا ودينيا واجتماعيا .. وتتمثل هذه الوسائل فيما يلى :

(أ) فى المجامع اللغوية المتعددة .

(ب) وفى الجامعات والمعاهد العليا تلك التى تعنى بالدراسات العربية والإسلامية .

(ج) وفى جامعة الدول العربية لما لها من صلات .

(د) وفى المؤتمرات الإسلامية ومراكزها الفعالة .

(هـ) وفى وسائل الإعلام باختلاف ألوانها وأنشطتها .

(و) وأخيرا الاستعانة بالحكومات الإسلامية المؤمنة لتقرير هذا النحو فى مراحل التعليم المختلفة ؛ ليتسنى له البقاء والخلود .. بعد الظهور إلى حيز الوجود.. وإلا أصبح حبرا على ورق ، وضاع فى غمار الحياة . . وكأنه صيحة فى واد أو نفخة فى رماد ، ومهما يكن من شئ فإننى راض عن النتائج..حيث إننى شاركت ونبهت . . ومازلت أنادى وأصيح..ألاهل بلغت اللهم فاشهد.

(وبعد) فأود أن تحكموا بينى وبين سيبويه العظيم .. هل ظلمته .. أو تجنيت عليه ؟

ما أظن هذا ولا ذاك .. فتلك نتيجة البحث المنهجى الصرف .. وقد حكمنا عليه بما رأيناه واستخرجناه من كتابه هو .. وحملناه أوزار ما صنعت يداه ـ إن جاز لنا أن نحمل الباحثين المجتهدين شيئا من الأوزار ـ وقديما قالوا فى الأمثال العريقة : «يداك أوكتا وفوك نفخ» .

على أننى لم يكن من أهدافى قط أن أنال من شيخنا الكبير سيبويه إمام النحاة .. أوأغض من شأنه فى قليل أو كثير .. بل على العكس ـ كما يقول أحد الزملاء الفضلاء العقلاء ـ أننى بذلك دافعت عن سيبويه دفاعا مجيدا .. حيث أبعدت عنه شبهة الزندقة أو الإلحاد .. ونسبت هذا الصنيع فى المعارضات إلى النزعة النحوية من العصبية

---

[1] نفس المصدر .

المذهبية، والتمسك بالقواعد إلى حد كبير. والهدف الأساسى عندى هو التنبيه إلى بعض الثغرات التى نفذ منها الفساد إلى النحو العربى ثم العمل على سد هذه الثغرات .. ومحاولة الإصلاح بالقدر المستطاع .. ونتمنى أن يتحقق شيء من ذلك . وألا نقول مقالة الشاعر الأول :

« وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟! »

والآن بعد مئات السنين .. بعد ألف سنة أو تزيد .. يفكر العالم فى تكريم سيبويه بإقامة مهرجان له فى إيران .. وإذا أردنا أن نكرمه حق التكريم ينبغى علينا أن نعكف على كتابه الخالد. وندرسه دراسة جادة واعية ناضجة متعمقة .. ونستخرج منه الكنوز الدفينة التى احتواها .. ثم ننظر إليها فى ضوء مناهج البحث الحديث .. ونقف منها موقف الباحث لا موقف المناظر . . وفرق كبير كبير بين الموقفين كما تعلمون .

هكذا يكون تكريم سيبويه العملاق .. وهكذا يكون الانتفاع بعلمه الغزير .. فى كتابه الفريد ، ولا يتأتى ذلك إلا بالتعمق العميق فى دراسة الكتاب ..

ومعظم الباحثين فى عصرنا الحديث يهابونه هيبة شديدة ، ولا يكادون يقتربون منه ولهذا أهمل أو كاد فى كثير من الجامعات الحديثة .

أما فى العصر القديم فإنهم كانوا يقدرونه بطريقتهم الخاصة .. ومن بينها الحفظ والاستظهار، على نحو ما كان يفعل القدماء فى المغرب والأندلس .. وعلى رأسهم حمدون النحوى(١) ذلك الذى قالوا عنه: إنه أول من حفظ كتاب سيبويه عن ظهر قلب .. من الغلاف إلى الغلاف ، أو من الألف إلى الياء. كما يقولون .. فهنيئا له هذه الأولية .. وإن كنا ننظر إليها بمنظار آخر، ونقول كما قال بعض الحكماء : « إن هذا العمل الشاق لم يضف إلى النحو جديدا أكثر من أنه زاد نسخة من نسخ الكتاب .. فأصبح (حمدون) كتابا يمشى على قدمين » .

وفى النهاية : أعود فأقول : إننا نقدر سيبويه كل التقدير .. ولكننا لا نقدسه أى تقديس. وفرق كبير بين التقدير والتقديس.

**أحمد مكى الأنصارى**

---

(١) توفى نحو سنة ٢٠٠ هـ

في القرآن والعربية: (٢)

# الصراع بين القراء والنحاة

للدكتور أحمد علم الدين الجندي

**يتبين** لنا من المقال السابق[1] مكانة القرآن الأقدس في النفوس والقلوب والأرواح، ومكانة القرآن في العالم الإسلامي، والمنهج الصارم الذي أخذ به القراء أنفسهم للمحافظة على النص القرآني، والضوابط والمعالم والمقاييس التي وضعتها الأئمة معيارا يعول عليه، وذلك كله بمثابة الجرح والتعديل لفن القراءات.

ولهذا كان الكتاب الكريم أعرب وأقوى في الحجة من الشعر[2]، وأنه يختار له ولا يختار عليه، وأنه نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه[3] معروف» ومن هنا رأى علماء القراءات أن تصحح قواعد العربية بالقراءة لا أن تصحح القراءة بقواعد العربية. فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو، أو كثير منهم، ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المعتد بهم من السلف قبولها وقد شدد علماء القراءات النكير على هؤلاء المخالفين ولقد حاول النحاة أن يسيطروا على حقل الدراسات القرآنية فضيقوا وحجروا وأولوا وعابوا على القراء ونسبوهم إلى اللحن والوهم:

وسأقدم بين يدي القارىء منهجا يتجلى في:

أولا: موقف النحاة من القراءات التي صورت لهجات قبائل عربية منسوبة: سبعية كانت هذه القراءات أو ماوراء ذلك

ثانيا:

موقف النحاة من القراءات التي صورت لهجات قبائل عربية غير منسوبة موضحا مكانها من السبعة أو مازاد عنها، ويكون ذلك من خلال عرض النصوص الموثقة الأمينة حتى أشرك القارىء معي فيما أراه، وأميل إليه وأحكم به.

ثالثا: تغيرات وروايات قرائية أخرى.

رابعا: مقياس الصواب والخطأ عند كل فريق منهم.

(١) نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عدد ٣٣.

(٢) معاني الفراء ١ / ١٤.

(٣) تفسير الطبري ١٢ / ٣٢٢.

( ٤ )

أولا : طعنهم فى القراءات القرآنية التى تمثل لهجات عربية معزوة :

(١) ففى قوله تعالى : «ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل[١] » قرأ حمزة بكسر الياء ووافقه الأعمش ، وأبو عمرو بن العلاء وهى لغة[٢] بنى يربوع إذ الكسر عندهم مطرد فى الياء المضاف إليها جمع المذكر السالم فى حالة الوصل ، وقد قال القاسم بن معن عن هذه القراءة ( إنها صواب )[٣] ( وكان معن هذا ثقة بصيرا ) وقال عنها الأخفش « ماسمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين »[٤] كما وصفها الزجاج بأنها « عند جميع النحويين رديئة مرذولة[٥] » وأنكرها كذلك أبو حاتم ، ورماها الزمخشرى ، بالضعف وزاد فى إضعافها وتهوينها بأن الشاهد الشعرى عليها لرجل مجهول . والحق أن الشاهد للأغلب العجلى ورواه أبو شامة فى أول ديوانه[٦] ويرى المعرى : إجماع أصحاب العربية على كراهة هذه القراءة كما يرى أن أبا عمرو ما جاز هذه القراءة الا متهزئا[٧] ، وكأنه يشير بذلك إلى ماجاء عن أبى عمرو عندما سئل «إن أصحاب النحو يلحنوننا فيها فقال : هى جائزة[٨] » أما موقف أبى العباس المبرد فكان صارما عنيفا يصور غضبه هنا

وثورته ماجاء فى تفسير القرطبى[٩] على لسان المبرد من قوله « لو صليت خلف إمام يقرأ ( بمصرخى ) بالكسر لأخذت نعلى ومضيت » فانظر كيف يحتج الرجل على سماعه لهجة عربية تواكبها قراءة قرآنية بخروجه عن جماعة المسلمين وإمامهم :

ويرى ابن الجزرى : أنها قراءة صحيحة اجتمعت فيها الأركان الثلاثة . ثم يقول « وقياسها فى النحو صحيح[١٠] » .

واستنبط من هذا العرض أن البصريين أنكروا هذه القراءة إذ أن الأخفش والزجاج وأبا حاتم والمبرد والزمخشرى على مذهب البصريين ، أما القاسم بن معن فهو من من رؤساء النحويين الكوفيين ، ولهذا أجاز القراءة بها ، كما أجازها أبو عمرو بن العلاء ، لأنه إمام فى القراءة ، والمجيزون على حق ، لأن هذه القراءة صحت سماعا ، كما أنها صحت قياسا ، إذ الياء كسرت اتباعا للكسرة التى بعدها فى ( بمصرخى إنى ) واللسان

---

(١) إبراهيم آية ٢٢ .
(٢) الخزانة ٢ / ٢٥٨
(٣) النشر ٢ / ٢٩٩
(٤) البحر المحيط ٥ - ٤١٩
(٥) إبراز المعانى ٣٦٩
(٦) حاشية يس بن زين الدين على التصريح ٢ / ٦٠
(٧) الغفران : للمعرى ٢٣٩ - ٢٤٠ دار المعارف
(٨) ابراز المعانى ٣٧٠
(٩) / ٣٠
(١٠) النشر ٢ / ٢٩٩ .

فيها يعمل من موضع واحد، ووجه واحد، ففيها الانسجام وتقريب الأصوات بعضها من بعض، وتلك شريعة العربية وسنة فيها متبعة. وذلك مما يميل إليه البدو أمثال « بني يربوع » والعجيب ان ينكر هذه القراءة القرآنية السابقة شيخ من علماء الكوفة، ويرمى قارئها بالوهم، ذلكم هو أبو زكريا الفراء حيث يقول: حدثني القاسم بن معن عن الأعمش عن يحيى أنه خفض الياء، ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى فإنه قل من سلم منهم من الوهم.[1]

(ب) كما قرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع وغيره قوله تعالى: « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا »[2] بضم التاء - وحكى أنها لغة أزد شنوءة.[3] وقال عنها الزجاج هذا غلط من[4] أبي جعفر « كما خطأها الفارسي[5] ولم يجزها الزمخشري »[6] لأن حركة الاعراب عنده لا يصح أن تستهلك لحركة الاتباع.

ولكن أرجح أن العربية تحرص على الانسجام الصوتي والاتباع حرصها على على الإعراب، ولهذا « رواها الكسائي » ووجهها أن التاء ضمت اتباعا لحركة الجيم.

ولو لم يتبعوا لخرج اللسان من كسر إلى ضم، والعرب تكره ذلك.

وأرى من ذلك أن الزجاج، والفارسي والزمخشري وكلهم بصريون قد غلطوا أبا جعفر أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضا عن عبد الله ابن عباس، ثم هو شيخ نافع بن أبي نعيم أحد القراء السبعة، ثم هو لم ينفرد بهذه القراءة، بل قرأ بها غيره، وشاركه فيها الكسائي الكوفي، وإذا ثبتت لهجة عربية فلا ينبغي أن نخطأ بها بها القارئ أو يغلط.

ومما يتصل بحركة الانسجام هذه، قراءة الحسن (الحمد لله) بكسر الدال واللام، وقراءة ابن أبي عبلة (الحمد لله). بضم الدال واللام، وهما قراءتان لأهل البدو، (*) وقد عزيت القراءة الأولى لتميم وبعض غطفان، كما عزيت الثانية لربيعة، وقد ذهب البصريين إلى أنهما قراءتان شاذتان في الاستعمال ضعيفتان في القياس، كما وسمها الزجاج (البصري) بقوله « ولا يلتفت إلى هذه اللغة ولا يعبأ بها ».[7]

كما حكى الصفار عن علي بن سليمان (الأخفش) أنه عقب على تلك القراءة بقوله « لا يجوز من هذين شيء عند البصريين، يقصد « الحمد لله »، « الحمد لله »[8].

(١) معاني الفراء ٢ / ٧٥. ويقرر الفراء وهم القراء: بأنهم ظنوا أن الباء في (بمصرخي) خاضة للحرف والياء من المتكلم خارجة من ذلك.
(٢) سورة البقرة آية ٣٤.!
(٣) النشر ٢ / ٢١٠ فما بعدها.
(٤) البحر ١ / ١٥٢.
(٥) البحر ١ / ١٥٢.
(٦) النشر ٢ / ٢١١.
(*) المقصود لقراءة أهل البادية ما يقرؤه بعضهم من غير مراعاة للرواية: وكثيرا ما ربط علماء العربية بين الفصاحة والبداوة. والحق أن سمة الفصاحة لم يستأثر بها البدو وحدهم. يقول ابن بسام: إنه كثيراً ما سمع من الأعراب ألفاظا مستكرهة قبيحة: العربية ١٦٣ فوك.
(٧) اللسان ٤ / ١٣٣
(٨) نزهة الألباء: ٣٦٤

والحق أن هذه الحركات المنسجمة وإن تعارضت مع الإعراب فى حالة كسر الدال الا أن لها وجها مقبولا، إذ أن هذا التركيب لما كثر تداوله عند العرب جُعل هذا التركيب مثل الكلمة الواحدة، ولا شك أن الكلمة الواحدة يستثقل فيها الانتقال من ضمة يتلوها كسرة و العكس، فأثروا الكسرتين حينا، مع أن الحمد مبتدأ مرفوع، كما ضموا اللام اتباعا للدال فى القراءة الثانية. وقد اجتهد الكوفيون فى توثيق هاتين القراءتين، لاسيما قد نسبتا لحجة لبعض القبائل.

(جـ) كما وردت عدة قراءات لآيات كريمة، وكلها تفيد التقاء الساكنين على غير حدةمنها :

١ — قوله تعالى «أمّن لا يهِدّى إلا أن يُهْدَى»[1]

٢ — قوله تعالى « إن الله نعمّا يعظكم به »[2]

٣ — قوله تعالى « إن تبدوا الصدقات فنعماهى»[3]

٤ — « تأخذهم وهم يخصّمون »[4]

٥ — « لاتعدوا فى السبت[5] بتشديد الدال .

٦ — كما ورد فى الأثر : نعما المال الصالح .

فقد قرأ أهل المدينة بتسكين الهاء وتشديد الدال، فجمعوا بين ساكنين فى الآية الأولى كما ذكر الشمس ابن الجزرى أن أن العراقيين والمشرقيين قدرووا الإسكان أى إسكان العين مع تشديد الميم فى الآيتين الثانية والثالثة . وبهذا قرأ أبو جعفر أيضا فى الآية الرابعة بإسكان الخاء وتشديد الصاد وبإسكان العين مع تشديد الدال فى الآية الخامسة .

ولقد ساق أبو شامة ما يفيد بأن التقاء الساكنين فى مثل ذلك إنما هو لغة النبى صلى الله عليه وسلم، كما أيد ذلك صاحب البحر « والتقاء الساكنين على غير حدة أجازه الكوفيون » ومن الواضح أن تلك القراءات التى تثبت التقاء الساكنين إنما وردت عن طريق القراء موصولة بسندها، فإذا نظرنا إلى جانب النحاة البصريين فسنرى اتهامات شنيعة لتلك القراءة منها :

١ — ماساقه ابن منظورمن أن الزجاج اتهم القراءةمرةبقوله « ليست بمضبوطة[6] وأخرى بأنها «شاذة»[7] و قال عنها ثالثة بأنها رديئه[8] »

٢ — وعقب أبوعلىّ على من قرأ بها «بأن قوله لم يكن مستقيما عند النحويين، لأنه جمع بين ساكنين، الأول منهما ليس بمد ولين »[9]

---

(١) سورة يونس آية ٣٥
(٢) سورة النساء آية ٥٨
(٣) سورة البقرة ٢٧١
(٤) سورة يس آية ٤٩
(٥) سورة النساء آية ١٥٤
(٦) اللسان ١٦ — ٦٧
(٧) اللسان ٢٠ — ٢٣٠
(٨) البحر المحيط ٢ — ٣٢٤
(٩) ابراز المعانى ٢٦٢ .

٣ ـ كما وصف محمد بن يزيد أحد مؤيديها بقوله « وهو من عجيب اختياراته » وجمع هؤلاء الطاعنين فيها من نحويي البصرة ، أما الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام فقد أيدها وهو كوفي ، كما أيدها الفراء ، ومنهم الداني بقوله « إن الإخفاء أقيس . والإسكان آثر »(١)

وإنما آثرت لهجة النبي صلى الله عليه وسلم وقريش التقاء الساكنين لأن التقاءهما دليل على الأداء الكامل وإعطاء الصوت حقه دون أن يطغى عليه مجاوره بالحذف أو التأثير وتلك صفة من صفات الحضر الممثلين فى قريش . والحق أن تتبع كتب القراءات توقفنا على كثير من القراءات القرآنية التى تمثل لهجات عربية تلك التى تجهم لها البصريون وغيرهم من النحاة، ووقفوا منها موقف المعارضة لأنها خالفت أصولهم وقواعدهم ، فحاولوا تأويلها أو رفضها ، ولهذا كان استقراؤهم ناقصا حين اعتمدوا فى الأخذ عن القبائل المشهورة فقط ، واصطدمت بقراءات القرآن تلك التى تمثل لهجات عربية مشهورة ومغمورة ، وموقف النحاة هذا الموقف من القراءات وهى تستند على ما بين اللهجات من خلاف ، وانحراف عن المنهج السليم ، لأنهم ضيعوا علينا كثيرا من الدراسات فى الجانب اللغوى ، وحجروا واسعا وضيقوا ، وماذا عليهم لو جعلوا قواعدهم مرنة تتقبل المأثور المروى من القراءات أو عدلوها واتخذوا شواهد لها من القراءات على أن إجماع النحاة ليس حجة مع مخالفة القراء لهم : لأن من القراء جماعة من أكابر النحويين ، ثم ولو قدر أن القراء ليس فيهم نحوى ، فانهم ناقلون لهذه اللغة وهم مشاركون للنحويين فى نقل اللغة ، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم ، والقراء أولى ، لأن القراءة متواترة وما نقلة النحويون آحاد .

(د) تميل القبائل الحضرية إلى تخفيف النون فى الصيغ الآتية :

١ ـ اللذان ٢ ـ اللذين ٣ ـ هذان

٤ ـ هاتان

فحركة النون حقيقة على لهجة قريش والحجاز(٢) على حين تميل بعض القبائل البدوية إلى تشديد هذه النون، وقد وردت قراءات على الصيغتين : التخفيف والتشديد فمنها :

١ ـ قوله تعالى : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » (٣)

٢ ـ وقوله جل شأنه : « هذان خصمان »(٤)

٣ ـ وقول عز وجل : « فذانك برهانان من ربك » (٥)

٤ ـ وقوله سبحانه وتعالى : « إحدى ابنتى هاتين» (٦)

---

(١) الإتحاف ١٩٦ ، النشر ٢ ـ ٢٥٣ .
(٢) ارتشاف الضرب لأبى حيان ١ ـ ١٣٦ مصور بدار الكتب رقم (٦١٥٦هـ)
(٣) سورة النساء آية ١٦
(٤) سورة الحج آية ١٩
(٥) سورة القصص آية ٣٢ .
(٦) سورة القصص آية ٢٧

٥ – وقوله عز شأنه «ربنا أرنا اللذين أضلانا»[1] فابن كثير قرأ بتشديد النون فيهما كليهما[2] وقرأ باقى السبعة بتخفيفها[3] ولقد حدد صاحب التصريح القبائل التى تميل إلى تشديد النون ، وهى : تميم وقيس وهما من القبائل الضاربة فى البداوة .

ولكن البصريين[4] كما روى عنهم أبو حيان[5] لايجيزون التشديد فى حالتى النصب والجر . ولكن ورود هذا التشديد فى القراءات القرآنية حجة عليهم . ويمكن أن يحتج لكلتا اللهجتين ، بأن من شدد فكأنه جعل التشديد عوضا عن الياء المحذوفة فى ( الذى ) إذ كان مقتضى القياس : اللذيان واللتيان ، كما تقول : القاضيان ، ويمكن أن يكون هذا التشديد تأكيدا للفرق بين تثنية المبنى والمعرب . وهو ماراه صاحب التصريح . وأما من خفف فحجته أن العرب قد تحذف طلبا للتخفيف من غير تعريض

( هـ ) من الثابت فى العربية أن الحركات والسكنات يتعاقبان على الصيغة ويتقاصفان عليها فيؤلفان نمطا منسجما يتواكب مع المعانى الوظيفية للكلمة . فقد كثر عن العرب مثلا فى مجىء المصدر على فعل ساكن العين ، واسم المفعول منه على فعل مفتوحها : كالنفض والنفض والخبط والخبط .[6]

وتلك لعمرى شفافية من العربية فى لحظ هذه الظلال الدقيقة بين السكون والفتح . ولهذا كثر التفريع فى ( فعل ) بكسر العين ، وضمها . أما صيغة ( فعل ) بفتح الفاء والعين فلا تفريع فيها عند النحاة . لأن الفتح ضعيف فلا داعى للخروج عنه : يقول سيبويه[7] «وأما ماتوالت فيه الفتحتان فإنهم لايسكنون منه ، فلا يقولون فى جمل ( بفتح الميم ) جمل ( بسكونها ) » .

وفى ركاب سيبويه يسير السيرا فى[8] وابن جنى فى محتسبه حيث يقول معلقا على قراءة أبى السمال وأبى المتوكل وأبى الجوزاء ( حتى يلج الجمل[9] : وأما الجمل بالسكون فبعيد أن يكون مخففا من المفتوح لخفة الفتحة .

وأرى أن كلا من سيبويه ومن تبعه فى مذهبه قد جانبهم الصواب لورود ذلك فى القرآن المعجز . ومن ذلك :

١ – قراءة جمع من القراء « حتى يلج الجمل » بسكون الميم ، وذلك تخفيف من الفتح

---

(١) سورة فصلت آية ٢٩
(٢) اتحاف فضلاء البشر : ١٨٧
(٣) البحر المحيط ٧ – ١١٨ !
(٤) شرح التصريح ١ – ١٣٢
(٥) البحر ٧ – ٤٩٥٩
(٦) المحتسب لابن جنى ٢ – ٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : تحقيق الأستاذ على النجدى ، والدكتور عبد الفتاح شلبى .
(٧) الكتاب ٢ – ٢٥٨ ، ٢ – ٢٨١
(٨) فى شرحه على سيبويه ٥ – ٤١٦
(٩) سورة الأعراف ٤٠ وانظر المحتسب فى نفس السورة والآية .

٢ — وقراءة أبي عمرو بن العلاء التميمي أحد القراء السبعة «ويدعوننا رغبا ورهبا[١]» بالإسكان .

٣ — كما خففت الجماعة المفتوح في ( كانتا رتقا)[٢] .

٤ — ومن تخفيف المفتوح مافي البديع لابن خالوية : «ومن يقتل مؤمنا متعمدا »[٣] ساكنة التاء وقد حكم النحاة على تلك القراءة بأنها في غاية الشذوذ والوهن ..

٥ — وقراءة أبي عمرو «في قلوبهم مرض »[٤] ساكنة الراء .

٦ — وقراءة ابن محيصن (أمنة نعاسا)[٥] ساكنة الميم .

ولا أدرى لم رمى النحاة هذه القراءات الموثقة بالشذوذ والوهن ، إلا أن تكون قد خالفت قواعدهم التي حكموها في حقل العربية حتى جعلوه ضيقا حرجا، على الرغم من أنها تمثل لهجات قبائل : تميم وبكر ابن وائل ، وقبائل ربيعة وأكثر قبائل أسد ، وعامة قبائل قيس المتاخمة لتميم، وذلك لأنهم يميلون جميعا إلى السرعة في النطق حيث يحذفون الحركات وفي ذلك تيسير واقتصاد في الجهد العضلي . وذلك مايهدف إليه الأعراب والبداة الجفاة[٦] .

( و ) الحركة الإعرابية بين النحاة والقراء .

( أ ) يرى بعض النحاة — جواز حذفها مطلقا — وعلى هذا ابن مالك .

(ب) ويرى كثير منهم عدم حذفها مطلقا في الشعر ، ومن هؤلاء المبرد وأضرابه .

(جـ) جواز حذفها في الشعر ، ومنع هذا الحذف في الاختيار ، وهذا رأى جمهور النحاة [٧] .

أما القراء فقد روى عنهم حذف الحركة الاعرابية .

أولا : في الفعل المضارع :
في قوله تعالى « ينصركم[٨] »و« يأمركم» و« يأمرهم » و«تأمرهم» و« يشعركم» و « ويعلمهم » . فقد أسكن أبو عمرو بن العلاء في هذه المواضع كلها . [٩]

(١) سورقة الأنبياء آية ٩٠
(٢) الأنبياء ٣٠
(٣) سورة النساء آية ٩٢
(٤) سورة البقرة ١٠ وانظر المحتسب ١ — ٥٣
(٥) سورة آل عمران ١٥٤ والمحتسب ١ — ٢٧٣ .
(٦) انظر مقالتنا في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جزء ٢٩ .
(٧) حاشية عبادة على الشذوز ٢ — ٣١
(٨) في آل عمران والملك .
(٩) إبراز المعاني ٢٣١

ثانيا : فى الأسماء : يدل لذلك قراءة مسلمة بن محارب « وبعولتهن أحق بردهن[1] بسكون التاء . وقراءة أبى عمرو « فتوبوا إلى بارئكم » بسكون الهمزة[2]. «ورسلنا لديهم »بضياع حركة الإعراب [3]

وقراءة حمزة « استكبارا فى الأرض ومكر السيء ولايحيق المكر السيء إلا بأهله[4] بإسكان ( السيء الأولى ) المجردة .

ولكن المؤسف حقا أن نرى موقف الكثير من النحاة، حيث أنكروا الإسكان .

( أ ) فسيبويه والمبرد والسيرافى والفارسى وابن جنى والزجاج ينكرون الإسكان فيحمل سيبويه ظاهرة الإسكان فى قراءة أبى عمرو على الاختلاس ، والمبرد يسم قراءة أبى عمرو باللحن[5] وابن جنى حين نكر الظاهرة يشنع على القراء فيقول[6] ولم يؤت القوم ( يقصد القراء ) فى ذلك من ضعف أمانة ولكن أوتوا من ضعف دراية » والسيرافى يذهب مذهب سيبويه ويسم تلك الظاهرة بالضرورة .[7]

ولا أدرى كيف يكون حذف الحركة . الإعرابية ضروة مع ورود القرآن به

## ثالثا : أنماط أخرى من حذف الحركة منها :

( أ ) تسكين الياء المنصوبة فى الآخر فى قراءة طلحة بن سليمان «أن يحيي الموتى»[8] ساكنة [9]

(ب) وقراءة « ثانى اثنين » [10]

(ج) وقراءة السلمى[11] «ألم ترأن الله» وقراءة أبى عبد الرحمن : «ألم تر كيف»[12]

( د ) وقراءة « أو يعفو الذى بيده[13] » بالسكون [14] .

(١) سورة البقرة ٢٢٨ وانظر النشر ٢ — ٢١٤
(٢) المحتسب ١ — ١١٤ مخطوط بالتيمورية .
(٣) البحر ٢ — ١٨٨ .
(٤) سورة فاطر آية ٤٣!
(٥) البحر ٢٠٦
(٦) الخصائص ١ — ٧٥ ط الهلال .
(٧) شرح السيرافى ١ — ٣٢ مخطوط برقم ١٣٧ دار الكتب .
(٧) سورة القيامة ٥٠
(٨) المحتسب ٢ — ٣٤٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٩) سورة التوبة آية ٤٠
(١٠) سورة إبراهيم آية ١٥ والمحتسب ١ — ٣٦٠ ط المجلس الأعلى
(١١) سورة الفيل آية ١ وانظر المحتسب ٢ — ٣٧٣ ط المجلس الأعلى .
(١٢) سورة البقرة آية ٣٣٧
(١٤) الهمع ١ — ٥٣

## رابعا : حذف الحركة الإعرابية فى الشعر ذلك كثير :

(أ) ماجاء فى شرح السيرافى من قول الأقيشر الأسدى :

رحت وفى رجليك مافيهما
وقد بدا هَنْكِ من المئزر

بسكون النون .[1]

(ب) وما أنشده أبو على لجرير :

سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم
ونهر تيرى فما تعرِفْكم العرب[2]

وهناك روايات أخرى فى الشعر كثيرة حذفت فيها الحركة الإعرابية[3]، ولكن النحاة عز عليهم ضياع الحركة الإعرابية فى هذه الشواهد وغيرها فرووا لها روايات أخرى لاإسكان فيها حتى تسلم لهم قواعدهم ومقاييسهم ، وحتى لايروا ذهاب حركة الإعراب لغير ماسبب .

وظاهرة الإسكان التى أنكرها النحاة وأيدها القرآن والنثر والشعر على السواء هى لهجات لقبائل عربية : كتميم ، وأسد وبعض نجد ، وبكر بن وائل وبعض قيس .[4]

أما قبائل الحجاز فكانت تحافظ على حركة الإعراب[5]. ويظهر أن ظاهرة الإسكان بدأت تنازل الحركة الإعرابية ، وتستولى على أمكنتها ، وتزحف على أراضيها ، وتسيطر على بقاعها .

ومما يؤيد ذلك ماقرأ به محمد ابن عبد الرحمن بن محيصن ، وهو من قراء مكة : باسكان لام الفعل فى كل من هذه الأفعال وغيرها نحو « يعلمهم ونحشرهم » وتفسير هذا أن ظاهرة الإسكان زحفت من تميم وقبائلها فى شرق الجزيرة حتى اقتحمت دوائر الحجاز فى غربها .

والحق أن حركة الإعراب ضاعت فى ظواهر كثيرة من اللغة :

ضاعت فى الوقف ، كما ضاعت فى الإدغام طلبا للتيسير والخفة .

فذهاب الحركة الإعرابية لايخالف العربية — لاسيما قد أيدتها قراءات قرآنية موثقة ، والقراء متبعون لامبتدعون . وإذا كان كذلك — أصبحت القراءة حجة على النحاة والطعن على تلك القراءات مردود ، ورمى القراء بالغفلة والوهن وعدم الضبط ظلم وحيف .

---

(١) شرح السيرافى ١ — ٢٦٧ مخطوط — تيمور .

(٢) شرح السيرافى ١ — ٢٦٨ غ الخصائص ٢ — ٣٤٠

(٣) اللهجات العربية لصاحب المقال ٦٣٨ .

(٤) انظر الإتحاف ١٣٦ ، وإبراز المعانى ٢٣١ ، النشر ٢ — ٢١٢ ، البحر ١ — ٢٠٦ .

(٥) المحتسب ١ — ١١٤ مخطوط .

ثم إن الحركة الإعرابية التى عز على النحاة ضياعها فى بعض القـــراءات والشواهد ليست هى القرينة الوحيدة الدلالة على المعنى فهى واحدة من القرائن التى تتظاهر لكشف اللبس عن المعنى ، واطراح إحدى هذه القرائن — والعلامة الإعرابية واحدة منها — غير محظور ولا منكر مادام لن يؤدى إلى ليس أو غموض .(١)

على أن النحاة ليسوا بأوثق أمانة ، وأوفى عهدا ، وأرعى ذمة ، واطيب نفسا من القراء ، فضلا عن أن تخطئة النحاة للقراء فى هذه الظاهرة مظهر من مظاهر المعيارية المرفوضة ، واتجاه بعيد عن الصواب والجادة لأنهم لم يلتزموا بالأصل العام [الذى قرروه لأنفسهم من الاحتجاج بالقرآن وقراءاته

(ز) — روى أبو عبيدة عن يونس ان : أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النبى عليه السلام والبرية والذرية(٢)

وينقل صاحب اللسان (٣) عن سيبويه أنه قال : والهمز فى النبى لغة رديئة ، والنبى قد يكون أصله من النبأ — بمعنى أنه أنبأ عن الله فأصله على هذا الهمز ، وقد يكون أصله من النبوة والنباوة ، وهى الارتفاع عن الأرض فكأنه أشرف على سائر الخلق ، فأصله على هذا غير الهمز.

والمعروف ان بيئة الحجاز تنفر من الهمز فى لهجاتها ، والشذوذ لهجة مكة حين نطقوا بالهمز فيما سبق يمكن أن يعلل بأن اللهجات ليس من شأنها أن تلتزم حالة واحدة كشأن القوانين الطبيعية فى الكون ، وعلى كل فصنيع أهل مكة فى فى الكلمات التى همزت ، ومخالفتهم للعرب جميعا حيث يسهلون ذلك تدعونا إلى أن منطقة مكة فى هذه الألفاظ أشبه بالجزيرة اللغوية Speech Island لأن خصائصها فى هذا متميزة تخالف مايشيع عند العرب .

ومما هو جدير بالذكر ماروى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم يانبىء الله — بالهمز فقال له : لاتنبر باسمى . أى لاتهمز(٤). ومثله ماجاء فى الحديث عن أبى ذر الغفارى وهو ماأخرجه الحاكم المستدرك : أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبىء الله ، فقال لست نبىء ، ولكن نبى الله وسند هذا الحديث ضعيف ، ومما يقوى ضعفه ماجاء فى تفسير القرطبى ١—٤٣١ أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أنشد :

ياخاتم النبئاء . إنك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هداكا

بالهمز : "جمع نبىء — ولم يعترض على هذا

---

(١) الخصائص ١ — ٣٣٤ وما بعدها ، وانظر الضرورة الشعرية فى النحو "العربى محمد حماسة . مخطوط مكتبة دار العلوم ورقة ٤٠٣ .

(٢) إصلاح المطق ١٥٩ ، وانظر اللسان : ١ — ٢٢ والنهاية لابن الأثير ٤ — ١٢٠ .

(٣) ١ — ١٥٧ .

(٤) اللسان ٧ — ٤٠

وارى انه من المحال أن يكلف النبى صلى الله عليه وسلم رجلا بأن ينتقل من لهجته الى لهجة أخرى لما ذلك من العنف والمشقة — وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم .

وقد يكون الرسول صلى الله عليه وسلم إنما كره ( النبىء ) بالهمزة ، لأنه قد قد يتوهم أنه من ( نبأ من أرض إلى أرض ( أى خرج منها ، فقد يحمله بعض من يضمر السوء على خروجه من مكة إلى المدينة على غير وجه التكريم .

ويهمنا هنا أن نناقش سيبويه — وهو رائد النحاة المتقدمين فى قوله عن (النبىء) بالهمز — « وذلك قليل ردىء » [1] مع أن ابن سيده فى المخصص [2] ينقل عن سيبويه قوله « وليس أحد من العرب إلا وهو يقول : « تنبأ مسيلمة » وإذا كان سيبويه يرى بأن أصلها الهمز فلم استردأها ؟

ويمكن الدفاع عن سيبويه بأنه استردأها بالهمز ، لشذوذه عن الاستعمال ، وإن كان مطردا فى القياس ، فقلة استعمالها بالهمز هو الذى جعل سيبويه يقول برداءتها.

ولكن على الرغم من هذا الدفاع عن سيبويه ومن جاء بعده من النحاة فما زالت التهمة متمسكة بأثوابه ، لأنه عرّض بقراءة نافع ، ونافع أحد القراء السبعة وقد حقق ذلك فى قراءته ، فقرأ ( النبىء ) بالهمز فى القرآن ، كما قرأ هو وابن ذكوان «أولئك هم خير البرية »بالهمز. [3]

وما كان لسيبويه أن يحكم عليها بالرداءة لأن أئمة القراء لا تعمل فى شى من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة ، والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر ، والأصح فى النقل والرواية — إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها» . [4]

فاذا أضفنا إلى ذلك أن النبىء بالهمز لهجة عربية مكية ، وأنها قراءة نافع [5] ابن أبى نعيم الذى يصفه ابن الجزرى بأنه : أحد القراء السبعة والأعلام ثقة صالح ، كما قرأ على سبعين من التابعين . وفيه يقول أنس ابن مالك :

قراءة أهل المدينة سنة ، قيل له قراءة نافع ؟ قال : نعم . ويصفه قالون : بأنه

---

(١) الكتاب لسيبويه ٢ — ١٧٠

(٢) سفر ١٤ — ٧٥

(٣) الإتحاف ٢٤٢

(٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، للإمام شمس الدين محمد بن الجزرى ص ٦٥ نشرة مكتبة القدسى ١٣٥٠هـ

(٥) غاية النهاية ٢ — ٢٣٠ فما بعدها .

من أطهر الناس خلقا ، ومن أحسن الناس الناس قراءة وكان زاهدا جوادا صلى فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ستين سنة.

وحسبك بعد هذا الثناء العاطر ، والعطاء المتجدد من شيخ القراء أنه لما حضرته الوفاة قال له أبناؤه : أوصنا . قال : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين .

ولهذا كله كانت التهمة محيطة بالنحاة وعلى رأسهم سيبويه حيث استردأ قراءة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلماء النحو بعامة مولعون بتخطئة هذا القارئ الثبت : نافع بن أبى نعيم . ومادمنا فى قضية ( الهمز ) وبطلاها : نافع القارئ وسيبويه النحوى فاليك نموذجاً من أحكامهم ومقاييسهم فى قضايا الهمز — التى إن دلت فانما تدل على مدى صلفهم وغطرستهم .

قال أبو عثمان المازنى « فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة ( معائش )[1] بالهمز فهى خطأ ، فلا يلتفت إليها ، وإنما أخذت عن نافع بن أبى نعيم ، ولم يكن يدرى ماالعربية ، وله أحرف يقرؤها لحنا نحوا من هذا

وفى كتاب[2] ابن مجاهد أن خارجة ابن مصعب هو الذى روى القراءة السابقة[3] عن نافع ، ويحكم أبو بكر بن مجاهد فى كتابه السابق على القراءة : بالغلط

أما ابن جنى فيسير فى ركاب المازنى فيقول : « وإنما كان همزها خطأ عنده ، لأنها لاتخلو من أن تكون جمع ( معاش ) أو معيشة أو معيش فقد قال رؤبة :

( إليك أشكو شدة المعيش )

يريد ( المعاش ) وكل واحد من هذه فعينه متحركة فى الأصل ، فأصل : معاش : مَعْيَش ، وأصل معيشة : مَعْيَشَة أو مَعْيُشه على مذهب الخليل .

وأصل معيش: مَعيش مكسور العين ليس غير ، ليس فى الآحاد اسم على مفعل بضم العين :

ثم قال : وإذا كان الأمر كذلك فحق : معاش ، معيش ومعيشة ، ألا تهمز فى الجمع ، لأنه قد كانت عينه متحركة فى الأصل ، فإذا احتاج إلى حركتها فى الجمع حركتها ولم يقلبها واحتملت الحركة ، لأنها قوية وهى من الأصل ، وقد كانت متحركة فى الواحد ، وإنما يهمز فى الجمع حروف المد واللين التى لاحظ لها فى الحركة فى الواحد نحو ألف « رسالة » وياء : «صحيفة » وواو : عجوز ، إذا قلت : رسائل ، وصحائف ، وعجائز[4]

(١) سورة الأعراف آية ١٠

(٢) المنصف شرح ابى الفتح عثمان بن جنى لكتاب التصريف لأبى عثمان المازنى النحوى البصرى ١ — ٣٠٧ فما بعدها .

(٣) السبعة فى القراءات ط دار المعارف لابن مجاهد تحقيق د . شوقى ضيف ٢٧٨ .

(٤) المنصف ١ — ٣٠٨ فما بعدها .

ويسير المبرد مع أستاذه المازنى فيقول « فأما قراءة من قرأ ( معائش ) فهمز فانه غلط ، وإنما هذه القراءة منسوبة إلى نافع ابن أبى نعيم ولم يكن له علم بالعربية وله فى القرآن حروف قد وقف عليها »(١)

وابن خالويه يقول : من همز هذه الياء فقد لحن ، وقد روى خارجة عن نافع همزه وهو غلط (٢)

ويقول عنها الزجاج « جميع نحاة البصرة تزعم أن همزها خطأ ، ولاينبغى التعويل على هذه القراءة » (٣)

ولم يرو نافع وحده هذه القراءة فقد رويت عن الأعرج ، وزيد بن على ، والأعمش وابن عامر ، وكلهم ثقات : ابن عامر — وهو عربى صراح وقد أخذ القرآن عن عثمان قبل ظهور اللحن ، والأعرج : وهو من كبار قراء التابعين ، وزيد بن على : وهو من الفصاحة والعلم بالمكان الذى قل أن يدانيه فى ذلك أحد ، والأعمش : وهو من الضبط والإتقان والحفظ والثقة بمكان ، ونافع : وهو قد قرأ على سبعين من التابعين وهم من الفصاحة والضبط والثقة بالمحل الذى لايجهل يقول أبوحيان «فوجب(٤) قبول مانقلوه إلينا ، ولامبالاة بمخالفة نحاة البصرة فى مثل هذا »

ومن الإنصاف أن نشير إلى موقف نحوى كوفى تحرج من أن يدلى بدلوه مع النحويين فيقول « فربما همزت العرب هذا وشبهه ، يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها فى اللفظ وعدة الحروف . . . . وقد همزت العرب ( المصائب ) وواحدتها مصيبه ، شبهت بفعيلة لكثرتها فى الكلام »(٥). فالقراءة السابقة وإن كانت شاذة إلا أن لها وجها فى العربية ، ونقلت عن طبقة بعد طبقة من القراء الفصحاء — وهم فى الضبط والتحرى والأمانة بالمكان الذى لايجارى .

**أحمد علم الدين الجندى**

(١) المقتضب للمبرد ١ — ١١٢ من المقدمة تحقيق الأستاذ عبد الخالق عضيمة .
(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ٢٩ لابن خالويه ط دار الكتب المصرية .
(٣) البحر ٤ — ٢٧١
(٤) البحر ٤ — ٢٧١
(٥) معانى القرآن للفراء ١ — ٣٧٣ .

# تعريف ونقد

# نحو القرآن

للدكتور أحمد عبد الستار الجوارى

## تعريف ونقد الأستاذ على النجدى ناصف

**كتاب** ألفه الأُستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ، ونشره المجمع العلمى العراقى فيما ينشر من مطبوعات . وأكبر الظن أن كلمة « نحو » فى عنوان الكتاب معناها جهة ، وأن السيد المؤلف أراد بالاسم المختار أن يدعو إلى الاتجاه نحو القرآن فى دراسة علم النحو.

وبعيد أن يكون مراده أن الكتاب يتعاطى بالدراسة والبحث نحو القرآن ، لأن هذا يعنى أنه قد اتخذ القرآن مصدرا لدراسة جديدة تتبع فيها مسائل النحو كما تتمثل فى القرآن ، وإلا كان اسم الكتاب على شىء من الخلاف مع شكله ومضمونه ،فشكله أصغر حجما وأقل صفحات من أن يحيط بالنحو كله ، ومضمونه مجرد نماذج متفرقة من الملاحظات على بعض قضايا النحو ، يعرضها الأُستاذ المؤلف على نور من البيان القرآنى الرفيع.

وأيا مايكن معنى المؤلف من عنوان كتابه ، وأيا ما يكن بين العنوان والكتاب من وفاق أو خلاف ، فالذى لاخلاف عليه أن الكتاب يشهد لصاحبه باجتهاد الرأى ، وحرية الفكر ، وحب العربية والغيرة عليها ، والرغبة فى تقويم نحوها ، واستنقاذه مما بداله أنه صناعة بغيضه ، وتكلف مرذول .

والكتاب يمقت التأويل والتقدير ، ويضيق بهما ، ويوشك أن يدير القول كله عليهما . ولا أدرى فيم مقتهما والضيق بهما ، وهما أمران لاغنى عنهما فى كثير من أساليب العربية ؟ فالكلام منه محكم قاطع الدلالة على معناه ، وآخر متشابه يمكن أن يفهم عنه غير وجه من المعانى ، فيحتاج القارئ أو السامع إلى تبيّن المعنى المراد به على التعيين سؤالا عنه ، أو نظرا فيه ،

واستخراج المستكنه، وترجيحا لوجه على وجه، استئناسا بالمقام وقرائن الأحوال .

وقد أنزل الله القرآن على هذا السنن، وذكر التأويل فيه وأسنده إليه - جل وعلا - وجعل الراسخين في العلم أهلاله، وشركاء فيه، على أحد وجهي تفسير قوله تعالى : ( هو الذى أنزل عليك الكتابَ مِنْه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الذين فى قُلُوبِهِم زَيْغٌ فيَتَّبِعون ماتَشابَهَ مِنْه ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ وابتغاءَ تأْويلهِ وما يَعْلَم تأويلَه إلا اللهُ والراسخُون فى العِلْم يَقُولون آمَنَّا به كُلٌّ مِن عندِ رَبِّنا )[1]

« وكان التمرس بالتأويل والاقتدار عليه من المطالب العزيزة، والسمات الشريفة، سألها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس، فقال : « اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل »[2] واقتران الفقه في الدين بعلم التأويل يوحي بأنهما أمران لا يفترقان . . . .

وقد أخذ الرسول - صلوات الله عليه - بالتأويل حين قال : « من حوسب عُذب » ، فقد سألت عائشة حين سمعت الحديث فقالت : : أوليس الله يقول ( فأمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابَهُ بيمينه فسوف يُحاسَب حسابا يسيرا ؟ ) فقال عليه السلام : ذاك العرض ، ولكن من نوقش الحساب يهلك[3] » فأول الرسول الحساب في الآية بالعرض ، وفي الحديث بمناقشة الحساب. وإذا أمكن أن يستغنى عن التأويل فى لغة ما فلاغنى عنه فى العربية ، لأنها لغة قوم عرفوا بصفاء القريحة وثقوب الذهن ، تكفيهم الإشارة الدالة ، والإيماءة الموحية فى كثير من المواطن ، ولذا أكثر والحذف ونوعه ، وامتدحوا الأخذ به والفهم عنه[4] .

والتأويل فى أصل معناه الإرجاع ، ومنه قولهم فى الدعاء لمن فقد شيئا : أول الله عليك ضالتك ، أى أرجعها ، ومنه كان تأويل الكلام وتأويل الرؤيا

(١) سورة آل عمران : ٧

(٢) البداية والنهاية ٨ : ٢٩٦ ، ٢٩٧

(٣) فتح البارى ١ : ١٥٩ ، والآية فى سورة الانشقاق : ٧ ، ٨

(٤) من قضايا اللغة والنحو : ٨٥

أى تفسيرهما ، وبيان ماينطويان عليه من غموض ، ليرجع كلاهما إلى أصل المعنى المراد فالتأويل والتقدير إذا ليساتقولا ولاافتعالا ،ولكنهماانظروتوضيح وهدى فيما يحتمل أن يضل الفهم فيه . والنحويون إذ يذكرون المحذوف ، أو يظهرون المضمر إنما يرجعون فيه إلى اللغة ، يستلهمونها ، ويأخذون منها للنظائر والأشباه ، ثم هم حين يقدرونه لايقولون بذكره فى الأسلوب وإدخاله فى تأليفه .

على أن العرب كانت تعرف التقدير وتلحظ معنى المحذوف فى فهم المراد ، وهذا سيبويه يقول بعدأن أورد ضروبا من الحذف فى الكلام : « وهذه حجج سمعت من العرب وممن يوثق به ، يزعم أنه سمعها من العرب . من ذلك قول العرب فى مثل من أمثالهم: اللهم : ضبعا وذئبا إذا كان يدعون بذلك على غنم رجل ، وإذاسألتهم مايعنون ؟ قالوا : اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعا وذئبا ، وكلهم يفسر ماينوى ، وإنما سهل تفسيره عندهم ، لأن المضمر قداستعمل فى هذاالموضوع عندهم بإظهار »[(1)]

ولاأدرى لماذا يحرم على النحاة أن يتناولوا أساليب الكلام عند الحاجة بالبحث والتحليل ، والاستعانة بالمذكور على فهم المحذوف ، ثم يباح للناقد الأدبى أن يقول عن النص مالم يقل ، ويعزو إليه ضروبا من الدلالات ، يسميها حينا الطائف وإشارات ، وحينا رموزا وإيحاءات ، لاتعدو أن تكون رؤى له ، وخواطر من عنده ؟

وفى القرآن الكريم آيات شتى لايفهمها القارئ أو السامع على وجهها إذا هو قنع منها بالنظر فى ظاهرها ، ولم يحاول النفاذ إلى غورها ، ليطالع ماهناك من حذف فيأتى به ، ويقدره فى التفسير والتأويل

من ذلك قول الله تعالى : ( وآتينا ثمود الناقة مُبْصِرةً )[(2)] فظاهر الاية ، والمذكور من كلماتها يشيران إلى أن

---

(١) الكتاب ١ : ١٢٩

(٢) سورة الإسراء : ٥٩

« مبصرة » وصف للناقة لفظا ومعنى ، وإذا يكون المراد أن الناقة التى آتاها الله ثمود لم تكن عمياء ، وهى على هذه الصفة لاتعد آية من آيات الله للأنبياء ، فما هى معها إلا ناقة من عموم النوق التى برئت من العمى. وقد قال الله تعالى فى موطن آخر :(هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً)[1] وقال فى موطن ثالث : (وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتَيْنِ ، فمحَوْنا آيةَ الليل وجعلْنا آية النهار مُبْصِرةً)[2] إذا لاتفهم الآية حق الفهم إلا بتقدير كلمة آية قبل مبصرة ، ليكون تأويل الآية : وآتينا ثمود الناقة آية مبصرة .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :(السماءُ مُنفَطِرٌ به)[3] ، وظاهر الآية يجعل السماء خلقا مذكرا ، وهى فى سائر الآيات التى ذكرت فيها وفى العربية عامة خلق مؤنث . فهل نقف عند ظاهر الآية لانعدوه بحثا وتنقيبا ، ونحكم بأن السماء خلق يأتى مؤنثا كثيرا ، وأتى مذكرا مرة فى القرآن ، أو أن نرجع إلى الآيات الأُخر التى ذكرت السماء فيها لعلنا واجدون هناك نورا يهدى إلى الحق ، ويكشف عن سر من أسرار البيان القرآنى الرفيع ؟

إن المقرر تجربة وأثرا أن القرآن كل متماسك: يفسر بعضه بعضا ، ويكمل بعضه بعضا ، فالخير إذا أن نجشم أنفسنا طلب الآيات الأُخر التى للسماء فيها أوصاف مميزة وصفها الله بها شاهدا على القدرة وإحكام التكوين. قال تعالى : ( أأنتم أشدُّ خَلْقًا أم السماءُ بَنَاها)[4] ،وقال:(والسماءِ وما بنَاها)[5] وقال : ( أفَلَمْ يَنْظُروا إلى السّماءِ فوقَهم كيف بَنَيناها)[6] وقال : ( وَبَنَيْنَا فوقكم سبْعاً شِدَاداً)[7] ، فالله — جلت قدرته يجعل السماء مفردة والسموات جملة بناء محكما لافطور فيه ، متماسكا ينجذب بعضه إلى بعض ، تبارك الله أحسن الخالقين .

(١) سورة الأعراف : ٧٣
(٢) سورة الإسراء : ١٢
(٣) سورة المزمل : ١٨
(٤) سورة النازعات : ٢٧
(٥) سورة الشمس : ٥
(٦) سورة ق : ٦
(٧) سورة النبأ : ١٢

وآية (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) تصف حدثا من أحداث يوم القيامة ، فهو يوم تشيب فيه الولدان ، وينفطر بناء السماء المحكم الوثيق . وكأن المعنى حينئذ — والله أعلم — : وبناء السماء منفطر في هذا اليوم ، وإذا لاتخالف بين الموصوف والصفة أو الخبر والمبتدأ ، كما لايخفى .

وآيات أخرى على شبه من هاتين الآيتين ، أذكرها ولا أعلق عليها آية فآية ، فمفتاحها كلها واحد ، وهو ملاحظة فعل متبادر يلائم معناها ويجليه .

قال تعالى : (كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا . قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا [1]) وقال : (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا [2]) . وقال : «لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [3] .

(فملةَ) في الآية الأولى ينصبها فعل محذوف ، هو الذي يوجه إعرابها ، ويدل على معنى الآية ، وتقديره (نتبع) وكأن معنى (كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى) : اتبعوا ملة موسى أو عيسى ، والجواب الذي تجاب به هذه الدعوة يجب أن يكون : بل نتبع . . .

ونخلص من هنا للنظر في القضايا التي أثارها «نحو القرآن» ، والأمثلة التي أقامها شواهدَ لتلك القضايا :

يرى الكتاب أن من العبث التأويل الذي أول به قوله تعالى : (وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا) [4] ، وقوله : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) [5] ، ولكنه لم يبين لنا هذا العبث : ماهو ؟ ، ولا لماذا عدّه عبثا لا حكمة له ؟ .

والمعروف من صنيع النحاة للآية الأولى أنهم نظروا فيها كما نظروا في غيرها من الآيات التي عرضوا لها بالبحث لكن سبيل الفهم تفرقت بهم : فمنهم من فهمها على معنى : مالنا لانتوكل على

(١) سورة البقرة : ١٣٥

(٢) سورة الأنعام : ١٦١

(٣) سورة الحجر : ٨٨

(٤) سورة إبراهيم : ١٢

(٥) سورة النساء : ٨٨

الله ؟ ، إنكارا لعدولهم عن الأخذ بالتوكل ، ووجد أن العبارة مفهومة المعنى بغير ( أن ) ، فقضى بأنها زائدة ، وأنها مع ذلك عاملة للنصب فى الفعل بعدها .

وفهمها آخرون على معنى : أىّ نفع ، أو داع لنا إلى أن نترك التوكل على الله ، نفيا لعدم التوكل أن يكون فيه نفع أوله داع ، فقضوا بأن ( أن ) ليست زائدة ، وأنها لذلك ناصبة للفعل . فهل هذا البحث واختلاف الفهم فى معنى الآية هما هذا العبث؟ وإذاماذا كانعليهم أن يعملوا غير ما عملوا ؟ وما حيلتهم فى اتقاء الخلاف فى الرأى إذا كان أمارة من آمارات الرأى الحر ، والتفكير المستقل ؟

أما الآية الثانية فقدعاد الكتاب إليها فى ص : ٩٤ ، وهناك نعىعلى النحاة تأويلها ، ونقل قول الفراء فيها ، وقول محقق كتابه « معانى القرآن » لتوضيح المراد . وتأويل الآية على ما يقوله الفراء ومحققا كتابه هو : ماذا حدث لكم فى الحكم على المنافقين الذين تعنيهم الآية ، فاختلفتم فيهم فئتين ؟

وهو كلام قويم لاعوج فيه ، يؤدى المعنى أداء بينا ، وإن كان لايدانى الآية فى براعة النظم ، ومثله كمثل نثر الشعر إذ يلتزم صاحبه الأصل ، ويتحرى الدقة فى التعبير عنه ، فهو حينئذ باسترساله ، وتجرده من إيقاع النغم لا يبلغ مبلغ الشعر من البلاغة والتأثير ، ولاسيما أن القارئ يقرؤه ، وهو مازال مأخوذا بحلاوة الموسيقا ، وتساوق الأنغام .

وينكر الكتاب فى فصل المبتدإ والخبر تقدير مبتدإ فى آيات ، منها : ( وإنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ (١) ) . وهذه الآية تدعو مع آيات قبلها إلى كتابة الدين عند المداينة ؛ لضمان أدائه فى موعده ، فإن لم يوجد ثمة كاتب فالضامن رهن يقدمه المدين . والقارئ أو السامع إذ يصل إلى ( فرهان ) لايملك أن يرد ذهنه عن إدراك المحذوف ، وأنه الضمان الذى يحل محل الكتاب

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٣

ويغنى عنه ، لأنه المحور الذى يدور عليه معنى الآيات .

ثم هو قد عهد ذكر المبتدأ فى آيات أخر تشبه هذه الآية فى نظم الأسلوب ، مثل : ( وإنْ تُخْفُوهَا وتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُم )[١] ، ومثل : ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ )[٢] . ومن شأن الشبيه أن يذكّر بشبيهه ، فذكر المحذوف لايعدو أن يكون إظهارا لما فى ذهن القارئ أو السامع .

ومنها آية : ( وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ )[٣] ، وهى آية تصف حال قوم كانوا إذا أمرهم الرسول يقولون : ( طاعة ) فإذا انصرفوا بيّت طائفة منهم غير الذى تقول . فالمبتدأ مفهوم من المقام ، وحذفه لايذهب به من الذهن أو يلبسه عليه . والنحويون إذ يقولون : إن التقدير : أمرك طاعة لايقولونه من هواء ، وهم لا يستوحون فيه المقام وكفى ، ولكنهم أيضا يرددون ما تقوله العرب حين تصرح به ، كما فى قول عمر بن أبى ربيعة :

فقالت : على اسم الله أمرك طاعة
وإن كنت قد كُلفت ما لم أعود[٤]

ومنها آية : ( فَآمِنُوا بِاللهِ ورسلهِ وَلاتَقُولُوا ثَلاثَةٌ )[٥] . والآية تنهى أهل الكتاب أن يغلوا فى دينهم ، ويقولوا على الله غير الحق ، فيشركوا به غيره ، ويجعلوا الآلهة ثلاثة . فالمبتدأ – وهو الآلهة – مفهوم من المقام ، أيضا لا يعزب علمه عن السامع أو القارئ .

ثم إن العرب تعمل القول فى الجمل وما فى معناها ، ولاتعمله فى غير ذلك . فإذا لم يقدر مبتدأ فى الآية فهل يكون لفظ ( ثلاثة ) هو وحده مقول القول ؟ ولماذا لم ينصب حينئذ ؟ ويمضى الكتاب فيذكر ماشاء من الآيات التى تشبه تلك التى تحدثنا عنها .

---

(١) سورة البقرة : ٢٧١
(٢) سورة النساء : ٩٣
(٣) سورة النساء : ٧
(٤) ديوان الشاعر : ١٥٤
(٥) سورة النساء : ١٧١

ثم يقول الكتاب عن الأخذ فى التقدير بقاعدة أن الكلام لابد أن يتألف من ركنين : « قاعدة تقوم على المنطق ، ولا تعبأ بالأصل العلمى الذى لايجوّز له أن يفترض فى مادة البحث مهما كانت ما ليس موجودا » .

ويعنينا مما تنطوى عليه هذه العبارة أن نقرر أن النحويين – كما يعلم الناس – لايفترضون التقديرات افتراضا ، ولكنهم يأتون بها نقلا عن أساليب مشابهة لاتقدير فيها ، أو يستنبطونها استنباطا من فحوى الكلام ، معاونة على الفهم ، وإرشادا إلى الصواب كما سبق .

ويذكر فى فصل الفعل آية : ( أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ )(١) ، ثم ينقل قول الزمخشرى فى إعرابها : « بربك فى موضع الرفع على أنه فاعل كفى ، وأنه على كل شئ شهيد بدل منه ، تقديره : أو لم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد » . ثم يعقب على ذلك ، فيقول : « وأنت ترى البون البعيد بين هذه العبارة والنص القرآنى ، حيث يتجه الإسناد إلى ( بربك ) فيه ، ويتجه فى عبارة الزمخشرى إلى مايتعلق به »

وظاهر أن إعراب الزمخشرى مطابق لقول نصر القرآن : « إن الإسناد فى الآية يتجه إلى ( ربك ) » ، وأما قوله تقديره « أو لم يكفهم الخ » . فليس عدولا عن توجيه الإسناد وجهته ، ولكنه بيان لما يدل البدل عليه فى الأساليب العربية ، وتوضيح لموقع ( أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) من الآية ، ولصلتها بما قبلها ، فالمقرر أن البدل يذكر على نية تكرار العامل ، بدليل قوله تعالى : ( تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا )(٢)

ويذكر أن الفعل قد وقع موقع الفاعل فى آية : ( ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ )(٣) وهو بموقع الفاعل حقا ، ولكنه ليس به كما يفهم من كلام الكتاب ، ولوقلنا : إنه يمكن أن يستعمل الفعل كما

---

(١) سورة فصلت : ٥٣

(٢) سورة المائدة : ١١٤

(٣) سورة يوسف : ٣٥

يستعمل الاسم ، لا يمنعه من ذلك دلالته على الزمن لكان لفظ (ليسجُنُنَّه) فاعل ( بدا ) ، وهذا غير الواقع . ولو أن الذين بدالهم أن يسجنوا يوسف سئلوا عن هذا الذى بدالهم فيه لقالوا : السجن ، ولم يقولوا : ليسجنن .

والسجن هو الذى جعله الزمخشرى فى إعراب الآية مفسرا للفاعل الذى قدره : ببداء ، وليس ثمة خلاف بين المفسر والمفسر ، كما يقول الكتاب ، فالعرب تقول : بد لى فى هذا الأمر بَدَاء : أى ظهر لى فيه رأى ، فالبداء الملحوظ فى الآية معناه الرأى ، وهو كلمة ذات عموم ، لكن يخصصها السجن المفهوم من ( ليسجننه ) . فوضح أنه لاخلاف بين المفسر والمفسر كما يقول الكتاب ، ولكن الذى بينهما أن فى الأول عموما وفى الآخر خصوصا يحد من هذا العموم .

ويرى الكتاب أن الفعل يذكر فاعلا للأفعال الناسخة حين لايذكر فى الكلام خبر لها ، فالفعل ( يزيغ ) فى قوله تعالى : ( مِن بَعدِ ماكادَ يَزيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ منهم [(١)] ) فاعل ( كاد ) ، ومثله بقية الأفعال التى ذكرها الكتاب فى آيات أخرى .

ومعلوم أن كاد معناها قرب ، وإذا يكون معنى الآية : قرب يزيغ قلوب فريق منهم . فالفعل ( يزيغ ) هو الذى فعل القرب ، ولا أدرى كيف يفعل الفعل الفعل ، وأين هذا من جعل اسم كاد ضمير الشأن . وجملة ( يَزِيغُ قُلُوب فَرِيق منهم خبرا لها ؟ ) أليس ضمير الشأن حقيقية لغوية ، وليس له مرجع فى الكلام ، و لكن يفسره مابعده كما فى قوله تعالى : ( قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ [(٢)] ) ؟

ويعد الكتاب من قبيل حكاية القول دون ذكره عبارة : ( أن يَامُوسَى ) فى آية : ( فَلَمَّا أَتَاهَا نُودى مِنْ شَاطِئِ الْوادِى الْأَيْمنِ فى الْبُقعةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ )[(٣)] . والواقع أن الفعل (نودى ) من قبيل القول ، فالنداء ضرب منه

(١) سورة التوبة : ١١٧

(٢) سورة الإخلاص : ١

(٣) سورة القصص : ٣٠

ولا يكون إلا به . وإذا لا يكون القول فى الآية محذوفا .

وشيوع حذف القول فى القرآن لاينقض الحكاية ومقول القول كما يقرر الكتاب ، وهو يذكر هنا فيما يذكر من الآيات : ( وإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ) ويقول النحويون : إن التقدير فيها : يقولان : ربنا . وقد أظهره عبد الله ابن مسعود فى قراءته[1] ، وأخذ النحويون فى تقريرهم له بهذه القراءة .

ويقول الكتاب : « إن فيما يسبق القول المحكى من الكلام مايوحى به » ، وهو قول لا خلاف فيه ، ولهذا جاز حذفه حينئذ . وهو إذ يقدر لايكون تقديره من فراغ ، وليس يعدو تقديره أن يكون تعبيرا عما فى الذهن تلقيا من فحوى الكلام .

ويذكر أن فى القرآن إيجازا لا تحيط به قواعد النحو ، ويضرب مثالين لذلك ، الأول : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها »[2] والآخر : ( حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى ، وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ . فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا )[3] . والذى تقوله قواعد النحو أن ماقبل المحذوف يدل عليه حين يكون الحذف جائزا كما فى المثالين .

والكلام فى المثال الأول عن الإحسان وعاقبته ، والإساءة وعاقبتها ، غير أن الأسلوب إذ يذكر الإحسان يجعل فعلى الشرط والجواب من لفظه ،وإذ يذكر الإساءة يجعل الشرط وحده من مادتها ، ويحل محلها فى الجواب بيان من تقع عليه عاقبتها . وإذا يكون التأويل : وإن أسأتم فإساءتكم ، بدلا من أسأتم لأنفسكم . ويكون التأويل فى الآية الأخرى : فإن خفتم فصلوا رجالا أو ركبانا ، لأن الحديث عن الصلاة . وإذا لم يمتنع على قواعد النحو أن تحيط بإيجاز الآيتين كما يقول الكتاب

وينكر الكتاب فى فصل الاستثناء أن يكون سوى بمعنى غير ، ويقول :

---

(١) الكشاف : ١ : ٧٤

(٢) سورة الإسراء : ٧

(٣) سورة البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩

« فمادتها اللغوية تدل على أن معناها نقيض معنى غير » ، لكنه لم يبين كيف ؟

والذى فى اللسان : « سوى بالقصر يكون بمعنيين، يكون بمعنى نفس الشىء ، ويكون بمعنى غير . . . وفى الحديث : سألت ربى ألا يسلط على أمتى عدوا من سواء أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، أى من غير أهل دينهم . وقال الفِنْد الزِّمّانى :

ولم يبق سوى العدوا
ن دِنّاهم كما دانوا »

وروى الكتاب هذا البيت ، ثم تركه لا يعقب عليه بشىء ، وإن كان لصريحا فى دلالة سوى على معنى غير . ثم نقل كلام الفراء عن قوله تعالى : « غير المغضوب عليهم ولا الضالين [1] » حيث يقول : « وأما قوله تعالى : « ولا الضالين » فإن معنى « غير » معنى « لا » ، فلذلك ردت عليها . هذا كما تقول : فلان غير محسن ولا مجمل فإذا كانت « غير » بمعنى « سوى » لم يجز أن تكر عليها « لا . . . » ثم يقول الكتاب :

« وواضح أن الفراء يلحظ الفرق بين « غير » وسوى ، وينكر مايذهبون إليه من استعما لهما بمعنى واحد » .

والواضح حقا أنهم إذ يذكرون « سوى » مع « غير » فى باب الاستثناء ، ويتحدثون عنهما بما يدل على اتفاقهما معنى — إنما يريدون أن « سوى » تجىء بمعنى غير حين تكون للاستثناء . وليس يمنع من ذلك أن يكون فى « غير » من معنى النفى فى بعض الأساليب ، لاشتقاقها من المغايرة . وقول الفراء نفسه : « فإذا كانت « غير » « بمعنى « سوى » لم يجز أن تكر عليها « لا » . . . — يدل على أن « سوى » عنده تكون بمعنى « غير » ، كما أن « غير » تكون بمعنى « سوى » . ثم ما الرأى فى الحديث الشريف وبيت الفند الزمانى اللذين ذكرناهما آنفا ، وكلاهما شاهد على أن « سوى » معناها معنى « غير » ؟

ويصنع الكتاب بقولتين للزمخشرى مثل ما صنع بقولة الفراء الآنفة ، قال

(1) سورة الفاتحة ٧

الزمخشرى فى قوله تعالى : (إنما أنت مُنْذِرُ من يخشاها[1]) : وقرى (منذرٌ) بالتنوين ، وهو الأصل ، والإضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فإذا أريد المضى فليس الإضافة ، كقولك : هو منذر زيد أمس .

وهو كلام صريح الدلالة يمنع تنوين اسم الفاعل الماضى إذا خلص لزمنه . وقال الزمخشرى فى قوله تعالى : (ولا أنتم عابدون ماأعبد ، ولا أنا عابدٌ ماعبدتم[2]) : « أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ماعبدتم فيه ، يعنى لم تعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الإسلام » ؟

وهذا أيضا كلام صريح الدلالة كالذى قبله ، ينفى عن الرسول عبادة الأصنام فى الماضى ، وينفيها عنه نفيا أشد فى الحاضر. فاسم الفاعل ( عابد ) منفى المعنى مضيا وحضورا ، أى أنه ليس خالص الدلالة على الزمن الماضى كالمثال الذى ذكره الزمخشرى: هومنذرزيدأمس. ولكن الكتاب برغم ذلك يقول : « وهذا يدل على أن اسم الفاعل المنون يرد لمعنى المضى خلافا لما يدعون » . على أن هذا القول ليس بالجديد . فالكسائى وجماعة معه يجيزون إعمال اسم الفاعل الماضى الزمن ، أخذا بظاهر قوله تعالى: (وكَلْبُهم باسطٌ ذراعيه بالوَصِيد)[3] .

ولايرى الكتاب أن إضافة اسم الفاعل من قبيل الإضافة اللفظية ، فيقول : « ولا عبرة بدعواهم أنها إضافة لفظية ، لا يكتسب بها الاسم المضاف تعريفاولا تخصيصاً » .

ولاندرى ماذايرى الكتاب إذا فى وصف النكرة به وهو مضاف إلى معرفة فى قوله تعالى : (يَحكُم به ذوا عدل منكم هَدْيا بالغَ الكعبةِ)[4] ، ووقوعه حالا فى قوله أيضا : (ومن الناس مَن يجادلُ فى اللهِ بغيرِ عِلْم

(١) سورة النازعات : ٤٥
(٢) سورة الكافرون : ٣ ، ٤
(٣) سورة الكهف : ١٨
(٤) سورة المائدة : ٩٥

ولا هُدى ولا كتابٍ مُنِيرٍ ، ثانى عِطْفِه[1] ) . وهو بعد يعزو إلى النحويين أن إضافة الصفة المشبهة عندهم من الإضافة المحضة ، والحق أنها عندهم لفظية ، وهم يحتجون لذلك بقول أبي ذؤيب يصف تأبط شرا :

فأتت به حُوشَ الفؤاد مبطَّنا
سُهُدا إذا ما نام ليل الهوْجل

فقد وقعت فيه « حوش » حالا ، مع إضافتها إلى « الفؤاد » .

ويورد الكتاب فى فصل جملة النفى طائفة من الآيات الكريمة ، زيدت « من » فى بعضها ، و « الباء » فى بعضها الآخر ، ثم هولا يرى أنهما زائدتان . ولا ندرى ماذا يرى فى قوله تعالى : « هلْ مِن خالقٍ غيرُ اللهِ يَرزقكم[2] ) ، فقد ذكرت فيه ( خالق ) مجرورة بمن الزائدة ، وذكرت ( غير ) مرفوعة وفاقا لمحله ، لا مجرورة وفاقا للفظه . وهل يعنى هذا إلا أن « من » زائدة ، وأن ( خالق ) بعدها معرب فى واقع الأمر بما كان يعرب به حين لا تذكر « من » قبله ؟

وينكر الكتاب أن يكون للزمن مدخل فى جملة الحال حين تكون فعلية فعلها ماض مثبت ، ويرتب على ذلك ألا تقدر قبلها « قد » ، إذا لم تكن مذكورة . فأما ألا تقدر « قد » قبلها حينئذ فرأى يراه الأخفش ، وهو إذا ليس بالجديد . وأما ألا يكون للزمن فيها مدخل فلا ، لأن الحال أياما كانت وصف لصاحبها مقارن لزمن العامل فيها . ولنأخذ مثلا لبيان ذلك الآية التى استشهد بها ، وهى : (أو جاءوكم حَصِرَت صدورُهم[3] ) ، فضيق الصدور الذى تدل عليه جملة (حَصِرت صدورُهم) كان صفة قائمة بالقوم حين جاءوا الرسول عليه السلام ، لا له ولا عليه

(١) سورة الحج : ٩
(٢) سورة فاطر : ٣
(٣) سورة النساء : ٩

وإذ يدنوا الكتاب من نهايته يذكر أن فى القرآن صورا للتعجب لاتعرفها كتب النحو ، ولا قواعد النحاة ، ويورد مثالين متشابهين : أولهما قول الله تعالى : (إنه فكَّر وقدَّر ، فقتل كيف قدَّر[1])

والحق أن النحاة لم يعرضوا لأساليب التعجب بالاستقراء والحصر ومن قولهم فى ذلك : «التعجب له عبارات كثيرة واردة فى الكتاب والسنة وكلام العرب . . . والمبوب له فى النحو صيغتان : إحداهما ما أفعله ، والأخرى أفعل به ، لأنهما الصيغتان اللتان وضعتا له ، واللتان يمكن أن ترسم لهما حدود ، وتوضع قواعد . أما غيرهما فضروب من الأساليب لها معان أصيلة تؤديها ، وإنما التعجب طارئ عليها ، ومفهوم منها عرضا .

ويرى الكتاب أن التعجب فى الآية التى نقلناها عنه . وفى الآية الأخرى التى تركناها إنما هو فى كلمة (قُتل) ، وينقل لتعزيز رأيه قول الزمخشرى : «تعجيب من تقديره ، وإصابته فيه المحز . . . ، ومعنى قول القائل : قتله الله ما أشجعه ! ، وأخزاه الله ماأشعره ! – الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذى هو حقيق بأن يحسد عليه ، ويدعو عليه حاسده بذلك » .

وكلام الزمخشرى غنى عن التفسير ، فقوله فيه أولا : «تعجيب من تقديره » ، وقوله بعد : «حقيق بأن يدعو عليه حاسده » – يدلان فى غير لبس على أن التعجب إنما يكمن فى الاستفهام بكيف ، لأنها التى ذكر بعدها التقدير الذى يستحق التعجيب ، ولأن دعاء الحاسد على صاحب هذا التقدير العجيب إنما هو بكل من : «قتله الله ، وأخزاه » ، فكلاهما فعل يراد به الدعاء لا الإخبار .

والكتاب بعد هذا يتناول النحاة حين ينقدهم بما يمكن أن يعد انتقاصا لهم وزراية عليهم ، لا يفرق بينهم ،

(١) سورة المدثر : ١٨ ، ١٩

ولا يستثنى منهم . وإلا فماذا نقول عن وصفهم جميعا بالشطط، والتخليط وهزال الرواية ، وخيانة الحسن والذوق اللغوى ، ثم وصف كثير ممن أسسوا قواعد النحو ، وأحكموا مغاليقها بقصور الفهم وضيق الأفق » .

والسابقون الأولون من النحاة ، خاصة هم أئمة العربية ، وحفظة تراثها ، أخذوها سماعا من أهلها ، إما تلقيا عن الوافدين منهم إلى الحاضرة ،وإما نفورا إلى البادية، يعيشون بينهم ، ويشافهونهم ، ويروون عنهم ، ويدركون معناهم بما يقولون فى التصريح والتلميح ، وحين الإفراد والتأليف . ومنهم بعد ذلك من ذكر بين أئمة القراء. فإذا لم تؤخذ العربية عنهم ، ولم يكونوا هم أصحاب الرأى فيها فمن يكون ؟

وما أريد بذلك أن أسمو بهم عن النقد والملاحظة ، ولكن الذى أريده أن يعرف فضلهم ، وأن يدور القول معهم على الحقائق ، يوردها من يشاء ، معززة بشواهدها وحججها ، ويدع لها هى الفصل وإصدار الأحكام .

وينكر الكتاب فيما ينكر من أمر النحاة أنهم «اعتمدوا فى وضع قواعد النحو على مابلغهم من كلام العرب : شعره ورجزه ومثله ، أو آثروا جانب المنطق ، فتصوروا القاعدة قبل استقراء المادة اللغوية » .

والشطر الأول من هذه الفقرة يمكن أن يعد من المدح بما يشبه الذم فماذا كان يراد منهم أن يعتمدوا عليه فى وضع النحو أكثر مما جاءهم من نصوص الكلام العربى على اختلافها؟ أكان يراد منهم مثلا أن يحددوا إقامة القبائل ، كل فى ديارها لاتبرحها حتى يمروا بها قبيلة قبيلة ، فيستوعبوا كل ما قال أهلها فردا فردا ، لا يفلت منهم قائل ولايند عنهم لفظ ؟ أم المراد أنهم أكثروا الاعتماد على كلام العرب مالم يكثروا مثله على القرآن الكريم ؟

إن يكن ذلك هو المراد فذلك مالم يكن لهم منه بد ، لأنه الأمر الذى يقضى

به الواقع ، فالقرآن من العربية ، وليست العربية من القرآن ، هى أكثر مادة ، وأساليبها أشد تنوعا وتعقيدا ، لأنه القرآن وكفى ، ولأن للنثر سعته وسماحته ، وللشعر مآزقه وتشدده . والمهم أنهم لم يقصروا فى الرجوع إلى القرآن والتعويل عليه مادعت داعية ، وقد فعلوا . فعدة شواهد سيبويه من القرآن الكريم ٣٧٣ ، ومن الشعر والرجز ١٠٦١ [1] ثم هم لم يقصروا فى تفسيره ودراسته على نور من النحو ومسائله ، فتصدى كثير منهم لإعرابه والاحتجاج لقراءاته ، حتى القراءات الشاذة .

أما تصورهم « القاعدة قبل استقراء المادة » فقول مرسل ، لايصحبه مثال ولا بينة . وإن يكن من ذلك شيء فلا نكران له إلا إذا أسفر الاستقراء اللغوى عن قصور القاعدة بما يجعلها غير مستوعبة لجمهرة ما تنطبق عليه من النصوص . فالمعول عليه أن تكون القاعدة صحيحة وصالحة ، وليكن مأتاها ما يكون .

هذا ، ولم أتبين للكتاب رسالة يؤمن بها ، ويدعو إليها . على أنى رأيته يكرر القول فى التأويل والتقدير ، ويكثر التنديد بهما . فهل يمكن أن نفهم أنه يدعو إلى الوصفية فى النحو وينهى عن المعيارية فيه كما يفعل بعض الباحثين من المعاصرين ؟

فإن تكن تلك رسالته فهل يريدها وصفية فى القرآن خاصة ، أو فيه وفى غيره من نصوص العربية ؟ فإن تكن الأولى فماله سكت عن بقية أبواب النحو لم يدرسها فى القرآن كما صنع بالأبواب التى ذكرها ؟ وإن تكن الأخرى فما باله لزم القرآن فى دراسته لايعدوه ؟

وبعد ، فقد مررت بهنوات لغوية ونحوية فى عبارة الكتاب ، لعلها تسللت إليها على حين غفلة لشيوع تداولها فى لغة العصر ، وهى :

(١) ذكر متعلق الجار والمجرور مع أنه كون عام فى قوله ص ٢١ : « وليس موجودا فيها » ، ولا يخفى أن حذفه هنا واجب ، وقد ذكر الكتاب وجوب حذفه فى : ص ٣٤ ، ٤٨

---

(١) سيبويه إمام النحاة : ٢٣٥

(٢) قلب ياء « افتيات » همزة في قوله ص ٢٩ : « وذلك لعمري افتئات » ، ولا وجه لهذا القلب ، فالافتيات مصدر افتات ، والمادة اللغوية للكلمة هي « الفوت » ، فأصلها : افتوات ، قلبت الواو ياء لا همزة .

(٣) زيادة الباء في مفعول « قَبِل » في قوله ص ٣٦ : « وأنى لهم أن يقبلوا به ؟ » ، والمراد أنه بعيد أن يقبلوه . والفعل بهذا المعنى ينصب مفعوله بنفسه وإنما يصل إليه بالباء إذا كان بمعنى كفل وضمن ، فيقال حينئذ : قبل به .

(٤) استعمال « بينما » في أثناء الكلام في قوله ص ٨٢ : « يغلب فيها شبه الفعل ، بينما الإضافة امتزاج » ، فبينما في العبارة تتعلق بيغلب قبلها . وتذكر كتب اللغة أن « بينما » مما له الابتداء ، فلها صدر الكلام ، كأشباهها من أسماء الشرط والاستفهام .

**على الجندى ناصف**

عضو المجمع

# مطلع الفوائد ومجمع الفرائد

## لجمال الدين بن نباتة المصري

### تحقيق الدكتور عمر موسى باشا
### تعريف ونقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن

**إذا** ذكرنا اسم « ابن نباتة » خطر على البال أسماء أربعة من الأدباء والعلماء اشتهروا بهذا الاسم سواء أكانوا من أسرة واحدة أم من أسر مختلفة

وأول هؤلاء : ابن نباتة الفارقى خطيب حلب والمتوفى بها سنة ٣٧٤ ﻫ وثانيهم ابن نباتة السعدى الشاعر الذى اشتهر بصلته بسيف الدولة بن حمدان ، واسمه عبدالعزيز ابن نباتة وقد توفى ببغداد سنة ٤٠٥ ﻫ وثالثهم : شمس الدين بن نباتة المحدث والمتوفى بدمشق سنة ٧٥٠ ﻫ .

ورابعهم : جمال الدين بن نباتة المصرى . الذى شرح الرسالة الهزلية لابن زيدون الأندلسى ، وقد حققها أخيرا الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم . وهو صاحب كتاب « مطلع الفوائد » الذى نترسم هنا بالتعليق عليه ، وهو ينشر لأول مرة عن نسخ خطية اعتمدها المحقق . ومن العجيب أن يتأخر نشر هذا الكتاب إلى زماننا هذا مع ما له من أهمية أو مع كونه من أجود كتب ابن نباتة إن لم يكن أجودها على الإطلاق !

وصاحبنا جمال الدين بن نباتة هذا هو حفيد ابن نباتة الفارقى الخطيب ، وولد شمس الدين المحدث . وبهذا النسب النباتى الزاكى افتخر شاعرنا جمال الدين بقوله :

ورثت اللفظ عن سلفى وأكرم
بآل نباتة الغر السراة
فلا عجب للفظى حين يحلو
فهذا القطر من ذاك النبات

ولم تنصف الحياة لابن نباتة أول الأمر فى أرض مولده : مصر ، فقد لقى فى معاشه نصبا ورهقا ، ورزق كثرة من الأولاد ضاق به رزقهم ، وأصبحت مطالب أفواههم وبطونهم تقتضيه السعى بلا جدوى ومن هنا بدأنا نسمع فى شعره نغمات الشكوى من مثل قوله :

لقد أصبحت ذا عمر عجيب
أقضى فيه بالأنكاد وقتى
من الأولاد خمس حول أم
فواحربا من خمس وست

ونلاحظ فى هذين البيتين أن النورية الحلوة لا تفوت شاعرنا حتى فى ساعات يأسه ، فقد ورى فى لفظة « ست» بين ست الدالة على العدد المقابل لخمس ، وبين ست ، بمعنى : سيدة ، وقد شاع استعمالها فى الأدب المكتوب أو فى لغة الخطاب منذ زمن بعيد

ولما كان المقام على الضيق والهوان مما لا يليق بالكرام افقد آثر ابن نباتة أن يهجر مصر ويجرب حظه فى أرض أخرى فسافر إلى دمشق سنة ٧١٦ هـ وقد أوفت سنه على الثلاثين فأقام بها بعض الوقت فى رعاية والده المحدث شمس الدين الذى كان يتولى تدريس الحديث فى دار الحديث النورية بالعاصمة السورية، ثم بداله أن يترك دمشق إلى مدينة حماة حيث كان ملكا عليها الملك المؤيد أبو الفداء أحد البقية الكريمة من ملوك بنى أيوب . وكان فى الملك المؤيد ميل إلى الأدباء والشعراء والعلماء ورعاية لهم وعطف عليهم . وقد سبق ابن نباتة أليه الشاعران الأديبان صفى الدين الحلى ، والشهاب محمود الحلبى وغيرهما .

وهنا حظى ابن نباتة بتقدير الملك المؤيد وحسن رعايته، حتى كاد ينسى مصر ونيلها، مما يفصح عنه قوله :

ألم تر أنا قد سلونا بأرضه
مرادا لنا فى أرض مصر ومربعا
إذا ابن تقى الدين جاد نباته
علينا فلا مدت يد النيل أصبعا

وهنا فى «حماة» بدل عسر شاعرنا يسرا . وانجابت عنه الضائقة التى من أجلها هجر وطنه مصرا وأصبح يتقلب فى أعطاف النعمة عند ذلك الملك الأديب الكريم .

وإذا كانت اللها تفتح اللها كما يقول المثل العربى ا فإن أعطيات الملك المؤيد لابن نباتة قد فتحت لهاته بشعر المديح الجيد يقوله فى هذا الملك المعطاء ، حتى لقد بلغت مدائحه فيه قدرا من الشعر والقصائد سميت «المؤيديات» يقول فى إحداها :

ملك باهر المكارم يروى
وجه لقياه عن عطاء وبشر
زرت أبوابه فقرب شخصى
ومحا عسرتى ، ونوه ذكرى
ونحا لى من المكارم نحوا
صاننى عن لقاء زيد وعمرو

ويقول فى أخرى :

يأيها الملك الذى
رد الحقائب شاكره
وسما بهمته على
غرر النجوم الزاهره
حتى انتقى من زهرها
هذى الخلال الباهره
سقيا لدهرك إنه
دهر الأيادى الوافرة

ويقول فى ثالثة :

يامليكا أحيا الثنا والعطايا
فجلبنا لسوقه الأشعارا
أسأل الله أن يزيدك فضلا
وسموا على الورى وفخارا

صنتني عن أذى الزمان وقدحا
ول حربي واستكبر استكبارا

وانبرى غيثك الهتون بجدوى
علمتني مدائحا لاتبارى

ولما مات الملك المؤيد سنة ٧٣٢ هـ طوى بساط أخضر كان يمشى عليه ابن نباتة فى رحابه ، وإن كان قد اتصل بالملك الأفضل ابن المؤيد — بعد أن سار إليه مهنئا ومعزيا بقصيدته المشهورة التى يقول فيها :

هناء محا ذاك العزاء المقدما
فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام فى ثغور مدامع
شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

وهى من القصائد الجيدة التى جمعت بين مواقف التهنئة والتعزية ، وهو موقف قد يزل فيه الفحول ، ولا يقوى عليه إلا القادرون . . .

ولما مات الملك الأفضل سنة ٧٤٢ هـ انتهت بموته حياة الأسرة الأيوبية فى حماة ، وانقطعت صلة ابن نباتة بمن يفرج كربته ، ويصله بالعطاء . وهنا عاد العسر إلى حياة صاحبنا من جديد ، وترك حماة إلى دمشق ، وانعزل عن الناس . وهنا ابتلاه الله بفقدان الولد . ويروى الصفدى فى كتابه أنه دفن قريبا من ستة عشر ولدا ( كلهم إذا ترعرع وبلغ خمسا أو ستا أو سبعا يتوفاه الله ، فيجد لذلك الآلام المبرحة ، ويرثيهم بالأشعار الرائقة الرقيقة ) .

ولم تكفه وظيفة ناظر القيامة بالقدس الشريف التى قررها له الصاحب أمين الدين فى موسم كل عام من زيارة النصارى لها . ولم تسله وظيفة أخرى فى ديوان التوقيع بدمشق . وكان خلال ذلك الوقت دائم الشوق والحنين إلى مصر ومعالمها وآثارها ونيلها وهرمها ؛ فأطال فى ذلك الباب شعره الذى يقول فى بعضه :

ياسارى البرق فى آفاق مصر لقد
أذكرتنى من زمان النيل ما عذبا

حدث عن البحر أو دمعى ، ولا حرج
وانقل عن النار أو قلبى ولا كذبا

واندب على الهرم الغربى لى عمرا
فحبذا هرم فارقته وصبا

ويقول فى بعضه الآخر :

آها لمصر ، وأين مصر ؟ وكيف لى
بديار مصر مراتعا وملاعبا ؟ !

حيث الشبيبة ، والحبيبة ، والوفا
فى الأعربين مشاربا وأصاحبا

والطرف يركع فى مشاهد أوجه
عقدت بها أطرر الشعور محاربا

والدهر سلم كيفما حاولته
لا مثل دهرى فى دمشق محاربا

وفى سنة ٧٦١ هـ كان بمصر السلطان الناصر حسن بن قلاوون ؛ فبدأ ابن نباتة يرسل إليه المدائح حتى أمر السلطان باستدعائه وجهزه إلى مصر وأجزل له العطاء ، وجعل له

راتبا معلوما يصرف إليه كل شهر ؛ وإن كان هذا الراتب لم يصل إليه بصورة منتظمة تبعا لأهواء المتصرفين . .

وظل كذلك إلى أن توفى سنة ٧٦٨ هـ عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاما . .

هذا هو ابن نباتة الأديب الشاعر الذى كان يعد أمير الشعر فى عصره فى القرن الثامن الهجرى . وصاحب كتاب « مطلع الفوائد ومجمع الفرائد » الذى أحسن مجمع اللغة العربية فى دمشق بنشره بعد أن ظل مطويا فى غبار السنين ، بضعة من القرون .

وإذا كانت رسالة ابن زيدون الجدية قد تولى « الصفدى » شرحها والتعليق عليها ، وأسماها « تمام المتون » فأن ابن نباتة قد تولى شرح الرسالة الهزلية لابن زيدون المسماة « سرح العيون » . وقد كشف هذا الشرح الجميل عن أدب ابن نباتة ، وكثرة معارفه ، واتساع دائرة أخباره الأدبية ، وإحاطته بأشعار العرب وأمثالهم ومحاضراتهم ومسامراتهم ، وإشاراتهم التاريخية التى تشتمل عليها تلك الرسالة .

وقد تحملنا الرغبة فى توضيح المقاصد على الاستطراد إلى ذكر الباعث لابن زيدون على إنشاء تلك الرسالة الهزلية المملوءة هزوًا وسخرية . فقد كان كلفا بولادة بنت المستكفى — وهى امرأة من بنات الخلفاء الأمويين بالأندلس فيها ظرف وأدب و لها نوادر ونظم رقيق — وسمع الوزير الأندلسى « ابن عبدوس » بولادة ، فأرسل إليها امرأة من جهته تستميلها إليه ، وتذكر لها محاسنه ومناقبه ، وترغبها فى التفرد بمواصلته ؛ وبلغ ذلك ابن زيدون وهو من هو غراما بها وتدلها فيها ، فثار غضبه ، وأنشأ يكتب رسالة جوابا له عن لسانها تتضمن غرائب من سب ابن عبدوس ، والتهكم به ، والسخرية منه ، وجعل الرسالة جوابا له على لسان ولادة ... وأرسلها إليه ، فبلغت منه كل مبلغ ، وذاعت فى الآفاق ، وحفظها الناس ، وتندروا بها ، مما جعل ابن عبدوس يتضاءل ، وتصغر نفسه ، ويمسك عن التعرض لولادة .

ولم يدع ابن نباتة فى خلال شرحه لرسالة ابن زيدون مثلا إلا ذكر مضربه ، ولا خبرا إلا فصل القول فيه ، ولا علما من الأعلام إلا ترجم له ، وذكر من أخباره مالا نجده فى كتاب آخر . ومن الأعلام الذين ترجم لهم : الأحنف بن قيس ، وأبو الأسود الدؤلى ، وأكثم بن صيفى ، وامرؤ القيس ، وبشار بن برد ، وأبو تمام ، والجاحظ ، وحاتم الطائى ، والحجاج بن يوسف ، ودريد بن الصمة ، والزباء ، وزيد الخيل ، وطويس المغنى ، وعبد الحميد الكاتب ، وعبد الله بن معاوية الهاشمى ، وعبد الحميد الكاتب ، وأبو العتاهية ، وعمر بن أبى ربيعة ، وعمرو بن هند ، والفرزدق ، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة ، ومجنون ليلى ، والمهلب بن أبى صفرة ، والنعمان بن المنذر ، والنظام وغيرهم .

وكتاب «مطلع الفوائد ومجمع الفرائد» قسمه مؤلفه ابن نباتة إلى ثلاثة أقسام كبار . فالقسم الأول يشتمل على ثلاثة فصول : أولها فى بعض قضايا من غرائب الحديث النبوى ، وثانيها فى ذكر غرائب الأساليب العربية ، وثالثها فى بعض أبيات المعانى المشكلة القديمة والمحدثة .

وقد بلغ مجموع أبيات هذه المعانى فى هذا الفصل اثنين وأربعين بيتا ، موزعة بين المدح والوصف والغزل والمراثى والهجاء ، والاستعطاف .

والقسم الثانى من الكتاب تناول فيه ابن نباتة مبتدعات الشعراء ومخترعاتهم ، بدءا من الشاعر مسلم بن الوليد ، وانتهاء بابن نباتة نفسه ، الذى رأى أن لاينسى نفسه وهو فى موقف الاختيار من مبتدعات الشعراء ، وقد بلغ عدد الشعراء الذين اختار لهم روائع ، وعثر عندهم على بدائع ، خمسة عشر شاعرا هم على الترتيب الزمنى : مسلم بن الوليد ، أبو نواس ، أبو تمام ، البحترى ، ابن الرومى ، ابن المعتز ، المتنبى ، ابن نباتة السعدى ، الشريف الرضى ، التهامى ، أبو العلاء المعرى ، ابن سنان الخفاجى ، ابن قلاقس الأسكندرى ، ابن سناء الملك ، ابن نباتة المصرى .

ولم يرجع ابن نباتة باختياره لمخترعات الأشعار إلى ماقبل الشاعر مسلم بن الوليد ، ولم يسقط على العصر الجاهلى وصدر الإسلام وبنى أمية . وهو يرى أن مسلم بن الوليد هو (الأول الذى أرق معانى الشعر و الكبير الذى علم أهل هذه الصناعة السحر . . .)

وقد حصر المؤلف الأبواب التى أجاد فيها هؤلاء الشعراء الخمسة عشر فى المدح ، والوصف ، والنسيب ، والرثاء و الأغراض المختلفة . ففى باب المديح يأتى بمخترعات كل شاعر على حسب ترتيبهم الزمنى ، مبتدئا بمسلم ابن الوليد ، ومنتهيا بنفسه. وكذلك يفعل فى بقية فنون الشعر التى اختارها . ومعنى هذا أن الشاعر المختار له يتكرر ورود اسمه خمس مرات ، فى خمسة أبواب من الشعر .

ويذكر لنا ابن نباتة فى خطبة كتابه ماالذى يعنيه بالاختراع والمعانى المخترعة فى الشعر فيقول : (وعنيت بالاختراع من ولد معنى جليلا وجلاه ، وكمله واستوفاه ، فصار من سواه أحق به ، وأولى بانتمائه ونسبه ، ولم أذكر من أين خطفه وقطفه ، لأن ذلك مما يقتضى ملل الفكر الطامح ، ويوقع فيما عبته من اختلاط السانح بالبارح . وأغنيت به عن تفتيش الكتب المسهبة ، والأسفار المنصبة ، والدواوين ومناقشة حسابها ، والمؤلفات والوقوف على أبوابها) .

والقسم الثالث من الكتاب يتناول معانى الكتاب المخترعة . وقد حصر عدد الكتاب المختار لهم فى ثمانية أولهم بديع الزمان الهمذانى ، وآخرهم ابن نباتة نفسه . وقد رأى المؤلف فى هذا القسم المنثور أن لاينسى نفسه ، فاختار لشخصه فيما اختار من مخترعات المنثور ، ورأى أن يسلك نفسه فى عقد ثمانية من الكتاب اعتقد أن كتاباتهم تمثل نماذج رائعة فى فن

الكتابة العربية . وهؤلاء الكتاب هم : بديع الزمان الهمذانى ، وأبو القاسم الحسين بن على المعروف بالمغربى ، وأبو الحسن بن بسام ، والقاضى الفاضل ، وهبة الله بن سناء الملك ، وضياء الدين بن الأثير الجزرى ، ومحى الدين بن عبد الظاهر ، والمؤلف جمال الدين ابن نباتة المصرى .

وكان ابن نباتة كثير الإعجاب بالقاضى الفاضل وطريقته فى الكتابة ، فجعله معلما من معالم الطريق ، وذكر بدائع المتقدمين عليه ، والمتأخرين عن زمانه .

وإذا كان ابن نباتة فى باب مخترعات الشعراء يجتزئ بالبيت الواحد أو البيتين أو بضعة الأبيات عن إيراد القصيدة كلها لشاعر المختار له فإنه فى باب مخترعات الكتاب يجتزئ بالعبارة الواحدة عن إيراد الرسالة كلها ، لأنه بصدد الوقوع على معان مفردة مخترعة لا بصدد التسجيل لآثار نثرية كاملة . وقد يكون هذا جائزا ومقبولا فى الشعر ، لأن البيت أو البيتين أو حتى بضعة الأبيات قد تكون وحدة قائمة بذاتها ، على أن السطر أو السطرين من الرسالة النثرية قد تبتر أوصالها فلا يعرف القارئ أين هو منها .

ويبدو فى الكتاب استقلال المؤلف بشخصه وظهور شخصيته فى الآراء . فهو ليس مجرد ناقل ، ولكنه ينخل الآراء ويعلق عليها ويبدى رأيه فيها ، كأن يقول : (وهذا أقرب الأقوال إلى الحقيقة) أو يقول : (وهذا معنى بعيد . وما أعتقده أراد بالماءين غير عينى الناقة ، وأنه أغار هما من الكلال وجهد السير ، وهذا القول كثير فى أشعارهم) ، أو يقول : (وهذا قول ساقط لا يخفى على من عنده أدنى فهم بالمعانى ، فأن المراد بالأسود العرب ، والحسن لهم ، وأقبح ما يكون القبح فى البيض ، أو يقول : (وهذا نقل غريب لم أجده فى أكثر الكتب فى اللغة ، فإن صح ، فيكون هذا الوجه أقرب الوجوه ، على أن قول أبى عبيدة أمكنها ....) .

وإذا كان ابن نباتة فى شرحه لرسالة ابن زيدون الهزلية قد وقف عند كثير من الأشارات الأدبية والتاريخية فجلاها ، وفصل الكلام فيها ، فأنه كان كذلك فى كتاب «مطلع الفوائد ومجمع الفرائد» أنه يستطرد وينتقل من غرض إلى غرض ، ويجره الحديث عن شئ إلى الحديث عن شئ آخر . فانه فى خلال حديثه عن العرفج — وهو النبت الذى تسرع النار فيه إذا أوقد — استطرد إلى ذكر نيران العرب ، فقال : (وعلى ذكر النار فأنا أجرى شيئا من ذكر نيران العرب لا تخلو معرفتها من فائدة ، كانت لهم من النيران :

نار الحلف ، وهى النار التى كانوا لا يعقدون حلفهم إلا عندها ، ويذكرون منافعها ويدعون الله بالحرمان من منافعها على من نقض العهد . وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم ، يهولون بذلك على من يخاف غدره .

ونار الحرب ، كانوا يوقدونها إذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا ، ليبلغ الخبر أصحابهم

فيحمدون. وربما جدوا فى الطلب فأوقدوا نارين . قال الفرزدق :

ضربوا الصنائع بالملوك ، وأوقدوا
نارين أشرقتا على النيران

ونار المسافر ، وهى النار التى كانت توقد خلف المسافر الذى لا يحبون رجوعه، يقولون فى الدعاء : أبعده الله وأسحقه، ثم يوقدون نارا أثره . ومنها قول بعضهم :

وجمة أقوام حملت ، ولم تكن
لتوقد نارا إثرهم للتندم

ونيران كثيرة أضربت عن ذكرها حذرا من الخروج عن المقصود ...... )

وإذا كان الاختيار من الشعر أو النثر يدل على ذوق خاص عند الشخص المختار، فان الاختيارات تبعا لهذا تتغير من شخص إلى آخر، ولا ينتظر أن نلقى عند أبى تمام مثلا فى مختاراته ما نلقاه عند البحترى ، أو عند صاحب الحماسة البصرية، أو عند محمود سامى البارودى فى مختاراته ، أو عند الشاعر جميل صدقى الزهاوى فيما اختاره من عيون الشعر. إن الأذواق تتفاوت . وقد تكون أبيات تشترك هنا وهناك عند واحد من أصحاب المختارات الشعرية . ولكن الغالب أن يستقل كل صاحب اختيار بذوق خاص ، وطعم خاص . ومن هنا نجد فيما اختاره ابن نباتة من مخترعات الشعراء ومبتكراتهم ما لا نجده عند غيره من أصحاب الاختيار . وقد وقع فى الحق عند من اختارهم على معان جياد لا نرى أن نزحم المكان هنا بإيراد بعضها، ولكنا يجب أن نشير إلى أنه قد أمدنا بأشعار للشعراء الذين اختار لهم ولا نجدها فى دواوينهم التى بين أيدينا . مما يدل على أنه وقعت له نسخ خطية من دواوين هؤلاء الشعراء لم تقع لنا. وأكثر ما يظهر هذا بصورة تلفت النظر فى الأشعار التى اختارها لابن الرومى، مما جعل المحقق الفاضل الدكتور عمر موسى باشا يكرر هذه العبارة فى مواطن كثيرة : (لم أعثر على هذا البيت ، أو هذين البيتين ، أو هذه الأبيات فى الديوان ...) .

ومثل هذا مارواه ابن نباتة من شعر لابن الرومى فى المديح يقول فيه :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم
فى الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ، ومصابح
تجلو الدجى ، والأخريات رجوم

فقد عاق المحقق على هذا الشعر بقوله : ( لم أعثر عليه فى الديوان ) والحق أن هذين البيتين موجودان فى « وفيات الأعيان» لابن خلكان فى خلال الترجمة للشاعر ابن الرومى ج ١ ص ٤٤٢ وقد رواهما ابن خلكان قائلا : (وله أيضا وقال : ماسبقنى أحد إلى هذا المعنى ) . ولم يفت الشاعر محمود سامى البارودى فى الجزء الأول من مختارات البارودى ص ٤٠١ أن يسجل هذين البيتين من مدائح ابن الرومى

ويظهر أن ديوان ابن الرومى لم يصل إلينا كاملا وأن هناك نسخة خطية منه تزيد على ما فى أيدينا من النسخ بألف بيت. ويؤكد هذه الحقيقة ماذكره ابن خلكان وهو يتحدث عن ابن الرومى وعن ديوانه قائلا : ( وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدوس من جميع النسخ ، وزاد على

كل نسخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت )

وكذلك الشأن فى الأبيات النونية التى رواها ابن نباتة لابن الرومى فى مدح إسماعيل بن بلبل المعروف بأبى الصقر ، وهى :

قالوا : أبو الصقر من شيبان قلت لهم
كلا لعمرى ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرا شرف
كما علت برسول الله عدنان
ولم وأقصر بشيبان التى بلغت
بها المبالغ أعراق وأغصان
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا
منهن فى سبل العلياء ماصانوا
المنعمون ، ومامنوا على أحد
يوما بنعمى ، ولو منوا لمامانوا

فقد علق المحقق الفاضل على هذه الأبيات بأنه لم يعثر عليها فى ديوان ابن الرومى . وهذا حق . ولكن الأبيات من القصيدة النونية التى تبلغ عدتها مائتى بيت . وقدأورد الحصرى القيروانى فى « زهر الآداب » هذه الأبيات الضائعة صفحة ٢٧٢ ، كما أوردها البارودى فى مختاراته . وليس ابن الرومى هو الشاعر الوحيد الذى لم تدخل بعض أشعاره فى ديوانه ، فهناك الشاعر المتنبى الذى يصرح ابن نباتة فى « سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون » بأن له أشعارا لم تدخل فى ديوانه . وقد استكمل الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمنى الراجكوتى هذه الأشعار الضائعة فى كتاب « زيادات ديوان المتنبى » المطبوع فى المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ

وإذا كان ابن نباتة قد قصد من كتابه « مطلع الفوائد ومجمع الفرائد » أن يتقرب به إلى الملك المؤيد صاحب حماة وأن ينال به الحظوة عنده والقربى لديه حينما وجه قصده أليه بعد هجرته من مصر ، فأنه من ناحية أخرى أراد أن يجمع فى كتابه هذا طرائف المعانى وأبكارها عند بضعة عشر شاعرا رأى أنهم أحق بالأخذ منهم ، والنقل عنهم ، وأن يجمع فيه أيضا طائفة من مبتكرات المعانى فى أقوال البلغاء من الكتاب ، ليجمع فى هذا بين الجيد من قطاف الشعر والنثر . وندعه هنا يعبر بنص عبارته المسجوعة عن هذا القصد بقوله :(وحيث كانت غاية هذا الفن المشهورة وآيته المأثورة النظر فى دقائق المعانى التى هى الأرواح وغيرها الجسوم ، والسكان وماسواها الرسوم ، والاطلاع على أقوال العلماء فى البحث عن فنونها الغامضة ، ومبتدعات الشعراء والكتاب التى هى للأفكار جد رائضة ، ليكون ذلك عونا للمبتدىء على تلقيح ذهنه ، وللمنتهى على تجديد العهد الصالح بفنه ، جعلت هذا الكتاب موضوعا على ذكر ماتناهت أفكار العلماء فى تنقيحه ، وأذهان الشعراء والكتاب فى ترشيحه وترجيحه ، من المعانى الدقيقة أثرا ، الجليلة خطرا ...)

وإذا كان لنا من كلمة فى طريقة اختيار ابن نباتة فى هذا الكتاب ، فأنه فى الحق

والصواب ضبطها بالكسر ، لأن القافية كلها مكسورة ، بدليل البيت الذى بعده وهو :

وولت كأن الليل يخلج شخصها
أوان تولت من حشاى وأضلعى

* وفى صفحة ٤١٤ ، وردت هذه العبارة من نثر القاضى الفاضل هكذا :

( فدعونا من بعلبك الأعسر ، وشتائه العذاب الأكبر ) : وهنا مأخذان : الأول لفظة فدعونا كأنها فعل ماض ، والصواب أنها فدعونا ، هى فعل أمر ، أى اتركونا واتركوا ذكر بعلبك : والمأخذ الثانى هو ضبط كلمة العذاب بالفتح ، والصواب كسرها لأنها صفة لكلمة شتاء وهى مجرورة بـن .

وبعد : فهذا هو كتاب «مطلع الفوائد ومجمع الفرائد» للشاعر المصرى جمال الدين ابن نباتة، عرضناه وعرضنا طرفا من سيرة مؤلفه، كما عرضنا جهد المحقق الفاضل فيه . وهو جهد نرجو أن يبلغ التمام فى المقبل من الكتب .

وبالله التوفيق

**محمد عبد الغنى حسن**

# شخصيات مجمعية

## كلمة الأستاذ زكى المهندس نائب الرئيس

**فى حفل استقبال الأعضاء الأربعة الجدد الذى أقيم بدار المجمع بالجيزة صباح الأربعاء ١٧ من أبريل ١٩٧٤**

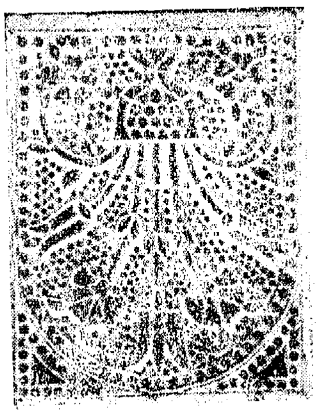
زملائى ، سيداتى ، وسادتى :

إنه ليسر المجمع كل السرور أن يستقبل اليوم أربعة من أعضائه العاملين الجدد ، وهم الأساتذة : الأستاذ على النجدى ناصف والأستاذ محمد شوقى أمين ، والدكتور أحمد عز الدين عبد الله ، والدكتور عثمان أمين .

وقد اختارهم المجمع لعلمهم وكفايتهم وإنتاجهم ، وقد كان المجمع ولا يزال وسيظل دائما مثابة للكفاءات العالية ، وملتقى للثقافات الممتازة ؛ والمجمع إذ يهنئ الزملاء الأربعة بما نالوا من ثقة وتقدير ، ليثق كل الثقة بأنهم سيبذلون كل جهودهم وكل طاقاتهم ، بما آتاهم الله من علم وكفاية : سيبذلون كل هذا فى تحقيق رسالة المجمع ، وإنهم لفاعلون إن شاء الله .

أما الآن أيتها السيدات والسادة فسيتولى استقبال الزملاء الأربعة ، الزميل الدكتور محمد مهدى علام ، وقد كان من المقرر أن يستقبل هؤلاء الزملاء الزميل الأستاذ الجليل عبد الحميد حسن ، ولكنه اعتذر لوعكة أصابته ، فباسم المجمع وباسمكم جميعا نرسل له أخلص تحياتنا ، وأطيب أمانينا له بالشفاء العاجل .

وليتفضل الدكتور محمد مهدى علام مشكوراً بإلقاء كلمة الاستقبال ، وسيحدثكم بعده كل من الزملاء الأربعة بكلمة يتحدث فيها عن سلفه ...



## •• كلمة الأستاذ عبد الحميد حسن فى استقبال الأعضاء الأربعة

### ( ألقاها الدكتور محمد مهدى علام عضو المجمع )

* سيدى الرئيس : باسم المجمع وعن لسان الأستاذ عبد الحميد حسن ، أتشرف باستقبال الزملاء الأربعة : الأساتذة : على النجدى ناصف ، ومحمد شوقى أمين ، وأحمد عز الدين عبد الله ، وعثمان أمين ، وأرحب بهم بيننا فى هذا المجمع الموقر .

* سيدى الرئيس : سادتى أعضاء المجمع ، سيداتى ، سادتى

يسعدنى أن أنوب عن المجمع فى استقبال الأعضاء الأربعة الذين حظى بهم هذا المجمع فى الانتخابات الأخيرة وهم جميعا ممن يستحقون الإكبار والإعظام لما لهم من مكانة مرموقة وآثار لها جليل الشأن .

### الأستاذ على النجدى ناصف

تخرج فى دار العلوم سنة ١٩٢١م واشتغل بالتدريس ثم بالتفتيش فى وزارة المعارف، ثم اختير مدرسا فى دار العلوم سنة ١٩٤٣ م ، ثم رقى أستاذا مساعدا ثم أستاذا للنحو والصرف والعروض وفى أثناء ذلك أختير وكيلا لكلية دار العلوم . وحين بلغ السن القانونية عين أستاذا غير متفرغ بالكلية ، ولا يزال كذلك إلى الآن .

وأول لقائى بالزميل الكريم كان فى إحدى مدارس المعلمين الأولية ، وكانت هذه المدارس معقد الآمال وموطن الرجاء لتخريج المعلمين الذين يتولون إعداد الجيل الراشد العامل فى ميادين النشاط الحيوى وكان عددها خمسا وعشرين مدرسة منتشرة فى أنحاء القطر المصرى من أسوان إلى شواطئ البحر المتوسط وكان من حظى أول عهدى بالتفتيش ، أو التوجيه كما يسمى الآن ، زيارة هذه المدارس جميعا ، وكان القائمون على أمر التعليم الأولى يختارون لها الأفذاذ من معلمى اللغة العربية وغيرها من المواد .

وفى مدرسة دسوق للمعلمين حظيت بزيارة الأستاذ على النجدى وكان يلقى درسا يعد من أدق الدروس وأدلها على مقدرة العلم ومهارته فى مادته وطريقته وهو درس التعبير أو الإنشاء الشفهى ،

وكان موضوع الدرس من مشاهدات البيئة المحلية، وهو « دسوق يوم السوق » .
وكان فى أدائه وإلقائه وحواره نموذجا للمعلم القدير والمربى الماهر الذى يتخذ من درسه وما يعالج من حقائق وسيلة لبناء العقول وإنشاء الانفس ، وكان بذلك محققا لقول شاعرنا شوقى :

أرأيت أعظم أو أجل من الذى
يبنى وينشئ أنفساً وعقولا

رأيت كل هذا من الزميل الكريم فامتلأ قلبى وسمعى وبصرى إجلالا له وتقديرا .
ثم مرت الأيام وإذا به يصل إلى الذروة التى كانت مطمح أنظار معلمى اللغة العربية وهى « دار العلوم » ذلك المعهد الذى كانت تحيا فيه اللغة العربية بفروعها الأدبية واللغوية وما يتصل بذلك من الوان الثقافة الإسلامية .
وقد سار الأستاذ النجدى فى دار العلوم يصحبه التوفيق حتى وصل إلى درجة الأستاذية ، ولم تنحسر عنه هذه الصفة حتى بعد بلوغ سن التقاعد فهو مازال أستاذا غير متفرغ يقوم برسالته على أكمل الوجوه وأتمها .
وكان فى جميع أدوار حياته مثالا للجد والنشاط عاكفا على الدرس والبحث ، ومن آثاره الأدبية واللغوية كتب مؤلفة وأخرى محققة وطائفة من المقالات والبحوث
( الكتب المؤلفة )
١ — سيبوية إمام النحاة : ويتضمن مقدمة فى تطور النحو ثم دراسة تحليلية ونقدية لكتابه العظيم .
٢ — من قضايا اللغة والنحو : دراسة لجوانب ومشكلات ذات بال ، مثل قوالب التعبير ، والإعراب وعلاقته بالمعنى ، والتأويل والتقدير فى اللغة ، والفصحى والعامية .
٣ — أبو الأسود الدؤلى : وصف لعصره ولحياته ، وبيان لآثاره العلمية والأدبية ، وعرض لأولية النحو بالمناقشة والتحليل .
٤ — الدين والأخلاق فى شعر شوقى دراسة مستفيضه قوامها العرض والتحليل والموازنة والنقد .
٥ — دراسة فى حماسة أبى تمام : تستهل بمقدمة مسهبة عن الاختيار فى الشعر وتطوره مع دراسة نماذج من الحماسيات تقوم على التحليل والموازنة والنقد .
٦ — ابن قيس الرقيات شاعر السياسة والغزل :
ترجمة ودراسه لفنون شعره .
( الكتب المحققه ) .
١ — الجزء العشرون من كتاب الأغانى
٢ — الجزء الثالث من لسان العرب
٣ — الحجة فى القراءات السبع للفارسى
٤ — مراجعة تحقيق الجزء الثالث من معانى القرآن للفراء
( المقالات والبحوث ) .
وتبلغ نحو خمسين مقالا وبحثا فى اللغة والأدب والنقد ، نشرت فى مجلة مجمع اللغة العربية وفى مجلات وصحف أخرى .
هذا هو الزميل الجديد الأستاذ على النجدى ناصف نرحب به فى مجمعنا الموقر .

# الأستاذ
# محمد شوقي أمين

إن الحديث عن الزميل الكريم محمد شوقى أمين وعن ثقافته وعن معلوماته الشاملة الوافية ، حديث طريف ممتع .فشعاره الذى كان يسعى إلى تحقيقه فى جميع أدوار حياته هو « أن الحكمة ضالة الباحث يلتقطها أنى وجدها » ، وقد عكف على التحصيل يطرق إليه كل باب ، ويتتبع كل مورد عذب فينهل منه مايروى ظمأه واستمر ينقب ويبحث ويختزن فى ذاكرته اللامعة وذهنه الخصب وقريحته الوقادة حتى صار بحراً تتلاطم أمواجه ويحتفظ فى قراره المكين بدرر من طرائف اللغة والأدب وشوارد الحقائق، التى تتطلب بحثا عميقا وتوفرا على الاطلاع .

وقد التحق السيد شوقى أمين فى مبدأ حياته بالقسم الابتدائى بالأزهر ثم انتقل إلى القسم الثانوى بهوكان هذا القسم قدبدأ يسير على النظام الحديث وأدخل فى منهجه العلوم الحديثة مثل الحساب والجبر والهندسة والرسم والطبيعة وغير ذلك من العلوم التى كانت تدرس فى المدارس التابعة لوزارة المعارف . ولكن شوقى أمين كان الميل الذى يتغلغل فى نفسه ويملك عليه حواسه ومشاعره هو دراسةالأدب واللغة فانصرف عن متابعة دروس القسم الثانوى بالأزهر وتابع الخطا للتوفر على مايميل إليه فكان يذهب إلى دار الكتب المصرية يستعير منها أمهات الكتب ويعكف على دراستها ، وبذلك صقل فكره وأرهف قلمه وبدأ يكتب فى الصحف اليومية فنشرت له صحيفة الأهرام سنة ١٩٣٢ قبل إنشاء مجمع اللغة العربية مقالات متوالية فى التوطئة لإنشاء المجمع ، منها منها مقالات بعنوان « المجمع اللغوى لماذا يراد » وعنوان « المجمع اللغوى كيف يراد» ومنها مقالات « اللغويون قديما وحديثاً » .

ونشرت له المجلات والصحف — كالرسالة والثقافة والأهرام والبلاغ وكوكب الشرق — عشرات المقالات فى اللغة والأدب والنقد وخصصت له مجلة الهلال باباشهريا حرره خلال السنوات العشر من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٦١ اشتمل على توجيهات لغوية ونظرات نقدية وتصويبات للألفاظ والتراكيب.

واشترك أيضا فى تحقيق مخطوطة من ديوان «بشار بن برد»خرجت فى ثلاثة أجزاء وبعدها فى جزء رابع فى مستدرك شعر بشار .

هذه إلمامة عن نشأته قبل أن ينضم إلى مجمع اللغة العربية .

أما نشاطه فى مجمع اللغة العربية فقد كان حافلا بالإنتاج الغزير ولا يزال كذلك إلى الآن .

وفى خلال عمله بالمجمع قامت فى سبيله عقبة إزاء وضعه فى المرتب الذى يمنحه

والدرجة المالية التي توائم ثقافته وتحصيله ذلك أن القوانين المالية كانت تشترط للتعيين في أولى الدرجات المالية ثم متابعة الترقي أن يكون الموظف حاصلا على الشهادات الرسمية لكي يتسنى له التمتع بالرقي المالي المتتابع، وعلاجا لهذا الوضع كتب رئيس مجلس الوزراء إذ ذاك مذكرة عرضها على مجلس الوزراء في هذا الشأن سنة ١٩٤٦ جاء فيها «إنه على جانب كبير من الثقافة الأدبية واللغوية وله من سعة الاطلاع ما يقوم مقام الشهادات العلمية وقد استطاع أن يقوم بأعمال فنية بكفاية وإخلاص وجدارة وامتياز».

ولهذه المذكرة قصة طريفة وقد سمعتها من الأستاذ شوقي يرويها من ذاكرته الجيدة الواعية اللامعة، وهي تنطوي على اهتمام ولاة الأمور المختصين من الوزراء وكبار شيوخ الأزهر وأعضاء هذا المجمع بالزميل شوقي أمين وبإعطائه ما يستحقه.

وللزميل شوقي إلى جانب ذلك نشاط آخر في جهات ثلاث وهي:

مجمع اللغة العربية، ولجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ولجنة نشر المؤلفات التيمورية.

١ – أما نشاطه في المجمع فيتجلى في ناحيتين:

الأولى: لجنة الأصول، ومهمتها، كما جاء في قانون المجمع، هي «النظر في قواعد اللغة وضوابطها لتوسيع أقيستها وتيسير نحوها وصرفها وإملائها، ودراسة ما ينبغي استعماله أو تجنبه من ألفاظها وتراكيبها». وللزميل شوقي في هذه اللجنة نشاط شامل في جميع ما أصدرته من آراء. وقد كتب مذكرات كثيرة في مختلف المسائل اللغوية تشهد له بعمق البحث وسعة الاطلاع وهي مدونة في محاضر هذه اللجنة.

والثانية: اشتراكه مع الزميل الكريم والعالم الجليل والباحث المدقق الأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع في إعداد الكتابين اللذين أصدرهما المجمع محتويين على القرارات المجمعية من دورته الأولى حتى الدورة الرابعة والثلاثين بعنوان (مجموعة القرارات العلمية) وبعنوان (في أصول اللغة) وهما سجلان في المنزلة الأولى دقة وعرضا.

٢ – لجنة الدراسات الأدبية وقد اختير الزميل شوقي عضوا فيها واشترك في العمل العظيم الذي وضعت اللجنة خطة لإصداره وهو (سجل الأدباء) الذي يحوي تعريفا بالأدباء والمفكرين في القرن العشرين بمصر.

ولقد كان الزميل شوقي بذاكرته القوية عونا في إبداء الرأي في معظم الأدباء الذين تعرض اللجنة أسماءهم فيذكر المعلومات الدقيقة الوافية التي تدل على اطلاعه الشامل على أدباء الجيل الحديث.

٣ – حقق جملة مما أخرجته لجنة نشر المؤلفات التيمورية من مؤلفات العالم الجليل (أحمد تيمور) ومنها: التذكرة التيمورية والسماع

والقياس ، وأسرار العربية ، وأعلام الفكر الإسلامى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وإلى جانب هذا النشاط فى هذه النواحى الثلاث قد اختاره معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية للاشتراك فى حلقة البحث بقسم الدراسات اللغوية والأدبية واختاره معهد الخدمه الاجتماعية للفتيات لإلقاء محاضرات فى الشريعة الإسلامية وتنسيقها للمجتمع .

واختاره كذلك معهد الإدارة والسكرتارية للفتيات لإلقاء محاضرات فى اللغة العربية .

هذه لمحة عابرة عن الزميل الكريم شوقى وعن نشاطه فى مختلف النواحى ، وإنه لنشاط يدل على علم غزير وأفق واسع واطلاع شامل فى شتى النواحى الأدبية واللغوية والإسلامية وإن انضمامه إلى عضوية مجمع اللغة العربية كسب عظيم ، ونحن نكرر تهنئته ونرحب به ونرجو له تمام التوفيق .

# الدكتور أحمد عز الدين عبد الله

هذا علم من أعلام القانون وأستاذ من أساتذة الفقه التشريعي ، وإن انضمامه إلى عضوية مجمع اللغة العربية ومشاركته للأعضاء الذين حظى بهم المجمع من قبل ، سيكون قوة لها شأنها فى مجال الدراسات اللغوية القانونية التى يعنى بها المجمع ،وسيكون ذلك عونا على تعريب التعليم القانونى بالجامعات وعلى تأليف المراجع المختلفة فى هذا الميدان باللغة العربية السليمة ،وسينشر كل ذلك فى سائر الدول العربية ويتجه الجميع وجهة موحدة تزيد الوحدة السياسية والاجتماعية قوة وازدهار ونشاطا .

ولد الزميل الكريم الدكتور أحمد عز الدين عبد الله فى الأول من أكتوبر سنة ١٩١٣ م بقرية الرِّيْدمُون من أعمال مركز ملّوى بمحافظة المنيا والتحق بكتّاب القرية فى السادسة من عمره حيث تعلم مبادىء القراءة والكتابة والحساب وحفظ بعض أجزاء من القرآن الكريم ، ثم وفد إلى القاهرة حيث تلقى التعليم الابتدائى والثانوى وحصل على شهادة البكالوريا ( الثانوية العامة الآن ) سنة ١٩٢٩ والتحق بجامعة القاهرة وحصل منها على شهادات مختلفة ، وصلت قمتها لدرجة الدكتوراه ، وإنه لجدير بالتقدير والإعجاب لما له من شأن فى شتى النواحى القانونية وللمكان المرموق الذى سما إليه عن جدارة واستحقاق .

ويرجع ذلك إلى عوامل خمسة وهى :

١ — الدرجات العلمية التى نالها .

٢ — الوظائف التى شغلها .

٣ — النقابات والهيئات العلمية التى هو عضو فيها .

٤ — التدريس بالجامعات العربية والأجنبية .

٥ — المؤلفات والبحوث العلمية التى كتبها .

١ — أما الدرجات العلمية التى نالها من جامعة القاهرة فأولها الليسانس فى الحقوق سنة ١٩٣٣ ثم دبلوم الدراسة العليا فى القانون الخاص ثم دبلوم الدراسة العليا فى القانون العام ثم يتوج كل ذلك بدرجة الدكتوراه فى القانون وقد كتب المرحوم القانونى الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهورى مقدمة لهذه الرسالة أشاد فيها بمقدرة الدكتور عزالدين عبد الله وأثنى عليه الثناء المستطاب ، ومما قاله« إنى أرى الرسالة قد غاصت فى أعماق المسائل التى تعرض لها الكاتب ثم انبسطت على جميع تفصيلاتها فلم تترك شاردة ولا واردة إلا كانت لها سجلا محفوظا . وقد أدهشنى المؤلف بقدرته على تفتيح الآفاق الواسعة للموضوع » ثم قال « إن المؤلف عالج المسائل فى وضعها العملى الصحيح ولم ينفذ إليها عن طريق النظريات

العلمية ، بل من الطريق الذى تبرز فيه أمام القضاء ، ولا أشك فى أن للمؤلف شخصية بارزة فى كتابته تجعل القارىء يشعر بها من أول صفحة فى الرسالة إلى آخر صفحة . . .»

٢ – وأما الوظائف التى شغلها فهو الآن أستاذ كرسى القانون الدولى الخاص ورئيس هذا القسم بكلية الحقوق بجامعة عين شمس ، وقد اختير عميدا لكلية الحقوق بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٦ وظل عشر سنوات حتى أكتوبر سنة ١٩٦٦ .

وقد اختير أستاذ كرسى القانون الدولى الخاص بكلية الحقوق بجامعة القاهرة حتى سنة ١٩٥٢ ، وكان من قبل مدرسا لقانون المرافعات بكلية الحقوق بجامعة القاهرة حتى سنة ١٩٤٨ ، واختير أيضا محاميا بقسم قضايا البنك العقارى الزراعى المصرى من ديسمبر سنة ١٩٣٣ حتى ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، وهو البنك الذى أنشأته الحكومة سنة ١٩٣٢ لتمصير الائتمان العقارى .

وكل هذه وظائف تدل على الكفاية والمقدرة وعرفان ما للزميل الكريم الدكتور عز الدين عبد الله من مكانة مرموقة ومقدرة قانونية شاملة تستحق التقدير . وقد بلغ عدد الخريجين من طلابه مايزيد على عشرين ألفا من رجال القانون الذين يتبوأون مختلف المناصب القانونية والقضائية حتى الدرجات العليا منها . كما جاوز عدد الخريجين خمسة آلاف من طلابه ضباط الشرطة .

٣ – وأما النقابات والهيئات العلمية التى هو عضو فيها فله فى هذا المجال نشاط موفور فهو : عضو بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية من سنة ١٩٦٤

ومقرر لجنة القانون بهذا المجلس منذ ذلك التاريخ .

وعضو بمجلس إدارة الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع منذ سنة ١٩٦٨ وقد نشر عددا من البحوث بمجلتها العلمية .

وعضو مجلس إدارة الجمعية المصرية للقانون الدولى ونائب رئيس المجلس حتى سنة ١٩٧١ ، وقد نشر عددا من البحوث بمجلتها العلمية .

وعضو جمعية التشريع المقارن بباريس منذ سنة ١٩٦٧

وعضو بنقابة المحامين ، ومحام لدى محكمة النقض من سنة ١٩٥٢

وشارك فى حضور عدد من المؤتمرات والندوات الدولية ، وأخصها مؤتمرات اللجنة القانونية الاستشارية لدول آسيا وأفريقيا التى انعقدت فى القاهرة وكولومبو ورانجون وطوكيو ، حيث كان نائب رئيس وفد مصر فيها من سنة ١٩٥٨ حتى سنة ١٩٦٤ ، وقدم عددا من البحوث العلمية فى مادة القانون الدولى الخاص .

وآخر الهيئات التى اشترك فيها هو مجمعنا هذا الذى اختير فيه خبيرا منذ

سنة ١٩٦٤ حتى اختير عضواً به . والمجمع يفخر بخبرته ، ويتمنى له دوام التوفيق .

٤ — وأما التدريس فى المعاهد العربية والأجنبية فقد جاوزت شهرته العلمية فيه حدود الوطن ، فدعته أكاديمية القانون الدولى الملحقة بمحكمة العدل الدولية بلاهاى لإلقاء محاضرات بها فى القانون الدولى الخاص، على دارسين من المعيدين والمدرسين بجامعات مختلف دول العالم ومن رجال السلك الدبلوماسى بها .

كذلك استجاب لدعوة من جامعة الكويت للعمل بها أستاذا زائرا بكلية الحقوق والشريعة للدراسات العليا، وكان ذلك فى يناير سنة ١٩٧٣ وفى فبراير ومارس سنة ١٩٧٤ .

٥ — وأما المؤلفات والبحوث العلمية فهى إنتاج ضخم حافل يزيد على الأربعين عداً، ويتسم بالابتكار والتجديد .

ويشمل القانون المدنى وقانون المرافعات والقانون الدولى الخاص ، وهو الفرع من فروع القانون الذى استقر به المطاف على التخصص فيه ، فجاء أكثر بحوثه فى مختلف موضوعاته ، بالإضافة إلى مؤلفه الجامع لكل هذه الموضوعات ، وهو كتاب القانون الدولى الخاص المكون من جزأين يقعان فى نحو ألفى صفحة .

هذه صفحة ناصعة مجيدة من صفحات الجهاد العلمى القانونى ، وهو جهاد يرفع من قدر مصر ورجالها الأفذاذ فى القانون بين أمم العالم ، ويسعد مجمع اللغة العربية أن يسير الزميل الكريم فى مجال الإنتاج والابتكار والتجديد مع زملاء أعزاء ضمهم هذا المجمع من قبل إلى عضويته. فإلى رحاب مجمعنا الموقر نقدمه مرحبين مهنئين .

# الدكتور عثمان أمين

هو العالم الجليل والباحث المتعمق الذى ذاع إنتاجه، فشمل كثيرا من الأقطار شرقا وغربا، وارتوى منه المتعطشون إلى المناهل الغزيرة الصافية للبحوث الفلسفية.

وقد استطاع الدكتور عثمان أمين الذى يناهز السبعين من عمره المبارك فى خلال أربعين عاما متواصلة، أن يتدرج من محاضر فمدرس فأستاذ فرئيس لقسم الفلسفة بجامعة القاهرة، مسهماً فى تخريج أجيال من الفلاسفه والمفكرين الذين يتولون اليوم مراكز قيادية وعلمية مرموقة فى مصر والعالم العربى، واستطاع بإنتاجه العلمى الغزير والمبتكر، ما بين تأليف وترجمة وتحقيق، أن يجتذب انتباه علماء الغرب والشرق على السواء فاعتبر مؤلفه عن «محمد عبده» واحداً من الكتب الخمسة التى ظهرت فى العالم العربى خلال نصف القرن الماضى، فيترجم إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية والأردية والسواحلية، كما حصل على الجائزة الأولى فى الأدب الفرنسى من جمعية مصر ــ فرنسا عام ١٩٥٢ كما أسهم فى تحرير أربعة فصول من دائرة المعارف الإسلامية المطبوعة باللغة الأردية فى لاهور عام ١٩٦٠، وأسهم فى كتاب «تاريخ الفكر فى الإسلام»، المنشور بالإنجليزية فى هولندا عام ١٩٥٨ وكتاب «الشرق الأوسط المعاصر» المنشور بالإنجليزية فى نيويورك عام ١٩٦٥.

وقد خصص كتاب «قطوف من الأدب العربى المعاصر» المنشور بالفرنسية بإشراف الأستاذ جاك بيرك بباريس عام ١٩٧٠ فصلا كاملا عن الأستاذ الدكتور عثمان أمين، وخصص له الدليل الدولى للشخصيات البارزة فى العالم المنشور بلندن عام ١٩٥٥ والمعروف باسم:

( International Who's Who )

مكانا للتعريف بأعماله العلمية.

والدكتور عثمان أمين الذى عمل أستاذاً زائراً بالجامعات العربية فى ليبيا والسودان والجامعات الأمريكية والباكستانية وحاضر فى كل من الجامعات المصرية فى القاهرة والإسكندرية وعين شمس، ومعهد الدراسات العربية العالية التابع للجامعة العربية، وفى جامعة الأزهر، ومعهد الدراسات الإسلامية وغيرها، قد وسع من دائرة تلاميذه ومريديه وهيأ لفلسفته بالانتشار والذيوع فى أوسع نطاق فى مصر والعالم العربى، بل فى أمريكا وفرنسا وهولاندا وألمانيا وإنجلترا، وفى إندونيسيا والهند وباكستان.

وبهذا تخرج على يديه مئات من الحاصلين على درجة الدكتوراه والماجستير وأسهم

فى فحص الإنتاج العلمى وترقية عشرات من الأساتذه السابقين والحاليين فى الفلسفة وعلم الاجتماع .

ومما يجدر التنويه به أن يكتب العلماء والمستشرقون فى أوربا وأمريكا وفى الهند وباكستان وفى سوريا والجزائر عن الأعمال العلمية التى نهض بها الدكتور عثمان أمين .

والإضافات التى حققها للمعرفة وللفكر الفلسفى بصورة تضعه فى المكانة اللائقة به فنرى على سبيل المثال المفكر الفرنسى لوى جارديه يقول فى معرض حديثه عن فيلسوفنا المصرى ما ترجمه عن الفرنسية :

« ومن أكثر المؤلفات الفلسفية اشتهارا ذلك الكتاب الذى نشره الدكتور عثمان أمين باللغة العربية فى القاهرة ١٩٤٤ عن مبادئ فلسفة زينون ، وكذلك الكتاب الآخر عن الفلسفة عند العرب الذى نشر ١٩٤٥ . وهو إلى جانب ذلك واحد من أحسن المتخصصين العرب فى الفلسفة الغربية الحديثة » .

ويذهب ريتشارد فراى الأستاذ بجامعة هارفارد إلى تخصيص جانب كبير من الكتاب الذى نشره ١٩٥٧ لمعرفة البحوث التى ألقيت فى المؤتمر الإسلامى فى هارفارد ١٩٥٥ تحت عنوان الإسلام والغرب ويقول إنه لبحث مبتكر ورائد فى موضوع التجديد فى مصر بقلم الأستاذ الدكتور عثمان أمين حسب قول ريتشارد فراى فى تعليقه .

واستطاع صوت الدكتور عثمان أمين وفكره المبتكر أن يرفع رأس العلماء المصريين فى عدد كبير من المؤتمرات والندوات ، وحلقات البحث العلمى فى الخارج .

فمنذ حضوره المؤتمر العالمى للمستشرقين المنعقد فى كمبردج بإنجلترا ١٩٥٤ حتى مؤتمر الفكر الإسلامى فى قسنطينة ووهران بالجزائر عامى ١٩٧٠ ، ١٩٧١ شارك الدكتور عثمان أمين فى اثنى عشر مؤتمراً وحلقة علمية فى كل من هارفارد ١٩٥٥ — جاكارتا ١٩٥٦ ولاهور ١٩٥٧ — فينسيا ١٩٥٨ — دمشق ١٩٦١ — تكساس ١٩٦٥ — وأخيرا قسنطينة ووهران بالجزائر ١٩٧٠ — ١٩٧١ .

وفى جاكارتا بأندونيسيا نشرت أبحاث الأستاذ الدكتور عثمان أمين وترجمت من العربية إلى اللغة الإندونيسية فى أوسع المجلات المتخصصة وفى فينيسيا نشرت أعمال المؤتمر العالمى للفلسفة ١٩٥٨ أبحاث الدكتور عثمان أمين فى مجلد خاص تقديرا له .

وفى ومسقط رأس الفيلسوف ديكارت انتخب الأستاذ الدكتور عثمان أمين عضو شرف بالجمعية الديكارتية الفرنسية وخصص جناح فى مكتبة المؤلفات والبحوث العالمية عن ديكارت لإنتاج الأستاذ الدكتور عثمان أمين تحت اسم «مصر» .

وبهذا استطاع فيلسوفنا المصرى أن يتيح للغرب والشرق فرصة لتذوق الفكر المصرى وأن يدفعها إلى ترجمة إنتاجه من العربية إلى اللغات الأجنبية ، وأن يبتكر مذهباً فكريا وفلسفيا وجماليا فى كتاب «الجوانية» :

أصول عقيدة وفلسفة ثورة »، أظهر فيه أجمل ما فى الفكر الإسلامى وأنقى ما فى الروح العربية وأسمى ما فى الوعى المصرى .

وبعد ، فهذه صفحة ناصعة مشرقة عن أعمال الزميل الكريم الدكتور عثمان أمين وإنا لنرجو له المزيد من التوفيق فى جميع أعماله .

هؤلاء هم الأعضاء الأربعة الذين حظى بهم مجمع اللغة العربية وسيعملون مع باقى الأعضاء على تحقيق رسالة المجمع وهى : المحافظة على سلامة اللغة العربية ، والحرص على وفائها بمطالب العلوم والفنون ، وكذلك توحيد المصطلحات فى اللغة العربية حتى يكون ذلك عونا على وحدة العرب وازدهار حياتهم والنهوض بأمجادهم .

والله نسأل أن يرعانا ويسدد خطانا ويبارك مسعانا ويهدينا سبيل الرشاد .

سيدى الرئيس :

باسم المجمع ، وعن لسان الأستاذ عبد الحميد حسن ، أتشرف باستقبال الزملاء الأربعة: الأساتذة: على النجدى ناصف ، ومحمد شوقى أمين ، وأحمد عز الدين عبد الله ، وعثمان أمين ، وأرحب بهم بيننا فى هذا المجمع الموقر .

والسلام عليكم ورحمة الله

# كلمة الأستاذ على النجدى ناصف
# فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات :

لم يستهونى الطموح ، ولا استخفنى الطمع أن أتبوء مقعدا فى مجمع اللغة العربية ، لا زهادة فيه فهو أمنية لمتمنين كثير ، ولا غفلة عنه فهو ملء السمع والقلب ، ولكن إعظاما له ، وقصورا دونه .

فكان بين الجمعيين أمنية عزيزة ، مطلبها شديد ، ومنالها بعيد ، لا يُلقّاها إلا كاف فيها ، وصالح لها من أصحاب المزية الفائقة ، والشهرة العاملة ، لا تزال ترفع ذكره ، وتردد اسمه فى عالم الآداب أو العلوم ، حتى تشخص إليه الأبصار ، وتشغل به الخواطر ، وتدور من حوله أحاديث .

وما أعلم أنى من المزية الفائقة ، ولا الشهرة العاملة ، ولا أنهما منى فى شىء ، لا أقولها رياء خادعا ، ولا تواضعا كاذبا ، فما بى من حاجة إليهما فى هذا المقام ، ولكنها الحقيقة لا اهتضام لها ، ولا مواربة فيها ، وبين جسامة المطلب ، وقصور الوسيلة يذهب الجهد ضياعا ، والرجاء جفاء .

ومن الحكمة أن يعرف المرء قدره ، ولا يعتدى حده ، إلا مستهترا لا يبالى قالة السوء ، أو خليا يتخذ من المحاولة ملهاة من ملاهيه ، يملأ بها فراغه ، وينفى ملاله ، وليس منها — على كا حال — مضرة تخشى ، ولا فيها محذور يتقى . ومن يدرى لعل الله يحدث من الأمر مالا يقع فى وهم ، ولا يتطاول إليه خيال . وقديما قالت العرب : مع الخواطئ سهم صائب .

وقد خار الله لى — والخير فيما اختار — ألا أكون أحد الرجلين ، بل ألا أكون منهما على شبه قريب أو بعيد .

غير أن لى فيكم أيها السادة المجمعيون صفوة من الخلصان ، وقدامى الزملاء ، وشيوخ الأساتيذ — يحسنون بى الظن ، ويرون فى مالا أرى ، أبت عليهم أريحيتهم ، وصدق مودتهم أن يخلوا بينى وبين نفسى ، أعكف عليها ، وأفرغ لخاصة أمرها ، فتقدموا بى إليكم ، يؤذنونكم بى ، ويستفتحون لى عليكم .

وإن امرا إلا تسعده أداته ، وترفده روافده لحقيق أن يشقى به أعوانه ، وأن تشق عليهم المسعاة له ، لذلك طال على أصحابى الاستفتاح ، ولج بهم الإيذان ،

فما أمسكوا عن المحاولة، ولا أحدثوا برأيهم فى رأيا .

وعهد الناس بصاحب الرأى أن يستريب برأيه ، ويراجع فيه نفسه ، إذا تعدد مخالفوه فيه ، وطال خلافهم له ، ولو كان رأيا عقباه له ، ومآله إليه ، وأكبر الظن أنه إن يفعل فسيبدو له فيه بداء ، فكيف برأى هو فيه صاحب فضل ، وصانع معروف ، وكل ما له من مضائه آخر الأمر هو المشاركة فى نشوة الظفر ، وبلوغ الأرب ؛ فصنع الله لهم ، وبارك عليهم ، وتولى عنى جزاءهم .

ثم يشاء الله أن يبلغ الكتاب أجله بعد لأى وطول ريث ، فتنجح المحاولة ، وتتحقق الأمنية . ولست أدرى أكان ذلك عن رضا واقتناع ، أم عن ضيق بالمعاودة والتكرار ؟ فإن لله جنودا منها مواصلة الطلب فى غير يأس ولا فتور ، ولكنه جند خير وسلام إن شاء الله .

وأيا ما يكن الأمر أيها السادة المجمعيون فلكم منى جزيل الشكر ، سواء منكم من رآنى حقيقا بانتخابه، ومن رأى غيرى أحق به منى ، فقد كان كل فيما رآه إنما يريد إحقاق الحق ، وإقامة الوزن بالقسط على ما يبدو له أنه الرأى الرشيد .

أما أستاذى الجليل عبد الحميد حسن فله أجمل الشكر وأوفاه على كلماته الطيبة التى قدمنى بها إليكم ، ووصفنى فيها لكم بعديد من الأوصاف الفاضلة ، حتى خيل إلى أنه يتحدث عن رجل ليس ، وهكذا يستهوى الحب الخالص صاحبه ، ويغلبه على أمره ولا يدع له منه إلا المجاملة وإحسان الظن .

والآن ، ماذا أعددت للأمر العظيم الذى حملته منذ اليوم ؟ وهل أرانى قادرا على احتماله ، وإحسان الاضطلاع به ؟ سؤالان أسألها وأتولى الجواب عنهما، وعدا لا أخلفه، وعهدا لا أخيس به، إن شاء الله تعالى لئلا يمضى الأمر ، بى أو أمضى أنا به على ما خيلت، لاضابط هناك ولا منهاج .

لقد أعددت له كل ما تورث السن العالية من تجربة، وكل ما تذر لصاحبها من صبابة قوة، على أن أجمع شتاتها ، وأعتصر عودها ، وأنفخ فى رمادها ، ثم أصرف جملة ما يتوافى إلى منها إلى ما عسى أن أشارك به من عمل ، فان أبلغ بذلك مرضاتكم ، وأحسن مشاركتكم ،وإلا فحسبى أنى أبليت عذرا ، وقد قال الأول :

وعلىّ أن أسعى وليس
على إدراك النجـــــــــاح

هذه سبيلى التى رسمتها ، وأجمعت على التزامها ، مستهديا الله فيها ، ومستعينا به عليها ، إنه نعم الهادى ، ونعم المعين

ويزيدنى التزاما لها ، واستقامة عليها أنى أخلف فيكم المغفور له الأستاذ الكبير

مصطفى القللى ، نضر الله وجهه ، وأجزل فى الأخرين ثوابه، ومن الخير للخلف إذ يكون سلفه أنبه ذكرا، وأرجح ميزانا — أن يحاول ما استطاع أن يأخذ إخذه ، ويجهد أن يكون منه غير بعيد .

لقد كان رحمه الله فى شبابه فتى نجيبا ، مرجو الغد ، وكان فى كهولته علما رفيع القدر ، مرموق المنزلة ، لازمه السداد والتوفيق حياته كلهامن لدن شبابه إلى لقاء ربه

فكان ثانى الناجحين فى امتحان الشهادة الثانوية ، وثانى الناجحين من زملائه خريجى مدرسة الحقوق . وكانت له وهو طالب مشاركة مذكورة فى إذكاء الثورة المصرية التى قادها سعد زغلول ، بما قال فيها من شعر ، وما دعا إليه من جهاد .

ولم يلبث بعد تخرجه أن اختير مبعوثا إلى فرنسا ، يطلب الدكتوراه فى العلوم الجنائية ، فظفر بها ، وعاد راشداً محموداً ، ليتولى التدريس فى كلية الحقوق ، وليمضى صعدا فى مراتب الدراسة الجامعية فى كليته، حتى انتخب عميدا لها ، فخرج أجيالا من رجال القانون ، انبثوا فى أقطار الحياة العاملة ، يعلون كلمة الحق ، ويحتمون حمى القانون .

ثم بدا له أن يفرغ لحياة أرحب مجالا ، فتخلى عن العمادة ، وتبدل برداء الجامعة رداء المحاماة ، فكان من أبرع المحامين ، وأشدهم عارضة ، وأفقههم للقانون ، وأخبرهم بأسراره واكتناه المصادر منه والموارد .

واختير مع ذلك لبعض المؤسسات الاقتصادية والمالية ذوات الشأن ، ولهيئات أخرى جايلة القدر ، لبعضها إشراف على التعليم الجامعى ، ولبعضها الآخر نشاط فى عالم الاقتصاد والتشريع فشارك فى كل أولئك بالرأى الحصيف ، والتجربة الصادقة والألمعية المأثورة .

ولم يصرفه العمل فى هذه الجوانب المتعددة من الحياة عن البحث والتأليف ، فأخرج قدرا كبيرا من البحوث والمؤلفات التى تعد بحق من الذخائر العلمية النفيسة التى يرجع إليها ، ويهتدى بها فى شئون الجناية والاقتصاد ، حتى إذا انتخب فى مجمع اللغة العربية أقبل على العمل فى لجنة القانون والاقتصاد ، وشارك فى أعمالها ودراساتها مشاركة تذكر له بالحمد والتقدير ، غير باخل بوقت ولا ضنين بجهد

ولم يزل — رحمه الله — مكبا على العمل باذلا فيه من ذات نفسه حتى لقى ربه راضيا مرضيا .

هذه أيها السادة والسيدات وقفة قصيرة على حياة سلفى العظيم ، وهى — كما رأيتم — حياة خصيبة مباركة ، تزخر بالعمل المثمر والجهد المشكور ، لم يتسع المقام للوفاء بحقها ، وتفصيل القول فيها ، فلم يكن إلا أن آخذ فى الحديث عنها مأخذ السرد والإجمال .

رحم الله الأستاذ القللى ، وأسبغ عليه من رضوانه كفاء ما أسدى إلى وطنه ولغته من صنيع .

# كلمة الأستاذ محمد شوقى أمين
# فى حفل استقباله عضواً بالمجمع

## حول المجمع وما إليه

سيدى الرئيس النائب، ياشيخ المجمع وفتاه .

سيدى الرئيس المنتخب المزكى .

أيها المجمعيون الأجلاء

مستمعى الفضلاء :

لاعجب فى أن يسترهبنى الكرسى الذى انتخبت له منذ قليل ، ولا عجب فى أن أشعر بالتهيب والتخشع للمنصة التى دعيت إليها الساعة ، وإن كنت قد اختلفت إلى كراسى المجمع ومنصاته عشرات السنين ، أبلوها وتبلونى ، ولا أقول أبليها وتبلينى .

لاعجب فى هذا أو ذلك ، فشتان مايومى وأمسى ، كنت بالأمس أكتب ما يقال ، أو أتلوما يكتب ، وربما هممت بما يعن لى ، أو شاركت فى نقاش ، أوعرضت ماأعددت من بحث . ولكنى إذا كتبت ما قيل أو تلوته فلصاحبه نسبته ، وليس علىّ تبعته . وإذا أبديت ما يلوح لى من وجهة نظر فلغير مقطع الرأى فيه . أما اليوم وقد أصبحت بحمد الله عضوا ، بعد إذ أمسيت نضوا ، فإن المقام حرى أن يشعرنى بالرهبة غاية الرهبة ، وبالهيبة كل الهيبة . وما ذلك إلا فرط تقدير منى لمهمات المجمع وتبعاته ، وإنها لمهمات دقاق ، وتبعات جسام .

أيها السادة :

يقول التاريخ : إن « ابن جنى » فقيه العربية صحب « أبا على الفارسى » إمامها أربعين سنة وقد صحبت المجمع لذا العدد من السنين وإذا كان فى المجمع علويون فارسيون فلاأنا جنى ولا ابن جنى . ولكنى أستطيع أن أجهر – ولا أغلو فى أن أجهر – بأن المجمع الموقر برز على رأس عشرة قرون من عمر العربية أو أكثر ، ليكون ثالثة المدرستين : مدرستى البصرة والكوفة ، وجامعة المذهبين مذهبى السماع والقياس . بل إن هذا المجمع البصرفى أو، مجمع البصرفيين أو البصارفة بعد بحق أول منظمة علمية فى تاريخ العربية كله تكتسب صفة التحكيم والإفتاء ، ويتجلى عليها طابع التشريع والقضاء .

دخل المجمع فوجه الأول ، وعلى أكتاف أعضائه العشرين هموم اللغة العصرية وأعباؤها ومشكلاتها ، فمنهم من كان يستشعرها ،

ومنهم من كان يحتقب الحلول لها ، ولذلك ولد المجمع عملاقا يعرف ماله وماعليه ، فرفع راية الاجتهاد ، وأعلى سلطان الرأى ، لا يقف عند المقولات ، ولا يجمد إزاء القبليات . ثم تعاقبت على المجمع أعضاؤه زرافات وفرادى ، وكلهم شركاء فى إدراك قضايا اللغة وأدوائها ، مسهمون فيما يقترح لها من حلول وعلاجات .

هنا أذكر من الفرسان الراحلين الأعزاء : السكندرى ووالى ، الجارم والمغربى ، الكرملى ونلينو ، عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ، منصور فهمى والرازقيين ، الخولى والنجار ، طه حسين ومحمود تيمور :

أين الذين أذاقونى مودتهم
حتى إذا أيقظونى للهوى رقدوا

أذكر هؤلاء ، ولا يتسع المجال لذكر الجميع ، وهم زيد على مائة ، وإن كنت لا أنسى منهم أحدا ، فأصواتهم تملأ مسمعى ، وذكراهم تعمر وجدانى :

وقال تذكر هذا بعد فرقتنا
فقلت ما كنت أنساه لأذكره

لم يبدأ المجمعيون الأصلاء من فراغ ، بل سبقت مجمعيتهم منذ بواكير النهضة العربية بحوث ودراسات ، وتقدمتهم هتافات ونداءات ، ولكن الجهود التى كانت تبذل إنما كانت أشبه شىء بالبروق المتناثرة ، فكان المجمع هو البلورة التى جمعت الشتات ، وانتظمت الإشعاعات ، وجعلت منها طاقة فعالة تبعث الحياة فى الموات .

ومن سنة الحياة الاجتماعية ، إذا أريد لمقومات الإصلاح نصيب من النجاح ، أن يكون الإرهاص قبل الإيجاب ، والنزوع قبل التشريع :

إنما تنجع المقالة فى المرء
إذا صادفت هوى فى الفؤاد

فلا غرو أن يرحب أهل العربية بما شرع فيه المجمع من تطويع اللغة لحاجات الحياة ، وتطويرها للوفاء بمطالب الحضارة ، إذ صادف ذلك منهم نزوعا عميقا حقا إلى هذا التطويع الحتمى ، والتطوير الرشيد .

آمن المجمعيون الأصلاء بأن اللغة لأهلها ملك مطلق ، فهى أداة تعبر عن أغراضهم العلمية والأدبيـــة والمعيشية ، وعليهم أن يحتكموا إلى أذواق الفاقهين لأوضاعها ، والمتمرسين بها ، لمواجهة أهداف التعبير الحضارى فى إبانة وإفصاح .

على أن المجمع كان حكيما إزاء ما استقرت عليه قواعد العربية التى أرساها النحاة واللغويون ، فلم يتمرد على أصل ينعقد ، وقياس يعتمد ، وحكم يتردد . ولكنه رأى أن الذين قعدوا القواعد وضبطوا الأقيسة ، إنما أرادوا تسجيل المأثور وتحليله ، واستخلاص الواقع وتعليله ، فمن الصيغ ما جاء على مثاله الكثير أو القليل ، ومنها ما لم يسمع منه إلا

النادر أو الشاذ . وما أحسب النحاة واللغويين قصدوا إعقام اللغة والحجر عليها ، لايكثر قليلها ، ولا ينمو النادر أو الشاذ فيها ، فما ذلك من شأن لغوى ولا نحوى . ذلك إلى أهل اللغة يتصرفون فى صيغها وأوضاعها على هدى أذواق الصفوة من علمائها وأدبائها وكتابها ، يبيحون أو يترخصون ، بحسب مقتضيات التعبير عن أسباب الحياة التى يعيشون ، ولو تصورنا أن العربية مضت على صفائها وخلوصها بين أهليها الفصحاء . تساير الزمن فى تقدمه وتطور حضاراته ، لجاز لنا أن نتصور ما عسى أن يحدث من تطور فى القواعد والأحكام ، ولساغ لنا أن نتمثل اللغة وقد جل فيها ماقل ، وغزر ما ندر ، وبذ ما شذ. ولقد سعدنا فى حاضرنا بعصر للعربية مزدهر ، تألق فيه أدباء أبيناء ، وكتاب بلغاء ، وتوفر على درس العربية أساتذة جهابذة ، وبصارفة صيارفة ، اختمرت فيهم خبرة ودربة ، ورهف منهم حس وذوق . فمن حق هؤلاء الصفوة أن يعالجوا قضايا التعبير بما يستخلصون من دراساتهم ، وما تطمئن به أذواقهم ، وما تنادى به مقاصد الحياة فى عصرهم . ومن حقهم أن يبحثوا بين آراء الأئمة البصريين أو الكوفيين عما يطاوع حاجة التيسير ، فإن لم يجدوا فى هذه الآراء البصرية أو الكوفية ما يسد الحاجة ، رجعوا إلى نصوص اللغة نفسها ، يستعينونها ، قائلين للبصرة والكوفة معا :

أيا جبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

وفى معتقدى أن فى الأقضية النحوية والصرفية المعتمدة ما يمكن تعديله باستئناف البحث فى السنّة اللغوية الخالصة ، بمنأى عن المذاهب النحوية المتعددة ، فنعمد إلى نصوص الأدب نتقراها ، وإلى بطون المعجمات نتقصاها .

لقد استطاع المجمع فى تؤدة وأناة أن ينتهى إلى عشرات القرارات الميسرة لمقاييس اللغة وأوضاعها ، وإذا كان صنيعه فيما يتعلق بالمصطلحات عرضة للتغيير والتبديل ، بين لفظ يبيد، ولفظ يزيد، فإن قراراته الميسرة للمقاييس والأوضاع مما ينتظر له اطراد النمو والاتساع ، دون رجوع إلى وراء . فلا مجال بعد اليوم لقائل أن يلزم برد الجمع إلى مفرده عند النسب ، ليقال حركة عاملية ، بدل عمالية ، أو يقال : العيد الخمسى ، بدل العيد الخمسينى ، ولا أن يلزم بأن نقول فى النسب إلى غريزة : غرزى ، بدل غريزى ، ولا أن يحكم بالتخطئة على من يقول : سندات فى جمع سند، وبويضة فى تصغير بيضة، أوحمراوات فى جمع حمراء، أو مصر فخورة بأبطالها، وكان العبور مجداً من أمجادها ، ملزما بأن يقال : أسناد ، وبييضة ، وحمر ، وفخور ، ومجود، خضوعا لما يريده القاعديون المتزمتون .

ولئن طاب لى أن أشيد بجهود المجمع فى تيسير قواعد العربية ، إنى لحريص على أن أصارح بما أشعر به من أسف ، مبعثه

أن اللغة بأقيستها التقليدية مازالت هى مادة التعليم فى البيئات المدرسية ، وهى مادة البحث فى البيئات الجامعية على السواء . فنى كتب التعليم لهذا العام ما برح جمع التكسير سماعيا فى أكثر صوره ، وكذلك صيغ المبالغة ، واسم الآلة لا يصاغ إلا من الثلاثى المتعـــدى ، والنسب بالألف والنون من الشذوذ ، واسم التفضيل له شروطه الثقال ، وتعريف العدد المضاف يمتنع معه أن يقال مثلا : الألف كتاب. وليس ما أسلفت إلا أمثلة دون حصر . وأما الدراسات الجامعية فلا علم لى بأن مناهج المجمع التجديدية فى قضايا اللغة وأوضاعها محل نظر خاص . وفى الجامعات من يتخرجون من بعد ليعلموا العربية فى المدارس ، فإذا لم يكن لهم عهد بما صنع المجمع فستبقى الأوضاع والأحكام التقليدية ضربة لازب على المعلمين والمتعلمين إلى ما شاء الله . ومن حق المجمع أن يكون له فى كليات الدراسات العربية فى الجامعات كرسى ، فإن للأعلام الجامعيين فى المجمع كراسى ، ومن الغبن ألا يكون لجهودهم المجمعية صدى فى جامعاتهم المتعددة . ولقد أذكر أن الدولة العثمانية فى القرن الماضى عمدت إلى تقنين الشريعة ، وسمت ما عملته « المجلة » ، فكانت المجلة تدرس فى عدد من البلاد العربية بمعاهد الحقوق ، والمجمع اليوم يقنن اللغة تقنينا جديدا ، فلزام أن تدرس فى كليات الدراسات العربية جميعا قراراته ونتائج أعماله التى تناظر تلك المجلة على عهد خلافة آل عثمان .

أيها السادة :

ما أكثر الذين يخطبون ود العربية بحثا ودرسا ، وما أقل الذين تواتيهم العربية بمكنونها ذوقا وحسا . ولقد كان من حسنات « الأزهر » فى المجمع رجل من أولئكم الأقلين الذين حلت العربية من قلوبهم فى الشغاف ، فباحت لهم بأسرارها ، وألقت إليهم قيادها ، ونفخت فيهم من روحها ، ذلكم هو الشيخ « محيي الدين » ، محيي العلم واللغة والأدب. أول ما بدا من أمر الشيخ ميله الأدبى . فقد جرى قلمه فى سن الصبا والصبوة بكتاب سماه « ثورة العواطف » وتلاه كتابه فى شرح مقامات البديع . ثم استغرقته الدراسات المتنوعة فى علوم العربية بعامة ، وفى النحو بخاصة ولكنه مع ذلك عنى باخراج العدد الجم من الذخائر الأدبية مضبوطة محققة ، فهو إذن أديب نحا ، أو هو نحوى أدُب ، والأزهرى لا مخلص له من جاذبية الأدب وسحر البيان ، فهو يدامج مؤلفات القدامى من فحول البلاغة ونبغاء الكلام ، وهو فى درسه للنحو يقف على الشاهد بعد الشاهد من القريض ، ووراء البيت المستشهد به قصيدته ، ووراء القصيدة قصة الشاعر وحياته ، فإذا صادف ذلك عند الدارس تهيؤ نفس ، وتوقد قريحة ، ورقة عاطفة ، فليس ثمة إلا افتتانه بالأدب وولعه بالمنظوم والمنثور ، وما هى إلا أن

ينبض فى يده القلم ، وتختلج شفتاه من الشعر بالنغم .

جمع الشيخ «محيي الدين» بين الحسنيين : الدراية والرواية ، وأوتى الموهبتين : التحصيل والاستخلاص ، ومازج بين نزعتين : الاتباع والإبداع . وكان إبداعه ثمرة اتباعه ، فهو وليد موازنة ومقابلة ، ومظهر اجتهاد وترجيح . وكان إذا عرض لمسألة قررها فى شمول وعمق، وسعة أفق ، يلم شواردها ، ويتكلم عليها من مختلف جهاتها ، مستعينا بتنوع معارفه فى فقه أو أصول ، وفى بلاغة أو أدب ، ملائما بين تحقيق من سلف وتعليق من خلف ، واضح الشخصية ، مستقلا بالرأى ، نزيها فيما يعرض من قول معارض أو مناقض . ولقد أفاده اطلاعه على كنوز الأدب رحابة النظر فيما قرره علماء العربية من ضوابط وشرائط ، ومن ثم كان فى إفتائه النحوى واللغوى صاحب مرونة وطواعية وليان . ويحسبى أن أشير إلى ما جمع من شواهد على جواز تثنية الفعل وجمعه فى بحث مجمعى .

لم يكن الشيخ من « أقماع القول » على حد تعبير الحديث النبوى ، وهم الذين تشبه آذانهم الأقماع تفرغ فيها الأقاويل إفراغ المائعات ، فهم يتلقون المقولات بآذانهم ، ثم يلفظونها بألسنتهم ، لا يعملون فيها فكرا ولا نظرا ، إذا قرأت له بحثا فى مسألة راعك منه قلم ناشط ، يحرر فى شجاعة علم ، وحرية ذهن ، لايكاد يستند إلى نقل إلا عند الاستئناس بمن وافق ، أو النص على من خالف . فإن رابك من أمره ريب ، وراجعت المصادر تحاكمه إليها ، ألفيت الشيخ قد جمع فأوعى ، استوعب الأصول والفروع : ينفى منها ما ينفى ، ويثبت ما يثبت ، فى إنعام نظر ، وتوهج ذكاء ، وسلامة حكم .

وذانكم مثلان : كتابه فى تصريف الأفعال ، وبحثه المجمعى فى أفعل التفضيل .

ولست آسى على شيء قدر ماآسى على أن الشيخ قد شغله التحقيق عن الإنشاء ، فإنه فيما طبع عله من خلال البر بطلابه ، وفيما آمن به من حقهم عليه ، آثر فى الأغلب أن يصرف همته إلى كتب الأقدمين المفروضة على الطلاب ، تقرب مناهلها ، وتحل طلاسمها .

ولو أنه تجرد ليكتب النحو بقلمه إنشاء ، لأمتعنا بعرض جامع مانع ، لايغوص منه الدارس فى دوامة من فنقلات ومحاورات ، بين محترزات ومعترضات ، . . ولأظفرنا ذلك منه بالنحو الصافى أو الشافى أو الكافى ، كما أظفرنا الأستاذ «عباس حسن» بنحوه الوافى .

أيها السادة :

عرفت شيخى « محيي الدين » سنة ١٩٢٩ أستاذا لى ، وأنا فى مقتبل تعليمى الثانوى منذ خمس وأربعين سنة . دخل حجرة الدرس ، وعمره يومئذ جديد ، وعليه أغصان الشباب

تميد ، فإذا هو يتصوأ باسم المحيا متخطرا بين مقاعد الطلاب ، وإذا هو يلقى درس النحو لاينظر فى كتاب ، ولا يتلجلج فى جواب . وكنت قرأت له كتابيه « ثورة العواطف » « وشرح المقامات » ، فقلت لصاحبى : ظننت الشيخ أديبا أعمق منه نحويا ، فإذا هو هو ، أو فإذا هو إياه . فقال لى صاحبى : مارأيت نحويا أوضح فى عباراته النحو منه فى عبارة الشيخ . على أن الدهر مالبث أن ضرب بينى وبين « الأزهر » ، فلم ألق شيخى إلا فى المجمع يوم دخله عضوا منذ سنوات قلال ، وكأننا لم نفترق يوما ، فبادرت إليه أنشده بيت « شوقى » :

قد يهون العمر إلا ساعة
وتهون الأرض إلا موضعا

وقلت له : قد ينسى المرء أساتذته إلا أستاذا ، وكنته ! فأجابنى على سبيل المجاملة والمقابلة : وقد ينسى الأستاذ تلاميذه إلا تلميذا ، وأنته ! . . وظللنا نتلاقى فى المجمع ، ونتطارح الرأى والبحث فى أعمال لجنة الأصول ولجنة الألفاظ والأساليب ، أتنسم منه حياطة أستاذ ، ورعاية والد ، ومودة صديق . وهو على التعهد به : عطر النفس ، شفاف الروح ، لاينفك عن ظرف ومعسول دعابة ، يأنس بى منازعا أنسه بى متابعا ، وماعتم أن عجل به قضاء الله ، فعزت فجيعتى فيه على العزاء ، ولم يكن يدور لى فى خلد ماهيأه القدر من بعد ، إذ حللت منه فى المجمع المحل ، وما يكون لمثلى أن يسد مسده أو يكاد ، فهيهات أن أبلغ شأوه أو أقارب ، رضى الله عنه ، بما أفاد بعلمه ، وبما زكى عن علمه بخلقه :

إنا إلى الله راجعون لقد
أصبح حزنى عليه ألوانا
حزن اشتياق وحزن مرزئة
إذا انقضى عاد كالذى كانا

ويا سحائب رحمة الله :

أم الضريح الذى أسمى
ثم استهلى على الضريح

أيها السادة :

إن الوقت المقسوم لكلمتى يتطاير منى كما يتطاير العطر من قنينة مفتوحة . وإن كانت فيه بقية ، ففى النفس بقايا . ولا أملك إلا أن أختطف القول اختطافا فى شئون وشجون ،

أولا — بودى أن أقول للمجمع إنك وقفت ببابك موضوع الأعلام ، فلم تجز بعد أن يقال مثلا : محمد على حسن ، موقوفة كلماته ، غير ملحق بها كلمة « ابن » . فحتى متى تظل أسماؤنا لاتكتسب وصف الشرعية اللغوية الفصحى ، وحتى متى نظل بأسمائنا مواليد غير شرعيين فى النسب اللغوى الصريح . وفى اللغة منادح للإجازة ، إما على أن الوقف جائز مطلقا فى لغة تميم ، وإما على أن الوصل هنا بنية الوقف ، أو على إعطائه حكمه ، أو على إجرائه مجراه ، بحسب اختلاف تعبير النحاة . والحق أن الأسماء الآن

ليس من غرضها التنسيب الذى يتوضح بذكر كلمة « ابن » وإنما يسمى المرء باسمه المؤلف من كلمتين أو ثلاث أو أكثر ، ولو نقص الاسم كلمة لما تعرف . وعندى — إن كان لى « عند » — أن الذين ينتظرون الرجوع إلى نسق الأعلام على الوضع المأثور سيبلغون مناهم إذا شاب الغراب ، أو إذا القارظ العنزى آب .

ثانيا — بودى أن أقول للمجمع إنك وقفت بباباك الألف اللينة ، لاتبت فيها برأى يرفع الحرج ،وهو كتابتها ألفا بإطلاق . ولو فعلت لسايرت بذلك رأيا لأئمة فى العربية أثبات ثقات . وأما الاعتراض على ذلك بأن كتابتها ألفا أو ياء ملحوظ فيه مراعاة الأصل النحوى . فمردود عليه بأن الخط لايجيب عن أسئلة تتعلق بأبنية لكلام .

وثالثا — بودى أن أقول للمجمع إنك وقفت ببابك أختنا اللطيفة « حواء » ، يطرق لها الباب طارق بعد طارق ، ومازلت عنها عازبا لم تأذن لها بعد ، وأمام عينى طيف الشيخ « السكندرى » فى الدورة الأولى للمجمع ، قبل أربعين عاما ، يطالب بالنظر فى إشراك النساء فى أعمال المجمع فى كراسى الأعضاء المراسلين ، إذ كانت كراسى الأعضاء العاملين مشغولة جميعا . وقد اشترك فى مناقشة هذه المطالبة عدد من أعضاء المجمع يومئذ .

ولا نزاع فى أن المرأة قد أسهمت فى وجوه النشاط العلمى والأدبى بقدر ملحوظ ، ولاتعيا بأن يكون لها فى النشاط المجمعى أثر محمود .

ورابعا — بودى أن أقول للمجمع إن المعجمات العربية حتى اليوم مقصورة على مأثور اللغة ، يضاف إليه مايتخطف من المحدث ،وأما لغة الحضارة العربية والإسلامية على مدى عشرة قرون أو نحوها فلا وجود لأكثرها فى معجم مستقل ، أو فى المعجمات على تعددها ،ماقدم منها وما حدث. وهى مهمة خطيرة جديرة أن يوليها اتحاد المجامع اللغوية وجامعة الدول العربية مايجب لها من مؤازرة لإنجازها . وليت الذين يتزاحمون لإخراج معجمات متشابهة متناظرة يدلون بدلوهم فى هذا العمل الإنشائى الضرورى . فلا جديد فى تأليف تلك المعجمات المتنافسة . إلا ظاهرة العدول عن الترتيب الاشتقاقى إلى الترتيب اللفظى . وكنت مع المعاصرين أحسب أن ذلك لم يخطر ببال الأقدمين ، ولعلى الآن أسبق من ينبه إلى أن هذا الترتيب اللفظى حاوله مؤلف مصرى فى القرن الثامن الهجرى ، قبل ستمائة سنة ، ذلك هو المقرى « الفيومى » ، فوضع معجما قدم فيه كل حرف باعتبار اللفظ إلى أسماء وإلى أفعال ، ثم رأى أن ذلك يجر إلى ملل ، ينطوى على خلل ، فلم يرض به ، وعدل عنه .

وخامساً — بودي أن أقول للمجمع إن التراث اللغوي الذي تتجه همم المحققين إلى نشره، فيه حظر لما هو مباح، وتقييد لما هو مطلق، وفيه أحكام مردودة مستدرك عليها. فإذا وقف التحقيق عند تحرير النص كان هذا التراث مثار بلبلة واضطراب في التخطئة والتصويب، وكان إثمه أكبر من نفعه. وإذا توخى المحقق أن يستوثق، فيعقب على النص بما يضع الأمر في نصابه، خرج من نطاق النشر إلى نطاق البحث والتأليف، وألزم نفسه كلفة ليس النهوض بها بالأمر اليسير، وأوغل في طريق لا يؤمن فيه العثار. وما أوجب أن يخضع نشر هذا التراث اللغوي لمقاييس ترسم خطين متلازمين: تحقيق الإفادة به، وتلافي الضرر منه.

وسادساً — بودي أن أقول للمجمع إن الحروف العربية متشاكلة بصورها ونقاطها، وليس يغني تيسير حروف الطباعة عن تيسير الكتابة. والواقع أن تشابه الحروف وتداخل النقاط كان محل الشكوى منذ العصور الأولى. وفيما يقال إن الفيلسوف «ابن رشد» كتب يقول: «رأيت الزرافة عند ملك البرين» فحدث التصحيف في كلمة «البرين» فصارت «البربر»، وكان هذا التصحيف سبباً في محاكمة «ابن رشد» ونكبته.

وأذكر أني منذ قريب كنت أراجع ترجمة من كتب أسماء الصحابة، فإذا هي متنازعة — أيما تنازع — في الكثير منهم، حتى بلغت المنازعات في اسم أحدهم ثمانية عشر قولاً، وذلك بسبب التباس الحروف واختلاط النقاط. وستظل الكتابة العربية مستهدفة للتصحيف والتحريف ما بقيت مشكلة النقط وتشابه الحروف دون علاج.

أيها السادة:

صح تقديري، وأنا أكتب هذه الكلمة، أن أستاذنا «عبد الحميد حسن» سيستقبلني باسم المجمع بما هو أهله، لا بما أنا أهل له. وقد عهدته مجاملاً محاسناً بحق وصدق وإخلاص. ولا شك في أنه فَرِحٌ بي فرح الوالد بأحدث أولاده، حفيٌّ بي حفاوة الأستاذ بأصغر تلاميذه، وأنه ناسج لي بحسن ظنه وبراعة فنه ثوباً موشّياً وإن كان فضفاضاً أنصب فيه وأكاد أتعثر. ثم هو ساع بذمة المجمع، حمل عنه أمانة الدفاع عن اختياره إياي، ولا يعيا أستاذنا بالاضطلاع بالأمانة، في حذق وكياسة. أما السادة الأعضاء الأكارم الذين منحوني أصواتهم، وعبروا بي — وهم في أوان العبور — إلى مكانتهم، فقد أرادوا هذه المرة أن يقيموا معياراً للاختيار، غير معايير الكفاية والاقتدار، ذلك هو معيار البريمن قضى في مجمعهم زهرة عمره، وفسحة دهره، فلم يجدوا بأساً في أن يفسحوا فيما شغر من كراسي المجمع لمن كان بهم، وكان لهم، ليكون منهم بينهم. وإني متجه إليهم من صميم قلبي بتحية عرفان وشكران، جزاهم الله جزاء الإحسان.

# كلمة الأستاذ الدكتور أحمد عز الدين عبد الله
# فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

**السيد الرئيس**

**السادة الأعضاء**

إنه ليشرفنى أن أقف متحدثا أمام هيئتكم الموقرة ، التى تستمد قدرها من الهدف الجُلال الذى تتغياه ، ومن الجسم أعضائها القمم من أهل العلم والفكر الحر ، يشرف بكل منهم ماضيـــه ، ويزهو به حاضره ويترقبه مستقبله .

وإنه ليزيدنى شرفا أن تخطبنى هذه الهيئة الكريمة لأكون عضواً بين أعضائها .

ولقد حق على أن أشكر لها هذا الصنيع وإذا كانت كلمة الشكر مجرد تعبير فى صورة سلبية عن العرفان بمـــا قدمتموه إلى ، فإن الصورة الإيجابية منه تقتضى العمل الدؤوب والمعاونة الصادقة فى نشاط المجمع مما أعاهدكم عليه فى عزم وإصرار .

كذلك فإن كلمة الشكر تضيق عن إيفاء الأستاذ عبد الحميد حسن حقه لقاء ما تلقانى به فى كلمته ، التى القاها مشكورا الصديق الدكتور مهدى علام ، عارضا ما سلف من حياتى العاملة والعلمية ، ومسبغا على ما شاءه من عبارات التقدير .

وإذا سمح لى أن أعقب على هذه الكلمة لقلت إنى لا أزال طالب معرفه . وإنى لواجد فى مصاحبة هذه الصفوة من العلماء طريقا للمنهل العذب فى مختلف فروع المعرفة .

سادتى :

لقد تفضل المجمع باختيارى عضواً به فى المكان الذى خلا بوفاة العالم اللغوى الجليل المرحوم الأستاذ على السيد الجندى .

وإذا كان قرار المجمع قد أحلنى مكانه فإن خلافته فى مكانته أمر يشق على من يخلفه .

ولست أقف اليوم معرفا بسلفى العظيم فقد اتخذ مقامه فى موضع الإشعاع من ميادين العلم والمعرفة . لقد عرفتموه معرفة راسية الأسس قبل أن دعوتموه إلى عضوية المجمع واستعرضتم حياته العاملة والعلمية حينما استقبلتموه ؛ وزادت معرفتكم به وثوقا حين زاملتموه عضوا مفيداً مخلصاً ، أسهم فى عملكم بقدر ما سمحت به البقية من عمره

وإذا كنا الآن فى موقف الذكرى من فقيدنا العزيز ، فإننى أجمل تاريخه فيما يسمح به الوقت من كلمات :

حياة مليئة بالعمل العلمى الجاد المجدد فى مراحلها كافة : فى مرحلة التعليم العام ، وفى مرحلة الأستاذية بكلية دار العلوم . أبكر بالنتاج البكر ، واستمر طوال حياته نتوجا فى علوم البلاغة ، حيث تجلت مواهبه فى أقوى مظاهرها وأجمل صورها .

وبجانب ذلك كان فقيدنا أديبا شاعراً جاوزت قصائد منظوماته الألف ، وأربت عيون أبياتها على عشرة آلاف .

أذكر مما أخرجه من كتب فى البلاغة والأدب والنقد :

(١) فن الاسجاع .

(٢) فن الجناس .

(٣) فن التشبيه .

(٤) البلاغة الغنية .

(٥) سياسة النساء .

(٦) الشعراء وإنشاد الشعر .

(٧) خمسه أيام فى دمشق .

(٨) الشذا المؤنس فى الورد والنرجس

(٩) نفح الأزهار فى مولد المختار .

(١٠) الشاعر المؤمن الصوفى .

(١١) قرة العين ، فى رمضان والعيدين .

(١٢) سيف الله خالد .

(١٣) الجن بين الحقائق والأساطير .

ومن مؤلفاته بالاشتراك :

(١) أطوار الثقافة والفكر .

(٢) سجع الحمام فى حكم الإمام .

* وأذكر من مؤلفاته الشعرية :

(١) ديوان أغاريد السحر . وقد نال الجائزة الأولى من المجمع سنة ١٩٤٨ ، وأبياته نحو ٢٦٠٠ بيت .

(٢) الحان الأصيل ، فى نحو ٤٥٠٠ بيت .

(٣) ترانيم الليل ، فى نحو ٣٥٠٠ بيت .

وهذه الذكرى العاطرة للأستاذ على الجندى العالم الأديب الشاعر ، تصحبها ذكراه الطيبة فى عمادة كلية دار العلوم : فقداتسم فيها باليقظة والحكمة وحسن التقدير وسلامة التصرف ، فاتفرت محبته وجرى الثناء على عهده .

وكان لفقيدنا ، خارج الجامعة ، نشاط كبير فى المناصب التى اجتذبته إليها : حيث كان عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وعضوا

بلجنة التعريف بالإسلام ومقرراً للجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

إن رجلا هذه حصيلة حياته لجدير بأن يفخر به جيله ، وأن يكون عمله نوراً وهديا للأجيال اللاحقه .

رحم الله الفقيد واسكنه فسيح جناته .

سادتى :

إن مجمعكم الموقر لهو حصن اللغة العربية وهو حصن مفتوح النوافذ والكوى ، لتدخل منها تيارات الفكر والحضارة ، فى تطورها على الزمان . ولذلك نراه ، وهو الحفيظ على تراث قيم تركه الأسلاف ، يأخذ بيد اللغة العربية حتى تطاوع مقتضيات الحديد فى ميادين العلوم والفنون ، دون تفريط فى أصولها التى لاتحمل التغيير أو التبديل .

وإن ما أثمره المجمع ، خلال ما مضى من السنوات على ميلاده ، مما تزخر به مطبوعاته المنشورة ، لخير دليل على العمل الحاد المتزن ، الذى يوفق بين ما ينبغى الحسوء فى الإبقاء عليه ، وبين ما يمكن تجديده أو استحداثه سدا لحاجات تلك الميادين .

وليس ثمة من شك فى أن ما أقره المجمع من مصطلحات فى المتنوع من العلوم لكفيل بأن ييسر على الباحث كتابة المادة العلمية فى أسلوب لغوى علمى . ومن المعروف أن الأسلوب اللغوى العلمى فى أية لغة يتسم بالسلامة لغويا ، وبالبساطة والوضوح والدقة تعبيراً

ويجدر فى هذا المقام توكيد العرفان بجهود الأوائل من المشتغلين بعدد من العلوم منذ أواخر القرن الماضى ، فقد وطأوا السبيل لمن جاء بعدهم بما وضعوه من مصطلحات علمية عربية ، وما كتبوه من مؤلفات وبحوث بأسلوب لغوى علمى يتصف بانتقاء اللفظ وجمال العبارة فوق ما ذكرت من الصفات .

وأرجو أن تسمحوا لى بالتنوية بأمور ثلاثة تبدو واضحه فى أيامنا هذه :

أولها : موجة العامية التى تجتاح بعض الميادين وتجد من المروجين لها من يقتضى حسن الظن بهم القول بأنهم لا يدركون مغبة العامية فى استرخاء وثاق من أقوى روابط الأمة العربية .

وثانيها : ضعف غالبية الجيل المعاصر من الشباب فى اللغة العربية وإن الاطلاع على أوراق اجابة الامتحانات فى التعليم العام وفى الدراسه الجامعية ، ليكشف عن أن هذه اللغة قد أصبحت بين أيديهم ربكا

وثالثها : فقدان الأسلوب اللغوى العلمى بعض ما نوهنا به من خصائص ، فى بعض ما ينشر من الكتب العلمية وإن هذا الأمر ليجرى على نقيض ما توجبه سنة التقدم فقد نشر فى النصف الأول من القرن الذى نعيش فيه الكثير من المؤلفات العلمية التى تتميز بأسلوب لغوى رفيع ؛ كما ظهر فيه من مارس الأدب ونظم الشعر من غير أهل اللغة ؛ فجاء بين الأدباء والشعراء أطباء ومهندسون ورجال قانون وهذه ظاهرة أخذت تخبو ، وكان من الواجب أن تزيد توهجا .

هذه أمور خطيرة ، لا يكفى علاجا لها ما يجرى داخل حصن اللغة العربية من بحوث وأعمال تنشر ؛ وإنما يجب أن يكون له فيها قول يملأ الأسماع ، وينبسط على مختلف الميادين ، فرجاله يتمتعون بصواب الرأى والجرأة فيه ، سعيا إلى المصلحة العامة .

وفق الله المجمع فى أداء رسالته الرفيعة النافعة للوطن والأمة العربية كافة

## كلمة الأستاذ الدكتور عثمان أمين فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

أيها السادة الأجلاء .

١ - بابتهاج غامر ، أقف الساعة بينكم ، لأعبر عن عميق شكرى لكم ، لما شرفتمونى به من حسن الظن بى . وإنى لأعتز أيما اعتزاز بهذه الثقة الغالية ، وأرى فيها علامةً على رضاكم عنى رضىً أعاهدكم على أن أعمل حتى أكون أهلا له ، وأسألُ اللهَ أن يعيننى على الوفاء به . وهذا العطف منكم هو الذى يَشُدّ الآن من أَزْرى فى أداء تلك المهمة - ويالها من مهمةٍ شاقة علىَّ - أن أتحدث فى دقائق معدودات ، عن مناقب شاعرٍ كان من القِمم الشامخة عندنا ، وأن أجد لذلك كلماتٍ لاتقصرُ عن بلوغ شأْوِه ، ولاتهبط عن مكانة هذا المجمع المرموق ، سواءٌ فى حاضره الزاهر أو فى ماضيه المجيد .

٢ - لقد تفضلتم ، أيها السادة ، فأضفيتم علىَّ شرفين ، حين اخترتمونى واحداً منكم ، ثم حين جعلتمونى خليفةً لعبقرى مِن عباقرتنا ، رأى العارفون فى رحيله عنا حداداً للغة الشاعرة ، لافى مصر وحدها ، بل حيثما كان للعربية مكان ، ويشهد الله أنى كنت أوثر أن لا أخطو اليوم إلى مجلسكم هذا ، وأن يواصل عزيزُ مصر ، بل عزيز العروبة ، عملَه الجليل بيننا ، يُبَلِّغ رسالةَ الشعر الأصيل إلى جيلنا ، وإلى الأجيال الصاعدة بَعدنا . ولكن الأمر الأليم قد وقع ، ولارادَّ لقضاء الله . وها أنذا أجدنى وجهاً لوجهٍ أمامَ تراثٍ فكرى لغوىٍ زاخر ، تراثٍ أصالةٍ فنيةٍ بيانية ، أسهمت فى فنون التعبير الجميلِ الرفيعِ بأوفى نصيب .

٣ - أيها السادة الأجلاء : مرةً أُخرى أريد أن أشكر لكم قبولكم إياىَ فى صحبتكم : فقد كنتُ أحسَب نفسى حتى اليوم « عابرَ سبيل » ؛ كما يقول الكندى

« فيلسوف العرب » . فلما أذِنتم لى أخيرًا بأن أندرج فى سلك الخالدين ، بدا لى أن الأخلق بى ، وأنا من العاكفين على الفلسفة ، أن أبحث عن بواعث هذا الاختيار ، حتى أهتدىَ إلى ما لعله كان يخامركم ، حين منحتمونى أصواتكم . فيقينى أنه لم يكن من قبيل المصادفة أنكم جعلتم للشاعر الرائع ، الذى هَمسَ إلى الضمائر بأنّاتِه » ، وهزّ المشاعر بمسرحياته ، خليفةً لايكاد يُسمع له صوتٌ خارجَ مدرجاتِ الجامعة أو وراءَ تخصصات الفلسفة . ولست أدعى أنى وقفت على جلية الأمر من مقاصدكم ، ولكنى سعيت إلى أن « أقرأ ما بين السطور » ، أو أن أُجاوِز الظاهر البادى إلى الماورد وراءالمستور ، وفقاً لمنهج فى البحثِ ، فَتحَ الله به علىّ فى الخمسينيات وحاولت الكشفَ عن أبعاده مِن بعدُ ، قانعاً فى ذلك « بالرسم » دون « الحدّ » كما يقول مناطقتنا القدماءُ ، رضىَ الله عنهم أجمعين .

بدا لى بعد التأمل ، أنكم حين اخترتمونى للتحدث بين يديكم عن شاعر مصر العزيز : قد أردتم أنتؤكدوا من جديد حقيقة نوّه بها فلاسفة الإسلام من قبلُ ، وهى أن بين الشعر والفلسفة وشائجَ متينةً ، يستطيعُ الكثيرون منا أن يلمحوها إذا اعتمدوا على « نور الخواطر ، لا على مكتوب الدفاتر » . وإذا صدق حدْسى فلن يخيب تقديركم : لأنى سأُحاول أن أتحدث عن عزيز أباظه باللغة التى تناسب الشعرَ والفلسفة جميعاً ، أقصد لغةَ « الناطقية » التى هى فى الإنسان ماهيتهُ وركيزةُ وعيهِ وضميرهِ وتعبيرهِ . وسأُحاول أن أستشِف تلك « الموسيقى الداخلية » التى صاحبت الشاعر طوال حياته ، وكانت مصدرًا حياً لإلهامه .

يقول شاعر فرنسى معاصر : « إن الشعر زهرة مِن أزهار الشرق لاتحيا فى الصُوبات الزُجاجية . فإذا أردنا أن نهتدى إليها لَزِمنا أن نلتمسها عند منبع الشمس » . وفى هذا القول تمهيدٌ لما أردت أن أستهلَّ به كلامى عن عزيز أباظة : فقد نبتت شاعِريتُهُ من تُربة أرضِنا بعد أن أنضجتها شمسُ بلادنا .

لقد كنتُ أحب أن أتكلم عن ديوانه « أنات حائرة » ، و« إنه لمن مفاخر

مصر الشاعرة » ، كما قال المرحوم على محمود طه . ولكن الوقت المحدد لايشبع لذلك ، ولا للكلام عن المعارك القلمية التى خاضها دفاعاً عن العربية الفصحى ، ولاعما أثرى به تلك اللغة المثلى فى المنشور من مسرحياته ودواوينه وملاحمه. ولذلك أكتفى هنا بالإشارة إلى بعض قصائد غير منشورة ، كتبها الشاعر فى حينها وطواها . وقد زودنى بها صديقى الأستاذ أنور أحمد مشكوراً .

قال رحمه الله ، من قصيدة بعنوان « من وحى النكسة » :

ليس بالمدفع نصرٌ وحده
إنما النصر بعزم متحدْ
وقلوب برئت من ضغنها
وتخلى الخُلفُ عنها واللدَد
صدقونى ليس شيءٌ نافعاً
أبد الدهر إذا الخُلْق فسد

وقال من قصيدة فى رثاء السنهورى :

سادنُ العدلِ أعرضَ العدلُ عنه
ساخراً من يقينه وحصاته
رأيُه الحرّ عُدّ من سيئاته
والإباء الوقورْ من سقطاته
ليس حُكماً حكمٌ يَشُقّ من الإرْ
هابِ مهواته إلى شهواته

ومن تأملاته فى شئون الناس قوله :

لا تَلُمْ طاغياً بَغى فأذاق الناس ظُلماً وذِلةً فاستكانوا .

واصرفْ اللَّوم للألى مَكّنوه
وبَنُوهُ فاستحصد البنيانُ
كل شعب أذيقَ عَسفاً فأغفَى
كان عدلاً عليه هذا الهوانُ

أيها السادة

ليت عزيزاً عاش بيننا ، ليشهد ماشهدنا من تفجر طاقات أمتنا . إذن لَظفرنا من شاعريته الفياضة بما يملأ جوانحنَا أملاً وعزائمنَا إقداماً .

وبعدُ فقد آمَن شاعرنُا الراحلُ بما آمَن به المرحوم عباس محمود العقاد من أن الشعر فى صميمه هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق ، والشاعر يعمق صلتنا بالوجود ، ويفتح أعيننا على مافى

الكون من جمال . ولبث ينادى بأن الشعر هو أسمى مراتب الفنّ الأصيل وفهمَ الشعرَ على أنه لغةٌ نسيجها دمٌ، ونبضٌ وإيمان . وفهِمَه كذلك على أنه أكرمُ أداةٍ تصل بين جمالِ الحياة الإنسانية وجمالِ الله الذى أبدع خلقه .

إن قضيةَ الشعرِ، أيها السادة ،قضيةٌ جوهرية . وقيمة الشاعر فى أمته قيمة حضارية : إنه يجعل للحياة معنىً ، وينشر فى الأرض حبّاً ، ويمنح الروح سناءً ، ويذود عن كرامة الإنسان . وقد عبّر الشاعرُ صالح جودت عن هذه المعانى أصدقَ تعبير حين قال فى تأبين الشاعر الراحل:

قيمة الشاعر فى أمته
أنه يفتح أبواب السماء
أنه يجعل للعمر شذىً
أنه يمنح للروح الضياء
أنه بالشعر يهدى قومه
للطريق الحق والرأى السواء

وإذا كان أفلاطون قد نظر إلى الفلسفة بمعناها الأصيل ، أى بمعنى محبة الحكمة، فجعلها « حارسة للمدينة » ، فالشعر بمعناه الواسع ، أى بمعنى أنه حث للإنسان على فتح أبواب وعيه على الكون ، وتزكيةُ ضميره لاستقبال نفحات السماء ، ينبغى أن يكون له مشاركة دائبة فى هذه الحرسة الروحية . ورسالة الشعر — كرسالة الفلسفة — رسالة جُوّانية على الأصالة : أيكون الإنسان إنساناً على الحقيقة أم لا يكون ؟ تلك هى القضية كما جاءت على لسان « هَمْلت » فى مسرحية شكسبير الخالدة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

# كلمة الأستاذ زكى المهندس فى تأبين المرحوم* :

## الأستاذ علي السباعي

سيداتى ، سادتى ؛

ماأعجب تصاريف الأيام ، وما أقسى أحكام القدر ! فمنذ سنتين اثنتين سعد المجمع كل السعادة باختيار الزميل الكريم والعالم الجليل على السباعى عضوا فى المجمع .

فى هذه القاعة نفسها استقبل المجمع زميلنا الراحل بكل سرور وبهجة ، وها نحن اليوم نودعه فى حسرة وأسى .

لقد شاء القدر أن يكون هؤلاء الذين استقبلوه بالأمس هم الذين يودعونه اليوم ، هكذا شأن الحياة : استقبال فوداع ، وتفرق بعد اجتماع وسرور وهناء ، ثم عزاء وبكاء ، تلك هى طبيعة الحياه ، ولقد كان الفقيد قبل وفاته بيوم واحد يجلس بيننا فى لجنة الأصول سليما معافى ، لا يشكو من شىء سوى ألم بسيط يشعر به فى الصعود والهبوط ، بسبب ساقه ، بل لقد كان الفقيد قبل وفاته بساعة أو بنصف ساعة حاضرا فى لجنة المعجم ، وما كاد يغادر المكان حتى أدركه الموت فى طريقه إلى داره .

إن الوفاة الفجائية التى هزت أعصابنا تذكرنا أيضا بوفيات فجائية أخرى ، ذهبت بكثير من أعضاء هذا المجمع ، وإنى أذكر بهذه المناسبة : منصور فهمى ، وإبراهيم مصطفى ، والشيخ محمد على النجار ، ومحمد عوض محمد ، ومصطفى القللى ، وعلى الجندى ، رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته ، وها نحن نضيف اليوم إلى هذه القائمة الحزينة وفاة على السباعى .

قد يكون فى هذه الوفيات الفجائية بعض الراحة أو الرحمة بالأموات ، ولكن ماأقساها على قلوب الأحياء . إنها تترك فى نفوس من حولهم أشد الحزن ، وأعمق الأسى .

إن فجيعة لجنة الأصول فى على السباعى فجيعة أليمة قاسية ، فقد فقدت فيه اللجنة ثروة لغوية ضخمة ليس من السهل أن تعوض ، لقد كان رحمه الله عالما حجة ولغويا ثقة ؛ فما من مسألة لغوية أو بحث لغوى عرضت له اللجنة إلا وكان للفقيد فيه جولة تنم على سعة الاطلاع ، وأصالة الرأى ، والإحاطة التامة بأمهات المراجع اللغوية ، ولكن ماحيلتنا فى قضاء الله ؟

* أقيم حفل تأبينه بدار المجمع بالجيزة فى صباح الأربعاء ١٩٧٤/٥/٢٢ ، وألقيت فيه الكلمات التالية .

ليس لنا حيال الموت من حيلة سوى الصبر والإيمان . إن الموت هو القانون الطبيعى الذى لايشذ ولا يتخلف ، والحقيقة الكبرى التى لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فكل حى إلى فناء ، وكل نفس ذائقة الموت ، وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت :

إننا أيتها السيدات والسادة نؤمن بهذا كله ، ولكن الذى يحز نفوسنا الموت السريع الذى يتخطف زملاءنا فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى علمهم وكفاياتهم ونشاطهم .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة ، وجزاه عما قدم للغة بخير ما يجزى به العاملين المخلصين .

أما الآن أيتها السيدات والسادة فسيتولى تأبين الفقيد نيابة عن المجمع صديق الفقيد الزميل الأستاذ عباس حسن .

ثم يليه الدكتور كمال بشر عميد كلية دار العلوم فيلقى كلمة الكلية ثم يليهما السيد اللواء الصاوى عيسى شقيق الفقيد فيلقى كلمة الأسرة .

فليتفضل الزميل عباس حسن وشكرا .

## كلمة الأستاذ عباس حسن

باسم الله القاهر فوق عباده ، نؤمن به عن يقين لا يشوبه زيغ ، ونستسلم لقضائه فى رضا لا يزعزعه ريب ، واطمئنان لا تنال منه أحداث الزمان ، ولا نوازل الليالى .

وأصلى وأسلّم على أنبيائه ورسله ، مصابيح الهداية ، ومنائر العرفان . وأذكر بالتجلة والإكبار أعلاما من أئمتنا الأخيار الأبرار ، وهبوا أنفسهم للدين واللغة ، ووقفوا حياتهم على خدمتهما ، والدفاع عنهما ، فى غير مَلَل ، ولا قصور ، ولا شطط ، ولا جمود .

وأقسموا على هذا وأبروا ، وصدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدّلوا تبديلا .

ومن هؤلاء الأخيار الأبرار المجمعيين الأستاذ : على السباعى الذى نجتمع اليوم لإحياء ذكراه ، بعد أن اجتمعنا منذ شهور قليلة لاستقباله ، والاحتفاء بمقدمه ، وانضمامه إلى زمرة : « الخالدين » . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وما عسى أن أقول عنه فى موقفى هذا من صفات التقدير الحق ، وعبارات الثناء النزيه ونحن فى عصر فقدت فيه ألفاظ الثناء خصائصها ، ودلالاتها ، وحسن بهائها ورواءها ، بالابتذال المهين ، والاتجاه الخاطىء ، والكذب البغيض ، والرياء الطاغى ؛ فما أكثر ما نسمع تلك الألفاظ المرددة عن جهالة ، أو مداهنة ، أو زلفى ، أو سوء اصطناع ، من أمثال وصف فلان بأنه العالم الثبت ، الحجة المحقق ، البحاثة المتفقه ،.... أو : أنه العبقرى الفذ ، وحيد زمانه ، وفريد عصره وأوانه ، وما أكثر ما تصك أسماعنا أوصاف كهذه أو أرذل منها فى عبقرىّ آخر من طراز ذلك العالم العلامة الحبر البحر الفهامة ، وما أكثر هذه الطرز ، وأوفر الأفذاذ من أمثال أولئك الذين غصّت حناجر الجهلاء والمتزلفين بمدحهم ، وشرقت أفواههم بالحديث المعاد المكرر عنهم ؛ حتى صارت المدائح متعاورة متبادلة كثياب الزينة المستعارة أو المستأجرة ؛ يخلعها هذا ليلبسها ذاك ، ويخب فيها اللاحق محاكاة للسابق . بل صارت تلك المدائح لسامعها أو قارئها ضربا من التعذيب ؛ لا يقوى على احتماله إلا من يطيق احتمال الأذى ورؤية جانيه .

فمن عذيرى اليوم إن سلكت فى تأبين فقيدنا مسالك السالفين ، وترسمت خطاهم وسرت على الدرب ؟

شفيعي إليكم أنكم ستسمعون عن فقيدنا الكبير ما تعلمون أنه الحق البعيد عن جنف الهوى ، وزيغ النفوس .

لقد كان فقيدنا أحد أعلام أربعة فقدهم المجمع في شهور قليلة وهو أشد ما يكون حاجة إلى الانتفاع بواهبهم الفذة ، وذخائرهم اللغوية النفيسة : فوق ما منحهم الله من خلق قويم ، ونبل أسمى ، وأعنى بهم الأستاذين الأمجاد : عزيز أباظة ، وعلى الجندى . وعلى السباعى ، وعبد الحكيم الرفاعى . رضى الله عنهم وأرضاهم ، وأكرم مثواهم ، وتولى عنا حسن الجزاء وجميل المثوبة ؛ فإنا عن بعض هذا لعاجزون وحسبي الساعة أن أرمز إلى بعض فضلهم وفضائلهم ، بالحديث عن واحد منهم ، وهم معه في هذا الحديث مقصودون .

عرفت فقيدنا — أول ما عرفت — في مطلع السنوات الثلاثينية ، ولم تكن تلك المعرفة عن تلاق ومقابلة ، وإنما كانت عن سماع باسمه وترديد لمزاياه ممن يعرفونه ، وقراءة لبحوث ومقالات لغوية وأدبية تنشرها له الصحف والمجلات الرصينة ، ولا سيما صحيفة : «دار العلوم» فتشوفت إلى رؤية هذا الباحث . وتشوقت إلى لقياه ؛ وكنت إذ ذاك في فجر حياتي التدريسية وحولي من هم أقدم مني بالتدريس ، وأسبق إلى ميدانه بعشر سنوات أو تزيد ، يعرفون من أسرار المهنة ومنازل رجالاتها في الشئون اللغوية مالا عهد لي به . وكنت أسمعهم في محاوراتهم وكل مشكلاتهم يرددون اسم مدرس فنيّ تخرج في دار العلوم سنة ١٧ اسمه «على السباعى». رأيتهم يرجعون إليه وينقلون عنه كما يرجعون وينقلون عن المعاجم اللغوية ، والمطولات النحوية والصرفية والعروضية ، يأخذون برأيه ، ويقفون عند فتواه ، والقول ما قال ؛ فتزول به الحيرة ، وينقطع الحوار .

تردد هذا وتكرر حتى استرعى انتباهي وشدني إلى رؤية هذا الشاب النابه ، والجلوس إليه . وتحقق لي ما أردت ؛ فإذا فتى فارع الطول ملىء الجسم ، وسيم المحيا ، جميل الوجه ، فاره الرجولة ، في أدب جم ، وحياء محمود ، وحسن حديث ، وحميد إصغاء . ودار الحديث بيننا شهيا طليا في موضوعات تتصل بعملنا ، وباللغة وفروعها ، فرأيت وسمعت ما أثار عجبي وإعجابي . ثم تكرر اللقاء والحديث والحوار ، فزاد التقدير والإكبار واستخلصت من كل ذلك ظاهرتين أصيلتين ملازمتين لفقيدنا الكريم ، إحداهما : دينية ، والأخرى لغوية .

فأما الدينية فتجلت في حرصه على إقامة الشعائر الدينية المختلفة في صورها الحميدة المصفاة جهد طاقته ، في غير دعاية ولا تظاهر ، ولا جمود ، ولا استهانة ، في زمن من قال فيه قولا شعر ، ومن خط فيه حرفا غدا أكتب الكتاب . وما أعلم شهد الله — وقد زاملته طويلا — أنه توانى في أداء تلك الشعائر أو قصر في إنجازها على خير ما يرجى من أمثاله الطائعين الصادقين .

وبتمسكه بدينه، وحرصه عليه فى غير تصنع ولا تقصير — طهرت نفسه، وارتدت الآفات عن أخلاقه. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وإن كان لى ما أخصه بالذكر فى هذه الناحية فهو استظهاره القرآن الكريم على الوجه الأكمل، ومداومةُ قراءته قراءة واعية، موزّعة نجوما وأجزاء على أيام السنة، لكل يوم جزء معلوم يستعيده، ويستلهم فوائده وفرائده الدينية واللغوية والأدبية؛ يختزنها ليوم تشرئب فيه الأعناق بحثا عن متعين الفتوى، وفيصل الرأى ويتساءل الباحثون: أين على السباعى؟

تلك هى ناحيته الدينية فى لمح وإيجاز وأما ناحيته اللغوية فأمرها عجب أى عجب، فلست أعرف فى المعاصرين من أهل الكفايات اللغوية — على وفرة عددهم، وفيض مزاياهم، وأصالة مواهبهم — من هيأ نفسه أو هيئ له أن يقرأ المعجم اللغوى الأدبى الأكبر المسمى: «لسان العرب» كما قرأه على السباعى فى أجزائه العشرين التى تبلغ صفحات الجزء الواحد منها: أربعمائة، أو تزيد.

هذه دعوى سمعتها منه فى بيته لمناسبة طارئة؛ فألمحت إليه فى سرعة وخفة بما يفيد أن الدعاوى إن لم يقم أصحابها بينات كانوا أدعياء. فأدرك ما أرمى إليه، ومد يده إلى نسخته الخاصة من: «لسان العرب» واستعرض فى عشرات الصفحات ما يؤيد دعواه ومددت يدى كذلك اعتباطا فوجدت مئات الصحف لا تخلو من أثر يدل على قراءته قراءة واعية نافعة لا يتسع المقام لعرض الكثير منها. وحسبى أن أشير إلى نموذج واحد مما شاهدته وقرأته. ففى الجزء الثالث عشر، مادة: «جدل» يسجل اللسان النص الآتى:

(قد يقال للأجدل أجدلى، ونظيره أعجم وأعجمى، أنشد ابن برّى لشاعر: «كأن بنى الدأماء إذ لحقوابنا . . . الخ»)

وهنا كتب على السباعى: هذا الشاعر هو القطامى ... وورد البيت فى قصيدة المدونة فى ص كذا.. (          )

وفى نفس المادة قال لسان العرب ما نصه: (قال الشاعر: قد أركب الآلة بعد الآلة ..

وهنا كتب على السباعى: هذا الشاعر هو أبو قردوده.

وفى مادة: «جزل» قال اللسان: «تقسر» فقال على السباعى «الصحيح: تعتسر كما فى المخطوطة الأصلية فى الصفحة التاسعة.

وفى مادة: «حثل» قال اللسان: «ريشه قد تصوعا». فكتب على السباعى الصواب: تضوعا كما ورد فى مكان آخر من هذا الجزء.

وفى باب: «سجل» قال اللسان البيت من المخلع، فقال على السباعى هذا البيت لا يصلح مخلعا.

وأمثال هذا كثير ، ما كنت لأصدقه إلا بسلطان مبين ، هو سلطان العين الباصرة ، والأذن الواعية ، والواقع الذى يعلن عن نفسه فى صمت أبلغ من الكلام ، وأقطع فى الفصل من طويل الجدل .

ولقد غمرنى الدهش من هذا العمل المعجز ، والجهد الجاهد الذى لا يقدر عليه إلا أولو العزم ممن تخيرتهم المقادير لجلائل المهام ، واصطفتهم لعظائم الأمور ؛ حتى لقد كدت أن أنكر ما أرى وأسمع لولا أن منّ الله على بالاطمئنان لما أرى ، وشرح صدرى للإيمان بالواقع الحق والاعتراف لصاحبه بما تفرد به — أو كاد — بين معاصريه .

على أنى لم ألبث أن وقعت فى جديد من الحيرة والاضطراب ، بل فى مزيد من العجب والإعجاب ؛ فقد تدبرت — بعد أن استرجعت نفسى ، وانتزعتها من الدهش الغامر — ما صنع فقيدنا فى تعليقه على مواد : « لسان العرب » ، وما تَغيَّاه من ذلك التحقيق ، فاذا أمور ثلاثة سعى إلى تحقيقها مجتمعة وعمل على اقتناصها مكتملة ؛ فتمّ له ما أراد وما أشق الأمر الواحد منها على رجالات عصورنا الحديثة ، إلا من تخيره الله لمثل هذه الجلائل ، ومنحه من الصبر والجلد وصادق الرغبة ما منحه الفقيد الجليل . فأما أولها : فتصحيح ما أخطأ اللسان فى نقله عن المراجع القديمة ، أو فى فهمه ؛ فنرى صاحبنا يصحح ويؤيد التصحيح بذكر المراجع الوثيقة التى تؤيده .

وأماثانيها : فتكملة الأبيات الناقصة التى يستشهد بها صاحب اللسان — وما أكثر تلك النواقص — فيتمها فقيدنا نقلا عن مصادرها الصحيحة . وما أجزل النفع بهذا للمشتغلين بفروع العربية المختلفة ؛ متنها ، ونحوها ، وصرفها ، وأدبها . وأماثالثها : فتصويب ما أخطأ اللسان فى نسبته إلى غير قائله ؛ فيرد للنص مكانته ، وينسبه إلى صاحبه . تلك هى الأمور الثلاثة التى سعى فقيدنا إليها ، وأدرك منها ما أمّل ، وحقق ما ابتغى .

والمشتغلون بالعلوم اللغويـة المنقطعون لتحصيلها ، يدركون أتم الإدراك ما فى هذا من عناء ، وما له من جليل الفائدة .

ولست بصدد أن أذكر ما للفقيد من من مشاركة نافعة فى الكتب المدرسية المختلفة ، فشتان بين النوعين ؛ نوع « مدرسى ليس فيه بأوحد ، ونوع آخر لا يقدر عليه إلا من اختارهم الله لإنجازه ، واحتمال مشاقه ، وعرض ثمراته ، وقليل ما هم .

ولقد بلغ من حب الفقيد للغته ، وهيامه بها أن أقام نفسه ، ديدبانا عليها ، يصونها ويرعاها منذ سنواته الأولى بعد التخرج ؛ يدفع الألفاظ الدخيلة ، والأساليب المريضة . وله فى هذا مجالس ومحافل ومقالات يعرفها المترددون على : « نادى دار العلوم » القديم والمرافقون له فى التدريس بالمدارس الثانوية وكليتى « الحقوق ، ودار العلوم » ، والقارئون للمجلات العلمية والأدبية ولا سيما صحيفة

دار العلوم ، وبحوثه في مصر وغيرها ينقلها عنه قراؤه وتلاميذه ومريدوه في مصر وغيرها ، كالقدس ، والحجاز ، حيث قام بالتدريس في تلك البلاد الشقيقة العزيزة.

وما لنا لا نشيد بمواقفه الغراء في سنواته التدريسية الأولى حول سنة ٢٠ وماوليها حين كانت بلادنا ترزح في تلك السنوات تحت أهوال الجهالة الجهلاء والاستعمار الغاشم ، وكلاهما عدو اللغة ، بل أشد أعدائها فتكا وضراوة . فقد شاء الله أن يخرج «على السباعى» من دار العلوم في العشرة الرابعة من سنوات الاستعمار المتغلغل في بلادنا ، الجاثم على صدورنا ، العامل جهده على تحطيم مقدساتنا ، ولاسيما اللغة ؛ أقوى الروابط بين البلاد العربية الشقيقة ، وإن بعدت أنحاؤها وترامت أرجاؤها . وزاده بطشا وتمكينا في تلك الحقبة اشتعال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وما نشرته من أهوال وكوارث ، وما بثه المستعمر في النفوس من إرهاب وفجائع ، وما نجح فيه منذ بدء احتلاله سنة ١٩٨٢ من نشر لغته في المدارس ومعاهد التعليم ، وما نجح فيه بدهائه وسلطانه من إعداد أجيال جديدة تألف لغته وتزدرى لغة الآباء والأجداد ، بل تزدرى كل ما هو مصرى ، وتندفع في محاكاة المستعمر تشبها به وإرضاء له واستجلابا للمنافع الخاصة من وراء ذلك ؛ حتى قويت لغة المستعمر وعز شأنه وشأنها ، وقهرت العربية وضعف شأنها وشأن المشتغلين بها ، وارتفعت الأصوات المخلصة المحذرة من وخيم العواقب المترتبة على هذا الاندفاع الأحمق ، والتقليد المدمر وفي هذا يقول الشاعر الكبير «محمد حافظ إبراهيم» ناصحا محذرا كاشفا عن الخطل والخطر .

«لا تحذ حذو عصابة مفتونة ....» الخ

وفي هذا الجو الظالم المظلم ، وفي تلك الحقبة الحالكة السواد — انتفض على السباعى واقفا في ساحة اللغة ، مدافعا عنها بلسانه وقلمه ، لايمل ، ولايسأم ، ولا يدع للضجر سبيلا إلى نفسه ، ونجح في الدفاع أيما نجاح وأدرك منه ما يخلد فضله ، ويسجل جهاده :

وإن الأمانة التاريخية ، والصدق في تسجيل الأحداث ، ليقتضيان أن نذكر الفضل لأصحابه جميعا ، ولا نغمط أحداً حقه ، وهذا ينتهى بنا إلى أن نذكر بالثناء الجم ، والتقدير الأوفى ، — ونحن في معرض الذكريات الكريمة — أعلاما سباقين إلى ماسبق إليه على السباعى وشاركوه أو أشركوه فيما وهبوا أنفسهم لانجازه وتحقيقه ، وكانوا سدنة اللغة والدين الأوفياء ، والرعيل الأول في الحفاظ عليهما ، وصيانتهما مما أريد لهما من شرّ وفي مقدمة هؤلاء الاساتذة الأجلاء أبو الفتح الفقى — محمود البطراوى — نجيب حتاته — عبد الحميد حسن — محمد على مصطفى — مهدى علام . رحم الله من سبق إلى الدار

الآخرة ، وصان من بقى منهم فى الدار الأولى ، وأجزل لهؤلاء حسن الثواب وجميل الجزاء، ما احتملوا من عناء، واضطهاد، ومكايد وأهوال، ومظالم؛ فلم تلين لهم قناة، ولم تخفت لهم أصوات ، واجتازوا المحنة — بل المحن المتوالية — بقلب سليم عامر بحب اللغة والدين ؛ لا تزيده الشدائد إلا ثباتا وإصرارا حتى انجلى بعد الليل الطويل عن صبح مشرق ، صافى الوضاءة والإسعاد؛ لا طاقة لأحد على دفعه .

أى على: قد كان ما خفت أن يكون، مما ليس لأحد طاقة بدفعه ؛ فلا يسعنى إلا الامتثال والخضوع لقضاء الله وقدره؛ فانعم بجوار الله، ويرضاه عنك، ودعائنا لك واهنأ بما قدمت يداك من عمل صالح ضمك إلى زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، وأدخلك مداخل الأوابين الأطهار؛ ينظرون جزاء ما صنعوا يستبشرون برحمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## •• كلمة الأسرة

### للواء الصاوي عيسى شقيق الفقيد

أحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد

فيتشرف الشقيق الأصغر للراحل الكريم النبيل بأن يتقدم للسادة الأجلاء : رئيس وأعضاء المجمع اللغوى بخالص شكر أسرة الفقيد العزيز لجيل عزائهم وتحطيم أخلاصهم سواء فى تشييع جنازته أو فى العزاء مساء يوم الجنازه ، او بالنعى الكريم الوفى بالصحف أو بالعزاء بالبرقيات أو البريد أو المشاركة فى ذكرى الأربعين أو بالحفل الوفى الأبى : حفل التأبين المقام اليوم ، وندعو لكم جميعا بأتم الصحة وموفور العافيه وطول العمر . وأن يثيبكم الله على جميل وفائكم ، وعلى رقيق مشاعركم بأجمل واكرم الأجر والثواب ، لقد تناول السادة الاساتذه المؤبنين مشكورين بعض الجوانب التى تمس الفقيد سواء من الناحيه الدينيه أو الناحيه العلميه أو الناحيه الخلقيه ، أو مآثره الطيبة فى حياته . ولتأذنوا أن أتناول فى إنجاز بعض مآثر الفقيد بين أهله وأسرته .

لقد كان رضى الله عنه وأرضاه أبر الأبناء بوالديه فى حياتهم وبعد وفاتهم ، ظل بره بهما ذكرى ، ودعاء مستمراً متواصلا ، وكان رحمه الله أخلص الأزواج بالزوجة ، ثم كان أبر الآباء لابنه وبناته أدى رسالته نحوهم على أتم وأحسن ما يكون الاداء وكان رأيه فى تعليم البنت ان يعلمها لا للتوظف وإنما لتكون سكناً أمينا لزوجها — والتكون مربيه لأولادها ، ولكون وافيه فى تصريف شئون مملكتها ، وكان رحمه الله أعطف الإخوه بأخواتهم ، وأنا شخصيا حظيت بهذا العطف : فقد تولانى منذ الصغر علمنى وأدبنى وربانى ، وأنفق على حتى صرت رجلا . وكان رحمه الله فوق ذلك كله أحب الإخوه إلى الأقارب والأصهار . فقد كان دائما أحفظنا جميعا لصلة الرحم ، فلما غاب عنا فقدنا السؤال الدائم عن الصغير وعلى الكبير .

رحمه الله الفقيد رحمه واسعة وأسكنه الفردوس مع الصديقين والأبرار اللهم آمين ، والسلام عليكم ورحمة الله .

الاستاذ زكى المهندس : سيداتى وسادتى باسم المجمع اشكر لحضراتكم كريم مواساتكم على تأبين الفقيد أجمل الله عزائكم وجنبكم كل مكروه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

## •• كلمة الأستاذ زكى المهندس فى تأبين المرحوم *:

# الدكتور
# عبد الحكيم الرفاعى

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الزملاء ، سيداتى وسادتى .

إنه لتعز علينا أن نجتمع اليوم لتأبين زميل كريم وعالم جليل، هو المغفور له الدكتور عبد الحكيم الرفاعى . لقد وافته المنية فى السابع عشر من أبريل الماضى بعد مرض طويل مضن ، فتركت وفاته فى نفوسنا أشد الحزن ، وأعمق الأسى .

إن المجمع قد فقد فى عبد الحكيم الرفاعى ثروة علمية اقتصادية ليس من السهل أن تعوض .

لقد كنا نتابع مرضه فى شىء كثير من القلق والخوف والرجاء والأمل .

كان الأمل شفائه يتملكنا أحيانا، كما كان اليأس يستبد بنا أحيانا أخرى .

ولكن بين الأمل واليأس والخوف والرجاء نفذت إرادة الله ، وكان ماخفنا أن يكون هذا قضاء الله ، والذى لاراد لقضائه ولامعقب لحكمه لقد عاصر الفقيد المجمع منذ سنيه الأولى خبيرا فى لجنة القانون والاقتصاد ، ثم اختير منذ بضع سنوات عضوا عاملا فى المجمع وفى هذه المدة الطويلة ساهم الفقيد رحمه الله فى تحقيق رسالة المجمع مساهمة مشكورة ، فاستطاع أن يطوع اللغة العربية لتعبر عن مصطلحات علم الاقتصاد ، بل لانبالغ إذا قلنا إن الفقيد قد استطاع أن يلبس علم الاقتصاد ثوبه العربى المتين الأصل ، ولعل كثيراً من الألفاظ والعبارات العربية الصحيحة التى نسمعها الآن مستعملة فى البنوك والشركات المالية والضرائب والجمارك ، هذه كلها كانت من وضع الفقيد رحمه الله .

وكان الفقيد إلى جانب علمه ونبله كريما سمحاً التواضع جم عامر القلب بالإخلاص

وبالواجب والوفاء لإخوانه وزملائه لقد عرفنا الفقيد أكثر من ربع قرن لم أذكر

* أقيم حفل تأبينه بدار المجمع بالجيزة فى صباح الأربعاء ١٩٧٤/٥/٢٩ والقيت فيه الكلمات التالية :

أنى وجدته يوما غاضبا غضباً يخرجه عن هدوئه وسماحته وإنما كان محبوبا من الجميع محبا للجميع على أننا إذ نبكى الفقيد اليوم ، لانبكى فيه عضواً مجمعاً نشيطاً منتجاً فحسب ، نبكى فيه عالما من أعلام الاقتصاد بل رائد من أعظم رواده لافى مصر وحدها بل فى البلاد العربية جميعها .

لقد ساهم وهو محافظ للبنك الأهلى ثم للبنك المركزى حل كثير من المشكلات الاقتصادية ، التى كانت تعانى منها البلاد ، كما ساهم أيضا فى تطوير كثيرمن النظم الاقتصادية فى البلاد العربية ، يوم انتدب مديراً للشئون الاقتصادية فى جامعة الدول العربية .

أما المكتبة العربية فقد ترك لها الفقيد تراثا علمياً اقتصاديا يبقى على الزمان . إن ماألفه من كتب ومانشره من بحوث ، وماألقاه من محاضرات كلها تعتبر نورا ساطعا يضىء الطريق أمام جميع المشتغلين بالدراسات الاقتصادية .

أيها السادة ،

فى الواقع إن مجال القول فى عبد الحكيم الرفاعى مجال رحب فسيح لانستطيع فى هذه الجلسة القصيرة أن نبلغ مداه ، فحسبنا تلك الدمعة التى نسكبها اليوم فى تكريم ذكراه رحمة الله وطلب ثراه ، وجعل الجنة مستقره ومثواه .

أما الآن أيها السادة ، فسيتولى تأبين الفقيد نيابة عن المجمع الزميل الدكتور أحمد عز الدين عبد الله ، ثم يليه نجل الفقيد الدكتور محمد عبد الحكيم الرفاعى ، فيلقى كلمة الأسرة . فليتفضل الدكتور عز الدين مشكورا ،

## كلمة الأستاذ الدكتور أحمد عز الدين عبد الله

السيد الرئيس

سادتي

من الرجال من يسبق جيله فيكون رائداً فى المجتمع الذى يعيش فيه .

ومن الرجال من لا يلهيه عرض الحياة الدنيا ، فيملأ نفسه بما ينفع المجتمع الذى يعيش فيه من علم أو أدب أو فن .

ومن الرجال من يكون مكتمل الشخصية فلا يبهره بريق منصب أو جاه

ومن الرجال من يفهم حقيقة الحياة ، ويفهم قدر الإنسان فيها ، فيكون التواضع طبعه .

ومن الرجال من لاتهزهم أحداث الحياة ، فيكون بين قوله جلداً .

ومن الرجال من يتجرد من الأنانية فيكون بين قومه صمداً .

ومن الرجال من تتجمع لديه كل هذه الصفات ، فيكون بين قومه عزيزاً .

وهكذا كان فقيدنا العزيز العالم الأستاذ الدكتور عبد الحكيم الرفاعى .

بدأت معرفتى بالدكتور الرفاعى فى سنة ١٩٣٠ ، حين كنت أطلب العلم بكلية الحقوق بجامعة القاهرة . وكان قد مضى عام على عودته من باريس ، مع زملائه فى البعثة العلمية ، ليعينوا أعضاء فى هيئة التدريس بهذه الكلية

وسرعان مالمسنا فى هذا الجيل من المدرسين الشبان طابعاً معيناً يتميزون به ، أسبغته عليهم الظروف التى عاشوا فيها :

فهم قد عاصروا فى السنوات الأولى من شبابهم ، أحداث ثورة السنة التاسعة عشرة ، فاعتنقوا مبادئها ، شأنهم فى ذلك شأن جيلهم ، حين كان العمل الوطنى فداء يقدمه المواطن ، وخيراً يترقبه الوطن . لم يكن العمل الوطنى حرفة تدر الغنم ، بل تضحية تزين جيد صاحبها بشرف المساهمة فى خدمة وطنه .

وهم قد عاشوا مدة البعثة فى فرنسا ، حين كان يغمرها فيض من الاعتزاز بالوطن واحترام حريات الإنسان والتشبث بالحياة الديمقراطية ، مما زكاه خروجها من الحرب العالمية الأولى منتصرة على العدوان والبغى

وقد جبلت هذه الظروف ، ذلك الجيل من الأساتذة على الوطنية الصادقة ، والعمل الجاد فى أداء الرسالة التى يحملونها ، من ، خدمة العلم ، وتنشئة شباب جاد مشبع بالعلم وبثقافة العصر وحضارته .

وكان لنا من أستاذنا الدكتور الرفاعى مجموعة مثل نعجب بها ونسعى إليها : غزارة فى العلم ، أمانة فى أداء الواجب ، رقة فى الحس واحترام للنفس وللغير ، يغلفه ويزينه رداء من أدب جم وتواضع جذاب .

ولد فقيدنا فى قرية « شبرا » من أعمال مركز السنطة بمحافظة الغربية . وبعد أن أتم تعليمه الابتدائى والثانوى بمدارس مدينة طنطا ، وفد على القاهرة ، حيث التحق بمدرسة الحقوق ( كلية الحقوق بجامعة القاهرة فيما بعد ) ، وحصل منها على درجة الليسانس فى الحقوق ، فى سنة ١٩٢٥ ، وكان التفوق لازمة كل امتحان أداه .

ثم أوفد ، خلال ذلك العام ، فى بعثة علمية إلى فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه فى العلوم الاقتصادية . وهناك اتسعت أمامه آفاق العلم والمعرفة . وأبى عليه طموحه أن يقف بجهوده فى هذه الآفاق عند حد الدراسة والبحث اللازمين للحصول على هذه الدرجة العلمية . بل إنه كان فيها نهما . فحصل على دبلومات الدراسات العليا كلها ، التى كانت تنظمها قوانين ولوائح جامعة باريس ، فى ذلك الوقت ، فى ميدان القانون والاقتصاد وهى :

— دبلوم الاقتصاد السياسى
— دبلوم القانون العام
— دبلوم القانون الخاص
— دبلوم القانون الرومانى
— دبلوم القانون الجنائى
— دبلوم علم العقاب

وانتهى به المطاف فى ميدان الدراسة والتحصيل والبحث إلى الحصول على درجة الدكتوراه بأعلى مراتبها . وكان ذلك فى سنة ١٩٢٩ .

وعلى هذا النحو جمع الدكتور الرفاعى رصيداً من الدراسات القانونية ، بجانب تخصصه فى العلوم الاقتصادية ، مقدرا فى هذا الجمع الصلة الوثيقة بين الاقتصاد والقانون فى حياة مجتمع أية دولة ، بل وفى حياة المجتمع البشرى كله

وبجانب ذلك كله ، أفاد الدكتور الرفاعى من ثقافة وحضارة المجتمع الأوروبى الذى عاش فيه ، وتعرف على حال المجتمع الدولى فى مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية .

وعاد الدكتور الرفاعى إلى أرض الوطن ، مليئاً بهذه الثروة العلمية والثقافية ، فعين مدرساً فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة

وتدرج فى هيئة التدريس بها إلى درجة أستاذ كرسى الاقتصاد السياسى .

وتدفق نتاجه العلمى متواليا على مر السنين ، بحيث يكاد لايمضى عام دون أن يكون له فيه مؤلف يطبع أو بحث ينشر .

وكانت عناصر الصورة التى انطبعت فى نفوس طلابه وزملائه هى : الجد فى العمل ، الحرص على أداء الواجب ، الإخلاص فى خدمة العلم ، العزوف عن الإعلان عن النفس ، تجنب الصغار ، محبته لطلابه ، وتقدير طلابه ومحبتهم له .

وفى سنة ١٩٤٤ ندب الدكتور الرفاعى عميداً لكلية الحقوق بجامعة بغداد ، حيث أحسن أداء الرسالة التى دعى للقيام بها . وعمل على توثيق الصلات العلمية والإنسانية بين أساتذة القانون والاقتصاد فى العراق وزملائهم فى مصر .

وفى سنة ١٩٤٧ ندب الدكتور الرفاعى مديراً للشئون الاقتصادية بجامعة الدول العربية ولم يكد يستقر مقامه فيها حتى خطبته وزارة المالية ليكون وكيلا لها لشئون الضرائب وهو المنصب الذى شغله من سنة ١٩٤٧ حتى سنة ١٩٥٢ ، وقد اتسع له به مجال التطبيق لعلم المالية العامة ، ومجال الإصلاح لجهاز من أهم أجهزة الدولة صلة بالمواطنين وتأثيرا فى شئون حياتهم .

ثم انتقل الدكتور الرفاعى إلى ميدان آخر من أوجه النشاط الاقتصادى ، وهو ميدان الائتمان العقارى ، إذ عين فى سنة ١٩٥٢ رئيسا لمجلس إدارة بنك الائتمان العقارى ، الذى أدمج فيما بعد فى البنك العقارى المصرى

وفى سنة ١٩٥٥ عين الدكتور الرفاعى نائباً لمحافظ البنك الأهلى ، ثم عين محافظاً له .

ولما أنشىء البنك المركزى بوظائفه الخطيرة ، اختير الدكتور الرفاعى محافظاً له ، لما يتمتع به من علم وخبرة ونزاهة .

وظل يشغل هذا المنصب حتى سنة ١٩٦٤ ، حين وقعت الواقعة التى ما كان لها من دافع . فقد طلب اليه إتخاذ إجراء معين فى مجال النقد . ولما قدر بعلمه وخبرته ما لهذا الإجراء من خطر على المصلحة الاقتصادية للبلاد ، أعد مذكرة برأيه فيه . وعاد إلى منزله مرتاح الضمير مطمئن البال .

وفى صباح غده طالعته الصحف بنبأ تعيين شخص آخر فى مكانه ، فعرف أنه عزل من منصبه . وتلقى هذا الجزاء صابراً مؤمنا . ولكنه عرف أيضا أن الله قد ابتلاه فى إخلاصه لعمله ووطنه ولقى عنده خير الجزاء .

ومنذ هذا الحدث والدكتور الرفاعى قانع بعمله أستاذاً غير متفرغ بكلية الحقوق

بجامعة القاهرة ، يحاضر طلاب الدراسات العليا ويشرف على ما يعدونه من رسائل علمية . وهو العمل الذى ظل يباشره بشغف حتى أقعده المرض عنه .

هذا هو موجز الحياة العلمية والعاملة للدكتور الرفاعى .

وأما عن نتاجه العلمى ، فأول ما يذكر فى شأنه أن الدكتور الرفاعى كان من أوائل الأساتذة المصريين الذين حملوا عبء التأليف فى العلوم الاقتصادية والمالية باللغة العربية بأسلوب علمى رصين ، بما يقتضيه من جهد فى وضع مصطلحات عربية تقابل المصطلحات الأجنبية فى معناها فى وضوح وكفاية ودقة دلالة .

ولقد أخرج الدكتور الرفاعى خلال سنتى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ مؤلفه فى الاقتصاد السياسى ، ضاما جزءين كبيرين ، عالج فيه مختلف موضوعات هذه المادة فى شمول وعمق وارتقاء علمى جعله يقف جنباً إلى جنب مع ما نشر فى زمانه من مؤلفات لكبار أساتذة الجامعات الأوروبية .

وفى سنة ١٩٤٢ أخرج الدكتور الرفاعى مؤلفه « الضرائب المباشرة فى مصر » ، شرح فيه نظام الضرائب المباشرة الذى فرضه المشرع بقانون سنة ١٩٣٩ ، وذلك فى ضوء مقارنته بالنظم الضريبية المقابلة له فى قوانين عدد من الدول الأجنبية .

ولما كان فقه الضريبة المصرى ذلك الحين لا يزال فى مهده ، فقد شارك هذا المؤلف فى إرساء قواعده ، كما أعان القضاة والباحثين على فهم هذا النظام الضريبى الجديد .

وعندما كان الدكتور الرفاعى عميداً لكلية الحقوق ببغداد وأستاذاً للاقتصاد السياسى والمالية العامة بها ، أخرج فى سنة ١٩٤٥ مؤلفه « علم المالية العامة والتشريع المالى العراقى » ، بسط فيه مبادئ علم المالية العامة ودرس التشريع المالى العراقى مقارناً بالتشريع المالى المصرى . وجاء هذا المؤلف ، فى نطاق موضوعه ، مكان لقاء بين الفكر المصرى والفكر العراقى .

وبجانب هذه المؤلفات العامة ، نشر الدكتور الرفاعى الكثير من البحوث المتخصصة فى مختلف موضوعات الاقتصادية السياسى والمالية العامة والتشريع الضريبى . كما اتخذ من بعض مسائلها موضوعات لما ألقاه من محاضرات على طلاب الدراسات العليا .

وإذ كان هذا المقام يضيق بالدراسة التحليلية لهذه البحوث والمحاضرات فإنه ينبغى ذكرما تتميز به بصفة عامة ، مع إلقاء نظرة عجلى على أهمها :

جرى الدكتور الرفاعى ، فى بحوثه ومحاضراته ، على تعقب الأحداث والمشاكل الاقتصادية الهامة ، داخل مصر وخارجها

وعَرْض كل منها بالشرح والتحليل ، وردّها إلى أصولها ومسبباتها ، ومناقشة وسائل علاجها .

من ذلك أنه عندما اجتاحت العالم أزمة الثلاثينيات ، وتقدمت الحكومات الأوروبية والأمريكية بالمتنوع من الوسائل لحلها ، أدرك الدكتور الرفاعى ما لهذه الحلول من أثر بالغ فى اقتصاد بلده . وهو الاقتصاد الذى كان وثيق الارتباط بالاقتصاد الإنجليزى والاقتصاد الأمريكى . لذلك فقد عكف على دراسة أوجه العلاج التى اتبعت فى الخارج حلا للأزمة . وكان ذلك فى سلسلة مقالات ، أذكر منها :

- الأزمة النقدية الإنجليزية
- تأثير الأزمات النقدية الإنجليزية فى النظام النقدى المصرى .
- تثبيت الأثمان بوساطة السياسة النقدية .
- استعمال الأوراق الأجنبية كضمان للإصدار .
- سياسة رفع الأسعار فى الولايات المتحدة الأمريكية .
- تثبيت الدولار المؤقت وتطور السياسة النقدية فى الولايات المتحدة الأمريكية .
- تخفيض قيمة العملة البلجيكية والتطورات النقدية الحديثة .
- التعويضات وتسويتها فى مؤتمر لوزان المنعقد فى يونية - يولية سنة ١٩٣٢ .
- حماية صناعة السكر فى مصر .

ولما تهيأت الظروف فى مصر كى تبدل دينها العام خلال الحرب العالمية الثانية ، مهد الدكتور الرفاعى لذلك بمقالة فى « تخفيف أعباء الدين العام » .

وعندما فكرت الحكومة فى فرض ضريبة على الأرباح الاستثنائية تناول بالنقد والتعليق أنظمة هذه الضريبة فى الخارج والمشروع الخاص بها فى مصر .

كذلك فإنه كتب بحثه فى ضريبة أرباح المهن غير التجارية عندما فكرت الحكومة فى تعديل نظام هذه الضريبة المنصوص عليه فى قانون سنة ١٩٣٩ .

وعندما توالت المشكلات الاقتصادية فى مصر والخارج ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، لم يغب عن الدكتور الرفاعى أن يدرس هذه المشكلات .

من ذلك ماكتبه فى مشكلة الأرصدة الاسترلينية المتجمعة لمصر ، مبينا نشأة هذه الأرصدة وتطورها أثناء الحرب ، ومستقبلها ، مع مناقشة حجج انجلترا فى إنكار هذه الديون والاقتراحات التى قدمت لتسويتها واقترح لمنع تراكم الأرصدة مستقبلا أن يكون للحكومة فى مصر السيطرة التامة على نظام البلاد النقدى ، وأن يصبح البنك الأهلى بنكا مملوكا للدولة .

وفى سنة ١٩٦٠ نشر الدكتور الرفاعى بحثا فى « الاتجاهات الاقتصادية فى الخمسين سنة الأخيرة فى ضوء الدراسات

فى مصر والخارج » . وقد تناول فيه تحليل معالم ذلك التطور الأساسى الذى طرأ على الفكر الاقتصادى حول تدخل الدولة فى الميدان الاقتصادى ، خلال تلك الفترة الحافلة بالأحداث من تاريخ العالم . وهذا البحث لايقدر عليه إلا العالم الخبير المتمكن .

وبجانب هذا النتاج العلمى الوفير القيم ، أسهم الدكتور الرفاعى بجهوده فى معالجة كثير من المشكلات الاقتصادية فى المجال الداخلى وفى المجال الدولى .

ـــ من ذلك مساهمته فى وضع الأسس الفنية والتشريعية لاستقلال الجنيه المصرى عن الجنيه الأسترلينى وتخليصه من التبعية التى عقدتها انجلترا بينهما منذ سنة ١٩١٦ ، خدمة لأغراضها الاستعمارية .

ـــ واستعانت الحكومة السورية بالدكتور الرفاعى فى تنظيم فصل النقد السورى من الارتباط بالفرنك الفرنسى .

ـــ وكم من نشاط وجهاد بذلها الدكتور الرفاعى فى المؤتمرات الدولية ، فى سبيل الدفاع عن حقوق بلاده وطلباتها ، جرى ذلك أثناء تمثيل بلاده فى مؤتمر التعويضات الألمانية المنعقد فى سنة ١٩٤٥ ، وفى مؤتمر الصلح المنعقد فى باريس فى سنة ١٩٤٦ ، وفى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورات انعقادها فى نيويورك فى سنة ١٩٤٦ ، وفى باريس فى سنة ١٩٤٧ ، وكان مندوب مصر فى عدد من لجانها وهى : لجنة الشئون الاقتصادية والمالية ، ولجنة الشئون الاجتماعية والإنسانية والثقافية ، ولجنة الشئون الإدارية والميزانية .

كذلك فقد مثل الحكومة المصرية فى كل من مؤتمر لجنة التجارة الدولية المنعقد فى جنيف فى سنة ١٩٤٨ ، ومؤتمر الحراسات الألمانية المنعقد ببروكسل فى سنة ١٩٥٠ .

وامتد نشاط الدكتور الرفاعى إلى ميدان عمل مجمعكم الموقر ، بوصفه خبيراً له أول الأمر ، ثم بوصفه عضواً فيه ، بقدر ما سمحت به البقية من عمره .

هذه هى حياة فقيدنا العزيز

لقد عاش الدكتور الرفاعى مستور الحال ، لأنه لم يتخذ من جمع المال هدفا . ولكنه مات غنيا. فقد توفى عن تركه كبيرة ، متعددة عناصرها :

ـــ ثروة علمية ضخمة ، أفاد منها جيله ، ولايزال ينتفع بها من أتوا بعده .

— خدمات جليلة لوطنه ، لايزال يفيد منها بنو أمته ..

— جيل من الاقتصاديين الذين تلقوا العلم عنه ، يضطلع عدد منهم بأخطار المهام الاقتصادية فى البلاد .

* لقد أرضى الدكتور الرفاعى ضميره وأرضى ربه .

عاش الدكتور الرفاعى حياته متواضعا ، وشاء أن يكون متواضعا بعد موته . فقد أبى إلا أن تشيع جنازته فى القرية التى ولد فيها وأن يدفن فى صعيدها ، بعيداً عن زخرف العاصمة وزينتها .

وكان الدكتور الرفاعى تقيا ، لم يأت فى حياته شيئاً نكراً .

رحمه الله ، وأجازه ، وجعل الجنة مثواه .

## •• كلمة الأسرة للدكتور محمد عبد الحكيم الرفاعى

سيدى الرئيس :

أساتذتى الأجلاء أعضاء مجمع اللغة العربية :

سيداتى ، سادتى :

اسمحوا لى أولاأن أعبرعن عميق امتنان أسرة الفقيد لفيض اللفتات الكريمة التى أسبغها علينا رئيس المجمع ونائب الرئيس وأعضاء المجمع من عيادتهم للفقيد أثناء مرضه ،إلى تأبينه فى الصحف اليومية ثم المشاركة فى العزاء، ثم إقامة هذا الحفل . ولئن كان كل هذا الفضل يتناسب مع مودتكم لفقيدنا ، ومع سماحة سرائركم ، إلا أنه يحملنى مالا قدرة لى على إيفائه حقه من الشكر :

لقد بلغت كلماتكم العظيمة المفعمة بخلجات الوفاء والتقدير أعمق الأثر فى نفوسنا ، إذ كان المغفور له يعتز كل الاعتزاز برسالة مجمعكم الجليل ، وبدوركم فى الحفاظ على اللغة فى المجالات العلمية والحضارية الحديثة ، وكان رأيه أن استقامة اللغة فى الاستمساك بالاصالة ، وفى الإبقاء على الشرائع ، وجاء سخاؤكم فى الإشادة بمناقب الراحل الكريم ، جديرا بالصدور عن معقل الأصالة فى بلدنا ، وخليقا بمد أجيال من عائله الفقيد بأسباب الفخار . بيدأن عبد الحكيم الرفاعى رحمةالله عليه كان حريصا على غرس التواضع فينا ، اقتداد بكم ومن سبقكم من الرجالات أعضاء مجمعكم المبجل .

وختاما أتقدم إليكم جميعا وإلى الاستاذ زكى المهندس والأستاذ الدكتور عز الدين عبد الله بأصدق الشكر وعظيم العرفان ، وأسأل الله أن يديم عليكم نعمه الاستمرار فى إعلاءشأن أمتنا ، وأن يجازيكم عنا خير الجزاء ،

## •• كلمة الأستاذ على النجدى ناصف فى تأبين فقيد المجمع*

# الأستاذ عطية الصوالحي

سيادة الرئيس ، أيها السادة

قد كان ماخفت أن يكونـا
إنـا إلى الله راجعونـا

نعم ، لقد قضي الأمر ، ونفذ المقدور ، فرحل عنا زميلنا وصديقنا العلامة : الأستاذ الصوالحي ، رجع إلى ربه ، ودخل فى عباده راضيا مرضيا ، لم يغن فيه إكذاب نفس ، ولاتعلل بأمل . ولكن متى أفلتت الخديعة أو أغنت الحيلة من الموت شيئا؟

هيهات إنه السهم الإلهي العتيد ، يرسله الله — جلت عظمته — على من حان حينه وحقت الفجيعة فيه ، فيمضى لوجهه مصيبا نافذا ، لايخطئ رميته ، ولايخلف موعدته . ومامنا إلا يعلم ذلك ويؤمن به ، عليه مضت سنة الأولين ، وعليه تمضى سنة الآخرين لاتبديل ولاتحويل .

ولكنه الضعف البشرى ينتاب المرء ، وقد يستبد به ، ويغير من واقعه حين يمتحن فى عزيز عليه ، ممن تضمهم اليه أواصر وثيقة محكمة ، فاذا هو مضطرب الكيان ، لقس النفس تغشاه غاشية من الهم والاكتئاب ، جزعا مما ألم به ، وعجزا عن احتماله ، واشفاقا مما هو صائر اليه ، وملاق منه بعد صاحبه أو صاحبته : من الوحشة بعد الأنس ، والافتراق بعد الاجتماع ، والفقدان بعد الوجدان. وشديد عادة منتزعة ، كما يقولون .

هنالك لايجد معتصما يعوذ به ، ولامهربا يفر إليه ، إلا إكذاب النفس ، والتعلل بالأمل. ويرحم الله أبا الطيب المتنبى اذ يقول فى إحدى مراثيه :

طوى الجزيرة حتى جاءنى نبأ
فزعت فيه بآمالى إلى الكذب

على أن الحق الصادع ، والواقع الذى الذى لانجاء منه مايزالان يتكشفان له ، ويهيبان به ، حتى يثوب اليهما ، ويروض نفسه على تقبلهما ، إيمانا واحتسابا أوسلوا ونسيانا .

والمرء فى استشرافه للكمال ، ونزوعه إليه يرد النفس على مكروهها فى الضراء وحين المحنة فيمنع عاطفته أن تجيش ، ويحبس دمعه أن يفيض ، إيثارا لسمت الرجولة

* اقيم حفل تأبينه بدار المجمع بالجيزة فى صباح الأربعاء ٦/١١/١٩٧٤ والقيت فيه الكلمتان التاليتان .

الموروث، وأداء لضريبتها المفروضة، وأخذا بمنطق التفريق بين الرجال والنساء حين المرزئة، وذهابا مع أبي تمام في قوله .

خلقنا رجالا للتجلد والأسى
وهن الغوانى للبكا والمآتم

وإذا كان الجزع والاستسلام له مغضبة للرب ، ومجلبة للوم فإن ردع النفس في غير رفق ، وحملها على الكظم بلا رحمة متلفة للنفس في غير حكمة ولارشاد ، إلا الحرص على أوهام ، والمتابعة لوراثات ماأنزل الله بها من سلطان .

وبين الانقياد للعاطفة والإنكار عليها — رتبة عدل ، ورأى فصل . ولست أعرف كالتعزى ، والارتياض به ، والهوادة فيه — مذهبا يهدى إلى الحق والخير ، ففيه سكينة للنفس ، واستجابة للفطرة ، وإقرار بحقها في التأثر والانفعال ومباعدة ، بينها وبين الشطط والاندفاع .

من أجل ذلك كان موقفى الآن بين أيديكم موقف المؤبن لفقيدنا الكريم ، وزميلنا العالم الجليل الشيخ الصوالحى ، من أصعب المواقف مقاما ، وأشدها إيلاما ، وأقساها حزنا وهما ، لأنه الموقف يردنى في غير قصد إلى اليوم الذى جاءنى نعيه فيه على غير توقع له ، ولاتوجس منه .

فقد كنت عرفت حين احتجب عنا أنه يجد من وعكة حم ألمت به ، فأخلد إلى الراحة اتقاء تطورها واشتداد وطأتها ، فوقر في نفسى أنها بفضل حيويته وقوة يقينه وإحكام علاجه — لاتلبث أن تنفصم عنه فإذا ، هو بحمد الله بارىء موفور وليس أقسى من الخطب حين يقع على المرء في غفلة منه ، وعلى غير ترقب له .

لقد عرفت الفقيد الكريم لأكثر من خمسين عاما خلت وصاحبته فتى جادا طلوبا ، وكهلا متمرسا دءوبا ، وشيخا صادق التجربة ، واسع المعرفة ، عالما متمكنا ، دانت مصاعب العربية له ، وأفضت بأسرارها إليه .

ولم تكن صداقتنا هذه من قبيل ماألف الناس أن يعرفوا من الصداقات ، ولكنها كانت من قبيل نادر ، يعز نظيره على تعاقب الأيام . إن الناس يلتقون فيتعارفون ويتآلفون ، أو يتناكرون ويختلفون ، فيكون بين المتآلفين صداقة ومودة ، وبين المتخالفين تناكر وجفوة. وتتصل صداقة الأصدقاء ، أوهم يتمنون لها الاتصال ، لكن الأيام قلما تستجيب لهم ، ولاتلبث أن تباعد بينهم مباعدة التشتت والفراق ، أو مباعدة البال المشغول أوالعمل الموصول ، لايتيح لصاحبه تفكرا في ماض ، ولانظرا إلى وراء . وتطول المباعدة أوتقصر ، فتصير المودة هونا إلى الريث والفتور ، أو الذهاب والاندثار .

والأيام التى هذا دأبها مع الكثير من الصداقات والأصدقاء هى التى أحسنت إلينا ، فجعلت توالى صداقتنا بما يذكى جذوتها ، ويجدد عهدها ، ويكفل لها البقاء. فلم نكن

نفترق حينا إلا على وعد من الأيام بلقاء جديد. وفى خلال هذه الحقبة الطويلة لم يكن لينتقل إلى بلد إلا تبعته إليه ، ولا ليتولى عملا إلا شاركته فيه ، على تعدد البلاد التى نقل اليها والأعمال التى وليها .

وكان هو دائما السابق المرتاد، وكنت أنا دائما الآخذ من بعده على الطريق ، حتى التقيناها هنا فى ساحة مجمعنا الجليل ، فأنشدنا قول الطرماح :

فألقت عصاها واستقربها النوى
كما قرعينا بالإياب المسافر

التقينا اللقاء الأخير ، وتشاركنا المشاركة التى لاتالية لها ، ولكنه كان لقاء ماأعجله، وتشاركا ماكان أقصره :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل : لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وهكذا الدنيا : اجتماع وافتراق ، كان هذا دأبها فى الدهر القديم ، وسيظل دأبها حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد كنت أود مخلصا لو كان إلى السبق إلى هذه الرحلة أتقدمه اليها ، وأدع له هو هذا الموقف الذى أقفه منه الآن، وحسبه ماسبق إليه قبل من رحلات ، ولكن الله — تعالت حكمته — أبى إلا أن يكون له السبق فى الحياة وفى الممات .

وأشهد ماعرفته هذا العمر الطويل إلا رجلا كامل الرجولة ، شهما أريحيا ، رضى الخلق ، جم التواضع ، طيب المعشر سليم دواعى الصدر ، مأمون الغيبة راسخ الإيمان ، شديد الخشية لله ، صادقا ، مجاملا ، عف اللسان ، مارأيته قط حاقدا على مسىء ولا ذاكرا لبغيض بسوء ، ولا مضطغنا على ماكر ظنين .

نعم ، كان يغضب بعض الأحيان حتى يجهر بالقول ، لكنه الغضب الطاهر البرىء ، لامكابرة فيه ولاعناد ، ولاعاقبة له من من ضغينة أو إصرار على شر ، كان غضب الغيرة على الحقيقة كما يراها ويؤمن بها ، فهو ينتصر لها ، ويذود عنها فى مقاربة وإنصاف

لقد كان — يرحمه الله — فى شمائله وخصائص نفسه نفحة زكية من نفحات الريف المصرى الطيب ، وبضعة نفيسة من قلبه النقى الطهور ، لهذا كان شديد الحب له ، متجدد الحنين إليه ، متمثلا فى القرية التى أنجبته ، فكان لايزال يختلف إليها ، ويقيم فى أهلها إبان عطلة الصيف ، وكلما دعت داعية ، أوسنحت فرصة مواتية ، حبالهم وبرابهم ، فما كانوا منه ولا كان منهم إلا كما يكون الأبناء من الأب الرحيم أو الإخوة البررة من الأخ الكبير .

وهناك يجتمعون إليه ، ينفضون هومهم بين يديه ، ويراجعونه فيها ، ويسألونه الرأى الذى هو خير ، فإذا لهم منه بركة وهدى ورشاد ، وكان منزله بالقاهرة مثابة لهم ، يفدون إليه لبعض شأنهم ، أو الاستشفاء من أمراضهم ، فيخلطهم بنفسه كأنهم بعض

أهله ، ويبذل لهم من عونه سخيا جوادا :
فإذا رأيت شقيقه وصديقه
لم تدر أيهما أخو الأرحام ؟

ثم رأى — رحمه الله — أن يكون بره بهم أشمل، وخيره لهم أبقى ، وإن كان فى واقع ماياطفهم به من هذا وذاك كفاية وغناء ، فأقام لهم وحدة صحية ، تطب مرضاهم ، وتخفف من آلامهم ، لايصدر فى ذلك عن ظهر غنى ، أو فضل مال مكنوز ، لكنه الإيثار ، وحب الخير ، والولوع باصطناع المعروف خالصا لوجه الله ، كل أولئك حقيق أن يصنع العجب ، وأن يوجب على صاحبه ماليس بواجب ، بل لقد يغريه بالتضحية والفداء .

ذلك هو الأستاذ الصوالحى — كما عرفته إنسانا بين الناس ، وصديقا فى الأصدقاء .

أما الأستاذ الصوالحى عالما بين العلماء ، وباحثا بين البحاث — فقد كانت مواهبه ومنازع نفسه تعده للفقاهة والنبوغ ، بل التقدم والتبريز ، إذ كان — رحمه الله — يحيا حياة الزهادة والجد، بل حياة هى أقرب إلى التبتل والانقطاع . لم تكن له مسلاة أن يتفرغ لها ، ويطيب نفسا بها ، سوى كتاب يقرؤه ، أو بحث يبحثه ، أو مسألة يدرسها ، أو مشكلة يعالج حلها .

لذلك لم تكد تتفتح مواهبه ، وتنضج معارفه ، وتتميز شخصيته العلمية حتى كان علما مذكورا بين أعلام المدرسين الثقات المجدين ، أولئك الذين لم يغفلوا فى عملهم عن معالم البيئة، ومخترعات العصر، ومحدثات الحضارة ، فوصلوا دروسهم بها، ليختاروا منها ما يتيسر لتلاميذهم فهمه ، ولا يشق عليهم القول فيه ، لكن الكثرة الغالبة من أسماء هذه المسميات وما يتصل بها هنا وهناك — تذهب ما بين عامى شائه مسيخ ، ووافد مستعجم دخيل ، فلم يكن بد من أن يقبلوا على المعجمات ينقبون فيها ، وعلى قوانين العربية ويستوضحونها ويحتكمون إليها، فيما هم بسبيله من محاولة فسبقوا إلى قدر عظيم من الأسماء العربية القويمة ، يتبدلونها فى دروسهم بمقابلها من العامى والدخيل .

ولم يلبث فقيدنا — يرحمه الله — أن أصبح أنبه هؤلاء العاملين ذكرا ، وأوسعهم شهرة ، فأينما حل كان بين زملائه المرجع الثقة، العالم الثبت ، يرجعون إليه كلما غمت عليهم مسألة ، أو شبهت عليهم لفظة ، أو خفى عليهم وجه الصواب فى عبارة فيجدون لديه الجواب حاضرا ، أو يكون لهم به وعد غير مكذوب .

وإذا كانت عطلة الصيف ، وأقبل موسم الامتحانات العامة ، وتوافد المدرسون من أطراف البلاد — كان اجتماعهم هذا مثار جدل ومساءلة وخلاف إما فيما جد فى عملهم الحاضر من مشكلات ، وأما فيما كان بينهم فى عامهم هذا من تنازع فى الرأى ، وذهاب ببعض القضايا اللغوية والنحوية مذاهب شتى ، وهنا يكون الأستاذ الصوالحى كما كان هناك فى مدرسته صاحب رأى ، إلا يكن

فصلا ، فما هو بالذى يذهب لغوا ، فليس يعنم فى القليل بينة له ناهضة ، أو علة مسوغة ،أو أن يكون رأيا مفردا ، لكنه غير مجذو ولا مردود .

وعرف القائمون على شئون العربية فضله وقدروه حق قدره ، فكانوا إذا تنازعتهم الأعمال ، وضاقت من حولهم الأوقات — يكلون إليه دراسة بعض ما يعرض لهم من الأساليب المدخولة ، أو الألفاظ المشتبهة فيضطلع بما وكل إليه من ذلك أمينا صادقا ، وباحثا رشيدا موفقا .

أستطيع اذا أن أقول غير مكذب ولا مأخوذ بمبالغة : إن الأستاذ الصوالحى كان لغويا معرقا ، ومجمعيا أصيلا — تمرس بمباحث اللغة ، وتعاطى من أعمال المجمعيين من قبل أن يكون للعربية مجمع ، فكانت حياته فيه امتدادا لحياته قبله . ولقد مضى هنا على العهد به أينما كان غير آل جهدا ولا ضنين بوقت يبحث ويمحص ، ويستنبط ويستخلص ، مشاركة لزملائه فى العمل الموصول والجهد المبذول .

وفى مجلة المجمع ، وبين قرارات اللجان التى اشترك فيها فيض من مباحثه ودراساته :
لقد كانت العربية أحب إليه من نفسه ، فلم يبخل عليها بحياته ، إذ كان يعلم أن مرضه عضال ، وأنه منه على خطر ماثل ، وكان طبيبه دائم النصح له أن يترفق بنفسه ، ويتخفف من عمله ما استطاع ، لكن حب العربية كان أغلب عليه ، وأقوى من إرادته

لذلك كان كلما سكت المرض عنه ، وخف وقعه عليه سارع إلى أوراقه وكتبه ، فأكب عليها ، وآتاها من فكره وذات نفسه بغير حساب . ولم يكن يفرح لشىء كفرحه إذ يأذن له الطبيب أن يدع مخدعه ليسعد بلقاء زملائه ، ويغاديهم بما عودهم من دراسات

ومن قبل هذا قضى من حياته المباركة خمسين عاما أو تزيد ، يعلم فى مدارس الدولة المتعددة ، ويحاضر طلاب دار العلوم ، ويشارك فى مناقشة الرسائل الجامعية فيها وفى كلية اللغة العربية ، فأخذ عنه فى المدارس طوائف شتى من المتعلمين ، وتخرج عليه أفواج إثر أفواج من المتخصصين فى اللغة العربية ، ثم انبث هؤلاء وأولئك هنا وهناك فى العالم العربى ، أصحاب عمل ، وحملة أمانة ، ومشارق نور ، ومناهل عرفان

وله مع ذلك كله مشاركة فى التأليف والتحقيق ، فله :

(١) رسالة فى لغة أقليم الشرقية ، وتقريبها من اللغة العربية ، وقد نشرت مرتين فى كتاب الشرقية .

( ٢ ) الأضواء النحوية والصرفية .

( ٣ ) مذكرات فى التحليل اللغوى .

( ٤ ) تحقيق الجزء السابع من كتاب نثر الدرر ، بتكليف من وزراة الثقافة .

( ٥ ) تحقيق أمالى ابن الحاجب .

أيها الراحل الكريم ، ياصديق العمر ، وياشقيق الروح ؛ لقد أرضيت ربك بما عملت من صالح ، وما قدمت من خير ، وأرضيت عشيرتك بما كنت تلطفهم به من بر ، ومن حنان ، وأرضيت زملاءك بما أبليت معهم فى المشاركة جادا مخلصا ، وما أحسنت فى المعاملة سمحا كريما ، وأرضيت قومك بما أسديت إلى لغتهم من صنيع : تيسيرا لصعب ، وتوضيحا لمبهم ، وحلا لمشكل ، وتداركا لفائت .

فنم فى جوار ربك قرير العين ، هانئ البال ، خالدا مخلدا فى نعيم الله ورضوانه ؛ أحسن الله جزاءك كما أحسنت عملك ، وأفاض عليك من رحمته كفاء ما قدمت من خير ، وأسديت من معروف ، أعلى فى الآخرين مقاملك ، وأنزلك منازل الأبرار والصديقين ، وحسن أولئك رفيقا .

## كلمة الأسرة للدكتور محمد عطيه الصوالحى

السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية :

السادة الأساتذة الأعضاء :

سيداتى وسادتى :

تشرفت قبل اليوم بحضور الحفل الذى أقمتموه لاستقبال أبى رحمه الله حين انتخبتموه عضوا فى مجمعكم الموقر ، وأوليتموه شرف الانتساب إليه ، فرأيت كيف يكرم العلم ، ويقدر الفضل ، ولا غرو فإنما يكرم العلماء العلماء ، ويقدر الفضل أولو الفضل .

وأتشرف اليوم بحضور الحفل الذى تقيمونه لتأبينه بعد أن اختاره الله إلى جواره فانتقل إلى مغفرته ورضوانه ، فرأيت مثل ما رأيت بالأمس من تكريم وتقدير ، ورأيت إلى ذلك كيف يكون وفاء الزملاء لذكرى الذين ينتقلون منهم إلى رحاب الله .

ولا غرو فى ذلك فأنتم القدوة خلقا وكرما كما أنكم الصفوه علما وفضلا . لقد فقد المجمع أبى عالما مجدا ، وزميلا مخلصا ، وفقدنا نحن فيه أبوة بارة رحيمة وصداقة غالية كريمة ، كان يرحمه الله يغمرنا بالعطف والحنان ، ويتعهدنا بالتفقد والرعاية ويعدنا بالعون والنصح والتوجيه ، كان لنا ملاذا وسندا ، وكان لنا فيضا ومددا ، وكان لنا نورا هاديا ، ورجاء صادقا ، وكان لنا قدوة حسنة ، ونعمة سابغة .

وأنى إذ أنوب عن أسرة الفقيد فى شكركم وإكبار فضلكم لأتوجه بالتقدير والعرفان إلى السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع والسادة الأساتذة الأعضاء والسيد الأستاذ الجليل على النجدى ناصف الذى أبن الفقيد ، فوفاه من التقدير والإعزاز حقه ، كما أتوجه بالدعاء الخالص إلى الله جلت قدرته أن يحسن عنا جزاءكم ويفيض على فقيدنا وفقيدكم سحائب رحمته ورضوانه إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

# كلمة وفاء

# للمستشرق المجرى الدكتور عبد الكريم جرمانوس في ذكرى فقيدي المجمع الدكتور طه حسين والأستاذ محمود تيمور

**أعترف** بكلمة الصوفيين : «الحياة حلم ، الموت هو يقظته » والمسلمون لا يهابون الموت أو يخافونه . وحتى الذين يشكون فى هذا الرأى فإنهم إذا ما انقطع حبل الحياة عندهم فإنهم ( يموتون ) ، فى حين يقولون عن المؤمن ( توفى ) ، لأنه يذهب إلى ربه . . إلى جنة الله ، حيث يأخذ ثواب حياته ، ويكسب نتيجة ماقدمه من عمل ، كهدف من أهداف الحياة . .

فلماذا يبكى وينعى المسلمون أمواتهم بصيحات الألم فى علو صوت وجهارة ؟ لماذا لا يطمئنون ويهدأون للمصير ، إذا ماذهب إلى رحاب الله سبحانه وتعالى أخ أو صديق برىء شريف ، قدم التضحية غاليا ؟ قد لا ينعون المتوفى الى رحمة الله تعالى ، لكنهم ينعون فقدانه ، ويعبرون بذلك عن آلامهم لهذا الفراق ، الذى سببه الموت .

إن أصدقائى العرب حاولوا أن يخففوا عنى الآلام حينما أخفوا عنى لشهور عدة أخبار الجرائد والمجلات المصرية والخطابات أيضا ، بل إنهم حاولوا بطريقة أو بأخرى أن يبعدوا عنى هذا الشك الذى أحسست به ، وهو أننى لن أرى فى حياتى مرة أخرى وجه صديقى العزيزين : الدكتور طه حسين ومحمود تيمور .

منذ عشرات السنين . . منذ كنت طالبا فى الجامع الأزهر الشريف ، الذى تجاوز عمره الألف عام ، حتى أصبحت أحد شيوخه ، ثم أستاذا فى جامعته . منذ بعيد عرفت محمود تيمور ابن العلامة الكبير أحمد تيمور باشا ، هذه الشخصية التى حبتنى بصداقتها الحارة منذ اللحظة الأولى التى تعرفت فيها عليها . لقد كان محمود تيمور منذ فجر شبابه من أشهر كتاب القصة المصرية ، ومن الكتاب المسرحيين ، وأحد أعمدة الفكر العربى القديم بكل ماتحمله من أصالة . إن كل الكتاب قد أحاطوا فى نتيجة هذا الحب الذى أولانى إياه معلمهم الكبير . إن حلقاته مع رجال الأدب والعلم ما زالت حتى اليوم هى المنهج لرجال العلم والمعرفة والتاريخ فى مصر .

لقد نشأ محمود تيمور فى رحاب مدارس الكبار من أمثال موباسان وتشيكوف وبورجيه . ومع ذلك فقد كان يضع نصب

عينيه دائما مواضيع القرية المصرية والشعب المصرى ، خاصة البسطاء منهم ، حيث ترجم أحاسيسهم فى أمانة وصدق . إننى لاأريد أن أخوض هنا فى تعريف أشكال أدبية إذ أن المجال لايسمح بذلك ، لكن ذكرى الموت لصديق كبير هى التى تدفعنى إلى ذكر ذلك.

فى بداية تعارفنا كتب محمود تيمور مقاله الطويل عام ١٩٦٩ فى العدد الحادى عشر — من المجلد السابع عشر من مجلة ( قافلة الزيت ) بتاريخ ذى القعدة ١٣٨٩ حيث صدر المقال فى المملكة العربية السعودية ، وقد ظهرت ترجمة مقاله باللغة المجرية فى مجلة ( الأفق ) فى عدد شهر سبتمبر من عام ١٩٧٠ . . إننى لأختار عدة فقرات من مقاله المذكور حيث تنم كلماته عن الحب والتقدير :

« الحاج عبد الكريم جرمانوس تواصل لقائى معه مرات متتالية ، أصيل كل خميس ، وكأن بيننا رباطاً من الصداقة منذ سنين مضت ، وما كان أمتع حديثه وهو يصف سفرته إلى الجزيرة العربية يتوخى بيت الله الحرام . لقد ركب هناك الجمل متمايلا على إيقاع سيره ، منشدا مما يحفظ من الشعر العربى وهو يهيم فى غيبوبة من النشوة بما للصحراء من رمال شاسعة ، وشمس ساطعة ، وبما يرح فيها من هواء طليق . . وما كان أطيب مقامه بين أهل الوبر ، ومنامه فى الخيام والأخبية ، يستمرئ هناك حياة السذاجة الهانئة .

وهيهات أن يطيب الحديث فى شأن ( الدكتور جرمانوس ) دون الإشادة بمعدته الهضوم ، ودون التنويه بطعامة المفضل الذى الذى فتن به أى فتنة ، ذلك هو الشواء . تذوق الشواء فى مصر فاستهواه ، وكان إذا طلب الشواء نطلق بالكلمة مطوله مفخمة منغمة ، وهو يمصمص شفتيه .

وإنى لمعترف بأن قصتى التى سميتها ( المستعين بالله ) ووصفت فيها أحد من شغفوا بالشرق وأهله ، كان استيحاؤها بالجملة من صديقنا عاشق الشرق والعروبة والإسلام . »

. . . . .

وينهى محمود تيمور حديثه بالعبارة التالية :

« والدكتور جرمانوس يستقبل اليوم الشطر الأخير من عشر التسعين ، وإنه لعمر بورك فيه طولا ، ولكن كسب الرجل وجهده وسعيه فى هذا العمر المبارك أنمى بركة وأوفى .

وإذا كان الدكتور جرمانوس قد أحب الشرق والعروبة والإسلام وأرضى حبه بعقله وقلبه وقلمه أحسن رضاء وأخلصه ، فإن المجامع اللغوية فى مصر وسوريا والعراق قد بادلته هذا الحب الصادق ، واختارته عضوا فيها .

وإن له فى قلوب كثير من الأدباء والمفكرين والمثقفين ممن صحبوه صديقا ، أو سمعوه محدثا ومحاضرا ، أو قرأوا له كاتبا ، مكانة الإعزاز والتكريم ، كإنسان حقيقى » .

هكذا كتب عنى محمود تيمور . . هذه الشخصية العبقرية التى أنتجت أكثر من ثلاثين مجلدا، انتشرت فى أماكن متفرقة من العالم بمختلف اللغات حيث تمت ترجمتها إليها. إننى قد نشرت بعضا من فقرات كتبه فى كتابى (تاريخ الأدب العربى)، لكننى لازلت أعود بذاكرتى إلى الوراء ، وعيناى مليئة بالدموع ، إلى ذكرى مقابلتنا فى القاهرة ، ولازلت أتذكر استقباله واحتضانه لى فى بيته قبل عدة شهور قليلة . واليوم بقلب مفجع أحس هذه الخسارة التى منينا بها .

أما الدكتور طه حسين فهو رئيس المجمع اللغوى بمصر العاجز النظر . وهو الجرىء، المحارب من أجل حق الكلمة . وهو أيضا الرجل العظيم الذى وضعت يدى فى يده حينما أبعدوه عن رحاب جامعة الأزهر، لما رأى بعينيه اللذين فقدهما أبعد مما رآه زملاؤه من الرجعيين . لكنه مع كل ذلك لم يتخل أبدا عن جرأته وشجاعته . فهو ككاتب بالصحف اليومية ، وكمؤرخ للأدب شق طريقا فى أدغال الجهل . وحينما أشرفت مصر والحركة الثقافية فيها أن تأخذ طريقها إلى الرف فتصبح مبعثرة مبعدة عن المجالات الأدبية الحيوية ، أنقذ الدكتور طه حسين التقاليد القديمة بأصالتها، ونفث من روحه فى الحياة المصرية، بما أسبغ عليها من التجديد وأبعد عنها التجمد والشلل الذى كان يمكن أن يحيق بالأدب العربى :

لكن مصر لم تنس ابنها الشجاع المقاتل من أجل أدبها ، فأصبح بعد ذلك وزيرا للتربية والتعليم المصرى ، ورفعته إلى مرتبة الباشوية، مع أنه لم يستعمل هذا اللقب طوال حياته، ثم قلدته منصب رئيس المجمع اللغوى المصرى حتى وفاته .

إننى سعيد وفخور بأنى أصبحت صديقا له. إننى فخور بأننى جلست إلى جانبه فى مقعد المجمع اللغوى المصرى، وبأن سنحت لى الفرصة بأن اشترك معه فى الأبحاث والمناقشات العلمية داخل رحاب المجمع. بل إنه رغم فقدان نور عينيه فقد شرفنى بخطاب خطه بيده لى . نشرت صورة له فى كتابى (تاريخ الأدب العربى) .

إن الدكتور طه حسين قد سمع صوتى الذى أوحى إلى به علمه ، وأحس دون أن يرانى عينا بعين بيدى المرتعشة وهى تصافح يده الكريمة ، لكنه لم يرها أبد . إننى كنت أنظر إليه باحترام كبير وشكر عميق ،

وقد علتني الدهشة وأنا أطالع نظارته السوداء. إن جسده الرقيق الناعم قد اختفى الآن من أمامي. سوف لا أطالع وجهه مرة أخرى، ولن أسمع بأذني حديثه العذب وهو يوجه الأدب العربي ومصيره وطريقه.

لكنني على يقين من أن روحه سوف ترافق مصير هذا الأدب ومستقبله.

عزيزيّ: محمود تيمور والدكتور طه حسين، إنكما ستعيشان داخلي دائما وإلى الأبد.

**الحاج عبد الكريم جرمانوس**
عضو المجمع المراسل من المجر

# من أنباء المجمع

**فقيد المجمع :**

استأثرت رحمة الله بروح المغفور له الاستاذ عطية الصوالحى عضو المجمع ، فى ١٩٧٤/٦/٣

وقد اقام المجمع حفل تأبين له فى ١٩٧٤/١١/٦ ، وألقى كلمة المجمع فى هذا الحفل الأستاذ على النجدى ناصف عضو المجمع ، وهى مثبتة فى هذا الجزء من المجلة .

**خبراء جدد :**

قرر مجلس المجمع اختيار بعض الخبراء الجدد للجان المجمع ، وهم :

| | |
|---|---|
| ● الدكتور السعيد محمد بدوى | للجنة اللهجات |
| ● الدكتور عبد الصبور شاهين | للجنة اللهجات |
| الدكتور زكريا البرى | للجنة القانون |
| ● الدكتور سليمان مرقص | للجنة القانون |
| ● الدكتور محمود مصطفى | للجنة القانون |
| الدكتور ثروت بدوى | للجنة القانون |
| ● الدكتور سعد مرسى أحمد | للجنة التربية وعلم النفس |
| ● الدكتور سيد عثمان | للجنة التربية وعلم النفس |
| ● الدكتور عطية عبد السلام عاشور | للجنة الرياضة |

**صلات المجمع الثقافية :**

● ● ورد الى المجمع كتاب من وزارة الخارجية المصرية ( قسم الوطن العربى ) صورة من كتاب مكتب العلاقات المصرية بدمشق ، مرفق بها نسخة من « موسوعة الخطوط السبكية » التى تبحث فى عشرة خطوط عربية جديدة ، وهى من تأليف الأستاذ صبحى السبكى ؛ وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٤/٥/٦ احالتها على لجنة تيسير الكتابة لدراستها ، وابداء الرأى فيها .

● ● كما ورد ـ ايضا ـ من وزارة الخارجية المصرية كتاب بشأن تشكيل لجنة فرعية منبثقة عن لجنة المؤتمرات والاجتماعات الدولية بوزارة الخارجية ، تسمى « اللجنة الفرعية للعلوم الانسانية » ؛ مهمتها دراسة الموضوعات الفنية فى هذا المجال ، وطلبت الوزارة اختيار ممثل للمجمع فى هذه اللجنة ، فاختار المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٤/٥/٢٠ الأستاذ محمد رفعت عضو المجمع .

● ● بعث الى المجمع الأستاذ عبد الوهاب الشيكر المدير العام لشركة الوكالات الموريتانية للخدمات المتنوعة بكتاب يشرح فيه مشروعه لتيسير طبع الحروف العربية ، مزودة بالشكل ، وأرفق بكتابه براءة اختراع مسجلة فى موريتانيا لهذا المشروع . وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٤/١٠/٧ احالة المشروع على لجنة تيسير الكتابة العربية لدراسته وابداء الرأى فيه .

● ● ورد الى المجمع كتاب من الهيئة المصرية العامة للتوحيد القياسى مرفق به نسخة من مشروع المواصفات القياسية المصرية ، الخاصة بالمصطلحات الفنية « للخردوات » المعمارية ، وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٤/١٠/٧ احالته على لجنة الهندسة لنظره وابداء الرأى فيه .

**ندوة المصطلحات النفطية :**

عقد اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ببغداد ندوة للمصطلحات النفطية فى المدة من ٢٦ الى ٣٠ من أكتوبر ( تشرين الأول ) سنة ١٩٧٤ وقد اقر فى هذه الندوة نحو ألف مصطلح فى كيمياء وجيولوجيا النفط . وتولى عرض هذه المصطلحات الدكتور محمد يوسف حسن الخبير بالمجمع . وقد حضر الندوة ــ الى جانب مجلس الاتحاد ــ ممثلون من البلاد العربية المعنية بشئون النفط .

**مسابقة المجمع :**

أعلنت نتيجة مسابقة المجمع لعام ١٩٧٤/١٩٧٣ ، وموضوعها :

« تاريخ الجمعيات والندوات الثقافية والأدبية فى قطر عربى ، فى عصر النهضة الحديثة » .

وفاز بالجائزة الأولى الأستاذ جمال عبد الحليم حسن .

كما أعلنت المسابقة الجديدة لعام ١٩٧٥/١٩٧٤ ، وموضوعها :

« قصة أو مسرحية نثرية أو شعرية عن بطولات حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ » .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

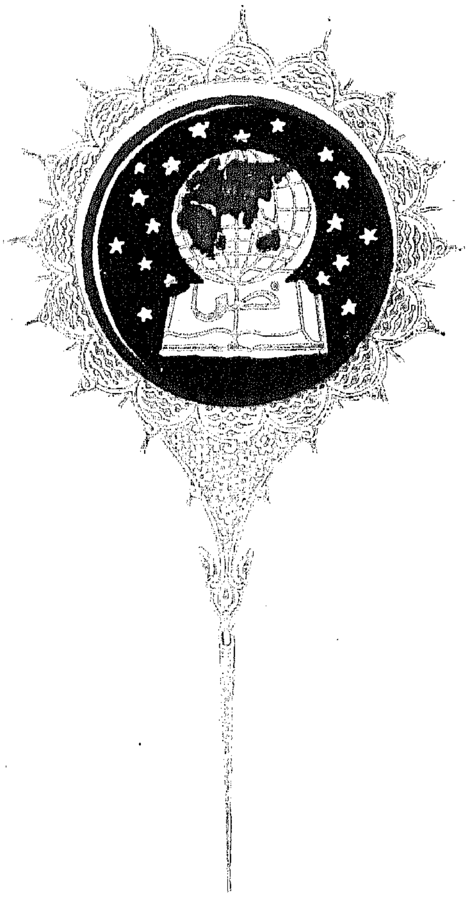
**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٥/٢٠٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠٨٨١-١٩٩٧-٢٠٠٠





# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء الثالث والثلاثون

ربيع الثاني ١٣٩٤هـ

مايو ١٩٧٤م

**مجمع اللغة العربية بالقاهرة**
٢٦ شارع مراد بالجيزة

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين فى السنة )

## الجزء الثالث والثلاثون

ربيع الثانى ١٣٩٤هـ - مايو ١٩٧٤م

المشرف على المجلة:

د. إبراهيم أنيس

رئيس التحرير:

إبراهيم الترزى

# الفهرس

## من أنباء المجمع :

# بسم الله الرحمن الرحيم

# تحذير

# دفرسوار

للدكتور إبراهيم أنيس

بروز

الاسم « دفرسوار » فجأة فى أثناء معركة رمضان ، وأصبح على كل لسان فى تلك الأيام المريرة ، مرتبطا — ويالسخرية القدر — باسم البحيرات المرة ! !

وجذبنى الاسم بوصفى لغويا جذبا قويا ، لغرابته أولا ، ولما يوحى به جرسه من صلة وثيقة باللغة الفرنسية ، لغة « ديليسبس » المهندس الفرنسى الذى خطط لمشروع قناة السويس ، وتولى تنفيذها مستغلا فى ذلك عرق العمال المصريين ودماءهم ! !

وشرعت أتساءل عن تأصيل الاسم « دفرسوار » الذى ظل وحده بين أسماء منطقة القنال ، يحتفظ بتلك المسحة أو السحنة الأجنبية عنا ! !

وبرغم ما كنت أعرفه عن الطريق الشائك الذى تحفّ به كل دراسة تعرض تفاصيل الأسماء أو الأعلام ، فهى دراسة جذابة جدا ، شائقة جدا ، تشد نحوها كثيرا من الباحثين فى اللغة شدا عنيفا فكأنها قوة مغناطيسية لا يستطيع معها فكاكا ، ولكنها مع ذلك محفوفة بالمزالق ومواضع الزلل .

وتذكرت ما قام به أحد علماء العربية فى أوائل القرن الرابع من الهجرة هو ابن دريد فى كتاب له مشهور سمّاه « الاشتقاق » ، وحاول فيه تأصيل الأعلام فى شبه الجزيرة العربية من أسماء القبائل والأمكنة . فأسرف على نفسه وعلينا ، وجاءنا بقدر كبير من الحدس والتخمين ، وبأصول ما أنزل الله بها من سلطان ، أصول لا يملك الباحث الحديث إزاءها إلا أن يبتسم أو يسخر لسذاجتها وما فيها من تكلف وتعنت ! !

وتذكرت كذلك تجربة مرت أمامى فى أثناء دراستى بلندن ، حين وفد إلى أستاذنا هناك طالب يابانى ، وقد بلغ به الحماس مبلغه إلى البحث فيما أسماه : الكشف عن الكلمات الإنجليزية التى دخلت اللغة اليابانية ! !

وظل يعمل شهورا عسى أن يعود بتلك الكلمات إلى أصولها من حيث الأصوات أى « فوناتيكيا » ، ومن حيث الدلالة أى « سمانتيكيا » ، ثم ظهر بعد الجهد المضنى أن الكلمات التى حسبها إنجليزية الأصل ليست إلا كلمات يابانية التقطها بعض البحارة الإنجليز فى سنين طويلة من شواطئ اليابان ، ثم « جلنزوها » أى خلعوا عليها صبغة إنجليزية أفقدتها كثيرا من معالمها الأصلية . فلما عادت تلك الكلمات إلى اليابان فى أفواه البحارة الإنجليز ، وفى صورتها الجديدة ، أنكرها أهلها ، ولم يتعرفوا عليها ، وظنها الطالب اليابانى إنجليزية الأصل . وهكذا ردّت إلى اليابان بضاعتها .

وكان أستاذنا حينئذ يحذرنا من عملية تأصيل الأعلام ، وينصحنا بأن نلتمس طريقنا معها على مهل ، ومع قدر كبير من الحيطة والتريث ، وطول التأمل والتفكير .

أقول : برغم كل ذلك وجدتنى لا أستطيع الفكاك من أسر الاسم « دفرسوار » وسحره ، وبدأت أفكر فى محاولة لتأصيله .

وكان علىّ فى هذه المحاولة أن ألجأ إلى بعض المشهور من المعاجم التاريخية للغة الفرنسية ، وإلى وثائق التاريخ الحديث ، ثم ربما فوق هذا وذاك ، إلى بعض من كتبوا عن جغرافيه هذه المنطقة . فشهدت عجبا ! !

فقد ظهر أولا من الخرائط التى رسمها « ديليسبس » للمنطقة قبل حفر القناة ، وهى الخرائط المحفوظة بمكتبة جامعة القاهرة ، والمنشورة تحت عنوان :
Percement de l'isthme de Suez

أن « ديليسبس » نفسه قد كتب فى مكان جنوبى « السرابيوم » ، الكلمة الفرنسية Réservoir ، وهو المكان المعروف الآن بالاسم « دفرسوار » ! !

وظهر كذلك من كتاب ألفه المهندس فؤاد فرج عن منطقة القنال ومدنها[1] ما نصه :

« وكانت البحيرات المرة قبل حفر القناة عبارة عن مستنقع منخفض حول قاعه غابة كثيفة من شجر الأثل اسمها العَمْبَق » .

وبالرجوع إلى المعجم العربى المشهور لسان العرب ، اتضح لنا مع الدهشة والاستغراب أن « العمبق » فى أغلب الظن من الكلمة العربية « العنبقة » بمعنى مجتمع الماء والطين ! ! ولا حاجة بنا هنا إلى التذكير بأن النون الساكنة التى بعدها « باء » تسمع فى آذاننا نحن أبناء العربية « ميما » .

نحن إذن إزاء منطقة عرفت قبل حفر القنال ، بأنها منطقة مستنقعات وبرك ، واستغلت فى فتح القنال كمستودع يملأ بالمياه وقت المدّ فيساعد على الملاحة ، أو كما يعبر المهندس فؤاد فرج فى كتابه بما نصه[2] :

«ووجود البحيرات المرة فى طريق المشروع يجعل منها حوضا طبيعيا مساحته ٢٨٠ مليون متر مربع اتسع عند ارتفاع المدّ بمقدار مترين فى البحر الأحمر ٥٦٠ مليون متر مكعب من الماء . وهذه تساعد الملاحة بشكل واضح لارتفاعها فوق منسوب مياه البحر الأبيض المتوسط » .

---

(١) المجلد الثانى ص ٢٥ . ( ٢ ) ص ٢٠٦ .

ثم رجعنا إلى المعجم التاريخى الفرنسى ( معجم روبير ) للبحث عن دلالة كلمتين هما :

(١) Réservoir وهى التى وجدت فى خرائط « ديليسبس » .

(٢) Déversoir وهى الكلمة التى قفزت إلى الذهن لأول وهلة ، وتبين لنا أن هذا المعجم يذكر بين معانى الكلمة الأولى معنى « بركة أو مستنقع » ، ويذكر أن من معانى الكلمة الأخرى « منفذ تنصب من كمية ضخمة من المياه التى فى قناة أو بركة » .

ويشير المعجم إلى أن بدء استعمال الأولى فى اللغة الفرنسية هو منتصف القرن السادس عشر ، وأما الكلمة الأخرى فلم تعرف فى الفرنسية إلا فى منتصف القرن الثامن عشر ! !

ووقفنا إزاء كل هذه المعلومات حائرين نتساءل : أى الكلمتين هو الأصل الأصيل للاسم دفرسوار ؟ ! ولم نجد مناصا من أن نفترض أحد فرضين :

أولهما : أن نختصر طريق البحث فنقول إن الكلمة Déversoir هى الأصل ، ولم يتغير منها إلا حرف الـ ( V ) الذى لا تعرفه العربية ، فأصبح فاء ، وإلا تعديل طفيف فى نظام المقاطع ، لأن المقطع ( Vers ) لا يقع أبدا فى وسط الكلمة العربية . فلما عدلت المقاطع إلى ما يتفق مع مقاطع لغتنا العربية أصبح المقطع الأول « دِفْ » ، والثانى « رِسْ » ! ! غير أنا ترددنا قليلا فى قبول هذا الفرض ، لما شاهدناه فى الخرائط من أن موقع مدينة الإسماعيلية يشبه تمام الشبه موقع المكان المعروف باسم « دفرسوار » ، فالأولى فى الطرف الشمالى الغربى من بحيرة التمساح ، والدفرسوار فى الطرف الشمالى الغربى من البحيرات المرة . ومع ذلك لم يطلق الاسم « دفرسوار » إلا على المكان الخالى ! ! هذا إلى أن المعجم الفرنسى لم يشر بين أمثلته — على غير ما كان متوقعا — إلى الكلمة Déversoir كمكان محدّد فى القنال ، مع أن الكلمة قد عرفت فى اللغة الفرنسية قبل فتح القنال بنحو قرن من الزمان ! ! .

ثانيهما : وأما الفرض الثانى ففى رأيى أنه أكثر احتمالا ، لأنه يعتمد أساساً على ما يشاهد فى خرائط «ديليسبس» ، ثم على ما وصفت به الطبيعة الجغرافية لهذه المنطقة قبل فتح القنال وبعد فتحها من أنها منطقة مستنقعات وبرك .

ويتحتم لذلك أن نقول إن الموضع الذى كتب عليه فى خرائط ديليسبس كلمة Réservoir قد ظهر لمهندسيه ومساعديه فى أثناء الحفر أنه موقع فيه بعض البرك والمستنقعات ، فاتخذوها بمثابة مستودعات للمياه ، وأطلقوا عليها التعبير الفرنسى Des Réservoirs ( دِرِسِرْفْوار ) ! ! ومن هنا جاء الاسم المألوف لنا الآن ! !

وعلى أساس هذا الفرض يمكن أن نوضح كيف أن « دِرِسِرْفْوار » قد صارت « دِفْرِسْوار » . وهنا أقرر مطمئنا أن الناطق العربى يعمد عادة إلى اختزال بعض مقاطع الكلمات المسرفة الطول ، فيسقط منها ما لا يخلّ بالمعالم الأصلية ، وكان ذلك يحذف المقطع الرائى الأول . فأصبحت الكلمة ( دِسِرْفْوار ) ثم حدث تعديل طفيف فى المقاطع وأصبح لدينا جذر رباعى فى أول الكلمة و « دِسْرِفْ » . وعن طريق تلك الظاهرة التى عرفت قديما باسم القلب المكانى ، ولدى الأوربيين باسم metathesis تغير ترتيب الحروف وأصبح الجذر الرباعى « دِسْرِف » على صورة « دفْرِس » وبقى المقطع الأخير للكلمة الأصلية وهو « وَارْ » كما هو فى كل الحالات!

وأما السرّ فى حدوث ذلك القلب المكانى فى ترتيب الحروف فنعزوه فى دراستنا الحديثة إلى اختلاف نسبة الشيوع بين السلاسل الصوتية فى جذور لغتنا العربية . وقد دلتنا على ذلك إحصاءات الحاسب الإلكترونى فى دراسة إحصائية حديثة لجذور لغتنا العربية مؤسسة على أشهر المعاجم العربية القديمة . ونتخذ نحن اللغويين هذه الإحصاءات الآن بمثابة المسطرة الحاسبة للمهندسين ! !

وبالرجوع إلى هذه الإحصاءات تبين لنا أن السلسلة الصوتية « دِسْرِف » أقل شيوعا ، وبشكل واضح من السلسلة الصوتية ( دِفْرِس » .

ولا عجب إذن أن السلسلة الصوتية الثابتة تسبق إلى اللسان العربي حين يحاول النطق بالسلسلة الأُولى ، ومن هنا جاء الاسم « دِفْرِسْوار » ! !

وليس مثل هذا الفرض بأكثر غرابة حين يقارن بما نعرفه عن المراحل المعقدة التي مرت بها بعض الأسماء والأعلام على ألسنة الجماهير فيما مضى . ويكفى هنا أن نتذكر أن مدينة « حلب » قد أصبحت فى ألسنة الأوربيين « أَلِبّو » ! ! وأننا كنا فى عهد قريب نسمع القاهريين يتحدثون عن « الأُورْنُس » فى العباسية ويريدون به الكلمة الإنجليزية ordnanc ! ! وربما من ذلك أيضا أن التعبير الإنجليزى Work - shop قد أصبح فى ألسنة المصريين « ورشة » .

وبعد : فلست أهدف من وراء هذا التأصيل إلا إلى تفجير المشكلة ! لعلّ هناك من يهدينا إلى ما لم يكن قد اهتدينا إليه ،

مايو ١٩٧٤ وبالله التوفيق

المشرف على المجلة

**ابراهيم أنيس**

# بحوث ومقالات

# العربية لغة العلم والتكنولوجيا

للدكتور ابراهيم مدكور

ربما ظن لأول وهلة أن هذا العنوان دعوى ، وكل دعوى لم يقم عليها دليل فأهلها أدعياء . والواقع أن هذا الدليل قد قام فى الماضى والحاضر ، فكانت العربية قديما لغة العلم يوم أن لم تكن له لغة سواها ، وها هى ذى تؤدى اليوم الرسالة نفسها ، وإن بدا فيها قصور ما ، فذلك عيب الناطقين بها ، ولاتسأل هى عنه فى شيء . وتعريب التعليم الجامعى من القضايا المثارة ، والمثارة بعنف فى العشرينات الأخيرة . ونخطىء إن زعمنا أننا لم نخط فى هذا السبيل خطوات وأستطيع أن أقرر أنها خطوات فسيحة ، إذا ماقيست بالزمن الذى قطعت فيه .

ويكفى أن أشير إلى جامعة الكويت الحديثة النشأة ، فقد أفادت من تجربة الجامعات العربية ودرست العلوم الإنسانية كلها بلسان عربى مبين ، من تاريخ وجغرافيا ، وتجارة واقتصاد ، وحقوق وتشريع ، وعلم نفس وتربية ، واجتماع وفلسفة . فلم نتردد فى ذلك ، كما صنعت جامعات عربية أخرى ، بين العربية وبعض اللغات الأجنبية من فرنسية أو إنجليزية ، وأقامت الدليل العملى على أن لغتنا كفيلة بذلك على خير وجه . وقدر لها أن تحظى بزمرة صالحة من الأساتذة الأجلاء ذوى الخبرة الطويلة ، فحملوا الرسالة وأدوا الأمانة أصدق أداء . وليس فى هذه الجامعة إلا كلية واحدة تدرس موادها باللغة الإنجليزية وهى : كلية العلوم . وتعد العدة لإنشاء كليتين إحداهما للطب والأخرى للهندسة ، وأتوقع أن يوضع سؤال لغة التدريس موضع البحث . ويقينى أن هذه الكليات الثلاث سائرة نحو ماانتهت إليه الدراسات الإنسانية .

وكم تذكرنى قضية تعريب التعليم بمشكلة أخرى أثيرت فى العشرينات الأولى من هذا القرن ، وهى مشكلة الثنائية بين العامية والفصحى ، والرغبة فى التخلص منها . فذهب فريق إلى الأخذ بالعامية ليسرها وانتشارها ، ويظهر أنه نظر إلى

(*) كلمة ألقيت بجامعة الكويت فى الربيع الماضى .

الموضوع من زاويته الخاصة ، ونسي أن هناك عاميات لاعامية واحدة ، فكيف نجمعها ويؤلف بينها ؟ ورأى فريق آخر ألابد من الاستمساك بالفصحى ، تقديسا للماضي ، وحرصا على جمع العروبة على بساط واحد ، وإبقاء على تراث من الخرق تبديده دون التأكد من بديل يحل محله .

وعندي أن هذا الحوار وهذه الخصومة لم تخل من خير وبركة ، فقد قادت إلى فصحى جديدة هينة لينة ، تعنى بالجلاء والوضوح . وتنفر من الشاذ والغريب ، وتمقت الصنعة اللفظية ، وتأخذ عن العامية كلما كان اللفظ عربي الأصل . وبذا ضاقت مسافة الخلف بين الطرفين ، وأصبحنا لا نحس بتلك الثنائية إحساسنا بها بالأمس . وتوفرت لدينا فصحى جديدة كتبت بلغة العصر وروحه ، وسلمت من العبارات الضخمة والجمل الطنانة التي شاعت في أخريات القرن الماضي وأوائل هذا القرن . ويقيني أن نشر التعليم والثقافة الشعبية ، والنهوض بوسائل الإعلام من صحافة وإذاعة سيقضي ذلك كله بتاتا على هذه المشكلة . وسبق أن لاحظت أن صوت أم كلثوم وغناءها قربا المسافة بين لغة تونس ولغة القاهرة ، وألاحظ اليوم أن الإذاعة الكويتية قربت كثيرا لهجة أهل الكويت من لهجة القاهريين . ومن العبث أن نعود مرة أخرى إلى الحديث عن هذه الثنائية ، فقد انقضى زمنها ، أصبحت غير ذات موضوع .

وهناك عبث آخر شبيه بهذا ، ويحمل رايته بعض إخواننا اللبنانيين الذين يتحدثون عما سموه اللغة الأساسية ، وهي في تقديرهم مزيج من العامية والفصحى ، ولست أدري في أي معمل أو صيدلية يتم هذا التركيب . وهل من سبيل لأن تصنع لغة ما صنعا ، وأن تفرض على الناس فرضا؟ إن الواقع والتاريخ يشهدان باستحالة ذلك ، وإن قوانين المجتمع تعارض هذا وترفضه . وهل فات أصحاب هذه « الروشتة » أن هذا المزج يتم عفوا وبطريقة طبيعية وفي لغتنا الدارجة عامية وعربية ، بل ألفاظ وتعبيرات أجنبية أيضا . والذي لاشك فيه أن هذه اللغة الدارجة أصبحت اليوم أسمى مما كانت عليه في أوائل هذا القرن ، وتضيق مسافة الخلف بينها وبين الفصحى باطراد ، وتلك سنة التطور اللغوي في كل المجتمعات .

وأملي كبير في أن يقطع تعريب التعليم الجامعي الطريق على هذا النحو ، وقد قطع فيه شوطا غير قصير . والمهم أن يتمكن العلماء من لغتهم القومية ، وإذا ما أجادوها ، ففي وسعهم أن يؤدوا بها كل ما يصادفون من معنى ، وكل مايجول في أذهانهم من فكرة .

للعلم لغة يؤدى بها ، ولاحياة له بدونها ، بها يشرح ويعلم ، وبها يكتب وينشر بين الناس . وتحيا اللغة العلمية بحياة العلم نفسه ، وتسير بسيره ، ولاسبيل لأن توجد في

مجتمع لايغذيها ولاينميها . والنهوض العلمى مقترن دائما بالنهوض الحضارى ، هكذا كان ، وهكذا يكون . فالعلم اليونانى وليد نهضة أثينا فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، والعلم الإسلامى ثمرة من ثمار العصر العباسى الأول ، وهو قمة الحضارة الإسلامية . والعلوم الأوربية امتداد للنهضة الحديثة ، وصدى لما قام به الأوربيون من كشوف ورحلات . وحركاتنا العلمية المعاصرة أثر من آثار يقظة القرن الماضى ، ونتيجة من نتائج ذلك الوعى الذى ينشد النهوض والتقدم .

ولغة العلم صنيع أهله ، فالعالم الذى يكشف الظاهرة أو يخترع الفكرة هو وحده الذى يحس بها ، ويحسن التعبير عنها ، ويحكم أداءها ، ومن الخطأ أن نفرض عليه لفظا ، أو نلزمه بصيغة معينة . وكلما كان متمكنا من لغته القومية ، استطاع أن يختار منها اللفظ الملائم والصيغة الدقيقة . ولغة العلم فى تطور مستمر شبيه بتطور اللغة الوطنية نفسها ، تتقدم بتقدم البحث ، وتنمو بنمو المادة العلمية . وتاريخ علم يكاد يتلخص فى تاريخ مصطلحاته ، ولكل عالم قدر من الألفاظ ابتكره والتزم به ، وكثيرا مايرجع خلاف العلماء إلى اختلاف على مدلول ألفاظ تباينوا فى فهمها وشرح المقصود منها . وهناك مصطلحات تبدو قلقة عند نشأتها ، ثم لاتلبث أن تركز وتستقر ، وأخرى تموت فى مهدها ولا يقدر لها حياة .

ومن اليسير توضيح هذه القضايا فى ضوء الماضى والحاضر ، فلم تنشأ لغة العلم فى الإسلام دفعة واحدة ، بل نمت على مر الزمن . بذرت بذورها فى القرن الأول الهجرى ، وفيه ظهرت مصطلحات فى الفقه والتشريع ، والتفسير والحديث ، والفرق وعلم الكلام . وتلتها فى القرن الثانى مصطلحات فى الأدب واللغة ، فى التاريخ والسياسة ، فى الأخلاق والاجتماع . فى الطب والكيمياء ، فى الفلك والهندسة . ولم تر هذه العلوم غضاضة فى أن يأخذ بعضها عن بعض ، وأن يستعين لاحقها بسابقها ، وهناك ألفاظ استعملت فى عدة علوم ، ولكن بمدلولات مختلفة .

وفى القرن الثالث الهجرى استكملت العلوم الإسلامية لغتها وانتشرت هذه اللغة فى العالم الإسلامى بأسره ، فرددت فى قرطبة والقيروان ، كما رددت فى الفسطاط ودمشق ، وأخذ بها فى البصرة والكوفة ، كما أخذ بها فى الرى وأصبهان ، وفى القرن الرابع الهجرى أصبحنا أمام علم إسلامى مكتمل له آراؤه ونظرياته ، وله لغته ومصطلحاته . وقد سجلت هذه المصطلحات فى مفردات ومعاجم مختلفة ، مثل : « كتاب الحروف للفارابى » ، « ومفاتيح العلوم للخوارزمى » منذ عهد مبكر ، وتلاهما

كتاب التعريفات للجرجانى » ، « وكشاف اصطلاحات العلوم للتهانوى » . واستطاعت هذه المصطلحات أن تغذى لغات أخرى، فانتقل قدر منها إلى الفارسية والتركية ، واستمسك ببعضها من ترجموا عن العربية إلى اللاتينية ، وامتد صداها إلى بعض اللغات الأوربية الحديثة .

واستعان المسلمون على وضع هذه المصطلحات بوسيلتين هامتين : أولاهما النقل ، وهو منهج مألوف فى اللغات جميعها ، فتنقل الكلمة من مدلولها الأصلى إلى مدلول جديد له به صلة ، وتستقر فيه . بحيث تصبح حقيقة عرفية ، وقد ينسى المدلول القديم ، ويحل محله المدلول الجديد وحده . والأمثلة على ذلك كثيرة ، نذكر من بينها الصلاة والصيام والزكاة فى الفقه ، والتمييز والاستثناء فى النحو ، والجامد والمشتق فى علم الصرف . والفرق بين الدلالة اللفظيـة والدلالة الاصطلاحية لهذه الكلمات واضح ومعروف . والوسيلة الثانية من وسائل تكوين المصطلح العلمى هى الوضـع ، ويراد به خلق لفظ جديد لأداء معنى خاص بالنحت والاختراع أو التركيب والجمع ، وأوضح صوره الاشتقاق . والعربية ولاشك لغة اشتقاقية ، يمكن أن يؤخذ فيها من مادة واحدة عدة ألفاظ لدلالات مختلفة ، كالفاعلية والمفعولية والصفة المشبهة وصيغة المبالغة ، واسم الزمان والمكان واسم الآلة والمصدر الصناعى . واستطاعت الصيغة الأخيرة أن تسعفنـا فى مواقف متعددة ، وبخاصـة فيما يتعلق بالدلالة على المذاهب والنظريات ، كالقدرية والجبرية ، والمادية والمثالية .

لم يقف علماء العربية عند النقل والوضع ، بل سلكوا سبيل التعريب عند الحاجة، فعربوا عن الفارسية والهندية ، كما عربوا عن السريانية واليونانية . والأمثلة على ذلك كثيرة أيضا ، واستطاع الخوارزمى أن يقدم منها فى كتابه « مفاتيح العلوم » نماذج لابأس بها . ويمكن أن يلاحظ بوجه عام أن الفارسية كثيرة الورود فى المستحدثات الحضارية والنظم الإدارية ، مثل « الرزمانة » وهى مسك حساب الخراج ، والدفتر والفهرست من مستلزمات الديوان ، والبريد الذى كان فى الأصل دابة تحمل الرسائل ثم أصبح الآن قطارا أو طيارة ، والدستور الذى نسى معناه القديم وأصبح لايراد به إلا دلالته القانونية الخاصة . ويلاحظ أيضا أن الألفاظ اليونانيـة والسريانية كثيرة الورود فى العلوم والفلسفة . فعن اليونانية أخذ لفظ « الناموس » و « السفسطة » فى الفلسفة ، والأرثماطيقى» و «الأسطرلاب» فى الرياضة والفلك ، و «القولون» وهو المعى الغليظ ، و «الترياق» وهو دواء السم فى الطب . وعن السريانية أخذ «الكيان» وهو الطبيعة فى الفلسفة ، و « البحران » فى الطب

وللعلوم الإسلامية تاريخ طويل يشرح نشأتها وتطورها ، ويبين مناهجها ونظرياتها ويشير إلى كبار رجالها وما وضعوا فيها من بحوث ومؤلفات . ولا سبيل لأن نستعرضها هنا ، ونكتفي بأن نقف قليلا عند علمين منها كان لهما شأنهما فى القرون الوسطى لدى العرب واللاتين على السواء ، وهما : الكيمياء والفلك .

وقد عنى المسلمون بالكيمياء عناية خاصة منذ عهد مبكر ، فشغل بها فى أخريات القرن الأول الهجرى خالد بن يزيد ، وهو من بيت الملك . وتفرغ لها فى القرن الثانى جابر ابن حيان ، وكون مدرسة خاصة عرفت فى الشرق والغرب . وقامت بتجارب عالجت فيها بعض الفلزات والقلويات ، وفرقت بين الترشيح والتقطير ، ووصلت إلى البلورة والتصعيد ، واستخدمت بعض الآلات كالكور والأنبيق ، والميزان ، وسمى علم الكيمياء جملة « علم الميزان» . وكان لهذه المدرسة شأن وتأثير على البحث الكيميائى لدى المسيحيين فى القرون الوسطى والتاريخ الحديث .

وفى أخريات القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى توسع أبو بكر الرازى فى الدراسات الكيميائية ، وصبغها بصبغة علمية دقيقة وهو دون نزاع أكبر كيميائى فى الإسلام ، عرف كيف يربط الكيمياء بالطب ، واستطاع أن يجعلها علما تجريبيا دقيقا ، فسبق بذلك التاريخ الحديث . عنى بتحليل العقاقير وهى عنده متنوعة : نباتية وحيوانية ، أحجار وأملاح غازية ومعدنية ، ووصف الآلات المستخدمة فى الكيمياء وصفا دقيقا ، كالمنفاخ ، والبوتقة والقدح والقنينة . وقام بتجارب شبيهة بالتجارب الحديثة فى التقطير والتصعيد ، فى التكليس والاحتراق ، وحضر بعض الأحماض بالتسخين كما حضر الكبريت وبعض الكحول بالتقطير .

ثم تلاه كيميائيون إسلاميون آخرون ، ويطول بنا الحديث إن وقفنا عندهم . والمهم أن هؤلاء الكيميائيين كانت لهم مصطلحاتهم الكيميائية ، فعرفوا الكبريت والزرنيخ ، والزئبق والنوشادر ، والراتنج والمغنيسيا ، والمغناطيس والأسفيداج . ولم يجدوا غضاضة مطلقا فى أن يستعملوا بعض الكلمات الأجنبية المأخوذة عن الفارسية ، أو عن السريانية واليونانية . ولا تزال هذه مستعملة بيننا ، وأخذ اللاتين والأوربيون منها قدرا أقروه واحتفظوا به .

أما الفلك فهو أحد علوم ثلاثة عنى بها المسلمون عناية خاصة ، وهى : الطب ، والكيمياء ، والفلك . ولا شك فى أنه كان للعرب فى الجاهلية بعض ملاحظات فلكية ، تتصل بالأنواء والعواصف ، وتقيس الزمن بطلوع الشمس وغروبها . ونرجح أنهم أفادوا شيئا من فلك البابليين والكلدانيين . وقد بدأت دراسة الفلك الإسلامى فى أوائل العهد العباسى ، ولعلها كانت مرتبطة بالعرافة والتنجيم . وأولع بها خاصة رجلان من كبار الخلفاء العباسيين أولهما : المنصور الذى اتجه نحو الفلك الهندى ودعا إلى ترجمة كتاب «السندهند» وكلف بذلك إبراهيم الفزارى أكبر الفلكيين فى عصره ،

وثانيهما : المأمون الذى اتجه نحو الفلك اليونانى ، وشجع على ترجمة كتبه، وله أبحاث فلكية متعددة ، من أهمها : محاولته قياس محيط الأرض وقد وصل فيه إلى نتائج مدهشة بالنسبة لعصره .

وفى الإسلام فلكيون كثيرون ، تعاصروا وتنافسوا ، وتلاحقوا جيلا بعد جيل ، وكانت لهم أعمال فلكية عرفت بهم . فظهر منهم فى القرن الثالث الهجرى : الكندى وأبو معشر البلخى ، وفى القرن الرابع : البتانى وابن يونس المصرى ، وفى القرن الخامس ابن الهيثم ، والبيرونى ، وفى القرن السادس ابن ماجة والبتروجى ، وفى القرن السابع الطوسى والقزوينى .

وأقام المسلمون ما أقاموا من مراصد ، ومن أشهرها : مرصد بغداد ، ومرصد الحاكم بالمقطم ومرصد المراغة وزودوها بآلات رصد خاصة ، فاستخدموا الأسطرلاب وذات الأوتار ، ودورة الرياح والبوصلة . واستطاعوا أن يتنبأوا فى دقة بالكسوف والخسوف ، ورصدوا الاعتدالين الربيعى والخريفى ، وضبطوا حساب السنة الشمسية بما لا يقل عما انتهى إليه العلم اليوم إلا بنحو دقيقة وثلاث وعشرين ثانية ، وقدروا محيط الأرض عن طريق قياس مساحة كبيرة بما لا يبعد عن الواقع كثيرا . وهنا أيضا عولوا فى لغتهم الفلكية على الألفاظ العربية أولا ، فإن لم تف بحاجتهم استعاروا بعض المصطلحات والألفاظ الأجنبية . وكان للفلك العربى شأن فى العالم اللاتينى ، قدره اللاتين حق قدره وأعجبوا برجاله ، ورغبوا فيه وترجموا معظم كتبه .

وفى ضوء ما تقدم نستطيع أن نقرر أنه كان للعرب علوم أولعوا بها ، وأنه ازدهرت لديهم حركة علمية لها منزلتها بين الحركات العلمية العالمية الكبرى ، ومما يؤسف له أن هذه الحركة لم تدرس بعد الدرس اللائق بها ، ولم تجمع مصادرها ، ولم تخرج إلى النور فى صورة مقبولة . فكان فى القرون الوسطى علم عربى مزدهر ، تعهده المسلمون ، وغذوه طوال عدة قرون . وأنشأوا له لغة خاصة به ، وقامت هذه اللغة على أساس متين من العربية ، وما أخذته عن اللغات الأخرى تبنته ، وأصبح جزءا منها . ويمكننا أن نقرر أن هذه اللغة كانت فى ذلك التاريخ لغة العلم الوحيدة فى العالم بأسره ، فيما بين القرنين الثامن والثالث عشر الميلادى . ثم انضمت إليها اللاتينية بعد ذلك ، أخذت عن العربية ، وأفادت منها . فترجم اللاتين قدرا من كيمياء جابر بن حيان وأبى بكر الرازى ، وعنوا برياضيات الخوارزمى وبصريات ابن الهيثم ، وفلك الميتانى والبتروجى وطب ابن زهر ، وعلى بن رضوان . شغلوا بالترجمة عن العربية نحو قرنين ، الثانى عشر والثالث عشر الميلادى ، واستعاروا بعض الألفاظ العربية كما استعار المسلمون من قبل بعض الألفاظ الأجنبية . ولا تزال الألفاظ العربية المستعارة باقية إلى اليوم فى اللاتينية ومن بعدها فى بعض اللغات الأوربية المعاصرة

أدت العربية رسالتها نحو العلم فى الماضى ، ولا يعز عليها أن تؤديها فى الحاضر ، وهى متهيئة لذلك تهيؤ اللغات العالمية الكبرى .

* * *

وشاء القدر أن تركد حركة البحث العلمى فى العالم العربى فيما بعد القرن الثالث عشر الميلادى ، وبقيت على ذلك نحو خمسة قرون ولم تستيقظ إلا فى أخريات القرن الثامن عشر وأوائل القرن الذى تلاه ، استيقظت فى مصر أولا بدافع من الحملة الفرنسية ، وبغذاء لم يستمر طويلا فى عهد محمد على ومن جاء بعده من خلفائه الأقربين . فأنشئت فى عهده مدارس للطب والصيدلة والهندسة ، ودرست فيها هذه العلوم بالفرنسية ومعها ترجمتها العربية ، ولا تزال بين أيدينا صور من هذه الترجمات التى حاولت أن تحل العربية محل الفرنسية . ولو قدر لهذه المدارس أن تبقى وتستمر فى أداء رسالتها لكان لتاريخ الحركة العلمية المصرية الحديثة شأن آخر . ولا يكاد يختلف الأمر فى الأقطار العربية الأخرى عن ذلك كثيراً اللهم إلا فى لبنان الذى أنشىء فيه منذ أكثر من مائة سنة جامعتان ، إحداهما أمريكية والأخرى يسوعية ، وكانت لهما معاً شبه رسالة دينية ، وحملا باطراد الطابع العربى ، ولم يعبرا فى الحقيقة عن علم عربى .

ولم تبدأ الحركة العلمية فى العالم العربى إلا فى القرن العشرين . فأنشئت الجامعة المصرية القديمة فى أوله ، وهى مدينة بنصيب ملحوظ لحركة الاستشراق . وتلتها فى مصر جامعات متعددة ، يبلغ عددها الآن سبعاً ، وازديادها مطرد . وتدرس فيها العلوم المختلفة ، من طب وصيدلة ، وكيمياء ، وفسيولوجيا ، نبات وحيوان ، جيولوجيا وزراعة ، رياضة وفلك . ويقدم قدر من هذه المواد حالياً باللغة العربية ولايزال قدر آخر يدرس باللغة الإنجليزية . وعلى غرار مصر سارت الأقطار العربية الأخرى . ولكل بلد عربى تقريباً جامعته أو جامعاته الخاصـــة ، وتدريس العلوم فيها على نحو ماجرى فى مصر ، فيعطى فى الأغلب بالإنجليزية أو الفرنسية ، اللهم إلا جامعة دمشق التى أخذت نفسها منذ عهد بعيد بتدريس الطب باللغة العربية .

ومن هنا نشأت مشكلة تعريب التعليم الجامعى ، ولها ما يحمل عليها ، لأنه لا سبيل لقيام حركة علمية حقيقية فى بلد إلا إن اعتمدت على اللغة الوطنية ، وبودنا أن يعرب العلم والتكنولوجيا فى الدرس والمحاضرة ، فى قاعة البحث والمعمل ، فى المصنع والمزرعة . وقد خطونا فى ذلك خطوات ملحوظة أسهم فيها الجامعيون بما ألفوا من كتب ، وبما ألقوا من دروس ، وقد عربت بالفعل بعض المواد فى كليات العلوم والهندسة ، وربما كان الأمر أيسر فى كليات الزراعة والطب البيطرى . وتبذل جهود فى سبيل تعريب التعليم فى كليات الطب والصيدلة ، والموقف هنا دون نزاع أدق وأعسر .

وإلى جانب هذه الجهود الجامعية لتعريب التعليم ، ينبغى أن نشير إلى ما تضطلع به

هيئات أخرى فى هذا المضمار . فأنشئت المجامع اللغوية والعلمية منذ نصف قرن أو يزيد ، ورأت ضرورة مسايرة العربية لمقتضيات العلم ومتطلبات الحضارة، وأسهمت فى ذلك ما وسعها . ويبدو أن مجمع القاهرة قد منح مشكلة اللغة العلمية عناية خاصة ، وشغل بها إلى درجة لعلها لم تتوفر لدي مجمع آخر ، فوقف عليها عدة لجان ، وتوسع فى النقل والوضع ، ويسر قواعدهما . وأقر التعريب كما أقره الأقدمون ، ونظمه وأحاطه بشيء من القيود والضوابط ، فاستساغه بوجه خاص فى المصطلحات ذات الطابع الدولى ، وفى أسماء أعلام الجنس ، وفى الألفاظ التى تعبر عن فصائل من النبات أو الحيوان. وأقر عشرات الآلاف من المصطلحات وأخرجها فى مجموعات معينة ، أو فى بعض المعجمات المتخصصة . ويسعده أن يلاحظ أن العلماء والمتخصصين يقبلون على مقرراته، ويستعينون بها فيما يكتبون ويؤلفون .

وفى العالم العربى أيضاً هيئات علمية متعددة ، من جمعيات واتحادات ، ومراكز بحث ومجالس علمية ، بل عمدت بلاد إلى إنشاء وزارات للبحث العلمى والتكنولوجيا . وتعنى هذه الهيئات كلها بالشكل والموضوع ، فتحاول أن تدفع البحث العلمى العربى دفعة قوية ، وترى أن من أهم وسائل هذا الدفع أن تطاوع اللغة العربية الباحثين والدارسين ، وأن تمكنهم من أن يعبروا عن كل مايدرسون ويكشفون . ولا بد للغة العلمية من أن تستقر وتتمكن ، وأن تنتشر وتتداول ، وأن يتلاقى عندها الباحثون العرب أجمعون. لهذا أخذت الهيئات العلمية نفسها بنشر صحف ومجلات تقدم بحوثها فى لغة عربية سهلة ، ونظمت ما استطاعت الندوات والمؤتمرات التى تجمع المتخصصين فى صعيد واحد ، وتربط جهودهم بعضها ببعض ، إن فى البحث والدرس ، أو فى تكوين لغة العلم ومصطلحاته. وأصبح لدينا من هذا كله زاد كفيل بأن يسد الحاجة ، وبأن يسمح بمتابعة السير .

* * *

فرهنت العربية إذن فى الماضى والحاضر على أنها ليست أقل استعدادا من اللغات العالمية الكبرى لمواجهة متطلبات العلوم والتكنولوجيا . أدت هذه الرسالة بالأمس فى أمانة ، يوم أن كان أبناؤها حريصين على أدائها . وعجزت عن أدائها حينا يوم أن انصرف العرب عن ذلك . ولا شك فى أنهم راغبون اليوم كل الرغبة فى استعادة مجدهم ، والإسهام بنصيبهم فى نهضة العلم وتقدمه ؛ ومتى تمكن الباحث والعالم من لغته وجد فيها وفاء لأداء كل ما يجول بخاطره . وتعريب التعليم الجامعى يستلزم لا محالة أن يعرّب الباحثون والعلماء أولا ، فيدرسوا لغتهم درساً كافياً يمكنهم من أن يكتبوا فيها ويتحدثوا بها فى يسر وطلاقة . ومنهم من يؤثر التأليف بالإنجليزية أو الفرنسية ، لأن عربيته لا تطاوعه على أن يكتب على نحو ما يحب ويهوى ؛ ويوم أن تتوفر فى اللغة الوطنية مكتبة شاملة

فى مادة من المواد ، يحس أهلها بأنهم ملكوا هذه المادة وأحسنوا التصرف فيها ، وهذا شرط آخر من شرائط تعريب التعليم الجامعى؟

على أننا أصبحنا نعيش فى عصر لا يستطيع باحث أو دارس أن يقنع فيه باللغة الوطنية وحدها ، بل لا بد له أن يضيف إليها لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية . وتستمسك الجامعات الكبرى بذلك ، وتطبقه فى دقة . وقد كان العلم ولا يزال لا وطن له ، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها . ويعول العلماء فى لقاءاتهم الدورية على أن يتبادلوا فيما بينهم ما كشفوه وما اهتدوا إليه ، وأن يربطوا خيوط البحث العلمى بعضها ببعض ؛ وبين العرب علماء يلدون لغتين أجنبيتين أو أكثر ، وعلى أمثال هؤلاء يعول فى دعم حركة التعريب والنهوض بها . بيد أنه يجدر بنا أن نصارح أنفسنا بما نحس به من نقص ، إن كنا نريد تداركه . ولا أظننا نختلف فى أنا نتزلج فى منحدر بغيض فى تعليم اللغات وتعلمها ، وأصبحت الغالبية العظمى من الشباب لا تجيد العربية ولا أية لغة أجنبية . لنبدأ من هنا إذن إن كنا نريد إصلاحاً على أساس متين ، ولا سبيل بدونه ، لا إلى تعليم ولا إلى تعريب .

**ابراهيم مدكور**

رئيس المجمع

# من الدراسات اللغويــــة في بعض الآيات القرآنيــة

للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

بسم الله الرحمن الرحيم :

آية من القرآن الكريم قد يقنع الإنسان فى التلاوة العابرة بما يلوح له فيها من معنى إجمالى ، يمكن أن يجرى سهلا مع بعض الأحكام العامة ، التى رسخت فى النفوس ، واستقرت فى الأذهان ، وكانت من القضايا البدهية التى يعرفها الخاصة والمثقفون ، ولا يجهلها العامة ولا الأميون ، من مثل أنه لايستوى العالم والجاهل ، والعامل والخامل ، كما لا يستوى الطيب والخبيث ، والجيد والردئ ، وكما لايستوى المؤمن والكافر ، ولا البر والفاجر

لكن القارئ المتبصر ، الذى يقرأ هذه الآية بتمهل وتدبر ، لابد — فى غالب الأمر — أن يستوقفه منها ما اشتملت عليه عباراتها وجملها من إجمال وتفصيل وإطلاق وتقييد وما إلى ذلك ، مما قضت حكمة الله تعالى أن يقيم عليه آيات كتابه العزيز .

فهذا القارئ المتبصر يقف عند ذلك ليبحث ويفكر ، ويتأمل ويتفهم ، يجمع لذلك وعيه ، ويعمل فيه فكره ، كى يقف على شىء من السر فى تصريف القول على الوجه الذى وردت به الآية الكريمة .

ولعله فى ذلك تدركه عناية الله تعالى ؛ فيدرك الغاية أو يقع قريبًا منها .

هذه الآية هى التى جعلناها موضوع الدراسة فى هذا البحث وهى قوله تعالى : «لا يَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ المؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ والمجاهِدُون فى سَبِيلِ اللهِ بأموالهم وأنفسهم ، فَضَّلَ اللهُ الْمجاهِدِينَ بأموالهم وأنْفُسِهم عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى . وفَضَّلَ اللهُ

الْمجاهِدِينَ عَلَى الْقَـاعِدِينَ أَجرًا عَظِيمًا ؛ دَرَجاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً ورَحْمَةً ، وكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا » . « النساء ٩٥ » .

... ... ... ... ... ... ... ...

قد ذكر المجاهدون فى هذه الآية ثلاث مرات بعبارات ثلاث متفاوتة ، بعضها أطول من بعض .

١ ـ ففى العبارة الأولى قيل : « والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » .

٢ ـ وفى العبارة الثانية قيل : « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » من غير كلمة فى سبيل الله .

٣ ـ وفى العبارة الثالثة قيل : « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » مقتصرًا فيها على كلمة « المجاهدين » فلم تذكر معها صلة « فى سبيل الله » ولا صلة « الأموال والأنفس » .

فهل هذه المغايرة فى التعبير لها تأثير فى المراد بالمجاهدين فى تلك العبارات الثلاث ؟

والجواب : أنه لاتأثير لها فى ذلك ، فإن المراد؛ المجاهدون فى سبيل الله بالأموال والأنفس فى كل من العبارات الثلاث ؛ غير أنه لكراهة التكرار مع العلم بالمحذوف والتصريح به أولا ، اقتصرت العبارة فى المرتين : الثانية والثالثة على الوجه الذى وردت به الآية .

وقد ذكر « القاعدون » فى الآية ثلاث مرات أيضا : ففى المرة الأولى قد وصفوا بأنهم غير أولى الضرر . أما فى المرتين الأخريين فلم يذكر هذا الوصف ، فهل الأمر فيهم على نحو ماقلنا فى المجاهدين ، فيكون المراد بهم شيئا واحدا فى العبارات الثلاث ؟

والجواب : أن جمهور المفسرين على أن الأمر فى « القاعدين » ليس كذلك ، فإنه لايمكن أن يكون المراد بهم فى كل من العبارتين « الثانية والثالثة » نفس القاعدين غير أولى الضرر ، كما أريد بهم ذلك وصرح به فى العبارة الأولى .

نعم لا يمكن أن يكونوا هم الذين فضل الله المجاهدين عليهم درجة واحدة وأن يكونوا هم أنفسهم الذين فضل المجاهدين عليهم درجات كثيرة .

ومن هنا اختلف العلماء فى تأويل هذه الآية :

فقال « الجلال السيوطى » – كما قال « ابن جرير الطبرى » – إن كلمة « القاعدون » فى الجملة الأولى : « لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أُولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » مراد بها المعنى الظاهر من اللفظ ، أى الذين لم يخرجوا للجهاد وليسوا من أُولى الضرر ، فتكون الآية قد ذكرت هؤلاء بهذه الصفة الخاصة وأرشدت إجمالا إلى حكمهم وأنهم ليسوا مساوين للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم .

إن حمل الكلمة فى الجملة الأُولى من الآية على مايعطيه ظاهر اللفظ من غير تقييده بشىء غيرماورد فى الآية من أنهم غير أُولى الضرر هو تفسير مقبول ومعقول .

لكنه قد يقال : إن عدم مساواة القاعدين الذين لايشتركون فى الجهاد بنفس أو مال للمجاهدين الذين يبذلون فى ذلك أنفسهم وأموالهم أمر ضرورى ومعلوم لايحتاج إلى نص عليه .

والجواب : أن النص على عدم المساواة بين فريقى القاعدين والمجاهدين ليس المقصود به أصل الإخبار بعدم هذه المساواة بينهما ، وإنما المقصود به استنهاض القاعدين ورفع همتهم عن الركون إلى تلك المنزلة الضعيفة التى ليس فيها صلاح دنيا ولا عزة دين .

ثم إن كلامن «الطبرى» و «السيوطى» يفسر كلمة « القاعدين » الواردة فى الجملة الثانية من الآية – وهى قوله تعالى : « فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعَدَ اللهُ الحُسْنَى » – بأن المراد بها القاعدون أولو الضرر ، فهم الذين فضَّلَ الله المجاهدين عليهم درجة واحدة ، كما روى ذلك عن ابن عباس والبراء وغيرهما .

أما فى الجملة الأخيرة – وهى قوله سبحانه ( وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ) فإنه المراد بهؤلاء القاعدين هم غير أُولى الضرر ، وهم الذين صرحت الجملة الأولى إجمالا بعدم مساواتهم للمجاهدين ، فهؤلاء قد شرحت الآية فى الجملة الأخيرة حكمهم بطريق البيان التفصيلى ، وقررت مبلغ التفاوت بينهم وبين المجاهدين فى الأجر والثواب .

هذه طريقة « ابن جرير والطبرى والجلال السيوطى » فى تفسير الآية .

وقد يقال : إن تفسير القاعدين فى الجملة الثانية بأنهم القاعدون أولو الضرر ؛ تفسير غريب يؤدى إلى أن تنحرف الجملة عما هو الشأن الذى عهد فى نظائرها ، وهو الذى يقضى به الأسلوب الجيد فى فصيح اللغة العربية .

ذلك أن الشأن فى مثل الأسلوب الذى وردت به الآية الكريمة من نفى المساواة إجمالاً بين أمرين ثم إتباع ذلك بتفصيل يرتبط بذلك النفى — أن يكون هذا التفصيل بيانا لحكم التفاوت بين الأمرين وإرشاداً إلى سر عدم التساوى بينهما ؛ كما أنه لابد أن يكون الأمران اللذان قد بين حالهما فى التفصيل هما بعينهما الأمرين اللذين قد نفى التساوى بينهما أولا فى الإجمال .

١ — وذلك كما فى قوله تعالى :
(لايستوى أصحابُ النارِ وأصْحَابُ الجنَّةِ ، أصحابُ الجَنَّةِ هُمُ الفائِزُونَ )الحشر — ٢٠

فالجملة الأولى من هذه الآية قد نفى بها إجمالاً الاستواءُ بين أصحاب النارِ وأصحاب الجنة ، والجملة الثانية بَيّن بها تفصيلا حال الفريقين وأن الفوز فى الآخرة مقصور على أصحاب الجنة وليس لأصحاب النار حظ فيه .

٢ — وكذلك قوله تعالى : « لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكُلاًّ وعد اللهُ الحُسْنى »الحديد (١٠).

فإن الجملة الأولى من الآية قد نفى بها الاستواء بين مَنْ أنفق من قبل فتح مكة وقاتل ، ومن أنفق وقاتل بعد الفتح . وقد أضمر فى الآية هذا المقابل الثانى وهم من أنفق وقاتل بعد الفتح . للعلم به والدلالة عليه فى البيان التالى .

وهذا البيان التالى هو التفصيل المرتبط بالجملة الأولى ؛ التى نفيت فيها المساواة بين الفريقين . وقد أرشد هذا التفصيل إلى مبلغ التفاوت بينهما فى الأجر والثواب .

٣ — ومثل ذلك أيضا قوله تعالى : « أَفَمَنْ كَانَ مؤمنا كمن كَانَ فَاسِقًا ، لا يستوون »( السجدة ١٨ ) فقد نفيت المساواة بهذه الآية إجمالا بين المؤمن والفاسق ثم أتبع ذلك بالتفصيل الذى بين به حالة كل منهما وما آل إليه أمرهما بسبب اختلافهما بالفسق والإيمان ، وذلك فى قوله تعالى : « أَمَّا الَّذِينَ آمنوا

وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نُزُلاً بما كانوا يعملون » وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيلَ لَهُم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون » . ( ١٩ ، ٢٠ السجدة ) .

هذا هو الشأن فى استعمالات اللغة العربية الفصيحة وأساليبها الجيدة : إنه إذا حكم بنفى المساواة بين أمرين ، ثم أتبع ذلك بتفصيل يبين سرّ عدم المساواةِ بينهما ، ويُرشد إلى أصل ذلك وما يؤُول إليه أمر عد القبيلين المختلفين غير المتساويين ، فإنه لابد أن يكون الأمران المتقابلان فى ذلك البيان التفصيلى هما عين المتقابلين فى الحكم الذى قرر عدم المساواة بينهما بطريق الإجمال .

ومن هذا يعلم أن تفسير الآية على الوجه الذى اختاره «الطبرى» و «الجلال» لايتمشى مع الاستعمالات الجيدة فى فصيح اللغة ، ولا يحقق ما يقضى به الأُسلوب الذى أشرنا إليه آنفا .

ذلك أنه يجعل « القاعدين » فى الجملة الثانية من الآية مرادا بهم « القاعدون أُولو الضرر» ، على خلاف ما أُريد بهم فى الجملة الأولى ، وعلى خلاف مايفيده نظام الجملتين اللتين رتبت فيهما الثانية على الأولى بغير العطف ، ذلك الترتيب الذى هو ظاهر فى أن الجملة الثانية قد وردت بيانا تفصيليا لما أُجمل فى الجملة الأولى على نحو ماجاءت به الآيات الكريمة الى قد مناها .

وخلاصة القول أن طريقةَ « الجلال » و «الطبرى» فى تفسير هذه الآية قد جعلتها مخالفة للمعهود فى نظائرها ، ولما هو الشأن الذى يقضى به الأسلوب القويم فى فصيح اللغة العربية وفقاً للأُصول البلاغية المقررة فى باب الفصل والوصل ، من علم المعانى .

## رأى الزمخشرى صاحب الكشاف
## ج ١ ص ٣٨٢

وقال الزمخشرى فى تفسير الآية مانصه :

« فضل الله المجاهدين » جملة موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين ، كأنه قيل : مالهم لايستوون ؟ فأجيب بذلك ، والمعنى : « على القاعدين غير أُولى الضرر » لكون الجملة بيانا للجملة

الأُولى المتضمنة هذا الوصف . « وكلا » كل فريق من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى ) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة ، وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة .

ثم قال : وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد خلفتم بالمدينة أقواما ماسرتم مسيرا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم ، وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم (١) وكانت أفئدتهم تهوى إلى الجهاد ، وبهم مايمنعهم من المسير من ضرر أو غيره » .

ثم أتبع ذلك بقوله :

فإن قلت « قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ، ومفضلين درجات فمن هم » ؟ قلت . أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا عن القاعدين الأضراء. وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم فى التخلف اكتفاءً بغيرهم ، لأن الغزو فرض كفاية »ا هـ .

ومن هذا يعلم مبلغ مافى رأى الزمخشرى من الاضطراب :

(أ ) فهو يقرر أولا : أن المراد بالقاعدين فى الجملة الثانية من الآية - وهى قوله تعالى : « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » - هم القاعدون المذكورون فى الجمله الأُولى ، وهم القاعدون غير أُولى الضرر ، لأن الثانية جاءت بيانا للجملة الأُولى المتضمنة هذا الوصف .

هذا صريح كلامه عن الجملتين الأولى والثانية .

(ب) ثم يقرر صراحة أيضاً فى موضوع التفضيل درجة والتفضيل درجات ، أن المفضلين درجة واحدة . هم المفضلون على القاعدين الأضراء ، أما المفضلون درجات فهم الذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم فى القعود اكتفاءً بغيرهم ، لأن الغزو لم يكن حينئذ فرض عين ، وإنما هو فرض كفاية .

فهو يقرر فى آخر كلامه أن المفضل عليهم درجة واحدة هم

(١) نصحت جيوبهم ، أى صفت صدورهم وطهرت قلوبهم من الفسق والخداع . والجيوب جمع جيب وهو فتحة القميص على النحر ، وذلك كناية عن نقاء السريرة وطيب القلب .

القاعدون أصحاب الأضرار على حين أنه فى أول الكلام – يقول إن المراد بالقاعدين فى الجملة الثانية التى جاءت بيانا للجملة الأولى هم القاعدون غير أُولى الضرر . وهذا تضارب فاحش لاندرى كيف صدر من العلامةِ الزمخشرى .

(ج) ثم يلاحظ أخيرا أنه فيما بين الكلامين : الأول والأخير قدأورد الزمخشرى حديث : « لقدخلفتم بالمدينه أقواما . » إلى آخره ، وظاهرٌ أن هذا الحديث إنما يحسن إيراده حيث يكون الكلام عن القعود عن الجهاد بسبب الأضرار والأعذار ، ولكن المفسر قد أورده عقب قوله : إن المراد بالقاعدين هم القاعدون غير أُولى الضرر ، وليس هناك ذكر لقاعدين أُولى أضرار أوأصحاب أعذار .

وهذا شيءٌ يضاعف حالة الاضطراب والتضارب التى وقعت فى كلام العلامة «الزمخشرى » .

## تفسير النسفى ج ١ ص ١٩٠، ١٩١

وقد وقع النسفى « فى الاضطراب والتضارب مثل ماوقع « الزمخشرى » فقد تابعه فى طريقته وكبا كبوته إذ قال فى تفسير قوله تعالى : « فَضَّلَ اللهُ المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علىالقاعدين درجة » مانصه : « ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الأولى موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين ، كأنه قيل ماالهم لا يستوون ؟ فأُجيب بذلك » ، ثم قال : «وفضل الله المجاهدين على القاعدين بغير عذر أجرا عظيما » درجات منه ومغفرة ورحمة ،ثم ختم المفسر كلامه بقوله : « وحاصله أن الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين بعذر درجةواحدة، وعلى القاعدين بغير عذر – بأمرالنبي عليه السلام... اكتفاءً بغيرهم درجات ، لأن الجهاد فرض كفاية » . اهـ .

فهو يقرر أولا أن القاعدين الذينفضل الله عليهم المجاهدين درجة واحدة هم القاعدون غير أُولى الضرر ، وهم الذين ورد ذكرهم فى الجملة الأُولى التى نفى فيها الاستواء بين القاعدين والمجاهدين ،

لأن الجملة الثانية جاءت بيانا للأولى ، موضحه لما أجمل فيها من عدم الاستواء

ثم يقرر أخيرا أن القاعدين الذين فضل الله عليهم المجاهدين درجة واحدة هم القاعدون أولو الضرر . أما الذين فضل الله المجاهدين عليهم درجات فهم القاعدون ، بغير عذر بأمر النبي صلى الله عليه وسلم اكتفاء بغيرهم . وهذا هو التضارب والاضطراب .

## طريقة أبي السعود فى تفسير الآية

[ قد أراد العلامة أبو السعود أن يتفادى من ذلك الاضطراب وينجو بكلامه مما وقع فيه « الزمخشرى والنسفى » فقال [ما خلاصته إن المراد بالقاعدين فى الجمل الثلاث فريق واحد هم القاعدون غير أولى الضرر وقد أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى القعود اكتفاء بغيرهم :

فهم فى الجملة الأولى قد حكم بأنهم لايساوون المجاهدين وجاءت الجملة الثانية بحكم تفصيلى لما أجمل فى الجملة الأولى من عدم المساواة ؛ فبينت أن المجاهدين مفضلون على القاعدين درجة وأن هؤلاء القاعدين غير محرومين من الأجر والثواب ، إذ أن الله تعالى قد وعد كلا من الفريقين الحسنى وهى الجنة .

« قال أبو السعود » وليس المراد بالدرجة التى فضَّل الله بها المجاهدين على أولئك القاعدين أنها درجة واحدة بالشخص ولكنها جنس واسع يشتمل على درجات ومراتب كثيرة من الأجر والثواب . وبذلك لايتعارض ماتضمنته هذه الجملة الثانية من التفضيل درجة وماجاءت به الجملة الأخيرة التى تقول : « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما ». ]

وقد بين ذلك الأجر العظيم بقوله تعالى « درجات منه ومغفرة ورحمة » .

وعلى هذا يكون التفضيل درجة هو] التفضيل درجات ، وتكون الدرجة والدرجات شيئا واحدا فى الحقيقة ، ولكنه يختلف بالإجمال والتفصيل . هذا ملخص ماقاله أبو السعود فى تفسير الآية (١) .

ونحن نرى أن هذا تأويل بعيد لا يتبادر إلى الذهن ، ولا يستقيم جيدا فى الفهم ، ولا ينبغى أن يسار عليه فى تفسير الآية الكريمة .

---

(١) يراجع فى ذلك تفسير أبي السعود المطبوع على هامش تفسير الفخر الرازى ج ٣ ص ٢٤٥ - ٢٥١ .

ثم يقول أبو السعود : « إنه يحتمل أن يكون التفضيل درجة والتفضيل درجات أمرين مختلفين بالحقيقة ، وأن المراد بالدرجة درجةٌ واحدة هى ما يرجع إلى النعم الدنيوية ، أما الدرجات الكثيرة فهى أنواع نعيم الآخرة وثوابها .

وهذا أيضًا تأويل بعيد ، ومحاولة للتوصل إلى جعل التفضيلين : تفضيل الدرجة وتفضيل الدرجات جميعا على فريق واحد هم القاعدون الذين ذكروا فى الجمل الثلاث ، وهم الذين يقول « أبو السعود » : إن المراد بهم جميعا القاعدون غير أولى الضرر، وقد أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى القعود اكتفاءً بغيرهم .

إن ذلك تكلف غير مقبول ، ولا سيما إذا لوحظ ما فى الجملة الثانية التى تقرر التفضيل درجة ، وهى قوله تعالى « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى » فإن المراد « بالحسنى » المثوبة الجميلة وهى نعيم الجنة . وبذلك يكون التفضيل درجة والتفضيل درجات جميعه فى الآخرة ونعيمها .

وبعد ؛ فإنه إذا كان أبو السعود قد استطاع أن يتفادى ما وقع فيه « الزمخشرى والنسفى » من الاضطراب والتضارب ، فإنه اضطر فى سبيل ذلك أن يلجأ إلى تلك المحاولات والتكلفات غير المقبولة .

أما ماجاء فى تفسير الفخر الرازى والنيسابورى وتفسير الألوسى ؛ فإنه لا يبعد عما أوردناه من تفسير أبى السعود ، وإذًا لا داعى إلى الإطالة بذكر ما قالوه فى ذلك .

وهناك رأى آخر فى تفسير الآية يشبه إلى حد ما ما قاله أبو السعود : يشبهه فى أصله وأساس مبناه ، ولكنه يخالفه فى حقيقته وجوهر معناه ، ولعله يكون أحق منه بالقبول .

وحاصله أن يحمل « القاعدون » فى الجمل الثلاث على غير أولى الضرر لكنهم فريقان :

فريق أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى القعود وعدم الخروج مع المجاهدين فى تلك « الغزوة » ، غزوة بدر ، لأن الخروج إليها كان فرض

كفاية ، وقد رأى عليه الصلاة والسلام فيمن خرج إليها الكفاية، ثم أنه صلى الله عليه وسلم، لابد أن يكون قد رأى الحكمة فى عدم خروج هؤلاء الذين أذن لهم فى القعود ، لأنهم - وإن لم يكونوا أولى ضرر فى أنفسهم - قد تكون هناك حاجات مهمة تدعوهم إلى القعود .

وذلك كما تخلف « عثمان بن عفان » رضى الله عنه بإذنه عليه الصلاة والسلام، لقيامه بتمريض زوجته السيدة « رقية » بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد بقى معها حتى توفيت رضى الله عنها .

وكذلك رد عليه الصلاة والسلام « أبا لبابة بشير بن عبد المنذر » من الروحاء لما بلغه خروج النفير من « مكة » واستعمله على المدينة .

والفريق الآخر من القاعدين غير أولى الضرر هم الذين لم يسبق لهم إذن من الرسول صلى الله عليه وسلم بالقعود ، ولكنهم قعدوا لعلمهم بأن الخروج ليس فرض عين ، وهم مع ذلك مخلصون صادقو الإيمان ، ويتمنون فى قرارة أفئدتهم أن ينصر الله المسلمين على أعدائهم الكافرين .

وعلى هذا يكون نظم الآية فى جملها الثلاث متسقا هكذا غاية الاتساق :

فالجملة الأولى نفت المساواة بين القاعدين غير أولى الضرر والمجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وهذا الحكم بعدم المساواة يشمل فريقى القاعدين ؛ أى الذين أذن لهم فى القعود والذين لم يسبق لهم مثل هذا الإذن .

ثم جاءت الجملة الثانية بطريق الفصل من غير أن تعطف على ما قبلها ، لأنها بيان تفصيلى لما أجمل فى الجملة الأولى من الحكم بعدم المساواة ؛ وهذا هو ما تقضى به البلاغة فى شأن الجملة التى تقع بيانا لما تضمنته جملة قبلها .

هذه الجملة الثانية : « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » قد بينت فضل المجاهدين على الفريق الأول من القاعدين غير أولى ، وهم الذين قعدوا بإذن من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأفادت

(١) يراجع فى ذلك كتاب البداية و النهاية ج٣ ص ٣٢٧ .

أن المجاهدين مفضلون عليهم درجة واحدة ، إذ أن حال هؤلاء القاعدين قريب جدا من حال أولئك المجاهدين حيث إنهم كانوا يودون الخروج معهم للجهاد بأنفسهم ، ولكن رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن من الحكمة أن يبقوا فى المدينة للحاجات المهمة التى تقتضى هذا البقاء كما قدمنا الإشارة إلى ذلك .

ومع أن المجاهدين فضلوا عليهم درجة قد وعدهم الله الحسنى وهى الجنة ، كما وعد المجاهدين بقوله سبحانه : « وكلا وعد الله الحسنى » .

أما الذين لم يسبق لهم إذن من الرسول صلى الله عليه وسلم فى القعود ، فهم الذين بنيت الجملة الأخيرة حالهم وإن المجاهدين مفضلون عليهم درجات كثيرة ، وذلك قوله تعالى :

« وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا . درجات منه ومغفرة ورحمة ».

وبذلك علم حال القاعدين غير أولى الضرر : المأذون لهم والآخرين .

أما أولو الضرر فى أنفسهم كالهرم والزمنى والمرضى وذوى العاهات التى تعجز بها أصحابها عن إمكان الخروج مع المجاهدين ، وكذلك من ليس لهم من المدة ما يمكنهم من الاشتراك فى الجهاد ؛ فإن الآية لم تصرح فى جانبهم بحكم ، ولم تبين حالهم بالنسبة إلى المجاهدين كما صنعت فى جانب غير أولى الضرر فما هو حكمهم ؟ وما جزاؤهم ؟ وهل يمكن أن يقال بوجه ما من القول : إنهم يساوون فى الأجر والثواب أولئك المجاهدين ؟

إن جواب هذا هو من المواطن التى اختلفت فيها أنظار المجتهدين ، وذلك أن الآية التى حكمت بنفى المساواة بين المجاهدين والقاعدين ، قد وصفت هؤلاء القاعدين بأنهم غير أولى الضرر ، فهل لهذه الصفة مفهوم مخالفة يقتضى ثبوت نقيض الحكم المنطوق الذى هو عدم المساواة فى حال زوال تلك الصفة ، وحينئذ تثبت المساواة ؟ أو أن ذلك المفهوم مسكوت عنه ، فهو فى مقام الاحتمال ؟ يجوز أن يثبت له نقيض

الحكم المنطوق ويجوز أن يكون الثابت له خلافه ؟

من المجتهدين من سار على الطريقة الأولى ، وحكم بأن القاعدين أولى الضرر يساوون فى الأجر والثـــواب أولئك المجاهدين .

وقد يستند هذا الفريق من المجتهدين فى ذلك أيضا إلى ما ورد من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد خلفتم بالمدينة أقواما ، ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ، وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوى إلى الجهاد ، وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره » .

أما الفريق الآخر من المجتهدين فإنه يرى أنه ليس فى الآية ولا فى الحديث ما يفيد الجزم بمساواة القاعدين أولى الضرر للذين خرجوا بالفعل مجاهدين فى إخلاص وصدق إيمان ، فإنه لا يستوى العاملون وغير العاملين ، وإن كان هؤلاء الذين لم يعملوا لم تتوافر لهم وسائل العمل وضروراته ، أى أنهم غير مفرطين. فحكم أولى الضرر عند هذا الفريق من المجتهدين أنهم بالنظر إلى النصوص التى ذكرناها آنفا – فى محل الاحتمال : يجوز أن يكونوا مساوين للمجاهدين فى الأجر والثواب .

ويجوز أن يكونوا أقل منهم فى هذا الجزاء .

ورأينا أن وجهة نظر هذا الفريق من المجتهدين أدق وأحكم وأولى بالاتباع . والله أعلم .

**عبد الرحمن تاج**
عضو المجمع

# الفارسىّ في الإغفال

## للأستاذ علي النجدي ناصف

ألف أبو إسحاق الزجاج — فيما ألف — كتابا فى معانى القرآن ، يعرض فيه بالبيان والإعراب لآيات الكتاب العزيز التى يتطلب فهم معانيها وإعراب أساليبها فضلا من التأمل وإنعام النظر ، ثم جاء أبو على الفارسى أبعد تلاميذ الزجاج شهرة ، وأعمقهم فى العربية فلسفة ، فألف كتابا يعرف بالإغفال ، ينقد فيه كتاب شيخه فى معانى القرآن ، ويستدرك عليه ما شاء الله أن يستدرك من فوت .

ويبين أبو على فى مقدمة الإغفال سبب تأليفه ، ويذكر منهجه فيه على العهد به من الإيجاز فى مقدمة كتابه الحجة فى علل القراءات السبع ، فيقول :

« هذه مسائل من كتاب أبى إسحاق إبراهيم بن السرى فى إعراب القرآن ، ذكرناها لما اقتضت عندنا من الإيضاح منها للإغفال الواقع فيها . ونحن ننقل كلامه فى كل مسألة من هذه المسائل بلفظه على وجهته من النسخة التى سمعناها منه فيها ثم نتبعه بما عندنا ، وبالله التوفيق » .

وهمزة « الإغفال » يحتمل أن تكون للتعدية ، وأن تكون للمصادفة ، كالتى فى قوله تعالى : (ولا تُطع من أغفلْنا قلبه عن ذكرنا) ، على بعض التفاسير[1] ، أى من وجدناه غافلا عن ذكرنا . والتسمية بالإغفال على الحالين — ملحوظ فيها مضاف محذوف وتأويلها على التعدية : تدارك إغفال الزجاج وعلى المصادفة : تدارك ما وجدنا عند الزجاج من إغفال :

والفرق بين التأويلين يسير ، وهو يتعلق بوصف الوقوع على الإغفال كيف كان ؟ فعلى التعدية كان الإغفال ميسرا قريب المتناول ، لا يكلف مئونة ، ولا يحمل على طلب ، وعلى المصادفة يتطلب الوقوع عليه تعقبا واقتفاء .

---

(١) انظر كشاف الزمخشرى : ١ : ٥٦٧ ، والمحتسب : ٢ : ٢٨ .

ولا على الفارسى أن ينقد شيخه ، وينبه على الإغفال الذى رآه فى كتاب معانى القرآن وفى كل كتاب من كتبه إذا بدا ذلك له ، ووجد السبيل إليه : بل إن الأمانة العلمية ، والغيرة على الحقيقة أن يتحيفها نقص ، أو تشوبها شائبة غموض لتوجبان عليه أن ينبرى للنقد والإيضاح والاستدراك وجوبا لاهوادة فيه ولاتوقف دونه . وفى ذلك من بعد خير للعلم وتمحيص لمعدنه . ولكن الذى كنانود لو أن أبا على نزه عنه نقده ، ومنع منه قلمه ألا يأخذ شيخه هكذا أخذ شديدا لارفق فيـــــه ، ولابقيا معه، فهو لايتحرج أن يرميه بالخطأ الصراح ، وبالتحامل وتناقض الأقوال .

وإذا أمكن أن يغضى مغض عن هذا العنف إذا كان من عدو يناكر الزجاج ويحقد عليه ، أومن قرن يطاوله ويحاول فى زحام الحياة وتدافعها أن يؤخره ليتقدم هو عليه — فما أظن أن أحدا يمكن أن يغضى عنه بل عن شيء منه إذا كان من تلميذ له جلس إليه وسمع منه .

وإذا ساغت التخطئة فيما يناقض القوانين الرياضية ، أو البرهانات المنطقية — فإنها غير سائغة، ولاهى من الحكمة فى شيء إذا كانت فى المسائل اللغوية ، فإن هذه المسائل إنما تقوم أصلا على رواية النص وفهم معناه ، إلى قرائن وملابسات من الظنون والافتراضات : والرواية عمل مشترك بين اللغويين ، لكل منهم نصيبه المقسوم منه. ومهما اتسعت رواية أحدهم فلن تكون محيطة شاملة، لاتند عنها صغيرةولاكبيرة . واختلاف الفهم سمة من سمات العقول فى تعددها وتفاوت أصحابها فى الخصائص والمزايا . والظنون والافتراضات كثيرا ما تبطلها قرائن غير القرائن وملابسات غير الملابسات .

فليس عجيبا أن نرى لغويات عدت خطأ ، فأُزرى بها ، ونُهى عنها ، وأن نرى أخرى وصفت بالاطراد والعموم الذى لااستثناء منه ولاخروج عليه . ثم قيض الله للخطأ المزعوم من صوبه ورد اعتباره إليه ، وقيض للعام المطرد من قيده وحد من شموله الموصوف .

فهذا ثعلب — يرحمه الله — يقول عن ( ولاسيا ) : من استعمله على خلاف ماجاء فى قوله : ولاسيا يوم فهو مخطىء، يريد أن من الخطأ ألا تذكر الواو ولاقبل سيا ، لتكون كما وردت فى قول امرىء القيس :

ألارب يوم كان منهن صالح
ولاسيا يوم بدارة جلجل

ثم جاء الرضى فتوسع فى أوجه استعمالها ماشاء [1]، ولم يسلم كتاب ( ليس فى كلام

(١) انظر شرح الأشمونى وحاشية الصبان فى آخر باب الاستثناء.

العرب ) لابن خالويه ، ولا كتاب درة الغواص للحريرى من النقد والتعقيب بما ينقض بعض ماجاء فيهما من قضايا وأحكام .

وينطلق أبو على هنا على العهدبه فى الحجة ، فلا يتابع القول على وتيرة واحدة ولايأخذ بالقارئ إلى الغاية التى يريد من وجه واحد ولا من طريق قاصدة ، ولكنه ينهج به إليها مناهج شتى ، ويعبر له عنها بأساليب متنوعة ، فبينا هو ماض به قدما — إذا هو يميل به ذات اليمين مرة وذات الشمال أخرى ، وبينا هو معه فى سهل مؤنس إذا هو ينحو به إلى صعب موحش أو يعلو به شرفا ثم يهبط غورا .

ولايزال فى أثناء ذلك ينتقل به من علة فلسفية ، إلى قياس منطقى ، إلى سر مكنون من أسرار العربية ، إلى طرفة نادرة من النحو أو الصرف أو الأصوات حتى يدركه البهر ، ويمسه اللغوب ، ولايجد بدا من الإمساك عن المتابعة والانقياد ، إما إلى عودة قريبة أو بعيدة ، وإما لتعجل النهاية والنظر إلى مكانه منها ، وسيتبين فى كثير من الأحيان أنه لا يزال بعرض المزيد من الصبر والاحتمال .

وهو يستكثر من الاستشهاد بالقرآن مالا يستكثر من غيره إلا كتاب سيبويه ، حتى مايكاد القارئ يرتاب فى أنه كان يحفظه كما يحفظ القرآن . وأبو على إذ يحفظ الكتاب لايكون بدعا من العلماء ولاآتيا بما لم يسبقه إليه أو يشاركه أحد فيه ، فقد مر بالناس زمان كاد كثير من طلاب العلم يجمعون فيه بين حفظ القرآن وحفظ الكتاب ، وخاصة فى بلاد الأندلس [1] ، ولكن الذى يثير العجب حقا أن يكون الرجل على هذه الدرجة من الاستحضار له ، وإحكام الاستشهاد به على هذا النحو النادر المثال . ويزيد من العجب والاستغراب أن كثيرا مما ينقله عن كتاب سيبويه ليس مما يذكر فى بابه الذى عقد له ، ولكن مما يذكر عرضا فيه أو استطرادا إليه .

وبعد ، فسأورد هنا فقارا متفرقة من المسألة الثامنة والأربعين من الإغفال ، وأرجو أن تكون كافية فى تصوير شخصية الفارسى وتبيين منهجه فى الكتاب على نحو إلا يكن كاملا فمقارب ، إن شاء الله .

يستهل الفارسى المسألة الثامنة والأربعين على عادته بنقل كلام شيخه فيها ، فيقول:

« قال فى قوله عز وجل : ( وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ) : أى يده ممسكة عن الإنفاق ، ومثل ذلك قوله تعالى : ( ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ) أى لاتمسكها عن

(١) انظر سيبويه إمام النحاة لكاتب المقال : ١٨٨ .

الإنفاق . وقال بعضهم : يد الله مغاولة : نعمته مقبوضة عنا ، وهذا القول خطأ . ينقضه ( بل يداه مبسوطتان ) ، فيكون المعنى : بل نعمتاه مبسوطتان ، ونعم الله أكثر من أن تحصى ... »

وقال أبو على بعد كلام له : وقوله — عز وجل ( بل يداه مبسوطتان ) لايدل على تقليل النعمة ، وعلى أن نعمته نعمتان ثنتان ليس غيرهما ، ولكنه يدل على الكثرة والمبالغة ، وقد جاءت التثنية يرادبها الكثرة والمبالغة ، وتعداد المثنى ، لاالمعنى الذى يشفع الواحد المفرد .

ألا ترى أن قولهم : لبيك إنما هو إقامة على طاعتك بعد إقامة ، وكذلك سعديك ، إنما هو مساعدة بعد مساعدة ، وليس المراد بذلك طاعتين ثنتين ، ولامساعدتين فكذلك الآية ، المعنى فيها أن نعمه ظاهرة متتابعة ، ليست كما ادّعى من أنها مقبوضة ممتنعة . وهذا الذى ذكرناه فى لبيك وسعديك وأن المراد به الكثرة — قول الخليل وسيبويه ومن وراءهما ، فهذا وجه .

وإن شئت حملت الآية على وجه آخر قريب من هذا فى أن التثنية يرادبها الكثرة وهو أن تجعل المثنى تثنية جنس لا واحد مفرد ، ويكون أحد جنسى النعمة نعمة الدنيا ، والآخرة نعمة الآخرة ، أو نعمة الدين ، فلا تكون التثنية على هذا مرادا بها اثنين .

فإن قلت : كيف جاز أن يثنى اسم الجنس ، وهل جاء لهذا نظير فى كلامهم ؟ قيل : نعم قد جاء هذا فى كلامهم مطردا ألا ترى أن النحويين لايجيزون إعمال نعم وبئس فى فاعل مخصوص ، ولا يسندونها إلا إلى أسماء الأجناس المعرفة بالألف واللام ، أو المضافة إلى الألف واللام ، وأجازوا نعم الرجلان أخواك ونعم الفتيان صاحباك ، فثنوا اسم الجنس ؟ فكذلك يثنى هذا الاسم فى الآية تثنية الجنس وإن لم تكن فيه لام التعريف . ألا ترى أنهم قالوا : هما خير اثنين فى الناس ، وأوقعوا التثنية على العموم ، وعلى غير ضم مفرد إلى مفرد ؟ وعلى هذا قول الفرزدق :

وكل رفيقى كل رحل وإن هما
تعاطى القنا قوماهما أخوان

فتأويل الرفيقين فى البيت العموم والإشاعة ألا ترى . أنه لايجوز أن يكون رفيقان اثنان لكل رجل ؟

ثم قال : فأما كون اليد بمعنى النعمة فليس بمنكر ولامدفوع ، ومما يدلك على ذلك ماأنشده أبو زيد :

فلن أذكر النعمان إلا بصالح
فإن له عندى يَدِيًّا وأنعما (١)

جمع يد اعلى يَدِىّ كالكليب . والعبيد . فقوله : « يدياو أنعما » ، فاليدى هى الأنعم

(١) نسبه فى اللسان ( يدى ) إلى الأعشى وذكر ابن برى أنه لضمرة بن ضمرة النهشلى ، وانظر سر صناعة الإعراب : ١ : ٢٤٥ .

فى المعنى ، وحسن التكرير لاختلاف اللفظتين كقوله :

أقوى وأقفر بعد أم الهيثم [1]

وكقوله — تعالى —: (شديد القوى ذو مرة) ؛ ونحو ذلك . واليد قد تستعمل فى القوة ؛ وتعنى بها . وعلى هذا ما أنشده الأصمعى لعلى بن الغدير الغنوى :

اعمد لما تعلو فما لك بالـــــــذى
لا تستطيع من الأمـــــور يدان

يريد : ليس لك قوة . ألا ترى أنه لا يذهب للجارحة ولا للنعمة هنا ؟ وعلى هذا ماذكره سيبويه من قوله : لا يدين لك ، فمعنى هذه التثنية عندى المبالغة أيضا فى نفى الاقتدار والقوة على الشيء ، كأنه يصف الشيء الذى قد اعتاص عليه واشتد امتناعه بأنه يبالغ فى انتفاء اقتداره عليه . فليس المراد بالتثنية الاثنين الناقص عن ثلاثة ، إنما هو الكثرة وتجمع يد النعمة على أيْد فى العدد القليل ، وفى الكثير أياد ، مثل كلب وأكلب وأكالب .

ثم قال : واعلم أن يدا كلمة نادرة وزنها فَعْل ، يدل على ذلك قولهم : أيد ، وجمعهم لها عى أفعل ، فدل ذلك على أنه فعل ، كما دل آباء وآخاء على أن وزن أب وأخ : فَعَل واللام منه ياء ، فهو من باب سلس وقلق [2] ، ولا نعلم لذلك فى الكلام نظيرا . والذى يدل على ذلك قولهم : يديت إليه يدا ، وهو ينبغى أن يكون مثل : شَعر [3] الجنين ، واستحجر الطين . . . ألا ترى أنه لم يجئ مثل وعوت وقد جاء عندي فى الأسماء ذلك ، وهو قولهم واو ثم قال : وقول ذى الرمة :

فيا لك من دار تحمل أهلها
أيادى سبا بعدى فطال احتيالها [4]

فقال أبو العباس : من قال : أيادى سبا ، فأضاف أيادى إلى سبا كان واضعا الكلمة فى غير موضعها ، والقول فى ذلك لما قال ، لأنه فى موضع حال . ألا ترى أن قولك : ذهبوا أيادى سبا كقولك : ذهبوا متفرقين ؟ فاذا كان كذلك لم تصلح إضافته ، لأنك إذا أضفت إلى سبا — وهو معرفة — كان المضاف معرفة ، وإذا كان المضاف معرفة وجب ألا يكون حالا .

(١) البيت بتمامه : حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم . وهو من معلقة عنترة .

(٢) كل من سلس وقلق فاؤه ولامه من جنس واحد ، ويد مثلهما ، إلا أن الفاء واللام ياءان ، ولا نظير لذلك فيما يعلم من الأفعال .

(٣) شعر الجنين كثر شعره ، يريد أن يديت من اليد ، وهى اسم ذات كشعر من الشعر ، واستحجر من الحجر .

(٤) احتيالها : خلوها من أهلها حولا ، وأنها لم يصبها المطر . يقال : أرض محتالة : إذا لم يصبها المطر .

وحكم الكلمة فى قول من أضافه ، فجعل أيادى مضافا إلى سبا — أن يكون سبا قد زال عن تعريفه ، فصارت الكلمة لكثرة استعمالها جارية مجرى ما ذكرنا من النكرة ، فيكون بمنزلة علم نُكّر بعد تعريفه . والوجه فيها عندى ألا تقدر فيها الإضافة ، ولكن تجعل اسمين بمنزلة اسم واحد ، مثل حضر مت فيمن لم يضف وجعل نكرة .

فإن قلت : فلم لا تجعل سبا معرفة وتقدر فيه الانفصال كما تقدر فيها ، فتنصب على الحال إذا كان مضافا إلى معرفة ، كقيدالأوابد وعبْر[1] الهواجر ، وضارب زيد ونحوه؟ فإن هذا التقدير لا يصح فى أيادى . ألا ترى أنه ليس بصفة كما ذكرت من الصفات ، فيسوغ تقدير الانفصال فيه كما جاز فى الصفة ؟ .

**على النجدى ناصف**
عضو المجمع

(١) يقال : هو عبر أسفار : أى قوى عليها مطيق لها .

# خصائص اللغة العربية فى التعبير العلمى

للدكتور عبد الحليم منتصر

منذ أكثر من أحد عشر قرنا من الزمان وفى عهد الخليفة المأمون على التحديد تقاطر المترجمون على بيت الحكمة فى بغداد ، ينقلون الذخائر العلمية التى تركها الإغريق والفرس والهنود والسريان والقبط وغيرهم إلى اللغة العربية وشجع الخليفة العالم هذه الحركة العلمية العارمة ،فكان يولى العلماء عطفه ورعايته كما فتح لهم خزائن المال ، يغدق عليهم منها ، استحثاثا منه لهم على نقل هذا التراث إلى اللغة العربية. وكذلك تم نقل هذا التراث فى الطب والفلسفة والمنطق والأخلاق والسياسة والفلك والرياضيات والتشريح والنبات والحيوان وما إليها من علوم لم يكن للعرب بها عهد .

وليس من شك فى أن تلك كانت نقطة بدء رائعة للانطلاق وغدت بغداد مركز إشعاع علمى حضارى تاهت به على حواضر ذلك العصر ودانت الحضارة الانسانية لبغداد المأمون وغدا الخليفة المأمون رمزا للملك العالم وجمع حوله جمهرة من العلماء علّى بهم بلاطه وزين ملكة نقلوا روائع أبقراط وفيثاغورس وأفلاطون وأرسطو وبطليموس وجالينوس وديسقوريدوس وإقليدس وأرشميدس وغيرهم من علماء أثينا والإسكندرية .

وعرفت الأمة العربية طب أبقراط وفلك بطليموس وهندسة إقليدس وقرأوا مجسطى بطليموس ،وأصول إقليدس وجامع أوريباسوس ومئات بل ألوف من كتب أرسطو وجالينوس وثاون وهيرون وغيرهم من رواد العلم العصرين الإغريقى والإسكندرى ووسعت العربية الجومطريا والاسطرونوميا والميتافيزيقا والأريثماطيقا والماثيماطيقا ومصطلحات التشريح والهندسة والفلك والطب والرياضيات وما إليها ،واستمرت الحركة العلمية فى النمو والازدهار وشملت الحواضر العربية كلها من بغداد إلى دمشق إلى القاهرة إلى مراكش إلى الأندلس فى الجامع المنصور والجامع الأموى والجامع الأزهرى وجامع القيروان وجامع قرطبة وفى بيت الحكمة ودار الحكمة ودار العلم فكانت هذه ، وتلك تؤدى ماتؤديه الجامعات ومعاهد العلم فى الوقت الحاضر، وكانت منازل العلماء

وقصور الخلفاء والأمراء والمساجد ودور الكتب تزدان بمجالس العلم والأدب . وامتدت الامبراطورية العربية الإسلامية من حدود الصين شرقا إلى حدود فرنسا غربا وأكب علماء المسلمين على التأليف بلغة عربية سليمة حتى كانت أعمال العالم منهم تعد لا بالآحاد ولا بالعشرات ولكن بالمئات ، وتاه هذا العصر بعشرات ومئات من العلماء العرب يقرنون إلى أعاظم العلماء فى كل عصر وآن . وهاهى ذى تآليفهم ومخطوطاتهم تزدان بها دور الكتب والمتاحف ، مما يعد بمئات الألوف مما يحتاج تحقيقه وعرضه إلى جهود عصبة من أولى العزم من العلماء يعكفون على دراستها وتحقيقها وعرضها ملخصة ومخاصة . وقد أنصفنا بعض مؤرخى العلم حين قالوا : إن الحضارة الانسانية مدينة للعلماء العرب فى كل فروع المعرفة وأنه كان لابد من ظهور ابن الهيثم والصوفى والبيرونى والكندى لكى يتسنى ظهور جاليلو وكپلر وكوبرنيق ، وأنه لولا أعمال العلماء العرب لا ضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية عدة قرون ، وأنه لولم يعوقنا المغول والتتار والترك والاستعمار لكانت هذه النهضة التى تفاخر بها أوروبا تكون من نصيب الأمة العربية وتكون لغتها هى العربية وتتقدم عليها فى التاريخ عدة قرون .

ولاشك أن القارئ لمؤلفات ابن سينا وابن الهيثم والبيرونى وجابر والخوارزمى والرازى وابن النفيس والزهراوى والصوفى وابن يونس وابن العوام وغيرهم ليتملكه الإعجاب والإكبار بأسلوبهم العلمى الأخاذ ولغتهم العربية السليمة التى كتبوا بها فى الفلك والرياضات والضوء والهندسة والجبر والطب والكيمياء . لقد طوعوا العربية لمصطلحات هذه العلوم الطبيعية المختلفة حتى قال المنصفون إن الينبوع الأول للعلوم الطبيعية إنما تفجر فى العصر العربى الإسلامى الذى ازدان بأمثال من ذكرنا .

ولكن الأيام دول كما يقولون ، فضعف أمر الأمة العربية بعد أن قدمت لأوروبا زاد نهضتها العلمية عن طريق الأندلس التى سطعت فيها الحضارة العربية الإسلامية عدة قرون ، وعن طريق صقلية التى دانت لحكم العرب بضعة قرون وعن طريق الحروب الصليبية ثم عن طريق الامبراطورية العثمانية فى شرق أوربا . وظلت كتب من ذكرنا من العلماء العرب هى المراجع المعتمدة فى جامعات أوروبا طيلة قرون وأنشئت الجامعات الأوروبية على غرار جامعة الأزهر العتيدة وترجمت الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية واللغات الأجنبية الأخرى وسطعت شمس الحضارة العلمية على أوروبا فى حين انحسرت عن الأمة العربية .

وفى أوائل القرن الماضى بدأت الاتصالات بين بعض الدول الأوروبية وبعض البلدان العربية كان هدفها الأول حربيا استعماريا لم يكتب لها فيها نصر ولم تتحق أغراضها منه ، ولكنها تحققت اتصالات

علمية كان من نتائجها نقل العلوم الحديثة إلى البلدان العربية، وإنشاء بعض المدارس وإرسال البعثات العلمية إلى أوربا . وعاد هؤلاء المبعوثون ليقودوا نهضة علمية حديثة . ومنذ أوائل القرن التاسع عشر أنشئت فى مصر مدارس الطب والهندسة والمعلمين وغيرها من مدارس . وشارك علماء من أساتذة هذه المدارس من الأجانب والمصريين فى ترجمة الكتب العلمية إلى اللغة العربية، إن فى الطب أو الهندسة أو الزراعة أو الصيدلة أو الكيمياء وما إليها من علوم وفنون. وكان الحكام يلزمون طلاب البعثات بنقل هذه العلوم إلى اللغة العربية وأن تكون اللغة العربية لغة التدريس فى هذه المعاهد .

وفى أخريات القرن الماضى عاد الاحتلال ينشر ظله الثقيل مرة أخرى، وشيئاً فشيئاً جعل لغة التدريس هى الأجنبية ولم يكتف بأن يكون ذلك فى المعاهد العليا وحدها ولكن عمم ذلك فى المدارس الابتدائية والثانوية فاستقر فى أذهان الكثيرين أن هذه العلوم مستوردة هى الأخرى من الخارج وأنه لم يكن لنا بها عهد، وتناسى الكثيرون أنها بضاعتنا ترد إلينا، وأن العلماء العرب هم واضعو أسس هذه العلوم وهم مبتكرو كثير من أجهزتها وأدواتها بل ومصطلحاتها أيضا .

ومنذ أوائل القرن العشرين عادت للغة العربية مكانتها فى التدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية ، كما أنشئت فى مصر الجامعة الأهلية وكانت مقصورة على كلية الآداب ، كما أنشئت معاهد عليا كبيرة . وفى أواسط عشرينيات هذا القرن أنشئت الجامعة المصرية الأميرية، وكانت تتكون آنئذ من أربع كليات هى الآداب والحقوق والطب والعلوم، وكانت العلوم هى وحدها التى أنشئت إنشاء فى ذلك التاريخ ولم تكن متحولة عن معهد أو مدرسة أخرى ، وضمت إليها بعد ذلك كليات أخرى . ثم أنشئت فى أوائل الأربعينيات جامعة الإسكندرية ثم جامعة عين شمس فى سنة ١٩٥٠ وتتابعت الجامعات فى مصر بعد ذلك فى أسيوط وطنطا والمنصورة والزقازيق ، كما تتابع إنشاء الجامعات فى كثير من البلدان العربية فى العراق فى بغداد والموصل وفى سوريا وفى دمشق وحلب وفى الأردن وعمان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والكويت والرياض وغيرها ، كما أنشئت المجامع اللغوية فى القاهرة وبغداد ودمشق للمحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها مسايرة للنهضة العلمية .

ومن أسف أن اللغة العربية ماتزال وئيدة الخطو لتكون لغة التدريس فى الكليات العملية خاصة باستثناء جامعة دمشق .

وقد آمن الكثيرون أن التدريس إنما كان بلغة أجنبية ضرورة مؤقتة لم يكن معدى عنها، وإنهم ليرقبون اليوم الذى يعم

فيه اتخاذ العربية لغة العلم . فالعربية لم تقصر عن اللحاق بركب العلم وإنما قصر أبناؤها .

وفى أوائل الثلاثينيات صدرت فى مصر مجلة علمية باللغة العربية وفيها دعوة صريحة لتحقيق هذا الهدف، وكان العدد الأول يحمل استفتاء بين كبار أعضاء هيئة التدريس وكلهم يجمع على تحقيق ذلك الهدف ، وتكونت جماعة أطلقت على نفسها اسم جماعة أنصار اللغة العربية كان هدفها تحقيق هذا العلم وتدريب أعضاء هيئة التدريس والطلاب على معالجة الموضوعات العلمية بلغة عربية سليمة . يتناولون فى محاضراتهم ومقالاتهم أحدث الموضوعات العلمية من كيميائية وجيولوجية وطبية وصيدلية ونباتية وحيوانية ورياضية وهندسية وطبيعية بلغة عربية لاعجمة فيها . لقد حدث كل ذلك آنئذ فى كلية العلوم بالجامعة المصرية، وكان للإنجليز فى ذلك الوقت سلطان ودولة لافى السياسة فحسب بل فى العلم والتعليم كذلك ومع ذلك فقد توافر لدى الكثيرين من أبناء العربية من القوة والشجاعة ماجعلهم ينادون بتعريب العلم . وإنى لأسجد لله شكرا أن عشت حتى أرى فجر هذا اليوم يبزغ وما أشك فى أن ضحاه قريب مادمنا نحمل هذه القلوب القوية والعزمات الفتية ومادام أبناء العربية فى أرجاء الوطن العربى يستهدفون وحدته ورقيه وقوته ومنعته ليكون وطنا كريما يشعر أبناؤه ويشرفون بالانتساب إليه .

وهاهم العلماء العرب يتزايد عددهم يوما بعد يوم يحاولون أن يعيدوا مجد أسلافهم من أمثال من ذكرنا ، وهاهم أولاء يعقدون المؤتمرات الطبية والصيدلية والهندسية والعلمية العربية فى كل رجا من أرجاء الوطن العربى من أقصى شرقه إلى أقصى غربه تحت راية لغة الضاد - ليعلن عن حيويته الكامنه وليقود الإنسانية مرة أخرى إلى رحاب العلم والرفاهية والسلام، وأنه على ذلك لقدير ما اتخذ من العلم هاديا وإماما ومارفع راية الضاد بجعلها من مقومات ثقافته وحضارته بل وكيانه. ولامراء فى أن أولى مراتب الثقافة الرفيعة علم المرء بلغته وقدرته على التعبير والإبداع العلمى فيها فى كل مرفق من مرافق الحياة .

ولا مراء فى أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة وقد عاصرته زهاء ثلاثين عاما ، قد أدى هذا المجمع أعظم خدمة لتعريب العلم إذ خصص جانبا غير يسير من وقته وجهده لترجمة المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية بعد أن جند لها الخبراء من الأساتذة المتخصصين كان يجتمع بهم اعضاء المجمع فى لجان واجتماعات تعقد بصفة منتظمة لهذا الغرض ثم يعرض ما تقرره اللجان على أعضاء المجمع مجتمعين فى صورة مجلس، ثم تعرض مرة أخرى على

هيئة المجمع فى صورة مؤتمر حين يعقد المجمع مؤتمرة السنوى ليناقش ويقرما انجزه المجلس من أعمال طيلة العام، . فكان مرور المصطلح والتعبير العلمى بهذه الخطوات جميعا كفيلا بصقله وحسن صوغه .

وقد أقر مجمع اللغة العربية ألوف المصطلحات والتعبيرات العلمية فى مختلف فروع العلم نشر منها حتى الآن خمس عشرة مجموعة تضم بضع عشرات من ألوف المصطلحات فضلا عن عدد غير قليل منها يتضمنه المعجمان اللذان يصدرهما المجمع وهما الوسيط والكبير.

وقد ذهب فريق من المشتغلين بهذه المسألة إلى أنه لابد من إيجاد جذور عربية للكلمات والمصطلحات المراد ترجمتها والتعبير عنها، وأنه لا ينبغى أن تدنس العربية بعجمة أو لكنة وإنما تبقى مصفاة مطهرة وقد يبدو هذا الرأى وجيها لولا ان — هناك استحالة فى تنفيذه أو الأخذ به على أية صورة . فالمصطلحات العلمية فى تزايد مستمر بل إنها لتتكاثر كما يتكاثر الإنسان والنبات والحيوان، فيزيد عددها يوما بعد يوم وسنة بعد أخرى حتى أضحى مجرد حصرها مشكلة تعترض الفنيين والمتخصصين — وأضحت دور النشر تخرج علينا بين حين وآخر بمعاجم تتفاوت حجوما وأشكالا وتختلف فى لغاتها وطرائقها، فمنها ما يصدر بلغة واحدة ومنها ما يصدر بلغتين ومنها ما يجمع بين ست لغات أو أكثر . فملاحقة هذا التكاثر بلغة عربية أصيلة يبدو مستحيلا لأسباب ليس أقلها شأنا أن العرب لم تكن تعرف هذه الموضوعات وأن هذه العلوم جديدة حتى على الغربيين، وأن الكثير منها إنما رأى النور وعرفته الإنسانية فى مطالع هذا القرن بل وبعد أن تنصف، فمن أين تأتى الجذور العربية لهذه المستحدثات والمستعدنات والنظريات التى لم يكن للعرب بها علم ؟ إننا نكلف العربية شططا ونكلف أنفسنا جهدا لا طائل تحته إن نحن صممنا على التنقيب فى بطون المعاجم عن أصول عربية للميكرسكوب والترمومتر والالكترون والنيترون والميزون وما إليها مما يعد بعشرات الألوف، وإذا نحن وجدنا جذرا عربيا لهذه الكلمة أو تلك علينا أن نجد لعشرات الألوف، فما علينا إلا أن نبحث وندقق فإن أسعفتنا المراجع ببغيتنا ، فبها ونعمت ، وإلا ففى التعريب متسع لهذه الألوف المؤلفة من المصطلحات و التعبيرات العلمية فى كل علم وفن. ويسعنا ماوسع الأقدمين من استعمال أريثماطيقا وميتافيزيقا وجو مطريا وأسطرو نوميا وغيرها .

وإذا نحن اتفقنا على الترجمة العربية لكلمة فلعله من الواجب توحيدها وتعميم استعمالها فى الأقطار العربية بل التزام هذا الاستعمال، وإذا ترجمنا ميكروسكوب فهل نستعمل مجهر بصيغة اسم الفاعل أو مجهر بصيغة اسم الآلة أو نقول مجهار على وزن مفعال ؟

وإذا نحن ترجمنا كلمة ترمومتر فهل نقول ميزان الحرارة أو نستعمل اسم الآلة فنقول محرار على وزن مفعال أو نبقى

على ترمومتر تقريبا ؟فهذا كما نرى أمر محير تختلف فيه الآراء وتتباين فيه الأذواق .

**توحيد الترجمة العربية للمصطلحات :**

وهناك أوجه خلاف بين الدول العربية والمثقفين العرب بشأن هذه المصطلحات فالعراق والأردن ومصر لونتهم الثقافة الإنجليزية حينا فتأثروا بها، وسوريا ولبنان وتونس والجزائر ثقافتها فرنسية فتاثرت مصطلحاتهم العلمية بالأصول الفرنسية للكلمات ، فلابد لنا اذن من الترجمة ثم توحيد هذه الترجمة: ولنضرب بعض الأمثلة لهذا التباين فى التعبير العلمى فى بعض البلاد فعلم الطبيعة كما نعرفه فى مصر يسمى فى سوريا والعراق والأردن ولبنان «فيزياء» والأولى ترجمة والثانية تعريب ،على أن التعريب ليس كاملا فالصحيح هو « فيزيقا » كذلك استعمله العلماء الأقدمون كما استعملوا أرثما طيقا للحساب ، وماثماطيقا للرياضيات وجو مطريا للهندسة، وهكذا، فكلمة فيزياء لم تلتزم فيها العربية الفصحى ولا التعريب السليم ولاعيب فى كلمة طبيعة الا احتمال الشبهة مع ( nature ) التى تترجم بنفس الكلمة « طبيعة » .

ونحن نقول فى مصر كما يقول أهل العراق بؤرة العدسة، ولكن الأقطار الأخرى تقول « المحرقة » ونحن فى مصر نقول بندول الساعة تعريبا لكلمة pendulum وفى العراق يقولون رقاص وفى سوريا « نواس » وفى الأردن «خطار» ، فينبغى أن تختار الدول العربية ترجمة واحدة للمصطلح الواحد .

وفى مصر والعراق تطلق كلمة « طحلب » لتدل على alga على حين أنهم فى سوريا ولبنان يقولون « أشنة » أما اشنة فنستعملها فى مصر لكلمة lichen، على حين تقول الأقطار الأخرى طحلب .

وكلمة endosperm عربت فى مصر إلى اندوسبرم وترجمت فى بعض البلاد العربية الأخرى إلى سويداء .

وكلمة ecology ترجمت فى مصر إلى علم البيئة وفى أقطار أخرى إلى « علم المحيط « وفصيلة » Rutaceae ترجمت فى مصر إلى سذبية نسبة إلى اسم النبات الذى اشتق منه اسم الفصيلة واستعملت الأقطار الأخرى ليمونية نسبة إلى أشهر نباتاتها .

وكلمة nucellus ترجمت إلى « جويزة » فى البلاد العربية وعربت فى مصر إلى « نويسلة » .

وكلمة micropyle ترجمت إلى نقير فى مصر وفى البلاد العربية العربية إلى « بويب » .

ونحن فى مصر نقول « جرام » تعريبا لكلمة gram الإفرنجية وغيرنا يقول غرام .

ونقول مغنطيسية تعريبا الكلمة magnetism فعربنا الجاف بالجيم حينا وبالغين حينا آخر ونحن نقول انجروسكوبى وآخرون يقولون ابغيروسكوبى . . . وهكذا .

وليست الترجمة العربية للمصطلح جامدة أبدا، فما أيسر أن تبين ان هناك ترجمة أو تعبيرا أفضل أن نعدل عن الأول إليه. فلم تكن الترجمة جامدة أبدا، فقد كانت الترجمة تعرض فى المقالات والبحوث وللدراسات فيصقلها ويصححها الذوق العام والاستعمال ومن أمثلة ذلك ترجمة المصطلح الذى يدل على درجة تركيز ايون الأيدروجين ويرمز له بالإفرنجية بالرمز pH، فقد سمى أولا — ١ الجهد الأيدروجينى ثم الأس الأيدروجينى ثم عدل أخيرا إلى « الرقم الأيدروجينى » :

وكذلك تلك الظاهرة التى سميت حينا « ادمصاص » ثم عدل عنها إلى التجمع السطحى، وهاهى ذى يقرها المجمع اللغوى والذوق العام بين المشتغلين بالعلم إلى « امتزاز » ترجمة لكلمة adsorption .

ومصطلح غروى اتخذ ترجمة لكلمة colloid ثم عدل عنها إلى شبه غروى ثم إلى غراوانى :

وكذلك كلمة alkaloid عربت حينا إلى قلويد ثم ترجمت إلى شبه قلوى ثم إلى « قلوانى » وهكذا :

**مصطلحات فى علم الطبيعة :**

وهناك مصطلحات متقاربة المعنى متفاوتة المدلول لابد من تعريفها تعريفا دقيقا ولابد من وضع الترجمة الصحيحة لكل مصطلح يتميز بها عن المصطلح الأخر فالممانعة، والمعاوقة، والمقاومة، قريبة فى معناها ولكن مدلولاتها متفاوته فوضعت :

الممانعه ترجمة الـ Reluctance

والمقاومة « الـ Resistance

والمعاوقة « الـ Impedance

ثم المجاوزه والمهاودة والمسايرة قريبة فى فى معناها ولكن مدلولاتها متفاوته فوضعت:

المجاوزة ترجمة الـ Permittance

المهاودة « الـ Susceptance

والمسايرة « الـ admittance

ثم المفاعلة، والمنافذة، والمواصلة، والمحاثة قريبة فى معناها ولكن مدلولاتها متباينة فوضعت :

المفاعلة ترجمة الـ Reactance

والمنافذة « الـ Permeance

والمواصلة « الـ Conductance

والمحاثة « الـ Inductance

ثم ابتكرت صيغ جديدة لم تكن تستعمل كثيرا كالمصدر الصناعى فنقول :
الممانعية ترجمة الـ Reluctivity

وهى مقدار قابلية المادة المغنطيسية لتوصيل الفيض المغنطيسى وهى مقلوب المنفذية

والمنفذية ترجمة ا Permeability

وهى النسبة بين كثافة الفيض المغنطيسى المنتج فى وسط ما إلى القوة الممغنطة المنتجة له ،

والمحاوزية ترجمة لـ Permittivity

وهى النسبة بين الإزاحة الكهربية لوسط ما إلى القوة الكهربية المنتجة له

والمقاومية ترجمة لـ Resistivity

وتعنى المقاومة الحجمية للمادة ، ويقصد بذلك مقاومة جرم من تلك المادة طوله الوحدة ومساحة مقطعه الوحدة تسمى ايضا المقاومة النوعية

والمتأثرية ترجمة لـ Susceptibility

وهى النسبة بين شدة التمغنط إلى شدة المجال المغنطيسى فى الدائرة المغنطيسية

والمفاعلية ترجمة لـ Reactivity

والمعاوقية ترجمة لـ Impedivity

والموصلية ترجمة لـ Conductiuity

وهى خاصية للمادة بفضلها تسمح للتيار الكهربائى بالمرور خلالها إذا كان هناك فرق جهد وهى مقلوب المقاومية ،

وكذلك تتقارب معانى الانحلال والتدهور والفساد والتفتت والتخلل وقد ترجمت على هذا النحو :

| | |
|---|---|
| Degeneration | — انحلال |
| Deterioration | — تدهور |
| Destruction | — هدم |
| Disintegration | — تفتت |
| analysis | — تحلل |
| Decay | — فساد |

**مصطلحات طبية :**

وابتكرت صيغ قياسية كثيرة فى المصطلحات الطبية

كأن نقول عصاب ترجمة للمصطلح Neurosis وهو مرض عصبى وظيفى لاتصحبه علامات عضوية ومن أنواعه :

| | |
|---|---|
| (ا) عصاب القلق | anxiety neurosis |
| (ب) عصاب أصابى | Teaumatic neurosis |
| (جـ) عصاب قلبى | Cardiac neurosis |
| (د) عصاب كلالى | Fatigue neurosis |
| (هـ) عصاب متأخر | Neurosis tarda |
| (و) عصاب انحصارى قسرى | Obsessive compulsive |
| (ز) عصاب مهنى | Occupatinal neurosis |

وكذلك نقول عن المرض الجلدى — جلاد Dermatosis

وعن مرض الصدفية ، صداف Psoriasis

| | |
|---|---|
| ونقول بواغ الشعر | Sporotrichosis |
| والوزام الذهمى | Stratomatosis |
| وفظار الشعر | Trichomiyris |
| وعقاد الشعر | Trichonosdis |
| والعراق المصن | Asmidiosis |
| والعراق الفسفورى | Phospheriodrosis |
| والطعام | Cehunosis |

وترجم إلى العمه الحسى مصطلح Agnesis وهو القصور عن تمييز الاشياء وانواعه

| | |
|---|---|
| (أ) عمه سمعى | Auditory agnosis |
| (ب) عمه بصرى | Optic agnosis |
| (جـ) عمه لمسى | Tactile agnosis |

وترجم إلى العمه الحركى المصطلح Apratia وهو عدم القدرة على الاتيان بحركة ذات قصد .

وهناك عشرات من الأمثلة لهذه المجاميع من الكلمات أو المصطلحات التى تتقارب فى معانيها وتتفاوت فى دلالتها ومن أسف أن المراجع الأجنبية كثيرا ما تستعمل الكلمة الواحدة لأكثر من معنى ومدلول . فكان على المترجم أن يحتاط كذلك. ومن حسن حظ العربية أنها غنية جدا بالمترادفات ، وأن فقهها من أغنى لغات الأرض بالمدلولات والألفاظ والأقيسة ، وكانت الطريقة الوحيدة هى جمع هذه الأشياء وتسليط الأضواء عليها واستنباط المدلولات الحقيقية لها ، والغوص فى المعاجم لاستخراج الكلمة الملائمة ، وتعميم الاستعمال والتزامه .

**الوحدات والرموز والثوابت :**

وهناك صعوبة الوحدات والمواصفات والمقاييس واستعمال الرموز المناسبة لكل وحدة. وتميزت اللغات الأجنبية بالخطوط المتغايرة فالرومانى والإغريقى والايطالى والخفيف والثقيل والكبير والصغير لكل صورة مما جعلنا نحصل على مئات الصور — للحروف الأجنبية ومن حسن الحظ ان الخط العربى هو أيضا متعدد الصور فهناك النسخ والرقعة والثلث وما إلى ذلك فنجد مثلا هذه الصور :

الكاف — ك كـ ک

الميم — م م ﻤ

النون — ن ﻧ ن ﻥ

الجيم — ج ﺟ ﺠ

السين — س س س س

القاف — ق ﻗ ق ﻕ

الياء — ى ى ﻳ ﻴ

الراء — ر ر ر ﺮ

فكان علينا أن نؤلف بين هذه الحروف لنجد الرموز الكافية لمئات الوحدات والمقاييس والعناصر . فهناك رموز للثوابت مثل ثابت سرعة الضوء ثابت افوجادرو ، ثابت فراداى ، ثابت شحنة الإلكترونات ، ثابت الجاذبية وثابت لكتلة الإلكترون .

وهناك وحدات المقاييس من طول وعرض وارتفاع ونصف القطر والقطر والزاوية والمساحة والحجم .

ووحدات الوقت والزمن والتردد والسرعة وطول الموجة والتسارع والكثافة والعزم والشغل والقوة والوزن والضغط والطاقة والقدرة والكفاءة والشد والثنى والانحراف والالتواء والاحتكاك واللزوجة والولاء والتوتر والتيار والمقاومة والحث والسعة والفيض والجهد والمقاومة والممانعة والمجاوزة والمواصلة والإضاءة .

ثم معاملات الانكسار والانحراف ودرجات الحرارة والتمدد والموصلية والعدد الذرى والوزن الذرى والتكافؤ والتحلل والتأين .

ثم المتر والمليمتر والسنتمتر والميكرون والمليلتر والثانية والدقيقة والساعة والسيكل والكيلو سيكل والجرام والمليجرام والكيلو جرام .

والسعر والكيلو سعر والواط والفولط والأمبير والجول والقنديلة والكولومب والفولط كولومب والفولط أمبير والهنرى والفاراد والكورى والميكروكورى ، والبوصة والقدم والياردة والجالون والحبة والأوقية والباوند والباوندال والحصان . . إلخ .

هذه أمثلة لوحدات لاتجاوز المائة وهناك ثوابت غيرها لايتسع المقام لذكرها عدا أكثر من مائة من العناصر الكيميائية ينبغى أن يتفق على رموز من حروف عربية لها وقد قال قوم بالإبقاء على الوحدات والرموز الأجنبية إلا أن هذا الرأى قد رفض وروئى التزام العربية والمعادلات الكيميائية روئى تعريبها هى الأخرى مادامت الرموز قد عربت جميعها .

وتتبين الصعوبة إذا عرفنا أن القدرة والقطر وقوة المجال المغنطيسى والقوة الدافعة الكهربائية والطاقة والدقيقة كل هذا وغيره كثير يرمز إليه بالحرف ق ولابد من التمييز بينها فقد يقع اثنان أوأكثر فى معادلة واحدة . كذلك المساحة والسعة وستوكس وغيرها يرمز لها بالحرف س . والشدة والشغل والشحنة ومعامل الانتشار وغيرها يرمز لهابالحرف ش والتردد والتيار والتورك (عزم الدوران) والوقت ومعامل الانتقال وثابت سرعة التفاعل يرمز لها بالحرف ت .

وعدد أفوجا درو والزمن وثابت الدوران وعدد اللفات وعدد الجزئيات والسعة الحرارية للجزئ وعدد الانتقال ووحدة نيوتن كل ذلك يرمز له بالحرف ن .

وهكذا من عشرات الأمثلة التى يرمز فيها الحرف الواحد لعدد كبير من الأحداث والثوابت والمعاملات وما إليها من وحدات ومقاييس عالمية مغيرة ينبغى أن توجد لها مقابلات بالأحرف العربية فضلا عن أن الحرف الواحد قد يرمز إلى أكثر من عنصر كيميائى واحد فالزئبق والأزوت والزرنيخ قد يكون رمزها جميعاً فضلا عن أن حرف ز نفسه يرمز به لعدد آخر من الوحدات مثل وحدة إزاحة التيار ومعامل الاسموز وما أشبه .

لذلك كان لا بد من اختيار صور مختلفة للحرف الواحد فضلا عن ضرورة الجمع بين حرفين أو أكثر منعاً للبس وكذلك الإبقاء فى بعض الحالات على الحروف الإغريقية كرموز بعض الوحدات العالمية المعبرة أو الرموز الرياضية حيث بدأ صعبا أحياناً إيجاد رموز من حروف عربية موحدة ولا بد أن يمضى بعض الوقت حتى تتكامل طريقة سوية مبرأة من المآخذ بعدأن يصقلها ويصححها ويسبغها الرأى العلمى العام والذوق العام وبعد أن تعيننا المطابع والمسابك

على إيجاد الصور المطلوبة للحروف وقد جربت صور مختلفة لخطوط النسخ والرقعة والثلث والفارسى والكوفى بل وحروف التاج التى ابتدعت حيناً ثم عدل عنها .

وعلى الذين يقولون بالإبقاء على الرموز والمعادلات والحروف الافرنجية ويضربون أمثلة على ذلك باللغات الأوروبية المختلفة التى اتفقت على الرموز نفسها فى هذه اللغات فاتهم أن الحروف فى هذه اللغات جميعا متشابهة إلى حد كبير ، فضلا عن أنها تكتب جميعاً من اليسار إلى اليمين فإذا فرضناها فى كتاباتنا وبين سطورنا العربية جاءت نشازا .

وفى علوم الحياة أقر مجمع اللغة العربيه قاعدة موحدة للتصنيف كما وضع قواعد لترجمة وتعريب أسماء المواليد والأعيان من نبات وحيوان فأقر حلقات التصنيف الآتية :

| | |
|---|---|
| عالم | Kingdom |
| عويلم | Sub-Kingdom |
| شعبة | Phylum |
| شعيبة | Sub Phylum |
| طائفة | Class |
| طويئفة | Sub-Class |
| رتبة | Order |
| رتيبة | Sub-Order |
| فصيلة | Family |
| فصيلة | Sub-Fanily |
| قبيلة | Tribe |
| قبيلة | Sub-Tribe |
| جنس | Genus |
| جنيس | Sub Genus |
| نوع | Species |
| نويع | Sub-Species |
| ضرب | Variety |
| سلالة | Race |
| عترة | Strain |
| فرد | Indvidual |

وقد أزالت هذه الأسماء التى اتفق عليها وأقرها مجمعنا الموقر أزالت حيرة كانت شائعة لدى مؤلفى كتب المواليد ، وأصبح اليوم كل اسم عربى يدل اصطلاحيا على حلقة واحدة من حلقات التصنيف على غرار الأسماء الأعجمية المقابلة لها ، واضح أن أسماء حلقات التصنيف هذه تعد من أسماء المعانى ، وأنها ترجمت إلى العربية ولم تكن الصعوبة فى الترجمة ، ولكن فى تخصيص كل حلقة باسم عربى واحد راجح وهذا ما أقره المجمع : وهو قرار خليق بان يتبع مهما يكن للبعض من آراء أخرى فى هذه المسميات وذلك لأن فيه خلاصا من فوضى تعدد الأسماء لكل حلقة واحدة من حلقات تصنيف المواليد :

وقد أقر المجمع القواعد الآتية فى ترجمة وتعريب أسماء المواليد والأعيان :

الأولى: ترجمة الألفاظ العلمية بمعانيها هو المجال الأوسع فى حلقات التصنيف العليا وهى الشعب والطوائف والرتب :

الثانية: أسماء القبائل والفصائل النباتية أو الحيوانية تكون عربية أو معربة على حسب اسم النبات أو الحيوان الذى تنسب إليه :

الثالثة: اجناس المواليد التى ليس لها اسماء عربية تعرب اسماؤها العلمية اذا كانت منسوبة إلى الأعلام وتترجم بمعانيها إذا أمكن ترجمتها فى كلمة عربية واحدة سائغة وإن لم يكن ذلك ممكنا رجح تعريبها .

الرابعة: لا مجال للتعريب فى الألفاظ العلمية الدالة على أنواع النبات لأن جميع ألفاظها أو معظمها نعوت أو صفات تترجم ترجمة فى جميع اللغات الحية :

الخامسة: يوجد مجال للترجمة أو التعريب جميعا فى الألفاظ الدالة على السلالات والأصناف أو الضروب :

السادسة : لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجى فى تصنيف المواليد ولا حاجة إليهما وفى اللجوء إليهما تشويه للغة العربية :

ومع ذلك فقد رأى المجمع ضرورة الازدواج أى ذكر الأسماء العلمية اللاتينية فى الدراسات العليا وفى حالة احتمال أى لبس .

فمثلا لا مجال للتعريب فى الفقاريات والأسماك والبرمائيات والزواحف والطيور والثدييات فى رتب الحيوان : كذلك لا مجال للتعريب فى غشائية الأجنحة وحرشفيات الأجنحة وذوات الجناحين ونصفيات الأجنحة وما إليها من رتب الحشرات وكذلك للنباتات الزهرية واللازهرية وذوات الفلقتين وذوات الفلقة الوحدة وكاسيات البذور وعاريات البذور وما إليها :

فهذه جميعا ترجمات معقولة مقبوله مستساغة فلا معنى للتعريب هنا مطلقا، وكذلك نقول فى الفصائل النباتية النخيلية والنجيلية والزنبقية والنرجسية والسحلبية والخبازية ، وكذلك أسماء الأجناس كالقمح والشعير والخردل والقطن والورد وما إليها .

أما النوع ، فينبغى إن دل على صفة بعينها أن نردف الاسم المتفق عليه باللغة العربية بالاسم العلمى كاملا، ويتعين ذلك خاصة فى الحالات التى تختلف فيها المسميات . فالبطاطس فى مصرهى البطاطا فى سوريا والخوخ هو الدراق والكمثرى هى الإجاص . بل إن الديس والبوط والبردى أسماء مختلفة لنبات واحد، ولكنه يعرف بأسماء مختلفة فى الجهات المختلفة فى كل هذه الحالات وفى مجال البحث العلمى والكتابات العلمية يتعين الازدواج وذكر الاسم العلمى باللغة اللاتينية .

**فى الجيولوجيا :**

وفى المصطلحات الجيولوجية تسعفنا العربية بألفاظ تحدد الفروق الدقيقة بين درجات متفاوتة من النور والظلمة والعمق والضحاله والملوحة والعذوبة والبرى والتفتت والتشقق

والانفصال والانفصام وما إلى ذلك، فإذا بها معطاء كأجزل ما يكون العطاء :

فنجد النور والغسق والدغش والغبق والإظلام

كما نجد الضحل والغائر والعميق والسحيق

وفى مدى استجابة الصخور ورد الفعل فيها بالنسبة للحركات الأرضية :

| | |
|---|---|
| فاصل وتفصل | Joint, jointing |
| صدع وتصدع | Fault, faulting |
| شق ، تشقق | Fracture, fracturing |
| دسرة ، ودسر | Thrust, thrustring |
| تفلق | Cleavage |
| إنزلاق | Slipping |
| تزحلق | Sliding |
| زحف | Creeping |

وفى باب الطى

| | |
|---|---|
| طية وطى | Fold, folding |
| ثنية وثنى | Pliating |
| تعرج | Corrugation |
| قبة ، تقبب | Dome, doming |

وفى درجات ملوحة الماء نقول ،

| | |
|---|---|
| ماء عذب | Fresh water |
| ماء مسوس | Brackish water |
| ماء ملح | Saline |
| ماء زعاق | Hypersaline water |
| ماء أجاج | Brine |

وفى باب ما يشبه :

| | |
|---|---|
| غراوانى | Colloid |
| بلورانى | Crystalloid |
| فلزانى | Metalloid |
| سكرانى | Saccharoid |
| كروانى | Spheroird |
| دلتانى | Deltoid |

وفى موضوع البرى والسحج والتحات والتآكل نقول :

| | |
|---|---|
| البرى أو السحج | Abrasion |
| التحات | Erosion |
| التآكل | Corrosion |

ونقول

| | |
|---|---|
| صواعد | Stalagmites |

وهى أعمدة من كربونات الكلسيوم ترسبت فى أرضية الكهف بسبب بخر الماء متجهة إلى أعلى :

| | |
|---|---|
| وهوابط | Stalactites |

وهى أعمدة من كربونات الكليسوم مدلاة من سقف الكهف بسبب بخر الماء متجهة إلى أسفل،وهى صيغ عربية سليمة ما أظن أن الأقدمين قد استعملوها :

وفى مراتب ومراحل الزمن الجيولوجى نقول ؛ الدهر والحين والحقب والعصر والبرهة واللحظة

١ — الدهر Eon

أطول مرحلة من مراحل الزمن الجيولوجى لا يقل مداها عن عدة مئات قد تصل إلى ألف أو أكثر من ملايين السنين .

٢ — الحين Era

أطول مراحل العصر فى الزمن الجيولوجى ويقاس مداها ببضعة ملايين من السنين (لا يتجاوز العشرة عادة)، ويتميز كل حين من الأحيان الجيولوجية بفصائل أجناس حيوانية ونباتية مميزة يبيد معظمها مع نهايته .

٣ — الحقب Period

المدة من الزمن ترسبت أثناءها صخور المجموعة ، وتقدر بمئات الملايين من السنين

٤ — العصر Age

أطول مرحلة من مراحل الحقب ويقاس مداها بعدد قليل من عشرات الملايين من السنين . ويتميز كل حقب برتب وفصائل حيوانية ونباتية تنقرض أغلبها أو تقل أهميتها الجيولوجية مع نهاية الحقب .

٥ — البرهة Hemera

مرحلة من الزمن الجيولوجى يقاس مداها بمئات الآلاف من السنين ويندر أن يبلغ مداها أكثر من مليون سنة . وهى أطول مرحلة ينقسم إليها حين من الأحيان الجيولوجية ويتميز بازدهار نوع معين أو عدة أنواع معينة من الحيوانات أو النباتات تنقرض أو تقل فى الأهمية الجيولوجية كثيرا مع نهايتها .

٦ — اللحظة Moment

أقصر مراحل الزمن الجيولوجى وأصغر وحداته ولا يتجاوز مداها بضع عشرات من آلاف السنين ، ويتميز بسيادة نوع معين من الكائنات خلالها أو بمرحلة معينة من تاريخ هذا النوع .

ولم تسمح وسائل تقسيم الأحقاب إلى عصور إلا فى الأحقاب الثلاثة الأخيرة فقط التى تتبع دهر الحياة الظاهرة .

## جهود مجمع اللغة العربية :

وإذا نحن عرضنا للهيئات التى كان لها الفضل فى هذه الحركة المباركة من تطويع اللغة العربية للاستعمال فى التعبيرات والمصطلحات العلمية فإننا لنضع على رأسها مجمع اللغة العربية . فهو الذي يسر الأمر بجهود أعضائه وخبرائه من أساتذة الجامعات المتخصصين ، فهم جميعا قوم عاكفون على صون اللغة وسلامتها وهى الضمان الوحيد للتفاهم الصحيح بين قطان الوطن العربى إذ أن العامية واللهجات المختلفة لا يستقيم بها تخاطب ولا تفاهم وإنما يكون ذلك باللغة العربية السليمة التى يحافظ عليها وينميها مجمع اللغة العربية بأعضائه ولجانه وخبرائه ، وكانت حصيلة جهوده فى هذا المجال خمس عشرة مجموعة تضم عشرات الألوف من المصطلحات فى العلوم المختلفة .

## المجمع المصرى للثقافة العالية :

وأذكر بالتقدير المجمع المصرى للثقافة العلمية وقد عاصرته منذ إنشائه منذ نيف

وأربعين عاما لا أذكر أنى تخلفت عن محاضرة من محاضراته أو مؤتمر من مؤتمراته الا لعذر قاهر طارئ، لقد جعل من أهم أغراضه تعريب العلم ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية، وقد حقق هذا الغرض كاملا بما نشر وأذاع من كتب ومحاضرات، وبما ترجم وعرب وناقش من موضوعات هى من صميم الموضوعات العلمية نشرها على الناس بلغة عربية سليمة. لقد استحق أعضاؤه ومؤسسوه كل تقدير أن أسهموا بأوفى نصيب فى خدمة اللغة العربية وتطويعها للتعبير العلمى .

ولا ننسى المؤتمرات العلمية العربية التى نظمها الاتحاد العلمى العربى والمؤتمرات العلمية العربية والمؤتمرات الطبية العربية التى عقدت فى العواصم العربية منذ عشرين عاما فقد عقد المؤتمر الأول فى الإسكندرية سنة ٥٣ وكان الثانى فى القاهرة سنة ٥٥ والثالث فى بيروت سنة ٥٧ والرابع فى القاهرة سنة ٦١ والخامس فى بغداد سنة ٦٦ والسادس فى دمشق سنة ٦٩ والسابع فى القاهرة سنة ١٩٧٣ . لقد عرضت من بين ما عرضت لموضوعات المصطلحات وأوصت من بين ما أوصت بضرورة الإسراع فى وضع معجم علمى عربى موحد أعد له نحو مائة ألف مصطلح روجعت جزازات نحو ثلثها ومن أسف أن توقف العمل فيه، وكان ذلك فى كنف وزارة البحث العلمى ثم أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا .

وكذلك عقدت مؤتمرات طبية عربية كثيرة كونت هيئة لترجمة المصطلحات كانت نواة لتأليف لجنة المصطلحات الطبية بمجمع اللغة العربية .

وينبغى أن نذكر بالشكر جهود أخرى بذلتها جامعة الدول العربية حين جمعت الإدارة الثقافية بها – جمعت المصطلحات العلمية التى تستعمل فى المدارس الثانوية وعملت على توحيد ترجمتها فى الأقطار العربية، فجمعت مئات المصطلحات مما يستعمل فى الرياضيات والكيمياء والطبيعة والنبات والحيوان وعرضتها على المختصين فى البلاد العربية، وقد أقرت الترجمة العربية الموحدة فى المؤتمرات العلمية .

## خبير اجنبى :

ولعلنا أن نذكر فى هذا الصدد جهود خبير أجنبى هو السيد « جميلت » الذى استقدم بمعرفة اليونسكو إبان انعقاد المؤتمر العلمى العربى الثانى سنة ١٩٥٥ وأمضى بمصر ستة أشهر عكف فيها على جمع نحو ألف وأربعمائة مصطلح فى علم الطبيعة جميعها وتعريفها من المعاجم المعبرة وفرقها فى جذاذات وزعت على المختصين لترجمتها ثم جمعت فى كتاب يقع فى جزأين عرضت بعد ذلك فى المؤتمر العلمى العربى الثالث فى بيروت، وقد أشار الخبير بمعالجة المصطلحات جملة حسب الموضوعات لا فرادى حسب الترتيب الأبجدى، كما أشار بإنشاء مكتب خاص للمصطلحات وباستعمال النظام العشرى العالمى فى تنسيقها وتبويبها .

**مكتب تنسيق التعريب :**

وها هو ذا مكتب التعريب يقوم بدوره فى هذا المجال وقد أخرج حتى الآن عددا من المجموعات التى تضم ألوف المصطلحات

ولعلنا أن نذكر كذلك عددا من المعاجم كان لها أثرها فى تذليل الصعاب مثل معجم شرف للمصطلحات الطبية والعلمية ومعجم المعلوف للحيوان ومعجم عيسى للنبات ومعجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابى ثم معجم المصطلحات الفنية الذى يضم نحوا من خمسة وثلاثين الف مصطلح فى العلوم الميكانيكية والهندسة والرياضة والطيران والبحرية وما إليها .

وهناك المعجم العسكرى الموحد الذى أشرفت على إصداره جامعة الدول العربية ويضم نحو ثمانين الف مصطلح .

ولعله قد آن الأوان لتنسيق هذه الجهود جميعا والعمل على إصدار معجم علمى عربى موحد، وهو ما أوصت به المؤتمرات العلمية العربية المختلفة، وكذلك العمل على إصدار دورية علمية عربية تكون مدرسة لكبار المتخصصين لنشر الثقافة العلمية الرفيعة والموضوعات العلمية المتخصصة الدقيقة .

**خاتمة :**

وخلاصة القول أن اللغة العربية قد أثبتت قدرتها على التعبير العلمى وعلى نقل المصطلحات العلمية الدقيقة إليها، وانها قادرة على ملاحقة التقدم العلمى فى مختلف مجالاته، لولا هذا التعويق الذى يأتى عن طريق نفر من أبنائها لا يصبرون على لأوائها، يستسهلون استعمال اللغات الأجنبية فيظن شبابنا أن هذه العلوم مستوردة من الخارج مع أنها بضاعتنا ترد إلينا، ومع أننا نحن العرب أهل أصالة وأثالة فيها .

ومن الحق أن نقول إن التعليم فى كل بلاد العالم باللغات القومية لتلك البلاد ، فيما عدا قلة ضئيلة تلك التى تعددت فيها اللغات الإقليمية أو التى خضعت للاستعمار الأجنبى ردحا طويلا ، فاضطرت لاتخاذ لغة المستعمر لغة رسمية وتعليمية لها .

ونحن فى وطننا العربى لا نستطيع أن نحقق ديمقراطية التعليم مالم يكن باللغة القومية، ولست أدرى إذا لم تكن العربية هى لغة التدريس فى الجامعات العربية، فلماذا يتعين أن تكون الإنجليزية أو الفرنسية إن استعمال اللغة العربية فى التعليم الجامعى إنما هو وسيلة أكيدة للابداع العلمى وربط الجامعة بالمجتمع ورفع المستوى الثقافى والعلمى للأمة العربية ومنع الانفصال بين التفكير والتعبير . ولا مراء فى أن الدعوة إلى بناء المجتمع العربى تبقى ناقصة إذا أغفلت التركيز على اللغة العربية باعتبارها المقوم الرئيسى للوجود العربى . وليس معنى اتخاذ العربية لغة للتدريس فى الجامعات والمعاهد عدم العناية باللغات الأجنبية بل على النقيض ان ذلك ادعى لمضاعفة الجهد فى سبيل تقوية الطلاب فى اللغات الأجنبية

وذلك لمتابعة الاطلاع على المنجزات العلمية بلغاتها الأصلية .

وإذا كان قد غدا من العسير ملاحقة التقدم العلمى الهائل حيث ينشر أكثر من مليونين من البحوث العلمية المبتكرة سنويا فى أربعين لغة ، فلا أقل من ملاحقة ماينشر باللغات الأجنبية الأكثر شيوعا كالإنجليزية والفرنسية والروسية والألمانية إلى جانب ألوف الكتب العلمية التى تنشر بهذه اللغات وإنما يكون ذلك بتقليد مافعله الرشيد والمأمون من إنشاء ديوان للترجمة فى بيت الحكمة فى العصر الذهبى للحركة العلمية فى العصر الإسلامى .

والآن وقد ثبتت قدرة اللغة العربية على التعبير العلمى ، فحبذا أن يوصى مؤتمرنا بالآتى :

١ — أن تكون العربية لغة التدريس فى جميع الجامعات والمعاهد العربية .

٢ — الإسراع فى إصدار معجم علمى عربى موحد .

٣ — إنشاء ديوان للترجمة تحشد له أرقى الكفايات العلمية لنقل البحوث والكتب العلمية إلى اللغة العربية .

٤ — تأكيد العناية بتدريس اللغة العربية واللغات الأجنبية فى المدارس والجامعات والمعاهد .

وبعد ، فإنه مما يشرف جيلنا أن ننفى عن العربية تهمة الجمود والقصور ، وأن نجعلها لغة العلم كما فعل أسلافنا فى الزمن الماضى ، حين جعلوا منها لغة للنشر العلمى العالمى ، وعنها نقل أهل أوربا علوم العرب وفنونهم . . ولولا هذه الإغفاءة التى طالت بضعة قرون لكان الحال غير الحال ، ولاستمر قصب السبق فى أيدينا ، ندل به على من نشاء ، وهانحن ننضو ثوب الخمول ونركض نحو المجد وثبا نريد أن نستعيد مجد السلف وأن نلحق بالركب ونشارك فى بناء صرح المدنية والحضارة ونحن الألى أسسنا بناءه وأقمنا دعائمه فى سالف الأزمان ونمد نهر المعرفة بروافد من أعذب روافده وأغزرها مادة وأسلسها أسلوبا وأفصحها بيانا ، إنها معرفة علمية صيغت بلغة الضاد يقرؤها مائة مليون من الأنفس هم قطان الوطن العربى نريد لهم وحدة قوية عزيزة ، محاطة بسياج من العلم ، سداها العلم ولحمتها العلم ولغتها العربية الفصحى

والله ولى التوفيق والسلام ، ، ،

**عبد الحليم منتصر**
عضو المجمع

# معنى ( كاد )
# فى الإثبات والنفى

للدكتور أحمد الحوفى

يتردد الفعل ( كاد ) مثبتا تارة ، ومنفيا تارة ، فما معناه فى الحالين ؟

أوثر ألا نتعجل الجواب ، بل نستأنس أولا بآراء النحاة ، ثم نعتمد على القرآن الكريم وعلى الشعر القديم فى تعرف الدلالة الحقيقية للفعل كاد فى الإثبات وفى النفى .

**أولا ( فى النحو ) :**

١ ـ قال جمهور النحاة إن كاد وكرب وأوشك وضعت للدلالة على قرب الخبر ، وإن كان قربه لا يستلزم وقوعه ، بل قد يستحيل وقوعه كما فى قوله تعالى : « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » .

فإذا قال قائل : كاد زيد يبكى ، فمعناه قارب زيد البكاء ، أى أن مقاربة البكاء ثابتة ، ولكن البكاء نفسه منتف .

وقد عبَّر الفراءُ والأزهرى عن هذا بأن إثبات كاد نفى ، أى نفى لوقوع الخبر ، لأنك إذا قلت : كدت أبلغ إليك ، فمعناه أنك قاربت البلوغ ولم تبلغ .

٢ ـ أما كاد المنفية نحو قولنا : لم يكد الثمر ينضج ، فمعناه عند الجمهور أنه لم يقارب النضج ، أى أن المقاربة منفية ، والنضج نفسه منتف انتفاء أبعد من قولنا : كاد الثمر ينضج ، وبهذا فسر الأخفش قوله تعالى : « إذا أخرج يده لم يكد يراها » بأنه لا يراها .

على حين أن الفراء والأزهرى يذهبان إلى أن نفيها إثبات ، فإذا قلت : ما كدت أبلغ إليك ، فمعناه أنك قد بلغت[1] .

(١) شرح الأشمونى ٢ / ٩١ ـ ١٠٣ وشرح ابن يعيش ٧ / ١٢٤ ولسان العرب ب مادة "كيد" .

## ثانيا ( كاد فى الاثبات ) :

### (١) فى القرآن الكريم

١ ـ قال تعالى : « ولما رجع موسى إلى قومه غضبانَ أسِفًا قال : بئس ما خَلَفْتمونى مِنْ بَعْدِى ، أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ ربكم ؟ وأَلْقَى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يَجُرُّهُ إليه ، قال : ابنَ أُمَّ إنَّ القوم استضعفونى ، وكادوا يقتلوننى ، فلا تُشْمِتْ بِىَ الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين »[١] .

فما معنى كاد هنا ؟

المعنى أننى لم آل جهدا فى معارضتهم ووعظهم وإنذارهم ، لكنهم غلبونى على أمرى ، ولم يبق إلا أن يقتلونى ، وقد قاربوا ذلك .

٢ ـ وقال سبحانه : « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتَّبعوه فى ساعة العُسْرة مِنْ بَعْد ما كاد يَزِيغُ قلوبُ فريقٍ منهم ، ثم تاب عليهم إنه بهم رءُوف رحيم »[٢] .

فقد كان المسلمون فى غزوة تبوك فى ضيق شديد ، لأن رواحلهم قليلة ، وأزوادهم ضئيلة ، وكان ماؤهم نَزْرا ، حتى إنهم نحروا الإبل واعتصروا فروثها ، وكان الحر شديدا ، ولهذا كادت قلوب بعضهم تنصرف عن ثباتها على الإيمان ، أو تنصرف عن اتباع رسول الله فى الخروج معه فى تلك الغزوة .

ومعنى هذا أن قلوب هذا الفريق لم تزغ ، بل قاربت أن تزيغ .

٣ ـ وقال تعالى : « وإن كادوا لَيَفْتِنونك عن الذى أَوحَيْنا إليك لتَفْتَرِىَ علينا غيره ، وإذاً لا تَّخذوك خليلًا . ولولا أن ثَبَّتناك لقد كِدْتَ تَرْكَنُ إليهم شيئا قليلًا »[٣] .

وذلك أن ثقيفا أو قريشا عرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يسلموا لكنهم اشترطوا شروطا ، ولولا أن الله تعالى ثَبَّت النبى وعصمه لقارب أن يميل إلى الرضا بشروطهم ، لشدة رغبته فى إسلامهم .

٤ ـ وقال سبحانه : « وقالوا اتَّخذَ الرحمنُ ولدا . لقد جئتم شيئا إدًّا ، تكاد السماوات يتَفَطَّرْنَ منه ، وتَنْشَقُّ

(١) سورة الأعراف ١٥٠
(٢) سورة التوبة ١١٧
(٣) سورة الإسراء ٧٣ ـ ٧٤

الأَرضُ ، وتَخِرُّ الجبال هَدًّا ، أنْ دَعَوْا للرحمن ولدا »[١] .

أى أن نسبتهم ولدا إلى الله تعالى كلمة شنيعة فظيعة ينكرها العقل السليم ، وتبرأ منها الجمادات ، وتوشك أن تنفطر وتنشق وتخر من هول هذه الفرية وبطلانها .

٥ – وقال تعالى : « الله نورُ السماوات والأَرض ، مَثَلُ نوره كمِشْكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجةُ كأَنها كَوكَب دُرِّىٌّ يُوقَدُ منْ شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكاد زيتها يضىءُ ، ولو لم تمسسه نار ، نورٌ على نور ، يَهدِى الله لنوره من يشاءُ ، ويَضْرِبُ الله الأَمثالَ للناس ، والله بكل شىءٍ عليم »[٢] .

أى أن الزيت بسبب صفائه وبريقه ولمعانه يقارب أن يضىءَ من غير نار .

٦ – وقال سبحانه : « أَلم تر أن الله يُزْجِى سحابا ، ثم يُؤَلِّف بينه ، ثم يَجْعَلُهُ رُكاماً ، فترى الوَدْقَ يَخْرُجِ منْ خلاله ، ويُنَزِّلُ من السماءِ من جبال فيها منْ بَرَدٍ ، فيصيب به مَنْ يشاءُ ، وَيصْرِفُه عَنْ مَنْ يشاءُ ، يكاد سَنَا بَرْقه يَذْهبُ بالأَبصار »[٣] .

ومعنى هذا أن ضوءَ البرق يقرب من أن يخطف الأَبصار ، ولا يخطفها .

٧ – وقال تعالى : « وإذا رأوك إنْ يتَّخذونك إلا هُزُوًا . أهذا الذى بَعَثَ اللهُ رسولا ؟ إنْ كاد ليُضِلُّنا عن آلهتنا لولا أَنْ صَبَرْنا عليها ، وسوف يَعْلمون حين يرون العذابَ مَنْ أَضلُّ سبيلاً »[٤] .

ويتبين من الآية أن النبى عليه الصلاة والسلام بذل أقصى جهده فى دعوتهم إلى الإسلام ، مع عرض المعجزات عليهم حتى شارفوا أن يتركوا دينهم ويسلموا ، لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم .

٨ – وقال سبحانه : « وأَصبح فؤادُ أَمِّ موسى فارغا ، إنْ كادتْ لتُبْدِى به ، لولا أَنْ ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين »[٥] .

(١) سورة مريم ٨٨ – ٩١
(٢) سورة النور ٣٥
(٣) سورة النور ٤٣
(٤) سورة الفرقان ٤١ – ٤٢
(٥) سورة القصص ١٠

أى أن أم موسى لما سمعت بوقوع موسى فى يد فرعون طار صوابها من شدة الجزع حتى قاربت أن تجهر بأن موسى ابنها ، لولا أن الله تعالى ألهمها الصبر لتكتم الخبر ، ولتكون من المصدقين بوعد الله لها فى قوله « إنا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسلين » .

أو أنها حينما سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه كادت من شدة فرحها تبوح بأنه ابنها ، لولا أن الله ثبتها وألهمها الصبر .

**(٢) فى الشعر :**

١ ـ قال أبو صخر الهذلى :

تكاد يَدِى تَنْدَى إذا ما لمستُها
وينبت فى أطرافها الورق النّضْرُ[(١)]

فهو يصور سعادته إذا لمستها يده بهذه الصورة ، وهى أن يده تقرب من الإيراق الجميل .

٢ ـ وقال قيس بن ذَرِيح :

وَعَذّبه الهوى حتى براه
كَبْرِىِ القَيْنِ بالسَّفَنِ القِداحا
وكاد يذيقه جُرَعَ المنايا
ولو سَقّاه ذلك لا ستراحا[(٢)]

أى أن الحب هزله وقارب أن يسقيه جرع الموت ، وهو لم يسقه إياها ، لأنه لو شربها لاستراح ، وما قال ولو سقاه ذلك لاستراح .

٣ ـ وقال رجل من بنى جَعْدة :

إذا دعا باسمها داعٍ ليَحْزُنُنى
كادتْ له شُعْبَةٌ من مهجتى تَقَعُ[(٣)]

أى أوشكت وقربت أن تقع .

٤ ـ وقال رجل من قيس :

وفيهن مَنْ بُخْتِ النساء رِبَحْلَةٌ
تكاد على غُرِّ النساءِ تَرُوقُ[(٤)]

فهى فى نظره لم تفق النساء الحسان ، بل قاربت أن تفوقهن ، وهو بهذا التعبير صادق ، لأنه يعلم أنها لم تفق النسوة الحسان جميعا .

## ثالثا ( كاد فى النفى ) :

( ١ ) فى القرآن الكريم

١ ـ قال تعالى : « قالوا الآنَ جئتَ بالحق. فذبحوها ،وما كادوا يفعلون »[(٥)] :

أى أن قوم موسى تباطأ وا فى ذبح البقرة ، وتلكأُوا ، وأطالوا فى أسئلتهم

---

( ١ ) الأمالى ١ / ١٤٩

( ٢ ) الأمالى ١ / ١٦٢ القين : الحداد . السفن جلد أو حجر ينحت به الشىء ويسحج القدح .

( ٣ ) الأمالى ٢ / ٢٧٣ . (٤) الأمالى ١ / ١١٨ بخت وربحلة : المراد ضخمة ممتلئة. (٥) سوره البقرة ٧١

عن صفاتها ، وهم يقصدون التهرب من ذبحها ، حتى إن حالتهم كانت تدل على أنهم لم يقاربوا الاستجابة والطاعة ، ثم بعد هذا كله اضطروا إلى ذبحها .

ففى الآية الكريمة معنيان ، لكل منهما حاله وزمانه .

وأغلب الظن أن الذين ذهبوا إلى أن نفى كاد إثبات فهموا أن قوله تعالى « فذبحوها وما كادوا يفعلون » تصوير لحالة واحدة فى زمان واحد ، أى أنهم ذبحوا البقرة فعلا ولكن بعسر ومشقة .

والحق أن الإثبات لم يفهم من قوله تعالى « وما كادوا يفعلون » بل فهم من قوله سبحانه « فذبحوها » فالنفى الداخل على الفعل كاد ما زال نفيا ، ويحسن أن استأنس هنا بما قاله الطبرى والزمخشرى .

أما الطبرى فإنه قال : وما كادوا يفعلون ، أى أنهم كادوا لا يفعلون ، لأنهم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة ، لغلاء ثمنها ، ولخوف الفضيحة على أنفسهم حينما يظهر قاتل القتيل الذى اختصموا فيه[1] .

وأما الزمخشرى فقال : وما كادوا يفعلون ، استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم ، وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها ، وما كادت تنتهى أسئلتهم ، وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم[2] .

٢ ـ وقال تعالى : « قل كلٌّ مِنْ عِنْد الله ، فما لهؤلاءِ القومِ لا يكادون يفقهون حديثا[3] » .

وذلك أنهم زعموا أن ما أصابهم من خير ونعمة منسوب إلى الله ، وما أصابهم من قحط وشر منسوب إلى رسول الله ، وهم مبطلون فى زعمهم ، لأن الله تعالى هو الفعال ، وهو الذى يبسط الأرزاق ويقبضها ، فما بالهم لا يقاربون أن يفهموا فيعلموا هذه الحقيقة ؟ وليس المراد أنهم فهموها بعسر .

٣ ـ وقال سبحانه : « واستفتحوا وخاب كلُّ جبارٍ عنيد ، مِنْ ورائه

---

(١) تفسير الطبرى ١ / ٢٨١
(٢) تفسير الزمخشرى ١ / ٧٥
(٣) سورة النساء ٧٨

جهنم ، ويُسْقَى مِنْ ماءٍ صديد ، يتجرَّعُه ولا يكاد يُسيغه ، ويأْتيه الموتُ مِنْ كل مكان ، وما هو بمَيِّتٍ ، ومِنْ ورائه عذابٌ غليظ[(1)] » .

أي أنه يتجرع الصديد ولا يقارب أن يسيغه ، فكيف تكون إساغته إذن ؟

ويفهم من الآية أن الإساغة لم تقع مهما يكن عسرها .

٤ ـ وقال تعالى : « حتّى إذا بلغ السَّدَّيْن وجد منْ دُونِهما قوما لا يكادون يفقهون قولا[(٢)] » .

أي أن ذا القرنين لما بلغ ما بين السدين وجد من دونهما قوما لا يقاربون أن يفهموا الكلام ، ولهذا يتم التفاهم معهم بالإشارة ونحوها ، فهم مثل البكم ، لأن لغتهم غريبة على ذى القرنين ، ولأن لغته مجهولة لهم .

٥ ـ وقال سبحانه : « والذين كفروا أعمالُهم كسراب بقِيعة ، يَحْسَبُهُ الظمآن ماءً ، حتّى إذا جاءَه لم يجده شيئا ، ووجَدَ اللهَ عنده فَوَفَّاه حسابه ، واللهُ سريعُ الحساب . أَو كظلمات فى بحر لجِّيٍّ يَغْشاه موجٌ مِنْ فوقه موجٌ مِنْ فوقه سحاب . ظلماتٌ بَعْضُها فوق بعض ، إذا أخرَجَ يَدَه لم يَكَدْ يراها ، ومَنْ لم يجعلِ اللهُ له نورًا.فما له مِنْ نورٍ[(٣)] .

فى هاتين الآيتين وصف لظلمات متراكمة ، إذا أحاطت بإنسان وأخرج فيها يده لم يقارب أن يراها .

وهذا هو الذى يتناسب والظلمات الموصوفة ، وهو أبعد فى نفى الرؤية ، لأن الذى لا يرى قد يقارب أن يرى ، أو يرى رؤية ضعيفة ، ولكن الذى لا يقارب أن يرى لا يرى شيئا ما ، وهذا هو المراد من الآية الكريمة ، ويعززه تشبيه أعمال الكفار بالسراب ، فإن السراب لا حقيقة له ، ثم شبهت أعمالهم بالظلمات المتراكمة التى لا تهدى إلى شىء ولا يمكن أن يُرَى فيها شىءٌ .

٦ ـ وقال سبحانه على لسان فرعون : « أَم أَنا خيرٌ من هذا الذى هو مَهِينٌ ، ولا يكاد يُبين[(٤)] » .

(١) سورة إبراهيم ١٥ ـ ١٧

(٢) سورة الكهف ٩٣

(٣) سوره النور ٣٩ ـ ٤٠

(٤) سورة الزخرف ٥٢

فقد زعم فرعون لقومه أنه خير من موسى عليه السلام ، ووصفه بالضعف والحقارة وبالعجز عن الإبانة .

**( ٢ ) فى الشعر :**

١ – قال ذو الرُّمَّة :

إذا غَيَّر النأْىُ المحبين لم يَكَدْ
رسيسُ الهوى من حب مَيَّةَ يبْرَحُ (١)

يريد أنه إذا أضعف الفراق الحب فى قلوب المحبين فإن حبى لم يقارب الضعف والتغير .

وهذا أدل على ثبات حبه من أن يقول لم يبرح حبها قلبى ، فقد يكون حبها باقيا فى قلبه وهو ضعيف أو قريب من الزوال ، ولا يطاوعنا الأسلوب إذا أردنا أن نفهم البيت على أن النفى إثبات ، لأن المعنى يصير حينئذ إذا تغير المحبون جميعا تغيرت ، وهذا غير ما قصده الشاعر .

٢ – وقال قيس بن ذُريح أو قيس المجنون :

وما كاد قلبى بعد أيامَ جاوزَتْ
إلىَّ بأجراع الثُّدِىِّ يَريعُ (٢)

أى أن عقله بعد رحيل محبوبته لم يقارب العودة إليه ، وليس المراد أنه عاد ، لأن عودته مهما تكن عسيرة لا تتفق والصورة الغزلية التى يقصدها .

٣ – وقرأ أبو على القالى على أبى بكر بن دُرَيْدْ :

وقد لان أيامُ اللِّوَى ثم لم يكد
من العيش شئٌ بعدهنَ يَلينُ (٣)

فهو يصف الحياة فى أيام اللوى باللين ، ويصفها بعد أيام اللوى بالقسوة والجفاف وبأنها لم تقارب اللين ، ولا يريد أنها لانت مهما يكن لينها ضعيفا ، وهذا هو الذى يلائم ضيقه بالحياة بعد أيام اللوى .

٤ – وقال المرَّار بن مُنْقذ :

وإذا تمشى إلى جاراتها
لم تكد تَبْلُغُ حتى تَنْبَهِرْ (٤)

(١) رسيس الهوى : ثابته .
(٢) الأمالى ١ / ١٣٦
(٣) الأمالى ١ / ١٦١
(٤) المفضليات ١ / ٨٩

أى أنها ذات جسد ممتلىء ، وذات نعيم ، فإذا مشت من دارها إلى دارجارتها تلاحق نفسها سريعا ، وأدركها الإعياء قبل أن تصل .

## رابعا ( النتائج ) :

تبين من الآيات القرآنية الكريمة ومن النصوص الشعرية ما يأتى :

١ - ( كاد ) فعل يدل فى حالة الإثبات على مقاربة الخبر ، ولا يدل على وقوعه فى أية صورة من الصور .

٢ - أما ( كاد ) الفعل المنفى فإنه ينفى مقاربة الخبر ، ولهذا كان الخبر المنفى بعده أبعد من المنفى بدونه ، فقولنا : لا أكاد أصدق هذا الخبر أوغل فى نفى التصديق من قولنا : أكاد أصدق هذا الخبر .

وهذا يخالف ما ذهب إليه الفراء والأزهرى فى قولهما إنك إذا قلت : ما كدت أبلغ إليك ، فمعناه أنك قد بلغت ، ويؤكد ما ذهب إليه الأخفش وغيره فى فهم ما بعد نفى كاد على أنه أوغل فى نفى الخبر منه بغيرها .

٣ - أما دخول النفى على خبر كاد نحو قضيت أياما فى بلد كاد فيه المطر لا ينقطع ، فإننى لم أجده فى نص موثوق به ، ولكن النحاة أجازوه ، والقياس لا يمنعه ، والمعنى حينئذ أن المطر قارب ألا ينقطع ، فالنفى منصب على الانقطاع لا على مقاربة الانقطاع .

وقد روى بيت زهير بن أبى سلمى :

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو  
وأقفر من سلمى التعانيق فالثّقلُ

بوضع كاد بدلا من كان .

وجاء فى تفسير الطبرى قوله : عن ابن عباس فذبحوها وما كادوا يفعلون ، يقول كادوا لا يفعلون[1] .

والفرق بين قولنا : ما كاد المطر ينقطع وقولنا : كاد المطر لا ينقطع ، أن النفى فى الجملة الأولى منصب على مقاربة الانقطاع ، أما النفى فى الجملة الثانية فهو منصب على الانقطاع نفسه ، ولهذا كان النفى فى الأولى أوغل من النفى فى الثانية .

ومعنى هذا أن الخبر المنفى بنفى يسبق كاد أبعد من الخبر المنفى بنفى يجىء بعدها .

**احمد الحوفى**  
عضو المجمع

(١) تفسير الطبرى ١ / ٢٨١ .

# ثلاث قصائد تاريخية

للدكتور إسحاق موسى الحسيني

شهد العالم الإسلامي ، في القرن الرابع الهجري ، أحداثا جساما ضعضعت كيانه ، وأذوت البراعم التي تكوّنت في القرنين الثاني والثالث . من هذه الأحداث اشتداد نفوذ الأعاجم في الدولة العباسية ، وعبثهم بالخلفاء ، والافتئات على سلطانهم ، حتى أضحوا كالدمى لا تضرّ ولا تنفع . ومنها الانشقاق في المجتمع الإسلامي بسبب تصارع النزعتين السنّية والشيعية . ومنها القتال الذي استعر أواره بين الروم والمسلمين على الثغور ولا سيما إمارة حلب .

ومن الطبيعي في مثل هذه الأحوال أن ينعكس الصراع في الأدب العربي . فقد كانت ألسنةُ القومِ أشبه بسيوف لا تقع معركة إلا خاضت فيها ، كما تخوض الرماح والسيوف . وقتال الألسنة لا يقلّ خطرا عن قتال السيوف ، لأنها كانت تزيد نيران البغضاء اضطرابا ، فيشتدّ الصراع عنفا .

وقد نشرت أخيرا ثلاث قصائد تاريخية ذات لون خاص فريد . فهي تصور المعركة التي احتدمت بين المسلمين والروم في القرن الرابع الهجري ، وتكشف النقاب عن أثر الدين في المعركة ، ومبلغ ما وصل إليه الخلاف الديني من استحكام .

أولى القصائد ، وبداية الشرّ ، قصيدة أرسلها نقفور بن الفقاس ، الملقب بالدمستق ، المتوفى سنة ٣٥٢هـ ـ ٩٦٣ م والذي تولى قتال المسلمين باسم رومانوس بن قسطنطين ، ملك الروم ، أرسلها إلى الخليفة العباسي المطيع لله المتوفى سنة ٣٦٤ هـ ـ ٩٧٤ م . وفي أيامه

تولى الديلم زمام الحكم ، ولم يكن له من رسم الملك سوى الخطبة .

والقصيدة تقع فى اثنين وخمسين بيتا ، مطلعها :

من الملك الطهر المسيحى رسالة
إلى قائم بالملك من آل هاشم

وبعد المقدّمة القصيرة يعيرّ نقفور المسلمين بضعفهم وانكشاف ثغورهم . ثم يعدّد الثغور التى فتحها الروم مثل : جند قنّرين ، وملطة ، وسميساط ومرعش والرها . . . إلخ . ثم ينتهى عند فتح حلب ، وهنا يقف وقفة طويلة فيصف سبيهم الحرائرَ من النساء المسلمات ، وفتكهم بالمسلمين وسوقهم الأسرى سوق البهائم . ثم يهدد بفتح أنطاك ( أنطاكية ) ودمشق ومصر وبغداد والقدس ومكه واليمن . وفى أثناء ذلك يعيرهم باستسلامهم للحاكم الديلمى ووقوفهم منه موقف العبيد ، ويأمرهم بالعودة إلى منبت عودهم ــ بلاد الحجاز .

فعودوا إلى أهل الحجاز أذلّةً
وخلو بلاد الروم أهل المكارم

ثم يُبين أسباب هزيمتهم ، فيذكر :

(١) جور السلطان .

(٢) التعامل بالمنكرات .

(٣) بيع القضاة القضاء .

(٤) شهادة الشيوخ بالزور .

(٥) شيوع البرطيل .

ثم يختم قصيدته بالتوعد بنشر دين الصلب وذم الرسول صلوات الله عليه .

سأفتح أرض الشرق طرا ومغربا
وأنشر دين الصلب نشر العمائم

ومن البديهى أن القصيدة ليست من نظم نقفور الأرمنى ، ولا من نظم أحد من أهل القسطنطينية . ولكنها من نظم أحد المسلمين المرتدين الذين أسرهم الروم ونقلوهم من ديارهم إلى القسطنيطينية ، واستطاعوا أن يحملوهم على نظم هذا الكلام . ولم يفت ابن كثير فى البداية والنهاية الانتباه إلى هذه الحقيقة ، فذمّ الناظمَ وقال : « إنه ممن كان قد خذله الله وأذله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وصرفه عن الإسلام وأهله . وفى الوقت نفسه لم تفته الإشارة إلى تمكن صاحبها

من النظم فقال : « ونفس ناظمها تدل على أنه شيطان مارد » .

ونقفور هذا هو الذى قاتل سيف الدولة فى حلب ، وهو الذى هزمه سيف الدولة فى سمندو سنة ٣٣٩ ﻫ فقال المتنبي :

رضينا والدمستق غير راضٍ
بما حكم القواضب والوشيج
فإن يقدم فقد زرنا سمندو
وإن يحجم فموعدنا الخليج

وهو الذى أسر أبا فراس الحمدانى سنة ٣٥١ ﻫ .

وانتهت حياة نقفور نهاية بشعة . فقد عاد سنة ٣٥٢ ﻫ من حلب إلى القسطنطينية فوجد ملكها رومانوس قد توفى عن صبيين ، فحدثته نفسه بالاستيلاء على الملك عن طريق الزواج من الملكة . ولكن التاجَ لم يستقرّ على رأسه طويلا إذ سرعان ما دبرت الملكة قتله فقتل غيلة .

تصدّى للردّ على قصيدة نقفور عالمان جليلان من علماء المسلمين ، أحدهما شاعر معاصر لنقفور هو محمد بن على ابن إسماعيل القفّال الشاشى المتوفى سنة ٣٣٦ ﻫ ـ ٩٤٧ م ، أى قبل وفاة نقفور بنحو ستة عشرعاما . والثانى عالم الأندلس فى عصرعلى بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ ﻫ ـ ١٠٦٤ م ، أى بعد وفاة نقفور بنحو مائة سنة .

تقع قصيدة القفّال فى أربعة وسبعين بيتا من القافية والبحر نفسيهما ، كال فيها الصاع صاعين ، كما يقال ، وأجاد إجادة استرعت نظر أحبارالقسطنطينية يومذاك فسألوا عن الشيخ القفّال من هو ؟ ومن أى بلد هو ؟ وتعجبوا من قدرته على النظم .

بدأ القفّال القصيدة بقوله :

أتانى مقال لامرئ غير عالم
بطُرْق مجارى القول عند التخاصم

ثم برأ نقفور من طهر المسيحية فقال :

تسمى بطهر وهو أنجس مشرك
مدنّسة أثوابه بالمداسم
وقال مسيحى ، وليس كذاكمُ
أخو قسوة لايَحْتذى فِعْلَ راحم

وليس مسيحيا جهولا مثلثا
يقول لعيسى جلّ عن وصف آدم
وما الملك الطُّهرُ المسيحيُّ غادرا
ولا فاجرا ركّانةً للمظالمِ

وفى هذا القول براعة ، فقد طعن خصمه دون أن يقدح فى دينه . فالمسيحية فى رأيه تبرأ مما يتصف به نقفور من غدر وفجور . ثم يوازن بين حروب نقفور المتسمة بالغدر وحروب المسلمين المتسمة بالرحمة اتباعا لوصايا الرسول عليه السلام .

ولكن كَرُمْنا إذ ظَفِرنا وأنتم
ظَفِرتم فكنتم قُدْوةً للألائم

ثم يحاجه فى قوله إن المسلمين هزموا لتفشى الظلم وفساد القضاة بأن ذلك إقرار بصحة الدين .

ثم يستخف بتهديداه بفتح بلاد المسلمين ، ويتطرق إلى عقيدة التثليث فينقدها ، ويرى المسيح عليه السلام رسولا كريما ، والله تعالى خالق المسيح وغيره من الأنبياء . ثم يلمح إلى أن ارتداد نفر من المسلمين عن الإسلام لا يضير الإسلام فى شىء ، فقد دخل الإسلام هند وصين وأتراك .

أما التعيير بحكم الديلمى فجوابه أن للحقّ أنصارا يذودون عنه مثل سيف الدولة الحمدانى ومنصور بن نوح :

هما أمّنا الإسلام من كل هاضمٍ
وصانا بناء الدين عن كلّ هادم

ثم يتوعده بغزو الخراسانيين بخيول مسومة .

ويختم قصيدته بدعوته إما إلى حرب تجر عليهم الويلات ، وإما إلى إسلام فيه السلامة .

وإن تُسْلموا فالسلم فيه سلامة
وأهنأُ عيش للفتى عيش سالم

أما قصيدة ابن حزم فطويلة تقع فى ١٣٧بيتا على غرار القصيدتين السابقتين وزنا وقافية .

يردّ ابن حزم هزيمة المسلمين إلى ضعف الخلافة . ولو كان الخليفة فى صفات جدوده لجرع الأعداء سموم الأراقم . يضاف إلى ذلك انشغال الخلفاء بالقضاء على فتن الأتراك والديلم الذين كفروا بنعم المنعم عليهم . وانتهز الروم انشغال الخلفاء فوثبوا على ديار المسلمين .

ثم عدد ابن حزم البلاد التى فتحها المسلمون كالشام ومصر والقَيْروان والأندلس حتى لم يبق بأيدى الروم إلا رومة وقسطنطينية . أما مااستردوه فيما بعد فسيعود إلى المسلمين . ولابُدَّ من أن تستردَّ الخلافة نورها ، وأن تعود إلى المسلمين أيام الظفر كما حدث فى ماضى الأيام زمن هرقل وقيصر . أما التهديد بفتح بلاد المسلمين مثل بغداد والرملة ودمشق والحجاز فأمانى دونها ضرب يُلقِّى الرومَ كلَّ مذلة . ويطيل ابن حزم فى وصف قوة المسلمين وشجاعتهم وما سيلاقيه الروم من قتلٍ ودمارٍ وهزيمة ، كما يطيل فى ما بعدّه كل بلد من دفاع واستبسال . ومن ذلك قوله :

وجمع كموج البحر ماض عرمرم
حمى سرة البطحاء ذات المحارم

ومن دون قبر المصطفى وَسْطَ طَيْبَة
جموع كمسودٍّ من الليل فاحم

يقودهم جيش الملائكة العُلا
كفاحاً ودفعاً عن مُصَلٍّ وصائم

فلو قد لَقِيناكم لعدتم رمائماً
بمن فى أعالى نجدنا والحضارم

ثم يكر عليهم ويتوعدهم بفتح بلادهم حتى يصل المسلمون أرض الصين والهند

إلى أن يرى الإسلام قد عم حكْمه
جميعَ البلاد بالجيوش الصوارم

ثم يصل إلى الجدل الدينى ويوازن بين العقيدتين فيركّز على التثليث وانتحال الأناجيل والصلب ، وما يقابلها من توحيد وصدق رسالة وقوة برهان . ويعد آراءهم افتراء وضلة بحق السيد المسيح عليه السلام .

ولكنه عبد بنىّ مُكرم
ولكنه عبد نبىّ مُكرم
من الناس مخلوق ولا قول زاعم

وبلغت أبيات هذا الجدل أكثر من ثلاثين بيتا . وهنا يصل إلى ختام القصيدة وينتهى بالبيتين التاليين :

أتيتم بشعر بارد متخاذل
ضعيف مبانى النظم جم البلاغم

فدونكها كالعقد فيه زمرد
ودرّ وياقوت بإحكام حاكم

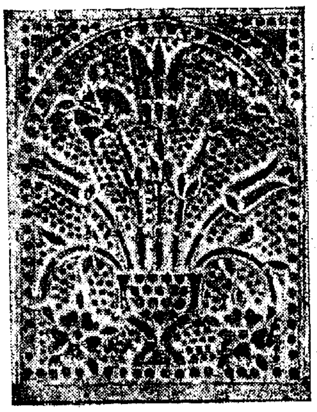
ونلاحظ : أولا أن هذه القصائد الثلاث تكوِّن موضوعا جديدا فى الشعر العربى ، يمكن أن نسميه « الهجاء الدولى ». ثانيا : أنها أقدم ما نعرف من شعر عربى فى

هذا الباب فى العصر الإسلامى . ثالثا : أن شاعر الروم أقذع فى ختام قصيدته حتى إن التاج السبكى ناشر القصائد فى طبقات الشافعية الكبرى – الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ١٩٦٥ ص ٢٠٩ – لم يستجز إثبات الأبيات الثلاثة الأخيرة ، واثبتها ابن كثير فى البداية والنهاية . وكان موقف الشاعر القفال معتدلا فلم يطل الجدل الدينى . أما ابن حزم فقد أخذته الحميّة الدينية فأطال فى هذا الموضوع الشائك .

رابعا : إن نفس ابن حزم الطويل يدل على قدرة فى النظم لا سيما وقد التزم البحر والقافية فكان عليه أن يتقيد بما فرض عليه من نظام . وهى قدرة لا نذكر أنّ أحدا من مؤرخيه نصّ عليها . فقد برّز الشيخ بنثره وعلمه حتى عدّ عالم الأندلس فى عصره وأحد أئمة المسلمين .

وأخيرا كم فى بطون المخطوطات من آثار طواها عنا الزمن ! ولو كشفت لنا جميعها لبان لنا أنّا عرفنا عن الحضارة الإسلامية والأدب العربى شيئا وغابت عنا أشياء .

**اسحاق موسى الحسينى**
عضو المجمع من الأردن



# كتاب الجيم
## لأبى عمرو الشيبانى

للدكتور مراد كامل

تحتفظ مكتبة الأسكوريال بأسبانيا تحت رقم ٥٧٢ بالمخطوطة الوحيدة لكتاب الجيم : ويغلب على الظن أنه إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى كانت هناك بعض نسخ أخرى من كتاب الجيم : وقد كان كتاب الجيم مصدرا من مصادر مرتضى الزبيدى ( المتوفى سنة ١٧٩١ م ) فى معجمه « تاج العروس » الذى ألفه فى مصر :

**وصف المخطوطة رقم ٥٧٢ بالاسكوريال وتاريخها :**

تضم المخطوطة ٢٨٦ ورقة ، وهى على ورق ، وعدد الأسطر فى الصفحة يتراوح بين ٢٠ ، ٢٥ سطراً . جرى الناسخ على الاقتصاد فى الإعجام أو الشكل فى الألفاظ الشائعة ، وعلى العكس من ذلك حيث نجد كلمات الأصول حافلة بالشكل : وعلى هامش النسخة دونت ملاحظات عديدة ، أكثرها بخط الناسخ :

وليس بالمخطوطة تاريخ أو اسم الناسخ ، وقد أرخها « ديرنبرج » فى كتابه عن المخطوطات العربية بالأسكوريال باريس سنة ١٨٨٤ بالقرن السادس أو السابع الهجرى ( الثانى عشر أو الثالث عشر الميلادى ) ، وذهب « كرنكو » إلى أن المخطوطة أقدم بكثير مما ذهب إليه « ديرنبرج » لأن قاعدة الخط تدل على ذلك ، ففيها الحروف التى تقرب من الكوفى وفيها تؤدى الألف الممدودة بألفين متتابعين ، وفى الأفعال المضارعة الواوية اللام يكتب ألف الوقاية فى آخر الفعل المفرد ، ونرى صورة الألف فى الخط تميل فى أسفلها ناحية اليمين وهذا معروف فى الخط الكوفى . وفى الجملة فإن الاعتبارات التى ذكرناها ومقابلة خط المخطوطة بالمخطوطات غير القرآنية يجعل تاريخها فى القرن الرابع أو الخامس الهجرى ( العاشر أو الحادى عشر الميلادى ) :

**ملكية المخطوط :**

كتب على صفحة العنوان ملكيات مختلفة للكتاب : « لعبد الله بن يوسف بن هشام

الأنصارى عفى الله عنه ، ثم صار لولديه محمد عفى الله عنه » :

« ملك على بن محمد القابونى الحنفى عامله الله بلطفه الغالى والخافى فى شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وثمانى مائة » .

« محمد بن أحمد خطيب داريا عفى الله عنه » :

وواضح أن المخطوطة دخلت فى ملكية النحوى ابن هشام ( ٧٠٨ — ٧٦١ ه ١٣٠٨ — ١٣٦٠ م ) الذى كان يعيش فى مصر ، وورثه بعد وفاته ابنه محمد . وتملكها أيضاً بعده اللغوى محمد بن أحمد وهو خطيب داريا ( ٧٤٥ — ٨١٠ ه ١٣٤٤ — ١٤٠٧ م ) ومن مؤلفاته شرح لألفيته ابن مالك : ثم أصبحت المخطوطة ملكاً لعلى بن محمد القابونى الحنفى المتوفى سنة ٨٤٤ ه ( ١٤٤٠ م ) . ولما كانت داريا وقابون من القرى القريبة من دمشق ، فمن المرجح أن المخطوطة وجدت فى مصر وسورية مدة قرن أى من منتصف القرن الرابع عشر حتى منتصف الخامس عشر الميلادى :

وعلى صفحة العنوان فى الهامش الأيسر كتب اسم ابن فضل الله واسم محمد بن محمد العمانى ولم نتوصل إلى معرفتهما والكشف عن شخصيتهما :

وفى ورقة ٩٢ ا وورقة ٢٠٢ ا وكل من الصفحتين عنوان لجزء من الكتاب اسم محمد ابن عبد الرحمن بن أحمد العاصى وقد كتب بالخط المغربى مما يدل على أن المخطوطة كانت فى أسبانيا أو فى شمال إفريقية : ويذكر السيوطى فى « بغية الدعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » عالماً نحوياً ولغوياً باسم محمد بن عبد الرحمن بن أحمد ، وذكره ابن الأبار فى التكملة لكتاب الصلة ، والصفدى فى الوافى بالوفيات : ولد فى فلنسيا وعاش فى أواخر حياته فى ألمريا Almeria ، وتوفى بعد ابن أبار الذى توفى سنة ٥٢١ ه ( ١١٢٧ م ) ويقول السيوطى إن محمد ابن عبد الرحمن توفى بعد سنة ٥٣٠ ه ( ١١٣٥ م ) أى لسنتين قبل ابن هشام وهو الذى تلاه فى امتلاك النسخة : ومما يستحق الذكر أن أبا عبيدى البكرى ( ٤٣٢ — ٤٨٧ ه ١٠٤٠ — ١٠٩٤ م ) وهو من علماء الأندلس ذكر فى كتابه سمط اللآلئ فى شرح الأمالى للقالى ، موضعاً من كتاب الجيم ( فى باب الحاء ) : وقد عاش البكرى بعض الوقت فى ألمرا ، حيث عاش بعده محمد بن عبد الرحمن بن العاصى صاحب مخطوطة الأسكوريال :

وعلى هذا نرجح أن مخطوطة الأسكوريال وجدت فى ألمرا منذ القرن الحادى عشر الميلادى ، استخدمها البكرى فى كتابه السمط » ثم ظلت فى ألمرا حيث دخلت فى ملكية محمد بن عبد الرحمن بن العاصى :

وأنه من المحتمل أن المخطوطة نسخت حوالى سنة ١٠٠٠ ميلادية فى العراق ، ثم وصلت الأندلس ، ونقلت فى القرن الثانى عشر أو الثالث عشر الميلادى إلى شمال إفريقية فمصر

التى قال عنها السكرى إنها سقطت . وقد صرح السكرى فى خمسة مواضع ما سقط فى كتاب الجيم :

١ — فى أوائل حرف الجيم قال : «سقط من هنا ورقة أو أكثر — ما وجدت شيئاً سقط » :

٢ — فى نهاية حرف الجيم « هذا آخر ما وجد من حرف الجيم بخط السكرى وذكر فى آخر الجيم أنه قد بقى منه ، ولم يوجد » .

٣ — فى أول حرف الفاء ( ورقة ) « قال أبو سعيد : سقطت الورقة الأولى » .

٤ — فى أول حرف القاف ( ورقتان ) : ذكر السكرى أنه من نسخة أبى عمرو كان قد بيض فى أوله صفحتين ذهبتا » .

٥ — قبيل نهاية حرف الميم ( صفحة ) : « وجدت فى كتاب الحامض فى باب الميم شيئاً سقط على السكرى من أصل كتاب أبى عمرو وذكر أنه صفح ورقة سليمانى وهو الذى أثبته وهو قريب ورقتين بعد قوله : « وكل شئ أحرقته فقد محشته » وروى الحامض » أمحشته :

وواضح أن الناسح نقل ما سقط من الفاء والميم فى الأصل من نسخة الحامض وهى فى نسخة السكرى ورقة ونصف ، وفى مخطوطة الأسكوريال بلغت ورقتين أما ما سقط من نسخة السكرى فى بابى الجيم والقاف فقد ضاع نهائياً . وأدرك ما سقط من باب الفاء فأضافه آخر باب القاف يقول الناسخ : « وجدت هذه الزيادات فى كتاب الحامض فى أول باب الفاء فكتبته حتى اتصلت بأول باب الفاء من نسخة السكرى.

ومن هذا نرى أن مخطوطة الأسكوريال لا تشمل كتاب الجيم ، أضف إلى ذلك أن الأبواب تختلف طولا وقصراً فالصاد والضاد والطاء والظاء تقع فى ٢٧ صفحة ، بينما نجد العين تقع فى ٧٠ صفحة . ولو قدرنا أن الأبواب يجب أن تكون متناسبة ، وهذا يدل على أن الأبواب القصيرة مختصرة ، وذلك فى نسخة الشيبانى الأصلية التى نسخها السكرى ، وليست من تصرف السكرى .

**ورقات من مخطوطة اخرى :**

وتضم نسخة الأسكوريال بعض ورقات ( ١٤٥ — ١٥٠ ) من نسخة أخرى لكتاب الجيم أقل حجماً وبخط مخالف ونصها يوافق نص نسخة الاسكوريال من زرقة ١٣٥ إلى ١٣٨ . وعلى هامش ورقة ١٤٥ نقرأ عبارة من يد متأخرة نصها : « هذه الألفاظ التى استدركت وقعت فى نفس الكتاب وقد أعلمت على مكانها بالحمرة » . ونلاحظ أن الورقات من المخطوطة الثانية أقل دقة من نسخة الأسكوريال ، وأن التهميش الذى فى النسخة الثانية ذكر على هامش نسخة الأسكوريال ، أما الهوامش التى على نسخة الأسكوريال فلم تدون فى النسخة الثانية . ومن الملاحظ أن النسخة الثانية اتخذت قراءة واحدة فى حين ذكرت نسخة الأسكوريال عدة قراءات

أحيانا للفظة واحدة مثال ذلك ورقة ٣٦ ب « وقال المحراف الميل الذى تنقش به الشجة » وجاء فى الهامش : حفظى : تنقش به : فى نسخة : تنقش كما فى الأصل — وقال : المحراف الميل الذى تقاس به الشجة .وهذا يرجح أن النسخة الثانية اعتمدت على نسخة الأسكوريال أو على نسخة اعتمدت عليها نسخة الأسكوريال ، ثم ضمت النسخة الثانية إلى نسخة الأسكوريال متأخراً .

**ترتيب كتاب الجيم وتسميته :**

جمع الشيبانى فى كتاب الجيم جميع الألفاظ التى تبدأ بفاء الفعل فى باب واحد : وفى مخطوطة الأسكوريال عشرة أجزاء متساوية تقريبا مرتبة على الأبجدية العربية : وليس بصحيح ما ذهب إليه « كرنكو » من أن كتاب الجيم انتهى عند حرف الجيم .

وبهذا الترتيب يقع كتاب الجيم فى المعاجم العربية القديمة موقعا خاصا : فهو لم يتأثر بترتيب كتاب العين ، وكان هو المثل الذى حتذاه مؤلفو المعاجم الذين ألفوا على ترتيب الأبجدية للحرف الأول من الكلمة : ألف أبو حنيفة ( المتوفى ٢٨٢ هـ ) معجمه فى النبات على ترتيب الحرف الأول من أصول الكلمة وكذلك جمهرة ابن دريد ( المتوفى ٣٢١ هـ ) والمجمل ومقاييس ابن فارس ( المتوفى ٣٩٥ هـ ) وكان الشيبانى يسترسل حين يعرض المادة فى مناسبات ، مثلا يذكر فى باب الألف بيتا من الطويل شاهداً على عبارة أرّى بكفيه ويشرحها ، أى أنشب كفيه فى الأرض يعنى الضب ، وبمناسبة الضب انتهز الفرصة فترك لقلمه الاسترسال فى أمثلة وقصص عن الضب . وكان من طريقته أن يضيف أخبارا أثناء شرح المادة ويستشهد بالشعر شارحا ومعلقا للألفاظ الصعبة ويستشهد على الشرح بالشعر ، وقد يأتى فى الشرح بالمرادف أو الضد ؛ مثال ذلك فى مادة ب و ص : البوص ثمر الأرائن قد بوض فإذا حبب فهو القرزح قد قرزح ، وثمر القرظ البلت ثم السنف والقلقل حبه الذى يكون فيه .

وقد تنتج عن ذلك فقرات طويلة ، ويذكرنا ذلك بكتاب الغريب المصنف لأبى عبيد . وقد استرعى نظرى كثرة الشواهد الشعرية فى كتاب الجيم ، تعدها ٤٣٠٠ بيت أو يزيد ، حتى خيل إلى أن الشيبانى إنما ألف كتاب الجيم ليكون بمثابة المعجم للألفاظ التى وردت فى دواوينه . أو عرض لمقتطفات من دواوينه .

ومن الملاحظ أن الفصول الطويلة تنقسم عادة فى كتاب الجيم إلى ثلاثة أجزاء متداخلة : ففى الجزء الأول يأتى بنصوص معجمية وفيه شواهد لم يذكر قائلها ، ثم ترجح كفة الرجز فى الجزء الثانى ، وفى الجزء الأخير يأتى بشواهد شعرية يقل أو ينعدم فيها الشرح . أما الفصول القصيرة فينقصها هذا التقسيم .

وعند دراسة فصول الراء والعين والفاء والقاف ، وجدنا كثيرا من الشعر الذى

أتى به كشواهد من دواوين سبعة عشرة شاعراً كان يقدم منها شواهده على الترتيب الآتى تقريبا : كعب بن زهير ، زهير بن أبى سلمى ، لبيد ، تأبط شراً ، أبو النجم ، أوس بن حجر ، عمرو بن شاس ، طفيل ، عمرو بن معد يكرب ، عدى بن زيد ، امرؤ القيس . النابغة الذبيانى ، أبو دؤاد الإيادى ، عبيد ، أمية بن أبى الصلت ، بشر ، أبو ذؤيب . وقد يسقط أحيانا الاستشهاد بشاعر أو أكثر من هذا الترتيب ، ومرجع ذلك أن الشيبانى لم يجد عند الشاعر ما يوافق المجال .

ولم يصل إلينا ما يبين كيفية التأليف عند العلماء وبخاصة عند أصحاب المعاجم . ولا يمكن أن نتخيل أن الشيبانى دون هذه المادة الغزيرة فى كتاب الجيم من الذاكرة . وأغلب الظن كان تحت يده جزازات وكراريس وملاحظات دونها ، ثم رتبها أبجديا واستعان بها فى تأليف كتاب الجيم . ولعل أقدم ما ورد فى الكتاب استقاه من الرواة ثم من دواوينه .

وإذا لاحظنا أن الشيبانى فى كتابه أتى باستطرادات وأقوال الرواة ومختارات من الشعر ، يعن لنا السؤال : هل نعد كتاب الجيم من المعاجم بالمفهوم الحقيقى للمعجم أى عرض مرتب للألفاظ ؟ وإذا لاحظنا مضمون الكتاب وقصر منهجه الذى اتبعه ، خطر على ذهننا أن كتاب الجيم يشبه كتب النوادر الأولى وأخص بالذكر كتاب نوادر أبى مسحل الأعرابى المتداخل فى عرضه دون تقسيم واضح .

فهل كان الشيبانى ينوى أن يعيد كتابه الجيم ويرتبه ترتيبا أبجديا دقيقا ، وأن ما بين يدينا إنما هو مشروع كتاب ؟ نحن نميل إلى أن كتابه كان تجميعاً لمادة يؤلف منها معجما واضح المعالم ، ويدعونا إلى الأخذ بهذا الرأى ما نجده من نقص واضح فى مواد الكتاب . فقد يختار من الدواوين بقوله : وقال طفيل فى التفشغ : وقد سمنت حتى كنّ مخاضها — تفشغها ظلع وليست بظلع » وواضح أنه لم يفسر المثال ، وقد لا يأتى به ويخيل إلينا أن الشيبانى إنما أراد أن يدون الشاهد الشعرى المناسب أولا ، ويؤجل شرحه وتكملة الكلام فيما بعد . ويعزز ما نذهب إليه ، أن الشيبانى يأتى أحيانا ببعض مشتقات الكلمة فى غير أصولها ، فنجد مثلا فى باب الألف : أنابيب ( ن ب ب ) ، إحريد ( ح ر د ) ، إحرنباء ( ح ر ب ) ، أشكلة ( ش ك ل ) ، ألكنى إلى فلان ( ل و ك ) ؛ وفى باب التاء : توادى ( و د ى ) ، تترى ( و ت ر ) . ونجده أحيانا يعالج ألفاظا فى غير أبوابها ، فهو يتكلم عن « بلدح » فى باب الألف مثلا ، ولاحظ الناسخ هذا الخلط فكتب على الهامش فى بلدح : « هذا من باب الباء » .

هذه الأمثلة التى سقناها لا تدل على أن الشيبانى لم يكن يعرف التصريف ، ولكنها تدل على أنه انزلق فى بعض الهنات وأنه كان

يجمع مادته ليضبطها عند مراجعتها ويصلحها ويخرجها فى شكل كتاب . ومما يؤكد لنا أن الشيبانى لم يراجع كتاب الجيم ليخرجه كتابا للناس ، الحقيقة المعروفة أن الشيبانى كتم كتاب الجيم عن الناس فى حياته ، لأنه على ما يخيل إلينا وجده غير ناضج أو لم يجد الفرصة لصياغته صياغة متكاملة. يقول أبو الطيب فى مراتب النحويين « فأما كتاب الجيم فلا رواية له لأن أبا عمرو بخل به على الناس فلم يقرأه عليه أحد » ، وهذا يعلل ما نعرفه من أن الكتاب لم يتداول فى التدريس ، لأن صاحبه لم يجزه .

ومن العسير أن نقرر الشكل النهائى لكتاب الجيم الذى أراده له الشيبانى ، لأنه لم يفصح عنه .

**الزمن الذى نشأ فيه كتاب الجيم :**

كتب كتاب الجيم بطبيعة الحال قبل وفاة صاحبه الشيبانى أى قبل سنة ٢١٣ هجرية . ولا نعرف متى بدأ الشيبانى فى تأليفه ، لأننا لم نجد أية إشارة إلى ذلك فى كتابه ، ولم تصل إلينا أية رواية عن ذلك . ومادة الكتاب تدل على أن تدوينه حدث على مرحلتين : الأولى ما أخذه عن الرواة وهى المرحلة الأقدم ، والثانية هى المختارات الشعرية ، أى أن الزمن الذي احتاجه الشيبانى فى تدوين هذا الكتاب لم يكن قصيراً . ولا يمكننا القول أيضا إذا كان البدء فى جمعه حدث قبل أو بعد منقولة الليث بن المظفر ( المتوفى سنة ١٨٠ هجرية ) لكتاب العين للخليل . ومما يستحق الذكر أن الشيبانى ورد اسمه عده مرات فى نسخة العين للمظفر ( بعد صفحة ٢٦٠ من نسخة برلين ) ، وربما لايدل ذلك على شئ لأننا نعرف أن هناك زيادات أدخلها النساخ على كتاب العين . ولم يذكر الشيبانى اسم الخليل فى كتاب الجيم . وهناك سؤال قد يتبادر إلى الذهن : هل كان كتاب العين حافزاً مباشراً لنشأة كتاب الجيم ؟ اختلف المستشرقون فى الرد على هذا السؤال فذهب « كرنكو » و « هيوود » إلى ترجيح أثر العين على الجيم ، وأنكر « ويلد » وقوع هذا التأثير . اعتمد كل من « كرنكو » و « هيوود » على المنافسة الشديدة بين مدرسة البصرة ممثلة فى الخليل ومدرسة الكوفة ممثلة فى الشيبانى .

والواقع أن كتاب الجيم هو تطور طبيعى لكتب النوادر التى لم تتبع ترتيبا دقيقا ، وهو مرحلة من التطور للمعاجم العربية ، بخلاف كتاب العين الذى اتبع مؤلفه ترتيبا أجنبيا ( قد يكون هنديا ) .

**حول تسمية كتاب الجيم :**

كان عنوان كتاب الجيم هدفا لكثير من تأويلات القدماء . وقد أرجعه العلماء فى الأغلب إلى الترتيب . وقد ذهب البعض أن اسم كتاب الجيم أتى قياسا على كتاب العين الذى تبدأ بالعين وأن كتاب الجيم لا بد أنه كان يبدأ بحرف الجيم . وكان ذلك قبل أن

يصل الكتاب إلى أيدى العلماء . وكتاب الجيم كما نعرفه يبدأ بالألف لا بالجيم .

وقد أشار المستشرق « ديرنبور » فى كتابه المخطوطات العربية الجزء الأول ( صفحة ٣٩٦ ) إلى أن اسم الكتاب يمكن أن يوضح من عبارة وردت فى المخطوطة « هذا آخر ما وجد من حرف الجيم بخط السكرى وذكر فى آخر الجيم أنه قد بقى منه ولم يوجد » . وقد فهم « ديرنبور » من هذه العبارة بخط الناسخ أن النسخة التى وقعت للسكرى تنتهى بحرف الجيم ومن هذا أخذ الكتاب هذه التسمية . وهذه العبارة المكتوبة فى ورقة ٣٢ ب من مخطوطة الأسكوريال ، لا تشمل الكتاب كله ولكنها تشير إلى باب الجيم الذى ضاع منه جزء عند السكري ، وبالتالى لا يمكن الأخذ بها فى تفسير سبب التسمية. وكذلك لا يمكننا أن نأخذ بمحاولة « هيوود » فى تفسيره لاسم الكتاب : وهو القائل بأن الكتاب سمى فى الأصل من واقع ترتيبه : ألف باء جيم ، ثم اختصر العنوان إلى جيم ، ولسنا نفهم كيف جاء هذا الاختصار ، وهو غير مألوف عند العرب .

وذهب الفيروزبادى فى القاموس أن الجيم عند الخليل : الجمل المغتلم ، وعند الشيبانى : ديباج . ويقول الفيروزبادى فى « بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز » : وله ( أى الشيبانى ) كتاب فى اللغة سماه بالجيم كأنه شبهه بالديباج لحسنه . أما معنى الديباج فيقول صاحب القاموس : جيم سمعته من بعض العلماء نقلا عن أبي عمرو الشيبانى . ولم ينص صاحب القاموس على أن الشيبانى سمى كتابه بهذا الاسم ، وإنما جاء ذلك فى معنى الجيم فقط وهناك من العلماء من ألف كتبا بهذا الاسم : النضر بن شميل ( توفى سنة ٢٠٣ هـ ) وهو معاصر للشيبانى ، ذكره الفهرست . وشمر بن حمدويه (توفى سنة ٢٥٥ هـ) وهو من جيل لاحق للشيبانى . ولم يصل إلينا من هذين الكتابين شىء . فكتاب النضر لم نعرف عنه شيئا ، وكتاب شمر غرق فى فيضان ، وكان عند الأزهرى منه بعضه من الأول ، ويصفه الأزهرى فى تهذيب اللغة بقوله : على غاية الكمال. وكان شمر قد أتى بشواهده من الحديث والقرآن على الأغلب .

ويخيل إلينا أن شمر أخذ عنوان كتابه من كتاب الشيبانى وشميل لأنه تتلمذ على زملائهما كما جاء فى التهذيب . وكان كتاب الجيم لشمر مرتبا ترتيباً أبجدياً ولم يبدأ بحرف الجيم [illegible]

وعلى هذا فإن تسمية كتاب الشيبانى بالجيم لا تزال معلقة للدرس والبحث .

**مراد كامل**
عضو المجمع

العدد ، فى حين أنه لا يوجد بها مساعد لغوى لتصورات ومفاهيم أولية لا يستغنى عنها ، وأن الثغرة الخطيرة المكونة من نقص المصطلحات العلمية موضع إهمال .

ويتناول البحث منطق العربية ، فيذكر أن تطور معانى الكلمات فيها ضعيف ، وأن (نعم) و « لا » لهما قيمة تختلف عما لنظيريهما فى اللغات ، وأن درجات التأكيد متعددة ، والصور البلاغية البسيطة مفقودة ، وأن زمن الأفعال مختزل ، وأن الحروف ساكنة تتحرك أواخرها تبعا لوظيفة الكلمة فى الجملة ، ومعنى الجملة يتوقف على نطق الكلمة عليها حركتها ، وحروف الآلة الكاتبة أكثر منها فى نظائرها اللاتينية ، والكلمات تكتب من اليمين إلى الشمال على عكس الأعداد .

ويقدم البحث إحصائية لليونسكو يبين جدولها أن نسبة الإنتاج العلمى فى انجلترا ٢٢١٪ وهى أعلى نسبة ، وفى فرنسا ٩٪ ، وما انخفض عنها موزع فى الإيطالية والإسبانية والصينية والاسكنديناڤية . فأما الإنتاج العربى فليس بشىء تقريبا ، فالعربية ليست ذات إنتاج علمى له قيمة فى كل علم نظرى وتطبيقى وعلم اجتماعى ، بسبب بطء تقدمها .

ويطالب البحث بجعل التربية ملائمة للحياة الحديثة ، ويذكر أن ما يتلقاه الطالب من اللغة قد تنحى عن حاضره الجارى ، ويشير إلى أن تجديدات الاتصال الجماهيرى فى المصطلحات لا تقل نفاسة عما تقدمه مجامع اللغة العربية الثلاثة الرسمية .

ويرى الباحث أن العربى حفظ الكلاسيكى للوراثة الثقافية ، وحماية لغة المسلمين المقدسة . وهذا لا يمنع من دراسة لغة اختيارية علمانية سهلة التداول باتخاذ خطوات ، هى فصل العربى الأساسى عن العناصر التى تعوق تقدم اللغة ، وتعليم الطفل التعبير بالأساليب اللغوية الحديثة المتضمنة لمصطلحات العلم الحديث ، مع تحاشى التعدد اللغوى بين المتحدثين بالعربية وقيام الجماعات العلمية بإعداد معاجم تختار المصطلحات الموجودة المعبرة فكريا ومفهوما أو المنبعثة من الاشتقاق والتأليف ، أو المنقولة صوتيا من اللغات الأخرى .

— ٣ —

ولعل أول ما يلاحظ فى هذا البحث أنه بالغ الجسارة فى التصريح بتقريرات قطعية وإصدار أحكام حتمية ، لا تعبر عن حاضر ولا يشهد لها واقع . فهل العرب ليس لهم حقا لغة قومية علمانية ؟ وهل العربية ذات طابع دينى ، وصبغة مقدسة ، تعبر عن تاريخ الوراثات الثقافية ؟ وهل هى محرومة مصطلحات العلم ، فقيرة فى المساعدات اللغوية للمفاهيم العلمية الأولية ؟

لو أن هذه التقريرات والأحكام جرى بها قلم باحث عربى أو أجنبى منذ قرن أو أكثر من قرن ، لوجدت للمساغ قبولا أو شبه قبول . أما اليوم فإنها لا تمثل حقيقة اللغة العربية ونشاطها العلمى والحضارى فى بلاد العروبة .

وما أحسب أن أجنبيا – بله العربى – يستطلع من بعيد أفق الحياة الثقافية فى بلاد العروبة ، يستطيع أن يجد إلى الاطمئنان بهذه التقريرات والأحكام سبيلا . ففى البلاد العربية العدد الكبير من الكليات والمعاهد والمجامع والمجالس والأندية التى تمارس الحياة العلمية الطليقة فى أدق مجالاتها ، وأرفع درجاتها ، وصميم اختصاصاتها . واللسان الذى ينطق بهذه الحياة العلمية ويعبر عنها فى معظم المجالات والدرجات هو اللسان العربى ، والمطبعة العربية تخرج فى كل يوم بل فى كل ساعة من الزاد العلمى والثقافى ما يتناول ضروب المعرفة بنسب متدرجة ، وفى العرب الألوف من الدارسين العلميين المتخصصين الذين جمعوا بين اللغات المتعددة والثقافات المتنوعة ، وقد فتحت أمامهم النوافذ على الصعيد العالمى يحصاون ويعلمون ويؤلفون ويترجمون بالعربية ، وفى المعجمات الثنائية لمختلف اللغات ما يؤكد احتواء العربية لأمهات المصطلحات العلمية ، وتعبيرها عن أكثرها من مادة الفصحى ، ونقلها للأقل بأصواته الأصلية . والصحافة العربية التى تزيد نشراتها على المئات تخرج للأمة العربية صباح مساء مصورة أحداث الحياة وشئون الدنيا وما يدور فيها من وجوه الأنشطة ، وذلك بلسان عربى ينتقل إلى أذهان القراء العرب فى كل مكان. فأين خصوصية الطابع الدينى وخصوصية التعبير التاريخى فى ذلك كله ؟ وكيف يكون مدلول اللغة القومية العلمية أو اللغة الحديثة العصرية إن لم يكن ذلك الواقع المشهود الذى لا ترقى إليه شبهات الجدال ؟

— ٤ —

والملاحظة الثانية التى تبرز فى البحث أنه عرض لنظريات لغوية ، واستخلص مشكلات للعربية فى النحو والكتابة وبعض الأوضاع واقترح أخيرا ما اقترح من حلول وعلاجات ، وقد ساق البحث نظرياته ومشكلاته ومقترحاته على نحو يشعر بأنه أنشأها إنشاء ، أو اكتشفها اكتشافا وهى لا جديد فيها ، إذ أشار إليها باحثون من قبل ، من الوجهة العملية حينا ومن الوجهة النظرية أحيانا ، ولكل منها مكانه من الدراسة والتحليل والتعقيب ، قبولا أو رفضا ، فأجملها البحث إجمالا ، ودفع بها لتكون قذيفة تنفجر بها نتيجة حاسمة ، هى أن العربية ليست لغة عصرية ، وأنها لا تصلح لثقافة تقدمية .

ومع أن المقدمات غير مسلمة على إطلاقها ، وبهذا لا تكون النتيجة منطقية مسلمة ، فإننا نفترض جدلا أننا سلمنا بتلك المقدمات كل التسليم ، فرفعنا تلك المشكلات فوق المناقشة والإنكار ، فهل تكون مقدمات صالحة لا ستنتاج ما يكرره البحث من عجز العربية عن أن تكون لغة عصرية لثقافة تقدمية ؟

أئذا بقيت العربية على حالها بمشكلاتها لا تكون لغة علمية ؟ فماذا نسمى إذن ما تجرى به الأقلام وتنطق به الألسنة فى النطاق العلمى اليوم ، وما عسى أن تجرى به وتنطق من بعد؟

أئذا خلت العربية من مشكلاتها المعروضة فى البحث تصبح لغة علمية صالحة لثقافة تقدمية بمجرد هذا الخلاء المنشود ، وبسببه وحده ؟

إن المشكلات التى عرضها البحث ، كانت هى وغيرها مما لم يعرضه ، قائمة بهذه الدرجة أو أشد ، يوم خرجت العربية من عهد البداوة إلى حياة جديدة لا عهد لها بها ، فواجهت على الرغم من تلك المشكلات مستحدثات المعانى والمسميات فى حكمة الهند ، وفلسفة يونان ، وحضارة فارس ، وتجلت عبقريتها وفراهتها فى العواصم ، فى بغداد ودمشق ، وفى القاهرة وقرطبة ، لاستيعاب المعرفة الإنسانية علما وفكرا بوجه عام ، وحفظتها حتى نقلتها أمانة مزيدة نامية إلى العالم المتعطش إليها فى شرق وغرب .

— ٥ —

ومما يلاحظ فى البحث أنه وصف العربية بأوصاف مشوبة لاتتنكب عن لبس وإبهام، فهى ذات طابع دينى ، لغة كلاسيكية للوراثة الثقافية ، لغة للمسلمين مقدسة . والذى يسبغ على هذه الأوصاف اللبس والإبهام أن البحث يجعلها فى مقابل: لغة الحياة، اللغة العصرية ، اللغة العلمانية .

لقد كانت اللغة العربية ، خلال أربعة عشرقرنا ، موصولة بالدين كصلتها اليوم أو أقوى، وبخاصة فى عصور الازدهار الأولى، ولم تكن مع ذلك إلا لغة قومية عصرية علمانية حية بالنسبة لتلك العصـــور الخوالى ، وبالنسبة لعصرنا الراهن .

إن الناطقين بالعربية يأبون هذه الأوصاف التى يراد بها الفصل بين لغة ولغة ، أو التمييز بين أولى وأخرى ، فهم لا يتقبلون القول بأن هناك تفرقة بين لغة كلاسيكية ولغة عصرية أو أن هناك لغة يفهم بها التراث الثقافى ولغة يفهم بها العلم الحديث، أو أن هناك لغة ذات طابع دينى ولغة بعيدة عن المجال الروحى . ولعلى لا أغلو إذا قلت بأن هذه التفرقة والتمييز فيهما ما يحدو — بحق أو بغير حق — على التشكك وإساءة الظن بمن يلجئون إليها ، وربما أوحت إلى النفوس القول بأن ثمة خبيئة نفس عند من ينادون بها ، وأن وراء السطور من النعرات الطائفية ما وراءها .

لا يرى الناطقون بالعربية إلا أن هناك لغة عربية واحدة ، يرجع كيانها لفظا وتركيبا وأسلوبا إلى معجم واحد ، وإن اختلفت مدلولات اللفظ حقيقة ومجازا ، وتطورت معانيه فى عصور متعاقبة ، وتعددت تعريفاته فى مجالات متعددة ، ولكنهم إلى جانب ذلك مؤمنون بأن هنالك أساليب تتنوع بين علمية وأدبية ، وصحفية وإذاعية ، وأن بينها درجات من يسر التعبير وسهولته، أو جودته والتأنق فيه ، طوعا لبلاغة الأداء ، وما يحتويه من عناصر الدقة المنطقية ، أو الوضوح العلمى ، أو سعة الخيال وما يستتبعه

من صور بيانية موحية . بيد أن تنوع الأساليب ، وتفاوت التراكيب ، هو عند العرب لغةعربية واحدة، لغة للدين وللحياة، لغة للمسلم وغير المسلم ، لغة للكتابى ولغير أهل الكتاب ، لغة لمطالب العقل والجسد والروح ، لغة للعلم والفن والأدب والحضارة على السواء .

لا تفرقة فى العربية بين لغة عصرية ولغة غيرعصرية، بهذا المفهوم الانفصالى القاطع ، فهى أداة ألفاظها متعددة الدلالات ، وعباراتها متفاوتة التراكيب ، وفىأساليبها تنوع بحسب مجالات التعبير ومقتضياته : لغة نفهم بها تراثنا الثقافى ، ونعبر بها عن حاضرنا العصرى، ونعمل علىتنميتهاوتطويعها لمقاصد الحياة فى ركبها العالمى مع الأيام إلى أمام .

— ٦ —

وفيما يلاحظ أن البحث يردد ما لاكته الألسن من الإشارة إلى سعة اللغة فى بعض موضوعات وضيقها فى بعض ، ويضرب لذلك ما ضربته تلك الألسن من مثل الأسد الذى قاربت أسماؤه الأصلية أو الوصفية المائة ، ويقابل ذلك يفقد المساعد على التصورات الأولية ونقص المصطلحات العلمية . فهل يعد ذلك — على فرض وجوده — ضعفا فى طبيعة اللغة وأصالتها وما لها من مرونة وقدرة على سد ا لحاجة إلى التصور أو الاصطلاح العلمى ؟

إن اللغة التى سمت الأسد بأوصافه عشرات الأسماء لا تعجز أن تسمى غير الأســـد من التصورات أو المصطلحات . وليس أدل على قدرتها من أن المصطلح العلمى الواحد ، يجد اليوم على أقلام الباحثين والمترجمين العلميين ألفاظا شتى تدل عليه ، منها ما يترجم أصله ، ومنها ما يترجم معناه، ومنها ما يتخذ فنونا من الوسائل بإحياء لفظ قديم أو اشتقاق صيغة جديدة ، ومنها ما يلمح فى الوضع سمة ظاهرة ، أو وظيفة عاملة . وهذا كله برهان طواعية اللغة للتثمير ، ولبانها لضروب التعبير .

ونحن حين ننوه بهذا الدليل لا نباهى به ، فما أحوجنا إلى الحرص على توحيد اللفظ العربى للمصطلح العلمى ، وإنما نقدمه فى مواجهة النعى على العربية بأنها فقيرة فى هذا الجانب من المواضعة والاصطلاح ، لندل على أن غنى العربية وخصبها كفيل أن ينفق على من يستثمر مادتها وأوضاعها فى الوفاء بمطالب الحياة العصرية والحضارة الحديثة فى تقدمهما العلمى والإنسانى .

— ٧ —

وفيما يلاحظ أن البحث يكرر موقف العربية من الاصطلاح العلمى ، ولايبالى أن يصرح بأن العربية محرومة المصطلحات العلمية اللازمة لتقدمها . وهذا الإطلاق يجافى ماهو قائم فعلا فى الحياة العربية . فإن عصر النهضة الذى نيف على مائة سنة قد

تتابعت فيها الجهود لتنمية المصطلح العلمى، فترجم الطب والهندسة وغيرهما فى مطالع العصر، بل لقد كان تدريسهما بالعربية أول الأمر، وأذكر أن الدكتور « فارس نمر » الصحفى اللبنانى الأصل، المولود فى منتصف القرن الماضى، كان يحدثنا أنه درس الطبيعة والرياضة وغيرهما بمصطلحات عربية، وكان يذكر فى هذا الصدد اسم « فانديك » واسم « وارتبات » من الأساتذة والمؤلفين. وفى هذا العصر ترجمت شوامخ العلم والفلسفة والفن والأدب، من أمثال أرسطو وداروين وفرويد وشكسبير، وألفت كتب فى الفروع العلمية كافة، وتولى تدريسها بالعربية علميون مختصون. وما كان ذلك ليتسق لو كانت العربية قد خلت من كلمات عربية تقوم مقام المصطلحات الأجنبية على تعدد لغاتها.

إن العربية العريقة ذات تجارب فى الأداء العلمى أصيلة، وقد أعانتها تلك التجارب على أن تطاوع ماتراد عليه من تأدية المعانى الاصطلاحية، ولم تكن المشكلة عندها نقل المعانى المجردة والأوصاف والشروح، بل نقل أسماء الجواهر والذوات والأعيان وبعض المسميات، وعلى الرغم من ذلك اتسعت لها بالوضع فى الأكثر، وبالتعريب فى الأقل.

ولسنا نقول ذلك من فراغ، فبين أيدى قراء العربية ماتتابع خلال المائة السنة الماضية من معجمات ثنائية، حافلة بالألوف من مصطلحات المعرفة الحديثة عامة، نذكر منها تمثيلا لاحصرا: معجم شرف الطبى، ومعجم عيسى النباتى، ومعجم مظهر العلمى، ومعجم الشهابى الزراعى، ومعجم المعلوف الحيوانى، ومعجم الجامعة العربية العسكرى، ومعجم إلياس العصرى، وكذلك المورد والمنهل وغيرهما من عشرات المعجمات.

## — ٨ —

ومما يلاحظ أن البحث قد شاء أن يغفل — لاعن غفلة — جهد المجامع اللغوية فى القاهرة ودمشق وبغداد، إلا حين أشار إلى إسهام الاتصال الجماهيرى فى التطور اللغوى وتجديداته فى المصطلحات، فقد ذكر أن هذه التجديدات لاتقل نفاسة عما تقدمه تلك المجامع.

بهذا يتجاهل البحث أن هذه المجامع قد جعلت لغة العلم أساسا لعملها، ولم تكن جهودها فى نشر التراث العربى أو تيسير أوضاع اللغة وتوسيع أقيستها ووسائل الاشتقاق فيها، أو التخطيط لدراسة الكلمات وقبولها، إلا ركائز ودعائم لتنمية لغة العلم وتزكيتها.

إن أنظار قراء العربية ترتع فى نحو عشرين مجلدا أخرجها مجمع القاهرة، ولا محتوى لها إلا مصطلحات العلوم والفنون والآداب، مقرونة بمقابلها الأجنبى، مدروسة ممحصة بفضل من قاموا عليها من أعضاء وخبراء تسنموا فى كل فرع من الفروع العلمية أعلى مستويات

الاختصاص . وهذه المجلدات التى هى ثمرة الكفاح فى عشرات من السنين تشمل ألوفا من المواضعات العلمية الحديثة ، وقد بادر إليها مؤلفو المعجمات الثنائية فتناهبوها — مشكورين — لتضمها معجماتهم التى تتوالى طبعاتها ، وكذلك بادر إليها المؤلفون والمترجمون والمدرسون لتكوين سندهم فى التأليف والترجمة والتلقين .

وفى سيرة صاحب البحث أنه أسهم فى وضع معجم عربى فرنسى موحد ، وقد حوى من المصطلح العلمى العربى ما حوى ، واليقين أن صاحب البحث هو ومن معه من مؤلفى المعجم رجعوا إلى من سبقوهم إلى التأليف المعجمى ، وما أحسب أنهم قد زهدوا فى الرجوع إلى الجهد المجمعى .

ولا بد لنا من أن نراجع البحث فيما عمد إليه من الفصل بين الاتصال الجماهيرى أو الإعلام الجماهيرى من : إذاعة وصحافة ونشر وبين المجامع اللغوية . فأى فاصل بين وجوه النشاط الإعلامى ووجود النشاط المجمعى ، وكلها أنشطة متداخلة متعاملة ، يستقى بعضها من بعض ، ويتدامج فيها بعض وبعض ، وهى تتجاوب أصداؤها فيما تقترح من الكلمات وما تشيع . فالصحفى أو الإذاعى أو الكاتب بوجه عام إذا أراد التعبير عن المسميات العلمية والحضارية رجع إلى المتخصصين العلميين أو اللغويين يستعينهم عليها ، أو استخبر المعجمات الثنائية لتهديه إلى ما يعبر به عند الحاجة .

وليست مهمة المجامع خلق الكلمات وافتعالها ، وإنما يخلق الكلمة أو يرتضيها من يختصون بموضوعها من العلماء والفنانين وصناع الحضارة فى بيئاتهم العلمية والفنية والصناعية . وغاية ما تقوم به المجامع هو الإعداد والتنظيم وجوهر عملها المراقبة والإشراف ، فهى أداة تسجيل أو ترشيح ، وهى جهاز تنقية وتزكية وتوثيق . فعلاقتها بالإعلام الجماهيرى أنها منه وإليه ، بينهما تبادل وتعامل ومؤازرة ، لا تباعد بينهما ولا انفصام .

وعلى رأس ما تعنى به المجامع العمل على توحيد المصطلح العلمى أو الحضارى ، لتعميم استعماله فى العربية على تراحب أصقاع الناطقين بها ، تفاديا من التعدد والفرقة اللذين ينتهيان إلى بلبلة على طريق التواصل والتفاهم الثقافى بين الكاتبين والقراء .

ولا أظننى أعدو الصواب حين أعد المجامع اللغوية قبلة الذين يرجون للعربية أن تتعمق صلتها بالتعبير العلمى الحضارى ، رعيا لما يتوافر فى هذه المجامع من أدوات التحرى والترجيح ، ومن عوامل التأثير الإيجابى فى البيئات العلمية المختلفة .

— ٩ —

يضاف إلى ما يلاحظ أن البحث تحدث فى مشكلة الفرقة بين لغة الكتابة والتدوين ، ولغة المشافهة والحديث . وعرج من ذلك على تعدد العاميات بين المتحدثين بالعربية ، وتساءل ما هى فرص البقاء للغة مكتوبة لا يتحدث بها كاتبوها ؟

وليس منا من لا يعرف أن العاميات والفصحى فى صراع موصول ، وأن لهذا الصراع وشائج

من غلبة الجهل بالقراءة والكتابة بالنسبة لمجموع أهل العربية . وليس منا من لا يلمس الجهود التي تبذل لعلاج ذلك بنشر الوعى الثقافى وتقوية وسائل الاتصال الجماهيرى بين العرب لتذويب الفوارق بين العاميات من ناحية وبينها وبين الفصحى من ناحية أخرى ، وذلك إلى جانب الجهود الجادة لخفض نسبة الجهل بالقراءة والكتابة . ولكننا لا نعرف لماذا يعرض البحث لهذه المشكلة فى صدد ما يندد به من فقر العربية فى المصطلحات الفنية ، وحرمانها أن تكون لغة العلم العصرى ، وأنها ليست لغة حديثة ؟ فهل يتوقف الخلاص من ذلك على الخلاص من تلك المشكلة المتعددة الجوانب ؟ وهل نقف مكتوفى الأيدى على مضض الانتظار حتى تمحى العاميات وتتوحد الفصحى لكى تكون لنا لغة علم ؟ وهل يرفع توحيد اللغة نسبة قابليتها لاستيعاب الإنتاج العلمى؟ أليس الملايين ممن يعلمون العربية قدرا كافيا لجعلها أداة عامية إن لم تكن؟ إن هؤلاء الملايين لهم لغتان متقاربتان إحداهما الفصحى الموحدة والأخرى العامية الخاصة ، وهم يتبادلون الثقافة بالأولى . ومن الميسور أن نفترض البعد كل البعد بين لغة الخطاب ولغة الكتابة، دون أن يستتبع ذلك عجز اللغة الكتابية عن الاستيعاب العلمى ، وليس بمستنكر أن تتعدد فى المثقف لغاته ، ولكل لغة مجالها فى حياته . فلتكن الفصحى لغة الكتابة عند العربى ، وإن كانت العامية لغته المستعملة فى غير النطاق الكتابى .

ولولا مخالفة التطويل لأفضت فى القول بأن الفروق بين الفصحى والعامية وبخاصة المصرية مغالى فيها ، فهما لغة واحدة فى الجملة ، يفارق الإعراب وبعض الأوضاع التعبيرية فى الألفاظ والتراكيب ، وفينا من سمى لغة الحديث والخطاب : العامية الفصحى .

ولئن قلنا ذلك إننا لا نقوله غافلين عن سوء أثر التعدد اللغوى ، وعن ضرورة مواصلة السعى لتذويب العاميات ومكافحة الجهل بالقراءة والكتابة . وإن كنا نرفض الذهاب إلى أن هذه المشكلة عامل أساسى فى نقص المصطلحات الفنية وضعف الإنتاج العلمى ، وأنها عقبة كئود تعوق العربية عن أن تكون لغة علم حديث وحضارة تقدمية .

وإذا ألقينا نظرة على الماضى فى موضوع الفصحى والعامية : أطللنا على التاريخ وهو يرينا أن العامية ليست حديث العهد ، ومن الباحثين من يرجع بنشأتها إلى العصر الجاهلى . أما الثابت الذى لا يحتمل نزاعا فهو أن العامية عاشت فى أزهى عصور العربية ؛ علما وفكرا وثقافة ؛ وكان أهل العربية فى تلك العصور أقل منهم الآن عددا وأوفر تأليفا وأغزر إنتاجا ، مع عسر الوسائل والملابسات وطرق المواصلات . ففى الوقت الذى كانت فيه تترجم روائع الفكر العالمى فى القرن الهجرى الثانى وما يليه ، كان للعامية وجودها فى المجتمع العربى بين المثقفين خاصة وغير المثقفين عامة . ويحضرنى الساعة ما عزاه صاحب «الأغانى» إلى «الموصلى»

من شعر ملحون هو أقرب إلى ما نعرف باسم « الزجل » ، ومنه قوله :

أنا جيت من بلاد موصل

أسقى قلل خمريا

وكذلك بحضرتى مانقله « الجاحظ » فى بخلائه من قول « النظام » : « إن كنت سبع » دون إعراب ، وتنبيه الجاحظ » فى غير موضع إلى أن حكاية النوادر والنكات والأفاكيه يجب أن يراعى فيها لفظها ولهجتها ، فإن ردها الحاكى إلى الفصاحة وألزمها الإعراب خرجت باردة لا طلاوة عليها ولا تأثير لها :

ويخلص لنا من ذلك أن اللغة وتعليمها أو تعصيرها وتحديثها ، لا يتوقف على أن تكون لغة كتابة وحديث معا ، ويكفى فى مساوقتها لركب العلم والحضارة أن يستطيع أهلوها إجراءها على أقلامهم فى سهولة ويسر

— ١٠ —

وفيما يلاحظ أن البحث تناول موضوع الحروف العربية وتعدد صورها وعلامات ضبطها ، وذكر أن الفهم مطلوب لإمكان القراءة ، وأن الخطأ فى النطق يغير معنى الجملة ، ولذلك خطره فى التفاهم الجماهيرى.

والبحث فى هذا كله يتلقط ماأفاض فيه الباحثون وأهل الرأى من قبل ، ومنه ماعولج بطريقة أو بأخرى ، ومنه ماتبين الغلو فى تقدير أثره :

فأما تعدد صور الحروف فى الطباعة العربية فقد كثرت المقترحات فى حل مشكلاته ، وانتهى العمل إلى اصطناع مادعا إليه « مجمع اللغة العربية » فى القاهرة من اختصار الصور إلى أقل عدد ، مع الاحتفاظ بطبيعة الخط العربى وفتنه الجمالى : وفى الصحف اليومية السائرة نماذج من هذا الاختصار .

وأما علامات الضبط فهى مغفلة حقا فى معظم ماينشر ، وإغفالها لايقوم سدا فى سبيل التفاهم إلا فيما ندر من كلمة أو كلمات : على أن الكاتب العلمى وغير العلمى يكتب ما يكتب وإن كان غير محسن لقواعد العربية وضوابطها ، ومايكتبه فى شهور يستطيع مراجع وراءه أن يسد خلله فى يوم وليلة ، والناس يقرءون الصحف والكتب عارية عن الضبط والإعراب ، وربما كان فيها من الخطأ مافيها ، فيفهمون فى الأغلب الأعم لايتعثرون. ولقد أصبح من المبالغ فيه القول بأن الإعراب شرط المعنى ، ففى سياق الجملة غنية وكفاية فى معظم الأحوال : وبين اللغويين المحدثين من يتكهن بأن العامية صائرة إلى عربية غير معربة ، وفى القدامى من العلماء الأثبات من يرى أن البناء وترك الإعراب لايخل بمعانى الكلام ، والدارسون للهجات العربية يعلمون أن الوقف بالسكون مطلقا لغة لبعض العرب ، وأن إسكان المنصوب لغة لبعض من العرب

آخرين ، وفى المأثور من الكلام العربى ماهو موقوف غير معرب ، لإجراء الوصل مجرى الوقف ، أو لإعطائه حكمه .

وما نبغى بما نبسط من ذلك أن ندعو إلى ترك لإعراب ، أو نجنح إلى الاستخفاف به ، بل نقصد بذلك أن الأمر الواقع فى ترك الضبط بالحركات لايمثل مشكلة تباعد بين العربية وبين مواتاتها لحاجات الحياة العلمية والحضارية ، وفى ذلك رد كاف على مايعنيه البحث من وراء ترديد تلك الظواهر فى ضبط الكتابة ، للقول بأنها هى الحاجز عن أن تكون العربية لغة علم حديث .

## — ١١ —

وفيما يلاحظ أن البحث تكلم فى موضوع النفى والإيجاب بنعم ولا ، وفى موضوع زمن الأفعال للماضى والحاضر والمستقبل ، مقارنا بين العربية واللغات الأخرى : والبحث يجرى فى هذا على شاكلته من التعرض لمسائل نظرية سبق إليها بعض المستشرقين ، ودارت حولها مناقشات وردود ، فالبحث يبتعثها من مرقدها ليتخذ منها تكأة لما يقرر من أن العربية ليست لغة علمية حديثة :

ولا أنسى أن ما تكلم فيه البحث كان مدار حوار خصيب منذ عشرين سنة أو نحوها فى مجلس علمى لغوى ، حاضر فيه « عباس محمود العقاد » وناقش فيه دارسون ذوو اختصاص بفقه اللغات وعلم الأصوات ، منهم الدكاترة إبراهيم أنيس وتمام حسان وكمال بشر وعبد الله درويش : وفيما قيل يومئذ أن العربية تستطيع التعبير عن الأزمنة السبعة جميعا ، وإن لم تكن بها صيغ اصطلاحية لها . وهل تعاب العربية بأنها منطقية فى تحديد الزمن والتعبير عنه بأفعال معينة ، توافق ماقاله أحد النحاة الإنجليز فى كتابه « أصول الأجرومية » إذ يقول : « الزمن ينقسم إلى جزئين : ماض ومستقبل ، وبينهما حد الانفصال وقت حاضر كأنه النقطة الهندسية التى لاطول لها ولاعرض ولاارتفاع ، ولكنها على الدوام منسوبة للمستقبل » :

ومهما يكن الرأى ، فالنقاش نظرى لمقارنة اللغات ، فما هو بمشكلة عملية فى ترجمة أو تأليف : وفقدان الأداة فى بعض مداولات النفى والإيجاب أو بعض أزمان الأفعال لا يلزم منه فقدان القدرة على التعبير العلمى المرضى . والسؤال هو : فيم الخصومة والشقاق ، والعربية تتعوض بما فيها من أفانين التعبير عما ليس فيها من أدوات تقابل مافى سواها من بعض اللغات؟ وهل فى مكنة البحث إثبات أن الكاتبين أو المترجمين قد تطاعوا إلى التعبير عن معانى النفى والإيجاب أو درجات الزمن فوقفت الأداة غصة فى أقلامهم فلم يستطيعوا أن يعتصروا بشىء من أساليب العربية كما يعتصر الغصّان بالماء ؟

— ١٢ —

وفيما يلاحظ أن البحث ، حين جعل هذه المشكلات التى عرضها ذريعة للقول بأن اللغة فى حاجة إلى تزويدها بأدوات التفكير العلمى ، استند إلى حقيقة جاءه بها إحصاء « اليونسكو » الذى قدم جدولا بان منه أن العربية لم تعد بين اللغات التى لها إنتاج علمى . ونسبته فى إنجلترا أعلى نسبة وهى ٢٢ م وفى فرنسا أدناها وهى ٩ . ومن اللغات التى انخفضت عن ذلك الإيطالية ، أما الإنتاج العربى فليس بشىء تقريبا .

ويبدو أن البحث قد استشاط غضبا لهذا الإحصاء الأليم ، فأثار غبار تلك المشكلات ليوجه إليها الاتهام ، وليس من شك فى أن ذلك الإحصاء يكشف عن حقيقة مؤسفة ، ويدق أجراس التحذير من استمرار الحال على هذا المنوال ، وينبه القوّام على الثقافة إلى ضرورة تنمية التأليف والترجمة فى المجال العلمى .

ونحن إذ نلتزم جانب الأناة والروية فى الفهم والتحليل لما كشف عنه الإحصاء اليونسكى ، يتضح لنا أن السر فيه لايرجع بقدر يذكر إلى صعوبة العربية أو قصورها ، وأمامنا الإيطالية التى أخرجها الإحصاء من جدول النسب ، وما ذلك عن صعوبة أو قصور فى بنيتها اللغوية بالإضافة إلى لغة إنجلترا التى زادت النسبة فيها على العشرين فى المائة . أليست النسبة إذن نسبة جهد وعمل ونشاط ، لا نسبة يسر وسهولة ومرانة واقتدار ؟

وفى ظنى — بدرجة ما — أن الإحصاء كمى عددى ، لانوعى كيفى ، أعنى أنه يقوم على تعداد وحساب للمؤلفات والمترجمات قلة وكثرة . فإن العربية — بين أيدينا — فيها نماذج كثيرة من أنواع المعارف والعلوم تأليفا وترجمة ، يدرسها أو يقرؤها الملايين من أهل العربية ، ولكنها فى غلبة الظن لا تبلغ فى العد والحساب ما بلغت اللغات التى سما بها الإحصاء إلى الصفوف الأولى .

— ١٣ —

ويسعنا فوق ما تقدم أن نرد السر فى الإحصاء الذى تخلف بالعربية دون النسب العالمية للغات إلى أسباب شتى ، نشير منها هنا إلى أن ثمة اتجاها بين العلميين العرب يتحمس له بعض منهم ، وهذا الاتجاه يرى أن الوقت لم يحن بعد للعدول عن تدريس العلوم باللغات الأجنبية ، ومن الخير العمل على تقوية المتعلمين فى تلك اللغات ، لكى يتابعوا تحصيلهم للعلوم بها ، ولكى يتسنى لهم أن يلاحقوا التقدم العلمى السريع فيها ، بالاطلاع الدائب على ما يجدّ من البحوث والدراسات. وفيما يستند إليه أصحاب هذا الاتجاه أن الانصياع إلى التدريس بالعربية فى المجال العلمى التقنى يحرم الدارس العربى هذه المتابعة والملاحقة التى تحقق المشاركة الإيجابية

ثالثا – إجازة استعمال بعض الألفاظ الأعجمية للضرورة .

وعلى هذه الأسس جرى عمله فى وضع المصطلح العلمى على مدى تلك السنين الأربعين ومازال :

— ١٥ —

وهكذا ينقشع غبار البحث عن جو مصفى، تلتقى فيه النتائج التنفيذية بآراء عملية مطبقة، وحسبنا من ترديد هذه النتائج أنها تذكير بضرورة العمل على تزكية لغة العلم العربية ، والقصد إلى تنمية الإنتاج العلمى فيها . وهذا فضل للبحث وصاحبه يذكر فلا ينكر، ويشكر فلا يكفر . ومن ثم يطيب لى أن تكون خاتمة النقد والرد تحية للكاتب وما كتب :

**محمد شوقى أمين**

عضو المجمع

# ثراء اللغة العربية
## بأصول المصطلحات الجيولوجية

للدكتور محمد يوسف حسن

بينت في بحث سابق[1] كيف بزّ العرب في عصور النهضة العلمية الإسلامية من سبقوهم من يونان ورومان في سلك المصطلحات الجيولوجية من أصول لغتهم الزاخرة بها، وكيف أن هذا يرجع إلى طبيعة البيئة التي عاش فيها المجتمع العربي قبل ظهور الإسلام وإبّان ظهوره.

وقد كان العربي بتأثير تلك البيئة، يعنى بابتكار الألفاظ واشتقاق المعاني لوصف معالمها المتباينة الممتازة بالمظاهر الطبيعية الأرضية من جبال ووهاد، ومن مفاصل[2] وتِلاع، ومن شعاب وجُدَد بيض وحمر مختلف ألوانها، ومن حصى ورمال، ومن جرولٍ[3] وحصيم[4]، ومن فُهور[5] وجلاميد.

وكان يميِّز من الصخر المختلف: المرو والأعبل[6] والغربيب[7] والظِّرّ[8] والصَّوان والمرمر والبَلَنْط[9] والرخام.

ومن المعدن والجوهر: الدُّر والياقوت[10] والطَّلْق[11]. والجَزْع والعقيق.

(١) مجلة مجمع الله العربية، الجزء (٣٢) سنة ١٩٧٣.

(٢) المفصل: ما بين الجبلين من رمل وحصى صغار.

(٣) الأرض ذات الحجارة.

(٤) صغار الحصى.

(٥) الفهر: القطعة من الحجر ملء الكف.

(٦) الصخر أو الجبل الأبيض الصلب.

(٧) الشديد السواد، توصف به خاصة الحجارة والجبال.

(٨) الحجر المضرس له حد كحد السكين.

(٩) حجر كالرخام، إلا أنه دونه في الهشاشة واللين والرخاوة.

(١٠) سيد المعادن بعد الماس، وهو من الألفاظ القرآنية، وورد في سورة الرحمن: «كأنهن الياقوت والمرجان». وقيل إنها فارسية أو يونانية معربة، ولكن العرب تكلمت بها قبل الإسلام، ويقول أحمد محمد شاكر في شرح «المعرب للجواليقي»: «الظاهر أنه عربي من مادة أميتت كما أميت كثير من المواد» ص ٤٠٤، سنة ١٩٦٩.

(١١) حجر براق شفاف ذو أطباق يطحن فيكون مسحوقاً أبيض.

ومن الأرض : الهِرشَمُ [1] والمَرْمَرِيس [2] والرَّواهِص [3] والخَبار [4] . ومن الماء : الجارى والخرخار [5] والحسَوى والحشرج [6] ومن العيون : البارد والخَنِيذ [7] . ومن غير ذلك كثير كثير .

ولما انتشر الإسلام واتسعت رقعة الأرض العربية من حدود الهند والصين شرقا ، إلى أسبانيا وحدود فرنسا غربا ، ازدادت هذه الألفاظ وتلك الاشتقاقات تشكلا وخصبا فى هذا المجال بفضل ماتغصُّ به تلك المنطقة من العالم من ظواهر جيولوجية شتى ، ومن جبال وأنهار وأودية ، ومن معادن بِلورٍ وخامات وأحجار .

وغنى عن التأكيد والبيان ماقام به مشاهير الجغرافيين والمعدِّنين العرب فى تلك العصور من أسفار طويلة فى أرجاء تلك الأرض الواسعة سطَّروا من نتاجها أسفارًا ضخمة ، تعجّ بالمصطلحات الفنية العربية الخالصة فى تقويم البلدان ، ووصف الأماكن والمياه ، وفى البحث عن المعادن والأحجار والجواهر .

أما الفرنجة فى غرب أوروبا إبان عصر النهضة وإحياء العلوم فإنهم لما نهلوا من علوم الشرق ، جعلوا اللغة اللاتينية لغة العلم عندهم . ولما بدأوا يمارسون لغاتهم الأصلية بعد ذلك فى هذا المجال ، اضطروا إلى الإسراف فى الاستعارة من الأصول اللاتينية واليونانية وحتى من الأصول العربيـة [8] لسك المصطلحات العلمية ، وذلك لقصور لغاتهم عن استيعاب المعانى العلمية الجديدة ، وتقديم الأصول المناسبة للمتغيرات اللانهائية فيها .

---

(١) الرِّخو النخر من الجبال .
(٢) الأرض الصلبة لا تنبت شيئا لصلابتها .
(٣) الصخور المتراصة الثابتة .
(٤) ما لان واسترخى من الأرض وساخت فيه قوائم الدواب .
(٥) الماء الجارى جريا سريعا .
(٦) الماء فى الأباطح لا يفطن له فاذا حفر عنه مقدار ذراع جاش .
(٧) الماء الساخن .
(٨) فى الرياضة قالوا : Algebra للجبر ، وفى الفلك والمساحة قالوا Azimuth للسموت ، وفى الجيولوجيا قالوا : Erg للمراق و Seif dunes للكثبان السيفية ، وقالوا : Gravel للجراول ، وقالوا Adobe للطوب .. إلخ .

أما كتابات العرب فى عصور النهضة العلمية الإسلامية ، ككتابات الجاحظ والكندى والبيرونى والقزوينى وابن سينا والكتبى « الوطواط » وابن الأكفانى وإخوان الصفا والتيفاشى وغيرهم ، فتضم زاخرا من المصطلحات الجيولوجية فى أوصاف الجبال والطبقات والعيون والأحجار والمعادن والجواهر وفى نظريات قيام الجبال وتآكلها ، وتحركات البر والبحر ، ومن مصطلحات الصناعة الجيولوجية والاستكشاف فى تخليص المعادن من خاماتها وقطع الجواهر والبلور وصقلها وفى تمييز الحر والزائف منها ، وغير ذلك مما يشهد بأن اللغة العربية لم تقصر عن استيعاب طموحهم والإحاطة بآفاق كشوفهم بتقديم المادة الصالحة لكل ما ابتكروه أو نقلوه .

وفى عصر النهضة العلمية العربية الحديثة ، وبفضل جهود مجمع اللغة ، ودأب القائمين عليه فى التشجيع على البحث والاستنباط فى نقل المصطلحات ، مازالت اللغة العربية تثبت جدارتها فى تحقيق المهمة ، ومازلنا نلمس ثراءها التليد ونبعها الفياض فى تزويد الاصطلاحيين بكل ما يطلبون من أصول ، حتى بلغ ما نقله أعضاء المجمع وخبراؤه فى مجال المصطلحات الجيولوجية ما ينيف على الخمسة آلاف من المصطلحات : جلها من أصول واشتقاقات عربية أصيلة .

ويهدف هذا البحث إلى التدليل على أن بحر اللغة العربية مازال زاخرا بالأصول البكر الصالحة للاستعمال والاشتقاق الجيولوجى ، والتى تفى بكل حاجات المشتغلين بهذا العلم من نقل مصطلحات أجنبية إلى العربية أو ابتكار مصطلحات جيولوجية جديدة أصلا ، وأنه سيظل يوافينا بمدد فياض من هذه الأصول .

وقد ضربت فى بحث سابق [1] بعض الأمثلة على قدرة اللغة العربية على الإحاطة بكثير من المتسلسلات الإصطلاحية الجيولوجية فى الموضوع الواحد . وهذا مثال جديد من أروع الأمثلة فى هذا

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ، (الجزء ٣٢) سنة ١٩٧٣ .

الباب : مسلسلة من خمسة عشر لفظا ليس بينها إلا لفظ واحد معرب ، غير أنه دخل معاجم العربية من قديم وليس عن طريق التعريب العلمى على أى حال . أما المقابلات الإنجليزية لهذه المسلسلة فإنها تضم ستة ألفاظ غير إنجليزية ، ولكن من أصول لاتينية أو إغريقية ، - أى أنك إذا اطلعت على معجم عربى متوسط لوجدت فيه ضالتك فى كل معانى هذه المسلسلة من الألفاظ العربية الأصلية ، ولكنك تفتقد ستة منها فى المعجم الإنجليزى ، ولابد لك من البحث عنها فى المعاجم الإنجليزية الكبرى التى تهتم بالمصطلحات العلميـــة وتعنى بذكر الأصول اللاتينية والإغريقية .

وهذه هى المسلسلة المشار إليها ، وهى فى الأنواع المختلفة من المواد الطينية ، مرتبة حسب الترتيب الهجائى العربى : -

| المصطلح العربى | أصله | معناه | المصطلح الإنجليزى |
|---|---|---|---|
| ١ - البَصْر - البَصْرة | بصر | الطين العلك الجيد فيه حصى . | Boulder clay |
| ٢ - البُصْرة | بصر | الأرض الطيبة الحمراءُ | Laterite * |
| ٣ - الجُلاهِق (١) | — | الطين المدوَّر الأملس | |
| ٤ - الجَنَد | جند | حجارة تشبه الطين | Mudstone - Slate |
| ٥ - الحَمَأ | حَمِئ | الطين الأسود المنتن | Saprolite * |
| ٦ - الخُثّ | خثّ | غثاءُ السيل إذا خلفه ونضب عنه حتى جفّ . | Peat |

(١) فارسى معرب قديم .

(*) كلمات غير انجليزية .

تابع جدول المصطلحات

| المصطلح العربى | أصله | معناه | المصطلح الإنجليزى |
|---|---|---|---|
| ٧ ـ الرَّدَغ ـ الرَّزَغ | ردغ ـ رزغ | الطين المبتل لا يسيل | Ooze |
| ٨ ـ الصَّلْصَال | صلصل | الطين اليابس يصلصل | Clay |
| ٩ ـ الطُّفَال | طَفَل | طين يابس فيه مادة الطَّفْل الرخص الناعم الدقيق | Shale |
| ١٠ـ الطمى | طَمَا | ما يحمله السيل ويستقر على الأرض | Alluvium * |
| ١١ـ الطَّمْلَة | طمل | الطين الرقيق ( يترسب فى موسم أو فى مدة قصيرة) | Varve * |
| ١٢ـ الطَّيْس | طاس | دِقاق التراب | Loess * |
| ١٣ـ الطِّين | طان | التراب المختلط بالماء | Mud |
| ١٤ـ الغَرِين | غَرِن | الطين يحمله السيل | Silt |
| ١٥ـ الغَضَار | غَضُر | الطين اللزج الأخضر الحر ( ومادة الخزف عموما ) | Kaolin |

ومن يراجع المعاجم العربية لا يعدم أن يجد فى كل مادة تقريبا أصلا أو أكثر يصلح للتعبيرات الجيولوجية أو لاشتقاق المصطلحات الخاصة بالأرض أو الماء أو الحركات الأرضية أو الصخور وما تحوى من معادن وخامات وبنيات هندسية وغير ذلك .

(*) كلمات غير انجليزية

وليس من سبيل فى مقال أو سلسلة قصيرة من مقالات أن يحاط بكل ما تقدمه لغة الضّاد من مادة صالحة للاستعمال فى مصطلحات الجيولوجيا . لكننا فى هذا البحث سنقدم عينات من هذه الأُصول ومشتقاتها فى الأَحرف السبعة الأُولى فقط من المعجم على سبيل المثال لا الحصر ، لنتدلل بها على ثراء هذه اللغة بأُصول تلك المصطلحات .

ورب قائل يقول : هذا نبشٌ عن الخَبْء فى أجداث الأَلفاظ البائدة ، واستحاثة لما ضاع منها فى رغام المعاجم القديمة .

لكن هذا قول مردود ، فما نقدمه هنا من ألفاظ تكلمت بها العرب ، وهى مدوَّنة فى معاجمهم الآن . وغرابة الكلام تنشأُ من عدم استعماله ، وما زالت اللغة العربية حية والحمد لله ، بل لها مكان فى الصدارة بين اللغات العالمية . وهل فى استعمال المصطلحات اللاتينية والإغريقية بأَحرفنا العربية ونطقنا العربى سهولة أَو بعدًا عن الغرابة وهى مستقاة من هاتين اللغتين البائدتين ، اللتين تشتق منهما معظم المصطلحات فى اللغات الأُوروبية الحية ؟ فلماذا نأْتى نحن اليوم لنستعير أَلفاظها كما هى أَو نعربها تعريبا ، وعربيتنا أَولى بإحياء أُصولها العريقة ؟ !

وهذه مختارات من الأصول الصالحة للاستعمال الجيولوجي فى الأحرف السبعة الأولى من المعجم :

## حرف الهمزة :

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
|---|---|---|---|
| أَبَنَ | إبّان الشيء : أوانه | أزمنة الحفريات وأعمار الحوادث الجيولوجية الصغيرة . | Chron |
| أَبَدَ | الأبد : الدهر | الزمن الجيولوجي كله . | Geoloogical time |
| | آبدة وجمعها أوابد : بقيت زمنا طويلا . | الحفريات التى لم يطرأ عليها تغير يذكر أزمانا جيولوجية طويلة . | Conservative Fossils |
| أَثَر | الأثارة : العلامة وبقية الشيء | الحفرية تذهب وتبقى آثارها فى الصخور ، العلم المختص بدراستها ( علم الأثارات ، وهو غير علم الآثار المعروف ) . | Trace fossils<br>Ichnology |
| أَثَلَ | الأثلة : الأصل | الموارد الإقليمية القديمة للصهارة . أصول السلاسل الحفرية . | Stocks |
| أَجَجَ | الأجاج : ماء يلذع الفم بمرارته أو ملوحته . | لوصف البيئة البحرية الزائدة الملوحة . | Hypersaline |
| أَجَنَ | ماء أجين : فسد وتغير لونه وطعمه ورائحته | وصف للمياه المحتبسة غير المهواة<br>وصف للبيئة المائية غير الصالحة للحياة | Foeted waters<br>Euxinic enoironment |
| أَدَمَ | الأديم من الأرض مايلى وجهها . | الصخور المتفككة البالية فوق صخر الأساس . | Regolith<br>Mantle rock |
| | الإيدامة | أرض صلبة بلا حجارة ، جمعها أياديم . | Stoney desert<br>Hamada |

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
| --- | --- | --- | --- |
| أسِيَ | الآسية : الدِّعامة والأسطوانة والبناء المحكم أساسه | لوصف العمود الوسطى فى المرجان والحلزون وأعمدة التقوية فى درقات بعض القنافذ البحرية . | Collumella<br>Buttrusses |
| أفَك | المؤتفكات : الريح تختلف مهابها . أئتفكت الأرض : انقلبت بمن عليها . | لوصف الطيات والصدوع المقلوبة | Reverse faults<br>Recumbent folds |
| أكَرَ | أكر الأرض حرثها ، وأرض أكيرة (قياس). | أكير : لأرض المثالج بعد زوال الجليد عنها . | Till<br>Tillite |
| | الأُكْرة : حفرة تعمق ليتجمع فيها الماء . | لمصارف المناجم . | |
| أمَت | الأمت : المكان المرتفع وصغار التلال والاختلاف فى المكان ارتفاعا وانخفاضا ورقة وصلابة . | لنوع من الطوبوغرافية السيئة تنشأ من فعل العوامل الطبيعية على جيولوجية غير متجانسة . | Badlands |
| أنِفَ | الآنف : الماضى القريب | يصلح اسما لآخر الأزمنة الجيولوجية فهو قد انقضى وليس جزءًا من الحاضر وبعضهم يسمية الزمن الحديث أو الحاضر ( خطأً ) . | Recent period |
| أهَب | الإهاب : الجلد المغلف لجسم الحيوان قبل أن يدبغ . | لوصف الطبقات الخارجية من هياكل المراجين وما شابهها | Theca |

## حرف الباء :

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
|---|---|---|---|
| بتك | بتْكة : قطعة وهو بتّك والقطعة منه بتْكة | للأرض المقطعة بالسيول أو التصدع الشديد أو غيره | Disected land<br>Highly faulted |
| بتل | البتيل : المسيل فى أسفل الوادى . | يصلح لوصف درجات الأنهار ومراتبها ومواقعها | |
| بثر | الباثر : الماء البادى من غير حفر . | فى الجيولوجيا المائية ويجوز استعماله فى جيولوجيا النفط. | |
| بثن | البثنة : الأرض السهلة اللينة . | | |
| بجبج | البجباج من الرمل ؛ المجتمع الضخم منه | التجمعات الرملية العظمى | Sand sheets<br>Sand seas |
| برض | البُراض : البئر القليلة الماء . | | |
| برق | البرقاء : أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين | لرواسب الأنهار القوية القديمة البائدة وتكون أحيانا معادن للعناصر الثمينة كالذهب والألماس | Placers<br>Placer deposits |
| برقش | نقش بألوان شتى وزين . | لوصف الزخارف اللونية والتركيبية فى أصداف الحيوان ، ولوصف الصخور ذات المساحات المختلفة الألوان | Ornamentation<br>Mottled rocks |

(تابع) حرف البـاء :

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
| --- | --- | --- | --- |
| بَرَة | البرهة : مدة من الزمان. | يمكن أن يطلق على مدى معين من الزمن الجيولوجى (*). | |
| بَسَق | البسقة : الأرض ذات الحجارة السود . | يمكن استعماله لوصف الأصقاع المكونة فى أساسها من الصخور البركانية القاعدية . | Trappes |
| | بساقة القمر : معدن أبيض صاف يتلألأ | | Moonstone |
| بَصر | البُصْر والبُصْرَة : | الأرض الطيبة الحمراء . | Laterite |
| | البَصْرة : | الطين العلك الجيد فيه حصى . | Boulderclay |
| بَلَنْط | حجر كالرخام | إلا أنه دونه فى الهشاشة واللِّين والرخاوة | Semicrystalline Limestone |
| بَلْوَر | بِلَّوْر جوهر أبيض شفاف وقيل هو نوع من الزجاج . | السليكا المتبلورة – بلورات المرو | Crystalline Quartz |
| باح | الباحة : الساحة | معالم جيومورفولوجية مستديرة تحدثها المثالج عند منابعها . | Circus |
| | | ومساحات محددة فارغة فى أصداف بعض الرخويات | Hinge area Cardinal area etc |
| بَيَن | البيون : البئر الواسعة العميقة | يصلح فى علم الجيولوجيا المائية وجيولوجيا البترول . | |

( * ) يلزم الاصطلاح فى تحديد المدى الزمنى الجيولوجى لكل من الأصول المختلفة الخاصة بالإمتدادات الزمنية فى اللغة .

## حرف التـاء :

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الإنجليزى |
|---|---|---|---|
| حَبَبَ | التَّحباب : عرق الفضة ونحوها فى حجر المعدن | | |
| تخَّ | تخَّ العجين ونحوه : لان واسترخى لكثرة الماء فيه . | يصلح لوصف ما ينتاب أنواع الطين بالاختلاط بالماء . | يصلح فى الجيولوجيا الهندسية وجيولوجيا المناجم |
| تَرُصَ | تَريصٌ :محكم ومضبوط. | لوصف الصخور ذات الحبيبات الشديدة الانضغاط ؛ فلا تترك بينها مسافات يمر فيها الماءُ . | Compact grains |
| تَلَعَ | التلعة : ما ارتفع من الأرض ومسيل الماء من أعلى إلى أسفل وما اتسع من فم الوادى . | يصلح لرواسب الطمى فى السيول الشديدة الانحدار عن سفح الجبل | alluvial fans |
| تلف | التلفة : الهضبة المنيعة يخشى التلف على من علاها . | يصلح فى وصف معالم النحت فى مجال الجيومورفولوجيا | Precipitous Scarps |
| التيهور | جرف الرمل . | | |
| تهم | التهامة : أرض منخفضة بين ساحل البحر وسلسلة جبلية على امتداده . | لتسمية هذا الْمَعْلَم فى علم الجيومورفولوجيا | |

حرف الثاء :

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
|---|---|---|---|
| ثبق | النهر امتلأ وأسرع ماؤه | فى الفيضان وتجدد شباب الأنهار بالرفع عند المنبع . | Rejuvenation |
| ثلّ | الثُلّة : الجماعة من الناس | يستعار للحيوان والحفريات | Association |
| ثلم | الثُلمة : والثلّم : الانكسار أو الشق أو إزالة جزء من الشىء | يستعار للمراحل الضائعة من السجل الجيولوجى . | Diastem |

حرف الجيم :

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
|---|---|---|---|
| جدد | الجَدَدُ : الأرض المستوية | | Peneplain |
| جذّ | الجُذاذة : الحَجَرَةُ من حجارة الذهب | كسارة المرو لحامل الذهب . | Gold-bearing Quartz |
| | الجُذاذ : المقطّع أو المكسّر | الصخور الرسوبية المهشمة المكونة أصلا من كسارة صخور سابقة . | Breccia |
| جَرش | الجريش : الشىء يدق ولا ينعم دقه . | طحين الصخر فى أعمال المناجم . | |
| جسّ | جسُّ الأرض : وطوها وبحثها وفحص ما فيها . | أعمال الاستكشاف الجيولوجية المختلفة . | Exploration |

(تابع) حرف الجيم :

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
|---|---|---|---|
| جفر | الجُفْرة : الحفرة الواسعة المستديرة . | الحفر الواسعة الناشئة من فوهات البراكين الخامدة . | Caldera |
| جَند | الجَنَدُ : حجارة تشبه الطين . | اسم للطين المتحجر أو المتحول . | Mudstone-Slate? |
| جَمّ | المَجَمُّ : مستقر الماء | فى الطبقات الحاملة الماء الجوفى . | Aquifer |

حرف الحاء :

| الأصل | الاستقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
|---|---|---|---|
| حبس | وعاء حابس للماء | الصخور الحابسة للماء | Water retaining |
| حث | الحُثُّ : المدقوق من كل شيء . | الصخور المهشمة تهشيما شديدا بطرق التحول الحركى العنيف . | Pulverised rocks |
| حثل | الحثالة : الردىء من كل شيء والنفاية . | المعادن غيرذات القيمة الاقتصادية فى الخامات والتى لا يستعمل الخام من أجلها . | Gangue minerals |
| حدّ | المحَادَدَة : المشاركة فى الحدود . | لوصف التكاوين والطبقات المشتركة فى الحدود . | Boundary Contacts |
| حَسَى | الحِسى وجمعها أحساء | السهل من الأرض يستنقع فيه الماء ؛ ورمل تحته صلابة يحجز الماء . | |

(تابع) حرف الحاء :

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
|---|---|---|---|
| حَشْرَج | الحَشْرج : الماء فى أباطح الأرض لا يفطن له فإذا حفر عنه مقدار ذراع جاش . | | Vadose water |
| حصل | المُحَصِّل : الذى يخرج تراب الفضة من حجارة المعدن والذى يخرج تراب المعدن ـ التحصيل : هذا الفن . | | Ore dressing |
| حصم | الحَصِيم : صغار الحصى للصخور المكونة من الحصى الدقيق | | Grit |
| حقب | الحقب : المدة الطويلة من الدهر ، جمعها حقَبٌ وأحقاب . الحقْبة المدة لا وقت لها أو السنة ، جمعها حقَب وحقوب . | لمصطلحات الجيولوجيا التاريخية | Era<br>Epoch |
| حكّ | الحُكَاكة : ماتساقط من الشىء عند الحك . | فى مجال اختبار المعادن والكشف عنها . | Streak |
| | المِحَكُّ : ما يحك به من حجر وغيره . | لوح للكشف عن المعادن بالحك | Streak plate |
| | الحَكَكُ : حجارة رخوة بيض تحك بها الأرجل . | بعض الصخور البركانية الفقاعية الخفيفة الحمضية . | Pumice |
| حمأ | الحمأ : الطين الأسود المنتن | الصخور الطينية الناشئة فى قعور المستنقعات . | Saprobelic<br>Saprolite |

(تابع) حرف الحاء :

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
|---|---|---|---|
| حمم | الحمَّة : عين ماءٍ حارة تنبع من الأَرض . | | Hot spring |
| | حمَمَةَ وجمعها حُمَمٌ . كل ما احترق من النار | صفة للصخور الرسوبية الناشئة من أصل بركانى . | Pyroclastic rocks |
| حنذ | الحَنذ : الماءُ الساخن واللحم المشوى يقطر منه الدهن | يستعار للمياه الجوفية الحارة والصخور التى تعرضت للحرق أو الحرارة العالية فكادت أن تتحول . | Hydrothermal waters<br>Baked rocks |
| حنو | الحِنْو : منعرج الوادى | | Meander |
| حاث | أحاث الارض : أثارها وطلب ما فيها . | البحث بالطرق المختلفة عن مكامن الثروات المعدنية ( علم الاستحاثة ) . | Prospecting |

حرف الخاء :

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
|---|---|---|---|
| خبب | الخَبُّ : سهل بينْ حزنيين . | مادة لمصطلحات علم الجيومورفولوجيا | |
| خبر | الخبار : مالان من الأَرض واسترخى وساخت فيه قوائم الدواب . | | |

(تابع) حرف الخاء :

| الأصل | الاشتقاق | الغرض الاصطلاحى | المقابل الانجليزى |
|---|---|---|---|
| خثّ : | الخُثُّ : غثاءُ السيل إذا خلّفه ونضب عنه حتى جف . | يستعار للرواسب النباتية الأصل التى لم تتفحم بعد أو أصابها تفحم بسيط . | Peat |
| خثر | الخُثَار : فضلة الشيء وبقيته . | تستعمل فى التحاليل الكيميائية للصخور الرسوبية وفى وصف الرواسب المتبقية من غيرها . | Insoluble residue Residual deposits |
| خدب | الخادِبة : الشجّة الشديدة جمعها خوادب. | لوصف الشقوق الكبرى بالجليد وبعض الصخور الطباشيرية . | Crevasses |
| خرب | الخَرْبة : الثقبة الواسعة المستديرة . | لوصف ما تحدثه رواسب الملح المنضغطة فى الصخور الرسوبية التى تعلوها فتثقبها ؛ ولوصف اختراق طبقات اللب للطبقات المطوية الضعيفة . | Diapir structures |
| خَرْخَر | الخرخار : صفة للماء الجارى جريا سريعا . | يستعار لوصف مجارى الأنهار الشابة عندما تتقدم مراحل تأكل المساقط المائية . | Rapids |

والبحث الدقيق المستأنى فى المعاجم العربية يمكن أن يزود الباحث الجيولوجى بمعجم وافٍ من الأصول العربية والأغراض الجيولوجية التى يمكن استعمالها فيها أو استعارتها ، لتأدية معناها . فاللغة بخير ، والعلم العربى بخير ، مع الاجتهاد ، والتوفيق من عند الله .

**محمد يوسف حسن**

# التطور اللغوى
# بين القوانين الصوتية والقياس

للدكتور رمضان عبد التواب

أرانى في بداية حديثى، مضطرا إلى تأكيد أمور، فرغ منها المحدثون من علماء اللغات، منذ فترة طويلة، وهى تعدّ عندهم الآن من البديهيات، على حين يجادلنا فيها بعض الدارسين العرب، ممن بقى فى الكهوف القديمة، يردّدون قولتهم المشهورة: ليس فى الإمكان أبدع مما كان.

وأول هذه الأمور أن اللغة كائن حى؛ لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وهم من الأحياء، وهى لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحى ويتغير. واللغة العربية الجاهلية، ليست بدعا بين اللغات، فهى حلقة فى سلسلة حلقات طويلة، من التطور والتغير، أى أنها لم تكن كما يتخيل بعض الناس، بصورتها التى رويت لنا، منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها.

وإننا لنبتسم لسذاجة من روى لنا شعرا عربيا، على لسان قحطان بن هود عليه السلام، يسلى به بعض ما كان بأبيه هود – من الكآبة والجزع والغم والحزن، على قومه عاد، فقال:

إنى رأيت أبى هودا يؤرّقه
حزن دخيل وبلبال وإسهاد
لا يحزننك أن طاحت بداهية
عاد بن لاوى فعاد بئسما عاد[1]

بل لقد رووا لنا أن آدم عليه السلام، قال شعرا عربيا فى رثاء ابنه « هابيل » حين قتله « قابيل » وقالوا: إن أول

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام للأصمعى ص ٤

من أقوى فى الشعر ، هو آدم عليه السلام ، وهو يقول فى قصيدته تلك :

تغيّرت البلاد ومن عليها
فوجهُ الأرض مغبرٌّ قبيحُ

تغيّر كلُّ ذى حسن وطيب
وقل بشاشةُ الوجهِ المليحِ [1]

والحقيقة الثانية أن مانسميه نحن بالعربية الفصحى ، يشتمل فى الكثير من ظواهره ، على بعض حلقات التطور ، أى أننا نلاحظ فى هذه اللغة أحيانا ، صورتين أو أكثر لظاهرة لغوية واحدة ، وبعض هذه الصور يمثل فترة تاريخية ، أقدم من الصور الأخرى . وسأضرب هنا بعض الأمثلة ، لكى تتضح هذه القضية :

يظن بعض الناس أن السين وسوف ، أداتان مختلفتان للدلالة على الاستقبال ، وُضعا هكذا وَضْعًا ، منذ أن خلق الله العربية . وقد خُدع بذلك نحاة البصرة ، وحكّموا المنطق العقلى ، فى أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ؛ فقالوا : إن سوف تدل على الاستقبال البعيد ، والسين تدل على الاستقبال القريب .

وليس فى نصوص اللغة مايشهد لتكلفهم هذا ؛ فقوله تعالى مثلا « فسيكفيكهم » ، ليس معناه تحقق هذه الكفاية فى الغد ، كما أن قوله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » ، ليس معناه تأخر الإعطاء عاما أو عامين .

بل إن الحقيقة أن سوف أقدم من السين ، والسين جزء مقتطع منها . ومن الحقائق المقررة عند المحدثين من علماء اللغات ، أن كثرة الاستعمال تُبلى الألفاظ ، وتجعلها عرضة لقص أطرافها ، تماما كما تبلى العملات المعدنية والورقية ، التى تتداولها أيدى البشر .

ومن الألفاظ التى تعانى هذا القص ، وذلك البلى ، هى الأدوات التى تدور كثيرا فى الكلام ، وكذلك كلمات التحية التى يرددها الناس صباح مساء . ويكفى أن نتذكر هنا عبارة « عمْ صباحا » المتطورة عن : « أنْعِمْ صباحا » و« مُ الله » المأخوذة من : « أيمُن الله » ، وقولنا مثلا : « سلخير » بدلا من : « مساء الخير » ، بل إن

(١) الدرر اللوامع على همع الهوامع ٢ – ٢٠٩ .

كلمة : « للساعة » بمعنى : « للآن » ، أصبحت فى مصر : « لِسَّه » وفى شمالى إفريقيا : « لِلسَّعْ » وفى السودان : « للساتى » ، وعبارة : « رايح أعمل كذا » تطورت إلى « حاعمل كذا » . والناس فى نجد يقولون : « سَمْ » بمعنى : « نعم » ، وهى مقتطعة فيما نعتقد من : « سمعا وطاعة » ، كما يقولون : « أبى كذا » وهى متطورة عن : « أبغى » . وغير ذلك من الكلمات الكثيرة .

وهذا هو ماحدث بالضبط لكلمة : « سوف » القديمة ، التى توجد فى بعض اللغات السامية الأُخرى ، كالآرامية فهى فيها : ( Sawpā ) ، وهى اسم معناه فيها الغاية والنهاية . هذه الأداة التى أصبحت تدل فى العربية القديمة ، على الاستقبال فى الأفعال ، كانت قد بدأت تعانى قصا لبعض أجزئها ، فى الفترة التى سبقت نزول القرآن الكريم ؛ فقد ورد أن العرب « قالوا : سويكون ، وسوف يكون ، وسايكون ، وسيكون[1] » .

وعندما جاء القرآن الكريم ، سجل لنا إحدى صور التطور فى « سوف » ، أو قل المرحلة الأخيرة منه ، مع الأصل الذى كان لايزال يعيش معه جنبا إلى جنب ، كما روى لنا اللغويون صور التطور الأُخرى ، التى لم يكتب لها ما كتب لغيرها من الخلود .

وهذا مثال آخر : رُوى لنا فى العربية الفصحى ، صيغتان من صيغ الأفعال ، بصورتين مختلفتين ، وهما : تفعَّل وتفاعل ، إلى جانب : اتفعّل واتفاعل . والصورة الأُولى لهاتين الصيغتين هى الأقدم ، وعليها جمهرة الأفعال التى رويت لنا فى الفصحى ؛ مثل : تعلَّم ، وتكلَّم ، وتقاتل ، وتضارب . كما رُوى لنا من الصورة الثانية قوله تعالى : « حتى إذا ادّاركوا فيها جميعا » ، وقوله تعالى : « اثّاقلتم إلى الأرض » . وقد حدث التطور فى هاتين الصيغتين ، أول ماحدث فى المضارع ؛ إذ لنا أن نتصور أن الأصل هو : « يَتَثَاقل » ، ثم سكنت التاء للتخفيف ؛ إذ تكره العربية توالى المتحركات — كما هو معروف — فتصير الكلمة : « يَتْثَاقل » ، ثم انقلبت التاء ثاء ، لقربها منها فى

---

(١) انظر : لسان العرب . (سوف) ١١ — ٦٥ .

المخرج والصفة ، فصارت الكلمة : « يَثّاقل » : وهنا يشتق من المضارع ماض جديد ، هو : « اثّاقَلَ » .

وقد كانت هذه الظاهرة فى سبيل التطور فى العربية الفصحى ، عندما جاء الإسلام ؛ ولذلك نجد أمثلتها فى القرآن الكريم ، جنبا إلى جنب مع الصيغ القديمة التى لم يحدث فيها تطور . ونحن نعدّ هذا دليلا على أن التطور اللغوى فى أية ظاهرة لغوية ، لايحدث فجأة ، فيقضى بين يوم وليلة على كل أثر للقديم ؛ ففى القرآن الكريم ، أمثلة كثيرة للصيغ القديمة ، مثل قوله تعالى : « وما يتذكر إلا من ينيب » ، بل إن الآية الواحدة لتحتوى فى بعض الأحيان ، على الصورتين معًا ؛ كقوله تعالى : « لِيَدَّبَّرُوا آياته وليَتَذَكر أولو الألباب ».

وقد ظل هذا التطور سائرا فى طريقه فى لهجات الخطاب ، حتى ساد وحده وقضى على الظاهرة القديمة ؛ ففى اللهجة العامية المصرية ، نقول مثلا : فلان اصّدّعت دماغه ، واسّرّع فى كلامه ، واشّهّى الأكل ، واصّوّر ، واطّوّع فى الجيش ، ولا أثر للصيغة القديمة فى لهجات الخطاب ؛ إذ لايقال فيها مثـ : فلان تصدّعت دماغه ، وتسرع فى كلامه ، وتشهّى الأكل ، وتصوّر ، وتطوّع فى الجيش . وكذلك الحال فى ؟ صيغة : « تفاعل » ؛ إذ ماتت هى الأخرى ، وحلت ؟ محلها صيغة : « اتفاعل » التى شاهدنا مولدها ، فى عصر نزول القرآن الكريم ، إذ نقول الآن فى لهجات الخطاب : فلان اطّاول على فلان ، واشّاتم هو وهوّ ، واسّاهل معاه ، واصّالحوا سوا ، بدلا من : تطاول عليه ، وتشاتم ، وتساهل ، وتصالح .

والقضية الثالثة التى أريد تأكيدها هنا ، أن العربية الفصحى لها ظرف خاص ، لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم . وهذا الظرف يجعلنا نرفض ماينادى به بعض الغافلين – عن حسن نية أوسوء نية أحيانا – من ترك الحبل على الغارب للعربية الفصحى ، لكى تتفاعل مع العاميات ، تأخذ منها وتعطى ، كما يحدث فى اللغات كلها .

حقا إن اللغة كائن حى ، يتطور على ألسنة المتكلمين بها ، فينشأ من هذا التطور ، اختلاف بين لغة عصر والعصر

الذى سبقه ، وهنا يحدث الصراع بين أنصار الشكل القديم ، وأنصار الشكل الجديد ، وبعد فترة يصبح قديما ما كان بالأمس جديدا ، فيتصارع مع جديد آخر ، وتضمحل لغة العصر الأسبق أو تندثر ، غير أن كل جديد لا يظهر فجأة ، ولا يقضى على القديم بين يوم وليلة ، بل يظل الصراع بينهما لفترة قد تطول أو تقصر ، غير أن الانتصار يكون فى النهاية للشكل الجديد - تلك سنة الحياة ، وتاريخ اللغات جميعها يشهد بهذا ، ولا نعرف لغة على ظهر الأرض ، جمدت على شكل واحد مئات السنين .

غير أن العربية الفصحى لها - كما قلنا - ظرف لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم ؛ ذلك أنها ارتبطت بالقرآن الكريم ، منذ أربعة عشر قرنا ، ودُوّن بها التراث العربى الضخم ، الذى كان محوره هو القرآن الكريم فى كثير من مظاهره . وقد كفل الله لها الحفظ ، مادام يحفظ دينه ، فقال عز من قائل : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، ولولا أن شرفها الله عز وجل ، فأنزل بها كتابه وقيّض له من خلقه من يتلوه صباح مساء ، ووعد بحفظه على تعاقب الأزمان - لولا كلُّ هذا لأمستْ العربية الفصحى لغة أثرية تشبه اللاتينية أو السنسكريتية ، ولسادت اللهجات العربية المختلفة ، وازدادت على الزمان بعدًا عن الأصل الذى انسلخت منه .

هذا هو السر الذى يجعلنا لانقيس العربية الفصحى ، بما يحدث فى اللغات الحية المعاصرة ، فإن أقصى عمر هذه اللغات فى شكلها الحاضر ، لايتعدى قرنين من الزمان ، فهى دائمة التطور والتغير ، وعرضة للتفاعل مع اللغات المجاورة ، تأخذ منها وتعطى ، ولاتجد فى ذلك حرجا ، لأنها لم ترتبط فى فترة فترات حياتها بكتاب مقدس ، كما هو الحال فى العربية .

وقد صدق الشيخ أحمد رضا العاملى حين قال : « وأنا لا أرتاب فى أن اللغة التى حملها الفرنسيس ، أيام الحملات الصليبية ، إلى سوريا لم تكن كاللغة التى حملها أحفادهم إليها فى هذه الأيام ، وأن اللغة التى نظم بها شكسبير قصائده ، لايفهمها العامى

الإنجليزى اليوم ، أكثر مما يفهم العامى العربى قصائد المتنبى وأبى العلاء المعرى ، وأن لغة موليير الفرنسية – فيما أحسب – بعيدة عن لغة إميل زولا . ولكن لغة المتنبى لم تتغير عن لغة شوقى ، وبينهما ألف عام ، إلا أن لغة المتنبى تخالف [لغة الزاجل فى زجله اليوم ، بل إن [لغة الزاجل فى زجله اليوم تخالف لغة الزاجل فى عصر ابن خلدون »[1] .

إن ارتباط العربية الفصحى بالقرآن الكريم ، لهو السرّ كذلك فى تمسّكنا بالعربية الفصحى القديمة ، ودعوتنا إلى دراستها دراسة مستفيضة ، لكى نفهم بها القرآن الكريم ، ومادار حوله من دراسات ، وكذلك الشعر العربى القديم ، الذى يلقى أضواء على المعانى القرآنية ، ويفيد فى توضيح ألفاظ القرآن الكريم . ولقد صدق الصحابى الجليل عبد الله بن عباس ، حين قال : « الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن ، الذى أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه »[2] .

فهذه العربية الفصحى التى استمرت حية ، أربعة عشر قرنا ، والتى ستستمر فى حياتها إلى ماشاء الله – تستمد من ارتباطها بالقرآن الكريم عنصر الحياة"] وهذه القضية كانت واضحة فى أذهان اللغويين العرب فى الماضى ، فهذا هو أبو حاتم الرازى ( المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ) يقول : « ولولا مابالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب ، والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين ، والأئمة الماضين ، لبطل الشعر ، وانقرض ذكر الشعراء ، ولعفى الدهر على آثارهم ، ونسى الناس أيامهم »[3] .]

لقد أطَلْتُ فى إبراز هذه القضية هنا ، حتى لايظن بعض الناس ، أننى حين أُعالج قضايا التطور اللغوى أكون من أنصار هذا التطور فى العربية فإننى أُعالج هذه القضايا هنا من الناحية الوصفية التاريخية ، وهناك فرق كبير فى مناهج اللغة ، بين الوصفية والمعيارية

(١) مولد اللغة للعاملى ص ٧٢ . (٢) انظر : الإتقان للسيوطى ١ – ١١٩ . (٣) الزينة للرازى ١ – ١١٦

كما أن استخدام اللغويين المحدثين لكلمة « التطور » ، لايعنى تقييم هذا التطور ، والحكم عليه بالحسن أو بالقبح ، فإنه لايعنى عندهم أكثر من مرادف لكلمة : « التغيّر » .

ويهمنا هنا أن نشير إلى أن هذا التغير لا يحدث على نحو مشتت غير مطرد ، بل يحدث وفقا لقواعد ثابتة ، يمكن أن نصوغها فى دقة ، إذا تناولنا لغةً ما ، فى عصرين متتابعين من تاريخ تطورها .

والقوانين الصوتية ، تعبر عن علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة فى وسط اجتماعى معين ، فهى ليست قوانين عامة شبيهة بقوانين علم الطبيعة أو الكيمياء ، ولهذا السبب ، نجد تطورا صوتيا فى إحدى اللهجات ، ولانجد له أثرا فى لهجة أخرى .

ومن أبرز القوانين الصوتية أثرا فى التطور اللغوى ، هو قانون « المماثلة » بين الأصوات ، فإن أصوات اللغة ، تختلف فيما بينها فى الشدة والرخاوة والجهر والهمس ، والتفخيم والترقيق وماإلى ذلك ، فإذا التقى فى الكلام صوتان من مخرج واحد ، أو من مخرجين متقاربين ، وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا ، حدث بينهما شدّ وجذب ، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ويجعله يتماثل معه ، فى صفاته كلها أو فى بعضها ، وهناك اصطلاحات لعلماء الأصوات ، فى أنواع التأثر الناتجة عن قانون المماثلة ، فإن أثّر الصوت الأول فى الثانى فالتأثر (مقبل) ، وإن حدث العكس ، فالتأثر (مدبر) وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين ، فالتأثر (كلى) وإن كانت المماثلة فى بعض خصائص الصوت ، فالتأثر (جزئى) . ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة :

فمثال التأثر المقبل الكلى ، قولنا مثلا : « ادَّعى » ، إذا أصلها : « ادتعى » ، التقت الدال والتاء ، وهما من مخرج واحد ، هو مخرج الأسنان واللثة ، فأثرت الدال وهى متقدمة ، على التاء التى بعدها ، وقلبتها دالا مماثلة .

ومثال التأثر المقبل الجزئى ، قولنا مثلا : « اضطجع » ، إذا أصلها :

« اصْتجع » ، فقد اجتمعت الضاد والتاء وهما من مخرج الأسنان واللثة كذلك فأثرت الضاد على التاء ، وقلبتها إلى صوت مماثل لها فى بعض صفاتها وهو الطاء الذى يماثل الضاد فى التفخيم .

ومثال التأثر المدبر الكلى ، تأثر النون فى « إنْ » و « أنْ » و « مِنْ » و « عَنْ » بالميم واللام التى تليها ، فتقلب ميما أو لاما ، مثل : « إمّا » و « أمّا » و « إلاّ » و « ألاّ » و « مِمّا » و « عمّا » وما إلى ذلك .

ومثال التأثر المدبر الجزئى ، تأثر النون بالباء التالية لها ، إذ تقلب إلى صوت من مخرج الباء وهو صوت الميم إذ هو شفوى كالباء وهذا هو ماسماه علماء القراءات العرب بالإقلاب ، فى مثل قوله تعالى : « من بعدما جاءهم » وقوله تعالى : « عليم بذات الصدور » .

ونحب أن نشير هنا إلى شىء مهم وهو أن الصوت لايمكن أن ينقلب إلى صوت آخر ، بعيد عنه فى المخرج جدًا فلا ينقلب صوت من أصوات الشفة أو الأسنان مثلا ، إلى صوت من أصوات الحلق ، وكذلك العكس ، وقد فطن إلى هذه الحقيقة ، العلامة ابن جنى فقال : فأما قول من قال فى قول تأبط شرا » :

كأنما حشحشوا حُصًّا قوادمُه
أو أمّ خِشْف بذى شَثٍّ وطُبّاق

إنه أراد : حثّثوا ، فأبدل الثاء الوسطى حاء ، فمردود عندنا .

وإنما ذهب إليه البغداديون وأبوبكر ابن السراج معهم ، وسألت أبا على عن فساده ، فقال : العلة فى فساده أن أصل القلب فى الحروف ، إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدال والطاء والتاء ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه ، فأما الحاء فبعيدة عن الثاء ، وبينهما تفاوت يمنع قلب إحداها إلى أختها[1] » .

هذا هو قانون المماثلة . وهناك قانون صوتى آخر ، يسير فى عكس اتجاه قانون المماثلة وهو مايعرف عند علماء الأصوات باسم قانون « المخالفة » ؛ فقد عرفنا أن

(١) سر صناعة الإعراب لابن جنى ١ – ١٩٧ .

قانون المماثلة ، يحاول التقريب بين أصوات بينها بعض المخالفات . أما قانون المخالفة ، فإنه يعمد إلى صوتين متماثلين تماما فى كلمة من الكلمات ، فيغير أحدهما إلى صوت آخر ، يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة ، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة ، المعروفة فى اللاتينية باسم Liquida ، وهى اللام والميم والنون والراء ؛ مثال ذلك : «قيراط » و« دينار » بدلا من : «قرّاط » و«دنّار » ؛ بدليل الجمع : « قراريط » و « دنانير » .

وكان الناس فى القرن الثالث الهجرى فى العراق يقولون فى : «إجّاص » : « إنجاص » وفى : « إجّانة » : « إنجانة » ؛ ولذلك قال ابن السكيت فى كتابه إصلاح المنطق : « ويقال : هو الإجّاص ، ولا تقل : إنجاص ، وهى الإجّانة ، ولا تقل : إنجانة[1] » .

كما كان أهل الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، يقولون : « كرناسة » فى : « كراسة » ، كما كانوا يطلقون على الأسد كلمة : «عَدَنبس » بدلا من « عَدَبّس[2] » .

وليس من اللازم أن يكون الصوتان متجاورين ؛ فكلمة : «عنوان» تنطق فى بعض اللهجات عندنا : «علوان » ، وكلمة : « لعلّ » فيها عشر لغات مشهورة ، ومن هذه اللغات : « لعنّ[3] » ، وهى أثر من آثار قانون المخالفة .

وقد فطن قدماء اللغويين العرب إلى هذه الظاهرة وكانوا يعبرون عنها أحيانا « بكراهية التضعيف » أو « كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد » أو « اجتماع الأمثال مكروه » وما أشبه ذلك .

ويرى علماء الأصوات أن السبب فى المخالفة من الناحية الصوتية ، هو أن الصوتين المتماثلين ، يحتاجان إلى جهد عضلى فى النطق بهما فى كلمة واحدة ، ولتيسير هذا المجهود العضلى ، يقلب

---

(١) إصلاح المنطق لابن السكيت ١٧٦ .
(٢) لحن العوام للزبيدى ٣٥ ، ١٦١ .
(٣) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ١ - ٢٧١ .

أحد الصوتين صوتا آخر ، من تلك الأصوات التى لاتتطلب جهدا عضليا ، كاللام والميم والنون .

وتميل العربية إلى التخلص من توالى الأمثال فى أبنيتها ، عن طريق آخر ، إلى جانب طريق المخالفة الصوتية ، ذلك هو طريق الحذف . ومن أمثلة ذلك فيها : صيغ « تَفَعَّل » و « تفاعل » و « تفعلل » مع تاء المضارعة ؛ مثل : « تتقدّم » و « تتقاتل » و « تتبختر » ، فالكثير فى العربية الاكتفاء بتاء واحدة . وفى القرآن الكريم أمثلة كثيرة لذلك ؛ ففيه مثلا : « تَذَكّرون » ١٧ مرة بالحذف ، فى مقابل : « تتذكّرون » ٣ مرات بلا حذف ، كما يقابلنا فيه مثلا : « تكاد تَمَيَّز من الغيظ » بدلا من : « تتميز » و « فأنت عنه تَلَهَّى » بدلا من : « تتلهى » و « نارا تَلَظَّى » بدلا من : « تتلظى » وغير ذلك .

ومن أمثلة ذلك أيضاً : نون الأفعال الخمسة مع نون الوقاية ، قبل ياء المتكلم ، أو مع ضمير المتكلمين المنصوب ، وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة ، قبل هاتين الحالتين ؛ كقول الأعشى :

أبالموتِ الذى لابُدَّ أنّى
ملاقٍ لا أباك تُخوِّفينى [1]

أى : « تخوفيننى » . وكقول عمرو ابن معد يكرب :

تراه كالثغام يُعَلُّ مِسْكاً
يسوء الفالياتِ إذا فَلَيْنى [2]

أى : « فلينني » . وكقول جميل :

أياريحَ الشمال أما تَرَيْنى
أهيم وأننى بادى النُّحُول [3]

أى : « ترينني » .

وليست ضرورة الشعر هى المتسببة فى هذا الحذف ، كما قد يُتوهّم ؛ إذ ورد فى النثر كذلك ، فقد ورد فى سيرة ابن هشام : « ما الذى تهنئونا به [4] » ، وفيها كذلك : « أفلا تعطونى [5] » . وفى الأغانى للأصفهانى : « فأخبراه أنهما لايعرفانى [6] » . وفى عيون الأخبار لابن

(١) أمالى ابن الشجرى ١ — ٣٦٢ والكامل للمبرد ٢ — ١٤٢ والمنصف لابن جنى ٢ — ٣٧ .
(٢) كتاب سيبويه ٢ — ١٥٤ والمنصف لابن جنى ٢ — ٣٣٧ .
(٣) الأغانى ٨—١٠٩ .
(٤) سيرة ابن هشام ٤٥٨ .
(٥) سيرة ابن هشام ٥١ .
(٦) الأغانى ٥ — ١٢٦ .

قتيبة : « لم تُز عجونى من جواركم ؟ »[1] .

وفى تفسير الطبرى : « كنا نعطيهم فى الجاهلية ستين وسقا ونقتل منهم ولا يقتلونا »[2] .

ومن أمثلة الحذف لكراهة توالى الأمثال كذلك : إنّ وأنّ ولكنّ وكأنّ ، مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو ضمير المتكلمين المنصوب . والحذف مع هذه الأحرف هو الشائع فى القرآن الكريم ؛ ففيه مثلا : « إنى » ١٢٤ مرة ، فى مقابل : « إننى » ٦ مرات ، كما ورد فيه : « وإنّا » ٣٣ مرة ، فى مقابل : « وإننا » مرة واحدة . وغير ذلك[3] .

ولعل المسئول عن منع كلمة : «أشياء» من الصرف ، وقوعها فى القرآن الكريم ، فى سياق تتوالى فيه الأمثال لو صرفت ، فى قوله تعالى : « لاتسألوا عن أشياءَ إن تُبْدَ لكم تسؤكم » سورة المائدة ١٠١/٥ إذ لو صرفت لقيل : « عن أشياءٍ إنْ » ولا يخفى مافيه من تكرار المقطع : « إنْ » .

وليست العربية بدعا فى سلوك طريق الحذف ، للتخلص من توالى الأمثال ؛ ففى الآرامية مثلا : L'iš ('aryā) بمعنى : « ليث » ، أصلها الاشتقاقى : 'aryayā وفى الألمانية مثلا كلمة : der Beamte بمعنى : « الموظف » ، هذه الكلمة أصلها الاشتقاقى : der Beamtete وغير ذلك من الكلمات .

وفى العربية الفصحى من المقاطع الصوتية ، خمسة أنواع : الأول مقطع قصير مفتوح ، وهو ماتكوّن من صوت صامت وحركة قصيرة ؛ مثل : (كَ) ، والثانى مقطع طويل مفتوح ، وهو ماتكوّن من صوت صامت وحركة طويلة ؛ مثل : ( فى ) ، والثالث مقطع طويل مغلق حركته قصيرة ، وهو ماتكوّن من صوتين صامتين بينهما حركة قصيرة ؛ مثل : (مِنْ) ، و الرابع مقطع طويل مغلق حركته طويلة ؛ مثل : (بابْ) فى الوقف ، والخامس مقطع زائد فى الطول ، وهو مابدأ بصوت صامت ، تليه حركة قصيرة ، ثم يختم

(١) عيون الأخبار ١ – ٢٩٣ . (٢) تفسير الطبرى ٨ – ٥١٠ .

(٣) انظر أمثلة أخرى فى مقالتنا : كراهة توالى الأمثال ، بمجلة المجمع العلمى العراقى – المجلد الثامن عشر .

بصوتين صامتين متتاليين ؛ مثل : ( بِنْتْ ) فى الوقف .

ومن القوانين الصوتية فى العربية : الابتعاد عن توالى أربعة مقاطع من النوع الأول ، وهذا هو السر فى تغيير نظام المقاطع ، فى الفعل الماضى الثلاثى المتصل بضمير الرفع المتحرك ، إلى مقطعين من النوع الأول ، بينهما مقطع من النوع الثالث ؛ مثل : « ضَرَبْتُ » ، بدلا من توالى أربعة مقاطع من النوع الأول فى : « ضَرَبَتُ » .

كما تبتعد العربية عن المقطع الرابع ، فى غير الوقف ووسط الكلمة ، بشرط أن يكون المقطع التالى له مبتدئاً بصامت ، يماثل الصامت الذى ختم به المقطع السابق. وهذه الحالة الأخيرة ، هى ما عبر عنها اللغويون العرب القدامى « بالتقاء الساكنين على حدّهما » وهو أن يكون الأول حرف لين والثانى مدغماً فى مثله[1] ؛ نحو « الضالّين » و « دَابّة » و « شابّة » .

فإذا نشأ هذا المقطع اشتقاقياً ، فى غير هاتين الحالتين ، حوّلته اللغة إلى مقطع من النوع الثالث ، بتقصير حركته مثل : « يقومُ » التى تصير عند الجزم : « لم يَقُمْ » ، وكان الأصل فيها : « لم يقومْ » ، غير أن المقطع : « قُومْ » هو من نوع هذا النوع الرابع الذى تفر منه العربية .

ويذهب بعض المستشرقين[2] ، إلى أن الإعراب كان فى الأصل ، بالحركات الطويلة فى آخر الكلمة ؛ بدليل الوقف بهذه الحركات الطويلة ، فى لغة أزد السراة فى قولهم مثلا فى الوقف : « هذا خالدو » و « رأيت خالدا » و « مررت بخالدى » وبدليل الوقف بالفتحة الطويلة فى الفصحى فى قولنا : « رأيت خالدا » ، غير أن دخول النون الساكنة للتنوين فى الوصل ، أدّى إلى نشوء المقطع الرابع ، فتخلصت منه العربية بتحويله إلى مقطع من النوع الثالث ، أى أن هذا الرأى يفترض أن الأصل فى مثل : « جاء زيدٌ » و « رأيت زيداً » و « مررت بزيدٍ » هو : « جاء زيدونْ » و « رأيت زيدانْ » و « مررت بزيدِينْ » . وهو رأى قد يمكن عن طريقه

(١) انظر شرح ابن يعيش للمفصل ٩ – ١٢٠ .

(٢) انظر : Rabin, Ancient West Arabian, p. 57 .

تفسير وجود الواو فى كلمة : (عمرو) ، وقد وردت فى أحد النقوش العربية القديمة ، مكتوبة بالياء فى حالة الجرّ [1] .

ومن القوانين الصوتية المؤثرة فى العربية كذلك : المخالفة بين حركتى الفتح المتتاليتين ، إذا كانت الأولى منهما طويلة ؛ إذ تتحول الثانية منهما فى هذه الحالة إلى كسرة ؛ فالأصل فى نون المثنى هو الفتح ، غير أنها كسرت تبعاً لهذا القانون ، بدليل أنها ما تزال مفتوحة فى جمع المذكر ، وبدليل بعض الأمثلة ، التى بقيت على الأصل القديم ، وهى ما نسميه نحن « بالركام اللغوى » ؛ مثل : « شتَّانَ » فى مثل قولهم : « شتان أخوك وأبوك » أى هما متفرقان ، فهو تثنية « شتّ » والشتّ المتفرق [2] .

ومن لم يقنعه هذا المثال ، فلينظر فى نون التوكيد المشددة ، وهى مفتوحة ــ كما نعرف ــ فى : « يضربَنَّ » و « تضربَنَّ » وما إلى ذلك ، غير أنها مكسورة فى مثل : « يضربانِّ » ؛ بسبب المخالفة المذكورة .

وهذه النون التى تسمى بنون الرفع فى الأفعال الخمسة ، هى مفتوحة فى : يفعلونَ ، وتفعلونَ ، وتفعلينَ . ولكنها مكسورة فى : يفعلانِ ، وتفعلانِ ؛ بسبب هذا القانون نفسه .

بل إن نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة ، لَيُفَسَّر كذلك بهذا القانون ، أى أن الأصل هو نصب هذا الجمع بالفتحة ، بدليل ما رواه الكوفيون عن العرب من قولهم : سمعت لغاتَهم ، وقول الرياشى : سمعت بعض العرب يقول : أخذتُ إراتَهم [3] ، غير أن أثر هذا القانون ، هو الذى أدى إلى تخالف الفتحة إلى كسرة ، فيما نعتقد .

هذه هى بعض القوانين الصوتية ، التى تحكم التطور اللغوى فى العربية ، وليس من قصدنا هنا إحصاء هذه القوانين فلذلك مجال آخر .

أما « القياس » ؛ فعن طريقه تتطور اللغة كذلك . وقد ثبت من تتبع حياة اللغات « أن الاختلاف فى حياة اللسان ،

---

(١) انظر : نقش « أم الجمال » فى كتابنا : فصول فى فقه العربية ٤٢ – ٤٣
(٢) لسان العرب (شتت) ٢ – ٣٥٥ .
(٣) منهج السالك لأبى حيان ص ١١ .

أقدم من الاتفاق فى أكثر الحالات »[1] . وهنا يأتى القياس اللغوى ، ليلغى هذه الاختلافات ، ويقيس بعض الأمثلة على بعض ، فتتوحد الظاهرة عن هذا الطريق .

مثال ذلك : ثبت من مقارنة اللغات السامية ، أن الأصل فى ضمير المتكلم هو الكاف ، والأصل فى ضمير الخطاب هو التاء ؛ لأن التكلم جنس يختلف عن جنس الخطاب . ومن الطبيعى أن يوضع لكل جنس ، ضمير يخالف ضمير الجنس الآخر ؛ أى أن الأصل أن يقال مثلا : « ضَرَبْكُ - ضَرَبْتَ - ضَرَبْتِ » ، غير أن القياس أدّى إلى تسوية هذا الاختلاف فسادت الكاف وحدها فى الحبشية ؛ ففيها مثلا : « قَتَلْكُو - قَتَلْكَ - قَتَلْكِى » وفى العربية والآرامية والعبرية ، سار القياس فى اتجاه آخر ، فسادت التاء ؛ إذ يقال فى العربية مثلا : « قَتَلْتُ - قَتَلْتَ - قَتَلْتِ » .

وهذا مثال آخر لأثر القياس فى التطور اللغوى ؛ فالأصل فى لام الجر الفتح ، والأصل فى باء الجر الكسر ، بدليل وجود هذا الأصل فى اللغات السامية الأخرى ، وبدليل الاحتفاظ به فى العربية عند الاتصال بالضمائر ، فى مثل : « لَه » و « بِه » . أما كسر اللام فى مثل : « لِلرَّجلِ » و « لِلناسِ » فى العربية ، فإن سببه هو القياس على باء الجر .

وما النصب « بما » عند الحجازيين ، فى مثل قوله تعالى : « ما هذا بشرا » ، إلا أثر من آثار قياس « ما » على « ليس » إذ المعنى فيهما سواء .

غير أن للقياس أثرًا آخر فى منع القانون الصوتى أحيانًا ، عن أن يؤدّى وظيفته ؛ فإن صيغ تصريف وزن معين ، توجد فى الذهن فى مجموعات مترابطة ، فلو جاء القانون الصوتى ، وأراد أن يعمل وكان من جراء عمله الإخلال بذلك الترابط فإن القياس يلغى القانون الصوتى ، بسبب ما يسمى « بطرد الباب على وتيرة واحدة » .

مثال ذلك : أن القانون الصوتى ، يحتم أن ينطق الفعل : « عبد » مثلا ، عند إسناده إلى تاء الفاعل هكذا :

(١) انظر : التطور النحوى لبرجشتراسر ص ٤٩ .

« عَبَتُّ » ، بإدغام الدال فى التاء ، تبعاً لقانون المماثلة ، أو التأثر المدبر الكلى ؛ غير أن القياس على باقى صيغ تصريف هذا الفعل ؛ مثل : « عبدوا » و « عبدا » ، يحتم الإبقاء على الدال ، لكى يطرد الباب على وتيرة واحدة ، وعندئذ نرى العرب يفصلون بين صوتى الدال والتاء هنا بحركة مخطوفة ، هى ما سماها اللغويون العرب فيما بعد ، « بقلقلة » الدال ، حتى لا تتأثر صوتيًّا بالتاء ، فيقولون : « عَبَدِتُ » .

وقد يكمل القياس الطريق الذى بدأه القانون الصوتى ، أى أن القانون الصوتى ، يؤثر فى بعض أمثلة الظاهرة اللغوية ، ثم يَطْرد القياس الباب على وتيرة واحدة فى الأمثلة الباقية .

فمثلا : مضارع وزن « أَفْعَلَ » المسند إلى ضمير المتكلم ؛ مثل : « أُكْرِمُ » ، الأصل فيه : « أُؤَكْرم » ، فتوالى فيه مقطعان متماثلان . وقد عرفنا من قبل أن العربية تفرّ من توالى الأمثال ، فتحذف أحد المقطعين المتماثلين ؛ وبذلك يصبح الفعل : « أُكرم » ، ثم تقاس باقى صيغ المضارعة على هذه الصيغة ، طردًا للباب على وتيرة واحدة .

وقد فطن إلى هذا ابن جنى ، فقال : « قولهم : أنا أُكرم ، حذفوا الهمزة التى كانت فى ( أَكْرَمَ ) ؛ لئلا يلتقى همزتان لأنه كان يلزم : أنا أُؤَكرم ، فحذفوا الثانية ؛ كراهة اجتماع همزتين ، ثم قالوا : نكرم ، وتكرم ، ويكرم ؛ فحذفوا الهمزة ، وإن كان لو جاءوا بها لما اجتمع همزتان ، ولكنهم أرادوا المماثلة ، وكرهوا أن يختلف المضارع ، فيكون بهمزة ، وأخرى بغير همزة ، محافظة على التجنيس فى كلامهم[1] » .

وإذا كان الفعل الناقص المسند إلى الغائبة ، قد تحوّل من : ( رمات ) مثلا إلى ( رَمَتْ ) ؛ بسبب تجنب المقطع الرابع ، الذى تحدثنا عنه من قبل ؛ فإن هذا الفعل الناقص نفسه ، إذا أُسند إلى الغائبتين ، لا ينشأ فيه هذا المقطع الرابع ، وليس هناك قانون صوتى : يؤدى إلى تحوّل : ( رماتا ) مثلا ، إلى : ( رَمَتَا ) ، وإنما هو أثر القياس على

(١) المنصف لابن جنى ١ – ١٩٢ .

الفعل المسند إلى الغائبة ، وطرد للباب على وتيرة واحدة .

كما أن كراهة توالى أربعة مقاطع من النوع الأول ، هو المسئول عن تطور : « ضربت » مثلا ، عن : « ضَرَبَتُ » – كما عرفنا من قبل . أما مثل : « استخرجت » مثلا ، فليس فيه توالى هذه المقاطع الأربعة ، وإنما المسئول عن تسكين لام الفعل فيه ، هو القياس على باقى صيغ الأفعال ، وطرد الباب فيها على وتيرة واحدة .

ومن القوانين الصوتية ، التى طردت العربية الباب فيها عن طريق القياس ، قانون يسمى «بقانون الأصوات الحنكية » ؛ فقد وصل العلماء فى مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية فى أواخر القرن التاسع عشر ، إلى قانون صوتى سموه : « قانون الأصوات الحنكية » ولاحظوا أن أصوات أقصى الحنك ، كالكاف والجيم الخالية من التعطيش ، كالجيم القاهرية مثلا – تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية ، حين تليها فى النطق حركة أمامية كالكسرة ؛ لأن هذه الحركة الأمامية فى مثل هذه الحالة ، تجتذب إلى الأمام قليلا أصوات أقصى الحنك ، فتنقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك[1] . ويغلب أن تكون هذه الأصوات الجديدة من النوع المزدوج ، أى الجامع بين الشدة والرخاوة ، وهو المسمى باللاتينية : Affricata .

ومن الأصوات التى خضعت لهذا القانون فى العربية : صوت الجيم ؛ فإن مقارنة اللغات السامية كلها ، تشير إلى أن النطق الأصلى لهذا الصوت ، كان بغير تعطيش كالجيم القاهرية تماماً ؛ فكلمة : جمل مثلا ، هى فى العبرية : gāmāl وفى الآرامية : gamlā وفى الحبشيّة gamal أما العربية الفصحى ، فقد تحول فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار ، أى من أقصى الحنك إلى أوسطه ، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج ، يبدأ بدال من الغار ، ثم ينتهى بشين مجهورة ، غير أن ذلك لم يحدث فى البداية فى كل جيم ، وإنما كان يقتصر على الجيم المكسورة ، تبعاً لقانون الأصوات الحنكية ، الذى أشرنا إليه من قبل ، ثم

(١) انظر : فى اللهجات العربية القديمة للدكتور إبراهيم أنيس ١٢٣ .

عمّم القياس هذا النطق الجديد فى كل جيم ، طردا للباب على وتيرة واحدة . وقد حدث ذلك فى العربية القديمة ، فى العصور السابقة لظهور الإسلام ، وصار هو النطق المميز للفصحى ؛ ولذلك جاء به القرآن الكريم ، وبقى النطق البائد فى بعض اللهجات العربية القديمة ، وامتداداتها فى بعض اللهجات الحديثة .

وما حدث لصوت الجيم القديم فى الفصحى ، حدث مثله لصوت الكاف فى بعض اللهجات القديمة ، فى الظاهرتين المعروفتين عند القدماء ، بظاهرتى : الكسكسة والكشكشة ، اللتين رويتا لنا عن بعض القبائل القديمة ، كبكر وهوازن وربيعة وأسد . وقد وقفت هذه الظاهرة فى القديم ، عند حدود قانون الأصوات الحنكية ، أى أن الكاف لم تقلب إلى (تْس) فى الكسكسة ، ولا إلى : (تْش) فى الكشكشة ، إلا إذا كانت مكسورة ؛ ندرك هذا من تقييد اللغويين القدماء لها بكاف المؤنثة ، وهى مكسورة كما نعلم ، وإن كانت أمثلتهم تحتوى على كافات أخرى مكسورة ، سوى كاف المؤنثة ؛ كقول الراجز :

إن دنوتِ جعلتْ تُنْشِيشِ
وإن نأيتِ جعلتْ تُدنيشِ
وإن تكلمتِ حشتْ فى فيشِ
حتى تنقِّى كنقيق الدِّيشِ [1]

أى : تنئيك ، وتدنيك ، وفيك ، والدِّيك .

أما اللهجات العربية الحديثة ، فقد طردت هذا القلب فى كل كاف عن طريق القياس ، مكسورة كانت هذه الكاف ، أو غير مكسورة ؛ ففى بلاد نجد تسمعهم يقولون : « تْسيف حالك ؟ » و « على تْسَمْ ؟ » فى : « كيف حالك ؟ » . و « على كم ؟ » . كما نسمع عند أصحاب الكشكشة ، وهم كثيرون فى جنوبى العراق ، وبلدان الخليج وشمالى أفريقيا : « تْشِبير » و « تْشلب » فى : « كبير » و « كلب » وما إلى ذلك.

وقد يؤدى القياس إلى نشوء كلمات جديدة فى اللغة ؛ فإن بناء : « اتّبع » من : « تبع » مثلا ، أدى إلى توهم أن « اتخذ » مأخوذة من « تخذ » ، مع أنها من : « أخذ » ، وبذلك نشأت

(١) انظر : مجالس ثعلب ١ - ١١٦ وخزانة الأدب ٤ - ٥٩٤ .

كلمة جديدة هي : « تخذ » ، واستخدمها الشعراءُ ؛ كقول الممزق العبدي :

وقد تَخِذَتْ رجلي إلى جنب غَرزها
نسيفًا كأُفحوص القطـــاة المطرِّق

وقد فطن إلى هذا ، الجوهري فقال : والاتخاذ افتعال من الأخذ ، إلا أنه أُدغم بعد تليين الهمزة ، وإبدال الياء تاءً ، ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال ، توهموا أن التاء أصلية ، فبنوا منه : فَعِلَ يَفْعَل ، قالوا : تَخِذ يَتْخَذُ[1] » .

ولا شك أن هذه هو الطريق ، الذى وصلت إلينا عنه كلمات أُخرى ؛ مثل : « التكلان » من : « وكل » ، «التُّخَمة» من الطعام الوخيم ، و « التقوى » من : « وقى » ، و « التراث » من : « ورث » ، و « تِجاه » من : « وجه » ، و «التكأة» من : « توكا » ، و « التالد » و «التلاد و « التليد » من : « ولد » ؛ لأن معناه المال المولود عند أصحابه . وغير ذلك[2] .

وهكذا نرى أنه لا شذوذ فى اللغة ، وأن القانون اللغوى له من الحتمية والضرورة ، مثل ما لقانون الجاذبية فى الطبيعة ، وقانون العرض والطلب فى الاقتصاد ، ولكن وجود قانون ما ، لا يمنع وجود قانون آخر يعارضه فى العمل ؛ فإن قانون الجاذبية مثلا ، يقضى بأن الأجسام كلها تسقط نحو مركز الأرض فى خط عمودى ، لكن هذا لا يمنع أن نرى ورقة تسقط فى خط متعرّج ، وأن نرى « البالون » يرتفع إلى أعلى .

إن القانون فى اللغة ، كالقانون فى الطبيعة ، لا يمضى دون أن يصطدم بقوانين أُخرى . والشذوذ فى قانون صوتى ليس شذوذا ، إلا عندما لا نكون قد اكتشفنا القانون الجديد الذى يفسره أو القياس الذى يلوى عنقه فى اتجاه آخر .

هذا ما أردت الوقوف عنده من عوامل التطور اللغوى ، وهى كثيرة ، غير أن أهمها ما مثلنا له من القياس والقوانين الصوتية . وبعض الأمثلة يغنى عن بعض والله أعلم .

**رمضان عبد التواب**

---

(١) الصحاح للجوهرى ( أخذ ) ٢ / ٥٥٩ .

(٢) انظر : القلب والإبدال لابن السكيت ٦٢ — ٦٣ والإبدال لأبى الطيب ١/١٤٩ واللسان ( تق ) ١٨/١١٠ (وق) ٢٠/٢٨٣ .

# ملاحظات حول أنواع الألفاظ المعرَّبة في اللغة العربية المعاصرة

للأستاذ نيقولا دوبريشان

لا شك أن التعريب يلعب دوراً معترفاً به عموماً فى تكوين المصطلحات العلمية فى مختلف لغات العالم . إن التطورات التى طرأت على موقف مجمع اللغة العربية الموقر فى القاهرة وهيآت علمية عربية أخرى والعلماء اللغويين العرب من الألفاظ المعربة معلومة جيداً، وكذلك المناقشات والمواد التى نشرت فى صفحات مجلة مجمع اللغة العربية الموقر ومؤلفات أخرى خلال السنين السابقة . وعلى هذا لا نرى من الضرورى أن نلح عليها[1] . وإذ نعود إلى هذا الموضوع فذلك رغبة منا فى التأكيد على بعض الظواهر — وهذا قل من كثر — التى تدل على حالة الألفاظ المعربة فى اللغة العربية المعاصرة وخاصة فى مجال المصطلحات الاجتماعية والسياسية .

لاحظنا أن اللغة العربية أخذت عدداً من المصطلحات التكنيكية والعلمية من اللغتين الفرنسية والإنجليزية وذلك أن العالم العربى كان فى العصر الحديث على اتصال مستمر بالحضارة الأوروبية بواسطة اللغتين المذكورتين ؛ وحتى عملية التعليم جرت ولا تزال فى بعض البلدان العربية باللغة الإنجليزية وباللغة الفرنسية نتيجة للسيطرة الاستعمارية الطويلة على هذه البلدان فيما مضى .

أما المجالات الإدارية والتجارية فقد دخل فى العربية عدد من الكلمات الإيطالية والتركية وخاصة فى النصف الأول من قرننا هذا ، وذلك نتيجة للعلاقات السياسية والتجارية والبحرية الوثيقة القائمة بين الشعوب العربية ، وهذين الشعبين اللذين يعيشان فى الجوار

---

(١) قد نشرنا فى مجلة جامعة بوخارست مقالين عن المعرب من المصطلحات العربية وذلك فى نطاق رسالة الدكتوراه التى نعدها والتى تتناول موضوع طرق تكوين المصطلحات الاجتماعية والسياسية فى اللغة العربية المعاصرة ، وهما :

1) Nicolae Dobrisan, L'emprunt lexical en arabe (Période classique), AUB, 1973, 11 p.

2) Nicolae Dobrisan, L'emprunt lexical en arabe (Période mederne), AUB, 1973, 24 p.

المباشر للعالم العربي ، ونقدم على سبيل المثال هذه المصطلحات : » بورصة it. borsa « بوسطة it. posta » و فاتورة it. fattura » ديكريتو it. decreto و » باسابورط it. passaporto » و بولصة it. polizza و » دمغة tc. damga و » كمرك ( جمرك ) tc. gümrük الخ .

إن عدداً من أسماء الآلات والأجهزة الحديثة قد دخلت في اللغة العربية في نفس الوقت مع الحقائق المسماة بدون أن يترك وقت لإيجاد كلمات عربية للمعاني الجديدة . وهذه هي الحالة بالنسبة لمفردات ك « تلغراف » و « تلفون » و « بطارية » و « بارومتر » وغيرها ، أو بالنسبة لكلمات دخلت اللغة العربية في فترة أقرب منا زمناً ، مثل « سينما » و « فيلم » و « تلفزيون » و « مترو » وغيرها .

كما دخل العربية عدد من وحدات القياس بشكلها الأوروبي ، مثل « متر » و » لتر « و « هكتار » و « كيلو متر » و « هكتولتر » وغيرها . وكذلك أسماء الـ[illegible]ات المتعلقة بالكهرباء التي تحمل أسماء مخترعيها ، مثل « أمبير » Ampère و « أوم » Ohm و « وات[1] » Watt وغيرها .

إن هذه المصطلحات تمثل جزءاً مما يسمى بالألفاظ الدولية vocabulaire international حيث إنها توجد في معظم لغات العالم بشكل قريب من أصلها .

إن أسماء عدد من العلوم المكونة في اللغات الأوروبية من كلمتين ثانيتهما الكلمة اليونانية logia « لوجيا » دخلت في اللغة العربية محتفظة بشكل قريب من شكلها في اللغات الأوروبية (الشكل الفرنسي في معظم الأحيان)، مثال ذلك : « بيولوجيا » fr. biologie ميترولوجيا» fr. metrologie و«إبستيمولوجيا» fr. épistémologie وغيرها . في بعض الاحيان حصلت على شكل مصدر صناعي ، أي بتحويل ألف المد في نهاية الكلمة إلى اللاحقة suffixe — ية « الخاصة بالمصدر الصناعي : مثل «بيولوجية» وغيرها من العلوم .

وإن الشكل الثاني هذا ليدل على درجة أكبر في اندماج اللفظة assimilation من الناحية الصرفية والصوتية . في الوقت الأخير نلاحظ أن الباحثين منحوا الأسبقية للاحتفاظ بالشكل المكون «اوجيا» اليونانية .

وفي حالات أخرى نجد أشكالا متوازية « variantes » أي بالاضافة إلى اللفظة المعربة ، توجد ترجمتها أو حتى شرحها باستعمال كلمات عربية ، مثال ذلك :«بيدا غوجية» « fr. pédagogie » إلى جانب « علم التربية » و «ديموغرافيا » fr. demografie إلى جانب «علم السكان» و «تيبولوجيا » fr. typologie إلى جانب «علم تشكل الإنسان» إلى آخرها.[2]

---

( ١ ) بشكل (واط) أيضا.

( ٢ ) انظر عبد العزيز بن عبد الله ، معجم أسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم ، فرنسي — عربي ، سلسلة المعاجم عدد ٩ — ١٩٦٩ .

وفى حالة أسماء العلوم غير المنتهية بـ ique في اللغة الفرنسية تم الاحتفاظ بشكل قريب من الشكل القائم فى اللغة الأصلية ، مثال ذلك : «هدروستاتيك» fr. hydrostatique و « ميكانيك[1] » fr. mécanique و «سبرنتيك[2] » fr. cybernétique وغيرها .

أما أسماء المذاهب والتيارات الفلسفية أو الأدبية التى تقابلها فى اللغة الفرنسية كلمات تنتهى باللاحقة « isme » ، فقد تم تعريبها عن طريق تحويل هذه اللاحقة إلى اللاحقة العربية الخاصة بالمصدر الصناعى « ـــيّة» وذلك قياسا على المصطلحات القديمة من هذا النوع، مثال ذلك : «دناميكية» fr. dynamisme وميكانيكية fr. mécanicisme و «أكاديمية» fr academisme و «طوطمية» fr. totémisme و «دغماطيقية[3]» fr. dogmatisme وغيرها[4].

وفى حالات نادرة تم استعمال كلمة «مذهب» "doctrine" ، مثال ذلك : «المذهب الكلاسيكى » fr. classicisme و«المذهب الرومانطيقى» fr. romanticicisme الخ . . .

ولكن فى نفس الوقت هناك إمكالية استعمال الكلمة «مذهب » لتكوين اسم أى مذهب من المذاهب المذكورة سابقا وغيرها من المذاهب الفلسفية أو التيارات الأدبية والحضارية شريطة أن تتبع النسبة المشتقة من اللفظة المعربة المعنية لكلمة « مذهب» .

وانطلاقا من الأسلوب الأوروبى تم اشتقاق أسماء مذاهب وتيارات فلسفية وسياسية من أسماء الأعلام ، مثال ذلك: «الماركسية» (مصر ٦٨) Marx و «اللينينية» (مصر ٦٨) Lenin و «التروتسكية» Trotski و « ديجولية » De Gaulle « برغسونية » Bergson وغيرها[5] .

والجدير بالذكر أن بعض الأسماء للمذاهب اشتقت من أسماء شخصيات عربية ، ومن الممكن أن هذه الظاهرة جرت تحت تأثير الأسلوب الأوروبى ، مثل «الناصرية» «جمال عبد الناصر» البورقيبية» « الحبيب بورقيبة » والقاسمية « عبد الكريم القاسم » وغيرها .

وبالإضافة إلى المصادر الصناعية المشتقة من من أسماء الأعلام فهناك نسب مقابلة لها بمعنى

---

(١) إلى جانب شكل معرب وهو » الميكانيكيات « وهو جمع المصدر الصناعى .

(٢) إلى جانب الشكلين المنتهيين بألف المد « ميكانيكا » و « سبرنتيكا » .

(٣) إلى جانب « الجمود العقائدى » ( العراق ٦٨ ولبنان ٦٨ ) و « العقائدية الجامدة »( العراق ٦٨ ) .

(٤) لاقتصاد المكان لا نذكر المصادر أو الصحف التى اخترنا منها الأمثلة ونقتصر على ذكر البلد والسنة فقط .

(٥) وجدنا بعض هذه المصطلحات مذكورة بين « المصطلحات فى العلوم الفلسفية والاجتماعية » ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج ٩ ، ١٩٥٧ ، ص ١٨٨ – ١٨٩

أنصار المذهب المعنى : «الماركسيون» و «الناصريون» الخ . . . ولكن اشتقاق النسب من أسماء الأعلام معروف فى العربية القديمة :

وهناك ملاحظة خاصة فيما يتعلق باسم المذهب الفاشى وهى أن لاسم هذا المذهب شكلين لهما نفس الانتشار تقريبا : « الفاشية» و «الفاشستية» والنسبتان المقابلتان لها «الفاشى» و «الفاشستى» . ويبدو أن الشكل الأول اشتق من الكلمة الفرنسية fascisme (اسم المذهب) بينما اشتق الشكل الثانى من الكلمة الإيطالية fascista . لكننا وجدنا من الناحية الإحصائية أن الشكلين «فاشستى» ( اسم وصفة ) و « فاشستية » ( مصدر صناعى) منتشران بصفة خاصة فى الصحف المصرية .

وتمثل أسماء الأمم والشعوب والقوميات نوعا خاصا من الألفاظ المعربة ، فإنها تظهر بشكل اسم جنس collectif قياسا على حالة قديمة فى اللغة أو بشكل جمع سالم للنسب المشتقة من أسماء البلدان المعنية .

وفى العصر الحديث انتشرت أسماء الجنس مثل الفرنج[1] Franc و «الألمان» Allemand و « الأمريكان » Américain و « الإنجليز » Anglais الخ . . . وذلك قياسا على أسماء شعوب دخلت فى اللغة العربية فى العصور القديمة ، مثل «الروم» و «الترك» و «الرومان» و «التتار» وغيرها .

ولكن فى العادة يتم اشتقاق جمع مذكر سالم من النسبة المشتقة من أسماء البلدان ، مثل «فرنسا» «فرنسى» «فرنسيون» و «رومانيا» «رومانى «رومانيون» وغيرها .

وفى نفس الوقت يمكن اشتقاق نسبة من أسماء الشعوب التى لها شكل أسماء الجنس وفى هذه الحالة يكون المشتق له قيمة اسم وصفة فمثلا : تشتق من «أمريكا» النسبة «أمريكى» وفى نفس الوقت يشتق «أمريكانى» من «أمريكان» وكذلك تشتق من اسم الجنس «ألمان» النسبة «ألمانى» التى تجمع على «ألمانيين[2]» . فى هذه الحالة يستعمل الجمع السالم المنتهى بـ ـون ـ ـين ـ لتسمية الشعوب المعنية . كما يشتق من نسبة مؤنث ينتهى بـ ـية ـ ويستعمل كاسم وكصفة ويشتق منه جمع مؤنث سالم ينتهى بـ « ـ ات» . ويستعمل لتسمية النساء المنتميات إلى قومية معينة ، فتشتق على سبيل المثال من الاسم «روس» النسبة «روسى» (اسم وصفة) ومنها تشتق «روسية» وتجمع تلك بدورها على «روسيات» (بمعنى النساء المنتميات إلى القومية الروسية) .

---

(١) استعملت الكلمة فيما بعد بمعنى « الأوروبيون » عامة .

(٢) ويستعمل هذا الجمع كصفة بوجه عام فى حين يستعمل اسم الجنس كاسم .

وبالنسبة للشعب الرومانى تشتق من اسم البلد « رومانيا » النسبة « رومانيون » ولكن بالإضافة إلى هذا الجمع يستعمل لتسمية الشعب اسم الجنس «الرومان» Les Romains وذلك نتيجة لبس مع الرومان القدماء الذين يمثلون أصـــل الشعب الرومانى الحالى ولكنهم كانوا شعبا آخر عاش فى إمبراطورية روما القديمة فى حين نشأ الشعب الرومانى من الاختلاط الذى حدث بين الشعب الرومانى القديم « والداك » وهم السكان الأصليون للأراضى الرومانية الحالية وذلك خلال القرون الأولى الميلادية .

ونذكر هنا كذلك اتجاها حديثا نسبيا وهو تعريب بعض الألقاب الأجنبية ، مثال ذلك : « لورد » angl. lord و« مستر[1] » angl. mister ( ٧١ مصر ) و « سيناتور » angl. senator ( مصر ٧١ ) و« بروفيسور » fr. professeur ( مصر ٧١ ) و « سينيور » esb. senor ( مصر ٧١ ) و « سير » angl.sir ( مصر ٧١) و« ميسيو » fr. monsieur ( مصر ٧١ )

ويبدو طبيعيا أن تسبق هذه الألقاب أسماء أشخاص من البلدان التى تستعمل فيها هذه الألقاب ومثلها مثل الألقاب العربية التى لها معنى متشابه تظهر معرفة بأداة التعريف العربية « ال » :

ويمكن اعتبار كل هذه الأنواع من الألفاظ التى ذكرناها فى الفقرات السابقة ألفاظا معربة أو فى مرحلة التعريب ولكن بالإضافة إلى الألفاظ المعربة يوجد فى اللغة العربية ، وهذا مايحدث فى جميع اللغات تقريبا ، نوع آخر من الكلمات الأجنبية وهى الكلمات التى تدل على أسماء منظمات ومؤسسات دولية أو وطنية أو على أسماء صحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون .

وبالنسبة للمنظمات والهيئات والمؤسسات الدولية المعروفة وخاصة المتعلقة منها بالأمم المتحدة ، تتم ترجمة أسمائها ولاتستعمل الحروف الأولى « initiales » للكلمات التى تتكون منها هذه الأسماء فى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية إلا نادرا جدا ، فمثلا اسم منظمة ONU يترجم بـ « منظمة ( هيئة ) الأمم المتحدة « واسم منظمة OMS يترجم بـ « المنظمة الدولية للصحة إلخ . . . أما استعمال الحروف الأولى أو مقاطع من هذه الكلمات التى يتكون منها اسم المنظمة فهو ميل حديث فى اللغة العربية ، وفى هذه الحالة يتم الالتجاء إلى الأشكال المعروفة فى اللغات ذات الانتشار العالمى ، مثل الإنجليزية أو الفرنسية ، وتظهر هذه الأسماء مسبوقة بأداة التعريف ولها فى بعض الأحيان أكثر من شكل ، مثال ذلك : UNESCO « اليونسكو و الأونسكو » ( مصر ،

---

(١) لاشك فى أن بعض هذه الألقاب مثل « اللورد » و« المستر » لها استعمال قديم فى اللغة العربية ، ولكننا لم نقصد وضع دراسة تاريخية. ولهذا السبب سجلنا سنة العثور عليها فى الصحف الصادرة مؤخرا .

سوريا ، لبنان ٦٨ ) ؛ و COMICOM الكوميكون ( مصر ، المغرب ٦٨ ) و OPEC « الأوبيك » و « الأوباك » ( مصر ، سوريا ، لبنان ٧٠ ) .

إن أسماء المنظمات أو الهيئات الأجنبية المكونة من كلمة واحدة تظهر بهذا الشكل مشروحة أحيانا ، مثال ذلك : « السوفييت» ( مصر ٧١ ) Soviet و« البنتاجون » ( مصر ٧٠ ) angl. Pentagon و « الكونجرس » ( مصر ٧٠ ) angl. Congres الخ .. وكما يرى ، فإن جميع هذه الأسماء تظهر معرفة بأداة التعريف « ال» .

أما محطات الإذاعة فنستعمل بصفة عامة لتسميتها الكلمة « راديو » ويليها اسم العاصمة التى توجد فيها المحطة المعنية ، مثال ذلك : « راديو عمان » ( مصر ٧١ ) و « راديو دمشق » ( مصر ٧١ ) و « راديوهانوى» ( مصر ٧٠ ) و « راديو موسكو » ( مصر ٧٠ ) وغيرها . وغيرها . ولكن بالإضافة إلى كلمة « راديو » الأجنبية استعملت كلمة « إذاعة » العربية كمضاف وكاسم تتبعه نسبة ، مثل : « إذاعات الاستعمار» ( سو يا ٦٩ ) . و « الإذاعة الأردنية » ( مصر ٧١ ) وغيرها . ويستعمل نفس الأسلوب لتسمية محطات التليفزيون مثل : « التلفزيون الأمريكى » ( مصر ٧٠ ) و« التلفزيون المصرى » ( لبنان ٧٠ ) الخ

وفى الصحف التونسية وجدنا لفظا يدل على درجة أعلى فى تعريب الكلمة الأجنبية وهو « التلفزة » ( تونس ٦٩ ) فإن هذا اللفظ الذى له وزن المصدر تم اشتقاقه من الفعل الرباعى الأحرف « تلفز» الذى اشتق بدوره من الكلمة الفرنسية الأصل « تلفزيون » fr. télévision . إن هذا المشتق استعمل فى بداية الأمر كمصدر ، كما يستعمل الآن فى أغلب البلدان العربية ولكن فى تونس انتقل إلى استعمال اسمى صرف .

ووجدنا الكلمة « إذاعة » مستعملة كمصطلح تكنيكى ، كذلك مثلها مثل الكلمة المعربة « راديو » وذلك فى العبارات « أجهزة الإذاعة » و« أجهزة الراديو » .

وهناك نوع آخر من الكلمات الأجنبية التى تدخل فى اللغة العربية وهى أسماء الجرائد والمجلات وأسماء وكالات الأنباء . ولاحظنا بالنسبة لهذه الأسماء أن بعضها يظهر معرفا وبعضها يظهر غير معرف ، أضف إلى هذا أنه فى حالات أخرى نجد الإمكانين : ويبدو أن المعرف منها كان معرفا فى اللغة الأصلية ، وأن غير المعرف منها ، إما أن يكون غير معرف فى اللغة الأصلية ، وإما أن يأتى من لغة لايعرفها إلا قليل من العرب . وقدحدث بصورة خاصة فى الأوقات الأخيرة حين توسعت توسعا مدهشا العلاقات بين جميع دول العالم

وتطور تبادل المعلومات والأخبار بسرعة نتيجة لإدخال أحدث الوسائل فى الإذاعات اللاسلكية وعدم السماح بوقت للتعرف على موقف كلمة فى لغة أو أخرى من ناحية وسائل التعريف . فإن اسم الجريدة السوفييتية Pravda [1] ، على سبيل المثال ، يستعمل فى اللغة العربية إما معرفا (البرافدا) أو غير معرف ( برافدا ) ، رغم أن الروسية لاتعرف التعريف بأداة التعريف. وكذلك بالنسبة لاسم الجريدة الرومانية[2] Scînteia الذى يستعمل معرفا ( الاسكنتيا )[3] أو غير معرف ( سكنتيا ) :

ولاحظنا أن أسماء الجرائد والمجلات لاتترجم بل تبقى بشكلها من اللغة الأصلية. مثل : مجلة « جون أفريك » ( مصر ٧٠ ) Jeune Afrique وصحيفة « نيويورك تايمز » New York Times ( لبنان ٧١ ) إلخ .

وإن الملاحظات المتعلقة بتعريف أو عدم تعريف أسماء الصحف الأجنبية تنطبق كذلك على أسماء وكالات الأنباء الأجنبية ، مثال ذلك : « وكالةتاس »[4] ( مصر ٧٠ ) TASS و « وكالة آجير بريس » ( مصر ٧١ )[5] Agerpres و « وكالة فرانس بريس » ( مصر ٦٩ ) France Presse و « وكالة رويتر » ( مصر ٧١ ) Reuter ولكن « وكالة الأسوشيتد بريس » ( مصر ٧١ ) Associated Press .

ويلاحظ أن العرب لم يأخذوا فى الاعتبار بصدد حالة هذه الأسماء أن بعضها تتكون من الحروف الأولى أو من المقاطع الأولى لعدد من الكلمات فى اللغات الأصلية ، وتمت معالجتها كأنها كلمات مستقلة ؟

وأخيرا ، نذكر هنا بعض الكلمات المركبة تركيبا مزجيا فى لغات أخرى والتى دخلت فى اللغة العربية ، لكنها تغيرت شيئا ما من الناحية الصوتية ، والصرفية [6] لما دخلت فى العربية .

إن أغلب هذه الكلمات هى مصطلحات علمية وتكنيكية مثل « الصناعة البيتروكيمائية fr. pétrochimique ( سوريا ٦٨ ) ومصنع « البيتروكيماويات ( الأوردن ٧١ ) وعدد من المركبات التى تدخل فيها الكلمة « كيلو fr. kilo مثل « كيلو متر » fr. kilométre وكيلوغرام fr.kilogramme و « كيلوات »[7] fr. kilowatt وتجمع هذه الكلمات جمع

---

( ١ ) معنى الكلمة فى اللغة الروسية هى « الحقيقة » .
( ٢ ) معنى الكلمة فى اللغة الرومانية « الشرارة » .
( ٣ ) نتج الشكل « اسكنتيا » عن الطريقة التى اتبعها المعربون فى تعريب اسم يبتدئ بالساكن وذلك لاستحالة النطق بالمبدوء بالساكن فى اللغة العربية .
( ٤ ) وكالة الأنباء السوفيتية. ( ٥ ) وكالة الأنباء الرومانية .
( ٦ ) لا نعنى هنا الألفاظ المركبة فى اللغة العربية بالطريقة المعروفة بالنحت .
( ٧ ) والشكل ( كيلو اط ) « اليمن ٧١ » .

مؤنث سالماً : كيلومترات : وكيلوغرامات»
وقد لفت أنظارنا مصطلحا من المصطلحات الاجتماعية والسياسية وجدناه مؤخرا فى الصحف اللبنانية وهو «حكومة اكسترابرلمانية» (لبنان ٧١) fr. extraparlamentaire .

ولأننا أخذنا فى الاعتبار كثرة المصطلحات التكنيكية والعلمية المعربة فى العصر الحديث ، وكثير منها تعتبر مصطلحات ذات انتشار دولى ، لم نرد الخوض بهذه العجالة فى هذا الموضوع الواسع[1] . ولكننا نسجل فقط أنه فى العصر الحديث لم يتم تعريب مصطلحات فى علوم كالحقوق والرياضيات والجيولوجيا والفلك والجغرافيا إلا فى حالات استثنائية ، وذلك لأن لهذه العلوم تقاليد عريقة عند العرب . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ففى هذه العلوم لم تحدث ثورة تشبه الثورة التى جرت فى العلوم التكنيكية والتطبيقية

**نيقولا دوبريشان**
NICOLAE DOBRISAN
جامعة بوخارست Université de Bucarest
قسم اللغات الشرقية
Section de langues orientales Roumanie

(١) انظر للتفاصيل شروح كتاب اللغة العربية كائن حى » لجرجى زيدان « ، ص ١١٦ والصفحات التالية .

## فى القرآن والعربية :

# الصراع بين القُرّاء والنُّحاة

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

**مقدمة :**

اندفع المسلمون كالسيل يدرسون القرآن ويحفظونه متفقهين متعبدين وكان الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور ، كما جاء فى صفة أمة الرسول صلى الله عليه وسلم « أناجيلهم فى صدورهم »[1] لذا أحيط نص القرآن الكريم بالعناية الشديدة المنقطعة النظير ، فأقام الله له أئمة ثقات من القراء[2] .

---

(١) النشر ١ – ٦ .

(٢) سموا بالقراء ، لأنهم يقرءون القرآن ويقرئونه ، وكان من سلوكهم فى الصدر الأول أنهم يستعلون على المال على حين تخضع ظهورهم وتنحنى أصلابهم على أجزاء القرآن وسوره ، ويقضون ليلهم صلاة ، وصياما وبكاء .

وكان ( القارىء ) عبد الله بن عمر يجد القوة على أن يختم القرآن فى ليلة ( غاية النهاية فى طبقات القراء ١ – ٤٣٩ ) ويغلق عليه بابه ويبكى حتى رمضت عيناه ، وشعاره « ابكوا ، فان لم تبكوا فتباكوا ، فوالذى نفسى بيده لو يعلم العلم أحدكم اصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبه » . فقاموا ليلهم أرقا ، وتبادرت دموعهم فرقا ، حتى ضنيت منهم الأبدان وتغيرت منهم الألوان ، صحبوا القرآن بأبدان ناحلة ، وشفاه ذابلة ، ودموع وابلة ، وزفرات قاتلة . . . . فاضت عبراتهم من وعيده ، وشابت ذوائبه من تحذيره ( لطائف الإشارات ) ( فما بعدها القسطلانى )

وقد لمس النبى ( ص ) فى القراء سعة ثقافتهم وأمانتهم ، وإخلاصهم للدين فاتخذ منهم دعاة للفكر الإسلامى ، وقوادا للتحرير ، ومن أمثلة الدعاة : أبى بن كعب ، والمنذر بن عمرو الأنصارى ، وكان ( القراء ) أعلم الناس بالعقيدة الجديدة ، والفكر الإسلامى الوليد . أما القواد من ( القراء )فنهم : مصعب بن عمير حامل لواء المهاجرين يوم بدر ، ولقد تأثر النبى ( ص ) يوم أحد لمصرعه ووقف يتلو « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه « الأحزاب آية ٢٣ ومنهم معاذ بن جبل ، وسعد بن عبيد ، وعبادة بن الصامت ، ولقد بلغ من تكريم النبى ( ص ) لهم عند مصارعهم يوم أحد أن أمر بتقديم أكثرهم قرآنا ( سيرة ابن هشام ٢ – ٩٨ ) ثم خاطبهم الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) بقوله « إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة « ( الإتقان ١ – ٣٥ ) . وعلى أطراف أسنة رماح القراء كان النصر يوم حنين ، كما استمات القراء فى معارك الردة وكانوا حملة اللواء فيها . ولما انكشف المسلمون قال واحد من =

تجردوا له ، وبذلوا أنفسهم فى سبيله وتلقوه من صاحب الرسالة حرفا حرفا ، لم يهملوا منه حركة ولاسكونا ولا إثباتا ولا حذفا ، ولا دخل عليهم فى شيء منه شك ولا وهم ، فقد ثبت أن الرسول (ص) كان يستمع إليهم وهم يقرءون عليه ، فعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على : ففتحت سورة النساء فلما بلغت « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » رأيت عينيه تذرفان من الدمع فقال : حسبك الآن[2] ومن خلال هذا النص نلمح توثيق النص القرآنى ، لأن النبى (ص) كان يستمع إلى قراءة أصحابه : وهناك توثيق آخر ظهر فيما رواه عطاء بن يسار عن أبي سعيد عن النبى (ص) قال : لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه[3] »وذلك مبالغة منه فى شدة الحفاظ على النص القرآنى لذلك كان القرآن هو النص العربى الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التى وصل إلينا بها فى الأداء والحركات والسكنات ، فلم يتوفر لنص ماتوفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته ، وعناية العلماء بضبطها وتحريرها متنا وسندا ،[4] بل لم تعرف البشرية كتابا أحيط بالعناية واكتنف بالرعاية فحوفظ على تراكيبه وكلماته وحروفه وحركاته وكيفية ترتيله بلهجاته. مع إتقان متناه فى التلقى والتلقين ، ودقة بالغة فى الأخذ والأداء مثل الكتاب العزيز[5].

---

= (القراء) بعد أن التقط الراية فى ثورة وغضب : ماهكذا كنا نفعل مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم حفر لنفسه حفرة فى ساحة المعركة ومعه راحة المهاجرين وظل يضرب فى صمود وبأس حتى استشهد ، أما بقية القراء فقد انسحبوا من بين بقية المسلمين وألفوا كتيبة فدائية انتحارية وكان شعارها (يا أصحاب سورة البقرة) يقصدون القراء فصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وسحقوا الأعداء بسيوفهم المسلمة ، ولولا (القراء) لكان العار والمصير الرهيب فى انتظار المسلمين كما اشترك (القراء) أيضا فى الجيش العربى الإسلامى الذى فتح مصر ٢٠ هـ وكان سلوكهم الحربى : أن يقتلوا أو يقتلوا. انظر القرآن وعلومه فى مصر . الدكتور عبد الله البرى — فى مواطن متفرقة من الكتاب.

(١) النساء ٤١.

(٢) تاريخ القرآن للزنجانى ص ١٧ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ.

(٣) المصاحف للسجستانى ٤ ط أولى المطبعة الرحمانية تحقيق آثر جفرى.

(٤) فى أصول النحو : سعيد الأفغانى ٢٥ ط الجامعة السورية ١٩٥٧ ط الثانية.

(٥) نظرة فى النحو . طه الراوى ، مجلة المجمع العلمى بدمشق مجلد ١٤ ج ٩ ، ١٠ سنة ١٣٥٥ هـ — ١٩٥١ م.

ولهذا كان القرآن الكريم مع قراءاته الواردة إلينا عن الصحابة[1] وقراءة التابعين - وهم جميعا ممن يحتج بكلامهم العادى بل قراءاتهم التى تحروا ضبطها - حجة فى اللغة لا سيما لهجات العرب الذين أبيح لهم أن يقرءوه على لهجاتهم المختلفة ، قال الإمام أبو محمد عبدالله بن قتيبة « وكان من تيسير الله أن أمر نبيه (ص) أن يقرىء كل قوم بلغتهم ، وماجرت عليه عاداتهم فالهزلى يقرأ ( عتى حين ) يريد ( حتى حين ) لأنه هكذا يلفظ بها ، والأسدى يقرأ - تِعلمون - و ( تِعلم ) ( وتِسودّ وجوه ) و ( ألم أعهد إليكم ) والتميمى يهمز ، والقرشى لا يهمز ، والآخر يقول ( وإذا قيل لهم ) ( وغيض الماء ) بإشمام الضم الكسر ، و ( بضاعتنا ردت إلينا ) بإشمام الكسر مع الضم ، و ( مالك لا تأمنا ) بإشمام الضم مع الإدغام - وهذا ما لا يطوع به كل لسان[1] .

---

(١) اشتهر من الصحابة : عثمان وعلى وأبى زيد بن ثابت وابن مسعود وحذيفة . ومن التابعين بالمدينة : ابن المسيب وعروة وعطاء . وبمكة : عكرمة وابن أبى مليكة . وبالكوفة : علقمة والأسود ومسروق والربيع بن خيثم وزر بن حبيش . وبالبصرة : عامر بن عبد القيس وأبو العالية وقتادة . وبالشام : المغيرة المخزومى .

ثم تلت هؤلاء طبقة أخرى . وكان بالمدينة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع ثم شيبة بن نصاح ثم نافع بن أبى نعيم وإليه صارت قراءة أهل المدينة . وكان بمكة : عبد الله بن كثير ومحمد بن محيصن . وكان بالكوفة : يحيى بن وثاب وسليمان الأعمش ثم الكسائى . وكان بالبصرة : عبد الله بن أبى إسحق وعيسى بن عمر وأبوعمر بن العلاء وإليه صارت قراءة أهل البصرة ، وكان بالشام : عبد الله بن عامر . واشتهر بالآفاق الأئمة السبعة وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وهؤلاء هم القراء السبعة الذين اختار قراءتهم ابن مجاهد ( ٣٢٤ هـ ) آخر من انتهت إليه الرياسة بمدينة السلام ( إبراز المعانى ٣ ، ٥ ) . وانظر حديثا مفصلا عن القراء وأنسابهم وأساتذتهم وتلاميذهم فى كتاب :

كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد . تحقيق د - شوقى ضيف دار المعارف بمصر .

* التيسير فى القراءات السبع للدانى تحقيق ( أوتوبرتزل ) .
* إبراز المعانى من حرز الأمانى لأبى شامة .
* منجد المقرئين ومرشد الطالبين ابن الجزرى .
* لطائف الإشارات لفنون القراءات ( شهاب الدين القطسلانى تحقيق - عبد الصبور شاهين والشيخ عامر عثمان .
* النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى .
* غاية النهايات فى طبقات القراء لابن الجزرى نشرة ج . برجشتراسر .
* سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى - لأبى القاسم القاصح .
* اتحاف فضلاء البشر - الدمياطى .
* تاريخ القرآن - الزنجانى .

(١) مشكل القرآن لابن قتيبة ١ - ٢٢٢ ط الخانجى ، النشر ١ - ٢٢ .

والقرآن المعجز وإن نزل بلغة أدبية نموذجية ، إلا أنه أبيح فى قراءاته[1] أن يخرج على تلك اللغة النموذجية - تيسيرا على العرب ، وجمعا لكلمتهم ، وكما يسر الله على الناس فى الدين حين أجاز[2] لهم على لسان رسوله الكريم (ص) أن يأخذوا باختلاف العلماء من أصحابه رضى الله عنهم فى فرائضهم وأحكامهم وصلاتهم وزكاتهم وحجهم وطلاقهم وعتقهم وسائر أمورهم » يسر عليهم كذلك فى قراءات القرآن حيث تقرؤه كل قبيلة بلهجتها » قال ابن قتيبة « ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته ، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا - لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه »[3] وذلك يتفق مع ما رواه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله (ص) قال : أقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف[4] » وهذا الحديث مشهور فى كتب القراءات والمصاحف والتفاسير كما ورد من طرق متعددة ، وبأوجه مختلفة ، ولكنها مع ذلك متفقة فى الفكرة[5] وهى أن الرسول (ص) أدرك أن الأمة العربية لا تستطيع أن تقرأ كتاب الله إذا نزل بلغة واحدة ، لأن لغة العرب لهجات مختلفة « فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع[6] »

ويدل حديث رسول الله (ص) على أن هذا التيسير والتوسعة فى قراءة القرآن

---

(١) الفرق بين القرآن وقراءاته أن القرآن » هو الوحى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات هى :
اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل غيرهما . البرهان فى علوم القرآن ج١ ص ٣١٨ - وانظر إتحاف فضلاء البشر ص٥ ولطائف الإشارات ١ - ١٧١ ويقول ابن الجزرى فى منجد المقرئين ص ٣ ( القراءات هى علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة ) . وأما المقرئ فهو العالم بالقراءات أداء ورواها مشافهة فلو حفظ التيسير مثلا فليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا ، لأن فى القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة . منجد المقرئين ٣ . وانظر الفرق بين : المقرئ والقارئ والمنتهى وشروطهم وصفاتهم فى : منجد المقرئين الباب الأول .

(٢) القرطين لابن مطرف الكتانى ١ - ٢٢٣ ط أولى .

(٣) النشر ١ - ٢٣ .

(٤) فتح البارى بشرح البخارى ٩ - ١٩ لابن حجر ط البهية ١٣٤٨ هـ . وانظر النشر ١ - ١٩ لابن الجزرى .

(٥) انظر جامع البيان فى تفسير القرآن ١ - ١٠ ط أولى للطبرى . (٦) النشر ١ - ٢٢ .

على هذه الحروف إنما كان بعد الهجرة ، وبعد أن دخلت القبائل المختلفة الدين الجديد فكان من التيسير عليهم قراءته على هذه الحروف ، ومما يشهد على أن التيسير كان فى هذا الوقت أن جبريل لقى النبى (ص) وهو عند أضاة بنى غفار فقال « إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف[1] ...

أما أوجه الاختلاف بين القراءات فقد بينها ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ ، وهى سبعة أوجه :

١ ـ فى الإعراب بما لا يزيل صورتها فى الخط ولا يغير معناها . نحو « هؤلاء بناتى هن أطهرُلكم » و « أطهرَ » و « هل يجازَى إلا الكفور » و « هل نجازى إلا الكفور » ، « ويأمرون الناس بالبُخْل » و « بالبَخَل » ، « فنظرة إلى ميسَرة » و « ميسُرة » .

٢ ـ الاختلاف فى إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولايزيلها عن صورتها نحو « ربَّنا باعِدْ بين أسفارنا » و « ربُّنا باعَدَ » و « إذتلقّوْنه » و « تلِقُونه » « وادّكر بعد أُمّة » و « بعد أَمَة » .

٣ ـ الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو « وانظر إلى العظام كيف ننشزها » و « نَنْشرها » « حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم » و « فُرِّغ » .

٤ ـ أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها ومعناها نحو « وطلع منضود » فى موضع « وطلح » .

٥ ـ أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها نحو « إن كانت إلا صيحة واحدة » و « زقية واحدة » و « كالعهن المنفوش » و « كالصوف » .

٦ ـ أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو « وجاءت سكرة الموت بالحق » « وجاءت سكرة الحق بالموت » .

٧ ـ أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو « وما عملت أيديهم » و « عملته أيديهم » « فإن الله هو الغنى الحميد » « فإن الله الغنى الحميد » بنقصان « هو » إن هذا أخى له تسع

(١) تفسير الطبرى ١ ـ ١٣ ط الأميرية فتح البارى ٩ ـ ٢٣ .

وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة أنثى [1].

ثم يقول ابن قتيبة «وكل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على رسول الله (ص) [2]، واختلاف القراءات لا يخرج عن أمرين :

الأول : أن تختلف القراءتان فى اللفظ. وتتفقا فى المعنى ، ومن هذا النوع ما يرجع إلى اختلاف اللغات كقراءة :

(مرفقًا [3]) بكسر الميم وفتح الفاء ، وبفتح الميم وكسر الفاء.

والحكمة فى إنزال هذا النوع فى القرآن تيسير تلاوته على ذوى اللغات المختلفة.

ومن هذا النوع مالا تختلف فيه اللغات ، وإنما هما وجهان ، أو هى وجوه تجرى فى فصيح الكلام.

(وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ [4]).

قرىء بخفض ميم (وقوم) ونصبها.

وهذا النوع وارد على سنة العرب من صرف عنايتها إلى المعانى ، ونظرها إلى الألفاظ على أنها وسائل ، فلا ترى بأساً فى إيراد اللفظ على وجهين أو وجوه ما دام المعنى الذى يقصد بالخطاب مستقيما وفى هذا توسعة على القارىء ، بعدم قصره فى نطاق حرف واحد .

الثانى : أن تختلف القراءتان فى اللفظ والمعنى معاً مع صحة المعنيين كليهما ، فلا يكونان متناقضين ولا متعارضين ، بل يمكن اجتماعهما فى شىء واحد . نحو (فَأَزَلَّهُما الشَّيْطَانُ عَنْهَا [5]).

قرىء بحذف الألف بعد الزاى مع تشديد اللام والمعنى : أوقعهما فى الزلة أى الخطيئة . . وقرىء بإثبات الألف بعد الزاى مع تخفيف اللام والمعنى نحاهما وأبعدهما عن الجنة فالمعنيان متغايران — كما ترى — ولكنهما يجتمعان ، فإن إيقاعهما فى الزلة اقتضى تنحيتهما عن الجنة ، فهناك تلازم بين المعنيين .

(١) القرطين . لابن مطرف الكنانى ١ — ٢٢١ ط الخانجى — أنظر : النشر لابن الجزرى ١ — ٢٧ — ٢٨ ومقدمتين فى علوم القرآن ١٥ ، ٢٠ فما بعدها ، ٢٦٥ . وقارن رأى ابن قتيبة برأى ابن الجزرى والرازى والباقلانى فى : ٢٠ النشر ١ — ١٤ — مقدمتان فى علوم القرآن ٢٦٥ فما بعدها . لطائف الإشارات لفنون القراءات ٣٨ فما بعدها . والكلمات الحسان ٦٤ المطيعى مناهل العرفان للزرقانى ١٤٨ .

(٢) النشر ١ — ٢٨

(٣) آية ١٦ من سورة الكهف . (٤) آية ٤٦ من سورة الذاريات . (٥) آية ٣٦ من سورة البقرة .

وحكمة هذا النوع من الاختلاف أن تكون الاية بمنزلة آيتين وردتا لإفادة المعنيين جميعا . أما اختلاف القراءتين فى اللفظ والمعنى مع تضاد المعنيين ، وتضارب الهدفين ، فلا أثر له فى القرآن الكريم ومحال أن يكون فيه :

« وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً(١) » .

اختلاف القراءات وتنوعها وحكمة ذلك :

١ ـ التسهيل والتخفيف على الأمة كما قال الرسول (ص) لجبريل « إنى أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفانى الذى لم يقرأ كتابا قط » ولو كلف هؤلاء بلغة واحدة لشق عليهم ذلك ، فاقتضى الدين أن تتنوع القراءات . وإلى ذلك أشار النبي (ص) حيث قال لأحد المختلفين « أحسنت » وفى الحديث الآخر « أصبت » ولثالث « هكذا أنزلت » فصوب قراءة كلٌّ وقطع بأنها كذلك أُنزلت من عند الله ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأُخرى حق وصواب .

٢ ـ بيان حكم مجمع عليه كقراءة سعد بن أبي وقاص « وله أخ أو أُخت من أُمٍّ » فهذه القراءة تبين أن المراد بالأخوة هنا هم الأخوة للأُم . وفى القراءة المشهورة « وله أخ أو أُخت » .

٣ ـ ومنها كذلك ترجيح حكم اختلف فيه كقراءة « أو تحرير رقبة مؤمنة » بزيادة مؤمنة ـ وذلك فى كفارة اليمين ففيها ترجيح لا شتراط الإيمان فيها كما ذهب إليه الشافعى ، ولم يشترطه أبو حنيفة .

٤ ـ ومنها الجمع بين حكمين مختلفين كقراءة « ولا تقربوا النساء حتى يطهرن » أو يطهرن . بالتشديد أو التخفيف فينبغى الجمع بينهما وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها ، وتطهر بالا غتسال .

---

(١) آية ٨٢ من سورة النساء وانظر القرطين بن مطرف ١ ـ ٢٢٣ : أو القراءات للشيخ القاضى .

(٢) انظر النشر . لابن الجزرى ١ ـ ٥١ فما بعدها ، وكتب التفسير ، والإتقان للسيوطى فى قراءات القرآن . د. عبد الحليم النجار مجلة كلية الآداب م ١٠ ج١ .

٥ـ ومنها اختلاف حكمين شرعيين كقراءة « فامسحوا برءوسكم وأرجلكم » بالكسر أو الفتح ، فالخفض يقتضى فرض المسح ، والنصب يقتضى فرض الغسل وقد بين النبى (ص) ذلك فجعل المسح لمن يلبس الخفّ ، والغسل لغيره .

٦ـ ومنها ما فى ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز ، وغاية الاختصار وجمال الإيجاز . .

٧ـ ومنها ما فى ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض بل كله يصدق بعضه بعضا على نمط واحد وأسلوب واحد وما ذلك إلا آية بالغة ، وبرهان قاطع على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ) .

٨ـ ومنها أنها تكشف عن فروق المعانى ولمح دقائقها ورقائقها فى السياق القرآنى :

ومن ذلك قراءة علىّ عليه السلام ، وأبى رجاء وابن يعمر وثابت وغيرهم » قد شعفها حبا[(١)] » بالعين المهملة ، وقراءة الجماعة : بالغين المعجمة . فالأولى كما يرى ابن جنى[(٢)] : أن حبه وصل إلى قلبها فكاد يحرقه لحدته . والثانية أنه فرق شغاف قلبها حتى وصل إليه . فالفرق كما ترى دقيق رقيق بينهما ، وإن كان المآل احد .

ولم يزل العلماء يستنبطون من كل حرف يقرأ به القارئ ـ معنى لا يوجد فى قراءة آخر ذلك المعنى . يقول شهاب الدين القسطلانى « فالقراءات حجة الفقهاء فى الاستنباط ، ومحجتهم فى الاهتداء إلى سواء الصراط[(٣)] » .

وليست القراءة السبعية وحدها مصدرا من مصادر لهجات القبائل بل شاركتها القراءات العشرة وما فوقها والقراءات الشاذة كذلك يقول أبو حيان « والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها[(٤)] » وذلك لأن لها سندا من صحة الرواية وموافقتها وجها من وجوه العربية ، ولهذا كان ابن جنى على حق عندما وثق الشاذ واحتج له وأنه « نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالرواية من أمامه ووارئه[(٥)] » ثم حاول

(١) سورة يوسف ٣٠

(٢) المحتسب ١ ـ ٣٣٩ ط المجلس الأعلى .

(٣) لطائف الإشارات : ١ ـ ١٧١ .

(٤) البحر المحيط ٨ ـ ٤٩٣ .

(٥) المحتسب فى شواذ القراءات ١ ـ ٣ لابن جنى مخطوط بمكتبة تيمور ٣٧٩ تفسير.

ابن جنى مرة أخرى أن يقارن بين الشاذ وغيره بقوله « ولعله أوكثير منه مساو فى الفصاحة للمجتمع عليه ، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته ، وتعنف بغيره فصاحته ، وتمطوه[1] قوى أسبابه ، وترسو به قدم إعرابه ... إلى أن يقول « لكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة مايسمى الآن شاذا ،وأنه ضارب فى صحة الرواية بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه[2] » وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا بل ولو خالفته يحتج بها فى مثل ذلك الحرف بعينه ، وما القراءات الشاذة فى نظرنا إلا صورة نابضة بالحياة لكثير من لهجات القبائل — ولكن هذه القبائل ، لم تنل نصيبا من المجد والجاه فحكموا بشذوذ قراءتهم التى هى صورة حية للهجاتهم ، وأرى أن القراءة وإن شذت — فهى أقوى من تراث النثر والشعر على السواء ، لأن القراء كانوا يسجلون نزر الخلاف وقليله ؛ وهم فى ذلك أضبط من رواة الشعر وغيرهم حين نقلوا إلينا إشارات لهجية وقع فيها التحريف تارة والتصحيف تارة أخرى ، يقول الفراء « والكتاب أعرب وأقوى فى الحجة من الشعر[3] » ، ولذا قامت حركة علمية على امتداد التاريخ بالتأليف فى القراءات الشاذة والدفاع عنها .

وليست القراءات المختلفة وحدها فى الميدان — وإنما تمدنا المصاحف القديمة[4] أيضا بمدد لاينقطع من سمات لهجات القبائل ، لأن اختلافها فى الرسم والإملاء يوضح اتساع العربية إبان نزول الوحى من جهة ؛ ومن جهة أخرى يشير إلى تعدد لهجات القبائل .

١ — فحلول التاء[5] المفتوحة محل المربوطة فى ( رحمت ) فى المواضع السبعة

---

( ١ ) تمده .

( ٢ ) المجلس فى شواذ القراءات ١ / ٣ لابن جنى مخطوط مكتبه تيمور ٣٧٩ تفسير .

( ٣ ) معانى القرآن للفراء ١— ١٤٠

( ٤ ) ذكر السجستانى المصاحف التى تملكها الصحابة وهى: مصحف عمر وعلى وأبى بن كعب وابن مسعود وابن عباس وابن الزبير وعبد الله بن عمر وعائشة وحفصة وأم سلمة » كتاب المصاحف ٥٠ — ٨٨ كما ذكر مصاحف التابعين وهى : مصحف عبيد بن عمير الليثى ، وعطاء بن أبى رباح ، وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير والأسود بن يزيد النخعى ، وعلقمة بن قيس النخعى ومحمد بن أبى موسى وحطان الرقاش ، وصالح بن كيسان وطلحة بن مصرف الأيامى وسليمان بن مهران الأعمش ( المصاحف ٨٨ — ٩١ .

( ٥ ) وكانت قبائل طيء تقف على هاء التأنيث بالتاء وذلك يصور الاحتفاظ بالطور الأقدم لظاهرة التأنيث .

بالبقرة والأعراف وهود وأول مريم والروم والزخرف ، ( ونعمت ) فى أحد عشر موضعا من كتاب الله ، و « امرأت ) فى سورة القصص والتحريم وآل عمران ، ( وقرت ) بالقصص و ( فطرت ) بالروم ، و ( شجرت ) فى سورة الدخان و ( لعنت ) بآل عمران والنور ( وجنت نعيم ) بالواقعة و (بنت عمران ) بالتحريم (ومعصيت بالمجادلة و ( كلمة ربك ) بالأعراف [1] . يشير إلى أثر القرشية فى الإملاء القرآنى .

٢ ـ ومن ذلك أيضا قراءة الحسن « سأوريكم دار [2] الفاسقين » بواوساكنة بعد الهمزة على ما يقتضيه رسم المصحف ، قد نسب أبو حيان قراءة الاشباع إلى قبائل الحجاز بل قال « وهى أيضا فى لغة أهل الأندلس كأنهم تلقفوها من لغة الحجاز ، وبقيت فى لسانهم إلى الآن [3] ولهذا الرسم الإملائى وجه ما ، إذ أنه موضع وعيد وإغلاظ ـ فمكن الصوت فيه .

ولقد كان إسرائيل ولفنسون على حق فى قوله « إن العربية يجب أن تبحث أحوالها فى ضوء القرآن أولا [4] » ، إذ القرآن هو الحقل الخصيب الذى ينطوى على تاريخ العربية وأصول منابعها وحسب القرآن بعد هذا معجزة أن جمع القبائل العربية الشتيتة على وحدة لغوية بعد أن صهرت لغة القرآن كل ما كان بينهم من خلافات ، وهضمت خلاياه النامية لهجاتهم المتنافرة حتى حولها إلى عصارة نافعة غذت العربية وأمدتها بروافد غنية ـ ثم بنى على هذه الوحدة اللغوية وحدة سياسية قومية شادها على وطائد كثر من : مبادئه السامية ومثله السمحة وقد اشرأبت حينذاك وتطاولت أعناق [5] كل قبيلة تيها وفخرا حين رأت أن لهجتها ممثلة فى كتاب العربية الخالد .

مبادىء وقضايا :

وقد استقرت عند المسلمين معالم وضوابط يعتمد عليها فى القراءة ومقاييس وضعتها الأئمة ميزانا يرجع إليه ، ومعيارا

---

( ١ ) الإتحاف ١٠٣ ـ المقنع للدانى ٧٧ فما بعدها .
( ٢ ) الأعراف ١٤٥ .
( ٣ ) البحر ٤ ـ ٣٨٩ .
( ٤ ) تاريخ اللغات السامية ٢٠٦ ط أولى .
( ٥ ) انظر مقالتنا فى حوليات كلية دار العلوم العدد الثانى ١٩٧١ م ص ١٨١ .

يعول إليه ، ليأمنوا الزلل والخطل ، وقد جمعتها من مصادر متعددة من علوم القرآن ، شملت : تفسيره ومعانيه ، وإعرابه وعزيبه ، ومشكله وقراءاته ، ثم وضعتها فى تقسيم منهجى يأخذ بعضه بحجز بعض .

وهى فى جملتها قضايا على جانب كبير من الأهمية لموضوعنا ، فهى بمثابة الجرح والتعديل لفن القراءات ، وضحت شروط القراءة الصحيحة والشاذة ، سبعية وعشريه وما فوقها ؛كما وضعت لمودا للقراءات الضعيفة والمتكورة وكشفت المزيف والدخيل ؛ ثم أثارت قضايا هى لموضوعنا : لحمته وسداه كالفصاحة وقياس العربية ، ورسم المصحف ، وما استقر فى مصاحف الصحابة والتابعين ، ونظرية القراءة بالمعنى ، ومخالفة المصحف الإمام ، ومكان كل من الأستاذ والرواية والأثر فى القراءة ، ثم استنباط الإحكام الشرعية من القراءات وموقف النحاة وأقيستهم ، وصلة ذلك بكل نوع من أنواع القراءات .

أولا قراءة وافقت العربية ولوبوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولواحتمالا وصح سندها . فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين .

ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم . هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف (١) .

* أئمة القراء لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية ، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى التقل ، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها (٢) .

ثانيا ـ القراءات سنة متبعة ونقل محض فلا بد من إثباتها وصحتها ، ولا طريق

---

(١) النشر ١ – ٩ التجارية وانظر منجد المقرئين ١٥ . والكلمات الحسان ٤٧ .

(٢) أنظر كتاب السبعة فى القراءات ص ٥٠ لا بن مجاهد ، وانظر منجد المقرئين ٦٥ – النشر ١ – ١٠

إلى ذلك إلا بالإسناد(*) فلهذا توقفت عليه معرفة هذا العلم(١).

* ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة فهذا رده أحق، ومنعه أشد(٢).

* امتنعت القراءة بالقياس المطلق، وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع إليه ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه(٣).

* الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب(٤).

ثالثاً – لا نعلم أحداً من المسلمين حظّر القراءة بالثلاث الزائدة على السبع وهي قراءة يعقوب وخلف وأبي جعفر، فالعشر متواترة(٥).

* كل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواترا أم آحادا أم شاذا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه(٦).

* من يزعم أن أئمة القراءة ينقلون حروف القرآن من غير تحقيق ولا بصيرة ولا توقيف فقد ظن ما هم منه مبرءون، وعنه منزهون(٧).

رابعاً – ما وافق العربية وصح سنده وخالف الرسم فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف

---

* علم الإسناد هو أعظم مدارات فن القراءات، لأنها سنة متبعة ونقل محصن فلابد من إثباتها وصحتها ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد وهو: خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة. وروى عن يحيى بن معين الإسناد العالى قربه إلى الله وإلى رسوله (صلى الله عليه وسلم) وقيل له في مرض موته: ما تشتهى؟ فقال: بيتا خاليا وإسنادا عاليا: لطائف الإشارات ص ١٧٣. وإذا كانت صحة السند من أركان القراءة تعين أن يعرف حال رجال القراءات كما يعرف أحوال رجال الحديث. ولقد أوجدت المكتبة الإسلامية (لأول مرة) معاجم من نوع مختلف لضبط الأشخاص والرجال وتراجمهم وهو فن قائم بذاته يعرف بـ (الجرح والتعديل) لمعرفة الثقة والمزيف والدخيل والضعيف وبحث حال كل بحثا يتناول حياته: ذهنا وسلوكا، هيئة وصلاحا، عدالة وضبطا ليحددوا مكانه: قبولا أو رفضا. كما يحددوا النسبة بين الخبر ومصدره، ومن السهل عليك أن تقرأ زاوية لقراءة من القراءات وأنت على مكتبك ناعم البال، ولا تعرف المنهج الصارم والطريق الشاق والأساس النقدى النزيه في سبيل هذا الإسناد.

(١) لطائف الاشارات لفنون القراءات ص ١٧٣ القسطلانى.

(٢) ١ – ١٧ النشر.

(٣) ١ – ١٧ النشر وانظر التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ٨٩ طاهر الجزائرى.

(٤) ١ – ٦ النشر.

(٥) منجد المقرئين ٢٤، ٢٧، ٢٩. لطائف الإشارات ٧٥.

(٦) ص ١٥ الاقتراح للسيوطى.

(٧) ٢ – ٢١٤ النشر.

المجمع عليه . . . وإجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ ، ولا يجوز أن يصلى خلف من يقرأ بها[1] .

* القراءة الشاذة هي ما وراء العشر ولا تجوز القراءة بها[2] مطلقاً وإن كان إسنادها صحيحاً ويجوز تعلمها وتدوينها وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى ، واستنباط الأحكام الشرعية منها والاستدلال بها على وجه من وجوه العربية[3] .

* ما وافق المعنى والرسم أو أحدهما من غير نقل لا تسمى شاذة بل مكذوبة يكفر متعمدها[4] .

* القراءة الشاذة عن قراءة الحجة ، كفى بشذوذها عن قراءتهم دليلا على بعدها من الصواب[5] .

* قال أبو حيان في البحر ٤/٨٧ حكى أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت أن أبا العباس أحمد بن يحيى كان لا يرى الترجيح بين القراءات السبع . وقال : إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن . فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى . قال أبو حيان : نعم السلف لنا أحمد بن يحيى كان عالماً بالنحو واللغة ومتديناً ثقة[6] .

خامساً — ما قرئ به في السبعة لا يرد ولا يوصف بضعف ولا قلة .

---

( ١ ) منجد المقرئين ص ١٦ ابن الجزري ط الوطنية الاسلامية .

( ٢ ) انظر التبيان ١١٩ .

( ٣ ) وقد كان ابن شنبوذ ( ٣٢٨ هـ ) يرى القراءة بالشاذ ، أي ما خالف الرسم . ما دامت الرواية صحيحة النقل ، فأمر الوزير بضربه سبع درر أو أكثر . . . وتوبه عن التلاوة بها غصبا ، وقيل إنه نفي من بغداد ( طبقات القراء ٢ / ٥٤ فما بعدها ) وكان يقرأ بقراءة ابن مسعود وأبي وأشهر من ألف في القراءات الشاذة : قطرب ٢٠٦ هـ ، وثعلب ٢٩١ هـ ، والجستاني ٣١٦ هـ ، وابن خالويه ٣٧٠ هـ ، وابن جني ٣٩٢ هـ كما ترى هذه القراءات مثبوتة في كتب التفاسير كالكشاف للزمخشري ، والبحر المحيط لأبي حيان ويمكن أن يحمل الشاذ على قلة من قرأ به في الأمصار بالقياس إلى القراءات السبع وهذا المعنى ما عناه ابن جني في صدر كتابه ( المحتسب ) .

( ٤ ) منجد المقرئين ١٧ لابن الجزري ، وكان ابن مقسم العطار ت ٣٥٤ يرى أن كل ما صح له وجه في العربية لحرف من حروف القرآن المدونة في المصحف العثماني تجوز قراءته بها في الصلاة وغيرها فكان يقرأ بما لم ينقل عن القراء مستخرجا لها وجوها من اللغة ، وهذا المذهب يؤدي إلى قراءات مكذوبة وعقد له مجلس ووقف للضرب فتتاب . طبقات القراء ٢ – ١٢٤ .

( ٥ ) تفسير الطبري ١١/١٩٨ تحقيق شاكر .

( ٦ ) وانظر البحر ٢ – ٢٣١ ، ٢٦٥ ، ٥٠٦ ، ٣ – ٨٨ وانظر الاتقان ١ – ١٤٢ فما بعدها ط ٣ حجازي .

* وماجاء به المسلمون من القراءة مستفيضا فيهم ، فغير جائز الاعتراض بالشاذ من القول – على ما قد ثبتت حجته بالنقل المستفيض[1] .

* إذا اختلفت القراءات في الألفاظ واتفقت في المعاني ، فأعجبها إلى ما كان أظهر وأشهر[2] .

* ما اجتمعت عليه القرأة حجة ، وما انفرد به المنفرد عنها رأى . ولا يعترض بالرأى على الحجة[3] .

* يقول ابن خالويه[4] وبعد : فإنى تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة[5] المعروفين بصحة النقل ، وإتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كلاً منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهباً من مذاهب العربية لا يدفع ، وقصد من القياس وجهاً لا يمنع ، فوافق باللفظ والحكاية ، طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار .

سادساً – أقوى القراءتين إعراباً ما عليه الجماعة[6] .

* يقول ابن هشام لم يوجد في القرآن العظيم حرف واحد إلا وله وجه صحيح في العربية[7] .

* الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر[8] .

* القراءة قد تأتى على القليل وعلى المرجوح في الاستعمال العربي .

سابعاً – إذا ثبتت القراءة لهجة عربية فلا ينبغى أن يخطأ بها القارئ أو يغلط[9] .

* القرآن يأتى باللغتين المختلفتين[10] .

* توجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من اللغات – أولى من توجيهه إلى الأنكر – ما وجد إلى ذلك سبيلا[11] .

* القراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها[12] .

---

(١) تفسير الطبرى ٣/ ٢٦٤ ، ٦/ ٦٥ تحقيق شاكر .
(٢) تفسير الطبرى ٧/ ٥٦٩
(٣) تفسير الطبرى ٦ – ٤٤٢
(٤) الحجة في القراءات السبع ص ٣٧ بيروت
(٥) المدينة ومكة والبصرة والكوفة والشام .
(٦) المحتسب ٢ / ١١٥ ط المجلس الاعلى
(٧) نقلا عن المهدوى في شرح الهداية وانظر ( شرح شذور الذهب لابن هشام ٤٢ تحقيق محى الدين ) . مصطفى محمد بدون تاريخ .
(٨) معانى القرآن للفراء ١ / ١٤
(٩) البحر ١ / ١٥٢ النهر الماد ١ / ١٥٢
(١٠) معانى القرآن للفراء ٢ / ٧٤
(١١) تفسير الطبرى تحقيق شاكر ٥ / ٣٣٧
(١٢) البحر ٨ – ٤٩٣

* القرآن يختار له ولا يختار عليه[1] .

ثامناً – فأما القرآن فيختار له أفصح اللغات[2] .

* لغة القرآن أفصح اللغات[3] .

* لغة القرآن أفصح أساليب العربية على الإطلاق[4] .

* قال ابن خالويه فى شرح الفصيح « قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت فى القرآن فهى أفصح مما فى غير القرآن لا خلاف فى ذلك[5] .

* كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب ، وغير جائز توجيه شئ منه إلى الشاذ من لغاتها ، وله فى الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف[6] .

تاسعا – ينبغى أن تصحح قواعد العربية بالقراءة[7] لا أن تصحح القراءة بقواعد العربية .

* النحاة حكموا النحو الذى وضعوه فى القرآن . قال الإمام محمد عبده[8] .

كان يجب أن يكون القرآن مبدأ إصلاح فى اللغة العربية » .

القراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه ، بل القراء من الكوفيين يكادون يكونون مثل قراءة البصرة[9] .

* كم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو ، أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها[10] .

* لا يلزم من وجود وجه فى اللغة وجود قراءة به ؛ لأن القراءة توقيفية[11] .

* القراءات تجرى على الرواية والأثر لا على مذهب القياس والنحو ؛ وبيان ذلك :

(١) المحتسب ١ / ٤١ ، ٥٣ ط المجلس .
(٢) المحتسب ١ / ٢٧٢ .
(٣) سر صناعة الإعراب ١ / ٣١٨
(٤) العربية يوهان فك ٤ ، ٥ .
(٥) المزهر ١ / ٢٥٧ ط ٣ الحلبى .
(٦) تفسير الطبرى ١٢ / ٣٢٢
(٧) الإنتصاف بهامش الكشاف ٢ / ٤٢ .
(٨) تفسير المنار ٢ / ٢٣٦ .
(٩) البحر ٢ / ٣٦٢ .
(١٠) ١ / ١٠ النشر .
(١١) أمالى ابن الحاجب ٧٣ / دار الكتب رقم ٢٦ مخطوطة .

مايتصل بالدرس النحوى :

(أ) فى شواذ القرآن لابن خالويه ص ٤ « ولا تكونوا أول كافر به واشتروا[1] » أجازة الفراء فى النحو . وهى فى المصحف « ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا » وما أجازه الفراء عند علماء النحو لم يقرأ به واحد فى السبعة ولا فى العشرة ولا الأربعة الذين بعد هؤلاء .

(ب) « فدعا ربه أن هؤلاء قوم »[2] . يقول الفراء : تفتح أنّ – ولو أضمرت القول فكرتها لكان صوابا[3] . ولم يقرأ به واحد من السبعة أو العشرة أو الأربعة بعدها[4] .

(ج) « وقيل يارب[5] » خفضها عاصم والسلمى . . . . ونصبها أهل المدينة والحسن . . . . قال الفراء « ولو قال قائل : وقيله – رفعا كان جائزا[6] » ولم يقرأ بها واحد من السبعة أو العشرة أو الأربعة بعدها[7] . وإنما جاءت فى قراءة شاذة عن أبى قلابة وقتادة والحسن[8] .

(د) « وقل سلام فسوف تعلمون[9] » « رفع سلام » بضمير عليكم وما أشبهه ، ولو كان : وقل سلاما كان صوابا . ولم يقرأ بما رآه الفراء أحد من السبعة أو العشرة أو الأربعة بعدها فى هذا الموضع[10] .

فالقراءة جرت على الأثر والرواية ولم تجر على مايجيزه القياس ومذاهب العربية .

(هـ) « ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله[11] » يقول أبو حيان : المحل هنا المكان ولم يقرأ إلا بكسر الحاء فيما علمنا ، ويجوز الفتح إذا كان يراد به المكان[12] .

---

(١) البقرة ٤١ .
(٢) الدخان ٢٢ .
(٣) معانى القرآن للفراء ٣ / ٤٠ .
(٤) إتحاف فضلاء البشر ٣٨٨ . وإنما قرأ بها عيسى بن عمر والحسن وابن أبى إسحق وهى قراءة شاذة . أنظر مختصر شواذ القرآن لا بن خالويه ١٣٧ .
(٥) الزخرف ٨٨ .
(٦) معانى القرآن للفراء ٣ / ٣٨ ، وانظر النشر ٢ / ٣٧٠ .
(٧) إتحاف فضلاء البشر ٣٨٧ .
(٨) مختصر ابن خالويه ١٣٦ .
(٩) الزخرف ٨٩ .
(١٠) النشر ج ٢ سورة الزخرف . الإتحاف الزخرف – كتاب السبعة لا بن مجاهد ٥٨٩ .
(١١) البقرة ١٩٦ .
(١٢) البحر المحيط ٢ / ٧٥ .

ما يتصل بالدرس اللغوى :

(أ) « هذا لله بزعمهم »[1] .

واللغة تحكيها مثلثة الزاى ثلاث لغات ، ولم يقرأ بكسر الزاى أحد نعلمه[2] . . .

وأجود ذلك ما اختارته القراءُ الذين يؤثر عنهم القراءة[3] وهو الوجوه اللغوية خارجة عن الرواية لذالم يعترف بها أىّ قارئ . و إن كانت اللغة ترضاها .

(ب) وفى قوله تعالى : « لمن أراد أن يتم الرضاعة[4] »

واللغة تحكيها بفتح الرّاء وكسرها ، والقراء أجمعوا على الفتح[5] .

عاشراً نص كثير من العلماء على أن الحروف التى وردت عن أبىّ وابن مسعود وغيرهما مما يخالف هذه المصاحف . منسوخة وإن كان يصح الاحتجاج بها فى العربية ؛ لأنها مروية بالسند المتصل ، مع شذوذها لمخالفتها المصاحف العثمانية ، وأما من يقول إن بعض الصحابة كابن مسعود كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه إنما قال : « إنى قد سمعت إلى القرأة فوجدتهم متقاربين » فاقرءُوا كما علِّمتم نعم كانوا ربما يدخلون التفسير فى القراءة إيضاحا وبيانا ، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) قرآنا فهم آمنون من الالتباس ، وربما كان بعضهم يكتبه معه لكن ابن مسعود رضى الله عنه كان يكره ذلك ويمنع منه فروى مسروق عنه أنه كان يكره التفسير فى القرآن ، وروى غيره عنه : « جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه[6] » ويؤخذ من هذا النص :

١ ـ أن ما يخالف المصحف الإمام بالزيادة والنقصان ـ إنما هو من التفسير والبيان ولا يعتبر قرآنا كقراءة الحسن « وإن منكم إلا واردها الورود الدخول » قال ابن الأنبارى : قوله الورود الدخول » تفسير من الحسن لمعنى الورود ، وغلط فيه بعض الرواة فادخله

---

(١) الأنعام ١٣٦ .

(٢) وإنما قرئ بالفتح والضم .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ – ٣٥٦ .

(٤) سورة البقرة ٢٣٣ .

(٥) معانى القرآن للفراء ١/١٤٩ .

(٦) النشر ٢ / ٣٢ وقارنه بما ورد فى تفسير الطبرى تحقيق محمود شاكر ١ / ٥١ .

فى القرآن[١] ومما يؤكد ذلك أن هذه الزيادات إنما هى من قبيل التفسير قراءة ابن عباس « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » .

وهو صلى الله تعا عليه وسلم أب لهم بدون « وأزواجه أمهاتهم » ثم ذكر الشهاب الخفاجى أن « عمر رضى الله تعالى عنه مرّبغلام يقرأها فقال للغلام « حكّه من المصحف » [٢].

٢ـ أنه لا يجوز ( قراءة القرآن بالمعنى ) لأنها تكل تحديد النص القرآنى إلى هوى كل إنسان .

ونظرية القراءة بالمعنى يراها المستشرقون من نولدكه إلى رجيس بلاشير حيث أقحم الأخير على النص القرآنى بعض آيات إلى سورة النجم اعتمادا على روايات لا سند لها رفضها النقد المنهجى سندا ومتنا مما يسمى عند علماء المسلمين بالجرح والتعديل ، وهو منهج معيارى صارم شامل فى نقد الأسانيد والمتون[٣] .

* قرأ على بن أبى طالب وهو على المنبر « وطلْع منضور[٤] » فقيل له : أفلا تغيرّه فى المصحف .

قال : ما ينبغى للقرآن أن يهاج أى ( لا يغيرّ )[٥] .

الحادى عشرـ القراءة نقل ، ماوافق منها ظاهر الخط[٦] كان أقوى ، وليس اتباع الخط بمجرده واجبا ما لم يعضده نقل ، فإن وافق فيها ونعمت ذلك نور على نور[٧] وذلك كما فى سورة الحج

---

( ١ ) الكواكب الدرية ٣٣ / ٣٤ الحداد ط ١٣٤٤ . وانظر أمثلة كثيرة فى مصاحف الصحابة والتابعيين فى : (ط ليدن ١٩٣٧ . Materials For The Histary of The Test of The Our'ân )

( ٢ ) تاريخ القرآن ١٦٠ د . عبد الصبور شاهين نقلا عن نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض ١ـ٣٠٣ ط أولى .

( ٣ ) وانظر مزيداً من البيان والتفصيل عن هذا الموضوع فى كتاب تاريخ القرآن ، د ـ عبد الصبور شاهين (٧٧ ـ ٩٧) .

( ٤ ) الواقعة ٢٩ .

( ٥ ) شواذ ابن خالويه ١٥١ .

( ٦ ) وقد كتب برسم كان أدق ماوصل إليه فى هذا العهد ويسمى الرسم العثمانى نسبة إلى عثمان رضى الله عنه وأصبح هذا الرسم الذى قدره عثمان باجماع الصحابة سنة لاتخالف ؛ خوفا من العبث فيه والتبديل . وقد سئل مالك : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟فقال : لا . إلا على على الكتبة الأولى ( لطائف الإشارات ١ـ٢٩٧ (وقد فصل بعضهم بين كتابة ليكون أصلا يرجع إليه ، وبين كتابته للتعليم والرسم غير القراءة ، لأن القراءة مصدرها الرواية والرسم مصدره طريقة الكتابة والمسلمون ينطقون بالحرف كما روى لا كما رسم والعمدة فى نقل القرآن على حفظ الصدور لا على خط المصاحف والكتب وليس اتباع الخط وحده ملزما ما لم يؤيده نقل وأكثر رسم المصاحف موافق لقواعد العربية إلا أنه قد خرجت أشياء عنها يجب علينا اتباع مرسومها والوقوف عند رسومها . ا . هـ .

( ٧ ) إبراز المعانى من حرز الأمانى لأبى شامة ٤٠٦ ط الحلبى رسم المصحف ٦٦ ، د ـ عبد الفتاح شلبى .

« آ ٢٣ ) يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير » .

فقرأ عاصم ونافع بالنصب هنا وفى فاطر فى قوله تعالى « يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ » والباقون بالجر فيهما . ورسم بالألف فى الحج خاصة دون فاطر ، فلو اتبعوا الخط لقرأوا ما فى الحج بالألف ، وما فى الملائكة بالخفض ويقول أبوعبيد « لولا الكراهية لخلاف الناس لكان اتباع الخط أحبّ إلى فيكون فى هذا[1] بالنصب والآخر[2] بالخفض وأبو عبيدة لم يقرأ بهذا ، وآثر النقل والرواية على الخط والرسم .

* لا تأخذوا القرآن من مصحفىّ ولا العلم من صحفى[3] » ولذلك عدّ من تحريف وتصحيف .

**أهل البدع :**

(أ) ما عزى إلى حمزة الزيات من أعدائه « ذلك الكتاب لا زيت فيه[4] » ! وكان يتعلم القرآن من المصحف فقرأ ذلك وأبوه يسمع فقال أبوه : دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال .

(ب) وأن عبد الله بن أحمد بن حنبل تقدم قوما يصلى بهم، « فقرأ : اقرأ باسم ربكَ الذى خُلق » فقال له قائل : أبوك ضرب بالسياط على أن يقول كلام الله مخلوق ،وقد جعلت خالق الأشياء مخلوقا[5] »

(ج) كما قرأ آخر « وفرش مرفُوعةً » وآخر « وأخذ برأس أخيه يجزه إليه » .

وجميع هذه وجوه مصحفة وكلها عبث وضلال ولا تعتبر قرآنا مع أن رسم المصحف يحتملها .

على أن هناك قراءات فى اللغة صحيحة ويحتملها الرسم ، ولكن لم يقرأ بها ومن ذلك :-

(أ) قوله تعالى : « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث »[6] فقد أجمع القراءُ على ضم الميم من مكث . مع أن اللغة تجيز فيها تثليث الميم ورسمها يحتمل الأوجه الثلاثة[7] .

(١) سورة الحج .

(٢) سورة فاطر آ ٣٣

(٣) التصحيف والتحريف – ٨ للعسكرى ط ١٩٠٨

(٤) التصحيف والتحريف ٩ للعسكرى .

(٥) التنبيه على حدوث التصحيف : ٣ لحمزة الأصفهانى من علماء القرن الرابع نسخة مخطوطة عن مصورة دار الكتب المصرية ٦٨١ هـ .

(٦) الإسراء ١٠٦

(٧) البحر ٦ / ٨٨

(ب) وفى قوله تعالى فى سورة البقرة[1] «وعلى أبصارهم غشاوة» وفى سورة الجاثية[2] «وجعل على بصره غشاوة» فرسم المصحف للكلمة بحذف الألف فى المكانين ومع ذلك اتفق القراء قراءتها بكسر الغين وفتح الشين وإثبات ألف بعدها فى البقرة، على حين اختلفوا فى الجاثية فبعضهم يقرأ بكسر الغين مع الألف بعد الشين وبعضهم بفتح الغين وسكون الشين، ولو قرئ موضع البقرة بفتح الغين وسكون الشين لصح لغة ومعنى، ولكن لم يقرأ أحد بهذه القراءة فى هذا الموضع.

فليس تجرد المصاحف من الشكل سببا فى تنوع القراءات واختلافها وإلا لوجدنا القراءة تقرأ على ما تجيزه اللغة من الحركات، وإنما مرد هذا التنوع والاختلاف: الروايات الموثقة والأسانيد الثابتة الموصولة، والنقل والتوقيف والتلقى والسماع لا الخط والرسم؛ لاسيما إذا عرفنا أن القراءات تليت ورويت قبل كتابة المصاحف فهى أصل والرسم تابع لها، وهذا يؤكد فساد مذهب بعض المستشرقين الذين يرون[3] أن الرسم أصل وإليه يرجع أكثر القراءات؛ إذ كان غفلا من النقط ومن الحركات.

يلاحظ أن النحويين السابقين كانوا من المقرئين، وكانوا بهذه الصفة (القراء النحاة) رقباء على أداء القراءات ومن ذلك أن أبا الأسود ٦٩هـ وهو قارئ نحوى سمع رجلا يقرأ: «إن الله برئ من المشركين ورسوله» بالجر. فاستعظم أبو الأسود وقال: عزّ وجه الله أن يبرأ من رسوله[4]! فالمدرستان كانتا فى اتجاه واحد يصعب الفصل بينهما، وقد قامتا بعمل واحد فى إعراب النص

---

(١) آية ٠٧.      (٢) آية ٢٣.

(٣) وانظر كتاب مذاهب التفسير الإسلامى د – النجار ص ٨، والمذاهب الإسلامية ٤ / د. على عبد القادر، ورسم المصحف د – عبد الفتاح شلبى، والقراءات للشيخ القاضى.

(٤) نزهة الألباء. ٨ – ٩. يؤكد الصلة القوية بين النحاة الأول والقراء مانراه فى كتب طبقات النحاة من مثل قولهم (كان حسن الإقراء ونهاية فى علم العربية) وقولهم (وكان إماما فى القراءات وعللها... وأما النحو فكان فيه بحرا لا يجارى). وقولهم (كان مقدما فى صنعة الإعراب ضابطا للقراءات). وقولهم (أقرأ القرآن والعربية) أنظر نزهة الألباء، وبغية الوعاة فى أماكن مختلفة. وهذا يؤكد وحدة مدرسة النحو والقراءة.

القرآنى أيام أبى الأسود . ثم توجه نفر من رجال هذه المدرسة إلى دراسة النحو ليلائم بين القرآن والعربية فيتخذ منهما مصدر تقعيد ، ومناط إصلاح وتصحيح . ومن ذلك أن أبا عمرو بن العلاء سمع رجلا ينشد :

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره
ومن يغوَ لايعدم على الغى لائما

فقال : أقومك أم أتركك تتسكع فى طُمتك ؟ فقال : بل قومنى . فقال : قل : ومن يغو ( بكسر الواو ) ألا ترى إلى قول الله عز وجل : ( فغوى ) .

كما كانوا معا يردّون القراءات التى لم ترد عن الرسول وإن كانت جائزة فى العربية :

(أ) فالحجاج بن يوسف يقول ليحيى بن يعمر ت ١٢٩ هـ : أتجدنى ألحن ؟ فقال : الأمير أفصح من ذلك ، فقال : عزمت عليك لتخبرنى ! فقال يحيى : نعم ! فقال له : فى أى شىء ؟ فقال فى كتاب الله تعالى ، فقال : ذلك أشنع ، ففى أى شىء من كتاب الله تعالى ؟ قال ؛ قرأتَ : « : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم[1] » .

فرفعت أحب . وهو منصوب . . فقال الحجاج ليحيى : لا تساكنى ببلد أنا فيه ، ونفاه إلى خراسان[2] .

والرواية بالنصب ، والرفع مخالف لإجماع القراء ، وإن كان جائزا فى العربية[3] . ولم يستطع الحجاج أن يحاجّ يحيى بن يعمر بما تجيزه العربية ، على الرغم من بطشه ، وسلطانه .

(ب) وهذا أبو عمرو بن العلاء وقد كان له مذهب خاص فى النحو ومع ذلك كان فى القراءة لا يتعدى ما نقله عن أئمته وتلقاه عن شيوخه ، ولو خالف مذهبه فى العربية . فقد حدث أبو عمرو قائلا :

لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت كذا وكذا من الحروف كذا

(١) التوبة ٢٤ .
(٢) نزهة الألباب : ترجمة يحيى بن يعمر .
(٣) أنظر البحر المحيط ٥ /٢٢ .

وكذا . فقد أدغم أبو عمرو وحده الراء في اللام من ( يغفر لكم ) وما شاكله في القرآن . وهو ضعيف عند البصريين[1] . ولا نستطيع أن نفسر ذلك إلا أن أبا عمرو يلتزم في القراءة النقل والرواية فقد خالف البصريين مع أنه بصرى ! ،

وأخيرا اشتد الجدل بين القراء والنحاة واندلعت نار العداوة والبغضاء ، وذلك بعد أن انفصلت مدرسة القراءة عن مدرسة النحو[2] ، فاتجه النحاة إلى القراءات ليأخذوا منها ما يؤيد وجهة نظرهم ، أو ليرفضوا منها ما يتخالف مع أقيستهم ، فهم من هذا المنطق يؤيدون أو يعارضون ،

أولا – من ذلك أن الأصمعي سأل المازني : ما تقول في قول الله عز وجل « إنا كل شيء خلقناه بقدر »[3] فقال المازني : يذهب سيبويه إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب في العربية لاشتغال الفعل بالضمير . وليس هناك شيء هو بالفعل أولى ، ولكن أبى القراء إلا النصب[4] ، والقراءة سنة متبعة .

ويقول ابن جنى في المحتسب[5] ( الرفع هنا أقوى من النصب ) .

ثانيا – كما نرى عيسى بن عمرو : وكان عالما بالنحو وله اختيار في القراءة على مذاهب العربية يفارق قراءة العامة ويستنكره الناس[6] – يقرأ :

« هؤلاء بناتى هن أطهرلكم » بنصب أطهر[7] وفي المحتسب[8] يقول أبوالفتح : ذكر : سيبويه هذه القراءة وضعفها

( ١ ) الحجة لابن خالويه ٥٦ بيروت وانظر : إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ١٢ وفيها يذكر أن سيبويه لا يجيز الإدغام ، والفراء يجيزه .

( ٢ ) يقول السيوطي في البغية ٢ / ٤٨٢ تحقيق أبي الفضل في ترجمة ثابت بن محمد بن يوسف بن حيان الكلاعى « إنه لم يكن من أئمة النحويين ، بل كان من أئمة المقرئين » وانظر : ترجمة محمد بن عبد الله بن مالك صاحب الألفية ١ – ٤٨٢ في المرجع السابق .

( ٣ ) ٤٩ من سورة القمر .

( ٤ ) لم يقرأها بالرفع إلا أبو السمال : المحتسب ٢/٣٠٠ ، وله اختيار في القراءة ، شاذة عن العامة ، ولم يصحح ابن الجزرى سند قراءته . طبقات القراء ٢ / ٢٧

( ٥ ) ٢ / ٣٠٠ ط المجلس الأعلى .

( ٦ ) طبقات القراء ١ / ٦١٣

وكذلك كان يحيى اليزيدى ، فقد اشتهر بالنحو ، وله اختيار في القراءة ، خالف فيه أبا عمرو .

( ٧ ) طبقات القراء ١ / ٦١٣

( ٨ ) ١ / ٣٢٥ ط المجلس الأعلى .

وقال فيها « احتبى ابن مروان فى لحنه » وكان محمد بن مروان المدنى القارئ قد قرأ بها . ويقول ابن جنى « وأنا من بعد أرى أن لهذه القراءة وجها صحيحا » .

ثالثا : كما يضعف سيبويه[1] النصب فى قوله تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون[2] » مع أن قراءة النصب قراءة ابن عامر ، وقراءة الكسائى فى بعض المواضع[3] . والقراءة سبعية متواترة قرأ بها ابن عامر ، وإمام الكوفيين الكسائى ويقـول أبـو حيان ( فالقول بأنها لحن من أقبح الخطأ المؤثم الذى يجر قائله إلى الكفر[4] ) . وهذه لمحة من تعصب النحاة لفنهم وقواعدهم لأنهم كثيرا ما يصححون قراءة القرآن بما يوافق العربية وإن لم تثبته الرواية ، وقد شدد علماء القراءات النكير عليهم . ويظهر ذلك واضحا أولا – فى زمن متأخر عند أبى العباس المبرد حين قال : لو كنت ممن يقرأ لقرأت «ولكن البَر» بفتح الباء يشير إلى قراءة : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب . . » بكسر الباء فيهما. فالمبرد يرجح قراءة الفتح ، « ومن أجل ذلك كان على المبرد أن يتحمل سخط أهل السنة عليه قرونا طويلة بعد وفاته ، إذ كانوا يرون فى القراءة المتلقاة بالقبول « ليس البِرَّ » بكسر الباء تحقيقا للإعجاز البلاغى فى كلام الله »[5] . وهو نفسه المبرد الذى يقول ( لو صليت خلف إمام يقرأ : « ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى » بكسر الياء لأخذت نعلى ومضيت[6] » فانظر كيف يقاوم المبرد قراءة سبعية بخروجه عن جماعة المسلمين وإمامهم !

كما يتواصى النحاة على القدح فيها والنيل منها ، وهى قراءة أحد القراء السبعة وصحت سماعا وقياسا !

ثانيا : زمن متقدم ا – ومن ذلك أن ابن أبى عبلة[7] قرأ ( اقتتلنا ) وقرأ عبيد

---

(١) الكتاب ١ / ٤٢٣ .
(٢) يس ٨٢
(٣) النشر ٢ / ٢٢٠ ط التجارية .
(٤) البحر ١ / ٣٦٦
(٥) أنظر : مذاهب التفسير الإسلامى : اجنتس جولد تسيهر ٤٦ تحقيق د – على عبد القادر . وانظر تحقيق د – النجار ٦٦ فما بعدها .
(٦) تفسير القرطبى ٥ – ٣ او انظر درة الغواص ٩٥ للحريرى .
(٧) انظر : تفسير الكشاف ، والبحر المحيط فى سورة الحجرات .

ابن عمير وزيد بن علي ( اقتتلا ) وذلك في قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما »[1]

فقد عاد ضمير جمع المذكر على مثنى مؤنث ، والقواعد النحوية تقتضى أن يقال ( اقتتلتا ) أو يقال ( اقتتلا ) فقد روعى فيها معنى ( طائفتان ) إذا أريد بالطائفة : الفريق

والقراءة السبعية أصح في النقل وأثبت في الرواية والسند إذ ركيزتها التلقين والتوقيف ، والتلقي والمشافهة ، وقد جرت على أفصح الأساليب ، وتوجيهها أن الطائفة الواحدة تجمع أفراد كثيرة ، فالطائفتان في معنى الجماعة ، ولهذا أتى بواو الجمع في ( اقتتلوا ) باعتبار معنى ( طائفتان ) ، وإذا كان القرآن الكريم قد راعى المعنى فقد راعى هنا اللفظ أيضا حيث أتى بألف التثنية في قوله عز وجل ( فأصلحوا بينهما ) والسر الخفي في مراعاة المعنى أولا واللفظ ثانيا أن الطائفتين في حال القتال تكون طائفة مختلطة بالأخرى بحيث لايستطاع التمييز بينهما بخلاف حالهما في الصلح بحيث تكون كل طائفة متميزة عن الأخرى ، ولهذا جمع ضميرهما في حال القتال وثناه في حال الصلح بينهما[2]

أما ما جاء عن ابن أبي عبلة وعبيد بن عمرو وزيد بن علي فهي قراءة شاذة لم ترد لافي السبعة ولافي غيرها من القراءات الصحيحة الموثقة وإنما وردت في مصاحف قديمة : لابن مسعود ، وأبي ومصحف عبيد بن عمرو[3] ، وابن أبي عبلة ، له حروف في القراءات ، واختيار خالف فيه العامة وفي صحة إسنادها إليه[4] ، نظر فقراءته واهية ، كما أن القراءة الصحيحة المشهورة تقدم

---

(1) الحجرات ٩ .

(٢) انظر : القراءات في نظر المستشرقين : ١٩٧ الشيخ القاضي ، المذاهب الإسلامية ٤٦ جولد تسيهر ونقله إلى العربية د – علي عبد القادر .

(٣) انظر مصحف ابن مسعود وأبي بن كعب ومصحف عبيد بن عمير في :
Materials For the History of the text of the Our'àn, JEFRY, Brill, 1937.

(٤) طبقات القراء : ١ / ١٩ وتوفى ابن أبي عبلة ١٥١ هـ أو ٥٢ أو ١٥٣ . وأخذ القراءة عن أم الدرداء الصغرى . وزيد بن علي ت ٣٥٨ هـ . طبقات القراء ١ / ٢٩٨ . وعبيد بن عمير بن قتادة المكي ت ٧٤ هـ . طبقات القراء ١ / ٤٩٦ .

المقياس المصحح للاستعمال العربي لا العكس[1] . والقواعد النحوية يجب أن تخضع للقراءة لا العكس . وأخيرا فإن للقرآن طريقا فى النحو ينبغى أن يقاس عليه ، كما له لغته الخاصة به .

ولكن النحاة جعلوا من أنفسهم رقباء على اللغة وأهلها ، ولقد كانت لهم فى هذا صولات وجولات معروفة فى نقد الشعر والنثر على السواء فى العصرين الجاهلى والإسلامى[2] ، وبمرور الأيام قوى نفوذهم ، واشتدت وطأتهم ، فأصبحوا المشرعين والمقننين فى الحقل اللغوى وحدهم ، لايلوون على شيء ولايأبهون ، فرفض بعضهم الاستشهاد بالحديث النبوى ، لجواز أن رواته قد دخل عليهم اللحن كما لحنوا العرب وغلطوهم فى لغتهم ، حتى جاءوا إلى قراءات القرآن الكريم فنالوا منها ومن أصحابها وأخضعوها لقواعدهم ، وقوانينهم ، لأنهم أصحاب معايير ومقاييس ، واستطاعوا بسلطانهم وسطوتهم أن يسيطروا على حقل الدراسات القرآنية فضيقوا وحجروا وأولوا ، واجترءوا وتطاولوا على القراءات السبعية وما فوقها

ب ـ أجاز الفراء فى النحو « ولاتكونوا أول كافر به واشتروا »[3] وهى فى المصحف « ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا »[4] وما أجازه الفراء عند علماء النحو لم يقرأ به واحد فى السبعة ولا فى العشرة ولا الأربعة الذين بعد هؤلاء

جـ ـ وأخيرا يأتى السيوطى ليؤكد موقف المتقدمين من النحاة بقوله « وكان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة فى العربية ، وينسبونهم إلى اللحن ، وهم مخطئون فى ذلك ، فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التى لامطعن فيها ، وثبوت ذلك دليل على جوازه فى العربية[5]

والحق أن كثيرا من هؤلاء النحاة قد تأثروا بمدارس علم الكلام ودعامتها : القياس والعقل ، ومدرسة القراءة ركيزتها الرواية والنقل ، فالقراء أعدل ، لأنهم

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامى ٦٨ جولد تسيهر .

(٢) الموشح للمرزبانى فى مواطن متفرقة . ط السلفية .

(٣) شواذ القرآن لابن خالويه ٤ .

(٤) البقرة ٤١ .

(٥) اقتراح السيوطى ١٧ ط أولى .

لايعملون فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة ، والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر ، والأصح فى النقل ، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة (١) . هذا :

ويجب أن نقرر (أولا) أن موقف النحاة من القراءات ورميهم كثيرا منها باللحن والغلط ، والضرورة والشذوذ والخطأ واتهامهم القراء بالوهم تارة ، والغفلة وعدم الدراية تارة والغفلة وعدم الدراية تارة أخرى ، وإخضاعهم القراءات للمذاهب النحوية والأقيسة العقلية ، هو الذى جرأ المستشرقين على الطعن فى كثير من القراءات والنيل منها متسترين بلباس البحث العلمى حينا وبالحقد الدفين والسهام المسمومة أحيانا وهم فى هذا وذاك قد تنكبوا الطريق السوى وضلوا وأضلوا فى بعض ما كتبوا ومانقلوا .

وثانيا ــ أن هذه المعارك الحامية بين الفريقين أمدتنا بثراء فى النحو العربى فتعددت مسائله ، واختلفت الآراء حول كل جزئية منه : فتلاقت الآراء حينا واختلفت أحيانا ، كما رأينا من خلال ذلك ألوانا من التأليف جديدة تعتبر من أجل مصادر تراثنا المجيد ، وكلها تدور فى فلك القراءات والنحو ــ ناقدة ومعللة ، ومحتجة ومفاضلة ، وممحصة ومستشهدة ، وهى فى جميع هذا تكشف عن آراء كل فريق والوجه الذى آثره واختاره ــ نقلا وعقلا ، ورواية ،ودراية . ومن هذه المؤلفات :

معانى القراءات لأبى زكريا الفراء والحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الحسن الفارسى والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى والحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ، والكشف عن وجوه القراءات لمكى القيسى ، وإعراب الشواذ للعكبرى .

**أحمد علم الدين الجندى**

---

(١) النشر ١ ــ ١٠

(٢) مع اعترافنا بأن نفرا منهم لهم يد فى التراث العربى لا تنكر من حيث المنهج والتحقيق وعمق الدراسة .

# خريدة القصر وجريدة العصر

## للعماد الأصبهانى

الجزء الرابع

حققه وشرحه

الأستاذ محمد بهجة الأثرى

**تعريف ونقد: الأستاذ محمد عبد الغنى حسن**

**تمثل** خريدة القصر وجريدة العصر للأديب الكاتب السياسى المؤرخ «العماد الأصبهانى» لوناطريفا من كتب الشعر والشعراء المؤلفة وفق القرون ، والحاوية للشعر والشعراء فى عصر معين ، لاعلى مدار العصور كما فى كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة . وهى بهذا اللون الطريف والمذاق الجميل تقدم لنا نماذج الشعر العربى فى القرن السادس الهجرى وهى نماذج لاتخص قطرا عربيا معينا بذاته ، ولا تقتصر على بقعة عربية دون بقعة ، بل تمتد لتشمل الوطن العربى الفسيح كله مابين مشرق ومغرب .وقد خص المؤلف كل أرض عربية بقسم من «خريدته» فللمغرب والأندلس والشمال الإفريقى قسم صدر منه جزء ان فى تونس؛ ولمصر قسم صدر من زمن غير بعيد ، وللشام قسم بدأ صدوره فى دمشق منذ سنة ١٩٤٩ ، وللعراق قسم كبير صدر منه الجزءان الأول والثانى منذ زمن ، كما صدر أخيرا الجزء الرابع منه بمجلديه الضخمين بتحقيق الأستاذ العلامة الكبير محمد بهجة الأثرى ، أما ثالث الأجزاء العراقية فلما يصدر بعد ،استكمالا للتحقيق كما يصرح محققه الفاضل .

والذى صنعه العماد الأصبهانى فى الخريدة هو الذى صنعه من قبله الثعالبى فى «اليتيمة» وصنعه الباخرزى فى « دمية القصر » والخطيرى فى « زينة الدهر » ثم صنعه بعدهم الشهاب الخفاجى فى «الريحانة» والمحبى فى «نفحة الريحانة» ولاتزال وزارات الثقافة فى البلاد العربية

اليوم تحرص على إصدار مجموعات ومختارات من الشعر المعاصر مع تعريفات وجيزة بالشعراء المختار لهم لتكون مرآة الشعر الحديث .

ولن تسلم مجموعة ضخمة من الشعر فى عصر واحد من أن يجتمع فيها الغث السمين والجيد والردىء ، فليس من المعقول أن يجرى الشعر المختار كله على نسق واحد من السمو والارتفاع ، أو أن يكون كله موحد المستوى ، مستوى النفس ، بل لابد أن تصادفنا فيه القمم والسفوح والحب والزؤان . وهذا الخلاف فى المستوى وفى النفس وفى الأهداف والأغراض والمعانى هو دلالة أكيدة على اختلاف المواهب والمستويات عند الناس ، وهو يصور الحياة تصويرا صادقا ، واضحا فلا يعرض جميلا ولايحجب قبيحا . وإنما يجمع بين الجمال والقبح كما تجمع الحياة عادة بين النقائض ، وتضم بين المتناقضات والأضداد .

ولن يكون العماد الأصبهانى أو غيره من مؤلفى المجاميع الشعرية لعصر من العصور أمناء على قضية الأدب والجمع الشعرى إذا قدموا بعضا من النماذج دون بعض : أو آثروا لونا من الشعر على لون أو أبرزوا غرضا من الأغراض دون غرض فإن الأمانة تقتضى أن يقدموا نماذج لكل ماصدر من الشعر عندهم . وقيل فى عصرهم مهما كانت درجته ومهما كانت بضاعته ، لأن المفروض أنهم لايقدمون نماذج رفيعة أو أمثلة جيادا فحسب ، ولكنهم يقدمون صورة كاملة للشعر العربى فى عصرهم بما تحويه من سمو وهبوط ، ورفعة واتضاع .

ومن هنا كان حرص العماد الأصبهانى على أن يجمع فى كتابه الضخم كل لون شعرى ظهر فى عصره ، وأن لايحاول إبراز بعض الأغراض الشعرية على حساب البعض الآخر. وإن كان لم يمسك فى يده مكيالا يكيل به مااختاره من كل غرض ويوفق بين المكاييل حتى لايطغى اختيار على اختيار .

فالرجل كان جامعاً ناقلا راوياً مسجلا ، فلا يعنيه من الجمع المقدار والكم ، ولكن يعنيه الكيف ، حتى تكون أغراض الشعر فى عصره ممثلة على أقرب الوجوه دقة ، وأصدقها تمثيلا .

ولا شك أن « العماد » قد وقع له من الشعر العربى فى عصره شىء كثير ، بحكم طبيعته الأدبية الواضحة ، أو بحكم صلاته الاجتماعية الكثيرة التى هيأتها له نيابته عن الوزير ابن هبيرة فى « واسط » وبحكم مركزه السياسى المرموق الذى جعل داره مهبط الأدباء من كل حدب ، وأخيرا بحكم ذلك الميل الخاص الغالب عليه نحو الشعر العربى ، وتعاطفه معه ، وعنايته به .

ولا شك أنه لم يكن فى جمعه لذلك السيل الغامر من الشعر حاطباً ، ولا خابط ليل . لقد كان ينتقى ، ويؤثر قولا على قول ، ويستبعد ما يراه أهلا للاستبعاد . وقد يقرأ المجموعة من الشعر لشاعر معاصر تقع له بأى طريق من طرق الإعارة أو الإهداء أو الشراء ، فلا يخلص منها فى النهاية له إلا عددٌ من الأبيات يؤثرها بالرواية ، ويخصها بالتسجيل .

ألم يحدثنا — وهو صادق — فى خلال ترجمته الوجيزة للشريف أبى هاشم إسماعيل بن المؤمل الرشيدى الواسطى بأن أشعار هذا الشاعر التى نظمها جمعت فى مجلدة ضخمة تنيف على ستة آلاف بيت ، وأنه طالعها كلها فلم يختر منها إلا هذه الأبيات :

مضى الود والأيام ما سمحت لنا
بشرب مدام أو بقرب نـــــديم

ونحن عطاشٌ ، والموارد جمة
يوطدها قوم لكل لئيـــــــم

على الراح والأقداح منى تحيةٌ
إلى أن أراها فى بنان كريم !

والذى لا يصفو له إلا ثلاثة أبيات من ٦ آلاف بيت ليضعها فى موسوعته الشعرية ، هو رجل لا يجمع حيثما اتفق ، ولكنه يتأنق فى الجمع ، ويحسن فى الاختيار .

على أنه قد تصادفنا فى أشعار الخريدة أبيات ومقطعات فى الإحماض والإفحاش فى الهجاء كنا نرجو لو خلا منها الكتاب ، حتى لا يخدش حياء القارىء بمعان لا تحيى خلقاً ، ولا تنشر فضلا ، ولا تقيم فضيلة ، بل هى ضرب من الفحش والمجون واللغو الآثم الذى قد يحرك غرائز الشر ، ويثير المضاحك ،ولكنه لا يعبر عن نبل أو حياء.

وأى شرف فى أن نلتقى فى الخريدة برجل سليط اللسان ، فاحش القول ، لا يتورع

أن يهجو زوجته بأقبح هجاء ، ويهجو ولده بأفحش قول ؟ وإذا كنا احتملنا هذا من أمثال الحطيئة ، وجرير ، والفرزدق ، والبعيث ، وابن حجاج ، وابن سكرة ، [ قبل القرن السادس الهجرى ، فلماذا نصاب به من جديد فى هذا القرن الذى يتميز بلقاء العرب والمسلمين ضد الصليبيين؟ ولماذا نجد فى عصر الجهاد الإسلامى ضد الغرب المتعصب جماعة من الشعراء الذين يَبدُون وكأنهم فرغوا من هموم الدنيا ، ومشاغل الحياة . فيهزلون حين ينبغى أن يجد الجد ، ويمزحون حين تدعوهم الحياة إلى الرصانة والوقار ؟ ]

الحق أن العماد لم يخرج عن مفاهيم زمانه حين اضطر أن يروى فى خريدته شعرا هابطاً فى الهجاء ، والمجون ، فهو ناقل صورة يريد أن يكون أميناً على أدائها . وقد كان الرجل معتدلا فى هذا المجال ، فلم يسرف فى عرض هذه الألوان النابية .

والحق أيضا أن محقق الكتاب العلامة الأستاذ محمد بهجة الأثرى – وهو رجل فيه خلق ودين وحياءٌ – قد ضاق بمثل هذه النماذج الهابطة من شعر الهجاء فى الخريدة ، فلم يسكت عليها ، ولم يقف أمام إيرادها صامتا ، بل نراه حين يطفح به الكيل ، ويسيل السيل يتفجر كالبركان معلقا على هذا الشعر بمثل قوله : « وهذه القطعة من فسولة اللفظ والمعنى والغرض فى أحط منازل الكلام » ص (٤٩١) . أو بمثل قوله فى هامش ص (٥٤٦) : « هذا البذاء امتداد لبذاء جرير والفرزدق والأخطل ثم ابن الرومى والمتنبى ؛ وأضرابهم ممن عدموا المروءة وضعف فى نفوسهم وازع الدين ، و نوازع الطبع الشريف. فاستباحوا فحش القول وأشاعوه فى المجتمع العربى الإسلامى . وقد كان يحسن المؤلف ، وهو هو ، أن ينزه كتابه من مثله ، ويقتصر على رواية النظيف من هجاء الشاعر مجتزئاً بالاشارة إلى بذائه الذى أفضى إلى اغتياله . . ) أو بمثل قوله فى هامش ص(٧٥٩) : « . . . وكان اللائق بالمؤلف تنزيه كتابه من هذه الأقذار ) فأنت ترى أن المحقق الفاضل هنا ساخط على اختيار هذه الأهاجى الفاحشة ، ضائق بها صدره . ويخيل إلى أنه لو لم يكن المجال مجال تحقيق نص قائم موجود ، لأبعد المحقق هذه النماذج

ونفاها من الكتاب كله ، ولكنه وفقا لأمانة العلم ، وتوفية الأداء ، لا يملك هذا ، ولم يملك إلا أن ينفس عن صدره بمثل هذه التعليقات ، ولعل ذلك أضعف الإيمان ! !

والحق أن هذا الإحماض ورواية المقذع المفحش قد وقع فيه نفر من المصنفين العرب والمسلمين ممن كان لا ينتظر وقوعه منهم ، كالراغب الأصفهانى فى محاضراته ، والغزولى فى مطالع بدوره ، بل وقع فيه صاحب عيون الأخبار أحيانا ، ووقع فيه النويرى فى نهاية الأرب ، ووقع فيه صاحب كتاب « قطب السرور » الذى صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق من زمن غير بعيد .

على أنه لا بأس برواية النادر من الهجاء إذا لم يكن فيه إقذاع ولا فحش ولا بذاء . ولعل من ذلك ما رواه العماد عن الشاعر « الصارم مرجى البطائحى » حين هجا ثلاثة من الكبراء فى وقته قائلا :

قوم إذا قام قوم للعلا قعدوا
وإن تنبه قوم للعلا ناموا !

ويظهر أن هذا اللون من الهجاء القاتل غير البذئ ولا الماجن قد راق لدى العماد ، فعقب عليه قائلا : « هذا البيت الأخير نادر فى الهجاء ، يعجز عنه فصحاء البلغاء » .

وقد كان العماد يستجيد المعانى النادرة الجيدة حتى فى الهجاء ، ويعلق عليها بما يكشف عن قيمتها . فقد علق على أبيات هجاء قالها « الصارم مرجى » فى هجو شقيق له بقوله :( والمعنى فى غاية الحسن لم يسبق إليه )

ولا بأس هنا من إيراد هذه الأبيات ما دامت لا تخل بمبدأ الشرف والعفة ، وصيانة اللسان ، وإن كانت تخل بالمروءة وحقوق الرحم حين يهجو أخ أخاه :

أى حرام من الحلال أخى ؟
كأنه الخمر إبنة[1] العنب

قاتلك الله يا أخى ، فلقد
فضحتنا فى قبائل العرب

كأننا الغر من قريش سموا
وأنت ما بيننا أبو لهب !

(١) اضطر الشاعر إلى قطع همزة الوصل فى كلمة : ابنة .

ولم تخل أغراض الشعر التى رواها العماد الأصبهانى لشعراء عصره من المدح والفخر، والعتب، والتهانى وهى أغراض لم تزل موجودة فى كل عصر، وإن كان آن للشعر العربى أن يتحلل منها اليوم فى عصر يتطلع إلى التطور والتجديد.

ولقد كانت المدائح المروية يُقصد بها الخلفاء، والأُمراء، وعمال الولايات، والوزراء، والقادة. وهى بالطبع مما يغلب عليه المدح لغرض فى النفس، أو لمنفعة ذاتية. وقليل منها المدح الصادق الذى كان نادرا فى ذلك الزمان.

على أن الشعراء الذين وفدوا على العماد الأصبهانى وخصوه بمدائحهم التى نشر بعضا منها فى كتابه، لم يمدحوه – ولا نسيء الظن – إلا قاصدين أن يهدى إليهم صنيعة من جاهه، تغنى عن صنيعة من ماله، فلم يكن الرجل ذا مال، ولا صاحب ضياع، ولا رب ثراء، ولكنه كان نائبا للوزير ابن هبيرة فى واسط، وكانت هذه النيابة عن الوزارة تتيح له أن يكون مرجوا. ومن هنا تسابق الشعراء إلى بابه، وقصدوه بالمدائح وأبيات الثناء.

وإذا كانت «الخريدة» قد اشتملت على هجاء، استكمالا لصورة الشعر العربى فى العراق فى القرن السادس الهجرى، فإنها قد اشتملت على طائفة من شعر الألغاز الذى يبدو أنه كان بدعة فاشية فى ذلك العصر وحين يظهر لون من الأدب، ويشتغل به الناس، ويعطونه من اهتماماتهم فوق ما يستحق، فإنه لا يلبث أن يشيع، ويذيع، ويقبل عليه الناس إقبالا شديدا حتى يكادوا أن يستهلكوه.

ومن هنا شاعت الألغاز بين شعراء ذلك العصر، يصنعونها شعرا – أو إن شئت الدقة فقل نظماً – ويقدمونها إلى أصدقائهم ومعارفهم، وينتظرون حلها والإجابة عنها نظماً كذلك. وكثيرا ما كان يفتنّ الشاعر فى عمل اللغز الشعرى، والتعمية به، والخفاء فيه، حتى يضطر المجيب إلى كد الذهن وإعمال الفكر. ولعل مثالا واحدا من هذه الألغاز الشعرية يغنينا عن الإطالة فى لون من الشعر لا جمال فيه ولا خيال. فقد كتب الشاعر ابن أبى الصقر الشافعى لغزا فى «الدينار» يقول فيه:

وأى شىء طـــوله عرضه • أضحى لـــه عندك مقدارٌ؟

دل عليـــه حسن طبع لـــــه
فغيـــه للعالم أوطار
تمسكـــه الكف ، ولا تشتكى
منـــه احتراقا ، وبه نار

وكان للشاعر ابن أخت بعث باللغز إلى الأمير أبي الغيث البصرى ، فقال فى جوابه :

يا من أتانا ملغزا فكـــره
للغـــز يمتغى ويمتـــار
ألغزت فى « الدينار » فامتز به
إن كنت من للعلم يمتـــار

ويكفى أن نشير هنا إلى أن هذه الألغاز كانت فى أشياء مادية ومعنوية مما تشتمل عليه الحياة ، ويقع عليه البصر أو الظن ، مما لا يدخل تحت حصر . وقد اهتم الناس بها فى ذلك العصر ، حتى لقد جمع فيها أبو المعالى الخطيرى الكتبى كتاباً أسماه ( كتاب الإعجاز ، فى الأحاجى والألغاز ) طالعه العماد الأصبهانى واختار بعضاً من ألغازه .

والإخوانيات كثيرة فى أشعار الخريدة ، وهى ضرب من أغراض الشعر شاع وكثر حين كثرت الجماعات ، وازداد الاتصال والترابط بين الناس ، وهى وإن كانت لا تدخل فى الأغراض السامية الرفيعة للشعر ، فهى تعبير صادق عن علاقات بين الشعراء ، يصور لنا كثيراً من أخلاقهم وسلوك حياتهم .

ولم تسلم أغراض الشعر فى الخريدة من شعر الشكوى . وهو غرض يعبر عن مواجع الشعراء من بعض الظروف المحيطة بهم ، وغير الملائمة لهم ، كالشكوى من الزمان ، ومضايقات الأيام ، والشكوى من سوء الحظ ، ونكد الطالع ، والشكوى من حاكم ظالم ، أو بلد غير طيب ، أو صديق جائر ، أو جو غير مناسب ، أو علة طارئة ، أو عشرة منغصة ! ولعل من أطرف الشكاوى الشعرية ما نظمه الشاعر « أبو الحسن الهيتى » فى الشكاة من بلدة «هيت » بالعراق وأهلها وذمهم . ولا بأس من إيراد بعض أبياتها حيث يقول :

منازل « هيتٍ » لا يوافقها العدل
إذا عَدَلَ السلطان جار بها الأهل
وما هى إلا بلـــدة جاهلية
أمرّتْ على مَرِّ الزمان فما تحلو !
تجمّع أهلوها على الخُلف والجفا
وبينهما أخذُ الحرائبِ والقتـــل

قلوبهمُ من جنـــــدل وصفائح
خُلقن وما فى العالمين لهم شكل

وأيمانهم غــــدر إذا حلفوا بها
وقولهمُ نكرٌ ، وموعدهمْ مطل

وإن عوتبوا فالعتب فيهم مضيع
وإن عذلوا يوماً فما ينفع العذل

أرى شيمتى تأبى بـــلادى وأهلها
فيا ليت أنا لم يكن بيننا وصل !

وأقسم لولا بنتُ عم شفيقـــةٌ
إذا غبتُ عنها نالها منهمُ ثقل

لأَعدتُ أسفارى ، وفارقت منزلى
ولم يثننى كَرْم بأَرضى ولا نخل ..

أما الشكوى من الكبر والاضطرار إلى استعمال العصا ، فقد عبر عنها شاعر من شعراء الخريدة بقوله :

أسوق نفسى بعصاً فى يــــدى
تُبصر قدَّامى ولا خلفـــــى

يا رب ! حتى الشيخ فى سَوقه
مخالف للعادة والعـــرف[1] !

ألطف هذه الإشارة إلى مخالفة الشيخ لمألوف العادات ، حتى سوق العصا !!

وتُصور لنا شكوى الشاعر من « ابن يعيش » صاحب الديوان صورةً من الظلم الإدارى فى المجتمع العراقى ، وهو نوع من الظلم كان سائدا فى ذلك الزمان .

ولن ندع شعر الشكوى يمر دون الإشارة إلى الأَبيات الفكهة التى نظمها العماد الأَصبهانى نفسه فى الشكاة من البق والبرغوث ! وقد نظمها ارتجالا حين بات ليلة « بنهر دقلى » وهو فى طريقه إلى بلدة عسكر مكرم فقال :

يا لحا الله ليلـــةً قرصتنى
فى دياجيرها البراغيث قرصاً !

شربتْ بقُّهـــا دمى فتغنـــت
وبراغيثهـــا تواجدن رقصاً !

قـــد تعريتُ من ثيابى لسكربى
غير أنى لبست منهن قُمصـــا

كلما ازددتُ منعهن بحـــرص
عن فراشى شرِهْن فازددن حرصاً

من براغيثَ خلتُهـــا طَافرات
طائرات جناحهـــا قد حُصا

(١) هكذا ورد : وصوابه : مخالف العادة والعرف بالإضافة لا بال التعريفية .

عَرَضت جيشَها الفريقان حولى

وهى أوفى من أن تعد وتحصى

لو غزا « سنجر » بها الغُز يوماً

لم يَدَع منهمو على الأَرض شخصاً!

وكان العماد يظن أن المعنى هنا لم يُسبق إليه ، ولم يقله قائل ، إلى أن أنشده صديقه القاضى عبد المنعم بن مقبل الواسطى بيتين للشاعر العدل أَبى على بن بختيار الواسطى فى المعنى نفسه ، وهو غناء البق لرقص البراغيث ، كما فى البيت الثانى ، فاعترف له بالسبق !

وتصادفنا فى أَشعار الخريدة بعض النماذج القليلة من شعر الحنين إلى الوطن ، وما أجمل لو كان العماد أطال فيه ، فهو لون من الشعر الصادق النفسىّ المعبر عن واجد المرء الحقيقية ، وليس مجرد نظم أَو رصف كلام . ومن نماذجه هنا ما قاله الشاعر أَبو الفرج الواسطى :

كم ذا الوقوف بنا على الإِبْل

أَورد قلوصى ما أذى الأَثْل

واعدل إلى ذات اليمين بنا

واحطط بربع بريكة رحلى

مغنىً عفت آيات ملعبه

ومحت معالمه يد المحل

أَودعت قلبى فى ربائبه

وعقلت فى عرصاته عقلى

وبكيت حين رأَيت ما صنعت

أَيدى النوى بالربع والشمل

أَكبرته فوطئت تربته

بحشاى ، لا بمناسم الإِبل

وطفقت أَنشد فيه حين خلا

منهم بما يُغرى ولا يُسلى

لا ابيضّ لى فى الدهر بَعدهُم

يوم ، وهل دار بلا أَهل ؟

ولعل أَكثر أَغراض الشعر اختيارا وجمعا فى الخريدة هى أَغراض الغزل والنسيب ، والآداب والأَخلاق ، والوصف واختيار العماد الأَصبهانى للشعر الأَخلاقى الرفيع يعكس لنا صورة من أَخلاقه . فقد كان الرجل كريما ، متواضعا ، ذا مروءة ونجدة . وطالما تمنى أَن يحل مشكلات الشاكين ويجيب مطالبهم قبل أَن يحلَّها الوزير ابنَ هبيرة الذى كان نائبا له . وله فى هذا المواقف المحمودة .

فحين وفد الشاعر «ابن الشريف الجليل» على الوزير ابن هبيرة شاكيا ومتظلما ، وأسمعه قصيدة فيها البيتان الآتيان :

أَجِرْنى على الدهر فيما بقى
بقيت فما قد مضى قد مضى
فلستُ أبالى بسخط الزمان
وأنت ترانى بعين الرضا

اهتز لها كما اهتز الوزير ابن هبيرة ، وودَّ لو أنه له مكنة ، أو أنه يستطيع إجازته أو إجارته .

ومن مختاراته الأخلاقية الزهدية ما أنشدَهُ عن أبى تراب العكبرى » من قوله :

حالى بحمد الله حالٍ جيدُهُ
لكنه من كل حظ عاطلُ
ما قلت للأيام قول معاتب
فالرزق يدفع راحتى ويماطل
إلا وقالت لى مقالة واعظ :
الرزق مقسوم ، وحرصك باطل

ونماذجه فى شعر القناعة والزهد ، والرضا غير قليلة ، وهى تعكس أيضا جملة أخلاقه ، ومنها ما رواه عن الشاعر المعلم أبى الأزهر الضحاك :

ما أنعم الله على عبده
بنعمة أوفى من العافيه
وكل من عوفى فى جسمه
فأنه فى عيشة راضيه
والمال حلو حسن جيد
على الفتى لكنه عاريه
وأسعدُ العالم بالمال من
أداه للآخرة الباقيه
ما أحسن الدنيا ! ولكنها
مع حسنها غادرة فانيه ...

ومن مرويات العماد الأصبهانى فى شعر عزة النفس ، وعدم الرضا بدون ، ما رواه عن الرئيس أبى سعيد بن واثق الأنبارى حيث أنشده لنفسه :

أظما ، وغدران الموارد جمة
حولى وأسغب والمطاعم دونى
وأعاف أدوان الرجال ، فأنه
لا يرتضى بالدون غير الدون
لا الفقر يخفض من تسامى ناظرى
فيغُضُّ منه ، ولاالغنى يطغينى

وكذلك ماروواه من شعر فى الاستغناء عن المخلوق بالخالق من شعر ابن أبى الصقر :

كل رزق ترجوه من مرزوق
يعتريه ضربٌ من التعويق

وأنا قائل – وأستغفر الله
مقـــال المجاز لا التحقيق

لست أرضى من فعل إبليس شيئا
غير ترك السجود للمخلوق !

أما ما رواه من شعر فى صلة ذوى القربى والرفق بهم والإحسان إليهم مهما أساءوا والعفو عنهم إذا أخطأوا فغير قليل القدر ، ومنه ما قاله ناصر الدولة بن حماد فى ابن خال له :

أخى : وابن خالى ! ما الذى كان بيننا
من الأمر حتى صرت تنفر من قربى ؟

ولو أننى يانصرُ رامت جوانحى
إساءة فعل فيك حاربها قلبى

ويدخل فى شعر القرابة والرحم الذى احتوته الخريدة ما دار بين الفقيهة الشاعرة أم على الرشيدة ، وبين ولدها الأديب على العبدى ، وقد كان غائبا فى بعض أسفاره فكتب إلى أمه قصيدة يبثها أشواقه يقول منها :

سيان إن عذروا فيكم وإن عذلوا
لأننى عن هواكم لست أنتقل

لا أكذب الله مالى – غير حبـــكم
والاستزادة من وجد بكم – شغل

وليس فى الناس لى – لو كان ينفعكم
أن تعلموا ذاك منى – غيرَ كم أمل

أشتاقكم وبودى لو يواصلنـــــى
خيالكم ، لو بنوم كنت أكتحل

وقد صحبت أناسا ، واشترطت لكم
قلبى ، ويصحبهم جسمى وقد قبلوا

وربما قلت للواشى إلىَّ بكـــــــــم
همُ الأحبة إن جاروا وإن عدلوا

صِلوا وصُدوا ، وجوروا ، واعدلوا ، وقفوا
عما أحب ، فعندى بعد محتمـــل

مهما فعلتم فمحمولٌ ومغتفر
وما أمرتم فمسموع ، وممتثل

وقد ردَّت عليه أمه بقصيدة تقول فيها :

لولا الأمانىُّ والتسويف والأمل
ما كان يكنُفُنى سهلٌ ولا جبل

وكلما اشتد بى نـــــار تعذبنى
فليس إلا دموع العين تنهمل

وقد تعللت أسبابا لرؤيتكم
فكيف بى وبكم إن فاتت العلل ؟

أهذى بكم حسب ما أحيا ، فإن حضرت
منى الوفاة وأوفى دونى الأجل

ناديت : لا تأخذوا ثأرى بهم هبةً
هم الأحبةُ إن جاروا وإن عدلوا !

ولو أخذنا نعرض شعر الحكم والأخلاق والآداب فى الخريدة لطال بنا المجال فى معرض لا يحتمل الإطالة ، ولكننا ننتقل إلى غرض آخر من الشعر ، وهو الوصف ، وقد وقع للعماد منه نماذج جيدة ، ولعل من أجودها وصف السفينة للشاعر الأمير نجم الدولة بن أبى الجبر واسمه أحمد ابن أبى الفتوح ، وهذا الوصف هو بضعة من قصيدة طويلة بعث بها الشاعر الأمير إلى الحريرى صاحب المقامات ، وفيه يقول :

يأيها الرائح تنحو به
هوجاء تنقضُّ انقضاض العقاب [1]

لم يرأم الفحـــل امَّها فى الفلا
ولا عِراضا لقحت فى الضراب

ولا رعت حمضا ، ولا خلـــة
يوما ، ولم تجتر بُهمى العذاب

ولا اعتقى الحـــالب أغبارها
ولا رأت سقبا لهـــا فى السقـــاب

لا تشتكى الأين إذا ما اشتكت
من الوجى الوجناء ذات الهباب

دهماء لم تلمس لهـــا أشطرا
كلبيةً ، قد عصَّبتها اعتصـــــاب

تنساب والتيـــــار ذو حومة
مثل الحباب الصل ، فوق الحباب

طالت على العود بأعوادهـــــا
والناب ، لكن ما لها قط نــــاب

(١) أى أن هذه السفينة كالناقة السريعة ، ولكنها ليست حيوانا ، ولا رعت النبات الحامض ولا الحلو ولا نبات السهول ، ولا تشكو تعبا إذا ما شكت الناقة النشيطة ، وهى سوداء اللون ، تنساب فوق الماء انسياب الحيات فوق الرمال ، وقد استطالت على النوق المسنة ، ولكن ليس لها ناب كالأبل التى شبهها بها .

والقصيدة كلها مماوءة بالألفاظ الغريبة ولعله راعى مقتضى المقام بأنه أرسل بها ، وخص بنظمها الحريرى المشهور باللغة ووفرة الحصيلة اللغوية التى تدل عليها المقامات .

ويبدو أن الأمير الشاعر نجم الدولة هذا كان مغرما بالشعر الوصفى ، فقد بعث إلى صديق له هدية من الأقلام ، الواسطية ، وبعث معها أبياتا يقول فيها فى صفة الأقلام :

قد بعثنا بهـا رشاقا دِقـاقـا
كالقنا فى لدونة واستـواء

قطعت عندما طلوع سهيـل
إذ وجدنا طيبا لحلو الهـواء

لم تغادَر حتى تجف . ولكن
قطعوها ، فيها بقية مـاء

من قصار ومن طوال تضاهى
فى تمام أصابع العـذراء

تركتْ بعضها كما خلق الله
وبعضا علتـه بالحنـاء

فابرها ، ثمت اسقها النقس[1] واكتب
بسواد منـه على بيضاء

وقد أُتيح لهذا الشاعر الأميريوما أن يرى معركة قادتها قائد اسمه «عفيف» ، وقد خرج عليه بعض الخارجين المتطرفين إلى واسط ، فهزمه وعبر فى الماء وراءه ، فقال الشاعر :

فباتت جيش العدا فى «واسط» وجلا
منه يحاذر بأسا غير مأمون

فانصاع للجانب الشرقى منهزما
من ليث غاب بشدى الحرب ملبون

تصوروا أن عبر النهر يعجزنا
عنهم ، لظن بغير الحق مظنون

هناك قام عفيف بالذى قعدت
عنه الرجال برأى غير موهون

وما همُ بالكماة الغلب قد لبست
من كل زغف دلاص السرد موضون

والخيل فى العبر تتلوهم مبادرة
فى كل فلك كركن الطود مشحون

كأنما قيل : ياريح ! اسكنى بهم
ولا تعرَّض لهم يابرد كانون

(١) النقس بالقاف هو الحبر .

ولم يعدم المجتمع العراقي في العصر الذي عاش فيه العماد الأصبهاني وسجّلَ شعره أن يجد بعض الشعراء العاكفين على الحب ، القائمين في محرابه ، المغنين بألحانه ، كالشاعر الرئيس أبي الفرج الواسطي الذي كان المغنون يتغنون بشعره في ذلك الزمان . وقد سجلت له الخريدة بعض غزله الذي يقول فيه :

ألا ياحمامات تجاوبن بالضحى
كشفتنّ مكنوني ، فأعلنت بالشكوى
إليكن عني ياحمامات ضارج
عدا كنّ أشجاني وما بي من البلوى
ترفقن بي فيما بكنّ من الهوى
كما بي ،لا وجدّ كوجدي بمن أهوى
نقضت لياليها « بليت ، «وعلّنا »
«وسوف» ، وما أجدت عليّ المنى جدوى
فلا اليأس يُسلي لو تعهدت سلوة
ولاالصبر تُلْفَى دونه الغاية القصوى !

وكان لشاعر أبي الغنائم بن المعلم الذي كان له أشعار يحدو بها الحداة ،ويتغنى بها أرباب الغناء في العراق ، كقصيدته في مدح الأمير هندي الكردي ، وقد افتتحها بأرق النسيب ، مما جعلها دائرة على أفواه العاشقين ، وألسنة المحبين ، وفيها يقول :

تنبهي يا عذبات الرند
كم ذا الكرى ؟ هبَّ نسيم نجد!
مر على الروض وجاء سَحَراً
يسحب بُرْدَى أرجَ وبرد
حتى إذا عانقتُ منه نفحة
عاد سموماً ، والغرام يُعدي
واعجبا منّيَ ! أستشفي الصبا
وما تزيد النارُ غير وقد
أعلل القلب ببان رامة
وما يتوب غُصُنٌ عن قدّ
وأسأل الربع ومن لي لو وعى
رجْع الكلام ، أو سخا بردٍّ ؟
أأقتضي النوحَ حماماتِ اللوى؟
هيهات ! ما عند اللوى ما عندي

وبعد ! فهذه جولة مع « خريدةالقصر » العراقية في أغراض شعرها ، وفنون قولها وهي تلك الخزانة الثمينة التي جمعها

أديب شاعر مؤرخ منصف ، وحققها
باحث عراقى شاعر ناثر جميل الخط
هو الأستاذ محمد بهجة الأثرى ، الذى
يستحق أن يقال فيه ما قاله الرئيس
ابن المعلم - من شعراء الخريدة - فى أبى
غانم اللؤلؤى :

فى حلبة الشعر المثقف لو جرى
معه امرؤُ القيس بن حُجْرٍ قصَّرا

أو لو جرى قلم « ابن مقلة » طالبا
فى الخط شأو يراعِهِ لتعثرا . . .

**محمد عبد الغنى حسن**

# شخصيات مجمعية

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١٢ من ذى القعدة سنة ١٣٩٣ هـ ( الموافق ٥ من ديسمبر سنة ١٩٧٣ م ) أقام المجمع بداره بالجيزة حفل استقبال لعضوه الجديد الأستاذ مصطفى مرعى . وفيما يلى ما ألقى فى الحفل :

## كلمة الافتتاح للأستاذ زكى المهندس فى استقبال :

## الأستاذ مصطفى مرعى

سيداتى ، سادتى

إنه ليسر المجمع كل السرور أن يستقبل اليوم زميلا جديدا ، وعلما من أعلام القانون هو الأستاذ مصطفى مرعى ، لقد كان من المفروض أن يستقبل الزميل خلال الدورة المجمعية الماضية ، ولكن لأسباب خارجة عن إرادته وارادتنا تأجل استقباله إلى اليوم ، والمجمع إذ يهنىء الزميل بما نال من ثقة وتقدير ليسعده كل السعادة أن يرى كفاية علمية عظيمة تضاف اليوم إلى كفاياته ، وأن يرى نشاطاً جديداً يلتقى بنشاطه ، فكذلك كان المجمع ومازال وسيظل دائما مثابة للثقافات العالية ، وملتقى للكفايات الممتازة .

والزميل مصطفى مرعى ليس غريباً علينا ، فكلنا مايزال يذكر له تلك المواقف الوطنية العظيمة داخل البرلمان وخارج البرلمان ، وفى الوزارة وخارج الوزارة ؛ ولعله كان أول وزير يسبب استقالته من الوزارة بأسبابها الحقيقية ، فقد ألفنا من الوزراء إذا استقالوا من الوزارة عللوا هذه الاستقالات بتلك العبارة التقليدية المألوفة وهى « لأسباب صحية » ولكن الزميل مصطفى مرعى وضع النقط فوق الحروف ، وعلل استقالته بعدم التعاون مع رئيس الوزراء ، وإذا لم تخن الذاكرة فإنه قد اتهم رئيس الوزراء بالتزوير فى أوراق رسمية ، وهذا موقف شجاع لم يكن لنا عهد به .

ثم يجب ألا يغيب عنكم أيتها السيدات والسادة أن بينى وبين الزميل مصطفى مرعى علاقة وثيقة ، وصلة مؤكدة ؛ ليست هى صلة المجمع ولا العلم ، ولا الزمالة ، ولكنها صلة الطربوشية ؛ فكم تمنيت أن أرى فى المجمع زميلا يشاطرنى تلك العلامة المميزة ، وها قد تحققت أمنيتى ؛ رحم الله أياماً كنت أرى فيها

الطرابيش فى المجمع بقدر عدد الأعضاء ، وبقدر عدد الموظفين ، ولكنى أصبحت فإذا المجمع ليس فيه إلا طربوش واحد يوحد الله.

فلهنأ صديقى الأستاذ مصطفى مرعى بانضمامه إلى الأسرة المجمعية ، ومرحبا به فى مجمع الخالدين :

أما الآن أيتها السيدات والسادة فسيتولى استقبال الزميل الأستاذ الجليل عبد العزيز محمد عضو المجمع ، ويليه الصديق الأديب الأستاذ ثروت أباظة فيلقى كلمة كان المرحوم الأستاذ عزيز أباظة طيّب الله ثراه — قد أعدها لاستقبال زميله وصديقه الأستاذ مصطفى مرعى :

ثم يليهما الزميل الجديد الأستاذ مصطفى مرعى فيقول كلمته عن سلفه المرحوم الدكتور محمد عوض محمد ، فليتفضل الزميل الأستاذ عبد العزيز محمد مشكورا.

## ●●● كلمة الأستاذ عبد العزيز محمد :

السيد الرئيس — أيها السادة :

أشعر بسعادة غامرة إذ أقدم اليوم كبيرا من أساطين رجال القانون ، جال فى جميع ميادين القانون وتسنم القمم فيها جميعا .. من محاماة وقضاء ، وفقه ، حتى إذا بلغ فى ذلك المدى تصدى للشئون العامة فحمل أعباءها ، وكافح فى سبيلها ، وكان له فى ذلك مقام معلوم . . . وبعد ، فهو من صفوة رجال الفكر المعاصرين . . . شخصية لا شك فذة متعددة الجوانب — وسأحاول جاهدا فى هذا المجال المحدود ، أن ألم إلماما سريعا موجزا ببعض هذه الجوانب العديدة وإن كنت أشعر أنه ليس من اليسير أن أقدر ما يجب أن أذكر وما أدع .. فأمامى صفحات جديرة بالنشر كاملة ، ولكن يضيق المجال عن ذكر شىء من التفصيل والإفاضة .

ولد الزميل الفاضل فى ١٨ من يونية سنة ١٩٠٢ بالجزيرة الخضراء مركز فوّه ، وقد تجلت مواهبه مبكرة . . فهو دواما فى مقدمة المبرزين فى الدراسة وذلك فى جميع مراحل التعليم ... وكان هذا هو شأنه حين حصل فى سنة ١٩٢٣ على شهادة الليسانس فى الحقوق ، وقد كان تفوقه يؤهله للالتحاق بالنيابة العامة ، ولكنه آثر مجالا أشق محفوفا بالمخاطر والمصاعب .. مليئا بالعقبات ، وهو مجال المحاماة وقد زاد عليه هذا الطريق وعورة أنه لم يشأ أن يدخل هذا الميدان كما يدخله أى حامل لإجازة المرور بل دخله بآمال كبار دخله على أن يجد له مكانا فى الصدر . . وكان هذا يعد طموحا بعيد المنال ... ذلك أن المحاماة إذ ذاك كانت تزخر بأعلامها الخالدين الذين عاصروا نشأتها الأولى ، وكان لهم

الفضل في رفعة مكانتها — ولكن الزميل اقتحم الطريق بنفس مطمئنة وخطى ثابتة يؤنسه عزم صادق ، وجد صارم ، وعاونته مواهب فذة . فلم تمض سنوات قليلة حتى ذللت الصعاب وأدرك مكانا مرموقا فى مهنته ،

على أن مكانته لم تبلغ شأوها الحق إلا بعد أن زاول المهنة فى القاهرة فى سنة ١٩٣٦ بعد أن استقال من القضاء وعاد إلى مجاله المفضل فأصبح بعد قليل على رأس الصف الأول مع شيوخ المهنة وأعلامها ، ولا غرو فقد أحب المحاماة ، وقدر بسمو رسالتها فوهبها بكل صدق وإخلاص روحه وقلبه ، فخلفت عليه مجدها ، وجازته إحسانا بإحسان ..

وقد كانت مواهبه لا تبارى ، ومثله العليا التى التزمها هى الشعلة التى أضاءت له معالم الطريق .

وإنا لنرى تقديره للمحاماة فيما سطره فى صدر كتابه الذى ألفه ودونى القضاء إذ جعل إهداءه للمحاماة ، واصفا إياها بأنها مهنة الكرامة والكفاح والحرية ، والواقع أن هذه الكلمة تعبر تعبيراً صادقاً عما التزمه هو فى أداء رسالته من مثل تزمت فى الحرص عليها فبلغ ما بلغ ،

ثم تلت بعد ذلك فترة بعد فيها عن المحاماة من سنة ١٩٣٩ حتى سنة ١٩٤٨ ، كان يشغل فيها وظائف مختلفة ، إلى أن عاد للمحاماة سنة ١٩٤٩ ، وظل بها حتى سنة ١٩٥٩ حيث أثقل العمل كاهله ، فقد كان المورد العذب الذى كثر عليه الزحام ، ولم يستطع أن يرد قاصدا يبغى حقا ، وهو القائل : إن المحاماة مروءة ونجدة ، فنال ذلك من صحته ، فاضطر مكرها لاعتزال العمل فى المحاماة ، بعد أن ظل يمارسها نحو ربع قرن من الزمان ، خلف فيها ذكرى لا تزال يتحدث بها زملاؤه فى ندواتهم كلما طاب لهم أن يتحدثوا عن أمجاد المحاماة ، وحملة مشاعلها — كما ترك مثلا لمن يبغى فى المهنة علواً .

على أن اعتزال الزميل العمل فى المحاماة فى سنة ١٩٥٩ لم يكن — وما كان يمكن أن يكون — إلى فراغ ... فقد عكف على هوايته المفضلة وهى الإحاطة بشتى ألوان المعرفة ... يطلع ويدرس ويتحقق ، حتى لقد أضحى موسوعى المعارف .

ولا أنسى محاضرة قيمة ألقاها بعد اعتزاله — عن العلم والفلسفة — أحاط فيها بهذا الموضوع الدقيق إحاطة تنم عن التعمق وسعة الأفق ، وتدل على أن ملقيها هو حقا من صفوة رجال الفكر المعاصرين ..

أما فى القضاء فقد ألقيت إليه أمانة الحكم فى سنة ١٩٣٢ بتعيينه قاضيا بمحكمة الإسكندرية ، وقد عهد إليه رغما عن حداثة عهده بالقضاء بتطبيق نظام قضائى جديد فى المحاكم الوطنية ، وهو نظام القضاء المستعجل ، فقام بالعبء على أكمل وجه . مما أسهم فى نجاح هذا النظام فظل قائما حتى اليوم :

وقد أهله هذا النجاح للتعيين عضوا فى التفتيش القضائى بوزارة العدل ليقدر جهود رجال القضاء ويزن أعمالهم، وذلك رغما عن أنه كان إذ ذاك فى أول درجات القضاء ، وكان هذا التقدير تقديرا عظيما لم يسبق إليه :

ولكن رغما عما صادفه من نجاح فقد غلبه الحنين إلى المحاماة التى وصفها بأنها « مهنة الكرامة والكفاح والحرية » . . فاستقال فى سنة ١٩٣٦، ومارس المحاماة فى القاهرة حتى عين فى سنة ١٩٣٩ فى النيابة العامة محامياً عاماً، وهى وظيفة تلى النائب العام مباشرة، ثم عين بعد ذلك مستشارا بمحكمة الاستئناف. وأخيراً بلغ ذروة المناصب القضائية بتعيينه فى سنة ١٩٤٦ مستشاراً بمحكمة النقض فأتاح له ذلك أن يسهم فى المهمة الجليلة التى تقوم عليها المحكمة ، وهى تجلية غوامض القانون وتقعيد القواعد القانونية ، وتقويم المعوج من الأحكام — وكانت هذه هى آخر رسالة له فى القضاء توج بها مجهوده الكبير .

وفى سنة ١٩٤٧ عين رئيساً لإدارة قضايا الحكومة فنهض بعبئها الجسيم ضارباً المثل لكبار أعضائها ، بأن محامى الحكومة — مهما علا مركزه — مكانه ساحة المحاكم لا مكاتب الإدارة، فكان يترافع بنفسه فى القضايا الهامة مما جعل للإدارة شأناً لم يكن :

وقد أضاف الزميل إلى هذا السجل الحافل فى مجال القانون أثراً جليلا فى فقه القانون المدنى، وذلك بمؤلفه القيم فى « المسئولية المدنية » الذى تناول موضوعاً من أدق مواضيع القانون وأشدها تعقيداً وسد بذلك فراغاً فى المراجع القانونية ، إذ أصبح الكتاب مرجعاً الكل المشتغلين بالقانون حتى لقد أعيد طبعه مراراً.

وبعد مجالا القانون يأتى مجال كفاحه فى سبيل الشئون العامة الذى تصدى له منذ أن ولى الوزارة فى سنة ١٩٤٨ ، ثم وليها فى سنة ١٩٤٩ وكان عضواً بمجلس الشيوخ فى ذلك الحين فجعله ميدان كفاحه، كما إتصل قلمه بالصحافة وقد حوت مضابط مجلس الشيوخ ما كان له من جولات ، كما حوت الصحف العديد من مقالاته — وقد وعى التاريخ كل هذا وطوى هذه الصفحة من بين ماطوى، وهو صاحب القول فيها ، وقد عودنا العدل والإنصاف ولو بعد حين .

هذه المقالة موجزة كل الإيجاز عن هذه الشخصية الكبيرة المعددة الجوانب ، أرجو أن أكون قد وفقت فى إبراز شئ من معالمها .

## ●●● كلمة المرحوم الأستاذ عزيز أباظة * :

أيها الزميل الكريم

هناك فى أحضان الريف اليانع الوارف ، وعلى مقربة من ملتقى البحر المتوسط بالنيل الرافد الخالد ، هناك ولدتَ ونشأت ، وحين شارفت الخامسة خرجت صباح يوم ربما لم تحمده ، خرجت إلى كتاب القرية الوادعة من بيتك الكريم ذى الفناء القصود والورد المورود . وقذف بك كما قذف بنا نحن أهل الريف إلى ذمـة سيدنا فقيه الكتاب . وإلى أيدى رائدنا عريف الكتاب . وتسلمت كما تسلمنا لوحك من الصفيح المصقول أو غير المصقول : وطولعت بهوز قرشت . ورأيت بعينك كما رأينا — الفلقة والعصا ، وما أعظمهما من مؤدبات ، زاجرات أو معاقبات . ثم بدأت بخير مايبدأ به الإنسان حياته ، ذلك هو حفظ قدر كريم قل أو كثر من كتاب الله أنزله هدى للبشر على من أرسله رحمة للبشر : وأغلب الظن أنك حين من الله عليك فأتممت حفظ ثلاثة الأجزاء عم ، وتبارك ، وقد سمع ، زايلت الكتاب بين هالة من فخر الفقيه والعريف ، إلى المدرسة الابتدائية ثم إلى المدرسة الثانوية

وأغلب الظن أنك كنت تلميذا مرموقا أو ولدا نجيبا كما كان يقال فى ذلك العهد ولم لاتكونه فإن النجابة قد تتلامح فى السن الباكرة إرهاصا لغد سعيد ، ومستقبل مشهود :

وتلاقينا فى مدرسة الحقوق . وكانت الثورة الكبرى قد اندلعت فى البلاد عامة ؛ يظاهرها ويؤازرها ويحترق فى أتونها المقدس أهل البلاد أجمع . ثم اختلف زعماء البلاد ، رضى الله عنهم جميعا وأرضاهم . اختلفوا أى التدابير أسرع وأكفل لتحقيق آمال البلاد وصونها . وأيها فى هذه الغاية أحكم وأهدى سبيلا .

وكان طلبة مدرسة الحقوق فى طليعة الطلبة الثائرين المجاهدين . وكانوا جميعا إلا قلة قليلة منهم يؤمنون أصدق الإيمان بزعامة الزعيم الخالد سعد زغلول : تستهويهم ، وتسحرهم كلمته . ولم أكن منهم. وكان مقهى مدرسة الحقوق ندوة للطلبة ، يأتمرون فيه ويتشاورون : وذات صباح كنت جالسا بهذا المقهى ، وعلى قيد خطوتين منى جلس زعماء الطلبة يديرون بينهم الأحاديث. ويتناقلون فى الخطط والتدابير ، وإذا بواحد

* كان المرحوم الأستاذ عزيز أباظة قد أعد هـذه الكلمة ليلقيها فى حفل استقبال صديقه وزميله الأستاذ مصطفى مرعى ، ولكن رحمة الله استأثرت به قبل القـاء كلمته فألقاها الأستاذ ثروت أباظة .

منهم صحت بعد ذلك بينه وبيني الصداقة — رحمه الله يقول ، وهو يشير إلى بإيماءة طرف لم يخفها : احترسوا فإن إلى جوارنا خصما لنا ، ولاجتماعنا غير مأمون العواقب :

ولعل بعض الحاضرين قد وافقوا على هذا الرأى ولكن واحدا منهم اعتورت طلاقة وجهه مسحة من العبوس ، ثم أجال نظرات فى إخوانه جميعا ، ثم بدأ يتحدث فى هدوء وخفوت . تحدث عاتبا ثم لائما ، ثم أخذ يتناول حرية الرأى وحرية التعبير ، وحرية الإنسان فى اختيار الطريق الذى يتلاءم مع نفسيته واقتناعه مدافعا عن ذلك الذى وجهت إليه تلك الإشارة النابية . وحين عورض اندفع فى صوت متهدج يؤيد آراءه ويقول : إن اختلاف الآراء دليل على حيوية الأمة ، وبرهان على محاولات كريمة تنشد الوصول إلى الحق . ولست أذكر ماقاله ذلك الزميل على وجه الدقة ، ولكننى أذكر كلمة كأنما سمعتها منه أمس . قال : فليؤمن كل منا بما آمن به وهذا خير ؛ أما عبادة الأشخاص ، والتسابق على تأليه مايقولون وتقديس مايصنعون ، فإنها علامة إسفاف متهافت يصيب الأمم والشعوب . ثم قام والغضب والأسف فى وجهه ملامح .

أتعرف هذا الشاب أيها الزميل الكريم ، إن لم تكن تعرفه ، فاسمح لى أن أقدمه إليك ، إنه مصطفى مرعى . ومنذ هذا اليوم تآلفنا ، فلم يدخل بيننا والحمد لله شيطان إلى الآن .

ثم قذفت بنا إلى الحياة العامة مدرسة الحقوق سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وألف ، وكنت كعادتك فى أوائل الخريجين. أولئك الأوائل الكرام الذين كان لهم فى خدمة العدالة والقانون فضل ممدود ، وشأن مشهود . ولقد سمعت بأذنى المستشار « كالوينى » يقول لعبقرى القانون والعلم والأدب عبد الحميد بدوى ، وكانا يمتحنان فى فرقتنا فى القانون المدنى : سمعته بعد أن امتحن واحدا منكم يقول : هذه فرقة لم تخرج مدرسة الحقوق فرقة تماثلها منذ أخرجت فرقتكم عام ثمانية وتسعمائة وألف . فقد كان فيها إلى جانبك « محمد أحمد الوكيل » و« عبد المعطى الخيال » و« محمدعلى رشدى » و « محمد أحمد غنيم . » رحمهم الله ، « ومحمود فوزى » و « محمد نجيب أحمد » أطال الله فى حياتها . ولقد سرنا وعزانا نحن الذين جاء ترتيبنا بعدكم بمدى طويل أن تكرم فرقتنا بهذه الشهادة الكريمة من خبير كبير .

ثم اخترت المحاماة أيها الزميل الكريم ، فزاولتها بالإسكندرية . ثم عينت قاضيا بها سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وألف . وأظنك لم تمكث طويلا مكتفيا بعمل القاضى من دراسة إلى حكم ولكنك بعد أخذ ورد مع نفسك ، فى هدأة حينا ، وفى ثورة أحيانا ، انتقضت قاضيا متعباً لأنك ألزمت نفسك بمهمة غير مألوفة لافى وقتها ولافى نوعها : طالبت بإصلاح مراحل القضاء وبتحقيق الأمن مع الكرامة لرجال القضاء . واخترت من

رأيتهم أهلا لمعاونتك ، ولما قضت الظروف على صحبك أن يكفوا عن معاونتك ، نهضت بالعبء وحدك فكتبت التقارير والبيانات يتنافس فيها الإقدام والإحجام ، وبعثت بها لقضاة البلاد جميعا ممهورة باسمك وحدك . ألم أقل لك إنك كنت قاضياً متعباً . ولقد كان جزاء هذا القاضى المتعب بعد أن بلور نظريته ، وضرب ضربته ، أن نقل من الإسكندرية قاضيا لإطسا .

ثم رأس الحكومة عارف لفضلك ، فعينت متخطيا زملاءك والسابقين على زملائك مفتشا فى لجنة المراقبة القضائية ، ثم استقلت عام ستة وثلاثين ، فسعى إليك مكتب محاماة من أكبر مكاتب البلاد وأكثرها عملا فانضممت إليه محاميا ، ثم عينت عام تسعة وثلاثين محاميا عاما ، ثم مستشارا فى محكمة الاستئناف ، ثم مستشارا فى محكمة النقض . ولقد كادت سنك أن تحول بينك وبين هذا المكان الكبير . وبعد أن أمضيت مستشارا بمحكمة النقض عامين ، عينت رئيسا لإدارة قلم قضايا الحكومة لتعود بسمعتها ومكانتها إلى ما كانت عليه أيام عبد الحميد بدوى ، وبقيت بها إلى عام ثمانية وأربعين ، حيث عينت وزيرا فى وزارة ابراهيم عبد الهادى . ثم عينت وزيرا مرة أخرى فى وزارة « حسين سرى » . ثم مر على البلاد من حوادث وأحداث ما دفعك أن تكون وزيرا متعبا كما كنت قاضيا متعبا .

لم تكن وزيرا من الوزراء الذين يشدهم كرسى الوزارة أسفل ، وكثير من هم . ولم تكن من الوزراء الذين هم أشبه الناس بالسكرتيريين ، وأكثر من الكثير من هم بل كنت وزيرا عرف قدر نفسه ، وقدر مسئوليته ، فكنت تقول : لا مجاملة حين يقتضيك ضميرك أن تقول : لا ، وكنت تقول نعم ، حين يقتضيك ضميرك أن تقول : نعم ، غير آبه بملك قائم ، وقصر حاكم ، وتهديد جاثم . ولم تكن وزيرا يكتفى فى كبرى مصالح الدولة بما يعرض عليه . بل كنت وزيرا تقرر ما يجب أن يعرض عليه ، وكنت فى مجلس الوزراء محركاً ، دافعاً عند ثبوت المنهج الصالح ، كما كنت قابضا مانعاً عند تلامح الهدف الواضح . وكنت نورا لمن يريد أن يستنير . وكنت كفيلا لمن يعمل منهم ، فإذا انتحاه اللوم نسب إليك التوجيه والتدبير .

وكنت وزيرا متعباً ، بل ثائراً ، حين ضاقت فى وجهك السبل لإصلاح الفساد الذى استشرى بهذه البلاد ، فى أواخر العهد الملكى تحدثت وناقشت ثم شكوت ثم نفذت . ثم خرجت من النقد إلى لوم عاصف ، وتجريح قاصف . وحين آنست أن الطريق أمام آرائك مسدود ، وأن الوزارة التى أنت عضو فيها تخاذلت عن هدفك المنشود . وتلددت بين أعاصير الوعيد ودفاع الوعود ؛ حين أنست ذلك ألقيت باستقالة لم يعرف تاريخ الاستقالات لها مثيلا . قلت فيها بأسلوبك

الرائع القائم على إخلاص ذى غور عميق ، واقتناع ذى أس وثيق ؛ قلت مخاطباً رئيس الحكومة :

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء :

تحية ، وبعد ، فإنك تعلم كما يعلم غيرك ، أنى إنما اشتركت فى حكومتك على أمل فيك ، أن لك غاية هى جمع الكلمة ، وضم الصفوف ، وأن لك هدفاً ، هو الاستعانة بالقوى المؤتلفة على مواجهة الخطر من مشاكلنا الخارجية والداخلية . وقد تبين لى أنك لا تتغيا هذه الغاية ، ولا تتوسل بوسائلها ؛ بل إنك لتبدو كما لو كنت مسلطاً لتجعل من كل حزب حزبين ، وكل فرقة فرقتين .

وقد رأيتك بنفسى ترى الرأى للحق وتنقضه للباطل ، وتقول الكلمة وتنكرها ، ولم يقع ذلك مرة واحدة فى تافه من الأمر ، بل وقع مرارا وفى الخطير من شئون الدولة .

أما لفظك ، وأما عبارتك ، وأما أسلوبك فى إدارة مناقشات مجلس الوزراء ، فقد أصبح هذا كله ، مضرب الأمثال ؛ وموضع التندر فى كل مكان .

لهذا أحيطك علماً باعتزالى العمل فى الوزارة ؛ والله المسئول أن يدفع عن بلادنا السوء ، وأن يقيها غوائل الفساد .

ثم اتخذت الصحف وسيلة لإعلان رأيك ، وتبيين خططك واشتركت فى تأسيس اللواء الجديد ، فكتبت وكتبت متذرعاً بصدقك ، ملقياً بلألائك على سود الصحف ، التى كان يضربها على البلاد أكبر رأس فى البلاد . وكانت مقالاتك تنقض على رؤوس الحاكمين ، فى نقد ثائر ، ولكنه ساخر . وفى أسلوب يهدى لما هو أكرم وأصلح ؛ ولكنه على قسوته يدمى دون أن يجرح ، ومما أذكره قولك :

« إننا لا نتجر فى السياسة ، ولا نساوم عليها ولا نبيع أقلامنا ولا نؤجرها . إننا لا نخشى فى الحق لومة لائم ، مهما يكن مقامه . ولا غضبة غضوب مهما تكن سطوته . وإننا لنعرف أن الشر راصد للأحرار فى مصر ، فاغرفاه ، يود لو استطاع أن يبتلعهم واحداً بعد الآخر . لكننا نعرف ، مع ذلك ، أن الكلمة الحرة الصريحة الجريئة ، هى ألزم ما يلزم مصر اليوم .

ولقد قال « اللواء » — ولا يزال يقول — كلمات لها هذه السمات ، وفيها هذه الخصائص إن لم تكن قد هزت ضمائر الطغاة ، فإنها من غير شك ، قد قرعت منهم الأسماع ولفتت الأنظار .

ومن يدرى . . . لعل الذى نقوله غدا ، أو بعد غد ، يكون أبعد غورا وأشد وقعاً من كل ما قلناه حتى الآن ، فقد يلزم أن تتضاعف جرعة الدواء ، إذا لم تنحسر موجة الداء ، وأن تزداد قوة المقاومة ، كلما ازدادت قوة الاعتداء . فأدواؤنا تقوى مع الزمن ولا تضعف ، وتتسع دائرتها ولا تضيق ، وتشتد قبضتها ولا تتراخى . وأنها — على

اختلاف أنواعها — لتتساند وتتآخى . . كما يتساند الأشرار فى ظل الشيطان ، حيث يتبادلون النفع ويتعاطون الحرام .

وها هى ذى الديكتاتورية البغيضة الطاغية ، تمكن للحكم الفاسد وتعينه ، وتمده بأسباب البقاء . وها هو ذا الحكم الفاسد بدوره يهش للديكتاتورية الباغية ويبش ، ويتصاغر أمامها ويتقاماً ، وإنه ليذل لها ويخضع ويلين ثم ينحنى .

ومن علٍ ينظر الإنجليز . . بل ينظر العالم كله إلى شعبنا المسكين محصوراً بين هذين الأمرين نظرة استخفاف وازدراء .

هذه هى مصر اليوم ؛ ما أحوجها إلى الكلام الحر الجرىء ، عسى أن يهز ضمائر سادتها فيعودوا إلى الرشد ويثوبوا إلى الصواب ، أو يهز شعور الأمة المغلوبة على أمرها ، فتثور لتسترد حقوقها المغصوبة وسلطانها الضائع :

وإن يوماً يتحقق فيه هذا الأمل ، أو ذاك .. ليكونن لمصر مطلع فجر جديد ".

وداولت أيها الزميل بين مقالاتك فى الصحف ومواقفك فى مجلس الشيوخ ، تلك المواقف التى توجت باستجوابك عن مأساة الأسلحة الفاسدة ، مما أدى بأخرة إلى طردك من مجلس الشيوخ مع تسعة عشر من إخوانك ، فكانت جريمة دستورية طاغية ، هبطت بالعهد إلى الهاوية ، وسهلت على السائلين مهمة إنهائه ، والإجهاز على أشلائه .

أما أنت محامياً ، وعلى الأخص بعد تمام العدة ، واكتمال النضج ، فإشراقة تكاد تنقطع دون وصفها علائق الأقلام ، وقلائد الكلام . فأنت بالعلم الواسع ، والخاطر الحافل ، والذهن الحاضر ، والوميض المقدس تحت السطوح بصائب النظرة ، والأسلوب الحلو المستحكم المحصد والقدرة على الإبلاغ فى غير تحبس ولا توقف ولا تلجلج ولا طول معاناة ومقارفة ، وبالحس السادس تتفطن به إلى مطاوى العيب . . . أنت بكل هذا الذى تحريته ، وبغير هذا مما تركته ، قد بلغت فى المحاماة أعلى مشارف قيمها . ولست أود أن أطيل فى هذا الباب ، حتى لا يقال مأفون يدلل على انهلال النهار فى وضح النهار ؛ ولكن الذى يقع فى ذمتى أن أثبته ، أن هذه البلاد قد كرمت بعدد من أقطاب المحامين وعباقرتهم : فإذا ذكر « أحمد لطفى » و « عبد العزيز فهمى » و « أحمد عبد اللطيف » و « مرقص فهمى » و « وهيب دوس » ، إذا ذكر هؤلاء العماليق ، تخلل جمعهم « مصطفى مرعى » ثابت القدم ، مرفوع الهامة . و دخل فى زمرتهم ، لا دخول الدخيل ، ولكن دخول الزميل المثيل الأصيل .

وأما كتابك . ولا أقول مذكرتك التى قدمتها لمجلس الدولة عام اثنين وخمسين ، فى قضية من قضايا الإحالة على المعاش لها ظروفها العجيبة ، ووطائدها المعيبة ؛ هذه المذكرة ، بل هذا الكتاب ، يرتفع إلى أعلى مشارف إقرار حق الإنسان .

وبيان الحق أو اللاحق فى تصرف الدولة قبله . وذلك داء استشرى فأذل الناس وهدر حقوقهم ، إذ كان وما يزال ينفث سمومه بغير ما ضابط من عدل أو وازع من خاق ، ويتراءى لى أن الفساد وأداة الحكم فى بلادنا هذه الكريمة ، هما توأمان عريقا النسب ، يسلمهما عهد إلى عهد ، وحكم إلى حكم . حتى ليستطاع فى غير تزيد ، أن تذكر أداة الحكم فيذكر تلقائياً معها الفساد ، فيقالا متعاقبين ، الفساد وأداة الحكم ، كما يقال : العُجَر والبُجَر ، والبر والبحر ، وزفتى وميت غمر .

ولقد جلوت هذا الموضوع الخطير فلم تر مزلقاً إلا كشفته ، ولا طغياناً إلا فضحته ، فأرسيت أصوله ، وأصَّلت جباهه وذيوله ، كل ذلك إلى جانب الأسلوب المشرق ، والتعبير المحكم المحصد لقانون الحق وقانون البطش بالحق .

ولقد اجتزأت من مئات مذكراتك ذات الوعى السديد الدقيق ، والعمق البعيد السحيق ، التى كان يتلقفها القضاة والمحامون ، بهذه المذكرة لأنها كانت دراسة فذة لقانونين نعرفهما حق المعرفة : قانون الحق ، وقانون البطش بالحق :

أما كتابك « المسئولية المدنية فى القانون المصرى » ، الذى أصدرته فى يونية من عام ستة وثلاثين . فأول ما يبْده القارئ فيه هو شعورك أنت بالمسئولية ومعناها ، وأبعادها ، وأغوارها . فتقول فى مقدمة الكتاب :

ما أحسب أن مسئولية توازى فى خطرها وجسامتها ، مسئولية المؤلفين على وجه عام ، ومسئولية مؤلف القانون على وجه خاص : من أجل ذلك تهيبتُ المطبعة وترددت فى طريقى إليها .

وقد جاء كتابك أولا من نوعه فى المؤلفات القانونية ، الدائرة حول موضوع واحد لم يسبقه إلا أبواب متفرقة هنا وهناك .

والكتاب على قدم العهد به نوعاً ما ما زال المرجع الرئيسى لهذا الموضوع الضخم المتشابك ، الذى زادته المدنية انتشاراً ، فقضت به دور المحاكم وارتكز عليه القضاة فى أحكامهم .

وسيبقى هذا الكتاب الفريد ، مرجع رجال القانون ، ما دام مقدرا أن توزن بموازينها الحقة هذه الموضوعات . وسيظل القضاة ينظرون إليه كلما عرضوا للخطأ بأنواعه ، وللتقصير فى شتى أشكاله ، ولصلة الإرادة والتمييز والإدراك بالخطأ والتقصير . كما سيظلون ينظرون إليه إذا عرضوا للخطأ تحت ستار الحقوق ، والمسئولية عن الغير تلك التى يحمل عبئها الآباء والمعلمون وأرباب الصناعة ومالكو الحيوان والمبانى ، كما سيظل ينظر إليه كل من تعرض عليه قضايا الحريق وحوادث العمل وما إليها ، وسيظل هذا الكتاب عماداً من أعمدة القانون ، ما بقيت دعاوى التعويض ، وستبقى دعاوى التعويض ما بقى للإنسان حق أو أثر .

أيها الزملاء الأجلاء .

إن فى زميلكم « مصطفى » مزايا سامقة ، قلما تجتمع متكاملة إلا للموهوبين وقليل من هم.

إنه يعرف الكثير ، وإنه ليجهل الكثير .

إنه يعرف دينه كما أنزله الله ، وكما سنّه له محمد بن عبد الله . ويتجافى بعد ذلك عما تفيهق فيه المتفيهقون ، وغرق فى لججه المتحذلقون .

إنه يعرف فى علمه الذى تخصص فيه وهو القانون ، يعرف أصوله وفروعه وحواشيه وذيوله ، وما اتفق فيه عليه المتفقون ، وما اختلف فيه المختلفون ، وله فى كل ذلك رأيه القائم على أثبت الوطائد ، وتخريجه النابع من أسلم الموارد ؛ إنه يعرف من علوم الإنسانية وأدبها وفنها ، أدخلها إلى العقل ، وأقربها إلى النفع ، وأعودها على الكمال الإنسانى بالفائدة ، تسمو أقدارها ، والموعظة تتراقى أخطارها .

إنه يعرف أن الكلام فى موضع الصمت فضول وهذر ، ولا يعرف أن يتصدى لما لا يفى به ، ولا يتسع له ، ويعرف أن السكوت فى موضع الكلام لُكْنَة وحَصَر . إنه يعرف الصداقة والصديق . وإنه يعرف البِرَّ بمَن ، والفضل مِن غير مَن ، كل ذلك فى رفاهة حس ، ووضاءة نفس .

ويعرف أن يستمع وأن يقول ، فإذا قال فلا تزيد ولا تحيف ، وليس إلا الكلمة تنفذ إلى حيث يريد لها أن تنفذ ، طبّاً بها عليما بكل معانيها . وإذا ترافع فتفصيل أصيل ، وتبليغ بليغ ، وترديد ما له من نديد .

إنه يعرف أو يكاد لكل معضل حلوله ، ولكل حق دليله ؛ ولكن الذى لا يعرفه « مصطفى » كثير وكثير .

إنه لا يعرف أن يقول لمبطل آمين ، ولو كلفه ذلك قطع الوتين .

إنه لا يعرف أن يقول إلا إذا تلاحمت فى نفسه أواصر اليقين .

إنه لا يعرف للرجل وجهين ، ولا للحق ميزانين ، ولا للكرامة صورتين ، ولا لقيمة الإنسان معيارين .

وإنه من القلائل الذين لا يعرفون للمال قدراً عند الخدمة العامة ، فهى عنده قيمة وخلق وضمير .

إنه لا يعرف أن يقبل قضية لم يقتنع بها ، فهو يطرد المال الساعى إليه من هذا السبيل ، بل ليخال هذا النوع من الجزاء أفاعى تسعى لا مالا يساق ، وهو لا يعرف أن يحتج بغير الصدق ، جل عنده الكلام أن يكون صنعة ، وتنزه أن يكون تكلفاً ، فهو حين يقول يجمع بين المهابة والحلاوة ، وبين الصدق والأصالة .

ورجل القانون عنده لا بد أن يجمع بين الأدب الرفيع والعلم العميق ، وهو من الذين يؤمنون أن رجلا لا يحسن أن يقول ، لا يحسن أن يكون شيئاً فى أى شئ .

إن المقاييس التى يقاس بها « مصطفى » تتعدد تعدد جوانب النبوغ فيه ، وهيهات لهذه أو تلك وهيهات أن يلم بها حديث مهما يطل هذا الحديث .

أيها الخالدون :

لقد أضفيتم عليه بالغ التقدير والتوقير ، وآيةُ ذلك أنكم لم تقفوه كعادتكم عند بابكم ، وطالما وقفتموني وغيرى دورات ودورات عند بابكم ، ولكنكم عند أول دقة دقها عارفو فضله ، فتحتم له مصاريع محرابكم . وكنتم أعزكم الله عند دعوتنا الجواب صيغ فى بالغ التأهيل وخالص الترحاب .

## ●●● الكلمة التى ارتجلها الأستاذ مصطفى مرعى :

السيد الرئيس

السادة الزملاء

سيداتى ، سادتى

ما تهيبت الكلمة ولا أشفقت منها ، كما تهيبتها وأشفقت منها هذا المكان ، وأنا لست طارئاً ولا دخيلا على صناعة الكلام ، فقد خاطبت المحاكم على اختلاف درجاتها حين كنت محامياً ، خاطبت الطلبة فى حلقات الدرس حين كنت أحاضر فى كلية الحقوق ، خاطبت مجلسى الشيوخ والنواب حين كان لنا برلمان ، وكان لى أن أمثل الحكومة فى المجلسين ؛ هناك فى المحاكم أو فى حلقات الدرس أو فى البرلمان ، كانت الفكرة هى الغاية لا اللغة ولا الألفاظ ، هناك كانت المعانى لا المبانى هى قصد السامع والمتكلم على حد سواء ، هناك كان وضوح الفكرة يغطى أخطاء اللغة ، هناك كانت طلاقة اللسان تحجب عثرات اللسان ؛ هنا الأمر يختلف ، هنا اللغة لا تقل أهمية عن الفكر ، هنا سلامة اللغة هى المقياس الذى يقاس به حسن الكلام ، هنا قلعة الفصحى ومنارة الضاد ، هنا أريد أن أتكلم فلا يسعنى إلا أن أقف خاشعاً أمام أئمة اللغة وأعلام البيان .

وقد سألت نفسى حين علمت أنكم أردتم لى أن أكون معكم فى هذا المحراب ، سألت نفسى هل البقية الباقية منى قادرة على أن تحقق أمل الكرام الذين أحسنوا الظن بى ؟ هل البقية الباقية منى قادرة على أن تحملنى لألحق بركبكم الميمون فأعانى معكم كما تعانون ، وأضطلع بينكم ببعض ما تضطلعون ؟ وقبل أن أصل إلى جواب عن هذا السؤال ، سمعت صوت السبعين يحذر من جهة وينذر من جهة أخرى ، لا لأن السبعين عليها بأس فى ذاتها ، ولكن لأن العشرين الأخيرة منها ، كانت بالنسبة لى فترة تشتت وتمزق وضياع ، كنت مغترباً بالجسد بين الحين والحين ، مغترباً بالروح فى كل الأحيان ، كنت مغترباً بالمعنى الذى أراده أبو حيان التوحيدى حين

قال: « أغرب الغرباء من صار غريباً فى وطنه ، وأبعد البعداء من كان بعيداً فى محل قربه ؛ لأن غاية المطلوب أن يسلو عن الموجود ، وأن يغمض عن المشهود ، وأن يقصى عن المعهود » . كلمات التوحيدى هذه قد تبدو خائفة حذرة مبهمة غامضة ، ولكن الطبع فوق التطبع ، وكان التوحيدى جريئاً بطبعه لم يلبث أن قال :

« يا هذا الغريب من إذا ذكر الحق هجر ، وإذا دعا إلى الحق زجر ، يا رحمتا للغريب ، طال سفره من غير قدوم ، وطال بلاؤه من غير ذنب ، واشتد ضرره من غير تقصير ، وعظم عناؤه من غير جدوى » ؟

والذى لا شك فيه أن التوحيدى نفسه كان مغترباً بالمعنى الذى تصوره عباراته هذه ، والذى لا شك فيه أنه إنما كان يعبر عن آلامه وآلام من كانوا على شاكلته من بنى قومه حين قال ما قال ، ذلك لأن عصره كان عصر طغيان فشا فيه ما يفشو عادة فى عصور الطغيان ، من ظلم وبغى وكذب وكيد ونفاق وضلال :

وهو يقول فى ذلك : « إلى متى نعبد الصنم بعد الصنم ؟ إلى متى نقول بأفواهنا ما ليس فى قلوبنا ؟ إلى متى ندعى الصدق والكذب شعارنا . . . . إلى متى نستظل بشجرة تقلص عنا ظلها ؟ إلى متى نبتلع السموم ونحن نظن أن الشقاء فيها ؟ »

من خلال هذه السطور نستطيع أن نرى التوحيدى وهو يلقى القفاز فى وجه الطغيان ، ونستطيع أن نراه فى الوقت نفسه وهو يضع أوراقه مكشوفة على مائدة المعرفة ليقرأها من شاء متى شاء .

ومن خلال هذه السطور أيضاً نستطيع أن نرى التوحيدى وهو يجول جولة رائدة رائعة فى علم النفس قبل أن يعرف علم النفس ، وفى علم الاجتماع قبل أن يعرف علم الاجتماع ، وفى علم* نفس الجماعات قبل أن يعرف علم نفس الجماعات .

وقد أتاحت له هذه الجولة أن يكشف النقاب عن مرض اجتماعى خطير هو الاغتراب أو الانفصال الذى يفصل المواطن عن وطنه حين يسوء حال هذا الوطن وتضطرب أموره ويجرى الفساد فى أنحائه وتضيع كلمة الحق فيه .

ومضى التوحيدى ومضت بعده قرون ، وجاءت فى عصرنا الحاضر أجيال ساخطة على النظم التى تحكمها ، رافضة لها متمردة عليها . وأخذ علماء الغرب يبحثون فى هذه الظاهرة ليصلوا إلى علتها . فإذا بفريق منهم لا يرى لها علة إلا العلة التى كشفها التوحيدى. ولا يجد لهذه العلة اسما إلا الاسم الذى قال به التوحيدى وهو الاغتراب ، ترجموه إلى الإنجليزية فصار ( alienation ) وإلى الفرنسية فصار ( aliénation ) . ولا أظن أن توافق الخواطر هو الذى أدى إلى هذا اللقاء

بين الشرق والغرب لا على نوع العلة فحسب، بل على نوعها واسمها معاً . وإنما هى بذرة أو حبة مباركة التقطها علماء الغرب فيما التقطوه من التراث العربى ولا عليهم إذا أفادوا منها متى كانوا قد سبقوا غيرهم إلى كشفها والإحاطة بأسرارها .

أخشى أن أكون قد استطردت ، لكن الهدف هو أن أشعركم ببعض ما أعانيه . ولو التزمت الترتيب العاطفى لا الترتيب المنطقى لبدأت حديثى بفجيعتى فى أخى وأخيكم عزيز أباظة . أقول فجيعتى وأنا أعلم أن موت عزيز قد فجع مصر كلها ، بل فجع العالم العربى كله ، وقد لا أبالغ إذا قلت أن موت عزيز حرى أن يفجع كل إنسان بما هو إنسان فى كل مكان .

أقول فجيعتى مع ذلك ، ورغم ذلك ؛ لأن عزيزاً لم يكن زميلا فحسب ، وإنما كان صديقاً عاشت صداقته خمسين سنة عطرة نضرة ، لم تلحق بها شبهة ولا شابتها شائبة وإن أنس

لا أنسى نداءه لى حين كان يلقانى فيقول : « يا صديق العمر » . إنى لأتفجع على « عزيز » ، وإنى لأعلم أنكم تتفجعون معى ، لأن خسارة مجمعنا بفقده خسارة لا تعوض ، فقد تعددت مزاياه ، وتنوعت مواهبه ، كان عالماً وهو أديب ، ناثرا وهو شاعر ، كاتباً وهو خطيب . ولقد اجتمعت له هذه المزايا كلها لا لتختلف ولا لتتنافر ، ولكن لتأتلف وتتراحم ، كما لم تأتلف وكما لم تتراحم لدى أى كاتب آخر :

وإذا كان قد حلق فى سماء الشعر وانتهى فيه إلى القمة ، فاستحق عن جدارة أن يكون أميرا عليه بعد شوقى ، فذلك لأن الشعر عاطفة قبل كل شئ ، وعاطفة « عزيز » هى التى فجرت ينابيع الشعر فى قلبه ، ومن هنا كان شعره المهموس الذى يعبر عن وجدانه الذاتى شعراً لا يجارى . ومن هنا أيضاً كانت الأنات آية من الآيات ؛ وبعد العاطفة يأتى الخيال فيما يقتضيه الشعر . و « عزيز » كان له من حسن التخيل أوفى نصيب ، أما اللفظ الرشيق ، أما التصوير الدقيق ، أما التشبيه البديع ، أما النغم الحلو ، فقل فى ذلك كله فى جانب « عزيز » أكثر مما قيل وأكثر مما يمكن أن يقال فى جانب أى شاعر آخر من شعراء عصره :

السيد الرئيس ، إخوانى :

يقع على نزولا على تقاليدكم أن أستحضر اللغة لتكون معنا بأن أعرض عليكم مسألة من مسائلها . وقد اخترت لهذه الغاية مسألة اللغة والحضارة ، ذلك لأننى رأيت بين المفكرين من يقول إن اللغة مرآة تعكس حضارة عصرها ، وتسير فى ركابها . تابعة لها تسمو بسموها ، وتهبط بهبوطها ، وهذا القول قد يفتح الباب للظن بأن دور اللغة فى بناء الحضارة أدنى إلى السلب منه إلى الإيجاب ، وهو قول تنقضه الحقيقة العلمية ؛ ولكى ندرك هذه الحقيقة يكفينا أن نعرف ماهى

الحضارة ، ثم نعرف مبلغ اعتمادها على الفكر ، وأخيرا نعرف مبلغ اعتماد الفكر على اللغة .

أما الحضارة فهى كما يقول المعجم الوسيط : «مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى والاجتماعى فى الحضر » .

أما اعتمادها على الفكر ، فآيته أن الحضارة لم تخط خطوة واحدة فى تاريخها إلا كانت وراءها فكرة تحركها وتمسك بزمامها . !

وأما اعتماد الفكر على اللغة ، فإن الفكرة تظل حائرة فى ذهن صاحبها ، حتى تجد اللفظ المناسب لها فتستقر وتثبت وتتحدد عندئذ ، وعندئذ فقط يمكن الاحتفاظ بها فى الذاكرة كما يمكن الانتفاع بها فى الفهم والتفاهم .

إذا كان ذلك ، وكان لا بد للحضارة من الفكر ، وكان لا بد للفكر من اللغة ، أقول إذا كان لا بد للحضارة من الفكر ، لأنه هو الذى يحركها ويمسك بزمامها ، ولا بد للفكر من اللغة لأنها هى التى تجسده ، كان مقتضى ذلك ولازمه أن تكون اللغة ركناً من أركان الحضارة ، لا مجرد مرآة تعكسها أو مجرد تابع يسير فى ركابها .

واللغة المقصودة هنا ، هى الفصحى ، والفصحى وحدها دون سواها ، لأن غاية العامية وقصاراها أن تعبر عن حاجات البيت والطريق والسوق ، أما حاجات العلوم والفنون والآداب وما إلى ذلك من وجوه المعرفة ، معرفة الإنسان فليس لها إلا الفصحى ، وحيث تتصارع اللغتان ، والصراع هنا حتم يفرضه قانون تنازع البقاء وحيث يقع هذا الصراع بين اللغتين : الفصحى والعامية ، فإن ما تكسبه الفصحى يكون كسباً للحضارة ، وما تكسبه العامية يكون عبئاً على الحضارة وقيداً يقيد خطاها .

ولما كانت الأمية هى مصدر العامية ، فقد صار محو الأمية علامة من أبرز علامات الحضارة ، ومقياساً من أدق مقاييسها ، وإذا قسنا حضارتنا بهذا المقياس ، فإننا ننتهى مع الأسف الشديد إلى نتيجة تفدح النفس وتقهر القلب ، لأن الأميين عندنا يمثلون ثلاثة أرباع السكان ؛ كانوا كذلك منذ عشرين عاماً ، وهم كذلك الآن ، ولا تسألوا أين أجهزة التعليم ؟ لأن الجواب حاضر ، تقف عاجزة العجز التام عن أن تنال من هذه النسبة منالا .

أما شاهدى على هذه النسبة فهو بحث قيم كتبه الكاتب الأديب « الأستاذ لويس عوض » فى صحيفة « الأهرام » ، فى عددها الصادر فى السادس والعشرين من فبراير سنة واحد وسبعين ، وقد جاء فيه ما يأتى :

« ورثنا عن مصر الملكية نسبة من الأمية قوامها ٧٥ ٪ من مجموع السكان ، وكان يقدر بنحو ٢٠ مليوناً ، ونحن الآن بعد ٢٠ عاماً ورغم ارتفاع ميزانية التعليم إلى نحو مائة وعشرين مليوناً من الجنيهات سنوياً

لا نزال نحافظ على نسبة من الأمية قوامها نحو خمسة وسبعين فى المائة من مجموع السكان » .

قد لا ترضينا هذه الأرقام لأنها لا تساير آمالنا ؛ ولأنها تخدش كرامتنا واعتزازنا بأمتنا ، لكن الأدلة أجمعت على صحتها . فقد عهدت فى كاتبها الأمانة والدقة والشعور بالمسئولية ، وهو إلى ذلك كاتب ملتزم ، وقد نشرتها صحيفة الأهرام وهى ملتزمة أيضاً . والالتزام له مفهومه الذى لا يخفى عليكم . وقد لاذت أجهزة التعليم أمامها بصمت مطلق فلا هى أنكرتها ولا هى نازعت فيها .

وإذا كان ذلك ، وكانت هذه الأرقام صحيحة ، كان لى أن أقرر بناء عليها والأسى يملأ قلبى أننا نعيش فى مجتمع أمى ؛ لأن العبرة فى الأحكام على المجتمعات بالكثرة لا بالقلة : نعم ، نحن نعيش فى مجتمع أمى ، وهذا يعنى أننا نعيش فى مجتمع أطبق عليه الجهل ، وهو يعنى أننا نعيش فى مجتمع يغشاه الظلام فى أوضح ساعات النهار .

ومن هذه الحقيقة المؤلمة نستطيع أن نتبين العلة المسئولة عن سائر العلل التى نشكو منها فى حياتنا كلها :

فالأمية هى المسئولة عن الانفجار السكانى الرهيب الذى يهددنا بأوخم العواقب . وقد ثبت أن متوسط إنجاب الزوجة الأمية فى الريف تسعة أطفال ، بينما متوسط إنجاب الزوجة المتعلمة يتراوح بين أربعة وخمسة أطفال :

والأمية هى المسئولة عن هبوط مستوى الإنتاج ، لأن العامل المتعلم ، زارعاً كان أو صانعاً ينتج أضعاف العامل الأمى . ومن هنا تغيرت النظرة إلى العلم فى العالم كله شرقه وغربه ، فقد أصبح العلم وجهاً من وجوه الاستثمار ، وكان من قبل خدمة من الخدمات :

والأمية هى المسئولة عن هبوط مستوى الثقافة العامة ، لأن مصانعة الكثرة الجاهلة ومجاملتها لا تكون إلا على حساب من أقدار القلة المتعلمة ومواهبها ، وفى هذا تفسير لهجرة العقول التى نراها بالبصر ولا نرى بالبصيرة ما وراءها من أسباب ، ولا ما ينبنى عليها من نتائج :

والأمية هى المسئولة عن شعب لا يفقه ولا يفهم حقوقه السياسية ، فلا عجب إذا لم يشارك حكامه فى تقرير مصيره ؛ ومن باب أولى لا عجب إذا عجز عن أن يحاسب حكامه أو أن يحسن الحكم عليهم .

والأمية هى المسئولة عن أمة تتحول إلى شعب ، وشعب يتحول إلى جماهير ، وجماهير تتحول إلى غوغاء .

إننا نخوض حرباً ضارية ضد عدو شرس عنيد بغيض ، وإن لهذه الحرب علينا أن نقدم لها كل ما فى القلوب من إيمان ، وكل ما فى الصدور من شجاعة ، وكل ما فى اليد من مال ؛ ولكن ذلك كله لا يجوز أن يصرفنا لحظة عن حرب نشنها ضد الجهل والظلام :

سيدى الرئيس ، إخوانى :

يبقى أن أحدثكم عن سلفى ، وأخشى أن أكون قد تحاملت على أوقاتكم ؛ أحدثكم عن سلفى المرحوم الدكتور محمد عوض محمد ، والحق أننى لم أكن قريباً منه حال حياته ، لكننى كنت أسمع عنه وأقرأ له ، وبعد أن استأثرت به رحمة الله ، نظرت فى آثاره ، فإذا أنا أمام سيرة تنبعث منها الأضواء من عدة جهات ، فقد كان ، عليه رحمة الله ، رائدا من رواد المدرسة الوطنية التى سبقت نهضة سعد زغلول ، وكان أسلوب هذه المدرسة فى إيقاظ الوعى الوطنى أن تثير المشاعر ضد الغاصب المحتل ؛ ويبدو أن صاحبنا ، على صغر سنه ، كان نشاطه ملحوظاً فى هذا المضمار ، وبدا خطر هذا النشاط لسلطة الاحتلال بعد أن اندلعت الحرب العالمية الأولى ، فاعتقلته وقذفت به إلى « مالطة » ، حيث قضى أربعة أعوام ، وكانت « مالطة » حينذاك ، محبس كبار الأحرار .

هذا وجه من وجوه الإشعاع فى هذه السيرة العطرة لسلفى « عوض » .

الوجه الثانى : هو العلم ، فقد كان جغرافياً نابه الذكر ، حاضراً فى الجغرافيا ، ووضع فيها كتباً قيمة لفظاً ومعنى ، ولم يقع فيما يقع فيه بعض المتخصصين الذين سمحوا لمادة التخصص أن تستأثر بهم وأن تستنفذهم وأن تصرفهم عن غيرها من مواد المعرفة ، فضاقت آفاقهم ، وصغرت أحجامهم ؛ على النقيض من ذلك كان « عوض » صاحب ثقافة عامة ، غنية ، غزيرة ، متنوعة ؛ فهو مثلا يكتب عن الرق ، والمسافة بعيدة جداً بين الجغرافيا والرق ، وهذه الثقافة الغنية المتنوعة هى التى أتاحت له ، عليه رحمة الله ، أن يكون واحداً ممن وضعوا ميثاق الأمم المتحدة ، وأن يكون واحداً ممن صاغوا بعد أن ناقشوا شرعة حقوق الإنسان . هذه الثقافة الغنية الغزيرة هى التى أتاحت «لعوض» فى خطوة أولى أن يكون عضواً فى المجلس التنفيذى لليونسكو ، وأن يكون بعد ذلك فى خطوة ثانية نائباً لرئيس هذا المجلس ، وأن يكون بعد ذلك فى خطوة ثالثة رئيساً لهذا المجلس نفسه .

الوجه الثالث من وجوه الإشعاع فى هذه السيرة ، هو الأدب بنوعيه ، الخاص والعام ، لأنه كان تارة يقدم الفكرة ، تؤيدها العاطفة ، فيكون أدبه عاما كأدب المؤرخ وأدب الناقد ، وكان تارة يقدم العاطفة تؤيدها الفكرة فيكون أدبه خاصا كأدب الشاعر وأدب القصة . وكان إنتاجه من النوع الأول أكثر كثيرا من إنتاجه فى النوع الثانى ، لأنه كان يميل إلى النقد قصد الإصلاح ، وكان نقده فى الغالب يدور فى مدارين : الاجتماع والسياسة ، وكان يحلو له بين الحين والحين أن يسخر ، ولكن سخريته كانت دائماً تتسم بالحياء ، وتتحدث من وراء حجاب وكان لها من الأسطورة والرمز والحوار ، فضلا عن الكناية والاستعارة والمجاز ما أغناها فى هذا الباب .

هذه سيرة عوض كما تمثلها فى آثاره ، أما سيرته فى المجمع فأنتم أعلم بها منى ، رضى الله عنه وأرضاه :

السيد الرئيس :

كان لك تقديرى وإعجابى قبل أن أراك ، وقد رأيتك فرأيت الحكمة مجتمعة مع القدرة ، والخلق ، وهذه ألوان نادرة قل أن تجتمع فى علم واحد ، وإن الذى بينى وبينك ياسيدى أكثر كثيرا وأعمق جدا من الطربوش ؛ لأن الطربوش رمز فقط ، وهو اليوم يرمز إلى كثير تفهمه أنت وأفهمه أنا ، وأرجو أن يفهمه معنا كثيرون .

أما أنت «ياعبد العزيز» ، ياشيخ القضاة ، فما عهدتك مجاملا قط فى دار القضاء ، ولكنك جاملتنى اليوم من غير شك فى هذه القاعة ، ولا عليك ، فالمجاملة هنا محمولة على معنى الوفاء ، والوفاء وجه من وجوه البر أو وجه من وجوه العدل .

أما أنت « ياثروت » ، فإنى قسيمك فى بلواك ، شريكك فى مصابك ، وإنى أسأل الله أن يهيئ لك ولذويك أسباب العزاء .

وأما أنتم أيها السادة ، فالشكر لكم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٢٠ من شوال سنة ١٣٩٣ هـ ( الموافق ١٤ من نوفمبر سنة ١٩٧٣ م ) أقام المجمع بداره بالجيزة حفل تأبين للمرحوم على الجندى عضو المجمع ، وفيما يلى ما ألقى فى الحفل :

## كلمة الافتتاح للأستاذ زكى المهندس فى تأبين المرحوم :

**الأستاذ على الجندى**

زملائى .

سيداتى وسادتى :

إنه ليعز على المجمع أن يجتمع اليوم لتأبين زميل كريم ، وأستاذ فاضل ، وشاعر لامع هو المغفور له ، على الجندى :

لقد كانت وفاته الفجائية صدمة هزت أعصابنا وتركت فى نفوسنا أشد الحزن وأعمق الأسى : لقد كان الفقيد قبل وفاته بيومين اثنين بيننا سليما موفور الصحة لم يبد عليه أقل أثر للضعف ، بل لقد كان ليلة وفاته يتحدث إلى الزميل الأستاذ عباس حسن حديثا فيه دعابة وفيه مرح ، وقد اعتزما أن يلتقيا فى صبيحة تلك الليلة لقضاء بعض الشئون ، ولكن مالبث زميلنا الأستاذ عباس أن روع — كما روعنا — بوفاته فى الصباح الباكر .

ويبدو أننا فى غمرة الحزن والأسى ننسى أنه ليس للموت مواعيد ، وليس للأجل مواقيت ، فكم من رجل يخرج من بيته سليما معافى ثم يدركه الموت فلايعود إلى داره إلا محمولا ، وكم من رجل يمسى وفى صدره آمال كبار ، ثم يصبح فإذا هو خبر من الأخبار . هذه إرادة الله الذى لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه :

ويبدو أن هذه الوفيات الفجائية قد أصبحت من سمات هذا العصر الحضارى الذى نعيش فيه ، فقد اشتد ضغط الحياة ، وتنوعت تكاليفها ، وازدادت سرعتها ، وأصبح الإنسان يطمح إلى تحقيق أهداف بعيدة لاتقوى صحته على احتمالها ، ومن أجل هذا كثرت الذبحات الصدرية ، والنوبات القلبية ،

والانهيارات العصبية ، والضغط العالى والواطى وما إليها من الحالات التى لم يكن لأجدادنا عهد بها .

هذه أيها السادة هى ضريبة الحضارة ، ويجب أن نتقبلها راضين أو كارهين.

ومع هذا فإننا نؤمن إيمانا راسخا عميقا بأن كل حى إلى فناء، وأن كل نفس ذائقة الموت وأن لكل إنسان أجلا محتوما وقدرا مقدورا « فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون » صدق الله العظيم .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه عما قدم للأدب واللغة بخير مايجزى به عباده المخلصين العاملين .

## ●●● كلمة الأستاذ عباس حسن :

بسم الله نبتدئ ، وبحوله نستعين، وبحمده نلهج فى السراء والضراء ، وبحكمته البالغة نؤمن فى كل ما تجرى به المقادير ، ولأنبيائه ورسله أكمل الصلاة وأزكى الدعاء وأصدق الإكبار والتقديس ، ولمن اهتدى بهديهم وترسم خطاهم أصدق مراسم الود وأخلد آيات التقدير . ترددها الألسنة فى حياتهم ، وتجددها الذكريات البارة الخالدة بعد مماتهم ويظل تاريخهم منارا يستضىء به السائرون فى ظلمات الحياة، وهدًى يسترشد به الضالون فى متاهاتها . وها نحن أولاء نتلاقى اليوم لنتذاكر ونردد مآثر علم من أعلام الهداية ودعامة من دعائم النفع الأصفى والخير الأعم هو الأستاذ: « على الجندى » أثابه الله على ماقدم ، وأفاض عليه من رحمته ورضوانه ما يفيضه على المصطفين الأخيار من أهل جنته ودار خلوده . فما أجدر فقيدنا أن يكون فى زمرة من أنعم الله عليهم بالرضا وسلكهم فى مسالك الصديقين والشهداء والصالحين .

وما عسى أن أقول فى وصف فقيدنا من صادق القول وخالص الحق بعد أن فقدت الألفاظ فى عصرنا — بل قبل حاضرنا — صحيح الدلالة ، ودقيق المعنى ، وخصيصة التحديد، وانطلقت الألسنة تردد فى الثناء على من يستحق ومن لايستحق عبارات أيسرها : أنه علامة زمانه ، وفريد عصره وأوانه ، وأنه أشجع الأبطال ، وأذكى الرجال وأعلم العلماء وأبرع الكتاب وأشعر الشعراء وماشئت من صيغ التفضيل وأفاعله فى غير حذر ، ولاتحفظ ولاتحرز، حتى أخذ عليهم هذا بعض القدامى فسجل أن المديح المردد قد استفاض حتى انتهى إلى ابتذال اللفظ وموت المعنى ونفور النفس كما سجله شاعرهم الذى يقول :

هل غادر الشعراء من متردم ؟

فما عسى أن أقول اليوم فى موقف التأبين ؟ وما عسى أن أصنع ؟

لامناص من الترديد ، ولى فيه شافع بل دافع ؛ ذلك أنى أعرض مآثر فقيدنا على من يعلم حقيقتها ويقطع بصدق القول فيها لاتشوبها شائبة ادعاء ، ولايدانيها من قرب أو بعد زيف أوتضليل، فماذا عن فقيدنا الراحل أسبغ الله عليه رحمته ورضاه ؟

لقد زاملته فى عهد الطلب ،وصاحبته بعد التخرج سنوات التدريس فى التعليم ، ثم فى كلية دار العلوم . وتلاقينا بعد ذلك عضوين فى مجمعكم الموقر وقضيت فى هذه الملازمة والمصاحبة نصف قرن أو يزيد . وقل أن تتهيأ هذه المرافقة لكثير من الناس. وأشهد أنى بعد طول المصاحبة فى ميادينها المختلفة ومسالكها أو مزالقها الوعرة الخطيرة لم أر منه إلا مايسر الصديق ، ويرضى الخلق الأسمى ، ويكبت الماجن ، ويحمل الحاقد قهرا على محبته وإكباره . عرفته سمح الطبع مأمون البادرة بل يُظلم أحيانا فيغتفر ، حلو الفكاهة ، حاضر البديهة وقّاد القريحة يزينه فى شبابه شيب جميل على وجه أجمل ، وعقل أكمل . ورأيته فى عهد الطلب مجليا سباقا قلما تخلى عن مكان الصدارة ، يزينه أدب جم ، وحياء محبب ومنافسة فى كرائم الأمور ، وترفع عن صغائرها . يتوج هـــذا كله حرص على الدين ، واستمساك بأحكامه ، وانقياد كامل لكل مايقضى به فى غير تزمت مقيت ولا تحلل بغيض .

وزاملته مدرسا فى معاهد التعليم العام فإذا اسمه يتردد فى مقدمة الأفذاذ مادة وصناعة وتأليفا وأمانة رواية . لم تتخل عنه مزاياه الخلقية ، ولم يتخل عن الحرص عليها ، والاستمساك بها . وهو إلى ذلك كله جم التواضع سمح الطبع لم يتحدث يوما عن نفسه ولم يردد على لسانه لفظة « أنا » ولم يجبه متحدثا بما يسوء ولم يرد عليه بعض ماقال .

وتراه يصغى للحديث بسمعه وبقلبه ، ولعله أدرى به ، ولا تراه إلا باسم الثغر ، متهلل الوجه ، إن فاخرك لم يغضبك ، وإن مازحك لم يجرحك .

وإذا رأيت شقيقه وصديقه
لم تدر أيهما من الأرحام

ينطبق عليه ماقاله بعض السابقين فى صديق له وقد سئل لم تحبه ؟ فقال : إنه الصديق الذى لايضجرك محضره ، ولايسوءك كلامه ولايستخرج ماعندك بالملق والمداهنة ، ولا يدنس لسانه بغيبة ، ولا يمشى بين الأخلاء بالسعاية ولايتوانى فى المجاهرة بالحق ولو صدم به الجبابرة العتاة ، ديدنه : قول القائل :

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

وفى تلك الحقبة التى قضاها فى مدارس التعليم العام أمد المعلمين والمتعلمين بمؤلفات مدرسية متعددة نهضت بالتعليم والدراسة ، وأعانت المعلمين والمتعلمين ورددت ألسنتهم بعظيم مزاياها وجليل آثارها .

حتى إذا انتهى به المطاف إلى كلية دار العلوم ووكل إليه تدريس البلاغة والنصوص تهلل وابتهج ، إذ وجد الميدان الأرحب الذى يناسب مواهبه وذخائره ويتسع لطرائقه وتجاربه فى التدريس وفى التأليف . وفى سنواته القليلة خرج علينا بعدة كتب فى البلاغة كانت طرازا جديدا فى مجالها ، وذخائر نفيسة فى نواح بلاغية وأدبية؛ ذلك أنه اختط فى تأليفها طريقا جديدا ، وأحكم الخطة فيها أيما إحكام ؛ فكانت صورا ممتازة من الضوابط البلاغية القاعدية ، تساوقها الأمثلة من الأدب الرفيع ، فقارئها ودارسها ينتهى بها أو تنتهى به إلى تحقيق غرضين جليلين : هما الضوابط القاعدية ، والروائع الأدبية . ولعل الموقف يقتضينى أن أذكر بعض الأمثلة من ذلك الفيض الهتون الذى تموج به كتبه ، ومنها كتاب فى جزأين خصها بفن الأسجاع وحده ، فمن أمثلة الجناس قول الفرزدق فى زين العابدين :

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطاهر العلم

ومن أمثلته للجناس المسجوع ، وما أثقل هذا النوع ، قول بعض الوزراء لأحد عماله : كثر شاكوك ، وقل شاكروك ، فإما اعتدلت وإما اعتزلت » . وما كتبه آخر : تَرفق تُوَفق . وما كتبه ثالث : « للمحسن ما يُقنعه وللمسىء من النكال ما يقمعه » . ومن أمثلته للتشبيه وقد كان من أمثلته فى عصرنا « زيد كالأسد » و « كأنما الوجه قمر » ، فجاء فقيدنا فعرض عشرات جديدة محببة منها فى التشبيه المركب :

يهيجنى الحمام إذا تغنى
كما سجع النوائح بالمراثى

ومن الأمثلة القديمة للكناية فى عهدنا السالف « زيد كثير الرماد ، طويل النجاد » فاستبدل بها عشرات طريفة منها ومن التورية كقوله :

وتنبهت ذات الجناح بسُحرة
بالواديين فنبهت أشواقى
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن
يعقوبَ والألحان عن إسحاق

وعلى هذا النمط سرى فى اختيار أمثلته المختلفة فى أبوابها المتعددة وقواعدها المتنوعة . وبودى لو يتسع المجال ولكنه وا أسفاه لا يتسع هنا لاستعراض كثير من طرائف الأمثلة ونواحى التجديد لنتبين أن كتبه بحق زاد فى القواعد البلاغية فريد ، وزاد لغوى ميسر وذخيرة أدبية غالية .

وحسبى أن أكتفى من هذه الكتب البلاغية بذكر ما رأيته منها وهو : (١) البلاغة الغنية (٢) فن الأسجاع فى جزأين (٣) فن التشبيه فى ثلاثة أجزاء (٤) فن الجناس .

تلك كلمة عن فقيدنا العالم ، أما عن فقيدنا الأديب فأوجز ما يقال فيه أنه إحدى الأعاجيب حفظاً واستظهاراً وشاعرية ، فمحفوظه لا يكاد يحد أو يعد إلا بآلاف الأسطر والأبيات ، وهل أدل على ذلك من أن تذكر أمامه أمراً فما تكاد تنتهى منه حتى ينقل إلى سمعك ما قاله الأدباء قديمهم وحديثهم

– فيه شعراً أو نثراً ، حتى لتكاد تتوهم أن الذخائر التي يحفظها رهن يمينه ووديعة راحته أو على أطراف أنامله ، يعرضها حين يشاء ويدعوها حين يريد فهي أسرع ما تلبي النداء في غير توان ولا إمهال ، وتلك خصيصة بارزة من خصائصه يعرفها أصحابه ورفاقه :

وأما شعره فسل عنه دواوينه الأربعة بقصائدها التي تفيض بالروائع والبدائع وتضرب في مناحي الحياة المختلفة حضرها وريفها ، مصنوعها ومطبوعها ، وهي في كل ضروبها ضروب من الفن الأمثل والنسق الأعلى ، وحسبك من عيون قصائده – وكلها عيون – قصيدته في وصف الإسكندرية وقصيدته في العزة ، وقصيدته في اليتيم ، وكان بودي أن أعرض الساعة لخصائصه الفنية ، وأتناول أدبه بالدرس والنقد والتحليل ، ولكن المجال لا يتسع لهذا هنا ، وأكتفي بعرض نماذج قليلة قد تكون رمزا لغيرها :

## من قصيدة : بين أعمى البصر وأعمى البصيرة * ! !

صدقتَ أنا الأعمى! وإن كان لي نظرْ
يكاد يرى المخبوءَ في باطن الحجرْ
وأنت بصير تلحظ الشيء واضحاً
بعين قَطاميٍّ وإن خانك البصر
وليس العمى أن تفقد العين نورها
ولكنه نور العقول إذا استتر
وكائنْ نرى أعمى من الناس بيننا
ومقلتهُ لاتشتكي الطولَ والقِصر

## من قصيدة : صورة تذكر بخالقها ! !

## ( الجمال الصريح ما استنطق الأفواه بالتسبيح )

ليت شعري ! مارابني من جمال
هو لله حجةٌ بيضاءُ ؟ !
ذكّرينا « ياجُمْل » بالله ، فالله
جمـــالٌ هامتْ به الأصفياء
رُبَّ حُسنٍ هدى إلى خالق الحسن
حيارىَ لم يهدهم أنبياء
وارجعينا إلى الحيـاة ! فقد مُتْنا
وإن ظُـنَّ أننـا أحيـاء
ودعاء باسم الملاحـــة يُزْجِي
تتلقّـــاه بالقبـــــول السماء

* * *

(*) كان يسير في النهار المبصر شارد الفكر ، فصدم إنسانا كفيف البصر : فقال له الرجل – وهو يضحك : هل أنت أعمى ؟ !
فأطربته هذه اللفتة ! فأقبل عليه مصافحاً معتذرا ! ورأى زيادة في مجاملته أن يهدي إليه هذه الكلمة .

أي عليّ . . . :

عليك تحيـــــة الرحمن تترى
برحمـــات غواد رائحــــــات

فعزاء للمجمع فى نابغ من أعز رجالاته ، وأظهر أعضائه ، وعزاء للأسرة فى زعيمها الأوفى وكبيرها المرجّى، وعزاء للغة والأدب والأدباء فى أوضح أعلامها .

أي عليّ . . . سنذكرك ماحيينا :

فقـد ثبتت فى القلـب منك محبة
كما ثبتت فى الراحتين الأصابع

نم فى جنة الخلد راضيا مرضيا ، وانعم بجزاء ماقدمت يداك ، واسعد بما وعد الله به عباده الصادقين المخلصين ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا ، إن الله عنده أجر عظيم .

## ●●● قصيدة للأستاذ محمد عبد الغني حسن :

### مات الأديب الشاعر الراوية (*)

فى كل عين دمعةٌ جاريه
وكـل نفس حسرةٌ باقيـه

حين تنادّى الجمع مابينهـم
مات الأديب ، الشاعر ، الراويه

مات ! فيا حزنى على واحد
فقـدْتُ فيـه كـلّ أحبابيّـه

فقـدتُ فيـه ماضيـا مدبرا
« والـدارَ » ، و المجلسَ والعـافيه

فى كل عين نبـأ مفـزع
عـن أنفُس ذاهبـة ماضيـه

نكـاد لا ننفُضُ عن راحـل
غبـارَهُ حـتى نـرى تاليـه

نشيِّـعُ المـوتى ، ولا نرعوى
كأننـا فى سكـرة لاهيـه

تدفعُنا الأرحـامُ فى لحظة
ويحتـوينا القـبرُ فى ثانيـه

ونحـن مابين بدايـاتنـا
ومنتهانـا صـورٌ فانيـه

* * *

(*) تفضل الأستاذ محمد شوقى أمين بإلقائها فى حفل التأبين الذى أقيم بدار المجمع فى صباح الأربعاء ١٤ من نوفمبر سنة ١٩٧٣

مات الذى كانت رواياته
ذات أسانيدَ لها عاليه

تراه من كثرةٍ محفوظه
يدهش بالحافظة الواعيه

تعيد ماقد قرأت سابقا
لاضحلةً الغور ، ولا ناسيه

والنائيات الذكر إن يدعُها
تصبحْ لديه سهلة دانيه

يظل يَرْوى . . . لا الوفاض انتهى
منه . ولاجعبته خاليه

أما الدراسات فكانت له
فيها البحوثُ الحرةُ الضافيه

فى « السجع » ؛ فى « التشبيه» آثارُه
ليست على طلابها خافيه

كم وَرَدوا من نبعها صافيا
من البيان العذب أو صافيه

أضفَى على المتنِ بها رقةً
وأسبغ الحُسن على الحاشيه ..

فلا ترى فيهن من منطق
جافٍ ، ولا من لفظة جاسيه

حتى « الشذا المؤنس » من ورده
مازال كالنرجس فى الآنيه ...

فى « المجلس الأعلى » خُطانا به
رائحةٌ للشعر ، أو غاديه

وفى لجان الشعر كم جلجلتْ
منه ومنا ثورةٌ حاميه

يفترق الرأى : : : ولكننا
لم نفترقْ فى الحب من ناحيه

يهدرُ باللفظ : : : ولكنه
لَمْ يَرْمِ يوماً لفظة نابيه

فى منطق عفٍّ وفى غضبة
تعودُ من لحظتها راضية :::

إذا غضبنا فلأمجادنا
وديننا ، واللغة الراقيه

وفى سبيل الله ثوراتنا
والحضرِ المحبوبِ ، والباديه

* * *

و « مهرجان الشعر » كم ذُوّبتْ
أنفاسُه فيه ، وأنفاسيه !

يبثُّنى — مستعبرا — ما به
أبثُّه — مسترحماً — ما بيه

نأسَى على الشّعر الذى لم يعد
فيه رُواءُ الأعصر الخاليه

فلم يعدْ كأسٌ ولا شاربٌ
ولم يعدْ ساق ، ولا ساقيه !

ولم يعد هذا المذاقُ الذى
يلتذُّ طعم اللفظة الحاليه

ولم يَعُد تُغْرَى شفاهٌ به
ولم تعد أفئدةٌ صاغيه !

ولم تعد حتى الخِلالُ التى
قد سنَّها الشعرُ لنا هاديه ..

كنا البقايا فيه من حفنة
لكل أمجاد لنا راعيه

لم نقْبل التجديـــــد إلا على
آثار أعراقٍ لنا صافيـــه
ولم نـــزل فى ظـــلّ أجدادنا
نعيشُ فى نعمى ، وفى فيـــه !

* * *

ياجمعـــا للخُلد ! مابالـــه
قـــد دهمته زعزعٌ عاتيـــة ؟
فى كـــلّ يوم علَمٌ ينطـــوى
فى كـــل حـــين قمة هاويـــه
وللـــردى عينٌ . . . ولكنها
على الـــذُّرَا مفتوحـــة صاحيه
من ذا أعـــدَّ اليوم منْ عقدكم
وكـــــه حبّاتُـــه غاليه ؟
أليمـــة أن الردى غالـــه
وبعـــثرته ريحـــه الذاريـــه

إن كان هـــذا الموتُ قد راعكم
بضربـــــة من كفـــه راميـــه
ففيكم اليـــومَ عزاءٌ لنـــا
يا حَجَـــرَ الإخلاص فى الزاويه
ويا أعـــزَّ الناس فى المنتـــدى
ويا جمالَ الحـــرف فى القافيه !

* * *

يا عَمَـــد الفُصحى وأساسهـــا
ويا ضياءَ الليلـــة الداجيـــه
ويا تجـــاريبَ زمانٍ مـــضى !
ويا تجـــلىّ ســاعة آتيـــه!
لا خـــير إن فلّ الردى جمعـــكم
وأدركتـــكم سنّةٌ جاريـــه
كفاكمو خُلـــداً هنـــا أنكم
تمضُون . . والفصحى بكم باقية . .

## كلمة الأسرة للأستاذ محمد الفاتح الجندى (( نجل الفقيد ))

الأستاذ الجليل رئيس مجمع اللغة العربية بالنيابة

السادة الأجلاء أعضاء المجمع

سيداتى وسادتى :

لقد كان تكريمكم لا تأبينكم اليوم لعميد أسرتنا زميلكم المرحوم الأستاذ على الجندى خير شاهد على جليل وفائكم ، وأقوى دليل على نبيل مشاعركم وفيض أحاسيسكم التى عبر عنها زميلا الفقيد : العالم اللغوى الأستاذ الكبير عباس حسن ، والأستاذ الشاعر المطبوع محمد عبد الغنى حسن ؛ وذلك التكريم العلمى من قادة اللغة وسدنة الفكر فى البلاد العربية هو خير ما يواسى الأسرة ويخفف عنها مصابها الفادح ، وسيظل فقيدنا خالداً بسجاياه وسيرته وبآثاره الأدبية والعلمية التى تحدث عنها الأستاذان الفاضلان .

مامات من حاز الثرى آثاره
واستولت الدنيـــا على آدابـــه

وسيبقى فقيدنا حياً بهذا التكريم من رجال يعرفون الفضل لذويه ، ولا غرو فى ذلك ،

فأنتم صفوة رجال الفكر وقادة الرأى وأساتذة الجيل وحماة تراثنا العربى ، والمدافعون عن حياض اللغة العربية وآدابها وعلومها . . .

واسمحوا لى أيها السادة أن أبيح لنفسى فى هذه المناسبة أن أنقل إليكم أن أعز أمنية للفقيد الراحل وهى أمنية سجلها التلفزيون العربى قبل رحيله بأيام معدودات ، كانت هى الابتهال إلى الله سبحانه وتعالى بأن يوحد الله سياسة العرب وزعمائهم وأن يكتب النصر للأمة العربية على عدوها الصهيونى الشرس فى معركة الشرف والمصير وأن يمد فى حياته حتى يشهد يوم النصر .

ولعل فى بشائر النصر التى بدت فى العالم العربى فى هذه الأيام ماتقرّ به روحه وتسعد بها فى عالمها العلوى مع الصديقين والشهداء ، وهو ماتنبأ به الفقيد منذ عدة سنوات وعبر عنه فى هذه الأبيات :

أقسمت بالله الذى
فوق البرايا قد قهر
بالشمس بالقمر المنير
وبالصباح إذا سفر
بالذكر بالإنجيل بال
كتب المقدسة الأُخر
بالبيت بيت الله حج
له الموحد واعتمر
أنا سنقذف باليهو
د إلى غيابات الحفر
بالجيش كالسيل الدفا
ق وكالخضم إذا اعتكر
ونعود للفردوس يحدونا
ويقدمنا الظفر
ويقال : حزب الله من
حزب الضلالة قد ثأر
ويقال : صهيون تلاشى
وابن ديان اندحر
ويقال : جيش العرب
فى حرب المصير قد انتصر

كما كان والدى ، رحمة الله عليه ، يأمل أن يرى بحوثه وآثاره المخطوطة التى انتهى من إعدادها فى أيامه الأخيرة متداولة بين الناس ، وإنى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا ويعيننا على نشر تراثه الفكرى وإنتاجه الأدبى حتى ينتفع به الناطقون بالضاد فى العالم العربى والإسلامى .

وبعد :

فإننى باسم جميع أفراد أسرة الفقيد أتقدم إلى السادة الأساتذة ، رئيس المجمع بالنيابة وأعضائه وجميع السادة الحاضرين بأسمى آيات الشكر والتقدير على ما حبوْا به عميد أسرتنا من تكريم – نسأل المولى جلّ شأنه أن يثيبكم عنه وأن يجزيكم بما أنتم أهل له .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الاربعاء ٢٧ من شوال سنة ١٣٩٣ هـ ( الموافق ٢١ من نوفمبر سنة ١٩٧٣ م ) اقام المجمع فى داره بالجيزة حفل تأبين للمرحوم الأستاذ عزيز اباظة عضو المجمع ، وفيما يلى ما القى فى الحفل :

## كلمة الدكتور أحمد الحوفى فى تأبين المرحوم :

# الأستاذ عزيز أباظة

سيادة الرئيس ،

سيداتى وسادتى :

عزيز علىّ أن أقف هذا الموقف لأؤبن عضوا بارزا من أعضاء مجمع اللغة العربية شارك جادا مخلصا فى أعمال المجمع أربعة عشر عاما ، كان فيها أثيرا عند زملائه جميعا ، أحبوه لفنه ، وقدروه لعلمه ، وأعزوه لدماثة خلقه .

وعزيز على أن أرثى شاعرا كبيراً من شعراء العروبة أثرى الأدب العربى بشعره وبمسرحياته ، ووقف صبورا جلدا مظفرا فى صد تيار العامية عن الشعر وعن الأدب كله .

لكن الأسى لايرد قضاء ، ولايعيد فقيداً ، فليكن عزيز أباظة حياً بيننا بآثاره ، وإنها لجديرة بأن تحيا وتبقى كما حييت وبقيت آثار البلغاء منذ العصر الجاهلى إلى اليوم .

وبحسبى فى هذا المقام أن أعرّف به وبشعره فى غير تفصيل وفى غير إجمال :

### ١ — حياته

ولد الفقيد فى ١٣ من أغسطس سنة ١٨٩٨ بقرية ( الربعماية ) مركز ( منيا القمح ) بمحافظة الشرقية ، وتعلم بالمدرسة الناصرية الابتدائية بالقاهرة ، ثم بالمدرسة التوفيقية والسعيدية الثانويتين بالقاهرة ، ونال شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩١٨ ، فالتحق بمدرسة الحقوق ، وتخرج فيها سنة ١٩٢٣ واحترف بالمحاماة ، ثم عين عضوا بالنيابة ، ثم عضوا فى مجلس النواب .

وفى سنة ١٩٣٣ عين مديرا لتحقيق الشخصية بوزارة الداخلية ، ثم وكيلا لمديرية البحيرة سنة ١٩٣٥ فوكيلا لمديرية الجيزة :

وفى سنة ١٩٣٩ عين مديرا للقليوبية فالفيوم فالمنيا ، ثم محافظاً وحاكما عسكريا لمنطقة القناة سنة ١٩٤١ ، ثم مديرا للبحيرة ثم أسيوط :

وفى سنة ١٩٤٧ اختير عضواً بمجلس الشيوخ، وعمل بعد ذلك فى الميدان الاقتصادى :

وفى سنة ١٩٥٩ اختير عضواً بمجمع اللغة العربية ، وكان فى الوقت نفسه عضواً بالمجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ، وعضواً مراسلا بالمجمع العلمى العراقى :

وقد شارك فى ثلاث لجان بالمجمع اللغوى هى لجنة القانون والاقتصاد ، ولجنة ألفاظ الحضارة ولجنة الأدب :

وقد منحته الدولة الجائزة التقديرية سنة ١٩٦٥، وجاء فى تقرير لجنة الجائزة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية :

أن الأستاذ عزيز أباظة يمتاز فى إنتاجه الأدبى بما وفق إليه من الإبداع الفنى فى شعره الغنائى والمسرحى .

وكانت وفاته فى العاشر من يوليو سنة ١٩٧٣ م :

## ٢ — مؤلفاته

(أولا) فى مجال الشعر :

١ — أنات حائرة ، ديوان كله فى رثاء زوجته .

٢ — قيس ولبنى

٣ — العباسة

٤ — الناصر

٥ — شجرة الدر

٦ — غروب الأندلس

٧ — شهريار

٨ — أوراق الخريف

٩ — قافلة النور

١٠ — قيصر

وهذه كلها مسرحيات شعرية

(ثانيا) البحوث والكلمات والقصائد المتصلة بالمجمع اللغوى :

١ — كلمة عن سلفه أنوليتمان ألقاها فى احفل ستقباله بالمجمع . ( دورة ٢٦ جزء ١١ للمجلس، المجلة العدد ١٤ ) .

٢ — المسرح الشعرى ، بحث ألقاه بالمجمع . ( د ٢٧ ج ٧ للمؤتمر — البحوث والمحاضرات ) :

٣ — كلمة فى استقبال الدكتور محمود توفيق حفناوى (د ٢٩ ج ١٦ للمجلس — المجلة العدد ١٧ ) .

٤ — لغة الشعر — كلمة ألقاها فى مؤتمر المجمع ببغداد . (د ٣٢ ج ٦ لمؤتمر بغداد) .

٥ — الفصحى والعامية من زاوية جديدة . ( د ٣٢ ج ٩ المؤتمر الثالث ) :

٦ — قصيدة فى تأبين رئيس المجمع الأستاذ أحمد لطفى السيد : ( د ٢٩ ج ٢٧ للمجلس — المجلة العدد ١٨ ) :

٧ — قصيدة فى تأبين عضو المجمع الأستاذ عباس محمود العقاد . ( د ٣٠ ج ٢٧ للمجلس — المجلة العدد ١٩ ) :

٨ — تحية بغداد — قصيدة ألقاها فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر بغداد . ( د ٣٢ ) .

٩ — قصيدة فى تأبين عضو المجمع الأستاذ محمد رضا الشبيبى . ( د ٣٢ ج ٨ لمؤتمر القاهرة ) .

١٠ — قصيدة فى تأبين عضو المجمع الشيخ محمد على النجار . (د٣٢ ج ٢٣ للمجلس ) .

١١ — قصيدة فى تأبين الأستاذ مصطفى نظيف عضو المجمع . ( نشرت بمجلة المجمع العدد ٢٨ فى نوفمبر سنة ١٩٧١ ) .

١٢ — قصيدة تحية لرسالة العلم ( المجلة التى تصدرها جمعية خريجى كليات العلوم برياسة الدكتور عبد الحليم منتصر — مارس ١٩٧٣ ) .

١٣ — كلمة أعدها لاستقبال الأستاذ مصطفى مرعى بالمجمع اللغوى ، وألقاها بعد وفاته نيابة عنه الأستاذ ثروت أباظة فى يوم الأربعاء ١١ من ذى القعدة سنة ١٣٩٣ هـ الموافق ٥ من ديسمبر سنة ١٩٧٣ م .

## ٣ — شعره المسرحى

١ — المسرحية الشعرية إنتاج زاخر أو بستان ناضر يضم عشرات الألوان ، ففيها عشرات القصائد والمقطعات ، وفيها ألوان شتى من الموضوعات ؛ كالوصف والحرب والحماسة والحكمة والغزل ، وفيها ضروب من التكلم والخطاب والحوار والجدل ، وبها شعر ينطق به واحد ، وشعر تنطق به جماعة ، وشعر يعبر عن فرد ، وشعر يعبر عن أفراد أو عن أمة ، وهى من أوزان شتى وقوافٍ عدة :

ومن هنا تجىء صعوبتها على الشاعر ، وتجىء دلالتها على مقدرة الشاعر .

٢ — ولقد أثبت عزيز أباظة بمسرحياته التسع ما أثبته شوقى من قبل بمسرحياته أن الشعر العربى قدير على الوفاء بما تقتضيه المسرحية من عرض للأحداث ، وتصوير للنفسيات ، وحوار على ألسنة الذكور والإناث والكبار والصغار ، وتعبير عن أخلاق الأخيار والأشرار والأقوياء والضعفاء والفرحى والحزناء والسعداء والأشقياء .

وبهذا بطل ما لاكته ألسنة وسطرته أقلام أن الشعر العربى كز عسر لا يطاوع الشاعر المسرحى ، وأن الخيال العربى ضحل لا يستطيع أن يحلق ولا أن يحلل ويركب ويبتدع الأحداث والأشخاص ، وأن البلاغة العربية ضيقة تعتمد على الإيجاز ولا تعرف التفصيل والتوضيح والإطناب .

٣ — وإذا كان الشعر العالمى قد أتى عليه دهر طويل وهو يصطنع الشعر وحده لغة للمسرحية فإن الرومانتيكية حاولت أن تنزل

الشعر من عليائه لتحل النثر محله ، وناصرها فى اتجاهها المذهب الواقعى والمذهب الطبيعى ، ولكن الشعر لم يستسلم لهذه المنافسة ، وآزره فى ثباته الذين نهضوا لمقاومة الواقعية والطبيعية .

وكان من الحاملين على الشعر المسرحى نقاد دعوا إلى إيثار النثر بدعوى التزام الواقع ، وبدا فى بعض الأحيان أن الغلبة لدعاة النثر وأنصار الواقع وبخاصـة بعد أن راجت قصص تشيكوف وإبسن وأضرابهما ، حتى إن الشاعر الكبير إليوت ـ وهو من أنصار الشعر المسرحى ـ كاد يداخله اليأس من أن يسترد الشعر مجده المسرحى فقال :

« يظهر أن عالمنا المعاصر حافل بالفوضى ، وأن المجتمع الذى نعيش فيه تعوزه المقاييس الدقيقة ، فصارت وظيفة الشاعر المسرحى شاقة جدا أو مستحيلة » .

وكان لهذه الدعوة أو لهذا اليأس صدى فى مصر والعالم العربى ، فقال الدكتور طه حسين « إن الشعر لم يعد صالحا للمسرح » .

وسرعان مانتأت إلى جانب تلك الدعوة دعوة أخرى أشد خطرا ، وهى الدعوة إلى اتخاذ اللغة العامية لغة للمسرح ، بدعوى الحرص على محاكاة الطبيعة ومجاراة الواقع .

٤ ـ وماأيسر الرد على الدعويين : دعوى تنحية الشعر عن لغة المسرح ، ودعوى إيثار العامية على الفصحى :

ومن الوفاء لذكرى شاعرنا عزيز أباظة أن أنقل هنا بعض مارد به :

قال فى مقدمة مسرحيته شهريار : « إن الشعر يحفظ الاتزان بين الواقعية والشكل الخالص وبين العرض الحرفى والتجريد ، إنه يحقق الهدف الفنى الرائع ، فرسالته فى كريم أعراقها توطئ لنا سبيل فهم هذه الحياة وإدراك قيمها وجمالها .

ويبدو لى أن وراء الانفعالات المعروفة والدوافع الشعورية ـ تلك التى تقتصر المسرحية النثرية على عرضها ـ يبدو لى أن وراء ذلك تنبسط آفاق لاشعورية ليست بذات حدود ، إنها الانفعالات التى لانستطيع أن نجلو عواملها إلا إذا تجردنا من أنفسنا ، وسمونا فوق أفعالنا وتجاربنا ، إنها الحقائق الخالدة التى لايسجلها إلا الشعر بإيقاعه .

وقال أيضا : « قال أنصار الواقعية فيما قالوا : وما التراكيب الفصيحة ؟ وما الأسلوب الشريف ؟ الكلام بغيرهما أبين ، والفهم أدنى وأيسر .

ثم برزوا مسفرين مصرين مجاهرين ، فدعا فريق منهم إلى أخلاط من التعابير المتهافتة الغثة من الشعر المنثور والنثر المشعور يقيمونه باسم الحقد والعجز على أنقاض الشعر الأصيل .

ودعا فريق آخر إلى العامية يكتب بها الناس قصصهم ومسرحياتهم لتقوم باسم التقدمية أو الشعوبية على أنقاض تلك الذخيرة الربانية من النثر العربى المحكم ، وساقوها دعوة أدبية فنية ، وهى دعوة

أثيمة خبيثة تكمن وراءها مساندات مظاهرات نفوس سقيمة عطاش لهدم كل ما هو مأثور من تراث العصور ، وكل قيم من ذخائر الحضارات التي هذبها الزمن وأغلاها العتق :

من الحق لكم ومن الحق عليكم أيها الخالدون أن تجهروا بأصواتكم – وهي في هذا المقام من أصوات النبوة – مطالبين كل دولة عربية أن تطهر صحفها وإذاعتها ومسارحها الجادة من خبثين قاتلين : خبث مساندة العامية وإشاعتها باسم التخفيف والتيسير ، وخبث مجاهرة الأدب بعدوان سافر يهون من أقداس شعره ونثره باسم التجديد والتطور ، فإن فعلتم – وإنكم لفاعلون – فنحن الأعلون ، والله معنا »[1] .

أرأيتم إلى اعتزازه بالعربية الفصحى لغة للأدب ؟

ثم أرأيتم إلى حملته على العامية وأنصار العامية ؟

وإلى دفاعه عن الشعر لغة للمسرحيات الجادة ؟

وما من شك في أنه محق فيما قال ، لأن الذين دعوا إلى العامية لغة للمسرح بدعوى مجاراة الطبيعة والواقع واهمون ، فإن الواقع الذي ينبغي أن يتوخاه مؤلفو المسرحيات ليس هو واقع اللغة التي يتفاهم بها الناس في حياتهم اليومية وشئونهم المعتادة ، بل هو الواقع الفكري والعاطفي والنفسي للشخصيات ، بحيث لا تصدر الحكمة عن أحمق ، ولا تنطلق الفلسفة من جاهل ، ولا يجئ الهدى على لسان ضال ، ولا يبدو جبن من بطل . . . الخ .

وعلى الذين يتحمسون للواقع أن يسألوا أنفسهم أسئلة شتى ، منها :

هل يتناسب الواقع ورقعة المسرح الصغيرة التي لا تمثل شيئاً من ميادين الحياة الفسيحة الرحبة ؟

وهل يتفق الواقع وتلك الأزياء والمناظر التي يشهدها النظارة على خشبة المسرح ؟

وهل يتشابه الواقع وهذه المشكلات والعقد والحلول التي تعرض في ساعتين أو ثلاث وقد حدثت في شهور أو أعوام ؟

على أن التزام الفصحى يتيح لأبناء الأمة العربية جميعاً أن يفهموا ويتذوقوا ما قرضه شاعر المسرحية ، لأن الفصحى لغتهم الأم التي يتوافون عليها ويتفاهمون بها ويتواصلون بأسبابها ، أما العامية فهي أشتات وأصناف تختلف باختلاف الأقاليم ، بل تختلف في الإقليم الواحد .

فلا عجب أن اتسمت مسرحيات عزيز أباظة بالبيان المتخير الأخاذ ، وبإجراء الحديث الواحد على وزن واحد ، وبالحرص على سلامة التعبير من اللحن أو الركاكة ، حتى إنه قلما قصر ممدودا أو مد مقصورا مع علمه أن هذا في الشعر رخصة .

(١) البحوث والمحاضرات ١٥٦ ، سنة ١٩٦٠ – ١٩٦١

وإذا كان فى مسرحية (أوراق الخريف) قد استخدم كلمات مما يدور على ألسنة العامة ، فإنه قد قصد إلى تسهيل الفصحى من ناحية ، وإلى الدلالة على صحة هذه الكلمات من ناحية ، مثل :

حسادة ، زوق ، عجايب ، البخت ، مهسوس الذرة ، تعكير المزاج ، من غير كلام .

## ٤ ـــ العروبة فى شعره

كان عزيز أباظة شاعرا معتزاً بعروبته لغة ودماً ووطناً ووجداناً وحضارة وآلاما وآمالا وثقافة .

وللعروبة فى شعره مظاهر جهر بها مرات على لسانه ، أو أدارها على ألسنة الشخصيات فى المسرحيات .

١ ـــ فقد زار قرطبة ، وطوف بأرجائها ، وتلبث عند معالمها العربية ، وأطال الوقوف فى مسجدها وقبالة مئذنته ، فخيل إليه أن قلبها ما يزال يعتصره الألم ، وأن حسراتها على عصرها العربى الذهبى ثائرة لم تخمد ، وتذكر قصر الزهراء الذى كان قطب السياسة العالمية فى عهد عبد الرحمن الناصر ، وتخيل عظمة قرطبة وآدابها وعلومها وحضارتها والوفود التى كانت تهرع إليها ، لترتوى من مناهلها ، فقال فى قصيدته (وقفة على قرطبة) :

يا جارة المسجد البالى ومئذنـــــةً
الله كان يناجى من مشارفهـــــا
ماذا دهاها فأمست وهى ناهـــدة
فى غير ما ألفتْـــــه من معاطفها ؟
وقفت فى طلل الزهـــراء مختشعاً
والنفس نهب لعاتٍ من عواصفها
أرنو فيرتد طرفى راعشاً وجـــلا
كهائب اللجـــة الكبرى وخائفها
طوّفت بالطلل الأســـوان أسائله
أين الخلافــة فى حِضنَىْ خلائفها ؟
أين ابن بجدتها شعّت حضارتـه
سناً على سالف الدنيـــا وآنفها ؟
الناصر الظافــر المخشى جانبــــــه
فى حيثما دب ساع فى تنائفهـــــا
الباذل العلم عن أعلام جامعـــــة
تدنى الثمار مزكّاة لقاطفهــــــــا
لا ظل روما ولا أفياء قدوتها
بمجزئ العقـــل عن ملتف وارفها
ذكرت يوم الوفـود الضخم ساعية
للقصر ترفل فى ضاحى ملاحفها
فزف كل كبير من عواهلهـــــا
وخفّ كل وقور من أساقفهـــــا
ساقوا الهـدايا وساقوا بينها خطباً
أنساهم الروع طـرفاً من طرائفها

ثم تبدو الحسرة فى قوله :

لم يترك الدهر من راووق أندلس
إلا شُفَافــة راحٍ من عوارفهـــــا
لهفى على حسنها الذاوى وزهرتهـــا
وحاليات الحواشى من رفارفهـــا

وقلت : أين حضارات ومعرفـــة
أظل هذا الورى مَوْشِيٌّ وارفها ؟
وأين هَدى تهدّى من صحائفها
وأين نور تجلى من مصاحفها ؟

يا ويحها ذكريات هِجْن بي حرقاً
تنساب في راسب الذكرى وطائفها

٢ ـ ودعا إلى وحدة العرب ، وحرص عليها ، ونفرهم من الفرقة والانقسام والتخاذل ، ففي مسرحية (غروب الأندلس) أدار حوارا بين محمد بن سعد الزغل شقيق السلطان أبي الحسن وولي عهده وبين ابن سراج وعائشة وموسى بن أبي الغسان ، فصور أسى الزغل من الفتن المشتعلة بين العرب ، وبغضته لتأريثها ، واستنكاره الجنوح إلى مشيريه على الولايات العربية المجاورة ، في الوقت الذي يجب فيه على العرب أن يتآزروا كالبنيان المرصوص ليردوا هجمات الفرنجة ، فيصونوا حصن العروبة ، ويفتدوا عزة الإسلام ، :

عرضتم لضخم الأمر لم تتذاكروا
عواقب قد تبدو لكم وتغيب

أتأريث أضغان وإيقاظ فتنـــة
تدك قوانـــا والعدو رقوب ؟

إذا لم نقف صفاً هلكنا وأطبقت
قواطــــع تفرى ملكنا ونيوب

فلا تطمسوا الإسلام إن شروقه
سيغشاه ممـــا تزمعون غروب

وصور في مسرحية ( العباسة ) سخط زبيدة على تفرق العرب بالشام ، وكيد بعضهم لبعض وعجبها من العصبية الحمقاء بين اليمانية والنزارية وهم جميعا أبناء عمومة يستظلون براية الإسلام :

وهل كان بالشام غـــير الشقا
ق كل شقاق لـه مقْطع

يمـــانية أو نـــزاريـــة
وبينهما رحــــم تجمـــع

ولو أنهم تُزكوا راجعوا الـ
أناة وعن جهلهم أقلعـــوا

٣ ـ وأشاد بوحدة الدم ووحدة الدين والوجدان المشترك في وثيق العلائق بين العرب وإن تعددت أقاليمهم وتناءت ديارهم ، فصور هذا في مسرحية ( غروب الأندلس ) على لسان الأميرة عائشة زوجة السلطان أبي الحسن في حديث بينهما وبين السلطان الغوري حينما جاءت من الأندلس إلى مصر لتستنجد به على الفرنجة :

حيِّيت يامللك الملوك ولم تزل
أعلامهم وأعزهم سلـــطانـــا

وبقيت للأمم الشقيقة موئـــلا
في إدِّها ومناصراً معوانـــا

قد آن أن أمضي إلى وطني وإن
كانت دياركم لنا أوطانـــا

الدين قربى والعروبـــة لحمة
ولعـــل أقوى الآصرات أسانـا

تلك الوشائج وحدت ما بيننا
وأن اختلفنا راية ومكانــــا

فرد عليها الغورى مستجيباً ملبياً نداء العروبة ، معتزما على نجدة عرب الأندلس بجيش عربى لجب مظفر يدحر أعداء العروبة والإسلام :

سنشهرها حربا ضروساً مبيدة
ونبعثه جيشاً كثيفاً عرمرما
يرد عن الإسلام كيد عـدوه
ويحمى حمى دولاته أن تهدما

٤ — وإن الاعتزاز بالعروبة وإعزازها والحرص على حمايتها تتجلى فى كثير من مشاهد مسرحية ( العباسة ) كقوله على لسان الرشيد للشاعر منصور النمرى :

بل قل فما فضل أمـة
إذا لم يؤرخ مجدها شعراؤها
إذا العرب استعلت بفن شأتْ به
سواها فهذا شعرها وغناؤها

وفى المسرحية تصوير لزبيدة وهى تحض هرثمة على التنكيل بالبرامكة ، خشية على الملك العربى أن يقوضوه وعلى الإسلام أن يرنقوه ، بعد ماتبين لها وللعرب أن البرامكة أبطرهم الجاه والسلطان والثراء ، فجعلوا يكيدون للعرب ، ويتطلعون إلى بعث ملك كسرى :

لاتناموا عن جعفـر فله كالذ
ئب عين يقظى ونـوم مُطار
لست أطـوى له سخيمة صـدر
لا ولا بينـه وبينى ثار
غير أنى أخشى على الملك منه
وعلى عترة النبى أغـار

وفيها تصوير للقائد العربى الفضل بن الربيع ناقما من البرامكة ماتنقمه زبيدة فى قوله للأمير جعفر بن الهادى :

فقل لأهل الزيغ مـن فارس
من كل زنديق الهوى مشرك
لن تبلغوا فى العرب أوطاركم
سيمحق الله بنى برمـك

وفى المسرحية صور من شكاوى الشعب إلى الرشيد مما يقترفه البرامكة وعمالهم من قسوة وظلم ومحاباة ، مثل قول أبى الجهم :

أمين الله أدركنـا
فإنـا مسنا الضـُر
نعيشُ العيشة الدنيـا
ويهنـا الأجنبُ الغمْـرُ

وقول مخلد :

أترضى أن يجيعونـا
وأنت الوفـرُ واليـسرُ ؟
وأن نمسى بـلاري
وأنت البحرُ والقطْـرُ

وقول أبى الجهم مرة ثانية فى تفصيل مثير :

وذنبـانا هما الهـون
لـدى الظـالم والفقر
فلسنا مـن بنى برمـ
ـك لا يعصى لهـم أمـرُ
نماهم للعلا كسـرى
ومانى ومنو جهـرُ

ولكنـــا مـــن العرب
وخظ العرب مُنـــزوٌ
قريشٌ هـل لهــا وزنٌ
لـدى الأعلاج أو قـدْرُ ؟

ومثل إثارة أبي الجهم لنخوة الرشيد فى قوله :

ولكن ميـــزوا جنسـا
من الناس عـلى جنس
وفى الحـق فأيـن العُـرْ
ب مـن مشيخة الفـرس ؟

ثم تعقب عجوز على هذا بقولها للرشيد :

أجِرْنا بتَّ مـأجورا
مـن الله ومشـكورا

فيلتهب الرشيد حنقا على البرامكة ، ويبدو حنقه وعزمه على التنكيل بهم فى قوله لجعفر البرمكى :

وسلبتمُ جـاه الخليفـة جهرة
وتركتموه دميـة فى هيكـل
أترفتم مثل الملوك وأمتى
جَوْعَى تدافع فى الحضيض الأسفل

٥ — كانت عروبة عزيز أباظة عقيدة تجلت فيما أسلفت من مظاهر ، وتجلت فى معرض آخر هو المقابلة بين الشعر العربى والشعر الغربى ، فقد كان له بحث منذ ثلاثة عشر عاما وازن فيه موازنة سريعة بين الأدب العربى والأدب الغربى ، ثم أعد موجز هذا البحث للنشر فى آخر أيام حياته وإن لم يظهر إلا بعد وفاته (١) .

قال إن الشاعر العربى يؤثر الإيجاز الجامع لأطراف الفكر أو الشعور ، وضرب أمثلة لهذا منها أن شكسبير أطال فى تصوير جنون الغيرة فى مسرحية (عطيل) حتى انتهت غيرة الزوج بقتل زوجته البريئة ، ثم بندمه ، ولكن الشاعر العربى ديك الجن ألم بهذا فى إيجاز فى قوله :

رويتُ من دمها الثرى ولطالما
روىَّ الهوى شفتىَّ من شفتيها
حكَّمت سيفى فى مجال خناقها
ومـدامعى تجرى على خديها

وراسين جمع فى (أتالى) أطراف الحقد الأسود ، وعرض للانتقام والمقت على الرغم من الود والرياء والصفاء المستحدث ، على حين أن الشاعر العربى وجد مقنعا فى قوله المركز :

وقد ينبت المرعى على دِمَن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيـا

وموليير تحدث فى سخرية عن البخل والتقتير ، واستقصى ظواهر تلك النفس المريضة وبواطنها ، ولكن ابن الرومى أرسل فى بيت واحد صورة ناطقة حية للبخيل

(١) مجلة قافلة الزيت — جمادى الثانية ١٣٩٣ (يوليه ١٩٧٣ م) .

لايغض من كمالها أنها موجزة لامشاهد فيها ولا فصول :

ولو يستطيع لتقتيره
تنفس من منخر واحد

ثم قال إن الأدب العربى سبق إلى الإشادة بالحرية والديمقراطية والاشتراكية والتعاون والسلام وضرب أمثلة لهذا ، منها قول أبى العلاء :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وقول الشاعر :

الحالطين غنيهم بفقيرهم
حتى يصير فقيرهم كالكافى

وقول معن بن أوس :

دعانى يشب الحرب بينى وبينه
فقلت له : لابل هلم إلى السلم

## ٥ — الإسلام فى شعره

أما مظاهر الإسلام فى شعره فهى كثيرة تبدو فى ضروب شتى من حالات اليسر والعسر والفرج والضيق والقوة والضعف .

١ — فالجهاد للذود عن الإسلام وحماية المسلمين فريضة يتسابق إلى النهوض بها المسلمون ، ويتنافسون عليها ، معتقدين أن الله ينصر من ينصر دينه ، وأن قواه الخفية الغلابة تمدهم بجنود لايرونها .

يتجلى هذا فى حوار بين القاضى سنجر والملك وابن مطروح من مسرحية ( شجرة الدر ) :

ابن مطروح للملك :

حيتك مصر فقد حميت ذمارها
والخطب فوار المراجل حامى
ودفعت عنها المعتدين وسمتهم
عنتاً فصنت كنانة الإسلام

الملك يرد على مدح ابن مطروح :

لم أرم — شاعر مصر — حين رميتهم
بل كان ربك ذو الجلال الرامى

والمجاهدون الذين افتدوا الإسلام بدمائهم وأرواحهم ، وانتصروا على أعدائهم ، لاينسون وهم يباهون بانتصارهم أنهم نصروا دينهم إذ وقوا من الغزو بلادهم ، وكفلوا لوطنهم الحرية والقوة والعلاء ، يقول أقطاى لقلاوون فى مسرحيته ( شجرة الدر ) :

قل لى : أما نحن الذين تحررت
مصر بحر سيوفهم ودماهم ؟
ذاق الصليبيون غضبتنا فما
صبروا على الموت الذى غشاهم

ويقول قلاوون لبيبرس وأقطاى :

أقطاى نحن ثلاثة لم نختلف
فيما مضى فلنبق متفقينا
أسيافنا لم تُجْلَ عن أغمادها
إلا وقَتْ عرضا لمصر ودينا

٢ — ولما ضل بعض الحكام المسلمين سواء السبيل فحالفوا الصليبين على مصر ، واستعانوا بهم ، حزت الآلام فى نفس شجرة الدر وودت لو أنهم استعانوا بالخليفة وحده :

لو أنهم قصدوا الخليفة وحده
قانا — وإن لم ينصفوا — لم يسرفوا

لكنهم ركنوا إلى أعدائنا
مستنصرين بهم ولم يتعففوا

وعدوا الفرنجة بعض مصر فقل لهم
الله مانع مصر مهما تُرْجِفوا

وإن شجرة الدر لتعجب من عدائهم لها وتغاضيهم عن تطبيقها للشورى التي أمر الله بها ، وتعاميهم عن دحرها للصليبيين وحمايتها للإسلام :

أفناقمون على أني قبلت
الشورى وأحكام الكتاب أمامي ؟
أم غاضبون لأني أوقعت بال
إفرنج فاعتصمت عرى الإسلام

٣ – وهو يصور مكانة العلماء علية لايصح أن يمسها أحد ، ويحقر من يتخذ الدين منهم أحبولة للكسب أو الجاه أو الثراء ، فإنه لما حاول المفتى أن يخدع شهريار فخابت مشورته ، قال له :

انصرف يامحقر العلم شر ال
علم ماكان نهزة للشراء
إن للمسلمين دينا جليا
صافى النبع من رحيق السماء
قد لصقتم (١) به اللصائق حتى
تبرفوا فى جهالة الجهلاء

٤ – وهو يردد فى مسرحياته إيمانه العميق بأركان الإسلام وتعاليمه وآدابه . من ذلك أن الله سبحانه وتعالى علام الغيوب ، ومدبر الكون ، ومانح القوى والقُدر ، علمه سابق ، وقضاؤه واقع .

نجد هذا فى قول سنجر للأمير فى مسرحية ( شجرة الدر ) :

مولاى لايزعجك ما بُلِّغت من
نبأ فإن الغيب سر مضمر
قل للمقدر للعباد حظوظهم
الله فوقك قادر ومقدر

ونجد إيمانه بالبعث فى قوله بمسرحية ( أوراق الخريف ) :

قولى لها سأظل حافظ عهدها
حتى تجمعنا الحياة الثانية

وكذلك إيمانه بالقضاء والقدر فى قوله بمسرحية ( أوراق الخريف ) :

مهيب : أتؤمن بالمقادر ؟
قاسم : ( فى دهشة ) غير شك :
مهيب : وتؤمن من أنها فرضت كتابا .
قاسم : أجل :
مهيب : وتحس أن هناك حدا لحول المرء من عاناه خابا ؟

ويؤمن بأن الله تعالى هو الهادى اللطيف العليم الخبير الذى يستجيب دعاء عباده ، قال على لسان العباسة :

يارب أدركنى بلطفك واهدنى
سنن السداد فقد سألت كريما

(١) الصواب ألصقتم .

وهو تعالى العادل المجير الناصر ، قالت علية لعتبة فى مسرحية ( العباسة ) :

حسبك الله لقد زد
ت لظى القلب استعارا
إن لله لعدلا
إن طغى الدهر وجارا

وكثيرا ما نجد القسم بالله أو ببيته العتيق فى مواضع شتى ، حيث يقسم الشخص صادقا فيما يقول غير متخذ من قسمه وسيلة للتضليل والخداع وستر الافتراء . فالعباسة تعاتب الرشيد ، وترد على ، زبيدة إذ اتهمتها بكراهيتها فتقول :

حلفتُ بالبيت العتيق والمحق يحلف
ماشفنى من فعلها حقد ولكن أسف

وجعفر يؤكد حبه للعباسة ، فيقسم بالكعبة مثابة المسلمين ومحجهم :

أقسمت بالبيت تخدى
عيس له وتخب
أعناقها مهطعات
لقدسه تشرئب
والمحرمون عليها
ساقوا وألقوا ولبوا (١)
لأنت حلمى المرجى
فى خاطر الدهر يخبو

٥ — ويقتبس من القرآن الكريم ، كقوله فى مسرحية ( العباسة ) على لسان العباسة لأختها :

« ورضا الرحمن يؤتيه من الناس السعيدا »

وقوله فى (قافلة النور) على لسان جابر لمنذر :

وقد أقمنا صلاتنا وقضينا
ذمة الله فاقض ماأنت قاض

وقوله على لسان سلفراس :

لكم هديكم فاتبعوا هديه
ولى دين آبائى الكابرينا

وقوله على لسان شهريار مناجيا ربه :

يارب رُب مسيءٌ
بغى فتاب وكبر
ماكنتَ موبق عبد
وإن طغى وتجبر

وقوله على لسان شهريار فى نقمته من شهرزاد :

اغريت بى الحسير
ة كالليل إذا يسرى

٦ — وكثيرا ماحلق فى جو عال من الروحانية ، إذ صور مواقف الخشية من الله ، والاستغفار من الذنب ، أو صور الحنين إلى بيت الله وإلى مثوى الرسول عليه الصلاة والسلام :

(١) ساقوا الهدى وألقوا الجمار ، والصواب لبوا بفتح الباء لا بضمها .

قال على لسان ( وداد ) فى مسرحية ( أوراق الخريف ) :

يـــارب هـــل أنت راض
أو غاضب ، مـــن مجيبى ؟
يـارب إنـــك عـــدل
ورحمـــة مـــن قريـــب
فهـــل ضللـــتُ سبيلـــى
وهـــل غـــوى أسلوبـــى
لا : لست أخشاك مهمـــا
أضعف فـــأنت حبيـــبى
مـــا كنت رب مـــراء
بـــل أنـــت رب قلـــوب

وقال على لسان حادى القافلة المتجهة من الحيرة إلى الحجاز فى مسرحية ( قافلة النور ):

يانفـــس إن أفضيت للمنـــوره
وراوحتـــك الروضة المنضره
حـــو ت سنا الله وضمت منبره
وبضعة من ذاته المطهـــره
ألقيت يانفس غبار الأثـــره
وانجلت كالطيف عنـــك القتره
وطفت مـــن مأثرة لمأثـــره
وذقـــت مـــن مغفرة فمغفـره
مـــن قبـــل أن تقدمى بمعـذره

ولم تكد حسن شاه حاضنة بنت سلفراس والى الحيرة تسمع هذا الحداء — وكانت أسلمت — حتى أجابت على الحنين إلى مدينة الرسول بحنين مثله فقالت :

يا حـــادى العيس حملـــن البرره
إلى عوالى يثرب المـــزدهره
سر راوحـــتك الديم المستغزرة
وخلنى لأدمعـــى المنفجـــره
يثرب فى أخيلتى المصـــوره
إن لم تـــكن لؤلؤة فجوهره
الـــكون داجـى الليل وهى المقمره
ألمحها فى النسمة المعطـــره
وفى الوجوه الطلقة المستبشـــره
وفى هوى عـــف ونفس خيرة
وفى حياء الغادة المخـــدره
وفى بريق النظرة المبشـــره
هذى المنى ، لو أنها ميســـره

## ٦ — أسلوبه

كانت موهبته الفطرية ، ودرايته بمتن اللغة ، وذوقه المرهف ، وغيرته على الفصحى ، ، وحفاوته بها ، وحبه لها ، هى الدعائم الوطيدة التى قامت عليها خصائص أسلوبه :

١ — فهو حريص على التأنق فى اختيار الكلمة ، مشغوف بالرصانة فى نظم العبارة ، نفور من العامية ، ومن الركاكة ومن الإسفاف ، حتى إنه ليتجافى عن الكلمة إذا ما أحس أنها فقدت رونقها لكثرة ما لاكتها الألسنة أو تداولتها الأقلام. لهذا كان يكثر من ترديد النظرات الفاحصة فى كتب الأدب والمعاجم ليقتنص كلمات من الفرائد الحسان يرددها فى شعره ليكشف عنها أستار الإهمال أو النسيان .

وفى غير ما تعصب أو تحيز أو جنوح إلى جدال أو مكابرة أو عناد أقول : إن فى شعره وفى شعر كبار الشعراء من سابقيه ومعاصريه علوا عن المستوى العام للقراء ، ولكن هذا لا يصح أن يتخذ ذريعة إلى لوم أو انتقاص ، لأن الأدب أو الفن أو العلم على اختلاف ضروبه وتعدد ألوانه لا ينبغى أن يكون فى مستوى واحد من التدانى أو التوسط أو العلاء ، ذلك بأن له درجات من الأقدار والمستويات ، بل إن لكل مستوى من هذه المستويات درجات متباعدات متفاوتات .

وإنه لمن الشطط أن نكلف الشاعر العملاق التزام مستوى عام واحد ، لأننا بهذا الإلزام نقل حريته ، ونحتجزه فى نطاق ضيق لا يتعداه ، ونحول بينه وبين التحليق والابتكار .

والعجب أن الذين ينكرون على الشاعر تجويده وسموه وعزوفه عن المستوى العام لا ينكرون أن الرسم والموسيقى والغناء لها بطبيعتها وبطبيعة القائمين بها درجات متفاوتات .

وعجب آخر أنهم يجحدون المستويات فى لغة الأدب ولا يجحدونها فى لغة العلوم ، لأن الحقائق العلمية التى تنشر على الجماهير يعمد كاتبوها إلى التبسيط ليتفهمها كثير من القراء ، فإذا ما قصدوا بها طبقة أرقى كان التبسيط أقل مقدارا وأضيق نطاقا ، وهكذا حتى تصير ملائمة للمختصين بهذه الدراسات . فلماذا لا يكون من حق الشعراء كلهم أو بعضهم أن يعبروا عن أفكارهم وعواطفهم بأسلوب سام فيه غموض على العامة ، لكنه واضح للمثقفين أثير عندهم ، تستحليه أذواقهم وتهش له نفوسهم ؟

على أن استمساك عزيز أباظة بالفصحى وكلفه بالانتقاء ليس معناهما كلفه بالإغراب ، بل معناهما اتخاذ اللغة العربية متناولحوا وصرفاً وسياة للتعبير عن العاطفة أو الفكرة ، وتنحية العامية عن الأدب الرفيع ، حتى لا تقع العين فى حديقة الشعر أو بستان النثر إلا على وردة متفتحة ، أو جلنارة متوهجة ، أو أقحوانة مشرقة ، أو آذريونة نضيرة ، أو شجرة ثمرة ، أو دوحة وريقة أو نخلة رشيقة ، أو كرمة دانية القطوف ، أو عشب كالديباج .

من ذا الذى يقرأ أو يسمع هذه الأبيات ولا يشعر بانتقاء اللفظ وجزالة التركيب :

قال على لسان الرشيد فى مسرحية (العباسة) وهو يريد الوقيعة ببنى برمك لطغيانهم السياسى لكنه يتردد مخافة مما أشيع عن قصة أخته العباسة :

وإنى لأخشى قالـةَ السوء فى غـدٍ
تقاذف كالدفاع فى البيد والمدن
بأنى من آجل العرض أثخنت فيهـم
وللعرض قراضون بالثلب والطعن

وقال على لسان عائشة فى مسرحية (غروب الأندلس) :

الملك يلهـــو والحوادث حولـــه
متظاهرات والخطـــوب سراع
والقصر تفهـــق بالخنا قاعاتـــه
ويبيت يـــروى إثمها ويذاع
والشعب مكدود القوى متخفر
إن الضعيف يصول حين يراع
الجوز مضروب السرادق حوله
والهون والحرمـــان والأوجـــاع
قـــل للملوك اخشوا شعوبكم إذا
غضبوا وهم سغب البطون جيـاع

وقال على لسان بثينة فى مسرحية (غروب الأندلس) :

أرى الأرزاء مسرعة خطاهـــا
ونحن إزاءها نمشى الهـــوينا
إذا لم نسبق الأحداث وثبا
تصلينا لظاها فاكتوينـــا

٢ ــ على أنه أضاف إلى هذا التأنق كلفا بجرس الجملة وموسيقاها، وشغفا بتحسس المواءمة بين الكلمة وسابقتها ولاحقتها، وبين العبارة وما تقدمها وما تأخر عنها، كقوله على لسان حسن شاه فى مسرحية (قافلة النور) :

مشوا فى سناه ولبوا نـــداه
وعبوا هداه كتـــابا مبينا

ومن ذا الذى يقرأ هذه الأبيات أو يسمعها ولايستشعر الرنين بين الحروف المتحدة المخرج أو المتقاربة المخارج، أولا يحس موسيقى الأسلوب الناشئة من تتابع كلمات متوائمة الجرس متلائمة الوقع، قال فى (وقفة على قرطبة) :

ماذا دهاها فأمست وهى ناهدة
فى غير ما ألفته من معاطفها
طوفت بالطلل الأسوان أسألـــه
أين الخلافة فى حضنى خلائفهـــا
أين ابن مجدتها شعت حضارته
سنا على سالف الدنيا وآنفها
الباذل العلم عن أعلام جامعة
تدنى الثمـــار مزكاة لقاطفهـــا
فزف كل كبير من عواهلها
وخف كل وقور من أساقفهـــا

وإذا كان الجرس بينا فى البيت الأول بين (دهاها وناهدة) وبين (ألفته ومعاطفها) وبينا فى البيت الثانى بين (الأسوان وأسأله) و (الخلافة وخلائفها)، وفى البيت الثالث بين (ابن ومجدتها) و(سناوسالف) وفى البيت الرابع بين (العلم وأعلام وجامعة) وفى البيت الخامس بين (زف وخف) وبين (كبير ووقور) فإن هذا كثير فى شعره مثل قوله :

يارب رب مســـــىء
بغـــى فتـــاب وكـــبّر

٣ – وشعره حافل بالتشبيه والاستعارة والمجاز والطباق ، فى مهارة ولباقة وطواعية ، كقوله :

أرنو فيرتد طرفى راعشا وجلا
كهائب اللُّجة الكبرى وخائفها

وقوله :

وأنْ نمـــــى بلا رِيٍّ
وأنت البحْرُ والقطْـــــــــرُ

وقوله :

لم يترك الدهر من راووق أندلس
إلا شفافة راح مـــن عوارفها

وقوله :

حييتك مصرُ فقد حميت ذمارها
والخطبُ فوارُ المراجلِ حامى

وقوله :

طوَّفت بالطلل الأســوان أسألــهُ
أين الخلافة فى حضنى خلائفها ؟

وبعد

فماذا نستوحى من احتفالنا بذكرى عزيز أباظة ؟

إننا نستوحى دروسا وعبرا عظيمة .

١ – فنزداد ثقتنا بلغتنا وبشعرائنا وأدبائنا الذين كتبوا بالفصحى منذ زمن بعيد ، ومازالوا يكتبون ، فأثبتت الفصحى على أقلامهم أنها ثرية مرنة طيعة قابلة للتطوير والتجديد ، قادرة على التعبير عن أنماط فنون الأدب وشئون الحياة .

٢ – ونعلم أن الشعر العربى ليس عاجزا عن مسايرة المسرح كما قيل ، فقد استطاع أمير الشعر أحمد شوقى أن يبطل هذه الدعوى بمسرحياته التى ابتكرها ومهد بها الطريق لمن جاءوا بعده واقتفوا أثره ، فلما قضى حمل الراية بعده بيد فتية قوية عزيز أباظة :

٣ – ومن الوفاء لعزيز أباظة أن أنوه بوفائه وبتقديره العظيم لشوقى ، فى قوله : « ثم أراد الله للشعر المسرحى أن يعرف فى العربية ويزدهر ، فهدى إليه شوقى شاعرنا الخالد فعالجه ، واستطاع قبل أن يختاره الله لجواره ببضع سنوات أن يزف للشرق العربى مسرحياته النفائس ، ولست هنا بسبيل تناول مسرحية الشعر عند شوقى بالدراسة والتحليل والنقد ، فإنه لن يرضينى – وأنا من أكثر الناس إعجاباً به ، وإكباراً له ، واستمداداً منه – أن أجعل دراسة مسرحه قسما من بحث ، أو بابا فى فصل ، ولن يواتينى الوقت حتى إذا أنا حاولت ، ولكن ذلك لن يقف بى أن أشهد بين أيديكم أن شوقى صاحب شعر التمثيل كاد يرتفع إلى عليا المشارف التى تفرعها شوقى قيم شعر الغناء .

وأشهد بين أيديكم إلى جانب ذلك أن شوقى فى مآسيه المتعددة وفى ملهاته الواحدة استطاع أن يدرس على طريقته جوانب من النفس الإنسانية ، وأن يعرض لمشاعرها بالتحليل الموفق ، والعرض المنمق ، واستطاع أن يتناول الأحاسيس والنزعات القومية ،

وأن يشيد بها فى نماذج قوامها الصدق وملاكها الجمال ، واستطاع كذلك فى أغلب مسرحياته أن يفرغها فى القوالب الحية من الفن المسرحى ، وأن يتحرر إلى حد كبير من سلطان طاقته الغنائية الفارعة حتى يتسلل الحوار غير فأضل على مقتضياته ، وغير مخل بالمعنى الذى يتدافع فيه ، وغير مسيء لأسلوب العرض ، وغير معوق لتتابعه وصلاته وتدفق حركاته .

٤ ـ ولست أنسى أن هذه الذكرى تلهمنا أن نشيد بجهود شعرائنا وكتابنا فى مصر وفى الأمة العربية ، وإنها لجهود عظيمة مخلصة جديرة بالتقدير والثناء ، ذلكم بأنهم منذ مشرق هذا القرن طالما هتفوا بالقومية العربية وبالوحدة العربية ، وطالما تغنوا بما للعرب من ماض مشرق مجيد يجب أن يتأسوا به ، وطالما برموا بما قاساه العرب من حاضر حزين خزيان لابد أن يتحرروا منه ، وطالما جلجلوا بما يشرئبون إليه من مستقبل كريم بسام ، عليهم أن يجدوا لتحقيقه ، فكانت هذه اليقظة العاملة ، وكانت هذه النهضة الشاملة ، وكانت هذه الصُّوَى الهادية إلى طريق الوحدة والقوة والعزة .

ومامن شك فى أن للأدب فضلا فى هذا كله لايجحد ، وسبقا واضحا مشهوداً لايستبعد . فعلى الذين يُنْغِضون إلى الأدب رؤوسهم أن يعلموا أثره العظيم فى حياة الأمم ، وأن يعرفوا مكانته وأن يقدروا سدنته أحياء وموتى :

سيدى الرئيس :

سيداتى وسادتى :

إذا كان عزيز أباظة فارقنا ، فإننى أتخيله بقامته الفارعة ، ووجهه المشرق ، وخطواته المتئدة وصوته الجهورى ، أتخيله مازال يخطر بيننا فى المجمع ، أو يناقش فى كلمة ، أو يحاور فى فكرة ، وأتخيله هنا على هذه المنصة نفسها يرثى زميلا ودع الحياة ، فيسكب من ذوب قلبه ومن عصارة نفسه :

ثم قضت إرادة الله أن يبعد من كان دانيا ، وأن يصمت من كان صادحا تاليا ، وأن أرثى من كان بالأمس راثيا ، وعزاؤنا أنه حى بيننا بآثاره وبذكراه إلى ماشاء الله .

(١) البحوث والمحاضرات لمؤتمر المجمع ١٩٦٠ – ١٩٦١ صفحة ١٥٠

## ●●● قصيدة الأستاذ العوضى الوكيل :

تهاوى دراكا كالنجوم الزواهر
صحابك ، فاصبر – إن قدرت – وصابر
خلا الدرب إلا من خطاى وئيدة
وأقفر إلا من شحوب مشاعرى
وأبقيت وحدى أجرع الحزن بعدهم
وأرشف كأس الدمع رشف المعاقر
وأمست تهاويل الغروب تروعنى
كأن فؤادى فى مخالب كاسر
أفى كل يوم صاحب بعد صاحب
توسده كفاى ليل المقابر
أأدفن قلبى فلذة بعد فلذة
فيالك من جد على الدهر عاثر
مضوا والصبا ، واستبقوا الحزن طاغيا
وذكرى تشب الشجو فى كل ذاكر
وكنت أظن الدمع عوناً على الأسى
فمزقنى فيض الدموع البوادر

فياليت شعرى هل تهزم صدره
بفحواه شدوا وهو بين الحفائر
وهل شهدته مقلتاه فغردت
جوانحه لحناً كلحن القياثر
وهل هزه يوم العبور فجمجمت
تجاليد روح فى الصفائح طاهر
فغنى لوصالين فى الروع خطوهم
وغنى لبنائين صم المعابر
وهل خفقت أعلام سيناء فانتشى
كما رشف الندمان جريال عاصر
أحب ثرى مصر ، وغنى بقدسه
فلاحت له حصباؤه كالجواهر
وأذكت ليالى الرقمتين فؤاده
على شط مصر فى الضفاف النواضر
مضى الشاعر الشادى الذى طار شعره
فألهم فى أفنانه كل طائر

* * *

مضى الشاعر الشادى بأحلام قومه
حميدا ، وأبقى لوعة فى السوامر
مضى لم ير النصر الذى بشرت به
أناشيده فى كل باد وحاضر

* * *

أيا شيخة الفصحى ، وحراس قدسها
بتلك العقول الملهمات العباقر
تذودون عنها كل باغ يرومها
بسوء ويرميها بحقد المكابر

ولم أر كالفصحى فإن بيانهـــا
ليبرز أخفى ما اختفى فى السرائـــر
لعمـــرك ما عيت بمعنى ، وإنمـا
هو العىّ فى بعض النهى والخواطـــر
ورام رماها بالقصور عن المـــدى
وما هو إلا قاصر أى قاصـــــر

* * *

عجبت لقوم جددوا الشعر ضلـــة
فجاؤا بشعر سائب متناثــــر
تجافـــوا به عن كل معنى وفكرة
كأن المعانى حجبت بستائـــــر
ويصغى إليهم سامع القوم سائـــلا
أذلك شعـــــر أم تعازيم ساحر
رماهم عــــزيز بالمقال فأجفلـــوا
وأعـــول منهم زاحر بعد زاحر
وكـــر عليهم بالقصيد يصـــوغه
فيبـــدع فى التصواغ إبداع قادر
أقام عليهم حجـــة الفن باذخـــا
بشعر كسر الراح فى روح ساكر
مضى الشاعر الشادى الذى طار شعره
فألهم فى أفنانـــه كل طائر
مضى الحارس اليقظان وانتابه كرى
يفىء إليــــه كل غاف وساهـــر

* * *

صديقى ، وشيخى ، قد رحلت وإنما
أغالب فيك الحزن والحـــزن قاهرى
وأشهد فيك الخطب أنّى حملتــه
وإن لم أكن – لما دهانى – بصابر

## ●●● كلمة الأسرة للأستاذ ثروت أباظة :

طالمـــا بت بـــــواد مذنب
فاصعد اليومَ إلى الــوادى الأمين
عنـــد جناتِ موشاةِ الحـــلى
بين أنهـــار وأبرار وعـــين
ضيفَ ذى العـــزة جلت وعلت
بارئ الأنفس من حمـــأ وطين
غافـــرِ الذنب رحيم منعـــم
قـــابل التّوب غياثِ المستعين
لم يمت من زايـــل الدنيا إذا
صب فى مسمعهـــا بعض الطنين
يا عشياتى التى أجْـــــزعها
ساهماً أدعم رأسى بيمينــــى
زاكىَ اللوعـــة ملتاح الجوى
وأكف الأدمـــع محموم الأنين
لا تقولوا : من أخو البث الذى
هاجنا ؟ من صاحب اللحن الحزين ؟
النفاثات نفاثـــاتى أنـــا
والشئون المستهلات شئـــونى
يا أودائى الـــذين ارتحلـوا
هـــزنى الشوق لكم فانتظرونى

رحمه الله لقد أبى أن يجشمكم عناء رثائه فرثى نفسه إليكم فى آخر قصيدة ألقاها فى مجمعكم ، رحمه الله :

فقد كان لنا – نحن أهل بيته – عمادنا الذى تقوم عليه خيمتنا ، وعميدنا الذى تدور حوله مسابحنا ، وعمودنا الذى يلتف حوله ندينا ، فقد صرنا ولا خيمة لنا ولا عماد ولا مسابح لنا ولا عميد ولا ندى لنا ولا عمود :

وقد كان لمصر وكأن شوقى لم يقل أبياته إلا ليقولها من بعده عزيز أباظة :

رب جـــــار تلفتت مصر توليـــه
ســـــؤال الكريم عن جــــيرانه .
بعثتنى معـــــزيا بمآقى وطـــــنى
او مهنئـــــــاً بلسانـــــــه
كان شعـــــرى الغناء فى فرح الشرق
وكان العــــزاء فى أحزانـــه

وكان لكم أنتم يا رجال الخلود شعركم ، ومجمع حبكم ، كما كنتم جماع حبه ونبض فؤاده ومبعث اعتزازه وإكباره .

واليوم لم تبق إلا كلمة عزاء تقولونها وأنا أدرى أنه أكبر عندكم من العزاء : وكلمة شكر أقدمها إليكم ، ومن أنا حتى أقدم إليكم الشكر ؟ !

فيا سدنة الأدب ويا رواد الكلمة ، ويا عمالقة لغة القرآن لاتقولوا عزاء واستميحكم المغفرة ، فإنى لن أقول شكرا .

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٤ من ذى القعدة سنة ١٣٩٣ هـ (الموافق ٢٨ من نوفمبر سنة ١٩٧٣ م) أقام المجمع بداره فى الجيزة حفل تأبين للمرحوم الأستاذ محمود تيمور عضو المجمع ، وفيما يلى ما ألقى فى الحفل :

## كلمة الافتتاح للأستاذ زكى المهندس فى تأبين المرحوم :

### الأستاذ محمود تيمور

سيداتى وسادتى :

إنه ليحز فى قلوبنا نحن أعضاء المجمع أن نرى الموت يتخطف زملاءنا واحداً وراء آخر ، وفى فترات متقاربة . فما تكاد تجف دموعنا على زميل راحل حتى تعود فتنهمر على زميل آخر. ففى سنتين اثنتين فقد فقد المجمع عدداً كبيراً من أعضائه العاملين الذين كنا نعتز بهم ونعتمد فى تحقيق رسالة المجمع على جهودهم ونشاطهم ... مصطفى نظيف ، عبد الفتاح الصعيدى ، عبد الرزاق السنهورى ، محمد عوض محمد، مصطفى القللى محيي الدين عبد الحميد ، على الجندى ، عزيز أباظه ... وها نحن اليوم نضيف إلى هذه القائمة الحزينة اسمين من أحب الأسماء إلينا ومن أعزهم علينا : محمود تيمور ، وطه حسين .

لقد كانت فجيعة المجمع فى تيمور فجيعة قاسيه أليمة. لقد فقدنا فيه ثروه أدبية لغو ية ضخمة ليس من السهل أن تعوض .

فقد شارك الفقيد فى كثير من أعمال المجمع ولجانه ، وكان له فيها آراء ومقترحات كان لها الأثر فى توجيه أعمالنا ، ولكنه فى السنوات الأخيرة عكف على ناحية خاصة من نواحى النشاط اللغوى وقصر عليها جهوده المجمعية وهى تعريب ألفاظ الحضارة. كان الفقيد يؤمن إيمانا صادقا بأن تعريب هذه الألفاظ هى الرابطه الوحيدة التى تربط المجمع برجل الشارع أو بجمهور الشعب . وعكف الفقيد على هذه الناحية واستطاع أن يخرج هو ولجنه ألفاظ الحضارة التى كان يرأسها ، عشرات المئات من هذه الألفاظ الحضارية ، تناولت ملابس السيدات وملابس الرجال وأثاث المنازل وأدوات الزينة وأدوات بعض الصناعات ، وكذلك مصطلحات الفن من رسم وتصوير

ومسرح ، لكننا إذ نبكى الفقيد اليوم ، لا نبكى فيه عضوا مجمعياً نشيطاً منتجاً فحسب وإنما نبكى فيه علما من أعلام الأدب ورائدا من رواد القصه ، بل ونبكى فيه أديبا عالميا تجاوز نشاطه الأدبي حدود البلاد العربية ، فترجمت معظم قصصه إلى مختلف اللغات ، وكرم فى كثير من المحافل الدولية الأدبية . أما أخلاق الفقيد فحدثوا عنها بما شئتم وكيف شئتم فقد اجتمع له من الصفات والخلال والسجايا ما قل أن يجتمع لكثير من الناس. شخصية رقيقة مهذبة ، هدوء مع اتزان ، أدب جم مع عفة فى اللسان ، تواضع فى عزة نفس وإحساس مرهف .

لقد عاصرنا الفقيد، فى المجمع أكثر من أربع وعشرين سنة، فما أذكر أنى رأيته يوما غاضبا من أحد ، أو ساخطاً على أحد، وإنما كان محباً للجميع محبوبا ومحترماً من الجميع .

رحمه الله وطيب ثراه وجعل الجنة مستقرة ومأواه .

أما الآن أيتها السيدات والسادة ، فسيتولى الزميل الاستاذ محمد خلف الله أحمد ، تأبين الفقيد نيابه عن المجمع ، ثم يليه الزميل الدكتور إبراهيم أدهم الدمرادش فيلقى كلمة الشعر ، ويليهما الأستاذ أحمد فؤاد تيمور فيلقى كلمة الأسرة . وليتفضل الأستاذ خلف الله مشكوراً .

## ●●● كلمة الأستاذ محمد خلف الله أحمد :

أى صديقنا ، وزميلنا ، وأديبنا الكبير «محمود تيمور» .

سلام عليك ، وأحسن الله عزاء المجمع فى فقدك .

وجزاك الله خيراً عن وطنك «مصر» بقدر ما أخلصت لها ، وأضفت إلى أمجادها بفنك العبقرى وأدبك الإنسانى .

وشكر الله لك ما قدمت للعروبة لغتها، وأدبها وحضارتها ونهضتها الحديثة .

أى زميلنا العظيم :

لقد فجعنا الموت فيك ، وفى نخبة من الأصحاب ، توالت بك وبهم الركاب ، فى أشهر متتابعات ؛ فجل الخطب ، وفدح الأمر ، وكاد الأسى يغلب التأسى ، وإنا لفراقكم لمحزونون ،ولكننا بقضاء الله راضون وبالصبر متواصون ، وإنا لله وإنا إليه راجعون :

أخى الأكبر تيمور :

إن كنت أرثيك اليوم باسم مجمع اللغة العربية، الذى كنت علما من أعلامه، وأسجل ما يسمح

به موقف التأبين من أياديك على الأدب واللغة وأنشر صفحات من جهودك فى تحقيق رسالة المجمع ، فإنى أبكى فيك اليوم صديقا أصفيته وأصفانى الود ، وحظيت منه — على مدى ثلاثين عاما — برعاية الأخ الأكبر لأخيه وتعهده إياه بمدد متلاحق من ثمار إبداعه الأدبى والعلمى ، كل حلقة فيه ستبقى — ما حييت — ذكرى إخاء سمح ووداد خالص :

وسأظل أذكر — يا أخى — مجالسنا وندواتنا فى أسرة «آداب الإسكندرية » ، والهيئة المحلية لرعاية الآداب والعلوم الإجتماعية بها ؛ فقد وقد كنت تخصها بمزيد من حبك وعنايتك ، وتخفُّ لاستجابة دعوتها ، محاضراً ، أو متحدثا ، أو محكِّما فى مسابقة أدبية ، وكان شبابها وكهولها يلتفون حولك ، سعداء بلقائك ، ظماءً إلى سماع حديثك ، حراصاً على ألا يطول انقطاعك عن زيارتهم . ومنذ جمعت القاهرة شملنا فى مجمعها وهيئاتها الفكرية والأدبية ، على مدى الخمسة عشر عاما الأخيرة ، نما حبى وتقديرى لك ، وزاد رصيدى من جميل الذكريات ، وفى الذكريات سلوى وعزاء .

رحمك الله يا صديقى ، وأكرم فى الفردوس مثواك ، والسلام عليك :

سيدى رئيس المجمع بالنيابة ، سيداتى وسادتى ،

إن الزميل الراحل الذى اجتمعنا اليوم لتأبينه ، ولد فى السادس عشر من يونيو سنة أربع وتسعين وثمانمائة وألف ، وانتقل إلى جوار الله فى الخامس والعشرين من شهر أغسطس الماضى من سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف — عن تسعة وسبعين من الأعوام ، يمثل ثلثها الأول مرحلة الإعداد والتفتح للرسالة التى اضطلع بها الفقيد على مدى خمسين عاما ، وورث بها الفكر العربى قرابة ستين كتابا فى مختلف ميادين اللغة والأدب .

وقد سجل لنا الفقيد فى بعض كتبه ؛ مثل : « شفاء الروح » اتجاهات الأدب العربى فى السنين المائة الأخيرة ، وفى بعض مقالاته وأحاديثه التى نشرت فى الصحف والمجلات — معالم المرحلة الأولى من حياته ، والعوامل التى وجهته إلى أدب القصة والمسرح ، والمؤثرات التى عملت عملها فى إنماء موهبته الأدبية ، وأهم الكتب التى فتحت الآفاق الفنية أمام ذهنه وخياله ، وأشهر الكتاب الوطنيين والعالميين ، الذين أعجب فى شبابه بأدبهم ، وحاول أن يحذو حذوهم .

وكان من بين ما أبرزه فى بيئته الخاصة : أثر والده العالم المحقق « أحمد تيمور » ، ومكتبته الحافلة بكل نفيس من كنوز التراث والثقافة ومجالسه التى كانت تنتظم ببعض أكابر العلماء والمفكرين فى عصره : كالشيخ محمد عبده و« الشنقيطى » ، و«رشيد رضا» ، ثم أثر شقيقه « محمد » ، الذى تطلع إلى بدء عهد جديد فى حياة الأدب المصرى ، والذى مات فى شبابه ، بعد أن شارك بنصيب وافر ، فى التمهيد لنهضة الفن القصصى والمسرحى ، فى الأدب العربى الحديث

كما أبرز الفقيد أثر الحياة التى أتيح له أن يحياها فى الريف ، وماكان لها بعد من صدى — فى رسم شخصياته فى قصصه الأول :

وأخبرنا — فيما سجله من عناصر ثقافته وفنه — أنه كان فى شبابه يستمتع بأدب « المنفلوطى » إمام الرومانسية الأدبية فى مصر، فى الربع الأول من القرن الحاضر، وأن والده وجهه إلى قراءة « ألف ليلة وليلة »، فطالعه بأكمله، وكان يجمع من يرغب فى الاستماع إليه من أهل المنزل ويعيد عليهم تلاوة ما قرأ، وأنه كانت له ولأخيه « محمد » محاولات ناشئة فى التحرير والتمثيل فى محيط الأسرة ومعارفها، وأنهما حفظا — وهما صغيران — معلقة امرئ القيس، وكان ذلك بتوجيه من والدهما.

وقد قرأ محمود — بتوجيه من أخيه — «حديث عيسى بن هشام» لمحمد المويلحى» ورواية «زينب» لهيكل، وأغرم بقصص الكاتب الفرنسى الشهير «موباسان» الذى توفى قبل ميلاد تيمور بسنة واحدة، واتصل بالقصص الروسى وخاصة قصص « تشيكوف » «وتورجنيف» وأتيح له أن يسافر إلى أوربا، فقضى فيها مدة معظمها فى « سويسرة »، عكف فيها على الاتصال بالأعمال القصصية، وعلى تعميق ثقافته الفنية والأدبية.

* * *

هذه أهم المعالم الأولى فى تكوين فقيدنا وإعداده لرسالته، ومن حسن حظ التاريخ الأدبى أن الفقيد قد سجل خطوطها الرئيسية بقلمه ويسر بذلك مهمة المؤرخ والناقد وكاتب الحياة فى التصوير والتحليل والتعليل للظواهر الأدبية.

ولعلنا نستبق ما سيجئ من حديثنا لنقول: إن هذين العنصرين البارزين من عناصر التكوين والتنمية لشخصية «تيمور» الثقافية والفنية، قد ظلا يعملان عملهما إلى آخر حياته. فقد كانت له طوال الثلاثين سنة الأخيرة أسفار إلى الخارج للاصطياف أو التماس السلوى بعد وفاة نجله محمد سعيد فى شبابه أو طلباً للعلاج لنفسه أو لأسرته وزادته تلك الأسفار تنوعاً فى مطالعاته، واتساعاً فى تجاربه وصقلا لقوة الملاحظة عنده، ورصيداً من المشاهد والمناظر وأنماط السلوك، وأثمرت — فيما أثمرت — بضعة كتب فى أدب السياحة والرحلة تعد نماذج فى براعتها وصدق فنها، وتؤلف خطاً هاماً من خطوط منجزاته.

أما حرص الفقيد على تنمية ثقافته، فقد ظل ملازماً له طوال حياته وظلت الكتب القديمة والحديثة والمعاصرة من خير جلسائه. والمتتبع لسلسلة أعماله يلحظ شواهد تلك الصحبة الدائمة، فى أسلوبه، وفى مسرحياته، وفيما يرد من إشارات ومقتبسات فى بحوثه ومحاضراته التى تؤلف خطاً ثالثاً فى منجزاته — ثم فى صوره الأدبية الوصفية التى رسمها لبعض الشخصيات البارزة المعاصرة فى عالم الفكر والأدب والفن وفى كتاباته التى كان يتابع فيها إنتاج القصاص المحدثين والمعاصرين بنقده، أو يقدم له أو يعرف بأصحابه، وهذه الصور الوصفية والكتابات الناقدة تؤلف مجالا رابعاً من مجالات النشاط الفنى للكاتب الكبير. ويبدو أنه كانت للفقيد فى تثقيف نفسه عناية خاصة بأن يكون ترتيل آيات

من القرآن الكريم أول مايفتتح به يومه حين يصبح . وآخر ما يختتمه به حين يمسى ، وقبل أن يسلم أجفانه للنوم . وكان يجد فى ذلك توفير الصفاء والنقاء لروحه ، حتى تشف وتخف وتسمو إلى الآفاق العليا ، حيث ينابيع التطهر والصفاء والسعادة. وقد كشف عن سر هذه التجربة فى كتابه : « شفاء الروح » ونصح لأخيه المؤمن أن يأخذ بحظ من هذه التجربة ، وهو يختم نصيحته هذه بقوله :

أخى المؤمن :

مزية جليلة أن يكون ذلك الذخر الخالد من كلام الله تراثاً دانياً منك ، تلتمس فيه علاج نفسك وصفاء روحك ، وتمتلك به ناصية السعادة بمعناها الأسمى ؛ ذلك لأن هذا القرآن الكريم ينأى بك عن مكاره الأرض ليصل بينك وبين السماء :

إنى ألمح هنا سرا من أسرار تلك السماحة الباسمة المطمئنة الوئيدة الخطو ، التى كانت تهل علينا من ساحة دار المجمع إلى قاعة المجلس ، فإذا هى « محمود تيمور » يدلف إلى مكانه المعهود فى حياء وإشراق ، ليشارك فى أنشطة المجمع ، وليعرض عليه صيده الثمين من ألفاظ الحضارة ، ومن البحوث الممتعة فى الأدب واللغة .

وفى لغة تيمور وأسلوبه فى كثير من أعماله الأدبية نضرة من أثر ذلك النبع السماوى الصافى

* * *

سادتى :

مضت مرحلة الفتوة والشباب بإرهاصاتها الفنية ، وسار محمود تيمور فى مراحل تعليمه وجاءت نقطة التحول فى حياته — كما يقول حين أصيب بمرض التيفويد — وهو فى التعليم العالى فى سن العشرين ، وطال المرض وألزمه الفراش ثلاثة أشهر ، فلما أبلّ منه ، حال ضعف بنيته دون استئناف الدراسة ، وشعر باشتداد ميله للأدب ، فرسم لنفسه فيه دراسة شبه منظمة ، اتسمت بالجد والاستيعاب ، وسار فى مطالعاته فيه بهداية شقيقه . وحين كتب « محمد تيمور » أقاصيصه بعنوان « ما تراه العيون » ، ناحياً فيها نحو المذهب الواقعى ، مصوراً فيها مناظر مختلفة من البيئة المصرية وأشخاصها فى أسلوب سهل رشيق ، أعجب بها « محمود » ، فكتب على غرارها باكورته فى القصة « الشيخ جمعة » مترسما فى كتابته المذهب الواقعى :

وفى عام ١٩٢٥ رأى أنه قد تجمعت عنده مادة من القصص يصح إظهارها فى كتاب ؛ فطبع « الشيخ جمعة وقصص أخرى ».

من هنا ، وفقيدنا فوق الثلاثين بقليل ، يبدأ العمر الفنى للأديب القصصى الكبير ، ويتطور فنه ، ويتنوع إنتاجه بين أقصوصة وقصة ومسرحية ، وأدب أسفار ، ولقطات وصفية ، ودراسة لفن القصص ، ولبعض قضايا اللغة العربية ؛ وتأخذ شهرة أديبنا فى الاتساع ، وتبرز فى المحيط العربى : « شفاه غليظة » و « سلوى فى مهب الريح » و « حواء الخالدة » و « المخبأ رقم ١٣ » و « كل عام

وأنتم بخير » و « إحسان لله » و « ابن جلا » و « اليوم خمر »، و « أبو الهول يطير » و « ملامح وغضون » ، و « شباب وغانيات » وغيرها مما وصل بتيمور إلى مرحلة الاعتراف الرسمى بمكانته ، علماً بين أعلام الفكر ، ورائداً لفن القصة فى الأدب العربى الحديث . وتجاوزت شهرة « تيمور » الأدبية حدود الوطن العربى فترجمت بعض أعماله إلى لغات أجنبية وتسامع به بعض علماء الاستشراق والمعنيين بالآداب العربية ، وكتب عنه بعضهم — مثل « كراتشكوفسكى » الروسى و « عبد الكريم جرمانوس » المجرى — كتابة تؤرخ مولد القصة المبتكرة ذات الطابع العربى الصميم ، وتشهد بارتفاع تيمور إلى مصاف الفلاسفة الأدباء ومعلمى الثقافات .

ومن أوائل ما يطالعنا من الاعتراف الفنى والرسمى بتيمور فى بلده مصر — ومن المظاهر الأولى فى صلته بالمجمع — أن اختارته وزارة المعارف والمجمع اللغوى فى سنة ١٩٤٢ عضواً فى لجنة مسابقة القصة التى نظمتها وزارة المعارف ، ودعت فيها الأدباء إلى تأليف قصـــة ينتفع بها الطلاب وأمثالهم من المثقفين ، ثم أحالت أمر هـــذه المسابقة إلى المجمع لتتولى التحكيم فيها هيئة ممن ندبتهم الوزارة لهذه المهمة بالاشتراك مع لجنة الأدب والنصوص بالمجمع ، وبلغ عدد أعضاء تلك الهيئة أحد عشر ؛ بينهم لطفى السيد ، وهيكل ، ومصطفى عبد الرازق ، وطه حسين والجارم ، وتيمور ، كلهم من قادة الفكر والأدب فى تلك المرحلة ( مجلة المجمع عدد ٥ )

وفى سنة ١٩٤٧ وافق مجلس المجمع على اقتراح لجنة الأدب فيه تتويج جميع الإنتاج القصصى باللغة العربية الفصحى لمحمود تيمور ، ومنحه وحده جائزة القصة فى المسابقة التى كان المجمع قد أعلن عنها من قبل فى ميدانى القصة والبحوث الأدبية ، وفى شهر مارس من ذلك العام أقام المجمع حفلا عاماً بقاعة الجمعية الجغرافية لإعلان تلك الجوائز ( مجلة المجمع العدد ٧ ) وألقى « فريد أبو حديد » كلمة القصة فى ذلك الحفل وفيها عرض للقصص وتاريخه وأهدافه ، ونصيب الأمم القديمة فى نشأته وتطوره ، كما أشار إلى طائفة من أعلام القصة وانتهى إلى التعبير عن اغتباط مصر بظهور طائفة من نوابغ أدبائها الذين توفروا على الإنتاج الأدبى فى شتى الفنون ؛ من شعر وأدب وقصص وأعلن أن المجمع اللغوى قد اختار فى هذا العام من بين المبرزين فى القصة ؛ الأستاذ محمود ( بك ) تيمور ، فأهداه جائزة القصص . إشارة منه إلى هذا المعنى ، واعترافاً بما للأستاذ الكبير من أثر محمود فى فن القصة فى أدبنا الحديث .

وقد أحصى المتحدث مؤلفات تيمور إلى ذلك التاريخ فكانت خمسة وعشرين كتاباً ، وبعد أن أشار فى إيجاز إلى الفرق بين آثار تيمور الأولى وآثاره الأخيرة قرر أننا لسنا نبالغ إذا قلنا إن تيمورا قد بلغ فى بعض قصصه الأخيرة مرتبة عالية ، يحق لنا أن نفاخر بها

وأجمل «أبو حديد» ما تمتاز به طريقة تيمور في ثلاث :

الأولى : أنه يرسم أشخاص قصته حتى إنك لتحس أنفاسهم، وتلمح الحياة في سهولة حركاتهم :

والثانية : أنه يكتب في لغة سلسة لا تحجب شيئاً من معانيه :

والثالثة : أن فنه يشيع فيه روح وديع من الإنسانية لا تحس معه مرارة في وصف حتى ليكاد يحبب إليك الضعف الإنساني.

وكأنما كان تتويج المجمع جميع الإنتاج القصصي لمحمود تيمور ومنحه وحده جائزة القصة ، جواز مروره لعضوية المجمع بعد ذلك بسنتين ، فقد ائتمر به صديقان له : «أحمد أمين وطه حسين» فرشحاه ، ولم يكادا يعرضان هذا الترشيح حتى أجمع المجمعون على اختياره ، وإذا هو — كما يقول « طه حسين» في استقباله — قد التهمه المجمع التهاماً ، كما التهمته اللغه العربية الفصحى التهاماً من قبل. كانت جلسة الانتخاب في أواخر عام تسعة وأربعين وتسعمائة وألف ، وكان حفل الاستقبال في جلسة علنية في السادس والعشرين من شهر يناير سنة خمسين وتسعمائة وألف ، وناب عن المجمع في هذا الاستقبال « طه حسين » ، وتضمنت كلمته لمحة لتاريخ أسرة تيمور ، وحبها للعلم والأدب ، وما كان للجد والأب والعمة والشقيق من أثر في ميادين الفكر والشعر والقصص والتمثيل ، وامتياز « محمود تيمور » في فن القصص على مفهومه الحديث امتيازاً سجل به لنفسه خلودا في تاريخ الأدب العربي ، ووصف تيمورا بأنه كاتب حلو النفس ، عذب الروح ، خفيف الظل لا يثقل على قرائه مهما يطيلوا عشرته : ويؤكد طه حسين أنه حين تلقى « سلوى في مهب الريح » وهو في فرنسا مشغول بما كان يعكف عليه من قراءة الأدب الفرنسي مابدأ يقرأ قصة تيمور حتى أتمها على طولها ، ولم يقطع القراءة إلا حين لم يكن من قطعها بد . وأعجب طه حسين — فيما أعجب به — من قصص تيمور « بشفاه غليظة » . وطاب لطه حسين في فن هذه القصة أن يلحظ أن الذي استهوى بطل القصة وملك عليه لبه وفؤاده كله هو شيء في إحدى الشفتين ، نتوء ضئيل جدا في وسط الشفة ، لا ينفرج ولا يتسع ولا يتيح لهذه الشفة أن تستوى إلا حين تضحك الفتاة أو تبكي أو تأخذها ثورة من ثورات العاطفة :

و«طه» إذ يكشف هذا السر بخبرة القصصي الناقد المحنك ، يتجه إلى تيمور ، فيقول له :

هذا النتوء اليسير كان مدار قصتك كلها ، من أولها إلى آخرها : شيء يسير جدا في شفة فتاة من الفتيات ، رآها محام ففتن بها وهام بها الهيام كله . : : : . . . . وكذلك أنت في كثير جدا من قصصك ، أو في كل قصصك تصل أو تستكشف شيئاً يسيرا ،

وتجعله مداراً للقصة ، تعود إليه كأنه لحن من هذه الألحان اليسيرة التى يبنى الموسيقى عليها قصته . فأنت تجد فى قصصك فكرة أو صورة أو خاطرة دقيقة يسيرة ، تدور عليها قصتك فتستهوى وتخلب وتستلب القلوب ( مجلة المجمع عدد ٨ ) .

هذا التأكيد للتتويج المجمعى لآثار تيمور القصصية تبعه تأكيد ثان من الدولة فى السنة التالية حين منحته جائزتها فى الآداب على مجموعتى قصصه : «إحسان لله » و«كل عام وأنتم بخير» . وظفر تيمور فى تلك السنة أيضاً بجائزة واصف غالى فى باريس ، على كتابه المترجم إلى الفرنسية « عزرائيل القرية » .

ولم يكن تتويج آثار تيمور القصصية فى سنتى ١٩٤٧ و ١٩٥٠ آخر عهد المجمع بتكريم تيمور حياً ، فقد رشحه بعد ذلك فى سلسلة ترشيحاته السنوية لبعض أعضائه لجائزة الدولة التقديرية فى الآداب ، وشاركت المجمع فى هذا الترشيح بعض الهيئات الأخرى ، وأقر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية منح تيمور تلك الجائزة فى سنة ١٩٦٢ وجاء فى تقرير لجنة الفحص بالمجلس : « وله نيف وخمسون كتاباً ، طبع بعضها عدة طبعات ، واستمتع بقراءتها عشرات الآلاف من قراء العربية ، واهتدى بهديها الفنى عديد من كتاب القصة والقصة القصيرة وامتد تأثيره من البيئة المصرية إلى أجزاء الوطن العربى الكبير ، وقد أحله النقاد منزلة ممتازة بين رواد الأدب العربى الحديث وموجهيه وامتدت شهرته عن طريق كتبه المترجمة إلى مختلف الألسنة والبلاد ، فقد ترجم عدد كبير من أعماله إلى عدة لغات أوربية وآسيوية ؛ كالإنجليزية والفرنسية والروسية والصينية والإندونيسية والأردية .

وهو بذلك ذو منزلة رفيعة ممتازة فى حياتنا الأدبية ( جوائز الدولة — المجلس الأعلى ١٩٦٢ ) قد أيد هذه الألوان من التكريم الفنى والعلمى شكول من التكريم الرسمى فيما منحته الدولة إياه من الأوسمة الرفيعة .

سادتى :

نستطيع أن نقول إن العمر الفنى للفقيد — وقد اعتبرنا بدايته سنة ١٩٢٥ — قد بلغ تمام رشده ونضجه حوالى منتصف القرن الحاضر .

وقبل أن تسلمنا هذه المرحلة إلى العشرين سنة الأخيرة من حياة فقيدنا والتى تبدأ مع بداية ثورة التحرير المصرية ، نتلبث قليلاً لنشير إلى معلم من معالم المرحلة الماضية ليس بالقصة ولا المسرحية ولا الدراسة العلمية ، ولكنه كتاب رحلة من أبرع ما عرفه أدبنا العربى فى هذا الباب ومن أشده استحواذاً على النفوس : فناً وأسلوباً ؛ وقد شاء القدر أن يقوم تيمور بتلك الرحلة إلى أمريكا بعد سنوات قليلة من فجيعته وفجيعة الأسرة بفقد نجلها « محمد سعيد » فى ريعان شبابه إثر مرض وقف الطب إذ ذاك عاجزاً عن علاجه .

وكتاب الرحلة هذا — وعنوانه «أبو الهول يطير» — سجل فني سجل فيه كاتبنا وصفاً تصويريا لمعظم ما رأى في طريقه وفي أثناء إقامته في نيويورك لعلاج السيدة قرينته. وصدره بإهداء مؤثر، يقول فيه:

«إليكَ . . . :

إليك يا أعزّ من أحببته، ويا أعز من فقدته:

إليك أنت، يا من لا أسميك . فإن اسمك لم يعد يجرى على لساني منذ أضعتك.

إليك أخط هذه الرسائل.

إني لأبعثها واحدةً تلو الأخرى، لعلي أتنسم من توجيهها إليكَ بردَ السلوى؛ وإنها لتطالعك في عاليك العلويّ، لعلها تحمل إليك خوالج القلب ونجوى الضمير!

تهتاج بين جوانحي رغبة متقدة في الكتابة إليك، في مخاطبتك؛ في فك الإسار عن نفسي التي تتنزّى في القيود والأصفاد . . .».

. . . . . وتسير الرسالة على هذا المنوال الحزين حتى تقول:

«تلك هي الرحلة الأولى التي تتخلف فيها عن مرافقتي، فلقد نعمت بصحبتك في أسفاري جميعاً.

أنت تتخلف عني اليوم على الرغم منك، وأنا أرحل الساعة بدونك على غير إرادة مني، إنها يا بني مشيئة القدر، ومن يردُّ القدر إذا شاء . . .»

. . . . إني لأزمع الرحيل لا تسريةً عن النفس، ولا إشباعاً لفضول، بل لأرافق شخصاً عزيز المكانة في قلبينا، يلتمس الشفاء في تلك البلاد القاصية».

أما كان أحرى أن تكون مكاني ترعى هذا العزيز في غربته وتدعني مكانك أتوسد الثرى عنك! . . . .».

ويبلغ الإهداء ذروة المأساة حين يصل إلى ذكر المرحلة الأخيرة من مرض ابنه، ويهمس الأب الحزين في حسرة واستسلام:

«لقد تطايرتَ من بيننا يا بني كما يتطاير العطرُ من قارورة رُفعت سدادتها فلم نعد نراك بأبصارنا، ولكننا ظللنا نشمُّك طيباً يشيع فيما حولنا من أجواء».

وتبدأ الرسالة الأولى من رسائل الرحلة مؤرخة ٤ من أبريل سنة ١٩٤٦، وتشعر وأنت تقرأ الأسطر الأولى منها، أن الأب الحزين الصابر يُصرّ على أن يتحدث إلى ابنه في كل صغيرة وكبيرة من شئون الرحلة، حتى لا يفوته منها شيء، وكأنه على عهده يرافق أباه، ويشهد المشاهد معه، بما فيها من جمال ومتعة، وما فيها من غرائب ومفارقات، وما تثير من شجون وذكريات، وما يتمثل في سلوك الأشخاص الذين يتحركون على مسرحها من بواعث الفكاهة والسخرية أحياناً، ومن مسبِّبات الألم والضيق أحياناً أخرى.

تصف الرسالة ما يحيط بالمسافر ، بعد أن تحدد ميعادسفره ،من مشاغل متزاحمة ، ومن إجراءات معقدة ، يتعلم فيها المبتلى بها كيف يكون هجاماً لجوجاً ملحاحاً ؛ والمتاعب التي يصادفها حين يصل إلى الجمرك « تلك المؤسسة التي أنشأها قوم حاقدون على البشرية ، اتخذوها أداة تنكيل وسوط عذاب ، وضابط الجمرك الذى ترتفع يده بالخاتم العظيم ، تضرب هنا وهنالك فى مهارة حرية بالتقدير . . . إنه ليضرب ضرباً محكماً كأنما يسدد الطعن فى ميدان القتال . أخذ الضابط الهمام يجفف ما تغضّد من جبينه فى زهو النصر الغلاب . . ألم يؤدّ عملا بالغ الجلالة ، عظيم الخطر ! إن ورقة تخلو من ضربة واحدة من خاتمه العظيم كفيلة أن تقضى على صاحبها التاعس بالحرمان » .

وتحين ساعة الوداع ! ويقول كاتب الرسالة :

« وشعرت بغتة كأن قلبى تهصره يد قاسية . . .

وثارت بى فجأة ذكريات . . . ذكريات يزحم بعضها بعضاً . . . ذكريات شتّى جليلة . وتافهة . . .

فى هذا الموقف الدقيق تتخايل لنا حادثة قديمة ليست بذات بال ، أو يبدو لنا وجه نعجب كيف انفسح له مجال الظهور ! وتتداعى المشاهد فى مخيلتنا وتتلاحق سراعاً حتى تتجمع كلّها وكأنها تدور حول محور واحد ، ولا تفتأ تدور ، وننظر إلى المودّعين نظرة ساهمة ، ونبدأ نودعهم مصافحين أو مقبّلين ، وتثور فى النفس رواقدُ الشجون ، وينكشفُ للمرء منا تفاهتُه العجيبة ، وتنهار فى لحظات تلك الشجاعة التى نتغنى بها مفاخرين ، فنغدو نحن الرجال ، أمام وداع طفل صغير ، قد تصاغرنا ، وأصبحنا فى مثل حجمه وعقله وشعوره .

أى بنى !

« إن وداع الأحياء رائع مثير لأخفى كوامن الشعور ، ولكن ثق أنه لا يقاس بشئ أمام وداع الراحلين » .

وتأخذك الرسالة الثانية معها على هذه الصورة حتى تصل بك إلى مطار « أثينا » ثم بعد استراحة قصيرة إلى باريس مارة فوق سويسرا ، ولا يفوتها أن تلقى معك نظرة على ما يتيحه المرور من جلال وجمال ، حيث الجبال الشوامخ تعمّ قممها بناصع الجليد ، كأنها نساك من الشيوخ متعبّدون ، عليهم جلالة ومهابة ، ترفعوا عن زحمة الحياة ، وضجيج الأرض فخلوا إلى أنفسهم معتكفين . . . ولا تلبث أن تلوح للأنظار باريس العظيمة ، غانية المدائن وفاتنة الحواضر ، ومحط الرحال من كل صوب وحدب ؛ ويستعد أبو الهول للهبوط ، ويتحسس صاحبنا وجهه فيصطدم بشعرات لحيته الخشنة تملأ عارضيه ( وكان قد تحسس نذرها من قبل فى طريقه إلى أثينا ) فيقول : ويلاه من تلك اللحى الكريهة التى تطلق لنفسها حرية النمو فى غير حياء

ولا تورع ! . . لقد نسيتك يا صاحبتى : سأقصد توا إلى المغسل لأزيلك فى طرفة عين » ! .

وتصف تلك الرسالة بعض مشاهد باريس، وقد تغيرت الحال ومظاهر المعيشة فيها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . ويسير صاحبنا — فى فوج من زملاء الرحلة مترجلين — إذ ليس ثمة من سيارة ترى ؛ ويبدأون يخترقون ساحة « الكونكورد » فإذا بها قد ران عليها خمول :

« وبدت المسلة المصرية ، وسط ذلك التجهم ، شامخة متطاعة فى ترفع وإباء ، كالنبيل المصفد بالأغلال . . إنها هى وسط الظلام والسكون ، كما كانت هى وسط الأنوار السواطع والحركة الدائبة . . هى تلك الصموت الأبية تنتظر فى صبر وأناة ساعة الخلاص ، ساعة الأوبة إلى الوطن » .

ولا ينسى « تيمور » — فى وسط ذلك كله — أن يرتب لك لقاء مع روح المقاومة الفرنسية فى أيام الاحتلال الألمانى على لسان نادل القهوة . وتسنح للكاتب فرصة السخرية المنتقمة من حوذى محطم أرهقهم عسرا فى مساوماته على أجرة الركوب فى مركبته التى لا بد أنه ابتاعها من سوق الأسقاط وباليات السلع !

ويتهيأ الركب لعبور المحيط الأطلنطى أو كما يسميه العرب « بحر الظلمات » ، ويستعدون لرحلة لا تستغرق أقل من إحدى عشرة ساعة ، ويتسامى بالمسافرين صديقهم الكبير يضرب بهم فى عرض الأفق ، وقد اتقد حمية وحماسة ، ويرون السحب تنبسط على صفحتى المحيط وتغدو كأنها بساط من جليد :

وتبلغ الرحلة « نيويورك » ، وتثور بالكاتب — كما يقول — ثورة تطلع وفضول ، فكان يبعثر النظرات حوله فى تعجل ، يخشى أن يفلت منه شئ ، حتى تطالعه ناطحات السحاب بقوامها الفارع تستعلى ، ولا تنى تستعلى ؛ فهى تفصح لك عن مركب النقص فى النفس الأمريكية تكمن فيها نزعة تلك الأمة الفتية الناهضة التى أصابت ثروة واقتدارا ومكانة ، نزعة كأنها تريد أن تصرخ قائلة :

لست إلا أمة عظيمة !

وتجد عبقرية الكاتب المصورة — فى أمريكا — مجالها الواسع فى التسجيل والوصف والمقارنات بين الشرق والغرب ، والحديث عن الرجل والمرأة ، وما يسميه الأمريكيون جمال الجاذبية الأنثوية ، والفرق بينه وبين الجمال المصرى النسوى ، الذى أنضجته شمس الصحراء ، وغذته خصوبة الوادى ، ورواه رحيق النيل ، وشاعت فى سماته أحلام الشرق وأخيلته فأصبح « كوكتيل » الجمال الشرقى ، وغدا سحرا لا يفوق مستواه أى مستوى آخر للجمال العالمى :

وتأخذ معالم « نيويورك » ثم « وشنطن » بعدها أماكنها فى كتاب الرحلة بفنادقها

ومسارحها ودور السينما فيها ، والمتاحف القديمة والحديثة ودور الكتب ، وتسنح الفرص بين حين وآخر لاهتزازة قومية تثير فى نفس الكاتب الزهو والاعتزاز بوطنه ومجده القديم وحضارته أم الحضارات ، ويستيقظ بين جوانحه اغتباط حين يزور ركناً مصرياً فى أحد المتاحف ، أو يطّلع فى إحدى دور الكتب على مخطوطات وكتب من نفائس التراث العربى الإسلامى .

ويتم علاج الشخص العزيز ويأخذ المسافران طريق الأوبة ، ومنذ أن فصلت الطائرة عن «أثينا» متجهة نحو مصر ظل صاحبنا لا يستشق إلا جوا واحدا ونسيما واحدا ، ما أطيب شذاه ، وما أكرم رياه ، ينفذ إلى سويداء القلب ، ذلك هو نسيم « مصر » ، وعطر الوطن ، ثم لا يلبث أن يستمع إلى صوت منبعث من قرارة وجدانه يتساءل :

« مالى ، وقد رحلنا عن « أثينا » واقتحمنا سماء بحر الروم ، واتجهنا صوب وادى النيل أحس وحشة غريبة تهب دفعة واحدة من جوف ذلك الغسق الذى تشق أستاره ، وتهيب بقلبه : أفصح أيها القلب . مما بك الساعة ! » .

ويصل الغائب الوطن ويقف على قبر ولده ويطوّف بمزاره ، ثم يرجع إلى داره ليخط إليه كلمات عجالا ، هى أخرى كلماته إليه فى هذه الرسائل .

وينتهى كتاب الرحلة برسالة من صفحتين إلى شريكة عمره ، ورفيقته فى السفر والحضر ، تحية محبة ورمز تقدير .

هذه الرحلة تحولت فى يد تيمور إلى شبه قصة تحقق فى نفس قارئها المتعة الفنية ، واللذة العقلية معاً ، وتثير عنده فى الوقت ذاته مشاعر الأسى والمشاركة الوجدانية .

والمحور الذى يمسك قصة الرحلة ويربط بناءها ، هو ذلك الغائب بجسمه ، الحاضر بروحه ، الذى لازم أبويه طوالها يتحدث إليهما ويتحدثان إليه ، ويشاركهما الذكريات والمشاعر التى أملت رسائلها . وهى كسائر أعمال « تيمور » نموذج فى الوضوح الفكرى والتعبيرى ، وفى غنى الثروة اللغوية التى تعجزها الاستجابة لتصوير الأشياء والأشخاص والمشاعر والمشاهد فى تنوعها ، بين شرقية وغربية ، وقديمة وحديثة .

* * *

ولتيمور فيما أخرج من سلسلة أدب الأسفار نموذج آخر ، أحدث من سابقه عنوانه : « جزيرة الحبيب ومشاهد أخرى — سياحة فى إيطاليا » ، ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٣ أى قبل رحيله عن دنيانا بعشر سنوات يبدؤه بنبذة طريفة فاتحة لشهية القارئ عن بعض الفوارق الأساسية بين الحياة فى سويسرا والحياة فى إيطاليا ، يقول فيها :

« فالحياة فى سويسرا كأنها لحن قوى عنيف من الألحان الموسيقية الجسام التى تتطلب الإنصات فى توقر وخشوع ؛ ولكن الحياة فى إيطاليا ترنيمة رقيقة مرحة ، تترنح على نغمتها الأسماع فى كل آن وفى كل مكان .

وإن تلك الفوارق لتبدو حتى فى ألوان الطعام . . . الصحن فى سويسرا كأنما يقول لك : ماذا تبغى أكثر من غذاء نافع يوفر لك الشبع والعافية ؟

أما نظيره الإيطالى فيقول لك : هنيئاً مريئاً بما تنعم به من لون شهىّ المذاق يواتيك باللذة والإمتاع !

وعلى رأس المجالات التى تتجلى فيها هذه الفوارق مجالُ الجمال .. هو فى سويسرا — جمال هندسى منطقى، يقوم على التنسيق ، فيخاطب العقل، ويبعث على التقدير والإكبار، وهو — فى إيطاليا — جمال ثورى عاطفى ، يوقظ الفتنة ، فيناجى القلب ، ويبعث فى الجوانح حرارة الشوق والهيام : : : : » :

و«جزيرة الجيب» التى استمد منها الكتاب عنوانه هى جزيرة «كابرى» ، تلك الجزيرة الصغيرة فى خليج « نابولى » والتى خلدت جمالها كثير من الأغانى الغربية العاطفية الراقصة ، وقد تعهدها القوم ، فأحالوا حظها الوافر من جمال الطبيعة سحراً وفتنة . وهذه الملاحظة تثير فى نفس كاتبنا سؤالا ملحاً : إن مواطن من الفتنة والسحر تختبئ فى أرجاء الإقليم المصرى ، فمتى يتاح لها أن تدخل معهد التجميل لتخرج عرائس فى زينة وزخرف تغلى لها المهور من كل خاطب ود ؟

وانشغال الكاتب بوطنه ، وحنينه إليه ، واعتزازه بعراقة تاريخه وحضارته سمة بارزة من سمات هذا العمل الأدبى ، فالكاتب أينما سار ، تتراءى له من جانب الوطن أطياف ، تهز منه كوامن المشاعر ، وتثير فيه غوالى الذكريات فيهتف من أعماقه : « رعاك الله أيها الوطن العزيز ، ما خطونا فى ديار الغربة خطوة ، إلا آنستنا منك آثار تذكرنا بك ، وتشدنا إليك ، وتزيدنا من ولاء لك وتمجيد ، فأنت على البعد والقرب ملء وجداننا ، مادبت فينا حياة » .

ويزور الكاتب حديقة روما ، وفيها مئات من التماثيل يتجمع بعضها فى بقعة ، ويتفرق بعضها فى شتى الأرجاء ، ولكل فئة من العظماء نصيب ملحوظ بين هذا الحشد من التماثيل ، فيبهر سائحنا بما يرى من روعة وجو روحانى ، ولكنه لا يلبث أن تغشاه سحابة من الكآبة ، إذ لا يجد عربياً من قومه أتيح له أن يتبوأ مقعداً بين أولئك الأفذاذ الخالدين ، ولكن هذه السحابة تنقشع عنه حين يعلم أن « شوقى » شاعر العروبة والإسلام ، قد أخذ مكانه الجدير به بين الأنداد والنظراء من الشعراء ، فيقول : إنه فى الحق لانتصار للشرق بأسره قمين بالزهو والاعتزاز .

ومن سمات فن تيمور فى «جزيرة الجيب» بل فى أدبه جملة — كثرة التشخيص للأشياء المادية ، ومخاطبتها ، وإدارة حوار معها ، كأنها أناسىُّ تسمع وتعقل وتستجيب للهمس والمناجاة . وينجح تيمور فى هذا الكتاب النجاح كله — يسعفه فى هذا حس مرهف ، وقلم

ملهم ، وثقافة فنية عميقة واسعة ،فينقل إليك فى أعذب صورة من صور البيان ذلك الجو الحافل بالآثار ، ومواطن الجمال ومشاهد الذكريات ، حتى لكأنك معه تشاهد وتستمتع وتتأمل ، وتتنقل بين جلال الماضى وجمال الحاضر : ويرتفع نفس الكاتب فى بعض مواطن الجمال الطبيعى ، إلى أسلوب تحار فى تحديده : أهو نثر شاعرى ، أم شعر فى قالب منثور ؟!

سادتى :

تحفل العشرون سنة الأخيرة من حياة تيمور ، بأعمال أدبية متنوعة ، تبدو عليها سمات العبقرية الفنية الناضجة والأستاذية النقدية الهادية ، والخبرة اللغوية والأدبية الراشدة ، والتحليل النفسى العميق ، والتصوير الكاشف لبعض مشكلات المجتمع المعاصر .

ومن هذه الأعمال روايته القصصية « إلى اللقاء أيها الحب » يعرض فيها مشكلات فتاة العصر الجديد ، فيما تعانى من اضطراب فى حياتها العاطفية ، وفيما تتعرض له فى حياتها العامة ، وعملها فى مختلف الأوساط ، من شُبه ومغريات ، وألوان من الصراع النفسى . تسير نشأة الفتاة فى أسرتها فى جو متناقض يتنازعه صوتان : صوت التطور ومسايرة العصر فى شخص عمتها « تفيدة » المثقفة الذكية ، التى تعطف على الفتاة وتتفهم مشكلاتها ، والتى كانت لقاءات الفتاة معها متعة أى متعة ، حيث تقضيان الوقت فى مفاكهة ومطالعة وحوار ، فإذا صمتتا كان صمتهما إصغاء إلى أقراص الحاكى ، تطرب السمع بأنغام الموسيقى وألحان الغناء :

والصوت الآخر صوت التقاليد ، ممثلا فى شخص أمها القليلة الحظ من الثقافة والذكاء ، والتى تريد لابنتها أن تسلك مسلكها هى فى الحياة . وتصر على أن تستبقى لنفسها حياة السَّراة المترفين ، على الرغم مما وصلت إليه الأسرة من ضيق وإفلاس .

تنقلت الحياة بالفتاة فى ميادين عمل مختلفة : مرة أمينة سر لرئيس مكتب شركة تأمين ، ومرة محررة فى القسم الإفرنجى لجريدة « الليالى الملاح » ومنشئة لركن ناجح فيها عنوانه « أحاديث بنت البلد » ، وقد لاقت فى مختلف أعمالها ضروبا من سلوك الرجال نحوها ، وأطماعهم فيها ، ومرت عليها فى مختلف الأوساط نماذج وأشكال من الشباب فى علاقاتهم ، ومناحى تفكيرهم ، ومواقفهم من الحياة ، وأورثتها تجاربها المرة ، شعوراً بالنقمة من هؤلاء المتوقحين الذين يحبون المرأة لقمة سائغة تسد جوعهم الأثيم . ويمسك هيكل القصة علاقة من الحب بدأت تعارفا ووداداً ثم نمت مع الزمن ومن خلال الأحداث حبا فرابطة زواج .

وتبدو براعة الكاتب الكبير فى هذه الرواية وفى أخواتها فى تجسيد المعانى والمشاعر ، وفى تسيير الأحداث فى حركة طبيعية ، وفى إدارة الحوار المستمر بين الأفكار وأضدادها ،

وفى إتاحة الفرص للمنافسات والأزمات العاطفية فى تعقدها وانفراجها، ويحس القارئ فى بعض فصول هذه الرواية صدى لبعض اهتمامات الكاتب فى فنه القصصى، كالنصح الذى يوجهه « سعدمدبولى » لصديقته المحررة بأن تقتحم ميدان البيئة الشعبية، وتزور الأحياء الوطنية، وتجوس خلال الأسواق وتتعرف إلى أهل البلد، وتختلط ببنات البلد، لتدرس كيف يحيين، ومامشكلاتهن، إن ذلك ميدان فسيح لو طرقته لتفتحت لها دنيا جديدة زاخرة، ولكان ذلك ينبوع إلهام لفن صادق ينبض بالحياة. ويفسح تيمور فى هذه الرواية مكانا للمحات والتماعات ذكية، منها طرفة فى شكل مقطوعة من الشعر الحديث، يضعها على لسان فتاة شاعرة، فى عامها الرابع عشر تسمى نفسها «شاعرة المذهب الوجودى ومافوق الواقعى»، ويهيء لها أن تلقيها فى حفل فى « كازين الصقر الذهبى »، أقيم لانتخاب ملكة عارضات الأزياء، ويصفق الجميع المحيطون بالفتاة، ويرتفع التهامس بينهم يتواصفون نضارة الفتاة، وما تمتاز به من رشاقة الحركة، وخفة الروح، ولكنهم مروا بقصيدتها مرور الكرام، فلم يذكروها بخير أو بشر.

ومن إلماعاته الكاريكاتورية صورة يرسمها على لسان بطلة الرواية، لموقف مدير تحرير الجريدة، وهى عنده تعرض عليه بعض الأوراق، وكان يتودد إليها ويلوح لها برغبته فى الزواج منها؛ تدخل عليهما فتاة أمريكية فاتنة الملامح غالية فى زينتها وزخرفها، كأنها دمية من دمى المسارح تقدم نفسها باسم « مس ميلودى » مبعوثة جمعية الصحافة الأمريكية الحرة لدراسة مشكلات الشرق الأوسط! ويأنس مدير التحرير بالحديث إلى الزائرة الجذابة المرحة، وترتفع الكلفة، ويظل يتفرس فيها، فيتضرج وجهه، وتجحظ عيناه من محجريهما جحوظاً عجيبا لم تعهده أمينة السر من قبل، حتى خشيت عليهما أن يعروهما انفجار، وتنهض مستأذنة فى الانصراف لتخلى الجو لصاحب الجريدة ومبعوثة الصحافة الأمريكية يتبادلان الحديث فى حرية وطمأنينة، ويتدارسان مشكلات الشرق الأوسط فى جو هادئ!

ومن هذا الصنف من قصص تيمور مسرحية اجتماعية بالفصحى والعامية، عنوانها: « كذب فى كذب »، وأشخاصها يمثلون نماذج من السلوك القائم على الكذب والخداع، ومن الطريف أن تيمورا يطور أحداث المسرحية، ويحرك أشخاصها فى براعة فائقة، تقود البطل والبطلة فى النهاية إلى مرفأ الصدق الأمين، بعد أن ظل كلاهما يتغفل صاحبه، ويحاول إنقاذ نفسه بالزواج من الآخر. وتلك ظاهرة جديرة بالنظر فى موقف « تيمور » فى قصصه من الضعف الإنسانى.

ومن بين آثار فقيدنا فى خلال تلك السنوات العشرين الأخيرة مجموعات من الأقاصيص منها « ثائرون » (كتاب الهلال ١٩٥٥ عدد ٤٦)

و « ودنيا جديدة » ( ١٩٥٧ ) ، « وانتصار الحياة وقصص أخرى »(١٩٦٣) و « أنا القاتل وقصص أخرى » ( ١٩٦٩ ) و « أبوعوف وقصص أخرى » ( ١٩٦٩ ) وكل قصة فى هذه المجموعات تمذاق ، وبمشكلة معينة تعرضها ، أو خيال تجسده ، أو عقدة باطنة تبرزها إلى عالم الوعى والشعور .

ويقدم المؤلف لمجموعة «ثائرون» بمقدمة يشير فيها إلى مادار بين طائفة من الكتاب من مساجلات حول الأدب . وهل هو تعبير عن النفس فى محيطها الخاص ، أو هو تعبير عن الحياة فى محيطها العام؟ وفى رأيه أن الأدب فى ظاهره غاية ، وفى جوهره وسيلة : هو غاية ، لأن الأديب الفنان — فى أغلب حالاته — يعبر عن حياة تعتلج فى نفسه لايملك إلا أن يعبر عنها فى صراحة وخلوص ، وهو وسيلة إذا رمى فيه الكاتب — واعيا أوغير واع — إلى إصابة أهداف معينة ، كالتسامى بالحياة الإنسانية إلى آفاق أعم خيراً وأكرم مثلا ، وكالعمل لخدمة قضية من قضايا المجتمع ، أو لعلاج مشكلة من مشكلاته . ويشير المؤلف إلى أن القصة الأولى من مجموعة «ثائرون» (منها أخذت المجموعة عنوانها ) « تصور عصراً من أخطر عصور تاريخنا الحديث ، عصر ما قبل الثورة ، وهى تدور حول فئة من الشباب الحائر ، يحيون فى عهد فساد وانحلال ، وبين جنوبهم روح الثورة ، حتى يتلقوا ذلك الضوء الوهاج ، يهدى لإقامة صرح الوطن الجديد . »

ومن القصص الممتعة فى المجموعات التى أشرنا إليها : قصة «المستعين بالله الكابتن هاردى» وقصة «انتصار الحياة » وقصة «الوطواط» ، و « حكاية أبو عوف » .

و«لتيمور» قصة ذات جو روحى نشرت منذ أربع سنوات ، عنوانها « معبود من طين » وهى تستمد إلهامها من الحياة الدينية فى مصر القديمة ، وما كان للكهنة بها من سلطان ، وما تتطلبه العقائد والأديان من جهاد فى سبيلها ، وما تحتاجه النفس الإنسانية من ترويض وتهذيب ، ومن ابتهال إلى الإله الحق ، تستلهم منه طمأنينة اليقين : لتقاوم روح الشر التى تقبع جذورها فى قرارة الكيان البشرى .

وإذا انتقلنا من وادى القصص إلى وادى المسرحيات التاريخية ، وجدنا لتيمور طائفة منها ، تمثل اتجاها فنيا فى عرض أشخاص التاريخ عرضاً أدبيا ، يعنى بما وراء الأحداث وأنماط السلوك من عوامل نفسية وبواعث لاشعورية ، منها : «صقر قريش» (١٩٥٦) ، و « ابن جلا » ، « وطارق الأندلسى » ، التى نشرت فى العام الحاضر ( ١٩٧٣ ) .

وفى كل هذه المسرحيات يتجلى نجاح تيمور فى نقل القارئ إلى العصر الذى عاش فيه بطل المسرحية ، بأشخاصه وأحداثه ولغته ، وبراعته ، فى إعطاء كل شخصية فى المسرحية حقها من التحديد والتقويم ، حتى لتتألف منها جميعا قطعة حية صادقة ، من حياة مجتمعها الذى عاشت فيه .

وبعد فقد شغلنا فى هذه الكلمة حتّى الآن بالجانب القصصى والمسرحى ، وبأدب الرحلات فى عبقرية أديبنا الكبير . ولكنّ لتيمور منجزات أخرى لها شأنها ، ولها حسابها فى تقدير عظمة هذا الكاتب الرائد .

لقد شعر «تيمور» منذ أن اكتمل فنّه ، ونضجت تجاربه ، وذاعت قصصه ، فى مختلف الآفاق الأدبية ، أن عليه واجباً من التعريف والتقديم والنقد البناء لأعمال زملائه ومريديه من كتّاب القصة ، ومن الدرس والبحث النظرى ، المستنير بالخبرة العملية فى فن القصص وتطوره ، وخواصه ، وأصول نقده ، وفى الأدب ومذاهبه ، وصلته بالحياة . كما كان عليه — وهو المجمعى اللامع — أن يقوم لعضوية المجمع بحقها ، فيبحث ويحاضر فى فنون الأدب ، وفى اللغة ومشكلاتها ، والكتابة العربية وإصلاحها ، وألفاظ الحياة اليومية وتنميتها ؛ ولأعماله فى كل هذه النواحى حظها الوافر من الإجادة ونصيبها من التقدير .

فمن جهوده فى هذه الميادين كتاب بعنوان : « مناجيات للكتب والكتاب » ، بناه على أقسام أربعة : الأول مع القصاص العرب ، من أصحاب القصص المطولة ، وأصحاب القصص القصيرة ؛ والثانى مع القصاص غير العرب ؛ والثالث مع الشعراء ؛ والرابع مع المؤلفين ؛ وفى هذه الأقسام نلتقى بتقديم وتحليل واضح الفكرة والاتجاه لمجموعة من الأعمال الأدبية لبعض كتابنا وشعرائنا العرب : مثل يحيى حقى ، وفتحى رضوان ، وثروت أباظة ، وعبد الحليم عبد الله ، وبشارة الخورى كما نلتقى بتعريف بترجمات عربية لبعض أعمال كتّاب غير عرب ، مثل : « مارك توين » « وهنريك إبسن » ، « ومارغريت ميتشل » :

وفى بعض فصول هذا الكتاب يكشف لنا تيمور عن موقفه من النقد ، وعن العناصر الأساسية التى تدخل فى تقديره الفنى للأعمال القصصية ، وهو يقرر أنه لم يزاول النقد فيما سلف من أيامه إلا فى الندرة ، إذ كانت نفسه تعزف عنه ، وأنه رضى زمنا بموقف المنقود لا الناقد ؛ ولكنه عدل أخيرا عن هذا العزوف ، ورحّب بما طلب إليه من تناول بعض الأعمال القصصية بالحديث ، لا ناقدا بالمعنى الدقيق — كما يقول — ولكن قارئا يتحدث عما قرأ حديثا يعبر به عن إحساسه وحبه فيما يصنع أن يدعى لنفسه الصدق فيما يحس ، والإخلاص فيما يقول .

وتيمور فى هذا الكتاب ناقد معلّم ، سهل التناول ، سمح التوجيه ، معنى بالجوهر ، عميق فى تحليله وبخاصة حين يكون العمل الذى يعرضه عميق الأبعاد فى فكرته وفى بنائه وفى عرضه للترجمة العربية لقصة « آدم وحواء » ، من تأليف الكاتب الأمريكى « مارك توين » مثل مما نقول ؛ ففى بدء حديثه يثير أعمق الأسئلة عن ألغاز الوجود ، ويشير إلى أن أهل الفكر هم رواد البشرية

فى البحث عن ذلك المجهول ، وأن قصة « آدم وحواء » ظلت الهدف المنصوب لأولئك المفكرين فيما يرتادون ، وأن أظهر جوانبها اثنان :

الأول : خلق حواء من ضلع آدم — فهذه الصورة تختزل لنا فلسفة الرجل والمرأة على وجه البسيطة منذ الأزل إلى الأبد ، والآخر خطيئة آدم وحواء .

وفى النظر إلى هذه الخطيئة يستجمع « تيمور » كل شجاعته ليقول :

وإنى لأجرؤ فأزعم أنها خطيئة ملائكية مقدسة . . . : خطيئة قدرها الله لحكمة تجمع بين السموّ وبعد الغور ، وما هى إلا حجر الأساس فى عمران الوجود المعدود ، والدعامة الكبرى للكيان الاجتماعىّ الرفيع ، وبفضل تلك الخطيئة ظفرت الدنيا من الجنة بتلك البذرة الحية التى أثبتت على وجه الأرض شجرة الإنسان . . . . ثم يستمر قليلا ليزيد ذلك الرأى توضيحا .

وله فى الحديث عن قصة «ذهب مع الريح» للكاتبة الأمريكية « مارجريت ميتشل » تحليل غاية فى الدقة والعمق الفنى .

وهناك لونٌ آخرُ من إنتاج تيمور الأدبى ، قريب مما عرضنا له فى كتابه «مناجياتٌ للكتب والكتاب» ، ذلك هو كتابه : « ملامح وغضون ، صور خاطفة لشخصيات لامعة » ، ويتألف ذلك الكتاب من لقطات تصويرية بارعة ، لبعض الشخصيات الأدبية والمجمعية ، والفنية المعاصرة ؛ من بينها لطفى السيد ، وعبد العزيز فهمى ، وطه حسين ، وهيكل ، ومنصور فهمى ، وأحمد أمين ، واسماعيل تيمور ، وفكرى أباظة ، وأنطون الجميل ، والشيخ أبو العيون ، وزكى طليمات ، ونجيب الريحانى . . وغيرهم .

ووجه البراعة فى تلك اللقطات أو الصور الوصفية أن الكاتب الفنان ، ينوع أسلوبه فيها تنويه ماهرا ، وكأنما يختار — من كل شخصية يصورُها — زاوية معينة هى أبرز الزوايا فيها ، يستعين بها على تحديد الأسلوب الذى سيصطنعه فى التصوير . ومن أكثر هذه الصور إمتاعا — فى نظرى — صور : « لطفى السيد » « وعبدالعزيز فهمى» « وأحمد أمين » « والشيخ أبو العيون » ؛ ويبدو أن تيموراً — رحمه الله — كان يرضى هوايته فى الوصف التصويرى ، حتى ولو على حساب شقيقه الأكبر «إسماعيل» الأمين الأول فى القصر ، فقد رسم صورة سريعة له استجابة لمن طلب منه ذلك ، وقدمها للقراء — كما يقول — على حقيقتها ، وهو موقن بأن الحساب عليها سيكون بسببها غير يسير ، على أنه فوّض أمره إلى الله . ومن بدائع تيمور فى هذه اللقطات أنه يعمد أحيانا إلى أن يجمع لك صديقين ملازمين فى لقطة واحدة ، فيقول — مثلا :

[هما اثنان :

أحدهما : سامق الهامة ، باسق القامة ، عريض المنكبين ، متدفع اليدين ، تلتمع

عيناه حزما واعتزاما، ويقتلع خطاه فى مسيره اقتلاعا ، وبجانبه شخص متطامن ، ضئيل الظل، قريب بعضه من بعض ، تملأمنه عينيك فى لحظة ، ينقل خطاه كما يتواثب القطا ، ويقلب فيما حوله نظرة يقظى ، تسبر الغور، وتخترق الحجب .

فإذا راعك مرآهما جنبا إلى جنب فى الطريق، فأقسم — غير حانث — أنك ترى العقاد والمازنى ، ترى ذينك الصاحبين ، اللذين ترافقا فى دنيا الأدب وفى عالم الثقافة منذ عهد بعيد . . . »

وقد عاد كاتبنا الكبير إلى مثل هذه الصور الوصفية الثنائية فى مقالات نشرت فى الصحف فى السنتين الأخيرتين : منها واحدة بعنوان : « بين شوقى وعزيز » وأخرى بعنوان : «بين الأديب المغامر والأديب العليل» وأشار فى هذا المقال الثانى إلى أنه أخذ — منذ شهور — يعد أوراقه لهذه الصور الوصفية التى يجمع فى كل منها بين اثنين ، اتسعت بينهما دائرة المشابهات أو المقابلات.

وإذا أردنا استكمال الصورة المجملة التى نحاول أن نرسمها هنا لجهود الراحل الكريم — عرفانا بفضله ، كان علينا أن نشير — فى إيجاز يقتضيه المقام — إلى ألوان أخرى من أعماله الدراسية من كتب ومحاضرات وبحوث فى مختلف ميادين الأدب واللغة .

فللفقيد كتاب بعنوان « محاضرات فى القصص فى أدب العرب : ماضيه وحاضره » يضم محاضراته التى ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية (١٩٥٨) . وقد ذهب فيها إلى أن للأمة العربية قصتها منذ أقدم العهود على طرازها الخاص ، وأن أدبنا القصصى الحديث يحمل لقاحه وبذوره من قصصنا العربى القديم، وأنه وليد الصلة بين الشرق والغرب وأن «ألف ليلة وليلة» ليس إلا بعض ما تزخر به كتبنا الثقافية من أقاصيص وأسمار.

وقد كانت معالجة الفقيد للموضوع — على مستوى الدراسات العليا — معالجة تتسم بالعمق والاستقصاء وسعة الأفق .

أما كتابه : «فن القصص — دراسات فى القصة والمسرح — » ويقع فى ثلاثمائة من الصفحات المتوسطة، فقد جمع فيه معظم ما يهم الدارس والقاص من الثقافة الفنية ، موضوعا فى شكل مشكلات تناقش، وظواهر تعلل، وحقائق فى دنيا الفن تبسط وتوضح ، ومقاييس وأصول ، أساسها الخبرةُ والنظرُ السليم ومعايشةُ الأعمال الممتازة لمشاهير الكتاب. وقد أدمج المؤلف فى هذا الكتاب مادة من فصول له نشرت سابقا؛ ويتألف الكتاب من حوالى خمسة وعشرين قسما ، يرجع معظمها إلى موضوعين رئيسيين : الفن والقصص ، وتحتهما ، تندرج حقيقة الفن وجوهرُه ، والفنُّ للحياة، والفنانُ بين الواقع والإلهام ، وشخصية الفنان والفنُّ بين المسرح والسينما ، ونشوء القصة وتطورها ، والقصص المصرى الحديث ، والقصص الإنسانى ، وعوامل

النجاح في تنشئة القاص : . وغيرها من الموضوعات :

و«تيموز» — في عنايته بالناشيء القاص ، وبالرغم من نفوره من التقعيد والتقنين في عالم الفن ، يستخلص بعض القواعد والقوانين في كتابة القصة ، ويعد منها ثمانية يشرحها ويقدمها لا لتكون قواعد جامدة ، ولكن لتكون معالم على الطريق تهدى وتوجه :

ويشارك فقيدنا في دراسات الأدب العربي الحديث فينشر في سنة ١٩٧٠ كتاباً في مائتين من الصفحات المتوسطة بعنوان: « اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة» ، عنى فيه — إلى جانب التاريخ الموجز لأدبنا الحديث — بالترجمة المجملة لنماذج من كتابنا وشعرائنا تمثل نواحي من التطور ، واتجاهات من التفكير من بينها عائشة التيمورية ، وشوقي ، وحافظ ، وتوفيق الحكيم ، وعزيز اظة ، ومحمود طاهر لاشين ، ومحمد السباعي ، وأمين الخولي ... وغيرهم :

وقد استمتع المجمع في مؤتمراته السنوية بالاستماع والمناقشة لطائفة جادة من بحوث تيمور ؛ من بينها في ميدان الأدب « بحث في الأدب الشعبي » . و«الفنان بين الواقع والإلهام» ، «ومذهب الأدب الهادف ومكانه من الأدب الواقعي » .

وفي الناحية اللغوية : « لغة المجتمع » و « لغة القصص » و « وحدة الفكر العربي » و« مقومات العروبة »و«سلطان اللغة العربية » و« رأى في الصراع بين العامية والفصحى » ، و« مواليد جديدة في لغة الحياة العامة » .

و« تيمور» في بحوثه المجمعية ، وخاصة الأدبية منها — يصدر عن ثقافة فنية وأدبية وشرقية وغربية واسعة ، وقد عددت له في أحد تلك البحوث ( الفنان بين الواقع والإلهام ) أربعة عشر اسما من كتاب العربية وشعرائها في قديمها وحديثها ، وقرابة عشرين اسما من الغرب : بين كاتب وشاعر وموسيقى ورسام ، وكاتبة وممثلة ، وقد جلبها كلها ليوضح بها بعض آراء ودعاوى في قضية الواقع والإلهام ، محللا عملا لهذا ، مقتبسا رأيا لذلك ، مبرزا المفارقات والموافقات بين حياة الفنان ومجال فنه ، مشيرا إلى أن الفنان قرين الممثل على منصة المسرح : فنه كله في استطاعته أن يندمج في الشخصيات التي يتناولها ، مبيناً أن الفنانين يختلفون شكولا وألوانا ، مؤكدا أن العبقرية لا تدع للفنان حداً يقف عنده ، وأن أكذب شيء في الفن هو التحديد ، وأنه لا حجر على العقول والأذهان ولا قانون للميول والاتجاهات ، وفي « صندوق الدنيا» متسع لأشتات المنازع الحافلة بالنقائض والأضداد :

وهناك جانب هام من جهود « تيمور» في خدمة اللغة العربية ، وفي تحقيق هدف من الأهداف الرئيسية للمجمع هو تنمية اللغة العربية ، وتطويرها لتفى بمطالب الحضارة في شتى مظاهرها وذلك يمثل المجال الخامس من المجالات الكبرى لمنجزات « تيمور » :

اتخذ « تيمور » من العمل فى هذا الميدان رسالة خصّص لها شطرا كبيرا من جهده ، ووقته فى المرحلة الأخيرة من حياته ، وكان يحرص على ألا يمرّ مؤتمر سنوى للمجمع دون أن يقدم له حصيلة من ألفاظ الحضارة والحياة العامة ، مما خصّه هو ولجنةُ ألفاظ الحضارة — وكان مقررّها — ومما استخلصه هو من قديم ما طالع ، أو ما وقع له حديثا فيما قرأ ، أو اقترحه ، أو أجراه فيما كتب ، أو ما رأى تخصيص مدلوله العام أو تعميم مدلوله الخاص :

وكان يصدر فى هذا الجهد عن وجهة من النظر ، تمثل الآن الاتجاه العام للمجتمع فى أمر ألفاظ الحضارة ، عمادُها الشعورُ بضرورة تنقية لغة الحياة فى المجتمعات العربية من العامى والدخيل ، والإيمان بأن لغة الحياة اليومية السليمة لا تفرض على الناس فرضا ، ولكن تؤخذ من أفواههم ، ومألوف كلامهم ، لترد إليهم ولتوضع فى متناولهم مزكّاة من أهل الاختصاص أو مفصّحة إن كانت فى حاجة إلى تفصيح ؛ والواقع يؤيد أن الوعى اللغوى فى الجماهير العربية قد استيقظ منها ونما نمواً ملحوظا ، وأن حرص الجماهير — معاملاتها وحرفها وصناعاتها على استعمال اللفظ العربى المناسب — فى سهولته ووضوح دلالته وارتياح الذوق العام إليه ، يوشك أن يكون سمةً بارزة فى حياتنا اللغوية الحاضرة :

وقد جمع « تيمور » جملة صالحة من ثمار جهوده فى هذا الميدان ، مما سبق أن قدّمه للمجمع فى مؤتمرات ، ونشر ذلك فى سنة ١٩٦١ فى مصنَّف قيِّم بعنوان : « معجم الحضارة » يضم نحو ألف من ألفاظ الحياة العامة ، بُوِّبت وعلِّق عليها واقترح لبعضها بدائل فيها مزية من إفصاح ، أو بنية سليمة :

سادتى :

إن فقيدنا « محمود تيمور » — كما تشهد آثاره وسيرة حياته — كان كاتبا رائدا فى فن القصة ، ومجمعيا مخلصا لرسالة المجمع ، ومواطناً معتزًّا بوطنه ، وأديباً باحثا حفيًّا بالفصحى وآدابها ، وإنسانا سمح الوداد ، كريم الشمائل ، يألف ويُؤْلف :

وقد ظفر فى حياته بالتكريم الجدير به ، أحبه الناس ، وقدرته الدولة فمنحته جوائزها ، وأوسمتها ، وأحلَّه المجمع منه فى السويداء ، وترجمت طائفة من قصصه إلى عدد كبير من اللغات الأوروبية والآسيوية ، وعرف فيه كثير من شباب الكتّاب موجّها ومعلّما ، ونشرت عن أدبه وسيرته دراسات جادّة :

وإن من حق هذا الرائد علينا — وقد فارق دنيانا إلى جوار ربه بعد أن أدى رسالته — أن نضع أعماله موضع البحث والدرس العميق ، وأن نجلو من سيرته ومن شخصيته مثالا به يقتدى ، ومناراً به يهتدى ، والله سبحانه يرحمنا وإياه ، ويجزيه عنا خير الجزاء :

## ●●● قصيدة الدكتور ابراهيم أدهم الدمرداش :

نجم ثوى من قمة الجوزاء
بالرغم من عليائه وضياء

إن النجوم إذا علت وتلألأت
مهما تكن ، فمصيرها لفناء

لا تفرحنّ إذا أتاك ، بنعمة
أو تحزنن على فوات عطاء

إن الذين تغرّهم دنياهمو
يستبدلون النار بالرمضاء

لا تقبلن على الحياة تظنها
« ريّا » فليست ، كالسراب ، بماء

رفع الأمانة بالوفاة وحملها
عند الوليد بضحكة وبكاء

حدباء ، هذى سوقنا ومصيرنا
للنار أو لمثوبة الشهداء

قد تحملين المؤمنين بربهم
والكافرين به بدون رجاء

عاد الترّاب إلى التراب كأصله
والروح سر الله فى الأحياء

الجسم يفنى عن قريب بالبلى
والروح تحظى بعده ببقاء

إن الحياة مفازة تجتازها
أرواح فى حجب من الأشلاء

هذا الرداء مطية منقادة
للروح نرسلها بدون عناء

إن أحسنت فلنفسها قد أحسنت
حسناتها أو ظلمها بجزاء

حدباء ، إنك تحملين كبيرنا
فى حلبة الأدباء والنبلاء

لو تعرفين مقامه وخلاقه
لنثرتِ درّاً ناصع الأضواء

يا تاركا دار البلاء مزوّدا
بالصالحات مشيعا بدعاء

من مثله قص الحديث رواية
وفكاهة فى حكمة الحكماء

أو مثله ملك البيان وسحره .
ببلاغة عزت على الفصحاء

كل الشمائل فيه دون تكبُّر
إن التواضع شيمة العظماء

لو عد أهل الفضل كان إمامهم
فى عِفّة وكرامة وإباء

من جاء يطلب حاجة من جوده
أعطاه ما فى بيته بسخاء

ذرية من بعضها بعض لها
فضل على الكتاب والقراء

من بعد « أحمد » عقّبت « محمد »
وتلاه « محمود » من الأبناء

والشعر كان نصيب «عائشة» التى
جاءت بخير قصائد الشعراء

«تيمور» هذا الاسم يبقى درّة
بقلائد الشعراء والأدباء

## ●●● كلمة شكر الأسرة للأستاذ أحمد فؤاد تيمور :

سيدى كبير الخالدين

سادتى ، أيها الخالدون

سيداتى ، آنساتى ، سادتى

أيحق لمثلى — أيها الخالدون — أن يقف على منبر مجمعكم الموقر ، منبر المدافعين عن الفصحى وحماتها ، يسمع صوته ، فيقوم بينكم متحدثا فى بلاغة وإفصاح ، وأنتم هنا أعلام البلاغة والإفصاح بيد أن تفضلكم بإقامة هذا الحفل لذكرى أحدكم الذى شرفنى القدر بأن أنتمى إلى الأرومة التى أنبتته ، هذا الظرف الفاجع هو الذى حدا بى ، على الرغم من عجمة لسانى معولا على ما اتصفتم به من رحابة صدر أن أتكلم شاكرا ، باسم أسرة الفقيد العزيز ، ما أديتموه إليه ، على لسان خطباء بررة أجلاء ، من تقدير ووفاء وإخلاص. وليس ذلك بمستغرب على الخالدين ، وهم دون مراء موازين التقدير والوفاء والإخلاص .

أيها الخالد بين الخالدين ، عمى الأعز :

كتب القدر على قلمى منذ عشرين عاما ونيف ، وأنا فى سن الصبا الباكر ، أن يخط بدم لا بمداد كلمات رثاء بمجلة المدرسة تحت صورة تزين الصفحة الأولى من صفحاتها وقد جللها السواد ، لعزيز على كلينا ، فبكيناه معا : أنت كأب ، وأنا كابن عم وزميل وصديق : أكننت له عاطفة الأبوة وفجيعتها ، فكان من وحيه « أبو الهول يطير » وغيره من فن وأدب وشاطرته أنا على محبة وود زمالة السن ورفقة الدرس ، وصداقة العمر .

ويقف بى قلمى اليوم حائرا فى عجزه وأنت ما أنت فى مجمع الخالدين ، أن يمضى بى قدما فأحس به يتثاقل على أناملى لا يلين ولا يبين .

أستشعر وأنا أخط تلك الكلمات العاجزات القصار ، بأن من سبقوك إلى عالم الخلود فى برزخ الأرواح العلوى ، ليهيمون وجدا بلقائك من أب وأم وشقيقين ؛ وعلى رأسهم ابنك الأعز باسطا لك ذراعيه مرحبا بك فتذوب روحا كما فى معانقة جياشة ؛ فتقضى الوقت معه تسمعه كما أسمعته وهو طفل يرقد بين حضنيك تروى له اليوم ما رويت له بالأمس من أقاصيص وحكايات ؛ فتهدأ نفسه وينام متشبثا بك مطمئن القلب ؛ هانىء الوجدان .

وإنى آخذ بين جمع المحبين شقيقى الحبيب الذى سبقك بالرحيل عنا منذ شهور تقضت ، ولا أدرى كيف تقضت . متلهفا لسماع أحاديثك عن الأحياء من ابن مكلوم وإخوة لم يجف لفقده فى مآقيهم الدمع بعد. وأراك تلتفت إليه ، فتحدب عليه حدبك

علينا فى دنيا الأرض ، فتأخذ فى روايتك تصوغ له وللمنصتين لك فى عالم الروح ما احتزنته لهذا الاجتماع من حديث وأقاصيص تهدى إليهم فى صياغتك الرشيقة ما أهديته إلى الأحياء ، باقة من فنك الأخاذ ، تعشقته أسماع الراحلين والأحياء ، وإن طالت بنا المسافات .. وإن ترسل علينا صوتك الهادئ الهاتف من علياء السماء .

هنيئا لك ، يوم زاملت الخالدين ، وهنيئا لهم ما يسود مجمعهم الموقر من ترابط فى إخاء وصفاء ، وإن اختلفت حول الكلمة المعروضة عليهم لإقرارها الآراء ، واحتدم من أجلها الجدل ، واشتد عليها النقاش :

وحمداً لكم ، أيها الخالدون ، ماتضمرون من تعاطف مكين ، وما تظهرون من من تآزر وثيق ، فى سبيل نصرة اللغة ، وتعريب العلم ، وتزكية الأدب .

وسلام عليكم ، ورحمة الله ، ، ،

اقام المجمع حفل تأبين لرئيسه المرحوم الدكتور طه حسين ، فى الساعة الخامسة من مساء الأربعاء ٢ من ذى الحجة سنة ١٣٩٣ هـ ( الموافق ٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٧٣ م ) بدار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع ، وفيما يلى ما القى فى الحفل :

# كلمة الأستاذ زكى المهندس

## نائب رئيس المجمع

## فى تأبين المرحوم :

## الدكتور طه حسين

سيداتى وسادتى :

ما أشق على الإنسان أن يتحدث عن طه حسين ! !

إن مجال القول فيه مجال رحب فسيح لايستطيع أحد أن يبلغ مداه .

إن كل ما قيل عن طه حسين وكل ما كتب عن طه حسين لايعبر إلا عن بعض طه حسين ذلك أن طه حسين لم يكن كأحد من الناس ، إنه كان تاريخ العصر ، ورمز النهضة ، إنه خلاصة مركزة تباورت فيها كل معالم النهضة الأدبية والفكرية الحديثة .

لهذا كانت حياته أشبه ببحر عظيم من أى النواحي أتيته لاتستطيع أن تدرك عمقه ، ولاتستطيع أن تحصى ما أودعه الله فيه من خير . ولهذا أيضا كان كل من يتصدى للحديث عن هذه الحياة الخصبة العملاقة يجد نفسه فى حيرة فلا يدرى ماذا يأخذ منها وماذا يدع ؟ ولايدرى عن أى جانب من جوانبها يتحدث ؟

فهل يتحدث الإنسان عن طه حسين الأديب ؟ الذى ملأ الدنيا وشغل الناس بإنتاجه الخصب الممتع فى الأدب ، وفى النقد ، وفى التاريخ ، وفى التربية ، وفى القصة وفى مشاكل الناس ، وفى المعذبين فى الأرض .

والذى استطاع أن يطور من مناهج البحث الأدبى ، وأن يغير من مفاهيمها وأن يضع بين أيدينا لدراسة الأدب نهجا علميا يقوم على البحث والدرس والنقد والتحليل ، حتى نأخذ ونرد الفاسد ، ونصحح الخاطئ .

هل يتحدث الإنسان عن هذا الذى عنى بالتراث الأدبى القديم عناية فائقة ، ولكنه لم

يقف به عند تلك المسلمات القديمة التقليدية الموروثة .

ولم يقف عند مضارب الخيام والأطلال البالية وحداة العيس فى الصحراء ، ولكنه استمد منه ومن أدب الإغريق ومن أدب اللاتين القدماء ومن الأدب الغربى الحديث .

استمد من هذه كلها مادة بنى بها قصورا أدبية عربية جديدة ، بل بنى ناطحات سحاب .

لقد كان الفقيد فى عمله هذا أشبه بالنحلة تقع على مختلف الزهور تمتص رحيقها ثم تخرجه للناس عسلا شهياً .

هل يتحدث الإنسان عن طه حسين ، الفنان المبدع الذى انفرد بأسلوب من الكتابة لم يسبق إليه ولم يلحق فيه . أسلوب طبيعى يمتاز بالحرية والانطلاق والإشراق ، أسلوب تألفه كل أذن وترتاح إليه كل نفس . لقد كانت تأتيه الفكرة فيتناولها بأسلوب الفنان الأصيل ثم يعرضها ، وفى موجات متتابعة وصور متلاحقة ينبعث بعضها من بعض ، ويتولد آخرها من أولها ، وقد عيب عليه فى هذا شىء من التكرار ، ولكنه فى الواقع تكرار محبب إلى النفس ، يراد به تعميق الإحساس بالفكرة التى يتحدث عنها . وأسلوب طه حسين فى الكتابة لا يكاد يختلف عن أسلوبه فى الحديث فهو يتحدث إليك وكأنك تقرأ له ، وأنت تقرأ له وكأنه يتحدث إليك .

هل يتحدث الإنسان عن طه حسين الأستاذ والمعلم الذى تخرج على يديه أجيال متعاقبة من الكتاب والأدباء الذين نعتز اليوم بهم وبأدبهم :

أذكر أن بعض الكتاب شبه طه حسين بين تلاميذه بشجرة الزيتون تكسب التربة التى تزرع فيها قوة الخصب والنماء ، حتى لترى كل نبات حولها أخضر مونعا .

وكذلك كان طه حسين بين تلاميذه ، كان يحنو عليهم ، ويتابع حياتهم فى الجامعة وخارج الجامعة ، ويجتذبهم إليه بشخصيته القوية ، وبأسلوبه الساحر الفاتن .

هل يتحدث الإنسان عن صاحب الأيام الذى وضع بين أيدينا ترجمة ذاتية تصور لنا كيف تطورت حياته الأدبية والفكرية والاجتماعية ، وكيف استطاع أن يشق طريقه بين الظلمات إلى العظمة والمجد . إن أيام طه حسين يجب أن تكون مثلا للشباب تلهمه القوة والأمل .

وبعد فهذه أيتها السيدات والسادة لمحات خاطفة عن تلك الحياة الحرة المنتجة الخصبة حسبى هنا أن أقول فى رثاء طه حسين ما قاله شاعرنا القديم فى رثاء قيس بن عاصم :

فما كان قيس موته موت واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

سيداتى ، سادتى :

إن تاريخ عظماء الرجال يثبت لنا أن كل عظيم كان وراءه امرأة عظيمة ، والسيدة الجليلة ( سوزان ) حرم الفقيد ، قد ضربت لهذا مثلا آخر ، وأضافت إليه عبرة أخرى ، وإذا كانت مصر مدينة بنهضتها الأدبية والفكرية لجهود طه حسين ، فإن مصر لن تنسى كذلك جهود السيدة ( سوزان ) فى صنع طه حسين .

ألهمها الله الصبر ، ورحم الفقيد العظيم وطيب ثراه ، وجعل الجنة مستقره ومأواه .

والسلام عليكم ورحمة الله ؛

## ●●● كلمة الدكتور ابراهيم مدكور :

الأمين العام للمجمع

## (( طه حسين مكافحا ))

سيداتى وسادتى :

كان صديقنا السيد الدكتور الزيات ، مستشار السيد رئيس الجمهورية ، حريصاً على أن يشترك معنا فى هذا التأبين ، وكانت له كلمة ، ولكن مهمة مفاجئة اضطرته للسفر إلى الخارج . وهو يبعث بصادق أسفه لحرمانه من الاشتراك معنا ، وينقل إلينا تحية زوجة الفقيد وابنته وولده وشكرهم الخالص ودعواتهم للمجمع والمجمعيين بالتوفيق والسداد فى كل ما اضطلع الفقيد الكريم به من حرص على اللغة وتعهد لها ؛

* * *

هناك أناس خلقوا للكفاح ، يستعذبونه ويستطيبون كل شئ فى سبيله . يرون فيه أداء للواجب وإرضاء للضمير ، وسبيلا ناجعا للنهوض والإصلاح ، ويضربون فيه مثلا للجرأة والشجاعة : « وطه حسين » مكافح مناضل ، وتلك ظاهرة ملحوظة فى حياته كلها ، كافح فى صباه وشبابه ، كما كافح فى كهولته وشيخوخته ، وبرغم مرضه فى سنيه الأخيرة بقى قوله وفكره يحملان شارة الكفاح والنضال . كافح وناضل فى ميدان العلم والتعليم ، فى ميدان الأدب واللغة ، فى ميدان الوطنية والسياسة . وكلفه كفاحه ما كلفه من عنت ومشقة ، وجلب عليه ما جلب من خصومة وعداء ، ولا يخلو الكفاح أحيانا من غلو وشطط . وكان يرى أن الرجل ليس رجلا إذا استقامت له الحياة كلها ، فلم يكن له فيها خصم ، إنما الرجل كل الرجل هو الذى تستقيم له حياته كما يريد هو أن تكون وكما يريد ضميره القوى النقي أن تكون ، وكما يريد عقله الذكي أن تكون .

ويطول بنا الحديث إن وقفنا عند جوانب كفاحه المختلفة ، ويكفى أن نعرض نماذج منها . كافح فى صباه بعد أن فقد بصره ، وكأنما شاء أن يعوض ما حرمته الطبيعة منه ، فحفظ القرآن كله ولما يبلغ العاشرة . واستمر يكافح ليتزود علميا وثقافيا بأكمل زاد ، ويتسلح بأجود الأسلحة ، فالتحق بالأزهر وهو فى حدود الثالثة عشرة من عمره وتتلمذ على كبار الشيوخ حين ذاك ، أمثال الشيخ بخيت ، ومحمد العدوى ، ومصطفى المراغى ، وسيد المرصفى ، ولم يفته أن يستمع إلى آخر درسين ألقاهما الأستاذ الإمام فى الرواق العباسى . وكان يتابع دروسه صباحا ومساء ، لا يكل عملا ولا يدخر وسعا ، وقد عرف بين شيوخه بالجد والتحصيل ، وقوة الحجة والحذق فى الحوار والجدل ، وانتهى به جدله أن طرده شيخ الأزهر مع زميلين له ، ولم يعد إلى درسه إلا بعد أن شفع له لطفى السيد الذى رحب به فى « الجريدة » وشجعه ، وأخذ على عاتقه رعايته وتوجيهه .

وما أن فتحت الجامعة المصرية القديمة حتى طرق بابها ، وتابع دروس كبار أساتذتها ، فاستمع لأحمد زكى (باشا) ، وأحمد كمال (باشا) ، وإسماعيل رأفت (بك) ، ومحمد الخضرى ، ومحمد المهدى بين المصريين ، وجويدى ولتيمان ، وسانتلانا من الأوربيين : ولم ينقطع مع هذا عن الدروس الأزهرية ، وكان يستصحب أحيانا أستاذه وصديقه «سانتلانا» إلى درس الشيخ سليم البشرى فى التفسير ، ودفعه ولوعه بالجدل إلى أن يناقش بحضور الضيف الأجنبى الشيخ البشرى فى مشكلة الجبر والاختيار ، وكان له أيضا حوار وجدل مع بعض أساتذته فى الجامعة ، وأثار غضب الشيخ محمد المهدى الذى رفع أمره إلى مجلس الجامعة ، وطالب بفصله . ودفعته دراسته الجامعية إلى تعلم اللغة الفرنسية ، ولقى فيها عنتا كبيرا ، ولكنه لم يجودها إلا أثناء مقامه فى فرنسا . وختم مطافه فى هذه الجامعة بتقديم رسالة « فى ذكرى أبى العلاء » للحصول على الدكتوراه ، ونالها بتقدير «جيدا جدا» ، وكان يمكن أن يحصل على تقدير « فائق » لولا حفيظة الشيخ المهدى الذى لم ينس حملات تلميذه السابقة . وما إن نشرت هذه الرسالة حتى أثارت ضجة ، واتهم صاحبها بالإلحاد والزندقة ، ووجه سؤال إلى الجمعية التشريعية يطالب بحرمانه من حقوقه الجامعية ولو لم يتدخل سعد زغلول ، وكان رئيس الجمعية التشريعية حين ذاك ، لقضى على مستقبل الشاب النابه الجرىء .

ولم يقف طه حسين عند هذه الغاية ، بل تابع الكفاح ، وواصل الدرس والبحث . فأوفدته جامعته إلى فرنسا فى أواخر عام ١٩١٤ تحت نيران الحرب العالمية الأولى ، وقضى فى مونبلييه نحو عام ، ثم اضطر للعودة إلى القاهرة بسبب ضائقة مالية ألمت بالجامعة الموفدة . ولكنه لم يلبث أن عاد إلى فرنسا بعد شهرين ، واستأنف درسه هذه المرة فى باريس نفسها ، واتصل بكبار أساتذة

« السربون » فى الاجتماع والتاريخ ، أمثال « دوركايم » ، «وليفى بريل» « وسينيوبوس». وأولع بالحضارة اليونانية والرومانية ، وبدأ فى دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية ، وتمكن من الأخيرة بوجه خاص ، واستطاع أن يدرك فى يسر نصوصها ويستخرج منها مدلولاتها . وتزود بزاد وفير من الأدب الفرنسى. وفى عامين اثنين حصل على الليسانس فى الآداب ، وبعد ذلك بنحو عام أو يزيد تقدم برسالة فى « ابن خلدون » للحصول على الدكتوراه من جامعة باريس : فتوافر له بذلك درجتان فى الدكتوراه ، إحداهما من القاهرة ، والأخرى من باريس، ولم يبق إلا أن يعود إلى وطنه ليؤدى رسالته :

وقد عاد إلى مصر فى أواخر عام ١٩١٩ وسنه ثلاثون سنة ، بعد أن اكتمل نضجه العلمى والفكرى ،وبدأ نضالا طويلا واسع المدى ، متعدد الألوان ، عمر نحو أربعين سنة ، وعول فيه بخاصة على سحر الكلمة ، وسلطان العقل، وبداهة المنطق. كافح داخل الدرس وخارجه ،فلم يستهن بدرس ألقاه ، بل كان يحفل له ما وسعه ، ويعده أكمل إعداد ، ولا أظنه ألقى درسا يوما دون إعداد : ولم يتهاون مع واحد من تلاميذه ، أخذهم جميعا بالجد ، وحاسبهم على أعمالهم فى غير هوادة وتخرج منهم على يديه جيل اعتمدت عليه حياتنا الجامعية والثقافية . وكان لمحاضراته العامة جمهور كبير يرقبها ، ويقبل عليها فى حماس . أخذ مستمعوه بأسلوبه ، وفتنوا بنعمة صوته، وحاكوه فى كثير من التعبيرات ، وكان لهذه المحاضرات صدى كبير لدى الخاصة والعامة . وفى عام ١٩٢٦ أخرج كتاب « الشعر الجاهلى» الذى لم يكن شيئا آخر سوى سلسلة من المحاضرات ألقاها بكلية الآداب ، وما أن ظهر هذا الكتاب، حتى أثار حملة شعواء اختلط فيها الأدب بالسياسة ، فعارضه من عارضه على أعمدة الصحف ، ووضعت عدة كتب للرد عليه ومناقضته . وقدم استجواب إلى مجلس النواب يرمى إلى محاكمة مؤلفه وطرده من الجامعة، ولولا معارضة « عدلى يكن » رئيس الوزراء ، وهو من نعرف فى شخصه ومنزلته ، لكان لهذا الاستجواب شأن آخر. ولم تكد تسكن العاصفة فى البرلمان حتى هبت فى النيابة العامة ، فحقق مع المؤلف وبحثت أقواله وآراؤه ، ولا يبدو أنه وجد فيها ما يدينه ، واكتفى بمنع تداول كتابه فى الأسواق . وبرهن طه حسين فى ذلك كله على صلابة ورباطة جأش بالغتين ، وخاض معارك فى جبهات ولم يمسسه منها سوء يذكر ، بيد أنه لم تكد تمر هذه الأزمة حتى تلتها أزمة أخرى فى الجامعة كانت أشد عنفا :

فعورض فى تعيينه عميدا لكلية الآداب وأجل إلى حين ، ويوم أن عين استمسك باستقلال الجامعة ودافع عنه بكل قواه ، ولكن دكتاتورية «إسماعيل صدقى» لم تتردد

فى أن تعدو على هذا الاستقلال ، فأبعدته عن عمله ، وأحالته على المعاش .

وكافح طه حسين أيضا فى ميدان الصحافة ، وصلته بها قديمة العهد ، ترجع إلى أوائل هذا القرن ، نُشِّئ فيها على أيدى رائدين عظيمين هما : عبد العزيز جاويش ولطفى السيد ، فجمع بين التطرف والاعتدال ، ولعله كان إلى التطرف أميل . وقد كتب أول ما كتب فى « مجلة الهداية » بتوجيه من « عبد العزيز جاويش » الذى وكل إليه أمرها . وشجعه على ماتتوق إليه نفسه من نقد جرئ وجدل عنيف . واضطر رائده هذا إلى أن يهجر مصر على غير انتظار ، فلجأ إلى رائده الثانى وأفاد منه كثيراً . والحق أن الجريدة على قصر عمرها كانت مدرسة كبرى تخرج فيها طائفة من أعلام الفكر والقلم ، وكان لها أثر عظيم فى حياتنا السياسية والاجتماعية والأدبية والثقافية . ونعتقد أنه لم يكشف بعد تماماً عن أثرها فى اللغة وأسلوب الكتابة المعاصر ، فقد أتمت مابدأه « رفاعة الطهطاوى » و « محمد عبده » من التخلص من السجع والجناس والمحسنات اللفظية ، وتخرج فيها طه ، وهيكل ، وعزمى ، ومنصور فهمى ، والزيات ، الذين كانوا قدوة فى الأداء الفنى السائغ السهل . وقد أخذ على طه حسين شئ من التكرار وبالغ فى ذلك خصومه ومنافسوه ، ولو كان فى وسعه أن يكتب لتفادى منه الكثير ، على أن هذه هنة هينة إلى جانب سلاسة أسلوبه وعذوبته ، ولعله تأثر فى هذه السلاسة بشيء من الأدب الفرنسى ، ولكن أسلوبه من أصفى الأساليب العربية المعاصرة ، ولايحمل أى طابع أجنبى ، وهو أقرب ما يكون إلى أسلوب كبار كتاب الصدر الأول ، أمثال « عبد الحميد » ، و « ابن المقفع » ، و « الجاحظ » .

وبعد أن رجع فقيدنا من أوربا عاد إلى شوقه القديم ، واتصل بصحيفة « السياسة » ، وهى إلى حد ما امتداد « للجريدة » وأسرتهما واحدة تقريبا ، وفيها التقى « طه » بزميله القديم « هيكل » ، واشترك معه فى إدارة الصحيفة ، وناب عنه أحيانا فى رياسة تحريرها . وكان له فى « السياسة الأسبوعية » مجال فسيح ، وكم كان قراؤه ينتظرون فى شغف « حديث الأربعاء » الذى فتح أبوابا ثقافية متعددة ، وقاد حركة نقد حية نشيطة ، وكم نود أن نحييها . وإذا كان طه حسين ، قد كتب فى « الجريدة » و « السياسة » هاوياً ، فإنه بعد إحالته على المعاش أصبح محترفا ، وطلب إليه الوفد عام ١٩٣٣ أن يرأس تحرير صحيفة « كوكب الشرق » ، وأصبح يؤيد حزبا سياسيا طالما حاربه فى عنف . غير أن تعاونه مع « حافظ عوض » ، صاحب امتياز هذه الصحيفة لم يدم طويلا واضطر أن ينفصل عنه ، وأن يشترى « صحيفة الوادى » ، وأن يديرها لحسابه الخاص نحو عام ، وكبدته خسائر فادحة . ثم قنع بعد هذا بمواصلة الكتابة للصحف هاوياً مرة أخرى فى بحوث ودراسات أدبية ، وربما كانت له علاقات منتظمة ببعضها « كالجمهورية » و « الأهرام » فى العشرينات الأخيرة .

وكافح طه حسين أخيراً فى ميدان السياسة، وماأقساه من ميدان ! ورحم الله الأستاذ الإمام الذى قال فيه قولته المشهورة ولا أظن أن فقيدنا كان مذهبيا متحزباً تحزب التبعية والانقياد فيما أخذ به من اتجاهات سياسية، وإنما هى تيارات، أو بعبارة أدق صداقات جاراها يمينا تارة، ويساراً تارة أخرى، وما كان أشد تأثره بهذه الصداقات، وما كان أسرع استجابته لها. وقد نال من هذه التيارات مانال من صعود وهبوط، وتقدير واستنكار، وحظى بالغضب والرضا السامى فى لحظات متباعدة أو متلاحقة. وكان شأنه فى البداية شأن كل مواطن مستنير عاش فى جو الثورة العرابية، وأدرك حركة «مصطفى كامل»، فهو ينكر الاحتلال البريطانى، ويطالب بالاستقلال:

وفى اتصال فقيدنا «بعبدالعزيز جاويش» و«لطفى السيد» ما اجتذبه نحو السياسة، كما اجتذبه نحو الصحافة، على أنا لانلحظ له فى الحقيقة نشاطاً سياسياً واضحاً طوال مرحلة الدراسة والطلب، لا فى مصر ولا فى فرنسا. ولم يبد هذا النشاط إلا يوم أن انضم إلى صحيفة «السياسة»، واندمج مع أصدقائه الأحرار الدستوريين، وحسب معهم. وانتهى به عمله الصحفى إلى الدخول فى مهاترات حزبية ماكان أغناه عنها، وأثارها شعواء ضد الوفد والوفديين، ولم يعف سعد زغلول من حملته برغم ما كان له من أياد عليه. ونتساءل هل اشترك فعلا فى التنظيم الداخلى لحزب الأحرار؟ وهل عد من أعضائه؟ أغلب الظن أنه كان مجرد صديق ومناضل خطير ناصر الحزب مناصرة كبيرة. ولم يختلف عن ذلك كثيرا يوم أن انضم إلى صفوف الوفديين، وحمل رايتهم، ودافع عن مواقفهم، وأصبح أحد وزرائهم. وود كثير من أصدقائه أن لو عاش للأدب والثقافة وحدهما، وقد وصل فيهما إلى القمة، وأحرز مجدا يزيد على مجد كثير من السياسيين. وودوا بخاصة أن لو لم يغل فى المضمار السياسى ذلك الغلو الذى أساء أحيانا إلى مقامه فى الأدب وبين الأدباء.

وفى عام ١٩٤٠ دخل طه حسين مجمع اللغة العربية فى زمرة كريمة من قادة الفكر والرأى، نذكر من بينهم «لطفى السيد» و«عبد العزيز فهمى»، «والشيخ المراغى»، «وهيكل»، «ومصطفى عبد الرازق»: دخله وقد جاوز الخمسين: وحق له أن يركن إلى شىء من الهدوء والراحة. ولكن أنى له وسجيته الكفاح والنضال: وهكذا نراه يعنى بالتنسيق والتنظيم، ويسهم فى كثير من اللجان، ويحاول جهده أن ينهض بالعربية لتلائم حاجات العلم ومتطلبات الحضارة، ويدخل مع زملائه فى جدل محكم وحوار ممتع. اشترك على أثر دخوله فى مكتب المجمع الذى عهد إليه بتعديل اللائحة الداخلية، وكان همه أن يبرز فيها شخصية المجمع، ويؤكد استقلاله، ويوفر له وسائل العمل والإنتاج:

وكم طالب بأن تكون له مطبعة خاصة ، واقترح أن تضم إليه مطبعة دار الكتب بقسمها الأدبي ولا يزال المجمع يعانى من شئون الطبع ما يعانى إلى اليوم . وأراد «لمعجم ألفاظ القرآن» أن يقوم على أساس من المنهج التاريخى ، وأن يسلك به ما سلك فى كتب العهد القديم ، وكان له فى ذلك حوار متصل مع الشيخ المراغى . ولا نزال نذكر ما كان بينه وبين زميله « عباس العقاد » من محاورات كانت تبعث فى جلساتنا نشاطا وحيوية ، وإذا حمى وطيسها تدخل فيها « لطفى السيد » فهدأت وسكنت .

وتحمس طه حسين لتيسير النحو تحمسا شديدا ، ورحب بالمشروع الذى بعثت به وزارة المعارف إلى المجمع ، ورغب فى أن يوضع له كتاب يوضحه ويطبقه ، وأعلن أنه مستعد أن يتولى بنفسه وضعه . ويوم أن يئس المجمع من إخراج معجم « فيشر » التاريخى ، اتجه نحو فكرة وضع معجم كبير ، وأبى طه المكافح إلا أن يضطلع بعبء التنفيذ . وهذه مهمة عشت معه فيها ، وزاملته فى تنفيذها . وأشهد أنه بدأ أولا فى رسم منهج هذا المعجم ، وقضى عدة سنوات يتابع إعداد قدر من مواده ، ويراجعها فى أناة وروية . واستطاع أن يخرج منها نموذجا فى نحو ٥٠٠ صفحة ، وقد دفع به المجمع إلى الباحثين والمتخصصين ، راجيا أن يوافوه بما يعن لهم من ملاحظات وتعليقات ، وكان هذا النموذج أساسا سار عليه المجمع فى إخراج معجمه الكبير . تلك أمثلة من جهوده المتصلة فى مجمع الخالدين ، وقد كنا نحس جميعا أنه بماضيه الحافل ركن ركين من أركان المجمع ، وأن رسالته وثيقة الصلة برسالته . ولقد كانت رحلته فيه خصبة طويلة ، بلغت ٣٣ عاما ، وهى أطول رحلة لمصرى من الخالدين .

هذا هو كفاح طه حسين ، ولا أظننى أغلو فى شىء وإن قلت إن حياته كانت كفاحاً كلها ، كفاح فى الإعداد والتكوين ، وكفاح فى البذل والعطاء ؛ كفاح فى الأزهر ، والجامعة المصرية القديمة ، والسربون ، وتلاه كفاح آخر دام نحو خمسين سنة ، تعددت ألوانه وتنوعت سبله ، فشمل الصحافة والسياسة ، والأدب واللغة ، والعلم والتعليم ، والجامعات الجديدة ، ووزارة المعارف . لجأ فيه أحيانا إلى قارعة أو قنبلة يلقيها فيهز المشاعر ويستلفت الأنظار ، ولا شك فى أن كتاب « الشعر الجاهلى » من أولى هذه القنابل ، ثم جاءت مجانية التعليم الابتدائى والثانوى فى خاتمة المطاف . وقد يكون من كفاحه ما ذهب مع الريح ، ولكن منه قدرا باقيا على الزمن . فهو دون نزاع من الأصوات القوية التى جهرت ، منذ أول العشرينيات الثانية من هذا القرن ، بضرورة فك الأغلال وتحطيم القيود الفكرية ، اعتد بحرية الرأى وتحكيم العقل ، استنكر التسليم المطلق ، ودعا إلى البحث والتحرى ، بل إلى الشك والمعارضة ، وأدخل المنهج النقدى فى ميادين لم يكن مسلما من قبل أن يطبق فيها . استن فى الكتابة

والتعبير لونا عذبا من الأداء الفنى حاكاه فيه كثير من الكتاب ، وأضحى عميد الأدب غير منازع فى العالم العربى جميعه :

وشاء القدر أن يختم حياته بكفاح مرير ، فبلى بعلة طويلة تحملها بصبر الصابرين وجلد المجاهدين :

سيداتى ، سادتى :

ليس على طول الحياة ندم
ومن وراء المرء ما يعلم

يموت والد ويخلف مو
لود وكل ذى أب ييتم

تغمد الله فقيدنا برحمته ، وجزاه عما قدم لأمته ولغته خير الجزاء ».

## ●●● كلمة الدكتور حسنى سبح :

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق .

من بلاد الشام وبخاصة من دمشق ومجمعها ، أنقل إلى هذا المجمع الكريم مشاعر الحزن والأسى لوفاة عميد الأدب العربى فى هذا العصر المرحوم الدكتور طه حسين . وبفقده خسر العالم أديبا كبيرا وعبقريا فذاً هيهات أن يخلفه الدهر . ظل نصف قرن ونيفا ملء العيون ومطمع الأنظار . شغل العالم العربى بأسره ، بما طلع عليه به من آراء من بنات أفكاره وبما ابتدعه من أسلوب فى الإنشاء يكاد يكون نسيج وحده فهو الأسلوب الساحر ، سحر به الألباب ، وحبب إلى جمهرة الناس قراءة ما كان يصدره وينشره ، وما كان يمليه ويحاضر به تلاميذه فى صفوف التدريس ، ولقد أتى بالجديد من الدراسات فى الأدب غير مكتف بالقديم المتوارث ، وبما يلائم روح العصر من آراء فى النقد الأدبى مما لا عهد به للأجيال السالفة ، مازجاً مزجاً فنياً وعلمياً وببراعة فائقة بين الثقافتين العربية والغربية :

فطر فقيدنا على ذكاء مفرط ، وجبل على عزيمة خارقة ، فلم تقعده إصابته بالآفة المحتومة فى أيام صباه ( على حد تعبيره ) لم تقعده عن أن يبلغ ما تصبو إليه نفسه الكبيرة وما تطمح إليه روحه الوثابة من جد وعمل ، مستطيعاً بغيره كما عبر عن نفسه ومستبصرا ببصيرته .

فثار ثورته على ما هو متعارف ، ولم يشأ أن يكون مقلداً وتابعاً ، فأتى بما عُد خروجاً عن السنة المتبعة . ولم يعدم هذا الثائر فى عالم الأدب من بين الكثرة المعجبة به ، من قلة انتقدت عمله وناصبته العداء ، وما كان منه

إلا تلقى كل ذلك بصدر رحب غير مبال بما قيل ، ومتابعا السير .

ولعل المرحوم الأستاذ « محمدكرد على » الصحافى السورى القديم ، ومؤرخ الشام ، ومؤسس المجمع العلمى العربى بدمشق ، وممن أسهموا فى تأسيس مجمع فؤاد الأول فى القاهرة ، لعله من أوائل الذين قدروا الفتى العالم وشجعوا من كان يعرف بالشيخ طه حسين آنذاك ، ففتح له صدر مجلته «المقتبس» والتى أصدر المجلد الأول منها فى القاهرة ، ثم نقلها إلى دمشق ، نشر له مقالا فى مجلته سنة ١٩٠٦ بعنوان : هل تسترد اللغة العربية مجدها ؟ عدّدفيه بعض الأسباب التى أدت إلى جمود اللغة العربيةوتقصيرها عن مسايرة ركب الحضارة ، راسماً منهجاًعملياً للنهوض بها . ولو لقى ذاك المنهج القويم آذانا صاغية آنئذ ( وقد مضى عليه ستون سنة ونيف ) لكانت لغتنا العلمية فى يومنا هذا غير ماهى عليه .

ولما أصدر المجمع العلمى العربى بدمشق مجلته سنة ١٩٢١ تابع المرحوم الأستاذ « كرد على » ماينشره الدكتور طه حسين مقرظاً ومعلقاً ، مع شدة إعجابه بكل ماينشره إن فى الكتب المطبوعة أو فى المجلات والصحف .

ويطول بى المقام فى سرد كل ماكتبه فى هذا الشأن فأجتزئ ببعضه :

قال عنه مرةسنة١٩٢٤ : من أكبر كتاب العرب المتخصصين فى عامة فنون الأدب ، وقد اشتهر بالأخص بطريقة فى النقد الأدبى مع ولوعه باقتباس مقدمات المدنية الغربية على اختلاف ظواهرها وأساليبها . وكتب بعد سنة : إن كل من شارك فى الأدب يعرف منزلته (أى الدكتور طه حسين ) من النبوغ ، وكل من قرأ له مقالة ، وتدبر آيات فضله تتوق نفسه أبداً إلى أن يستكثر من تلاوة بنات أفكاره . أنا من المعجبين بأسلوب السيد طه حسين ومن يستحلى على الأغلب تكراره للمعنى الواحد فى جمل كثيرة ، وربما كان يجرى فى هذا النمط من الإنشاء على غير مثال يحتذيه ، وليس له من كتاب العصر بمنحاه ضريب ونظير على ماأعلم .

يبث طه حسين فيما يكتبه فى الصحف ويحاضر به طلبته فى الجامعة المصرية ، روحاً جديداً هدته إليه الدراسة المنظمة ، وطول التأمل فى حال المدنيتين الغربية والعربية .

وعقب على كتابه ( فى الشعر الجاهلى ) سنة ١٩٢٦ فقال : معظم أمالى هذا الأستاذ النابغة من الأفكار الطريفة ، أخذ بقسط عظيم من التجدد ، فيه بحث ودرس ، وكتابه هذا سيحدث تأثيرا مهماً عند أنصار القديم فى الأدب . ثم انتهى إلى القول : بحثه علمى مجرد من التقاليد . . . . ولاشك أن كتابه سيجدمن مخالفيه مقاومة شديدة يربح العلم الحديث عقباها كتابا آخر :

وقرظ الأستاذ « كرد على » كتبه ( فى الأدب الجاهلى ) و ( على هامش السيرة ) و ( الأيام ) سنة ١٩٢٦ قائلا : لو كتب كاتب

من أهل العصر الماضى ماكتبه طه حسين فى هذه الكتب ، فكتب ألوفاً من الصفحات ماأغنى غناء طه ولا أبدع إبداعه .

وآخر ماكتب الأستاذ ( كرد على ) عن طه حسين : من تحصيل الحاصل الإشادة ببلاء صديقى العلامة الدكتور طه حسين فى خدمة الآداب العربية وأثره المحسوس فى إدخالها فى طور جديد ، وبث أفكاره فى جميع طبقات القراء وكان مجلياً فى معظم ماخطته يمينه من بحث علمى وإبداع أدبى ، وكان عمله عدل علمه ، ظهر ظهوراً واسعا فى رئاسة الجامعة وفى وزارة المعارف . وماخلا مع هذا من حساد وأعداء ، لكنهم قلائل جدا إذا قيسوا بالمعجبين به ، والمستفيدين من نفثاته ، فهو بلا مراء حسنة من حسنات مصر فى هذا العصر ، وفضله على الأفراد والجماعة لا ينكره عليه إلا مكابر .

هذا بعض ماقاله صديقه المرحوم الأستاذ « كرد على » . أما رجال الفكر والأدب فى سورية ، فلم يكن تقديرهم له وإعجابهم به بأقل من ذلك ، فإن أنس فلا أنسى أبداً يوم لقيته أول مرة فى دمشق قادماً على رأس وفد مصر لمشاركة مجمع دمشق بالاحتفال بالعيد الألفى لأبى العلاء المعرى سنة ١٩٤٤ ، عندما وقف بقامته النحيلة على منصة مدرج الجامعة ليحاضر فى ( الفصول والغايات ) لأبى العلاء المعرى ، لا أنسى ذاك التصفيق الحاد الذى استقبله به جمهور مشاهديه فى القاعة فحسب بل العدد الكبير من الذين لم تتح لهم رؤيته من المستمعين الواقفين فى الباحات المحيطة بمبنى المدرج حيث نصبت مكبرات الصوت ، إذ لم يتمالكوا عند سماعهم صوته من متابعة التصفيق عدة دقائق .

وستظل كذلك رحلة من دمشق إلى حمص وحماة فالمعرة وحلب لنزور قبر أبى العلاء فى المعرة ويفتتح المكتبة التى أنشئت إلى جانب ضريحه ، ستظل ذكرى لا تنسى ، فلقد لقى فى كل بلد من هذه البلاد السورية التى حل بها ترحاباً لامثيل له .

ولقد كان رحمه الله شديد الحب للبلاد العربية ، ولعله كان يخص سورية ودمشق بالمزيد من الحب وكان كل مرة يأتى فيها واحداً من طلابه فيها أوزملائه الذين يتصلون به كان فى كل مرة شديد الرغبة فى التعرف إلى ماظهر من أمرها وما خفى وما جل من شأنها ودق .

ولما عقد مؤتمر مجامع اللغة العربية فى دمشق سنة ١٩٥٤ ، حيًّا المرحوم شعب سورية فى حفل الافتتاح قائلا :

« وإنى ما رأيت على طول معاشرتى للسوريين فى سورية وخارجها أحداً منهم ينسى العروبة وكرامة العروبة ومستقبلها . ما رأيت كالسوريين يذكرون هذا ويفكرون فيه كما يفكرون بأنفسهم ، كان الذى أوحى إلينا التفكير فى هذا المؤتمر ، رجلا من رجال سورية ، من دمشق عاصمة العروبة العظمى الصافية التى صفت فيها العروبة من كل شائبة

وخلصت العروبة للعرب خالية من أى أجنبى ودخيل، لم يكن بدمن أن يعود الحق إلى أهله ومن أن يكون تفكيرنا متجها إلى مكان انعقاد هذا المؤتمر وأن تكون دمشق الحبيبة أول مانفكر به . »

هذا هو فقيد العربية وكاتبها المبدع ومفكرها الكبير، أثار أدبها القديم وطور أدبها الحديث. طوّع أسلوبها ودأب دؤوبا على التزام الطرفين المتباعدين الراميين إلى ترسيخ حيويتها : إغنائها فى ذاتها من نحو ، ثم رعايتها وحياتها من نحو آخر. وأنكر واستنكر — رحمه الله — كل الاستنكار ترويج اللهجات والعامية وتشجيعها واستعمالها، لأن فى الدعوة إلى العامية فك أواصر الصلة بين أفكار العروبة ، بل والعالم الإسلامى أيضا .

وحرى بنا نحن أولاء ، وقد اجتمعنا لتأبين الفقيد ، أن نسعى إلى تخليد حياته المليئة بالجد والكد وبالعمل المثمر ، بكتاب يروى للأجيال القادمة قصة هذا النابغة الفذ ، شحذاً للهمم ، إذ مع أنه حرم من نعمة البصر وهو طفل، لم يقعده ذلك عن تحقيق ماتتوق إليه نفسه من طموح ، ومايريده للعربية من خير : إنى آمل أن نسارع إلى إعداد هذا الكتاب ونشره ، ثم إلى طبعه فى طبعات شعبية مبسطة ، لتأسى خطاه والنسج على منواله .

وبعد، فما كان للجسم النحيل الذى حمل تلك النفس الكبيرة الجادة آناء الليل وأطراف النهار ، ما كان لجسمه إلا أن ينوء دون تحمل ماحمله. فتأثرت صحة أستاذنا لتسوء يوما بعد يوم، ومع هذا كله كان حريصا على أن لايخيب أمل كل سائل ومستفيد، كما حرص الحرص كله على ترأس مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية فى داره عندما أقعده المرض واشتدت وطأته عليه، ليشرف على شئون الاتحاد ويوجهه بتوصياته .

وماأشبه حال الفقيد بالشمعة المضيئة التى تبدد الظلمة وهى تحترق وتذوب مستنفدة كل مافيها من وقود، فيد المنون لم تختطف الفقيد طه حسين ، كما يقال فى مناسبة كهذه، بل ظل يعمل مستنفدا كل ما ادخره جسمه من طاقة حتى انطفأت جذوة ذلك المصباح المنير وانتقلت روحه إلى بارئها .

رحم الله الفقيد وبوأه أرفع الدرجات وحفظ العربية وكتابها وآدابها خالدة إلى يوم الدين .

إنى لاأتوجه بهذا العزاء إلى مصر خاصة ، فالدكتور طه حسين ثروة العرب جميعا ، وكلنا فى هذا المقام يصح أن يكون معزيا ومعزّى .

وإنى باسم مجمع اللغة العربية بدمشق أتقدم بأخلص مشاعر المواساة والعزاء إلى أسرة فقيدنا الكبير ، آملا أن يكون فى هذه المشاركة من أقطار الوطن العربى كله مايساعد هذه الأسرة الغالية على الصبر والسلوان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

# ●●● قصيدة الدكتورعبدالرازق محيى الدين

رئيس المجمع العلمى العراقى :

السادة الأعلام :

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد، فنحن فى المصيبة شرع سواء ، والرزية لفقيد عميد لأدب العربى ،رزية الأمة العربية جمعاء. ومع ذلك فإن من واجبي أن أقدم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة تعزية المجمع العلمى العراقى فى بغداد ، وأن أنقل مشاعر المثقفين فى العراق إلى مسامع المثقفين فى مصر وأن أرفع إلى الأسرة المفجوعة تعزية الأسر العراقية جميعا. ولقد كان بإمكانى بل لم يكن بإمكانى أن أقف عند حدود الكلمة الناثرة ، لأن الشعر مدين لطه حسين دينا لا ينسى .ومع أنى تركت نظم الشعر من سنين عديدة ، فقد استشعرت أن لابد لى أن أقول شيئا من ذلك .

ولذلك فإنى أستميحكم عذرا لو جاءت القصيدة على غير ما ترجون .

حى مع الناس أحياء بما شعروا
لا الرأى يبلى ولا ذو الرأى يندثر

يأبى الفناء كتاب أنت آسورته
تتلى ، وألواحه آراؤك الغُـرر

وأنت آية هذا العصر مبصـرة
ما تخطىء العين أو ما يجحد النظر

يبقيك هذا الذى أحييت من أدب
عفاه من عرفوا منه ومن نشروا

بما استراحوا له من قائم درجت
على سيادته الأوهـام والعصُـر

مرجمين رووا عمن رووا صعـدا
للغيب، مااستمطروا وحيا،ولااسطروا

مخلقات وأمشـاجا لو التحمـت
ببعضها ، لتعايـا الطول والقصـر

حتى انبريت لها بالشك تقتلها
علمـا فتحيا بها موءودة قبروا

يد صناع لو امتدت إلى يُبس
لأورق العود واحلولى له ثمر

ولو مشت لظلام الليل تقبسه
تنفس الصبح لم يأذن له سحر

سبحانك الله توتى النور فاقده
وتحجب النور عن قوم بهم بصر

يا أيها العَيْلم الهدار ما ركدتْ
رياحه ، أو سجت أمواجه الغزر

أتـوا سواحلك الدنـيا فخامرهم
أن يركبوا اليم فاجتازوا وما عبروا

مغررين رأوا نشزا فأطمعهم
ومادروا أنه موج وينحســـر

وأن غائرة فى القاع فاغرة
تهوى بهم للأولى من قبلهم غمروا
وأن من يركب الشُطْآن عارية
غير الذى هو بالأمواج يأتزر
أنت ابن عشرين ما تُلْوى فتنتصر
وابن الثمانين ما تطوى فتنكسر
صلب قناتك لم تغمز فإن عجمت
كعوبها انماز من غيظ بها شرر
ذودا عن الرأى أو نشرا لرايته
بالقول يفلج والأقلام تشتجر
فى حين للرأى أجناد وأسلحة
وفى الأساليب مهزوم ومنتصر
وللبيان على الألباب هَيْمَنَة
لم يرج إلا لمعقود بها ظفر
وفى القصائد أبكار محصنة
وللأعاريض فحل شاعر ذكر
فليت مستجلبات الشعر قد عقمت
وليت من فرطوا فى عقدها عُقِرُوا
ياثانى اثنين للعلياء دونهما
تقعى الدهارير مما آدها السفر
ألف مضت وهى وحمى فيك مثقلة
حتى ولدت ؛ فهل ألف بها أُخر
عهدان من عمر الآداب قد نعما
بالمبصرين هما الأوضاح والغرر
وغير ذينك أصداء وتسلية
يزجى بها الوقت أو يحلو بها السمر
ويسألونك ما طه ؟ ولو خبروا
ما عندهم منه ، لاستغنوا بما خبروا

والغيث يشربه الظمآن من قلل
وربما سأل الأنواء ما المطر ؟
هذا الذى أنا أُلقيه وتسمعه
له ، فلا العود من عندى ولا الوتر
والجامعات التى تعلوك شاهقة
مما بنى ، أو على آثاره عمروا
فالعلم زاد مشاع ليس يطعمه
من أترفوا ويمناه من افتقروا
والرأى صوت مصون ليس يمنحه
من زمروا ويقاضى فيه من جأروا
الرأى بالرأى لا سوط يهدده
ولا زبانية تُشْلى فتأتمر
والدين محض قناعات متى أُخذت
بالكره آمن من دانوا بمن كفروا
من جَرّدوا الناس من رأى بأن حُجِروا
عاشوا الحياة بلا رأى بأن حَجَرُوا
طه تحدث حديث الخلد من كثب
فالآن أنت بحيث الخُبْر لا الخَبَر
أللذى ظن ظنا أو تخيله
شيخ المعرة من صدق الرؤى أثَر ؟
أم حكمة الخالق أن نلهى بمفترض
فإن شهدنا يقينا نابنا خَصَر ؟
طه ، تحدث فهذا الحفل محتشد
كالعهد يشخص إكبارا وينتظر
عايشت جيلك أصفى ما تكون له
نَبْعا ، وإن ساء وِرْدا بعض من صدروا
للجامعيين أبناء ، أبٌ حليت
به الرقاب ، وإن شبوا وإن كبروا

وللمجمعيين إخوانا أخ كرمت
به الأواصر واعتزت به الأسر

تخال من هيبة فى الحفل يحضره
أن الملائك فى وادى طوى حضروا

لا يرفع الصوت إلا ريث يسمعه
فإن أشاح فمبهور ومبتسر

تغضى اللحاظ على علم ببغيتها
عنه فلم يؤت إلا خلة نظر

أقصى الأمانى ممن أغدفوا رتبا
فى الفضل إطراءة من فيه تبتدر

عاشت على فضله من زاده زمر
وأفضلت ، وأتت من بعدها زمر

من ناقدين على منها جه نهجوا
وباحثين على أضوائه سفروا

حتى الذين أتوا نهجا يخالفه
عاشوا بأنهم فى خلفه اتجروا

نبت عميم تغشاه من احتطبوا
وألهبوا وسقوا خمرا من اعتصروا

مما يهون من خطب ألمَّ بنا
أنا على خطة يسعى بها قدر

وأن مصر على ما عاهدت ووفت
تبنى الشوامخ ما قلوا وما نزروا

يا مصر لى بك قبل اليوم واحدة
أسرى بها النجم واستهدى بها القمر

غنت بمطران فاستهوت قصائده
بأن يعود لها من وصله وطر

سلمت ولتذهب الدنيا ، وهل ذهبت
دنيا بها مصر والفصحى لها وَزَرُ ؟!

---

## ●●● كلمة الأستاذ محمد رفعت :

عضو المجمع

### « طه حسين وزيرا »

سيدى الرئيس ، سيداتى ، سادتى :

إن لفقد الصديق الحميم لحرقة ولذعة يحس بها الصديق المكلوم عند وقوع النازلة ، ثم لايزال فقد العزيز يؤرقه ويقض مضجعه ، حتى تدور عجلة الزمن ويتعاقب الليل عليه والنهار وتنقضى الأربعون أو نحوها ، وبعدها يستكين الصديق المفجوع ويستكين معه المحزونون جميعا إلى صبر جميل ، وذكرى عطرة تفيض بمآثر الفقيد وحسناته ؛

واليوم يعز على أيها السادة ويعزينى أيضا أن أحاول أن أحيط بطرف واو يسير من سيرة الفقيد العزيز وزيراً للمعارف ، وقد كان لى شرف مرافقته فى هذا الدور من حياته ومن قبله ومن بعده . وطه حسين وزيراً ، لايقتضينا

ألبتة أن نرسم له صورة جديدة مكبرة ، فهو هو طه حسين قبل الوزارة وبعدها — طه حسين رب القلم ، وعميد الأدب وإمام الأحرار المستقلين ، وصاحب المعذبين فى الأرض ، ورائد من رواد الإنسانية جمعاء .

والناس من قديم دأبوا على أن يربطوا بين الوزارة والسياسة واعتبروهما صنوين متلازمين فى حين أن الوزراء إذا اجتمعت كلمتهم ، وتضامنوا سويا ، من أجل حكم البلاد ، لم تعد لهم سياسة خاصة ، وإنما عليهم جميعا أن يخلعوا بردة السياسة التى كانوا يتسربلون بها عادة ، وأن يتركوها على عتبة باب الوزارة عند « حافظ الأمانات » قبل ظهورهم على مسرح الوزارة ، وذلك لأن عليهم جميعا أن يلتزموا السياسة العليا للدولة التى هم فيها وزراؤها .

ويقول عالمنا الاجتماعى الأول ابن خلدون فى هذا الشأن : إن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها ، والسبب فى ذلك كما يقول ابن خلدون — أنهم معتادو النظر الفكرى والغوص على المعانى وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها فى الذهن لتصبح أمورا كلية عامة .

وإذا كان فقيدنا فى مسلكه السياسى قدساير هذا الرأى فى مجموعه ، فإنه مما لاشك فيه ، أن طه حسين أيضا كان فى الطليعة من الكتاب العالميين المرموقين الذين تجاوزت رسالتهم الفكرية حدود الحيز الإقليمى الضيق ، إلى مجالات المد العالمى الكلى ؛ فقد كانت السمة الإنسانية هى الغالبة فى إنتاجه ، كما كانت معظم مؤلفاته مزاجا قويا من ذوب حضارتين عربية وغربية ، قد يراهما بعض الناس حضارتين مختلفتين مولداً ومنهجا ومادة ، ولكنهما كانتا فى تقدير فقيدنا فرعين أو شعبتين لنهر واحد تكمل إحداهما الأخرى ، وكلتاهما ترجع إلى نبع واحد هو الإنسانية والمعرفة .

ولست أجد مثالا أدل على ما امتاز به فقيدنا من تصعيد بآرائه إلى قمة النفع الإنسانى من قولته المشهورة أمام أحد المؤتمرات العربية المنعقدة بالإسكندرية :

« التعليم للفرد كالشمس والماء والهواء لا حياة له إلا بها » .

والشمس والماء والهواء كما يعرف الناس جميعا عناصر طبيعية متوافرة بنسب متفاوتة فى جميع أرجاء العالم ، وإن المجتمع أيا كان نوعه ومهما بلغ به العسف لا يستطيع منع هذه العناصر عن أى فرد يسعى إليها . وقد نشر كاتب أمريكى مرموق اسمه « دونالد روبنسون » كتابا فى الخمسينات تحدث فيه عن مائة من أبرز الشخصيات فى عالم ذلك الوقت ، واختار من بين المائة عشرة من العمالقة ذكر فى مقدمتهم « ونستون تشرشل » مثالا للبطولة « ثم « ألبرت أينشتين » مثالا للعبقرية العلمية ، واختار أخيرا فقيدنا « طه حسين » رمزاً للكفاح والشجاعة .

ولست أعرف على وجه اليقين كنه الظروف التى أحاطت فقيدنا عند إسناد وزارة المعارف إليه فى يناير عام ١٩٥٠ ، ولكننى أعلم علما لايساوره الشك أن الدكتور طه حسين كان قد نشر كتابه عن مستقبل الثقافة فى مصر عام ١٩٣٨ ، وقد عالج فيه جميع نواحى التعليم العام والجامعى العالى والدينى والرياضى ووصف لذلك كله مختلف الأدوية الناجعة للبرء من العلل التى سادت محيط التعليم ماظهر منها ومابطن .

فكان كتابه أشبه بالكرة البلورية فى يد الساحر ، رأى فيها المؤلف ملامح المستقبل المضىء الذى كان ينتظره ، والخطوط العريضة لحركة إصلاح جذرية يتولى هو بنفسه رسمها وتوجيهها . وما عليه إلا أن يلوذ بالصبر الجميل حتى تدق الساعة المرتقبة قريبا أو بعيدا . لذلك فإنى أقول إنه حين رشح فقيدنا وزيراً للمعارف ، كان كتابه عن مستقبل الثقافة بيمينه تحت إبطه سائر مؤلفاته الأخرى الأدبية والعلمية والاجتماعية ، وهى جميعاً التى رسمت بأن يكون طه حسين وزيراً للمعارف وكأنه المعنى بقول الشاعر :

أتته الوزارة منقـــادة
إليه تجرجـــر أذيالهـــا
فلم تك تصلـــح إلا لـــه
ولم يك يصلح إلا لهـــا

ومهما يكن من أمر الذى قيل فيه هذا الشعر ، فإنى أرى فى الشطرة الأخيرة من البيت الثانى إجحافا بحق فقيدنا وانتقاصاً صارخا لمواهبه . فقد اضطلع - رحمه الله - قبل الوزارة بمسئوليات جسام ليست أقل خطرا من الوزارة ، فقد كان عميدا للأدب العربى غير منازع ، وكان مؤسسا ومديرا لجامعة الإسكندرية ، ورئيسا للتحرير فى أكثر من صحيفة ومجلة ، وعلها جميعا أفاض من حماسته وواسع علمه ، ونافذ بصيرته ، مما جعلها منارات يهتدى بها ، وأمثلة تحتذى .

وعلى كرسى الوزارة وجد فقيدنا نفسه لأول مرة يعتلى المركز الأعلى للثقافة فى البلاد ، وأراد أن يتفرغ لمعالجة المسائل الكبرى ، فلم يرهق نفسه كثيرا فى الشئون الإدارية ،
وهى بطبيعتها أمور مكتبية ميسرة ، قضى فيها فقيدنا وفق مزاجه الخاص غير عابئ بلائحة أو قرار ، ولاخاضع لقانون أو مرسوم . وكانت كلمة الوزير فيها هى العليا . ثم اتجه - رحمه الله - بكامل عزمه ، وماضى عزيمته نحو إنجازاته الكبرى :

وكان أولها قرار المجانية بالمدارس الثانوية ، ، والمجانية فى التعليم أيها السادة ، لم تأت طفرة ولافجأة ، . وذلك أن الحكومات المصرية ، أيا كان لونها ، قديمها وحديثها ، درجت فى أحيان كثيرة على التأنى والتريث فيما تعتزم تحقيقه من مشروعات . ولست أدرى إذا كان هذا التباطؤ مصدره التأكد أو التردد بالخوف أو دقة الحال ، فليكن مصدره إحدى هذه الخصال أو جميعها وإنما

أذكر أن أول من أشار بقبول عدد محدود جداً من طلاب التعليم العام غير المقتدرين مجانا ، هو الزعيم الوطنى الخالد «سعدزغلول» حين كان وزيرا للمعارف فى أوائل هذا القرن ، هذا على كره من مستشاره الإنجليزى « دنلوب » ، ثم سار الوزراء اللاحقون من بعده على هذا المبدأ وبنسب متفاوتة ، إلى أن تولى وزارة المعارف المرحوم « أحمد نجيب الهلالى » فى عام ١٩٤٢ ، فهاله أن وجد ، بعد الدرس والاستقراء، دخل الدولة من رسوم التعليم فى المدارس الابتدائية الأميرية فى ذلك الوقت لم يزد على أربعمائة ألف من الجنيهات ، فقرر على الفور مجانية التعليم الابتدائى ، ثم تولى فقيدنا وزارة المعارف عام ١٩٥٠ ، وقد جاء فى خطاب افتتاح البرلمان حينئذ أن الحكومة ستقرر مجانية التعليم بالمدارس الثانوية وباقى مستواها ، ومع أن الدكتور طه كان قطعا صاحب الفكرة والداعى إليها ، فإنه أبى إلا أن يقول فى خطاب له ألقاه بنادى المعلمين فى الشهور الأولى من وزارته ، قال رحمه الله : «إن كل ما قلتموه ، وكل ما قيل اليوم ، وكل ما سيقال غدا وبعد غد ، عن المجانية لا ينبغى أن يساق إلىّ ، وإنما ينبغى أن يساق إلى غيرى وإلى الوزراء الذين شجعونى على أن أحتمل هذه المحنة ( هذه بطبيعة الحال كانت مجرد تحية ومجاملة لزملائه فى الوزارة ) .

أما الحقيقة فقد عبر عنها قبل توليه الوزارة باثنتى عشرة سنة ، قال :

« ليس ينبغى أن نطلب إلى الديمقراطية أن توزع على الناس أقواتهم وتشبع فيهم اللذة والنعيم وهم هادئون مطمئنون . فهذا شىء لن يتاح لنظام إنسانى ، وإنما موعد الناس به الجنة التى وعد الله بها عباده الصالحين . أما الذى يطلب إلى الديمقراطية ويفرض عليها [ فرضا ، وهو أن تمنح أفراد الشعب وسائل الكسب ، وأولها هو التعليم الذى يمكن الفرد من أن يعرف نفسه وبيئته والوطنية والإنسانية ] » .

وكان طبيعيا بعد تقرير المجانية فى مدارس التعليم العام أن يزداد الطلب على هذه المدارس زيادة غير معهودة مما جعل بعض الناس يتناولون هذه المجانية بالذم والنقد اللاذع ، لأنها فتحت أبواب المدارس الأميرية على مصراعيها لكل ( من هب ودب ) كما يقولون دون تشييد للمبانى اللازمة وإعداد للمدرسين نوعا وعددا . وقد واجه فقيدنا المشكلة بما عرف عنه من الحزم ومضاء العزيمة فقرر أن يرصد فى الميزانية بند خاص لبناء المدارس ، كما أمر بأن يكلف فورا ملاك المبانى أن يقيموا فى أبنية المدارس فصولا دراسية جديدة تتسع للمستجدين من التلاميذ ، وأن يعين خريجو كليات الجامعات فى وظائف التدريس رأسا ، أى دون أن يمروا بمعاهد التربية . وكان رأيه فى الاكتظاظ وما يتبع ذلك عادة من هبوط فى المستوى العام للتعليم ، وكان رأيه فى ذلك كله أن مدارس التعليم العام يجب أن تكون كالمصفاة لا تبقى إلا على الصحيح السليم .

ثم يأتى موضوع الامتحانات ، وكان فقيدنا يرى فيها ظلماً كبيراً لأطفالنا الذين لايكادون يحسنون أن يمسكوا بأقلامهم ليكتبوا ، فكيف بهم إذا نحن طالبناهم بقراءة أوراق أسئلة الامتحان وفهم معانيها ثم يكتبون الإجابة عليها . وقد قال فقيدنا فى موضوع الامتحانات وضرورة قصرها على أقل القليل :

« أنا أعلم أن الامتحان شر لابد منه ، ولكن الغريب أننا لانتخفف من هذا الشر ولا نكتفى منه بأقل قدر ممكن ، وإنما نتزيد منه ونثقل به المعلمين والمتعلمين فنضطرهم إلى الشر ما وسعنا ذلك » . وقد ترجم فقيدنا آراءه فى هذا وغيره عندما كنا نجتمع فى أمسيات نعقدها فى داره لإعداد قانون جديد للتعليم العام . فكان من أهم مواده ما استقر عليه الرأى فى إلغاء امتحانات الانتقال بالمدارس الابتدائية من فرقة إلى فرقة أعلى ، ولايفوتنى أن أشهد برأى فقيدنا فى وجوب الاهتمام بتعليم اللغات الأوربية الحديثة ، فقد أعاد إنشاء مدرسة الألسن ، وجعل الالتحاق بها نتيجة مسابقة فى اللغة التى يريد الطالب أن يتخصص فيها . وقال فى شأن مسايرة الحضارة الحديثة : « ليس على الشخصية المصرية خطر من الحضارة الحديثة ، ولست أدرى لم تضيع شخصية المصريين إذا ساروا سيرة الأوربيين ولاتضيع شخصية اليابانيين مع أن لمصر من المجد والسليقة ماليس لليابان مثله ؟ » .

وأخيرا ترك طه حسين كرسى الوزارة الذى شرف اعتلاءه فقيدنا مدة عامين أو أكثر . وكان هذا فى أوائل عام ١٩٥٢ – تركه لالزهد فيه أو لضيق فى صدره منه أو لخلاف بينه وبين أحد المقامات السامية ؛ وإنما تركه نتيجة لحادث سياسى داخلى أودى بالوزراء والوزارة جميعها . وهنا أرانى مسوقا إلى مناقشة الرأى الذى قال به العلامة ابن خلدون من أن العلماء هم أبعد البشر عن السياسة ومذاهبها . وهو رأى صائب وسديد فى جماعه ، ولكن علينا أن ندرك أن ابن خلدون قد عاش فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى – أي فى أواخر العصور الوسطى حين كان العلم كالدين له قداسته وحرمته وكان رجاله يعيشون غالباً فى بروج مشيدة بمنأى عن السياسة ومذاهبها :

أما فى الأزمنة الحديثة حين ظهر فى العالم أهم المخترعات التى رفعت من شأن الإنسانية إلى آفاق جديدة بعيدة المدى من العلم والمعرفة تلك هى المطبعة الحديثة ذات الأحرف المعدنية المتحركة التى أنجزها « جوتنبرج » الألمانى فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر ، فإنه بفضل هذا الاختراع استطاع الناس أن يقرأوا كثيراً وأن يكتبوا كثيراً وأن يتناقشوا ويجادلوا طويلا ، وأن يتبادلوا الآراء فى الصحف والرسائل والكتب فى يسر وشغف.

وعند ذلك خرجت السياسة من أبراجها وتلقاها الناس كما يتلقون خبزهم اليومى وشرابهم

وأداتهم ، والرأى عندى أنه لا بأس بالسياسة يمارسها الناس ، ويحتدم حولها النقاش ، وتزكى فيهم روح الاجتهاد والتنافس البناء ، ولكن الخطر كل الخطر فى أن تتدخل السياسة فى طريق تقدم العلم والمعرفة ، وقد شكا فقيدنا من تدخل السياسة فى شئون التعليم فقال : أحمد الله على أن السياسة وظروفها لا تخيفنى ، وعلى أنها لم تستطع قط أن تمنعنى من قول الحق حين يجب أن يقال ، وفى ذلك الخير دائماً ، وقد يكون فيه الشر أحياناً ، ولكن الله عز وجل يحمد على الخير والشر جميعاً . وقد آن الوقت الذى يجب أن ترتفع فيه الوزارة فوق ظروف الحياة العارضة ومايكون فيها من مد السياسة وجزرها وانحرافها يوماً ذات اليمين ويوماً ذات الشمال : آن الوقت الذى يجب فيه أن تأخذ الدولة أمور التعليم بالجد وتنظر إليها على أنها فوق الأهواء السياسية وفوق شهوات الساسة » .

رضى الله عن طه حسين وأرضاه وأجزل له المثوبة والعطاء ، وبارك لنا فيما تركه وأسداه لمصر والعروبة كافة من فتوح جديدة وكشوف غير مسبوقة فى آفاق العلم واللغة والأدب عامة

« أرانى قد قصرت فى حق صحبتى
وقد عقدت هوج الخطوب لسانيا
لقد غاب عنا ذا العميد ولم نجد
له بين أعلام المجامع ثانيـــا
له الأثر الباقى وإن كان نائيـــا
فما زال بالروح الأمنية دانيـــا (*)

## ●●● كلمة الدكتور محمد كامل حسين :

عضو المجمع

### (( طه حسين مفكرا ))

سيداتى سادتى

جمعتنى بالدكتور طه حسين صداقة من نوع نادر بعدنا بها عن صخب الحياة وعن مشاكل الساعة حتى حين تكون ملحة ، وكنا نعكف على الهروب من الحياة المحمومة التى يحياها الناس حولنا وكأننا نريد بلقائنا أن نجد — على الأقل فيما يتعلق بى — السكينة والتأمل والإيحاء ، وإذا عثر أحدكم على مثل هذه الصداقة فليحرص عليها أشد الحرص ، لأن الإنسان إذا قربت حياته من غروبها فلن يجد شيئاً يسعد به إلا هذا الود الصافى الذى يتبادله مع قلة من صفوة الأوفياء . . فإذا كان هذا من ألوان السعادة عند الشيوخ فأنا من أسعدهم ، عرفت أحمد لطفى السيد فوجدت الحكمة ورجاحة العقل وسداد الرأى ، ونوعا من السمو الخلقى كان يعرفه ويقدره آباؤنا وأجدادنا ، ولم يعد له فى العصر

الحاضر شأن كبير . وعرفت عبد الحميد بدوى فكان الذكاء الوهاج والعلم الواسع العميق ، ويكفينى أن رجلا مثل ظفر الله خان رئيس محكمة العدل الدولية أخبرنى شخصياً أنه كان يعد عبد الحميد بدوى الأب الروحى له ، ثم عرفت طه حسين فوجدته جمع إلى فضائل صديقيه هذين قوة فى العزيمة لا تزيدها المقاومة إلا شدة ، وصلابة فى الرأى حين تتحول المقاومة إلى مناوأة ، حتى إذا صرح الشر وأصبحت المناوأة عداء سافراً وجدت له قوة خارقة .

كانت فى أعماله مثل المفكرين وكانت فى تفكيره صلابة العمليين ، فاستطاع أن ينجز أعمالا كنا نحسبها أمانى عزيزة بعيدة المنال فأصبحت بفضل جهوده حقائق واقعة .

وأظهر صفاته العقلية صفاء الفكر لا يحجبه كدر ولا اضطراب ، وصفاء الفكر عندنا نحن المشتغلين بالعلوم الطبيعية أكبر الصفات وأعظمها وأدعاها إلى النجاح ، وأذكر أنى كنت أقول لطلبتى فى كلية الطب «خير لكم أن تكون فكرتكم واضحة وإن تكن خطأ من أن تكون غامضة تحتمل الصواب». وأذكر أن عالما باكستانيا اسمه عبد السلام هو الآن من أكبر علماء الذرة ، سئل عن نظرية بعينها فقال : لا أظنها صحيحة لأن الطبيعة تحل مشاكلها حلولا رشيقة . هذا ما يجب أن يصدق على الإنسانيات والآداب كما يصدق على العلوم . فقد مضى العهد الذى كان فيه الغموض دليلا على عمق الفكرة ، والغموض ليس دليلا على عمق الفكرة ، لأنه لا يلتوى على القارئ وحده ، وإنما يلتوى على المؤلف أيضا ، فيخرج من غموض إلى غموض ، ولا أحسب أن أحداً قرأ للدكتور طه حسين ثم سأل نفسه بعد ذلك ماذا يريد أن يقول . وليست المسألة مسألة نصاعة الأسلوب ، فهذا مستطاع ، ولكنها نصاعة الفكرة التى تجذب إليه الناس :

وكان تفكيره حاسما ، تجاه حينما يحتدم الجدل فى أمر من الأمور ، ينصت ثم يدلى برأيه فاذا هو القول الفصل يصعب دحضه أو التعقيب عليه حتى من مخالفيه . وكان تفكيره نفاذاً تحيط به الصحاب من كل جهة وتعترضه أمور كثيرة متناقضة ، وآراء مضطربة فيستطيع أن ينفذ منها إلى نتائجها حتى إذا جاءت هذه النتائج وجدتها كما ظن كأن قد رأى وقد سمعا ، وخلا تفكيره من العيب الذى أود أن أسميه التفكير الهش أو التفكير المنفوش كالعهن ، على حد التعبير الإنجليزى ، وهو التفكير الذى تراه من بعيد فتحسبه شيئا عظيما حتى إذا جئته وضغطت عليه وجدته هزيلا ضعيفاً ، ولم تجد له صلابة ولا عزماً . هذه الصفات فى تفكيره جعلته شخصاً يختلف عن كثير غيره من المفكرين وأعتقد أن الدكتور طه يصح أن نقول عنه إنه اخترق حاجز الصوت فى المجال الفكرى فبلغ فيه آفاقاً أوسع ، وأصبح بينه وبين المفكر الوسط فرق لا نتبينه بسهولة ، مع أنه فرق واضح بين المفكر الأصيل والمفكر الوسط ، وإن ظن بعض الناس أن أعمالهما متشابهة إلى حد بعيد ، ولكن أحد التفكيرين خصب والآخر مجدب :

حاولت أن أتبين المحور الذى دار عليه تفكير طه حسين وأعماله ، فإذا هو إباؤه أن يذعن للنظم المستقرة ، هذه أكبر صفاته. والنظم المستقرة هى النظم التى يحرص أهلها على إبقائها لما يتمتعون به فى ظلها من ميزات لاتؤهلهالهم كفايتهم ولا الجهدالذى يبذلونه أطلق الغربيون على هذه النظم كلمة «establish-ment» هذا النظام المستتب كان يكرهه طه حسين بطبيعته ، يرى فيه خمولا عقلياً ويرى أنه مخالف لطبيعة الأشياء ولطبيعته بصفة خاصة وكثير من الناس يحبون أن يتخلصوا من النظم المستتبة ، ويسمون أنفسهم المجددين ، والواقع أن كثيراً من هؤلاء المجددين ليسوا إلا محافظين على الجديد ، وليسوا مجددين بالمعنى الحق ، فتراهم إذا وصلوا إلى أولى خطوات التجديد قنعوا بها وسكنوا إليها . على أن التجديد يجب أن يكون حركة مستمرة ولاأرى فرقاً بين الذين يتهافتون على العلماء الأجانب ويتمسكون بهم وينقلون عنهم ، وبين من ينقل عن ابن قتيبه وأبى هلال ، فيقال هؤلاء متأخرون ، ومحافظون ، وأولئك مجددون ، والواقع أن عقليتهم واحدة ، وأنه لافضل للذى همه النقل عن المؤلفين الأجانب المحدثين ، والذى ينقل عن القدماء . هؤلاء ليسوا مجددين ، وإنما هم محافظون على الجديد لجدته ، وليس لهم أن يعيبوا على آخرين أنهم يتمسكون بالقديم لقدمه ، أما طه حسين ، فكان مجدداً دائما ، والتجديد يجب أن يكون مستمرا ، وإلا فقد أهم خصائصه . وكثير من المحافظين يرون أن الاستقرار شئ لابد منه لحياة الناس السوية ولحياة الأمم ، ولكن الاستقرار نوعان : نوع قديم ، الثبات فيه كثبات الأهرام ، ونوع جديد ، الثبات فيه كثبات الطائرة ، ثباتها فى حركتها فإذا وقفت سقطت ، وهذا هو التجديد الحقيقى الذى حرص عليه الدكتور طه حسين ، لأنه كان من طبيعته .

والذين يسمون أنفسهم مجددين وليس من طبعهم التجديد يجدون أنفسهم بعد قليل لا يستحقون هذا الاسم أبداً .

بدأ الدكتور طه حياته الفكرية فى أوائل هذا القرن حين كانت الحياة الفكرية فى مصر مضطربه حقاً كنا لاندرى مانفعل . كان منا المحافظون الذين يريدون أن يبقوا على القديم ولهم الحق فى ذلك . كانوا يريدون أن يحافظوا على قوميتنا وشخصيتنا وهذا شعور نبيل ، ولكن تبين لنا بعد قليل أن هذه طريق مغلقة ، ثم كان منا من أخذ المدنية الغربية عن أهلها اختصاراً للطريق ولكنهم تبينوا أنها لن يكون لها بذور فى نفوسهم ، فعادوا إلى اللغة العربية وإلى الثقافة العربية ، ولم يكونوا قد عرفوا قبل ذلك مداها وقوتها ، فلما عادوا إليها لم يستطيعوا استيعابها تماماً ، فكانوا سطحيين فى كلا الثقافتين وكان شأنهم والثقافة العربية شأن الفرسان الذين قيل فيهم : «لم يركبوا الخيل إلا بعدما كبروا» ومن حسن حظ الدكتور طه حسين أنه أخذ الحضارة العربية أخذاً متينا ، أتقنها وأغرم بها ، وظل طول حياته مفكراً عربياً ، ثم خرج من هذا النطاق ولا أقول أنه خرج عن الثقافة العربية

ولا نخرج منها ولا نخرج عليها ، وإنما نخرج بها إلى آفاق أخرى كما كان يجب أن تخرج لولا السبات الذى أصابنا ، وهو السبات الشتوى الذى امتد عدة قرون ، والسبات الشتوى ظاهرة فى الكائنات حين تكون البيئة غير مواتية للحياة الطبيعية .

على كل حال تكونت حولنا أسوار كان يجب أن نخترقها قبل أن نصل إلى الآفاق لا أقول الغربية وإنما الآفاق التى كان يجب أن نصل إليها لولا هذا السبات الطارئ .

فالدكتور طه امتد بتفكيره إلى الآفاق الجديدة ، وكان عليه أن يهدم بعض هذه الأسوار فكان أن فعل فعلته الكبرى التى هى كتاب الشعر الجاهلى ، وهو عندى نقطة تحول ، لا لما فيه من آراء قد تكون صوابا أو قد تكون خطأ .

كل نهضة فكرية فى العلوم أو الآداب يسبقها هذا الهجوم لا على الثقافة القديمة ولكن على الأسوار التى أقيمت حول هذه الثقافة فمنعتها أن تنمو نموها الطبيعى .

شهدت الدكتور طه حسين مع كثير من المفكرين الغربيين ولا أقول المستعربين ، فهؤلاء كانوا يحجون إليه جميعاً حين يحضرون إلى مصر ، ولكنى أتحدث عن المفكرين غير المستعربين وكان له منهم أصدقاء كثيرون منهم هريو ( Periot ) ، ودوهاميل ( Duhamel ) وكوكتو ( Cocteau ) وغيرهم ، وتوطدت صداقته باندريه جيد ( Andr'Gide ) ، وكنت أظن أن صداقتهما ترجع إلى حبهما للحقيقة السافرة مهما يكن من غضاضة أو مهما يكن فيها من خروج على العرف ، وكلاهما كان يحب الأسلوب الناصع السهل الذى يؤدى إلى غاياته بغير تعسف أو عناء .

كنت أرى الدكتور طه لا يحاول أن يبهر هؤلاء العلماء والمفكرين بما يقوله لهم عن ثقافتهم ، فذلك يكون « كمبضع التمر إلى هجر » وليس من المعقول أن يفخر عربى حين يلقى الأجانب بأنه يعرف ثقافتهم كما يعرفونها هذا ليس طبيعياً ، ولكن الدكتور طه كان يبهرهم من حيث هو مفكر عربى أصيل استطاع أن يمتد بتفكيره إلى أن يوازى التفكير الغربى من غير أن يفنى فيه .

والدكتور طه — على كثرة ما علم من الثقافة الغربية — لم يدع تفكيره يفنى فيها أبدا ، ولو فنى فيها ما حفل به أحد من هؤلاء العلماء ، ولكنه ظـــل عربيا صميما يختار من الثقافة الغربية ما يوافق طبعه ، يرتوى منها كما تروى النباتات فتنبت على أحسن وجه ، ولم يقتبس من العلماء الغربيين آراءهم كما هى .

ولا يعجبنى أبدا بعد أن يبين لنا طه حسين طريق الجمع بين الثقافتين العربية والغربية أن أرى قوما منا ومن كبار مفكرينا من بهرتهم المذاهب الأدبية كالوجودية والرمزية ، فعكفوا على كتابات من هذا النوع أو ذاك .

وأذكر أن «لطفى السيد» قال لى إنه كتب إلى طه حسين — حين كان يدرس فى باريس — يحذره هذه المذاهب ويقول له : « احذر من

كل شيء آخره (ism) »، ولم يكن الدكتور طه في حاجة إلى هذا التحذير، لأنه بطبيعته، يأبى أن يتقيد بمثل هذه القيود .

وكان يجب على الكتاب المصريين أن يأخذوا من الحضارة الغربية لا مادتها، ولكن أسلوبها. وأرجو أن يتعظوا بهذا المثل الذى ضربه طه حسين للجمع بين الثقافتين ويسيروا فى الطريق الصحيح .

عاهدتكم أن أتكلم عن تفكيره إلا أنى سأعرض لإحدى نواحى حياته ، وهى التى تكلم عنها الدكتور مدكور ، وهى الكفاح ، ولا أزيد عليها كثيرا، وإنما أقول إنى قلت للدكتور طه يوما من الأيام : الناس منك فريقان ، فريق يحبك جدا ، وفريق لا يطيق أن يسمع اسمك، وإن أحد هؤلاء يرى أنك تعد الأذهان لثورة كالثورة الفرنسية، وأنك تعمل ما عمله (فولتير) (روسو) والانسيكلوبيديين ؛ فدهش الدكتور طه لهذا ، وقال إنى لا أغضب أن يوصف عملى بمثل هذا الوصف .

لم تكن هذه الدعوة إلى الحرية لترضى أولى الأمر، وكان الملك (فؤاد) له حنكة سياسية فأدرك أن مثل هذه الحرية وخاصة إذا كانت فى الجامعات تؤذى النظام المستتب الذى هو رأسه وعماده وعنوانه، فعزم على ألا يترك الدكتور طه حسين يقوم بهذه الدعوة. وذكر لى الدكتور (مايرهوف) أنه قال للملك فؤاد : إننى لا أتصور مجمعا للغة العربية ليس فيه طه حسين ، ومع ذلك رفض الملك أن يجعل طه حسين من بين مؤسسى مجمعنا هذا .

ثم كانت محنة خروجه من الجامعة وانضمت الأمة كلها للدكتور طه حسين ولكن المسئولين انقسموا قسمين : فريق على رأسه لطفى السيد يدعو إلى حرية الفكر، وفريق له رأى عجيب جدا يسوءنى أن أردده هنا، كانوا يقولون ألا يباح للملك أن يغضب على مدرس نحو وصرف. إلى هذا الحد بلغ الجهل ببعض المسئولين الذين لم يقدروا ما فى هذه المحنة من أثر على الحياة الفكرية فى مصر .

ثم جاء الملك فاروق، ولم يرث عن أبيه الحنكة السياسية ، ولكنه ورث عنه كره الدكتور طه حسين ، كرها يكاد يكون (حساسية )، وأظهر ذلك فى مواقف عديدة وكنت أعلم من خبرة شخصية أن حظ الملك فاروق من الآداب الملكية غير موفور ، ولكنى لم أكن أظن أن يعلن الملك ذلك فى صراحة غير لائقة .

ثم دارت الأيام، وأصبح طه حسين وزيرا للتعليم ، ووجد فى ذلك فرصة لعمل الإصلاحات التى حدثكم عنها الأستاذ محمد رفعت، ولكن الملك قابله مقابلة جافة جدا عندما ذهب لحلف اليمين ، فكان أحد زملائه يقول : لو قابلنى الملك هذه المقابلة لاستقلت فى اليوم التالى . وهذا يدل على أن هذا الزميل لم يعرف ولم يكن له أن يعرف حقيقة الأمر ، لأن الدكتور طه فرح جدا بهذا اللقاء الجاف ؛ لأنه أقنعه أن الملك هُزِم ، وأنه أحسّ بالهزيمة .

ثم جاءت حفلات الجامعة المصرية ورفض الملك أن يعطى طه حسين (الباشوية) ، وأؤكد لكم وأنا صادق فى هذا — أن الدكتور طه لم

يكن يحرص على هذا اللقب بالمرة ، ولكن رئيس الوزارة قال : إن رفض الملك إعطاء هذا اللقب للدكتور طه حسين يعدّ عدم ثقة بالوزارة، فخضع الملك فى المرة الثانية وأعطاه اللقب.

وقد عيب على الدكتور طه ، أنه أسرف فى مدح "فاروق"، والواقع أنه مدحه بعد أن أخذ منه عنوة كل ما يمكن أن يعطيه الملك إياه ولم يكن له شئ يرجوه بعد ذلك من الملك.

وتفسير ذلك عندى أنها «شنشنة» نعرفها من إخواننا أهل الصعيد ، وأرجو أن يغفروا لى ذلك، لأنى لا أقوله ذماً، وأهل الصعيد حين يتغلب ضعيفهم على قويهم، يحرص على أن يذهب إليه ويمدحه مدحا مسرفاً يدرك كل الناس أنه نوع من التشفى، وأنه أخذ بثأره قولا بعد أن أخذ بثأره عملا، فلم يكن الدكتور طه فى مدحه المشرق للملك إلا صعيديا بأحسن معانى هذه الكلمة.

وفى ختام كلمتى أود أن أشير إلى أن من الناس أعماله جيدة، فإذا نظرت إليها فى مجموعها وجدتها أقل من أجزائها ، فإذا نظرت إلى حياته كلها وجدتها شيئا لا يؤبه له، كذلك الشعراء يعجبك البيت والبيتان فى القصيدة ، وتكون القصيدة مع ذلك ضعيفة ، فإذا نظرت إلى الديوان كله لم تجد شيئا يذكره .

أما الدكتور طه حسين فكان على العكس من ذلك تماما ، أعماله جيدة من غير شك ، ولكن مجموعة أعماله أضخم وأعظم من أجزائها ، حتى إذا نظرت إلى حياته كلها، وجدتها حقاً ملحمة رائعة ، أسطورية لا نظير لها .

## ●●● كلمة الأسرة للمهندس الأستاذ عبد المجيد حسين

### شقيق الفقيد

السيد نائب الرئيس ،

سادتى أعضاء المجمع ،

سيداتى ، سادتى

ليس بالشرف القليل أن تتاح لى فرصة الوقوف بينكم لأتحدث إليكم .

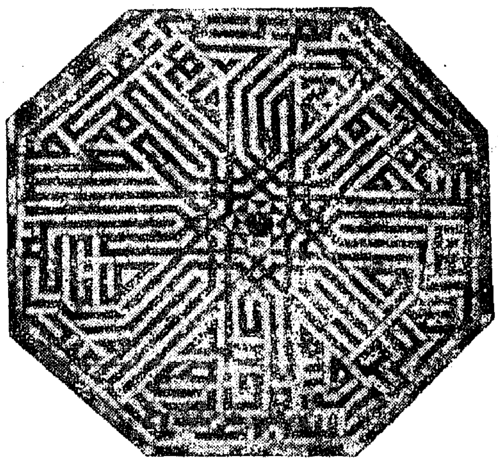
ماذا أقول فى شكركم ؟ فأنتم تحتفلون بذكرى فقيد لكم عزيز عليكم ، كان بمجمعكم الموقر حفياً كما كان للغة التى تمثلونها نصيراً وفياً ، ولئن كانت صلة الأسرة بالفقيد صلة رحم وقرابة ونسب ،

فإن صلتكم به أكثر عمقا وأبقى أثراً ، إذ أنها صلة فكر وروح .

وإن لم يكن بد من أن تكون للأسرة كلمة فكلمتنا هي تحية إكبار وإجلال لهذا الوفاء الرائع ، الذي ضربتم له المثل الأعلى في حفلكم هذا الجامع الكريم، خطباء وسامعين وافدين ومقيمين .

إن روح الفقيد لترفرف عليكم من عليائها لتهدى إليكم عالى الرضى والعرفان ، ولتلهمنا جميعا جميل الصبر والسلوان .

والسلام عليكم ورحمة الله



# من أنباء المجمع

**رئيس جديد للمجمع :**

انتخب مجلس المجمع الدكتور ابراهيم مدكور رئيسا للمجمع ، خلفا للمغفور له الدكتور طه حسين . وقد صدر باعتماد انتخابه القرار الجمهورى التالى :

**قرار رئيس جمهورية مصر العربية**
**رقم ٧١٩ لسنة ١٩٧٤**

**رئيس الجمهورية**

بعد الاطلاع على الدستور ،

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ بانشاء مجمع اللغة العربية ،

**قــرر :**

**( المــادة الأولى )**

اعتماد انتخاب السيد الدكتور ابراهيم بيومى مدكور رئيسا لمجمع اللغة العربية لمدة اربع سنوات .

**( المــادة الثانية )**

ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية .

صدر برئاسة الجمهورية فى ٢٦ ربيع الثانى سنة ١٣٩٤ ( ١٨ مايو سنة ١٩٧٤ ) .

**( أنور السادات )**
أمين عام مجلس الوزراء
توقيع
**( احمد صلاح الدين عفيفى )**

**اعضاء جدد :**

انتخب مجلس المجمع اربعة أعضاء جدد ، وهم السادة :

١ ــ الأستاذ على النجدى ناصف أستاذ النحو الســابق بكليــة دار العلوم بجامعة القاهرة .

٢ ــ الأستاذ محمد شوقى أمين الخبير بالمجمــع ورئيس التحرير السابق به .

٣ ــ الدكتور احمد عز الدين عبد الله أستاذ القانون الدولى والعميد السابق لكلية الحقوق بجامعة القاهرة .

٤ ـ الدكتور عثمان امين استاذ الفلسفة السابق بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

وقد صدر باعتماد عضويتهم قرار جمهورى هذا نصه :

**قرار رئيس جمهورية مصر العربية**
**رقم ٢٤٣ لسنة ١٩٧٤**

**رئيس الجمهورية**

بعد الاطلاع على الدستور ،

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ بإنشاء مجمع اللغة العربية ،

**قــرر :**

**( المــادة الأولى )**

اعتماد عضوية السادة الموضحة أسماؤهم فيما بعد بمجمع اللغة العربية وهم :

١ ـ الأستاذ على النجدى ناصف .

٢ ـ الأستاذ محمد شوقى أمين .

٣ ـ الأستاذ الدكتور أحمد عز الدين عبد الله .

٤ ـ الأستاذ الدكتور عثمان محمد أمين .

**( المــادة الثانية )**

على وزير الثقافة تنفيذ هذا القرار .

صدر برياسة الجمهورية فى ٦ صـفر سـنة ١٣٩٤ ( ٢٨ فبراير سنة ١٩٧٤ ) .

صورة مرسلة الى السيد وزير الثقافة .

**( أنور السادات )**

امين عام مجلس الوزراء

توقيع

**( أحمد صلاح الدين عفيفى )**

## فقيدان راحلان :

استأثرت رحمة الله تعالى بروح المغفور لهما : الأستاذ على السباعى عضو المجمع الذى توفى فى ١٩٧٤/٤/٢ والدكتور عبد الحكيم الرفاعى عضو المجمع الذى توفى فى ١٩٧٤/٤/١٩

## صلات المجمع الثقافية :

●● تلقى المجمع طائفة من مصطلحات الجيولوجيا من المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط ، وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٣/١٢/٣ احالتها على لجنة الجيولوجيا ، لنظرها وابداء الرأى فيها .

●● تلقى المجمع من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تقريرا عن أعمال مؤتمر التعريب ، الذى عقد بالجزائر فى المدة من ١٢ الى ١٩٧٣/١٢/٢٠ ، وأشار المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٤/١/١٦ بأن يضم التقرير الى محضر هذه الجلسة ( وهو منشور فى محاضر جلسات المجلس فى الدورة الأربعين ) .

●● قام بتمثيل المجمع الدكتور أحمد بدوى عضو المجمع فى الندوة التى عقدها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عن المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى ، فى مناسبة مرور مائة وخمسين عاما على وفاته .

●● أهدى المستشرق الألمانى الأستاذ زلهايم رئيس قسم الدراسات العربية بجامعة فرانكفورت بألمانيا الغربية ، ورئيس تحرير مجلة ORIENS مجموعة أعداد هذه المجلة ، وهى واحد وعشرون عددا ، وقد بعث اليه المجمع بمجموعة من أعداد مجلة المجمع .

### مؤتمر المجمع

عقد المجمع مؤتمره السنوى للدورة الأربعين لمدة استمرت خمسة عشر يوما ( من الاثنين ١٩٧٤/٢/٢٥ إلى الاثنين ١٩٧٤/٣/١١ ) .

وستنشر محاضر المؤتمر ، وما ألقى فيه من بحوث ، فى المجموعة الخاصة به .

### ● المهندس الشاعر الدكتور الدمرداش :

ومن طريف مايؤثر عن هذا المؤتمر ماحدث عقب إحدى الجلسات ، التى احتدم فيها النقاش حول بحث ألقاه أحد الأعضاء .. فقد انتحى الدكتور المهندس الشاعر « إبراهيم أدهم الدمرداش » عضو المجمع ببعض الأعضاء جانباً ، وأخذ ينشدهم طرفاً من أشعاره ، علّه يخفف من حرارة المناقشة بشعره الرقيق العذب ، الذى « هَنْدَسَ » عباراته وصُوَره فى عناية ودقة ومهارة .

وسرعان ماتكاثر الأعضاء من حوله ، وهم يستمعون ويستمتعون :

وكان مما قال :

### أمرٌ . . ونَهْى

إنَّ الكلام شفيعٌ عند سامعه     لمن تكلَّم . . احْذَرْ زلَّةَ الكَلِمِ
والخطُّ فى رسمه عنوانُ صاحبه     فاحرصْ على حُسنه ياصاحبَ القلَمِ

### كَبِّرِ الله !

سَرِّحِ الطرْفَ يَمْنَةً ويَسارا     آنَ لليل أن يصير نهارا
واستمعْ للنِّداء من كل صَوْبٍ     يخرق الحُجْبَ للسماء جهارا
كَبِّرِ اللهَ بُكْرَةً . . وتذكَّرْ     أن للخلق واحدًا قهارا



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول
رئيس مجلس الادارة
**على سلطان على**

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/٢٠٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٩٨٢٤س١٩٧٥-٢٠٠٢

# مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء السابع والثلاثون
جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ
مايو ١٩٧٦ م

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع مراد ـ الجيزة

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين فى السنة )

## الجزء السابع والثلاثون

جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ - مايو ١٩٧٦ م

المشرف على المجلة :

د . إبراهيم أنيس

رئيس التحرير :

إبراهيم الترزى

# الفهرس

## بحوث ومقالات :

## تعريف ونقد :



## شخصيات مجمعية :

## استقبال :

## تأبين :



## من أنباء المجمع :

- تجديد انتخاب نائب رئيس المجمع
- عضـوان جديدان
- خبراء جـدد .
- صلات المجمع الثقافية .
- مذكرة **الدكتور أحمد عز الدين عبد الله** بشأن حماية حق المؤلف فى الملكية الأدبية والفنيـة .
- مؤتمر المجمع .

# بحوث ومقالات

# الثقافة العربية اليوم وغداً

## - ٣ -

## العلم والفلسفة

للدكتور ابراهيم مدكور

**تختتم** هذه السلسلة بإلقاء نظرة على موقف الثقافة العربية من العلم والفلسفة ، وموقفها منهما اليوم لا يختلف عنه بالأمس إبان ازدهار الحضارة الإسلامية ، فقد اتسع صدر هذه الحضارة لعلوم الشرق والغرب ، وأخذت منها ما أخذت ، وأضافت إليها ما أضافت ،

وكان لها شأن فى إثارة البحث العلمى فى الغرب إبان القرون الوسطى والتاريخ الحديث ، والثقافة العربية المعاصرة تؤمن بأننا نعيش حقا فى عصر العلم والتكنولوجيا ، وتسلم بأنها تخلفت فى معالجتهما بعض الشىء ، وتحرص اليوم على أن تستحث الخطى وأن تتدارك ما فات .

١ — ولقد قفز العلم والفلسفة فى البلاد العربية قفزة ملحوظة ، وهى بلاشك وليدة تحرر وانفتاح ، ووعى ويقظة . تحرر مهدت له دعوة النهوض والإصلاح التى نادى بها أمثال جمال الدين الأفغانى (١٨٩٧) ومحمد عبده (١٩٠٥) ، وهى دعوة تعتد بالإنسان ، وتفسح المجال لعقله وتفكيره . وانفتاح على الغرب وعلى ماحقق فى ميادين البحث والكشف والاختراع ورغبة صادقة فى محاكاته والسير على نهجه ووعى يدرك مدى التخلف الطويل ، وينشد نهوضا وتجديدا يسابق بهما الزمن .

وقد أدرك العالم العربى ماللعلم من شأن فى هذا كله ، فاتجه فى القرن العشرين نحو نشر التعليم ماوسعه ، وعد ذلك من أهم أهدافه . فرصد له فى ميزانيته مبالغ زادت عاما بعد عام ، واستعان بالعلماء والخبراء العرب أو الأجانب كلما دعت إلى ذلك حاجة ، وأوفد البعوث إلى الخارج استكمالا للدرس والبحث . ولنلق نظرة على نمو التعليم الجامعى ، وإنه لنمو سريع ومطرد . فقد عرفت مصر الحياة الجامعية فى بدء القرن العشرين ، وأسست عام ١٩٠٨ جامعتها الأهلية التى كانت تسمى « الجامعة المصرية القديمة » ، وفى أقل من عشرين سنة تحولت إلى جامعة حكومية هى ما يسمى الآن «جامعة القاهرة » ، وتلتها فى نحو خمسين سنة سبع جامعات جديدة ، وهناك أخرى

فى طريق الإعداد والتكوين، حيث يكون لكل محافظة جامعتها الخاصة . ومنذ عشر سنوات لم يكن فى العراق إلا جامعة واحدة وتوفر لديها الآن أربع ، وعلى هذا النحو سارت سوريا ، وانتقلت من جامعة واحدة إلى ثلاث . وفى لبنان على صغرها أربع جامعات ، إذا تركنا جانبا بعض المعاهد الأجنبية ، وجامعاتها قسمان : اثنتان عربيتان واثنتان من أصل أجنبى . وفى نحو عشر سنوات توفر للجزائر ثلاث جامعات وللسعودية والكويت جامعاتهما فى المشرق ، ولتونس والمغرب جامعاتهما فى المغرب . وربما اجتمع فى المدينة الواحدة عدة جامعات ، كما هو الشأن فى القاهرة وبيروت . وبالجملة فى العالم العربى الآن مايزيد على ٤٠ جامعة على رأسها اتحاد ينسق بينها ، ويربط بعضها ببعض، وفى هذا مافيه من تعاون واتصال، ولاشك فى أن فى هذا النمو مايبعث على الأمل وينشر ألوية النور والعرفان . وقد أسهم الأستاذ والكتاب المصرى فى ذلك، وعليهما وحدهما عولت بعض الجامعات العربية الناشئة .

٢ — ومن بين هذه الجامعات مااستوعب أبواب البحث كلها ، فاشتمل على كليات للدراسات الإنسانية ، وأخرى العلوم الرياضية والطبيعية ، وفى كل كلية أقسام وفروع متعددة. ولم تفقد الدراسات الإنسانية منزلتها وبها بدأ معظم هذه الجامعات ، ولايزال بعضها مقصورا عليها . والعلوم الإسلامية من تفسير وحديث ، وفقه وأصول ، جزء منها ، وفى كثير من الجامعات العربية كليات وأقسام متخصصة فيها . وقد اضطلع بها أساتذة أعلام طوروا وجددوا ، كشفوا عما فيها من عمق وأصالة ، وبرهنوا على أن فيها مايلائم العصر ويسد حاجاته . كتبوا وألفوا ولهم إنتاج لايقل عن إنتاج الشيوخ السابقين. وفى التاريخ عنى الأساتذة العرب بالحضارة الإسلامية عناية خاصة، فوضحوا كثيرا من جوانبها، ومحصوا بعض مارميت به أو أخذ عليها ، وجاءوا بإضافات لها وزنها. واضطلع مؤرخون آخرون بحفريات حول الحضارات القديمة من فرعونية ورومانية ، أو بابلية وأشورية، وأسفرت أبحاثهم عن نتائج هامة . والفكر الإسلامى فى نصف القرن الأخير مدين للباحثين والجامعيين العرب، قاموا بجمع تراثه ، وحققوا منه ماحققوا ، ونشروا مانشروا . وحاولوا أن يترجموا منه قدراً إلى لغات أخرى ، وكم نود باسم التبادل الثقافى أن تنشط هذه الترجمة وأن يتسع مداها . وحاول مؤرخو الفكر والفلسفة أن يعرفوا بمدارس إسلامية غفل الناس عنها ، وأن يترجموا لرجال بقوا مستورين فى غياهب التاريخ. ولايفوتنا أن نشير إلى أن من بين علماء الاجتماع العرب من قام بدراسات حقلية هامة ، ومن بين علماء النفس من اضطلع بدراسات وتجارب مقنعة .

٣ — ويحس العالم العربى إحساسا صادقا بأنه يعيش فى عصر العلم والتكنولوجيا، فى عصر الملاحظة والتجربة ، فأعد لذلك عدته

من معامل ومراصد ، من محطات تجارب ومراكز بحوث ، من معاهد ومؤسسات ورغبة في تشجيع العلم والسهر عليه ، خصصت وزارات للبحث العلمي ، لها أجهزتها ووسائلها ، لها توجيهاتها وإشرافها واستكمل بعض الجامعات العربية فروع الدراسات الطبيعية والرياضية على اختلافها ، من طب وفسيولوجيا ، وكيمياء وصيدلة ، ونبات وحيوان ، وجيولوجيا وبترول ، وطبيعة ورياضة ، وهندسة وميكانيكا ، وكهرباء وإيلكترونيات . وفي كل فرع من هذه الفروع أساتذة متخصصون لهم تجاربهم وأبحاثهم بالعربية أو الإنجليزية ، ومنها مانشر في بعض المجلات العلمية ، أو ما كان محل تنويه وتعليق في المؤتمرات الدولية . وكان طبيعيا أن يبرزوا في بعض الميادين الخاصة بهم كالنباتات الصحراوية والطبية ، أو في بعض أمراض البيئة وأعراضها ، وبينهم أعلام يعدون في مصاف الأطباء والعلماء العالميين ، ولكل مادة من هذه المواد جمعياتها وهيئاتها التي تشجع عليها ، وتتابع نشاطها ، وتنظم لقاءاتها ومؤتمراتها ، وتنشر أبحاثها ، وتخرج صحيفة باسمها . وفي مصر وحدها مايزيد على أربعين جمعية علمية ، وعلى رأسها الاتحاد العلمي المصري الذي يربطها بالاتحادات العلمية في العالم العربي . وفي هذه الجمعيات وتلك الاتحادات تبادل وتعاون ، وربط وتنسيق .

٤ — ولم يبق إلا أن نقول كلمة عن الثقافة الجماهيرية ، وهي ظاهرة هامة من ظواهر المجتمع المعاصر في البلاد النامية والمتقدمة على السواء ، ولاشك في أن البلاد النامية إليها أحوج . إنها ثقافة شعبية تخاطب الجميع وتنزل عند مستواهم السائد ، ويراد بها أن تكمل نقصا ، أو أن تضيف جديدا في عالم نفاجأ فيه كل يوم بالجديد . وكانت الثقافة بالأمس وقفا على الخاصة ، ينعمون بها وحدهم ، ويعلنون باسمها تفوقهم ولا تقر الديمقراطية ولا الاشتراكية هذه التفرقة الظالمة ، ولا هذا التمييز الذي لا أساس له . والحق أن الثقافة ملك للجميع وقدر منها ضروري للحياة ، ويزيد هذا القدر كلما تنوعت وسائل الحياة وتعقدت . وعلى الدولة أن تيسر أمر هذه الثقافة وأن تسهر عليها .

وقد أدرك العالم العربي مالها من شأن حياتنا الحاضرة ، فوقف عليها وزارات خاصة ، وليست مهمتها بأقل من مهمة وزارة التربية والتعليم ، ترعى الكهول والشيوخ في حين ترعى الأخرى الأطفال والشبان . لها مراكزها ومعاهدها ، وفي هذه المراكز تكافح الأمية ، وتيسر القراءة ، وتقدم المعلومات النافعة ، ولابأس من قدر من وسائل الترفيه والتسلية . ويدخل في اختصاص هذه الوزارات مراقبة المسرح والسينما ، وتتبعها وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة . فتعددت وسائلها ، وتنوعت سبلها . وقديما كان المسجد الوسيلة الوحيدة لتقديم شيء من الثقافة الشعبية والدينية ، وفي الإمكان أن يضم إلى الوسائل السابقة .

والمهم أن توضع خطة واضحة للثقافة الجماهيرية ، فتحدد أهدافها ، وتتخير وسائلها، وتطرد فيها الخطى فى دقة وانتظام . ومن الخطأ أن تطغى عليها اعتبارات شخصية أو دعايات سياسية ، فينصرف الجمهور عنها ، ولاتؤدى وظيفتها على الوجه الأكمل.

**خاتمـة :**

هذه هى الثقافة العربية اليوم ، وفى حاضرها مايسمح بالحكم على شىء من مستقبلها ، ويؤيدنا فى ذلك ماحدث من تطور فى بلاد أخرى مرت بظروف شبيهة بظروفها. ونعتقد أنه فى أخريات هذا القرن ستنمحى الأمية فى كثير من البلاد العربية ، وستسير الفتاة عامة إلى جانب الفتى فى طلب العلم والحرص عليه . والإقبال على التعليم فى تزايد مستمر ، ويفوق عدد طلابه سنويا كل تقدير . والمدارس الثانوية والمتوسطة سخية كل السخاء فى عطائها ، وخريجوها فى ازدياد مطرد . ولاسبيل ، بل لامصلحة فى أن يستوعبهم جميعا التعليم العالى والجامعى . وأولى بقدر كبير منهم أن يواجه طلبات المجتمع المختلفة ، وأن ينهض بالاقتصاد القومى فى شتى نواحيه من زراعة وصناعة وتجارة . وفى اختصار: نتوقع فى نهاية هذا القرن أن يرتفع المستوى الثقافى العام للفرد فى العالم العربى . وبدأنا نلحظ بالفعل أن الأجيال الصاعدة أكمل ثقافة وأتم معرفة من الأجيال التى سبقتها ، وليس شىء أعون على النهوض والتقدم من انتشار العلم والمعرفة .

ولم يبق اليوم شك فى أن العربية هى اللغة القومية ، يستمسك بها العالم العربى جميعه ، بجد فى طلبها وتعلمها ، ويتدارك مافاته منها ، والجزائر فى ذلك تجربة جادة فهى الآن فى معركة التعريب بعد أن فرغت من معركة التحرير ، وسيكون لتجربتها صدى شرقا وغربا . ومنذ أوائل القرن العشرين تبذل جهود متلاحقة لتبسيط العربية وتيسيرها ، فتهذب ألفاظها ، وتختصر قواعدها ، ويبسط إملاؤها ، وتيسر كتابتها وقد أنجز من ذلك قدر لابأس به . ولن تقف عربية اليوم السهلة الميسرة عند العالم العربى وحده ، بل ينتظر لها امتداد فى آسيا وأفريقيا ، وحياة جديدة فى البلاد الإسلامية خاصة . ونتوقع أن يزداد طلابها من أبناء أوربا وأمريكا ، توثيقا للعلاقات السياسية والاقتصادية. وفى المعاهدات الثقافية المعقودة بين العالم العربى والبلاد الأخرى ما يعزز ذلك ويؤكده . وبدأنا فعلا نلحظ شيئا من هذا فيمن يفدون إلى المعاهد والجامعات العربية من طلاب اللغة والفكر الإسلامى بين شرقيين وغربيين ، ويزداد عددهم باطراد، وتتأهب البلاد العربية لاستقبالهم . وفى انتشار التعليم فى العالم العربى مايقرب لغة الخطاب من لغة الكتابة ، ويضيق مسافة الخلف بين الفصحى والدارجة ، على نحو ماحدث فى الإنجليزية أو الفرنسية ، ولانزاع

فى أن عامية القاهرة اليوم مثلا أرق وأسمى من عامية الأمس . وفى المسرح والسينما والإذاعة والصحافة ، وتبادل المعلمين والفنيين مايقرب اللهجات العربية بعضها من بعض ، وما قد يؤدى إلى قيام لهجة واحدة مشتركة وسائدة .

وفى ثقافة اليوم تفتح وانطلاق ، فهى سائرة ومتقدمة لاتخشى الجديد ولاتنفر منه ، وماأشبهها فى تفتحها بتلك الثقافة التى قامت عليها النهضة الإسلامية الكبرى . ترعى للدين حقوقه ، ولكن فى غير جمود أو تزمت ، وترى أن ليس فى تعاليمه مايسد الطريق أو يضيق الآفاق ، وأن العلم قد تآخى مع الإيمان قديما ، ولايعز عليه أن يتآخى معه إلى النهاية . فلن تتوقف النهضة العربية فى طريقها ، ولن تبالى بتلك الأصوات الهدامة أو التى تدعو إلى التراجع والجمود . ولانظنها أيضا تستجيب لدعوات التحرر الخالص والإباحية المطلقة ، برغم ماتعتمد عليه هذه الدعوات من وسائل خفية وقوى دولية . وستبقى الثقافة العربية دائما واقفة عند حدودها ، مؤمنة بقيمها مستمسكة بمعالمها ، مقتنعة بأنه لاتعارض بين الدين والدنيا .

وكشفت ثقافة اليوم عن الإنسان العربى فى حقوقه وواجباته ، فقدرت هذه الحقوق قدرها ، ونادت بالعدالة والمساواة ، ودعت إلى محاربة الجهل والفقر والمرض ، وخطت فى ذلك خطوات فسيحة ، وستستمر فى طريقها دون تردد . وأكد هذا ضرورة أداء الواجبات ، لأن المواطن الحق هو من يعطى بقدر مايأخذ ، ومن يسهم بقسط فى بنيان مجتمعه . فشعر الفرد العربى بوجوده ، واسترد اعتباره ، وتخلص من عقدة الأجنبى الأوربى ، وامتلأ ثقة بنفسه . وبدأ ينتج وهو مؤمن بكفاءته وقدرته على الإتقان والتجديد . واشترك مع غيره فى الإنتاج ، فلم يتخلف عن السير ، وربما برز على بعض أقرانه من من الأوربيين والأمريكيين . وهو طموح إلى أن يكون لثقافته شأن يذكر بين الثقافات العالمية الكبرى ، وإنه لواصل إن شاء الله .

**أبراهيم مدكور**

رئيس المجمع

# القول في "من" الزائدة وجواز وقوعها في القرآن الكريم

## للمغفور له الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

**من**

الجارة لها في اللغة معان كثيرة، أشهرها وأكثرها دورانا في الاستعمال ثلاثة: «الابتداء والتبعيض وبيان الجنس:

١ ـ الابتداء، وهو أشهر معاني «من» على الإطلاق وهو الغالب في الاستعمال حتى قيل إنه هو الأصل الذي يرجع إليه سائر تلك المعاني:

ولكن هذا القول فيه شيء من المبالغة: ومحاولة رد المعاني كلها إلى معنى الابتداء لا يخلو من التكلف:

من أمثلة الابتداء قوله تعالى: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله». (٢٣ البقرة) فمن الأولى في هذه الآية ابتدائية، وكذلك الثانية إذا كان الضمير في «مثله» راجعا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو المراد بكلمة «عبدنا»[1].

ومن أمثلة الابتداء أيضا قوله سبحانه: «فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين»: (٣٠ القصص)

وظاهر أن من «الأولى في قوله سبحانه من شاطئ الواد الأيمن «ابتدائية» فإن موسى عليه السلام سمع النداء عن يمينه آتيا من شاطئ الوادى في البقعة المباركة التي ابتدأ فيها تكليمه بما يثبت له الرسالة.

وكذلك «من» الثانية عبارة «من الشجرة» ابتدائية تفيد أن النداء الآتي من جهة الشاطئ هو منبعث من الشجرة فإن هذه الشجرة كانت قائمة في ذلك الشاطئ:

فليست عبارة: «من الشجرة» متصلة بالبقعة المباركة» حتى تكون «من» فيها بيانية، وإنما هي متصلة بقوله سبحانه «من شاطئ الواد الأيمن» على أنها بدل اشتمال منه و«من» فيها ابتدائية كما قلنا.

---

(١) أما إذا كان الضمير راجعا إلى المنزل ـ وهو معنى «ما» الموصلة ـ فإن «من» تكون بيانية قد رفع بها الابهام الذي في كلمة «سورة» وبين بها المراد بتلك السورة التي أمروا أمر تحد وتعجيز أن يأتوا بها: أي أن المطلوب أن يأتوا بسورة مماثلة للقرآن في فصاحته و بلاغته وعلو شأنه. ثم لا يصح أن تكون «من» للتبعيض، لأنه يوهم أن يكون للقرآن مثل وأن عجزهم إنما يكون عن الإتيان ببعض منه.

٢ — التبعيض ، كما فى قوله تعالى — حكاية عن رسول الله شعيب مخاطبا موسى عليهما السلام —: وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين ». (٢٧ القصص) : وقوله سبحانه : «وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين (١٥ الأحقاف)

٣ — البيان ، كما فى قوله تعالى «وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » : (٢٣ البقرة)، إذا كان الضمير فى « مثله » راجعا إلى «ما نزلنا » وهو القرآن كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

وكما فى قوله عز وجل : «أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا» .(٧٨ القصص) فكلمة «من» فى قوله تعالى من «القرون» بيانية أما الأولى التى فى قوله سبحانه : « من قبله» فهى ابتدائية ، والثانية — وهى التى فى قوله عز وجل : «أشد منه » تفضيلية داخلة على المفضل عليه :

فإذا وردت «من فى » تركيب دالة على أحد معانيها الوضعية بأن كان مرادا إفادة هذا المعنى على أن يكون جزءاً من المعنى الأصلى المراد من التركيب فإنها حينئذ تكون أصلية ولا يمكن الاستغناء عنها :

أما إذا كان أصل المعنى المراد من التركيب يتحقق بدونها ، غير متوقف على أن تكون مستعملة فى معنى من معانيها الأصلية فإنها تكون زائدة [1] :

وذلك كما فى قوله تعالى : «وما تسقط من ورقة إلا يعلمها» (٥٩ الانعام) وقوله سبحانه «هل من خالق غير الله يرزقكم » (٣ فاطر)

وقوله عز وجل : «ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » أى اضطراب واختلال . (٣ الملك)

فكلمة «من» هذه الآيات زائدة ، لانه لم يرد بها إفادة معنى من معانيها الأصلية على أن يكون جزءا أساسيا من المعنى المقصود من التركيب ، ولذلك يمكن الاستغناء عنها فيقال فى غير القرآن : «وما تسقط ورقة

---

(١) « قد يقال »إن هذا الضابط الذى يدل على زيادة الكلمة ينطبق على « من » الاولى فى قوله تعالى : « أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله » ، — وهى التى قرر آنفا أنها ابتدائية ، وذلك أنه يمكن الاستغناء عنها ، والاكتفاء بكلمة : « قبله » ، فى غير القرآن بالضرورة ، وذلك لا يخل بالمعنى ، فإنه لا فرق بين أن يقال : قد أهلك من قبله » وأن يقال — فى غير القرآن — : « قد أهلك قبله » .

ويجاب عن ذلك بأن كلمة قبله إذا كانت تدل وحدها إجمالا على الزمن الذى أهلك الله فيه تلك القرون ، وأنه كان قبل زمن قارون — فإنها لا تنهض لله للدلالة على أما تفيده «من» الابتدائية ، فإن من هذه تفيد تقريراً وتمكيناً لا يكونان إذا خلا الكلام منها . إنها تفيد تقرير الحكم بوقوع هلاك تلك القرون فى ذلك الزمان السابق على زمن قارون — تقريرا يرى معه كأن ذلك الهلاك كان ناشئ من تلك القبلية الزمنية منبعثا عنها . وذلك شىء لا تفيده كلمة « قبله » وحدها . وأيضا فإن « من » تفيد أن الإهلاك قد كان فى الزمان الماضى كله ، وثبت من ابتداء القبلية وأولها بخلاف كلمة « قبله » وحدها ، فإنها تصدق بوقوع الإهلاك فى بعض الزمن الماضى .

إلا يعلمها » ، « هل خالق غيرالله يرزقكم» « ما ترى فى خلق الرحمن تفاوتا »:

يمكن أن يقال ذلك ولا يكون فيه ما يخل بالمعنى الأصلى المقصود من التركيب لأن هذا المعنى الأصلى لا يتوقف على شىء من معانى «من» الأصلية :

وهذا بخلاف الحال فى «من» التى أريد بها معنى من معانيها الأصلية ، فإنه فى قوله تعالى : أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا» لا يمكن أن يستغنى عن «من» فى قوله سبحانه : «من القرون » فيقال : «أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله القرون » . فإنه يختل به المعنى المراد كما هو ظاهر . ومثل ذلك يقال فى بقية الآيات التى وردت فيها «من» دالة على معنى من معانيها الأصلية .

هذا وقد اشترط جمهور البصريين فى «من» الزائدة ثلاثة شروط :

الأول :أن يتقدم عليها نفى أو نهى أو استفهام بهل :

فالنفى كما فى قوله تعالى : وما تسقط من ورقة إلا يعلمها » .

والاستفهام كما فى قوله سبحانه «ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور » فإن من الثانية وهى التى فى قوله سبحانه«من فطور » زائدة وقد وقعت بعد الاستفهام بهل أما الأولى التى فى قوله من «تفاوت » فهى زائدة أيضا لكنها وقعت بعد نفى :

والنهى مثل قوله: لا يقم من أحد .

وألحق الفارسى بهذه الثلاثة «الشرط » كما فى قول الشاعر :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

الشرط الثانى: أن يكون مجرورها نكرة :

الشرط الثالث » أن يكون فاعلا أو مفعولا به أو مبتدأ .

وخالف فى هذه الشروط الأخفش والكوفيون:

ثم إن «من » الزائدة هذه لا بد أن تفيد أحد أمرين يتمثل فيها المعنى العام الذى تزاد له حروف الزيادة ، وهو التوكيد :

الأمر الأول : التنصيص على العموم المراد من التركيب ونفى احتمال غيره ؛ فإنه إذا قال قائل :

«ماجاءنا من رجل » فإنه يفيد التنصيص على عموم النفى،أى على نفى الجنس وعدم احتمال شىء آخر ؛ وذلك أن العبارة قبل دخول « من » — وهى ماجاءنا رجل — تحتمل نفى الجنس وأنه لم يجئ أحد من جنس الرجال ، كما تحتمل نفى الوحدة وأنه لم يجئ رجل واحد ، وذلك لا يمنع أن يكون الذى جاء أكثر من واحد من الجنس ولهذا يمكن أن يقال فى هذه الحالة : « ماجاءنا رجل بل رجلان » ؛ لكنه لا يمكن

أن يقال ذلك مع وجود « من » ، لأن العبارة معها تنص على نفى الجنس من غير احتمال غيره .

الأمر الثانى : توكيد العموم ، وذلك نحو قولك : ماجاءنا من أحد » أو « من ديار » ، فإن العبارة قبل دخول « من » تفيد العموم من غير احتمال شىء آخر ، من حيث إن كلا من « أحد » « وديار » بعد النفى يفيد العموم واستغراق النفى ، فاذا زيدت « من » فى العبارة أفادت توكيد هذا العموم :

قد يقال : إنه مفهوم ومعقول أن تكون « من » زائدة إذا أتى بها فى تركيب لإفادة توكيد العموم متى كان هذا العموم مستفادا من غيرها ، كما فى قولك : « ماجاءنا من أحد » ؛ فانه لو قيل : « ماجاءنا أحد » كان ذلك يفيد الحكم بعدم مجىء كل واحد ممن يتأتى منه المجىء ، سواء أكان رجلا أم امرأة ، لأن كلمة « أحد » بعد النفى تفيد استغراق النفى وشموله الجنس كله ، فإذا أدخلت « من » فى التركيب فإنها لا تفيد شيئا زائدا على المعنى المستفاد بدونها ، كما أنها لا تكون حينئذ مستعملة فى شىء من معانيها الأصلية الوضعية ، فتكون زائدة لتوكيد العموم :

ولكن كيف تكون « من » زائدة لإفادة التوكيد فى قولك : « ماجاءنا من رجل » — وهو مايفيد التنصيص على العموم أى يفيد العموم نصا ؟

إنه لو جرد التركيب من كلمة « من » وقيل « ماجاءنا رجل » كان هذا النفى محتملا نفى الوحدة كما يحتمل نفى الجنس ؛ أى يحتمل أن يكون المقصود به نفى مجىء رجل واحد ، كما يحتمل أن يكون المقصود به نفى مجىء كل رجل ، أى فى مجىء الجنس كله ، فإذا أدخلت فى التركيب كلمة « من » فانها تزيل احتمال الوحدة وتجعل التركيب نصا فى نفى مجىء جنس الرجال ، وحينئذ لا يصح أن يقال إنها زيدت للتوكيد ، لأن التنصيص على العموم معنى جوهرى أساسى ، وهو لم يستفد من غيرها حتى يصح أن يقال إنها هنا زائدة للتوكيد .

« والجواب » أن التركيب الذى قيل ان « من » قد دخلت فيه للتنصيص على العموم يمكن أن يقال إن « من » قد زيدت فيه للتوكيد ؛ وذلك أنه إذا قيل : « ماجاءنا رجل » — مع إطلاق لفظ « رجل » وعدم تقييده بالواحد — فإنه يدل دلالة ظاهرة من غير شك على إرادة الجنس ، فيكون نفى المجىء فيه منصبا على جنس الرجال ؛ واحتمال أن النفى فيه وارد على الواحد هو احتمال ضعيف يحتاج فى إرادته إلى دليل خاص ؛ وعلى هذا إذادخلت « من » فى هذا التركيب الذى هو ظاهر فى العموم صح ان يقال إنها قد زيدت لتوكيد هذا العموم :

ويشهد لذلك قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » ( ٤ إبراهيم ) : وقوله تعالى : « وما أهلكنا

من قرية إلا ولها كتاب معلوم » ( ٤ الحجر ) وقوله سبحانه : « وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون » ( ٢٠٨ الشعراء ) ، فإنه من غير المعقول احتمال أن يكون النفي في هذه الآيات وارداً على الوحدة . وألا يكون منصباً على الجنس . وعلى هذا لا يكون فرق بين هذه الآيات وأمثالها من كل تركيب وقعت فيه النكرة سياق النفي او الاستفهام وبين قوله تعالى — في شأن المنافقين —

« وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا » (١٢٧ التوبة ) ؛ فإنه ليس المعنى في ذلك على نفي الوحدة ، وإنما هو في جميعها منصب على الجنس :

وهنا يقال — وهو المقصود دائما من البحث في حروف الزيادة — ما السر في أن « من » الزائدة بعد النفي مثلا تفيد استغراق النفي وتدل نصا على العموم أو تفيد توكيد هذا العموم ؟ وهل ذلك ثابت لها لمجرد أنها كلمة زيدت في التركيب من غير أن تكون مشعرة بشيء يناسب معنى الاستغراق والعموم ؟

« والجواب » أنه غير جائز في حكمة القرآن أن يكون مجرد زيادة الكلمة في التركيب مفيدا توكيد معنى تضمنه هذا التركيب من غير أن يكون في تلك الكلمة إشعار أي إشعار بما يناسب المعنى المراد توكيده . وذلك أن الكلمة الزائدة إذا أخذت على هذا الوجه كانت لغوا ، وكانت — كما يقول بعض النحاة — دخولها في الكلام وخروجها منه على سواء ، فلا يعقل حينئذ أن يكون مفيدة توكيدا أو غير توكيد ، لأنها تكون هي واللفظ المهمل الذي لم يوضع لمعنى أصلا على سواء أيضا :

إن القول الحق في هذا هو أن الكلمة التي تزاد في تركيب لتوكيد ما تضمنه من معنى لابد ان تكون فيها ناحية إشعار بما يناسب ذلك الذي يراد توكيده :

فكلمة « من » إذا زيدت في تركيب لإفادة التوكيد فلا بد أن يلمح بها إلى أصل تصلح من طريقه أن تحقق هذه الفائدة فاذا كانت الكلمة المزيدة كما قلنا فيما سبق منسلخة عن معانيها الوضعية كلها بحيث لاتفيد شيئا منها إفادة أصلية أساسية فإنها — مع ذلك ومن أجل إفادة التوكيد — لابد أن تشير — ولو من طرف خفي — إلى أصل من تلك المعاني يكون مناسبا للمعنى المراد توكيده :

ونرى أن أقرب معاني « من » وأقواها على تحقيق التأكيد هو معنى « التبعيض » :

فقول الله تعالى : « وماتسقط من ورقة إلا يعلمها » قد جاءت فيه كلمة « ورقة » نكرة في سياق النفي ، فصارت عامة شاملة كل مايطلق عليه هذا اللفظ من ورق

الشجر : فكل ورقة تسقط من شجرة فإن الله عليم بها وبشكلها ولونها وبسائر صفاتها وأحوالها ، وكذلك هو سبحانه عليم بسبب سقوطها وزمانه ومكانه ، لايعزب عن علمه شيء من ذلك كله.

وقد زيدت كلمة « من » قبل كلمة «ورقة» فأفادت توكيد هذا العموم والشمول ، من حيث إنها في الأصل موضوعة لمعنى التبعيض ، فهي في موطن زيادتها تلمح إلى هذا الأصل لتؤكد من طريقه أن علم الله تعالى محيط بكل ورقة مهما كانت صغيرة ضئيلة : ففي هذه الآية الكريمة لم يقصد بكلمة «من» معنى التبعيص قصدا ذاتيا يكون الحكم فيه على بعض من الورقة وجزء من أجزائها ، لم يقصد ذلك منه قصدا ذاتيا وإنما جعل رمزا وإشارة . إلى ماقد تكون عليه الورقة الساقطة من الشجرة ، من الصغر والدقة والضآلة ، فيكون المعنى أنه مهما تكن تلك الورقة صغيرة ضئيلة فإنها لاتعزب عن علم الله المحيط بكل شيء .

* * *

هذا — وإن التمثيل بقوله تعالى : « وماتسقط من ورقة إلا يعلمها » — وهو جملة من آية ٥٩ من سورة الأنعام — يدعونا أن نعود إلى هذه الآية لنفصل القول فيها وفي بقية ماورد فيها بعد تلك الجملة ، وهو شيء لايخرج عن موضوع « من » الزائدة الذي الكلام فيه :

والآية بتمامها هي قوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا في كتاب مبين » (٥٩ الأنعام )

وقد عرفنا أن « من » في قوله سبحانه : « وماتسقط من ورقة » زائدة من حيث إن الحكم الأصلي المراد من التركيب يستفاد من الجملة مع تجردها من ذلك الحرف ، فإنه لافرق بين أن يقال : « وماتسقط من ورقة إلا يعلمها » ، وأن يقال : « وما تسقط ورقة إلا يعلمها » فكلمة « ورقة» هي الفاعل في كلا التركيبين والاستثناء ومفرغ في كليهما ، وهو استثناء من عموم الاحوال . والمعنى : وماتسقط ورقة في حال من الأحوال إلا في حال العلم بها ، أي لا تسقط إلا وهي معلومة لله تعالى :

« قد يقال » : كيف يكون مابعد « إلا » حالا وهو يقتضي وقوع الحال من النكرة وهي « ورقة » وذلك غير سائغ ؟

« والجواب » أنها نكرة أريد بها العموم من حيث قد سلط على النفي ...

والسر فى أن النكرة لايجىء منها الحال أنها فى أصل وضعها تدل على فرد مبهم شائع فى غيره من أفراد الجنس أو النوع

أما إذا كانت النكرة مراداً بها جميع الأفراد كالنكرة فى سياق النفى فإن هذا يسوغ مجىء الحال منها لزوال الإبهام ، وكذلك إذا كانت موصوفة بوصف من شأنه حصر المراد والإحاطة به فإنه يكون «أيضا» مسوغا لمجىء الحال منها .

ثم إن «من» هذه قد أفادت بزيادتها توكيد العموم ، ولم تكن لإفادة العموم فى أصله ، لأن هذا العموم مستفاد «من» غيرها من حيث قد سلط النفى على النكرة كما علمنا :

« وقد يقال أيضا » : «إذا كانت من « المحدث عنها بهذه المثابة ، تفيد توكيد العموم ، وذلك معنى مهم مما يقصد إليه البلغاء ، ويعنون به وبالوسائل التى تؤدى إليه فكيف يحكم بأن اللفظ الذى يدل عليه ويحققه هو من الزيادات فى التركيب وليس من الألفاظ الأصلية فيه ؟

« والجواب » أن العلماء اتفقوا على أنه إذا وردت فى التركيب كلمة قد جردت من معانيها الوضعية كلها ، فلم تستعمل فى شىء منها على أن يكون جزءا أساسيا من المعنى الأصلى المراد من التركيب فانها تعتبر فيه زائدة :

فكلمة « من» إذا وردت فى تركيب غير مستعملة فى شىء من معانيها الوضعية ، كالابتداء والتبعيض والبيان وما إليها فإنها تكون زائدة مع أنها فى هذا التركيب تكون مفيدة معنى من المعانى الثانوية المهمة ، التى يعنى بها البلغاء ويقصدون إلى تحقيقها كالعموم وتوكيد العموم . هذا مااتفق عليه العلماء : أن تكون «من» فى هذه الحالة زائدة : فإذا كان من الناس من لايرضى أن يقال بوقوع كلمة زائدة فى شىء من آيات القرآن الكريم فإن المسألة حينئذ لاتعدو أن تكون مسألة اصطلاح ومعلوم أنه لامشاحة فى الاصطلاح وذلك أنه لاخلاف بين الطرفين فى الحقيقة ، والاختلاف بينهما إنما هو فى التسمية : أما المعنى فهم فيه جميعا على وفاق تام

ومن هذا يعلم أن القول فى « من » الزائدة فى قوله تعالى : « وماتسقط من ورقة إلا يعلمها » بين واضح لاإشكال فيه .

إنما الإشكال فيما يقرره كثير من العلماء فى بقية الآية وما جروا عليه فى إعرابها (١) :

---

(١) يراجع تفسير آية ٥٩ من سورة الأنعام للزمخشرى والنسفى والجلال السيوطى وأبى السعود والآلوسى.

فقد قالوا — فى إعراب قوله تعالى : «ولاحبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا فى كتاب مبين» — : إن كلمة « حبة » المجرورة فى قراءة « حفص » معطوفة على « ورقة » وداخلة فى حكمها ، أى أنها متأثرة بالعامل الذى سلط على « ورقة » ، ثم يلحقها الاستثناء الذى لحق هذه : فيكون معنى « ولاحبة فى ظلمات الأرض » : ولا تسقط حبة فى ظلمات الأرض إلا يعلمها » .

وقالوا مثل ذلك فى كلمتى « رطب ويابس » ، فيكون المعنى فيهما : « ولا يسقط رطب ولايابس إلا يعلمه » .

وهذا تفسير فيه تكلف ، وإعراب فيه انحراف عن الجادة ، فهو لايستقيم به الأمر مع مايتبادر إلى الذهن ، وينطبع فى النفس من المعنى الذى تفيده تلك العبارات البليغة الواردة فى الآية الكريمة : «ولاحبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولايابس إلا فى كتاب مبين » .

إنه إذا كان ورق الشجر يصح أن يوصف بالسقوط ، كما هو معهود ، وكما يدل على ذلك قوله تعالى : « وما تسقط من ورقة » فهل يصح أن يكون مثل ذلك فى « الحبة » تكون فى ظلمات الأرض ؟ هل يمكن أن يقال فى جانب هذه الحبة : وما تسقط حبة فى ظلمات الأرض ، كما قيل فى الورقة تسقط من الشجرة ؟ ثم إذا كان معلوما أن الورقة يكون سقوطها من الشجرة فمن أين يكون سقوط الحبة التى فى ظلمات الأرض ؟

وإذا أمكن أن يقال ذلك فى جانب الحبة أيضا مع مافيه من التكلف فماذا يصنع فى كلمتى « رطب ويابس » وقد وردتا فى الآية مورد الحبة ؟ هل يصح أن يقال فيهما : « وما يسقط رطب ولايابس » ؟

هذا شى نراه بعيدا وفيه تكلف شديد .

ثم ماذا يكون — بعد ذلك كله — موقع قوله تعالى : « إلا فى كتاب مبين » بعد قوله سبحانه : « إلا يعلمها » الذى هو استثناء منسحب بالضرورة على الحبة والرطب واليابس ، بحكم عطفها على « ورقة » على ما جرى عليه أولئك العلماء ؟

إن الكلام — على ما جروا عليه فى التفسير — يتم عند قوله تعالى : « ولا رطب ولا يابس » فهو كلام مستوف أركانه ، ومشتمل على الحكم بتحقق علم الله تعالى بجميع ماذكر فى الآية من أحوال الورقة والحبة والرطب واليابس ؛ وذلك هو ما يفيده قوله تعالى : « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولايابس » ، فإن معناه أنه لايكون شئ من ذلك إلامعلوما لله تعالى وإذا كان الأمر كذلك فكيف يفهم قوله تعالى فى ختام الآية : « إلا فى كتاب مبين » ؟ وكيف يقع موقعا مناسبا مما قبله ؟ وعلى أى وجه إعرابى يتصل به ؟ إن طريقة أولئك العلماء فى تفسير الآية وإعرابها تجعل عبارة الاستثناء هذه قلقة فى موضعها ، منعزلة عما قبلها . وغاية مااستطاع فريق منهم أن يوجهوا به ذلك الاستثناء أنهم قالوا إنه

بدل من الاستثناء الأول : بدل اشتمال إن أريد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ ، وبدل كل من كل إن كان المرادبه علم الله تعالى.

أما « الزمخشرى » فقد اكتفى بأن قال : إن الاستثناء الثانى هو كالتكرير للاستثناء الأول ، لأن معنى « إلا يعلمها » هو معنى « إلا فى كتاب مبين » .

وقد تابعه فى ذلك فريق من المفسرين .

ورأينا فى هذه الطريقة أنها — مع كونها عسرة ، وفيها ، تكلف لايزول بها قلق ذلك الاستثناء الثانى فى موضعه، ولاضعف ارتباط بما قبله .

## النتيجة

ونتيجة البحث أنه من أجل تلك الوجوه التى أشرنا إليها : وجوه الضعف التى ينطوى عليها تفسير أولئك العلماء للآية — يكون من الواجب العدول عن ذلك التفسير إلى شئ آخر يتفق مع بلاغة القرآن وروعة بيانه وقوة نظامه .

والرأى فى ذلك أن العطف الوارد فى الآية ليس من عطف المفردات ، كما جرى عليه أولئك العلماء ؛ فليست كلمة « حبة » معطوفة على « ورقة » . ولا كلمة « رطب » أو كلمة « يابس » معطوفة عليها كذلك ؛ وإنما الكلام من عطف الجمل بعضها على بعض .

فقوله تعالى : « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها » كلام تام ، و جملة مستقلة لايلحق بها شئ من المفردات التى بعدها .

وقوله سبحانه : « ولاحبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا فى كتاب مبين » — جملة أخرى معطوفة عليها .

وقد جاء الحكم فى هذه بطريقة القصر : « بالاستثناء بعد النفى » كما جاء فى الأولى

وهذا الذى نقوله هو الذى تقضى به بلاغة القرآن وبراعته، وتتحقق به مفردات أصول اللغة وقواعد النحو .

وهو — أيضا — الذى تشهد له قراءة أخرى متواترة ، ترفع كلمات : « حبة ورطب ويابس » ؛ فهى مرفوعة على أنها مبتدأ ، والخبر هو ما تضمنه الاستثناء ، وقد قيل: إن القرآن يفسر بعضه بعضا ؛ وإذاً فما أجمل أن تفسر قراءاته ، بعضها ببعض .

لكن قد يقال : إنه ظاهر على قراءة الرفع أن تكون الجملة اسمية من مبتدأ وخبر فكيف يكون الأمر على قراءة الجر ؟

والجواب » أنه يكون كذلك ؛ فإن تلك الكلمات المجرورة مرفوعة المحل ، على تقدير من »الزائدة التى دل عليها التصريح بها فى الجمل السابقة وتقدير الكلام : « ولا من حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » .

فكلمة حبة المجرورة بحرف الجر الزائد المقدر تعرب مبتدأ مرفوعا تقديرا ؛ وقد عطف عليها بالجر الظاهر كلمتا «رطب ويابس» فدخلتا بذلك فى حكم المبتدأ ، ويكون الخبر هو ما تضمنه الاستثناء الذى فى آخر الآية «إلا فى كتاب مبين» . ونظير هذا قوله تعالى : وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين ( ٧٥ النمل ) فإن كلمة «غائبة» وقعت مبتدأ ، وهى مجرورة ظاهرا بحرف الجر الزائد «من» وخبر المبتدأ قوله سبحانه إلا فى كتاب مبين» وقد عثرنا —بعد كتابة ما تقدم— على مايقوى هذا الرأى ويستأنس به فيه من كلام الزمخشرى فى موطن آخر من التفسير ، وهو ما قاله فى تفسير قوله تعالى «: وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين» (٦١ يونس) وهذا نص ما كتبه على قوله سبحانه : «ولا أصغر من ذلك ولا أكبر» : قال رحمه الله :

( القراءة بالنصب والرفع : والوجه النصب على نفى الجنس ، والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه ) ثم قال ( : وفى العطف على محل « من مثقال ذرة » أو على لفظ مثقال ذرة فتحـاً فى موضع الجر لامتناع الصرف — إشكال ، لأن قولك : « لا يعزب عنه شئ إلا فى كتاب مبين» « مشكل) ا . هـ . وهكذا يقرر العلامة « الزمخشرى » أن عطف أصغر وأكبر على ماقبله عطف مفردات مشكل على كلتا القراءتين فلا يصح أن يكون رفعهما بطريق العطف على محل من مثقال ذرة « ، الذى هو المعنى فاعل « يعزب » ، كما لا يصح أن يكون نصبهما بطريق العطف على لفظ «مثقال» ، ويكون جرهما بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنهما ممنوعان من الصرف — لا يصح عطفهما كذلك ، لأنه يؤدى إلى أن يقال — فى تقدير الآية : وحاصل معناها : «وما يعزب عن ربك شئ إلا فى كتاب مبين» ؛ أى وذلك شئ لا يستقيم فى الفهم ، ولا ينبغى حمل القرآن الكريم عليه .

هذا الذى يقرره الزمخشرى هنا فى آية «يونس» هو فى غاية الدقة والوجاهة.

ومثله ، ماقاله فى تفسير آية ٣ من سورة سبأ ، وهى قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ».

فإنه —رحمه الله— قال فى تفسير قوله تعالى : «ولا أصغر من ذلك ولا أكبر »ما نصه : وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء ، وبالفتح على نفى الجنس كقولك : لا حول ولا قوة إلا بالله «بالرفع والنصب ، وهو كلام منقطع عما قبله . . ثم قال : فإن قلت : هل يصح عطف المرفوع

على « مثقال ذرة» كأنه قيل : «لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر ، وزيادة «لا» لتأكيد النفى ، وعطف المفتوح على « ذرة» بأنه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل : «لا يعزب عنه مثقال ذرة ، ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر؟«قلت» : يأبى ذلك حرف الاستثناء ا.هـ .

هذا كلام الزمخشرى » أيضا فى آية «سبأ» وهو ليس أقل دقة ولا قوة مما قاله فى آية يونس » :

غير أننا نلحظ أن بين ما قرره فى إعراب هاتين الآيتين وما جرى عليه فى إعراب آية «الأنعام » التى قدمناها اختلافا ظاهرا ، فإن الوجه الإعرابى الذى اعترض عليه فى الآيتين وقال إنه يترتب عليه إشكال أو يأباه الاستثناء هو الذى سار عليه فى إعراب آية الأنعام فقد قال هناك ما نصه : «ولا حبة ولا رطب ولا يابس » عطف على «ورقة » وداخل فى حكمها ، كأنه قيل : « وما يسقط من شىء من هذه الأشياء ، إلا يعلمه ».وقوله : « إلا فى كتاب مبين » كالتكرير لقوله : « إلا «يعلمها »، لأن معنى «إلا يعلمها» ، ومعنى إلا فى كتاب مبين» واحد ، والكتاب المبين علم الله تعالى أو اللوح. ثم قال : وقرئ « ولا حبة ولا رطب ولا يابس» بالرفع ، وفيه وجهان : أن يكون عطفا على محل « من ورقة : » وأن « يكون رفعا على الابتداء ، وخبره «إلا فى كتاب مبين » ، كقولك : «لا رجل منهم ولا امرأة إلا فى الدار » . ا هـ .

هذا هو الوجه الإعرابى الذى لم يرض الشيخ الزمخشرى أن تجرى عليه آيتا يونس «وسبأ» لما يترتب عليه مما قاله فى الموطنين . ونحن نقول : إنه إذا كان لا يرضى أن يكون العطف فى هاتين الآتيين من قبيل عطف المفردات ، لأنه يترتب عليه إشكال كما عبر بذلك فى يونس ، ولأنه يأباه الاستثناء كما عبر بذلك فى سبأ ، إذا لا يصح أن يقال : « وما يعزب عن ربك شىء إلا فى كتاب مبين ولا أن يقال « يعزب عنه مثقال ذرة إلا فى كتاب مبين » — نقول إنه إذا كان كذلك لذلك فإنه لا يصح أيضا أن يكون العطف فى آية الأنعام من عطف المفرادات ، لأنه يترتب عليه ما قلناه من وصف الحبة و الرطب واليابس بالسقوط الذى لا يظهر أن يكون وصفا إلا للورقة التى تسقط من الشجرة ، ولأنه يترتب عليه أيضا تكرير الاستثناء على ذلك النحو غير المعهود فى أسلوب القرآن الحكيم : وذلك أن نظم الآية يصير — على ذلك الوجه الإعرابى — هكذا : «وما يسقط من ورقة ولا حبة ولا رطب ولا يابس إلا يعلمه إلا فى كتاب مبين » .

على أنه لو كان هذان الاستثناءان قد وردا فى الآية هكذا متصلين من غير فصل بينهما لهان الأمر بعض الشىء ، ولأمكن أن يقال : إن الثانى تكرير للأول كما قال الزمخشرى أو بدل منه كما قال غيره ، ولكن الفصل بينهما بما جاء فى الآية متعلقا بالحبة والرطب واليابس من شأنه أن يبعد ذلك ويجعل

الاستثناء الثانى مرتبطا بهذه الثلاثة : « . الحبة والرطب واليابس ، وحدها ، ليكون حكما عليها وحدها . وبذلك لا تكون له علاقة بالاستثناء الأول .

هذا — وعلى أساس مااخترناه ورجحناه — من أن قوله تعالى : « ولاحبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا فى كتاب مبين » هو جملة معطوفة على الجملة قبلها وأنه ليس من عطف المفردات — نقول : إنه يمكن أيضا أن تكون هذه الجملة المعطوفة جملة فعليه على تقدير فعل كينونة مع « من الزائدة » ، ويكون التقدير هكذا : « ولايكون من حبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا فى كتاب مبين » .

غير أنه قد يعترض على هذا الوجه من الإعراب بأن البصريين لا يجيزون باطراد حذف فعل الكينونة ، فإنهم يمنعون حذفه فى كل موطن ليس فيه « إن » أو « لو » أو يقولون إن ذلك كما أشار إليه ابن مالك فى قوله :

ويحذفونها ويبقون الخبر
وبعد إن ولو كثير إذا اشتهر

وإذا كان الأمر كذلك فلا يصح أن تخرج الآية على ذلك ذلك التعليل . ولكن يجاب عن ذلك بما قررناه غير مرة ونقرره دائما : أنه لاينبغى أن يلتزم فى إعراب القرآن مذهب طائفة خاصة من النحويين ، بصرية كانت أو كوفية ، وأنه لم يقل أحد إن القرآن فى إعرابه قد نزل على على طريقة البصريين . ثم لاينبغى أن يذهب عاقل متبصر إلى أن مذهب النحاة البصريين هو أصح المذاهب الإعرابية وأرجحها فى كل شىء وكل موطن وبغير استثناء فإن الجنوح إلى ذلك يكون من الجهل الفاضح .

ويمكن أن يستأنس فى هذا المقام بما ورد فى الصحيحين — فى حديث بدء الوحى من قول « ورقة بن نوفل » : « ياليتنى فيها جذعا » بنصب كلمة جذع ، وماقاله الشيخ « الزرقانى » شارح « المواهب » فى ذلك ( جـ ١ ص ٢١٥ ) مما حكاه عن « الخطابى والمازنى وابن الجوزى » — فى إعراب « جذعا » بالنصب أنه على تقدير فعل كينونة ، وأنه هكذا يجرى على مذهب الكوفيين ويكون تقدير الكلام عليه هكذا : « ياليتنى أكون فيها جذعا » .

وذلك كما قدر الكوفيون أيضا فعل الكينونة فى قوله تعالى : « ولاتقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم » ( ١٧١ النساء ) فإنهم قالوا : إنه على معنى « انتهوا يكن خيرا لكم » . ولا شك أن هذا تقدير صحيح وتخريج قوى جيد للآية الكريمة يرجح به مذهب الكوفيين عن مذهب البصريين . والله أعلم ، والحمد لله رب العالمين .

**عبد الرحمن تاج**
عضو المجمع الراحل

# سيبويه

## للدكتور الشيخ محمد الفحام

**تحديثنا**

كتب الأدب، وكتب التاريخ وكتب الطبقات، عن أربعة من النحاة، اقب كل منهم بسيبويه وهم:

أبو بشر، عمرو بن عثمان، البصري.

وأبو بكر، محمد بن موسى، المصري.

وأبو الحسن، على بن عبد الله، المغربي.

وأبو نصر، محمد بن عبد العزيز، الأصبهاني.

أربعة من العلماء، تعددت أسماؤهم، وتنوعت كناهم، وتفرقت بلدانهم، ولكن جمعهم، لاشتغالهم بالنحو، وشهرتهم به، لقب واحد: «سيبويه».

وقبل أن نسلط الأضواء على كل واحد من هؤلاء العلماء، إحياء لذكرهم، وتنوبها بشأنهم، وتقديرا لفضلهم وإظهارا لآثارهم، نرى أن نعرض لقضية لغوية عرض لها كثير غيرنا من العرب والمستشرقين.

تلكم قضية لفظة «سيبويه» أصلها وضبطها ومعناها.

لفظة سيبويه أعجمية فارسية مؤلفة من كلمتين: «سيب» و«ويه»

ومعنى «سيب» فى اللغة الفارسية «تفاح» ومعنى «ويه» فى اللغة الفارسية «رائحة»، ولا تزال لفظة سيب مستعملة فى الباكستان وفى الهند فى معنى تفاح. وكثيرا ما سمعت فى كل من لاهور وكراتشى من بلاد الباكستان، وفى فى كل من دلهى وبومباى من بلاد الهند باعة الفاكهة يقولون: سيب سيب، وهم يعنون: تفاح تفاح.

فالترجمة العربية للفظة سيبويه الفارسية «رائحة تفاح». لقب بها أول ما لقب — فيما نعلم — أبو بشر عمرو بن عثمان، إمام نحاة البصرة. وهو المراد منها عند الإطلاق فهى له على سبيل الحقيقة ولغيره على سبيل التشبيه أو المجاز.

**تحقيق معنى لفظ سيبويه:**

وما ذكرناه من أن معنى كلمة سيبويه هو رائحة تفاح هو ما نقلته لنا كتب الأدب وكتب التاريخ وكتب اللغة، وكتب النحو.

وفى مقدمة هذه الكتب «القاموس المحيط» للفيروزابادى، «ولسان العرب» لابن منظور و«وفيات الأعيان» لابن خلكان «ونزهة الألباء فى طبقات الأدباء» لابن

الأنبازى و« معجم الأدباء »لياقوت و«بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » للسيوطى و«أخبار النحويين البصريين » للسيرافى و« الفهرست »لابن النديم و«مفتاح السعادة» للمولى أحمد بن مصطفى و«حاشية الأمير على المغنى » . وغير ما ذكرنا كثير .

**تعقيب بعض المستشرقين (فرتس كرنكو) :**

ولقد عقب بعض المستشرقين الألمانيين « فريتس كرنكو » فى مقاله المنشور بدائرة المعارف الإسلامية بعنوان « سيبويه »على ماكتبه المؤلفون العرب من أدباء ومؤرخين ولغويين ونحويين عقب على كلمة «سيبويه» من ناحيتين : من ناحية اللفظ ومن ناحية المعنى ، أما من ناحية اللفظ فهو يقول: إن النطق الأصلي الفارسي لهذه الكلمةهو سِيبْوَيْه لاسِيبَوَيْه وأما من جهة المعنى فهو يقول : إن معنى « سيبويه » «تفاحة صغيرة» «لارائحة تفاح ».

أما التعقيب من الناحية اللفظية الذي ملخصه أن لكلمة سيبويه فى الفارسية نطقاً يغاير نطقها فى لسان العرب فسلم ونحن لاننكره، بل لقد ذكر ابن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان » (جزءاص٥٥٠) بعد أن قال : « هكذا يضبط أهل العربية هذا الاسم ونظائره مثل نفطويه وعمرويه وغيرهما. والعجم يقولون: سِيبُويَه بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها ، لأنهم يكرهون أن يقع فى آخر الكلمة « ويه » لأنها للندبة . .

ولابأس علينا نحن الناطقين بالضادأن ننطق بهذه الكلمة وأمثالها على وجه يخالف نطقها في لغة للعجم فليس بدعاً فى اللغات أن تستعار كلمة من لغة إلى أخرى فيدخل فيها تغيير وتبديل .تغيير حرف بحرف أو حركة بحركة أو سكون فلكل مستعير أن يتخير من الحروف والحركات ماعذب على لسانه ، وخف على سمعه ، وقبل في ذوقه، واقتضته قواعد لغته .

**تشبيه الكلمات فى اللغات بالأفراد فى الامم :**

وقد شبه علماء فقه اللغة الكلمة تستعار من لغة الى أخرى ، « بالفرد من الأمة » يخرج من أمته ليدخل فى أمة أخرى ، يتجنس بجنسيتها ، ويصطبغ بصبغتها ، يعتاد عوائدها ، ويحافظ على تقاليدها ، ويتكلم بلغتها ، ويخضع لأحكامها وقوانينها ، فإذا هو واحد من أبنائها ، وإذا الصلة بينه وبين القديم قد انقطعت .

ولقد نطق العرب قديما بألفاظ أعجمية كثيرة وعربوها، وأخضعوهالقواعد لغتهم وقوانينها اللغوية من صرفية ونحوية ، فحذفوا منها حروفا وأبدلوا منها حروفا بأخرى وجمعوها جمع الأسماء العربية ، وثنوها، وصغروها ، ونسبوا إليها ، وعاملوها معاملة الألفاظ العربية . لقد عربوا SANTAMARIA الأسبانيةوهى بالفرنسية SANTEMARIE وهى بالعربية « السيدة مريم » اسم بلد من بلاد الأندلس العربية ؛ فنطقوا بها

شنتمريه» ونسبوا إليها فقالوا «اسنتمرى» ومنها الأعلم الشنتمرى أبو الحجاج يوسف بن سليمان ابن عيسى المتوفى بإشبيلية سنة ٤٧١ هـ شارح شواهد كتاب سيبويه » فقلبوا السين شينا وزادوا ياء النسب في آخر الكلمة، كما تزاد في الكلمات العربية البحتة إذا نسب إليها. وهاهم أولاء الفرنسيون قد استعاروا من اللغة العربية ألفاظا كثيرة لاتحصى عداً فاصطبغت بصبغة فرنسية، وتصرفت تصرف الكلمات الفرنسية وعوملت معاملتها فأصبحت واحدة منها.

نذكر منها على سبيل المثال كلمة «قنطار» فقد استعارها الفرنسيون كما قال لاروس فى معجمه من اللغة العربية، فنطقوا بها كنتال CANTAL فأبدلوا القاف كافاً، وكسرتها فتحة وأبدلوا الطاء تاء، والراء لاماً. ودخلت الكلمة بذلك فى عداد الكلمات الفرنسية المختومة «بأل» فجمعت جمعها Quantaux بعد ان كانت تجمع فى العربية على قناطير كما يجمع Jonrnal على Journaux Cheval على Chevaux general على generaux وهكذا

وأما التعقيب على المعنى فهو ماأدهشنى حقا فانه عندى خبر جديد وغريب يناقض ماهو فى حكم المجمع عليه فى كتبنا بين علماء اللغة العربية من أن معنى «سيبويه» هو رائحة التفاح لاتفاحة صغيرة .

ولهذا قد عولت عملا بقوله تعالى : « «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون» عولت على سؤال العلماء بفقه اللغة الفارسية سألت كثيرا منهم وفى مقدمتهم الأستاذ الفاضل «منشى زاده » أستاذ الأدب الفارسى بجامعة الإسكندرية — ورب الدار أدرى بما فيها — فأجابونى جميعا بجواب واحد : أجابونى بما يوافق كلام ذلكم المستشرق لارائحة تفاح . فلعل مانقلته لنا كتب اللغة من باب الخطأ المشهور أو لعل هذه الكلمة ( ويه) لها استعمالان فى اللغة الفارسية فهى تستعمل تارة بمعنى رائحة وأخرى «أداة تصغير »

ونقل ياقوت فى كتابه « معجم الأدباء » جزء ١٦ ص ١١٥ قولا آخر غريبا عن ابن خالويه وملخصه أن سيبويه مؤلفة من كلمتين «سى» و« بويه » وأن معنى « سى» ثلاثون ومعنى « بويه» رائحة فمعنى سيبويه مع هذا ثلاثون رائحة ومثل هذا قال الزبيدى فى كتابه « طبقات النحويين واللغويين » .

ثم قال ياقوت : ولم أر أحدا قال ذلك غير ابن خالويه .

ولقد ورد على لسان بعض العرب النطق الفارسى فى سيبويه وأمثاله » مثل نفطويه وخالويه وعمرويه وخمارويه وشيرزويه ودرستويه

من ذلك قول ابن بسام فى شعر له يذم فيه نفطويه فيه ( توفى فى بغداد سنة٣٠٣ ) :

رأيتَ فى النوم أبى آدما
صلى عليه الله ذو الفضل
فقال : أبلغ ولدى كلهم
من كان فى حزن فى سهل
بأن حوّا أمّهم طالق
إن كان نفطويه من نسلى

قال السيوطى فى كتابه بغية الوعاة . فى طبقات اللغويين والنحاه. ص ١٨٧ بعد أن نقل هذا الشعر مانصه: قلت هذا : اصطلاح لأهل الحديث فى كل اسم بهذه الصيغة، وإنما عدلوا إلى ذلك لحديث ورد : إن «ويه» اسم شيطان » فعدلوا عنه كراهة له.

على أنه قدورد نفطويه على النطق العربى فى شعر لمحمد بن الحسن بن دريد توفى سنة٣٢١ هـ يذمه فيه :

لو أنزل الوحى على نفطويه
لكان ذلك الوحى سخطا عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه
مستأهل للصفع فى أخدعيه
أحرقه الله بنصف اسمه
وصيّر الباقى صراخاً عليه

وكان هذا الشعر من ابن دريد بعد أن قال فيه نفطويه :

ابن دريد بقره
وفيه عيٌّ وشره
ويدعى من حمقه
وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين إلاّ أنه قد غيره

**سيبويه الاصفهانى :**

أما سيبويه الأصفهانى : « أبو نصر محمد بن عبد العزيز » فقد ذكره السيوطى فى كتابه « بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ص٦٧» :

وبعد أن ذكر نسبه قال : قال يحيى بن منده فى تاريخ أصبهان : هو حسن الأدب أحد وجوه العلم، عالم باللغة والنحو، حدث عن ابن فارس وغيره .

وقال القفطى فى كتابه: « إنباه الرواة على أنباه النحاة» (ج ٣ ص٢٦٩ ) : قال ابن منده : وأنشدنا أبو نصر الملقب بسيبويه قال : وأنشدنا أبو الحسين أحمد بن فارس عليه رحمة الله :

إذا كنت فى حاجة مرسلا
وأنت بها كلف مُغْرَمُ
فأرسل حكيما ولاتوصه
وذاك الحكيم هو الدرهم

هذان البيتان تشطير لبيت قديم :

إذا كنت فى حاجة مرسلا
فأرسل حكيما ولاتوصيه

وقد ألقى هذا الخبر شعاعاً من نور على تاريخ سيبويه الأصفهانى فقد علمنا منه أنه لقى ابن فارس وسمع منه ، ومعلوم أن ابن فارس كان يعيش فى القرن الرابع الهجرى وأنه توفى سنة ٣٩٥ فعرفنا من ذلك (على الأقل) أو (على الأكثر) أن سيبويه الأصبهانى كان يعيش فى القرن الرابع الهجرى .

وعبثاً حاولت إذ أردت الوقوف على شىء من تاريخ سيبويه الأصفهانى ، ومن أخباره وآثاره العلمية فى مكان وجودها فتاريخ أصبهان لابن منده (أبى زكريا يحيى ابن عبد الوهاب المتوفى سنة ٥١٢ هـ) الذى ينقل عنه كثيراً القفطى والسيوطى لا وجود له بمصر على ما وصل إليه بحثى — وتاريخ أصبهان لأبى نعيم قد أغفل ذكر نحوى أصبهان الملقب بسيبويه .

تاريخ أبى نعيم مجلدان طبع فى ليدن سنة ١٩٣١ وبدار الكتب ثلاث نسخ بأرقام (٤٧٣٠ ، ٤٧٣١ ، ٤٧٣٢ تاريخ) .

**سيبوية المغربى :**

**وأما سيبويه المغربى : أبو الحسن على ابن عبد الله بن إبراهيم الكوفى المغربى المالكى النحوى فقد ولد فى أوائل القرن السابع الهجرى ، وتوفى بالقاهرة يوم الخميس منتصف ربيع الأول سنة ٦٦٧ هـ وكان النحو يغلب عليه حتى فى غزله . ومن شعره :**

**عذبت قلبى بهجر منك متصل**
**يا من هواه ضمير غير منفصل**

ما زال من غير تأكيد صدودك لى
فما عدوالك من عطف إلى بدل

ولمحمد بن طيفور النحوى شعر كهذا

أزال الله عنكم كل آفة
وسد عليكم سبل المخافة
ولا زالت نوائبكم عليكم
كنون الجمع فى حال الإضافة

**سيبويه المصرى :**

تاريخ ميلاده ووفاته

وأما تاريخ سيبويه المصرى فهو أبو بكر محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندى ، ولد بمصر سنة ٢٨٤ هـ أربع وثمانين ومائتين ، وتوفى بها فى صفر سنة ٣٥٨ هـ ثمان وخمسين وثلثمائة وعمره ٧٤ أربع وسبعون سنة قبل دخول القائد جوهر مصر بستة أشهر .

**تأسف القائد جوهر لوفاته**

**وقد تأسف القائد جوهر لما ذكرت له أخباره وقال : لو أدركته لأهديته إلى مولانا المعز — صلوات الله عليه — فى جملة الهدية .**

**فقد كان — رحمه الله تعالى — متحلياً** بصفات المتقدمين والمتصدرين ، عالماً بمعانى القرآن ، وقراءاته ، وغريبه وإعرابه ، وأحكامه ، عالماً بالحديث وبمعانيه ، وغريبه ، والرواة .

ويعرف من النحو والغريب ما لقب من أجله بسيبويه .

لقد جمع بين شارات الزاهدين الورعين الصالحين وأدوات المتأدبين وفكاهة المنادمين ؛ وجالس الإخشيد ووزيره ، وكان مقرباً منهما.

**شهادة أستاذ له :**

وكان مقبلا على العلم ، شديد الرغبة في التحصيل . أدرك ذلك منه أستاذه : أبو جعفر الطحاوى المتوفى سنة ٣٢١ ه فقال له يوماً : «لو كان كل من سمع مني مثلك لما استحللت أن أكتم وكنت أنا أمضى إليهم » .

**نقد سيبويه المصرى المتنبى فى شعره :**

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بد

فقال : هذا كلام فاسد ، لأن الصداقة ضد العداوة ( فلا تجتمعان ) والصداقة من الصدق ولو كان قال :

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى
عدواً له ما من مداراته بد

لكان أحسن وأجود .

ومن شعره فى الوعظ :

من لم يكن يومه الذى هو به
أفضل من أمسه ودون غده
فالموت خير له وأفضل من
حياة سوء تفت فى عضده

وله شعر يجرى على أسلوب ذلكم العصر الذى كان يعيش فيه والذى كانت فيه ريح الأدب راكدة فى مصر .

**طائفة من شعره :-**

فمن شعره فى الشكوى ، والحث على طلب العلم ، وحرية البحث والنظر وكان قد أرسلها إلى أستاذه أبى جعفر الطحاوى :

غاض الوفاء وساءت عشرة الناس
واستحكم اليأس من مرضىٍّ جُلاّسِ
إلا صبابة أقوام كأنهمو
مثل الجواهر فى أحجار أرماس
فما سبيل من الدنيا نهم به
إلا وأرجاؤه مخشيَّة البأس
أما سبيل اطراح العلم فهو على
ذى اللب أعظم من ضرب على الراس
فإن سلكت طريق العلم تطلبه
بالبحث أبْتَ بتكفير من الناس
وإن طلبت بلا بحث ولا نظر
لم تضح منه على اتفاق إمْسَاسِ
وإن ذهبت بلا علم ضللت ولم
تعرف رشادك من غىٍّ وإركاس
وإن قعدت إلى الدنيا لتؤثرها
أضعت دينك فى فقر وإبساس
وإن بقيت بلا علم ولا نشب
ولا تُقىً كنت من أشباه نسناس
فاستر لنفسك إذ حال الأمور كذا
ستر امرئ عالم بالأمر قيَّاس
واختر لنفسك مازادت فواضله
على نواقصه تختر بقسطاس
واقصد إلى العلم لا تبغى به بدلا
فالعلم من أجله كونت فى الناس

وانبذ مقالة من ينهاك عن ظمع
نبذ الطبيب لداء القرحة الآسي

فمن يعش فى أصا من علمه بكذا
قالوا يكن منه فى شك وإلباس

واطلب لنفسك ماعفت مكاسبه
وصان نفسك عن ذل وإلباس

ولا تغرنك الدنيا وزينتها
فإنها فتنة تطغى بوسواس

وقد جمع الحسن بن إبراهيم بن زولاق المتوفى فى ٢٥ ذى القعدة سنة ٣٨٦ معاصر سيبويه المصرى وصديقه ومؤرخ مصر فى القرن الرابع الهجرى، أخبار سيبويه المصرى ونوادره وشعره ونثره فى كتاب سماه «أخبار سيبويه المصرى». ومن هذا الكتاب نسخة بخط المؤلف نفسه «الحسن بن زولاق» يرجع تاريخها إلى القرن الرابع الهجرى وهى من أنفس ماتحتويه دار الكتب المصرية بالقاهرة لأنها تعتبر أقدم مؤلف فى الأدب الإسلامى المصرى من القرن الرابع الهجرى؛ ولأنها بخط المؤلف نفسه، ويرجع تاريخها لنحو ألف عام، وقد طبع لأول مرة سنة ١٣٥٢–١٩٣٣م وصدر بمقدمة للأستاذ: محمد عبد الله عنان المحامى.

## سيبويه البصرى :

وأما سيبويه البصرى — وهو فى الحقيقة موضوع كلامنا وباعث رغبتنا فى الحديث — فهو إمام البصريين وشيخ النحاة أجمعين. وأول من لقب بهذا اللقب، فيما نعلم.

وهو عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بنى الحارث بن كعب ثم مولى آل الربيع بن زياد الحارثى من أصل فارسى ولم يزد مصدر ما، من المصادر التى بين أيدينا على كثرتها على هذه الأسماء الثلاثة: عمرو بن عثمان بن قنبر ولم يختلف اثنان فى ضبط اسمه واسم أبيه: «عمرو بن عثمان» ولكن خلافا حدث فى ضبط اسم جده «قنبر» فقيل هو قَنْبَر كجعفر، وقيل: قُنْبُرُذ كقُنْفُذَة. وقيل قُنَّبَرَة كحُمَّرَة.

وقد جاء ذكر اسمه واسم ابيه واسم جده فى شعر للزمخشرى يترحم عليه فيه:

ألا صلى الإله صلاة صدق
على عمرو بن عثمان بن قَنْبَر

فإن كتابه لم يغن عنه
ذوو قلم ولا أصحاب منبر

وهذا الشعر يتفق والضبط الأول «قَنْبَر» لا الثانى ولا الثالث.

وأما كنيته فهى «أبو بشر» «وأبو الحسن» فله كنيتان، ولكن «أبو بشر» أكثر استعمالا وتداولا ودورانا على الألسنة من أبى الحسن.

وأما «سيبويه» فلقب غلب على اسمه «عمرو» وعلى كنيتيه «أبى الحسن» «وأبى بشر» فاشتهر به وفى توجيه تلقيبه بهذا اللقب أحاديث كثيرة وآراء مختلفة — وأقوال شتى. حسبنا منها هنا ثلاثة:

قال قائل: إنه كان يحب شم رائحة التفاح، تلك كانت خاصة من خواصه ولازمة من لوازمه عرف بها فلقب باسمها. وقال آخر: إنه كانت له رائحة يتطيب بها تشبه رائحة التفاح فلقب بها، وقال ثالث: ان الكلام ليس على حقيقته فلم يكن يحب شم التفاح ولم تكن له رائحة يتطيب بها تشبه رائحة التفاح بل الكلام فيه شيء من التجوز.

والمعروف ممن شاهدوا سيبويه ورأوه رأى العين وخالطوه وعاشروه أنه كان شابا ظريفا لطيفا جميلا فلقب بذلك لظرفه وجماله ولطفه.

قال إبراهيم الحربي المولود سنة ١٩٨ المتوفى ببغداد سنة ٢٨٥ هـ (القفطى ج ١ ص ١٥٥-١٥٨ والسيوطى ١٧٨): سمى سيبويه لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحتان وكان فى غاية الجمال.

وقيل إن أمه هى التى وضعت له هذا اللقب، فكانت ترقصه به فى صغره فلازمه فى كبره.

**تاريخ ميلاده:**

لم يعرف بالضبط تاريخ ميلاده وكل ماذكره المؤرخون فى هذا المقام لايفيد إلا الظن «وإن الظن لايغنى من الحق شيئاً».

**مكان ولادته:**

أما مكان ولادته فمدينة من مدن فارس قرب شيراز تسمى «البيضاء» وهى بلدة الحسينى الحلاج المتصوف المشهور والقاضى البيضاوى المفسر الشهير وجماعة آخرين من العلماء والقراء والصوفية والفقهاء ذكرهم ياقوت فى كتابه معجم البلدان عند كلامه عن البيضاء.

وقد ترك سيبويه البيضاء مسقط رأسه وهو صغير السن فى سن لاتستطيع تحديدها وذهب إلى البصرة التى كانت مزدهرة بالعلم غنية بالعلماء ومالت نفسه إلى دراسة الفقه والحديث على إمام الحديث، وشيخ أهل البصرة: «حماد بن سلمه» بن دينار النحوى اللغوى مولى ربيعة بن مالك الامام المشهور وكان حماد هذا إماما فاضلا تقيا صالحا ورعاً زاهدا حجة ثقة فصيحا بليغا (توفى فى ذى الحجة سنة ١٦٧ سبع وستين ومائة) شهد له يونس بن حبيب النحوى فقال: (كان حماد رأس حلقتنا ومنه تعلمت العربية) وشهد له الجرمى فقال: «مارأيت أفصح منه» وفيه يقول أبو محمد يحيى بن المبارك الزيدى:

يا طالب النحو ألا فابكه
بعد أبى عمرو وحماد

**ومن كلمات حماد المأثورة عنه:**

«من لحن فى حديثى فقد كذب على» ومنها «مثل الذى يطلب الحديث ولايعرف النحو مثل حمار عليه مخلاة ولاشعير فيها».

ويحدثنا التاريخ عن مسألتين لسيبويه مع حماد بن سلمة.

الأولى :

سأله سيبويه يوماً فقال : أحدثك هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رعف فى الصلاة؟

فقال حماد : أخطأت ياسيبويه إنما هو رعف ، فانصرف سيبويه إلى الخليل شاكياً مالقيه به حماد فقال الخليل لسيبويه : « صدق حماد » أمثله يلقى بمثل هذا المعنى ؟

الثانيـة :

كان سيبويه يستملى يوماً على حماد ، فقال حماد : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ما من أحد من أصحابى إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء ، فظن سيبويه أن حماداً لحن فى حديثه فاستعمل المنصوب مكان المرفوع ، فرد على حماد قائلا : ليس أبو الدرداء . فقال حماد : لحنت ياسيبويه : « ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه « لا جرم لأطلبن علماً لا تلحننى فيه أبداً . » وفى رواية أخرى : « لا جرم لأطلبن علماً لا يلحننى فيه أحد » .

تلك هى المسألة التى حركت فى نفس سيبويه الرغبة الشديدة فى تعلم النحو فعنى به، وأقبل عليه وتفرغ له وانقطع إليه حتى بلغ الغاية منه .

فضرب به المثل فى التبريز فى النحو والعلم بدقائقه ، وتفاصيله ، وأسراره ، وغريبه ، والتصرف فى أحكامه فغطى اسمه على أسماء الذين تقدموه من العلماء وإن كانت لهم فيه أسرار محمودة ، ولهم فضل السبق .

وأصبح لفظ سيبويه رمزاً للعالم بدقائق علم النحو ، الخبير بأسراره ، المتصرف فى مسائله الذى لا تخفى عليه منه خافية .

وما زال اسمه فى النحو واللغة كحاتم فى الجود ، وكقس فى الفصاحة أى أنه صار المثل الأعلى فى بابه وصار أعلم أهل عصره واستحق بجدارة لقب ؛ ( إمام البصريين بل شيخ النحاة أجمعين ) .

**شـــهادة ابن خلدون لابن هشـــام صريحا لسيبوية ضمنا :**

ولما بلغ ابن خلدون خبر جمال الدين بن هشام ، النحوى المصرى ، وأراد أن ينوه باسمه بفضله قال : مازلنا نسمع — ونحن بالمغرب — أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له : « ابن هشام أنحى من سيبويه » .

**ومن شعر لقطرب :**

فأعلم بالنحو من سيبويه
وأجود بالمال من حاتم

ونحن مازلنا نسمع ونقرأ فى كتب الأدب والتاريخ ، عند وصف عالم نحوى لغوى فيقال : هو سيبويه زمانه وفريد — عصره وأوانه .

**شيوخ سيبويه :**

أشهر شيوخ سيبويه الذين اتصل بهم ، وأفاد منهم بعد حماد بن سلمة الذى قدمنا ذكره خمسة : وهم بحسب ترتيب سنة وفاتهم :

١ — عيسى بن عمر الثقفى المتوفى سنة ١٤٩ هـ وكنيته أبو سليمان ، ويقال :

« أبو عمر » و أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن إسحاق . وكان حجة ، ثقة ، عالماً بالعربية ، والنحو ، والقراءات . قراءته مشهورة ، وكان فصيحاً ، يتقعر في كلامه ، ويعدل عن السهل من الألفاظ إلى الوحشي منها والغريب . وقد حكى أنه سقط مرة عن حماره فاجتمع حوله الناس ، فقال لهم : مالكم تكأكأتم عليَّ ، كتكأكئكم على ذي جِنَّة ؟ إفرنقعوا عني . أي مالكم اجتمعتم عليَّ كاجتماعكم على رجل مجنون ؟ إنصرفوا عني . وقد ألف في النحو كتابين : « الإكمال » و « الجامع » قال السيرافي في كتابه : « أخبار النحاة البصريين » : لم يقعا إلينا ولا رأينا أحداً ذكر أنه رآهما . وفيها يقول تلميذه الخليل :

ذهب النحو جميعاً كله
غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع
فهما للناس شمس وقمر

قال تاج الدين ابن مكتوم[*]: لفظ أحدث ليس بجيد ، ولو قال : غير ما ألف أو صنف أو أبدع لكان أجود .

٢ ــ الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن الفراهيدي أو الفرهودي ، صاحب كتاب العين ، وواضع علم العروض المولود سنة ١٠٠ هـ والمتوفى سنة ١٧٥ هـ وكنيته « أبو عبد الرحمن » نحوي لغوي عروضي استنبط من العروض، وعلله مالم يستخرجه أحد ، ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم . وكان يقول : إن لم تكن هذه الطائفة ــ يعني أهل العلم ــ أولياء الله فليس له ولي » . قيل : إنه دعا بمكة أن يرزق علماً لم يسبقه إليه أحد ولا يؤخذ إلا عنه فرجع من حجه ، ففتح الله عليه بالعروض .

كان الخليل ــ رحمه الله من الزهاد في الدنيا المعرضين عنها ، وكان عفيف النفس ، لا يميل إلى صحبة الملوك والأمراء .

روى أن سليمان بن حبيب بن المهلب كان والياً على الأهواز وكان له على الخليل رزق جار فوجّه إليه يوماً رسولا يلتمس منه الشخوص إليه لتأديب ولده ، فاخرج الخليل إلى الرسول خبزاً يابساً وقال له : كل فما عندي غيره ، وما دمت أجده فلا حاجة لي إلى سليمان . قال له الرسول : فما أبلغه ؟ فأنشأ يقول :

أبلغ سليمان أني عنه في سَعَة
وفي غِنًى غير أني لست ذا مال
شُحًّا بنفسي إني لا أرى أحداً
يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه
ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال
فالرزق عن قدر لا الضعف ينقصه
ولا يزيدك فيه حول محتال

فلما بلغ سليمان قطع عنه ما يجريه عليه فقال :

إن الذى شق فمى ضامـــن
لى الرزق حتى يتـوفانى
حرمتنى مالا قليـــلا فمـا
زادك مـــالك حرمانى

فبلغت هذه المقالة سليمان فأقامته وأقعدته وكتب إلى الخليل يعتذر إليه وضاعف له جائزته فقال الخليل :

وذلة يكثر الشيطان إن ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخير زل عن يده
فالكوكب النحس يسقى الأرض أحياناً

وروى ابن خلكان أن الخليل كان يقطع بيتاً من الشعر فدخل عليه ولده فى تلك الحال فخرج إلى الناس وقال : إن أبى قد جن فدخل الناس عليه وهو يقطع بيتاً فأخبروه بما قال ابنه فقال له :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى
أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى
وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

قال وهب بن جرير : كان الخليل ابن أحمد كثيراً ما ينشد بيت الأخطل

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد
ذخراً يكون كصالح الأعمال

واجتمع الخليل بن أحمد وابن المقفع ليلة يطولها يتذكران وافترقا فسئل الخليل عن ابن المقفع فقال : رأيت رجلا علمه أكثر من عقله . وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل؟ فقال : رأيت رجلا عقله أكبر من علمه والخليل هو استاذ سيبويه الأول — حكى سيبويه الكثير من المسائل عنه . وكلما قال سيبويه فى كتابه : وسألته أو قال : قال من غير أن يذكر الفاعل فانما يعنى بذلك الخليل — فإذا حكى قولا عن الخليل ثم أردفه بقوله : وقال غيره يعنى بذلك نفسه . وهذا مظهر من مظاهر أدب سيبويه مع أستاذه .

وكان الخليل يجله ويكرمه . قال ابن النطاح : كنت يوما عند الخليل فأقبل سيبويه فقال الخليل : مرحباً بزائر لا يمل قال أبو عمر المخزومى وكان كثير المجالسة للخليل : وما سمعت الخليل يقول لأحد إلا لسيبويه ، والخليل هو القائل :

اعمل بعلمى ولا تنظر إلى عملى
ينفعك علمى ولا يضررك تقصيرى

٣ — الأخفش الأكبر وهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد المتوفى سنة ١٧٧ هـ وكان دينا ورعا ثقة .

وكان إماما فى العربية ، أخذ عنه سيبويه والكسائى ويونس وأبوعبيدة وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ؛ ولكن كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها وتقل عنه كثيرا فى كتابه فقال : وسألت أبا الخطاب

ولايفوتنا أن نذكر هنا أن فى النحاة أحد عشر نحويا يلقب كل منهم بالأخفش . أحدهم هذا وهو الملقب بالأخفش الأكبر وأما الأخفش الأوسط فهو سعيد بن مسعدة المتوفى سنة ٢١٠ أو ٢١٥ او سنة ٢٢١ تلميذ سيبويه ، وناشر كتابه بعده وهو المراد فى كتب النحو عند الإطلاق . وأما الأخفش الأصغر فهو على بن سليمان ابن الفضل المتوفى بسنة ٣١٥ هـ ببغداد ٨٠ عاماً .

**٤ – يونس بن حبيب :**

ويونس بن حبيب البصرى المتوفى سنة ١٨٢هـ فى زمن هارون الرشيد ( من أكبر النحويين أخذ عن أبى عمرو بن العلاء وسمع من العرب وكانت له حلقة بالبصرة يختلف إليها سيبويه إمام البصريين والكسائى إمام الكوفيين : والفرّاء وأبو زيد الانصارى وخلف الأحمر وغيرهم

قال أبو زيد الأنصارى : جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين ، وجلس إليه قبلى خلف الأحمر عشرين سنة حكى عنه سيبويه كثيرا فى كتابه وكان منقطعا للدرس والتحصيل . عاش تسعين سنة أو مائة سنة لم يتزوج ولم يتسرّ .

وقال يونس : فرقة الأحباب سقم الألباب . وأنشد :

شيئان لوسكب الدماء عليهما
عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغاالمعشاد من حقيهما
شرخ الشباب وفرقة الأحباب

**٥ – أبو زيد الانصارى سعيد بن أوس :**

أخذ عن أبى عمرو بن العلاء وهو نحوى لغوى أديب . وغلبت عليه اللغة والغريب والنوادر وكان ثقة . وإذا قال سيبويه فى كتابه : سمعت الثقة فانما يعنى أبا زيد هذا ويروى عن أبى عبيدة والأصمعى أنهما سئلا عن أبى زيد الأنصارى فقالا : « ماشئت من عفاف وتقوى وإسلام » توفى سنة ٢١٥هـ فى خلافة المأمون وقد جاوز التسعين . وقد عد ياقوت من مؤلفاته ٣١ مؤلفاً أشهرها ( كتاب النوادر ) .

**تلاميذ سيبويه :**

١ – أبو الحسن سعيد ابن مسعدة الملقب بالأخفش الأوسط وهو المراد عند الإطلاق فى كتب النحو وهو أحد أئمة البصرة : أخذ عمّن أخذ عنه سيبويه لأنه أسنّ منه ، وكان كثير المخالطة لسيبويه عالما بأسرار كتابه ، وله الفضل فى نشره فقد مات سيبويه فى عنفوان شبابه ولم يعرف عنه أنه قرأ كتابه على أحد أو أن كتابه قرئ عليه فكان سعيد بن مسعدة هو الطريق إلى نشر كتابه وقد قرأه عليه أبو عمر الجرمى وأبو عثمان المازنى وقرأه عليه الكسائى سراً ودفع له سبعين دينارا توفى سنة ٢١٠ أو ٢١٥ أو ٢٢١هـ ووكل إليه أمر تأديب أولاده وكلفه بتأليف كتابه فى معانى القرآن فألفه فجعله الكسائى إمامه وجعل عليه كتابا فى المعانى . وعمل الفراء كتاباً فى

ذلك عليهما وهو الذى طبعته حديثا دار الكتب المصرية ه

**قطرب :**

وهو ابو على محمد بن المستنير البصرى المتوفى سنة ٢٠٦ ه ببغداد أخذ النحو عن سيبويه وعيسى بن عمر وغيرهما ، وكان سيبويه يخرج من منزله بالأسحار فيراه على بابه فيقول له : إنما أنت قطرب ليل ومن معانى قطرب كذا فى القاموس : اللص والذئب ودويبة تدب ولا تحمل ومن شعره :

إن كنت لست معى فالذكر منك معى
يراك قلبى إذا ماغبت عن بصرى
والعين تبصر من تهوى وتفقده
وباطن القلب لايخلو من النظر

وكان له شعر من أجود شعر العلماء على قلته فمنه ماروى أن أبا القاسم المهلبى وكان من تلاميذ قطرب جعل لقطرب جعلا على أن يقدمه على نفسه ، ويقر له بالعلم ويقول فى ذلك شعراً فأجابه إلى ذلك قطرب وقال :

ذا ما أقر به قطرب
على نفسه لأبى القاسم
وأشهد هود وحيهما عليه
وأشهد غزوان مع عاصم

بأن قال قد بذنى فى القياس وصيرت فى يده خاتمى .

فأعلم بالنحو من سيبويه وأجود بالمال من حاتم
لديهته عند رد الجواب
تزيد على فطنة العالم
فصرت على السن تلميذه
وصار أبو قاسم عالمى

**المناظرة بين سيبوية والكسائى :**

قدم سيبويه إلى العراق على يحيى بن خالد البرمكى . فسأله عن خبره فقال : جئت لتجمع بينى وبين الكسائى فقال : لاتفعل فإنه شيخ مدينة السلام وقارئها ومؤدب ولد أمير المؤمنين وكل من فى المصر له ومعه ،

فأبى إلا أن يجمع بينهما ، فعرف الرشيد خبره فأمر بالجمع بينهما فوعده بيوم ، فلما كان ذلك اليوم غدا سيبويه وحده إلى دار الرشيد فوجد الفراء والأحمر ، وهشام بن معاوية ومحمد بن سعدان قد سبقوه فسأله الأحمر عن مائة مسألة فما أجاب منها بجواب إلا قال له الأحمر : أخطأت يا بصرى فوجم سيبويه وقال : « هذا سوء أدب » ووافى الكسائى وقد شق أمره عليه ومعه خلق كثير من العرب فلما جلس قال له : يابصرى كيف تقول . خرجت وإذا زيد قائم قال خرجت فإذا زيد قائم قال دق جوزان ؟ قال : لا قال الكسائى ، كيف تقول : قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هى أو فإذا هو إياها ؟ قال سيبويه فاذا هو هى ولا يجوز النصب . فقال الكسائى لحنت وخطأه الجميع . وقال الكسائى : العرب ترفع ذلك كله وتنصبه .

ودفع سيبويه قوله ، فقال يحيي بن خالد : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما . وهذا موضع مشكل فمن يحكم بينكما ؟ فقال الكسائى . هذه العرب ببابك قد جمعتهم من كل أدب ووفدت عليك من كل صقع وهم فصحاء الناس وقد قنع بهم أهل المصرين وسمع أهل البصره والكوفة منهم فيحضرون ويسألون فقال يحيى وجعفر : قد أنصفت وأمر باحضارهم فدخلوا وفيهم أبو فقعس وأبو رثار وأبو ثروان فسئلوا عن المسائل التى جرت بينهما فتابعوا الكسائى فأقبل يحيى على سيبويه فقال قد تسمع أيها الرجل فانصرف المجلس على سيبويه وأعطاه يحيى عشر آلاف درهم وصرفه، فخرج وصرف وجهه تلقاء فارس، وأقام هناك حتى مات غما بالذرب ولم يلبث إلا يسيراً ولم يعد إلى البصرة .

وفى بعض الروايات أن الكسائى بعد أن تيقن بالغلبة قال للوزير : أصلح الله الوزير لقد وفد عليك من بلده مؤملا فإن رأيت ألا ترد خائبا، فأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم .

**مرض سيبوية وموته :**

لقد كان وقع الهزيمة على نفس سيبويه شديداً فقد كانت مؤامرة حيكت له. ويقال إنه سأل بعدها عمن يرغب فى النحو من الملوك فقيل له : طلحة بن طاهر فشخص إليه بخراسان فاشتد عليه المرض وهو فى الطريق فمات. ولكن ماتاريخ وفاته ؟

وفى أى مكان توفى ؟ لم يتفق المؤرخون على شئ فى هاتين النقطتين فقد قيل : إنه مات سنة ١٦١ هـ أى إحدى وستين ومائة . وقيل سنة ١٧٧ هـ سبع وسبعين ومائة، وقيل سنة ١٨٠ ثمانين ومائة . وقيل سنة ١٩٤ هـ أربع وتسعين ومائة، وعمره اثنتان وثلاثون سنة وقيل نيف وأربعون سنة .

**مكان قبره : البيضاء ،البصرة، ساوه ،شيراز**

وقد اختلف أيضاً فى تعيين المكان الذى مات فيه . فقيل ، مات بالقرية التى ولد فيها « البيضاء » وقال ابن قانع : مات بمدينة البصرة ، وقال ابن الجوزى : مات بمدينة ساوه » وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد عن ابن دريد أن سيبويه مات بشيراز وأن قبره بها . ورجح هذا القول ، لأن ابن دريد خبير بأخبار البصريين وثقة فيها. وقد أقام كثيرا بفارس .

**البيت الذى كان كثيرا ماينشده :**

وكان سيبويه كثيرا ما كان ينشد هذا البيت.

إذا بل من داء به ظن أنه
نجا وبه الداء الذى هو قاتله

**شعره وقت أن جاد بنفسه :**

ولما مرض سيبويه — رحمه الله تعالى — مرضه الذى مات فيه جعل يجود بنفسه ويقول :

يؤمل دنيا لتبقى له
فمات المؤمل قبل الأمل
حثيثا يروى أصول النخيل
فعاش الغسيل ومات الرجل

**قوله عند بكاء أخيه عليه :**

ولما اعتقل سيبويه وضع رأسه فى حجر أخيه فبكى أخوه لما رآه على مابه فقطرت من عينه قطرة على وجه سيبويه ففتح عينيه فرآه يبكى فقال :

أخيين كنا فرق الدهر بيننا
إلى الأمد الأقصى ومن يأمن الدهرا؟

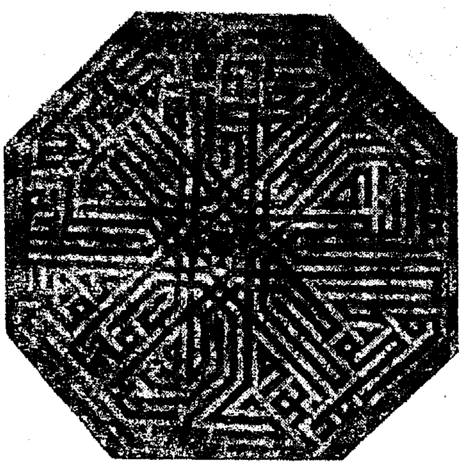
**ما كتب على قبره :**

قال الأصمعى : قرأت على قبر سيبويه بشيراز هذه الأبيات وهي لسليمان بن زيد العدوى :

ذهب الأحبة بعد طول تزاور
ونأى المزار فأسلموك وأقشعوا
تركوك أوحش ما تكون بقفرة
لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا
قضى القضاء وصرت صاحب حضرة
عنك الأحبة أعرضوا وتصدعوا

وقد أردت أن أزور قبر سيبويه حينما كنت فى إيران سنة ١٩٧١ ولكن اعتذر لى القائم بشئون الأوقاف إذ ذاك، وهو السيد حسين عصار، بأن المكان ليس على استعداد لهذه الزيارة، ووعد بأن يهيء لى هذه الزيارة حينما يتم إقامة المسجد على قبره فى فرصة قريبة بدعوة لاحقة. وقد تم مهرجان سيبويه ولم أدع مع الأسف إليه . وقال لى سفير إيران بالقاهرة السيد بهرام بهرامى : إن السيد حسين عصار كان قد عين فى وظيفة بتركيا حين انعقاد المهرجان ووعد بأن يهيئ لى هذه الزيارة فى فرصة قريبة.
رحم الله سيبويه، وأبقى ذكره فى العالمين .

**محمد الفحام**
عضو المجمع



# العروبة في شعر أبي تمام

## للدكتور شوقي ضيف

**منشأ** أبي تمام حبيب بن أوس ومَرْباه في دمشق إحدى دور العروبة من قديم ، وهو من أبناء طيء القبيلة اليمنية العربية التي نزلت في العصر الجاهلي شمالي نجد . واتخذت الفصحى لساناً لها . وحاول أن يلقي ظلا من الشك على نسبه بعضُ معاصريه ، فزعم أن أباه كان نصرانياً اسمه تدوس وأنه حَرَّفه إلى أوس وانتسب في طيء ، وتمادى هذا الزعمُ بمرجليوث فقال لعل تدوس محرفه عن تيودوس . وتبعه بعض الباحثين المعاصرين فزعم أنه يوناني الأصل ، وقال بروكلمان : بل هو سرياني .

وهي مزاعم مبنية على اتهام باطل لبعض شانئيه ممن عاصروه : أن أباه اسمه تدوس . وهو اتهام ينقضه نقضاً كل من ترجموا لأبي تمام من المؤرخين الثقات إذ أجمعوا على أنه طائي صليبة .

وإذا تصفحنا ديوانه وجدنا شواهد كثيرة تقطع بعروبته وأنه ينحدر من أصول طائية يمنية ، من أهمها أنه اختار في مطالع حياته ممدوحيه ومن يقدم إليهم قصائده إما من طيء قبيلته الدنيا وإما من قبائل اليمن الأخرى ، إذ نراه يرحل إلى حمص ويلزم بني عبد الكريم الطائيين وبعض أبناء كندة اليمنيين ، ويصور شعوره المضطرم حينئذ بيمنيته وطائيته في قوله لعمر بن عبد العزيز الطائي الحمصي :

هل أَوْرَقَ المجدُ إلا في بني أُدَدٍ أَواجْتُنِي منه لولا طَيِّئٌ ثَمَرُ

لولا أَحاديثُ أَبقتْها مآثِرُنا من النَّدَى والرَّدى لم يُعْجِب السَّمَرُ

وبنو أدد هم أبناء كهلان القحطانيون يرمز بهم إلى جميع القبائل اليمنية ، فلولا تلك القبائل وقبيلة طيء ما أورقت في رأيه شجرة المجد الباسقة ولا أثمرت .

ولولا مآثر تلك القبائل جميعاً التى سارت بها الركبان فى الكرم والشجاعة ما وجد السمار مادة لأحاديث السمر الطريفة. ويشدّ رحاله من حمص والشام إلى مصر، فيولّى وجهه نحو عياش بن لَهيعة الحَضْرمى اليمنى صاحب الخراج بها دون سواه، لما بينهما من أواصر النسب، ويعلن إليه ذلك مجاهرًا به مفاخرًا :

وأنت بمصرٍ غـايتى وقَرابتى
بها وبنـو الآباء فيها بنو أبى

فابن لهيعة وكل أفراد اليمن بمصر أهله وقرابته وأشقاؤه فى الأُبوة والنسب. ويفخر فخرًا مضطرماً فى القصيدة بملوك اليمن وأَقْيالها الأَقدمين. وهو يردد هذا الفخر طويلا فى أشعاره، صادرا فيه عن ذات نفسه، مجلجلا به حتى لكأنما يريد أن يملأ به الدنيا جلجلة وضجيجاً على شاكلة قوله :

أنا ابن الذين استُرضع الجودُ فيهمُ
وسمِّىَ فيهم وهْـو كهـلٌ ويافعُ
مَضَوْا وكأَنَّ المكرماتِ لديهمُ
لكثرة مـا أَوْصَوْا بهنَّ شرائـعُ
بهاليـلُ لو عاينْتَ فيض أكفِّهم
لأَيقنتَ أن الرزق فى الأَرضِ واسعُ

ولم تمدح طيىء ولا مُدحت اليمن بمثل هذا الشعر، ولا استشعر أحد من أبنائهما مفاخر قومه على نحو ما استشعرها أبو تمام فلو أن مؤرخيه لم ينصوا على يمنيته وطائيته لكان فى هذه الأشعار وما يماثلها مما يصدر فيه صدورًا طبيعيًّا عن دخائل نفسه وأعماق قلبه الدليلُ الحىُّ على أرومته الطائية اليمنية الأَصيلة .

وأبو تمام لايستشعر يمنيته وطائيته فى أشعاره فحسب، بل أنه يستشعر أيضاً فى قوةٍ عروبتَه التى تجمع قبائل قحطان وعدنان جميعاً، لافرق بين قبيلة وقبيلة . وقد كان الشعراءُ من قبله ألسنة قبائلهم يسجِّلون مفاخرها ويذيعون مآثرها، أما هو فبدأ مثلهم بهذه المشاعر ثم أخذت تتسع فى نفسه وتتعمق، حتى شملت جميع القبائل اليمنية والعدنانية ويصور ذلك فى بعض قصائده بقوله :

وإن يك من بنى أُدَدٍ جَنـاحى
فإنَّ أثيثَ ريشى مِنْ إيـادِ

وواضح بأنه يجاهر بأن اليمن التى رمز إليها بأُدد إن كانت هى التى أنبتت جناحه فإن عدنان التى رمز إليها بإياد

هى التى أنبتت ريشه فى جناحه وأتاحت له القوة على النهوض والطيران .

ويُكرمه جواد كريم هو محمد بن الهيثم فيشكره بقصيدة بائية يتمنى فيها لو أن قبائل مذحج وطيء وقضاعة اليمنية وقبائل تميم والرِّباب وقيس المضرية وقبائل ربيعة شكرته جميعها عنه . وكأنما يشعر فى ضميره أنه يمثل كل قبائل العرب يمنية وغير يمنية ، أو قل كأنما يشعر شعورا متأصلا بعروبته وجميع جذورها وأُصولها الجنوبية والشمالية فى الجزيرة العربية .

ويقول التبريزى شارحه إنه ذكر غير طيء قبيلته القبائلَ من جميع العرب لأن الإصهار فى القبائلَ وتزوُّج بعضهم من بعض صيَّر بينهم أسباباً من الخئولة والعمومة . ونضيف إلى قوله أن أبا تمام إنما كان يصدر فى ذلك عن شعور متأصل فى طواياه بوحدة العرب مهما اختلفت قبائلهم وتوزعت بين يمنية وعدنانية . ويتسع هذا الشعور فى ضمير أبى تمام ، فإذا هو يحس فى قوة هذه الوحدة لا بين القبائل العربية وحدها فحسب . بل أيضاً بين بلدان العالم العربى من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق ، وبذلك يصبح السابقَ غير منازع إلى الإحساس بهذا الشعور العام الذى يؤمن به كل عربى اليوم ، فجميع البلدان العربية حصونٌ ضخمة للعروبة وكل من يعيش فيها من أبناء الضاد التى تصل الروح بالروح ، ويتعمقه هذا الشعور فيهتف :

بالشام أَهلى وبغدادُ الهوى وأَنا
بالرَّقَّتَيْنِ وبالفُسْطاطِ إخـوانى

وما أَظن النَّوى ترضى بما صنعتْ
حتى تُشافه بى أَقصى خُراسان

فأَهله بالشام وأَحبابه ببغداد ، وهو فى الرقَّة وإخوانه فى الفسطاط ، وعينه طامحة إلى الاكتحال برؤية بقية أقربائه فى خراسان . وكأنما كانت إقامته فى الرقة التى أشار إليها فى البيتين إرهاصاً منه لإقامته الخالدة بين أهله وخلانه .

وعلى هذا النحو كلما أنعمنا النظر . فى ديوان أبى تمام وجدناه يكتظ بمشاعر العروبة التى تروق وتروع ، وقد دفعه ذلك إلى استظهار أمجادها فى القديم والحديث والتغنى بها غناءً لايجفُّ معينه . ويصور ذلك من بعض الوجوه أن نراه يمدح خالد ابن يزيد الشيبانى والى الموصل للمأْمون

فتلمع فى مخيلته موقعة أسلافه الشيبانيين فى يوم ذى قار الذى انتصرت فيه شيبان على الفرس قبل الإسلام ، وكأن ذلك كان إيذاناً بما سيحدث عما قليل من تقويض العرب لدولتهم. ويرفع الموقعة أبو تمام شعارا لهذا المجد الحربى القديم قائلا :

لهم يومُ ذى قارٍ مضَى وهْو مفردٌ
وحيدٌ من الأشباه ليس له صَحْبُ

به علمتْ صُهْبُ الأعـاجمِ أنّه
به أعربتْ عن ذات أنفسها العُرْبُ

هو المشهد الفصْلُ الذى ما نجَا بهِ
لكسرى بنِ كسرى لاَسَنامٌ ولاصُلبُ

وواضح أنه لايضع هذا النصر الحربى العظيم على مفرق شيبان وحدها ، بل يضعه على مفرق العرب ورءوسهم قاطبة ، إنه يوم فخار من أيام العروبة المجيدة ، روّعتْ فيه الفرسَ بما أذاقتهم من البطش والنكال وبما صَبّتْه على ملكها كسرى من الهزيمة والاندحار .

ويحس أبو تمام أن من واجبه أن يمنح العروبة لسانه وقلمه ، وأن يعيش معها فى جهادها الحربى ونضالها العنيف ضد أعدائها الثائرين عليها من مثل بابك وأتباعه الخُرّميّة فى أرمينية وأذربيجان ومثل أعدائها الآخرين من الروم المغيرين من آسيا الصغرى .

وكان بابك قد هزم كثيراً من الجيوش العربية وامتنع بالجبل المعروف باسم البَذّ ، وفى سنة ٢١٤ للهجرة يفاجأ أبو تمام ويفاجأ معه العالم العربى بفتكه بقائد من قواد العرب العظام هو محمد بن حميد الطوسى الطائى . وتَنْصِب له الأُمة المآتم فى كل مكان ، وتبكيه بدموع غزار. وتهول أبا تمام الكارثة ويمتلئ قلبه حسرة وحزناً ولوعة ، فيغمس طرف ردائه فى مداد شديد السواد ويلطخ به وجهه وجدًا وجزعاً على البطل العربى ويرثيه برائيته الخالدة هاتفاً :

فتى مات بين الطَّعْن والضَّرْبِ ميتة
تقوم مقامَ النصر إذ فاته النَّصْرُ

وما مات حتىَّ مات مضربُ سيفهِ
من الضَّرْبِ واعتلَّتْ عليه القَنا السُّمْر

فأثبتَ فى مُسْتنقع الموت رِجْله
وقال لها من تحت أَخْمَصِك الحَشْرُ

مضى طاهرَ الأثوابِ لم تبق روْضةٌ
غداة ثوَى إلا اشتهتْ أنها قَبْرُ

وليس هذا رثاءً إنما هو تمجيد لايدانيه تمجيد فى رثاء الأبطال الذين يَفْدون

شعوبهم بمهجم وأرواحهم ، فيكتبون لها بذلك نصرًا مؤزرًا . فابن حميد لم يهزم ولم يفر جبناً من حرب بابك ، بل أقدم إقداماً لايشبهه إقدام ، وفتك بالأعداء فتكاً لايشبهه فتك ، حتى تقصفت السيوف والرماح فى يده ، وهو ثابت فى مستنقع من الدماء حتى الموت الزؤام . وابن حميد بذلك مثال للشجاعة التى ليس بعدها شجاعة والبطولة التى ليس بعدها بطولة ، بطولة تحلّ محل النصر الذى فاته ، وحتى لتتمنى كل روضة مزهرة لو أنها ضَمَّت فى حشاها جثمانه الطاهر. وحقا ما قاله أبو دلف لأبى تمام : « لم يمت من رُثى بمثل هذا الشعر » وأى رثاء ! لقد أحال استشهادَ ابن حميد فى المعركة الخاسرة نصرًا باهرًا ، حتى يتأسى به الشباب العربى المعاصر له فى بذله لروحه وتضحيته بنفسه فى سبيل قومه . وكان جزاءً وفاقاً لأبى تمام أن بَنِىَ بنو حميد أبناء الشهيد وأهله قُبَّة بعد وفاته على قبره ، أداءً لبعض حقه .

ويصبح أبو تمام منذ هذا التاريخ لساناً للعروبة التى كانت تتفجر ينابيعها فى قلبه ، لساناً يعبر عن انتصاراتها الحربية ويصوغها لها أناشيد مجلجلة ، أناشيد كالرعد القاصف تنذر الأعداء بالويل والثبور والهلاك والدمار . وكان نافذ البصيرة فرأى أن لاينظمها بعيدًا عن ساحات الحرب ، وإذا هو يصنع صنيع مكاتبى الصحف الحربيين لعصرنا ، فيرافق الجيوش حتى يرى الوقائع تحت بصره ، ويرى ما يأخذ به قوادها وجنودها البواسل أنفسهم من الصبر والجلد واحتمال ما يطاق وما لا يطاق حتى يذيقوا الأعداء بأسهم ويمزقوهم شر ممزق . ويأخذ فى النظم نظم المشاهد المعاين مبتهجاً بالنصر المبين. وأولى معارك هذا النصر التى شهدها وسجلها أناشيدَ لأُمته العربية المنتصرة معاركُ المأمون مع تيوفيل إمبراطور الروم وما أخذ ينزله به منذ سنة ٢١٥ للهجرة من هزائم ساحقة كال له فيها هو وجنوده ضربات قاصمة . وكان أكبرها وأشدها هولا معارك سنة ٢١٨ ، إذ لم يكد المأمون يبلغ نهر البُدَنْدون فى الجنوب الغربى لآسيا الصغرى حتى وفد عليه رسول من تيوفيل ، جاءه مسرعاً يعرض عليه فى ذلة وانكسار إحدى ثلاث : إما أن يرضى بأن يأخذ كل ما أنفقه فى طريقه على جيشه ويعود

دون حرب ، وأما أن يرضى بأن يردَّ له ما لدى الروم من أسرى المسلمين دون فداء ، وإما أن يرضى بتعهد الروم أن يصلحوا كل ما أفسدوا من ثغور المسلمين .

ويجيبه المأمون غاضباً : قل لتيوفيل : أما قولك ترد على نفقة الجيش فإنى سمعت الله تعالى يقول فى كتابنا حاكياً عن بلقيس : ( وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتُمدُّونَنِ بمال فما آتانىَ اللهُ خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ) .وأما قولك تخرج كل أسير من المسلمين فى بلد الروم فما فى يدكم إلا أحد رجلين : إما رجل طلب الله عز وجل والدار الآخرة فقد صار إلى ما أراد ، وأما رجل يطلب الدنيا فلا فَكَّ الله أسره . وأما قولك تعمر كل بلد للمسلمين خَرَّبته الروم فلو أنى قلعت أقصى حجر فى بلاد الروم ما اعتضت ذلك بامرأة عثرتْ عثرة فى حال أسرها فصرخت : وامحمداه ! وامحمداه ! . ثم صاح برسول تيوفيل : عُدْ إلى صاحبك فليس بينى وبينه إلا السيف . والتفت إلى من معه قائلا : اضربوا الطَّبْل إيذاناً بتحرك الجيش الجرار إلى الحرب. وضُرب الطبل

وتقدم الجيش يزلزل الأرض زلزالا عنيفاً بما أشاع المأمون فى روحه من الحماسة ، ويجتاح حصون الروم حصناً من وراء حصن وهم لايملكون له ردًّا ، وتيوفيل ينتفض خوفاً وهلعاً . وكل ذلك بمرأى من أبى تمام وتحت بصره وسمعه ، وكأنما عاد إلى العروبة مجدها الحربى القديم فى الفتوح ، وتغمره نشوة هذا النصر العظيم ، ويتغنى به وببسالة تلك الجموع العربية التى محقت الروم عند كل حصن محقاً ذريعاً ، قائلا :

تَخِذوا الحديدَ من الحديد معاقلًا
سُكَّانها الأرواحُ والأجسامُ
مُسْترسلين إلى الحُتوف كأنما
بين الحُتوفِ وبينهم أرْحامُ
آسادُ موتٍ مُخْدِرات مالها
إلا الصوارمَ والقَنا آجامُ
فى مَعْركٍ أما الحِمامُ فمُفْطِرٌ
فى هَبْوَتَيْهِ والكُماةُ صِيامُ

فهم دائماً يعيشون تحت ظلال السيوف والرماح ، ودائماً يقتحمون ميادين الحروب للفتك والأقدام ومنازلة الأقران وكأنما بينهم وبين الموت الأحمر وشائج قرابة ،

فدائماً يسقون أعداءهم كئوسه وسمومه القاضية ، وكأنهم أُسْدٌ أَجَماتها رماح وسيوف مُشْرَعة ماتنى تنشب أظفارها فى فرائسها حتى تلفظ أنفاسها ، أسد صائمة لاتهم بأكل ولا بشرب ، بينما الموت فاغرفاه كاشرعن أنيابه يلتهم الأشباح .

وكان من أبطال المعارك المأمونية خالد بن يزيد الشيبانى واليه على الموصل ، وقد أبلى فيها هو وجنوده بلاءعظيماً ، ويسجل له أبو تمام مجدًا حربياً ظفر به ، فقد تبع بجنوده تيوفيل حين ولى على وجهه هارباً من بين يدى المأمون وأوغل وراءه فى بلاد الروم يأسر ويغنم . ويراسله تيوفيل مذعناً خانعاً ، يطلب الصفح والصلح ولايجيبه : فيوغل فى فراره ، وقد أخذه الرعب والهول من كل جانب ، وفى ذلك يقول أبو تمام ممجدًا لخالد وانتصاراته :

ولما رأى توفيـلُ راياتِك التى
إذا ما اتلأَبّتْ لايقاومها الصُّلْبُ

تولَّى ولم يَأْلُ الـرَّدَى فى اتّباعه
كأَنَّ الرَّدَى فى قَصْدِهِ هائمٌ صبٌّ

كأَنّ بلاد الروم عُمَّتْ بصيحـة
فَضَمَّتْ حَشَاها أَورَغَاوسْطَها السَّقْبُ

غدا خائفاً يَسْتنجد الكُتْبَ مُذعِناً
عليك فلا رُسْلٌ ثنتْكَ ولا كُتْبُ

فبمجرد أن رأى تيوفيل رايات خالد وجموعه التى لايثبت لها أعتى العتاة أمعن فى الهرب ، والردى يلاحقه يريد أن يغنم منه فرصة أو يصيب منه غِرَّة . وكأنما عمت بلاد الروم صيحة خلعت القلوب وكأنها الصيحة التى أنذرت من قبلهم ثمود حين رَغا ولد الناقة التى عقروها عصياناً لله وكفراناً ، فأرسل عليهم صيحة واحدة فكانوا هشيماً تذروه الرياح .

وكان مقتل ابن حميد الطوسى الطائى فى حروب بابك لايبرح خيال المأمون ، وصمم على أن يأخذ بثأره ، وأن يكسر حَدَّ بابك وجنوده الخُرَّميَّة ، وانتدب لذلك إسحق بن إبراهيم المصعبى أحد قواده المغاوير ، فمضى ينازله فى الإقليم الجبلى بأذربيجان وأرمينية ، حيث كان يحتمى وراء الجبال الوعرة . وظل المصعبى فى نزاله إلى أن توفى المأمون وتولى المعتصم بعده مقاليد الخلافة ، وحانت له فرصة من جموع غفيرة لبابك ، فلم يبق منهم ولم يذر ، وأمر أن تُحَزَّ أذن من كل قتيل ، حتى إذا بلغت عِدَّة الآذان

ستين ألفاً أرسل بها إلى المعتصم ليريه مدى تنكيله بهم ومقدار من سفك دماءهم منهم أخذاً بثأر ابن حميد ومن جاهدوهم معه جهاداً شاقاً. ودقت البشائر فى كل مكان ابتهاجاً بهذا النصر، وتغنى أبو تمام بمثل قوله:

وقائعُ أشرقتْ منهنَّ جَمْعٌ
إلى خَيْفَىْ مِنًى فالموْقِفَيْنِ

وقائعُ أذكرتْنا يَوْمَ بدرٍ
ومُشْتَجَرَ الأَسِنَّة فى حُنَيْنِ

رَدَدْتَ الدِّينَ وهْوَ قَرِيرُ عينٍ
بها والكفرَ وهْوَ سَخِينُ عَينِ

فجَمْعٌ والخيْفُ ومنى والموقفان بالمزدلفة وعرفة، كل تلك الأماكن المقدسة التى يهلّ بها الحجيج ويلبُّون. كأنما انساب من هذه الوقائع فى أرمينية وأذربيجان نور تألق فوق جبالها، وكأنما أُهرق فى تلك الوقائع من الدماء ما يهرق فى أيام النَّحْر والتشريق. ويذكرهنا كل وقائع الجاهلية وأيامها المشهورة ليقول إنها ليست شيئاً مذكوراً بجانب هذه الوقائع العربية الجديدة، وكأنما نسختها نسخاً أو محتها محواً. ويصل بينها وبين وقائع بدر وحُنَيْن التى أعزت الإسلام وقهرت الكفر قهراً لم تقم له قائمة بعده.

ورأى المعتصم أن الوقت حان لينزل ببابك وأتباعه الخُرَّميَّة الضربة القاضية، فوجه إليه بصفوة من قواده أمثال أبى سعيد الثغرى الطائى وأبى دلف العجلى الشيبانى. ويشتبك أبو سعيد مع جماعة من أنصار بابك ويدمرهم تدميراً. ويواصل الهجوم معه أبو دلف وقواد مختلفون، وينازلونهم فى سندبايا وأرشق وموقان، والنصر يواكبهم مصعدين إلى جبال أو منحدرين إلى بطون وديان. وما يزالون يفتحون ويتقدمون من نصر إلى نصر ومن حصن إلى حصن حتى يوافوا جبل البَذّ حصن بابك الحصين، ويأخذون عليه المضايق وهم يضربون بصنوجهم وأجراسهم وينفخون فى بوقاتهم لإدخال الفزع والرعب على قلبه وقلوب من بقى من عصاباته. ولما رأى أنه قد أُحيط به ولم يعد أمامه مجال للمقاومة فر هارباً فى جبال أرمينية وضاقت عليه الدنيا بما رحبت، فنزل بولاية سهل بن سنباط، ولم يلبث أن أسلمه إلى قواد المعتصم فدخلوا به بغداد فى موكب عظيم، حيث قُتل وصُلب نكالا له، إذ ظل ثائراً

على الخلافة نحو عشرين عاماً وظل ينازل جيوشها آماداً متطالة . ونوّه أبو تمام طويلا بهذا المجد الحربي الضخم الذى حققه قوادالمعتصم وفى مقدمتهم أبوسعيد محمدبن يوسف الثغرى وأبودلف العجلى الشيبانى ، وهو يردد الحديث عن هذا النصر دائماً فى مدائحه لأبى سعيدالثغرى ، وكأنما له الحظ الأوفر منه ، كقوله :

قَضَى من سَنْدَبايا كلَّ نَحْبٍ
وأَرْشَقَ والسيوفُ من الشُّهودِ

وأرسلها على مُوقـانَ رَهْـوًا
تُثير النَّقْعَ أَكْدَرَ بالكَدِيدِ

ويـوم التَّلِّ تلَّ البذَّ أَبْنَـا
ونحن قِصارُ أعمارِ الحقُـودِ

قَسمْنَاهُمْ فشطْـرٌ للعـوالِي
وآخَرُ فى لَظَى حَـرِقِ الوَقُـودِ

وهو يصور أباسعيد الثغرى كأنمانذرنذوراً لربه أن يحارب بابك الخُرَّمِى وأتباعه ويقضى عليهم قضاءً مبرماً ، وقد وفى بها نذراً وراء نذر ، وتلك سيوفه المفللة تشهد له بنكايته فى أصحاب بابك بأرشَق حتى أصبحوا لحماً على وضم ، وقد أرسل الخيل بعدها على موقان تقطع حزونها . وظل لايقطع ركضها وهى تثير الغبار بحوافرها حتى من الصخور لكثرة ماتضرب فيها وتطرقها طرقاً ، وما زالت تطوى له الجبال والوديان والهضاب حتى وافت البذ ، بل حتى فتحته وصعد الناس فيها بالأعلام مكبرين مهللين ، فشفت النفوس من حقدها الذى كان قد تراكم عليها منذ مقتل ابن حميد الطوسى » لانفس أبى سعيد الثغرى وحده ، بل أيضاً نفس أبى تمام وغيره من العرب ، فكلهم كان يريد أن يشفى حقد العروبة المتأجج فى دخائله ضد بابك وأتباعه . ويقول أبوتمام إننـا قسمناهم شطرين :شطراً ناشته السيوف وشطراً ناشته حرائق المجانيق ، وهى قسمة لا يخص شرفها أبا سعيد وحده بل يعم العرب جميعاً . وهذا هو معنى ما نقوله من أن نفس أبى تمام كانت تكتظ بمشاعر العروبة ، فإذا انتصر أحد قوادها فى حرب مُبيرة أحس بقوة كأنما يشركه فى انتصاره ، بل كأنما كان يشركه فى هجماته وضرباته . ويذيب أبو تمام فى ذلك غريزة أخذ الثأر . المكتنة فى نفوس العرب منذ العصر الجاهلى ومنذ كانوا لايتنادون بشىء

نداءهم بطلب الثأر ، حتى غدا ذلك عندهم وكأنه عقيدة دينية لها شعائرها من تحريم الخمر والنساء والطيب على أصحاب القتيل حتى يأخذوا بثأره ، مما ولد فيهم نزعة قوية لسفك الدماء من واتريهم ، وكأنما يريدون أن يلطخوا بها أيديهم ، بل لكأنما يريدون أن يشربوها شرباً. ويصور أبوتمام النزعة العربية العتيقة فى مديحه لأبى دلف العجلى الشيبانى ، إذ يقول فى تهنئته بالانتصار هو ومن كان معه من القواد على بابك :

ومرَّ بابكُ مُـرَّ العيش مُنْجِـذماً
مُحْلَوْليـاً دمُـه المعسولُ لو رُشِفا
حيرانَ يحسب سَجْفَ النَّقْع من دَهَش
طَوْدًا يحاذر أن ينقضَّ أو جُرُفا

وهو يصور هرب بابك وإسراعه فيه ، وقد أصبح عيشه مرًّا خالصاً ، وبلغ من رعبه وفزعه أن أصبح يخال الغبار الكثيف جبلا يريد أن ينقضّ. وأهم من ذلك أن أبا تمام يعبر عن نزعة الدم المكنونة فى نفسه إزاء أخذ الثأر من بابك ، فيتصور دمه حلو المذاق ، ويتمنى لو رشفه هو وأمثاله من العرب ليشفيهم مما انطوت عليه نفوسهم له من حقد دفين.

وفى هذه الأثناء كان تيوفيل إمبراطور الروم قد انتهز انشغال جيوش الدولة فى القضاء على بابك الخرمى ، فأغار على مدينة زِبَطْرة من ثغور الجزيرة على الحدود الفاصلة بين الدولتين : العربية والرومية وخرَّبها ، ومثّل بأسراها من الرجال فسَمل أعينهم وقطع آذانهم وآنافهم ، وسبا كثيرًا من النساء ، فضج العرب فى الأمصار واستصرخوا الدولة فى المساجد ، وطار نبأ الكارثة إلى المعتصم ببغداد وطار معه أن امرأة من بين الأسيرات كانت لاتنى تصيح : وامعتصماه ! وا إسلاماه . وثار به الغضب ثورة عنيفة ، فجهز لحرب تيوفيل جيشاً جرارًا ، لم يسبق لخليفة أن جهز جيشاً مثله يقال إنه بلغ مائتى ألف أو يزيدون ، زوَّدهم بالخيل العتاق والسلاح والعدد والآلة وحياض الأدم والروايا والقرب وآلات الحديد والنفط . وسأل أىّ بلاد الروم فى آسيا الصغرى أحصن ، فقيل له عمورية التى خرجت منها الأسرة الحاكمة ببيزنطة . فأمر أن يكتب اسمها على البنود والأعلام . وكان المنجمون قد تنبئوا له بأنه لن

يفتحها حينئذ، فرمى بكلامهم عرض الحائط، وسار الجيش الكثيف وَجدَّ فى المسير وقطع البلاد، حتى إذا كان فى الموصل انقسم قسمين كبيرين: قسما اتجه إلى الشمال فدخل أرض الروم من سُمَيْساط والحَدث، وقسما كان المعتصم على رأسه دخل أرضهم من الشام من طرسوس شمالى سوريا. وأخذ القسمان المغيظان الموتوران يبيدان من يلقونهم من الروم إلا من نجا بنفسه وهرب مع تيوفيل فى البلاد. ويلقى المعتصم بكلاكله على أنقرة، فتصبح أثرا بعد عين، ويتحول إلى عمورية ويرى أسوارها الشاهقة، فيأمر ببناء عَرَّادات كبيرة توضع على منصَّات تحملها عجلات، ويأمر بأن يوضع فوق العجلات أبراج توازى السور فى ارتفاعه، وتتسع لعشرة رجال، حتى تجتمع قوتهم على الرمى البعيد بالمجانيق. وما زالوا يرمون بها حتى احترق أكثر عمورية وحتى انصدع سورها، ودخل الجيش الفاتح يقتل ويأسر، ويقال إن عدد القتلى فى هذه المعركة بلغ تسعين ألفاً، واستأسر للعرب عشرات الألوف كانوا يباعون خمسة خمسة وعشرة عشرة. وكل ذلك كان بمرأى من أبى تمام وأحسَّ بابتهاج لاحد له كما أحس كل عربى هناك وذاق للنصر حلاوة لا تماثلها حلاوة، فقد أخذ المعتصم وجنوده ثأر مدينة زبطرة وأطفالها ونسائها ورجالها من الروم الأوغاد، وحطموا أكبر مدنهم فى آسيا الصغرى حينئذ حطما لم تبق فيهم بعده قوة ولا قدرة على المقاومة. ويا له من أخذ للثأر أبرأ قلوب العرب الكليمة وهبط على أفئدتهم الجريحة هبوط البلسم الشافى. وإذن فليصدر أبو تمام عن هذه الفرحة الهنيئة، وليجلجل بصوته القوى فيها جلجلة تدوِّى فى كل الآفاق، فقد انتصرت العروبة انتصاراً عظيماً، وحق على شاعرها أن يمجده ويمجد قائده المعتصم وجنوده، وسرعان ما ينظم فى عمورية فريدته أوقصيده الكبرى:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ
في حده الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ

بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ فى
مُتونهن جِلاءُ الشكِّ والرِّيَبِ

وهى ليست قصيدة مديح كما نعهدنا فى القصائد العربية ، بل هى ملحمة رائعة تصور هذا المجد الحربى الخالد الذى حققه العرب لعهد المعتصم ، وهو يعلن فى فاتحتها إيمانه بالقوة وأنها فوق العقل وفوق الكتب مشيرا بذلك إلى المنجمين وكتبهم وحساباتهم الفلكية التى أنبأتهم بأن المعتصم لن يفتح عمورية فى أشهر الصيف التى اختارها لفتحها ، وأن حملته التى أعدها لن يرافقها الظفر . وطاشت تنبؤاتهم وحساباتهم وفتح الله للمعتصم هذا الفتح العظيم . ويطيل أبو تمام فى سخريته بعلم التنجيم وما يذكره المنجمون من أيام السعد والنحس ومن تحكم الأبراج فى طوالع الناس ، فكل ذلك كذب وافتراء وبهتان . ويتحدث عن هذا النصر المبين حديث المبتهج ، فقد تحققت أمنية طالما حلم بها العرب ، إذ استسلمت لهم أعظم مدن الروم فى آسيا الصغرى : عمورية العتيقة منذ عهد الإسكندر المقدونى ، بعد استعصائها على كسرى وملوك العرب العظام ، وإذا هى تسقط مهيضةً تحت أقدام المعتصم وجنوده البواسل ، وكأنما أصابها سريعاً جرب الخنوع والانكسار الذى فشا فى أنقرة ، فإذا شجعانها وبطارقتها يتهاوون مخضَّبين بدمائهم خضاب الإسلام الدموى الذى طالما خضب به رءوس أعدائه وأجسادهم . ويتحدث فى ابتهاج ما بعده ابتهاج عن حرق عمورية ، وكل شىء فيها بعد العزة قد ران عليه الذل ، حتى الصخر والخشب ، فقد غطاهما سواد الاحتراق وغمرتهما حسرة الاكتئاب ، وألسنة النار تندلع فى ليلها البهيم ، حتى صار كأنه صبح مضىء بل ضحى منير ، وكأن الظلام رغب عن لونه أو كأن الشمس لاتزال طالعة أو كما يقول أبو تمام :

حتى كأَن جلابيبَ الدُّجى رغبتْ
عَن لَوْنها أو كأَن الشمس لم تَغِبِ

وهو يستغل فى البيت قصة يوشع وما يقال فيها من أن الشمس تأخرت له عن مغربها ، فكأن يوم عمورية من أيام يوشع ، إنه يوم المعجزة الخارقة فى تاريخ العرب وما أعظمه من يوم ! . ويحاول أن يصور فرحة الجند بهذا النصر الحربى العتيد ، فيجعل هذا اليوم لكل منهم يوم عرس وقِران ، بما اقتسموا من

السبايا الكثيرات . وتتعمق الفرحة فى قلبه ، فإذا ربع عمورية فى مرأى عينيه كربوع معشوقات العرب فى عيون العاشقين الوالهين ، يقول :

ما رَبْعُ ميَّةَ مَعْمـوراً يطوف به
غَيْلانُ أبْهى رُبًى من رَبْعِها الخَرِبِ
ولا الخدودُ وقد أُدْمين من خجَلٍ
أشهى إلى ناظرى من خَدِّها التَّرِبِ

فربع عمورية مع ما أصابه من الحريق ومن التدمير والخراب ليس أقل بهاءً من ربع مية فى عين عاشقها ذى الرمة أو كما يسميه غيلان الذى عاش يطوف به ويدور حوله مشغوفا بجمالها الفاتن . وليست خدود عمورية مع ما أصابها من الجرب وخدوش النار ونمش الدخان وتراب الحريق أقل جمالا وفتنة وسحراً فى عينه من الخدود البارعة الحسن حين تزيدها ورود الخجل حسناً فوق حسن . ومضى أبو تمام يتغنى ببطولة العرب فى هذا النصر الباهر مصوراً هزيمة تيوفيل وجموعه المتدحرة ، حتى قال والفرحة تغمر قلبه وكيانه :

خليفةَ اللهِ ! جازى اللهُ سَعْيَك عن
جُرْثومة الدين والإسلام والحسب
بَصُرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تُنال إلا على جِسْر من التعب
إن كان بين صروف الدَّهْر من رَحِم
موصولةٍ أو ذِمامٍ غير مُنقضب
فبين أيامك اللاتى نُصِرْتَ بها
وبين أيام بَدْرٍ أقرب النَّسَب
أبقتْ بنى الأصفر المِمْراض كاسْمِهم
صُفْرَ الوجوه وجلَّتْ أوْجُه العَرب

وهو دعاء للخليفة يصور التحام العروبة عنده بالدين الحنيف ، وهو يدعو الله أن يكافئ المعتصم على مابذل فى سبيل إعلاء كلمة الدين والعروبة ، ويصور فيه همة الأسلاف البعيدة وكيف كانوا لا يترددون فى التضحية بحياتهم ، والتعرض للخطر مصبحين وممسين يبتغون أجر الآخرة . ويقرن موقعة عمورية إلى موقعة بدر الكبرى التى كانت فاتحة انتصارات الدين الحنيف ، وكأنه يأمل فى أن تكون وقعة عمورية وهزيمة الروم فيها هزيمة ساحقة فاتحة انتصارات عربية جديدة ، لها شأن أى شأن ، ويتصور الروم — وقد نهكهم العرب وأنشبوا فيهم أظفارهم —

نضب الدم من وجوههم واستحالت شاحبة باهتة ، حتى أصبحوا بحق خليقين باسمهم : بنى الأصفر ، بينما استدارت من حول أوجه العرب هالات جلال ومهابة رفيعة .

وكان المعتصم قد صمم على المسير إلى القسطنطينية والنزول على خليجها ولكن حدثت ثورة داخلية أزعجته وصرفته عن نيته ، فترك عبء ذلك على أبى سعيد الثغرى الطائى بطل حروب بابك الذى طالما تغنى أبو تمام بانتصاراته فيها غناء بهيجاً ، وكان المعتصم قد ولاه حلب وثغور الشام والجزيرة ، وسرعان ما أخذ يعدّ الجيوش والأسلحة والعدد لمنازلة الروم ، ويبلغ به الطموح والاعتداد بالنفس أن ينازلهم فى الشتاء ، وكانت الثلوج قد ملأت الشعاب والدروب ، فلم يحجم ولم يتردد ، بل أقدم يخترق ديار القوم ، حتى اغتصب منهم حِصْنى ذى الكَلاع وأكْشوثاء ، وهم يولون الأدبار ويتنادون الفرار الفرار . ويصور أبو تمام هذا الهجوم المباغت فى الشتاء القارص تصويرًا بارعا إذ يقول لأبى سعيد :

لقد انْصَعْتَ والشتاءُ لهَ وجْـ ... ـهٌ يـراه الرجال جهْماً قَطُـوباً

طاعنـاً مَنْحَرَ الشَّمالِ مُتيحاً ... لبلاد العـدو مـوتاً جَنوبـاً

فضربتَ الشتاء فى أخْـدَعيـه ... ضربةً غادرتْه عَـوْدًا رَكوباً

لو أصَخْنا من بعـدها لسمعنا ... لقلوب الأيام منـك وَجِيبـاً

وهو يصور اندفاعه إلى غزو الروم والثلوج تملأُ الطرقات وتحف به من كل جانب ، والشتاء كالح الوجه متجهم كأشد ما يكون الشتاء قسوة وبرداً زمهريرًا. ويتصوره هو وجنوده المنقضين من الجنوب على حصون الروم فى الشمال وكأنما يطعنون فى منحره ، وقد حملوا إليهم موتاً جنوبياً أحمر لايبقى منهم باقية . ويتمثل الشتاء بثلوجه وزمهريره وصقيعه كأنما كان بعيرًا شرساً لايمكن لأحد أن يسيطر عليه أو يذلِّله ، فإذا هو بضربته ضربة واحدة فى أخدعيه يستحيل له رَكوباً ذلولا ، وإذا كل شئ يخشى

بأسه وسطوته ، حتى الزمن ، فلو أرهف الناس السمع لوجدوا قلبه يمتلئ منه وجيباً وخفقاناً . مبالغة ولكنها مقبوله ، لأنها فى بطل وقائع بابك والروم ، بطل العروبة الذى لاينازَع ولا يدافَع لعصر أبى تمام . ويعود أبو سعيد إلى التوغل فى أرض الروم ، وينازله «منويل» كبير قوادهم ، ويفر عند أول لقاء ، ويتبعه أبو سعيد حتى ينزل « درولية » على مسيرة ثلاثة أيام من عمورية وما يزال يركض خيله مصعداً فى جبال ومنحدرا إلى قيعان أودية حتى يشرف على خليج القسطنطينية ، وتحول بينه وبينها مياه الخليج ، وفى ذلك يقول أبوتمام :

قَدْتُ الجيادَ كأنهنَّ أجادِلٌ
بِقُرَى دَرَوْلِيَةٍ لها أوْكارُ
حَتَّى التوَى من نَقْعِ قَسْطلِها على
حيطانِ قُسْطَنْطِينَةَ الإعصارُ
إلاَّ تكنْ حُصِرَتْ فقد أضْحى لها
من خَوْفِ قارعةِ الحِصار حِصارُ
والمشْى همْسٌ والنِّداءُ إشارةٌ
خوفَ انتقامِك والحديثُ سِرارُ

فجياد أبى سعيد حين ألمت بمدينة درولية كانت كأنها صقور فى سرعة انقضاضها من ذُرَى جبالها على قرى وديانها ،وقد ظلت تعدو طارقة الأرض بحوافرها طرقاً شديدا مثيرة من النقع والغبار ما تطاير مع الأعاصير والرياح حتى لصق بحيطان القسطنطينية ، وقد غدت من الذعر الذى أمسك بخناقها كأنها فى حصار ، حتى أن المشى بها أصبح همساًخافتاًوالنداء إشارة كليلة والحديث نجوى خفية . وهذه الوقائع الأخيرة من معارك أبى سعيد الثغرى الطائى مع الروم ليس لها فى الطبرى ولا فى غيره من كتب التاريخ أى ذكر ، ولولا أن أبا تمام سجلها فى قصائده ما عرفنا عنها أى شىء ، وأشعاره بذلك تكمل تاريخنا وأمجادنا الحربية لعصره ، بل هى الصفحات الناصعة لهذه الأمجاد إذ استحالت فيها فناً رفيعاً يمتع القلوب والأفئدة .

ولعل فى كل ما قدمت ما يوضح صور العروبة فى شعر أبى تمام ، فقد صرح

مراراً وتكرارًا بأنها تسرى فى أعراقه ، وأحس ذلك فى أعماقه إحساساً دفعه إلى الإيمان بوحدة القبائل العربية اليمنية والعدنانية ووحدة البلدان العربية الإفريقية والأسيوية ،وشعر فى قوة بتبعات هذه الوحدة ومسئولياتها . وكانت العروبة تجاهد آنذاك أعداءها من الخُرَّمِيّة والروم جهادا مستميتاً ، فانضوى تحت ألويتها يناضل ويدافع حتى لايجتاحهاهذا الخطر أو ذاك . وكان لايملك من الأسلحة سوى شعره ، فاستحال فى يده قوساً ينزع عنه إبياتاً مصمية يسددها إلىصدور الأعداء الغاشمين ، مُشيعاً بذلك حماسة متأججة فى قلوب الجنود والشباب من حوله ، حتى يذيقوهم كل ما يمكن من ألوان الفتك والبطش والنكال. واشتعلت فى صدره حينئذ الغريزة العربية غريزة الأخذ بالثأر أقوى اشتعال ، مما جعله يستشعر فى صدق وإخلاص فرحة غامرة مع كل نصر وكل ثأر يشفى غليل العروبة المجيدة التى كانت تتوهج فى ميراث أعراقه ،وظلت تتوهج فى دمه وقلبه وروحه وحسه وشعوره ، وظل يقدسها ويمجدها ويرتل لها انتصاراتها المظفرة أناشيد حربية خالدة .

**شوقى ضيف**
**عضو المجمع**

# طرف من الأدب واللغة

## للدكتور احمد عمار

(١)

نضّر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع

* * *

آفة الحديث الكذب ، وآفة العلم النسيان ، وآفة الحلم السفه ، وآفة العبادة الفترة ، وآفة الشجاعة البغى ، وآفة السماحة المن ، وآفة الجمال الخيلاء ، وآفة الحسب الفخر ، وآفة الظرف الصلف ، وآفة الجود السرف ، وآفة الرأى الهوى .

* * *

لأن يخطىء الإمام فى العفو ، أحب إلى من أن يخطىء فى العقوبة .

(من الأحادث الشريفة)

* * *

غنى مخارق يوماً فى حضرة الرشيد هذا البيت :

وإنى لمحتاج إلى ظل صاحب

يرق ويصفو إن كدرت عليه

فقال الرشيد : يامخارق ، جئنى بهذا الصاحب ولك نصف الخلافة !

* * *

### وَسْط ووَسَط

وسط : بالتسكين ظرف ، تقول جلست وسط القوم (أى بينهم)

وسط : بالتحريك اسم . تقول جلست وسط الدار والشجاعة وسط بين الجبن والتهور .

(وكل موضع يصلح فيه « بين » ، فهو وسط بالتسكين وإن لم يصلح فيه « بين » فهو وسط بالتحريك)

* * *

يقول الجاحظ :

الحلم حلمان ، أشرفهما حلمك عمن هو دونك ، والصدق صدقان ، أعظمهما صدقك فيما يضرك ، والوفاء وفاآن ، أسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه .

عاقب الناس بقدر ذنوبهم ، على قدر احتمالهم

(محمد بن كعب القرظى)

* * *

## الخليفة المثمَّن

يقال للخليفة المعتصم العباسى : «الخليفة المثمن» لأنه ولد سنة ثمانين ومائة فى الشهر الثامن منها . وهو ثامن خليفة عباسى وفتح ثمانية فتوح ، واستخلف ثمانى سنين وثمانية أشهر ، وخلف ثمانية بنين وثمانى بنات !

* * *

يقال :

ثنى عِطْفَهُ ، ونأى بجانبه ، وثنى جيده ، ولوى عنقه ، وصعّر خده ، ومال برأسه : إذا تكبر ، وشمخ بأنفه كذلك .

* * *

مات خزنة الأموال وهم أحياء ،
وعاش خزنة العلم وهم أموات .

( ابن المعتز )

* * *

كان يقال :

امش ميلا وعد مريضاً ، وأمش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش ثلاثة أميال وزر أخاً فى الله .

* * *

## مُجير أم عامر

خرج قوم إلى الصيد فعرضت لهم أمُّ عامر — وهى الضبع — فطردوها فأتعبتهم حتى ألجؤوها إلى خباء أعرابى ، فاقتحمته : فخرج إليهم الأعرابى وقال : ماشأنكم ؟ قالوا : صيدنا وطريدتنا . فقال كلا ، والذى نفسى بيده لا تصلون إليها ماثبت قائم سيفى فى يدى : فرجعوا وتركوه : فقام إلى لقحة فحلبها ، وماء فقربه منها . فأقبلت تَلَغُ مرة فى هذا ومرة فى هذا حتى رويت واستراحت . فبينا الأعرابى نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه وتركته . فجاء ابن عم له يطلبه ، فاذا هو به ميت . فأخذ قوسه وكنانته وتبع الضبع فقتلها ، وقال :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله
يلاق الذى لاقى مجير أم عامر

* * *

أأفجع فى الشباب ولا أعزى
لقد غفل المُعَزِّى عن مصابى

( ابن الرومى )

## إنَّ اللّه جميل يحب الجمال

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر . قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة . قال : ان الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس » ( مسند الإمام أحمد )

بطر الحق : دفعه وإنكاره ترفعا وتجبراً
وغمط الناس : احتقارهم

* * *

## عمر وخولة بنت ثعلبة

مر عمر بخولة بنت ثعلبة ، والناس معه ، فحبسته طويلا تعظه وتقول : ياعمر ، كان يقال لك عمير ، ثم قيل لك ياعمر ، ثم قيل لك ياأمير المؤمنين . فاتق الله ياعمر ، فانه من أيقن بالموت ، خاف الفوت ، ومن أيقن بالحساب ، خاف العذاب .

فقيل له : ياأمير المؤمنين ، أتسمع كلام هذه العجوز قال : إن الله تعالى سمع قولها من فوق سبع سماوات : هذه خولة بنت ثعلبة التى أنزل الله فى حقها : قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله » ، والله لو حبستنى من أول النهار إلى آخره مافارقتها إلا إلى صلاة مكتوبة .

* * *

وقال رجل لعمر بن الخطاب : اتق الله ياأمير المؤمنين . فقال له رجل آخر : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال عمر : دعه فليقلها لى ، نعم ماقال : لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ، ولاخير فينا إذا لم نقبلها منكم .

أين تواضع عمر من كبرياء عبد الملك ابن مروان الذى يقول : والله لوقال لى أحد : «اتق الله » لضربت عنقه ؟

* * *

## عن عمر بن الخطاب

نادى عمر بن الخطاب بالصلاة ، فلما اجتمع الناس وكثروا صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بماهو أهله ، ثم قال أيها الناس : لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من بنى مخزوم فأقبض القبضة من التمر والزبيب فأظل يومى وأى يوم . ثم نزل فقال له عبد الرحمن بن عوف : ياأمير المؤمنين مازدت على أن حقّرت نفسك .

قال : ويحك يابن عوف . إنى خلوت بنفسى فحدثتنى قالت : أنت أمير المؤمنين ، فمن ذا أفضل منك ؟ فأردت أن أعرفها نفسها .

(من كتاب سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى )

* * *

حيّاك الله وبيّاك :

حياك : ملّكك ، وأبقاك ، وأصلحك وبيّاك : قرّبك ، وبوّأك ، وقيل أضحكك .

وقد يكون هذا اتباعاً : ولكن الاتباع لايكاد يكون بالواو وقد يكون الواو وقد يكون ازدواجا

وقال الشاعر :

بيّتا لهم إذ نزلوا الطعاما

الكبدُ والملْحاء والسناما

( اللسان )

* * *

قال الأصمعي :

أصابت الأعراب مجاعة ، فمررت بأعرابي قاعد مع زوجته على قارعة الطريق ، وهو يقول :

يارب إني قاعد كما ترى
وامرأتي قاعدة كما ترى
والبطن مني جائع كما ترى
فما ترى ياربنا فيما ترى؟

* * *

مصادر مفتوحة الأول - فَعُول)

قبول – ولوع – طهور – وضوء وقود ( وقيل : وزوع من أوزع)

(اللسان)

مصادر على وزن مفعول :

مجلود ، محلوف ، معقول ، معسور ، ميسور ،

( اللسان )

**أحمد عمار**
**نائب رئيس المجمع**

# قولٌ في الإعراب

## للأستاذ محمد شوقي أمين

**تلوح**

١ – تلوح لبعض الباحثين المفكرين آراء في اللغة، عليها رونق الجدة، وفيها تنكب عن المألوف، فيسبق إليهم الناقدون بالإنكار والإزراء، ويتبادل الفريقان الترامي بالوصمات، فهؤلاء الناقدون يرمون الباحثين بوصمة التحلل والجهل والإفساد، وأولئك الباحثون يدفعون ذلك بالمثل، فيصمون الناقدين بأنهم أهل تخلف ورجعية وجمود؟

والحق أن العلماء الأولين الذين نتلقى عنهم خلة الحرص والمحافظة، ونستند إليهم فيما نستمسك به من آراء، كانوا أشد منا تحررا في تناول قضايا اللغة، وأوفر طلاقة في النظر والتفكير، حين يبدو لهم جديد من القول، وتعرض لهم سانحة من الخطرات.

وإن «الرجعية» إلى هؤلاء الأسلاف لجديرة أن تقبسنا روح البحث دون تحرج، وإن قديمهم لو أحسنا تدبره لهو أكبر عون لنا على أن نفكر في سعة من الأفق، وأن نستقبل بدوات الرأي في غير حظر على العقول.

كان أولئك الأقدمون يمحصون كل مايعرض لهم من قول، لايمتنع عليهم شيء مما نسميه «الأقداس»، يتدارسون ماوسعهم التدارس، فينكرون مايعن لهم أن ينكروه، ويغمزون مايريدون أن يغمزوه، لايردهم عن ذلك تهيب أو استرهاب، ولاينادى عليهم بويل ولاثبور.

بيد أنهم كانوا إذا سخطوا شيئا سخطوه على علم وبصيرة، ودعموا نكيرهم بما يروج لهم من حجة وسلطان، فإن عارضهم أحد كانت معارضته رد الحجة بالحجة، وإسقاط البرهان بالبرهان: فيدور بينهم الجدل والنقاش رفيقا أو غير رفيق، في منحى علمي تتصارع فيه الأفكار والأذهان.

ولكننا اليوم قد ننكر النهج المألوف، تلهيا بالمعارضة، وتحليا بالتطرف، فنتطاول على غير معرفة، ونهجم بغير دليل، فإذا انبرى للدفاع مدافع كان أكبر دعواه أن ذلك عبث بالأقداس، وأنه افتيات على حرمات يجب أن يقال في شأنها: لامساس؟

ذلك هو شأن الإعراب ومكانته من اللغة، يحسب المحافظون فيما يحسبون أنه حرام على البحث، وأنه باب موصد لا ينفتح لرأى، فهو عندهم مستعصم على الاجتهاد، لا يجنح إليه فكر، ولا يرقى إلى مناطه قلم.

ما إن ينادى أحد من المحدثين بترك الإعراب حتى يهب فى وجهه المعارضون يرمونه بإحدى اثنتين أو كلتيهما معا : الأولى أنه يفسد اللغة، ويخل بمدلول الكلم، والأخرى أنه يعتل على الإعراب، لقصوره فيه، وعجزه عنه. فأما إفساد اللغة، والذهاب بدلالات الجمل، فهو دعوى لا تقوم إلا ببينة وتطبيق، وأما القصور أو العجز فليس له فى تقويم الرأى وزن. وليكن من أمر الدعاة إلى ترك الإعراب مايكون، فإن ذلك لايعنى تمحيص مشكلة الإعراب فى قليل أو كثير.

على أن المنادين بترك الإعراب لايكادون يسمعون الإنكار عليهم والإزراء بهم من المحافظين، حتى يوفوا لهم كيل الاتهام بأنهم رجعيون جامدون، يقفون عندما قال الأول، كأنما تأبى أسماعهم أن تأذن لطارف من الرأى، وإن استوفى حظه من سلامة المنطق وسداد التفكير.

— ٢ —

هل يعلم أصحاب الدعوة إلى مجانبة الإعراب أنهم بدعوتهم تلك لايشقون أفقا جديدا من البحث، ولايثيرون مسألة أعزبت عن الأقدمين فيما خلا من السنين، وأنهم فى هذه الدعوة هم الرجعيون الذين يبتغون أن يستأنفوا النظر فيما عفت عليه الحقب، وطوته بطون الكتب؟

وهل يعلم المحافظون الذين يثورون فى وجه الدعوة إلى التنكب عن الإعراب أن أسلافهم منذ ازدهار العربية، قبل ألف من السنين أو تزيد، تناولوا أمر الإعراب فى مناح شتى من القواعد والأصول، ومالها من تفريعات وذيول، على أساس من جواز ترك الإعراب وتسكين أواخر الكلام فى الوصل، فلم يقم فى وجوههم من يصدهم عن النظر، ويوصد دونهم باب الاجتهاد، ولكنهم فسحوا صدورهم للدراسة والتعليل والتحليل، وكان بينهم نزاع فى الرأى، على طلاقة من الفكر، فتركوا لنا حصادا من البحث، فيه للعقل غذاء وإمتاع؟

ليس بين أيدينا من هذا الحصاد إلا نزر قليل، وزاد ضئيل، فقد لعبت بذلك الحصاد تصاريف الزمن فى مواضى العصور، ولو حفظته لنا الأيام كله أو أكثره، لكنا به أوفر خبرة وأوفى إحاطة. وسنرى فى هذه العجالة أن صفحة رائعة فى تناول مشكلة الإعراب، وإجازة تركه، مابرحت فى ألفاف كتاب، فلما تحوم حوله فى هذا الصدد ظنون الباحثين فى هذا المجال.

أسكنت حركات الإعراب — على مد عصور العربية الخالية — فى خمسة مصادر مدونة، وهى :

أولا — قراءات القرآن .

ثانيا — الشعر الجاهلى والإسلامى .

ثالثا — إجراء الوصل مجرى الوقف فى النحو .

رابعا — حكاية نوادر المولدين فى الأدب .

خامسا — مشتقات الشعر من ضروب النظم منذ العصور الوسطى فى تاريخ الدول الإسلامية .

١— فأما المصدر الأول، وهو قراءات القرآن فقد وردت فيه آيات أسكنت فيها حركات الإعراب من كلمات شتى ، مثل : وبعولتهن أحق بردهن « بإسكان التاء ، ومثل : « ومايعدهم الشيطان » ، ومثل : «إذ يعدكم الله » بإسكان الدال فيهما ، ومثل : «فتوبوا إلى بارئكم » بإسكان الهمزة . وقد تناولها علماء القراءات بالبحث ، ودرسوها حق الدرس ، فرجعوها إلى أصولها ، وأشبعوا القول فى تعليلها .

٢— وأما الشعر الجاهلى والإسلامى ، وهو المصدر الثانى ، فقد وردت منه أبيات تضم كلمات أسكنت فيها حركات الإعراب ، مثل قول امرئ القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب
إثما من الله ولا واغــــل

بإسكان الباء فى أشرب

ومثل قول الأقيشر الأسدى :

رحت وفى رجليك مافيهما
وقد بدا هنك من المئزر

بإسكان النون فى : هنك .

ومثل قول جرير :

سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم
ونهر تيرى ولاتعرفكم العرب

بإسكان الفاء فى : تعرفكم .

ومثل قول وضاح اليمن :

إنما شعرى شهد
قد خلط بالجلجلان

بإسكان الطاء فى : خلط

ومثل قول الشاعر :

إذا اعوججن قلت صاحب قوم

بإسكان الباء فى : صاحب .

إلى غير ذلك من الأمثلة ، وقد عد النحاة بعضها من ضرورة الشعر ، قال ابن عصفور فى كتابه الضرائر : « ومن الضرورة حذف علامتى الإعراب الضمة والكسرة من الحرف الصحيح ، تخفيفا ، وقد جوز سيبويه إسكان حركة الإعراب فى الشعر ، كما جوز النحاة جميعا إسكان حركة البناء

واستشهد سيبويه فى «الكتاب» بأبيات لشعراء العرب أسكنت فيها حركات الإعراب فى بعض الكلمات ، فأنكر ذلك عليه جماعة من أصحاب النحو، واعترض المبرد على ماستشهد به سيبويه من أبيات الشعر ، فتصدى له ابن جنى يقول فى «المحتسب»:

«وأما اعتراض أبى العباس المبرد هنا على الكتاب فإنما هو على العرب لاعلى صاحب الكتاب ، لأنه حكاه كما سمعه ولايمكن فى الوزن أيضا غيره ، وقول أبى العباس : إنما الرواية : فاليوم فاشرب فكأنه قال لسيبويه : كذبت على العرب ، ولم تسمع ماحكيته عنهم ، وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف، فقد سقطت كلفة القول معه . وكذلك إنكاره عليه أيضا قول الشاعر : وقد بدا هنك من المئزر ، فقال إنما الرواية :! وقد بدا ذاك من المئزر. وماأطيب العروس لولا النفقة! » .

لنا أن نتجه بالظن إلى أن الشعر الجاهلى والإسلامى كان فيه كثير من الأمثلة على إسكان حركة الإعراب ، فأصلح الرواة والنقلة مافى الأبيات من خروج على القواعد العامة ، وهذا يتجلى فى محاولة إصلاح الشواهد التى ساقها سيبويه ، صدد بحثه، حتى يبطل بها الاستشهاد . ومن المأثور عن أئمة الرواية فى سوابق العهود أنهم كانوا يصلحون أشعار الأوائل . وهذا الظن أقوى عند التأمل والترجيح من الظن بأن هذه الأبيات المستشهد بها هى التى صنع فيها إسكان حركة الاعراب لتكون شواهد مكذوبا بها على العرب ، حتى يقوم بها عمود الرأى والتخريج .

٣—وأما إجراء الوصل مجرى الوقف ، وهو ثالث المصادر ، فهو تعليل يبسطه النحاة لكى يؤولوا به ماورد من الشواهد على إسكان حركة الإعراب ، وقد عقد سيبويه فصلا فى كتابه سماه : « باب الإشباع فى الجر والرفع وغير الإشباع » يقول فيه : « وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور فى الشعر ، شبهوا ذلك بكسرة فخذ ، حيث حذفوا ، فقالوا فخذ، وبضمة عضد حيث حذفوا فقالوا : عضد، لأن الرفعة ضمة والجرة كسرة »

وقد أشار إلى مثل ذلك ابن جنى فى سر «الصناعة» فقال فى حرف الميم (الفمّ) :

« تشديد الميم ليس من أصل الكلمة ، فمن أين أتاها ، وماوجه دخوله إياها ، فالجواب أن أصل ذلك أنهم ثقلوا الميم فى الوقف ، فقالوا: هذا فمّ ، كما يقولون هذا خالدّ ، وهو يجعلّ . ثم إنهم أجروا الوصل مجرى الوقف فيما حكاه سيبويه عنهم من قولهم : ثلاثهر بعه»

وابن جنى يعنى بالتثقيل فى فمّ وخالدّ ويجعلّ : تشديد الحرف الأخير من هذه

الكلمات ، ولو تتبعنا فى مسائل النحو مايتصل بإجراء الوصل مجرى الوقف لخرجنا بتوجيهات وأمثلة تزيد الأمر من وضوح وجلاء .

هذا ، وقد جاء فى سيرة ابن هشام :

«قال حذيفة بن غانم :

فسرنا تهامى البلاد ونجدها
بأمنه حتى خاضت العير فى البحر

فقال صاحب «الروض الأنف» فى التعليق على هذا البيت :

«حذف الياء من هاء الكناية ، ضرورة كما أنشد سيبويه :

« سأجعل عينيه لنفسه مقنعا »

فى أبيات كثيرة أنشدها سيبويه ، وهذا مع حذف للياء والواو ، وبقاء حركة الهاء ، فإن سكنت الهاء بعد الحذف ، فهو أقل الاستعمال من نحو هذا ، وأنشدوا :

ونضوان مشتاقان له أرقان

وهذا الذى ذكرناه هو فى القياس أقوى ، لأنه من باب حمل الوصل على الوقف ، نحو قول الراجز :

لما رأى أن لادعه ولا شبع

ومنه فى التنزيل كثير ، نحو إثبات هاء السكت فى الوصل ، وإثبات الألف من أنا ، وإثبات ألف الفواصل ، نحو « وتظنون بالله الظنونا » . . . » .

ومن هذا النص يستفاد أن قلة الاستعمال فى إسكان هاء الضمير دون وقف لاتنفى أن ذلك أدخل فى القياس ، وأن التعليل لذلك بأنه من باب حمل الوصل على الوقف دليل أى دليل على أن النحاة كانوا يقولون بقياسية إجراء الوصل مجرى الوقف ، وإن أخذ هذا القول لحا من مفهوم الكلام ، وهم يدللون عليه كما نرى بكثرة وروده فى التنزيل ، وسنعود إلى ذلك هنا بتفضيل .

٤ـ ورابع المصادر حكاية نوادر المولدين فقد آثر جهابذة الأدب أن كون مايروى عن المولدين من النوادر بلفظه ولهجته غير معرب ، وعلى رأس الدعاة إلى ذلك «الجاحظ» وقد صنع ذلك فى كتاب « البخلاء » ، ونبه إلى أنه يتعمده ، وكذلك كان صنيعه فى كتاب « الحيوان » فيما حكى من قول إسحاق النظام : « إن كنت سبع فاذهب مع السباع ، وإن كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم » وقد أتبع « الجاحظ » الحكاية قوله :

« ولاتنكر قولى وحكايتى عنه بقول ملحون ، إذ قلت : إن كنت سبع ، ولم أقل إن كنت سبعا ، فإن الإعراب يفسد نوادر المولدين ، كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب ، لأن سامع الكلام إنما أعجبته تلك الصورة وتلك اللغة وتلك العادة ، فإذا دخلت حروف الإعراب والتحقيق والتثقيل وحولته الى صورة

ألفاظ الأعراب الفصحاء انقلب المعنى وفسدت صورته » .

٥ـ والمصدر الخامس الأخير مشتقات الشعر من ضروب النظم منذ العصور الوسطى فى تاريخ الدول الاسلامية ، وهى التى شاعت فى الأندلس والمغرب ومصر وغيرها من الأمصار ، كالمواليا وكان وكان وغيرها من الأزجال والمنظومات ، فقد نظمت غير معربة ، وكتبت كذلك ، وتناقلها المؤرخون والمؤلفون فى الأدب ، جارية الأغلب على إسكان حركة الإعراب ، وقد عقد لها ابن خلدون فصلا فى مقدمته ، وساق من أمثلتها جملة .

— ٤ —

ويبدو أن الآيات التى وردت بها بعض القراءات فى القرآن ، والأبيات التى أثرت من الشعر الجاهلى والاسلامى ، مما أسكنت فيه حركات الإعراب ، قد هالت جماعة النحاة ، ممن يؤثرون طرد القواعد ، وإرساخ الأصول ، جداً فى حياطة الإعراب ، وتمكينا لسلطانه على الكلام ، فانبعثوا ينكرون القراءات التى وردت بها كلمات غير معربة ، كما أنكروا مثل ذلك فى أبيات الشعر ، واستندوا فى إنكارهم الى أن حركة الإعراب علم على الإعراب ، وهى تدل على المعنى ، فليس إلى ذهابها من سبيل ، على نحو مانحتج اليوم به لإبقاء الإعراب والحرص عليه ، وحسبانه ركنا من أركان اللغة ، لايحول ولايزول .

وقد تصدى لهؤلاء المنكرين عالم حجّة ، انتهت اليه رياسة النحو ، وهو أستاذ ابن جنى ، ينقل تلميذه عنه ، ويعتز به ، ذلك العالم هو أبو على الفارسى ، الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى ، فقد تناول المسألة من أطرافها المختلفة ، وعنى بالرد على المزاعم والشبهات التى تعترض القول بجواز إسكان حركات الإعراب وذلك ليدحض حجة المعترضين على القراءات التى وردت بها كلمات ساكنة فى غير الوقف .

وبحث « ابى على الفارسى » مطوىّ كتابه « الحجة فى علل القراءات » ، وهو كتاب فى عدة مجلدات ، ونحن ناقلون هنا تلك الصفحة الرائعة التى ينبعث بها ذلك العالم النحوى من مرقد ألف سنة ، ليقول كلمته اليوم فى جواز ترك الإعراب ، وكأنما هو ينتصر بها — من حيث لم يكن يقدر فى ذلك العهد العهيد — لأولئك الذين يريدون الآن أن ينفوا عن الإعراب قدسيته فى اللغة ،

قال « أبو على الفارسى » :

« فأما حركة البناء فلا خلاف فى تجويز إسكانها فى نحو ماذكرنا من قول العرب والنحويين ، وأما حركة الإعراب فمختلف فى تجويز إسكانها ، فمن

الناس من ينكره فيقول : إن إسكانها لا يجوز ، من حيث كانت علما للإعراب ، وسيبويه يجوز ذلك ، ولا يفصل بين القبيلين في الشعر ، وقد روى ذلك عن العرب ، وإذا جاءت الرواية لم ترد القياس ، فمما أنشده في ذلك قوله :

وقد بدا هنك من المئزر

وقوله :

فاليوم أشرب غير مستحقب

وقال :

إذا اعوججن قلت صاحب قوم

ومما جاء في هذا النحو قول جرير :

سيروا بني العم فالأهواز منزلكم
ونهر تيرى ولا تعرفكم العرب

ومن ذلك قول وضاح اليمن :

إنما شعري شهد
قد خلط بالجلجلان

فأسكن الفتحة في مثال الماضي ، وهذه الفتحة تشبه النصبة ، كما أن الضمة في « صاحب قوم » تشبه الرفعة ، فجاز إسكان حركة الإعراب ، كما جاز تحريك إسكان البناء ، فشبه ما يدخل على المعرب من الحركة بما يدخل على المبنى ، كما شبهوا حركات البناء بحركات الإعراب . فمن ثم أدغموا نحو رد وفر وعض ونحو ذلك ، كما أدغموا نحو يرد ويشد . وذلك أن حركة غير الإعراب لما كانت تعاقب على ذلك ، نحو حركة الهمزة إذا سكن ما قبلها ، نحو اضرب أخاك ، ونحو حركة التقاء الساكنين ، وحركة النونين الخفيفة والشديدة ، فكما شبهوا تعاقب هذه الحركات التي للبناء على أواخر الكلم ، بتعاقب حركات الإعراب ، حتى أدغم من أدغم نحو رد واستعد ، كما يدغم نحو يرد ويستعد ، كذلك شبهوا حركة الإعراب في نحو ما ذكرنا فأسكنوا .

وأما من زعم أن حذف هذه الحركة لا يجوز من حيث كانت علما للإعراب ، فليس قوله بمستقيم ، وذلك أن حركات الإعراب قد تحذف لأشياء ، ألا ترى أنها تحذف في الوقف . وتحذف من الأسماء والأفعال المعتلة ، فلو كانت حركة الإعراب لا يجوز حذفها ، من حيث كانت دلالة الإعراب ، لم يجز حذفها في هذه المواضع . فإذا جاز حذفها هذه المواضع لعوارض تعرض ، جاز حذفها أيضا فيما ذهب إليه سيبويه ، وهو التشبيه بحركة البناء ، والجامع بينهما أنهما جميعا زائدان . وأنها قد تسقط في الوقت والاعتلال ، كما تسقط التي للبناء للتخفيف .

فإن قلت : إن سقوطها في الوقف ، إنما جاز لأنه إذا وصلت الكلمة ظهرت الحركة ، ويستدل عليها بالموضع ، قيل : وكذلك إذا سكن نحو هنك ، استدل عليه بالموضع .

فإذا فارقت هذه الصفة التي أشبهت لها بسبب ظهرت كما تظهر التي للإعراب في الوصل .

ومما يدل على أن هذه الحركة إذا أسكنت كانت مرادة ، كما أن حركة الإعراب مرادة ، قولهم : رضى ، ولقضو الرجل ، فأسكنوا ، ولم يرجعوا الواو والياء إلى الأصل ، حيث كانت مرادة . كذلك تكون حركة الإعراب لما كانت مرادة ، وإن حذفت لم يمتنع حذفها ، بمنزلة إثباتها في الجواز ، كما كانت الحركة فيما ذكرنا كذلك .

فإن قلت إن حركات الإعراب تدل على المعنى ، فإذا حذفت اختلت الدلالة عليه ؛ قيل : وحركات البناء قد تدل على المعنى وقد حذفت ، ألا ترى أن تحريك العين في نحو ضرب يدل على معنى ، وقد جاز إسكانها فكذلك يجوز إسكان حركة الإعراب ، وكذلك الكسر في نحو حذر ، والضم في نحو حذُر »

تلك مقالة أبي علي الفارسي ، يوطى بها الجواز اسكان حركة الإعراب ، ويدفع مايعترض هذا الرأي من مزاعم وشبهات .

— ٥ —

والمتتبع لما كتبه النحاة المتأخرون يجد الكثير من أقوالهم في تعليل ظاهرة الإسكان فيما حقه الإعراب . ونحن ذاكرون هنا طرفاً منها :

( أ ) جاء في التصريح على التوضيح :

«مسألة : قد يعطى الوصل حكم الوقف من إسكان مجرد ... وذلك قليل في الكلام المنثور بالنسبة إلى عدمه ، كثير في الشعر لأنه محل الخروج عن القياس . فمنه قراءة بعضهم : « وجئتك من سبأ بنبأ بإسكان همزة سبأ في الوصل ، وقراءة غير حمزة والكسائي : لم يتسنه وانظر ، فبهداهم اقتده قل ، بإثبات هاء السكت في الدرج فيهما ، وأتى بانظر في الأول وقل في الثاني ليبين كيفية الوصل » .

(ب) جاء في « همع الهوامع » للسيوطي :

« اختلف في جواز حذف الحركة الظاهرة من الأسماء والأفعال الصحيحة على أقوال :

أحدها الجواز مطلقاً ، وعليه ابن مالك وقال : إن أبا عمرو حكاه عن لغة تميم ، وخرج عليه قراءة : « وبعولتهن أحق بردهن » بسكون التاء ، ورسلنا بسكون اللام ، « فتوبوا إلى بارئكم » ، « ومكر السيء » ، « وما يشعركم » و « يأمركم » بسكون أواخرها . وقول الشاعر : « وقد بدا هنك من المئزر » ، وقوله : « فاليوم أشرب غير مستحقب » . والثاني : المنع مطلقاً في الشعر وغيره » وعليه المبرد ، وقال : الرواية في البيتين : وقد بدا ذاك ، فاليوم أسقى . والثالث : الجواز في الشعر والمنع في الاختيار ، وعليه الجمهور .

قال أبو حيان : وإذا ثبت نقل أبي عمرو ، وأن ذلك لغة تميم ، كان حجة على المذهبين »

( ج ) جاء فى « خزانة الأدب » للبغدادى :

« قال الشاعر :

فأنت طلاق والطلاق عزيمة
ثلاثاً ومن يخرق أعق وأظلم

روى الجماعة : ومن يخرق . فقال ابن يعيش : من شرطية . ورد عليه الدماميني بأنه يلزمه حذف الفاء والمبتدأ من جملة الجزاء . والتقدير : فهو أعق وأظلم . وليس هذا بمتعين ، لجواز أن تكون موصولة ، وتسكين القاف للتخفيف : كقراءة أبي عمرو : وما يشعركم بإسكان الراء . وأعق خبر من الموصولة ، فلا حذف ولا ضرورة ولا قبح . اه . والذى ذكره الجعبرى أن وجه الإسكان فيه طلب التخفيف عند اجتماع ثلاث حركات ثقال من نوع واحد أو نوعين ، ويخرق ليس منها . وأما التسكين فى قوله : فاليوم أشرب فقد قيل إنه للضرورة . »

( د ) جاء فى حاشية « الخضرى » :

« تتمة — بقى مما تقدر فيه الحركات ماسكن للتخفيف ، كتسكين « بارئكم » و « بعولتهن » و « رسلنا » و « مكر السيء » و « يأمركم » و « يشعركم » . والصحيح جوازه نثراً ، للقراءة به فى السبع » .

— ٦ —

ولنا على ما أوردناه من نصوص النحاة تعقيبات قصار :

أولا — أن إعطاء الوصل حكم الوقف معترف بأنه تعليل لغوى لظاهرة الإسكان فى بعض الكلمات الواردة فى أفصح النصوص .

ثانيا — أن الكلمات التى وردت فى قراءات القرآن ساكنة الأواخر فى حال الوصل مروية عند جمهرة من القراء ، وفى مقدمتهم أبو عمرو ، وهذه الروايات وثيقة فى سندها اللغوى .

ثالثاً — أن الإسكان فى موضع التحريك محكى عن لغة « تميم » ، وهذا ماجعل « أبا حيان » يقول إن ثبوت نقل « أبى عمرو » وأن ذلك لغة تميم حجة على من يمنع الإسكان مطلقاً ، كما أنه حجة على من يقول إنه جائز فى الشعر ، ممنوع الاختيار

رابعاً — أن « ابن مالك » يتبنى القول بجواز الإسكان مطلقا فى الشعر وغيره ، وقد أحسن صاحب التصريح فى قوله : إن ذلك قليل فى الكلام المنثور بالنسبة إلى عدمه ، والمراد بالقلة هنا قلة النسبة . وليس المراد القلة التى تمنع الإجازة . وفى هذا بيان دقيق .

خامساً — يلاحظ أن « المبرد » وغيره يعالجون الأبيات التى ورد فيها الإسكان ، بتغيير وتبديل ، لتحقيق اطراد القاعدة العامة فى الإعراب .

ولكن روايات القراء المعتمدة التى جاء فيها الإسكان تقف فى وجه المانعين ، لا يجدون عنها حولا ، ولا يستطيعون فيها صرفا ولا عدلا .

— ٧ —

وأياً ما كان ، فإذا شئنا أن ندرس الدعوة إلى ترك الإعراب ، فلنتجاف عن القول بأن ذلك جحود لأصول اللغة ، وأنه عبث بأقداسها ، كما تجافى عن ذلك من نرجع إليهم ونأنس بهم من سلفنا العلمي .

وليكن بحثنا في هذه المشكلة على أساس من تقدير الحاجة وتقدير الأثر الذي ينجم عن ترك حركات الإعراب ، والموازنة بين ما يفوتنا بهذا الترك ، وما نفيده منه .

وإذن يمضي البحث طليقاً حراً على بصيرة وهدى .

وعسى أن يكون هذا التوجيه سبيلاً إلى النظر في مشكلة الإعراب ، على ضوء جديد ، في مسلك رشيد .

**بعض المراجع :**


١ — الحجة — لأبي علي الفارسي .

٢ — الخصائص — لابن جني ( باب إجراء المتصل مجرى المنفصل ) .

٣ — المحتسب لابن جني — ١ — ١٠٤ .

٤ — الرضي — باب الوقف —

٥ — شرح المفصل للزمخشري وابن يعيش — ج ٥ — ٨٩ و ج ٩ — ٨١ .

٦ — الهمع — للسيوطي .

٧ — النشر — للجزري .

٨ — الروض الأنف للسهيلي : ١ — ١١٦ .

٩ — خزانة الأدب — ج ٣ — ٤٢٢ .

١٠ — التصريح على التوضيح ١ — ١٠٤ ٢ — ٤٣٣

١١ — الضرائر — للألوسي ٢٧٠ .

١٢ — حاشية الصبان — باب الوقف .



**محمد شوقي أمين**
**عضو المجمع**

# مظاهر زهد أبي العلاء

للدكتور أحمد الحوفى

عضو المجمع

كان لزهد أبي العلاء المعرى أسباب تحدثت عنها فى المقال السابق، وكان لهذا الزهد عدة مظاهر أخذ بها نفسه، وتشدد فى التزامها.

**١ ــ العزلة :**

من هذه المظاهر أنه اعتزل الناس عن روية وعقيدة، وقد اعتزم أن يعتزلهم بعد أن استشار أصدقاءه ببغداد قبيل رحيله منها، يدلنا على هذا رسالة كتبها إلى أهل المعرة ينهاهم فيها عن الحفاوة بقدومه، ويخبرهم بعزمه على العزلة.

فهل استطاع أن يحقق ما اعتزم ؟

وكيف والمعجبون به من الخلان والطلاب يسارعون إليه وهو لا يردهم عن مجلسه حياء منه ؟

وكيف وهو علامة لم يستطع أن يحبس نفسه كما انتوى، فلم يلبث أن اشتغل بالتعليم ؟

ومهما يكن من شيء فقد كان لا يخالط الناس هذا الخلاط الذى نعرفه ونألفه. أما سبب إيثاره العزلة فسوء رأيه فى الناس لأنهم فى عقيدته ينافقون ويخادعون، يبدون الطيبة والطهارة والنبالة، ولو أطلعت على ما فى قلوبهم لوليت منهم فرارًا، ولملئت منهم رعباً :

يلقاك بالماء النمير الفتى
وفى ضمير النفس نارٌ تقِدْ[١]
يعطيك لفظاً ليِّناً مسُّه
ومثل حدِّ السيف ما يعتقد

يروقك مظهرهم، ويسوؤك مخبرهم، وأكرمهم خلقاً عبدٌ لمنافعه، وأشرف من

---

(١) تقد : تتقد

أشرفهم جلمود صلد لايعتدى ولايفترى

يحْسُنَ مـرأى لبـنى آدم

وكلهم فى الـذوق لايعْـذُبُ

مـا فيهمُ بـر ولا نـاسك

إلا إلى نفـع له يُجـذب

وأفضل من أفضلهم صخـرةٌ

لاتظلم النـاس ولاتكـذب

والبعد عنهم نجاة من أمراضهم ، ومخالطتهم تفسد العقل ، لأنهم متخلفون فى الفهم ، مولعون بتلبيس الدين بالخرافات :

بعدى من الناس بُرْءٌ من سقامهم

وقـربهم للحِجا والدين أدواءُ

والخير فى تجنبهم لتأمن شرهم ومقتهم ونكرانهم للجميل :

وجانب النـاس تـأْمنْ سوءَ فعلهم

وأن تكون لـدى الجُلّاس ممقوتاً

لابد من أن يذموا كلَّ من صحبوا

ولو أراهم حصى المعْزاء ياقوتا[1]

واللبيب الحازم من لايكشف لهم عن سر عقيدته :

لاتخبـرنَّ بكُنْـهِ دينك معشرا

شطرًا وإن تفعل فأنت مُغرَّرُ[2]

واصمت فإن الصمت يكفى أهله

والنطق يُظْهـر كامنـاً ويُقرِّر

ولاخير فى العالم كله ، وشر مافيه ناسه

قد فاضت الدنيـا بأدنـاسها

على برايـاهـا وأجنـاسها

والشر فى العـالم حتى التى

مكسبها من فضْـل عِـرْناسها

وكل حىٍّ فـوقهـا عـالم

ومـا بها أظـلم من نـاسها[3]

٢ ـ سوء رأيه فى **الفطرة الانسانية** :

لماذا نقم أبو العلاء من الناس ؟ ولماذا باعد بينه وبينهم ؟

أكان السبب سوء خلقهم فحسب ؟

أحسب أن المجتمع العريض الطويل الكبير فى الشام والعراق لم يخل من

---

(١) المعزاء : الأرض الصلبة

(٢) الشطر : جمع شاطر وهو الخبيث

(٣) العرناس : موضع القطن الذى تغزله المرأة والمراد المغزل

أُناس ذوى دين وخلق فيرضى عنهم — أبو العلاء .

فلابد أن يكون هنالك سبب آخر لضيقه بالناس، وهذا السبب يتصل برأيه فى أصل الفطرة الإنسانية .

ولقد اختلف الفلاسفة منذ زمن قديم فى نزعات الفطرة الإنسانية الأصيلة ، أخير هى أم شر ؟

أما سقراط فذهب إلى خيريتها ، ورأى أن نفس الطفل كالصفحة البيضاء مستعدة لأن تتأثر بالخير وبالشر .

وأما أفلوطين الفيلسوف المصرى فذهب الى أن الفطرة الأصيلة شر ، لأن النفس جوهر مستقل مجرد هبطت من العالم العلوى إلى العالم المادى ، فاصطبغت بالشر ، ويمكن التسامى بها بتصفيتها من أوضار المادة وحرمان الجسم من لذاته ، وتجريده من زخارف الحياة ، وأخذه بالعلوم ، واعتزال الناس ، وعندئذ تتهيأ النفس للاتصال بالعالم العلوى والائتناس بمبدعها.

ولقد كانت لهذه الفكرة الأفلوطينية دولة وصولة فى القرن الثامن عشر ، إذ اعتنقها وتغالى فيها اليسوعيون واليننسيون حملة ألوية التعليم ، وألفوا الكتب ، وشادوا المدارس ، وسنوا نظم التعليم متأثرين بأن الفطرة شر ، وصلاحها بالعقاب الصارم والثواب المغرى .

ثم جاء روسو فزلزل هذه الدعائم بذلاقة لسانه ، وصلابة بيانه ، فوصلت دعوته إلى أعماق النفوس العاقلة ، وكثر مؤيدوه ، وكتب لآرائه النصر .

لكن الفيلسوف كانت جاء بعد روسو فأثبت أن الطفل منذ ولادته إلى بلوغه سناً معينة خال من الميل إلى الخير والشر ، لأنه لا يفكر فيما يعمل أو يقول .

أما دستورنا الصحيح الذى لايأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه فيقرر أن الطفل يولد مستعداً للخير وللشر معاً ، قال تعالى : « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين ، وهديناه النَّجْدَيْن [1] » وقال سبحانه : «ونفس وما سوَّاها ، فألهمها فجورها وتقواها [2] » .

(١) سورة البلد ٨ — ١٠
(٢) سورة الشمس ٧ — ٨

فإلى أى وجهة جنح أبو العلاء ؟

إن بواعث زهده وما سبق من مظاهر هذا الزهد تؤكد أنه لايمكن أن يذهب إلى خيرية الفطرة ، لأنه ساخط متشائم مبغض للناس ذام لطباعهم .

لهذا كان الانسان فى رأيه شريرا بطبعه ، ومن العسير إصلاحه ، وقد كلف بهذه الفكرة ورددها فى شعره وفى نثره ، وكلف بها فطبقها على حياته وعلى معاملاته فزهد ، واعتزل ، وأعزب .

وقد افتن فى ذم الإنسان ، وإن كان لم يبرىء نفسه هو من الذم والهوان :

إن حازت الناس أخلاق يقاس بها
فإنهم عند سوء الطبع أسواء
إن كان كل بنى حواء يشبهنى
فبئس ما ولدت للناس حواء

وقال :

وفائدة النوم الخروج بأهله
عن عالم هو بالأذى مجبول

ولم يكن الناس يوماً صلاحاً ففسدوا ، أو أتقياء ففجروا ، وإنما هم من طينة الشر خلقوا :

وهكذا كان أهل الأرض منذ فطروا
فلا يظن جهول أنهم فسدوا

وفى محاورته للغراب وصف الإنسان بالجور ونكران الجميل :

جُرْ يا غراب وافسدْ لن ترى أحدا
إلا مسيئاً وأى الخلق لم يجُر
فخذْ من الزرع مايكفيك عن عُرُض
وحاول الرزق فى العالى من الشجر
لو كنت حافظ أثمار لهم ينعتْ
ثم اقتربت لما أخلوك من حجر

## ٣ ـ سخطه على الحياة :

تسخط المعرى حياته ، وتبرم بوجوده وكان للدنيا قاليا ، لم يزل يسبها ويقرعها باللوم حتى صار أكثر الشعراء لها ذما ، لهذا تمنى للوليد ألا يولد حيا ، وتمنى للحى أن يفنى :

فليت وليدا مات ساعة وضعه
ولم يرتضع من أمه النفساء

بل لقد كان الخليق بهذا العالم ألا يوجد :

خيرٌ لآدم والخلق الذى خلقوا
من ظهره أن يكونوا قبلُ ماخلقوا

والدنيا مقبرة لاتستحق تكالب الناس عليها :

أصاح هـ الدنيا تشابه ميْتة
ونحن حواليْها الكلاب النوابحُ
فمن ظلَّ منها آكلا فهو خاسرٌ
ومن راح عنها ساغباً فهو رابح

وقال :

لاتلبس الدنيــا فإن لباسها
سقمٌ وعزّ الجسمَ من أثوابهــا

ولتفعــل النفسُ الجميل لأنه
خيرٌ وأحسن لا لأجــل ثوابهــا

وقال :

أغنى الأنام تقيٌّ فى ذُرا جبــل
يرضَى القليلَ ويأبَى الوشْىَ والتاجا

وأفقــر النــاس فى دنياهم ملك
يُضحِى إلى اللُّجب الجرار محتاجا

**٤ ـ العزوبة :**

لم يكن عجيباً أن آثر أبو العلاء ـ العزوبة ، فلم يتزوج ؛ ونصح بالإعراض عن الزواج ؛ لتنقطع هذه الحياة بانقطاع النسل ، فالنسل جناية على أبنائنا الأبرياء لأنه يلقيهم فى عالم مسجور بالشرور ، وقد أوصى أن يكتب على قبره :

هــذا جنــاه أبى على
ومــا جنيت على أحــد

ولكن ماذا يفعل الرجل الصحيح الجسد إذا ألحت عليه الغريزة ؟

أيجترح إثماً ؟ أم يتزوج ؟

يجيب أبو العلاء بأن له أن يتزوج ، ولكن عليه ألا ينسل ، وأى عاقل يبيح لنفسه الإنسال للشقاء ثم للفناء :

نصحتك لاتنْكِحْ فإن خفت مأثما
فأعرِسْ ولا تُنْسِل فذلك أحزمُ

وكل امرئ نجرع فى هذه الحيــاة كؤوساً مرة ، واصطلى بلهب الشدائد مرة بعد مرة ، فمن العدل ألا ينسل فينتقم من الأبرياء والمستورين وراء حجب الغيب :

وألقــاك فيها والداك فلا تضَعْ
بها ولدا يلْقَى الشدائد والنكرا

على أن الذرية تشقى الآباء والأمهات :

صحبْتك فاستفدت بهن وُلْــدًا
أصابك من أذاتك بالسِّمات

ومن رُزق البنين فغيرُ نــاجٍ
بذلك عن نــوائب مُشْقِمات

فمن ثُكْل يُهــابُ ومن عقوق
وأرزاءٍ يجئــن مصممــات

وإن تُعْطَ البنــاتِ فأىٌّ بؤس
تَبيَّن فى وجــوهٍ مُقَسَّمــات

يُــردن بعــولةً ويُــردْن حلْيــا
ويلْقيــن الخطــوب مُلوِّمـات

وهو إلى تحرجه من النسل رحمة بالأبناء، وخشية من مشقاتهم وعقوقهم كان سيىء الظن بالمرأة، يشك فى حصانتها وفى وفائها لزوجها:

وما تمنعُ الخوْد الحصان حصونها
ولو أن أبراج السماء حُصونها

وقال:

لا تدنُونَّ من النساء
فإن غبَّ الأرْى مُرّ[1]

وكراهيته للنساء جعلته يؤثر موتهن، ويعتده نعمة:

ودفْنُ الغانيات لهن أولى
من الكِللِ المنيعة والخدور

وجعلته يفضل حياة الرهبان:

ويعجبنى عيش الذين ترهَّبوا
سوى أكلهم كدَّ النفوس الشحائح

**٥ — الرحمة بالحيوان، وإيثار النبات:**

كان رقيق القلب رحيما، يعتقد أن ذبح الحيوان قسوة وعدوان، وينشأ عنه يتم الولد أو ثكل الوالدة، ولعله تأثر فى هذا بمذهب البراهمة الذين يحرمون الحيوان ونتاجه.

ولذلك عاش نباتياً، ولهذا المذهب النباتى فى عصرنا أنصار لهم حججهم، ولخصومهم ردود وحجج، فالنباتيون يتذرعون بأن أمعاء الإنسان طوال وأمعاء أكلة اللحوم قصار، لئلا يطول مكث اللحم بها فيتعفن ويضر، ويقولون إن فى النبات العناصر الغذائية كلها، وإن الاقتصار عليها ينجى من أمراض قد ينقلها لحم الحيوان، ويرون أن ذبح الحيوان قسوة واعتداء، وأن حرمانه نتاجه ظلم وجشع، ثم إن النبات أرخص من اللحم.

اعتنق أبو العلاء هذا المذهب خمسا وأربعين سنة عن عقيدة، ودعا مرارًا فى شعره إلى متابعة هذا المذهب، فنهى عن أكل اللحم والسمك والبيض واللبن والطير وعسل النحل:

فلا تأكلنْ ما أخرج البحرُ ظالما
ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح
ولا بيض أُمّاتٍ أرادتْ صريحه
لأطفالها دون الغوانى الصرائح

(١) الارى: عسل النحل.

ولاتفجعنَّ الطير وهى غوافل
بما وضعتْ فالظلم شر القبائح
ودعْ ضَرَبَ النحل الذى بكرتْ له
كواسب من أزهار نبْتٍ فوائح[1]
فما أحرزتْهُ كى يكون لغيرها
ولا جمعتْـه للنَّـدَى والمنائح

وقال :

لا أفجعُ الأمَّ فى الرضيع ولا
أَشْرِكُ هذا الغريرَ فى اللبن[2]

عاش نهاتياً ، يمنع نفسه اللحم ، ولا يشرب اللبن ، ولايذوق الجبن ، ولا يأكل البيض ، فلما مرض مرضه الأخير أشار الطبيب بأن يطعم فروجا ليتقوى به ، لكنه حينما قدم إليه أمسكه وقال : استضعفوك فأهانوك ، هلّا قدموا شبل الأسد ؟

ومن الإنصاف للمعرى أن نذكر أنه لم يحرم الحيوان ونتاجه تحريماً ، وكيف يحرمه وهو يعلم أن الله سبحانه وتعا أحله ، ويعلم أن الحيوان يتكاثر ، فلو خُلِّى وسُيِّب لضاقت به الأرض بما رحبت ولنفدت الأقوات ، ولمات البشر جوعاً .

إنما استبشع المعرى ذبح الحيوان والسطو على ثمراته ، ورحمه ، ورأف به ، وعسى أن يكون قد أراد بذلك حسن المثوبة ، ولقد يدل على أن الباعث الرأفة لا التحريم قوله :

تسريحُ كفك برغوثاً ظفرت به
أبـرُّ من درهم تعطيه محتاجاً

وسئل عن تحريمه الحيوان وقد أحله الله ، فقال : أنا أتركه زهدًا ورحمة ؛ ورد على من ادعى أن ترك اللحم ذميم بقوله : « ولو أخذ بهذا المذهب لوجب على الإنسان ألا يصلى صلاة إلاماافترض عليه ، لأن مازاد على ذلك أداة إلى كلفة ؛ والله تبارك وتعالى لايريد ذلك ، ولووجب أن الذى له مال كثير إذا أخرج عن الذهب ربع العشر لايحسن به أن يزيدعلى ذلك ». فهو يعلم أن الله عز وجل أحل لحم الحيوان وأباحه ، ولكنه يتوقى عواقب الذبح واغتصاب النتاج .

(١) ضرب النحل : عسلها .
(٢) الغرير : ولد البقرة والنعجة والماعز .

وقد لقيه رجل فسأله : لم لاتأكل اللحم ؟ فقال : أرحم الحيوان ، قال الرجل : فما تقول فى السباع التى لاطعام لها إلا لحوم الحيوان ؟ فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه ، وإن كانت الطبائع هى المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها ، فسكت أبو العلاء .

**٦ ـ الجبر :**

لم يكن بد لهذا الشاعر الفيلسوف المرزوء المتهرم أن يدين بالجبر ، ولعله ساءل نفسه : لم هذه الفوضى الضاربة فى أعماق المجتمع ؟

ولم هذا التباين بين أفراده وطبقاته ؟

وهل تخير الأشقياء فى حياتهم الشقاوة ؟

وهل آثر أحد لنفسه البلوى والعمى والفقر والقهر وفقدان النصير ؟

لو بوده لنعم بنور عينيه ، ولسعد بثروة واسعة ، ولا ختال فى برد من الجمال ، ولكان ظهيرا ونصيرا لكل ضعيف وفقير ، ولكن هكذا اختير له ، وهكذا وجد نفسه لا حول له ولا طول فى تغيير الواقع وإن جهد ، فما بال الناس يجهلون الحق ، ويجحدون الواقع ، فينكرون أننا مسيّرون ؟

آمن بالجبر ، ونص فى مقدمة اللزوميات أنه مجبر على نظم هذا الديوان ، وأنه ألفه بتأثير قوة لايعرف حقيقتها ، وكرر الجبر فى مواضع شتى ، واحتج له ، وعزا إليه كل عمل ، فنحن نستهل على الدنيا بغير اختيار ، ونفارقها على اضطرار :

المرءُ يقْـدم دنياه على خَطَـر
بالكره منه وينأها على سُخُط

وقال :

خرجتُ إلى ذى الدار كرهاً ورحلتى
إلى غيرها بالرغم واللهُ شاهـدُ
فهل أنا فيما بين ذيْنك مُجبـرٌ
على عمل أم مستطيعٌ فجاهدُ ؟

**٧ ـ التخشن :**

التزم أبو العلاء نظاماً قاسياً فى حياته ، حمله على الشظف من العيش والخشن من الحياة ، والقناعة بما نالت يداه ، وقال :

قنعتُ فخلتُ أن النجم دونى
وسيّـان التّقنع والجهـادُ

ولم يجالسِ الناس على مائدة ، ولم يره أحد يأكل ، لأنه كان إذا أراد الطعام أوى إلى نفق له فيأكل فيه ، وكان طعامه العدس ، وحلواه التين ، قال :

يُقنِعنى بُلْسُنٌ يمارسُنى لى
فإن أتتنى حلاة فبلَسْ[1]

وكان يلبس ثياباً من القطن غلاظا ، ويفترش اللبد فى الشتاء ، وحصر البردى فى الصيف .

وجانب الخمر ، وحرمها ديناً وعقلا وصحة ، وألف فى ذمها كتاباً سماه (حماسة الراح) ، ومن قوله فيها :

يا بدوىُّ اتّقِ المدامة إن الخمر
باتت كثيرة الأبن[2]
آليتُ ما سمَّحتْ أخا بُخُل
يوماً ولا شجَّعت أخا جُبُن

وقضى حياته متزمتاً مكتئباً يرى أن الضحك جنون :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
وحُقَّ لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الأيام حتى كأننا
زجاج ولكنْ لايعادُ له سبك

وقال :

فافرقْ من الضِّحك واحذر أن تحالفه
أما ترى الغيْم لما استضحك انتحبا

عفا الله عن أبى العلاء ، لقد كان شاعرًا فيلسوفاً ، سبق عصره ، ومازال إلى اليوم يدرس فى الشرق وفى الغرب دراسة تنم عن تقديره وإكباره .

**احمد الحوفى**
**عضو المجمع**

---

(١) البلسن : العدس : البلس : التين

(٢) الابن : جمع أبنة وهى العنب .

# تحقيق لسان العرب
## — ٧ —
للأستاذ عبد السلام هارون

٨٨٨ ـ (أبل) : ٢٣ وبيروت ١١ :٥ والمخطوطة ، قول أبي ذويب الهذلي :

بها أبلت شهرَى ربيع كلاهما
فقد مارَ فيها نسؤها واقترارها

وصواب الرواية « به » كما في ديوان الهذليين ١ :٢٣ وشرح السكرى ، والمقاييس والصحاح ( أبل ) . كما أن الصواب أيضاً « كليهما » فهي توكيد لشهرى ربيع .

٨٨٩ ـ ( أبل ) ٥ : ١٤ والمخطوطة :

* أبابيل هلطى من مُـراحٍ ومُهمل *

والوجه « هطْلَى » كما في اللسان ( هطل ٢٢٤ ) والصحاح ( هطل ) أيضاً . وقد وردت على الصواب في طبعة بيروت٥ والهطلى من الإبل : التي تمشي رويداً .

٨٩٠ ـ ( أبل ) ٦ : ٢٢ وبيروت ٦ : « والأَيْبُل صاحب الناقوس الذى ينقّس النصارى بناقوسه يدعوهم به إلى الصلاة »

ووردت كلمة « ينقس » في المخطوطة مهملة النقط فيما عدا القاف التي نقطت بنقطتين ووضع شدة فوقها . والوجه في ذلك كله « ينقُس » كما في اللسان والقاموس . من النَّقْس ، وهو ضرب الناقوس . وفي حديث بدء الأَذان : « حتى نقَسوا أو كادوا ينقُسون حتى رأى عبد الله بن زيد الأَذان » .

أما التنقيس فهو جعل النِّقس الدواة ، وهو المداد .

٨٩١ ـ ( بغل ) ٦٣ : ٩ وبيروت ٦٠ والمخطوطة كذلك : « البغل هذا الحيوان السحاج الذى يُركب » . ولا وجه للسحج هنا . والصواب « الشحاج » بالشين المعجمة ، من الشحيج والشُّحاج ، وهو صوت البغل ، وبعض أصوات الحمار . وأما السحج فهو الخدش والعض ، فليس مراداً هنا .

٨٩٢- ( بقل ) ٦٤ : ٩ وبيروت ٦١
قول أبي النجم :

* يلمحْن من كلِّ غَميسٍ مُبقِلِ *

وليس للَّمح هنا وجه، والوجه «يلمُجْن» بالجيم . واللمج : الأكل، أو هو الأكل بأدنى الفم، ومنه قول لبيد يصف عَيرًا :

يلمجُ البارضَ لمجاً فى النـدى
من مرابيعِ رياضٍ ورِجَـلْ

٨٩٣- ( بقل ) ٦٤ : ٢٥ وبيروت ٦١ : « قال مالك بن خويلد الخزاعى الهذلى :

تالله يبقى على الأيـام مبتقل
جونُ السَّراة رباعٍ سنُّه غردُ

وفى المخطوطة : « الحراعى »، صوابهما جميعاً « الخناعى » ، نسبة إلى خناعة ابن سعد بن هذيل . وليس فى الهذليين خزاعة، إنما خزاعة من عامر بن قمعة بن الياس بن مضر . وهذيل هم بنو مدركة ابن الياس بن مضر . ومع هذا إن صواب نسبة البيت لأبى ذويب الهذلى، فى ديوان الهذليين ١ : ١٢٤ وشرح السكرى ١ : ٥٦ وهو مطلع قصيدة له .

٨٩٤- ( بلل ) ٦٨ : ٢٠ وبيروت ٦٥
وأصل المقاييس ١ : ١٩٠ قول الشاعر :

ينفِّرن بالحيجاء شاءَ صُعائد
ومن جانب الوادى الحمام المبلِّلا

وجاء فى حاشية مصحح اللسان : « قوله بالحيجاء هكذا فى الأصل وشرح القاموس . وحرره ». وقد أخطأ المصحح كذلك، فإن الذى فى الأصل هو «بالحيحا» مهملة النقط لا بالجيم كما ذكر، وصواب نصه « بالحيحاء » كما فى شرح القصائد السبع الطوال ٥٦٣ . وجاء فى اللسان ( حا ٣٣٣ ) فى الجزء العشرين : « أبو زيد : حاحيت بالمعزى حِيحاءً ومحاحاة : صحت بها ». ثم ذكر قولًا آخر يصحح ضبطها بفتح الحاء لا بكسرها . وفى القاموس ( حيح ) : « حاحيتُ حِيحاءً، مُثِّل به فى كتب التصريف ولم يفسَّر . وقال الأخفش : لا نظير له سوى عاعيت وهاهيت » . وصُعائد : موضع .

٨٩٥- ( بلل ) ٧٤ : ١٦ وبيروت ٧٠
قول الراجز :

وبلدة ما الإنس من آهالهـا
ترى بها العوهق من وئالهـا

وفى المخطوطة : « من وثالها » بالواو كذلك ، وبالياء المنقوطة بنقطتين وفوقها همزة . وكلاهما خطأٌ ، والصواب : « من رثالها » ، جمع رأل ، وهو ولد النعام أو الحولىُّ منها . والعوهق من النعام : الطويل .

٨٩٦ـ ( تلل ) ٨٣ : ١٦ وبيروت ٧٩ والمخطوطة : وقوله ، أنشده سيبويه :

طويل مِتل العنق أشرف كاهلًا

رحيب . . . الجوفِ معتدلُ الجِرْمِ

وقال مصحح بولاق : « كذا وقع هذا الهياض بالأصل » . وبالرجوع إلى سيبويه ١ : ٨١ بولاق و ١ : ١٦٢ من نسختى نجد عجز البيت ، مع نسبته إلى عمرو ابن عمار النَّهدى :

* أشَقُّ رحيب الجوف مُعتدِلُ الجِرم *

وكان ينبغى أن يكون البياض فى أول العجز ، لابعد أول كلمة منه .

٨٩٧ـ ( ثتل ) ٨٦ : ١٣ وبيروت ٨٢ لأمية بن أبى الصلت :

والتماسيحُ والثياتل والأَ

يِّلُ شتى والريمُ واليعفورُ

وكذا ورد فى المخطوطة : « واليعفورُ » : والصواب النصب فى كل كلمات البيت على هذه الصورة :

والتماسيحَ والثياتلَ والأَ

يِّلَ شتىً والرِّيمَ واليعفورا

كما فى الحيوان ٧ : ٢٠٩ وديوان أُمية بن أبى الصلت ٣٤ وفيه « والرئم والعصفورا » وهى رواية . وقبل البيت فى الحيوان والديوان :

خلق النخلَ مُعْصِراتٍ تراها

تعصف اليابسات والمخضورا

٨٩٨ـ ( ثعل ) ٨٧ : ٢٥ وبيروت ٨٣ والمخطوطة كذلك ، فى تفسير قول الشاعر :

فطارت بالجدود بنو نزارٍ

فسُدناهم وأثقلت المِضَارُ

جاء فى التفسير بعده : « والمضار : جمع مَضَر » . والصواب « مُضَر » كما فى مجالس ثعلب ٥٢٩ وهو اسم القبيلة المعروفة : وفى مجالس ثعلب : « جمع مُضَر مِضَار » : والشاعر هنا هو القطامى ، كما ورد فى حواشى مجالس ثعلب . وانظر ديوان القطامى ٨٦ :

٨٩٩ – (ثلل) ٩٦ : ١١ وبيروت ٩١

قال يصف برذوناً :

* مِثَلٌّ على آرِيِّهِ الرَّوث مُنثـلُ *

وجاء في المخطوطة : «مُنْثلُ» بتخفيف اللام مضبوطة بالضمة ، مع ضبط الميم بالضمة أيضاً . والصواب «مِنْثلُ» بكسر الميم وتخفيف اللام . وفي القاموس : «والفرس ينثُل بالضم :راث ، فهو مِنْثلٌ» وفي اللسان (انثل): «ونثل الفرس ينثلُ فهو مِنثلٌ : راث» . وأنشد البيت بتمامه :

ثقيل على من ساسهُ غير أنَّه

مِثَلٌّ على آرِيِّه الرَّوثُ مِنثَلُ

٩٠٠ – (جأل) ١٠١ : ١٣ وبيروت ٩٦

والمخطوطة أيضاً قول الراجز :

* وشاركَتْ منك بشأْوٍ جِئْأَلَهْ *

ولا وجه للشأْو هنا ، فإن معانيه – محصورة في السبق ، وفي التراب المستخرج من البئر . وصوابه : «بشِلْو» . والشِّلْو ، بالكسر : العضو من أعضاء البدن . دعا عليه أن تأْكله الضبع بعد موته أوقتله . وقبل الشطر :

ايتك إذْ رُهنتَ آلَ مـوأَلهْ

حزُّوا بنصل السيف عِنْدَ السَّبله

٩٠١ – (جبل) ١٠٢ : ١١ وبيروت ٩٧ : «وأجبل الحافر : انتهى إلى جبل ، وأجبل القوم ، إذا حفروا فبلغوا المكان الصُّلب ، قال الأعشى :

وطـال السَّنـامُ على جبلة

كخلقاء من هضبات الحَضَنْ »

والصواب «على جَبْلة» بفتح الجيم كما في المخطوطة . والبيت في صفة ناقة : والجبلة ، بالفتح : الناقة العظيمة السَّنام ، كما يقال للسَّنام نفسه جَبلة ، كما في المقاييس . وفي القاموس أن الجُبلة بالضم : السَّنام ويفتح . فهذه لغة أُخرى . أما كسر الجيم فخطأٌ لم يرد في المخطوطة ولا في المعاجم .

ثم إن وضع ابن منظور للشاهد هذا الموضع لا وجه له ، كما هو ظاهر .

٩٠٢ – (جبل) ١٢٢ : ١٨ وبيروت ٩٧ والمخطوطة أيضاً ، قول سدوس بن ضِباب :

إني إلى كل أيسارٍ وبـاديـةٍ

أدعُو حبيشاً كما تُدعى ابنةُ الجَبَلِ

ولا وجه للبادية هنا ، إنما هي «ونادبة» بالنون والباء ، كما في نوادر أبي زيد

١٤٢ وسمط اللآلى ٦٦٣ . والأيسار : جمع يَسَر ، بالتحريك ، وهم القوم الذين يتياسرون ، أى يتقامرون على الجزور لاقتسامها . انظر الميسر والأزلام من تأليف كاتبه ٣٠ . يقول : إنه يشارك فى الميسر لتتاح له فرصة إطعام المقير ، كما أن النادبات الحزينات على موتاهن يحتجن إلى عونه . أى إذا ندبت امرأة ميّتها دعوت لها هذا الرجل فيجيبنى فى سرعة للأخذ بالثأر ، كما يجيب الصدى الصوت سرعةً . وابنة الجبل ، هى صدى الصوت الذى يُجيبك من الجبال والصحراء .

٩٠٣ ـ ( جدل ) ١١٠ : ٢٤ وبيروت ١٠٥ قول أبى ذؤيب :

فهنَّ كعِقبان الشَّريج جوانحٌ
وهم فَوقها مستلئمو حلق الجَدْل

وجاء فى المخطوطة « الشُّريج » ، ووجه الرواية فيهما جميعاً : « الشُّرَيف » بالفاء فى آخره مع ضم الشين ، كما فى ديوان الهذليين ١ : ٣٨ وشرح السكرى ١ : ٩٢ وهو الموضع الذى تنسب إليه العِقبان . وفى معجم البلدان : « الشُّريف : تصغير شرَف ، وهو الموضع العالى ، ماء لبنى نُمير ، وتنسب إليه العقبان » . وأنشد لطفيل الغنوى :

تبيت لعقبان الشُّريفِ رجـاله
إذا مانـووا إحـداث أمرٍ معطِّب

٩٠٤ ـ ( جلل ) ١٢٣ : ١٥ وبيروت ١١٦ : « وفى حديث أمِّ صِبْية كنَّا نكون فى المسجد نسوةً قد تجاللن ، أى كبِرن » . ووردت « صبية » فى المخطوطة بكسر الصاد أيضاً مع إهمال نقط الباء وتشديد الياء قبل الهاء . والصواب إن شاء الله « صُبيَّة » بهيئة التصغير ، كما فى الإصابة رقم ٣٧٤ من قسم النساء . واسمها خَولة بنت قيس . وانظر كنى النساء فى الإصابة رقم ١٢٤٧ .

٩٠٥ ـ ( جلل ) ١٣٠ : ٨ قول ذى الرمة :

أيا ظبية الوعْساء بين جَلاَجل
وبين النقَى آأنت أمْ أُمُّ سالم

وفى « النقَّى » خطأٌ ظاهر فى الضبط كما أن هناك خطأً فى الكتابة ، فإن « النَّقا » مما يرسم بالألف لا بالياء ، لأنها من مادة واوية . وقد جاءت على الصواب فى بيروت ١٢٣ والمخطوطة .

٩٠٦ـ (حبل) ١٥٠ : ٢ وبيروت ١٤١ « السَّمُر شبه اللُّوبياء، وهو الغُلَّف من الطلح، والسِّنْف من المرخ » . وإنما هو « العُلَّف » بالعين المهملة، وهو وعاء ثمر الطلح، كما أنَّ السِّنف وعاءُ ثمر المرْخ . ولا تعرف اللغة « الغُلَّف » بالغين المعجمة .

٩٠٧ـ ( حبل ) ١٥٠ : ٥-٦ وبيروت ١٤١ والمخطوطة : « حبال : اسم رجل من أصحاب طليحة بن خويلد، أصابه المسلمون في الردَّة فقال فيه :

فإن تكُ أذوادٌ أُصبْنَ ونِسوةٌ
فلن تذهبوا فِرغاً بقتلِ حِبالِ

والقول بأنه من أصحاب طليحة فيه تجوُّز، فإنه هو ابن طليحة كما في الإصابة ١٩٤٠ . وجاء في تفسير أبي حيان ٧ : ١٠٧ أنه أخو طليحة، والصواب أنه ابنه لا أخوه . وفي الإصابة أن طليحة قال لأصحابه وقد أصابهم عطش : « اركبوا حبالا، أي اسلكوا طريقه » . وحبال : ابنه كما في جمهرة ابن دريد ٣ : ٢١٠ كذلك .

٩٠٨ـ ( حصل ) ١٦٣ : ٩ وبيروت ١٥٤ : « البلح قبل أن يشتدَّ وتظهر تفاريقه » والصواب « ثفاريقه » بالثاء المثلثة كما في المخطوطة . والثُّفروق كعصفور : قِمع البسرة والتَّمْرة .

وكذلك وردت في السطر العاشر « من تفاريقه » بالتاء المثناة في المطبوعتَين والمخطوطة، فلتصحح بالثاء المثلثة .

٩٠٩ـ ( حلل ) ١٧٩ : ٢ وبيروت ١٦٨ والمخطوطة أيضاً قول عبْدة بن الطبيب :

تُحفِي التراب بأظلاف ثمانية
في أربع مسُّهنَّ الأرض تحليل

والبيت في صفة ثور شبَّه الشاعر به ناقته . والصواب « يخْفِي التراب » بالياء المفتوحة لا التاء المضمومة، وبالخاء لا الحاء المهملة، كما في المفضليات ١٤٠ . فكما يقال خَفَى الشيء يَخفيه خَفْياً : كتمه وستره، يقال أيضاً خَفاه بمعنى أظهره واستخرجه، فهو من الأضداد . والمراد هنا أن هذا الثور يستخرج التراب من الأرض بشدة عَدْوه . ونحوه قول امرئ القيس :

خفاهنَّ من أنفاقهن كأنَّما
خفاهُنَّ ودقٌ من سحاب مركَّب

٩١٠ـ ( حلل ) ١٨٤ : ٨ وبيروت ١٧٣ قول ليلى الأخيلية :

لنا تامكٌ دون السماء وأصلُه
مُقيمٌ طُوالَ الدهر لن يتحلحلا

وينبغى أن تضبط طاء « طوال » بالفتح ، بمعنى طُولَ الدهر . ولم يضبط فى المخطوطة من حروف الكلمة إلا الواو ، ضبطت بالفتح . وأما الطُّوال بالضم فمعناه الطويل ، فإذا أفرط فى طوله قالوا طُوّال بتشديد الواو .

٩١١ ـ ( حلل ) ١٨٤ : ٢٥ وبيروت ١٧٤ : « يقال للناقة إذا زجرتها حلْ جزمٌ ، وحَلٍ منوّن ، وحَلِى جزم لاحليتِ ». وفى المخطوطة : « وحلى » الفتحة على الحاء فقط . وصواب ضبط اللام فيها بالكسر كما فى ١٨٥ : ٢ وكما ورد فى ( حوب ) ص ٣٣٠ س ٣ .

٩١٢ ـ ( حمل ) ١٩١ : ٢١ وبيروت ١٨٠ والمخطوطة أيضاً قول الجعدى :

كليبانى حس ماامسه
وأفانين فؤاد محتمل

وهكذا ورد صدر البيت محرفاً مشوها وصوابه « كليْباً من حِسِّ ماءٍ مسَّه » كما فى إحدى روايتى البيت فى المعانى الكبير لابن قتيبة ١٢ قال : « ويروى من حس ماءٍ مسّه » . وفسَّره بقوله : « أى لمّا وجد مسَّ العرق أخذه شبيه بالجنون من شدة العدو » . وهذه هى الرواية التى تنسجم مع تصحيح البيت . أما الرواية الأُخرى فهى فى الديوان ٨٩ والحيوان ٢ : ٨ والمعانى الكبير ١١٣٣ وهى : « كلبا من حسِّ ما قد مسّه » . والأُولى أوفق بهذا الموضع .

١٩٣ ـ ( دخل ) ٢٢٨ : ٢١ وبيروت ٢٤١ والمخطوطة : ومن كلامهم :

ترى الفتيان كالنخل
وما يدريك بالدَّخل

وصوابه الرواية « ما الدَّخلُ » كما فى البيان ١ : ٢٢٠ وشرح الحماسة للمرزوقى ٩٢٤ وأمثال الميدانى ١ : ١٢٣ واللسان ( حجا ١٨٠ ) مع نسبة الشعر فى اللسان إلى ابنة الخُس . والصواب أيضاً أن أول من قال هذا المثل هو عثمة بنت مطرود البَجَلية ، كما قال المفضل بن سلمة فى الفاخر ١٥٦ ، وأن ابنة الخس ضمنت شعرها هذا البيت وقالت قبله :

قالت قالةً أختى
وحَجواها لها عقل

وتعنى بأُختها هذه « عشمة بنت مطرود » صاحبة المثل . وبعد بيت ابنة الخس كما فى البيان :

وكلٌّ فى الهوى ليثٌ
وفيما نابه فسل
وليس الشأن فى الوصل
ولكن أن يُرى الفصل

٩١٤ـ (ذأل) ٢٧٠ : ١٤ وبيروت ٢٤٥ : « والذألان : مشى سريع خفيف فى مَيَس » . والصواب إسكان الياء فى « ميْس » ، يقال ماس يميس مَيْساً وميساناً : تبختر واختال .

٩١٥ـ ( رعل ) ٣٠٦ : ١٨ وبيروت ٢٨٨ والمخطوطة : « قال الفِند الزِّمّانى ، واسمه سهل بن شيبان » ، والصواب « شهل » بالشين المعجمة كما فى الاشتقاق ٣٤٤ وجمهرة ابن حزم ٣٠٩ والخزانة ٢ : ٥٩ بولاق و ٣ : ٤٣٤ هارون . قال البغدادى : « وشهل بالشين . وليس فى العرب شهل بالمعجمة إلا هو وشهل بن أنمار من قبيلة بجيلة » . ولم يكن البكرى موفقاً فى زعمه فى اللآلى ٥٧٩ أن ليس فى العرب شهل بشين معجمة غير شهل بن شيبان ، إذ وضح أن هناك شهل بن أنمار . أما اشتقاق شهل فقد ورد اللسان ( شهل ) : « ولا يقال رجل شهل كهل ولا يوصف به ، إلا أن ابن دريد حكى : رجل شهل كهل » .

٩١٦ـ ( رقل ) ٣١٢ : ١١ـ١٢ وبيروت ٢٩٣ : « وروى أبو عبيد عن أصحابه : الإرقال والإجذام والإجماز : سرعة سير الإبل » . وفى المخطوطة : « والإحمار » بالحاء والراء المهملتين ، وليس لأيّة واحد منهما وجه ، فإنه لم يرد من جمز إلا الثلاثى ؛ يقال جمز الإنسان والبعير والدابة يجمز جمزًا وجمزَى ؛ وهو عدو دون الحضر الشديد ، كما أن الإحمار بالمهملتين لاوجه له ، وصوابهما جميعا « الإجمار » بالجيم والراء المهملة كما فى التهذيب ٩ : ٨٦ . وفى اللسان (جمر ٢١٨) : وأجمر الرجل والبعير : أسرع وعدا . ولا تقل أجمز بالزاى . قال لبيد :

وإذا حرّكتُ غرزى أجمرت
أو قِرابى عَدْوَ جَوْنٍ قد أبل

٩١٧ـ ( سبل ) ٣٤٤ : ١ وبيروت ٣٢٣ والمخطوطة : « الشعر لجهم بن شِبْل » وفى المخطوطة : « شبل » بدون

ضبط ، وإنما هو « سبَل » بالسين المهملة ، كما يدل عليه الرجز الذى أنشده ، وهو :

أنا الجـواد بنُ الجوادِ بنِ سبَل
إن ديَّموا جادَ وإن جادوا وبلْ

٩١٨ – (سحبل ) ٣٥٢ : ٢٣ وبيروت ٣٣١ : « قال جعفر بن علبة الحرثى » ، وإنما هو « الحارثى » كما هو واضح فى المخطوطة . وهو من شعراء الحماسة ، انظر له المرزوقى ٤٤ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٣٥٦ والخزانة ٤ : ٣٢٢ بولاق . وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين .

٩١٩ – ( سرل ) ٣٥٦ : ٣ وبيروت ٣٣٤ قول ابن مقبل :

أتى دونَها ذبٌّ الرِّيادِ كأنَّـه
فتًى فـارسىٌّ فى سراويلِ رامحِ

ولم تضبط « سراويل رامح » فى المخطوطة . والصواب فى إنشاده « فى سراويلَ رامحُ » بالرفع فى « رامح » لا بالإضافة ، فإن البيت من قصيدة له مضمومة الروى فى ديوانه ، مطلعها :

دعتنـا بكهفٍ من كُنابين دعوةً
على عجلٍ ، دهماءُ ، والركب رائح

والبيت المستشهد به من شواهد — الخزافة : ١١١ وابن يعيش ١ : ٦٤ والمقاييس ٢ : والمقالى ٢ : ١٦٤

٩٢٠ – ( سندل ) ٣٧٠ : ٢٥ وبيروت ٣٤٨ : « والسندل : طائر يأْكل البيش عن الحائط » . وفى المخطوطة « عن الحايط » ولا دخل للحائط بالبيش ، ولا علاقة بينهما . فإن البِيش نبت يكون ببلاد الهند ، وهو نبت سامّ ، يموت من تناول منه . والصواب « عن الجاحظ » ، أى إن هذا القول مأْثور عن الجاحظ . ومن الحق أن الجاحظ قد ذكر السندل فى الحيوان ٦ : ٤٣٤ كما ذكره بلفظ «السمندل » فى ٢ : ١١١/ ٥ : ٣٠٩ ولكنه مع هذا لم يذكر أنه يأْكل البيش بل ذكر أنه يسقط فى النار فلا يحترق ريشه . وقال فى ٥ : ٣٠٩ : « وفأْرة — البيش :دويْبّة تغتذى السموم فلا تضرُّها . والبيش سم . وحكمه حكم الطائر الذى يقال له سمندل ، فإنه يسقط فى النار فلا يحترق ريشه » . فهو يشبِّهه بفأْرة البيش فى أن لكل منهما أُعجوبة خاصة ، لا أنهما اشتركا فى أُعجوبة آكل البيش .

٩٢١ - ( شعل ) ٣٧٨ : ٩-١٠ وبيروت ٣٥٥ والمخطوطة : « والإطنابة أمه ، وهى امرأة من بنى كنانة بن القيس بن جسْر ابن قضاعة » . وليس فى قبائلهم «القيس ابن جسر » ، وإنما هم « القين » بالنون . وهو القين بن جسر بن شيع الله بن أسد ابن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة . جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٤٥٤ والاشتقاق ، وحواشيه ٥٤٢ . وقالوا : إنما سمى النابغة الذبيانى نابغة لقوله ( الديوان ٢٥٦- واللسان نبغ ) :

وحلت فى بنى القين بن جسْر
وقد نبغتْ لنا منهم شئون

٩٢٢ - ( شمل ) ٣٩٤ : ١٥ قول امرئ القيس :

كأنى بفتخاء الجناحين لقوة
دفوفٍ من العقبان طأطأتُ شِمالى

صوابه « الجناحَيْن » كما فى المخطوطة وبيروت ٣٧١ والديوان ٣٨ واللسان ( فتخ ) .

٩٢٣ - ( طفل ) ٤٢٨ : ١٩ وبيروت ٤٠٣ والمخطوطة أيضاً قول لبيد :

* وعلى الأرض غيابات الطَّفلْ *

والصواب « غيايات » بياءين كما فى ديوان لبيد ١٨٩ واللسان ( غيا ٣٨١ ) حيث ورد على الصواب . والغياية ، بياءين : ظل الشمس بالغداة والعشى .

٩٢٤ - ( طول ) ٤٤٠ : ١٨ وبيروت ٤١٤ : « ولم يحُلَّ منه بطائل لايتكلم به إلّا فى الجحد » . والصواب « ولم يَحْلَ » مضارع حَلِى ، كما فى اللسان ( حلا ٢٠٩ ) وفيه : « قال ابن برى : وقولهم : لم يحْلَ بطائل ، أى لم يظفر ولم يستفد منها كبير فائدة ، لايتكلم به إلا مع الجحد . وما حلِيتُ بطائل لايستعمل إلا فى النفى » .

٩٢٥ - ( عصل ) ٤٧٥ : ٢٥ وبيروت ٤٤٩ والمخطوطة كذلك : قال لبيد :

فرميتُ القومَ رِشقاً صائباً
ليْسَ بالعُصْل ولا بالمقْتعلْ

والصواب « ليس بالعُصْل » كما فى ديوان لبيد ١٩٤ لأنه صفة للرِّشْق ، وهو بالكسر : رمى السهام الكثيرة دفعة واحدة . قال أبو زبيد الطائى :

كلَّ يوم ترميه منها برشق
فمصيبٌ أو صافَ غير بعيدِ

٩٢٦ _ (عقل) ٤٨٩ : ٢١ وبيروت ٤٦٢ والمخطوطة، قول يزيد بن الصعق:

أساورُ بيض الدارعين وأبتغى
عقال المئينَ فى الصباع وفى الدهر

وردت « الصيباع » كذا مهملة النقط وبالعين فى آخرها . والصواب « فى الصباح » كما فى التهذيب ١ : ٢٤٠ ويراد بالصباح الغارة صبحا . ويوم الصباح هو يوم الغارة ، كما فى اللسان (صبح) . وأنشد للأعشى فى ذلك :

به تُرعف الألفُ إذا أُرسلتْ
غَداةَ الصباح إذا النقعُ ثارا

٩٢٧ _ ( عهل ) ٥٠٩ : ٢٤ وبيروت ٤٨١ والمخطوطة كذلك : « قال ابن الزُّبير الأسدى » . وهذا الشاعر هو « عبد الله بن الزَّبير » بفتح الزاى ، كما فى الخزانة ١ : ٣٤٤ بولاق و ٢ : ٢٦٤ من نشرتى، حيث ورد ضبطه ونسبه وترجمته. وهو من شعراء الدولة الأُموية .

**عبد السلام هارون**
عضو المجمع

# فن الكتابة فى الأدب العربى

## للدكتورة نعمات احمد فؤاد

**حين** يدور الحديث عن الإسلام تقول كتب الدين والتاريخ معاً :

إن الهجرة من مكة إلى المدينة هى نقطة التحول فى المرحلة الأولى ، ولكنى أقول : إن نقطة التحول بادئ ذى بدء هى القراءة أى العلم فالآية الكريمة ( اقرأ باسم ربك الذى خلق ) هى الخط المميز بين محمد الإنسان ومحمد الرسول وهى مفتاح كبير من مفاتيح الحضارة الإسلامية . وتأتى الآية الكريمة ( ن . والقلم وما يسطرون ) فتعززها .

غالية السطور قد تفوق الجواهر حين تصاغ منها الكتب المنزلة ، والوصايا المرسلة والحكم الخالدة .

غالية الكتابة حل وحد . فحين تعتلج فى صدر الإنسان مشكلة ، ينفضها على السطر ، وإذ يكتبها تتحدد هى ، ويتخفف هو .

وينتشر الإسلام فى الأرض وتصير له دولة وصولة وحضارة وفن فإذا بالخط العربى جدول من نهر الفن الإسلامى يموج مثله ويسيل حلاوة : إن من يتأمل الحروف الهجائية العربية يجدها عبارة عن ألف متحركة تميل وتتقوس وتستقيم .

فى الكتابة العربية تسمع موسيقى الشكل .

حقاً تأثر الخط العربى الكوفى بالصين دون أن يقلده . وبهذا تحولت العطايا الصينية إلى هدايا إسلامية .

وعظم الإسلام العلم والتسطير ونزل كتابه بياناً رائقاً وفائقاً . . . باهراً وفاخراً ، فانبثق الخط العربى من هذا النبع الروحانى فجوده أصحابه ، وقدموه إضافة حضارية إلى تراث الإنسان .

ولم يقتصر الخط العربى على حروف مرسومة عاطلة ، أو منقوطة ، بل غدا غاية ووسيلة حتى ليقول الإمام على ( الخط الحسن يزيد الحق وضوحا ) . وقد فصل القلقشندى الحديث عن هندسة الحروف العربية فى الجزء الثانى من صبح الأعشى .

وصارت له أصول وقواعد ونسق وهيئة تتغير وتتطور ما بين تحرير وتحوير . وينبلج على الصفحة كالنية الحسنة ، أو يغمض كالرمز ، ويستخفى كالسر . . . وهو فى الحالين يغترف من نبع صاف يقف وراء المسلم كاتباً وراسماً ومصوراً ، آيات م قرآنه

إلهامات وإشراقات تضيء جوانب نفسه وتنعم إحساسه فيجود بالفن ويجيد .

ودخل الخط العربى فى الفن الإسلامى حتى صار أحد معالمه. وبلغ من أمره أن قال النقاد الفنيون فى مؤتمر الفن الإسلامى الذى عقد بلندن سنة ١٩٧٦ فى شبه إجماع : إن الفن الإسلامى على اختلاف أوطانه متشابه، وعزوا هذا التشابه إلى الخط العربى .

الفن الإسلامى يشد بعضه إلى بعض رباط بلا شك : فما الذى يربطه ؟

فى رأيى أن العنصر الرائع الذى يربط عطاءات الفن الإسلامى فى أوطان عدة إنما هو الفكر الإسلامى ثم تجئ الكتابة العربية فتستوعبه .

وهنا أنتقل بالحديث من الشكل إلى الموضوع :

إن فن الكتابة هو فن الفكر والذوق معاً .

فن الفكر بما يضمنها الكاتب من معان ، وفن الذوق بما يخلع عليها الكاتب من حُلاه ورؤاه :

والتقاء المعنى بالأسلوب فى الكتابة لون من ( العلاقات الفاضلة ) .

وهنا تصبح الكتابة عطاء نفس ، وحكمة روح من يؤتها فقد أوتى خيراً كثيراً ، ولعل القلقشندى كان يعنى هذا حين قال : ( إن الكتابة هى الصناعة التى لا يليق بطالب العلم من المكاسب سواها ) .

إن كتاب صبح الأعشى جمع أطرافا من المعارف على طريقتهم فى التصنيف والتأليف فى عصره ولكنه قام أصلا من أجل التعريف بالكتابة والكتاب حتى استمد اسمه منها فهو ( صبح الأعشى فى كتابة الإنشا ) .

واعتزاز قومنا بالكتابة ، عز حضارى يجب أن تلتفت التربية إليه فى عصر يفاضل فى إصرار بين ( العلمى ) و ( الأدبى ) كأن المعرفة الإنسانية تتفاضل أو كأن علوم الوسائل تتعارض مع علوم الفن والتصوير والتعبير .

لقد كان من قومنا من يقول : ( الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة ، إليها ينتهى الفضل ، وعندها تقف الرغبة ) .

على أن الكتابة فى رأيى بل ورأيهم أيضاً خير وأبقى من الخلافة حتى قالوا : كفى بالكتابة شرفاً أن صاحب السيف يزاحم الكاتب فى قلمه ولا يزاحمه الكاتب فى سيفه . ومن ثم صار السلطان الذى هو رئيس الناس ومستخدم أرباب كل صناعة ومصرفهم على أغراضه، يفتخر بأن تكون فضيلتها حاصلة له مع ترفعه عن التلبس بصناعة من الصنائع الحسنة ، وأنفته أن يقع اسم من أسمائها عليه . وأن كل ملك وسلطان يؤثر أن يكون له حظ من بلاغة العبارة وجودة الخط ، وفى ذلك ما يدل على أنها أشرف الصنائع رتبة وأعلاها درجة » .

العتبى وحده هو الذى رأى ، وشايعه المأمون ، ( الأمية فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فضيلة ، وفى غيره نقيصة ؛ لأن

الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتمكن الإنسان بها من الحيلة فى تأليف الكلام ، واستنباط المعانى فيتوسل الكفار إلى أن يقولوا اقتدر بها على ما جاء به ) .

يا أيها الأمى حسبك رتبـــــــــة
فى العلم أن دانت بك العلمـــــاء

والمتأمل فى التاريخ الإسلامى يجد أن الخلفاء الراشدين كانوا كتاباً للرسول وأن مؤسس الدولة الأموية وغير واحد من خلفائه كانوا كتاباً .

ووجوه الدولة العباسية وفى مقدمتهم جعفر ابن يحيى بن خالد كانو كاتبين .

والأدب العربى المولع بالجدل والمفاضلات والترجيحات ، فيه صفحات فى ترجيح النثر على الشعر ، وبالطبع فى تفضيل الشعر على النثر . ومن طرائفه أوصاف للكاتب تجعل منه ( جنتلماناً ) فالمهذب بن مماتى فى كتابه ( قوانين الدواوين ) يرى أن ( يكون الكاتب أديباً ، حاد الذهن ، قوى النفس ، حاضر الحس ، جيد الحدس ، حلو اللسان ، له جراءة يثبت بها الأمور على حكم البديهة ، وفيه تؤدة يقف بها فيما لا يظهر له على حد الرؤية ، شريف الأنفة ، عظيم النزاهة ، كريم الأخلاق ، مأمون الغائلة مؤدب الخدام) .

ويضيف محمد بن ابراهيم الشيبانى إلى هذه الصفات ، ملاحة الزى ، وعطر الرائحة ، ورفاهة المركب ، والوسامة والرشاقة . فى رأيه أن الكاتب ( لا يكون فضفاض الجثة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة فانهم زعموا أن هذه الصفات لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة ) . ؟ ؟

وهى رقة حس تحسب لهم ؟

ولكن أعذب وصف عندى للكتاب قول شاعرهم :

وشمول كأنما اعتصروها
من معانى شمائل الكتاب

كان ( كاتب الرسائل) أخص الخاصة عند الملوك فهو موضع المشورة وهو مستودع السر . وأهم من هذا أنه ( يؤامره فى مشكل رأيه حتى يتنقح ، ويراجعه فى مهم تدبيره حتى يتضح ) .

وهذه الصفة الأخيرة حلم الصحافة فى الحرية ، وحلم الشعوب فى الديمقراطية .

وفى الدولة الفاطمية كان الكتاب (أول أرباب الإقطاعات فى الكسوة والرسوم والملاطفات ولاسبيل أن يدخل إلى ديوانه أحد ، ولا يجتمع بأحد من كتابه إلا الخواص ، وله حاجب من الأمراء الشيوخ ، وله فى مجلسه المرتبة العظيمة والمخاد والمسند والدواة العظيمة الشأن ، ويحمل دواته أستاذ من خواص الخليفة عند حضوره إلى مجلس الخلافة) .

وحين أخذ حكام المسلمين ، بعد الخلفاء الراشدين ، سمت الملوك ومظاهر الممالك

والدول ، خلعوا على الكاتب ألقابا فهو عند الأمويين ( الكاتب ) كما يقول القفاص ، وهو بدرجة وزير عند العباسيين — كم من أدباء العصر الحديث يتحسرون الآن — وهو فى الدولة الفاطمية ( كاتب الدست ) كما يقول ابن الطوير ، وهو عند المماليك كاتب السر فإذا شاء العامة أن يستبدلوا الميم بالباء ، فهو كاتم السر .

وهو بين هذا وذاك صاحب الديوان بل صاحب القلم.

وهذا الوصف الكريم بالطبع لمن له فن الخالق فى الكتابة .

أما ماعدا هذا فدونه بكثير .

والكاتب الخالق فى رأيى أكبر أيضا من الصورة التى رسمها ابن قتيبة وأبو هلال العسكرى فى الصناعتين . وقد يكون ابن الأثير أقرب إلى وصفه منهما .

ولكن أن يكون الكاتب موسوعيا ، فى رأيهم ، خير من أن يكون الكاتب دعيا كما حدث بعد تقدم الطباعة وتعدد الصحف .

ومما اشترطوا علم الكاتب به ، ( مانطقت به العجم على وفق لغة العرب لعدم وجوده فى لغتهم ( صبح الأعشى ج ١ ص ١٥٨) . وهو اعتراف من الأسلاف بالتعريب وبما فى طبيعة اللغات الحية من الأخذ والعطاء ...

بل اشترطوا علم الكاتب بما تلحن فيه العامة وتغيره عن موضعه . وقد تكفل ابن قتيبة بلحن أهل المشرق فى (أدب الكاتب ) كما تكفل ابن مكى التونسى بلحن أهل المغرب فى كتابه ( تثقيف اللسان )

ومن فطنتهم أن استحبوا للكاتب معرفة اللغات الأجنبية .

وقد أوجبوا ضرورة المعرفة بعلوم المعانى والبيان والبديع ووجه احتياج الكاتب الى ذلك من سلوك سبل الفصاحة ، واقتفاء سنن البلاغة وطول ترديد النظر فى المنظوم والمنثور ، ورياضة القلم على الإنشاء للانطباع والصقل : إلخ ما ذكره أبو هلال العسكرى .

ومن الطريف أن الشيخ بهاء الدين السبكى رأى فى ( شرح تلخيص المفتاح ) أن أهل مصر لا يحتاجون إلى هذه العلوم وأنهم يدرونها بالطبع ، ( بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم ، والفهم المستقيم ، والأذهان التى هى أرق من النسيم ، وألطف من ماء الحياة فى المحيا الوسيم . أكسبهم النيل تلك الحلاوة . وأشار إليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة فهم يدركون بطباعهم ماأفنت فيه العلماء ، فضلا عن الأغمار ، الأعمار ويرون فى مرآة قلوبهم الصقيلة مااحتجب من الأسرار خلف الأستار .

والسيف مالم يلف فيه صيقـــــل
من طبعه لم ينتفع بصقال

ومصر بالحس الحضارى لها فى الفنون أسلوب يمت إلى أصالتها فى الذوق ، ومنهج يمت إلى عراقتها فى المعرفة . وقد غلب أسلوبها كشخصيتها حتى إن الفارابى عندما دخل مصر ومعه كتابه ( المدينة الفاضلة ) سأله المصريون أن يجعل له فصولا تدل على قسمة معانيه فعمل هذه الفصول بمصر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

وبمناسبة الحديث عن علوم المعانى والبيان والبديع ، يحق لنا القول أن مصر كانت لها مدرسة بلاغية أدبية تقابل مدرسة المشرق البلاغية الكلامية . ولمدرسة مصر ، فضلا عن المسامتة ، آثار فى المدرسة الفلسفية بالمشاركة القوية والتوجيه الخاص فقد نقدت مصر ، نقدا عليه مسحة من التهكم ، مدرسة البلاغة الكلامية ورجالها وعلى رأسهم الد ازى والتفتازانى .

كانت مصر فى تصنيفها البلاغة تستبعد بروحها الفنية ، الفلسفة الكلامية ، استبعادا فيه بغض لها حتى ليسمى رجلنا السبكى هذا الاستبعاد ، تطهيرا

وعمل مصر فى البلاغة من خلال صاحب كتاب ( عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح ) يتميز بنفرتها من جمود الفلسفة وجفافها والاتجاه بها اتجاها عمليا .

كما تتميز بالموضوعية فى البحث ، والتعمق والمقارنة ، والربط ، والتحقيق والتصحيح ، والاستنتاج ، واللمح ، والأناقة الحضارية ، واللباقة ، والرهافة ، والذوق الشاعرى وما يملك من رفيف وتفويف والدقة وسعة الأفق ، والبسطة والرحابة وطول النفس بلا عسر ولا تزمت مما يغلب على كتب البلاغة الشرقية فى ذلك العصر .

هذه مصر فى البلاغة وهى فى ( علم البديع ) أبدع .. فقد وصل المشارقة وعلى رأسهم السكاكى إلى تسعة وعشرين نوعا من البديع ووصلت مصر على يد ابن أبى الإصبع إلى بضع وعشرين فوق المائة منها عشرون من ابتكارها بشهادة النقاد فى ذلك العصر مع ما فى هذه الشهادة من غبن المنافسة الطبيعية بين النظراء ، وإلا فلماذا لم يلتفت غيرها إلى عشرات الأنواع التى لمحتها مصر بالذكاء والتوقد والبراعة ولطف الحس ؟

وبعض ما ابتكرت مصر أو نفذت إليه مصر بالذوق الحضارى :

النزاهة : نزاهة الهجاء عن الفحش.

والتدبيج : وهو فن التعبير عن المعانى بالألوان .

والتصرف : وهو اللعب بالكلام فى براعة وغضارة وغندرة

والتهكم والتندر : ومصر بخفة الظل لا تجارى فيه .

وطبيعى أن تهتدى مصر إلى هذه الألوان بوحى من طبيعتها ، وبمدد من ماضيها ، ومثل هذا الصنيع فعلته مصر حين أذاعت فى

الأدب العربي شعره ونثره فن التورية .

ولاأحسب غير مصر قادرا على التورية بكل هذا الظرف والرقة اللذين أشاعهما ابن نباتة فى بيتيه وقد أهدى إليه صديق تمرا رديئا :

أرسلت تمرا بل نوى فقبلته
بيد الوداد فما عليك عتاب
وإذا تباعدت الجسوم فودنا
باق ونحن على (النوى) أحباب

ولاأريد أن أسترسل فى الحديث عن دور مصر فى البلاغة حتى لايشغلنا عن الموضوع الأصلى.

وفن الكتابة لمن وهبها تعين عليه العربية فهى كما قلت غنية بشاعريتها وبألفاظها وموسيقيتها وحساسيتها المفرطة فى التفريق بين الحروف حين تعبر ، ومدها الصوت بالألف والواو والياء حين تلين ، وتوليفها الهاء والسين حين تهمس ..العربية القادرة على اللعب بحروف قليلة تقدم فيها وتؤخر فيختلف المعنى اختلافا واسعا وبارعا فمن الفاء والياء ومعهما الحاء مرة والراء مرة والزاى مرة والشين مرة، تستطيع اللغة العربية أن تعطى هذه الأصوات والمعانى :

حفيف الشجر
وزفيف الريح
ورفيف الورد
وشفيف النفس
ورهيف المشاعر فى كل صورة من هؤلاء.

ولكن هل الكتابة بالعربية تعد لها ، المدرسة أو تعين عليها الكتب ، أو يستقبلها القراء ، أو تحتفى بها الحياة .

هل العربية تتغلغل فى شعور أهلها وتعيش معهم أفراحهم ومسراتهم تعبر عنهم وتغدو جزءا لاينفصل من أيامهم .. يحبونها حبهم لأنفسهم لأنها بضعة من النفس ؟

محرومة اللغة العربية من هذا الحنان والولاء .

وفى هذا الجو لا يجيدها متعلم ولا هو يرغب فى إجادتها ... ويجد المتصر لها عزوفا وعنتا يملوءه حسرة وحرجا فيغدو بتمسكه بها كالقابض على الجمر ، ثم لا يطول احتماله للتضحية فيتخفف من وعده الشخصى لها غير المكتوب وغير المطلوب ، إذ بذله من تلقاء نفسه حسبة واحتسابا .. والحب لايعيش على الاحسان أو الامتنان بل ينمو على الحنان الواصل ، والشوق المتجدد والاقتناع الواثق والوثيق .

نتحدث عن فن الكتابة فى الأدب العربى واللغة العربية اليوم تعيش فى مجتمعها فى غربة نفسية ، تلقى الزهد من القريب ، والإعراض من الحبيب ، والمنافسة من الغريب ، والمناوأة من الدخيل ، والمحاربة من العدو .. كان لها الله .

لقد قلت وكتبت أكثر من مرة أن العربية الفصحى لكى تصير لغة كتابة لابد أن تعمل لهذا ، بمواجهة مشكلتها مواجهة أمينة وشجاعة ، فإن العلاج إن لم يكن

جذريا قفل الجرح على نغل ، ولمّ على فساد ، ونم على تفريط وتوريط الطبيب .

لابد من علاج جذرى يسهل اللغة وييسط ، ويحبب ويؤلف القلوب قبل الكتب لتجد اللغة العربيةمن يقبل عليها ، ويقرؤها ويتحدثها ، ويتذوقها ، ويفخر بها :

لن يجدى شيئاعلى العربية الخطب المنبرية وإلصاقها بالدين للتخويف والارهاب فإذا بالبعد يزيد بعداوإبعادا واستبعادا لأن الحب لايصدر به أمر من السلطان،وحاشا أن يُصدر به أمرا ، القرآن .

ماالحل لكى تصبح العربيه لغة كتابة؟

للعربية الفصحى ثلاث أزمات :

ــ أزمتها الذاتية من جراء نحوها وصرفها فى المقدمة :

ــ أزمتهاالداخليةمع العامية (العايشة) المتجددة المتبغددة التى تسيل عذوبة من طول ماأترعها النيل ودللها أهلها. ومن التدليل، الذكر المتصل ، والتحدث الدائم ، والتنعيم والتنغيم :

ــ أزمتها الخارجية مع اللغات الأخرى وأصحابها .

أصحابها من أهلها ، وأهلنا .

أزمتها الذاتية يكفى فيها على سبيل المثال (الفعل فى النحو العربى ) .

الفعل فى اللغة العربية أفعال عادية وأفعال القلوب وهذه تنقسم الى أفعال اليقين ، وأفعال الرجحان .

وهناك أفعال التصيير والتحويل :

وهناك أفعال مستثناة من كل هذا أى جامدة لاتتصرف ، فالفعل تعلم من أفعال اليقين (ملازم لصيغة الأمر ) :

والفعل هب من أفعال الرجحان(ملازم لصيغة الأمر ) أيضا.

والفعل وهب من أفعال التصيير (ملازم لصيغة الماضى ) :

وفى اللغةالعربية ،الأفعال النواسخ وهى ثلاثة عشر فعلا : كان وأخواتها مثل: أمسى أصبح ــ صار .... الخ .

و ( صار) ، هذا وردت أفعال أخرى بمعناه عددها عشرة أفعال : (أمن ــرجع ــ عاد ــ استحال ــ قعد ــ حار ــ ارتد تحول عدا ــ راح ..) :

هذه الأفعال تصير ناسخة إذا ورد استعمالها بمعنى الفعل ــ ( صار). وهناك حالة استثنائية لأخت من أخوات (كان ) أو أخ وهو الفعل ( عسى ) فهذا الفعل لديه القدرة على الحركة أو تزييف نسبه بالدخول فى أسرة أخرى أى؛ أنه يمكنه أن يكون من أخوات ( إن)بدلا من أخوات كان . كيف كان ذلك ؟

بسيطة .. إذا اتصلت به ياء المتكلم أو كاف الخطاب أو هاء الغائب ، فى فى هذه الساعة ، ينصب الفعل (عسى) الاسم الأول ويرفع الثانى !

أى نصب ؟

وهناك أفعال ناسخة ناقصة تماثل كان وأخواتها . وناقصة يقصد بها النحويون أنها لاتكتفى بالاسم المرفوع بعدها. ويختص خبرها بطريقة متفردة يأتى عليها وهى أن يكون جملة فعلية ، فعلها مضارع ، رافعا لضمير الاسم السابق، مقترنا بأن أو مجردا منها.

وهناك طبعا أفعال المقاربة ! وأفعال الرجاء، وأفعال الشروع ، وأسماء الافعال ، والأفعال الماضية التى تجيء على صورة الأمر فى أسلوب ( التعجب ) .

والفعل فى النحو العربى له تقسيمات أو متاهات أخرى :

فهو أولا صحيح ومعتل :

والصحيح ينقسم بدوره إلى :

سالم — مهموز — مضعف .

والمعتل كذلك :

مثال — أجوف — ناقص .

الفعل المعتل حين يسند ، يعمل ، فالنحويون يحتمون أن تحذف واوه من الأمر والمضارع المكسور العين ، وأن تبقى واوه مع الأمر والمضارع المفتوح العين والمضموم العين :

أما الأجوف منه فيحذف حرف العلة مع ضمائر الرفع المتحركة ويبقى حرف حرف العلة مع ضمائر الرفع الساكنة.

نأتى للناقص : يحذف حرف العلة مع واو الجماعة وياء المخاطبة ويبقى حرف العلة مع ألف الاثنين ونون النسوة .

وليست الأفعال وحدها التى تتمتع فى اللغة العربية بهذه المتاهات . إن الميم والألف أى (ما) لايخطر فى بال جن أن ( ما) فى اللغة العربية لها هذه التخريجات والتفنينات فهى : اسم موصول ، واسم استفهام، واسم شرط ، ونكرة موصوفة و (ما) للتعجب . و(ما) للنفى .

و(ما) هذه تكون : كافة ، وتكون زائدة ، وتكون مصدرية ظرفية وتكون مصدرية غير ظرفية ، وتكون مهيئة أى تدخل على كلمة غير شرطية فتجعلها شرطية ..

و (ما) تكون مغيرة أى العكس فتدخل على أداة شرطية فتجعلها غير شرطية ..

و (ما) تقع صفة للتحقير ، أوالتفخيم ، أوالنوعية.

أما حين تصحب الميم الكاف فتلك «فزورة» أخرى . فى اللغة العربية (كم) تكون مرة عددية ومرة استفهامية ومرة خبرية : وتعرب مرة مبتدأ مبنية على السكون فى محل رفع . ومرة خبرا إن كانت استفهامية .. وتمييزها مرة ظرف زمان منصوب ، ومرة ( فى الخبرية) مفرد أو جمع مجرور .

حتى الحرف المفرد لديه القدرة على اللعب بناء، فالنون مرة تكون نون النسوة، ومرة تكون للتوكيد. ونون التوكيد بدورها مرة تكون ثقيلة

ومرة تكون خفيفة .. ربما بعد أن خفت عقول كثيرين بسببها . والله أعلم .

وهذا جزء بسيط من مادة (الفعل) في النحو العربي ..

أما أزمتها الداخلية مع العامية التي استأثرت دونها بالبيت والحديقة والمصنع والمتجر والسوق والمسرح والسينما فظلت تثرى بالمفردات الجديدة والعبارات الطبيعية والاصطلاحات الطريفة واللمحات الذكية والابتسامات والضحكات .. فهى شباب على طول .

حتى حين تتكلم العامية بالعربية فهى تفعل هذا باختيار حين تختار من ألفاظها مايعجبها فيكون الإعجاب علامة في الوقت نفسه على الإعراض عن المتروك والمهمل بل تفصح العامية عن هذا الرأى حين تمسخ الفصيح ( بالحلمنتيشى ) وتقحم القافات فى خبث، والظاءات فى نهرها الجارى فى كاريكاتيرية، مداعبة أوملاعبة .

وكأن مصر حين عرّب عبد الملك الدواوين سنة ٨٧ هـ تبتسم وتقول «بناقص الدواوين» ،واصطنعت لنفسها لغة تمنحها مع القلب، المنزل والمجلس، والسوق والنهار والليل. ومضى الشعب يسجل عواطفه وتجاربه وأيامه بلغته العامية .. بلغته الشعبية. وتجمعت له فى الأربعة عشر قرنا ثروة تنضم إلى ثرواته السابقة فى فن القول .. والفصحى تنظر وتتململ فى قيودها التى أثقلوها بها وهم يحسبونها حلى لها ويحسبونها عليها، ميزة وامتيازا فإذا بها أغلال تعوقها عن مسايرة الزمن فلا تروق ولاتشوق فى العصر التركى ، ولاتسعف ولاتطرف فى عصر التكنولوجيا. فلم يك بد من نفض ماعليها ، وماعلاها ، لتنطلق فى فى التعبير ، وتستوعب الجديد، وتجد فى الترجمة ، وتقلد بادئ الأمر ثم تبتكر وتسهم فى حضارة العصر بالتعبير والتسجيل والتحصيل أيضا فبعض الكليات العلمية تتخذها وسيلة للتعليم إلى جانب لغات العلم الحاضرة .

وحين حصرت العامية الفصحى فى الرسميات، وحاصرتها فلم تتغلغل فى حياة كل يوم ، حرمتها النماء والتفتح والازدهار والطواعيـــة والتفــاعل والتجارب . حرمتها أن تكون سجلا ورباطا ومستودعا للحياة المصرية خلال بضعة عشر قرنا ، وكأنها أيام ضائعة منها وضائعة عليها ؟

تعيش العامية على سجيتها فى الأخذ والعطاء من اللغات الأخرى وتعين الناس على الحياة بما تسعفهم به من مسمياتها ، وعلى وجه السرعة ، ( عايشة ) .

إن اللغة كائن حى ، يموت إذا توقف عن النمو والحركة وتنفس الهـــواء الخارجى وتمثل الغذاء الخارجى ، فإن لم يمت عاش سقيما هزيلا لايقوى على منازلة الخصوم ، أو رد الهجوم، أو تسيد موقف.

وشبيه بهذه الحال العربية حين ترهق بالقيود وتصاب بالجمود ، وتتوقف عن

النماء بعزلتها عن لغات الحياة، ناسين أن كتابها الأكبر وفخرها الأعظم استعمل كلمات مثل ( إستبرق ) وهى لفظة فارسية ! !

وبعد : فأين الحل؟

نراجع العربية فى عملية تنقية وتحلية فى محاولة تجديد شبابها باستبعاد البالى من صيغها وجلاميد الصخر المعهودة .. ثم اصطفاء الرائق الجميل من صورها وعباراتها وما أكثره.

نحاول التقريب بينها وبين العامية فليست العامية لغة أخرى أو أجنبية، إنها العربية المصرية .

فما خف وشف، مع الصحة اللغوية فى اللغتين نأخذه، ونشيعه فى الكتابة والحديث حتى تسهل مهمة المدرسة ومهمة الفصحى فلا ينظر إليها النشء على أنها علم مدرسى للامتحان ولكن على أنها لغة حياتهم فى البيت والمدرسة على السواء .

تسهيل اللغة بقصر النحو على ما يصح به التعبير دون الدخول بالطلاب فى متاهات القواعد واستثناءاتها، وتسهيل اللغة بقصر المتن على السائغ الشائع .. وتخفيفها من المترادفات وتعدد الأسماء للسيف والأسد وغيرهما . فهذا البحر من الكلام لا يخدم غير أصحاب البحور وحروف الروى .

عدم فصل النحو بل تعليمه مع النص الجميل كجزء منه يضبط إيقاعه فى محاولة إساغة الإعراب . فإذا أخطأ الطالب بعد هذا فلا نكبر من خطيئة الإعرابى أو نعلن صعوبة النحو، بل نحاول الإتيان بشبيه من اللغات الأخرى التى تدرس له فى محاولة إقناع بأن اللغات كلها لها نحوها الذى يضبط الكتابة والنطق . . ونضيف إلى هذا فى عملية تحبيب أن كل جهد مبذول طبيعة تعلم الجديد وثمن الوصول إلى مرتبة الخاصة الذين يعرفون الصواب إذا تكلموا أو كتبوا.

الترفق فى تعليم الإعراب والاقتصار بادئ الأمر على الحركات الأساسية والأصلية مع التبسيط وتنحية التفريعات والتخريجات والاستثناءات حتى لا تشوش الطلاب وحتى لا نثقلهم ونثقل عليهم .

تعميم الضبط حتى يتعود القارئ القراءة الصحيحة بطول المران وطول المدة.

غربلة التراث مع إحاطة مبصرة بالظروف الاجتماعية والسياسية والعلمية التى أحاطت بأصحابه وأثرت فيهم وبالتالى شكلت، من خلالهم هذا التراث .

غربلة التراث مع تقدير واع لفروق الذوق النفسى والاجتماعى بين الأمس واليوم فروق العادة والخلقيات والخلفيات المؤثرة، فليس بلازم أو لازب أن نؤمن على كل رأى . وليس بلازم أو لازب أيضا أن نعارض لافتعال المعاصرة أو ادعاء التجديد فهناك أشياء كثيرة يلتقى عندها الإنسان فى كل زمان ومكان .. وأشياء كثيرة تتأثر باختلاف الأوضاع والملابسات.

لكى تنطلق الفصحى أو ينطلق محبوها والصادقون فى إصلاحها يجب أن نفصل بين أن القرآن الكريم نزل بها فهى فى قدسه متدسة لاتمس ، وبين أن الذين يتكلمون بها بعد القرآن من بلاد مختلفة ومشارب مختلفة ومستويات حضارية مختلفة. واللغة على ألسنتهم تتبع هــــذا كله فهى هنا ، بعيدا عن القرآن ، وسيلة حياة كسائر الوسائل لاأكثر ، تخضع للتحوير والتغيير والتطوير ، وتخضع هذا بدوره للصواب والخطأ . وهذا طبيعى فلا داعى لأن يتصايح قوم ويثور ويفور آخرون حفاظا على القرآن .. إن الله نزّل الذكر وإنه له لحافظ . فليهدأ الأصدقاء والأعداء على السواء..

القرآن بعيد بعيد .. ولكن اللغة ، لغة الناس لا لغة القرآن يجب أن تطوع نفسها للناس أو يطوعها الناس لمقتضيات حياتهم فى غير حرج أو خوف .. إذا أريد لها الإصلاح والتطور ثم النمو والازدهار .

فى كل عصر يحس القائمون على اللغة والقائمون بتعليمها حاجة أبناء جيلهم إلى بعث جديد فى اللغة. أحس هذه الحاجة المرصفى بل أحسها الشيخ حمزة فتح الله وهو الذى يتحدث الفصحى مع رجل الشارع .. أحس هذه الحاجة حفنى ناصف ، وأحسها لطفى السيد كما أحسها فى الأربعينيات الخولى ثم أحسها محمود تيمور ويحيى حقى . كل من زاوية وكل من منطلق خاص ،

ولكنهم على اختلاف (وسائلهم) ومصادرهم يلتقون فى القلق وإحساس الصعوبة المعوقة.

وقد أضاف الأستاذ حمد حسن الزيات إلى أسباب التنكر للبلاغة العربية : السرعة ، والصحافة ، والتطفل . وأنا أشير هنا إلى كتابه القيم ( دفاع عن البلاغة ) الذى عالج فن الكتابة من جميع وجوهه وزواياه بالتفصيل والتحليل والتدليل من واقع التاريخ الأدبى والواقع القولى والعلمى . تحدث بعامه عن الإمتاع والإقناع ، واللغة والطبيعة ، والنفس والذوق ، وتحدث بخاصة عن الأسلوب من حيث هو فكرة وصورة أجل بكثير من الجمل البيانية أو المحسنات البديعية .

وهنا عرض لتاريخ الأسلوب والصفات القومية أو العامة التى تشكل أسلوب أدب بعينه فى جملته ، وتميزه عن أدب آخر حتى لا يخفى الفرق أو الفروق العامة بين اللغات الشرقية واللغات الغربية .

ومن رأى الأستاذ الزيات أن صفات الأمة كما تؤثر فى طبيعة اللغة ، تؤثر طبيعة اللغة فى أسلوب الكاتب . فاللغات التى اكتسبت من مدنية أهلها رقة اللفظ ، وأناقة العبارة ، ومن شاعريتهم جمال الصور وروعة الأخيلة ، تغنى الكاتب بموسيقاها وحلاها عن كد القريحة فى ابتكار المعانى واستنباط الفكر ) ص ٥٨ . وسلك

فى هذا النوع اللغة العربية. وهى فى رأيى كما قلت فى مقدمتى لهذا الكتاب الجليل الذى أشرف بكتابتها له، ميزة وآفة معا، فالأدب العربى فى جزء كبير منه حافل بالأصوات والأجراس ولكن المحصل الذهنى منه قليل لقد تتالت عصور وقرون لاهم لها إلا تنضيد اللفظ، وترصيع العبارة، بل إتخامها بضروب من المقابلات والتوريات والبديعيات المختلفة حتى غدا الأدب صناعة ثم تردى أكثر فانقلب شعوذه حتى قرّ فى النفوس كما يقول الأستاذ الزيات أن الأسلوب إنما يطلق على الجانب اللفظى من الكلام، وما دروا أن الأسلوب جهد موصول لإشاعة الحياة فى اللفظ ببث المعنى وتجسيمه. إنه عبارة عن (النظام والحركة المودعين فى الأفكار).

وفن الكتابة فى عصرنا أو فن البلاغة لا يتحقق فى رأيه إلا من خلال صفات ثلاث جامعة هى:

(الأصالة والوجازة والتلاؤم):

الأصالة سمة الشخصية.

والإيجاز طبع وطبيعة العربية.

والتلاؤم فن الصياغـــة.

وصعوبة فن الصياغة تأتى من ضرورة مطابقة الأسلوب لحركات النفس، وصور الذهن، وسير العاطفة ودرجتها فيه من الإبطاء أو الإسراع. وهذه الحالات التى تصاحب الخلق الفنى تحدد طريق الكاتب فيخرج الأسلوب موجزاً أو مرسلا أو مستديراً آيمها أوله لآخره، وبين هذا وذاك يأخذ المعنى دورتـــه.

هذه لمحة من دورة فن الكتابة فى الأدب العربى من القديم إلى الحديث، هى على تشعب الآراء طواف، وليست نهاية مطاف. فعند يأتى اليوم الذى تصبح فيه العربية، لجليلنا لغة كتابة، أو للأجيال القادمة، سيكسب الاستعمال الدائم والحميم ألواناً من فنون العرض والأداء، والتشويق والنفاذ. تصير كتابتها فناً، ويغدو فنها علماً له أصول جديدة وقواعد يثرى بها حديث الكاتبين.

**نعمات أحمد فؤاد**

# المُعرَّب في العصر الحديث

## للدكتور نيقولا دوبريشان

إنَّ قضية قبول أو عدم قبول الألفاظ المعربة تعد من القضايا التي اهتمت بها الدوائر اللغوية في العصر الحديث اهتماماً كبيراً، ويبدو أن الخوف من تكاثر الألفاظ الأجنبية التي لم تُحدَّد أصول وقواعد لاستخدامها بأي نوع من الأنواع مثَّل سبباً من الأسباب الأساسية لتأسيس المجامع اللغوية العربية.

إن عملية التعريب هي استعارة المفرد الأجنبي ، وهي المرحلة الأولى في تكييف اللفظ لأصول الكلمات العربية ، ولكنه لا يمثل الاندماج الكامل في نظام اللغة العربية . والحق أن النحويين القدامى لم يضعوا تعريفاً واضحاً تمام الوضوح لهذا المصطلح ، وأما التعريف الذي وضعه مجمع اللغة العربية في القاهرة فيحتوي على لبس[1] ، وكذلك القرار الخاص بالتعريب الذي وافق عليه المجمع في إحدى جلساته الأولى [2] . ثم طال الكلام عن هذا اللبس في السنوات التي تلت اتخاذ القرار الخاص بالتعريب . ونلاحظ من نص هذا القرار أن المجمع قد وضع من البداية عدداً من الحدود ، لكنها كانت فيما بعد سبباً لمناقشات عديدة ، وذلك لعدم وضوحها .

وعمل المجمع انطلاقاً من القرار الذي تمت الموافقة عليه ، ولكن المحاولات المتطرفة الرامية إلى تبديل الكلمات الأجنبية التي دخلت في اللغة فيما مضى ، وتكييفت بكلمات مأخوذة من اللغة العربية ، لإغناء تراثها من المفردات عن طريق الاشتقاق ، وإحياء الكلمات القديمة ، ولكن هذه المحاولات قد باءت بالفشل [3] .

(١) راجع حسين والى ، المعرب ، محاضر جلسات مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٣١٠

(٢) راجع مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثانى ، ١٩٣٥ ، ص ٦ ، ومحاضر جلسات المجمع ، ١٩٣٦ ، ص ٣٠٩

(٣) ونذكر هنا أنه قبل سنوات كثيرة بذلت جهود لإقامة مؤسسات لغوية كان هدفها الأساسى تنقية اللغة العربية من الألفاظ الأجنبية ، فى ١٨٩٢ أقام توفيق البكرى أول مؤسسة من هذا النوع ( راجع عبد القادر المغربى مجامعنا اللغوية وأوضاعها فى مجلة مجمع اللغة العربية ، ١٩٥٢ ، ص ١٢٤ ) . وكثير من المفردات التى اقترحتها لتبديل الألفاظ الأجنبية لم تستعمل وزالت ، ومنها الـ « مدره » الذى كان مقترحا لتبديل الـ « أفوكاتو » وبدلها فيما بعد « المحامى » وفى حالات أخرى بقى المفرد المقترح إلى جانب مفردات أخرى تخصصت فيما بعد لنفس المعنى ومنها « النمرة » المقترحة لتبديل « النوميرو » والذى بقى إلى أيامنا إلى جانب العدد والرقم . وجرت عملية متشابهة بالنسبة إلى جهود مؤسسة لغوية أخرى أقامها فى ١٩١٧ لطفى السيد وسليم البشرى .

إن الدعوة إلى بعث الألفاظ العربية القديمة لإطلاقها على المستحدثات العلمية العصرية، وخاصة فى علوم مثل الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والعلوم التكنيكية قد باءت بالفشل كذلك .

لقد كان عبد القادر المغربي العلامة اللغوى المشهور يشير في عام ١٩٣٨ إلى أن عبارة « عند الضرورة » من نص قرار المجمع هي نسبية جداً ، وفى نفس الوقت قابلة لأكثر من معنى ؛ وذلك لعدم دقتها . إنه كان يعنى بصورة خاصة عدداً من المفردات من اللغة الجارية ، التى لم يكن باستطاعة اللغة الاستغناء عنها ؛ برغم أن هناك كلمات مقابلة أخرى وضعت فى اللغة العربية الفصيحى . لكن هذه الأخيرة إما أنها فشلت فى فرض نفسها ، وإما أنها تعايشت مع الكلمات المستعارة . إنه يذكر مثلا الأزواج التالية : « بريد وبوسطة » : « حوذى وعربجى » ، « ردهة وصالون » ؛ « مضخة وطلمبة » ، « فندق وأوتيل » وغيرها، كما يذكر عددا من الكلمات التى لم يجد أى مبرر لاستبدالها بكلمات عربية مقابلة ، مثل : « سينما » و « جرنال » و « غاز » و « بنك » و « فلم » و « كادر » إلخ ... (١) إن اقتراحه الخاص بقبولها قد رفض برغم أن هناك عدداً من هذه الكلمات لا تزال تستعمل حتى فى أيامنا ، وهى الوحيدة لهذه المعانى .

وهناك من اعتبر أن التحديد الذى تعنيه به عبارة « عند الضرورة » من نص قرار مجمع اللغة العربية ، وهو القرار الوحيد الذى لا يزال يسرى مفعوله حتى الآن برغم الإضافات التى جاءت فى السنوات التالية على النص الأصلى — هذا التحديد يتناول لهذه المستحدثات العصرية المصطلحات العلمية والتكنيكية فقط ، ولا يعنى بمفردات لغة الأدب أو الكلمات الدارجة .

إن الاقتراح الخاص بالالتجاء إلى اللفظ الأجنبى حين لا توجد ألفاظ أو مصطلحات عربية لهذه المستحدثات العصرية المتلاحقة — إن هذا الاقتراح يبدو معقولا ومبرراً ؛ لكن الصعوبة التى تظهر هى أنه فى حالة الالتجاء إلى كلمات أجنبية — وهذا بالنسبة لجميع اللغات — لا تتم استشارة الهيئات اللغوية ، ولا يتم الحصول على موافقتها ؛ بل هى موضوعة أمام الأمر الواقع ، وتصبح مجبرة على تسجيل هذه الأمور .

وإذا تم التعبير عن آراء متناقضة بشأن قبول اللفظ المستعار (٢) فى فترة أقدم ،

---

(١) عبد القادر المغربي ، حول قرار التعريب ، فى مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الخامس ، ١٩٣٨ ، ص ٩٤ — ٩٩

(٢) Vincent Monteil, L' Arabe Moderne, Paris 1960 pp : 155-156

فيبدو أن الباحثين العرب وافقوا على قبوله فى فترة أقرب منا زمنياً ، واعترفوا بنفعه بالنسبة إلى اللغة . ولكن المواقف تختلف حين تطرح قضية اعتباره سماعياً أو قياسياً[1].

وقد اعتبر عبدالقادر المغربى فى بداية قرننا هذا أن التعريب طريقة من طرق إغناء مفردات اللغة العربية ، وقدر أنه لا يمثل فى أى حال من الأحوال خطراً بالنسبة إلى نقاوة اللغة العربية ، فهو يرى أن التغييرات التى تطرأ على اللغة من مرحلة إلى أخرى أمر طبيعى ، ولكن الشيء المهم هو ألا تسبب أضراراً للأسلوب [2] .

كما أكد نفس الفكرة عباس حسن الذى اعتبر أن اللفظ المعرب يمثل خطراً فقط فى حالة استخدامه حين لا تحتاج اللغة إليه [3].

ومن الباحثين من يرى فى قبول اللفظ المعرب طريقاً لتسهيل الأمر أمام المختصين ، لتفهمهم مختلف الأبحاث والدراسات ، حيث أن العديد من المصطلحات لها تداول دولى . [4] وفى هذا قال عباس حسن : « وفى التعريب فائدة قد تكون أجل فوائده ، هى إشاعة المصطلحات العلمية والفنية بين الناطقين بالعربية ، وهى مصطلحات عامة عالمية ، تكاد تكون مشتركة بين العلماء والباحثين والمختصين فى مختلف البلدان المتحضرة ، فمعرفة نصوصها تمكن الباحثين من معرفة مسمياتها الحقيقية معرفة دقيقة ، لا لبس فيها ولا إبهام ، فيتابعون ما يدونه الفنيون عنها ، وما يطرأ عليها فى البلدان الأجنبية » [5] . وهناك أسباب أخرى تجعل اللفظ المعرب مقبولا ، وفى ذلك يقول أيضاً عباس حسن : « أما إضاعة الوقت وبذل الجهود المضنية فى البحث عن كلمات عربية للكلمات الأجنبية أو لأكثرها فتلك طريقة مضنية ، بطيئة ، قاضية على اللغة » [6] ثم يشير الباحث إلى أن علماء الدين فى عصرنا الحاضر يخالفون بعض الأحكام القديمة التى ارتضاها الأئمة السابقون ويستبدلون بها أخرى تلائم الحياة الحديثة ، ويوفقون بها بين أحكام الدين ومطالب الحياة ؛ إذ ليس الدين الإعنات ، وتكليف الناس مالا يطيقون ، وأخيراً يتساءل : « وإذا كان هذا هو الشأن فى مسائلنا الدينية المقدسة أفلا نتبعه فى مسائلنا اللغوية ؟ » [7] إن المحاولات الهادفة إلى

---

(١) صحيح أن مضمون هذين المصطلحين لم يبق جامدا ، بل تطور على مر السنين ، ولا حظنا أن كثيرا ما كان يعتبر سماعيا انتقل فى العصر الحديث إلى القياسى . راجع كذلك : أحمد أمين ، مدرسة القياس فى اللغة ، فى مجلة المجمع العلمى العراقى ، الجزء العاشر ، ١٩٥٠ ص ٩٥ – ١٠٤

(٢) عبد القادر المغربى ، كتاب الاشتقاق والتعريب ، القاهرة ، ١٩٠٨ ، ص ١٤٣ .

(٣) عباس حسن ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٣٤ .

(٤) مصطفى جواد ، مبحث فى سلامة اللغة العربية ، فى مجلة المجمع العلمى العراقى ، بغداد ، العدد الثانى ، ١٩٥٢ ، ص الثانى ، ١٩٥٢ ، ص ٢١٠

(٥) عباس حسن ، الكتاب المذكور ، ص ٢٣٤ .

(٦) نفس المرجع ، ص ٢٣٠ (٧) نفس المرجع ، ص ٢٣١

بعث الألفاظ القديمة ، بأى ثمن ، من أجل استخدامها للتعبير عن وقائع العصر الحديث تعتبر أخطاء أو أخطاراً ؛ لأنه من الصعب التصور أن هذه الكلمات الخاصة بماض بدائى جداً تتناسب مع الواقع العلمى والصناعى لعصرنا الحديث [1] .

ومن ناحية أخرى يؤدى اللجوء للألفاظ العربية إلى نشوء المترادفات التى تسبب هى بدورها لبساً وإبهاماً [2] . ومن الواضح أن تعدد الدلالات ضار بالمصطلحات العلمية الحديثة ، وقد لفت المستشرق « جب » النظر إلى ذلك ، وأكد ضرورة اللجوء إلى التعريب أو الاشتقاق ، بدلا من تضييق المعانى للألفاظ [3] .

وفى حالة ظهور الألفاظ المعربة بجانب الألفاظ المشتقة من الطبيعى أن يكون اللفظ العربى مفضلا على مثيله المعرب .

والذلك ، عند اشتقاق ألفاظ عربية لمعان معينة يُفَضَّل استخدامها بدلا من الألفاظ المعربة التى تصبح بذلك غير ضرورية وغير نافعة [4] .

وهناك أمثلة كثيرة تؤيد هذا الرأى .

ومن المعلوم أن هناك إمكانية التعايش بين اللفظ الأجنبى الدخيل فى لغة واللفظ الصادر عن وسائل اللغة الخاصة ، كما يمكن كذلك ظهور اللفظ الناتج عن هذه الوسائل اللغوية بعد الالتجاء إلى اللفظ المعرب .

وفى بعض الأحيان يهدف اللفظ المشتق من أول الأمر إلى تبديل اللفظ المعرب . وهذا هو ما حدث على سبيل المثال فى حالتى الكلمة « قطار » والكلمة « سيارة » . ولما وصلت إلى العراق الآلة المسماه حالياً بـ « القطار » كانت اللغة الفرنسية أكثر اللغات انتشاراً فى الشرق الأوسط ، ونتيجة لذلك سميت هذه الآلة باللفظ « شمين دفير » ( من العبارة الفرنسية Chemin de fer )

ثم جاء الإنجليز وسميت هذه الآلة باللفظ الإنجليزى « ريل واى » من الكلمة الإنجليزية Railway وباختصار « ريل » فقط . وفيما بعد سميت بالكلمة العربية الكلاسيكية « قطار » التى معناها فى اللغة القديمة « إبل يلى بعضها بعضاعلى نسق واحد » . وقد استبعد أى احتمال للبس من البداية حيث أن الكلمة « قطار » كانت لا تستخدم فى اللغة الحديثة لمعنى آخر . وجرى تطور

---

(١) ، (٢) نفس المرجع ، ص ٢٧٧ .

(٣) محاضر انعقاد الدور الأول لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص ٤٢٢

(٤) مصطفى جواد ، مبحث فى سلامة اللغة العربية ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، العدد الثانى ، ١٩٥٢ ، ص ٢٠٧ .

يشابه تطور هذه الكلمة فى حالة الكلمة « سيارة » [1].

وقد ظهر فى كل هذه الحالات لفظ معرب إلى جانب اللفظ الناتج عن الوسائل الداخلية للغة العربية . وجرت نفس الظاهرة فى حالة كلمات أخرى مثل : « بنك — مصرف » و « بوليس — شرطة » و « ديالكتيك — جدلية » إلخ . . . وفى بعض الأحيان نتج عن ذلك لبس وإبهام ، وهذا ماحدث على سبيل المثال مع كلمة « استعمار » المستخدمة لمعنى كلمة « إمبريالية » والتى استخدمت لاحقاً لمعنى كلمة « كولونيالية » ، ومن أجل تجنب هذا اللبس التجأت اللغة المعاصرة إلى مختلف الطرق ، ولكن الميل السائد هو استخدام الكلمة « استعمار » لمعنى « الكولونيالية » ، وقبول اللفظ المعرب « إمبريالية » ، وهناك الكثير من الأمثلة المنتقاة من الصحف والكتب السياسية العربية تدل على هذا الميل :

« المعركة ضد الإمبريالية » و « معسكر الإمبريالية » و « الإمبريالية العصرية » الخ .

ويبدو أنه فى الآونة الأخيرة تنتشر الكلمة المعربة « كولونيالية » كذلك ، حيث نجدها فى عبارات من النوع التالى : « الحكم الكولونيالى » و « الإمبريالية ونظامها الكولونيالى » إلخ . . . ولكن الأمر الأكثر غرابة هو أن اللفظ المعرب يستعمل حتى لمعنى الكلمة الفرنسية (Neocolonialism) على الرغم من أن العبارة العربية « الاستعمار الجديد » لا يسبب أي لبس ، أي بالإضافة إلى « الاستعمار الجديد » نلقى « الحكم الكولونيالى الجديد » أو « الحكم النيوكولونيالى » ؛

ومما تجدر الإشارة إليه أن نفس الازدواجية نلقاها فى حالة الكلمة « فنّىّ » المستخدمة لمعنى الكلمة الفرنسية Technique ولمعنى الكلمة الفرنسية « Artistique » ، مع ملاحظة الميل إلى استعمال اللفظ المعرب « تكنيكى » لثانى معنى مذكور .

إن تسجيل اللفظ المعرب إلى جانب الكلمة العربية له دور تفسيرى أحيانا وهذا ، القول يناسب العبارات التالية : « يحرم المجتمع القبلى من الديناميكية أو القوة الدافعة » و « يتميز بالديناميكية أو سرعة الحركة » ، إن القيمة التفسيرية للعبارة العربية التى تستعمل لمعنى الكلمة الأجنبية واضحة تمام الوضوح ، وخاصة أن الحرف « أو » تربط بينهما . ولكن فى حالات أخرى لاتربط بين الكلمتين العربية والأجنبية حرف « أو » ويربط بينهما الحرف « و » :

(١) مصطفى جواد ، مبحث فى سلامة اللغة العربية ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، العدد الثانى ، ١٩٥٢ ، ص ٢٠٥ ، وأحمد الإسكندرى ، أسماء عربية لمسميات حديثة ، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ، العدد الأول ، ١٩٣٤ ، ص ١١١ — ١٣٤

« نشاطهم التهويشي والديماغوجي »
«وروح التعصب القومي والشوفيني» ، « والنشاط الفكرى والأيديولوجى » إلخ .

هذا ، وقد وضع بعض الباحثين عددا من الشروط لقبول اللفظ الأجنبي :

أولا : إمكانية الانتشار فى اللغة العربية نتيجة لدخوله فى أحد الأوزان العربية الاسمية أو الفعلية ، وضيرورة التعبير عن معنى لايدل عليه لفظ عربى .

ثانيا : مرونته بحيث يسمح الاشتقاق منه ، مثله فى ذلك مثل الكلمات العربية ؟

ثالثا : التعبير عن معنى محدد لايعبر عنه لفظ آخر .[1]

ويلاحظ مما سبق ان الشرط الأول يتعلق بالتكييف الصرفى ، بينما يتعلق ثالثها بضرورة الكلمة ، وقد أكد هذا العنصر قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؟

وقد ذكرنا أن لاأحد ينكر ضرورة استعمال اللفظ المعرب . وقد عبر الباحث العربى جرجي زيدان قبل سنوات كثيرة عن ضرورته ، إذ قال : « وقد آن لنا أن نخلص أقلامنا من قيود الجاهلية ، ونخرجها من سجن البداوة ،... وإلا فلا نستطيع البقاء فى هذا الوسط الجديد . فلا ينبغي لنا احتقار كل لفظ لم ينطق به أهل البادية منذ بضعة عشر قرنا ، لأن لغة البوادى والخيام لاتصلح للمدن والقصور ، إلا إذا ألبسناها لباس المدن ... إلخ [2] ثم يضيف مشيراً مباشرة إلى الأمر الذى نهتم به : « وإذا عرض لنا تعبير أجنبى لم تستعمل العرب مايقوم مقامه لابأس من اقتباسه »[3]

ويجب الإشارة كذلك إلى أن بعض البحاثة العرب ألحوا على ضرورة تحديد أصول وضوابط لقبول اللفظ الأجنبي ، وتحديد استخدامه للضرورات العملية فقط ، ولكنهم عنوا بهذه الضرورات :

لأعلام وأسماء المأكولات ، والمشروبات والأثاث والأدوية وأسماء الحيوانات والأمراض غير المعروفة لهم[4]

---

(١) إسحاق موسى الحسينى ، ألفاظ معربة ، فى البحوث والمحاضرات ، ١٩٦٣ ١٩٦٤ ، ص ٤٥ .

(٢) جرجى زيدان ، اللغة العربية كائن حى ، دار الهلال ، ص ١٣٩

(٣) نفس المرجع ، ص ١٣٩ .

(٤) عباس حسن ، الكتاب المذكور ، ص ٢٣٤ ومصطفى جواد ، مبحث فى سلامة اللغة العربية ، فى مجلة المجمع العلمى العراقى ، ١٩٥٢ ، ص ٢٠٨ . راجع كذلك تفاصيل أخرى : أهم القرارات العلمية فى مجلات المجمع اللغوى بالقاهرة ، مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، ٣٢ ، ١٩٥٧ ، ص ٥٨٠ ومصطفى الشهابى انتخاب الألفاظ المولدة وإقرار الصالح منها ، مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، ٤٠ ، ١٩٦٥ ، ص ٧١٢ وابراهيم بيومى مدكور ، فى اللغة والأدب ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٤٠

ولكن أكثر الباحثين قد وافقوا على قبول المصطلحات الجديدة بالترتيب التالى :

أولا الترجمة ، وثانيا الاشتقاق ، وثالثا المجاز ، ورابعا التعريب .

ونستنتج من هذا أنه يجب الالتجاء إلى التعريب فى آخر الأمر فقط . أما المبالغة فى الالتجاء إلى اللفظ المعرب فيرفضها الباحثون رفضا مبدئيا [1] باتا ، كما يرفضون كذلك محاولات تنقية اللغة العربية من الألفاظ المعربة لأن مثل هذه المبادرة من شأنها أن تخلق فراغا [2] فى اللغة من الصعب ملؤه بالكلمات العربية .

**نيقولا دوبريشان**
أستاذ قسم اللغات الشرقية
جامعة بوخارست — رومانيا

(١) إبراهيم بيومى مدكور ، فى اللغة والأدب ، القاهرة ، ص ٤٠ وعبد القادر المغربى ، كتاب الاشتقاق والتعريب ، ص ١٤٣ ومصطفى جواد ، مبحث فى سلامة اللغة العربية ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، العدد الثانى ، ١٩٥٢ ، ص ٢١٠ الخ .

(٢) عبد القادر المغربى ، كتاب الاشتقاق والتعريب ، ص ١٤٣ وعباس العزاوى ، المعربات والمصطلحات مجلة المجمع العلمى العراقى ، ٨ ، ١٩٦١ ، ص ٤٨ الخ .

*

# في القرآن والعربية : ( ٥ )

# الصراع بين القراء والنحاة

للدكتور احمد علم الدين الجندي

ط : في الكمية ( الحذف والزيادة ) .

ثالثا :

١ — تسقط العرب الواو وهى واو الجماعة اكتفاء بالضمة قبلها فقالوا في « ضربوا» قد ضربُ ، وفى قالوا قد قالُ ، وأنشد للفراء :

إذا ما(شاءُ) ضرّوا من أرادوا
ولا يألو لهم أحد ضرارا

كما أنشد الكسائي :

متى ( تقولُ ) خلت من أهلها الدارُ
كأنهم بجناحيْ طائرٍ طاروا[١]

فحذف الواو من (شاءوا) والواو من (تقولوا) .

وجاء في الخزانة :

ولو أن الأطبا( كانُ) حولى
وكان مع الأطباء الأساة[٢]

وورد في همع الهوامع :

« هلع إذا ماالناس(جاعُ) وأجدبوا » [٣]

كماأن بعض العرب تحذف ياء التأنيث اكتفاء بالكسرة ، ومنها قول عنترة :

إن العدو لهم إليكِ وسيلة
إن يأخذوكِ تكحّلى وتخضّبِ[٤]

وقد عزا الفراء تلك الظاهرة إلى (هوازن وقيس) — وهذا يؤيد ماذهب إليه ، فهوإذن من قيس وهى من القبائل الضخمة التى سكنت في مواضع متعددة من نجد — وقيس كانت تتناثر ديارها بين نجد والحجاز— وأكثرها قبائل متبدية تميل إلى هذا الحذف الذى قررته ، ويظهر أن هذا الحذف كان يشمل مناطق بدوية أكثر مما ذكره الفراء ، فسيبويه يرى أن هذا الحذف كان عند ناس كثيرمنقيس وأسد[٥] ، بل يظهر ان مناطق شاسعة من قيس وأسد كانت تحذف الواو والياء — وهما علامة المضمر

---

(١) معانى القرآن للفراء : ١ / ٩١

(٢) خزانة الأدب للبغدادى : ٢ / ٣٨٥ وفى معانى القرآن للفراء : عندى : بدل : حولى

(٣) الهمع : ١ / ٥٨

(٤) معانى القرآن للفراء : ١ / ٩١ ط دار الكتب .

(٥) الكتاب ٢ / ٣٠١ / ٣٠٢

(*) انظر الجزء السابق منمجلة المجمع .

ولاسيما فى القافية ، ودليل ذلك أن سيبويه سمع منهم من ينشد :

(أ) طافت بأعلاقه خَوْدٌ يمانية
تدعو العرانين من بكر وما جمعْ

(ب) وقول عنترة :
( يادار عبلة بالجواء تكلم ) [1]

وأنشد السيرافى للخزر بن لوذان :

(ج) كذبَ العتيقُ وماءُ شنٍّ باردٌ
إن كنتِ سائلتي غبوقًا فاذهبِ [2]

وأصل الكلام فى البيت الأول : وماجمعوا ، والبيت الثانى : تكلمى — وهو لعنترة ، وعنترة من عبس من ذبيان التى ينتهى نسبها إلى قيس — تلك التى يشيع فيها ظاهرة الحذف ، على أنه قد سمعت نغمة أخرى ترى أن مثل هذا الحذف الذى عزى إلى قيس وأسد وهوازن — ليس بلهجة وإنما هو ضرورة شعرية[3] ، ولكننى أردت سبر غورهم فوجدت الحق بجانبهم ، لأننى عثرت على شواهد نثرية — لايمكن أن يقال بأنها جاءت ضرورة ، لأنه لاضرورة فى النثر فمن ذلك :

(أ) قرأ بعض القراء «سندع الزبانية» ، وقوله تعالى «ويدع الإنسان بالشر[4]» وأصلها سندعو ، ويدعو — فحذفت الواو وبقيت الضمة دليلا عليها .

(ب) كما أورد صاحب الكشاف فى سورة المؤمنين شاهدا لقراءة من قرأ « قد أفلح المؤمنون » بضم الحاء اجتزاء بالضمة عن الواو ، والأصل «أفلحوا المؤمنون » [5] كما نقل ابن هشام فى المغنى قراءة يحيى بن يعمر قوله تعالى «تماما على الذى أحسنُ » بالرفع وأصله «أحسنوا» فحذفت الواو واجتزىء عنها بالضمة . كما قرأ ابن محيصن «لمن أراد أن يتمُّ الرضاعة» [6] والأصل أن «يتموا» .

(ج) وحكى السيوطى قائلا «من العرب من يقول « الزيدون قامُ » [7] .

---

(١) سيبويه : ٢ / ٣٠٢

(٢) شرح السيرافى على سيبويه : ٥ / ٤٧٨ .

(٣) خزانة الأدب : ٢ / ٣٨٥

(٤) معانى القرآن للفراء : ١ / ٩١ ، خزانة الأدب : ٢ / ٣٨٥ .

(٥) حاشية الصبان على الأشمونى : ١ / ١١٢ .

(٦) مغنى اللبيب : ٢ / ١٣٠ .خزانة الأدب : ٢ / ٣٨٥

(٧) الهمع : ١ / ٥٨

(د) ورد أن حذف الواو والاكتفاء عنها بالضمة ظاهرة سامية عامة وجدت فى الحبشية والعبرية والآرامية[1] .

فهذه أدلة قاطعة من قراءآت القرآن الذى هو مرآة صافية للهجات العرب — يليه مثال من النثر ، ولا ضرورة فى القرآن ولا فى النثر — فهى لهجة لا ضرورة

٢ — ومن أمثلة الحذف ما رواه ابن منظور لأعرابى من بنى نمير أنه قال «ينحِطْن من الجبل» [2] وماعزاه صاحب التصريح من قولهم : ظَلْت ومِست وأحَسْتُ وأنه لغة سليم»[3] ولتفسير هذا الحذف نرى أن الفعل أصله : ظَلِلت ومَسِست وأحسست . ويظهر أن القبائل العربية كانت تختلف فى نطق مثل هذه الأفعال — فبعضها كان ينطقها تامة كاملة : مثل الصيغ السابقة ، وبعض كان ينطقها بحذف لامها مع نقل حركة العين إلى الفاء مثل : ظِلت . وبعض آخر كان يحذف لامها مع إبقاء الفاء على حركتها مثل : ظَلت وسيبويه كان يرى شذوذ هذه الصيغ المحذوفة[4] ومن ثم فلا يقاس عليها — وكلامه مردود ، لأنه متى ثبت أنها لهجة عربية — فلا ضرر من أن يقاس عليها .. والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء . قال[5] ابن جنى «اللغات على اختلافها كلها حجة» على أن النحاة قيدوا هذا الحذف بأن يكون الفعل ثلاثيا مكسور العين[6] . وأرى أنه لا يلتفت إلى قولهم ، لأن ظاهر إطلاق الموضح أن هذا الحذف مطرد فى كل فعل مضارع أيضا ، بل حكى ابن الأنبارى الحذف فى المفتوح وسمع من العرب : همت فى هممت وكان صاحب التسهيل على حق حيث لم يشرط للحذف ما شرطه النحاة بل جعله شاملا للمفتوح والمكسور و الثلاثى ومزيده [7] .

فالذى دعا بنى نمير وبنى سليم إلى الحذف ، أنهم يتجنبون النطق بالحروف المتقاربة والمتماثلة ، لأن أعذب التأليف ماتباعدت حروفه وتباينت مخارجه ، فلما اجتمعت الحروف المماثلة فى كلمة واحدة وتعذر الإدغام لسكون الثانى منهما حذفوا الحرف الأول فقالوا : ظلت ، حطت ومست فتخاصت نمير وسليم من التكرار

(١) No Ldâke. elie Endungen des Perfelek p, 15 Strâssburg 1909

(٢) اللسان : ٦ / ٣٩٤

(٣) التصريح : ٢ / ٣٩٧ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الاقتراح : ٢٤ ، ٧٨ والمزهر : ١ / ٥٧ .

(٦) ابن عقيل : ٢ / ٤٥٧ .

(٧) التصريح : ٢ / ٣٩٧

فى: ظللت وحططت ، وليس أدل على كراهيتهم تكرار الحروف من أنهم أبدلوا من أحد المثلين ياء كما فى : التظنّى والتقضّى والتسرّى وأصلها التظنن والتقضض والتسرر

والعلاقة واضحة بين القبيلتين اللتين آثرتا الحذف . فنمير — بطن من عامر بن صعصعة[1] تلك التى ينتهى نسبها إلى قيس عيلان ، وعامر كان بعض بطونها بدوا إذ كانوا ينزلون نجدا ، بل أثر عن بنى عامر أنها تقول : ظلت وملت[2] وعليها جاء قوله تعالى «فظلتم تفكهون[3]» وقوله تعالى «إلهك الذى ظلت عليه عاكفا[4]». وكذلك سليم وهى قبيلة عظيمة تنتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة وينتهى نسبها إلى قيس وكانت منازلهم فى عالية نجد[5] ، ويظهر أن بعض بطونها كان ينزل مع طيئ بدليل ما جاء عن الهمدانى من قوله «فمن وادى القرى إلى خيبر إلى شرقى المدينة إلى حد الجبلين إلى ما ينتهى إلى الحرة — ديار سليم ، لا يخالطهم طيئا[6]» ، وإذا عرفنا أن طيئا قد آثرت مثل هذا الحذف فى مثل تلك الأفعال التى وردت محذوفة فى نمير وسليم — لم يكن عجبا ، جاء فى الخصائص فى باب تحريف الفعل : « من ذلك ما جاء من المضاعف مشبّها بالمعتل وهو قولهم فى ظللت : ظلْت قال :

خلا أن العتاق من المطايا
أحَسْنَ به فهن إليه شوس[7]

والأصل أحسسْن — فحذف ، والبيت لأبى زبيد الطائى[8].

كما جاء فى مجالس ثعلب :

عوى ثم نادى هل أحَسْتُمْ قلا ئصا
وُسِمن علىَ الأفخاذ بالأمس أربعا[9]

والأصل : أحسستم . وهذا البيت لابن عناب الطائى وهو بدوى[10] ، ومن هنا يبدو أن طيئا شاركت سليما ونميرا فى تلك السمة وقد بينت العلاقة التاريخية والجغرافية بين لإصرم من الأنصار سيارة ، وقد يحالفون هذه القبائل الثلاث .

---

( ١ ) معجم كحالة : ٣ / ١٩٥ .
( ٢ ) دروس التصريف : ١٦٨ الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ط الرحمانية .
( ٣ ) سورة الواقعة : ٦٥
( ٤ ) سورة طه آية ٩٧ .
( ٥ ) معجم كحالة : ٢ / ٥٤٣
(٦) صفة جزيرة العرب للهمدانى : ١٣١ ط ليدن .
( ٧ ) الخصائص : ٢ / ٤٣٨ .
( ٨ ) ابن يعيش : ١ / ١٥٤ هامش .
( ٩ ) مجالس ثعلب : ٢ / ٦٠٥
(١٠) خزانة الأدب : ٤ / ٥٨٤

٣ — نقل أبو حيان فى تفسيره عن الزمخشرى : أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير فى لغة هذيل ، وأنشد الطبرى :

كفاك كفّ ما يليق درهما

جوداً وأخرى (تعط) بالسيف الدّما[1]

ويرى الألوسى أن حذف الياء فى مثل ما تقدم ضرورة ، إذا لم يتقدم[2] عليها جازم حتى يحذفها ، ونحن هنا أمام موقف محير موقف القائلين بالضرورة ، وموقف القائلين بأنها لهجة هذيل ، ولكنى أرجح أنها لهجة هذيل وليست من الضرورة فى شىء ، والدليل على ذلك :

(أ) قرأ النحويان ونافع قوله تعالى «يوم يأت لا تكلّم نفس إلا بإذنه[3]» يأ — بإثبات الياء وصلا وحذفها وقفا ، وابن كثير بإثباتها وصلا ووقفا ، وهى ثابتة فى مصحف أبىّ ، وقرأ باقى السبعة بحذفها وصلا ووقفا[4].

(ب) ما جاء فى الإتحاف من أن الياءات المتطرفة كقوله تعالى: الداع ، والجوار ويأت ، والليل إذا يسر ، دعانى ، أخرتنى . أثبتها بعض القراء مراعين الاسم كيعقوب وهى لغة الحجازيين ، ومنهم من يحذف هذه الياء كخلف وهى لغة هذيل[5]» .

(ج) ما جاء عن العرب من قولهم[6] : أقبل يضربه لايأل . بحذف الواو والاكتفاء بالضمة على اللام ، وقولهم «لاأدر[7]» بحذف الياء والإكتفاء بالكسرة على الراء ، وقولهم : ما أدر ما تقول[8] » وقولهم : لاأبال — بحذف الياء والاجتزاء بالكسرة عن الياء[9] :

(د) وردت بعض القراءات بحذف الياء والإكتفاء عنها بالكسرة كقوله تعالى «يوم ينادى المناد[10]» وقوله «أتمدونن بمال[11]» وأصلها : المنادى ، أتمدوننى وقرأ ابن مسعود «الزانية والزان» بغير ياء : شواذ القرآن لابن خالويه : ص ١٠٠ وانظر سورة النور ٢ فإذا كان القرآن الكريم قد نطق بتلك اللهجة ، والقرآن ليس شعرا حتى نقول إنه حذف الياء وأبقى

---

(١) تفسير الطبرى : ١٥ / ٤٧٩ ، البحر ٥ / ٢٦١ / ٢٦٢ .

(٢) الضرائر : ١٧٥ للألوسى

(٣) سورة هود آية ١٠٥

(٤) البحر المحيط : ٥ / ٢٦١ / ٢٦٢ .

(٥) الإتحاف : ١١٣ .

(٦) مقدمتان فى علوم القرآن : مبانى : ١٣٨ .

(٧) اللسان : ١٨ / ١٤ .

(٨) تفسير الطبرى ١٥ / ٤٧٩ ، والجاسوس : ٣٤٢ .

(٩) البحر ٥ / ٢٦١

(١٠) سورة ق . آية ٤١ .

(١١) سورة النمل آية ٣٦ .

(١٢) سورة النور آية ٢

الكسرة دليلا عليها — ضرورة — ثم ما تقدم من كلام العرب النثرى والذى حدث فيه مثل هذا الحذف — والنثر لا يمكن أن يكون محطا للضرورات .

ومن هنا نرى أن هذا الحذف فى هذيل كما عزاه القراء على حين أن إثبات هذه الياءات لهجة الحجازيين— ومعنى ذلك أن الحجاز كانت تنطق بالصيغة كاملة وافية لا حذف فيها ولا حيف — ولهذا أخالف الأستاذ (برجشتراسر) حيث يرى أن الكسرة الممدودة الانتهائية كانت تقصر فى لهجة الحجاز[1] ، ومما يؤيدنى فى الرأى قول صاحب الإتحاف فى إثبات هذه الياءات والإتيان بالصيغ الكاملة « ويعقوب وغيره يثبتون الياء فى الحالين — (أى حالة الوصل والوقف على الأصل وهى لغة الحجاز[2]) » .

والسبب فى أن الحجازيين يأتون بالصيغ الكاملة تامة أنهم أهل حضر غالبا والحضرى معنىّ بتحسين النطق وتخيّر العبارات حتى ينال ما يشتهى من طموح ومركز اجتماعى ؛[3] لهذا يعمد إلى وضوح الكلام وحسن أدائه

كما يبدو أن ظاهرة الحذف فى هذيل لم تكن مقصورة على الآخر . بل وجدت عندها أنماط شتى للحذف فقد تحذف حينا عين الكلمة :

تقول هذيل : رادٌ : أى : رائد[4] وفى اللسان[5] : أن هذا الحذف كثير فى لغتها ،

ومن حذف العين فى هذيل ماورد فى قراءة ابن مسعود[6] «فقلا له قولا ليِّنا» بضم القاف من غير واو[7]

## ٤ — أنا — ضمير المتكلم :

حدث خلاف بين البصريين والكوفيين فى تركيب هذا الضمير ، فيرى البصريون أن الضمير هو الهمزة والنون ، والألف الأخيرة زائدة أتى بها فى الوقف لبيان الحركة فهى كالهاء فى اغزه وارعه — وإذا وصلت حذفتها كما تحذف الهاء فى الوصل[8] .

كما يؤيد ابن جنى رأى البصريين بقوله «فأما الألف فى — أنا — فى الوقف فزائدة وليست بأصل — ولم نقض بذلك فيها من

(١) التطور النحوى : ٤٤ .
(٢) الإتحاف : ١١٣ .
(٣) فى اللهجات العربية ٨٣ ، ٢ ط ٣ . دكتور إبراهيم أنيس (رحمه الله) .
(٤) المخصص ١٣ / ١٥٠ .
(٥) ٤ — ١٦٩
(٦) طه ٤٤
(٧) مختصر شواذ القرآن ١٥٥ لابن خالويه ، وقارن بالخصائص ٢ / ١٣٢ .
(٨) ابن يعيش : ٣ — ٩٣ .

قبل الاشتقاق ، هذا محال فى الأسماء المضمرة لأنها مبنية كالحروف ، ولكن قضينا بزيادتها من حيث كان الوصل يزيلها ويذهبها كما يذهب الهاء التى تلحق لبيان الحركة فى الوقف ألا ترى أنك تقول فى الوصل : أنا زيد كما قال تعالى «إنى أنا ربك[1]» يكتب فى الوقف بألف بعد النون وليست الألف فى اللفظ وإنما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف فى الوصل كسقوط الهاء التى تلحق الوقف لبيان الحركة فى الوصل[2]» ويقرر ابن يعيش زيادة الألف فى أنا — وهو مذهب البصريين[3]

وأما علماء الكوفة فيرون أن الألف بعد النون من نفس الكلمة ، أى الأحرف الثلاثة كلها وهى التى يتألف منها الضمير (أنا) يقول ابن يعيش « وقد كثر ذلك عنهم حتى قال الكوفيون إنها (أى الألف) من الكلمة وليست زائدة[4] .

- أما اللهجات العربية فى هذا الضمير فهى :

(أ) إثباتها ( أى الألف الأخيرة) وصلا ووقفا — وهى لغة تميم ، قال أبو النجم :

( أنا أبو النجم وشعرى شعرى[5])

وجاءت رواية فى كل من الأشمونى[6] والجاسوس على القاموس[7] مؤداها عزو تلك اللهجة إلى تميم ، وجاء فى الخزانة قول الشاعر :

أنا سيف العشيرة فاعرفونى
حميدا قد تذريْت السّناما[8]

ويميل ابن جنى إلى جعل هذين البيتين من قبيل الضرورة إذ يقول « وقد أجرت العرب كثيرا من ألفاظها فى الوصل على حد ما تكون عليه فى الوقف ، وأكثر ما يجئ ذلك ضرورة فى الشعر[9] ، وكأنه بذلك ينكر أن تكون (أنا) بالألف فى حالة الوصل — إلا فى الضرائر الشعرية ، ولكن يقف فى سبيله ما جاء فى قراءات القرآن الكريم ، إذ قرأ نافع « أنا أحيى وأميت[10]»

---

( ١ ) سورة طه الآية ١٢ .
( ٢ ) المنصف لابن جنى على كتاب التصريف لأبى عثمان المازنى : ١ / ٩ ط الأولى .
( ٣ ) ابن يعيش : ٩ / ٨٤ .
( ٤ ) المرجع السابق ٩ / ٨٤ .
( ٥ ) الهمع : ١ / ٦٠ ، الدرر اللوامع على همع الهوامع : ١ / ٣٥ .
( ٦ ) الأشمونى ١ / ١١٤ .
( ٧ ) الجاسوس للشدياق : ٤٧ .
( ٨ ) خزانة الأدب للبغدادى : ٢ / ٣٩٠ .
( ٩ ) المنصف : ١ / ١٠ ط أولى القاهرة .
(١٠) سورة البقرة : ٢٥٨ .

«أنا آتيك به[1]» بإثبات الألف فى الوصل[2] والقرآن الكريم لاضرورة فيه . بل ساق السيرافى فى مخطوطته قراءة من قرأ « وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم » باثبات الألف فى الوصل ( الهمع : ١ / ٦٠ ) ولكن النحاة تأولوا هذه القراءة ( ارتشاف الضرب ١٢٢٢ رقم ٨٢٨ نحو دار الكتب ) . والذى أميل إليه بين القائلين بالضرورة ، والذين يعزونها لتميم أن ثبوت ألف ( أنا ) فى الوصل لهجة تميم ، أما عند غير بنى تميم فلا يكون إلا فى ضرورة شعرية . وهذه الصيغة التميمية ( أى النطق بالألف فى أنا وصلا ووقفا ) هى التى شجعت الكوفيين بأن يقولوا إن الألف بعد النون من نفس الكلمة أى أن الألف الأخيرة فى ( أنا ) أصلية وليست بزائدة كما يقول البصريون .

(ب) إثبات ألفه وقفا ، وحذفها وصلا[3] — وقال السيوطى عنها « بأنها الفصحى رلغة الحجاز[4]» وإثبات الألف وقفا وحذفها وصلا هو الذى جعل البصريين يقولون بزيادة الألف الأخيرة فى الصيغة . والحق أن البصريين جانبهم التوفيق عندما قالوا بزيادتها ، لأن الزائد هو مالا يلفظ به لا وصلا ولا وقفا ، والألف اللينة هنا ليست كذلك لثبوتها فى أنا — وقفا لجميع القراء ، ولاشك أن الرسم مبنى على الوقف والابتداء فلما ثبتت لم تكن زائدة ، ومما يقوى هذا احتفاظ لهجة تميم بالألف فى حالتى الوصل والوقف ، ومما استدل به على أصالة هذه الألف ماجاء فى سائر اللغات السامية : ففى آرامية العهد القديم ʾanā و ʾnā فى السريانية كما ترد أنا جزءا فى ضمير المتكلم ʾānokhi فى الأكدية و ʾanāku فى العبرية[5]. بل إن بعض العرب كان يكتبه كما كان ينطقه بألف لينة بعد النون ، كما يشاهد ذلك فى نقش حران اللجا[6] ، وهو فيه « أنا شرحيل برظلمو[7]» فيرى الضمير عبارة عن أنا — بالألف اللينة ، فكل هذا يشير إلى أصالة المد فى أنا فى حالة الوقف وذلك ، رأى الكوفيين .

---

(١) سورة النمل آية ٣٩ .

(٢) شرح السيرافى : ١ / ٢٥٠ تيمور خط .

(٣) الأشمونى : ١ / ١١٤ .

(٤) الهمع : ١ / ٦٠ .

(٥) فصلة من مجلة كلية الأدب عن الضمير (أنا) فى اللغات السامية ص ٣٩٧ د . السيد يعقوب بكر ( رحمه الله )

(٦) الدكتور : نامى من مقال « ضمير المتكلم المرفوع : الفقرة الأولى . من فصلة فى مجلة كلية الآدب مجلد ١٩ ج ١ .

(٧) تاريخ اللغات السامية : ١٩٢ دكتور ولفنسون .

(ح) وجاء فى الخزانة أن من العرب من يقول « أنه» إذا وقف – وهى لغة جيدة ، وهى فى عليا تميم وسفلى قيس[١]. وعلل ابن جنى لتلك الصيغة بقوله « فبينوا الفتحة بالهاء كما بينوها بالألف»[٢]. وقد ساق ابن يعيش شاهداً لتلك اللهجة من قول عربى عرقب ناقته لضيف فقيل له: هلا فصدتها وأطعمته دمها مشويا فقال: « هذا فصْدى أنه ». يريد ( أنا )[٣].

ولاأدرى كيف عزا البغدادى صيغة ( أنَه ) فى الوقف لتميم وقيس ، لأن النصوص تتفق على أن هذه الصيغة فى (طيء) ، وهذا العربى الذى نطق بتلك الصيغة ولانعرف من أى قبيلة هو فيما جاء عن ابن يعيش ، قد عرف بأنه حاتم طيئ فى شرح الشافية[٤] فصيغته ( أنَه ) فى الوقف لطيئ ، ولعل هذه الصيغة – نشأت كما يقول ( بركلاند)[٥] عن صيغة الوصل أنَ – أى أن بعض العرب ممن يقولون أن – فى الوصل – ظنوا أن هذه هى الصيغة الأصلية فلما أرادوا الوقوف عليها، وقفوا عليها بالهاء – بيانا لحركة النون ، وهذا معنى قول ابن جنى « فبينوا الفتحة (التى على النون) بالهاء[٦].

وأرجح أن هذه الهاء هى هاء السكت جاءت لبيان الحركة – كالتى فى قوله تعالى « ولم أدر ماحسابيهْ » ومثل هذه الهاء التى جاءت لبيان الحركة فى الوقف ماجاء عن أبى زيد من أنه سمع أعرابيامن أهل العالية يقول : « هو لكَهْ وعليكَهْ وجعل الله البركة فى داركَهْ » ولاشك أن هذا الأعرابى يفعل ذلك فى الوقف ، لأن الوقف يحتاج إلى بيان ، فإذا وصل حذف هذه الهاء ، لأن الحرف الذى يلى الكاف فى الوصل يوضحها .

( د ) وبعضهم يقول – آن – حكاها الفراء[٧] ، وفيها قلبت الألف إلى موضع العين ويقول ابن يعيش « فإن صحت هذه الرواية[٨] كان فيها تقوية لمذهبهم» أى الكوفيين وهذه الصيغة تشبه من يقول «راء» فى رأى أى أنها مقلوب – أنا. وقد عزاها صاحب

---

(١) الخزانة للبغدادى : ٤ / ٤٩٢ .
(٢) المنصف : ١ / ١٠ ط القاهرة .
(٣) ابن يعيش : ٣ / ٩٤
(٤) شرح الشافية : ٢ / ٢٩٤/٢٩٥
(٥) الضمير ( أنا ) فى السامية للدكتور السيد يعقوب بكر ص ٣٩٩ فصلة من مجلة كلية الآداب.
(٦) المنصف : ١ / ١٠ ط القاهرة .
(٧) نوادر اللغة لأبى زيد : ١٧١ .
(٨) ابن يعيش : ٣ / ٩٤ .

التهذيب إلى (قضاعة) واستشهد لها بقول عدىّ :

ياليت شعرى آنَ ذو عجّة

متى أرى شرْبا حوالى أصيص[1]

والنّاظر إلى هذا الشاهد ربما يحمله على الضرورة ، وبذهابنا إلى البحث فى كتب الطبقات عرفنا أن عديًّا هذا من (عاملة وعاملة من قضاعة[2]) ، ولهذا رجحت أنها لهجة الشاعر القضاعية :

(هـ) ومن العرب من يسكن النون فى الوصل والوقف وحكى «أنْ فعلت[3]» .

(و) أن تقلب همزة الضمير هاء مثل (هنا) فى (أنا)[4] .

**أحمد علم الدين الجندى**

للبحث بقية

---

(١) اللسان : ١٦ / ١٧٩

(٢) الشعر والشعراء : ٢٣٧ تحقيق السقا .

(٣) خزانة الأدب للبغدادى : ٤ / ٤٩٢ ، ابن يعيش : ٣ / ٩٤

(٤) أنظر شرح الشافية : ( ٣ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

# الجغرافيا اللغوية وأطلس "برجشتراسر"

## للدكتور رمضان عبد التواب

يتصل علم اللغة فى العصر الحديث بصلات وثيقة إلى علوم أخرى ، فهو يقتبس بعض طرائقها ، فى معالجة الظواهر المختلفة ، أو يفيد من النتائج التى وصلت إليها ، فى محاولة لفهم أسرار اللغة ، وهى أرقى ما وصل إليه النشاط الاجتماعى لدى بنى البشر .

ومن فروع علم اللغة فى العصر الحديث علم الاجتماع اللغوى ، وعلم النفس اللغوى كما أن عالم اللغة لابد له من الإلمام بعلم الفسيولوجيا أو وظائف الأعضاء ، وعلم التشريح ، وعلم الطبيعة ، فى دراسة الأصوات اللغوية بأنواعها المختلفة .

ويتصل علم اللغة الحديث كذلك بعلم الجغرافيا اتصالا وثيقا ، فقد اقتبس علم اللغة ، منذ أكثر من نصف قرن مضى طرائق علم الجغرافيا ؛ ليضع حدوداً لغوية للهجات المختلفة ، فى خرائط تبين معالم كل لهجة ، وتفرق بين لهجة وأخرى ، ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا إلا فى أن ما يدون عليها ظواهر لغوية ، تطلع القارئ على أدق الفروق فى الأصوات والمفردات ، بين اللغات المختلفة واللهجات المتباينة .

وتطلعنا هذه الخرائط على الاختلافات الصوتية بين المناطق المختلفة ؛ فقوم يجهرون أصواتا ، وقوم يهمسونها ، وطائفة تنطق الفتحة صريحة ، وأخرى تنطقها ممالة ، ولهجة تنبر الكلمة فى مقطعها الأول ، وأخرى تنبر المقطع الأخير منها . . وهكذا .

كما يبرز فى هذه الخرائط الدرس الواسع للمفردات ، من حيث البنية والمترادفات المختلفة للمعنى الواحد ، واختلاف الألفاظ باختلاف المناطق اللغوية ، ومقدار انتشار الكلمات فى الأقطار والأقاليم ، وغير ذلك مما يتيح لنا معرفة الواقع اللغوى للغة من اللغات ، سواء أكانت لغات فصحى أو مشتركة أو خاصة ، أو لهجات اجتماعية أو إقليمية أو عاميات خاصة .

هذه الدراسة الجغرافية اللغوية ، تعد من أحدث وسائل البحث فى علم اللغة ،

ولها وظيفة ذات أثر بالغ فى الدراسات اللغوية فى العصر الحديث ؛ لأنها تسجل الواقع اللغوى للغات أو اللهجات على خرائط ، يجمعها آخر الأمر أطلس لغوى عام ، وتختص كل خريطة بكلمة أو بظاهرة صوتية معينة ، يبدو فيها الاتفاق أو الاختلاف بين المناطق اللغوية المتعددة ومما لا شك فيه أن هناك تشابها بين لهجة إقليمية وأخرى أو بين لهجتين اجتماعيتين ، أو بين عاميات خاصة ، ما دامت هـــذه جميعا ترجع إلى أصل لغوى واحد .

وعلى الرغم من تقدم هذا الفرع من فروع الدراسة اللغوية ، لدى علماء الغرب ، فإنه لا يزال غض الإهاب فى بلادنا ، فليس لدينا فى لغتنا العربية إلا محاولات قليلة منها محاولة قام بها المستشرق الألمانى برجشتراسر Bergstraesser لعمل أطلس لغوى لسوريا وفلسطين ، نشره فى ليبزج سنة ١٩١٥ م .

و« برجشتراسر » مستشرق ألمانى مشهور ، ولد فى عام ١٨٨٦م ، ونال درجة الدكتوراه من جامعة ليبزج سنة ١٩١١م ، برسالته عن « استعمال حروف النفى فى القرآن الكريم » ، ودرس فى جامعات ليبزج ، وبرسلاو ، وهيدلبرج . واستقر به المطاف بعد ذلك فى ميونخ سنة ١٩٢٦م ، وانتخب عميداً لكلية الآداب بها سنة ١٩٢٨م .

وفى العام الجامعى ١٩٢٩–١٩٣٠ م دعته كلية الآداب بالجامعة المصرية القديمة ، لإلقاء محاضرات فى النحو المقارن بعنوان : « التطور النحوى للغة العربية » ، وقد طبع فى مصر سنة ١٩٣٠م ، ثم دعته الحكومة المصرية مرة ثانية فى العام الجامعى ١٩٣١ – ١٩٣٢م ليلقى محاضرات فى الجامعة عن تحقيق النصوص ، وقد نشرت هذه المحاضرات بعد ذلك فى كتاب بعنوان : « نقد النصوص ونشر الكتب » فى مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية سنة ١٩٦٩م :

وكان « برجشتراسر » يكره « هتلر » ودعوته النازية ، لتفضيله الحديد على الزبد ، وتفضيله العلوم العملية على العلوم النظرية ، وكان لا يرى مانعا من حمل بندقيته والخروج لمحاربته ، فدفع « هتلر » إليه بمن يقتله ، وكان مغرما بتسلق الجبال ، ففى إحدى المرات ، حينما كان يتسلق الجبال ومعه طالب من طلبته ، إذ تعلق الطالب بقدمه ، فهوى من ارتفاع شاهق إلى قاع الوادى ، حيث لقى حتفه فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٢م .

أما أطلسه اللغوى ، الذى عمله لبلاد سوريا وفلسطين ، فقد قام بعمل تسجيلاته كلها بنفسه فى عام ١٩١٤م ، بعد أن حصل على إجازة من جامعة ليبزج ، ليقضى شهوراً فى بلاد الشرق ، فسافر إلى الآستانة ، ومنها إلى سوريا ، وفيها تنقل بين بلادها باحثا وراء اختلاف اللهجات الدارجة بها ، فمكث أولا فى « دمشق » ، ثم سافر إلى الجنوب فى « معان » ثم إلى « حلب » فى الشمال وفلسطين ولبنان .

وكانت حصيلة هذه التسجيلات ، أن وضع أطلساً لغوياً لسوريا وفلسطين ، وهو عبارة عن ٤٢ خريطة تفصيلية ، وخريطة واحدة إجمالية ، مع شرح لغوى فى كتاب مستقل ، نشر فى ليبزج سنة ١٩١٥م .

وسنعرض فيما يلى لطريقة « برجشتراسر» فى عمله هذا ، كما بين هو ذلك فى مقدمته لأطلسه ، إذ ذكر أن بحث اللهجات العربية قبله ، كان مقصوراً على دراسة كل لهجة محلية دراسة مستقلة ، وبين أن هذه الدراسات السابقة ، تفتقر إلى التكملة ، عن طريق دراسة الفروق اللغوية ، فى مناطق كبيرة ، باستخدام الجغرافيا اللغوية .

وقد استخدم « برجشتراسر » الطريقة الألمانية[1] ، فى عرض جمل معينة على راوى اللهجة ، غير أنه اختار جملا متصلا بعضها ببعض ، فى سياق قصة من القصص الشائعة فى المنطقة ، وعلل للسر فى اختياره هذه الطريقة : بأن المقارنة عن طريق قوائم الكلمات ، لا يستطيع معها المرء أن يدرس الظواهر النحوية ، التى تحتاج إلى التراكيب؛ فقال فى المقدمة :

« ويواجه تدبير المادة اللغوية القابلة للمقارنة ، صعوبات كبيرة ، بصرف النظر عن الصعوبات الأخرى ، التى تعترض سبيل تسجيل اللهجات ، فقد يكون من السهل عمل قوائم كلمات لموضوع ما ، ولكن مثل هذه القوائم – كما هو معروف – لاتحتوى فى الغالب إلا على أسماء وأعداد ، وقد تحتوى على أفعال وصفات وحروف ، غير أننا نفتقد هنا الأمر الذى لايزال كل شىء بالنسبة لعرض اللهجة عرضاً كاملا نوعا ما ، وهذا الأمر هو التركيب موضوع دراسة النحو ، فإنه لايمكن الحصول عليه بهذه الطريقة مطلقاً ، فيما عدا بعض التصريفات النحوية ، التى قد يخرج بها المرء بعدساعات طويلة من الأسئلة. وهكذا لم تبق إلا طريقة واحدة ، وهى تسجيل نص متكامل ( أو على الأقلّ جمل متكاملة ) . غير أن مثل هذا النمط من السلوك فى معالجة اللهجة عن طريق النص الكامل ، تصعب معه المقارنة الكاملة المطلوبة ، فلم يبق إلا أن يقسم النص إلى جمل صغيرة ، وينطق بها أمام الشخص الذى يمثل اللهجة ( الراوى ) وهو يعيدها منطوقة بلهجته وهذا أمر خطير بالطبع ، ويحتاج إلى حذر شديد للوثوق من أن الراوى يتحدث حقا بلهجته ، ولا يحاول حسبما يستطيع أن يردد ما يسمعه من غيره ، غير أنه لا يجوز لنا أن نبالغ فى رفض الصيغ التى تشبه نظائرها فى نطق المسجل أمام الراوى . وقد حدث لى فى أحيان كثيرة ، أن الأهالى عندما كنت أسائل أحد البدو فى حضورهم ،

( ١ ) انظر عرضا للطريقتين الألمانية والفرنسية فى عمل الأطالس اللغوية ، فى مقال للدكتور خليل عساكر ، بمجلة مجمع اللغة (الجزء السابع )سنة ١٩٥٣ ص ٣٧٩ – ٣٨٤

كانوا يحاولون – حينما يفهمون ما أريد – أن يصححوا للبدوى كل الصيغ الغريبة ، التى ينطق بها البدوى على سجيته » .

وقد ذكر « برجشتراسر » الصعوبات التى قابلته فى عمله الذى تولاه بنفسه فى منطقة واسعة ، ومدة قصيرة نسبياً ، فقال : «ومن القواعد المقررة أنه لايجوز الاعتقاد فيما يرويه العربى عن لهجة لا يتكلمها هو نفسه . وإلى جانب هذا تأتى صعوبات أخرى ، وعلى الأخص ، عندما يكون فى المكان الذى تبحث لهجته تعبيرات واصطلاحات أخرى ، غير تلك التى ألقاها المسجل أمام الراوى ، فإن المرء لا يحصل عليها عندئذ إلا بطريق الصدفة ، أو فى حالة ما إذا كان راوى اللهجة شخصاً ذكى الفؤاد .

« وعلى العموم فإن الطريقة المبينة من قبل ، تظهر الفروق بين اللهجات ، أقل مما هى عليه فى الواقع – وإنه ليفترض دائماً حتى الآن ، أن الراوى قد أفلح عموما فى فهم ما يريده المرء منه – وذلك عسير مع البدو خاصة – وأنه ذكى بدرجة كافية ، فقد اضطررت إلى قطع التسجيلات فى أحيان كثيرة ، عند أول حديث مباشر فى النص الذى عرضته ؛ لأن الراوى لم يكرره على أنه حديث مباشر بضميره المناسب .

« وقد تضاعفت هذه الصعوبات ، بسبب بعض الأمور الأخرى ، وقبل كل شىء بسبب ضيق الوقت الذى أملكه ؛ إذ اضطررت للقيام بتسجيلاتى كلها فى ٤٥ يوما فى منطقة ذات أبعاد هائلة . وهكذا أصبحت مراكز التسجيل أقل مما كنت أرغب . وفيما عدا ذلك ، كان لابد أن يقصر النص المعد للتسجيل ، وأن يصرف النظر فى كثير من الحالات عن فحص التسجيل ومراقبته بسبب ضيق الوقت .

وقد تسببت العجلة كذلك ، فى أننى لم أكن حذرا فى انتقاء رواة اللهجة ؛ إذ يجب أن يختاروا من بين الأفراد الذين لم يتعرضوا لأى تأثير أجنبى » .

ويشير « أنطوان مييه » A. Meillet إلى مثل هذه الصعوبات التى تقوم فى وجه تسجيل لهجة ما ، فيقول[1] : « فإذا كان الأمر يتعلق بلغة محلية ، نجد أن الأشخاص الذين يستخدمونها محرومون عادة من كل ثقافة لغوية لوصفها . وأما الأجانب ، ففضلا عن أنهم يفهمونها فهما غير كامل ، مع تفاوتهم فى ذلك ، فإنهم يجدون مشقة فى تمييز الأشخاص الذين يتكلمونها على نحو عادى ، بل إنهم عندما يعثرون على هؤلاء الأشخاص ، لا يستطيعون بسهولة أن يأخذوا عنهم المعلومات اللازمة ؛ وذلك لأن هؤلاء الأشخاص أنفسهم ، لا يعون على وجه دقيق الطريقة التى يتكلمون بها ؛ بل إن مجرد محادثة شخص يتكلم لغة ما

(١) انظر علم اللسان لأنطوان مييه ، ترجمة الدكتور محمد مندور ٤٥٤ – ٤٥٥

لشخص آخر لايتكلم نفس هذه اللغوة عادة — ليكفى لإلقاء الاضطراب ، فى استعمال تلك اللغوة ، والحيدة بها عن الدقة » .

وقد بين « برجشتراسر » كيف اختار النص الذى عرضه على رواة اللهجة ، فذكر أنه أخذ القصة المعروفة بقصة « الفلاح والثور والحمار والديك » فى صيغتها الدمشقية ، من كتاب « أوستروب » Oestrup ، غير أنه أعاد كتابتها مرة أخرى ، لكى يتجنب الصيغ الفصيحة فيها ، ولكى يتأكد من عربيتها الدمشقية ، بعد هذا كله ، عرضها على أحد الرواة من دمشق فأقرها .

وفيما يلى جزء من هذه القصة التى قسمها إلى ٩١ فقرة على النحو التالى :

« ( ١ ) كان فيه رجل فلاح ( ٢ ) بيعرف كلام الحواوين ( ٣ ) وعندو حمار وتور ( ٤ ) التور يحرث الأرض ( ٥ ) والحمار يركب عليه الفلاح ( ٦ ) يوم من الأيام قال التور للحمار ( ٧ ) أنا طول النهار باشتغل ( ٨ ) وانته بتقعد ( ٩ ) ما بتعمل شى منوب (١٠ ) ياريتنى متلك يوم واحد ( ١١ ) اعطينى نصيحة إيشما كان ( ١٢ ) شوبدى أعمل (١٣) قاللو الحمار عندى نصيحة ( ١٤ ) قاللو فرجينى شو عندك ( ١٥ ) قاللو الليلة لا تاكل عليقك ( ١٦ ) بيجى صاحبنا بيشوفك ( ١٧ ) بيظن انك ضعيف ( ١٨ ) بيدشرك يومين تلاتة ( ١٩ ) قاللو التور ايو الله هادا راى ( ٢٠ ) رايح اعمل هيك » .

وفيما يلى أمثلة من دراسته اللغوية ، للهجات التى سجلها فى سوريا وفلسطين ، وأقام عليها أطلسه اللغوى :

ففى الناحية الصوتية مثلا ، لاحظ « برجشتراسر » أن ( الكاف ) يختلف نطقها بين البدو والحضر ، وأن كشكشة الكاف[1] لاتسود على العموم فى الحضر إلا فى منطقة صغيرة ، وعلى الأخص فى تلك الجهات التى تحول فيها البدو إلى مستوطنين فى العصر الحديث ، وأن المدن كلها تنطق بصوت الكاف ، وأن مدينة « السلط » تنطق الكاف بالكشكشة ، فيما عدا المتعلمين فيها ؛ إذ ينطقون بالكاف ، وأن منطقة « عنيزة » فى الشمال ، تنطق الكاف بالكسكسة ، وأن فى شمال منطقة الكشكشة ، يتأرجح النطق بين الكاف المكشكشة وصوت ( ty ) كما فى منطقة « سولم » مثلا .

وبالنسبة إلى الصيغ لاحظ « برجشتراسر » مثلا أن الضمير « نحن » ينطق « نحن » بين الحضريين فى الشمال ، وعدد قليل جدا من البدو ، وينطق « إحنا » بين الحضريين فى الجنوب ، والبدو فى الغرب وينطق « حِنّا » بين البدو فى الشرق ،

( ١ ) انظر لظاهرة الكشكشة والكسكسة كتابنا « فصول فى فقه العربية » ١٢٠ — ١٣٠

كما يذكر أن عددا قليلا من البدو ينطق به « لحنا » .

وفى الدلالة على الزمن الحالى ، يذكر « برجشتراسر » أن كل الحضريين يزيدون الباء فى أول المضارع ، وإن لم يكن الجميع تابعين فى هذا لقواعد تطابق تماما القواعد المتبعة فى دمشق ، ودائرة الاستعمال فى معظم الأحوال أوسع منها فى دمشق ، أما بين البدو فلا تسود هذه الباء إلا لدى القليل جدا منهم ، وربما يكون ذلك بسبب التأثر بالحضر .

وفى مجال المفردات يذكر «برجشتراسر» أن البدو يستخدمون فى معنى « الآن » مثلا كلمة : « هسّع » أو « هسّاع » وكذلك الحضريون فى شرقى الأردن . أما باقى الحضريين فإنهم يستخدمون « هلّتْ » أو « هلأ » أو « هلقت » أو « هلأت » وما أشبه ذلك . وكذلك يستخدمون « إسّا » أو « هنّلْقيت » أو « هنْلئيت » .

كما يذكر أن الحضر فى الجنوب الغربى يقولون : « فى عرضك » أو « بعرضك » . أما البدو هناك فيقولون : « دخالك » ، وباقى المناطق تقول : « دخيلك » .

هذه بعض أمثلة لما فى هذا الأطلس اللغوى ، من ملاحظات لغوية قيمة ، ويلاحظ فى هذا العمل أنه ككل دراسة جغرافية — وصفى بحت ، يعنى بالواقع اللغوى ويسجله ، ولا يهمه البحث عن الأسباب والدواعى التى قادت إليه ، أو بمعنى آخر ، لايعنى بأصول الظواهر اللغوية ، والقوانين التى أدت إلى تطورها ، وهذا هو الفرق بين منهجين من مناهج الدراسة اللغوية ، وهما المنهج الوصفى الذى يبحث اللغة بحثا عرضيا لاطوليا ، ويصف مافيها من ظواهر مختلفة ، ويسجل الواقع اللغوى تسجيلا أمينا ، والمنهج التاريخى الذى يدرس اللغة دراسة طولية ويتتبع الظاهرة اللغوية فى عصور مختلفة ، محاولا الوقوف على السر فى تطورها .

وقد أشار « برجشتراسر » فى خاتمة أطلسه اللغوى إلى ذلك ، فقال : « وهذا البحث يرمى إلى توضيح الصلات اللغوية الحاضرة بين سوريا وفلسطين . وأما بحث تطورها التاريخى ، فإنه عمل قائم بذاته ، ويحتاج فى تنفيذه إلى النقل الواسع عن المراجع التاريخية » .

وعلى العكس من ذلك لاتكمل البحوث التى تتعلق بلغة سوريا وفلسطين ، ولاتلك التى تتعلق بفتح العرب لهذه المنطقة ، إلا بمعرفة الصلات اللغوية الحاضرة . وإذا كان الفتح العربى لهذه المنطقة قد أدى إلى اندثار اللغة الآرامية ، فإن هذا البحث يحتاج إلى تكملة من جانب اللغة الآرامية ، ممثلة فى بحث تأثير الآرامية على العربية ، وأثر العربية فى اللهجات الآرامية الباقية ، وهى لهجة « معلولا » إحدى قرى ضواحى دمشق . والله أعلم

رمضان عبد التواب

# تعريف ونقد

# سؤالات الحافظ السلفي لخميس الحوزي عن جماعة من أهل واسط

## تحقيق الأستاذ مطاع الطرابيشي
## تعريف ونقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن

ليت

هذه هي المرة الأولى التي تلتقي فيها بالأديب الأستاذ مطاع الطرابيشي محققا لكتب التراث العربي ، فقد عرفناه قبل ذلك جامعا ومحققا لشعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى وهو ذلك الشعر الذى أصدره مجمع اللغة العربية بدمشق فيما أصدره من نفائس المطبوعات سنة ١٩٧٤ م

والحق أن عمل الأستاذ مطاع الطرابيشي وصنعه المشكور فى جمع شعر الشاعر عمرو ابن معد يكرب الزبيدى يعد من أعمال التحقيق التى لازمها التوفيق . فما ترك مصدرا أو مرجعا أو مظنة لوجود شعر الزبيدى إلا رجع إليه ، واستأنس به ، وأخذ عنه ، ونقل منه ، حتى بلغت جريدة مصادره لالتقاط شعر هذا الشاعر قرابة مائتى كتاب لا تنقص عنها إلا كتابين لا غير . ولقد نقر الأستاذ مطاع كل تلك المصادر والمظان وقلبها ظهرا لبطن ، وبطنا لظهر ، فما أفلت أمنه لابيت واحد للزبيدى ، على الرغم من أن أكثر تلك المصاد غير مفهرس القوافى وذلك عمل تنوء به العصبة أولو القوة . ولكن يبدو أن طبيعة هذا المحقق الميالة إلى التنظيم والتنسيق ، والحصر والتحديد ، والمعاودة والمراجعة قد سهلت عليه جمع هذا الشعر العظيم لعمرو بن معد يكرب ، الذى كاد يكون الديوان الكامل له : فأن محققنا تتبع شعر الزبيدى المبعثر كل مظنة ، وأخذ يدونه ويرتبه ويقابل بين نص ونص ، وقراءة وقراءة ، ورواية ورواية حتى استقام له أن يسوى ديوانا كاملا لعمرو ابن معد يكرب بعد أن عفى الزمان على ديوانه الذى جمعه أول الأمر إسحاق ابن مرار الشيبانى الكوفى المتوفى ٢٠٦ هـ ثم جمعه بعد ذلك أبو عبد الله بن الأعرابى المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، ثم جاء أبو سعيد السكرى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ فجمع ديوان عمرو ابن معد يكرب بصنعته هو . وظلت هذه

الدواوين متداولة بين أيدى العلماء والباحثين فى أنحاء العالم العربى حتى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى، ومنذ ذلك الحين اختفى ديوان الزبيدى وكأن الأرض قد ابتلعته كما اختفى غيره من كتب التراث، ومن يدرى لعله الآن يقبع فى زاوية مجهولة من زوايا خزانة للكتب، وقد عفره التراب، أو لعل ماء قد أغرقه أو حريقا قد أحرقه أو جاهلا قد انتهبه وطوح به فى مطارح بعيدة لا تصل أليها يد... ألى أن أتاح الله لشاعرنا صاحب الصمصامة أديبا من العراق هو: هاشم الطعان، جمع ما تبعثر من شعر الزبيدى. وما أقدره عليه جهده ونشره فى ديوان صدر عن العراق سنة ١٩٧٠

ولم يسلم شعر الزبيدى صنعة هاشم الطعان العراقى، من مآخذ كثيرة أخذها عليه الناقدون، وفى مقدمتهم الدكتور يحيى الجبورى الباحث المحقق العراقى.

ولعل صدور طبعة الطعان بما حوته من أوهام غلاظ قد حفز باحثنا ومحققنا الأستاذ مطاع الطرابيشى على أن ينص عزمه لجمع شعر عمرو بن معد يكرب من جديد، وأن يتعقبه فى كل مورد مهما كان بعيدا عن الظن، وأن يحققه على خير الوجوه وأقربها ألى الأصل، وأن يخرجه إخراجا لعله بلغ الرضى من روح عمرو بن معد يكرب الذى قطع الدهر منذ ثلثمائة عام ما بيننا وبين ديوانه القديم. وهكذا كان شعر الشاعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى أثرا من آثار الأديب مطاع الطرابيشى، وجهدا خالصا من أطيب جهوده.

واليوم – وبعد مرور عامين على صدور شعر الزبيدى من صنعة مطاع الطرابيشى – يسهم صاحبنا فى نشر التراث العربى الخالد بتحقيق (سؤالات الحافظ السلفى)، وهى تلك السؤالات التى ألقاها الحافظ السلفى على العلامة الواسطى خميس الحوزى وتلقى منه الجواب عنها. وهى سؤالات تتصل بالترجمة لجماعة من علماء مدينة واسط وقرائها ومحدثيها، وفقهائها، ونحاتها وأدبائها وشعرائها وشهودها المعدلين، وخطبائها، وزهادها ومتصوفتها ... وبهذا كان كتاب (سؤالات الحافظ السلفى) مصدرا من مصادر الترجمة لجماعة من أعيان واسط فى القرن الخامس الهجرى، وإن كان هناك قلة من التراجم تعود ألى صدر القرن الثالث وتمتد حتى بداية القرن السادس.

وكثير من تلك التراجم لا تقع عليها فى كتاب آخر مما بين أيدينا من الكتب مخطوطة أو مطبوعة، ومن هنا كانت لها

قيمتها التى جعلتها مصدرا منفردا وحيدا عن رجل عالم واسطى لاقى أصحاب هذه التراجم وشافههم أو سمع عنهم، وقد لا يكون بينهم هم أنفسهم لقاء ، ولكن الحوزى جمعهم فى رباط (البلدية) أو المواطنة القريبة العهد، فهم جميعا أبناء بلد واحد هو مدينة واسط التى أنشأها الحجاج بن يوسف الثقفى فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، وفى العقد التاسع من القرن الأول الهجرى .

ويلاحظ على التراجم التى حررها أو أملاها الحوزى على الحافظ السلفى أنها وجيزة كل الأيجاز تحاشى فيها المجيب الأطالة، وقصد فيها ألى الإيجاز الذى يدل على المترجم له بقليل من الأحداث الواضحة فى ترجمته. ولهذا نراه فى الجملة يغفل تواريخ الميلاد والوفيات ، ويكتفى بالحكم الوجيز الدقيق على المترجم له ، فيقول عنه مثلا إنه له (شعر جيد ، وترسل سديد ، وموضع من النزاهة معروف ) أو يقول عن آخر : (ثقة صدوق . شارك ولده فى أكثر أشياخه، لم يسمع فى حداثته وإنما سمع بأخرة )

ومن تحقيقات الحوزى فى وفيات المترجم لهم قوله عن الزعفرانى أنه (كف بأخرة وتوفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة) ص ٦٩ ، أو قوله عن أبى الحسن بن الصفار الكاتب أنه (مات فى السابع و العشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وأربعمائة) ص ٧٠، أو قوله فى مولد أبى على بن غراب (وكان ولد قبل الأربعمائة ، وكان يقول : أحمد الله أنى ولدت قبلها ) ص ٧٤

ومهما يكن من أمر هذه المواليد والوفيات فهى قليلة جدا ، بل تكاد تكون نادرة فى تراجم الحوزى لرجالات « واسط » . ولعله لم يجعل هذه الناحية محل اهتمام فى تراجمه، فلا يكاد يفطن أليها ألا فى النادر ولا يجعلها نهجا فى الترجمة يسير عليه ، ويتقيد به ، ولو فعل لأفاد كثيرا ، كما أفاد غيره ممن اهتموا بهذه الناحية .

وتبلغ عدة التراجم فى ( سؤالات الحافظ السلفى ) ستا وعشرين ومائة ترجمة لاغير ، وقد يكون هذا العدد قليلا ودون ما كنا نطمع فيه من التراجم لأعيان مدينة لعبت دورا هاماً فى التاريخ العربى الإسلامى . ولكن ماالحيلة وقد قيد ( الحوزى ) نفسه بما سأله عنه الحافظ السلفى ، فلم يزد على سؤالاته واحدا ليزيد به حجم التراجم ، ولم يجعل تراجمه لأعيان واسط فى فترة معينة ابتداء أو مبادءة منه. ولكنه جعلها

جوابا عن سؤالات للسلفى ، فهو لم يعد فى تلك التراجم إلا أن يكون مجيبا عن أسئلة ،أو رادًّا على استطلاع ، أو سابقا إلى إجابة .

والحوزى كان أخبر بأهل بلده واسط وأكثر استفهاما عنهم وعن موجز أحوالهم .ومن هنا كانت قيمة هذه التراجم التى لم تنقل عن كتاب ، أو تؤخذ عن سفر من تلك الأسفار التى يأخذ بعضهاعن بعض. ولكنها تراجم أصيلةبكر ، لجأ إليها المترجمون وكتاب الطبقات بعد ذلك ، ونقلوا عنها وأخذوا منها . كما فعل ياقوت الحموى فى معجم الأدباء ؛ فقد نقل عنها بعض تراجمه ، وكما فعل ابن نقطةالمتوفى سنة ٦٢٩هـ فى استدراكه ، وكما فعل الدبيثى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ فى ذيله على تاريخ بغداد، وكما فعل القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ فى إنباه الرواة المطبوع فى دار الكتب المصرية بتحقيق صديقنا المحقق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم . وكما فعل جماعة من أصحاب كتب التراجم والطبقات ، منهم الإمام الحافظ الذهبى ، والصفدى ، وابن رجب الدمشقى ، وابن حجر العسقلانى ، والإمام السيوطى ، وابن العماد الحنبلى وغيرهم

ولقد عرف تلاميذ الحوزى ، كما عرف الآتون بعده وبعدهم ، قيمة هذه التراجم وأهميتها فحرصوا على روايتها وبالغ بعضهم فرواها عن الحافظ السلفى نفسه ، مثل تلميذه أبى الفضل جعفر الهمدانى الذى سمعها عنه تلميذه ابن نقطة فى ثغر الأسكندرية ، ومثل الإمام المحدث الذهبى الذى رواها عن طريق ابن رواحة تلميذ الحافظ السلفى ، كما ذكر ذلك فى « سير النبلاء » فى آخر ترجمة خميس الحوزى .

والحافظ السلفى صاحب هذه السؤالات وموجهها الى الحوزى هو صدر الدين أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى الإصبهانى الجروآنى . ولقب « صدر الدين» هذا هو الصحيح ، وإن كان قد جاء فى «تذكرة الحفاظ » و « حسن المحاضرة » للسيوطى أنه « عماد الدين » . وقد حدث ذلك على سبيل الوهم أو السهو ، وإن كانت بقية المصادر الأخرى قد تنبهت له وصححته ، وممن فعل ذلك من المحدثين محققنا الأستاذ الأديب مطاع الطرابيشى ، وصديقنا المرحوم المؤرخ الإسلامى الدكتور جمال الدين الشيال فى كتابه الثمين :

( أعلام الأسكندرية فى العصر الإسلامى ) ص١٣٢ ، فقد كان متنبها لهذا الوهم فى اللقب الذى لم يتنبه له باحث مصرى

معاصر هو صديقنا المرحوم الأستاذ «نقولا يوسف» فى كتابه المشهور : ( أعلام من الأسكندرية)ص١٥٥ .ولاأدرى كيف وقع الأستاذ نقولا فى هذا الوهم ، ولم يحقق على عادته ؟ ولعله سقط فيما سقط فيه الذهبى والسيوطى من قبل ، فلم يخالف ماجاء فى كتابيهما

وكم كنت أود وأنا أقرأ ما أثبته المحقق مطاع الطرابيشى من اختلاف فى الأقوال عن تاريخ ميلاد الحافظ السلفى ، ص ٧ أن يذكر لنا بالتفصيل هذه الروايات التى ناقشها الذهبى فى « سير النبلاء » ، حتى يكون القارىء على بينة منها . وقد كفانا المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال مؤونة هذا العمل فى ترجمته الوافية الدقيقة للحافظ السلفى ، فقد ذكر تراوح التواريخ فى مولده بين سنوات ٤٧١ هـ ، ٤٧٢ هـ ، ٤٧٥ هـ ، ورجح أن سنة ٤٧٥ هـ هى أصح التواريخ ، فقد ذكر السبكى فى طبقات الشافعية أن السلفى حكى عن نفسه أنه حدث سنة ٤٩٢ هـ ، وما فى وجهه شعرة ، وأنه كان يومئذ ابن سبع عشرة سنة أو نحوها . . . كما ذكر الحافظ عبد الغنى أنه سمع السلفى يقول : ( أنا أذكر قتل نظام الملك فى سنة ٤٨٥ هـ وكان عمرى نحو عشر سنين . وقد كتبوا عنى فى أول سنة ٤٩٢ هـ وأنا ابن سبع عشرة سنة أو أكثر أو أقل ، وليس فى وجهى شعرة كالنجارى . . . ) .

على أن من تحقيقات المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال ما يتصل بتاريخ خروج السلفى من الأسكندرية إلى مصر القاهرة أو الفسطاط ، وقول السبكى صاحب طبقات الشافعية أن ذلك كان فى سنة ٥١٧ هـ . وقد تابع الأستاذ مطاع ذلك القول بدون تحقيق ، فقال فى ص٩ : ( واستوطن السلفى الأسكندرية خمسا وستين سنة إلى أن مات ، ماخرج منها سوى خرجته إلى القاهرة سنة ٥١٧ هـ للسماع من أبى الصادق مرشد بن يحيى المدينى وطبقته . . . ) .

ولا بأس أن نسجل هنا ما قاله الدكتور الشيال فى هذا الصدد . . . : ( والتاريخ الذى ذكره السبكى — أى سنة ٥١٧ هـ — غير دقيق . والصحيح أنه سافر إلى الفسطاط فى أوائل سنة ٥١٥ هـ ، ومكث بها ثلاث سنوات إلى أواخر ٥١٧ هـ ، ثم عاد إلى الاسكندرية . يؤيد هذا السلفى نفسه فى بعض النصوص التى ذكرها فى كتابه « معجم السفر » فقد قال فى ترجمته لأبى الحسن على بن المؤمل ابن غسان الكاتب المصرى : « وتوفى سنة ٥١٥ هـ بالاسكندرية وأنا بمصر » . وقال فى ترجمة أبى البهاء عبد الكريم بن عبد الله ابن محمد المقرىء الصقلى : «وتوفى فى شعبان

سنة ٥١٧ هـ بالأسكندرية وأنا بمصر » فكأنه كان لا يزال مقيما بمصر — أى الفسطاط — إلى شعبان سنة ٥١٧ هـ ، ولكنه غادرها عائداً إلى الأسكندرية فى ذى القعدة من هذه السنة ). . . ص ١٣٩ من كتاب أعلام الأسكندرية .

وهكذا نجد فى ترجمة الدكتور الشيال للحافظ السلفى أخبارا وتحقيقات لانجدها فيما بين أيدينا من السؤالات . وإن كانت قد جاءت فى مصادر ومراجع قديمة ، ثم تنبه لها الدكتور الشيال بحسه التاريخى الدقيق فأبرزها فى ترجمته الوافية . . . كالذى فعله حين تحدث عن وفاة الحافظ السلفى بالأسكندرية سنة ٥٧٦ هـ وعن دفنه فى مقبرة « وعلة » ، وهى مقبرة داخل السور عند الباب الأخضر ، فزاد ماذكره ابن خلكان» فى وفيات الأعيان من أن هذه المقبرة دفن فيها جماعة من الصالحين كالطرطوشى وغيره . . .

ولقد كان كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان مصدرا من المصادر التى عول عليها المحقق الأستاذ مطاع الطرابيشى فى ترجمته للحافظ السلفى . والحق أنه قد عنى نفسه بذكر كثرة كاثرة من مصادر الترجمة للسلفى وهو جهد مشكور ، إلا أنه قد ذكر فى مصادره : ( إيضاح المكنون جـ ٢ ص ١٩٥ ، ٥٠٨ ) ، ولا أدرى كيف يستقيم أو يصح أن يكون إيضاح المكنون مصدرا للترجمة للسلفى مع أنه — باعتراف محققنا ص ١٧ قد خلط فى اسم السلفى وفى تاريخ وفاته حين تحدث عن كتابه ) الفضائل الباهرة ، فى محاسن مصر والقاهرة ) فقال إن اسمه : أبو طاهر محمد بن أحمد السلفى الأصبهانى المتوفى سنة ٤٨٢ هـ . وقد جمع هذا القول بين تخليطين : الأول فى الاسم : فهو أحمد بن محمد . لامحمد بن أحمد ، وهو قد توفى سنة ٥٧٦ هـ لاسنة ٤٨٢ هـ

وقد يقال إن محققنا استعان بأيضاح المكنون على ذكر كتاب من كتب الحافظ السلفى ولم يضره إذا كان صاحب الأيضاح قد وهم فى سطر واحد وهمين ، لأنه لم يكن بصدد تحقيق الاسم والوفاة . ولكنه بصدد تدوين مؤلف للحافظ . وأيا ما كان الأمر ، فإن محققنا لم يقف أمام هذا الوهم ساكتا ولامعرضا ، ولكنه تصدّى له فى الموضع نفسه ، وحققه بما يرد الحق إلى نصابه .

ومحققنا لايتهجم على التحقيق ولايقول إلا بالذى يعلمه ، ويتيقن له . وهذا طراز من المحققين نحن فى أشد الحاجة إليه ، وخاصة حين بلغ بنا الزمن إلى سطحية

فى التحقيق لا تتفق مع الأصالة والتعمق . فهو حين ييأس من التوفيق إلى العثور على ترجمة شخص ما — مع كثرة ما يبذل من جهد لا يمكن خفاؤه — يقول نحو هذه العبارة : ( لم أصب له ذكرا فيما وقفت عليه من مصادر ) ، أو : ( لم أعثر على ترجمة له فى المصادر .. ) هامش ص١٠ ، أو : ( لم أصب ترجمة أخرى له ففى الاستدراك والتبصير ذكر آخرون بهذا اللقب ، ولم يذكر أبو نعيم هذا ) هامش ص ٣٠ ؛ ونحن مقدرون ما بذله المحقق من جهد فى سبيل الوقوع على ترجمة جاءت فى إجابات الحوزى ولم تجىء فى مصادر آخر ، فإن مصادر التحقيق كثيرة بين يدى صاحبنا ، وكأنها منه على أطراف أصابعه .. فلو أصاب ترجمته أو إشارة إلى ترجمته لذكرها ، دعماً لما ذكره الحوزى ..

ومما يدل على كثرة تقليب محققنا النظر فى كتب المراجع أنه لا يكاد يفوته اختلاف الروايات فى شعر ذكره الحوزى وسجله الحافظ السلفى ، ففى الترجمة لأبى طالب سعد بن محمد الوحيد يذكر الحوزى ما أنشده أياه « أبو طالب الوحيد » لنفسه من قوله :

لو تخليت للزمان للاقى
مسمعاه منى عتاباً يطول
إنما تكثر النوائب فى الدنيا
لأن الكرام فيها قليل

فهو يعلق على هذين البيتين ، ص٣٥ بقوله : ( الشعر من البحر الخفيف ، وفى معجم الأدباء ، وبغية الوعاة رواية ثانية للبيتين :

لو تجلى لى الزمان للاقى
مسمعيه منى عتاب طويل
إنما تكثر الملامة للدهر
لأن الكرام فيه قليل

وحين يترجم الحوزى للشاعر الكاتب على بن محمد بن دينار فإنه — أعنى الحوزى — يذكر أنه :

(لقى المتنبى وسمع منه ديوانه ومدحه بقصيدة هى عندنا موجودة فى ديوانه أولها :

رب القريض إليك الحل والرحل
ضاقت إلى العلم إلا نحوك السبل
تضاءل الشعراء اليوم عند فتى
صعاب كل قريض عنده ذُلل

ويعلق محققنا الأستاذ الطرابيشى على ذلك بقوله : ( الشعر من البسيط ولم أصب ذكرا آخر لديوان ابن دينار هذا )

ويدلنا هذا التعليق الوجيز على أن المحقق خبير بالشعر عليم بالعروض والقوافى ؛

وأنه يذكر الشعر الوارد فى التراجم بأوزانه وبحوره على الضد مما يفعل بعض المحققين من إغفال فهرسة الشعر لأن ذلك يجرهم إلى ذكر القوافى التى لا يعرفون عنها شيئا؛ كما يدلنا التعليق على أن محققنا اهتم بما ذكر من نسبة ديوان إلى ابن دينار وقرر أنه لم يصب له ذكرا. وهذا يجرنا إلى السؤال المعاد المكرور، وهو أين هذا الديوان الذى ذكره الحوزى، ونقله ياقوت الحموى فى معجمه ؟ وأين مئات الكتب التى ذكرها رواة الأخبار ولم نصب لها ذكرا، ولم يضع الزمان أيدينا عليها إلى الآن ؟

ولقد حمدت للأستاذ الطرابيشى تتبعه لما جاء فى سؤالات السلفى من تراجم، ومتابعته لأخبار هؤلاء الرجال فى كتب ومصادر أخرى، وتسجيله ذلك فى هوامش الكتاب. ولكنه ما باله أغفل ذلك التتبع فى معرض ترجمة الحوزى (لعبد الملك بن مروان الكاتب أبى منصور)؟ فالحوزى يذكر أن ابن مروان هذا كان فى قديمه نصرانيا فأسلم، كما يذكر أنه — أعنى الحوزى — رأى له قصيدة فى رمى البندق تزيد على خمسمائة بيت لم يقل أحد مثلها، أجاد فيها أوصاف المياه والصحارى والرياض والشجر والغياض والسماء والأفلاك والنجوم وصنوف الأطيار .. ولقد أعيانى البحث عن عبد الملك هذا وعن قصيدته فى رمى البندق، كما أعيانى طلابه وطلاب تلميذه أبى السعادات بن بختيار فى الخريدة للأصبهانى وفى مراجع أخرى أضنانى الرجوع إليها . ولكن المحقق الطرابيشى لم يقل لنا شيئا عن عبد الملك هذا، ولا عن قصيدته، وخرج بالصمت عن : لا، ونعم . وإن كنت هنا قد اعترفت بعجزى عن العثور على ما كنت أبغيه . فهل عند قراء هذا المقال من يهدينا، والله يهديه؟!

لقد سبق أن قررت أن التراجم فى سؤالات الحوزى موجزة جدا، ولكن الحق أنها تحتوى على طرائف من حياة المترجم لهم، وعلى صور للمجتمع العربى العراقى لا نجدها فى كتاب من كتب التاريخ : فاتهام الجنود بأنهم كانوا يضعون الخمور وآلاتها فى بيوت من يريد الحكام معاقبتهم أو الانتقام منهم مما نجده فى ترجمة (القاضى أبى تمام) ص ١٢ . ومواساة أصحاب المال والثراء لأهل العلم كانت ملمحا ملحوظا فى المجتمع الأسلامى العربى نصادفها فى ترجمة «ابن القصاب البيع» ص ٢٨، واكتناز بعض العلماء الأموال — مع مخالفة ذلك للشرع — كانت بعض الظواهر التى

بدت فى الترجمة لابن بحتر ، ص٧٥، فقد روى الحوزى عن شيخه ابن غراب أن ابن بحتر ( كان يتهم بأن معه مالا ، وله ذخيرة . وكان ينكر ذلك . فقرأت عليه يوما سورة براءة ، فلما بلغت إلى قوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نارجهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ...» الآية قال ! وى ! وى ! وى ! وجعل يلطم على وجهه .قال : فتحققت مايقول الناس فيه. فلما مات دخل أصحاب السلطان داره فنبشوها فوجدوا جرة خضراء مملوءة دنانير ، فأخذوها وانصرفوا . فعرفت أنه كان يولول من أجلها ...)

وهذه مناسبة تجرنا إلى الحديث عن منهج الحوزى رحمه الله فى التحدث عن الرجال. فقد كان متحفظا كل التحفظ فى ذكر المعايب ،عفيف اللسان ، يذكر السيئات بطريقة لبقة لا تجرح . كتب فى ترجمته لأبى منصور العكبرى : — ( قدم علينا سنة ثمان وستين فسمعنا منه كثيرا ، ولا أعلم من حاله ألا الخير ، غير أن أبا على البردانى كتب إلىّ بما فيه عليه غميزة، ولعله علم من حاله غير الذى علمت .. ) ص٧٢ ، وذلك من أخلاق العلماء الذين لايحبون أن يقعوا فى غيرهم بما لايعلمون

رحم الله الحوزى وتلميذه الحافظ السلفى ، وشكراً لمجمع اللغة العربية بدمشق جهوده الموفقة الظاهرة فى نشر كتب التراث وإصدارها على نحو من التحقيق سليم ، وعلى نحو من الإخراج جميل . وشكر للأديب المحقق مطاع الطرابيشى جهوده فى باب تحقيق التراث ، وخاصة ماكان منه فى جمع وتحقيق لشعر عمرو بن معديكرب الزبيدى ، وفى تحقيق لكتاب ( سؤالات الحافظ السلفى ) الذى كان حظنا أن نتحدث عنه فى هذا المقال

**محمد عبد الغنى حسن**

# شخصيات مجمعية

في الســاعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ٧ من أبريل سنة ١٩٧٦ م أقام المجمع حفل استقبال عضوين جديدين من أعضائه العاملين هـمــا :

الأستاذ محمد عبد الله عنان .

والدكتور شوقي ضيف .

## كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور

باسم الله نفتتح هذه الجلسة لاستقبال زميلين كريمين هما الأستاذ محمد عبد الله عنان والأستاذ الدكتور شوقي ضيف ، ولهما معا قدم صدق في البحث والدراسة ، وإنا لنعول عليهما كل التعويل في الإسهام معنا في خدمة التاريخ واللغة والأدب .

باسم المجمع سيتولى الزميل الأستاذ علي النجدي استقبال الأستاذ محمد عبد الله عنان ويتولى الزميل الأستاذ عبد السلام محمد هارون استقبال الأستاذ الدكتور شوقي ضيف .

وزميلنا وصديقنا الكريم الأستاذ زكي المهندس يبلغهما تهنئته ويأسف أن وعكة خفيفة حالت بينه وبين أن يكون في استقبالها كما نستقبلهما نحن اليوم .

# كلمة الأستاذ على النجدى ناصف

## فى استقبال الأستاذ

## محمد عبد الله عنان

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الرئيس ، زملائى المجمعيين ، أيها السادة والسيدات .

من فضل الله على الأمة أن يهب لها إبان يقظتها ، واستقامة الأمر فيها — صفوة من أبنائها الصالحين ، من أولى الكفاية الفائقة ، والموهبة البارعة فى العلوم والآداب والفنون ، فتتقسمهم بينها مطالب الحياة فيها ، ومنازع العصر الذى يظلها ، كل فى الموقع الذى هو به أحق ، وله أصلح فإذا هم هنا وهناك مشارق نور ، وروافد خير وصلاح ، تجرى فى الناس بما ينير العقول ، ويعمر القلوب ، ويسمو بالأذواق ، فيتهيأ للحياة أن تتوازن ، ولركبها أن يواصل مسيرته إلى الغاية المرجاه .

ولقد وهب الله لمصر — فيمن وهب من هؤلاء — نخبة ممتازة من علماء التاريخ وأصحاب القدمة فيه ، وخار الله للمجمع الموقر أن يصطفى بعضهم أعضاء فيه ، ليشاركوا فى حمل أمانته ، ويجاهدوا فى العربية معه ، فكانوا له أمنية المتمنى : حسن بلاء ، وسخاء عطاء ، بما قدموا من عون ، ووثقوا من مصطلحات ، رحم الله منهم من قضى ونسأ فى عمر من بقى ، وبارك عليه فى الخالفين .

واليوم يستقبل المجمع الموقر مؤرخاً منهم ناماً ، وعلماً فيهم راسخاً ، وكاتباً من كتابنا المعدودين هو الأستاذ الكبير محمد عبد الله عنان .

ولم يتبوأ الأستاذ عنان مكانه هذا بين أنداده ، وفى قلوب قرائه عفوا ميسورا أو قدرا مقدورا ، ولكن جهادا كبيرا وصنيعا مشكورا ، يتمثلان فى آثار له حسان ، وبحوث شائقة متعددة ، أصاب الناس منها علما غزيرا ، ومتاعا طيبا لا لغو فيه ولا تأثيم .

لكن أكثر ما يقترن به اسمه ، وتروى فيه أخباره هو تاريخ الأندلس ، لا لأن الأندلس هى وحدها مدار علمه وشاهد فضله ، ولكن لأنه آتاها من جهده وذات نفسه أقصى وأجل ما يؤتى عالم موضوعا أصفاه الحب ، وأخلص له العمل . ثم إن للأندلس فى التاريخ مقاما معلوما ، وذكرا مرفوعا ، وأثرا باقيا فى رقى البشرية ،

وازدهار الحضارة الإنسانية ، وهى بعد ذلك أو معه مهوى أفئدة العرب خاصة والمسلمين عامة ، يفاخرون بعبقريتها الملهمة ويأسون لمحنتها الفاجعة

لكنهم لم يكونوا يعلمون عنها إلا يسيرا ، لا غناء فيه ، ولا مقنع به . ثم هم ينظرون فلا يرونها قد ظفرت من حفاوة الدرس وأصالة البحث بمثل ما ظفرت به أخوات لها فى المشرق ، فيرتد إليهم طرفهم حسرة وأسفا ، ولكن مع بارقة من رجاء ، فى غد ميمون ، يكون أوفى لها ، وأحنى عليها وأنهض بحقها المقسوم .

فإذا ندب الله لها مؤرخنا الجليل ، فألقى إليها باله ، وشحذ لها من عزمه وأقبل على تاريخها المجيد ، ينشر مطوية ويوضح غامضة ، ويمحص حقائقه ، ثم يعرضه عرضا وافيا شافيا — فقد عمل صالحا ، وحقق أملا عزيزا ، وكان حقيقا أن يذكر با لأندلس ، وأن تذكر الأندلس به ، ولكن ذكر إكبار وعرفان ، لا ذكر حصر واقتصار .

ويزيد من فضله وإعظام صنيعه فى هذا المقام — أنه لم يشأ أن يدرس الأندلس بالغيب ، ولكن عن مشاهدة وعيان ، فأعد للأمر أوفى عدة ، وأدلها على علو الهمة ، ومضاء العزيمة ، فدرس اللغة الأسبانية لأنها لغة البيئة التى سيدرس فيها ، والوسيلة التى لا وسيلة غيرها للدراسة المباشرة ولو شاء لغنى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وهى اللغات التى يجيد التكلم بها . والترجمة منها وإليها . ثم سافر إلى الأندلس وأسبانيا من أجل ذلك ، لا مرة واحدة ، ولا مرتين اثنتين ، ولكن سبع عشرة مرة ، فلم يدع هنالك مكتبة ، ولا دارا من دور الوثائق والمحفوظات إلا زارها وأكب على كنوزها ، يدرس ويحقق . ثم لم يدع هنالك أيضا معلما إلا زاره ، ولا مشهدا إلا وقف عليه وتلبث به ، يخطط الخرائط ، ويصور الآثار والأطلال ، يطالع ويتدبر ، يستلهم ويستشعر ، لذلك كله لم يكن حديثه عن الأندلس من فيض الدرس والبحث وكفى ، ولكن من فيض القلب والوجدان أيضا .

على أنه لم يقصر رحلاته فى هذا السبيل على الأندلس وإسبانيا ، ولا جعل اختلافه إلى المكتبات وقفا على مكتباتهما ، فكانت له رحلات إلى المغرب ، واختلاف إلى خزائن كتبه ، إلى اتصالات بمكتبات أكثر الحواضر فى أوربا كذلك .

ولقد أبى عليه توفر نشاطه ، وتعدد آفاقه إلا أن يجعل من نفسه نصيبا مفروضا لجوانب أخرمن عالم التاريخ ، فانتظم له من دراستها عقد ثمين ، يتألف من عشرين كتابا ، وهى :

(١) تاريخ المؤامرات السياسية .

(٢) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة

(٣) مواقف باسمة فى تاريخ الإسلام بالعربية والإنجليزية .

(٤) ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى .

(٥) مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية.

(٦) مؤرخو مصر الإسلامية .

(٧) الحاكم بأمر الله ، وأسرار الدعوة الفاطمية .

(٨) تاريخ الجامع الأزهر

(٩) ابن خلدون : حياته وتراثه الفكرى بالعربية والإنجليزية .

(١٠) دولة الإسلام فى الاندلس ، فى جزأين :

(١١) دول الطوائف .

(١٢) عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (فى جزأين) .

(١٣) نهاية الأندلس ، وتاريخ العرب المتنصرين :

(١٤) الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال

(١٥) لسان الدين بن الخطيب : حياته وتراثه الفكرى .

(١٦) الإحاطة فى أخبار غرناطة (تحقيق)

(١٧) تراجم إسلامية ، شرقية وأندلسية.

(١٨) مأساة ما يرلنج ، بالعربية والإنجليزية .

(١٩) المذاهب الاجتماعية الحديثة .

(٢٠) المآسى والصور الغرامضى .

ولئن تكن هذا الكتب تتخالف موضوعا وتتعدد مذهبا — إنها لتصدر عن نبع واحد وتشقق من أصل جامع ، هو الإيمان بالقومية العربية والجامعة الإسلامية ، ثم بالحقيقة الخالصة من غواشى الغموض وخفايا الأسرار . وهو لذلك يجاهد فى كتبه ليبوئ العرب والمسلمين مكانهم الحق من التاريخ لا بالعصبية والافتعال ، ولكن بالدرس النزيه ، والرأى الحصيف ، والمنطق القويم ثم هو موكل بالحقيقة لا يألوها طلبا ، ولا يبخسها جلاء وكشفا ، أينما كانت ، ومهما أحيط بها . وأعد لطمس معالمها من دعوة الدعاة ، وكيد الكائدين ، وتدبير المتآمرين .

ولم يكن يجشم قراءه الترقب والتلبث ريثما يخرج لهم كتبه . كتابا كتابا ، فقد يطول بهم الترقب ، ويثقل عليهم التلبث ، لذلك كان يغاديهم غير مخلفهم ، ولا متراخ عنهم ببحوث ومقالات جادة ممتعة يطلع عليهم بها فى السياسة الأسبوعية ، ومجلتى الرسالة والثقافة ، فكان من ذلك ثروة فكرية وأدبية قيمة ، نرجو مع السيد الاستاذ أن يتاح له نشرها مصنفة مرتبة فى مجموعات إن شاء الله .

هذا إلى المؤتمرات والندوات التى دعى إليها ، وشارك فيها ، لا فى مصر وحدها ، ولا فى البلاد العربية معها ، ولكن فى البلاد الأجنبية أيضا ، ثم إلى المحاضرات الأندلسية التى ألقاها فى الجامعات العربية وغير العربية . فيض غزيز من النشاط العلمى الرفيع لا تحده حدود ، ولا يعتريه توقف ولا فتور .

فلم يكن عجيبا أن تجاوز شهرته حدود الوطن العربي فى أطرافه المتباعدة وأن يقدره المستعربون حق قدره ، ولاسيما فى ألمانيا ، فجعلت مجلة در اسلام التى تصدر عن معهد اللغات الشرقية ترجمته مع تراجم زعماء الأدب المعاصر فى المجموعة الإنجليزية التى أصدرتها عنهم سنة ١٩٣٢ وأن يتناوله بروكلمان مع من تناولهم من أعلام العصر فى تاريخ الأدب العربي فى الطبعة الجديدة من كتابه ، وأن يصفه فى الملحق الثانى منه بأنه « من الصحفيين الرواد فى العصر الحاضر »

وللأستاذ عنان فيما يكتب أسلوب متميز يأنس القراء به ، ويقبلون عليه ، مهما اختلفت حظوظهم من الثقافة ، وأيا ما كانت ألوانهم من المعرفة : فالجمهرة لقرب متناوله ، ووضوح محجته ، وانبساط مادته ، والخاصة لصفاء معدنه ، وإحكام نسجه ، وصدق بيانه ، وبراءته من التكلف والاعتساف . ولايزال قارئه يتنسم صفحات طيبة من الأدب والفن فى كثير من مواقفه .

هذا هو محمد عنان فى أوج مجده ، حين أصبح : كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها كما قال الله تعالى فى الكلمة الطيبة . أما محمد عنان فى منبته ، وتدرج نموه وتقلب الأحوال به فنمط من أنماط الجد والدأب ، لايكف عن معاملة الحيـاة أخذا منها ، وإعطاء لها وتأثرا بها وتأثيرا فيها :

وقد كان مولده سنة ١٨٩٨ ، بقرية بشلا ، من أعمال ميت غمر — مديرية الدقهلية ، من أسرة عريقة الحسب ، من فروع السادة العنانية ، الذين ترجع نسبتهم إلى قرون طويلة من تاريخ مصر الإسلامية وكان منهم على مر العصور علماء وفقهاء ذكر بعضهم فى كتب الطبقات والتواريخ المصرية

وتلقى دروسه فى كتاب القرية ، حيث حفظ أجزاء من القرآن الكريم ، ثم انتقلت الأسرة إلى القاهرة ، فتلقى دروسه الابتدائية فى مدرسة العقادين ودروسه الثانوية فى المدرسة الخديوية ثم درس القانون فى مدرسة الحقوق ، وتخرج فيها سنة ١٩١٨ ، فآثر الاشتغال بالمحاماة على مناصب الإدارة والنيابة العمومية ، مع أنه دعى إليها غير مرة ، كأنما كانت الأقدار تدخره لعمل أبقى له وأجدى عليه وعلى الناس :

وكان منذ صباه يأنس من نفسه ميلا إلى الكتابة والترجمة ، فتعلم الألمانية إلى جانب الأنجليزية والفرنسية ، ليكون أكمل أداة ، وأوسع الترجمة مجالا ، ونازعته نفسه أن يستجيب لميله ، فجعل يكتب المقالات لبعض الصحف ، فلقيت من القائمين بأمرها قبولا ، ومهدت له السبيل إلى العمل فيها مع جمع من أكابر أدباء العصر ،

شيوخ الصحفيين فيه فلمع اسمه، واتسعت شهرته .

وقد مر زمان كانت فيه الكثرة الغالبة من كتاب الصحف قسمة بين الأحزاب يدعون لها، ويذودون عنها لكن كاتبنا المرموق أعرض عن هذا ، إيثاراً للحرية والانطلاق ووقف قلمه على السياسة الخارجية والشئون الدولية .

ومازالت الصحافة والبحوث التاريخية والأدبية تجذبه إليها حتى استأثرت به ، فاضطر أن يتخلى عن المحاماة ، أو بالحرى أن ينصرف عن نوع منها إلى نوع ، انصرف عن قضايا الحياة الماثلة إلى قضايا الحياة الخالية ، أو عن قضايا الناس وحدانا إلى قضاياهم جماعات وأمما لكن ليقضى فيها ، لاليحامى عنها، ولهذا لم يتخل عن فقه الشرع والقانون فى المحاماة الجديدة فهو يورد حكمهما فى كثير من القضايا ولايستغنى عن حكمهما بحكم التاريخ وحده .

وعندى أن المحاماة والصحافة قد مكنتا له فى الكتابة ، فارتاضت له ، وألقت مقاليدها إليه : المحاماة بالمرافعة المقولة ، والمذكرات المحررة ، والصحافة بمواصلة المعالجة وطول الممارسة فتيسر له بذلك كله أن يعقب هذه الثروة الفكرية الكبيرة المتعددة الأنواع ، وماكان ليعقب مثلها فى مثل زمانها لولامطاوعة اللغة وانثيالها إليه كلما أراد .

ثم إنه قبيل الحرب العالمية الثانية قبل العمل فى إدارة المطبوعات ، ولبث فيها حتى صار وكيلا لها ، ثم نقل إلى وزارة المعارف مراقبا للثقافة العامة ، وقضى فيها خمسة عشر عاما ، استقال بعدها نادما على فعلته تلك ، ساخطا على بيئة الوظيفة الحكومية ، ناعيا على أخلاقيات العمل فيها . وكان يرى أنه إذ قبلها قد ارتكب خطأ جسيما ، لكن كان يعزيه عنه أن الوظيفة لم تشغله عن الكتابة فى الأدب والتاريخ ، ولاحالت دون سفره إلى أوربا لمواصلة بحوثه ، فى المكتبات العالمية .

ثم نظر بعد الاستقالة ، فإذا الظروف والملابسات غير مهيأة ، لاللعودة إلى المحاماة ولا إلى الصحافة ، فعكف على بحوثه ودراساته ، لايبغى بها بدلا ، ولاعنها حولا .

واليوم يستقبل عملا جديدا فى بيئة جديدة ، لكنه ليس غريبا عنها ، ولادخيلا فيها ، فما أصحاب أمرها إلارفقة متكاملة من شيوخ العصر ، وأعلام الفكر فيه، يأوون إلى محرابهم هذا حيث العمل الصامت ، والجهاد الدائب ، لتيسير أسباب العربية وإثراء مادتها وإحياء تراثها والتمكين لها ، لتكون فى يومها الحاضر ، وغدها القابل ، كما كانت فى أمسها الدابر لغة الدين والدنيا معا .

فأنت إذا منهم ، وعلى شاكلتهم — فهلم إليهم ، فهم يرتقبون مجالسك بينهم وعملك معهم ، وسيلقون منك أصدق العون ، وأحمد المشاركة ، إن شاء الله تعالى

٦–٤–١٩٧٦

# كلمة الأستاذ محمد عبد الله عنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الجليل رئيس مجمع اللغة العربية

زملائي العلماء الاجلاء

سيداتي وسادتي ،

لم يكن يدور بخلدي أن أحظى بشرف الانضمام إليكم ، والمثول بين أيديكم في هذا الحفل الموقر ، وبهذه الطريقة المذهلة ، التي شعرت حين أنهى إلى خبرها ، وأنا بعيد عن القاهرة ، أنها لم تكن سوى إحدى هذه المفاجآت السعيدة القليلة ، يهيؤها القدر دون أية مقدمة . فالواقع أني لم أرشح نفسي لانتخابات المجمع الموقر ، ولا أعرف ماذا حدث في تلك الدورة التي تم انتخابي فيها . وما من شك أن الفضل في كل شيء يرجع إلى هؤلاء اللفيف من الزملاء والأصدقاء الأوفياء الذين رأوني جديرا بحسن تقديرهم فإليهم أقدم أصدق الشكر والعرفان ، راجيا من الله التوفيق في تحقيق ثقتهم وجميل ظنهم .

وإني أنتهز هذه الفرصة المباركة لأوجه أخص تحياتي وأصدق تمنياتي لسائر الزملاء الذين أسعدني الحظ بالانتماء إلى جماعتهم ، وأصبحت بعناية الله واحدا منهم ، وأدعو الله أن يوفقنا جميعا إلى خدمة لغتنا العربية العريقة ، وإنماء ثرواتها اللغوية الزاخرة بالابتكار والاشتقاق والتعريب .

ولقد كان هذا الشرف بالانتماء إلى مجمعكم مقرونا بشرف آخر ، هو أنني قد حللت مكان الزميل الراحل ، الفقيه العظيم ، والعلامة الاقتصادي الجليل ، المرحوم الدكتور عبد الحكيم الرفاعي ، طيب الله ثراه . وإنه لمن شديد الأسف أني لم أحظ بشرف معرفته الشخصية وإن كنت كآلاف المواطنين ، قد تتبعت أعماله وجهوده الموفقة في التدريس بكلية الحقوق . ثم في خدمة الاقتصاد المصري في أخطر ظروفه ، وعلى الصعيد الأعلى . ولقد كنت أود من صميم القلب أن تتاح لي فرصة أوسع وأشمل لاستعراض هذه الثروات الفقهية والاقتصادية العظمية ، التي فتح الله على الفقيد بإحرازها ، والتي أنفقها في خدمة وطنه ومواطنيه . ولكني أراني مضطرا مع الأسف أن أكتفي في ذلك بترداد ماسبق ان أضفاه عليه صديقه وزميله في الدراسة ، الدكتور محمد مصطفى القللي يوم تقديمه إلى المجمع ، من شرح واف لرفيع خلاله ، وزاخر علمه وكفاياته الفقهية والاقتصادية ، وماأحرزه في كلا الميدانين من رفيع الدرجات .

وإنه لتؤنسني في ذلك واقعة ، كانت أيضا من تهيئة القدر بالنسبة لي . وهو أنه كما يشرفني أن أحل اليوم مكان الزميل العظيم الراحل ، فإنه مما يؤنسني

ويشرفني معا، أننا قد درسنا وتخرجنا من معهد واحد، هو مدرسة الحقوق القديمة تفصلنا في التخرج بضعة أعوام، وأننا قد درسنا القانون والشريعة، على البعض من ذلك اللفيف من الأساتذة الأعلام من المصريين والأجانب، الذين كان يزدان بهم، ويفخر بعبقريتهم ذلك المعهد القديم، إن هذا الاشتراك في تلقي تراث ذلك الجيل اللامع من فقهاء القانون، بيني وبين زميلي الراحل، ليبعث إلى شعورا من الفخر والاعتزاز، وإن كان هو قد جاز في دراسته إلى مراحل التخصيص العليا، في دراسة القانون والاقتصاد وهي مراحل لم يكن لي في ظروف هذا العصر حظ الجواز إليها، وقد ألقت بي هذه الظروف إلى ميادين أخرى :

والآن فإني سوف أحاول، أن أعرض عليكم بعض لمحات من عبقرية تلك الشخصية المتعددة الجوانب والكفايات، شخصية المرحوم الدكتور عبد الحكيم الرفاعي.

إن ما كان يتميز به الزميل الراحل من التفوق والامتياز في فرعين من التخصص العالي، وهما القانون بمختلف فروعه من الروماني والمدني والجنائي، والاقتصاد السياسي، مما يندر أن يجتمع لعالم واحد : ولقد بدأ حياته العلمية بمزاولة الجانب الفقهي من كفاياته، وكان فقهيا لامعا خلال تدريسه القانون بكلية الحقوق، وقد تخرج على يديه فيها أجيال من طلاب القانون،

بيد أنه بالرغم من أن القانون والاقتصاد علمان متقاربان في كثير من المبادئ والأصول، فإنه يبدو أن الفقيد كان في مراحل حياته اللاحقة، يميل إلى الميدان الاقتصادي، بأكثر من الفقه القانوني، وإن كفاياته العلمية والعملية كانت أكثر ظهورا في هذا الميدان الدقيق الزاخر بالقضايا والمشكلات، يبدو ذلك بوضوح فيما تولاه من المناصب العليا، التي تقوم قبل كل شئ على البراعة في الشئون والكفايات الاقتصادية، وما بذله لمعالجة العديد من المشكلات الاقتصادية التي واجهتها البلاد في العصر الأخير.

ولقد كان من يمن الطالع أن كفايات الدكتور الرفاعي، الاقتصادية العالية، كانت تؤهله لأن يخدم اقتصاديات وطنه في أي عهد، وفي ظل أي نظام، وخلال أية ظروف، لا يحتاج في ذلك إلى أية مداراة أو مداجاة، ولا يخشى في ذلك أية مصادمات أو اضطهاد. لقد كانت خدماته عملية إنقاذ تطلب وتستمد في سائر الظروف والأحوال، ومن ثم فقد استطاع في هذه الظروف الاقتصادية العصيبة التي تجوزها بلادنا، أن يلقي بسائر كفاياته الاقتصادية لخدمة وطنه حر الرأي، طليق المناحي، مستحقا للشكر من سائر الجهات :

وإن إلقاء نظرة فقط، على مختلف المناصب الاقتصادية التي تولاها الفقيد، تؤيد هذه الحقيقة : "مدير الشئون الاقتصادية

بجامعة الدول العربية. وكيل وزارة المالية؛ رئيس مجلس ادارة البنك العقارى . نائب محافظ البنك الاهلى ، ثم محافظ البنك المركزى عند إنشائه .

على أن ماتصدى الفقيد لدراسته ومعالجته من المشكلات الاقتصادية المحلية والعلمية كان فى الواقع ألمع مافى أعماله وجهوده ، وقد لقيت فيه مصر الرائد الحقيقى الذى كانت فى أشد الحاجة إلى كفاياته ؛ فقد واجهت مصر يومئذ عدة من القضايا والمشاكل الاقتصاديه ، منها قضية الدين العام ، وقضية الأرصدة الاسترلينية التى تكدست لمصر ضد إنجلترا ، وحقوق مصر ، فى التعويضات ضد ألمانيا الهتلرية المهزومة فى الحرب العالمية الثانية ، ثم نظام النقد وغيرها من قضايا الوقت ومشكلاته . ولقد تصدى الفقيد لدراسة هذه المشكلات كلها ، وأبدى آراء فى معالجتها وحلها ، فى سلسلة من البحوث والدراسات ، التى ألقت كثيرا من الضوء عليها وأبرزت حقوق مصر ومصالحها فيها . وإلى جانب ذلك فقد عمل الفقيد لحل مشكلة تحرير الجنيه المصرى واستقلاله عن الجنيه الاسترلينى ، ووضع فى ذلك الاسس الفنية والتشريعية التى تحقق هذا التحرير وهذا الاستقلال .

وثمة ميدان آخر من الميادين الاقتصادية التى لمع الفقيد فى معالجتها ، وهو الميدان الضريبى ولقد بدأ الفقيد محاولته فى هذا فى الميدان فى وقت مبكر ، فكتب رسالته فى الدكتوراه عن « حركة إصلاح الضرائب المباشرة فى مصر » ثم وضع بعد ذلك كتابه عن « نظام الضرائب المباشرة » الذى صدر فى سنة ١٩٤٢ ، وفيه يعالج هذا الموضوع فى دراسة مقارنة ، وتحدث عن عن الضرائب المباشرة وغير المباشرة ، وعن فكرة العدالة فى الضريبة ، وعن نظرية الدخل ومعناها ، وتطورها فى مختلف البلاد . ثم يقوم بعد ذلك بدراسة مقارنة عن الأنظمة المصرية فى ذلك ، والأنظمة المماثلة فى مختلف البلاد الأجنبية ، وعن الضرائب المباشرة القديمة فى مصر ، ونظائرها من الضرائب الجديدة ، وقد فتح هذا الكتاب أبوابا جديدة للإصلاح الضريبى والفقه فى دوائر القضاء .

وأهم مؤلفات الفقيد الاقتصادية هو بلاريب كتابه الجامع « أصول الاقتصاد السياسى » الذى وضعه بالاشتراك مع زميله الدكتور عبد المنعم الطناملى ، وصدر بين سنتى ١٩٣٦ ، و١٩٣٧ فى مجلدين كبيرين ، ثم أعيد طبعه فى سنة ١٩٤٩ .

وهو مجهود علمى بارز ، يعالج النظريات الأساسية لهذا العلم الجليل بأسلوب علمى محدث على نمط المؤلفات الأوربية ، ويمهد لشرحها بمقدمة طويلة.

ثم يتناول نظرية الإنتاج وتنظيمها ومظاهرها الحديثة ، ونظرية التناول ، ثم الائتمان والبنوك ثم يتحدث ، عن الأزمات الاقتصادية وغير ذلك فى مسائل الاقتصاد ومشكلاته

ولقد كان هذا الكتاب ذخراً نفيساً للمكتبة العربية التى تحتاج أشد الاحتياج إلى مثل هذا الإنتاج العلمى المستنير ، الذى يضفى ، فوق ثرواته العلمية على اللغة ثروات نفيسة من الاصطلاحات العلمية والاقتصادية .

إن ما ألقيته عليكم من مناقب العامة العلامة الراحل ، لم يكن حسبما بينت فى فاتحة هذه الكلمة سوى لمحات استعرتها من العرض البديع الشامل ، الذى قدمه عنه زميله الوفى الاستاذ الجليل الدكتور القللى وإنى لمدين له بهذا الفضل . كما أنى سعيد بأن أتلو عليكم هذه الذكريات العطرة عن الفقيد العظيم والزميل الكريم ، الذى اتشرف اليوم بالحلول مكانه فى مجمعكم الموقر جزاه الله خير الجزاء ، بما قدم لوطنه وجيله من جليل الخدمات وأضفى عليه فيض رحمته ورضوانه ، هذا ، وإنى أنتهز هذه الفرصة لأعلن أنى سوف أكرس جهودى لخدمة اللغة العربية فى ميدان لم يحظ حتى اليوم بما يجب له من العناية والتخصص ، هو ميدان الدراسات الأندلسية ولاسيما ماتعلق منها بالاصطلاحات الجغرافية والتاريخية . إن تراث إسبانيا المسلمة يضم من ذلك ثروات عظمية ، وإنه لما يؤسف له أن تكون هذه الثروات بعيدة عن متناول الآداب العربية والصحافة العربية فى عصرنا ، وأن مانراه اليوم من ضروب الخطأ والتحريف فى هذا الميدان فى الآداب والصحافة ، فى مصر وسائر البلاد العربية ، يحملنا هذا المجمع الموقر على أن نبذل مااستطعنا من الجهود لتدارك هذا النقص ، والعمل على إحياء هذا التراث . إن الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية لها أصول عربية قديمة ومستقرة ، وقد حرف الإسبان الكثير منها ، واستبدلوها بأعلام إسبانية يصعب التعرف على الكثير منها . وقد لاحظت منذ بدأت بحوثى الأندلسية منذ أكثر من ثلاثين عاما أن الآداب والصحافة فى مصر ، وسائر البلاد العربية الأخرى ، تجرى باستمرار على تحريف الأعلام الأندلسية بصورة مؤسفة ، حتى بالنسبة لأشهر هذه الاعلام ؛ ويكفى أن نذكر هنا كلمات : البرانس وصقليا ، ومالاجا ، وتوليدو ، والهامبرا ، التى نقرأها كل يوم فى صحفنا ومجلاتنا ، وهى تسميات خاطئة ومؤسفة لجبال البورتات (البرنية) واشبيلية ، ومالقة ، ومالقة ، وطليطلة والحمراء .. وفى جانب ذلك توجد الأعلام التاريخية وهذه أيضا تحتاج إلى تصحيحات عديدة : ومن ذلك ديوان التحقيق أو محاكم التحقيق التى توصف خطأ فى سائر الآداب العربية ، بمحاكم التفتيش L'Inquisition وشانجو Sancho وغرسية Garcia وبطرو Pedro وخايمى Jaime وبنوقسى Banu Casi والبشكنس Vascones والموريسكين Les Morisscos وغيرها من الأعلام التاريخية الأندلسية ترسم كلها بصورة خاطئة.

ولقد حملنى هذا التيار من الأخطاء فى رسم الأعلام الأندلسية الجغرافية والتاريخية على أن أضع لها فهرسا موجزا ترد فيه إلى أصولها الأسبانية . مسترشدا فى ذلك بما بذلته فى بحوثى الأندلسية من تحقيق مستفيض لهذه المصطلحات ، وماوضعته مناطق الأندلس من خرائط تفصيلية .

وإنى لأرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع بداية فى إثارة الاهتمام بتراث إسبانيا المسلمة الجغرافى والتاريخى وعلينا نحن فى هذا المجمع أن نعمل على تغذية هذا الاهتمام وإمداده . وإنه لتراث عزيز علينا وعلى العالمين العربى والاسلامى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

# كلمة الأستاذ عبد السلام محمد هارون

## فى استقبال الأستاذ:

## الدكتور شوقى ضيف

السيد الرئيس

السادة الزملاء

سيداتى وسادتى

صنعه على يده، ورعاه رعاية الدين والخلق والعلم، وصانه كما يصون الصانع تحفه وهو ينظر إليها، وإلى خطوطها ورسومها، تتفتح تفتح البراعم غب القطر والندى، شيخ من شيوخ العلم فى ذلك الزمان الخصيب، الجميل، يزينه الوقار وتحفه التقوى. إنه المغفور له الشيخ عبد السلام ضيف، والد زميلنا، الذى كان لى اليوم شرف استقباله وتقديمه إلى أسرة المجمع الخالدة؛ وما سماه والده بهذا الاسم الذى اختاره له، إلا إعجابا منه بأمير الشعراء أحمد شوقى وتيمنا برفيع مكانته وجليل قدره. ولعله من غير المألوف فى تقديم الزملاء هنا أن يقدم التعريف بآبائهم، ولكن الوفاء والاعتراف بالفضل الذى يضفيه الدكتور شوقى ضيف على شيخه الوالد كلما سنحت له سانحة أو بدرت بادرة، وهما الأمارة الصادقة على أصالة الخلق العلمى الذى يعترف بالفضل لذويه دون ما جحد أو ستر؛ إن هذا الوفاء الملموس هو الذى دفعنى أن أنوه بصاحب الفضل الأول فى صنع هذه العبقرية الخالدة.

انهم لكثيرون هؤلاء الذين يقدرون شوقى ضيف حق قدره، ولكن قلة ضئيلة تعرف اسمه معرفة قد تطغى على معرفة حقيقته العلمية ذات الأثر العميق فى جيلنا الحاضر، وبالتالى فى الأجيال المستقبلة.

ولقد عرفته وعاصرته فى عهود الشباب منذ أكثر من ثلاثين سنة، لم تنقطع صلتى به صديقا وفيا وزميلا عالما ممتازا، لم تلقنى منه نبوة أو جفوة قد يلقاها الخلان بعضهم من بعض، لأن كرم الخلق وهو أساس صفة العالم الحق، والحياء الجميل الذى هو سمة الرجل الواثق، قد أسبغا عليه اطراد إحسان العشرة ودماثة الطبع مع من يعرف ومن لا يعرف.

لذلك لايعجب المرء حينما يجد الدكتور شوقى ضيف ، يظفر فى الجولة الأولى من جولات ترشيحه للمجمع واختياره ، ظفراً مؤزرا من عارفيه وذوى الصلة العلمية والانسانية به ، فيحظى به المجمع بعد إبطاء الدلو وتطويل الرشاء .

فى قرية من قرى دمياط ذات الشهرة العريضة بالعلماء والنبغاء ، يولد الزميل أحمد شوقى ، فى السنة العاشرة من القرن العشرين ، فلا يجد والده الشيخ العالم بدأ من أن يحفظ هذا الوليد كتاب الله ، فهو يسلمه إلى كتاب القرية ، إلى الفقيه والعريف ، يدفعه أحدهما إلى الآخر ، حتى إذا أتم حفظ القرآن وتجويده ، سنحت له الفرصة للالتحاق بالمعهد الدينى بدمياط ، لينهل من معين علوم الدين واللغة ، فى سن مبكرة حقاً هى سن الحادية عشرة ........ ويتم الدراسة فى هذا المعهد حتى يحصل على الشهادة الأولية ، فيتيح ذلك له فرصة ثانية أن ينقل إلى المعهد الثانوى بالزقازيق ، فيقضى فيه سنتين يفكر فى أثنائهما فى الالتحاق بدار العلوم . فيدخل مسابقة الدخول فى تجهيزية دار العلوم — وكانت مسابقة عسيرة — ليكون من بين المقبولين بها . وينال من بعد شهادة إتمام الدراسة بها التى ، كانت حينذاك تدعى « البكالوريا » .

وكأنما أراد أن يعل ويَنهل من جميع الموارد العلمية المتاحة فى ذلك الوقت ، فتختاره جامعة القاهرة فيمن اختارت من خريجى تجهيزية دار العلوم ليلتحق بقسم اللغة العربية فى كليه الآداب فيتم الدراسة فيها سنة ١٩٣٥ ويكون الأول من بين الناجحين .

وهنا تظهر أول صلة له بمجمع اللغة العربية ، إذ يعين فى تلك السنة محررا فيه للعمل فى الإعداد للمعجم الوسيط .

وحين أخذت كلية الآداب بنظام المعيدين واختيارهم من اوائل خريجها وذلك فى سنة ١٩٣٦ عين الزميل الكريم معيدا بقسم اللغة العربية ، فيدفعه اجتهاده وعنايته بالتحصيل أن يظفر بالماجستير مع مرتبة الشرف سنة ٣٩ وبالدكتوراه مع مرتبة الشرف الممتازة سنة ١٩٤٣ ، وبذلك تنقل فى الوظائف العلمية فى جامعة القاهرة من مدرس إلى أستاذ مساعد إلى أستاذ لكرسى آداب اللغة العربية إلى رئيس لقسم اللغة العربية وآدابها . ثم تسعى إليه جامعة الكويت سنة ١٩٧٠ ليكون من بين أساتذتها الأعلام كما سعت إليه جامعات أخرى ليكون بها أستاذاً زائرا .

والأستاذ الدكتور شوقى ضيف ، أو أحمد شوقى عبد السلام ضيف : أزهرى درعمى جامعى . فهو بذلك قد حصل على معين لاينضب من الثقافة العربية الاسلامية ، فهو أديب نحوى لغوى مؤرخ ، مشارك فى التفسير وعلوم القرآن والقراءات .

وله فى تلك الفنون مؤلفات عدة .
فمن تآليفة فى الدراسات الأدبية :

١ ــ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى .

٢ ــ الفن ومذاهبه فى النثر العربى

وفى هذين الكتابين يتناول تصوير المذاهب الأدبية ومدارسها فى الشعر والنثر العربيين على مر العصور . وله :

٣ ــ التطور والتجديد فى الشعر الأموى . وقد أثبت فيه أن شعراء العصر الأموى قد طوروا الشعر وجددوه قبل شعراء العصر العباسى ، خلافا لمن يزعم أن العصر الأموى ماهو إلا امتداد للعصر الجاهلى .

٤ ــ دراسات فى الشعر العربى المعاصر ، تناول فيه طائفة من شعراء العالم العربى المعاصرين ، موضحا أبرز خصائصهم ومذاهبهم .

٥ ــ الأدب العربى المعاصر فى مصر . وقد أرخ فيه لهذا الأدب المميز وصور وحلل أبرز أعلامه فى الشعر والنثر . هذا بالإضافة إلى كتب تناولت ثلاثة من الشعراء :

١ ــ أحمد شوقى شاعر العصر الحديث . وقد أتحفنا فيه بدراسات لقصائد من شعر شوقى لم تنشر من قبل .

٢ ــ البارودى رائد الشعر الحديث . وهو دراسة تحليلية لشعره .

٣ ــ ابن زيدون : دراسه لشعره وخصائصه

ومجموعة ثالثة فى تاريخ الأدب العربى هى :

١ ــ العصر الجاهلى

٢ ــ العصر الاسلامى

٣ ــ العصر العباسى الأول .

٤ ــ العصر العباسى الثانى .

أما الدراسات النقدية والبلاغية . فنجد له أربعة كتب بارزة :

١ ــ فى النقد الأدبى .

٢ ــ فصول فى الشعر ونقده .

٣ ــ البلاغة تطور وتاريخ .

٤ ــ البحث الأدبى .

وفى مجال الدراسات النحوية له من الكتب :

١ ــ المدارس النحوية . وهو دراسة دقيقة للمدارس النحوية وخصائصها وأعلامها المشهورين

٢ ــ تحقيق كتاب الرد على النحاة لابن مضاء . مع مقدمة تحليلية لهذا الكتاب ومخطط جديد للنحو .

وفى الدراسات القرآنية نجد له « تفسير سورة الرحمن وسور قصار .

وفى فنون الأدب العربى نأتى له خمسة من الكتب :

١ ــ الرثاء

٢ ــ المقامة

٣ ـ النقد

٤ ـ الترجمة الشخصية

٥ ـ الرحلات

ولم يغب عنه أن يسهم في سلسلة اقرأ ، وله فيها :

١ ـ العقاد ٢ ـ البطولة في الشعر العربي.

كما أنه قد اضطلع بنصيب وافر من تحقيق التراث العربي يشهد له بالفضل وجميل المشاركة من ذلك :

١ ـ كتاب المغرب لابن سعيد القسم الاندلسي .

٢ ـ كتاب الدرر في المغازى والسير لابن عبد البر

٣ ـ كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ، مع مقدمة دراسية واسعة .

إلى غير ذلك مما أخشى أن يطغى على الوقت المناسب لتقديم الزميل الكريم .

والجدير بالذكر أن هذه المؤلفات الجامعية التي يرجع تاريخ أقدمها إلى سنة ١٩٤٣ قد أعيد طبع معظمها طبعات تتفاوت بين الثامنة والثانية . ولنا أن نتصور عدد الطلاب الذين نهلوا من معين كتبه واستخدموها مراجع في أكثر من رسالة للماجستير أو الدكتوراه . ولقد تخرج على يديه ممن أشرف على رسائلهم أو ناقشها عشرات الدارسين ممن يكادون يتجاوزون المائة عدا . وكثير منهم الآن يشغل أرفع المناصب العلمية في جامعاتنا العربية .

وللزميل الكريم من المقالات والبحوث في مجلاتنا الأدبية والعلمية الأصلية عدد لا يستهان به في أحاديث الأدب والنقد واللغة.

الذى يسعدني أن ابدئ فيه وأعيد ، هذا الخلق الممتاز الذى يسعى إليه المجمع في اختيار رجاله .

يسعدني أن أقدم أخي الصادق المتواضع ،أخي الثقة فيما يقول وما يفعل .

أهنئه وأهنئ به المجمع ، وأهنئ نفسي بما أتيح لي من فرصة تقديمه إلى زملائه عالما مخلصا مجاهدا ، لا يضن على العلم بوقت أو جهد ، ولا على الصديق بتضحية أو وفاء.

٧-٤-١٩٧٦

## كلمة الدكتور شوقي ضيف

**السيد الرئيس ، السـادة أعضاء المجمـع ، سيداتى ، سادتى :**

أبدأ كلمتى بحمد الله تعالى على نعمائه ، وأحييكم أطيب تحية ، وأقدم شكرى شكرا مخلصا صادقا إلى سدنة الفصحى وحُماتها الذين شرفونى بثقتهم الغالية ، وتفضلوا بضمى إلى مجمعهم اللغوى الموقر : معقل العربية وحارسها الامين ، لأسْهم معهم فى خدمة الفصحى المجيدة ، لغة القرآن الكريم : دستور الإسلام . وانى لأرجو أن أكون دائما عند حسن ظنهم ، وأننى لى مهما دأبت وتكلفت واحتملت من عناء أن أحقق ظنّ الصفوة من أئمة العربية الأعلام ، ومع ذلك سأحاول بجهدى المقل المتواضع أن أبذل كل ما أستطيع من عون صادق فى نشاط المجمع غير مدخر وسعا ، سائلا الله الرشاد والسداد .

وشكرا جزيلا لأخى وصديقى الاستاذ العالم المحقق الثبت عبد السلام محمد هارون الذى تكرم بتقديمى الى رحابكم ، وقد أبى عليه نبل طبعه وكرم نفسه الا أن يشملنى بأخوته ومودته فى هذا الحفل ، وإلا أن يسبغ على ثناء ضافيا ليشد من أزرى وييسر بيانى . وأنا لا أستطيع أن أوفيه حقه من الشكر جزاه الله عنى الجزاء الأوفى .

وأكرر الشكر للمجمع الموقر ، إذ اختارنى لأشغل المكان الذى خلا بوفاة المغفور له الأستاذ العالم الجليل الشيخ عطية الصوالحى وكان — رحمه الله — لا يبارى فى العربية إذ كان يتقنها فهما وعلما وتحليلا ، وسيرته تحفل بالنشاط العلمى ، فقد ولد لسنة ١٨٩٣ فى قرية من قرى محافظة الشرقية ، وأخذ يختلف منذ نعومة أظفاره الى كتّاب ، استظهر فيه القرآن الكريم على غرار لداته من أبناء القرى فى الريف المصرى . ودفعه طموحه الى الالتحاق بالأزهر ، فانتظم فى سلك طلابه ، وأخذ يتلقى على شيوخ مختلفين دروس النحو والفقه وغيرهما من علوم العربية والشريعة الإسلامية ، حتى إذا اتسعت حصيلته من تلك العلوم تحول من الأزهر إلى دار العلوم أسوة ببعض رفاقه ، ومضى فيها ينهل من العربية وعلومها حتى استوعبها وتمثلها تمثلا تاما . وتخرج فى الدار سنة ١٩١٨ وظل يشتغل بالتدريس فى المدارس المختلفة نحو خمسة وعشرين عاما ، كان فيها علما مرموقا بين زملائه يرجعون اليه فى مشكلات اللغة والنحو ، فيجدون دائما عنده الحل المنشود .

وفى سنة ١٩٤٣ اختير الأستاذ الصوالحى عن جدارة مدرسا للنحو والصرف فى دار العلوم وفيها تألق نجمه بين زملائه ، ويصف ذلك الأستاذ الكبير عبد الحميد حسن فى

حفل استقباله بالمجمع ، مصورا محاوراته اللغوية الخصبة معه حينا ، وحينا زمالته له فى الدار ، قائلا : «كلما امتد بيننا النقاش والحوار رأيت منه علما غزيرا فيّاضا فى رفق وهوادة ، وتحريا فى التحقيق والتمحيص فى تثبت وأناه ، وإلماما واسع الآفاق بدقيق المسائل اللغوية فى غير زهو ولا مخيلة » . وتنقل فى وظائف الدار العلمية حتى أصبح أستاذا ، وفى أثناء ذلك كان يشارك فى مناقشة الرسائل الجامعية مشاركة علمية نافذة. وأحيل الى التقاعد فى سنة ١٩٥٢ فرأت الدار أن لا يحرم الطلاب من علمه وفضله فانتدبته للتدريس. وفى سنة ١٩٦٦ اختاره المجمع عضوا عاملا فيه ، ففرغ للدراسة اللغوية الخالصة ، وفى ذلك يقول الأستاذ العالم على النجدى ناصف فى حفل تأبينه : «كان الأستاذ الصوالحى لغويا معرقا ومجمعيا أصيلا تمرس بمباحث اللغة غير آل جهدا ولا ضنين بوقت ، يبحث ويمحص و يستنبط ويستخلص ، مشاركا لزملائه فى العمل الموصول والجهد المبذول». وفى مجلة المجمع وبين قرارت اللجان التى اشترك فيها فيض من مباحثه ودراساته .

وآثار الأستاذ الصوالحى العلمية غزيرة ، وفى مقدمتها ما نهض به من إحياء بعض ذخائر التراث ، إذ رأى أن يعيد إلى الحياة عملين نفسين هما الجزء السابع من كتاب نثر الدرر للآبى : منصور بن الحسين وزير البويهيين ، وكتاب الأمالى لابن الحاجب أكبر نحاة مصر فى القرن السابع الهجرى . وكتاب نثر الدرر من كتب المختارات الأدبية الجامعة ، وكتاب الأمالى أمال نحوية متفرقة . وهذان العملان المحققان لما يريا النور ، وحرى أن ينشرا ليفيد منهما الأدباء وعلماء النحو والتصريف. ودفعت الأستاذ الصوالحى ملازمته الطويلة لابن الحاجب فى أماليه أن يهتدى بهديه فى التأليف والتصنيف ، وما كتاباه : الأضواء النحوية والصرفية ومذكرات فى التحليل اللغوى والنحوى اللذان لما ينشرا إلا أمال فى النحو واللغة ، أكبر الظن أنها على طريقة ابن الحاجب فى أماليه . وقد نشر صورا من تحليلاته اللغوية والنحوية فى بحوث له متلاحقة بمجلة المجمع ، وهى بحوث استقصى فيها استقصاء دقيقا آراء النحويين واللغويين القدماء نافذا دائما الى أحكام واستنباطات سديدة قيمة .

وللأستاذ الصوالحى بجانب ذلك ملحوظات لغوية ونحوية على معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى عنى به المجمع الموقر ، وقد استدركتها لجنة المعجم . وله رسالة فى لغة إقليم الشرقية وتقريبها من العربية ، حاول فيها أنْ يوضحَ الصلات بين عامية هذا الإقليم والفصحى ذاهبا إلى أننا إذا نحينا عن المفردات العامية مادخل عليها من تحريفات عادت إلى أوضاعها الفصيحة .

وكل ما قدمت يشهد بأن الأستاذ عطية الصوالحي كان لايزال ينفق بياض أيامه وسواد لياليه فى البحوث والتحقيقات اللغوية والنحوية ، يريد أن ينفع الباحثين نفعا متعدد الأنحاء ، ينفعهم بإحياء بعض النصوص الأدبية والنحوية وتقديمها لهم نقية مصفاة خالية من أدران الأخطاء والتصحيفات، وينفعهم بتحليلاته النحوية واللغوية واستدراكاته العلمية، وينفعهم فى تبين الصلات بين الفصحى والعامية. وكل هذه آثار علمية جديرة بكل ثناء وتقدير. تغمده الله برحمته، وجزاه عما قدم للعربية بخير ما يجزى به عباده المخلصين العاملين.

**الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع :**

إن الأعمال العظيمة التى نهض بها مجمعكم الموقر فى خدمة الفصحى والاتساع بطاقاتها لتعنو لها الوجوه فى مشارق العالم العربى ومغاربه ، بما أتحتم لها من مواكبة العصر وحاجات الحياة المتطورة فيه والوفاء بمصطلحات علومه وفنونه ، بحيث لم تعد العربية تكتفى بالأداء الأدبى وحده وتقصر عن الأداء العلمى ، بل أصبحت تضطلع بهما جميعا ، مثلها فى ذلك مثل اللغات العالمية الكبرى.

وللمجمع وراء أعماله اللغوية العظيمة دور كبير فى حياتنا الأدبية ، فإن عمله الدائب على رفع شأن الفصحى وإعلاء مكانتها والمحافظة عليها وحمايتها والوقوف من دونها أشاع فى كل ركن من أركان البلاد العربية شغفا شديدا بتحرى الأداء السليم فيها والتمسك بأصولها وتقاليدها ، مما جعل الكتاب والأدباء يحرصون على أن يكون تعبيرهم فيها صحيحا لا يشوبه لحن ولا آفة من آفات الضعف.

وهو أثر بعيد الغور للمجمع فى الحياة الأدبية المعاصرة ، أثر يزيد الفصحى رسوخا ، ويعدّها لتظفر كل يوم من اللغات العامية بمواقع جديدة. والمواقع التى ظفرت بها الفصحى كثيرة ، وفى مقدمتها ساحات الفنون الأدبية ، فقد ظفرت من العاميات بساحة الشعر ، ولم تكد تبقى لها منه إلا ما يتصل بالفكاهة والدعابة . وظفرت منها بساحة المقالة والصحف اليومية ، واتسع تنوع المقالة الى أقصى حد بين سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وأدبية ونقدية تحليلية . وكل تلك مواقع كسبتها الفصحى وكسبت معها تطورا واسعا فى اللغة والأداء والمضمون. أما القصة فكانت قديما بالعامية ، إلا ما كان من المقامات المسجوعة القصيرة أما الآن فإن القصة تكتب بالفصحى وبالعامية ، وتوشك الفصحى أن تكون لها الغلبة ، بل لها الغلبة فعلا ، لأنها اللغة القومية المشتركة بين العرب من الخليج الى المحيط .

ومن الحق أن فى الفصحى مرونة تعدها لهذا الظفر المستمر بالعاميات ، وهى مرونة أتاحت للأدباء أن يجرّوا فيها كثيرا من صور التبسيط والتيسير ، بحيث أصبحت قريبة قربا شديدا من نفوس الجماهير، فهى تقرؤها

أو تستمع اليها ، وتفهمها فى غيرمشقة : بل لعلى لا أغلو اذا قلت إنها تتذوقها فى غير عناء ، يدل على ذلك أكبر الدلالة أننا نراها تنفر من الأعمال الأدبية المبتذلة المسفّة فى حين تقبل على قراءة الأعمال الأدبية التى تشتمل على بعض قيم البلاغة والجمال الأدبى

وليست المواقع التى تحدثت عنها فى الفنون الأدبية هى وحدها التى ظفرت بها الفصحى من اللغات العامية ، فإنها ظفرت منها بمواقع لها فى داخلها ، وذلك أن هذه اللغات تتطور فى عصرنا باقتراض كلمات وصيغ كثيرة من الفصحى ، بعضها تلوكه العامة ابتداء عن طريق الصحف وأدوات الإعلام الحديث وبعضها تُحلّه محل عبارات قديمة ، تؤثره عليها وكأن هناك شعورا روحيا يجذب العامة دائما إلى الفصحى واستعارة الكلمات والعبارات منها ودورانها فى ألسنتها كلما تهيأت الفرصة. ولو كان لدينا معاجم للعاميات فى أوائل هذا القرن ومعاجم لها الآن لعرفنا فى وضوح كيف تضيق الشقة اليوم تدريجا بينها وبين العربية

وموقع كبير ، بل مواقع كبيرة تكسبها الفصحى من اللغات العامية ، عن طريق نشر التعليم وتعميمه على اختلاف فروعه مما جعل قراء العربية يتكاثرون من الخليج إلى المحيط كثرة مفرطة ، بحيث أصبحت هناك جماهير غفيرة — يخطئها الحصر والعد — تقرأ يوميا ما تنتجه المطابع من الصحف والمجلات والكتب والدواوين ، ولم يعد من يقرءون صحيفة ذائعة من الصحف اليومية يُعَدّون الآن بالآلاف ، بل أصبحوا يعدون أحيانا بمئات الآلاف ، والكتب نفسها التى كانت تطبع بالمئات أصبحت تطبع الآن بالآلاف ، بل أحيانا بعشرات الآلاف . وهى مواقع كبيرة للفصحى تكسبها من العاميات .

وهذه المواقع للكثرة الغامرة من قراء العربية تتسع الآن إلى أبعد الحدود ، فقد أصبحت الناشئة فى كل الأقطار العربية تختلف إلى المدارس ، تتلقى من التعليم ما يؤكد أن الأمة ستصبح بعد حين بجميع شعوبها وأفرادها قارئة للفصحى وناطقة بها متحدثة . وحينئذ تمحى العاميات من الألسنة محوا ، وتحل محلها الفصحى فى كل مكان وعلى كل لسان .

وأنا فى ختام كلمتى أكرر الشكر للسادة أعضاء المجمع الموقر لما أتاحوا لى من شرف زمالتهم فى خدمة اللغة العربية ، وهى زمالة سأظل أعتز بها ما حييت . والسلام عليكم ورحمة الله .

---

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٩ من ذى القعدة سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٢ من نوفمبر سنة ١٩٧٥ م أقام المجمع حفل تأبين عضوه الراحل المرحوم الأستاذ محمد رفعت .

وفيما يلى ما ألقى فى الحفل من كلمات :

## كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

## فى تأبين المرحوم الأستاذ :

## محمد رفعت

نلتقى اليوم لتأبين شيخ جليل من شيوخ المؤرخين المصريين المعاصرين ، ورائد كبير من رواد التربية والتعليم فى بلدنا . إنه مثل من رجالات الرعيل الأول الذين صعدوا السلم درجة درجة فى سبيل خدمة الوطن حتى بلغوا القمة ، وكان يرى أن هذه الخدمة ضريبة تجب أن تؤدى فى عناية وإخلاص وقد حظينا بزمالته وهو شيخ كبير ملىء حماسا ونشاطا فأعطى المجمع فى سخاء ، أعطاه فى لجنتى التاريخ الحديث وألفاظ الحضارة اللتين كان مقررا لهما ، وقد غذانا منهما بغذاء لاينقطع عاما بعد عام . ولم يقنع بهذا ، بل شاء أن يضم إليه نشاطا آخر ، فأمتعنا بدراسات تاريخية حاول أن يوضح فى ضوئها بعض آيات القصص القرآنى . جزاه الله خير الجزاء عما قدم للغته ووطنه ، وسيلقى الزميل الأستاذ على النجدى كلمة المجمع فيه

## كلمة الأستاذ علي النجدي ناصف :

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الرئيس ، السادة الزملاء ، أيها السادة يودع الناس كل يوم ، بل كل طرفة عين فقيدا عزيزا ، خلى مكانه ، ورحل عنهم إلى ربه ، فيشق عليهم فراقه ، وتلتاع نفوسهم حزنا عليه ، ورحمة له ، ويحسون من حولهم نقصا كان هو تمامه ، وفراغا كان هو ملأه ، ويتداعى لمواساتهم والمشاركة فى مصابهم كل من تجمعهم به أو بعشيرته آصرة قرابة ، أو جامعة إلف ومودة . ويكون له بينهم ذكر يكبرون فيه قدره ، ويعددون محامده .

وتمضى بهم الأيام ، وتجرى من حولهم الأحداث على سننها المرسوم ، ووفق قدرها المقدور . ومع كل يوم يمضى ، وكل حادث ينقضى تهون لوعتهم شيئا ، ويغلب تصبرهم هونا حتى تنزل عليهم السكينة ، ويستشعروا برد الطمأنينة والسلوان ، فتغشى ذكرى فقيدهم غاشية من النسيان ، لا يذكرونه معها إلا لماما ، وللمناسبة تعرض حينا بعد حين .

وذلك فضل من الله ونعمة : أن ضن بالحياة أن تذهب ضياعا ، وبالنفوس أن تذهب حسرات فى أثر الراحلين إلى جوار الله . فالحياة لابد أن تمضى لوجهها حتى يتأذن الله بزوالها ويقضى فيها قضاءه الأخير . ذلك هو مآل السواد وصيرورة أمره فى هذه الحياة .

وثمة صفوة متميزة ، وقلة منتخبة من الأعلام النابهين ، والعلماء المقدمين ، لا تخص الفجيعة فيهم ولا الحزن عليهم ذوى قرباهم والآخذين منهم بسبب موصول من مودة أو مشاركة فى شأن من شئون الحياة ، ولكنها تعم جموعا كثيرة وطوائف متعددة ، حتى لقد تشمل أمتهم جمعاء سواء القريب والبعيد ، كأنما كان يعنيهم عبدة بن الطبيب إذ يقول :

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

ذلك لأنهم لا يحيون لأنفسهم وأهليهم وكفى ، ولكن لقومهم أيضا ، لكل من هؤلاء وأولئك منهم نصيب . بل لعلهم أن يكونوا لخير قومهم أشد معاناة ، وأكبر جهادا . إنهم عدة قومهم فى مواجهة الأحداث وقادة مسيرتهم إلى حياة أطيب مستقرا ، وأعظم شأنا ، وأمنع سلطانا ، كل بما هو ميسر له وسابق فيه . وهم لذلك لا يحيون فى هذه الدنيا حياة واحدة كسائر الناس ولكن حياتين اثنتين : هذه الحياة الذاهبة ، ثم حياة المجد التالد والذكر الباقى على مر

الأيام ، وتعاقب الأجيال . بل عسى أن يكون منهم من يلاقى فى الآخرين فوق مالاقى فى الأولين . من نباهة الذكر ، وجلالة القدر ، وعرفان المزية والفضل . ومهما يلقوا من ذلك أحياء وأمواتا فهم له أهل ، وهو لهم جزاء ومن الناس وفاء .

لقد جالت هذه الخواطر فى نفسى يوم نعى الناعى زميلنا الكبير ، العالم الحجة ، المؤرخ الثقة ، المغفور له الأستاذ محمد رفعت ، عليه رحمة من ربه ورضوان . وما كان لمحزون فارق منه زميلا محببا ، صاحبا ودودا أن تجيش نفسه أو يدور فى خلده إلا خواطر الموت يفرق الجمع ويورث الحزن ، وإلا مآل الموتى من الاندثار والبقاء ، على مقدار ما عملوا من صالح ، وأحسنوا من بلاء .

أيها السادة ، لقد ولد الفقيد الكريم بأسيوط أواخر العقد التاسع من القرن الماضى ، أيام كان الأبناء بمضيعة من أمرهم ، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا من رحمه الله . كان الآباء يرون لهم الرأى ، ويتولون عنهم الاختيار ، كانوا يأخذون بأيديهم إلى المستقبل الذى يريدونهم عليه ، ثم يدفعونهم إليه دفعا شاءوا أولم يشاءوا ، دون أن يعرفوا للموهبة قدرا ، أو يقيموا للرغبة وزنا ، فإن نجحوا فللآباء الفضل ، وإن تكن الأخرى فعلى الأبناء الوزر ، **لا تقبل** منهم معذرة ، ولا تنفعهم **شفاعة الشافعين**

وشاء الله — تعالت حكمته — أن يكون الفقيد بمفازة من قهر هذا السلطان ، فلم تكن مسيرته فى الدراسة منذ بدأت إلى أن انتهت عن طاعة لأمر ، أو خضوع لضرورة ، ولا كانت خبط عشواء ولا عفو مصادفة . فقد تولت أمره أولا فطرة سوية وهداية ربانية وتولى أمره آخر انظر وتفكير ثم موازنة وترجيح .

ففى عهد الدراسة الثانوية انس من نفسه ميلا إلى التاريخ ، فأقبل عليه يستكثر من قراءته شغفا بأخباره ، وإعجابا بسير أبطاله ، هنا نتبين السر الأعظم من أسرار نبوغه فيه وتمكنه منه .

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فشتان مابين الراغب المشوق ، والكاره المضطر ، ذاك يجد من أمره حلاوة ومتعة ، يزداد على الأيام كلفا به وجدا فيه ، ويغلب آخر الأمر أن يكون له فيه شأن مذكور ، ولا كذلك الآخر المكره المسوق .

ومضى الفقيد لطيته فى مدرسة المعلمين العليا ، على ما كان من شغف بالتاريخ وإقبال عليه ، لا يصرفه عنه صارف ، ولا يحول دونه حائل ، ودرس منه مادرس على شيوخ المؤرخين فى ذلك الزمان .

ولما أن سافر إلى إنجلترا مبعوثا إليها ليواصل دراسته هناك فى جامعة ليفربول —

لم يقبل على التاريخ الحديث عن غفلة من غافل ، أو مجازفة من مجازف ، ولكنه فكر وقدر ، ثم عزم وأقبل . ومن كلامه رحمه الله — في حفل استقباله بالمجمع ، يصور حاله النفسية ، ومشاعره المتنازعة في هذا الموقف ، لايدرى أى التاريخين يدرس ، وأيهما يدع ، قال :

« وقفت حائرا مترددا بين دراسة القديم والحديث . وكان كل منهما يشدني إليه بزمام : القديم برابطة العاطفة ، والحديث بقوة الأمر الواقع . وقلت في نفسي آن ذاك — مع الاعتذار لصديقي الدكتور أحمد بدوى — إننا إذا كنا لم نستكمل بعد دراسة مافوق سطح الأرض ، ومايدور على أديمها من أخبار الدول ، وأحداث الناس وأعمالهم — فعلام إذا اللجوء إلى باطن الأرض ، والتوغل في مسارب الظلمات وأودية الحدس والمجهول ، وقضاء العمر كله في فك الرموز وحل الطلاسم ؟ والحق أقول : إني أشفقت على نفسي من ذلك كله .

بل لم يفته — رحمة الله عليه كدأبه في كل عمل جديد يقبل عليه — أن يذكر في كلمته هذه أى لجان المجمع يختار العمل فيها إذا أذن له في الاختيار ، فيقول :

« وسيكون قوام عملي بحكم تخصصي في مجال التاريخ الحديث .. وإذا كان لي أن أختار لجنة ثانية أنضم إليها — فإني أوثر — إذا تفضلتم بالموافقة — أن أكون بين أعضاء لجنة الحضارة ، أو بالأحرى ألفاظ الحضارة ، لأن التاريخ والحضارة صنوان لايفترقان ... »

أيها السادة ، لقد تولى الفقيد بعد رجوعه من إنجلترا كل ما يمكن أن يتولاه معلم مثله من المناصب العلمية والإدارية : فكان مدرسا بالمدرسة التوفيقية ، فمحاضرا بمدرسة المعلمين العليا ، ثم أستاذا للتاريخ بقسم الصحافة ، وأستاذا بقسم الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، وتدرج كذلك في مناصب التعليم الإدارية ، لم يفته منها منصب . كان ناظرا في التعليم الثانوى أول عهد المصريين بالنظارة فيه ، ثم مضى صعدا حتى ولى وزارة المعارف يشرف على أعمالها ، ويصرف شئون التعليم عامة .

أيها السادة ، لم أحظ بلقاء الفقيد ، ولا سعدت بصحبته إلا في دار المجمع . على أنني أخذت أعلم عنه ، وأقرأ له في بعض المجلات منذ أكثر من ثلاثين عاما ، حين جعلت مناصب الإدارة تتجاذبه منصبا في إثر منصب ، فالمعلمون وخاصة الذين لايعملون في القاهرة يومئذ كانوا — كأمثالهم — يطيب لهم أن يعرفوا أصحاب الأمر في الديوان من الأنباء التي تروى عنهم ، والآراء التي تعزى إليهم . فكان محمد رفعت ممن يذكرون باستقامة الإدارة ، ونزاهة

القصد، والبصر بما يأخذ وما يدع. في جد وأمانة وإخلاص؟

ولكنه — مع ذلك — لم يسلم في بعض مناصبه تلك من التعرض لتجربة قاسية، غير أنه خرج منها، أصلب عودا، وأصفى جوهرا، كدأب المؤمن المتماسك الشخصية؛ حين يمتحن في نفسه بأمر عسير.

فقد حدثني ذات صباح قبل أن يحين ميعاد اللجنة — والحديث ذو شجون — أنه حين كان مديرا للتعليم الثانوي دعاه وزير المعارف إذ ذاك إلى مكتبه ليتدارسا بعض مشكلات هذا التعليم. ولم يكد يدور بينهما الحوار ويمضيان فيه حتى تبينا أنهما ليسا في القضية على رأي جميع، بل لكل رأي يدافع عنه، ويحتج له. ثم كان مما قاله الفقيد في الاحتجاج لرأيه: المنطق يقضي بكذا وكذا.

فبدا الاستياء في وجه الوزير، كأنما عز عليه أن يذكر مثله بالمنطق، فضلا عن أن يحاكم إليه، ويحتج به عليه، فقال منكرا: تقول المنطق؟ قال: نعم. قال الوزير: أولا تعلم أني أكبر منطيق في هذا البلد؟ قال الفقيد: بلى، ولكن لي منه نصيبا. فكانت هذه هي الخاتمة، وافترق الرجلان على ما كان بينهما من خلاف.

ولما أن عرضت قضية التعليم الثانوي على مجلس النواب إذ ذاك — قال الوزير عنها فيما قال: كلا مالم يرق الفقيد، ولا وقع منه موقع القبول. فلما كان الغد، ومضى الوزير إلى مكتبه — كانت استقالة الفقيد في انتظاره هناك. مثل عال من أمثلة الرجولة والحفاظ على الكرامة، واستمساك صاحب الرأي برأيه الذي يرتئيه، ويعتقد أنه الحق والصواب، غير مبال أن يضار فيه، أو يؤخذ به.

وقررت مجانية التعليم حين كان مستشارا فنيا في وزارة المعارف، وما يكون لقرار كهذا أن يصدر بالأمر المطاع، أو الرأي الفطير، لا تسبقه دراسة، ولا تحكمه تثبت ولا تدبر ومن غير المستشار الفني إذا يمكن أن يندب للأمر كله، وأن يكون إليه المرجع فيه ابتداء وانتهاء؟

أيها السادة، لم تحل المناصب الإدارية المتعددة التي تولاها الفقيد دون أن يؤلف الكتب، ويكتب البحوث، وأن يستكثر من هذه وتلك ويجيد فيهما جميعا. فقد ألف كتبا عامة وأخرى مدرسية.

فأما الكتب العامة فهي:

(١) كتاب التعاون الدولي والسلام العام.

(٢) كتاب التيارات السياسية في حوض البحر المتوسط.

(٣) كتاب التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة.

(٤) كتاب يقظة مصر الحديثة، وقد ألفه بالإنجليزية.

هذا عدا رسالته الجامعية عن تاريخ مصر الحديث فى عهد محمد على ، وقد أجيزت بدرجة الامتياز

وأما الكتب المدرسية فهى :

(١) معالم تاريخ العصور الوسطى ؟

(٢) ومعالم تاريخ أوربا الحديث

(٣) والتربية الوطنية للمدارس الثانوية

(٤) وتاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة ، ذلك إلى الأطلس التاريخى .

وله بحوث وآراء فى ثورة العرب سنة ١٩١٦ ، وثورة مصر سنة ١٩١٩ إلى سلسلة من الأحاديث فى الإذاعة ، بعنوان : «نافذة تطل على العالم» كان يتناول فيها أحداث الساعة بالتعريف والتعليق ، إلى مقالات نشرت فى بعض المجلات المصرية المشهورة وقد ظل — رحمه الله — إلى آخر يوم من حياته رئيسا لقسم البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية بمعهد البحوث والدراسات العربية ويدل هذا الإنتاج بكثرته وتنوعه على رحابة الأفق ، وغزارة المادة وتدفق الحيوية .

ذلك أيها السادة هو محمد رفعت قبل أن ينتخب فى المجمع ، ولم يكن بعد انتخابه عضوا فيه أقل نشاطا ، ولا أوهن عزما منه إلى غيره ، برغم السن العالية والشيخوخة البادية .

لقد كان — أحسن الله إليه — مقررا لكل من لجنتى ألفاظ الحضارة ، والتاريخ الحديث ، وقد أنجزت اللجنتان فى العام الماضى قدرا مباركا من الألفاظ والمصطلحات يبلغ نحو مائة لفظ ، ومائة مصطلح .

وكانت له فوق ذلك بحوث ممتعة ألقاها تباعا على مؤتمر المجمع فى دوراته عاما بعد عام ، وجعل لها عنوانا ثابتا هو « الإطار التاريخى لبعض آيات للقرآن الكريم » وأشهد إنها لبحوث قرآنية تاريخية فريدة ، لا أعلم أن أحدا من العلماء سبق إلى مثلها ، واستقام له أن يقول فيها بمثل ماقال عالمنا الجليل من البراعة والإحسان . إنها بحوث تتميز بالجدة والطرافة ، وحسن التأتى وأصالة البحث ، واستقامة النهج ، وحسن العرض ، ورجاحة المنطق .

وهيهات أن يخلو وجه القول فيها على هذا النحو إلا لمؤرخ متمكن ، وعالم كبير قد رزق موهبة لغوية ، وبصيرة ذهنية ليتيسر له فهم الآيات على وجهها ، ويتمكن من إدراك مراميها ، واطلاع غيبها ، واكتناه ماتيسر من لطائف الإشارات وقد رأيت الفقيد يحرص فى مستهل كل بحث منها أن يبين على العهد به منهجه فيه ومقصده به . وها هو ذا يبدأ أحدها فى تواضع العالم واطمئنان الواثق . وعزوف المتحرج من تكلف القول فيما ليس من شأنه ، ولا ماهو فى شأن منه ؛ فلنستمع إليه :

« ماقصدت من هذه البحوث أن أستبيح لنفسى أن أتسنم مقاعد الأئمة

من العلماء المفسرين ، وأن أتناول بالتحليل والتفسير الديني واللغوى آيات من القرآن الكريم ، وإنما أردت أن ألقي بصيصا من الضوء على الآيات التي تتصل بدراسة التاريخ السياسي العام » .

ولئن كان — أحسن الله إليه — يرى أن ماسيلقيه من الضوء على الآيات لا يعدو أن يكون بصيصا — لقد رأيته ضياء ساطعا وبيانا شافيا . وإذا كان قد وعد ألا يتناول الآيات بالتحليل والتفسير الديني واللغوى فقد رأيت بعض أحداث التاريخ حين يعرضها ويطبق أخبارها على ماجاء به التنزيل العزيز — رأيتها تستدرجه في غير موضع إلى اللغة يستوحيها ويستعين بها ، وإلى مسائل من النحو يزجيها ويحتكم إليها في بصربها وتوفيق من الله فيها .

ورأيته — حين يتصل القول بالمعجزة — يصد صدودا حاسما عن الخوض فيها والاجتراء عليها ، وتكلف تفسيرها بما يدنيها من الممكن ، بل بما يوهم أنها ظاهرة من ظواهره كما يفعل بعض الباحثين ، ويرى خيرا من ذلك للمؤمن ، وأشبه بيقينه أن يعتقدها على مايدل عليه ظاهر الآيات . وتلك سنة من هدى السلف الصالح كان يأخذبها في كل ما يمتنع على العقل فهمه من أمور العقيدة أن يعتقده كما هو ، ويرد العلم بكنهه إلى العليم الخبير

ولم يكن — صنع الله له — يقول مايقول في الآيات التي يدرسها ظنا أو رجما بالغيب ، بل كان يراجع فيما يراجع فيها أمهات كتب التفسير ، لا لينقل أقوالها على علاتها ، ولكن ليدرسها ، دراسة نقد وتمحيص فيأخذ ويدع ، يوافق ويخالف ، يلتمس العلة ، ويقيم الحجة ، في منطق قويم وبيان مشرق ، ينبئ عن نضج الفكرة عنده ، وتمثل حقيقتها لذهنه أوضح ماتكون .

وكان في نقده وخلافه سمحا رفيقا كل السماحة والرفق ، لا يجاوز ؛ جد النفى لما لا ينبغى للمفسر أن يعنى نفسه الخوض فيه ، إعراضا عن التزيد والاعتساف .

وما أحسب إلا أن الفقيد — نضر الله وجهه — أراد أن يجعل من هذه الدراسة قدوة صالحة ، ودعوة عاملة تهيب بالصالحين لها أن يدرسوا آيات الكتاب العزيز التي يرد فيها ذكر لبعض أحداث التاريخ دراسة معاصرة ، تفصل ماأجملت الآيات منها ، وتنفى ما عسى أن يكون عالقا بأنبائها من شوائب ، أو مقحما فيها من أساطير الأولين .

أيها السادة لقد أتاحت لى لجنة التاريخ الحديث أن أعرف الفقيد من قريب ، وأن أصحبه وأشترك معه في أعمالها ، فآنست منه خلالا فاضلة ، ومواهب عالية ، لاتجتمع إلا لأصحاب الشأن والمنزلة .

لقد كان أليفا محببا ، عذب الروح ، فكه المحضر ، جم التواضع ، نقى السريرة ، رقيق المشاعر ، سمحا ، عطوفا ، ودودا .

وكان ألمعيا متوقد القريحة ،حاضر البديهة، ناقدا ذواقة ، لاتشتبه عليه الفروق بين المعانى المتقاربة ،ولا يخفى عليه مواقع المفردات من الأساليب على مايقتضيه التعبير الأصيل وكان يتهلل بشرا ، ويطرب استحسانا للكلمة نهتدى إليها بعد لأى حين يجىء على مايتطلب المقام من كمال المطابقة وحسن التعبير .

وكنا إذا احتوتنا المناقشة ،وذهب بنا الرأى إلى غير وجه فيها — لانعدم أن أخذ بنا عن بديهة ، وفى غير تعمل إلى فكاهة مرحة ، أو طرفة شائقة ، نعود منها وقد تنسمنا نسمات طيبة من الروح والانتعاش . لذلك لم نكن نحس من الجلسات مللا ، أو نستشعر من وقتها طولا . وما أكثر ماكان تمضى بنا الوقت إلى أبعد من مداه ،ونحن عنه غافلون .

وكان ربما جهر بصوته فى المناقشة، فيحسب من لايعرفه أنه ضجر أو حاد الطبع . ومابه عند من يعرفه ضجر ولا حدة طبع ، ولكنها قوة الإيمان بالرأى ، وحماسة الذود عنه ،فى غير مكابرة ولا إصرار . فإذا وضح وجه الرأى ، وبدا مكان الحق هنا أو هناك — تراءت فى وجهه أمارات الرضا والا تياح ، وعاد على العهد به من الوداعة والرقة والإيناس .

أيها السادة ، لقد كان الفقيد ذا شخصية جليلة القدر ، شامخة الذروة ، متعددة الجوانب وفيرة الخصب ، غزيرة الإنتاج .ويوم نكتب تاريخ نهضتنا الحاضرة فى الثقافة والتعليم — سيكون محمد رفعت — غير ظن — من معالمها الشاخصة ، ودعائمها الراسخة بما قدم لها من فيض علمه ، وواسع خبرته، وبما شارك به من جهد فى إدارة أعمالها وتوجيه مسيرتها .

ويومئذ يوفى حقه كاملا من القول والدرس جزاء وفاقا .

« أما هذه العجالة فقصارى مايستطيع مثلى أن يقوله عنه ، « ماأظن أن المقام أذن فى المزيد عليها فلتكن هذه العجالة إذا علالة موقوتة ، نتلبث بها ، أونصبر عليها حتى يأتى اليوم الموعود .

أيها السادة ، أجمل الله عزاءكم عن الفقيد ، وأعظم أجركم فيه ، وأجزل الله مثوبته ، وأعلى فى الصالحين منزلته، وجعله — سبحانه — ممن يقول فيهم : ( إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون : لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة ،هذا يومكم الذى كنتم توعدون ) والسلام عليكم ورحمة الله .

# كلمة الأسرة لصهر الفقيد الأستاذ عبد الحميد عبد الغنى

الأستاذ الجليل رئيس مجمع اللغة العربية.

العالم الجليل الأستاذ على النجدى ناصف.

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع :

أتقدم اليكم جميعا بجزيل الشكر وخالص التقدير ، لعقد هذه الجلسة تأبينا الفقيد المجمع المغفور له الأستاذ محمد رفعت

إن أسرة فقيدنا الكبير ، سواء منهم من استطاع شهود هذه الجلسة أو من حالت ظروف عمله وإقامته خارج القاهرة او ظروفه الصحية دون شهودها ، لتتلقى كلمة الأستاذ الجليل الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع فى افتتاح هذه الجلسة بكل تقدير وعرفان . . فهى كلمة عالم جليل يؤبن عالما جليلا . . . وهى كلمة صديق وفى يرثى صديقا وفيا . . وقد كان فقيدنا فى بيته وبين أولاده يذكر الأستاذ الكبير رئيس المجمع ذكرا حافلا دائما بالتقدير ، وبالإعجاب وبالاعتزاز بأنه يعمل مدة فى هذا المجمع الرفيع

وإن الأسرة لتتلقى أيضا بالتقدير والعرفان كلمة العالم الجليل الأستاذ على النجدى ناصف . . فهى كلمة زميل كريم شاركه فقيدنا بعض أعمال المجمع ، وهى كلمة أستاذ كبير مجال العلم والتربية، عدد فيها مآثر فقيدنا الذى أمضى شطرا كبيرا من حياته فى محراب العلم المقدس. والكلمة على إيجازها ، قد ألمت بحياة مديدة أمضاها فقيدنا فى عمل دائب ونشاط مستمر أستاذا ومربيا وكاتبا ومحاضرا ومؤرخا ولغويا . . فضلا عن مشاركته فى كثير من الأمور العامة على مدى سنين طويلة تولى فيها العديد من المناصب الهامة كان من بينها منصب وزير المعارف العمومية ، وهى الوزارة التى تحمل أمانة التعليم فى مصر .

إن هذه كلمات متواضعة اقدمها لكم أيها الأساتذة العلماء الأجلاء ، نيابة عن أسرة فقيدنا وتعبيرا عن شكرها وتقديرها وامتنانها . . وأستأذن فى أن أقول إن الأسرة أنابتنى عنها، لأن الله قد جمع بينى وبين الفقيد العزيز بصلتين من أشرف الصلات: أولاها : صلة التلمذة وثانيها صلة المصاهرة : ومن الممكن أن أقول إن صلة المصاهرة كانت امتدادا لصلة التلمذة ، فقد كان رحمه الله ، أستاذا فى بيته مثلما كان أستاذا فى دور العلم التى تولى التدريس والمحاضرة فيها وكان اولاده وبناته ، وأحفاده وأسباطه ، وأهله وأصهاره يقعدون منه للسمع ينهلون خلالها من فيض علمه وغزيرا

أدبه وكريم نصحه، فكان مثلا يقص علينا أشياء عن حياته أيام التلمذة في مصر أو في إنجلترا .. أو يذكر شيئا عن عمله في مناصب التعليم والتربية التي درج على سلمها من سفحه إلى قمته ... أو ينتج موضوعا جادا للمناقشة وتبادل الرأي ... أو يشير إلى كتاب عربي أو إنجليزي في مكتبته ويطلب إلى أحدهم أن يقرأ شيئا للتذكر والاسترجاع .. وكل ذلك في جو أسري يشيع فيه كثير من المرح الهادئ فقد كان بطبيعته يحب المرح والفكاهة ... وتسوده الأبوة الحانية العطوف، والبنوة المؤتلفة البارة .. فما كنا ننصرف من أمسية نمضيها حوله .. أو دعوة إلى غداء أو عشاء إلا وقد سعدنا، وأفدنا وننصرف ونحن نتعجل الساعات أن تمر حتى نعود إلى لقائه من جديد.

وكانت تلك الجلسات عادة في غرفة مكتبته وهي غرفة تغطي جدرانها الأربعة كتب التاريخ والأدب والمعاجم ودوائر المعارف بل تكاد الكتب أحيانا تمتد من الأرض إلى السقف .. وليس فيها مكان يخلو من الكتب إلا ليضع صورا صغيرة لأولاده وأحفاده .. وصورة واحدة كبيرة هي صورة سعد زغلول وأم المصريين .. فقد كان رحمه الله من أبناء ثورة سنة ١٩١٩ وكان له دور مشهود في حركة المدرسين إبان تلك الثورة، وكانت له فيما بعد مواقف وطنية جرت عليه بعض المتاعب .. وكان يروي لنا أحيانا شيئا عن دوره في أيام الثورة وما بعدها .. ولكنه كان يبتعد بكلامه عن كل ما يبدو زهوا أو ادعاء ويقصره على ما يفيد في توجيهنا توجيها صالحا. والحق أني قد تأثرت كثيرا مما كان يصدر عنه من آراء، تدعمها الوقائع شأن المؤرخ المحقق، في فهمي لأحداث مصر والعالم العربي وأحداث العالم الذي نعيش فيه.

وأيضا فقد تأثر ابنه اللواء أشرف رفعت قائد العمليات في السلاح البحري مما سمعه معنا مرارا من أنه عندما دخل نابليون مصر كان أول ما فعلته إنجلترا أن استولت على جزيرة بريم عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر .. وكانت هذه هي أول بقعة تستولي عليها إنجلترا في العالم العربي كله ... وقد عرفنا منذ سنتين أن استخدام جزيرة بريم لوقف الملاحة الإسرائيلية كان من أهم العمليات الناجحة التي قام بها السلاح البحري المصري في حرب أكتوبر ١٩٧٣

وكان رحمه الله يقضي وقته في مكتبته العامرة بالبيت، اللهم .. إلا حين يخرج ليحضر جلسات المجمع أو لجانه التي يشارك فيها .. وحين كان يذهب إلى معهد الدراسات العربية العليا ليلقي محاضراته في التاريخ المعاصر .. أو حين يجلس إلى التلفزيون في لحظات الاسترواح يشاهد

بعض برامجه بين أولاده وأحفاده، فما عدا هذا كان يقضى النهار كله ممتدا إلى شطر طويل من الليل ، عاكفا على القراءة والكتابة وعاكفا على إعداد ماينهض به من أعمال المجمع ، وما يؤديه فى معهد الدراسات العربية . . ومخصصا جزءا من وقته كل يوم ليكمل كتابه «يقظة مصر الحديثة » :

The Awaking of Modern Egypt:

فأعاد كتابه الجزء الأول منه الذى طبع فى لندن قبل الحرب العالمية الثانية . . ثم كتب الجزء الثانى فأتم هذا الكتاب القيم منذ ثلاث سنوات ... وقد رحل إلى رحاب الله وفى نفسه أمنية عزيزة ، هى أن يطبع هذا الكتاب كاملا بجزأيه ، فى إخراجه للناس خير جزاءله عن عمل بذل فيه جهدا كبيرا وعناء متصلا سنين عدة .

وأعتقد أننى لا أتحيز حين أقول إن هذا الكتاب هو من أقيم إن لم يكن أقيم ما كتب باللغة الإنجليزية عن تاريخ مصر الحديث ، لوفائه بالموضوع وعرضه فى أسلوب يتسم بالطلاوة والاسترسال . وقد تناول فى جزئه الأول تاريخ مصر من الحملة الفرنسية إلى الاحتلال البريطانى، ثم أمضى أربع سنوات فى سن الشيخوخة فى عمل متصل حتى أنجز الجزء الثانى الذى يتناول تاريخنا المعاصر منذ الاحتلال البريطانى حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . هذا من ناحية شمول الكتاب ووفائه بالموضوع ، أما من حيث أسلوبه فان الذين قرأوا الجزء الأول الذى طبع فى الثلاثينيات قد بهرهم أسلوبه الرصين وما فيه من سمات أساليب المؤرخين الإنجليز الكبار أمثال ماكولى وستراتشى وكارليل .

وقد حملت مسودة هذا الكتاب إلى أمريكا ، وأعطيته للأستاذ جون بارو الذى كان مديرا للجامعة الأمريكية فى القاهرة وسفيرا لبلاده هنا .. وكان فى ذلك الوقت أستاذا بجامعة كولوب الأمريكية . فكتب مستر بارو للمؤلف رحمه الله كتابا حملى تقديره لهذا الكتاب ، وأشار فيه أيضا إلى أنه يسعده أن يعمل على نشره فى امريكا إذا وافق المؤلف على اختصاره قليلا لأن حجمه ربما يزيد على ستمائة أو سبعمائة صفحة .. ولكن المؤلف اعتذر عن هذا فقد عز عليه أن يحذف منه أشياء تعب وسهر فى تمحيصها وتأليفها .

وعندما التهمت النار منذ شهور قليلة أكثر ما كان فى مكتبته ، كان عزاؤه أنها لم تمتد إلى مسودة هذا الكتاب التى احتفظ بها فى أحد أدراج مكتبه .. ومازالت قابعة فيه تنتظر يوما تخرج فيه إلى النور كتابا يبصر العالم الغربى بتاريخ مصر الحديث، كما يراه مؤرخ مصرى .. عاطفته مصرية ، ولكن عقله المؤرخ المحقق الذى يعنيه اول ما يعنيه وقائع التاريخ وحقائقه

السيد الرئيس :

السادة الأجلاء أعضاء المجمع :

أرجو المعذرة إذا كنت قد خرجت عما كنت أريد أن أقوله فى هذه الكلمة .. وهو أن أقول شيئا وجيزا عن فقيدنا فى بيته وبين أهله وذويه الذين أنابونى عنهم فى أن أقول كلمة أحملها كل عبارات الشكر والتقدير لكم أيها الأساتذة الأجلاء يامن اجتمعتم اليوم لتأبين فقيد المجمع المغفور له الأستاذ محمد رفعت .. فشكرا جزيلا لكم ، ودعاء إلى الله أن يهبكم جميعا الصحة الطيبة والعافية ، وأن يمد فى آجالكم لتخدموا لغتنا الفصحى ، وثقافتنا الأصيلة ، بعلمكم وجهدكم وفضلكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور :

سيداتى ، سادتى :

فى ختام الجلسة أتقدم بخالص الشكر لكل الذين تفضلوا بمشاركتنا فى هذا الحفل، ولعل من نافلة القول أن أعود فأتحدث عن مناقب الراحل الكريم ، ويكفى أن أقول : إنه لحق بركب الخالدين ، وانضم اليه بفضل مابذله من جهد فى خدمة العلم ، فهو لم يبخل قط بشىء فى سبيل العلم ونهضته ورفعة شأنه ، وإذا كان المغفور له الأستاذ محمد رفعت قد رحل إلى دار الخلود فإنه قد استطاع أن يترك ذكراه الطيبة فى قلوب أصدقائه ومحبيه ، أولئك الذين عرفوه رجلا صديقا صدوقا، يحمل أمانة العلم بصدق وإخلاص حتى أدى الأمانة على أكمل وجه وعزاؤنا فيه ، أن نستعيد دائماً ذكراه ، ذكرى ذلك الرجل الذى كان محبا لوطنه ، وفيا لأمته،وقد بادله الجميع حبا بحب، ووفاء بوفاء .

ورفعت الجلسة ، وشكرا لكم .

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ١٤ من ذى القعدة سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٧٥ م أقام المجمع حفل تأبين المرحوم الدكتور أحمد زكى عضو المجمع .

وفيما يلى ما ألقى فى الحفل من كلمات :

## كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع
## فى تأبين المرحوم الأستاذ

## أحمد زكى

سيداتى ، سادتى :

يعز على النفس ، بعد طول العشرة ، ومداومة اللقاء ، أن تودع ، أحباءها واحداً بعد الآخر ، ولكن هذه هى الدنيا ، وهذه سنة الحياة والحق أن الراحل الكريم الذى نؤبنه اليوم هو واحد من الأعزاء الأخيار الذين جمعتنى وإياهم زمالة طويلة قوية عميقة ، تضرب بجذورها فى أعماق الزمن الذى شاء أن نكون اثنين من عشرة جدد دخلوا المجمع فى عام ١٩٤٦ فى الثانى عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٦ استقبل المجمع هؤلاء العشرة ، وقدر أن يكون المستقبل للدكتور أحمد زكى فى هذه المناسبة الدكتور أحمد أمين الذى قال كلمة لازلت أذكرها فقد قال عنه : « إنه كيميائى عظيم ، وأديب كبير مزج بين العلم والأدب كما يمزج السكر والماء، فبينما نراه فى معمله بين الأنابيب والمحاليل ، نراه فى مكتبه يحلل الكلمات ويستخرج المعانى ويصوغ الأفكار » .

تلك هى الصورة التى قدم بها أحمد أمين صديقه الدكتور أحمد زكى ، وقد دلت الأيام على صدق هذه الصورة ودقتها ، فقد رأيناه نحن فى مجمع الخالدين يحلل الكلمة العلمية تحليلا أميناً ، كما يحلل الكلمة الأدبية تحليلا بليغاً ، وإذا كانت السنوات الأخيرة قد حرمتنا من متعة اللقاء به والاستماع إلى مناقشاته الخصبة الممتعة ، فإنه لم يغب عنا بمقالاته وأبحاثه التى كان يوالى نشرها فى مجلة « العربى » التى اضطلع بمهمة رئاسة تحريرها ، واتخذ من « الكويت » التى تصدرها منزلا ومقاماً له ، طوال الفترة الماضية ، ولم ينقطع قط عن خدمة العلم طوال فترة إقامته بالقطر الشقيق .

وللراحل الكريم الدكتور أحمد زكى جوانب كثيرة سيتحدث عنها الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر الذى يلقى الآن كلمة المجمع فى تأبين الفقيد الكبير .

## كلمة الدكتور حامد جوهر :

( عضو المجمع )

سيادة رئيس المجمع :

سيداتى سادتى : ..

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد

فهذا يوم عصيب وإنه ليوم حزين حقاً ؛ لقد مات أبو العلميين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.وياله من نبأ مروع مفزع ، لقد كان أباهم علماً ومكانة واحتراماً . كان رحمه الله راجح العقل واسع الخبرة متعدد الجوانب عالج معضلات جمة فى شتى التخصصات العلمية والاجتماعية والأدبية . لقد كان أمة تمثلت فى رجل بل كان أمماً . فقد أضاء بعلمه وفكره البلاد العربية من المشرق إلى المغرب وترك تراثاً كبيراً سيبقى أبد الدهر ، وكان أجيالا من العلماء يرفعون اللواء من بعد ممات أبى العلميين ، حقاً :

كل حى إلى المنيـــة غـــــادى
يتهـادى الركاب والموت حادى

ولكن لعل من قسوة القدر أن يقع على أمر تأبينه ، وليس أشق ولا أقسى على النفس من أن يكون من قدرى أن أقف هذا الموقف من شخص حملت له منذ عرفته كل حب ومودة وإعجاب ، بل كان هذا الرجل بالنسبة لى أستاذاً ورائداً وصديقاً وزميلا . ولعل الأقسى من كل ذلك أن أعلم أن فقيدنا الراحل كان عملاقاً ، وهيهات لى أن أوفيه حقه مهما حاولت ومهما بذلت من الجهد .

ولكن مما يعزينى أن فقيدنا تغمده الله بشآبيب رحمته كان سمحاً كريماً عزوفاً عن الظهور ، ولا بد أن روحه الطاهرة التى ترفرف علينا الآن فى هذا المكان سوف تغفر لى هذا القصور ، وحسب هذا الرجل أن ظل ردحاً طويلا من الزمن ملء الدنيا وملء العيون والقلوب . كان أستاذاً لأجيال النهضة المصرية منذ بدئها ، فكان أحد الدعائم القوية لهذه النهضة .

ولد المغفور له الدكتور أحمد زكى فى ثغر السويس عام ١٨٩٤ وعاش به إلى أن بدأ تعليمه الابتدائى بمدرسة السويس الابتدائية ثم انتقل إلى القاهرة حيث تابع تعليمه بمدرسة أم عباس الابتدائية ، ونال الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٧ . والتحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية ومنها نال الشهادة الثانوية سنة ١٩١١ فالتحق بمدرسة المعلمين العليا ، وحصل على دبلومها سنة ١٩١٤ مع نخبة من الجهابذة أمثال عبد السلام الكردانى وفريد أبوحديد ومحمد عوض محمد والغمراوى وشفيق غربال وعبد الحميد العبادى وخلاف ومحمد بدران وكامل سليم ؛ الذين كانوا بعد ذلك من أساطين النهضة الحديثة فى وزارة المعارف والجامعة .

وعين مدرساً بالمدرسة السعيدية الثانوية ثم ألغى التعيين بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى؛ وللسبب ذاته تأخر سفره فى بعثة علمية إلى إنجلترا فى السنة نفسها .

هنا عمل مدرساً بالمدارس الإعدادية الثانوية إلى أن اختير ناظراً لمدرسة وادى النيل الثانوية بباب اللوق سنة ١٩١٨ ، وفى سنة ١٩١٩ استقال من هذه الوظيفة وسافر إلى إنجلترا إشباعاً لنهمه إلى الاستزادة من علم الكيمياء، فكان من الرعيل الأول لهذا العلم فى مصر ، ونال درجة البكالوريوس فى العلوم سنة ١٩٢٢ ، ثم درجة الدكتوراه فى الفلسفة فى الكيمياء سنة ١٩٢٤ ، ثم انتقل إلى جامعة منشستر حيث أمضى بها عامين مشتغلا بالبحث العلمى ، ثم أتبعها بعامين آخرين قضاهما فى البحث العلمى أيضاً فى جامعة لندن ، التى منها حصل عام ١٩٢٨ على درجة الدكتوراه فى العلوم : أرفع الدرجات العلمية التى تمنحها الجامعات . وكان ثالث مصرى يحصل على هذه الدرجة الرفيعـــة .

فرجع إلى مصر ولم يكن فى الدولة آنئذ من مكان يكون فيه أنفع منه فى كلية العلوم لينضم إلى كبار هيئة التدريس بها . فعين أستاذاً مساعداً للكيمياء فى مطلع الثلاثينيات ، وآنذاك عرفت فقيدنا الكبير أول ما عرفته وكان جل هيئة التدريس فى ذلك الوقت من الأجانب، فكان طبيعياً أن نتلهف على أى مصرى يعين فى هذه الهيئة ليشد أزر المصريين فى الكلية ، ولم يمض وقت طويل حتى رقى أستاذاً للكيمياء العضوية . ولم أسعد بالتتلمذ على يد هذا الأستاذ الكبير ، فكنت قد تخرجت وعينت معيداً بالكلية قبل أن يجىء إليها، ولكنى فى الواقع نهلت من فيض علمه قبل ذلك، إذ درست الكيمياء ، أول مادرستها فى تعليمى الثانوى ، فى كتابيه اللذين ألفهما بالاشتراك مع زميله وصديق عمره الأستاذ الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى ، وقامت بنشر كتابيهما لجنة التأليف والترجمة والنشر ، تلك اللجنة التى كان لها باع طويل وفضل عظيم فى نشر العلم والمعرفة والثقافة ردحاً طويلا من الزمن . كما أنهما اشتركا فى إنشائها سنة ١٩١٤ وهما بعد طالبان فى السنة النهائية فى مدرسة المعلمين ، وقادها فى هذه اللجنة أول رؤسائها المغفور له الأستاذ الكبير الدكتور أحمد أمين العضو السابق بمجمعنا هذا .

وقت أن عرفنا المغفور له الأستاذ الدكتور أحمد زكى كنا معيدين فى الكلية وكأغلب الشبان كان فينا طموح شاعرين بحاجة البلاد إلينا ، وكان يبدو لنا أن أساتذتنا الأجانب لا يهتمون بإعدادنا لحمل الأمانة أو القيام بالدور الذى ينتظره الوطن منا ، وكان طبيعياً أن نأنس إلى المصريين القلائل من كبار هيئة التدريس نبثهم آمالنا ونسألهم النصح والإرشاد ، وكان فى مقدمة أولئكم فقيدنا الكبير ، وهنا ازدتُ معرفة به وقد وجدت دائماً عنده الرأى الصائب والرؤية

الصافية والنصح المخلص الأمين والصراحة التامة والبعد عن تزيين الحقائق المرة وتزييفها وكان يواجهنا بمواضع الخطأ فى تفكيرنا إذا رأى شيئاً من ذلك ولا يأبه لما يترك ذلك من أثر غير محمود عند من يفضل أن يزين له القبيح ويشجع على المضى فى الخطأ وفى الواقع كان من أكثر ما أحببت فى فقيدنا الكبير تلك الصراحة التى كان يقابلنا بها ، وبخاصة ولم يكن ليعوزه الأساوب اللبق المهذب للتعبير عن رأيه .

وكنا نقدر فيه أساوبه فى الكتابة العامية وما كان يطالعنا به بين الفنية والفنية ،وبخاصة فى مجلة « الرسالة » من مقالات علمية فى وقت كنا نظن فيه أن اللغة العربية لا تصلح للتعبير العلمى الدقيق ، فأثبت لنا الدكتور أحمد زكى عن غير قصد خطأ رأينا .

وفى سنة ١٩٣٣ ، وكنت فى ذلك الوقت رئيساً لجمعية خريجى كلية العلوم ( كلية العلوم الوحيدة حينئذ ) ، أنشأنا مجلة « رسالة العلم » ومولناها بمعرفة مالية من الجامعة ولمحت رغبة الكلية فى وضع رقابة عليها حتى حتى لاتنحرف بها عن هدفها الذى أعلناه وهو العلم . فكان أن اخترنا المغفور له الدكتور أحمد زكى مستشاراً للجنة هذه المجلة وبهذا فوتنا فرصة وضع رقيب علينا قد يعرقل تقدمنا ،وظل الدكتور أحمد زكى مستشاراً للمجلة إذا استنصحناه نصحاً وأخلص النصح وإلا فلم يكن يتدخل فى شئوننا بأى شكل من الأشكال ، ولعله أراد أن نحمل العبء ونعود على حمله أو كأنما ؛ وهو بعد لم يزل شاباً ، كان يحس بطموح الشباب فيشجعه ويرشده عن بعد دون أن يقف فى سبيله . ولاشك فى أننا حين اخترناه إنما هدينا إلى اختياره لما لمسنا فى جميع أعضاء الكلية أساتذة ومدرسين وطلاباً من تقدير وحب له . وبهذه المناسبة أقول : إنه كان الوحيد الذى حصل فى انتخابات عمادة الكلية على إجماع الأصوات.

وفى سنة ١٩٣٦ عين مديراً لمصلحة الكيمياء بوزارة المالية وكان أول مصرى يتولى هذا المنصب .وقد نهض بهذه المصلحة وأعاد تنظيمها ووسع مجالها .

وحينئذ ، وقد بعد شكلا عن الكلية ، وكانت جمعية الخريجين قد استقر لها الأمر فى «رسالة العلم» –رأى أن يتنحى عن مكانه كمستشار للجنة هذه المجلة ،وأصر على ذلك بما لم يدع مجالا إلا النزول على رغبته ولم نر داعياً لإحلال آخر فى مكانه .

وفى سنة ١٩٣٦ أيضاً أنشىء المجلس الأعلى للبحوث يضم أساطين العلم والصناعة والاقتصاد،وكان المغفور له الدكتور أحمد زكى أول سكرتير لهذا المجلس وأول مدير له ، واستمر اتصالنا به عن طريق المصلحة والمجلس ، وكان يجمع بينهما ، وتوثقت بيننا أواصر التعارف ثم الصداقة فكنا نتردد عليه زائرين له فى عمله وفى منزله الذى كنا ندعى إليه أحياناً ، وليس بخاف أن للدكتور زكى الفضل الكبير فى إنشاء هذا

الذى سمى فيما بعد وفاة الملك فؤاد : « مجلس فؤاد الأول الأهلى للبحوث » ، كما أن له الفضل الأكبر فى نفخ الروح فيه ، فقد دأب على حفز أولى الأمر فى ذلك الوقت على الاهتمام به ، وإخراج مراكز البحوث إلى الوجود ، وقد شاءت له دقته العلمية وسمو همته أن تكون هذه المراكز على أحدث ماوصلت إليه العلوم والفنون . فرأى بثاقب فكره وقوة إرادته وحسن إدارته أن يبدأ من حيث انتهى من سبقونا . ولهذا الغرض كانت رحلاته فى أنحاء الدنيا القديمة والحديثة ، بزور كل المعاهد والمؤسسات العلمية والصناعية والجامعات وكل مكان يكون للبحث العلمى والتطبيقى فيه شأن ، حتى جاء مجمع المراكز القومية للبحوث آية فى الإبداع والكمال ، وظل دليلا عملياً ساطعاً على ما اتصف به فى جميع أعماله له من دقة علمية متناهية فلم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا وأولاها ما تستحقه من العناية والاهتمام .

ولعل أعظم فرصة أتيحت لى للتعرف على فقيدنا الجليل عن كثب كانت فى خريف سنة ١٩٤٦ حين التقينا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو فى رحلات طويلة جاب فيها تلك البلاد طولا وعرضاً شمالا وجنوباً شرقاً وغرباً ، وكل مكان فيه معاهد أو جامعات أو مراكز للبحوث من أى نوع ، أكاديمية كانت أو طقنية ، وكنت أنا فى مهمة موازية وإن تركزت على النواحى البحرية .

ولذلك صحبته فى القليل من رحلاته ودامت هذه المدة شهراً أو بعض شهر أمضيناه فى فندق واحد فى نيويورك .

هنا أيضاً عرفت الدكتور أحمد زكى الإنسان ، الدكتور أحمد زكى الفيلسوف ، هنا عرفته رجلا جم النشاط لا يكل ولا يمل ، منظماً فى معيشته فى بساطة ، بعيداً عن المظاهر ، حاضر البديهة حلو الفكاهة .

وإنه ليحز فى النفس أنه الآن إذا ذكر البعض المركز القومى للبحوث تناسوا الدكتور أحمد زكى منشئه الحقيقى . بل إننى لا أغالى ولا أظلم أحداً إذا قلت : إن إغفال اسم الدكتور أحمد زكى كان أحد الدوافع لتغيير اسم مجلس البحوث ، ولعل الدافع الثانى هو تهيئة الفرصة لاستئثار فرد بالسلطة ، دون الخضوع لرأى مجلس ما . وقد نرى البعض يدعى أن المركز القومى للبحوث أنشىء فى عام ١٩٥٤ ، رغم أنه فى تلك السنة لم يتم شىء فيه إلا تغيير الاسم ، إن أمثال هؤلاء لا ينكرون ضوء الشمس فحسب ، بل ينكرون وجودها أصلا .

وإنى لأستعمل هنا اسم « مجمع مراكز البحوث » ، لأنه فى الواقع عدد من مراكز البحوث اجتمعت فى موقع واحد ، وهكذا قصد فقيدنا الكبير عندما فكر فى إنشائها ولقد توخى قبل أن يتم وضع برنامج المجمع ورسومه ومواصفاته أن يتم ذلك عن طريق مسابقة دولية عالمية ، اشتركت فيها البيوتات الدولية المشهود لها بالخبرة والكفاية والامتياز .

ثم جاء دور الاختيار من بينها فوكل أمر ذلك إلى هيئة عالمية ممتازة من العلماء اختارها لهذا الغرض بخاصة . فإذا جاء دور التنفيذ كان سبيله إلى ذلك مناقصات دولية عالمية ، اختيرت من بينها الهيئة الأصلح والأقدر على ذلك . وأشرفت على التنفيذ هيئات خاصة أيضاً لم يكن اختيارها بدون الدقة نفسها التى نالتها عمليات أخرى . وعلى الوتيرة نفسها تم تجهيز هذه المراكز .

وكان هو فى هذه الأعمال العقل المفكر المدبر المنسق المؤقت ، وقد راعى فى كل ذلك حركة التطور السريع التى يشهدها العلم فى هذا العصر ، وأهمية نماء العلم والبحوث العلمية والتكنولوجية للجيل الذى كان يعيش فيه والأجيال التى تليه .

لا غرو إذن إذا جاء «مجمع البحوث» آية فى الإعجاز ومثلا أعلى لما تكون عليه المشروعات العلمية فى عصر الفضاء ، قبل أن يأتى هذا العصر .

ولقد كان فقيدنا الكريم عالماً بسجيته يتشبث بالعلم فى كل حركاته وسكناته وكان يؤمن بأهمية العمل الجماعى ودور الجماعة والفريق فى حل المعضلات المعقدة بل كان يؤمن بالفريق ليس من الأفراد فحسب ، بل أيضا من المؤسسات والمعاهد ومراكز البحوث كذلك ، وكان يؤمن بضرورة إشراك الجامعة والجامعيين فى البحوث التطبيقية التى يضطلع بها مجمع مراكز البحوث ، ولذلك كان أهم ما شغله فى إنشاء هذا المجمع أن يكون على مقربة من جامعة القاهرة ، الجامعة الأم ، وقد بذل فى ذلك جهوداً جبارة ، لا يقدرها إلا من اتصل به عن كثب فى أثناء هذا الطور وكانت ثمرة ذلك الجهد الموقع الحالى الذى يلتصق بأراضى الجامعة ، ولم تكن جهوده بأقل فى إعداد هذا الموقع واستصلاحه وتجميله .

وكان المغفور له الدكتور أحمد زكى واحداً من عشرة أسسوا الأكاديمية المصرية للعلوم سنة ١٩٤٦ ، والتى كان لى شرف الاختيار لعضويتها سنة ١٩٤٨ ، ثم كان أن انتخب رئيساً للأكاديمية ، وأعيد انتخابه سنين عدة ، دفعها دفعاً قوياً ، ووضع لها تقاليد رفيعة ، ويكفى أن أقول بدون أية مغالاة : إن الأكاديمية عاشت عصرها الذهبى فى ظل رياسته ، ولا اظن أن سيظهر مثيل له بسهولة فى هذا المجال .

وفى سنة ١٩٥٢ عين وزيراً للشئون الاجتماعية إلا أن عهده بها لم يطل ، كما أننى لست ملما بنواحى نشاطه فى هذه الوزارة .

وعاد إلى جامعة القاهرة سنة ١٩٥٣ مديراً لها ، وكنت عضواً بمجلس الجامعة ولعل أهم ما أذكر له فى تلك الوظيفة وهذا المجلس ، ما امتاز به دائماً من حب لحرية الرأى التى لم ينكرها عليه أحد . فكان

سيداتي ، سادتي :

إنكم تقدرون معنا مدى الخسارة التي لحقت بنا بفقد هذا العلم — وذلك الرجل الفذ ، وتقدرون معنا أن الزمن لن يعوضنا عنه بسهولة : فندعو الله تعالى أن يرحمه رحمة واسعة ويسكنه فسيح جناته ، وأن يلهمنا جميعاً الصبر والسلوان ، وأن يوفق الجيل الحاضر إلى اقتفاء أثر هؤلاء الرجال الأفذاذ .

وإني لأشكر لكم من أعماق القلب مشاركتكم لنا ؛ وأدعو الله أن يجنبكم كل مكروه وأن يوفقكم ، كما أقدم العزاء خالصاً إلى أسرة الفقيد الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## كلمة الدكتور عبد المنعم أبو العزم :

( رئيس أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا )

يا أيتها النفس المطمئنة :

يا أيتها الروح التى سكنت إلى بارئها ومازالت تنشر فوق الحياة ظلالها ، ياأيها الغائب الحاضر والراحل الخالد ، سلام عليك من مجمع الخالدين .

السيد الرئيس :

السادة الأجلاء :

قلة « نادرة » من البشر هؤلاء الذين بلغ علمهم مبلغ الريادة والقيادة . . فاستحقوا لقب العالم بحق ، وقلة « نادرة » من بلغ منهم من الأدب مبلغ الروعة والأصالة ، فاستحقوا لقب الأديب بصدق . وأقل من القليل .. هؤلاء الذين حباهم الله نبوغ العالم ، وروعة الأديب فهولاء لا يصلون إلى تلك المكانة إلا بعد لأى وعناء . . وصبر وتمرس ، إنها مكانة ما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم .

وقد تلقاها بفضل الله وبفضل المثابرة عالمنا الراحل وأديبنا الخالد : الدكتور أحمد زكى :

سيداتى سادتى :

إذا كان العرف قد جرى بأن يكون حفل التأبين تخليداً وذكراً لمآثر الفقيد الراحل ، ومجالا نجلو فيه سر عظمته ونسير نحوها ، ونستكنه حقيقتها — فما أيسر ذلك عليكم بصفة عامة لأنكم خالطتموه عالماً ، وصحبتموه أديباً ، وعرفتموه باحثا . . ولعل هذا المكان الخالد قد شهد للدكتور أحمد زكى ،واعترف له بما وصل إليه من مكانة سامية ومرتبة سامقة مهمة فى العلم والأدب والبحث والفكر واللغة

وما أيسر ذلك بالنسبة لى بصفة خاصة فقد بدأت الصلة بيننا منذ كنت طالباً .. أتلقى منه وآخذ عنه . وكنت مع الكثير من علماء اليوم نقعد منه مقاعد للسمع : : نتحرّى منه الرشد والتوجيه .

« رحم الله الدكتور أحمـــد زكى » . أول مرة ردد لسانى هـــذه الجملة غبت فى أعماق ذكرياتى ، وتذكرت يوما لم ولن أنساه .... كنت أنصت إلى المذياع :. وتناهى إلى مسمعى صوت يقول : « رحم الله أم سكينة » : : جـذبنى الصوت فكم ألفته : : والتفت نحوه فقد عرفته : :

كان صوته : وراح يسرد قصة أم سكينة : سيدة ريفية أحكمت غلق الحجرة ومعها حفيدان ، وأوقدت ناراً ، ولما طالت غيبتها عن أهلها فتحوا الباب ليجدوها وحفيديها قد فارقوا الحياة ، ويشرح السبب : المادة العضوية عندما احترقت أنتجت أول أكسيد الكربون وثانى أكسيد الكربون والأول سام وثقيل — تسممت الجدة وحفيداها وفارقوا الحياة .

.. واستمعت إلى قصة «أم سكينة».. والتعليق العلمى الذى علق به . . وقلت عندئذ : أى فلاحة بسيطة تسمع هذا الحديث ولاتعى الدرس .. فى صورة مبسطة محببة إلى النفس! أى عالم ينصت إلى هذا القول ولا يشعر بالدهشة لهذه القدرة النادرة على تبسيط العلم وتقديمه فى صورة مبسطة محببة إلى النفس!

إن مشكلة العالم — وبخاصة علماء الطبيعة والكيمياء والطب وغيرهم — هى :

كيف يستطيع أن يضع فكرته فى وعاء ملائم من اللغة ،وفى اختيار الكلمة ،

وفى صياغة الفكرة وفى التعبير الدقيق الذى يفى بمضمون الحقائق ، ولكن فقيدنا ضرب لنا المثل فى هذا المضمار فكان بلاشك واحداً من أبرز المفكرين والعلماء ..وأبرع الكاتبين والأدباء .

وأعود فأقول : لقد كان أستاذاً ورائداً.. عرف للعلم كرامته ، وللعلماء مكانتهم . ترفع عن الدنيا .. وإباء للضيم ،ورفض لكل مايمس كرامة العلم والعلماء وما أكثر الأمثلة التى تساق دليلا وبرهانا . وكان فى ذلك عظيما كل العظمة ، فهو لم يسق الحديث دفاعاً عن نفسه ، وإنما سما بدفاعه عن الذاتية ،واتجه إلى الموضوعية التى يتسم بها فكر العالم ، ويرتفع إليها قلم الأديب الحر .

ذات يوم من سنة ١٩٥٣ زار أحد المسئولين مبنى المجلس الأعلى للبحوث ( المركز القومى للبحوث حاليا ) .. وأبدى ذلك المسئول فى حديثه شيئا يشير إلى امتهان مكانة المجلس : . فما كان من أستاذنا الراحل إلا أن رد على ذلك فى كتاب كامل سماه « المجلس الأعلى للبحوث : ماضيه القصير وحاضره ومستقبله » تحدث فيه عن العلم ، وعن الأمم المتقدمة والمتخلفة .. وتحدث كثيراً عن العلماء وعن كرامة العلم والعالم . . ولما جاء مجال الحديث عن نفسه قال :

« تمرس مدير المجلس بالبحث العلمى البحت فى أوربا ، ، إذ قضى بها نحواً من من عشر سنوات ، ثم أستاذاً للكيمياء بالجامعة ثم انتقل إلى مصلحة الكيمياء مديراً لها ، فلمس بها الجانب العلمى ، وأضيفت إليه أعمال مصلحة الصناعة فزادت خبرته بالجانب العملى منها ، فلما جاء دوره ودخل المجلس ، أحس برغم هذا كله بمقدار من الجهل عظيم فيما يتعلق بأنظمة هذه البحوث وأحدث الطرق والتنظيمات التى تجرى عليها ».

وهناك جانب لايمكنني — وأنا بصدد الحديث عن مآثر الفقيد — أن أغفله وهو : رعايته لشباب العلماء .. وتنشئتهم على الخلق العلمي القويم ، وحرصه على استقلال الفكر وإبداع العالم ، وابتكاره ، وفي الصدد.. أذكر حادثة وقعت لي :

فقد ذهبت إليه وأنا على أهبة السفر إلى البعثة التي اختارتني لها .. فبادرني بقوله :

« أظنك قد أتيت إلي لسماع نصيحة مني ، ونصيحتي لك : ألا تسمع لنصيحة من أحد عما ينبغي أن تفعله بالخارج ؛ عليك أن تختار لنفسك الأسلوب الذي يوائم طبعك ، ويلائم ظروفك ، وأن ترى بنفسك وبعينك ما في هذا المجتمع الجديد من جديد ، وما يمكنك أن تتعلمه من هناك دون أن تحاول معرفته من هنا .. »

وعند عودتي من الخارج قدمني في محاضرة عامة بقوله :

« من شبابنا العائدين أقدم (فلانا) وحكمي عليه لن يكون بما حققه في الخارج من نجاح أو تفوق .. فإن غيره قد أصابوا مثل هذا النجاح ، ولكني أحتفظ بحكمي عليه حتى يحقق في بلده وفي ميدان تخصصه شيئا نذكره له ، ونتحدث به عنه » :

سيداتي وسادتي :

إن الدكتور أحمد زكي لم يكن مجرد عالم أو أديب . فما أكثر العلماء والأدباء ، ولكنه كان ظاهرة علمية وأدبية . والظواهر فلتات لاتتكرر ، وخوارق لا تتيسر .. وللظواهر خصائص تتميز بها ، وللخوارق سمات تعرف عنها : ومن حق الوفاء أن تكون هذه الظواهر وتلك الخوارق موضع البحث والدراسة .. وأن تظل مثالا حيا نابضاً رائداً ، خالداً لكل دارس وباحث .

وهذا هو واجبنا .. بل هو واجب الأمة : فيأيتها النفس المطمئنة .

ويأيتها الروح التي سكنت إلى بارئها ؛ ويا أيها الراحل الخالد :

سلام عليك من مجمع الخالدين .

## ●● كلمة الأسرة :

**للسيد اللواء حسن عاكف ( شفيق الفقيد )**

سادتى : رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية الموقر :

السادة : رئيس وأعضاء أكاديمية البحث العلمى :

أشكر لكم تفضلكم بالاجتماع فى هذا المكان لتأبين زميلكم ورفيق العمر شقيقى الدكتور أحمد زكى . وما دمنا فى ذكر بعض ما يتصف به الدكتور من صفات ، فأود أن أذكر موقفا أخيراً له قبل رحيله عنا بيومين وقد لازمته فى رحلته الأخيرة حتى آخر ساعاته فى هذه الدنيا — وإن دل هذا الموقف على شئ فإنما يدل على ما جبل عليه الدكتور أحمد زكى من تفان فى العمل وأداء للواجب حتى ساعاته الأخيرة. وقد كان يعلم — رحمه الله — عن مرضه الشئ الكثير وأن النهاية قد قاربت أو كادت .

قبل وفاته بأيام قليلة طلب منى « مسودة » Block - note ليكتب فدهشت وسألته : وماذا أنت كاتب؟ قال : « أريد أن اكتب افتتاحية مجلة «العربى » لشهر ديسمبر» . فقلت له : «وأنت على هذا الحال؟! » ، فأجاب : «أنت يا حسن لا تعرف القوم فى الكويت وأفضالهم علىّ . هم عرب ذوو وفاء ، فى زمن عز فيه الوفاء وندر » ، فأنصت لما طلبه على كره منى وأحضرت له مطلبه فكان — رحمة الله عليه — يكتب ليستريح ثم يستريح ليكتب . وكان موضوع المقال — على ما أذكر — عن الشرطة وواجبها فى البلاد العربية ، وما جد فى تلك البلاد من جرائم وأحداث مستوردة ، لم تكن معروفة من قبل لدى العرب الأصلاء ، وقد أكمل — رحمة الله عليه — المقال أو كاد ، ثم طلب منى بعدها أن أبرق لأسرة مجلة «العربى » بأن مقال شهر ديسمبر فى الطريق ، ففعلت ، وبعد يومين وصلت برقية من الكويت من مجلة «العربى» يعلنون فيها ابتهاجهم الشديد بتماثل الدكتور أحمد زكى للشفاء وأنهم فى انتظار المقال وغيره بفارغ الصبر ، وكان المرحوم الدكتور أحمد زكى قد أسلم الروح قبل قبل وصول البرقية بساعات ، فلم يطلع عليها .

وبعد وفاة الدكتور زكى بأيام اتصلت بزميلين عزيزين عليه هما : الأستاذ أمين محمد عدلى ، والأستاذ محمد الطنطاوى من أسرة أخبار اليوم وسردت عليهما ما حدث وأن المقال موجود طرفى ، فحضرا وتفضلا مشكورين بإرسال المقال بخط المرحوم الدكتور زكى كما هو على المسودة إلى مجلة «العربى» بالكويت ، ولعله يصدر فى افتتاحية شهر ديسمبر المقبل .

وفى الختام أود أن أشكر لكم جميعاً باسمى ، وبالنيابة عن الأسرة ، تفضلكم بالاجتماع فى هذا المكان لتأبين شقيقى المرحوم الدكتور أحمد زكى

وأخيراً ، أرجو منكم المعذرة إن كنت قد ألحنت فى كلمتى هذه أمامكم ، وأنتم جهابذة اللغة العربية ، فعذرى أننى كنت بعيدا عن هذا الميدان لم أنهل منه إلا بمقدار .

والسلام عليكم ورحمة الله

---

## كلمة الختام :

**الدكتور ابراهيم مدكور ( رئيس المجمع )**

سيداتى ، وسادتى :

لا يسعنى فى ختام هذه الجلسة إلا أن أتقدم بخالص الشكر لكم جميعاً على سعيكم المشكور لمشاركة المجمع حفل تأبين فقيده المرحوم الدكتور أحمد زكى ، والحق أن راحلنا العظيم قد استطاع ، بما بذله من جهد فى ميدان العلم والمعرفة ، أن يبعث الحياة فى الكيان العلمى لا فى مصر وحدها بل فى شتى أقطار الأمة العربية ، ولم يرحل إلى دار البقاء إلا بعد أن أدى الأمانة كما ينبغى أن تؤدى ، وأتم الرسالة كما يجب أن تتم ، على مدى حياته التى امتدت إحدى وثمانين سنة قدوة ، حسنة ومثلا يحتذى لتلاميذه وأصدقائه ومحبيه ، وإذا كان اليوم قد غاب عنا فإن ما خلفه لنا من تراث سوف يظل باقيا على مر الأيام ، وسوف يظل هذا التراث "صرحا شامخا" يلتف حوله محبو العلم ومريدوه ، وكعبة يحج إليها طلاب المعرفة من كل فج عميق ، حاملين الأمل فى يوم يحقق فيه العلم آمال الإنسان فى كل مكان ، وفى كل زمان ، وكفى بذلك مجداً ، وخلوداً .

ورفعت الجلسة ، وشكرا لكم .

# من أنباء المجمع

## تجديد انتخاب نائب رئيس المجمع :

فى الجلسة التى عقدها مجلس المجمع فى ٢ من صفر سنة ١٣٩٦هـ الموافق ٢ من فبراير سنة ١٩٧٦ جدد الأعضاء انتخابهم للأستاذ زكى المهندس نائبا لرئيس المجمع ، لأربع سنوات أخرى ، تبدأ من ١٩٧٦/٣/١٦ .

## عضوان جديدان :

فاز بعضوية المجمع العاملة فى الجلسة التى عقدها مجلس المجمع فى ٤ من المحرم سنة ١٣٩٦هـ الموافق ٥ من يناير سنة ١٩٧٦ كل من:

الأستاذ محمد عبد الله عنان فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الدكتور عبد الحكيم الرفاعى .

والدكتور شوقى ضيف فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ الشيخ عطية الصوالحى .

وكلمات استقبالهما منشورة فى هذا الجزء من المجلة .

## اعضاء مراسلون :

وافق مجلس المجمع ومؤتمره ـ فى الدورة الثانية والأربعين ـ على اختيار بعض الأعضاء المراسلين الجدد ، وهم السادة :

* الأستاذ ابراهيم القطان ( من الأردن )
* الدكتور احمد طالب الابراهيمى ( من الجزائر )
* الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس ( من السعودية )
* الأستاذ حسن عبد الله القرشى ( من السعودية )
* الأستاذ جمال محمد احمد ( من السودان )
* الدكتور ابراهيم السامرائى ( من العراق )
* الدكتور عبد الهادى التازى ( من المغرب )
* الأستاذ محمد مزالى ( من تونس )
* الدكتور أمجد الطرابلسى ( من سورية )
* الدكتور احسان عباس ( من فلسطين )
* الدكتور الشيخ صبحى الصالح ( من لبنان )
* الأستاذ منير بعلبكى ( من لبنان )
* الأستاذ الشيخ طاهر الزاوى ( من ليبيا )
* الدكتور مهدى محقق ( من ايران )

| | |
|---|---|
| * الأستاذ فؤاد سيزجين | ( من تركيا ) |
| * الأستاذ رودلف زيلهايم | ( من المانيا ) |
| * الدكتور ديفيد كاون | ( من انجلترا ) |
| * الأستاذ سير جانت | ( من انجلترا ) |
| * الأستاذ أرنالديز | ( من فرنسا ) |
| * الدكتور جريجورى شرباتوف | ( من الاتحاد السوفيتى ) |

**خبراء جدد :**

وافق مجلس المجمع على اختيار بعض الخبراء الجدد للجان المجمع، وهم السادة :

* الدكتور توفيق الطويل أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة ( لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية ) .
* الدكتور اسامة الخولى الأستاذ بكلية الهندسة بجامعة القاهرة ( للجنة الهندسة ) .
* المهندس محمد عبد المجيد الزميتى مدير التخطيط بشركة مصر للطيران ( للجنة الهندسة ) .
* الدكتور صلاح جوهر الأستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة عين شمس ( للجنة التربية وعلم النفس ) .
* الدكتور حسن معوض عميد المعهد العالى للتربية الرياضية للمعلمين ( للجنة ألفاظ الحضارة الحديثة ) .

**صلات المجمع الثقافية :**

** **قام الأستاذ محمد شوقى أمين عضو المجمع بتمثيل المجمع فى مؤتمر اتحاد المعلمين العرب الذى عقد بالخرطوم فى الفترة** من ٦ الى ٨ من يناير سنة ١٩٧٦ .

** بعثت هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية بكتاب الى المجمع تطلب رأيه فى تسميتها ، وتقترح أن تسمى « هيئة الاتصالات السلكية واللاسلكية » ، وأن تسمى وزارة المواصلات « وزارة الاتصالات » ، وقرر مجلس المجمع فى جلسته المنعقدة فى ١٩٧٥/١٢/١ احالة هذا الموضوع على لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة ، ثم لجنة الألفاظ والأساليب .

** ارسلت منظمة العمل العربية الى المجمع قائمة بمصطلحات العمل ذات الدلالة الواحدة التى تختلف مسمياتها فى عدد من الدول العربية ، طالبة رأى المجمع فيها ، ومقترحاته بشأنها . وقرر المجلس فى جلسته المنعقدة فى ١٩٧٦/٢/٩ احالتها على لجنة القانون .

** أحالت وزارة الخارجية بجمهورية مصر العربية الى المجمع كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بشأن التشريعات الخاصة بالملكية الأدبية والفنية ، وحقوق التأليف، وعهد مجلس المجمع الى الدكتور أحمد عز الدين عبد الله عضو المجمع باعداد مذكرة فى هذا الموضوع ، فقام بدراسته، وأعد فيه المذكرة التالية :

## حول ما جاء بمذكرة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتاريخ ١١ من مارس سنة ١٩٧٦ بشأن حماية حق المؤلف

تطلب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، فى مذكرتها المشار اليها ، الاجابة عن أسئلة معينة في مجال حماية حق المؤلف . وتتلخص الاجابة المطلوبة فيما يلى :

أولا — يوجد تشريع مصرى لحماية الملكية الأدبية والفنية هو القانون رقم ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤ بشأن حماية حق المؤلف ، وقد سبق اصداره مساهمة من مصر فى النشاط الدولي الخاص بحماية حق المؤلف منذ سنة ١٩٢٥ ، وواضح من مذكرته الايضاحية أن المشرع قد استلهم فيه الكثير من القواعد المقررة فى الاتفاقات الدولية الخاصة بحماية حق المؤلف ، وبخاصة اتفاق (برن) الخاص بحماية المصنفات الأدبية والفنية فى صورته التى كان عليها سنة ١٩٤٨ بعد ما لحقه من تعديلات متعاقبة على تاريخ ابرامه سنة ١٨٨٦ .

وليس ثمة شك فى أن هذا القانون يكفل حماية حق المؤلف فى المجال الداخلى : أما حماية هذا الحق فى المجال الدولى فوسيلته الفعالة هى الاتفاقات الدولية التى تضم قواعد تنظيم هذه الحماية ، أو تضم مشروعا نموذجيا لقانون داخلي بتنظيمها .

ثانيا — يوجد لدى جامعة الدول العربية مشروع قانون بحماية حق المؤلف أعد سنة ١٩٤٧ . ويحسن اعادة النظر فى ضوء ما استجد بعد اعداده من تشريعات حديثة ، صدرت فى بعض الدول العربية أو فى سائر الدول الأجنبية ، وذلك لاعداد مشروع نموذجى تلتزم به الدول العربية أو يهتدى به مشرعوها .

ثالثا — يمكن أن تضطلع جامعة الدول العربية باعداد اتفاق دولى لحماية حق المؤلف فى نطاق الدول الأعضاء فيها . وهذه وسيلة لحماية هذا الحق أكثر فاعلية من الاتفاق على قانون نموذج يهتدى به مشرعو هذه الدول . واذا ما استقر رأى الجامعة على اعداد هذا الاتفاق أمكن موافاتها بمقترحات تتعلق بأحكامه الأساسية .

رابعا ـ تعارض مصالح الدول فى حماية حق المؤلف وأثره فى امكان الانضمام أو عدم الانضمام الى اتفاقية دولية قائمة أو ابرام اتفاقية جديدة ، يظهر فى موضعين : أولهما ـ علاقة الدول النامية بالدول المتقدمة ، وثانيهما ـ علاقة الدول النامية فيما بين بعضها والبعض .

وفيما يتعلق بالموضوع الاول تبذل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة والمنظمة العالمية للملكية الفكرية ، جهودا متواصلة فى حمل الدول النامية على الانضمام الى اتفاقية برن» المبرمة فى سنة ١٨٨٦ أو الى «اتفاقية جنيف» المبرمة فى سنة ١٩٥٢ . وقد جرى فى سبيل تحقيق هذه الغاية :

١ ـ تعديل هاتين الاتفاقيتين فى مارس سنة ١٩٧١ على نحو يزيل تعارض أحكامها مع مصالح الدول النامية ، بل وييسر تحقق هذه المصالح .

٢ ـ اعداد مشروع قانون نموذجى لحماية حق المؤلف دعيت الدول النامية لمناقشته بواسطة خبرائها وتم ذلك فى مؤتمر انعقد فى مدينة تونس فى فبراير ـ مارس سنة ١٩٧٦ . والغاية من اعداد هذا المشروع واقراره هو التمهيد للانضمام لاحدى الاتفاقيتين المذكورتين .

وتجرى فى مصر ـ منذ عدة سنوات ـ دراسة هاتين الاتفاقيتين، لدى الجهات المختصة ( مثل وزارة الثقافة ووزارة العدل والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ) .

وتهتم الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة ( يونسكو ) بدراسة امكان انضمام مصر الى اتفاقية جنيف ( الاتفاقية العالمية لحق المؤلف المبرمة فى سنة ١٩٥٢ ) وشكلت لهذه الغاية لجنة تضم ممثلا لكل من وزارة العدل ، ووزارة الخارجية ، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، والهيئة المصرية العامة للكتاب ، والجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية ، والمجلس الأعلى للصحافة ، ووزارة الثقافة ، والشعبة القومية لليونسكو . وسيعقد أول اجتماع لهذه اللجنة يوم ١٧ من أبريل سنة ١٩٧٦ .

وفيما يتعلق بالموضوع الثانى لتعارض مصالح الدول ، وهو تعارض مصالح الدول العربية فيما بينها ، فان الذى يكشف عنه هو ما تقوم به جامعة الدول العربية من دراسة ، سواء فى اجتماع لدراسة المشروع النموذجى المعد لديها ، أو لاعداد مشروع اتفاق دولى ينظم حماية حق المؤلف .

والواقع أن مصلحة أية دولة قد تتنوع بحسب المصنفات الأدبية والفنية . فقد تكون الدولة مصدرة للمصنف الأدبى وللمصنف الفنى ، وقد تكون مصدرة لأحدهما ومستوردة للآخر . وقد يكون التصدير لدولة والاستيراد من دولة أخرى . وعلى الدولة أن تزن كل ذلك وتوازن بين المتنوع من المصالح مع مراعاة قدر من التصالح .

هذا واذا كان التوفيق بين المصالح هو الجانب العسير فى ابرام اتفاق دولى خاص بحماية حق المؤلف ، فان الجانب القانونى فى ابرامه هو الأقل عسرا . ويتضح من مقارنة أحكام كل من اتفاقية برن واتفاقية جنيف بأحكام التشريع المصرى ( القانون رقم ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤ ) ، أن أحكام اتفاقية برن أكثر اتساقا مع هذا التشريع من أحكام اتفاقية جنيف . ومع ذلك فان هذه الأخيرة قد صيغت فى عموم يتجنب التفاصيل ، مما يجعلها لا تتنافر مع أحكام ذلك التشريع .

ولقد صاحب التفكير فى انضمام مصر الى اتفاقية برن المراحل التشريعية كافة التى مر بها قانون سنة ١٩٥٤ السابق الاشارة اليه . لا بل ان اصدار هذا القانون جاء تمهيدا لذلك الانضمام . والواقع أن الانضمام الى اتفاقية برن أو الى الاتفاقية العالمية ( اتفاقية جنيف ) لا تحول دونه صعوبات قانونية لا يمكن التغلب عليها ، وانما يقوم التراخى فى شأنه من عدم الوصول الى نتائج حاسمة فى تقدير مصلحة الدولة ، وهى على ما يبدو ليست واحدة بالنسبة للمصنفات الأدبية من جانب ، وبالنسبة للمصنفات الفنية من جانب آخر . كما أنها ليست واحدة فى علاقة مصر بالدول المتقدمة ، من جانب وفى علاقتها بالدول العربية من جانب آخر . ولا شك أن تقدير مصالح الدول العربية عند النظر فى انضمامها الى أى من الاتفاقيتين المذكورتين ، وأثر هذا الانضمام فى علاقة الدول العربية بعضها مع البعض الآخر ، لا يتيسر اجراؤه الا بدراسة تتم فى نطاق جامعة الدول العربية ، وتتولاه لجنة تضم ممثلين للدول الأعضاء فيها .

وقد عرضت هذه المذكرة على مجلس المجمع فى جلسته المنعقدة فى ١٩٧٦/٣/٢٩ فأقرها ، وقرر أن يبعث بها الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

---

## مؤتمر المجمـــع

عقــد المجمع مؤتمر الدورة الثانية والأربعين في المدة من ١٩٧٦/٢/٢٣ الى ١٩٧٦/٣/٨ ومحاضر جلســـاته وبحوثه ستنشر فى مجموعة خاصة بها .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

**محمد حمدى السعيد**

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٢٠/١٩٧٨

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٤٠٩١ ــ ١٩٧٨ ــ ٢٠١٠



# مجلة

# مجمع اللغة العربية الملكي

## الجزء الثالث

شعبان سنة ١٣٥٥ هـ — أكتوبر سنة ١٩٣٦ م

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٣٧

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

# مجلة

# مجمع اللغة العربية الملكي

## الجزء الثالث

شعبان سنة ١٣٥٥ هـ — أكتوبر سنة ١٩٣٦ م

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة لجنة المجلة

الحمد لله كفاء نعمته ، والصلاة والسلام على نبيه المبعوث بهداه ورحمته .

أما بعد ؛ فهذا هو الجزء الثالث من مجلة ( مجمع اللغة العربية الملكيّ ) ، تزفه ( لجنة المجلة ) إلى قرائها فى دنيا الضاد ، مرددة فيه ، عودا على بدء ، ما جهرت به فى سابقَيه ، من دعوة أهل البصر بهـذه اللغة ، وحماتها الدائبين على نصرتها ، وإعلاء مكانتها بين اللُّغى ، أن يتخذوا هذه المجلة مثابة وملتقى لأقلامهم ، ويُمدُّوها بما نضج من ثمرات دراساتهم ، ونفحات ملكاتهم ، غير ضانين بما يعنّ لهم فى بحوثها ، تحقيقا لمعنى التعـاون بينهم وبين المجمع ، على إنعاش هـذه اللغة من عثارها ، وإعلاء منارها .

والله المسئول ، أن يمدّنا بالعون ، ويكتب لنا السداد ، ويلهمنا الصّواب بمنه ويمنه وتوفيقه .

# آية وفاء

## للمغفور له صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول

أعزز على مجمع اللغة العربية الملكيّ ، وهو يفتتح الجزء الثالث من مجلته ، أن يفتتحه والأسى يمُدّه الأسى ، والشجن يجُدّه الشجن ، حدادا على غارس نبعته ، وحارس حلبته ، ساكن الجنان المغفور له فؤاد الأول مليك مصر ، وعاهلها الأكبر ، الذى كانت حياته الكريمة ربيعا للثقافة والفضل دائما ، وموسما للضاد قائما .

فقد كان هذا المجمع أمنيّة العروبة ، تتردّد فى مخيّلتها ، وتتمثل فيها خيالا ولكن لا تتمثل بحقيقتها ، لعزة الظفر بها ، من نكول الهمم عنها ، وتخاذل القُدَر من دونها ، إذ كان فضل الأمل يقصّر عنها فيقصر على امتداده ، ويتعثر دونها فى ارتداده ، وما زالت هذه الأمنية تساير الزمان فى عصرٍ عصرٍ ، حتى وكلها التاريخ إلى همة فؤاد الأول ، وهى الهمة التى كانت تخرج الممكن من المستحيل ، فاسمحت وتطأمنت ، وسرعان ما خرجت من خفائها ، وتمثّلت فى هذه الدارة للعيان .

كذلك أعاد مأمون العصر ، خليفة إسماعيل ، فى القاهرة قاعدة ملكه ؛ دار الحكمة التى أقامها مأمون عصره ، خليفة الرشيد ، فى بغداد قاعدة مملكته ؛ فالتقت كلتا القاعدتين فى دار ، واجتمعتا على بعد ما بين الزمانين فى مدار .

وقد أصبح المجمع بفضل المغفور له فؤاد الأول عصمة وأَمَنة للُّغة ، وأمسى نعمته مهوَى لأفئدة الناطقين بالضّاد ، تتحد به لهجاتهم ، وتثبت به على الزمن ملكاتهم ، وإن المجمع لجدير ، إن شاء الله تعالى ، أن يبلغ بهذه اللغة مسايرة الحضارة العالمية ، بما يضعه من مصطلحات وقواعد ، تفى بحاجات العلوم والفنون المجدّدة والمستحدثات المعدّدة .

ولئن كانت كلمة إسماعيل التي سارت مسير المثل ، "إن مصر قد أصبحت قطعة من أوربة" ، لقد كانت آية الملك فؤاد الأول أن بث في مصر من روحه ، فانبعثت ناهضة تتوثّب للحياة ، وتأخذ غاياتها دراكا .

ولقد وصل — أثابه الله — بين مصر وأقطاب العلم في أوربة ، فاستقدم فئة منهم ، وحبّب إليهم المقام فيها ، فأقاموا على الرحب والكرامة ، عنصرا ثمينا ممتزجا بعناصرها القوية .

وكان من حسن إحكامه لتلك الصلة ، أن أصبحت مصر مثابة للمؤتمرات الدولية المختلفة ، فلا يكاد يحول حول حتى ينعقد فيها مؤتمر ، يكون على نهضتها شهيدا . وبفضل منهضها مشيدا .

ومن آياته المبصرة ، أن زيدت — بفضل إرشاده الحكيم — البعوث العلمية زيادة مطّردة ، فجعلت الحكومة ترسل في كل سنة أمدادا من الطلبة إلى حواضر أوربة ، لترد فيها مناهل العلم وتتزوّد فنهض التعليم نهضة ثابتة الأركان، مرجوة المخايل ، وصعد التعليم الفنّي مستوى لم يصعده من قبل ، وأنشئت المعاهد ، وألفت الجماعات التي هي قوى عاملة في نواحي الحياة الاقتصادية والتشريعية والصحية والزراعية وغيرها ، ورقت مرافق البلاد العامة رقيا ناميا ، وغدت النهضة الفكرية بعيدة الغور ، متصلة بالحياة العامة ، أوثق اتصال وأتمّه وأحكمه .

ومن مآثر جلالته الباقية ، ذياده عن الخيّر من التقاليد القومية ، ومقوّمات الأمة ، وقيامه دونها حجازا قويا ، يردّ عنها عوامل التفكك والانحلال .

وكان لا يفتأ يدعو إلى ذلك ، ويحثّ عليه ، تارة بالقدوة الكريمة ، وأخرى بالكلمة الحكيمة ، في كلّ بداة تبدو ، وشأنٍ يعرِض ، ويأخذ لأمته ولمملكه من الرقيّ بأسباب ، ويفتح لها من الحضارة كل باب .

تلك صورة موجزة للنهضة العلمية التى أينعت فى حياته العزيزة على الأمة ، السامية على العصر ، الكريمة على التاريخ . وهــذا ما وسعه المقام من بعض مناقبه ، و إن كان منها ما يربى على قدر الثناء . ولا يقوم بحقه رثاء .

فلا بدع إذا تعاظمت الأمة الفجيعة فيه ، وتكاءدها الوجد عليه .

و إن مجمع اللغة العربيــة الملكىّ وهو غرس يمينه ، ليجد عليه كفاء وجوده واعدا أن يظلّ ، كما كان ، مترسما مشيئته ، مستهديا هــداه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

محمد توفيق رفعت

# آية ولاء

## لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

---

إن مجمع اللغة العربية الملكي ليتوجه بأوجب واجبين ، من عزائه وولائه ، إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، مستمدّا من رعايته الملكية الكريمة ، ما يكفل لهذا الغرس ، الذى غرسته أندى يد ، أن ينمو نماءه ، ويزكو زكاءه .

وإن فى كرم منبته ، ومجادة تنشئته ، ما يفى برجاء مصر فيه ، أن يكون لنهضتها السعيدة مسعدا ، ولخطاها السديدة مسدّدا ،

وما كان هذا الرجاء وليد يومه ، فقد ولد بمولد جلالته ، وفى هالته طلع ، وفى جِواره أَيفع ، ثم شب فى شبابه ، وساير ظله ، فكانا أنبل صاحبين ، وأكمل صنوين .

وقد شهد ، بنفسه الكريمة ، من يوم عودته إلى مصر ، ما تكنّه الأمة لحضرته الملكية من الحبّ والولاء ، وما تسره وتعلنه من الإجلال والوفاء . فقد استقبلت فيه موئلها المرجّى ، وعاهلها المفدّى .

وكان ذلك من دلائل الحب له ، والتأميل فيه ، والتعويل عليه ؛ ولا بِدع فقد طلع فى حِدادها أكرم عزاء ، وكان لإسعادها نعم العون والرجاء .

وقد لمح — أعزه الله — جليل الأمانىّ وهى تجيش فى صدر أمته ، فكاشفها بأنه سيكون ملاكها ، إذ تفضل فأذاع أنه سيسير على نهج جلالة والده ، ويقتفى كريم أثره .

وإن هذا المجمع ليتيمّن بارتقاء جلالته عرش أسلافه الغر الميامين ، وهو ، — إن شاء الله تعالى — بالغ فى ظله الضافى ، أمله ورجاءه ، بفضله ومنّه وتوفيقه ما

محمد توفيق رفعت

---

# المغفور له الأستاذ الجليل الشيخ حسين والى

فجع "مجمع اللغة العربية الملكى" فى العالم الحجة الثقة، صاحب السيادة والفضيلة الأستاذ الكبير المغفور له الشيخ حسين والى ، عضو المجمع ، وعضو هيئة كبار العلماء ، ورئيس لجنة الفتوى بالجامع الأزهر، وعضو مجلسى الشيوخ الأسبقين .

وافته منيته ليلة السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ١٣٥٤ هـ (غاية فبراير سنة ١٩٣٦ م) حين أوشكت دورة المجمع الثالثة أن تنتهى ، فعقد المجمع خاتمة جلسات الدورة متحزنا متفجعا ، ذاكرا للفقيد الكريم — رحمة الله عليه ورضوانه — حياته الحالية بالمآثر، الحافلة بالمفاخر، إذ مضى عن نحو سبعين عاما قضى فى خدمة العلم والدين بجرها وضحاها ، ووصل فى نصرة اللغة والأدب أولاها بأخراها .

وسيوفى المجمع الفقيد العظيم حقه من التأبين والرثاء فى الجزء الآتى من المجلة .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأحسن فى جواره جزاءه ، وألهمنا وآله وعارفيه الصبر الجميل .

# افتتاح دور الانعقاد الثالث

فى يوم السبت ٢١ من شهر شوال سنة ١٣٥٤هـ (١٦ من يناير سنة ١٩٣٦م) وهو يوم افتتاح الدورة الثالثة ، حضر إلى دار المجمع حضرة صاحب العزة الأستاذ أحمد نجيب الهلالى بك ، وزير المعارف العمومية ، وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، شيخ الجامع الأزهر ، وحضرة صاحب العزة شمس الدين عبد الغفار بك ، مدير الجيزة ، وكبار رجال التعليم فى وزارة المعارف ، وجمهرة من أهل العلم والفضل من المصريين والأجانب ، ومندوبو الصحف ، ونخبة من فضليات السيدات المصريات والأجنبيات ، وكذلك جميع أعضاء المجمع ، ما عدا سعادة الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، فقد اعتذر .

وفى تمام الساعة الحادية عشرة ، أعلن حضرة صاحب المعالى رئيس المجمع ، افتتاح الدورة الثالثة ، وألقى خطبة الافتتاح ، وعندما بلغ بالحديث ذكر الاحتفال بانقضاء ثلاثمائة عام على إنشاء المجمع العلمىّ الفرنسىّ ، أطلع معاليه حضرة صاحب العزة الوزير ، وحضرة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر ، على الرمز التذكارىّ الذى أهداه المجمع الفرنسىّ إلى معاليه .

ثم ألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسين والى ، عضو المجمع ، كلمة فى توجيه القرارات التى صدرت فى الدورة الثانية . وعلى أثره ألقى حضرة الأستاذ محمد كرد على بك عضو المجمع ، كلمة عن الأعضاء الشرقيين ، ثم قفى عليه الأستاذ جب عضو المجمع ، بكلمة عن الأعضاء المستشرقين ، وتلاه حضرة الأستاذ على الجارم بك عضو المجمع ، فألقى قصيدة .

ثم أعلن حضرة صاحب المعالى الرئيس انتهاء الاحتفال .

وفى منتصف الساعة الأولى بعد الظهر ، انعقد المجمع برياسة حضرة صاحب المعالى رئيسه ، وبعد المناقشة فى تنظيم أوقات العمل، قر الرأى على عقد جلسات المجمع فى تمام الساعة الخامسة مساء يومى السبت والأحد ؛ وفى منتصف الساعة الحادية عشرة صباحا ، أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء من كل أسبوع .

ثم مضوا جميعا ، يتقدمهم حضرة صاحب المعالى الرئيس ، إلى قصر عابدين فكتبوا أسماءهم فى سجل التشريفات ، تعبيرا عن صدق الولاء لحضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم .

وفيما يلى نص الخطب التى ألقيت فى هذا الاحتفال .

# كلمـــــة

## حضرة صاحب المعالى الدكتور محمد توفيق رفعت باشا
## رئيس المجمع

سيدى الوزير ، سادتى :

لقد عدنا اليوم ، والعود إن شاء الله أحمد ، فأحييكم أطيب التحيات وأزكاها ، وأستقبل معكم ، مستبشرا ، دورة ثالثة لمجمعنا الحديث ، أرجو أن تكون مباركة ، مقبلة بأينع الثمر ، عائدة بالخير جميعه على لغة العرب .

وإذا كان من الوفاء لمسدى النعم أن نذكره كلما ذكرناها ، فإنا — ونحن فى مستهلّ عامنا الثالث — لنذكر مكبرين مليك مصر العظيم ، حضرة صاحب الجلالة مولانا «فؤاد الأول» باعث نهضاتنا ، ومنشئ مجمعنا ، تلبية لآمال البلاد فى أسباب العلاء ، وجريا على سنة أبيه إسماعيل العظيم ، وجده محمد على الكبير ، فلقد كان نشر العلم لهما آية ، وإذكاء النهضات لهما شعارا .

وإذا كان مسجلو التاريخ قد اصطلحوا ، عن حق ويقين ، على اتخاذ عهد ذلكم الجدّ — أعنى رأس هذه العائلة الكريمة — مستهلّ حياة جديدة ، تمشّت فى اللغة وآدابها ، كما انبعثت فى الكثير من وسائل الحياة ، فسيرى التاريخ أن هذه اللغة فى عهد الحفيد تشب شبوبا الى أفق كمالها المقسوم . وأرجو أن يبلغ جهد مجمعنا بها هذا المدى ، ما دام يترسّم ما يوحى إلينا المليك من حكمة ، وما يهدينا له رأيه من سواء السبيل .

هذا ، أيها السادة ، ويهمّنا أن نطالعكم بموجز مما بلغنا فى سبيلنا ، فى أثناء الدورة الثانية ، فمن شاء مزيدا من التفصيل ، ففى الجزء الثانى من مجلة المجمع غناء .

أصدر المجمع، فيما عالج من مهمه، سبعة قرارات: منها أربعة علمية، نرجو أن يكون لها أثرها البعيد فى تصرف اللغة، والتيسير على أهل العلم، ومن يعانون فنون الصناعات، ومن يعالجون الترجمة، أو يتصدون لبث الثقافة بوجه عامّ وذلك بالتوسع فى طرق القياس :

أولها : قرار تكملة مادة لغوية ورد بعضها فى المعجمات ونحوها، ولم يرد سائرها، فلقد قررنا أن بقيتها " حاصلة فى اليد " على حد تعبير ابن جنّى، فأجزنا إكمال مشتقاتها، ومصادرها، وأفعالها، فى غير تردّد ولا تحرّج، ما دامت دلالة كلٍّ من المصدر أو الفعل أو المشتق غير الفعل على البقية واضحة، مطردة، فى تصريف اللفظ. وهذه، ولا ريب، ثروة ضخمة تضاف الى ما بين دفتى المعجمات، وتغنى فى الكثير، من وجوه التعبير، الغناء الكبير.

وثانيها : قرار النسبة الى جمع التكسير عند الحاجة، كإرادة التمييز ونحو ذلك، ورأى المجمع فى هذا أن النسبة الى الجمع قد تكون فى بعض الأحيان أبيَن وأدقّ، فى التعبير عن المراد، من النسبة الى المفرد، وبهذا عدل عن مذهب البصريين القائلين بقصر النسبة على المفرد، إلى مذهب الكوفيين المترخّصين فى إباحة النسبة الى الجمع توضيحا وتبيينا .

وثالثها : قرار صَوْغ ( مَفْعَلة ) قياسا من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول، للمكان الذى تكثر فيه هذه الأعيان. ذلك بأن المجمع رأى أنه قد يحتاج الى هذه الصيغة فى التعبير عن أماكن يكثر فيها نوع من الحيوان أو النبات أو الجماد. فنقول : مَقْطَنة ومَقْمَحة، ومَقْلَمة ومَحْبَرة . . . الخ .

أما القرار الرابع : فقرار صوغ ( فَعَّال ) للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثىّ، لازما كان أو متعديا، ذلك بأننا، إذ نحاول وضع الأسماء لما يعِنُّ لنا من المعانى الحديثة؛ نجد أشياء تشتدُّ فيها بعض الصفات، أو تكثر فيها بعض الأفعال، فمن

الخبر أن يكون الاسم مشعرا بهذه الشِّدَّة أو الكثرة — ومن الصيغ التى تدل على شدّة الوصف أو كثرة الفعل، صيغة ( فَعَّال ) . فدعا ذلك المجمع الى النظر فى هذه الصيغة من جهة اشتقاقها ، وصحة القياس على ما سمع من أمثلتها ، سواء فى ذلك اللازمة والمتعدية . فأصدر فيها قراره بفتح باب القياس ، بعد بحث وتقصٍّ فى كتب الصرف واللغة معا .

وأما خامس القرارات : فخاص بوضع كلمات فى ( شؤون الحياة العامة ) وقد بلغ ما أساغ المجمع منها إحدى وثمانين ومائة كلمة فى مختلف الأسباب الدائرة بين النـاس .

والسادس : ما أقره من كلم تَّتصل بعلوم ( الأحياء والطب ) بعد أن فحصتها اللجنة القائمة على هذا الباب . وقد نيفت على خمسين ومائتى كلمة . وستجدونها كلَّها مضبوطة مشروحة فى الجزء الثانى من المجلة ، وسترون فيها موَاتاة لبعض حاجة العلماء خاصّة ، وبعض حاجة الناس عامة .

أما القرار الأخير : فهو عرض الكلمات التى يُقرُّها المجمع على الجمهور ، متقبلا ما يوجه إليها من النقد الصادق مدى عام من عرضها . وبهذا القرار يكون المجمع قد أشرك معه أهل العلم وأصحاب الرأى كافة ، نعنى أولئك الذين يمحّصون الأشياء، ويقلِّبون وجوه الرأى فيها ، صادرين عن خبرة، ورهافة حسٍّ ، وبراءة نية ، ونحسب أن هـذا أرحب أنواع الشورى جميعا ، فلا حرج علينا بعد هذا إذا فرضنا أن قرارنا إنما هو إجماع من جمهرة الناطقين بالضاد طراًّ . وقد أعددنا خلاصـة لمـا نشرت الصحف من نقد أعمال المجمع ، لكى ننظر فيهـا فى هذه الدورة .

ومما ينبغى أن يذكر، أن لجان المجمع المختلفة، قد والت البحث والتمحيص — فيما بين دورتى الانعقاد — توسُّلا إلى وضـع المصطلحات الفنية فى مختلف العلوم. فاتَّسق لهـا من هـذا صـدر محمود يبلغ نحو الألف فى العلوم الرياضـية ، وعلوم

الأحياء والطب ، والعلوم التاريخية والجغرافية . وستقدم هذه المصطلحات فى هذه الدورة بعد أن توفر على شرحها وتعليلها حضرات أعضاء اللجان ، يعاونهم الخبراء المنتدبون ، وسيكون من هذا مادة جزلة لعمل المجمع فى هذه الدورة . ويضاف الى هذا ، ما أعدّه بعض حضرات الأعضاء من البحوث التى قام بها كلٌّ منهم على انفراد .

*
* *

ولا شك أن مما يَسُرُّ حضراتكم ، أن مجمعنا ، على حداثة عهده ، قد دعى مع مجامع العالم للاحتفال بانقضاء ثلثمائة سنة على قيام المجمع العلمىّ الفرنسىّ . فشخصت الى باريس أمثل مجمعكم فى مائتى وفد ، قصدت اليها من أقطار الأرض ، وقد دعتنى رياسة الاحتفال ، أوّل من دعت ، تحقيقا لقرار اللجنة التنفيذية ، لأقدِّم خطاب التهنئة ، باسم أحدث المجامع نشأةً فى أقدم بلاد العالم حضارة ، الى (جده) المجمع العلمىّ الفرنسىّ ، ذلك المجمع العتيق الذى أوحت اليه حكمة رأيه أن يدعو فى سنة ١٩٢٧ حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك للانتظام فى سلك أعضائه ، توكيدا لما بين مصر وفرنسا من صلات فكرية ، وعواطف ولائية ، ممدودة الأسباب من عهد بعيد.

ولهذه العناية التى لقيتها من المجمع الفرنسىّ ، أزجى إليه فى احتفالنا اليوم ، ما هو حقيق به من الحمد والثناء . وسيزهى مجمعنا بالرمز التذكارى الذى تحلى بصورة رجل فرنسا ، ومنشئ مجمعها ، ريشليو العظيم .

وإن مما يحسُنُ أن يسجَّل ، فى هذا المقام ، مع أوفى الشكر ، وأبلغ السرور ، أن أحد أعضاء المجمع ، وهو الأستاذ فيشر ، جمع فى جزازات جمهرة الموثوق بصحته من متداوَل الكلمات فى القرن الأخير للجاهلية ، والقرون الثلاثة الأولى فى الإسلام . واستهلك فى نقلها وجمعها وترتيبها نيفا وأربعين عاما ، على نية أن يطبعها باسمه معجما خاصًّا ، ولكنه إيثارا لمشرق العربية ، وترجمانها الحق فى هذا الزمان ، رأى أن يخصَّ بهذه الهدية ، مصر ، فيهبها لمجمعها هبة الكريم ، وسيعرض على حضرات أعضاء المجمع فى هذه الدورة نموذج من هذا المعجم .

بين أيدينا كذلك ، أيها السادة ، عمل له بالغ الأثر ، وله جليل الخطر ، وذلكم هو المعجم الخاصّ بمصطلحات العلوم ، وهى كما تعلمون ، تقدّر بعشرات الألوف إذا لم تقدر بمئاتها ، ولغتنا الآن ، مع الأسف العظيم ، قد حرمت الصحيح منها ، اللهم إلا النزر اليسير .

ولا ريب أن من أولى الأمور بالعناية ، فى علاج هذا المعجم ، شرح مصطلحات العلوم بأقلام علماء مختصّين ، بحيث يتّسق لهذا الشرح من الدقة ، وحسن البيان ، ما يواتى التعريفات الجامعة لهذه المصطلحات فى أمهات المعجمات الفرنجية ، تمهيدا للتواضع على خير ما يترجم عنها من صيغ العربية .

ومن مقتضيات هذا السعى ، التنقيب فى المظانّ العربية القديمة ، عسى أن نعثر فيها على مصطلحات عربية جرت بها أقلام أهل الفضل من آبائنا الأولين . كذلك نرانا محتاجين الى الاستعانة بجماعات الرسامين والمصوِّرين لتجلية ألوان الحيوان والنبات والأشكال الهندسية ، والصور الجغرافية ، والآلات ، وغيرها من الأسباب وأجزاء أولئك جميعا .

وبعد ، فإذا كان هذا النوع من المعجمات جديدا على مصر ، فان لجنة المعجم ما برحت تدرس أمثل الطرق وأوفاها لوضع الأسس للعمل ، ونحن نرجو لها توفيقا لتمضى راشدة فى مهمها الجليل .

*
* *

الآن ، وقد أجملت لأسماعكم ، أيها السادة ، ما قمنا وما نحن مجتمعو النية على القيام به ، فى تحقيقًا لأغراض المجمع ، أرى أن ألمّ إلمامة يسيرة ببعض ما وُجِّه من نقد إلى خطّة المجمع ، كانتقاد إيثاره استظهار الغريب من فصح العربية ، على اتخاذ الأعجمىِّ الشائع على ألسنة الناس .

فأما الغريب، فما ينكره بعض الناس إطلاقا ، ويحسون فيه ثقلا على الألسن، ونشوزا على الأذواق . ولهذا نراهم يدعون جاهدين الى ذلك الرأى الآثم : ( خطأ مشهور خير من صواب مهجور) .

والواقع أن الكلمة الغريبة قد يكون لها عند أول نشورها وحشة ، وقد يكون لها فى بعض الأحيان طرافة ، وشعور بالجدّة، كثيرا ما يكون باعثا على إشاعتها وسرعة تداولها بين الكتّاب والمتحدثين ، وهذا مشاهد محسوس دائما ، وخاصّة فى هذه الأيام .

وكيفما كان الأمر ، فإن الكلمة إذا استوحشت فى مبتدإ استعمالها لغرابتها ، فإنها لا تلبث أن يصقلها التداول ، ويجلوها الدوران على الألسن والأقلام . فتخفّ على الأسماع ، وتتألف للأذواق ، ما دامت سليمة من العيب فى أصل بنيتها كالتنافر بين حروفها .

*
* *

وليس يذهب عنا ، فى هذا المقام، أن ننبه هؤلاء إلى أن لغتنا قد تخلفت دهرا طويلا عن مواتاة العلوم، ومسايرة كثيرٍ من أسباب الحضارة ، فلوأننا آثرنا الأعجمىّ الدائر فى كلّ ما يعرض لنا من هـذا ، لأصبح الفصيح بين لغتنا أقلّ من القلة ، ولاستهلكته العجمة استهلاكا ، بحيث لا يصحّ لنا وقتئذ أن نزعم أننا نتحـدث بلسان العرب ، وذلك هو البلاء العظيم .

اللهم إن لغتنا فى نفسها غنية عظيمة الوفر ، فهى إذا قصرت عن الدلالة على طرائف المعانى بأصل الوضع اللغوىّ، ففيها متسع أى متسع للدلالة ، بألوان التجوُّز، والاشتقاق ، وغيرهما ، من طرائق تصريف الألفاظ فى فنون المعانى .

نعم، لا نكران أن هناك ألفاظا لا تتقبل الحياة ولا السيرورة ، لعيب لاحق بأصل بنيتها ، وهذه أرجو أن يجنّبها المجمع بقدر ما يتسع له الإمكان .

ولقد يكون من احتجاج البعض فيما يدعون اليه من الترخص فى اتخاذ الشائع ، وإن لحقه التحريف أو تداخلته العجمة ، أن فى الارتصاد لاستظهار الغريب ، وبعثه ، ومحاولة صقله ، وتفتيح الأذواق له بطول الإدارة وكثرة الترديد على الألسنة والأقلام — تفريقاً للجهود ، وإضاعة للزمن ، وتعويقا للتقدم ، وإثقالا على النهضة العلمية والفنية ، فهلا صرف هذا كله إلى ما هو أجدى على العلوم والفنون ؟

ولقد فات هؤلاء أننا لا نضع الأسماء لهم ، وإنما نضعها لأبنائهم المبتدئين ، الذين لم يضع عليهم بعد زمن فى حفظ ولا استظهار ، حتى يتبدلوا شيئا بشىء ، فالقديم والجديد ، وبذل الجهد فى تلقى الصحيح وغير الصحيح بالنسبة لهم ، فى درجة سواء . فخير لهم بادئ الرأى ، أن يؤخذوا بالصحيح ، ويطبعوا على غراره ، غير مرهقين ولا معنتين .

كذلكم مما ينبغى ألّا يسقط من الحساب ، أنه لو ساغ لكل أمة أن تعدل عن اتخاذ الفصيح من لغتها ، لمثل تلكم الأسباب ، إلى الشائع على ألسنة أبنائها من المحرف والدخيل ، لاختلفت لغات الأمم العربية ، وما اجتمعت على هذه اللغة الكريمة ، وهـذا فى الوقت الذى يدعو فيه المصلحون الصادقون إلى توحيد الثقافة فى العالم العربىّ بأسره ، بحيث إذا استقلّت كل أمة بأرض وطنها ، فإن العربية تظل لها جميعها الوطن العام على تطاول الأزمان .

*
* *

أما بعد ، أيها السادة ، فالذى نرجوه أن تكون دورتنا الجديدة حافلة بالخير والبركة على اللغة ، وأن نفحص عما يقدم إلينا من اللجان ، أو من الأعضاء فرادى ، أو من غيرهم من أفاضل العلماء ، ونقلبه على وجوه الرأى بصبر وحكمة ، متهدّين بالمبادئ التى اجتمع عليها الرأى ؛ ثم نقدمه آخر الأمر إلى الأمة العربية جمعاء ثمرا جنيًّا ، ونرجو أن نرى من وزارة معارفنا ، كما رأينا منها دائما ، عونا صادقا على

تحقيق مهمنا ، ونشر ما ينتهى اليه جهدنا على الجماهير فى يسر ، واقتناء ما تتطاول اليه بحوثنا من الكتب وغيرها من المراجع ، كما نرجو من وزارة المعارف ، ورجالات الفضل فى البلاد العربية كافة ، تعاونا نشيطا ماضيا على إذاعة آثار المجمع بين أبناء بلادهم ، فالمجمع لهم جميعا لا لمصر وحدها .

*
* *

ومما يسرنى أبلغ السرور ، أن أشيد بالثناء على حضرات الموظفين الإداريين بالمجمع وعلى رأسهم صاحب العزة الأستاذ محمد أحمد جاد المولى بك ، تلقاء حسن قيامهم بأعمالهم ، والمعونة الصادقة التى قدموها للجان المختلفة .

*
* *

وإنى أختتم كلمتى — كما بدأتها — بالابتهال إلى الله ذى الجلال والإكرام ، أن يضفى الصحة والعافية على حضرة صاحب الجلالة مولانا المليك المعظم فؤاد الأول ليظل رمز عظمة لهذا الوطن ، ومظهر عزة للغة العرب ، وأن يلحظ بعنايته الصمدانية حضرة صاحب السمو الملكى ولى عهد البلاد المحبوب ، مثابة آمال الأمة ، ومناط أمانيها ، ممتعا بالصحة والهناء ، اللهم آمين .

# كلمة

## حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والى

سادتى :

لى الشرف بأن أقوم بينكم لألقى كلمة فى القرارات السبعة التى رآها مجمع اللغة العربية الملكىّ فى دور الانعقاد الثانى، وبيان مأخذها ، وسبيل الانتفاع بها ، وما رآها إلا عن نظر صحيح ، وحجج قائمة ، وقد دعت إليها الدواعى ، و بعثت عليها البواعث .

و إن المجمع لا تفتُرُ له همة عن خدمة اللغة ، ومعالجة إنمائها بالاشتقاق وغيره ، وقيامها بالأغراض التى يتطلبها الزمان ، مع المحافظة عليها حتى لا يكون هناك ميل عن سَنَن الطريق .

و إذا كان المجمع نعمة على اللُّغة وأهلها ، من نعم صاحب الجلالة مولانا المليك المعظَّم ، أيده الله وأبقاه ، فان من شكر النعمة الدأب على العمل . و إن شاء الله ، رأى الناس أن الطل صار وابلا .

و إنما ألقى كلمتى فى ضوء من بحوثى التى سمعها المجمع ، واعتمد عليها عند النظر فى المسائل :

( ١ ) لقد سنّ المجمع طريقة لإكمال المواد اللغوية التى ورد بعضها ولم ترد بقيتها ، حتى ينتفع بما يجيزه القياس من هذا .

إن كتب اللغة هى مثابة اللُّغويين والأدباء وغيرهم . وقد جمعت و بينت كثيرا . و إن لبعضها اصطلاحا مرشدا ، ولكن فيها وراء ذلكم أصولا لم تذكر مشتقاتها ومشتقات لم تذكر أصولها . وقد يذكر فى بعض هذا أنه لا يقال كذا ، أو لا فعل

لكذا ، أو أن المصدر ممات أو ما شأنه أن يمنع من سد الثلمة . ومرجع هذا إلى كلام العرب . والعرب أمراء الكلام . يتصرفون فيه بالسليقة؛ فتارة يتكلمون بالكلمة ومشتقاتها ، وتارة يتكلمون ببعض المشتقّات دون بعض ، وطورا يحيون الكلمة أو يميتونها . كالمرء يتذوق الشيء فإذا لم يعجبه طعمه طرحه .

فهمنا هذا كما فى كتب اللغة . وإن من اللُّغويين ذوى أحلام كشفوا الغطاء عن بعض ما يُظنُّ أنه محظور، فاذا هو مباح ولو عن طريق القياس، فكان ذلكم من أسباب التكملة التى رآها المجمع . أما ترك الأمر على حاله فإخفار لذمة اللُّغة .

إن من بحث فى كتب اللغة بحث استقصاء ، وكان بصيرا بأصول العربية والاشتقاق ، عرف مواطن الاتفاق والاختلاف ، ومنزلة كلّ من المختلف فيه، وعرف أن كثيرا مما أشرت اليه يجوز فى القياس وإن لم تتكلم به العرب ، فما قيس على كلام العرب ولم يمنع من التكلم به مانع ، كان من كلام العرب، فما وضعت أصول العربية والاشتقاق لما قالوه . وإنما وضعت لما لم يقولوه .

لما رأى المجمع رأيه، جعل المذكور فى كتب اللغة سبيلا الى غير المذكور، وأوى إلى ركن شديد مما حقق علماء العربية . فأزال توهم بعض الناس أن ما لم تنصّ عليه كتب اللغة مطروح ، وأفاد أن أصول العربية هى الأدوات التى تستخرج بها الثروة اللغوية المكنوزة .

ومن الأمثلة قول لسان العرب ( بخَن فهو باخن طال ) والخاء من بخن مفتوحة .

فإذا بحثت فى كتب اللغة عن ضبط عين المضارع وعن المصدر ، فلم تجد ، فهم من تفسير بخن بطال أن بخن فعل لازم . وفُهم من فتح عينه ، أن مصدره هنا على مثال فعول قياسا ، ويفهم من كون عينه حرف حلق ، أنها تفتح فى المضارع قياسا . كدأب يدأب دءوبا . فيقال بخَن يبخَن بخونا .

( ٢ ) ورأى المجمع أن ينسب الى لفظ جمع التكسير عند الحاجة ، كإرادة التمييز أو نحو ذلك .

إن النسب كثير المسالك ، لطيف الألفاظ ، يأتى بالمآرب وشيكا ، فيؤدى معنى كلمات فى كلمة . ولكنه يصاحب شيئا من الاستبهام فى بعض الأحيان ، كما إذا نسبت الى الشجر فقلت شجرىّ ، والى الشجرة فقلت شجرىّ . وههنا تتوجه النسبة الى جنس المنسوب اليه . والجنس واقع فى الواحد وغيره . ولكن مراد المتكلم لا يتضح إلا بشىء آخر .

وإذا أريد النسب الى جمع التكسير فهنالك مذهبان ، كلاهما له نسب ، فى كلام العرب ، مذهب علماء البصرة وهو المشهور ، ومذهب علماء الكوفة وموافقيهم .

ففى المذهب البصرىّ ينسب الى جمع التكسير بردّه الى واحده ؛ فيقال مثلا فى النسبة الى الملوك الملكىّ ، وفى النسبة الى الدُّوَل الدَّوْلىّ ، وفى النسبة الى الكتب الكتابىّ ، كما يقال : فى النسبة الى المَلِك المَلَكىّ ، وفى النسبة الى الدَّوْلة الدَّوْلىّ ، وفى النسبة الى الكتاب ، الكتابىّ . فتستوى النسبة الى الجمع والنسبة الى واحده دون تمييز بينهما .

وإنما كان كلام العرب على هذا النمط ، لأن الأكثر فيه أن يكون المنسوب إليه واحدا لا جمعا . فأجروا حكم الأكثر على الأقلّ .

والجمع الشاذّ ، هو الذى له واحد لم يوافق بناءه ، كالملامح ( وهى المشابه ) جمع اللمحة ينسب اليه بردّه الى واحده على طريقة ، وينسب إليه وجوبا أو جوازا دون ردّه الى واحده على طريقة أخرى قوية ، لأن واحده الذى لم يوافق بناءه فى منزلة المعدوم .

وما لا واحد له كالعباديد[1] ينسب اليه على لفظه ، فيقال العباديدىّ لأنه لما لم يكن له واحد ، أشبه نحو قوم إذ يقال قومىّ .

---

(١) تطلق العباديد على الآكام والفرق من الناس والخيل تذهب فى كل وجه .

ومثل هذا ما كان جمعا فسمى به ابتداء كأنمار ، أو ألحق بالاسم العلم كالأنصار فانه ينسب اليه على لفظه كالواحد ، فيقال أنمارىّ وأنصارىّ .

ومن ثم تميزت النسبة الى الجمع الذى يردّ الى واحده ، من النسبة الى الجمع الذى سُمّى به ، ونحوه ، وشأن الأعلام الظهور . فان عرض اشتباه رفع بما يميز .

وأهل الكوفة يخالفـون أهل البصرة فى مسألة النسـبة الى الجمـع بردّه الى واحده ؛ فيجيزون أن ينسب الى جمع التكسير بلا ردٍّ الى واحده . فلا يغير الوضـع وهذا هو الأصل العامُّ ، وفيه إبداء لإرادة المتكلم ، فيتميز المنسوب الى الجمع ، من المنسوب الى واحده ، فيقال مثـلا فى النسبة الى المـلوك الملوكىّ ، وفى النسبة الى الدُّوَل الدُّوَلىّ ، وفى النسبة الى الكتب الكُتُبىّ ، ويقال فى النسبة الى المَلِك المَلَكىّ ، وفى النسبة الى الدَّولة الدَّوْلىّ ، وفى النسبة الى الكتاب الكِتابىّ ، فلا تستوى النسبة الى الجمع والنسبة الى واحده .

ولقد كثر النسب الى الجمع فيما مضى ، وغلب حتى جرى مجرى الأعلام ، فمثلا قيل الدوانيقىّ لأبى جعفر المنصور الخليفة العباسى ، وقيل لغيره الكرابيسىّ ، والأنماطىّ ، والمحامِلىّ ، والثعالبىّ ، والجواليقىّ ، واستمر النسب الى الجمع على هذا النحو الى الآن .

والمجمع إنما ينسب الى لفظ جمع التكسير عند الحاجة كالتمييز بين المنسوب الى الواحد والمنسوب إلى الجمع .

إن لجنةً من لجان المجمع ، كانت تنظر فيما يعرف بعلم الحياة ، فرأت أنه إذا قيل حيوىّ للجزء مثلا وحيوىّ للعالم ، جرّ هذا إلى الاشتباه . وإذا قيل علم الأحياء كان التمييز . إذ يقال مثلا حيوىّ للجزء وأحيائى للعالم ؛ فاستحسنت تسمية العلم علم الأحياء ووافقها المجمع .

ومن قبل هذا ، سمى تصريف أبى الفتح بن جنىّ ( التصريف الملوكىّ ) .

( ٣ ) ورأى المجمع أن تصلح مَفْعَلة قياسا من أسماء الأعيان الثلاثية الاصول للمكان الذى تكثر فيه هذه الأعيان سواء أكانت من الحيوان أم من النبات أم من الجماد .

إن من لطائف اللغة أن يكون مَفْعَل اسما للمكان الذى يقع فيه الفعل ، كالمذهب والمشرب ، وأن تكون مَفْعَلة صفة للمكان الذى يكثر فيه الشيءُ كما سأذكر. ولزمت الهاء على أن مفعلة فى نفس الأمر صفة للأرض وهى مؤنثة فكانت صفتها مثلها .

وقد بنتها العرب من الجامد الثلاثىّ الأصول ؛ فان كان من مزيد الثلاثىّ الأصول جردته من الزيادة عند البناء . وإنما اختصوا بنات الثلاثة لخفتها .

يقال أرض مَأْسَدة للتى يكثر فيها الأسد ، ومَلَصّة للتى يكثر فيها اللصُّ ، ومَبْطَخة للتى يكثر فيها البطيخ ، وقد جرد البطيخ مما زاد على الثلاثة الأصول .

جاء هذا وأمثاله عن العرب . ولنا أن نتكلم بما جاء عنهم ، وهل لنا أن نقيس عليه فنقول مثلا مغزلة للأرض التى يكثر فيها الغزال ، وقد جرد لفظ الغزال من زيادته . ومَحَسَّة للتى يكثر فيها الحسّ ، ومَتْبَرة للتى يكثر فيها التبر ، إذا كان العرب لم يقولوا هذا ؟

فى المسألة رأيان مبنيان على الاختلاف فى التقدير ؛ الأول أن هذا البناء مع كثرته من قبيل المسموع ، ومعنى هذا أن الكثرة لم تصل إلى حد أن يقاس عليها ، والثانى أن الكثرة وصلت إلى حدّ أن يقاس عليها ، ولهذا الرأى من كلام بعض الأئمة الكبار ما يعضده .

وقد أخذ المجمع بالرأى الثانى لأنه قوىّ ، والحاجة داعية إلى القياس على ما قاله العرب .

( ٤ ) ورأى المجمع أن يصاغ فَعّال للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثىّ اللازم والمتعدّى .

إن بناء فاعل فى اللغة العربية يحتمل قلة المعنى وكثرته ، على ما رأى جمع من العلماء ؛ فاذا قلت فلان ناصر، مثلا جاز أن تكون قد أردت أن النصر يحصل منه قليلا ، وجاز أن تكون قد أردت أن النصر يحصل منه كثيرا .

فاذا أردت أن تكشف عما فى ضميرك من معنى الكثرة والمبالغة بلفظ على مثال فعّال من اللازم والمتعدّى، وكان اللفظ غير موجود فى كتب اللغة فقد، يقف دون إرادتك شئ من الإبهام فى بعض كتب النحو .

فلقد أشار بعض النحويين إلى أن هناك تردّدا فى تحويل فاعل إلى ( فعّال ومِفعال وفعول وَفعيل وفَعِل) أهو قياسى فيجوز فيما لم يسمع عن العرب، أم سماعىٌّ فلا يجوز إلا فيما سمع عنهم أم هو قياسىّ فى ( فعّال ومفعال وَفعول ) سماعىّ فى ( فَعيل وفَعِل) .

ثم ذكر أن هذه الصيغ الخمس — على مذهب البصريين — قياسية فى الثلاثىّ المتعدّى ، ولكن أكثر البصريين على أن فَعيلا وفَعِلا وردا بقلة ، ويؤخذ من إطلاق كثير من النحويين أن التحويل يجرى فى الثلاثىّ المتعدى واللازم ، وفى كلام بعضهم ما يؤيد ذلك ، ويزيد هذا قوة بالنسبة الى اللازم كثرة ما فى اللغة العربية من مثال ( فعّال).

ففى القرآن مثلا التوّاب ، وحلّاف ، ومَشّاء ، وغوّاص .

وفى كتب اللغـة مثلا . بسّام ، وجوّال ، وخطّار ، وسبّاح ، ومن رجع اليها علم أن القياس على ما فيها تطمئن اليه النفس لا كما فى بعض المذاهب .

رأى المجمع أن يأخذ بهذا فى بناء ( فَعّال ) من اللازم كالمتعدى .

وفعّال أصل مطّرد؛ يثنّى ويجمع، ويذكر ويؤنث على القياس المشهور، والحاجة اليه فى الكلام داعية .

فإذا علمت من أصول العربية بناء فاعل من اللازم فلك، من غير رجوع إلى كتب اللغة ، تحويله الى مثال فَعّال للنصّ على كثرة المعنى والمبالغة فيه.

تقول مثلا فلان قعّاد ، إذا لم تجد كلمة قعّاد فى كتب اللغة .

وجمل برّاك — من برك بمعنى استناخ — إذا لم تجد كلمة برّاك فى كتب اللغة.

فان نبت كلمة عن ذوقك ، فإنما هذا لعدم الإلف لا لعدم الجواز .

( ٥ ) ورأى المجمع فى شؤون الحياة العامة أن يختار اللفظ الخاصّ للمعنى الخاصّ . فإذا لم يكن هناك لفظ خاصّ أتى بالعامّ وخصّص بالوصف أو الإضافة ،

لأن العدول عن اللفظ الخاصّ إلى غيره عدول عن وضع الشئ فى موضعه . والكلمة التى فيها عموم ، إذا جىء بها لبعض الأفراد ، لم يستبن منها المراد ، وفى الوصف أو الإضافه استبانة له .

وعلى رأى المجمع جرت اللجنة التى تنظر فى شؤون الحياة العامة ، فمثلا رأت أن الدُّوار يكون من ركوب البحر وغيره ، وأن بعض من يكتبون يقولون لما يكون من ركوب البحر ( دُوار البحر ) على أن هناك كلمةً خاصة بهذا المعنى هى ( الهُدام ) فاختارتها له .

ورأت أنه ليس لغطاء المكتب اسم خاصّ فيما علمت ، فاختارت أن يقال له غطاء المكتب ، بهذه الإضافة للتخصيص ، وقد وافقها المجمع .

( ٦ ) ورأى المجمع أن الاصطلاحات العلمية والفنية والصناعية يجب أن يقتصر فيها على اسم واحد خاصّ لكل معنى .

قد يكون للشيء الواحد فى هذه الاصطلاحات كما يعلم أهلها اسمان أو أكثر . وإنا لنرى الأسماء هكذا عند قوم ، ونراها مختلفة باختلاف الأقوام ( قد علم كل أناس مشربهم ) ومثل هذا فى حين من الأحيان لا يؤمن معه اشتباه على غير العارف ، اذ قد يُفهم أو يُظن أن ما دل عليه هذا الاسم غير ما دلّ عليه الآخر ، فلا تكون سبيل المعرفة واضحة ولا يكون العلم علامة .

إنه إذا اقتصر على اسم واحد للمسمى الواحد، وروعى ما ينبغى أن يكون، اتحد الناس فى الإدراك ولم يضيعوا شيئا من الوقت فى ريب وتردد .

وقد كان فى علم الحساب مثلا اصطلاح هو الصورة والمخرج، ثم حدث اصطلاح غيره هو (البسط والمقام) ولولا أن الثانى أودع الاول ذمة التاريخ، لجاز أن يكون فى الأمر لبس وقتا ما .

( ٧ ) ورأى المجمع أن تُعرضَ الكلمات والمصطلحات التى يقرها ، سنةً على الجمهور بعد إقرارها، ويتقبل خلال تلك السنة الانتقادات التى يعترض بها العلماء .

يعلم المجمع أن اللغة العربية يشترك فيها أهلها كافة ، وأن فى أهلها كثيرا من العلماء بها ، وبفروعها، وآدابها ، لهم أفكار مستقيمة وبحوث مفيدة، وانتقادات لا تخلو من الصواب فلم يبخسهم حقهم، بل جعل لتقبُّل انتقاداتهم أمدا بعيدا يسع القريب مكانه والبعيد مكانه ، ولم يرض أن يكون بمعزل عنهم عند بت الأمر ، وفاء بحق الشركة ، وحرصا على الاتفاق المحمود الأثر .

وأسأل الله أن يوفّق مجمع اللغة العربية الملكىّ لأداء واجبه على الوجه الأكمل فى ظلّ حضرة صاحب الجلالة مولانا المليك المعظم محيي اللغة والعلوم ، أيده الله ومد فى حياته المباركة ، وحفظ حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فاروق أمير الصعيد وولى عهد المملكة المصرية — آمين .

# كلمـــة

## الاستاذ محمد كرد على بك عضو المجمع

سادتى :

بتوفيق الله أتم هذا المجمع دور الرضاعة حولين كاملين ، واليوم يدخل فى دور الحضانة يتعهده أولياؤه ببليغ العناية ويربونه على نحوما يربى الطفل فى خير البيئات لأن حياته مما يهم خمسة وستين مليونا من العرب .

كان من بعض العارفين من أبناء مصر ، مهد هذ الطفل المرجّى ، أن طالبوا من انتدبوا لتعهده ، من يوم مولده ، ببذل أقصى الجهد فى تربيته ، وتنشئته ، و إنماء قواه العقلية ، والجسدية ، حتى يبلغ مبلغ الرجال فى أقصر وقت . وتناول بعضهم الطريقة المقسومة لهذا بشىء من النقد ، كان الباعث لهم ولا شك عليه ، غيرتهم على هذا الوليد ، و إلحاح الرغبة عليهم ، فى أن يروا منه ، لساعتهم ، فتى رشيدا يضطلع بما يضطلع به الرجال .

ولعمرى ما كان شأن هذا المجمع الطفل ، غير شأن الكائنات الحية جميعا . وكيف له بتعجل السنين وطىِّ العصور فى عام أو عامين ؟ اللهم أن لكلٍّ أجلا مقدورا لبلوغ كماله ، والعلم — لا شك — عسير المطلب ، بطئ الخطا ، شديد الحاجة الى الصبر ومطاولة السنين .

إن من عهدت إليهم الولاية على هذا الناشئ ، يشعرون بأنهم فى حاجة الى العون من كل قادر على تغذيته بما يربى غرائزه ، ويفسح فى ملكاته ، كلما تقدمت به السنون . ولهذا فانهم ما برحوا يتقبلون ، مع الحمد ، كلَّ ما يوجه اليهم فى هذا الباب من النقد البرئ . ولست فى حاجة الى الإطالة فى هذا المقام فلقد أغنى فيه بيان رئيسنا العظيم .

سادتى :

إن الوفاء فى العرب من أبرز صفاتهم . ومن الوفاء لمصر أن نخاطبها بلسان المؤرخ الصادق الحس، بأن هذا المجمع الجديد ما كان له أن يخرج من القوة الى الفعل ، لولا عناية صاحب مصر حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول أدام الله دولته ، فهو ابن عزمته القوية، وغرس من غراسه الناضر، فى هذا الوادى البهيج . أراد منه أن يتولى من لغة القرءان ما يرفعها الى أعلى مستوى بلغته عظمى اللغات الحية فى هذا الزمان، حتى يتهيأ للعربية أن تستوى لغة علم وفن كما استوت من قبل لغة دين وعاطفة .

ولقد سار المجمع فى أوضاعه على النهج الذى سنه المليك الأعظم ، وتفضل فأطلعنى عليه حين شرّفنى بالمثول بين يديه من نحو عشر سنين، وعمل بأنحرة ما يمليه الواجب ، فى الوقت الواجب ، على أتم ما يقضى به الواجب . شأنه أدام الله تأييده فى كل ما تحقق فى عهده السعيد من جلائل الأعمال .

إن ملك مصر ما برح منذ اعتلى عرش آبائه الغر الميامين، يبذل كلّ ما أتاه الله من قوة ليجلب السعادة الحقيقية لمصر فى جميع أسباب الحياة، ويعد لبنيها عامة وسائل النهوض جاهدا فيما يعلى مكانتها بين الأمم . فهو الذى كفل جامعتها ورعاها أميرا ، وهو الذى شاد كلياتها العظيمة ملكا ، ديدنه فى الأزهر بما أدخل الإصلاح عليه بانشاء كلياته، وإعظام شأن دراساته، فأصبح بفضل الله مؤسس كليات علوم الدين وكليات علوم الدنيا معا . وليس فوق ذلك مأثرة .

سادتى :

العربية ملك العرب، شارك مليك مصر العظيم فى بعثها أى مشاركة، وسعى لهذا الغرض الكريم بأقصى ما يبلغه جهد ملك عالم، ولسنا ننسى أن من بين أفضاله على العلم واللغة أن فتح أبواب بلاده لكل طالب علم مهما كانت جنسيته ومنتماه ، لينهل من معين معاهدها العالية، ما يؤهله أحسن تأهيل لخدمة العلم، ويؤدبه بأدب مصر

وثقافة مصر فى عصرها الذهبى، الذى يشبه كثيرا عهد الرشيد والمأمون فى بغداد فى الأعصر الماضية .

فلنهتف بحياة صاحب كل هذه المآثر على العلم والحضارة، ولنبتهل الى الله تعالى أن يفيض نعمه على ذاته الشريفة، وأن يمده بروح من عنده ليضيف كلّ يوم صفحة جديدة الى سِفْر أعماله الخالدة فى مصر المحبوبة ، وارثة حضارة الفراعين والعرب، وقائدة الأمم العربية فى سبيل العلاء ، كما نسأله جل شأنه أن يحفظ ولىّ عهده العزيز قرة عين له وللبلاد م

## قصيدة

### الأستاذ على الجارم بك عضو المجمع

ماذا طحا بك ياصنّاجة الأدب ... هلّا شدوتَ بأمداح ابنة العرب ؟
أطارَ نومَك أحداثٌ وجَبْت لها ... فبتّ تنفُخُ بين الهمّ والوَصب
والعربيَّة أندى ما بُعثتَ به ... شجوًا من الحزنِ أو شدْوا من الطَّرب
روحٌ من الله أحيت كلّ نازعة ... من البيان وآتت كلّ مُطَّلب
أزهى من الأمل البسّام موقعُها ... وجَرْس ألفاظها أحلى من الضَّرَب

* * *

وَسْنَى بأخبيةِ الصّحراء يوقظها ... وَحيٌ من الشمس أو همْسٌ من الشُّهُب
تُحْدَى بها اليَعْمَلاتُ الكُومُ إن لَغِبَتْ ... فلا تحسُّ بإنضاء ولا لَغَب
تهتزّ فوق بحارِ الآل راقصةً ... والنَّصبُ للنّيب يجلو كُربة النَصَب
لم تعرف السَّوطَ إلا صوت مرتجز ... كأنّ فى فيه مزماراً من القصب
تصغى إلى صوته الأطيارُ صامتةً ... إذا تردَّدَ بين القُورِ والهضَب
كأنه وظلامُ الليل يَكْنُفُه ... غُشاءة قُذفَتْ فى مائج لجب
قد خالط الوحشَ حتى ما يروّعها ... إذا تعرَّض لم تَنفر ولم تَثِب
يرنو بعينٍ على الظَّلماء صادقةٍ ... كأعين النَّسر أنّى صُوِّبت تُصب
هو الحياة بقفر لا حياةَ به ... كالماء فى الصَّخر أو كالماء فى الحَطَب

يبيتُ من نفسه فى منزلٍ خَضِلٍ ... ومن شَبا سيفِهِ فى معقِلٍ أشِب
يهتزُّ للجودِ والمَشْتاة باخلة ... والقُرُّ يعقد رأس الكلب بالذنب

* * *

تهفو إليه بناتُ الحىِّ معجَبة ... والحُبُّ ينبتُ بين العُجب والعَجب
إذا تنقَّبن إذ يلقَينه خَفَرا ... فشوقُهن إليه غيرُ منتقب
تراه كلُّ فتاةٍ حين تفقِده ... فى البدرِ والسّيف والضِّرغام والسُّحب
زينُ الفِناء إذا ما حلَّ حبوته ... للقولِ لبَّاه منه كلُّ منتخَب
أو هز شيطانُه أوتارَ منطقه ... فاخشَ الأتىَّ وحاذر صولة العُبُب
ما مسّ بالكفِّ أوراقا ولا قلما ... ورأيه زينةُ الأوراق والكتب
يطير للحربِ خِفًّا غيرَ مُدَّرِعٍ ... فى شدة البأس ما يُغنى عن اليَلَب
إذا دعاه صريخٌ كان دعوتَه ... وإن دعتْه دَواعى الذُّعر لم يُجب
لا ترهب الجارة الحسناءُ نظرته ... كأن أجفانه شدّت إلى طُنُب

* * *

جزيرة أجدبتْ فى كلِّ ناحية ... وأخصبتْ فى نواحى الخُلق والأدب
جَدْبٌ به تَنْبُتُ الأحلامُ زاكيةً ... إن الحجارةَ قد تنشقُّ عن ذهب
تودُّ كلُّ رياضِ الأرض لو مُنحتْ ... أزهارُها قبلةً من خدِّها التَّرِب
وترتجى الغيدُ لو كانت لآلئُها ... نظما من الشِّعر أو نثرا من الخُطَب

* * *

يا جيرة الحَرَم المزهوِّ ساكنُه … سقى العهودَ الخوالى كلُّ منسكب
لى بينكم صلةٌ عزّت أواصرُها … لأبناء ملة القرآن والنَّسب
أرى بعين خيالى جاهليّتكم … بالنخل بين القائف الدَّرِب
وأشهد الحشدَ للشورى قد اجتمعوا … ولست أسمع من لهو ولا صخب
من كلِّ مكتهِلٍ بالبُرد مشتمِلٍ … للقول مرتجِلٍ للهُجْر مجتنِب
والمخُ النَّار فى الظلماءِ قد نُصبتْ … لطارق اللَّيل والجيران والسَّغِب
نارٌ ولكنَّها قد صورتْ أملًا … بَرْدًا إذا خابت الآمالُ لم يخب
رمزُ الحياة ورمزُ الجودِ ما فتئتْ … فوقَ الثَّنيَّات تَرْمى الجو باللهب
يَشُبُّها أريحىٌّ كلَّما هدأتْ … ألقى على جمرها جَزْلا من الحَطب
وأبصِر القومَ يوم الرَّوع قد حُشدوا … للموت يجتاحُ أو للنَّصر والغلَب
يرمون بالشَّرِّ شرًّا حين يَفْجَؤهُمْ … ورايهم فوقَهم خفَّاقة العَذَب
وأحضُرُ الشعراء اللُّسْنَ قد وقفوا … وللبيان فعال الصارم الذَّرِب
أبو بصيرٍ له نبرٌ لو اتخذت … منه السِّهامُ لكانت أسهم النُّوب
إذا رماها كما يختار قافيةً … دارت مع الفَلك الدَّوَّارِ فى قُطُب

* * *

وأُغْمِض العينَ حينًا ثم أَفتحها … على جلال بنور الحقِّ مؤتَشِب
نورٌ من الله هال القومَ ساطعُه … وليس يُحْجَب نورُ الله بالحُجب
تكلمتْ سُوَرُ القرآن مُفصحة … فأسكتتْ صَخَب الأرماح والقُضُب
وقام خيرُ قريش وابن سادتها … يدعو إلى الله فى عزم وفى دأب
بمنطقٍ هاشمىّ الوشى لو نُسجت … منه الأصائلُ لم تَنْصُلْ ولم تَغِب
طابت به أنفس الأيام وابتهجت … ومرّ دهرٌ ودهرٌ وهى لم تَطِب

وهزّتِ الراسياتِ الشُّمَّ وارتعدت — لهوله الباتراتُ البيضُ فى القُرُب
وأصبحتْ بنت عدنانٍ بنفحته — تيها تُجرِّر من أذيالها القُشُب
فازتْ بركنٍ شديدٍ غير منصدعٍ — من البيانِ وحبلٍ غير مضطرِب

* * *

ولم تزلْ من حمى الإسلام فى كَنَفٍ — سهلٍ ومن عزِّه فى منزلٍ خصِب
حتى رَمتْها اللّيالى فى فرائدها — وخرَّ سلطانُها ينهار من صَبَب
وعاثت العُجمةُ الحمقاءُ ثائرةً — على ابنة البيدِ فى جيشٍ من الرَّهَب
يقودُه كل ولّاغ أخى إحَنٍ — مضمَّخ بدماء العرب مختَضِب
لم يُبقِ فيها بناءً غير منتقض — من الفصيح وشملًا غير منقضِب
كأن عدنانَ لم تملأ بدائعه — مسامعَ الكون من ناء ومقترب
مضتْ بخيرِ كنوزِ الأرض جائحةٌ — وغابت اللّغة الفُصحى مع الغيَب
لولا (فؤاد) أبو الفاروق ما وجدت — إلى الحياة ابنةُ الأعراب من سبب
أعزَّ منها حمًى رِيعت كرائمه — وكان ممنُوعهُ نَهْبًا لمنتهب
وردَّ بالمجمع المعمورِ غربتها — وحاطها بكريمِ العَطف والحَدَب

* * *

يا عُصبة الخير للفُصحى وشيعَتها — حياك صَوْبُ الحيا يا خيرة العُصَب
هلمَّ فالوقتُ أنفاسٌ لها أمدٌ — ولا أقول بأن الوقت من ذهب
فإنما المرءُ فى الدُّنيا إقامتُهُ — إقامةُ الطَّيف والأزهار والحَبَب
الدَّهرُ يُسرع والأيامُ مُعجِلة — ونحن لم ندر غير الوَخْد والخَبَب
والمحدَثات تسدُّ الشمسَ كثرتُها — ولم تفز بخيالٍ اسمٍ ولا لقب

والترجمات تَشُنُّ الحرب لاحقة | على الفصيح فيا للويل والحَرَب
نطير للَّفظ نستجديه من بلد | ناء وأمثاله منا على كَثَب
كمهرِقِ الماء فى الصَّحراء حين بدا | لعينه بارقٌ من عارضٍ كذِب
أزرى ببنتِ قريش ثم حاربها | من لا يفرق بين النَّبع والغَرَب
وراح فى حملة رعناءَ طائشةٍ | يصولُ بالخائبين : الجهل والشَّغَب
أنترك العربىَّ السمْحَ منطقه | إلى دخيلٍ من الألفاظ مغترب ؟؟
وفى المعاجم كنزٌ لا نفاد له | لمن يميِّز بين الدُّر والسُّخُب
كم لفظةٍ جُهِدت مما نُكررها | حتَّى لقد لهثت من شدة التعب
ولفظةٍ سُجنت فى جوف مظلمةٍ | لم تنظر الشمسَ منها عينُ مرتقب
كأنما قد تولّى القارظان بها | فلم يؤوبا إلى الدنيا ولم تؤب

* * *

يا شيخة الضَّاد والذكرى مخلَّدة | هنا يؤسس ما تبنون للعَقِب
هنا تخطُّون مجدا ما جرى قلم | بمثله فى مدى الأدهار والحِقَب

* * *

لبَّيك يا ملك الوادى ومنشئه | يا حارسَ الدِّين والآداب والحسب
هذا غراسك قد ماست بواسقُه | تداعِب الريحَ فى زَهْو وفى لَعِب
الملكُ فى بيتكم كسبًا وموهبةً | يُزهى على كلِّ موهوب ومكتسَب
سفينةٌ أنت مجريها وكالئها | من الزعازع لا تخشى أذى العطب

وأمةٌ أنت مُجريها وحافزها | في حَلبة السَّبق لا تُبقِ على القَصَب
وديعةُ الله صِينتْ في يدى ملكٍ | لله مرتقِبٍ لله محتسِب
بصيرةٌ كضياءِ الصُّبح لو لَطَمت | غياهبَ الليل لم يُظلم ولم يُهَب
وعزمةٌ كحديد النَّصلِ لو طَلبت | زُهْرَ الكواكب نالت غايةَ الطَّلب
قد صمَّمتْ فمضتْ عجلى لمقصدها | تحثُو التُّراب بوجه الشَّكِّ والرِّيب
فانظر ترى مصر هل تلقى لها مثلا | في صولة الملكِ أو في قوة الأُهَب ؟؟
فثروة من سرى العلم واسعة | وثروةٌ من سرِىّ الجاه والنَّشَب
بنى (فؤاد) بناء الخالدين كما | بنى الغطاريفُ من آبائه النُّجُب
إذا الغمائمُ جافت مصرَ واحتجبتْ | فإنّ برّ يديه غيرُ محتجب
من مُبلغ العُربِ أن الضَّاد قد بلغت | بقُرب صاحب مصر أرفعَ الرتب
أعاد مجدًا لها مالت دعائمُــهُ | فيا لها قُربةٌ من أعظم القُرَب
وحفَّها بسياجٍ من عنايته | كما تحفُّ جفونُ العين بالهدب
إن عقَّها أهلُ واديها وجيرتُها | فأنت أحنى عليها من أخٍ وأبِ
رأتْ برَبْعك عزَّ الملك فانصرفتْ | عن ذكر لُبنى وذكرى ربعها الخرِب
لاذت بأكبرِ معوانٍ لذى املٍ | ناءٍ وأشرف عُنوانٍ لمنتسب
عِشْ للكنانة تبلغْ أوج عزَّتها | وللعلا والنَّدى والعلمِ والأدب
وعاش (فاروق) نجما في تألقه | سعد السُّعود وفيه منتهى الأرب

# كلمـــــة

## الأستاذ ا . هـ . ر . جب عضو المجمع

هل يبقى لرابع القائمين فى هذا المجلس إلا أن يعلن باسمه و باسم زملائه اشترا كهم وسائر الأعضاء فى الابتهال إلى الله تعالى أن يحفظ لمصر وللمصريين وغير المصريين حياة مليكها المعظم مؤسس هذا المجمع ؛ وفى الشكر الموجه الى معالى وزير المعارف لعنايته الشخصية واهتمامه بشؤون المجمع ، وهذا على الخصوص باسم أولئك الأعضاء الذين شملهـم جلالته بلطفه واختارهم ليس من الغرب فقط بل من الغربة ، وجعل لهم مصره وطناثانيا ، ودعاهم ليقوموا ببعض ماقام به الموالى العجم فى القرون الأولى معونة لأبناء اللغة .

وقد أشار الزميـل المحترم السيد محمد كرد على بك الى أن المجمع قد تجـاوز سنّ الرضاعة ، ويدخل الآن فى سن الحضانة ، واحتج بصغرسنه على من يلحّ عليه بأن ينوء بأعباء فوق طاقته الحالية . والمجمع كله يؤيد ولاشك هذا الاحتجاج . وممـا يزاد على ذلك أن سن الحضانة هى فى الوقت نفسه سن التعلم والاستعداد لأعمال الرجولة ، وأن تجاربنا فى سنتى الطفـولة قد برهنت على أن نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربىّ ، يتوقف على استعدادنا لسلوك طريق طويل المدى دارس المعالم — طريق الاكتشاف والتوسع ، وهو طريق لايسلك إلا بشيء من الجرأة ، ولا يسلم من الضلالة فيه إلا من استعدَّ له بكامل العدد ، وليس منا أحد إلا وهو يعترف بأنه تعلم فى الدورتين اللتين مضتا ، كثيرا ولو صرح لى باشارة شخصية لتمنلت تعلم كثيرا جدا ممـا كان يجهله .

أما مدرستنا فليست محصورة بين هذه الجُدُر الأربعة ، بل تمتد إلى حدود العالم العربىّ والى ماوراءها . وياحبذا لو أن العالمين بأنواع العلوم والفنون الذين ينظرون الى المجمع بعين العطف والإخلاص ، أجابوا دعوته إلى الاشتراك معه فى أعماله ،

ولن يتحقق صعوبة وظيفة المجمع فى القرن بين تيار الجديد ، وتراث القـديم ، إلا من جرّبها . فويل للغة ، مصادرها ومعجماتها دون الشعور الحى للناطقين بها ؛ وويل أيضا للغة ، ينطق ويكتب الناطقون بها طوع أهوائهم ويضربون بمعجماتها عرض الأفق ، لذلك كان رجاؤنا الى المخلصين والمنتقدين جميعا ألا يلزمونا التسرع فى إصدار الرأى قبل أوانه .

وبهذه الروح — روح الاجتهاد فى العمل ، وروح التعاون ، نتقدم إلى أعمال الدورة الثالثـة ، عسى الله أن يوفقنا الى أن نجعلها — كما قال معـالى الرئيس وبإشرافه الكريم — حافلة بالخير والبركة على اللغة .

# القسم الرسمى

قرارات المجمع وجزء من أعماله

فى دور الانعقاد الثالث

# قرار طبع معجم

## الأستاذ الدكتور فيشر عضو المجمع

فى الجلسة الثانية عشرة من جلسات دور الانعقاد الثالث ، قدّم حضرة صاحب المعالى رئيس المجمع اقتراحا هذا نصه :

"أقترح أن يطبع معجم الأستاذ فيشر ، وأن يتولى هو تصحيحه بمصر ، على أن يحل حضرته ما يرد إليه من استدراكات حضرات الأعضاء محل النظر والتقدير ، وأن يعاونه من حضرات أعضاء المجمع من يتفق الرئيس معهم ، ومعهم المراقب الإدارى ، الذى يكون له ، مع الأستاذ فيشر ، الإشراف على من يعين من الموظفين لذلك العمل" .

وبعد تقليب وجوه الرأى ، وافق المجمع على هذا الاقتراح بأغلبية كبيرة .

*
* *

## قرار وضع المعجم الاصطلاحى العلمى

فى الجلسة الثانية والثلاثين من جلسات دور الانعقاد الثالث ، قدم حضرة الأستاذ أحمد العوامرى بك ، عضو المجمع ، مذكرة تليت بالجلسة ، وأثبت نصها بالمحضر ، أبان فيها عن الحاجة الماسة إلى وضع معجم علمىّ اصطلاحىّ ينتفع به طلاب العلوم فى الأقطار العربية .

وقد أسفرت مناقشة الأعضاء لتلك المذكرة ، عن القرار الآتى :

"قرر المجمع البدء فى عمل معْجم علمىّ صغير للتعليم الثانوى فى الأقطار العربية وذلك بأن يعين معالى الرئيس ، موظفين مختصّين فى العلوم ( الطبيعية والكيميائية والرياضية وعلوم الأحياء ) مع إجادة اللغة العربيــة ، للقيام بعمل هذا المعجم ،

وما يحتاج اليه من رسوم . ويرى المجمع بعد تعيين هؤلاء الموظفين ، أن يراجعوا معجما علميا صغيرا أوربيا ، وأن يستخرجوا منه جميع الكلمات العلمية الضرورية لطلاب التعليم الثانوى ، وأن يشرعوا فى تقسيم العمل بينهم ، ثم ترجمة الاصطلاحات والتعريفات مع وضع الكلمة اللاتينية أو اليونانية ، إذا كان الاصطلاح من هاتين اللغتين ، أو الانجليزية والفرنسية معا ، ويضاف إلى كل مادة الاصطلاح المستعمل فى بلاد الشرق الأخرى ، كسورية والعراق والمغرب . وكلما أنجز الموظفون قسما ، أرسل إلى كل عضو من حضرات أعضاء المجمع بالخارج ومصر ، ليبدى ما يعن له من الملحوظات ، أو الاصطلاحات أفرادا وجمانا ، ويرسل بها إلى المجمع ؛ ثم تطبع هذه الملحوظات جميعا ، وتعرض على المجمع عند انعقاده ، لإصدار قراراته فيها " .

* * *

## قرار وضع المعجم اللغوىّ الوسيط

فى الجلسة الثالثة والثلاثين من جلسات دور الانعقاد الثالث ، وفى أثناء انعقاد الجلسة حضر حضرة صاحب السعادة محمد على علوبة باشا ، وزير المعارف ، وشهد طرفا من الجلسة ، ثم ألقى كلمة جاء فيها ما يلى :

"ولى رجاء خاصّ ، هو أن يسعف المجمع العالم العربى بمعجم على أحدث نمط عصرى لينتفع به طلاب العلم ، إذ يجدون أمامهم معجما مصورا ، سهل التناول ، ييسر عليهم تحصيل اللغة " .

وفى الجلسة التالية أصدر المجمع بعد المناقشة ، القرار الآتى :

"نظرا إلى حاجة طلاب التعليم الثانوى ، ومن فى مرتبتهم ، وجمهرة المثقفين من أبناء اللغة العربية ، إلى معجم لغوى وسيط ، سهل التناول ، ميسر الترتيب ، مصور ، بحيث يتناول من المصطلحات العلمية الصحيحة ما يتعلق بالأسباب الدائرة بين الناس — يقرر المجمع الشروع فى اتخاذ الأسباب للقيام بهذا العمل ، وأن يعهد إلى لجنة بالشروع فى تحقيقه ، مع رجاء حضرات أعضاء المجمع ، أن يقدموا اقتراحاتهم فى شأن هذا المعجم لرياسة المجمع ليطلع عليها حضرات أعضاء تلك اللجنة للاستعانة بها فى وضع مشروعهم على أكمل وجه ممكن .

# مصطلحات العلوم الرياضية

## التى أقرها المجمع فى دور انعقاده الثالث[1]

| | |
|---|---|
| (١) الزاوية ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | Angle |
| (٢) الزاوية المستوية ... ... ... ... ... ... ... ... ... | Plane Angle |
| (٣) الزاوية المستقيمة الخطين . | |
| (٤) الزاوية القائمة ... ... ... ... ... ... ... ... ... | Right Angle |
| (٥) الزاوية الحادة ... ... ... ... ... ... ... ... ... | Acute Angle |
| (٦) الزاوية المنفرجة ... ... ... ... ... ... ... ... | Obtuse Angle |
| (٧) الزاوية المستقيمة .. ... ... ... ... ... ... ... | Straight Angle |
| (٨) الزاوية المنعكسة ... ... ... ... ... ... ... ... | Reflex Angle |
| (٩) الزاويتان المتتامتان (الزاوية المُتَتامة) | Complementary Angles ... |
| (١٠) الزاويتان المتكاملتان (الزاوية المتكاملة) ... | Supplementary Angles ... |
| (١١) الزاويتان المتجاورتان (الزاوية المتجاورة) ... | Adjacent Angles ... ... |
| (١٢) الزاويتان المتقابلتان (الزاوية المتقابلة) ... ... | Opposite Angles ... |
| (١٣) الزاويتان المتقابلتان بالرأس ... (الزاوية المتقابلة بالرأس) ... | Vertically Opposite Angles |
| (١٤) الزاويتان المتناظرتان (الزاوية المتناظرة) ... | Corresponding Angles ... |
| (١٥) الزاوية الخارجة ... ... ... ... ... ... ... ... | Exterior Angle... |
| (١٦) الزاوية المركزية ... ... ... ... | Angle at the centre of a circle |

(١) نشرت هذه المصطلحات مشروحة فى القسم غير الرسمى .

| | |
|---|---|
| Angle at the circumference of a circle ... | (١٧) الزاوية المحيطية |
| Dihedral Angle ... ... ... ... ... ... ... ... | (١٨) الزاوية الزوجية |
| Solid Angle ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (١٩) الزاوية المجسمة |
| Straight line ... ... ... ... ... ... ... ... | (٢٠) الخط المستقيم |
| Surface ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٢١) السطح |
| Plane ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٢٢) السطح المستوى |
| Triangle ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٢٣) المثلث |
| Vertex ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٢٤) رأس المثلث |
| Side ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٢٥) ضلع المثلث |
| Isoceles triangle ... ... ... ... ... | (٢٦) المثلث المتساوي الساقين |
| Altitude ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٢٧) ارتفاع المثلث |
| Base ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٢٨) القاعدة |
| Congruence ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٢٩) التطابق |
| Equivalence ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٣٠) التكافؤ |
| Similarity ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٣١) التشابه |
| Quadrangle ... ... ... ... | (٣٢) الشكل الرباعى (ذو أربع الأضلاع) |
| Parallelogram ... ... ... ... ... ... ... | (٣٣) متوازى الأضلاع |
| Square ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٣٤) المربع |
| Rhombus ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٣٥) المعين |
| Rectangle ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٣٦) المستطيل |
| Circle ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٣٧) الدائرة |

(٣٨) الدائرة الخارجة ... Circumscribed circle ... ... ... ... ... ...

(٣٩) الدائرة الداخلة ... Inscribed circle ... ... ... ... ... ...

(٤٠) مماس الدائرة ... Tangent (of a circle) ... ... ... ... ... ...

(٤١) الدائرتان المتماستان من الداخل Internally Touching circles ...

(٤٢) الدائرتان المتماستان من الخارج Externally touching circles ...

(٤٣) محيط الدائرة ... Circumference (of a circle) ... ... ... ... ...

(٤٤) مركز الدائرة ... Centre (of a circle) ... ... ... ... ... ...

(٤٥) قطر الدائرة ... Diameter (of a circle) ... ... ... ... ... ...

(٤٦) قطر الشكل الكثير الاضلاع ... Diagonal of a polygon ... ...

(٤٧) قطر الجسم الكثير السطوح ... Diagonal of a polyhedron ...

(٤٨) القوس الدائرية ... Circular arc ... ... ... ... ... ... ...

(٤٩) الوتر ... Hypotenuse ... ... ... ... ... ... ... ...

(٥٠) القطعة الدائرية ... Segment of a circle ... ... ... ... ...

(٥١) القطاع الدائرى ... Sector of a circle ... ... ... ... ... ...

(٥٢) الهلالى .

(٥٣) النعلى .

(٥٤) العدسى .

(٥٥) الساجمى .

(٥٦) المضلع الدائرى ... Circular polygon ... ... ... ... ... ...

(٥٧) النسبة التقريبية ( ط ) ... II ... ... ... ... ... ... ... ...

(٥٨) النسبة ... Ratio ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...

| | |
|---|---|
| Proportion ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٥٩) التنـاسب |
| Terms of a ratio ... ... ... ... ... ... ... ... | (٦٠) حدا النسبة |
| Antecedent ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٦١) المقدم |
| Consequent ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٦٢) التـالى |
| Compound ratio ... ... ... ... ... ... ... | (٦٣) النسبة المركبة |
| Duplicate ratio ... ... ... ... .. ... ... | (٦٤) النسبة التربيعية |
| Extermes ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٦٥) طرفا التناسب |
| Means ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٦٦) وسطا التناسب |
| Fourth proportional ... ... ... ... ... ... ... | (٦٧) الرابع المناسب |
| Third proportional ... ... ... ... ... ... ... | (٦٨) الثالث المناسب |
| Mean proportional ... ... ... ... ... ... ... | (٦٩) الوسط المناسب |
| Continued proportion ... ... | (٧٠) المتناسب المستمر ( المتسلسل ) |
| Trapezium... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٧١) المعين المنحرف |
| | (٧٢) شبه المنحرف . |
| | (٧٣) المنحرف . |
| Parellel lines ... ... ... ... ... ... ... ... | (٧٤) المستقيان المتوازيان |
| Not co-planer lines ... | (٧٥) المستقيان اللذان ليسا فى مستو واحد |
| Solid ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٧٦) المجسم |
| Polyhedron ... ... ... ... ... ... ... ... | (٧٧) كثير السطوح |
| Parallelepiped ... ... ... ... ... ... ... | (٧٨) متوازى السطوح |
| Cube ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | (٧٩) المكعب |

(٨٠) متوازى المستطيلات ... ... ... Rectangular parallelepiped

(٨١) أوجه كثير السطوح ... ... ... ... ... Faces of a polyhedron

(٨٢) السطح الكروى ... ... ... ... ... ... ... Spherical surface

(٨٣) الكرة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... Sphere

(٨٤) مركز الكرة ... ... ... ... ... ... ... ... Centre (of a sphere)

(٨٥) نصف قطر الكرة ... ... ... ... ... ... Radius (of a sphere)

(٨٦) قطر الكرة ... ... ... ... ... ... ... ... Diameter (of a sphere)

(٨٧) الدائرة العظيمة ... ... ... ... ... ... ... ... Major circle

(٨٨) الدائرة الصغيرة ... ... ... ... ... ... ... ... Minor circle

(٨٩) محور الكرة ... ... ... ... ... ... ... ... Axis (of a sphere)

(٩٠) القطبان ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... Poles

(٩١) القطعة الكروية ... ... ... ... ... ... ... Segment (of a sphere)

(٩٢) قاعدة القطعة الكروية ... ... ... Base of a spherical segment

(٩٣) القطعة الكروية الناقصة ... ... ... ... Frustum (of a sphere)

(٩٤) المنطقة الكروية ... ... ... ... ... ... ... Spherical zone

(٩٥) ارتفاع القطعة الكروية . . Altitude of a spherical frustum

(٩٦) القطع الكروى ... ... ... ... ... ... ... ... Spherical sector

(٩٧) الشقة الكروية .

(٩٨) المثلث الكروى ... ... ... ... ... ... ... ... Spherical triangle

(٩٩) المضلع الكروى ... ... ... ... ... ... ... ... Spherical polygon

(١٠٠) المنشور ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... Prism

| | |
|---|---|
| (١٠١) قاعدتا المنشور... ... ... ... ... | Bases of a prism ... ... ... |
| (١٠٢) الأحرف الجانبية للنشور ... | Lateral edges ... ... ... ... ... |
| (١٠٣) المنشور القائم ... ... ... ... ... | Rectangular prism ... ... ... |
| (١٠٤) الهرم ... ... ... ... ... ... ... | Pyramid ... ... ... ... ... |
| (١٠٥) قاعدتا الهرم ... ... ... ... ... | Base of a Pyramid ... |
| (١٠٦) الأوجه الجانبية للهرم ... ... | Lateral faces of a Pyramid ... |
| (١٠٧) رأس الهرم ... ... ... ... ... | Vertex of a Pyramid ... ... |
| (١٠٨) ارتفاع الهرم ... ... ... ... ... | Altitude of a Pyramid |
| (١٠٩) الهرم الناقص ... ... ... ... ... | Frustum of a Pyramid ... |
| (١١٠) السطح الأسطوانى ... ... ... | Cylindrical surface ... ... |
| (١١١) دليل السطح الأسطوانى ... ... ... | Guiding curve ... |
| (١١٢) راسم السطح الأسطوانى ... ... ... | Generator ... ... ... ... |
| (١١٣) السطح الأسطوانى الدائرى ... | Circular cylindrical surface |
| (١١٤) السطح الأسطوانى الدائرى القائم | Right circular cylindrical surface. |
| (١١٥) الأسطوانة الدائرية... ... ... ... | Circular cylinder ... ... |
| (١١٦) قاعدة الأسطوانة الدائرية ... | Bases of a circular cylinder |
| (١١٧) محور الأسطوانة الدائرية ... | Axis of a circular cylinder |
| (١١٨) السطح المخروطى ... ... .. ... | Conical surface ... ... |
| (١١٩) محور السطح المخروطى . | |
| (١٢٠) السطح المخروطى الدائرى القائم | Right circular conical surface |
| (١٢١) المخروط الدائرى ... ... ... | Circular cone ... ... ... |
| (١٢٢) قاعدة المخروط الدائرى ... ... ... | Base of a circular cone |

# مصطلحات الشؤون العامة

## التى أقرها المجمع فى دور الانعقاد الثالث[1]

(١) الإِرَاض ... En. Carpet (large, heavy); Fr. Tapis Grossier

(٢) البِساط ... ... ... ... En. Carpet (in general); Fr. Tapis

(٣) النَّفَّاطة ... ... ... En. Paraffin-lamp; Fr. Lemps à Pétrole

(٤) التَّحْذِيف ... ... ... ... ... ... Coupe des cheveux; Coiffe

(٥) الرَّمَث ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... Radeau

(٦) ا زَفّة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... Voiture de Noce

(٧) المِمْلَقة — الزَّحَّافة ... ... ... ... ... Planche pour Niveler

(٨) المِسْلَفة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... Herse

(٩) المِرْدَس — المِرْداس ... ... ... ... ... ... Rouleau de macadam

(١٠) الميطَدة ... ... ... ... ... ... ... ... ... En. Beetle. Fr. Pilon

(١١) المَنْوار ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... Réverbère

---

(١) نشرت هذه الكلمات مشروحة بشواهدها اللغوية فى القسم غير الرسمى . والرمز En. يدل على اللفظ الانجليزى ؛ و Fr, يدل على اللفظ الفرنسى .

(١٢) المِعْرَض En. Wedding-gown ; Fr. Robe Nuptiale (Robe de soirée).

(١٣) النِّطَاق En. Skirt ; Fr. Jupe ... ... ... ... ... ... ... ...

(١٤) المِنْطَق En. Petticoat ; Fr. Joupon ... ... ... ... ... ... ... ...

(١٥) المِبْذَعة En. Pinafore ; Fr. Blouse ... ... ... ... ... ... ... ...

(١٦) البِذْلة En. Apron ; Fr. Tablier ... ... ... ... ... ... ... ...

(١٧) النِّشير En. Dressing-gown ; Fr. Peignoir ... ... ... ... ... ...

(١٨) المِئْزَر En. loin-cloth ; Fr. Pagne ... ... ... ... ... ... ... ...

(١٩) الكُمَّة (الطاقية) En. Biretta (or) Beret ; Fr. Barrette (ou) béret

(٢٠) الشَّبَكة En. Hair-net ; Fr. Filet (de nuit) ... ... ... ... ...

(٢١) القَرْطَف En. Blanket ; Fr. Couverture ... ... ... ... ...

(٢٢) الزِّرْبِيَّة (ج الزَّرَابِيّ) En. Moquette Carpet ; Fr. Moquette Fine.

(٢٣) الطِّنْفِسَة — الطَّنَافِس En. Carpet (with pile) ; Fr. Moquette (ou) Tapis Velu.

(٢٤) السَّجَّادة En. Prayer-mat ; Fr. Tapis de Prière... ... ... ...

# طائفة من مصطلحات أقرها المجمع

## فى دور انعقاده الثـالث

وهى ما نشر مشروحا فى القسم غير الرسمى من هذا الجزء
وسينشر باقيها فى الجزء الرابع

## ١ — مصطلحات فى الآداب والفنون

Renaissance, the ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... النهضة

Reign of Terror ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... حكم الإرهاب

Episcopal System ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...حكومة القساوسة

Feudal Lords ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... كبار المُقْطِعين

Constituent Assembly ... ... ... ... ... ... ... ... ...المجلس التأسيسى

Franciscans ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... الفرنسسكيون

Directory, the ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...حكومة المديرين

Magna Charta ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... الوثيقة العظمى

States-General ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... مجلس الطبقات

Inquisition, the ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ديوان التفتيش

Alamanni ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...الألَمَان

Franks ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... الفرنجة

National Assembly ... ... ... ... ... ... ... ... ... المجلس القومى

| | |
|---|---|
| Truce (of God) | الهدنه الإلهية |
| Arena | المجتلد |
| Dominicans | الدُّمِنكيُّون |
| Papal Bull | البراءة البابوية |
| Mayor-(s) of the Palace | محافظ القصر |
| Divine Right | الحق الالهى |
| House of Lords | مجلس اللوردين |
| Internationalism | الدَّوليَّة |
| Papacy | البابوية |
| Parliament | الديوان العالى |
| Balance of Power | التوازن الدولى |
| Porte, the (The Sublime Porte) | البــاب العالى |
| Matriarchal System | نظام الأمومة |
| Patriarchal System | نظام الأبوة |
| Guillotine | المِقْصَلَة |
| Edict | أمر ، مرسوم ، منشور |
| Armada (Invincible Armada) | الأرمادا |
| Nationalism | القومية |
| Legislative Assembly | الجمعية التشريعية |

Vandal (s)... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... الوندل

Asceticism... ... ... ... ... .. ... ... ... ... ... ... ... الزهد

Mysticism... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... التأله

Penance ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... التوبة

Bill of Rights ... ... ... ... ... ... ... ... مشروع قانون الحقوق

Huns ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... الهُون

Reformation ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... الإصلاح الديني[1]

Period of Terror ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... عهد الإرهاب

Mendicant Friars or Begging Friars ... ... ... الرهبان المستجدون

National Convention ... ... ... ... ... ... ... ... ... المجتمع القومي

Eastern Question ... ... ... ... ... ... ... ... ... المسألة الشرقية

Absolution... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... الحَلّ

Vassal or Feudatory ... ... ... ... ... ... ... المُقْطَع (المُقْطَعُون)

House of Commons... ... ... ... ... ... ... ... ... مجلس العموم

Excommunication ... ... ... ... ... ... ... ... ... الحَرْمُ الكَنَسِي

Gladiators.... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... المُجَالِدُون

Imperialist (s)... ... ... ... { القَيْصري (القيصريون) — في أوربا / العاهلي (العاهليُّون) — في الشرق

Imperialism ... ... ... ... { القَيْصَرِيَّة (في القرون الوسطى) ... ... / التَّسَلُّطِيَّة (في العهد الحديث) ... ... ...

(١) أعيد النظر في هذا الاصطلاح ووافق المجلس على جعله الإصلاح البروستنتي .

## ٢ — مصطلحات فى العلوم الطبيعية

| | |
|---|---|
| المَسّ المفرد | Single Touch |
| المَسّ المزدوج | Double Touch |
| المَسّ الانفصالى | Divided Touch |
| الحافظ (ج . الحوافظ) | Keeper-(s) |
| الدِّرْع (ج . الدُّرُوع) | Armature-(s) |
| قابلات المَغْنَطة | Magnetic Substances |
| مِجلاة الطَّيْف[1] | Spectroscope |
| السَّيَّال المُوجَب — السَّيَّال السالب ... / السيالان الموجب والسالب | Fluids: positive and negative |
| النظرية الذَّرِّيّة | Molecular Theory |
| الممانعة (استعمال قديم) | Coersivity |
| قطبا المغنطيس | Poles of Magnet |
| الميزان اللَّوَوِىّ | Torsion Balance |
| الأقطاب المتولدة | Consequent Poles |
| الأَنيف | Soft Iron |
| التشبُّع المِغْنَطيسىّ | Magnetic Saturation |

(١) أعاد المجمع النظر فى هـذه المصطلحات فى دور انعقاده الرابع ووضع للأول اصطلاح المطياف ، وللثانى المرصدة ، وللثالث المشباح .

| | |
|---|---|
| Magnetic Induction | التأثير المغنَطيسى |
| Telescope | مِجْلاة النُّجُوم (١) |
| Stereoscope | الإبرة المغنطيسية |
| Magnetic Needle | مجلاة الأشباح (٢) |
| Magnetic Field | المَجَال المغنطيسىّ |
| Artificial Magnet | المِغْنَطِيس الصُّنْعىّ |
| Axis of Magnet | مِحْوَر المِغْنَطِيس |
| Electro-Magnet | المغنطيس الكهربىّ |
| Electro-Magnetism | المغنطيسية الكهربية |
| Coersive or Coersitive Force | القوة المانعة |
| Loadstone ; Lodestone | حجر المغنطيس |

## ٣ — مصطلحات فى علوم الأحياء

| | |
|---|---|
| Zoology | علم الحيوان |
| Zoological | الحيوانىّ (الحيوانية) |
| Zoological Researches | البُحوث الحيوانية |
| Zoologically | من الحيثية الحيوانية |

(١) و (٢) أعاد المجمع النظر فى هذه المصطلحات فى دور انعقاده الرابع ووضع للأول اصطلاح المطياف ، وللثانى المرصدة ، وللثالث المشباح .

| | |
|---|---|
| Zoologist | العالم بالحيوان ـ العالم الحيوانىّ |
| Threadlike | الخَيْطِىّ |
| Globular | الكُرِى |
| Chromatin | الصِّبْغية |
| Aves | الطيور |
| Platyhelminthes | العَرِيضات |
| Annelidæ | الحَلَقيات |
| Arthropoda (or) Articulata | المَفْصِليات |
| Parameciidæ | النَّعْليات |
| Paramecium | النَّعلِىّ |
| Vorticellidæ | اللَّولبيات |
| Vorticellinæ | اللَّولبية |
| Vorticella | اللَّولَبِىّ |
| Coelenterata | اللَّاحَشَوِيَّات |
| Coelemata | الحَشَوِيات |
| Euglenidæ | العَيْنيات |
| Euglenia | العَينية |
| Euglena | العَيْنِىّ |

Euglena viridis ... ... ... ... ... ... ... ... ... العَيْنِيّ الأخضر

Spermatozoa ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... الحُيَيّ المَنَوِيّ

Semi-transparent ... ... ... ... ... ... ... ... ... شِبه الشَّفَّاف...

Appendage (s) ... ... ... ... ... ... ... ... الزائدة (ج . الزوائد)

Mucous Membrane ... ... ... ... ... ... ... ... الغِشاء المُخَاطِيّ ...

Globigerinidæ ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... الأُكْرِيّات

Globigerinæ ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... الأُكْرِيّة ...

Bacillus ... ... ... ... ... ... ... ... القُصَيْمَة (ج . القُصَيْمَات)

Cuticle ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... البَشَرة ، الإِهَاب

Calcareous... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... الكِلْسِيّ

Calcareous Rocks ... ... ... ... ... ... ... ... الصخور الكِلْسِيّة

# القسم غير الرسمى

## المقالات والمقترحات

# مصطلحات العلوم الرياضية

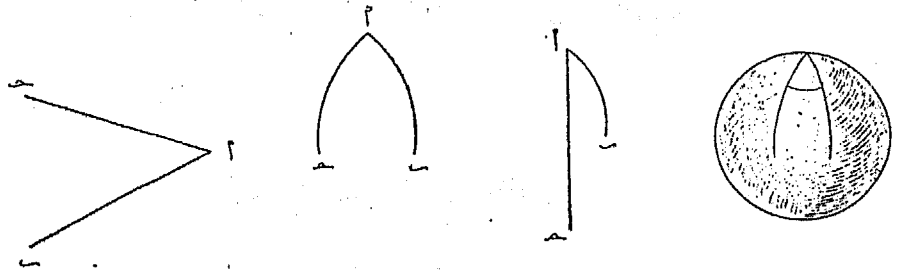
## التى أقرها المجمع فى دور انعقاده الثالث

وقد وضع تعريفاتها حضرة الأستاذ أحمد حسن افندى مدرس الرياضة بالمدرسة السعيدية الثانوية ، وخبير اللجنة ، هذا ، والحرف (ط) يدل على أن الشاهد منقول عن "الطوسى" ؛ والحرف (ع) يشير إلى أن الشاهد مأخوذ عن "العاملى"

---

### ١ — الزاوية — Angle

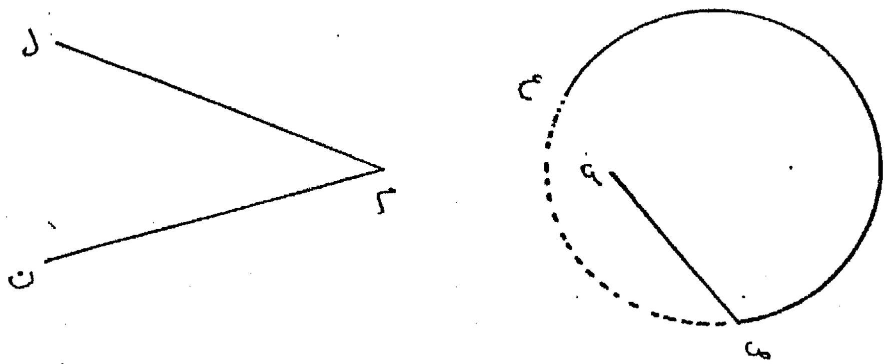
الانفراج المحصور بين خطين متقاطعين ، اسمهما الضلعان .



( شكل ١ )

### ٢ — الزاوية المستوية — Plane Angle

هى ما وقع ضلعاها فى مستو واحد .



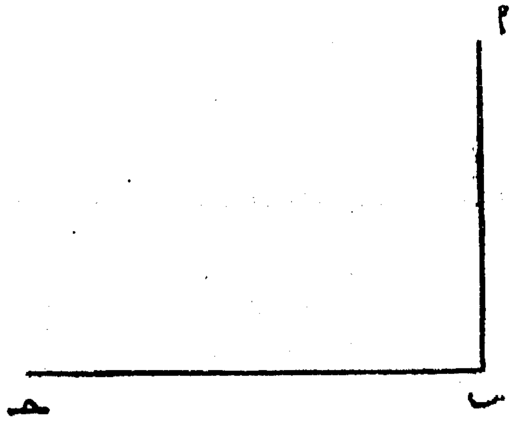
( شكل ٢ )

### ٣ — الزاوية المستقيمة الخطين

هى ما كان ضلعاها مستقيمين . وفى الهندسة المستوية ، يطلق لفظ الزاوية فقط على الزاوية المستقيمة الخطين .

### ٤ — الزاوية القائمة — .Right Angle

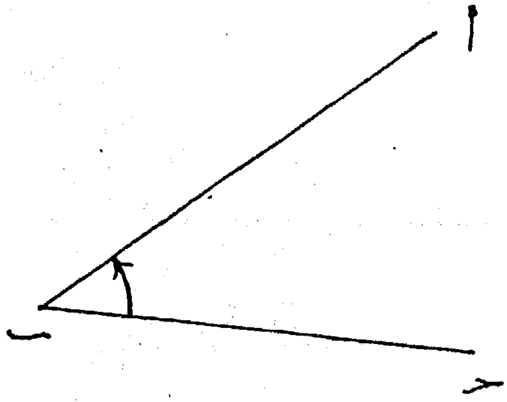
هى التى إذا مد أحد ضلعيها على استقامته من جهة رأسها ، كانت الزاوية الحادة مساوية لها .




( شكل ٤ )

### ٥ — الزاوية الحادة — .Acute Angle

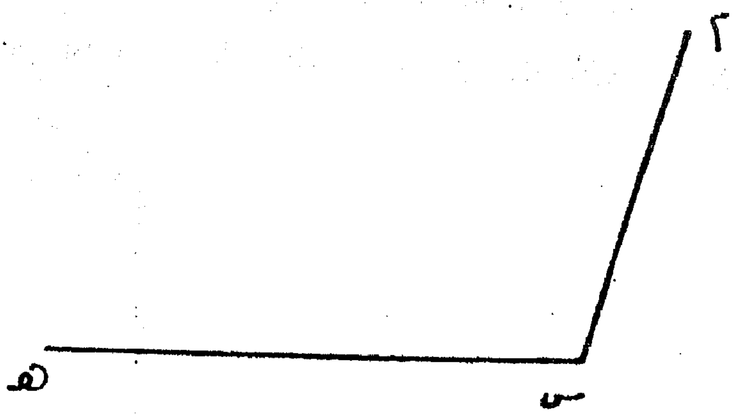
هى ما كان انفراجها أصغر من الزاوية القائمة .




( شكل ٥ )

٦ — الزاوية المنفرجة — .Obtuse Angle

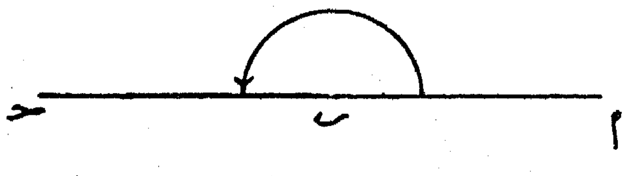
هى ما كان انفراجها أكبر من القائمة ، وأصغر من القائمتين .




( شكل ٦ )

٧ — الزاوية المستقيمة — .Straight Angle

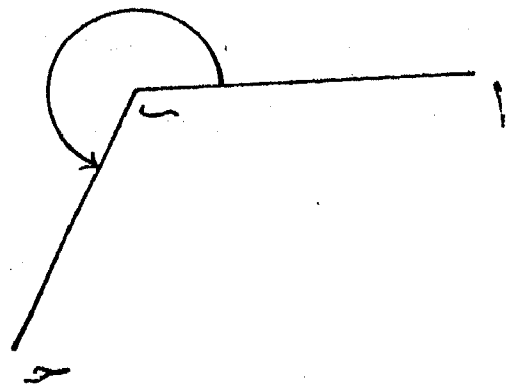
هى ما كان مقدارها قائمتين .




( شكل ٧ )

٨ — الزاوية المنعكسة — Reflex Angle.

هى ما كان مقدارها أكبر من قائمتين وأصغر من أربع قوائم .



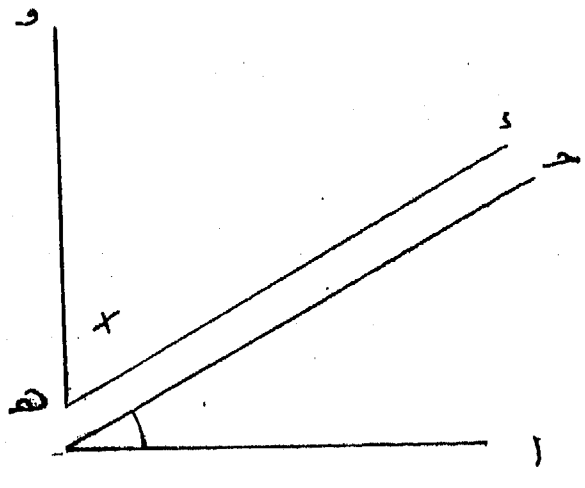

( شكل ٨ )

٩ — الزاويّتان المتتامتان (الزاوية المتتامة)

Complementary Angles.

ما كان مجموعهما زاوية قائمة .

ويقال إن كلا من الزاويتين متممة للأخرى .



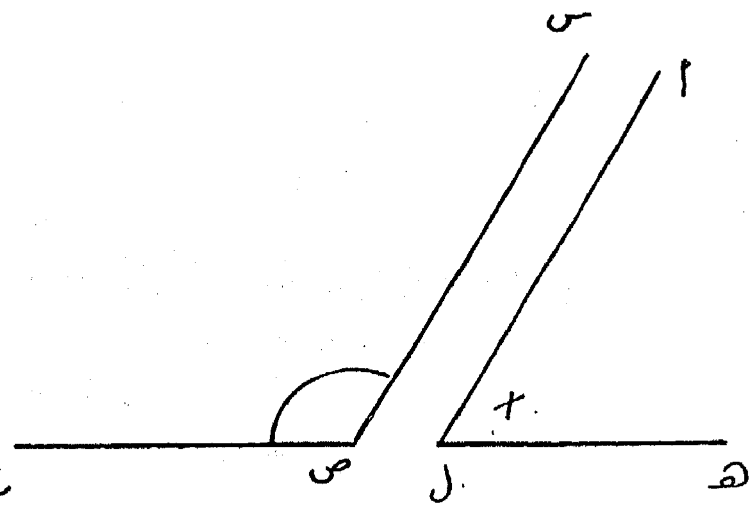

( شكل ٩ )

## ١٠ — الزاويتان المتكاملتان (الزاوية المتكاملة)

Supplementary Angles.

ما كان مجموعهما زاويتين قائمتين .

ويقال إن كلا من الزاويتين مكملة للأخرى .

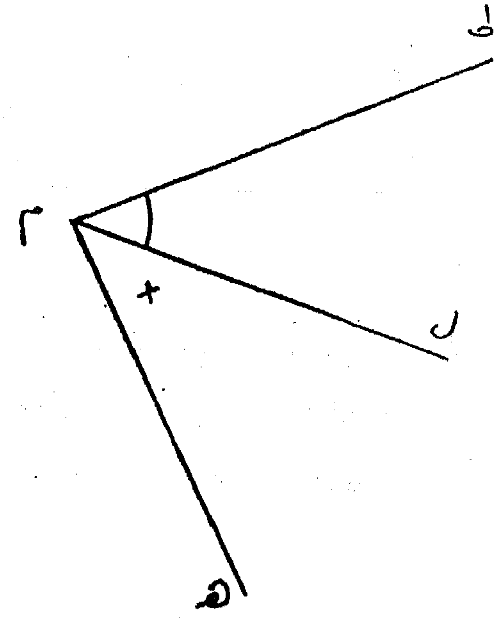



(شكل ١٠)

## ١١ — الزاويتان المتجاورتان ( الزاوية المتجاورة )

Adjacent Angles.

هما ما اشتركتا فى رأس وضلع وكان الضلعان الباقيان فى جهتين مختلفتين من الضلع المشترك .

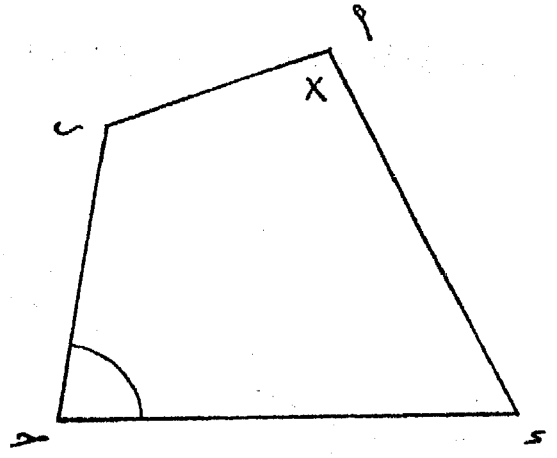



( شكل ١١ )

## ١٢ — الزاويتان المتقابلتان ( الزاوية المتقابلة )

Opposite Angles.

" فى الشكل الرباعى " هما كل زاويتين رأساهما نهايتا أحد قطريه .

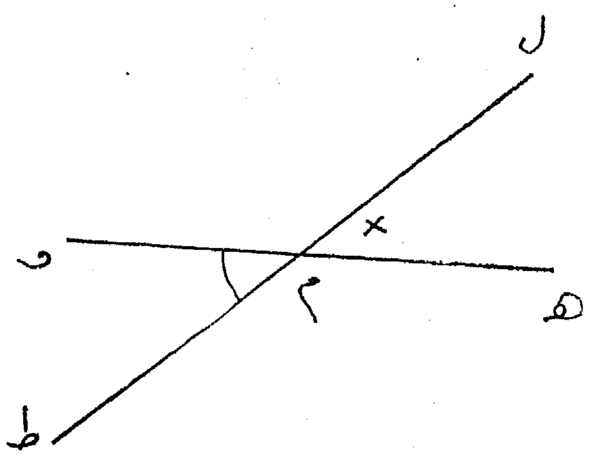



( شكل ١٢ )

## ١٣ — الزاويتان المتقابلتان بالرأس ( الزاوية المتقابلة بالرأس )

Vertically Opposite Angles.

هما ما كان ضلعا كل منهما امتدادَى ضلعى الأخرى .

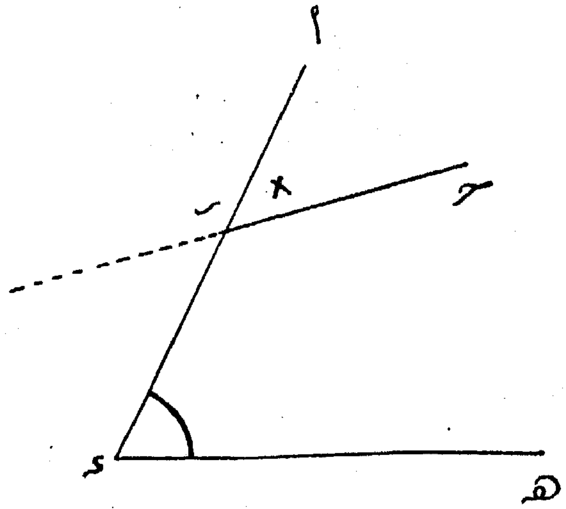



( شكل ١٣ )

## ١٤ — الزاويتان المتناظرتان (الزاوية المتناظرة)

Corresponding Angles.

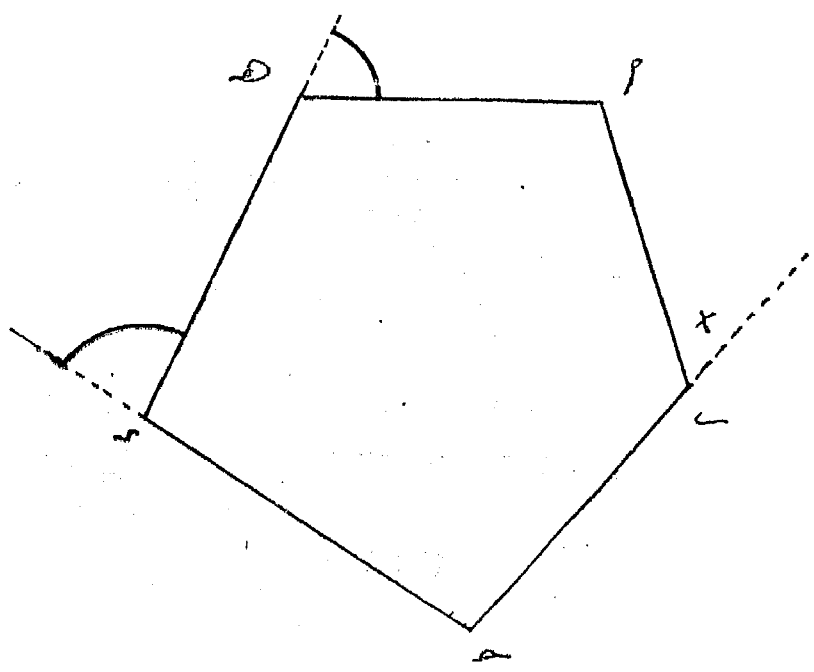
ا اللتان تكون الزاوية المتقابلة بالرأس مع إحداهما ، مبادلة للأخرى .




(شكل ١٤)

## ١٥ — الزاوية الخارجة — Exterior Angle.

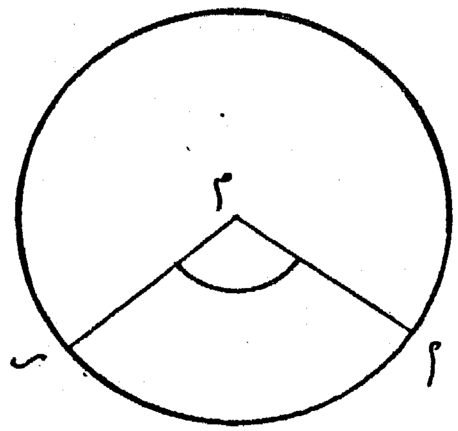
" فى الشكل المستقيم الأضلاع " هى الزاوية المحصورة بين أحد أضلاعه وامتداد ضلع مجاور له من جهة الرأس المشترك .




(شكل ١٥)

١٦ — الزاوية المركزية — Angle at the Centre of a Circle.

هى المحصورة بين نصفى قطرى دائرة .

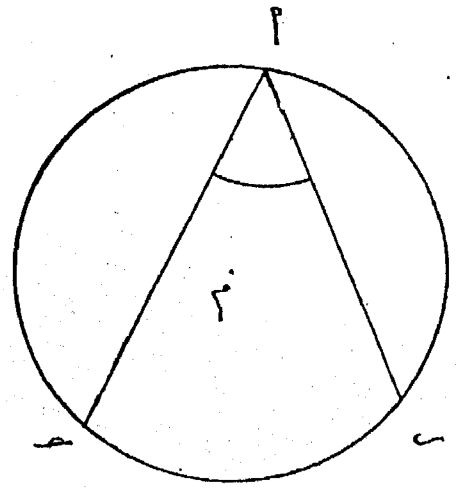



( شكل ١٦ )

١٧ — الزاوية المحيطية

Angle at the Circumference of a Circle.

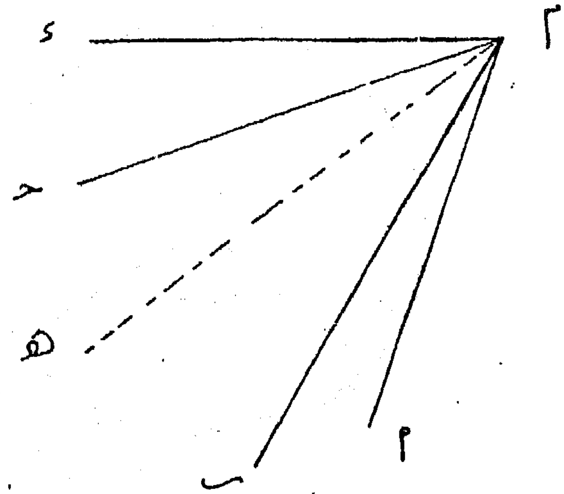
هى المحصورة بين وترى دائرة مرسومين من نقطة على محيطها .




( شكل ١٧ )

١٨ — الزاوية الزوجية — Dihedral Angle.

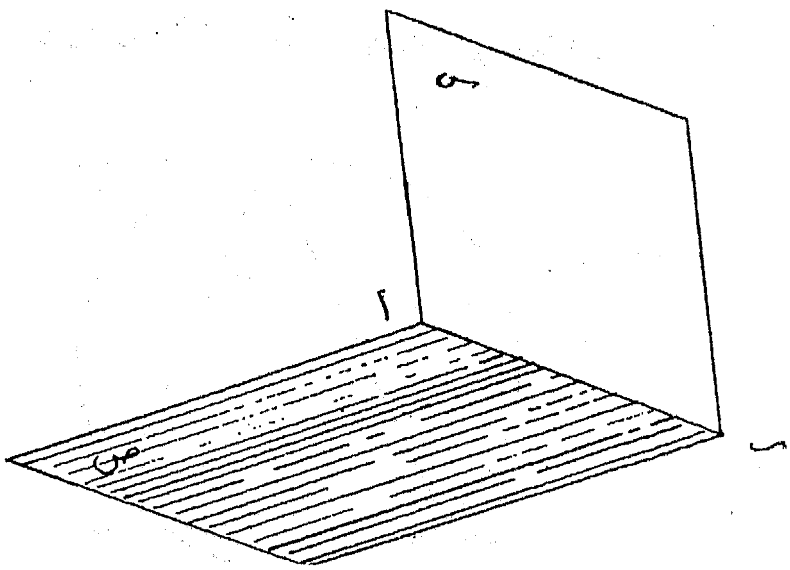
هى الانفراج المحصور بين مستويين متقاطعين .




(شكل ١٨)

١٩ — الزاوية المجسمة — Solid Angle.

هى الحيز الذى يحده عدة مستويات ، غير محدودة ، تتلاقى فى نقطة واحدة .



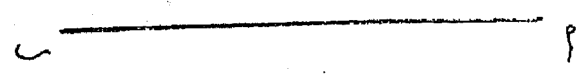

(شكل ١٩)

## ٢٠ — الخط المستقيم — Straight Line.

هو أقصر بعد بين نقطتين :

"ع" هو أقصر الخطوط الواصلة بين نقطتين ، وهو المراد إذا أطلق .

"ط" هو ما كانت النقط التى تفرض عليه بعضها على مقابلة البعض .



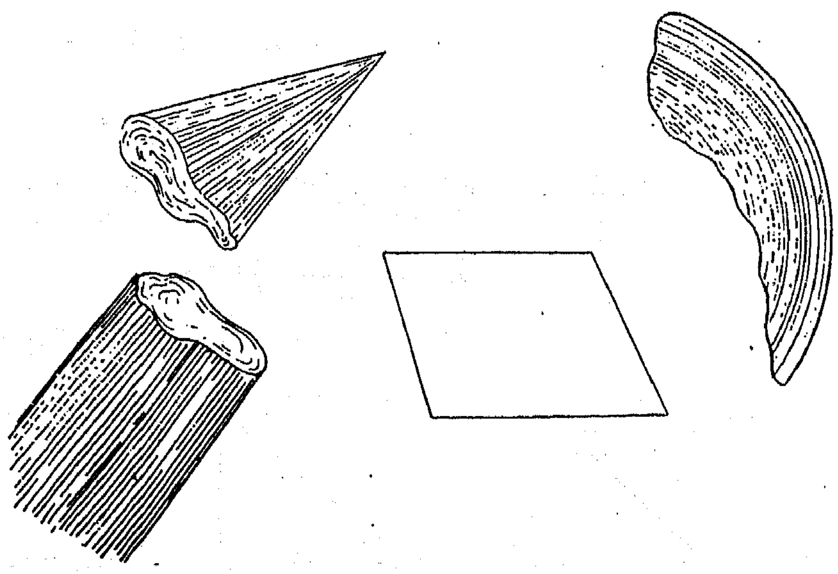

(شكل ٢٠)

## ٢١ — السطح — Surface.

هو ما له طول وعرض .

"ع" هو ذو الامتدادين فقط .

"ط" السطح أو البسيط عظم له طول وعرض فقط .



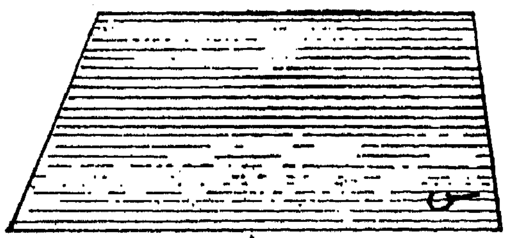
(شكل ٢١)

## ٢٢ — السطح المستوى — Plane.

هو الذى إذا أخذت فيه أى نقطتين كان المستقيم الواصل بينهما منطبقا عليه.

"ع" هو ما تقع الخطوط المخرجة عليه فى أى جهة .

"ط" هو ما كانت الخطوط المستقيمة المفروضة عليه أو التى يمكن فرضها عليه، كيف كان، تكون بعضها على مقابلة بعض .




(شكل ٢٢)

## ٢٣ — المثلث — Triangle.

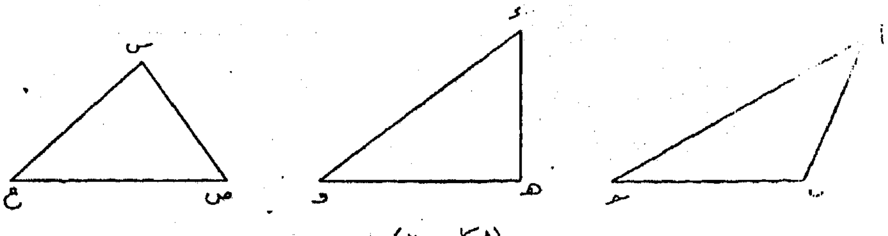
هو ما يحيط به ثلاثة خطوط مستقيمة .

## ٢٤ — رأس المثلث — Vertex.

كل نقطة من النقط الثلاث التى تتقاطع فيها المستقيمات المحيطة بالمثلث .

## ٢٥ — ضلع المثلث — Side.

هو المستقيم المحدود برأسين من رءوسه .

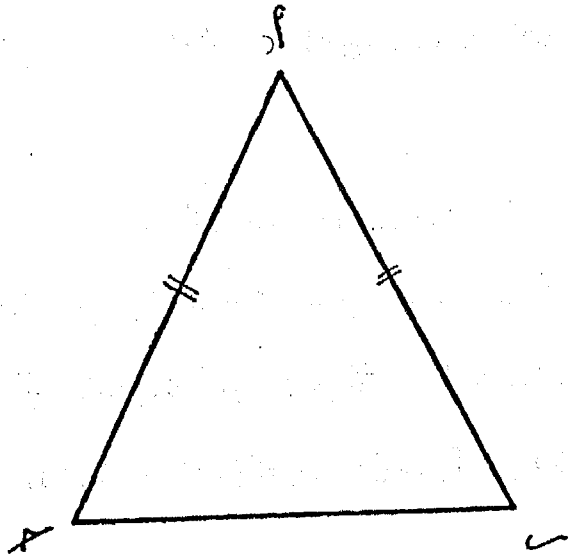



(شكل ٢٥)

## ٢٦ — المثلث المتساوى الساقين — Isoceles Triangle.

هو ما كان ضلعان فقط من أضلاعه الثلاثة متساويين .

"ط" هو ما كان اثنان من أضلاعه فقط متساويين .




(شكل ٢٦)

## ٢٧ — ارتفاع المثلث — Altitude.

هو العمود النازل من أحد رءوسه على الضلع المقابل له .

"ع" لا يقول "ارتفاع" ، ويعبر عنه بالعمود المخرج من إحدى الزوايا على وترها .

"ط" ارتفاع الشكل هو العمود الخارج من نقطة زاوية هى رأسه، على ضلع هو قاعدتها .

## ٢٨ — القاعدة — .Base

"فى المثلث المتساوى الساقين" هى ضلعه الثالث بعد ضلعيه المتساويين .

ملاحظة : فى المثلثات الأخرى يمكن اعتبار أن أى ضلع قاعدة .

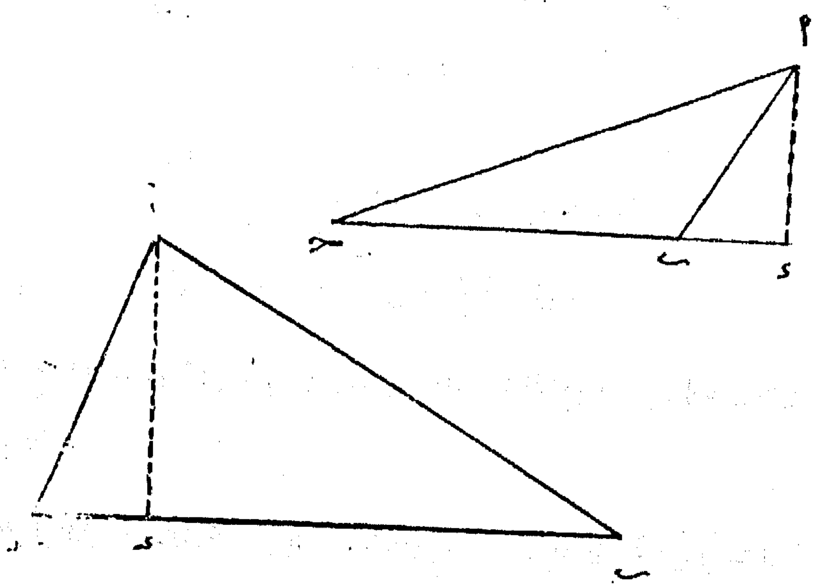
" ط " لم يعرفها ، وذكر " الزاويتين اللتين عند قاعدة المثلث المتساوى الساقين".

## ٢٩ — التطابق — .Congruence

هو تساوى الأضلاع والزوايا المتناظرة فى شكلين كثيرى الأضلاع .

أى أن كلا من الشكلين يمكن أن ينطبق على الآخر تمام الانطباق .

" ط " يعبر هنا بلفظة ( التساوى ) كما يعبر بها فى معنى آخر هو التكافؤ .

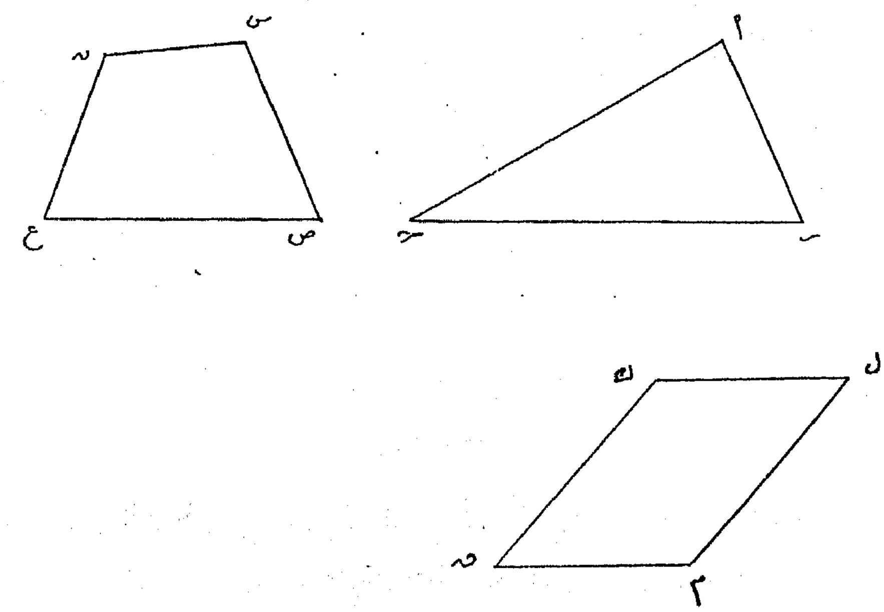



( شكل ٢٩ )

## ٣٠ — التكافؤ — Equivalence.

هو تساوى مساحتى السطحين الهندسيين ، وهو أيضا تساوى حجمى جسمين .

" ط " يستعمل هنا لفظة التساوى .

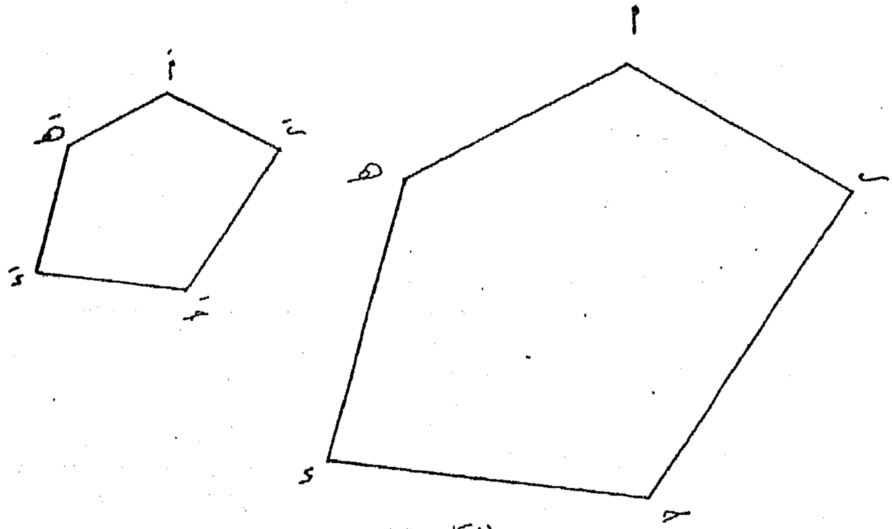


(شكل ٣٠)

### ٣١ — التشابه — .Similarity

هو تساوى الزوايا المتناظرة فى شكلين كثيرى الأضلاع مع تناسب أضلاعهما المتناظرة .

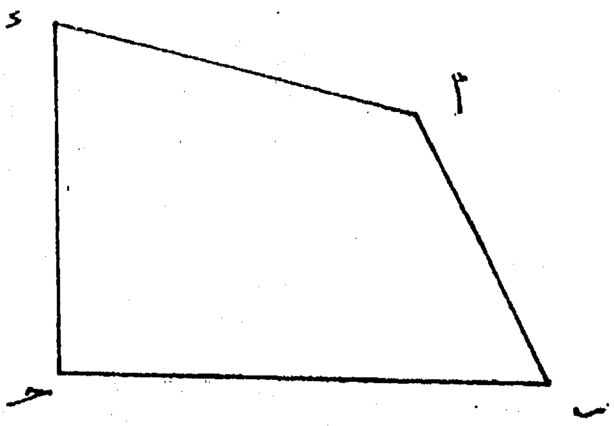
" ط " السطوح المتشابهة هى السطوح التى زواياها ( على التناظر ) متساوية والأضلاع المحيطة بتلك الزوايا على التناظر أيضا متناسبة .




(شكل ٣١)

### ٣٢ الشكل الرباعى (ذو أربع الأضلاع) — .Quadrangle

هو ما أحاط به أربعة مستقيمات يتقاطع كل اثنين متجاورين منها .

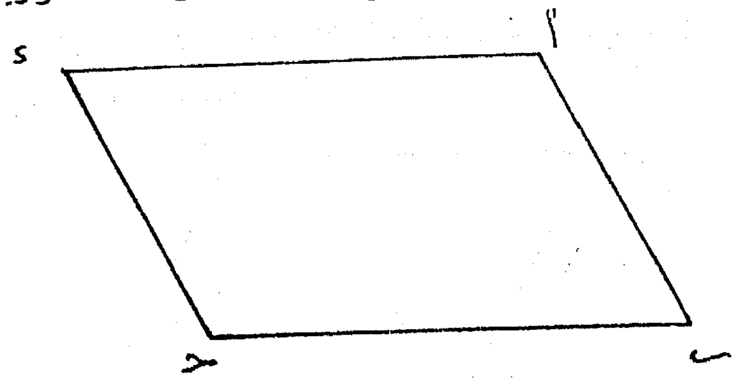



(شكل ٣٢)

## ٣٣ — متوازى الأضلاع — Parallelogram.

هو شكل رباعى كل ضلعين متقابلين منه متوازيان .

" ط " هو شكل ذو أربعة أضلاع كل متقابلين من أضلاعه متوازيان .



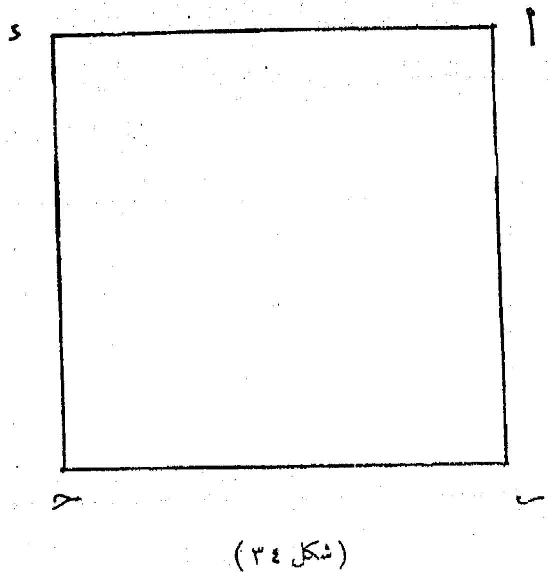
(شكل ٣٣)

## ٣٤ — المربع — Square.

هو شكل رباعى زواياه قوائم وأضلاعه متساوية .

" ع " هو القائم الزوايا المتساوى الأضلاع .

" ط " هو ما كانت كل واحدة من زواياه قائمة وجميع أضلاعه متساوية .



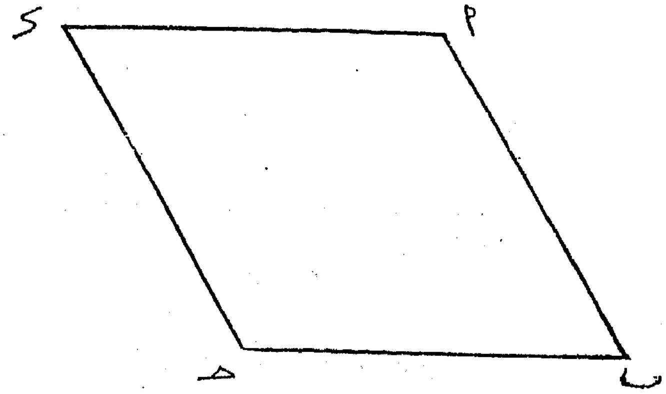
(شكل ٣٤)

## ٣٥ — المعين — Rhombus.

١ — هو شكل رباعى أضلاعه متساوية وليست من زواياه زاوية قائمة .

٢ — هو متوازى أضلاع أضلاعه متساوية وزواياه غير قائمة .

" ط " هو شكل ذو أربعة أضلاع متساوية وليست زاوية من زواياه قائمة ( ثم يذكر صفات تنتج مما تقدم ) .



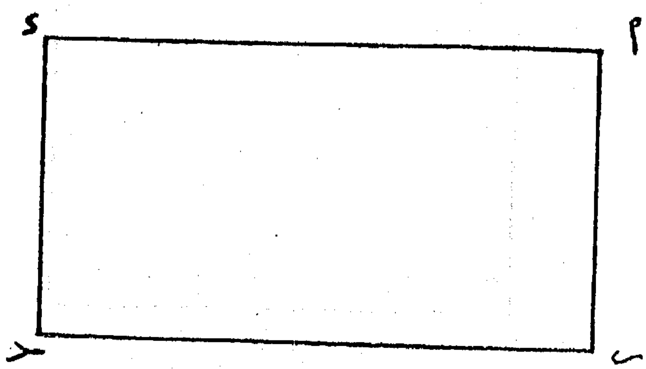

( شكل ٣٥ )

## ٣٦ — المستطيل — Rectangle.

هو شكل رباعى كل زاوية من زواياه قائمة وليست كل أضلاعه متساوية .

هو متوازى أضلاع زواياه قائمة وأضلاعه المتجاورة مختلفة .

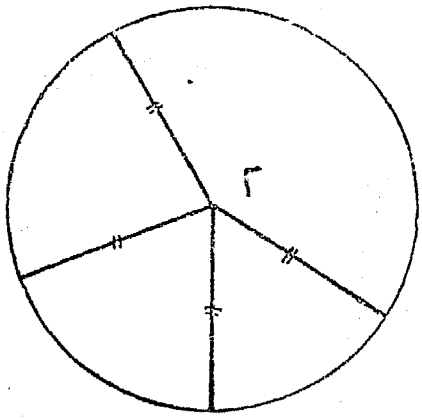
" ط " : هو شكل ذو أربعة أضلاع ، كل من زواياه قائمة ، وكل ضلعين متقابلين من أضلاعه ، متساويان .




( شكل ٣٦ )

## ٣٧ — الدائرة — Circle.

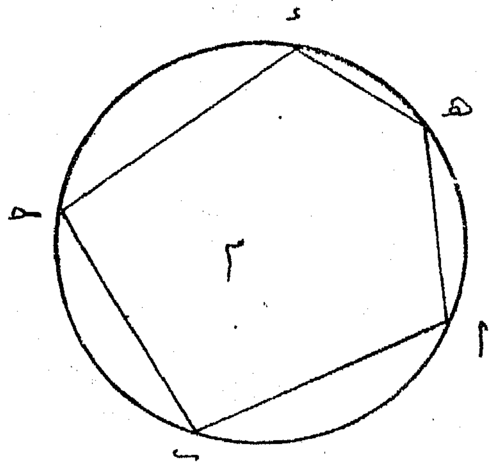
شكل مستو محدود بخط منحن جميع نقطه على أبعاد متساوية من نقطة داخلية.




( شكل ٣٧ )

## ٣٨ — الدائرة الخارجة — Circumscribed Circle.

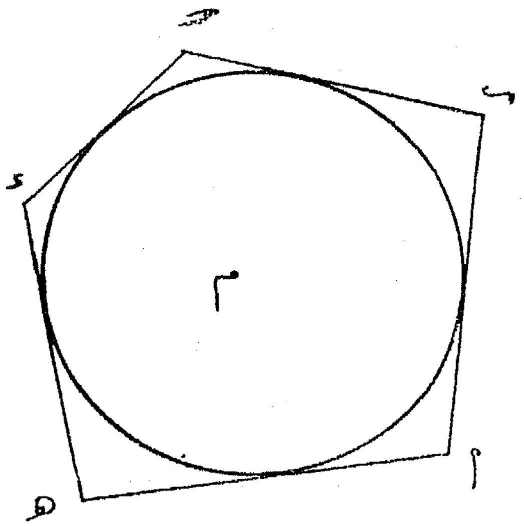
هى التى تمر برءوس شكل كثير الأضلاع ( مضلع ) .




( شكل ٣٨ )

٣٩ — الدائرة الداخلة — .Inscribed Circle

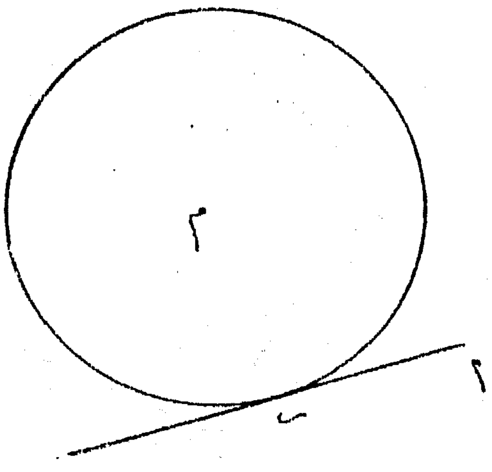
هى التى تمس جميع أضلاع مضلع من الداخل .



(شكل ٣٩)

٤٠ — مماس الدائرة — Tangent (of a circle)

هو المستقيم الذى يلتى محيط الدائرة فى نقطة ولا يلقاه فى غيرها مهما امتد .

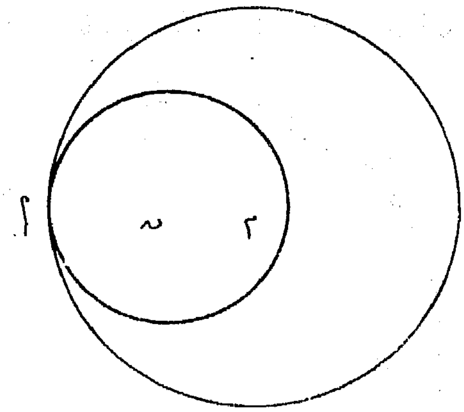



(شكل ٤٠)

## ٤١ — الدائرتان المتماستان من الداخل

Internally Touching Circles.

هما الدائرتان اللتـان لا يشترك محيطاهما إلا فى نقطة واحدة وتقعان فى جهة واحدة من ممـاسهما المشترك فى هذه النقطة .

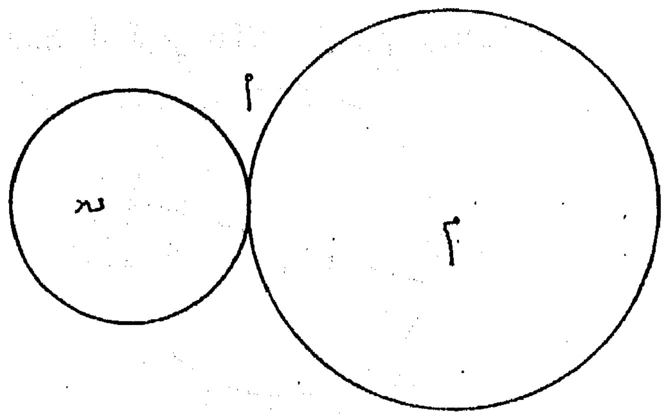



( شكل ٤١ )

## ٤٢ — الدائرتان المتماستان من الخارج

Externally Touching Circles.

هما الدائرتان اللتان لا يشترك محيطاهما إلا فى نقطة واحدة وتقعان فى جهتين مختلفتين من ممـاسهما المشترك فى هذه النقطة .



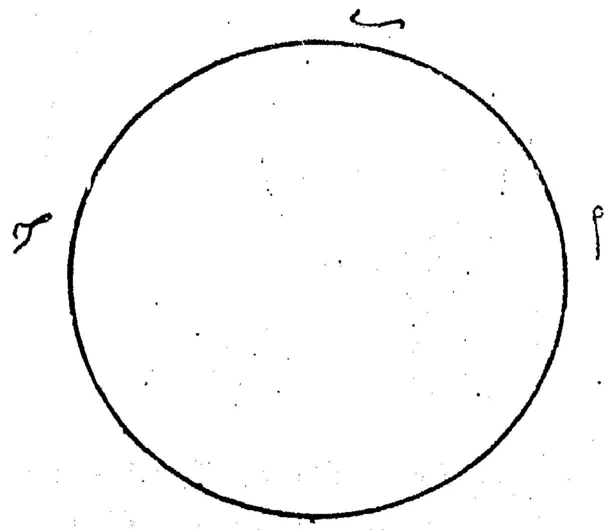

( شكل ٤٢ )

Circumference (of a circle). ٤٣ — محيط الدائرة

هو الخط المنحنى المقفل الذى تحد به الدائرة .

Centre (of a circle). — ٤٤ — مركز الدائرة —

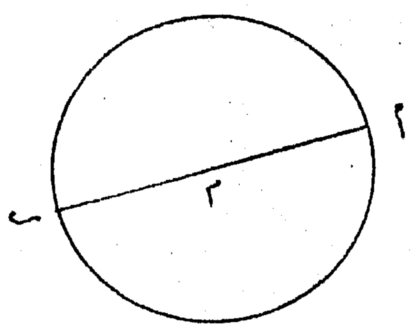
هو نقطة داخل الدائرة تتساوى المستقيمات الخارجة منها الى المحيط .




( شكل ٤٤ )

Diameter (of a circle). — ٤٥ — قطر الدائرة —

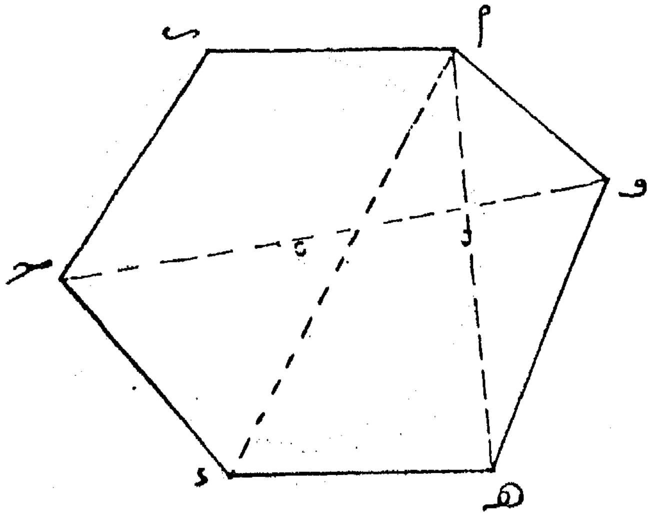
هو الخط المستقيم المار بمركزها المنتهى فى جهتيه الى المحيط .




( شكل ٤٥ )

٤٦ — قطر الشكل الكثير الأضلاع — Diagonal of a Polygon.

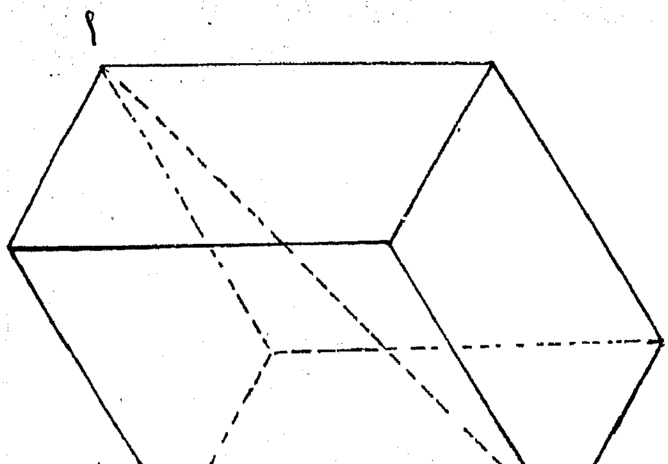
هو الخط المستقيم الواصل بين رأسين منه غير متتاليين .




(شكل ٤٦)

٤٧ — قطر الجسم الكثير السطوح — Diagonal of a Polyhedron.

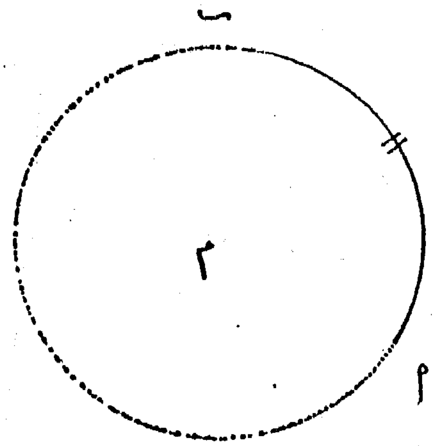
هو الخط المستقيم الواصل بين رأسين منه لا يقعان فى وجه واحد .




(شكل ٤٧)

## ٤٨ — القوس الدائرية — Circula rArc.

هى جزء ما من محيط الدائرة .

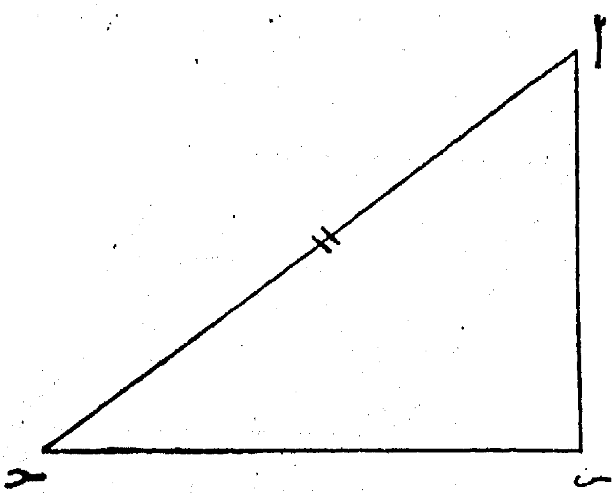



(شكل ٤٨)

## ٤٩ — الوتر — Hypotenuse.

" فى المثلث القائم الزاوية " هو ضلعه المقابل للزاوية القائمة .

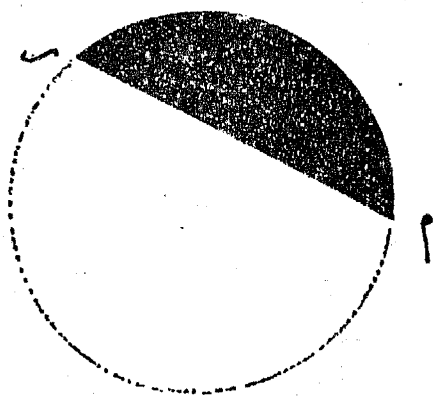
ملاحظة : نصير الدين الطوسى يعبّر بقوله : " الضلع الذى يوتر الزاوية " للدلالة على الضلع المقابل لها أياً كان نوع المثلث. فيقول : الضلع الذى يوتر الزاوية المنفرجة ، والضلع الذى يوتر الزاوية الحادة .




(شكل ٤٩)

٥٠ — القطعة الدائرية — .Segment of a Circle

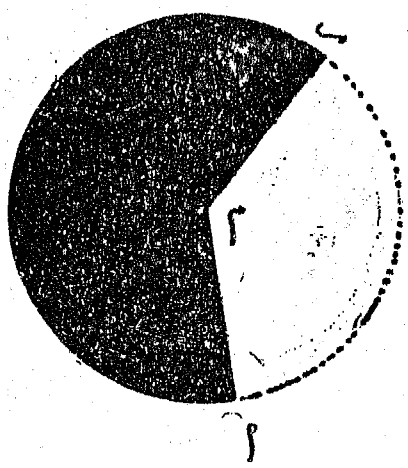
هى شكل تحيط به قوس دائرة ووترها الواصل بين نهايتى القوس .




( شكل ٥٠ )

٥١ — القطاع الدائرى — .Sector of a Circle

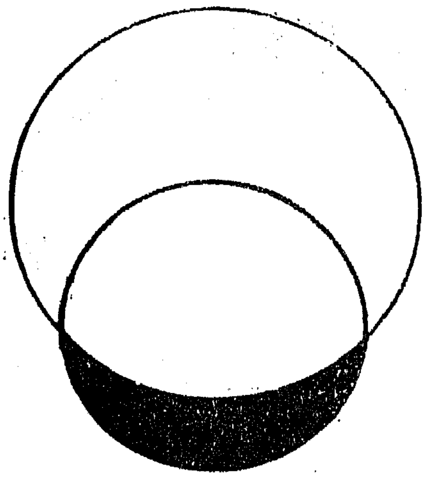
هو شكل يحيط به نصفا قطرى دائرة والقوس الواصلة بين طرفيهما .




( شكل ٥٥ )

## ٥٢ — الهلالى

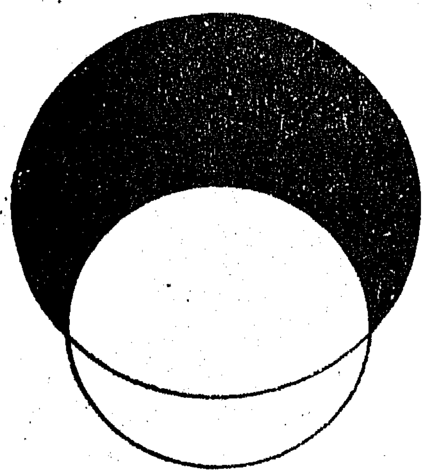
هو شكل تحيط به قوسا دائرتين متقاطعتين ، وكل من القوسين أصغر من نصف محيط الدائرة التي هي جزء منها ، وتحديب القوسين في اتجاه واحد .



( شكل ٥٢ )

## ٥٣ — النعلى [1]

هو شكل تحيط به قوسا دائرتين متقاطعتين وكل من القوسين أكبر من نصف محيط الدائرة التي هي جزء منها ، وتحديب القوسين في اتجاه واحد .

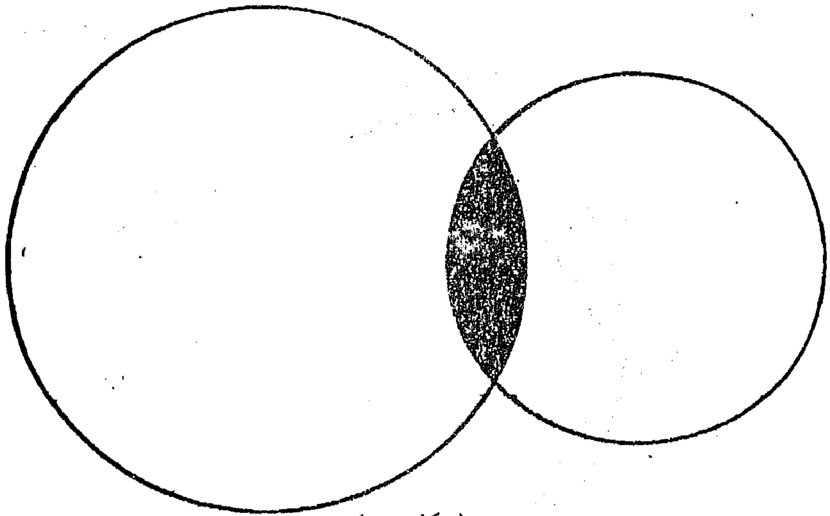


( شكل ٥٣ )

(١) أي الشبيه بنعل الفرس أو الحمار .

## ٥٤ — " العدسى "

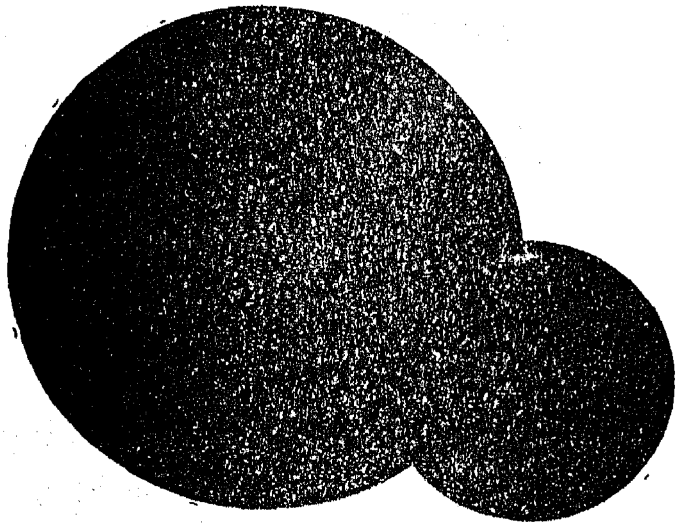
هو شكل تحيط به قوسا دائرتين متقاطعتين ، وكل من القوسين أصغر من **نصف** الدائرة التى هى جزء منها ، وتحديب القوسين فى اتجاهين مختلفين .



( شكل ٥٤ )

## ٥٥ — السَّلْجمى (١)

هو شكل تحيط به قوسا دائرتين متقاطعتين ، وكل من القوسين أكبر من **نصف** محيط الدائرة التى هى جزء منها ، وتحديب القوسين فى اتجاهين مختلفين .

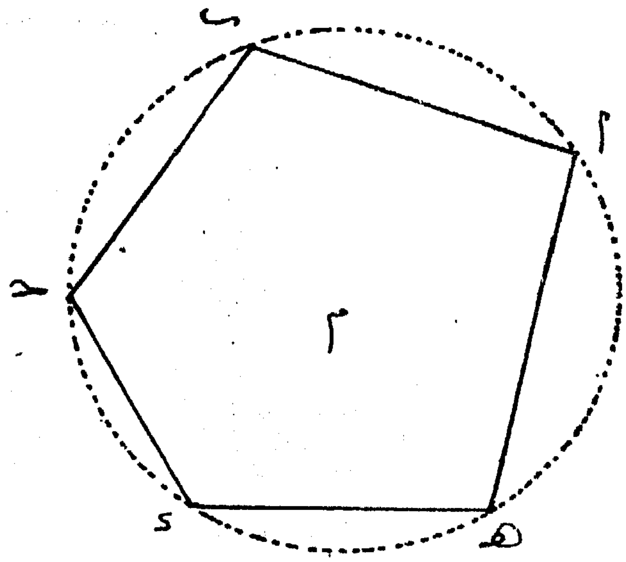


( شكل ٥٥ )

(١) السلجم : اللفت .

## ٥٦ — المضلع الدائرىّ — Circular Polygon.

هو الشكل الكثير الأضلاع الذى يمكن أن ترسم دائرة واحدة تمر برءوسه جميعها .




(شكل ٥٦)

## ٥٧ — النسبة التقريبية ( ط )

$\Pi$

" ط " هى النسبة بين طول محيط الدائرة وطول قطرها .

" ع " لم يعبر بهذا التعبير .

## ٥٨ — النسبة — Ratio.

$\frac{م}{ب}$

هى نتيجة مقارنة إحدى كميتين من نوع واحد بالأخرى .

" ع " يضع اللفظة ولا يعرّفها .

" ط " هى الكمية الحاصلة من إضافة أحد أنواع الكم إلى ما هو من نوعه .

٥٩ — التناسب — Proportion.

$\frac{م}{ب} = \frac{ح}{ء}$

هو تساوى نسبتين .

" ع " يعبّر بقوله " الأربعة المتناسبة " وهى ما نسبة أولها إلى ثانيها كنسبة ثالثها إلى رابعها .

" ط " هو تساوى النسب .

٦٠ — حدا النسبة — Terms of a Ratio.

م ، ب

هما الكميتان اللتان نقارن بينهما للحصول على النسبة .

" ط " يقول ولكل نسبة حدان المنسوب والمنسوب إليه .

٦١ — المقدم — Antecedent.

م

هو حد النسبة الذى يذ كر أولا .

" ط " هو المنسوب .

٦٢ — التالى — Consequent.

ب

هو حد النسبة الذى ذكر ثانيا .

" ط " هو المنسوب إليه .

٦٣ — النسبة المركبة — Compound Ratio.

$\frac{م}{ب} \times \frac{ب}{ح}$ أى $\frac{م}{ح}$

" من نسبتين أو عدة نسب " هى حاصل ضرب هذه النسب .

" ط " يسميها " النسبة المؤلفة " من نسب متى كانت اقدار النسب إذا ضوعفت بعضها ببعض فعلت نسبة ما .

٦٤ — النسبة التربيعية — Duplicate Ratio.

$$\frac{\text{ا}^{2}}{\text{ب}^{2}}$$

" لنسبة ما " هى مربع هذه النسبة .

( هى النسبة بين مربعى حدى النسبة الاصلية ).

" ط " يعبر عنها بالنسبة المثناة بالتكرير .

٦٥ — طرفا التناسب — Extremes.

ا ، حـ من الحدود

$$\frac{\text{ا}}{\text{ب}} = \frac{\text{ء}}{\text{حـ}}$$

هما مقدّم النسبة الأولى وتالى النسبة الثانية من النسبتين المكوّنتين للتناسب .

" ع " يشير إلى أن مسطح الطرفين فى التناسب يساوى مسطح الوسطين ، ولا يعرّف .

" ط " يستعمل الأوساط والأطراف ، ولا يعرِّف .

٦٦ — وسطا التناسب — Means.

ب ، ء فى المثال السابق

هما تالى النسبة الأولى ومقدم النسبة الثانية من النسبتين المكوّنتين للتناسب .

٦٧ — الرابع المناسب — Fourth Proportional.

ء من المثال السابق

هو تالى النسبة الثانية من النسبتين المكوّنتين للتناسب عندما تكون حدودهما مختلفة .

٦٨ — الثالث المناسب — Third Proportional.

حـ فى المثال $\frac{\text{ا}}{\text{ب}} = \frac{\text{ب}}{\text{حـ}}$

هو تالى النسبة الثانية من النسبتين المكوّنتين للتناسب عند ما يكون مقدّمها مساويا تالى النسبة الأولى .

" ط " يقول " ثالثا لهما فى النسبة " .

## ٦٩ — الوسط المناسب — Mean Proportional.

ب من المثال السابق

" بين كميتين " هو الذى إذا جعل تاليا لأولاهما ومقدما لثانيتهما تكونت نسبتان متساويتان .

" ط " يقول " وسطا فى النسبة بينهما " .

## ٧٠ — المتناسب المستمر (المتسلسل) — Continued Proportion.

$$\frac{ا}{ب} = \frac{ب}{ح} = \frac{ح}{ى} = \frac{ى}{هـ}$$

يقال إن عدة كميات تكون تناسبا مستمرا ( متسلسلا ) إذا كانت النسبة بين الأولى والثانية كالنسبة بين الثانية والثالثة والنسبة بين الثالثة والرابعة وهكذا .

" ط " يعبر عنها بالأعداد المتوالية على النسبة .

## ٧١ — المعين المنحرف — Trapezium.

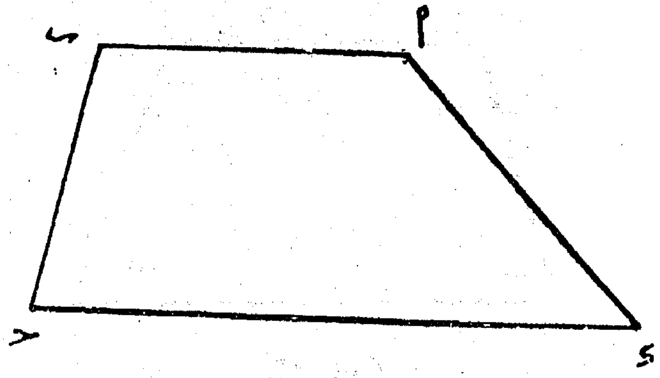
هو شكل رباعى ضلعان فقط من أضلاعه متوازيان .

"ع" يشير الى المربع المستطيل والمعين وشبهه ثم يقول: وماعداها فمنحرفات .

ملاحظة : فى كتب الهندسة الآن يسمون هذا الشكل بشبه المنحرف . والمستحسن أن يطلق عليه اسم " المنحرف " فقط .

"ط" هو شكل ذو أربعة أضلاع ضلعان منها متوازيان وضلعان غير متوازيين .

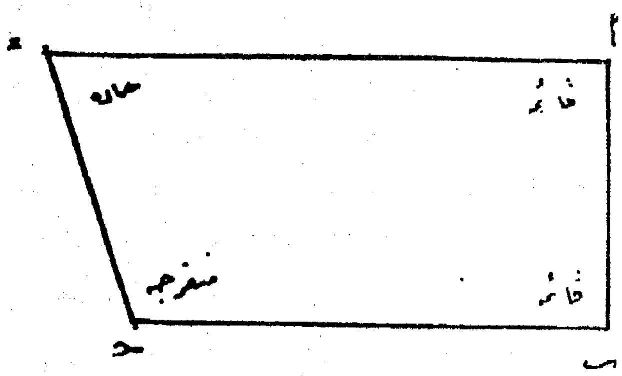
"ط" الشبيه بالمنحرف هو شكل ذو أربعة أضلاع لا يوجد ضلعان من أضلاعه متوازيين .




( شكل ٧١ )

## ٧٢ — شبه المنحرف

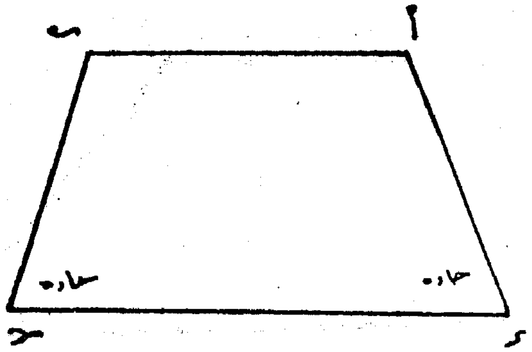
شكل رباعى لَيْسَ فيه ضلعان متوازيان .




( شكل ٥٢ )

## ٧٣ — المنحرف

هو ما كان فيه متوازيان .

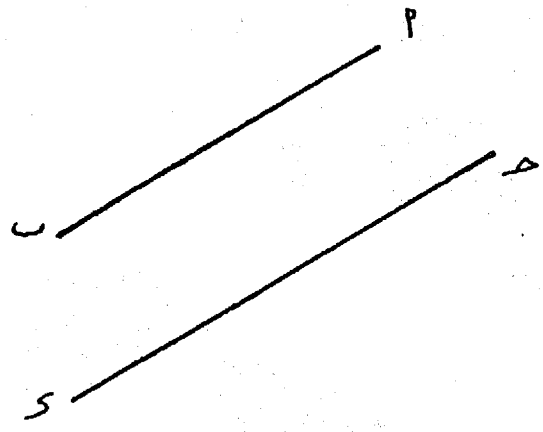



( شكل ٧٣ )

## ٧٤ — المستقيمان المتوازيان — .Parallel Lines

هما المستقيمان اللذان يقعان فى مستو واحد ولا يتلاقيان مهما امتدا .

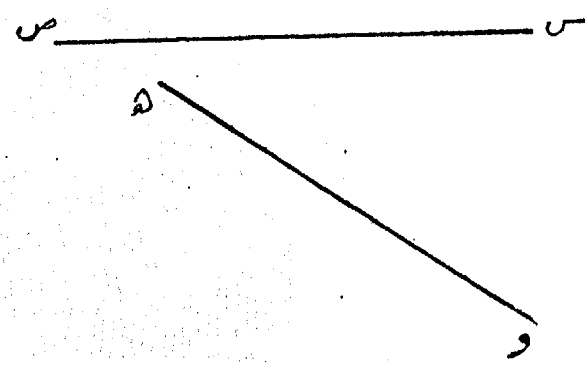
" ط " كل خطين مستقيمين كائنين فى سطح مستو إن أخرجا فى جهتيهما إلى غير النهاية لم يتلاقيا .




( شكل ٧٤ )

## ٧٥ — المستقيمان اللذان ليسا فى مستو واحد .Not co-planer Lines

هما المستقيمان اللذان لايمكن جمعهما فى مستو واحد . " ط " هما المستقيمان اللذان لا يتوازيان ولا يتقاطعان .



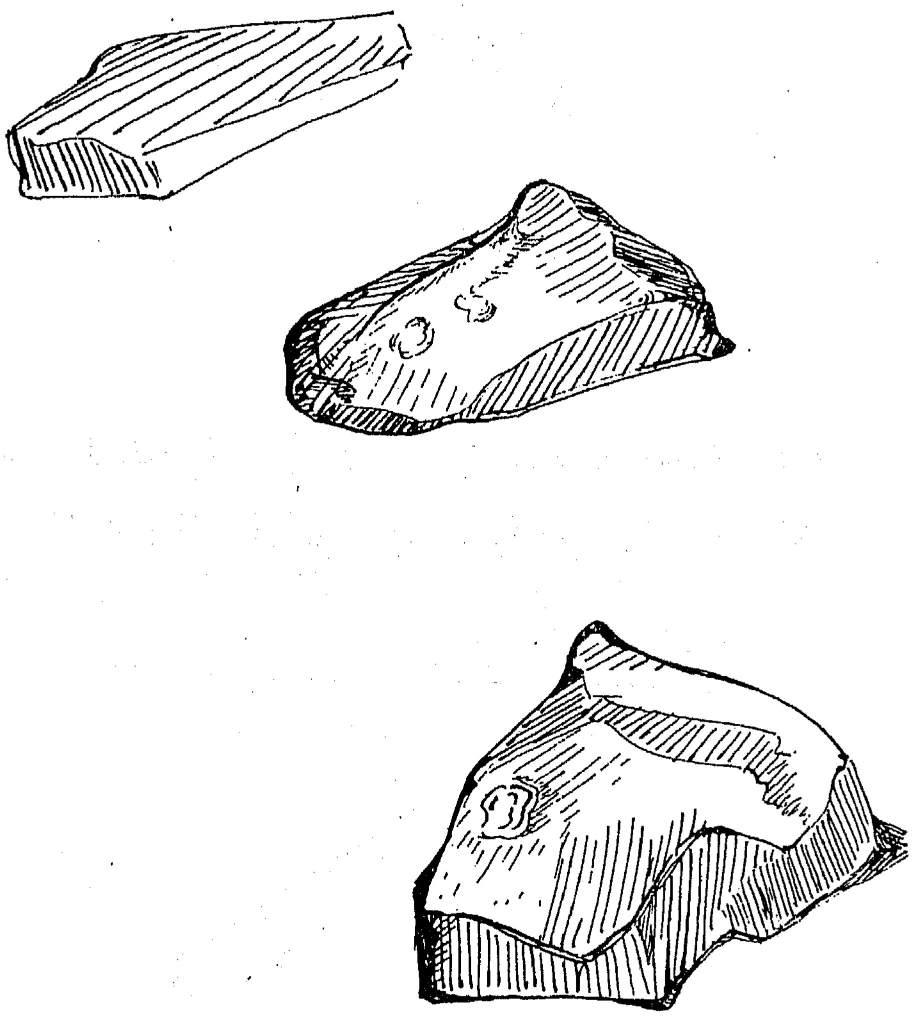

( شكل ٧٥ )

### ٧٦ — المجسّم — Solid.

هو ما له طول وعرض وسمك أو هو ذو الأبعاد الثلاثة .

" ع " الجسم ذو الامتدادات الثلاثة .

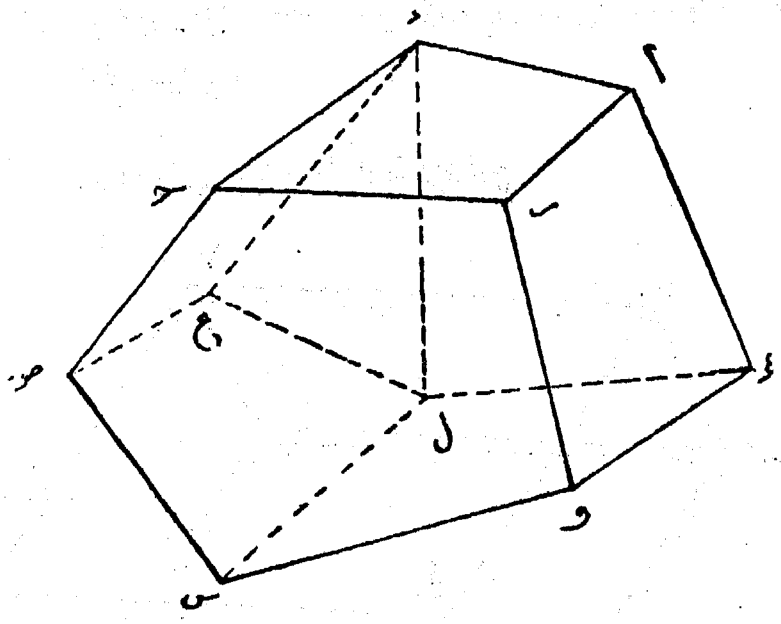
" ط " الشكل المجسم هو كل ما له طول وعرض وسمك .



( شكل ٧٦ )

## ٧٧ — كثير السطوح — Polyhedron.

هو جسم يحيط به مضلعات مستوية من جميع جهاته .



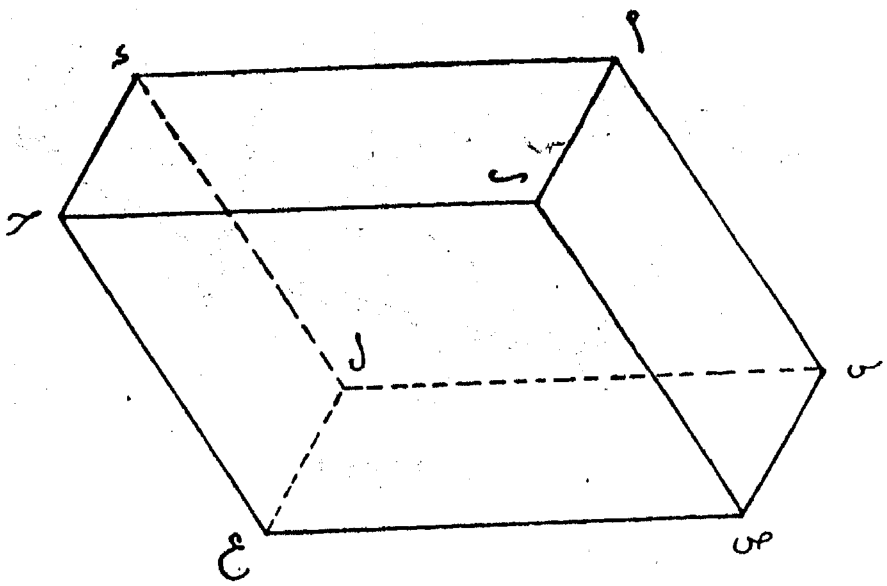

( شكل ٧٧ )

## ٧٨ — متوازى السطوح — Parallelepiped.

( ١ ) هو جسم يحيط به ستةمن متوازيات الأضلاع .

( ٢ ) هو جسم محدود بستة مستويات كل اثنين متجاورين منها متقاطعان ، وكل اثنين متقابلين متوازيان .

"ط" يقول متوازى السطوح المتوازية الأضلاع .

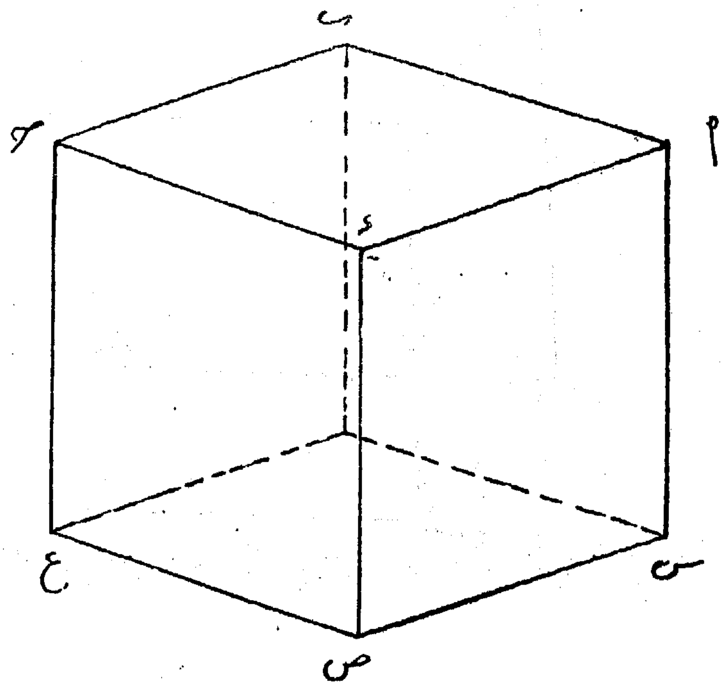



( شكل ٧٨ )

## ٧٩ — المكعب — Cube.

هو جسم أوجهه مربعات .

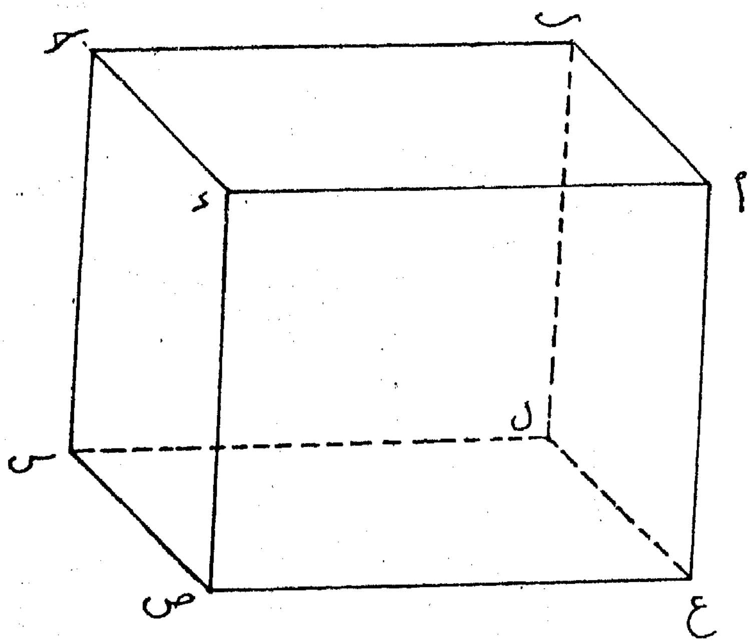
"ع" جسم أحاط به ستة مربعات .




( شكل ٧٩ )

٨٠ — متوازى المستطيلات — Rectangular Parallelepiped.

هو جسم ذو ستة أوجه كل منها مستطيل .




٨١ — أوجه كثير السطوح — Faces of a Polyhedron.

هى المضلعات المستوية التى تحيط به .

### ٨٢ — السطح الكروىّ — .Spherical Surface

هو سطح منحن توجد فى ناحية تقعيره نقطة تكون المستقيمات الخارجة منها إليه متساوية .

"ط" يسمى سطح الكرة "محيط الكرة" .

### ٨٣ — الكرة — .Sphere

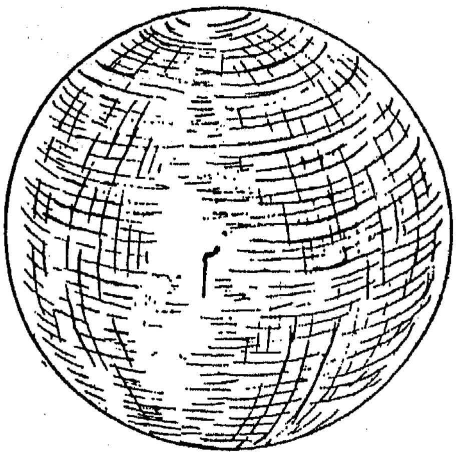
هو جسم يحيط به سطح منحن جميع نقطه على أبعاد متساوية من نقطة داخلة ( هى المركز ) :

"ع" فان أحاطه ( أى الجسم ) سطح يتساوى جميع الخطوط الخارجة من داخله إليه ، فَكُرَةٌ .

"ط" شكل مجسم يحيط به سطح واحد مستدير يمكن أن يفرض فى داخله نقطة تكون جميع الخطوط المستقيمة الخارجة من تلك النقطة إلى السطح المحيط متساوية .

### ٨٤ — مركز الكرة — .Centre (of a sphere)

هى النقطة التى يمكن أن تفرض فى داخلها بحيث تتساوى المستقيمات الخارجة منها إلى سطح الكرة .




( شكل ٨٣ )

٨٥ — نصف قطر الكرة — Radius (of a sphere).

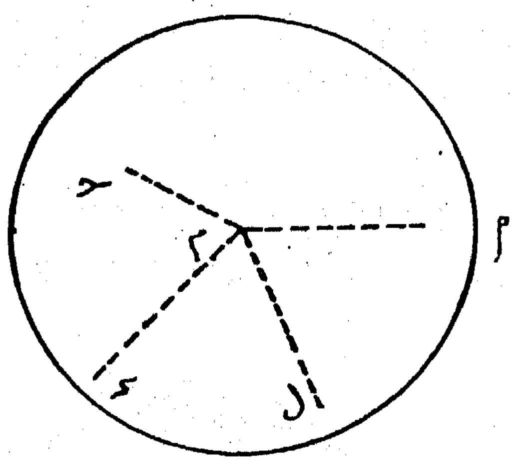
هو مستقيم يبدأ من مركزها وينتهى بنقطة على سطحها .

"ط" والخطوط ( انظر تعريفه للكرة ) أنصاف أقطارها .

٨٦ — قطر الكرة — Diameter (of a sphere).

هو المستقيم الذى يمر بمركزها وينتهى بنقطتين على سطحها .

"ط" والخارج منها ( أى النقطة ) فى الجهتين إلى المحيط قطرها .



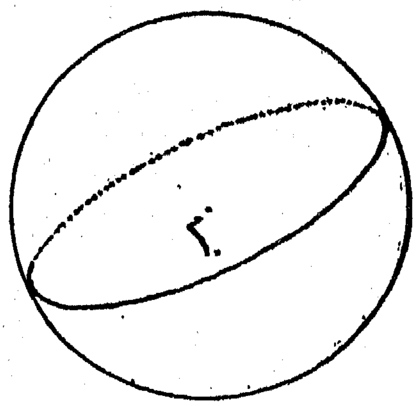

( شكل ٨٥ )

٨٧— الدائرة العظيمة — .Major Circle

هى كل دائرة تحدث من قطع الكرة بمستو مار بمركزها .

" ع " يقول : ومنصفها ( أى الكرة ) من الدوائر عظيمة .

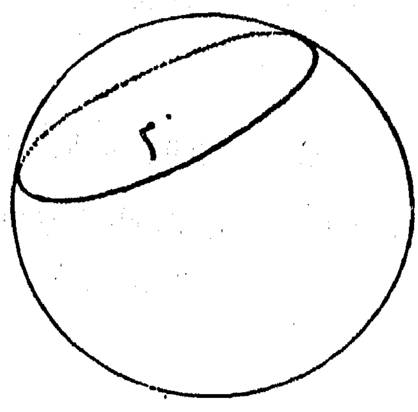
" ط " يشير إلى " الدوائر العظام " .




( شكل ٨٦ )

٨٨ — الدائرة الصغيرة — .Minor Circle

هى كل دائرة تحدث من قطع الكرة بمستو لا يمر بمركزها .



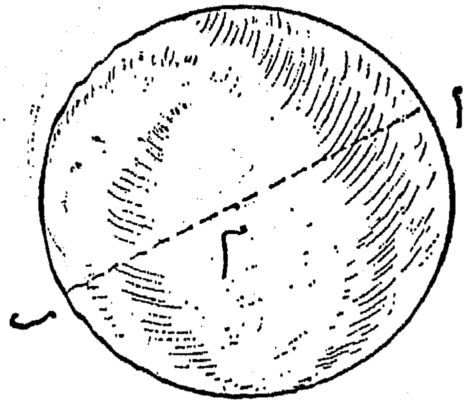

( شكل ٨٧ )

٨٩ — محور الكرة — .Axis (of a sphere)

هو أى قطر من أقطارها .

ملاحظة — لما كانت الكرة يمكن حدوثها من دوران نصف دائرة حول قطره إلى أن يعود إلى وضعه الأصلى ، كان هذا القطر الثابت معتبرا محورا للدوران ، ومنه سمى محور الكرة .

"ط" كل قطر تتحرك الكرة عليه ، محور الكرة .




(شكل ٨٨ و ٨٩)

٩٠ — القطبان — .Poles

هما نهايتا المحور .

"ع" يشير إلى قطب القطعة ( انظر التعبير التالى ) .

"ط" كل واحدة من النقطتين اللتين هما نهايتا المحور قطبها ، فالقطبان مع المحور ثابتة غير متحركة عند دوران الكرة .

٩١ — القطعة الكروية — .Segment (of a sphere)

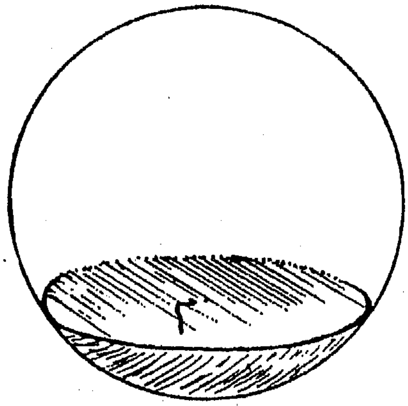
هى أى الجزأين اللذين تنقسم إليهما الكرة بمستو يقطعها .

" ع " يذكر طريقة لإيجاد مساحة سطح كل من قطعتيها ( أى الكرة ).

٩٢ — قاعدة القطعة الكروية — .Base of a Spherical Segment

هى الدائرة التى يقطع فيها سطحها المستوى سطحها المنحنى .

" ع " يشير عند طريقة مساحة سطح القطعة إلى "محيط قاعدتها " .

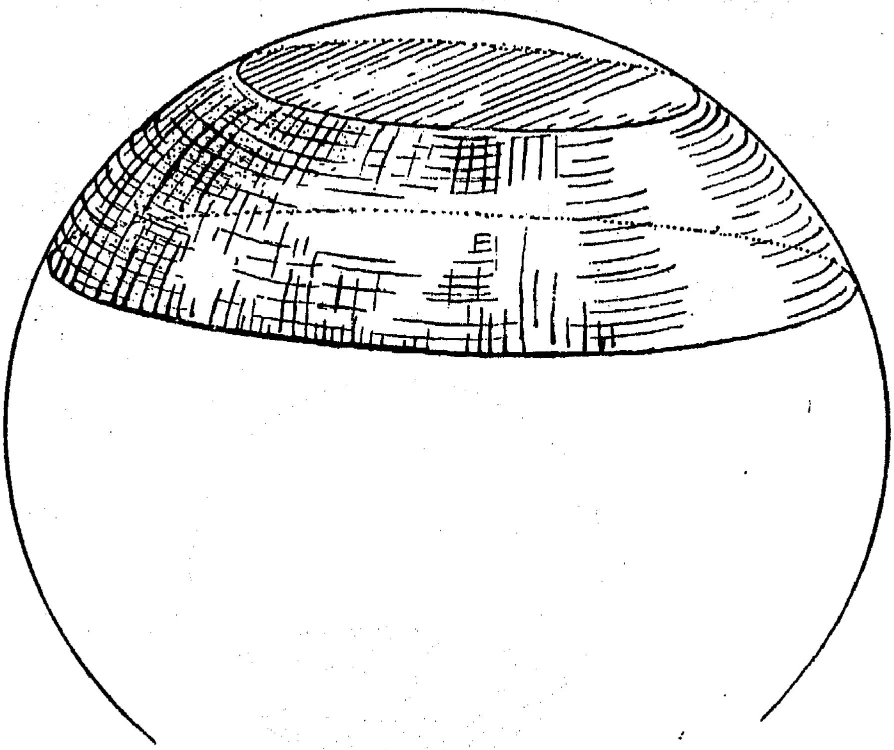



(شكل ٩٠ و ٩١)

٩٣ — القطعة الكروية الناقصة — Frustum of a Sphere.

هى جزء الكرة المحصور بين مستويين متوازيين قاطعين لها .

وتمس الدائرتان قاعدتيهما .



(شكل ٩٢ و ٩٣)

٩٤ — المِنْطَقَة الكروية — Spherical Zone.

هى السطح المنحنى للقطعة الكروية الناقصة .

٩٥ — ارتفاع القطعة الكروية — Altitude of a Spherical Frustum.

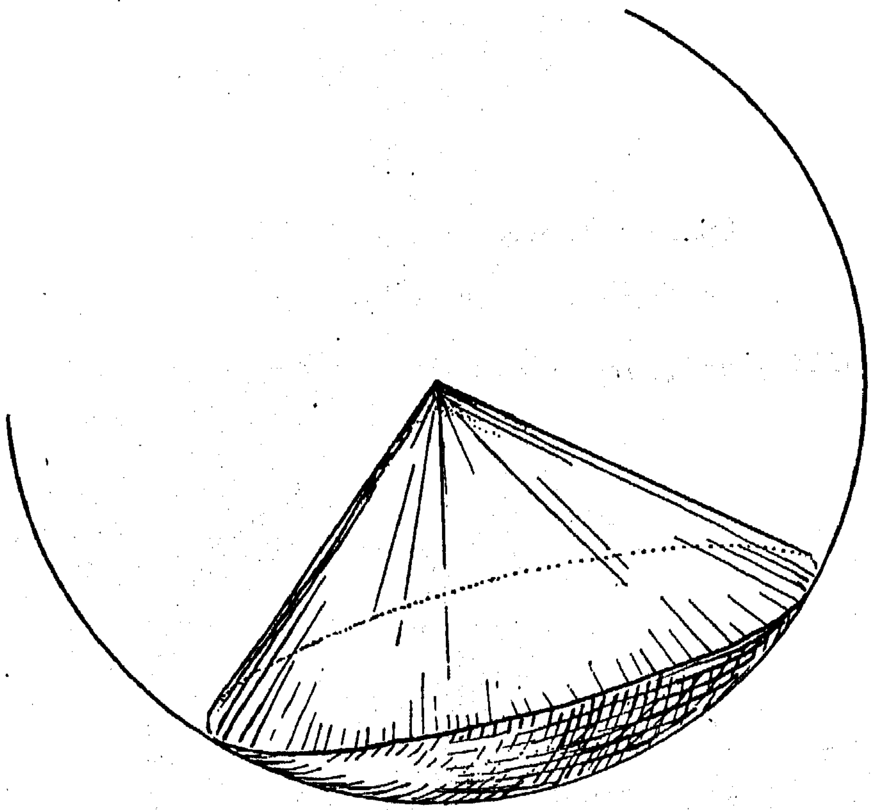
هو طول العمود المقام من مركز قاعدتها إلى سطحها الكروى .

وارتفاع القطعة الكروية الناقصة هو البعد بين قاعدتيها المتوازيتين .

## ٩٦ — القطاع الكروى — Spherical Sector.

هو الجسم المتكون من قطعة كروية ومخروط رأسه مركز الكرة ، ويتحد مع القطعة فى القاعدة .

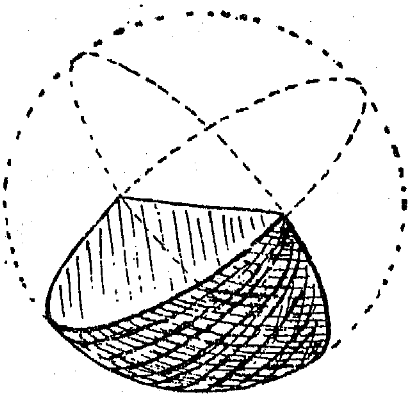
" ع " هو ما أحاطه سطحان أحدهما قطعة من سطح الكرة والآخر يبتدئ منها منخروطاً إلى مركز الكرة .



( شكل ٩٥ )

## ٩٧ — الشقة الكروية

هى جزء من سطح الكرة محصور بين نصفى دائرتين عظيمتين .

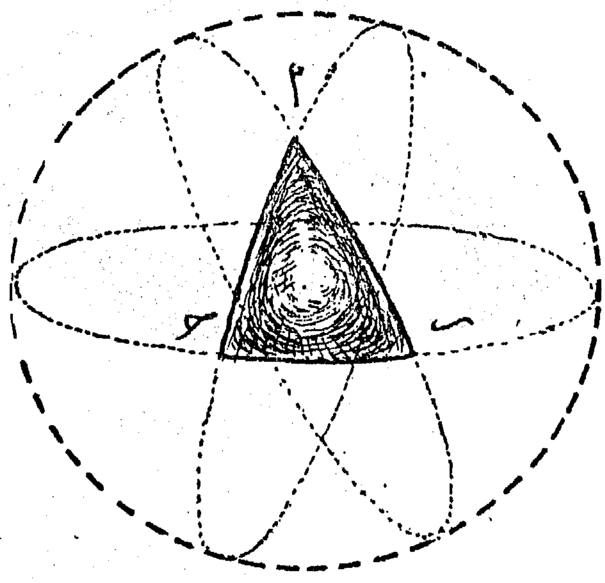


( شكل ٩٦ )

## ٩٨ — المثلث الكروى — .Spherical Triangle

هو جزء من سطح الكرة محدود بثلاث أقواس من دوائر عظيمة .

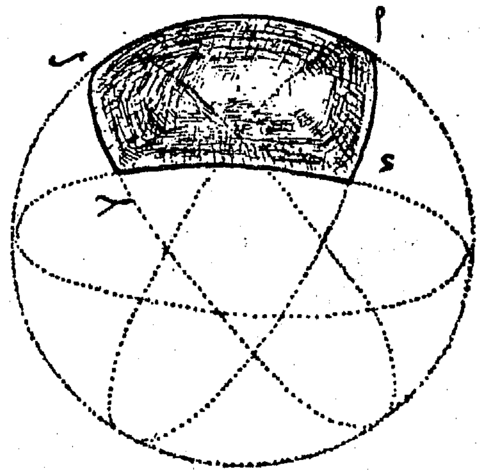
"ط" هو جزء من محيط الكرة يحدث من ثلاث قِسِىّ هى أجزاء من ثلاث دوائر عظام .




(شكل ٩٧)

## ٩٩ — المضلع الكروى — Spherical Polygon.

هو جزء من سطح الكرة محدود بعدة أقواس من دوائر عظيمة .




(شكل ٩٨)

## ١٠٠ — المنشور — Prism.

هو جسم كثير السطوح فيه وجهان مضلعان متوازيان والأوجه الأخرى أشكال متوازية الأضلاع ، واصلة بين الأضلاع المتناظرة الموازية للضلعين .

ملاحظة : أطلق الطوسى والعاملى اسم الأسطوانة المضلعة على هـذا الشكل ، واختصا المثلثة القاعدة منها باسم " المنشور " .

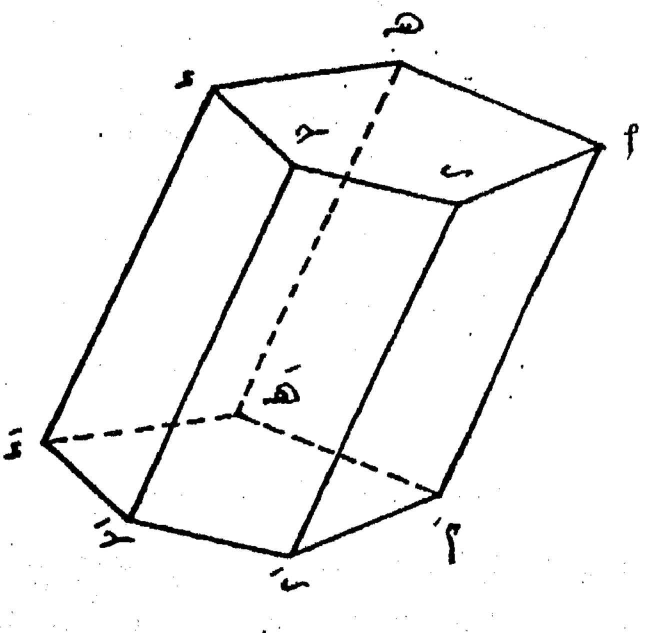
"ط" لا يطلق لفظ المنشور الثلاثى إلا على ما نسميه الآن المنشور الثلاثى ، أى ما كان الضلعان المتوازيان فيه مثلثين . ويقول : كل شكل مجسم يحيط به ثلاثة سطوح متوازية الأضلاع كل واحد منها ملاق للآخر، ومثلثان متشابهان سطحاهما متوازيان يسمى بالمنشور .

١٠١ — قاعدتا المنشور — .Bases of a Prism

هما الضلعان المتوازيان اللذان يصل بينهما الأوجه المتوازية الأضلاع .

١٠٢ — الأحرف الجانبية للمنشور — .Lateral Edges

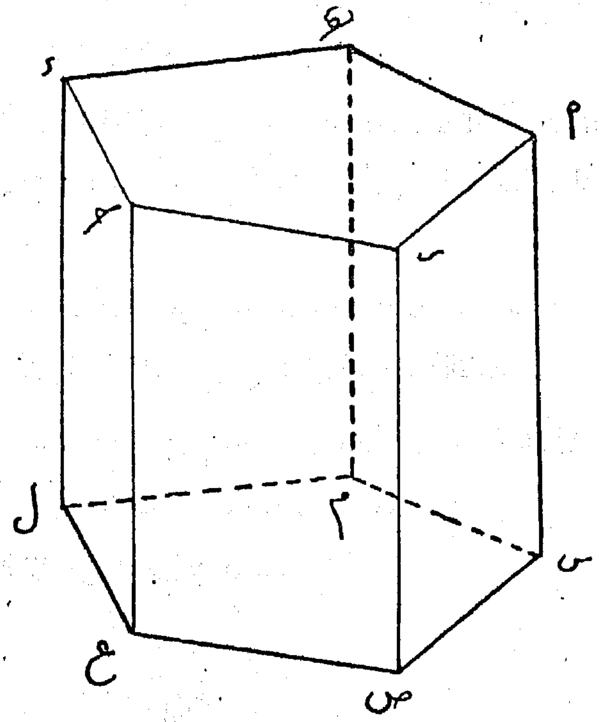
هى المستقيمات المتوازية الواصل كل منها بين رأسين متناظرين من قاعدتيه .




( شكل ١٠١ )

١٠٣ — المنشور القائم — Rectangular Prism.

هو ما كانت أحرفه الجانبية عمودية على قاعدتيه . وماسواه فهو المنشور المـائل.




( شكل ١٠٢ )

١٠٤ — الهرم — Pyramid.

هو جسم كثير السطوح أحد أوجهه مضلع وأوجهه الأخرى مثلثات قواعدها أضلاع هذا المضلع ورءوسها مجتمعة فى نقطة واحدة خارجة عنه .

"ع" يذكر كالطوسى المخروط المضلع بعد تعريف المخروط الدائرى" و يقول : فإن كانت قاعدة المخروط مضلعة كان مضلعا مثلها .

"ط" لايستعمل هذا اللفظ و يستعمل لفظ (المخروط) و يقول مثلا : المخروط المثلث القاعدة ويعرف المخروط كما يأتى " كل شكل مجسم يرتفع من سطح يحيط به سطوح و ينتهى إلى نقطة مقابلة لذلك السطح فهو المخروط".

١٠٥ — قاعدة الهرم — .Base of a Pyramid

السطح ا ب حـ ء هـ من الشكل ١٠٧

إن كانت أوجهه كلها مثلثات فكل واحد منها يجوز أن يسمى قاعدة ، أما إذا كان أحدها غير مثلث فهو القاعدة .

١٠٦ — الأوجه الجانبية للهرم — .Lateral faces of a Pyramid

هى المثلثات التى قواعدها أضلاع قاعدته ورءوسها مجتمعة فى النقطة الخارجة عن هذه القاعدة .

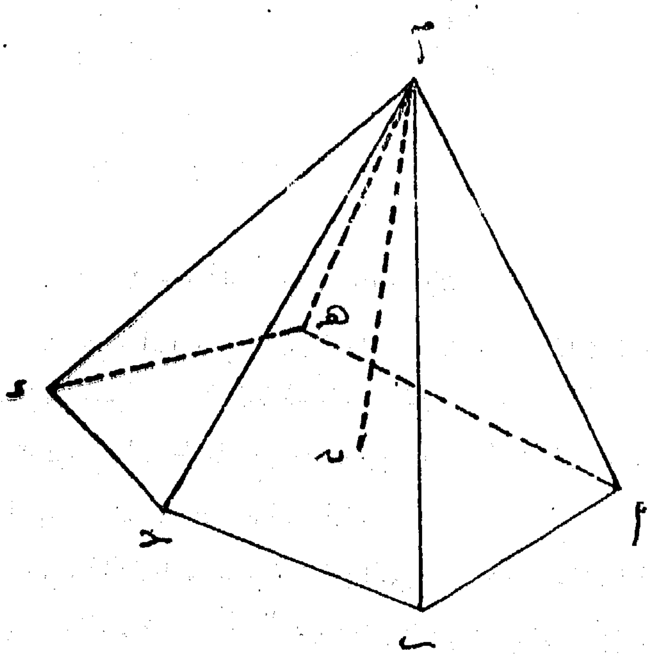
١٠٧ — رأس الهرم — .Vertex of a Pyramid

هو النقطة الخارجة عن قاعدته والتى تتلاقى فيها أوجه القاعدة .

١٠٨ — ارتفاع الهرم — .Altitude of a Pyramid

المستقيم م ن من الشكل ١٠٧

هو العمود النازل من الرأس على مستوى القاعدة .

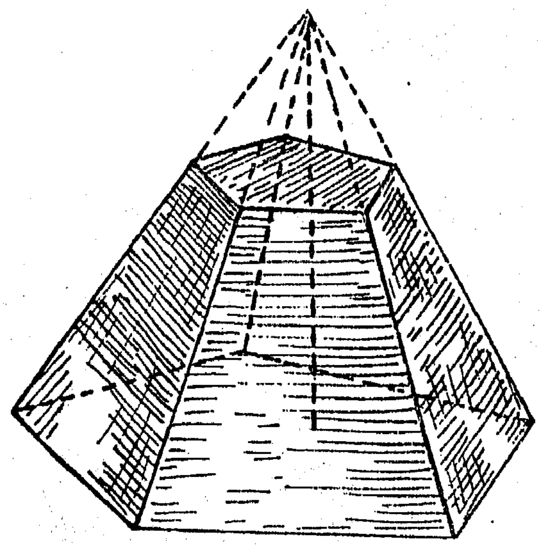



(شكل ١٠٧)

## ١٠٩ — الهرم الناقص — .Frustum of a Pyramid

هو الجزء الباقى من الهرم من جهة القاعدة بعد قطع أوجهه الجانبية بمستو لا يمر برأسه .

ويسمى المتوازى القاعدتين إن كان المستوى القاطع موازيا للقاعدة .



( شكل ١٠٨ )

### ١١٠ — السطح الأسطوانى — .Cylindrical Surface

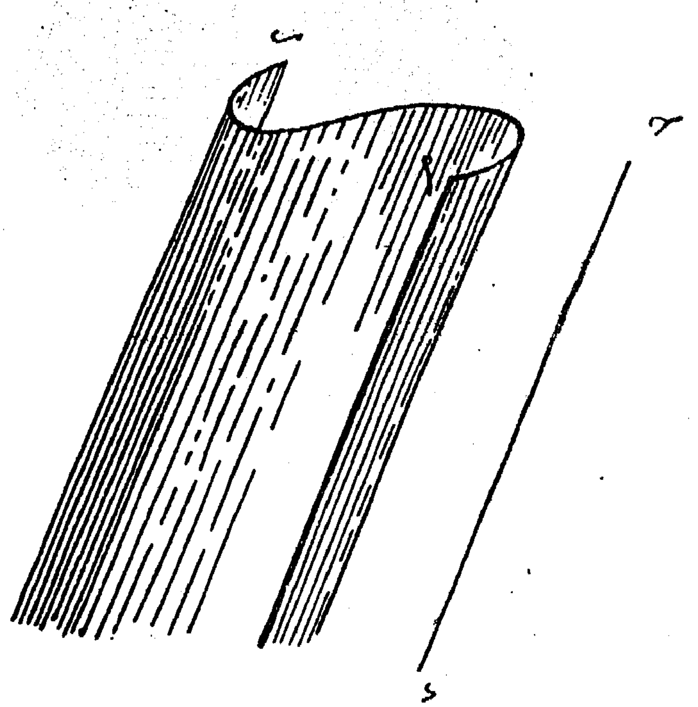
هو السطح الحاصل من تحرك خط مستقيم يقطع منحنيا معلوما ويوازى أثناء تحركه مستقيما آخر .

### ١١١ — دليل السطح الأسطوانى — .Guiding Curve

هو الخط المنحنى الذى يقطعه دائما الخط المستقيم المكون للسطح الأسطوانى أثناء حركته .

### ١١٢ — راسم السطح الأسطوانى — .Generator

هو الخط المستقيم الذى يتكون من حركة السطح الأسطوانى .

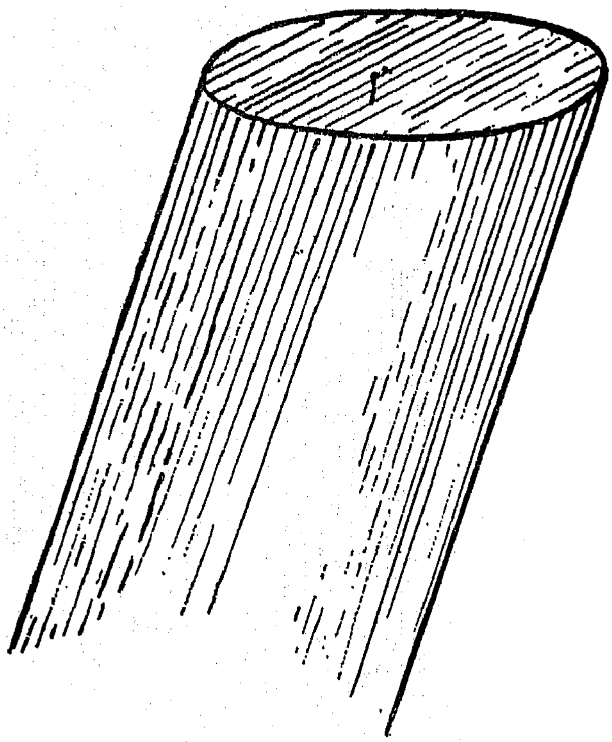



(شكل ١١١)

## ١١٣ — السطح الأسطوانى الدائرى

Circular Cylindrical Surface.

هو السطح الأسطوانى الذى دليله محيط دائرة .

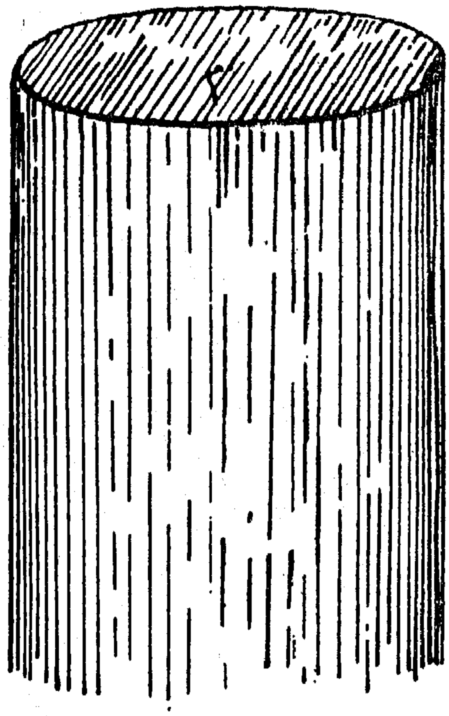



(شكل ١١٢)

## ١١٤ — السطح الأسطوانىّ الدائرى القائم

Right Circular Cylindrical Surface.

هو السطح الأسطوانى الدائرىّ الذى يكون رأسه عموديا على مستوى دليله .



(شكل ١١٣)

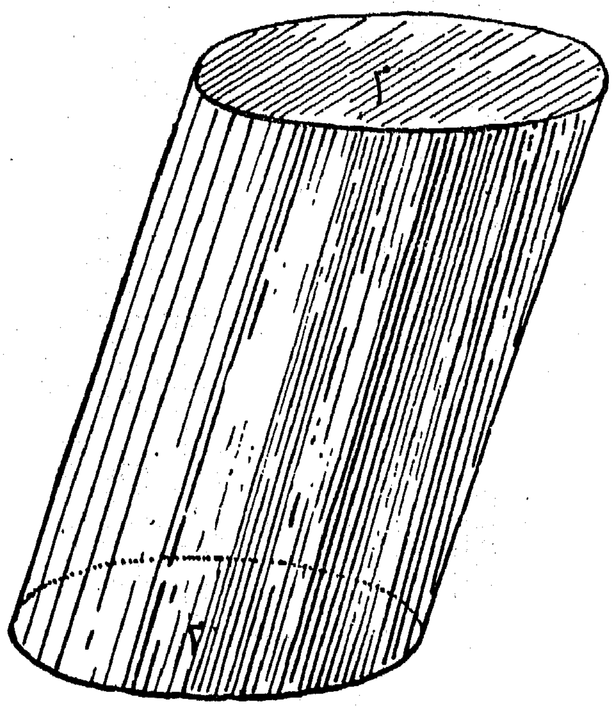
## ١١٥ — الأسطوانة الدائرية — Circular Cylinder.

هى جسم يحيط به سطح أسطوانى دائرى ودائرتان توازى كل منهما دليله .

" ع " ما أحاطه دائرتان متساويتان متوازيتان وسطح واصل بينهما بحيث لو أدير خط مستقيم عليه ماسه كلّه فى كل الدورة .

وتكون الأسطوانة الدائرية قائمة إن كان السطح الأسطوانى الدائرىُّ لها قائماً .

" ط " الأسطوانة المستديرة كل شكل مجسم يحيط به دائرتان متساويتان متوازيتان وسطح مستدير واصل بينهما .




( شكل ١١٤ )

## ١١٦ — قاعدتا الأسطوانة الدائرية

Bases of a Circular Cylinder.

هما الدائرتان المتوازيتان اللتان تحدانها .

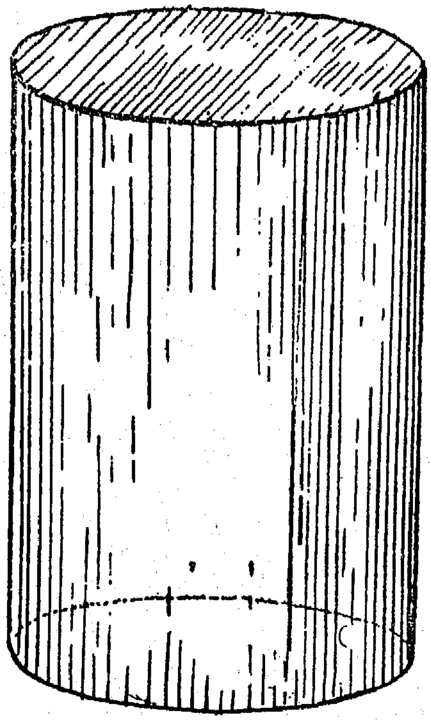
" ع " وهما ( الدائرتان ) قاعدتاتها .

" ط " وكل واحدة من الدائرتين قاعدتها .

١١٧ — محور الأسطوانة الدائرية — Axis of a Circular Cylinder.

هو المستقيم الواصل بين مركزى قاعدتيها .

"ع" مثل الطوسى يسميه سهم الأسطوانة و يقول : وهو الخط الواصل بين مركزيهما ( القاعدتين ) سهمها .



( شكل ١١٦ )

"ط" يسميه سهم الأسطوانة و يقول عند الكلام على الأسطوانة الدائرية القائمة ما يأتى :

وهى تحدث من دوران ذى أربعة أضلاع جميع زواياه قوائم ، أثبتت إحدى أضلاعه إلى أن يعود إلى وضعه الأول . فذلك الخط الثابت سهم الأسطوانة .

## ١١٨ — السطح المخروطىُّ — Conical Surface.

هو السطح الذى يتكون من خط مستقيم يمر بنقطة ثابتة ويتحرك قاطعا خطا منحنيا معلوما .

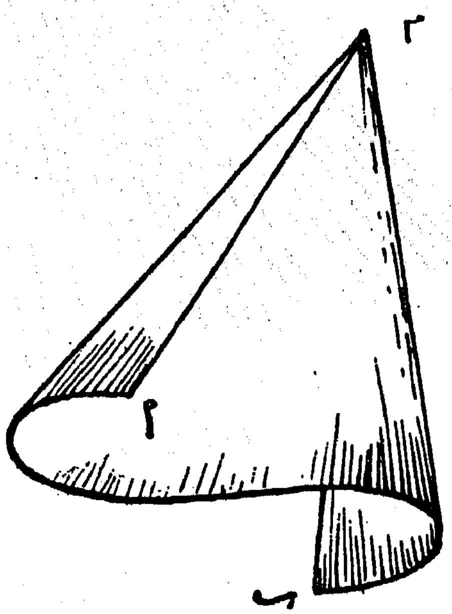
الخـط المنحنى : يسمى دليل السطح المخروطىّ .

النقطة الثـابتة : تسمى رأس السطح المخروطىّ .

المستقيم المتحرك : يسمى راس السطح المخروطىّ .

ثابت بن قرة :

إذا وصل فيما بين نقطة ما و بين خط محيط بدائرة بخط مستقيم ولم يكن الدائرة والنقطـة فى سطح واحد وأخرج الخط المستقيم فى الجهتين وأثبتت النقطة حتى لا تزول وأدير الخط المستقيم على الخط المحيط بالدائرة حتى يرجع إلى الموضع الأول الذى منه بدأ ، فإنى أسمى كل واحد من السطحين اللذين يرسمهما الخط المـدار بممره وكل واحد منهما مقابل لصاحبه وقابل للزيادة بلا نهاية " سطحا مخروطا " اهـ



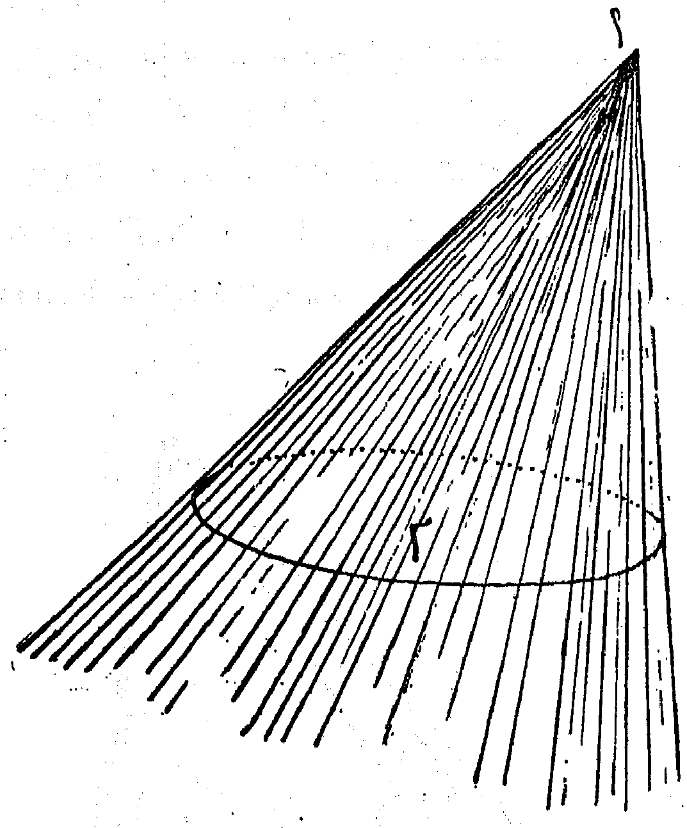

(شكل ١١٧)

## ١١٩ — محور السطح المخروطى الدائرى :

( المستقيم ا م من الشكل ١١٨ ) .

هو المستقيم الواصل بين رأسه ومركز دليله .

" ثابت بن قرة " يسميه سهم السطح المخروط .

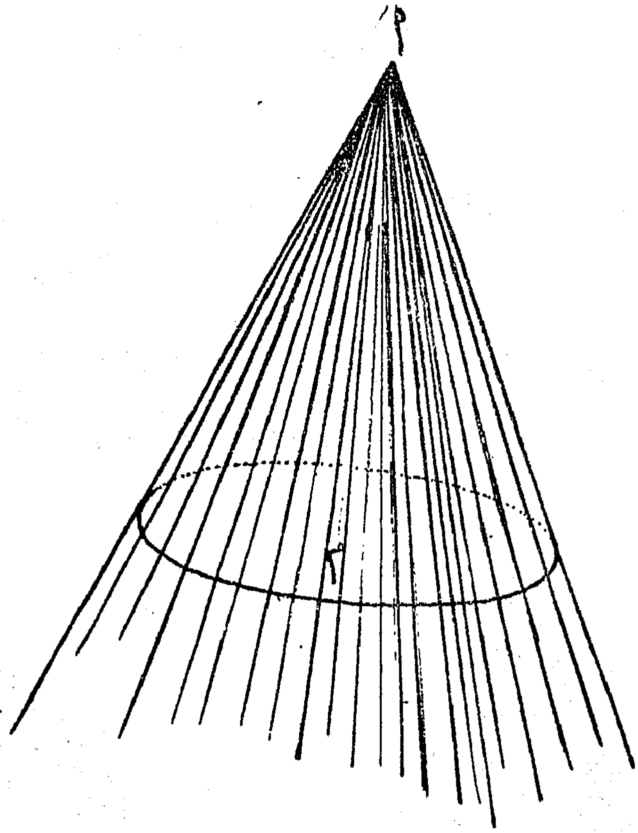



( شكل ١١٨ )

## ١٢٠ — السطح المخروطى الدائرى القائم

Right Circular Conical Surface.

هو الذى يكون محوره عموديا على مستوى دليله .




( شكل ١١٩ )

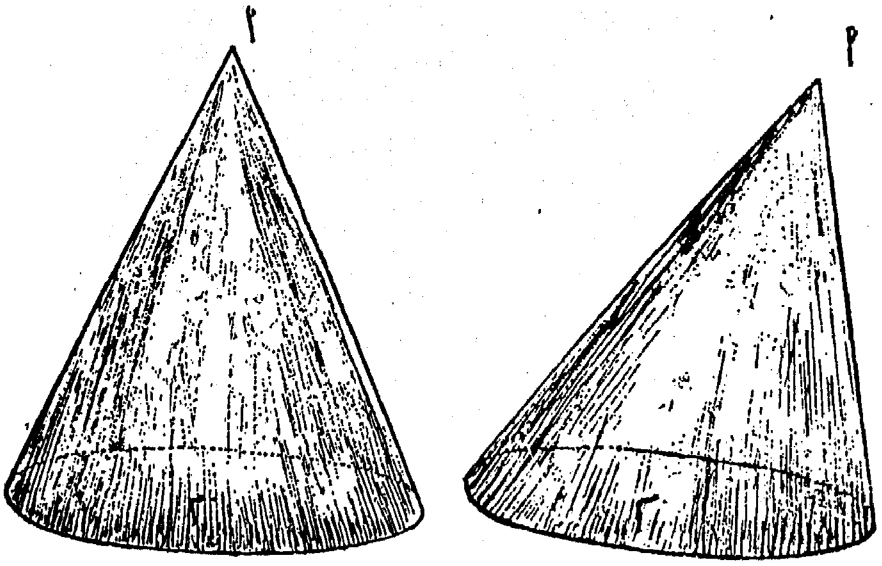
## ١٢١ — المخروط الدائرى — Circular Cone.

هو الجسم المحدود بسطح مخروطى دائرى دليله دائرة توازى الدليل .

" ع " وما أحاط به دائرة أو سطح صنوبرى مرتفع من محيطها متضايقا إلى نقطة بحيث لو أدير خط مستقيم واصل بينهما ماسه بكله فى كل الدورة مخروط قائم أو مائل .

وأسمى الشكل الذى تحيط به الدائرة وما بين نقطة الرأس وبين الدائرة من السطح المخروط " مخروطا " .

" ط " المخروط المستدير كل شكل مجسم يرتفع من دائرة وينتهى إلى نقطة مقابلة لتلك الدائرة ويسمى المخروط الصنوبرى .




( شكل ١٢٠ )

١٢٢ — قاعدة المخروط الدائرىّ — Base of a Circular Cone.

( الدائرة م من الشكل السابق ) .

هى الدائرة التى تحد المخروط .

ثابت ، الطوسى ، العاملى :

يتكلمون على قاعدة المخروط ، مشيرين إلى أنها الدائرة المذكورة فى تعريفاتهم له ، ولكنهم لا يعرفونها .

# مصطلحات الآداب والفنون

## التــاريخ

كانت لجنة الآداب والفنون الجميلة قد وضعت طائفة كبيرة من المصطلحات التاريخية والأدبية والفلسفية التى كثيرا ما تعرض فى البحوث ذات الآصرة بتاريخ الأدب أو تاريخ المذاهب الفلسفية أو تاريخ تطور الفكر ، وجميعها تتصل ببرامج التعليم ، وقد عرضت على المجمع فى دور انعقاده الثالث فأقرها بعد البحث والتقصى ، وتناول بعضها بالمحو وبعضهــا بالإثبات ، فكانت فى مجموعها نيفا وستين ومئتى مصطلح . وننشر هنــا خمسين مصطلحا منهــا ، قام بتعريفها العلمى إسماعيل مظهر افندى الموظف بالمجمع .

### Renaissance, the — النهضة

أصل اللفظ الأعجمى من اللاتينية (renascentia) ومعناها "الميلاد الجديد".

قصد بهذا الاصطلاح فى التاريخ ، حركة الانتقال فى أوربا من تقاليد القرون الوسطى إلى الحياة الحديثة ، وبخاصة العصر الذى عاد الباحثون فيه إلى الإكباب على درس الآداب القديمة وتفهم روحها . وقد بدأت هذه الحركة فى إيطاليا ، بعد أن بدأ "بترارك" (Petrarch) وغيره من زعماء مذهب القائلين بإحياء الثقافة القديمة (humanism) والفنانون فى القرن الرابع عشر ، يتوفرون على درس الآداب القديمة ويحيون روائعها ، فاعتبروا رواد النهضة . وقد قويت هذه الحركة بعــد أن هبط العلماء البوزنطيون(Byzantine Scholars)إيطاليا بعد سقوط القسطنطينية فى يد الأتراك العثمانيين ســنة ١٤٥٣ ، ونقلوا معهم كل ما كان بين أيديهم من مخلفات

الثقافة الإغريقية ، و بلغت النهضة فى إيطاليا أرق مراتبها فى أواخر القرن الخامس عشر . ولقد أيد هذه النهضة روح جديد تجلى فى النزعة إلى الكشف فاخترعت الطباعة وكشفت أمريكا ودار السائحون بحرا حول أفريقية .

وقد اقترنت النهضة فى ألمانيا بظهور ثورة الإصلاح الدينى التى بدأت فى سنة ١٥١٧ . وظهر فى انجلترا فى أوائل القرن الخامس عشر ، وفى فرنسا فى خلال حكمى لويس الثانى عشر (١٤٩٨ — ١٥١٥) وفرنسيس الأول (١٥١٥ — ١٥٤٧) رجال من أكبر الأدباء الذين خلدت أسماؤهم فى تاريخ النهضة الأوربية .

See : Cent. Dict. p. 5074, vol. vi.

## Reign of Terror. — حكم الإرهاب

فى التاريخ الفرنسى :

هو الطور الأول من أطوار الثورة الفرنسية الذى استولت فيه فئة خاصة من الزعماء على السلطة ، وأخضعوا البلاد لإرادتهم ؛ وقد رسموا لسياستهم خطة قتال كل من يأنسون فيه الميل إلى مقاومة مبادئهم ، رجلا كان أو امرأة ، شيخا أو صبيا .

وقد بدأ هذا العصر فى شهر مارس من سنة ١٧٩٣ عندما ألفت المحكمة الثورية (Revolutionary Tribunal) ، وانتهى فى شهر يوليه من سنة ١٧٩٤ ، بسقوط " روبسبيير " وأنصاره . وقد يسمى " الإرهاب " (The Terror) — من غير أن يذكر لفظة " حكم " (Reign) فتدل كلمة " الإرهاب " على ذلك العهد خاصة .

وقد يطلق هذا الاصطلاح على كل صور الحكم التى يكون فيها شبه من حكم الإرهاب فى فرنسا .

See: Cent. Dict. p. 6248, vol. iv.

**Episcopal System. — حكومة القساوسة**

(L. episcopatus = the office of a bishop).

(١) حكومة كنسية رءوسها الأساقفة .

(٢) نظام الحكم الكنسى ويتألف من ثلاث مراتب : الأساقفة (١) والقساوسة (٢) والشمامسة (٣) ؛ وكل مرتبة منفصلة عن الأخرى . ولطبقة الأساقفة السلطة العليا فيه ، ولهم وحدهم قوة إصدار الأوامر .

Encycl. Dict. p. 357, vol. III; Oxf. Dict. p. 244, vol. III.

**Feudal Lords. — كبار المُقْطَعين**

من يُقطَعون قطائع من الأرض ، فيكونون صلة بين الملك وصغار المقطعين . وقد يحدث أن يكون الملك هو الذى يقطع بنفسه من هم فى مقام صغار المقطعين . فتَنْبَتّ حلقة السّادة . وفى النظام الإقطاعى الأصيل ، تكون صلة السيد بأتباعه . ولا صلة له بأتباع أتباعه ، بحيث يكون كل منهم مسئولا أمام سيده المباشر . ولما كان نظام الإقطاع على أشده فى القارة الأوربية ، كان لهذا العرف أثر فى أن يكون كبار المقطعين مستقلين فى العمل عن ملوكهم الاسميين. وكثيرا ما كانوا ينكرون حقوق الملوك ، ويقاومون نفوذهم بالقوة ، حتى لقد يعجز الملوك عن فرض إرادتهم عليهم .

Oxf. Dict, p. 178, iv; See Feudal System. Cent. Dict. 2993ii.

---

(1) Bishop.
(2) Presbites.
(3) Deacons.

## المجلس التأسيسى

**Constituent Assembly—Assemblée Constituente** (*fr.*)

فى تار. فرنسا :

أول الجمعيات الثورية فى ثورة فرنسا الكبرى ، وكان أول اجتماعه سنة ١٧٨٩ إلى سنة ١٧٩١ ، فقد انتخب مجلس الطبقات (Etats-Généreaux) فى سنة ١٧٨٩ ، وكانت جلسته الأولى فى ٥ من مايو سنة ١٧٨٩ ، وفى شهر يونيه التالى أطلقت الطبقة الثالثة ( طبقة العامة ) على نفسها اسم ( المجلس القومى ) وطغت على الطبقتين الأخريين ( النبلاء ورجال الدين ) واستحوذت على سلطتهما . وكان أهم عملها وضع الدستور الفرنسى ؛ فسميت لذلك "المجلس التأسيسى"-Constituent Assembly
See: Cent. Dict. 335-i

**Franciscans.—Les Franciscains** (*fr.*)— الفرنسسكيون

فئة من الرهبان المستجدين أسسها القديس فرنسيس الاسيزى St. Francis of Assisi بإيطاليا ، وأجازها البابا سنة ١٢١٠ ، ثم نالت تصديقا بابويا آخر أوسع من الإجازة الأولى سنة ١٢٢٣ . ولقد انتشرت مبادئ هذه الفئة انتشارا عظيما فى أوربا ، وكانت تقاوم الدمنكيين . ومن مبادئها لزوم الفقر والعفة والطاعة ، وانحصرت دعوتها فى تطهير الجسد والروح ، واتبعت فى ذلك طرقا عنيفة ، أدت إلى انقسامها فى القرن الخامس عشر فئتين .

الأولى : (The Observantinesor Observants)

والثانية : (The Conventuals)

ولما انتشر هذا المذهب فى أوربا سمى أتباعه بأسماء منها :

الرهبان التابعون ( بمعنى التبعية للقديس فرنسيس (The Minorites)

الرهبان الحفاة (Barefooted Friars)

الرهبان الغريون (نسبة الى غراى) : Gray's Friars)

(See : Cent. Dict. vol. ii

**Directory, the—Directoire.** *fr.* — **حكومة المديرين**

فى تاريخ فرنسا :

الهيئة التنفيذية فى فرنسا خلال فترة من عصر الثورة ، وكانت تتألف من خمسة اعضاء يدعى كل منهم مديرا(Director)ويستبدل بواحد منهم غيره كل سنة .

وقد قامت هذه الحكومة بعد حكومة المجتمع القومى(National Convention) وظلت قائمة من أكتوبر سنة ١٧٩٥ الى ٩ من نوفمبر سنة ١٧٩٩ ، ثم ألغيت بالانقلاب الذى أحدثه نابليون بونابرت (فى ١٨ من شهر برومير Brumaire) وقامت على أثرها جمهورية القناصل(The Consulate)— وفى ظل حكومة الإدارة، انحصرت السلطة التشريعية فى مجلس للشيوخ مؤلف من ٢٥٠ من الأعضاء ، اشترط فيهم أن يكونوا فوق الأربعين من العمر ، ومن مجلس ثان مؤلف من ٥٠٠ عضو ، كان له وحده حق إجازة القوانين والموافقة عليها

(See : Cent. Dict. 1638-ii).

**Magna Charta** — **الوثيقة العظمى**

(or) Magna Carta; also Magna Charta Liberatum.

(L. Charta=paper, map, card, etc.)

(١) العهد الكبير الذى نال به الشعب الإنجليزى حرياته ، وقد وقّع فيه وختمه الملك يوحنا فى مؤتمر عقده مع بارونيه فى "رنّميد"(Runnymede) فى ١٥ من يونيه سنة ١٢١٥ ، وبه نظمت الحرّيات وجباية الضرائب وفرضها ، فحدّ ذلك من سلطة الملك باعتباره المقطع الأعظم (Feudal Superior) أما ما كان من الملك هنرى الثالث ، فمجرد تصديق على العهد الذى وقع فيه أبوه .

(ب) أطلق هذا الاصطلاح أيضا على كل عهد سياسى تؤمّن به الحريات أو الحقوق أو الامتيازات المدنية

(See : Cent. Dict. 933-i).

**مجلس الطبقات — States-General.—Etats-Généraux** (*fr.*)

(أ) مجلس تشريعي يمثل طبقات الأمة الثلاث : النبلاء ورجال الدين والعامة ، وهو يناظر مجالس المديريات (States-Provincial).

(ب) فى فرنسا :

الاسم الذى أطلق على المجالس التشريعية فى فرنسا قبل ثورة ١٧٨٩

(ج) فى الأراضى المنخفضة (Netherlands).

مجالس تشريعية بدأت فى القرن الخامس عشر وانتهت فى سنة ١٧٩٦
See: Oxf. Dict. p. 857-x.

**ديوان التفتيش — Inquisition, the ;—L'Inquisition.** (*fr.*)

(L. inquisitio (n.) a seeking or searching for; a seeking for grounds of accusation).

فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية :

محكمة كنسية ، كانت تدعى فى الرسميات باسم " المكتب المقدس " (Holy office) عهد إليها فى مقاومة الكفر والمروق ، بأن تفتش باحثة عن الكفار ومن إليهم وتعاقبهم ، وكان لها أن تتسقط أخبارهم بطرق أخرى غير التفتيش ، كتلقى التقارير والتحقيق فيها .

وكان الاقتصاص من الكفار بالموت وغيره من العقوبات قد بدأ منذ القرن الرابع الميلادى ؛ ولكن التفتيش بالمعنى السابق لم يبدأ إلا فى القرن الثانى عشر ؛ ثم زاده البابا أنوسان الثالث قوة فى القرن الثالث عشر — ومن ثَمّ انتشر فى فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وألمانيا وغيرها من الممالك . وكان المفتشون هم الأساقفة ، ولهم سلطة التفتيش فى حدود " أبرشياتهم " (Dioceses) ومعهم فريق من المساعدين

ولما نظمت هذه المحاكم عهد بها إلى الدمنكيين، بإشراف هيئة عليا فى رومية كانت تدعى " مجمع المكتب المقدس " — (Congregation of the Holy Office) ثم أجيز نظام التفتيش فى أسبانيا ، ووضع تحت رقابة الدولة فى أواخر القرن الخامس عشر. وقد اشتهر بغلظته وقسوته وبكثرة من قتل من الناس . وكان أكثرهم يحرقون أحياء أو تنفذ فيهم أنواع أخرى من العقاب بحسب منطوق الحكم الذى تتولى تنفيذه السلطات المدنية . وكانت أعمال هذه المحاكم تسير فى الخفاء ، فلا يطلع عليها إلا أشخاص رسميون يدعون "الأمناء" (Familiars) وبلغت سلطة هذه المحاكم أشدها فى القرن السادس عشر ، فانتقلت أنظمتها إلى المستعمرات البرتغالية والأسبانية. ثم قل نفوذها فى القرن الثامن عشر ، ثم ألغيت من فرنسا سنة ١٧٧٢ ، ومن البرتغال فى حكم يوحنا السادس (المتوفى فى سنة ١٨٢٦) ومن أسبانيا سنة ١٨٣٤ أما (مجمع المكتب المقدس) فلا يزال على النظام البابوى ، ولكن عمله الآن مقصور على النظر فى تحريم قراءة المؤلفات التى يرى فيها خروجا على الدين .

See: Cent. Dict. 3111-iii.

## Alamanni. — الألمان

(less correctly Alemanni=all men that is "men of all nations."

أمة من الجرمان أول من ذكرها فى التاريخ (ديون قسيوس Dio Cassius) الرومانى . وكانت مجموعة من القبائل أشهرها قبيلة ( الإرمندرى Hermundri ) وفى مفتتح القرن الرابع الميلادى ، شاع ذكر قبيلة (السويى Suebi) أو السوابى (Suabi)

وهى قبيلة كبيرة ، كانت قبيلة الأرمندرى ، جزءا منها . ومن بعد ذلك العهد ، استعمل الاسمان ، الألمان والسوابى ، مترادفين ، للدلالة على قبيلة واحدة .

وظلت هذه القبائل فى حروب متواصلة مع الرومان ، وأهم مواقعهم موقعة "إستراسبورج" التى هزمهم فيها "يوليانوس" سنة ٣٥٧ وفى أوائل القرن الخامس، عبر الألمان نهر الرين ، وغزوا الألزاس وجزءا كبيرا من سويسرا واستعمروها . وفى سنة ٤٩٥ — ٤٩٦ غزاهم ( كلوويس Clovis) ومنذ ذلك العهد، صاروا جزءا من الفرنجة Franks . ولا تزال لهجة الألمان مؤثرة إلى اليوم فى اللهجات السويسرية وفى نواح من جرمانيا الجنوبية ، وبخاصة ولايتا بادن ، وفرتمبرج ، وأجزاء من الألزاس .

See: Cent. Cycl; p. 27; Encycl. Brit. 494–I; 14th. Edit.

## Franks. — الفرنجة

( ١ ) ذكر الفرنجة أولا الكاتب الرومانى " أمّيانُوس مَرِقلّانُوس " (Ammianus Marcellinus) سنة ٣٥٨ . ويطلق اسم الفرنجة على كل القبائل الجرمانية . وقد حقق أنها كانت تتكلم لهجات متشابهة ، وخضعت فى أنظمتها لعادات متشابهة . وكانت كل قبيلة مستقلة استقلالا سياسيا ، ولم يكن بينهم اتحاد عام . ولكن ربما حدث أن تحالف قبيلتان أو أكثر، للقيام بحرب، على أن هذا الحلف ينحل ، بمجرد انتهاء الحرب .

وفى أوائل القرن الخامس انقسمت هذه القبائل خمس فرق أشهرها "الخاتية" (Chatti) و " الرفوارية " (Ripuarian) و " السالية " (Salian or Salic) واستعمرت الفرقة الثالثة أراضى الرين السفلى ، وقضت بقيادة كلوويس(Clovis) على النفوذ الرومانى فى بلاد الغال، وأقامت هناك ملكا عظيما ، وأطلق اسم القبائل على البلاد فسميت فرنسا (France) .

( ٢ ) فى الحروب الصليبية سمى العرب والشرقيون الأوربيين الذين زحفوا على البلاد المقدسة " الفرنجة " تعريبا للفظ (Frank) بغير تمييز .

Ecycl. Brit . 697–vol. 9–14th.Edit; Cent. Dict. vol. II

## المجلس القومى

**National Assembly.—Assemblée Nationale** (*fr.*)

فى التاريخ الفرنسى :

أول الجمعيات الثورية ؛ وقد ظل مسيطرا على فرنسا من سنة ١٧٨٩ إلى سنة ١٧٩١ ويتلخص تاريخه فى أن " مجلس الطبقات " (States-General) انتخب فى سنة ١٧٨٩ وافتتح فى ٥ من مايو ، وفى شهر يونيه طغت الطبقة (Estate) الثالثة ، على الطبقتين الأخريين ، أى العامة ، على النبلاء ورجال الدين ، وتسمت باسم " المجلس القومى " وانحصر عملها فى وضع الدستور فسميت " المجلس التأسيسى " (Constituent Assembly).

وهنالك جمعيتان فرنسيتان دعيتا بهذا الاسم . الأولى : الجمعية التشريعية التى ألفت فى فرنسا بعد ثورة سنة ١٨٤٩ ، والثانية : الجمعية التى التأمت سنة ١٧٨١ بعد سقوط القيصرية الثانية .

See: Assembly, Constituent; Cent. Cycl; p. 724.

## Truce of God. — الهدنة الإلهية

الكف عن أن يقاتل شخصٌ آخرَ . وهى عادة كانت مرعية أشد الرعاية خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر فى فرنسا و إيطاليا و إنجلترا وغيرها من الممالك ، فى أثناء الأعياد الكنسية وفى زمن الصيام ، ومن مساء الخميس إلى صبيحة الاثنين من كل أسبوع ؛ وفى صوم الأربعين " الصوم الكبير " (Lent) إلى غير ذلك .

وكانت الكنيسة قد أقرت هذه العادة فى القرون الوسطى ، ولكنها أخذت تزول تدريجيا من ممالك كثيرة ، عندما أصبح الحكام أكثر قوة . والهدنة الإلهية تشابه الأشهر الحرم عند المسلمين .

See. Cent. Dict. 6505-vol. vi.

## Arena. — المجتلد

(L.= sand, a sandy place, beach, arena; more correctly harena, O.L. hasena, asena = be dry).

الحلبة المقفلة فى وسط مدرج رومانى حيث يتضارب المتجالدون بالسيوف أو يقاتلون وحوشا أعدت لذلك . وكانت تفرش عادة بالرمل أو الحصى الصغير ( ومن هنا جاء اسمها اللاتينى ) حتى تثبت أقدامهم فى الجلاد ولا تنزلق ، وحتى يتشرب الرمل الدماء المهراقة ، وكان المجتلد يسيج بحائط عال لا تستطيع الوحوش تسوره قفزًا ، حتى يأمن النظارة عدوانها .

والمجتلد — من الفعل اجتلدوا ( شرح القاموس ٣٢٢ : ٢ ) .

## Dominicans. — الدُّومِنْكِيُّون

Fratres Praedicatores (rendered in English Friars Preachers, preaching brethren or Friars, Perdicants, or Order of Preachers).

إحدى فرق الرهبان المُسْتَجْدِين أسسها القديس "دُومِنْجُو دُه جُوزْمان" (Domingo de Guzman) فى لانجدوك (Languedoc) بفرنسا وأجازها البابا فى سنة ١٢١٦

ويؤخذ من الاسم الاصطلاحى ، ما يفيد معنى الرهبان الواعظين أو المبشرين . وكان الوعظ والتعليم الدينى من أغراضها الرئيسية . وقد نشرها مؤسسها فى إيطاليا وإسبانيا ، ومن ثمَّ انتشرت فى الممالك الأخرى . وسموا فى انجلترا "الرهبان السود" لأنهم

يلبسون معاطف سوداً ، وسموا فى فرنسا اليعقوبيين ، نسبة إلى كنيسة "سان جاك" ومستشفاه (Jacobus) وقد اتخذتهما هـذه الفئة مقرا لها فى باريس ، عند أول ظهورها فيها .

أما منهاجهم فقـائم على خطة القديس اوغسطين وتنحصر فى الفقر والتعفف والصوم والصمت ، ولكن ربمـا تخلوا عن الصوم والصمت ، إذا اعترضا القيام بالواجبات العملية .

See: Cent. Dict. p. 1729, vol. ii.

**Papal Bull.— البراءة البابوية**

(L. bulla) A boss, knob, stud, bubble, etc.

أعظم الوثائق الرسمية التى يصدرها البابا ، أو التى تصدر باسمـه . وهى غالبا كتاب غير سرى ، يتضمن مرسوما أو أمرا أو حكما ، إمّا لتشريف شخص ، وإما لإقامة العدل وإما للفصل فى أمر .

وأخذ الاسم (Bull) من ختم بالرصاص يعلق فى الوثيقة بخيط أو شريط . فإذا كانت الوثيقة للتشريف ، كان الخيط أو الشريط أحمر أو أصفر ، وإذا كانت لإقامة العدل ، كان من القنب خاصة ، غير ملون بلون . وينقش على أحد وجهى الختم اسم البابا ، وعلى الوجه الآخر رأسا القديسين : بطرس وبولص .

وتكتب الإرادات البابوية باللغة اللاتينية : إما بالخط المتصل الحروف ، وإما بالخط الغوطى المستدير الحروف ، على ورق من الكتان ، مختوم بخـاتم أحمر مستدير ، يتضمن اسم البابا ، وفى وسطه صور تمثل وجوه الرسل .

See: Cent. Dict. p. 714, vol. i.

## Mayor-(s) of the Palace. — محافظ القصر

(L. major-greater, compar. of magnus-great ; see major, of which mayer is a doublet).

فى فرنسا :

أطلق هذا الاصطلاح فى الأصل على الرئيس الأعلى فى مقر ملكي؛ ثم لقب به رئيس الحكومة فى عصر الملوك الميروفيين (Merovingian Kings) وعلى مر الزمن ، أصبح لهؤلاء الرؤساء من السلطة ، ما تضاءلت بجانبه سلطة الملوك ، إذ انحصرت كل السلطة فى يدهم ، وصار الملك حاكما اسميا لا عمل له .

وأشهر هؤلاء الرؤساء ببين الهرستالى (Pépin of Héristal) والد شارل مارتل ابن ببين القصير (Pepin the Short) الذى تمكن فى سنة ٨٥١ أو ٧٥٢، من خلع آخر الملوك الميروفيين المسمى "شلدريق الثالث" (Childric III) وأسس الأسرة الكارولينية .

Cent. Dict. p. 3669, vol. iv.

## Divine Right. — الحق الإلهى

المذهب القائل بأن الملك يتسلط على شعبه تسلط الأب على أولاده ، كما كان يفهمه القدماء (in loco parentis) وأنه يستمد هذه السلطة من الله مباشرة ، لا من إرادة الشعب . وهذا المذهب، الذى بلغ أشده فى عصر أسرة "إستيوارت" فى بريطانيا ، قد فقد الآن ، كل ما كان له من أثر فى السياسة .

See: Cent. Dict. p. 1706–vol. ii.

Qout. From Cent. Dict. ibid.

The divine right of kings, independent of the wishes of the people, has been one of the most enduring and influential of superstitions, and it has been now not wholly vanished from the world. Lecky's European Morals. p. 285, vol. ii.

### مجلس اللوردين — House of Lords.

الفرع الأعلى من فرعى مجلس النيابة فى بريطانيا ، وإيرلاندا قبل استقلالها ؛ ويتألف من قسمين من اللوردين : أحدهما روحى ، والآخر مدنى . ومنهما يتكوّن المجلس . وفى سنة ١٨٨٨ كان الذين يحق لهم الجلوس فيه ٢٦ من أشراف الروحانيين و ٥٣٤ من المدنيين . ومن المدنيين خمسة من الأمراء الذين يمتون بآصرة القـرابة إلى الأسرة المـالكة ، و ٢٨ من أشراف إرلاندا ينتخبون للمجلس مدى الحياة ؛ و ١٦ من أشراف إيقوسيا ينتخبون لدورة واحدة من اجتماع المجلس . أما البقية فمن أشراف بريطانيا .

Cent. Dict. p. 3521, vol. iii.

### الدَّوليَّة — Internationalism.

( ١ ) المبادئ والمذاهب والنظريات التى يستمسك بها أنصار الفكرة الدولية .

( ٢ ) الأساس الذى تقوم عليه المصالح والأعمال بين الأمم المختلفة ، فيما يتعلق برءوس المـال .

( ٣ ) المذهب أو النظرية التى تقوم عليها جمعية العمال الدولية .

See : Cent. Dict. p. 3150, vol. iii ; Oxf. Dict. p. 410, vol. V.

### البـابوِية — Papacy.

( ١ ) وظيفة البابا ( أو أسقف رومية ) وسلطته ومقامه .

( ٢ ) التشريع البابوى (Papal Jurisdiction).

( ٣ ) النظام الكنسى الخاضع للبابا .

( ٤ ) خلافة البابوات وتتابعهم فى البابوية ، وما يلحق بذلك من التقاليد السياسية والكنسية .

(٥) نظام الحكومة الكنسية التى تدبر أمور الكنيسة . وأساس هذا النظام قائم على رياسة البابا الرسولية وسلطته العليا .

(٦) الكنيسة الرومانية .

(٧) الكنيسة الرومانية الكاثوليكية .

See : Cent. Dict. p. 4265,vol. iv.

## Parlement. — الديوان العالى

محكمة العدل الرئيسة فى الملكية الفرنسية، منذ كانت مجلس الملك الخاص، فى أول عصور التاريخ الفرنسى، إلى عصر الثورة الكبرى .

وكان تكوين المحكمة العليا منذ سنة ١٣٠٠، قائما على ثلاثة مجالس :

المجلس الكبير (The Grand Chamber).

ديوان الظلامات أو المطالب (Chambre de Requêtes).

ديوان التحقيق (Chambre d'Enquêtes).

وكان لهذه المحكمة أثر عظيم فى السياسة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر .

See : Cent. Dict. p. 782, vol. iv. : Parliament of Paris.

## Balance of Power. — التوازن الدولى

فى القانون الدولى :

توزع أسباب القوة والدفاع فى الأمم التى يتكون منها نظام سياسى، بحيث لا تصبح أمة، سواء أكانت قائمة بنفسها أم منضمة إلى غيرها، فى مركز يمكنها من أن تفرض إرادتها على غيرها من الأمم، أو تعتدى على استقلالها .

أما الخطة التى اتبعتها دول أوربا لتحقيق هذا الغرض فكانت مقاومة كل نظام سياسى، يرمى إلى استفحال قوة إحدى الدول أو إضعاف أخرى إلى حد يهدد السلام العام؛ ففرضت الدول فيما بينها قيودا لا تبيح لإحداها أن تعمل ما من شأنه أن يزيد قوتها ، فتهدد بذلك استقلال جاراتها ، أو تفتات على كيانهن القومى .

See: Cent. Dict. p. 425, vol. i: Balance.

**Porte, The, (The Sublime Porte). — البـاب العالى**

اسم أطلق على البناء الذى كان يحوى رئيس الوزراء (الصدر الأعظم) وغيره من كبار موظفى العاهلية العثمانية ، ثم اتسعت دلالته فأصبح يطلق على الحكومة العثمانية نفسهـا .

See: Cent. Dict. p. 964, vol. iv.

**Matriarchal System. — نظام الأمومة**

also = Matriarchalis. m; Matriarchy.
(L. mater = mother); in the Encycl. Dict Supp. (L. Mater. = mother and Gr. arché and rule).

(١) حكومة الأم أو الأمهات .

(٢) وضع فيه تحكم الأمهاتُ الأسرةَ أو القبيلةَ وتكون سلسلةُ النسب راجعةً فيه إلى الأم لا إلى الأب .

(٣) نظام اجتماعى ألفته بعض القبائل البُدَائيّة، تتقدم الأم فيه على الأب ، من حيث انتساب الأعقاب والوراثة .

See: Encycl. Dict. p. 537, Supp. vol. viii. Oxf. Dict. p. 236, vol vi: also Cent. Dict. p. 3660, vol. iv.

## Patriarchal System. — نظام الابوة

Patriarchalism (Cent. Dict. p. 4329, vol. IV).

Patriarchalism. Oxf. Dict. 558, vol. VII; (A patriarchal system of society or government)

Encycl. Dict. p. 411, vol. V; Gr. patriarches=the father of a race; from patria=lineage and arché-rule). L. patriarcha.

( ١ ) وضع سياسى تنحصر السلطة العليا فى أسره أو قبائله ، فى أكبر الذكور .

## Patriarchy. — الأبوية

( ١ ) نظام اجتماعى يتألف من جماعة أو جماعات أصلها أسر مشتركة فى الدم بحيث تخضع جميعها لسلطة حاكم هو أكبر الذكور فيها .

( ٢ ) بظام حكومى رءوسه الآباء .

## Guillotine. — المقصلة

الاسم الأعجمى فرنسى نسبة إلى الطبيب الفرنسى "جوزف أجناس جيوتن" الذى كان عضوا فى المجلس التأسيسى فى الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ؛ فقد اقترح أن يقرر المجلس أن يكون القتل بقطع الرقبة ، وكان هذا النوع من القصاص مقصورًا على النبلاء فى ذلك العهد . وحجته فى ذلك أن القتل بقطع الرقبة أسرع طرق القتـل وأقلها وحشية . ثم اخترع مهندس ألمـانى يدعى "شميت" (Schimdt) آلة خاصة بارشاد الأستاذ "انطوان لويز" كاتب السر الدائم لجمعيـة الجراحين ، واستعملت أول مرة فى ٢٥ من أبريل سـنة ١٨٩٢ فى قتـل رجل من قطاع الطريق . وسميت الآلة "لويزون" (Louison) أو "لويزيت" (Luisette) ؛ ولكنها نسبت بعد ذلك إلى الدكتور "جيوتن" .

See: Cent. cycl. 468.

## Edict. — أمر ، مرسوم ، منشور

(L. edictum = a proclamation, ordinance, edict; from the verb edicere = to proclaim).

(١) فى القانون الرومانى :

مرسوم أو إعلان تنفيذى يصدره الحاكم .

(٢) فى الكنيسة الإيقوسية :

إعلان كنسى يصدر عن هذه الكنيسة .

(٣) مرسوم ما أو قانون يصدره ملك غير مقيد أو حاكم مطلق ، معتمدا على سلطته الذاتية ، وكل ما يجرى هذا المجرى من الأوامر والفروض .

Cent. Dict. 83–vol. ii

## Armada, the — الأرمادا

The Invincible Armada.
(M.L. armata—Marmed force; an army).

وتدعى أيضا الأرمادا القاهر (The Invincible Armada) أو الأرمادا الأسبانى (The Spanish Armada) وهو الأسطول البحرى الذى أرسله فيليب الثانى لقهر انجلترا فى سنة ١٥٨٨ فى حكم الملكة أليزابت ، وكان يتألف من ١٣٠ سفينة عظيمة ، ولكنه قهر ، ثم حطمته الأنواء على صخور جزائر أوركنى (Orkney) وعلى شواطئ إرلاندا الغربية .

Cent. Dict. p. 32, vol. I.

**Nationalism. — القومية**

( ١ ) اعتقاد أن بعض الشعوب ( لا الأفراد ) قد اختاره الله .

( ٢ ) الغلو فى حب الإنسان قومه وأمته .

( ٣ ) الروح الذى يرمى إلى التماسك والاستعلاء القومى ، أو مجموع الآمال والأغراض السامية التى ترمى إليها الأمة .

( ٤ ) الحرص على الوحدة القومية ، والاستقلال ، وسعادة الأمة .

( ٥ ) البرنامج السياسى الذى أعده زعماء إرلاندا للانفصال عن بريطانيا العظمى.

( ٦ ) خصائص الأمة وميولها .

See : Cent. Dict. p. 3939, vol. iv.

Qout-G.S. Faber. Prim. Doctr. Election. (1842) 189.—The several doctrinal systems, usually denominated Arminianism, Nationalism and Calvinism.

Oxf. Dict. p. 31, vol. vii.

**Legislative Assembly, the — الجمعية التشريعية**

فى تاريخ فرنسا :

( ١ ) الهيئات التشريعية التى شرعت فى فرنسا فى عهدين ، أولهما : من سنة ١٧٩١ الى ١٧٩٢ ؛ والثانى : من ١٨٤٩ — ١٨٥١ — وسميت بهذا الاسم تمييزا لها من الجمعية الوطنية ( National assembly ) .

( ٢ ) اسم يدل على مجموع الهيئات التشريعية فى حكومة أوريجون ( Oregon ) وفى الولايات المتحدة .

( ٣ ) اسم يطلق على قاعة التشريع الثانيـة ( Lower House ) أو على المجلس التشريعى فى مستعمرة انجليزية .

See Cent. Dict. p. 345, vol. i.

### ١ — الوندل — Vandal (s).

إحدى قبائل السلالة الجرمانية . وكان أول ظهورها فى أواسط جرمانيا وجنوبها . وفى النصف الأول من القرن الخامس ا كتسحت بلاد الغال وأسبانيا وشمالى أفريقية وغيرها . وفى سنة ٤٥٥ أسقطت رومية، وأحدثت بها تخريبا عظيما ، ولا سيما فى الآثار الفنية والأدبية .

وأسس الوندل ملكا فى أفريقية واتخذوا قرطاجنة قصبة له ، وضموا اليها جزائر البحر المتوسط الغربية ، وفيها صقلية .

ولقد خلط كتاب الرومان بين الوندل والغوط ، وكثيرا ما استعملوا اسم الغوط بتوسع ، فأطلقوه على كل الأمم التوتونية الذين غزوا الجزائر الجنوبية .

### ٢ — الوندلى — Vandal.

من يخرب أو يشوه ، مختارا أو بجهالة ، أثرا من الآثار الفنية او الأدبية ، او ما يماثل ذلك ؛ كما ينعت به كل من يمتهن أى جميل أو مقدس .

### ٣ — الوندلية — Vandalism.

صفة تفيد التذرع بالوسائل التى اتبعها "الوندل" فى التخريب وارتكاب الجرائم فى حق الحضارة .

Cent. Dict. p. 6694, vol. vi ; Cent. Cycl. 1027.

**Asceticism. — الزهد**

(Gr. askesis=hermit).

(١) يدل على حياة الزاهد وأعماله .

(٢) العقائد والأعمال التى يتبعها الزهاد، وهم الذين يعملون على قتل الجسم، لإيقاظ الروح .

(٣) لاتدل الكلمة الأصلية التى اشتق منها هذا الاصطلاح اليونانى على شئ من المعانى التى تلابسها الآن، من حيث الإشارة إلى الزهد، فقد استعملت أولا للدلالة على طرق اللاعبين فى رياضة أجسامهم، ثم استعملت فى مدارس الرواقيين لمعنى قمع الشهوات والميول والتزام الفضيلة . ثم نقلها أوائل النصارى من مدرسة الاسكندرية، لما يشبه المعنى الذى استعملها فيه الرواقيون إذ أطلقوها على تنظيم قوى النفس، وعلى النحو الذى سلكه اليهود للتحكم فى الطبيعة الجسمية بما فيها من رغائب وشهوات، معتقدين أنها موطن الشر فى الإنسان منذ أن طرد آدم من الجنة . واتخذوا لذلك وسائل منها العزوبة وعيش الفقر والتكفير عن الخطيئة والعزلة. وهى وسائل ظلت مرعية قرونا عدة فى نظام الرهبانية . وهناك ما هو أشد من هذا لقتل الجسم بين الوثنيين منذ أبعد أزمان التاريخ، ولا سيما بين البوذيين والهندوكيين، لاعتقادهم أن المادة هى الشر، وأنه لا سبيل إلى الخير الأسمى إلا بقمع الجسم وتعذيبه .

Cent. Dict. p. 333, vol. i; Oxf. Dict. p. 4384, vol. i. Encyc Dict. p. 308, vol. i.

**Mysticism. — التأله**

(Gr. Musticos=mystic ; from mustes=one initiated into mysteries).

(١) الآراء أو الميول العقلية أو الفكرية أو الشعورية التى ينتحلها المتألهون

(٢) مذاهب التَّأَلُّه أو روحها أو ماهيتها .

( ٣ ) اعتقاد أن الاتصال بالمـاهية القدسية ، من طريق التأمل والزهد ، ممكن.

( ٤ ) الاعتماد على أن الإلهام الروحى أو المشاعر العليا الساميـة ، وسيلة إلى معرفة الأسرار التى يعجز العقل عن إدراكها .

( ٥ ) حالة أن يكون المرء مُتَأَلِّهـاً ، أو من أهل التَّأَلُّه .

( ٦ ) ضرب من الاعتقاد الدينى قائم على التجارب الروحية ، من غير رجوع إلى العقل أو الفكر .

( ٧ ) نقيض الأسلوب العقلى ( Rationalism ) فى البحوث الدينيـة ؛ وهو الرجوع إلى العقل باعتباره أسمى المواهب الإنسانية ، وأنه الموئل فى بحث المذاهب الدينية ونقدها ؛ بخلاف التَّأَلُّهِ الذى يقضى بأن الحق الروحى لا يمكن إدراكه بموهبة المنطق ، ولا يستطاع التعبير عنه بلغة الإدراك .

( ٨ ) قد يستعمل هذا الاصطلاح فى مواطن السخرية للدلالة على :

أولا — الاهتلاس أو اختلاط الأفكار .

ثانيا — النظريات الفلسفية أو العلمية التى يظن أن فيها هَلْجًا [١] أو غموضا يحار فيه العقل .

Encycl. Dict. p. 150,vol. v ; Cent. Dict. p. 3924, vol. iv ; Oxf. Dict. 817, vol. vi.

Qout–Encycl. Brit. vol. XVII, 128 ; from Encycl. Dict. p. 3942, vol. IV.

Mysticism is a phase of thought, or rather perhaps of feeling, which from its very nature is hardly susceptible of exact definition. It appears in connection with the endeavour of the human mind to grasp the divine essence or the ultimate reality of things, and to enjoy the blessedness of actual communication with the Highest."

---

(١) الهلج : هلج يهلج أخبر بمـا لا يؤمن به ؛ والهُلُجُ (بالضم) الأضغاث فى النوم (قاموس) .

## Penance. — التوبة

L. Penitentia=Penitence.

فى المعنى الكنسى :

إظهار الندامة على الخطيئة بأعمال ونظم تجريها السلطات الكنسية . وأول هذه الأعمال الندم بالاعتراف بالخطيئة والرضا بالاعتراف ، و بذلك يمنح الخاطئ الحَلّ من خطيئته .

وللتكفير فى الكنيسة أربعة أسرار أو درجات : الندم ، والاعتراف ، والرضا ، والحل .

Cent. Dict. p. 4368, vol. iv.

## Bill of Rights. — مشروع قانون الحقوق

( ١ ) قانون انجليزى صدر فى سنة ١٦٨٩ حددت فيه حقوق الرعية وحرياتها وحصرت وراثة التاج فى وليم أورنج ومارى ، وفى أولادهما الشرعيين ، ما لم يكونوا كثالكة رومانيين . وأعطى البروتستانت الحق فى أن يحوزوا أسلحة تلائم حال كل منهم للدفاع عن نفسه .

( ٢ ) أى قانون أو إعلان يتعلق بالأحوال الشخصية ينص عليه فى دستور أية ولاية من ولايات أمريكا المتحدة ، ليلحق بعد ذلك بقانون الولايات المتحدة الدستورى .

Cent. Dict. p. 553, vol. i.

## الهُون — Huns.

( ١ ) يظن أن (Hun) من الكلمة الصينية هيونجنو (Hiongnu) وتدل على أمة تذكر المدونات التاريخيــة الصينية أنها كونت فى القرن الثـالث قبل الميلاد فى أواسط آسيا عاهلية قوية ، امتدت من سور الصين العظيم إلى بحر قزوين .

( ٢ ) عرف الهون فى أوربا فى القرن الرابع ، ويبــدأ تاريخهم فيها سنة ٣٧٢ ميلادية ، بعد أن عبروا نهر الفولجا (Volga) حوالى سنة ٣٥٠ ، وهزموا قبائل الألَانىّ (Alanni) هزيمة فاصلة حالفوهم بعــدها وغلبوا القُوط . فكان من أثر ذلك أن تفرق القُوط فى أطراف العاهلية الرومانية ، حوالى سنة ٣٧٥ — ثم هاجموا بلاد الغال ، ومعهم غيرهم من القبائل التى أخضعوها بإمرة قائدهم أتّيلا (Attila) بعد أن اجتاحوا أكثر ممـالك أوربا ، واضطروا الرومان أن يدفعوا لهم إتاوة . ثم هزموا فى موقعة "شالون على المرن" (Châlon-sur-Marne) سنة ٤٥١ . أما نهايتهم فلا تعرف على التحقيق ، والظاهر أنهــم اندمجوا فى الغزاة الذين غزوا البقــاع التى استعمرها الهون فى أوربا .

( ٣ ) يقول المؤرخون إنه إذا صح أن الهون هم الأمة التى عرفت فى الصين باسم "هيونجنو" أو "هونجنو"، وهم الذين سجل أعمالهم التاريخ الصينى ، فإن ذلك يجلو كثيرا من دقائق تاريخهم فى خلال قرون عدة ، قبل بدء التاريخ المسيحى وبذلك تكون معرفتنا لهم أكمل من معرفتنا لتاريخ بلاد الغال وبريطانيا قبل الفتح الرومانى . أما إذا لم يصح ذلك ، فإن تاريخهم يصبح شديد الغموض .

( ٤ ) ووصف المؤرخون الهون فقالوا : إنهم كانوا متوحشين لا يعرفون الملاحة ، سمر البشرة ، سود العيون غائروها ، عراض الأكتاف ، فطس الأنوف ، لا تنبت لهم لحى .

Cent. Dict. p. 2919, vol. iii. See Hun.

Cent. cycl, p. 519 ; Encycl. Brit. p. 916, vol. ii, 14th. Edit.

## الإصلاح الديني — Reformation

الثورة الدينية الكبرى التي حدثت في القرن السادس عشر في ألمانيا بزعامة لوثر (Luther) وفي سويسرا بزعامة زونجلي (Zwingli) وانتهت بتأسيس الكنيسة البروتستانتية . ولقد تشكلت هذه الحركة على صور مختلفة ، وكان ما لها أن تناولت النظم أو المعتقدات في بلدان مختلفة. وكان قد ظهر قبل الثورة مصلحون ذوو نفوذ مثل وكليف (Wycliff) وهس (Huss) قبل القرن السادس عشر (Cent. Cycl.p847.).

## عهد الإرهاب — Period of Terror.

الفترة التي يسود فيها نوع من حكم الإرهاب .

( انظر — Reign of Terror )

## الرهبان المستجدون

**Mendicant Friars (or) Begging Friars.**

**Les Frères Mendicants (*fr.*)**

الشيع الكنسية التي كانت تعتمد في حياتها على الصدقات التي تتلقاها من أهل البر ، وأشهرها الفرنسيسيون والدمنكيون والأوغسطيون والكرمليون .

Cent. Dict.p3707,iv.

## المجتمع القومي

**National Convention. — Convention Notionale (*fr.*)**

في تاريخ فرنسا :

جماعة مطلقة السلطة حكمت فرنسا بعد إلغاء الملكية ، وظلت تلتئم منذ ٢١ من سبتمبر سنة ١٧٩٥ ، إلى ٢٦ من اكتوبر سنة ١٧٩٥

Cent. Dict. p.1241, ii.

**Eastern Question. — المسألة الشرقية**

يطلق هذا الاصطلاح على المشكلات والقضايا التى نشأت فى سياسة أوربا الدولية من وجود تركيا الإسلامية فى جنوب أوربا الشرق .

Cent. Dict, P. 1824, Vol. ii.

**Absolution. — الحَلّ**

الحل من الخطيئة أو العقاب ، وهو العفو عن الخطايا . ويصدر عن سلطة كنسية . ويطلق هذا الاصطلاح أيضا على النطق الذى يصدر به هذا العفو .

Oxf, Dict, 38—i, A. & Cent, Dict, 22–i

**Vassal or Feudatory. — المُقْطَع ( المُقْطَعُون )**

فى نظام الإقطاع :

يطلق فى نظام الإقطاع على كل من يقطعه سيد الإقطاع أرضا ليستغلها بشروط خاصة . وهو فى نظام الإقطاع يشبه المستأجر فى نظام الملكية .

Encycl. Dict. P. 413, iii.

**House of Commons. — مجلِس العموم**

اسم يطلق فى بريطانيا العظمى وكندا على المجلس التشريعى الثانى «الأدنى» — (Lower) ويتألف من العامة الذين ينتخبهم الشعب نوابا يمثلون الطبقة الثالثة من طبقات الأمة (غير النبلاء ورجال الدين) .

Cent. P. 1135, vol. i. Oxf. P. 694, vol. ii. C.

# الحَرْمُ الكَنَسِى —

**Excommunication.—Excommunication (*fr.*)**

(أ) منع شخص من مباشرة الحقوق والعلاقات الدينية .

وقد استعمل حق الحرم فى كثير من العصور عند الأغارقة والرومان واليهود ، وبين بعض الشيع الإسلامية . وكثيرا ما كان يترتب عليه نتائج ذات خطر .

(ب) كان الحرم فى الكنيسة النصرانية الأولى ينفذ فى كل شخص بغيض أو غير مرغوب فيه ، منعا شكليا من التبعية للكنيسة . وعلى هذا ظلت الكنيسة البروتستانتية الحديثة .

فلما قويت الكنيسة وتمت غلبتها ، أصبح الحرم عملا كثير التعقيد قاسى النتائج . فهو فى الكنيسة الكاثوليكية الكبرى وما يتبعها من الكنائس إما جزئى وإما كلى ، مؤقت أو دائم .

فالحرم الجزئى (Minor or Lesser Excom :) يسلب الشخص حق التمتع بتلق الأسرار المقدسة (Sacraments) وربما تعدى ذلك إلى منعه من التمتع بحقوق العبادة الكنسية .

أما الحرم الكلى (Major or Greater Excom :) فمن شأنه أن يبت علاقة الشخص بالجماعة التى هو منها ، ويحرمه التبعية للكنيسة .

(ج) الحرم الجزئى أو المؤقت (Minor or Lesser Excommunication) .

(د) الحرم الكلى أو الدائم (Major or Greater Excommunication) .

See: Cent. Dict. p. 2058, ii.

## Gladiators. — المُجَالِدُون

(L. gladius —a sword (there is no verb gladiare).

فى التاريخ الرومانى القديم :

المُجَالِدُ من يجالد بالسيف شخصا آخر ، أو حيوانا مفترسا ، تسلية للنظارة . وكان التجالد أولا مقصورا على الأسارى والعبيد والمجرمين . ولكنه تعداهم إلى الأمراء ، فقد تجالدوا فى المجتلدات (Arena) الرومانية ، وكانوا يمنحون على ذلك أجرا ، وربما تطوعوا بذلك إظهارا للبسالة . وكان الفرسان والنساء ، وبعض أعضاء مجلس الشيوخ ، يتجالدون فى عصر الجمهورية . وكان التجالد فى الأصل شعيرة جنائزية ، ولكنها صارت فيما بعد من مظاهر الأعياد والاحتفالات الرسمية ، أو وسيلة لتسلية الناس ، فى غير الجنائز أو الأعياد .

فى شرح القاموس ( ٢ : ٣١٢ ) :

وجلدته بالسيف والسوط ، والمجالدة المبالطة ، وجالدوا بالسيف تضاربوا ، وكذا تجالدوا واجتلدوا اهـ .

See : Cent. Dict. p. 2525, vol. iii.

**Imperialist (s)** — القيصرى ( القيصرون ) فى أوربا
العاهلى ( العاهليون ) فى الشرق

( ١ ) خاضع لعاهل .

( ٢ ) من يؤمن بالمبادئ العاهلية أو يؤيد مصالحها .

( ٣ ) كل من يلوذ بعاهل أو عاهلية ، أو يحمل السلاح دفاعا عنهما ، كما كانت الحال فى ألمانيا فى حرب الثلاثين سنة ( ١٦١٨ — ١٦٤٨ ) .

( ٤ ) الذى يؤيد حكومة تقوم فى ظل عاهل ، أو يعمل على توطيد تلك الحكومة.

( ٥ ) فى ألمانيا :

أحد أعضاء الحزب الذى كان يؤيد العاهل فى ألمانيا من سنة ١٦٠٠ الى ١٨٠٠

( ٦ ) المؤيدون للفكرة العاهلية أو المذهب العاهلى فى انجلترا وأمريكا .

Oxf. Dict. p. 86,vol. i. Cent. Dict. p. 3008,vol. iii.

القَيْصَرِيَّة ( فى القرون الوسطى ) } Imperialism.
التَّسَلُّطِيَّة ( فى العصر الحديث ) }

(L. imperialis, inperialis ; of the Empire or Empror.imperium, inperium, empire) .

( ١ ) القيصرية نظام الحكم العاهلى — حكم عاهل فرد تسلط بمحض قوته .

( ٢ ) المذهب أو الروح الذى تقوم عليه العاهلية .

( ٣ ) الدفاع عما يعتقد أن المصالح العاهلية تقوم عليه .

( ٤ ) تدل التسلطية عند الإنجليز الآن على سياسة تتضمن أمرين :

أولهما — البحث عما من شأنه توسيع الإمبراطورية البريطانية فى الجهات التى يرى أن المصالح التجارية والمالية فيها ، أو الحصول على المواد الأولية ، فى حاجة إلى حماية العلم البريطانى .

ثانيهما — توحيد المستعمرات المستقلة فى الإمبراطورية ، حتى يستطاع بتوحيدها إدراك أغراض معينة ، كالدفاع فى حالة الحرب ، وتنمية التجارة الداخلية ، وحماية حق التأليف ، والاتفاقات البريدية — كما لو كانت هذه الأجزاء المتفرقة ، حكومة واحدة .

( ٥ ) السلطان الذى يكون للعاهل أو للعاهلية ، — نظام الحكم العاهلى .

( ٦ ) تنمية المصالح الأمبراطورية أو الإخلاص لها .

( ٧ ) فى ولايات أمريكا المتحدة :

تدل التسلطية (Imperialism) على سياسة جديدة ترمى إلى امتداد حكم الأمة الأمريكية إلى ممالك أجنبية ، وعلى امتلاك بقاع بعيدة ، أو بسط حمايات عليها ، على القواعد والطرق التى تنتحيها الحكومات الأوربية .

Cent. Dic. p. 3007, vol. iii. Oxf. Dict. p. 85-86, vol. v.

# مصطلحات فى العلوم الطبيعية

## المغنطيسية

فى أثناء انعقاد الدورة الثانية للجمع ، أقرت اصطلاحات فى المغنطيسية والكهربا ، نشرت غير مشروحة فى العدد الأول من المجلة . وننشر فى هذا الجزء طائفة منها مشروحة شرحا علميا وافيا ، وضعه إسماعيل مظهر افندى الموظف بالمجمع ، وقد اعتمد فيه على مراجع موثوق بها .

### المَسّ المفرد — Single touch.

طريقة للغنطة بمغنطيس واحد . وذلك بأن تدلك الإبرة التى يراد مغنطتها أو القضيب ، بأحد قطبى المغنطيس مرارا ، بحيث يبدأ فى كل مرة من طرف وينتهى فى الطرف الآخر . وبذلك يكون المس دائما فى اتجاه واحد .

Def. A method of magnetising a bar of steel by touching or stroking by one pole of a magnet. Roget's Dict. p. 310.

### المَسّ المزدوج — Double touch.

طريقة للغنطة بمغنطيسين متجاورين متخالفى القطبين وضعا ، ومفصولين بقطعة صغيرة من الخشب أو (الفلين) ، أو بأى جسم صغير آخر غير مغنطيسى . فتدلك بهما الإبرة أو القضيب المراد مغنطته ، دلكا متواصلا . وذلك بأن يبدأ بالمغنطيسين من وسط القضيب أو الجسم المراد مغنطته إلى إحدى نهايتيه ، ثم يرجع بهما إلى النهاية الأخرى ، بدون أن يرفعا . وهكذا دواليك ، بحيث ينتهى بهما عند الوسط .

Def. A method of magnetising a bar of steel by stroking with the opposite poles of two bar magnets kept apart by a piece of wood, etc. and moved backwards and forwards together along the bar to be magnetised. Roget's Dict. p. 93.

### Divided touch. — المسّ الانفصالى

طريقة للغنطة بمغنطيسين مائلين ؛ وذلك بأن يوضع قطباهما المختلفان عند منتصف القضيب ، ثم يجر كل منهما إلى الطرف ، حتى إذا بلغا الطرفين معا ، ورفعا ، أعيدت الكرة بهما مرارا على هذا النحو .

Def. A method of magnetising a bar of steel by stroking it simultaneously with two permanent magnets, presenting opposite poles, which are drawn apart from the centre to the ends of the bar. Roget's Dict. p. 92, also called : Separate touch. Cent. Dict. p. 3574, vol. iv.

### Keeper (s) — الحافظ ( ج . الحوافظ )

( ١ ) قطعة من الحديد الأنيف تستعمل لحفظ المغنطيسية فى الأقطاب . ففى المغنطيس النعلى توضع القطعه بحيث تصل بين قطبيه . أما فى القضبان المغنطيسية ، فيوضع كل اثنين منها متوازيين بغير تماس ، بحيث يكون قطباهما المختلفان فى اتجاه واحد ، ثم يوصل بين كل قطبين مختلفين بقطعة من الحديد الأنيف .

( ٢ ) استعمال الحوافظ للغنطيسيات فى حالة عدم استعمالها ضرورى لحفظ القوة المغناطيسية فى أقطابها ، وربما زادت القوة فى الأقطاب باستعمال الحوافظ .

( ٣ ) درع المغنطيس — ( انظر Amature-s ) .

Encycl. Dict. p. 471, vol. ii. Cent. Dict. p. 327, vol. iii. Oxf. Dict. p. 666, vol. v.

### Armature (s) — الدِّرْع ( ج . الدُّرُوع )

( ١ ) قطعة من الحديد الأنيف تمس قطبي المغنطيس أو المغنطيس الكهربى لحفظ القوة المغنطيسية فيه غير منقوصة .

( ٢ ) قد يسمى الدرع أحيانا حافظا ( Keeper )

( ٣ ) عند ما يمس الدرع القطبين يتمغنط بالتأثير (by induction) وبذلك لا يقتصر فعـــله على حفظ المغنطيسية فى المغنطيس ، بل ربما زادها قوة ؛ والمغنطيسات التى لها دروع ، تدعى " المدرّعة ".

( ٤ ) يصنع لحجر المغنطيس ( أى المغنطيس الطبيعى ) وعاء من الحديد الأنيف يسمى الدرع ، فيحفظ قوته المغنطيسية .

( ٥ ) فى المغنطيس الكهربى .

جزء من أجزاء المولد الكهربى مصنوع من الحـــديد الأنيف ، ويلف من حوله سلك نحاسى معزول ، يمر فيه التيار المنتج بالتأثير .

Cent. Dict.P. 312, vol. i: Encycl. Dict.P. 289, vol. i:

Quot. 1753–Rambl. No. 199–13. The Efficiency of the magnet depends upon its armature.

1871–tr: Schellen's Specrum Anal. 11–33:.....and the magnet becoming weeker; let loose the armatnre. Oxf. Dict: P. 451 vol. i.

**Magnetic Substances. — قابلات المَغْنَطة**

المواد التى يمكن مغنطتها ، وهى قليلة العدد ، ومنها الحديد والأنيف وغيرهما ، ومن خواصها ، أن يجذبها المغنطيس ، ولكنها لا تجذب غيرها من الأجسام القابلة للغنطة ، فهى معدومة التقطب .

A magnetic substance is one which may be attracted by a magnet; but has not the property of attracting other magnetic substances, and therefore has no polarity: Soft iron is a magnetic substance as is also most magnetite; the loadstone variety being exceptional.

Cent: Dict. P. 3574, vol. xi.

## مجْلَاة الطَّيْف — Spectroscope

آلة تجمع الأضواء وتحللها إلى وحداتها اللونيــة ؛ وتستعمل فى إحداث تحل طيفى للضوء ، أو شعاع منبعث من مصدر ما ، بمروره فى منشور زجاجى . والغرض من ذلك درس عناصر الطيف الحاصل من الضوء المنحل .

Quot. 1880– Haughton–Phys. Geogr. 1–6 ; by msans of the spectroscope, it has been ascertained that the errstrial elements found in meteoric stones; may be found also in the sun.

Oxf. Dict. p. 566, vol. x.

## السَّيَّال المُوجَب — السَّيَّال السالب ; Fluid: positive and negative

السيالان الموجب والسالب .Positive Fluid;Negative Fluid

( ١ ) تدل كلمة "سيال" (fluid) فى الاستعمال القديم ، على جوهر غير ذى ثقل ؛ زُعِمَ أن وجوده سبب إحداث ظاهرات الحرارة والمغنطيسية والكهربا .

( ٢ ) فى المغنطيسية .

سيالان فرض العلماء وجودهما ، وسمى أحدهما السيال الشمالى (north or boreal) وسمى الآخر السيال الجنوبى (south or austral) فيتجه الأول نحو قطب المغنطيس الشمالى ، والثانى نحو قطبه الجنوبى ؛ وقد يسمى السيال الشمالى أحيانا السيال الموجب (positive) ؛ والجنوبى السيال السالب (negative) .

( ٣ ) اصطلاحان فرضيان لا يستعملان الآن ، وكانا يدلان على نظرية عَدَلَ العلماء عن القول بها فى العصر الحديث .

( ٤ ) كان المعتقد أن كلا من السيالين يؤثر فى الآخر جذبا ودفعا . فإذا تخالطا فالجسم يظل غير ممغنط . أما اذا افترقا بطريقة من طرق المغنطة ، فإن المغنطيسية تظهر فى الجسم .

Oxf. Dict. p: 358, vol: iv; and Encycl. Dict. p: 584–677 vol. iii, and Cent. Dict. p: 3575 vol. iv

## النظرية الذَّرِّيّة [1] — Molecular Theory

تاريخها : استعملت كلمة ذرة (Molecule) فى القرن السابع عشر مرادفة لكلمة ذُرَيْرَة Atom . كما استعملها القدماء . فكان العلماء يقولون "ذُرَيْرَة من الهدروجين وذُرَيْرَة من المــاء" وبذلك خلطوا بين ذُرَيْرَة عنصرية ، وأخرى مركبة ، من غير تفريق بينهما . ثم فرقوا بعد ذلك بين ذُرَيْرَة بسيطة من (الهدروجين) ، وذُرَيْرَة مركبة من المــاء ، ولقد استعمل دَلْتُن الذُرَيْرَة والذَّرَّة مترادفتين .

أما الرأى الحديث فقد أذاعه العالم" أفوجادرو " (Avogadro) الإيطالى . ومحصله ان الذرة ليست ذُرَيْرَة واحدة ، و إنما هى ذُرَيْرَتان أو أكثر ، اتحدتا أو اتحدت اتحادا كيميائيا ، وبذلك نجد أن ذرة من (غاز) ما ، تكون أكبر حجما من ذُرَيْرَة منه .

التعريف العلمى — إن أصغر جزء (غازى) من شأنه أن يحدث هو وغيره تفاعلا ، لا يمكن أن يكون ذُرَيْرَة مفردة ، بل دقيقة سماها أفوجادرو ذرة (Molecule) ؛ وهى مركبة من ذريرتين أو أكثر ، متحدتين أو متحدة اتحادا كيميائيا . فغاز (الهيدروجين) مثلا ، ليس مركبا من ذُرَيْرَات ، بل من ذرات كل منهــا مؤلف من ذُرَيْرَتين من (الهيدروجين) . فإذا تفــاعل حجمان من (الهيدروجين) وحجم واحد من (الأكسجين) ، نتج حجمان من بخار المــاء . أى أن ذرتين من (الهيدروجين) تتفاعلان همــا وذُرَيْرَة واحدة من الأكسجين ، فتتحد ذرة من (الهيدروجين) وذُرَيْرَة من (الاكسجين) ، ومن اتحادهما تنتج ذرة من المــاء . وتتحد الذرة الثانية

---

(١) اصطلح المجمع على تسمية (Molecule) ذرة و(Atom) ذريرة على صيغة التصغير لسببين : أولها : ما بين الذرة والذريرة من العلاقة الطبيعية . وثانيهما ؛ أن المقصود من قوله تعالى "مثقال ذرة" التعبير عن أصغر الأشياء ، ولا شك فى أن إطلاق صيغة التصغير على Atom فيها دلالة بينة على المراد (راجع ص ٢٩٧ من محاضر دور الانعقاد الثانى) .

من (الهيدروجين) والذُرَيْرَة الباقية من ( الأكسجين ) ، ومن اتحادهما تنتج ذرة من المـاء ، وبذلك يتضح أن حجمين من ( الهيدروجين ) ، إذا اتحدا هما وحجم من ( الأكسجين ) ، نتج عن هذا الاتحاد حجمان من المـاء .

المثل – إن ذرات (الهيدروجين والكلورين)، إنما هى ذرات مزدوجة–Diatomic تتألف من ذُرَيْرَتين . والدليل على هذا ، أن (كلوريد الهدروجين)، الذى ينتج من اتحادهما ، يكون حجمه ضعف حجم (الهدروجين) أو (الكلورين) الذى تولد منهما ؛ وكذلك (الأكسجين) : فإن ذراته مزدوجة ، بدليل أن حجم بخار المـاء ا لحاصل منه ، يكون ضعف الحجم الأصلى . وقس على ذلك (النتروجين)، فقد برهن على أن ذرته مزدوجة ، بدليل أنّ (غاز النُّشادر) الحاصل منه ، يكون ضعف حجم (النتروجين) الذى يولده .

Encycl. Brit. p. 664, vol. 15. 14th Edit.

**Coersivity.— المـانعة (استعمال قديم)**

خاصـة مفروضة فى جسم من قابلات المغنطة ، من شأنها أن تقاوم انفصال سيالين مغنطيسيين ، كما تقاوم اتحادهما بعد أن ينفصلا .

Oxf. Dict. p. 568, vol. ii. (Coersive porce).

**Poles of Magnet.— قطبا المِغْنَطِيس**

نقطتان متناظرتان تكونان فوق سطح المغنطيس ، أو قرب نهايتيه متى كان مستطيل الشكل ، وتظهر فيهما القوة المغنطيسية على أشدها .

أما الاسم — قطبا المغنطيس : (Poles of Magnet) فقد أخذ على التشبيه من قطبى كرة الأرض ، أو قطبى الكرة السماوية ، عند ما عرف الباحثون أن حجر

المغنطيس ينزع دائماً إلى وضع طبيعى خاص، تكون فيه إحدى نهايتيه متجهة نحو الشمال ، والأخرى نحو الجنوب .

Quot. 1886—R. M. Ferguson. Electr. (1870)—37—Gilbert considered the north pole of the magnet to be a south pole, as he took the north pole of the earth as his standard north pole.

1870—Airy—Treat. Magnetism. 12—This suggests that the whole of the magnetism peculiar to the end of the magnet is collected into that one point ; and that point is called a pole.

Oxf. Dict. p. 1066, vol. vii.

## Torsion Balance. — الميزان اللَّوَوِىّ

(١) جهاز لإثبات أن قوة التنافر بين شحنتين كهربيتين ، أو قطبين مغنطيسيين ، تتناسب تناسبا عكسيا هى ومربع المسافة بينهما .

(٢) اخترع هذا الجهاز العالم كولومب (C. A. Colomb) سنة (١٧٣٦ — ١٨٠٦) فاظهر به أن قوة الالتواء تكون دائماً بنسبة الزاوية التى يزل فيها وضع الذراع عن مركز اتزانه ، كما استعمل فى إثبات القوانين الخاصة بجاذبية الشحنات الكهربية ، من طريق التجربة العلمية .

(٣) يتألف هـذا الجهاز من ذراع قد علق فى مركز ثقلها سلك من الصلب أو "الكوارتز" (Quartz) فإذا دارت الذراع حدثت حركة دورية ، فيلتف السلك من حول الذراع ، فيمكن قياس مقدار القوة بمرونة السلك وقوة جاذبية الثقل .

Cent. Dict. p. 6394, vol. vii.

## Consequent Poles (or) Points. — الأقطاب المتولدة

قطب أو أقطاب متوسطة تنشأ بين القطبين اللذين هما قرب الطرفين فى قضيب ممغنط ، وتكون قوة الجذب فيهما شديدة . ووجود هــذه الأقطاب قد يضعف قوة القطبين الأصليين ، فليس من حاجة إليهما . وهى تحدث من نقص فى طريقة المغنطة .

Quot. 1860—Tyndall-Glac. i–xx–144. It is quite easy to develop in the same piece of steel several pairs of poles; but if the magnetisation be irregular, this is sometimes done when we wish to avoid it. These irregular poles are called consequent poles.

Oxf. Dict. p. 8538, vol. ii.

## Soft Iron. — الأنيف

ضرب من الحديد مادة ( الكربون ) فيــه قليلة جدا . وليس سريع الانصهار ، ولكن الحرارة القليلة تلينه بعض اللين ، فيمكن طرقه . ومن خصائصه أنه يكتسب خاصة المغنطيسية و يفقدها بسهولة ، وأنه يكتسب مغنطيسيته من المجال المغنطيسى الذى يكون فيه .

Quot. 1873. f c; Maxwell ; Electr. Magnetism (1881) II, 44 If the magnetic properties of the iron depend entirely on the magnetic force of the field in which it is placed......it is called soft iron .

Oxf. Dict. p. 369, vol. ix.

## Magnetic Saturation. — التشبُّع المغنطيسىُّ

( ١ ) يقال لقضيب إنه ممغنط إلى حد التشبع، إذا بلغت قوته المغنطيسية حدا غير قابل للزيادة ، مهما زيد فى القوة الممغنطة .

( ٢ ) فى النظرية الذرية المغنطيسية (Molecular Theory of Magnetism) ما يفسر التشبع المغنطيسى . فمن أسس هـذه النظرية أن ذرات المـادة القابلة للمغنطة لهـا خاصة التقطب ، أى التوجه فى اتجاه القوة الممغنطـة ؛ فكلما ازداد توجه الذرات نحوه ، زاد تمغنط المـادة تدريجا ، حتى إذا وصلت الذرات إلى هذا الاتجاه الأخير ، يكون الجسم قد وصل إلى حد التشبع .

( ٣ ) قد يحدث أحيانا ، عند ما يمغنط جسم ممـا يقبل المغنطيسية أن تكون القوة المغنطيسية فيه أقوى ممـا تكون بعد . ففى مثل هـذه الحالات ، تتناقص القوة المغنطيسية فى الجسم ، حتى تبلغ حدا تصير فيه ثابتة . وهذا الحد يدعى حد التشبع .

Cent. Dict. p. 5351— v; p. 3575—iv; Oxf. Dict. 677—vi.

Quot. 1864 — Chams; Encycl. VI — 262/2 — Magnets when perfectly magnetised are sometimes more powerful than they afterwards become. In that case they gradually fall in strength till they reach a point at which their strength remains constant. This is called the point of saturation.

Oxf. Dict. p. 125, vol. ix.

## Magnetic Induction. — التأثير المِغْنَطِيسى

إحداث خصائص مغنطيسية فى جسم يقبل المغنطة ، كقضيب من الحديد الأنيف تظهر فيه المغنطيسية بتأثير مغنطيس مجاور ، من غير مس . وأثر المغنطيس فى القضيب الذى يجاوره ، أنه يزيد فى ذراته درجة التقطب المغنطيسى ، فينتج عن ذلك أن تخالف أقطاب المغنطيس المتأثر ، أقطاب المغنطيس المؤثر .

Cent. Dict. p. 3069, vol. iii.

Def. of Induction : Elect. and Magnetism — The action of inducing or bringing about an electric or magnetic state in any body by the proximity (without actual contact) of an electrified body.

Oxf. Dict. p. 231. vol. v.

## Telescope. — مِجْلاة النُّجُوم

آلة بصرية من شأنها أن تكبر الأجرام أو تقربها . وتتألف أجزاؤها البصرية من عدسات أو من مرايا وعدسات . ففى الحال الأولى تكسر الأشعة ، وفى الثانية تعكسها ، وفى كلتا الحالتين تجمع الأشعة الصادرة من الجرم فى بؤرة ، ثم تكبر الصورة بعدسة أو عدسات تسمى العينية The Eye-piece ويستعمل الفلكيون مجالى عظيمة من كلا النوعين .

Telescopes are of two kinds ; refracting, in which the image is produced by a lens (the object glass) and reflecting, in which it is produced by a mirror or speculum, being magnified in each case by a lens or combination of lenses (the eye-piece). Large telescopes of both these kinds are used by astronomers. The smaller hand-telescopes are always refracting and consist of two packing into narrow compass and for adjusting the lenses as required for focussing the image.

Oxf. Dict. p. 151- vol. xi.

### Magnetic Needle. — الإِبْرة المِغْنَطِيسِيَّة

صفيحة من الفولاذ أو الحديد الممغنط تستخدم لتعيين الاتجاه ، وترتكز على سن لتتحرك فى مستوٍ أفقى أو رأسى ، على حسب المراد منها . فالإبرة التى تستعمل فى ( البوصلة ) البحرية ، تتحرك فى مستوٍ أفقى . والإبرة التى تستعمل فى تحديد التصوّب أو الميل لقوة المغنطيسية الأرضية ، تتحرك فى مستوٍ رأسى .

Oxf. Dict. p. 72, vol. vii. Cent. Dict. p. 2474, vol. iv.

### Stereoscope. — مِجْلَاة الأَشْباح

منظار ذو عدستين ، إذا نظر به إلى صورتين متجاورتين قد التقطتا لمنظر واحد من موضعين مختلفين اختلافا يسيرا — يناسب اختلاف موضعى العينين — خيل إلى الناظر أنه يرى صورة واحدة مجسمة .

Reflecting and Refracting or lenticular stereoscopes. In the original form of the instrument (reflecting stereoscope) invented by Wheatstone, the images were combined by means of mirrors placed at a suitable angle; the common form (refracting or lenticular), invented afterwards by Brewster, has two tubes each containing a lens, through which the two pictures are viewed by the corresponding eyes.

Oxf. Dict., p. 925, vol. x.

### Magnetic Field. — المَجَال المِغْنطِيسى

( ١ ) منطقة تظهر فيها آثار المغنطيسية وهى تحيط بمغنطيس ، أو بموصل يمر فيه تيار كهربى .

( ٢ ) المدى الذى تغمره قوّة مغنطيس أو تأثيره .

Cent. Dict., p. 3575, vol. iv.

Quot. 1863, Tyndall. Heat. ii, 35 (1870), 37.

The exact equivalent of the power employed to move the medal in the excited magnetic field.

1881—Maxwell. Electr. and Magnetism. i, 45. The electric field is the portion of space in the neighbourhood of electrified bodies, considered with reference to electric phenomena.

Oxf. Dict., p. 193, vol. iv.

**Artificial Magnet. — المِغْنطِيس الصُّنْعى**

المغنطيس الذى يحدثه الإنسان فى جسم قابل للمغنطة بطريقة من طرقها المعروفة.

وقد يتولد المغنطيس الصنعى بالتأثير — Induction.

Natural Magnet; one consisting of loadstone; opposed to artificial magnet.

Oxf. Dict., p. 29, vol. vi.

**Axis of Magnet. — مِحْوَر المِغنَطِيس**

الخط المستقيم الواصل بين نقطتى القطبين فى مغنطيس .

Quot. 1832, U.K.S. Nat. Philos. II, i.6., The straight line joining the two poles of a magnet is called its axis.

Oxf. Dict., p. 600, vol. i.

**Electro-magnet. — المِغْنَطِيس الكَهْرَبِىّ**

قضيب من الحديد الأنيف ، مستقيم أو منحن كنعل الفرس ، يلف من حوله سلك نحاس معزول فى اتجاه واحد إذا كان مستقيما ، وفى اتجاهين متخالفين إذا كان منحنيا . فإذا مر التيار الكهربى فى السلك اكتسب القضيب خاصة المغنطيسية ، وإذا انقطع التيار فقدها .

Quot. 1897, G. Prescott. Sp. Telephone. Introd. 2. The simple electro-magnet was made by Sturgeon.

Oxf. Dict., p. 79, vol. iii.

### Electro-magnetism. — المغنطيسية الكهربية

بحث فى علاقات الكهربية بالمغنطيسية وتأثير إحداهما فى الأخرى . ومن موضوعاته توليد المغنطيسية بتأثير التيار الكهربى ، وتوليد التيار الكهربى بتأثير المغنطيسية .

### Coersive (or) Coersitive Force. — القوة المانعة

قوة لها أثران : فإما أن تجعل اكتساب الحديد أو الفولاذ أو غيرهما للمغنطيسية بطيئا أو صعبا ، وإمّا أن تعوق رجوع قضيب ، سبق أن مُغْنَط ، إلى حالته الطبيعية ، بعد أن تقف القوّة المغنطة عن فعلها فيه .

Cent., Dict. 1087, vol. i.

Quot. 1770. R. Ferguson, Electricity, 7. Steel has a force which, in the first instance, resists the assumption of magnetism; and when assumed, resists its withdrawal. This is called the coersitive force.

Oxf. Dic., p. 588, vol. ii.

### Loadstone (or) Lodestone. — حجر المغنطيس

جسم اكتسب مغنطيسية بالفطرة من مغنطيسية الأرض .

Quot. 1849—Noad. Electricity, 292. The smallest loadstones have generally a greater attractive power, in proportion to their size, than larger ones.

1891—Nature, 3, Sep. The property of the magnet or "loadstone" to point north first became known in the eleventh century.

Oxf. Dict., p. 370, vol. vi.

---

ملحوظة — بدل المجمع بعض هذه المصطلحات بعد أن أعاد النظر فيها فى دور الانعقاد الرابع فقال مثلا مطياف بدلا من مجلاة الطيف ، وكل المصطلحات التى وردت فيها كلمة مجلاة اشتق لها أسماء من صيغة اسم الآلة .

# اصطلاحات فى علوم الأحياء [1]

طائفة مشروحة مما أقره المجمع فى دور انعقاده الثالث [2]

عنى بشرحها
الأستاذ أحمد العوامرى بك عضو المجمع وإسماعيل مظهر افندى الموظف به

## علم الحيوان — Zoology.

الاصطلاح من مقطعين يونانيين (Zoon) ومعناه كائن حى؛ و (Logos) ومعناه محاورة أو بحث..

١ — أطلق اصطلاح "علم الحيوان" (Zoology) أولا للدلالة على فرع من علم الطب يختص بالبحث فى الأدوية والعقاقير التى تستخلص من الحيوانات .

٢ — العلم الذى يبحث عن كل ما يتعلق بالحيوان والإنسان ، من الوجهة الحيوانية .

٣ — طرأ على مدلول هذا الاصطلاح تغير كبير بتقدم البحث العلمى، ويرجع إلى تطبيق القوانين الطبيعية التى كشفها علم الأحياء ، على علم الحيوان خاصة ، ولا سيما ما تعلق منه ببنية الحيوان ووظائف أعضائه ، فانقسم فروعا منها :

( ١ ) علم نشوء الأنواع والأجناس ، ويسمى (Phylogeny) .

( ٢ ) علم نشوء الأفراد ، ويسمى (Ontogeny) .

---

(١) ستنشر بقية المصطلحات مشروحة فى أجزاء المجلة التالية .

(٢) ما أقره المجمع يبلغ نيفا وسبعين ومئتى مصطلح .

(٣) علم تاريخ المتعضِّيات من حيث العلاقة بالأب والأم ، ويعرف بعلم الأجِنّة [١] (Embryology) .

(٤) علم تاريخ الحيوانات وتطوّرها خلال الأعصر الأرضية ، ويسمى علم الإحاثة [٢] (Palæontology) بفرعيه : الإحاثة الحيوانية [٣] (Palæozoology.) والإحاثة النباتية [٤] (Palæobotany.) .

(٥) علم تاريخ الحيوانات من حيث استيطانها وعلاقاتها المعاشية ، ويسمى علم الجغرافيه الحيوانية (Zoogeography) .

(٦) علم تشريح الحيوانات الموازن [٥] ويسمى (Zootomy) أو (Zoophysics)

(٧) علم وظائف الأعضاء فى الحيوان ، ويسمى :
(Zoodynamics.) أو (Biodynamics)

(٨) علم كيميائية المواد والنسج الحيوانية ، ويسمى (Zoochemistry) .

(٩) علم الغرائز الحيوانية ، ويسمى (Zoopsychology) .

(١٠) بحوث علمية تتناول العلاقة بين الإنسان والحيوانات التى تعيش الآن فى الأرض ومنها (Zootechnics) أو (Bionomics) أو (Thremmatology) .

إلى غير ذلك .

---

(١) (٢) (٣) (٤) مصطلحات أقرها المجمع .

(٥) يقصد بالموازن ما يعرف الآن بالمقارن .

ملحوظة — استعملنا فى الشرح مصطلحات بنصها الأعجمى ، وقد فضلنا ذلك تجنبا لاستعمال ألفاظ لم يقرها المجمع .

### الحيوانى (الحيوانية) — Zoological.

( ١ ) له اتصال أو علاقة بالحيوان أو بعلم الحيوان .

( ٢ ) مختص ببحث الحيوانات من الوجهة العلمية .

( ٣ ) يقال هذا بحث حيوانى (Zoological Research) ، وتلك منطقة أو إقليم حيوانى : (Zoological Province or Region) ؛ والاصطلاح كثير الاستعمال فى فروع علم الحيوان، وبخاصة علم الجغرافيا الحيوانية (Zoogeography)

### البُحوث الحيوانية — Zoological Researches.

( ١ ) اصطلاح يقصد به الدلالة على إنعام النظر والتحقيق فيما يعرض للباحث من النظريات والتجارب والاختبارات ، ابتغاء الوصول إلى الحقائق أو السنن الطبيعية التى تتعلق بالحيوان .

### من الحيثية الحيوانية — Zoologically.

( ١ ) على نمط حيوانى ؛ بطريق الاتصال بعلم الحيوان .

( ٢ ) على طريقة عالم بالحيوان ؛ اتباعا للسنن أو المذاهب المقـــررة فى علم الحيوان .

### العالم بالحيوان — العالم الحيوانىّ — Zoologist.

( ١ ) من يدرس علم الحيوان أو فرعا من فروعه . وبالتوسع فى مدلول الاصطلاح يمكن أن يعتبر العالم بالحيوان أحيائيا (Biologist) تجوزا .

( ٢ ) كل من يختص بالبحوث الحيوانية أو بفرع أو فروع منها ، كالوراثة أو التطور أو التشريح : الخاص أو الموازن ، أو غرائز الحيوان ، أو تصنيفه ، أو وضع أسمائه العلمية الاصطلاحية ، أو استيطانه ، أو تاريخه الطبيعى ، إلى غير ذلك .

## Threadlike. — الخَيْطِىّ

اللفظ من كلمتين انجليزيتين (thread) أى خيط ، و (like) أى مثل .

فى الطب :

كل تركيب شابه الخيط الدقيق .

فى الحيوان والنبات :

( ١ ) اصطلاح يوصف به كل ما هو دقيق يشبه الخيوط فى تركيب النبات والحيوان .

( ٢ ) قد تحل إحدى الكلمات الآتية محل هذا الاصطلاح :

1. Filiform. 2. Filamentous. 3. Filar. 4. Thread-shaped.

مع مراعاة أن تستعمل هذه المصطلحات الأربعة فى مواطنها اللائقة بها .

## Globular. — الكُرِىّ

فى علم الأحياء :

( ١ ) اصطلاح يوصف به كثير من الأعضاء أو التراكيب أو الأجزاء التى على شكل الكرة ، أو تغلب فيها الاستدارة .

( ٢ ) ما يتكون من كرات أو يحتوى على كرات .

فى المعنى العام :

( ١ ) كروىّ الشكل ، له صورة الكرة .

( ٢ ) قد يستعمل بعض الكتّاب لفظة (globuse) فى هذا المعنى عينه ، كما يستعملون لفظ (globulous) ، ولكن الأخير نادر .

### الصِّبْغِيَّة — Chromatin.

اللفظ من اليونانية ( chroma ) أى لون ( colour ) .

فى علم الأحياء :

( ١ ) اصطلاح يطلق على جزء من الخلية فيه قابلية الاصطباغ بسهولة ؛ وهناك جزء آخر فى الخليـة ليس له هـذه القابلية ، ويسمى (Achromatin) "اللَّاصِبْغِى" .

( ٢ ) يتضمن الجزء الصبغى من الخلية ( پروتيدات حامض نَوَوِىّ ) والأصباغ القاعدية (Basic Dyes) هى التى تلونه دون غيرها .

فى علم الحيوان :

( ١ ) جزء من مادة البييضة فيه خَاصَّة الاصطباغ بالمواد الملونة ، فإذا وضعت عليه اصطبغ بسهولة .

( ٢ ) جبلة قابلة للاصـطباغ (Chromophilous-Protoplasm) تكوّن فى أثناء نضج البييضة ، أشكالا مختلفة ملونة ، كأقراص أو خيوط .

Quot. Encyc. Brit. XX, 417. The germinal spot......... consists of two juxtaposed quadrelateral disks, each containing four chromatin globules, united by a substance having less affinity for colouring matter.

### الطيور — Aves.

الاصطلاح من اللاتينية ( avis ) ومعناها طير ( bird ) .

كل حيوان كسى ريشا . والطيور تؤلف الشعب (class) الثانى من شعوب الفَقاريَّات ، أما الشعب الأول من الفقاريات، فالثَّدييَّات . وكل طبقات هذا الشعب منسوب إلى الزواحف ( Reptiles ) ؛ ولكنها تمتاز من الزواحف بأن دمها ثابت الحرارة ، وأن لها ريشا ، وأن طرفيها الأماميين قد تَـكَيَّفَا ، فتحوّلا جناحين للطيران .

وقد يضم بعض المصنفين الطيور إلى الزواحف ، ويفردون لها طبقة خاصة ، فيعتبرونهما شعبا أعلى (Super-class) ويطلقون عليه اصطلاح (Sauropsida) تمييزا من الثدييات ، ومن شعب أعلى آخر يطلقون عليه اصطلاح (Ichthyopsida) ويشمل القوازب (Amphibians) والأسماك (Pisces) .

ومن خواص الطيور : (١) الريش ؛ والريش بمثابة هيكل خارجى (exo skeleton) ليس لغيرها من صنوف الحيوان ، (٢) دم ثابت الحرارة ، (٣) دورة دموية مزدوجة كل الازدواج ، (٤) قلب تام التكوين ذو أربع تجوات ، (٥) قوس (أورطية) ذات اليمين ، (٦) رئتان ، (٧) مجار هوائية ، تمتد حتى تصير أكياسا هوائية ، وقد تصل متشعبة إلى داخل بعض عظام الهيكل ، (٧) تناسل بيضى ، (٩) احتواء البيض على جزأين : جزء غذائى وهو الأكثر ، وجزء تكوينى وهو الأقل . وجزؤه الأكبر غذائى (meroblastic) ويحتوى على مح وزلال ، ومن فوقهما قيض متين لحفظهما ، (١٠) أربعة أطراف ، تكيف الاثنان المقدمان منها فأصبحا جناحين للطيران بما فيهما من الريش الكبير ؛ والجزءان الأماميان منها قد عَرُضا وتكمّشا فلم يبق فى كل منهما سوى ثلاث أصابع أثرية ، لا مخالب فيها ، (١١) أمشاط قد يكون التحامها كثيرا وقد يكون قليلا . ومن الأرساغ رسغان لها القدرة على الحركة عند البلوغ ، (١٢) عظم قَصِّىٌّ كبير زورقى الشكل ، وعضلات صدرية كبيرة قوية ، (١٣) فقارات عجزية قطنية ، وفقارات عُصْعُصِيَّة وعَجْب ، تضامت جميعا فصارت عظما عجزيا ، (١٤) عظام حرقفية ممعنة فى الامتداد إلى الأمام ، وأخرى حرقفية ونخذية امتدت إلى الوراء ، بغير مرافق ملتحمة تتوسطها ، (١٥) تجويف حُقِّى مثقب ، (١٦) مَدَارٌ للفخذ ذو مفاصل تكون عند اتصاله بالعظام الحرقفية ؛ والشَّظِيَّة من تحت الفخذ غير تامة التكوين ،

(١٧) عظم الكعب ملتحم بالقصبة وله علاقة بتكوين اللقم القصبية ؛ (١٨) مفصل رسغي يتوسط عظام القدم ؛ (١٩) عظام وظيفية ( نسبة إلى الوظيف ) منها ثلاثة ملتحمة ، وأصابع لا تزيد على أربع ؛ أما السُّلاَمَيَات فقد تكون ٢ أو ٣ أو ٤ أو ٥ عداً (٢٠) الطرفان المؤخران وقد أعِدّا للمشي (٢١) ليس للطيور التي نشأت في الأعصر الأرضية الحديثة أسنان ؛ والفكوك مطلية بعادة قرنية (٢٢) تطوّرت الطيور تطوّرا ضئيلا منذ أول ظهورها في العصر ( اليوراسي Jurassic ) ؛ أما تصنيفها ، فمن المعضلات التي اختلف فيها ثقات أهل النظر .

## العَرِيضَات — Platyhelminthes.

Also : Platyh elmintha, Plathelmintha, Plathelminthes, Platyhelmia, Platyelmia, Platyelminthes, Platylmia.

والمستعمل الآن المصطلح الأول ، وهو من اليونانية ( platus ) أي عريض أو مسطوح ؛ و (helminthos) أي دودة .

قبيلة عليا أو عشيرة عليا (Superordinal or High Group) من الديدان ، اختلف المؤلفون وثقات المواليديين في تسميتها وتقويمها[1] من الحيثية الحيوانية ، وتشمل ديدانا عريضة أو مسطوحة ، أكثرها بيضي الشكل ، واضح الأجزاء ، وقد تقسم ثلاثة أقسام هي :

1. Cestoids. 2. Trematoids. 3. Turbellarians.

لتمييزها من الديدان الأسطوانية (Roundworms) وهذه تسمى اصطلاحا (Nemathelminthes) ؛ وقد سميت العريضات في بعض التصانيف القديمة (Platylmia) ؛ وقسمت قسمين : قسما غير طفيلي سمى (Turbellaria) وقسما طفيليا يحتوى على طبقتين سميتا :

1. Trematoda. 2. Tæniada.

---

(١) تقويمها : جعل قيمة لها : " المصباح " .

واعتبرت العريضات فى تصنيف آخر قسما ( Division ) ؛ جعل له أربع طبقات هى :

1. Turbellaria. 2. Nemertina. 3. Trematoda. 4. Cestoda.

وأطلق سير "راى لنكستر" على هـذه الديدان اصطلاح (Platyhelmia) ؛ وقسمها شعبتين (Branches) الأولى : الهدبيات (.Ciliata) والثانية : (Cotylophora) ؛ أما الهدبيات فهى نفس ما دعاه المصنفون قبـل لنكستر (Turbellaria) بشىء من التوسع ؛ ثم قسم الهدبيات ثلاثة شعوب (Classes) هى :

(1) Rhabdocœla. (2) Dendrocœla. (3) Nemertina *or* Rhynchocœla.

وجعل الشعبة الثانية (Cotylophora) ثلاثة شعوب هى :

1. Trematoidea. 2. Cestoidea. 3. Hirudinea.

وأطلق "ڤان بندن" (Van Benden) على جزء من العريضات اسم (Mesozoa) ؛ غير أن هذا يمكن إلحاقه بالهدبيات .

ويقول ثقات المحدثين من المواليديين إن ما وجه من العناية إلى بحث العريضات ، ولا سيما ما يتعلق بتسميتها وتصنيفها ، لا يتفق مع ما لها من قيمة فى نظام عالم الحيوان وطبقاته .

## الحَلَقِيَّات[1] — Annelidæ.

الاصطلاح من اللاتينيـة (annellus *or* anellus) أى خُوَيتِم أو حُلَيقة ، لأن اللفظ اللاتينى تصغير خاتم أو حلقة (annulus *or* anulus) ، وتسمى فى الانجليزية (Anelids *or* Annelides) .

شعب (class) من اللافقاريات تابع لأُمّة (phylum) الديدان ، وقد يدعوها بعض المواليديين "الديدان ذوات الدم الأحمر" ، وتتكوّن أجسامها من فِلْقات

(١) فى المصباح : الحلقة بالفتح لغة فى السكون .

أو آراب[١] ، ولا أطراف لها ، فإذا وجدت الأطراف فهى أثرية ، إذ تتألف من أهداب أو خطاطيف دقيقة تسمى " الأقدام العُقَدِيَّة "(parapodia) وكل الحَلَقِيَّات حيوانات غير طفيلية .

ولحيوانات هـذا الشعب مجموع وعائى يجرى فيه دم أحمر فى أكثر فصائله . أما إهابها فلدن رقيق ، مؤلف من عدة طبقات ، الظاهرة منها ذات أهداب أو خطاطيف، ولا رأس لها ، فإذا وجد فهو أثرى، يقع قبيل الفم، ويكون سلكى القوام مِجَسِّيًّا[٢] ، ويحصل التنفس إما بشعب خارجية ، وإما بأوعية ، وإما بالجلد . ولها أوعية نابضة تقوم مقام القلب . والمجموع العصبى عبارة عن حبل بطنى، مفرد أو مزدوج، وفيه عقد متباعدة . فإذا انتهى الحبل الى البلعوم أحاط به .

واختلف المواليديون فى تصنيف هـذا الشعب ، ولكن الخلاف قصر بين محدثيهم على إدراج الطبقة المسماة اصطلاحا (Gephyrea) فى تصنيف الحَلَقِيَّات أو إخراجها منه ، فاذا أخرجت (على ماالتبع فى هذا التعريف) قسمت الحلقيات أربع قبائل (Orders) هى :

1. Hirudinea, Discophora *or* Suctoria=the leeches.

ومنها العَلَق الطِّبِّى .

2. Oligochæta, Abranchia, Terricolæ, etc.=the earthworms and their immediate allies.

ومنها الخَرَاطِينُ ، وما إليها .

3. Chœtopoda, Polychœta, Errantia, etc.; the free sea-worms.

ومنها الديدان البحرية المطلقة .

4. Cephalobranchia, Tubicolæ, etc.=tubicolous sea-worms.

ومنها الديدان البحرية ذوات الأنابيب (التى تعيش فى أنابيب Tubes )

---

(١) آراب جمع إرب : وهو العضو .

(٢) نسبة الى المجس Tentacle وقد أقرها المجمع .

وفى تصنيف آخر تقسم الحلقيات أربع شُعَيْبَات (Sub-classes) هى :

1. Archiannelida, composed of the genus Polygordius and its allies.

2. Chœtopoda.

3. Hirudinea or Discophora.

4. Enteropnuesta, consisting of the genus Balanoglossus, which some authorities class with the Ascidians or Chordata.

وفى تصنيف " هكسلى " ( ســنة ١٨٧٧ ) اعتبرت الحلقيات قبيلة عليا (Superordinal) تتضمن الطبقات الآتية :

1. Polychœta. 2. Oligochœta. 3. Hirudinea. 4. Gephyrea.

مضافا إليها ماسمى اصطلاحا Myzostomata .

ويقول ثقات المواليديين إن الأخيرة إنما تلحق بالحلقيات تجوزا ، وهى عشيرة يشابه بعض طبقاتها بعضا فى أن جسمها ذو فَلَق . وقد يستدل على هذا التشابه بوجود مراكز عصبية كثيرة العقد منظومة فيما يشبه السلسلة (وهى ظاهرة ليست للطبقة المسماة Gephyrea) وبوجود أهداب أو أعضاء ذات فلق ، وبخاصّة البرقات إذ تصبح ناشطة ، بعد تَفَقُّس البيض عن الجنين مباشرة .

## المَفْصِلِيّات — Arthropoda (or) Articulata

الاصطلاح من اليونانية (arthron) أى مفصل ، و (podos) أى قدم ، والمقصود منه " الحيوانات المَفْصِليّة الأقدام " .

أحد قسمين رئيسين اتفق المواليديون على أنه يؤلف عُوَيْلِما Sub-kingdom أسموه (Annulosa) ، أما القسم الآخر فسمى اصطلاحا (Anarthropoda) ، أى " اللاّمَفْصِليّات " .

والمفصليات حيوانات ذات فلق ، ولكل حيوان جانبان ، وأرجلها ذات مفاصل . وهى عنـد محدثى المصنفين ، تنظر إلى القسم الذى سماه " كوفييه " (Articulata: Articulated Animals) (أى ذوات المفاصل) تميزا لها من (الحلقيات) — انظر (Annelidæ) وهى تنظر كذلك إلى ما سماه " لاترى " (Condylopoda) أو إلى ما سماه غيره من المواليـديين Gnathopoda أو (Arthrozoa) .

وتعتبر المفصليات فى الاصطلاح العلمى الحـديث عُوَيْلِماً أو أُمَّةً من التَّوالِى (Metazoa) ، تتضمن كل الحيوانات اللَّافَقارية المَفْصِلِيَّـة الأطراف غير ذات الأهداب ، وتمتاز بمجموع عصبى عُقَدِىّ ، وتناسل بيضى ، وانفصال الجنسين ، ووضوح أجزاء البدن ، من الرأس إلى الصدر إلى الأحشاء .

وتكاد كلمة المواليديين تتفق الآن على جعل هـذه الحيوانات أربعة شعوب عظيمة هى :

الحشرات (1. Insecta) الكثيرة الأرجل (2. Myriapoda) العنكبوتيات (3. Arachnida) القِشْرِيَّات (4. Crustacea) .

ولهذا العُوَيْلِم الغالبية العظمى فى عالم الحيوان ، من حيث عدد الأنواع والأفراد ، ويبلغ مجموعه أكثر من أربعة أخماس الحيوان جميعه .

وتشمل المَفْصِلِيَّات أكثر من مئتى ألف نوع يشتد بينها الاختلاف ، حتى ليتعذر وضع تعريف جامع لها . وهى أرقى اللَّافَقَارِيَّات ، من حيث نماء الأعضاء الخاصة بالحياة الحيوانية ، وتعقدها . وتتجلى هذه الحقيقة فى مقدرتها الكاملة على الحركة ، وحدة غرائزها .

## النَّعْلِيَّات — Parameciidæ.

النَّعْلِيَّات ( إذا اعتبرت فَصِيلَةً ) ؛ النَّعْلِيَّة ( إذا اعتبرت فُصَيِّلَةً )

also : Paramæcidæ *or* Paramecidæ.

and : Paramæcina *or* Paramecina.

الاصطلاح من اليونانية (paramékes) أى مستطيل.

فصيلة (Family) من الحيوانات النَّقْعِيَّة ذات الأهداب . والنَّعْلِى (Paramecium) جنسها الرئيس ، أى الذى تتجلى فيه صفات الفَصِيلَة .

وحيوانات هذه الفصيلة مبسوطة ، ومن خصائصها أن كل حيوان منها يختلف فى صورته عن غيره بعض الاختلاف ، وأن لها سطحين : ظهريا وبطنيا . أمّا الفَم فبطنىٌّ كثير الأهداب كسائر الجسم ، ولا فرق بين الأهداب الفموية ، والأهداب الإهابية .

وقد قصر تصنيف هذه الفصيلة الآن على أربعة أجناس هى :

1. Paramecium 2. Loxocephalus. 3. Placus. 4. Conchophthirus.

وتعيش النعليات فى المياه العذبة والمالحة ، وتكثر جدا فى المنقوعات النباتية ، ويعرف بعضها فى الانجليزية باسم (Slipper Animalcules) أى "الحُيَيْنَات[١] النعلية" ، ومن هنا أخذ الاسم العربى .

## النعلِىّ — Paramecium.

وللمصطلح رسمان آخران هكذا (Paramæcium *or* Paramœcium) وكلاهما خطأ .

الجذس الرئيس لفصيلة النَّعْلِيَّات ، ويمتاز بإهاب لدْن ، وحَزّ منحرف قريب من الفم ، ومن مُثُل هذا الجنس ، النوعان المسميان :

(P. bursarium ; P. caudatum.)

---

(١) حُيَيِّين ، صغرنا حيوانا على حييين قياسا على تصغيرهم كروانا على كريين لأنها اسم جنس صريح لا صفة ، ولأن الواو المتحركة التى بعد ياء التصغير تقلب ياء وجوبا ، راجع أول باب التصغير فى حاشية الصبان على الأشمونى وشرح الرضى على الشافية وبحث قلب الواو ياء فى كل الكتب .

## اللَّوْلَبِيَّات — .Vorticellidæ

المصطلح من اللاتينية الحديثة (vortex) أو (vertex)، من الفعل (verto)، أى يدور أو يلتوى أو يلوب من لَابَ [١].

فصيلة من النَّقْعِيَّات ذوات الأهداب المسماة (Peritricha) وحيواناتها إمّا أن تكون فى الماء غير متحركة، وأما أن تكون عالقة بشىء، على خلاف بقية فصائل النَّقْعِيَّات، لأنها جميعا من السوابح.

وحيوانات هذه الفصيلة إمّا نَاقُوسِيَّة الشكل، وإمّا بيضية، وإمّا قريبة من الشكل الأسطوانى. ولها فم منحرف فى نهاية الجسم، ويحيط به حافة لولبية من الأهداب، ويرتدّ طرف هذه الحافة الأيمن ساقطا فى داخل الفم. أمّا الطرف الأيسر فعلى شكل تاج يحيط بقرص هدبى متحرك. ويندر أن يكون لهذه الحيوانات كيسات نَحْلية (Trichocysts) ولكن لها خطاطيف نُفَيْقِيَّة [٢] طويلة دقيقة.

وتتناسل هذه الحيوانات، أو تتكاثر، بإحدى طرق ثلاث؛ الأولى: الانشقاق (Fission). والثانية: اقتران حييوينين منها، أحدهما صغير، ويدعى تجوزا "الذكر"، وهو قادر على التنقل، والثانى كبير، ويدعى تجوزا الأنثى، وهو غير قادر على التنقل. والثالثة: نماء جريثيمات قادرة على السباحة.

وهذه الفصيلة من أكبر فصائل النَّقْعِيَّات وأسهلها تبينا للباحث، وبخاصة لتراكيبها الفموية، وهى من أخص مميزاتها. وتعيش هذه الحيوانات فى المياه العذبة

---

(١) اللسان: الأصمعى: إذا طافت الإبل على الحوض، ولم تقدر على الماء لكثرة الزحام، فذلك اللوب.

(٢) منسوب الى مصغر نفق.

والمالحة . وبعضها حيوانات ملطاء ، فيفرد لها فُصيلة تسمى (Vorticellinæ) أى اللَّوْلَبِيَّة ، وبعضها يعيش فى مُدَّرعات (Loricæ) فإذا كان صلبا سميت (Vaginicolinæ) ، وإذا كان لدناً سميت —(Ophrydiinæ) وهما فُصَيِّلتان .

وللولبيات عدة أجناس ، وعدد عظيم من الأنواع .

## اللَّولبية — Vorticellinæ.

فصيلة (Sub-family) من اللولبيات ، تحتوى على اللولبيات العارية أو الملطاء . وحيواناتها إما أن تعيش مفردة أو مجتمعة ؛ عالقة بشىء أو سابحة ، فيكون لها أرجل هدبية ، وهذا التعريف يخرج الفُصَيِّلتين (Vaginicolinæ) و (Ophrydiinæ) ، لأنهما مُدَّرعتان .

انظر (Vorticellidæ) .

## اللَّوْلَبِىّ — Vorticella.

الجنس الرئيس للفُصَيِّلة اللَّوْلَبية ، وله أنواع عدة . وترى حيوانات هذا الجنس عالقة بذُنَيب بسيط القوام ، غير ذى أجزاء ، خيطىّ الشكل ، قابل للانقباض ، وفيه لُيَيفة عضلية لَدْنة ، فإذا انقبضت تكمش ذلك العضو ، فعاد كاللولب .

أما الجهاز الفموىّ فى هذا الجنس فيتكون من إكليل هدبىّ ذى أثناء[1] لولبية ، وينحدر الطرف الأيمن منه إلى داخل الفم أو الحفرة التُّنفيقية (Vestibular Fossa) فى حين أن الأيسر ينحرف مرتفعا ليحيط بالقرص الهدبىّ المتحرك ، ويسمى القرص الدوَّار أحيانا (Rotatory disc) . أما الفجوة الفموية ، وتكون فى البطن ، فتمتدّ حتى تصير بلعوما ظاهرا .

---

(١) جمع ثِنْى .

## اللاحَشَوِيَّات — Coelenterata (or) Coelentera.

الاصطلاح من اليونانية (kailos) أى فراغ ، (entera) أى أمعاء ، ومفردها (enteron) أى مِعى ، ومعناه : لا أمعاء لها ، ومن ثم وضع اسمها العربى : اللاحَشَوِيات ، أى الحيوانات التى لا أَحْشَاء لها .

اللاحَشَوِيات أُمَّةٌ (phylum) ، أو عُوَيْلِم (Sub-kingdom) من الحيوانات ، يعتبره المصنفون من بدائيات أقسام التَّوَالِى (Metazoa) وتشمل حيوانات مائية ، السواد الأعظم منها بحرىٌّ ، وتتألف أجسامها من جفوة معوية تنتهى بفم يتصل مباشرة بتجويف الجسم . و يعرف هذا التجويف باسم الفراغ المعوى (enterocoele) لتمييزه من القناة المعوية التى هى من مقومات حيوانات أخرى أرقى منها . وجدار الجسم فى اللَّاحَشَوِيات ذو طبقتين ، داخلة ، وتسمى الجلد الداخلى (endoderm) ؛ وخارجة : وتسمى الجلد الخارجى (ectoderm) . وليس فى هذه الحيوانات أثر لمجموع عصبى ما عدا بعض المدوسيات (Medusa) وليس لها مجموع وعائى دموى . وفى أكثرها ( وبخاصة ما يسمَّى اللَّوَاسِع (Cnidaria) منها ، وهى اللَّاحَشَوِيات الجنيسة [١] ) ، عُدَّة للهجوم والدفاع ، هى أعضاء لاسعة تسمى الخلايا السلكية (cnidæ = thread-cells) أو الكُيَيْسات السلكية (nematocysts) . وكثيرا ما تنتظم أعضاء اللَّاحَشَوِيات فى صورة شُعَاعية ، ولا سيما المجاسّ (tentacles) من حول الفم . وتناسل (Reproduction) هذه الحيوانات تزاوجى غالبا ، لأن لها أعضاء خاصة تنشأ فيها البييضات والحُبَيْبَات المَنَوِيَّة . فإذا نضجت خرجت من الفم . وقد تتكاثر (multiply) بالتَّبَرْعُم [٢] والانشِقَاق .

(١) الجنيس : العريق فى جنسه ( القاموس ) .

(٢) استعملنا الكلمة على ضرب من التجوز لأن التبرعم فى الأصل للنبات .

وحدّد الأستاذ هَكسلي موضع اللّاحَشَويات في طبقات الحيوان، فاعتبرها عُوَيْلِماً بين الرِّخويات (Molluscoidea) والأَوَالى (Protozoa). ويقسمها شعبين (classes) عظيمين هما الشُّعاعيات (Actinozoa)(١) ، والأبابيات (٢) (Hydrozoa) .

## الحَشَويات — Cœlomata.

الاصطلاح من اللاتينية (Cœloma) — ومعناه فراغ أو تجويف .

١ — في علم الحيوان :

الحَشَويات اصطلاح وضعه (سير راي لنكستر) ليدلّ على مجموعة عليا من الحيوانات تشمل كل التوالي (Metazoa) ما عدا اللّاحَشَويّات التي منها الإسفنج وشقائق البحر والمرجان وغير ذلك ، انظر (Cœlenterata) . وقد وضع هذا الاصطلاح للتفرقة بين الحشويات التي هي ذات قناة معوية ، واللّاحَشَويّات التي هي ذات بجوة أو تجويف يدعى الفراغ المعويّ (entercœle) .

٢ — في علم الأجنة :

الرُّدُوبُ (diverticula) أو البَرَاعِم (buds) التي تظهر في المعى الكبير (Archenteron) أو المعدة البدائية (primitive stomach) في الجنين ، ومنها تتكون الأمعاء بعد تميزها من المِعَى الأكبر ولا يطلق على هذا المعنى لفظ الحشويات وتسمى الردوب المعوية .

---

(١) الاصطلاح يوناني من مقطعين : الأول (aktinos) أي شعاع ؛ والثاني (zoon) أي حيوان أو كائن حي ، فسميتها الشعاعيات ، وكانت تسمى ( Radiolaria ) .

(٢) الاصطلاح يوناني من مقطعين : الأول (hudôr) أي ماء ؛ والثاني (zoon) أي حيوان ، أو كائن حي ، وسميناها الأَبَابِيَّات . وفي القاموس الأُبَابُ : الماء .

## العَيْنيات — Euglenidæ.

المصطلح من اليونانية (euglenos) أى براق العين ، من (eu) أى حسن أو جميل ، و glênê أى إنسان العين ، أو كرة العين .

فصيلة كبيرة من النقعيات السَّوْطية ، ومن خصائصها أنها مفردة السوط ، وأن لها فما ظاهرا ، هو فتحة غائرة يدخل منها الغذاء ، والجنس الرئيس من هذه الفصيلة يسمى العَيْنِى ، انظر (Euglena) .

ومن خصائصها أيضا أن أجناسها وأنواعها كثيرة الأشكال ، متغيرة الصور ، ولها جِبْلَة داخلة براقة خضراء ، وقلما تكون حمراء . وهى من أظهر الفصائل المعروفة فى عالم الحيوان . وقد عكف الحيوانيون على درس خصائصها التكاثرية لغرابتها .

والفروق بين أجناس هذه الفصيلة كبيرة ، فبعضها سابح وبعضها عالق بالماء فى غير حركة ، وهى ملطاء أو مُدَّرِعة ، مفردة أو مجتمعة . والسوط فى حيوانات هذه الفصيلة مفرد ، وهو فى مكان الذنب ، والفتحة الفموية بينة جلية ، وتحتوى الجبلة الداخلة غالبا على جزيئات نشوية القوام فيها خاصة كسر الضوء . ويمو فى الجزء المقدم من حيوانات هذه الفصيلة نكتة أو نكت مصبوغة شبيهة بالعين . والحويصلة النابضة ، والكرية الداخلة (endoplast) جليتان . والحويصلة مستقرة غالبا بمقربة من مقدم الجسم .

وتتكاثر العينيات بالانشقاق ، إما بالطول ، وإما بالعرض ، وذلك بانقسام الجسم إلى عناصر بُوغِية (sporular elements) أو بنشوء جُسَيَات جُرْثومِيَّة مستقلة من مادة الكرية الداخلة ، ويكون نشوءها فى الغالب راجعا إلى نمط من التَّكَيُّس يؤدى إلى تكوين جراثيم تختلف عددا وشكلا ( واختلاف الشكل يتناول حواشى الجسم ) وتنفصل هذه الجسيات خضراء متمورة القَوَام ، فتكون بلا سوط

أو أثرمنه ، وبلا فتحة فموية ، أو نكيتة مصبوغة . ولكن هذه الأعضاء تنشأ فيها على الأيام . أما الحُبَيْبِنات الوَشَعِيَّة الشكل التى تنشأ من تبوُّغ (sporulation) الجبلة الداخلة فى العينيات الذاتية الحركة [١] ، فتكون مزودة بسوط ووكتة عينية (eye-speck) .

وقد يعترى هـذه الحيوانات ضرب من التبوُّغ غير ذى علاقة بالتناسل ، إذا ماجفّ الماء من البرك والمناقع التى تحيا فيها . وفى هـذه الحال تصير كروية الشكل وفى طور همود . وينشأ من فوق أجسامها طبقة هلامية تلازمها فى ذلك الطور. وقد كان ماشوهد من تغير هذه الحيوانات وتوالى الصور عليها ، سببا فى وضع اصطلاح (euglenoid) أى الشبيه بالعينى ، للدلالة على حيوانات فيها خاصة التكيُّس والتبوّغ على غرار العينيات .

أما أجناس هذه الفصيلة ، على ما يقول "سڤيل كنْت" ، فتسعة ، هى :

1. Euglena. 2. Amblyophis. 3. Phacus. 4. Chloropeltis.
5. Trachelomonas. 6. Rhaphidomonas. 7. Cœlomonas.
8. Ascoglena. 9. Colacium.

ومعظم هـذه الأجناس وأنواعها توجد فى المياه العذبة ، ولا سيما الراكدة ، ولكنها قد توجد أيضا فى المياه القليلة الملوحة . وقد توجد حيواناتها مفردة أو فى جماعات صغيرة ، كما قد تكون قُرًى (Colony) عظيمة .

## العَيْنية — Euglenia.

عشيرة من النَّقْعِيَّات السَّوْطية ، سميت باسم الجانس العينى (Euglena) ، وهى تنظر قليلا إلى ما سماه إهرنبرج (Astasiæa) .

## العينىّ — Euglena.

الجنس الرئيس لفصيلة العينيات ، وهى فصيلة من أشهر فصائل النقعيات . انظر (Euglenidæ) .

(١) أى أن لها القدرة على الحركة من تلقاء نفسها .

العَيْنِيُّ الأَخْضَر — **Euglena viridis.**

الصفة (viridis) لاتينية ، معناها أخضر (green) .

نوع من جنس العينى كثير الانتشار . وهو من النَّقْعِيَّات المشهورة . ويقطن البرك الراكدة ، وكثيرا ما يعيش فى الضَّحْضاح الواسع ، مغشِّيا وجه الماء . ( اهرنبرج ١٨٣٢ )

انظر (Euglenidæ) .

الحُيَيُّ المنوىُّ — **Spermatozoon.**

الاصطلاح من اليونانية (sperma) أى بزرة ، و (zoon) أى حيوان أو حُيَىّ .

الحييّ المنوىُّ واحد من أجسام مجهرية حية كثيرة تكون فى السائل المنوىّ ، ومنها يستمدُّ هذا السائل خصائصه الحيوية ، ذلك بأنها السبب الرئيس فى إلقاح البييضة أو إخصابها .

شِبْه الشَّفّاف[1] — **Semi-transparent.**

غير تام الشفيف ، وهو اصطلاح توصف به تراكيب أو أجزاء حيوانية ، ولاسيما بعض مكونات الخلية كالجبلة أو السوائل ، كالسائل الخلوىّ أو النووى ؛ وبعض ظواهر فى الحيوانات الدنيا خاصة .

الزائدة (ج . الزوائِد) — **Appendage-s.**

فى التشريح والحيوان والنبات :

كل طرف أو عضو أو جزء من الجسم يبرز منه ، أو يعلق به . وكذا فى النبات ، كالشُّعَيْرَات أو العقد الورقيــة أو الجذعية ، أو بعض زوائد فى النورة ، إلى غير ذلك .

---

(١) هذا الإصطلاح عن ابن الهيثم .

## الغشاء المُخاطىّ — Mucous Membrane.

الغشاء الذى يغشّى القناة الغذائية ( أو الهضمية ) وما يتصل بها من الأجزاء ، كالمجارى التنفُّسية والمجارى البولية التناسلية . وهو من أعظم أغشية الجسم وأكثرها تعقيدا ، إذ تختلف صفاته اختلافا كبيرا باختلاف الحالات ، وباختلاف أجزاء الجسم التى يغشّيها ؛ وقد يحتوى على تراكيب غددية كاللُّهيبات أو الحُرَيّيات الغشائية ، كما يحتوى على أعصاب خاصة به ، وأوعية دموية و( لِنْفِيّة ) .

## الأُكْرِيّات — Globigerinidæ

الاصطلاح من اللاتينيــة (globus) أى كرة ، و (gero,) أى يحمل أو يملك .

فصيلة من الشُّعاعيات المنخربة الغَمْرِيّة (pelagic) — أى التى تعيش فى غَمْر البحار والمحيطات — صـدفتها كلسية غير ملتصقة بالحيوين ، كثيرة الغُرَيْفات منبعجة أو كروية ، منتظمة فى صورة لولبية ، أو تكون مجدولة . أما الفُوَيْه فجلى ظاهر ، بسيط القوام أو مركبته ؛ وهو يؤدى الى وهدة كالسُّرة . وليس لهذه الحيوانات هَيْكل يُقَوِّم الجسم ، ولا مجموع قنوىّ .

ولقد وجدت آثار هذه الفصيله فى الطبقة " الترياســية " (Triassic) من طبقات الأرض . ولا تزال الأُكريات تعيش فى البحار . فكونت بقاياها كثيرا من الطين الطباشــيرى الذى يوجد فى قعر البحار والمحيطات ، كما استحدثت المكوّنات التى تتألف من الحجر الكلسىّ .

وأخطأ الباحثون فى تحقيق هــذه الفصيلة ، كما أخطـئوا فى تحقيق غيرها من المنخربات (Foraminifera) فظنوها حُيَيْنات دقيقة من الرأسية الأرجل (Cephalopods) لِصَدفتها ذات الغُرَيْفات . ولكن حُقِّق أنها

حُيَيْنَات من الأوالى (Protozoa) تتكون أجزاؤها الرخوة من جبلة غير ذات تراكيب ظاهرة ، على غرار غيرها من المُنخربات والشعاعيات ، مما له القدرة على إفراز الكلس و بناء صدفة ذات صورة خاصة ، بما تفرز من تلك المادة .

وللأُكريات منزلة خاصة بين ذوى قرباها من المنخربات ، وذلك لكثرتها وعظم انتشارها . ولقد كانت السبب فى بناء تلك الأجزاء العظيمة التى يتألف منها الحجر الكلسىّ فى قشرة الأرض . فهى من هذه الوجهة تشبه النُّميات(١) (Nummites) وفى التكوينات الحديثة من الطين الأُكرىّ (globigerina-mud) القَارّ فى أغوار المحيطات ، تَعرِض تفاعلات قد تؤدى الى تكوين صخور قاسية من القشور الطباشيرية الصلبة ، التى خلفتها تلك الحُيَيّنات المجهرية ، بعد أن فنيت هياكلها و بادت .

## الأُكرِيّة — Globigerina.

قد يعتبر بعض المصنفين الأكريات فُصَيِّلة (Sub-family) فيطلقون عليها هذا الاصطلاح ، ولكن العلم والتصنيف لا يفرقان بينهما . لأن الأكرية هى الفصيلة الوحيدة للأُكريات .

وتوجد الأكرية فى أكثر بحار الأرض إلى عمق ٢٤٠٠ قامة أو حوالى ذلك . وقد تثر فى أغوار مختلفة على أفراد منها ، لها خصائص الأكريات فى جميع أطوار حياتها ، مختلطة بغيرها من الحُيَيّنات البحرية . وتزداد هذه الحييوينات كثرة مع الإمعان فى عمق الغمر ، فإذا بلغ ألف قامة ، أصبح قعر البحر عبارة عن طين أكرى (globigerina-mud) مكوّن من بقايا هذه الحييوينات وما يمت إليها من المُنخربات والشُّعاعيّات .

(١) فى القاموس : النُّمىُّ ... ... والفلوس أو الدراهم اهـ .
وقد أقر المجمع هذه الكلمة لطبقة فى الحيوانات الدنيا تشبه الفلوس .

## الأُكرى — Globigerina.

(١) الجنس الرئيس من الأكريات . وقد اعتبر أول الأمر جنسا من الرأسية الأرجل (Cephalopodes) انظر دربنيى (D'Arbigny) ١٨٢٦ .

(٢) فرد من ذلك الجنس .

(٣) يستعمل هذا الاصطلاح أحيانا مضافا إلى لفظ آخر ، للدلالة على أشياء تتعلق بهذا الجنس أو بفصيلته مثل :

الطين الأكرى 1. globigerina-mud.

الرَّدَغة الأكرية [1] 2. globigerina-ooze.

القشور الأكرية 3. globigerina-shells.

## القُصَيْمَة (ج . القُصَيْمات) — Bacillus.

الاصطلاح من اللاتينية (Baculus) أو (Baculum) ؛ أى عود أو قصيمة.

في التشريح :

جسم شبيه بالعود أو القصيمة ؛ وتوصف بهذا الاصطلاح بعض تراكيب فى الجسم الحى ، كالقصيمات الشبكية فى العين (rods of the retina) .

فى الأحياء :

(١) فرد من جنس القصيمات .

(٢) جنس من المتعضيات المجهرية النباتية المسماة "بكتريا" (Bacteria) ، وهى خيوط دقيقة مستقيمة ، وتتألف من جزء واحد أو من أجزاء أسطوانية مستطيلة ، بينها ما يشبه المفاصل . ومن أنواع هذا الجنس المشهورة النوع المسمى (B. subtilis) و يوجد فى سائل الإنفحة فى الحيوانات المجترة

---

(١) الردغة : محركة وتسكن ، الماء والطين الشديد — القاموس .

ويسبب التخمر . ومنها النوع المسمى (B. anthracis) ؛ وهو ما يسبب الجمرة الخبيثة ، والنوع المسمى (B. ambylobacter) ، وهو الذى يحدث التعفن . وهنا لك أنواع أخرى يعتقد أنها تُسَبِّبُ السل والجذام والهيضة ( الكارا ) . ومن خواصِّ القصيات الضَّمِّية [1] (comma-bacillus) التى تحدث الهيضة ، أن تكون معقوفة قليلا .

## البَشَرة ، الإهاب — Cuticle.

الاصطلاح من اللاتينية (cuticula) ؛ وأصله من (cutis) : أى جلد أو إهاب .

الطبقة الخارجة ، وهى الطبقة الظاهرة من الجلد . ويتكون منها الغطاء الرقيق للجسم ؛ وقد يتوسع فى مدلول الاصطلاح ، فيطلق على كل جلد أو غطاء يكسو الجسم أو جزءا منه ، كالأظافر والمخالب والحوافر والقرون والشعر والريش إلى غير ذلك .

## الكِلْسِيّ — Calcareous.

الاصطلاح من اللاتينية (calcareous) أى له علاقة بالكلس .

فيه شيء من طبيعة الكلس ؛ فيه صفات الكلس ، أو محتو على كلس ؛ طباشيرى ؛ كأن يقال مثلا : (calcareous earth or stone) .

مكون من ( كربونات ) الكلس (carbonate of lime) .

---

(١) الضمية : التى تشبه الضمة ، وهى العلامة المعروفة فى الكتابة

## الصخور الكلسيّة — Calcareous Rocks.

الصخور الكلسية من أصل حيوانى ، إذ أنها تكونت من بقايا الأصداف والمرجان والأُكريات (Gloligerinidæ) وغيرها من المنخربات (Foraminifera) فاذا استحجرت تلك البقايا تبلّرت ، فلا يستبين فيها أثر للتعضيات التى تكونت من بقاياها . ولكن هنالك من الأسباب العلمية ما يحمل على اعتقاد أن تلك البقايا لا بد أن تكون قد ظلت ظاهرة فى تركيب تلك الصخور أزمانا ، ثم اندثرت آثارها بفعل الطبيعة .

# مصطلحات الشؤون العامة

شرحها وجمع شواهدها الأستاذ على الجارم بك
عضو المجمع

## الإراض

اللسان : " والإراض البِساط لأنه يلى الأرض ، الأصمعى : الإراض بِساط ضخم من وَبَر أو صوف ، وأَرَض الرجلُ أقام على الإراض " .

ويفهم منه أن الإراض قد يطلق إطلاقا عاما على البِساط كيفما كان صغيرا أو كبيرا ، وقد يخصَّص بالبِساط الكبير .

وقد رأى المجمع تخصيصه بذلك ليدلّ على الأبسطة العظيمة الرقعة التى تفرش بها الأبهاء والحجر الكبيرة .

## البِساط

اللسان : " والبِساط ما بُسِط " .

التاج : " والبِساط بالكسر ما بُسِط ، وفى الصحاح ما يُبْسَط ، وفى البصائر اسم لكل مبسوط ، وأنشد الصاغانى للمتنخّل الهذلّى يصف حاله مع أضيافه :

سأبدؤهم بمِشْمَعَةٍ وأُثْنِى  بجهدى من طعامٍ أو بساط

والمِشْمَعَة : المزاح والضحك ، وأُثنى أى أُتبِع . جمعه بُسُط ككتاب وكُتُب .

وإذا كان المعنى اللغوىّ للبساط كل ما يبسط أيا كان نوعه فقد خَصَّه العرف بنسيج خاصّ من الصوف ينسج بخيوط الخيش أو نحوها ، وهذا هو المعنى الذى أراده المجمع .

## النَّفاطة

اللسان : " التهذيب : والنفاطات ضرب من السُّرُج يُسْتَصبح بها " .

فهى إذًا مصباح يُمَدُّ بالنِّفط ، وقد أراد المجمع أن تستعمل هذه الكلمة فى هذا المعنى لأنها صريحة فيه ولأنها تحل مكان كلمة " لمبة الجاز " فى كلام العـامة .

## التحذيف

اللسان : "حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه والحجام يَحْذِف الشعر من ذلك ...

الأزهرى : تحذيف الشعر تَطْرِيره وتَسْوِيته ، وإذا أخذت من نواحيه ما تُسَوِّيه به فقد حذفته وقال امرؤ القيس :

لها جَبْهَةٌ كَسَراةِ المِجَنِّ (م) حَذَّفَه الصانع المُقْتَدِر

وقال النضر : التحذيف فى الطُّرَّة أن تجعل سُكَيْنِيَّة كما تفعل النصارى ".

ويؤخذ من هذا النصّ أنّ تحذيف الشعر تَطْرِيره وتَسْوِيته وقصّ أطرافه ، ويُفْهَم منه أن هذا خاصّ بالمراة .

وقد اختار المجمع هـذه الكلمة لتُستعمل خاصّة فى تصفيف شعر المرأة وقصّ أطرافه .

## الرمث

اللسان : " والرَمَث بفتح الراء والميم خشب يُشَدّ بعضُه إلى بعض كالطَوْف ثم يركب عليه فى البحر ، قال أبو صخر الهذلى :

تَمَنَّيْتُ من حُبِّ عُلَيَّـــةَ أننا على رَمَثٍ فى الشَرْمِ ليس لنا وَفر

وفى الحديث أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنا نركب أرماثًا لنا فى البحر ...

قال الأصمعى الأرماث جمع رَمَث بفتح الميم والراء خشب يُضَمّ بعضُه إلى بعض ويُشَدُّ ثم يُرْكَب فى البحر ، والرَّمث الطَّوْف وهو هذا الخشب ، فَعَل بمعنى مَفْعول من رَمَثْت الشىء إذا لَمَمْته وأصلحته" .

وقد أطلق المجمع هـذه الكلمة على ما يُعْرَف " بالرومس " وعلى ما يُسَمَّى " بالصَّنْدَل " وعلى كل ما يشبههما مما يجرى فى الماء أو يُجَرّ فيه .

## المزفة

اللسان : " ... والمِزَفّة المِحَفّة وقيل المِحَفّة التى تُزَفّ فيها العَرُوس " .

وقد أقرّ المجمع صحّة استعمالها لعَرَبَة العَرُوس من أىّ نوع كانت .

## الملقة ، المسلفة ، الزحافة

( ١ ) اللسان : "... والمالَق الخشبة العريضة التى تُشَدّ بالحبال إلى الثورين فيقوم عليها الرجل ويجرّها الثوران فَيُعَفّى آثارَ اللُّؤَمـة والسِنّ ، وقد مَلَقوا أرضَهم يَمْلُقونها تمليقا إذا فعلوا ذلك بها ، قال الأزهرى مَلَّقوا ومَلَّسوا واحد، وهى تُمَلِّس الأرضَ فكأنه جعل المالَق عربيا ، وقيل المالَق الذى يَقْبِض عليه الحارث ، وقال أبو حنيفة المِمْلَقة خشبة عريضة يجرّها الثيران ".

اللؤمة والسِنّ يُقْصَد بهما سِكّة المِحْراث وحديدته .

( ٢ ) وسَلَف الأرض يَسْلُفُها سَلْفًا وأَسْلَفها حَوَّلها للزرع وسَوّاها ، والمِسْلَفَة ما سَوّاها به من حجارة ونحوها .

( ٣ ) "زَحَف يَزْحَف زَحْفًا وزُحُوفا وزَحَفانا مَشَى ... وأصل الزَحْف للصبىّ وهو أن يَزْحَف قبل أن يقوم " .

والزَّحافة فَعَّالَة للمبالغة من الزَّحْف لكثرة ما تزحف .

والأصل فى الزَّحْف أن يكون من الأَحْياء ، وقد يطلق مجازا على غير الحىّ كما هنا ، فقد شاع اسم الزَّحَّافة بمصر على المِسْلَفَة ، وهو استعمال يراه المجمع صحيحا لا يُخالف مقاييس اللغة .

لهذا رأى المجمع أن تُطلَق الكلماتُ الثلاث : المِمْلَقة ، والمِسْلَفَة ، والزَّحَّافة على تلك الآلة التى يُسَوِّى بها الزارع أرضَه بعد حرثها .

## المِردس ، والمرداس

اللسان : "رَدَسَ الشىءَ يَرْدُسُه ويَرْدِسُه رَدْسًا دَكَّه بشىء صُلْب ، والمِرْداس ما رُدِسَ به ... والرَّدْس دَكُّكَ أرضًا أو حائطا أو مَدَرا بشىء صُلْب عريض يسمى مِرْدَسا" .

ويفهم من هذا النصّ أن المِرْداس والمِرْدَس اسما آلة على مِفْعال ومِفْعل من الرَّدْس وهو الدكّ ، وقد رأى المجمع إطلاق هاتين الكلمتين على الآلة البخارية التى تُدَكّ بها الحجارة وهى المسماة فى عُرف العامة "بوابور الزلط" .

## الميطدة

اللسان : وَطَدَ الأرضَ رَدَمَها لِتَصْلُب . والمِيطَدَة خَشَبة يُوَطَّد بها المكان من أساس بناء أو غيره لِيَصْلُب . وقد أطلقها المجمع على كل آلة يوطد بها أساس بناء سواء أحركت باليد أم بالبخار ( مندالة ) .

## المنوار

استعمل بعض قدماء اللغويين هـذه الكلمة فى القناديل تسرج أمام أبواب الملوك ، ولم نعثر عليها فى المعجمات التى بين أيدينا ، وكل ما يمكن أن يقال

فى تخريجها أنها مِفْعال للبالغة من نار يَنُور بمعنى أضاء ، وكثيرا ما تأتى صيغ المبالغة من اللازم ، وقد يقال إنها مِفعال للآلة لأنها أداة النور ، ولا تتصف الآلة بالعلاج دائما كالمحبرة والميثرة .

وقد أطلق المجمع هـذه الكلمة على المصابيح الكبيرة التى تضاء بهـا الميادين والشوارع العظيمة والتى تعرف " بالجلوبات " .

## المِعرض

اللسان : "والمِعْرَض الثوب تُعْرَض فيه الجارية وتُجْلَى فيه" .

المصباح : " والمِعْرَض وِزان مِقْوَد ثوب تُجْلَى فيه الجوارى ليـلة العُرْس وهو أفخر الملابس عندهم أو من أفخرها" .

التـاج : (و) المِعرض (كمنبر ثوب تجلى فيه الجارية) وتُعْرَض على المشترى .

ومقتضى نصّ صاحب اللسان والمصباح تخصيص المِعْرَض بثوب العَـرُوس تُجْلَى فيه ليـلة العُرْس ، والمراد بالجارية فى عبارتهما وفى عبارة صاحب القاموس الفَتِيَّة من النساء لا الأَمَة ، ويظهر أن صاحب التاج صرف لفظ الجارية فى عبارة المتن إلى الأَمَة فَعَقَّبَ عليها بقوله وتُعْرَض على المشترِى ، وهو تخصيص غير صحيح بعد أن تضافرت النصوص على التعبير بالجلاء وهو عَرْض العَـرُوس على الزوج ، وخلاصة القول أن المعجمات تفيد تخصيص المِعْرَض بثوب الجلاء ، ويرى المجمع أن يخرج به عن هـذه الدائرة الضَّيِّقة ، وأن يُطْلِقه على الثوب الذى تلبسه المرأة فى زينتها وهو أفخر أثوابها . أو من أفخرها .

واشتقاق اللفظ يعين على هذا التوسع ، لأنّ المِعْرَض من أسماء الآلة ، فهو يدلّ على ما يكون وسـيلة وأداة لعَرْض زينة المرأة فى خير أحوالهـا ، على أن إطلاق الخاصّ من بعض قيوده كثير شائع فى لغة العرب .

## النطاق والمنطق

اللسان : "والمِنْطَق والمِنْطَقَة والنِطاق كلّ ما شدّ به وسطه(١)".

غيره : والمِنْطَقَة معروفة اسم لها خاصّة ، تقول منه نَطَّقْت الرجل تنطيقا فتَنَطَّق أى شدَّها فى وسطه ، ومنه قولهم جَبَل أَشَمّ مُنَطَّق لأنّ السحاب لا يبلغ أعلاه ... ... وقد انتطق بالنِطاق والمِنْطَقَة وتَنَطَّق وتَمَنْطَق ، الأخيرة عن اللحيانى .

والنِطاق شِبه إزار فيه تِكَّة كانت المرأة تَنْتَطِق به ، وفى حديث أم إسماعيل : أوّل ما اتخذ النساء المِنْطَق من قِبَل أم إسماعيل اتّخذت مِنْطَقا هو النِطاق وجمعه مَناطِق ، وهو أن تلبس المرأة ثوبها ثم تشدّ وسطها بشىء وترفع وسط ثوبها وترسله على الأسفل عند معاناة الأشغال لئلا تعثر فى ذيلها .

وفى المحكم : النِطَاق شُقَّة أو ثوب تلبسه المرأة ثم تشدّ وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة ، فالأسفل ينجرُّ على الأرض وليس لهـا حُجْزَة(٢) ولا نَيْفَق(٣) ولا ساقان والجمع نُطُق".

المصباح : "والنِطاق جمعه نُطُق مثل كِتاب وكُتُب ، وهو مثل إزار فيه تِكَّة تلبسه المرأة ، وقيل هو حبل تشدّ به وسطها للِهْنَة وعليه بيت الحماسة :

"كُرْهًا وحَبْلُ نِطاقِها لم يُحْلَل".

والمِنْطَق بالكسر ما شددت به وسطك ، فعلى هذا النِطاق والمِنْطَق واحد ، وقيل لأسماء بنت أبى بكر ذات النِطاقين ، قيل لأنها كانت تُطارِق نِطاقا على نِطاق ، وقيل كان لهـا نِطاقان تلبس أحدهما وتحمل فى الآخر الزاد للنبى صلى الله عليه وسلم حين كان فى الغار ، قال الأزهرى وهذا أصح القولين".

(١) لعلها الوسط .
(٢) الحجزة معقد الإزار ، ومن السراويل موضع التكة "القاموس" .
(٣) نيفق السراويل الموضع المتسع منه "القاموس" .

الأساس : "وانتطق بنطاق ومِنْطَق وهو إزار له حُجْزَة ، قال ذو الرُّمَّة :

حَبَرْبَجَةٌ خَوْدٌ كأنَّ نِطاقَها    على رَمْلَةٍ بين المقيَّد والخَصْر"

تدور هـذه المشتقات جميعا وهى المِنطَق والنِطاق والمِنْطَقة حول أصل واحد هو الناطقة وهى الخاصرة .

ويظهر أن المِنْطَقة الحزام بلا خلاف ، ففى عبارة القاموس :

"وكمِكْنَسة ما يُنْتَطَق به ، وكمنبر وكِتاب شُقَّة تلبسها المرأة وتشدّ وسطها الخ" ففَرَّق بين تفسير المِنْطَقة والمِنْطَق والنِطاق ويقول صاحب المصباح فى شرح المنطقة : "والمِنْطَقة اسم لما يسميه الناس الحياصة" .

أما المِنْطَق والنِطاق فاختلف اللغويّون فى معناهما : فهما فى بعض الأقوال الحبل يشدّ به الوسط ، وهما فى قول آخر إزار أو شبه إزار فيه تِكَّة تلبسه المرأة ، وأن أسماء بنت أبى بكر إنما سميت ذات النِطاقين لأنها كان لها نِطاقان تلبس أحدهما وتجعل فى الآخر الزاد ، ويقول الأزهرى إن هذا أصح القولين فى تعليل التسمية .

بقى أن صاحب المحكم يصف النِطاق بأنه لا حُجْزَة له ويراه ثوبا عاديا يشـدُّ حبل فى وسطه . أما صاحب الأساس فيشترط أن يكون به حجزة ، ويفسره غيره من اللغويين بأنه إزار أو شبه إزار فيه تكة .

والمجمع أخذ برأى من يرى أن النِطاق والمِنْطَق ثوب وأن له حُجْزَة ، ثم إنه مع ما يرى من الترادف بينهما اختار أن يخصِّص النطاق بالثوب الظاهرىّ ، يشدّ بوسَط المرأة ويرسل إلى قرب القدمين ، وهو ما يسمى بالإنجليزية Skirt وبالعامية "الجنلة الخارجية" ، وأن يخصِّص المِنْطَق بالثوب الداخلى تشدّه المرأة إلى وسطها ويسمّى بالإنجليزية Petticoat .

## الميدعة

القاموس : "المِيدَع والمِيدَعة والمِيداع بالكسر الثوب المبتذل ج مَوَادِع" .

اللسان : "والمِيدَع كل ثوب جعلته مِيدَعًا لثوب جديد تودِّعه أى تصونه به ... ...

قال الأزهرى : والتوديع أن تودِّع ثوبا فى صِوان لا يصل إليه غبار ولا ريح ووَدَّعت الثوب بالثوب فأنا أدعه مخفف .

وقال أبو زيد : المِيدَع كل ثوب جعلته مِيدَعا لثوب جديد تودّعه به أى تصونه به .

وقال الأصمعى : المِيدَع الثوب الذى تبتذله وتودّع به ثياب الحقوق ليوم الحَفْل وإنما يُتَّخذ المِيدَع ليودَّع به المَصُون" .

أقول وأصل ذلك كله من الدَّعَة وما اتَّصل بها من التوديع والإيداع وهما بمعنى الصِيانة .

والمِيدَع والمِيدَعة على مِفْعَل ومِفْعَلَة قلبت فيهما الواو ياء لسكونها بعد كسر ، وهى من أوزان الآلات ، فالمِيدَعة وَسيلة الصِيانة ، وفَسَّر اللغويون هذه الوسيلة على وجهين : فمنهم من فَسَّرها بالثوب يبتذل فى الخدمة أو نحوها لصيانة ثوب آخر يحفظ فى صِوان ونحوه لأيام الحَفْل ( انظر رأى الأصمعى ) ، ومنهم من فَسَّرها بالصِوان أو نحوه تُحفظ فيه الملابس وتودّع ( انظر رأى الأزهرى ) .

ويمكن أن يفهم من عبارة أبى زيد السابقة وجه ثالث ، وهو أن تكون الوسيلة لحفظ الثوب أن يُلْبَس فوقه ثوبٌ يُعَرَّض للابتذال ليودّع ويصان به ثوب آخر تحته .

على هذا يمكن أن يراد بالميدعة ما تلبسه الفتاة أو المرأة فى أوقات عملها لصيانة ما تحته من الثياب .

## البِذلة

القاموس : " ... ... ... وككنسة ( مِبْذَلَة ) ما لا يصان من الثياب كالبِذْلَة بالكسر " .

وقد أطلقها المجمع على الثوب يلبسه العامل أو نحوه وقت العمل .

## النشير

التاج : " . . . وفى الحديث : إذا دخل أحدكم الحمّام فعليه بالنشير ولا يخصف ( النَشير ) كأمير ( المئزر ) سُمّى به لأنه يُنْشَر ليُؤْتَزَر به " .

التاج : " ( الفَوط كَصُرَدٍ ) أهمله الجوهرى ، وقال الليث ( ثياب تجلب من السِند ) وهى غلاظ قِصار تكون مآزِر ( أو ) هى (مآزِر مخططة) يشتريها الحمالون والأعراب والخدم وسفل الناس بالكوفة ، فَيَتَّزِرون بها ( الواحدة فُوطة بالضم ) قاله الأزهرى : قال ، ولم أسمعها فى شىء من كلام العرب ، ولا أدرى أعربية هى أم هى من كلام العجم .

قال ابن دريد : فأما الفوط التى تلبس فليست بعربية (أو هى لغة سِندية) معربة بوته بضمة غير مشبعة ، قاله الصاغانى .

اللسان : " الفُوطَة ثوبٌ غليظ يكون مِئْزَرا يُجْلَب من السِنْد ، وقيل الفوطة ثوب من صوف فلم يحل بأكثر وجمعها الفوط .

قال أبو منصور : لم أسمع فى شىء من كلام العرب الفوط ، قال ورأيت بالكوفة أُزُرًا مخططة يشتريها الحمالون والخدم فيتّزرون بها الواحدة فوطة ، قال : فلا أدرى أعربى أم لا .

## المئزر

اللسان : " . . . والإزر والمئزر والمئزرة الإزار الأخيرة عن اللحيانى . . . " .

التاج : (والإزار) بالكسر معروف وهو (الملحفة) وفسّره بعض أهل الغريب بما يستر أسفل البدن ، والرداء ما يستر أعلاه ، وكلاهما غير مخيط .

وتفسير اللغويين لا يفرّق بين التنشير والمئزر ، ولكن المجمع رأى أن مادة النشير تساعد على إطلاقه على ما يُغطّى الجسم كلّه لأنه من النشر وهو البسط والامتداد ، فأطلقه على الثوب من نسيج المآزر له كمان وبه غطاء للرأس يلبس بعد الاستحمام ، ويلبسه المصطافون فوق الإتب قبل نزول البحر وبعده .

## الكمة ، (الطاقية)

اللسان : " والكُمّة القَلَنْسُوَة .

الصحاح : الكُمّة القَلَنْسُوَة المُدَوَّرة لأنها تُغَطّى الرأس .

ويروى عن عمر رضى الله عنه أنه رأى جارية متكمكمة ، فسأل عنها فقالوا أَمَة آل فلان ، فضربها بالدِرَّة ، وقال يالكعاء أتتشبّهين بالحرائر ؟

أرادوا مُتَكَمِّمة فضاعفوا ، وأصله من الكُمّة وهى القَلَنْسُوَة فَشُبِّه قناعها بها .

وفى الحديث كانت كِمام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطحا ، وفى رواية أكمة .

وقد خصص المجمع هذه الكلمة بالقلنسوة المنبطحة التى تلبسها البنات والنساء .

## الشبكة

أصل الشَّبْك إدخال بعضا لأشياء فى بعض ، ومنه تشبيك الأصابع وشَبَكة الصياد وقد أطلقت الشَّبَكَةُ هنا على ذلك النسيج الذى يُشْبه شَبَكة الصياد تتخذه المرأة صيانة لشعرها أن يذهب نظامه .

## القَرْطف

اللسان : " القَرْطَفَة القَطِيفَة المُخْمَلة " قال الشاعر :

« بأن كذب القَراطف والقُروف »

الأزهرى فى ترجمة قطف : القَراطف فُرُش مُخْمَلة ، وفى حديث النخعىّ فى قوله (يأيها المدثر) أنه كان متدثرا فى قَرْطَف هو القطيفة التى لها خَمْل .

التاج : " القَرْطَف بجعفر القطيفة " نقله الجوهرى ، ومنه قول الكميت :

عليه المنامة ذات الفضـول من الوهن والقَرْطَف المُخْمَل

وفى حديث النخعىّ فى قوله : (يأيها المدثر) أنه كان متدثرا فى قَرطَف وهو القطيفة التى لها خَمْل والجمع قراطف ، قال الأزهرى : هى فُرُش مُخْمَلَة ، قال معقر البارقىّ :

وذبيانية أوصت بنيها بأن كذب القراطف والقروف

أى عليكم فاغنموها :

وفى فقه اللغة للثعالبى : المنامة والقرطف والقَطيفة : ما يتدثر به من ثياب النوم" .

أقول ومن النصوص السابقة يظهر أن القَرْطَف نسيج غليظ به خَمل يُتَدَثَّر به ، وهذا مايسمى (بالبطانية) وقد أطلقه المجمع عليها

# الزَّرْبِيَّة ، الزرابىّ

## الطِنِفسة ، الطنافِس ، السجادة

اللســان : " والزَرَابىّ البُسُط ، وقيل كل ما بُسِط واتّكِئ عليه ، وقيل هى الطنافِس .

وفى الصحاح : النمارق والواحد من كل ذلك زَرْبِيّة ....

وقال الفراء : هى الطنافِس لهـا خمل رقيق ، وروى عن المؤرج أنه قال فى قوله تعالى ( وزَرابِىّ مبثوثة ) قال : زَرابِىّ النبت إذا اصفرّ واحمرّ وفيه خُضرة وقد ازْرَبّ ، فلما رأوا الألوان فى البُسُط والفُرُش شَبَّهُوها بزرابىّ النبت ..... وتكسر زايها وتفتح وتضم .....

الطِنِفسة : فى اللســان : الطِنِفَسة والطُّنْفُسَة بضم الفاء الأخيرة . عن كُراع النمــرقة فوق الرَحْل وجمعها طنافِس ، وقيــل هى البِساط الذى له خَمْــل رقيق .

الســجادة : فى التــاج " الخُمْرة المسجود عليها وسمع ضم السين كما فى الأساس ".

أقول هذا هو الأصل فى معناها ، ثم أطلقت على ما يفرش من الطنــافس للسجود أو غيره .

ويرى المجمع أن تخصص الزَرابىّ بما له خَمْل رقيق ، وأن تطلق الطنافس والسجادات إطلاقا عاما .

# رثاء جلالة الملك الراحل

لحضرة العضو المحترم على الجارم بك

جَلَلٌ هزَّ كلَّ ركنٍ وهدّا    ومُصابٌ رَمَى القلوبَ فأَرْدى
كلُّ صدرٍ به أنينٌ ووجدٌ    مرسِلٌ خلفَه أنينا ووجدا
عبراتٌ من ساكبٍ ليس ترقا    ووجيبٌ من خافقٍ ليسَ يهدا
ونشيجٌ أقضَّ من مضجَع الليلِ ، وماجتْ له الكواكبُ سُهدا

* * *

فزِعتْ مصرُ فزعةً طار فيها    كلُّ عقلٍ عن الرَّشادِ ونَدَّا
هُرِعت ساعةَ الوَداع تُفيض الدمعَ بحرا ، وتُرسِل الشوقَ وَقدا
أمّةٌ هالها المُصابُ ، فهامت    تستحثُّ الخُطا شيوخًا ومُرْدا
خرجتْ من خِبائها كلُّ خودٍ    لم تقنّع رأسا ، ولم تخفِ خدّا
أَعجلتها مُصيبةُ الوطنِ المفجوعِ أن تختبي وأن تتردّى
زُمَرٌ تلتقي على الحزنِ واليأسِ ، وحشدٌ بالِكٍ يُزاحِم حَشدا
وبحارٌ من الأناسيِّ ماجت    مزبداتٍ ، يجِشْنَ جَزْرا ومدّا
وجبالٌ تسيرُ في يوم حشرٍ    كلُّ فِندٍ تراه يَتبَعُ فِندا
فوق سطح البيوتِ كالنَّحل ، فانظر    ثم إياك أن تُحاول عَدّا
كلُّ بيتٍ قد عاقَ أحجاره الصَّمُّ ، وأضحى دما ولحما وجِلدا
والميادينُ كلُّها أممٌ تُزْجَى كما تُكدَسُ السحائبُ رُبْدا
فإذا شئتَ أن ترى الأرضَ أرضًا    كنتَ ممَّن يُحاول الأمرَ إدّا
نَفَسٌ واحدٌ جميعاً ، وقلبٌ    لفؤادٍ يَئِزُّ شوقاً وَصَهْدا

ودعاءٌ يمرُّ بالصَّـدر بَرْقًا  فإذا انساب منه أصبح رَعْدا
وخشوعٌ من الجلالِ تراءى  وجلالٌ من الخشوع تبـدَّى
حملوه ، وإنما حملوا آ  مالَ شعبٍ بزهرها الغضّ تَنْدى
حملوا حاميَ الحقيقةِ والدِّيـ  نِ كما تحمِـلُ الملائكُ عهْـدا
حملوا كوكبًا أشعَّ على مصـ  رَ سَنًى مُبصراً وهَـدْياً وسَعدا

* * *

ما على الدَّهرِ مرّةً لو توانَى  أو على الدَّهرِ ساعةً لو تهدَّا؟
لفحتْ ريحُـه أزاهـيرَ آما  لٍ ملأن الوجودَ مسكا وندًّا
وَعَدَتْ كفُّه على دوحةٍ كا  نت تمُـدُّ الظلالَ فى مصر مدّا
وجدَتْ مصرُ فى ذَرَاها سلاماً  وطوتْ فى ظلالها العيشَ رَغْدا
قد نَعَيْنا فردًا به كان عصرًا  وفقدنا عصرًا به كان فَرْدا
دولةٌ أهْـدتِ الكواكبَ نورًا  وأنافتْ على الكواكب بُعدا
عَلَّمتْ كلَّ مالك : كيف تُرْعَى  أممٌ حاطها الملوكُ وتُهْـدَى

* * *

رفع الشرقُ رأسَـه بفـؤادٍ  ونضا عنه يأْسَـه ، فاستجداّ
ومضى يسـبقُ الخواطرَ وَثْبًا  وجرى يجْهَـدُ الأمانىَّ وَخْدا
وأتتْ كلُّ أمّـة ترتجى مصـ  رَ ودادا ، وتنهلُ العـلم وردا
كعبةٌ حجّت الوفودُ إليها  تستحثُّ الرِّكابَ وَفْدا فوَفْدا
حفزَتْها لعرش مصرَ أمانٌ  بنشيد الوَلاء والحبِّ تُحْدَى
فرأتْ حزم جاهد لن يبارَى  ورأتْ جهـد حازم لن يُحَدّا
أبصروا المُلك فى جلالة معنا  ه يُباهى السماء عزاً ومجـدا

أبصروا دَولةً ومُلكا كبيراً    ومِراسا يُعيي الزمان وجهدا
همّةٌ تفرَع النجومَ وعزمٌ    سلب السّيفَ حدّه والفِرنْدا
ومَضاءٌ فى الحادثات برأيٍ    فضَحَ الصُّبحَ نورُه وتحدّى
يستمدُّ الإلهامَ من عالمَ الغيـ    ـب وأَجْدِرْ بمثله أنْ يُمَدّا

* * *

دفعَ الشّعبَ للسبيل فكانتْ    من سنا هَدْيه أمانا ورُشدا
مُلهبًا عزمَه إذا اجتاز غَوْراً    مستحثًّا إذا تَسلّق نَجْدا
كلما خار أجزاتْ بسمةٌ منـ    ـهُ فَدَّ الخُطا حثيثاً وجَدّا
ومَضى كالقضاء يَهْوِى لمرما    هُ جريئًا ، مجمَّعَ القلب ، جَلْدا
يبْهرُ الصخرَ أن يَرى منه صَلْداً    آدميٌّ الرُّواء يقرعُ صَلْدا
لا يُبالي — إذا سعَى للمعالى —    خَبطَ الشّوكَ أم تَوطّأَ وَردا !
وفؤادٌ أمامه خير هادٍ    قاد للغاية البعيدة جُندا
كانَ للمُقدِمين رُوحاً وقلبًا    ولِرَكْب السارين كفًا وزَندا
لو دعاهم إلى النجوم لساروا    خلفَه يَزْمعون للنجم قَصْدا
وإذا اليأسُ مسّهم كان عطفاً    وسلامًا على القلوب وبَردا
نظرةٌ منه تبعث الأملَ الوا    نِيَ وتُحيي منه الذى كان أوْدَى

* * *

كان دِرعا لمصر إن جار دهرٌ    وصِماما لأَمنها إن تعدَّى
ساس بالحكمة البلادَ ، فكانت    من غوادى الخطوب رِدءا وسَدّا
فهو إن شاء صَيَّرَ الغِمدَ سيفاً    وإذا شاءَ صَيَّر السيفَ غِمدا
قد أعدّته رحمةُ الله للحكـ    ـم كريمًا مباركًا ، فاستعدّا

ورعى اللهَ فى الرعيـة والمُلْـ ـك ، فوفَّى حقَّ الإله وأدَّى
أينما سرت مَشرقاً تلقَ شكراً أو توجهت مغرباً تلقَ حمـدا
وإذا الله رامَ إصـلاح شعبٍ سلك القائدُ الطريق الأسـدَّا
إنما الناسُ بالملوك ، وأعلى الـ ـملك شأواً ما كان حُبّاً ووُدّا

* * *

ردَّ بالحزم كُلَّ خَطْبٍ سوى المو ت ، وللموت صولةٌ لن تُرَدّا
والفتى فى الحياة رهْنُ عوادٍ لا يرى دون مُلْتقاهنَّ بُدّا
حكمَ الموتُ فى الأنام فسوّى لم يدع سيِّداً ، ولم يُبقِ عَبدا
بينما يسحقُ النِّمـالَ تراه باسطاً كفّه ليقنص أُسـدا

* * *

يا مليكى ، والحزنُ يطحنُ نفسى ، كلمـا قلتُ : خفَّ ، قال : سأبدا !
أينَ عزُّ الملكِ الذى كان للآ مالِ فى سُوحه مَراحٌ ومَغْدى ؟
أين تلك الهباتُ للعـلم تُزْجَى كُلَّ رِفدٍ فيهـا يُزاحم رفدا ؟
أين أين القُصّـاد فى ساحة القصـ ـر ، وأين الصِّلاتُ تُعطَى وتُسْدَى ؟
أينَ ذاكَ الجبينُ ينضح نوراً أين ذاك الحديث يقطُر شَهدا ؟
قد فقدناه والمصـاب جليلٌ وجميـلُ العزاء بالحرِّ أجْدَى
نحنُ لله راجعون ، وكلٌّ بالغٌ فى مجالة العمر حَدّا
غيرَ أنَّ الفتى يغالبـه الدمـ ـع ، فلا يستطيع للدَّمع صَـدّا
كُلُّ مَهْدٍ يصـير من بعد حينٍ — قَصُرَ العمرُ أو تطاول — لَحْدا

* * *

قد ملأتُ الوجودَ شَدْوًا بمدحيـ ـك، وهل غيرُ مِزهرى بك أشدى؟
خالدات من الجلائل أَوْلَتْ شِعرى المزدهى بوصفِك خُلدا
كتب الله أن يَعودَ رِثاءً وبكاءً يُدمى العيونَ وكَمْدا
قد نظمتَ العُـلا قلادة درٍّ فنظمتُ الدموع أرثيك عِقدا

* * *

أملُ الشّعب فى خليفتِك (الفا روقِ) أحيـا آماله وأجدّا
قرأ الشـعبُ فى ملامحه الغُرِّ (م) سطور المنى، وأبصر جَدّا
ورأى فيـه نَبْعة المجدِ والنُّبـ ل أبًا مفردَ الجلالِ وجَدّا
لم يجد للعلا سِـواه مثيلاً ولبـدر السماء إلّاه نِدّا
رحمة اللهِ للمليـكِ المسجَّى ورَعَتْ عينُه المليكَ المفـدّى

# الاستشهاد بالحديث فى اللغة

للأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين عضو المجمع

يستند علماء العربية فى إثبات الألفاظ اللغوية ، وتقرير الأصول النحوية ، إلى القرآن المجيد وكلام العرب الخلص ، وجرى بينهم الخلاف فى الاحتجاج بما يروى من الأحاديث النبوية ، وحقيق بمجمع اللغة العربية الملكى أن ينظر فى هذه المسألة ، ويقطع فيها رأيا ، فان الكتب المؤلفة فى الحديث وغريبه كثيرة ، ومنها ما يبلغ مجلدات ضخمة .

ومتى رأينا أن الحق فى جانب من يراها حجة كافية فى اللغة ، كان مجال البحث فى علوم اللغة أوسع ، ووجدنا من المساعدة على إعلاء شأن اللغة، مالا نجده عندما نقصر الحجة فى القرآن الكريم وما يبلغنا من كلام عربى فصيح .

وهذا ما دعانى إلى أن بحثت هذه المسألة ، وبذلت جهدا فى استقصاء ما كتبه فيها أهل العلم ، ثم استخلصت من بين اختلافهم رأيا .

وهأنذا أعرض البحث كما اتفق لى أن سرت فيه ، وأصله بإبداء ما رأيت ، لينظر مجمعنا الملكى ماذا يرى .

## ما المراد من الحديث

تشتمل كتب الحديث على أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أقوال الصحابة ، تحكى فعلا من أفعاله عليه السلام أو حالا من أحواله ، أو تحكى ما سوى ذلك من شؤون عامة أو خاصة ، تتصل بالدين . بل يوجد فى كثير من كتب الحديث أقوال صادرة عن بعض التابعين . وكذلك نرى المؤلفين فى غريب الحديث يوردون ألفاظا من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أقوال بعض الصحابة أو أقوال بعض التابعين كعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

وهـذه الأقوال المنسوبة إلى الصحابة أو التـابعين ، متى جاءت من طريق المحدثين ، تأخذ حكم الأقوال المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الاحتجاج بها فى إثبات لفظ لغوى، أو وضع قاعدة نحوية .

## هل فى الحديث ما لا شاهد له فى كلام العرب ؟

يرد فى الحديث ألفاظ لا يعرف لها علماء اللغة شاهدا فى كلام العرب ، وترد بعض الألفـاظ على وجه من الاستعمال لا يعرف إلا من الحديث. وكثيرا ما يقول شراح غريب الحديث ، وهم من جهابذة علماء اللغة « هـذا اللفظ لم يجئ إلا فى الحديث ولم نسمعه إلا فيه »

وقال أبو بكر محمد بن قاسم الأنبارى أحد المؤلفين فى غريب الحديث « وكذلك أشياء كثيرة لم تسمع إلا فى الحديث » [١]

وتكلم أبو موسى محمد بن أبى بكر الأصفهانى فى كتاب الغريب عن الألفاظ التى لم ترد إلا فى بعض روايات الحديث فقال « وإنما أورد نحو هـذه الألفاظ لأن الإنسان إذا طلبه لم يجده فى شئ من الكتب فيتحير، فاذا نظر فى كتابنا عرف أصله ومعناه »

ومن أمثلة هذا النوع كلمة « إستارة » وردت فى حديث ( أيما رجل أغلق بابه على امرأته وأرخى دونها إستارة فقد تم صداقها )

لقد قال شراح الغريب : لم تستعمل إستارة إلا فى هذا الحديث [٢]

ومن أمثلته كلمة « أفلج » من الفلج أى تباعد ما بين الثنايا ، فقد وردت فى وصف ابن أبى هالة للنبى صلى الله عليه وسلم غير مضافة إلى الأسنان، وابن دريد وصاحب القاموس يقولان : لا يقال رجل أفلج إلا اذا ذكر معه الأسنان .

---

(١) النهاية لابن الأثير فى مادة « هرو »

(٢) « « « « « ستر »

## الخلاف فى الاحتجاج بالحديث

ذهب جماعة من النحاة إلى أن الحديث لا يستشهد به فى اللغة ، أى لا يستند إليه فى إثبات ألفاظ اللغة ولا فى وضع قواعدها ، ومن هذه الجماعة أبو الحسن على بن محمد الأشبيلى المعروف بابن الضائع (١) وأثير الدين محمد بن يوسف المعروف بأبى حيان (٢) وزعم أبو حيان أنه مذهب المتقدمين والمتأخرين من علماء العربية فقال فى شرح كتاب التسهيل « إن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبى عمرو ، وعيسى بن عمر ، والخليل ، وسيبويه ، من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء وعلى بن مبارك الأحمر وهشام الضرير ، من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك ( أى لم يحتجوا بالحديث ) وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس » .

وأجاز قوم الاحتجاج بالحديث فى اللغة ، وعدوه فى الأصول التى يرجع إليها فى تحقيق الألفاظ ، وتقرير القواعد ، وممن عرف بهذا المذهب محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك (٣) وعبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام (٤) وممن انتصر لهذا المذاهب البدر الدمامينى فى شرحه للتسهيل والعلامة ابن الطيب فى شرحه لكتاب الاقتراح ، وفى شرحه لكفاية المتحفظ المسمى بتحرير الرواية ، وعد من أصحاب هذا المذهب الجوهرى وابن سيده وابن فارس وابن خروف وابن جنى وابن برى والسهيلى ، حتى قال « لانعلم أحدا من علماء العربية خالف فى هذه المسألة إلا ما أبداه الشيخ أبو حيان فى شرح التسهيل وأبو الحسن الضائع فى شرح الجمل ، وتابعهما على ذلك الجلال السيوطى » .

---

(١) توفى سنة ٦٨٠
(٢) » » ٧٤٥
(٣) توفى سنة ٦٧٢
(٤) » » ٧٦١

## وجهة نظر المانعين

قالوا : لايستشهد بالحديث لعدم الوثوق بأن ذلك لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانتفت الثقة من أنه لفظ الرسول لأمرين :

أحدهما : أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى ، فتجد القصة الواحدة قد جرت فى زمانه صلى الله عليه وسلم . فتنقل بألفاظ مختلفة كحديث ( زوجتكها بما معك من القرآن ) وفى رواية أخرى ( ملكتكها بما معك من القرآن ) وفى ثالثة ( خذها بما معك من القرآن ) وفى رابعة ( أمكناكها بما معك من القرآن ) نعلم يقينا أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لانجزم بأنه قال بعضها ، إذ يحتمل أنه قال لفظا آخر مرادفا لهذه الألفاظ ، فأتى الرواة بالمراد منه ، ولم يأتوا بلفظه ، إذ المطلوب إنما هو نقل المعنى . وأضافوا إلى هذا أن الرواة لم يكونوا يضبطون الحديث بالكتابة اتكالا على الحفظ ، وأن الضابط منهم من يحتفظ بالمعنى ، وأما ضبط اللفظ فبعيد جدا ولاسيما ألفاظ الأحاديث الطويلة .

ثانيهما : أنه وقع اللحن فى كثير مما روى من الأحاديث ، لأن كثيرا من الرواة لم ينشئوا فى بيئة عربية خالصة ، حتى يكونوا عربا بالفطرة ، بل كانوا قد تعلموا العربية الفصحى من طريق صناعة النحو .

## وجهة نظر المجوزين

يستند هؤلاء إلى الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لهجة كما قال ابن حزم فى كتاب الفصل منكرا على من لم يجعلوا الحديث حجة فى اللغة " لقد كان محمد بن عبد الله قبل أن يكرمه الله بالنبوة ، وأيام كان بمكة أعلم بلغة قومه وأفصح فكيف بعد أن اختصه الله للنذارة واجتباه للوساطة بينه وبين خلقه " .

وقالوا : إن الأحاديث أصح سندا ممـا ينقل من أشعار العرب كما قال صاحب المصباح بعد أن استشهد بحديث ( من أثنيتم عليه بشر وجبت ) . على صحة إطلاق الثناء على الذكر بشر « قد نقل هذا العدل الضابط عن العرب الفصحاء عن أفصح العرب فكان أوثق من نقل أهل اللغة . فانهم قد يكتفون بالنقل عن واحد ولا يعرف حاله » .

وقـد عرفت أن المـانعين من الاحتجاج بالحديث معترفون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا وأبرعهم بيانا ولا ينازعون فى أن أسانيد الأحاديث أقوى من أسانيد الأشعار وإنمـا استندوا فى المنع إلى أن الأحاديث قد تروى بالمعنى بخلاف شعر العرب أو منثورهم . فان رواته اعتنوا بألفاظه لأن الغرض من روايته تقرير أحكام الألفاظ ، قال ابن الضائع فى شرح الجمل «لولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحـديث لكان أولى وأثبت فى إثبات فصيح اللغة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأظهر وجه يورده المجيزون أن الأصل رواية الحديث الشريف على نحو ما سمع ، وأن أهل العلم قد شددوا فى ضبط ألفاظه والتحرى فى نقله ، ولهذا الأصل تحصل غلبة الظن بأن الحديث مروى بلفظه ، وهذا الظن كاف فى إثبات الألفاظ اللغوية وتقرير الأحكام النحوية .

## مناقشتهم لأدلة المـانعين

يقول المـانعون إن الرواة كانوا ينقلون الأحاديث بالمعنى ، فلا ثقة لنا من أن اللفظ الذى روى به الحديث هو لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأجاب المجيزون عن هذا بأن كثيرا من المحدثين والفقهاء والأصوليين قد ذهبوا إلى منع رواية الحديث بالمعنى ، ومن أجازوا الرواية بالمعنى شرطوا لذلك أن يكون الراوى على علم بمـا يغير المعنى أو ينقصه وأن يكون محيطا بمواقع الألفاظ ،

بل قال بعضهم : شرطه أن يحيط بدقائق علم اللغة وأن تكون المحسنات الفائقة على ذكر منه ، فيراعيها فى نظم كلامه .على أن المجيزين للرواية بالمعنى معترفون بأن الرواية باللفظ هى الأولى ، وإذا كانت الرواية بالمعنى ليست فى رأيهم سوى رخصة فانهم لايجنحون لها إلا فى حال ضرورة ، وأضافوا إلى هذا أن النقل بالمعنى إنما أجازه من أجازه فى غير ما لم يدون فى الكتب ، أما ما دون فى الكتب فلا يجوز التصرف فيه بوجه ، وتدوين الأحاديث وقع فى الصدر الأول قبل أن تفسد اللغة ، وإذا كان قد وقع فى الأحاديث المدونة نقل بالمعنى فانما هو تصرف ممن يصحّ الاحتجاج بأقوالهم .

وإليك ما قاله البدر الدماميني وما حكاه عن شيخه ابن خلدون فى الرد على من يمنعون الاستشهاد بالحديث ، قال فى حواشيه على المغنى .

" أسقط أبو حيان الاستدلال على الأحكام النحوية بالأحاديث النبوية باحتمال رواية من لا يوثق بعربيته إياها بالمعنى ، وكثيرا ما يعترض على ابن مالك فى استدلاله بها ، ورده شيخنا ابن خلدون بأنها على تسليم أنها لاتفيد القطع بالأحكام النحوية تفيد غلبة الظن بها ، لأن الأصل عدم التبديل ، لاسيما والتشديد فى ضبط ألفاظها ، والتحرى فى نقلها بأعيانها ، مما شاع بين الرواة ، والقائلون منهم بجواز الرواية بالمعنى معترفون بأنها خلاف الأولى . وغلبة الظن كافية فى مثل تلك الأحكام بل فى الأحكام الشرعية . فلا يؤثر فيها الاحتمال المخالف للظاهر ، وبأن الخلاف فى جواز النقل بالمعنى فى غير ما لم يدون فى كتب .

أما ما دون فلا يجوز تبديل ألفاظه بلا خلاف كما قاله ابن الصلاح[1] وتدوين الأحاديث وقع فى الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية ، وحين كان كلام أولئك

(١) قال أهل العلم بالحديث : ليس لك فيما تجده فى الكتب المؤلفة من روايات من تقدمك أن تبدل فى نفس الكتاب ما قيل فيه ، أخبرنا ، بقولك حدثنا ، ونحوه .

على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ يحتج به بآخر كذلك ، ثم دون ذلك للبدل ومنع من تغييره ونقله بالمعنى فبقى حجة فى بابه صحيحة ، ولا يضر توهم ذلك الاحتمال السابق فى استدلالهم بالمتأخر ".

وقد ناقش بعض شارحى [1] كتاب الاقتراح ابن خلدون ، فقال :
إن تدوين الأحاديث وقع بعد فساد اللغة ، وقال : لم يحصل التدوين إلا فى عصر التابعين ، ووقع يومئذ الاختلاط فى اللغة ، والرواية بالمعنى لم تقف عند حد من يتكلم بالعربية سليقة .

ولا يسعنا أمام دعوى ابن خلدون ومناقشة هذا الشارح له ، إلا أن نقول كلمة فى تاريخ تدوين الحديث ، ونتحدث عن العهد الذى وقع فيه فساد اللغة لعلنا نهتدى إلى ما يفيدنا فى أصل البحث : بحث الاستشهاد بالحديث فى اللغة .

الواقع أن أصل كتابة الحديث وقع فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وممن كان يكتب الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، ولهذا كان أكثر جمعا للحديث من أبى هريرة أما تدوينه فى كتب فقد وقع بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١ ومن المروىّ فى الصحيح أنه كتب إلى أهل الآفاق أن انظروا ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته ، فاجمعوه أو فاكتبوه .

وأول من دون الحديث محمد بن مسلم الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ ، والمعروف أنه كان يروى عن الصحابة مثل عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وسهل بن سعد الساعدى .

وقيل إن أول من دوّن الحديث الربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠ وسعيد بن أبى عروبة المتوفى سنة ١٥٦

(١) هو ابن علان ، وتوجد نسخه من شرحه بالمكتبة التيمورية .

ثم شاع التدوين فى الطبقة التى تلى طبقة الزهرى ، كمالك بن أنس، وعبد الملك ابن جريج والأوزاعى ، وسفيان الثورى ، وحماد بن سلمة .

وكان كثير من رواة الحديث فى هذا العهد يكتبون الأحاديث عند تلقيها ، ولا يكتفون بحفظها عن ظهر القلب ، فانا نجد فى تاريخ طائفة منهم أن لهم كتبا كانوا يرجعون اليها عند الرواية .

ونجد فى تاريخ من يروون عن أمثال الزهرى أن فى مخلفاتهم أجزاء كثيرة تحتوى أحاديث أخذوها عن أولئك الأئمة ، وكتابة الحديث تساعد على روايته بلفظه ، وحفظه عن ظهر القلب يبعده من أن يدخله غلط أو تصحيف .

ويصل بنا البحث إلى أن مصنفات الطبقة التى جاءت بعد طبقة مالك وابن جريج قد بلغت الغاية فى جمع الأحاديث ، وفى ذلك العهد صنفت مسندات كثيرة ، كمسند أسد بن موسى الأموى المتوفى سنة ٢١٢ ، ومسند عبيد الله بن موسى العيسى المتوفى سنة ٢١٣ ، ومسند نعيم بن حماد الخزاعى المتوفى سنة ٢٢٨ ، ومسند أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١

وجاء بعد هؤلاء أصحاب الكتب الستة، وأولهم البخارى المولود سنة ١٩٤ وآخرهم النسائى المولود سنة ٢١٥

وما فى الكتب الستة أو معظمه، كان مدونا فى الكتب المصنفة من قبل، ذكر الحافظ ابن حجر مصنفات أئمة الحديث فى الصدر الأول، وقال : فلما رأى البخارى هذه المصنفات، ورواها، وجدها بحسب الوضع جامعة، فألف كتابه مقتصرا على الصحيح .

وإذا رأينا مثل البخارى يقول فى كتابه : حدثنا فلان، فهذا لا يمنع من أن يكون الحديث مدوّنا فى كتاب ، فانهم كانوا كما عرفت آنفا لا يستغنون بالكتابة عن الحفظ ، وربما قال الراوى : أملى علينا فلان كذا وكذا حديثا من حفظه ، ثم قرأها علينا من كتابه .

وهذه النظرة التاريخية تدلنا على أن ابتداء تدوين الحديث كان فى أوائل القرن الثانى ، وأنه لم يمض القرن الثانى حتى قيد معظم الأحاديث بالكتابة والتدوين . ولننظر بعد هذا إلى حال اللغة من جهة مادخلها من الفساد ، وننظر ما يكون لهذا الفساد من أثر فى رواية الحديث .

أخذ الفساد يدخل اللغة منذ وصلت الفتوح الإسلامية العرب بالعجم ،وأسرع إلى ألسنة طائفتين من أبناء العرب أو الناشئين فى بيئتهم : طائفة كانت أمهاتهم من الأعاجم ، وطائفة العامة الذين يسكنون الأمصار ، وتكثر مخالطتهم للأعاجم .

وظهر اللحن بجلاء فى أواخر عهد الدولة الأموية ، وكان انقراضها سنة ١٣٢

وبقى بجانب هاتين الطائفتين فريقان : سكان الجزيرة البعيدون عن مخالطة الأعاجم مخالطة تمس فصاحتهم بسوء ، وأبناء الخاصة من سكان الأمصار الذين لم تكن أمهاتهم من الأعاجم .

أما سكان الجزيرة فانهم مابرحوا على فصاحة اللغة إلى أواسط القرن الرابع ، وأما الخاصة من سكان المدن ، فبقوا على فصاحة اللهجة مدة فى أوائل عهد الدولة العباسية .

وذكر الباحثون فى طبقات الشعراء أن ابراهيم بن هرمة آخر من يحتج بشعرهم ، وقد توفى فى خلافة الرشيد بعد الخمسين والمائة بقليل .

والذين نشئوا فى بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة انتشارا يرفع الثقة بفصاحة لهجتها ، يوثق بأقوالهم ولو تأخروا عن منتصف القرن الثانى ، كالإمام الشافعى ، فانه ولد سنة ١٥٠ ولكنه نشأ فى بيئة عربية وهى مكة ، فيصح الاستشهاد بما يستعمله من الألفاظ ، قال الإمام أحمد " كلام الشافعى حجة فى اللغة " وقال الأزهرى فى إيضاح ما استشكل من مختصر المزنى " ألفاظ الإمام الشافعى عربية محضة ، ومن عجمة المولدين مصونة " .

وإذا عدنا إلى قول ابن خلدون "وتدوين الأحاديث وقع فى الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية ، وحين كان كلام أولئك على تقدير تبديلهم ، يسوغ الاحتجاج به" وعرضناه على التاريخ ، وجدنا التدوين وقع بعد أن دخل الفساد فى اللغة ، ولكن من المدونين من يحتج بأقواله ، لأنه نشأ فى بيئة عربية كالزهرى ومالك بن أنس ، وعبد الملك بن جريج ، ومنهم من نشأوا فى بيئة غير عربية ، أو عربية انتشر فيها الفساد ، وصارت العربية الفصحى فيها إنما تدرك من طريق التعلّم .

فدعوى أن الأحاديث دوّنت قبل فساد اللغة ، وأن كلام المدونين لها يسوغ الاحتجاج به فى اللغة ، غير مطابقة للتاريخ من كل وجه ، ولو تمت على نحو ماقرره ابن خلدون ، لقامت بها الحجة الفاصلة على الاستشهاد بالحديث فى اللغة من غير حاجة إلى شيء آخر يعضدها .

والذى نستفيده من حقائق التاريخ أن قسما كبيرا من الأحاديث دوّنه رجال يحتج بأقوالهم فى العربية ، وأن كثيرا من الرواة كانوا يكتبون الأحاديث عند سماعها ، وذلك مما يساعد على روايتها بألفاظها ، فيضاف هذا وذاك إلى ماوقع من التشديد فى رواية الحديث بالمعنى ، وماعرف من احتياط أئمة الحديث وتحريهم فى الرواية ، فيحصل الظن الكافى لرجحان أن تكون الأحاديث المدونة فى الصدر الأول مروية بألفاظها ممن يحتج بكلامه .

وأما قول المانعين : إنه وقع اللحن فى كثير من الأحاديث ، فيجاب عنه بأن كثيرا مما يرى أنه لحن ، قد ظهر له وجه من الصحة ، وقد ألف فى هذا الباب ابن مالك كتابه "التوضيح فى حل مشكلات الجامع الصحيح" وذكر للأحاديث التى يشكل إعرابها وجوها يستبين بها أنها من قبيل العربى الصحيح وكثيرا ما نرى ألفاظا من الحديث ينكرها بعض اللغويين ، فيأتى لغوى آخر ، فيذكر لها وجها مقبولا ، أو يسوق عليها شاهدا صحيحا .

ثم إن وجود ألفاظ غير موافقة للقواعد المتفق عليها ، لا يقتضى ترك الاحتجاج بالحديث جملة ، وإنما يحمل أمرها على قلة ضبط أحد الرواة فى هـذه الألفاظ خاصة .

وإذا وقع فى رواية بعض الأحاديث غلط أو تصحيف ، فان الأشعار يقع فيها الغلط والتصحيف وهى حجـة من غير خلاف ، قال محمد بن سـلام : وجدنا رواة العلم يغلطون فى الشعر ، ولا يضبط الشعر إلا أهله . وأبو أحمد العسكرى الذى ألف كتابا فى تصحيف رواة الحديث ، قد ألف كتابا فيما وقع من أصحاب اللغة والشعر من التصحيف .

أما قول أبى حيان " إن المتقدمين من علماء العربية لا يحتجون بالحديث " فأجاب عنه المجيزون بأن علماء العربية فى العهد الأول لم يتعاطوا رواية الحديث ، فعلماء الحديث غير علماء العربية [1] ثم إن دواوين الحديث لم تكن مشتهرة فى ذلك العهد ، ولم يتناولها علماء العربية كما كانوا يتناولون القرآن الكريم ، وإنما اشتهرت دواوينه ووصلت الى أيدى جمهور أهل العلم من بعد ، فإن سلمنا عدم احتجاجهم بالحديث ، فلعدم انتشاره بينهم ، لا لأنهم يمنعون الاحتجاج به ، على أن كتب الأقدمين الموضوعة فى اللغة لا تكاد تخلو من الاستدلال على إثبات الكلمات بألفاظ الحديث ، واللغة أخت النحو كما صرحوا به .

وكذلك نرى الإمام اللغوى أبا منصور الأزهرى المولود سـنة ٢٨٢ يعتمد فى كتابه " التهذيب " على الأحاديث ، و يكثر من الاستشهاد بها .

وأما ما ادعاه أبو حيان من أن المتأخرين ، من نحاة الأقاليم ، تابعوا المتقدمين فى عدم الاحتجاج بالحديث ، فمردود بأن كتب النحاة من أندلسيين وغيرهم مملوءة

---

(١) من علماء العربيـة من كانوا يعدون فى رواة الحديث ، مثل أبى عمـرو بن العلاء ، وعيسى ابن عمر الثقفى ، والنضر بن شميل المـازنى ، والخليل بن أحمد ، والقاسم بن سلام ، وعبد الملك بن قريب الأصمعى ، والرياشى .

بالاستشهاد بالحديث ، وقد استدل بالحديث الشريف الصقلى والشريف الغرناطى فى شرحيهما لكتاب سيبويه ، وابن الحاج فى شرح المقرب ، وابن الخباز فى شرح ألفية ابن معطى ، وأبو على الشلوبين فى كثير من مسائله ، وكذلك استشهد بالحديث السيرافى والصفار فى شرحيهما لكتاب سيبويه وقال ابن الطيب "بل رأيت الاستدلال بالحديث فى كلام ابن حيان نفسه" .

وقد عرفت أن مذهب البدر الدمامينى صحة الاستشهاد بالحديث ، وقد جرى على مذهبه فى شرحه للمغنى والتسهيل والبخارى .

## تفصيل وترجيح

من الأحاديث ما لا ينبغى الاختلاف فى الاحتجاج به فى اللغة وهو ستة أنواع :

أحدها — ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته عليه الصلاة والسلام كقوله (حمى الوطيس) وقوله (مات حتف أنفه) وقوله (الظلم ظلمات يوم القيامة) الى نحو هذا من الأحاديث القصار المشتملة على شىء من محاسن البيان كقوله (مأزورات غير مأجورات) وقوله (إن الله لا يمل حتى تملوا) .

ثانيها — ما يروى من الأقوال التى كان يتعبد بها أو أمر بالتعبد بها كألفاظ القنوت والتحيات وكثير من الأذكار والأدعية التى كان يدعو بها فى أوقات خاصة .

ثالثها — ما يروى شاهدا على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم . ومما هو ظاهر أن الرواة يقصدون فى هذه الأنواع الثلاثة لرواية الحديث بلفظه .

رابعها — الأحاديث التى وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها ، فإن اتحاد الألفاظ مع تعدد الطرق دليل على أن الرواة لم يتصرفوا فى ألفاظها والمراد أن تتعدد طرقها الى النبى صلى الله عليه وسلم أو الى الصحابة أو التابعين الذين ينطقون الكلام العربى فصيحا .

خامسها — الأحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة ، كمالك ابن أنس وعبد الملك بن جريج والإمام الشافعي .

سادسها — ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وعلي بن المديني .

ومن الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف في عدم الاحتجاج به . وهي الأحاديث التي لم تدون في الصدر الأول وإنما تروى في كتب بعض المتأخرين .

ولا يحتج بهذا النوع من الأحاديث سواء أكان سندها مقطوعا أم متصلا . أما مقطوعة السند فوجه عدم الاحتجاج بها واضح . وأما متصلة السند فلبعد مدونها عن الطبقة التي يحتج بأقوالها . واذا أضيفت كثرة المولدين في رجال سند الحديث الى احتمال أن يكون بعضهم قد رواه بالمعنى ، أصبح احتمال أن تكون ألفاظه ألفاظ النبي عليه الصلاة والسلام أو ألفاظ راويه الذي يحتج بكلامه ، قاصرا عن درجة الظن الكافي لإثبات الألفاظ اللغوية أو وجوه استعمالها .

والحديث الذي يصح أن تختلف الأنظار في الاستشهاد بألفاظه هو الحديث الذي دون في الصدر الأول ، ولم يكن من الأنواع الستة المنبه عليها آنفا ، وهو على نوعين :

حديث يرد لفظه على وجه واحد ، وحديث اختلفت الرواية في بعض ألفاظه .

أما الحديث الوارد على وجه واحد ، فالظاهر صحة الاحتجاج به ، نظرا إلى أن الأصل الرواية باللفظ ، وإلى تشديدهم في الرواية بالمعنى . ويضاف إلى هذا قلة عدد من يوجد في السند من الرواة الذين لا يحتج بأقوالهم ، فقد يكون بين البخاري ومن يحتج بأقواله من الرواة واحد أو اثنان وأقصاهم ثلاثة .

ومثال هذا النوع أن الحريري أنكر على الناس قولهم قبل الزوال سهرنا البارحة ، قال : وإنما يقال سهرنا الليلة ، ويقال بعد الزوال سهرنا البارحة . والشاهد على

صحّة ما يقوله الناس حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أصبح قال (هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا) وحديث (وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول . عملت البارحة كذا) ففي قوله ( إذا أصبح قال هل رأى أحد منكم البارحة ) وقوله (ثم يصبح فيقول عملت البارحة) شاهد على صحة أن يقول الرجل متحدثا عن الليلة الماضية وهو في الصباح سهرنا البارحة أو وقع البارحة كذا .

وأما الأحاديث التي اختلفت فيها الرواية ، فإنا نرى من يستشهدون بالأحاديث من اللغويين والنحاة ، لايفرقون بين ما روى على وجه واحد وما روى على وجهين أو وجوه . ويمكننا أن نفصل القول فى هذا النوع فنجيز الاستشهاد بما جاء فى رواية مشهورة لم يغمزها بعض المحدثين بأنها وهم من الراوى مثل كلمة « ممثل » وردت في اشهر رواية الحديث (قام النبي صلى الله عليه وسلم ممثلا ) أى منتصبا ، والمعروف فى كلام العرب إنما هو ماثل من مثل كنصر وكرم .

وأما ما يجئ فى رواية شاذة أو فى رواية يقول فيها بعض المحدثين إنها غلط من الراوى . فنقف دون الاستشهاد بها ، ومثال هذا كلمة «ناعوس» وردت فى إحدى روايات حديث « إن كلماته بلغت ناعوس البحر » ووردت فى بقيـة الروايات ( قاموس البحر) أى وسطه ولجته . وكلمة ناعوس غير معروفة فى كلام العرب ؛ قال أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصفهانى احد المؤلفين فى غريب الحديث : فلعل الراوى لم يجوّد كتب كلمة « قاموس » .

وأضعف من هذا أن تجئ الكلمة غير المعروفة فى اللغة فى صورة الشك من الراوى ككلمة خطيط وردت فى حديث (ثم نام حتى سمعت غطيطه أو خطيطه ) ، قال ابن بطال : لم أجد كلمة « خطيط » بالخاء عند أهل اللغة .

وخلاصة البحث أنا نرى الاستشهاد بألفاظ ما يروى فى كتب الحديث المدوّنة فى الصدر الأول وإن اختلفت فيها الرواية ولا نستثنى إلا الألفاظ التى تجيء فى رواية شاذة أو يغمزها بعض المحدثين بالغلط أو التصحيف غمزا لا مرد له ، ويشد أزرنا فى ترجيح هذا الرأى أن جمهور اللغويين وطائفة عظيمة من النحويين يستشهدون بالألفاظ الواردة فى الحديث ولو على بعض رواياته .

محمد الخضر حسين

# طريق تكميل المواد اللغوية

عرض مقترح لتطبيقها لحضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم بك

وضع المجمع فى دورته الثانية قرارا خطير الشأن ، كبير الأثر ، هو :

## قرار تكملة مادة لغوية

ورد بعضها فى المعجمات ونحوها ولم تردْ بقيتها [1]

إذا لم تذكر من مادة لغوية فى المعجمات ونحوها إلا بعض ألفاظها ، كالمصدر أو الفعل أو أحد المشتقات الأخرى ، فلذلك حالان :

الأولى : أن تكون المادة غير ثلاثية الحروف ، وحينئذ يجوز لنا أن نصوغ منها مالم يذكر على حسب قياس كل باب من أبواب مزيد الثلاثى وباب الرباعى وملحقه ومزيده .

الثانية : أن تكون المادة ثلاثية والمذكور حينئذ إما فعل ، وإما مصدر ، وإما مشتق غير الفعل .

( أ ) فإن كان المذكور فعلا ، فهو إما متعدّ وإما لازم . فالمتعدّى نصوغ له مصدرا على وزن ( فَعْل ) بفتح فسكون ، مالم يدل على حرفة .

---

(١) محضر الجلسة التاسعة .

واللازم له أربع حالات :

١ — إما أن يكون على وزن (فَعِلَ) مكسور العين ، فنصوغ له مصدرا على (فَعَل) مفتوح العين ، مالم يدل على لون ، فيصاغ مصدره حينئذ على وزن (فُعْلة) بضم فسكون .

٢ — وإما أن يكون على وزن (فَعُلَ) مضموم العين ، فنصوغ له مصدرا على (فَعَالة) أو (فُعُولة) بالضم .

٣ — وإما أن يكون على وزن (فَعَلَ) بفتح العين ، فنصوغ له مصدرا على (فُعُول) بالضم ، مالم يدل على حرفة ، أو اضطراب ، أو صوت ، أو مرض ، فنصوغ مصدر كل منها على الوزن الذى قرّر المجمع قياسيته فى دورته الأولى ، ومالم يدل أيضا على سير أو امتناع ، فإننا نصوغ للأول مصدرا على (فعيل) ، وللثانى مصدرا على (فِعال) بالكسر ، ومالم يكن معتل العين فيكون قياسه (الفَعْل) بفتح فسكون .

٤ — وإما أن يكون مجهول الباب ، فنرجعه بحسب ما يدل عليه من المعنى أو التعدية أو اللزوم ، إلى باب من الأبواب المتقدمة ، ونصوغ له مصدرا مناسبا لهذا الباب .

(ب) وإذا كان المذكور فى المعجمات ونحوها مصدرا :

١ — فإما ألا يدل على سجية ، أو حزن ، أو فرح ، أو لون ، أو عيب ، أو حلية ، أو خلوّ ، أو امتلاء ، أو خوف ، أو مرض على وزن (فَعَل) ، فيصاغ له فعل من باب نصر أو ضرب ، مالم تكن عينه أو لامه حرف حلق ، فإن بابه (فَعَل يَفْعَل).

٢ — وإما أن يدل المصدر على معنى من المعانى السابقة .

فإن دل على سجية كان فعله على ( فَعُلَ يفعُل ) ، وإلا كان الفعل من باب ( فَعِلَ يَفْعَل ) .

(ج) وإذا كان المذكور فى المعجمات ونحوها مشتقا غير فعل استدللنا على مصـدره أو فعله بمعرفة ما يدل عليه هـذا المشتق من المعانى والتعدية واللزوم .

وكل ما تقدم جائز ، ما لم ينص على أن الفعل ممات أو محظور ، وما لم يسمع عن العرب ما يخالفه . فإن سمع عملنا بالمسموع فقط ، أو عملنا بالمسموع أو القياس".

* * *

ولما كان العمل بهذا القرار يتطلب دقة فى النظر ، وذوقا حساسا فى العربية ، وإلماما وبصرا بعلم الصرف ، وحيطة وأناة فى العمل ، أردت أن أعرض أمثلة تبين طريق العمل بهذا القرار . راجيا أن يكون بها ما ينير السبيل فى هذا البحث .

وقد درست ثمانيا وخمسين مادة ناقصة فى جميع المعجمات التى ظفرت بها يدى ، وانتهيت فى كلٍّ منها إلى حكم بعـد البحث وطول النظر . ولعلى أكون قد وفقت إلى الوصول إلى ما أردت .

وإنى ذاكر الآن ما جاء من النُّصوص اللغوية فى كل مادة ، ومعقّب عليها بما هدانى إليه نظرى . فأقول :

## جبس

جاء فى المعجمات من هذه المـادة :

الجِبْس : الجبان الفدم ، الضعيف اللئيم ، أو الثقيل الذى لا يجيب إلى خير ، أو الردىء الدنىء .

والأجبس : الجبان الضعيف .

والتجبس : التبختر ، وتجبس تبختر .

والمجبوس المتهم فى عرضه .

ونرى أنّ المادة اشتملت على صفتين مشبهتين هما الجِبْس والأَجْبَس ، ونعرف أنّ أفعلَ فيما دلّ على عيب فى الصفة المشبهة ، يكون مؤنثه فعلاء وأنه يختصّ بباب فرح .

وإذًا يكون الفعل جَبِس الرجل يَجْبَس جَبَسا ، جبن أو ضعف ولؤم أو ثقل ونرى فى هذه المادة أيضا اسم مفعول من الثلاثىّ ، وهو إنما يصاغ من المتعدى مجردا من الظرف والجارّ والمجرور والمصدر ، وهذا يوحى بوجود الفعل جَبَس متعدّيا .

ولما كان المضارع مجهولا ، ساغ لنا أن نصوغه من باب نصر[1] ، وأن نقول جَبَسَه يجْبُسه جَبْسا ، اتهمه فى عرضه وعابه .

ومن مصدر هذا الفعل يأتى اسم الفاعل و بقية المشتقات القياسية .

وفى رأينا أنّ تجبّس المزيد الذى جاء بمعنى تبختر مأخوذ من هذا الفعل ، لأن التبختر فى الغالب لايدلّ على الرجولة الكاملة .

## جدس

جاء فى المعجمات التى فى متناولنا من هذه المادة :

الجادس من كل شيء ما اشتد و يبس كالجاسد .

---

(١) فى المخصص ١٤ — ١٢٣ قال بعض النحويين إذا علم أن الماضى على فعل (بفتح الفاء والعين) ولم يعلم المستقبل على أى بناء هو ، فالوجه أن يجعل على يفعل (بكسر العين) لما قدمت من أن الكسرة أخف من الضمة وقيل هما يستعملان فيما لايعرف اهـ . وقد رجحنا باب نصر لكثرة أفعاله .

وأرض جادسة لم تعمر ولم تحرث .

والذى نراه أن الجادس مقلوب الجاسد ، وقد ذكر للجاسد مصدر وفعل .

قال فى اللسان :

والجسد مصدر قولك جسِد به الدم يجسَد إذا لصق به فهو جاسِد وجَسِد . والذى يرجح عندنا أن الجادِس مقلوب الجاسِد تساويهما فى المعنى بدليل تفسيرهم الجادِس بالجاسِد .

فنحن الآن أمام مادتين متحدتين فى الأحرف لا فى ترتيبها ، ولابن جنّى فى ذلك رأى فاصل ، جاء فى شرح القاموس فى مادة "جبذ" واختلاف علماء اللغة فى أنه مقلوب جذب أو ليس مقلوبه .

قال ابن جنّى : ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه ، وذلك أنهما يتصرفان جميعا تصرفا واحدا ، تقول جذب يجذب جذبا فهو جاذب ، وجبذ يجبذ جبذا فهو جابذ ، فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلا لصاحبه فسد ذلك ، لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعد بهذه الحال من الآخر ، فإذا وقفتَ الحالَ بهما ، ولم تؤثر بالمزية أحدهما ، وجب أن يتوازيا فيتساويا ، فإن قَصر أحدهما عن تصرف صاحبه فلم يساوه فيه كان أوسعهما تصرفا أصلًا لصاحبه .

وإذا اعتمدنا هذا الأصل وارتضيناه ، وهو ما نميل إليه ، رأينا أن مادة جسد أكثر تصرفا من جدس فتكون الأولى هى الأصل ، ويقتصر فى الثانية على ما ورد منها .

أما أرض جادسة فيظهر أن الكلمة مشتقة من اسم ذات وهو جَدِيس (حىّ انقرض من عاد ) وقد قالوا جدس الأثر يجدُس[1] إذا دَرَس ( كما دَرَسَتْ قبيلةُ جَدِيس ،

(١) لم نعثر إلا على الماضى فى كتب اللغة ، أما المضارع فقد استظهرناه ويكون مصدره الجدوس لأن ماضيه على فعل لازما .

ومن ذلك أرض جادسة أى خَرِبة لم تُعْمَر ولم تُحْرَث فهى قَفْر كما أقفرت الأرض من جَدِيس وعلى هذا تكون هذه المـادة (جدس) جمعت أصلين : أحدهما اليُبْس والشِدّة ، والثانى الخراب والإقفار، ولا يكون للأصل الأول تصريف ، أما الثانى فمتصرف .

## جدن

جاء فى المعجمات :

أجدن الرجل استغنى بعد فقر ، والجَدَن حسن الصوت .

والجَدَن هنا مصدر كما يظهر على وزن فَعَل فيكون فعله لازما من باب فرح . جدِن يجدَن بمعنى حسن صوته .

أما أجدن فالظاهر أنها مشتقة من الجامد ، وهو ذو جَدَنٍ قَيْل من أقيال حمير والمناسبة ظاهرة [١] .

## جَتّ

جاء فى المعجمات :

الجَتُّ الجَسُّ للكبش لتنظر أسمين أم لا .

وظاهر أنّ الجَتّ مصدر الفعل المتعدى المضعف (جَتَّ) ، وبابه غالبا نصر ، تقول جَتَّ الكبش يَجُتّه جَتًّا جَسَّـه ، وليس ما يمنع من أن يراد به الجسّ مطلقا لكبش أو غيره [٢] .

## جَرَه

جاء فى المعجمات :

يقال سمعت جَرَاهِيَةَ القوم : كلامهم وجَلَبتهم وعلانيتهم دون سِرهم ، وجَرَّهْت الأمر تجريها إذا أعلنته .

---

(١) ويمكن تخريجها على أنها مبدلة من أجدم ففى شرح القاموس أجدمت النخلة حملت شيصا واستعمال أجدن الرجل بمعنى استغنى بعد فقر على هذا التخريج مجاز علاقته المشابهة .

(٢) قد تكون التاء مبدلة من السين ، وقد ذكر فى المخصص لذلك أمثلة . وإذا كان الأمر كذلك وجب الوقوف عند ما ورد من مادة جت .

والظاهر أنّ الجَراهِيَة مصدر كالكراهية والطاعِية والعلانية ، وأن ما قد يظن له من فعل ثلاثى هو جَرَه مقلوب جَهَر ، فإذا رجعنا إلى رأى ابن جنى رأينا أن مادة جهر أكثر تصرفا فتكون هى الأصل ، ويقتصر على ما سمع من مادة جره ،

غير أننا نجد فى اللسان فى مادة شده ، قال أبو منصور : لم يجعل شُدِهَ من الدَهَش كما يَظُنّ بعضُ الناس أنه مقلوب منه واللغة العالية دهِش على فعِل ، وأما الشَدْه فالدال ساكنة .

ويفهم من هذا النّص أنه إذا اختلفت أوزان التصاريف فى المادتين اللتين يُظَنّ أنّ إحداهما مقلوبة الأخرى اعتبرت كلّ مادّة أصلا من غير نظر إلى تساويهما فى التصرف أو عدم تساويهما ، ونحن إذا نظرنا فى مصادر جهر لانجد بينها مصدرا على وزن الفعالية ، فهى على حسب ما نقله صاحب اللسان أصل قائم بذاته ، فإذا صرفناها قلنا : جَرَهَ الشيء وبالشيء جَرْهاً من باب فتح لأنه حلق اللام بمعنى أعلنه وأظهره ، فهو متعدّ بنفسه وبالباء ، ويشتق منه بقية المشتقات .

## جَدَه

جاء فى المعجمات :

رجل مَجْدوه : مَشْدوه فَزِع .

ونرجح أن يكون الفعل من باب فرح لدلالته على الخوف والفزع والدهش[1] ، فيقال جَدِهَ فلان يَجْدَه جَدَهاً ، وجُدِهَ به فهو مجدوه[2] .

---

(١) فى المخصص أجروا الذعر والخوف مجرى الداء لأنه بلاء ١.هـ ونص قبل ذلك على أن الداء من باب فرح ١٤ — ١٤٠

(٢) أى مجدوه به ففى الكلام حذف وإيصال .

## جشن

جاء فى المعجمات :

الجَشْنُ الغليظ والمجشونة المرأة الكثيرة العمل النشيطة .

ويظهر لنا أن الجَشْن صفة مشبهة على وزن فَعْل كضخم ونخم فيكون فعله جَشُنَ يَجْشُن جُشونة غَلُظ .

أما المجشونة فهى على وزن مفعول فيكون فعلها متعديا ، كأن يقال جَشَنه يَجْشُنُه جَشْناً شَغَلَهُ .

## جزن

جاء فى المعجمات :

حَطَب جَزْن وجَزْل وجمه أَجْزُن وهو الخُشُب الغِلاظ .

والظاهر أن النون مبدلة من اللام فى هذه المادة فإنهما تتعاقبان كثيرا ، يقال فرس رِفَنّ ورِفَلّ ، طويل الذنب ، كما يقال جِبْرِين وجِبْرِيل .

لهذا نرى مادة جزل أصلا ، ونرى أن نقتصر على ما سمع من مادة جزن ، ولا نزيد عليه .

## جلذ

جاء فى المعجمات :

قالوا إنه لَيُجْلَذ بكلِّ خير أى يظن به .

والاجْلِوّاذ والاجْلِيوّاذ المضاء والسرعة فى السير ، قال سيبويه لا يستعمل إلا مزيدًا . ا هـ من اللسان .

من هـذا يُرَى أنه لا يصحّ أن يُؤْتَى بمجرّد لاجْلَوَّذَ كما قال سيبويه ، ومن رأيى أنه إذا سمع المزيد وكان كافيا فى تأدية معنى الفعـل المجرد اكتفى به و بمشتقاته ، وأنه لا يسوغ حينئذ فرض فعل مجرد .

أما يُجْلَذ التى جىء بها دون بقية المشـتقات والمصادر فهى نظير يُجْلَد بالمهملة لفظا ومعنى، ومعناه يظن أو يتهم، ففى حديث الشافعى : كان مجالد يُجْلَد أى كان يُتَّهَم و يُرْمَى بالكذب ، فكأنه وضع الظنّ موضع التُّهَمَة . ثم إننـا لا نجد فيما بين أيدينـا من المعجمات أيضا تصريفا للفعل يُجْلَد بالدال بمعنى يُظَنّ ، لذلك نرى أن يقتصر على تصريف أسهل الفعلين وأن يقال جَلَده يَجْلُده جلْدا ظَنّه أو اتَّهَمَـه أو رماه بالكذب .

## جنص

فى اللسان : أبومالك واللحيانى وابن الأعرابى جَنَّص الرجل إذا مات . أبو عمرو والجَنِيص الميت ، وجَنَّص رُعِبَ رُعْبًا شـديدا أو هَرَب من الفَزَع ، وجَنَّص بصره حَدَّدَه ، وجَنَّص فتح عينيه فَزَعا .

و يغنينا عن الفعل المجرد هنا مزيده ، إلا فى جَنَّص بمعنى مات لورود الجَنِيص منه بمعنى الميت ، والجَنِيص فيما يغلب على ظنّنا صفة مُشـبَّهة ، فهى تحتاج إلى فعل مجرد ، وهو فيما يغلب على ظننا من باب فرح [١] ، لأن المـادة فى جملتهـا تدل على الفَزَع والوَهَل ، فيقال جَنِص الرجلُ يَجْنَص جَنَصـا مات ، وجَنَّص المزيد بمعنى المجرَّد .

---

(١) جاء فى المخصص عند الكلام فى باب فرح "وقد يجىء الاسم فعيلا ، ومثل له بمريض وسقيم وعسير وحزين"

## جهف

هذه المادة ليست فى اللسان ، وفى التاج "أَجْهَفَ الشىءَ أَخَذَه أَخْذًا شديدا ، هكذا نقله عن الصاغانى فى العُباب ، قلت ولعله لغة فى اجْتَأَفه بالهمزة ، أو بَحَفَه بالحاء" .

وجَأَفَ من باب فَتَح والمصدر الجَأْف من معانيه الأخذ بالشدّة يُقال جَأَفَ الشجرةَ إذا قلعها من أصلها .

و بَحَفَ من باب فتح أيضا ، ومن معانيه القشر والجَرْف والجَمْع والرَّفْس .

وهناك فعل ثالث هو جَعَفَ من باب فَتَح أيضا ، بمعنى الصَّرْع والقَلْع .

وأرى أن الهاء فى الفعل جَهَفَ مبدلة من الهمزة أو الحاء أو العين ، ولما كانت الأفعال : جَأَف و بَحَف وجَعَفَ أكثر تصرُّفا وجَبَ أن تكون هى الأصل وأن يُقْتَصَر على ما ورد فى اللغة فى مادة جهف للاستغناء عنها بأصولها .

## حشب

فى اللسان : احتَشَبَ القوم احتشابا إذا اجتمعوا ، وفى التاج : ويقال أَحْشَبه إذا أَغْضَبه كأَحْشَمَه نقله الصاغانى ، وفيه الحَشِيب من الثياب والخَشِيب والجَشِيب الغليظ ، وفى اللسان : والحِشْمَة والحُشْمَة أن يجلس إليك الرجل فتؤذيه وتُسمِعه ما يكره ، حَشَمَه يَحْشِمُه ويَحْشُمُه حَشْما .

والظاهر أن الباء مبدلة من الميم ، وأن تَصَرُّفَ الأفعال فى ذى الباء قليل فيقتصر على ما ورد منها ، وليس من العسير أن نجد صلة وارتباطا بين معنى الاحتشاب وهو اجتماع القوم ومعنى الغضب لأن الاجتماع قد يكون سببه الغضب .

أما الحَشِيب بمعنى الغليظ فيقرب فى لفظه ويتّحد فى المعنى هو والجَشِيب . وقد نُصَّ فى اللغة على فعل للجَشِيب من بابى نصر وكرم ، جاء فى اللسان : وجَشَبَ الشىءُ يَجْشُبُ غَلُظ ، وجاء فيه وجَشُبَ جَشَابة .

وعلى هذا نكتفى فى هذا المعنى أيضا بمادة جشب ، لكثرة تصرفها ، ونقتصر على ما سمع من مادة حشب .

## حقز

فى التاج الحاقِزة أهمله الجوهرى وصاحب اللسان ، وقال الصاغانى هى التى تحقِز برجلها أى ترمح بها كأنها مقلوب القاحِزة .

ونرى أن الصاغانى صرح بفعله بقوله هى التى تحقِز برِجلها ، ولم يذكره غيره ولعله أخذه من لفظ اسم الفاعل .

وجاء فى مادة قحز : قحز بجعل يَقْحَز قَحْزا وَثب وقَلِق واضطرب .

ثم قال : وقَحَز الكلبُ ببوله يَقحَز بالفتح قَحْزا وقحوزا وقحزانا محركة رمى بِهِ كقزح ، وهو مقلوب منه كما قال الزمخشرى وابن القطاع . وجاء فى المستدرك : قحز الرجل عن ظهر البعير يقحز قحوزا سقط ، وقحز الرجلَ قحزا وقحوزا وقحزانا أهلكه .

ونحن نرى تقاربا فى المعنى بين حقز وقحز وقَزَح ففى كل منها معنى الطرح والرمى ونوافق الزمخشرى على أن أصل كل ذلك قزَح ، لذلك نرى الاكتفاء بما ورد من مادة حقز .

## حلد

قال فى التاج : " (إِبِل محاليد) أهمله الجوهرى والجماعة أى (ولت ألبانها) ، قلت وقد تقدم له هذا المعنى بعينه إِبِل مجاليد ، فإن لم يكن تصحيفا من بعض الرواة فلا أدرى " .

وجاء فى التاج فى مادة جلد : ( و ) الجِلاد (من الإبل الغزيرات اللبن) ، والجِلاد أدسم الإبل لبنا ، وعن ثعلب ناقة جلدة مِدرار (كالمجاليد) جمع مِجلاد ، أو ) الجِلاد من الإبل ( ما لا ابن لها ولا نتاج) .

ونرى أنه لا محل لشك صاحب التاج فى صحة الكلمة ، لأن صاحب القاموس كان عليما بالغريب مشغوفا به ، غير أننا نقول : إن ذات الحاء لغة فى ذات الجيم[١] ولما كانت مادة جلد تامة التصريف فقد جاء فى اللغة جلُدتِ الناقة تجلد جلادة جف لبنها فهى مجلاد — وجب الاقتصار على ما ورد من مادة حلد اكتفاء بذات الجيم .

## حمـــر

اللسان : الحمرة من الألوان المتوسطةِ معروفة — لون الأحمر يكون فى الحيوان والنبات وغير ذلك — وقد احمرَّ الشىء واحمارّ بمعنى .

فذكر لهذه المادة فى هذا المعنى المصدر والصفة المشبهة وفعلين مزيدين ، ولم يذكر المجرد ، وقد نصّ بعض أعلام اللغة على أن الحمرة لا يأتى منها فعل مجرد ، ففى اللسان : قال الفراء : العرب لا تقول حمِر ولا بيِض ولا صفِر ، ونحن نوجب العمل بهذا النص ، وندعو إلى صيانة اللغة من أن يدس فيها ما ليس منها .

ولا بأس أن نورد هنا مصادر بعض الألوان وأفعالها التى عثرنا عليها فى أثناء مراجعاتنا وهى :

الصُّهبة : وفعلها من باب فرِح .

والشُّهبة : وتأتى من بابى كرم وفرح .

والزُّرقة : وبابها فرِح .

والأُدمة : وهى من باب فرِح[٢] .

---

(١) لا نظن أن هنا إبدالا لأننا لم نعثر فيما وقفنا عليه أن الجيم تبدل حاء .

(٢) ومن باب كرم فى لغة — المخصص .

والسُّمرة : وهى من بابى كرم وفرِح .

والسواد : من باب فرح ، وفعله سوِد وساد .

والقُتمة : وهى من بابى ضرب وفرِح.

والُخطبة : وبابها فرِح .

والقُهبة : وفعلها من باب فرِح [١]

والكُهبة : وهى من بابى فرِح وكرم .

والكُمدة : وبابها نصر .

والعُفرة : وبابها فرِح .

والدُّكنة : وبابها فرِح .

والحُوّة : وبابها فرح .

والغُبشة : شدة الظلمة ، وبابها فرِح

والغُبسة : لون الرماد ، وبابها ضرب .

والكُمتة : حمرة يخالطها سواد ، وبابها كرم .

والوُردة : الحمرة تضرب إلى الصفرة ، وبابها كرم .

والشُّقرة : بياض فى حمرة ، من بابى فرح وكرم .

أما السُّخمة ، والصُّحمة ، والدُّبسة والعِيسة والبُرشة ، فلم تذكر لها فى المعجمات أفعال مجردة ، وليس ما يمنع من وضع أفعال لها من باب فرِح ، وهو الباب الشائع فى الألوان ، وسنتناول بعض هذه بالكلام فى هذا المقال .

---

(١) ومن باب كرم فى لغة — المخصص .

## حمج

فى اللسان التّحميج فتح العين وتحديد النظر كأنه مبهوت ، قال أبو العيال الهذلى :

وحَمَّجَ للجبانِ المو * تُ حتى قلبُهُ يجب

أراد حَمَّجَ الجبانُ للموت فقَلَب (١) ، وقيل تحميج العينين غئورهما ، وقيل تصغيرهما ليمكن النظر ...

وقوله : "وقد يقود الخيل لم تُحَمَّج" فقيل تحميجها هزالها .

والتحميج التغير فى الوجه من الغضب ونحوه .

وفى التاج "والحَمُّوج كصَبُّور الصغير من ولد الظبى"، وهـذا المشتق يدل على وجود الثلاثى ، وقد يكون من أسباب إطلاق الحموج على الصغير من ولد الظبى هزاله أو صغر عينيه .

ونرى أن يصاغ فعله من باب ضرب لازما(٢) حَمَج يَحْمِج حُمُوجًا بمعنى فتح عينيه فى دَهَش أو ضَيَّقهما لتحديد النظر، وبمعنى هُزل وتغير ، ويكون فعَّل منه للمبالغة أحيانا وللتعدية أحيانا .

## خدن

الخِدْن والخَدِين الصديق، والمُخَادنة المُصَاحبة، والأَخْدَن ذو الأخدان، ورجل خُدَنَة يُخادِن الناس كثيرا ، ونرى أن الخدن والخدين والأخدن صفات مشبهة، وأنها تنبىء بوجود الفعل الثلاثى ، غير أن الفعل المزيد "خادن" يؤدِّى معنى المجرد فلا داعى لوضعه .

(١) يستقيم المعنى على مجاز بديع من غير قلب .

(٢) إنما اخترنا باب ضرب هنا استئناسا بكلمة صبور الذى وزن بها صاحب التاج الحموج .

## خذر

فى اللسان : الخاذر المستتر من سلطان أو غريم ، ولم يُذْكَر لهذه المادة فعل أو مشتقات أخرى فى المعجمات ، ولكن يظهر أن الذال فيها لغة فى ذات الدال (خدر) لذلك يقتصر فيها على ما جاء منها .

## خسن

اللسان : أهمله الجوهرى ، وروى ثعلب عن ابن الأعرابى أخسن الرجل إذا ذَلَّ بعد عِزٍّ ، وهى أقرب فى المعنى إلى خَشُنَ العيش خُشُونة ضد لان ، و إذا كانت السين مبدلة من الشين كما هو ظاهر[١] وجب الوقوف عند المسموع من مادة خشن .

## خَفَل

فى اللسان : ابن الأعرابى الخافل الهارب ، وكذلك الماخل والمالخ ، وقد أعاد ذلك فى مخل ، ولم يذكر له فعلا أو مصدرا ، أما ملخ فإنه من باب فتح ومصدره الملخ ، ولما كان المعنى واحدا فى هذه المشتقات الثلاثة وهى الخافل والمالخ والماخل ، وكان أحدها من باب فتح رجح أن يكون فعل الخافل من باب فتح أيضا ، أما الماخل فلا نرى وضع فعل له لأنه مقلوب المالخ .

## خلم

فى اللسان : الخلم بالكسر الصديق الخالص ... والجمع أخلام وخلماء ، قال ابن سيدة : وعندى أن خلماء على توهم خليم ، والمخالمة المصادقة والمغازلة ... والخلم مربض الظبية أو كناسها لإلفها إياه وهو

(١) عد صاحب المخصص من هذا النوع من الإبدال أمثلة كثيرة ١٣ — ٢٧٨

الأصل فى ذلك تتخذه مألفا وتأوى إليه ، ويسمى الصديق خلما لألفته ... والخلم أيضا العظيم ، وزاد فى القاموس الخالم المستوى الذى لا يفوت بعضه بعضا ، وإبل خِلْمَة بالكسر رتاع ، واختلمه وخلّمه تخليما اختاره ، وخالمه صادقه .

ومن ذلك يفهم أن الأصل فى هذه المادة الخلم لمَربِض الظبية ، وهو اسم ذات وأن العرب نقلته إلى المصادقة والمصاحبة بجامع الإلف ، ثم أخذت منه مصادر اشتقت منها خالمه وخلّمه واختلمه ، ثم اشتقت اسم الفاعل وهو الخالم من مصدر الثلاثى بمعنى آخر يتصل بالمعنى الأصلى وهو مربض الظبية بسبب الاستواء فيها ، أما الخِلم بمعنى العظيم فيبعد عن هذا الأصل بعض البعد .

ونحن نكتفى بالأفعال المزيدة التى وردت بمعنى المصاحبة والمصادقة ، لأنها تغنى عن المجرد ، ونرى أن يوضع فعل من باب نصر مصدره الخَلْم للدلالة على استواء المكان (١) وأن يوضع فعل من باب كَرُم للدلالة على العظَم (٢) .

## خمت

اللسان : الخَميت السمين حِمْيَرِيَّة ، وفى القاموس الخميت السمين وبوزنه ، وفى زنة صاحب القاموس للخميت بالسمين مايشبه الإشارة الى أن فعله كسَمِن ، فيكون خَمُتَ يَخْمُت ، وقياس مصدر فعل اللازم الفعَل ، ويكون الخميت صفة مشبهة .

---

(١) وذلك لورود اسم الفاعل خالم .

(٢) تأتى الصفة المشبهة على وزن فعل بكسر فسكون من باب كرم كملح .

## ختر

فى اللسان : أبو العباس الخاتر الصديق المصافى وجمعه خُتُر ، يقال فلان ليس من خُتُرى أى ليس من أصفيائى ، وعقب صاحب التاج على القاموس فى قوله جمعه خُتُر بضمتين بأن الصواب خُتَّر كُرَّكع ، ولعل سبب ذلك أن فاعلا لا يجمع على فُعُل ، ويمكن أخذ الفعل والمصدر من المشتق خَتَرَه يَخْتُره خَتْرًا بمعنى صادقه وصافاه .

## خوش

فى اللسان : الخَوْش صغر البطن ، وكذلك التخويش والمُتَخَوِّش والمُتَخاوِش الضامر البطن ، وتَخَوَّش بَدَنُ فلان هُزِل بعد سِمَن ، وخَوَّشه حقه نَقَصَه .

ومن السهل أخذ الفعل من المصدر هنا وهو الخوش بأن نقول خاش البطن يخوش خوشا صغر ، وخاش المال يخوشه نَقَصَه .

## دَبَس

والدُّبسة لون فى ذوات الشعر أحمر مشرب ، والأدبس من الطير والخيل الذى لونه بين السواد والحمرة ، وقد ادَّبس ادِّباسا ، وقد ادباسّ وهو أَدْبَس ، والدِّبس الأسود من كل شئ ... أبو حنيفة أدبست الأرض رُئِى أوّل سواد نبتها فهى مُدْبِسة ... ودَبَّس الشيءَ واراه .

ذُكر من هذه المادة المصدرُ وصفتان مشبهتان وأفعال مزيدة ، ولما كانت هذه المادة تدل على لون ، وكان مصدرها على فُعْلَة كان فعلها من باب فرح ، تقول دَبِس الشئ يَدْبَس دُبْسَة كان لونه بين السواد والحمرة ، أما أَدْبَسَت الأرض فالمزيد فيها يغنى عن المجرد ، وتقول دَبِس الشئ يَدْبَس بمعنى توارَى واختفَى ، ودبَّسته

أخفيته ، ولا يغني هنا ادَّبَس وادْباسّ عن المجرد لأنهما يفيـدان معنى جديدا بالزيادة وهو التدرّج [١]

## ذَهَفَ

فى تاج العروس ( إبل ذاهفة ) أهمله الجوهرى وصـاحب اللسان ، وقال ابن عباد : ( معيية ) من طول السير ( لغـــة فى الدال ) ، وصوّب الصاغانى فى التكملة أنها بإهمال الدال لاغير .

والداهفة بالدال بابهـا منع ، ونرى ما دامت ذات الذال لغـة فى ذات الدال أن يقتصر عليها ولا يُصَرَّف منها .

## رَبَشَ وبَرَشَ ورَمَشَ

فى اللسان : الأربش المختلف الألوان نقطة حمراء وأخرى ســـوداء أو غبراء أو نحو ذلك ، وفرس أربش ذو برش مختلف اللون ، وخص اللحيانى به البِرْذَوْن وأربش الشجر أورق ، وقيل أربش أخرج ثمره ... ابن الأعرابى : أرمش الشجر وأربش وأنقـد إذا أورق وتفطر ، وأرض ربشاء و برشاء كثيرة العشب مختلف ألوانها ، وجاء فى مادة رمش : أرض رَمْشاء رَبْشاء أو جَدْبة كأنه ضد ، ورجل أرمش أربش مختلِف اللون ، وأرمش الشجر أورق .

والذى يفهم بعد قراءة هذه المواد فى معجمات اللغة أن مادة برش هى الأصل وقد ذُكر لها فى المعجمات فعل ثلاثى من باب فرح ، وذُكر لها من المصادر البَرَش والبُرْشَة فيجب الاقتصار على ما ورد فى المادتين رَبش ورمش ، لأن الأولى بهـا قلب مكانى ولأن الثانية أبدلت فيها الميم من الباء . [٢]

---

(١) فى المخصص وقد يستغنى بافعالّ عن فعل وفعُل ولكنا نميل الى رأى المتأخرين وهو أن المزيد هنا أدّى معنى بالزيادة لم يكن فى المجرد فلا يستغنَى عن المجرد .

(٢) عد صاحب المخصص من هذا الإبدال أمثلة كثيرة ١٣ — ٢٨٤

## رتل

فى اللسان الرَّتَل حسن تناسق الشىء ، وثغر رتَل ورتِل حسن التنضيد مستوى النبات ، وقيل مفلَّج ... والرَّتَل بياض الأسنان ... ، وربما قالوا رجل رَتِل الأسنان مثل تَعِب بيِّن الرَّتَل ، وكلام رَتَل ورَتِل أى مُرَتَّل حَسَنٌ على تُؤَدَة ، ورتَّل الكلام أحسن تأليفه وأبانه وتمهَّل فيه ... والرَّتَل والرَّتِل الطيِّب من كل شئ ، وماء رَتِل بيِّن الرَّتَل بارد .

وزاد فى القاموس : والراتِلة القصير .

وظاهر أن الفعل المجرد من باب فرح ، وأن مصـدره الرَّتَل ، وأن رَتَلا ورَتِلا صفتان مشبهتان [١] ، وأن التضعيف فى رَتَّل للتعدية ، وتكون معانى الفعل هكذا :

رَتِلَ الشئُ تناسَق أو طاب ، والثَّغْر استوتْ أسنانه أو فُلِّجَت أو ابيَضَّتْ والكلامُ حَسَن وأُلْقِىَ فى تُؤَدَة وإبانة ، والماءُ بَرَد ، أما الراتِلة بمعنى القَصير فاسم فاعل فيه التاء للمبالغة ويَحْسُن أن يكون فعله من باب نصر [٢]

## رثن

فى اللسان الرَّثانُ قِطار المطر يَفْصِل بينها سُكون . . وأرض مُرَثَّنَة تَرْثِينا ومُرَثَّمة ومُثَرَّدة أصابها مطرٌ ضعيف ، وفى نوادر الأعرابى أرض مَرْثُونة أى مَرْكُوكة وأصابها رثان ورثام ، وقد رُثِّنَت الأرض تَرْثِينا عن كُراع ، قال ابن سيدة والقياس رُثِنَتْ كطُلَّتْ وبُغِشَتْ وطُشَّتْ وما أشبه ذلك ، الأزهرى : قال بعض من لا أعتمد عليه : تَرَثَّنَت المرأةُ إذا طَلَتْ وجهها بِغُمْرَة اهـ .

---

(١) الظاهر أن رتلا بالتحريك من المصادر التى استعملت استعمال الصفات .

(٢) يصح أن يبقى الفعل من باب فرح هنا أيضا لأن الصفة تأتى من هذا الباب على فاعل أحيانا .

وأقول لعل النون مبدلة من الميم فى ترثنت المرأة ، وهو ما يحدث كثيرا فى لغة العرب ، ففى مادة رثم فى اللسان ورَثَمت المرأة أنفها بالطين لطخته وطلته ، وهو على التشبيه اهـ .

وإنما كان على التشبيه لأن الرثم فى الأصل كسر الأنف أو الفم حتى يقطر منه الدم .

ويؤخذ مما ورد فى مادة رثن أنه ورد منها اسم مفعول للثلاثى وهو مرثونة . وأن ابن سيدة استنبط أن قياس فعلها رثن ، وبذلك يستطاع أن يقدر هذا الفعل من باب نصر متعديا ؛ ويقال رَثَنَ المطرُ الأرضَ يرْثُنُها رَثْنًا أصابها ، وأما تَرَثَّنَت المرأة فالظاهر أنه مقلوب ترثمت فيقتصر فيه على الوارد .

## خوذ

اللسان : المُخَاوَذَة المُخالفة إلى الشىء ، خاوَذه خِوَاذا ومُخَاوَذَة خالفه .

الأموىّ : خاوَذْته مُخَاوَذَة فعلت مثل فعله ، وأنكر شَمِّر خاوَذْت بهذا المعنى ، وذكر أن المخاوذة والخِواذ الفِراق . . . وخاوَذَتْهُ الحُمَّى أخذته ثم انقطعتْ عنه ثم عاوَدَته . . . وفى النوادر أمر خائِذ لائذ ، وأمر مُخَاوِذ مُلاوِذ إذا كان مُعْوِزًا ، وخاوَذ عنه إذا تنحَّى .

جاء من هذه المادة مصدر المفاعلة وفعله ، ثم جاء اسم فاعل الثلاثى ، ولما كان هذا الفعل أجوف واويا كان من باب نصر على الغالب ، فهو خاذ يخوذ خَوْذا ، تقول خاذَنى الأمر أعْوَزَنى ، ولكن لما كان الفعل المزيد وهو خاوذ يؤدى معنى الفعل المجرد نرى أن لا حاجة إلى وضع مجرد له .

## دخى

فى اللسان الدَّخى الظلمة ، وليلة دخياء مظلمة ، وليل داخ مظلم ، قال ابن سيدة : فإما أن يكون على النسب ، وإما أن يكون على فعل لم نسمعه .

ونرى أن الدَّخَى مصدر لمعناه صلة بالألوان لذلك يكون فعله من باب فرح كأن نقول دَخى الليل يَدْخَى أظلم فهو أَدْخَى والليلة دَخْيَاء ، ويكون لفظ داخٍ صفة مشبهة على وزن اسم الفاعل كسالم من سَلِمَ يَسْلَمُ .

## درك

فى اللسان : الدَّرْك اللحاق وقد أدركه ورجل دَرَّاك مُدْرِك كثير الإدراك ، وقلّما يجىء فَعّال من أَفْعَل يُفْعِل إلا أنهم قالوا حَسّاس دَرَّاك لغة أو ازدواج ، ولم يجئ فَعّال من أَفْعَل إلا دَرّاك وجَبّار من أَجْبَرَه على الحُكْم أكرهه ، وسآر من أَسْأَر فى الكأس إذا أبقَى فيها سؤرا . . . . وتدارك القوم تلاحقوا . . . . وفى الحديث أعوذ بك من دَرْك الشقاء . . . قال ابن برى : جاء دَراكِ ودرّاك وفَعالِ وفعّال إنما هو من فعل ثلاثى ، ولم يستعمل منه فعل ثلاثى ، وإن كان قد استعمل منه الدرك .

ونرى أن نتابع نص ابن برى فى أن العرب لم تستعمل الثلاثى لهذه المادة ، ونَكُفّ عن استنباط فعل ثلاثى منها .

ثم إن فى عبارة اللسان : "ولم يجئ فعّال من أفعل إلا دَرّاك وجَبّار وسآر" نظرًا من وجوه : الأول أن المصدر أصل الاشتقاق فى رأى البصريين وهو الرأى الراجح ودَرّاك مشتق من مصدر الثلاثى وهو الدَرْك ، على أن وجود الدَرْك يستلزم وجود فعل ثلاثى أُميت اشتق منه دَرّاك على مذهب الكوفيين ، الثانى : جاء فى لسان العرب فى مادة جبر : وجَبَر الرجلَ على الأمر يَجْبُره جَبْرًا وجُبُورًا وأَجبره

أكرهه والأخيرة أعلى ، فأثبت وجود الفعل الثلاثى وهو جَبَر فى لغة ؛ فجبّار من هذه اللغة لا من غيرها . الثالث أنه جاء فى مادة سأر فى اللسان : يقال سار وأسأر إذا أفضل فليس إذن سآّر من مصدر أسأر .

## دفه

فى اللسان : الأزهرى أهمله الليث ، وروَى ثعلب عن ابن الأعرابى قال الدافِهُ الغريب ، قال الأزهرى كأنه بمعنى الداهِف والهادِف ، وجاء فى دَهَف " والداهِفَة قال الأزهرى، كأنه بمعنى الداهِف والهادِف " .

والداهِف المُعْيِي من طول السير ، والغريب قد يكون كذلك ، وباب الداهِف منَع . وجاء فى هَدَف فى اللسان ويقال : هل هَدَف إليكم هادِف أو هَبَش هابِش يستخبره هل حدث ببلده أحد سوى من كان به . فالكلمات الدافه والداهِف والهادِف كلها بمعنى الغريب ، وبينها قلب مكانى فى الأحرف ، وإحداها وهى الداهِف يمكن اعتبارها أصلا لهذه المواد ، فيجب أن يقتصر فى مادة دَفه على ماورد منها .

## دكب

أهمله الجوهرى وصاحب اللسان ، وفى القاموس المدكُوبة المعضوضة من القتال .

ونقول إن اسم المفعول يُشعر بوجود فعل يمكن صوغه من باب نصر متعديا ، فنقول دَكَبَ الكلبُ الهِرّة يَدْكُبها دَكْبًا عَضَّها فى القتال .

## دلس

فى اللسان الدَلَس بالتحريك الظُلْمَة ، وفلان لايُدالِس ولا يُوالِس أى لا يُخادِع... ودلَّس فى البيع وفى كل شيء إذا لم يُبَيِّن عيبه وهو من الظلمة ... والدُلْسة الظلمة ... مالى فيه ولْس ولا دَلْس أى مالى فيه خيانة ولا خديعة ... واندلس الشيء خفى...إلخ .

والظاهر أن المذكور فى المادة ثلاثة مصادر هى الدَّلَس والدَّأْس والدُّلْسَة والأخير مصدر الألوان ، وأفعالها من باب فرح ، وعلى هذا يكون الفعل دَلِس الليل يَدْلَس دَلَسا ودَلْسًا ودَلْسَة أظلم ، وجميع الأفعال المزيدة التى جاءت فى هذه المادة لِتَدُلّ على الخفاء أو الخديعة من باب المجاز وتوجيه الزيادة فيها ظاهر .

## ذغى

أهمله الجوهرى وصاحب اللسان ، وفى القاموس الذاغية المضّاغة الرَّعْناء وجاء فى التاج لابن سيدة : والغاذِية من الصبىّ الرَّمّاعة مادامتْ رَطْبَة ، فإذا صَلُبَتْ وصارتْ عَظْمًا فهى يافُوخ .

وإتيان صاحب التاج بالغاذِية فى مادة ذغى يشير إلى أن الذَّاغِيَة مقلوب الغَاذِيَة ويظهر أنها أطلقت على الرَّعْناء على المجاز والجامع الرَّخاوَة وعدم تمام التكوين ، ولما كانت مادة غذى أكثر تصرُّفا من ذغى وجب الاقتصار على ماورد من الثانية .

## ذقو

فى التاج ( وفرس أَذْقَى ) أهمله الجوهرى والجماعة ( وهو الرِّخو الأذن الرخو الأنف وهى ذقواء ) ونصّ التكملة فرس أذقى ورَمَكَة ذَقْوَاء وهو الرِخْو الرانِف الأذن فتأمل هذه مع سياق المصنف اه .

وعبارة اللسان رجل أَذْقَى رِخْو الأنف والأنثى ذَقْوَاء ، والجمع الذُّقْوُ وهو الرِخْو أنف الأذن .

ونرى فى عبارة اللغويين هنا شيئا من الإبهام والاضطراب ، وذلك أن قولهم : الرخو الأنف المقصود به أنف الأذن ، وأنف كل شئ طرفه ، ويقصد به . رخاوة الأُذُن نفسها ، أما عبارة صاحب التكملة وهى الرِخْو الرانِف الأذن فلعل صوابها رِخْو رانِف الأُذُن ، ورانِف الأُذُن ورانفتها غُضروفها .

ولنرجع الآن إلى استخراج الفعل بعد أن ظهر لنا أن الوصف منه على أفعل فعلاء وهذا خاصّ بباب فرِح فيكون الفعل الثلاثى ذَقِىَ الفرس يذْقَى ذَقًا استرخت أذناه ، أصل الفعل ذَقِوَ وقعت الواو متطرّفة بعد كسرٍ فقلبت ياء .

## ذكب

قال فى التاج : ( المذكوبة ) بالذال المعجمة أهمله الجوهرى وصاحب اللسان ، وقال الصاغانى هى ( المرأة الصالحة ) .

وجاء فى لسان العرب فى مادة كذب : المكذوبة من النساء الضعيفة ، والمذكوبة المرأة الصالحة ، وكذلك فعل صاحب التاج فى مادة كذب .

ولأمرٍ ما يذكر صاحب اللسان المذكوبة بجانب المكذوبة ، وظاهر ذلك أنه يرى بينهما قلبا ، والمكذوبة بمعنى الضعيفة اسم مفعول من كذبتها النفس أو الأيام فمنّتْها بالصحة والقوّة ولم تَصْدُق فهى مكذوبة ، وكذلك المذكوبة مقلوبتها بمعنى المرأة الصالحة اسم مفعول من كذبتها النفس أو الأيام فمنّتْها الأمانى الكاذبة فعرفتْ قيمتها فاتّعظتْ وأصبحت صالحة بصيرة بأحوال الدهر وصروفه ، فإطلاق المذكوبة على الصالحة من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم ، وإذا ثبت لنا أن المذكوبة مقلوب المكذوبة ، وكانت تصاريف الثانية أكثر من تصاريف الأولى وجب الاقتصار على ما ورد من الأولى .

## رخد

فى القاموس والتاج: الرَخُودَة اللين والنُعومَة والخصْب والسَعة ، وهم فى رَخُودَة من العيش ، ويقال هو رِخْوَدٌّ كإرْدَبّ قال أبو الهيثم : الرِخْوَدّ الرِخو زيدت فيه دال وشددت مكسوعا بها وهى بهاء رِخْوَدَّة ، ويقال رجل رِخْوَدّ الشباب ناعمه ، وقيل رجل رِخْوَدّ ليّن العَظْم سَمِين كثير اللحم رِخو ، وجمع رِخْوَدّة رَخاوِيد .

ويظهر لى أن الرَّخُودَة مصدر من المصادر السماعية النادرة ، وأن معنى هذه المادة كمعنى رَغِد ، ولكنها ليست مقلوبتها لأننا لا نجد مصدرا من رغد على وزن فَعُولَة . ولما كانت قريبة المعنى من مادة رَغُد وكان الفعل رَغُد من بابى فرِح وكَرُم جاز أن نقتصر هنا على باب واحد هو باب فرح ونقول : رَخِد العيش يَرْخَد رَخُودَة لانَ وطابَ واتَّسع .

وأما الرِخْوَدُّ فهو على رأى أبى الهيثم من مادة أخرى هى رَخُو ، وعلى غير رأيه يكون وزنا غريبا للصفة المشبهة .

## رزع

فى التاج : (هو أرزع منه) بالزاى بعدالراء أهمله الجوهرى وصاحب اللسان وقال الصاغانى فى العُباب ( أى أَجْبَنُ ) ، وأهمله فى التكملة ، ولا إخاله إلا تصحيف أروع بالواو فانظره ، أو هو بالغين المعجمة فتأمل .

وأقول إن إبدال العين من الغين معهود فى لغة العرب ذكر منه السيوطى فى المزهر جملة صالحة منها العَلَث شدة القتال واللزوم له والغلث ، ولَعَنّ لغة فى لَعَلّ ولَغَنّ ، وسمعتُ وعاهم ووغاهم ، وبَعْثَر متاعه وبَغْثَره ، وشعفها حبا وشغفها .

وجاء فى اللسان فى مادة رزغ وأرزغ فيه إرزاغا وأغمز فيه إغمازا استضعفه واحتقره .

وإنا نجـد كثيرا من الاتصال فى المعنى بين رَزَع ورَزَغ وردَغ وردَع جاء فى اللسان وردَغَتْ السماء مثل رَزَغَتْ ، وفى التاج وأخذ فلانا فردَغ به الأرض إذا ضرب به بها ( يريد ضربها به ) ، وفيه فى ردَع ويقال رُدِعَ بفلان أى صُرِعَ ، وأخذ فلانا فردَع به الأرضَ أى ضَرَب به الأرض اهـ

وهذه المواد فى جملتها كما قال الصاغانى تدل على استرخاء واضطراب ، ومن كل هذا نستنبط أولا أن صاحب اللسان أتى بالماضى المجرد لردَغَ ورَزَغَ ولكنه لم يذكر بابهما ، وكذلك لم يذكره أحد من اللغويين فيما نعرف .

ثانيا أن الذى يفهم من نصوص اللغـة ومن قواعد الصرف أن تصاغ مادة رَزَغ على النحو الآتى :

رَزَغت السماء تَرْزَغ رُزُوغا من باب فتح بَلَّت الأرض أو بَالَغتْ فى بَلّها ، ومثله أَرْزَغَت ، ورَزَغَ الرجل ارتطم فى الوَحل أو فى العُيُوب أو جُبِنَ مجاز ، وأَرْزَغه لَطَخه بالعيب ، وأرزغ فيه استضعفه واحتقره وعابه ، وأرزغ الرجل احتفر حتى بلغَ الطينَ الرَّطْب ، ويقال فى مادة رَدَغ رَدَغَت السماء تَرْدَغ رُدُوغا بَلَّت الأرضَ أو بالغتْ فى بَلّها ، ورَدَغ بفلان الأرضَ يَرْدَغُها به رَدْغا ضربها به ، وردَغ به صَرَعَه .

## رضن

فى اللسان : المَرْضُون شبه المَنْضُود من الحجارة ونحوها يضم بعضها إلى بعض فى بناء أو غيره ، وفى نوادر الأعرابى رُضِنَ على قبره وصُمِدَ ونُضِدَ ورُثِدَ كُلّه واحد .

ولكنه فى مادة ضَمَد لم يذكر من معانيها معنى نَضَد ، ثم إن الفعل نَضَد من باب ضرب ، ورَثَد من باب نصر ، فيمكن أخذ باب منهما للفعل رَضَن لتشابههما فى المعنى وليكن باب نصر لأنه أكثر ، فنقول رَضَنَ البنّاء الحجارة يرضُنها رَضْناً ضمَّ بالبِناء بعضَها إلى بعض .

## رفخ

فى التاج : ( وعيش رافِخ رافِغ ) الغين بدل عن الخاء [1] ، وفى اللسان فى مادة رَفَغ : والرَّفْغ والرَّفاغة والرَّفاغِيَة سَعة العيش والخصب ، وعيش أرفغ ورافِغ ورفيغ واسع طيّب ، ورفُغَ عَيْشُه بالضم رَفاغَة اتّسع ، ولما كانت الخاء فى رافِخ مبدلة من الغين وجب ألا يُتَّسَع فى تصريفها .

## رفن

التاج : ( الرَّفْن البَيْض ) كذا فى النسخ والصواب النَّبْض كما هو نص ابن الأعرابى ( و ) الرِّفَنّ ( بِجِذَبّ الطويل الذنب من الخيل ) قال الأزهرى والأصل رِفَلّ ....... ( والرافنة المتبخترة فى بَطَر ) .

ونقول إن الظاهر أن الرَّفْن بمعنى النَّبْض مصدر ، ونرى أن يكون فعله من باب ضرب لازماً [2] فيقال رَفَنَ العرق يَرْفِن رفونا ضرب وتحرَّك ونَبَض ، ومنه الرافنة المتبخترة فى بَطَر لدلالة الفعل على معنى الحركة .

---

(١) ذكر صاحب المخصص مثالا لهذا النوع من الإبدال ١٣ — ٢٧٥

(٢) إنما آثرنا باب ضرب لمشابهته فى المعنى لنبض .

أما الرِفَنّ فنرى أنّ النون فيه مبدلة من اللام، وقد عَدّ السيوطى فى المزهر جملة من هــذا النوع منها فرس رِفَلّ ورِفَنّ ، ولهذا نرى الاقتصار على ما سُمِع منه .

## رقح

اللسان : الترقيح والترقح إصلاح المعيشــة . . . . . وترقّح لعياله كسب وطلب واحتال... والاسم الرَقَاحَة ، والرَقَاحَةالكسبوالتجارة، ومنه قولهم فى تَلْبِيَة بعض أهل الجاهلية : جئناك للنصاحة ولم نأت للرَقَاحَة .

ونفهم من هذا أنّ الرَقَاحَة مصدر الفعل الثلاثى الذى لم يذكر فى المــادة، وهو مصــدر غير مقيس فى مفتوح العين كالرَجاجَة والفَطانَة ، واقترانه فى تلبية أهــل الجاهلية بالنَصاحَة التى هى مصدر نَصَح يُشْعِر بهــذا ، وإذ كان الفعل حلقىّ اللام نرى أن يكون من باب فتح هكذا : رَقَحَ العيشُ يَرْقَح رَقاحَة صَلَح ، والمــال نما ، ورَقّحه أصلحه ونمّاه ، ورَقَحَ الرجل لعياله كسب كتَرَقَّح . وبعد كتابة هذا رأينا أن البيهقى فى كتابه تاج المصادر قد عدّ الرَقاحَة مصدرًا من باب فَعَل يَفْعَل .

## رفح

فى اللسان : الأرفح هو الذى يذهب قَرْناه قِبَلَ أذنيه فى تباعد ما بينهما .. ابن الأثير فى الحــديث : كان إذا رفّح إنسانا أراد رَفّأ أى دعا له بالرفاء فأبدل الهمزة حاء، وبعضهم يقول رقّح بالقاف ، وفى حديث عمر رضى الله عنه لمـّـا تزوج أم كلثوم قال رَفّحُونى أى قولوا لى ما يقال للتزوّج .

وظاهر أنّ هذه المــادة تشتمل على أصلين ، وقد ذكر فيها من الأصل الأول الصفة المشبهة لمصدر يدلّ على الخِلقة الظاهرة ، وهى على وزن أفعل الذى مؤنثه

فعلاء ، ولا تأتى هذه إلا من باب فرِح كما فى أَرْسَح ورَسْحاء وأَحْنَف وحَنْفاء ، لهذا نقترح أن يكون مجرد هذه هكذا : رَخِ الشور يَرْخَ رَخًا ذهب قرناه قِبل أذنيه .

أما الأصل الثانى فهو رَقأ لأن الحاء فى رخَّ مبدلة من الهمزة وهنا يجب الاقتصار على المسموع بالحاء لأنه مقلوب المهموز .

## رصح

فى اللسان : الرَّصَح لغة فى الرَّسَح ، رجل أَرْصَح وامرأة رَصْحاء ... ويقال الرَصَح قرب ما بين الورِكين ، وكذلك الرَصَح والرَسَح والزَلَل . . . وربما كانت الصاد بدلا من السين .

أقول : وإبدال الصاد من السين معهود . ( راجع ص ٢٧٧ وما يليها من المزهرج ١ ) .

فإذا عددنا الرَسَح أصلًا لكثرة مشتقاته وجب أن نقتصر على ما سُمِع من مادة رَصَح .

## ركى

فى اللسان : " والرَّكِيّ الضعيف ، وقيل ياؤه بدل من كاف الركيك ، قال فإن كان ذلك فليس من هذا الباب ، وهذا الأمر أَرْكَى من هذا أى أهون منه وأضعف " .

والعرب تبدل ثالث الأمثال فى المضعَّف ياء ، فتقول فى التَمَطُّط التَمَطِّى ، وفى التَقَصُّص التَقَصِّى ، وفى التَّظَنُّن التَظَنِّى ، وقالت فى لَبَّبْتُ فى المكان لَبَّيْتُ ، وفى قَصَّصْت الشعر قَصَّيْتُ ، وقال تعالى : وقد خاب من دَسَّاها أصله دَسَّسها ، فإذا جرينا على أن الياء الثانية فى الرَّكِيّ مبدلة من كاف فلا بد أن يكون ذلك الإبدال حدث

أولا فى مصدرالخماسىّ وهوالتَرَكُّك فأصبح التَرَكِّى، ثم سَرَى هذا الإبدال إلى مصدر الثلاثىّ وهو الرَّكاكة أو الرِّكة فصار المصدر على هذا التوهم الرَّكاية أو الرِّكْيَة ، فاشتقت منه الصفة المشبهة وهى الرَّكِىّ بمعنى الضعيف واسم التفضيل وهو أَرْكَى .

وإنى أرى فى هذا تكلُّفا ظاهرا ، وأوثر الاقتصار على أن الياء فى الرَكى مبدلة من كاف الرَّكيك ، وفى أَرْكَى مبدلة من كاف أَرَكّ لسبب لا نعرفه ، وأنّ الفعل رَكَّ هو فعلهما فيقال رَكَّ الشيء فهو رَكيك ورَكِىّ، وهذا الشيء أَرَكّ أو أَرْكَى من ذاك .

## رهم

فى اللسان : الرِّهْمَة بالكسر المطر الضعيف الدائم . . . وأَرْهَمَت السماء إرْهاما أمطرت ، وروضة مَرْهُومَة ولم يقولوا مُرْهَمَة . . . .
ونزلنا بِفُلانٍ فكنا فى أَرْهَم جانبيه أى أخصبهما .

ذُكر من هذه المادة المصدر والفعل المزيد بالهمزة . واسم المفعول من الثلاثى واسم التفضيل ، ويمكن أن نصوغ فعلا ثلاثيا له مادام قد سُمِع اسم المفعول واسم التفضيل والمصدر .

ولما كانت عين المصدر حرف حلق يحسن أن يكون من باب فتح هكذا : رَهَمَت السماء تَرْهَم رِهْمَة أنزلت المطر ضعيفا ، ورَهَمَت الأرض أخصبت ، ورَهَمَت السماء الأرضَ سقتها فالأرض مَرْهُومَة .

## سخم

في اللسان : السَّخَم مصدر السَّخِيمَة ، والسَّخِيمَة الحقد والضَّغينة . . . ورجل مُسَخَّم ذو سَخِيمة ، وقد سَخَّم بصدره ، والسُّخْمَة الغضب ، وقد تَسَخَّم عليه . . . ، والسُّخْمة السواد ، والأَسْخَم الأسود ، وقد سَخَّمْتُ بصدر فلان إذا أغضبته . . . والسُّخَام بالضم سواد القِدْر ، وقد سَخَّم وجهه أي سوَّده ، . . . ابن الأعرابي سَخَّمْت الماءَ وأوغرته إذا سَخَّنته .

ونرى أن هذه المادة تشتمل على أصلين : الأول السَّخَم وهو السواد ، وقد تكون الخاء فيها مبدلة من الحاء ، أو الحاء مبدلة من الخاء ، وهذا كثير ، وقد عدّ السيوطي من ذلك في المزهر جملة صالحة (انظر ص ٣١٧ و ٣١٨ ج ١) وتفرع من هذا الأصل على المجاز السَّخِيمَةُ بمعنى الحِقْد ، والسُّخْمَةُ بمعنى الغَضَب . الأصل الثاني وهو التسخيم بمعنى التسخين ، وظاهر جدا أن الميم فيه بدل من النون ، وهذا الإبدال كثير معهود . (انظر ص ٢٧٦ من الجزء الأول من المزهر) .

لهذا نرى أن نكمل المادة على الأصل الأول هكذا : سَخِم الشيءُ يَسْخَم سُخْمة وسَخَمًا سَوِد فهو أسخم وهي سخماء ، وسَخَّم وجهَه سَوَّده ومن المجاز سَخِم صدرُه حقد ، وسَخَّمَه دفعه إلى الحِقْد ، وسَخِم الرجلُ سُخْمَة غَضِب ، وسَخَّمْت بصدره أغضبته فتَسَخَّم .

أما على الأصل الثاني فنرى الاقتصار على المسموع وهو سَخَّمْت الماء لأن إبدال الميم من النون فيه ظاهر .

## صحم

جاء في كتب اللغة من هذه المادة الأَصْحَم والصُّحْمَة وهي سواد إلى الصُّفْرة ، وقيل هي لون من الغبرة إلى سواد قليل ، وجاء فيها الصَّحْماء ، واصْحَامَّ النبتُ اشتدت خضرته واصحامَّت الأرضُ تغيَّر نبتُها .

ونرى أن ما ذكر فى هذه المادة من المصدر والصفة المشبهة يهدينا إلى أنّ الفعل الثلاثى من باب فرح حتما ، وما ذكر فيها من الفعل المزيد لا يغنى عن المجرد . لأن الزيادة فيه لمعنى زائد وهو التدرّج ، والفعل المقترح هو : صَحِمَ الشىءُ يَصْحَم صُحْمَةً سَوِدَ إلى صُفْرَة ، أو اغبرّ إلى سواد .

سخد وصخد

فى اللسان فى مادة سخد : وأصبح فلان مُسَخَّدًا إذا أصبح وهو مُصْفَرٌّ مورّم ... ، والسُّخْدُ الرَّهَلُ والصُّفْرَةُ فى الوجه ، والصاد لغة على المضارعة ا ه .

ثم أعاد العبارة السابقة فى مادة صَخَد فاتحا سين السُّخْد قائلا إن الصاد فيه لغة، ومقتضى عبارة التاج ضمّها .

وجاء فى صفحة ٢٧٧ من المزهر ج ١ عن البطْليوسى : كل سين وقعت بعدها عين أو غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز قلبها صادا .

ونرى أن الأصل فى مادة سَخَد السُّخْد وهو الماء الأصفر الثَّخين يخرج مع الولد، وكل ما جاء فيها من المعانى يحوم حول هذا الأصل ، وأن الأصل فى مادة صَخَد الحرارة وقوة حر الشمس فهى متصلة بمادة صَهَد ، ولا بد أن يكون بين الخاء والهاء تبادل ، فالمادتان سَخَد وصَخَد مختلفتان فى الأصل ، والمعانى المتصلة بسَخَد تحتم أن تكون السين أصلا وأن الصاد مبدلة منها ، لذلك نرى أن نضع فعلا لهذه المادة ، وأن نقتصر على ما ورد من مادة صَخَد ،

ولما كان الفعل حلقىّ العين نرى أن يكون من باب فتح هكذا : سَخَد الرجل يَسْخَد سَخْدًا اسْتَرْخَى لحمه واصفرّ .

سدخ

فى اللسان : ضربه حتى انسدخ أى انبسط ، ونقل التاج عبارة اللسان ثم قال : وقد تقدم فى الجيم فراجعه ، وجاء فى التاج فى مادة

سـدج " وانْسَدَج مقلوب انْسَجَد وانْدَسَج إذا انكبّ على وجهه كحالة الساجد اهـ ".

ـ يرافق هذه الطائفة من الأفعال سَدَح ومعناه صَدَع . قال الأزهرى : ـح والسَّطح واحد أبدلت الطاء فيه دالا كما فى مَطّ ومَدّ وما أشبهه ، ومن ـى أن الانكباب على الأرض له ستة أفعال : هى سَجَد وسَدَج ودَسَج وسَطَح ح وسَدَخ .

ـ نرى أن ادّعاء صاحب التاج بأنّ انسدج مقلوب انسجد فيه نظر لأننا لم ـن كتب اللغة نصا يدل على صحة انسجد ، ونعرف أن المطاوعة لانفعل إنما طاوعة الفعل المتعدى ككسره فانكسر ، وليس سجد فعلا متعديا بحال . إذاً ج فعل قائم بنفسه لا اتصال له بسجد ، وهو مطاوع لفعل متعـدٍ هو ، ولا فرق فى الحقيقة بينه وبين اندسج لأن كليهما فعل قليل التصرف ، نستطيع أن نَعُدّ سَدَج أصلا ونصوغ منه فعلا من باب نصر هكذا : ـه على الأرض يَسْدُجه سَدْجا كَبَّه وطرَحه عليها ، ويكون اندسج إذاً مقلوب ـج ، أما سَدَح وسَدَخ فأصلهما سَطَح أبدلت الطاء فى الأولى دالا فصارت ، ثم أبدلت الحاء فى هذه خاء فصارت سدخ [1] ، ولما كانت تصرفات سَطَح أكثر وأوسع نرى أن يكون هو الأصل وأن يقتصر على المسموع من سَدَح وسَدَخ .

## سَطَل

فى اللسان : وقال بعضهم الطاسِل والساطِل من الغبار المرتفِـع ، ومن اسم الفاعل يستطاع الإتيان بالفعل من باب نصر: هكذا سطل الغبار يَسْطُل سُطُولا ارتفع .

(١) عدّ صاحب المخصص أمثلة كثيرة لهذا النوع من الإبدال ١٣ — ٢٧٦

## سطن

فى اللسان : الساطِن الخبيث ، وقد ظننت أن السين هنا مبدلة من الشين فرأيت فى اللسان الشاطِن الخبيث ، والشيطان فَيْعَالٌ من شَطَن إذا بَعُد فيمن جعل النون أصلا ، قال فى المصباح : وفى الشَّيْطان قولان : أحدهما أنه من شَطَنَ إذا بَعُدَ عن الحقّ أو عن رحمة الله فتكون النون أصلية ووزنه فَيْعَال ... والقول الثانى أن الياء أصلية والنون زائدة عكس الأول ، وهو من شاطَ يَشِيط إذا بَطَل أو احْتَرَق فوزنه فَعْلَان .

وأقول إن صوغ الشاطِن بمعنى الخبيث من شَطَن لا شاطَ ، ولما كانت كلمة الساطِن مبدلة من الشاطِن [1] وكانت مادة الشاطِن أعظم وأوسع وجب الاعتماد عليها .

## زبع

فى اللسان : الزَّبْع أصل بناء التَّزَبُّع ، والتَّزَبُّعُ سوء الخلق ، والمُتَزَبِّع الذى يُؤْذِى الناس ويُشارُّهم ، والتَّزَبُّع التَغَيُّظ كالتَزَعُّب ، وتَزَبَّع الرجل تَغَيَّرَ ، والزَّبِيع المُدَمْدِم فى غَضَب وهو المتزبِّع .

أقول ذكر فى هذه المادة مصدر الثلاثى وصفة منه على فَعِيل بمعنى فاعِل هى الزَّبِيع وأشار إلى قرب هذه المادة من زَعَب بقوله والتَّزَبُّع التَغَيُّظ كالتَزَعُّب وإن كنا نرى أنها مأخوذة من الزَّوْبَعة وهى الشيطان أو الريح المعروفة ، ويُستطاع أن يؤتى بالفعل المجرّد من هذه المادة من باب فتح لأنه حلقىّ اللام فيقال : زَبَع الرجل يَزْبَع زَبْعا اغتاظ أو ساء خلقه كتَزَبَّع .

---

(١) فى المخصص جملة كافية من هذا النوع من الإبدال ١٣ — ٢٧٨

## زَرز

فى التاج : الزَّرِيز كأمير الخفيف النَّظيف ، وقال أبو عمرو هو العاقل المُحْكَم الرأى ، ونصّ النوادر والشديد الرأى ، هكذا نقله الصاغانى وأهمله الجوهرى وصاحب اللسان .

أقول لم يذكر فى هذه المادة إلا الصفة المشبهة ، وقوله الزَّرِيز كأمير يدفعنا إلى الاستئناس بأن فعلها مثل فعل أمير ، وأمير يكون من باب فرِح ومن باب كرُم[1] ، ولكنا نقصره على الباب الثانى ونقترح أن يكون زَرُزَ يَزْرُز زَرَازَةً خَفَّتْ رُوحُه ونَظُفَ أو حَصُفَ رَأْيُه .

## صقح

فى اللسان : الصَّقْحَةُ الصَّلْعَة ، ورجل أَصْقَح أَصْلَع يمانية ، وفى القاموس وشرحه الصَّقَح محركة الصَّلَع ، والنعت أَصْقَح وهى صَقْحاء ، والاسم الصَّقَحة محركة ، والصُّقْحة بالضم لغة يمانية .

وإذا كان المصدر الصَّقَح والوصف منه على أفعل فعلاء تعين أن يكون الفعل من باب فرِح وكان الفعل حاصلا فى الكَتْف على حَدّ تعبير ابن جِنّى .

## سَغَى

أهمله صاحب اللسان : وفى التاج السَّاغِيَة أهمله الجوهرى ، وقال الصاغانى عن ابن الأعرابى هى الشربة اللذيذة ، وكأنه من سَغَى الشرابُ فى الحلق مقلوب ساغ إذا سَهُل ، ثم بُنِيَ منه الساغيَة وهى كعيشَةٍ راضِيَة فتأمل .

---

(١) فى المخصص : وقالوا أمَّر علينا كتبه مفتوحان والفتح أجود وأفصح . وهذا يجعله من باب نصر أيضا .

نقول إن القلب هنا واضح ، ولا نوافق صاحب التاج فى أن فى السَّاغِيَة مجازا عقليا استُعْمِل فيه اسم الفاعل مكان اسم المفعول لأن الفعل ساغ يكون لازما ومتعديا ، ولزومه أكثر وأشهر ، فالساغِيَة مقلوب السائِغَة من الفعل اللازم ومعناها العذبة اللذيذة السهلة فى الحلق . ولما كان القلب هنا ظاهرا وجب أن يقتصر على كلمة الساغِيَة من غير زيادة .

*
* *

ومما يَتَّصِل بهذا الموضوع ما عقد له صاحب المخصص بابا أسماه باب أسماء المصادر التى لا تشتق منها أفعال ( الصفحة ٢٢٢ من الجزء ١٤ ) وقد تناولنا هذا الباب ببحث فياض سننشره فى الجزء التالى من المجلة إن شاء الله تعالى. ولكنا نتعجل هنا نشر خلاصة هذا البحث . فنقول :

عد ابن سيده من هذه المصادر ستة وخمسين مصدرا ، نقل واحدا وأربعين منها عن أبى عبيد ، ولكن أبا عبيد نفسه ذكر أفعالا لخمسة مصادر منها ، وعقب ابن سيده على مصدرين ، فذكر لكليهما فعلا . وهدانا البحث إلى العثور على أفعالٍ لثمانية وعشرين منها . أما بقية المصادر التى جاءت فى هذا الباب ، فمنها ثمانية عن ابن دريد ، وأربعة عن ابن السكيت وثلاثة عن ثعلب ، وقد وجدنا لهذه كلها أفعالا ، وانتهى بنا البحث إلى أن الستة والخمسين مصدرا التى زعم أنه لا أفعال لها لم يصحّ منها إلا ستة مصادر .

# لهجات عربية شمالية قبل الإسلام

للأستاذ أنو ليتمان عضو المجمع

قال "الأستاذ المشهور ( أغناطيوس غويدى ) رحمه الله تعالى فى كتابه المسمى بالمختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة" ما يأتى :

اعلم أن معرفتنا للسان الذى كان أهل جزيرة العرب الجنوبية يتكلمون به قبل الإسلام إنما هى من النقوش ، وكان هذا اللسان يشمل لهجات شتى : أى المَعينيّة والسَّبَئيّة والقَتَبانيّة والأَوْسَانيَّة والحضْرَميَّة وغيرها ، ونحن نعرف أن تلك اللهجات قريبة من اللهجات الحبشية السامية ، ونعلم أيضا أن هناك فرقا بين العربية الجنوبية والعربية الشمالية ، أما الشمالية فأشهرها اللغة العربية الفصيحة ، التى هى لغة القرآن الشريف ، ولغة التأليف ، ونعلم غير ذلك أن للغة المتكلم بها بين الأمم العربية والمتعربة لهجات كثيرة ، فى عصورها القديمة والمتوسطة والحديثة ، كما حدثنا بذلك النحويون وعلماء اللغة ، فقد رووا لنا كلمات وصيغا مختلفة كانت مستعملة فى اللهجات القديمة .

وكما أن النصوص التى حفظت لنا اللهجات العربية الجنوبية هى النقوش ، كذلك الحال فى اللهجات العربية الشمالية ، التى نستطيع أن نميز بين أربعة أنواع منها ، وهى اللّحيانية والثمودية والصَّفَوية والنَّبَطية . وتمتاز اللهجات الثلاث الأولى بخطوطها المشتقة من الخط العربى الجنوبى ، بخلاف اللهجة الرابعة المنقوشة بخط آرامى ، كما تمتاز اللّحيانية والثمودية والصَّفَوية أيضا باشتمالها على كلمات وصيغ مخصوصة ، لا تختلف كثيرا عن اللغة العربية الفصحى ، على حين أن النَّبَطية هى لهجة آرامية اختلط بها صيغ وكلمات عربية ، لأن الناس الذين كتبوها كانوا من

العرب العاربة ، وأخذوا لغتهم المكتوبة ، وخطهم المكتوب من الآرام ، ولما كانت لهجتهم المتكلم بها هى أقرب اللهجات العربيـة إلى لغة الحجاز استطعنا أن نفهم بسهولة اشتقاق الخط العربى من الخط النبّطى .

وقد سمى العلماء تلك اللهجات العربيـة الشمالية القديمة بالأسماء المذكورة للأسباب الآتية .

سميت النقوش اللحيانيـة بهذا الاسم : لأنه ذكر فيها بنو لحيان ، والثمودية لشهرة بنى ثمود قبل الإسـلام فى نجد وشمال جزيرة العرب . أما الصَّفَوِيّة فاسمها مأخوذ من جبل الصفاة ، الموجود فى بادية الشام ، وقد ذكره جرير فى بيت أشار اليه المبرد فى كتاب الكامل ( ص ٤٦٨ من طبع الأستاذ رايت Wright ) وهو كما يأتى :

هَبَّتْ شَمالاً فذِكْرَى مَاذَكَرْتُكُمُ عندَ الصَّفَاةِ إلى شَرْقِىّ حَوْرَانَا

وهو جبل وعر ، ليس به دَيَّار ، ولا نافخ نار . وأنا لم أجد به نقشا واحدا صَفَوِيا ، وقد وجدت الآلاف منها بالحرة الواقعة بين حَوران وجبل الصفاة ، وقد اقترح مقترح أن تسمى بالنقوش الحرية ، ولكن كثرة الحرات فى الجزيرة العربية مما يجعل هذه التسمية موضعا للبس ، ولذلك اتفق العلماء على تسميتها بالنقوش الصفوية ، نسبة إلى جبل الصفاة ، الذى هو علم تلك الناحية .

أما الفرق الخاص الذى يفرق بين هـذه اللهجات فهو أداة التعريف ، التى هى فى الثمودية والصَّفَوِية ( الهاء )، وفى العربية النبطية ( الألف واللام )، فنستطيع أن نفرق إذا بين لهجات الهاء ولهجات الألف واللام ، مثال ذلك ( هـ م ل ك ) عند أهل ناحية الصفاة بمعنى الملك ، ولكن كان النبط يستعملون الألف واللام مع الكلمات والأسماء العربية المعرّفة .

والآن أذكر على سبيل المثال النقشين الصفويين الآتيين اللذين وجدتهما ونسختهما فى الحرّة :

لغسم بن شمت بن خلأل بن بنت وحلل هدر سنت قنس هملك أل عوذ وخرص أشىع هأسرت فه بعل سمن روح لذ غنظ .

وترجمته بالعربى الفصيح كما يأتى :

لغاسم بن شامت بن خلّيل (أى خليل الله) بن بانت وحل بالدار (أى المنزل) سنة قنس (أى قاصٍّ أو طلب دية) الملك آل عويذ ورصد الأشياع الأسيرة (أى الأصحاب الأسرى) فيا بعل السماء رواحا للذى غنظ .

## نقش آخر

لبدر بن أصلح بن أبجر وشتى هدر وذبح فهلت سلم .

وبالعربى الفصيح كما يأتى :

لبدر بن أصلح بن أبجر وشتا بالدار وذبح فيا اللات سلاما .

وقد اخترت هذين النقشين لاشتمالها على خصائص لغوية شتى ، منها ما يتعلق بأسماء الرجال ، وأسماء الآلهة ، والاسم الموصول ، وأداة التعريف ، وإضافة المنعوت إلى النعت ، ومعانى بعض الكلمات وصيغها ، وقد كتب بعض هذه الأعلام بحروف يونانية ، فى نقوش يونانية مثلا شامت Σαμεθος و بانت Βαναθος وأبجر Αβγαρος . وهذا الاسم الأخير مشهور جدا ، وكان اسم تسعة من ملوك (الرُّها) المدينة المعروفة بالجزيرة ، وقال ابن دريد فى كتاب الاشتقاق ( ص ٢٠٨ من طبع الأستاذ فيستنفلد Wuestenfeld ) : وبُجَيْر : تصغير أبجر ، فمن ولده حجّار

ابن أبجر بن بجير ، وكان شريفا أدرك الإسلام ، وأسلم على يد عمر رضى الله عنه ؛ واللات واردة فى سورة النجم ، وفى كتاب الأصنام لابن الكلبى . و ( بعلسمين ) اسم آرامى معناه رب السماء ، أخذه أهل ناحية الصَّفاة من أهل سورية ، وهو معروف أيضا عند النَّبط ، ولكن اسمه الأصلى ( بعلشمين ) بالشين لا بالسين ، وكتابته بالسين تدل على أن نصف هذه التسمية معرّب ، ويظهر من كلمة ( هملك ) الذى هو ملك الروم أى قيصر أن الهاء فى هذه اللهجة هى أداة التعريف ، كما هو الحال فى العبرية ، ونحن نعلم أيضا أن الحرف التالى للهاء كان مشددا عند العبرانيين وعند أهل اللهجة الصَّفَوية ، وذلك يتضح لنا من نقش يونانى ورد فيه اسم Αμμασιχος وهو بالصفوى ه م س ك ham-mâsik و بالعربى ( الماسك ) ولكن ورد بعض الأسماء فى نقوش يونانية أخرى هكذا Αλαβδος و Αλαυσος يعنى الأوس والعبد ، وهما معرّفتان بالألف واللام ، ثم إنه ورد روح ل ذ غ ن ظ ، أى : (رواحا للذى غنظ) ، ومن هنا نعلم أن الاسم الموصول كان ( ذ ) كما هو الحال عند عرب طىء فى قديم الزمان ، ولكنا لا نعلم صرف تلك الذال ولفظها أكان ذو ، أم ذى ؛ أم ذا ، وترجمت ( أ ش ى ع ه أ س ر ت ) بالأصحاب الأسرى ، معتبرا أن صيغة المنعوت مضافة الى النعت ، كما هو الحال فى العبرى المتأخر ، وكثيرا ما يحدث ذلك أيضا فى الحبشية ، وفى بعض اللهجات العربية ، فيقال مثلا جبل الأحمر ، عوضا عن الجبل الأحمر ، ونقرأ فى النقش الثانى كلمة ( ش ت ى ) بمعنى شتا ، و بيان ذلك أن الفعل الناقص له فى الصَّفَوية صيغة واحدة فقط ، وهى أن لامه دائما ياء ، وهذا التغيير نصادفه فى لهجات ولغات سامية كثيرة ، و يتضح لنا أيضا أن الفعل الناقص يصرف فى الصَّفَوية مثل الفعل السالم أى شَتَيَ أو شَتَيْ . لو كان لفظه شتا لكتب ( ش ت ) كما يكتب ( ع ل ) بمعنى على ، و (أل) بمعنى إلى ، وترجمت كلمة قنس بـ ( قاص ) وكلمة نحرص بـ ( رصد ) ، وذلك لأن قنس وردت بذلك المعنى أيضا فى العبرى المتأخر ، وقد اشتقت من لفظة يونانيـــة أصلها باللاتينية ، وأما نحرص فمعناها محزور

ونحن نعلم أن خرص بالعربية الفصحى معناها ظن الشئ وخرص العـدد حزره ، وقد ورد فى النقوش الصَّفوية (خ رص هـ ش ن أ وخ رص أ ب هـ وخ رص أ ش ى ع هـ) يعنى خرص الشانئ أى العدو ، وخرص أباه ، وخرص أصحابه . ويخيل إلى أنه من معنى خرص العدد : أى حزره ، اشتق معنى خرص البُعْد والمكان ، يعنى بُعد العدو ، أو مكان أبيه ، أى حزره راصدا ؛ فليجمل هنا شئ من نحو اللهجة الصَّفوية :

الحروف كلها كما هى فى العربى الشمالى عددا ، ولكن من المحتمل أن الضاد كانت تلفظ مثل لفظ الظـاء عند الأعراب ، وليس مثل لفظ التجويد ، وأن الظاء كانت تلفظ مثل الثاء المفخمة . والألف كانت تقلب واوا فى بعض الكلمات مثلا ( و ن س ) بمعنى أنس ، و (ودم) بمعنى أدم ، و ( م ورب ) بمعنى مؤارب ، كما يقال (واكل) بمعنى آكل فى اللهجات العربية الحاضرة . ولا يدغم الحرف الثانى مع الثالث فى الأسماء المشتقة من الفعل المضاعف ، خلافا لأكثر اللغات السامية ، مثلا ( ظ ن ن ) وهو اسم رجل مكتوب فى النقوش اليونانية هكذا Iανενος ، ومن هذا يستدل أن نطق هذا الاسم كان ظانن كما يقال فى اللهجات العربية ( مادد ، وضالل ) الخ . وكذلك نجد من بين الأسمـاء الواردة فى النقوش الصفـوية ( أ ب ل ل وأ ج م م ، وأ ر ت ت) . والأول منهـا ( أبلل ) معناه : الأبل ، والثـانى والثالث اسمان معروفان عند العرب : إذ ذكر المقريزى الأجم بن درماء فى ( البيان والإعراب عمـا بأرض مصر من الأعراب ص ٤٦ من طبع الأسـتاذ Wuestenfeld ) ونجد فى نقش يونانى Αγμαμος عند أهل حوران . وأرتت معناه الأرت ، وهـذا هو اسم ورد ذكره فى كتب مختلفة ، خصوصا فى كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٣٥ و ٢٢٧ من طبع Wuestenfeld )وكذلك وجدت ( أخفف ، وأشدد ) فى لهجات عربية ، عوضا عن أخفّ وأشدّ . أما الحركات فليس لهـا علامات ، لا للفتح ولا للكسر أو للضم أو للإشـباع أو لاتحاد الفتحة والواو واليـاء . مثال ذلك در أى دار ، وم ق م أى مقـيم ، ورم أى روم

، و ب ن أى بين ، و ك ن أى كون . ويوجد إله مشهور عند أهل تدمر وعنـد النبط يسمى شيع القوم ، قيل عنه إنه لا يشرب خمرا ، أى إنه لا يقرب له خمـر ، وإن عابديه لا يشربونها . وهو يكتب فى الصفوية هـكذا ش ع هـ ق م . ومن الواضح أن الاسم كان يلفظ shê hag-gôm . وفى لهجات عربية كثيرة يلفظ ê و ô عوضا عن ay و aw .

اسم الإشارة : كان ( ذ ) ، والمظنون أن لفظه كان ( ذا ) وكان يتبع المشار إليه ، لا يتقدمه نحو ( ج و ذ ) بمعنى هـذا الوادى ، كما يقال ( النهار دا ) عوضا عن هذا النهار ، وكما قيل فى العربية الجنوبية ( هجران ذان ) بمعنى هذه المدينة ، أما الاسم الموصول فكان أيضا ( ذ ) والمظنون أنه كان يلفظ ( ذ و ) موافقا ( ذ و ) الطائية المومأ إليها سابقا ، ومثالهـا بيت فى حماسة أبى تمـام ( ص ٢٩٢ من طبع فريتاغ Freytag ) وهو " وبئرى ذو حفرت وذو طويت " .

وقد تكلمنا عن الأفعال الناقصة ، وذكرنا ( ش ت ى ) بمعنى شـتا ، وفى النقوش الصفوية أيضـا ( ب ن ى ) أى بنى ، و ( أ ت ى ) أى أتى ، و ( ن ج ى ) أى نجا ، و ( ر ع ى ) أى رعى ، و ( د ع ى ) أى دعا ، بمعنى حفظ أو حمى . وبعض الجمل التى وردت فيها هذه الأفعال هى كما يأتى :

( ن ج ى م ن ر م ) : أى نجا من الروم . ( ن ج ى م ن هـ س ل ط ن ) : أى نجا من السلطان ( يعنى دولة الروم ) . ( ن ج ى م ن م ر ت هـ س ل ط ن ع ل أ ل ع و ذ ) : أى نجا من نمـارة السلطان على ( يعنى إلى ) آل عويذ . ( ر ع ى هـ ض أ ن ) . أى رعى الضأن . ( ر ع ى هـ أ ب ل ) : أى رعى الإبل ( ر ع ى هـ م ع ز ى ) : أى رعى المعـز . ( ر ع ى هـ ب ق ر ) : أى رعى البقر . وقيـل فى نقش من النقوش ( و ر ع ى هـ أ ب ل س ن ت م ر ق ن ب ط ج و ذ ) أى رعى

الإبل سنة مر النَّبَط بهذا الوادى . وكلمة مرق معناها : مر ، كما هى فى اللهجات العصرية . ونجد فعل ( د ث أ ) بمعنى : ارتبع مشتقا من دثأ ، وهو الربيع عند عرب الجنوب . ثم كلمة (ن خ ل) بمعنى واد ، كما هى فى العبرية والسريانيـة ، وكلمة (م د ب ر) بمعنى البادية ، كما هى أيضا فى العبرية والسريانية .

ونستنتج من كل ماذكر أن دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها تساعدنا كثيرا على درس أصل العربية وتاريخها .

أنو ليتمان

# بحوث وتحقيقات لغوية

## القسم الثالث

### ( مذ ) و ( منذ ) من الوجهتين اللفظية والمعنوية

لأحمد العوامرى بك ، عضو المجمع

طالما أنعمت النظر فى هاتين الكلمتين ، ورجعت إلى ما دوّنه فيهما النحاة واللغويون . فكنت أجد أحيانا عنتا ومشقة فى استخلاص حكم ، أو تلخيص خلاف، أو دفع إشكال . ذلك بأن هذه المادة مبعثرة فى الكتب قديمها وحديثها. فما فى هذا ليس فى ذاك ، مع كثرة الآراء واشتداد الخلاف ، وتباين التفسيرات والشروح .

فما زلت فى مراجعة وبحث ، حتى اجتمع لى من ذلك فصل صالح ، حاولت أن أذلل فيه ما استصعب ، وأن أشرح ما خفى ، بالموازنة والترجيح .

ولا أدعى أنى أحطت بالموضوع بجميعه . فهذا ما لاسبيل إليه فى وجيز كهذا . ولكننى أرجو أن أكون قد عَبَّدت الطريق ، ومهدت السبيل للباحثين والمستفيدين . فأقول :

( ا ) يقع مذ ومنذ [1] اسمين :

١ — إن كان ما بعدهما اسما مرفوعا، معرفة، أو نكرة معدودة لفظا أو معنى كما سيأتى .

---

(١) قال فى الهمع : وكسر ميمها لغة اه وفى الخضرى : والراجح ان أصل ( مذ ) ( منذ )، حذفت النون تخفيفا بدليل ضمها لملاقاة ساكن ، كَمُذُ اليوم . وإلا لكسرت على أصل التخلص . وبعضهم يضمها بلا ساكن أصلا اه .

٢ — أو كان ما بعدهما فعلا ماضيا [1]

٣ — أو كان ما بعدهما جملة اسمية .

فالحالة الأولى نحو : ما رأيته مذ أو منذ يومان ، أو عشرةُ أيام ، أو خمسة عشرَ يوما ، أو عشرون يوما ، أو مائةُ يوم ، أو ألفُ يوم ، أو ألفا يوم ، أو سنةٌ ، أو شهرٌ أو يومٌ [2] .

ومثال المعرفة : ما رأيته مذ أو منذ يومُ الجمعة . فمذ أو منذ اسم مبتدأ [3] . والخبر واجب التأخير معهما . وجوّز بعضهم أن يكونا خبرين لما بعدهما .

---

(١) فلا يجوز : مذ يقوم ، لأن عاملهما لا يكون إلا ماضيا ، فلا يجتمع مع المستقبل اه صبان .

(٢) على أن يكون اليوم الفلكيّ المقسم ساعات ، لا الوقت من طلوع الشمس إلى غروبها ، كما سنفصّله .

(٣) قال الخضرى عند قول ابن عقيل : ( فمذ اسم مبتدأ الخ ) ما يأتى : وسوّغه كونها معرفة فى المعنى . لأنها إن كان الزمان ماضيا ، كما فى المثال الاول ( وهو قول ابن عقيل : ما رأيته مذ يوم الجمعة ) ، فمعناه : أول مدة عدم الرؤية كذا . وإن كان حاضرا ، كما فى المثال الثانى ( وهو قول ابن عقيل : ما رأيته مذ شهرنا " وهو ما خالف فيه أكثر العرب ، كما سيرّ بك " ) ، أو معدودا كما رأيته مذ يومان ، فمعناه نفى المدة ، أى : مدة عدم الرؤية شهرنا ، أو يومان اه وفى تأويل خبر يتهما كلام كثير وتكلف لا يعنينا — وفى الصحاح : ويصلح أن يكونا اسمين ، فترفع ما بعدهما على التاريخ ، أو على التوقيت . فتقول فى التاريخ : ما رأيته مذ يومُ الجمعة . أى : أول انقطاع الرؤية يوم الجمعة . وتقول فى التوقيت : ما رأيته مذ سنةٌ " أى أمدُ ذلك سنة . ولا تقع هاهنا إلا نكرة . لأنك لا تقول : مذ سنةُ كذا اه .

وقوله : " ولا تقع ها هنا إلا نكرة " ، يريد بقوله : ( ها هنا ) حالةَ إرادة التوقيت ، لأنك لو قلت مثلا : مذ أو منذ سنةُ عشرين للهجرة فمعناه على ماقرر الجوهرى : أمدُ ذلك سنةُ عشرين للهجرة ، وهو لغو .

أقول : ولا أرى ما يمنع أن ندخل نحو هذا المثال فى باب ( التاريخ ) . فيكون معنى ( ماحصل كذا مذ أو منذ سنةُ عشرين للهجرة ، مثلا ) : أول انقطاع الحصول سنةُ عشرين للهجرة . =

والحالة الثانية نحو : ركب أخى مذ أو منذ حضرت السيارة . فمذ أو منذ اسم منصوب المحل على الظرفية . والعامل فيه ( ركب ) . وهو مضاف إلى الجملة بعده . هذا هو المشهور . وقيل : هما مبتدآن [١] .

والحالة الثالثة نحو :

فما زلت أبغى الخير مذ أنا يافع وليدا وكهلا حين شبتُ وأمردا

فمذ هنا ظرف لمضمون ما قبله ، ومضاف إلى الجملة بعده ، على المشهور .

(ب) وتقعان حرفين [٢] .

---

= ولم يفرق ( القاموس ) بين التاريخ والتوقيت ، فقال : أرّخ الكتاب ، وأرّخه ، وآرخه : وقته اه وفى شرحه للزبيدى : وقال الصولى : تاريخ كل شئ غايته ووقته الذى ينتهى إليه . ومنه قيل : فلان تاريخ قومه ، أى إليه ينتهى شرفهم ورياستهم اه .

وقال فى المصباح : الوقت مقدار من الزمان مفروض لأمر ما . وكل شئ قدرت له حينا فقد وقته توقيتا اه .

فعلى تعريف الصولى للتاريخ ، وتعريف المصباح للتوقيت يتضح المقام فى التفرقة بينهما .

(١) وكذا قيل فى الحالة الثالثة الآتية أيضا : قال الخضرى : والجملة بعدهما خبر ، بتقدير زمن مضاف إليها ( أى إلى الجملة ) . والتقدير فى : ( جئت مذ دعا ) وقت المجىء هو زمن دعائه . وفى البيت المار ، (فما زلت أبغى الخير الخ) : أول وقت طلبى الخير هو وقت كونى يافعا : فجملة مذ الخ مستأنفة كما مر اه .

(٢) قال فى الهمع ومذ ومنذ لا يجران إلا الظاهر من اسم الزمان أو المصدر . . . وأجاز المبرد أن يجرا مضمر الزمان ، نحو : يوم الخميس ما رأيته مُنْذُهُ ، أو مُذْهُ . وردّ بأن العرب لم تقله اه .

وكونهما حرفين فى هذه الأحوال الثلاثة هو مذهب الجمهور . وقيل : هما ظرفان فى موضع نصب بالفعل — قبلهما — وردّ هذا المذهب بما لا محل له هنا .

١ — بمعنى (من) الابتدائية ، إن كان المجرور ماضيا معرفة، نحو : ما قابلت صديق مذ أو منذ يومِ الأربعاء ، أى : من يوم الأربعاء [١] .

٢ — بمعنى فى ، إن كان المجرور حاضرا معرفة ، نحو ما قرأت مذ أو منذ اليومِ ، أو عامِنا ، أو شهرِنا ، أو أسبوعِنا — أو منذ هذا الأسبوعِ — أوالشهرِ، أو هذه السنة ، مثلا . ولا يجوز فى الحاضر بعدهما إلا الجر عند أكثر العرب .

٣ — بمعنى من وإلى معا ، فيدخلان على الزمان الذى وقع فيه ابتداء الفعل وانتهاؤه . ويشترط حينئذ :

(أولا) أن يكون الزمان نكرة ، معدودا لفظا كمذ يومين .

(ثانيا) أو أن يكون معدودا معنى ، كمُذْ شَهْر .

لأنهما لا يجران المبهم . أى : ما عملتُ كذا من ابتداء هذه المدة إلى انتهائها، وما عملت كذا من ابتداء شهر إلى انتهائه .

والمراد بالمبهم هنا الوقت النكرة غير المعدود لفظا أو معنى ، نحو : (بُرْهَة) . ولا ينافيه قول زهير بن أبى سلمى :

لمن الديار بقُنَّة الحِجْرْ ‏ ‏ ‏ أقوين مذ حِجج ومذ دهرِ [٢]

لأن الدهر متعدد فى المعنى [٣] .

ويأتون بهذا البيت أيضا شاهدا على قلة الجر بعد (مذ) فى الماضى . أما (منذ) فما بعده يترجح جره فى الماضى .

---

(١) قال فى الهمع : ويجوز وقوع المصدر بعدهما ، نحو : ما رأيته مذ قدوم زيد ، بالرفع والجر وهو على حذف زمان ، أى : مذ زمن قدوم زيد . ويجوز وقوع (أنّ) وصلتها بعدهما ، نحو : ما رأيته مذ أن الله خلقنى . فيحكم على موضعها بما حكم به للفظ المصدر ، من رفع أو جر . وهو على تقدير زمان أيضا اه . قال الشاطبي : أما إن كسرت (أى إنّ) فالاسمية متعينة اه .

(٢) المراد الحِجر حِجر ثمود . وقوله : أقوين ، أى خَلَوْنَ .

(٣) نقلنا هذا التعليل عن الصبان ، وهو أيضا فى غيره من كتب المتقدمين .

## تنبيهات وإيضاحات

(أ) قد رأيت فى الأحوال الثلاث التى يقع فيها مذ ومنذ حرفين :

١ — أن المجرور وقت (١) .

٢ — وأن هذا الوقت متصرف (٢) .

---

(١) ما يسأل به عن الوقت كالوقت ، بشرط أن يكون مما يستعمل ظرفا . فتقول : منذ ومنذ متى ؟ ومنذ أىّ وقت ؟ ولا تقول : منذ ما ، لأن ( ما ) لا تكون ظرفا اهـ صبان — فتقول مثلا : ( ١ ) منذ كم يوم ركبت البحر ؟ كما يجوز أن تقول : منذ كم ركبت البحر ، ب التمييز للعلم به . وفى حالة ذكر التمييز هنا يجوز نصبه وجره بمن مضمرة — وقال فى الهمع عند ال على وقوع الاسم مجرورا بعدهما ما يلى : والجمهور على أنهما حينئذ حرفا جر ، لإيصالهما الفعل إلى ( كما يوصل حرف الجر . تقول : منذ كم سرت ، كما تقول : بكم اشتريت اهـ .

وتقول : ( ٢ ) منذ متى نمتَ ؟ — وتقول : ( ٣ ) منذ أىّ وقت طار أخوك ؟

وتقول فى الإجابة عن ( ١ ) : ركبت منذ أو مذ ليلتين — وعن (٢) : نمت منذ أو مذ مساء الماضى — وعن ( ٣ ) : طار أخى منذ أو مذ طلوع الفجر ، مثلا .

ومعنى الإجابة الأولى : ركبت من ابتداء الليلتين إلى انتهائهما — ومعنى الإجابة الثانية : من مساء اليوم الماضى ، بوضع ( من ) الابتدائية فى مكان مذ أو منذ — ومعنى الإجابة الثالثة : أخى منذ زمن طلوع الفجر ، على تقدير ( زمن ) مضاف إلى المصدر . فمنذ أو مذ ، بمعنى ( من ) الابتد هنا أيضا — ويجوز فى هذا المثال رفع ( طلوع ) ، ويكون المعنى حينئذ : أول طيرانه وقت الفجر .

وقد جازت هذه الإجابات الثلاث فى الإثبات ، لأن العامل متطاول فيها جميعا . وسيمر بك ( التطاول ) والتمثيل له .

(٢) فلا تقول : ما رأيته منذ سَحَرَ ، تريد سحر يوم بعينه . وقال ابن عقيل : ... نحو سَحَرَ ، أردته من يوم بعينه . فإن لم ترده من يوم بعينه فهو متصرف ، كقوله تعالى : إلا آل لوط نجي بسحر اهـ فقال الخضرى : " قوله نحو سحر " ، مثال لما لزم الظرفية فقط فلا يخرج عنها أصلا ، كان معينا . واعتراضه ( يقصد العلامة الصبان ) بأنه متصرف ، بدليل : " نجيناهم بسحر " ف نظر ظاهر ؛ لأن هذا غير معين ، كما هو صريح الشرح ، والكلام فى المعين اهـ .

٣ — وأنه معين لا مُبْهم . وقد فسرنا معنى الإبهام آنفا .

٤ — وأنه ماض أو حاضر ، لا مستقبل ، لما تقدم .

(ب) وقد رأيت فى عاملهما فى هذه الأحوال الثلاث :

١ — أنه فعل ماض ،

٢ — وأنه منفى يصح تكرره .

وقد يأتى مثبتا ، بشرط أن يكون متطاولا ، نحو : سرت منذ يوم الخميس . والمراد بالتطاول أن يكون فى طبيعة الحدث معنى الاستمرار كالسير ، فإن من شأنه التطاول . وكالنوم والمشى والكلام ؛ وهكذا .

وتوفية للمقام ، نذكر عبارة الخضرى فى هذا الموضوع ، قال :

" وشرط عاملهما كونه ماضيا ، إما منفيا يصح تكرره ، كما رأيته منذ يوم الجمعة ، أو مثبتا متطاولا ، كسرت منذ يوم الخميس . بخلاف :

---

= وفى اللسان : ... ولقيته سحرا ، وسحر بلا تنوين . ولقيته بالسحر الأعلى ( أى فى أعلى السحرين وهما سحرٌ مع الصبح وسحر قبله اهـ من الأساس ) ... ولقيته سَحَرَ ياهذا ، إذا أردت به سحر ليلتك لم تصرفه ، لأنه معدول عن الألف واللام ، وهو معرفة وقد غلب عليه التعريف بغير إضافة ولا ألف ولام ... وإذا نكرت سَحَر صرفته كما قال تعالى : "إلا آل لوط نجيناهم بسَحَر" . أجراه ، (أى صرفه) لأنه نكرة ، كقولك : نجيناهم بليل . قال : فإذا ألقت العرب منه الباء لم يجروه ، فقالوا : فعلت هذا سَحَرَ يافتى ... وقال الزجاج ، وهو قول سيبويه : سحر إذا كان نكرة يراد سَحَرٌ من الأسحار انصرف . تقول : أتيت زيدا سَحَرا من الأسحار . فإذا أردت سَحَر يومك قلت أتيته سَحَرَ يا هـذا ... وتقول : سر على فرسك سَحَرَ يا فتى اهـ .

بقى (سَحَر) المنصرف . فهل يجوز أن تقول : ما رأيته مذ أو منذ سحرٍ ؟ والجواب لا . لأنهما لا يجران المبهم ، كما مر بك .

قتلته ، أو ما قتلته منذ كذا . فإن قلت : ما قتلت منذ كذا ، بلا هاء ، صح . لأن القتل المتعلق بمعين لا يكرر ، بخلاف غيره . مالم يُتجوز بالقتل عن الضرب . فتدبر ا هـ" .

فقوله : ( بخلاف : قتلته...الخ ) ، كأن تقول مثلا : قتلته ، أو ما قتلته مذ أو منذ يومِ الجمعة ، مما تكون فيه مذ أو منذ بمعنى ( من ) الابتدائية — وكأن تقول مثلا : قتلته ، أو ما قتلته مذ أو منذ سنتين ، مثلا . مما تكون فيه مذ أو منذ بمعنى من و إلى معا . فكل هذا غير جائز .

أقول : فهبنا قلنا مثلا : قتلته مذ أو منذ يومنا ، مما تكون فيه مذ أو منذ بمعنى ( فى ) — فعلى مقتضى إطلاق كلامهم لا يجوز مثل هذا ، لبقاء السبب ، وهو : عدم تطاول العامل فى حال الإثبات . ولكنى أرى أنه سائغ . إذ ما الذى يمنعنا أن نقول مثلا : قتلته اليوم ، أو فى هذا اليوم الحاضر ؟

وواضح أنه يجوز لك أن تقول أيضا : ما قتلت مذ أو منذ يومنا ، وما قتلته مذ أو منذ يومنا — فكلامهم فى ( التطاول ) و ( صحة التكرر ) مجمل يفتقر إلى تفصيل وتوضيح .

هذا ، ولم أجد فيما لدىّ من المراجع مثالا لحدث غير المتطاول إلا ( القتل ) .

و إنى مورد أمثلة له فيما يلى للإيضاح ، لا للحصر فأقول :

أولا — أومض ، أو — وَمَضَ — وفسر الزمخشرى الإيماض بأنه لمع خفى . قال : وشِمتُ وَمْضَةَ برق كنَبْضَةِ عِرْق ا هـ

فالإيماض غير متطاول كالقتل، لأنه عبارة عن لمع خاطف كرجع البصر، أو نبضة العرق — فلا يصح أن تقول مثلا : ومض البرق مذ أو منذ يوم الخميس ، أى من يوم الخميس. كما لا يجوز أن تقول مثلا : أو مض البرق مذ أو منذ ليلتين، أى من ابتدائهما إلى انتهائهما[1].

ولكن يصح أن تقول مثلا : أو مض البرق مذ أو منذ ليلتنا ، أى فى ليلتنا — كما صح أن تقول مثلا : قتلته مذ أو منذ يومنا ، كما قررته آنفا — كما يصح أن تقول مثلا : ما أو مض البرق مذ أو منذ يومِ الجمعة ، أى : من يوم الجمعة ، وما أو مض البرق مذ أو منذ ليلتِنا أى : فى ليلتنا ، وما أو مض البرق مذ أو منذ ليلتين ، لأن الحدث هنا يصح تكرره .

(ثانيا) شَرَقَ ، أى بدا وظهر . يقال : شرقت الشمس ، إذا بدت من المشرق . وكذا القمر ، أو النجم . فالشروق غير متطاول ، لأنه مجرد الظهور ، وهو ملامسة الأفق . وهو لايستغرق من الوقت إلا ما لا يكاد يذكر .

فلا يقال مثلا فى الإثبات : شرقت الشمس مذ أو منذ ساعتين ، أى : من ابتدائهما إلى انتهائهما . كما أوضحنا مثل هـذا من قبل . كما لا يصح أن يقال فى النفى مثلا : ما شرقت الشمس مذ أو منذ دقيقتين ، لأن شروق الشمس لا يمكن تكرره فى أثناء دقيقتين بالنسبة لأفق واحد . وكذا يقال فى سائر الكواكب ، لأنها كلها بحسبان . فهب نجما بعينه يُتم دورته فى ثلاث سنين مثلا ، فإنه لايجوز

(١) قد فسر ابن الأعرابى الوميض بأن يومض إيماضة ضعيفة ثم يختفى ثم يومض . فهـذا التكرر المتعاقب قد ينزل منزلة الفعل المتطاول فيما يظهر لى . فيصح أن تقول مثلا : أو مض البرق مذ أو منذ يوم الخميس ، أى استمر هذا منه ، على هذا التفسير .

أن يقال : ما شرق هذا النجم مذ أو منذ ثلاث سنين . لأنه لايمكن أن يتكرر شروقه فى هذه المدة — ويجوز أن يقال : ما شرق نجم مذ أو منذ ساعتنا . وذلك لأنه شروق متعلق بغير معين ، فيجوز تكرره .

ولا تقول: شرق هذا النجم ، أو نجم مذ أو منذ السبت — ولكنك تقول فى الإثبات ، على ما استظهرت آنفا : شرق هذا النجم، أو نجم مذ أو منذ ساعتنا ، أو ليلتنا ، مثلا .

(ثالثا) سَنَحَ — قال فى الأساس : ومن المجاز : سنح له رأى ، أى عرض له ا هـ وفى المصباح : وسنح لى رأى فى كذا : ظهر . وسنح الخاطر به : جاد ا هـ .

فأنت ترى أن عُروض الرأى حَدَثٌ غير متطاول، لأنه طروء فاجئ . فإذا حصلت الفكرة فقد انقطع السُّنوح . وذلك لا يستغرق إلا وقتا يسيرا ، لا يمكن أن يوصف بالتطاول .

فلا تقول مثلا : سنحت لى فكرة كذا مذ أو منذ يوم الخميس ، أى : من يوم الخميس ، ولا : سنحت لى فكرة كذا منذ ساعتين . ولكنك تقول ، على ما استظهرت آنفا : سنحت لى فكرة كذا منذ يومنا ، أو مذ هذه الساعة ، أو الدقيقة ، مثلا .

وتقول أيضا، مثلا : ما سنحت لى هذه الفكرة مذ أو منذ ساعتين لأن سنوح فكرة بعينها يمكن تكرره فى أثناء ساعتين — ولكن لا يمكن أن تقول : ما سنحت لى فكرة مذ أو منذ ساعتين ، مثلا ، أو مذ أو منذ يومنا . لاستحالة مثل هذا عادة ، فى حال الإنسان الطبيعية .

فقد رأيت فى الأفعال الثلاثة المتقدمة ، وما فرّعنا عليها من الأمثلة أنها ليست كلها سواء . فقد يجوز فى استعمال أحدها مع مذ أو منذ

ما لا يجوز فى الآخر. فالمسألة إذا راجعة لمعنى الفعل الخاص عند استعماله مع مذ أو منذ ، فى الإثبات أو النفى ، وما قد يلابسه من تطاول أو تكرر أو عدمهما .

(ج) ما اشترط فى مجرور مذ ومنذ وفى عاملهما ، يشترط فى حالة رفع ما بعدهما .

(د) لا تدخل ( مِن ) على مذ أو منذ . ولا يصح العكس أيضا .

وقد وقعت (إلى) بعدهما ، حيث لا مانع من وقوعها[1].

فقد جاء فى اللسان : قال سيبويه : أما ( مذ ) فيكون ابتداء غاية الأيام والأحيان . كما كانت (مِنْ) فيما ذكرت لك . ولا تدخل واحدة منها على صاحبتها .

وذلك قولك : مالقيته مذ يوم الجمعة إلى اليوم ، ومذ غُدْوَةَ إلى الساعة . وما لقيته مذ اليوم إلى ساعتك هذه . فجعلت اليوم أول غايتك ، وأجريت فى بابها كما جرت ( من ) حيث قلت : من مكان كذا إلى مكان كذا — وتقول : ما رأيته مذ يومين ، فجعلته غاية ، كما قلت : أخذته من ذلك المكان ، فجعلته غاية : ولم ترد منتهى . هذا كله كلام سيبويه . اه عبارة اللسان .

فقد وضع سيبويه ( إلى ) بعد ( مذ ) . ولم أر ذلك فى أمثلة غيره من النحويين فيما بين يدى من المراجع . أما فى كلام البلغاء فكثير . ففى كتاب "الأوراق" للصولى ، فى أخبار الراضى بالله : وكان ( الراضى ) يقول : أنا مذ حبسنى القاهر عليل إلى وقتى هذا اه وفى البخلاء للجاحظ : اعلم أنى منذ يوم ولدتها إلى أن زوجتها ... اه إلى غير ذلك .

(١) احترازا من نحو: ما عملت كذا مذ أو منذ لحظتنا ، فإنه لا يجوز أن تقع (الى) هنا بعدها ، كما هو ظاهر .

وقول سيبويه : ( ما رأيته مذ يوم الجمعة إلى اليوم ) مذ فيه بمعنى ( من ) . وقوله : ( ما لقيته مذ اليوم إلى ساعتك هذه ) ، مذ فيه بمعنى ( من ) الابتدائية أيضا . لأن عدم اللقاء وقع فى الماضى واتصل بالحال . كما يجوز أن تقول ، فيما أرى : ما حدث كذا من اليوم إلى هذه الساعة [1] .

وقوله : ( وتقول : ما رأيته مذ يومين ... الخ ) ، يريد من قوله : ( فجعلته غاية ) ، أى جعلت معنى : ( مذ يومين ) ابتداء الغاية لانقطاع الرؤية . وقوله : ( ولم ترد منتهى ) ، يريد أنك أردت ابتداء الغاية وحدها ، ولم تتعرض للمنتهى — ولكنا رأينا فيما سقناه آنفا لمعنى هذا المثال أنه يتضمن ابتداء الغاية ومنتهاها .

وقوله : ( ومذ غدوةَ إلى الساعة ) ، مذ فيه بمعنى ( من ) ، فوجب أن يكون ما بعدها معرفة . فيتعين أن تكون ( غدوةَ ) هنا من يوم بعينه . ولإيضاح المقام نورد ما جاء فى اللسان قال :

الغُدوة بالضم البُكْرة ، ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس . وغُدْوَةُ من يوم بعينه غير مُجراة [2] ، علم للوقت ... التهذيب : وغُدْوَةَ معرفة لا تصرف . قال الأزهرى : هكذا يقول . قال النحويون : إنها

(١) سبق أن ( مذ ومنذ ) يقعان حرفين بمعنى ( فى ) إن كان المجرور حاضرا . وقد مثل النحاة بنحو : ما رأيته مذ أو منذ يومنا ، أو اليوم . فقد يتوهم من مثال سيبويه هذا أن ( مذ ) فيه بمعنى ( فى ) لأن ( ال ) فيه تفيد الحضور . ولكن سيبويه لما أتى ( بإلى ) بعد ( مذ ) صار المعنى عليه : انقطع لقائى له من ابتداء هذا اليوم ، واستمر هذا الانقطاع إلى وقت التكلم . فالمضى فى المثال واقع — أما إذا قلت : ما لقيته مذ اليوم ، أو يومنا ، أو هذا اليوم ، مثلا ، ولم تزد ، فقد اعتبرت اليوم بأجمعه وقتا حاضرا . فتكون ( مذ ) بمعنى ( فى ) . هذا ما ظهر لى .

(٢) يعنى أنها ممنوعة من الصرف . وهو تعبير قديم للنحويين .

لا تنون ، ولا يدخل فيها الألف واللام ... ويقال : أتيته غُدْوَةَ ، غير مصروفة ، لأنهـا معرفة مثل سَحَر . إلا أنها من الظروف المتمكنة . تقول : سِير على فرسك غُدْوةَ وغُدْوةً وغدوةُ وغدوةٌ ، فما نُوِّن من هذه فهو نكرة . وما لم يُنوَّن فهو معرفة . والجمع غُدًا [1] اهـ ونحـوه فى الصحاح .

وإذا رجعنا إلى عبارة اللسان هذه نجده يقول : ( ... لأنها (غدوة) معرفة مثل سحر ، إلا أنها من الظروف المتمكنة ) .

فيلخص مما مر من الكلام على غُدْوة وسحر أنهما يجتمعان فى الامتناع من الصرف ، إذا أريدا من يوم بعينه . فأما ( سحر ) فلأنه معـدول عن الألف واللام . وأما غُدْوة فللعلمية والتأنيث . كما يجتمعان فى أنهما كليهما من الظروف المتصرفة ، إذا لم يرادا من يوم بعينه .

ويفترقان فى أن ( سحر ) غير متصرف إذا أريد من يوم بعينه . فلا يرفع على الابتداء أو الخبر مثلا ، كأن تقول : سَحَرٌ جميلٌ ، أو هـذا سَحَرٌ — ولكنك تقول مثلا : بين أسحار الأسبوع الماضى سحرٌ جميلٌ . بخلاف غُدْوة ، فإنها متصرفة ، ولو أريدت من يوم بعينه . فتقول مثلا : غُدْوةُ جميلةٌ . كما تقول : كان بين غُدًا هـذا الأسبوع غُدْوةٌ جميلةٌ .

وقال الأشمونى : ثم الظرف المتصرف منه منصرف نحو ... ومنه غير منصرف ، وهو غدوةُ وبُكْرَة ، عَلَمين لهـذين الوقتين اهـ . فقال الصبان : " قوله علمين لهذين الوقتين " ، أى علمين جنسيين ، بمعنى أن الواضع وضعهما علمين جنسيين لهذين الوقتين ، أعم من أن يكونا من يوم بعينه أولا اهـ .

(١) قال فى اللسان : والغَدَاة كالغُدْوَة ، وجمعها غَدَوَات ... ويقال : آتيك غَدَاةَ غَدٍ ، والجمع الغَدَوَات ، مثل قَطاة وقَطَوَات اهـ .

وإنما أطلنا القول فى ( غُدْوة ) و ( سَحَر ) ، وأكثرنا من الأمثلة فيهما ، لما يغشاهما من الإجمال والإبهام فى كلام اللغويين والنحويين ، حتى إن العلامة الصبان على جلال قدره أشكل عليه الأمر فى ( سحر ). وإليك البيان :

فقد قال الأشمونى : والظرف غير المتصرف ، منه منصرف وغير منصرف. فالمنصرف نحو سحر وليل و ... غير مقصود بها كلها التعيين اهـ .

فقال الصبان : فيه أن سحرا ... متصرفة . ومن خروج سحر عن الظرفية وشبهها قوله تعالى : ( نَجَّيناهم بسَحَر ) . فكيف جعلها من غير المتصرف اهـ .

وقد مر بك ردّ العلامه الخضرى عليه ، فراجعه فى هامش ص ٢٥٢

( هـ ) قد تقدم أنهم جوزوا أن يقال مثلا : ما قابلته مذ أو منذ دهر ، أو شهر ، على أن يكون مذ أو منذ بمعنى من وإلى معا . لأن الدهر والشهر فى حكم المعدود .

فيظهر على هذا أنه يجوز أن يقال أيضا : ماقابلته مذ أو منذ زمن ، لأن الدهر من معانيه الزمن . فقد جاء فى المصباح : الدهر يطلق على الأبد . وقيل : هو الزمان قل أو كثر . وقال الأزهرى : والدهر عند العرب يطلق على الزمان ، وعلى الفصل من فصول السنة ، وأقل من ذلك اهـ .

ولكن بعض العلماء يعدون ( الزمن ) أو ( الزمان ) من المبهم . فقد جاء فى حاشية العلامة الخضرى على ابن عقيل ما يأتى : وشرط الزمان

المجرور بهما كونه متعينا لا مبهما، كمذ زمن اهـ ولكن جاء فى الأشمونى أن ( بعضهم يقول : مُذُ زمن طويلٍ ، فيضم مع عدم الساكن ) . فلعله يعتبر الوصف نوعا من التعيين .

وكما يقال : مذ أو منذ دهر ، يقال أيضا : مذ أو منذ أدهر ، أو دهور (١) ، ومذ أو منذ أَزْمُن ، أو أزمان ، أو أزمنة — قال : ( وربع عفت آياته منذ أزمان ) (٢) .

وكذا تقول : مذ أو منذ حِقَب ، أو حُقوب ، أو حُقْب ، أو حُقُب (٣) ، أو حِقَاب ، أو أَحْقاب — إلى غير ذلك من كل متعدّد لفظا ، أو ما هو فى حكم المتعدد .

وليت شعرى هل قال العرب مثلا : مذ أو منذ دهرين ، أو زمنين ، أو حقبين ، كما جمعوا ، فقالوا : أحقاب وأزمان ، مثلا ؟ الظاهر أنهم لم يقولوا ذلك ، اكتفاء بالجمع عند المبالغة . على أن تثنيته لا مانع منها صناعة .

( و ) يظهر أن ابن هشام لا يشترط التعريف فى مجرور ( مذ ) و ( منذ ) ، إذا كانا بمعنى ( من ) . فيقول فى التوضيح : ( ومعنى مذ و منذ ابتداء الغاية ، إن كان الزمان ماضيا ، كقوله : " أقوينَ مذ حجج و مذ دهر " ، وقوله : " وربع عفت آياته منذ أزمان " . فأقره شارحه الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى . فقال بعد : ( أقوين الخ ) : أى : من حجج . وقال بعد : ( وربع الخ ) : أى : من أزمان .

(١) قال فى اللسان : وجمع الدهر أدهر ودُهور . وكذا جمع الدَّهَر . لأنا لم نسمع أدهارا اهـ .

(٢) قال الصبان : وقوله : ( منذ أزمان ) . قال قاسم : لعل هذا من العدد فيكون بمعنى (من) و ( إلى ) معا اهـ .

(٣) قال فى اللسان : والحُقْب الدهر . والأحقاب الدهور ... وقوله تعالى : ( أو أمضى حُقُبا ) : معناه سنة . وقيل : معناه سنين اهـ .

وقد رأيت فيما ذكرناه آنفا أن مذ ومنذ ، إذا كانا بمعنى (من) ، كان مجرورهما معرفة . فقد قال ابن عقيل : (وإن وقع ما بعدهما مجرورا فهما حرفا جر بمعنى (من) ، إن كان المجرور ماضيا) فقال العلامة الخضرى : "قوله بمعنى من" ، أى البيانية[1] هذا اذا كان المجرور معرفة كمثاله ، فإن كان نكرة فهما بمعنى (من) و(إلى) معا . ولا تكون النكرة إلا معدودة لفظا ، كمذ يومين ، أو معنى ، كمذ شهر. لما مر من أنهما لا يجران المبهم اهـ — ونحو ذلك فى الأشمونى ، قال : . . . ثم إن كان ذلك (فى مُضِىٍّ فكمن هما) فى المعنى . نحو : ما رأيته مذ يوم الجمعة اهـ .

ويتضح من ذلك أن فى الموضوع مذهبين : أحدهما يشترط تعريف مجرور مذ ومنذ إذا كانا بمعنى (من)، مع مضىّ الزمن . والثانى لايشترط غير مضى الزمن [2] .

(ز) قال العلامة الشيخ يس بن زين الدين العليمى الحمصى فى حاشيته على شرح التوضيح ، عند قول المتن : (أحدهما أن يدخلا على اسم مرفوع ، نحو : ما رأيته مذيومان) ، ما يأتى : "قوله مذيومان" ، قال الزرقانى : قال الرضى : قال الأخفش : لا تقول : ما رأيته مذيومان وقد رأيته أمس — ويجوز أن يقال : ما رأيته مذيومان ، وقد رأيته أوّل من أمس — أما إذا كان وقت التكلم آخر اليوم فلا شك فيه ، لأنه يكون قد تَكَمَّل لانتفاء الرؤية يومان . . . قال : ويجوز أن يقال فى يوم الاثنين مثلا : مارأيته منذ يومان ، وقد رأيته يوم الجمعة .

(١) قال العلامة الصبان عند قول ابن مالك : (وإن يجرا فى مضى فكمن) ما يأتى : "قوله فكمن" ، أى الابتدائية اهـ وهو أولى وأظهر من تسمية الخضرى إياها بالبيانية .

(٢) اللهم إلا إذا كان ابن هشام يريد النص على ابتداء الغاية عند مضى الزمن ، فسكت عن (إلى) فلا منافاة على هذا بين قوله هذا وقول سائر النحاة .

ولا تَعْتَدّ بيوم الإخبار ولا يوم الانقطاع . قال : ويجوز أن تقول : ما رأيته منذ يومان ، وأنت لم تره منذ عشرة أيام . قال : لأنك تكون قد أخبرت عن بعض ما مضى — أقول : وعلى ما بينا ، وهو أن منذ لا بد فيه من معنى الابتداء فى جميع مواقعه ، لا يجوز ذلك[1] .

وقال : إنهم يقولون : منذ اليوم . ولا يقولون : منذ الشهر ، ولا : منذ السنة . ويقولون : منذ العام . قال : وهو على غير القياس — قال : ولا يقال : منذ يوم ، استغناء بقولهم : منذ أمس — ولا يقولون : منذ الساعة ، لقصرها — فإن كان جميع ما قاله مستندا إلى السماع فبها ونعمت . وإلا فالقياس جواز الجميع . والقصر ليس بمانع . لأنه جوز : (منذ أقل من ساعة) ا ه المراد من كلام الشيخ يس .

أقول : قد أسلفنا القول فى امتناع أن يقال مثلا : ما رأيته مذ أو منذ يوم ، لا لتلك العلة التى نقلها يس عن الأخفش ، بل لأن منذ ومذ لا يجران إلا النكرة المعدودة ، أو التى فى حكم المعدود ، إذا كانا بمعنى من وإلى معا .

وقوله : (ولا يقولون : منذ الساعة ، لقصرها) ، هذا هو أحد معانيها ، وهو الوقت القليل . فقد جاء فى اللسان : والساعة الوقت الحاضر . . . والساعة فى الأصل تطلق بمعنيين : أحدهما أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءا ، هى مجموع اليوم والليلة . والثانى أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل . يقال : جلست عندك ساعة من النهار ، أى وقتا قليلا منه ا ه .

(١) يظهر أن اسم الإشارة راجع إلى ما مثل به ، ابتداء من قوله : (ويجوز أن تقول فى يوم الاثنين مثلا ...) إلى قوله : (ما مضى) . وذلك لأن عدم الاعتداد بيوم الانقطاع ، ينافى معنى الابتداء الذى يفيده مذ ومنذ . وكذا يقال فى المثال الثانى .

فإذا قلت مثلا ، على القول بالجواز : طار العصفور مذ أو منذ الساعة ، فمعنى مذ أو منذ هنا (فى) ، أى : طار فى هذا الوقت الحاضر . وهذا واضح ، كما قال يس . والقصر ليس بمانع .

وأما ما قاله يس من أنه جوز أن يقال : منذ أقل من ساعة ، فمعناه : منذ وقت أقل من ساعة . فمنذ فيه بمعنى (من) (على رأى ابن هشام ومن تابعه ، كما قررنا فى "و") . فتقول مثلا : حضر فلان مذ أو منذ أقل من ساعة ، أى من زمن وجيز .

بقى المعنى الثانى للساعة ، وهى أنها جزء من أربعة وعشرين جزءا هى مجموع اليوم والليلة . فهذه الساعة محدودة ، لأنها مقسومة أيضا أقساما متساوية هى الدقائق الفلكية . والقصر الذى هو علة المنع فيما قال الأخفش ، منتف فيها . فتقول مثلا : ما كتبت مذ أو منذ الساعة ، أى فى هذا الوقت المقدر بستين دقيقة . كما تقول مثلا : كتبت مذ أو منذ الساعة ، فى الإثبات . لأن الفعل متطاول — هذا ما نستظهره .

(ح) وهناك موضوع له شبه واتصال بما قررنا فى الفقرة السابقة . ذلك أنا قلنا آنفا : إن (يوما) من المبهم . فلا يجوز : مذ أو منذ يوم . فهذا ما مثل به النحاة . ففى الصبان عند قول الأشمونى : (فإن كان المجرور بهما نكرة . . . الخ) ما يأتى : "قوله نكرة" ، أى معدودة ، إذ لا يجوز : مذ يوم اهـ والظاهر أن النحاة لم يدخلوا (اليوم) فى باب ما هو فى حكم المعدود ، وألحقوه بالمبهم ، لاختلاف اللغويين فى معناه . فمنها أنه من طلوع الشمس إلى غروبها ، ومنها أنه مطلق الزمان ، إلى غير ذلك .

وأما المعنى الآخر الذى نقلناه عن اللسان فيما تقــدم ، فقد حدث فى الحضارة الإسلامية . وهو فى حكم المعدود . ذلك أن تقول مثلا : ماكلمته مذ أو منذ يوم ، كما لك أن تقول : مذ أو منذ ليلة ، لهذا الاعتبار ، كما قالوا : مذ أو منذ شهر ، أو سنة .

وكذا يقال فى الساعة والدقيقة الفلكيتين . فتقول مثــلا : قرأ القارئ مذ أو منذ ساعة ، وما قرأ منذ أو مذ ساعة . وكلمنى صديق مذ أو منذ دقيقة ، قياسا سائغا لا غبار عليه .

وقد خطر لى، وأنا أكتب هذا ، لفظُ هُنَيْهة أوهُنَيَّة . ففى المصباح الهَن خفيف النون كناية عن كل اسم جنس . والأنثى هَنَةٌ ولامها محذوفة . ففى لغة هى هاء فيصغر على هُنَيْهة . ومنه يقــال : سكت هُنَيْهَة ، أى ساعة لَطيفة . وفى لغة هى واو ، فيصغر فى المؤنث على هُنَيَّة . وجمعها [ أى هَنَة ] هَنَوَات . وربمــا جمعت على هَنَات ، على لفظها ، مثل عِدَات — وفى المذكر هُنَىّ اهـ .

وإنمــا تعرضت لهذه الكلمة ، لكثرة دورانها على الألسن والأقلام فى مختلف شؤون الحياة . فهى ليست من المعدود لفظا أو حكما . ولا يمكن ضبطها بقياس .

ومثل هُنَيهَة أو هُنَيّة (لَحْظَة) ، للزمان اليسير — ففى الأساس : وفَعَل ذلك فى لَحْظَة اهـ وفى شرح القاموس : ومما يستدرك عليه اللَّحْظَة المرَّة من اللَّحْظ . ويقولون: جلست عنده لَحْظَة ، أى كلَحْظَة العين[1] ويصغرونه لُحَيْظَة . والجمع لَحَظات اهـ .

---

(١) أى فهو من باب نيابة المصدر عن الزمن . والأصل : جلست عنده مقدار لحظة عين .

وهذه الكلمة أيضا شائعة جدا . وحكمها حكم الهُنَيْهة أو الهُنَيَّة ، لما قررنا من انبهامها ، وأنها ليست من المعدود ولا ما هو فى حكمه .

وهل ثَنَّوا هُنَيْهة أو هُنَيَة (للوقت اليسير) ، ولحظة ، فقالوا مثلا : جلس هنيهتين أوهنيتين ؟ لعلهم لم يفعلوا . لأنه لا معنى لقولك مثلا : جلست وقتين لطيفين (١) . ولو أنهم فعلوا لجاز نحو قولك : جلست مذ أو منذ لحظتين أو هنيهتين ، كما تقرر آنفا .

وهل جمعوا هُنَيْهَة أو هُنَيَّة ( للوقت اليسير) ، فقالوا مثلا : جلس هُنَيْهات ، أو هُنَيَّات . الغالب أنهم لم يفعلوا ، على ما وصل اليه اطلاعى . ولو أنهم فعلوا لجاز أن تقول مثلا : جلست أو ما جلست عنده مذ أو منذ هُنَيْهَات .

أما اللحظة فلعلهم لم يثنوها . والغالب أنهم جمعوها .

على أن تثنية كل أولئك وجمعه جائز صناعة فلا كلام فى هذا (٢)

(ط) وقد كنت أرجع فى أثناء كتابة هذه العُجَالة إلى شرح الإمام موفق الدين أبى البقاء يعيش بن على بن يعيش النحوى المتوفى سنة ٦٤٣ ﻫ لمفصل الزمخشرى — ورجعت أيضا الى شرح كتاب سيبويه للإمام أبى سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافى المتوفى سنة ٣٦٨ ﻫ

---

(١) إلا اذا قلت مثلا : جلست هنيهتين ، عند محمد هنيهة ، وعند على هنيهة — وكذا يقال فى الجمع ، وفى لحظة إذا استعملنا مثناها وجمعها هذا الاستعمال .

(٢) هناك أسماء أخرى كثيرة مبهمة تدل على الزمان بذاتها ، أو بالنيابة عن المصدر : فحكمها ما قررنا .

ومن ذلك وهو شائع : وقت وبرهة وعهد . فيغلط الناس ويقولون : مذ أو منذ برهة ، أو عهد أو وقت . اللهم إلا اذا قالوا : مذ أو منذ عهد طويل ، أو برهة طويلة مثلا . فقد يجوز أن يلحق ذلك بما هو فى حكم المعدود . (راجع تعليقنا على كلام الأشمونى فى "ﻫ") وليس لى فى ذلك جزم فليحرر

فوجدت فيهما تعليقات طريفة تتصل بموضوع هذا البحث . فآثرت أن أتحف القارئ بنتف منهما ، ليرى كيف كان يكتب هذان الإمامان ، ولتكمل بها الفائدة .

قال الإمام ابن يعيش :

( ١ )

وأما الفرق بينهما [ أى مذ ومنذ الحرفيتين والاسميتين ] من جهة المعنى ، فإن مذ إذا كانت حرفا دلت على أن المعنى الكائن فيما دخلت عليه ، لا فيها نفسها . نحو قولك : زيد عندنا مذ شهر ، على اعتقاد أنها حرف ، وخفض ما بعدها . فالشهر هو الذى حصل فيه الاستقرار فى ذلك المكان ، بدلالة مذ على ذلك .

وأما إذا كانت اسما ورفعت ما بعدها ، دلت على المعنى الكائن فى نفسها . نحو قولك : ما رأيته مذ يوم الجمعة . فالرؤية متضمنة مذ ، وهو الوقت الذى حصلت فيه الرؤية ، وهو يوم الجمعة . كأنك قلت : الوقت الذى حصلت فيه الرؤية يوم الجمعة اه وقال :

( ٢ )

والصواب ما ذهب إليه البصريون من أن ارتفاعه بأنه خبر . والمبتدأ منذ ومذ . فإذا قلت : ما رأيته منذ يومان ، كأنك قلت : مارأيته مذ ذلك يومان . فهما جملتان ، على ما تقدم . وإنما قلنا : إن مذ فى موضع مرفوع بالابتداء ، لأنه مقدّر بالأمد . والأمد لو ظهر لم يكن إلا مرفوعا بالابتداء . فكذلك ما كان فى معناه اه وقال :

( ٣ )

وله [ مذ أو منذ ] فى الرفع معنيان : تعريف ابتداء المدة ، من غير تعرض إلى الانتهاء . والآخر تعريف المدة كلها .

فإذا وقع الاسم بعدهما معرفة ، نحو قولك : ما رأيته مذ يوم الجمعة ونحوه ، كان المقصود به ابتداء غاية الزمان الذى انقطعت فيه الرؤية وتعريفه . والانتهاء مسكوت عنه . كأنك قلت : وإلى الآن . ويكون فى تقدير جواب ( متى ) .

وإذا وقع بعده نكرة ، نحو : ما رأيته منذ يومان ، ونحو ذلك ، كان المراد منه انتظام المدة كلها ، من أولها إلى آخرها ، وانقطاع الرؤية فيها كلها .

فإن خفضت ما بعدهما ، معرفة كان أو نكرة ، كان المراد الزمان الحاضر ، ولم تكن الرؤية قد وقعت فى شىء منه اه .

ويظهر أن أبا البقاء أراد بالمعرفة فى قوله : ( فإن خفضت ما بعدهما ... الخ ) نحو يومنا أو اليوم ، فى قولك مثلا : ما رأيته مذ أو منذ يومنا ، أو اليوم .

ولم يرد نحو قولك : ما رأيته مذ أو منذ يوم الأربعاء [1] ، أى من يوم الأربعاء ، كما تقدم . وذلك لأن أبا البقاء يرفع ( يوم ) فيه وجوبا . بدليل قوله آنفا فى فقرة ( ٣ ) : ( فإذا وقع الاسم بعدهما معرفة ، نحو قولك : ما رأيته مذ يوم الجمعة . . . الخ ) .

أما الدلالة على الزمن الحاضر فى حال جر مذ ومنذ للنكرة ، فقد سلف لك أنك إذا قلت مثلا : ما كلمته مذ أو منذ شهرين ( مما هو معدود ) ، أو شهر ( مما هو فى حكم المعدود ) ، كان المعنى أن الحدث انتفى من ابتداء هذه المدة إلى انتهائها . فأنت إذ تقول مثلا : ما كلمته مذ أو منذ شهر ، تتكلم فى نهاية الشهر . أى : ما وقع الكلام فى هذا الشهر الحاضر ، من أوله الى آخره .

هذا شرح الفقرة الأخيرة من كلام أبى البقاء ، كما قدرت أن أوجهها .

---

(١) قد سبق أن نحو هذا المثال مما يجوز فيما بعد مذ أو منذ فيه الرفع والجر.

وقال الإمام السيرافى :

(١)

اعلم أن منذ ومذ جميعا فى معنى واحد . وهما يكونان اسمين وحرفين . غير أن الغالب على منذ أن تكون حرفا ، وعلى مذ أن تكون اسما اه .

(٢)

. . . تقول : ما رأيته منذ يوم الجمعة ، وما رأيته منذ اليوم . وإذا قلت : ما رأيته منذ يوم الجمعة : كان معناه : انقطعت رؤيتى له من يوم الجمعة . فكان يوم الجمعة لابتداء غاية انقطاع الرؤية . فمحل ذلك من الزمان كمحل ( من ) فى المكان ، إذا قلت : ما سرت من بغداد ، أى ما ابتدأت السير من هـذا المكان . فكذلك : ما وقعت رؤيتى عليه من هذا الزمان اه .

(٣)

. . . وتقول : ما رأيته مذ يومُ الجمعة ، وما رأيته مذ السبت . . . فإن قال قائل : فما حكم مذ فى هذا الوجه وتقديرها ؟ قيل له : حكمها أن تكون اسما ، وتقـديرها أن تكون مبتدأة ، ويكون ما بعدها خبرها . كأنك قلت : ما رأيته ، مدة ذلك يوم السبت . فيكون على كلامين ... وذلك أنك إذا قلت : ما رأيته مذ يوم الجمعة ، فإنما معناه : انقطاع رؤيتى له ابتداؤه يوم الجمعة ، وانتهاؤه الساعة . فتضمنت (من) معنى الابتداء والانتهاء .

وإذا قلت : ما رأيته مذ اليوم ، فليس فيه إلا معنى ابتداء الغاية وانقطاعها . وهو (فى) معنًى ، وانخفض ما بعدها اهـ .

(٤)

. . . وذلك أنك إذا قلت : لم أره مذ يومان ، أو مذ شهران ، أو نحو ذلك ، مما يكون جوابا لِكَمْ ، فتقـديره : لم أره وقتا ما . ثم فسرت ذلك

فقلت : أمد ذلك شهران ، أو مدة ذلك شهران . فقولك مذ شهران جملة ثانية هى تفسير للوقت المبهم فى الجملة الأولى . فهذا أحد تقديرى مذ إذا رفعت ما بعدها .

والتقدير الآخر أن تقول : ما رأيته مذ يوم الجمعة فيكون تقديره : فقدت رؤيته وقتا ما أوله يوم الجمعة . فمذ فى هذين الوجهين بمنزله اسم مضاف : إما على تقدير : أمد ذلك ، أو أول ذلك اهـ .

## (٥)

## تكميل

وفى المخصص : قال سيبويه : سألت الخليل رحمه الله عن قولهم : مذ عام أوَّلُ ، ومذ عامٍ أوّلَ . فقال : أول ها هنا صفة . وهو أول من عامك . ولكن ألزموه هاهنا الحذف استخفافا . فجعلوا هذا الحرف بمنزلة (أفضل منك) . . . قال : وسألته رحمه الله عن قول العرب ، وهو قليل : مذ عامٌ أولَ . فقال : جعلوه ظرفا فى هذا الموضع ، وكأنه قال : مذ عامٌ قبل عامك . اهـ .

* * *

إلى هنا وقف القلم ، وفى النفس شوق إلى المزيد ، وتطلع إلى الاستيفاء . ولعلى أكون قد وفقت إلى ما أردت من توضيح وتسهيل . والله تعالى المستعان .

# أفعـال للاستعمال

بقلم الأستاذ محمد كرد علي بك عضو المجمع

يقول ابن القُوطيَّة في كتاب الأفعال إن الأفعال أصول مباني أكثر الكلام ، وبذلك سمتها العلماء الأبنية ، وبعلمها يستدل على أكثر علم القرآن والسنة ، والأسماء غير الجـامدة والأصول كلها مشتقات منها ، وهي أقدم منها بالزمان ، وإن كانت الأسماء أقدم بالترتيب في قول الكوفيين ، والجامدة التي لا يشتق منها فعل مثـل حَجَر وباب وما أشبههما ، فإنك لا تقول حَجَرَ يَحْجُرُ ولا باب يبُوب . والبصريُّون يقولون بقدم الأسماء وأن الأفعال مشتقة منها ولكلٍّ وجه .

هذا ما يقوله ابن القُوطيِّة في أصل الأفعال ، والذي يهمنا تقريره هنا أن في اللغة العربية أفعالا لا تثقل على الطبع ، ولا على السمع ، أهملت وترك استعمالها ، بالضعف الطارئ على اللغـة وأهلها ، على حين تؤدي معاني تشتدُّ حاجة الناس للإفصاح عنها . وبوضع أسمـاء جميلة وأفعال جميلة موضع التداول إحياء جانب مهم من تراث العربية ، وتسهيل لباب التخاطب والتكاتب . ولساننا هذا موصوف بخصائص كثيرة ، من أهمها إيجاز ألفاظه وتراكيبه . ورب كلمة نَعُدها اليوم من العويص الوحشيّ ، كانت بالأمس من المألوف المأنوس . وكم من كلمة نعبر عنها اليوم ببضع كلمات واللفظة الواحدة تجزئ عنها .

فمن أفعالهم أمّر الأمراءَ : وَلّاهم ، وأَمِرَ : صار أميرا . وقَوَّد القوادَ ، ونكّب المناكب — والمَنكِب : عريف القوم أو عونهم . ونكب نكوبا : إذا كان منكِبًا لهم يقيمون عليه . وكتّب الكتائبَ ، وعرّف العُرَفاءَ ، وعَرَف على القوم عَرافة : صار لهم عَريفا ، ونَقّب النقباءَ ، ووفّد الوُفُود . ويقولون : قنّبوا : صاروا مقْنَبا — والمِقْنَب من الخيـل ومن الفرسان : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ،

أو زُهاء ثلثمائة . وفى سجعات الأساس تقول : هو فارس من فُرسان العلم ، كُتُبه كتائبه ، ومَناقبه مَقانبهُ . قال أحدهم : "أريد أن تصار إلى أبوابنا الكتائب والمواكب والمَقانب ولا أرضى أن يجرى علينا كالولدان والنِّسوان" . ويقولون قَنَّبوا نحو العدو وتقنبوا : تجمعوا وصاروا مِقنَبا ، ويقولون تَجَوَّق فلان : جمع جوقا من الناس .

ومنه : واكَبَ الأميرَ: ركب معه فى موكبه ، دوّن الدواوين : نظمها . أسجل السِّجلات ، أصَّل الأصول ، قعَّد القواعد ، ربَّع الأرباع ، خمَّس الأخماس ، استألك الألوكة : حملها — والألوكة : الرسالة ، وألِكني إلى فلان ، احمل إليه ألوكى ومألُكتى ، ومن يَستألك لى إليه ؟ أى من يحمل رسالتى ؟ تَشرَّط الشروط اعتَقَد عُقدة إذا تملَّك ضيعةً . وتوصَّفت وَصِيفة ووَصِيفا : اتخذته ، كقولك تَسَرَّيْت . وسطر علينا فلان : قصَّ علينا من أَساطيرهم . أى أعاجيب الأحاديث.

تقول جَسَرَتْ الركاب المفازة واجتسرتها : عبرتها عبور الجسر ، واجتسرت السفينة البحر : عبرته . وفى حديث عَوْج " فوقع على نيل مصر فجسرهم سنة : أى صار لهم جَسرا . التجَّ البحر: عظمت لجَّته وتموَّج ، ولجَّجَ : إذا دخل اللُّجّ من البحر . ويقولون أبرَّ فلان : إذا ركب البر ، وأبحر : إذا ركب البحر ، وأقفر: إذا دخل القفر ، وفوَّز : إذا سار الى المفازة وركب فيها . وأفضيت بفلان : خرجت به إلى الفضاء ، نحو أصحرت ، وأصحر : برز إلى الصحراء ؛ وفَلَى المفازة دخَلها ، وافتلى الفلاة . ويقولون : ساحَل : إذا سار فى الساحل ، وشاطأت صاحبى : إذا مشيت على شاطئ وهو على آخر . وجانَبهُ مشى إلى جانبه .

تقول : رَفَأت السفينة رَفأً : قربتها من الشط أو المَرفأ . وأَدْرَب : دخل الدرب ، والدَّرب فى الأصل : المضيق فى الجبال ، فأطلقوه على كل مدخل إلى الروم ، فإذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم يقولون : أَدْرَبْنا . وتَدَيَّرت العرب: نزلت الدور . وغنيت مكان كذا : أى جعلته مغنى . وأحميت الأرض : جعلتها

حمى . وتَفَلَّكَ الفلك : استدار . وأَشْمَلنا : دخلنا فى الشمال ، وأَبْرَدْنا : دخلنا فى آخر الليل ، واستوهن الليل : دخل فى الوهْن ، وهو نحو نصف الليل ، وأظهر القوم : دخلوا فى وقت الظهر ، وأعصر الرجل : دخل فى وقت العصر ، وجاء على عصار من الدهر : أى حين ، وقول بعض المعاصرين "عصارى" يعنون به وقت العصر : لا أصل له فى اللغة ، ولم يجر على ألسن الفصحاء .

وتقول أتيته بعد جُرْش من الليل : أى ما بن أوله إلى ثلثه ، وليلة السواء : ليلة تمام القمر : وهو وفاء ثلاث عشرة ، وبعدها ليلة البدر ، ومَيْسَان : ليلة النصف ، تقول : أسوينا وأبدرنا وأنصفنا : أى صرنا فى ذلك ، وتقول : فلان غَلَّسهم : إذا أتاهم قبل الصبح بسواد الليل ، وأدلج القوم وادّلجوا : ساروا الدَّلجَة ، وهى سير الليل ، وادَّلجوا : ساروا فى آخر الليل ، وهى الدلجة بالضم . والتعريس : نوم آخر الليل ، والمتصبّح : النوم بالغداة ، وتقيّل : نام القيلولة ، والقائلة : نصف النهار ، واقتال الرجل : شرب وقت الظهر ، كما تقول اصطبح واغتبق . وتقول : أوّبوا تأويبا : ساروا النهار كله ، وأبدر القوم : طلع عليهم البدر ، كما تقول أقمروا وأشرقوا من الشرق بمعنى الشمس . وتقول : لقد بدوت يا فلان : أى نزلت البادية ، وصرت بدويا .

أَشْهر القوم : أتى عليهم الشهر . واسترق الليل : مضى أكثره . أراح القوم : دخلوا فى الريح . وأراحوا : تنفّسوا . وأَسْحَرْنا مثل أصبحنا ، واستحروا : خرجوا سَحَرا ، وأسْدف الليل : أظلم ، واستسرّ القوم ، وهذه ليلة السرار ، وسرى بالليل وأسرى ، وساريت صاحبى مساراة : سرت معه ، كما تقول سايرته . وشتونا بمكان كذا ، وأَشْتوا : دخلوا فى الشتاء ، وأصافوا : دخلوا فى الصيف ، وضاحيت صاحبى : أتيته ضَحْوة ، نحو غاديته وراوحته ، وضَحَّى قومه : غداهم ، فتضحوا ، ودعاهم إلى ضَحَائه . وأشمست الأيام ، وأقمرت الليالى ، وصَبَت الريح : هبت صبا ، كقولك : جنَبت وشمَلت ، وأصحت السماء ، والسماء مصحية ،

وأصحى يومنا ، وصَرَّح النهار : ذهب سحابه ، وأضاءت شمسه ، وتصرَّمت السنة ، وانصرم الشتاء . وصاب المطر بمكان كذا ، وصاب أرضهم يصوبها ، كقولك مطرها وجادها وغاثها . وأضبَّ يومنا : كثر سحابه . وأضبَّت السماء وضبَّت . واستوضحتُ الشمس : تخاوصت إليها . وتنفَّس الصبح ، وتنفَّس النهار . وتمطّر الرجل : تعرض للمطر ، أو خرج متنزها غب المطر . ومسى به الليل : إذا جاء مساء . وتَمَشَّق ثوب الليل : إذا ظهرت تباشير الصبح ، وسرينا حتى ابهارَّ الليل : إذا انتصف ، من بُهرة الشيء ، وهو وسطه . وأقمر الهلال : صار فى الليلة الثالثة قمرا ، وأقطَعَنا الغيث : انقطع عنا . وطفَّلت الشمس : دنت للغروب ، وطفَّل الليل : أقبل وأظلَّ ، وطفَّلت الشمس : دنت للغروب ، وأتانا عند طَفاف الشمس : عند دنوها للغروب ، وأمحق القمر : دخل فى المُحاق . ودامت السماء تديم دَيْمًا ودوَّمت وديمت وأدامت : دام مطرها . وذبَّب النهار : مضى لم يبق منه إلا ذبابة . رأَد الضحى رأدا وترأَّد وترود : أى ارتفعت شمسه عند الخمس الأول من النهار وانبساط ضوئها ، وذلك شباب النهار .

وتقول آصَلْنا : صرنا فى الأصيل ، أو أتينا فيه ، وهو العشىُّ ، وأعتمنا : صرنا فى عُتمة الليل ، وأهللنا : صرنا فى أول الهلال . وتقول فى الزرع إذا جاد : يريع الريع الكثير أى ينمو ، من أراع : زكا زرعه وخَبَزْت القوم أخْبِزهم : أطعمتهم الخبز ، كما تقول لبأتهم ولبنتهم ولحمتهم فى اللِّبأ واللبن واللحم . وتقول : خبزت القوم وتمرتهم : أطعمتهم الخبز والتمر . واختبصوا : أكلوا الخَبيص ، واختبص ضيفُهم : طلبه . وتقول ساس الطعام : إذا سوّس ، وداد وأداد ودوّد ، ودِيدَ : وقع فيه الدود ، وتدنق فى نفقاته : إذا بالغ فى الاقتصاد ، وحاسب على الدانق . وأرْمد القوم : مثل أسْنتوا . وتقول : أضْأن فلان وأمعز : كثر ضأنه ومعزه . وتقول العرب : آضأِن ضأنك وآمعز معزك : أى أعزلها وضأنت ضأنى ، ومعزت معزى .

ويقولون: خسَّت قيمة الشيء: إذا صارت قليلة، وشغَر السعر: إذا نقص. وأَكْسَد الطبيب: أي كسدت سوقه. ويقولون أكسد القوم بعد ما أنفقوا: إذا كسدت سوقهم بعد النفّاق، وأخسر فلان وأكسد: إذا وقع فى الخسارة والكساد. وأبضع بضاعة إلى أرض كذا، وابتضع واستبضع. وأورق الصائد: إذا لم يصد شيئا. وأورق الغازى: إذا لم يغنم شيئا، وأورق الطالب: إذا لم ينل شيئا. ويقولون فى الأرض: أيبستْ وأعشبتْ، وفى الماشية: أسمنتْ وألبنتْ، وأسمن القوم، وهم مسمنون: إذا كثر سمنهم، وكذلك إذا كثرت ما شيتهم، أسْنت القوم: أصابتهم السنة، وهى الجدب، وأشويت أصحابى: أطعمتهم الشِّواء، ولبنت القوم: سقيتهم اللبن، ولبأتهم: سقيتهم اللبأ. وألبئوا كثر عندهم، وهم ملبنون وملبئون، والتبئوه: شربوه.

أفلق الشاعر، وهو مفلق: إذا أتى بالعجيب فى شعره، والمفاليق من العلم: المفلسون منه، مثل المفاليس من المال. ويقولون أبطلنا فيما قلنا: أى دخلنا فى الباطل. وقالوا: كثَرْنا الناس: غلبونا بكثرتهم، وخالقهم فلان: عاشرهم بحسن خلق. وفلان ملَّح وظرّف: أتى بالمليح والظريف، وأظرف: جاء بأولاد ظراف. وأفجر الرجل: جاء بالغدر والفجور، وأسلع: كثرت سِلعته. وكل عَرَض تقول له العرب: سلعة. وتحرّف بصناعة واحترفها. واغتلَّ: إذا جمع الغلة، وانتعل: إذا لبس النعل، وتطيلس: إذا لبس الطيلسان، وتعمم اذا وضع العمامة، وتذنَّب المعتمُّ: أفضل من عمامته ذنبا أرخاه. وافترى الفروة: إذا لبسها، وتملَّأت المرأة: لبست المُلاءة، وتسرولتُ وسرولتُ غيرى: لبست السراويل (مؤنثة) وتجمع سراويلات، وقلّسته فتقلس من القلنسوة، وقلس المقلسون، وهم الذين يلعبون فى الأعياد بين أيدى الأمراء بالسيوف والحراب، ويضربون الطبول. وأزحف القوم: زحف ركابهم، وزرّ قميصه: شد زره. وزرَّر قُمُصَه: شد أزرارها، وأزرَّ قميصه وزرَّره: جعله

ذا أزرار ، وجيب القميص وزيّقه : جعل له جيبا وزيقا وما يُكف به . وتقبي الرجل : لبس القَباء ، وهو متقبٍّ ، وقبِّ هذا الثوب : اقطعه قَباء .

ويقولون ياومه : اذا عامله باليوم ، وهو المياومة ، ومثله لايله ، وشاهره ، وعاومه ، وساناه ، وساوعه ، وصايفه ، وشاتاه ، أى عامله أيام الصيف ، وأيام الشتاء . ويقولون : مداهرة ، كما يقولون معاومة ومشاهرة ومياومة ومسايعة . وآجر الأجير مؤاجرة : مثل شاهره وعامله وعاقده. ويقولون : الجند يفترضون : أى يأخذون عطاياهم من الفروض ، وتقول : أعْشرنا منذ لم نلتق : أى أتت علينا عشرة أيام ، كما قالوا : أشهرنا من الشهر . ويقولون عشّر الله خطاك : أى جعلها عشر أمثالها ، وعَشَرت القوم أعشِرهم : صرت عاشرهم . وعَشَرهم : أخذ عشر أموالهم ، وأعشروا : صاروا عشرة ، أو صاروا فى عشر ذى الحجة . وتقول : فلان لا يُعشر فلانا ظرفا : أى لا يبلغ معشاره ، وعشّرت القوم تعشيرا : إذا كانوا تسعة فجعلتهم عشرة ، وعَشَرْتهم ، إذا أخذت واحدا فصاروا تسعة . وتقول ثمَنْتهم أثمنهم : كنت ثامنهم ( بالكسر و بالضم ) : أخذت ثمن أموالهم . وكانوا سبعة فأثمنوا : أى صاروا ثمانية ، وأثمنت الرجل بمتاعه ، وأثمنت له : أعطيته ثمنه ، وأثمنت البيع : سميت له ثمنا .

ويقولون يوم صائف ورابع وشات : من الصيف والربيع والشتاء . ويقال فى الأزمنة إذا أريد الإقامة فيها : صافوا وشَتَوْا وارتبعوا ، واذا أريد الدخول فيها قيل : أصافوا وأشتوا وأربعوا وأخرفوا . وتقول : أخرفنا : أقمنا فى الخريف . ونُخرِفنا : مطرنا فى الخريف ، ورُبعت الأرض فهى مربوعة : مطرت فى الربيع . ويقال : أحال فى المكان وأحول : إذا قام فيه حولا ، وكذلك آصل وأضحى وأبحر وأقمر وأظلم وأعتم ، ولم يسمع فى المغرب شىء . يقال : أعمنا وأعومنا : مضى لنا عام ، أو صرنا فى أوله ، وعشوتك وعشّيتك عشوا وعشيا : أطعمتك العشاء ، وأعشينا : صرنا فى العشىّ .

ويقولون : يامنوا وتيامنوا : أخذوا فى جانب اليمين ، وأيمن الرجل ويامن وتيامن : أتى اليمين ، ويقال : أهجروا : دخلوا فى وقت الهجير ، كأظهروا ، وهجروا ( بالتشديد ) وتهجروا : ساروا فيه ، وحَرَّ النهار يحِر ويحَر حرارة وحرا ، وأحرَّ : اشتد حره . والشيء : ضد برد ، وحَرَّ الرجل يحَر حرية : صار حرا ، وحُرَّ حَرا : أخذته الحرارة فهو محرور . وأحان الشيء مثل أزمن : أتى عليه حين . ويقولون أتيته وهْنا وموهِنا : بعد ساعة من الليل ، وأوهن القوم : سروا فيه ، وتكشف البرق : ملأ السماء ، وقُيِّظ بنو فلان : أصابهم مطر القيظ ، كما قيل صُيِّفوا ورُبِّعوا . وأحرمنا : دخلنا فى الشهر الحرام ، أو البلد الحرام ، وغيم اليوم غيما : ألبس الغيم ، وأغْمَمْنا وأغيمنا : صرنا فى الغيم .

ويقولون صُدِر الرجل : إذا أصيب صدره ، فهو مصدور ، ورُئِى من الرئة ، وفُئِد من الفؤاد فهو مفئود ، ومَعَتْ عليه أمعاؤه ، ونُخِذ الرجل : كسرت نخذه ، فهو مفخوذ ، ورأيته : ضربت رئته ، وبطنته : ضربت بطنه ، وأعلمته جعلته أعلم ، أى مشقوق الشفة العليا ، وسرّنى : أصاب سرتى ، وذقنته : ضربت ذقنه ، ويقولون : أسفرت الحرب عن مئات من الصرعى ، هذا مدموغ ، وهذا مكتوف ، وهذا مصدور ، وذاك مجنوب ، وذاك مفخوذ ، أى مصاب بدماغه ، أو كتفه ، أو صدره ، أو جنبه ، أو نخذه ، وجافه الطعن والدواء : وصل إلى جوفه ، وجَبَهْت الرجل : ضربت جبهته ، وكشحته : ضربته فى كشحه ، وأنَفت الرجل : ضربت أنفه ، وأنِف هو : وجعه أنفه ، وأذَنته أذنا : ضربت أذنَه ، وأذنت له فى الشئ إذنا : أبحته له ، وللشئ أذنًا : سمعته ، وأيضا تسمعته ، وتقول نصوته : قبضت على ناصيته ، وناصيته ، وتناصينا ، تآخذنا بنواصينا فى الخصومة ، وناحيته مناحاةً : صرت نحوه ، وصار نحوى . رجل ممعود : دوِىَّ المعدة ، وتثألل جسده : خرجت به الثآليل ، وقد ثؤلل الرجل ، وهو مطحول وطَحِل : به طحال ، وهو داء الطحال . وأقلبه الداء : أخذ قلبه ، وحُصِب : ثارت به الحصبة ، ورجل محصوب ، وأرض مَحْصَبة

غالًا . أغَنَّ المكان : كثر فيه الذباب فصوّت . ماهت الركيـة : كثر ماؤها ، وماهت السفينة : دخل فيها الماء . خَلَّ الرجل خَلة ، وأخل به : افتقر . تخوّصْ منه ما أعطاك : أى خذ منه و إن كان فى قا[illegible]وصة ، وهو يخوص فى بنى فلان : يتقسم فيهم شيئا يسيرا . تعممت عما ، وتخولت خالا ، واستخولته ، يقال : استخول خالا غير خالك .

يقال : خيفت بأولادها : جاءت بهم أخيافا ، وهم بنو الأخياف ، وبنو العَلَّات : من كانوا من نساء شتى ، دَخَنَ الدخان : ارتفع ، ودخَّنت النـار : سطع دخانها تدخِّن ، ودَخِنَتْ تَدْخَنُ : فسدت لكثرة دخانها : ودَخِن الطبيخ دخنا : غلب الدخان على طعمه . أدليت دلوى : أرسلتها فى البئر ، ودلوتهـا : نزعتها . دَمَل الأرض بالدمَّال : أصلحها بمـا تستصلح به من القوة ، ودَمِن أرضه وأرض مدمونة مُسَرقَنَة . تذريت فى بنى فلان ، وتنصيتهم ، وتفرعتهم : إذا تزوجت فى أشرافهم وعليتهم . تقول تفرعت فى بنى فلان : تزوجت سيدتهم .

يقال : أذَمَّ المكان : أجدب وقل خيره . فلان يُذاهن النـاس ويُفاطنهم : يباريهم بذهنه وفطنته . وزَعِر الرجل زَعَرا : إذا ساء خلقه ، وقل خيره . ( ومنه الأزعر ، ويطلقونه فى ساحل الشام على من لا خلاق له ، ويجمعونه على زُعران) . ويقولون : سَرَفت السُّرفة الخشبة ، فسَرِفت ، كما تقول : حطمته السن ، فَحَطِم ، وصعقته السماء فصَعِق . ساعيتـه : سعيت معه . أصبِحْ لنا مصباحا : أسرجه . فئرت الأرض : خرج فيها الفأر ، يقال : هروته إذا ضربته بالهَراوة ، وهى العصا ، وسُطَّته بالسوط ، وسفته بالسيف ، وعرجن فلان فلانا ، إذا ضربه بالعراجين ، واحدها عُرجون ، وفَأَسه فأسا : ضربه بالفأس ، وعَمَده عَمْدا : ضربه بالعمود ، وقَضَبَه قَضْبا : ضربه بالقضيب ، وسَنَّ فلانا سَنًّا ، ضربه بالسِّنان ، ورَمَحَه رمحا ، وزَجَّه زَجًّا ، وحَصاه حَصْيا ، وجَلَده جَلْدا ، وخَفَقَه خَفْقًا ، كما يقال : خَشَمه : كسر خَيْشومه ، وحَفَه ، وقذّه ، وقَذَله ، وسرّه ، وصَدَغه ، وحَلْقَمه ،

وحَلَقَه ، وظَهَرَه : أصاب ظهره ، وتقول عصا بالعصا ، وعصِى بالسيف : إذا ضرب بها ، وتوكأ على عصاه ، واعتصى عليها ، واعتصى الشيءَ : اتخذه عصا ، وضربتُه فترقَيْته : أى أصبت ترقوته .

تَرِب الرجل : افتقر ، وأَتْرَب : استغنى ، وأَسْحت فى تجارته : كسب السُّحت . ويقال : تلع النهار: إذا ارتفع ، وأتلع الظبى عنقه: إذا نصبها، ولَحَن الرجل إذا تكلم بلغته ، وألحنته أنا : إذا أفهمته ، وسجد وأسجد : إذا أدمن النظر فى الأرض ومنه السجود وهوِى الشيء هُوِيّا بالضم إذا صعد ، وهوى الشيء هَوِيا بالفتح إذا هبط ، يقال : أبَّنه : إذا عابه ، وأبنه ، مدحه وعدّد محاسنه . وأبوت الرجل وأممْته : كنت له أبا وأما . وأثَلت مالا فأثلته : أى جعل لى أصل مال . وتأذن بالشر : إذا تقدّم فيه ، وحذره وأنذر به . وأرّب الشاة : قطَّعها إرْبا إرْبا . ومن المجاز: تآرب علينا فلان : تعسر . وأزمتنا أزمة ، وأهرج البلاد وأمرجها . وشاشت البلاد : اضطربت . وخط الناس وأخصبوا .

تقول: أعْريت القميص وعرَّيته : جعلت له عُرا ، وأردنته: جعلت له أَرْدانا ، وكلَّلْت كِلَّةً : اتخذتها ودخلتها ، ( والكلة هى التى يقال لها " الناموسية " باللغة الدارجة ) تقول : يديت إلى الرجل يدا ، وأيديت إليه : إذا اتخذت عنده نعمة . وأتلد الرجل إذا كان له مال تليد أى قديم . وأزحف القوم للقوم : ساروا لهم زحفا يقاتلونهم . وأشبَّ الرجل بنيه : إذا صاروا شبانا . يقال: سفر الرجل الشيء: إذا كشفه ، وسَفَر بين القوم إذا أصلح بينهم ، وأسفر الشيءُ : إذا أضاء . ويقال : هرب الرجل : إذا فرَّ ، وأهرب : إذا بعد فى الذهاب . وهاب الشيء : إذا خافه ، وأهاب إلى الشيء : إذا دعا إليه . وأَصَله علما يأصله أصلا : بمعنى قتله علما . وزوَّروا صاحبهم تزويرا : إذا أكرموه واعتدُّوا بزيارته . وشَبَره يشبُره : قدره بشبره ، وفَتَرت الشيء بِفترى ، وباع الثوب يبوعه : إذا قدر بباعه ، نحو ذَرَعه : إذا قدره بذراعه .

يقال شَجَروا فاه فأوجروه : إذا فتحوه بعود . وفلان تَشرَّط فى عمله : إذا تنوَّق وتكلف شروطا . يقـال ثوب مُصَلَّب : عليـه نقش الصليب ، ونَعَم مصلَّب : موسوم به ، وجيش مصلَّب فى وجهه وسمته . ونقَّست النصارى وانتقست : قرعت الناقوس ، مثل بوَّق : استعمل البـوق ونفخ به . ومَهَنهم خدمهم ، وهو ماهنهم وهم مُهَّانهم . ويقال : امتلَّ فلان ملة الإسلام ، وملَّح القدر : ألقى فيها ملحا بقدر ،وأملحها وملَّحها : أفسدها بالملح ، ويقـال بزَّر بُرْمَتَه (قدره): ألقى فيها الأبزار والأبازير. تمزَّيت علينا يا فلان : تفضلت ، أى رأيت لك الفضل علينا ، ومزَّيت فلانا : قرظته وفضلته ، ومزت متاعه حتى نفقته . وأبطخ القوم وأقثئوا : أى كثر عندهم البطيخ والقثاء . وتصقَّر : تصيد بالصقور وأمرج الدوابَّ ومرجها : أرسلها فى المرج أو المروج ، ومنَّه السفر : أضعفه وذهب بمُنته : أى بقوته . وحبَّب البُرُّ ولبب : صـار له حَب ولُب . ورأيتـه يلُبُّ اللوز : يكسره ويستخرج لبه . وكوَّيت فى دارى كُوًّى : أى فتحت طاقات وطنَّفت الحائط : جعلت له طَنفا أو طُنُفا ، وهو سقيفة نادرة من أعلاه تقيه المطر ، وهـو الإفريز والكُنَّة . وروَّق البيت : جعـل له رُواقا ، وقبَّب قبابا كثيرة : بناها .

واكتنه الأمر : بلغ كنهه ، وتكنَّفوه واكتنفوه : أحاطوا به من كل جانب ، وتقول : خرجوا يتكمئون : يجتنون الكمأة ، وتكمَّأنا فى أرض بنى فلان . ويقال : تقالى القوم : تباغضوا من القلى ، وهوالبغض ، واستطرب القوم : اشتد طربهم ، واستطربته : سألته أن يُطرِّب : أى يغنى . ومَرِئَ الرجل ، ورَجلت المرأة : أى صار كالمرأة ، وصـارت كالرجل ، وفلان يتمرَّأ بنا : أى يطلب المروءة بنقصنا وعيبنا . واختُضر النبات : أُكل أخضر ، واختُضرت الفاكهة : أكلت قبل إدراكها . وأحمد الرجل : جاء بما يحمد عليه . ضد أذمَّ ، وأذمَّ فلان وألام : أتى بما يذم عليه ويلام . ورأَّيت الرجل ترئيـة : أمسكت له المرآة لينظر فيها ، واسترأيت بالمرآة .

يقولون تنزّر الرجل : إذا دخل فى نزار، وتمضّر: إذا دخل فى مضر، أو تشبه بهم : وتقيّس : إذا دخل فى قيس وانتمى إليهم ، أو تعلق منهم بحلف أو ولاء أو جوار . وتجفّن فلان : انتسب إلى آل جفنة . وليَّث وتليَّث : إذا انتمى إلى بنى ليث أو صار ليثيّ الهوى . ويقولون تمصر : إذا انتسب إلى مصر: وتشأّم : إذا انتسب الى الشأم، وأشأم: إذا أتاها ، وتكوّف، إذا انتسب إلى الكوفة ، وأتهموا وتاهموا إذا أتوا تهامة ونزلوها ، وهم متهمون ومتاهمون ، وتقول : نحن تُهْم وهم شَأْم. وتقول : أحجزنا أتينا الحجاز ، واعترقنا : أخذنا فى بلاد العراق ، وأعرقنا : أتينا العراق ؛ وفى الأساس : جمع بين المتفرق ، وقرن المشئم بالمعرق، ويقولون: بصّر وكوّف وقدّس : أتى البصرة والكوفة وبيت المقدس . وغاروا : هبطوا غور تهامة. وتقول: أجْبل القوم وتجبّلوا : صاروا فى الجبال ، وأسهلوا وأحزنوا : دخلوا فى السهل والحزن ، ونزلوا من الجبل إلى السهل والحزن . وأهْضبنا : نزلنا الهضاب : أى أعالى الجبال . وأخبْت القوم : صاروا فى الخَبْت مثل أصحروا . والخَبْت من الأرض والخبوت : البطون الواسعة المطمئنة ، وأخيَف الحاج : نزلوا خيف مِنى ، وهو مكان المسجد وما حوله ، وتقول : حضر الإنسان حضارة: سكن الحاضرة ، وتمعددوا : تشبهوا بمعدّ فى خشونة المطعم والملبس . ويقولون : تحرّم فلان : ذهب مذهب الحُرّمية ، كما يقولون: تشيع وتسنن وتنصر وتهود، وتمجس ، وتمسلم : صار يسمى مسلما . ومن أفعالهم : تعفرت الرجل : إذا صار عفريتا ، وتمسكن وتمدرع وتمنطق وتمندل وتمخرق .

محمد كرد على

# دراسة فى اللهجة المصرية

للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى عضو المجمع

أما وقد أخذ مجمع اللغة العربية الملكى فى وضع المعجم وتهيئة أدواته ، وإعداد جزازاته ، فقد أصبح من الواجب علينا التفكير فى الكلمات التى تصلح أن تدخل فى ذلك المعجم ، والتى لا تصلح .

ويمكن رد كلمات اللغة الى صنفين كبيرين :

١ — الكلمات القاموسية ونعنى بها الكلمات التى تعب أسلافنا (رحمهم الله) فى جمعها وإيداعها معجمات اللغة ، ويلحق بهذا الصنف كلمات فصيحة لم تودع المعاجم ، وقد نظفر بها فى كتب أخرى . فعلينا أن نجمعها من مظانها المعتمدة ، وندونها فى المعجم الجديد .

وليس كل الكلمات القاموسية يمكن أخذه فى المعجم ، بل إن قسما كبيرا منها يؤخذ ويقبل ، وقسما كبيرا يترك ويهمل . ولابد لنا من وضع أصل ثابت نرجع إليه فى الأخذ والترك ، وبرغم ما وضعه المجمع من قرارى (المعرب) و (المولد) فإن أمر إدخالها فى المعجم سوف يحدث ضجة بين أعضاء لجنة المعجم ، تضطرهم فى غالب الظن إلى تعديل القرارين المذكورين ، وجعلهما أكثر تسامحا . وأوسع صدرا مما هما عليه الآن .

٢ — الكلمات غير القاموسية وهى قسمان :

قسم نسميه (المعرب) ، وهو المأخوذ من أصل أعجمى ، وقسم نسميه (المولد) ، وهو المأخوذ من أصل عربى .

وقد رأيت فى بحثى هذا أن أعمد إلى طائفة من الكلمات المولدة ، فأجعلها موضوعا لتطبيق قرار (المولد) الذى وضعه المجمع ، فأقلب وجوه الرأى فى تلك

الكلمات ، وأشير إلى أصلها الفصيح إن كان لها أصل ، ثم أحاكمها إلى ذلك القرار ، وأنظر ما يجيزه منها ، وما لا يجيزه ، وهو عمل من أعمال التمهيد للشروع فى وضع المعجم ، أو هو دراسة فى كلمات عامية هى أشد ما يتشاءم به المتشائمون ، ويحبون أن ينزهوا المعجم العتيد عنه .

وقد تخلت من الكلمات العامية كلمات شائعة فى اللهجة المصرية ، دون غيرها من اللهجات ، ( أولا ) لأن أكثرنا ( أعنى غير المصريين ) يعرف معانى تلك الكلمات . ومواضع استعمالها فى اللهجة المصرية ( ثانيا ) لأن المعجم الجديد سوف لا يتسع صدره إلا للهجة المصرية الخلابة ، التى ستبقى بجانب اللغة الفصحى بقاء الطراز المنمنم ، فى الثوب المعلم ؛ وقبل الشروع فى البحث آتى على خلاصة قرار ( المولد ) ، وهى : ( ما جرى من الكلمات المولدة على أقيسة كلام العرب قبل ، وما خرج عن أقيستهم بتحريف لفظ أو دلالة لا يقبل ) . فمن الكلمات المولدة فى اللهجة المصرية قولهم :

١ — " ابن بلد " والمراد بالبلد معناه العرفى ، أعنى المدينة ذات الحضارة ، فيكون معنى ( ابن بلد ) أنه متأدب بآداب الحضر . وليس فيه عنجهية أهل البادية ولا غلظ طباعهم . على أن التوليد فى هاتين الكلمتين من قبيل التوليد فى الأساليب ، لا التوليد فى المفردات ، لأن كلا من ( ابن ) و( بلد ) استعمل فى معناه اللغوى ، وقد جاءهما التوليد من إرادة المعنى الكنائى . وهو ( أى قولهم ابن البلد ) تعبير سائغ ، يجوز استعماله فى الكلام الفصيح ، لأن التوليد فيه جرى على أقيسة كلام العرب وطرائقهم فى التجوزات والكنايات . ويؤيده ما رواه ( الأحول ) من أن العرب يقولون للفطن الأريب ( هو ابن مدينتها ، وابن بلدتها ، وابن بجدتها ) والضمير فى مدينتها وبلدتها وبجدتها راجع إلى القصة ، أو المسألة المتحدث عنها . فالعرب تريد من هذه التعابير الثلاثة أن الرجل خبير بهذه المسألة خبرته برفيق حياته الذى عاش معه فى بلد واحد .

وقولهم (ابن بجدتهـا) يقرب معناه من معنى (ابن بلدتها) . وهو مأخوذ من بجـد بالمكان إذا أقام فيه ، فبجدة الإنسان مقـامه ، ثم تجوزوا بالبجدة عن دخلة الأمر و باطنه ، والحاصل أن قول المصريين (ابن بلد) فى الدلالة على خبرة الشخص بأساليب الحياة المدنية ، أو أسـاليب حياة الحضارة ، مضروب على غرار أسـاليب العرب فى الكنايات مذ قالوا هو (ابن بلدتها) فى الدلالة على الخبرة والمعرفة بالشيء . فالتوليد فى هذا التعبير عربى مقبول ، وسيذكر فى المعجم فى مادة (ابن) أو مادة (بلد) .

فيقال مثلا . "ابن بلد" أى متأدب بآداب الحضارة ، وهو تعبير مصرى مولد .

٢ — "عبيط" — هـذه الكلمة تسـتعمل تقريبا فى عكس المعنى الذى تستعمل فيه كلمة (ابن بلد) ، فهى تدل على بلاهة الرجل ، أو غفلته ، أو أقول بساطته ، إن أجاز الأعضاء استعمال كلمة البساطة فى معنى simplicité الفرنسية .

وكل ما ذكره علماء اللغة فى مادة (ع ب ط) لا يدل على معنى الغفلة أو الغباوة ، فـلم يبق إلا أن (عبيط) مقلوب (بعيط) ، بتقديم البـاء على العين . يقال فى الفصيح "بعط فى الجهل : إذ أبعد فيـه وأغرق ، " ومثله "أبعط فى الجهل" من الإفعال ، وفسروا الإبعاط أيضـا بأن يقول الرجل قولا على غير وجهه ، وربما كان هـذا المعنى هو الذى أراده المصريون فى وصف الرجل (بالعبـاطة) ، ومهما يكن من الأمر فان كلمة (العبيط) مولدة بتحريفها عن كلمة (بعيط) الفصيحة ، وإذا حاكمناها إلى قرار المولد الذى وضـعه المجمع حكم بتزييفها ، لأنها خرجت عن أقيسة كلام العرب ، مذ حرفت عن أصلها الفصيح ، وهو (بعيط) .

وبناء على هذا لا يجوز تدوينها فى المعجم ، ولا عدهـا فى الفصيح . ولعل فى أدباء مصر من ينتدب للدفاع عن كلمة (عبيط) فيقول إن تحريفها عن بعيط

ليس تحريفا بدعا من أقيسة كلام العرب ؛ و إن له شواهد فى فصيح كلامهم ؛ وتحريف (عبيط) عن (بعيط) هو الذى يسميه علماء اللغة (قلبا) ، فالعرب يقلبون (بتك) بمعنى قطع ، و يقولون (تبك) ، و يقولون (لبك) بمعنى خلط ، ويقولون (بكل) ، واشتقوا منهما (لبيكة) و (بكيلة) لطعام لهم معروف . وقلبوا (يئس) فقالوا (أيس) ، وقلبوا (بطيخ) فقالوا (طبيخ) ؛ وقلبوا (بئر عميق) فقالوا : (بئر معيق) .

ثم يقولون : والعرب قالوا (بعيط) ، ونحن معشر المصريين قلبناها متأثرين بطريقتهم أو بإحدى لغاتهم التى نزلت مصر ، وقلنا (عبيط) ، فينبغى إذاً تدوينها فى المعجم على أنها لغة مصرية ، كما تقول المعاجم أحيانا : لغة يمانية ، ولغة شامية فى الكلمات المستعملة فى بلاد اليمن والشام .

ولو أخذنا آراء أعضاء المجمع فى قبول كلمة (عبيط) أو عدم قبولها ، لكثر النزاع والجدال حوله ، فالأولى إرجاء البحث فيه ، إلى حين مجىء الدور لتدوين مشتقات مادة (ع ب ط) فى المعجم .

٣ — "فسيخ" — اسم لضرب من السمك يُمقر: أى ينقع طويلا حتى يفسد. وهى كلمة ولدها المصريون، ولا توجد فى المعاجم بهذا المعنى ، فمن أين جاءوا بها ؟ .

الظاهر أنهم ولدوها من مادة (ف س خ) القاموسية . وهذا التوليد مفروض بطريقتين :

(الطريقة الأولى) أن يقال إن الفسيخ مشتق من فسخ رأيه : إذا فسد . وقد جاء لازما من باب علم ، ومتعديا من باب نصر ، فالسمك الفسيخ إما أن يكون بمعنى (فاسخ) : أى فاسد ، وإما بمعنى (مفسوخ) : أى مفسد : أفسده المقر الطويل . و يعترض على هذا التوليد بأن علماء اللغة قد قرنوا فعل الفسخ بمعنى الفساد بكلمة (الرأى) ، ثم لم يصرحوا إن كان (الرأى) شرطا فى فصاحة استعمال (فسخ) كما صرحوا بذلك فى فعل (الفرك) مذ قالوا إنه خاص

بالبغض يقع بين الزوجين ، فإذا قرر المجمع عدم اعتبار هذه القيود اللغوية إلا فيما نصوا عليه، صح لنا أن نقول إن لفظ (فسيخ) المصرية مولد جائز الاستعمال : لأن الاشتقاق فيه جرى على أقيسة كلام العرب، فهو مشتق من (الفسخ) بمعنى الفساد ولا عبرة بقيد (الرأى) طبقا لقرار المجمع .

وإن لم يضع المجمع قراره هذا كان اشتقاق (الفسيخ) من فسخ رأيه غير جائز فلا يسوغ إذاً تدوينه فى المعجم ، ولا استعماله فى الكلام الفصيح .

(الطريقة الثانية) أن يقال إن (الفسيخ) لم يشتقه المصريون من فسخ الرأى وإنما أخذوه من فعل (انفسخ اللحم إذا أصلّ) ، وإصلال اللحم : إنتانه وتغير رائحته ، ولا جرم أن الفسيخ لحم متغير الرائحة .

ويعترض على التوليد بهذه الطريقة بأن القياس فى اشتقاق كلمة (الفسيخ) أن يكون من فعل (الفسخ) الثلاثى ؛ ولا يوجد فى المعاجم فسخ اللحم ثلاثيا ، وإنما وجد (انفسخ) من الانفعال ، وقد نص علماء العربية أن الأصح عدم جواز اشتقاق الثلاثى من المزيد : حتى إن اشتقاق نحو عذاب أليم من الإيلام ، وبديع من الإبداع ، وسميع من الإسماع ، هو بينهم موضع نزاع .

ولا ينقذنا من موقف هذا الاعتراض إلا القول بجواز اشتقاق مادة لم تذكر فى المعاجم من مادة ذكرت فيها ، فنقول إن فسيخ السمك لم يذكروه بمعنى أنه فاسد ، وإنما ذكروا انفساخ اللحم بهذا المعنى ، وذكر (الانفساخ) يجعل (الفسخ) الثلاثى فى الكنف ، ومن هذا الثلاثى نشتق فسيخ السمك .

والحاصل أنه بعد النص فى المعاجم على أن (فسخ الرأى) بمعنى فساده ، و(انفساخ اللحم) بمعنى إنتانه ، لا يجوز بحال أن نحكم بإسقاط كلمة (الفسيخ المصرية من عداد الكلم العربية ، وإقفال أبواب المعجم فى وجهها .

على أن أمر البت فى ذلك يرجع إلى لجنة المعجم ، حينما تصل إلى مادة (ف س خ) من حرف الفاء .

٤ — " الكتكوت " اسم للفروج ، وهو فرخ الدجاج أول ما تتقيض عنه البيضة . ولم تذكره المعاجم ، وإنما ذكرت (الكتكتة) ، وقالت هى صوت الحبارى ، وهو طائر مشهور ، فكأن الكتكوت سمى بذلك من صوته الذى يشبه كتكتة الحبارى ، فهو ، إذاً ، مولد جائز الاستعمال ، وقد وافقوا فى توليده قرارين :

قرار جواز (المولد) الذى لم يقع فيه تحريف يخرجه عن أقيسة كلام العرب ، وقرار جواز اشتقاق مادة غير قاموسية من مادة قاموسية . غير أنه ينبغى ضم أول كُتكوت ، لأنه لا يوجد فى اللغة العربية (فعلول) بفتح أوله إلا كلمات معدودات.

هذا ، ويحتمل أن يكون (الكتكوت) مشتقا من فعل (كتكت) بمعنى قارب الخطو وهو يسرع فى مشيه . وهذا المعنى ظاهر فى مشية الكتاكيت .

وإذا ذكر الكتكوت فى المعجم حسن أن يقال إنه مولد مِصرى .

٥ — " حدوته " كذا بالتاء المثناة ، اسم لقصة فيها غرابة . والظاهر أن أصلها (أحدوثة) بالثاء المثلثة ، على وزن (أفعولة) وهى ما يتحدث به ، ثم حرفتها العامة إلى (حدوته) ، وهو توليد يخرجها عن الأقيسة العربية ، ويمنع صحتها وتدوينها فى المعجم .

ويحتمل أن تكون (حدوته) المصرية صيغة مستقلة على وزن (فعوله) بتشديد العين من الحديث ، وأنهم حرفوها إلى (حدوته) بالتاء المثناة مكان (حدوثة) بالثاء المثلثة . وهو تحريف يخرجها أيضا عن الأقيسة ، اللهم إلا إذا طبقناها على قاعدة (توهم أصالة الحرف) وذلك بأن نتوهم التاء المثناة فى (حدوته) أصلية بناء على توهم أصالتها فى فعل (حَدَّتُه) بالتاء المثناة ، الذى سند فيه الفعل إلى ضمير

المتكلم . وهو لغـة لبعض العرب كما فى المخصص ، فالمصريون الأقدمون الذين سمعوا تلك اللغة من جوالى العرب فى مصر جذبهم طبعهم إلى اشتقاق (حدوته) بالتاء المثناة ، مذ توهموا أصالتها فى فعل ( حدته ) .

ومهما يكن فلا يخلو هذا التوجيه فى تصحيح ( حدته ) من تكلف .
لهذا يصعب اعتبارها من المولد الذى يجيزه قرار المجمع . لأن التحريف فيها بين فتبقى ( حدوته ) غير فصيحة ، وغير جديرة بأن تدون فى المعجم .

٦ — "التنبيط" مصدر نبط عليه بمعنى مايقولون أيضا نكت عليه ، وألس عليه . ويقولون فى دمشق (أنكل عليه) بالكاف المصرية . وربما قالوا فى فصيح الكلام ( تنادر عليه أو تندر عليه ) أى استعمل النادرة والمزاحة معه بأسلوب يؤلم ويغض منه . لكن هذا المعنى لفعل ( تنـادر ) أو ( تندّر ) لم أره فى المعجمات .
وإنمـا أذكر أن صاحب الأغانى قال على لسان الخليفة المهدى مذ قال لبشار :

"ويحك يابشار ! أتتنادر أو ( تتندر ) على خالى؟" وكان خاله زعم أن الشراب الذى ذكر القرآن أنه يخرج من بطون النحل كناية عن الحكمة التى تخرج من بطون بنى هاشم ، فقال له بشار : "أطعمك الله مما يخرج من بطونهم" .

وفعل ( التنبيط ) بمعنى التنكيت ربمـا كان مأخوذا من ( النبط ) وهم قوم سواديون يغلب عليهم الاشتغال بالفلاحة ، وقد اشتهروا بالحذق فيهـا كما اشتهروا بالخشونة وجفاء القول ؛ فيكون تحليل معنى ( نبط عليه ) كلمه بمـا يثقل عليه من القول الذى يشبه أقوال جفاة الأنباط فى عدم لياقته .

فنبط إذاً فعل مولد ، اشتقه المصريون من ( النبط ) وهـذا الاشتقاق من الاسم الجامد صحيح ، لجريانه على أقيسة كلام العرب . وخصه المجمع بلغة العـلم ولعله يضطر فى آخر الأمر إلى تعميمه فى لغة الأدب أيضا .

ومثل اشتقاق التنبيط من ( النبط ) اشتقاق فعل ( استنبط ) منه ، وهو ما فى قول أبى العلاء المعرى :

استنبط العرب فى الموامى بعــدك ، واستعرب النبيط

ومثله اشتقاق فعل تمعدد ( من (معدّ) بتشديد الدال ، ومعدّ هذا أحد أجداد قريش ، ومعنى ( تمعدد ) الغلام : خشن واشتد ، ومنه قول الشاعر :

ربيتــه حتى إذا تمعــددا كان جزائى بالعصا أن أجلدا

والحاصل أن فعل ( نبط ) مولد مصرى ، وأمر فصاحته وتدوينه راجع إلى لجنة المعجم ، أو هو متوقف على تعــديل قرار المجمع فى تصحيح الاشتقاق من الأعيان مطلقا ، لا فى لغة العلم وحدها .

٧ — "النجفة" يريد بها المصريون مجموعة المصابيح أو السرج التى تكون مصنوعة أو مؤلفة على شكل خاص .

ومادة (نجف) فى اللغة العربية لها معان لا تلائم معنى (النجفة) الاصطلاحية ؛ ولعل السبب فى هذه التسمية أن شيئا من هذه النجفات كان اجتاب فى أول الأمر إلى مصر ( من مدينة النجف ) العراقيــة ، فسماها المصريون نجفية بياء النسبة ، ثم حرفوها إلى ( نجفة ) من دون ياء . أو أنهم سموها (نجفة) من دون ياء ابتداء ، وتسمية الأشياء باسم المكان الذى تصــدر عنه معهود فى اللغة العربيــة وغيرها ، ونظيره الثياب الدبيقية والهروية والقوهية و(دامسكين) و(موصلين) الخ .

وأما حذف ياء النسب من ( نجفة ) فنظيره حذف الياء من ( مخشاب ) ، وهو اسم امرأة اتخذت الخرز حليا لها ، فسموا الخرز مخشابا باسمها ، من دون ياء النسبة إليهـا .

هذا قديما ، وأما فى لغتنا الحديثة فيشبهه كلمة ( كولونيا ) وهو اسم للماء المعطر المعروف ، سمى باسم المدينة الألمانية ، التى يجلب منها ، وهى ( كولونى Cologne ) فنقول ( كولونيا ) من دون ياء النسبة ، وإلا قلنا كولونىّ مثلا .

وفى الشام يسمون النجفة (ثريا) على التشبيه بثريا السماء ، وهى تسمية منطبقة على ما فى الخارج تحريرا ( أى تمام الانطباق ) ، فان ثريا السماء وثريا البيوت كلتاهما هَنَات مجتمعة مضيئة ، وكلتاهما معلقتان فى جهة العلو التى يسميها العرب سقفا ، كما يسمونها سماء .

فالتوليد فى ( النجفة ) مبنى على تسمية الشىء باسم المكان الذى صنع فيه ، والتوليد فى ( الثريا ) مبنى على تشبيه الشىء بما يشبهه ، وكلا الأمرين جار على أقيسة كلام العرب .

والثريا بمعنى النجفة مولد قديم ، فقد ذكرته المعاجم ، ولا سيما المخصص الذى نشأ صاحبه ( ابن سيده ) فى حضارة الأندلس وهو ، إن لم يكن رأى النجفات بعينيه ، فقد سمع وصفها بأذنيه .

فينبغى أن تدون الكلمتان المصرية والشامية فى المعجم : هذه فى باب الثاء وتلك فى باب النون ، فيقال مثلا : ( النجفة ) اسم لمجموعة المصابيح المؤلفة على شكل مخصوص ، وهو لفظ مولد مصرى ، ويقال فى ( الثريا ) : هو لفظ مستعمل فى الشام ، لكنه مولد قديم .

٨ — " الزلط " يريد بها المصريون الحجارة أملاء الأكف ، تكون غالبا مدملكة فى استدارة ، وملسا فى نعومة ، ومن ثم يزلط عنها كل ماوقع عليها ، ومعنى (يزلط ) فى لغة مصر العامية يزْلَق ، وعامة أهل الشام يزيدون باء على فعل زلط ، فيقولون ( زبلط ) .

ويظهر أن استعمال مادة ( الزلط ) بمعنى ( الزلق والزلج ) توليد قديم ، فقد قالوا ( الزليطة ) بالتصغير : اللقمة المتزلقة من العصيدة ونحوها ) ، وصرح صاحب التاج أن ( الزلط ) عامية ، وفسرها بالحصى الصغار ، وتوليد ( الزلط ) جاء من تحريفها عن ( الزلج ) أو (الزلق) الفصيحتين . وهو توليد لا مسوغ له فى اللغة ، ولا هو جار على مقاييسها المطردة ، لذلك تنزل كلمة ( الزلط ) عن درجة المولد المقبول ، إلى درجة العامى المرذول . فلا هى بالسائغة الاستعمال فى فصيح الكلام ، ولا بالجائزة التدوين فى المعجم العتيد .

وإذا أردنا كلمة عربية فصيحة تقوم مقام كلمة (الزلط) فلدينا كلمة (مَلَقة) ، وتجمع على (ملَقات) .

قالوا : هى ( الحجارة الملس لا يتعلق بها شىء ) ومعنى لا يتعلق : لا يعلق ولا يثبت . ومنه الملق ، وهو الفقير لا يعلق على يده شىء من حطام الدنيا ، وربما كان ( التملق ) مأخوذا من هذا المعنى : فان المتملق لا يعلق على قلبه شىء مما يجرى به لسانه من كلمات الملق والتودد .

فهل فى مقدورنا يا تُرى أن نحيي كلمة ( مَلَقات ) الفصيحة ، ونمهد الطريق أمام استعمالها مكان ( الزلط ) العامية .

نعم يمكن هذا بأن يعمد إليها كاتب لبق من كتابنا المقروئين ، فيستعملها الفينة بعد الفينة ، وأنا الكفيل بأن ( الملقة ) و ( الملقات ) لا تلبثان أن تؤلفا ، وتسوغا فى الأذواق .

٩ — و ( ١٠ ) " القرام والأقرمة . والرجيزة والرجائز " اعتاد أهل مصر أن يتخذوا بيوتا من نسيج غليظ الغزل ويزينوها بقطع النسيج ذات التهاويل المختلفة الألوان من أحمر وأزرق وأصفر . ويسمون تلك البيوت صواوين ، ينصبونها فى الأفنية والساحات ، وأحيانا فى قوارع الطرق ، ثم يأوون إليها فى التهانىء والتعازى وسائر ضروب الاحتفالات .

ويفهم من المخصص ( جزء ٤ صفحة ١٥ ) أن من معانى ( القرام ) النسيج الغليظ من صوف . وفهم منه أيضا أن القرام يزين بالرجائز وأن البيت الذى يتألف من هذه القرامات يسمى ( كلة ) ، وها هى ذى عبارته :

(قال أبو عبيد : القرام : الستر ، وقال ابن الأعرابى : جمعه قروم)، ثم فسر القرام بقوله : ( هو ثوب من صوف فيه ألوان من عهن ، فاذا خيط فصار كأنه بيت فهو كلة) ثم قال : (وقال صاحب العين : الرجائز نسيجة عرضها ثلاث أصابع أو أربع ، حمراء يحسن بها القرام ) اهـ

ولا يخفى أن بحثنا فى المولد العامى لا ينتظم كلمتى ( القرام ) و (الرجيزة) لأنهما من الكلمات القاموسية الفصيحة ولا دخل لها فى اللهجة المصرية ، وإنما نحن نود أن تدخل هاتان الكلمتان فى لغتنا اليومية سواء أكانت عامية أم خاصية .

وكلمة ( القرام ) وردت فى كتب السنّة والأخبار بمعنى غير هذا المعنى الذى نقله صاحب المخصص ، فاذا استعملناها اليوم فى معنى قطع ( الصواوين ) التى يسميها الناس ( تركا ) ويجمعونها على ( تروك ) كانت كلمة ( القرام ) بكرا فى هذا الاستعمال ، وتكون أشد رسوخا فى الأذهان ، واستقرارا على أسلات اللسان .

ونجمعها على ( قرم ) بضمتين ككتب أو أقرمة أو قرامات ، وكذا نستعمل (الرجيزة) ، واستعمالها بكر على كل حال ، ونجمعها على ( رجائز ) وهو جمعها القياسى .

وبناء على هذا يصح للطارئ على مصر اذا أراد وصف عادات أهلها أن يقول " إنهم فى مصر يتخذون من القرامات (أو الأقرمة) المزينة بالرجائز الملونة صواوين يجتمعون بها فى احتفالاتهم .

ويقول الفرّاش : هات القرام ، وخذ الأقرمة إلى القرّام يصلحها . وتقول : للقرامات عرى وأزرار تشد أطرافها بعضها إلى بعض . وصانع القرامات ( قرّام ) كما أن صانع الرجائز (رَجّازى) بياء النسبة . لئلا يشتبه بالرجاز الذى ينظم رجز الشعر .

غير أننا بهـذا الاستعمال ( للقرام والرجيزة ) خالفنا نصوص ( المخصص ) بأمرين :

( الأول ) أننا لم نجمع ( قراما ) على ( قروم ) كما قال ابن الأعرابى : لغلبة ( القروم ) فى جمع ( قَرم ) بمعنى الفحل من الإبل والسيد من الناس ، و إنما عدلنا الى جموعه القياسية المألوفة : قُرُم . أقرمة . قرامات .

( والثانى ) أننا لم نستعمل كلمة ( الكِلَّة ) فى صيوان الأقرمة كما فهم من ( المخصص ) بل نخصص ( الكِلَّة ) فيما هى مستعملة فيه اليوم ، أعنى ناموسية السرير ، التى يتقى بها البعوض ، ونبقى مع العـامة فى استعمالهم ( الصيوان ) للبيت الذى يتخذ من القرامات .

والغرض من هذا كله أننا كما نحن عاملون اليوم على إدخال الكلمات (المعربة) و ( المولدة ) فى لغة الحياة الجديدة — كذلك يطالبنا وفاء الذمم للغتنا المحبوبة أن نحيى كلماتها السهلة الفصيحة كالقرام والرجائز ، و بإحيائها على هـذه الصورة نحسن صنيعا ، " ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا " .

# فرائد لغوية

للأستاذ الأب أنستاس مارى الكرملى عضو المجمع

## ١ — اللقانق ٢ — النقانق

كتب الدكتور داود بك الجلبي مقالة فى المقتطف (٨٤ : ٦٢٩) وذكر فيها اللقانق ، فقال ما هذا نقله بحروفه : "وأسمى الـ Allantoïde (الغشاء اللقانق) [كذا ضبطها بفتح اللام والقاف والنون] أو (اللقانق) باختصار . واللقانق وهو [كذا . بمعنى : هو] الطعام المعروف اليوم بالمنبار والبمبار ، عرب قديما من الفارسية (لقانه) ، وورد فى الكتب القديمة، منها : "بحر الجواهر" بخلاف السجق والمنبار ، فانهما لم يجيئا فى الكتب المعتبرة [كذا . ولم نفهم ما المراد بهذه المؤلفات] . ولا أدرى من أين أتتنا كلمة منبار" اه المراد من الاستشهاد به .

فعلق الدكتور الفريق أمين باشا المعلوف على كلمة اللقانق ما يأتى نصه : " جاء فى بحر الجواهر ما نصه : " لقانق بالضم لقانة ، وهى الحوايا المحشوة من اللحم والبصل والشحم المشوية فى الأدهان " . " — قلت : ويقال نقانق ولقانق ومقانق . والأخيرة شائعة فى بيروت . قال دوزى فى مادة نقانق : هى لقانقا باللاتينية ، ويراد بها أمعاء الضأن محشوة باللحم المهروم (المفروم) مع الفلفل الأسود والملح واللبن الحامض وعصير الرمان ، تشوى فى التنور . ونقل عن ابن البيطار فى مادة أمعاء عن الرازى ما نصه: "أما الأمعاء فلا تصلح لطبخ الأسفيذجات بل للنقانق . فاذا اتخذت نقانق فليكثر فيه من الأبازير والتوابل". وقال لكلير مترجم ابن البيطار فى حاشية له : لايعلم ما هو النقانق ؛ وأظنه السجق. فتجد أن صاحب " بحر الجواهر" لم يقل إنها معرب لقانة ، بل فسر اللقانق باللقانة . ولعل هذه فارسية . كذلك قال دوزى ، فانه لم يقل إنها لاتينية معربة ، بل قال إنها لقانقا باللاتينية . ولم أعثر على هذه اللفظة فى المعجم اللاتينى الذى عندى . ولعلها لاتينية

حديثة ، أو نسبة الى لقانية كورة فى جنوب إيطالية ، ولا أدرى أفارسية معربة هى أم لا تينية الأصل ؟ ولا يحل هـذا المشكل إلا أحد اثنين هما من دعاميص الرمل أو دعاميص الجن . وقد تتبعا لفظة فونقس واخواتها ومرادفاتها فى مجلة المشرق ومجلة المجمع العلمى العربى ومجلة لغة العرب مدة خمس وعشرين سنة إلى أن قبضا عليها فى أساطير الأولين، وقاداها ذليلة صاغرة إلى حظيرة اللغة العربية . أما السجق أو اللقانق فيتخذ من الحوايا أى الأمعاء الدقيقة. وأما المنبار فيتخذ من القولون : أى المعى الغليظ ، لذلك يسمونه فى بيروت بالفارغ ، لأنه يكون عادة خاليـا من البراز . والله أعلم " اه كلام الباشا ".

فأقول : أما قول الدكتور داود بك إنه يسمى الـ Allantoïde بالغشـاء اللقانق فلا يجوز . والسبب هو هذا : أن العرب خصوا اللقانق (وتضبط كعذافر أوعلابط وليس بالفتحات كما شكلها الدكتور الحلبى) بما يحشى من اللفائف أو الحوايا أو الأمعاء الدقاق لا غير . ولهـذا كان يحسن أن يقول فى معنى اللفظة الفرنسية الغشاء اللفائفى ، أو (اللفائفى) من باب الاسـتغناء بالمنسوب عن الموصوف ومنسوبه ، ولذلك أمثلة لا تحصى .

وأما ضبط اللقانق فإنه بضم الأول وكسر النون للدلالة على الوحدة ، ولأن الكلمة لاتينية وليست بفارسية ولا بعربية. أما أنها ليست بعربية فلأنها لا تتصل بمادة من مواد لغة الضاد . وأما أنها ليست بفارسية فلأن معاجم الفرس لا تذكرها ولا تعرفها ، فهى لا ترى فى "أنورى سهيلى"، ولا فى "برهان قاطع" ولا فى "بهار عجم" ولا فى أى معجم كان من متون لغاتهم ، إنمـا ذكرها بعض الفرس الذين عنوا بنقل كتب الطب العربية إلى الفارسية، ظانين أن الكلمة مضرية الأصل ؛ أما اللغويون الفرس فلم يعرفوها إلا باسم " لكامه أو لكانه " وزانـ سحابة ، ذكر ذلك صاحب " برهان قاطع " فقال : والعرب تسمى لكامه أو لكانه : " العصيب " .

والعصيب فى كتبنا اللغوية : " من أمعاء الشاء مالوى منها . والعصيب الرئة تعصب بالأمعاء فتشوى . والجمع أعصبة وعصب . قال حميد بن ثور وقيل : هوْ للصمة بن عبد الله القشيرى :

أولئك لم يدرين ما سمك القرى ولا عصب فيها رئات العمارس

وفى لســان العرب : ويقال لأمعاء الشــاء إذا طويت وجمعت ثم جعلت فى حوية من حوايا بطنها : " عصب واحدها عصيب " (عن تاج العروس) .

أما أنها لاتينية فما لاشك فيه . قال دوزى : النقانق[1] باللاتينية : (Lucanica) قلنا : وهو إذا اتخذ هذا التعبير ، فإنه يريد أن الكلمة لاتينية وهو يفعل ذلك فى كتابه كله ولا يخرج عنه . والمفرد يكون بضم الأول وفتح النون ، أو بضم الأول وكسر النون ، والجمع نقانق بفتح الأول والثانى وكسر النون الثانيــة ، كما يقال فى جوالق : جوالق .

والأشهر فى النقانق : اللقانق ، أى بلام فى الأول لا بنون ، وهو المعروف عند مولدى العرب ، أما النقانق بالنون فلا يعرفها إلا العوام أو من جاراهم فى أوضاعهم . أما الذى ورد فى الأغانى بالنون فمن النساخ ، لا من الأصل ، أو من باب الإبدال وهو جائز . قال فى " شفاء الغليل " : اللقانق اسم لأحد الأمعاء ، وبه سمى معى الغنم المحشو المقلى ، اهـ . والكلمة اللاتينية معروفة منذ أقدم الزمن ، فقد ذكرهــا كيكرون المتوفى سنة ٤٣ للسيح وكان قد ولد قبل التاريخ المسيحى ، وعلى رأى بعضهم فى ســنة ١٠٦ بصورة (Lucanicis) مجموعة فى حالة المفعول له — وذكرها بعده مرتيالس (Martialis) المتوفى عام ١٠٣ وذكرهــا بعده بابنيوس ستــاكيوس أو

---

(١) وردت النقانق بالنون فى الأغانى ( ١٠ : ٦١ ) قال : نقانق معطرف بالخردل . اهـ . وفى رواية لقانق ولقالق .

ستاتيوس (Papinius Statius) الراقد فى سنة ١٩٦ وذكرها أيضا خريسيوس النحوى (Charisius) من أبناء المائة الرابعة للميلاد . فمرتيالس وستاتيوس ذكراها بصورة لقانقم (Lucanicum) بالجنس المشترك ، بتقدير كلمة " طبيخ " وهو باللاتينية (pulmentum) الذى هو من الجنس المشترك ، وذكرها خريسيوس بصورة (Lucanicus) مذكرة . بتقدير كلمة Botellus أى عصيب ، وأغلبهم ذكرها بصورة (Lucanica) مفردة مؤنثة بتقدير Hira أى حوية. فهذه شهادات على قدم هذه اللفظة فى اللاتينية ، وليس لنا شاهد واحد قديم على وجودها فى العربية أو الفارسية . هذا فضلا عن أن ليس للقانق معنى فى لغتنا ولا فى اللسان الإيرانى . أما فى اللاتينية فمعناها : لقانق ، أى من صنع أهل لقانية Lucania وكان فى ذلك القطر الإيطالى القديم مواطن لا تحصى لصنعها وبيعها .

## ٣ — اللفائف ٤ — اللفائفى

وردت هذه الكلمة بمعنى المعاء الدقاق Intestins grêles عند المؤلفين الأطباء المحدثين . قال فى " بحر الجواهر " لصاحبه محمد بن يوسف الطبيب الهروى : " لفائفى هو المعى الدقيق ، وهو كثير التلافيف جدا ، وهو من الأمعاء الدقاق " اه . والذى عندنا أن اللفائفى غير عربية ، وإنما هى تصحيف اللقانق . بقافين الواحدة بعد اللام ، والثانية بعد الألف ، وبنون قبل القاف الثانية ، لكن اتفق أن هذا التصحيف الذى نشأ من إهمال نقط الكلمة صادف اشتقاقا عربيا ناسب المعنى بعض المناسبة ، فظن قوم أنها عربية . ولا سيما أن التلافيف ترى فى الأمعاء أكثر مما ترى فى سواها . إلا أنهم ذهلوا عن أن التلافيف تكون فى الأمعاء الدقاق كما تكون فى المعاء الغلاظ ، فلا مسوّغ لتخصيصها بالبعض الواحد دون البعض الآخر ، بيد أن مشابهة اللفائف لكلمة اللقانق بالصورة الرسمية دون النقط ذهب الوهم الى أن اللفائف هى الأمعاء الدقاق .

والذى يمكننا فى رأينا هـذا أن صاحب شفاء الغليل قال : " اللفائفى أعظم الأمعاء من الأمعاء الدقاق . يحدث فيه المرض المسمى بالايلاوس ، وهو المعروف عند العامة باللاوس . قال الكرمانى [illegible] الأطباء : لكل إنسان سبعة أمعاء : المعدة ثم ثلاثة متصلة بها دقاق : ثم ثلاثة غلاظ سموها الاثنى عشرى والصائم والقولون واللفائفى . وقيل بالقافين والنون (أى اللقانق) والمستقيم والأعور . انتهى . ولا أدرى هل [1] هذا مما سمع من كلام العرب ، أم هو مما نقله الأطباء وعربوه على عادتهم " اهـ . كلام الخفاجى .

وفى خزانتنا كتاب خطى قديم فى القولنج وفى الصفحة الثانية منه وصف الأمعاء وذكر أسمائها وهو لايذكر اللفائفى ولا اللقانق ، إنما يسميها بالدقاق . إذن اللفائفى التى هى تصحيف لصورة اللقانق ليست قديمة ، بل هى من مصطلح أطباء المائة العاشرة لا غير . وكتب الطب التى بأيدينا المرتقية إلى قبل هذا العهد لا تذكرها . ورسالتنا الخطية هى لمصنف غير مذكور ، وقد خطت فى سنة ٨٧٧ للهجرة .

ومن الأدلة التى تمكن قدمنا من الثبات فى رأينا أن الكلمة لو كانت بصورة " تلافيف وتلافيفى " لكانت أقرب إلى الصحة والاشتقاق العربى : لأنها تكون حينئذ جمع تلفيف مصدر لفف مبالغ لف . وأما اللفائف فهى جمع لفيفة أولفافة فان كانت جمع لفافة فاللفافة : ما يلف به على الرجل وغيرها . وإن كانت جمع لفيفة فهى المجموعة ، ولحم المتن تحت العقب من البعير . وما عدا ذلك فليس للفائف معنى آخر فى كتب سلفنا . فلم يبق عندنا إلا القول بأن الكلمة تصحيف للقانق ، ومن التصحيف المرغوب فيه لا المرغوب عنه . وما علينا إلا الاحتفاظ بها ، إذ ليس لنا ما يقوم مقامها ، وقد شاعت بين كتبة الأطباء منذ أربعمائة سنة وليس

---

(١) حق الكلام أن توضع فيه همزة الاستفهام دون (هل) لأن الاستفهام هنا تصورى لا تصديقى ولعله تحريف من النساخ .

فى أيدينا ما يرذلها أو يميتها ، وقد أقرها الأطباء العصريون فى جميع مصنفاتهم . إلا أنه يجدر بنا أن نخصص اللقانق أو النقانق بالمحشو من الأمعاء ، واللفائف أو اللفائفى بالأمعاء الدقاق ، فنأمن الخلط فى المعنى والمبنى . وإن أصر الفصحاء على إبدالها ، فعندنا حينئذ مايقوم مقامها (بل أحسن مقام) الكلمة الآتية ، وهى اللواقن .

## ٥ — اللواقن

بينا أن اللقانق صحفت بأوجه مختلفة ، أى النقانق واللقالق واللفائف واللفائفى . ولم ينحصر التصحيف فى ذلك فقط ، بل انتقل إلى صور أخر ، منها : اللواقن . قال فى القاموس والتاج : " اللواقن : أسفل البطن " اه . ولم يزيدا على هذا القدر . وتبعهما فى القول صاحب " الأقيانوس " . أما صاحب " معيار اللغة " فقد قال : اللواقن كفواصل : أسفل البطن . ولم يتغير تعبيرهم هذا الدال على أن فيه غموضا . فاللواقن لفظة بصيغة الجمع ، وتفسيرها بأسفل البطن الذى هو مفرد لا يوجه المعنى توجيها مقبولا . ولا جرم أن اللغويين عبروا عن الحال باسم المحل . ولما كانت الأمعاء الدقاق فى أسفل البطن قالوا : اللواقن : أسفل البطن . والصواب : ما فى أسفل البطن أى أمعاؤه الدقاق . فاللواقن : تصحيف للقانق لا غير ، ومعناها المعاء الدقاق ، ولهذا إذا أراد بعض المتفصحين العدول عن اللقانق ، فما عليهم إلا اتخاذ اللواقن ، فانها أقدم عهداً واستعمالا عند الفصحاء ، إذ ترتقى إلى ما وراء المائة الثامنة للهجرة ، بخلاف اللقانق ، فإنها دونها قدما .

ومن الغريب أن صاحب لسان العرب وهو معاصر للمجد الفيروزابادى لم يتعرض لذكر اللواقن . أما سائر دواوين اللغة التى استمدت مادتها من معين القاموس فإنها ذكرتها . ولكن لم أجد واحدا من اللغويين ذكر أن الكلمة معربة ؛ حتى الافرنج أنفسهم لم يعن فى بالهم هذا الخاطر . فليحفظ كل ذلك .

ولنا رأى آخر فى سبب تفسير اللواقن بأسفل البطن ،وهو أن فى مادة ( لقن ) نجد أيضا اللقن : إعراب اللكن . ولما كان أسفل البطن أو مقر الأمعاء الدقاق يشبه أسفل اللقن أو أسفل الحوض ، شد...وا هذا الشرح . ومنه عند الفرنسيين Bassin أى الحوض فإن علماء التشريح يريدون به : القسم الذى ينهى الجذع فى جسم الإنسان ، ويتخذ نقطة اتصال بالأعضاء السفلى «فالباسن» الافرنسية تشبه اللواقن العربية فى أصل الوضع وأصل المادة ، وهذا من غرائب ما جاءت به المصادفة اللغوية .

## ٦ — المقامق

ومن نتاج اللفظة اللاتينية Lucanica المقامق ، معناها على ما جاء فى تاج العروس : " المتكلم بأقصى حلقه . وتقديره فعافل بتكرير الفاء ، ولا يقال مقانق كما فى الصحاح " اهـ. وقد تابع اللغويون المجد الفيروزابادى فى شرح هذا اللفظ، أو قل إن الفيروزابادى نفسه تابع الجوهرى ،والجوهرى نقل عبارة الليث على ما ترى فى كتاب العين . فالمتكلم بأقصى حلقه هو الذى يسميه الفرنسيون المتكلم من بطنه Ventriloque وهوالذى يسمعك صوتا كأنه خارج من "اللواقن" أو "من اللقانق" أو "اللفائف" إذا ما كلمك. فانظر كيف أن الكلمة الواحدة الدخيلة تعرب بأوجه شتى، فيخصص كل وجه بمعنى، وقد فعلوا مثل ذلك فى كلم لا تحصى . فقد قالوا: الأوقيانوس والقاموس وعقيون والقينس والافريدوس . هذا فضلا عن أن الأوقيانوس كتبت بصور شتى حسب المؤلفين فقد جاءت هكذا أيضا : الأقيانس والأوقيانس والأقيانوس ، والأصل فى كل ذلك اليونانية ôkeanos ومن هذا القبيل (البال) للحوت الكبير ، فقد قيل فيها : الوال والأفال والأول والأولك وبالام والآل والوالى وا كيال والتال والأوال والوالك ( راجع أغلاط اللغويين الأقدمين من ص ٢٦٨ الى ص ٢٧٤ ) .

” فالمقامق “ إذا من مصحف ” اللقانق “[1] بتغيير فى المعنى أو من باب حذف المضاف، أو كأنك تقدّر القول: المتكلم من اللقانق أو من اللواقن، إلى أشباه ذلك، فالتعريف بين لا يمكن أن ينكر.

## ٧ — السجق

قال الدكتور داود بك الجلبي : ” السجق والمنبار ... لم يجيئا فى الكتب المعتبرة . “ فلم نفهم مراده من قوله ” الكتب المعتبرة “ فالسجق وزان عنق، كلمة تركية الأصل، عربت منذ نحو أربعمائة سنة . قال داود البصير فى الأمعاء: ”الأمعاء هى مصارين الحيوان المعروفة بالسجق ، أجودها الدقاق الشحمة ، والغلاظ رديئة جدا .“ اهـ. والسجق بالتركية سوجوق وسجوق وصوجوق وصجوق ، أى أنها تقال بالسين والصاد وبرسم الضمة واوا أو بحذف الواو . نعم إن السجق لم تذكر فى معاجمنا اللغوية ، بل لم يذكرها صاحب محيط المحيط ومن نقل عنه ، وما ذلك إلا لأنهم اكتفوا بنقل ما ورد فى سائر دواوين اللغة ، ولم يعنوا أنفسهم لتدوين ما فى مصنفات العلوم والفنون والمولدين من الأوضاع الاصطلاحية .

أما دوزى، فقد نقل اللفظة عن إلياس بقطر ومن جاء بعده، لكن الاثنين دونا شيئا كثيرا مما هجس فى صدرهما ، ولم يباليا أوردت الكلمة فى كلام العرب أم لا. أما داود الأنطاكى فمن الفضلاء الذين يستشهد بكلامهم ” المولد “ فى المصطلحات الطبية ونحوها .

---

(١) السبب الحقيق لنقل اللقانق الى صورة نقانق باختلاف معناهما أن العرب تحب أن ترجع الألفاظ — ولو كانت معربة — الى أصل أو اشتقاق عربى . وكل من النقانق والمقامق يشبه المضاعف الرباعى . أما اللقانق فيخالف هذا الاشتقاق ال‍‍ـ‍رفى . فاحفظه .

## ٨ — المنبار أو البنبار أو الممبار

بقى علينا أن نذكر أصل المنبار أو البنبار أو الممبار التى تعرض لذكرها الدكتوران داود الجلبي وأمين المعلوف ، فالذى عندنا أنها مصحفة عن " المبعر " ويريد به العراقيون العوام : قولون الشاء ، وهو من الأمعاء الغليظة . والكلمة معروفة عند الفصحاء . قال اللغويون : المبعر والمبعر كمقعد ومنبر : مكان البعر من كل ذى أربع ، وتجمع على مباعر .

أما نقل مبعر إلى منبار فقد تم على هذا الوجه : إن بعض العرب كانوا يلينون العين فيجعلونها ألفا على حد ما يفعل الفرس والترك ، كما أن بعضهم كان يعكس الأمر فيجعل الهمزة عينا ، فقال الفرس فى مبعر مبار : قال صاحب "برهان قاطع" : "مبار" بالفتح وبضم هو "مبا" بعينه ، وهو العصيب بالعربية" وقال فرهنك : "مبار هو من لغة أهل أصفهان اهـ" . فلما قالوا مبار شددوا الباء إشارة إلى العين المحذوفة ، قالوا " مبار " كشداد . ومن ثم جاءت اللغات المختلفة من وضع النون عوضا عن التشديد فقالوا منبار ، كما قالوا فى إجاص وإجار وإجانة : إنجاص وإنجار وإنجانة . وجعل بعضهم من الميم باء ، فقالوا فى منبار : بنبار ، كما قال بعض الأقدمين : الظأب فى الظأم والرجبة فى الرجمة : وهى ما تعمد به النخلة لئلا تقع . وسبد شعره وسمده : بمعنى حلقه . إلى غير ماذكرناه وهو شىء كثار .

فهذا أصل هذه اللفظة باختلاف رواياتها أو لغاتها على وجه الاختصار ، مع أن العربية فى غنى عن هـذه المستعارات من لغات الروم والفرس والترك ، لكن الألفاظ تدخل لغتنا كما تدخل بضاعة الافرنج ديارنا ، وكما دخلت ألفاظنا ألسنتهم ودخلت فى سابق الزمن بضائعنا ونتاج ديارنا ربوعهم وأقطارهم . هـذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

## ٩ — تذنيب فى السختور أو الشختور

من الألفاظ الأجنبية التى دخلت لغتنا فى عهد العباسيين ، وكانت من جنس اللقانق وأشباهها : "السختور" وهو الذى يسميه أهل لبنان وسورية : الشختور أى بالشين المعجمة بدل السين المهملة ، وهو معى من أمعاء الشاء يحشى لحما مهروما وأرزا وشيئا من الأبازير ، ثم يطبخ فى السمن ويسمى بالفرنسية Andouille والكلمة فارسية ، وهى فى هذه اللغة "سختو" أى بلا راء فى الآخر ، ويقال فيها أيضا "سختى" بياء فى الآخر . وبهذا الإسم سمى ضرب من القارب دقيق وطويل ، ثم توسع فى معناه بعضهم فسموا كل قارب — أيا كان شكله — شختورا .

## ١٠ — الخلع

ومما يجب أن يحفظ فى هذا الباب : "الخلع" بالفتح ، وهو لحم يطبخ بالتوابل ، ثم يجعل فى القرف ، وهو وعاء من جلد كما فى الصحاح ، أو هو القديد المشوى ، ويقال : بل القديد يشوى فيجعل فى وعاء بإهالته . قاله الليث . وقال الزمخشرى : هو اللحم يخلع عظمه ثم يطبخ ويبزر ويجعل فى الجلد ، ويتزود به فى الأسفار ، وهذا يقابل الفرنسية Saucisson .

## ١١ — الفصيد

ومن هذا القبيل : "الفصيد" قال الفيروزابادى : "الفصيد دم كان يوضع فى معى ويشوى . وفى اللسان : الفصيد دم كان يوضع فى الجاهلية فى معى من فصد عرق البعير ويشوى . وكان أهل الجاهلية يأكلونه ، وتطعمه الضيف فى الأزمة اهـ". ومثله يكاد يروى فى التاج . وهذه الكلمة يقابلها بالفرنسية Boudin وهذا القدر كفاية فى هذا الموضوع .

# طريف التأليف اللغوى

بقلم الأستاذ محمد أحمد جاد المولى بك المراقب الإدارى للمجمع

---

يذكرنا إنشاء "مجمع اللغة العربية الملكى" وتجرد أعضائه للمحافظة على سلامة اللغة العربية ، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون : ما أحسن العلماء بذله فى العصور الأولى من جهود فى خدمة هذه اللغة ، والمحافظة عليها .

فلقد كان الفتح الإسلامى من مباعث اختلاط العرب بالعجم ، ثم انفسحت مسافة الاختلاط بانفساح الفتح وما أدى اليه من اصطناع الحضارة ؛ فانتشر فى البيئة العربية الصافية من العجمة ما نسخ صفاءها ، وتدسس إلى السلائق الخالصة من الرطانة ما أفقدها خلوصَها . ومن ثم فشا اللحن بين أبناء العروبة الخُلّص ، وتدارك الوهَم على ألسنتهم المطبوعة على الصواب .

على أن ذوى الغيرة ، وأهل الحفاظ ، خشُوا — وحق لهم أن يخشوا — أن تذهب الفصحى بدَدا ، وترجع أثرا . فانبعثوا خِفافا سِراعا يلمون ألفاظها حتى لا تضل لفظة نبست بها شفة راعى إبل ، وراحوا يصرفون وجه الحيلة إلى ضبط أساليبها وخصائصها بضوابط ترد إليها ما لها ، وتنفى عنها ما ليس منها . وتواصل الخلف على هذه السبيل ، قبيلا بعد قبيل ؛ يزيدون ، ويجيدون ؛ حتى أوفوا على الغاية ، وتلقوا الراية .

أجل ، لقد تمهدت تلك الضوابط — على الأيام — علوما وسيعة النطاق ، مختلفة الشُّعَب ؛ فكان النحو والصرف ، وكانت المعانى والبيان والبديع ؛ وكان ما إلى ذلك من العلوم الكُثْرِ التى جعلت الفصحى — أساليبها وخصائصها — قواعد مرسومة ، وضوابط معلومة ، وموازين مستقيمة . فأضحت اللغة وعلومها : كالصوت وصداه ، أو الصورة فى المرآة .

أما علم متن اللغة ، فقد اختصه علماء العربية بعناية أى عناية ، فاستنفدوا فيه الوسع ، وأنفقوا الجهد ، ولا مرية أنه حقيق بما اختص به ، حرى بما بذل فيه ، إذ هو سجل الألفاظ ، وهى مادة الكلام . ولذلك تعددت فى هذا العلم فنونه ، وتعددت فى كل فن منه مؤلفاته . فكان وحده شجرة كثيرة على سوقها غصونها ، متناثرة على الغصون أوراقها ، يانعة على الأوراق ثمارها . وحسبك مصداقا أن تكون المعجمات جميعها فنا من فنون متن اللغة ، وأن يكون مخصص " ابن سيده " وما لف لفه فنا آخر منها .

* * *

ألا وإننا قد انتهى الينا من فنون متن اللغة فن ظاهر الفضل ، جليل المغزى ، الى ما به من طرافة تبعث على الطرب ، فهو يجمع بين الفائدة والمتعة كليهما ، كالورد المنضور ، أنت من رائحته وورقه : بين عبير وحرير .

أما سبيل التأليف فى هذا الفن الطريف من متن اللغة ، فهو أن تذكر اللفظة ، ثم تفسر بلفظة ثانية ، ثم تفسر الثانية بثالثة ، ثم تفسر الثالثة برابعة ، ثم تفسر الرابعة بأخرى . وهكذا حتى تجتمع جملة صالحة ، فيستأنف السياق بلفظة جديدة ، ويتبع فيها ما اتبع فى أختها من قبل ؛ ثم يطرد هذا النسق حتى نهاية الكتاب .

وكتب هذا الفن على أنحاء ؛ فمنها ما يبدأ بلفظ ذى معان شتى ، فيفسر أحد هذه المعانى ، ثم يعاد اللفظ عينه فى مفتتح الفصل الثانى مفسرا بمعنى آخر من معانيه ؛ وهكذا فى الفصل الثالث وما يليه . ومن هذه الكتب ما يلتزم فى فصوله أن تكون مقدمتها بيتا من الشعر ، وساقتها بيتا آخر . أما طول الفصول وقصرها فيختلف فى تلك الكتب باختلاف قدرة المؤلفين على متابعة السياق ، وبصارتهم بمعانى الألفاظ .

وإن أجل ما فى ذلك الفن الطريف من مغزى ، لهو إشارته إلى ليان اللغة العربية ، ومطاوعة ألفاظها للتداخل والاشتراك ، وحسن قبولها لدلالة اللفظ الواحد على كثير من المعانى . وتلك خصيصة من خصائص الفصحى ، نحسب أنها لا تستوى لغيرها من اللغى .

وفى هذا الفن ألف فريق من علماء اللغة مؤلفات ذات بال ، إلا أننا لا ندرى عدادها . فلقد عبثت بكثير منها أيدى الغير ، كما عبثت بأمثالها من آثار قرائح السلف المجيد .

على أن الأيام أسأرت لنا من كتب هذا الفن بقية دالّة . بيد أن هذه البقية ظلت — حتى اليوم فيما نعلم — مخطوطة فى دار الكتب المصرية ، أو فى خزائن من يعنون بجمع المخطوطات . فلم يطبع منها كتاب ، حتى تتعدد نسخه ، فيحظى بمطالعتها الجم الغفير من شداة اللغة وطالبيها .

وأنت جد خبير أن فى بقاء هذه الكتب الباقية مخطوطة : تعريضها للتلف ، وحبسها عن أيدى الجمهور . ولذلك جردنا القلم لكتابة هذا الفصل ، ووجهتنا التنويه بها ، والإرشاد إليها ، لعلنا نجد من ذوى العناية باللغة من ينهض بنشرها فى الناس .

ونحن — فيما يلى — مجملون القول فى نشأة هذا الفن اللغوى ، فعارضون ما تناهى إلينا من كتبه : سواء أكان ما تناهى إلينا كتابا كاملا ، أم بعضا من كتاب . وسبيلنا أن نوجز ترجمة المؤلف ، ثم نصف كتابه ، ثم نثبت لمعة منه ، تدل عليه . على أن نراعى — فى ذلك العرض — الترتيب الزمنى ، فنبدأ بالسابق ، ثم نذكر من يليه ، ثم من جاء بعد .

*
* *

لا مشاحّة أن هذا الفن إنما نشأ رياضة للمحافظة على تحصيل المفردات ، وتعويد الذاكرة استحضار معانى الالفاظ . فهو ترف علمى ، ولعل ذلك أصدق

وصف له . وإلا فما بال لفظة تفسر بلفظة ، ثم تفسر هذه بثانية ، ثم تفسر الثانية بأخرى ؟ ألا إنه إدلال بالقدرة ، وتجربة للملكة ، ومعرض للحوافظ المكينة : يتجلى فيه بارع تمكنها ، ويظهر به واسع محصولها .

كذلك كانت نشأة هذا الفن ، ولذلك كان ميدان مباراة ، ومجال امتحان . وآية ذلك فصل أنهاه الينا صاحب كتاب "المداخل" فى كتابه ، وهو من كتب هذا الفن ، وستطالعك صفته بعد قليل ، قال :

أخبرنا ثعلب ، عن ابن الأعرابى ، قال : سألت أعرابيا ما رأيت أفصح منه منذ ثلاثين سنة : ما الجُحَال ؟

فقال : القِشْب .

قلت : وما القِشْب ؟

قال : الذُّعاف .

قلت : وما الذُّعاف ؟

قال : الذِّيفَان .

قلت : وما الذِّيفان ؟

قال : الأُرُون .

قلت : وما الأُرُون ؟

قال : السَّم [١] .

قلت : فما السَّم ؟

(١) الجحال والقشب والذعاف والذيفان والأرون : السم . وهو — هنا — ما يقتل .

قال : ثقب الإبرة .

قلت : وما الإبرة ؟

قال : رأس الرَّوْق .

قلت : فما الرَّوْق ؟

قال : المِدرى .

قلت : فما المِدْرى[1] ؟

قال : قرن الجارية .

قلت : فما الجارية ؟

قال : الخَوْلة .

قلت : فما الخَوْلة ؟

قال : الظبية[2] .

قلت : فما الظبية ؟

قال : الجراب الصغير .

قلت : فما الجراب ؟

قال : بَدَن البئر[3] .

قلت : فما البدن ؟

---

(١) الروق والمدرى : قرن الظبية .

(٢) الجارية والخولة : الظبية "الحيوان" .

(٣) بدن البئر : سعته .

قال : الشيخ المسن .

قلت : فما البدن ؟

قال : درع الحديد .

قلت : فما البدن ؟

قال : الرجل المتماسك فى جسمه .

قلت : وما البدن ؟

قال : الثَّيْتَل .

قلت : وما الثَّيْتل ؟

قال : الحِطَّان .

قلت : فما الحِطان ؟

قال : البُغَيْبِغ .

قلت : فما البُغَيْبِغ ؟

قال : العَلْهَب .

قلت : فما العَلْهَب[٤] ؟

قال : تيس الجبل .

* * *

وأكبر اليقين أن هذا الفن نشأ فى بحر القرن الثانى الهجرى ، حين انبعث العلماء يتنافسون فى جمع ألفاظ اللغة ويتسابقون فى تحصيلها ، ويفتنون فى تصنيفها وتأليفها . فكان هذا الفن نوعاً من التحصيل والتأليف . وشاهد نشأته فى القرن الثانى

(٤) البدن ، والثيتل ، والحطان ، والبغيبغ ، والعلهب ، كلها معناها : تيس الجبل .

الهجرى . أن صاحب كتاب المداخل — كما ستعرف بعد سطور — يروى كتابه عن ثعلب ، عن ابن الأعرابى ؛ أو عن سلمة ، عن الفراء ؛ أو عن عمرو ، عن أبيه . وبين هؤلاء من ولد سنة أربعين ومائة .

ويتناقل مؤرخو الأدب العربى (١) أن أول من ألف فى هذا الفن أبو عمر المطرز واسم كتابه : المداخل . ونحب أن نقف تجاه هذا الذى يتناقله المؤرخون وقفة لا راد ولا منكر ، ولكن نريد أن ندفع لبسنا يتبادر منه . فإن أبا عمر ليس له فى هذا الكتاب كلمة صرف إليها وكده ، وبذل فيها جهده ؛ وإنما هو راو عن شيخه . فالكتاب كله رواية عن ثعلب النحوى ، وقد كان أبو عمر تلميذه ، فأحرى بالكتاب أن يكون لثعلب ، يعزى إليه ، ويلحق به . على أن أغلب الظن أن ثعلبا كان يلقى فصول هذا الكتاب فى مجالسه ، لا على الولاء ، ولكن تفاريق وأشتاتا . فعمد أبو عمر الى هذه الفصول ، فعنى بجمعها ، وضم بعضها الى بعض ، حتى تكون كتابا مستقلا . وهذا فضله الذى يذكر ، وعمله الذى يؤثر .

وأبو عمر المطرز هو : محمد بن عبد الواحد بن أبى هشام البارودى ، أحد أئمة اللغة وحفاظ الحديث ؛ أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة ، صحب ثعلبا النحوى زمانا ، حتى لقب : (غلام ثعلب) . وقد كان مكثرا من التصنيف . وكانت صناعته تطريز الثياب ، ولذلك سمى بالمطرز ، وتوفى ببغداد سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، وكانت ولادته سنة إحدى وستين ومائتين (٢) .

وأما كتابه فاسمه : (المداخل (٣)) بضم الميم وفتح الخاء ، وهى أول تسمية لهذا الفن اللغوى الذى نترجم له ؛ وهذا الكتاب فصول قصار قلال ، مروية كلها عن

---

(١) راجع تاريخ آداب العرب للرافعى (ص ١٩٠ من الجزء الأول) .

(٢) ملخص من : وفيات الأعيان ، وإرشاد الأريب ، وتذكرة الحفاظ ، والمزهر .

(٣) من هذا الكتاب فى دار الكتب الملكية ثلاث نسخ مخطوطة أرقامها : (٢٠٩ و ٢٢٦ ش و ١٦٦ مجاميع م) بالجزء الثانى من الفهرس (علوم اللغة العربية) .

ثعلب ، وثعلب يرويها تارة عن ابن الأعرابى ، وتارة عن عمرو عن أبيه ، وتارة عن سَلَمَة عن الفراء . ولا عجب إن قصرت فصول هذا الكتاب وقلّت ، فلقد كان هذا الفن اللغوى — حينئذ — فى مؤتنف حياته .

ودونك مثلا من المداخل :

## باب الحادُور

أخبرنا ثعلب ، عن ابن الأعرابى ، قال :

الحادور : القُرط[1] .

والقُرط : الحَلَمة .

والحلمة : القُراد الذى فى اللَّوْع .

واللَّوْع : السَّعدانة التى حول الثدى [2] .

والسَّعْدانة : الحمامة [3] .

والحمامة : البكرة التى يستقى عليها . ( وجمعها : حَمام ) .

وأنشدنا ثعلب، عن ابن الأعرابى :

لو أن من يزجر بالحَمام يقوم يوم وِرْدها مقامى

إذن أضلَّ سائرَ الأحلام

---

(١) القرط — هنا — للأذن .

(٢) القرط ، والحلمة ، والقراد ، واللوع ، والسعدانة ، كلها معناها — هنا — : رأس الثدى .

(٣) الطائر المعروف .

ودونك — من "المداخل" — مثلا آخر :

## باب الهُلَج

أخبرنا ثعلب ، عن ابن نَجدة ، عن أبى زيد ، قال :

الهلج : أحلام نائم .

وأحلام نائم: ثياب غلاظ كانت بالمدينة .

والثوب : القلب [١].

والقلب : العقل [٢]

والعقل : الرَّقْم [٣].

والرَّقْم : الروضة .

والروضة : الماء يبقى فى الحوض .

وأنشدنا ثعلب ، عن ابن الأعرابى :

(وروضةٍ سقيت منها نِضْوَتى)

* * *

ثم حذا حذو أبى عمر المطرز معاصر له ، وهو أبو الطيب [٤] اللغوى ، فألف كتابا فى هذا الفن ، سمّاه : شجر الدر . وأبو الطيب هو : عبد الواحد بن على ، لغوى ، قدم حلب ، وقتل بها بعد الخمسين والثلثمائة .

وله من المؤلفات : مراتب النحويين ، ولطيف الإتباع ، والإبدال .

(١) الذى بين الأضالع .

(٢) العقل : المعروف ، وهو النور الإلهى المدرك .

(٣) العقل والرقم : ضرب من الوشى .

(٤) ملخص من (بغية الوعاة للسيوطى) و "المزهر" له أيضا .

وكتابه "شجر الدر" مفقود — فيما نعلم — بيد أن السيوطى أثبت منه فى كتابه المزهر : مقدمته ، وفصلا منه . قال السيوطى :

( قال أبو الطيب ، فى كتابه المذكور :

" هذا كتاب مداخلة الكلام للمعانى المختلفة ، سميناه : كتاب شجر الدر ، لأننا ترجمنا كل باب منه بشجرة ، فكل شجرة مائة كلمة ، أصلها كلمة واحدة ، وكل فرع عشر كلمات ، إلا شجرة ختمنا بها الكتاب عدد كلماتها خمسمائة كلمة أصلها كلمة واحدة . وإنما سمينا الباب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض ، أى تداخله ، وكل شىء تداخل بعضه فى بعض فقد تشاجر . فهذا الوجه الذى ذهبنا إليه " .

ولو وجد هذا الكتاب ، لكان خير كتاب فى ذلك الفن اللغوى ، فإن الفصل الذى أثبته السيوطى يدل على بصر وقدرة . وإليك قطعة منه :

" شجرة :

العين : عين الوجه .

والوجه : القصد[١] .

والقصد : الكسر[٢] .

والكسر : جانب الخباء .

والخباء : مصدر : خابأت الرجل ، إذا خبأت له خبأ[٣] وخبأ لك مثله .

والخبء : السحاب . (من قوله تعالى : يخرج الخبء فى السموات والأرض)

والسحاب : اسم عمامة للنبى "صلى الله عليه وسلم" .

(١) ما تقصد إليه من عمل .

(٢) قصدت العود : كسرته .

(٣) الخبء : ماخبىء وأخفى .

والنبى : التل العالى .

والتـــلّ : مصدر التليل [١] .

والتليل : صفح العنق .

والعُنُق : الرِّجل من الجراد[٢] .

والرِّجل : العهد .

والعَهد : المطر المعاود ...... الخ .

فرع :

والعين : عين الشمس .

والشَّمس : شِماس الخيل[٣] .

والخَيل : الوهْم[٤] .

والوهْم : الجمل الكبير .

والجَمَــل : دابة من دواب البحر .

والبحر : الماء الملح .

والمِلح : الحُرمة . الخ .

فرع :

والعين : الذَّهَب .

والذَّهَب : زوال العقل .

---

(١) التليل : المصروع على وجهه .

(٢) الطائفة من الجراد ، ومن الناس أيضا .

(٣) جموحها ، ومنعها ظهرها .

(٤) الوهم — هنا — الظن .

والعقل : الشد[١] .

والشد : الإحكام .

والإحكام : الكف[٢] .

وممن ألف فى هـذا الفن محمد بن يوسف بن عبـد الله ، التميمى المـازنى السَّرَقُسْطِىّ الأندلسى ، أبو طاهر المعروف بابن الأشتركونى . وهو من المنشئين الأدباء . توفى بمدينة قرطبة سنة خمس وثمانين وخمسمائة[٣] .

واسم كتابه : المسَلسل[٤] ، وهى تسمية أخرى لهذا الفن ، ويتميز هذا الكتاب بأن صاحبه يبدأ فصوله ببيت ، ويختمه كذلك ببيت . والكتاب خمسون بابا يتجلى فيها وفرة المحصول ، وحسن الاختيار .

واليك شطرا من مقدمة الكتاب ، لتدلك على مكانة الكاتب من الإنشاء ، ومبلغ ذوقه فى البيان :

« كان فيما سُمع علىّ كتاب المداخل فى اللغـة لأبى عمر المطرز ، فاستنزرته لقدره ، ولم أحظ فيه بهلاله ولابدره ، فرأيت أنه رأى لم يستوف تمـامه ، وغرض لم تقرطسه سهامه ، ولعله إنمـا ارتجاله ارتجالا ، وجرت ركائبه فيه عِجالا ، فلم يدمِّث حزْنه ، ولا أقام وزنه ، ولا استوفى غرره ، ولا استقصى درره ، فاقتضبها عُجالة ، ووفر دونها سِجاله ، فحركنى ذلك إلى صلة ما ابتدأ ، وتمكين ما رسم منه وأنشأ ، واقتضبت فى ذلك خمسين بابا ، افتتحت كل باب منها بشعر عربى ، وختمت الباب بمثل ذلك ، وأوردت ما أمكن من الشاهد على ألفاظه هنالك . وعلى

(١) عقل البعير : شد وظيفه الى ذراعه .

(٢) أحكم فلان فلانا : كفه .

(٣) ملخص من ( بغية الوعاة ) و ( الأعلام ) .

(٤) منه نسخة جميلة الخط ، حسنة الضبط ، عند الأديب [illegible] ، وبدار الكتب الملكية : ثلاث نسخ مخطوطة أرقامها ( ٦٧ و ٣١٦ و ٤٣٣ ) بالجزء الثانى من الفهرس ( علوم اللغة العربية ) .

ذلك فما اعتمدت مجاراة، ولا قصدت مباراة ، وإني لأرى فضل السابق ، وأبخع بخوع الآبق . وأحمد منه ذلك البدء والعود ، واستسق له السّيل والجود".

ونسوق الآن مثالا من المسلسل :

قال :

"سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال

الحال : الطريقه

والطريقة : الدبّة (١)

والدبّة : القارة (٢)

والقارة : الأكمة

والاكمة : العنز (٣)

والعنز : العُقاب (٤)

والعُقاب : الرايه

والراية : الحقيقة (٥)

والحقيقة : ما تحق عليه الحفيظة

والحفيظة : الحمية .

---

(١) الحال ، والطريقة ، والدبة ، بمعنى

(٢) المراد من الدبة — هنا الحيوان المعروف .

(٣) القارة ، والأكمة ، والعنز ، بمعنى الأكمة .

(٤) العنز هو الأنثى من العقاب "الطائر" .

(٥) العقاب ، والراية ، والحقيقة ، بمعنى الراية .

والحمية : الأنفة .

والأنَفة : العَبَد[١] .

والعَبَد : الجرب .

والجرب : الدَّرْس[٢]

والدرس : الخلَق .

والخلق : النَّهْج[٣] .

والنهج : الطريق القاصد .

والقاصِد : الكاسر .

والكاسر : البازى .

والبازى : العتيق[٤] .

والعتيق : الحُرّ .

والحر : الحيَّة .

والحيَّـة : الهلال[٥] .

والهلال : الزِّبْرِقان[٦] .

(١) الحفيظة ، والحمية ، والأنفة ، والعبد ، بمعنى : الأنفة .

(٢) العبد ، والجرب ، والدرس ، بمعنى : الجرب .

(٣) الدرس ، والخلق ، والنهج : بمعنى : الخلق البالى .

(٤) الكاسر ، والبازى ، والعتيق ، بمعنى : البازى .

(٥) الحر ، والحية ، والهلال ، بمعنى : الحية .

(٦) الكوكب الليلىّ .

والزبرقان : الخفيف العارِض [١] .

والعارض : السحاب .

والسحاب : القَزَع [٢] .

والقَزَع : ما نتف من الصوف .

والصوف : العَثْعَث .

والعَثْعَث : الرمل الكثير .

والكثير : القِبْص [٣] .

والقِبْص : مجتمع النمل .

والنمل : الذر [٤] .

والذر : النَّشْر [٥] .

والنَّشر : الجرَب .

والجرب : العُر [٦] .

والعُرّة : الغلام والجارية .

والجارية : الشمس .

والشمس : الشَّرْق [٧] .

---

(١) العارض — هنا — جانب اللحية .

(٢) العارض ، والسحاب ، والقزع ، بمعنى السحاب

(٣) القبص بمعنى الكثير الجم .

(٤) هما بمعنى النمل .

(٥) يقال : ذر الله الخلق : أى نشرهم .

(٦) النشر ، والجرب ، والعر ، بمعنى : الجرب .

(٧) الجارية ، والشمس ، والشرق ، بمعنى : الشمس .

والشرق : خلاف الغروب .

والغرب : الدلو .

والدلو : السَّجْل .

والسَّجل : النصيب .

والنصيب : الكِفْل [١] .

والكِفْل : الذى لا يثبت على السرج .

والسَّرج : الحسن .

والحسن : الَغرا [٢] .

والغَرا : الطلاء [٣] .

والطلاء : الخمر .

والخمر : الإثم [٤] .

والإثم : الَحوْبة [٥] .

والَحوبة : الأم .

والأم : الزَّعْبَل [٦] .

---

(١) السجل ، والنصيب ، والكفل ، بمعنى : النصيب .

(٢) السرج ، والحسن ، والغرا ، بمعنى : الحسن .

(٣) الطلاء : ما يطلى به .

(٤) الطلاء ، والخمر ، والإثم : الخمر .

(٥) الإثم ، والحوبة : المأثم .

(٦) الحوبة ، والأم ، والزعبل ، بمعنى : الأم .

والرعبل : المرأة الحمقاء تجر رعابلها .

والرعابل : الخلَق .

والخلَق : السمل [١] .

والسَّمَل : بقية الماء .

والماء : النَّقْع [٢] .

والنقع : الغبار .

والغبار : الكوثر [٣] .

والكوثر : السيِّد .

والسيد : البدء [٤] .

والبدء : أشرف أعضاء الجزور .

والجزور : النقيعة [٥] .

والنقيعة : طعام القادم من سفر .

والسَّفَر : السِّفار [٦] .

---

(١) الرعابل ، والخلق ، والسمل ، بمعنى الخلق .

(٢) الماء ، والنقع ، هنا المستنقع .

(٣) النقع ، والغبار ، والكوثر ، بمعنى الغبار .

(٤) الكوثر ، والسيد ، والبدء بمعنى : السيد .

(٥) الجزور ، والنقيعة : الناقة المجزورة .

(٦) السفر ، والسفار : الارتحال .

والسفار : حديدة توضع على أنف البعير . قال الأخطل :

ومـــوقّعٍ أثر السفار بخطمه    من سود عَقّةَ[١] أو بنى الجوّال[٢]

*
* *

وبعد ، فهذه مقالة صرفنا فيها وجه القلم إلى تاريخ فن طريف من فنون اللغة ، فلقد هالنا ما رأينا من إغفاله فى بعض كتب تاريخ اللغة وعلومها ، أو ذكره بما لا يفى بحقه فى البعض الآخر منها .

وأكبر الرجاء أن نكون قد أدينا بذلك واجب توجيه الأنظار نحوه ، وتشويق النفوس إليه ؛ لعل الغُيُرَ من الباحثين فى اللغة يستكملون بحثه ، ويستوفون الرأى فيه ؛ ولعل منهم من ينشط إلى نشر الكتب المخطوطة المؤلفة فى شأنه . والله الموفق ما

---

(١) عقة بطن من بنى النمر بن قاسط .

(٢) كان بالأصل شواهد كثيرة ، وقد أهملناها هنا تبيينا لنسق الألفاظ ، وإيثارا للاختصار .

# بعض اصطلاحات يونانية فى اللغة العربية

## مواد للمعجم العربى الكبير

بقلم الأستاذ بندلى جوزى بجامعة باكو

من الغريب أن العرب على طول احتكاكهم بالأمة اليونانية ، واقتباسهم منها كثيرا من العلوم والفنون والصناعات ، لم يأخذوا عنها من الاصطلاحات إلا شيئا قليلا ، يكاد لا يذكر فى جانب ما أخذوه عن الفرس ، وما أخذناه ونأخذه عن اللغات الأوربية ، مع قرب عهدنا بهذه الأخيرة . وأغرب من ذلك أن أكثر هذه الاصطلاحات (كتليفون وتلغراف وتلسكوب ومكرسكوب وكاور وأزوت وتيفوس) وغيرها من أسماء الآلات الحديثة ، والعقاقير والأمراض والعناصر الكيميائية دخلت لغتنا فى العصرين الأخيرين لا عن اللغة اليونانية واليونان مباشرة ، بل عن مؤلفات ولغات قادة العلم فى أوربة ، وأكثر هذه الاصطلاحات حديث الوضع وصناعى : لم يعرفه ولم يسمع به اليونان أنفسهم الا فى العصرين المذكورين . فاذا استثنينا هذه الاصطلاحات الحديثة بقى فى لغتنا شىء قليل من المفردات اليونانية لا يزال بعضها مستعملا إلى هـذا اليوم ( كفرصة وجنس وقلم وصنج وأسفنج الخ ) ، وبعضها مُحْتَضَر ( كايساغوجى ) ، وبعضها الأخير أهمل واستعيض عنه بمفردات عربية أو أعجمية أخذت حديثا عن لغات الأمم الغربية ، ولكل ذلك أسباب يضيق المقام عن ذكرها وتأييدها بالأدلة العقلية والنقلية . ولهذا نكتفى بذكر الأهم منها فقط .

من المعلوم أن احتكاكنا بالأمة اليونانية ابتدأ فى أواخر القرن الرابع (ق . م) أى من يوم افتتح إسكندر المقدونى وخلفاؤه سورية وفلسطين ومصر وما بين النهرين وهى الأقطار التى كانت تقيم فيها بعض قبائل العرب قبل أن يفتتحها إسكندر

المقدونى (١) ، وكانت تتردد إليها تجارهم وقوافلهم ، وتنزح إليها قبائلهم حين كان يعضها الجوع أو تكتظ بها أراضيها ، وتعجز عن القيام بأودها . على أنه يظهر من عدد المفردات التى دخلت لغتنا فى هذا الدور — وهى قليلة جدا تكاد لا تزيد على العشرة — أن علاقات العرب التجارية بالأقطار المذكورة كانت ضعيفة جدا : إما لأن أكثر القوافل التى تنقل بضائع الهند واليمن الى سورية ومصر كانت وقتئذ فى أيدى النبط ، وإما لأن تجار مصر وسورية كانوا من سكان البلاد الأصليين ، لا من اليونان الفاتحين الذين اكتفوا — على الأقل فى بادئ الأمر — بالوظائف الحربية والإدارية العالية ، وتركوا لأهل الأرض التجارة والصناعة ، ولعل من هذه الأسباب أيضا أن العرب كانوا وقتئذ على جانب عظيم من البداوة ، فلم يكونوا يحتاجون الى مصنوعات أهل الحضر وعلومهم إلا ما ندر ، وهذا ما نشاهده عند غيرهم من القبائل غير المتحضرة كقبائل الترك والمغول قبل أن تهجر بلادها — ما وراء النهر — وتتحضر باختلاطها بالعرب والفرس والسند . على كل حال لا جدال فى أن المفردات اليونانية التى استعارها العرب فى هذا الدور تكاد لا تذكر فى جانب ما أخذوه عن اللغة المذكورة فى الدور الثانى من احتكاكهم باليونان ، وإن كان من الصعب أحيانا أن نبت فى الزمن الذى أخذت فيه هذه أو تلك المفردات .

يبتدئ الدور الثانى الذى يصح أن ندعوه بالدور الرومانى البزنطىّ باحتلال الرومان ( الروم ) لمصر سنة ٣٠ ق . م . ولسورية وفلسطين سنة ٦٤ ق . م . ولقسم من العراق وينتهى باحتلال العرب الأقطار المذكورة وغيرها من البلاد التى كانت خاضعة للدولة البزنطية فى إفريقية وآسية ، ماعدا آسية الصغرى ، التى لم يقو العرب على فتحها والاحتفاظ بها ، لأسباب ليس هنا محل بيانها .

---

(١) ذكر الكاتب اليونانى كينوفند ( سنة ٤٠١ ق . م ) أن كورة واقعة فى شرق الفرات كانت تدعى ( العربية ) . وذكر استرابون أن نصف سكان مدينة قبط فى مصر العليا كانوا فى زمانه ( العصر الأول ب . م ) من العرب .

كان ينتظر أن يكون عدد المفردات اليونانية التى دخلت لغتنا فى هـذا الدور أقل مما هو فى الواقع ، وأن تتغلب اللاطينية على اليونانية بعد الاحتلال الرومانى للأقطار المذكورة ؛ وذلك لأن لغة الحكومة الرسمية كانت — حتى الاحتلال العربى — اللاطينية لا اليونانية ، غير أنه يستدل من المفردات اللاطينية التى جمعتها ونشرتها فى محل آخر [1] ومما لم أنشره بعد ، أن عدد هـذه المفردات قليل جدا ، وأكثره استعمل للدلالة على وظائف حربية أو إدارية كأمبراطور وقنصل و بطريق ، وأن بعضه أخذه العرب عن اليونان بعد سقوط رومية ، لا عن الروم رأسا ، وتعليل ذلك أن اللغـة اليونانية كانت قد انتشرت فى عهد خلفـاء الإسكندر ، ورسخت قدمها فى مصر وسورية ، وخاصة فى المدن الكبيرة التى أسسها الإسكندر وخلفاؤه كالإسكندرية وأنطاكية واللاذقية وسلفقية الكبرى ( على ضفة الفرات ) وأبامية ( حماة ) ، أو التى وجدت قبل الاحتلال الإسكندرى كبيروت وصـور ودمشق وأرشليم وغيرها ، حيث أخذت اللغة اليونانية تزاحم اللغات المحلية ، أى السريانية والقبطية حتى اليهودية ، مع كراهة اليهود كل شيء أجنبي فى ذلك الوقت ، وتعصب أئمتهم للغتهم ودينهم . نستدل على رسوخ هـذه اللغة بأن الكتّاب الوطنيين الذين عاشوا فى هذا الدور الطويل كلوقيانوس و يوسف فلافيوس اليهودى وسوزمن المؤرخ وعشرات غيرهم وضعوا جميع مؤلفاتهم باليونانية ، وبأن جميع كتب العهـد الجديد ، حتى التى كتبت فى رومة ولمسيحيّي رومية ، ثم أكثر مؤلفات آباء الكنيسة ومؤرخيها وضعت أيضا — كما هو معلوم — باليونانية لا باللاطينية ، وأغرب من ذلك وأبعد فى الدلالة على انتشار اللغة اليونانية فى المملكة الرومانية أن بعض كتّاب الروم أنفسهم كالأمبراطور مارقس أوريليوس مثلا وضعوا تآليفهم باليونانية ، لغة العلم والفنون والفلسفة يومئذ . ولا عجب فى ذلك : لأن العلوم والفنون بقيت — بعـد الفتح الرومى ودخول أثينا وسائر البلاد اليونانيـة فى حكم الروم — فى أيدى اليونان ، أو من أخذ العلم عنهم ، وتفقه عليهم ، كالسوريين مثلا ، حتى كادت

(١) راجع عدد آب من الهلال لسنة ١٩٢٨ م

حرفة التعليم والتهذيب فى رومة وسائر مدن إيطاليا تكون محصورة فى أيديهم ، وهذا ما حمل أحد كتاب الروم أن يقول : "إن اليونان المغلوبة غلبتنا بالعلوم". فإذا أضفت إلى هذا العامل القوى عاملين آخرين، لا يقل تأثيرهما عنه فى حفظ اللغة اليونانية فى الشرق الأدنى وسرعة انتشارها فيه ، زال حينئذ عجبك من تغلب اللغة اليونانية على لغة الرومان الفاتحين، وهذان العاملان هما (أولا) دخول الامبراطور قسطنطين الكبير فى النصرانية ( سنة ٣٣٧ ) بعد انتصاره على خصميه مكسنتى وليتسينى ، وجعله القسطنطينية عاصمة الامبراطورية حين اضطر هو وخلفاؤه أن يعتمدوا على العنصر اليونانى ، الذى ساعده كثيرا فى محاربته خصميه المذكورين ، والذى أخذ يهجر بلاده الصغيرة الفقيرة إلى العاصمة الجديدة الجميلة ، التى أصبحت بعد حين يونانية بسكانها وميولها السياسية ، وخاصة بعد أن قسم الامبراطور تيودوسيوس ( + ٣٩٥ ) المملكة الرومانية قسمين : شرقيا وغربيا بين ولديه هونوريوس وأركاديوس ، كما فعل بعده الخليفة هارون الرشيد ، الذى قسم الأمبراطورية العربية بين ولديه الأمين والمأمون ، فأثار بذلك العواطف القومية، والضغائن الكامنة بين العرب والفرس ، وهيأ أسباب سقوط الخلافة الإسلامية.

أما العامل الثانى فهو ظهور إمارة عربية فى داخل سورية وفلسطين ، هى إمارة بنى غسان ، وكانت ذات استقلال نوعى ، وسلطة فعلية على عرب سورية وفلسطين و بعض أطراف الحجاز [1] ، وذات علاقات سياسية وعمرانية متينة مع الدولة البزنطية وعمالها فى القطرين المذكورين، ثم دخول سكان هذه الإمارة فى النصرانية ، وتردد أمرائها وأساقفتها وتجارها على عاصمة المملكة ، لعرض ما كان يعرض لهم من المسائل السياسية والحربية والادارية والكنائسية [2] على أصحاب الحل والعقد فيها، مما أدى (ولا شك) إلى اختلاط مفيد بين الأمتين ، شأن كل

(١) اقرأ عن هذه الإمارة كتاب شيخ المستشرقين نولدكه "أمراء بنى غسان من آل جفنة" وقد ترجم إلى العربية حديثا .

(٢) انظر قرار النسبة إلى جمع التكسير من قرارات مجمع اللغة العربية الملكى فى دور الانعقاد الثانى .

ارتباط بين امتين : أمة متحضرة ذات ثقافة معلومة ، وأمة متأخرة على جانب عظيم من البداوة ، وقد كان من نتائج هذا الاختلاط بين إمارة بني غسان والدولة البزنطية أن أصبحت هذه الإمارة العربيــة في القرنين الأخيرين ( قبل الاحتلال العربي) أرقى الإمارات العربية وأغناها ، وأصبحت عاصمتها وسائر بلادها كعبــة شعراء العرب، ومحط رحالهم ورحال تجارهم ، يؤمونها من جميع أطراف الجزيرة، لمدح أمرائها ، أو للتجارة أو للسكنى ، و يأخذون عنها ما كانوا يرونه هناك من أسباب الحضارة والترف ، وما كانوا يسمعون من الأسماء الغريبة . وبهــذا يعلل انتشار هذه الأسماء بين سكان مكة والمدينة ، وورود بعضها في القرآن .

إذا اعتبرنا كل هذه العوامل، جاز لنا أن نستنتج منها أن أكثر المفردات اليونانية الدالة على شيء من الثقافة المـادية، أو على بعض الوظائف الإدارية أو الدينية ، أو على أمور دينية محضة، إما أن تكون قد دخلت لغتنا في هذا الدور الطويل عن اليونان مباشرة ، أو عن السريان الذين كانت لهم باليونان علاقات سياسية وروحية أمتن وأقدم وأوسع من علاقات العرب قبــل الفتح العربيّ ، وإما أن تكون قد انتقلت إلى لغتنا يوم هجر سكان سورية ومصر لغاتهم، وصاروا يتكلمون العربية ، ولا أظنني مبالغا إذا قلت إن ٩٥ ./ من الاصطلاحات اليونانية دخل لغتنا بهذه الطريقة ، أما عدد ما دخل العربية في هــذا الدور من الاصطلاحات اليونانية فمن الصعب بيانه ، لأسباب كثيرة مفهومة ، على أنه ليس بالكثير إذا نحن قسناه إلى طول هــذا الدور ، وإلى تنوع علاقاتنا بالأمة اليونانية وعلومها وثقافتها المـادية والمعنوية . ومن أسباب ذلك أن العرب في جزيرتهم أو في سورية أو مصر ، لم يكونوا من الهمجية والبداوة في الدرجة التي كانت عليها القبائل الجرمانية مثلا في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ( ب . م ) ، حين ابتدأت تعبر نهر الرين ، وتتغلغل في المملكة الرومانية ، تدوخ بلادها ، وتقتل أهاليها ،

حتى إذا انتهت من فتوحاتها واستقرت بها النوى ، أخذت تتقرب من أهالى البلاد المفتوحة ، وتأخذ عنهم عناصر الحضارة والثقافة واللغة اللاتينية الشعبية ، إلى أن اندمجت فيهم ، ولم يبق منها بعد قرنين إلا بعض أسمائها كفرنك ، وفندل ، وبورغوذ الخ .

وكذلك لم تكن ثقافة البزنطيين فى الدور الذى نحن فى صدده فى الدرجة التى كانت عليها ثقافة العرب فى عصر المأمون وخلفائه ، يوم ابتدأت قبائل الترك والمغول تأخذ عن العرب والفرس مبادئ الثقافة الإسلامية وآلتها : أى اللغة العربية ، التى كادت فى بعض البلدان [1] تقضى على لغة الوطنيين ، كما قضت على لغات سورية ومصر والمغرب ، وكادت تقضى على لغات الترك والتتار والمغول وغيرهم من الأمم التى دخلت فى الإسلام وأخذت عن العرب الثقافة الإسلامية . وما ذلك إلا لأن العرب فى الدور المذكور كان لهم لغة غنية فصيحة موحدة ، وقادرة على التعبير عن أسمى المعانى المجردة ، وأرق الأحساسات ، لغة سلسة مصقولة اشتغل فى صقلها (على ما يظهر) مئات بل ألوف من الشعراء قبل أن تصل إلى ما هى عليه فى شعر أمير الشعراء [2] والذبيانى وغيرهما من شعراء هذا الدور ، ولأنهم كان لهم أيضاً شعر متين ساحر ، تجلى فيه روحهم العربى وحياتهم الاجتماعية ، ومطامحهم البعيدة ، وكان فيه من جراثيم أنواع الشعر ما لو مدّ الله فى أجله وحريته ، ورد عنه أيدى أهل التعصب الدينى ، وأئمة الأدب الكاذب المموه ، لتفرع عنه من أنواع الشعر ما تفرع عن شعر اليونان والرومان كالشعر الوصفى ( Epique ) والحماسى ( Héroïque ) والغنائى ( Lyrique ) والغزلى ( Ch. d'amour ) وغيرها . ولولا هذه اللغة ولولا هذا الشعر لأصاب العرب ما أصاب غيرهم من الشعوب غير المتحضرة حين اصطدامها بالأمم المتحضرة .

---

(١) خراسان .

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى من شعراء الجاهلية .

ومن أسباب قلة المفردات اليونانية فى لغتنا أن العرب قبل أن يحتكوا بالأمة اليونانية وآدابها ، كانوا قد احتكوا بالأمة السريانية ، وأخذوا عنها مئات من الاصطلاحات[١] ، للتعبير عما كانوا يحتاجون إليه من المعانى المادية والروحية ، كمدينة وقرية وبيعة وفرقان وغير ذلك من المفردات التى تؤدى هذه المعانى فأغنتهم عن اقتباسها من اليونانية أو الفارسية ، وما لم يجدوه فى السريانية أخذوه عن اليونانية من طريق السريان واللغة السريانية كما قدّمنا . نستدل على ذلك بأن أكثر ( إن لم نقل جميع ) المفردات اليونانية التى فى العربية هى أيضا فى السريانية ، وأن التحريفات والأغلاط التى نراها فى المفردات اليونانية التى فى لغتنا هى هى فى السريانية أيضا .

يبتدئ الدور الأخير من ارتباطنا بالأمة اليونانية وآدابها بالفتح العربى لولايات بزنطية الشرقية ، وينتهى بسقوط الخلافة الإسلامية فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر وهو دور النقل والتعريب على يد السريان والنبط والعرب والمسيحيين وبعض علماء القبط .

لا ريب فى أن أكثر ما دخل لغتنا من المفردات اليونانية ، وخاصة ما كان له علاقة بالعلوم الطبيعية والعقلية كفلسفة وسفسطة وجغرافيا ونقرس وترياق وغير ذلك ، دخلها فى هذا الدور : إما مباشرة ، وإما عن طريق السريان وغيرهم من أساتذة العرب فى القرون الأولى للاسلام . وكذلك لا ريب فى أن عدد هذه المفردات فى أوائل هذا الدور أكبر مما حفظ منها إلى هذا اليوم ، سواء أكان فى لغة العلم واللغة الدارجة أم فى المؤلفات القديمة بين مطبوعة ومخطوطة . والسر فى ذلك أن نقلة كتب اليونان لم يكونوا (على ما يؤخذ من مطالعة ما حفظ من منقولاتهم) يحسنون اللغة العربية ، أو أنهم لم يكونوا قد وجدوا فيها من الاصطلاحات ما كان يصلح لتأدية الاصطلاحات اليونانية تأدية تامة غير أن عدد الاصطلاحات

(١) طالع كتاب الأستاذ Frankel ; Sieg
" Die Aramaischen Fremdwörter in Arabischen "

الدخيلة أخذ يتناقص عصرا بعد عصر ، إلى أن كاد يمحى فى القرنين الأخيرين قبل سقوط الخلافة الإسلامية ، حين انتقل العلم والتدريس من أيدى السريان وغيرهم من الوسطاء الى أيدى العرب والفرس المستعمرين . ومع ذلك لا جدال فى أن عددا كبيرا من الاصطلاحات اليونانية دخل لغتنا ، ولا يزال مستعملا فيها إلى هذا اليوم فى الدور الذى نتكلم عنه ، وأن هذا العدد يعادل ما دخلها فى الدورين السابقين أو يزيد ، فلو جمعت كل هذه المفردات ، وأضيف اليها ما أخذناه عن الأوربيين من الاصطلاحات اليونانية الحديثة ، لزاد مجموعها على سبعمائة كلمة ، وهو عدد كبير ( ولا ريب ) ، ولكنه زهيد بالقياس على ما دخل لغتنا الدارجة من المفردات الفرنسية والإنكليزية فى مدة قصيرة لا تزيد على العشرين سنة ، فقد كدت يغمى على من كثرة ما سمعت من هذه الاصطلاحات الجديدة يوم زرت دمشق وبيروت سنة ١٩٢٨ آتيا إليهما من بغداد ، إذ سمعت من سائق السيارة وحده نحو أربعين كلمة ، قال إنها فرنسية ، وسمعت من خياطة إفرنجية فى بيروت نحو هذا العدد وسمعت وسمعت ، حتى صرت أخشى أن يغمرنا هذا البحر الزاخر ، ويفسد علينا لغتنا البديعة إن لم تتلاف هذا الخطر الزاحف إحدى الدول العربية ، أو المعاهد العلمية ، بانشاء معهد لغوى خاص ، يعهد إليه فى وضع اصطلاحات عربية للمعانى والمسميات الحديثة .

قلت إن فى لغتنا اليوم نحو سبعمائة كلمة يونانية قد نستطيع أن نستغنى عن بعضها ، ولكننا لا نستطيع أن نستغنى عنها كلها . فلهذا ولأن هذه المفردات ( حتى التي هجرناها منذ زمن بعيد ) وردت فى مؤلفاتنا القديمة ، وأدت لنا فى الأعصر الأولى من تاريخ ثقافتنا خدما جليلة ، أرى أنه لا بد من جمعها وإدخالها فى معجم لغتنا الكبير ، الذي شرعوا ( على ما يقال ) فى وضعه فى مصر ، مع بيان اشتقاقها وجميع معانيها وما يقابلها من مفردات لغتنا إن كان ثمة مفردات. وليس من ينكر أن جمعها وضبطها وبيان صحيح اشتقاقها وزمن انتقالها إلى لغتنا لا يحتاج الى معرفة اللغة اليونانية القديمة ، ولغة الأجيال الوسطى وحدهما ،

بل إلى مراجعة ما نقلناه من المؤلفات عن اليونانيـة والسريانية ، وأكثر هـذه المؤلفات لا يزال ( كما قدمنا ) مخطوطا فى خزانات كتب الشرق والغرب ، يحتاج إلى مطالعات مطردة ، يقوم بها من له معرفة واسعة باللغتين المذكورتين ، ومن ينتدبه لهذا العمل المجمع اللغوى . فلا بد إذا من توزيع العمـل على أصحاب الاختصاص ، لكى يكون المعجم فى مستوى العلم الحـاضر ، مشتملا على جميع المفردات التى استعملها أجدادنا ولا نزال نحن نستعملها بدون أن نفقه أحيانا معانيها وطرق تسربها الى لغتنا الفصحى والدارجة . ونحن لا نطمع فى هذه المقالة المستعجلة أن نأتى على كثير من المفردات ، وإنما غرضنا أن نوجه أنظار أصحاب الشأن فى المجمع اللغوى الى هذه الناحية من عمله ، ونساعده على قدر معرفتنا وقوانا. ولهذا اكتفينا الآن بذكر بعض اصطلاحات خفى اشتقاقها على أصحـاب المعاجم العربيـة (١) ، وعلى من كتب فى الدخيل فى لغتنا كابن دريد والشهاب الخفاجى(٢) وغيرهما من معاصرينا : إما لجهلهم اللغة اليونانية، وإما لأنهم عدوها من المفردات العربية كما يظهر من بعض عباراتهم .

ولعلنا نعود إلى هذا الموضوع ونوفيه حقه فى فرصة أخرى .

---

(١) من غرائب صاحب "محيط المحيط" اشتقاقه كلمة "غراماطيق" من (Gramma) بمعنى حرف و (ikos) (بيت) ؟ مع أن كلمة (بيت) فى اليونانية يكتب هكذا (oikos) أما (ikos) فهى من أواخر النسبة عندهم .

(٢) لم يذكر صاحب "شفاء الغليل" فى كتابه إلا ثلاث كلمات يونانية على زعمه ، وهى يانسون ، وبنكام ، ( ؟ ) وخندريس . مع أن كتابه يحتوى على أكثر من مائة كلمة يونانية وهم ( رحمه الله ) أنها رومية : أى لاطينية ، أو اكتفى بقوله : إنها من الدخيل بدون أن يبين اللغة التى انتقلت منها إلى العربية . ناهيك ما فى كتابه المذكور من الخلط والأغلاط الفظيعة .

## بعض الكلمات اليونانية فى اللغة العربية[١]

١ — إبليس : ( Diàbolos ) بحذف المقطعين الأولين وزيادة ( إ ) على أول الكلمة ، لابتدائها بحرف ساكن ، وتحويل ( o s ) إلى ( i s ) . ومثلها .

٢ — إنجيل : ( Evangéli-on ) . والكلمتان ، على ما يظهر ، أخذتا عن اللغة الحبشية ، لا عن اليونانية مباشرة ، أو عن السريانية . لأنهما لم تتخذا هذه الصورة إلا عند الأحباش[٢] .

٣ — إبرِيَسم : نرجح أنها أخذت عن ( prasinos ) ومعناها ( الحرير الأخضر ) لا عن الفارسية ( إبريشم ) كما جاء فى كتاب المطران أدى شير[٣] .

٤ — أُخْنُد : ( arkhôn ) رئيس . مترئس .

٥ — أُخطبوط : ( oktôpódion ) ومعناها ذو ثمانى أرجل ، وهو السّرطان المعروف .

٦ — أبو قلمون : ( hypokalàmei-on ) وهذه الكلمة دخلت اللغة العربية عن اليونانية مباشرة ، ولهذا لم تتحوّل الباء فى ( أبو ) إلى فاء .

٧ — إزميل : ( Smill-ee ) و ( Smili-on ) .

٨ — إسطار : ( State'er ) نقد من ذهب أو فضة ، يعدل الذهبى منه عشرين درهما ، والفضى أربعة دراهم .

---

(١) تنبيه — رأينا أن نستبدل بالحروف اليونانية حروفا لاتينية ، تسهيلا على جمهور القراء ، وقد اصطلحنا أن نؤدى الحرف ( ita ) بحرف ( ee ) وحرف الخاء بحرف ( kh ) والـ ( f ) اليونانية بحرف ( ph ) وأن العلامة (—) تفصل بين أصل الكلمة اليونانية وعلامة الإعراب .

(٢) راجع صفحة ٤٧ من كتاب Th. Noeldeke المسمى :
" Neue Beiträge zur Semt: Sprachwissenschaft::

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة صفحة ٦ .

٩ — أسطب، أصطب، أصطبة : (Stypee; Styppee, Stypei-on-) وهى مشاقة الكتان ونحوه .

١٠ — اسطول : ( Stol-os ) .

١١ — أسطقس : ( Stoikheí-a ) العنصر .

١٢ — اسطورة : ( histori-a ) .

١٣ — إسطنبول : (eisteenpól-in) ومعناها الأصلى : إلى المدينة ، واسم المدينة الحقيق القسطنطينية .

١٤ — إسكملة : (skamnei-on) .

١٥ — إفريز : ( Obrýz-on ) أو ( Ophry'-s ) .

١٦ — أفندى : ( aphthént-ees ) السفاح . القاتل بيده . الجلاد . ثم المستبد . السيد الظالم . السيد على الإطلاق .

١٧ — إقليد : ( Klei-s ) مفتاح ، وتصغيره ( kleidi-on ) .

١٨ — إقليم : ( Klim-a ) ، وأصل معناها المنحدر ، ثم استعملت للدلالة على صفة المحل الجغرافية و بلاد النور .

١٩ — إسفنج : ( spoggeé ) وتلفظ ( spongeè ) ومنها الفرنسية ( éponge ) بزيادة ( é ) أمام حرف ( s ) المفخم كما فى état, Espague من stabilire من établir; status من epinard, من spina الى غير ذلك مما صار عندهم كالقاعدة .

٢٠ — إكسير ( kseeri-on ) .

٢١ — أنجر ( المرساة ) : ( ágkyr-a ) وتلفظ ( ánkyra ) .

٢٢ — عضو التناسل عند الذكور ( eyr-os ) وهذا ليس محققا .

٢٣ — برج ( pýrgos ) وفي اللاتينية ( pyrgos ) وكلاهما على ما يظهر من الجرمانية ( Byrg ) .

٢٤ — برنس وبالإدغام بُرّس : لعلها من ( birr-oà ) (١) .

٢٥ — برنى من ( porn-ee ) الزانية، وقد أخذت عن اليونانية مباشرة، وإلا كانت فورنى .

٢٦ — بُرجُد عن اليونانية ( paragáudi-on ) أو عن اللاطينية ( paragáuda ) والأخيرة أصح .

٢٧ — بقدونس والأصح مقدونس من ( macdonísi-on ) مما يستدل منه على وطن هذا النبات وهو مقدونية .

٢٨ — بلغم وصحيحها ملغم : من ( málagma ) أى خليط .

٢٩ — بلقيس من ( pélekces ) الزانية . العاهرة .

٣٠ — بندق : من ( póntik-on ) نسبة إلى ( pont-os ) : أى البحر الأسود ، وعلى شواطئه ينبت البندق .

٣١ — بطاقة : ( pittáki-on ) .

٣٢ — بيطار : ( bippiatr-ós ) طبيب الخيل .

٣٣ — بوص : الحرير الأبيض ( من byssós ) وهو الدمقس .

٣٤ — ترس : ( thyre-os ) .

---

(١) راجع تأليف المستشرق S. Frankel المسمى .
„ Die Aramäischen Fremdwörter in arabischen 1. 50 "

٣٥ — ترف : أرجح أنها مأخوذة عن ( tryph-ée ) بالمعنى نفسه .

٣٦ — ترياق ، ودِرْياق : لعلها من ( theeriaká ) .

٣٧ — جنس : ( génos ) .

٣٨ — جسر : أرجح أنها مأخوذة عن ( géphyra ) .

وكذلك كلمة ( كبرى ) وهى فى التركية ( Köpri ) وهذه من أقدم ما دخل لغتنا من المفردات اليونانية .

٣٩ — جزية على الرءوس ( Epikephálaion ) .

٤٠ — خلقين : ( (Khalkeíon) المرجل النحاسى الكبير) .

٤١ — درهم : (drakhm-ée) .

٤٢ — دلاص . اللين البراق من : (déel-os) الظاهر البين .

٤٣ — درقة . ترس من جلد (thôraks) .

٤٤ — دُكّان . (dokhei-on) .

٤٥ — دِيْمَاس . (deemósi-on) عمومى . عام . وهو صفة لموصوف منوىّ وهو (loutr-on) الحَمَّام .

٤٦ — دمقس . حرير أبيض . محرفة إما عن مدقس وفى اليونانية (métaksa) : الحرير وإما عن دمشق حيث كانوا يصنعون الأنسجة الحريرية وغيرها .

٤٧ — رِفاس . حبل تربط به يد البعير . من (ripás) .

٤٨ — زَبَرْجَد . حجر كريم (smáragd-os) بواسطة السريانية إز برجد حيث وقع التحريف .

٤٩ — زكاة . أرجح أنها يونانية دخلت لغتنا فى الدور الأول من ارتباطنا بالأمة اليونانية . أما أصلها فهو (déka) عشرة . أو (díkee) الحق . العدل . الحكم العادل . القضية . قرار المحكمة . التبرئة . تخليص . تزكية البضائع : أى دفع ما عليها من الضرائب . ومنها اشتقوا فعل زكى وتزكى : أى دفع العشر والضرائب .

٥٠ — زُنَّار . (Zôu-ee, Zonári-on) .

٥١ — زوج . (Zeugári-on,Zeug-os) . وهى تدل على الزوج بمعنى البعل وبمعنى الفدان : أى زوج الثيران والعلاقة بين المعنيين ظاهرة والكلمة قديمة جدا فى لغتنا .

٥٢ — سَرَقة وسَرَق . من اليونانية (seerik-ós) الشقة من الحرير . لا من الفارسية كما وهم صاحب المنجد وهي في اللاتينية (sericum) . ولعلها محرفة عن كلمة ( سورية ) حيث كانت معامل الحرير .

٥٣ — سِطام . حد السيف . من (stóma) جمعه سطم .

٥٤ — سِفود . (siphídion) .

٥٥ — سَفين . من (sphéen) .

٥٦ — سندس . (sýndyks) أنواع من الحرير . لا من ( sindôn ) كما يظن Fränkel ( ص ٤١ ) .

٥٧ — سَيْر . قِدة من جلد كالحبل . من (seirá) .

٥٨ — سيمياء . العلامة . السحر الكاذب . من (seemeía) .

٥٩ — طَاجَن . (teégan-on) .

٦٠ — طاوُوس . (táôs) .

٦١ — طِرِّيخ . سمك صغار تعالج بالملح (tárikh-os) .

٦٢ — طَسْق . محرفة عن طقس (tákscos) قال قدامة فى كتاب الخراج (VII, Cap. 7) "ثم تغير ذلك ( أى نظام المقاسمة الذى وضعه عمر ) أجمع بما رأته الجماعة مستأنفا فى توفير الوضائع والطسوق بحسب خروج الغلات والثمار" الخ .

٦٣ — طلسم . من ( (téleɛm-a) من فعل (teléô) بمعنى وقف أو اطلع على أسرار (رسم ) استعمل السحر . عمل أعمالا سحرية سرية . يقابلها فى اللاطينية (initio) ومنها الفرنسية (initier) .

٦٤ — طِنْجِير[1] من (tágeen-on) .

٦٥ — فانوس . من (phan-ós) .

٦٦ — فرخ . من (pagée) أو (pag-ír) .

٦٧ — فَرْتَنَى . من (parthén-os) بنت . ابنة . عذراء ، ثم تحول معناها فصارت تستعمل للدلالة على البنت أو المرأة الزانية كما يستفاد من قول جرير :

"ألم ترأنى قد رميت ابن فرتنى بصماء لا يرجو الحياة صميمها"

وذكر صاحب الأغانى أن كل أمة كان يقال لها فرتنى ( ٤ : ٤٥ ) راجع أيضا نقائض جرير والفرزدق (1, 40 d) والمرصع ص ٥١ أما ابن تونى ( لسان العرب ١٩ : ٥٧ ) ونقائض جرير (1, 41) فأظنها حرفت عن فرتنى أو بُرْتَنَى التى تقدمت .

٦٨ — فرصة . من (pór-os) وسيلة للحصول على شىء عن طريق السريانية ( فرصتا ) .

---

(١) فى القاموس، معرب فارسيته باتيله .

٦٩ — فُص . من (pséeph-os) أى الحجر الصغير . حجر الخاتم .

٧٠ — فَنار . من (phan-ós, phanári-on) فانوس .

٧١ — فُنْدق . من (pantokhcí-on) المنزل . محط الرحال .

٧٢ — قَارِب . من (karábi-on) .

٧٣ — قَالَب . من(kalopódi-on) .

٧٤ — قانون . من (Kanôn) .

٧٥ — قَرَبوس . من (Kreepís) .

٧٦ — قِرْطَاس . من (Khártees) .

٧٧ — قِرْطَلَّة [1] من (Kartállos) .

٧٨ — قُرْطُمَان [2] من (Kárdam-on) .

٧٩ — قَرْنَبيط [3] وقنبيط . (Dônôpídion) .

٨٠ — قَرِيَّة . عمود الشراع (Keraiá) .

٨١ — قَرَنْفُل . (Koryôphil-on) بزيادة النون .

٨٢ — قصدير . (Kassiter-on) .

٨٣ — قُطْر . أرجح أنها حرفت عن (Kéntr-on) . المركز . أى حذفت منها النون فقط .

---

(١) فى القاموس : عدل حمار كالقرطالة بالكسر واحدة القرطال .

(٢) الجلبان .

(٣) قال فى تاج العروس فى شرح القنبيط وهو القرنبيط بلغة ...

٨٤ — قطرب . صغار الجن . الذئب . ذكر الغيلان . الخ من (Kynán-throp-os) . ومعناها إنسان فى صورة كلب أو ذئب .

٨٥ — قَصْرِية . (gostrí, gástra. gàstrí-on) .

٨٦ — قُفَّة : (Kôphin-os, Kophídion) .

٨٧ — قُفْل : (Klaustr-on)

٨٨ — قَلْزم : (Klyzma) .

٨٩ — قَلْس : ( حبل ضخم للسفن ) من Kálôs .

٩٠ — قلم : (Kálam-os) .

٩١ — قَلَنْسوة : لعلها مأخوذة عن (Káu-os) قَوْنَس . أعلى الرأس (أنظر قونس فى دائرةالمعارفالإسلامية) .

٩٢ — قُمْقم : (Koukoum-ion) . أو من اللاتينية (Cucúna)

٩٣ — قِمَّة : (Kôma) أو من اللاتينية (Cima) ومنها الفرنسية (la cime) .

٩٤ — قَميص : (hpokámis-on) .

٩٥ — قِنَّب : (Cánnab-is) .

٩٦ — قَنص : (Kynig-ós) أو (Kynag-ós) .

٩٧ — قِنِّينَة : (Kanni-on) .

٩٨ — قَوْنَس : (Kôn-os) .

٩٩ — كَتَّان : (Khit-ôn) أو هى من الفينيقية .

١٠٠ — كرخ : لعلها مقلوبة عن خرك واليونانية (Khárak-s) . وتد . محل محصن . قلعة .

١٠١ — كرنب وكرنب : (Kramb-ée) .

١٠٢ — كُركيّ : (Kirk-os) .

١٠٣ — كلس : (Kháliks) أو عن اللاتينية (Càlci-um) .

١٠٤ — كرنيب : وعاء للماء من قرع [١] (Khérnips) و (Kheruibóni-on) .

١٠٥ — كسيفون ( نبات ) : (Ksíphi-on) .

١٠٦ — كوب : (Kyb-os) .

١٠٧ — كورة : من (Khôr-a) ومنها اشتقت كلمة خورى وأصلها (Khorepiskop-os) أى أسقف الكورة . وهنا نلاحظ أن المفردات الدالة على المدن أو القرى أكثرها دخيل فى لغتنا فمدينة : سريانية . وبلد : لاتينية . وقرية : فينيقية وأصلها قرتا ومنها قرتاجنه . وكورة : يونانية . وأما ضيعة فانى أرجح أنها محرفة عن الفارسية ( دهها ) جمع ده . وهى الضيعة أو الأراضى المزروعة . وأم القرى ترجمة (Meetrokômia) .

١٠٨ — كيمياء : (Khym-ós) .

١٠٩ — كيس : (Kis-is) .

١١٠ — لص ولص والطائيون يقولون لصت ( حياة الحيوان للدميرى ) من (lyst-ées) .

---

(١) قال شارح القاموس : الكرنب ( بالفتح وبكسر ) والكرناب أيضا : المجيع وهو الكديراء عن ابن الأعرابى والكربة : إطعامه للضعيف . ثم فسر الكرنبة بأنها أكل التمر باللبن وفى التهذيب الكرنيب والكرناب التمر باللبن . وفى هامش تاج العروس : قوله : ( الكديراء ) ... بنقع فيه تمر برنى .

١١١ — لغم : (mi-lagoúmi-on, lag-ôn) .

١١٢ — لَكَن : لعلها من (lekán-ee) أو هى فارسية .

١١٣ — لَقَالق : (louknik-on) أو (lucaniciun) اللاتينية بقلب النون لاما وهذا كثير عندهم .

١١٤ — مَرْجَان : (Margarit-ees) .

١١٥ — مَرْهم : من (màlagm-a) عن طريق الفارسى ملغم أو أو ملهم .

١١٦ — مسطارين : (tri 'moustri-on, mystri'-on)

١١٧ — مصطبة : (Steib-ás) .

١١٨ — مُلُوخية : (molókh-ee) .

١١٩ — منجنيق : (magganik-ón)

١٢٠ — منديل : (mandéelei-on)

١٢١ — مِنيا : محرفة عن : (liméen)

١٢٢ — نافورة : (anaphor-á) .

١٢٣ — ناموس : (nóm-os) .

١٢٤ — نقرس : (nékr-ós) .

١٢٥ — نوتى : (náut-ees) .

١٢٦ — هُرْى . ج أَهْرَاء : (hôreí-on) .

١٢٧ — هَيُولى : (hyl-ee) .

١٢٨ — ياقوت : (pyakinth-os) .

١٢٩ — يانسون وصحيحها أنيسون : (áneés-on) .

ملحوظة : ماورد فى هذه المقالة من الألفاظ اليونانيــة رسمها كاتبها بالحروف اللاتينية ، وعلى الحروف العلامات الصوتية التى يجـــدها المطالع ، وقد تحرّينا ضبط هذه الألفاظ كما وردت فى الأصل المحفوظ بقلم الكاتب ( لجنة المجلة ) .

# اللهجة العربية العامية

## ٢ — بقية المؤلفات المتعلقة بهذا البحث

للأستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع

بعد أن نشرت القسم الأول من هذه المقالة فى مجلة مجمع اللغة العربية الملكى ( فى الجزء الأول من صفحة ٣٥٠ إلى صفحة ٣٦٩ ) تقاضانى بعض الأصدقاء التبسط فى هذه البحوث ، لتكون المقالتان مما يحتاج إليه الباحثون فى اللهجات العربية العامية فى كل قطر ينطق سكانه بالضاد ، و يرجع اليه المحققون ، فأنشأت هذه المقالة تتمة للأولى ، وذكرت فيها ما فاتنى هناك، وما وصلت إليه يد البحث، فعددت المصنفات الشرقية والغربية المنتشرة فى خزائن العامة والخاصة ، مشيرا إلى ما طبع منها وما بقى مخطوطا ، على قدر الطاقة .

وفى كثير منها نوادر ونفائس رائعات ، فى هذا الغرض الذى وقفت عليه بحثى ، وسألحق ذلك بمقالات مطوّلة فى اللهجة العامية السورية واللبنانية ، وما فيها من القواعد اللسانية والبيانية ، بتفصيل واف إن شاء الله .

وهذه تتمة مقالة المؤلفات فى اللهجات العربية العامية القديمة والحديثة :

### ( ١ ) مؤلفات القدماء فى اللهجة العامية العربية أو الدخيلة والمعربة

( ما تلحن به العوام ) للكسائى المتوفى سنة ١٨٩ هـ ( ٨٠٤ م ) وصف فى المجلد الأول ( ص ٣٥٣ ) وفاتنا أن نذكر أنه طبع سنة ١٣٤٤ هـ ( ١٩٢٥ م ) فى مصر بمجموعة ثلاث رسائل فى ٤٠ ص بقطع الثمن .

( البهاء فيما تلحن فيه العامة ) ليحيى بن زياد الديلمىّ المعروف بالفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ( ٨٢٢ م ) .

( ما تلحن فيه العامة ) لأبى الهيذام [١] كلاب بن حمزة العقيلىّ الحرّانىّ المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ( ٨٢٢ م ) .

( الغريب المصنف ) لأبى عبيد اللغوىّ المتوفى سنة ٢٢٢هـ ( ٨٣٦ م ) .

( النوادر ) لابن الأعرابى المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ( ٨٤٤ م ) .

( ما تلحن فيه العامة ) لأبى نصر أحمد بن حاتم الباهلىّ صاحب الأصمعىّ ، المتوفى سنة ٢٣١ هـ ( ٨٤٥ م ) .

( استدراك الغلط ) لأبى بكر الزبيدىّ .

( الألفاظ التى يتكلم بها فى غير مواضعها ) لابن السكيت أيضا ، ضمن مجموعة فى الخزانة التيمورية [٢] .

( إصلاح غلط أبى عبيد ) لابن قتيبة الدينورىّ المتوفى سنة ٢٦٧ هـ ( ٨٨٠ م ) .

( الفصيح ) لثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ ( ٩٠٣ م ) وعليه شروح وذيل لعبد اللطيف البغدادىّ طبع بمصر .

( الفاخر فيما يلحن فيه العامة ) لأبى طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم الكوفى اللغوىّ النحوىّ صاحب الفرّاء والكسائىّ من علماء أواخر القرن الثالث للهجرة .

---

(١) وفى كتاب ( الأغانى ) للأصبهانى : ( لأبى الهندام ) .

(٢) راجع وصف مخطوطات الخزانة التيمورية لكاتب المقال — مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٣ : ٢٢٥) .

والفاخر : كتاب معانى ما يجرى على ألسنة العامة من أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك ، فهو أشبه ( بمجمع الأمثال ) للميدانىّ ولكنه باللغة العامية .

نشر الفاخر بعناية شارلس ستورى C·A·Story أستاذ العربية فى جامعة كمبردج ( بانكلتره ) وفى آخره فهارس للقوافى والشعراء والأمثال والألفاظ والرجال مطبوعا فى ليدن ( هولنده ) سنة ١٩١٥ م فى ٢٦٠ صفحة ( وهو من مخطوطات المرحومين (زكى باشا والشنقيطى) فى القاهرة .

ومن هذا الكتاب رسالة اسمها ( غاية الأرب فى معانى ما يجرى على ألسنة العامة من كلام العرب ) أفردت منه ، وهى فى بعض الخزائن الشرقية .

( ما تلحن فيه العامة ) : لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ ( ٩٠٣ م ) .

( التنبيه على ما فى الفصيح من الغلط ) لأبى القاسم علىّ بن حمزة البصرىّ المتوفى سنة ٣٧٥ هـ ( ٩٨٥ م ) فى خزانة الاسكوريال ( اسبانية ) .

( الرد على الزبيدىّ فى لحن العوام ) : لابن هشام، فى الأسكوريال ( إسبانية ).

( ما أخذ على المتنبى من اللحن والغلط ) للقزاز القيروانىّ المتوفى سنة ٤١٢ هـ ( ١٠٢١ م ) [1] .

( الأمثال العامية البغدادية ) للقاضى أبى الحسن على بن الفضل المؤيدىّ الطالقانىّ جمعها سنة ٤٢١ هـ ( ١٠٣ م ) ورتبها على حروف المعجم ، ولا يعرف

---

(١) كثرت الرسائل والمؤلفات فى النقد عند العرب ، ولا سيا فى نقد اللغة والأغلاط واللحن ، فنجد لكل شاعر أو كاتب من المشهورين من انتقده كالمتنبى وزميليه أبى تمام والبحترى ، ففيهم رسائل بانتقادهم ، وأخرى فى الدفاع عنهم ، لا محل هنا لتفصيلها ، وقد نشر أسماء كثير منها فى مجلة المقتطف وغيرها ولى بينها رسالة فيما وقفت عليه منه .

منها الآن فى بغداد إلا نحو عشرين مثلا فقط ، استنسخها من مكتبة أيا صوفيا (الأستانة) زميلى الأستاذ لويس مسنيون L. Massignon الفرنسى وحذف منها البذئ ، فبقى ٦١٣ مثلا ، طبعها بمطبعة رمسيس فى القاهرة سنة ١٩١٣م فى ٣٧ صفحة بقطع الثمن ، وذيلها بفهارس .

(ما تلحن فيه العامة) : رسالة لسلامة بن عياض بن أحمد المتوفى سنة ٥٣٣ﻫ (١١٣٨ م) ذكر فيها لحن العامة فى عهده .

(حواش على درة الغوّاصّ فى أوهام الخواصّ للامام الحريرى صاحب المقامات) ردّ فيها عليه ، وردود أخرى فى التخطئة والتصويب ، سيأتى ذكرها فى أماكنها . ومنها :

(الرد على الحريرىّ فى درة الغوّاصّ) لمحمد بن عبد الله بن المظفر المكىّ الصقلىّ المتوفى سنة ٥٦٥ ﻫ (١١٦٩ م) .

(رد ابن الخشاب على درة الغوّاصّ) رسالة فى نقدها .

(اللباب فى الرد على ابن الخشاب) لعبد الله بن برى المقدسىّ المصرىّ اللغوىّ يرد فيه على نقد ابن الخشاب . توفى ابن برى سنة ٥٨٢ ﻫ (١١٨٦ م) وطبعت رسالته هذه فى الآستانه سنة ١٣٢٨ ﻫ (١٩١٠ م) فى ٩٤ صفحة بقطع ثمن صغير .

(غلط الضعفاء) لابن برى المذكور . طبع هذه الرسالة الأستاذ تورى C. Torey فى كتاب (الأبحاث الشرقية) لنولدكه (Noldeke) الألمانى .

(رسالة أبى بكر الأنصارىّ) فى درة الغواص ومنتقديها .

(أرجوزة فى نظم درة الغوّاصّ ومؤاخذات الحريرىّ عليها) لسراج الدين أبى حفص عمر بن محمد الفائزى [1] .

(١) راجع المجلد الأول من هذه المجلة (الصفحات ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥) .

(رسالة فى أغاليط الزمخشرى) لرشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل العمرى المشهور بالوطواط المتوفى نحو سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٦ م) .

(إصلاح خلل صحاح الجوهرىّ) لعلى بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن موسى وزير حلب ، المعروف بالقفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) .

(نقود على الصحاح) لأبى العباس الأزدىّ الأشبيلىّ المعروف بابن الحاجّ ، المتوفى سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٧ م) .

وقيل إنه برع فى لسان العرب حتى لم يبق فيه من يفوته أو يدانيه .

(ما أنكرته العرب على أبى القاسم بن سلام وأفتته فيه) : ألف هذه الرسالة محمد بن هبيرة الأسدىّ ، المعروف بصعوداء الكوفىّ ، اختصّ بعبد الله بن المعتز ، وألف له هذا البحث .

(ما قالته العرب وكثر فى أفواه العامة) لأحمد بن سعيد بن شاهين بن على ابن ربيعة البصرىّ اللغوىّ المعروف بأبى العباس .

(تثقيف اللسان) للقاضى المالكى بن عمر الصقلىّ دفن فى تونس من أهل القرن السادس للهجرة ، سيأتى ذكره ، وهو مخطوط .

(رسائل لغوية مختلفة البحوث) لمؤلفين كثيرين فى (الخزانة التيمورية) وبعضها نادر تبحث فى المثنى والمثلث والمترادف والمتضاد والمشترك والمعرب والدخيل والفروق ونحو ذلك من الفوائد التى يحتاج إليها الكاتب والمعرب والصحافى[1] والشاعر ، ولا سيما ما يتعلق بتصحيح العامى واللحن .

(الأغلاطى) : وهو معجم فى الأغلاط اللغوية ، تأليف صفىّ الدين بن سرايا الحلى الشاعر ، المتوفى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) وهو من مخطوطات خزانة الأسكوريال فى أسبانية .

(١) نسبة الى الصحافة . انظر قرار المجمع فى قياسية صيغة (فعالة) للحرفة .

( تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ) لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدىّ ، المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ( ١٣٦٢ م ) . وهو مصور بالشمس فى الخزانة الزكية بالقاهرة . ونقل منه عن ( تثقيف اللسان ) للصقلىّ فى الألفاظ العباسية ، وقد ذكر سابقا .

( الاشتقاق ) لأبى بكر محمد بن السرىّ .

( نقل الألفاظ والكلمات اليونانية وكتابتها وتعريبها ) وهو تأليف قسطوس بليطون اليونانى ، عرب قديما ، ووجده المرحوم أحمد زكى باشا فى خزانة كتب (طوب قبو) فى الأستانة، وعرض طبعه مع غيره من النوادر على مؤتمر المستشرقين فى أثينة سنة ١٩١٢ م وهو فى خزانته بالقاهرة فى ( قبة الغورى ) .

( نفوذ السهم ، فيما وقع فيه الجوهرىّ من الوهم ) ، وهو انتقاد الصحاح و إصلاح ما فيه ، ومنه عشر كراريس فى المكتبة العمومية . للصلاح الصفدىّ .

( نزهة الأنفس ، وروضة المجلس ) لمحمد بن على العراقىّ ، ألفه فيما استعمله العوام من كلام العرب ولم يفهموه ولا عرفوا حقيقته . وفيما يجوز استعماله من المثل ، ووجه تصحيف العوام له ، مع ذكر القصة التى ورد فيها المثل . وكان تأليف هذا قد تم بإلحاح أبى القاسم نصر بن الحسن الصفار ، ورتبه على حروف المعجم ، فهو من المراجع المفيدة فى هذا الباب .

( الجمانة فى إزالة الرطانة ) لمحمد بن القاضى التونسىّ من علماء القرن التاسع للهجرة ، مخطوط سيأتى ذكره .

( المتوكلىّ ) تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطىّ المتوفى سنة ٩١١ هـ ( ١٥٠٥ م ) . وهو رسالة فيما ورد فى القرآن باللغات الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والقبطية والنبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية .

طبعت فى مصر فى ١٤ صفحة بقطع الربع سنة ١٣٤٨ هـ ( ١٩٢٩ م ) وهذه الرسالة المطبوعة ملخصة من النسخة المطولة ، التى سماها باسم ( الخليفة المتوكل على الله العباسىّ ) لأنه أمر بإنشائها .

( غلطات العوام ) لجلال الدين السيوطى الآنف الذكر ، منها نسخة فى الخزانة الكوپرلية فى الأستانة .

(جامع التعريب بالطريق القريب) ألفه جمال الدين عبد الله العذرى أحد علماء القرن الحادى عشر أو الثانى عشر للهجرة فى جامع مرجان ببغداد مخطوط فى الألفاظ المعربة والدخيلة .

( التذييل والتكميل مما استعمل فى اللفظ الدخيل ) جمعه جمال الدين عبد الله ابن أحمد بن موسى العذرىّ وقف عليه مؤلف (جامع التعريب) وهو كذيل لمعرب الجواليقىّ فاختصره باسم ( جامع التعريب ) .

( بهجة النفوس فى المحاكمة بين الصحاح والقاموس ) لمحمد بن يحيى القرافى جمعها من خطوط عبد الباسط البلقينى وسعدى افندى وغيرهما ذكرت فى مقدمة معجم ( تاج العروس ) .

( التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ) لابن كمال باشا ، من علماء الروم المتوفى سنة ٩٤٠ هـ ( ١٥٣٣ م ) .

وقد ذكرت هذه الرسالة فى المجلد الأول من مجلة مجمعنا الملكى (فى الصفحة ٣٥٤) باسم (غلطات العوام ) . وفاتنى أن أذكر أن زميلى الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق قد نشرها فى مجلة مجمع دمشق ، ثم جمعت برسالة على حدة فى ٤٦ صفحة بقطع الثمن سنة ١٣٤٤ هـ ( ١٩٢٥ م ) وحقق أن اسمها ( التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ) لا ( غلطات العوام ) كما كتب فى كثير من نسخها ، ومنها نسختنا .

أما ( غلطات العوام ) فهى رسالة لخسرو زاده كما ذكرنا فى مجلة مجمعنا الملكىّ ( ١ : ٣٥٤) ورسالة ( التنبيه ) طبعت منذ نصف قرن فى ليدن ( هولنده ) بعناية الكونت لندنبرج المستشرق المتوفى سنة ١٩٢٤ م .

وذكر باسم الشيخ عمر السويدىّ ، ولا نعلم سبب تسميته بذلك ، ولعله أراد بالسويدىّ نسبته إلى بلاده : أسوج .

( رفع الإصر عن لغات أهل مصر) ليوسف المغربى من أهل القرن العاشر الهجرى ، يبحث فى لغة مصر العامية فى زمنه . ونسخة المؤلف الأصلية بخطه فى خزانة الجامعة الروسية . وهى من كتب الشيخ محمد عياد الطنطاوى .[1]

ومنه قطعة فى الخزانة التيمورية . وقد درس هذه النسخة ووصفها الأستاذ كرتشكوفسكى Kratchkovoski المستشرق الروسىّ .

( القول المقتضب فى ما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب ) تأليف محمد بن أبى السرور الصديقىّ من أهل القرن الحادى عشر للهجرة منه نسخة فى الخزانة التيمورية .

( خير الكلام فى التفصّى ( التخلص ) من غلط العوامّ) لعلى بن بالى ، بخزانة الفاتح فى الآستانة .

( بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام ) لابن الحنبلىّ فى الخزانتين : الزكية والتيمورية بالقاهرة .

( الأمثال العامية المصرية ) لشرف الدين بن أسد فى أوائل القرن الثامن عشر جمع منها ألف مثل ومثلا ، فترجمها بورخارت السائح الألمانىّ بلغته الألمانية عند ما جاء مصر فى أوائل القرن التاسع عشر وانتقد أمثال الرعاع لبذاءتها — وترجمت بعد ذلك باللغة الانكليزية .

---

(١) راجع الجزء الأول الصفحة ٣٥٥ من هذه المجلة .

## ٢ — مؤلفات المعاصرين من عرب ومستعربين

( أصول اللغة العربيـة العامية والفصحى ) قدمه باللاتينية دى سـفارى De Sivarıe سنة ١٧٨٤ م إلى الحكومة الفرنسية . وكان هذا الكتاب هو الذى حمل المستشرق الفرنسيّ الكبير سلفستردى ساسى على تعـلم العربية فى مدرسـة اللغات الشرقية الحية فى باريس ، والتضلع من ادابهـا ، ونشر ذلك الكتاب سـنة ١٨١٣ بعد موت مؤلفه سفارى بعناية الأستاذ لانكلاز Lanclaze من أساتذتها وتنقيح مخايل الصباغ السورى أحد مدرسيها[١] .

( الألفاظ البرتقالية المشتقة من العربيـة ) لسوزا البرتقالى Souza طبعت سنة ١٨١٢ م .

( أمثـال المكيين بالألمـانية ) للمستشرق سنوك هورغرونجى Hurgronge الهولانديّ .

( بحث فى لغة نجـد الحالية ) للمستشرق ج . ج هس J.Hess. فى مؤتمر المستشرقين فى أثينا اليونانية فى نيسان سـنة ١٩١٢ م وفيه تحقيق فى انتقال نبرة الصوت والتنوين فى كلامهم ، كما فى قولنا ( هى امرأة لى ) فيقولون هم : ( هى مرتالى ) .

( الكلام الدارج بمصرالقاهرة) بحث عرضه المرحوم الأستاذ الشيخ محمد راشد على أعضاء مؤتمر لندن فى سنة ١٨٩٢م وذكر فيه كثيرا من أزجال العوام، وألحانهم ومواليائهم وموشحاتهم وأدوارهم .

---

(١) راجع الصفحة ٣٥٦ من الجزء الأول من هذه المجلة . ومخايل الصباغ لبنانى الأصل كان فى فرنسا ، وألف كتبا فيها ، ونقح بعض المؤلفات للمستشرقين .

( تحفة المكاتب للعرب والكاتب ) لجامع هـذه المقالة ، وضعه فى مجلد كبير لمساعدة المعربين والكتّاب بإيجاد ألفاظ تناسب أغراضهم الأدبيـة والعلمية ، وتهذب تعبيراتهم العامية ، ولايزال مخطوطا ممثلا للطبع .

( الأمثال العربية الشائعة فى الجزائر والمغرب ) لمحمد بن شنب ، نشر الجزء الأول باللغة الفرنسية مترجمة فيه أمثال عددها ٩٢٦ على حروف المعجم من (ا ــ ز) فى باريس سنة ١٩٠٥ م فى ٣٠٢ صفحة وقابل بين أمثال العـامة وأمثال الأدباء وعلق عليها فوائد لغوية وأدبية . وطبع الجزء الثـانى فى باريس سنة ١٩٠٦ م فى ٣٠٨ صفحات .

( رسالة فى اللغة المـالطية ) للمستشرق الألمـانى جزينيوس Gesenins المتوفى سنة ١٨٤٢ م

( مفردات الكلمات الأسبانية والبرتغالية المشتقة من العربيـة ) للمستشرقين : دوزى Dozy وأنغلمان Englmann طبع فى ليدن سنة ١٨٦٩ م

( رسالة فى المقابلة بين لهجات بعض سكان القطر المصرى ) لحفنى بك ناصف تلاها فى المجمع الشرقى فى استوكهولم ، وهى جواب اقتراح الدكتور مرتين هرتمن مدرس اللغات الشرقية فى جامعة برلين بجمع الألفاظ العامية وتقييدها لمعرفة القبائل العربية التى نطقت بها(١) . ووعد مؤلف الرسالة رحمـه الله أن يطبعها على حدة ( ولا نعلم من امرها شيئا )(٢) .

( كنز المصاحبة والأدب للأنيس والطالب فى لغـة مصر والمغرب ) تأليف يوحنا يوسف مرسل J. J. Marcel وهو محاورات فرنسية وعربية بالعامية ، طبع فى باريس سنة ١٨٣٧ م (١٢٥٣ هـ) فى ٥٧٤ صفحة بقطع الربع ، وفيـه لهجات تونس ومراكش ومصر مرتبة على حروف المعجم .

---

(١) راجع المجلد الأول من هذه المجلة ص ٣٦٦

(٢) طبعت فى مصر بالمطبعة الأميرية .

( مفتاح كنوز النحو والأدب لعلوم العرب ) تأليف ( م برنييه ) M. Brenier تلميذ سلفستر دى ساسى شيخ المستشرقين ، طبع فى باريس ســـنة ١٨٥٥ م بالعربية والفرنسية . ، وفيه قطع مأخوذة بالتصوير الشمسى بخطوطها الأصلية : من كوفية وغيرها ، وهناك رسائل وقطع باللغة العاميـــة المغربية ، وأخبار بلغـــة الجزائر العامية ، وأزجال ورسائل ، ترجم بعضها بالفرنسية .

( كتاب الفوائد فى العوائد والقواعد والعقائد ) تأليف دسبارمى F. Despermet المدرس ، وهو باللغة العـــامية ، ضمن أزجالا وأغانى وخرافات طبع فى البليدة بالجزائر سنة ١٩٠٥ م فى ٢٨٨ صفحة بقطع الربع .

( لغة الجزائر العامية ) تأليف هوداس Houdas [١] بالفرنسية .

( العربية ولهجاتها ) رسالة بالفرنسية للكنت دى لاندبرج الأسوجى ، قدمها للمؤتمر الدولى الرابع فى الجزائر سنة ١٩٠٦ م .

( خصائص اللغة العربية ) رسالة فى اللغة العربية الفصحى والعامية ومايقابل خصائص الفصحى فى غيرها من اللغات لحبيب بك غزاله نزيل مصر ، طبعت فى القاهرة سنة ١٩٣٥ م فى ٣٢ صفحة بقطع الربع .

( الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ) لجرجى بك زيدان منشئ مجلة الهلال ( وهى فى الأدلة اللغوية التحليلية على أن اللغة العربية مؤلفة فى الأصل من أصول قليلة ثنائيـــة آحادية المقطع ، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية والأصوات الطبيعية ، التى ينطق بها الإنسان غريزيا ) اه . وقد تعرض المؤلف لما فى الألفاظ العامية من القلب والإبدال والنحت والزيادة والنقصان وما شاكل .

---

(١) راجع المجلد الأول من هذه المجلة ، الصفحة ٣٦٥

وقد طبعت ثانية فى مصرسنة ١٩٠٤ م فى ١١٨ صفحة بقطع الربع ، وفيها تعرض للكتابة والأرقام وصورهما وطرق التعبير السامية بالعبرية والسريانية وغيرهما ، وباللغات الأوربية .

(الخواطر فى اللغة) لجبر ضومط أستاذ العربية فى الجامعة الأمريكية فى بيروت سابقا ، وهو فى تحليل الألفاظ بحسب أصول اللغات السامية كالعبرية والسريانية وما دخل العربية من ألفاظهما وقواعدهما . طبع بيروت فى نحو ١٠٠ صفحة بقطع الثمن . ولضومط مباحث فى اللغة العربية طبعت كتابا فيه فوائد كثيرة .

( الكلمات الآرامية الدخيلة فى العربية ) وهو معجم فرنكل Francle طبع بليدن (هولنده) سنة ١٨٨٦ م .

(مباحث عامية) للأستاذ جيوسب فورلانى Dott. Guiseppe Furlani الإيطالى . زارنى فى دمشق وزحلة ، ورأى معجم العامية والدخيل الذى وضعته ، ومجاميع الأمثال العامية والأزجال التى جمعتها ، ونقل منها أشياء : وذلك سنة ١٩٢٤ م .

( قواعد باللغة المصرية العامية ) لفسك Fask الأميركى ، وهى لكتابة اللغة العامية بحروف أوربية ، وعنوانها بالعربية العامية هكذا (أجرومية مصرى مكتوبا بل لسان المصرى ومعها أمسلة ) ثم بالفرنجية .

( اللغة الشائعة فى سورية قبل الهجرة ) بحث مفيد للطران اقيليميس يوسف داود مطران السريان الكاثوليك فى دمشق ، نشره فى مجلة المشرق اليسوعية (١ : ٨٤٢) وهو من كتابه (اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية) وفيه الألفاظ الدخيلة فى العربية الفصحى والعامية من السريانية وغيرها) .

( أحسن النخب ، فى معرفة لسان العرب ) للأستاذ حسن المصرىّ المدرس فى كلية فيينا . طبع سنة ١٨٦٩ م فى ٢٦٦ صفحة ، وهو فى تعليم اللغة المصرية الدارجة .

( أصول اللغة العربية المحكية ) وضعه بالإنكليزية فى لندن المرحوم الأستاذ فارس الشدياق ( المعروف بعد ذلك بأحمد فارس الشدياق) وطبع سنة ١٨٥٦م .

( نصوص عربية فى لغة العرائش العامية ) للأستاذ مخيمليانو ا . سنطون Maximiliano X Santon الأندلسى ، جمع فيه لغة العرائش فى مراكش سنة ١٩١٠ م ونشر الأخبار بحرفها المغربى ، ورسم لفظها بالحرف الأفرنجى ، وترجمها بلغته المعروفة بالقسطيلية ، وذيلها بمعجم الألفاظ العويصة وشرحها .

( مواد لدرس لهجة عرب البدو فى إفريقية المتوغلة ) هو كتاب بالألمانية نشر أولا فى مجلة اللغات الشرقية البرلينية ثم على حدة فى برلين سنة ١٨٩٩ م فى ٨٠ صفحة . بالقطع الكبير تأليف الأستاذ المستشرق الألمانى جورج كمفماير[1] G .Kampffmeyer

( لهجة قبائل اليمن وما جاورها من جنوب جزيرة العرب ) بدأ بتصنيفه الأستاذ كمفماير الآنف الذكر منذ نحو أربعين سنة .

( الأمثال العامية المصرية ) بالعربية والانكليزية تأليف يوسف خانكى فى مصر .

( الأمثال العامية فى العراق ) ليوسف غنيمة البغدادى نشرها بتعاليق فى مجلة المشرق البيروتية ( ٧ : ٢٩٧ ) .

( المختار من أمثال عكار ) للأب سليمان غانم اليسوعى بشروح نشرها فى مجلة المشرق ( ٩ : ٥٥٥ ) .

---

(١) ورد اسمه فى المجلد الأول من مجلة المجمع فى الصفحة ٣٦٦ بإبدال الفاء غينا وهو خطأ مطبعى

(المنتخب من أمثال حلب) للخوري توما أيوب السرياني الحلبي ، نشرها في مجلة المشرق (١٠ : ٢٨٨) .

(اللهجة العربية العامية في أورشليم) للدكتور مكس لوهر Max Loehr طبع بالألمانية سنة ١٩٠٥ م في ١٤٤ صفحة . وهو يميز بين لهجات القدس والشام ومصر .

(الأمثال الدارجة في فلسطين) كانت تنشر تباعا في مجلة إنكليزية في القدس ، ربما كانت (مجلة جمعية محبي الشرق) .

(حكاية الحداد مع هارون الرشيد) باللهجة المصرية ، مترجمة بالفرنسية .

(كتاب في لهجة الجزائر) بالعربية والفرنسية ، ألفه أبو القاسم (بلقاسم) ابن سديري الجزائري سنة ١٨٨٢ م وفيه العامية والفصحى .

(اللغات الشرقية ولهجاتها) وهي مجلة ألمانية أنشأها الدكتور مارتن هرتمان Dr. Martin Hartmann المستشرق الألماني كانت تصدر في هيدلبرج لخدمة اللغات الشرقية وآدابها ، ولا سيما بحوث علماء المشرقيات في اللغات العامية الشرقية ولهجاتها وتطورها . طبع أول جزء منها سنة ١٩٠٠ م

(روايات وقصص كثيرة للمطالعة والتمثيل) باللهجة العامية ، منها في سورية ومصر والمغرب وغيرها من الأقطار العربية ، ونقل المرحوم محمد عثمان جلال بك المصري روايات تمثيلية عن الشاعرين موليار وراسين بتصرف . وألف الدكتور إبراهيم النجار اللبناني رواية (هات الكاوي ياسعيد) وكذلك فعل (مارون النقاش) أول من أدخل فن التمثيل الى بلادنا ، فشخص أول رواية في بيروت ، وبعض رواياته كان باللهجة العامية اللبنانية ، وتابعهم كثيرون الى أيامنا .

( ثلاث مقالات في اللهجات العامية ) لزميلي في مجمع اللغة العربية الملكي بمصر الدكتور ا . فيشر Fischer نشرتها ( مجلة المدرسة الشرقية البرلينية ) في مجلديها الأول والثاني سنة ١٨٩٨ و ١٨٩٩ م وهي :

( ١ ) أمثال مراكشية كتبت بلهجة المغرب الأقصى العصرية .

( ٢ ) أسماء السلاح والسكاكين المستعملة في المغرب الأقصى ووصفها .

( ٣ ) ( نبرة الصوت بألفاظ لهجة المغرب الأقصى ) وهو يبين أصوات لهجة المغرب الأقصى وقد طبع في ليبسيك سنة ١٩١٧ م للأستاذ فيشر المذكور .

( زمام الغناء المطرب في النظم السائر في أقاصي المغرب ) طبع الجزء الأول منه في النظم الملحون سنة ١٩١٨ م في ليبسيك للأستاذ فيشر أيضا . ونشر المتن في كتبه الثلاثة باللهجة العربية ، وترجم ما كتبه بالألمانية ، أما الجمل الطويلة فنشرها بالعربية .

( معجم باللهجة المغربية العاميــة ) للأستاذ بوسييه Baussier طبع على الحجر بمجلد ضخم بالعربية والفرنسية في الجزائر منذ أكثر من خمسين سنة ، جمله مؤلفه ذيلا لمعجم دوزي المسمى ( بتكملة المعجمات العربية ) [1] وألفت معجمات كثيرة في اللهجات العامية بالمغرب ، ولا سيما لهجات تونس والجزائر ومراكش .

كما ألفت معاجم أخرى للهجات العامية في الأقطار العربية على اختلاف مواقعها لا محل لسردها وفيها الألفاظ العامية .

( حكاية وأشعار تونسية ) للأستاذ هنس ستومه Hans Stumme المستشرق الألماني نشرها بالحروف اللاتينية باللهجة التونسية ، وترجمها بالألمانية .

( لهجة عرب هوّارة ) في المغرب الأقصى ، وهي حكايات مترجمة بالألمانية ، ومنشورة بالحروف اللاتينية وضعها ستومة مع أستاذه البرت . سوسن A. Socin

---

(١) مر ذكر هذا المعجم في الصفحة ٣٦٧ من الجزء الأول من هذه المجلة .

( النحو والصرف فى اللهجة التونسية ) وحكايات بالتونسية أيضا الترجمة بالألمانية واللفظ بالحروف اللاتينية ، لستومه المارّ ذكره .

( اللهجة الطرابلسية المغربية بالألمانية ) وهو يشمل الصرف والنحو والأقاصيص العامية المنشورة بلفظها العامىّ التونسىّ ، مع تفسير المعانى أو الكلمات الخاصة باللغة التونسية لستومه أيضا .

( أشعار البدو بين قطرى تونس وطرابلس الغرب ) بحروف لاتينية اللهجة والترجمة بالألمانية لستومه .

( ملحوظات فى اللهجة العربية التونسية ) على ما ألفه ستومه الآنف الذكر . وهذه الملحوظات بقلم الأستاذ كرلو . ا . نلينو Carlo A. Nallino زميلى فى المجمع اللغوى الملكىّ نشرها فى مجلة ( المشرق الايطالية ) ( راجع المجلد الثانى منها طبع روميه سنة ١٨٩٥ م من الصفحة ١٣١ — ١٤٣ ) .

( كتاب فى اللهجة المصرية ) وضعه بالإيطالية ، واصطلاحات الكلمات ولفظها بحروف لاتينية ، وطبعه ثانية بزيادات فى مدينة ميلانو ( إيطالية ) سنة ١٩١٣ م الأستاذ نلينو المذكور .

(أشعار قومية عربية) متنه العربى بعضه بالحروف العربية ، وبعضه بالحروف اللاتينية ، أما الترجمة والشرح فبالألمانية ، وهو تأليف الأستاذ أنوليتمان E. Littmann المستشرق الألمانى زميلى فى مجمع اللغة العربية الملكى ، طبع ببرلين سنة ١٩٠٢ م .

(قصة الحماة والكنة) رسالة باللهجة البيروتية ، متنها بالحروف العربية واللاتينية ، وترجمتها بالفرنسية ، طبعت بالمجلة الأسيوية فى باريس سنة ١٩٠٣ م للتمان .

(حكايات عربية عصرية) باللهجة القدسية و بالحروف العربية ، وهو أول كتاب من نوعه انتخبه ليتمان المذكور من قصص قديمة وحديثة شاعت فى فلسطين أو رويت بألسنة الإفرنج عن بلادهم ، فكان القدسيون يتسامرون بها ، وفيها غرائب الأقاصيص ، طبعت فى ليدن (هولنده) سنة ١٩٠٥ م ثم فى ستراسبورج سنة ١٩٠٨ م فى ٥٨ صفحة قطع نصف عريض — له .

(مناداة البائعين فى القاهرة وطنطا والقدس) بالحروف العربية واللاتينية ، أما الترجمة والشرح فبالألمانية ، طبعت فى الدائرة الإسلامية نحو سنة ١٩٢٠م — له .

(حكاية أو (حدُّوته) [1] عربية) باللهجة الحموية ، بالحروف اللاتينية ، مع ترجمة ألمانية ، طبعت نحو سنة ١٩٢٢ م — له .

(رسالة عن وفاء النيل والأغانى المتعلقة به) بالحروف اللاتينية والعربية ، مترجمة بالألمانية طبعت نحو سنة ١٩٣٤ م — له .

(قصة فنيانوس) مترجمة بالألمانية مع شرح وملاحظات طبعت سنة ١٩٣٣ م — له .

(قصص العرب فى شرق الأردن) بالحروف العربية ؛ مع ترجمة ألمانية طبع بترسبرغ سنة ١٩٠٩ م — له .

(أسماء البدو والدروز فى ديرة حوران) بالحروف العربية واللاتينية ، مع تفاسير بالألمانية ، طبع غوتنجن سنة ١٩٢٠ م — له .

(أغانى الأولاد . ولغتهم فى مصر الحاضرة) بالألمانية والأغانى كتب بعضها بالعربية و بعضها بحروف لاتينية مفسرة بالألمانية طبعت فى القاهرة سنة ١٩٣٥ م فى ٧٤ صفحة بقطع نصف كبير .

(١) تحريف أحدوثة بلسان العامة .

اللهجات العامية فى الأيام الأخيرة ، منذ أكثر من قرن ، وامتزاج الأمم الغربية بالبلاد العربية التى اختلفت لهجاتها ، حمل المستشرقين على البحث فى العامية ، ثم إدخال تدريس لهجاتها وأصولها وتقلباتها وتطوراتها فى جامعاتهم وكلياتهم ، وذلك فى المدارس التى خصصت ( بالدروس الشرقية ) للغات الشرق ، وأخصها العربية ، وألفوا فى تلك الموضوعات واعتنوا بها ، حتى ذهب بعضهم الى وجوب التأليف والنطق بالعامية والإعراض عن الفصحى ! ! ! وخالفهم البعض الآخر بالمحافظة على اللغة الفصحى ، ورد العامية الى أصولها العربية ، أو الى اللغات الدخيلة فيها ، مع ضبط اللهجات ، كما سبقت الإشارة الى ذلك فى صدر مقالنا المنشور فى الجزء الأول من المجلة : ( الصفحة ٣٥١ ) . وكان أكثر الأوربيين حاجة الى فهم اللغة العربية العامية الايطاليون ، الذين دخلوا بلادنا الساحلية والجبلية للتجارة ، منذ بضعة قرون ، فأنشأوا (مدرسة نابولى للدروس الشرقية) سنة ١٧٢٧ م وجددوها سنة ١٨٨٨ م فربما كانت أول مدرسة لتدريس اللغات الشرقية الحية ، ولا سيما العربية العامية ، للتفاهم مع أهل البلاد التى دخلوها واتجروا فيها هم وغيرهم .

وأنشئت مدرسة لمثل ذلك فى فينة (النمسا) سنة ١٧٥٤م ، وأطلقوا عليها اسم ( مدرسة القناصل ) ، لأنها كانت تعلم القناصل لغات الشرق ، ومنها العربية ، مهتمة بلهجاتها العامية . وكان من مدرسيها فى القرن الماضى (حسن المصرى) الذى ألف كتابا بالعامية سنة ١٨٦٩م مر وصفه ، وأسست سنة ١٨٥١م مدرسة للهجات الشرقية ، ثم مدرسة باريس للغات الشرقية الحية ، وأنشئت سنة ١٧٥٩ لتعليم القناصل والتراجمة والتجار والعلماء المتصلين بالشرق ، وفى آخر الثلث الأول من القرن الماضى أضافت إلى دروسها (تدريس اللهجات العربية العامية) والتلفظ بها بضبط . وأول من علم فيها المستشرق الفرنسى سلفستر دى ساسى المشهور ، وكان تقديم (كتاب أصول اللغة العربية العامية والفصحى) باللاتينية — تأليف دى سفارى كما مر فى هذه المقالة — للحكومة الفرنسية مساعدا لدى ساسى على إتقان العربية ، ومعرفة

لهجاتها، وكذلك وجود مخايل الصباغ السورى فى باريس مدرسا للعربية، ومؤلفا كتابين فيها — مر وصفهما فى الجزء الأول من المجلة الصفحة ٣٥٦ — قد مكن دى ساسى من العربية .

وبعد ذلك أنشئت مدرسة لازارف Lazarev الاكليريكية للغات الشرقية فى مدينة موسكو الروسية سنة ١٨١٤ م وكانت تعلم العربية ولغات الشرق الأخرى وكانت هذه المدرسة فرعا من الجامعة الأمبراطورية فى بطرسبرغ، (لينينغراد الآن) التى كان أستاذا للعربية فيها المرحوم الشيخ محمد عياد الطنطاوى، فساعد وجود هذا الأستاذ على الاعتناء بالعربية العامية، وله مؤلف مر ذكره فى الجزء الأول الصفحة ٣٥٥

وسنة ١٩٠٩ م خصصت فرعا لها بتدريس العربية واللغات المحكية .

وأنشىء مكتب كبير فى برلين (ألمانيا) سنة ١٨٨٧ م لمثل هذه الأغراض، حتى صار من أعظم مكاتب أوربا لخدمة اللغات الشرقية، فتخرج فيه معظم أساتذة أمريكة الشمالية، وألف سلاسل من كتب التدريس لتعليم حلقات الدوائر الشرقية فى الولايات المتحدة الأمريكية، فكان من مدرسيه الدكتور مارتن هرتمن من مؤلفى دائرة المعارف الإسلامية بالألمانية وقنصل ألمانيا فى بيروت، فعرف العامية ولهجاتها السورية، وكان من المدرسين فيه للمصرية العامية الدكتور أحمد والى[1] وللشامية العامية أمين معربس . وفى سنة ١٩١٤ م اعتنت هذه المدرسة بانشاء حلقات لدرس العربية الفصحى ولهجات الشام ومصر والمغرب واللغات الشرقية الأخرى، وأنشأت مجلة لبحوثها كما سبق، ثم أنشئت الكلية الملكية فى المجر لعلوم الاقتصاد الشرقية ودرس اللهجات، ومنها العربية، وإحكام التلفظ بها، ودرس أصواتها، وذلك سنة ١٨٩١ م .

---

(١) هو طبيب عالم؛ شقيق فضيلة الأستاذ حسين والى عضو مجمع اللغة العربية الملكى .

وعقب ذلك تأسيس مدرسة همبرغ الاستعمارية ، لتخريج السياح والتجار والموظفين بلغات الشرق ، ومنها العربية العامية ، وتصحيح اللفظ بحروفها بلا رطانة ، وكانت جامعة لندن فى أوائل القرن التاسع عشر قد أنشأت فرعا فيها لتدريس العربية الفصحى والعامية ، وكان من مدرسيها حبيب أنطون السلمونى اللبنانى ، فألف معجما بالعربية والإنكليزية طبع سنة ١٨٨٩ م . ولما ذهب المرحوم أحمد فارس الشدياق إلى لندن اقترحت عليه المدرسة تأليف كتاب (بالعربية المحكية أى العامية ) فوضعه باللغة الإنكليزية سنة ١٩٠٦ م كما سبق الكلام .

وكثرت التآليف العامية العربية ولهجاتها كما رأيت فى المقالتين الأولى والثانية عند الوطنيين والمستشرقين ، وتلونت الآراء بشأن ضبط العامية ، حتى وقعت مناقشات بسبب ذلك بين بعض العلماء ، منها ما كان بين كل من المستشرقين هرتمن وكمبفماير الألمانيين فى مؤتمر المستشرقين فى باريس سنة ١٨٩٧ م ، وقد كتب خلاصة المناقشة بينهما أحدهما هرتمن فى مجلة المشرق البيروتية ( ١ : ٧٩٠ — ٧٩٩ ) سنة ١٨٩٨ م بعنوان : ( أهمية جمع خواص الكلام الدارج وما يتخذ لذلك ) وهى مقالة ممتعة ، ضمنها كثيرا من الفوائد المتعلقة ببحثنا هذا ، وفصل شؤون آداب العامية ، وقابل بين اللهجات الفصحى ، ولهجات لبنان ومصر والمغرب .

وهكذا كتبت المجلات الكبرى بحوثا رائعة فى هذا الصدد ، لكثير من كبار اللغويين والمؤلفين ، نذكر منها مجلات المقتطف ، والهلال ، والمشرق ، والطبيب والبيان ، والضياء ، والمنار المصرية ، والمنار البيروتية ، والمنارة اللبنانية ، ولغة العرب ، والمقتبس ، والزهور ، والزهراء ، ومجلة مجمع دمشق العلمى ، والمجلة المصرية ، والكلية ، والآثار ، والعرفان ، والمسرة ، ومجلة المعهد الطبي الدمشقي ، وغيرها ، فضلا عن المجلات الأوروبية والأميركية التى تناولت هذه المباحث مع كثير من الجرائد الوطنية والأجنبية ، وجرت مناقشات وبحوث فى الصحف

لا محل لذكرها ، وهكذا عُني العلماء الوطنيون والأجانب باللغة العامية وردها الى الفصحى ، فألفت فيها معجمات مرّ وصفها وقل ما طبع منها . مع أن كثيرين ألفوا معاجم كان يجب أن تنشر لما فيها من الآراء التي يساعد مجموعها على التمحيص ؛ فلعل بعض شركات طبع الكتب تعنى بهذا .

هذه كلمة قدمتها للقراء الكرام قبل أن أدخل فى بحوث اللغة العربيـة العامية فى سورية ولبنان ، وما بقى فيها من القواعد اللسانية والأزجال والأمثال والتعبيرات وأساليب الكتابة ، مرجئا ذلك إلى مقالات فى الأجزاء الآتية وفقنا الله إلى إتمامها بمنه وكرمه .

# كلمة للاستعمال

## الجُمَّة

الجُمَّة : الجماعة تنزل بالقوم تلتمس عطاء على جهة المعونة والصلة — قاله الخطيب التبريزى فى شرح كتاب الألفاظ لابن السكيت(١)

وقال الخطيب التبريزى أيضا فى شرح ديوان الحماسة ( ج ٤ : ص ١١٦ ) طبع بولاق) ما نصه :

الجُمَّة : الجماعة ترد فى الحَمَالة (٢) والصلح وغيرهما ، قال :

وجمة تسألنى أعطيت (٣) .

وقال أبو على القالى فى أماليه (ج ١ : ص ٥٢ — طبع الدار) وأنشدنى أبو بكر قال أنشدنى الرياشى :

او قد تركتك لم تنخ بك جمة ترجو العطاء ولم يزرك خليل

---

(١) انظر الحاشية (ص ٤٠) من كتاب تهذيب الألفاظ .

(٢) الحمالة كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم كالحمال جمعه حُمُل ككتب — ق .

(٣) وتمامه — (عن التاج) .

وسائل عن خبر لو يت فقلت لا أدرى وقد دريت

وفى كتاب الف — با (ج ١ : ص ٥١٤) "وسائل عن خبرى" .

وجاء فى القاموس وشرحه ما يأتى :

ويقال : جاء فى جَمّة عظيمة ، ويضم ، أى جماعة يسألون الدية ، وقال ابن الأعرابىّ هم الجمة والبُرْكة (١) — اهـ وفى النهاية لابن الأثير : الجم جمع جمة ، وهم القوم يسألون فى الدية ، يقال : أَجَمَّ يجم إذا أعطى الجمة — اهـ .

قلت : هذا يصح وضعه فى جماعة الرجال والأطفال المنوط بعهدتهم القيام بجمع ما يتبرع به الناس لفائدة الأعمال الخيرية والوطنية ، كأن نقول — مثلا : هذه جمة نادى كذا وتلك جمة جماعة كذا .

تونس — محمد المكى بن الحسين

(١) والبركة : الحمالة ورجالها الذين يسعون فيها قال :

لقد كان فى ليلى عطاء لبركة أناخت بكم ترجو الرغائب والرفدا

ليلى هنا : ثلثمائة من الإبل كما سموا المائة هندا : ويقال للجماعة يحملون حمالة بركة وجمة — عن اللسان .

تم طبع هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم أول رجب سنة ١٣٥٦ (٦ سبتمبر
سنة ١٩٣٧) م

مدير المطبعة الأميرية
محمد أمين محمد بهجت

تم إعادة طبع هذه المجلة
بمطابع الدار الهندسية

يناير ١٩٩٤م
شعبان ١٤١٤هـ

المطبعة الأميرية ٥٢١١-١٩٣٦-٥٠٠٠